

البدایة والنہایة

الإمام الحافظ المفسر المحدث الفقيه الموفق عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي إجازي

الشهير بابن كثير

(701 - 774) هـ

طبعة مضبوطة، موزعة الفقرات، مجموعة الأحاديث والتلخيص،
مفصلة وواضحة بأشياء لم تذكر في السابق مقابلة على عدد من النسخ
الطبعة، فهرسة الآيات والأحاديث والتراجم والموضوعات

الجزء الأول

اقتنى به

حسان عبد المنان

بیت الکتاب والادب



حقوق الطبع والنشر محفوظة
All Copyrights © Reserved

سجلت حقوق هذا الكتاب لشركة بيت الأفكار الدولية، طبع هذا الكتاب عام 2004 في لبنان، لا يجوز نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو بفهر ذلك دون الحصول على إذن خطي من الناشر، وإن عدم التزام ذلك تحت مظلة المسؤولية القانونية والجزائية.

الأردن

هاتف +962 6 566 0201

فاكس +962 6 566 0209

ص.ب 927435 عمان 11190 الأردن

السعودية

هاتف +966 1 404 2555

فاكس +966 1 403 4238

ص.ب 220705 الرياض 11311 السعودية

المؤتمن للتوزيع

هاتف +966 1 243 5423

فاكس +966 1 243 5421

ص.ب 69786 الرياض 11557 السعودية

فروع المؤتمن

السعودية

02 5742532 مكة المكرمة

04 8344355 المدينة المنورة

02 6873547 جدة

03 8264282 الدمام

06 3260350 القصيم

07 2296615 أبها

الإمارات العربية المتحدة

هاتف +971 6 574 8455

فاكس +971 6 574 8466

ص.ب 32920 الشارقة

www.afkar.ws

e-mail:ideashome@afkar.ws

الْبَيْتَانِ وَالنَّهْيَانِ



مقدمة الطبعة

وعقلٍ واعٍ في توضيح معالم عليها يتنظم البشر، ولم يكن هذا واضحاً في التاريخ واللغة والتفسير، فتأخر التعامل معها، وانتشر بعد إعادة صياغة كتابتها بطريق علمية عندهم، وصارَ فيها التقديسُ لقدم المادة، لا أنَّ المادة في ذاتها صحيحة.

ومع بعد الشقة بين الأحداث وزماننا هذا صارَ هناك كثيرٌ من الحواجز والموانع حالت دون تحقيق كثير من الأمور إلا بقواعد أقلّ تقريباً مما لو كان ذلك في السابق. ولكن يمكنُ عملُ شيءٍ ما من تحقيق التاريخ واللغة، مع الاحتمال للخطأ بين الحين والآخر لعدم الإمكان من الثبوت من الأحداث من خلال الإسناد والسياق نفسه.

ونحن إذا نظرنا في كتاب الطبري الذي يُعدُّ عمدةً في الموسوعية والإحالة إلى الأسانيد التي ذكرها لم نجد فيها تمييزاً بين ما صَحَّ وضعف، وكذا جاء ابن الأثير فاهمل مصادره ونقوله وصاغ التاريخ بطريقة تستميل القارئ لسهولة عباراته، واستطراؤه. وكذا ابن خلدون أهمل مصادره واكتفى في تقديمه لهذا التاريخ أنه حاول الإجابة فيه. فلم نستفد من تاريخه غير مقدمته وغير الحقبة التي كان شاهداً فيها.

أما هذا الكتاب فكان الكتاب الأول الذي حاول أن يكون موضوعياً في نقوله وعباراته ونقداً، وامتاز على غيره بالكثير، في حين امتاز الآخرون عليه بأقل من ذلك. ويمكن تفصيل ميزاته في تاريخه بالآتي:

١- أنه أفاد من علمه في الحديث والرواية، فحاول الحكم على كثير من الروايات بانقطاع وضعف وصحة، وهذا مما لم يكن في كتب التاريخ الأخرى، وأخص من هذا بالذكر أكثر فترة السيرة النبوية والخلفاء الراشدين.

٢- وقد نقل في الحديث عن بداية الخلق وقصص الأنبياء والسابقين كثيراً من المنقول عن بني إسرائيل، منها ما في مقدمة كتابه أنه لم يذكرها إلا للاعتبار، إذ قد تصح وقد

إن الحمد لله حمدُهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هاديَ لَهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله حقَّ تقاته، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ، إن الله كان عليكم رقيباً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم وَمَنْ يُطِيعِ الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعد:

فلأن علم التاريخ دُون قديماً من القرن الثاني، مؤزعاً ومجموعاً، ولم يتنظم في نقدٍ واضح عند مَنْ كُتِبَ من المتقدمين، كما لم يتنظم علم الحديث والرواية بقواعد واضحة قبل مجيء النقد من مثل البخاري وأبي حاتم في آخرين. ونلاحظ أن السرعة كانت أكبر في تنظيم قواعد الحديث ومعرفة ما صَحَّ وضعف، ولم يكن لغيره مثل هذه الأهمية ككتب التاريخ واللغة ونحوهما من التي اعتنت بالأسانيد في ذكر أخبارها وأشعارها. والسبب في ذلك هو أن علم الحديث علم يقوم عليه الشريعة من حلال أو حرام، فلا يمكن أن يبقى هملاً دون أن تصنع فيه يد بشرية

السنة مستقيماً أكثر ذلك من كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي. ويركز منهم غير المشتهرين.

وأحياناً كثيراً من التراجم في القرنين الأولين وبعد ذلك بقليل إلى كتاب آخر له في الرجال، جمع فيه الكثير من الرواة في الأسانيد، وسيأتي ذكره في مؤلفاته.

٧- وامتاز أيضاً بذكر نحو خمسين سنة من الوقائع التي كان شاهداً عليها، لا سيما أخبار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ومحبيه.

ميزة الطبعة:

١- قبلت الطبعة على ثلاث نسخ مطبوعة، كان أفضلها طبعة الدكتور التركي، وأتمت هذه النسخة من مجموع النسخ المذكورة، لأنني وجدت في كل منها نصوصاً لم أجدتها في الأخرى. فخرجت هذه الطبعة تامة إذا وجدت الزيادة متفقة مع النص والسياق، أما إذا كانت الزيادة واضحة من الناسخ فإني لم أعتبرها إلا إذا كان هناك فائدة من ذكرها مع التنبيه.

٢- خرجت النصوص والأحاديث، واستفيد أكثر ذلك من النسخ التي اعتمدت عليها

٣- جاء الكتاب متابعاً، وأحياناً يُذكر فيه كتاب كذا وكذا، ولم يكن واضحاً في بعض المواضع، فآثرت أن أقسمه تقسيماً يفهم الكتاب، وجعلت ذلك واضحاً في الترويسة، وهذه التقسيمات هي.

(بدء الخلق، قصص الأنبياء، أخبار الماضين، أخبار العرب، سيرة رسول الله ﷺ، زوجات النبي وخواصه، شمائل النبي ﷺ، دلائل النبوة، التاريخ على السنوات من سنة ١١).

٤- كان في الأصل عناوين غير واضحة مثل (فصل)، وأخبار كثيرة غير مُعنونة، وتداخل في العناوين، وعناوين فرعية كان يجب أن تكون أتناساً، والعكس.. ثم جعل

تُكذَّب، وذلك بعد أن استبعد قسمين آخرين من الإسرائيليات، القسم المصدق وهذا يُعني عنه غيره من نصوص الآيات والأحاديث النبوية، والقسم المكذَّب، وهذا لا حاجة لنا به.

وقد بُكِّه عند بعض الأحاديث المرفوعة أنها إسرائيلية، مرجحاً ذلك من الإسناد والمتن، كما فعل في قصة خلق التربة يوم السبت، وقصة الفنون.

٣- وامتاز ابن كثير أيضاً بتوثيق النصوص من أصحابها، فهو حينما يورد الأحاديث والأثار ينقل ذلك بإسناده إلى صاحب الكتاب الحديثي أو التاريخي، وقد استفدنا من هذا الإيراد أنه جاء ببعض الأخبار التي لم تصل إلينا مسندة من الكتاب الأصل، لفقدانه أو أنه لم يُطبع.

وهذا التوثيق وهذه الإحالة امتاز بها ابن كثير عن المؤرخين، فابن الأثير وابن خلدون والمسعودي ونحوهم لم يذكروا مصادر نقولهم، وإن ذكروا فبالكاد مصادر معدودة نادراً.

وكذا الطبري إنما اعتمد على أسانيده وهي معدودة كما نبهنا عليها في مقدمة كتابه، إذ على نحو عشرة أسانيد يقوم معظم الكتاب، ولم نجد فيه ذاك التنوع في المصادر كما فعل ابن كثير، لذا نجد لأحد الكتابين ميزة لا نجدها في الآخر، مع الاعتراف بأصالة الطبري في روايته، وتبعية ابن كثير في النقل.

٤- وامتاز أيضاً بأنه أورد جملة موسوعات في كتابه قد تُعد في خارج التاريخ، كما فعل في شمائل النبي ﷺ، ودلائل نبوته، وأشراف الساعة ونحوها.

٥- وامتاز أيضاً بالإفادة من كبار المؤرخين فنقل عنهم الكثير، كما فعل في أبي شامة، والذهبي، والبرزالي، فقد نقل عنهم الكثير منسوبة إليهم.

٦- وعمل بطريقة الذهبي رحمه الله في إيراد السنة لبيان أحداثها ووقائعها، ثم يذكر التراجم لمن توفي في هذه

تقسيم الكتاب وعناوينه غير متسقة وغير مفهومة الترابط، فنصرت فيها وحذفت بعضاً وزدتُ آخرَ ليتناسقَ الكتابُ، وسيشعرُ بحسنِ ذلك الصنيع من اطلعَ على طبيعة النسخ المطبوعة الأخرى، وسيجدُ الجهد المبذولَ في الكتابِ.

وأكثر العناوين التي زدتها وبيتها كانت من بداية الكتاب إلى نهاية كتاب دلائل النبوة، فأكثر ذلك من العناوين متصرفٌ بها، وقد وضعت لها أرقاماً متسلسلة في كلِّ كتاب منها، ووضعت رقم السنة عند كل حدث من السنوات (١-١١).

أما بعد ذلك فإنما هي عناوين الكتاب إلا ما جعلت بين قوسين في التراجم فهو زيادة أو أشياء يسيرة جداً في العنوان.

وقد اضطررت أحياناً أن أجعل بعض النص عنواناً، ولا سيما في الوفيات.

٥- فصلت فقرات الكتاب ووزعته توزيعاً يوضح للقارئ معانيه، فوضّح فيه كل قولٍ وتخريجٍ وترجمةٍ وحدثٍ وتعليقٍ وغوها. في حين أن النسخ جميعاً لم يأت فيها هذا التفصيل، نعم جاء بعض ذلك، ولم يفصل جلُّ الكتاب فيها، مما جعل عسراً في متابعة النصِّ إلا بقراءة كاملة للموضوع.

٦- وضحت التراجم بطريقة تسهل على الباحث البحث عنها، وجعلت ذلك بحرفٍ مميزٍ وأمامه مربع أسود، للفت النظر إليه مباشرة، وجعلت ذلك المربع أمام الاسم مباشرة أو الشهرة دون الكنية أو اللقب إذا كانا تابعين للاسم، ولم يكونا مشهورين.

٧- ترجمت للإمام ابن كثير ترجمة مطولة مستقصية ذلك من خلال كتابه وما كتب عنه.

٨- اعتنيت بالإخراج الفني للكتاب من حيث الترويسة والتوزيع والطباعة.

٩- ألحقت به مجموعة من الفهارس:

فهرساً للأيات وفهرساً للأحاديث والآثار، كلاهما معزّو إلى أرقام الصفحات.

وفهرساً للأعلام المترجمين عزوتُ مواضعها للسنة التي جاءت الترجمة فيها، وذلك لإفادة كثير من الباحثين عن التراجم من أجل معرفة سنة الوفاة، ونلاحظ أن اضطراباً وقع عند ابن كثير في الوفيات لأمرين،

الأول: وهم في بعض التراجم فكان يذكر الترجمة في موضع ويخطئ حين النقل فيضعه في موضع آخر، أو يكون نقل ذلك خطأ من مصدر وقع فيه الناسخ بالخطأ، وذلك كسيبويه، فإنه أورده في وفيات سنة (١٨٠)، ثم أورده سنة (٢٨٠).

الأمر الثاني: أن هناك خلافاً في تعيين سنة الوفاة، فكان مرة يذكره هنا ومرة هناك.

وفهرساً للموضوعات بما فيه من عموم وتفصيل.

١٠- أما كتاب «النهاية» المتعلق بأشراط الساعة فقد كنا عازمين أن نضعه في هذه الطبعة، ولكن أرجأنا ذلك ليكون في مجلدٍ وحده فيما بعد إن شاء الله تعالى، لأن موضوعه خارج عن التاريخ، ولأن طالبيه يقتضيه منفرداً أكثر من أن يكون مجموعاً إلى غيره.

وأسأل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب خادوماً بما نرى، والحمد لله رب العالمين.

حسان عبد المنان

١٧/ربيع الثاني/ ١٤٢٥

٧/حزيران/ ٢٠٠٤

ترجمة الحافظ ابن كثير

تمهيد:

ثم رجع السلطان محمد بن قلاوون المهزوم أمام التار، فأرسل جيشه مع سَلَار، فدخل في خدمته فَبُجِق، ويكتمر السلحدار والبيكى، فصَفَح عنهم السلطان.

وفي سنة (٧٠٠) كَثُرَت الأراجيف بمجيء التار، وانجفل الناس واشتد الأمر، ووصل السلطان القريش، ووصل قازان إلى حلب، والناس في حال لا يعلمها إلا الله، فنادوا: مَنْ قَتَرَ على السفر فليبادر... وهكذا في سلسلة من المآسي والأصاحي، تنازلت الناس من كل جانب، يطول شرحها وبيانها، ولكن يمكن أن نلخص أحداث ذلك القرن بجملة أمور:

١- اجتياح التار، وتعاون الفرنج على إزالة معالم الدولة الإسلامية، وتطعيم رمز الخلافة ووحدة البلاد، ولم يتغير كبير شيء عند التار بإسلامهم، بل كانوا كثيرهم يقاتلون ملوك الروم حيناً، ويحالفونهم حيناً آخر في وجه الدولة المملوكية، ثم يتبادلون الهدايا.

٢- متابعة تطهير البلاد من آثار الحملات الصليبية، فحرر الظاهر بيبرس قيسارية، وأرسون، وإيافا، والشقيف، وأنطاكية، وطبرية، والقصير، وحصن الأكراد، وحصن عكا، وصافيا... وناصفهم على المرقب، وبانياس، وبلاد انطرسوس، كما حرر سيف الدين قلاوون مدينة طرابلس. وحرر الأشرف خليل بن قلاوون عكا، كما سلّمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف، فتحرر الساحل بالجملة من الفرنج.

٣- نهاية التار عام (٧٣٦هـ) بموت ملكهم خريندا بن أرغون، فاختلفوا من بعده، وتفرقوا شتراً مذبذباً، ويصف ابن كثير بأنه كان من خيار ملوك التار وأحسنهم طريقة، وأثيهم على السنّة، وأقومهم بها. وقد عزّ أهل السنّة بزمانيه، وذلت الرافضة بخلاف دولة أبيه.

٤- قامت أحلاف بين المسلمين بسبب نزاعاتهم تمتت على الشكل الآتي:

الحلف الأول: الفرنج والصالح إسماعيل صاحب دمشق، والناصر داود صاحب الكرك، والمنصور صاحب حمص. وضَم الحلف الثاني: الخوارزمية والصالح أيوب صاحب مصر. ودارت الدائرة على الفرنج وحلفائهم من المسلمين.

وفي فترة ثانية انقلبَت التحالفات، فضم الحلف الأول: الفرنج

لم تكن تلك الحقيقة من الزمن طبيعية، وكان الناس في شدّة من أمرهم بسبب اجتياح التار لهم وانقضاء الفرنج عليهم تارة وظهور الخلاف الشديد بين الأمراء والسلاطين تارة أخرى، حتى كان يُغيّر العشرات منهم في فترة وجيزة تنبئ تأثيراً سياسياً واضحاً في البلاد.

ولكن الشام وما حولها من أهمّ البقاع التي عليها الأعين، ولكونها قلب العالم، تسلّط عليها الناهيون من كل مكان، فكس من آلاف شُرّذوا، وأكثر منهم قتلوا، وأكثر منهم قيدوا للعبودية، وجمع كبير يشهد التاريخ أنهم لم يجدوا ما يأكلون، فماتوا جوعاً.

ولا شك أن مثل هذه الانشغالات إذا دبت في أمة أصابها إعياء وتخلّف عن الواقع، وعدم كبير التفات إلى ما يحلّ بهم، وقد كانت الفرصة للتفكير آنذاك أقلّ من أن تستغلّ في جمع من الأحداث كبير، لا تسمح معه النظرات والاعتقادات إلى مصير الأمم.

اهلكهم أراجيف التار الذين أبادوا مئات الآلاف دون حساب، وتعرض جميع الناس للفناء والجوع والقحط والفيضانات... في تلك الأثناء تسلّم قازان بن أرغون ملكاً على التار، وأقنعه نائبه بالإسلام، فدخل فيه وتلقّف بالشهادتين، وفشا الإسلام فيهم، وكان سنة (٦٩٤).

ولم يكن هذا مانعاً بعد من مزاولة أعمالهم في النهب والذمار، ففي سنة (٦٩٩هـ) علّم قازان بقتل صاحب مصر ونابيه واضطراب الأمور، فأقبل في جيش عظيم قاصداً الشام، فانتصر عليهم ودخل دمشق. وشرعوا في المصادرة والغسب، ونهبوا الصالحية، وسبوا أهلها، وأتبعوا الخلق... وجرت الأحداث إلى حرق جامع العقبة، ودار السعادة، ودار الحديث، والعادية، والتورية... وخرت تلك الناحية كلها، وهرب أهلها.

ثم أذن قازان - وكان نازلاً بالمرج - لجيشه في نهب دمشق، ويات الخلق في ليلة الله بها عليهم، إلى أن أمر بالكف عنهم، وحمل التار المكاسب والغنائم، ورحلوا من دمشق، وجعلوا قبجق نائهم بدمشق ومعه السلحدار.

ولم يذكر النُعمي: «ابن كثير» الأخيرة^(١). واختلفوا في «زُرع»، ففني مطبوعات ابن ناصر، وابن قاضي شهبة: «زُرع»^(٢). وفي مطبوعة «البداية»، و «طبقات المفسرين»: «دُرع»^(٣).

وزاد الحسيني، والداودي، وابن ناصر: «أبو الفداء»، وهو كذلك في مقدمة «اختصار علوم الحديث». للمؤلف^(٤). وزاد ابن حجر: «القيسي»^(٥). وزاد الفاسي: «الأموي»^(٦).

وُلِدَ في قرية شرقي بُصرى، تُدعى «مجدل»^(٧)، سنة إحدى وسبع مئة.

وقال ابن العماد: سنة سبع مئة^(٨). وقال الذهبي: وُلِدَ بعد السبع مئة أو فيها^(٩).

سبب تسميته:

كان والده قد تزوج من والدة المترجم، ومن أخرى قبلها أنجبت إسماعيل - وهو أكبرهم - ثم يونس وإدريس، وأنجبت والدة ابن كثير: عبد الوهاب، وعبد العزيز، ومحمد، وأخوات عدة، ثم المترجم وهو أصغرهم.

قال ابن كثير: وسُمِّيْتُ باسم الاخ إسماعيل، لأنه كان قد قَدِمَ دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ مقدمة في النحو، وحفظ «التبتيه» وشرحه على العلامة تاج الدين الفَرازي،

والجيش المصري. وضَمَّ الخلفُ الثاني: صاحب الشام، والخليفة العباسي في بغداد. فأرسل الخليفة نهم الدين البادراني بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأصلحَ بين الجيشين، وكانت الحرب قد اشتدتَ بينهم، وقد مَالَ الجيشُ المصريُّ الفرنجَ ووعَظهم أن يُسَلِّمَ إليهم بيت المقدس إن نصرَهم على الشاميين.

٥ - كثرةُ الفتنِ والمحَنِ بين المسلمين أنفسهم بسبب اختلافِ مدارسهم الفقهية، والعقيدية، فنجدُ أن الوُشاة والحُناد يكثرُ نشاطهم للإيقاع ببعض الأئمة، لحياة المناصب عند الدولة، وإيقاع التلاميذ في جانيهم، وقد أوردَ ابن كثير من هذا كثيراً من الأمثلة في كتابه «البداية والنهاية»...

٦ - حدوثُ بعض الزلازل والكوارث الطبيعية من فيضانات وسيل... فزادت النكباتُ أخرى...

وهذا كُلُّهُ سَبَبٌ ضَعُفًا في التجارة، وغَلَا في الأسعار، وتدنَّى في المعيشة... على خلافِ هذه الأوضاع في قصورِ السلاطين.

في خِصَمِ هذه الأجواء وُلِدَ مترجماً، يعاني أحوالاً سادت قبله، ومصائبَ حَلَّتْ في زمنه... رحمةُ الله وأئمةُ عصره رحمةً واسعة^(١٠).

اسمه ونسبه:

هو الإمام الحافظ إسماعيلُ بنُ عمرَ بنِ كثيرِ بنِ ضَوْءِ بنِ كثيرِ بنِ زُرعِ البُصْرَويِّ، القرشي، الدمشقي، الشافعي، الفقيهُ المُفسِّرُ المؤرِّخُ المحدثُ، عمادُ الدين ابنِ الخطيب، شهاب الدين، المعروف بابن كثير.

وقد ينسب إلى جده، فيقال: إسماعيلُ بنُ كثير^(١١). وقال النُعمي بعد «ابن كثير» الأولى: ابنُ عَنَوَى^(١٢). وزاد ابن ناصر، وابن قاضي شهبة، والداودي، وابن كثير بعد «ابن كثير» الأخيرة: ابن ضَوْء^(١٣).

الوافر ص ١٦٢

(٩) الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣، وكأنه خطأ.

(١٠) ذيل التقييد ١/ ٤٧١.

(١١) كذا في «البداية» ١٤/ ٣٣، و «الرد الوافر» ص ١٦٢: وعند

الحسيني ص ٥٧: «مجدل».

(١٢) شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.

(١٣) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٨.

(١) انظر «مقدمة البداية والنهاية» للمحققين، «دول الإسلام» للذهبي، «العبر» له أيضاً، «البداية والنهاية» للمؤلف.

(٢) كما في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٣/ ٨٥.

(٣) «الدارس في تاريخ المدارس» ١/ ٣٦.

(٤) «الرد الوافر» ص ١٦٢، «طبقات الشافعية» ٣/ ٨٥، «طبقات

سمير الثريا والنجوم مدحا فون وهي خلت الكواكب ركذا
طربحا على فرش الصباية والأسى فما ضركم لو كتم لي عودا
تقليبي أيدي الغرام بلوعة أرى النار من تلقائها لي أبردا
ومزق صبري بعد جيران حاجز سمر غرام بات في القلب موقدا
فامطرته معي لعل زفيره يقل فزادته الدعوى توقدا
وعدتها ثلاثة وعشرون بيتاً^(٢).

نشأته وطلبه للعلم:

بعد موت أبيه -رحمهما الله- تولى رعايته أخوه كمال الدين
عبد الوهاب، فقدم به دمشق سنة سبع وسبع مئة^(٣)، وقيل: سنة
ست وسبع مئة^(٤).

قال ابن كثير: وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رفيقاً شفوفاً، وقد
تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر
الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تيسر^(٥).

فسمع الكثير من المشايخ، وأقبل على حفظ المتون (كالتنبيه،
ومختصر ابن الحاجب) ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ،
حتى برع في ذلك وهو شاب. وصنف في صغره كتاب الأحكام
على أبواب التنبيه. ووقف عليه شيخه برهان الدين وأعجبه^(٦).

شيوخه:

١- الشيخ العالم، بقية السلف، برهان الدين أبو إسحاق
إبراهيم بن شيخ الشافعية العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن
بن إمام الرواحية أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري،
المصري الأصل، الشافعي^(٧). (٦٦٠ - ٧٢٩).

سمع الحديث واشتغل على أبيه، وأعاد في حلقته، وبيع وماد
أقوانه وسائر أهل زمانه في دراية المذهب ونقله وتحريه، ثم كان في
منصبه أبيه في التدريس بالبادرانية، واشغل الطلبة بالجامع الأموي،

وحصل المتخبط في أصول الفقه. قاله لي شيخنا ابن الزمكاني. ثم
إنه سقط من سطح الشامية البرانية، فمكث أياماً ومات، فوجد
الوالد عليه وجداً كثيراً وراثه بأبيات كثيرة. فلما ولدت له أنا بعد
ذلك سمّاني باسمه، فأكبر أولاده إسماعيل، وأصغرهم إسماعيل^(٨).

ترجمة والد المؤلف:

هو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوّه بن
كثير القرشي من بني حصيلة، وهم يتسبون إلى الشرق ويأيدهم
نسب، وقف على بعضها الشيخ الزبي فاعجبه ذلك وابتهج به. قال
ابن كثير: فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك: القرشي.

من قرية يقال لها «الشركوين» غربي بصرى، بينها وبين
أذرعات. ولدت في حدود سنة أربعين وست مئة، واشتغل بالعلم عند
أخواله بني عقبة بصرى. قرأ «البداية» في منهب أبي حنيفة، وحفظ
«جمل الزجاجي»، وعني بالنحو والعربية، واللغة، وحفظ أشعار
العرب، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمراثي
وقليل من الهجاء، وقرّر بمدارس بصرى بمنزل الناقبة شمالي البلد
حيث يزور، وهو المبرك المشهور عند الناس، والله أعلم بصحة ذلك.

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتمخّص للشافعي،
وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الفزاري، وكان يكرمه
ويحترمه.

فاقام بها نحواً من اثني عشرة سنة، ثم تحوّل إلى خطابة «مجدل»
القرية التي منها الودة. فاقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة
كثيرة، وكان يخطب جيداً، وله مقول عند الناس، ولكلامه وقع
لديانته وفصاحته وحلاوته. وكان يؤيّر الإقامة في البلاد لما يرى فيها
من الرقي وجود الحلال له ولعاليه.

توفي -رحمه الله- في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع
مئة، في قرية «مجدل» ودُفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون.

قال ابن كثير: وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها،
لا أدركه إلا كالحلم.

ومن شعره ما أنشد لنفسه سنة سبع وثمانين وست مئة:
نأى النور عن جفني فبت مسهداً أنا كلف الصباية موجداً

(٢) «البداية والنهاية» ١٤ / ٣٣ - ٣٥.

(٣) كذا في «البداية والنهاية» ١٤ / ٣٤.

(٤) كذا في «إنباء الغمر» ١ / ٤٥، و «الشذرات» ٦٦ / ٢٣١.

(٥) «البداية والنهاية» ١٤ / ٣٤.

(٦) «إنباء الغمر» ١ / ٤٥ «الشذرات» ١ / ٢٣١، و «طبقات

المفسرين» ١١٢ / ١١٢.

(١) «البداية والنهاية» ١٤ / ٣٣.

قال ابن كثير: وأنا ممن كتب عليه أثابه الله. وكان شيخاً حسناً بهيئاً المنظر يشعر جيداً. دُفن بمقابر الباب الصغير.^(١)

٥- الشيخ القاضي أبو زكريا يحيى الدين يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي (٦٤٨-٧٢٤)، اشتغل على النواوي، ولازم ابن المقدسي، وولي الحكم بزرع وغيرها، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع، ودُرس في الصامرية، وأعاد في مدارس عدو، إلى أن توفى ودُفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله. قال ابن كثير: وسمع كثيراً، وخرَّج له الذهبي شيئاً وسمعتنا عليه الدارقطني وغيره.^(٢)

٦- الشيخ المعمر القاسم بن مُظفر بن نجم الدين بن أبي الشتاء عمود بن تاج الأمان أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي، الطيب (٦٢٩-٧٢٣). سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ. قال ابن كثير: وقد خرَّج له الحافظ عَلَم الدين البرزالي مشيخةً سمعناها عليه في سنة وفاته. ووقف آخر عمره داره دار حديث، وخص الحافظ البرزالي والمزي بشيء من بره. ودُفن بقاسيون.^(٣)

٧- الشيخ الأصيل شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بُندار بن محيل الشيرازي (٦٢٩-٧٢٣). سمع الكثير وأسمع وأفاد في عليّة الشيخ المزي، قرأ عليه عدّة أجزاء بنفسه. وكان شيخاً حسناً خيراً مباركاً متواضعاً، لم يتدنس بشيء من الولايات، ولا يتدنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات، إلى أن توفى يوم عرفة ببستانه من الزّرة.^(٤)

٨- الشيخ العلامة الزاهد ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعي (٦٥٠-٧٢٢) نائب الخطابة، ومدرس الطيبة والأسدية، وله حلقة للاشتغال بالجامع

فانتفع به المسلمون، وقد عُرضت عليه المناصب الكبار فأباهها. سمع منه ابن كثير «صحيح مسلم» وغيره، وله تعليق على التتبيه، فيه من الفوائد ما ليس في غيره، وله مصنفات كبار.^(٥)

٩- الشيخ الحافظ عَلَم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي، مؤرّخ الشام، الشافعي (٦٦٥-٧٣٩). وقد كتب تاريخاً ذُبل به على الشيخ شهاب الدين من حين وفاته ومولد البرزالي إلى أن توفى سنة (٧٣٩) وهو مُحرم.

وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ. وخرَّج له الحديث شمس الدين بن سعد مشيخةً لم يكملها، وقرأ شيئاً كثيراً. وكان متواضعاً مُعجباً إلى الناس. ذكره ابن كثير كثيراً في كتبه، فكان يقول: «قال شيخنا».^(٦)

٣- العالم الحافظ شيخُ الحديثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف أبي الحسن بن شرف بن الحضرمي بن موسى الدميّاطي (٦١٣-٧٠٥)، حاملُ لواء هذا الفن - أعني صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبر السن والقدر، وعلو الإسناد، وكثرة الرواية، وجودة الدراية، وحسن التأليف. وتردّد الطلبة إليه من سائر الآفاق. وصنّف ونشر العلم، وجمع معجماً لشايخه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر على ألف وثلاث مئة شيخ. ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدركه وفاته وهو صائم، في مجلس الأمراء بالقاهرة، دُفن بمقابر باب النصر.^(٧)

٤- الشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد الجيلي، ثم الدمشقي، الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص (٦٥١-٧١٦) شيخ صناعة الكتابة في زمانه لا سيما في المزوج والمثلث، وقد أقام يُكتب الناس خمسين سنة.

(١) «البداية والنهاية» ١٤/ ١٥٢، «المير» ٤/ ٨٥-٨٦، «معجم الشيخ» للذهبي ١/ ١٣٨-١٣٩، «المدارس» ١/ ٣٦، «فيل التذكرة» ص ٥٧، «طبقات الشافعية» ٣/ ٨٥، «شذرات الذهب» ٦/ ٢٣١، «طبقات المفسرين» ١/ ١١٢.

(٢) «البداية والنهاية» ١٤/ ١٩٦-١٩٧، «المير» ٤/ ١١٤-١١٥، «معجم الشيخ» للذهبي ٢/ ١١٥، «الشذرات» ٦/ ١٢٢، «الشذرة» ٣/ ٢٣٧-٢٣٩.

(٣) «البداية والنهاية» ١٤/ ٤٢، «المير» ٤/ ١٣، «الدرر الكامنة» ٢/ ٤١٧.

(٤) «البداية والنهاية» ١٤/ ٨٢، «الدرر الكامنة» ٤/ ٣٧٦.

(٥) «البداية والنهاية» ١٤/ ١١٩، «معجم الشيخ» للذهبي ٢/ ٣٦٩-٣٦٨، «الدرر الكامنة» ٤/ ٤١٤.

(٦) «البداية والنهاية» ١٤/ ١١٢، «معجم الشيخ» للذهبي ٢/ ١١٧، «درة الحجال» ٣/ ٢٧٣، «المير» ٤/ ٦٨، «الدرر الكامنة» ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

(٧) «البداية والنهاية» ١٤/ ١١٣، «المير» ٤/ ٦٨-٦٩.

القاسم محمد بن الحضر... ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي (٦٦١-٧٢٨) مات بقلعة دمشق مُعتَقَلًا، ومُنِعَ قَبْلَ وفاته بخمسة أشهر من الدواة والورق. بَرَعَ في التفسير، والاختلاف، والأصلين، وكان يتوقّد ذكاءً، ومُصَنَّفَاتُهُ تُذَكِّرُ في أكثر من متني مجلد، وكان رأساً في الكلام والشجاعة، قاتماً باليسير، شَيْعَةً نَحْوَ من خمسين ألفاً، وحُوِّلَ على الرؤوس. رحمه الله.^(٥)

١٣- قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي. (٦٦٨-٧٢٩) قدم دمشق سنة (٦٩٣)، وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا، وسمع الحديث وتصدّر للاشتغال بجامعها، ودرّس بالإقبالية، ثم سافر إلى مصر، فدرّس بها في عدة مدارس كبار، وولي مشيخة الشيوخ بها وبدمشق. وله تصانيف في الفقه وغيره، وكان يحرر علوماً كثيرة منها النحو، والتصريف، والأصلا، والفقه، وله معرفة جيدة بكشاف الزخشي وفهم الحديث.. قال ابن كثير: وخُرِجَتْ له مشيخة سمعناها عليه، وكان يتواضع لشيوخنا المزي كثيراً. دُفِنَ بسفح قاسيون.^(٦)

١٤- صاحب عز الدين أبو يعلى حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفر بن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي، ابن القلانسي، أحد رؤساء دمشق الكبار (٦٤٩-٧٢٩) قال ابن كثير: سمع الحديث من جماعة، ورواه وسمعنا عليه، وله رئاسة باذخة، وأصالة كثيرة، وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا. ولم يزل معة صانعة للوظائف إلى أن أُلْزِمَ بوكالة بيت السلطان، ثم الوزارة في سنة عشر، كما تقدم، ثم عزل. وقد صُوِّدَ في بعض الأحيان، وكانت له مكارم على الخواص والكبار. ودُفِنَ بترته بسفح قاسيون، وله في الصالحية رباط حسن بمتلنق، وفيه دار حديث وير صدقة، رحمه الله.^(٧)

يحضر بها عنده الطلبة. كان يشتغل في الفرائض وغيرها، مواظباً على ذلك. ودُفِنَ قريباً من شيخه تاج الدين الفزاري رحمه الله.^(٨)

٩- الشيخ غيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدي، ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية (٦٤٢-٧٢٥). سمع الحديث على جماعة كثيرين منهم مجد الدين ابن تيمية صاحب الأحكام. وكان شيخاً حسناً بهي المنظر، سهل الإسماع، يحب الرواية ولديه فضيلة. توفي في رمضان، ودُفِنَ بقاسيون.^(٩)

١٥- الشيخ الصالح ضياء الدين أبو الفداء إسماعيل بن رضي الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي، المعروف بابن الحموي (٦٣٥-٧٢٧). كان هو وأبوه وجدّه من الكتاب المشهورين المشكورين، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام... سمع الحديث الكثير. قال ابن كثير: خَرَجَ له البرزالي مشيخة سمعناها عليه وكان من صدور أهل دمشق. دُفِنَ بباب الصغير.^(١٠)

١١- الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، أحد أكابر الأمراء وأبناء الملوك (٦٥٣-٧٢٧). كان من محاسن البلد ذكاءً وفطنةً وحسن عشرة ولطافة كلام، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحذاقة فهمه، وكان رئيساً من أجود الناس. قال ابن كثير: كان له سماع كثير سمعنا عليه منه، وكان يحفظ تاريخاً جيداً.^(١١)

١٢- شيخ الإسلام الإمام العلامة الفقيه المجاهد، القدوة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن المقفي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي

(١) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٠٧، «الدرر الكامنة» ٢ / ١١٥.

(٢) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٢٤، «الدرر الكامنة» ١ / ٣٥٨، «الوفاء بالوفيات» ٨ / ٤٣٠، «معجم الشيخ للذهبي» ١ / ١٦٨، «ذيل التقييد» ١ / ٤٧٢.

(٣) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٣٥، «العبر» ٤ / ٨١.

(٤) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٣٦، «الوفاء بالوفيات» ٤ / ٤٦، «معجم الشيخ للذهبي» ٢ / ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٤١-١٤٥، «العبر» ٤ / ٨٤ وكتب كثيرة، وأفرّد بالترجمة من قبل عدة.

(٦) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٥٣، «الدرر الكامنة» ٣ / ٢٤-٢٨، «العبر» ٤ / ٨٧.

(٧) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٥٣-١٥٤، «الدرر الكامنة» ٢ / ٧٥-٧٦، «العبر» ٤ / ٨٧.

١٥- الشيخ الصالح، العابد الناسك الخاشع، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن حصن بن غيلان البعلبكي الحنبلي، إمام مسجد السلاطين بدار البطيخ العتيقة (٦٦٨-٧٣٠). سمع الحديث وأسمعه، وكان يُقَرَأ القرآن طُرْفَي النهار، قال ابن كثير: وعليه ختمت القرآن في سنة إحدى عشرة وسبع مئة، وكان من الصالحين الكبار والعباد الأخيار. ودُفِنَ بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة.^(١)

١٦- الشيخ الكبير المعمر الرحلة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن زيسان الديرمقري، ثم الصالح الحجازي، المعروف بابن الشحنة (نحو ٦٢٣-٧٣٠). ظَهَرَ سماعه سنة ست وسبع مئة، ففَرَحَ بذلك المحدثون، وأكثروا السماع عليه، فقرأ البخاري عليه نحواً من ستين مرة وغيره. قال ابن كثير: وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحواً من خمس مئة جزءاً بالإجازات والسماع. وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر، وخطب عليه وألبسه الخلعة بيده، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أتم لا يُحْصَوْنَ كثرة، وانتفع الناس بذلك. وكان شيخاً حسناً بهي المنظر، سليم الصدر، متعاً بحواسه وقواه. دُفِنَ بترية له عند زاوية الدومي، بموارٍ جامع الأنعم، وكانت جنازته حافلة رحمه الله.^(٢)

١٧- قاضي القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان بن الخطيب مجاهد الدين سالم بن عمر بن عثمان الأزرعي الزُرعي الشافعي (٤٥٠-٧٣٤). اشتغل بدمشق فحصل، وناب في الحكم بزُرْع مدّة، فَعُرِفَ بالزُرعي لذلك، وإنما هو من أذرعات، وأصله من بلاد المغرب. ثم ناب بدمشق، ثم انتقل إلى مصر فناب في الحكم بها، ثم استغل بولاية القضاء بها نحواً من سنة. وتي قضاء الشام مدّة مع مشيخة الشيوخ نحواً من السنة، ثم عَزَلَ وبقِيَ على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الأتابكة، ثم تحوّل إلى مصر فولي بها التدريس وقضاء العسكر. كان قوي النفس مهيباً صلباً في الأحكام تامّ النزاهة واليقظة، ولكنه كان قليل العلم.

١٨- الشيخ الإمام ذو الفنون تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الإسكندراني، المعروف بابن الفاكهاني (٦٥٤-٧٣٤). سمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك، وبرغ وتقدّم بمعرفة النحو وغيره، وله مصنفات في أشياء متفرقة. قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة في أيام الأختاني. قال ابن كثير: فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه. وخج من دمشق عامتو وسمِعَ عليه في الطريق، ورجع إلى بلاده.^(٣)

(١) «البداية والنهاية» ١٤-١٥٦، «معجم الشيوخ» للذهبي ٢/ ٣٢٢.

(٢) «البداية والنهاية» ١٤/ ١٥٧، «الدور الكامنة» ١/ ١٤٢-١٤٣، «درة المجال» ١/ ٢٨-٢٩، «معجم الشيوخ» للذهبي ١/ ١١٨، «العبر» ٤/ ٨٨، «ذيل التقييد» ١/ ٣١٧.

١٩- الشيخ الإمام العالم العابد، شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي، إمام مسجد الحنابلة بها (٦٤٧-٧٣٧). سمع الكثير، وكان كثير العبادة حسن الصوت، عليه البهاء والوقار، حسن الشكل والسمو. قال ابن كثير: قرأت عليه عام ثلاثة وثلاثين وسبع مئة مرجعاً من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف، أحد مفتي الحنابلة وغيرهم، والمشهورين بالخير والصلاح.^(٤)

٢٠- الشيخ الحافظ البارِع محدث الإسلام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الشيخ المقرئ زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف، الكلبي، القضاعي المزي الشافعي (٦٥٤-٧٤٢). نشأ بالزُرْع، وقرأ القرآن، وتفقّه قليلاً، ثم طلب هذا الشأن سنة خمس سبعين وست مئة، وهلمّ جرّاً، فما زلّى وما قرأ، ولا لها ولا قصر. وعني بهذا الشأن أتم عناية. وقرأ العربية، وأكثر من اللغة والتصريف، وصنّف وأفاد. وسمِعَ من خلائق، وكتب الكثير ورواه، مع السمت الحسن والاقتصاد والتواضع والجلم وعدم الشر.^(٥)

٢١- «البداية والنهاية» ١٤/ ١٧٦، «الدور الكامنة» ٢/ ١٥٩-١٦٢، «معجم الشيوخ» للذهبي ١/ ٢٧١-٢٧٢، «الوافي بالوفيات» ١٥/ ٤١٦، «العبر» ٤/ ٩٨.

(٤) «البداية والنهاية» ١٤/ ١٧٧، «الدور الكامنة» ٣/ ١٧٨-١٨٩.

(٥) «البداية والنهاية» ١٤/ ١٩٠، «الدور الكامنة» ٢/ ٣٠٤ (وفيه ولادته سنة ٦٤٩)، «العبر» ٤/ ١٠٧...

(٦) «البداية والنهاية» ١٤/ ٢٠٣، «الدور الكامنة» ٤/ ٤٥٧-٤٦١، «درة المجال» ٣/ ٣٤٧، «ذيل العبر» للذهبي ٤/ ١٢٦-١٢٧.

صَنَّفَ كِتَابًا غَايَةً فِي الدَّقَّةِ كَهَزِيدِ الْكَمَالِ، وَتَحْفَةِ الْأَشْرَافِ.

وكان الحافظ ابن كثير قريباً منه، وقد تزوج بابتس، وسيأتي التتبع عليه.

٢١- الشيخ عمر بن أبي بكر بن معالي بن إبراهيم بن زيد الحمصي، زين الدين الميهني البسطي، التاجر الدمشقي (٦٦٤-٧٤٢)، كان رجلاً صالحاً كثير التلاوة والصلاة والصدقة، وحضور مجالس الذكر والحديث، له همة وصولة على الفقراء المشبهين بالصالحين وليسوا منهم، سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره، قال ابن كثير: قرأت عليه عن ابن البخاري «المشيخة»، ولازم مجالس الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، وانتفع به. ودُفِنَ بمقابر باب الصغير.^(١)

٢٢- الشيخ الحافظ الإمام العلامة، مؤرخ الشام ومحدثه ومفيده، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الفارقي الأصل، الدمشقي المعروف بالذهبي الشافعي (٦٧٣-٧٤٨). صَنَّفَ كِتَابَ «تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء»، و«الميزان»، و«العبر» وغيرها من أمهات الكتب. وسمع الحديث في سنة اثنتين وتسعين وهلم جرا.. وخرَّجَ لجماعة من شيوخه، وخرَّجَ وعَدَلَ، وقرَّعَ وأصلَّ، وصحَّحَ وعَدَلَ، واستدرك، وأفاد وانتقى واختصر كثيراً من توالييف المتقدمين والمتأخرين، وصَنَّفَ الْكُتُبَ الْفَيْدَةَ السَّائِرَةَ فِي الْأَفَاقِ، وَخَطَبَ بِكَفَرِ بَطْنَا مَدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ مَشِيخَةَ الْحَدِيثِ بِأَمَّاكِن، وَلَمْ يَزَلْ يَكْتُبُ وَيَدَّابُ حَتَّى أَضَرَّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ^(٢). وهو عُثْنُ أَكْثَرِ عَنْهُمْ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ.

٢٣- الشيخ الأصولي شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد أبي بكر علي الأصبهاني، كان يتسبب إلى علاء الدولة الممَّنَّانِي (٦٧٤-٧٤٩) ولِدَ بِأَصْبَهَانَ، وَاشْتَغَلَ فِي بِلَادِهِ، وَمَهَرُ، وَتَقَدَّمَ فِي الْفُنُونِ، قَدِمَ دِمَشْقَ سَنَةَ (٧٢٥) وَسَمِعَ «معجم الشيوخ» للذهبي ٢/ ٣٨٩-٣٩٠، «شذرات الذهب» ٦/ ١٣٦-١٣٧.

(١) «البداءة والنهاية» ١٤/ ٢١٠، «الدرر الكامنة» ٣/ ١٥٧.

(٢) «البداءة والنهاية» ١٤- ٢٠١ و ٢٣٦، و«ذيل العبر» للحسيني ٤/ ١٤٨، «الدرر الكامنة» ٣/ ٣٣٦، «ذيل التقييد» ١/ ٥٣، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شعبة ٣/ ٥٥-٥٧، الوافي بالوفيات ٢/ ١٦٣، «البداءة والنهاية» ٢/ ١١٠ وغيرها الكثير من المصادر.

كَلَامَةُ الشَّيْخِ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَبَالِغَ فِي تَعْظِيمِهِ، وَكَانَ يَلَازِمُ الْجَامِعَ الْأُمَوِيَّ لِيَلَّا نَهَاراً، مُكَبِّاً عَلَى التَّلَاوَةِ وَشُغْلِ الطَّلَبَةِ. وَدَرَسَ بَعْدَ الزُّمْلَكَانِي بِالرَّوَاحِيَةِ. صَنَّفَ شَرْحَ مُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَغَيْرِهِ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالطَّاعُونَ^(٣).

وذكره في مشايخ ابن كثير: ابن حجر، وابن قاضي شعبة، والنميمي، وابن العماد، والداودي^(٤).

٢٤- الشيخ الصالح المَعْمَرُ الرَّحْلَةُ شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَالِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَطَّافٍ بْنِ مَبَارَكَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْحَيْشِ الْقُدْسِيِّ، الْمُطْعَمِ (٦٤٥-٧١٩) رَاوِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ مِنْ مَشَايِخَ عَدَّةٍ، وَتَرْجَمَهُ الشَّيْخُ الْبَرْزَالِيُّ، وَكَانَ عَامِيًّا أَمِيًّا. دُفِنَ بِالسَّاحَةِ بِالْقَرْبِ مِنْ تُرْبَةِ الْمُوَلِّينِ.

سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ «مُسْنَدَ الدِّرَامِيِّ» كَمَا ذَكَرَ الْفَاسِّي فِي «ذَيْلِ التَّقْيِيدِ»^(٥).

٢٥- مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَرَّخَانَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ رِيَّانَ (١)، الشَّيْخُ الرَّئِيسُ بَدْرُ الدِّينِ ابْنُ عَزِّ الدِّينِ السُّوَيْدِيِّ، مِنْ سُلَالَةِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذِ السُّوَيْدِيِّ، مِنْ سُوَيْدَاءِ حَوْرَانَ (٦٣٥-٧١١) سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَتَرَجَّعَ فِي الطَّبِّ، وَكَانَ رَئِيسَ الْأَطْبَاءِ، وَوَلِيَ اسْتِيفَاءَ الْأَوْقَافِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَشِوْخُهُ فَوْقَ الْمَنَةِ. تُوَفِّي بِبَسْتَانِهِ بِقَرْبِ الشَّيْبَلَةِ.

ذكره في شيوخ ابن كثير: أبو الحسن الحُسَيْنِي^(٦).

٢٦- شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ بِالشَّامِ كَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْمُصَالِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ خَلْفٍ بْنِ نِهَانَ، الْأَنْصَارِيُّ الشَّافِعِيُّ، ابْنُ خَطِيبِ زَمْلُكَا، وَيُعْرَفُ بِابْنِ الزُّمْلَكَانِي

(٣) «الدرر الكامنة» ٤/ ٣٢٧-٣٢٨، «ذيل العبر» للحسيني ٤/ ١٠٥، «شذرات الذهب» ٦/ ١٦٥، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شعبة ٣/ ٧١-٧٢، للسبكي ٦/ ٢٤٧.

(٤) «إنباء الغمر» ١/ ٤٥، «الطبقات» ٣/ ٨٥، «الدارس» ١/ ٣٦، «الشذرات»، ٦/ ٢٣١، «طبقات المفسرين»، ١/ ١١٢.

(٥) «ذيل التقييد» ١/ ٤٧٢ و ٢/ ٢٦٢، «البداءة والنهاية» ١٤/ ٩٨، «الدرر الكامنة» ٣/ ٢٠٤ «معجم شيوخ الذهبي» ٢/ ٨٥-٨٦. «الشذرات» ٦/ ٥٢.

(٦) في «ذيل التذكرة» ض ٥٨. والترجمة في «البداءة والنهاية» ١٤/ ٦٥، «الدرر الكامنة» ٣/ ٢٩٤.

الصالح، المعروف بابن الزرّاد، شمس الدين أبو عبد الله الحريري (٦٤٦ - ٧٢٦) أسمعته أبوه الكثير على مشيخة وقته: البُلْدَانِي، والبَلْخِي، والبَكْرِي.. وخَرَجَ له النَهْجُ جزءاً ضَخْماً عن مشيخة شيخه رَوَاهُ مَرَاتٍ، وروى كتباً كثيراً تفرّد بها. وكان خيراً متواضعاً حسن البشر، له مشاركة في العلم، ثم كَبُرَ وَعَجَزَ وانقصر وتغير واستولى عليه التعلُّلُ والبَلْغَمُ^(٤).

ذَكَرَهُ فِي شَيْوُخِ ابْنِ كَثِيرٍ: الْفَاسِي، وَابْنُ حَجَرٍ، وَالنَّهْجِيُّ^(٥).

٣٠- الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ كَمَالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ دُؤَيْبٍ، الْأَسَدِيُّ الشَّهْبِيُّ الشَّافِعِيُّ (٦٥٣ - ٧٢٦). وَلِدَهُ بِمَجُورَانَ، وَقَدَّمَ دِمَشْقَ، وَاسْتَفَلَ عَلَى الشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَرَّازِيِّ، وَلَازَمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ، وَكَذَلِكَ لَازِمَ أَخَاهُ شَرَفُ الدِّينِ، وَأَخَذَ عَنْهُ النُّحُوَّ وَاللُّغَةَ، وَكَانَ بَارِعاً فِي الْفِقْهِ وَالنُّحُوِّ، لَهُ حَلَقَةٌ يُشْتَغَلُ فِيهَا نَحْوُ عِشْرِينَ خَلْفَةً، وَكَانَ يَتَكَفَّفُ جَمِيعَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ قَطُّ، كَانَ حَسَنَ الْهَيْئَةِ وَالشَّيْبَةِ، حَسَنَ الْعِيْشِ وَالْمَلْبَاسِ. وَكَانَ يَتَوَرَّعُ عَنِ الْإِفْتَاءِ، وَقَدْ سَمِعَ الْكَثِيرَ. تَوَفَّى بِالْمَدْرَسَةِ الْمَجَاهِدِيَّةِ، وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ بَابِ الصَّغِيرِ^(٦).

ذَكَرَهُ فِي شَيْوُخِ ابْنِ كَثِيرٍ: ابْنُ حَجَرٍ، وَابْنُ قَاضِي شَهْبَةِ، وَالنَّعِيمِيُّ، وَابْنُ الْعِمَادِ، وَالْداوُدِيُّ^(٧).

٣١- الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّرَنْدِيُّ النُّحَوِيُّ (٧٢٣)، كَانَ قَدْ اضْطَرَبَ عَقْلُهُ، فَسَافَرَ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، فَأَشَارَ شَيْخُ الشُّيُوخِ الْقَوْنَوِيُّ أَنْ يُوَدَّعَ بِالْمَارِسْتَانِ فَلَمْ يَوَافِقْ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُوكٌ نَصْرَانِيًّا، فَحُمِلَ إِلَى السُّلْطَانِ وَظَنُوهُ جَاسِوساً فَأَمَرَ بِشَقِّهِ فَشَقَّتْ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَنتُ مِمَّنْ اشْتَغَلَ عَلَيْهِ فِي النُّحُوِّ^(٨).

٣٢- الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

(٦٦٧ - ٧٢٧). سَمِعَ الْحَدِيثَ وَطَلَبَهُ بِنَفْسِهِ، وَكَتَبَ الطَّبَاقَ بِحَقِّهِ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ وَالْأَصُولَ وَالنُّحُوَّ. وَبَرَعَ وَحَصَلَ أَقْرَانُهُ مِنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ، وَدَرَسَ بَعْدَهُ مَدَارِسَ بِدِمَشْقَ، وَبَاشَرَ عِدَّةَ جِهَاتٍ كِبَارَ، كَنَظَرِ الْخِزَانَةِ، وَنَظَرِ الْمَارِسْتَانِ النَّوْرِيِّ، وَدِيَوَانَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ، وَوَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ. وَلَهُ تَعَالِيْقٌ مُفِيدَةٌ وَاخْتِيَارَاتٌ حَمِيدَةٌ سَدِيدَةٌ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَأَمَّا دُرُوسُهُ فِي الْحِفَافِ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَرَسَ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَلَا أَحْلَى مِنْ عِبَارَتِهِ، وَحَسَنَ تَقْرِيرِهِ، وَجُودَةَ احْتِرَازَاتِهِ، وَصَحَّةَ ذَهْنِهِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ» فِي مَوَاضِعَ فَقَالَ: قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الزُّمَلْكَانِيِّ. تَوَفَّى بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ، وَحُمِلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ جَوَارِ قَبَّةِ الشَّافِعِيِّ^(٩).

٢٧- يَوْسُفُ بْنُ عَمَرَ بْنِ حُسَيْنَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْحَنْتِيِّ، جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحَاسَنِ، الْحَنْفِيُّ الْمِصْرِيُّ، الْمَعْرُوفُ وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ وَغَيْرُهُ: بَدَأَ الدِّينَ (٦٤٥ - ٧٣١). سَمِعَ مِنْ ابْنِ رَوَاحٍ، وَهُوَ خَاطَمَةُ أَصْحَابِهِ، وَمِنْ صَالِحِ الْمُذَلِّجِي، وَابْنِ اللَّطْفِيِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الْبَكْرِيِّ، وَالْمَرْسِيِّ، وَالزُّكَيْيِّ الْمُنْزَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَتَفَرَّدَ بِأَشْيَاءَ. وَخَرَجَتْ لَهُ مَشِيخَةٌ مِنْ تُلُفٍ وَصَتِينَ شَيْخًا، وَأَكْثَرَ عَنْهُ الطَّلَبَةُ. قَالَ الْبَدْرُ النَّابِلِيُّ: كَانَ فِي أَسْمَاعِهِ صَعُوبَةٌ، وَكَانَ لَا يُسْمَعُ إِلَّا بِالْأَجْرَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ مُقْلًا وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَشْتَرِطُ عَلَيْهِ ذَلِكَ.

ذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ الْفَاسِيُّ فِي «ذَيْلِ التَّقْيِيدِ»: أَنَّ يَوْسُفَ الْحَنْتِيَّ أَجَازَ لِابْنِ كَثِيرٍ^(١٠).

٢٨- عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْوَاتِي الْخَلَّاطِيُّ الْمِصْرِيُّ، الصُّوفِيُّ، نَوْرُ الدِّينِ، الدِّينِ، أَبُو الْحَسَنِ (٦٣٧ - ٧٢٧). سَمِعَ مِنْ ابْنِ الرَّوَّاحِ، وَالسُّبْطِيِّ، وَالْمَرْسِيِّ.. وَتَفَرَّدَ بِعَوَالٍ. وَكَانَ صَالِحًا سَهْلَ الْقِيَادِ. أَضْرَبَ بِأَخْرَةٍ، ثُمَّ عَوَّلَجَ فَبَصُرَ.

ذَكَرَهُ الْفَاسِيُّ فِيمَنْ أَجَازَ لِلْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ^(١١).

٢٩- مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ أَبِي الْمَعَالِي

(٤) «ذَيْلُ التَّقْيِيدِ» ١/ ٨٤، «الدَّرَجَةُ الْكَامِنَةُ» ٣/ ٣٧٦، «مَعْجَمُ الشُّيُخِ» لِلذَّهَبِيِّ ٢/ ١٦٩ - ١٧٠، «دُرَّةُ الْحِجَالِ» ٢/ ٢٥٦..

(٥) «ذَيْلُ التَّقْيِيدِ» ١/ ٤٧٢، «الدَّرَجَةُ الْكَامِنَةُ» ١/ ٣٧٤، «تَذَكُّرَةُ الْحَفَافِ» ٤/ ١٥٠٨.

(٦) «الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ» ١٤/ ١٣١ - ١٣٢.

(٧) «إِنْبَاءُ الْغَمْرِ» ١/ ٤٥، «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» لِابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ ٢/ ٨٥، «الْمَدَارِسُ» ١/ ٣٦، «الشُّذُرَاتُ» ٦/ ٢٣١، «طَبَقَاتُ الْمُفَسِّرِينَ» ١/ ١١٢.

(٨) «الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ» طُتْرِكِي ١٨/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

(١) «الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ» ١٤/ ٣٣ و ١٣٦ - ١٣٧، «الدَّرَجَةُ الْكَامِنَةُ» ٤/ ٧٤ - ٧٦، «ذَيْلُ التَّقْيِيدِ» ١/ ١٨٢، «مَعْجَمُ الشُّيُخِ» لِلذَّهَبِيِّ ٢/ ٢٤٤، «الشُّذُرَاتُ» ٦/ ٧٨ - ٧٩...

(٢) «ذَيْلُ التَّقْيِيدِ» ١/ ٤٧٢ و ٢/ ٣٢٦، «الدَّرَجَةُ الْكَامِنَةُ» ٤/ ٤٦٦ - ٤٦٧، «الشُّذُرَاتُ» ٦/ ٩٧، «الْعَبَرُ» ٤/ ٨٩.

(٣) «ذَيْلُ التَّقْيِيدِ» ٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥، «الدَّرَجَةُ الْكَامِنَةُ» ٣/ ٩٠، «الْعَبَرُ» ٤/ ٨٠، «الشُّذُرَاتُ» ٦/ ٧٨.

ذكره ابن حجرٍ والفاسي فيمن أجاز لابن كثير^(١).

٣٧- الشيخ ابن الرضي

ذكره ابن حجر في شيوخ ابن كثير^(٢).

٣٨- أبو موسى الغرافي. ذكره محمد عبد الرزاق حمزة في ترجمة المؤلف^(٣).

٣٩- الحسيني. ذكره محمد عبد الرزاق حمزة في ترجمة المؤلف^(٤).

قلت: ولعله الغرافي نفسه^(٥).

جوانب من حياته (مع شيوخه وزوجته)

بعد أن اطلعنا على شيء من سيرته في ولادته ونشأته، والأحوال التي سادت حينها، وتفوقه في حفظ التورن، واطلاعه على مواد الحديث والتفسير والتاريخ... وطبيعة مشايخه الذين تلمذ على أيديهم أو سمع منهم أو أجاز من يتيهم... نجد أنه تعلق بحب الشيخين الجليلين: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وشيخ المحدثين أبي الحجاج المزني.

١- أما شيخ الإسلام^(٦) رحمه الله، فقد كانت للمؤلف خصوصية به ومناصلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه وكان يفتي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسببه ذلك وأوذى. وقد أكثر المؤلف من ذكر أحداث شيخه في «تاريخه»، مبجلًا له، مبهورًا بعلمه، ووصفه في كتابه بأوصاف قل أن تتفق لأحد، حتى إنه عزم على أن يقره ترجمته في رسالة وجيزة، يذكر فيها مناقبه، وفصائله، وشجاعته، وكرمه، ونصحه، وزهاده، وعبادته، وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة، وصفاته الكبار والصغار...

وقال ناقلًا في صفته: ما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك القرن فته، ورأه عارقًا به متقنا له.

سالم بن بركات بن سعد بن بركات بن كامل بن عبد الله بن عمر، من ذرية عبادة بن الصامت، وعرف بابن الحجاز الحنبلي (٦٦٩- ٧٥٦) حضر الكثير على ابن الدائم وغيره، وسمع من المسلم بن علان المسند بكماله. وأجازه عمر الكرماني والشيخ عبيد الدين النووي، وخرج له البرزلي مشيخة وذكر له أكثر من مئة وخمسين شيخًا، وسمع منه المزني والنهبي والسبكي وابن جماعة وابن رافع وابن كثير والحسيني والمقري وابن رجب وابن العراقي وغيرهم. وكان رجلاً جيداً صدوقاً مأموناً صبوراً على الإسماع، محباً للحديث وأهله مع كونه يكتب يده في حال السماع، وحدث مع أبيه وعمره عشرون سنة، وتوفي يوم الجمعة ثالث رمضان بدمشق عن سبع وثمانين سنة وشهرين، ودفن بباب الصغير^(٧).

٣٣- الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش (٧٢٤)، ويقال له: اللباد، ويُعرف بالمؤلف، كان يقرئ الناس بالجامع غوراً من أربعين سنة وقد قرأت عليه شيئاً من القرآن، وكان يتعلم الصنف الحروف المشقة كالأراء والمحرف، وكان متقللاً من الدنيا لا يفتي شيئاً وليس له بيت ولا خزنة، إنما كان يأكل في السوق وينام في الجامع. دفن بباب الفرائيس^(٨).

٣٤- الشيخ عفيف الدين أحمد بن محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي (٧٢٥) إمام مسجد الرأس، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض «سنن البيهقي»، قال ابن كثير: سمعنا عليه شيئاً منها^(٩).

٣٥- الشيخ القاضي المعمر الفقيه محيي الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني اشتغل على النواوي، ولازم المقدسي، وولي الحكم بزور وغيره، ثم أقام بدمشق يشتغل في الجامع، ودُرس في الصارمية وأعاد في مدارس عدة إلى أن توفي. ودفن بقاسيون، قال ابن كثير: وخرج له النهبي شيئاً وسمعنا عليه الدارقطني وغيره^(١٠).

٣٦- الشيخ أبو الفتح الدبوسي.

(٥) «الدور الكامنة» ١ / ٣٧٤ «ذيل التقييد» ١ / ٤٧٢.

(٦) «الدور الكامنة» ١ / ٣٧٤.

(٧) في «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» ص ١٣.

(٨) المصدر السابق.

(٩) انظر مقارنة «ذيل التقييد» ١ / ٤١٤.

(١٠) «طبقات الشافعية» ٣ / ٨٦، «البداية والنهاية» ١٤ / ١٤١-

(١) شذرات الذهب ٦ / ١٨١.

(٢) البداية والنهاية ط تركي ١٨ / ٢٤٦.

(٣) البداية والنهاية ط تركي ١٨ / ٢٥٨.

(٤) البداية والنهاية ط التركي ١٨ / ٢٤٨.

وقال في ترجمة أحمد الزُّهَّاد محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام الباسلي: «كان يومَ قازان في جُمْلَةٍ مَنْ كان مع الشيخ تقي الدين بن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجُرأته عليه» وذكر قصته مع قازان...^(١)

إلى غير هذا من التراجم التي رُجِّح فيها أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله- وذلك يُنبئ عن عظيم قدره وعلو منزلته عنده. بل كان أحياناً يُذكر له مواقف تُدُلُّ من قريب أو بعيد أنه لم يَرِ مثل الشيخ في كلِّ فنٍّ يُعرف.

ومن الأمثلة على رجوع الناس إليه في كثير من الأحوال، واهتمام ابن كثير في إيراد ما ذكر في حوادث سنة سبع عشرة ومِئَة، قال: «وفي صفر شُيِّع في عمارة الجامع الذي أنشأه ملك الأمراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر، فجاء حكر السماق على نهر: باتاسي بدمشق، وتردَّد القضاة والعلماء في تحرير قبضته، فاستقرَّ الحال في أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين ابن تيمية»^(٢).

ولما تعرَّضَ إلى وفاته، طوَّل في عرضها على غير العادة، ووصف الدقائق التي صاحب جنازته ناقلاً كبير ذلك من تاريخ علم الدين القاسم بن محمد البرازلي.

ولا شك أن مثل هذا العرض يُبين شيئاً عما انتهجه ابن كثير -رحمه الله- وسبب اهتمامه بكثير من القضايا السلفية، والرجوع إلى الأدلة، وترك المذهب إن خالف ما عليه الكتاب والسنة، لذا نجد أنه يكرِّر في «تفسيره»^(٣). مثل هذه العبارة: «وإن الدليل إذا دلَّ على شيء -وجِبَّ اتباعه-... كما نلاحظ أنه التزم عقيدة السلف التي بينها شيخه شيخ الإسلام، فقال في مواضع مثل هذه العبارة: «وإن المسلك الأسلم في ذلك طريقة السلف: إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشيُّب ولا تعطيل ولا تمثيل»^(٤).

٢- أمَّا الجانب الآخر الذي كان سبباً في تحوُّل الحافظ ابن كثير إلى العناية بمتون الأحاديث وأسانيدها، وأسماء الرواة فيها،

ومن شدة حُبِّه له، كان يُبرز شخصية شيخ الإسلام في كثير من التراجم، ليظهر فضله عليهم، وأنهم كانوا من الذين غرُّجوا على يديه واستفادوا منه. كما كان يُشير عند ذكر مُبغضيه أنهم لا يؤثرون فيه، فما مثلم إلا مثال مساقية ضعيفة كثيرة، لا طمَّنت بحراً عظيماً صافياً، أو رملة أرادت زوال جبل^(٥). وكان من لوازم كتابه أن يذكر شيخ الإسلام أصلاً في تراجمه: مَنْ لَزِمَهُ، وصَحِّحَهُ، وكان معاوناً له... وَمَنْ عانَدَهُ وحسَدَهُ وحاولَ الإيقاع به.

ومع هذا فقد كان لطيف العبارة أحياناً مع مَنْ ناصبه العداوة، ويدعو لهم بالمساحة والغفران، وكان مهتماً بذكر مَنْ كانت له علاقة بشيخه، أو كانت له مواقف بطولية معه، كما في ترجمة شرف الدين محمد بن محمد، المعروف بابن التيجي الحرائي.

قال ابن كثير: «وقد كان شرف الدين بن تيجي هذا قد صحَّح شيخنا العلامة تقي الدين ابن تيمية، وكان معه في مواطن صعبة لا يستطيع الإقدام عليها إلا الأبطال الخالص الخواص، وسجَّح معه، وكان من أكبر خدائمه وخواص أصحابه، ينال فيه الأذى وأوذى بسببه مرَّات...»^(٦).

وقال ابن كثير: في ترجمة الحكيم بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق الطيب الكحَّال: «أسلم على بصيرة، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم كان قبل ذلك ديان اليهود، وأسلم على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم وما هم عليه وما بذلوه من كتابهم...»^(٧).

وقال: في ترجمة المحدث النحوي ابن عرفة صاحب التذكرة الكندية: «وكان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية»^(٨).

وقال في ترجمة الشيخ ابن الوكيل: «وكان ينصبُّ العداوة للشيخ ابن تيمية وينظره في كثير من المحافل والجالس، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة وبشيء عليه، ولكنه كان يُجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه...»^(٩).

(١) كما في «البداية والنهاية» ١٤ / ١١٨.

(٢) «البداية والنهاية» ١٤ / ١١٤.

(٣) «البداية والنهاية» ١٤ / ٧٨.

(٤) «البداية والنهاية» ١٤ / ٨١.

(٥) «البداية والنهاية» ١٤ / ٨٣.

(٦) «البداية والنهاية» ١٤ / ٩١-٩٢.

(٧) «البداية والنهاية» ١٤ / ٨٣.

(٨) ٥ / ٨٥.

(٩) «تفسير ابن كثير» ٥ / ٢٦٨.

وأما ابنته أمة الرحيم زينب، فقد رُويَ عنها لتلميذو النجيب الحافظ ابن كثير، وكانت على شاكلة أمها، فطلبت العلم، وقرأت القرآن عند الشيخة أم زينب البغداديّة، التي سبق ذكرها.

وقد شارك ابن كثير في مصاهرة الشيخ المزيّ: المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجعبري.

فتزوَّج ابنته الأخرى. وكان ودوداً لابن كثير. قال المؤلف في وصفه: «والد شرف الدين عبد الله، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم. كان فقيهاً بالمدارس، وشاهداً تحت الساعات وغيرها، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية، وله نظم مستحسن، انقطع يومين وبعض الثالث، وتوفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة من سنة (٧٤٥) في وسط الليل، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتلي، وحَدَّثني وضاحكي، وكان خفيف الروح رحمه الله عز وجل». ثم توفي في بقية ليلته رحمه الله، وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يسخط الله عز وجل، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله، صلّي عليه ظهر يوم الاثنين، ودُفن بمقابر باب الصغير عند أبيه رحمه الله^(٣).

نشاطه العلمي في المدارس:

كان لعلماء الشام مكانة عند ذوي السلطة، لذا كثرت المدارس التي تظهر اتجاهات عدة ونواحي مختلفة عندهم، فكان فيها دور للقرآن، وأخرى للحديث، وأخرى للفقه باختلاف أئمتها، فكانت مدارساً للشافعية، وأخرى للأحناف، وأخرى للحنابلة، وأخرى للمالكية، وكانت هذه المدارس موضع نزاع وتنافس بين العلماء وشيوخ المذاهب. وقُلْ أن تجد إماماً منهم إلا وقد تسلّم وباشَر مشيخة إحدى هذه الدور والمدارس، فإذا مات الشيخ خلفه أنجب أصحابه، يَتِمُّ الرسالة في تعليم طلبة العلم، والاهتمام بهم..

وتذكر لنا المصادر أن الإمام ابن كثير خطي بالمشيخة في عدة مدارس ودور، منها:

١ - دار القرآن والحديث التنكزية: ذكره أبو الحسن الحسيني^(٤).

وتقع هذه الدار شرقي حمام نور الدين الشهيد بسوق البزورية،

ومعرفة المناكير والإسرائيليات منها، فهو تأثره بشيخه حافظ زمانه جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزيّ الذي تعلّق بحُب شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً، ودافع عنه وعن أطروحاته.

وقرب المؤلف من الحافظ المزيّ يعود إلى ثلاثة أمور: أنه كان من المخلصين لشيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) وكان من المبدعين في عصره فلم يُلحَق في علم الأسانيد ومعرفتها والتصنيف فيها. وزوّجه ابنته زينب فكان ابن كثير صهره.

لذا نجد قد صحبه في مجالس كثيرة ينقل عنه، ويطلب مشورته، وإذا وجد شيئاً من المغضلات رجّع إليه، فأبان عن غموضها، وأوجد الكلام المناسب فيها. وهذا ما نجد في تفسيره، فقد أكثر القول عن شيخه المزيّ بما لا نجد في كتب المزيّ ولا فيما دونه، لأنها كانت مسائل شافية لم تحرّر بعد.

وقد كان المزيّ - رحمه الله - في نشأته وبيئة علمية، نتحدث عنها لإيضاح أهمية ارتباط ابن كثير به:

أما زوجة المزيّ فهي أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق، توفيت سنة (٧٤١) قبل وفاة زوجها بعام، ودُفنت بمقابر الصوفية غربي قبر الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله. وكانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وقرائها القرآن - وكانت قد ختمت القرآن عند الشيخة الصالحة أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادي بظاهر القاهرة - فكانت زوجة المزيّ تقرأ القرآن بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن تجويده، وختمت نساء كثيرات، وقرأ عليها من النساء خلق، واتصفت بها وبصلاحها ودينها وزهدها في الدنيا، وتقللها منها، مع طول العمر، بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة. وكان الشيخ المزيّ رحمه الله محسناً إليها مطيعاً، لا يكاد يخالفها لحبه لها طبعاً وشرعاً..^(٦)

(١) وأودى الحافظ المزي بسبب ذلك، واتخذ أعداء ابن تيمية منه موقفاً نازعوه فيه، لذا نجد أنه لما تسلّم التدريس في دار الحديث الأشرفية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشي، لم يحضر عنده كبير أحد، إما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه، ولا أحفظ منه، وما عليه منهم إذ لم يحضروا عنده فإنه لا يوحشه إلا حضورهم عنده، بعدهم عنه أنس. انظر «الباية والنهاية» ١/ ٩١.

(٢) «الباية والنهاية» ١/ ٧٥ و ٢٠٠-٢٠١.

(٣) «الباية والنهاية» ١/ ٢٢٥.

(٤) في «ذيل تذكرة الحفاظ» ص ٥٨.

فتح الدين عبد الملك، وابنه الملك الكامل محمد، وختاتون بنت الملك الصالح^(٧) ...

وقد ولها ابن كثير عقب ذهبي، وكان الشمس الذهبي قد باشر فيها عرضاً عن كمال الدين الشريشي الذي توفي بطريق الحجاز سنة (٧١٨) وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة.^(٨)

تلامذته:

لا شك أن تلك الفترة مليئة بالتلاميذ امتلاء المدارس وانتشارها، وكتب السماعات والإجازات والتواريخ مليئة بذكر تراجمهم، لكنها مختصرة، لم يذكر من شيوعهم إلا ما يكون كالمثال، وقل أن يذكر في ترجمة الشيخ تلميذه أو بعضهم، لعدم كبير جدوى في هذه الإطالة، فمن أراد فلينظر كتب المشيخات، التي قد تتجاوز في المشيخة الواحدة أكثر من ألف شيخ كما في «مشيخة الذهبي» وغيرها مما أفاض بذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

وأثناء تجوالي في كتب التراجم، عثرت على بعض تلامذة ابن كثير - واستقصاء ذلك يطول - فأذكر ثلاثة منهم على سبيل المثال:

١ - أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد بن غشم بن غزوان بن علي بن مسرور بن تركي، شهاب الدين، أبو العباس، والحنباني، الدمشقي، الشافعي، الحافظ، المورخ (٧٥١-٨١٦) سمع الحديث من خلّاق، وأجاز له خلّاق من بلاد دمشق، وقرأ بنفسه الكثير، وكتب الكثير، واستفاد من مشايخ العصر كالأذرعي، والحنباني، وابن قاضي الزبداني، وابن خطيب يبرود، والغري، والتاج السبكي، وشمس الدين المؤملي... وتخرج في علوم الحديث بالحافظين ابن كثير وابن رافع. وكتب ذيلاً على تاريخ ابن كثير وغيره، بدأ فيه من سنة إحدى وأربعين يذكر فيه حوادث الشهر، ثم من توفي فيه، وهو مفيد جداً، كتب فيه ست سنين. ثم بدأ من سنة تسع وستين، فكتب إلى قبيل وفاته يسير. قال ابن قاضي شهبة: وكان قد أوصاني بتكميل الحرّم المذكور، فأكملته، وأخذت التاريخ المذكور، وزدت عليه حوادث من تواريخ المصريين وغيرهم بقدر ما ذكره الشيخ، كان ابن حجي: حسن الشكل، ديناً، خيراً، وعنده أدب كثير، وحشمة، وحسن معاشرته: انتهت المشيخة

ونجاة دار الذهب، كانت هذه الدار حماً يُعرف بمحام سويد، فهذه نائب السلطنة تنكر الملك الناصري، وجعله دار قرآن وحديث، وجاءت في غاية الحسن، ورُتب فيها الطلبة والمشايع^(٩).

١٢ - دار الحديث الأشرفية: ذكره النعمي، والداوودي^(١٠).

باشر ابن كثير مشيختها فترة وجيزة، ثم أخذت منه، وهي تقع بجهار باب القلعة الشرقي، غربي العصرية، وشمال القيمازية الحفية. وقد كانت دار الحديث هذا داراً للأمير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي واقف القيمازية، وله بها حمام، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل. وبنها دار حديث، وأحرب الحمام، وبنها سكناً للشيخ المدرّس بها^(١١).

وقد ولي مشيخة هذه الدار قبل ابن كثير جماعة من العلماء الأفاضل، منهم: تقي الدين ابن الصلاح، وعماد الدين ابن الحرستاني، وأبو شامة، وعبيد الدين النووي، وزين الدين الفارقي، وصدر الدين ابن الوكيل، والكمال ابن الزمكاني، وابن الشريشي، وجمال الدين المؤي، وتقي الدين السبكي.

وبعد موت السبكي تسلمها ابن كثير كما قاله الداوودي^(١٢).

وكان الشيخ شمس الدين الذهبي أراد أن يلي هذه الدار بعد موت المؤي، فلم يمكن من ذلك لفقده شرط الواقف في اعتقاد الشيخ فيه^(١٣).

٣ - مشيخة أم الصالح: ذكره ابن قاضي شهبة، والنعمي، والداوودي^(١٤).

وهي المدرسة الصالحية بترية أم الصالح، غربي الطيبة، والجوهريّة الحفية، وقبلي الشامية الجوانية بشرق، وقفها الملك الصالح أبو الجيش إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر، المتوفى سنة (٦٤٨)، ودُفن في تربة أم الصالح: ابنه الملك السعيد

(١) «البداية والنهاية» ١٤ / ١٣٨ - ١٣٩، «الدارس» ١ / ١٢٣.

(٢) «الدارس» ١ / ٣٦، «طبقات المفسرين» ١ / ١١٢.

(٣) «البداية والنهاية» ١٣ / ٢٦، «الدارس» ١ / ١٩.

(٤) انظر «طبقات المفسرين» ١ / ١١٢، «الدارس» ١ / ١٩-٤٧.

(٥) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٣ / ٥٦.

(٦) «طبقات الشافعية» ٣ / ٨٦، «الدارس» ١ / ٣٦، «طبقات

المفسرين» ١ / ١١٢.

(٧) «الدارس في تاريخ المدارس» ١ / ٣١٦-٣١٨.

(٨) «البداية والنهاية» ١٤ / ٩١، «الدارس» ١ / ٣٢٥-٣٢٦.

في البلاد الشامية إليه^(١)

٢- سعد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن يعقوب بن سرور، سعد الدين بن صدر الدين الثوري، ثم الخليلي الشافعي، نزيل دمشق (٧٢٩-٨٠٥) قديم دمشق بعد الأربعين وسمع من عبد الرحيم بن أبي اليسر، والشمس بن نباتة، والنهجي، وتقفة على الشيخ شمس الدين بن قاضي شهبة، وقرأ على الشيخ ابن كثير «مختصره في علوم الحديث» الذي ألفه وأذن له بالفتوى. واشتغل بالجامع الأموي، وأعاد بالناصرية والقيصرية، وكتب في الإجازات، وعلى الفتاوى، وناب في القضاء.^(٢)

٣- جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود الكازروني المدني. أجاز له ابن كثير فيما ذكره الفاسي، وهو تلميذ الكازروني^(٣)

٤- شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن رضوان الحريري الدمشقي المعروف بالسلاوي الشافعي (٧٣٨-٨١٣) سمع من ابن رافع وابن كثير.

ولي قضاء بعلبك ثم المدينة ثم صفد ثم غزة والقدس وغيرها وكان كثير العيال^(٤).

٥- وسمع منه أيضاً من أقرانه أبو المحاسن الحسيني^(٥)

وقد أجاز الحافظ ابن كثير أيضاً لمن أدرك حياته^(٦).

أقوال العلماء فيه:

١- قال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجي:

كَانَ أَحْفَظَ مَنْ أَدْرَكَتْهُ لِسُونِ الْأَحَادِيثِ، وَأَعْرَفَهُمْ بِمَرْجِعِهَا، وَرَجَالِهَا، وَصَحِيحِهَا، وَسَقِيمِهَا. وَكَانَ أَقْرَأَهُ وَشَبُوحَهُ يَعْتَرِفُونَ لَهُ

بذلك، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان. وكان فقيهاً جيداً الفهم، صحيح الذهن، يستحضر شيئاً كثيراً، ويحفظ «التبتي» إلى آخر وقت، ويشارك في العريية مشاركة جيدة، وينظم الشعر، وما أعرف أنني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا وأفدت منه^(٧).

٢- وقال العلامة بدر الدين العيني (٨٥٥):

كَانَ قُدْوَةً الْعُلَمَاءِ وَالْحَفَاطِ. وَعَمِدَةً أَهْلِ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ، وَسَمِعَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَدَرَسَ وَحَدَّثَ وَأَلَّفَ، وَكَانَ لَهُ أَطْلَاعٌ عَظِيمٌ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّوْصِيلِ وَالنَّحْوِ، وَاشْتَهَرَ بِالضَّبْطِ وَالتَّحْرِيرِ. وَاتَّهَى إِلَيْهِ عِلْمُ التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّوْصِيلِ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ مُفِيدَةٌ^(٨).

٣- وقال المحدث الحافظ شمس الدين الذهبي (٧٤٨):

وَسَمِعْتُ مَعَ الْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ ذِي الْفَضَائِلِ عَمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَثِيرٍ الْبُصْرِيِّ... وَلَهُ عَنَايَةٌ بِالرِّجَالِ وَالتَّفَقُّهِ، خَرَجَ وَأَلَّفَ وَنَظَرَ وَصَنَّفَ وَفَسَّرَ وَتَقَدَّمَ^(٩).

وقال في «المعجم المختصر»: فقيه متقن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد^(١٠).

٤- وقال ابن حبيب:

إِمَامٌ ذِي التَّسْيِيعِ وَالتَّهْلِيلِ، زَعِيمُ أَرْبَابِ التَّأْوِيلِ، وَسَمِعَ وَجَمَعَ وَصَنَّفَ وَأَطْرَبَ الْأَسْمَاعَ بِقَوْلِهِ وَصَنَّفَ، وَحَدَّثَ وَأَفَادَ، وَطَارَتْ أَوْرَاقُ فِتَاوَاهُ إِلَى الْبِلَادِ، وَاشْتَهَرَ بِالضَّبْطِ وَالتَّحْرِيرِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْعِلْمِ فِي التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّوْصِيلِ^(١١).

٥- وقال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢):

كَانَ كَثِيرَ الْاسْتِحْضَارِ، حَسَنَ الْمَفَاكِهِ، سَارَتْ تَصَانِيفُهُ فِي الْبِلَادِ فِي حَيَاتِهِ، وَانْتَفَعَ بِهَا النَّاسُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقِ الْمُحَدِّثِينَ

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٤/ ١٢-١٤، «إنباء الغمر» ٧/ ١٢١-١٢٤، «الشذرات» ٧/ ١١٦-١١٨، «لحظ الأحاط» بذييل طبقات الحفاظ لابن فهد ص ٢٤٧-٢٥٠، «الضوء اللامع» ١/ ٢٦٩، «الندارس» ١/ ١٣٨

(٢) «الضوء اللامع» ٣/ ٢٥٤، «الندارس» ١/ ٣٢٠، «إنباء الغمر» ١٠١/ ٥.

(٣) «ذيل التقييد» ١/ ٤٧٢.

(٤) «شذرات الذهب» ٧/ ١٠٠-١٠١.

(٥) في «ذيل التذكرة» ص ٥٩.

(٦) «إنباء الغمر» ١/ ٤٦-٤٧.

(٧) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ٣/ ٨٦، «الندارس» ١/ ٣٦، «الشذرات» ٦/ ٣٣١، «طبقات المفسرين» ١/ ١١٢.

(٨) «النجوم الزاهرة» ١١/ ٩٨.

(٩) «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٥٠٨.

(١٠) «طبقات المفسرين» ١/ ١١٢، «إنباء الغمر» ١/ ٤٦، «الشذرات» ٦/ ٢٣١.

(١١) «إنباء الغمر» ١/ ٤٦.

وسمّاه أبو المحاسن الحسيني وغيره: «الهدى والسُنن في أحاديث المسانيد والسُنن» أحمد، واليزار، وأبو يعلَى، وابن أبي شيبة، والسنّة.

وسمّاه ابن قاضي شُهْبَة، والداودي، وابن العماد: «المانيد العشرة».

وأصل الكتاب: أن الحافظ شمس الدين ابن المحب المعروف بالصامت رَتَّبَ «مسند أحمد» على ترتيب حروف المعجم، حتى في التابعين المكثرين عن الصحابة، فأعجب ابن كثير، واستحسنه، وقال ابن حجر: ورأيت النسخة بدمشق بخط ولده عمر. فالحق ابن كثير ما استحسنه في الموامش من الكتب الستة ومُسْنَدِي أبي يعلَى، واليزار، ومعجمي الطبراني ما ليس في المسند، وسَمَى الكتاب «جامع المسانيد والسُنن». وكُتِبَ عنه عدة نُسَخٍ نُسِبَتْ إليه، وهو الآن في أوقاف المدرسة الحمودية، المتن ترتيب ابن المحب، والإحاقات بخط ابن كثير في الموامش والعصافير. وقد كنت رأيتُ منه نُسَخَةً يَتَضَعُها عمرُ بنُ العماد بن كثير عما في المتن والإحاق، وكُتِبَ عليه الاسم المذكور.^(١٠٠)

قلت: وقد طُبِعَ الكتاب بتمت له.

٢ - «الهداية والنهاية»:

وهو كتاب مبسوط، يبدأ من خلق العرش، والكرسي، والسموات والأرض، ثم الملائكة، والجن والشياطين، ثم خلق آدم عليه السلام، وقصص الأنبياء، ثم أيام بني إسرائيل، والجاهلية، ثم السيرة النبوية، ثم الشرائع الحمودية، ثم الأحداث من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيان بعض التراجم المهمة في أحداث كل سنة عُثِرَ مات فيها، وانتقى تاريخه هذا من الطبري وغيره، وانتهى به من تاريخ البرزالي، سنة (٧٣٨). ويمتاز تاريخه بليراو الآيات والأحداث النبوية واعتمادها في القسم الأول، والإشارة إلى بعض الإسرائيليات، وتَقْدِيرُ بعض الأحداث وبيانها، ويؤخذُ جُلُّها في مادة التراجم، إذ إنه قد يترك ذكر بعض المشاهير، فلا يترجم لهم وهذا الذي ذكرت، مطبوع بكامله عدة طبعات.

وتلوه قسم في الفتن والملاحم وأشراف الساعة والبعث والنشور وأحوال القيامة، وصفة الجنة والنار، طُبِعَ مستقلاً عن الكتاب - وهو منه كما نبّه المؤلف عليه في المقدمة - باسم «النهاية

في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فتوئهم، وإنما هو من مُحدثي الفقهاء»^(١٠١).

٦ - وقال أبو المحاسن الحسيني (٧٦٥):

أفتى ودُرِسَ وناظَرَ في الفقه والتفسير والنحو، وأمعَنَ النظر في الرجال والعِلَلِ^(١٠٢).

٧ - ووصفه بحفظ المتن وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني والعراقي... نقله ابن حجر، وعنه ابن العماد^(١٠٣).

وفاته رحمه الله:

مات في خامس عشر شعبان بدمشق فيما ذكر ابن حجر وغيره^(١٠٤). وقال الفاسي: سادس عشر^(١٠٥) وقال ابن تغري بردي: سادس عشرين^(١٠٦).

ودُفِنَ بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية^(١٠٧). وكان أضرّ في أواخر عمره^(١٠٨).

رثاه من طلبته

وصلنا من ذلك بيتان، رثاه بهما بعض طلبته فيما ذكر ابن تغري بردي:

لِفَقْدِكَ طُلَّابُ الْعِلْمِ تَأَسَّفُوا وَجَادُوا بِدَمْعٍ لَا يَبْسُدُ غَزِيرٍ وَلَوْ مَزَجُوا مَاءَ الْمَدَامِ بِالْذَّمَا لَكَانَ قَلِيلاً فَبِكَ يَا ابْنَ كَثِيرٍ كَبِيرٍ:

١ - «جامع المسانيد والسُنن»: كما عند ابن حجر وغيره.

(١) «الدرر الكامنة» ١ / ٣٧٤.

(٢) «ذيل التذكرة» ص ٥٨.

(٣) «إنباء النعم» ١ / ٤٦، «الشرقات» ٦ / ٢٣١.

(٤) «إنباء النعم» ١ / ٤٦.

(٥) «ذيل التقييد» ١ / ٤٧٢.

(٦) «النجوم الزاهرة» ١١ / ٩٨، «الدليل الشافي على المنهل الصافي» ١ / ١٢٧.

(٧) «الرد الوافر» ص ١٦٢، «السداس» ١ / ٣٧، «طبقات الشافعية» ٣ / ٨٦.

(٨) «الدرر الكامنة» ١ / ٣٧٤.

(٩) «النجوم الزاهرة» ١١ / ٩٩، «الدليل الشافي» ١ / ١٢٧.

(١٠) «إنباء النعم» ١ / ٤٧.

في الفتن والملاحم.

٩- «تخريج أدلة التنبيه»: ذكره ابن حجر في «الدرر».

١٠- «تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب»: ذكره ابن حجر، وابن قاضي شهبة، وابن تغري بردي، والداودي، وقال ابن قاضي شهبة: «كتب رفيقه الشيخ تقي الدين ابن رافع لنفسه منه نسخة. قلت: وقد طبع».

١١- «الروض النقيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس»:

كما في «كشف الظنون». وذكره ابن تغري بردي والداودي باسم مناقب الإمام الشافعي.

١٢- «اختصار علوم الحديث»: ذكره جمع، وقد قرأه عليه تلاميذه. وهو تهذيب لمقدمة ابن الصلاح في مصطلح الحديث، اختصرها وزاد عليها بعض التعقبات والفوائد المهمة. وقد طبع بشرح أحمد شاكر رحمه الله، وسماه: «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث».

١٣- «الاجتهاد في طلب الجهاد»: ذكره حاجي خليفة

١٠/١.

وهو رسالة كتبها المؤلف تلبية لرغبة نائب الشام الأمير منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفي التوفى سنة (٧٧٦) يحكي فيها أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين خلال القرن الثامن (الفترة التي عاشها ابن كثير). بدأ فيه المؤلف بمقدمة ذكر فيها الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل الله، ثم أورد بعض ما جاء في الأحاديث النبوية، فسرد ثلاثة عشر حديثاً، ثم شرع في الحديث عن الصراع بين المسلمين والصليبيين، فذكر ما كان من هجرم الفرنج على ثغر الإسكندرية، وتصدي المسلمين لهم، ثم يذكر جهود المسلمين المستمرة للجهاد في سبيل الله في بلاد الشام على عهد الرسول وخلافة الراشدين، ومن جاء بعدهم، كما تعرض لاستيلاء الفرنج على بيت المقدس، وتصدي صلاح الدين الأيوبي لهم، وانتزاعه من أيديهم، واسترجاع البلاد المجاورة مثل غزة، ونابلس، وعجلون، والكرك، والغور، والشولك، وصنف. كذا ذكر محقق «البداية والنهاية».

١٤- «سيرة صغيرة»: ذكرها ابن قاضي شهبة، والداودي، وابن العماد.

٣- «التفسير»: وقد أوردته للمؤلف معظم من ترجم له، كابن حجر، وابن قاضي شهبة، وابن تغري بردي، والداودي. وجعلوه من أهم ما كتب ألف، لأنه أبرز فيه جملة من العلوم من حيث اللغة، والقراءات، والفقه، والتفسير، والتاريخ، والحديث، وتقدير الرجال، ومعرفة الإسرائيليات ونحوها.

٤- «التكميل»: سماه الفاسي وغيره: «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل». وسماه حاجي خليفة: «التكملة في أسماء الثقات والضعفاء».

وهو كتاب جمع فيه بين ما اختصره من «تهذيب الكمال»، وما لم يذكر فيه من «ميزان الاعتدال»، وزيادات أخرى ليست فيهما في الجرح والتعديل.

٥- «طبقات الشافعية»: كما عند الحسيني، وابن حجر، وابن قاضي شهبة، وابن العماد، والداودي. وسماه ابن تغري بردي: «طبقات الفقهاء»، وفي «كشف الظنون»: «طبقات عماد الدين ابن كثير». وسماه البغدادى «طبقات العلماء»^(١).

قال ابن قاضي شهبة: رتبة على الطبقات، لكنه ذكر فيه خلاصاً مما لا حاجة لطيلة العلم إلى معرفة أحوالهم، فلذلك جمعنا هذا الكتاب.^(٢)

٦- «كتاب كبير في الأحكام»: ذكره ابن حجر، وابن قاضي شهبة، والداودي، وابن العماد. وهو كتاب لم يكمل، وقد أكثر المؤلف من النقل عنه والإحالة إليه في كتابه التفسير، وذكر ابن قاضي شهبة أنه وصل فيه إلى الحج!!

٧- «شرح صحيح البخاري»: ذكره ابن قاضي شهبة، وابن حجر، وابن تغري بردي، وابن العماد، والداودي، وحاجي خليفة. وقالوا: إنه لم يكمله، أو شرع فيه، أو شرع قطعة منه. وقد أحال إلى هذا الكتاب في مواضع من كتابه التفسير.

٨- «أحكام التنبيه»: ذكره أبو الحسن الحسيني. وقال ابن قاضي شهبة والداودي: إنه شرع قطعة من «التنبيه».

١٥- «الأحكام الصغرى في الحديث»: ذكره حاجي خليفة

(١) هدية العارفين ٢/ ٢١٥.

(٢) «طبقات الشافعية» ٣/ ٨٦.

- ١٠- «درة الحجال في أسماء الرجال» لأبي العباس ابن القاضي - تحقيق محمد الأحدي أبو النور - دار التراث..
- ١١- «الدليل الشافي على المنهل الصافي» لابن تغري بردي (٨٧٤) - جامعة أم القرى.
- ١٢- «دول الإسلام» للذهبي (٧٤٨) - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ١٣- «ذيل تذكرة الحفاظ» لأبي المحاسن الحسيني (٧٦٥) - دار الفكر العربي.
- ١٤- «ذيل العبر» لأبي المحاسن الحسيني - دار الكتب العلمية.
- ١٥- «ذيل التقييد في رواة السنن والمسائيد» لمحمد بن أحمد الفاسي المكي المالكي (٨٣٢) - تحقيق كمال الحوت - العلمية.
- ١٦- «الرد الوافر على مَنْ زَعَمَ بَأْنَ مَنْ سَمَى ابْنَ تَيْمِيَّةَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ كَافِرًا» لابن ناصر الدين الدمشقي (٨٤٢). تحقيق زهير الشاويش - المكتب الإسلامي.
- ١٧- «شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذُكِرَ» لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩) - دار الفكر.
- ١٨- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي (٩٠٢) - دار مكتبة الحياة.
- ١٩- «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبه (٨٥١) - عالم الكتب.
- ٢٠- «طبقات المفسرين» لشمس الدين محمد بن علي الداودي (٩٤٥) - العلمية.
- ٢١- «العبر في خبر مَنْ غُبِرَ» للذهبي (٧٤٨) - دار الكتب العلمية.
- ٢٢- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (١٠٦٧) - دار الفكر ١/ ١٩ و ٢٢٨ و ٤٣٩ و ٤٧١ و ٥٥٠ و ٥٧٣ و ٢ و ١٠٠١ و ١١٠٥ و ١١٦٢ و ١٥٢١ و ١٨٤٠.
- ٢٣- «لحظ الأخطاء بذيل طبقات الحفاظ» لابن فهد (٨٧١) - دار الفكر العربي.
- ٢٤- «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري
- ١/ ١٩.
- ١٦- «الكواكب الدراري»: انتخاب من تاريخه الكبير. ذكره حاجي خليفة (١٥٢١/٢).
- ١٧- «مختصر كتاب المذخّل للبيهقي»: ذكره المؤلف في مقدمة كتابه «اختصار علوم الحديث» ص ١٧.
- ١٨- «مسند الشيخين»: ذكره المؤلف في «البداية والنهاية» ١٨/٧، وكأنه من «جامع المسانيد».
- ١٩- «مسألة السماع»: ذكره حاجي خليفة ١٠٠١/٢.
- ٢٠- «الفصول في سيرة الرسول»: ذكره حاجي خليفة ٢/ ١٩٤. وهو قسم من «البداية والنهاية». طبع غير مرقف، وكذا طبع «الشمائل المحمدية» و «قصص الأنبياء». وهما من «البداية».
- ٢١- «فضائل القرآن» وهو مطبوع.
- مصادر الترجمة**
- ١- «إنباء الغمر بابناء الغمر» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢) - عالم الكتب.
- ٢- «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» لإسماعيل باشا البغدادي - دار الفكر - ٢/ ١٩٤.
- ٣- «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» لأحمد شاکر - دار الفكر.
- ٤- «البداية والنهاية»، لابن كثير (٧٧٤) - دار الكتب العلمية، بتحقيق جماعة.
- ٥- «البر الطالع بمحاسن مَنْ بَعْدَ الْقُرْنِ السَّابِعِ» لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠) - دار المعرفة.
- ٦- «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي (٧٤٨) - دار الفكر العربي.
- ٧- «تفسير ابن كثير» - ط الشعب - مصر.
- ٨- «الدارس في تاريخ المدارس» لعبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي (٩٢٧) - تحقيق جعفر الحسني.
- ٩- «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني (٨٥٢) - مَصَوْرَةٌ إحياء التراث..

بردي (٨٧٤) - دار الكتب العلمية.

٢٥- «هدية العارفين من كشف الظنون» لإسماعيل باشا
البغدادي - دار الفكر.

٢٦- «الوافي بالوفيات» للصفدي (٧٦٤). دار النشر فرائز
شتاينز بفسبادن - بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الأول الآخر، الباطن الظاهر، الذي هو بكل شيء عليم، الأول فليس قبله شيء، الآخر فليس بعده شيء، الظاهر فليس فوقه شيء، الباطن فليس دونه شيء، الأزلي القديم الذي لم يزل موجوداً موصوفاً بصفات الكمال، ولا يزال دائماً مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال. يعلم ديبب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وعدد الرمال. وهو العلي الكبير المتعال، العلي العظيم الذي ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُئِيَ تَقْيِيرُ﴾ (الفرقان: ٢)

و﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ (الرعد: ٢)، وزينها بالكواكب الزاهرات، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (الفرقان: ٦١) وسوى فوقهن سريراً، شرجعاً عالياً منيفاً متسعاً مقبياً مستديراً. وهو العرش العظيم - له قوائم عظام، تحمله الملائكة الكرام، وتحفه الكروبيون عليهم الصلاة والسلام، ولهم زجل بالتقديس والتعظيم. وكلنا أرجاء السماوات مشحونة بالملائكة، ويفد منهم في كل يوم سبعون ألفاً إلى البيت المعمور بالسما السابعة لا يعودون إليه، آخر ما عليهم في تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم.

ووضع الأرض للأنام على تيار الماء. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْزَاجَ آبٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ (صلوات: ١٠) قبل خلق السماء، وأثبت فيها من كل زوجين اثنين دلالة للآلئاء من جميع ما يحتاج العباد إليه في شئانهم وصيغهم، ولكل ما يحتاجون إليه ويملكونه من حيوان بهيم.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السلعة: ٧)، و﴿جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (السلعة: ٨)، في قرار مكين فجعله سميماً بصيراً، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً. وشرفه بالعلم والتعليم. خلق بيده الكريمة آدم أبا البشر، وصور جسده ونفخ فيه من روحه وأمسجد له ملائكته، وخلق منه زوجه حواء أم البشر فأنس بها وحدته، وأسكنهما جنته، وأسبغ عليهما نعمته. ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق في ذلك من حكمة الحكيم. وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وقسمهم بقدره العظيم ملوكاً وراعاة، وفقراء وأغنياء، وأحراراً وعبداً، وحراراً وإماء. وأسكنهم أرجاء الأرض، طولها والعرض، وجعلهم خلافت فيها يختلف البعض منهم البعض، إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم، وسخر لهم الأنهار من سائر الأقطار، تشق الأقاليم إلى الأمصار، ما بين صغار وكبار، على مقدار الحاجات والأوطار، وأنبع لهم العيون والآبار. وأرسل عليهم السحاب بالأمطار، فأنبت لهم سائر صنوف الزروع والثمار. وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقال لهم: ﴿وَإِنْ تَعْلَمُوا أَنَّمَا اللَّهُ لَا تُحْصِيهِمْ﴾ (الحج: ١٨) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلْهُمَ كَفَّارٌ﴾ (الإبراهيم: ٣٤). فسبحان الكريم الغني العظيم الحليم.

وكان من أعظم نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبل وأنطقهم، أن أرسل رسله إليهم، وأنزل كتبه عليهم: مينة حلالة وحرامه، وأخباره وأحكامه، وتفصيل كل شيء في البدا والمعاد إلى يوم القيامة.

فالسعيد من قابل الأخبار بالتصديق والتسليم، والأوامر بالانقياد

والنواهي بالتعظيم. ففاز بالتعظيم المقيم، وزحزح عن مقام المكذبين في الجحيم ذات الزقوم والجحيم، والعذاب الأليم.

أحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يملأ أرجاء السماوات والأرضين، دائماً أبد الأبدين، ودهر الداهرين، إلى يوم الدين، في كل ساعة وأوانٍ ووقت وحين، كما ينبغي لجلاله العظيم، وسلطانه القديم ووجهه الكريم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ولد له ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا نظير له ولا وزير له ولا مشير له، ولا عديد ولا نديد ولا قسيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليفه، المصطفى من خلاصة العرب العرباء من الصميم، خاتم الأنبياء، وصاحب الخوض الأكبر الرواء، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وحامل اللواء الذي يبعثه الله المقام المحمود الذي يرغب إليه فيه الخلق كله. حتى الخليل إبراهيم صلى الله عليه وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وسلم وشرف وكرم أركى صلاة وتسليم، وأعلى تشريف وتكريم. ورضي الله عن جميع أصحابه الغر الكرام، السادة التجباء الأعلام، خلاصة العالم بعد الأنبياء. ما اختلط الظلام بالضياء، وأعلن الناعي بالنداء وما نسخ النهار ظلام الليل بهيم.

أما بعد: فهذا كتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات، من خلق العرش والكرسي والسماوات والأرضين وما فيهن وما ينهين من الملائكة والجن والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين، وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بني إسرائيل وأيام الجاهلية حتى تنتهي النبوة إلى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه. فنذكر سيرته كما ينبغي فنشفي الصدور والغليل، ونزيع الداء عن الليل. ثم نذكر ما بعد ذلك إلى زماننا، ونذكر الفتن والملاجم، وأشراف الساعة، ثم البعث والشور وأحوال القيامة، ثم صفة ذلك، وما في ذلك اليوم، وما يقع فيه من الأمور الهائلة، ثم صفة النار، ثم صفة الجنان، وما فيها من الخيرات الحسان، وغير ذلك، وما يتعلّق به، وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المتفرقة المقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء، الأخيدين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله عما لا يخالف كتاب الله، ومنه رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، عما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لهم ورد به شرعاً عما لا فائدة في تعينه لنا فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صح نقله أو حسن وما كان فيه ضعف نينه. وبالله المستعان وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم العلي العظيم.

قد قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (طه: ٩٩) وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأمم الماضية، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحل بأعدائه. وبين ذلك رسول الله ﷺ لأمته نبأ شافياً، سنورد عند كل فضل ما وصل إلينا عنه صلوات الله وسلامه عليه من ذلك تلو الآيات الواردة في ذلك فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه عما قد يتراحم على علمه ويتراحم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب عما لا فائدة فيه لكثير من الناس. وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا أيضاً، ولسنا نحلو حذوهم ولا ننحصر نحوهم ولا نذكر منها إلا

فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ. وَذَكَرَ تَعَامُ الْخُطْبَةِ إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ مُغِيرَبَانَ الشَّمْسِ قَالَ: «أَلَا إِنَّ مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ».

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٦١/٣): ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ ذَاتَ يَوْمٍ نَهَارًا، ثُمَّ قَامَ فَخُطِبَنَا إِلَى أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ، فَلَمْ يَذْغْ شَيْئًا مَّا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَدَّثَنَا، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ ذَلِكَ مَنْ نَسِيَهُ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوةٌ وَإِنَّ اللَّهَ سَتَخَلِّفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ» وَذَكَرَ تَمَامَهَا إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ، فَقَالَ: «وَإِنْ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ». وَهَذَا هُوَ الْمُحْفُوظُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

القليل على سبيل الاختصار. ونبين ما فيه حق منها يوافق ما عندنا، وما خالفه فوقع فيه الإنكار.

فأما الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٦١) دون قوله: «وَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ» عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا خَرَجَ، وَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَبْرُأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْمَسْكُوتِ عَنْهَا عِنْدَنَا. فَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا يَصْدَقُهَا وَلَا مَا يَكْذِبُهَا، فَيَجُوزُ رَوَايَتُهَا لِلإِعْتِبَارِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَسْتَعْمَلُهُ فِي كِتَابِنَا هَذَا.

فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا. وما شهد له شرعنا منها بالبطالان فذاك مردود لا يميز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال فإذا كان الله، سبحانه وله الحمد، قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع وبكتابه عن سائر الكتب.

فلنسا تترامى على ما بأيديهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضوح، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير. فالاحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه. عرفه من عرفه، وجهله من جهله. كما قال علي بن أبي طالب (كتاب الله فيه خير ما قبلكم ونبا ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله) رت (٢٩٠٦)، أحد ٩١/١ مرفوعاً.

وقال أبو ذر، رضي الله عنه: (لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر بطير يجناحيه إلا أذكرنا منه علماً) راجد: ١٥٣/٥، ١٢٦ المجمع: ٢٦٣/٨، ٢٦٤.

وقال البخاري في كتابي بَدْءَ الْخَلْقِ (٣١٩٢): وَرَوَى عِيسَى بْنُ مُوسَى غَنْجَارٌ، عَنْ رَقِيقَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ. قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْكَلْبِيُّ فِي «أَطْرَافِهِ»: هَكَذَا قَالَ الْبُخَارِيُّ، وَإِنَّمَا رَوَاهُ عِيسَى غَنْجَارٌ عَنْ أَبِي حَفْزَةَ، عَنْ رَقِيقَةَ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده (٣٤١/٥): حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا عِزَّةُ بْنُ ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا عَلِيَّاءُ بْنُ أَحْمَرَ الْبَشْكِرِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ صَعِدَ الْمَنبَرَ، فَخُطِبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ. ثُمَّ صَعِدَ الْمَنبَرَ، فَخُطِبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ. ثُمَّ صَعِدَ الْمَنبَرَ فَخُطِبْنَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَاعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا». أَنْفَرْدُ بِإِخْرَاجِهِ مُسْلِمٌ (٢٨٩٢)، فَرَوَاهُ فِي كِتَابِ الْيَمِينِ مِنْ «صَحِيحِهِ»، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيِّ، وَحُجَّاجِ بْنِ الشَّاعِرِ، جَمِيعاً عَنْ أَبِي عَاصِمٍ الضُّحَّالِيِّ بْنِ مَخْلَدِ النَّبِيلِ، عَنْ عِزَّةَ، عَنْ عَلِيَّاءَ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبِ بْنِ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ.

وقال الإمام أحمد (١٩/٣): حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَعِفَّاءُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حُمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: خُطِبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى مُغِيرَبَانَ الشَّمْسِ، حَفِظَهَا مَنْ حَفِظَهَا، وَنَسِيَهَا مَنْ نَسِيَهَا - قَالَ عِفَّاءُ: قَالَ حُمَادُ: وَأَكْثَرُ جَفِظَ أَنَّهُ قَالَ: بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ سَتَخَلِّفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا

بسم الله الرحمن الرحيم

١- كتاب بدء الخلق

١- بداية الخلق

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له، مرسوب مدبر، مكون بعد أن لم يكن محدث بعد علمه. فالعرش الذي هو سقف المخلوقات إلى ما تحت الثرى، وما بين ذلك من جماد وناطق الجميع خلقه، وملكه وعيَّنه وتحت قهره وقدرته، وتحت تصرفه ومشيئته ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْفَرْشِ يَغْلَمُ مَا يَلِيجُ فِيهَا الْأَرْضُ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقد اجمع العلماء قاطبة لا يشك في ذلك مسلم أن الله خلق السموات والأرض، وما بينهما في ستة أيام كما دل عليه القرآن الحكيم. واختلفوا في هذه الأيام أمي كأيامنا هذه أو كل يوم كالف سنة مما تعدون؟ على قولين كما بينا ذلك في التفسير [٤٢٧/٣]، وستعرض لإيراده في موضعه.

واختلفوا هل كان قبل خلق السموات والأرض شيء مخلوق قبلهما: فلهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لم يكن قبلهما شيء وأنها خلقتا من العدم الخفض.

وقال آخرون: بل كان قبل السموات والأرض مخلوقات أخر لقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٣٧] الآية.

وفي حديث عمران بن حصين (٣١٩١) مطبوعاً، وعنده فيه شيء غيره بدلاً من قوله شيء: كما سيأتي «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ». وقال الإمام أحمد بن حنبل [١٢/٤]: حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا يعلى بن عطاء، عن وكيع بن جُلس عن عمه أبي رزَيْن لقيط بن عامر العقيلي أنه قال: «يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

ورواه عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة به. ولفظه: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ وبقية سواء.

وأخرجه الترمذي [٣١٠٩] عن أحمد بن منيع وابن ماجه [١٨٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن الصباح ثلاثهم عن يزيد بن هارون، وقال الترمذي: حسن.

٢- أول المخلوقات

واختلف هؤلاء في إيه خلق أولاً؟.

فقال قائلون: خلق القلم قبل هذه الأشياء كلها، وهذا هو اختيار ابن

جرير [٣٤/١] وابن الجوزي [النظم: ١٢٠/١، ١٢١] وغيرهما.

قال ابن جرير [النسخ: ٣٧/١]: وبعد القلم السحاب الرقيق.

واحتجوا بالحديث الذي رواه الإمام أحمد [٣١٧/٥]، وأبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) عن عباد بن الصامت رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَىٰ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لفظ أحمد.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء المملاني وغيره أن العرش خلق قبل ذلك وهذا هو الذي رواه ابن جرير [النسخ: ٣٩/١] من طريق الضحاك عن ابن عباس. كما دل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٢٦٥٣).

حيث قال: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ وَغَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ».

قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير.

وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجمهور.

ويجمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم. ويؤيد هذا ما رواه البخاري (٢٤١٨) عن عمران بن حصين: قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: «جئناك لتتفق في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» وفي رواية (معها) [٣١٩١] وفي رواية «غيره» وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» وفي لفظ: «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ». فسأله عن ابتداء خلق السموات والأرض. ولهذا قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، فأجابهم عما سألوا فقط. ولهذا لم يجزهم بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزَيْن المتقدم.

قال ابن جرير [النسخ: ٣٩/١] وقال آخرون: «بل خلق الله عز وجل الماء قبل العرش».

ورواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: قالوا: «إِنْ اللَّهُ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ».

وحكي ابن جرير [النسخ: ٣٤/١] عن محمد بن إسحاق أنه قال: (أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً، وجعل النور نهراً مضيئاً مبصراً).

قال ابن جرير [النسخ: ٣٩/١] وقد قيل: «إِنَّ الَّذِي خَلَقَ رَبَّنَا بَعْدَ الْقَلَمِ الْكَرْسِيُّ. ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ الْكَرْسِيِّ الْعَرْشَ. ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْهَوَاءَ وَالظُّلْمَةَ. ثُمَّ خَلَقَ الْمَاءَ فَوَضَعَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ».

روى الحافظ بن القاسم بن عسَّكَر في ترجمة علي بن الحسن بن محمد بن أحمد بن جميع الشافعي الصيداوي من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي عنه، عن أبيه عن جده محمد بن أحمد بن جميع: حدثنا محمد بن المعالي الصدوق، حدثنا محمد بن خلف حدثنا محمد بن يوسف عن سفين عن الأعمش عن المهال بن عمرو عن أبي أراكة قال: سأل رجل عبد الله بن عمرو عما خلق الخلق قال: (من النور والظلمة والماء والثرى) فقال:

بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة» والباقي نحوه.
وقال أبو داود حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار، وأحمد بن سعيد الرباطي قالوا: حدثنا وهب بن جرير. قال أحمد: كُتِبَ من نسخته وهذا لفظه.

قال: حدثنا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عقبة عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وجأعت العيال ونهكت الأموال وهككت الأنعام، فاستسقى الله لنا فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجهه أصحابه. ثم قال: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَكْثَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحْكَ أَتَدْرِي مَا لِلَّهِ إِنْ عَرَسَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهْكَانَ - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وَإِنَّهُ لَيُطَبُّ بِهِ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ». قال ابن بشار في حديثه: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ» وساق الحديث.

وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده. والحديث بإسناد أحمد بن سعيد وهو الصحيح. وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المثنى. ورواه جماعة منهم عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضاً، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني. تفرد بإخراجها أبو داود [٤٧٢٦].

وقد صف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي جزءاً في الرد على هذا الحديث. سماه «بيان الوهم والتخيلط الواقع في حديث الأبيط» واستفزع وسعه في الطعن على محمد بن إسحاق بن يسار وأبيه. وذكر كلام الناس فيه.

ولكن قد روى هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد بن إسحاق، فرواه عبد بن حُذَيْفَ وابن جرير في تفسيرهما [ط: ١٠/٣، ١١] وابن أبي عاصم والطبراني في كتابي السنة لهما، والبخاري في مسنده والحافظ الضياء المقدسي في غنائره من طريق أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال: فغظم الرب تبارك وتعالى وقال: «إِنْ كَرِهَ وَسِعَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَإِنْ لَهْ أَطِيطَا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ مِنْ ثِقَلِهِ». عبد الله بن خليفة هنا ليس بذلك المشهور. وفي سماعه من عمر نظر. ثم منهم من يرويه موقوفا ومرسلاً، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم.

وثبت في صحيح البخاري [٢٧٩٠ م] مطولاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَفَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ»، يروى وفوقه بالفتح على الظرفية، وبالفهم. قال شيخنا الحافظ المزني: وهو أحسن، أي: وأعلاها عرش الرحمن. وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمعون أبطيط العرش وهو تسيحه وتعظيمه) وما ذاك إلا لقرينهم منه.

وفي الصحيح [خ: ٣٨٠٣، ٢٤٦٦ م] أن رسول الله ﷺ قال: «لَقَدْ أَهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لَمُوتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاوَةَ». وذكر الحافظ ابن الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب «صفة

إيت ابن عباس فسله فأنه فقال له مثل ذلك فقال: أرجع إليه فاسأله مم خلق ذلك كله؟ فرجع إليه فسأله فقال: قال «وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ» [الحاقة: ١٣] علي بن الحسن قال، قال ابن معين: لم يرو الفرلابي حديثاً أقرب من هذا.
قلت: غالب هذه الموقوفات من الأخبار الإسرائيلية التي لا تصدق ولا تكذب إلا بإقامة دليل على صدق بعضها أو كذبها والله أعلم.

٣- خلق العرش

قال الله تعالى: «رَفِيعَ الثَّرَاجَاتِ ذُو الْعَرْشِ» [ط: الآية ١٥]
وقال تعالى: «تَتَجَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» [الزمر: الآية ١١٦]
وقال الله: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [الزلزال: الآية ٢٦]
وقال: «وَهُوَ الْقَوِيُّ الْغُوثُ. ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ» [الزبور: الآية ١٤]

وقال تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [ط: الآية ٥]
وقال: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» [يونس: الآية ٣]
في غير ما آية من القرآن، وقال تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً» [ط: الآية ٧]

وقال تعالى: «وَيَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» [الحاقة: الآية ١٧]

وقال تعالى: «وَنَزَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَتُفْصِي بَيْنَهُمُ الْبَاطِلَ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الزمر: الآية ٧٥]
وفي الدعاء المروي في الصحيح [خ: ٣٦٤٥ م، ٢٧٣٠] في دعاء الكرب «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

وقال الإمام أحمد [٢٠/١]، حدثنا عبد الرزاق حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد، حدثني سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن عباس بن عبد المطلب قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالطحاه فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قال: قلنا: السحاب قال: «وَالْمِزْنُ» قال قلنا: والمِزْنُ قال: «وَالْعَنَانُ» قال: فسكتنا فقال: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «بَيْنَهُمَا مِثْرَةٌ خَمِيسَاتُ سَنَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مِثْرَةٌ خَمِيسَاتُ سَنَةٍ، وَكَثُفَ كُلِّ سَمَاءٍ مِثْرَةٌ خَمِيسَاتُ سَنَةٍ وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَأُظْلَافُهُنَّ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ» هذا لفظ الإمام أحمد.

ورواه أبو داود [٤٧٢٣] والترمذي [٣٣٢٠]، وابن ماجه [١٩٣] من حديث سماك بإسناده نحوه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبي داود «وَهَلْ تَدْرُونَ بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قالوا لا ندري قال: «بعد ما

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طافو وفوق العرش رب العالمين
وتحملة ملائكة كرام ملائكة الإله مسومين
ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة.

وقال أبو داود [٤٧٢٧] حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثني
أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر،
عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أؤذن لي أن أحدث عن ملك من
ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أظفري إلى عاتقه
مسيرة سبعمئة عام». ورواه ابن أبي حاتم ولفظه «مَخِيقُ الطير مسيرة
سبعمئة عام».

وقال محمد بن عثمان ابن أبي شيبة: حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار
حدثنا ابن أبي فليك، عن عبد الرحمن بن عبد المجيد، عن هشام بن النضر،
عن مكحول، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين
يصبح وحين يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد ملائكتك وحمة
عرشك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك
وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك اعتق الله ربه من النار، فإن قالها أربع
مرات اعتقه الله من النار» [٥٠٦٩].

طريق أخرى: ثم قال ابن أبي شيبة أيضاً: حدثنا محمد بن يعيish،
حدثنا أبو حبيب. حدثنا حميد مولى ابن علقمة المكي حدثنا ابن أبي رباح
عن أبي هريرة حدثني سلمان بن الإسلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال
اللهم إني أشهدك وأشهد الملائكة وحمة العرش والسموات ومن فيهن
والأرض ومن فيهن وأشهد جميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت
وأكثر من أبى ذلك من الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبدك
ورسولك، من قالها مرة اعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين، اعتق الله
ثلثيه، ومن قالها ثلاثاً اعتقه الله من النار» [الطبراني: ٦٠٦١/٦، ٦٠٦٢].

طريق أخرى، عن صاحب آخر قال ابن أبي شيبة: حدثنا عبد الله بن
يحيى بن الربيع عن أبي راشد، حدثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن أبي
سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يقول أربع مرات: اللهم إني
أشهدك وكفى بك شهيداً وأشهد حمة عرشك وملائكتك وجميع خلقك
وأنا أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأنا محمداً عبدك
ورسولك إلا كتب الله له فكاً من النار».

٤-صفة الكرسي

وأما الكرسي فروى ابن جرير [في تفسيره: ١٠/٣] من طريق جوتير -
وهو ضعيف - عن الحسن البصري أنه كان يقول: الكرسي هو العرش؛
وهذا لا يصح عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة
والتابعين أنه غير العرش.

وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا في قوله تعالى: «وَرَبِّعَ
كُرْسِيِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [البقرة: ٢٥٥] أي: علمه.

والمنحفوظ عن ابن عباس كما رواه الحاكم في مستدركه [٢/٢٨٨].
وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثوري عن
عمار الذهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه
قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل.

العرش عن بعض السلف (أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين
قطريه مسيرة خمسين ألف سنة) وذكرنا عند قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ
وَالرُّوحِ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» [المعارج: ٤] أنه
بعد ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وأن اتساعه
خمسون ألف سنة.

ولقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع
جوانبه يحيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك
الأطلس والأثير. وهذا ليس بجيد لأنه قد ثبت في الشرع أنه له قوائم تحمله
الملائكة، والفلك لا يكون له قوائم ولا يعمل، وأيضاً فإنه فوق الجنة والجنة
فوق السماوات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء
والأرض فالعبد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلى فلك.

وأيضاً فإن العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال
تعالى: «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» [النمل: ٢٣]. وليس هو فلكاً ولا تفهم منه
العرب ذلك. والقرآن إنما نزل بلغة العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله
الملائكة، وهو كالثبة على العالم وهو سقف المخلوقات. قال الله تعالى:
«الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» [طه: ٥] وقد تقدم في حديث الأوعال أنهم
ثمانية، وفوق ظهورهن العرش، وقال تعالى: «وَيَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ
يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» [الحاقة: ١٧].

وقال شهر بن حوشب: (حمة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون:
سبحانك اللهم ومحمدك لك الحمد على جلمك بعد علمك، وأربعة
يقولون: سبحانك اللهم ومحمدك لك الحمد على عتقك بعد قدرتك).
فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٢٥٦/١] حدثنا عبد الله بن
محمد وهو أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عتبة بن سليمان، عن محمد بن
إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله
ﷺ صلق أمية ابن أبي الصلت في شيء من شعره فقال:

رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَهُ رَجُلٌ يَمِينُهُ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مَرَصِدٌ
فقال رسول الله ﷺ «صدق» فقال:

وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ أَمْرٍ لَيْلِيٍّ حَمْرَاءَ يُصْبِحُ لَوْنُهَا مَتَوَرَّدٌ
لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ لِمِمْ رَسَلُهَا إِلَّا مَعْبُودَةٌ وَلَا تَجْلِسُ

فقال رسول الله ﷺ «صدق». فإنه حديث صحيح الإسناد رجاله
ثقات. وهو يقتضي أن حمة العرش اليوم أربعة، فيعارضه حديث الأوعال.
اللهم إلا أن يقال: إن إثبات هؤلاء الأربعة على هذه الصفات لا ينفي ما
عداهم والله أعلم.

ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله:
مَجَدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رَيْنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
بِالْبَنَاءِ الْعَالِي الَّذِي يَهْرُ النَّاسُ مِنْ وَسْوَى فِرْقِ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَرَجْنَا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعِيْدِ مَنْ تَرَى حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ صُورَا
صُورٌ جَمْعُ أَصْوَرٍ وَهُوَ الْمَالُ الْعَتَقُ نَظَرُهُ إِلَى الْعُلُوِّ.

والشريح: هو العالي المنيف.
والسرير: هو العرش في اللغة.
ومن شعر عبد الله بن ربيعة رضي الله عنه الذي عرض به عن
القراءة لامراته حين اتهمت بجاريته:

والكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف إن الكرسي بين يدي العرش كالمِرْقاة إليه. ومثل هذا لا يكون فلكاً، ومن زعم منهم أن الكواكب الثوابت مرصّعة فيه لا دليل لهم عليه. هذا مع اختلافهم في ذلك أيضاً كما هو مقرر في كتبهم والله أعلم.

٥- خلق اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني [العجم الكبير: ١٢٥١١]: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا متجاب بن الحارث، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث، عن عبد الملك بن سعيد بن جُبَيْر، عن أبيه، عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرّة بيضاء صَفَحَاتُهَا من ياقوتة حمراء، قَلَمُهُ نور وكتبه نور لله فيه في كل يوم سِتْرُونَ وثلاثمائة لحظة يَخْلُق وَيَزْكَو وَيُغَيِّث وَيُجَيِّع وَيُجِرُّ وَيَذَلُّ ويفعل ما يشاء»

وقال إسحاق بن بشر: أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: «إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله. فمن آمن بالله وصديق بوعدته وأتبع رسله أدخله الجنة». قال: «واللوح المحفوظ لوح من دُرّة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته اللؤلؤ والياقوت وقَفَاتُهُ ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك». وقال أنس بن مالك، وغيره من السلف: «اللوحة المحفوظة في جبهة إسرئيل» [طبري في تفسيره: ١٤٠/٣٠]. وقال مقاتل: «هو عن يمين العرش».

٦- خلق السماوات والأرض وما بينهما

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١]. وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: الآية ٥٩] في غير ما آية من القرآن. وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة الأيام على قولين. فالجمهور على أنها كأيامنا هذه.

وعن ابن عباس، ومجاهد والضحاك، وكعب الأحبار: إن كل يوم منها كالف سنة مما تعدون. رواه ابن جرير [الربيع: ٥٩/١، ٦٠]. وابن أبي حاتم. واختار هذا القول الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الذي ردّ فيه على الجهمية، واختاره ابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم. وسيأتي ما يدلّ على هذا القول.

وروى ابن جرير [الربيع: ٤٢/١] عن الضحاك بن مزاحم، وغيره أن أسماء الأيام الستة. «أجمد هوز حطلي كلمن سحفص قرشت»

وحكى ابن جرير في أول الأيام ثلاثة أقوال:

فروى عن محمد بن إسحاق أنه قال: «يقول أهل التوراة: ابتداء الله الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل: ابتداء الله الخلق يوم الاثنين، ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ: ابتداء الله الخلق يوم السبت».

وهذا القول الذي حكاه ابن إسحاق عن المسلمين مال إليه طائفة من

وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس في تفسيره عن أبي عاصم النبيل، عن الثوري فجعله مرفوعاً والصواب أنه موقوف على ابن عباس. وحكاه ابن جرير [في تفسيره: ١٠/٣] عن أبي موسى الأشعري والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ومسلم البطين. وقال السدي عن أبي مالك: «الكرسيُّ تحت العرش».

وقال السدي: «السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش».

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال: «لو أن السماوات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهم إلى بعض ما كنّ في مَنَّة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المَنَازة»

وقال ابن جرير [في تفسيره: ١٠/٣] حدثني يونس، حدثنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كنزاً من سبع ألقيت في ترس».

قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسيُّ في العرش إلا كحَفْلة من حديد ألقيت بين ظَهْرَي فَلَاةٍ من الأرض» أول الحديث مرسل وعن أبي ذر منقطع.

وقد روي عنه من طريق أخرى موصلاً. فقال الحافظ أبو بكر بن مرزويه في تفسيره [كما في الدر الثور: ٣٢٨/١]: أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، أنبأنا عبد الله بن وهيب الغزي أنبأنا محمد بن أبي سري، أنبأنا محمد بن عبد الله التميمي، عن القاسم بن محمد الثقفي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحَفْلة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»

رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش» عن الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أحمد بن علي الأسدي، عن المختار بن عساكر، حدثني عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه فقلت: يا رسول الله، أي آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي»، كَفَضَلُ تلك الفَلَاة على تلك الحلقة».

وقال ابن جرير في تاريخه [٤٠/١]: حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر: قال سئل ابن عباس عن قوله عز وجل ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح. قال: والسماوات والأرضون وكل ما فيهن من شيء تحيط بها البحار ومحيط بذلك كله الهيكل ومحيط بالهيكل فيما قيل الكرسي.

وروى: عن وهب بن منبه نحوه.

وفسّر وهب الهيكل فقال: شيء من أطراف السماوات يحدّق بالأرضين والبحار كأطاب السقاط.

وقد زعم بعض من يتسبب إلى علم الهيئة أن الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يستوهم فلك الكواكب الثابتة. وفيما زعموه نظر لأنه قد ثبت أنه أعظم من السماوات السبع بشيء كثير كما ورد به الحديث المتقدم أن نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة، وهذا ليس نسبة فلك إلى فلك.

فإن قال قائلهم: فنحن نعرف بذلك ونسميه مع ذلك فلكاً فنقول:

الفقهاء من الشافعية، وغيرهم. وسبأني فيه حديث أبي هريرة «خلق الله التربة يوم السبت» [٢٧٨٩]، أحد ٢/٣٢٧.

والقول بأنه الأحد: رواه ابن جرير [٢٧٨٩: ٤٧/١] عن السدي عن أبي مالك، وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن جماعة من الصحابة.

ورواه أيضاً عن عبد الله بن سلام، واختاره ابن جرير [٢٧٨٩: ٤٥/١]. وهو نص التوراة، ومال إليه طائفة آخرون من الفقهاء. وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا كمل الخلق في ستة أيام فكان آخرهن الجمعة، فاتخذ المسلمون عيدهم في الأسبوع وهو اليوم الذي أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سبأني بيانه إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَتَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْأُولَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَرَعًا أَوْ كُرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصل: ٢٩] ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوَّلَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أُنْزِلَ مِنْهُمَا الْمَاءُ الَّذِي يُنْصَبُ بِهِ الْحَيَاةُ وَجَعَلَ ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصل: ٢٩] [البقرة: ٢٩-٣٠].

فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ يَهَادًا وَالْجِبَالَ أَرْسَادًا﴾ [البقرة: ٢٩] [٢٧-٢٩] إلى أن قال: ﴿وَرَبَّانَا فَوقَكُمْ سُبْحًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [البقرة: ٢٩-٣٠].

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي: فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون والأنهار، وانتعش الحيوان. ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهُاً مُحْضُوْلاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٣٢] أي عما خلق فيها من الكواكب الثوابت، والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات، وما في ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعْرَوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦].

فما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَشْهَدْ أَنَّا خَلَقْنَا أَمَّ السَّمَاءِ بَنَاءً. رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْعَاهَا. وَالْجِبَالَ أَرْسَادًا. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِنِ أَهْلُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٩] [البقرة: ٢٩-٣٢] فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، فخالقوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية أن دُحِيَ الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء. وقد كان ذلك مقدراً فيها بالقوة كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَهَا﴾ [فصل: ٢٩] [البقرة: ٢٩] أي مياهاً أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار.

ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحى الأرض فأسخرج [منها] ما كان مودعاً فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار، ونبت الزرع والثمار، ولهذا فسر الدحي بإخراج الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْعَاهَا﴾ [البقرة: ٢٩-٣٠] وقوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَادًا﴾ [البقرة: ٢٩] أي: قررها في أماكنها التي وضعها فيها وثبتها وأكدها وأطدعها وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِجُونَ. وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٩-٣٠] [البقرة: ٢٩-٣٠].

بأيدٍ أي بقوة. وإنا لموسعون، وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التي تحتها فهي أوسع منها. ولهذا كان الكرسي أعلى من السموات. وهو أوسع منهن كلهن. والعرش أعظم من ذلك كله بكثير. وقوله بعد هذا: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا﴾ أي بسطناها وجعلناها مهداً أي: قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائلة بكم. ولهذا قال: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِجُونَ﴾ [البقرة: ٢٩] والواو لا يقتضي الترتيب في الوقوع. وإنما تقتضي الإخبار المطلق في اللغة والله أعلم.

وقال البخاري [٣٩٩١]: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال: «دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني نعيم فقال: «اقبلوا البشري يا بني نعيم» قالوا: قد بشرتنا فاعطنا مرتين.

ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال: «اقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقلها بنو نعيم» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكسب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض» فنادى مناد: ذهبت ناسكك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أنني كنت تركتها. هكذا رواه ما هنا.

وقد رواه في كتاب المغازي [٤٣٦٥] و[٤٣٨٦] وكتاب التوحيد [٧٤١٨] وفي بعض الفاظها: «ثم خلق السموات والأرض» وهو لفظ النسائي [١١٢٤٠] أيضاً.

٧- حديث «خلق الله التربة يوم السبت»

وقال الإمام أحمد بن حنبل [٣٢٧/٢]: حدثنا حجاج حدثني ابن جريج، أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

وهكذا رواه مسلم [٢٧٨٩] عن شريح بن يونس وهارون بن عبد الله. والنسائي [١١٠١٠] عن هارون ويوسف بن سعيد، ثلاثهم عن حجاج بن محمد المصيصي الأعور عن ابن جريج به مثله سواء. وقد رواه النسائي في التفسير [١١٣٩٢] عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن محمد بن الصباح، عن أبي عبيدة الحنّاد، عن

والخضر بن عجلان، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فقال: «يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع، وخلق التربة يوم السبت» وذكر تمامه بنحوه فقد اختلف فيه على ابن جريج.

وقد تكلم في هذا الحديث علي ابن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ.

قال البخاري في التاريخ: وقال بعضهم عن كعب وهو أصح. يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث، فهذا يحدّثه عن صحفه، وهذا يحدّثه بما يصدّقه عن النبي ﷺ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وأكد رفعه بقوله: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي». ثم في متنه غرابة شديدة. فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام. وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السماوات في يومين من دخان. وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من تربة الأرض بالقدرة العظيمة البالغة كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة المديني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» (البقرة: ٢٩) قالوا: إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء. ثم أيسس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم تفحصها فجعل سبع أرضين في يومين: (الأحد والاثنين).

وقال البخاري في التاريخ: وقال بعضهم عن كعب وهو أصح. يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث، فهذا يحدّثه عن صحفه، وهذا يحدّثه بما يصدّقه عن النبي ﷺ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وأكد رفعه بقوله: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي». ثم في متنه غرابة شديدة. فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام. وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السماوات في يومين من دخان. وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من تربة الأرض بالقدرة العظيمة البالغة كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة المديني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» (البقرة: ٢٩) قالوا: إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء. ثم أيسس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم تفحصها فجعل سبع أرضين في يومين: (الأحد والاثنين).

وخلق الأرض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى ﴿وَن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (الهم: الآية ١٦) والحوث في الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح. وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرّت.

وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيها من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والملائكة والعمران والحزاب وفتق السماء وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الخميس والجمعة. وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض وأوحى في كل سماء أمرها.

ثم قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره. ثم رزق السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً يحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش.

وهذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الإسرائيليات. فإن كعب الأحبار لما أسلم في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له، وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المظهر فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا، ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل لكن كثيراً ما يقع فيما يرويه غلط وليس منه، ولكنه من الكتب التي ينقل عنها؛ لأنها قد دخلها غلط كبير وخطأ كثير.

٨- السماوات السبع والأرضون السبع

قال البخاري (٧٥٥٣): حدثنا قتيبة حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» وكذا رواه مسلم (٢٧٥١) والنسائي (٧٥٠٠) عن قتيبة به. ثم قال البخاري:

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الطلاق: ١٢٤).

ثم قال (٣١٥٩): حدثنا علي بن عبد الله، أخبرنا ابن عتبة، عن علي بن المبارك، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وكانت بينه وبين ناس خصومة في أرض، فدخل على عائشة فذكر لها ذلك. فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر طوفه من سبع أرضين» ورواه أيضاً في كتاب المظالم (٢٤٥٣) ومسلم (١١١٢) من طرق عن يحيى بن أبي كثير به.

ورواه أحمد (٧٩/٦، ٢٥٢) من حديث محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة به، ورواه أحمد أيضاً (٦٤/٦، ٢٥٩) عن يونس عن أبان، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن عائشة بمثله.

ثم قال البخاري (٣١٩٦): حدثنا بشر بن محمد قال: أخبرنا عبد الله، عن موسى بن عتبة، عن سالم، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خيف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»

ورواه في المظالم (٢٤٥٤) أيضاً عن مسلم بن إبراهيم، عن عبد الله، هو ابن المبارك، عن موسى بن عتبة به، وهو من أفراد.

وذكر البخاري ما هنا (٣١٩٧) حديث محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الزمان قد استأثر كهنته يوم خلق الله السماوات والأرض الستة اثني عشر شهراً» الحديث.

ومراده، والله أعلم، معنى تقرير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: الآية ١٢) أي في العدد كما أن عدة الشهور الآن اثني عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله في كتابه الأول، فهذه مطابقة في الزمان كما أن تلك مطابقة في المكان.

ثم قال البخاري (٣١٩٨): حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصته أروى في حق زعمت أنه انتقص لها إلى مروان، فقال سعيد رضي الله عنه: أنا انتقص من حقها شيئاً؟ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوفه يوم القيامة من سبع أرضين» (رواه

[البخاري]

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَمَوْ يَكُلُّ شَيْءٌ غَلِيمٌ» [الحديد: ٢٣].

ورواه الترمذي [٣٢٩٨] عن عبد بن حديد، وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب، عن شيان بن عبد الرحمن، عن قتادة، قال: حدث الحسن عن أبي هريرة وذكره إلا أنه ذكر أن بُعد ما بين كل أرضين خمسمائة عام، وذكر في آخره كلمة ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد - ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، قال: ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد أنهم قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة فذكر مثل لفظ الترمذي سواء بدون زيادة في آخره

ورواه ابن جرير في تفسيره [٢١٦/٢٧] عن بشر، عن يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلاً. وقد يكون هذا شبه والله أعلم. ورواه الحفاظ أبو بكر البزار والبيهقي من حديث أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ بنحوه، ولكن لا يصح إسناده والله أعلم. وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال ما يخالف هذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له. وفيه: «وُعد ما بين كل سماءين خمسمائة عام، ويكتفها أي: سُمكتها خمسمائة عام». وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث «طَوْفَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» أنها سبعة أقاليم. فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصريح كثير من النافذة مع ما ذكرنا من الحديث الذي أوردناه من طريق الحسن عن أبي هريرة. ثم إنه حمل الحديث والآية على خلاف ظاهرهما بلا مستند ولا دليل والله أعلم.

وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب والتي تحتها من حديد والأخرى من حجارة من كبريت والأخرى من كذا، فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سند إلى معصوم؛ فهو مردود على قائله.

وهكذا الأثر المروي عن ابن عباس أنه قال: «في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم» فهذا ذكره ابن جرير [في تفسيره: ١٥٣/٢٨] مختصراً واستقصاه البيهقي في الأسماء والصفات [٣٨٩، ٣٩٠] وهو محمول إن صح نقله عنه على أن ابن عباس رضي الله عنه أخذه عن الإسرائيليات والله أعلم.

٩- خلق الجبال

وقال الإمام أحمد: [١٢٤/٣] حدثنا يزيد حدثنا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جَعَلَتْ تَمِيدٌ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَتَجَعَّبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبُّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قال: نعم الحديد. قالت: يَا رَبُّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قال: نعم النار. قالت: يَا رَبُّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قال: نعم الماء. قالت: يَا رَبُّ، هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ الرِّيحُ. قالت: يَا رَبُّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قال: نعم ابن آدم يَصْلُقُ يَمِينَهُ يَخْفِضُهَا مِنْ شِمَالِهِ تَفْرُدُ بِأَخْرَاجِهِ أَحَدٌ. وقد ذكر أصحاب الهيئة أعداد جبال الأرض في سائر بقاعها شرقاً

وقال الإمام أحمد [٣٩٦/١، ٣٩٧]: حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن ليعة، حدثنا عبيد الله بن أبي جعفر، عن أبي عبد الرحمن الحُبَلِي، عن ابن مسعود قال: «قلت: يا رسول الله أيُّ الظلم أعظم قال: «فِرَاقُ مِنَ الْأَرْضِ يَتَقَصُّهُ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فليس حَصَاةُ مِنَ الْأَرْضِ يَأْخُذُهَا أَحَدٌ إِلَّا طَوْفُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الْأَرْضِ، وَلَا يَعْلَمُ قَعْرُهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا» تفرد به أحمد، وهذا إسناده لا بأس به.

وقال الإمام أحمد [٣٨٨/٢]: حدثنا عفان، حدثنا وهيب حدثنا سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أخذ شبراً من الأرض بغير حَقِّهِ طَوْفُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» تفرد به أيضاً من هذا الوجه وهو على شرط مسلم.

وقال أحمد: [٣٢٧/٢] حدثنا يحيى عن ابن عجلان، حدثني أبي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع شبراً من الأرض بغير حَقِّهِ طَوْفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ» تفرد به أيضاً وهو على شرط مسلم.

وقال أحمد: أيضاً [٣٨٧/٢] حدثنا عفان حدثنا أبو عروبة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أخذ من الأرض شبراً بغير حَقِّهِ طَوْفُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ». تفرد به أيضاً. وقد رواه الطبراني من حديث معاوية بن قرة، عن ابن عباس مرفوعاً مثله.

فهذه الأحاديث كالتواترة في إثبات سبع أراضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها، وفي وسطها المركز وهو نقطة مقدرة متوهمة. وهو محط الأتقال، إليه ينتهي ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع.

واختلفوا هل هن مترامكات بلا تفاصل، أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء على قولين، وهذا الخلاف جار في الأفلاك أيضاً.

والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَبَيْنَ الْأَرْضِ يَلْتَمِسُ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» [الأنعام: ١٦٢]

وقال الإمام أحمد: [٣٧٠/٢] حدثنا سُريج حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: «بيننا نحن عند رسول الله ﷺ إذ مرت سحابة فقال: «أتدرون ما هذه؟» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «الْعَنَانُ وَزَوَايَا الْأَرْضِ يَسْقُوهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ لَا يَشْكُرُونَ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا يَدْعُونَهُ، أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ فَوْقَكُمْ؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «الرِّقْعُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ وَسَفٌّ مَحْضُوفٌ، أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «مسيرة خمسمائة عام.» ثم قال: «أتدرون ما الذي فوقها؟» قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «سماة أخرى، أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات، ثم قال: «أتدرون ما فوق ذلك؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: العرش، أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «مسيرة خمسمائة عام.» ثم قال: «أتدرون ما هذه تحنكم؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «أرض، أَتَدْرُونَ مَا تَحْتُهَا؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «أرض أخرى، أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُمَا؟» قلنا: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «مسيرة سبعمائة عام» حتى عد سبع أراضين، ثم قال: «ولم الله، لو دَلَيْتُمْ أَحَدَكُمْ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى السَّابِعَةِ لَهَبَطَ» ثم قرأ «مَوْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

رَحِيمٌ» [الصل: ١٤-١٨]

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِي مَوَازِيرِهِ لَيْتَنُفُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [طه: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَوْءُوذِي الْبَحْرِينِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَمَلٌ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ وَجِجْرًا مَخْجُورًا» [الفرقان: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» [الرحمن: ١٩-٢٠].

فالمراد بالبحرين البحر الملح المر وهو الأجاج، والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة [مفسر الطبري: ٢٤/١٩ - ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَيْنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَبَ الْأَعْلَامِ. إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِبُهُ عَلَى ظُهُورِهِ إِذْ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ. أَوْ يُوقِفُهُنَّ بِمَآ كَسَبُوا وَيُفَعِّلْ عَنْ كَثِيرٍ» [الشورى: ٢٢-٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَّا فِيهَا مَاءٌ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفُ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [البقرة: ١٦٤].

فامتن تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبثق منه في جوانبها لجميع مالح الطعام مر، وفي هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء إذ لو كان حلواً لأتت الجوى وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات العظام فكان يؤدي إلى تقاضي بني آدم وفساد معاشهم فاقضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة هذه المصلحة. ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن البحر قال: «هو الطهور ماؤه الحلي ميتته» [د (٨٣)، ت (٦٩)، س (٥٩) و (٣٣١) ج (٣٨٦ - ٣٨٨)].

وأما الأنهار فاقضت الحكمة أن يكون ماؤها حلواً عذبا جاريا فرأتها سائغا للشارين. وجعلها جارية سارحة ينعمها تعالى في أرض ويسوقها إلى أخرى رزقا للباد. ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة.

وقد تكلم أصحاب علم الهيئة والتسير على تعدد البحار والأنهار الكبار وأصول منابعها على أين ينتهي مسيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» [طه: ٦٩] فيه قولان:

أحدهما: أن المراد به البحر الذي تحت العرش المذكور في حديث الأرواح. وأنه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، وهو الذي ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الأجساد من قبرها. وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس.

والثاني: أن البحر اسم جنس يعنى سائر البحار التي في الأرض وهو قول الجمهور.

واختلفوا في معنى البحر المسجور:

فقيل: المملوء.

وغرباً، وذكروا أطوالها وبعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا. وقد قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَ الْجِبَالِ مِجْدُ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» [طه: ٢٧].

قال ابن عباس وغير واحد: المجد: الطرائق.

وقال عكرمة وغيره الغرابيب: الجبال الطوال السود.

وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر الأرض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين وهو جبل عظيم شرقي جزيرة ابن عمر إلى جانب دجلة عند الموصل امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم، وهو أخضر؛ لأن فيه شجراً من البلوط وإلى جانبه قرية يقال لها: قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام في موضعها فيما ذكره غير واحد من المفسرين والله أعلم.

وذكر تعالى طور سيناء وقد ذكر الحافظ البهاء ابن عساكر في كتابه «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى» في ترجمة الجبال المقدسة، من طريق عمرو بن بكر، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: أقسم ربنا عز وجل بأربعة أجبال فقال: ﴿وَالثَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورٍ سَيْنَاءَ. وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ» [البين: ١ - ٣] فالتين طور ربنا مسجد بيت المقدس، والزيتون طور ربنا، وطور سيناء وهذا البلد الأمين جبل مكة وقال قتادة: التين جبل عليه دمشق والزيتون جبل عليه بيت المقدس.

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٤٨/٢، ٣٤٩] عن كعب الأحبار أنه قال: أربعة أجبال يوم القيامة: جبل الخليل ولبنان، والطور، والجودي يكون كل واحد منهن يوم القيامة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والأرض يرجعن إلى بيت المقدس حتى تجعل في زواياه نوراً ويضع عليها كرسيه حتى يقضى بين أهل الجنة والنار ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

ومن طريق الوليد بن مسلم ثنا عثمان بن أبي عاتكة عن علي بن يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن قال: أوحى الله إلى جبل قاسيون أن هب ذلك وبركتك لجبل بيت المقدس، قال: ففعل، فأوحى الله إليه: أما إذا فعلت فإني سأبني في حضنك بيتا قال: عبد الرحمن، قال الوليد: في حضنك، أي: في وسطه، وهو هذا المسجد يعني مسجد دمشق أعيد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ذلك وبركتك قال: فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع.

وعن خليل بن دعلج أن صغية زوج النبي ﷺ أتت طرف بيت المقدس فصلت فيه وصعدت إلى طور ربنا فصلت فيه وياتت على طرف الجبل فقالت: من هاهنا يفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار.

٩- خلق البحار والأنهار

قال الله تعالى: ﴿وَمَوْءُوذِي الْبَحْرِينِ لَيَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلَيَنْفَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْأَفَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُبَدَّى بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالْحُجْمِ هُمْ يَقْتُلُونَ. أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَخْشَوْهَا إِنْ اللَّهَ لَتَفْقَرَنَّ

عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدني قاضياً. قال فيه الإمام أحمد: ليس بشيء، وقد سمعت منه ثم مرّته حديثه كان كذباً وأحاديثه مناكير. وكذا ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجزري والبخاري وأبو داود والنسائي وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير وأفظعها حديث البحر.

قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والأطوال والبحار والأنهار والجبال والمساحات وما في الأرض من المدن والخراب والعمارات والأقاليم السبعة الحقيقية في اصطلاحهم والأقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والأقاليم من الخواص والنباتات وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا: الأرض منغورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الإلهية اقتضت انحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وينبت الزرع والثمار منها كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ. فِيهَا فَاكَّهُةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ. وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٠-١٣] قالوا: المعمور من هذا البادي منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلاً. وهو خمس وستون درجة.

قالوا: فالبحر المحيط الغربي ويقال له: أوقيانوس وهو الذي يتأخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درجات مسافة شهر تقريباً وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة هيجه واغتملاه وما فيه من الرياح والأمواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شيء ولا يسافر فيه لتجر ولا لغيره وهو أخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت الجبال القمر ويقال: جبال القمر التي منها أصل منبع نيل مصر وتجاوز خط الاستواء، ثم يمتد شرقاً ويصير جنوبي الأرض وفيه هناك جزائر الزنج وعلى سواحه خراب كثير. ثم يمتد شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند. ثم يمتد شرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة. وهناك بلاد الصين. ثم ينقطع في شرق الصين إلى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين. ويسامت سد ياجوج وماجوج. ثم ينقطع ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال. ثم يمتد مغرباً في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس وتجاوزها ويعطف مغرباً وجنوباً ويستدير على الأرض ويعود إلى جهة الغرب وينبثق من الغربي إلى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب. ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم.

وينبثق من المحيط الشرقي بحار أخرى فيها جزائر كثيرة، حتى إنه يقال: إن في بحر الهند ألف جزيرة وسبعمئة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الأخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبيه غير معلوم.

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالاً فاصلة بينهما وفيها فجاج تسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلفها كما جعل مثلها في البر أيضاً قال الله تعالى: ﴿وَرَجَعْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُبِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سَبِيلاً لِّمَنْهُمْ يَهْتَكُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالجسطي الذي عرب في زمان المأمون، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتضجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالى كثيرة جداً. فمنها ما هو واحد، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له. فمن ذلك بحر القلزم. والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة. وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم

وقيل: يصير يوم القيامة نارا توجب فيحيط بأهل الموقف كما ذكرناه في التفسير [٤٠٥/٧] عن علي بن أبي طالب وابن عباس وسعيد بن جبيرة وابن مجاهد وغيرهم.

وقيل: المراد به المنوع المكثوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الأرض ومن عليها فيغرقوا. رواه الوالي عن ابن عباس وهو قول السنّي وغيره. ويؤيده الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٤٣/١]: حدثنا يزيد، حدثنا العوام، حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال: حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يثرف فيها ثلاث مرّات يستأذن الله عز وجل أن يتفخخ عليهم فيكفه الله عز وجل».

ورواه إسحاق بن راهويه عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب، حدثني شيخ مرابط قال: خرجت ليلة غمرس لم يخرج أحد من الغمرس غربي فأتيت الميناء، فصعدت فجعل ينجيل إلي أن البحر يشرف مجاذي برووس الجبال فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ، فليقت أبا صالح فقال: حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ليلة إلا والبحر يثرف ثلاث مرّات يستأذن الله أن يتفخخ عليهم فيكفه الله عز وجل». في إسناده رجل مبهم والله أعلم.

وهذا من نعمة الله تعالى على عباده أن كفّ شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكبهم ليلغوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهذا من نعمة الله بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما خلق لهم فيه حلية يلبسونها من اللآلئ والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد إلا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتها كما قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ صَيِّدُ الْبَحْرِ وَطَعَامٌ﴾ [الثالة: ٩٦] وقال النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».

وفي الحديث الآخر: «أُجِلَتْ لَنَا مِثْنَانِ وَقَتَانِ الشَّمَكُ وَالْجَرَادُ وَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» رواه أحمد [٩٧/٢] وابن ماجه [٣٢١٨ و ٣٢١٤] وفي إسناده نظر.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده [كشف الاستار: (١٦٦٩)]: «وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه قال «كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للغربي: إني خامل فيك عبداً من عبادي فكيف أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم. قال: بأشك في نواحيك وحزمة الحلية والصيد، وكلم هذا البحر الشرقي فقال: إني حامل فيك عبداً من عبادي فما أنت صانع بهم؟ قال: أخجلهم على يدي، وأكون لهم كالوالدة لولدها، فأثابه الحلية والصيد ثم قال: لا تعلم أحداً رواه عن سهيل إلا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو هو منكر الحديث».

قال: وقد رواه سهيل عن النعمان بن أبي عيشة عن عبد الله بن عمرو موقوفاً على أبيه في تاريخ بغداد: [٢٣٣/١٠]

قلت: الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبه فإنه قد كان وجد يوم اليرموك زاملتين ملوحتين كتباً من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الأسرانيات منها المعروف والمشهور والمنكور والمروود.

فاما المعروف فنقد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن

٣٢٦٤، ٥٧٢٥، م (٢٢٠٩ - ٢٢١٢) وكذا قوله: «شئنا الحر من قبح جهنم» ج (٥٣٣)، م (٦١٥ - ٦١٧). وهكذا هذه الأنهار أصل منبهما مشاهد من الأرض.

أما النيل، وهو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا له نظير في خلقه ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتداه إلى متناه فمبتداه من الجبال القمر أي البيض، ومنهم من يقول جبال القمر بالإضافة إلى الكوكب وهي في غربي الأرض وراء خط الاستواء إلى الجانب الجنوبي. ويقال: إنها حر تنبع من بينها عيون. ثم تجتمع من عشر مسيلات متباعدة. ثم تجتمع كل خمسة منها في بحر. ثم تخرج منها أنهار ستة. ثم تجتمع كلها في بحيرة أخرى. ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان بالحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمى دمقلة ثم على أسوان ثم يقد على ديار مصر. وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها وما اجتره من ترابها وهي محتاجة إليهما معاً لأن مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها وترتها رسال لا تنبت شيئاً حتى يجيء النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه وهي من أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ أَلْسِ الْأَرْضِ الْجُرُزَ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٧).

ثم يتجاوز النيل مصر قليلاً فيفتقر شطرين عند قرية على شاطئه يقال لها شطون فيمر الغربي منهم على رشيد ويصب في البحر المالح. وأما الشرقي فيفتقر أيضاً عند جوجر فترتين يمر الغربية منهما على دمياط من غربيها ويصب في البحر والشرقية منهما تمر على أشمون طنح فيصب هناك في بحيرة شرقي دمياط. يقال لها بحيرة تيسس وبحيرة دمياط. وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه إلى متناه. ولهذا كان اللفظ المياه.

قال ابن سينا: له خصوصيات دون مياه سائر الأرض:

فمنها أنه أبعدا مسافة من مجراه إلى أقصاه.

ومنها أنه يجري على صخور ورسال ليس فيه خز ولا طحلب ولا أوحال.

ومنها أنه لا يخضر فيه حجر ولا حصة وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته.

ومنها أن زيادته تكون في أيام نقصان سائر الأنهار. ونقصانه في أيام زيادتها وكثرتها.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولا عظيما وجواري حسنا وأشياء غريبة وأن الذي اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذائيات الأفاكين.

وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج، عن حدثه قال: «لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل شهر بؤونة من أشهر الحجم (القطبة) فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها! فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لثني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عملنا إلى جارية بكر بين أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله؛ فاقاموا بؤونة والنيل لا يجري لا قليلا ولا كثيرا.

وفي رواية: فاقاموا بؤونة وأبيب ومسرى ثلاثة أشهر والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه

وجر ينطش وبحر الأزرق، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضاً ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية، ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم وتبطئ إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء. وهذا من العجائب في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا وكل بحر راكد فهو ملح اجاج إلا ما يذكر عن بحر الحزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فرأنا على ما أخبر به المسافرين عنه.

قال أهل الهيئة: وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو. وقيل: إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلاً بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم. ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره أيضاً يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد. ثم يشرع في النقص وهو الجزر إلى آخر الشهر.

وقد ذكرنا تحديد هذه البحار ومبتداها ومتناها وذكرنا ما في الأرض من البحيرات المتجمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح.

وذكرنا ما في الأرض من الأنهار المشهورة الكبار، وذكرنا ابتداءها وانتهائها ولسنا بصدد بسط ذلك والتطويل فيه وإنما نتكلم على ما يتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث. وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِيهِ الْبَحْرُ بَأْفَرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَلِيلَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْلَمُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ فَتُحْصَوْا مِنَ الْإِنْسَانِ لَظَلُمُوا كُفَّاراً﴾ (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

ففي الصحيحين ج (٢٢٠٧) و (٣٨٨٧) م (١٦٤) من طريق قتادة عن أنس بن مالك، عن مالك بن عيصبة أن رسول الله ﷺ لما ذكر سدره المنتهى قال: «فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران. فاما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات».

وفي لفظ للبخاري [٧٥١٧]: وعصرهما أي مادتهما أو شكلهما وعلى صفتها ونعمتهما وليس في الدنيا مما في الجنة الأسماء.

وفي صحيح مسلم [٢٨٣٩] من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «سَيِّحَانٌ وَجَيِّحَانٌ والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة».

وقال الإمام أحمد: [٢٦١، ٢٦٠/٢] حدثنا ابن غير ويزيد، أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «فُجِّرَتْ أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسَيِّحَانٌ وَجَيِّحَانٌ» وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وكان المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفاتها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك في هذه الصفات ونحوها.

كما قال في الحديث الآخر الذي رواه الترمذي [٢٠٦٦] وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الْعَجْوَةُ من الجنة وفيها شفاء من السم» أي: تشبه ثمر الجنة لأنها مجتاة من الجنة، فإن الحس يشهد بخلاف ذلك، فتعين أن المراد غيره.

وكذا قوله ﷺ: «الْحُمَى من قَبْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرَدُهَا بِالْمَاءِ» ج (٣٢٦٣)،

يَقُولُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٠-١٣﴾

فذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والأوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه الأبرار والفجار وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة إليه في ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومساءها كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿هود: ٦﴾

وقد روى الحافظ أبو يعلى (الفسو: ٢٣٩/٤) عن محمد بن الثني عن عبيد بن واقد، عن محمد بن عيسى بن كيسان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر. وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك تابعت مثل النظام إذا قطع سلكه».

عبيد بن واقد: أبو عباد البصري: ضعفه أبو حاتم.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه أضعف منه.

قال الفلاس والبخاري: منكر الحديث.

وقال أبو زرعة: لا ينبغي أن يحدث عنه.

وضعفه ابن حبان والدارقطني وأكره عليه ابن عدي هذا الحديث بعينه وغيره والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِئَتْ أُنْثَاكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾ ﴿الأنعام: ٣٨﴾.

١١ - خلق الشمس والقمر والكواكب

قد قلنا أن خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٩﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَتِبَالًا فِيهَا وَتَرْلًا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْرَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ سَمَاءِ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّلْنَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الثَّلَاثِ بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿صلوات: ٩﴾

﴿١٢﴾

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْأَكُ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاءً. رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿الدَّاحِث: ٢٧﴾.

وقد اجبتنا من قوله ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فإن الدحي غير الخلق وهو بعد خلق السماء.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ الْمُلكَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ. الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَىٰكَ الْبَصَرُ

عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإنسي قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فالتحقا في الليل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر».

أما بعد، فإن كنت تجري من قبل نفسك فلا تجري وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فسنال الله أن يجريك» فالتقى عمرو البطاقة في الليل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله سبحانه النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم.

وأما الفرات فواصلها من شمالي أرزن الروم فمر إلى قرب ملطية ثم غر على سميساط. ثم على إبرة قلبها ثم تشرق إلى بالس وقلعة جعبر ثم إلى الرقة ثم إلى الرجة شمالها ثم إلى عانة ثم إلى هيت ثم إلى الكوفة، ثم تخرج إلى فضاء العراق وتصب في بطائع كبار أي مجبرات وترد إليها وتخرج منها أنهار كبار معروفة تصب في بحر البصرة.

وأما سيحان ويقال له: سيحون أيضاً فأوله من بلاد الروم ويجري من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق وهو غربي مجري جيحان ودونه في القدر وهو ببلاد الأرمن التي تعرف اليوم ببلاد سبيس وقد كانت في أول الدولة الإسلامية في أيدي المسلمين فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها من الأعداء فتغلب تغفور الأممي على هذه البلاد أعني بلاد سبيس في حدود الثلاثمائة وإلى يومنا هذا فملكوها. والله المسؤول عودها إلينا بحوله وقوته. ثم يجتمع سيحان وجيحان عند أذنة فيصيران نهراً واحداً. ثم يصبان في بحر الروم بين ليلاس وطرسوس.

وأما جيحان ويقال له: جيحون أيضاً وتسميه العامة جاهان. وأصله في بلاد الروم ويسير في بلاد سبيس من الشمال إلى الجنوب وهو نهر يقارب الفرات في القدر ثم يجتمع هو وسيحان عند أذنة فيصيران نهراً واحداً. ثم يصبان في البحر عند ليلاس وطرسوس والله أعلم.

١٠ - مخلوقات أخرى

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُثَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْضِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَبَاوِرَاتٌ وَجِئَتْ مِنْ غُضَابٍ مِّدْرَجٍ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضَلٌ مُّتَفَضِّلٌ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿الرعد: ٢-٤﴾

وقال تعالى: ﴿أَمْثَلُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ خَلْقًا كَثِيرًا مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْتِئُوا شَجَرًا إِلَّا مَعَ الْوَعْدِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمْثَلُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَّا مَعَ الْوَعْدِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿الزلزال: ١٦-١٧﴾.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزُّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُوسَ مُسْتَخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

بين القولين.

خاسياً ومَوْ حَسِيرٌ. وَلَقَدْ رَئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السُّعِيرِ ﴿١٥﴾ [المك: ١٥]

وقال تعالى: ﴿وَرَبَّانِيَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا. وَجَعَلْنَا مِيزَانًا وَهَاجًا﴾ [الباق: ١٢ - ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [روح: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦١ - ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا رَئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ. وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُّارِدٍ. لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ - ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِقِينَ. وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ. إِلَّا مَن اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِبَآبٍ وَإِنَّا لَمُرْسِوْنَ﴾ [الدَّهْرِيَّات: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢ - ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّهَا لَيْلُ نَسْلَخْ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِنَّا هُمْ مُظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَنَرَانَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَاذَ كَالْفُرَجُونِ الْعَلِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَاللَّيْلِ إِصْبَاحٌ وَجَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ صَبَّحُوا لَافِكًا يَلْمِزُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦ - ٩٧].

وقال تعالى: ﴿إِن رَّزَقَكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والآيات في هذا كثيرة جدًا وقد تكلمنا على كل منها في التفسير. والمقصود أنه تعالى ينجي عن خلق السماوات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها في غاية الحسن والبهاء والكمال والثناء كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ [الدَّهْرِيَّات: ٧] أي: الخلق الحسن.

وقال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المك: ٣ - ٤] أي: خاسئاً عن أن يرى فيها نقصاً أو خللاً، وهو حسير أي: كليل ضعيف ولو نظر حتى يعي ويكمل ويضعف لما اطلع على نقص فيها ولا عيب لأنه تعالى قد أحكم خلقها وزين بالكواكب أفقها كما قال: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ أي: النجوم.

وقيل: محال الحرس التي يرمى منها بالشهب مسترق السمع ولا منافاة

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِقِينَ. وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٦ - ١٧] فذكر أنه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات (الشمس والقمر والنجوم الزاهرات) وأنه صان حوزتها عن حلول الشياطين بها وهذا زينة معنى.

فقال: ﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ كما قال: ﴿إِنَّا رَئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ. وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُّارِدٍ. لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: ٨ - ١٠].

قال البخاري في كتاب بدء الخلق (فتح الباري: ٢٥٩/٦) وقال قتادة: ﴿وَلَقَدْ رَئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [المك: ١٥] خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به.

وهذا الذي قاله قتادة مصرح به في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [المك: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] فمن تكلف غير هذه الثلاث أي من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارنتها في سيرها وإن ذلك يدل على حوادث أرضية فقد أخطأ. وذلك أن أكثر كلامهم في هذا الباب ليس فيه إلا حدس وظنون كاذبة ودعوى باطلة.

وذكر تعالى أنه خلق سبع سموات طباقاً أي: واحدة فوق واحدة. واختلف أصحاب الهية هل هن مترامكات أو متفصلات بينهما خلا؟ على قولين:

والصحيح الثاني لما قدمنا من حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف، عن العباس في حديث الأوعال أن رسول الله ﷺ قال: «اتحدون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال «بينهما مسيرة خمسمائة عام. ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة ويشتت كل سماء خمسمائة سنة. الحديث بتمامه رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه وفتح في ص ١٤.

وفي الصحيحين (بخ: ٣٥٧٠، ٧٥١٧) م (١٦٢ - ١٦٤) [مسن حديث أنس في حديث الإسراء قال فيه: «ووجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام. وقال: مرحباً وأهلاً بابني نعم الابن أنت. إلى أن قال: ثم عرج إلى السماء الثانية. وكذا ذكر في الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فدل على التفاضل بينها لقوله: «ثم عرج بنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح فقيل: من هذا؟» الحديث. وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم.

وقد حكى ابن حزم وابن المنادي وأبو الفرج ابن الجوزي وغير واحد من العلماء الإجماع على أن السماوات كرة مستديرة. واستدل على ذلك بقوله ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

قال الحسن: يدورون.

وقال ابن عباس: في فلكة مثل فلكة المغزل.

قالوا: ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق، كما قال أمية بن أبي الصلت.

والشمس تطلع كل آخِرٍ ليلَةٍ حمراء يُصْبِحُ لونها يَتَوَرَّدُ ليست بظالمة لهم في ريشها إلا معقبة ولا تجلُجُ

فأما الحديث الذي رواه البخاري [٣١٩٩] حيث قال: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأنف فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأنف فلا يؤذن لها. يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتقطع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾» [يس: ٣٨].

هذا لفظه في بدء الخلق [٣١٩٩] ورواه في التفسير [٤٨٠٢]. وفي التوحيد [٧٤٢٤] من حديث الأعمش أيضاً. ورواه مسلم في الإيمان [١٥٩] من طريق الأعمش ومن طريق يونس بن عبيد وأبو داود [٤٠٠٢] من طريق الحكم بن عتيبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه، عن أبي ذر به نحوه. وقال الترمذي [٢١٨٦، ٣٢٢٧]: حسن صحيح.

إذا علم هذا فإنه حديث لا يعارض ما ذكرناه من استدارة الأفلاك التي هي السماوات على أشهر القولين ولا يدل على كرية العرش كما زعمه زاعمون. قد أبطلنا قولهم فيما سلف ولا يدل على أنها تصعد إلى فوق السماوات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش، بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التفسير. وليس في الشرع ما ينفي بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقضيه، فإذا ذهبت فيه حتى توسطه وهو وقت نصف الليل مثلاً في اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبي والشمالي، فإنها تكون أبعد ما يكون من العرش لأنه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا، فإذا كانت في محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من المشرق فيؤذن لها فتدو من جهة الشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني آدم أن تطلع عليهم ولهذا قال أمية:

ليست بطالعة قسم في رسالها إلا معذبة ولا تجلس إذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها فيه من جهة مغربها تسجد على عاداتها وتستأنف في الطلوع من عاداتها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضاً ثم تستأنف فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكرنا في التفسير [٥٦٢/٦] فتقول: يا رب إن الفجر قد اقترب وإن المدى بعيد فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتقطع من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا جميعاً. وذلك حين ﴿لَا يَفْغُ نَفْسًا بِإِثْمَانِهَا لَمْ تَكُنْ أَمْنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ كَسَبَتْ فِي إِثْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وفسروا بذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨].

قيل: لوقتها الذي تؤمر فيه تطلع من مغربها. وقيل: مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش. وقيل: انتهى سيرها وهو آخر الدنيا.

وعن ابن عباس أنه قرأ «والشمس تجري لمستقر لها» أي ليست تستقر، فعلى هذا تسجد وهي سائرة. ولهذا قال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ تُسَبِّحُ النَّهَارَ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] أي لا تدرك الشمس القمر فتقطع في سلطانه ودولته ولا هو أيضاً، ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها بل

أي: هو المتصرف في ذلك كله، الحاكم الذي لا يخالف ولا يمانع ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السماوات والنجوم والليل والنهار: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] أي العزيز الذي قد قدر كل شيء ودان له كل شيء، فلا يمانع ولا يغالب، العليم بكل شيء، فقد قدر كل شيء تقديراً على نظام لا يخالف ولا يضطرب.

وقد ثبت في الصحيحين [٤٨٢٦، ٢٢٤٦] من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار وفي رواية فأننا الدهر أقلب ليله ونهاره.

قال العلماء كالشافعي وأبي عبيد القاسم بن سلام [جرب الحديث: ١٤٥/٢ - ١٤٨] وغيرهما يسب الدهر أي: يقول: فعل بنا الدهر كذا يا خيبة الدهر، أيتها الأولاد، أرمل النساء. قال تعالى: «وَأَنَا الدهر» أي أنا الدهر الذي بعينه، فإنه فاعل ذلك الذي سنده إلى الدهر والدهر مخلوق، وإنما الذي فعل هذا هو الله الخالق فهو يسب فاعل ذلك ويعتده الدهر. والله هو الفاعل لذلك، الخالق لكل شيء المتصرف في كل شيء كما قال: «وَأَنَا الدهر بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره» وكما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ نُورِي الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَرْزُقُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُزَيِّنُ لِمَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ يَذِيقُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئَاتِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]. أي: فاوت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكلهما وفي وقتهما وفي سيرهما فجعل هذا ضياءً وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر والقمر نوراً أي: أضعف من

عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم. وذكره صاحب كتاب «السر المكرم» في غاطبة الشمس والقمر والنجوم وهو خرافات لا يلتفت إليها وغيره من علماء الحننانيين فلاسفة حران في قديم الزمان وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين. ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [ص: ٣٧]

وقال تعالى إخباراً عن المهدود أنه قال سليمان عليه السلام غيبراً عن بلقيس وجنودها ملكة سبا في اليمن وما والاها ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَقَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [القصص: ٢٣-٢٦]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّبَابُ وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكثيرٌ خَضَعُوا لِلْغَنَابِ وَمَنْ يُهِنُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ ظِلَّالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاتٍ عَالِيَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الاحق: ٤٨-٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَرَوْهَا وَكَرَاهُ وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]

وقال تعالى: ﴿تَسْجُدُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً غُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

والآيات في هذا كثيرة جداً.

ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السماوات والأرض هي الكواكب وأشرقهن منظراً وأشرقهن معتبراً الشمس والقمر استدلت الخليل على بطلان إلهية شيء منهن. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]

أي الغائين ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهَيِّئْ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيْفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٩]

فين طريق البرهان القطعي أن هذه الأجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للإلهية؛ لأنها كلها مخلوقة مبرورة مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له ولا ترهب عنه إلا بتقدير متقن محدد لا تضطرب ولا تختلف. وذلك دليل على كونها مبرورة مصنوعة مسخرة مقهورة ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [ص: ٣٧]

وثبت في الصحيحين (ج ١٠٤٠ - ١٠٤٤) م (١٠٩١) في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة

برهان الشمس وجعله مستقداً من ضوئها وقدره منازل، أي: يطلع أول ليلة من الشهر صغيراً ضئيلاً قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابله لها، فيقدر مقابله يكون نوره ولهذا في الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان في الليلة الأولى فيكون نوره بضعف النور أول ليلة. ثم كلما بعد ازداد نوره حتى يتكامل إيداره ليلة مقابله إياها من المشرق وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر. ثم يشرع في النقص لاقترابه إليها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستمر حتى يعود كما بدأ في أول الشهر الثاني. فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالي والأيام وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَّةَ السِّنِّ وَالْحِجَابِ﴾ [يوس: ٥]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَّةَ السِّنِّ وَالْحِجَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانَا تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]

وقله بسطنا القول على هذا كله في التفسير. فالكواكب التي في السماء منها سيارات وهي المحيرة في اصطلاح علماء التفسير وهو علم غالبه صحيح بخلاف علم الأحكام فإن غالبه باطل ودعوى ما لا دليل عليه وهي سبعة:

القمر في سماء الدنيا وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة. وبقية الكواكب يسمونها الثوابت وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح كثير من المتأخرين.

وقال آخرون: بل الكواكب كلها في السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض. وقد يستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّاطِينِ﴾ [الملك: ٥] ويقولون: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْخَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَرَأَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [ص: ١٢]

فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب فإن دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك وإلا فلا مانع مما قاله الآخرون والله أعلم.

وعندهم أن الأفلاك السبعة بل الثمانية تسدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات في اليوم والليلة دورة كلية من الشرق إلى الغرب، وعندهم أن كل واحد من الكواكب السيارات يدور على خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق. فالقمر يقطع فلكه في شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع في سنة. فإذا كان السيران ليس بينهما تفاوت وحركتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثلثي عشرة مرة وزحل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثمائة وستين مرة.

قد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الأشياء حتى تعدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية وما لا علم لكثير منهم به.

وقله كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام يدور لهم في هذا كلام كثير يطول بسطه، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبواباً سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلًا على صفة الكواكب السبعة. يعبدون كل واحد في هيكله، ويدعون بدعاء يأتونه

وقولا له من بينت الحب في الشرى فيصبح منه البقل يوتر رابعا
ويخرج منه حبه في رؤوسه وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وانت بفضل منك نجت يوتسا وقد بات في اضعاف حوت لباليا
وانتي لو سبحت باسمك رينا لأكثر إلا ما غفرت خطايا
نرب العباد القسيأ ورحمة علي وبارك في بني ومالبا

إذا علم هذا فالكواكب التي في السماء من الثوابت والسيارات الجميع
خلوقة خلقها الله تعالى كما قال: ﴿وَأَرْخَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيْنًا
السَّمَاءِ الثَّانِي بِمَصَائِحٍ وَحَفَظَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [ص: ١٢]
وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وصاروت من أن
الزهرة كانت امرأة حسناء فراودها على نفسها فابت إلا أن يعلمها الاسم
الأعظم فلعلمها فقتله، فرفعت كوكبا إلى السماء فهذا أظنه من وضع
الإسرائيليين وإن كان قد استبحر به كعب الأجر وتلقاه عنه طائفة من
السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل فسر عبد
لرزاق: ٥٤، ٥٣/١، ابن جرير ٤٥٦/١، ٤٥٧.

وقد روى الإمام أحمد [١٣٤/٢] وابن حبان في صحيحه [٦١٨٦] في
ذلك حديثا رواه أحمد عن يحيى بن بكير عن زهير بن محمد عن موسى بن
جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وذكر القصة بطولها. وفيه
«فمثلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتها فسالها نفسها» وذكر
القصة.

وقد رواه عبد الرزاق في تفسيره [٥٣/١] عن الثوري عن موسى بن
عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار به.

وهذا أصح وأثبت.
وقد روى الحاكم في مستدركه [٢٦٦/٢] وابن أبي حاتم في
تفسيره [٣٠٥/١] عن ابن عباس فذكره وقال فيه: وفي ذلك الزمان امرأة
حسنا في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب. وذكر تمامه.

وهذا أحسن لفظ روي في هذه القصة والله أعلم.
وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر السيزار [كشف الأسرار
٩٠٣]: حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون،
حدثنا بشر بن عبيد عن يزيد بن أسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

وحدثنا عمرو بن عيسى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا إبراهيم بن يزيد،
عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر سهيلا فقال:
«كان عشارا ظلوما فمسخه الله شهابا» ثم قال: لم يروه عن زيد بن أسلم
إلا بشر بن عبيد وهو ضعيف الحديث ولا عن عمرو بن دينار إلا إبراهيم
بن يزيد وهو لين الحديث. وإنما ذكرناه على ما فيه من علة أننا لم نحفظه
إلا من هذين الوجهين.

قلت: أما بشر بن عبيد القرشي فهو أبو حفص الحمصي وأصله من
الكوفة. فقد ضعفه الجميع.

وقال فيه الإمام أحمد والدارقطني: كان يضع الحديث ويكذب.
وأما إبراهيم بن يزيد فهو الحوزي وهو ضعيف باتفاقهم.

قال فيه أحمد والنسائي: متروك.

وقال ابن معين: ليس بثقة وليس بشيء.

وقال البخاري: سكتوا عنه.

وقال أبو حاتم وأبو زرعة: منكر الحديث ضعيف الحديث.

ومثل هذا الإسناد لا يثبت به شيء بالكوفة. وإذا أحسننا الظن قلنا هذا

أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: إن الشمس والقمر آيتان من آيات
الله عز وجل وإنهما لا يتكفان لموت أحد ولا لحياته.

وقال البخاري في بدء الخلق [٣٢٠٠]: حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز
بن المختار، حدثنا عبد الله الداناج، حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة عن
النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر مكروران يوم القيامة». انفرد به البخاري.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق، فقال: حدثنا
إبراهيم بن زياد البغدادى، حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن
المختار، عن عبد الله الداناج سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد
بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس
إليه فحدث قال: حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشمس
والقمر ثوران في النار يوم القيامة» فقال الحسن: وما دينهما؟ فقال: أحدثك
عن رسول الله ﷺ وتقول: وما دينهما!

ثم قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد
الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث.

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق يزيد الرقاشي وهو ضعيف
عن أسى قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمس والقمر ثوران عقيران في
النار».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله
الأزدى، حدثنا أبو أسامة عن مجالد، عن شيخ من مجيلة، عن ابن عباس
«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ». قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم
القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دهورا فتضرمها نارا.

فلنت هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله
لما أراد. ثم يفعل فيهما ما يشاء، وله الحجة الدافعة والحكمة البالغة فلا
يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته وقدرته ومشيته النافذة وحكمه الذي لا
يرد ولا يمانع ولا يغالب.

وما أحسن ما أورده الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في أول كتاب
السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل في خلق السماء والأرض
والشمس والقمر وغير ذلك.

قال ابن هشام [السيرة: ٢٢٧/١، ديوانه ص ٣٨، ٣٩] هي لأمية بن
أبي الصلت:

إلى الله أهدي مدحني وثنايا وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدائيا
إلا أيها الإنسان إياك والردى فإنك لا تحفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشدا أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم وأنت إلهي ريشا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى أدينا إلما غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له: يا أذهب وهاورن فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له: أنت سويت هذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له: أنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذا بك باتيا
وقولا له أنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنبه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غلوة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا

من أخبار بني إسرائيل كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار، ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها والله أعلم.

فصل في الكلام على الجحمة وقوس قزح

قال أبو القاسم الطبراني والمعجم الكبير (١٠٥٩١): حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا عارم أبو النعمان، حدثنا أبو عروانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن هرقل كتب إلى معاوية وقال: إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما أسأله عنه. قال: فكتب إليه يسأله عن الجحمة وعن القوس وعن بقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة. قال: فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال: إن هذا الشيء ما كنت آبه له أن أسأل عنه إلى يومي هذا! من هذا؟ قيل: ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به إلى ابن عباس فكتب إليه «أن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق. والجحمة باب السماء الذي تنشق منه. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من النهار فإلبحر الذي أفرج عن بني إسرائيل». وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه.

فأما الحديث الذي رواه الطبراني والمعجم الكبير (١٧٥٤): حدثنا أبو الزيناع روح بن الفرج، حدثنا إبراهيم بن مخلد، حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إني مرسلك إلى قوم أهل كتاب فإذا سلت عن الجحمة التي في السماء قل: هي لعاب حية تحت العرش»؛ فإنه حديث منكر جداً بل الأشبه أنه موضوع ورواه الفضل بن المختار هذا أبو سهل البصري. ثم انتقل إلى مصر قال فيه أبو حاتم الرازي هو مجهول حدث بالأباطيل.

وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث جداً. وقال ابن عدي: لا يتابع على أحاديثه لا متناً ولا إسناداً في الكامل في الضعفاء.

وقال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاقَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّغَالِ. وَيَسْجِي الرُّعْدَ بِحُمُومِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» (الرعد: ١٢-١٣).

وقال تعالى: «إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّتِي تُجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا رِثَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكِبَةٍ وَتَنْصَرِفُ الرِّيَّاحُ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ» (البقرة: ١٦٤).

وروى الإمام أحمد (٤٣٥/٥) عن يزيد بن هارون، عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بني غفار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك». وروى موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم أنه قال: إن نطقه الرعد وضحه البرق.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام، عن عبيد الله الرازي، عن محمد بن مسلم قال: بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه: إنسان وجهه نور وجهه نسر وجهه أسد، فإذا مصع بذنبه فذلك البرق.

وقد روى الإمام أحمد (١٠٠/٢) والترمذي (٣٤٥٠) والنسائي

(١٠٧٦٣) والبخاري في كتاب الأدب (الأدب القدر ٧٢١) والحاكم في مستدركه (٢٨٦/٤) من حديث الحجاج بن أرطاة حدثني أبو مطر عن سالم عن أبيه قال: كان رسول الله إذا سمع الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

وروى ابن جرير (في تفسيره ١٣/١٢٤) من حديث ليث عن رجل عن أبي هريرة رفعه: كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده».

وعن علي أنه كان يقول: «سبحان من سبحت له». وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاوس وغيرهم.

وروى مالك (الوطأ: ٩١٢/٢) عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول: «إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض».

وروى الإمام أحمد (٣٥٩/٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال ربكم: لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد».

وروى الطبراني (المعجم الكبير ١١٣٧١) عن ابن عباس مرفوعاً: «إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً». وكل هذا مبسوط في التفسير والله الحمد والمنة.

١٣ - خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام

قال الله تعالى: «سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ مُّقْتَصِدًا بِالنَّفْسِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (إل عمران: ١٨). وقال: «لِكُنِ اللَّهُ يُشْهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَنْهَوْنَهُ» (النساء: ١٦٦).

قال الله تعالى: «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يُسَبِّحُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ إِلَّا بِمَا أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَعَنَّا نَجْزِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: ٢٦ - ٢٩).

وقال تعالى: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ قَرَابِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» (الشورى: الآية ٥).

وقال تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَذْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (طه: الآية ٧ - ٨).

وقال تعالى: «فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا قَالُوا لَنْ نَقْبَلَهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ» (صلوات: الآية ٣٨).

وقال تعالى: «وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْزِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» (الأنبياء: الآية ١٩ - ٢٠).

وقال تعالى: «وَمَا مِثْلُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» (الصلوات: الآية ١٦٤ - ١٦٦).

وقال تعالى: «وَمَا تَنْتَهِزُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا

يَنْبَنُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رُبُّكَ نَسِيًّا ﴿مريم: الآية ٦٤﴾

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَلَيْكُمْ أَلْحَافِيلُنَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَكْتُبُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الاحقاف: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِي جُنُودُ رَبِّكَ﴾ [الدخان: ٣١]

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: الآيات ٢٣ - ٢٤]

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَلَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ﴾ [طه: الآية ١]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالنِّعَامِ وَتَزُولُ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: الآيات ٢٥ - ٢٦]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَزَّ عَنَّا كِبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ جِئُوا بِمُجْجَرٍ﴾ [الفرقان: الآيات ٢١ - ٢٢]

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَخْفَوْنَ اللَّهَ مَا أَمَرْتُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الصحيح: الآية ٦]

والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جداً يصغفها تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآيات: عود: الآيات ٧٧ - ٧٨].

فذكرنا في التفسير [١٠٩/٦] ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وكذلك كان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صفات متعددة فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها. له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين الشرق والغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين: مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض. ومرة عند سدة المتهى عندها جنة المأوى. وهو قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [الجم: الآيات ٥ - ٨]

أي جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة. منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْخَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْخَى﴾ [الجم: ٩ - ١٠] أي إلى عبد الله محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَى﴾ [الجم: الآيات ١٣ - ١٧]

وكل ذلك المراد به جبريل. وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء في سورة سبحان أن سدة المتهى في السماء السابعة. وفي رواية في السادسة أي: أصلها وفروعها في السابعة ﴿إِذْ يَغْشَى السَّنَدَةَ مَا يَغْشَى﴾. قيل: غشيا نور الرب جل جلاله.

وقيل: غشيا فراش من ذهب.

وقيل: غشيا ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة.

وقيل: غشيا الملائكة مثل الغراب.

وقيل: غشيا من الله أمر فلا يستطيع أحد أن ينتهيا. أي من حسناتها وبهائتها.

ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله في حال واحدة.

وذكرنا أن رسول الله ﷺ قال: «ثم رفعت لي سدة المتهى فإذا نبقها كالقلال».

وفي رواية: «كقلال هجر وإذا روقها كآذان الفيلة وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران. فأما الباطنان ففي الجنة. وأما الظاهران فالنيل والفرات» [مقدم].

وتقدم الكلام على هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار. وفيه: «لم رفع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم» وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستنأظ ظهره إلى البيت المعمور. وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور في السماء السابعة بمنزلة الكعبة في الأرض.

وقد روى سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عررة أن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب عن البيت المعمور فقال «هو مسجد في السماء يقال: له الضراح» وهو بحمال الكعبة من فوقها. حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون فيه أبداً. وهكذا روى علي بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي بن مثنى [تفسير الطبري: ١٦/٢٧].

وقال الطبراني [١٢١٨٥]: أنبأنا الحسن بن علي بن فضال، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو حنيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «البيت المعمور في السماء يقال له: الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحاله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط، فإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة. يعني في الأرض. وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والريعي بن أنس والسدي وغير واحد [تفسير الطبري: ١٦/٢٧].

وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم». قال: «فإنه مسجد في السماء بحمال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم».

وزعم الضحاك أنه تعمر طائفة من الملائكة يقال لهم الحسن من قبيلة إيليس لعنه الله كان يقول: سنته وخداه منهم والله أعلم.

وقال آخرون: في كل سماء بيت يعمره ملائكتها بالعبادة فيه ويفدون إليه بالنوى والبدل كما يعمر أهل الأرض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتماد في كل وقت والطواف والصلاة في كل آن.

قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في أوائل كتابه المغازي: حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد «أن الحرم حرام منه» يعني قدره من السماوات السبع والأرضين السبع وأنه رابع أربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض».

ثم روى مجاهد قال: منه أي: مقابله وهو حرف مقصور.

وقيل: ضرب من الملائكة يشبهون بني آدم في الشكل. قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش.

وقيل: جبريل. قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك.

وقيل: ملك يقال له: الروح بقدر جميع المخلوقات.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً.

وقال ابن جرير [٢٢/٣٠]: حدثني محمد بن خلف العسقلاني، حدثنا

رواد بن الجراح، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن علقمة عن ابن مسعود

قال: الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السماوات والجبال ومن

الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسيحة يخلق الله من كل تسيحة

ملكاً من الملائكة يحيى يوم القيامة صفاً وحده.

وهذا غريب جداً

وقال الطبراني المعجم الكبير (١١٤٧٩): حدثنا محمد بن عبد الله بن

عرس المصري، حدثنا وهب الله بن رزق أبو هريرة، حدثنا بشر بن بكر،

حدثنا الأوزاعي، حدثني عطاء بن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: «إن لله ملكاً لو قيل له التمم السماوات والأرضين بلقمة

واحدة لفعل. تسيحه: سبحاتك حيث كنت».

وهذا أيضاً حديث غريب جداً. وقد يكون موقوفاً.

وذكرنا في صفة حلة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله

ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حلة العرش إن ما

بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

رواه أبو داود [٤٧٢٧] وابن أبي حاتم ولفظه: «غفقت الطير سبعمائة

عام».

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥] قالوا: كان من شدة قوته أنه رفع

ملائن قوم لوط وكن سبعاً بمن فيها من الأمم وكانوا قريباً من أربعمائة

ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدن من الأراضي

والمعتملات والعمارات وغير ذلك. رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى

بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديتهم،

ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى.

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي خلق حسن وبهاء وسناء، كما قال في الآية

الأخرى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، والحكوب: الآية ١٩] أي:

جبريل رسول من الله.

﴿كَرِيمٌ﴾ أي حسن المظهر ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي له قوة وبأس شديد ﴿عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ أي له مكانة ومزلة عالية رفيعة عند الله، ذي العرش

الجليل، ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ﴾ أي مطاع في الملأ الأعلى ﴿آمِينٌ﴾ أي ذي أمانة

عظيمة.

ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذي يتزل

عليهم بالروح. فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة. وقد كان يأتي إلى

رسول الله ﷺ ويتزل عليه في صفات متعددة كما قلنا. وقد رآه على

صفته التي خلقه الله عليها مرتين. له ستمائة جناح كما روى البخاري

[٤٨٥٧] عن طلق بن غنام عن زائدة الشيباني قال: سألت زراً عن قوله

﴿كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فَأَوْخَى إِلَى غَيْبِهِ مَا أَوْخَى﴾ [النجم: الآية ٩

- ١٠].

قال حدثنا عبد الله يعني ابن مسعود أن عمداً ﷺ رأى جبريل له

ثم قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش، عن أبي سليمان مؤذن الحجاج سمعت عبد الله بن عمرو يقول: «إن الحرم محرم في السماوات السبع مقداره من الأرض - وإن بيت المقدس مقدس في السماوات السبع مقداره من الأرض» كما قال بعض الشعراء:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا يَتَسَاءَ دَعَانَهُ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ

واسم البيت الذي في السماء الدنيا بيت العزة. واسم الملك الذي هو

مقدم الملائكة فيها إسماعيل.

فعلى هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون في كل يوم

إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه. «آخر ما عليهم» أي لا تحصل لهم

نوبة فيه إلى آخر الدهر» يكونون من سكان السماء السابعة وحدها. ولهذا

قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْمُلُ جُزْؤُكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الملك: الآية ٣١]

وقال الإمام أحمد [١٧٣/٥]: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل عن

إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد عن مروق عن أبي ذر قال: قال رسول الله

ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أعطت السماء وحق لها

أن تنظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما

أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما لتلذذتم بالنساء على الفرشات

وخرجنكم إلى الصعدات تجارون إلى الله عز وجل» فقال أبو ذر: «والله

لوددت أنني شجرة تعضده».

ورواه الترمذي [٢٣١٢] وابن ماجه [٤١٩٠] من حديث إسرائيل.

وقال الترمذي: حسن غريب ويروى عن أبي ذر إلحاحاً في الاستدلال.

[٥٧٩/٤] موقوفاً.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني المعجم الكبير (١٧٥١): حدثنا حسين

بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو

عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر

ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راجع، فلذا كان يوم

القيامة قالوا جميعاً: ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً».

فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع في السماوات السبع إلا

وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة. منهم من هو قائم أبداً

ومنها من هو راجع أبداً، ومنها من هو ساجد أبداً، ومنها من هو في

صنوف آخر والله أعلم بها.

وهم دائمون في عبادتهم وتسيحهم وإذكارهم وأعمالهم التي أمرهم

الله بها، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنَالُ لَكُمْ مَقَامٌ

مُعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافِرُونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٦٤ -

١٦٦].

وقال ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها». قالوا: وكيف

يصفون؟ قال: «يُتَمَوَّنُ الصُّفُوفُ الْأُولَى وَيَتَرَاوَنُ فِي الصَّفِّ» [م: ٤٣٠].

وقال: «فصلنا على الناس بثلاث: جعلت لنا الأرض مسجداً وترتيبنا لنا

طهوراً وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة» [م: ٥٢٢].

وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفاً كما قال

تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفتح: الآية ٢٢].

ويقفون صفوفاً بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

صَوَاباً﴾ [الباق: الآية ٣٨]

والمراد بالروح هاهنا: بنو آدم؛ قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة.

سمانة جناح.

وقال الإمام أحمد (٢٩٥/١) من طريق آخرى: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله سمانة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم».

وقال أحمد أيضاً (٤٦٠/١): حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن ابن مسعود في هذه الآية: «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى» [النجم: ١٣] قال، قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل وله سمانة جناح يشتر من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وقال أحمد (٤٠٧/١): حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين، حدثني عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل على سدر المنتهى وله سمانة جناح» فسألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرني قال: فأخبرني بعض أصحابه أن الأجنحة ما بين المشرق والمغرب. وهذه أسانيد جيدة انفرد بها أحمد.

وقال أحمد (٤٠٧/١): حدثنا زيد بن الحباب، حدثني حسين، حدثني حصين، حدثني شقيق سمعت ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل في خضر تعلق به الدر». إسناده صحيح.

وقال ابن جرير (تفسير الطبري ٤٩/٢٧): حدثنا ابن بزيع البشداي قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله في قوله: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» [النجم: الآية ١١] قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلل رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض. إسناده جيد قوي.

وفي الصحيحين (ج ٤٨٥٥، ٢ (١٧٧)) من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: «وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ» [التكوير: الآية ٢٣] «وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى» [النجم: الآية ١٣] فقلت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عنها فقال: «إنما ذاك جبريل لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظيم خلقه ما بين السماء والأرض».

وقال البخاري (٣٢١٨): حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذو «ح» وحدثني يحيى بن جعفر، حدثنا وكيع عن عمر بن ذو، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال: رسول الله ﷺ لجبريل «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا» قال فترلت: «وَمَا نَسْتَرُكُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا» [صم: الآية ٦٤] الآية.

وروى البخاري (١٩٠٢، ٤٩٩٧): من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

وقال البخاري (٣٢٢١): حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر العصر شيئاً فقال له عروة: أما إن جبريل قد نزل فعلى أمام رسول الله ﷺ فقال عمر: أعلم ما تقول يا عروة قال: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت أبا مسعود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فنزل جبريل فأمي فضليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه بحسب بأصابعه خمس

صلوات.

ومن صفة إسرائيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه نفخات ثلاثاً. أولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه. والصور قرن ينفخ فيه. كل دارة منه كما بين السماء والأرض. وفيه موضع أرواح العباد حين يأمرك الله بالنفخ للبعث، فإذا نفخ فخرج الأرواح توهج فيقول الرب جل جلاله: وهزني وجلالي لترجعن كل روح إلى البدن الذي كانت تمعره في الدنيا فتدخل على الأجساد في قبورها فتدب فيها كما يدب السم في اللدغ فتحيى الأجساد وتنشق عنهم الأجلدات، فيخرجون منها سراعاً إلى مقام المحشر، كما سيأتي تفصيله في موضعه.

ولمنا قال رسول الله ﷺ: «كيف أئتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جبهته وانتظر أن يؤذن له!» قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله توكلنا». رواه أحمد (٣٢٦/١) والترمذي (٢٤٣١) من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري.

وقال الإمام أحمد (٩٣/١٠): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن سعد الطائي عن عطية العوفي، عن أبي سعيد قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال: «عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (المعجم الكبير ١٢٠٦١): حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا محمد بن عمر بن أبي ليلى، حدثني أبي عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس. قال بينا رسول الله ﷺ معه جبريل بناحية إذا انشق أفق السماء فأقبل إسرائيل يندو من الأرض ويتمايل، فإذا ملك قد مثل بين يدي النبي ﷺ فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بيني بين عبد أو ملك نبي» قال «فأشار جبريل إلي بيده: (أن تواضع) فعرفت أنه لي ناصح فقلت: عبد نبي، فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت: يا جبريل قد كنت أرذت أن أسألك عن هذا فأريت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟» فقال: هذا إسرائيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قديماً لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نوراً من منها من نور يكاد يندو منه إلا احترق بين يديه لوح، فإذا أذن الله في شيء من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فحسب جبهته فينظر، فإن كان من عملي أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به. فقلت: يا جبريل وعلى أي شيء أنت؟ قال: على الريح والجنود. قلت: «وعلى أي شيء ميكائيل؟» قال: على النبات والقطر فقلت: وعلى أي شيء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذي رأيت مسي إلا خوفاً من قيام الساعة.

هذا حديث غريب من هذا الوجه.

في صحيح مسلم (٧٧٠) عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرائيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وفي حديث الصور [الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦)] أن إسرائيل أول

من يبعث الله بعد الصعق ليفتح في الصور.

وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرائيل أول من سجد من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ. حكاه أبو القاسم السهلي في كتابه (التعريف والأعلام بما بهم في القرآن من الأعلام) [٥٧ص].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]

عطفهما على الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره. وأما ميكائيل فهو كل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقربين.

وقد قال الإمام أحمد [٢٢٤/٣]: حدثنا أبو اليمان، حدثنا ابن عيسى، عن عمارة بن غزوة الأنصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بني الملعلى يقول: «سمعت ثابئاً البنانى يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل: «مالي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» فقال: «ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار».

فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن وفي الصحاح هم المذكورون في الدعاء النبوي [٢٧٠] «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرائيل».

فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأُمم. وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله.

وقد روي أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقنوها في موضعها من الأرض وإسرائيل موكل بالفتح في الصور للقيام من القبور. والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازي الكفور، فذلك ذنبه مغفور، وسعيه مشكور. وهذا قد صار عمله كالماء المشور، وهو يدعى بالويل والنشور.

فجبريل عليه السلام يحصل بما ينزل به الهدى. وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق. وإسرائيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء. وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح. وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَرَفَّكُم مِّلْكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرْتُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]

وله أعوان يستخرجون روح العبد من جسده حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها في أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله: ﴿يَكُونُ لِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقي بها إلى الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَرُّ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢]

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أنهم قالوا: إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء رهس الطري: ٩٧/٢١، ٩٨، ٢١٧/٩.

وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح. وإن كان كافراً

فبالضد من ذلك. عياداً بالله العظيم من ذلك.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ، حدثنا عمرو بن شمر قال: سمعت جعفر بن محمد قال: سمعت أبي يقول: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ: «يا ملك الموت أرق بصاحبي فإنه مؤمن» فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقر عيناً فإنني بكل مؤمن رقيق. وأعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفهم في كل يوم خمس مرات حتى إني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم، والله يا محمد لو أتي أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها».

قال جعفر بن محمد وهو جعفر الصادق بلفظي أنه يتصفهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت، فإذا كان من يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك «لا إله إلا الله محمد رسول الله» في تلك الحال العظيمة.

هذا حديث مرسل وفيه نظر.

وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ (الحديث) بطوله. وفيه: «ويأمر الله إسرائيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصنع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت. فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت حلة عرشك وبقي جبريل وميكائيل. فيقول: ليتم جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول: اسكت فإنني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت حلة عرشك وبقيت أنا فيقول الله: لتمت حلة عرشي فيموتون ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرائيل.

ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حلة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول الله: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت، فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. كان آخراً كما كان أولاً».

وذكر تمام الحديث بطوله، رواه الطبراني (الأحاديث الطوال (٣٦)) وابن جرير (في مسنده: ٣٣١، ٣٣٠/٢، ٦١/٢٤، ١٨٦/٣٠ - ١٨٨) والبيهقي (في البعث والنشور: ٦٦٨، ٦٦٩) ورواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب (الطوال) وعنده زيادة غريبة وهي قوله: «فيقول الله له أنت خلق من خلقي خلقتك لما أردت فمت موتاً لا تحيي بعده أبداً»

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن: هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السلف. وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليّات.

وروي الإمام أحمد [١٣٤/٢] حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر وصححه ابن حبان في تقاسيمه (الإحسان (٦١٨٦)). وفي صحته عندي نظر والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار كما

سيأتي بيانه والله أعلم.

وفيه: «أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر».

وعن علي وابن عباس وابن عمر أيضاً (تفسير الطبري: ٤٥٦/١) أن الزهرة كانت امرأة وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أبت إلا أن يعلماهما الاسم الأعظم فعلماهما فقالت: فارفعتك إلى السماء فصارت كوكباً.

وروى الحاكم في مستدركه (٤٤٢/٢) عن ابن عباس قال: وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وهذا اللفظ أحسن ما ورد في شأن الزهرة.

ثم قيل: كان أمرهما وقصتهما في زمان إدريس، وقيل: في زمان سليمان بن داود كما حزنوا ذلك في التفسير:

وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه إلى كتب الأخبار كما رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥٢/١، ٥٤) عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كتب الأخبار بالقصة.

وهذا أصح إسناداً وأثبت رجالاً والله أعلم.

ثم قد قيل: إن المراد بقوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَائِلٍ هَارُوتَ وَمَافُوتَ﴾ (البقرة: ١٠٢) قبيلاً من الجان، قاله ابن حزم (المفصل: ٢٦١/٣) وهذا غريب ويعد من اللفظ.

ومن الناس من قرأ وما أنزل على الملائكة بالكسر ويجعلهما عليّين من أهل فارس، قاله الضحاك (تفسير الطبري: ٤٥٩/١).

ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن سبق في قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما إن صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل إنه من الملائكة، لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتي تقريره.

ومن الملائكة المسمين في الحديث منكر ونكير عليهما السلام وقد استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر. وقد أوردناهما عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

وهما فتنا القبر مولكان يسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحان البر والفاجر وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة، أجارنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين.

وقال البخاري (٣٢٣١): حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا ابن وهب، حدثني يونس عن ابن شهاب، حدثني عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ

حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمت فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد

سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت ففهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش فقال النبي ﷺ: بل

أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً.

ورواه مسلم (١٧٩٥) من حديث ابن وهب به.

١٤- أقسام الملائكة

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام:

فمنهم حلة العرش كما تقدم ذكرهم.

ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حلة العرش. وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: ١٧٢).

ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ.﴾ وقهم الشَّيَاطِينُ وَمَنْ تَتَّبِعِ الشَّيَاطِينُ فَقَدْ رَجَعَهُ إِلَى الْفُتُورِ الْعَظِيمِ﴾ (طه: ٧-٩).

ولما كانت سبحانه هذه السجدة الطاعرة كانوا يجوبون من اتصف بهذه الصفة ويدعون كما ثبت في الحديث (٢٧٣٢، ٢٧٣٣) عن الصادق المصدوق أنه قال: «إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل».

ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائية ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠) فمنهم الراجع دائماً والقاتم دائماً والساجد دائماً.

ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفاً لا يمدون إليه آخر ما عليهم.

ومنهم الموكلون بالجان وإعداد الكرامة لأهلها وتهية الضيافة لسائتها من ملابس ومصاغ ومسكن ومآكل ومشرب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وخازن الجنة ملك يقال له: رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث.

ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية. ومقدمهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (طه: ٤٩) الآية.

وقال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكَادُونَ. لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لَاحِقٌ كَارِهُونَ﴾ (الفرع: ٧٧-٧٨).

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الصحيم: ٦).

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ. وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْمَعُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْنَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (الملك: ٣٠-٣١).

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى: ﴿سَرَّاهُ مِنْكُمْ مِّنْ أَمْرٍ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَرَبٍ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١٠-١١) الآيات.

قال الوالي عن ابن عباس: «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ» وهي الملائكة.

وقال عكرمة عن ابن عباس: «يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ». قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

بينهم وسموه. وقالوا: هلك فلان الليلة.

ثم قال الزبارة: سلام هذا أحسبه سلاماً المدائني وهو لين الحديث.

وقد قال البخاري (٣٢٢٣): حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويعتصمون في صلاة الفجر وصلاة العصر. ثم يعرج إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون. وأتيناهم وهم يصلون».

هذا اللفظ في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ تفرد به دون مسلم من هذا الوجه. وقد أخرجه في الصحيحين (ج ٧٤٢٩)، م (٦٣٢) في البدء من حديث مالك عن أبي الزناد به.

وقال الزبارة [كشف الأسرار (٣٢٥٢)]: حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي، حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن - يعني البصري - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فبى في أول الصلوة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصلوة».

ثم قال تفرد: به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث.

قلت: وقد وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي وابن عدي روماء ابن حبان بالوضع.

وقال الإمام أحمد: لا أعرف حقيقة أمره.

والمقصود أن كل إنسان له حافظان ملكان إثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل. وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كتاب الشمال يكتب حسنته، وكاتب الشمال يكتب سيئته، فأراد صاحب الشمال أن يكتبها، قال له صاحب اليمين: أمهل لعله أن يتوب أو يستغفر. وإذا عمل حسنة، كتبها صاحب اليمين من غير توقف ولا استثمار من صاحب الشمال. كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَعَنِ الْجَنِّ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: ١٧-١٨]

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٣٨٥/١). حدثنا أسود بن عامر. حدثنا سفيان، حدثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي ولكن الله أعاني عليه فلا يأمرني إلا بخير».

انفرد بإخراجه مسلم (٢٨١٤) من حديث منصور به.

فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين يحفظ الإنسان وإنما هو موكل به ليهديه ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهداً في الخيال والإضلال. والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان.

وقال البخاري: (٣٢١١) حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والأغر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر».

وهكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه وهو في الصحيحين (ج ٦٢٩)، م (٨٥٠) من وجه آخر. وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَرَأَنَّا الْفَجْرَ إِنَّ قُرْآنَ

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شيء يأتيه يريد به إلا قال: وراك إلا شيء يأذن الله فيه فيصبيه.

وقال أبو أمامة: «ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له»

وقال أبو جازر [تفسير الطبري: ١١٩/١٣]: «جاء رجل إلى علي فقال: إن نقرأ من مراد يريدون قتلنا، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جنة حصية»

ومنهج الموكلون يحفظ أعمال العباد كما قال تعالى: ﴿وَعَنِ الْجَنِّ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: ١٧-١٨]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كَرَامًا كَاتِبِينَ. يَكْتُبُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾. [الأنعام: ١٠-١٢]

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان ومسر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط، فإذا اغتسل أحدكم فليستر بجزء حائط أو بغيره أو ليستره أخوه».

هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله الزبارة في مستنده [كشف الأسرار: ٣١٧] من طريق حفص بن سليمان القاري. وفيه كلام

عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات: الغائط والجنابة والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالمرء فليستر بثوبه أو بجزء حائط أو بغيره. ومعنى إكرامهم أن يستحي منهم فلا يمل عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم كراماً في خلقهم وأخلاقهم».

ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح (ج ٣٢٢٧)، م (٢١٠٦، ٢١٠٧)، ت (٢٨٠٤) أخرجه دون ذكر الجنب] والسنة [ج ٢٢٧] (٢٢٧) و(٤١٥٢)، م (٢٦١) و(٤٢٩٢) والمسند [ج ٨٣/١، ٨٣، ١٠٧، ١٣٩، ١٥٠] من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب».

وفي رواية [ج ١٦٤/١] عن عاصم بن ضمرة عن علي «ولا بول». وفي رواية [ج ٢٨٠٥] رافع عن أبي سعيد مرفوعاً «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا تمثال».

وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تمثال» [ج ٤٨٥٨]، ت (٢٨٠٦)، م (٥٣٨٠)

وفي رواية ذكران أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس» [ج ٢١١٣]. ورواه زرارة بن أوفى عنه «لا تصحب الملائكة رفقة معهم جرس» [ج ٣٨٥/٢، ٤١٤].

وقال الزبارة [كشف الأسرار (٣٢١٤)]: حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالفلووسي. حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن ملائكة الله يعرفون بني آدم وأحسبه قال» ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان، نجا الليلة فلان. وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه

وهكذا رواه البخاري (٦٤٠٨) عن قتية، عن جبر بن عبد الحميد عن الأعمش به. وقال: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه. ورفع سهيل عن أبيه.

وقد رواه أحمد (٢٥٢/٢، ٣٨٢) عن عفان عن وهيب، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

كما ذكره البخاري معلقاً عن سهيل.

ورواه مسلم (٢٦٨٩) عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد، عن وهب به.

وقد رواه الإمام أحمد (٢٥٢/٢) أيضاً عن غنم عن شعبة عن سليمان (هو الأعمش) عن أبي صالح، عن أبي هريرة ولم يرفعه نحوه كما أشار إليه البخاري رحمه الله.

وقال الإمام أحمد: (٢٥٢/٢) حدثنا أبو معاوية. حدثنا الأعمش وابن غير. أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. ومن يستر العبد ما كان على عبده يستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». وكذا رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي معاوية.

وقال الإمام أحمد (٩٤/٣): حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر، عن أبي إسحاق، عن الأغر (أبي مسلم) عن أبي هريرة وأبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفهم الملائكة وتنشهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده».

وكذا رواه أيضاً من حديث إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق به نحوه (٤٧٤/٢، ٣٣٣/٣، ٤٩، ٩٢).

ورواه مسلم (٢٧٠٠) من حديث شعبة والترمذي (٣٣٧٨) من حديث الثوري وقال: حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه (٣٧٩١) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن رزيق عن أبي إسحاق بإسناده نحوه. وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وفي مسند الإمام أحمد (١٩٦/٥) والسنن (٦٦٤١)، ت (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء مرفوعاً «وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع» أي تواضع له كما قال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِئَنْ أَتَبَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]

وقال الإمام أحمد (٤٤١/١): حدثنا وكيع عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض ليلغوني عن أمي السلام».

وهكذا رواه النسائي (١٢٨١) من حديث سفيان الثوري وسليمان الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به.

وقال الإمام أحمد (١٦٨/٦): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت

الْفَجْرَ كَانَ مَشْهُوداً﴾. [الإسراء: ٧٨]

وقال الإمام أحمد (٤٧٤/٢): حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ. وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَرَأَ الْقُرْآنَ يُفْجِرُ إِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كَانَ مَشْهُوداً﴾ قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. ورواه الترمذي (٣١٣٥) والنسائي (١١٢٩٣) وكوي: (١١٢٩٣) وابن ماجه (٦٧٠) من حديث أسباط.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وهو منقطع.

وقال البخاري (٤٧١٧) وقال: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة ومسعود بن السيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة. ويستمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر». يقول أبو هريرة: أقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقَرَأَ الْقُرْآنَ يُفْجِرُ إِنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

وقال البخاري (٣٢٣٧): حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

تابعه شعبة وأبو حمزة وابن داود وأبو معاوية عن الأعمش.

وثبت في الصحيحين (خ (٧٨٠)، م (٤١٠)) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا آمن الإمام فأنما. فإنه من وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي لفظ (خ (٩٨٠)، م (٤١٠)) «إذا قال الإمام آمين فإن الملائكة تقول في السماء آمين، فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفي صحيح البخاري (٣٢٢٨) حدثنا إسماعيل، حدثني مالك عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: (اللهم ربنا ولك الحمد) فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة (م (٤٠٩)، د (٨٤٨)، ت (٢٦٧)، س (١٠٦٢)).

وقال الإمام أحمد (٢٥٢/٢، ٢٥٢): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد هو شك (يعني الأعمش) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بفتحكم فيجيئون فيقولون بهم إلى السماء الدنيا فيقول: الله أي شيء تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون: لا يقول: كيف لو راووني فيقولون: لو راوك لكانوا أشد تحميداً وتعجبوا وذكرنا. قال: يقول: فأي شيء يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة فيقول: وهل راوها؟ فيقولون: لا يقول: وكيف لو راوها؟ فيقولون: لو راوها لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً قال: فيقول: من أي يتعدون؟ فيقولون من النار فيقول: وهل راوها؟ فيقولون: لا يقول: فكيف لو راوها؟ فيقولون: لو راوها كانوا أشد منها هرباً وأشد منها خوفاً. قال: فيقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم. قال فيقولون: إن فيهم فلاناً الخطاء لم يردهم، إنما جاء لحاجة فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»

١٦- خلق الجن وقصة الشيطان

قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ. فَبُيِّنَ لَهُمْ سُبُلَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ١٤-١٦]
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قُلْ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧]
وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد ﴿من مارج من نار﴾ قالوا: من طرف اللهب.

وفي رواية من خالصه وأحسنه [تفسير الطبري: ١٢٧/٢٨، ١٢٧/٢٧].
وقد ذكرنا آنفاً من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم» رواه مسلم [٢٩٩٦].

قال كثير من علماء التفسير: خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قبلهم في الأرض الجن والبر، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهما وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم بسبب ما أحدثوا.

وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس: وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزائن الجنة. وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في صدره إنما أعطاني الله هذا لئلا ياتي على الملائكة [تاريخ الطبري: ٨١/١].

وذكر الضحاك عن ابن عباس: أن الجن لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهما وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور [تاريخ الطبري: ٨٤/١].

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد، عن عطاء، عن طلاس عن ابن عباس: كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل، وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهداً وأكثرهم علماً وكان من حي يقال لهم: الجن [تاريخ الطبري: ٨٦/١].

وروى ابن أبي حاتم [في تفسيره: ١٢٢/١] عن سعيد بن جبير عنه: كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولي الأجنحة الأربعة.

وقال سفيان عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس: كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة. وكان خازناً على الجنان؛ وكان له سلطان سماء الدنيا. وكان له سلطان الأرض [تاريخ الطبري: ٨١/١].

وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس: كان يسوس ما بين السماء والأرض رواء ابن جبر [تاريخ الطبري: ٨١/١].

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا [تاريخ الطبري: ٨٦/١].

وقال الحسن البصري: لم يكن من الملائكة طرفة عين وأنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر [تفسير الطبري: ٢٦٠/١٥].

وقال شهر بن حوشب وغيره: كان إبليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأمره بعضهم وذهب به إلى السماء. رواه ابن جرير [تاريخ الطبري: ٨٧/١].

قالوا: فلما أراد الله خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده وصور جثته منها جعل إبليس وهو رئيس الجن وأكثرهم عبادة إذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك.

الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

ورواه مسلم [٢٩٩٦] عن محمد بن رافع وعبد بن حيد، كلاهما عن عبد الرزاق به.

وكذلك الحديث الذي روى أن للملك لمة بقلب العبد، وللشيطان لمة بقلبه، فلمة الملك لإبعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة الشيطان لإبعاد بالفقر - وفي رواية: بالشّر - وتكذيب بالحق. وكذلك الحديث الذي روى: «إذا أصبح العبد استبره الشيطان والمملك، فيقول المملك: افتح بخير. ويقول الشيطان: افتح بشر. فإذا ذكر الله وحمد تولاها الملك وطرد عنه الشيطان إلى الليل، فإذا جاء الليل قال المملك: اختم بخير. ويقول الشيطان: اختم بشر. فإن ختم نهاره بخير تولاها الملك حتى يصبح، وطرد عنه الشيطان». وكذلك إذا خرج العبد من منزله فقال: «بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال له المملك: هُيِّئَتْ وَكُمِّتْ وَوُقِيتْ. ثم يتنحى عنه الشيطان..... إلى آخره.

والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جداً. وقد ذكرنا ما يسره الله تعالى وله الحمد.

١٥- الخلاف في تفضيل الملائكة على البشر

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال: فآثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم.

وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساکر في تاريخه [٣٠٣/٩، ٣٠٤] في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: «ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم» واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البقرة: ٢٧] ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراق بن مالك: «ما أحد أكرم على الله من ملائكته» هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: «ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره الملائكة» فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليل.

وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مضمونه أنها ليست بمخاصة بالبشر. فإن الله قد وصف الملائكة بالإيمان في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وكذلك الجنان: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْتُ الْمَلَأْتِي آمَنَّا﴾ [الجن: ١٣] ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قلت: وأحسن ما يستدل به في هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وهو أصح قال: «لما خلق الله الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب، فبأنك خلقت الدنيا لبني آدم فقال الله: لن اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان» وإخرج نحوه البيهقي في «الأنباء والصفات» ٣١٧، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٣٨٧/٢.

وقد ذكرنا تفسير هذه السورة وقام القصة في آخر سورة الأحقاف. وذكرنا الأحاديث المتعلقة بذلك هنالك. وأن هؤلاء النفر كانوا من جن (نصيين) وفي بعض الآثار من جن (بصري) وأنهم مروا برسول الله ﷺ وهو قائم يصلي بأصحابه يبطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا لقراءته. ثم اجتمع بهم النبي ﷺ ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال: «كلم عظم ذكر اسم الله عليه تجودونه أوفر ما يكون لحماً وكل روثه علف للدوابكم» [مسلم: ٤٥٠] ونهى النبي ﷺ أن يستحي بهما وقال «إنهما زاد إخوانكم الجن». ونهى عن البول في السرب لأنها مساكن الجن [أبو داود: ٢٩]. وقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة الرحمن فما جعل يمر فيها بآية «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» إلا قالوا: ولا شيء من الآلات ربنا نكذب فلك الحمد. وقد أثنى عليهم النبي ﷺ في ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا. فقال: «الجن كانوا أحسن منكم رثاً ما قرأت عليهم» «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» إلا قالوا: ولا شيء من الآلات ربنا نكذب فلك الحمد». رواه الترمذي (٢٢٩١) عن جابر وابن جرير (تفسير الطبري: ١٢٤/٢٧) والبزار (كشف الاستار: ٢٢٦٩) عن ابن عمر.

١٧- الخلاف في جزاء مؤمن الجن

وقد اختلف في مؤمن الجن هل يدخلون الجنة؟ أو يكون جزاء طاعتهم أن لا يعذب بالنار قطاً.

على قولين: الصحيح أنهم يدخلون الجنة لعموم القرآن. ولعموم قوله تعالى: «وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» [الرحمن: ٤٦-٤٧]

فأمن تعالى عليهم بذلك، فلو لا أنهم يتأولونه لما ذكره وعده عليهم من النعم. وهنا وحده دليل مستقل كاف في المسألة والله أعلم.

وقال البخاري: [٣٢٩٦] حدثنا قتيبة عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه: أن أبا سعيد الخدري قال له: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»

قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ. انفرد به البخاري دون مسلم.

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس علو آدم أبي البشر وقد سلطه هو وفرته على آدم وفرته. وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم. كما قال: «إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا» [الإسراء: ٦٥]

وقال تعالى: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِمْ بِآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ» [سج: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: «وَمَا يَنْبِي أَدَمَ لَا يَفْتِنُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنْ جَعَلَ الشَّيَاطِينُ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٧]

وقال: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْتَنْوٍ. فَوَازَا سَوِيَّهُ وَنَعَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ

وقال: أما لئن سلطت عليك لأهلكك ولئن سلطت علي لأعصينك، فلما أن نفخ الله في آدم من روحه، كما سيأتي، وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ في قوله وابتعد من رحمة ربه وأنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لأنه مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه في أحوج ما كان إليه ورجع إلى أصله الناري «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» [ص: ٧٣-٧٤]

وقال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَتَتَّبِعُونَهُ وَغَرِبَتْهُ أُولِيَاءُ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِشَرٍّ لِلظَّالِمِينَ بَذَلًا» [الكهف: ٥٠]

فأبطل إبليس من اللأ الأعلى وحرم عليه قدر أن يسكنه فنزل إلى الأرض حقيراً ذليلاً مذلولاً مدحوراً متوعداً بالنار هو ومن اتبعه من الجن والإنس إلا أنه مع ذلك جامد كل الجهد على إضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال: «قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُخَيَّرَنَّ مِنْهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ أَهْلًا فَتَكُونُنِي أَهْلًا مِنْهُمْ أَوْ هُمْ قَبْلُ مِنْكُمْ وَأَنْ تَبْقَى وَرَبِّكَ أَهْلًا وَتَكُونَ مِنَ الْخَالِفِينَ» [الشعراء: ٦٢-٦٥]

وسنذكر القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام. والمقصود أن الجن خلقوا من النار وهم كبني آدم يأكلون ويشربون ويتسألون. ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم في سورة الأحقاف في قوله تعالى: «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُبْشِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاجْبُوا بِرِغْبَائِهِمْ لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَبِحُجْرَتِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ. وَمَنْ لَا يُجِبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» [الأحقاف: ٢٩-٣٢]

وقال تعالى في سورة الجن: «قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآتَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا. وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَلِمًا. وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ قَرَأُواهُمْ رَهَقًا. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْتَظِرَ اللَّهُ أَحَدًا. وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ إِلَّا نَجِدَ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا. وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَزَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا. وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقِينَ قَدَخًا. وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنْجِزَهُ هَرَبًا. وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا النَّهْيَ آتَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا. وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا. وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا. وَالَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا. لِنَنْفِثَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا» [الجن: ١-١٧]

بن زيد عن أبي نصره، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على الماء أو قال: على البحر حوله حيات قال ﷺ: «ذاك عرش إبليس»، هكذا رواه في مسند جابر. وقال في مسند أبي سعيد [٩٧/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنبأنا علي بن زيد عن أبي نصره، عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لابن صائد: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على البحر حوله الحيات. فقال رسول الله ﷺ: «صدق ذلك عرش إبليس»
وروى الإمام أحمد [٣٥٤/٣، ٣٦٦] من طريق مازع التميمي وأبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد يشن أن يعبد المصلون ولكن في التحريش بينهم».

وروى الإمام مسلم [٢٨١٣] من حديث الأعمش عن أبي سفيان، طلحة بن نافع، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس فآفرهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة. يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركه وهو يقول كذا وكذا. فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركه حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقره ويذنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت».

يروي بفتح التون بمعنى نعم أنت ذاك الذي تستحق الإكرام. ويكرها أي: نعم منك.
وقد استدل به بعض النحاة على جواز كون فاعل نعم مضمرًا وهو قليل. واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الأول ورجحه ووجهه بما ذكرناه والله أعلم.
وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿مَا يَقْرَفُونَ فِي بيْنِ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]

يعني أن السحر المتلقى عن الشياطين من الإنس والجن يتوصل به إلى التفرقة بين المتكلمين غاية التألف المتوادرين المتحابين ولهذا يشكر إبليس سعي من كان السبب في ذلك. فالذي ذمه الله يمدحه والذي بغضب الله يرضيه عليه لعنة الله.

١٩- شر الشياطين

وقد أنزل الله عز وجل سورتي المعوذتين مطردة لأنواع الشر وأسبابه وغايته. ولا سيما سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. وثبت في الصحيحين عن أنس (هو عند مسلم [٢١٧٤]) ولم يخرجه [خ].

وفي صحيح البخاري [٢٠٣٥] عن صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي [٤٣٠١]: حدثنا محمد بن بحر، حدثنا علي بن أبي عمارة، حدثنا زياد النميري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسي اتقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس».

ولما كان ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكير للناسي كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]
وقال فتى موسى ﴿وَمَا أَنَسَايَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَ﴾ [الكهف: ٦٣]
وقال تعالى: ﴿فَأَنسَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢] يعني الساقى لما

الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْتَمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَافٍ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا سِوَنِي. قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَتَّبِعَنَّكَ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ. [الحجر: ٢٨ - ٤٤]

وقد ذكر تعالى هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وههنا وفي سورة سبحان وفي سورة طه وفي سورة ص. وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضعه في كتابنا التفسير والله الحمد. وسنوردها في قصة آدم إن شاء الله. والمقصود أن إبليس أنظره الله وأخره وأمره الله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختباراً منه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِي بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾. [ص: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَا بِمُصْحَفِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْحَفٍ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَذُوقُونَ فِيهَا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ يُحِبُّونَهَا فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢ - ٢٣].

١٨- عرش إبليس

فإبليس لعنه الله حي الآن منظر إلى يوم القيامة بنص القرآن. وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبحث سراياه بلقون بين الناس الشر والفتن. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦] وكان اسمه قبل معصيته العظيمة: عزازيل.

قال الفناش: وكنيته (أبو كردوس) ولهذا ما قال النبي ﷺ لابن صياد: «ما ترى؟» قال أرى عرشاً على الماء فقال له النبي ﷺ: «أخساً فلن تعدوا قدره» [خ (١٣٥٤)، م (٢٩٢٥)، م (٢٩٣٠)] تعرف أن مادة مكاشفته التي كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر. ولهذا قال له: «أخساً فلن تعدوا قدره» أي: لن تجاوز قيمتك الدينية الخسيسة الحقيرة.

والدليل على أن عرش إبليس على البحر الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٣٥٤/٣]: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني مازع التميمي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عرش إبليس في البحر يبعث سراياه في كل يوم يقتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس».

وقال أحمد [٣٨٤/٣]: حدثنا روح، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة» نرد به من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٨٨/٣]: حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، حدثنا علي

قال له يوسف ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ نسي الساقى أن يذكره لربه يعني مولاه الملك. وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف في السجن بضع سنين. ولهذا قال بعده: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يوسف: [٤٥]

أي؛ تذكر قول يوسف له: اذكرني عند ربك. بعد مدة. وقرأ: «بعد أمه» أي: نسيان. وهذا الذي قلنا من أن الناسي هو الساقى هو الصواب من القولين كما قررناه في التفسير والله أعلم.

قال الإمام أحمد [٥٩/٥]: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم سمعت أبا عبيدة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال: عثر بالنبي ﷺ حماره فقلت: تمس الشيطان فقال النبي ﷺ: «لا تقل تمس الشيطان فإنك إذا قلت تمس الشيطان تعظم» وقال: بقوتي صرعت وإذا قلت: باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب. تفرد به أحمد وهو إسناد جيد.

وقال أحمد [٣٣٠/٢]: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحذركم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس به كما أبس الرجل بدابته فإذا سكن له نقه أو الجمه». قال أبو هريرة وأتمت ترون ذلك.

أما الزنوق فتراه مثلاً كنا لا يذكر إلا الله. وأما الملجم ففاته لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد [٤٣٩/٢]: حدثنا ابن غير حدثنا ثور، يعني ابن يزيد، عن مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم».

وقال الإمام أحمد [٢٣٥/١]: حدثنا وكيع عن سفيان، عن منصور، عن ذر بن عبد الله الهملاني، عن عبد الله بن شداد، عن ابن عباس قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشيء لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به» فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة».

ورواه أبو داود [٥١١٢] والنسائي [كبرى: ١٠٥٠٤، ١٠٥٠٥] من حديث منصور؛ زاد النسائي والأعمش: كلاهما عن أبي ذر به.

وقال البخاري: [٣٢٧٦] حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إني الشيطان أحذركم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله وليته». وهكذا رواه مسلم [١٣٤] من حديث الليث ومن حديث الزهري وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا فَإِذَا هُم مَّبْصُورُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [الواسع: ٩٧-٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا يَتَخَفَتُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ يَسْأَلُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾. [الفعل: ٩٨-١٠٠]

وروى الإمام أحمد [٥٠٣] وأهل السنن [٧٧٥]، ت [٢٤٢] من حديث أبي المتوكل عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «أعوذ

بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفسه». وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وأبي أمامة الباهلي [أحد (٨٠/٤)، د (٧٦٤) و (٧٦٥)، ج (٨٠٧) من رواية جبير، وأخرجه من رواية ابن مسعود: أحد (٤٠٣/١)، ج (٤٠٤)، ج (٨٠٨)، ومن رواية أبي أمامة: أحد (٢٥٣/٥).

وتفسيره في الحديث قال: «فهزمه الموتة وهو الحق الذي هو الصرع. ونفخه الكبر. ونفثه الشر».

وثبت في الصحيحين [ج (١٤٢) و (٦٣٢٢)، م (٣٧٥)] عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلا قال: «أعوذ بالله من الخبث والخبائث».

قال كثير من العلماء: استعاذ من ذكران الشياطين وإناتهم وروى الإمام أحمد [٣٧١/٢] عن سريح عن عيسى بن يونس، عن ثور، عن الحصين عن أبي سعد الخير وكان من أصحاب عمر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى الغائط فليستر فإن لم يجد إلا أن يجمع كتيلاً فليستبره، فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج». ورواه أبو داود [٣٥] وابن ماجه [٣٣٧] من حديث ثور بن يزيد به.

وقال البخاري [٦١١٥]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش، عن عدي بن ثابت قال: قال سليمان بن صرد: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس فجعل أحدهما يسب صاحبه مغضباً قد أهر وجهه فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ فقال: إني لست بمجنون. ورواه أيضاً مسلم [٢٦١٠] وأبو داود [٤٧٨١] والنسائي [كبرى (١٠٢٤) و (١٠٢٥)] من طرق عن الأعمش.

وقال الإمام أحمد [٨٠/٢]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله». وهذا على شرط الصحيحين بهذا الإسناد وهو في الصحيح [م (٢٠١٩) و (٢٠٢٠)] من غير هذا الوجه.

وروى الإمام أحمد [٧٧/٦] من حديث إسماعيل بن أبي حكيم، عن عروة، عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان».

وقال الإمام أحمد [٣٠٣/١]: حدثنا محمد بن جعفر، أنبأنا شعبة عن أبي زياد الطحان، سمعت أبا هريرة يقول عن النبي ﷺ: أنه رأى رجلاً يشرب قائماً فقال له: «ه» قال: لم؟ قال: «أيسرك أن يشرب معك الهر؟» قال: لا قال: «فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان». تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أيضاً [٢٨٣/٢]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن رجل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء».

قال: وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثل حديث الزهري.

وقال الإمام أحمد [٣٤٦/٣]: حدثنا موسى، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، أنه سأل جابرأه سمعت النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر

الشیطان ما رزقنا، فرزقا ولداً لم يضره الشيطان».

وقال البخاري [٣٢٩٩]: حدثنا إسماعيل، حدثنا أخشي عن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد: يضرب على كل عقدة مكانه عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه.

وقال البخاري [٣٢٩٥]: حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثني ابن أبي حازم، عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن محمد بن إبراهيم، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فترضاً فليستثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه»

ورواه مسلم [٢٣٨] عن بشر بن الحكم عن الدراودي.

والنسائي [٩٠] عن محمد بن زنبور، عن عبد العزيز بن أبي حازم، كلاهما عن يزيد بن الهاد به.

وقال البخاري [٣٢٧٠]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: «ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه» أو قال «في أذنه».

ورواه مسلم [٧٧٤] عن عثمان وإسحاق كلاهما عن جرير به.

وأخرجه البخاري [١١٤٤] أيضاً والنسائي [كبرى: ١٣٠٢] وابن ماجه [١٣٣٠] من حديث منصور بن المعتمر به.

وقال البخاري [٣٢٨٥]: حدثنا محمد بن يوسف، أنبأنا الأوزاعي، عن يحيى ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضي أقبل حتى يحيط بين الإنسان وقلبه. فيقول: أذكر كذا وكذا حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يسدر أثلاثاً صلى أم أربعاً سجد سجدي السهو».

هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [١٥٤/٣]: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا جعفر، يعني الأحمر، عن عطاء بن السائب، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «راصوا الصفوف فإن الشيطان يقوم في الخلل». وقال أحمد [٢٩٠/٣]، [٢٨٣]: حدثنا عفان، حدثنا أبان، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان يقول «راصوا صفوفكم وقاربوا بينهم وحاذاوا بين الأعناق فوالذي نفس محمد بيده إنني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف»

وقال البخاري [٣٢٧٤]: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا يونس، عن حميد بن هلال، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنه، فإن أبى فليمنه، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان».

ورواه أيضاً مسلم [٥٠٥] وأبو داود [٧٠٠] من حديث سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال به.

وقال الإمام أحمد [٨٣/٨٢/٣]: حدثنا أبو أحمد، حدثنا مسرة بن معبد، حدثنا أبو عبيد صاحب سليمان قال: رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي، فذهب أمر بين يديه فردني.

ثم قال: حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام يصلي

اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان: لا ميت لكم ولا عشاء ههنا. وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركم الميت. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركم الميت والعشاء قال: نعم».

وقال البخاري [٣٢٧٢]: حدثنا محمد، حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني الشيطان» أو «الشياطين» لا أدري أي ذلك قال هشام.

ورواه مسلم [٨٢٨] و[٨٢٩] والنسائي [٥٧٠] وفي الكبرى [١٥٥٠] من حديث هشام به.

وقال البخاري [٣٢٧٩]: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: «ها إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع قرن الشيطان» هكذا رواه البخاري منفرداً به من هذا الوجه.

وفي السنن [د (٤٨٢١) و(٤٨٢٢)]، ج (٣٧٢٢) أن رسول الله ﷺ نهى أن يجلس بين الشمس والظل.

وقال: «إنه مجلس الشيطان» واحد [٤١٣/٣]، ج (٣٧٢٢).

وقد ذكروا في هذا معاني. من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة فيما يرى كان يحبه الشيطان لأن خلقته في نفسه مشوّهة وهذا مستقر في الأذهان. ولهذا قال تعالى: «طَلَعُوا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» [الصافات: ٦٥] الصحيح أنهم الشياطين لا ضرب من الحيات كما زعمه من زعمه من المفسرين والله أعلم. فإن النفوس مغرور فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملائكة وإن لم يشاهدوا. ولهذا قال تعالى: «طَلَعُوا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف «حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ» [يوسف: ٣١]

وقال البخاري [٣٢٨٠]: حدثنا يحيى بن جعفر، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا ابن جريج، أخبرني عطاء بن جابر، عن النبي ﷺ قال: «إذا استنجح» أو «كان جنح الليل فكفوا صياحتكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطعم مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاك واذكر اسم الله وخمر إناذك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً».

ورواه أحمد [٣١٩/٣] عن يحيى عن ابن جريج به؛ وعنده «فإن الشيطان لا يفتح مغلفاً».

وقال الإمام أحمد [٣٠١/٣]: حدثنا وكيع عن فطر عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أغلقوا أبوابكم وخمروا أتيكم وأوكموا أسقيتم وأطعموا سرجكم، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلفاً ولا يكشف غطاء ولا يحل وكاء، وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله» يعني الفارة.

وقال البخاري [٣٢٨٣]: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه».

وحدثنا الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله.

ورواه أيضاً [٣٢٧١] عن موسى بن إسماعيل، عن همام، عن منصور، عن سالم، عن كريب عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب

صحيحه [الإحسان: ٩٩٧] وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة الحمداني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن للشیطان ثمةً بابين آدم وللملك ثمة. فاما لمة الشيطان فإيعاذ بالشّر وتكذيب بالحق. واما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله. ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان». ثم قرأ «الشَّيْطَانُ يَعْزُّبُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْزُّبُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

وقد ذكرنا في فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه، وذكرنا في فضل آية الكرسي أن من قرأها في ليلة لا يقره الشيطان حتى يصبح.

وقال البخاري [٣٢٩٣]: حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، وعيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك».

وأخرجه مسلم [٦٦٩١] والترمذي [٣٤٦٨] وابن ماجه [٣٧٩٨] من حديث مالك. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال البخاري [٣٢٨٦]: أنبأنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ «كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب». تفرد به من هذا الوجه.

وقال البخاري [٣٢٨٩]: حدثنا عاصم بن علي، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «التأوُّب من الشيطان، فإذا تأوَّب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها. ضحك الشيطان».

ورواه أحمد [٤٢٨/٢] وأبو داود [٥٠٢٨] والترمذي [٢٧٤٧] وصححه النسائي [١٠٠٤٣] من حديث ابن أبي ذئب به.

وفي لفظ (مسلم [٢٩٩٤، ٢٩٩٥]) «إذا تشاء أحدكم فليكنظم ما استطاع، فإن الشيطان يدخل».

وقال الإمام أحمد [٢٦٥/٢]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العطاس ويغضب أو يكره التأوُّب فإذا قال أحدكم: هاها، فإنما ذلك الشيطان يضحك من جوفه».

ورواه الترمذي [٢٧٤٦] والنسائي [١٠٠٤٥] من حديث محمد بن عجلان به.

وقال البخاري [٣٢٩١]: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن أشعث، عن أبيه، عن مسروق قال: «قالت عائشة: سألت النبي ﷺ عن النضات الرجل في الصلاة فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم».

وكذا رواه أبو داود [٩١٠] والنسائي [١١٩٥] من رواية أشعث بن أبي الشعثاء سليم بن أسود المخاري عن أبيه، عن مسروق به.

وروى البخاري [٣٢٩٢] من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، حدثني عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلمًا يخافه

صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتتست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتموني وإليس فأهويت بيدي فما زلت أختقه حتى وجدت برد لثامه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يجول بينه وبين القبلة أحد فليفعل».

وروى أبو داود [٦٦٩١] منه «فمن استطاع» إلى آخره عن أحمد بن أبي سريح، عن أبي أحمد محمد بن عبد الله بن الزبيري به.

وقال البخاري [٣٢٨٤]: حدثنا محمود، حدثنا شبابة، حدثنا شعبه، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة الصبح فقال: «إن الشيطان عرض لي فشدت علي قطع الصلاة علي فأمكنني الله منه» فذكر الحديث.

وقد رواه مسلم [٥٤١] والنسائي [١١٤٤٠] من حديث شعبه به مطولاً.

ولفظ البخاري [٤٨٠٨] عند تفسير قوله تعالى إخبارا عن سليمان عليه السلام أنه قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِّي لَأَخِي مِنْ بَغْيِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» [ص الآية ٣٥] من حديث روح وغندر، عن شعبه، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة أو - كلمة نحوها - «ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتظنوا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِّي لَأَخِي مِنْ بَغْيِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» قال روح فرده خاسئاً.

وروى مسلم [٥٤٢] من حديث أبي إدريس عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعتاه يقول: «أعوذ بالله منك» ثم قال: «العنك بلعنة الله» ثلاثاً. وسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يداك فقال: «إن علو الله إيليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات. ثم قلت: «العنك بلعنة الله التامة. فلم يستأخر ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة».

وقال تعالى: «فَلَا تَعْرُكُكُمْ الْخَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» [هجم: الآية ٣٣] يعني الشيطان

وقال تعالى: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَنُودٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» [فاطر: الآية ٦] فالشيطان لا يالك الإنسان خبالاً جهده وطاقته في جميع أحواله وحرركاته وسكناته، كما صنف الحفاظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً في ذلك سماه مضائد الشيطان وفيه فوائد جمة. وفي سنن أبي داود [١٥٥٢] أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه: «وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت».

ورويت في بعض الأخبار [مسند أحمد: ٢٩/٣، ٤١] أنه قال: «يا رب وعزتك وجلالك لا أزال اغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

وقال الله تعالى: «الشَّيْطَانُ يَعْزُّبُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعْزُّبُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [الفرقة: ٢٨٦] فوعد الله هو الحق المصدق ووعد الشيطان هو الباطل.

وقد روى الترمذي [٢٩٨٨] والنسائي [١١٠١٥] وابن حبان في

فليصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره».

وقال الإمام أحمد [٣١٧/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسيَنَّ أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار».

أخرجاه [خ (٢٠٧٢)، م (٢٦١٧)] من حديث عبد الرزاق.

٢٠- رَجُمُ الشَّيَاطِينِ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]
وَقَالَ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ. وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُرَادٍ. لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى. وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خُطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ﴾ [الصافات: ٩-١٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ. إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ فَيَهَابُ
مُئِينَ﴾ [الحجر: ١٦-١٨]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَزَلَّتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ، وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ (الشعراء: ٢١٠، ٢١١)

وقال تعالى إخباراً عن الحان: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ خَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا. وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْهَابًا وَرُصْدًا﴾ [الحن: ٩١٨].

وقال البخاري [٣٢٨٨]: وقال الليث: حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، أن أبا الأسود أخبره عن عروة، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «الملانكة تحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزبدون معها مائة كلمة». هكذا رواه في صفة إبليس معلقاً عن الليث به.

ورواه في صفة الملائكة [٣٢١٠] عن سعيد بن أبي مریم، عن الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة بنحوه.

تفرد بهذين الطريقين دون مسلم.

وروى البخاري في موضع آخر [٧٥٦١] ومسلم [٢٢٢٨] من حديث الزهري عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: (قالت عائشة: سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال: «إنهم ليسوا بشيء». فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بشيء. فيكون حقاً فقال ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطئها من الجني يُكفرُ قُرْعُها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخطلون معها أكثر من مائة كذبة». هذا لفظ البخاري.

وقال البخاري [٢٨٠٠]: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاتاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان. فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟» قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع. ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض».

ووصف سفيان بكفه فحرفها ويد بين أصابعه. «فيسمع الكلمة فليقها

إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن. فرميا أدرك الشهاب قبل أن يلقها، وربما القاهها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: ليس قد قال لنا يوم كنا وكنا: كنا وكنا. فيصلق تلك الكلمة التي سمعت من السماء، انفراد به البخاري.

٢١ - القرين

وروى مسلم [٢٢٢٩] من حديث الزهري عن علي بن الحسين زسر
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْشِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصْلُونَهُمْ مِنَ السَّيْلِ وَيَخْشَوْنَ أَنَّهُمْ مُهْتَكُونَ. خَشِيَ إِذَا
جَاءَهُمْ قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْفَرِيقَ﴾ (الزعرف:
[٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لَهُمْ فَايِّنْ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلَقْنَاهُمْ﴾ [هملت: ٧٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْنَاهُ إِنَّكَ لَنذِيرُ الْعَالَمِينَ﴾ وَلَكِنْ كَأَن فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَنِي وَفَدَّ قُلْتُ إِلَيْكُمْ بِالْعُرَيْدِ. مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَنِي وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعُرَيْدِ ﴿٢٧-٢٩﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ وَسَخَّرْنَا لِقَوْمِهِمُ الْمَاءَ يَنْفُورُونَ وَلِيُصْغِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَةً الْفَجَّانِينَ لَا يَأْمُرُ بِالْجَبْرِ وَالْجَبْرُ ضَرْبُ النَّفْثِ يَقْرَأُوا مَا هُمْ مُقْتَرَفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣]

وَقَدْ قَدِمْنَا فِي صَفَةِ الْمَلَائِكَةِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ [٣٨٥/١] وَمُسْلِمٌ [٢٨١٤]

من طريق منصور عن سالم بن أبي الجعد، عن أبيه، واسمه رافع، عن ابن
سعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به
رجله من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال:
«وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير».

وقال الإمام أحمد (٢٥٧/١): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن قابوس عن أبيه، واسمه حصين بن جندب. وهو أبو غزيان الجني، عن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم ولكن الله يعانني عليه فأسلم». تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد [١١٥/٦] حدثنا هارون، حدثنا عبد الله بن وهب،
خبرني أبو صخر، عن يزيد بن قسيط حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن
ناشئة زوج النبي ﷺ حدثته «أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً
فغرت عليه، قالت: فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «لعلك يا عائشة
فغرت؟» قالت: فقلت: وما لي أن لا يغاز مثلي على مثلك! فقال رسول
الله ﷺ «أفأخذك شيطانك» قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال:
«نعم». قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم». قلت: ومعك يا رسول الله؟
قال: «نعم»، ولكن ربي أعاني عليه حتى أسلم». وهكذا رواه مسلم
[٢٨١٥] عن هارون وهو ابن مسعود الأيلي، بإسناده نحوه.

وقال الإمام أحمد (٣٨٠/٢): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن طيبة عن
 رسي بن وردان، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن ليضي
 يطانه كما يضي أحدكم بعيره في السفر».

فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه.

٢٢- غواية الشياطين

وقوله تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿قَالَ قَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا يَنْتَهُمُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

قال الإمام أحمد [٤٨٣/٣]: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عقيل هو عبد الله بن عقيل الثقفي، حدثنا موسى بن المسيب، عن سالم بن أبي الجعد، عن سيرة بن أبي فاكه، قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك؟ قال: «فصاه وأسلم» قال: «وقعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماؤك، وإنما مثل المهاجر كالفارس في الطول. فعصاه وهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال، فقال: أتقاتل فتقتل فتكبح المرأة ويقسم المال؟» قال: «فصاه وجاهد». قال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك منهم كان حقاً على الله أن يدخله الجنة. وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن كان غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة».

وقال الإمام أحمد [٢٥/٢]: حدثنا وكيع، حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري، حدثني جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، سمعت عبد الله بن عمر يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

قال وكيع: يعني الحسف.

ورواه أبو داود [٥٠٧٤] والنسائي [٥٥٤٤، ٥٥٤٥] وابن ماجه [٣٨٧١] وابن حبان [الإحسان: ٩٦١] والحاكم [المستدرک: ٥١٧/١] من حديث عبادة بن مسلم به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

عَلَوْ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَٰلُو وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَتَتَنَاقَشُ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَبَيْنَهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥-١١﴾ [الأعراف: ٢٥-١١].

١- خلق آدم عليه السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَرِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُوهُ بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَازْلَهَمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَٰلُو وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَتَتَنَاقَشُ إِلَى حِينٍ. فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩، ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَبِيرًا وَرِثَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمُوتُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْتَدِلَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مُذْهَبًا مَلْهُورًا لَمَسَ نَبْعًا يَنْبَعُ مِنْهُ لَمَلٌ لَاحِلٌ عَنْ يَمِينِكُمْ أَجْمَعِينَ. وَبَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ تَمَلَّكَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سُرَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سُرَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا

كما قال في الآية الأخرى ﴿وَبَيْنَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَفِيهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ. وَالْجِبَالِ خَلْقَانَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُومِ. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ. فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَاسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ. قَالَ فَادْخُلْ فِيهَا مِنْكَ رَجِيمٌ. وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمُوتُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعْتُمْ مِنَ الْغَايِبِينَ. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مُقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٢٦، ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا. قَالَ أَأَتَايَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُ عَلَيْ لَيْسَ آخِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخِيكَ ذُرِّيَّةً إِلَّا قَلِيلًا. قَالَ ادْخُلْ فِيهِمْ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مُؤَفَّورًا. وَاسْتَغْفِرْ مِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْهُمْ بِصُورِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجِّلْ فِيهِمُ الْغُلَامَ وَالْأُنثَى وَالْأُنثَى وَمَا يَخْدَعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ - ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَتَسْتَبْدِلُونَ ذُرِّيَّتَهُ أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِئِهِ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى. فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لََّا يَبُلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سُرَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ ابْجَأَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَٰلُو فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خِيفَةَ وَلَا يَحْزَنَ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى﴾ [طه: ١١٥، ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي عَظِيمٌ. أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ. مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما ونظر الأقوال كلها «فسر الطبري»: [٢١٥/١، ٢١٦].

وذكر البخاري [٤٤٧٦] هنا ما رواه هو ومسلم [١٩٣] من طريق سعيد وهشام عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «يُجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأمسك لك ملائكة وعلمك أسماء كل شيء» وذكر غمام الحديث.

ثم عرضهم على الملائكة «فَقَالَ ابْنُوْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُتِمَ صَاقِقُونَ» [البقرة: ٣١].

قال الحسن البصري: لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة: لا يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا وذلك قوله «إِنْ كُتِمَ صَاقِقُونَ» [البقرة: ٣١].

وقيل غير ذلك كما بسطناه في التفسير [١٠٥/١].

قالوا: «سَبَّحْتَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» [البقرة: ٣٢] أي سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك

كما قال «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» [البقرة: ٢٥٥]

«قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُكُونُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» [البقرة: ٣٣] أي: أعلم السر كما أعلم العلانية.

وقيل: إن المراد بقوله: «وَأَعْلَمُ مَا تُكُونُونَ» ما قالوا: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» فهذا ما أبدوه [البقرة: ٣٠] ويقول: «وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» المراد بهذا الكلام إيليس وما أسره وكنمه في نفسه من الكبر والعداوة لأدم عليه السلام، قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير [فسره: ٢٢٢/١].

وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة «وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» قولهم لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه.

قوله «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ» [البقرة: ٣٤] هذا إكرام عظيم من الله تعالى لأدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» [الحجر: ٢٩].

فهذه أربع تشریفات: خلقه له يديه الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمره الملائكة بالسجود له، وتعليمه أسماء الأشياء.

ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإليه في الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتي «أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمسك لك ملائكة وعلمك أسماء كل شيء». وهكذا يقول له أهل الحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال في الآية الأخرى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ» قال ما مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْنَاكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» [الأعراف: ١١-١٢]

قال الحسن البصري: قاس إيليس وهو أول من قاس.

وقال محمد بن سيرين: أول من قاس إيليس وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالقائيس. رواهما ابن جرير [فسره: ١٣١/٨].

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه

وخلقته من طين. قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَنَازِلَ رَجِيمٌ. وَإِنْ عَلَيْكَ لَنُتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَرْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ فَبَرِّزْتُكَ لِأَعْرِيتَهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ. لِأَنَّا لَأَجْمَعُهُمْ مِنْكَ وَمِمَّنْ يَبْغِي مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ. قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [ص: ٦٧ - ٨٨].

فهنا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن. وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير.

ولنذكر هنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ والله المستعان.

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» [البقرة: ٣٠] أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ» [الأنعام: ١٦٥] وقال: «وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» [النمل: ٦٢] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتقصص لبني آدم والخسد لهم كما قد يتوهمه جهلة المفسرين. قالوا «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ» [البقرة: ٣٠] قيل: علموا أن ذلك كان بما راوا عن كان قبل آدم من الجن والبن؛ قاله قتادة [عبد الرزاق في فسره: ٢٢/١].

وقال عبد الله بن عمرو: كانت الجن والبن قبل آدم بالتفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جنودا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور [ابن أبي حاتم في فسره: ١٠٩/١]. وعن ابن عباس نحوه [الحاكم في المستدرک: ٢٦١/٢].

وعن الحسن الهمو ذلك.

وقيل: لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ قليل: اطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له: السجل. رواه ابن أبي حاتم [فسره: ١١٢/١] عن أبي جعفر الباقر.

وقيل: لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا ما يكون بهذه المثابة غالبا «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» [البقرة: ٣٠] أي تعبدك دائما لا يعصيك منا أحد. فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فيها نحن لا نفر ليلا ولا نهارا.

«قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٣٠] أي: أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون، أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» [البقرة: ٣١].

قال ابن عباس: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبيل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وفي رواية: علمه اسم الصفحة والقدر حتى الفسوة والفسية [ابن أبي حاتم في فسره: ١١٥/١، فسره الطبري: ٢١٥/١].

وقال مجاهد: علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء.

وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد.

وقال الربيع: علمه أسماء الملائكة.

وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته.

والصحيح أنه علمه أسماء النوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما

أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود.

والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار. ثم هو فاسد في نفسه، فإن الطين أنفع وخير من النار؛ لأن الطين فيه الرزاة والحلم والأناسة والنمو؛ والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق.

ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه؛ ولهذا أمر الملائكة بالسجود له كما قال ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٢٨-٣٥].

استحق هذا من الله تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراؤه به وترفعه عليه بخلافه الأمر الإلهي ومعاندة الحق في النص على آدم على التبعين وشرح في الاعتذار بما لا يجدي عنه شيئاً، وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى في سورة سبأ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا. قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُخَيِّرَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا. قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مُّوَفَّوْرًا. وَاسْتَغْرَزَ مِنَ اسْتَعْظَمَ مِنْهُمْ بَصُورَكَ وَاجْلَبِ عَلَيْهِمْ بَخِيلَكَ وَزَجَلَكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْنَهُمْ وَمَا يَعْلَمُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١-٦٥].

وقال في سورة الكهف ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] أي خرج عن طاعة الله عبداً وعناداً واستكباراً عن امتثال أمره، وما ذاك إلا لأنه خاتمه طبعه ومادته النارية الخبيثة أخرج ما كان إلهياً، فإنه خلق من نار كما قال: وكما قلنا في «صحيح مسلم» [٢٩٩٦] عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»

وقال الحسن البصري: لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط.

وقال شهر بن حوشب: كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جنناً من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس عن أسر فاخذوه معهم إلى السماء فكان هناك. فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه.

وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون. كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا.

قال ابن عباس: وكان اسمه عزازيل.

وفي رواية عنه: الحارث.

قال النقاش: وكنيته أبو كردوس.

قال ابن عباس: وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة، وكان من أولي الأجنحة الأربعة ففسخه الله شيطاناً رجيماً.

وقال في سورة ص ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا

مَعَكَ أَنْ سَجَدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنِ عَلَيَّ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا أَجَادَكَ يَوْمَهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ فَانْحَرْ وَالْحَقُّ أَقُولُ. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٧١-٨٥].

وقال في سورة الأعراف ﴿قَالَ فَمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [١٦٦-١٧٠] أي بسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم كل مرصد ولآتينهم من كل جهة منهم، فالسعيد من خالفه والشقي من اتبعه.

كما قال الإمام أحمد [٤٨٣/٣]: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عقيق، هو عبد الله بن عقيق الثقفي، حدثنا موسى بن المسيب، عن سالم بن أبي الجعد، عن سيرة بن أبي الفاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم باطرقه» وذكر الحديث كما قعدناه في صفة إبليس.

وقد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم.

أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات؟ وهو قول الجمهور.

أو المراد بهم ملائكة الأرض. كما رواه ابن جرير [١٨٥/٢٣] من طريق الضحاك عن ابن عباس. وفيه انقطاع. وفي السياق نكارة وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه، ولكن الأظهر من السياقات الأول ويدل عليه الحديث «وأسجد لك ملائكة» [م (٢٦٥٢)] وأصله عند البخاري [٣٤٠٩].

وهذا عموم أيضاً والله أعلم.

وقوله تعالى لإبليس «فأقبط منها» [الأعراف: ١٣] و«أخرج منها» [الأعراف: ١٨] دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من المنزل والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فأقبط إلى الأرض مذموراً مدحوراً.

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجه الجنة فقال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال في الأعراف: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُورًا مُّذْخَرًا لِّمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ. وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٨-١٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَزَوْجُكَ فَلَا يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَقْسِفَ. إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ﴾ [ص: ١١٦-١١٩].

وسياق هذه الآيات يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وهذا قد صرح به ابن إسحاق بن يسار وهو ظاهر هذه الآيات.

ولكن حكى السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس. وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يعيش فيها وحشاً ليس له فيها زوج يسكن

وأبي مالك عن ربي عن حنيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم» وذكر الحديث بطوله. وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر.

وقال آخرون: بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة؛ ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها، وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى.

وهذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في «المعارف» [ص ٥١] والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره، وأورد له مصنفاً على حدة. وحكاة عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله. ونقله أبو عبد الله عماد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره «تفسير الرازي» [٣/٣] عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الأصهباني؛ ونقله القرطبي في تفسيره [٣٠٢/١] عن المعتزلة والقدريه.

وهذا القول هو نص السورة التي بأيدي أهل الكتاب وعن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في «الملل والنحل» [٨٢/٤] - [٨٣] وأبو محمد بن عطية في تفسيره [٢٣٦/١] وأبو عيسى الرمانى في تفسيره وحكى عن الجمهور الأول وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال: واختلف في الجنة التي أسكنها يعني آدم وحواء على قولين:

أحدهما أنها جنة الخلد.

الثاني: جنة أعداء الله لها وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها الله دار جزاء.

ومن قال بهذا اختلفوا على قولين:

أحدهما: أنها في السماء لأنه أمهطهما منها؛ وهذا قول الحسن.

والثاني: أنها في الأرض لأنه امتنحها فيها بالهي عن الشجرة التي نهاها دون غيرها من الثمار. وهكذا قول ابن جبير وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم، والله أعلم بالصواب من ذلك. هذا كلامه. فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة وأشعر كلامه أنه متوقف في المسألة.

ولهذا حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال: هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي. ورابعها الوقف ورجح القول الأول، والله أعلم. وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي.

وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا: لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والمبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قلدي لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْذُومًا مَسْخُورًا» [الأعراف: ١٨] وقال «فَنَاطِطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا» [الأعراف: ١٣] وقال: «فَنَاطِطُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» [طه: ٣٤] والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزل، وإيّا ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون بعد هذا في المكان الذي طرده عنه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز. قالوا: ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه

إليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة. خلقها الله من ضلعه. فسألها من أنت؟ قالت: امرأة قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي (تفسير الطبري: ٢٢٩/١). وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحماً.

ومصدق هذا في قوله تعالى: «وَبَايَعْنَا النَّاسَ انْقَرَأَ رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً» [النساء: ١] الآية.

وفي قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ خَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ» [الأعراف: ١٨٩] الآية (تفسير الطبري: ٢٢٤/٤، ٢٢٥) وستكلم عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفي الصحيحين (ج (٣٣٣١)، م (١٤٦٨)) من حديث زائدة عن مسرة الأشجعي، عن أبي حازم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً» لفظ البخاري.

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» [الأعراف: ١٩]

فقليل: هي الكرم.

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وجعدة بن هيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال: وتزعم يهود أنها الخنطة.

وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصري ووهب بن منه وعطية العوفي وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى.

قال وهب: والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وقال الثوري عن أبي حصين، عن أبي مالك «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» [الأعراف: ١٩] هي النخلة.

وقال ابن جريج عن مجاهد: هي التينة.

وبه قال قتادة وابن جريج.

وقال أبو العالية: كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينجس في الجنة حدث (تفسير الطبري: ٢٣١/١ - ٢٣٣).

وهذا الخلاف قريب. وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها. ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا ليعينا لنا كما في غيرها من المحال التي تبهم في القرآن.

وإنما الخلاف الذي ذكره في أن هذه الجنة التي أسكنها آدم: هل هي في السماء أو في الأرض هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه

والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» [البقرة: ٣٥] والآلف واللام ليست للمعوم ولا لمهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شعراً من جنة المأوى.

وتقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام «لَعَلَّكُمْ تَخْشَوْنَ» من الجنة الخلد كما سيأتي الكلام عليه [سبأ: ٥٧ - ٦٠].

وروي مسلم في صحيحه [١٩٥] من حديث أبي مالك الأشجعي، واسمه: سعد بن طارق، عن أبي حازم سلمة بن دينار، عن أبي هريرة

بقوله له ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلِكَ لَأَيْلَى﴾ (طه: ١٢٠).
ويقوله: ﴿مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَلَكَينَ أَوْ
تَكُونَ مِنَ الْخَالِئِينَ. وَتَأْتِسُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَوْنُ النَّاصِحِينَ. فَذَلَّاهُمَا
بَغْرُورٌ﴾ (الأعراف: ٢٠-٢٢) الآية
وهذا ظاهر في اجتماعهما في جهنهما.

وقد أجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل
المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لهما وهو على باب
الجنة أو من تحت السماء. وفي الثلاثة نظر. والله أعلم.

وما احتج به أصحاب هذه المقالة: ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في
الزيادات [١٣٦/٥] عن هبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن
الحسن البصري، عن عتي، هو ابن ضمرة السعدي، عن أبي بن كعب
قال: «إن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة، فانطلق بنوه ليطلبوه
له، فلقيتهم الملائكة فقالوا: أين تريدون يا بني آدم؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى
قطفاً من عنب الجنة. فقالوا لهم: أرجعوا فقد كفيتموه، فأتوها إليه فقبضوا
روحه وغسلوه وحفظوه وكفونوه وصلى عليه جبريل ونسوه خلف الملائكة
ودفنوه. وقالوا: هذه ستكم في موتاكم» وسيأتي الحديث بسنده. وقام لفظه
عند ذكر وفاة آدم عليه السلام.

قالوا: فلو لا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى
منها القطف عمنما لما ذهبوا يطلبون ذلك، فدل على أنها في الأرض لا في
السماء والله تعالى أعلم.

قالوا: والاحتجاج بأن الألف واللام في قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْهُ فَخُذُوا﴾ أنت
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥) لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهني
مسلم، ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام، فإن آدم خلق من الأرض ولم
ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض، وبهذا أعلم الرب
الملائكة حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)
قالوا: وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾
(الأنعام: ١٧) فالألف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظي، وإنما هي
للمعهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان.

قالوا: وذكر المبروط لا يدل على النزول من السماء بل هو كقوله
تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ﴾ (هود: ٤٨) الآية، وإنما كان في السفينة حين استقرت على
«الجودي» ونضب الماء عن وجه الأرض، أمر أن يهبط إليها هو ومن معه
مباركاً عليه وعليهم.

وقال الله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: ٦١)
الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنْهَاكُمَا عَنْ مِمَّا قَبَضْتُمَا مِنْ حَشَى الدَّوَى﴾ (البقرة: ٧٤) الآية.
وفي الأحاديث واللغة من هذا كثير.

قالوا: ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التي أسكنها آدم كانت مرتفعة
عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور
كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (طه: ١١٨) أي لا يذل
باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري.

﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَأُ﴾ (طه: ١١٩) أي لا يس باطنك حر
الظما ولا ظاهرك حر الشمس. ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما
بينهما من المقابلة.

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التي نهى عنها أهبط إلى

أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعي والتكد والابتلاء والاختبار
والامتحان واختلاف السكان ديناً وأخلاقاً وأعمالاً وقصوداً وإرادات
وأقوالاً وأفعالاً كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى
حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦) ولا يلزم من هذا أنهم كانوا في السماء كما قال تعالى:
﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِيَّ إِسْرَائِيلَ اسْكُنْ الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا
بِكُمُ لَافِيًا﴾ (الإسراء: ١٠٤) ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء.

قالوا: وليس هذا القول مفرعاً على قول من ينكر وجود الجنة والنار
اليوم ولا تلازم بينهما، فكل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر
الخلف ممن ثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات
والأحاديث الصحاح كما سيأتي إيرادها في موضعها، والله سبحانه وتعالى
أعلم بالصراب.

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ (البقرة: ٣٦) أي: عن الجنة
﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦) أي: من النعيم والنضرة والسرور
إلى دار التعب والكدر والتكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما
كما قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءٍ بَيْنَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِئِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠).

يقول: ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين أي: ولو أكلتما منها لصرنا كذلك

﴿وَتَأْتِسُهُمَا﴾ (الأعراف: ٢١) أي: حلف لهما على ذلك ﴿إِنِّي لَكُمَا
لَوْنُ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١) كما قال في الآية الأخرى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلِكَ لَأَيْلَى﴾ (طه: ١٢٠)

أي: هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما
أنت فيه من النعيم واستمرت في ملك لا يبعد ولا يتقصي؟ وهذا من
الغريز والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.

والمنقصد أن قوله «شَجَرَةُ الْخُلْدِ» التي إذا أكلت منها خلدت وقد
تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد [٤٦٦/٢]: حدثنا عبد الرحمن بن
مهدي، حدثنا شعبه، عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة يقول: قال
رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
يقطعها شجرة الخلد».

وكذا رواه أيضاً [٤٥٥/٢] عن غندر وحجاج عن شعبه.
ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده [٢٥٤٧] عن شعبه أيضاً به.

قال غندر: قلت لشعبة: هي شجرة الخلد؟ قال: ليس فيها هي. فنرد به
الإمام أحمد.

وقوله «فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْفَيَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَزَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٢٢)

كما قال في (طه: ١٢١) ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْفَيَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَزَقِ الْجَنَّةِ﴾ وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل
آدم وهي التي حَتَمَتْ على أكلها، والله أعلم.

وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري [٣٣٣٠]: حدثنا بشر بن
عمد، حدثنا عبد الله، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن
النبي ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم ينجس اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى
زوجها».

فنرد به من هذا الوجه وأخرجاه في الصحيحين [٣٣٩٩] م،

[١٤٧٠] من حديث عبد الرزاق عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، به.

ورواه أحمد [٣٠٤/٢، ٣١٥، ٣٤٩] ومسلم [١٤٧٠] عن هارون بن معروف، عن أبي وهب، عن عمرو بن حارث عن أبي يونس عن أبي هريرة به.

وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها، فاكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لإبليس، فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان، فوصلا من ورق التين وعملا مآزر.

وفيها: أنهما كانا عريانين.

وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نوراً على فرجه وفرجها [هـ] الطبري: [١٤٣/٨].

هذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيداً ولا يحيط علماً بفهم كتابه أيضاً؛ فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظاً ومعنى.

وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله ﴿يَتَزَيَّجُ عَنْهُمَا يَأْتِيهِمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] فهذا لا يرد لغيره من الكلام، والله تعالى أعلم.

وقال ابن أبي حاتم [١٢٩/١]: حدثنا علي بن الحسن بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ رَجُلًا طَوَالًا كَثِيرَ شَعْرِ الرَّاسِ كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ، فَلَمَّا ذَاقَ الشَّجَرَةَ سَقَطَ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَأَوَّلَ مَا بَدَأَ مِنْهُ عَوْرَتُهُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهِ جَعَلَ يَشْتَدُّ فِي الْجَنَّةِ فَأَخَذَتْ شَعْرَهُ شَجَرَةٌ فَتَزَعَّهَا فَنَادَاهُ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ مَتَى تَفْرُ؟ فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الرَّحْمَنِ قَالَ: يَا رَبِّ لَا، وَلَكِنْ اسْتِجِابًا».

وقال الثوري عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَطَافًا يَخْصِفَانِ عَلَيَّيْنِ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] قال: ورق التين [هـ] الطبري: [١٤٢/٨].

وهذا إسناد صحيح إليه، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك، وتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى أعلم.

وروى الحافظ ابن عساکر [إربع دمشق: ٤٠٤/٧] عن طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن ذكوان، عن الحسن البصري، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ آدَمَ كَانَ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ سَتِينَ فَرَأَاهُ كَثِيرَ الشَّعْرِ مَوَارِي الْعَوْرَةِ، فَلَمَّا أَصَابَ الْحَطِيطَةَ فِي الْجَنَّةِ بَدَتْ لَهُ سَوَاتُهُ فَخَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ فَلَقِيَتْهُ شَجَرَةٌ فَأَخَذَتْ بِنَاصِيَةِ فَنَادَاهُ رَبِّهِ: افْرَارًا مَتَى يَا آدَمُ؟ قَالَ: بَلْ حَيَاةً مِنْكَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا جِئْتُ بِهِ».

ثم رواه [إربع دمشق: ٤٠٥/٧] عن طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عُمَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ بنحوه.

وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبياً.

ثم أورده أيضاً [إربع دمشق: ٤٠٤/٧] عن طريق خيثمة بن سليمان الأطللسي، عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة العسقلاني، عن آدم بن أبي إياس، عن شيان، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً بنحوه.

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [الأعراف: ٢٢ - ٢٣]

وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنباء وتذلل وخضوع واستكانة وإلتفات إليه تعالى في الساعة الراهنة، وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وآخره.

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤] وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس قبل الحية معهم، أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعافين متحاربين.

وقد يشهد لذكر الحية معهما بما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات وقال: «ما سلطان من مذ حاربناهم» [جامع: ٢٣٠/١، ٢٤٧/٢، ٤٣٢، ٥٢٠، أبو داود (٥٢٤٨)].

وقوله في سورة طه: [١٢٣] ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ هو أمر لآدم وإبليس وما تناسل منهما عداوة مستمرة، واستتبع آدم حواء وإبليس الحية.

وقيل: هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَاوَدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]

والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال: ﴿وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وأما تكريره الإبطاء في سورة البقرة في قوله ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ. قُلْنَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ثَابِتٍ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِنَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٦ - ٣٩]

فقال بعض المفسرين: المراد بالإبطاء الأول: الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا.

وبالثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض. وهذا ضعيف لقوله في الأول ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فدل على أنهم اهبطوا إلى الأرض بالإبطاء الأول والله أعلم.

والصحيح أنه كرره لفظاً وإن كان واحداً وناط مع كل مرة حكماً فإط بالآول عداوتهم فيما بينهم، وبالثاني الاشرط عليهم أن من تبع هده الذي يتزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقي، وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم.

وروى الحافظ ابن عساکر [إربع دمشق: ٤٠٩/٧] عن مجاهد قال: أمر الله ملكين أن يخرجوا آدم وحواء من جوار، ففزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول: العفو العفو، فقال الله سبحانه: فراراً مني؟ قال: بل حياء منك يا سيدي

وقال الأوزاعي عن حسان، هو ابن عطية: «مكث آدم في الجنة مائة عام.

وفي رواية: ستين عاماً. وبكى على الجنة سبعين عاماً وعلى خطيئته سبعين عاماً وعلى ولده حين قتل أربعين عاماً» رواه ابن عساکر.

وقال ابن أبي حاتم (الفسر: ١/١٣٢): «حدثنا أبو زهرة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن سعيد، عن ابن عباس قال: أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال له: «دحنا» بين مكة والطائف».

وعن الحسن قال: «أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإيليس بدستيمان من البصرة على أميال وأهبط الحية بأصبهان».

رواه ابن أبي حاتم أيضاً (الفسر: ١/١٣٢).

وقال السدي: «نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود ويقبضة من ورق الجنة، فبته في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك» (فسر ابن أبي حاتم: ١/١٣٣).

وعن ابن عمر قال: «أهبط آدم بالصفاء وحواء بالمروة». رواه ابن أبي حاتم أيضاً (الفسر: ١/١٣١).

وقال عبد الرزاق (الفسر: ١/٤٣١ - ٤٤٠): قال معمر: أخبرني عوف عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري قال: «إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثمركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير».

وقال الحاكم في مستدركه (٢/٥٤٢): «أبانا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد بن النضر، عن معاوية بن عمرو عن زائدة، عن عمار بن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس»

ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ولي صحيح مسلم (٨٥٤) من حديث الزهري عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها»

وفي الصحيح من وجه آخر «فيه تقوم الساعة».

وقال أحمد (٢/٥٤٠): «حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن أبي عمار، عن عبد الله بن فروخ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة» وإسناده على شرط مسلم».

فأما الحديث الذي رواه ابن عساكر (٢/٤١٣) من طريق أبي القاسم البغوي:

«حدثنا محمد بن جعفر الوركاني، حدثنا سعيد بن مسيرة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة، فأصابه الحر حتى قعد يكي ويقول لها: يا حواء قد أذاني الحر! قال: فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج».

قال: «كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما باكلهما من الشجرة».

قال: «وكان كل واحد منهما ينام على حدة، ينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله».

قال: «وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاه جاءه جبريل فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة».

فإنه حديث غريب ورفعه منكر جداً. وقد يكون من كلام بعض السلف، وسعيد بن مسيرة هذا هو: أبو عمران البكري البصري. قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. وقال ابن عدي: مظلم الأمر

وقوله: «فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الشَّوَابُ الرَّحِيمُ» (البقرة ٣٧) قيل: هي قوله: «وَرَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الأعراف: ٢٣).

روي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فسر الطبري: ١/٢٤٣ - ٢٤٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب، حدثنا علي بن عاصم، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «قال آدم عليه السلام: أرايت يا رب إن نبت ورجعت أعاندي إلى الجنة؟ قال: نعم» فذلك قوله: «فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» (البقرة: ٣٧).

وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتاب علي إنك أنت التواب الرحيم» (فسر الطبري: ١/٢٤٤ - ٢٤٥).

وروي الحاكم في مستدركه (٢/٥٤٥) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس «فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» (البقرة: ٣٧).

قال: قال آدم: «يا رب ألم تخلفني بيدك. قيل له: بلى. ونفخت في من روحك؟ قيل له: بلى، وعطست فقلت: يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له: بلى، وكبت علي أن أعمل هذا؟ قيل له: بلى. قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم».

ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروي الحاكم أيضاً (الاستدراك: ٢/٦١٥) والبيهقي (الدلائل: ٥/٤٨٨) وابن عساكر (الأنبياء: ٧/٤٣٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي» فقال الله: «فكيف عرفت محمد؟ ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فأرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تنصف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

قال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم.

وهذه الآية كقولها تعالى: «وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ. ثُمَّ اجْبَأَ رَبُّهُ قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَذَىٰ» (طه: ١٢١-١٢٢).

٢- احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام

قال البخاري (٤٧٣٨): «حدثنا قتيبة، حدثنا أيوب بن النجار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «حاج موسى عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبيك وأشقيتهم. قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبعلمه»

أتولموني على أمر كبه الله علي قبل أن يخلقني أو قدره الله علي قبل أن يخلقني باربعين سنة، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» هكذا ثلاثاً.

قال سفیان: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله.

وقد رواه الجماعة (ج ٢٦١٤)، م (٢٦٥٢)، د (٤٧٠١)، س (كبرى: ١١١٨٧)، ج (٨٠) إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفیان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال أحمد (٤٦٤/٢): حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد، عن عمار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لقي آدم موسى فقال: أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ثم فلتت؟ فقال: أنت موسى الذي كلمك الله واصطفاك برسائه وأنزل عليك التوراة أنا أقدم أم الذكور؟ قال: لا بل الذكور؛ فحج آدم موسى».

قال أحمد (٤٦٤/٢): وحدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وحيد عن الحسن، عن رجل قال حماد: أظنه جندب بن عبد الله البجلي، عن النبي ﷺ قال: «لقي آدم موسى» فذكر معناه، تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد (٣٩٢/٢): حدثنا حسين، حدثنا جرير، هو ابن حازم، عن محمد، هو ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقي آدم موسى فقال: أنت آدم الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته ثم صنعت ما صنعت؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة؟ قال: نعم. قال: فهل تجده مكتوباً علي قبل أن أخلق؟ قال نعم». قال: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى».

وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب، وهشام عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه.

وكذا رواه علي بن عاصم عن خالد. وهشام عن محمد بن سيرين. وهذا على شرطهما من هذه الوجوه (تاريخ دمشق: ٤٤٨/٧، ٤٤٩).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأ ابن وهب، أخبرني أنس بن عياض، عن الحارث بن أبي ذباب، عن يزيد بن هرمز، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى. فقال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته، ثم أهبط الناس إلى الأرض بخطيتك؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً؟ فبكمت وجدت الله كتب التوراة؟ قال موسى: باربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَوَضَعْنَاهُ أَهْلًا رَبَّهُ فَنَرَى﴾؟ قال: نعم. قال: أتولموني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة؟ قال: قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى».

قال الحارث: وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ

وقد رواه مسلم (٢٦٥٢) عن إسحاق بن موسى الأنصاري، عن أنس بن عياض، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن يزيد بن هرمز والأعرج، كلاهما عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال أحمد (٢٦٨/٢): حدثنا عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم

أتولموني على أمر كبه الله علي قبل أن يخلقني أو قدره الله علي قبل أن يخلقني.. قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى»

وقد رواه مسلم (٢٦٥٢) عن عمرو الناقد والنسائي (كبرى: ١١٣٢٩) عن محمد بن عبد الله بن يزيد، عن أيوب بن النجار به.

قال أبو مسعود الدمشقي: ولم يخرجنا عنه في الصحيحين سواء (الترغفة الأشراف: ٦٥/١١).

وقد رواه أحمد (٣٩٤/٢) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة.

ورواه مسلم (٢٦٥٢) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به.

وقال الإمام أحمد (٢٦٤/٢): حدثنا أبو كامل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن أبو شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك من الجنة فقال له آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته ويكلامه تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق!»

قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى، حج آدم موسى» مرتين.

قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٢٦٥٢)

من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ نحوه.

وقال الإمام أحمد (٣٩٨/٢): حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا زائدة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قال: «فقال آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه تلومني على عمل لم أعمله كبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «فحج آدم موسى».

وقد رواه الترمذي (٢١٣٤) والنسائي (١١٤٤٣) جميعاً عن يحيى بن حبيب بن عربي عن معتمر بن سليمان، عن أبيه عن الأعمش به.

قال الترمذي: وهو غريب من حديث سليمان التيمي عن الأعمش.

قال: وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن أبي صالح عن هريرة، وقال: وقد رواه بعضهم عن أبي صالح، عن أبي سعيد.

قلت: هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده (كشف الاستار:

٢١٤٨، ٢١٤٧) عن محمد بن مثنى، عن معاذ بن أسد، عن الفضل بن موسى، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد.

ورواه البزار أيضاً: حدثنا عمرو بن علي الفلاس، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو أبي سعيد، عن النبي ﷺ فذكر نحوه.

وقال أحمد (٢٤٨/٢): حدثنا سفیان عن عمرو، سمع طائفاً سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه. وقال مرة: «برسائه وخط لك بيده، أتولموني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني باربعين سنة». قال: «حج آدم موسى، حج آدم موسى، حج آدم موسى»

وهكذا رواه البخاري (٦٦١٤) عن علي بن المديني: حدثنا سفیان

قال: حفظناه من عمرو عن طاوس قال: سمعت أبا هريرة عن النبي ﷺ

قال: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده،

والتحقيق: أن هذا الحديث روي بالفاظ كثيرة بعضها مروى بالمعنى. وفيه نظر.

ومدار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لأمه على إخراجها نفسه وذريته من الجنة فقال له آدم: أنا لم أخرجكم، وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلتي من الشجرة والذي رتب ذلك وقدره وكتبه عليّ قبل أن أخلق هو الله عز وجل فأتت تلومني على أمر ليس له نسبة إلي أكثر مما أني نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها، وكون الإخراج مرتباً على ذلك ليس من فعلي فأنما لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة، وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه وله الحكمة في ذلك؛ فلهاذا حج آدم موسى. ومن كذب بهذا الحديث فمعاند لأنه متواتر عن أبي هريرة رضي الله عنه وناهيك به عدالة وحفظاً وإتقاناً.

ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا. ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة أنفاً فهو بعيد من اللفظ والمعنى. وما فيهم من هو أقوى مسلماً من الجبرية.

وفيما قاله نظر من وجوه.

أحدها: أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله. الثاني: أنه قد قتل نفساً لم يؤمر بقتلها، وقد سأل الله في ذلك بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [التقصير: ١٦] الآية.

الثالث: أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لافتتح هنا لكل من ليم على أمر قد فعله فيحتاج بالقدر السابق فيسند باب القصص والحدود، ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذي ارتكبه في الأمور الكبار والصغار، وهذا يفضي إلى لوازم فظيمة؛ فلهاذا قال من قال من العلماء بأن جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقدر على المعصية لا المعصية والله تعالى أعلم بالصواب، وهو حسي ونعم الوكيل.

٣- الأحاديث الواردة في خلق آدم

قال الإمام أحمد [٤٠٠/٤]: حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأسود والأحمر والأسود وبين ذلك، والحديث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك».

ورواه أيضاً [٤٠٦/٤] عن هوزة عن عوف عن قسامة بن زهير، سمعت الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والحديث والطيب وبين ذلك».

وكذا رواه أبو داود [٤٦٩٣] والترمذي [٢٩٥٥] وابن حبان في صحيحه [الإحسان (١٦٦٠)] من حديث عوف بن أبي جيلة الأعرابي، عن قسامة بن زهير المازني البصري، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس. وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: «فبعث

وموسى فقال موسى لأدم: يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار. فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله برسالته ويكلامه وأزل عليك التوراة، فهل وجدت أن أهبط؟ قال: نعم؛ قال: «فحجه آدم».

وهنا على شرطهما ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وفي قوله «أدخلت ذريتك النار» نكارة.

فهذه طرق هذا الحديث عن أبي هريرة.

رواه عنه حميد بن عبد الرحمن ودكوان أبو صالح السمان وطاوس بن كيسان وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعمار بن أبي عمار ومحمد بن سيرين وهمام بن منه وي زيد بن هرمز وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده [٢٤٣] من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

حدثنا الحارث بن مسكين المصري، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه آدم عليه السلام. فقال: أنت آدم؟ فقال له آدم: نعم قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك الأسماء كلها؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: أنت موسى نبي بني إسرائيل؟ أنت الذي كلمك الله من وراء الحجاب فلم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه؟ قال: نعم. قال: تلومني على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل؟ قال رسول الله ﷺ: «فحج آدم موسى، فحج آدم موسى».

ورواه أبو داود [٤٧٠٢] عن أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب به.

قال أبو يعلى [٢٤٤]: وحدثنا محمد بن المنسى، حدثنا عبد الملك بن الصباح المسمعي، حدثنا عمران. عن الرديني بن أبي مجلز، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر، عن عمر قال أبو محمد أكثر ظني أنه رفعه. قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى لأدم: أنت أبو الناس أسكنتك الله جته وأسجد لك ملائكته. قال آدم: يا موسى أما تجده علي مكتوباً؟ قال: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى».

وهذا الإسناد أيضاً لا بأس به والله أعلم.

وقد تقدم رواية الفضل بن موسى لهذا الحديث [ص ٥٨] عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد. ورواية الإمام أحمد له عن عفان عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن رجل. قال حماد: أظنه جندب بن عبد الله البجلي، عن النبي ﷺ: «لقي آدم موسى» فذكر معناه.

وقد اختلفت مسالك الناس في هذا الحديث:

فرده قوم من القدرية لما تضمن من إثبات القدر السابق.

واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بإدبي الرأي حيث قال: «فحج آدم موسى» لما احتج عليه بتقديم كتابه وسيأتي الجواب عن هذا.

وقال آخرون: إنما حجه لأنه لأمه على ذنب قد تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وقيل: إنما حجه لأنه أكبر منه وأقدم.

وقيل: لأنه أبوه.

وقيل: لأنهما في شريعتين متغايرتين.

وقيل: لأنهما في دار البرزخ وقد انقطع التكليف فيما يزعمونه.

«فكان إيليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه فقال الله: يرحمك ربك. ثم قال الله: يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر فقل لهم [السلام عليكم] فانظروا ماذا يقولون؟ فجاء فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال: يا آدم هذا تحيتك وتحية ذريتك قال: يا رب وما ذريتي؟ قال: اختر يدي يا آدم قال: اختر يميني يري وكلتا يدي ربي يمين، وسط كفه، فإذا من هو كائن من ذريته في كف الرحمن فإذا رجال منهم أفواههم النور، فإذا رجل يعجب آدم نوره قال: يا رب من هذا؟ قال: ابنك داود قال: يا رب فكم جعلت له من العمر؟ قال: جعلت له ستين قال: يا رب فاتم له من عمري حتى يكون له من العمر مائة سنة؟ ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك، فلما نفذ عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال له الملك: أو لم تعطها ابنك داود فجحد ذلك، فنجحت ذريته ونسي فنتيت ذريته»

وقد رواه الحافظ أبو بكر الزوار والزملي (٣٣٦٨) والنسائي في «اليوم والليلة» (١٠٤٦) من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئاب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال النسائي: هنا حديث منكر.

وقد رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام.

وقد رواه أبو حاتم بن حبان في «صحيحه» (الإحسان) (٩١٦٧) فقال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذئاب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله، فقال له: يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة - إلى ملائكة جلوس - فسلم عليهم فقال: السلام عليكم فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم. وقال الله ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت فقال: اخترت يميني وكلتا يدي ربي بين مباركة، ثم بسطهما فإذا فيهما آدم وذريته فقال: أي رب ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك وإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه وإذا فيهم رجل أضوهم - أو: من أضوهم لم يكتب له إلا أربعون سنة، قال: يا رب: ما هذا؟ قال: ابنك داود. وقد كتب الله عمره أربعين سنة قال: أي رب! زد في عمره قال: ذاك الذي كتب له قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال: أنت وذلك أسكن الجنة؟ فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أبط منها، وكان آدم يعد لنفسه فاتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة؛ فجحد آدم فنجحت ذريته ونسي فنتيت ذريته. فيؤمنه أمر بالكتاب والشهود. هنا لفظه.

وقال الترمذي (٣٠٧٦): حدثنا عبد بن حميد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيضا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟

الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشيني فرجع ولم يأخذ وقال: رب إنها عاذت بك فاعلنها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فاعاذهما فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أوجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قبل التراب حتى عاد طينا لازبا؟ واللازب: هو الذي يلزق بعضه ببعض. ثم قال للملائكة «إني خالق بشرأ من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» (ص ٧١ - ٧٢) فخلق الله بيده لثلا يتكبر إيليس عنه فخلق بشرأ فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة فزعروا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعأ إيليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فلذلك حين يقول «حين صلصلا كالْفَخَّارِ» (الرحمن: ١٤) ويقول: لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته.

فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه النروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة: قل الحمد لله فقال: الحمد لله فقال له الله: رحمك ربك؛ فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجله عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ» (الأنبياء: ٣٧) «وَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» (الحجر: ٣٠) وذكر تمام القصة (ص ٢٠٣/١ الطبري).

ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات:

فقال الإمام أحمد (١٥٢/٣): حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يده فجعل إيليس يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خالق لا يتمالك».

وقال ابن حبان في صحيحه (الإحسان) (٩١٦٥): حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله».

وقال الحافظ أبو بكر البزار لم يجده في «كشف الأسرار» وأخرجه نحوه مطرولاً الزملي (٣٣٦٨): حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حبان بن هلال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله، عن حبيب، عن حفص، هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، عن أبي هريرة رفعه قال: «لما خلق الله آدم عطس فقال: الحمد لله فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم».

وهذا الإسناد لا بأس به ولم يخرجوه.

وقال عمر بن عبد العزيز: «لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم إسرائيل فأتاه الله أن كتب القرآن في جبهته» رواه ابن عساکر وقال الحافظ أبو يعلى (٦٥٨٠): حدثنا عتبة بن مكرم، حدثنا عمرو بن محمد عن إسماعيل بن رافع، عن المقبري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه، حتى إذا كان حما مستونا خلقه وصوره ثم تركه، حتى إذا كان صلصلا كالْفَخَّارِ» قال:

قال: هؤلاء ذريتك؛ فرأى رجلاً منهم فأعجبه ويص ما بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة.

فلما انتقض عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال فجحد فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطى آدم فخطت ذريته.

ثم قال الترمذي: حسن صحيح. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ورواه الحاكم في مستدركه [٣٢٥/٢] من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعاً ذكره، وفيه: «ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك؛ وإذا فيهم الأجدم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذرني؟ قال: كي تشكر نعمتي». ثم ذكر قصة داود. وستأتي من رواية ابن عباس أيضاً.

وقال الإمام أحمد في مسنده [٤٤١/٦]: حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه فغضب كنهه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كنهه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم. فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي. وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي».

وقال ابن أبي الدنيا [كتاب الشكر: ١٦٥]: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا الحكم بن سنان، عن حوشب، عن الحسن قال: «خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فألقوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلى. فقال آدم: يا رب ألا سويت بين ولدي؟ قال: يا آدم إني أردت أن أشكر» وهكذا روى عبد الرزاق [في منبهه: ٢٤٢/٢] عن معمر، عن قتادة، عن الحسن بنحوه.

وقد قال البخاري [٣٣٢٦]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً. ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يُحيونك فإنها تحيتك ونحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق يتقص حتى الآن».

وهكذا رواه البخاري في كتاب الاستئذان [٦٢٢٧] عن يحيى بن جعفر. ومسلم [٢٨٤١] عن محمد بن رافع، كلاهما عن عبد الرزاق، به.

وقال الإمام أحمد [٥٣٥/٢]: حدثنا روح، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «كان طول آدم ستين ذراعاً في سبع أذرع عرضاً». انفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد [٢٥١/١]: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم، إن أول من جحد آدم! إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلاً يزهو قال: أي رب من

هنا؟ قال: هذا ابنك داود قال: أي رب كم عمره؟ قال: ستون عاماً قال: أي رب زد في عمره قال: لا إلا أن أزيد من عمرك؛ وكان عمر آدم ألف عام، فزاده أربعين عاماً. فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة.

فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبضه، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عاماً. فقيل: إنك قد وهبتها لابنك داود. قال: ما فعلت؛ وأبزر الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة».

وقال أحمد [٢٩٩/١]: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم - قالها ثلاث مرات - إن الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهو فقال: أي رب زد في عمره قال: لا إلا أن أزيد من عمرك؛ فزاده أربعين سنة من عمره. فكتب الله تعالى عليه كتاباً وأشهد عليه الملائكة.

فلما أراد أن يقبض روحه قال: بقي من أجلي أربعون سنة فقيل له: إنك قد جعلتها لابنك داود قال: «فجحد» قال: «فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البيعة فاتمها للداود مائة سنة واثم لأدم عمره ألف سنة».

نفرد به أحمد؛ وعلي بن زيد في حديثه نكارة.

ورواه الطبراني [في الكبير (١٢٩٨)]: عن علي بن عبد العزيز، عن حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: «إن أول من جحد آدم» ثلاثاً وذكره.

وقال الإمام مالك بن أنس في موطنه [٣٩٨/٢، ٨٩٩]: عن زيد بن أبي أنيسة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أخبره عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية «وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنشَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَأَنَسْتُمْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» [الأعراف: ١٧٢] الآية، فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: «إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون».

فقال رجل: يا رسول الله فقيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: «إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار».

وهكذا رواه الإمام أحمد [٤٤١/١، ٤٥] وأبو داود [٤٧٠٣] والترمذي [٣٠٧٥] والنسائي [١١١٩٠] وابن جرير [١٣٥/١] وابن أبي حاتم وأبو حاتم. ابن حبان في صحيحه [الإحسان ٦١٦٦] من طرق عن الإمام مالك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع عمر. وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة، زاد أبو حاتم: وبينهما نعيم بن ربيعة. وقد رواه أبو داود [٤٧٠٤] عن محمد بن مصفى، عن بقة، عن عمر بن جُشم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار، عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية؛ فذكر الحديث.

قال الحافظ الدارقطني [المعجم: ٢٢١/٢، ٢٢٢]: وقد تابع عمر بن جُشم أبو فروة يزيد بن سنان الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة قال: وقولهما أولى

علي بن عيسى فبسط يده إلي ليقبطني قال: «كن كابن آدم».

ورواه ابن مردويه عن حنيفة بن اليمان مرفوعاً وقال: «كن كخير ابني آدم».

وروى مسلم [لم يخرج م] وأصل السنن [٤٢٦١]، ج (٣٩٥٨) إلا النسائي عن أبي ذر نحو هذا.

وأما الآخر فقد قال الإمام أحمد (٣٨٣/١)، [٤٣٠]: حدثنا أبو معاوية وكيع قال: حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظالماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سن القتل».

ورواه الجماعة [٦٨٦٧]، م (١٦٧٧)، ت (٢٦٧٣)، س (٣٩٩٦)، ج (٢٦١٦) سوى أبي داود من حديث الأعمش به.

وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وإبراهيم النخعي: أنهم قالوا مثل هذا سواء [هـ الطبري: ١٩٤/٦].

ويجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذي قتل قابيل أخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن أهل الكتاب، فإله أعلم بصحة ذلك.

وقد ذكر الحافظ ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٧٧/٥] في ترجمة أحمد بن كثير وقال: إنه كان من الصالحين؛ أنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استخلف هابيل أن هذا دمه فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء؛ فأجابته إلى ذلك وصدقته في ذلك رسول الله ﷺ وقال: إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس.

وهذا منام لو صبح عن أحمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعي والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُؤَدِّي سُوْدَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَدِّي سُوْدَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِيْنَ﴾.

ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة.

وقال آخرون: حمله مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين.

قال السدي بإسناده عن الصحابة: أخوين فقشلا، فقتل أحدهما الآخر، فلما قتله عمد إلى الأرض فحفر له فيها ثم القاه ودفنه وواراه، فلما رآه يصنع ذلك ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَدِّي سُوْدَةَ أَخِي﴾ [٣١] ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه.

وذكر أهل التواريخ والسير: أن آدم حزن على ابنه هابيل حزناً شديداً وأنه قال في ذلك شعراً، وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد [تاريخ الطبري: ١٤٥/١]:

تفريت البسلا وسن عليها فوجه الأرض مغبر فيصح
تفريت كسل ذي لسن وطعم وقل بشاشة الوجه المليح
فأجيب آدم:

أبا هابيل قد قشلا جميعاً وصل الحمي كالتنيح
وجاء بشرة قد كان منها على خوف فجاء بها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاماً يتحزن به بلفظه، فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه إقواء والله أعلم.

وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة هابيل من تاريخه القصة بتمامها

وأورد هذا الشطر بسنده من طريق أبي بكر الخطيب بسنده إلى عبد العزيز بن الرماح عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام:

تفريت البسلا وسن عليها فوجه الأرض مغبر فيصح
تفريت كسل ذي لسن وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

قال: فأجابه إيليس لعنه الله.
تنح عن البسلا وساكنتها فبي الأرض ضاق بسل الفصح

وكننت بها وزوجك في رخاء وقلبك من ورى الدنيا مريح
فما انفكت مكابذني ومكسري إلى أن فاتك الثمن الريح

فلولا رحمة الجبار أضحى بكفك من جنان الخلد ريح
هكذا أورد بن عساکر ولم ينبه على نكارتة ولا عرابته وكان خليقاً

وجديراً بذلك.

وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فعلقت ساقه إلى فخذه وجعل وجهه إلى الشمس كيئماً دارت تنكيلاً به وتمجيلاً لذنبه

وبغية وحسده لأخيه لأبويه.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي

وقطعة الرحم» [أحمد: ٣١/٥] من حديث أبي بكر.

وذكر إسحاق بن بشر الكاهلي في كتاب المبثا فبعث الله ملكاً فضم

رجله اليمنى إلى إيمته اليسرى ورجله اليسرى إلى إيمته اليمنى ثم علقه في

عين الشمس وتحاط سبع حظائر من حظائر النار فإذا كان أيام الصيف كان من أشد الناس حرّاً وإذا كان أيام الشتاء كان من أشد الناس زمهريراً فعلم به

الله بذلك ثمانين سنة ثم ألقاه إلى الأرض وعليه تلك الحظائر، وأوحى الله إلى الأرض أن أخفي به قال، فأخذته الأرض إلى كعبيه فقال: يا رب

أرحمني فقال تعالى: إنما أرحم كل رحيم خذيه، فأخذته إلى ركبتيه ثم أخذته إلى وسطه فقال يا رب إن كنت عصيتك فقد عصاك منه هو خير مني، أبي

وقد خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك وأسكتته جنتك قال: فكيف رأيته فعلت به؟ أخرجته من ملكوت السماء إلى هوان

الأرض ثم قال: خذيه فأخذته إلى صدره فقال: يا رب إن آدم أخبرني أنك خلقت مائة رحمة فقسمت منها رحمة واحدة بين خلقك وادخرت تسعة

وتسعين في خزائن عرشك فإذا كان يوم القيامة ضمت هذه إلى تلك فرحت بها عبادك حتى إن إيليس الأبالسة ليتناول لها رجاء أن تناله منها

شيء، فلا يجتني منها، فقال الله كيف أرحمك ولم ترحم أخاك وقال للأرض: خذيه فهو يتجبلجل فيها إلى يوم القيامة.

٥- ذرية آدم

والذي رأيته في الكتاب سفر التكوين، الأصحاح ١٦/٤ الذي بأيدي أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة أن الله عز وجل أجله وأنظره، وأنه

سكن في أرض (نود) في شرقي عدن وهم يسمونه (قينن) وأنه ولد له خنوخ ولخنوخ عندر ولعندر عواويل ولعواويل متوشيل ومتوشيل لامك

وتزوج هذا امرأتين: عدا وصلا فولدت (عدا) ولدا اسمه (إيل) وهو أول من سكن القباب واقتنى المال، وولدت أيضاً (نوبل) وهو أول من أخذ في

جَلَا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا اتَّاهَمُوا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨٩﴾ [الأعراف: ١٨٩].

فهذا تنبيه أولاً بذكر آدم، ثم استطراد إلى الجنس وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء، بل لما جرى ذكر الشخص استطراد إلى الجنس كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفَقَةً فِي قُرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [الزمر: ١٢ - ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاسَا السَّمَاءَ الذُّنْبَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَا هَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]. ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هي أعيان مصابيح السماء، وإنما استطراد من شخصها إلى جنسها. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (١/٥):

حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: «لا ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وهكذا رواه الترمذي (٣٠٧٧) وابن جرير (١٤٦/٩) وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الآية من سورة الأعراف وأخرجه الحاكم في مستدركه (٥٤٥/٢) كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمر بن إبراهيم. ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

فهذه علة قاذحة في الحديث أنه روي موقوفاً على الصحابي وهذا أشبه والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات.

وهكذا روي موقوفاً على ابن عباس. والظاهر أن هذا متلقى عن كعب الأحبار ومن دونه والله أعلم.

وقد فسر الحسن البصري هذه الآيات بخلاف هذا. فلو كان عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه إلى غيره والله أعلم.

وأيضاً فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليت منهما رجلاً كثيراً ونساء، فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث إن كان محفوظاً.

والمظنون بل المقطوع به أن رفعه إلى النبي ﷺ خطأ والصواب وقفه والله تعالى أعلم. وقد حررنا هذا في كتابنا التفسير (٥٢٧/٣ - ٥٣١) ولله الحمد.

٦- آدم أبو البشر (مزياه)

ثم قد كان آدم وحواء اتقى لله لما ذكر عنهما في هذا. فإن آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنة.

وقد روى ابن جبان في صحيحه (الإحسان ٣٦١) عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفيرة». قلت: يا رسول الله من كان أولهم. قال: «آدم». قلت: يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً».

ضرب الونج والصنح وولدت (صلا) ولدا اسمه توليقين وهو أول من صنع النحاس والحديد وبتاً اسمها (نعمي).

ولها أيضاً أن آدم طاف على امرأته فولدت غلاماً ودعت اسمه (شيث) وقالت: من أجل أنه قد وهب لي خلفاً من هابيل الذي قتله قابيل وولد لثيث أنوش.

قالوا: وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين سنة وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة، وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمس سنين وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين. وولد له بنون وبنات غير أنوش.

فولد لأنوش (قينان) وله من العمر تسعون سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة، وولد له بنون وبنات، فلما كان عمر قينان سبعين سنة ولد له مهلايل وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة وولد له بنون وبنات، فلما كان لمهلايل من العمر خمس وستون سنة ولد له (يرد) وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان ليرد مائة سنة واثنان وستون سنة ولد له (خنوخ) وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له (متوشلخ) وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات، فلما كان لمتوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة ولد له (لامك) وعاش بعد ذلك سبعمائة واثنين وثمانين سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان للامك من العمر مائة واثنان وثمانون سنة ولد له (نوح) وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسة وتسعين سنة. وولد له بنون وبنات، فلما كان لنوح خمسمائة سنة ولد له بنون (سام وحام ويافث).

هذا مضمون ما في كتابهم صريحاً (مفر التكوين: الأصحاح الرابع والخامس). وفي كون هذه التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر كما ذكره غير واحد من العلماء طاعين عليهم في ذلك، والظاهر أنها مقحمة فيها. ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة والتفسير. وفيها غلط كثير كما سنذكره في مواضع إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه (١٤٥/١) عن بعضهم أن حواء ولدت لأدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، قاله ابن إسحاق، وسماهم والله تعالى أعلم.

وقيل: مائة وعشرين بطناً في كل واحد ذكر وأنثى أولهم قابيل وأخته قليما. وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث.

ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الأرض ونموا كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣].

الآيات. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١] الآية.

وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمِت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعين ألف نسمة (انظر تاريخ الطبري: ١٦٧/١، وروج اللعب ٤٨/١) والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا

التي ص قال: لما خلق الله آدم وفريته قالت الملائكة: يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون ويتكلمون ويكرهون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله: لا اجعل من خلقتهم بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان. وقد روى عثمان بن سعيد الدارمي مثله عن عبد الله بن عمرو وموقراً قاله أعلم.

٧- وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث

ومعنى: «شيث»: هبة الله وسمياه بذلك لأنهما رزقا بعد أن قتل هابيل.

قال أبو زر في حديثه [الإحسان (٣٦١)] عن رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف. على شيث خمسين صحيفة». قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك [تاريخ الطبري: ١٥٢/١، ١٥٣].

قال: ويقال: إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث. وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبأدوا والله أعلم. ولما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءته الملائكة بمنحوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة. وعزوا فيه ابنه وصيه شيث عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن [تاريخ الطبري: ١٥٢/١، ١٥٣].

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد [١٣٦/٥]: حدثنا هدية بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن عتي، هو ابن ضمرة السعدي، قال: رايت شيخاً بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا: هذا أبي بن كعب. فقال: إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتي من ثمار الجنة.

قال: فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانهم وحنوطه ومعهم القفوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون، أو ما تريدون وأين تطلبون؟ قالوا: أبونا مريض واشتئ من ثمار الجنة فقالوا لهم: أرجعوا فقد قضى قضاء أبوكم فجاؤوا، فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بأدم فقال: إليك عني، فإني إنما أتيت من قبلك فخلني ببني وبين ملائكة ربي عز وجل، فقبضوه وغسلوه وكفونهم وحفظوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه. ثم دخلوا قبره فوضعوه في قبره. ثم حشوا عليه. ثم قالوا: يا بني آدم هذه ستكم. إسناده صحيح إليه.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٤٥٨/٧] عن طريق شيان بن فروخ عن محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كُتِبَتِ الملائكة على آدم أربعاً، وكبر أبو بكر على فاطمة أربعاً، وكبر عمر على أبي بكر أربعاً، وكبر صهيب على عمر أربعاً».

قال ابن عساکر: ورواه غيره عن ميمون فقال: عن ابن عمر. واختلفو في موضع دفنه:

فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند. وقيل: بجبل أبي قيس بمكة.

ويقال: إن نوحاً عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في

وقال الطبراني (في الكبير (١١٣٦١)): حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا شيان بن فروخ، حدثنا نافع بن هرمز، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل الملائكة: جبريل، وأفضل النبيين آدم، وأفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل الليالي ليلة القدر، وأفضل النساء مريم بنت عمران». وهذا إسناده ضعيف، فإن نافعاً أباً هرمز هذا كنيه ابن معين وضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم.

وقال كعب الأحبار [ابن عساکر: ٣٨٩/٧]: ليس أحد في الجنة له حبة إلا آدم. لحبه سوداء إلى ستره. وليس أحد يكنى في الجنة إلا آدم كنيته في الدنيا أبو البشر وفي الجنة أبو محمد.

وقد روى ابن عدي [الكامل في الضعفاء: ١٣٦٨/٤] عن طريق شيخ ابن أبي خالد عن حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: «أهل الجنة يدعون بأسمائهم إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد».

ورواه ابن عدي أيضاً [الكامل في الضعفاء: ٢٣٠٣/٦] عن حديث علي بن أبي طالب، وهو ضعيف من كل وجه، والله أعلم.

وفي حديث الإسراء الذي في الصحيحين [خ (٣٤٩) و (٣٤٢)، م (١٦٣)] «أن رسول الله ﷺ لما مر بأدم وهو في السماء الدنيا قال له: «مرحباً بالابن الصالح والبي الصالح» قال: «فأذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى. فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا آدم وهو لا نسم بنيه. فإذا نظر قبل أهل اليمين وهم أهل الجنة ضحك وإذا نظر قبل أهل الشمال وهم أهل النار بكى».

هذا معنى الحديث.

وقال أبو بكر البزار: حدثنا محمد التميمي، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسان، عن الحسن قال: كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده. وقال بعض العلماء في قوله ﷺ: «فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن» [م (١٦٢)].

قالوا: معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام. وهذا مناسب. فإن الله خلق آدم وصوره بيده الكرمة ونفخ فيه من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء.

وقد روي عن عبد الله بن عمر وابن عمرو أيضاً موقوفاً ومرفوعاً «إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه فإنك خلقت لبني آدم الدنيا ياكلون فيها ويشربون. فقال الله تعالى: «وعزتي وجلالي لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان» [حديث ابن عمرو المرفوع أخرجه نحوه البيهقي في الأسماء والصفات (٣١٧) من حديث عروة بن رويم الأنصاري وأخرج الموقوف ابن الجوزي في العلل المتناهية (٣٢)].

وقد ورد الحديث المروي في الصحيحين [خ (٣٣٢٦)، م (٢٦١٢) و (٢٨٤١)] وغيرهما من طرق أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم على صورته». وفي غير الصحيحين: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل» [البيهقي في الأسماء والصفات، م (٢٩١)]. وقد تكلم العلماء على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم.

[وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة عبد ربه بن صالح القرشي الدمشقي يروي عن مكحول وغيره، وعن الوليد ومسروق الماطاطري وسليمان بن عبد الرحمن وهشام بن عمار، وهشام بن خالد وروى من طريق هشام بن عمار عنه سمع عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله عن

تابرت فدفنهما ببيت المقدس.

حكى ذلك ابن جرير [إبراهيم: ١/١٦١].

وروى ابن عساکر [إبراهيم دمشق: ٤٥٨/٧] عن بعضهم أنه قال: رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس. وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة.

واختلف في مقدار عمره عليه السلام: فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعاً [مسند أحمد: ٢٩٩/١]: «أن عمره اكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة».

وهذا لا يعارضه ما في التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة؛ لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذا خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم.

وأيضاً فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظاً محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإبطاء وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه في الجنة قبل الإبطاء على ما ذكره ابن جرير [إبراهيم: ١/١١٩] وغيره فيكون الجميع ألف سنة.

وقال عطاء الخراساني: لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام. رواه ابن عساکر [إبراهيم دمشق: ٤٥٩/٧].

فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام. وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه [الإحسان (٣٦١)]: «عن أبي ذر مرفوعاً: «أنه أنزل عليه خمسون صحيفة».

فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قين. ثم من بعده ابنه مهلايل وهو الذي تزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنه أول من قطع الأشجار وبني الملائن والحصون الكبار. وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى. وأنه قهر إبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقاً من مردة الجن والغيايل، وكان له تاج عظيم وكان يحضب الناس ودامت دولته أربعين سنة.

فلما مات قام بالأمر بعده ولده يرد، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده خنوخ وهو إدريس عليه السلام على المشهور، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨- إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ - ٥٧].

فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصدقية وهو خنوخ، هذا وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غير واحد من علماء النسب. وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام.

وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين [إبراهيم الطبري: ١/١٧١ مختصراً].

وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال: «إنه كان نبي يحض

به، فمن وافق خطه فذاك» [م (٥٣٧)، د (٩٣٠)].

وزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرماسة ويكنون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو كما ثبت في الصحيحين [م (٣٢٠٧)، م (١٦٢)] في حديث الإسراء: أن رسول الله ﷺ مر به وهو في السماء الرابعة.

وقد روى ابن جرير [هشموه: ٩٦/١٦] عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فقال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (لعله من أهل زمانه) فأجاب أن يزداد عملاً فأنشأ خليل له من الملائكة فقال: إن الله أوحى لي كذا وكذا، فكلّم ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً فكلّم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري فقال ملك الموت: فاعجب بعشت وقيل لي: أقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض، فقبض روحه هناك فلذلك قول الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها. وعنده: فقال لذلك الملك: سل لي ملك الموت: كم بقي من عمري؟ فسأله وهو معه: كم بقي من عمره؟ فقال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال: إنك لنسائي عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك إلى تحت جناحيه إلى إدريس، فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر.

وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه تكاثر.

وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إدريس رفع ولم يمض كما رفع عيسى [هشموه الطبري: ٩٦/١٦]. إن أراد أنه لم يمض إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك فلا يتأني ما تقدم عن كعب الأحبار، والله أعلم.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: رفع إلى السماء السادسة فمات بها. وهكذا قال الضحّاك.

والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد وغير واحد [هشموه الطبري: ٩٧/١٦].

وقال الحسن البصري: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إلى الجنة.

وقال قاتلون: رفع في حياة أبيه [ميرد ابن مهلايل] [إبراهيم الطبري: ١/١٧٠] والله أعلم.

وقد زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل.

قال البخاري: ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء: أنه لما مر به عليه السلام قال له: «مرحباً بألخ الصالح والنبي الصالح» ولم يقل كما قال قال وإبراهيم: «مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح».

قالوا: فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له. وهذا لا يدل ولا

عَاصِمِ الْيَوْمِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَبَا سَمَاءُ اقْبَلِي وَعِيشِ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنَّ مَا تَلَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سَمُوتُ فَهُمْ نَحْنُ نَحْنُ يَسْتَفْهِمُ مَا عَابَ الْإِسْمَ. بَلْكَ مِنْ آبَاءِ الْعَقِيبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء ٧٦، ٧٧]

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ. فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَةٌ تَرْتَبِصُ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ. قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ. فَأَرْخِصْنَا لِنَبِيِّ أَنْ صَنَّعَ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَوُّدُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَمْلَكْنَا الْأَمْثَلُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ إِنَّهُمْ مُعْتَدُونَ. فَإِذَا اسْتَرْسَتْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُزْلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُعْتَصِلِينَ» [المؤمن ٢٣ - ٣٠]

[illegible]

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعنْكَبُوتِ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فَأَجْبَدْنَاهُ وَأَصْحَابَ السُّيُوفِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿العنكبوت ١٤، ١٥﴾

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَنَعَلْنَا دَرِيَّتَهُمُ الْبَارِقِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿[الصافات ٧٥ - ٨٢]

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿كَذَّبَتْ بَلَكُهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَفُّوا عَنْهُ
وَقَالُوا مُجُنُّونَ وَإِذْجَرٌ. فَذَعَا رُوحَهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ
السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُثَجٍّ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُتِّرَ.
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَرَامِ وَوُضِرَ. تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَن كَانَ كُفِرَ. وَلَقَدْ

تَرْكُنَا مَا آتَىٰ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرِ. وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿[القمر ٩ - ١٧]

وَقَالَ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قِيلٍ أَمْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا. يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْيِيرِ لَهُمْ جَعَلُوا أَبْصَارَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَاسْتَفْتَوْا بَيْنَهُمْ وَأَصْرًا وَاسْتَكْبَرُوا سِتَاجًا. ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَغْلَسْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا. فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَبُمُذِيقِكُمْ أَمْوَالَ بَيَّتَيْنِ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا. مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا. وَاللَّهُ أُنْتَبِذَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِتَابَةٍ. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا. لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَيَخْرُجُوا. قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ صَبَرُوا وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُمْ مَالَهُ وَلَئِنْ كُنْتُ إِلَّا خَسِرًا. وَمَكْرُوهًا مُكْرَمًا كُبْرًا. وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ إِلَيْهِمْ وَلَا تَنْزِلْ وَفَا وَلَا سُرْعَا وَلَا يَفُوتُ وَيَتَوَقَّ وَتَسْرَا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا. يَمَّا خَطَّاهُمْ أَغْرَقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا. وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَنْزِلْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ كَثِيرًا. إِنَّكَ أَنْ تَنْزِلَهُمْ يَقْبِلُوا عِبَادَتِكَ وَلَا يُؤْمِنُوا إِلَّا نَجَارًا كَثَرًا. رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح - ١ - ٢٨].

وقد تكلمنا على كل موضع من هذه في التفسير وسنذكر مضمون القصة مجموراً من هذه الأماكن المتفرقة وما دلت عليه الأحاديث والآثار.

وقد جرى ذكره أيضاً في مواضع متفرقة من القرآن فيها مدحه وذم من خالفه، فقال تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا بَشَرِينَ وَمُنْذِرِينَ إِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِغَدِ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٦٣ - ١٦٥).

وقال في سورة الأنعام ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِآيَاتِنَا إِِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءِ إِنَّكَ رِئَاسَ حَكِيمٍ عَلِيمٍ. وَهَؤُلَاءِ لَإِنْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلَّا هَٰؤُلَاءِ نَوْرًا هَدَيْنَاهُ مِن قَبْلُ وَمِن قُرْبَىٰ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ زَكَرِيَّا وَهَٰؤُلَاءِ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِن آبَائِهِمْ وَفُرْقَانِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام ٨٣ - ٨٧] الآيات.

وتقدمت قصته في الأعراف.
وقال في سورة براءة ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَهُمُودٌ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكب: ٧٠]

وقال في سورة إبراهيم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَهَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ

وانتسخ العلم عبثاً.

قال ابن عباس: وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد زخ (٤٩٢٠).

وهكذا قال عكرمة والضحاك وقناة ومحمد بن إسحاق (تفسير الطبري: ٩٩/٢٩).

وقال ابن جرير في تفسيره (٩٩/٢٩): حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس قال: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتلون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتلون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إيليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبوهم.

وروى ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير أنه قال: ود يغوث ويعوق وسواك ونسر أولاد آدم وكان «وده» أكبرهم وأبرهم به.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب عن أبي المظهر قال: ذكروا عند أبي جعفر، هو الباقر، وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب قال: فلما اقتتل من صلته قال: ذكرت يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله. قال: ذكر وقد قال: كان رجلاً صالحاً وكان عبداً في قومه، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إيليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم تذكرونه؟ قالوا: نعم. فصور لهم مثله.

قال: فوضعه في ناديهم وجعلوا يذكرونه. فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله؛ ليكون له في بيته تذكرونه؟ قالوا: نعم قال: فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به. قال: وأدرك أبنائهم فجعلوا يرون ما يصنعون به.

قال: وتنازلوا ودرس أمر ذكركم إياه حتى اتقنوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد غير الله وذو الصنم الذي سموه وذاً.

ومقتضى هذا السياق أن كل صنم من هذه عبدة طائفة من الناس. وقد ذكر أنه لما تطاولت العهود والأزمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم ثم عبثت بعد ذلك من دون الله عز وجل. ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جداً قد ذكرناها في مواضعها من كتابنا التفسير (٢٦١/٨، ٢٦٢) والله الحمد والمنة.

وقد ثبت في الصحيحين [خ (٤٢٧)، م (٥٢٨)] عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رأيها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرنا من حسناتها وتصاوير فيها قال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل».

والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض كما ثبت في الصحيحين [خ (٣٤٠)، م (١٩٤)] من حديث أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة قال: «فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأمسكتك الجنة،

فَرَدُّوا إِلَيْهِمْ فِي آفَاقِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ» [الأنعام: ٩].

وقال في سورة سبحان «ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» [الإسراء: ٣].

وقال فيها أيضاً «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» [الإسراء: ١٧].

وتقدمت قصته في الأنبياء والمؤمنون والشعراء والمنكبتون. وقال في سورة الأحزاب «وَأَذِّنْ لِّخَلَاةِ مِنَ النَّبِيِّنَّ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخْلَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» [الأحزاب: ٧].

وقال في سورة ص: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَرْتَاةِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ» [ص: ١٢ - ١٤].

وقال في سورة غافر «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَاءُواهُمُ بِالْبَاطِلِ لِئَیْذِیْبُوهُ بِهِ الْحَقُّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَبَّكَهُمُ كَانَ عِقَابٌ. وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» [غافر: ١٥].

وقال في سورة الشورى شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» [الشورى: ١٣].

وقال تعالى في سورة ق «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ. وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ» [ق: ١٢ - ١٤].

وقال في النازيات «وَقَوْمُ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» [النازيات: ٤٦].

وقال في النجم «وَقَوْمُ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَىٰ» [النجم: ٥٢].

وتقدمت قصته في سورة «أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ» [القدر: ١]. وقال تعالى في سورة الحديد «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْنَهُم مِّثْنٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَوَيْسِقُونَ» [الحديد: ٢٦].

وقال تعالى في سورة التحريم «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَلَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» [التحريم: ١٠].

وأما مضمون ما جرى له مع قومه ماخوفاً من الكتاب والسنة والأخبار فقد قلنا عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام رواه البخاري أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٤٢/٢، ٥٤٦، وضمم ص ٧٠. وذكرنا أن المراد بالقرن الجبل أو المدة على ما سلف.

ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آت الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخاري (٤٩٢٠) من حديث ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: «وَقَالُوا لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَاكَ وَلَا تَنْزِلُ وَتَأْتِي سُبُوحًا وَلَا تَغُوثٌ وَيَغُوثٌ وَنَسْرًا» [نوح: ٢٣] قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك

مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الأعراف: ٦٢]. وهذا شأن الرسول أن يكون بليفاً أي: فصيحاً ناصحاً أعلم الناس بالله عز وجل.

وقالوا له فيما قالوا: «مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُدَايَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ» [هود: ٢٧] تعجبوا أن يكون بشراً رسولاً وتقصوا بمن اتبعه ورأوه أراذلهم. وقد قيل: إنهم كانوا من أفاد الناس وهم ضعفاؤهم كما قال هرقل: «وهم أتباع الرسل» [خ (٧)، م (١٧٧٣)] وما ذاك إلا لأنه لا مانع لهم من اتباع الحق.

وقولهم: «بُادِيَ الرَّأْيِ» أي: بمجرد ما دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية، وهذا الذي ذمهم به هو عين ما يمدحون بسببه رضي الله عنهم، فإن الحق الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر بل يجب اتباعه والالتقاد له متى ظهر.

ولهذا قال رسول الله ﷺ مادحاً للصديقين: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كوة غير أبي بكر، فإنه لم يلعنهم» [سيرة ابن هشام: ٢٥٢/]. ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة أيضاً سريعة من غير نظر ولا روية؛ لأن أفضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي الله عنهم؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب الكتاب الذي أراد أن ينص فيه على خلافة فتره وقال: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر» [م (٢٣٨٧)، احد: ١٤٤/٦] رضي الله عنه.

وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به: «وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ» [هود: ٢٧] أي: لم يظهر لكم أمر بعد اتصافكم بالإيمان ولا مزية علينا «بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ» قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتَ عَلَىٰ نِيَّةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّن عَيْنَيْهِ فَعَصَيْتَ عَلَيْهِمْ أَفَلَا تَكُونُونَ مِنْ عَادٍ» [هود: ٢٧، ٢٨] وهذا تلميح في الخطاب معهم وترغيب بهم في الدعوة إلى الحق كما قال تعالى: «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ» [طه: ٤٤]

وقال تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنُّعُوظِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالِغِي هَيْئَةٍ أَحْسَنَ» [الاحقاف: ١٢٥] وهذا منه

يقول لهم «أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتَ عَلَىٰ نِيَّةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّن عَيْنَيْهِ» أي: النبوة والرسالة «فَعَصَيْتَ عَلَيْهِمْ» أي: فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها «أَفَلَا تَكُونُونَ» أي: انضفكم بها وغيركم عليها «وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» أي: ليس فيكم حيلة والحالة هذه «وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِن أُجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ» أي: لست أريد منكم أجره على إبلاغي إياكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم إن أطلب ذلك إلا من الله الذي ثوابه خير لي وأبقى مما تطعونني انتم.

وقوله «وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» كانوا طلبوا منه أن يبعد هؤلاء عنه وعلوه أن يجتمعوا به إذا هو فعل ذلك فأبى عليهم ذلك وقال: «أَنْتُمْ مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ» أي: فاحاف إن طردتهم أن يشكونني إلى الله عز وجل؛ ولهذا قال «وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» [هود: ٢٠].

ولهذا لما سأل كفار قريش رسول الله ﷺ أن يطرده عنه ضعفاء المؤمنين كعمار وصهيب وبلال وخباب وأشباههم نهى الله عن ذلك كما بيناه في سورتى الأنعام والكهف.

«وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عَيْنِدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ» أي: بل أنا عبد رسول لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به ولا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا أملك لنفسي نقماً ولا ضراً إلا ما شاء

الا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي قد غضب غضباً شديداً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمك الله عبداً شكوراً، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل؟ فيقول: ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي.

وذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخاري في قصة نوح. فلما بعث الله نوحاً عليه السلام دعاهم إلى إفراة العبادة لله وحده لا شريك له، وأن لا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً، وأن يعترفوا بوحديته، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته كما قال تعالى: «وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ» [الصافات: ١٧]

وقال فيه وفي إبراهيم «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ» [الحديد: ٢٦] أي: كل نبي من بعد نوح فمن ذريته. وكذلك إبراهيم قال الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [الاحقاف: ٣٦]

وقال تعالى «وَأَسَأَلْنَا مَن رُّسُلُنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» [الزمر: ٢٥].

وقال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُولٍ إِلَّا نُوحِي بِإِلَهٍ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الاحقاف: ٢٥].

ولهذا قال نوح لقومه: «اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» [الأعراف: ٥٩]

وقال: «إِن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» [هود: ٢٦].

وقال: «يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ» [الأعراف: ٦٥]

وقال: «قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا. يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِذْ أَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا. وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَافَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَاسْتَشْخَرُوا بَيَّانَهُمْ وَاصْتَخَرُوا اسْتِخَارًا. ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا. ثُمَّ إِنِّي أَغْلَقْتُ لَهُمْ وَأَمْسَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا. فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنُودًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَثَرًا. مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» [روح ١٢ - ١٤] الآيات الكريمات.

فذكر أنه دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسر والإجهار بالترغيب تارة والترهيب أخرى، وكل هنا فلم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والغلغليان وعبادة الأصنام والأوثان ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان وتقصوه وتقصوا من آمن به وتوعدوهم بالرحم والإخراج ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم «قَالَ الصَّالِحِينَ قَوْمِي» أي: السادة الكبراء منهم «إِنَّا نَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ» [الأعراف: ٦٥] أي لست كما تزعمون من أنني ضال بل على الهدى المستقيم رسول من رب العالمين، أي الذي يقول للشيء كن فيكون «أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِي وَتَنَصَّحْتُ لَكُمْ وَأَعْلَمْتُ

وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأمره الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاود فيهم ولا يراجعهم، فإنه لعله قد تذكره رقة على قومه عند معانية العذاب النازل بهم، فإنه ليس الخبر كالمعاينة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَلَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ أي يستهزئون به استبعاداً لوقوع ما توقعدهم به: ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ أي نحن الذين نَسْخَرُ منكم وتتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ﴾ وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضاً أن يكون جاءهم من الله رسول.

كما قال البخاري [٣٣٣٩]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحيى نوح عليه السلام وأمه يقول الله عز وجل: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغتكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه؛ فتشهد أنه قد بلغ» وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط: العدل. فهذه الأمة تشهد على شهادة نبينا الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحاً بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يَدَعْ شيئاً مما يقعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحلّهم منه.

وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم، كما قال البخاري [٣٣٣٧]: حدثنا عبدان، حدثنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري قال سالم: قال ابن عمر: قام رسول الله ﷺ في الناس فأتى على الله بما هو أهله. ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه. لقد أنذره نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»

وهذا الحديث في الصحيحين [٣٣٣٨] ج ٢، م (٢٩٣٦) أيضاً من حديث شيان بن عبد الرحمن، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ألا أحذركم من الدجال حديثاً ما حدث به نبي قومه، إنه أعور وإنه يحيى معه بمشال الجنة والنار، والتي يقول عليها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه» لفظ البخاري.

وقد قال بعض علماء السلف: لما استجاب الله له أمره أن يفرس شجراً ليعمل منه السفينة ففرسه وانتظره مائة سنة، ثم غمره في مائة أخرى، وقيل: في أربعين سنة، فآله أعلم [تاريخ الطبري: ١٨٠/١ - ١٨٣].

قال محمد بن إسحاق عن الثوري: وكانت من خشب الساج. وقيل: من الصنوبر [تاريخ الطبري: ١٨٠/١ - ١٨٣]. وهو نص التوراة.

قال الثوري: وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين ذراعاً، وأن يطلي ظاهرها وباطنها بالقار، وأن يجعل لها جوجواً لزور يشق الماء.

وقال قتادة: كان طولها لثمانمائة ذراع في عرض خمسين ذراعاً.

الله ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ يعني من اتباعه ﴿لَنْ يُؤْمِنَهُمْ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِسْتُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا أشهد عليهم بأنهم لا خير لهم عند الله يوم القيامة الله أعلم بهم وسيجازيهم على ما في نفوسهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما قالوا في الموضع الآخر ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. إِنْ جِئْتَهُمْ إِلَّا عَلَى رَيْبٍ لَوْ تَشْعُرُونَ. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ. إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ [الشعراء: ١١١ - ١١٥]

وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٤] أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم.

وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به وعارثته وغالفته. وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبداً ما عاش ودائماً ما بقي وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق؛ ولهذا قال ﴿وَلَا يَلْبُثُوا إِلَّا فَأَجراً قَلِيلاً﴾ [نوح: ٢٧] ولهذا قالوا ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَنَّاكَ أَفْكُورٌ جَاءَنَا بِمَا تَبْلُغُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ إِنَّمَا يَتَّبِعُكُمُ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [هود: ٣٢، ٣٣] أي إنما يقتر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكثره أمر، بل هو الذي يقول للشيء: كن فيكون ﴿وَلَا يَفْعَلُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤] أي من يرد الله فتنه فلن يملك أحد هدايته هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية. وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦] وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن وتسلياً له عما كان منهم إليه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي لا يسواك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وذلك أن نوحاً عليه السلام لما يشس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أفئته وغالفته وتكنبه بكل طريق من فعال ومقال، دعا عليهم دعوة غضب فإلى الله دعوته وأجاب طلبته، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنَشْهِمُ الْمُجْسِرِينَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦]

وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ. فَاتَّخَذَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَحْطًا وَنَجَّيْتِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]

وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبِّي أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ [القصص: ١٠]

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ بِنَاءً﴾ [الأنبياء: ٢٦]

وقال تعالى: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَنذِرُوا تَارًا فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا. وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ قَبَرًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي يَمْضُوا حَيَاتِكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فُجَرَاءَ كُفَرًا﴾ [نوح: ٢٥ - ٢٧] فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك؛ وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلاً.

وهذا الذي في التوراة على ما رأيته.

وقال الحسن البصري: ستمائة في عرض ثلثمائة.

وعن ابن عباس: ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع.

وقيل: كان طولها ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع.

قالوا كلهم: وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً، وكانت ثلاث طبقات. كل واحدة عشرة أذرع. فالسفلى للدواب والوحوش والوسطى للناس، والعليا للطيور، وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَجَءُ أَتْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ سَأَلَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعَذَّبُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

فقدّم إليه بأمرة العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحل بآسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله أي: أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم، أي: إلا من كان كافراً، فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وأمّره أن لا يراجعهم فيهم إذا حل بهم ما يعاينهم من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعّال لما يريد كما قدّمنا بيانه قبل.

والمراد بالتور عند الجمهور: وجه الأرض؛ أي: نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التناير التي هي محال النار.

وعن ابن عباس: التور عين في الهند.

وعن الشعبي: بالكوفة.

وعن قتادة: بالجزيرة.

وقال علي بن أبي طالب: المراد بالتور: فلّق الصبح وتووير الفجر؛ أي: إشراقه وضياؤه؛ أي: عند ذلك فاحمل فيها من كل زوجين اثنين [تأويل الطبري: ١٨٦/١، ١٨٧].

وهذا قول غريب.

وقوله تعالى: ﴿وَحَتَّى إِذَا جَاءَ أَتْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

هذا أمر ثانٍ عند حلول النعمة بهم، أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين.

وفي كتاب أهل الكتاب: أنه أمر أن يحمل من كل ما يوكل سبعة أزواج وما لا يوكل زوجين: ذكر وأنثى؛ وهذا مغاير لفهوم قوله تعالى في كتابنا الحق: ﴿اثْنَيْنِ﴾ [إن جعلنا ذلك مفعولاً به. وأما إن جعلناه توكيداً لزوجين والمفعول به محذوف، فلا تنافي والله أعلم].

وذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس: أن أول ما دخل من الطيور النور، وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار. ودخل إبليس متعلقاً بذنب الحمار [تفسير الطبري: ٣٦/١٢، ٣٧].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: فلما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه: وكيف نظمتم؟ أو كيف نظمتم المواشي ومعنا الأسد، فسلط الله عليه

الحمل فكانت أول حمى نزلت في الأرض. ثم شكوا الفارة فقالوا: الفريسة تغصد علينا طامعاً ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعمس فخرجت الفارة منه فتخبات الفارة منها.

هذا مرسل.

وقوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [المؤمنون: ٢٧] أي من استجبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه يام الذي غرق كما سيأتي بيانه.

﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي: واحمل فيها من آمن بك من أمك قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلاً ونهاراً بضروب القال وفنون التلطقات والتهديد والوعيد تارة، والترغيب والوعد أخرى.

وقد اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة:

فمن ابن عباس: كانوا ثمانين نفساً معهم نسائهم.

وعن كعب الأحبار: كانوا اثنين وسبعين نفساً.

وقيل: كانوا عشرة.

وقيل: إنما كانوا نوحاً وبنه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة يام الذي اغزل

وانعزل وسلك غير عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل [انظر الأقوال جميعها: تفسير الطبري: ٤١/٢، ٤٣].

وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في أنه قد ركب معه

من غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨].

وقيل: كانوا سبعة.

وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم حام وسام ويافث وياهم،

وتسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق و«عابر» وقد مات قبل

الطوفان. قيل: إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول

لكفرها

وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك

أو أنها انظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله: ﴿لَا تَنْزَرُ عَلَى الْأَرْضِ

مِنَ الْكَافِرِينَ ذُبَاباً﴾ [نوح: ٢٦].

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَرْسَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨، ٢٩] أمره أن يحمده ربه على ما سخر له

من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه وأقر عينه بمن خالفه وكذبه

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ تُمْزُقُونَهُمْ نِعْمَةً رَّبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ. وَإِنَّا

إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُتَّقُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٤].

وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن

تكون عاقبتها حميدة كما قال تعالى لرسوله ﷺ حين هاجر: ﴿وَقُلْ رَبِّ

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِّنْ لَّدُنْكَ

سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

مَجْرَافًا وَمُنْزَافًا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي على اسم الله ابتداء سيرها

وانتهائه ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: وذو عقاب اليم مع كونه غفوراً

رحيماً لا يرد بآسه عن القوم المجرمين كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا

قال: والمراد بالروم هنا الروم الأول وهم اليونان المستتبون إلى رومي بن لبيط بن يونان بن يافت بن نوح عليه السلام.

ثم روي من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال: "ولد نوح ثلاثة: سام ويافث وحام، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة، فولد سام: العرب، وفارس والروم. وولد يافت الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام: القبط والسودان والبربر.

قلت: وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده [كشف الأسطر: ٢١٨]: حدثنا إبراهيم بن هانئ وأحمد بن حسين بن عباد أبو العباس قالوا: حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الراوي، حدثني أبي عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ولد لنوح سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم. وولد ليافث: يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم. وولد لحام القبط والبربر والسودان".

ثم قال: لا تعلم يروي مرفوعاً إلا من هذا الوجه. تفرد به محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه، وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه. ورواه غيره عن يحيى بن سعيد مرسلاً ولم يستنده وإنما جعله من قول سعيد.

قلت: وهذا الذي ذكره أبو عمر هو المحفوظ عن سعيد قوله.

وهكذا روي عن وهب بن منبه مثله [تاريخ الطبري: ٢٠/١] والله أعلم.

ويزيد بن سنان أبو فروة الراوي ضعيف مرة لا يعتمد عليه.

وقد قيل: إن نوحاً عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد إلا بعد الطوفان، وإنما ولد له قبل السفينة «كتمان» الذي غرق و«عابر» مات قبل الطوفان.

والصحيح أن أولاده الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونسأولهم وأمههم وهو نص التوراة.

وقد ذكر أن «حاماً» وقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطقته، فولد له ولد أسود وهو كتمان بن حام جد السودان.

وقيل: بل رأى إياه ناثماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخوها، فلهمنا دعا عليه أن تغير نطقته وأن يكون أولاده عبيداً لإخوته [سفر التكوين: الأصحاح: ٢١/٩ - ٢٦].

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير [تفسير الطبري: ٣٥/١٢] من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس أنه قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها. قال: فاطلق بهم حتى أتى إلى كتيب من تراب فاختذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا كعب حام بن نوح. قال: وضرب الكتيب بعصاه وقال: قم ياخذ الله، فإذا هو قائم يفض التراب عن رأسه قد شاب. فقال له عيسى عليه السلام: هكذا هلك! قال: لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة، فمات ثم شئت.

قال: حدثنا عن سفينة نوح. قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الإنسان وطبقة فيها الطير. فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الغيل؛ فغمزه فوقه منه خنزير

أظلم وأظنى على ما ذكرناه!

وكيف لا يرحم الله منهم أحداً ولا أم الصبي ولا الصبي ويترك هذا الدعي الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المرید على ما ذكرناه؟! وأما المنقول: فقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٦] وقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ثَيِّراً﴾ [تسوح: ٢٦] ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين [ج (٣٣٢٦)، م (٢٨٤١)] عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤] أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يوم إخباره بذلك وهلم جراً إلى يوم القيامة.

وهنا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا ويدخل عنه ويصار إلى أقوال الكلبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المتزلة وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤثرون عليه وهم الحونة الكلبة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة! وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقاً من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم.

ثم ذكر الله تعالى مناقشة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستسلام والاستكشاف ووجه السؤال: أنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق؟

فاجيب بأنه ليس من أهلك، أي الذين وعدت بنجاتهم، أي أما قلنا لك: ﴿وَأَهْلُكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [هود: ٤٠] فكان هنا عن سبق عليه القول منهم بأن سيفرق بكثرة؛ ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان ففرق مع حزبه أهل الكفر والظلم.

ثم قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سُتْمُوعُهُمْ فَمَا يَسْمَعُ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

هذا أمر لنوح عليه السلام لما نصب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر «جبل الجودي». وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور، وقد قلنا ذكره عند خلق الجبال «بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ» [هود: ٤٨] أي: اهبط سالماً مباركاً عليك وعلى أمة من سيولد بعد، أي من أولادك، فإن الله لم يجعل لأحدٍ ممن كان معه من المؤمنين نسلًا ولا عقباً سوى نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم يتسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم: «سام وحام ويافث».

قال الإمام أحمد [٩/٥]: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن عن سمرة أن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم».

ورواه الترمذي [٣٢٣١] عن بشر بن معاذ العقدي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً نحوه.

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر [القصص والأسم: ص ١٠، ١١] وقد روى عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ مثله [تاريخ الطبري: ٢٠/٩].

لسبع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر وثبت رؤوس الجبال.

فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه فلم يجد لرجليها موضعاً فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها. ثم مضت سبعة أيام، ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أسمت وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض.

ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت، فلما مكثت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك (تفسير الطبري: ٤٨/١٢، ٤٩).

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب.

قال ابن إسحاق: وفي الشهر الثاني من سنة اثنين في ست وعشرين ليلة منه ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سَمُوتُكُمْ ثُمَّ يَنْصَبُكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨).

وفيما ذكر أهل الكتاب أن الله كلم نوحاً قائلاً له: اخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب التي معك ولتنموا ولتكثروا في الأرض، فخرجوا وابتنى نوح مذبحاً لله عز وجل وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قرباناً إلى الله عز وجل، وعهد الله إليه أن لا يعيد الطوفان على أهل الأرض. وجعل تذكُّر الميثاق إليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي قدعنا عن ابن عباس أنه أمان من الفرق (العلم الكبير ١٠٥٩١).

قال بعضهم: فيه إشارة إلى أنه قوس بلا وتر، أي أن هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كأول مرة.

وقد أنكرت طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقروى الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا: إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا. قالوا: ولم نزل توارث الملك كبراً عن كابر من لدن كيومرث - يعنون آدم - إلى زماننا هذا (تاريخ الطبري: ١٩٢/١) وفيه عنده «يومرث» بدلاً من «كيومرث».

وهذا قاله من قاله من زنادقة الجورس عباد النيران واتباع الشيطان وهذه سفسة منهم وكفر فطيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات

وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان، وأنه عم جميع البلاد ولم يبق الله أحداً من كثرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد الموصوم وتقديراً لما سبق في القدر المحتوم.

١٠- ذكر شيء من أخبار نوح

نفسه عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣).

قيل: إنه كان يحمّد الله على طعامه وشرايه ولباسه وشأنه كله.

وقال الإمام أحمد (١١٧/٣): حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكريا بن أبي زائدة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله

وخزيرة فأقبلا على الروث، ولما وقع الفأر يجرز السفينة بقرضه أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اضرب بين عيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر. فقال له عيسى: كيف علم نوح عليه السلام أن البلاد قد غرقت؟ قال: بثت الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوق عليها فدعا عليه بالخوف؛ فلذلك لا يآلف البيوت.

قال: ثم بثت الحمامة فجاءت بورق زيتون بمقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد غرقت فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت.

قال فقالوا: يا رسول الله ألا نطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟! قال: فقال له: عد بإذن الله فعاد تراباً.

وهذا أثر غريب جداً.

وروى عليه بن أحر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وأن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت باليت أربعين يوماً ثم وجهها إلى «الجودي» فاستقرت عليه فبث نوح عليه السلام الغراب لآتيه بخبر الأرض فذهب فوق على الجف فابطأ عليه، فبثت الحمامة فآتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين، فعرف نوح أن الماء قد نصب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت الستهم على ثمانين لفة إحداها العربية وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم.

وقال قتادة وغيره: ركبا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب، فساروا مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم (تاريخ الطبري: ١٩٠/١).

وقد روى ابن جرير (تفسيره: ٤٧/٢) خبراً مرفوعاً يوافق هذا وأنهم صاموا يومهم ذلك.

وقال الإمام أحمد (٣٥٩/٢): حدثنا أبو جعفر، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب بن عبد الله، عن شيل، عن أبي هريرة قال: مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال: «ما هذا من الصوم؟» فقالوا: هذا اليوم الذي نجا الله موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل فقال النبي ﷺ: «أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم». وقال لأصحابه: «من كان منكم أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان منكم قد أصاب من غداء أهله فليتم بقية يومه».

وهذا الحديث له شاعداً في الصحيح (٢٠٠٤) من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضاً والله أعلم.

وأما ما يذكره كثير من الجهلة أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها وطحنوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالإنمد لتقوية أبصارهم لما ابهارت من الضياء بعدما كانوا في ظلمة السفينة؛ فكل هذا لا يصح فيه شيء وإنما يذكر فيه آثار مقطعة عن بني إسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها، والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق: لما أراد الله أن يكف ذلك الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض، فسكن الماء واتسدت ينابيع الأرض فجعل الماء ينقص ويغيب ويدير، وكان استواء الفلك فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع

السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصصهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبجمعه فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق، وأنهارك عن الشرع والكبر؟ قال: قلت (أو) قيل: يا رسول الله هذا الشرع قد عرفناه فما الكبر؟ قال: «أن يكون لأحدنا ثعلبان حستان لهما شراكا حسان قال: «لا». قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: «لا». قال: هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: «لا». قال: هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: «لا». قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: «سفه الحق وغمض الناس».

وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

ورواه أبو القاسم الطبراني [ذكره المعجمي في المجمع ٢٢٠/٤ وعزه إلى أحمد والطبراني] من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «كان في وصية نوح لابنه: أوصيك بمحبتين وإنهارك عن خصلتين» فذكر نحوه. وقد رواه أبو بكر البزار [كشف الاستار ٣٠٦٩] عن إبراهيم بن سعيد، عن أبي معاوية الضرير، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ بنحوه. والظاهر أنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أحمد والطبراني، والله أعلم.

ويزعم أهل الكتاب أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمائة سنة. وقتلنا عن ابن عباس مثله وزاد: وعاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة [البرق ١٧٩/١، ١٨٠]. وفي هذا القول نظر. ثم إن لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القرآن فهو خطأ محض، فإن القرآن يقتضي أن نوحاً مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فاستخدم الطوفان وهم ظالمون. ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك.

فإن كان ما ذكر عن ابن عباس محفوظاً من أنه بعث وله أربع مائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة.

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير [لم نثر عليه فيهما] والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً: أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام.

وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة البقاع تعرف اليوم بكر نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك وأوقفت عليه أوقات فيما ذكر، والله أعلم بالصواب.

١٢- موضع قبر نوح

إن قال قائل: هل ورد في تعيين قبر نوح عليه الصلاة والسلام شيء من الآثار؟ فالجواب نعم ورد في ذلك حديث مرسل وأورده الإمام أبو محمد بن جرير الطبري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] عزو فانه قال وقيل: أن الأرض التي ذكرها الله في هذه الآية هي مكة. حدثنا أبو حميد حدثنا جرير عن عطاء عن ابن سابط اسمه عبد الرحمن أن النبي ﷺ قال: «دعيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهي أول من طاف به وهي الأرض التي قال الله

ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ لِيرِضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»

وكذا رواه مسلم [٢٧٣٤] والترمذي [١٨١٦] والنسائي [كبرى (١٨٩٩)] من حديث أبي أسامة.

والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية، فإن الشكر يكون بهما وبهذا كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجَّب

ذكر صومه عليه السلام:

وقال ابن ماجه [١٧١٤]: «باب صيام نوح عليه السلام»: حدثنا سهل بن أبي سهل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، عن ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة، عن أبي فراس أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحي».

هكذا رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن لهيعة بإسناده ولفظه.

وقد قال الطبراني [عزاه المعجمي في المجمع ١٩٥/٣، وذكره ابن عساكر في محضره ٢١٤/٢٩]: حدثنا أبو الزنبايع روح بن فرج، حدثنا عمرو بن خالد الحراني، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قنان عن يزيد بن رياح أبي فراس، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحي، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر صام الدهر وأفطر الدهر».

ذكر حجة نوح عليه السلام:

وقال الحافظ أبو يعلى [هو عند أحمد ٢٣٣/١]: حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي عن زعفة، هو ابن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان قال: «يا أبا بكر أي واد هذا؟» قال: هذا وادي عسفان قال: «لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر، خطمهم الليف، أزروهم العباء، وأرديتهم النمار، يخرجون البيت العتيق».

فيه غرابة.

١١- وصيته لولده عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد [١٩٩/٢، ١٧٠]: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن الصنع بن زهير، عن زيد بن أسلم، قال حماد: أظنه عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية وعليه جبة مسيجان مزرورة بالديباج فقال: «ألا إن صاحبكم هنا قد وضع كل فارس ابن فارس - أو قال يريد أن يضع كل فارس ابن فارس - ورفع كل راع ابن راع».

قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبهته وقال: «ألا أرى عليك لباس من لا يعقل». ثم قال: «إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصص عليك الوصية أمرك باثنتين وإنهارك عن اثنتين: أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووُضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن

المسجد الحرام وهذا أشهر من أن يحتاج إلى بسط أكثر من هنا ولهذا أشكل هذا الحديث على كثير من العلماء لما رأوا أن إبراهيم هو أول من بنى المسجد الحرام.

وفي سنن النسائي، وصحيح أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله إن سليمان بن داود بني مسجد بيت المقدس. وفي حديث أبي ذر أن بينهما أربعين سنة وقد علم كل أحد أن بين سليمان وإبراهيم أنزيد من ذلك بأكثر من ألف سنة. فشرح أبو حاتم محمد بن حبان البستي يوهن حديث أبي ذر المذكور فأخطأ في صنيعه ذلك، لأنه يخرج في الصحيحين بإسناد لا يشك في صحته والإشكال الذي وقف عليه سأذكر حله إن شاء الله تعالى. فرد حديث أبي ذر هنا كما ذكرت لك وقد أخرج في صحيحه حديثه المطول الذي تقرر به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني التمشقي وقد تكلم فيه الأئمة وكتبه أبو زرعة الرازي وغيره رحمهم الله. وفيه ما في الأول وزيادة، فهذا تناقض والإشكال ليس بلازم قطعاً فإنه ليس في الحديث أن سليمان عليه السلام هو ابتداء بناء بيت المقدس. قيل: أنه بناءه وقد كان بيت المقدس قبل ذلك كهفاً ومثلاً لبني إسرائيل قبله وقد كانوا بعد خروجهم من التيه وموت هارون ثم موسى عليهما السلام أروا إلى بيت المقدس ونصبوا على الصخرة قبة العهد التي كان الله أمر موسى عليه السلام بصنعها، فكانوا يصلون إليها في التيه، ثم لما نصبت على الصخرة استمروا يصلون إليها فلما ذهبت استمروا يصلون إلى الصخرة وهذا مضمون ما ذكره غير واحد من أئمة العلماء.

وقد رواه أبو داود في كتاب التناسخ والتسويخ وخروجهم من التيه كان مع يوشع بن النون خليفة موسى عليه السلام في النبوة صلوات الله وسلامه عليهما.

فدل هذا كله على أن البيت المقدس كان موجوداً قبل نبي الله سليمان عليه السلام والحديث ليس يدل على أنه ابتداء بناءه قطعاً فهو محمول على أنه جدد مصالحه أو بناءه مستأنفاً على حياة لم تكن. فإن قيل: فمن أول من وضعه؟ فالجواب قد ذكر غير واحد من الأئمة من علماء هذه الأمة أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه هو الذي بناه أولاً وهذا هو الذي يزمه أهل الكتاب وهو صحيح لأنه قد دل عليه تاريخ الحديث المذكور عن أبي ذر في الصحيحين والخبر الكتابي إذ شهد الشرع بصحته قبل.

فإن قيل: حديث أبي ذر دل على أن المسجد الحرام قبل بيت المقدس بأربعين سنة فسلمنا أن إبراهيم هو الذي وضع البيت الحرام لما تقدم فلم قلت أن يعقوب هو الذي وضع بيت المقدس؟ لم لا يجوز أن يكون وضعه غيره بعد بناء إبراهيم المسجد بأربعين سنة؟ فالجواب: دلت قرأتان على صدق ذلك، وذلك أن يعقوب عليه السلام ولد في حياة إبراهيم كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَاقِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] ويعقوب كنا مقيماً بأرض بيت المقدس بعد موت إبراهيم وما كان أحد في ذلك الحين يضع مسجداً لله غيره وغير أبيه إسحاق لأن أحداً لم يكن نبياً ذلك الحين غيرهما ولا يفتت أحد على الأنبياء في استباق الخيرات، بل هم أسبق البشر في ذلك ولم يقل أحد أن الذي وضعه إسحاق فلزم أنه يعقوب عليه السلام، وأيضاً فإن هذه المساجد الثلاث وهي: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد رسول الله ﷺ بالمدينة إنما شرفت على سائر مساجد الأرض لأن كل واحد منها بناء نبي، ولهذا: «لا تشد الرحال بالسفر الطويل إلى مسجد معين من الأرض يراد التقرب بأعمال الطهي إليه إلا إلى هذه

تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ﴾ [البقرة: ٣٥] وقال النبي: «إذا هلك قومه ونجت هو والصالحون أتاهم هو ومن معه فيقتبوا الله بها حتى يموتوا فإن قبر هود ونوح وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام».

ورواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه من طريق أبي البرتي عن المفضل بن محمد عن عبد الله بن أبي شسان عن جرير عن عطاء، عن عبد الرحمن بن سابط قال: إن قبر نوح، وهود، وشعيب، وصالح بين زمزم وبين الركن والمقام. فجعله موقوفاً على ابن سابط من كلامه.

وفي... في موضع آخر قبر نوح عليه السلام وغيره ومداره على عطاء بن السائب الخراساني وفيه ضعف. ولو صح هذا لأفادنا ضعف ما يتداوله أهل هذه الأمصار من أن نوحاً صلوات الله وسلامه عليه مقبور بهذه البلدة التي اشتهر اضافتها إليه وهي كرك نوح وهي بأرض البقاع غربي دمشق وكذلك ما يزعمه بعض من صنف في فضائل الشام من أن هوداً عليه السلام مقبور في الحائط القلبي من جامع دمشق قريباً من الماذنة الشرقية. وثم علامة عليه تعرف، وقيل: أن قبر هود عليه السلام بمحرموت. رواه البخاري في تاريخه الكبير من حديث ابن إسحاق:

١٣- بناء المسجد الحرام وذكر المساجد الثلاث

حدثني محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزازي عن أبي الطفيل سمعت علياً يقول ذلك في كلام طويل ذكره في ترجمة محمد هذا ولو صح هذا الخبر المتقدم أيضاً لدل أن مكة والبيت عمراً قبل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وقد نقل ذلك بعض المفسرين عن عبد الله بن عباس وغيره ولكن بلا إسناد ولا يصح وهو يخالف لظاهر الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] وكذا قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وهذا سياق الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عباس في قصة بناء إبراهيم عليه السلام البيت الحرام.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: الآية]. وقال تعالى: ﴿إِنْ أُولَئِئِنَّ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيْكَةً مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧] وليس المراد بأنه أول بناء وضع على وجه الأرض كما يقوله من زعم أن آدم من أول من وضعه أو أن الملائكة أول من بناه، وإنما المراد أنه أول بيت وضع مبارك للعبادة وهذا معنى ما رواه شعبة وأبو عوانة عن سماك عن خالد بن عرعر عن علي رضي الله عنه. وهكذا قال الحسن البصري ومطر الوراق وسعيد بن جبير وهو الذي رجحه ابن جرير في تفسيره، وهو الذي لا شك فيه لأن الحال في قوله: ﴿مَبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] دل على ذلك كأنه قال: أول بيت وضع على البركة: أي حال كونه مباركاً للذي بئكة، وهذا لا ينفي أن يكون وضع قبله بيوت كثيرة للمسلمين وغير ذلك فدل ذلك على أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى المسجد الحرام.

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أولاً؟ قال: «المسجد الحرام»؛ قلت ثم أي؟ قال: «مسجد بيت المقدس»؛ قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». فظهر لك من سياق الآيات المذكورة مع هذا الحديث أن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى

وقال في المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١] وهم قوم هود على الصحيح.

وزعم آخرون أنهم ثمود لقوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَنَجَلْنَاهُمْ غَتَاهُ﴾ [المؤمنون: ٤١].

قالوا: وقوم صالح هم الذين اهلكوا بالصيحة ﴿وَأَمَّا غَادُ فَأَهْلِكُوهَا﴾ بريح صرصر عاتية [الحاقة: ٦].

وهذا الذي قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم كما سيأتي في قصة أهل مدائن أصحاب الأيكة، فإنه اجتمع عليهم أنواع من العقوبات. ثم لا خلاف أن عاداً قبل ثمود.

والمقصود أن عاداً كانوا عرباً جفاة كافرين عتاة متردين في عبادة الأصنام فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراذه بالعبادة والإخلاص له فكذبوه وخالفوه وتنقصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

فلما أمرهم بعبادة الله ورجبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦] أي هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرحى منها النصر والرزق ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧] أي ليس الأمر كما تقولون ولما تعتقدون ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِّن رَّسُلِي﴾ [الأعراف: ٦٨] والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ وعدم الزيادة فيه والتقصص منه ويستلزم إيلاجه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب.

وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم جعلاً بل هو خلص لله عز وجل في الدعوة إليه والنصح لخلق، لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله، فإن خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه؛ ولهذا قال: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١] أي: ما لكم عقل تجوزون به وتفهمون أنني أدعوكم إلى الحق المبين الذي تشهد به فطركم التي خلقتكم عليها وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحاً وأهلك من خالفه من الخلق، وما أنا أدعوكم إليه ولا أسألكم أجراً عليه بل ابتغى ذلك عند الله مالك الضر والنفع؛ ولهذا قال مؤمن يس: ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ. وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢١ - ٢٢].

وقال قوم هود له فيما: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِشَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرَةٍ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤] يقولون: ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا من مجرد قولك بلا دليل أقمته ولا برهان نصبته وما نحن إلا أنك مجنون فيما تزعمه، وعندنا إنما أصابك هذا لأن بعض أئمتنا غضب عليك فأصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك وهو قولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرَةٍ قَالَ إِنِّي أَنشِئُ اللَّيْلُ وَأَسْهِوْهُ أَتَى بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ. مِّن دُونِهِ فَكَيْلُونَنِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٥].

وهنا تحد من لهم وتبرؤ من آلتهم وتنقص من لها ويبان أنها لا تنفع شيئاً ولا تضر وأنه جعاد حكمها حكمه وفعلها فعله. فإن كانت كما

الغالبين. أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آتَةٍ تَصُبُّونَ. وَتَصْلُحُونَ مَصَانِعَ لِمَلَكُم تَخْلُكُونَ. وَإِنَّا بِطَنَتُمْ بِطَنَتُمْ جِبَارِينَ. فَأَتَوْا اللَّهَ وَالطَّيْعُونَ. وَأَتَوْا الَّذِي أَمَلَكُم بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَلَكُم بِأَتَامَ وَيَتِينَ. وَجَنَاتٍ وَثِيرِينَ. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنَ الْوَاعِظِينَ. إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ. وَمَا نَحْنُ بِمُتَعَذِّبِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٤٠].

وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿ثُمَّ آتَاهُ غَادُ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِبَيْتِهِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنَمُوتَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [ص: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَاذْكُرْ أَصْحَابَ عَادِ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُومُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِآيَاتِنَا عَنِ الْهَيْئَةِ فَأَنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ. فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ نَّالَ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاجِدُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢١ - ٢٥].

قال تعالى في النمل: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّيْصِ﴾ [النمل: ٤١ - ٤٢].

وقال تعالى في النجم: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ. وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ. وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ. فَفُتِحْنَا مَا غَشَىٰ. فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَذَكَّرُ﴾ [النجم: ٥٠ - ٥٥].

وقال تعالى في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ كَذِبَتْ كَانَ عَذَابِي زَلُورًا. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ مُّسْتَوِيرٍ. تَنَزَّعَ النَّاسُ ظَنَّنَهُمْ أَعْجَابًا نَّحْلُ مُقْعَرٍ. كَذِبَتْ كَانَ عَذَابِي زَلُورًا. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٨ - ٢٢].

وقال في الحاقة: ﴿وَأَمَّا غَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ زَخَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨].

وقال في سورة القمر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قُتِلَ رَبُّكَ بَعَادُ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ يَمْثَلَهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَإِدِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. فَكَثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبَالَغُ الْعَذَابِ﴾ [القمر: ٦ - ١٤].

وقد تكلمنا على كل من هذه القصص في أماكنها من كتابنا التفسير، ولله الحمد والمنة.

وقد جرى ذكر عاد في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والعنكبوت وفي سورة ص وفي سورة ق

ولنذكر مضمون القصة مجموعاً من هذه السياقات مع ما يضاف إلى ذلك من الأخبار.

وقد قلنا أنهم أول الأمم عبدوا الأصنام بعد الطوفان. وذلك بين في قوله لهم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩] أي جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلقة والسدة والبسط.

باطلة وخيال فاسد بلا برهان ولا دليل يستميل عقل الفجرة الكفرة من بني آدم الذين لا يعقلون ولا يهتدون كما قال تعالى: ﴿وَلَتَصْنَعُنَّ آلِيَهُ أَفِيدَةً﴾ الذين لا يؤمنون بالأخيرة وَلَيَصْنَعُنَّ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]

وقال لهم فيما وعظهم به: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَسْخَرُونَ مَضَاجِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩] يقول لهم اتبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيماً هائلاً كالقصور ونحوها تعبثون بينها لأنه لا حاجة لكم فيه وما ذاك إلا لأنهم كانوا يسكنون الحيام كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِذْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَئِنْ لَمْ يَخْلُقْ يَنْهَلْهَا فِيهِ الْبِلَادُ﴾ [القمر: ٨٦-٨٧] فعاد إرم هم عاد الأولى الذين كانوا يسكنون الأعمدة التي تحمل الحيام.

ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال ما لا دليل عليه.

وقوله: ﴿وَتَسْخَرُونَ مَضَاجِعَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] قيل: هي القصور. وقيل: بروج الحمام. وقيل: مأخذ الماء ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] أي رجاء منكم أن تعمروا في هذه الدار أعماراً طويلة.

﴿وَإِذَا نَظَرْتُمْ تَخْلُفَتُمْ حِبْرَانِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَاتَّقُوا الَّتِي أُتِيتُمْ بِهَا تُعْلَمُونَ. أَمْلِكُمْ بِمَا لَكُمْ فِئَافَافٌ. وَجَنَافَافٌ. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٠ - ١٣٥]

وقالوا فيما عا قالوا ﴿اجْتَنِبُوا رَبِّيَ أَهْلَكَ الْمَوْتِ وَالْطَّيِّفِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] أي اجتنابوا لعباد الله وحده وخالف آباءنا وأسلاننا وما كانوا عليه. فإن كنت صادقاً فيما جئت به فأتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فإننا لا نؤمن بك ولا نتبعك ولا نصدقك.

كما قالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ. إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ. وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨].

أما على قراءة فتح الحاء فالمراد به اختلاق الأولين، أي أن هذا الذي جئت به إلا اختلاق منك وأخذته من كتب الأولين [هــو الطوري: ٩٧/١٩].

هكذا فسره غير واحد من الصحابة والتابعين.

وأما على قراءة ضم الحاء واللام فالمراد به الدين، أي إن هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الآباء والأجداد من أسلافنا ولن نتحول عنه ولا نغير ولا نزال متمسكين به.

ويناسب كلا القرائتين الأولى والثانية قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٨]

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سُمَّيْهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا تُزَكُّوا اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاتَنْظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١] أي قد استحققتهم بهذه المألة الرجس والغضب من الله أتمارضون عبادة الله وحده لا شريك له عبادة أصنام أتم تخمونها وسميتموها آفة من تلقاء أنفسكم اصطلحتم عليها أتم وآبائكم ﴿مَا تُزَكُّوا اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي لم يزل على مذهبهم إليه دليلاً ولا برهاناً وإذا أبيتهم قبول الحق ومغابتهم في الباطل، وسواء عليكم أنهيتم عما أتم فيه أم لا فانتظروا الآن عذاب الله الواقع بكم وبأسه الذي لا يرد ونكاله الذي لا يصد.

وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاءً﴾ [الزمر: ٢٦] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِيَيْنِ. فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِأَلْحَقٍ فَجَعَلْنَاهُمْ عِشَاءً مُبْعَدًا

تزعمون من أنها تصير وتنفع وتضرر فيها أنا بريء منها لآعن لها: ﴿فَيُخَوِّفُنِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ﴾ أتم وهي جميعاً جميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه وتقدروا عليه ولا تخوونني ساعة واحدة ولا طرفة عين، فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر إليكم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا مَا أُخِذَ بِنَاصِيَتِهَا إِنِّي رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] أي أنا متوكل على الله ومتابيد به وواتق بمنابيه الذي لا يضيع من لاذ به واستند إليه فلست أبالي بخلوفاً سواء ولست أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه.

وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله ورسوله وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوء ولا نالوا منه مكروهاً، فدل على صدقه فيما جاءهم به وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا إليه.

وهذا الدليل بعينه قد استدلل به نوح عليه السلام قبله في قوله: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ﴾ [يونس: ٧١]

وهكذا قال الخليل عليه السلام: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَفَى أَصَافَ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتِيَانَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ ذَرْجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٣]

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ الْآخِرَةِ وَأُفِّرْنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ بِئْسَ إِنْ كَانَ أَتَابِعُكُمْ. أَيْدِيكُمْ إِذَا يَبُغِذُكُمْ أَتَأْمُرُكُمْ أَنْ تُقْرَبُوا وَتُؤْتُوا لَهُمْ مَوَازِينُ﴾ [الزمر: ٢٣ - ٢٥].

استعملوا أن يعبد الله رسلاً بشرياً، وهذه الشبهة ادل بها كثير من جهلة الكفرة قديماً وحديثاً، كما قال تعالى: ﴿أَكُنْ لِلنَّاسِ عَجَبًا أُنْزِلَتْ عَلَيْنَا لَأَيُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ﴾ [يونس: ٢]

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَشَرٌ يَأْتِيهِمْ رُسُلًا. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَنْشُرُونَ مَطَافِينَ لَنُزِّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الأنعام: ٩٤، ٩٥]

لهذا قال لهم هود عليه السلام: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣] أي ليس هذا بعجيب، فإن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقوله: ﴿أَيْدِيكُمْ أَتَأْمُرُكُمْ إِذَا يَبُغِذُكُمْ تَرْبَاً وَعِظَامًا أَتَأْمُرُكُمْ مَخْرُجُونَ. هَئِهِاتِ هَئِهِاتِ لِمَا تَوَعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. إِنْ هِيَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الزمر: ٣٥ - ٣٩] استعملوا المعاد وأنكروا قيام الأجساد بعد صيورتها تراباً وعظاماً وقالوا: ﴿هَئِهِاتِ هَئِهِاتِ﴾ أي: بعيد بعيد هذا الوعد ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي: يموت قوم ويحيا آخرون. وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة: أرحام تدفع وأراض تبلغ.

وأما النبوية فهم الذين يعتقدون أنهم يعودون إلى هذه الدار بعد كل سنة وثلاثين ألف سنة؛ وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال وأقوال

وأنتم ههنا فيما اشتبهتم نهاركم وليلكم تماماً
فبقح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما

قال: فعند ذلك تبه القوم لما جاؤوا له فنهضوا إلى الحرم ودعوا
لقومهم، فدعا داعيهم وهو قبل ابن عتر فأشأ الله سبحانه ثلاثاً بيضاء
وحمرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء: اختر لنفسك ولقومك من هذا
السحاب فقال: اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه
مناد: اخترت رماداً ومملاً لا تبقي من عاد أحداً. لا والدأ تترك ولا ولدأ.
إلا جعلته مملاً إلا بني اللوزية للمهاد.

قال: وهو بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة فلم يصبههم ما أصاب
قومهم قال: ومن بقي من أنسابهم وأعقابهم هم عاد الآخرة.

قال: وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قبل بن عتر بما فيها من
النفقة إلى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له: المغيث، فلما رأوها
استبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا فيقول تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ
بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تَذْهَبُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحاف: ٢٤ - ٢٥]
أي تهلك كل شيء أمرت به.

فكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من
عاد يقال لها مهد، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفادت
قالوا: ما رأيت يا مهد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كسهب النار أمامها رجال
يقودونها. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حوسماً، والحسوم
الدائمة، فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك.

قال: واعتزل هود عليه السلام فيما ذكر لي في حظيرة هو ومن معه
من المؤمنين ما يصيهم إلا ما يلين عليهم الجلود وتلتذ الأنفس وإنها لتمر
على عاد بالظعن فيما بين السماء والأرض وتلمعهم بالحجارة. وذكر تمام
القصة (مفسر الطبري: ٢١٧/٨ - ٢٢٠، وراية: ٢١٩/١ - ٢٢٤).

وقد روى الإمام أحمد [٤٨٧/٣] حديثاً في مسنده يشبه هذه القصة
فقال: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي،
حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل، عن الحارث وهو ابن حسان
ويقال: ابن يزيد البكري قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى
رسول الله ﷺ فمررت بالريذة، فإذا عجوز من بني تميم متقطع بها فقالت
لي: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغني إليه؟
قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخفق
وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: ما شأن الناس؟
قالوا: يريد أن يعث عمرو بن العاص وجهاً قال: فجلست. قال: فدخل
مزله أو قال: رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال: «هل
كان بينكم وبين بني تميم شيء؟» فقلت: نعم. قال: وكانت لنا الليرة
عليهم ومررت بعجوز من بني تميم متقطع بها فسألني أن أحملها إليك وهما
هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن تجمل بيتنا
وبين بني تميم حاجزاً فأجعل الدهناء فحمت العجوز واستوفرت. قالت: يا
رسول الله، فإني أين تضطر مضرك؟ قال: فقلت: إن مثلي ما قال الأول:
(معزى حلت حفها) حلت هذه ولا أشعر أنها كانت لي حضماً، أعوذ
بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال: «هيه وما وافد عاد؟» وهو أعلم
بالحديث منه ولكن يستطعمه.

قلت: إن عاداً قطعوا فيمئوا وقدأ لهم يقال له قيل، فمر بمعاوية بن
بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جارينان يقال لهما الجرادتان، فلما

للقوم الظالمين» [الزمر: ٤١]

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَذَكَّرَ مِنْكُمْ أَمْ إِنَّا أَنَا الَّذِينَ كُنَّا مِنْ
الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَأَلْبَسَكُمْ مَا تَرَىٰ سَلَتْ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ. فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تَذْهَبُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا
فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا أَسْمَاقَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحاف: ٢٢ - ٢٥]

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية كما تقدم مجملأ
ومفصلاً بقوله: ﴿فَأَعْيَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا ذُوبَابًا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
بِأَمْرِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢].

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ. وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُخَالِصُكَ بِهَا
وَأَتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ السُّبُلِ لَعَنَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ
عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدَ لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ﴾ [هود: ٥٨ - ٦٠].

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّبْحَةَ بِالحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبُعِدَ لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ [الزمر: ٤١].

وقال تعالى: ﴿تَكَذَّبُوهُ فَأَعْلَنَ لَهُمْ رَبِّي فِي ذَلِكَ لَآئِيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٣٩ - ١٤٠]

وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ
أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ [الأحاف: ٢٤].

كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محلين مستين فطلبوا
السقيا فأروا عارضاً في السماء وظنوه سقيا رحمة فإذا هو سقيا عذاب. ولهذا
قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ [الأحاف: ٢٤] أي من وقوع العذاب
وهو قومهم: ﴿فَأَتَيْنَا بَعْدَ تَبَيُّنَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحاف: ٢٢] ومثلها
في الأعراف.

وقد ذكر المقسرون وغيرهم ههنا الخبر الذي ذكره الإمام محمد بن
إسحاق بن يسار قال: فلما أبو إلا الكفر بالله عز وجل أسك عنهم المطر
ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك. قال: وكان الناس إذا جهدهم أمر في
ذلك الزمان فطلبوا من الله الفرج منه إنما يطلبونه بحرمه ومكان بيته وكان
معروفاً عند أهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق
بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم إذ ذاك رجلاً يقال له: معاوية بن
بكر، وكانت أمه من قوم عاد واسمها جليلة ابنة الخبيري.

قال: فبعث عاد وقدأ قريباً من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم
فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فزلوا عليه فأتوا عنده شهراً يشربون
الخمر تغنيهم الجرادتان قيتان لمعاوية وكانوا قد وصلوا إليه في شهر. فلما
طال مقامهم عنده وأخذته شفقة على قومه واستحيا منهم أن يأمرهم
بالانصراف عمل شعراً يعرض لهم بالانصراف وأمر القيتين أن تغنياهم به
فقال:

ألا يا قيسل ويمحك قم فهينم لعل الله يصحبنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً قد أمسوا لا يبنون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير فقد أمت نساؤهم عيامي
وإن الوحش يأتهم جهاراً ولا يخشى لعادي سهاما

النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ [الأحاف: ٢١] فالظاهر أن عاداً هذه هي عاد الأولى فإن سياقتها شبيهة بسياق قوم هود وهم الأولى. ويحتمل أن يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية. ويدل عليه ما ذكرنا وما سيأتي من الحديث عن عائشة رضي الله عنها.

وأما قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْتِنِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا﴾ [الأحاف: ٢٤] فإن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر، فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة، فإذا هو نعمة رجوا فيه الخير فقالوا منه غاية الشر؛ قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ [الأحاف: ٢٤] أي من العذاب، ثم فسره بقوله ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحاف: ٢٤]

يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بآبائها الثمانية فلم تبق منهم أحداً بل تبعهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيران فتلفهم وتخربهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما منوا بقرتهم وشدهم وقالوا: من أشد منا قوة؟ سلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة وأقدر عليهم وهو الريح العقيم.

ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ظن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم وغيث لمن بقي منهم، فأرسلها الله عليهم شرراً وناراً كما ذكره غير واحد، ويكون هذا كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدائن وجمع لهم بين الريح الباردة وعذاب النار وهو أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد أفلح المؤمنون، والله أعلم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس، حدثنا ابن فضل عن مسلم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخنات» فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواسيهم وأموالهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا﴾ [الأحاف: ٢٤] فالقت أهل البادية ومواسيهم على أهل الحاضرة.

وقد رواه الطبراني (العجم الكبر ١٢٤١٦) عن عبدان بن أحمد، عن إسماعيل بن زكريا الكوفي، عن أبي مالك، عن مسلم الملائي، عن مجاهد وسعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخنات»، ثم أرسلت عليهم فحملتهم البدن إلى الحضر، فلما رأها أهل الحضر قالوا: هذا عارض منظرنا مستقبل أوديتنا وكان أهل البرادي فيها فالقت أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا. قال: «عنت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب». قلت: وقال غيره: خرجت بغير حساب.

والمقصود أن هذا الحديث في رفعه نظر. ثم اختلف فيه على مسلم الملائي وفيه نوع اضطراب والله أعلم.

وظاهر الآية أنهم رأوا عارضاً والمفهوم منه لغة: السحاب كما دل عليه حديث الحارث بن حسان البكري إن جعلناه مفسراً لهذه القصة.

وأصرح منه في ذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٨٩٩) حيث قال: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وهب، سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «إذا

مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة فنادى: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أنني لم أجسأ إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه. اللَّهُمَّ اسق عاداً ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود فنودي منها: اختر. فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها: خذها رماداً رمداً لا تبقي من عاد أحداً قال فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا كتفد ما يجري في خاتمي هذا من الريح حتى هلكوا. قال أبو وائل وصديق: وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وقد هلكوا: لا تكن كوافد عاد.

وهكذا رواه الترمذي [٣٢٧٤] عن عبد بن حميد عن زيد بن الحباب به.

ورواه النسائي (كمى ٨٦٠٧) مختصراً من حديث سلام أبي المنذر عن عاصم بن بهدلة.

ومن طريقه رواه ابن ماجه [٢٨١٦] من طريق عاصم بن بهدلة ولم يذكر أبا وائل.

وهكذا أورد هذا الحديث وهذه القصة عند تفسير هذه القصة غير واحد من المفسرين كابن جرير (تفسيره: ٢٢٠/٨، ٢٢١، واربعة: ٢١٧/١، ٢١٨ وغيره).

وقد يكون هذا السياق لإهلاك عاد الآخرة فإن فيما ذكره ابن إسحاق وغيره ذكراً لمكة ولم تبن إلا بعد إبراهيم الخليل حين أسكن فيها هاجر وابنه إسماعيل، فنزلت جرهم عندهم كما سيأتي وعاد الأولى قبل الخليل وفيه ذكر معاوية بن بكر وشعره وهو من الشعر المشاعر عن زمان عاد الأولى لا يشبه كلام المتقدمين. وفيه أن في تلك السحابة شرر نار وعاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر.

وقد قال ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من أئمة التابعين: هي الباردة والعاتية الشديدة الهبوب ﴿سَخَرْنَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧] أي كوامل متابعات (تفسير الطبري: ٤٩/٢٩). قيل: كان أولها الجمعة. وقيل: الأربعاء ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُغِصَاجٌ نَخْلٌ خَائِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٧] شبههم بأعجاز النخل التي لا رؤوس لها وذلك لأن الريح كانت تهيئ إلى أحدهم فتحمله وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى جثة بلا رأس كما قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [الفرق: ١٩] أي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم ﴿تَنَزَّعَ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أُغِصَاجٌ نَخْلٌ مُنْقَرِعٌ﴾ [الفرق: ٢٠].

ومن قال: إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشامم به لهذا الفهم فقد أخطأ وخالف القرآن فإنه قال في الآية الأخرى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ﴾ [ص: ١٦] ومعلوم أنها ثمانية أيام متابعات، فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشؤومة، وهذا لا يقوله أحد وإنما المراد في أيام نحسات، أي: عليهم.

وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الدريات: ٤٢] أي التي لا تتج خيراً فإن الريح المفردة لا تنثر سحاباً ولا تلقح شجراً بل هي عقيم لا نتيجة خير لها؛ ولهذا قال: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَافَتَهُ كَالرِّيمِ﴾ [الدريات: ٤٢] أي كالشيء البالي الفاني الذي لا يتنفع به بالكلية.

وقد ثبت في الصحيحين (خ (١٠٣٥)، م (٩٠٠)) من حديث شعبة عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالبور».

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَكَا عَادٌ إِذْ أَنْزَلْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتْ

عصفت الريح قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ» قالت: وإذا تَحَيَّاتِ السماءُ تَغْيِيرَ لَوْنِهِ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَاجْبَرُ، فَإِذَا امْطَرَتْ سَرِي عَنْهُ عَرَفْتَ ذَلِكَ عَائِشَةً، فَسَأَلَتْهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُتَقَبِّلًا أَوْفَيْتِهِمْ قَالُوا هَذَا غَارِضٌ مُمَطَّرٌ﴾» [الأحاف: ٢٤].

رواه الترمذي [٣٤٤٩] والنسائي [١٠٧٧٦، ١٠٧٧٧] وابن ماجه [٣٨٩١] من حديث ابن جريج.

طريق أخرى:

قال الإمام أحمد [٦٦/٦]: حدثنا هارون بن معروف، أنبأنا عبد الله بن وهب، أنبأنا عمرو، وهو ابن الحارث، أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستنجماً ضاحكاً قط حتى أرى منه لهوته، إنما كان يتبسّم. وقالت: كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه. قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر. وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية! فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب. قد عذب قوم نوح بالريح. وقد رأى قوم عاد العذاب فقالوا: هذا غارض مطرنا». وهكذا رواه مسلم [٨٩٩] عن هارون بن معروف. وأخرجه البخاري [٤٨٢٨] وأبو داود [٥٠٩٨] من حديث ابن وهب.

فهذا الحديث كالصريح في تغاير القصتين كما أشرنا إليه أولاً. فعلى هذا تكون القصة المذكورة في سورة الأحاف خيراً عن قوم عاد الثانية. وتكون بقية السياقات في القرآن خيراً عن عاد الأولى والله أعلم بالصواب. وقلنا حج هود عليه السلام عند ذكر حج نوح عليه السلام. وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام في بلاد اليمن (المشرك: ٥٦٤/٢). وذكر آخرون أنه يمدش وبجامعها مكان في حائطه القبلي يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام والله أعلم.

١٥- قصة صالح نبي ثمود عليه الصلاة والسلام

وهم قبيلة مشهورة يقال لهم: ثمود باسم جدّهم ثمود أخى جديس، وهما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك. وقد مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين كما سيأتي بيانه، وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كما ولدت الله فيهم رجلاً منهم وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبيد بن ماسخ بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، فقدموا على عبادة الله وحده لا شريك له وإن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، فأنت به طائفة منهم وكثر جمهورهم ونالوا منه بالمال والفعال وهما بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَبُوا نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَمِهِ. وَادْكُرُوا إِيَّاهُ جَنَلَكُمْ خَلْفَهُ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَجَلَّوْنَ مِنْ سُوءِ لَهَا قَصُورًا

وَتَتَجَلَّوْنَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ. فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَ فَأَقْبَحَوا فِي ديارِهِمْ جَالِينَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» [الأعراف: ٧٣ - ٧٩].

وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَأَلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ. قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَخْصَةٌ فَخَفِي بَصَرِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْوِيرٍ. تَبَا قَوْمِ هَلْ يَبْقَى نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ. فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ. فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَالِينَ. كَانَ لِمُ ثَمُودَ فِيهَا آيٌ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ فَاصْبِرُوا وَرَبُّهُمْ أَلا يُعَذِّبُ الْمُثْمِرِينَ» [هود: ٦١ - ٦٨].

وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَكَانُوا يَتَجَلَّوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا أَيَّامِينَ. فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ. فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الحجر: ٨٠ - ٨٤].

وقال سبحانه وتعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» [الإسراء: ٥٩].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آيَاتِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ. وَتَجَلَّوْنَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا فَارِهِنَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُفْسِدِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ. قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ. قَالَ هَلْ يَبْقَى نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ. فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِينَ. فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» [الشعراء: ١٤١ - ١٥٩].

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ. قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالْحُكْمِ قُلِ الْحَسَنَةُ لَوْ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُتَعَمِّدُونَ. وَكَانَ فِي الْمَبِينَةِ نِسْمَةٌ زُعْطُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ. قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَوْلَاكَ أَهْلِيهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. وَتَكْبَرُوا مَكْرًا وَتَكْذِبُوا مَكْرًا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَفُلِكَ يَوْمَهُمْ كَاوِيَةٌ يَمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ. وَأَعْيَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٤٥﴾ [الشعراء: ٤٥-٤٣]

وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهَرُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [صافات: ١٧، ١٨]

وقال تعالى في سورة اعراس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ. فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَاجِبًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ وَسُعُرٌ أَتَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ. سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ مَنْ الْكُذَّابُ الْأَشِرُّ. إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاضْطَرِّ. وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَلَمَّا فِتْنَةً يَبْتَلِيهِمْ كُلَّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ. فَتَدَارَا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ. فَكَفَى كَانِ غَنَابِي وَنُذْرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [الفرقان: ٢٣-٣٢]

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسَيِّئًا. فَكُتِبَ لَهُمْ يَوْمَ تَدْرَأُهَا فَتَدَمُّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشعراء: ١١-١٥]

وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر عاد وثمود كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان وسورة «ص» وسورة «ق» و«النجم» و«الفجر». ويقال: إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب وليس لهما ذكر في كتابهم التوراة، ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنهما كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَالَ اللَّهُ لَنُنْفِئَ خَيْدَ. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [إبراهيم: ٨-٩] الآية.

الظاهر أن هذا من قدام كلام موسى مع قومه، ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يفضوا خبرهما جيداً ولا اعتنوا بحفظه وإن كان خبرهما كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام. وقد تكلمنا على هذا كله في التفسير مستقصاً والله الحمد والملة.

والمقصود الآن ذكر قصتهم وما كان من أمرهم، وكيف نعى الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا ب كفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام.

وقد قلنا أنهم كانوا عرباً وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من أمرهم؛ ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَمٍ. وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَنِي عَادٍ وَتَوَكَّمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُوءِهَا قُصُورًا وَتَتَّخِذُونَ الْجِبَالَ ثِيْرًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِلِينَ﴾ أي: إنما جعلكم خلفاء من بعدهم ليعتبروا بما كان أمرهم وتعملوا بخلاف علمهم وأباح لكم هذه الأرض تبون في سهولها القصور.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ ثِيْرًا فَارِيحِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩] أي حاذقين في صنعها وإتقانها وإحكامها فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك له وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته فإن عاقبة ذلك وخيمة؛ ولهذا وعظهم بقوله: ﴿اتَّزَكُوا فِي مَا هَاهُنَا آيَاتِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلُوفُهَا هُضْبٌ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٤٨] أي متراكم كثير حسن بهي ناضج ﴿وَتَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ ثِيْرًا فَارِيحِينَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ. الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٩-١٥٢].

وقال لهم أيضاً: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] أي هو الذي خلقكم فأنشاكم من الأرض وجعلكم عمارها، أي: أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرزاق فهو الذي يستحق العبادة وحده لا سواه ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَبَوَّأُوا آيَمَهُ﴾ [هود: ٦١] أي: أقبلوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فإنه يقبل منكم ويتجاوز عنكم ﴿إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ. قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦١-٦٢] أي قد كنا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة وهي دعاؤك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده وترك ما كنا نعبد من الأنداد والعدول عن دين الآباء والأجداد ولهذا قالوا: ﴿أَتَهْنَأُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لِقَاسِي شَكَّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَهَلْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ مَنْ عَصَيْتَ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٢، ٦٣] وهذا تطف من لم في العبارة ولين الجانب وحسن تات في الدعوة لهم إلى الخير أي فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وادعوكم إليه، ماذا يكون عذركم عند الله؟ وماذا يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أشرك دعاءكم إلى طاعته وأنا لا يمكنني هذا؛ لأنه واجب علي ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يغيرني منه ولا ينصرني، فانا لا أزال أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وقالوا له أيضاً: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] أي من المسحورين، يعنون: مسحوراً لا تدري ما تقول في دعاائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده وخلع ما سواه من الأنداد.

وهذا القول عليه الجمهور إن المراد بالمسحورين: المسحورين.

وقيل «مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» أي ممن له سحر. وهي الرة كلهم يقولون: إنما أنت بشر له سحر؛ والأول أظهر؛ لقولهم بعد هذا: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٤٥] وقولهم: ﴿فَأَنْتَ بَاطِلٌ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤] سألوه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم به ﴿فَقَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٌ. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥-١٥٦] وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] وقد ذكر المسحورون أن ثمود اجتمعوا يوماً في نأديهم فجاءهم رسول الله صالح - عليه السلام - فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم وعظهم وأمرهم فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاورا إلى صخرة هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافاً سموها ونعتمها وتعتمها فيها وإن تكون عشاء طويلة من صفتها كنا وكنا فقال لهم النبي صالح عليه السلام: أرايتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهدهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يبيهم إلى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة كوما عشاء على الوجه الذي طلبوا أو على الصفة التي نعتوا.

فلما عاينوها كذلك راوا أمراً عظيماً ومنظراً مائلاً وقدره باهرة ودليلاً قاطعاً ويرهاناً ساطعاً، فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم. ولهذا قال ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾ أي: جحدوا بها ولم يتبعوا

١٦- ذكر مرور النبي ﷺ بوادي الحجر

من أرض ثمود عام تبوك

قال الإمام أحمد (١١٧/٢): حدثنا عبد الصمد، حدثنا صخر بن جورية، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فجعنا منها ونصبوا القدور باللحم فأمرهم رسول الله ﷺ فأهراقوا القدور وعلفوا العجین الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عنبروا قال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم».

وقال أحمد أيضاً (١٧٤/٢): حدثنا عفان، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المغنين إلا أن تكونوا بأكين، فإن لم تكونوا بأكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

أخرجه في الصحيحين [خ (٤٣٣)، م (٢٩٨٠)] من غير وجه. وفي بعض الروايات أنه عليه السلام لما مر بمنزلهم قنع رأسه وأسرع راحلته ونهى عن دخول منازلهم إلا أن تكونوا بأكين.

وفي رواية: «فإن لم تكونوا بأكين خشي أن يصيبكم مثل ما أصابهم» صلوات الله وسلامه عليه.

وقال الإمام أحمد (٢٣١/٤): حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المسعودي، عن إسماعيل بن أوسط، عن محمد بن أبي بكشة الأنباري، عن أبيه واسمه: عمرو بن سعد ويقال: عامر بن سعد رضي الله عنه قال: لما كان في غزوة تبوك فسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس: «الصلاة جامعة» قال: فأتيت النبي ﷺ وهو عسك بعيره وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم»؛ فناداه رجل: تعجب منهم يا رسول الله قال: «أفلا أتيتكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم يبتكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعيبكم بعبادكم شيئاً وسيأتي قوم لا يدعون عن أنفسكم شيئاً». إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة فكانوا يبنون البيوت من الممر فتخرب قبل موت الواحد منهم فتحثوا لهم بيوتاً في الجبال. وذكروا أن صالحاً عليه السلام لما سأله آية فأخرج الله لهم الناقة من الصخرة أمرهم بها وبالولد الذي كان في جوفها وحذرهم بأس الله إن هم نالوها بسوء، وأخبرهم أنهم سيفرقونها ويكون سبب هلاكهم ذلك وذكر لهم صفة عاقرها وأنه أمر أزرق أصهب، فبعثوا القوايل في البلد متى وجدوا مولوداً بهذه الصفة يقتله فكانوا على ذلك دهرًا طويلاً، وانقرض جيل وأتي جيل آخر.

فلما كان في بعض الأعصار خطب رئيس من رؤسائهم على ابنه بنت آخر مثله في الرياسة فزوجه فولد بينهما عاقر الناقة وهو قدار بن سالف فلم تمكن القوايل من قتله لشرف أبويه وجلبه فيهم فنشأ نشأة سريعة فكان يشب في الجمعة كما يشب غيره في شهر، حتى كان من أمره أن خرج مطاعاً فيهم رئيساً بينهم فسولت له نفسه عقر الناقة واتبعت على ذلك ثمانية من أشrafهم وهم التسعة الذين أرادوا قتل صالح عليه السلام.

فلما وقع من أمرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحاً عليه السلام وجاءهم بأكياً عليها فتلقوه يعتزلون إليه ويقولون: إن هذا لم يقع عن ملا منا وإنما فعل هذا هؤلاء الأحداث فينا.

فيقال: إنه أمرهم باستدراك سقياها حتى يسبحوا إليه عوضاً عنها فذهبوا وراءه فصعد جبلاً هناك، فلما تصاعدوا فيه وراه تعالى الجبل حتى ارتفع فلا يناله الطير ويكي الفصل حتى سالت دموعه. ثم استقبل صالحاً عليه السلام ودعا ثلاثاً فمئداً قال صالح: «تَمْتَوُا فِي ذَرْكِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» [هود: ٦٥] وأخبرهم أنهم يصبحون من غدهم صفراً ثم تحمر وجوههم في الثاني وفي اليوم الثالث تسود وجوههم.

فلما كان في اليوم الرابع أتتهم صبيحة فيها صوت كل صاعقة فأخذتهم فاصبحوا في دارهم جائعين.

وفي بعض هذا السياق نظر وغفلة لظاهر ما يفهم من القرآن في شأنهم وقصبتهم كما قلنا، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وهو حسبي ونعم الوكيل.

١٧- قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

هو إبراهيم بن تارخ (٢٥٠٠) بن ناحور (١٤٨) بن ساروغ (٢٣٠) بن راغر (٢٣٩) بن فالغ (٤٣٩) ابن عابر (٤٦٤) بن شالخ (٤٣٣) بن أرفخشذ (٤٣٨) بن سام (٦٠٠) بن نوح عليه السلام.

هذا نص أهل الكتاب في كتابهم وقد أعلمت على أعمالهم تحت أسمائهم بالمندني كما ذكره من الممد وقلنا الكلام على عمر نوح عليه السلام فافهم من إعادته.

وحكى الحافظ ابن عسكار في ترجمة إبراهيم الخليل من تاريخه [تاريخ دمشق: ١٦٥/٦] عن إسحاق بن بشر الكاهلي صاحب كتاب البشدا أن اسم أم إبراهيم أميلة. ثم أورد عنه في خبر ولادتها له حكاية طويلة.

وقال الكلبي [طبقات ابن سعد: ٤٧/١]: اسمها بونا بنت كرنبا بن كوشى من بني أرفخشذ بن سام بن نوح.

وروى ابن عسكار [تاريخ دمشق: ١٧٣/٦] من غير وجه عن عكرمة أنه قال: كان إبراهيم عليه السلام يكتب أبا الضيفان.

قالوا: ولما كان عمر تارخ خمساً وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام وناحور وهاران وولد لهاران لوط.

وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل. وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار، وصحح ذلك الحافظ ابن عسكار [تاريخ دمشق: ١٦٤/٦] بعد ما روى من طريق هشام بن عمار، عن الوليد، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول، عن ابن عباس قال: ولد لإبراهيم بنوطه دمشق في قرية يقال لها: برزة في جبل يقال له: قاسيون.

ثم قال: والصحيح أنه ولد ببابل. وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معيناً للوط عليه السلام.

قالوا: فتزوج إبراهيم سارة، وناحور ملكاً ابنة هاران يعنون بانية أخيه.

قالوا: وكانت سارة عاقراً لا تلد.

قالوا: وأطلق تارخ بانيته إبراهيم وامراته سارة وابن ابنه لوط بن هاران فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين فستروا حيران فمات

فيها تاريخ وله مائتان وخمسون سنة؛ وهذا يدل على أنه لم يولد بمرحان وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها.

ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكتبتين. وهي بلاد بيت المقدس فأتاها بمرحان وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً وكانوا يعبدون الكواكب السبعة.

والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعالي والمقال. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ويعملون لها أعياداً وقرابين.

وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفاراً سوى إبراهيم الخليل وأمرته وابن أخيه لوط عليهم السلام، وكان الخليل عليه السلام هو النبي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال، فإن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره وابنته رسولاً واتخذ خليلاً في كبره قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] أي: كان أهلاً لذلك.

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَّا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِن تَكْفُرُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُعْجَبُونَ. وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِّنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَغَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ. فَأَمَرَ لُوطَ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧-١٦]

ثم ذكر تعالى مناظرته لأبيه وقومه كما سنذكره إن شاء الله تعالى. وكان أول دعوته لأبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَفْبِيدُ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبْسَكَ لَكَ عُذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتُكَوَّرَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا. قَالَ أَرَأَيْتَ أَن تَعْبُدَ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَتَّبِعْ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا. وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٨].

يذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاوراة والمجادلة وكيف دعا أباه إلى الحق بالطرف عبارة. وأحسن إشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة

الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئاً أو تفعل به خيراً من رزق أو نصير. ثم قال منبهاً على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر سناً من أبيه ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَفْبِيدُ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] أي: مستقيماً واضحاً سهلاً خيراً بفضي بك إلى الخير في دنياك وآخراك، فلما عرض هذا الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه لم يقبلها منه ولا أخذها عنه بل تهدده وتوعده قال ﴿أَرَأَيْتَ أَن تَعْبُدَ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَتَّبِعْ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] قيل: بالفعال. وقيل: بالفعالي.

﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦] أي واقطعني وأطل هجراني فعندما قال له إبراهيم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧] أي لا يصلحك مني مكروه ولا يتلك مني أذى بل أنت سالم من ناحيتي وزاده خيراً فقال: ﴿سَأَسْتغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

قال ابن عباس وغيره (هجو الطبري: ١٦/٩٢): أي لطيفاً يعني في أن هدايتي لعبادته والإخلاص له ولهذا قال: ﴿وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في أذنيه. فلما تبين له أنه عدو لله تباراً منه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوَدَّةٍ وَعَدَوَاتٍ بَيْنَهُمْ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كَبُرَ إِسْمُهُ إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَاؤَاةَ خَلِيمٍ﴾ [الطه: ١١٤].

وقال البخاري (٣٣٥٠): حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: يقبض إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني فيقول له أبوه: فإولم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يمشون فأني خزي أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فيظفر فإذا هو بنبخس متلطيخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار؛ هكذا رواه في قصة إبراهيم منفرداً.

وقال في التفسير ج (٤٧٦٨): وقال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة. وهكذا رواه النسائي (١١٣٧٥) عن أحمد بن حفص بن عبد الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان به.

وقد رواه الزبارة عن حديث حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه. وفي سياقه غريبة. ورواه أيضاً من حديث قتادة عن عتبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر اتَّبِعْ أَصْنَامًا إِلَهَآ إِنِّي أَتَاكَ وَقَوْمُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤] هذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر وجمهور أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تارح وأهل الكتاب يقولون: تارح بالخاء المعجمة قليل؛ إنه لقب بصنم كان يعبد اسم الله، عن أبيه، عن إبراهيم بن طهمان به.

وقال ابن جرير (هشوه: ٢٤٤/٧) والصواب أن اسمه: آزر. ولعل له اسمين علمين أو أحدهما لقب والآخر علم؛ وهذا الذي قاله حماد بن عيسى وأهل العلم.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلْيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْإِيلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهَيِّئْ رَبِّي لَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيْفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَايُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَيَتْلُو حُجَّتَنَا آيَاتِنَا إِبراهيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ مِنْ نُشَاءِ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ. [الأنعام: ٧٥-٨٣]

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تَبَا إِبراهيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْهَا عَائِكُونَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَأَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَنْوَلِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ. وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ. وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ. وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ. رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٣]

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَةٍ لِإِبراهيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَفَبِكَا آلِهَةٍ قَوْمَ اللَّهِ تَرْبُودُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. فَطَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَعِيمٌ. فَقَوْلُوا عَنْهُ مُنْبِرِينَ. فَرَأَى إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ. فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْإِيمَانِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفِرُونَ. قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُبُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ. قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْحَجِيمِ. فَآزَادُوهُ بِكَيْدٍ فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٨٣-٩٨]

يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها عندهم وصغرها وتقصصها فقال: ﴿مَا هَؤُلَاءِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَائِقُونَ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي معتكفون عندها وخاضعون لها قالوا: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ما كان حجتهم إلا صنيع الآباء والأجداد وما كانوا عليه من عبادة الأنداد.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٤] كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَفَبِكَا آلِهَةٍ قَوْمَ اللَّهِ تَرْبُودُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٥-٨٧].

قال قتادة (مفسر الطبري: ٧٠/٢٢) فما ظنكم به أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عديتم غيره وقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤] سلّموا له أنها لا تسمع داعياً ولا تنفع ولا تضر شيئاً، وإنما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء بأسلافهم ومن هو مثلهم في الضلال من الآباء الجاهل؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَفَأَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَنْوَلِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧].

وهذا برهان قاطع على بطلان إلهية ما ادعوه من الأصنام لأنه تراء منها وتنقص بها فلما كانت تضر لضرته أو تؤثر لأثره فيه ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] يقولون هذا الكلام الذي ت قوله لنا وتنقص به آهتنا وتطمع بسببه في آياتنا ت قوله حقاً جاثاً فيه أم لاعياً ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ

وَلْيَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْإِيلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهَيِّئْ رَبِّي لَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيْفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَايُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَيَتْلُو حُجَّتَنَا آيَاتِنَا إِبراهيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ مِنْ نُشَاءِ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ. [الأنعام: ٧٥-٨٣]

وهذا المقام مقام منظر لقومه وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للالوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل لأنها مخلوقة مبروية مصنوعة مدبرة مسخرة تطلع تارة وتافل أخرى، فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا ينبغي عنه شيء ولا تخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله إلا هو ولا رب سواه.

فبين لهم أولاً عدم صلاحية الكواكب. قيل: هو الزهرة لذلك ثم ترقى منها إلى القمر الذي هو أضوأ منها وإبهى من حسنها. ثم ترقى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وساء وبهاء، فبين أنها مسخرة مسيرة مقدرة مبروية كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصل: ٣٧].

ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً﴾ [الأنعام: ٧٨] أي: طالعة. ﴿فَكَانَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيْفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اتَّخَايُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٧٨-٨٠] أي لست أبالي في هذه الآلة التي تعبدها من دون الله فإنها لا تنفع شيئاً ولا تسمع ولا تعقل بل هي مبروية مسخرة كالكواكب ونحوها أو مصنوعة منحوتة منجورة.

والظاهر أن موقعه هذه في الكواكب لأهل حوران فإنهم كانوا يعبدونها، وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب لما كان صغيراً كما ذكره ابن إسحاق (تاريخ الطبري: ٢٣٤/١) وغيره وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها ولا سيما إذا خالفت الحق.

وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام وهم الذين ناظرهم في عبادتها وكسرها عليهم وأهانها وبين بطلانها كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا سُوءَةً يُحْسِنُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَتَلَعَّنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قال في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبراهيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَؤُلَاءِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَائِقُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ. قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاعِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ

قال السدي (هــ الطبري: ٤٢/١٧): أي ثم رجعوا إلى الفتنة، فعلى هذا يكون قوله إنكم أنتم الظالمون أي في عبادتها.

وقال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء، أي: فاطر قروا ثم قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا مَوْلَاهُ يَتَّبِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] أي: لقد علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها! فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفَ لَكُمْ لُكْمٌ وَلَيْسَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧] كما قال: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْعُفُونَ﴾ [الصافات: ٩٤].

قال مجاهد (هــ الطبري: ٧٤/٢٢): يسرعون.

قال: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ﴾ [الصافات: ٩٥] أي كيف تعبدون أصناماً أنتم تحتونها من الخشب والحجارة وتصورونها وتشكلونها كما تريدون ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وسواء كانت «ما» مصدرية أو بمعنى الذي، فمقتضى الكلام أنكم مخلوقون وهذه الأصنام مخلوقة، فكيف يعبد مخلوق لمخلوق مثله فإنه ليس بعبادكم لها بأولى من عبادتها لكم وهذا باطل، فالآخر باطل للتحكم إذ ليست العبادة تصلح ولا تحب إلا للمخلوق وحده لا شريك له.

﴿قَالُوا إِنَّا لَهُ بَنُونَ فَأَقْرَهُ فِي النَّحْسِمْ. فَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْتَفْلِينَ﴾ [الصافات: ٩٧-٩٨] عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم ليصروا ما هم عليه من سفهم وطغيانهم، فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى: ﴿قَالُوا خَرَقُوهُ وَانصَرُوا إِلَهُكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ. فَلَمَّا بَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠] وذلك أنهم شرعوا يجمعوا خطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن خطباً لحريق إبراهيم.

ثم عملوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الخطب وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتاججت والتهبت وعلا لها شر لم ير مثله قط.

ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له: هيزن وكان أول من صنع المجانيق فخسف الله به الأرض فهو يتجملجل فيها إلى يوم القيامة (هــ الطبري: ٤٣/١٧).

ثم أخذوا يقيطونه ويكفرونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك (هــ الطبري: ٤٥/١٧).

فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكرفاً ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما روى البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس أنه قال: حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قيل له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَنَحْوُكُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ لَمَّا نَجَّاهُم مِّنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٣-١٧٤] الآية.

وقال أبو يعلى حدثنا أبو هشام الرافعي، حدثنا إسحاق بن سليمان عن أبي جعفر الرازي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «ما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك».

وذكر بعض السلف (ذكره هذا وما يليه الطبري في تفسيره ٤٤/١٧، ٤٥) أن جبريل عرض عليه في الهواء فقال: ألك حاجة فقال: أما إليك فلا.

ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال: جعل ملك المظر

الشاهدين ﴿وَالْأَنْبِيَاءُ: ٥٦﴾. يعني بل أقول لكم ذلك جداً حقاً وإنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ربكم ورب كل شيء فاطر السماوات والأرض الخالق لما على غير مثال سبق فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنا على ذلكم من الشاهدين.

وقوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧] أقسم لكيدين هذه الأصنام التي يعبدونها بعد أن تولوا مدبرين إلى عيدهم.

قيل: إنه قال هذا خفية في نفسه (هــ الطبري: ٣٧/١٧).

وقال ابن مسعود: سمعه بعضهم وكان لهم عيد يذهبون إليه في كل عام مرة إلى ظاهر البلد فدعاه أبوه ليحضره فقال: إني سقيم كما قال تعالى: ﴿فَنظَرَنَّهُ فَبِإِصْبَعِهِ مَرَرْنَا فَسَاءَ لَكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] عرض لهم في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق في بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة.

فلما خرجوا إلى عيدهم واستقر هو في بلدهم ﴿فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾. أي: ذهب إليها مسرعاً مستخفياً فوجدها في يهو عظيم وقد وضعوا بين أيديها أنواعاً من الأطعمة قرباناً إليها ﴿فَقَالَ﴾ لها على سبيل التهكم والازدراء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ. فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩١-٩٣] لأنها أقوى وأبطش وأسرع وأقهر فكسرهما بقدم في يده كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ جُنَادًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] أي حطاماً؛ كسرها كلها ﴿إِلَّا كِبْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨].

قيل: إنه وضع القدم في يد الكبير إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار (هــ الطبري: ٣٨/١٧، ٣٩).

فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]

وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بأهلهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسهم ما أرادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم وقلة عقولهم وكثرة ضلالهم وخباياهم: من فعل هذا بألهتنا إنه لمن الظالمين ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] أي يذكرها بالغييب والتقص لها والازدراء بها فهو المقيم عليها والكاسر لها. وعلى قول ابن مسعود أي يذكرهم بقوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧] ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦١] أي: في الملا الأكبر على رؤوس الأشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعانون ما يجلب به من الاتصاف منه، وكان هذا أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه كما قال موسى عليه السلام لفرعون ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ رَبِّهِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضَرْبًا﴾ [طه: ٥٩].

فلما اجتمعوا وواجهوا به كما ذكرنا ﴿قَالُوا آَلَتْ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبْرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢-٦٣].

قيل: معناه هو الحامل لي على تكسيرها وإنما عرض لهم في القول ﴿فَأَسْأَلُوكُمُ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وإنما أراد بقوله هذا أن يبادروا إلى القول بأن هذه لا تنطق فيعتفروا بأنها جاد كسائر الجمادات ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤] أي: فعادوا على أنفسهم باللاملة فقالوا: إنكم أنتم الظالمون أي في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

يقول: متى أومر فارس المطر، فكان أمر الله أسرع ﴿فَلَمَّا يَا نَارُ كُونِيَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]

قال علي بن أبي طالب: أي لا تضربه.

وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال ﴿وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ لأذى إبراهيم بردها.

وقال كعب الأحبار: لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ولم يحرق منه سوى وثاقه.

وقال الضحاك: يروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره.

وقال السدي: كان معه أيضاً ملك الظل. وصار إبراهيم عليه السلام في مثل الجنة حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم.

فمن أبي هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٨٤/٦] عن عكرمة: أن أم إبراهيم نظرت إلى ابنها عليه السلام فنادته: يا بني إني أريد أن أجيء إليك فادع الله أن ينجي من حر النار حولك فقال: نعم! فأقبلت إليه لا يسها شيء من حر النار. فلما وصلت إليه اعتنقه وقبلته ثم عادت.

وعن المنهال بن عمرو [تفسير الطبري: ٤٤/٧] أنه قال: أخبرني أن إبراهيم مكث هناك إما أربعين وإما خمسين يوماً، وأنه قال: ما كنت أياماً وليالي أطيّب عيشاً إذ كنت فيها، ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل إذ كنت فيها، صلوات الله وسلامه عليه، فأرادوا أن يتصوروا فخللوا وأرادوا أن يرتفعوا فارتفعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا.

قال الله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠] وفي الآية الأخرى [الأنبياء: ٩٨] ﴿فَنَازِلُوا بِالْحَسَارَةِ وَالسَّفَالِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا.

وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم برداً ولا سلاماً ولا يلتقون فيها نجمة ولا سلاماً، بل هي كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]

قال البخاري [٣٣٥٩]: حدثنا عبيد الله بن موسى أو ابن سلام عنه، أنبأنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبر، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال: «كان ينفع على إبراهيم».

ورواه مسلم [٢٢٣٧] من حديث ابن جريج.

وأخرجه [خ (٣٣٠٧)، م (٢٢٣٧)] والنسائي [٣٨٦٨] وابن ماجه [٣٢٢٨] من حديث سفيان بن عيينة، كلاهما عن عبد الحميد بن جبر بن شيبه، به.

وقال أحمد [٢٠٠/٦]: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي أمية أن نافعاً مولى ابن عمر، أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ قال: «أقتلوا الوزغ، فإنه كان ينفع النار على إبراهيم» قال: فكانت عائشة تقتلهم.

وقال أحمد [٢١٧/٦]: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن نافع، أن امرأة دخلت على عائشة فإذا رجع منصوب فقالت: ما هذا الرمح؟ فقالت: تقتل به الأوزاغ. ثم حدثت عن رسول الله ﷺ «أن إبراهيم لما ألقى في النار جعلت الأبواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفعها عليه».

تفرد به أحد من هذين الوجهين.

وقال أحمد [٨٢/٦]: حدثنا عفان، حدثنا جرير، حدثنا نافع، حدثني السائبة مولاة للفاكه بن الغيرة قالت: دخلت على عائشة فرايت في بيتها ربحاً موضوعاً فقلت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: هذا لهذه الأوزاغ تقتلهم به، فإن رسول الله ﷺ حدثنا «أن إبراهيم حين ألقى في النار لم تكن في الأرض دابة إلا تطفئ عنه النار غير الوزغ كان ينفع عليه» فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله.

ورواه ابن ماجه [٣٢٣١] عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن محمد، عن جرير بن حازم، به.

١٨ - مناظرة إبراهيم والنمرود

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ إِلَىٰ الذِّكْرِ الْحَقَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رُؤْيَاهُ أَن اتَّخَذَ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرّد الذي ادّعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله وأجمه الحجّة وأوضح له طريق الحقّة.

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: وهذا الملك هو ملك بابل واسمه: النمرود ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح؛ قاله مجاهد.

وقال غيره: نمرود بن فالج بن عابر بن صالح ابن أرفخشذ بن سام بن نوح؛ قال مجاهد وغيره.

وكان أحد ملوك الدنيا فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالؤمنان: ذو القرنين وسليمان. والكافران: النمرود وبختنصر.

وذكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طفا وبغيا وتغبر وعتا وآثر الحياة الدنيا. ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجمل والضلال وطول الإمهال على إنكار الصانع فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادّعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق [تفسير الطبري: ٢٥/٣ - ٢٧]: يعني أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلها فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر.

وهنا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشجيع محض وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل استدلل على وجود الصانع بمحذوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك الذي لا يد من استنادها إلى وجود ضرورة وعدم قيامها بنفسها ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدات من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدتها ثم إمامتها؛ ولهذا ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فقول هذا الملك الجاهل: أنا أحيي وأميت، إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض

الدليل.

يَهْلُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا غَابِينَ ﴿٧١-٧٣﴾. [الأنبياء: ٧١-٧٣].

لما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد أحد بل معه ابن أخيه لوط ابن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إليه، والأرض التي قصدتها بالهجرة أرض الشام، وهي التي قال الله عز وجل: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقادة وغيرهم (انظر هذه الرواية وما يليها من الروايات تفسير الطبري: ٤٥/١٧ - ٤٧).

وروى العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] مكة، ألم تسمع إلى قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ نَبِيٍّ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِكَبَّةٍ مُبَارَكًا زُعْدَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

وزعم كعب الأبحار أنها حران. وقد قلنا من نقل أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط وأخوه ناحور وامرأة إبراهيم سارة وامرأة أخيه ملكا ففتلوا حران فمات تارح أبو إبراهيم بها.

وقال السدي: انطلق إبراهيم ولوط قبل الشام، فلقى إبراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها على أن لا يغيرها.

رواه ابن جرير وهو غريب.

والمشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حران ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي (الروض اللغف: ٨٧/١، ٨٨) عن القتيبي والقاش فقد أبعد النجعة وقال بلا علم وادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل.

ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت كما هو منقول عن الربيعين من اليهود فإن الأنبياء لا تتعاطاه والله أعلم.

ثم المشهور أن إبراهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجراً من بلاده كما تقدم والله أعلم.

وذكر أهل الكتاب أنه لما قدم الشام أوحى الله إليه إنسي جاعل هذه الأرض لحلفك من بعدك فابتنى إبراهيم مذبجاً لله شكراً على هذه النعمة وضرب قبة شرقي بيت المقدس ثم انطلق مرتحلاً إلى اليمن وأنه كان جوع أي قحط وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر، وذكروا قصة سارة مع ملكها وأن إبراهيم قال لها: قولي أنا اخته وذكروا إخصام الملك لإيماها هاجر. ثم أخرجه منها فرجعوا إلى بلاد التيمن، يعني أرض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد وأموال.

وقد قال البخاري (٣٣٥٨): حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات اثنتان منهن في ذات الله قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقتل له: هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه وسأله عنها فقال: من هذه؟ فقال: اختي فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيبي وغيري، وإن هذا سألني فأخبرته أنك اختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس من حضره وغيرهم ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع ويطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالفها ومسيرا وقاهرها. وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء. فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تخفي وتختبئ فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذي يخفي ويختبئ هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنصير منها فيبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه ويطلان ما سلكه وتبيح به عند جهلة قومه ولم يبق له كلام يجيب الخليل به بل امتنع وسكت، ولهذا قال: ﴿كُذِّبَتْ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمرود يرمي خرج من النار ولم يكن اجتماع به إلا يومئذ، فكانت بينهما هذه المناظرة.

وقد روى عبد الرزاق (تفسيره: ١٥٥/١، ١٥٦) عن معمر بن زيد بن أسلم: أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفسدون إليه للميرة فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة، فكان بينهما هذه المناظرة ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطي الناس بل خرج وليس معه شيء من الطعام. فلما قرب من أهله عمد إلى كتف من التراب فمسأ منه عليه وقال: اشغل أهلي إذا قدمت عليهم، فلما قدم وضع رجليه وجاء فاتكاً فنام فقامت امرأته سارة إلى المدين فوجدتهما ملاكين طعاماً طيباً فعملت منه طعاماً. فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه فقال: أتى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به؟ فعرف أنه رزق رزقهوه الله عز وجل.

قال زيد بن أسلم (تفسير الطبري: ٢٥٥/٣) وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه. ثم دعاه الثانية فأبى عليه. ثم الثالثة فأبى عليه. وقال: أجمع جوعك وأجمع جموعي.

فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فأرسل الله عليه ذباباً من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فاكلت لحومهم ودماهم وتركهم عظاماً بالية ودخلت واحدة منها في منخر الملك فمكثت في منخره أربعين سنة، عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه بالمرابز في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها والله تعالى أعلم.

١٩- هجرة إبراهيم إلى الشام ومصر

والأرض المقدسة

قال الله: ﴿فَأَمَّا لَهُ لَوْطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٧]

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّمَا نَحْنُ صَالِحِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً

لإبراهيم: أشعرت أن الله رد كيد الكافر وأخدم وليدة.

تفرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط صحيح.

وقد رواه البخاري (٢٢١٧) عن أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به مختصراً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال: منها كلمة إلا ساحل بها عن دين الله فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقال ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقال للملك حين أراد امرأته: هي أختي.

فقوله في الحديث: هي أختي أي في دين الله وقوله لما إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيبي وغيرك يعني زوجين مؤمنين غيبي وغيرك ويتعين حمله على هذا لأن لوطاً كان معهم وهو نبي عليه السلام.

وقوله لما لا رجعت إليه: مهمم معناه ما الخبر فقالت: إن الله رد كيد الكافر. وفي رواية «الفاجر» وهو الملك وأخدم جارية.

وكان إبراهيم عليه السلام من وقت ذهب بها إلى الملك قام يصلي لله عز وجل ويسأله أن يدفع عن أهله وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضاً كلما أراد عبدو الله أن يتال منها امرأة قامت إلى وضوئها وصلاتها ودعت الله عز وجل بما تقدم من الدعاء العظيم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاسْتَشِيرُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [الفرقة: ٤٥] فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليفه إبراهيم عليه السلام.

وقد ذهب بعض العلماء إلى نبوة ثلاث نسوة: سارة وأم موسى ومريم عليهن السلام.

والذي عليه الجمهور أنهم صليقات رضي الله عنهن وأرضاهن. ورايت في بعض الآثار أن الله عز وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم عليه السلام وبينها فلم يزل يراها منذ خرجت من عنده إلى أن رجعت إليه وكان مشاهداً لها وهي عند الملك وكيف عصمها الله منه ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعيته وأشد لطمائنته فإنه كان يحبها حباً شديداً لدينها وقرباتها منه وحسنها الباهر فإنه قد قيل: إنه لم تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها رضي الله عنها.

ولله الحمد والمنة.

وذكر بعض أهل التواريخ أن فرعون مصر هذا كان أخاً للضحك الملك المشهور بالظلم وكان عاملاً لأخيه على مصر.

ويقال كان اسمه: ستان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لارود بن سام بن نوح.

وذكر ابن هشام في التيجان أن الذي أرادها عمرو بن امرئ القيس بن بابلون بن سبا وكان على مصر؛ نقله السهيلي «الروض الأنف: ٩١/١» فآله أعلم.

ثم إن الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر إلى أرض التيمن وهي الأرض المقدسة التي كان فيها معه أنعام وعبيد ومال جزيل وصحبهم هاجر القبطية المصرية ثم إن لوطاً عليه السلام نزع بماله من الأموال الجزيلة بأمر الخليل له في ذلك إلى أرض النور المعروف بشور زغر فنزل بمدينة سدوم وهي أم تلك البلاد في ذلك الزمان وكان أهلها أشراً كفاراً فجاراً وأوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل يأمره أن يمد بصره وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ويشره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك إلى آخر الدهر وسأكثر ذريتك حتى يصبروا بعدد تراب الأرض.

ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت، فأطلق فدعا بعض حجبه فقال: إنك لم تأتي يانسان وإنما أتيتني بشيطان فأخذهما هاجر فاته وهو قائم يصلي فأرأى بيده مهمم! فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في غره وأخدم هاجر.

قال أبو هريرة: فذلك أمكم يا بني ماء السماء.

تفرد به من هذا الوجه موقوفاً.

وقد رواه الحفاظ أبو بكر البزار عن عمرو بن علي الفلاس، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل منزلاً فأقْبى الجبار فليل له: إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه فسأله عنها فقال: إنها أختي، فلما رجع إليها قال: إن هذا سألني عنك فقلت: إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيبي وغيرك وإنك أختي فلا تكنيني عنده فأطلق بها.

فلما ذهب يتناولها أخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له فأرسل، فذهب يتناولها فأخذ مثلها أو أشد منها. فقال: ادع الله لي ولا أضرك فدعت فأرسل ثلاث مرات فدعا أدنى حشمه فقال: إنك لم تأتي يانسان لكن أتيتني بشيطان أخرجهما وأعطها هاجر فجاءت وإبراهيم قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال: مهمم! فقالت: كفى الله كيد الظالم وأخدمني هاجر.

وأخرجاه [ج (٥٠٨٤)، م (٢٣٧١)] من غير طريق هشام] من حديث هشام. ثم قال البزار: لا نعلم أسنده عن محمد عن أبي هريرة إلا هشام ورواه غيره موقوفاً.

وقال الإمام أحمد (٤٠٣/٢، ٤٠٤): حدثنا علي بن حفص عن ورقاء هو ابن عمر الشكري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله حين دعى إلى آلهتهم فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله لسارة «إنها أختي».

قال: ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل: دخل إبراهيم الليلة بامراً من أحسن الناس قال: فأرسل إليه الملك أو الجبار: من هذه معك؟ قال: أختي قال: فأرسل بها قال: فأرسل بها إليه وقال: لا تكنيني قولي فإني قد أخبرته أنك أختي إن على الأرض مؤمن غيبي وغيرك فلما دخلت عليه قام إليها فاقبلت ترضاً وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر قال: ففط حتى ركض برجله.

قال أبو الزناد: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة إنها قالت: اللهم إن يمت يقال: هي قتله قال: فأرسل قال: ثم قام إليها قال: فقامت ترضاً وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أنني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر. قال: ففط حتى ركض برجله.

قال أبو الزناد: وقال أبو سلمة عن أبي هريرة أنها قالت: اللهم إن يمت يقتل هي قتله قال: فأرسل قال: فقال في الثالثة أو الرابعة: ما أرسلتم إلي إلا شيطاناً أرجعوهما إلى إبراهيم وأعطوها هاجر. قال: فرجعت فقالت

وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ما كملت ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمدية. يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ (م (٢٨٨٩)): «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها».

قالوا: ثم إن طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام فأسروه وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه فلما بلغ الخبر إبراهيم الخليل عليه السلام سار إليهم في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً فاستقذ لوطاً عليه السلام واسترجع أمواله وقتل من أعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل إلى شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة وأظن مقام إبراهيم المنسوب إليه ببرزة اليوم إنما سمي لأنه كان موضع موقف جيش الخليل والله أعلم.

ثم رجع مؤيداً منصوراً إلى بلاده وتلقاه ملوك بلاد بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر ببلاده صلوات الله وسلامه عليه.

٢٠- ذكر مولد إسماعيل عليه الصلاة

والسلام من هاجر

قال أهل الكتاب: إن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة، وأن الله بشره بذلك، وأنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشر سنين، قالت سارة لإبراهيم عليه السلام: إن الرب قد أحرمني الولد فادخل على أمي هذه لعل الله يرزقني منها ولداً. فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام، فحين دخل بها حملت منه، قالوا: فلما حملت ارتفعت نفسها، وتعاطمت على سيدتها، فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم، فقال لها: افعلي بها ما شئت، فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك، فقال لها ملك من الملائكة: لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيراً، وأمرها بالرجوع. وشراها أنها ستلد ابناً وتسميه إسماعيل. ويكون وحش الناس يده على الكل ويد الكل به، وملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عز وجل على ذلك.

وهذه البشارة إنما انطبقت على ولده محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه الذي سادت به العرب وملك جميع البلاد غرباً وشرقاً، وأتاه الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم يؤت أمة من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل، وبركة رسالته، وبمن بشارته، وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض.

ولما رجعت هاجر وضعت إسماعيل عليه السلام، قالوا: وولده لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة.

ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، فخر لله ساجداً، وقال له: قد استجبت لك في إسماعيل، وباركت عليه وكرته ونميتة جداً كبيراً، ويولد له اثنا عشر عظيماً. وأجعله رئيساً لشعب عظيم، وهذه أيضاً بشارة بهذه الأمة العظيمة.

وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً هم الخلفاء الاثنا عشر المبشرين بهم في حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «يكون اثنا عشر أميراً» ثم قال كلمة لم أفهمها فسألت أبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» أخرجه في الصحيحين (ج (٧٢٢٢)، م (١٨٢١)).

وفي رواية: (الطبراني (١٨٧٩)): «لا يزال هذا الأمر قائماً». وفي رواية: (م (١٨٢١)) بلطف مقارب عزيزاً حتى يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

فهؤلاء منهم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. ومنهم عمر بن عبد العزيز أيضاً. ومنهم بعض بني العباس، وليس المراد أنهم يكونون اثني عشر نسقاً بل لا بد من وجودهم، وليس المراد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الرفضة الذين أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المنتظر بسرداب سامرا وهو محمد بن الحسن العسكري فيما يزعمون، فإن أولئك لم يكن فيهم أنفع من علي وابنه الحسن بن علي حين ترك القتال وسلم الأمر لمعاوية وأخذ نار الفتنة وسكن رضى الحروب بين المسلمين. والباقيون من جملة الرعايا لم يكن لهم حكم على الأمة في أمر من الأمور. وأما ما يعتقدونه بسرداب سامرا فذاك هوس في الرؤوس وهذيان في النفوس لا حقيقة له ولا عين ولا أثر.

والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يثيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم، ويقال: إن ولدها كان إذ ذاك رضيعاً، فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما، قامت إليه هاجر وتعلقت بشيابه، وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفيني؟ فلم يجيبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها، قالت له: أله أمرك بهنا قال: نعم، قالت: فإذا لا يضيعنا.

وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله في كتاب النوادر: أن سارة تنقضت على هاجر فحلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تنقب أذنيها وأن تحفضها تتر قسمها. قال السهيلي (الروض الأصف: ٩١/١): فكانت أول من اختن من النساء، وأول من ثبتت أذنيها منهن، وأول من طولت ذيلها.

٢١- هجرة إبراهيم وإسماعيل وهاجر

ذكر مهاجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى جبال فاران وهي أرض مكة وبناته البيت العتيق

قال البخاري (٣٣٦٤) قال عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب السخيتي وكثير بن كثير بن الطلب بن أبي داعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها ههنا لك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركننا بهذا الوادي الذي ليس به آس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: أله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذا لا يضيعنا.

ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: «رَبَّنَا إِنِّي

قال النبي ﷺ: «ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فَمَا لَا يَجْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَةٍ إِلَّا لَمْ يَوَاقِقَاهُ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجَكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمَرِهِ يَثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ».

فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتاننا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عشنا فأخبرته أنا بغير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت العتبة وأمرني أن أمسك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد. ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك به ريك قال: وتعتني؟ قال: وأعينك قال: فإني أله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناله الحجارة وهما يقولان: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٢٧].

قال: وجعلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٢٧].

ثم قال البخاري [٣٣٦٥]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما كان بين إبراهيم وأهله ما كان يخرج بإسماعيل وأم إسماعيل ومعهم شاة فيها ماء.

وذكر ثمانية بنحو ما تقدم.

وهنا الحديث من كلام ابن عباس وموشح يرفع بعضه وفي بعضه غرابة وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الإسرائيليات.

وفيه أن إسماعيل كان رضيعاً إذ ذاك. وعند أهل التوراة أن إبراهيم أمره الله بأن يثخن ولده إسماعيل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فختنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره فيكون عمر إسماعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة وهذا امتثال لأمر الله عز وجل في أهله فيدل على أنه فعله على وجه الوجوب؛ ولهذا كان الصحيح من أقوال العلماء أنه واجب على الرجال كما هو مقرر في موضعه.

وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري [٣٣٥٦]: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «اختن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقنوم».

تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد وتابعه عجلان عن أبي هريرة.

ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

وهكذا رواه مسلم [٢٢٧٠] عن قتيبة به.

وفي بعض الألفاظ [ج (٦٢٩٨)، المسند: ٣/٢٢٢]: اختن إبراهيم بعدما آتت عليه ثمانون سنة واختن بالقنوم والقنوم هو الآلة وقيل: موضع. وهذا اللفظ لا ينافي الزيادة على الثمانين. والله أعلم لما سيأتي من الحديث عند ذكر وفاته

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «اختن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة» رواه ابن حبان في

أسكنت من دُفَعِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْتَمِعْ أَهْلَهُ مِنْ النَّاسِ يَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْتُفِقُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال: يتلبط فانطلقت كرامية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الرادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فلذلك سعى الناس بينهما».

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صوا! تريد نفساً. ثم سمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فلما هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يلهها هكذا وجعلت تفرق من الماء في سقائها وهو تصور بعدما تعرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم» أو قال: «لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عيناً معنا».

قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جهم أو أهل بيت من جهم مقبلين من طريق كداء فتزلوا في أسفل مكة فقرأوا طائراً عاشقا فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهننا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جراً أو جرين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فاقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: تأذين لنا أن نزل عندك؟ قالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا: نعم.

قال عبد الله بن عباس: قال النبي ﷺ: «فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأكنس فتزلوا وأرسلوا إلى أبيهم فتزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سأله عن عيشهم وهيتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه.

فلما جاء إسماعيل كائنه آتس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غير عتبة بابك قال: ذاك أبي وأمرني أن أفارقك فالحي بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى ولبث عنهم إبراهيم ما شاء الله.

ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج لينبغي لنا قال: كيف أنتم وسأله عن عيشهم وهيتهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شربكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

صحيحه بالإحسان (١٢٠٥).

وليس في هذا السياق ذكر قصة الذبيح وأنه إسماعيل ولم يذكر فيه قد مات إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث مرات أولاً بعد أن تزوج إسماعيل بعد موت هاجر وكيف تركهم من حين صغر الولد على ما ذكر إلى حين تزوجه لا ينظر في حالهم. وقد ذكر أن الأرض كانت تطوى له. وقيل: إنه كان يركب البراق إذا سار إليهم فكيف يتخلف عن مطالعة حالهم وهم في غاية الضرورة الشديدة والحاجة الأكيدة! وكان بعض هذا السياق متلقى من الإسرائيليات ومطرز بشيء من المرفوعات ولم يذكر فيه قصة الذبيح وقد دللنا على أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح في سورة الصافات.

٢٢- قصة الذبيح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَتَهِينٌ. رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْمَاعِيلَ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَىٰ. وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. وَتَشَرَّاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ. وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ وَغَلَىٰ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعِظَامٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾. [الصافات: ٩٩-١١٣].

يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه سالك ربه أن يهب له ولداً صالحاً نبشره الله تعالى بإسحاق وهو إسماعيل عليه السلام؛ لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل.

وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره.

وقوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي شب وصار يسعى في مصالحه كأيه.

قال مجاهد: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل.

فلما كان هذا أرى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا.

وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً [الطبراني في «الكبير»: (١٢٣٠٢) مرفوعاً عن ابن عباس] «رؤيا الأنبياء وحى». قاله عبيد ابن عمير أيضاً [خ (١٣٨) ر (٨٥٩)].

وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر وقد طعن في السن بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قعر وواد ليس به حسيب ولا أنيس ولا زرع ولا ضرع فامتثل أمر الله في ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلاً عليه فجعل الله لهما فرجاً وخروجاً ورزقهما من حيث لا يحتسبان.

ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفزده من أمر ربه وهو بكره ووحيد الذي ليس له غيره أجاب ربه وامتثل أمره وسارع إلى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا

تَرَىٰ﴾ فإبراهيم الغلام الحليم سر والده الخليل إبراهيم فقال: ﴿قَالَ يَا أَبَتُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. [الصافات: ١٠٢].

وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾. [الصافات: ١٠٣] قيل: أسلما أي: استسلما لأمر الله وعزماً على ذلك.

وقيل: هذا من المقدم والمؤخر والمعنى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي ألقاه على وجهه. قيل: أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك.

وقيل: بل أضجمه كما تضجع الذبائح وبقي طرف جبينه لاصقاً بالأرض «أسلماً» أي سقى إبراهيم وكبر وتشهد وسلم الولد للموت.

قال السدي وغيره: أمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئاً.

ويقال: جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم.

فعند ذلك نودي من الله عز وجل: ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.

[الصافات: ١٠٤-١٠٥] أي قد حصل المقصود من اختيارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك وبذلك ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنسران وكما مالك مبدول للضيافان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَىٰ﴾. [الصافات: ١٠٦] أي الاختبار الظاهر الين.

وقوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾. [الصافات: ١٠٧] أي وجعلنا فداء ذبيح

ولده ما يسره الله تعالى له من العرض عنه.

والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أقرن رآه مربوطاً بسمرة في ثبير.

قال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً (هـو الطوي: ٨٧/٢٣) وقال سعيد بن جبير: كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحر (هـو الطوي: ٨٧/٢٣).

وعن ابن عباس: هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فقبل منه.

رواه ابن أبي حاتم.

قال مجاهد: فذبحه بمنى.

وقال عبيد بن عمير: ذبحه بالمقام.

فأما ما روي عن ابن عباس أنه كان وعلاً.

وعن الحسن: أنه كان تيساً من الأروى. واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما.

ثم غالب ما هاتنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات. وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر وأنه فدي بذبح عظيم وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً.

قال الإمام أحمد (٦٨/٥): حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله سافع، عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة وقال مرة: إنها سألت عثمان: لم دعاك رسول الله ﷺ؟ قال: «إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أسرك أن تخبرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي».

قال سفيان: لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا. وهذا روي عن ابن عباس: أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة قد يس.

وهذا وحده دليل على أن النبيح إسماعيل؛ لأنه كان هو المقيم بمكة. وإسحاق لا تعلم أنه قندها في حال صفه والله أعلم.

وهذا هو الظاهر من القرآن بل كانه نص على أن النبيح هو إسماعيل؛ لأنه ذكر قصة النبيح ثم قال بعده ﴿وَتَرْثَاهُ إِسْحَاقُ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. [الصافات: ١٢] ومن جعله حالا فقد تكلف ومنستله أنه إسحاق إنما هو إسرائيليات وكتابه في تحريف ولا سيما هاهنا قطعاً لا عيّد عنه فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيد وفي نسخة من العربية (بكره إسحاق) فلفظة «إسحاق» هاهنا مقحمة مكذوبة مفسرة؛ لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر وإنما الوحيد البكر إسماعيل. وإنما حملهم على هذا حسد العرب فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذين يتسبون إليه فأردوا أن يمجروا هذا الشرف إليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقرأوا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم. وإنما اخذوه والله أعلم من كتب الأخبار أو صحف أهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى تترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القرآن بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل.

وما أحسن ما استدل محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله: ﴿بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له! هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة، والله أعلم.

وقد اعترض السهلي [الترغيب والإعلام ص ٢٧٤ - ٢٧٥] على هذا الاستدلال بما حاصله أن قوله: ﴿بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٧١] جملة تامة وقوله: ﴿وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] جملة أخرى ليست في حيز البشارة قال: لأنه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً إلا أن يعاد معه حرف الجر فلا يجوز أن يقال: مرتت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال: ومن بعده عمرو.

وقال: فقله: ﴿وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ منصوب بفعل مضمر تغديره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وفي هذا الذي قاله نظر. ورجع أنه إسحاق واحتج بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الصافات: ١٠٢] قال: وإسماعيل لم يكن عنده إنما كان في حال صفه هو وأمه هاجر مكة فكيف يبلغ معه السعي!

وهنا أيضاً فيه نظر لأنه قد روي أن الخليل كان يذهب في كثير من الأوقات راكباً البراق إلى مكة يطلع على ولده وابنه ثم يرجع والله أعلم. فمن حكى القول عنه بأن النبيح إسحاق كعب الأخبار.

وروي عن عمر والعباس وعلي وابن مسعود ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي ومقاتل وعبيد بن عمير وأبي مسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم وابن أبي بزة ومكحول وعثمان بن حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبي الهذيل وابن سابط. وهو اختيار ابن جرير [هشوه: ٨٥/٢٣] وهذا عجب منه وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه إسماعيل عليه السلام.

قال مجاهد وسعيد والشعبي ويوسف بن مهران وعطاء وغير واحد عن

ابن عباس: هو إسماعيل عليه السلام.

وقال ابن جرير [هشوه: ٨٥/٢٣]: حدثني يونس أنبأ ابن وهب أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المقدس إسماعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه: هو إسماعيل.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن النبيح فقال: الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح أنهم قالوا: النبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وحكاه البغوي [هشوه: ٢٧٧/٦] أيضاً عن الربيع بن أنس والكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

قلت: وروي عن معاوية وجاء عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا ابن النبيح فضحك رسول الله ﷺ [هشوه الطبري: ٨٥/٢٣]. المستولد: ٥٥٤/٢.

وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن إسحاق ابن يسار.

وكان الحسن البصري يقول: لا شك في هذا.

وقال محمد بن إسحاق [هشوه الطبري: ٨٤/٢٣، ٨٥] عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام - يعني استدلاله بقوله بعد القصة ﴿بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم قال: فسأل عمر بن عبد العزيز عن ذلك، قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر بن عبد العزيز: أي إسماعيل إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن اليهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوه.

وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة بأدلتها وآثارها في كتابنا التفسير [٢٧/٧ - ٣٠] ولله الحمد والمنة.

٢٣- مولد إسحاق عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿وَتَرْثَاهُ إِسْحَاقُ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَتَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾. [الصافات: ١١٢ - ١١٣].

وقد كانت البشارة به من الملائكة لإبراهيم وسارة لما مروا بهم يجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدعروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشِيرِ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِجِئِلٍ حَبِيبٍ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً فَذُكِّرَتْ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ.

في نفسه أبعد مائة سنة يولد لي غلام أو سارة تلد؟ وقد أتت عليها تسعون سنة!

وقال إبراهيم لله تعالى: ليت إسماعيل يعيش قدامك فقال الله لإبراهيم: يعني إن امرأتك سارة تلد لك غلاماً وتدعو اسمه إسحاق إلى مثل هذا الحين من قابل وأراقتك يميني إلى الدهر وخلفه من بعده وقد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكبرته وغيته جناً كبيراً ويولد له اثنا عشر عظيماً وأجعله رئيساً لشعب عظيم.

وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم.

فقال تعالى: ﴿بَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] دليل على أنها تستمتع بوجود ولد لها إسحاق ثم من بعده يولد ولده يعقوب أي يولد في حياتهما لئلا يعينهما به كما قرأت بولده.

ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التخصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده كما سراً بولد أبيه من قبله.

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَبْنَاهُ﴾ [الأنعام: ٨٤] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَغْتَرَّاهُمْ وَمَا يُبْتَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩]

وهذا إن شاء الله ظاهر قوي ويؤيده ما ثبت في الصحيحين (خ ٣٣٦٦) م (٥٢٠) من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد».

وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى وهو مسجد إيليا وهو مسجد بيت المقدس شرفه الله.

وهذا متجه وشهد له ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو إسرائيل عليه السلام بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء.

وقد كان يتأخرا ذلك بعد وجود إسحاق لأن إبراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَتَحِيَّتِي أَنْ تُعْبَدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُمْ ضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعَثْ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُرَادًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْجُو إِلَهُمُ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. اجْعَلْ لِّلَّذِي هَبَّ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١].

وما جاء في الحديث (ص ٦٩٢، ج ١٤٠٨) من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً كما ذكرناه عند قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِي مِنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] وكما سنورده في قصته.

فالراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه لما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد: إن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن

قَالَتِ يَا وَيْلَتَى أَلَيْدُ وَتَأْتَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ [هود: ٦٩-٧٣]

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ. قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. قَالَ أَبَشِرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِنِينَ. قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥١-٥٦]

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ خَبِيرٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّكْرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَبِينٍ. فَفَرَّغَتْ إِلَيْهِمْ قَالِ لَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرٍّ فَصَكَتْ وَجَنِّهَا وَقَالَ عَجُوزٌ عَقِيمٌ. قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الدَّهْر: ٢٤-٣٠].

يلدرك تعالى أن الملائكة قالوا وكانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أولاً أضيافاً فعاملهم معاملة الضيوف شوى لهم عجلًا سميناً من خيار بقره فلما قره إليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام فنكر منهم أمرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [هود: ٧٠]. أي لنذرهم عليهم فاستشرت عند ذلك سارة غضباً لله عليهم، وكانت قائمة على رؤوس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استشاراً بذلك قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] أي بشرتها الملائكة بذلك.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرٍّ﴾ [الدَّهْر: ٢٩] أي في صرخة.

﴿فَصَكَتْ وَجَنِّهَا﴾ [الدَّهْر: ٢٩] أي كما يفعل النساء عند التعجب ﴿قَالَتِ يَا وَيْلَتَى أَلَيْدُ وَتَأْتَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] أي كيف يلد مثلي وأنا كبيرة وعقيم أيضاً ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ أي زوجي ﴿شَيْخًا﴾ تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولها قالت: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استشاراً بهذه البشارة وتيسيراً لها وفرحاً بها ﴿قَالَ أَبَشِرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ. قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِنِينَ﴾ [الحجر: ٥٤-٥٥] أكدوا الخبر بولده البشارة وقرروه معه. فبشروهما ﴿بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]. وهو إسحاق وأخوه إسماعيل غلام حليم مناسب لقامه وصبره، وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر.

وقال في الآية الأخرى ﴿بَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ [هود: ٧١] وهذا مما استدل به محمد بن كعب القرظي وغيره على أن الذبيح هو إسماعيل، وأن إسحاق لا يجوز أن يأمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده.

وعند أهل الكتاب أنه أخضر مع العجل الحنيد وهو المشوي رقيقاً من مَلَّةٍ فيه ثلاثة أكيال وسمن ولبن. وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض.

وقيل: كانوا يورون أنهم يأكلون والطعام يتلاشى في المراء. وعندهم أن الله تعالى قال لإبراهيم أما سارا امرأتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن اسمها سارة وإبرك عليها وأعطيك منها ابناً وإباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه فخر إبراهيم على وجهه يعني ساجداً وضحكاً قائلاً

حبان في تقاسيمه وأثره وإحسان (١٦٢٨)) وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق إليه والله تعالى أعلم بالصواب.

٢٤- ذكر بناء البيت العتيق

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ - ٢٧]
وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِمَّا ارْتَضَىٰ مِنْ قَدْحِهِ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦ - ٩٧]

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَتَبَسَّ النَّصِيرُ. وَإِذْ يُرَفِّعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَإِذْعَنَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٢٩].

يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفه وخليفه إمام الحنفاء ووالد الأنبياء إبراهيم عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه ويوآه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه.

وقد روينا (الشيخ الطبري: ٢٥١/١) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه بوحى من الله عز وجل. وقد قلنا في صفة خلق السماوات أن الكعبة بحال البيت المعمور بحيث أنه لو سقط لسقط عليها، وكذلك معابد السماوات السبع. كما قال بعض السلف إن في كل سماء بيتا يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض فامر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتا يكون لأهل الأرض كذلك المعابد للملائكة السماوات وأرشدته الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السماوات والأرض كما ثبت في الصحيحين (ج ١٥٨٧)، م (١٣٥٣) واللفظ لاسلم: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام محرمة الله إلى يوم القيامة.

ولم يحى في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام. ومن تمسك في هذا بقوله ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدس في علم الله المقدس في قدره، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم.

وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له: قد طفنا قبلك بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوماً أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل. وقد قررنا أنها لا تصلى ولا تكذب فلا ينتج بها فاما إن ردعنا الحق فهي مردودة. وقد قال الله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ

لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾. (آل عمران: ٩٦) أي أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى الذي ببكة. قيل: مكة وقيل: حلة الكعبة ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾. (آل عمران: ٩٧) أي على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتلون به ويتمسكون بستته ولهذا قال ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾. (آل عمران: ٩٧) أي الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامة فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرفع عليه لما تعال البناء وعظم الفناء كما تقدم في حديث ابن عباس الطويل (ج ٣٣٦٤). وقد كان هذا الحجر ملصقا بمناط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخذه عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا فإنه قد وافقه ربه في أشياء منها في قوله لرسوله ﷺ (ج ٤٤٨٣): لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله ﷻ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. [البقرة: ١٢٥].

وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أول الإسلام وقد قال أبو طالب في قصيدته الالامية المشهورة (سورة ابن هشام: ٢٧٧/١ - ٢٨٠):
ورثور ومن أرسى تسيراً مكانه رراق ليرقى في جبراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة وباللغو إن الله ليس بنافيل
ويالحجر المسود إذ بمحونه إذا اكتفروه بالضحى والأصائل
وموطن إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

يعني أن رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا متعلقة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرَفِّعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾. [البقرة: ١٢٧] أي في حال قولهما ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. [البقرة: ١٢٧] فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما في من الطاعة العظيمة والسعي المشكور ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. [البقرة: ١٢٨]

والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أفضل البقاع في واد غير ذي زرع ودعا لأهلها بالبركة وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزرع والثمار وأن يجعله حراماً محرماً وأما عتماً فاستجاب الله وله الحمد له مسألته ولبى دعوته وأناه طلبته فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [الملكوت: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧].

وسأل الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لتسم عليهم النعمتان الدنيوية والدينية بسعادة الأولى والأخره.

وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولاً وأي رسول ختم به أنبياءه ورسله وأكمل له من الدين ما لم يوت أحداً قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة.

وكان هذا من خصائصه من بين سائر الأنبياء لشرفه في نفسه وكمال ما أرسل به وشرف بقلته وفصاحته لغته وكمال شفقتة على أمته ولطفه ورحمته وكرمه عتده وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده.

الملوك لعبة يعني كلما جاء ملك بناها على الصفة التي يريد فاستقر الأمر على ما هي عليه اليوم.

٢٥- ذكر نداء الله ورسوله الكريم

على عبده وخليله إبراهيم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

لما وفى ما أمره ربه به من التكليف العظيمة جعله للناس إماماً يقتدون به ويتأمنون بهديه وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة بسببه وباقيته في نسبه وخالده في عقبه فأجيب إلى ما سأل ورام. وسلمت إليه الإمامة بزمأم واستثني من نيلها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء العاملين كما قال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصنعت: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَتَبْنَا لَهُ نَجْوَى الْمُضِيِّينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَنَّبْنَاهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٧].

فالضمير في قوله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ عائد على إبراهيم على المشهور. ولوط وإن كان ابن أخيه إلا أنه دخل في الذرية تغليلاً. وهذا هو الحامل للقتال الآخر أن الضمير على نوح كما قلنا في قصته والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحج: ٢٦] الآية.

فكل كتاب أنزل من السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته. وهذه خلعة سنية لا تضاهى ومربية عليه لا تباهى. وذلك أنه ولد له لصلبه ولدان ذكرا عظيمان: إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة؛ وولد لهذا يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه سائر أسباطهم فكانت فيهم النبوة وكثروا جداً بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعيسى ابن مريم من بني إسرائيل.

وأما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى؛ ولم يوجد من سلالة من الأنبياء سوى خاتمهم على الإطلاق وسيدهم وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي المكي ثم المدني صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد من هذا الفرع الشريف والنفس المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة وواسطة العقد الفاخرة وهو السيد الذي يقتخر به أهل الجمع ويغبطه الأولون والآخرون يوم القيامة.

وقد ثبت عنه في صحيح مسلم [٨٢٠] كما ستورده أنه قال: «سأقوم مقاماً يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم». فمدح إبراهيم أباه مدحة

ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذ كان باني الكعبة أهل الأرض أن يكون منصبه وعمله وموضعه في منازل السماوات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة أهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه، ثم لا يعودون إليه إلى يوم البعث والنشور.

وقد ذكرنا في التفسير من سورة البقرة صفة بنائه البيت وما ورد في ذلك من الأخبار والآثار بما فيه كفاية فمن أراد فليراجعه ثم والله الحمد.

فمن ذلك ما قال السدي [البرق: ٢٥٢/١]: لما أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يبنيا البيت ثم لم يدريا أين مكانه حتى بعث الله رجلاً يقال له: الخفجوها جناحان وراس في صورة حية فكنتس لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول وأتبعها بالماول بمفران حتى وضعا الأساس وذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

فلما بلغنا القواعد بنى الركن قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني اطلب لي حجراً حسناً أضفه هنا. قال: يا أبت، إني كسلان تعب. قال: علي ذلك. فانطلق وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند وكان أبيض ياقوته يضاء مثل الثمامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس [الولملي (٧٧٧) مرفوعاً]، فجاهه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن. فقال: يا أبتني من جاءك بهذا؟ قال: جاء به من هو أشط منك فبنينا وهما يدعوان الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وذكر ابن أبي حاتم [فسره: ٣٨٠/١] أنه بناء من خمسة أجيال وأن ذا القرنين وكان ملك الأرض إذ ذاك مر بهما وهما يبنيانه فقال: من أمركما بهذا؟ فقال إبراهيم الله: أمرنا به فقال: وما يدريني بما تقول؟ فشهدت خمسة أكبش أنه أمره بذلك فأمن وصدق.

وذكر الأزرقى [إخبار مكة: ٣٩/١] أنه طاف مع الخليل بالبيت، وقد كانت على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال بما يلي الشام على ما هي عليه اليوم.

وفي الصحيحين (خ (١٥٨٣)، م (١٢٣٣)) من حديث مالك عن ابن شهاب عن سالم أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر ابن عمر عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تري أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟ قلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال: «لولا حدثان قومك» [وفي رواية] (ع (١٣٣٣)): «لولا أن قومك حديث عهد بمجاهلة أو قال: «بكفر لأنفتحت كثر الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر».

وقد بناها ابن الزبير رحمه الله في أيامه على ما أشار إليه رسول الله ﷺ حسبما أخبرته خاتمة أم المؤمنين عنه فلما قتلته الحجاج في سنة ثلاث وسبعين كتب إلى عبد الملك بن مروان الخليفة إذ ذاك فاعتقدوا أن ابن الزبير إنما صنع ذلك من تلقاء نفسه فأمر بردها إلى ما كانت عليه فقتضوا الحائط الشامي وأخرجوا منها الحجر ثم سدوا الحائط ورددوا الأحجار في جوف الكعبة فارتفع بابها الشرقي وسدوا الغربي بالكعبة كما هو مشاهد اليوم ثم لما بلغهم أن ابن الزبير إنما فعل هذا لما أخبرته عائشة أم المؤمنين ندما على ما فعلوا وتأسفوا أن لو كانوا تركوه وما تولى من ذلك.

ثم لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الإمام مالك بن أنس في ردعها على الصفة التي بناها ابن الزبير فقال له: إني أخشى أن يتخذها

عظيمة في هذا السياق ودل كلامه على أنه أفضل الخلائق بعده عند الخلاق في هذه الحياة الدنيا ويوم يكشف عن ساق.

وقال البخاري (٣٣٧١): حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «إني أباكما كأن يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق». أعوذ بكلمات الله التامة. من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

ورواه أهل السنن (٤٧٣٧)، ت (٢٠٦٠)، س (كبرى ١٠٨٤٤)، ج (١٠٨٤٥)، ج (٣٥٢٥) من حديث منصور به.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُخْبِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ ثُمِين قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطِينَ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمْلِكُ عَلَىٰ كُلِّ بَيْتٍ مِّنْهُنَّ حُزْماً تَمْ أَعْهُنَّ بِتِلْكَ سَعْيَا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

ذكر المفسرون لهذا السؤال أسباباً بسطناها في التفسير (٤٦٥/١ - ٤٦٧). وقررتها بآتم تقرير.

والحاصل أن الله عز وجل أجابه إلى ما سأل فأمره أن يعبد إلى أربعة من الطيور. واختلفوا في تعيينها على أقوال:

والمقصود حاصل على كل تقدير فأمره أن يمزق لحومهن وورشهن ويغسل ذلك بعضه في بعض. ثم يقسمه قسمًا ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ففعل ما أمر به ثم أمر أن يدعوهم بإذن ربهن فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه وكل ريشة تأتي إلى اختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للنبي: كن فيكون فأتين إليه سعيًا ليكون آيين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيراناً. ويقال: إنه أمر أن يأخذ رؤوسهن في يده فجعل كل طائر يسائي فتلقاه راسه فيتركب على جثته كما كان فلا إله إلا الله.

وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علماً يقيناً لا يحتمل التيقض ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويرقى من علم اليقين إلى عين اليقين فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه غاية مأموله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُرُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِرُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنْ أَوْلَىٰ النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٥ - ٦٨).

ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم وطريقتهم فبراه الله منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقلهم في قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: فكيف يكون على دينكم وأنتم إذا شرع لكم ما شرع بعده بمجد متطاول ولهذا قال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فبين أنه كان على دين الله الحنيف وهو القصد إلى الإخلاص والإحراف وعمداً عن الباطل إلى الحق الذي هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ

يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلَّهُ إِلَهَ آبَائِكَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. بَلْكَ اللَّهُ قَدْ خَلَقَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْلَمُونَ. وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَكُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِبِشْرِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اجْتَنَبُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ. قُلْ أَتَحَاجُّونَنِي إِلَى اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَكُنْتُمْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٠ - ١٤٠).

فزه الله عز وجل خليله عليه السلام عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً وبين أنه إنما كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلَىٰ النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الذين كانوا على ملته من أتباعه في زمانه ومن تمسك بدينه من بعدهم ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني عمداً ﷺ فإن الله شرع له الدين الحنيف الذي شرعه للخليل وكملة الله تعالى له وأعطاه ما لم يعط نبياً ولا رسولاً قبله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مِثْلَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنْ صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الألهم: ١٦١ - ١٦٣).

وقال تعالى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَوَعَدَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَآوَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البحل: ١٢٠ - ١٢٣).

وقال البخاري (٣٣٥٢): حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام، عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيحت ورأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزرار فقال: «قاتلهم الله والله إن يستقسما بالأزرار قط» لم يخرجهم مسلم. وفي بعض ألفاظ البخاري (٤٢٨٨، ١٦٠١): «قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها قط».

فقوله ﴿أُمَّةً﴾ أي: قدة إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير يقتل به فيه. ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ أي: خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسكناته. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: خلصاً على بصيرة. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: قائماً بشكره بجميع جوارحه من قلبه ولسانه وأعماله. ﴿اجْتَبَاهُ﴾ أي: اختاره الله لنفسه، واصطفاه لرسالته، واتخذ خليلاً وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (البساة: ١٢٥) يرغب تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام لأنه كان على الدين القويم والصرراط

ثم كان بأقصى البلاد لأتية ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت قال: ذلك العبد أنت. قال: أنا؟ قال: نعم قال: فبم اتخلّني ربي خليلاً؟ قال: بأنك تعطي الناس ولا تسألم.

رواه ابن أبي حاتم.

وقد ذكره الله تعالى في القرآن كثيراً في غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له فقيل: إنه مذكور في خمسة وثلاثين موضعاً، منها خمسة عشر في البقرة وحدها وهو أحد أولي العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم تخصيصاً من بين سائر الأنبياء في آي الأحراب والشورى وهما قوله تعالى: ﴿وَرَأَى أَحَدُنَا مِنْ الشَّيْءِ نِيَّاتَهُمْ وَبَكَى مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَيَعْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [الأحراب: ٧] وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَيَعْسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] الآية.

ثم هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ وهو الذي وجده عليه السلام في السماء السابعة مسنداً ظهره بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

وما وقع في حديث شريك بن أبي نجر عن أنس في حديث الإسراء [خ (٧٥١٧)] من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة. فمما انتقد على شريك في هذا الحديث والصحيح الأول.

ثم مما يدل على أن إبراهيم أفضل من موسى الحديث الذي قال فيه: «وأخبرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم».

رواه مسلم [٨٢٠] من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وهنا هو المقام المحمود الذي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» ثم ذكر استنفاع الناس بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يحيد عنها حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول: «أنا لما هنا» الحديث [خ (٣٣٤٠)، م (١٩٤)].

قال البخاري [٣٣٥٣]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبيد الله حدثني سعيد بن أبيه، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «ألقاهم». قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فمن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

وهكنا رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم والنسائي [خ (٣٤٩٠)، م (٢٣٧٨)] س (١١٢٤٩) من طرق عن يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله وهو ابن عمر العمري به.

ثم قال البخاري [٣٣٥٣]: قال أبو أسامة ومعتز عن عبيد الله عن سعيد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قلت: وقد أسنده [خ (٣٣٧٤)، ٣٣٨٣، ٤٦٨٩] في موضع آخر من حديثهما وحديث عبيد بن سليمان والنسائي [١١٢٤٩] من حديث محمد بن بشر أربعهم عن عبيد الله بن عمر عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولم يذكروا أباه.

وقال أحمد [٣٣٧٢]: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم خليل الله». تفرد به أحمد.

وقال البخاري [٣٣٩٠]: حدثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن عبد

المستقيم وقد قام بجميع ما أمره به ربه ومدحه تعالى بذلك فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَثَّى﴾ [الحج: ٣٧] ولهذا اتخذ الله خليلاً؛ والخلة هي غاية المحبة كما قال بعضهم:

قد تخللت مسلك الروح مني ويسد سمي الخليل خليلاً

وهكذا نال هذه المزية خاتم الأنبياء وسيد الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث جندب البجلي [م (٥٣٢)] وعبد الله بن عمرو [ج (١٤١)] وابن مسعود [م (٢٣٨٣)] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس إن الله اتخاني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

وقال أيضاً في آخر خطبة خطبها: «أيها الناس لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله». أخرجه [ج (٣٦٥٤)، م (٢٣٨٢)] من حديث أبي سعيد.

وثبت أيضاً من حديث عبد الله بن الزبير [خ (٣٦٥٨)] وابن عباس [ج (٣٦٥٦)، ٣٦٥٧] وابن مسعود [م (٢٣٨٣)].

وروى البخاري في صحيحه [٤٣٤٨]: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال: إن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرا ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. فقال رجل من القوم: لقد قرت عين أم إبراهيم.

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن أحمد بن أسيد، حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، بمكة حدثنا عبد الله الحنفي، حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذكرون فسمع حديثهم وإذا بعضهم يقول: عجب أن الله اتخذ من خلقه خليلاً فأبراهيم خليله. وقال آخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليماً. وقال آخر: فعيسى روح الله وكلمته. وقال آخر: آدم اصطفاؤه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاؤه الله وهو كذلك. ألا وإني حبيب الله ولا فخر إلا وإني أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يترك حلقة باب الجنة فيفتح الله فيدخلنيها ومعي قراء المؤمنين وأنا أكرم الأولين وآخرين يوم القيامة ولا فخر».

هذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد من وجوه آخر والله أعلم.

وروى الحاكم في مستدركه [٦٥/١] من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: اتذكرون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والروية لمحمد صلوات الله وسلامه عليه أجمعين؟!

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد السلمي، حدثنا الوليد بن إسحاق بن يسار قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً التقى في قلبه الرجل حتى إن كان خفافاً قلبه ليسمع من يئد كما يسمع خفافان الطير في الهواء.

وقال عبيد بن عمير: كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يلتبس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً يضيفه فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً فقال: يا عبد الله ما أدخلك داري بغير إذني؟ قال: دخلتها بإذن ربها. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذته خليلاً. قال: من هو؟ فوالله إن أخبرني به.

الرحمن، عن أبيه، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم». تفرد به من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر به.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٢٢٣/١]: حدثنا يحيى عن سفيان حدثني مغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «يخسر الناس حفاة عراة غللاً فأول من يكسى إبراهيم عليه السلام» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنعام: ١٠٤].
فاخرجه في الصحيحين [٤٦٢٥]، م [٢٨٦٠] من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن مغيرة بن النعمان التخمي الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

وهذه الفضيلة المعينة لا تقتضي الأفضلية بالنسبة إلى ما قبلها مما ثبت لصاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرين.
وأما الحديث الآخر الذي قال الإمام أحمد [١٧٨/٣]: حدثنا وكيع وأبو نعيم، حدثنا سفيان هو الثوري عن غنار بن قلقل عن أنس بن مالك قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا خير البرية فقال: «ذاك إبراهيم» فقد رواه مسلم [٢٣٦٩] من حديث الثوري، وعبد الله بن إدريس، وعلي بن مسهر، وعحمد بن فضيل، وأربعمهم عن المختار بن قلقل.
وقال الترمذي [٣٣٥٢]: حسن صحيح.

وهذا من باب المضم والتواضع مع والده الخليل عليه السلام كما قال: «لا تفضلوني على الأنبياء» وقال: «لا تفضلوني على موسى فإني الناس يصعدون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش فلا أدري أفأق قلبى أم جوزي بصعقة الطور» [٣٤١٤]، م [٢٣٧٣] من حديث أبي هريرة.

وهذا كله لا ينافي في ما ثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه من أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، وكذلك حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم [٨٢٠]: «وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم». ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين أمر المصلي أن يقول في تشهده ما ثبت في الصحيحين [٣٣٧٠]، م [٤٠٦] من حديث كعب بن عجرة وغيره قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [التجم: ٣٧] قالوا: وفى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل، ولا ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار.

قال عبد الرزاق [٧٥/١]: أنبأنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: «وَإِذْ أَنْبَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ» [البقرة: ١٢٤] قال: ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس، وخمس في الجسد أما التي في الرأس: قص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس أما التي في الجسد: تقليم الأظفار وحلق العانة والختان وتنف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء.

رواه ابن أبي حاتم [٣٥٩/١]. وقال: وروي عن سعيد بن المسيب، ومجاهد والشعبي والتخمي وأبي صالح وأبي الجلد نحو ذلك

٢٦- ذكر قصره في الجنة

قال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار: ٢٣٤٦]: حدثنا أحمد بن سنان القطان الواسطي وعحمد بن موسى القطان قالا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة قصراً - أحسبه قال - من لؤلؤة ليس فيه فقصم ولا وهي أعده الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلاً».

قال البزار: وحدثنا أحمد بن حنبل المروزي، وحدثنا النضر بن شميل، حدثنا حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

ثم قال: وهذا الحديث لا تعلم رواه عن حماد بن سلمة فأستنده إلا يزيد بن هارون والنضر بن شميل وغيرهما يرويه موقوفاً.

قلت: لولا هذه العلة لكان على شرط الصحيح ولم يخرجوه.

٢٧- ذكر صفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

قال الإمام أحمد [٣٣٤/٣]: حدثنا يونس وحجين قالا: حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عرض علي الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شهباً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شهباً صاحبكم - يعني نفسه ﷺ - ورأيت جبريل عليه السلام، فإذا أقرب من رأيت به شهباً دحية». تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه وبهذا اللفظ.

وقال أحمد [٢٩٦/١]: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى ابن مريم وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأمر جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسيم». قالوا له: فأبراهيم؟ قال: «انظروا إلى صاحبكم» يعني نفسه.

ودفن في المغارة المذكورة امرأته سارة التي في مزرعة عسرون الحثي وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن الكلبي [تاريخ الطبري: ٣١٧/١].

وقد قال أبو حاتم بن حبان في صحيحه [الإحسان: ٢٢٠٤]: أنبأنا الفضل بن محمد الجندبي بمكة، حدثنا علي بن زياد اللحجي، حدثنا أبو قرة عن ابن جريج عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اختن إبراهيم بالقُدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة».

وقد رواه الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٩٨/٦، ١٩٩] من طريق عكرمة بن إبراهيم وجمعة بن عون العمري عن يحيى بن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة موقوفاً.

ثم قال ابن حبان [الإحسان: ٢٢٠٥]: ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن رفع هذا الخبر وهم:

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجندبي، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اختن إبراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة واختن بقُدوم».

وقد رواه الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٩٧/٦] من طريق يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وقد أتت عليه ثمانون سنة».

ثم روى ابن حبان [الإحسان: ٨٥/١٤] عن عبد الرزاق أنه قال: القُدوم اسم القرية.

قلت: الذي في الصحيح أنه اختن وقد أتت عليه ثمانون سنة. وفي رواية: وهو ابن ثمانين سنة وليس فيهما تعرض لما عاش بعد ذلك والله أعلم.

وقال محمد بن إسماعيل الحساني الواسطي راوي تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات: حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: «كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من استحد وأول من اختن بالقُدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأول من قرى الضيف وأول من شاب».

هكذا رواه موقوفاً [تاريخ دمشق: ١٩٩] بعمه وهو أشبه بالرفوع خلافاً لابن حبان والله أعلم.

وقال مالك [الموطأ: ٩٢٢/٢] عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختن وأول الناس قص شاربه وأول الناس رأى الشيب فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله: وقار» فقال: يا رب زدني وقاراً.

وزاد غيرهما: وأول من قص شاربه وأول من استحد وأول من لبس السراويل.

قبره وقبر ولده إسحاق وقبر ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم. وهذا متلقي بالتواتر أنه بعد أمة وجيلاً بعد جيل من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره بالمرعة تحقيقاً.

فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك الحلة وأن تحترم احترام مثلها وأن تبجل وأن تجل أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم

وقال البخاري [٣٣٥]: حدثنا بيان بن عمرو، حدثنا النضر، أنبأنا ابن عون عن مجاهد أنه سمع ابن عباس وذكروا له الدجال بين عينيه كافر أو (ك ف ر) فقال: لم أسمعه ولكنه قال ﷺ أما: «إبراهيم فاستظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فوجد آدم على جبل أحر غطوم نخلة كائي أنظر إليه اغتر في الوادي».

وهكذا رواه البخاري أيضاً ومسلم عن محمد بن المنثى عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به. وهكذا رواه البخاري أيضاً في كتاب الحج [١٥٥٥] وفي اللباس [٥٩١٣] ومسلم [١٦٦] جميعاً عن محمد بن المنثى عن ابن أبي عدي عن عبد الله بن عون به.

٢٨- ذكر وفاة إبراهيم الخليل عليه

السلام وما قيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه [٢٣٣/١] أن مولده كان في زمن النمرود بن كتمان وهو فيما قيل: الضحاك الملك المشهور الذي يقال: إنه ملك ألف سنة وكان في غاية النشم والظلم.

وذكر بعضهم أنه من بني راسب الذين بعث إليهم نوح عليه السلام وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا.

وذكروا أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود. فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا: يولد مولود في رعيك يكون زوال ملكك على يديه. فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك الحين فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين فحماء الله عز وجل وصانه من كيد الفجار وشب شاباً باهراً وأثبت الله نبأاً حسناً حتى كان من أمره ما تقدم وكان مولده بالسوس وقيل: ببابل وقيل: بالسواد من ناحية كوثى.

وتقدم عن ابن عباس أنه ولد ببرزة شرقي دمشق فلما أهلك الله نمرود على يديه وهاجر إلى حران ثم إلى أرض الشام، وأقام ببلاذ إيليا كما ذكرنا. وولد له إسماعيل وإسحاق وماتت سارة قبله بقرية حبرون التي في أرض كتمان ولها من العمر مائة وسبع وعشرون سنة فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها إبراهيم عليه السلام ورثاها رحمها الله واشترى من رجل من بني حيث يقال له: عفرون بن صخر مغارة بأربع مائة مثقال فضة ودفن فيها سارة هنالك.

قالوا: ثم خطب إبراهيم على ابنه إسحاق فزوجه رفقا بنت ثوبل بن ناحور بن تارح، وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجوارها على الإبل.

قالوا: ثم تزوج إبراهيم عليه السلام قنظورا فولدت له زمران ويقشان ومادان وملين وشياق وشوح.

وذكروا ما ولد كل واحد من هؤلاء أولاد قنظورا.

وقد روى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٥٢/٦ - ٣٥٨] عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب في صفة يحيى ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخباراً كثيرة الله أعلم بصحتها.

وقد قيل: إنه مات فجأةً وكذا داود وسليمان والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك.

قالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين.

السلام نحتها.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٥٨/٦] بسنده إلى وهب بن منبه قال: وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة خلفة.
ألهسى جهولا أمسه يموت من جاء أجله
ومن دنا من حفرة لم تفسد عنه حيلة
وكيف يبقى آخره من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله

٢٩- ذكر أولاد إبراهيم الخليل عليه

وعليهم أفضل الصلاة والسلام

أول من ولد له إسماعيل من هاجر القبيلة المصرية ثم ولد له إسحاق من سارة بنت عم الخليل ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة: مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم يسم السادس.
ثم تزوج بعدها حجوج بنت أمين فولدت له خمسة: كيسان وسورج وإميم ولوطان ونافس. هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه التعريف والإعلام [ص ١٣٩، ١٤٠].

ومما وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة قصة قوم لوط عليه السلام، وما حل بهم من التهمة العيمة.
وذلك أن لوطاً بن هاران بن تارح وهو آزر كما تقدم ولوط ابن أخيه إبراهيم الخليل فأبراهيم وهاران وتاحور إخوة كما تقدمنا.
ويقال: إن هاران هذا هو الذي بنى حران وهذا ضعيف لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب والله أعلم.

وكان لوط قد تزوج من محلة عمه الخليل عليهما السلام بامرء له وإذنه فنزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر وكان أم تلك المحلة ولها أرض ومعملات وقرى مضافة إليها ولها أهل من أفجر الناس وأقصرهم وأسوأهم طوية وأرذلتهم سريرة وسيرة يقطعون السبل ويأتون في ناديم المنكر ولا يتأهون عن منكر فعلوه لبش ما كانوا يفعلون ابتدعوا فاحتة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين.

فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فاحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدكم وحسبانهم وجعلهم مثلة في العالمين وعبرة يتعظ بها الأولياء من العالمين؛ ولهذا ذكر الله تعالى قصتهم في غير ما موضع من كتابه المبين:

فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ. فَأَعْيَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨٤].

وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَبِيرٍ. فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ

إِلَيْهِ نَكِيرَهُمْ وَأَوَّحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ. وَامْرَأَتَهُ قَائِمَةً فَاصْبِرْ نَفْسُكَ لِمَا يَفْعَلُونَ إِنَّهُمَا عَلَى عَاقِبَتِ رَبِّكَ خَبِيرُونَ. قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيدٌ مُجِيدٌ. فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشْرَى مُبَاجِلًا فِي قَوْمِ لُوطٍ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ. يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَفِتَاحٌ غَلَابٌ غَيْرُ مُرْذُولٍ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ مُضَاعَفٌ بِهَمٍّ دَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ. وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَيَرَى كَثِيرًا نَجْوَاهُمْ أَيْصَادًا. قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا قَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْفَالِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي شَيْئِهِ الَّذِي بَيْنَكُمْ وَرَجُلٍ رَشِيدٍ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَبِئْسَ مَا تَعْلَمُونَ مَا نُرِيدُ. قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ. قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَمِسْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ. فَلَمَّا جَاءَ امْرَأَتُهَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِنْ سِجْلٍ مُنْضَوْدٍ. مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٦٩ - ٨٣].

وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَبَيْنَهُمْ عَنْ صَنْبٍ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ. قَالُوا لَا تَزُولُ إِنَّا نَسْتَشْرِكُ بِعِلَامِ عِلْمِهِ. قَالَ أَتَشْرِكُونَنِي عَلَى أَنْ مَشَيْتُ الْكِبَرِ فِيمَ تَشْرُونَ. قَالُوا يَشْرُكَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ. قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ. قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ إِلَيْهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. إِلَّا أَنَّ لُوطًا إِنَّا لَمُنْجِيهِمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا امْرَأَتَهُ قُلْتُ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ. فَلَمَّا جَاءَ آلُ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ. قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُكْرَهُونَ. قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بَمَا كَانُوا فِيهِ يَتَخَرَّوْنَ. وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَمِسْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُأْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ. وَفَضَّيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطَعٌ مُضْجِعِينَ. وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صُنْفِي فَلَا تَفْضَحُون. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون. قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ. قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. لَعَنَهُمُ اللَّهُ لَقِيَ سَكْرَتَهُمْ مِنْهُمْ يَوْمَ فَاحِشَتِهِمْ مَشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ جِجَارَةً مِنْ سِجْلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّا لَنَسِيلٌ لَمِيمٌ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٥١ - ٧٧].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ. قَالُوا لَنْ نَبْرَأَ لَكَ لُوطٌ تَكُونُ مِنَ الْمُخْرَجِينَ. قَالَ إِنِّي بِمَلَأِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ. رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ. فَتَجَنَّبْنَا وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ. ثُمَّ دَعَرْنَا الْآخَرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٧٥].

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ. إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخْجَلُونَ. فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْظُرُونَ. فَأَعْيَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قُلْتُ إِنَّهَا مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٨].

يستكفون ولا يعرون لوط وعاط ولا نصيحة من ناقل وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً فلم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا ندعوا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلاً فاخذهم الله اخذاً ريباً وقالوا له فيما قالوا: ﴿إِنَّا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم وحلول البأس العظيم فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم فسأل من رب العالمين وإليه المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين.

فغار الله لغيرته وغضب لغيبته واستجاب لدعوته وأجابه إلى طلبه وبعث رسله الكرام وملائكته العظام فعروا على الخليل إبراهيم وشرروه بالسلام عليهم وأخبروه بما جاوروا له من الأمر الجسيم والخطب العميم:

﴿قَالَ فَمَا خَبَّكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَازَةً مِنْ طِينٍ. مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدَّارِيات: ٣١-٣٤].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ. قَالَ إِنْ فِيهَا لَوْطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَجِّنِيهِ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١-٣٢]. وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعَ وَجَادَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]. وذلك أنه كان يرجو أن يبيوا ويسلموا ويقلعوا ويرجعوا.

ولمّا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنتَبِهٌ. يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٥-٧٦] أي: أعرض عن هذا وتكلم في غيره فإنه قد حتم أمرهم ووجب عذابهم وتدميرهم وهلاكهم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي قد أمر به من لا يرد أمره ولا يرد بأسه ولا معقب لحكمه وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود.

وذكر سعيد بن جبير والسدي وقادة ومحمد بن إسحاق [تاريخ الطبري: ٢٩٧/١، ٢٩٨]: أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: فماتوا مؤمنين؟ قالوا: لا، قال: فأرعبون مؤمنين؟ قالوا: لا، قال: فاربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا.

قال ابن إسحاق إلى أن قال: فأرأيت إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢] الآية.

وعند أهل الكتاب أنه قال: يا رب أتهلكهم وفيهم خمسون رجلاً صالحاً؟ فقال الله: لا أهلكهم وفيهم خمسون صالحاً ثم تنازل إلى عشرة فقال الله: لا أهلكهم وفيهم عشرة صالحون.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

قال المفسرون: لما فصلت الملائكة من عند إبراهيم وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صور شبان حسان؛ اختياراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطاً عليه السلام، وذلك عند غروب الشمس فخشي إن لم يصفهم يضيفهم غيره من القوم الفاسقين وحسبهم بشراً من الناس و﴿سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وقادة ومحمد بن إسحاق [تفسير الطبري: ٨٢/١٢، ٨٣]: شديد بلاؤه وذلك لما يعلم من ملافاته الليلة عنهم كما كان يصنع بنيرهم معهم وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يضيف أحداً ولكن رأى من

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ. أَتَيْكُمْ لَتَاتُورِ الرِّجَالِ وَتَقَطُّونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَافِيَكُمِ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ. قَالَ إِنْ فِيهَا لَوْطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَجِّنِيهِ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنْ الشَّيْءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٣٥].

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنْ لُوطاً لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزًا مِنَ الْغَابِرِينَ. ثُمَّ دَفَعْنَا الْآخَرِينَ. وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨].

وقال تعالى في الناريات بعد قصة ضيق إبراهيم وشارتهم إياه بغلام عليهم: ﴿قَالَ فَمَا خَبَّكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَازَةً مِنْ طِينٍ. مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الناريات: ٣١-٣٧].

وقال في سورة الانشقاق: ﴿كُنْتُ قَوْمٌ لُوطٌ بِالْبُذْرِ. إِنَّا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَخَرٍ. نَعْمَةٍ مِنْ عَيْنِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ. وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالْبُذْرِ. وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ. وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ. وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [الانحر: ٣٣-٤٠].

وقد تكلمنا على هذه القصص في أماكنها من هذه السورة في التفسير. وقد ذكر الله لوطاً وقومه في مواضع آخر من القرآن تقدم ذكرها مع قوم نوح وعاد وثمود. والمقصود الآن إيراد ما كان من أمرهم وما أحل الله بهم مجموعاً من الآيات والأخبار وبالله المستعان.

وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما عته نهوا بل استمروا على حالهم ولم يرغبوا عن غيهم وضلالهم وهما بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطبهم إذ كانوا لا يعقلون ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْتَ تَطْهَرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

فجعلوا غاية الملح ذماً يقتضي الإخراج وما حلهم على مقاتلتهم هذه إلا العناد واللجاج فظهره الله وأهله إلا امرأته وأخرجهم منها أحسن إخراج وتركهم في محلهم خالدين لكن بعدما صيرها عليهم بحمة متنة ذات أمواج لكنها عليهم في الحقيقة نار تأجج وحر يوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن الطامة العظمى والفاحشة الكبرى التي لم يسبقهم إليها أحد من أهل الدنيا. ولمّا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويمنونون الرفيق ويأتون في ناديتهم وهو مجتمعهم وحل حليتهم وسمرهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه، حتى قيل: إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون من مجالسهم وربما وقع منهم الفعل العظيمة في المحافل ولا

لا يمكن الخيد عنه.

وذكر قتادة [تابع الطبري: ٢٩٩/١]: أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يعمل فيها فتضيئونه فاستحي منهم وانطلق امامهم وجعل يمرض لهم في الكلام لملهم ينصرفون عن هذه القرية ويتزلون في غيرها فقال لهم فيما قال: والله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء ثم منى قليلاً ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرهه أربع مرات.

قال: وكانوا قد أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك. وقال السدي [تابع الطبري: ٢٩٩/١، ٣٠٠]: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قوم لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم فلقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى أريشا والصغرى دغوثا، فقالوا لها: يا جارية هل من منزل؟ فقالت لهم: مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم.

فوقت عليهم من قومها فأتت أباهما فقالت: يا ابتاه أراك فتبان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحهم وقد كان قومه يبهوه أن يضيف رجلاً فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل البيت فخرجت امرأته فآخبرت قومها فقالت: إن في بيت لوط رجلاً ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون إليه.

وقوله ﴿وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ﴾ [هود: ٢٨] أي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة: ﴿فَكَانَ يَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٢٨] يرشدكم إلى غييان نسايتهم وهن بناته شرعا؛ لأن النبي للامة بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث [تفسير الطبري: ٦٤/١٢، أبو داود (٨)] وكما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وفي قراءة بعض الصحابة والسلف «وهو أب لهم». وهذا كقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦].

وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق [تفسير الطبري: ٨٤/١٢، ٨٥] وهو الصواب.

والقول الآخر خطأ مأخوذ من أهل الكتاب وقد تصحف عليهم كما أخطأوا في قومه: إن الملائكة كانوا اثنين وأنهم تعشوا عنده.

وقد خط أهل الكتاب في هذه القصة تحجيظاً عظيماً. وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي آلَيْسَ بَيْنَكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٢٨] نهي لهم عن تعاطي ما لا يليق من الفاحشة وشهادة عليهم بأنه ليس فيهم رجل رشيد له مسكة ولا فيه خير بل الجميع سفهاء. فجرة أقرباء. كثرة اعتيائه. وكان هذا من جملة ما أراد الملائكة أن يسمعه منه من قبل أن يسأله عنه.

فقال قومه: عليهم لعنة الله الحميد المجيد. محيين لنبيهم فيما أمرهم به من الأمر السديد ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَانْكَ تَعْلَمُ مَّا نُرِيدُ﴾ [هود: ٢٩] يقولون عليهم لعائن الله: لقد علمت يا لوط إنه لا أرب لنا في نساتنا وانك لتعلم مرادنا وغرضنا.

واجهوا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم ولم يخافوا سطوة العظيم ذي العذاب الأليم؛ ولهذا قال عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ود أن لو كان له بهم قوة أو له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب.

وقد قال الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: «نحن أحق بالشك من إبراهيم ويحرم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» [خ (٣٣٧٢)، م (١٥١)].

ورواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة [خ (٣٣٧٥)].

وقال محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد - يعني الله عز وجل - فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه» [احمد: ٣٢٢/٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُون. قَالُوا أَوْلَكُمُ نَهْكَ مِنَ الْعَالَمِينَ. قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧١].

فأمرهم بقرابن نسايتهم وحذرهم الاستمرار على طريقتهم وسيأتهم هذا وهم في ذلك لا يتهمون ولا يروعون بل كلما نهامهم يبالغون في تحصيل هؤلاء الضيفان ويجرصون. ولم يعلموا ما حم به القدر عما هم إليه صائرون. وصبيحة ليلتهم متقلون؛ ولهذا قال تعالى مقسماً بحياة نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿لَنَعْمَرَنَّكُمْ لَقِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرْتَهُمْ تَبْطِئَاتِنَا فَمَا زَالَا بِالطَّنُرِ. وَلَقَدْ زَاوَوْهُ عَنْ ضَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ. وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٣٨].

ذكر المفسرون وغيرهم أن نبي الله لوطاً عليه السلام جعل يمنع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق وهم يرومون فتحه وولوجه وهو يعظم وينهاهم من وراء الباب.

فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد لأحلت بكم النكال. قالت الملائكة: ﴿يَا لَوْ أَنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

وذكروا أن جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قيل: إنها غارت بالكلية ولم يبق لها عمل ولا عين ولا أثر فرجعوا يتجسسون مع الحيطان. ويتوعدون رسول الرحمن. ويقولون: إذا كان الغد كان لنا وله شأن قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَاوَوْهُ عَنْ ضَيْفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ. وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [الحجر: ٣٧ - ٣٨].

فذلك أن الملائكة تقدمت إلى لوط عليهم السلام آمريين له بأن يسري هو وأهله من آخر الليل ﴿وَلَا يَلْتَمِسْ بَيْنَكُمْ أَخْذٌ﴾ يعني عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه؛ وأمره أن يكون سريه في آخرهم كالساقطة لهم.

وقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ﴾ [هود: ٨١] على قراءة النصب يحتمل أن يكون مستثنى من قوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾. [هود: ٨١] كأنه يقول: إلا امرأتك فلا تسر بها. ويحتمل أن يكون من قوله: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك. أي فإنها ستلتفت فيصيبها ما أصابهم؛ وبقي هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الأول أظهر في المعنى والله أعلم.

قال السهيلي: واسم امرأة لوط واهة واسم امرأة نوح والعلة. وقالوا له مبشرين بهلاك هؤلاء البغاة العتاة الملعونين النظراء والأشباه الذين جعلهم الله سلفاً لكل خائن مريب ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

وحزن وقال فيما قال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّيِّئَةِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيَّا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥ - ١٦] أي: سبحانك أن تكون زوجة نبيك بهذه المثابة.

وقوله هاهنا ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَيْعٍ﴾ أي وما هذه العقوبة بعيدة عن أشبههم في فعلهم. ولهذا ذهب من ذهب من العلماء إلى أن اللفظ يرجم سواء كان محصناً أو لا.

نص عليه الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الأئمة. واحتجوا أيضاً بما رواه الإمام أحمد [٣٠٠/١] وأهل السنن [٤٤٩٢]، ت (١٤٥٦)، ج (٢٥٦١) من حديث عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «من وجدته يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».

وذهب أبو حنيفة إلى أن اللفظ يلقى من شافع ويتبع بالحجارة كما فعل قوم لوط لقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَيْعٍ﴾ [هود: ٨٣]. وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة متنة لا يتبع بمائها ولا بما حولها من الأراضي الناحية لغنايتها لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه عن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاة. ودليلاً على رحمته بعباده المؤمنين في إلحائه إياهم من المهلكات. وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٢٥] وإن ذلك لآية لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء: ٨ - ٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٧] أي: من نظر بعين الفراسة والتوسم فيهم كيف غير الله تلك البلاد وأهلها وكيف جعلها بعد ما كانت أهلة عامرة. هالكة غامرة.

كما روى الترمذي [٣١٢٧] وغيره مرفوعاً: «اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ» ثم قال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]. وقوله ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦] أي لطريق مهيع مسلك إلى الآن كما قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ تَكْفُرُونَ عَلَيْكُمْ مُصِيبَةٌ. وَسَالِلٌ أَفْلا تَتَّقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ - ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْلَ آيَةٍ بَيْنَهُ لَقَوْمٌ يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [النار: ٣٥ - ٣٧] أي تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وخشي الرحمن بالغيب وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانزجر عن عارم الله وترك معاصيه وخاف أن يشابه قوم لوط «ومن تشبه بقوم فهو منهم» [إمام: ٥٠/٢] د (٤٠٣١) وإن لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم: فما قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم ببعيد.

فالعاقل اللبيب الخائف من ربه الفاهم يمثل ما أمره الله به عز وجل ويقبل ما أرشده إليه رسول الله من إتيان ما خلق له من الزوجات الحلال. والجواري من السراري ذوات الجمال. وإليه أن يتبع كل شيطان مريد. فيحق عليه الوعيد. ويدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَيْعٍ﴾ [هود: ٨٣].

فلما خرج لوط عليه السلام بأهله وهم ابتلاه ولم يتبعه منهم رجل واحد. ويقال: إن امرأته خرجت معه فآله أعلم.

فلما خلصوا من بلادهم وطلعت الشمس فكان عند شروقها جاءهم من أمر الله ما لا يرد. ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يصد. وعند أهل الكتاب أن الملائكة أمروه أن يصعدوا إلى رأس الجبل الذي هناك فاستبعدوه وسأل منهم أن يذهب إلى قرية قريبة منهم فقالوا: اذهب فإننا ننظرك حتى تصير إليها وتستقر فيها ثم نخل بهم العذاب.

فذكروا أنه ذهب إلى قرية صغر التي يقول الناس غور زغر فلما أشرقت الشمس نزل بهم العذاب قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ صَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ مُّثْضُودٍ. مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَيْعٍ﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣].

قالوا [تفسير الطبري: ٩٧/١٢]: اقتلهم جبريل بطرف جناحه من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الأمم يقال: إنهم كانوا أربع مائة ألف نسمة. وقيل أربعة آلاف نسمة. وما معهم من الحيونات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات فرغ الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عليها سافله.

قال مجاهد [تفسير الطبري: ٩٧/١٢]: فكان أول ما سقط منها شرفاتها. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢] والسجيل فارسي معرب وهو الشديد الصلب القوي.

﴿مُثْضُودٍ﴾ أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء. ﴿مُثْوَمة﴾ أي معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدفعه كما قال: ﴿مُثْوَمة عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [النار: ٣٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُّثْوَمةً نَّظَرُ الْمُتَنَبِّهِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَفَتَحْنَاهَا مَا غَشَى﴾ [النجم: ٥٣ - ٥٤] يعني قلبها فأهوى بها منكسة عليها سافله وغشاهها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة مسومة مرقوم على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين عنها من المسافرين والنازحين والشاذين منها.

ويقال: إن امرأة لوط مكثت مع قومها ويقال: إنها خرجت مع زوجها وبيتها ولكنها لما سمعت الصيحة وسقطت البلدة والتفتت إلى قومها وخالفت أمر ربها قديماً وحديثاً وقالت: واقوماه! فسقط عليها حجر فدمعها والحقها بقومها إذ كانت على دينهم وكانت عينا لهم على من يكون عند لوط من الصيغان كما قال تعالى: ﴿حُضِرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُّوحٌ وَامْرَأَةٌ لُّوطُ كَانَتَا تَحْتَ غِطَّيْنِ مِن عِيَانِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَيْنِ﴾ [النجم: ١٠] أي خانتاهما في الدين فلم تبعاهما فيه. وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة حاشا وكلا. فإن الله لا يقدر على نيه أن يتغي امرأته.

كما قال ابن عباس وغيره [ابن عسك: ٦٣٩/١٤] عطفوا من أئمة السلف والخلف: ما بقت امرأة نبي قط.

ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيراً. قال الله تعالى في قصة الإفك لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج رسول الله ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فعاتب الله المؤمنين وأنب وزجر وعظ

٣٠- قصة مدين قوم شعيب عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة الأعراف بعد قصة قوم لوط ﴿وَأَلْسِ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تُخْسِرُوا النَّاسَ أَمْثِلَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصْلُحُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبُوءْهَا عَرَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ فِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِرُوا فاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ الْمَلَائِكَةُ اسْكُبُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ. قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ. وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَاصْبِرُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ. الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَخُفُوا فِيهِ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ. قَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥ - ٩٣].

وقال في سورة هود بعد قصة قوم لوط أيضاً ﴿وَأَلْسِ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَقْسِرُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ. وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ. قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَتَّجِدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيمُ الرَّشِيدُ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِغْنَيْتُمْ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلَ مَا أَنْصَابَ قَوْمِ نُوحٍ أَوْ قَوْمِ هُودٍ أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ. وَاسْتَفْهِرُوا بِرُبِّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ إِنَّ رَبِّي وَحِيمٌ وَدُودٌ. قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَعُكَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا هَظْمُكَ لَارْجَيْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَغِيزٍ. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أَغْرُ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ زَادَكُمْ ظَهَرًا إِذْ رُبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ. وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ زَعِيمٌ. وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْثَةَ فَاصْبَرُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ. كَانُوا لَمْ يَخُفُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لَمَدَيْنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٨٤ - ٩٥].

وقال في الحجر بعد قصة قوم لوط أيضاً ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَعَالِيِينَ. فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَأَهْلَمْنَا بِلِيَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٨ - ٧٩].

وقال تعالى في الشعراء بعد قصتهم ﴿كَذَبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ. وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَأَتَقُوا النَّاسَ

خَلْقَكُمْ وَالْجِبَّةَ الْأُولَى. قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلَكَ لَهِنَ الْكَافِرِينَ. فَاسْتَبِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. فَكُنُوبُهُمْ فَاتَّخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٩١].

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام ما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط. وكانوا بلدهم بلدة قرية.

ومدين قبيلة عرفت بهم المديتوهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وشعيب نبيهم هو ابن ميكيل بن يشجن ذكره ابن إسحاق [تفسير الطبري: ٢٣٧/٨].

قال: ويقال له: بالسريانية: برون وفي هذا نظر.

ويقال: شعيب بن يشجن بن لوي بن يعقوب.

ويقال: شعيب بن نوب بن عبقا بن مدين بن إبراهيم ويقال: شعيب بن صيفور بن عبقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم. وقيل غير ذلك في نسه.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٧٠/٢٣]: ويقال: جدته ويقال: أمه بنت لوط عليه السلام [تاريخ الطبري: ٣٢٥/١] وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق.

وعن وهب بن منبه أنه قال: شعيب ويعلم من آمن بإبراهيم يوم أحرق النار وهاجرا معه إلى الشام فزوجهما بنتي لوط عليه السلام. ذكره ابن قتيبة [المعارف: ص ٤٤].

وفي هذا كله نظر أيضاً والله أعلم.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ٦٤٤/٢ في ترجمة سلمة بن سعيد العنزي: قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وانتسب إلى عترة فقال: «نعم المحي عترة مبغي عليهم منصورون قوم شعيب وأختان موسى».

فلو صح هذا لدل على أن شعيباً صهر موسى وأنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لهم: عترة لا أنهم من عترة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فإن هؤلاء بعدهم بدهر طويل والله أعلم.

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان [الإحسان: ٣٦١] في ذكر الأنبياء والرسول قال: «أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر».

وكان بعض السلف يسمي شعيباً خطيب الأنبياء يعني لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعائه قومه إلى الإيمان برسالته.

وقد روى إسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاک عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً قال: «ذاك خطيب الأنبياء» [المستدرک: ٥٩٨/٢].

وكان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيكة حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من أسوء الناس معاملة يخسرون المكيال والميزان ويظفون فيها يأخذون بالزائد ويدفعون بالنقص فبعث الله فيهم رجلاً منهم وهو رسول الله ﷺ عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بحس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم حتى أحل الله بهم البأس الشديد. وهو الولي

الحميد كما قال تعالى:

﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] أي دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ماجتكم به وأنه أرسلني وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً:

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْزِيَانَ وَلَا يَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥] أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك فقال:

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦] أي طريق ﴿تَوْعُدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦] أي توعدون الناس يأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك ويغيثون السبل.

قال السدي في تفسيره عن الصحابة (هـو الطبري: ٢٣٨/٨): ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوْعُدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦] أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة.

وقال إسحاق بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا قوماً طغاة بغاة يجلسون على الطريق يبخسون الناس - يعني يعشرونهم - وكانوا أول من سن ذلك.

﴿وَتَصَلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنَ أَمَرَ بِهِ وَيَتَوَلَّوْهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦] فنهاهم عن قطع الطريق الحسية النبوية والمعنوية الدينية.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦] ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم في كثرتهم بعد القلة وحنزهم نعمة الله بهم إذ خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه كما قال لهم في القصة الأخرى ﴿وَلَا تَقْصُوا الْيَكْنَائَ وَالزِّيَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (هود: ٨٤) أي لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمرروا فيه فيمحق الله بركة ما في أيديكم ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا فقد باء بالصفقة الخاسرة فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحنزهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم وعذابه الأليم في آخراهم وعنفهم أشد تنعيف.

ثم قال لهم أمراً بعد ما كان عن ضده زاجراً: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْيَكْنَائَ وَالزِّيَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين] وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ (هود: ٨٥).

قال ابن عباس والحسن البصري ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (هود: ٨٦) أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس.

وقال ابن جرير (هـو: ١٠٠/١٢): ما فضل لكم من الربح بعد وفاة الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف.

قال: وقد روي هذا عن ابن عباس وهذا الذي قاله وحكاه حسين وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [الأنعام: ١١٠] يعني أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام فإن الحلال مبارك وإن قل والحرام محقوق وإن كثر كما قال تعالى: ﴿يُضْحِكُ اللَّهُ الرِّيَاءَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الريا وإن كثر فإن مصيره إلى قُلٍّ» رواه أحمد (٣٩٥/١) أي: إلى قلة.

وقال رسول الله ﷺ: «الْيَمَانُ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِن صَدَقَا وَبِئْسَ بُورِكُ لِمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِن كَتَمَا وَكَلَبَا حَقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» (بخ: ٢٠٧٩)، م (١٠٣١).

والمقصود أن الربح الحلال مبارك فيه وإن قل والحرام لا يجدي وإن كثر ولهذا قال نبي الله شعيب: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٨٦).

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾ أي افعلوا ما أمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيري. ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيسُ الرَّثِيدُ﴾ يقولون هذا على سبيل الاستهزاء والتقصص والتهمك أصولاتك هذه التي تصليها هي الأمرة لك بأن تخرج علينا فلا تعبد إلا إلهك وتترك ما يعبد آبائنا الأقدمون وأصلافنا الأولون أو أن لا تعامل إلا على الوجه الذي ترضيه أنت وتترك المعاملات التي تأبها وإن كنا نحن نرضاها ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيسُ الرَّثِيدُ﴾.

قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وزيد بن أسلم وابن جرير (هـو: ١٠٣/١٢): يقولون ذلك قول أعداء الله على سبيل الاستهزاء.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هذا تطفف معهم في العبارة ودعوة لهم إلى الحق بآيتين إشارة يقول لهم: أرايتهم أيها الكذبيون ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي على أمر بين من الله تعالى أنه أرسلني إليكم ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني النبوة والرسالة يعني وعى عليكم معرفتها فأي حيلة لي بكم. وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواة.

وقوله ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾ أي لست آمركم بالأمر إلا وأنا أول فاعل له وإذا نهيتكم عن الشيء فأنأ أول من يتركه وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة وضدها هي المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بني إسرائيل في آخر زمانهم وخطبأهم الجاهلون.

قال الله تعالى: ﴿اتَّامَرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وذكرنا عندها في الصحيح [بخ: ٣٢٦٧]، م (٢٩٨٩) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتتلقى أفتاب بطنه - أي تخرج أعضاؤه من بطنه - فيلور بها كما يلور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار فيقولون: يا فلان مالك! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية».

وهذه صفة غالفني الأنبياء من الفجار والأشقياء فأما السادة من النجباء والألباء من العلماء الذين يمشون ربهم بالغيب فحالمهم كما قال نبي الله شعيب ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي ما أريد في جميع أمري إلا الإصلاح في أفعالهم والمقال بجهدي وطاقتي

﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي في جميع أحوالي ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي عليه أتوكل في سائر الأمور وإليه مرجعي ومصيري في كل أمري وهذا مقام ترغيب.

ثم انتقل إلى نوع من التهريب فقال ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي في هذه الحياة الدنيا ﴿وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِيمٌ﴾ أي في الآخرة ﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ أي مني ومنكم فيما أخبر وبشر وحذر ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

وهنا أقوله ﴿وَلَمَّا كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي بِلَدِنَا قَالَ أَوْلَوْا كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتَنَا فِي بِلَدِكُمْ يَبْدُو إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَتَقَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْخَنِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧ - ٨٩].

طلبوا بزعمهم أن يردوا من آمن منهم إلى ملتهم فانتصب شعيب للمحاجة عن قومه فقال ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: هؤلاء لا يعودون إليكم اختياراً وإنما يعودون إليه إن عادوا اضطراً مكرهين وذلك لأن الإيمان إذا خالط بشائته القلوب لا يسخطه أحد ولا يريد أحد أن يسزل عنه ولا يحيد لأحد منه. ولهذا قال ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتَنَا فِي بِلَدِكُمْ يَبْدُو إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي فهو كافياً وهو العاصم لنا وإليه ملجأنا في جميع أمرنا.

ثم استفتح على قومه واستصر ربه عليهم في تعجيل ما يستحقونه إليهم فقال: ﴿رَبَّنَا أَتَقَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْخَنِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي الحاكمين فدعا عليهم والله لا يرد دعاء رسوله إذا استصروه على الذين جحدوه وكفروهم ورسوله خالفوه. ومع هذا صمموهم على ما هم عليه مشتملون. وبه مستمكرون.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَاءً﴾.

ذكر في سورة الأعراف أنهم اخذتهم رجفة أي رجفت بهم أرضهم وزلزلت زلزلاً شديداً أزهقت أرواحهم من أجسادهم وصيرت حيوانات أرضهم كجمادها وأصبحت جهنم جانية لا أرواح فيها ولا حركات بها ولا حواس لها. وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات وصنفاً من المثلث وأشكالاً من البليات وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكتت الحركات وصيحة عظيمة أحمدت الأصوات وظلة أرسل عليهم منها شر النار من سائر أرجائها والجهاث. ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها في سياق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم أو ليعودن في ملتهم راجعين فقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَاءً﴾. فقابل الإرجاف بالرجفة والإنخاف بالخيفة وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السياق.

وأما في سورة هود فذكر أنهم اخذتهم الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتقصص ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتَّكِفَ أَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾ فناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالرجز عن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي جهلوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتهم مع رجفة أسكتهم.

وأما في سورة الشعراء فذكر أنه اخذهم عذاب يوم الظلة. وكان ذلك

يُصِيبُكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّطُوفٌ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ أي لا تحملنكم مخالفتي وبغضكم ما جتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والتكال نظير ما أحله بظرائكم وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من الكافرين المخالفين.

وقوله: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَّطُوفٌ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ قيل: معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم ما قد بلغكم ما أحل الله بهم على كفرهم وعتوهم.

وقيل: معناه وما هم منكم بعيد في المحلة والمكان.

وقيل: في الصفات والأفعال المستبجات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جبرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات.

والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ أي أقبلوا عما أنتم فيه وتوبوا إلى ربكم الرحيم الدود فإنه من تاب إليه تاب عليه فإنه ﴿رَحِيمٌ﴾ بعباده أرحم بهم من الوالدة بولدها ﴿وَدُودٌ﴾ وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو في المواقف العظام.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَ كَثِيرًا مُّمَّا يَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري والبخاري ٥٩٨/٢، تاريخ دمشق: ٧١/٢٣، تفسير الطبري: ١٠٥/١٢ أنهم قالوا: كان ضرير البصر.

وقد روي في حديث مرفوع أنه بكى من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره. وقال يا شعيب أتبكي خوفاً من النار أو من شوقك إلى الجنة؟ فقال: بل من عبتك فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي، فأوحى الله إليه هنيئاً لك يا شعيب لقائي فلذلك أخدمتك موسى بن عمران كليعي.

رواه الواحدي عن أبي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق الرملي، عن هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش، عن مجير بن سعد، عن شلاد بن أميين عن النبي ﷺ بنحوه وهذا غريب جداً وقد ضعفه الخطيب البغدادي.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَّانَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَغِيرٌ﴾ وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع حيث قالوا ﴿مَا نَفَقَ كَثِيرًا مُّمَّا يَقُولُ﴾ أي ما نفهمه ولا نتقبله لأننا لا نحب ولا نريده وليس لنا همة إليه ولا إقبال عليه وهو كما قال كفار قريش لرسول الله ﷺ ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مُّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فَوَيْ آتَانَا وَفَرَّ وَبَيْنَا وَبَيْنَكَ جَبَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا غَائِلُونَ﴾ [صافات: ٥].

وقوله: ﴿وَأَنَا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود] أي مضطهداً مهجوراً.

﴿وَلَوْلَا رَهْمُكَ﴾ أي قبيلتك وعشيرتك فينا ﴿لَرَجَّانَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَغِيرٌ﴾. قال يا قوم أرغمطي أعز عليكم من الله؟ أي تخافون قبيلتي وعشيرتي وتزعوني بسبيهم ولا تخافون جنبه الله ولا تراعوني لأني رسول الله فصار رهطي أعز عليكم من الله.

﴿وَأَتَذَكَّرُوهُمْ وَزَادَكُمْ ظَهْرًا﴾ أي جانب الله وراء ظهوركم.

﴿إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي هو عليم بما تعملونه وما تصنعونه محيط بذلك كله وسيجزيك عليه يوم ترجعون إليه.

﴿وَيَا قَوْمِ اغْمِلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَايِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ وهذا أمر تهديد شديد ووعيد أكيد بأن يستمروا على طريقتهم ومنهجهم وشاكلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار. ومن يحل عليه الملاك والبرار.

فقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْغَضَكُمْ رَسُولَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي: أعرض عنهم مولياً عن محلّتهم بعد ملاكهم قاتلاً: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْغَضَكُمْ رَسُولَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي قد أبغيت ما كان واجباً عليّ من البلاغ التام والنصح الكامل وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدّر عليه وأتوصل إليه فلم ينفعكم ذلك لأن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين فلست أئأسف بعد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ولا تخافون يوم الفضيحة ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ آتَىٰ﴾ أي أحزن.

﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، أي لا تقبلون الحق ولا ترجعون إليه ولا تلتفنون إليه فحل عليهم من بأس الله الذي لا يرد ما لا يدافع ولا يمنع ولا يعيد لأحد أريد به عنه ولا مناص منه.

وقد ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه [٨٠/٢٣] عن ابن عباس أن شعيباً عليه السلام كان بعد يوسف عيه السلام. وعن وهب بن منبه أن شعيباً عليه السلام مات بمكة ومن معه من المؤمنين وقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم.

٣١- باب ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام

قد قلنا قصته مع قومه وما كان من أمرهم وما آل إليه أمره عليه السلام والتحية والإكرام وذكرنا ما وقع في زمانه من قصة قوم لوط. وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام لأنها قريبتها في كتاب الله عز وجل في مواضع متعددة.

يذكر تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وهم أصحاب الأيكة على الصحيح كما قلنا فذكرناهما تبعاً لما اقتضاه القرآن العظيم. ثم نشرع الآن في الكلام على تفصيل ذرية إبراهيم عليه السلام لأن الله جعل في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي أرسل بعده فمن ولده.

٣٢- ذكر إسماعيل عليه السلام

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما الذي هو النبيح على الصحيح إسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل.

ومن قال: إن النبيح هو إسحاق فإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأبائهم في هذا من التنزيل. فإن إبراهيم أمر بنبيح ولده البكر. وفي رواية الوحيد وأباً ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ففي نص كتابهم إن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة.

ولما ولد إسحاق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل لإسماعيل هو البكر لا عالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة.

أما في الصورة فلاه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيراً رضيعاً فيما قيل فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة نعم القليل وتركهما هناك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلاً عليه.

إجابة لما طلبوا. وتقريباً إلى ما إليه رغبوا. فلأنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا نَبْرٌ مُنْطَلِقٌ وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ. فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْسَافاً مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٨٥ - ١٨٨].

قال الله تعالى وهو السميع العليم ﴿فَذَكِّرْهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ومن زعم من المفسرين كشادة هيسر الطبري: [٨٤/١٤] وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقلوه ضعيف؛ وإنما عمدتهم شيتان:

أحدهما أنه قال ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ. وَلَمْ يَظَلْ أَخْوَهُمْ كَمَا قَالَ ﴿وَأَلِّىٰ مَلَكَيْنِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. والثاني أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة.

والجواب عن الأول أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ لأنه وصفهم بعبادة الأيكة فلا يناسب ذكر الأخوة ها هنا ولا نسبهم إلى القبيلة ساخ ذكر شعيب بأنه أخوهم. وهذا الفرق من التفاسير اللطيفة العزيزة الشريفة.

وأما احتجاجهم بيوم الظلة فإن كان دليلاً بمجرد على أن هؤلاء أمة أخرى فليكن تعدد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهم امتنان أخريان وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن.

فأما الحديث الذي أورده الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٦٦/٨] في ترجمة النبي شعيب عليه السلام من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن شقيق بن أبي هلال عن زبيدة بن سيف عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً فإن مدين وأصحاب الأيكة امتنان بعث الله إليهما شعيباً النبي عليه السلام فإنه حديث غريب وفي رجاله من تكلم فيه. والأشبه أنه من كلام عبد الله بن عمرو بما أصابه يوم اليرموك من تلك الزامتين من أخبار بني إسرائيل والله أعلم.

ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المنة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيا والميزان فدل على أنهم أمة واحدة أهلكتهم بأنواع من العذاب. وذكر في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب.

وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ذكرنا أنهم أصابهم حر شديد وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام فكان لا ينفهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب فهربوا من محلّتهم إلى البرية فالتفتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها فلما تكاملوا فيه أرسلها الله عليهم ترميمهم بشر وشهب من نار ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة من السماء فازهقت الأرواح وخربت الأشباح، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾.

ونحي الله شيئاً ومن معه من المؤمنين، كما قال تعالى وهو اصدق القائلين: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّمَلَكَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَبِئْسَ شُعَيْبًا إِنَّا كُنَّا إِذَا لَخَائِرُونَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾. وهذا في مقابلة قولهم ﴿لَبِئْسَ شُعَيْبًا إِنَّا كُنَّا إِذَا لَخَائِرُونَ﴾.

ثم ذكر تعالى عن نبينهم أنه تعام إلى أنفسهم مرجحاً ومؤنباً ومقرعاً

فغارها.

قال الأموي: هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي. ثم نكح غيرها فأمره أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي.

وقيل هذه ثالثة فولدت له اثني عشر ولداً ذكراً. وقد سماهم محمد بن إسحاق رحمه الله وهم: ثابت وقيدر وأذبل وميشي ومسمع وماش ودوما وأدر ويطور وبنش وطيماء وقيدما.

وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم. وعندهم أنهم اثنا عشر عظيماً المبشر بهم المتقدم ذكرهم. وكذبوا في تأويلهم ذلك وكان إسماعيل عليه السلام رسولاً إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه.

ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته نسمة من ابن أخيه العيص بن إسحاق فولدت له الروم. ويقال لهم بنو الأصغر لصغرة كانت في العيص.

وولدت له اليونان في أحد الأقوال. ومن ولد العيص الأشبيان، وقيل منها أيضاً. وتوفى ابن جرير [تاريخ الطبري: ٣١٤/١، ٣١٧] رحمه الله.

ودفن إسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة.

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: شكى إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله إليه أني سأفتح لك باباً إلى الجنة إلى الموضع الذي تدفن فيه تحري عليك روحها إلى يوم القيامة [تاريخ الطبري: ٣١٥، ٣١٤/١].

وعرب الحجاز كلهم يتسبون إلى ولديه ثابت وقيدر. وستتكلم على أحياء العرب ويطونها وعمارها وقبائلها وعشائرها من لدن إسماعيل عليه السلام إلى زمان رسول الله ﷺ وذلك إذا انتهينا إلى أيامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من أخبار أنبياء بني إسرائيل إلى زمان عيسى بن مريم خاتم أنبيائهم ومحقق أنبيائهم.

ثم نذكر ما كان في زمن بني إسرائيل. ثم ما وقع في أيام الجاهلية ثم ينتهي الكلام إلى سيرة نبينا رسول الله إلى العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم من الأمم إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم.

٣٣- ذكر إسحاق بن إبراهيم الكرم ابن الكرم

عليهما الصلاة والسلام

قد قلنا أنه ولد ولأبيه مائة سنة بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة. وكان عمر أمه سارة حين بشرت به تسعين سنة.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ، وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢ - ١١٣].

وقد ذكره الله تعالى بالثناء عليه في غير ما آية من كتابه العزيز. وقلنا في حديث أبي هريرة [صح: ٣٣٢/٢] عن رسول الله ﷺ: «إن الكرم ابن الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

فحاطهما الله تعالى بعتابته وكفائته فنعم الحبيب والكافي والوكيل والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من ينظن لهذا السر وأين من يحل بهذا الحبل والمعنى لا يلزمه ويحيط بعلمه إلا كل نبي نبيل. وقد أتى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمور بها لأهله ليقهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠١ - ١٠٢] فطواع أباه على ما إليه دعاه. ووعده بأن يصبر فوقه بذلك وصبر.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا، وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالْيُسُفِ مِن يَّعْقُوبَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْيَسَعَ﴾ [النساء: ١٦٣] الآية.

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْيَسَعَ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية.

ونظيرتها من السورة الأخرى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْيَسَعَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَكُنْتُمْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] الآية.

فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله ورساه من كل ما نسب إليه الجاهلون. وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنين.

وذكر علماء النسب وأيام الناس أنه أول من ركب الحبل [الأول للمعري: ١٨٢/٢].

وكانت قبل ذلك وحوشاً فأنسها وركبها.

وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه: حدثنا شيخ من قريش حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «اتخذوا الحبل واعتقوها فإنها ميراث أبيكم إسماعيل».

وكانت هذه العرب وحشاً فدعا لها بدعوة النبي كان أعطي فأجابته وأنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة. وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الحليل.

قال الأموي: حدثني علي بن المغيرة حدثنا أبو عبيدة حدثنا مسمع بن مالك عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من فتح لسانه بالعربية البليغة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة».

فقال له يونس: صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني. وقد قلنا أنه تزوج لما شب من العماليق امرأة وأن أباه أمره بفراقها

الكبرى فإن أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى وأزوجها فعمل سبع سنين وأدخلها عليه مع أختها وكان ذلك مساعداً في ملتهم ثم نسخ في شريعة التوراة.

وهذا وحده دليل كاف على وقوع النسخ لأن فعل يعقوب عليه السلام دليل على جواز هذا وإباحته لأنه معصوم. وهب لإبان لكل واحدة من ابنته جارية فوهب لها جارية اسمها: «زلفى» وهب لراحيل جارية اسمها «بلهى».

وجبر الله تعالى ضعف ليا بأن وهب لها أولاداً فكان أول من ولدت ليعقوب «روئيل» ثم «شمعون» ثم «لاوي» ثم «يهوذا» فغارت عند ذلك راحيل وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جارياتها بلهى فوطئها فحملت وولدت له غلاماً سمته: «دان» وحملت وولدت غلاماً آخر سمته: «يئصال» فعمدت عند ذلك ليا فوهبت جارياتها زلفى من يعقوب عليه السلام فولدت له «جاد» و«أشير» غلامين ذكرين.

ثم حملت ليا أيضاً فولدت غلاماً خامساً منها سمته: إيساخر. ثم حملت وولدت غلاماً سادساً سمته «زابلون» ثم حملت وولدت بنتاً سمته دينا فصار لها سبعة من يعقوب.

ثم دعت الله تعالى راحيل وسألته أن يهب لها غلاماً من يعقوب فسمع الله نداءها وأجاب دعائها فحملت من نبي الله يعقوب فولدت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جليلاً سمته: «يوسف».

كل هذا وهم مقيمون بأرض حران وهو يرعى على خاله غنمه بعد دخوله على البنتين ست سنين أخرى فصار مدة مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لإبان أن يسرحه ليرى أهله فقال له خاله: إني قد بورك لي بسببك فسلي من مالي ما شئت فقال: تعطيني كل حمل يولد من غنمك هذه السنة أبيع وكل حمل ملمع أبيض بسواد وكل أملح بياض وكل أجلب أبيض من المعز فقال: نعم فعمد بنوه فأبرزوا من غنم أبيهم ما كان على هذه الصفات من التيس لثلا يولد شيء من الحملان على هذه الصفات وساروا بها مسيرة ثلاثة أيام عن غنم أبيهم.

قالوا: فعمد يعقوب عليه السلام إلى قضبان رطبة بيض من لوز ودلب فكان يقشرها بلفاء ويضعها في مسامي الغنم من المياه لينظر الغنم إليها فتزحف وتحرك أولادها في بطونها فتصير ألوان حملاتها كذلك وهذا يكون من باب خوارق العادات ويتظم في سلك المعجزات فصار ليعقوب عليه السلام أغنام كثيرة ودواب وعبيد وتغير له وجه خاله وبنيه وكأنتهم اغصروا منه.

وأوحى الله تعالى إلى يعقوب أن يرجع إلى بلاد أبيه وقومه ووعد به بأن يكون معه فعرض ذلك على أهله فأجابوه مبشرين إلى طاعته فتحمل بأهله وماله وسرقت راحيل أصنام أبيها.

فلما جاوزوا وتحيزوا عن بلادهم لحقهم لإبان وقومه، فلما اجتمع لإبان ليعقوب عاتبه في خروجه بغير علمه وهلا أعلمه فيخرجهم في فرح ومزاهر وطبول وحتى يروح بناته وأولادهم ولم اخذوا أصنامهم معهم ولم يكن عند يعقوب علم من أصنامهم فأنكر أن يكونوا اخذوا له أصناماً فدخل بيوت بناته وإمائته فيفتش فلم يجد شيئاً وكانت راحيل قد جعلتهن في بردة الجمل وهي تحتها فلم يتم وأعتنوت بأنها طامث فلم يقدر عليهن فعند ذلك تواتقوا على راية هناك يقال لها جلعاد على أنه لا يهين بناته ولا يتزوج عليهن ولا يجاوز هذه الراية أحدهما ذاهباً إلى بلاد الآخر لا لإبان ولا يعقوب وعملاً طعماً وأكل القوم معهم وتودع كل منهما من

وذكر أهل الكتاب أن إسحاق لما تزوج رفقا بنت ثوبائل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة وإنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما: سموه «عيسو» وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم. والثاني: خرج وهو أخذ يعقب أخيه فسموه «يعقوب» وهو إسرائيل الذي يتسبب إليه بنو إسرائيل قالوا: وكان إسحاق يحب العيص أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر.

قالوا: فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتى على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطبخه له ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يفتي ذلك فأمرت رفقا ابنتها يعقوب أن يذبح جدلين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به من قبل أخيه ليدعو له فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعقته من جلد الجدين؛ لأن العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك.

فلما جاءه به وقره إليه قال: من أنت؟ قال: ولديك؛ فضمه إليه وجسه وجعل يقول: أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجسد والثياب فالعيص. فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده.

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده يقره إليه فقال له: ما هذا يا بني؟ قال: هذا الطعام الذي اشتيته فقال: أما جئتني به قبل الساعة وأكلت منه ودعوت لك فقال: لا والله. وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه عليه وجداً كثيراً.

وذكروا أنه تواعد بالقتل إذا مات أبوهما وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لفرته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم. فلما سمعت أمهما ما يتواعد به العيص أخاه يعقوب أمرت ابنتها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لإبان الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته. وقالت لزوجها إسحاق أن يأمره بذلك ويوصيه ويدعو له.

ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء في موضع فنام فيه أخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض وإذا الملائكة يصعدون فيه ويتزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له: إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك.

فلما هب من نومه فرح بما رأى ونسرد لله لئن رجع إلى أهله سالماً لينين في هذا الموضع معبداً لله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عشرة ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهنًا يتعرف به وسمي ذلك الموضع: بيت إيل أي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك كما سيأتي.

قالوا: فلما قدم يعقوب على خاله أرض حران إذا له ابنتان اسم الكبرى «ليا» واسم الصغرى «راحيل» فخطب إليه راحيل وكانت أحسنهما وأجملها فأجابته إلى ذلك بشرط أن يرعى على غنمه سبع سنين.

فلما مضت المدة على خاله لإبان طعاماً وجمع الناس عليه وزف إليه ليلاً ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قيحة المنظر.

فلما أصبح يعقوب إذا هي ليا فقال لخاله: لم غدرت بي وأنت إنما خطبت إليك راحيل؟ فقال: إنه ليس من سنتنا أن تزوج الصغرى قبل

الأخر وتعارفوا راجعين إلى بلادهم.

يعقوب وأخذوا أموالهم غنيمة. والله أعلم.
ثم حملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقيقه فدفنها يعقوب في أفرات وهي بيت لحم وصنع يعقوب على قبرها حجراً وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل إلى اليوم.

وكان أولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلاً فمن ليا وربييل وشمعون ولاوي ويهوذا وأيساخ وزابلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن أمة راحيل دان ونفثالي ومن أمة ليا جاد وأشير عليهم السلام وجاء يعقوب إلى آبيه إسحاق فأقام عنده بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم.

ثم مرض إسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة ودفنه ابنه العيص ويعقوب مع آبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها كما قدمنا [تاريخ الطبري: ٣٣٠/١]. والله سبحانه أعلم بذلك.

٣٣- قصة يوسف عليه السلام

ذكر ما وقع من الأمور العجيبة في حياة إسرائيل عليه السلام فمن ذلك قصة يوسف بن راحيل

وقد أنزل الله عز وجل في شأنه وما كان من أمره سورة من القرآن العظيم ليتبر ما فيها من الحكم والمواظف والآداب والأمر الحكيم.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ١ - ٣] قد تكلمنا على الحروف المقطعة في أول تفسير سورة البقرة فمن أراد تحقيقه فليظفر ثم.

وتكلمنا على هذه السورة مستقصى في موضعها من التفسير ونحن نذكر هنا نبذاً مما هناك على وجه الإيجاز والتجاز.

وجملة القول في هذا المقام أنه تعالى يمدح كتابه العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم بلسان عربي فصيح بين واضح جلي يفهمه كل عاقل ذكي زكي فهو أشرف كتاب نزل من السماء أنزله أشرف الملائكة على أشرف الخلق في أشرف زمان ومكان. بالفتح لغة وأظهر بيان.

فإن كان السياق في الأخبار الماضية أو الآتية ذكر أحسنها وأبينها وأظهر الحق ما اختلف الناس فيه ومع الباطل وزيفه ورده وإن كان في الأوامر والنواهي فاعدل الشرائع وأوضح المناهج وأبين حكماً وأعدل حكماً فهو كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] يعني صديقاً في الأخبار عدلاً في الأوامر والنواهي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] أي بالنسبة إلى ما أوحى إليك فيه.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِيَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ

فلما اقترب يعقوب من أرض ساعير تلقته الملائكة يشرونه بالقندوم ويصع يعقوب البرد إلى أخيه العيص يترقب له ويتواضع له فرجعت البرد وأخبرت يعقوب بأن العيص قد ركب إليك في أربعمائة راجل فنخشي يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وتضرع إليه وتمسك لديه وتناشد عهده ووعد الذي وعده به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لأخيه هدية عظيمة وهي مائتا شاة وعشرون تيساً ومائتا نعجة وعشرون كبشاً وثلاثون لقحة وأربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون أتاناً وعشرة من الحمير وأمر عبيده أن يسوقوا كلاً من هذه الأصناف وحده ولكن بين كل قطع وقطع مسافة فإذا لقيهم العيص فقال لأول: لمن أنت ولمن هذه معك؟ فليقل: لعبدك يعقوب أهداها لسيدى العيص وليل الذي بعده كذلك وكذا الذي بعده وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جاثي بعننا.

وتأخر يعقوب بزوجته وأميته وبينه الأحد عشر بعد الكل بليتين وجعل يسير فيهما ليلاً ويكن نهاراً فلما كان وقت الفجر من الليلة الثانية تبدا له ملك من الملائكة في صورة رجل فظنه يعقوب رجلاً من الناس فاتاه يعقوب ليصارعه ويغالبه فظهر عليه يعقوب فيما يرى إلا أن الملك أصاب وركه فخرج يعقوب فلما أضاء الفجر قال له الملك: ما اسمك؟ قال يعقوب قال: لا ينبغي أن تدعي بعد اليوم إلا إسرائيل فقال له يعقوب: ومن أنت؟ وما اسمك؟ فذهب عنه فلم يعلم أنه ملك من الملائكة وأصبح يعقوب وهو يرجع من رحله فلذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء ورفع يعقوب عينيه فإذا أخوه عيص قد أقبل في أربعمائة راجل فتقدم أمام أهله فلما رأى أخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان وكان مشروعاً لهم كما سجدت الملائكة لأدم تحية له وكما سجد أخوة يوسف وأبواه له كما سيأتي.

فلما رآه العيص تقدم إليه واحتضنه وقبله وبكى ورفع العيص عينيه ونظر إلى النساء والصبيان فقال: من أين لك هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين وهب الله لعبدك فلنت الأمان ويتوهم فسجدوا له ودنت ليا ويتوهم فسجدوا له ودنت راحيل وابنها يوسف آخر فسجدوا له وعرض عليه أن يقبل هديته والى عليه قبلها ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله وما معه من الأنعام والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير.

فلما مر بساحورا ابنتي له بيتاً ولدوا به ظلالاً ثم مر على اورشليم قرية سحيم فنزل قبل القرية واشترى مزرعة بني حور أبي سحيم بمائة نعجة ففرض هنالك فسطاطه وابنتي ثم مديحاً فسماه إيل إله إسرائيل وأمر الله بيناته ليستلطن فيه. وهو بيت القدس اليوم الذي جده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا أولاً.

وذكر أهل الكتاب هنا قصة دينا بنت يعقوب من ليا وما كان من أمرها مع سحيم بن حور الذي قهرها على نفسها وأدخلها منزله ثم خطبها من أبيها وأخبرتها فقال إختوتها: لا تفعل إلا أن تحتسوا كلكم فنصارحكم وتصاروونا فإننا لا نصاهر قوماً غلفاً فأجابوهم إلى ذلك واختاروا كلهم.

فلما كان اليوم الثالث واشتد وجعهم من ألم الحتان مال عليهم بنو يعقوب فقتلوهم عن آخرهم وقتلوا سحيماً وأباه حوراً لقيح ما صنعوا إليهم مضافاً إلى كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم؛ فلهمنا قتلهم بنو

والنبوة أنه نصّ على نبوته والإجماع إليه في غير ما آية من كتابه العزيز، ولم يُنصّ على واحد من إخوته سواء فدل على ما ذكرناه ويستأنس لهذا بما قال الإمام أحمد [٩٦/٢]: حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم» انفرد به البخاري [٣٣٩٠، ٤٦٨٨].

ورواه عن عبد الله بن محمد وعبد بن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

وقد ذكرنا طرقة في قصة إبراهيم بما أغنى عن إعادته هنا ولله الحمد والمثـة.

قال المفسرون (تفسير الطبري: ١٥١/١٢) وغيرهم: رأى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل أن يحلم كان «أَحَدَ عَشَرَ كَوْنِيًّا» وهم إشارة إلى بقية إخوته «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» وهما عبارة عن أبويه قد سجلوا له فعاله ذلك فلما استيقظ قصها على أبيه ففرأه أبوه أنه سينال منزلة عالية ورفعة عظيمة في الدنيا والآخرة بحيث يرضع له أبواه وإخوته فيها فأمره بكتمتها وأن لا يقصها على إخوته كيلا يحسده ويغفوا له الغوائل ويكيلوه بأنواع الخيل والمكر. وهذا يدل على ما ذكرناه.

ولهذا جاء في بعض الآثار (الطبراني الكبير ١٨٣) والوسط (٢٤٧٦) والصغير (٤٠٨): «استعينا على قضاء حوائجكم بكتمتها، فإن كل ذي نعمة محسود».

وعند أهل الكتاب أنه قصها على أبيه وإخوته معاً وهو غلط منهم. «وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ» أي وكما أراك هذه الرؤيا العظيمة فلذا كتمتها «يَجْنِبُكَ رَبُّكَ» أي يحصك بأنواع اللطف والرحمة. «وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» أي يفهمك من معاني الكلام وتعبير المنام ما لا يفهمه غيرك.

«وَيُتِمُّ بِعَفْوِكَ» أي بالوحي إليك. «وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ» أي بسبب ويحصل لهم بك خير الدنيا والآخرة. «كَمَا أَمَّنَّا عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ» أي ينعم عليك ويمسح إليك بالنبوة كما أعطاهما أباك يعقوب وجدك إسحاق ووالد جدك إبراهيم الخليل.

«إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» كما قال تعالى: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (الأنعام: ١٢٤).

لهذا قال رسول الله ﷺ لما سئل: أي الناس أكرم؟ قال: «يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» (خ [٣٣٧٤]) م [٢٣٧٨].

وقد روى ابن جرير (في تفسيره: ١٥١/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيريهما وأبو يعلى والبيهقي (كشف الاستار: ٢٢٢٠) في مستنهما من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأئمة عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال: «دأى النبي ﷺ رجلاً من اليهود يقال له: بستانة اليهودي فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ما أسماؤها؟ قال: فسكت النبي ﷺ فلم يجبه بشيء ونزل جبريل عليه السلام بأسمائها قال: فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم فقال: «هي جريان والطارق والنيال وفو الكنفات وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والصبح والصروح وفو الفرع والضياء والنور» فقال اليهودي: أي والله إنها لأسماؤها.

وعند أبي يعلى: فلما قصها على أبيه قال: هذا أمر مشتت يجمعه الله

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَلًا» (طه: ٩٩-١٠١) يعني ما أعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا الوعيد كما قال في الحديث المروي في المسند والترمذي عن أمير المؤمنين علي مرفوعاً وموقوفاً: «من ابتغى الهدى في غيره أضله الله».

وقال الإمام أحمد ٣/٣٨٧: حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشام أنبأنا خالد عن الشعبي عن جابر: «أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال: ففضب وقال: «امتهركون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جتكم بها بيضاء نقية لا تبالغون عن شيء فيخبركم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» إسناد صحيح.

ورواه أحمد ٣/٤٧٠، ٤٧١ من وجه آخر عن عمر وفيه فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين».

وقد أوردت طرق هذا الحديث وألفاظه في أول سورة يوسف. وفي بعضها: أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال في خطبته: «أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصري في اختصاراً ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا يغرر بكم المتهوكون». ثم أمر بتلك الصحيفة فمحيت حرفاً حرفاً.

«إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَأَنْتُمْ لِي سَاجِدِينَ. قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ بِعَفْوِكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَمَّنَّا عَلَى آبَائِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (يوسف: ٤-٦).

قد قلنا أن يعقوب كان له من النبيين اثنا عشر ولنا ذكرنا وسميناهم وإليهم يتسب أسباط بني إسرائيل كلهم وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام.

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره وباقى إخوته لم يوح إليهم.

وظاهر ما ذكر من فعالهم ومقالمه في هذه القصة يدل على هذا القول. ومن استدلل على نبوتهم بقوله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ» (البقرة: ١٣٦) وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوي؛ لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم.

[وقد اختار هذا القول الزعشمري وحكاه فخر الدين عن طائفة ويدل عليه كلام القاضي عياض بن موسى السبكي في كتابه الشفاء حيث قال: وأما قصة يوسف وإخوته فليس عن يوسف فيها تعقب وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعددهم في القرآن ذكر الأنبياء فقال المفسرون: يريد من نبي من أبناء الأسباط وقد قيل: إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الأستان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسل معنا أخناتاً نرتع ونلعب وإن ثبت لهم نبوة بعد هذا والله أعلم انتهى ما ذكره.]

وما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالرسالة

والشمس أبوه والقمر أمه.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَعِلِّينَ. إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَانَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ. قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطَ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف: ٧ - ١٠)

بينه تعالى على ما في هذه القصة من الآيات والحكم والدلالات والمواظ والبيانات.

ثم ذكر حسد إخوة يوسف له على محبة أبيه له ولأخيه يعقوب شقيقه لأمه بنيامين أكثر منهم وهم «عُصْبَةٌ» أي جماعة يقولون: فكنا نحن أحق بالحببة من هذين.

﴿إِن آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي يتقدمه جهمنا علينا. ثم اشتروا فيما بينهم في قتل يوسف أو إبعاده إلى أرض لا يرجع منها ليخلص لهم وجه أبيهم أي لتمحض عيبه لهم وتوفر عليهم وأضرموا التربة بعد ذلك فلما تمالؤوا على ذلك وتوافقوا عليه.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال مجاهد هو شععون (هــسـ الطري: ١٥٦/١٢).

وقال السدي: هو يهودا (هــسـ الطري: ١٦٠/١٢).

وقال قتادة وعبد بن إسحاق هو أكبرهم روبيل (هــسـ الطري: ١٥٦/١٢).

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطَ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي المارة من المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تقولون لا محالة فليكن هذا الذي أقول لكم فهو أقرب حالا من قتله أو نفيه وتغريبه فاجمعوا رأيهم على هذا فعند ذلك قالوا.

﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ. قَالَ إِنِّي لَخِزْيُونٌ أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (يوسف: ١١ - ١٤).

طلبوا من أبيهم أن يرسل معهم أخاهم يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرضى معهم وأن يلعب وينشط وقد أضرموا له ما الله به عليهم فأجابهم الشيخ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم: يا بني يشق علي أن أفارقة ساعة من النهار ومع هذا أخشى أن تشتغلوا في لعبكم وما أنتم فيه فيأتي الذئب فيأكله ولا يقدر على دفعه عنه لصغره وغفلتكم عنه.

﴿قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (يوسف: ١٤) أي لن نعدا عليه الذئب فأكله من بيتنا أو اشتغلنا عنه حتى وقع هذا ونحن جماعة ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ أي عاجزون هالكون.

وعند أهل الكتاب أنه أرسله وراهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى أرشده رجل إليهم. وهذا أيضاً من غلطهم وخطئهم في التعريب فإن يعقوب عليه السلام كان أحرص عليه من أن يعيته معهم فكيف يعيته وحده.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ بِرُكْنِكَ يَوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَى قَيْصٍ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ حَبِيلٌ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٥ - ١٨).

لم يزالوا بأبيهم حتى بعثه معهم فما كان إلا أن غابوا عن عينه فجهلوا يشتومونه ويهينونه بالفعال والمقال وأجمعوا على إلقائه في غيابت الجب أي في قعره على راعفته وهي الصخرة التي تكون في وسطه يقف عليها الماتح وهو الذي ينزل ليملا الدلاء إذا قل الماء والذي يرفمها بالحل يسمى الماتح.

فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه أنه لا بد لك من فرج وخرج من هذه الشدة التي أنت فيها ولتخبرن أخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيها عزيز وهم يحتاجون إليك خائفون منك وهم لا يشعرون.

قال مجاهد وقتادة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإعجاب الله إليه ذلك (هــسـ الطري: ١٦١/١٢). وعن ابن عباس: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لتخبرنهم بأمرهم هذا في حال لا يعرفونك فيها. رواه ابن جرير (تاريخه: ٣٣٢/١) عنه.

فلما وضعوه فيه ورجعوا عنه أخذوا قميصه فطبخوه بشيء من دم ورجعوا إلى أبيهم عشاء وهم يكون أي على أخيههم. ولهذا قال بعض السلف: لا يفرنك بكاء المظلّم فرب ظالم وهو بكاء وذكر بكاء إخوة يوسف وقد جاؤوا أباهم عشاء يكون أي في ظلمة الليل ليكون أمشى لغديرهم لا لئذهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ بِرُكْنِكَ يَوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ أي ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ أي في غيبتنا عنه في استبقا.

وقوله ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي وما أنت بمصدق لنا في الذي أخبرناك من أكل الذئب له ولو كنا غير متهمين عندك فكيف وأنت تهمننا في هذا فإنك خشيت أن يأكله الذئب وضمانا لك أن لا يأكله لكثرتنا حوله فصرنا غير مصدقين عندك فمعلول أنت في عدم تصديقك لنا والحالة هذه.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصٍ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي مكلوب مفتعل؛ لأنهم عملوا إلى سخله ذبحوها فأخذوا من دمها فوضعوه على قميصه ليوهما أنه أكله الذئب (هــسـ الطري: ١٦٢/١٢).

قالوا: ونسوا أن يخبروه وأقاة الكذب النسيان.

ولما ظهرت عليهم علامات الرية لم يرجع صنيعهم على أبيهم فإنه كان يفهم عداوتهم له وحسدهم إياه على محبة له من بينهم أكثر منهم لما كان يتوسم فيه من الجلالة والمهابة التي كانت عليه في صغره لما يريد الله أن يخصه به من نبوته.

ولما راودوه عن أخذه فمجرد ما أخذوه أعلموه وغيبوه عن عينه جاؤوا وهم يتباكرون وعلى ما تمالؤوا عليه يتواطون ولهذا ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ حَبِيلٌ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

وعند أهل الكتاب أن روبيل أشار بوضعه في الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون ويرد إلى أبيه فغافلوه وباعوه لتلك القافلة.

فلما جاء روبيل من آخر النهار ليخرج يوسف لم يجده فصاح وشق ثيابه وحزن، وعهد أولئك إلى جدي فذبحوه ولطخوا من دمه جبة يوسف. فلما علم يعقوب شق ثيابه ولبس مترا أسود وحزن على ابنه أياماً كثيرة.

وهذه الركابة جاءت من خطئهم في التعبير والتصوير.

﴿سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارْدَهُمْ فَأُلِيَ ذَلُومًا قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا عَلَامُ وَاكْرَهُهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِلِينَ. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لَامْرَأَةٍ أُكْرِمِي شَوْهَاءَ عَسَى

وقوله ﴿وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: وكما قبضنا هذا العزيز وامراته يحسان إليه ويعتبان به مكانا له في أرض مصر.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي فهمها. وتعبير الرؤيا من ذلك. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ أي إذا أراد شيئا فإنه يفيض له أسبابا وأمورا لا يهتدي إليها العباد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ولما بلغ أشده أتتبه حكما وعِلما وكذالك نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. فدل على أن هذا كله كان وهو قبل بلوغ الأشد. وهو حد الأربعين الذي يوحى الله فيه إلى عباده النبيين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين.

وقد اختلفوا في مدة العمر الذي هو بلوغ الأشد:

فقال مالك وربيعة وزيد بن أسلم والشَّيْخُ: هو الحلم.

وقال سعيد بن جبير: ثلثي عشرة سنة.

وقال الضحاك: عشرون سنة.

وقال عكرمة: خمس وعشرون سنة.

وقال السدي: ثلاثون سنة.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ثلاثة وثلاثون سنة.

وقال الحسن: أربعون سنة. ويشهد له قوله تعالى حتى إذا بلغ أشده

وبلغ أربعين سنة (إطار الأقوال: تفسير الطبري: ٨٥/٨، ١٧٧/١٢).

﴿وَرَأَيْتُهُ فِي مَنَاسِكَ فِي نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك ليصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الْمُخْلَصِينَ. واستبقا الباب وقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَأَوْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ. وَإِنْ كَانَ قَيْصُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَذِبِكُمْ إِنَّ كَيْدَكُم عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ لِئَلَّا تُكَلِّمَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٢٣ - ٢٩).

يذكر تعالى ما كان من أمر مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي في غاية الجمال والمال والنصب والشباب وكيف غفلت الأبواب عليها وعليه وتنهت له وتصنعت وليست أحسن ثيابها وأفخر لباسها وهي مع هذا كله امرأة الوزير.

قال ابن إسحاق: ومنت أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر. وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بليغ الجمال والبهاء إلا أنه نبي من سلاله الأنبياء فعصمه ربه عن الفحشاء. وحماء عن مكر النساء. فهو سيد السادة النجباء السبعة الأتقياء. المذكورين في الصحيحين (ح: ٦٦٠)، م (١٠٣١) عن خاتم الأنبياء. في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماة فسبحة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه. ورجلان تحبا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل تصدق بضدقة فافخاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وشاب نشأ في عبادة الله. ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

والمقصود أنها دعت إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني: زوجها صاحب المنزل سيدي.

﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ أي أحسن لي وأكرم مقامي عنده.

أَنْ يَفْعَنَّا أَوْ تُخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلْيَعْلَمَنَّ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ١٩ - ٢٢).

يخبر تعالى عن قصة يوسف حين وضع في الحب أنه جلس ينتظر فرج الله ولطفه به ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: مسافرون.

قال أهل الكتاب: كانت بضاعتهم من الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر من الشام فأرسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البثر فلما أدلى أحدهم دلوه تعلق فيه يوسف فلما رآه ذلك الرجل ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ أي: يا بشراتي ﴿هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً﴾ أي: أوهموا أنه معهم غلام من جملة متجرهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي هو عالم بما تمالأ عليه إخوته وبما يسره واجلده من أنه بضاعة لهم ومع هذا لا يخبره تعالى لما له في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق والرحمة بأرض مصر بما يجري الله على يدي هذا الغلام الذي يدخلها في صورة أسير رقيق ثم بعد هذا يملكه أزمة الأمور ويضعهم الله به في دنياههم وأخراهم بما لا يحمد ولا يوصف.

ولما استنصر إخوة يوسف بأخذ السيارة له لحرقهم وقالوا: هذا غلامنا أبى منا فاشتروه منهم.

﴿بِمَنْ يَبُخْسُ﴾ أي قليل نزر وقيل هو الزيف.

﴿وَنَزَاهُمْ مَبْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِينَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي باعوه بعشرين درهماً اقتسموها درهمين درهمين.

وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً.

وقال عكرمة وعبد بن إسحاق أربعون درهماً (تفسير الطبري: ١٧٢/١٢ - ١٧٣) فالله أعلم.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ أي احسني إليه. ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَنَّا أَوْ تُخِذَهُ وَلَدًا﴾ وهذا من لطف الله به ورحمته وإحسانه إليه بما يريد أن يؤهله له ويعطيه من خيري الدنيا والآخرة. قالوا: وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو الوزير بها الذي الخزان مسلمة إليه.

قال ابن إسحاق: واسمه اظفير بن رويحي.

قال: وكان ملك مصر يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق.

قالوا: واسم امرأة العزيز راعيل بنت راعيل (تفسير الطبري: ٣٣٥/١).

وقال غيره: كان اسمها زليخا والظاهر أنه لقبها.

وقيل: فكانت بت يونس؛ رواه الثعلبي عن أبي هشام الرفاعي.

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس: كان اسم الذي باعه بمصر - يعني الذي جلبه إليها - مالك بن ذر بن نوب بن عفا بن مديان بن إبراهيم فالله أعلم.

وقال ابن إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامراته: أكرمي مثواه؛ والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ﴾ (الأنبياء: ٢٦) وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (تفسير الطبري: ١٧٦/١٢).

ثم قيل: اشتراه العزيز بعشرين ديناراً.

وقيل: بوزنه مسكاً ووزنه حبراً ووزنه ورقاً. فالله أعلم.

يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة يعني: مصر من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وحبها والتشنيع عليها في مرادونها فتأها وحبها الشديد له يعين وهو لا يساوي هذا؛ لأنه مولى من الموالي وليس مثله أهلاً لهذا؛ ولهذا قلن ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي في وضعها الشيء في غير محله.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي بتشنيعهن عليها والتقصص لها والإشارة إليها بالغيب والملمعة بحب مولاهما وعشق فتأها فآظهن فتأ وهي معذورة في نفس الأمر فلهذا أحبت أن تبسط عندها عندهن وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسن ولا من قبيل ما لديهن. فآرسلت إليهن فجمعتهن في منزلهما. واعتدت لهن ضيافة مثلهن وأحضرت في جملة ذلك شيئاً عما يقطع بالسكاكين كالأترج ونحوه ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وكانت قد هيات يوسف عليه السلام وألبسته أحسن الثياب وهو في غاية طراوة الشباب وأمرته بالخروج عليهن بهذه الحالة. فخرج وهو أحسن من البدر لا محالة.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ أُنْكُرَتْهُ﴾ أي أعظمته وأجلته وحبته وما ظنن أن يكون مثل هذا في بني آدم ويهره حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يمزرن في أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح ﴿وَوَقَلْنَ خَاشِئَةً لَّهٗ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وقد جاء في حديث الإسراء [١٦٢]: «فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن».

قال السهيلي وغيره من الأئمة: معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام؛ لأن الله تعالى خلق آدم بيده وفتح فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن البشري؛ ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم وحسنه ويوسف كان على النصف من حسن آدم ولم يكن بينهما أحسن منهما كما أنه لم تكن أنثى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام.

قال ابن مسعود: وكان وجه يوسف مثل البرق وكان إذا أتته امرأة لحاجة غطى وجهه.

وقال غيره: كان في الغالب مبرقاً لئلا يراه الناس؛ ولهذا لما قام عنده امرأة العزيز في محبتها لهذا المعنى المذكور وجرى لهن وعليهن ما جرى من تقطيع أيديهن بجراح السكاكين وما ركبهن من المهابة والدهش عند رؤيته ومعابته:

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ ثم ملحته بالصمة الثامنة فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي امتنع ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْغَبَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ وكان بقية النساء حرصته على السمع والطاعة لسيده فأي أشد الإباء. ونأي لأنه من سلاله الأنبياء ودعا فقال في دعائه لرب العالمين ﴿زُبَّ السَّجْنِ أَحْسَبُ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تُصَرِّفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني: إن وكلتني إلى نفسي فليس لي من نفسي إلا العجز والضعف ولا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً إلا ما شاء الله فإنا ضعيف إلا ما قوتيتي وعصمتي وحفظتني وحطيتي بمحرك وقوتك؟.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ثم بنا لهم من بعد ما رأوا الأباطيل لیسئته حتى جين. ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني آرائني أعصر خبزاً وقال الآخر إني آرائني أخول فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه بئناً يتأويله إنا نراك من

﴿إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ﴾ وقد تكلمنا على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ بما فيه كفاية ومقنع في التفسير.

وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا. والذي يجب أن يعتقد أن الله تعالى عصمه وبراءه ونزاهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها. ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. واستبقا الباب؛ أي هرب منها طالباً إلى الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته في أثره.

﴿وَأَلْفَيْتَا﴾ أي وجدنا ﴿سِكِّينًا﴾ أي زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرصته عليه ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. اتهمته وهي المتهمة وبراءت عرضها ونزعت ساحتها؛ فلهذا قال يوسف عليه السلام ﴿هِيَ زَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ احتجاج إلى أن يقول الحق عند الحاجة ﴿وَمِنْهُمْ شَاوِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان صغيراً في المهد قاله ابن عباس.

وروي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك واختاره ابن جرير [هـ: ١٢/١٩٣ - ١٩٥].

وروي فيه حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس ووقفه غيره عنه.

وقيل: كان رجلاً قريباً إلى أظفير بعلاها.

وقيل: قريباً إليها.

ومن قال: إنه كان رجلاً؛ ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وزيد بن أسلم.

فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي لأنه يكون قد راودها فنافقته حتى قلدت مقدم قميصه.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ فَكَلَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت فيه فانشق قميصه لذلك؛ وكذلك كان.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ أي هذا الذي جرى من مكركن أنت راودته عن نفسه. ثم اتهمته بالباطل ثم أضرب بعلاها عن هذا صفحاً فقال: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ أي لا تذكره لأحد؛ لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن وأمرها بالاستغفار لذنبها الذي صدر منها والتوبة إلى ربها فإن العبد إذا تاب إلى الله تاب الله عليه.

وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يفر من الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له في ذلك. ولهذا قال لها بعلاها وعلموها من بعض الوجوه؛ لأنها رأت ما لا صبر لها على مثله إلا أنه عفيف نزيه برئ العرض سليم الناحية فقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِنَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًّا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَتْهُ أُنْكُرَتْهُ وَظَنَّ يَدَيهِنَّ وَقَلْنَ خَاشِئَةً لَّهٗ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْغَبَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ. قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحْسَبُ إِلَيَّ وَمَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تُصَرِّفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٢٩ - ٣٤].

الْمُحْسِنِينَ. قَالَ: لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِي إِلَّا بِنَائِكُمَا بَنَائِيلَهُ كُلُّ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. يَا صَاحِبِي السُّجُنَ أَلَّا تَرَى مُتْرَفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَتَيُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَا صَاحِبِي السُّجُنَ أَمَا أَخَذَكُمَا قَيْسِي رَبِّيَ خَيْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قَيْسِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ. [يوسف: ٣٤ - ٤١].

يذكر تعالى عن العزيز وامراته أنهم ﴿يَدْعُونَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم من الرأي بعلماء علموا براءة يوسف أن يسجنوه إلى وقت ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية وأخذ لأمرها ولظهورها أنه راودها عن نفسها فسجن بسببها فسجنوه ظلماً وعدواناً. وكان هذا مما قدر الله له. ومن جملة ما عصمه به فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم. ومن هنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعي أن من العصمة أن لا تحب.

قال الله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السُّجُنَ فَتَيَّانٌ﴾ قيل كان أحدهما ساقى الملك واسمه فيما قيل بنو. والآخر خبازه يعني الذي يلي طعامه وهو الذي يقول له الترك (الجانشكير) واسمه فيما قيل: مجلت كان الملك قد اتهمهما في بعض الأمور فسجنهما. فلما رآيا يوسف في السجن أعجبهما سمته وهديه ودله وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته ربه وإحسانه إلى خلقه فرأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه (تفسير الطبري: ٢١٤/١٢).

قال أهل التفسير: رآيا في ليلة واحدة.

أما الساقى فرأى كأن ثلاث قضبان من حلبة قد أورقت وأنبعت عنانيد العنب فاخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاها.

ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من خبز وضواوي الطيور تأكل من السل الأعلى فقضاها عليه وطلبا منه أن يعبرهما لها وقال: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فآخبرهما أنه عليهم بتعبرهما خبير بأمرهما و﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِي إِلَّا بِنَائِكُمَا بَنَائِيلَهُ كُلُّ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ قيل: معناه مهما رأيتما من حلم فإني أعبره لكما قبل وقوعه فيكون كما أقول (تفسير الطبري: ٢١٧/١٢). وقيل: معناه إني أخبركما بما يأتیکما من الطعام قبل مجيئه حلواً أو حامضاً كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال لهما: إن هذا من تعليم الله إياي لأني مؤمن به موحد له متبع ملة آبائي الكرام إبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي بأن هدانا لهذا ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي بأن أمرنا أن ندعوهم إليه وترشدهم وندلهم عليه وهو في فطرهم مركز وفي جبلتهم مغروص ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

ثم دعاهم إلى التوحيد وذم عبادة ما سوى الله عز وجل وصغر أمر الأوثان وحقرها وضمف أمرها فقال: ﴿يَا صَاحِبِي السُّجُنَ أَلَّا تَرَى مُتْرَفُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَتَيُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي هو المتصرف في خلقه الفعال لما يريد الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي وحده لا شريك له ﴿ذَلِكَ الدِّينُ

الْقَيِّمُ﴾ أي المستقيم والصراط القويم.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي فهم لا يهتدون إليه مع وضوح وظهوره وكانت دعوته لهما في هذه الحال في غاية الكمال؛ لأن نفوسهما معظمة له منبئة على تلقي ما يقول بالقبول فانساب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سالا عنه وطلبا منه.

ثم لما قام بما وجب عليه وأرشد إلى ما أوشد إليه قال: ﴿يَا صَاحِبِي السُّجُنَ أَمَا أَخَذَكُمَا قَيْسِي رَبِّيَ خَيْرًا﴾ قالوا: وهو الساقى ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ قالوا: وهو الخباز

﴿قَيْسِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي وقع هنا لا محالة ووجب كونه على كل حال؛ ولها جاء في الحديث (أحمد (١٠/٤) د (٥٠٢٠)، ت (٢٢٧٨)، ج (٣٩١٤)) «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت».

وقد روي عن ابن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: لم نر شيئاً فقال لهما ﴿قَيْسِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ. وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السُّجُنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤١ - ٤٢].

يخبر تعالى أن يوسف عليه السلام قال للذي ظننه ناجياً منهما وهو الساقى ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني أذكر أمري وما أنا فيه من السجن بغير جرم عند الملك.

وفي هذا دليل على جواز السعي في الأسباب. ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب.

وقوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أي فأنسى الناجي منهما الشيطان أن يذكر ما وصاه به يوسف عليه السلام.

قوله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد (تفسير الطبري: ٢٢٤/١٢) وهو الصواب وهو منصوص أهل الكتاب.

﴿فَلَبِثَ فِي السُّجُنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى التسع رت (٣١٩١) مرفوعاً من حديث ابن عباس.

وقيل: إلى السبع.

وقيل: إلى الخمس. وقيل: ما دون العشرة. حكاهما الثعلبي (قصص الأنبياء ص ١٠٩).

ويقال: بضع تسوة وبضعة رجال.

ومنع الفراء استعمال البضع فيما دون العشر قال: وإنما يقال: نيف.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السُّجُنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وهذا رد لقوله.

قال الفراء: ويقال: بضعة عشر وبضعة عشرون إلى التسعين ولا يقال: بضع ومائة وبضع وألف.

وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر فمنع أن يقال: بضعة وعشرون إلى تسعين.

وفي الصحيح (ج ٢، ص ٢٣٥): «الإيمان بضع وستون» وفي رواية (ج ٣، ص ٣٥) «وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إمطاة الأذى عن الطريق».

ومقال: إن الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ عائذ على يوسف فقد ضعف ما قاله وإن كان قد روي عن ابن عباس وعكرمة والحديث الذي رواه ابن جرير (تفسيره: ٢٢٣/١٢) في هذا الموضع ضعيف من كل وجه. نفرد بإسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي وهو متروك.

الرجل يَأْتُهُ أَمَةٌ وَأَتَمَّا: إذا نسي قال الشاعر:
أَمَهُتْ وَكُنْتُ لَا أُنْسِي حَدِيثًا كَذَاكَ الدَّهْرُ يُرْدِي بِالعُقُولِ

فقال لقومه وللملك: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ أي فارسلوني إلى يوسف فجاهه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَنَةِ بَقَرَاتِ سِمَانَ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ عِجَافٌ وَسَنَعٌ سُئِلَاتٌ خَضِرٌ وَأَخْرَجَ يَابَسَاتٌ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وعند أهل الكتاب: أن الملك لما ذكره له الشاخي استدعاء إلى حضرته وقص عليه ما رآه ففسره له.

وهذا غلط والصواب ما قصه الله في كتابه القرآن لا ما عرّبه هؤلاء الجهلة الثيران من قرائه وريان. فبذل يوسف عليه السلام ماعنه من العلم بلا تأخر ولا شرط ولا طلب الخروج سريعاً بل أجابهم إلى ما سألوا وعبر لهم ما كان من مقام الملك الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جدد.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يعني يأتيتهم الغيث والخصب والرفاهية.

﴿وَفِيهِ يَغْصِرُونَ﴾ يعني ما كانوا يعصرونه من الأقصاب والأعقاب والزيتون والسمن وغيرها فعبّر لهم. وعلى الخير لهم وأرشدهم إلى ما يعتمدونه في حالي خصبهم وجديهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سني الخصب في السبع الأول في سنه إلا ما يرصد بسبب الأكل ومن تقليل البذر في سني الجذب في السبع الثانية إذ الغالب على الظن أنه لا يرد البذر من الحقل. وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَرْنِي بَعْدَ جَاءِ الرُّسُولِ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْتَ بَيْنَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلَيْكُمْ﴾ قال ما خطبكن إذ رآوهن يوسف عن نفسي قلن حاش لله ما علينا عليه من سوء قالت أمراء العزيز الآن خصصن الحق أنا رآوهن عن نفسي وإنه ليعن الصادقين. ذلك يعلم أني لم أخته بالعجب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. وما أئبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ (يوسف: ٥٠ - ٥٣).

لما احاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه الصلاة والسلام وغمام عقله ورأيه السديد وفهمه أمر بإحضاره إلى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه الرسول بذلك أحب أن لا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً وأنه بريء الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً.

﴿فَقَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ يعني الملك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْتَ بَيْنَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: معناه أن سيدي العزيز يعلم برامتي مما نسب إلي أي فمر الملك فليساكن كيف كان امتناعي الشديد عند مراودتهن إياي وحثهن لي على الأمر الذي ليس برشيد ولا سديد.

فلما سئل عن ذلك أصرن بما وقع من خطأ الأمر وما كان منه من الأمر الحميد ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ فعند ذلك ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ وهي زليخا ﴿الآنَ خَصَّصَ الْخَنُ﴾ أي ظهر وتبين ووضح والحق أحق أن يتبع ﴿أَنَا رَأَوْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي فيما يقوله من أنه بريء وأنه لم يراودني وأنه حبس ظلماً وعدواناً وزوراً وبهتاناً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخْطُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قيل: إنه من كلام يوسف (هــسـر الطبري: ٢٣٨/١٢) أي إنما طلبت تحقيق هذا ليعلم العزيز أنني لم أخنه بظهر الغيب.

ومرسل الحسن وقتادة لا يقبل ولا سيما ههنا بطريق الأولى والأخرى والله أعلم.

فأما قول ابن حبان في صحيحه (الإحسان: ١٦٠٦) ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث:

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا خالد بن عبد الله حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَرَحِمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا ﴿ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ وَرَحِمَ اللَّهُ لَوْ لَإِنْ كَانَ لِيَسَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴿كَلِمَةً أَوْ يَكُنْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ قَالَ: فَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا بَعْدَهُ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

فإنه حديث منكر من هذا الوجه ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة وهذه اللفظة من أنكرها واشدها.

والذي في الصحيحين (ج ٣٣٧٢، م ١٥١) يشهد بغلطها والله أعلم.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَنَعٌ بَقَرَاتِ سِمَانَ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ عِجَافٌ وَسَنَعٌ سُئِلَاتِ خَضِرٌ وَأَخْرَجَ يَابَسَاتِ يَأْتِيهَا أَمَلًا أَتَوْنِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. وقال الذي نجا بينهما وادكر بعد أمه أنا أنبئكم بتأويله فارسلوه. يوسف أيها الصديق أفتننا في سَنَةِ بَقَرَاتِ سِمَانَ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعٌ عِجَافٌ وَسَنَعٌ سُئِلَاتِ خَضِرٌ وَأَخْرَجَ يَابَسَاتِ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ. قال تَزِدُّونَ سَنَعٌ مَبِينٌ ذَابًا فَمَا خَصَّصْتُمْ فَذَرُونَهُ فِي سَنِيهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَنَعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِرُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَغْصِرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣ - ٤٩).

هذا كله من جملة أسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والإكرام وذلك أن ملك مصر وهو الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى هذه الرؤيا.

قال أهل الكتاب: رأى كانه على حافة نهر وكأنه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت سبع هزال ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فأكلهن فاستيقظ مذعوراً.

ثم نام فرأى سبع سنبلات خضر في قصة واحدة وإذا سبع آخر دقاق يابسات تأكلهن فاستيقظ مذعوراً.

فلما قصها على ملكه وقومه لم يكن فيهم من يحسن تعبيرها بل ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي اختلاط أحلام من الليل لعلها لا تعبير لها ومع هذا فلا خبرة لنا بذلك ولهذا قالوا ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾.

فعند ذلك تذكر الناجي منهما الذي وصاه يوسف بأن يذكره عند ربه فنيه إلى حبه هذا. وذلك عن تقدير الله عز وجل وله الحكمة في ذلك.

فلما سمع رؤيا الملك ورأى عجز الناس عن تعبيرها تذكر أمر يوسف وما كان أوصاه به من التذكاري ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادْكُرْ﴾ أي تذكر.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد مدة من الزمان وهو بضع سنين.

وقرأ بعضهم كما حكى عن ابن عباس وعكرمة والضحاك فوادكر بعد أمته أي: بعد نسيان (هــسـر الطبري: ٢٣٨/١٢ - ٢٢٩).

وقرأها مجاهد ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يأسكان الميم وهو النسيان أيضاً. يقال أبة

من جزاء الله وثوابه للمؤمن مع ما يدخر له في آخرته من الخير الجزيل والثواب الجليل. ولهذا قال: ﴿وَلَا تُجْزَى الْآخِرَةُ خَيْرَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

ويقال: إن أظهير زوج زليخا كان قد مات، فواله الملك مكانه وزوجه امرأته زليخا فكان وزير صدق.

وذكر محمد بن إسحاق (رحمهُ الطري: ١٣/٦٦) أن صاحب مصر الوليد بن الريان أسلم على يدي يوسف عليه السلام فآله أعلم.

وقد قال بعضهم:

وراء مضيق الحفوف يسع الأمن - وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تباين فالله ملك يوسف - خزانته بعد الخلاص من السجن

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ. وَأَمَّا جَهَنَّمُ بِجَهَنَّمَ قَالَ اتَّوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِوَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون. قَالُوا سَتَرَاؤُاْ عَنْهُ آبَاءَهُ وَآنَا لَقَاعِلُونَ. وَقَالَ لِيَتَّيِبُواْ جَلْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (يوسف ٥٨ - ٦٢).

يخبر تعالى عن قدوم إخوة يوسف عليه السلام إلى الديار المصرية يتأرون طعاماً وذلك بعد إتيان سني الجذب، وعمومها على سائر البلاد والعباد.

وكان يوسف عليه السلام إذ ذاك الحاكم في أمور الديار المصرية ديناً ودنيا. فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لأنهم لم يخطر ببالهم ما صار إليه يوسف عليه السلام من المكانة والعظمة، فلهمذا عرفهم وهم له منكرون.

وعند أهل الكتاب (تاريخ الطري: ١/٣٤٨) أنهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم وأراد أن لا يعرفوه، فاعلظ لهم في القول وقال: أستم جواسيس، جئت لتأخوذاً خير بلادي. فقالوا: معاذ الله إنما جئنا تشار لقمرنا من المجهد والجرح الذي أصابنا ونحن بنو أب واحد من كنعان. ونحن اثنا عشر رجلاً ذهب منا واحد وصغيرنا عند أيتنا، فقال: لا بد أن أستعلم أرمكم.

وعندهم أنه حبسهم ثلاثة أيام، ثم أخرجهم واحتبس شمعون عنده لياتوه بالأخ الآخر.

وفي بعض هذا نظر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ أي أعطاهم من الميرة ما جرت به عادته في إعطاء كل إنسان حمل بعير لا يزيد عليه.

﴿قَالَ اتَّوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾ وكان قد سلمهم عن حالمهم، وكهم هم فقالوا: كنا اثني عشر رجلاً، فلهمب منا واحد وبقي شقيقه عند أيتنا، فقال: إذا قلتم من العام القبل فأتوني به معكم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي قد أحسن نزلكم وقراكم فرغبهم لياتوه به، ثم رهمهم إن لم يأتوه به.

قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِوَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ أي فليست اعطيكم ميرة ولا أكرمكم بالكلية عكس ما أسدي إليهم أولاً، فاجتهد في إحضاره معهم ليبل شوقه منه بالترغب والترتيب.

﴿قَالُوا سَتَرَاؤُاْ عَنْهُ آبَاءَهُ﴾ أي سجنهم في مجيئه معنا وإتيانه إليك بكل ممكن ﴿وَوَآنَا لَقَاعِلُونَ﴾ أي وأنا لقاقدرون على تحصيله.

ثم أمر فتيانه أن يضعوا بضاعتهم وهي ما جاؤوا به يتعوضون به عن الميرة في امتنعهم من حيث لا يشعرون بها ﴿لَعَلَّهُمْ يُعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُواْ إِلَى

وقيل: إنه من غام كلام زليخا أي إنما اعترفت بهذا ليعلم زوجي أنني لم أخنه في نفس الأمر وإنما كان مرادة لم يقع معها فعل فاحشة.

وهذا القول هو الذي نصره طائفة كثيرة من أئمة المتأخرين وغيرهم ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم سوى الأول.

﴿وَمَا أَتَى نَفْسِي إِلَّا النَّفْسُ لَأْمَاةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: إنه من كلام يوسف وقيل: من كلام زليخا وهو مفرغ على القولين الأولين. وكونه من غام كلام زليخا أظهر وأنسب وأقوى والله أعلم.

﴿وَقَالَ الْهَلِكُ أَتُونِي بِوَلَا تُخْلِصَنِي لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُواْ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نَصِيبُ بَرَحْنَتِنَا مِنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلَا جَزَا الْآخِرَةُ خَيْرَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يوسف ٥٤ - ٥٧).

لما ظهر للملك براءة عرضه ونزاهة ساحتها عما كانوا أظهروا عنه مما نسبوه إليه قال ﴿اتَّوْنِي بِوَلَا تُخْلِصَنِي لِنَفْسِي﴾ أي اجعله من خاصتي ومن أكابر دولتي ومن أعيان حاشيتي.

فلما كلمه وسمع مقالته وتبين حاله ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي ذو مكانة وأمانة.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ طلب أن يوليه النظر فيما يتعلق بالأمر لا يتوق من حصول الخلل فيما بعد مضي سبع سني الحصب لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه من الاحتياط لهم والرفق بهم، وأخبر الملك أنه ﴿حَفِيظٌ﴾ أي قوي على حفظ ما لديه أمين عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ بفيض الأشياء ومصالح الإهراء.

وفي هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الأمانة والكفاءة.

وعند أهل الكتاب أن فرعون عظم يوسف عليه السلام جداً وسلطه على جميع أرض مصر وألبسه خاتمه وألبسه الخمر وطوقه الذهب وحمله على مركبه الثاني ونودي بين يديه أنت رب أي: مالك ومسلط، وقال له: لست أعظم منك إلا بالكروسي.

قالوا: وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امرأة عظيمة الشأن.

وحكى الشعبي (قصص الأنبياء: ص ١١٢) أنه عزل قنطير عن وظيفته وولاه يوسف.

وقيل: إنه لما مات زوجة امرأته زليخا فوجد لها عذراء لأن زوجها كان لا يأتي النساء فولدت ليوسف عليه السلام رجلين وهما أفرائيم ومنشا (تاريخ الطري: ١/٣٤٧).

قال: واستقرت ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل فأحببه الرجال والنساء:

وحكى (قصص الأنبياء: ص ١١١) أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة وأن الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فأعجب ذلك مع حداثة سنه فآله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُواْ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي بعد السجن والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر. ﴿يَتَّبِعُواْ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أي أين شاء حل منها مكرماً محسوداً معظماً. ﴿نَصِيبُ بَرَحْنَتِنَا مِنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي هذا كله

عَلَّمْنَاهُ وَكَيَّنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

وعند أهل الكتاب أنه بعث معهم هدية إلى العزيز من الفستق واللوز والصنوبر والبطم والعسل وأخذوا الدراهم الأولى وعرضاً آخر.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَشِّرْ بِمَا كَانُوا يُعْمَلُونَ. فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّاعِيَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ أَنَّهَا أَهْلُ الْبَيْتِ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْعِلُونَ.

قَالُوا نَقْبُدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئُوا لِبُغْيَدٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. قَبِلْنَا بِالْأَعْيُنِ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجْنَاهُ مِنْ رِجَالِهِ كَذَلِكَ كُنَّا يُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَرِّقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ. قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَمُوا يُوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّنَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ. قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَتَّخِذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَّالِقُونَ» (يوسف ٦٩ - ٧٩).

يذكر تعالى ما كان من أمرهم حين دخلوا بأخيهم بنيامين على شقيقه يوسف وبايائه إليه وإخباره له سرأ عنهم بأنه أخوه وأمره بكم ذلك عنهم وسلاهم عما كان منهم من الإساءة إليه.

ثم احتال على أخذه منهم وتركه إياه عنده دونهم فأمر فتيانه بوضع سقايته. وهي التي كان يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام من عزته في متاع بنيامين.

ثم أعلمهم بأنهم قد سرقوا صواع الملك ووعدهم جعالة على رده حمل بعير وضمنه المئادي لهم فأقبلوا على من اتهمهم بذلك فابروه وهجنوه فيما قاله لهم ﴿قَالُوا نَالَهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئُوا لِبُغْيَدٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. يَقُولُونَ: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا خِلَافَ مَا رَمَيْتُونَا بِهِ مِنَ السَّرِقَةِ﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» وهذه كانت شريعتهم أن السارق يدفع إلى المروق منه؛ ولهذا قالوا: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ».

قال الله تعالى ﴿قَبِلْنَا بِالْأَعْيُنِ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجْنَاهُ مِنْ رِجَالِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ لَكُمْ مِنَ الْإِثْمِ. قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَتَّخِذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَّالِقُونَ».

ثم قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنَّا يُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» أي لولا اعترافهم بأن جزاءه من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على سياسة ملك مصر.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ» أي في العلم ﴿وَفَرِّقُ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» وذلك لأن يوسف كان أعلم منهم وأتم رأياً وأقوى عزماً وحزماً، وإنما فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم أبيه وقومه عليه وفودهم إليه، فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» يعنون يوسف.

قيل: كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره وهو الطير: ١٣/٢٩.

وقيل: كانت عمته قد علقت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لإسحاق ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت، وإنما أرادت أن يكون عندها في حضانتها لحبها له.

وقيل: كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء.

أَهْلُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» قيل: أراد أن يردوها إذا وجدوها في بلادهم. وقيل: خشي أن لا يكون عندهم ما يرجعون به مرة ثانية.

وقيل: تعلم أن يأخذ منهم عرضاً عن المبرة.

وقد اختلف المفسرون في بضاعتهم على أقوال سيأتي ذكرها.

وعند أهل الكتاب أنها كانت صرراً من ورق وهو الطير: ١٣/٧ -

٩١ وهو أشبه والله أعلم.

﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى آبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلْ وَنَأْتِيَهُ لَمْ نَحْفَظْهُ. قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَالَهُ حَيْرٌ خَبِيرًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُئُكَ هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبُئُكَ أَلَمْنَا وَنَحْفَظْ آخَانًا وَنَزَادًا كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلَ سَيِّرٍ. قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ. وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَخْلَوا مِنْ بَابِ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ. وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَقْرُبُ قَضَاءَهَا وَإِنَّهُ لَكُنْوَ عِلْمٌ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف ٦٣ - ٦٨).

يذكر تعالى ما كان من أمرهم بعد رجوعهم إلى أبيهم.

وقوله له: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ» أي بعد عايننا هذا إن لم ترسل معنا آخانا فإن أرسلته معنا لم يمنع منا.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُئُكَ هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا» أي: أي شيء تريد وقد ردت إلينا بضاعتنا.

﴿وَنَبُئُكَ أَلَمْنَا وَنَحْفَظْ آخَانًا وَنَزَادًا» بسببه ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ» قال الله تعالى ﴿ذَلِكَ كَيْلَ سَيِّرٍ» أي في مقابلة ذهاب ولله الآخر.

وكان يعقوب عليه السلام أخص شيء بولده بنيامين لأنه كان يشم فيه رائحة أخيه ويتسلى به عنه، ويتعوض بسببه منه، فلما قال: ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» أي: إلا أن تغلبوا كلكم عن الإتيان به.

﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» أكد الموائيق وقرر اليهود واحتاط لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر. ولولا حاجته وحاجة قومه إلى المبرة لما بعث الولد العزيز ولكن الأقدار لها أحكام والرب تعالى يقدر ما يشاء ويختار ما يريد ويعكم ما يشاء وهو الحكيم العليم.

ثم أمرهم أن لا يدخلوا المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من أبواب متفرقة.

قيل: أراد أن لا يصيبهم أحد بالعين، وذلك لأنهم كانوا أشكالا حسنة وصورا بدنية، قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقشادة والسدي والضحاك وهو الطير: ١٣/١٣.

وقيل: أراد أن يتفرقوا لعلهم يجدون خبراً ليوسف أو يجدون عنه بأيسر شيء؛ قاله إبراهيم النخعي والأول أظهر.

ولهذا قال: ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ».

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَقْرُبُ قَضَاءَهَا وَإِنَّهُ لَكُنْوَ عِلْمٌ لَمَّا

والقاطعة.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي اعرض عن بنيه.

﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ ذكره حزنة الجديد بالحزن القديم

وحرك ما كان كامناً كما قال بعضهم:

نقل نوادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال آخر:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتلذذ الدموع السواك

فقال ابتكي كل قبر رأيت له لغير سوى بين اللوى فالدكاك

فقلت له إن الأسى يبعث الأسى فدعني فهنا كله قبر مالك

وقوله: ﴿وَرَأَيْتُ عَيْنَهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي من كثرة البكاء.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مكمد من كثرة حزنه وأسفه وشوقه إلى يوسف.

فلما رأى بنوه ما يقاسيه من الوجد والم الفراق قالوا له على وجه

الرحمة له والرافة به والحرص عليه ﴿ثُمَّ تَذَكَّرَ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ

خَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يقولون: لاتزال تذكره حتى ينحل جسدك

وتضعف قوتك فلو رفقت بنفسك كان أولى بك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يقول لبيته: لست أشكو إليكم ولا إلى أحد من الناس ما أنا فيه إنما أشكوه

إلى الله عز وجل وأعلم أن الله سيجعل لي ما أنا فيه فرجاً وخرجاً وأعلم

أن رؤيا يوسف لا بد أن تقع، ولا بد أن أسجد له أنا وأتم حسب ما

رأى، ولهذا قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال لهم عرضاً على تطلب يوسف وأخيه وإن يبحثوا عن امرهما:

﴿يَا بَنِي إِدْعُوا فَتَحْسَبُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا

يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. أي: لا تياسوا من الفرج بعد

الشدة فإنه لا يياس من روح الله وفرجه وما يقدره من المخرج في المضائق

إلا القوم الكافرون.

﴿ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ

مُزْجَاةٍ فَاوْفُوا لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾. قَالَ هَلْ

عَلَيْكُمْ مَا فَتَمْتُمْ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ. قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُونُسَ

قَالَ أَنَا يُونُسَ وَقَدْ أَخْبَى قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ.

قَالَ لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. انْغَبُوا

بِقِيصِي هَذَا فَاقْرَءُوا عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتَوْفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[يوسف ٨٨ - ٩٣].

يغير تعالى عن رجوع إخوة يوسف إليه وقدمهم عليه وروغبتهم فيما

لديه من الميرة والصدقة عليهم برد أخيهم بنيامين إليهم.

﴿ثُمَّ دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا الضَّرُّ﴾ أي من

الجذب وضيق الحال وكثرة العيال.

﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ أي: ضعيفة لا يقبل مثلها منا إلا أن يتجاوز

عنا.

قيل: كانت دراهم رديئة.

وقيل: قليلة.

وقيل: حب الصنوبر، وحب البطم ونحو ذلك.

وعن ابن عباس: كانت خلقت الغرائر والحبال ونحو ذلك.

﴿فَاوْفُوا لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قيل:

وقيل غير ذلك.

فلهنا ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَفْنَا يُونُسَ فِي نَفْسِهِ﴾ وهي كلمته بعدها.

وقوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ اجابهم سرّاً لا جهراً

حلماً وكرماً وصفحاً وعبثاً فدخلوا معه في الترقق والتطفف فقالوا: ﴿يَا

أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَكَ أَبَا شَيْخَا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ لَأَ مِّنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عَنْدَهُ إِنْ أِنَّا لَطَائِفُ الْمُؤَنِّ﴾ أي:

إن اطلقنا المتهم وأخذنا البريء. هذا ما لا نفعله ولا نسمع به وإنما نأخذ

من وجدنا متاعنا عنده.

وعند أهل الكتاب: أن يوسف تعرف إليهم حيثذ.

وهذا مما غلطوا فيه ولم يفهموه جيداً.

﴿ثُمَّ اسْتَيْسَأُوا مِنْهُ خَلْصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ

أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلَ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ

الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. ارْجِعُوا

إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا

لِلْغَيْبِ حَاطِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَجِيزَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَبِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ

يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى

يُونُسَ وَارْتَبِصْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ تَفَتَّا تَذَكَّرَ يُونُسَ

حَتَّى تَكُونَ خَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى

اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. يَا بَنِي إِدْعُوا أَهْلَكُمْ فَتَحْسَبُوا مِنْ يُونُسَ

وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف ٨٠ - ٨٧].

يقول تعالى غيراً عنهم: أنهم لما استياسوا من أخذه منه خلصوا

يتاجون فيما بينهم.

قال كبيرهم وهو روبيل ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا

مِّنَ اللَّهِ﴾ وقد أخلفتم عهده وفرطتم فيه كما فرطتم في أخيه يوسف من

قبله، فلم يتن لي وجه أقالبه به.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ أي لا أزال مقيماً هنا ﴿حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَبِي﴾

في القعود عليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بأن يقدرني على رد أخي إلى أبي.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ

سَرَقَ﴾ أي أخبروه بما رأيت من الأمر في ظاهر المشاهدة.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي

كُنَّا فِيهَا وَالْعَجِيزَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي فإن هذا الذي أخبرناك به من اخذهم

أخانا لأنه سرق أمر اشتهر بمصر وعلمه العبر التي كنا نحن وهم هناك.

﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَبِيلٌ﴾ أي

ليس الأمر كما ذكرت لم يسرق فإنه ليس بسجبة له ولا خلقه وإنما سولت

لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل.

قال ابن إسحاق وغيره (هشتر الطبري: ٣٨/١٣): لما كان التفريط منهم في

بنيامين مترتباً على صنيعهم في يوسف، قال لهم ما قال.

وهذا كما قال بعض السلف: إن من جزاء السيئة بعدها.

ثم قال ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وبنيامين

ودويل.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ أي عجلي وما أنا فيه من فراق الأحبة.

﴿وَالْحَكِيمُ﴾ في جميع ما يقدره ويفعله وله الحكمة البالغة والحجة

بقولها: قاله السدي.

وقيل: برد اخينا إلينا: قاله ابن جريج.

وقال سفيان بن عيينة: إنما حرمت الصدقة على نبينا محمد ﷺ ونزع بهذه الآية؛ رواه ابن جرير (هـ: ٥٤/١٣).

فلما رأى ما هم فيه من الحال وما جاؤوا به مما لم يبق عندهم سواه من ضعيف المال تعرف إليهم وعطف عليهم قائلًا لهم عن أمر ربه وربهم. وقد حسر لهم عن جبينه الشريف وما يحويه من الحال فيه الذي يعرفون منه: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾. قالوا: وتعجبوا كل العجب وقد ترددوا إليه مراراً عديدة وهم لا يعرفون أنه هو: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي﴾ يعني أنا يوسف السدي صنعتهم معه ما صنعتهم وسلف من أمركم فيه ما فرطتم.

وقوله: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ تأكيد لما قال وتنبه على ما كانوا أضمرُوا لهما من الحسد وأعملوا في أمرهما من الاحتيال.

ولهذا قال: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بإحسانه إلينا وصدقته علينا وإيوائه لنا وشده معانده عزنا وذلك بما أسلفنا من طاعته وصبرنا على ما كان منكم إلينا وطاعتنا وبرنا لأبينا وحبته الشديدة لنا وشفقته علينا.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. قالوا تالله لقد أنزل الله علينا: أي فضلك وأعطاك ما لم يعبنا.

﴿وَأَنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾. أي فيما أسدينا إليك وما نحن بين يديك.

﴿قَالَ لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي: لست أعاتبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا.

ثم زادهم على ذلك فقال: ﴿الْيَوْمَ يَنْفَعُ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ومن زعم أن الوقف على قوله ﴿لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمْ﴾ وابتدأ بقوله ﴿الْيَوْمَ يَنْفَعُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فقوله ضعيف والصحيح الأول.

ثم أمرهم بأن يذهبوا بقميصه وهو الذي يلي جسده فيضعوه على عيني أبيه فإنه إليه يصبر بعدما كان ذهب بإذن الله، وهذا من خوارق العادات ودلائل النبوات وأكبر المعجزات.

ثم أمرهم أن يتحملوا بأهلهم أجمعين إلى ديار مصر إلى الخبير والدعة وجمع الشمل بعد الفقرة على أكمل الوجه وأعلى الأمور.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْتُلُون. قَالُوا تالله إنك لفي ضلالك القديم. فلما أن جاء الشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون. قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. قال سوف استغفر لكم ربّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٤ - ٩٨).

قال عبد الرزاق (هـ: ٣٢٩/٢): أنبأ إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل سمعت ابن عباس يقول: ولما فصلت العير، قال: لما خرجت العير حاجت ريح فجهات يعقوب بريح قميص يوسف فقال: ﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْتُلُون﴾ قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام.

وكذا رواه الثوري وشعبة وغيرهما عن أبي سنان به (هـ: الطبري: ٥٨، ٥٧/١٣).

وقال الحسن البصري وابن جريج المكي: كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخاً، وكان له منذ فارقته ثمانون سنة (هـ: الطبري: ٥٨/١٣).

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَقْتُلُون﴾ أي تقولون: إنما قلت هذا من الفسد وهو

الخرف وكبر السن.

قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وقناة ﴿تَقْتُلُون﴾ تستفنون.

وقال مجاهد أيضاً والحسن: تهرمون.

﴿قَالُوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾. قال قناة والسدي: قالوا له كلمة غليظة.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الشَّيْرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ أي بمجرد ما جاء ألقى القميص على وجهه يعقوب فرجع من فوره بصيراً بعد ما كان ضيراً.

وقال ابنه عند ذلك ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم أن الله سيجمع شملني يوسف وستقر عيني به وسيريني فيه ومنه ما يسرني؛ فعند ذلك ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

طلبوا إليه أن يستغفر لهم الله عز وجل عما كانوا فعلوا ونالوا منه ومن ابنة وما كانوا عزموا عليه. ولما كان من نيهم التوبة قبل الفعل وقهم الله للاستغفار عند وقوع ذلك منهم فاجابهم أبوههم إلى ما سألوا وما عليه عولوا قائلًا ﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم: أوجاههم إلى وقت السحر.

قال ابن جرير (هـ: ٦٤/١٣): حدثني أبو السائب، حدثنا ابن إدريس سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محبوب بن دثار قال: كان عمي لي يأتي المسجد فسمع إنساناً يقول: «اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي» قال: فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال: إن يعقوب أخبر بنيه إلى السحر بقوله: ﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْاسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧).

وثبت في الصحيحين [١٤٥] (٧٥٨) م عن رسول الله ﷺ قال «يترن لنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له».

وقد ورد في حديث أن يعقوب أوجأ بنيه إلى ليلة الجمعة.

قال ابن جرير (هـ: ٦٥/١٣): حدثني المثنى. حدثنا سليمان بن عبد الرحمن بن أيوب الدمشقي، حدثنا الوليد أنبأنا ابن جريج عن عطاء

وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة وهو قول أخي يعقوب لابنه.

وهذا غريب من هذا الوجه. وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفاً على ابن عباس ﷺ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَتُهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ آيَاتِينَ. وَرَفَعَ أَبْوَتُهُ عَلَى الْغُرَشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا وَقدْ أَخْبَرْتَنِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَنُو مِنْ بَنُو أَنْ نَزَعَ الشَّطَّانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِذْ رَبِّي أَطِيفَ لَمَّا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الْحَيَاةِ وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩٩ - ١٠١).

هذا إخبار عن حال اجتماع المحابين بعد الفقرة الطويلة التي قيل: إنها ثمانون سنة (هـ: الطبري: ٦٩/١٣ - ٧١).

وقيل: ثلاث وثمانون سنة وهما روايتان عن الحسن.

وقيل: خمس وثلاثون سنة.

قال قتادة وقال محمد بن إسحاق: ذكروا أنه غاب عنه ثلثاني عشرة سنة.

قال: وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة.

وظاهر سياق القصة يرشد إلى تحديد المدة تقريباً، فإن المرأة راودته وهو شاب ابن سبع عشرة سنة فيما قاله غير واحد فاستنع فكان في السجن بضع سنين وهي سبع عند عكرمة وغيره.

ثم أخرج فكانت سنوات الخصب السبع، ثم لما أعمل الناس في السبع البواقي جاء إخوته يمتارون في السنة الأولى وحدهم. وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين. وفي الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين فجازوا كلهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيَّهُ﴾ اجتمع بهما خصوصاً وحدهما دون إخوته ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾.

قيل: هذا من المقدم والمؤخر تقديمه: أدخلوا مصر وآوى إليه أبويه. وضعفه ابن جرير (تفسيره: ٦٥/١٣، ٦٦) وهو معنور.

وقيل بل تلقاهما وأواهما في منزل الخيام. ثم لما اقتربوا من باب مصر ﴿وَقَالَ﴾ أدخلوا مصر ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ قاله السدي.

ولو قيل: إن الأمر لا يحتاج إلى هذا أيضاً وإنه ضمن قوله ﴿ادْخُلُوا﴾ معنى اسكنوا مصر أو أقيموا بها ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ لكان صحيحاً مليحاً أيضاً.

وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر وهي أرض بليس خرج يوسف لتلقيه، وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا بين يديه مبشراً بقدومه، وعندهم أن الملك أطلق لهم أرض جاشر يكونون فيها ويقومون بها بتعهم ومواشيهم.

وقد ذكر جماعة من المفسرين (تفسير الطبري: ٣٦/١٣) أنه لما أرف قدم نبي الله يعقوب وهو إسرائيل، أراد يوسف أن يخرج لتلقيه فركب معه الملك وجنوده خدمة ليوسف وتعظيماً لنبي الله إسرائيل، وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سني الجذب ببركة قدومه إليهم فآله أعلم.

وكان جملة من قدم مع يعقوب من بنيه وأولادهم فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين إنساناً.

وقال موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن شداد: كانوا ثلاثة وثمانين إنساناً (تفسير الطبري: ٧٢/١٣).

وقال أبو إسحاق عن مسروق: دخلوا وهم ثلثمائة وتسعون إنساناً. قالوا: وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ست مئة ألف مقاتل.

وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفساً وسموهم.

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قيل: كانت أمه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة.

قال بعض المفسرين: فأحيها الله تعالى.

وقال آخرون: بل كانت خالته ليا، والحالة بمنزلة الأم.

وقال ابن جرير (تفسيره: ٦٧/١٣) وآخرون: بل ظاهر القرآن يقتضي بقاء حياة أمه إلى يومئذ فلا يعمل على نقل أهل الكتاب فيما خالفه، وهذا قوي والله أعلم.

ورفعهما ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي اجلسهما معه على سريريه ﴿وَوَخَّرُوا لَهُ سُجُوداً﴾ أي سجد له الأبرار والإخوة الأحد عشر تعظيماً وتكريماً، وكان

هذا مشروعاً لهم ولم يزل ذلك معمولاً به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا.

﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي هذا تعبير ما كنت قصصته عليك من رؤيتي الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر حين رأيتهم لي ساجدين وأمرتني بكنمتهما ووعدتي ما وعدتني عند ذلك.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ أي بعد المم والضيق جعلني حاكماً نافذ الكلمة في الديار المصرية حيث شئت.

﴿وَرَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَنُو﴾ أي البادية وكانوا يسكنون أرض العربات من بلاد الحليل.

﴿فَإِنْ يَبْذُ أَنْ نَرْغَ الشُّطَّانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي فيما كان منهم إلى من الأمر الذي تقدم وسبق ذكره.

ثم قال: ﴿إِنْ رَزَيْتُنِي لَطِيفٌ لَمَّا يَشَاءُ﴾ أي إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه ويسرها وسهلها من وجوه لا يهتدي إليها العباد بل يقدرها ويسرها بلطيف صنعه وعظيم قدرته.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ أي جميع الأمور ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وشرعه وقلوه.

وعند أهل الكتاب: أن يوسف باع أهل مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده بأموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والأثاث وما يملكونه كله حتى باعهم بأنفسهم فصاروا أرقاء. ثم أطلق لهم أرضهم وأعتق رقابهم على أن يعملوا ويكون خمس ما يشتغلون من زرعهم وثمارهم للملك؛ فصارت سنة أهل مصر بعده.

وحكى الثعلبي (قصص الأنبياء: ص ١١٣) أنه كان لا يشيع في تلك السنين حتى لا ينسى الجميع، وأنه إما كان يأكل أكلة واحدة نصف النهار.

قال: فمن ثم اتقذى به الملك الأخير في ذلك.

قلت: وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يشيع بطنه عام الرمادة حتى ذهب الجذب وأتى الخصب.

قال الشافعي: قال رجل من الأعراب لعمر بعدما ذهب عام الرمادة: لقد انحلت عنك وإنك لابن حرة.

ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف أن هذه النار لا يقربها قرار، وأن كل شيء فيها ومن عليها فان. وما بعد التمام إلا نقصان. فعند ذلك أثنى على ربه بما هو أهله، واعترف له بعظيم إحسانه وفضله. وسأله منه وهو خير المسؤولين أن يتوفاه أي حين يتوفاه على الإسلام. وأن يلحقه بعباده الصالحين. وهذا كما يقال في الدعاء ﴿اللَّهُمَّ أَحْيَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي حين تتوفانا.

ويحتمل أنه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي ﷺ عند احتضاره أن يرفع روحه إلى الملأ الأعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال: ﴿اللَّهُمَّ فِي الرِّفْقِ الْأَعْلَى ثَلَاثًا ثُمَّ قُضِيَ﴾ (ع ١٧٦٤)، م [(٢١٠٩١)].

ويحتمل أن يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الإسلام منجزاً في صحة منه وسلامة، وأن ذلك كان سائغاً في ملتهم وشرعتهم.

كما روي عن ابن عباس أنه قال: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف (تفسير الطبري: ٧٢/١٣).

فأما في شريعتنا فقد نهى عن الدعاء بالموت إلا عند الفتن، كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه أحمد (٢٤٣/٥): ﴿وَإِنَّا أَرَدْتُ بِقَوْمٍ فَتَنَةً تَفْرُقُنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونِينَ﴾.

وفي الحديث الآخر [٤٢٧/٥]: «ابن آدم الموت خير لك من الفتنة». وقالت مريم عليها السلام ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مُنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢].

وعنى الموت علي بن أبي طالب لما تصافت الأمور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال.

وعنى ذلك البخاري أبو عبد الله صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال، ولقي من مخالفه الأهوال.

فأما في حال الرفاهية فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما رخ [٥٦٧١] م (٢٦٨٠) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمتنى أحدكم الموت لضر نزل به إما محسناً فيزداد وإما مسيئاً فلهه يستعقب ولكن ليقول: اللهم احني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

والمراد بالضرب ههنا ما ينقص العبد في بدنه من مرض ولحوه لا في دينه. والظاهر أن نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك إما عند احتضاره أو إذا كان ذلك أن يكون كذلك.

وقد ذكر ابن إسحاق [تاريخ الطبري: ٣٦٤/١] عن أهل الكتاب أن يعقوب أقام ببلد مصر عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام وكان قد أوصى إلى يوسف عليه السلام أن يدفن عند أبويه إبراهيم وإسحاق.

قال السدي فصره وسيره إلى بلاد الشام فدفنه بالمنارة عند أبيه إسحاق وجده الخليل عليهم السلام [تفسير الطبري: ٧٥/١٣].

وعند أهل الكتاب: أن عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة. وعندهم أنه أقام بأرض مصر سبع عشرة سنة.

ومع هذا قالوا: فكان جميع عمره مائة وأربعين سنة.

هذا نص كتابهم وهو غلط، إما في النسخة أو منهم أو قد أسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو أكثر من هذا، فكيف يستعملون هذه الطريقة ههنا! وقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا مَا تَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَ آبَائِكُمْ إِبراهيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] يوصي بنيه بالإخلاص وهو دين الإسلام الذي بعث الله به الأنبياء عليهم السلام.

وقد ذكر أهل الكتاب أنه أوصى بنيه واحداً واحداً وأخبرهم بما يكون من أمرهم ويشتر يهودا يخرج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب، وهو عيسى بن مريم والله أعلم.

وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوماً، وأمر يوسف الأطباء فطيحوه بطبق ومكث فيه أربعين يوماً، ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه عند أهله، فأذن له وخرج معه أكابر مصر وشيوخها، فلما وصلوا حبرون ودفنوه في المغارة التي كان اشتراها إبراهيم الخليل من عفرون بن صخر الحثي، وعملوا له عزاء سبعة أيام. قالوا: ثم رجعوا إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أبيهم، وترفقوا له فأكرمهم وأحسن مقلهم فأقاموا ببلاد مصر.

ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آباءه فحنطوه ووضعوه في تابوت، فكان بمصر حتى أخرجته معه موسى عليه السلام فدفنه عند آباءه كما سيأتي.

قالوا: فمات وهو ابن مائة سنة وعشر سنين.

هذا نصهم فيما رأته وفيما حكاه ابن جرير [تاريخ: ٣٤٦/١] أيضاً. وقال مبارك بن فضالة، عن الحسن: ألقى يوسف في الجيب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة. ومات وهو ابن مائة سنة وعشرين سنة [تفسير الطبري: ٧١/١٣]. وقال غيره: أوصى إلى أخيه يهودا [قصص الأنبياء للصالي: ص ١٢٥] صلوات الله وسلامه عليه وعلى الأنبياء أجمعين.

٣٤- قصة أيوب عليه السلام

قال ابن إسحاق [تاريخ الطبري: ٣٢٢/١]: كان رجلاً من الروم وهو أيوب بن موسى بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وقال غيره: هو أيوب بن موسى بن رغوب بن العيص بن إسحاق بن يعقوب. وقيل غير ذلك في نسبه.

وحكى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٥٨/١٠] أن أمه بنت لوط عليه السلام.

وقيل: كان أبوه عن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم ألقى في النار فلم تحرقه.

والمشهور الأول؛ لأنه من ذرية إبراهيم كما قررنا عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ نُوحٌ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِبراهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤] من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليهما السلام.

وهو من الأنبياء المنصوص على الإحياء إليهم في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْخَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْخَيْنَا إِلَى إِبراهيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَيَعْسَى وَيُوسُفَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحاق وأمراته قيل اسمها: ليا بنت يعقوب.

وقيل: رحمه بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب.

وهذا أشهر فلها ذكرناه ههنا. ثم تعطف بذكر أنبياء بني إسرائيل بعد ذكر قصته إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

قال الله تعالى: ﴿وَيُوسُفَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٤].

وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَاذْكُرْ عِندَنَا يُوسُفَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَشْسِلَ بَارِدٍ وَشَرَابٍ. وَوَعَيْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ. وَخَذْ يَدَكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٥٩، ٥٨/١٠] من طريق الكلبي أنه قال: أول نبي بعث إدريس. ثم نوح. ثم إبراهيم. ثم إسماعيل. ثم إسحاق. ثم يعقوب. ثم يوسف. ثم لوط ثم هود. ثم صالح. ثم شعيب. ثم موسى وهارون. ثم إلياس. ثم اليسع. ثم عرني بن سويلخ بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب. ثم يونس بن متى من بني يعقوب. ثم أيوب بن زراح بن أموص بن ليفرز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وفي بعض هذا الترتيب نظر فإن هوداً وصالحاً المشهور أنهما بعد نوح وقبل إبراهيم والله أعلم.

قال علماء التفسير (نظر ضو الطبري: ٥٩/١٧) والتاريخ (تاريخ دمشق: ٥٩/١٠) وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأناعم والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران.

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكان له أولاد وأهلون كثير فسلب من ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. يذكر الله عز وجل بهما وهو في ذلك كله صابراً محتسب ذاكر لله عز وجل في ليله ونهاره وصباحه ومساءه.

وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها فكانت تردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رضي الله عنها وأرضاها وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد وما يخص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وقد ثبت في الصحيح (هو في مسند أحمد: ١٧٢/١، والدملي: ٢٣٩٨) وابن ماجة (٤٠٢٣) أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء. ثم الصالحون. ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلاءه».

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل أيضاً بما حصل له من أنواع البلاء.

وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل في قصة أيوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه في جسده والله أعلم بصحته (نظر ضو الطبري: ٥٧/١٧ - ٦٥).

وعن مجاهد أنه قال: كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجندي. وقد اختلفوا في مدة بلواه على أقوال:

فزعم وهب أنه ابتلي ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص (نفس الطبري: ٦٦/١٧). وقال أنس: ابتلي سبع سنين وأشهرها وألقي على مزبلة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده حتى فرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن الشاء عليه.

وقال حميد: مكث في بلواه ثمانين عشرة سنة.

وقال السدي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهر قليل لله أن أصبر له سبعين سنة. فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام.

ثم إن الناس لم يكونوا يستخلمونها لعلمهم أنها امرأة أيوب خوفاً أن ينالهم من بلاءه أو تعديهم بمخالطته فلما لم تجد أحداً يستخدمها عمدت فباعَت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيريها بطعام طيب كثير فأتت به أيوب فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره فقالت: خدمت به أناساً.

فلما كان الغد لم تجد أحداً فباعَت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره أيضاً وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام فكتفت عن رأسها خافها فلما رأى رأسها مخلوقاً قال في دعائه: «أَيُّ مَسْتَبِي الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الأنبياء: ٨٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان لأيوب أخوان فجاهد يوماً فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم من أيوب خيراً ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعاً لم يجزع من شيء قط مثله قال: (اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة قط شعباناً وأنا أعلم مكان جائع فصدقتي فصدق من السماء وهما يسمعان) ثم قال: (اللهم إن كنت تعلم أنني لم يكن لي قميصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقتي. فصدق من السماء وهما يسمعان) ثم قال: (اللهم بعزتك) وخر ساجداً فقال: (اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبداً حتى تكشف عني) فلما رفع رأسه حتى كشف عنه.

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير (نفسه: ١٦٧/٢٣) جميعاً: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أثبتنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانين عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كاتا من أخصى إخوانه له كاتا يفتدون إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين» قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانين عشرة سنة لم يرجه ربه فيكشف ما به.

فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فالرجع إلى بيتي فافكر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق». قال: وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم إبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ» (ص: ٤٢) فاستطاعته فتلقتة تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال: فإني أنا هو.

قال: وكان له أندوان أندل للقمح وأندل للشعير فبعث الله سبحانه فلما كانت أحدهما على أندل القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندل الشعير الورق حتى فاض.

هذا لفظ ابن جرير

وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في صحيحه (الإحسان: ٢٨٩٨) عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حملة عن ابن وهب به.

وهذا غريب رفعه جداً. والأشبه أن يكون موقوفاً.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أثبتنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: وألبسه الله حلة من الجنة فتحت أيوب وجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت: يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان هنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة فقال: ويحك أنا أيوب قالت: أتسخر مني يا عبد الله؟ فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي.

قال ابن عباس: ورد الله عليه ماله وولده بأعيانهم ومثلهم معهم.

غيروا بعده دين إبراهيم. وقوله: ﴿وَحَذَّ يَدَيْكَ ضَيْغًا فَاضْرِبْ يَدَ وَلَا تَحْتِ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط.

فقيل: حلفه ذلك ليعبها ضغائرًا.

وقيل: لأنه اعترضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأبيوب فأنته فاحبرته فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربها بمائة سوط.

فلما عافاه الله عز وجل افتناه أن يأخذ ضغائرًا وهو كالتعكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلًا منزلة الضرب بمائة سوط وير ولا يمتح. وهذا من القرح والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحسنة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضي الله عنها.

ولهذا عقب الله هذه الرخصة وعللها بقوله: ﴿وَأَنَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان والنذور وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الأيمان وصدروه بهذه الآية الكريمة وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب. وسنذكر طرفًا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٣٢٤/١، ٣٢٥] وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة.

وقيل: إنه عاش أكثر من ذلك.

وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله أنزل يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء ويوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء.

رواه ابن عساکر [تاريخه: ٨٢/١٠] بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فأنه أعلم.

ومات ابنه هذا وكان نبيًا فيما يزعمون وكان عمره من السنين خمسًا وسبعين. ولنذكر هنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهم السلام وهذه

٣٥- وهذه قصة ذي الكفل الذي زعم

قوم أنه ابن أيوب

قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٨٥: ٨٦].

وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضاً في سورة ص: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَنْبِيَاءِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ. وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [٤٥: ٤٨].

فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور.

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفائك وقرب عن صاحبك قريباً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ يده ويجعل في ثوبه قال: فقيل له: يا أيوب أما تشبع! قال: يارب ومن يشبع من رحمتك».

وهكذا رواه الإمام أحمد [٣٠٤/٢، ٤٩٠] عن طريق الطيالسي، ومن طريق عبد الصمد: [٣٤٧/٢] عن أبي داود الطيالسي وعبد الصمد عن همام عن قتادة به.

ورواه ابن حبان في صحيحه [الإحسان (٦٢٣٠)] عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن راهويي عن عبد الصمد به.

ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فأنه أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٤٣/٢]: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أرسل على أيوب رجل من جراد من ذهب فجعل يقبضها في ثوبه فقيل: يا أيوب ألم يكفك ما أعطيناك؟ قال: أي رب ومن يستغني عن فضلك. هذا موقوف.

وقد روي عن أبي هريرة من وجه آخر مرفوعاً [٣٠٤/٢].

وقال الإمام أحمد [٣٩٤/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فيما أيوب يشتغل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يمشي في ثوبه فتداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أغثتك عما ترى! قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك».

رواه البخاري [٢٢٩١] من حديث عبد الرزاق به

وقوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به فاتبع الله له عينا بأودة الماء وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها فأنجب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة وجالاً تاماً ومالاً كثيراً حتى صب له من المال صبا مطراً عظيماً جراداً من ذهب وأخلف الله له أهله كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ فقيل: أحياهم الله بأعيانهم.

وقيل: أجره فيمن سلف وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم في النار الآخرة.

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عَيْنِنَا﴾ أي رفعنا عنه شلته.

﴿وَنُكْشِفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ راحة منا به وراحة وإحساناً.

﴿وَذِكْرَى لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي تذكرة لمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده فله أسوة بني الله أيوب حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه.

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال: هي راحة من هذه الآية فقد أبعد النجعة وأفرق في النزاع.

وقال الضحاک عن ابن عباس: رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرون ولداً ذكراً.

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ثم

ورواه ابن جرير [هـ: ٧٥/١٧] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

قال: قال أبو موسى الأشعري فذكره مقطوعاً. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٢٣/٢]: حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعد بن طارق عن ابن عمر قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لو لم أسمعته إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال: فكان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأنته امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن يطأها فلما قدم منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت ويكت فقال لها: ما بيكي؟ أكرهتك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم عمله قط وإنما حملني عليه الحاجة قال: فضلعين هذا ولم تفعليه قط؟ ثم نزل فقال: اذهبي بالناتير لك. ثم قال: والله لا يعصي الله الكفل أبداً فمات من لينه فأصبح مكتوباً على بابيه قد غفر الله للكفل. ورواه الترمذي [٢٤٩٦] من حديث الأعمش به. وقال حسن.

وذكر أن بعضهم رواه فروقه على ابن عمر فهو حديث غريب جداً وفي إسناده نظر فإن سعداً هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد ورواه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله بن عبد الله الرازي هذا فإلله أعلم.

وإن كان مخفوطاً فليس هو ذا الكفل وإنما لفظ الحديث الكفل من غير إضافة فهو رجل آخر غير المذكور في القرآن فالله أعلم بالصواب.

٣٦- باب ذكر أمم أهلوكا بعامّة

وذلك قبل نزول التوراة بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [قصص: ٤٣].

كما رواه ابن جرير [هـ: ٨/] وابن أبي حاتم واليزار [٢٢٤٧ موفراً] من حديث عوف الأعرابي عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء أو من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسحوا قردة.

الم تر أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ ورفعه اليزار في رواية له. والأشبه والله أعلم وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامّة قبل موسى عليه السلام.

فمنهم أصحاب الرس قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا. وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لَئِلاَّ تَتَّبِعُوا الْآذَنَاءَ وَمَا يَنْهَوْنَ عَنْكُمْ﴾ [٣٨ - ٣٩].

وقال تعالى في سورة ق: ﴿وَدَلَّيْنَاهُمْ قُرُونًا يَتَبَوَّعُونَ النَّارَ وَبَيْنَ ذَلِكَ نَجَمٌ وَقُرُونًا يَتَبَوَّعُونَ النَّارَ وَبَيْنَ ذَلِكَ نَجَمٌ﴾ [١٢ - ١٤].

وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمعروا وتبرؤا وهو الهلاك.

وهذا يرد اختيار ابن جرير [هـ: ١٤/٢٠] من أنهم أصحاب الأخيود الذين ذكروا في سورة البروج: لأن أولئك عند ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٤/١ - ٣٦] وجماعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر أيضاً.

وروى ابن جرير [هـ: ١٣/١٩] قال: قال ابن عباس: أصحاب

وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً مقسطاً عادلاً.

وتوقف ابن جرير [هـ: ٧٣/١٧] في ذلك فإلله أعلم. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد: أنه لم يكن نبياً وإنما كان رجلاً صالحاً وكان قد تكفل لنبي قومه أن يكتبه أمرهم ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمي ذا الكفل.

وروى ابن جرير [هـ: ٧٤/١٧] وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد: أنه قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال: من يتقبل لي بثلاث أستخلفه. يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتضب؟ قال: فقام رجل تزدره العين فقال: أنا فقال: أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تفتضب؟ قال: نعم.

قال: فزعم ذلك اليوم وقال مثله اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال: أنا. فاستخلفه قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان؛ فأعياهم ذلك فقال: دعوني وإياه فإنه في صورة شيخ كبير فقبر وإياه حين أخذ مضجعه للقاتلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة ففدق الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال: إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلّموني وفعلوا بي وفعلوا وجعل يطرد عليّ حتى حضر الروح وذهبت القاتلة وقال: إذا رحت فأني أخذ لك بمحك؛ فانطلق وراح. فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه.

فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس ويتنظره فلا يراه. فلما رجع إلى القاتلة فأخذ مضجعه أتاه ففدق الباب فقال: من هذا؟ فقال: الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال: ألم أقل لك إذا عدت فأني؟ فقال: إنهم أحبب قوم إذا عرفوا أنك فاعد قالوا: نحن نعطيك حقل وإذا قمت جحودني قال: فانطلق فإذا رحت فأني.

قال: ففاته القاتلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشن عليه الناس فقال لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فأني قد شن عليّ النوم.

فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل: ورايك ورايك فقال: إنني قد أتيتك أمس فذكرت له أمري فقال: لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا هو يدق الباب من داخل قال: فاستيقظ الرجل فقال: يا فلان ألم أمرك؟ قال: أما من قبلي والله لم تزت فانظر من أين أتيت قال: فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فعرّفه فقال: أعدو الله! قال: نعم أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك؛ فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به.

وقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن ابن عباس قريباً من هذا السياق. وهكذا روي عن عبد الله بن الحارث وعبد بن قيس وابن حجرية الأكبر وغيرهم من السلف نحو هذا [هـ: الطبري: ٣٥٨/٥ - ٣٥٩].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهم أنبأنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن الأخنس قال: سمعت الأشعري - يعني أبا موسى رضي الله عنه - وهو على هذا المنبر يقول: فما كان ذو الكفل نبياً ولكن كان رجلاً صالحاً يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل.

الرس أهل قرية من قرى ثمود.

وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في أول تاريخه [١٣، ١٢/١] عند ذكر بناء دمشق عن تاريخ أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة وغيره: أن أصحاب الرس كانوا بحضور فبعت الله إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان فكتبوه وقتلوه فصار عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده من الرس فتزل الأحقاد وأهلك الله أصحاب الرس وانتشروا في اليمن كلها وفشوا مع ذلك في الأرض كلها حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح دمشق وبني مدينتها وسماها: جيرون وهي إرم ذات العمداء وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بل دمشق فبعت الله هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الخلود بن عاد إلى عاد - يعني أولاد عاد - بالأحقاف فكتبوه وأهلكهم الله عز وجل.

فهذا يقتضي أن أصحاب الرس قبل عاد بهدور متطاولة فالله أعلم. وروى ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي عاصم عن أبيه عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال: الرس بئر بأذربيجان. وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة قال: الرس بئر رسوا فيها بينهم أي دفنوه فيها. وقال ابن جريج: قال عكرمة: أصحاب الرس يفلج وهم أصحاب ياسين.

وقال قتادة: فلج من قرى اليمامة قلت: فإن كانوا أصحاب ياسين كما زعمه عكرمة فقد أهلكوا بعمارة قال الله تعالى في قصتهم: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِنَّا نُمِّدُ خَائِضُونَ﴾ [يس: ٢٩].

وستأتي قصتهم بعد هؤلاء وإن كانوا غيرهم وهو الظاهر فقد أهلكوا أيضاً وتبروا.

وعلى كل تقدير فيأتي ما ذكره ابن جرير

وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن النقاش أن أصحاب الرس كانت لهم بئر ترويهم وتكني أرضهم جميعاً وكان لهم ملك عادل حسن السيرة فلما مات وجدوا عليه وجداً عظيماً فلما كان بعد أيام تصور لهم الشيطان في صورته وقال: إني لم أمت ولكن تغيت عنكم حتى أرى صنعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر بضرب حجاب بينهم وبينه وأخبرهم أنه لا يموت أبداً فصدق به أكثرهم وانتنوا به وعبدوه فبعت الله فيهم نبياً وأخبرهم أن هذا شيطان يخاطبهم من وراء الحجاب ونهاهم عن عبادته وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

قال السهيلي (الصحف والإعلام: ٢١٥ - ٢١٨): وكان يوحى إليه في النوم وكان اسمه: حنظلة بن صفوان فعدوا عليه وقتلوه وألقوه في البئر فغار ماؤها وعطشوا بعد ريهم وبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم وتبدلوا بعد الأنس بالوحشة وبعد الاجتماع بالفرقة وهلكوا عن آخرهم وسكن في مساكنهم الجن والوحوش فلا يسمع ببقاعهم إلا عفيف الجن وزير الأسد وصوت الضياع.

فأما ما رواه - أعني ابن جرير (هـ: ١٥١٤/١٩) عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا ذَلِكَ الْأَسْوَدُ. ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَلَوْا عَلَى النَّبِيِّ فَحَرَقُوا لَهُ بُرًّا فَأَلْقَوْهُ فِيهَا ثُمَّ

أطبقوا عليه بحجر أصم.

قال: فكان ذلك العبد يذهب فيحطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاماً وشرباً ثم يأتي به إلى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله عليها ويدلي إليه طعامه وشربه ثم يرداها كما كانت. قال: فكان كذلك ما شاء الله أن يكون.

ثم إنه ذهب يوماً يحطب كما كان يضع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائماً ثم إنه هب فتمطى وتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام إلا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاماً وشرباً كما كان يصنع.

ثم إنه ذهب إلى الحفرة إلى موضعها الذي كانت فيه فالتصه فلم يجد.

وقد كان بدا لقرمه فيه بقاء فاستخرجوه وأمنوا به وصدقوه.

قال: فكان بينهم يسلمهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له: ما ندري حتى يقبض الله النبي عليه السلام وأهب الأسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ».

فإنه حليت مرسل ومثله فيه نظر. ولعل بسط قصته من كلام محمد بن كعب القرظي والله أعلم.

ثم قد رده ابن جرير (هـ: ١٥/١٩) نفسه وقال: لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس المذكورون في القرآن.

قال: لأن الله أخبر عن أصحاب الرس أنه أهلكهم هؤلاء قد بدا لهم فأمنوا بنبينهم اللهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم.

ثم اختار أنهم أصحاب الأخنود وهو ضعيف لما تقدم ولما ذكر في قصة أصحاب الأخنود حيث تردوا بالمذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ولم يذكر هلاكهم وقد صرح بهلاك أصحاب الرس والله أعلم.

٣٧- قصة قوم يس وهم أصحاب القرية

قال الله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ. إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبَّنَا بَلِّغْنَا إِلَيْنَا إِلَهُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا الْبِلَاقَ الْمُنِينَ. قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِئَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أِنْ دُرُكُنَا بَلِّغْنَا إِلَيْنَا قَوْمَ مُرْسَلُونَ. وَجَاءَ مِنَ الْأَنْفُسِ الْعَيْنِيَّةِ رَجُلٌ يَقُولُ إِنَّ قَوْمَ اتَّبَعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبَعُوا مِن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ يَهْتَكُونَ. وَمَا لِي لَا أَقْبِلُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَلَا تَتَّخِذُ مِن قُوِيهِ إِلَهَةً إِنْ يَرُدُّنَا الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُونَ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ. وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَيِّنٍ مِّنْ بَيِّنٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُتْرِكِينَ. إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِنَّا نُمِّدُ خَائِضُونَ﴾ [يس: ١٣ - ٢٩]

اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أنطاكية. رواه ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه (هـ: الطبري: ١٥٦/٢٢).

ثم قال مخاطباً للرسل ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ قيل: فاسمعوا مقاتلي واشهدوا لي بها عند ربكم.

وقيل: معناه فاسمعوا يا قومي إيماني برسول الله جهرة. فعند ذلك قتلوه. قيل: رجماً. وقيل: عصفاً. وقيل: وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه.

وحكى ابن إسحاق (تفسير الطبري: ١٦١/٢٢) عن بعض أصحابه عن ابن مسعود قال: وطلوه بأرجلهم حتى أخرجوا قصبه.

وقد روى الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز: كان اسم هذا الرجل: حبيب بن مري.

ثم قيل: كان نجاراً. وقيل: حبالاً. وقيل إسكافاً. وقيل: قصاراً. وقيل: كان يتعبد في غار هناك فآله أعلم.

وعن ابن عباس: كان حبيب التجار قد أسرع فيه الجفام وكان كثير الصدقة قتله قومه (تفسير الطبري: ١٥٩/٢٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿أَدْخِلْ الْجَنَّةَ﴾ يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة فلما رأى فيها من النضرة والسرور ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ يعني ليؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي.

قال ابن عباس: نصح قومه في حياته ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وبعد مماته ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾. رواه ابن أبي حاتم.

وكذلك قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشئاً. لما عاين ما عاين من كرامة الله قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ غنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه.

قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَائِلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جند من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود (تفسير الطبري: ١٧٣/٢٢).

قال مجاهد وقاتة: وما أنزل عليهم جند أي رسالة أخرى.

قال ابن جرير (تفسير الطبري: ١٧٣/٢٢): والأول أولى

قلت: وأقوى؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي وما كنا نحتاج في الانتقام إلى هذا حين كذبوا رسلنا وقتلوا ولينا.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَائِلُونَ﴾ قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل عليه السلام فأخذ بعصا داتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَائِلُونَ﴾ أي قد أخذت أصواتهم وسكنت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف.

وهذا كله مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية؛ لأن هؤلاء أهلكوا بتكليفهم رسل الله إليهم وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين إليهم فلهاذا قيل: إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح.

فأما الحديث الذي رواه الطبراني (المعجم الكبير: ١١١٥٢) من حديث حسين الأشقر عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «السَّبْعُ ثَلَاثَةٌ فَالسَّابِقُ إِلَى مُوسَى يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَالسَّابِقُ إِلَى عِيسَى صَاحِبُ يَسَ وَالسَّابِقُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

فإنه حديث لا يثبت لأن حسيناً هذا متروك وشيعي من الغلاة وتفرده بهنا عما يدل على ضعفه بالكلية والله أعلم.

وكنا روي عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقاتة والزهري وغيرهم. قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب أنهم قالوا: وكان لما ملك اسمه أنطيوخس بن أنطيوخس وكان بعيد الأصنام فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم.

وهذا ظاهر أنهم رسل من الله عز وجل.

وزعم قتادة أنهم كانوا رسلًا من المسيح.

وكنا قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي: كان اسم الرسولين الأوليين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس والقرية أنطاكية.

وهذا القول ضعيف جداً؛ لأن أهل أنطاكية لما بعث إليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا أول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا كانت إحدى المدن الأربع التي تكون فيها بطارقة النصارى ومن أنطاكية والقنس وأسكندرية ورومية ثم بعدوا إلى القسطنطينية ولم يهلكوا وأهل هذه القرية المذكورة في القرآن أهلكوا كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق الرسلين ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ ثَلَاثَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن بعثوا إلى أهل أنطاكية قديماً فكثيرهم وأهلكهم الله ثم عمرت بعد ذلك.

فلما كان في زمن المسيح آمنوا برسله إليهم فلا يمنع هذا والله أعلم. فأما القول بأن هذه القصة المذكورة في القرآن هي قصة أصحاب المسيح فضعيف لما تقدم؛ ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضي أن هؤلاء الرسل من عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ ثَلَاثَ﴾ يعني لقومك يا محمد ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾ يعني المدينة.

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فمزنا بينهم أي أيدناهما بثالث في الرسالة ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ فردوا عليهم بأنهم بشر مثلهم كما قالت الأمم الكافرة لرسولهم يستبعدون أن يبعث الله نبياً بشراً فأجابوهم بأن الله يعلم أنا رسله إليكم ولو كنا كذبتنا عليه لعاقبتنا وانتقم منا أشد الانتقام.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

﴿فَقَالُوا إِنَّا نَطِّيرُكُمْ بِكُمْ﴾ أي نثأمتنا بما جثمتونا به.

﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ قيل: بالمقال. وقيل: بالفعل.

ويؤيد الأول قوله: ﴿وَلَيَكْسِبَنَّكُمْ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ توعدوهم بالقتل والإهانة.

﴿فَقَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي مردود عليكم ﴿إِنْ ذَكَّرْتُمْ﴾ أي بسبب أنا ذكرناكم بالهدى ودعوناكم إليه توعدوننا بالقتل والإهانة.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي لا تقبلون الحق ولا تريدونه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ يعني لنصرة الرسل وإظهار الإيمان بهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مَهْتَدُونَ أي يدعونكم إلى الحق المحض بلا أجر ولا جعالة.

ثم دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ما سواه عما لا ينفع شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿إِنِّي إِذْنًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي إن تركت عبادة الله وعبدت معه ما سواه.

فمن مكحول عشرة آلاف.

وروى الترمذي [٣٢٢٩] وابن جرير [١٠٤/٢٣] وابن أبي حاتم من حديث زهير عن سمع أبا العالية حدثني أبي بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْقَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: يزيدون عشرين ألفاً فلولا هذا الرجل المبهمة لكان هذا الحديث فاصلاً في هذا الباب.

وعن ابن عباس: كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً.

وعنه: وبضعة وثلاثين ألفاً.

وعنه: وبضعة وأربعين ألفاً.

وقال سعيد بن جبير: كانوا مائة ألف وسبعين ألفاً [هشرو الطبري: ١٠٤/٢٣].

واختلفوا هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده أو هما أمتان على ثلاثة أقوال هي مسبوقة في التفسير.

والمقصود أنه عليه السلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه ركب سفينة في البحر فلجأت بهم واضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها وكادوا يغرقون على ما ذكره المفسرون.

قالوا: فاشتدوا فيما بينهم على أن يقتلوا فمات فمات عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه.

فلما اقتربوا وقعت القرعة على نبي الله ﷺ فلم يسمحوا به فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضاً فشر ليخلع ثيابه ويلقي بنفسه فأبوا عليه ذلك.

ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضاً لما يريد الله به من الأمر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يُؤَسِّرُونَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أُبْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. فَالْقَوْمَ الْخُوتُ وَهُمْ مُلِيمٌ﴾.

وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة التي في البحر بيعت الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر الأخضر فالقمة وأمره الله تعالى أن لا تاكل له لحماً ولا يمشي له عظماً فليس لك برزق فأخذه طفاف به البحار كلها.

وليل: إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه.

قالوا: ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فإذا هو حي فخر لله ساجداً وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً لم يبدك أحد في مثله.

وقد اختلفوا في مقدار لبته في بطنه.

فقال مجاهد عن الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية.

وقال قتادة: مكث فيه ثلاثاً وقال جعفر الصادق: سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت:

وأتت بفضل منك غيبت يونساً وقد بات في أضماره حوت ليلياً
وقال سعيد بن أبي الحسن وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يوماً؛ والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه.

والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجة ويقتحم به ليج الموحج الأجاصي فسمع تسبيح الحيتان للرحمن وحتى سمع تسبيح الحصى لتلقا الحب والنوى ورب السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى.

فمعد ذلك وهناك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى وكشف الضر والبلى سامع

٣٨- قصة يونس عليه السلام

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ قَبْلَ هَاجِرِهَا إِلَى قَوْمٍ يُؤَسِّرُونَ لِمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُخِبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِذْ يُؤَسِّرُونَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أُبْقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. فَالْقَوْمَ الْخُوتُ وَهُمْ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ. قَبْلَ ذَلِكَ بِالْعَرَاءِ وَهُمْ يَسْمُونَ. وَرَأَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْقَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَأَمَّا فِتْنَتَانَهُمَا إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨]

وقال تعالى في سورة نون: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَا رَعْمَهُ مِنْ رَبِّهِ لَبَدَّ الْغَرَاءَ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الهم: ٤٨ - ٥٠]

قال أهل التفسير [نظر فسر الطبري: ٧٦/١٧]: بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وقرعوا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليه من أمرهم خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث.

قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من السلف والخلف: فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة ونعموا على ما كان منهم إلى نبيهم فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجزوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكوا وليه وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأهلهات وجارت الأنعام والدواب والمواشي ورجعت الإبل وفصلاتها وخارت البقر وأولادها وثقت الغنم وحملاتها وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورافته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم.

ولمّا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ قَبْلَ هَاجِرِهَا إِلَى قَوْمٍ يُؤَسِّرُونَ لِمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤَسِّرُونَ لِمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]

وقد اختلف المفسرون هل يفهمهم هذا الإيمان في الدار الآخرة فيقبلهم من العذاب الآخري كما اتفقهم من العذاب الدنيوي على قولين:

الأظهر من السياق نعم إن شاء الله، والله أعلم

كما قال تعالى: ﴿لَمَّا آمَنُوا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْقَةِ آلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَأَمَّا فِتْنَتَانَهُمَا إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧ - ١٤٨] وهذا المشاع إلى حين لا يعني أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخروي والله أعلم.

وقد كانوا مائة ألف لا محالة واختلفوا في الزيادة:

الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال في كتابه المئين المنزل على رسوله الأمين وهو أصلق القائلين ورب العالمين واله المرسلين ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذُعِبَ مُنَاصِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

﴿فَنظَرَ نَدِيبٌ أُنْزِلَ فِيهِ النَّجْدِ﴾ أي نصيب.

وقيل: معناه تقدّر من التقدير وهي لغة مشهورة قدّر وقدّر كما قال الشاعر:

فَلَا عَائِدَ ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِيرُ يَكُنْ فَذَلِكَ الْأَمْرُ

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك: ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل (تفسير الطبري: ٨٠/١٧).

وقال سالم بن أبي الجعد: ابتلع الحوت حوت آخر فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

قيل: معناه لولا أنه سبح الله هنالك وقال ما قال من التهليل والتسبيح والاعتراف لله بالخصوص والتوبة إليه والرجوع إليه للبث هنالك إلى يوم القيامة. ولبعث من جوف ذلك الحوت.

هذا معنى ما روي عن سعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه (تفسير الطبري: ٨١/١٧). وقيل: معناه ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ﴾ من قبل أخذ الحوت له ﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: المطيعين المصلين للذاكرين الله كثيراً.

قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وأبو العالية وهوب بن منه وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصري وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير (تفسيره: ٩٩/٢٣).

وشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد (٢٩٣/١)، ٣٠٣، ٣٠٧ وبعض أهل السنن (٢٥١٦) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لي: يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

وروي ابن جرير في تفسيره (٨١/١٧) والبرزاري في مسنده (كشف الأستار ٢٢٥٤) من حديث محمد بن إسحاق عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذ ولا تخدش لحماً ولا تكسر عظماً.

فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر.

قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة! قال: ذلك عبيدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم. قال: فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت ففقدته في الساحل كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]. هذا لفظ ابن جرير إسناداً ومتناً.

ثم قال البرزاري: لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد كذا قال. وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا أبو عبيد الله أحمد بن عبد

الرحمن ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثني أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه سمعت أس بن مالك - ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ - إن يونس النبي عليه السلام حين بنا له أن يدعو بهنك الكلمات وهو في بطن الحوت قال: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فأقبلت الدعوة تحسن بالعرش فقالت الملائكة: يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: يا رب ومن هو؟ قال: عبيدي يونس قالوا: عبيدك يونس الذي لم يزل يرفع له عملٌ مقبَلٌ ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: يا ربنا أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنبه من البلاء؟ قال: بلى؛ فأمر الحوت فطرحه في الماء.

ورواه ابن جرير (تفسيره: ١٠٠/٢٣) عن يونس عن ابن وهب به. زاد ابن أبي حاتم: قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة يقول: طرح بالعراء وأبى الله عليه البقيطة قلنا: يا أبا هريرة: وما البقيطة؟ قال: شجرة البلاء قال أبو هريرة: وهيا الله له أروية وحشية تاكل من خشاش الأرض أو قال: هشاش الأرض. قال: فتفتش عليه فتقويه من لبها كل عشية وبكرة حتى تبت.

وقال أمية ابن أبي الصلت في ذلك بيتاً من شعره:

فَسَأَلْتُ بَقِيظِيَا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَلْفَى ضَاحِيَا

وهذا غريب أيضاً من هذا الوجه وي زيد الرقاشي ضعيف ولكن يتقوى بحديث أبي هريرة المتقدم كما يتقوى ذاك بهذا والله أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَتَذْنَبَهُ﴾ أي القيتاه «بالعراء» وهو المكان القفر الذي ليس فيه شيء من الأشجار بل هو عار منها.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي ضعيف البدن.

قال ابن مسعود: كهية الفرج ليس عليه ريش (مصنف ابن أبي شيبة: ٥٤١/١١، ٥٤٢).

قال ابن عباس والسدي وابن زيد: كهية الصبي حين يولد وهو المنفوس ليس عليه شيء.

﴿وَأَنبَأْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾. قال ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وهوب ابن منه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني وغير واحد:

هو القرق (تفسير الطبري: ١٠٢/٢٣، ١٠٣).

قال بعض العلماء: في إنبات القرق عليه حكم جمة:

منها أن ورقه في غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره نيباً ومطبوخاً ويقشره ويزره أيضاً.

وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك وتقدم كلام أبي هريرة في تسخير الله تعالى له تلك الأروية التي كانت ترضعه لبنها وترعى في البرية وتأتي بكرة وعشية. وهذا من رحمة الله به ونعمته عليه وإحسانه إليه ولهذا

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي الكرب والضيق الذي كان فيه ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وهذا صنعنا بكل مؤمن دعائنا واستجار بنا.

قال ابن جرير (تفسيره: ٨٢/١٧): حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن

مالك وهو ابن أبي وقاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى» قال:

ورواه أحمد [٣٤٢/١] ومسلم [٢٣٧٦] وأبو داود [٤٦٦٩] من حديث شعبة به.

قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه: لم يسمع قتادة عن أبي العالية سوى أربعة أحاديث هذا أحدها.

وقد رواه الإمام أحمد [٢٥٤/١] عن عفان بن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «وما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى» فردد به أحمد ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير (١١٢٢)]: حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا عند الله خير من يونس بن متى» إسناده جيد ولم يخرجوه.

وقال البخاري [٣٤١٦]: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم سمعت حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

وكذا رواه مسلم [٢٣٧٦] من حديث شعبة به. وفي البخاري [٣٤١٥، ٣٤١٤] ومسلم [٢٣٧٣] من حديث عبد الله بن الفضل عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال: لا والذي اصطفى موسى على الآخرين.

قال البخاري في آخره: «ولا أقول: إن أحداً خير من يونس بن متى» أي: ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس. وفي رواية: «لا ينبغي لأحد أن يفضلني على يونس بن متى» كما ورد في بعض الأحداث «لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى».

وهذا من باب المضم والتواضع منه صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله والمرسلين.

٤٠- ذكر قصة موسى الكليم

عليه الصلاة والسلام

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا. وَنَايِبًا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَنَا نَجِيًّا. وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رُحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (ص: ٥١-٥٣).

ذكره بالرسالة والنبوة والإخلاص والتكليم والتقريب، ومن عليه بيان جعل أخاه هارون نبيًّا.

وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن. وذكر قصته في مواضع متعددة مبسطة ومتوسطة ومختصرة، وقد تكلمنا على ذلك كله في مواضع من التفسير وسنورد سيرته ههنا من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات التي ذكرها السلف وغيرهم إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

قال الله تعالى: ﴿طَسَمَ أَنْبَاءَ الْكُتُبِ الْمُؤْمِنِ. تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نُبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِحُزْنٍ لَقَرَمَ يُؤْمِرُونَ. إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِيعُ ظِلْفَهُ مِنْهُمُ يُدْعَىٰ أَبْنَاءَهُمْ وَتَسْتَحْيِي بَنَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

قُلْتُ: يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها». ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَتَأْتِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب. قال أبو خالد: أحسبه عن مصعب - يعني ابن سعد - عن سعد. قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن دعا بدعاء يونس استجيب له» قال أبو سعيد الأشج: يريد به ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وهذان طريقان عن سعد. وثالث أحسن منهما.

قال الإمام أحمد [١٧٠/١]: حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبي إسحاق المهداني حدثنا إبراهيم بن محمد بن سعد حدثني والذي محمد عن أبيه سعد وهو ابن أبي وقاص قال: مررت بعثمان بن عفان في المسجد فسلمت عليه فعلا عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين قال: لا وما ذاك؟ قلت: لا إلا أنني مررت بعثمان أتفا في المسجد فسلمت عليه فعلا عينيه مني ثم لم يرد علي السلام. قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال: ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك السلام؟ قال: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلى حتى حلف وحلفت.

قال ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى واستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بي أتفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تنشئ بصري وتلقي غشاة قال سعد: فأتنا أثبتك بها: إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته فلما اشتفت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: «من هذا؟» أبو إسحاق؟ قال قلت: نعم يا رسول الله قال: «فمه» قلت: لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة: ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك. قال: «نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له».

ورواه الترمذي [٣٥٠٥] والنسائي (كبرى (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢)) من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد به.

٣٩- ذكر فضل يونس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَنَبٍِّّ الْأَرْمَنِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٩). وذكره تعالى في جملة الأنبياء الكرام في سورتي النساء والأنعام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام.

وقال الإمام أحمد [٩٢/١]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي واثل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

ورواه البخاري [٣٤١٢، ٤٦٠٣] من حديث سفيان الثوري به. وقال البخاري أيضاً [٣٤١٣]: حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى» ونسبه إلى أبيه.

وعند أهل الكتاب أنه إما كان يأمر بذيخ الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم.

وفي هذا نظر بل هو باطل وإنما وقع هنا بعد بعثة موسى كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عَيْنِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [اعراف: ٢٥] ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿أَوْفِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَبِنَافِلَةٍ مَا جِئْتَنَا﴾ [الاعراف: ٢٦].

فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولاً حذراً من وجود موسى.

هذا والقدر يقول يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا تخالف أقداره أن هذا المولود الذي تحترق منه وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى لا يكون مرءاه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغني إلا بطعامك وشرابك في منزلك وأنت الذي تتبناه وتربيه وتعتده ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جامك به من الحق المبين وتكنيك ما أوحى إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد وأنه هو القوي الشليد ذو البأس العظيم والحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكروا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور خشوا أن تضاعف الكبار مع قتل الصغار فيصرون هم الذين يلون ما كان يليه بنو إسرائيل من الأعمال الشاقة فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فولد هارون عليه السلام في عام المساعة عن قتل الأبناء وولد موسى عليه السلام في عام قتلهم فضاعت أمه به ذرعاً واحتزرت من أول ما حبلت به ولم يكن يظهر عليها مخاض الحبل.

فلما وضعت الممت أن اتخذت له تابوتاً فربطته في حبل وكانت دارهما مناة للليل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في البحر وأمسكت طرف الحبل عندها فإذا ذهبوا استرجعته إليها به.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزَنِي إِنَّا زَاوَاهُ وَإِلَيْكَ رَاجِعُهُ مِن بَيْنِ الْأُفْسُسِ﴾. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين. وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْئْتُ عَيْنَ لَبِى وَلَكْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [قصص: ٧ - ٩].

هذا الوحي وحى إلهام وإرشاد.

كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩] الآية.

وليس هو بوحى نبوة كما زعمه ابن حزم (الفصل: ١٧/٥، ١٨) وغير واحد من المتكلمين بل الصحيح الأول كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة.

قال السهيلي (العرف والإعلام ص ٢٣٩): واسم أم موسى: يابوخ. وقيل: اياذخت.

والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكرناه وألقى في خلدها وروعاها أن لا تخافي ولا تحزني فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك وإن الله سيجعله نبياً مرسلًا يعلمي كلمته في الدنيا والآخرة فكانت تصنع ما أمرت به

مِنَ الْمُفْسِلِينَ. وَرَبُّهُ أَنْ تُؤْمِنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَتَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ [قصص: ١ - ٦].

يذكر تعالى ملخص القصة ثم يسطرها بعد هذا فذكر أنه سبحانه يتلو على نبيه خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق الذي كان سامعه مشاهد للامر معان له.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي تجبر وعنا وطنى وبني وأثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي قسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع.

﴿يُتَضَيَّفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقد سلب الله عليهم هذا الملك الظالم الناشم الكافر الفاجر يستعملهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأرذنها وأذناها ومع هذا ﴿يُلْبِغُ أَبْنَاءَهُمْ وَيُتَخَبَّضُونَ بِأَنَّهُمْ شِيَعُهُمْ﴾ إنه كان من المُفْسِلِينَ وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتلادسون فيما بينهم ما كانوا ياثرونه عن إبراهيم خليل الله عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك والله أعلم حين جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر ما جرى من إرادته إياها على سوء وعصمة الله لها.

وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل فتحدث بها القبط فيما بينهم ووصلت إلى فرعون في مجلس مسامرته مع امرأته وأساورته وهم يسمرون عنده فأمر عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذراً من وجود هذا الغلام ولن يخفي حذر من قدر.

وذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل. فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزاة والسحرة وسألم عن ذلك فقال له الكهنة: هنا غلام يولد من بني إسرائيل يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه فلها أمر بقتل الغلمان وترك النسوان؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّهُ أَنْ تُؤْمِنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وهم بنو إسرائيل.

﴿وَتَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: الذين يؤول ملك مصر وبلادها إليهم.

﴿وَتَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ أي: ستجعل الضعيف قوياً والمقهور قاهراً والدليل عزيزاً وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل كما قال تعالى: ﴿وَأَوْزَقْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُتَضَفَعُونَ مُلْكُ الْأَرْضِ وَمَقَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الاعراف: ١٣٧] الآية [هسو الطبري: ٣٨٨/١].

وقال تعالى: ﴿فَأَغْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيقُونَ. وَكَثُورٌ وَمَقَامٌ كَرِيمٌ. كَذَلِكَ وَأَوْزَقْنَاهُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٨ - ٥٩] وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن فرعون كل الاحتراز أن فرعون احتز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الجبال ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته.

فارسلكه ذات يوم وذعلت أن تربط طرف الحبل عندها فذهب مع النيل فمر على دار فرعون.

﴿فَالْقَظَّةُ أَكَّ فِرْعَوْنَ﴾ قال الله تعالى: ﴿لَيَكُونَنَّ لَهُمْ عَذَابٌ وَخَزَنَةٌ﴾.

قال بعضهم: هذه لام العاقبة وهو ظاهر إن كان متعلقاً بقوله ﴿فَالْقَظَّةُ﴾.

وأما إن جعل متعلقاً بمضمون الكلام وهو أن أك فرعون قيصوا لالتقاطه ليكون لهم عذاباً وخزناً صارت اللام معللة لغيرها والله أعلم. ويقوي هذا التفسير الثاني قوله: ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وهو الوزير السوء ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي كانوا على خلاف الصواب فاستحقوا هذه العقوبة والحسرة.

وذكر المسرور أن الجوارى التقطت من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعه بين يدي امرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف.

وقيل: إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى.

وقيل: بل كانت عمته؛ حكاه السهيلي (التاريخ والإعلام ص ٢٣٩) قاله أعلم.

وسياتي مدحها والثناء عليها في قصة مريم بنت عمران وأنهما يكونان يوم القيامة من أزواج رسول الله ﷺ في الجنة.

فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فلما رآته وقع نظرها عليه أحبه حباً شديداً.

فلما جاء فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه فاستوثبت منه ودفعت عنه وقالت: ﴿فَرُتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ فقال لها فرعون: أما لك نعم وأما لي فلا. أي لا حاجة لي به والبلاء موكل بالمتنطق.

وقرأها: ﴿عَسَى أَنْ يَتَغَيَّرَ﴾ وقد أنامها الله ما رجحت من النفع أما في الدنيا فهذهما الله به وأما في الآخرة فأسكنها جنة بسية.

﴿أَوْ تَخْذَلْهُ وَلَدًا﴾ وذلك أنها تبنياه لأنه لم يكن لها ولد.

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن قيصهم لالتقاطه من النعمة العظيمة بفرعون وجنوده.

وعند أهل الكتاب أن الذي التقطت موسى ورثته ابنة فرعون، وليس لامرأته ذكر بالكيفية. وهذا من غلطهم على كتاب الله، عز وجل. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فَوْأَدُ أُمِّ مُوسَى فَارْعَا إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِيَ بَو لَوْلَا أَنْ رَئَيْنَا عَلَى قَلْبِهَا لَيُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأَخِيهِ قُصِّبْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَخَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النقص: ١٠ - ١٣).

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم: ﴿وَأَصْبَحَ فَوْأَدُ أُمِّ مُوسَى فَارْعَا﴾ أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من أمر موسى ﴿إِنْ كَادَتْ لِتُبْدِيَ بَو﴾ أي لتظهر أمره وتسال عنه جهره ﴿لَوْلَا أَنْ رَئَيْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ أي صبرتناها وثبتناها ﴿لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأَخِيهِ﴾ وهي ابنتها الكبيرة ﴿قُصِّبْتُ﴾ أي اتبعني أثره واطلبي له خبره ﴿قُصِّبْتُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾.

قال مجاهد: عن بعد.

وقال قتادة: جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده.

ولها قال: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغفوه برضاة فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً فحاروا في أمره واجتهدوا على تغليفه بكل ممكن فلم يفعل. كما قال تعالى: ﴿وَخَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ﴾ فارسلوه مع القوايل والنساء إلى السوق لعلهم يجدون من يوافق رضاعته فينبأهم وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به اخته فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت: ﴿هَلْ أَذْلكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

قال ابن عباس (س كرى ١١٣٢٦)، تفسير الطبري: ١٦/١٦٥: لما قالت ذلك قالوا لها: ما يدريك بنصحهم وشفتهم عليه؟ فقالت: رغبة في صهر الملك ورجاء منفعة فاطلقوها وذهبوا معها إلى منزلهم فاختته أمه، فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى آسية يعلمها بذلك فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها وأن تحسن إليها فأبى عليها وقالت: إن لي بعلأ وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسله معي فارسلته معها وربت لها واتب وأجرت عليها النفقات والكساوي والهبات فرجعت به تحمزه إلى رحلها وقد جمع الله شمله بشملها.

قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي كما وعدناها برده ورسالته فهذا رده وهو دليل على صدق البشارة برسالة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقد امتن الله بهذا على موسى ليلة كلمه فقال له فيما قال له: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنْ أَقْبِيهِ فِي الثُّبُوتِ فَأَقْبِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ وذلك أنه لا يراه أحد إلا أحبه ﴿وَلِنُصْنَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ قال قتادة وغير واحد من السلف: أي تطعم وترفه وتنشئ بأطيب المأكول وتلبس أحسن الملابس بمرأى مني وذلك كله بحفظي وكلائي لك فيما صنعت بك لك وقدرته من الأمور التي لا يقدر عليها غيره.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (طه: ٤٠).

وسنورد حديث الفتون في موضعه بعد هذا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَّاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَةِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَكَرَهُهُ مُوسَى فَقَصَّ عَنْهُ قَلْبَهُ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَمْتُ عَلَيْ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (النقص: ١٤ - ١٧).

لما ذكر تعالى أنه أنعم على أمه برده إليها وإحسانه بذلك وامتنانه عليها شرع في ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى وهو احتكام الحلق والحلق وهو سن الأربعين في قول الأكرمين آتاه الله حكماً وعِلماً وهو النبوة والرسالة التي كان بشر بها أمه حيث قال: ﴿إِنَّا زَاوَوْهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ثم شرع في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هنالك حتى كمل الأجل وانقضى الأمد وكان من كلام الله له وإكرامه بما أكرمه به كما سيأتي.

قال تعالى: ﴿وَوَحَّلَ الْمُنِيَّةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَمَلِهَا﴾.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي: وذلك نصف النهار. وفي رواية عن ابن عباس: بين العشائين وهمو الطوي: [٤٤/٢٠].

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أي يتضارسان ويتهاوشان ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي قبطي؛ قاله ابن عباس وقتادة والسدي وعبد بن إسحاق.

﴿فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام كان له بليار مصر صولة بسبب نسبه إلى تبني فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاعة وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخواله أي من الرضاعة.

فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبطي أقبل إليه موسى ﴿فَوَكَزَهُ﴾.

قال مجاهد: أي طعنه بجمع كفه.

وقال قتادة: بصما كانت معه.

﴿فَفَضَى عَلَيْهِ﴾ أي فمات منها.

وقد كان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكلية وإنما أراد زجره وودعه ومع هذا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْتَمْتُ عَلَىٰ﴾ أي من العز والجاه ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿فَاصْبَحَ نَبِيَّ الْمُنِيَّةِ خَائِضًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَنَوِي مُبِينٌ. فَلَمَّا أَنْ آزَدَ أَنْ يَطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ. وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِضًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ١٧ - ٢١]

يخبر تعالى أن موسى أصبح بمدينة مصر ﴿خَائِضًا﴾ أي من فرعون وملك أن يعلموا أن هذا القتل الذي رفع إليه أمره إنما قتله موسى في نصرة رجل من بني إسرائيل فتقوى ظنونهم أن موسى منهم ويترتب على ذلك أمر عظيم فصار يسير في المدينة في صبيحة ذلك اليوم ﴿خَائِضًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي يتلفت فينبأ هو كذلك إذا ذلك الرجل الإسرائيلي ﴿الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد قتله فعنفه موسى ولامه على كثرة شره وخاصته. قال له: ﴿إِنَّكَ لَنَوِي مُبِينٌ﴾.

ثم أراد أن يطش بذلك القبطي الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي فبرده عنه وبخلصه منه فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

قال بعضهم: إنما قال هذا الكلام الإسرائيلي الذي اطلع على ما كان صنع موسى بالأمس وكأنه لما رأى موسى مقبلاً إلى القبطي اعتقد أنه جاء إليه لما عنفه قبل ذلك بقوله ﴿إِنَّكَ لَنَوِي مُبِينٌ﴾ فقال ما قال لموسى وأظهر الأمر الذي كان وقع بالأمس فلذهب القبطي فاستمدى فرعون على موسى. وهذا الذي لم يذكره كثير من الناس سواء.

ويحتمل أن قاتل هذا هو القبطي وأنه لما رآه مقبلاً إليه خافه ورأى من

سجته انتصاراً جيداً للإسرائيلي فقال ما قال من باب الظن والفراسة أن هذا لعله قاتل ذلك القاتل بالأمس أو لعله فهم من كلام الإسرائيلي حين استصرخه عليه ما دله على هذا والله أعلم.

والمقصود أن فرعون بلغه أن موسى هو قاتل ذلك المقتول بالأمس فأرسل في طلبه وسبقهم رجل ناصح من طريق أقرب.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ ساعياً إليه مشفقاً عليه فقال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ أي: من هذه البلدة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ أي: فيما أقوله لك.

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِضًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي فخرج من مدينة مصر من فوره على وجهه لا يهتدي إلى طريق ولا يعرفه قاتلاً ﴿وَبُ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ رَبِّهِ قَالَ غَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا تَسْقِيَنَا حَتَّى يُصَدِّقَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٤].

يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر ﴿خَائِضًا يَتَرَقَّبُ﴾ أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وذلك لأنه لا يخرج من مصر قبلها.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ رَبِّهِ﴾ أي: اتجه له طريق يذهب فيه ﴿قَالَ غَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي عسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود. وكما وقع أوصفته إلى مقصود وأي مقصود ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وكانت برأ يسقون منها.

ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة وهم قوم شيب عليه السلام. وقد كان هلاكهم قبل زمن موسى عليه السلام في أحد قولي العلماء.

ولما ورد الماء المذكور ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي: تكفكانا غنهما أن تختلط بغنم الناس.

وعند أهل الكتاب أنهم كن سبع بنات. وهذا أيضاً من الغلط ولعله كان له سبع، ولكن إنما كان تسقى اثنتان منهن.

وهذا الجمع ممكن إن كان ذلك حفوظاً وإلا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بتان.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا تَسْقِيَنَا حَتَّى يُصَدِّقَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي لا تقدر على ورد الماء إلا بعد صدور الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف آبينا وكبره قال الله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾

قال المفسرون: وذلك أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من ردهم وضعوا على قم البئر صخرة عظيمة فتجسيء هاتان المرأتان فيشرعان غنهما في فضل اغنام الناس.

فلما كان ذلك اليوم جاء موسى ورفع تلك الصخرة وحده. ثم استقى لهما وسقى غنهما ثم رد الصخرة كما كانت.

قال أمير المؤمنين عمر: وكان لا يرفعه إلا عشرة [مصف ابن أبي شبة: ٥٣٠/١١].

وإنما استقى ذنوباً واحداً فكفاهما. ثم تولى إلى الظل. قالوا: وكان ظل شجرة من السمرة.

وروى ابن جرير (هسوة: ٥٨/٢٠) عن ابن مسعود أنه رآها خضراء

توف **﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾**

قال ابن عباس: سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافياً فسقطت نعلاه فقدمه من الخفاء وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وأنه محتاج إلى شق ثمرة **﴿هوَ الطيرى: ٥٩/٢٠﴾**

قال عطاء بن السائب: لما قال: **﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** اسم المرأة **﴿هوَ الطيرى: ٥٩/٢٠﴾**

﴿فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتَا اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْبَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيِّتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ **﴿القصص: ٢٥ - ٢٨﴾**

لما جلس موسى عليه السلام في الظل وقال **﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾** سمعت المراتان فيما قيل فذهبتا إلى أبيهما فيقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما فأخبرتهما ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه **﴿فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** أي مشي الحرار.

قال عمر رضي الله عنه: تستر وجهها بكم درعها **﴿هوَ الطيرى: ٥٩/٢٠﴾** **﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾** صرحت له بهذا لتلا يومهم كلامها ربة. وهذا من تمام حياتها وصباتها. **﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾** أي: وأخبره خبره وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فرارا من فرعونها **﴿قَالَ لَهُ﴾** ذلك الشيخ **﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** أي خرجت من سلطانهم فلست في دولتهم.

وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟

ف قيل: هو شعيب عليه السلام. وهذا هو المشهور عند كثيرين.

ومن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس.

وجاء مصرحاً به في حديث ولكن في إسناده نظر.

وصرح طائفة بأن شعيباً عليه السلام عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أذكركه موسى عليه السلام وتزوج بابه.

وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري: أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالثني صاحب مدين.

وقيل: إنه ابن أخي شعيب.

وقيل: ابن عمه.

وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب.

وقيل: رجل اسمه يثرون هكنا هو في كتب أهل الكتاب يثرون؟ كاهن مدين أي كبيرها وعالمها.

قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله: اسمه يثرون.

زاد أبو عبيدة: وهو ابن أخي شعيب.

زاد ابن عباس: صاحب مدين.

والمتصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه وقص عليه ما كان من أمره بشره

بأنه قد لحا فعد ذلك قالت: إحدى البنتين لأبيها **﴿يَا أَبَتَا اسْتَأْجِرْهُ﴾** أي لري غنمك ثم مدحته بأنه **﴿قَوِيٌّ أَمِينٌ﴾**.

قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة وعمد بن إسحاق وغير واحد: لما قالت ذلك قال لها أبوها: وما علمك بهذا؟ فقالت: إنه رفع صخرة لا يطبق رفعها إلا عشرة. وأنه لما جثت معه تقدمت أمامه فقال: كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فاحذني في بحصة أعلم بها كيف الطريق.

قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامراته **﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾**. وصاحبة موسى حين قالت **﴿يَا أَبَتَا اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾** وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب **﴿السلوك: ٩٠/٣﴾** **﴿هوَ الطيرى: ١٢٦/١٢﴾**

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْبَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

استدل بهذا جماعة من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدتين أو الثورين ونحو ذلك أنه يصح لقوله **﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾**.

وفي هذا نظر لأن هذه مراوضة لا معاقلة والله أعلم.

واستدل أصحاب أحمد على صحة الإيجار بالطعمة والكسوة كما جرت به العادة واستأنسوا بالحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه [٢٤٤٤] مترجماً في كتابه (باب استئجار الأجير على طعام بطنه): حدثنا محمد بن المصنف الحمصي حدثنا بقيق بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال: سمعت عتبة بن النضر يقول: كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ **﴿طس﴾** حتى إذا بلغ قصة موسى قال: **﴿إِنَّ موسى عليه السلام أجز نفسه ثمانين سنين أو عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه﴾**.

وهنا من هذا الوجه لا يصح لأن مسلمة بن علي الحسيني الدمشقي البلاطي ضعيف عند الأئمة لا يحتج بنفره.

ولكن قد روى من وجه آخر:

فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لمية وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لمية عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال: سمعت عتبة بن النضر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **﴿إِنَّ موسى عليه السلام أجز نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه﴾**.

ثم قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيِّتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾** **﴿القصص: ٢٨﴾**.

يقول: إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت فأيهما قضيت فلا عدوان عليّ والله على مقالتك سامع وشاهد ووكيل عليّ وعليك ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين وأتبعهما وهو العشر سنين كرامل تامه.

قال البخاري [٢٦٨٤]: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الألفس عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت فسلت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل.

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقد رواه النسائي [بحري (١١٣٢٦)] في حديث القرون كما سيأتي من طريق القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير به.

وقد رواه ابن جرير [هشرو: ٦٨/٢٠] عن أحمد بن محمد الطوسي.

وابن أبي حاتم عن أبيه كلاهما عن الحميدي عن سفيان بن عيينة: حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أتمهما وأكملهما». وإبراهيم هذا غير معروف إلا بهذا الحديث.

وقد رواه البزار [كشف الأسرار (٢٢٤٥)] عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن عيينة عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره.

وقد رواه سنيذ عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مرسل أن رسول الله ﷺ سأل عن ذلك جبريل فسأل جبريل إسرائيل فسأل إسرائيل الرب عز وجل فقال: أبرهما وأوفاهما [هشرو الطبري: ٦٨/٢٠، ٦٩].

ويحويه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرج مرسل.

ورواه ابن جرير [هشرو: ٦٨/٢٠] من طريق محمد ابن كعب أن رسول الله ﷺ سئل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأتمهما».

وقد رواه البزار [كشف الأسرار (٢٢٤٤)] وابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران الجوزي وهو ضعيف عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأبرهما» قال: وإن سئلت أي المراتين تزوج؟ قل: الصغرى منهما.

وقد رواه البزار [كشف الأسرار (٢٢٤٦)] وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن لمية عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح عن عتبة بن النضر أن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى أجز نفسه بعبء فرجه وطعام بطنه». فلما وفي الأجل قيل: يا رسول الله أي الأجلين؟ قال «أبرهما وأوفاهما».

فلما أراد فراق شبيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه من قالب لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداً حسناً فانطلق موسى عليه السلام إلى عصا قسمها من طرفها. ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة قال: فأنثمت وأثلثت ووضعت كلها قوالب اللون إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعلول ولا كمشة فتوت الكف قال النبي ﷺ: «لو افتحمت الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية».

قال ابن لمية: الفشوش واسعة الشخب والضبوب طويلة الضرع تحمر والعزوز ضيقة الشخب والثعلول الصغيرة الضرع كالحلمين والكمشة التي لا يحكم الكف على ضرعها لصغره.

وفي صحة رفع هذا الحديث نظر. وقد يكون موقوفاً كما قال ابن جرير [هشرو: ٦٩/٢٠] حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة حدثنا أس بن مالك قال: «لما دعا بني الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه: كل شاة ولدت على لونها فلك ولداً فعمد فوضع خيلاً على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة

فولدت كلهن بلقاً إلا شاة واحدة فذهب بأولادهن ذلك العام».

وهذا إسناد رجاله ثقات والله أعلم.

وقد تقدم عن نقل أهل الكتاب عن يعقوب عليه السلام حين فارق خاله لابان أنه أطلق له ما يولد من غنمه بلقاً ففعل نحو ما ذكر عن موسى عليه السلام فإله أعلم.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ. فَلَمَّا أَنَا نَارُ نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا جَذلاً وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ. اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَتَضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٢].

تقدم أن موسى قضى أم الأجلين وأكملهما وقد يؤخذ هذا من قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾.

وعن مجاهد أنه أكمل عشراً وعشراً بعدها.

وقوله: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ أي من عند صهره ذاهباً فيما ذكره غير واحد من المفسرين وغيرهم أنه اشتاق إلى أهله فقصده زيارتهم ببلاد مصر في صورة غنم فلما سار بأهله ومعه ولدان منهم وغنم قد استفادها مدة مقامه.

قالوا: واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف وجعل يوردي زناه فلا يوردي شيئاً واشتد الظلام والبرد فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد نيراً تاجج في جانب الطور وهو الجبل الغربي منه عن يمينه فقال لأهله: «امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً» وكانه والله أعلم رأها دونهم؛ لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ولا تصلح رؤيتها لكل أحد.

﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي لعلي استعلم من عندها عن الطريق. ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة لقوله في الآية الأخرى: ﴿وَمَلَأْنَا جَبْهَتَ مُوسَى نُورًا إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩ - ١٠] فدل على وجود الظلام وكونهم تاهوا عن الطريق.

وجمع الكل في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].

وقد اتاهم منها بخبر وأي خبر! ووجد عندها هدى وأي هدى! واقتبس منها نوراً وأي نور!

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنَا نَارُ نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال تعالى في النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨] أي سبحان الله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩].

وقال في سورة طه: ﴿فَلَمَّا أَنَا نَارُ نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَتَضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ

فسبحان القدير العظيم رب المشرقين ورب المغربين. ثم أمره تعالى بإدخال يده في جيبه. ثم أمره بترعها فإذا هي تلالاً كالقمر يابضاً من غير سوء أي من غير برص ولا بهق. ولهذا قال: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢] قبل معناه. إذا خفت فضع يداك على فؤادك يسكن جاشك وهذا وإن كان خاصاً به إلا أن بركة الإيمان به حتى الإيمان يتبع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء.

وقال في سورة النمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢] أي هاتان الآيتان وهما العصا واليد وهما البرهانان المشار إليهما في قوله: ﴿فَنَذِيكُ بُرْهَانَيْنِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ومع ذلك سبع آيات آخر فلذلك تسع آيات بينات وهي المذكورة في آخر سورة سبحة سبحان حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَلَمَّا نَبَى إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا. قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَتَى أَنْزَلُ سَؤْلَهُ إِلَّا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الاسراء: ١٠١ - ١٠٢].

وهي المبسوطة في سورة الأعراف في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ. فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ شَيْئَةٌ يَطْفِرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِفَةٌ مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَقَالُوا مَهْذَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ أَمَةٍ لَتُفْسَدُنَا بَهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. فَاذْرُنَا عَلَى سَطْرَ الْطُرُقِ وَالْجَزَاءَ الْقَمَلُ وَالضَّمَانُغُ وَالذَّمَّ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣].

كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه.

وهذه التسع آيات غير العشر الكلمات فإن التسع من آيات الله القدرة والعشر من كلماته الشرعية وإنما هنا على هذا لأنه قد اشبه أمرها على بعض الرواة فظن أن هذه هي هذه كما قررنا ذلك في تفسير آخر سورة بني إسرائيل.

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَعُ مِنِّي لِسَانًا فَارْسِلْهُ مَعِيَ رَدَاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّبُونِ. قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ مَا أَبَاتِنَا أَنَّمَآ وَمَنْ أَتَّبَعْنَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص: ٢٢ - ٣٥].

يقول تعالى غيراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى عليه السلام في جوابه لربه عز وجل حين أمره بالذهاب إلى عدوه الذي خرج من ديار مصر فراراً من سطوته وظلمه حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي؛ ولهذا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ. وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَعُ مِنِّي لِسَانًا فَارْسِلْهُ مَعِيَ رَدَاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّبُونِ. أَيِ اجْعَلْهُ مَعِيَ مَعِيناً وَرَدَاً وَوَزيراً يَسَاعِدُنِي وَيَعِينُنِي عَلَى آدَاءِ رِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَاناً وَأَبْلَغُ بَيَاناً.

قال الله تعالى جيباً له إلى سؤاله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا﴾ أي برهاناً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ مَا أَبَاتِنَا﴾ أي فلا يتناولون منك ماكرها بسبب قيامها بالآيات.

وقيل: ببركة آياتنا.

﴿أَنَّمَا وَمَنْ أَتَّبَعْنَا الْغَالِبُونَ﴾.

أَخْبِيهَا لِيَتَجَرَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْتَعِي. فَلَا يَصْلُشْكُ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرَى﴾ [طه: ١١ - ١٦]

قال غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فأنشأ إليها وجدها تاجج في شجرة خضراء من العوسج وكل ما لتلك النار في اضطرام وكل ما لحضرة تلك الشجرة في ازدياد فوق متمجياً وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي عن يمينه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤].

وكان موسى في واد اسمه طوى فكان موسى مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالواد المقدس طوى فامر أولاً بمطلع عليه تنظيمياً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة.

وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفاً على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلًا له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ﴾ أي أنا الله رب العالمين الذي لا تصلح العبادة واقعة الصلاة إلا له.

ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يسوم القيامة التي لا يد من كونها ووجودها ﴿لِيَتَجَرَّى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أي من خير وشر.

وحضه وحته على العمل لما وعجابه من لا يؤمن بها من عصي مولاه واتباع هواه.

ثم قال له خاطباً ومؤانساً ومينياً له أنه القادر على كل شيء الذي يقول للشيء: كن فيكون. ﴿وَمَا تَلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى﴾ أي: أما هذه عصاك التي تعرفها منذ صحبتها ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَمْشِي بِهَا عَلَى غَنِيٍّ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾. أي بل هذه عصاي التي أرفقها وأحققها: ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَا مُوسَى. قَالَفَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾. وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء: كن فيكون وأنه الفعال بالاختيار.

وعند أهل الكتاب سأل برهاناً على صدقه عند من يكذبه من أهل مصر فقال له الرب عز وجل: ما هذه التي في يداك؟ قال عصاي قال: ألقها إلى الأرض ﴿قَالَفَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ فهرب موسى من قدامها فامر الرب عز وجل أن يسط يده ويأخذها بذنبها فلما استمكن منها ارتدت عصا في يده وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا فَتَرَى كَلْبًا جَاءَ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وآتياب تصك وهي مع ذلك في سرعة حركة الجبان وهو ضرب من الحيات. يقال له: الجبان والجنان وهو لطيف ولكنه سريع الاضطراب والحركة جداً.

فهذه جمعت الضخامة والسرعة الشديدة فلما عاينها موسى عليه السلام ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ أي هارباً منها لأن طبيعته البشرية تقتضي ذلك ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي ولم يلتفت ﴿فناداه ربه﴾ قائلًا له: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ فلما رجع أمره الله تعالى أن يسكبها: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتَجِدُنَا سَبِيلَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] فيقال: إنه ماها شديداً فوضع يده في كم مدرعته ثم وضع يده في وسط فمها.

وعند أهل الكتاب بذنبها.

فلما استمكن منها إذا هي قد عادت كما كانت عصاً ذات شعبتين

نِعْمَةً تَمْنَاهَا عَلَيَّ أَلَا عَدِيتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» [الشعراء: ٢٢] أي وهذه النعمة التي ذكرت من أنك أحسنت إلي وأنا رجل واحد من بني إسرائيل، تقابل ما استخدمت هذا الشعب العظيم بكماله واستعبدتهم في أعمالك وخدمتك وأشغالك.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ آلَا تَسْمَعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨].

يذكر تعالى ما كان بين فرعون وموسى من المرافلة والحاجة والمناظرة وما أقامه الكليم على فرعون اللثيم من الحججة العقلية المعنوية ثم الحسية. وذلك أن فرعون قبحه الله أظهر جحد الصانع تبارك وتعالى. وزعم أنه الإله ﴿فَحَنَرْتَ فَنَاقَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [الأنعام: ٢٣ - ٢٤]

وقال ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ مُنْذَرْتُ لَكُمْ مِنْ آلَاءِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مريبوب، وأن الله هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُمَا مِصْرًا وَتَمَثَّلَ لَهَا تَزْلُزًا قَدِيرًا. فَذَرَاهَا فَتَنَّا بِهِيَ الْفِرْعَوْنَ فَتَى مُتَمَنِّيًا أَنْ يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته والإظهار أنه ما ثم رب أرسله ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنهما قالا له: ﴿إِنَّمَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكانه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي ترعمان أنه أرسلكما وابتعثكما؟ فاجابه موسى قائلا: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يعني رب العالمين خالق السماوات والأرض المشاهدة وما بينهما من المخلوقات المتجددة من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات التي يعلم كل مرقق أنها لم تحدث بأنفسها، ولا بد لها من موجد وخالق، وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين.

﴿قَالَ أَيُّ فِرْعَوْنَ﴾ [يُنْصَرَفُ] ﴿لِمَنْ حَوَّلَهُ﴾ من أمراه ومرازته ووزرائه على سبيل التهمك والتقص لما قرره موسى عليه السلام: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾. يعني كلامه هذا، قال موسى مخاطبا له ولهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾. أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الأبد، فإن كل أحد يعلم أنه لم يخلق نفسه، ولا أبوه، ولا أمه، ولم يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين.

وهذان اللغمان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَتَرْنَاهُمْ بِأَبْنَاءٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى نَتَّبِعَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [هصلت: ٥٣] ومع هذا كله لم يستقم فرعون من رقلته ولا نزاع عن ضلالته، بل استمر على طغيانه وعنده وكفراته ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢٧، ٢٨] أي هو المسخر لهذه الكواكب الزاهرة. المسيرة للأفلاك الدائرة. خالق الظلام والضياء. ورب الأرض والسما ورب الأولين والآخرين، خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الخائرة، خالق الليل بظلامه، والنهار بضياه، والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرهم، وفي فلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء.

فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهه ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتُ آلِهَاءَ غَيْرِيَ لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ. قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا

وقال في سورة طه: ﴿ادْعَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاجْلُزْ عَفْوَكَ عَنْ لِسَانِي. يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٤ - ٢٨].

قيل: إنه أصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على لسانه التي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله فخافت عليه آسية وقالت: إنه طفل فاختبره بوضع غرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ التمرة فصرف الملك يده إلى الجمرة فأخذها فوضعها على لسانه فاصابه لثغة بسببها فسال زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسال زوالها بالكلية.

قال الحسن البصري: والرسل إنما يسألون بحسب الحاجة. ولهذا بقيت في لسانه بقية؛ ولهذا قال فرعون قبحه الله فيما زعم أنه يعيب به الكليم ﴿وَلَا يَكْذِبُ يَتِيمَ﴾ [الزخرف: ٥٢] أي يفصح عن مراده ويعبر عما في ضميره وفزاده.

ثم قال موسى عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ تَسْبَحَ بِكَبِيرٍ. وَتَذَكَّرَ كَبِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٢٩ - ٣٦] أي قد أجبناك إلى جميع ما سألت وأعطيناك الذي طلبت؛ وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين شفع أن يوحى الله إلى أخيه فأوحى إليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾ [الاحزاب: ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مریم: ٥٣].

وقد سمعت أم المؤمنين عائشة رجلا يقول لأنتاس وهم سائرهم في طريق الحج: أي اخ امرئ على أخيه؛ فسكت القوم فقالت عائشة لمن حول هودجها: هو موسى بن عمران حين شفع في أخيه أن يكون نبيا يوحى إليه قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مریم: ٥٣]

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ اصْنِ فِئْتَمَ الْغُلَامِينَ. فَرَمَ فِرْعَوْنُ آلَا يَتَّقُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون. وَيَضْحِكُوا وَلا يَتَّقُونَ لِسَانِي فَأَرْسَلْنَا إِلَى هَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون. قَالَ كُلًّا فَاذْعَبْ بِأَيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ. فَاتَّيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَدْرَأْسِلُ مَتَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نَرْكَبْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْنَا فِينَا مِمَّنْ عُمَّرِكُ سِينًا. وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ الْيَاقِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٠ - ١٩].

تقدير الكلام: فأتياه فقال له ذلك، وبلغاه ما أرسلتما به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأن يسلك أسارى بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاؤوا، ويترغون لتوحيدهم ودعائه والتضرع لديه، فتكر فرعون في نفسه وعتا وطفسى، ونظر إلى موسى بعين الازدراء والتقص قائلا له: ﴿أَلَمْ نَرْكَبْ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْنَا فِينَا مِمَّنْ عُمَّرِكُ سِينًا﴾ أي أما أنت الذي ربيته في منزلنا وأحسننا إليه واتممنا عليه مدة من الدهر، وهذا يدل على أن فرعون الذي بعث إليه هو الذي فر منه خلافا لما عند أهل الكتاب من أن فرعون الذي فر منه مات في مدة مقامه بمدين وأن الذي بعث إليه فرعون آخر.

وقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكُ الْيَاقِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي وقتلت الرجل القبطي وفرت منا وجحدت نعمتنا ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِنَّا وَتْنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: قبل أن يوحى إلي وينزل علي ﴿فَفَزَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَعَبْتُ لِي رَيْبِي حُكْمًا وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ثم قال جيبا لفرعون عما امتن به من التربة والإحسان إليه ﴿وَتِلْكَ

مَيَّ يَنْفِضُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء: ٢٩ - ٣٣].

وهذان هما البرهتان اللذان أيد الله بهما وهما: العصا واليد. وذلك مقام أظهر فيه الخارق العظيم الذي بهر به العقول والأبصار حين القى عصاه ﴿فَإِنَّا هِيَ ثُبَاتٌ مُبِينٌ﴾، أي عظيم الشكل بديع في الضخامة والهور والمنظر العظيم، القطع الباهر، حتى قيل: إن فرعون لما شاهد ذلك وعانيه أخذه وهب شديد وخوف عظيم، بحيث إنه حصل له إسهال عظيم أكثر من أربعين مرة في يوم واحد، وكان قبل ذلك لا يتبرز في كل أربعين يوماً إلا مرة واحدة، فانعكس عليه الحال.

وهكذا لما أدخل موسى عليه السلام يده في جيبه واستخرجها، أخرجها وهي كقلعة القمر تلالاً نوراً يهر الأبصار، فلذا عادها إلى جيبه رجعت إلى صفها الأول، ومع هذا كله لم ينتفع فرعون لعنه الله بشيء من ذلك، بل استمر على ما هو عليه، وأظهر أن هذا كله سحر، وأراد معارضته بالحرارة، فأرسل يجمعهم من سائر مملكته ومن في رعيته ونحنت قهره ودولته، كما سيأتي بسطه وبيانه في موضعه من إظهار الله الحق المبين والحجة الباهرة القاطعة على فرعون وملاته وأهل دولته وملته والله الحمد والمنة.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَتَرٍ يَا مُوسَى. وَأَصْلَحْنَاهُ لِنَفْسِي. أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَ رَبُّنَا إِنَّا تَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئَ. قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مُعَذِّبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَأْتُونَ﴾ [طه: ٤٠ - ٤٦].

يقول تعالى مخاطباً لموسى فيما كلمه به ليلة أوحى إليه وإنعم بالنوبة عليه، وكلمه منه إليه: قد كنت مشاهداً لك وأنت في دار فرعون، وأنت تحت كفي وحفظي ولطفي، ثم أخرجتك من أرض مصر إلى أرض مدين بمشيتي وقدرتي وتديري فلبيت فيها سنين ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَتَرٍ﴾ أي مني لذلك، فوافق ذلك تقديري وتسيري.

﴿وَأَصْلَحْنَاهُ لِنَفْسِي﴾ أي أصفيتك لنفسي برسالي وبكلامي. ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ يعني ولا تنفرا في ذكري إذ قدمت عليهما، ووفدنا إليه، فإن ذلك عون لكما على مخاطبته ومجاوبته، وإهداء النصيحة إليه، وإقامة الحججة عليه.

وقد جاء في بعض الأحاديث (٢٣٥٨٠) يقول الله تعالى: «إن عبيدي كل عبيدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظُوا وَذِكْرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] الآية.

ثم قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورافته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره، وهو إذ ذاك أردى خلقه، وقد بعث إليه صفوته من خلقه في ذلك الزمان، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعوا إليه بالتي هي أحسن برفق ولين، وبعملاء معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى، كما قال تعالى لرسوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الحج: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٦].

قال الحسن البصري: ﴿قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ﴾ أعذراً إليه، قولاً له: إن لك رياءً ولك معاداً، وإن بين يديك جنة ونارا.

وقال وهب بن منبه: قولاً له: إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة.

وقال يزيد الرقاشي عند هذه الآية: يا من يتحجب إلي من يماديه، فكيف بمن يتولاها ويناديه.

﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا تَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئَ﴾. وذلك أن فرعون كان جباراً عنيداً وشيطاناً مرعباً له سلطان في بلاد مصر طويل عريض، وجاه وجنود وحسار وسطوة فهابية من حيث البشرية، وخاف أن يسطو عليها في بادئ الأمر، فثبتهما تعالى وهو العلي الأعلى، فقال: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مُعَذِّبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَأْتُونَ﴾. كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا مُعَذِّبُكُمْ مُتَعَمِّدُونَ﴾.

﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ فَذَٰ جَنَّاتِكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَيْتَ الْهُدَى. إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٧ - ٤٨].

يذكر تعالى أنه أمرهما أن ينهيا إلى فرعون فيدعوا إلى الله تعالى أن يعبد وحده لا شريك له وأن يرسل معهم بني إسرائيل ويطلقهم من أسرهم وقهرهم ولا يعذبهم.

﴿قَدْ جَنَّاتِكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو الرهان العظيم في العصا واليد. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَيْتَ الْهُدَى﴾ تعيد مفيد بليغ عظيم. ثم تهدده وتوعده على التكذيب فقالا: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. أي كذب بالحق بقلبه وتولى عن العمل بقلبه.

وقد ذكر السدي وغيره (الربيع الطوي: ٤٠٣/١) أنه لما قدم من بلاد مدين دخل على أمه وأخيه هارون، وهما يتعشيان من طعام فيه الطفشيل وهو اللث فاكل معهما. ثم قال: يا هارون إن الله أمرني وأمرك أن ندعو فرعون إلى عبادته، فقم معي، فقاما يقصدان باب فرعون فإذا هو مغلق، فقال موسى للبرابيين والحجبة: أعلموه أن رسول الله بالباب، ففعلوا يسخرون منه ويسهزون به.

وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذن لهما عليه إلا بعد حين طويل. وقال محمد بن إسحاق: أذن لهما بعد ستين لأنه لم يك أحد يتجاسر على الاستئذان لهما قاله أعلم (الربيع الطوي: ٤٠٥/١).

ويقال: إن موسى تقدم إلى الباب فطرقة بعصاه فانزعج فرعون، وأمر بإحضارهما فوقفا بين يديه فدعوا إلى الله عز وجل كما أمرهما.

وعند أهل الكتاب أن الله قال لموسى عليه السلام: إن هارون السلاوي - يعني الذي من نسل لاوي بن يعقوب - سيخرج ويتلفك، وأمره أن يأخذ معه مشايخ بني إسرائيل إلى عند فرعون وأمره أن يظهر ما أمته من الآيات. وقال له: ساقني قلبه فلا يرسل الشعب، وأكثر آياتي وأعاجيبي بأرض مصر. وأوحى الله إلى هارون أن يخرج إلى أخيه ليقبض بالبرية عند جبل حوريب، فلما تلقاه أخبره موسى بما أمره به ربه.

فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بني إسرائيل وذهبا إلى فرعون، فلما بلنشاء رسالة الله قال: من هو الله لا أعرفه ولا أرسل بني إسرائيل.

وقال الله غبراً عن فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَنْ يَبَالُ الْقُرُونُ الْأُولَى. قَالَ عَلِمْنَا بِعِزِّ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَفْصِلُ زَمَنٌ وَلَا يَنْسَى. الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ ثِبَاتٍ شَجَى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي

ظلام كيما يروّج عليهم محالاً وباطلاً، بل طلب أن يكون نهاراً جهره لأنه على بصيرة من ربه، ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه، وإن رغمت أنوف القبط.

قال الله تعالى: ﴿قَوَّلْنِي فِرْعَوْنَ جَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى. قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجِنَكُمْ يَذَابُ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَأُوا الشَّجْوَى. قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثُلَى. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن اسْتَعْلَى﴾. [طه: ٦٠ - ٦٤]

يخبر تعالى عن فرعون أنه ذهب فجمع من كان ببلاده من السحرة، وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوءة سحرة، فضلاء في فهم غاية، فجمعوا له من كل بلد ومن كان مكان فاجتمع منهم خلق كثير وجم غفير.

ف قيل: كانوا ثمانين ألفاً، قاله محمد بن كعب.

وقيل: سبعين ألفاً قاله القاسم بن أبي بزة.

وقال السدي: بضعة وثلاثين ألفاً.

وعن أبي أمامة: تسعة عشر ألفاً.

وقال محمد بن إسحاق: خمسة عشر ألفاً.

وقال كعب الأجبار: كانوا اثني عشر ألفاً.

وروي ابن أبي حاتم عن ابن عباس: كانوا سبعين رجلاً.

وروي عنه أيضاً أنهم كانوا أربعين غلاماً من بني إسرائيل أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرافة فيتعلموا السحر، ولهذا قالوا ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ وفي هذا نظر.

وحضر فرعون وأمرأؤه وأهل دولته وأهل بلده عن بكرة أبيهم. وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم، فخرجوا وهم يقولون: لعلنا نبع السحرة إن كانوا هم الغالين.

وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل، الذي فيه معارضة آيات الله وحججه فقال: ﴿وَيَلْكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجِنَكُمْ يَذَابُ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم فقاتل بعضهم نبي وليس بساحر، وقاتل منهم يقول: بل هو ساحر فالله أعلم الله.

واسروا التناجي بهنسه وغيره ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾ يقولون: إن هذا وأخاه هارون ساحران عليمان مطبقان متقنان لهذه الصناعة ومرادهم أن يجمع الناس عليهما ويصولا على الملك وحاشيته ويستاصلاكم عن آخركم، ويستامرا عليكم بهذه الصناعة.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن اسْتَعْلَى﴾. وإنما قالوا الكلام الأول ليتبدروا ويتواصوا، ويتأوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان. وهيئات كذبت والله الظنون، واختطت الآراء أتى يعارض البهتان. والسحر والمذهبان. خورق العادات التي أجراها الديان. على يدي عبده الكليم. ورسوله الكريم، المؤيد بالبرهان الذي يهبر الأبصار، وتحار فيه العقول والأذهان.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي جميع ما عندهم ﴿ثُمَّ اتُوا صَفًّا﴾ أي جملة واحدة، ثم حضّ بعضهم بعضاً على التقدم في هذا المقام، لأن فرعون كان قد وعدهم ومنهم وما يقدمه الشيطان إلا غروراً.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَنْ تَلْفِي وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ أَوْكَلُ مَن أَلْفَى. قَالَ بَلْ

النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٤٩ - ٥٥].

يقول تعالى خبراً عن فرعون أنه انكر إثبات الصانع تعالى قائلًا: ﴿فَمَن رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. أي هو الذي خلق الخلق وقدر لهم أعمالاً وأرزاقاً وأجلاً، وكتب ذلك عنده في كتابه اللوح المحفوظ، ثم هدى كل مخلوق إلى ما قدر له، فطابق علمه فيهم على الوجه الذي قدره وعلمه لكمال علمه وقدرته وقدره.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿سُبْحَاحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾. [الاعلى: ١ - ٣] أي قدر قدرًا وهدى الخلق إليه.

قال ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾. يقول فرعون لموسى: فإذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي الخلاق لما قدره، وهو بهذه المثابة من أنه لا يستحق العبادة سواء فلم عبد الأولون غيره؟ وأشركوا به من الكواكب والأنداد ما قد علمت فهلا اهتمت إلى ما ذكرته القرون الأولى؟

﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَفْضِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ أي هم وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك، ولا يدل على خلاف ما أقول، لأنهم جهلة مثلك وكل شيء فعلوه مستطر عليهم في الزبر من صغير وكبير وسيجزئهم على ذلك ربي عز وجل، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل عنه شيء ولا ينسى ربي شيئاً.

ثم ذكر له عظمة الرب وقدرته على خلق الأشياء، وجعله الأرض مهداً والسماء سقفاً محفوظاً، وتسخيره السحاب والأمطار لرزق العباد وادريهم واتعاهم كما قال: ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾. أي لنوري العقول الصحيحة المستقيمة والفطر القويمة غير السقيمة فهو تعالى الخالق الرزاق. وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَنشَأْنَاهُ فِي ذِكْرِ الْآيَاتِ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ولما ذكر إحياء الأرض بالمطر واهتزازها بإخراج نباتها فيه نه به على المعاد فقال: ﴿وَمِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾. كما قال تعالى: ﴿فَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الاعراف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ الَّذِي يَتَذَكَّرُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا أَبَائِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبُوا وَأَبَى. قَالَ أَجَعْتُمْ لِبَخْرِجِنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُمْ يَا مُوسَى. فَلَنُلَاقِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ نَكَثًا سَوَى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضَحَى﴾. [طه: ٥٦ - ٥٩].

يخبر تعالى عن شقاء فرعون وكثرة جهله وقلة عقله في تكذيبه آيات الله، واستكباره عن اتباعها، وقوله لموسى إن هذا الذي جئت به سحر، ونحن نعارضك بمثله، ثم طلب من موسى أن يواعده إلى وقت معلوم، ومكان معلوم، وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهره بمحضرة الناس، ولهذا قال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وكان يوم عيد من أعيادهم، وجمعهم لهم.

﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ أي من أول النهار وفي وقت اشتداد ضياء الشمس، فيكون الحق أظهر وأجلى، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً في

مُجْرَمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى. وَتَنْ يَأْتِيهِ مُؤْتَمَنًا فَدَّ عِمْلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى. جَنَّاتُ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٠ - ٧٦﴾.

قال سعيد بن جبير وعكرمة والقاسم بن أبي ززة والأوزاعي وغيرهم: لما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهباً لهم وتزخرف لقدمهم ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهويله ووعيده.

وذلك لأن فرعون لما رأى هؤلاء السحرة قد أسلموا واشتهروا، ذكرى موسى وهارون في الناس على هذه الصفة الجميلة أفرجه ذلك، ورأى أمراً بهر وأعمى بصيرته وبصره، وكان في كيد ومكر وخداع وصنعة بليغة في الصد عن سبيل الله، فقال غاطباً للسحرة بحضرة الناس ﴿أَتَمْسَحُ لَكُمُ أَنْ أَذْذَ لَكُمْ﴾ أي هلاً شاوروني فيما صنعت من الأمر العظيم بحضرة ربي، ثم تهدد وتوعد وأبرق وأرعد وكذب، فأبعد قائلًا: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾.

وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَنِيَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

وهذا الذي قاله من البهتان يعلم كل فرد عاقل ما فيه من الكفر والكذب والمذنبان بل لا يروج مثله على الصبيان، فإن الناس كلهم من أهل دوله وغيرهم يعلمون أن موسى لم يره هؤلاء يوماً من الدهر، فكيف يكون كبرهم الذي علمهم السحر. ثم هو لم يجمعهم ولا علم باجتماعهم حتى كان فرعون هو الذي استدعاهم واجتباهم من كل فج عقيق وواد سحيق، ومن حواضر بلاد مصر والأطراف، ومن المدن والأرياف.

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ يَتَّبِعُكَ مِنْ يَدْنَيْكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ. وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكَ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ إِنْ كُنْتَ جئتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمَارٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضُ الْمُنَاطِرِينَ. قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَتَمْنَا تَأْمُرُونَ. قَالَوا أَرَأَيْتَ أَنْتَ وَأَخُوتُكَ فِي الْمَدَائِنِ خَائِرِينَ. يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْلِقِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا نَاقِلُكَ إِلَى رَبِّكَ نَحْنُ الْمُلْكِيُّونَ. قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَخِرُوا مِنْهُمَا نَحْنُ وَأَسْرَضْتَهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرِ عَظِيمٍ. وَأَرْخَسْنَا لِمُوسَى أَنْ أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مُنْقَلَبٌ مَبْشُورٌ. فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى هَارُونَ. رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ فِرْعَوْنُ أَتَمْسَحُ بِكُمْ إِنْ أَذْنُ لَكُمْ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَنِيَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأَطْلَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ. قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْلِبُونَ. وَمَا نَقَمُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْهُمْ رَبَّنَا أَعْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٢٦].

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ يَتَّبِعُكَ مِنْ يَدْنَيْكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِبِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ جَاءَتْهُمْ إِلَى عَذَابٍ مُنِينٍ. قَالُوا إِنَّا نَحْنُ الْحَقُّ وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ أَسَاحِرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ. قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَأَجِئْتَنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَنَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ

أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُحِيطُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ نَسُوا. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى. قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. ﴿٦٥ - ٦٦﴾

لما اصطف السحرة ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم، قالوا له: إما أن تلقى قلبنا، وإما أن تلقى قلبك. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ أنتم وكانوا قد عدلوا إلى حبال وعصي فأودعوها الزيتق وغيره من الآلات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطراباً، يخيل للراي أنها تسمى باختيارها. وإنما تتحرك بسبب ذلك. فعند ذلك سحرها أعين الناس واسترهمهم، وألقوا حبالهم وعصيمهم وهم يقولون ﴿يَبْرُؤُا فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَخِرُوا مِنْهُمَا نَحْنُ وَأَسْرَضْتَهُمْ وَجَاءُوا بِسِخْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال تامل: ﴿فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُحِيطُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ نَسُوا. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى﴾. أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم وعالمهم قبل أن يلقي ما في يده فإنه لا يضح شيئاً قبل أن يورس، فأوحى الله إليه في الساعة الراحة ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾. فعند ذلك ألقى موسى عصاه وقال ﴿مَا جِئْتُكُمْ بِالسَّحْرِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِلَّا اللَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَتَبِعَ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١ - ٨٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مُنْقَلَبٌ مَبْشُورٌ﴾ [الشعراء: ٤٥].

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ. وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨ - ١٢٢].

وذلك أن موسى عليه السلام لما تقدم وألقاهما صارت حجة عظيمة ذات قوائم فيما ذكره غير واحد من علماء السلف وعشق عظيم وشكل هائل مزعج، بحيث إن الناس انحازوا منها، وهربوا سراعاً وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هي على ما القوه من الحبال والعصي فجعلت تلغفهم واحداً واحداً في أسرع ما يكون من الحركة، والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها.

وأما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم واطلعوا على أمر لم يكن في خلداهم ولا بالهم، ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم. فعند ذلك وهنالك تحقروا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شجعة ولا محال ولا خيال ولا زور ولا بهتان ولا ضلال، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي انبثت هذا الموجد به بالحق، وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وانارها بما خلق فيها من الهدى، وأزاح عنها القسوة، وأنبأوا إلى ربهم وخروا له ساجدين، وقالوا جبهة للحاضرين ولم يخشوا عقوبة ولا بلوى: آمنا برب موسى وهارون.

كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ أَتَمْسَحُ لَكُمُ إِنْ أَذْنُ لَكُمْ إِنْهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلَائِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ عَذَابِي وَأَنِّي. قَالُوا لَنْ نُؤْذِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ

الجبار العنيد، والسلطان الشديد، بل الشيطان المرید.

﴿وَوَقْنَا مُسْلِمِينَ﴾ وقالوا أيضاً يعظونه ويخوفونه بأس ربه العظيم ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ يقولون له: فإياك أن تكون منهم فكان منهم.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَصَى الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ أي المنازل العالية ﴿جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ فاحرص أن تكون منهم فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا تغالب ولا تمنع وحكم العلي العظيم بأن فرعون لعنه الله من أهل الجحيم ليأبى العذاب الأليم يصب من فوق رأسه الجحيم. ويقال له على وجه التفرع والتوبيخ وهو القبرح المنبوح الذميمة اللثيم ﴿ذَقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ والعداء: ٤٩.

والظاهر من هذه السياقات أن فرعون لعنه الله صلبهم وعذبهم رضي الله عنهم.

قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة فصاروا من آخره شهداء برة (صلى الله عليه وسلم: الطبري: ٢٤/٩).

ويؤيد هذا قولهم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

٤١- فصل في تحريض كبراء القبط لفرعون

على أذية موسى بعد إسلام السحرة

ولما وقع ما وقع من الأمر العظيم وهو الغلب الذي غلبه فرعون وقومه من القبط في ذلك الموقف الماحل وأسلم السحرة الذين استصروا بهم لم يزدكم ذلك إلا كفراً وعناداً وبعداً عن الحق.

قال الله تعالى بعد قصص ما تقدم في سورة الأعراف. ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْتَرُونَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ آلِهَتُكُمْ قَالَتْ سَتَقْتُلْ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ. قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا أَوْفِينَا بِمَا قُلْنَا أَن تَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩].

يجز تعالى عن الملأ من قوم فرعون وهم الأمراء والكبراء أنهم حرضوا ملكهم فرعون على أذية نبي الله موسى عليه السلام ومقابلته بدل التصديق بما جاء به بالكفر والرد والأذى.

فقالوا: ﴿أَتَنْتَرُونَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ آلِهَتُكُمْ﴾ يعنون قبحهم الله أن دعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة إلى اعتقاد القبط لعنهم الله.

وقرأ بعضهم ﴿وَيَذَرُكَ آلِهَتُكُمْ﴾ أي وعبادتك ويحتمل شيئين: أحدهما: ويذر دينك وتقريبه القراءة الأخرى.

الثاني: ويذر أن يعبدك فإنه كان يزعم أنه إله لعنه الله.

﴿قَالَ سَتَقْتُلْ آبَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي لئلا يكثر مقاتلتهم ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي غالبون.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي إذا هموا هم بأذيكم والفنك بكم فاستعينوا أنتم بربكم واصبروا على بليتكم.

اترهبوا بكل ساجر عليهم. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ شَيِّطَلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. وَتَاجِبَ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [يونس: ٧٥ - ٨٢].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لَيْنَ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُورِينَ. قَالَ أَوْلَىٰ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ. وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ. قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْبُتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِيِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ. فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِعِيشَاتِ يَوْمٍ مُعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُخْجَمُونَ. لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُونَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ. فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَغْرِبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَلَأَقُوا حِيلَانَهُمْ وَعِصْمَتَهُمْ وَقَالُوا بَعِزُّوْا فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُلُفٌ مَأْتِكُمْ. فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ. قَالَ أَتَسْتَأْذِنُ لَكُمْ لِيُتَبَرَّكُ مِنْ كَيْدِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرُ لَنَسُوفَ تَعْلَمُونَ لَاظْطَنُّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِهِ وَلَاصَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لَنَا رَبَّنَا خَطَلَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩ - ٥١].

والمقصود أن فرعون كذب وافترى، وكفر غاية الكفر في قوله ﴿إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ الذي عَلَّمَكُمُ السَّحَرُ، واتى بهتان يعلمه العالمون بل العالمون في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَلِيئَةِ لِخُورِجُوا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَاظْطَنُّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِهِ﴾ يعني يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه.

﴿وَلَاصَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي ليجعلهم مثله ونكالا لئلا يقتدي بهم احد من رعيته وأهل ملته، ولهذا قال: ﴿وَلَاصَلْبَتِكُمْ فِي جَنُوعِ النَّخْلِ﴾ أي على جنوع النخل لأنها أعلى وأشهر ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يعني في الدنيا ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي لن نطيعك ونترك ما وقر في قلوبنا من البينات والدلائل القاطعات.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قيل: معطوف. وقيل: قسم.

﴿فَأَقْضَىٰ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي فافعل ما قدرت عليه ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي إنما حكمك علينا في هذه الحياة الدنيا فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة صرنا إلى حكم الذي أسلمنا له واتباعنا رسله.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغَيِّرَ لَنَا خَطَلَانَا وَمَا أَكْرَمُنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣] أي وثوابه خير مما وعدتنا به من التزيب والترغيب. ﴿وَأَبْقَى﴾ أي وادوم من هذه الدار الفانية.

وفي الآية الأخرى ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْبِلُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغَيِّرَ لَنَا رَبَّنَا خَطَلَانَا﴾ أي ما اجترعناه من المآثم والحارم.

﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من القبط بموسى وهارون عليهما السلام. وقالوا له أيضاً: ﴿وَمَا تَقِيْمُ بِنَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا﴾ أي ليس لنا عندك ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي ثبتنا على ما اتبنا به من عقوبة هذا

والمقصود ان هذا الرجل كان يكتم إيمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام وعزم على ذلك وشاور ملاء فيه خاف هذا المؤمن على موسى فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه السترغيب والترهيب فقال كلمة الحق على وجه المشورة والرأي وقد ثبت في الحديث [٤٣٤٤]، ت [٢١٧٤]، ج [٤٠١١] من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» وهذا من أعلى مراتب هذا المقام فإن فرعون لا يكون أشد جوراً منه وهذا الكلام لا اعدل منه لأن فيه عصمة دم نبي.

ويجمل أنه شار لهم بإظهار إيمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والأول اظهر والله اعلم. قال: «أَقْتُلُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» أي من أجل أنه قال ربي الله فمثل هذا لا يقابل بهذا بل بالإكرام والاحترام والمودعة وترك الانتقام يعني لأنه «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» أي بالخوارق التي دلت على صدقه فيما جاء به عن أمره فهذا إن وادعوه كتمت في سلامة لأنه «وَأَنْ يَكُ كَافِرًا» ولا يضرهم ذلك «وَأَنْ يَكُ صَادِقًا» وقد تعرضت له «يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» أي وأنتم تشفقون أن ينالكم أيسر جزء مما يتوعدكم به فكيف بكم إن حل جميعه عليكم. وهذا الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والعقل التام.

وقوله: «يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ» يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه ما تعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزمهم وكذا وقع لآل فرعون ما زالوا في شك وريب وغالفة ومعاندة لما جاءهم موسى به حتى أخرجهم الله مما كانوا فيه من الملك والأملak والدور والقصور والنعمة والحبور ثم حولوا إلى البحر مهانين ونقلت أرواحهم بعد العلو والرفعة إلى أسفل السافلين.

ولهذا قال هذا الرجل المؤمن المصدق البار الراشد التابع للحق الناصح لقومه الكامل العقل «يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ» أي عالين على الناس حاكمين عليهم. «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا» أي لو كنتم أضعاف ما أنتم عليه من العدد والعدة والقوة والشلة لما نفعنا ذلك ولا رد عنا بأس ممالك الممالك.

«قَالَ فِرْعَوْنُ» أي في جواب هذا كله «مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى» أي ما أقول لكم إلا ما عندي «وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» وكذب في كل من هذين القولين وهاتين القدمتين فإنه قد كان يتحقق ويعلم في باطنه وفي نفسه ان هذا الذي جاء به موسى حق من عند الله لا محالة وإنما كان يظهر خلافه نبياً وعدواناً وعتواً وكفراناً.

قال الله تعالى إخباراً عن موسى «لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافَرٍ زَانِي لَأُظْلَمَ يَا فِرْعَوْنُ مُثَبِّرًا» [الاسراء: ١٠٢] وقال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا مِثْرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَوْتَمَّتْ أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغْلًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» [العلق: ١٣ - ١٤]

وأما قوله: «وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ». فقد كذب أيضاً فإنه لم يكن على رشاد من الأمر بل كان على سفه وضلال وخيال، وكان أولاً عن بعيد الأصنام والأمثال. ثم دعا قومه لجهلة الضلال إلى أن اتبعوه وظاعوه وصدقوه فيما زعم من الكفر المحال في دعواه أنه رب تعالى الله

«إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» أي فكيف أنتم من المتقين لتكون لكم العاقبة كما قال في الآية الأخرى: «وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَتَجْعَلْنَا بَرَحْنَةً مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [يونس: ٨٤ - ٨٦] وقوله: «أَوْفَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ نَأْتِيَنَا مِنْ بَعْدِ مَا جَعَلْنَا» أي قد كانت الأبناء تقتل قبل جيتك وبعد جيتك إلينا «قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» وقال الله تعالى في سورة حم المؤمن: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» [همل: ٢٣ - ٢٤].

وكان فرعون الملك وهامان الوزير. وكان قارون إسرائيليًا من قوم موسى إلا أنه كان على دين فرعون وملكه وكان ذا مال جزيل جداً كما ستأتي قصته فيما بعد إن شاء الله تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْبَاقُونَ مِنْ عِبَادِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» [همل: ٢٥].

وهذا القتل للعلمان من بعد بعثة موسى إنما كان على وجه الإهانة والإذلال والتقليل للإلإبي إسرائيل لئلا تكون لهم شوكة يتمتعون بها أو يصلولون على القبط بسببها وكانت القبط منهم يحذرون فلم ينفعهم ذلك ولم يرد عنهم قدر الذي يقول للشيء كن فيكون «وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَّبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» [همل: ٢٦].

ولهذا يقول الناس على سبيل التهكم: «صار فرعون مذكراً». وهذا منه فإن فرعون في زعمه يخاف على الناس أن يضلهم موسى عليه السلام. «وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» [همل: ٢٧] أي عذت بالله ولجأت إليه واستجرت بمجانبه من أن يسطو فرعون أو غيره على يسوه.

وقوله «مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ» أي جبار عنيد لا يعصوي ولا ينتهي ولا يخاف عذاب الله وعقابه لأنه لا يعتقد معاداً ولا جزاء. ولهذا قال: «مَنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ».

«وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَافِرًا فَعَلَيْهِ كُذُوبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَا قَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» [همل: ٢٨ - ٢٩]

هذا الرجل هو ابن عم فرعون وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً منهم على نفسه.

وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيليًا وهو بعد وخالف لسياق الكلام لفظاً ومعنى [همل: همل الطبري: ٥٧/٢٤، ٥٨] والله اعلم.

قال ابن جريج: قال ابن عباس: لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا والذي جاء من أقصى المدينة امرأة فرعون. رواه ابن أبي حاتم. قال الدارقطني: لا يعرف من اسمه شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون. حكاه السهيلي [التعريف والإعلام ص ٢٤٩].

وفي تاريخ الطبراني [٤٠٧/١] أن اسمه: جبر فالله أعلم.

ولهذا قال: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنَّا جَاءَكُمْ بِوَحْيٍ إِذَا مَلَكَ قَلْبُكُمْ لَن يُبَيِّتَ اللَّهُ مِّنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي وكذبتم في هذا ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ أي يرفون حجج الله وبراهينه ودلائل توحيده بلا حجة ولا دليل عندهم من الله فإن هنا أمر بمقتضى الله غاية المقتضى أي يفضض من تلبس به من الناس ومن اتصف به من الخلق.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكْثِرٍ جِبَارًا﴾ قرئ بالإضافة والبعث وكلاهما متلازم أي هكنا إذا خالفت القلوب الحق ولا تخالفة إلا بلا برهان فإن الله يطبع عليها أي يحتم عليها.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَى آلِهِ هُوسَى وَإِنِّي لأظنه كاذبًا وكذالك يُزَيِّنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (طه: ٣٦ - ٣٧).

كذب فرعون موسى عليه السلام في دعواه أن الله أرسله وزعم فرعون لقومه ما كذبه وافتره في قوله لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى آلِهِ هُوسَى وَإِنِّي لأظنه مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: ٣٨).

وقال ههنا: ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي طرقها ومسالكها ﴿أَطْلِعْ إِلَى آلِهِ هُوسَى وَإِنِّي لأظنه مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ويعتدل هذا معنيين.

أحدهما: وإني لأظنه كاذبًا في قوله إن للعالم ربًّا غيري.

والثاني في دعواه أن الله أرسله.

والأول أشبه بظاهر حال فرعون فإنه كان يتكبر ظاهر إثبات الصانع والثاني أقرب إلى اللفظ حيث قال: ﴿فَأَطْلِعْ إِلَى آلِهِ هُوسَى﴾ أي فأسأله هل أرسله أم لا.

﴿وَإِنِّي لأظنه كاذبًا﴾ أي في دعواه ذلك. وإنما كان مقصود فرعون أن يصد الناس عن تصديق موسى عليه السلام وأن يحتمهم على تكذيبه قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يُزَيِّنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ وقرئ أَوْصَدَّ عن السبيل.

قال ابن عباس ومجاهد: يقول: إلا في خسار (هسو الطوي: ٦٦/٢٤).

أي باطل لا يحصل له شيء من مقصوده الذي رامه فإنه لا سبيل للبشر أن يتوصلوا بقواهم إلى نيل السماء أبداً أعني السماء الدنيا فكيف بما بعدها من السماوات العلى وما فوق ذلك من الارتقاء الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وذكر غير واحد من المفسرين (هسو الطوي: ٧٧/٢٥) أن هذه الصرخ وهو القصر الذي بناه وزيره هامان له لم ير بناء أعلى منه وأنه كان منبأ من الأجر المشوي بالنار ولهذا قال: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا﴾.

وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل كانوا يسحرّون في ضرب اللين وكان ما حلوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبته وماءه ويطلب منهم كل يوم قسط معين إن لم يفعلوه وإلا ضربوا وأهينوا غاية الإهانة وأوذوا غاية الأذية.

ولهذا قالوا لموسى: ﴿أَوْفِينَا مِن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَنَحْسَبْ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُلُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ

ذو الجلال والإكرام.

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ. فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ. فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَضْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ (الاعراف: ٥١ - ٥٦).

وقال تعالى: ﴿قَارَأَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى. فَكَذَّبَ وَعَصَى. ثُمَّ أَكْبَرَ يَتسوَّى. فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى. فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (الزمر: ٢٠ - ٢٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبين. إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتَوْهُا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَيْبٍ. يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُوْرَدُ. وَأَتَّبَعُوا فِي هَسْلُو لَعْنَةُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْشَرُونَ الرَّقْدَ الْمَرْقُودَ﴾ (هود: ٩٦ - ٩٩).

والمقصود بيان كذبه في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾.

وفي قوله: ﴿وَمَا أَعْلَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلُ الرَّشَادِ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ. وَمَا قَوْمِي إِلَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَالِيسَاتٍ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنَّا جَاءَكُمْ بِوَحْيٍ إِذَا مَلَكَ قَلْبُكُمْ لَن يُبَيِّتَ اللَّهُ مِّنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرٌ مَّقَابِلَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكْثِرٍ جِبَارًا﴾ (طه: ٣٥ - ٣٥).

يُحْنَرُهُمْ وَلِيَّ اللَّهِ إِنْ كَذَبُوا بِرَسُولِ اللَّهِ مُوسَى أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْأَسْمِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ النِّقَمَاتِ وَالْمَلَاتِ مَا تَوَاتَرَ عَنْهُمْ وَصَدَّ غَيْرِهِمْ مَا حَلَّ بِقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى زَمَانِهِمْ ذَلِكَ مَا أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الْحُجُجَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً فِي صِدْقِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ بِمَا أُنْزِلَ مِنَ النِّقْمَةِ بِمَكْنِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَمَا أَهَى اللَّهُ مِنْ أَتْبَعِهِمْ مِنَ الْأُولِيَاءِ وَخَوْفِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ «يَوْمُ التَّنَادِ» أَي حِينَ يَنَادِي النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حِينَ يُولُونَ إِنْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلَ ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُوْتِيْنِي أَيْنَ الْمَعْرُ. كَلَّا لَا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يُؤْتِيْنِي الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: ١٠ - ١٢).

وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَفْغْتُمْ أَنْ تُفْلِتُوا مِنَّا أَفْطَارَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْتَدُوا لَا تَفْلُتُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ. قَبَائِي آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَان. قَبَائِي آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾ (الرحمن: ٣٣ - ٣٦).

وقرأ بعضهم «يوم التاد» بتشديد الدال أي يوم القرار ويعتدل أن يكون يوم القيامة ويعتدل أن يكون يوم يحل الله بهم البأس فيودون القرار ولات حين مناص.

﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّمَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ. لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاجِدِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٢ - ١٣).

ثم أخبرهم عن نبوة يوسف في بلاد مصر ما كان منه من الإحسان إلى الخلق في دنياه وأخراهم وهذا من سلطته وكرهه ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته وأن لا يشركوا به أحداً من بريته وأخبر عن أهل الديار المصرية في ذلك الزمان أنَّ من سجيبتهم التكذيب بالحق وبغالفه الرسل

عبيطاً.

وقال زيد بن أسلم: المراد بالدم الرعاف، رواه ابن أبي حاتم.
قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عَاهَدْتَ عِنْدَكَ لَنُؤْمِنَ بِكَ وَنَعْبُدَ رَبَّكَ إِنَّا كُنْهَمْ غَافِلِينَ﴾. فَمَكَرَ مُوسَى
إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ الرِّجْزَ إِلَى آخِرِ هِمَّةِ الْغَاوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكَبُونَ.
فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمُ ظَفَرًا فَغَرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾
[١٣٤ - ١٣٦].

يغير تعالى عن كفرهم وعوتهم واستمرارهم على الضلال والجهل
والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسوله مع ما أيد به من الآيات
العظيمة الباهرة والحجج البليغة القاهرة التي أراهم الله إياها عياناً وجعلها
عليهم دليلاً وبرهاناً وكلما شهدوا آية وعابوها وجهنتهم وأضنتهم
حللوا وعاهدوا موسى لئن كشف عنهم هذه ليؤمنن به وليرسلن معه من
هو من حزيه فكلموا ففعلت عنهم تلك الآية عادوا إلى شر مما كانوا عليه
وأعرضوا عما جاءهم به من الحق ولم يلتفتوا إليه فيرسل الله عليهم آية
أخرى هي أشد مما كانت قبلها وأقوى فيقولون فيكذبون. ويعبدون ولا
يؤمنون: ﴿لَئِنْ كُنْهَتْ عَنْ الرِّجْزِ لُؤْمِنُكَ لَكَ وَتَرْسِلُنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
فيكشف عنهم ذلك العذاب الويل. ثم يعودون إلى جهلهم العريض
الطويل.

هذا والعظيم الحليم التقدير ينظرهم ولا يجعل عليهم ويؤخرهم ويتقدم
بالوعد إليهم.

ثم أخذهم بعد إقامة الحجة عليهم والإعذار إليهم أخذ عزيز مقتدر
فجعلهم عبرة ونكلاً وسلفاً لمن أشبههم من الكافرين ومثلاً لمن اتعظ بهم
من عباده المؤمنين.

وقال تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين في سورة حم والكتاب البين
﴿وَلَمَّا أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ. وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا
هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعُنَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَقَالُوا يَا أَيُّهَا
السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدْتَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعُنَابَ إِذَا هُمْ يَنْكَبُونَ. وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يُكَادُ يَمِينٌ. قُلْ لَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوَءُ مِمَّنْ ذُخِبَ عَنْهُ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ. فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.
فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِلْآخِرِينَ﴾ [الاعراف: ٤٦ - ٤٦].

يذكر تعالى لإرساله عبده الكريم إلى فرعون الخسيس اللثيم وأنه
تعالى أيد رسوله بآيات بينات واضحات تستحق أن تقابل بالتعظيم
والتصديق وأن يردعوا عما هم فيه من الكفر ويرجعوا إلى الحق والصراف
الستقيم فإذا هم منها يضحكون وبها يستهزئون وعن سبيل الله يصدون
وعن الحق يمجيدون فأرسل الله عليهم الآيات ترى يتبع بعضها بعضاً وكل
آية أكبر من أختها التي تلوها؛ لأن المؤكد أبلغ ما قبله.

﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعُنَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَاهَدْتَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾. لم يكن لفظ الساحر في زمنهم تقصاً
ولا عيباً؛ لأن علماءهم في ذلك الوقت هم السحرة ولهذا خاطبوه به في
حال احتياجهم إليه وضراعتهم لديه قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعُنَابَ إِذَا هُمْ يَنْكَبُونَ﴾.

(٨٥٥)، م (٥٦٤)، لما ثبت في الصحيحين (٥٤٩٥)، م (١٩٥٢) عن
عبد الله بن أبي أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ناكل
الجراد. وقد تكلمنا على ما ورد فيه من الأحاديث والآثار في التفسير.
والمقصود أنه استاق خضراءهم فلم يترك لهم زروعاً ولا ثماراً ولا
سبلاً ولا لباً.

وأما القمل فمن ابن عباس: هو السوس الذي يخرج من الحنطة.
وعنه أنه الجراد الصغير الذي لا أجنحة له.

وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة.
وقال سعيد بن جبير والحسن: هو دواب سود صغير.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي البراغيث.
وحكى ابن جرير عن أهل العربية أنها الحنسان وهو صفار القردان
(فوق الضفادع) فدخل معهم البيوت والفرش فلم يقر لهم قرار ولم يمكنهم
معه الغنص ولا العيش.

وفسر عطاء بن السائب بهذا القمل المعروف وقرأها الحسن البصري
كذلك بالتخفيف (هـ الطري: ٣٢/٩، ٣٣). وأما الضفادع فمعروفة لستهم
حتى كانت تسقط في أطعماتهم وأوانيهم حتى إن أحدهم إذا فتح فمه
لطعام أو شراب سقطت في فيه ضفدعة من تلك الضفادع.
وأما الدم فكان قد مزج مالههم كله به فلا يستقون من النيل شيئاً إلا
وجده دماً عبيطاً ولا من نهر ولا بئر ولا شيء إلا كان دماً في الساعة
الراهة.

هذا كله ولم يزل بني إسرائيل من ذلك شيء بالكلية. وهذا من تمام
العجزة الباهرة والحجة القاطعة أن هذا كله يحصل لهم عن فعل موسى
عليه السلام فينالهم عن آخرهم ولا يحصل هذا لأحد من بني إسرائيل وفي
هذا أدل دليل.

قال عماد بن إسحاق (هـ الطري: ٣٧/٩) فرجع عدو الله فرعون
حين أمت السحرة مغلوباً مغلولاً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتصادي
في الشر فتابع الله عليه بالآيات فأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم
الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات. فأرسل الطوفان وهو
الماء ففاض على وجه الأرض ثم ركد. لا يقدر على أن يجرسوا ولا أن
يعملوا شيئاً حتى جهدوا جوعاً، فلما بلغهم ذلك ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَاهَدْتَ لَنُؤْمِنَ بِكَ وَنَعْبُدَ رَبَّكَ إِنَّا كُنْهَمْ غَافِلِينَ﴾. فَمَكَرَ مُوسَى
إِسْرَائِيلَ ﴿الاعراف: ١٣٤﴾ فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم لم يفرا له
بشيء فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغني حتى إن كان ليأكل
مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومسكنهم فقالوا مثل ما قالوا
فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفرا له شيء مما قالوا.

فأرسل الله عليهم القمل فذكر لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي
إلى كتيب حتى يضربه بعصاه فمضى إلى كتيب أميل عظيم فضربه بها
فانتال عليهم قملًا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم
والقرار.

فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا له فدعا ربه فكشف عنهم فلما لم
يفرا له شيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت
والأطعمة والآية فلم يكشف أحد ثوباً ولا طعاماً إلا وجد فيه الضفادع
قد غلبت عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف
عنهم فلم يفرا له شيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل
فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عاد دماً

٤٢- ذكر هلاك فرعون وجنوده

لما نادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم متابعة للمكهم فرعون ومخالفة لبي الله ورسوله وكتابه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرفعون ولا يتهون ولا يزعمون ولا يرجعون ولم يؤمن منهم إلا القليل.

قيل: ثلاثة وهم: امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون الذي تقدم حكاية مواعظه ومشورته وحججه عليهم والرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة فقال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتَنَزَّلُونَ بِكَ يَقْتَطِفُونَ فَاتَّخِذْ مِنْ لَدُنْكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

قاله ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم عنه ومراوده غير السحرة فإنهم كانوا من القبط.

وقيل: بل آمن به طائفة من القبط من قوم فرعون والسحرة كلهم وجميع شعب بني إسرائيل. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خِيفَةٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّالٌ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَكَيْنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: ٨٣). فالضمر في قوله: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ عائد على فرعون لأن السياق يدل عليه.

وقيل على موسى لقربه والأول أظهر كما هو مقرر في التفسير. وإيمانهم كان خفية لمخافتهم من فرعون وسطوته وجبروته وسلطته ومن ملتهم أن ينموا عليهم إليه فيفتنهم عن دينهم قال الله تعالى غيراً عن فرعون وكفى بالله شهيداً ﴿وَإِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّالٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أي جبار عنيد مستعل بغير الحق. ﴿وَإِنَّهُ لَكَيْنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ أي في جميع أسوره وشؤونه وأحواله ولكنه جرثومة قد حان إخمافها وثمرة خبيثة قد آن قطافها ومهجة ملعونة قد حتم إبلافها.

وعند ذلك قال موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَقَلِّبْهُ نَوَكُلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (يونس: ٨٤-٨٦).

يأمرهم بالتوكل على الله والاستعانة به والالتجاء إليه فاتقوا بذلك فجعل الله لهم ما كانوا فيه فرجاً وخرجاً.

﴿وَأَوْخِثْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَيْكُمَا بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧).

أوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذوا لقومهما بيوتاً متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على ألفة في الرحيل إذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض. وقوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قيل: مساجد.

وقيل: معناه كثرة الصلاة فيها؛ قاله مجاهد وأبو مالك وإبراهيم النخعي والربيع والضحاك وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وغيرهم (تفسير الطبري: ١٥٣/١١ - ١٥٥).

ومعناه على هذا الاستعانة على ما هم فيه من الضر والنسلة والضيقة بكرة الصلاة كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَسْئِلُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى.

وقيل: معناه أنهم لم يكونوا حيث يشاء يقدرون على إظهار عبادتهم في

ثم أخبر تعالى عن تجميع فرعون بملكه وعظمته ببلده وحسنها وتحرق الأنهار فيها. وهي الخلدجان التي يكسرونها أمام زيادة النيل ثم تجميع بنفسه وحليته وأخذ يتنقص رسول الله موسى عليه السلام ويزديه بكونه ﴿وَلَا يَكَاذِبِينَ﴾ يعني كلامه بسبب ما كان في لسانه من بقية تلك اللغثة التي هي شرف له وكمال وجمال ولم تكن مانعة له أن كلمه الله تعالى وأوحى إليه وأنزل بعد ذلك التوراة عليه وتنقصه فرعون لئله الله بكونه لا أساور في يديه ولا زينة عليه وإنما ذلك من حلية النساء لا يليق بشهامة الرجال فكيف بالرسل الذين هم أكمل عقلاً وأتم معرفة وأعلى همة وأزهد في الدنيا وأعلم بما أعد الله لأولياته في الأخرى.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ لا يحتاج الأمر إلى ذلك إن كان المراد أن تعظمه الملائكة فاللائكة يعظمون ويتواضعون لمن هو دون موسى عليه السلام بكثير كما جاء في الحديث (أحمد: ٩٦/٥ د ٣٦٤١)، ت (٢٦٨٢): ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًى بِمَا يَصْنَعُ﴾. فكيف يكون تواضعهم وتعظيمهم لموسى الكريم عليه الصلاة والتسليم والتكريم.

وإن كان المراد شهادتهم له بالرسالة فقد أيد من المعجزات بما يدل قطعاً لذوي الأبواب ولمن قصد إلى الحق والصواب ويعنى عما جاء به من البينات والحجج الواضحات من نظر إلى القشور وترك لب اللباب وطبع على قلبه رب الأرباب وختم عليه بما فيه من الشك والارتباب كما هو حال فرعون القبطي العمي الكذاب.

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ﴾ أي استخف عقولهم ودرجهم من حال إلى حال إلى أن صدقوه في دعواه الربوبية لعنه الله وحبهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا اسْتَمَرَّنَا﴾ أي اغضبونا ﴿فَاتَّقَنَّا مِنْهُمْ﴾ أي بالفرق والإماتة وسلب العز والتبدل بالذل وبالعذاب بعد النعمة والموان بعد الرفاهية والنار بعد طيب العيش عياداً بالله العظيم وسلطانه القديم من ذلك.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ سُلَاقًا﴾ أي لمن اتبعهم في الصفات.

﴿وَتَمَلَّأَ﴾ أي لمن اتسل بهم وخاف من وييل مصرهم عن بلغه جليلة خبرهم وما كان من أمرهم كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُقْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بهذا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ. وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ. وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلَمُوا أَنَّهُمْ إِلَٰهٌ لَا يُزْجَعُونَ. فَآخَذْنَاهُ وَجُودَهُ وَجُنُودَهُمْ فِي السَّيِّمِ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَهْمَةً لِبَنِي إِسْرَءِيلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ. وَآتَيْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ (القصص: ٣٦ - ٤٢).

يخبر تعالى أنهم لما استكبروا عن اتباع الحق وادعى ملكهم الباطل ووافقوه عليه وأطاعوه فيه اشتد غضب الرب القدير العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع عليهم فانتقم منهم أشد الانتقام وأغرقه هو وجنوده في صيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم ديار بل كل قد غرق فدخل النار وآتبعوا في هذه النار لعنة بين العالين ويوم القيامة ينس الرد المرفود ويسوم القيامة هم من المقبحين.

وأمرهم الله تعالى فيما ذكره أهل الكتاب أن يستعبروا حلياً منهم فأعاروهم شيئاً كثيراً فخرجوا بلبيل فساروا مستعبرين ذاهبين من فورهم طالين بلاد الشام.

فلما علم بلغاهم فرعون حتى عليهم كل الحق واشتد غضبه عليهم وشرع في استخاث جيشه وجمع جنوده ليحرقهم ويحرقهم.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي مِنْكُمْ فَنُفِّسُوا عَنْهُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَنَا آذَنٌ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَأَخْرِجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَاتَّبَعُوهُمْ شُرَاقِبَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُنْكَرُونَ قَالَتْ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّيْرِ الْعَظِيمِ وَأَوَّلْنَا نَمُومَ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٥٢-٦٨].

قال علماء التفسير [هــو الطبري: ١٩/٧٤] لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني إسرائيل يبقو أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل: كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمئة ألف فآله أعلم.

وقيل: إن بني إسرائيل كانوا نحواً من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر صحبة موسى عليه السلام وخواصهم إليها صحبة أبيهم إسرائيل أربعمئة سنة وست وعشرون سنة شمسية.

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس وترأى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعين كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورأه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والحماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون ﴿إِنَّا لَمُنْكَرُونَ﴾ وذلك لأنهم اضطربوا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا عياد إلا سلوكه وخوضه. وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والجالب عن يسرهم وعن أثمانهم وهي شاهدة منيفة وفرعون قد غلبهم وواجههم وعابنوه في جنوده وجيوشه وعدده وعلده وعلده وهم منه في غاية الخوف والذعر لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والمكر فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعابنوه فقال لهم الرسول الصادق المصدوق ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

وكان في الساقة تقدم إلى المقدمة ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواله ويتزايد زبد أجابه وهو يقول: ههنا امرت ومعه أخوه هارون ويوشع بن نون وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل وعلماهم وعبادهم الكبار وقد أوحى الله إليهم وجعله نبياً بعد موسى وهارون عليهما السلام كما استذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى. ومعهم أيضاً مؤمن آك فرعون وهم وقوف وبنو إسرائيل يكملهم عليهم عكوف.

ويقال: إن مؤمن آك فرعون جعل يتحتم بفرسه مراراً في البحر هل يمكن سلوكه فلا يمكن ويقول لموسى عليه السلام: يا نبي الله أهنا امرت. فيقول: نعم.

فلما تقامم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحليدهم وغضبهم وحرقهم وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فعند ذلك أوحى الحليم العظيم التقدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣] فلما ضربه به يقال: إنه قال له: انفلق بإذن الله ويقال: إنه كناه بأبي خالد [تاريخ الطبري: ١٩/٧٤].

مجمعاتهم ومعابدهم فأمر أن يصلوا في بيوتهم عرضاً عما فاتهم من إظهار شعار الدين الحق في ذلك الزمان الذي اقتضى حالهم إخشاع خوفاً من فرعون وملته.

والمعنى الأول أقوى لقوله: ﴿وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان لا ينافي الثاني. أيضاً والله أعلم.

وقال سعيد بن جبير ﴿وَأَجْعَلُوا يَوْمَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي متقابلة [١٩/٢٢١].

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَمَنَّا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ [يونس: ٨٨-٨٩].

هذه دعوة عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون غضباً لله عليه لتكبره عن اتباع الحق وصدته عن سبيل الله ومعاندته وعتوه وعمره واستمراره على الباطل ومكابرتة الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي والبرهان القطعي فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ﴾ يعني قومه من القبط ومن كان على ملته وهان بدنه

﴿زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي وهذا يغرر به من يعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء لكون هذه الأموال وهذه الزينة من اللباس والمراكب الحسنة المنيعة والدور الأنيقة والقصور المنيعة والمآكل الشهية والمناظر الهية والملك العزيز والتمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدين.

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾:

قال ابن عباس ومجاهد: أي أهلكها.

وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضحاك: اجعلها حجارة منقوشة كهيئة ما كانت.

وقال قتادة: بلغنا أن زروعهم صارت حجارة.

وقال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة فأخرج هذه الأقوال الطبري في هــوه: ١٥٧/١٩ - ١٥٨.

وقال أيضاً صارت أموالهم كلها حجارة.

ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز لغلام له: اتني بكيس فجاهد بكيس فإذا فيه حصص ويض قد قطع، قد حول حجارة. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

قال ابن عباس: أي اطبع عليها.

وهذه دعوة غضب لله تعالى ولدينه ولبراهينه فاستجاب الله تعالى لها وحققها وتقبلها كما استجاب لنسوح في قومه حيث قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِكْرًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كُفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

ولهذا قال تعالى مخاطباً لموسى حين دعا على فرعون وملته وأمر أخوه هارون على دعائه فتزل ذلك منزلة الداعي أيضاً: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَمَنَّا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم فأذن لهم وهو كاره ولكنهم تجهزوا للخروج وتأهبوا له وإنما كان في نفس الأمر مكيلة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم.

تارات.

فذكروا أن جبريل عليه السلام تبشّر في صورة فارس راكب على رمكة حائل فمر بين يدي فحل فرعون لعنة الله فحمحم إليها وأقبل عليها وأسرع جبريل بين يديه فاستحمم البحر واستبق الجنود وقد أجاد فبادر مسرعاً هذا وفرعون لا يملك من نفسه ولا نفسه ضراً ولا نفعاً.

فلما رآه الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين فحصلوا في البحر اجمعين اكنعين ابصعين حتى هم أولهم بالخروج منه؛ فعند ذلك أمر الله تعالى كلمه ﷺ فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر بمصاه فضربه فارتطم عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم إنسان: قال الله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾: الشعراء: ٦٥-٦٨. أي في إنجائه أوليائه فلم يفرق منهم أحد وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصديق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمنهج المستقيمة.

وقال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْقَرَقُ قَالَ أَكُنْتُ أَنَا إِلَهٌ إِلَّا الَّذِي آتَيْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. أَلَا وَفَدَّ عَصِيَّتَ قَبْلَ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ بَيْنَكَ لِنُكُونُ لِمَنْ خَلَقْتَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ أَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٠-٩٢)

يجر تعالى عن كيفية غرق فرعون زعيم كفرة القبط وأنه لما جعلت الأمواج تخفضه تارة وترفعه أخرى وينو إسرائيل ينظرون إليه ولي جنوده ماذا أحل الله به وبهم من البأس العظيم والخطب الجسيم ليكون أقر لأعين بني إسرائيل وأشفي لنفوسهم.

فلما عاين فرعون الملكة وأحيط به وبأشر سكرات الموت أتاب حيثش وناب وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٩٦-٩٧).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعْتَنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّ اللَّهُ الَّذِي قَدْ خَلَقْتَنِي فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (طه: ٨٤-٨٥).

وهكذا دعا موسى على فرعون وملائه أن يطمس على أموالهم ويشدد على قلوبهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أي حين لا ينفعهم ذلك ويكون حسرة عليهم وقد قال تعالى لهم - أي لموسى وهارون - حين دعوا بهذا: ﴿فَقَدْ أَجَبْتُمْ دَعْوَانَكُمْ﴾ فهذا من إجابة الله تعالى دعوة كلمه وأخيه هارون عليهما السلام.

ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٣٠٩/١] حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: فلما قال فرعون: ﴿أَكُنْتُ أَنَا إِلَهٌ إِلَّا الَّذِي آتَيْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ قال: فقال لي جبريل: لو رأيته وقد أخذت من حال البحر فدمسته في فيه غفاة أن تناله الرحمة.

ورواه الترمذي [٣١٠٧] وابن جرير (مسنود: ١٦٦٣/١) وابن أبي حاتم عند هذه الآية من حديث حماد بن سلمة.

وقال الترمذي: حديث حسن.

وقال أبو داود الطيالسي [٢٦١٨]: حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت

١٤٣/١ - ٤١٥؛ قاله أعلم.

قال الله تعالى ﴿فَأَرْخَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء: ٦٣.

ويقال: إنه انفلق اثني عشرة طريقاً لكل سبط طريق يسرون فيه حتى قيل: إنه صار أيضاً شبايك ليرى بعضهم بعضاً. وفي هذا نظر لأن الماء جرم شفاف إذا كان من ورثه ضياء حكا.

وهكذا كان ماء البحر قائماً مثل الجبال مكفوفاً بالقدره العظيمة الصادرة عن الذي يقول للشيء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور للفتح حال البحر فأذهبته حتى صار يابساً لا يعلق في سنايك الخيول والدواب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْخَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى. فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشَّيْنَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَأْ غِيْثَهُمْ. وَأَغْرَقْنَا فِرْعَوْنَ وَمَنْ هَدَىٰ رِبِّهِ: ٧٧-٧٩.

والمتصور أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال بإذن الرب العظيم الشديد الحال أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل فاعندوا فيه مسرعين مستبشرين مبادين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المؤمنين.

فلما جاوزوه وجاوزه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بمصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه. ولا سبيل عليه فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المقال:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَذْأُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. إِنِّي عَلَنْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون. وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاسْتَغْلِبُوا فَدَعَا رَبِّي أَنْ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ. فَأَسْرَبَ بِيَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّشْهُونَ. وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ زُفْرًا إِنَّهُمْ جُذْءٌ مُّفْرَقُونَ. كَمْ تَرَكُوا مِنْ جُلُاتٍ وَثِيونَ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعَمْتَ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ. فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ. وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى النَّالِيَيْنِ. وَأَيَّتَانَهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ (الدخان: ١٧-٣٣).

فقله تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ زُفْرًا﴾ أي: ساكناً على هيته لا تغيره عن هذه الصفة.

قاله عبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع والضحاك وقتادة وكعب الأجلار وسماك بن حرب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم (مسنود الطبري: ١٢١/٢٥ - ١٢٢).

فلما تركه على هيته وحالته وانتهى فرعون. فرأى ما رأى وعاين ما عاين هاله هذا النظر العظيم وتحقيق ما كان يتحقق قبل ذلك من أن هذا من فعل رب العرش الكريم فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده تمهلاً وعاملهم معاملة العدا وحملت النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فاطاعوه وعلى باطله تابعوه: انظروا كيف انحسر البحر لي لأدرك عبيدي الأقبين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي. وجعل يوري في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيئات ويقدم تارة ويحجم

وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: لو رأيته وأنا أخذ من حال البحر فادسه في فم فرعون مخافة أن تذكره الرحمة»
ورواه الترمذي [٣١٠٨] وابن جرير [هـ: ١٦٣/١١] مرفوعاً، [١٦٤/١١] موقوفاً من حديث شعبة وقال الترمذي: حسن غريب صحيح وإشار ابن جرير في رواية إلى وقته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أغرق الله فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته: «كأنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل» قال: فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه فجعل يأخذ الحال بمناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه.
ورواه ابن جرير [هـ: ١٦٤/١١] من حديث أبي خالد به.

وقد رواه ابن جرير [هـ: ١٦٣/١١] من طريق كثير بن زاذان وليس بمعروف.
وعن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: يا محمد لو رأيته وأنا أعطه وأدس من الحال في فيه مخافة أن تذكره رحمة الله فيفقر له، يعني فرعون».

وقد أرسله غير واحد من السلف كإبراهيم التيمي وقادة وميمون بن مهران ويقال: إن الضحاک بن قيس خطب به الناس [هـ: الطبري: ١٦٤، ١٦٣/١١].
وفي بعض الروايات: إن جبريل قال: ما بغضت أحدا بغضي لفرعون حين قال: إنا ربكم الأعلى ولقد جعلت أدس في فيه الطين حين قال ما قال.

وقوله تعالى: «الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» استفهام إنكار ونص على عدم قوله تعالى منه ذلك لأنه والله أعلم لو رد إلى الدنيا كما كان لعاد إلى ما كان عليه كما أخبر تعالى عن الكفار إذا عابوا النار وشاهدوا ما بهم يقولون: «يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكُذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» [الأنعام: ٢٧].

قال الله: «إِنِّي بَنَّا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَنَسَوْا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» [الأنعام: ٢٨].
وقوله: «فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ مِن ظَنِّكَ إِنَّكَ لَتَكُونُ لِمَن خَلَقْتَ آيَةً» [يونس: ٩٢]
قال ابن عباس وغير واحد: شك بعض بني إسرائيل في موت فرعون حتى قال بعضهم: إنه لا يموت؛ فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع.

قيل: على وجه الماء.
وقيل: على نجوة من الأرض وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه ويعلموا قدرة الله عليه.
ولمّا قال: «فَالْيَوْمَ نَنجِيكَ مِن ظَنِّكَ» أي مصاحباً درعك المعروفة بسك «لَتَكُونُ» أي أنت آية.
«لِمَن خَلَقْتَ» أي من بني إسرائيل دليلاً على قدرة الله الذي أهلكه.

ولمّا قرأ بعض السلف «لَتَكُونُ لِمَن خَلَقْتَ آيَةً»
ويعتدل أن يكون المراد تنجيك مصاحباً درعك ليكون درعك علامة لمن وراءك من بني إسرائيل على معرفتك وأنت هلك؛ والله أعلم.
وقد كان هلاكه وجوده في يوم عاشوراء. كما قال الإمام البخاري في صحيحه [٤٦٨٠]: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود

٤٣- ما كان من أمر بني

إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى: «فَاتَّبَعْنَا بِهِمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بَاقِيَهُمْ كَتَبْنَاهُ بَابَاتِنَا وَكَاتَبْنَا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبِّكَ تِلْكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَفَعْنَا مَا كَانَ يُصَنِّعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ. وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَقْبَرْنَا عَلَى قَوْمٍ يَعْبُكُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَخْبِرْ اللَّهَ أَيْبِيَكُمْ إِلَهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مَن آك فِرْعَوْنُ بِشُؤْمِكَ سَوَّاهُ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بِلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ» [الأعراف: ١٣٦-١٤١].

يذكر تعالى ما كان من أمر فرعون وجنوده في غرقهم وكيف سلبهم عزمهم ومالهم وأنفسهم وأورث بني إسرائيل جميع أموالهم وأملأهم كما قال: «كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» [الشعراء: ٥٩].
وقال: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُكُمُ الْوَارِثِينَ» [القصص: ٢٥].

وقال هنا: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبِّكَ تِلْكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَفَعْنَا مَا كَانَ يُصَنِّعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ» [الأعراف: ١٣٧].

أي أهلك ذلك جميعه وسلمهم عزمهم العزيز العريض في الدنيا وهلك الملك وحاشيته وأمرأه وجنوده ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والراعياء.
فذكر ابن عبد الحكم في تاريخ مصر [ص ٢٨] أنه من ذلك الزمان تسلط نساء مصر على رجالها بسبب أن نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من العامة فكانت هن السطوة عليهم واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومك هذا.

وعند أهل الكتاب أن بني إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم وأمر أن يذبح كل أهل بيت حملاً من الغنم فإن كانوا لا يحتاجون إلى حمل فليشارك الجار وجاره فيه فإذا ذبحوه فليضحوا من دمه على أعتاب آبائهم ليكون علامة لهم على بيوتهم ولا يأكلونه مطبوخاً ولكن مشوياً برأسه وأكارعه ويطنه ولا يبقوا منه شيئاً ولا يكسروا له عظماً ولا يخرجوا منه شيئاً إلى خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيراً سبعة أيام ابتداء من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم وكان ذلك في فصل الربيع فإذا أكلوا فلنكن أرواسهم مشحودة وخضاهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم وليأكلوا بسرعة قياماً. ومهما فضل عن عشايتهم فما بقي في اليد فليحرقوه بالنار.

وشرع لهم هذا عيداً لأعقابهم ما دامت التوراة معمولاً بها فإذا نسخت

حقيقة يوحى إليها.

وغربها بالدف في مثل هذا اليوم الذي هو أعظم الأعياد عندهم دليل على أنه قد كان شرع لمن قبلنا ضرب الدف في العيد. وهذا مشروع لنا أيضاً في حق النساء لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدف في أيام منى ورسول الله ﷺ مضطجع مولى ظهره إليهم ووجهه إلى الحائط فلما دخل أبو بكر زجرهن وقال أئزموه الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فقال: «دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا» (٨٩٢) م (٩٤٩).

وهكذا يشرع عننا في الأهراس ولقدوم الغياب كما هو مقرر في موضعه والله أعلم.

وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام مكثوا ثلاثة أيام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقاً أجاباً لم يستطيعوا شربه فأمر الله موسى عليه السلام فاخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساخ شربه، وعلمه الرب هنالك فرائض وستناً، ووصاه وصايا كثيرة.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز المهيمن على ما عدها من الكتب ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَمَّ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قالوا: هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دهم على صدق ما جاءهم به رسول ذي الجلال والإكرام، وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصناماً. قيل: كانت على صور البقر، فكانهم سألوه لم يعبدونها؟ فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ويستترقون بها عند الضرورات، فكان بعض الجهال منهم صدقهم في ذلك، فسألوا نبهم الكريم العظيم، أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة، فقال لهم مينا لهم أنهم لا يعقلون ولا يهتدون:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ثم ذكرهم نعمة الله عليهم في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم والشرع، والرسول الذي بين أظهرهم وما أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينظرون، وتوريته إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعونه من الأموال والسعادة، وما كانوا يعرضون، وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك له لأنه الخالق الرزاق القهار، وليس كل بني إسرائيل سأل هذا السؤال، بل الضمير عائد على الجنس في قوله: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْيَمَّ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أي قال بعضهم كما في قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَايِرْ مِنْهُمْ أَحَداً. وَغَرَضُوا عَلَى رِثْكَ صَفَاً لَقَدْ جَعَلْنَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ تَبْعَكَ لَكُمْ مُوعِداً﴾ (الكهف: ٤٧، ٤٨) فالذين زعموا هذا بعض الناس لا كلهم.

وقد قال الإمام أحمد [٢١٨/٥]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حين فمرنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينطون سلاحهم بسدرة ويمكنون حولها، فقال نبي ﷺ: «الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تكونون سنن الذين من قبلكم».

بطل شرعها وقد وقع.

قالوا: وقتل الله عز وجل في تلك الليلة أبكار القبط وأبكار دوابهم ليشتملوا عنهم وخرج بنو إسرائيل حين انتصف الليل وأهل مصر في مناحة عظيمة على أبكار أولادهم وأبكار أمولهم ليس من بيت إلا وفيه عويل. وحين جاء الوحي إلى موسى خرجوا مسرعين فحملوا العجين قبل اختتماره وحملوا الأزواد في الأردية وألقوها على عواتقهم، وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حلياً كثيراً فخرجوا وهم ستمائة ألف رجل سوى الذراري بما معهم من الأنعام وكانت مدة مقامهم بمصر أربعمئة سنة وثلاثين سنة. هذا نص كتابهم.

وهذه السنة عندهم تسمى سنة الفسخ وهذا العيد عيد الفسخ ولهم عيد القطير وعيد الحمل وهو أول السنة.

وهذه الأعياد الثلاثة أكد أعيادهم منصوص عليها في كتابهم.

ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا على طريق بحر سوف. وكانوا في النهار يسرون والسحاب بين أيديهم يسر أمامهم فيه عامود نور وبالليل أمامهم عامود نار فأنهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فترلوا هنالك وأدركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على شاطئ اليم، فقلق كثير من بني إسرائيل حتى قال قائلهم: كان بقاؤنا بمصر أحب إلينا من الموت بهذه البرية.

وقال موسى عليه السلام لمن قال هذه المقالة: لا تخشوا فإني فرعون وجنوده لا يرجعون إلى بلدكم بعد هذا.

قالوا: وأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس. وصار الماء من ههنا وههنا كالجليبين وصار وسطه يساً لأن الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم فجاز بنو إسرائيل البحر وأثبهم فرعون وجنوده فلما توسطوه أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فخرج الماء كما كان عليهم.

لكن عند أهل الكتاب أن هذا كان في الليل وأن البحر ارتطم عليهم عند الصبح؛ وهذا من غلطهم وعدم فهمهم في ترمييمهم والله أعلم.

قالوا: ولما أفرق الله فرعون وجنوده حيث ذبح موسى وبنو إسرائيل بهذا التسبيح للرب وقالوا: «نسبح الرب الهنا الذي قهر الجنود ونبذ فرسانها في البحر المتبحر المحمود وهو تسبيح طويل.

قالوا: وأخذت مريم النبية أخت هارون دفاً بيدها وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف وطبول وجعلت مريم ترتل لمن تقول: سبحان الرب القهار الذي قهر الخيول وركبناها إلقاء في البحر.

هكذا رأيته في كتابهم.

ولعل هذا هو من الذي حمل محمد بن كعب القرظي على زعمه أن مريم بنت عمران أم عيسى هي أخت هارون وموسى مع قوله: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾. وقد بينا غلظه في ذلك وأن هذا لا يمكن أن يقال ولم يتابعه أحد عليه بل كل واحد خالفه فيه ولو قدر أن هذا محفوظ فهذه مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وأم عيسى عليها السلام. واقتضاها في الاسم واسم الأب واسم الأخ؛ لأنهم كما قال رسول الله ﷺ: «للمغيرة بن شعبه لما سأله أهل نجران عن قوله: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ فلم يدر ما يقول لهم حتى سأله رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أما علمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم» رواه مسلم [٢١٣٥].

وقوله: النبية كما يقال للمرأة من بيت الملك ملكة ومن بيت الإمرة أميرة وإن لم تكن مباشرة شيئاً من ذلك فكنا هذه استعارة لها لا أنها نبية

سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فشرهم بين يدي ملك الجبارين فقال: ما هؤلاء؟ ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه.

وكل هذه هذيان وخرافات لا حقيقة لها.

وأن الملك بعث معهم عبداً كل عبداً تكفي الرجل وشيتاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالمهم (الطهر نيسر الطبري: ١٧٤/٦) وهذا ليس بصحيح. وذكروا هنا أن عوج بن عتي خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع.

مكننا ذكره البغوي وغيره (قصص الأنبياء للصلي: ص ٢١٣ - ٢١٥) وليس بصحيح كما قلنا بيانه عند قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ طُولَهُ سِتُونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَخْلُقُ يَقْصُصُ حَتَّى الْآنَ رَجُلٌ (٣٢٦) م (٢٨٤١)».

قالوا: فعمد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه ليلقيها على جيش موسى فجاء طائر ففر تلك الصخرة فخرقها فصار طوقاً في عنق عوج بن عتي. ثم عمد موسى إليه فوثب في الهواء عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع وبيده عصاه وطولها عشرة أذرع فوصل إلى كعب قدمه فقتله.

يروى هنا عن نوف البكالي ونقله ابن جرير (تاريخه: ٤٣١/١) عن ابن عباس وفي إسناده إليه نظر.

ثم هو مع هذا كله من الأساطيل وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل فإن الأخبار الكذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحيحها وباطلها. ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معلومين في النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ونهاهم عن الإحجام. ويقال: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يونا.

قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد (نيسر الطبري: ١٧٦/٦، ١٧٧).

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي يخافون الله.

وقرأ بعضهم ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: يُهابون.

﴿أَتَنَعَّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي بالإسلام والإيمان والطاعة والشجاعة.

﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا﴾

إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إذا توكلتم على الله واستعتم به ولجأتم إليه نصركم على عدوكم وأيدكم عليهم وظفركم بهم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا كَانُوا فِيهَا فَاذْعَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِلُونَ﴾ فصمم ملوهم على النكول عن الجهاد ووقع امر عظيم ووهن كبير.

يقال: إن يوشع وكالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثابهما وإن موسى وهارون سجدا - عليهما السلام - أعظما لهذا الكلام وغضباً لله عز وجل وشفقة عليهم من وبيل هذه المقالة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَجْبِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

قال ابن عباس اقض بيني وبينهم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُتَرَمَّةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسببون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً.

ويقال: إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة ولم يبق إلا ذرايعهم سوى يوشع وكالب عليهما السلام.

ورواه النسائي (مؤري: ١١٨٥) عن معمر بن رافع عن عبد الرزاق به.

ورواه الترمذي (٢١٨٠) عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان بن عيينة عن الزهري به. ثم قال حسن صحيح.

وقد روى ابن جرير (تفسيره: ٤٥/٩، ٤٦) من حديث محمد بن إسحاق ومعمر وعقيل عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبيه وأبى الليث أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال: وكان لكفار سدره يكفون عندها، ويعلقون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، قال: فمرنا بسدره خضراء عظيمة، قال: فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مَا هُمْ بِهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

والمقصود أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين من الحبشانيين والفرزاريين والكنعانيين وغيرهم، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم وإجلالهم إياهم عن بيت المقدس، فإن الله كبه لهم، ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل فأبوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم في التيه يسبون ويحلون ويرحلون ويذهبون ويحيثون في مدة من السنين طويلة هي من العدد أربعون.

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدٌ مِّنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا كَانُوا فِيهَا فَاذْعَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِلُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَجْبِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُتَرَمَّةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٠-٢٦).

يذكرهم نبي الله نعمة الله إليهم إحسانه عليهم بالنعمة الدينية والدنيوية ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي تنكصوا على أعقابكم وتكلموا على قتال أعدائكم.

﴿فَتَقْتَبِلُوا خَائِبِينَ﴾ أي فتخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ﴾ أي عتاة كفر متبردين.

﴿وَرَأَيْنَا لَنُذْخِلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ خافوا من هؤلاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو أكثر تجبراً من هؤلاء وأشد بأساً وأكثر جماعاً وأعظم جنأً وهذا يدل على أنهم ملومون في هذه المقالة ومنعمون على هذه الحالة من الذلة عن مصولة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء.

وقد ذكر كثير من المفسرين هنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافتها من أنهم كانوا أشكلاً هائلة ضخماً جداً.

حتى إنهم ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلقهم في أكمامه وحجرة

عليهم وكلما مالت يده بها من تعب أو غوه غلبهم أولئك وجعل هارون وخور يدعما يديه من عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس فانتصر حزب يوشع عليه السلام.

وعندهم أن يثرون كاهن ملين وختن موسى عليه السلام بلغه ما كان من أمر موسى وكيف أظفره الله بعلوه فرعون فقدم على موسى مسلماً ومعه ابنته صفورا زوجة موسى وابناها من جرشون وعازر فلتقاه موسى وأكرمه واجتمع به شيوخ بني إسرائيل وعظموه وأجلوه.

وذكروا أنه رأى كثرة اجتماع بني إسرائيل على موسى في الخصومات التي تقع بينهم فأشار على موسى أن يجعل على الناس رجالاً أمناء أتقياء أعضاء ييغضون الرشا والحياة فيجعلهم على الناس رؤوس السوف ورؤوس مئين ورؤوس خمسين ورؤوس عشرة فيقضوا بين الناس فإذا أشكل عليهم أمر جاؤوك ففصلت بينهم مما أشكل عليهم؛ ففعل ذلك موسى عليه السلام.

قالوا ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في أول السنة التي شرعت لهم وهي أول فصل الربيع فكانهم دخلوا إلى في أول فصل الصيف والله أعلم.

قالوا: ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء وصعد موسى الجبل فكلّمه ربه وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أتم الله به عليهم من إنجائه إياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يديه وقبضته وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا إلى اليوم الثالث فإذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقترب أحد منهم إليه فمن ذنا منه قتل حتى ولا شيء من البهائم ما داسوا يسمعون صوت القرن فإذا سكن القرن فقد حل لكم أن ترتقوه فسمع بنو إسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيّبوا.

فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها أصوات وبروق وصوت الصور شليد جداً ففزع بنو إسرائيل من ذلك فرعاً شديداً وخروجاً فقاموا في سفح الجبل وغشي الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور وتزلزل الجبل كله زلزلة شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل والله يكلمه ويتناجيه وأمر الرب عز وجل موسى أن ينزل فيأمر بني إسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصية الله ويأمر الأحياء وهم علماءهم أن ينزلوا فيصعدوا الجبل ليقدموا بالقرب

وهذا نص في كتابهم على وقوع النسخ لا عالة.

لقال موسى: يا رب إنهم لا يستطيعون أن يصعدوه وقد نهيتهم عن ذلك فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي معه بأخيه هارون وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني إسرائيل غير بعيد. ففعل موسى وكلّمه ربه عز وجل فأمره حيث دل بالعرش كلمات.

وعندهم أن بني إسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون لموسى: بلّغنا أنت عن الرب عز وجل فإننا نخاف أن نموت فبلغهم عنه فقال: هذه العشر الكلمات وهي الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له. والنهي عن الحلف بالله كاذباً. والأمر بالحفاظة على السبت.

ومعناه: تفرغ يوم من الأسبوع للعبادة. وهذا حاصل يوم الجمعة الذي نسخ الله به السبت.

أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض الذي يعطيك الله ربك لا

لكن أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استأثروهم في الذهاب إلى الثغر تكلم الصديق فأحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول: «أشيروا عليّ» حتى قال سعد بن معاذ: كأنك تعرض بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد وسطه ذلك (تفسير الطبري: ١٨٥/٩، ١٨٦، وأصله في م (١٧٧٩)).

وقال الإمام أحمد (٣١٤/٤): حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن غمار بن عبد الله الأحسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر: «يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِثُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكم مقاتلون».

وهذا إسناد جيد من هذا الوجه وله طرق أخرى.

قال أحمد (٣٨٩/١): حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن غمار عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أنى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين قال: والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِثُونَ﴾ ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك.

فرايت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك.

رواه البخاري في التفسير (٤٦٠٩) والمغازي (٣٩٥٢) من طرق عن غمار به.

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا علي بن الحسن بن علي حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استأثر المسلمين فأشار عليه عمر ثم استأثرهم فقال الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ قالوا: إذا لا نقول له كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِثُونَ﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادنا إلى برك الغماد لا تبعثنا.

رواه الإمام أحمد (١٨٨/٣) عن عبيدة بن حميد عن حميد الطويل عن أنس به.

ورواه النسائي (١١١٤١) عن محمد بن المنثري عن خالد بن الحارث عن حميد عن أنس به نحوه.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٧٢١) عن أبي يعلى عن عبد الأعلى بن حماد عن معتمر عن حميد عن أنس به نحوه.

٤٤- قصة دخول بني إسرائيل إلى

قد ذكرنا نكول بني إسرائيل عن قتال الجبارين وأن الله تعالى عاقبهم بالتيه وحكم بأنهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة.

ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين ولكن فيها أن يوشع جهز موسى لقتال طائفة من الكفار وأن موسى وهارون وخور جلسوا على رأس أكمة ورفع موسى عصاه فكلموا ونفعا انتصر يوشع

تقتل. لا تزني. لا تسرق. لا تشهد على صاحبك شهادة زور. لا تمد عينك إلى بيت صاحبك. ولا تنته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا شوره ولا حماله ولا شيئاً من الذي لصاحبك.
ومعناه النهي عن الحسد.

وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم: مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن وهما قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِسْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْلَمُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَهْدِي اللَّهُ أَوْفَرًا ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّقُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

وذكروا بعد العشر الكلمات وصايا كثيرة وأحكاماً متفرقة عزيزة كانت فرالت وعمل بها حيناً من الدهر.

ثم طرأ عليها عصيان من الكافرين بها ثم عملوا إليها فبدلوا وحرفوها وأولوها. ثم بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة بعلماء كانت مشروعة مكملة لله الأمر من قبل ومن بعد وهو الذي يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَغْنَيْنَاكُمْ مِنْ عَذْوِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَرَزَقْنَاكُمْ عَلَى الْغَنَىٰ وَالسَّلَوى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ. وَإِنِّي لَأَفْقَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٠-٨٢].

يذكر تعالى مشه وإحسانه إلى بني إسرائيل بما ألحاهم من أعلانههم وخلصهم من الضيق والحرج وأنه وعدهم صحة نبيهم كلمه إلى ﴿جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي منهم ليزل عليه أحكاماً عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شلثهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع من من السماء يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد ومن ادخر منه لأكثر من ذلك فسد. ومن أخذ منه قليلاً كفاه أو كثيراً لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز وهو في غاية البياض والحلاوة فإذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتصرون منه بلا كلفة ما يحتاجون إليه حسب كفايتهم لعشاهم.

وإذا كان فصل الصيف ظلل الله عليهم الغمام وهو السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس وضوها الباهر.

كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا بَعْعْتِي الَّتِي أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون. وَأَبْرَأُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَائِي مِمَّا قَلِيلًا وَلِيَّايَ فَاتَّقُون﴾ [البقرة: ٤٠-٤١].

إلى أن قال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيم. وَإِذْ فَتَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَمَلَيْتُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِي وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَرَضْنَا

عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ لَمَنْ خَلَقْتُمْ فَلْنَمُنَّ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَاهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٤٩-٥٧].

إلى أن قال: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِياً فَذَعَلَ كُلُّ آتِسٍ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَأَشْرَبُوا مِنْ رَوْقِ الْمَاءِ وَلَا تَغَوَّا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُبْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَنَصْلَها فَكَانَ اسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطَوْا مَضِراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصَرَّيْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَتَآوَرُوا بِغَضَبِ مَنْ أَلَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦٠-٦١].

يذكر تعالى إنعامه عليهم وإحسانه إليهم بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعي لهم فيه بل يزل الله المن باكراً ويرسل عليهم طير السلوى عشياً وأتبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجراً كانوا يحملونه معهم بالعصا فصدر منه اثنا عشرة عيناً لكل سبط عين منه تنبجس. ثم تنجر ماء زلالاً فيستقون ويشربون ويسقون دوابهم وينحرون كفايتهم وظلل عليهم الغمام من الحر.

وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فما رعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق عبادتها.

ثم فاجر كثير منها وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوا منها ببدلها عما تبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها ونصلها. ففرعهم الكليم ووجههم وأنهم على هذه المقالة وعنفهم قائلاً ﴿اسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطَوْا مَضِراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ أي هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل هذه النعم التي أنتم فيها حاصل لأهل الأمصار الصغار والكبار موجود بها وإذا هبطتم إليها أي ونزلتم عن هذه المرتبة التي لا تصلحون لنصبتها تجلدوا بها ما تستهون وما ترومون مما ذكرتم من المأكَل الدنية والأغنية الردية ولكي لست أجيئك إلى سؤالكم ذلك ههنا ولا أبلغكم ما تعتمد به من المنى.

وكل هذه الصفات المذكورة عنهم الصادرة منهم تدل على أنهم لم يتبها عما نواها عنه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١] أي فقد هلك وحق له والاله الهلاك والدمار وقد حل عليه غضب الملك الجبار ولكنه تعالى مزج هنا الوعيد الشديد بالرجاء لمن أناب وتاب ولم يستمر على متابعة الشيطان المريد فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَفْقَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

٤٤- سؤال بني إسرائيل الرؤية

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِغَشْرِ قَسَمِ بَيَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا

وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ».

قال مجاهد: «وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي» فإنه أكبر منك وأشد خلقاً. فلما تجلّى ربه للجبل فظهر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فكد على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخر صغفاً.

وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الإمام أحمد (٢٠٩/٣) والترمذي (٣٠٧٤) وصححه، وابن جرير (موسى: ٥٢/٩) والحاكم (٥٧٧/٢) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت. زاد ابن جرير: وليث عن أنس أن رسول الله ﷺ قرأ: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ كَدًّا» قال هكذا بأصبعه ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفضل الأعلى من الخصر فساخ الجبل. لفظ ابن جرير.

وقال السدي عن عكرمة وعن ابن عباس: ما تجلّى يعني من العظمة إلا قدر الخصر فجعل الجبل دكاً قال: تراباً.

«وَزَخَّرَ مُوسَى صَيْقًا» أي مغشياً عليه وهو الطوري: (٥٢/٩، ٥٣).

وقال قتادة: ميتاً.

والصحيح الأول لقوله: «فَلَمَّا أَفَاقَ» فإن الإفاقة إما تكون عن غشي.

قال «سُبْحَانَكَ» تنزيه وتعظيم وإجلال أن يراه بعظمته أحد.

«ثَبَّتَ إِلَيْكَ» أي فلتستأصل بعد هذا الرواية.

«وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» أنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدعه.

وقد ثبت في الصحيحين (٤٦٣٨، ٦٩١٧، ٢٢٧٤) م (٢٢٧٤) من طريق عمرو بن يحيى بن عمار بن أبي حسن المازني الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فاكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفأفق قبلي أو جاوزي بصعقة الطور».

لفظ البخاري وفي أوله قصة اليهودي الذي لطم وجهه الأنصاري حين قال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فقال رسول الله ﷺ: «لا تخيروني من بين الأنبياء».

وفي الصحيحين (٢٤١١، ٢٣٧٣) م (٢٣٧٣) من طريق الزهري عن أبي سلمة وعبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه وفيه: «لا تخيروني على موسى» وذكر تمامه.

وهذا من باب المضم والتواضع أو نهى عن التفضيل بين الأنبياء على وجه الغضب والعصية أو ليس هذا إليكم بل الله هو الذي رفع بعضهم فوق بعض درجات وليس ينال هذا بمجرد الرأي بل بالتوقيف.

ومن قال: إن هذا قاله قبل أن يعلم أنه أفضل ثم نسخ باطلعه على أفضلته عليهم كلهم ففي قوله نظر؛ لأن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة إلا عام خير متأخراً فيبعد أنه لم يعلم بهذا إلا بعد هذا والله أعلم ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر بل الخليفة.

قال الله تعالى: «كُتِبَ خَيْرَ أَمْرٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (آل عمران: ١١٠) وماكملوا إلا بشرف نبيهم.

وثبت بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» (٢٢٧٨، ٤٦٧٣، ٣١٤٨، ٣٢١٥).

ثم ذكر اختصاصه بالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون

تَبَعَ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ كَدًّا وَزَخَّرَ مُوسَى صَيْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَخَذِهَا بِأَيْمَانِهَا سَائِرَكُمْ قُلُّوا الْقَاسِيَيْنِ. سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا فَلْيَكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ. وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (الأعراف: ١٤٧-١٤٨)

قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد: الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة بكماله وانقضت أربعين ليلة بعشر ذي الحجة وهو الطوري: (٤٨، ٤٧/٩).

فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكمل الله عز وجل لحمد ﷺ دينه وأقام حجته وبراهينه.

والقصد أن موسى عليه السلام لما استكمل الميقات وكان فيه صائماً يقال: إنه لم يستطع الطعام فلما كمل الشهر أخذ لحاً شجرة فمضغه لطيب ريح فمه فامر الله «أن يمسك عشراً أخرى فصارت أربعين ليلة».

ولهذا ثبت في الحديث (١٨٩٤، ١١٥١) م (١١٥١) أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بني إسرائيل أخاه هارون المحب للجبل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره في الدعوة إلى مصطفيه فوصاه وأمره ونهاه وليس في هذا لعل منزلته في نبوته منافاة.

قال الله تعالى: «وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِهِ» أي في الوقت الذي أمر بالجمي فيه.

«وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» أي كلمه الله من وراء حجاب إلا أنه أسمعته الخطاب فناداه ونجاه وقربه وأذناه.

وهذا مقام رفيع ومعدل منيع ومنصب شريف ومنزل منيف فصلوات الله عليه ترى وسلامه عليه في الدنيا والآخرة.

ولما أعطى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية وسمع الخطاب سأل رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الأبصار القوي البرهان: «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي». ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى؛ لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتاً وأشد ثباتاً من الإنسان لا يثبت عند التجلي من الرحمان ولهذا قال: «وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي».

وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدعه.

وفي الصحيحين (١٧٩٠، ١٩٦٠) م (١٩٦٠) عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سجابه النور».

وفي رواية: «النار لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وقال ابن عباس في قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» ذلك نوره الذي هو نوره إذا تجلّى لشيء لا يقوم له شيء. ولهذا قال تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ كَدًّا وَزَخَّرَ مُوسَى صَيْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتَ إِلَيْكَ

٤٥- قصة عبادتهم العجل

الذي تحب عنه الأنبياء والمرسلون حتى أولو العزم الأكملون نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم.

وقوله ﷺ: «فاكون أول من يقيم فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش - أي آخذاً بها - فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق في عرصات القيامة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصعقون من شدة الهبة والعظمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الأنبياء ومصطفى رب الأرض والسما على سائر الأنبياء فيجد موسى باطشاً بقائمة العرش.

قال الصادق المصطفى: «لا أدري أصعق فأفاق قبلي» (٤٦٧١). أي كانت صعقته خفيفة لأنه قد ناله بهذا السبب في الدنيا صعق.

«أو جوزي بصعقة الطور» يعني فلم يصعق بالكلية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحية. ولا يلزم تفضيله بها مطلقاً من كل وجه. ولهذا نبه رسول الله ﷺ على شرفه وتفضيله بهذه الصفة؛ لأن المسلم لما ضرب وجه اليهودي حين قال: «لا والذي اصطفى موسى على البشر» قد يحصل في نفوس بعض المشاهدين لذلك همض بجانب موسى عليه السلام فينبئ النبي ﷺ فضيلته وشرفه.

وقوله تعالى: «قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي» أي في ذلك الزمان لا ما قبله لأن إبراهيم الخليل أفضل منه كما تقدم بيان ذلك في قصة إبراهيم ولا ما بعده، لأن محمداً ﷺ أفضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الإسراء على جميع المرسلين والأنبياء وكما ثبت (٨٢٠) أنه قال: «ساقوم مقاماً يرغب إلي الخلق حتى إبراهيم».

وقوله تعالى: «فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» أي فخذ ما أعطيتك من الرسالة والكلام ولا تسال زيادة عليه وكن من الشاكرين على ذلك.

قال الله تعالى: «وَرَكِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْجِةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ» وكانت الألواح من جوهر نفيس

ففي الصحيح (ج ٢٦١٤) م (٢٦٥٢) أن الله كتب له التوراة يسده وفيها مواظ من الآكام وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

«فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ» أي بعزم ونية صادقة قوية.

«وَأَمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» أي يضعوها على أحسن وجوهها واجمل محاملها.

«سَأُرِيكُمْ ذَا الْفَاسِقِينَ» أي ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمرى المكنين لرسل.

«سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ» أي: عن فهمها وتدبرها وتعقل معناها الذي أريد منها ودل عليه مقتضاها.

«الَّذِينَ يَكْفُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّ آيَاتِهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا» أي ولو شاهدوا مهما شاهدوا من الخوارق والمعجزات لا يتقادوا لاتباعها.

«وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّسُلِ لَا يَنْجِدُوهُ سَبِيلاً» أي لا يسلكوه ولا يتبعوه.

«وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ النَّفْيِ يَنْجِدُوهُ سَبِيلاً لِكُلِّ بَاطِلٍ كُتِبُوا بِآيَاتِنَا» أي صرفناهم عن ذلك لتكنيهم بآياتنا وتغافلهم عنها وإعراضهم عن التصديق بها والتفكير في معناها وترك العمل بمقتضاها.

«وَالَّذِينَ كُتِبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

قال الله تعالى: «وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَنِيهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سَيطَ فِي آيَاتِهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَاناً أَبْصَا قَالَ بَشَماً خَلَقْتُمُونِي مِنْ بُعْدِي آعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْفَرَمِ اسْتَضَعُّتُونِي وَكَانُوا يَتْلَوْنَنِي فَلَا تُشْعِثْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَخْجَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبِيلَهُمْ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِيهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْءَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَنِيهِمْ وَأَمْسُوا إِلَى رَبِّكَ مِنْ بَنِيهِمْ لَنَقُورَ رُجُومَ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هَدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ يَرْجُونَ» (الأعراف: ١٤٨-١٥٤).

وقال تعالى: «وَمَا أَصْلَحْتُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هُمْ أُولَاءَ عَلَى آثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَاناً أَبْصَا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَصَا خَسَنًا أَطَاعَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مُوجِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْجِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا أَفَى السَّامِرِيُّ. فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ قَالُوا هَذَا إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسِي. أَفَلَا يَرْجُونَ إِلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِكَ وَأَنْتَ مِنْ أَتَابِعِي وَرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي. قَالَ قَدْغَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْجِداً لَنْ تَخْلُقَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَوْمِ نُسْفاً. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً» (١٨٣-١٩٨).

يذكر تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور يتابعه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها فعمد رجل منهم يقال له: السامري فآخذ ما كان استعاروه من الحلي فصاغ منه عجلاً وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خار كما يحور العجل الحقيقي (تاريخ الطبري: ٤٢٥/١).

ويقال: إنه استحال «عجلاً جَسَداً» أي لحما ودماً حياً يحور.

قاله قتادة وغيره (تفسير الطبري: ٢٠٠/١٦) وقيل: بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تحور البقرة فيرقصون حوله ويرفحون (قصص الأنبياء للصابي: ١٨٦).

«قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسِي» أي ففسى موسى ربه عندنا وذهب يطلبه وهو ههنا تمال الله عما يقولون علواً كبيراً وتقلست أسمائه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وعداته.

هنا معاقبة له في الدنيا ثم وعده في الأخرى فقال: ﴿وَإِنْ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَحْقُقَهُ﴾ وقرئ «لن تحققه».

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ قال: فعمد موسى عليه السلام إلى هذا العجل فحرقه بالنار كما قاله قتادة وغيره. وقيل: بالمبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرهما (تفسير الطبري: ٢٠٨/١٦، ٢٠٩) وهو نص أهل الكتاب.

ثم فراه في البحر وأمر بني إسرائيل فشرخوا فمن كان من عابديه علق على شفاهم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه وقيل: بل اصفرت ألوانهم. ثم قال تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لهم: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِيعَ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْبُجْلَ سِتْرًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ وهكذا وقع.

وقد قال بعض السلف ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ مسجلة لكل صاحب بدعة إلى يوم القيامة.

ثم أخبر تعالى عن حلمه ورحمته بخلفه وإحسانه على عبده في قبوله توبة من تاب إليه بتوبته عليه فقال: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَرُوا أَنِ يُرَكَّبَ مِّنْ بَعْدِهَا لَقُوسٌ رَّحِيمٌ﴾ لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ مِّنْ عَذَابِكُمْ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

فيقال: إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف وألقى الله عليهم ضباباً حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه. ثم مالوا على عابديه فقتلوه وحصلوهم.

فيقال: إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِأَرْبَبِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ استدلت بعضهم بقوله ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ على أنها تكسرت وفي هذا الاستدلال نظر وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت والله أعلم.

وقد ذكر ابن عباس في حديث الفتن كما سيأتي أن عبادتهم العجل كانت على أثر خروجهم من البحر وما هو بعيد لأنهم حين خرجوا ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾.

وهكذا عند أهل الكتاب فإن عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس وذلك أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف. ثم ذهب موسى يستغفر لهم فغفر لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيْقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَهَٰذَا أَتَاهَا بِنَا قُلُوبُ السَّفَهَاءِ بِنَا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَكَتَبَ لَنَا فِي مَسْكِ الثُّبَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلَيْكَ فَالْتَمِسْ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ الرُّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْلُوهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ

قال الله تعالى مينا بطلان ما ذهبوا إليه وما عولوا عليه من إلهية هذا الذي قصاره أن يكون حيواناً بهيماً وشیطاناً رجيماً ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يُلْقِيهِمْ سِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

فذكر أن هذا الحيوان لا يتكلم ولا يرد جواباً ولا يملك ضرراً ولا نفعاً ولا يهدي إلى رشد اتخذه وهم ظالمون لأنفسهم عالون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على ما صنعوا. ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩).

ولما رجع موسى عليه السلام إليهم ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ومعه الألواح المتضمنة التوراة ألقاها فقال: إنه كسرهما. وهكذا هو عند أهل الكتاب وإن الله أبدله غيرها وليس في اللفظ القرآني ما يدل على ذلك إلا أنه ألقاها حين عاين ما عاين.

وعند أهل الكتاب أنهما كانا لوحين وظاهر القرآن أنها ألواح متعددة ولم يثار بمجرد الخبر من الله تعالى عن عبادة العجل فامره بمعاينة ذلك.

ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٢١٥/١، ٢٧١) وابن حبان (١٦١٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة».

ثم أقبل عليهم فعتهم ووجعهم وهجمهم في صنيعهم هذا القبيح فاعتنوا إليه بما ليس بصحيح قالوا إنا ﴿خُفِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ تَفَاقَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ تخرجوا من تلك حلي آل فرعون وهم أهل حرب وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم ولم يخرجوا بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذي له خوار مع الواحد الأحد الفرد الصمد القهار.

ثم أقبل على أخيه هارون عليهما السلام قاتلاً لما هارون ما منك إذ رأيتهم ضلوا. أَلَا تَسْمَعُ أي هلا لا رأيت ما صنعوا اتبعني فاعلمتني بما فعلوا فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ﴾ أي تركتهم وجتني وأنت قد استخلفتني فيهم: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وقد كان هارون عليه السلام نهامهم عن هذا الصنيع الفظيع أشد النهي وزجرهم عنه أم الزجر قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي إنما قدر الله أمر هذا العجل وجعله بخور فتنة واختبروا لكم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ أي لا هذا العجل ﴿فَاتَّبَعُونِي﴾ أي فيما أقول لكم ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ قالوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. يشهد الله لهارون عليه السلام - ونحس بالله شهيداً - أنه نهامهم وزجرهم عن ذلك فلم يطيعوه ولم يتبعوه ثم أقبل موسى على السامري ﴿قَالَ فَمَا خَبْرُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ أي ما حملك على ما صنعت ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي رأيت جبرائيل وهو راكب فرساً ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي من أثر فرس جبريل.

وقد ذكر بعضهم أنه رآه وكان كلما وطئت بحوافرها على موضع اخضر وأحشب فاختد من أثر حافرها فلما ألقاه في هذا العجل المصنوع من الذهب كان من أمره ما كان ولهذا قاله ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِي نَفْسِي. قَالَ فَاذْغَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ وهذا دعاء عليه بأن لا يس أحداً معاقبة له على مسه ما لم يكن له مسه.

الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٧].

ذكر السدي وابن عباس وغيرهما أن هؤلاء السبعين كانوا علماء بني إسرائيل ومعهم موسى وهارون ويوشع وناداب وأيهو فذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتدروا عن بني إسرائيل في عبادة من عبد منهم العجل وكانوا قد أمروا أن يتطيروا ويتطهروا ويغتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل وعليه الغمام وعمود النور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو إسرائيل أنهم سمعوا كلام الله وهذا قد وافقهم عليه طائفة من المفسرين (هــسـو الطبري: ٣٦٧/١) وحلوا عليه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْزَنُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَغْلِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] وليس هنا بلازم لقوله تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦٦] أي مبلغاً.

وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغاً من موسى عليه السلام. وزعموا أيضاً أن السبعين رأوا الله وهذا غلط منهم لأنهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الرجفة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَا بَا مُوسَى لَنْ نُوْثِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦] وقال مهنا: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَثَائِي﴾ [الأعراف: ١٥٥] الآية.

قال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً الخبيرين. وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراكم من قومكم صرموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لمقات وقت له ربه وكان لا يأتيه إلا بأذن منه وعلم فطلب منه السبعون أن يسمعوا كلام الله فقال: افعل.

فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تنفث الجبل كله ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا. وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً فسمعوه وهو يكلم موسى يسأله وينهاه يفعل ولا تفعل.

فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم قالوا لموسى: ﴿لَنْ نُوْثِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فائتلت أرواحهم فماتوا جميعاً فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَثَائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منا فلما برآه مما عملوا (هــسـو الطبري: ٢٩١/١).

وقال ابن عباس ومجاهد وقادة وابن جريج: إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل. وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا نَسْتَكُ﴾ أي اختبارك وإبتلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وغير واحد من علماء السلف والخلف.

يعني أنت الذي قدرت هذا وخلقت ما كان من أمر العجل اختباراً تختبرهم به كما قال لهم هارون من قبل: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي اختبرتم به ولهذا قال: ﴿تُفِيلُ بِمَا مَنِ نَشَاءُ وَتَهْلِي مِنْ نَشَاءِ﴾ أي من شئت أضللت باختبارك إياه ومن شئت هديته. لك الحكم والمنشئة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت.

﴿أَنْتَ وَلَيْتَا فَاعْفُ رَأْفَةً وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك﴾ أي تبنا إليك ورجعنا وأبنا. قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية وإبراهيم التيمي والضحاك والسدي وقادة وغير واحد وهو كذلك في اللغة.

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَزَخْتِي وَسَيِّئْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أنا أعذب من شئت بما أشاء من الأمور التي أخلقها وأقدرها ﴿وَرَزَخْتِي وَسَيِّئْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كما ثبت في الصحيحين (ع ٣١٩٤)، م (٢٧٥١) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَتَبَ كِتَاباً فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنْ رَحِمِي تَغْلِبَ غَضَبِي».

﴿نَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي فسأوجها حتماً لمن يتصف بهذه الصفات ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية.

وهذا فيه تنبيه بذكر محمد ﷺ وامته من الله لموسى عليه السلام في جملة ما ناجاه به وأعلمه وأطلعه عليه. وقد تكلمنا على هذه الآية وما بعدها في التفسير بما فيه كفاية ومقتنع ولله الحمد والمثنة.

وقال قدامة: قال موسى: يا رب أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رب اجعلهم أمي. قال تلك أمة أحمد. قال رب إني أجد في الألواح أمة أمانجبلهم في صلواتهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوها، وإن الله أعطاكم أيها الأمة من الحفظ شيئاً، لم يعطه أحداً من الأمم. قال: رب اجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاوتون فضول الفضالة حتى يقاتلوا الأعداء الكذب، فاجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها. وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة قبلت منه بعث الله عليها ناراً فأكلتها، وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطيور، وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيهم لفقرهم. قال: رب فاجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد. قال: رب فإني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت لي عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال: رب اجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم فاجعلهم أمي. قال: تلك أمة أحمد.

قال: قدامة فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد (هــسـو الطبري: ٦٥/٩).

٤٦- ما كان من مناجاة موسى عليه السلام

وقد ذكر كثير من الناس ما كان من مناجاة موسى عليه السلام وأوردوا أشياء كثيرة لا أصل لها ونحن نذكر ما تيسر ذكره من الأحاديث والآثار بعون الله وتوفيقه وحسن هدايته وموعنته وتأييده.

قال الحافظ أبو حاتم محمد بن حاتم بن حبان في صحيحه (الإحسان ٢٢١٦): ذكر سؤال كليم الله ربه عز وجل عن أدنى أهل الجنة وأرفعهم منزلة:

عز وجل فذكر نحوه وفيه قال: أي رب فأبي عبادك أعلم؟ قال: الذي يتبني علم الناس إلى علمه عسى أن يجد كلمة تهدي إلى هدى أو ترده عن ردى. قال: أي رب فهل في الأرض أحد أعلم مني؟ قال: نعم الخضر فسأل السيل إليه فكان ما سئلكه بعد إن شاء الله وبه الثقة.

ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان

قال الإمام أحمد (٨١/٣): حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن موسى قال: أي رب عبادك المؤمن مقتر عليه في الدنيا قال: ففتح له باب من الجنة فنظر إليها قال: يا موسى هنا ما أعددت له. فقال موسى: يارب وعزتك وجلالك لو كان مقطع اليلين والرجلين يسحب على وجهه منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير يوماً قط قال: ثم قال: أي رب عبادك الكافر موسع عليه في الدنيا. قال: ففتح له باباً إلى النار فيقول: يا موسى هنا ما أعددت له فقال: أي رب وعزتك وجلالك لو كانت له الدنيا منذ يوم خلقته إلى يوم القيامة وكان هذا مصيره لم ير خيراً قط».

تفرد به أحمد من هذا الوجه. وفي صحته نظر والله أعلم.

وقال ابن حبان والإحسان (٢٦١٨): «ذكر سؤال كليم الله ربه جل وعلا أن يعلمه شيئاً يذكره به».

حدثنا ابن مسلم، حدثنا حرمة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «قال موسى: يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال: قل: يا موسى لا إله إلا الله قال: يارب كل عبادك يقول هذا. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: إنما أريد شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله».

ويشهد لهذا الحديث حديث البطاقة رت (٢٦٣٩)، ج (٤٣٠٠)

وأقرب شيء إلى معناه الحديث المروي في السنن رت (٣٥٨٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الدعاء دعاء عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

وقال ابن أبي حاتم عند تفسير آية الكرسي: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية. حدثنا أحمد بن عبد الرحمن اللشكبي، حدثني أبي عن أبيه حدثنا أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المنيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن بني إسرائيل قالوا لموسى: هل ينال ربك؟ قال: اتقوا الله فشاده ربه يا موسى سألوكم هل ينال ربك؟ فخذ زجاجتين في يديك فقم الليل ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نفس فوقع لركبته ثم انتعش ففبطهما حتى إذا كان آخر الليل نفس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا. فقال: يا موسى لو كنت أناس لسقطت السماوات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك. قال: وأنزل الله على رسوله آية الكرسي».

وقال ابن جرير (٧٣/٢): «حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال: فوقع في نفس موسى عليه السلام هل ينال الله عز وجل فأرسل الله إليه ملكاً فارقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتي في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال: فجعل ينال وكادت يدها تلقيان فيستقيظ فيجس إحداهما

أخبرنا عمر بن سعيد الطائي بمتيج حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا سفيان حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن أبجر شيخان صالحان سمعنا الشعبي يقول: سمعت المنيرة بن شعبة يقول على المنبر عن النبي ﷺ: «إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة أدنى منزلة؟ فقال: رجل يحيى بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال: ادخل الجنة فيقول: كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له: ترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان للملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: نعم أي رب فيقال: لك هذا ومثله ومثله فيقول: أي رب رضيت فيقال له: إن لك هذا وعشرة أمثاله. فيقول: أي رب رضيت، فيقال له: لك مع هذا ما اشتئت نفسك ولذت عينك.

وسأل ربه: أي أهل الجنة أرفع منزلة؟ قال: سأحدثك عنهم غرست كرامتهم يدي وتحت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومصدق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الآية (السجدة: ١٧).

وهكذا رواه مسلم (١٨٨٩) والترمذي (٣١٩٨) كلاهما عن ابن أبي عمر عن سفيان وهو ابن عيينة به.

ولفظ مسلم فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة: رضيت رب فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول: رضيت رب قال: رب فأعلام منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم يدي وتحت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال: ومصدقاه من كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال الترمذي: حسن صحيح. قال: ورواه بعضهم عن الشعبي عن المنيرة فلم يرفعه (١٨٩) وموقوفاً والمرفوع أصح.

وقال ابن حبان والإحسان (٢٦١٧): «ذكر سؤال الكليم ربه عن خصال سبع:

حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم بيت المقدس حدثنا حرمة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه عن ابن حجيبة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «سأل موسى ربه عز وجل عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة والسابعة لم يكن موسى يجيبها.

قال: يارب أي عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكر ولا ينسى قال: فأبي عبادك أهدى؟ قال: الذي يتبع الهدى قال: فأبي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: فأبي عبادك أعلم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه. قال: فأبي عبادك أعز؟ قال: الذي إذا قدر غفر قال: فأبي عبادك أغنى؟ قال: الذي يرضى بما يؤتى قال: فأبي عبادك أفقر؟ قال: صاحب مقوص».

قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن ظهر إنما الغنى غنى النفس وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه. وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين عينيه».

قال ابن حبان: قوله «صاحب مقوص» يريد به مقوص حاله يستقل ما أوتي ويطلب الفضل.

وقد رواه ابن جرير في تاريخه (٣٧١/١) عن ابن حميد عن يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال: سأل موسى ربه

على الأخرى حتى نام نومة فاصطفت يده فانكسرت القارورتان قال: ضرب الله له مثلاً أن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض.

وهذا حديث غريب رفعه، والأشبه أن يكون موقوفاً. وأن يكون أصله إسرائيلياً.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَوَعَفْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُلُوداً مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْعُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعَدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٣ - ٦٤]

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَتَنَبَّأُ الْجِبَلُ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُلُوداً مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْعُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]

قال ابن عباس وغير واحد من السلف: لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم فقالوا: انشرها علينا فإن كانت أوارها وتواهيها سهلة قبلناها فقال: بل اقبلوها بما فيها.

فراجعوه مراراً فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ أي غمامة على رؤوسهم. وقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها ولا سقط هذا الجبل عليكم فقبلوا ذلك وأمروا بالسجود فسجدوا فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود إلى اليوم يقولون: لا سجدعة أعظم من سجدعة رفعت عنا العذاب.

وقال سنيذ بن داود عن حجاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال: فلما نشرها لم يبق على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه [هشور الطبري: ١٠٩/٩].

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي ثم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم نكثتم عهدكم ومواثيقكم ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بأن تدارككم بالإرسال إليكم وإنزال الكتاب عليكم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

٤٧- قصة بقرة بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوراً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَتْ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِسَ وَلَا بُكْرَ عَرَّانَ يَبَيِّنُ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا مَا تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ فَاقْبِضُوا عَنْهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْخَنِّ فَلْيَبْحِرْهُمَا وَمَا كَاذُوا يَقْتُلُونَ. وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْساً فَاذْكُرُوا فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهَا بِعَصَاهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخَيِّبُ الْكَاذِبِينَ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْخَائِبِينَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣]

قال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية ومجاهد والسدي وغير واحد من السلف: كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخاً كبيراً وله بنو أخ وكانوا يمتنون موته ليرثوه فعمد أحدهم قتلته في الليل وطرحه في مجمع الطرق ويقال على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصروا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ وينظلم فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تاتون نبي الله فجاء ابن أخيه فنكى أمرهم إلى رسول الله موسى عليه السلام فقال: موسى عليه السلام: «أنشد الله رجلاً عنه علم من أمر هذا القليل

إلا أعلمنا به فلم يكن عند أحد منهم علم منه وسألوهم أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُزُوراً﴾ يعنون: نحن نسالك عن أمر هذا القليل وأنت تقول هذا: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي. وهذا هو الذي أجابني حين سأله عما سألتوني عنه أن أسأله فيه.

قال ابن عباس وعبيدة ومجاهد وعكرمة والسدي وأبو العالية وغير واحد: فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ولكنهم شددوا فتشدد الله عليهم وقد ورد فيه حديث مرفوع. وفي إسناده ضعف فسألوهم عن صفتها ثم عن لونها ثم عن سننها فأجيبوا بما عز وجوده عليهم. وقد ذكرنا في تفسير ذلك كله في التفسير.

والمقصود أنهم أسروا بذبح بقرة عوان وهي الوسط بين النصف الفارض وهي الكبيرة والبكر وهي الصغيرة قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والحسن وقادة وجماعة.

ثم شددوا وضيقوا على أنفسهم فسألوا عن لونها فأمرهم بصفرها ﴿فَاقْبِضُوا لَوْنَهَا﴾ أي مشرب بحمرة ﴿تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾. وهذا اللون عزيز. ثم شددوا أيضاً فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

ففي الحديث المرفوع الذي رواه ابن أبي حاتم وإسناد مردويه فلولاً أن بني إسرائيل استنوا لما أعطاهم وفي صحته نظر والله أعلم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْخَنِّ فَلْيَبْحِرْهُمَا وَمَا كَاذُوا يَقْتُلُونَ﴾.

وهذه الصفات أضيق مما تقدم حيث أمرنا بذبح بقرة ليست بالذللول وهي المذلة بالخرقة وسقى الأرض بالسانية «مسلمة» وهي الصحيحة التي لا عيب فيها قاله أبو العالية وقادة.

وقوله: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ أي ليس فيها لون يخالف لونها بل هي مسلمة من العيوب ومن غاطلة سائر الألوان غير لونها فلما حددوا بهذه الصفات وحصرها بهذه النعوت والأوصاف ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْخَنِّ﴾ ويقال: إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان باراً بابيه فطلبوها منه فأبى عليهم فأرغبه في ثمنها حتى أعطوه فيما ذكره السدي بوزنها ذهباً فأبى عليهم حتى أعطوه بوزنها عشر صرات فباعها منهم فأمرهم نبي الله موسى بذبحها ﴿فَذْبَحُوهَا وَمَا كَاذُوا يَقْتُلُونَ﴾ أي وهم يترددون في أمرها. ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القليل ببعضها. قيل بلحم فخذها. وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف. وقيل بالعضة التي بين الكتفين فلما ضربه بعضها أحياء الله تعالى فقام وهو يشخب أوداجه فسأل نبي الله من قتلك؟ قال قتلي ابن أخي. ثم عاد ميتاً كما كان قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخَيِّبُ الْكَاذِبِينَ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْخَائِبِينَ﴾ أي كما شاهدتم إحياء هذا القليل عن أمر الله له كذلك أمره في سائر الموتى إذا شاء إحياءهم أحياءهم في ساعة واحدة كما قال: ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْنِيكُمْ إِلَّا كَفْناً وَاحِدَةً﴾ [الأنعام: ٢٨] الآية.

٤٨- قصة موسى والخضر عليهما السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ

قال فكان للحوت سرياً ولموسى ولقائه عجباً ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْبَدْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بئوب فسلم عليه موسى فقال الحضر: وإني بأرضك السلامقال: إنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني عما علمت رشدًا ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ياموسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَفْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ قال له الحضر ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ بِهِ ذِكْرًا﴾ فأنطلقا بمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم أن يحملوهم فعرفوا الحضر فحملوهم بغير نول.

فلما ركبا في السفينة لم يفاعا إلا والحضر قد قلع لرحما من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت الأولى من موسى نسيانه» قال: «وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الحضر ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر» ثم خرجا من السفينة فيمنما هما بمشيان على الساحل إذ بصر الحضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الحضر رأسه بيده فاقبله بيده فقتله فقال له موسى: ﴿أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا تُكْرَهُ﴾ قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قال وهذه أشد من الأولى ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ مَا تَصَاحَيْتَنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ فأنطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيئوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فآخذا عليه أجرا. قال هذا فزأق بيبي وتبينك سأتك تأبول ما لم تستطع عليه صبرا. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فآذنت أن أعينها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا. فأرسلنا نبيلهمأ ربهما خيرا منه زكاه وأقرب رحما. وأما الجنان فكان لغلالمين يمين في السفينة وكان تحتهم كنز لهما وكان أبوهما صالحا فلآذنت ملك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴿الأنكاف: ٦٠-٨٢﴾

قال بعض أهل الكتاب: إن موسى هذا الذي رحل إلى الحضر هو موسى بن ميثا بن يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي. ويقال: إنه دمشقي وكانت أمه زوجة كعب الأحبار. والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصحيح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل. قال البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمر بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الحضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل. قال ابن عباس كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسل أي الناس أعلم فقال: أنا! فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فلوحي الله إليه إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يارب وكيف لي به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكث فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فآخذ حوتا فجعله بمكث ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فاما واضطرب الحوت في المكث فخرج منه فسقط في البحر واتخذ مسيله في البحر سربا. وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يجبره بالحوت فأنطلقا ببقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى ﴿إِنَّمَا أَتَيْنَا مَكَانًا لَقَدْ أَتَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به قال له فتاه ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾

قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين. ثم رواه البخاري أيضا عن قتية عن سفيان بن عينة بإسناده نحوه. وفيه فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها إلا حي فأصاب الحوت من ماء تلك العين قال فتحرك وأنسل من المكث ودخل البحر فلما استيقظ ﴿قَالَ لِقَاءُ آتِنَا غَدَامًا لَقَدْ أَتَيْنَا﴾ وساق الحديث وقال: «ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الحضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلاق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره» وذكر تمام الحديث. وقال البخاري: حدثنا إبراهيم ابن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه. وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني فقلت: أي أبا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له: نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل أما عمرو فقال لي قال: قد كذب عدو الله وأما يعلى فقال لي: قال ابن عباس: حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «موسى رسول الله

بالله ويأمره مني فأمر أن يلقي هذا الرجل. فذكر نحو ما تقدم وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمار عن الحكم بن عينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ كنحو ما تقدم أيضا ورواه العوفي عنه موقوفا

وقال الزمري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس: أنه تمارى هو والخضر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبي بن كعب فدعا ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقياه فهل سمعت من رسول الله فيه شيئا قال: نعم وذكر الحديث وقد قصصنا طرق هذا الحديث والفاظه في تفسير سورة الكهف ولله الحمد. وقوله: ﴿وَأَمَّا الْجِنَّا فَكَانَ لِغُلَّامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قال السهيلي وهما أصرم وصريم ابنا كاشع. ﴿وَوَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ قيل كان ذهباً قال عكرمة وقيل علما قاله: ابن عباس والأشبه أنه كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه علم قال البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن النضر حدثنا الحارث بن عبد الله الحصري عن عياض بن عباس الغساني عن ابن حجرية عن أبي ذر رفعه قال: إن الكثر الذي ذكر الله في كتابه لروح من الذهب مصمت. عجبت لمن أيقن بالقدح كيف نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لا إله إلا الله. وهكذا روي عن الحسن البصري وعمر مولى عفرة وجعفر الصادق. نحو هذا وقوله: ﴿وَوَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ وقد قيل إنه كان الأب السابغ وقيل العاشر. وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته فإله المستعان. وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ دليل على أنه كان نبياً وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبي وقيل رسول وقيل: ولي. وأغرب من هذا من قال: كان ملكاً.

قلت: وقد أغرب جدا من قال: هو ابن فرعون وقيل: إنه ابن ضحاك الذي ملك الدنيا ألف سنة. قال ابن جرير: والذي عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في زمن أفريدون ويقال: إنه كان على مقدمة ذي القرنين الذي قيل إنه كان أفريدون وذو القرنس هو الذي كان في زمن الخليل. وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق إلى الآن. وقيل إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل وقيل اسمه ملكان وقيل أرميا بن خلتيا وقيل كان نبيا في زمن سباسب بن هراسب قال ابن جرير: وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دور طويل لا يجهلها أحد من أهل العلم بالأنساب قال ابن جرير: والصحيح أنه كان في زمن أفريدون واستمر حيا إلى أن أدركه موسى عليه السلام وكانت نيرة موسى في زمن منو شهر الذي هو من ولد ابرج بن أفريدون أحد ملوك الفرس وكان إليه الملك بعد جده أفريدون لمهده وكان عادلا وهو أول من خنق الخنادق وأول من جعل في كل قرية دهقانا وكانت مدة ملكه قريبا من مائة وخمسين سنة ويقال: إنه كان من سلالة إسحاق بن إبراهيم وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكليم النافع الفصيح ما يبهز العقل ويغير السامع وهذا يدل على أنه من سلالة الخليل. والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنِ وَكَفَّتُمْ مَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ لَتَأْمُرُنَّ بِهِ وَتَنْهَوُنَّهُ عَنِ الْفُرْجَانِ﴾ الآية.

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يبعث بعده من الأنبياء وينصره فلو كان الخضر حيا في زمانه لما وسعه إلا اتباعه والاجتماع به والقيام بنصره ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها

قال: ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال: لا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله. قيل بلى قال: أي رب فأين قال: بمجمع البحرين قال: أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك به قال لي عسرو: قال: حيث يفارقك الحوت وقال لي يعلى قال: خذ حوتاً ميتاً حيث ينشخ فيه الروح فأخذ حوتاً فجعله في مكل فقال لنشأ: لا اكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال: ما كلفت كبيراً فذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ﴾ يوشع بن نون. ليست عن سعيد بن جبير قال: فبينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان إذ تضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه: لا أوقفه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره وتضرب الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان أثره في حجر قال لي عسرو: وهكذا كان أثره في حجر وحلق بين إيهاميه والتين تليان ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قال: وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عن سعيد أخبره فرجعاً فوجد الخضر قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد: مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجله وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال: هل بأرض من سلام من أنت؟ قال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل قال: نعم قال: فما شأنا؟ قال: جئتكم ﴿تَعْلَمُنَّ مِمَّا عَلَّمْتُ رُسُلًا﴾ قال: أما يكفيك أن التورة ببنيك وأن الوحي سيأتيك يا موسى إن لي علماً لا يبغي لك أن تعلمه وإن لك علماً لا يبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمقاره من البحر فقال: والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمقاره من البحر ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ وجدنا معابر صغراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح. قال: فقلنا لسعيد: ﴿خُضِرْ﴾ قال: نعم. لا تحمله بأجر ﴿فَخَرَقَهَا﴾ وودت فيها وتدا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَخَرَقَهَا لِتَفْرُقَ أُمَّلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِثْرًا﴾ قال مجاهد: منكراً ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً ﴿قَالَ لَا تَوَاضِعُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَزِدْهُنَّ مِن أَمْرِي عُسْرًا﴾.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ لَقِيََا غُلَامًا قَتَلْتُهُ﴾ قال يعلى: قال سعيد: وجد غلاماً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم دحجه بالسكين ﴿قَالَ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ لم تعمل بالبحث. ابن عباس قراها زكية زاكية مسلمة كفولك غلاماً زكياً ﴿فَانطَلَقَا﴾ ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِثَارًا جُرُودًا أَن يَتَضَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ قال: بيده هكذا ورفع يده فاستقام قال يعلى: حببت أن سعيداً قال: فمسحه بيده فاستقام ﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ اجْرَارًا﴾ قال سعيد: اجراً ناكله ﴿وَوَكَانَ زَوَاژُهُمْ﴾ وكان أمامهم قراها ابن عباس أمامهم. ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هلد بن بند والغلام المقتول يزعمون جيسور ﴿ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فإذا هي مرت به يدعيها بعيها فإذا جازوا أصلحوها فانتصروا بها. منهم من يقول سلوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار ﴿وَوَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ﴾ وكان كافراً ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْمَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي يحبلهما به على أن يتابعه على دينه ﴿فَارْتَدَّا أَن يَبْلُغَا أَهْلَهُمَا خَيْرًا مِّنْ زَكَاةٍ﴾ لقوله أقتلت نفساً زكية ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ هما به أرحم منهما بالآل الذي قتل خضر. وزعم سعيد بن جبير أنه ابن لا جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد إنها جارية. وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خطب موسى بني إسرائيل فقال: ما أحد أعلم

منها عية لم تلق منها على أحد قط وأصبح ﴿فَوَاقِدُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾. من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون لينجوه وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فقلت لهم: أقره فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فاستوبه منه فإن وهبه في كتم قد أحسستم وأجلتم وإن أمر بذبحه لم الحكم فأتت فرعون فقالت: ﴿فَرُتْ عَيْنَ لَسِي وَلَكَ﴾ [المقصص: ٩] فقال فرعون: يكون لك فاما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله ﷺ: «والذي يلحف به لو أقر فرعون أن يكون له قرعة عين كما أقرت امرأته لهذا الله كما هذاها ولكن الله حرمه ذلك» فأرسلت إلى من حوّلها إلى كل امرأة لها لين تختار ظئراً فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى اشتقت امرأة فرعون أن تمتع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ويجمع الناس ترجو أن تجد لها ظئراً تأخذه منها فلم يقبل.

وأصبحت أم موسى والمأ فقالت لأختها: قصي أثره واطلبه هل تسمعين له ذكراً أمي ابني أم أكلته اللهب؟ ونسيت ما كان الله وعدما فيه ﴿فَبَصَّرْتَهُ﴾ أخته ﴿عَن جُنُبٍ وَغُمٍ لَا يَشْعُرُونَ﴾ والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به فقالت من الفرح حين أعياهم الظلورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخلوها فقالوا: ما يدريك ما نصحهم هل تعرفونه حتى شكوا في ذلك. وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فقلت: نصحهم له وشفتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فأرسلوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر فجات أمه فلما وضعت في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنبه ربا وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يشرورها أن قد وجدنا لابنك ظئراً فأرسلت إليها فأتت بها وبه. فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي ترضعي ابني هذا فإني لم أحب شيئاً حبه قط قالت أم موسى: لا أستطيع أن أترك بيتي وولدي فيضيع فإن طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا أكره خيراً ففعلت فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدما فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز مواعده فرجعت إلى بيتها من يومها وأبته الله نباتاً حسناً وحفظه لما قد قضى فيه.

فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية يمتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريني ابني فرعدتها يوماً تريها إياه فيه وقالت امرأة فرعون لخزانها وظهورها وقهارتها: لا يقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك فيه، وأنا باعته أميناً يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون.

فلما دخل عليها لحته وأكرمه وفرحت به، ولحلت أمه بحسن أثرها عليه. ثم قالت: لأتيني به فرعون فلينحله وليكرمه، فلما دخلت به عليه جملة في حجره فتناول موسى لحية فرعون فمدّها إلى الأرض، فقال النسوة من أعداء الله لفرعون: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه، أنه زعم أنه يريك ويعطوك ويصعرك، فأرسل إلى الذباحين لينجوه. وذلك من الفتون يا ابن جبير.

بعد كل بلاء ابتلي به، وأريد به فتناً.

جبريل وسادات من الملائكة وقصاري الخضر عليه السلام أن يكون نبيا وهو الحق أو رسولا كما قيل أو ملكا فيما ذكر وأيا ما كان فجبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الإيمان بمحمد ونصرته فكيف أن كان الخضر وأيا كما يقوله طوائف كثيرون فأولى أن يدخل في عصوم البشة وأحرى ولم يتقل في حديث حسن بل ولا ضعيف يعتمد أنه جاء يوماً واحداً إلى رسول الله ﷺ ولا اجتمع به وما ذكر من حديث التمزية فيه وإن كان الحاكم قد رواه للمسعودي: ٥٨/٣؛ فإسناده ضعيف والله أعلم. وسنورد للخضر ترجمة على حده بعد هذا.

٤٩- حديث الفتون وفيه سرد لقصة موسى

قال الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب التفسير من سته وكرى (١١٣٢٦) عند قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَقُلْتُ نَفْسًا فَنَجَّيْتُكَ مِنَ الْغَمِّ وَتَوَكَّلْتُ قَوْمًا﴾ [طه: ٤٠].

(حديث الفتون) حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى لموسى: ﴿وَتَوَكَّلْتُ قَوْمًا﴾ فسأله عن الفتون ما هو فقال: استألف النهار يا ابن جبير فلما حيا حديثاً طويلاً.

فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال:

تذكر فرعون وجلساءه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذرية أنبياء وملوكاً فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ما يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان وعد إبراهيم فقال فرعون: فكيف ترون؟ فأقروا وأجمعوا أمرهم على أن يعث رجالاً معهم الشغار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا نجوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجلهم والصغار ينجون قالوا: توشكون أن تقتلوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخلمدة الذي كانوا يكونونكم فافعلوا عاماً كل مولود ذكر فيقتل بناتهم ودعوا عاماً فلا تقتلوا منهم أحداً فيشب الصغار مكان من يموت من الكبار فإنيهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائرتهم ليحكم ولن يفنوا بمن تقتلون وتحتجون إليهم.

فاجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا ينبج فيه الفللمان فولدته علانية أمنة.

فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الحزم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه في بطن أمه مما يراه فأوحى الله إليها أن: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَاوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [المقصص: ٧]

فأمرها إذا ولدت أن تحمله في تابوت وتلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما توارى عنها ابنتها أتاها الشيطان فقالت في نفسها: ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواربته وكفته كان أحب إلي من أن ألقيه إلى دواب البحر وحيث أنه فاتته الماء به حتى أوفى به عند فرصة تستقي منها جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فهمعن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن: إن في هذا مالا وإننا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيتته لم يخرج منه شيئا حتى دفننه إليها فلما فتحته رأت فيه غلاماً فألقى عليه

حياضهم فسقى لهما فجعل يغرف من الدلو ماء كثيراً حتى كان أول الرعاء وانصرفا بنتمهما إلى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ إِنِّي مِنْ خَيْرِ قَبِيرٍ﴾ (القصص: ٢٤) واستكر أبوهما سرعة صلوتهما بتمتهما حفلاً بطناً فقال: إن لكما اليوم لساناً فاحبرته بما صنع موسى فأمر أحدهما أن تدعوه فأتى موسى فدعته فلما كلمه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥) ليس لفرعون ولا قومه علينا من سلطان ولست في مملكته.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) فاحتسبه الغيرة على أن قال لها: ما يدريك ما قوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا أم رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه. وأما الأمانة فإنه نظر إلي حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم أنني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغتته رسالتك. ثم قال لي: امشي خلفي واتبعي لي الطريق فلم يفعل هذا إلا وهو أمين فسرّي عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له: هل لك ﴿أَنْ أَتُحِبَّكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي جِجَعٍ فَرَانٍ أَتَمَعْتُ عَشْرًا فَمَنْ عِنْدَكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص: ٢٧).

ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت الستان علة منه فقضى الله عنه عدته فاتها عشرين عاماً.

قال سعيد بن جبير: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال: هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا وأنا يومئذ لا أدري فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال: أما علمت أن ثمانية كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله ليقتض منها شيئاً وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التي وعده فإنه قضى عشر سنين فلقيت النصراني فاحبرته ذلك فقال الذي سأله فاحبرك أعلم منك بذلك قلت: أجل وأولى.

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصا ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا إلى الله تعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأله ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفضح به لسانه فاتاه الله عز وجل سوله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله إلى هارون فأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون فانطلقا جميعاً إلى فرعون فأقاما على باب حينا لا يؤذن لهما. ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا: إنا رسول ربك فقال: فمن ربكما؟ فاحبره بالذي قص الله عليك في القرآن قال: فما تريدان؟ وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعت قال: أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه وقال: انت بآية إن كنت من الصادقين فالق عصاه فإذا هي حية عظيمة فافرة فاهما مسرعة إلى فرعون فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقترح عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فأرأها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص. ثم ردها فعادت إلى لونها الأول فاستشار الملا حوله فيما رأى فقالوا له: هذا لساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهباً بطريقك المثلث ﴿طه﴾ [٦٣] يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له: اجمع السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تنقلب يسحرك سحرهما فأرسل إلى المدائن فحضر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا: هم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات: قالوا: فلا والله ما أحد من الأرض يعمل بالسحر بالحيات

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبت لي؟ فقال: ألا تريه يزعم أنه يصرعني ويعلونني؟ فقالت: اجعل بيني وبينك أمراً تعرف فيه الحق، انت بجمرتين ولؤلؤتين قربهين إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، ف قرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه خافة أن يحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان هم به وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع. فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضباً شديداً لأنه تناوله، وهو يعلم منزله من بني إسرائيل، وحفظه لم لا يعلم الناس إلا أنه من الرضاع إلا أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره، فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص: ١٥) ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَعْتُ عَلَيْكَ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ. فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ فأتى فرعون قتيلاً له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم، فقال: ابغوني قاتله من يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوه مع قومه لا يستقيم له أن يقيد بغير بينة ولا ثبت، فاطلبوا لي علم ذلك أخذ لكم بحقكم.

فبينما هم بطوفون لا يجدون بينة إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقتل رجلاً من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه، وكره الذي رأى، فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يطش بالفرعوني فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعدما قال له ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له إنك لغوي مبين أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراد، إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي. وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس، وإنما قال له خافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتاركا وانطلق الفرعوني فاحبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس، فأرسل فرعون الذبّاحين ليقتلوا موسى.

أخذ رسل فرعون الطريق الأعظم عثون على هيتهم يطلبون موسى، وهم لا يخافون أن يهتوهم، فجاء رجل من شيعه موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فاحبره. وذلك من الفتون يسا ابن جبير.

فخرج موسى متوجهاً نحو مدلين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل فإنه قال: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهَيِّئَ لِي سَبِيلَ السَّيْلِ. وَلَمَّا رَوَّاهُ مَاءٌ مَلَيْنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّهُ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ قُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَوَلَّوَانِ﴾ (القصص: ٢٢-٢٣). يعني بذلك حابستين عنهما فقال لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ معترلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم وإنما ننظر فضول

قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكتيكم ومضى فانزلهم موسى منزلاً وقال: اطيعوا هارون فإن الله قد استخلفه عليكم فإني ذاهب إلى ربي واجلهم ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيها.

فلما أتى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن ليلهن ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى شيئاً من نبات الأرض فمضته فقال له ربه حين أتاه: لم أفطرت؟ وهو أعلم بالذي كان قال: يارب إني كرهت أن أكلمك إلا وفيي طيب الريح. قال: أوما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب من ريح المسك أرجع فصم عشرين ثم اتني ففعل موسى ما أمره به ربه.

فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءهم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوارى وودائع ولكم فيها مثل ذلك وأنا أرى أن تحبسوا ما لكم عندهم ولا أحل لكم دميعة استودعتموها ولا عارية ولستأ برادين إليهم شيئاً من ذلك ولا تمسكوا أنفسنا. فحفر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير. ثم أوقد عليه النار فأحرقه فقال: لا يكون لنا ولا هم.

وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني إسرائيل ولم يكن من بني إسرائيل فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضي له أن رأى أثراً قبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون: يا سامري ألا تلقي ما في يدك؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيا شيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد فآلقاها ودعا له هارون فقال: أريد أن تكون عجلًا فاجتمع ما كان في الحفرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلًا أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: لا والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو إسرائيل فرقا فقلت فرقة: يا سامري ما هذا وأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق. وقالت فرقة: لا تكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى فإن كان رينا لم تكن ضيعته وعجزنا فيه حتى رأيناه وإن لم يكن رينا فإنا نتبع قول موسى. وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان وليس ربنا ولا نؤمن به ولا نصدق. وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به فقال لهم هارون عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ ليس هذا قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا؟ هذه أربعون يوما قد مضت فقال سفهاؤهم: أخطأ ربه فهو يطلبه ويتنجه.

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومه من بعده فرجع إلى قومه غضبان أسفا فقال لهم ما سمعتم ما في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره إليه وألقى الألواح من الغضب ثم إنه عذر أخاه بعذره واستغفر له فانصرف إلى السامري فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: ٩٦ ﴿وَفُطِنْتُ لَهَا وَغِيَّتْ عَلَيْكُمْ فَقَدَفْتُهَا﴾: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي. قَالَ فَادْعُنِي فَإِنَّكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَتَنْظُرَ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْتَحَرِقَهُ ثُمَّ لَتَسِيفُهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾: ٩٦-٩٧ ولو كان إلهاً لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة واغضب الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا جماعتهم: يا موسى

والجبال والعصي الذي نعمل وما أجزنا إن نحن غلبنا؟ قال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحبيتم فتواعدوا ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُخًى﴾: ٥٩

قال سعيد: فحدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلتنحضر هذا الأمر لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبون يمتنون موسى وهارون استهزاء بهما فقالوا: يا موسى - بقدرتهم يسحرهم ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلقِينَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَتَقُولُوا مَا آتَمْتُمْ مُلْفُونَ. فَأَلْقَوْا حِيَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بَعْزَةُ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا تَسَخَّرْنَا الْغَالِبِينَ﴾: ١١٥﴾ فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله إليه: أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيمة فاغرة فاهما فجعلت العصي تلتبس بالجبال حتى صارت جزراً على الثعبان تدخل فيه حتى ما أبقث عصاً ولا حليلاً إلا ابتلعت.

فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحراً لم تبلغ من سحرنا كل هذا ولكنه أمر من الله تعالى أمنا بالله وبما جاء به موسى وتوكل على الله بما كنا عليه فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشيعاه وظهر الحق ويطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو لله بالنصر لموسى على فرعون وأشيعاه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتليت للشفقة على فرعون وأشيعاه وإنما كان حزنها وهما لموسى.

فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف من مواعده وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك عنه أخلف مواعده ونكت عهده حتى أمر موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً.

فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المداخن حاشرين فتبعه بجنود عظيمة كثيرة فأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانلق اثني عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه. ثم ألق على من بقي بعد من فرعون وأشيعاه فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف غخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عصاها لله عز وجل.

فلما ترائ الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى: إنا لمدركون افعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب قال: وعلمي ربي إذا أثبت البحر انفراق اثني عشرة فرقة حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصا ف ضرب البحر بعصاه حين ذنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفراق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى.

فلما جاوز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه النقي عليهم البحر كما أمر فلما جاوز موسى قال أصحابه: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه له يبينه حتى استبقوا بهلاكه.

ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَتَابِلٌ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: ١٣٨-١٣٩.

الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ. فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنصِرِينَ. وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَنْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. تِلْكَ السَّائِرُ الْأَخْيَرَةُ نَجَّلْنَاهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا سُدَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦-٨٣﴾ (القصص: ٧٦-٨٣)

قال الأعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان قارون ابن عم موسى.

وكذا قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقناة ومالك بن دينار وابن جريج وزاد فقال: هو قارون بن يصره بن قاهت وموسى بن عمران بن قاهت.

قال ابن جرير (مصره: ١٠٥/٢٠): وهذا قول أكثر أهل العلم أنه كان ابن عم موسى.

ورد قول ابن إسحاق أنه كان عم موسى.

قال قتادة: وكان يسمى المنور لحسن صوته بالنبوة ولكن عدو الله نافع كما نافع السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله.

وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعاً على قومه.

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه حتى إن مفاتيحه كان يتقل حملها على الفئام من الرجال الشداد.

وقد قيل: إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بطلاً قاله أعلم.

وقد وعظه النحساء من قومه قائلين ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي لا تطرب بما أعطيت وتفرح على غيرك ﴿وَأَنْتَغِي فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ يقولون: لكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة فإنه خير وأبقى ومع هذا.

﴿وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي وتناول منها بمالك ما أحل الله لك فمتنع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال.

﴿وَأُخْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي واحسن إلى خلق الله كما احسن الله خالقهم وبارهم إليك.

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ولا تسع إليهم ولا تفسد فيهم فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ فما كان جوابه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ يعني أنا لا

أحتاج إلى استعمال ما ذكرت ولا إلى ما إليه أشرت فإن الله إنما أعطاني هذا لعلمه أنني أستحقه وأني أهل له ولولا أنني حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني.

قال الله تعالى رافداً عليه ما ذهب إليه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْلَحَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ قُرُونٍ مِنْ قَوْمِ أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جُنْعًا وَلَا يُسَازِلُ عَنْ دُورِهِمْ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي قد أهلكنا من الأمم الماضية بنوهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالا منه ولم يكن ماله دليلاً على عيبتنا له واعتنا به كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّذِي تَقْرَبُونَ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (سبا: ٣٧).

فإذا فصل الخطاب بخبر بني إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهي وإذا تحاكموا إليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء يجيء إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين ذينك الكرويين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة.

وقد كان هذا مشروعاً لهم في زمانهم - أعني استعمال الذهب والحرير المصبغ واللاكئ - في معبدهم وعند مصالحهم.

فأما ما في شريعتنا فلا بل قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها لتلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع في مسجد رسول الله ﷺ فقال للذي وكله على عمارة: ابن للناس ما يمكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر ففتن الناس رخ مطلقاً قبل (٤٤٦).

وقال ابن عباس لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى كئاسهم رخ مطلقاً قبل (٤٤٦)، د (٤٤٨).

وهنا من باب التشريف والتكريم والتزييه فهذه الأمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله مهمهم في صلاتهم على التوجه إليه والإقبال عليه وصان أبصارهم وخراطهم عن الاشتغال والتفكير في غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة فله الحمد والمنة.

وقد كانت قبة الزمان هذه مع بني إسرائيل في التيه يصلون إليها وهي قبلتهم وكعبتهم وإمامهم كليم الله موسى عليه السلام ومقدم القران أخوه هارون عليه السلام.

فلما مات هارون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو هارون في الذي كان يليه أبوه من أمر القران وهو فيهم إلى الآن وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتبدير الأمر بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سيأتي بيانه.

والقصد هنا أنه لما استقرت يده على البيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلتها وهي الصخرة فلها كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه.

فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر. وقيل: سبعة عشر شهراً.

ثم حولت القبلة إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم في شعبان سنة ثنتين في وقت صلاة العصر (طرح ٤٠)، م (٥٧٥) وقيل: الظهر كما بسطنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (البقرة: ١٤٢) إلى قوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤).

٥١- قصة قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَهُ لَتَوُجُّ بِالْمُصَيَّةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ. وَآتَيْنَا فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأُخْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْلَحَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ قُرُونٍ مِنْ قَوْمِ أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جُنْعًا وَلَا يُسَازِلُ عَنْ دُورِهِمْ الْمُجْرِمُونَ. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ

فخرج وخرج قارون في قومه فقال له موسى: تدعو أو ادعوا؟ قال: ادعوا أنا فدعى قارون فلم يجب في موسى فقال موسى: ادعوا؟ قال: نعم فقال موسى: اللهم مر الأرض فلتطعني اليوم فأوحى الله إليه: إني قد فعلت فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى منابكهم ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الأرض.

وقد روي عن قتادة أنه قال: يحسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة. وعن ابن عباس أنه قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة. وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا إسراريات كثيرة أضربنا عنها صفحاً وتركتها قصداً.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾ لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره كما قال: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار وإهلاك النفس والأهل والعقار ندم من كان تمنى مثل ما أوتي وشكروا الله تعالى الذي يلير عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون ولهذا قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيُكَافَأُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وقد تكلمنا على لفظ «ويك» في التفسير.

وقد قال قتادة: ويكان بمعنى ألم تر أنه، وهذا قول حسن من حيث المعنى والله أعلم.

ثم أخبر تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ وهي دار القرار وهي الدار التي ينبط من أعطيها ويعزى من حرما إثمها هي معة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

فالعلم هو التكبر والفخر والأشر والبطر.

والفساد هو عمل المعاصي اللازمة والمتعمدة من أخذ أموال الناس وإفساد معاشهم والإساءة إليهم وعدم النصيح لهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر لقوله ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِئَارِهِ الْأَرْضَ﴾ فإن الدار ظاهرة في البنيان وقد تكون بعد ذلك في التيه وتكون الدار عبارة عن الحلة التي تضرب فيها الخيام كما قال عنترة:

يا دارَ عِلْبةٍ بالجِواءِ تَكَلِّمُني وعِمي صَبَاحاً دارَ عِلْبةٍ واسلمي والله أعلم.

وقد ذكر الله تعالى منة قارون في غير ما آية من القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَارَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [الاعراف: ٢٣-٢٤].

وقال تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَارَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنِ أَخَذْنَاهُ الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٩-٤٠].

فالذي خسف به الأرض قارون كما تقدم والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما إنهم كانوا خاطئين.

وقد قال الإمام أحمد (١٦٩/٢): حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو

وقال تعالى: ﴿أَبْخَسُّونَ أَنَّهَا تُمِدُّكُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَتَيْنِ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المومنون: ٥٥-٥٦].

وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا إليه من معنى قوله: ﴿إِنَّمَا أَوْفَيْتُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾.

وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الأموال فليس بصحيح لأن الكيمياء تخيل وصنعة لا تحل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافراً في الباطن مناقضاً في الظاهر. ثم لا يصح جوابه لم بهذا على هذا التفسير ولا يبقى بين الكلامين تلازم وقد وضحتنا هذا في كتابنا التفسير والله الحمد.

قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾:

ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله وغطوه بما عليه وله.

فلما سمع مقالتهم العلماء ذوو الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم: ﴿وَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُلَاقَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ أي وما يلقي هذه النصيحة وهذه المقالة وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده وأيد لبه وحقق مراده.

وما أحسن ما قال بعض السلف: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والمقل الكامل عند حلول الشهوات.

قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِئَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾:

لما ذكر تعالى خروجه في زينة واختياله فيها وفخره على قومه بها قال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِئَارِهِ الْأَرْضَ﴾ كما روي البخاري (٣٤٨٥، ٥٧٩٠) من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمر بإزاره إذ خسف به فهو يتجملج في الأرض إلى يوم القيامة».

ثم رواه البخاري (٥٧٩٠) من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

وقد ذكر ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة بغيماً مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملا من الناس: إنك فعلت بي كذا وكذا فيقال: إنها قالت له ذلك فأرعد من الفرق وصلى ركعتين. ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه؟ فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت إليه فعند ذلك خر موسى لله ساجداً ودعا الله على قارون فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتهله وداره فكان ذلك رهس الطوي: ١١٧/٢٠ قاله أعلم.

وقد قيل: إن قارون لما خرج على قومه في زينته مر بجحفة ويغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام وهو يذكر قومه بأيام فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون إليه فدعا موسى عليه السلام فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: يا موسى أما لئن كنت فضلت علي بالنبوة فلقد فضلت عليك بالمال ولئن شئت لتخرجن فلتدعوني علي ولأدعوني عليك.

قال: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]

ثم قال البخاري (٣٤٠٥): حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن الأعمش: سألت أبا وائل قال: سمعت عبد الله قال: قسم رسول الله ﷺ قسماً فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله! فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه. ثم قال: «يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصر». وكذا رواه مسلم [١٠٦٢] من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش به.

وقال الإمام أحمد (٣٩٥/١): حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هاشم مولى لهملان عن زيد بن أبي زائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه ولا يلغني أحد عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

قال: وأتي رسول الله ﷺ مال فقسمه قال: فمرت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة فثبت حتى سمعت ما قالاً. ثم أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: إنك قلت لنا: لا يلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني مرت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه. ثم قال: «دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصر».

وهكلم رواه أبو داود [٤٨٦٠] والترمذي [٣٨٩٦] من حديث إسرائيل عن الوليد بن أبي هاشم به وفي رواية للترمذي [٣٨٩٧] ولأبي داود [٤٨٦٠] من طريق الحسين بن محمد عن إسرائيل عن السدي عن الوليد به وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه.

وقد ثبت في الصحيح [في أحداث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بموسى وهو قائم يصلي في ليله].

ورواه مسلم [٢٣٧٥] عن أنس.

وفي الصحيحين [خ (٣٢٠٧)، م (١٦٦)] من رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه مر ليلة أسري به بموسى في السماء السادسة فقال له جبريل: هذا موسى فسلم عليه قال: فسلمت عليه فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فلما تجاوزت بكى قبل له: ما ييكبك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمي.

وذكر إبراهيم في السماء السابعة. وهذا هو المحفوظ.

وما وقع في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ أن الذي عليه الجادة أن موسى في السادسة وإبراهيم في السابعة وأنه مسند ظهروا إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

واتفقت الروايات كلها على أن الله تعالى لما فرض على محمد ﷺ وأمه حسين صلاة في اليوم والليلة فمر بموسى قال: أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فإني قد عالجيت بني إسرائيل قبلك أشد المعالجة وإن أمتك أضعف أسماً وأبصاراً وأفتدة فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه في كل مرة حتى صارت خمس صلوات في اليوم والليلة وقال الله تعالى: هي خمس وهي خسون [خ (٣٤٩)].

أي بالمضاعفة فجزي الله عنا محمداً ﷺ خيراً وجزي الله عنا موسى

عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف». انقرد به أحد رحمه الله.

٥٢- فضائل موسى عليه السلام وشماله

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا. وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْجَانِبِ الطُّورَ الْأَيْمَنَ وَوَعَدْنَاهُ نَجِيًّا. وَوَعَدْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وتقدم في الصحيحين [خ (٣٤١٤)، م (٢٣٧٣)] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش فلا أدري أصعق فأفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور».

وقدما أن هذا من رسول الله ﷺ من باب المضم والتواضع ولا فهو صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة قطعاً جزماً لا يحتمل التقيض.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَرَسُولاً قَدْ قَضَيْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولاً لَمْ نَقْضِ لَهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الباء: ١٦٣، ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال الإمام أبو عبد الله البخاري (٣٤٠٤): حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة عن عوف عن الحسن ومحمد وخلص عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى جلده شيء استحياه منه فافاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص أو أدة وإما آفة وأن الله عز وجل أراد أن يبراه ما قالوا لموسى فخلأ يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر. ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأراه عرياً أسن ما خلق الله وإبراهما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لتنبأ من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً.

قال فذلك قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقد رواه الإمام أحمد [٣٢٤/٢] من حديث عبد الله بن شقيق وهما من منبه [٣١٥/٢] عن أبي هريرة به.

وهو في الصحيحين [خ (٢٧٨)، م (٣٣٩)] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عنه به.

ورواه مسلم [١٥٦] من حديث عبد الله بن شقيق العقيلي عنه. قال بعض السلف: كان من وجاهته أنه شفع في أخيه عند الله وطلب منه أن يكون معه وزيراً فأجاب الله إلى سؤاله وأعطاه طلبته وجعله نبياً كما

عليه السلام خيراً.

وقال البخاري [٥٧٥٢]: حدثنا مسدد حدثنا حصين بن غدير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عرضت علي الأمم ورايت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل: هذا موسى في قومه».

هكذا روي البخاري هذا الحديث هنا مختصراً.

وقد رواه الإمام أحمد (٢٧١/١) مطولاً فقال: حدثنا شريح حدثنا هشيم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن. قال كنت عند سعيد بن جبير فقال: أياكم رأى الكوكب الذي اقتضى البارحة؟ قلت: أنا ثم قلت: إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت. قال: وكيف فعلت؟ قلت: استرقت. قال: وما حلك على ذلك؟ قال: قلت: حليت حديثاً الشعبي عن بريدة الأسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة فقال: سعيد يعني ابن جبير: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ثم قال: حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «عرضت علي الأمم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلين والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فقلت: هذه أمي؟ فقيل: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم. ثم قيل: انظر إلى هذا الجانب فإذا سواد عظيم فقيل: هذه أمتك ومهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

ثم نهض رسول الله ﷺ فدخل ففاض القوم في ذلك فقالوا: من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؟ فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا النبي ﷺ وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً قط وذكروا أشياء فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه؟ فأخبروه بمقاتلتهم فقال: «هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتكفلون» فقام عكاشة بن محسن الأسدي فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: «أنت منهم». ثم قال آخر فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ فقال: «سبق بها عكاشة».

وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً وهو في الصحاح والحسان وغيرها وستوردها إن شاء الله تعالى في باب صفة الجنة عند ذكر أحوال القيامة وأهلها.

وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً وأثنى عليه وأورد قصته في كتابه العزيز مراراً وكررها كثيراً مطولة ومبسطة ومختصرة وأثنى عليه بليغاً. وكثيراً ما يقرنه الله ويذكره ويذكر كتابه مع محمد ﷺ وكتابه كما قال في سورة البقرة: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ كَفَّارٌ لِلَّهِ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (البقرة: ١٠١).

وقال تعالى: «إِلهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ» (آل عمران: ١-٤).

وقال تعالى في سورة الأنعام: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ. قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يَسْتَكْبِرُونَ تَدْنِيهِمْ وَيَعْلَمُونَ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِ خُوضهم يلعنونه. وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديهِ ولتستبين أم القرى ومن حولها

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» (الأنعام: ٩١-٩٢).

فأثنى تعالى على التوراة ثم مدح القرآن العظيم مدحاً عظيماً. وقال تعالى في آخرها: «ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ بِمِيزَانٍ فَأَنشِئُوا وَتَقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الأنعام: ١٥٤-١٥٥).

وقال تعالى في سورة المائدة: «إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَاخْشَوْنَا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (المائدة: ٤٤).

إلى أن قال: «وَلِيَحْكُمَ كُلُّ الْإِسْلَامِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ» (آية: ٤٧، ٤٨).

فجعل القرآن حاكماً على سائر الكتب غيره وجعله مصدقاً لها ومهيماً ما وقع فيها من التحريف والتبديل فإن أهل الكتاب استحقوا على ما بأيديهم من الكتب فلم يقدروا على حفظها ولا على ضبطها وصونها فلهاذا دخلها ما دخلها من تغييرهم وتبديلهم لسوء فهمهم وقصورهم في علومهم وردائهم قصودهم وخيانتهم لمبودهم عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة؛ ولهذا يوجد في كتبهم من الخطأ البين على الله وعلى رسله ما لا يجد ولا يوصف وما لا يوجد مثله ولا يعرف.

وقال تعالى في سورة الأنبياء: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ. الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُخْفِقُونَ. وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» (الأنبياء: ٤٨-٥٠).

وقال الله تعالى في سورة القصص: «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَّلَمْ يَتَذَكَّرُوا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَ لَكَاذِبُونَ. قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (القصص: ٤٨-٤٩).

فأثنى الله على الكتابين وعلى الرسولين عليهما السلام. وقالت الجن لقومهم: «إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» (الأحقاف: ٣٠).

وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله ﷺ خبر ما رأى من أول الرحي وتلا عليه: «أَفَرَأَى بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. أَفَرَأَى الرَّبُّكَ الْكَرِيمَ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (العلق: ١-٥) قال: سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ هذا التاموس الذي أنزل على موسى بن عمران (ج: ٣، ٣٣٩٢، ٤، ١٦٠).

وبالجملة فشرعية موسى عليه السلام كانت عظيمة وأمثه كانت أمة كثيرة ووجد فيها أنبياء وعلماء وعباد وزهاد وأجلاء وملوك وأمراء وسادات وكبراء. لكنهم كانوا قبادوا وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسحوا قرودة واختازير ثم نسخت بعد كل حساب ملتهم وجرت عليهم خطوب وأمور يطول ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقتنع لمن أراد أن يبلغه خبرها إن شاء الله. وبه الثقة وعليه التكلان.

٥٣ - ذكر حج موسى عليه

السلام إلى البيت العتيق

قال الإمام أحمد (٢١٥/١، ٢١٦): حدثنا هشيم، حدثنا داود بن أبي هند عن أبي العالية عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق فقال: «أي واد هنا؟» قالوا: وادي الأزرق. قال: «كأنني أنظر إلى موسى وهو هايل من التنية وله جؤول إلى الله عز وجل بالتلبية» حتى أتى على تنية هرشاء. فقال: «أي تنية هذه؟» قالوا: هذه تنية هرشاء قال: «كأنني أنظر إلى يونس بن متى على ناقه حمراء عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة - قال هشيم: يعني ليفاً - وهو يلي».

أخرجه مسلم (١٦٦) من حديث داود بن أبي هند به.

وروي الطبراني الكبير (١٢٥١٠) عن ابن عباس مرفوعاً: «أن موسى حج على ثور أحمر، وهذا غريب جداً».

وقال الإمام أحمد (٢٢٦/١، ٢٢٧): حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن مجاهد قال: كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال: إنه مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال: ما يقولون؟ قال: يقولون: مكتوب بين عينيه (ك ف ر) قال: ما تقولون؟ قال: يقولون: مكتوب بين عينيه (ك ف ر) فقال ابن عباس: لم أسمع قال ذلك ولكن قال: «أما إبراهيم فانتظروا إلى صاحبكم. وأما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأنني أنظر إليه وقد انحدر من الوادي يلي» قال هشيم الخلبة الليف.

ثم رواه الإمام أحمد (٢٩٦/١) عن أسود عن إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فوايت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم فأبيض جعد عريض الصدر وأما موسى فأدم جسيم.

قالوا: فإبراهيم قال: «انتظروا إلى صاحبكم».

وقال الإمام أحمد (٢٥٤/١): حدثنا يونس حدثنا شيان قال: حدثت قتادة عن أبي العالية حدثنا ابن عم نعيم ابن عباس قال: قال نبي الله ﷺ: فوايت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورايت عيسى بن مريم مرسوخ الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس.

وأخرجه [ج (٣٢٣٩، ٣٢٩٦)، م (١٦٥)] من حديث قتادة به.

وقال الإمام أحمد (٢٨٢/٢): حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حين أسري به لقيت موسى» فنته فقال رجل: قال: حسبته قال: مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة. ولقيت عيسى، فنته رسول الله ﷺ فقال: «ربعة أحمر كأنها خرج من دباس» يعني حملاً. قال: فورايت إبراهيم وأنا أشبه ولد به» الحديث.

وقد تقدم غالب هذه الأحاديث في ترجمة الخليل.

٥٤ - ذكر وفاته عليه السلام

قال البخاري في صحيحه (١٣٣٩، ٣٤٠٧ مرفوعاً ومرفوعاً): (وفاته موسى عليه السلام).

حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال: أرجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شجرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن قال: فسأل الله تعالى أن ينيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ: «فقلو كنت ثم لأريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكتيف الآخر».

قال: وأنبأنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

وقد روى مسلم (٢٣٧٢) الطريق الأول من حديث عبد الرزاق به.

ورواه الإمام أحمد (٣١٩/٢) من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة مرفوعاً وسيأتي.

وقال الإمام أحمد (٣٥١/٢): حدثنا الحسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو

يونس يعني سليم بن جبير عن أبي هريرة - قال الإمام أحمد: لم يرفعه -

قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال: أجب ربك فاطم

موسى عين ملك الموت ففعلها. فرجع الملك إلى الله فقال: إنك بعثتني إلى

عبد لك لا يريد الموت. قال: وقد فقا عيني قال: فرد الله عينه وقال: أرجع

إلى عيدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن

ثور فما ولدت يدك من شعره فإنك تعيش بها سنة قال: ثم مه؟ قال: ثم

الموت قال: فالآن يا رب من قريب.

تفرد به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ.

وقد رواه ابن حبان في صحيحه (١٢٢٢) من طريق معمر

عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال معمر: وأخبرني من سمع

الحسن عن رسول الله ﷺ فذكره ثم استشكله ابن حبان وأجاب عنه بما

حاصله: أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لجهته له على غير صورة

يعرفها موسى عليه السلام كما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي

وكما وردت الملائكة على إبراهيم ولوط في صورة شباب فلم يعرفهم

إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى لعله لم يعرفه لذلك ولطمه ففقا عينه

لأنه دخل داره بغير إذنه، وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقه عين من نظر

إليك في ذلك بغير إذن.

ثم أورد الحديث من طريق عبد الرزاق (الإحسان (١٢٢٤)) عن معمر

عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى

موسى ليقبض روحه فقال له: أجب ربك فاطم موسى عين ملك الموت

ففقا عينه.. وذكر تمام الحديث - كما أشار إليه البخاري - ثم تأوله على

أنه لما رفع يده ليطمعه قال له: أجب ربك.

وهذا التأويل لا ينشئ على ما ورد به اللفظ من تعقيب قوله: أجب

ربك. بلطمه ولو استمر على الجواب الأول لثمثني له: وكأنه لم يعرفه في

تلك الصورة ولم يعمل قوله هذا على أنه مطابق إذ لم يتحقق في الساعة

الراثة أنه ملك كريم؛ لأنه كان يرجو أموراً كثيرة كان يجب وقوعها في

حياته من خروجه من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وكان قد سبق في

قدر الله أنه عليه السلام يموت في التيه بعد هارون أخيه كما سنبينه إن شاء

الله تعالى.

وقد زعم بعضهم أن موسى عليه السلام هو الذي خرج بهم من التيه

ودخل بهم الأرض المقدسة [هــو بطريق (١٨٤، ١٨٥، ١٨٥)].

وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب وجمهور المسلمين. وما يدل على

تكون هذا العبد فادخل هذا القبر وتجد فيه وتوجه إلى ريك وتنفس أسهل تنفس ففعل ذلك فمات صلوات الله وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه [تاريخ الطبري: ٤٣٣/١، ٤٣٤].

وذكر أهل الكتاب وغيرهم أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة. وقد قال الإمام أحمد [٥٣٣/٢]: حدثنا أمية بن خالد ويونس قالوا: حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يونس رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ قال: «كان ملك الموت يأتي الناس عياناً قال: فأني موسى عليه السلام فطمع ففقا عنه فأني ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقا عني ولولا كرامته عليك لَمَتُّتُ عليه».

وقال يونس: «لَشَقَقْتُ عليه» - قال له: اذهب إلى عبيدي. فقل له فليضع يده على جلد أو مَسَّكَ ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فأتاه فقال له فقال: ما بعد هنا؟ قال: الموت قال: فالآن؟ قال: افشمه شمة فقبض روحه. قال يونس: فرد الله عليه عنه وكان يأتي الناس خفية. وكذا رواه ابن جرير [تاريخ الطبري: ٤٣٤/١] عن أبي كريب عن مصعب بن المقدم عن حماد بن سلمة به فرقه أيضاً.

٥٥- نبوة يوشع بعد موسى وهارون

هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

وأهل الكتاب يقولون: يوشع بن عم هود. وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر كما تقدم من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَادَةَ﴾ [الكهف: ٦٠] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَادَةَ﴾ [الكهف: ٦٢].

وقدما ما ثبت في الصحيح [خ (٤٧٢٧)] من رواية أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ من أنه يوشع بن نون. وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فإن طائفة منهم وهم السامرة لا يقررون نبوة أحد بعد موسى إلا يوشع بن نون؛ لأنه مصرح به في التوراة ويكفرون بما رواه وهو الحق من ربهم فعليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة.

وأما ما حكاه ابن جرير [تاريخ: ٤٣٣/١] وغيره من المفسرين عن محمد بن إسحاق من أن النبوة حوت من موسى إلى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما أحدث الله إليه من الأوامر والنواهي حتى قال له: يا كليم الله إني كنت لا أسألك عما يوحى الله إليك حتى تخبرني أنت ابتداء من تلقاء نفسك فعند ذلك كره موسى الحياة وأحب الموت.

ففي هذا نظر؛ لأن موسى عليه السلام لم يزل الأمر والرحي والتشريع والكلام من الله تعالى إليه من جميع أحواله حتى توفاه الله عز وجل ولم يزل معزراً مكرماً منكلاً وجيهاً عند الله كما قدما في الصحيح [خ (١٣٣٩، ٣٤٠٧) مرفوعاً] من قصة فقه عين ملك الموت ثم بعثه الله إليه إن كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها قال: ثم ماذا؟ قال: الموت قال: فالآن يا رب. وسأل الله أن يذنيه إلى بيت المقدس رمية بمجر وقد أجيب إلى ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

فهذا الذي ذكره محمد بن إسحاق إن كان إنما يقوله من كتب أهل الكتاب ففي كتابهم الذي يسمونه التوراة أن الوحي لم يزل ينزل على

ذلك قوله لما اختار الموت: رب أدني إلى الأرض المقدسة رمية حجر. ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه بالتيه وحانت وفاته عليه السلام أحب أن يتقرب إلى الأرض التي هاجر إليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بمجر فلما قال سيد البشر. ورسول الله إلى أهل الوير والمدر: «فلو كنت ثم لأزيتكم قبره عند الكتيب الأحمر» [خ (١٣٣٩، ٣٤٠٧) مرفوعاً].

وقال الإمام أحمد [٢٤٨/٣]: حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما أسري بي مرت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الأحمر».

ورواه مسلم [٢٣٧٥] من حديث حماد بن سلمة به. وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا: ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى إني متوفى هارون فأت به جبل كذا وكذا.

فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم بشجرة لم تر شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبني وإذا هم بسير على فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه. قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير. قال له موسى: فتم عليه قال: إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ. قال له: لا ترهب أنا أكفيك رب هذا البيت فتم. قال: يا موسى، بل تم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب عليّ وعليك جميعاً.

فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال: يا موسى خلعتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له. وكان هارون أكف عنهم والذين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم.

فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم كان أخي أفتروني أقتله. فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فترسل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض. ثم إن موسى عليه السلام بينما هو يمشي ويوشع فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال: تقوم الساعة وأنا ملثم موسى نبي الله فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع.

فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبي الله؟! فقال: لا والله ما قتله ولكنه استلّ مني. فلم يصدقوه ولرادوا قتله. قال: فإذا لم تصدقوني فأخرونني ثلاثة أيام. فدعا الله فأني كل رجل بمن كان يحمره في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى أنا قد رفعا إني فتركوه ولم يبق أحد من أبي أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا مات ولم يشهد الفتح [تاريخ الطبري: ٤٣٣/١].

ولي بعض هذا السياق نكارة وغرابة والله أعلم. ولقد قدما أنه لم يخرج أحد من اليه عن كان مع موسى سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو زوج مريم أخت موسى وهارون وهما الرجلان المذكوران فيما تقدم اللذان أشارا على ملا بني إسرائيل بالدخول عليهم.

وذكر وهب بن منبه أن موسى عليه السلام مر بملاً من الملائكة يحفرون قبراً فلم ير أحسن منه ولا أنضر ولا أبهج فقال: يا ملائكة الله لن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: لبد من عباد الله كريم فإن كنت تحب أن

السيط الثاني: سبط شمعون وكانوا تسعة وخمسين ألفاً وثلاثمائة. ونيقيهم شلوميثيل بن هوريشداي.

السيط الثالث: سبط يهوذا وكانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمئة. ونيقيهم نحشون بن عميتاداب.

السيط الرابع: سبط إيساخر وكانوا أربعة وخمسين ألفاً وأربعمائة ونيقيهم نشائيل بن صوغر.

السيط الخامس: سبط يوسف عليه السلام وكانوا أربعين ألفاً وخمسمائة ونيقيهم يوشع بن نون.

السيط السادس: سبط ميسا وكانوا أحداً وثلاثين ألفاً ومائتين ونيقيهم جليثيل بن فدعصور.

السيط السابع: سبط بنيامين وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة ونيقيهم أيلين بن جدعون.

السيط الثامن: سبط جاد وكانوا خمسة وأربعين ألفاً وستمئة وخمسين رجلاً ونيقيهم إلياساف بن رعوثيل.

السيط التاسع: سبط أشير وكانوا أحداً وأربعين ألفاً وخمسمائة ونيقيهم فجعيثيل بن عكرن.

السيط العاشر: سبط دان وكانوا اثنين وستين ألفاً وسبعمائة ونيقيهم أخيعرز بن عشدداي.

السيط الحادي عشر: سبط نفتالي وكانوا ثلاثة وخمسين ألفاً وأربعمائة. ونيقيهم أخيرع بن عين.

السيط الثاني عشر: سبط زبولون وكانوا سبعة وخمسين ألفاً وأربعمائة ونيقيهم ألباب بن حيلون.

هذا نص كتابهم الذي بأيديهم والله أعلم.

وليس منهم بنو لاوي فامر الله موسى أن لا يعلّمهم معهم لأنهم مولكون يحمل قبة الشهادة وخزنها ونصبها إذا ارتحلوا وهم سبط موسى وهارون عليهما السلام وكانوا اثنين وعشرين ألفاً من ابن شهر فما فوق ذلك.

وهم في أنفسهم قبائل كل كل قبيلة طائفة من قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون بمصالحها ونصبها وحملها وهم كلهم حولها ينزلون ويرحلون أمانها وبينها وشمالها ووراءها.

وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بني لاوي خمسمائة ألف واحد وسبعون ألفاً وستمئة وستة وخمسون.

لكن قالوا: فكان عدد بني إسرائيل عن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك بمن حمل السلاح ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسة وخمسين رجلاً سوى بني لاوي.

وفي هذا نظر فإن جميع الجمل المتقدمة إن كانت كما وجدنا في كتابهم لا تطابق الحملة التي ذكروها والله أعلم.

فكان بنو لاوي المولكون يحفظ قبة الزمان يسبرون في وسط بني إسرائيل وهم القلب ورأس الميمة بنو روبيل ورأس الميسرة بنو ران وبنو نفتالي يكونون ساقه.

وقرر موسى عليه السلام بأمر الله تعالى له الكهانة في بني هارون كما كانت لأبيهم من قبلهم وهم ناداب وهو بكره وأيهو وإلعاذر ويشمر.

والمقصود أن بني إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا: «فَأَذْعَبَ أَنْتَ وَزَيْتُكَ فَتَبَاتِلَا إِنَّا هَامُنَا فَأَعْلُوثُ» (الأنعام: ٢٤).

موسى في كل أمر يحتاجون إليه إلى آخر مدة موسى كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قبة الزمان.

وقد ذكرنا في السفر الثالث أن الله أمر موسى وهارون أن يعدّوا بني إسرائيل على أسباطهم وأن يجعل على كل سبط من الاثني عشر أميراً وهو القريب وما ذلك إلا ليتامروا للقتال قتال الجبارين عند الخروج من التيه وكان هذا عند اقتراب انقضاء الأربعين سنة.

ولهذا قال بعضهم: إنما فقا موسى عليه السلام عين ملك الموت لأنه لم يعرفه في صورته تلك ولأنه كان قد أمر بأمر كان يرتجى وقوعه في زمانه ولم يكن في قدر الله أن يقع ذلك في زمانه بل في زمان فناء يوشع بن نون عليه السلام، كما أن رسول الله ﷺ كان قد أراد غزو الروم بالشام فوصل إلى تبوك ثم رجع عامه ذلك في سنة تسع ثم حج في سنة عشر ثم رجع فجهز جيش أسامة إلى الشام طليعة بين يديه ثم كان على عزم الخروج إليهم امتثالاً لقوله تعالى: «فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَبْتَغُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» (البقرة: ٢٩).

ولما جهز رسول الله جيش أسامة توفي عليه الصلاة والسلام وأسامة غنيم بالجرف فنقله صديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم لما لَمْ شَتَّ جزيرة العرب وما كان وهى من أمر أهلها وعاد الحق إلى نصابه جهز الجيوش ثمة وبصرة إلى العراق أصحاب كسرى ملك الفرس وإلى الشام أصحاب قيصر ملك الروم ففتح الله لهم ومكن لهم وهم وملكمهم نواصي أعلّهم كما سنورده عليك في موضعه إذا انتهينا إليه مفصلاً إن شاء الله بعونه وتوفيقه وحسن إرشاده.

وهكذا موسى عليه السلام كان الله قد أمره أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم قباة كما قال تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا فِيهِمْ أَنِّي عَشْرَ نَبِيًّا» (البقرة: ١٢).

وقال الله: «إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآتَيْتُمْ رُسُلِي وَعَزَّيْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» (البقرة: ١٢).

يقول لهم: لئن قمتم بما أوجبت عليكم ولم تنكروا عن القتال كما نكلم أول مرة لأجملن ثواب هذه مكفراً لما وقع عليكم من عقاب تلك.

كما قال تعالى لمن تخلف من الأعراب عن رسول الله ﷺ في غزوة الخديبية «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُوعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَرْبَابِ فَأُولَئِكَ يُسْأَلُونَ عَنْ أَسْلَاحِهِمْ وَإِنْ يُنْسَلُوا عَنْهَا فَلَا تَزِرُ وَازِرَتُهَا فِئَافَافًا» (التوبة: ١٦).

وهكذا قال تعالى لبني إسرائيل: «فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» (البقرة: ١٢).

ثم فذهب تعالى على سوء صنيعهم وتقصيرهم موافقهم كما ذم من يعلمهم من النصارى على اختلافهم في دينهم وأديانهم. وقد ذكرنا ذلك في التفسير مستقصى والله الحمد.

والمقصود أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل ممن يحمل السلاح ويقاتل ممن بلغ عشرين سنة فصاعداً وأن يجعل على كل سبط نقيباً منهم.

السيط الأول: سبط روبيل لأنه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منهم ستة وأربعين ألفاً وخمسمائة ونيقيهم منهم وهو البصور بن شليهورا.

قاله الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس (وهو الطبري: ١٨٣/٦).

وقاله قتادة وعكرمة.

ورواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة (وهو الطبري: ١٨٢/١، ١٨٣).

حتى قال ابن عباس وغيره من علماء السلف والخلف: ومات موسى وهارون قبله كلاهما في التيه جميعاً.

وقد زعم ابن إسحاق أن الذي فتح بيت المقدس هو موسى وإنما كان يوشع على مقدمته وذكر في مروره إليها قصة بلعام بن باعور الذي قال تعالى فيه: ﴿وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَارُ اللَّهِ أَنبَاءَ آيَاتِهِ فَاسْتَلَخَ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكُلْبِ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَاءَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ﴾ (الأعراف: ١٧٥، ١٧٧).

وقد ذكرنا قصته في التفسير وأنه كان فيما قاله ابن عباس وغيره يعلم الاسم الأعظم وإن قومه سالوه أن يدعو على موسى وقومه فامتنع عليهم، فلما ألحوا عليه ركب حمارة له.

ثم سار نحو معسكر بني إسرائيل فلما أشرف عليهم رضيت به حمارته فضرها حتى قامت فسارت غير بعيد ورضت فضرها ضرباً أشد من الأول فقامت ثم رضت فضرها فقالت له: يا بلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم. فلم يترع عنها فضرها حتى سارت به حتى أشرف عليهم من رأس جبل حسان. ونظر إلى معسكر موسى وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه لا يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلا يموه على ذلك فاعتذر إليهم بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا، وأنبلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه: ذهب مني الآن الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والحيلة.

ثم أمر قومه أن يزينوا النساء ويعشوهن بالأمتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون في الزنا فإنه من زنى رجل منهم كفيتموهم.

ففعلاً وزينوا نساءهم وعشوهن إلى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كسئي برجل من عظماء بني إسرائيل وهو زمري بن شلوم. يقال: إنه كان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب فدخل بها قبه فلما خلا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل فجعل يموت فيهم الموت.

فلما بلغ الخبر إلى فتاح بن العيزار بن هارون أخذ حريته وكانت من حديد فدخل عليها القبة فانتظهما جميعاً فيها ثم خرج بهما على الناس والحرية في يده وقد اعتمد على خاصرته وأسندها إلى لحيته ورفعهما نحو السماء وجعل يقول: اللهم هكنا نفعل بمن يعصيك.

ورفع الله الطاعون فكان جملة من مات منهم في تلك الساعة سبعين ألفاً والمقتل يقول: عشرين ألفاً. وكان فتاح بكر أبيه العيزار بن هارون فلهاذا يجعل بنو إسرائيل لولد فتاح من الذبيحة القبة والذراع واللحي ولهم البكر من كل أموالهم وأنفسهم.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف.

لكن لعله لما أراد موسى دخول بيت المقدس أول مقدمته من النصار المصرية ولعله مراد ابن إسحاق ولكنه ما فهمه بعض الناقلين عنه وقد

قلنا عن نص التوراة ما يشهد لبعض هذا والله أعلم.

ولعل هذه قصة أخرى كانت في خلال سيرهم في التيه فإن في هذا السياق ذكر حسان وهي بعيلة عن أرض بيت المقدس أو لعله كان هذا لجيش موسى الذين عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصداً بيت المقدس كما صرح به السدي (وهو الطبري: ١٨٢/٦، ١٨٤، ١٨٥).

والله أعلم.

وعلى كل تقدير فالذي عليه الجمهور أن هارون توفي بالتية قبل موسى أخيه بنحو ستين. ويعلو موسى في التيه أيضاً كما قلنا وأنه سأل ربه أن يقرب إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك فكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام.

فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ (راجع الطبري: ٤٤١/١، ٤٤٢) أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا وكانت من أحسن المداين سورا وأعلاما قصوراً وأكثرها أهلاً فحاصرها ستة أشهر.

ثم إنهم أحاطوا بها يوما وضربوا بالقرور يعني الأبواق وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها واخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء وحاربوا ملوكاً كثيرة.

ويقال: إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام. وذكرنا أنه انتهى محاصرتها لها إلى يوم جمعة بعد العصر. فلما غربت الشمس أو كادت تغرب ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان قال لها: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم أحبسها علي. فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وأمر القمر فوقف عند الطلوع. وهنا يقتضي أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر، والأول وهو قصة الشمس المذكورة في الحديث الذي سأذكره.

وأما قصة القمر فمن عند أهل الكتاب ولا ينافي الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا تصلق ولا تكذب ولكن ذكرهم أن هذا في فتح أريحا فيه نظر والأشبه والله أعلم أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم وفتح أريحا كان وسيلة إليه والله أعلم.

قال الإمام أحمد (٣٢٥/٢): حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس».

اتفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري.

وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا كما قلنا.

وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام فبدل على ضعف الحديث الذي رواه أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب صلاة العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته فسأل رسول الله ﷺ أن يردها عليه حتى يصلي العصر فرجعت (الطبراني في المعجم: ٣٨١).

وقد صححه أحمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسن وهو مما توفر الدواعي على نقله وتفردت بتقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولها بيني، ولا آخر

قال ابن عباس وعطاء والحسن وقادة والريح أمروا أن يستنفروا. قال البخاري: حدثنا: محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قيل لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يرحفون على استاهم فبذلوا وقالوا حطة حبة في شعرة».

وكذا رواه النسائي من حديث ابن المبارك ببعضه ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن ابن مهدي به موقوفاً.

وقد قال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «قال الله لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبذلوا فدخلوا الباب يرحفون على استاهم فقالوا حبة في شعرة». ورواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال محمد بن إسحاق: كان تبديلهم كما حدثني صالح بن كيسان عن صالح مولى التوامة عن أبي هريرة وعمن لا أنهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «دخلوا الباب الذي أسروا أن يدخلوا فيه سجداً يرحفون على استاهم وهم يقولون حطة في شعرة». وقال أسباط عن السدي عن مرة عن ابن مسعود قال في قوله: «قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» [البقرة: ٥٩] قال قالوا: (هبطي سقانا أزمة مزيا) فهي في العربية (حبة) حطة حراء مثقوبة فيها شعرة سوداء) وقد ذكر الله تعالى أنه عاقبهم على هذه المخالفة بإرسال الرجز الذي أنزله عليهم وهو الطاعون كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن عامر بن سعد ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم أبي النضر عن عامر بن سعد عن أسامة بن زيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا الوجع» أو «السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم» وروى النسائي وابن أبي حاتم وهذا لفظه من حديث الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجز عذب به من كان قبلكم» وقال الضحاك عن ابن عباس الرجز العذاب. وكذا قال مجاهد وأبو مالك والسدي والحسن وقادة وقال أبو العالية هو الغضب. وقال الشعبي الرجز إما الطاعون وإما البرد. وقال سعيد بن جبير هو الطاعون. ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكان مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

٥٦- قصة الخضر عليه السلام

أما الخضر فقد تقدم أن موسى عليه السلام رحل إليه في طلب ما عنده من العلم اللدني وقص الله من خبرهما في كتابه العزيز في سورة الكهف وذكرنا في تفسير ذلك هنالك وأوردنا هنا ذكر الحديث المصرح بذكر الخضر عليه السلام وأن الذي رحل إليه هو موسى بن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة.

وقد اختلف في الخضر في اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن على أقوال سأذكرها لك ههنا إن شاء الله وبجمله وقوته. قال الحافظ ابن عساکر: يقال: إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه ثم روى من طريق الدارقطني حدثنا محمد بن الفضل القلانسي حدثنا العباس بن عبد الله

قد بني بيتاً ولم يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو يتظر أولادها فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه فجمعوا ما غنموا فأتت النار لتأكله فآبأت أن تطعمه فقال فيكم غلور فليأمني من كل قبيلة رجل فباعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلور ولتأمني قبيلتك فباعته قبيلته فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال: فيكم الغلور أتم غلتم فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال: فوضعوه بالمال وهو بالصعيد فاقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيها لنا. انفرد به مسلم من هنا الوجه.

وقد روى البزار من طريق مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه. قال: ورواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبري قال: ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. والمقصود أنه لما دخل بهم باب المدينة أمروا أن يدخلوها سجداً أي ركعاً متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه وأن يقولوا حال دخولهم حطة أي حط عنا خطيئنا التي سلفت من نكولنا الذي تقدم منا. ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم فتحها دخلها وهو راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر حتى أن عشوته وهو طرف لحيته ليس مورك رحله مما يطأطن رأسه خضعاً لله عز وجل ومعه الجند والجوشع ممن لا يرى منه إلا الخلق ولا سيما الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله ﷺ، ثم لما دخلها اغتسل وصلى ثماني ركعات وهي صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولي العلماء. وقيل إنها صلاة الضحى وما حل هذا القاتل على قوله هنا إلا لأنها وقعت وقت الضحى. وأما بنو إسرائيل فلأنهم خالفوا ما أمروا به قولاً وفعلًا دخلوا الباب يرحفون على استاهم يقولون حبة في شعرة وفي رواية حططة في شعرة. وحاصله أنهم بدلوا ما أسروا به واستهزؤوا به كما قال تعالى حاكياً عنهم في سورة الأعراف وهي مكية: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَتَرِدَ الْمُحْسِنِينَ. قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٦، ١٦٧].

وقال في سورة البقرة وهي مدنيّة غاطياً لهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتَرِدَ الْمُحْسِنِينَ. قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩، ٥٨]. وقال الثوري عن الأعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجداً قال: ركعاً من باب صغير. ورواه الحاكم وابن جرير وابن أبي حاتم.

وكذا روى العوفي عن ابن عباس وكذا روى الثوري عن ابن إسحاق عن البراء. قال مجاهد والسدي والضحاك والباب هو باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس. قال ابن مسعود فدخلوا مقني رؤوسهم ضد ما أسروا به وهذا لا يتناقض قول ابن عباس أنهم دخلوا يرحفون على استاهم. وهكذا في الحديث الذي سنورده بعد فإنهم دخلوا يرحفون وهم مقنعوا رؤوسهم. وقوله وقولوا حطة الواو هنا حالية لا عاطفة أي ادخلوا سجداً في حال قولكم حطة.

الرومي حدثنا رواد بن الجراح حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسيه له في أجله حتى يكذب الدجال وهذا منقطع وغريب. وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا: إن أطول بني آدم عمراً الخضر واسمه خضرون بن قاييل بن آدم قال وذكر ابن إسحاق أن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقتع بالناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسد معهم في السفينة وأن يلدنوه في مكان عتبه لهم. فلما كان الطوفان حملوه معهم فلما هبطوا إلى الأرض أمر نوح بنيه أن يلعبوا ببلته فيدفنوه حيث أوصى فقالوا: إن الأرض ليس بها أنيس وعليها وحشة فحضرهم وحثمهم على ذلك. وقال: إن آدم دعا لمن يلي دفنه بطول العمر فهاهنا المسير إلى ذلك الموضع في ذلك الوقت فلم يزل جسد عندهم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه ونحز الله ما وعدة فهو يحيى إلى ما شاء الله له أن يحيى.

وذكر ابن تينة في المعارف عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بلياً. ويقال: إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام. وقال إسماعيل بن أبي أويس اسم الخضر فيما بلغنا والله أعلم المعمر بن مالك بن عبدان بن نصر بن لازد. وقال غيره: هو خضرون بن عمائل بن اليُز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. ويقال هو: أمريا بن طبقا فأنه أعلم. وقيل إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جداً. قال ابن الجوزي: رواه محمد بن أيوب عن ابن ليعة وهما ضعيفان. وقيل: إنه ابن مالك. وهو أخو إلياس قاله السدي كما سيأتي. وقيل إنه كان على مقدمة ذي القرنين. وقيل: كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل وهاجر معه وقيل: كان نبياً في زمن بشتاب بن هراسب.

قال ابن جرير: والصحيح أنه كان متقدماً في زمن أفريدون ابن اثنيان حتى أذكره موسى عليهما السلام. وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسي.

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون أيضاً. قال أبو زرعة في دلائل النبوة: حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أسري به وجد رائحة طيبة فقال: «يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟» قال: هذه ريح قبر الماشطة وابنتها وزوجها. وقال: وكان به ذلك أن الخضر كان من أشرف بني إسرائيل وكان عمره يراه في صومعته فتطلع عليه الراهب فعلمه الإسلام فلما بلغ الخضر زوجه أبوه امرأة فعلمها الإسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحداً وكان لا يقرب النساء ثم طلقها ثم زوجه أبوه بأخرى فعلمها الإسلام وأخذ عليها أن لا تعلم أحداً ثم طلقها فكتمت إحداهما وأتت عليه الأخرى فانطلق هارباً حتى أتى جزيرة في البحر فأقبل رجلان يحيطان فرأياه فكتما أحدهما وأفتى عليه الآخر قال قد رأيت العزير ومن رأه معك قال: فلان. فستل فكتم وكان من دينهم أنه من كذب قتل فقتل وكان قد تزوج الكاتمة المرأة الكاتمة.

قال: فيمنها هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس فرعون! فأخبرت أباهما وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا فقال: إني قاتلكما قتالاً: إحسان منك إلينا إن أنت قتلتنا أن نجعلنا في قبر واحد فجعلهما في قبر واحد

فقال: وما وجدت رجلاً أطيب منهما وقد دخلت الجنة. وقد تقدمت قصه ماثلة بنت فرعون [ل سفي م ٢٠٨] وهذا المشط في أمر الخضر قد يكون مدرجاً من كلام أبي بن كعب أو عبد الله بن عباس والله أعلم.

وقال بعضهم [السماء اللغات للنووي: ١٦٧/١] كنيته أبو العباس. والأشبه والله أعلم أن الخضر لقب غلب عليه.

قال البخاري [٣٤٠٢] رحمه الله: حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتر من خلفه خضراء».

تقرّد به البخاري

وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر به [الوملي (٣١٥١) من طريق عبد الرزاق].

ثم قال عبد الرزاق: الفروة الحشيش الأبيض وما أشبهه يعني المشيم اليابس.

وقال الخطابي: وقال أبو عمر: الفروة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها. وقال غيره: هو المشيم اليابس شبهه بالفروة ومه قيل: فروة الرأس وهي جلدة بما عليها من الشعر كما قال الراعي:

ولقد ترى الحشيش حول يوتنا جدلاً إذا ما نال يوماً ماكلاً صبيداً أصك كان فروة رأسه بذرت فأنبت جانباه فلقلاً

قال الخطابي: إنما سمي الخضر خضراً لحسنه وإشراق وجهه.

قلت: هذا لا ينافي ما ثبت في الصحيح فإن كان ولا بد من التعليل بإحدهما فما ثبت في الصحيح أولى وأقوى بل لا يلتفت إلى ما عداه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر [تابع دمشق: ٤٠١/١٦، ٤٠٢] هذا الحديث أيضاً من طريق أبي إسماعيل حفص بن عمر الأيلي حدثنا عثمان وأبو جزي وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنما سمي الخضر خضراً لأنه صلى على فروة بيضاء فاهترت خضراء».

وهذا غريب من هذا الوجه.

وقال قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد قال: إنما سمي الخضر؛ لأنه كان إذا صلى اخضرّ ما حوله [تابع دمشق: ٤٠٢/١٦].

وتقدم أن موسى ويوشع عليهما السلام لما رجعا يقصان الأثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فلم عليه السلام فكشف عن وجهه فرد وقال: أتى بأرضك السلام من أنت؟ قال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه عنهما.

وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا أَنِيشَهُ رَحْمَةً مِنَّا عَيْنًا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

الثاني: قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَغْلُمَنَ مِمَّا غُلِمْتَ رُسُداً. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْمِعَنِي مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ لَكَ بِهِ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

كن نقاعاً ولا تكن ضراراً. كن بشاشاً ولا تكن غضبان. ارجع عن اللجاجة ولا تمس في غير حاجة.

وفي رواية [تاريخ دمشق: ٤١٦/١٦] من طريق أخرى زيادة قولاً تضحك إلا من عجب.

وقال وهب بن منبه: قال الخضر: يا موسى إن الناس معذبون في الدنيا على قدر فهمهم بها [تاريخ دمشق: ٤١٦/١٦].

وقال بشر بن الحارث الحافي: قال موسى للخضر: أوصني فقال: يسر الله عليك طاعته [تاريخ دمشق: ٤١٦/١٦، ٤١٧].

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤١٤/١٦، ٤١٥] من طريق زكرياء بن يحيى الوفاري إلا أنه من الكذابين الكبار.

قال: قرئ على عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال الثوري: قال مجالد: قال أبو الوداك: قال أبو سعيد الخدري: قال عمر بن الخطاب: قال:

قال رسول الله ﷺ: «قال أخى موسى يا رب ذكر كلمته فاتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشعرها فقال: السلام عليك

ورحمة الله يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام. قال موسى: هو السلام وإليه السلام والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصي نعمه ولا

أقدر على أداء شكره إلا بمعونه. ثم قال موسى: أريد أن توصيني بوصية ينفعني الله بها بعدك. فقال الخضر: يا طالب العلم إن القاتل أقل ملامة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثهم واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا

تغرس به وعاءك، وأعزف عن الدنيا وابذلها وراءك. فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها عمل قرار. وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها ليوم المعاد.

ورض نفسك على الصبر تخلف من الإثم. يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريد فلما العلم لمن تفرغ له. ولا تكن مكشراً بالمطلق مهبطاً فإن كثرة

المنطق تشين العلماء وتبدي مساوئ السفهاء. ولكن عليك بالاعتقاد فإن ذلك من التوفيق والسداد. وأعرض عن الجهال وباطلهم واحلم عن

السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء وزين العلماء إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حليماً، وجانبه حزماً. فإن ما بقي من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم.

يا ابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً. فإن الاندلاط والتعسف من الاتخام والتكلف. يا ابن عمران لا تفتحن باباً لا تدري ما

غلقه ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه. يا ابن عمران من لا تنتهي من الدنيا نهمة ولا تتقضي منها رغبة كيف يكون عبداً، ومن يحقر حاله

ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهداً؟

هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه أو يتقعه طلب العلم والجهل قد حواه لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه.

يا موسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولغيرك نوره.

يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك والعلم والذكر كلامك واستكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات وزعزع بالخوف

قلبك فإن ذلك يرضي ربك واعمل خيراً فإنك لأبد عامل سواء؛ قد وعظت إن حفظت.

قال: فتولى الخضر وبقي موسى محزوناً مكروباً يبكي.

لا يصح هنا الحديث وأظنه من صنعة زكريا بن يحيى الوفاري المصري كذبه غير واحد من الأئمة والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكت عنه.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني [تاريخ دمشق من طريق أبي نعيم:

فلو كان ولياً وليس بني لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير بني لم يكن معصوماً ولم يكن لموسى وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علمه ولي غير واجب العصمة ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه ولو أنه يمضي حقياً من الزمان قيل: ثمانين سنة ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتباعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم.

وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام.

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وما ذاك إلا للوحي إليه فيه من الملك العلام. وهذا دليل مستقل على نبوته. ويرهان ظاهر على

عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق.

ولما أقدم الخضر على قتل الغلام الذي لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهم له فيتابعانه عليه فقتلته

مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته.

وقد رأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه. وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضاً.

الرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأنعام لموسى ووضح له عن حقيقة امره وجلى قال بعد ذلك كله: «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قُلْتُمْ عَنْ أُخْرَى» [الكهف: ٨٢] يعني ما قلته من تلقاء نفسي بل امرت به وأوحى إلي فيه.

فدل ذلك على نبوته. ولا ينافي ذلك حصول ولاته بل ولا رسالته كما قال آخرون.

وأما كونه ملكاً من الملائكة فغريب جداً.

وإذا ثبت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه ولا

معتمد يعتمدون عليه.

وأما الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا:

فالمجهور على أنه باق إلى اليوم.

قيل: لأنه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالت دعوة أبيه آدم بطول الحياة.

وقيل: لأنه شرب من عين الحياة فحي.

وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقاءه إلى الآن وسنوردها مع غيرها إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وهذه وصية لموسى حين «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِشَأْنِ ابْنِ مَرْيَمَ سَتَصْلُحُ عَلَيْهِ صَبْرًا» [الكهف: ٧٨]

روي في ذلك آثار متقطعة كثيرة.

قال البيهقي [تاريخ دمشق لابن عساكر من طريق البيهقي: ٤١٥/٦، ٤١٦] أنبأنا أبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير حدثني أبو عبد الله الملقبي قال: لما أراد موسى أن يفارق الخضر قال له موسى: أوصني قال:

في النساء فتطلبه أبوه فهرب فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه. فيقال: إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفتت سره فهرب من أجل ذلك وأطلق سراح الأخرى فأقامت تعبد الله في بعض نواحي تلك المدينة فمر بها رجل يوماً فسمعه يقول: بسم الله فقالت له: أنى لك هذا الاسم؟ فقال: إني من أصحاب الخضر فتزوجته فولدت له أولاداً.

ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون فينما هي يوماً تمشطها إذ وقع المشط من يدها فقالت: بسم الله فقالت ابنة فرعون: أبي؟ فقالت: لا ربي وربك أبيك الله فأعلمت أباهاً فأمر ببقرة من نحاس فأحيت ثم أمر بها فألقيت فيه فلما عاينت ذلك نفاست أن تقع فيها فقال لها ابن معها صغير: يا أمه اصبري فإنك على الحق فألقت نفسها في النار فماتت رحماً لله.

وقد روى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٤٢٣/١٦، ٤٢٤] عن أبي داود الأعمى نفع وهو كذاب وضاع عن أنس بن مالك. ومن طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف وهو كذاب أيضاً عن أبيه عن جده: أن الخضر جاء ليلة فسمع النبي ﷺ كلامه وهو يدعو ويقول: «اللهم أعني على ما ينجي عا خوفتي وارزقي شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه».

فبعث إليه رسول الله أنس بن مالك فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال: قل له: إن الله فضلك على الأنبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على غيره. الحديث.

وهو مكنوب لا يصح سنداً ولا متناً كيف لا يتمثل بين يدي رسول الله ﷺ ويحيى بنسه مسلماً ومتعلماً وهم يذكرون في حكاياتهم وما يستندون عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتي إليهم ويسلم عليهم ويعرف أسماءهم و منازلهم وعالمهم وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذي اصطفاه الله في ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف إليه بأنه موسى بن إسرائيل.

وقد قال الحافظ أبو الحسين بن المنادي بعد إيراده حديث أنس هذا: وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الإسناد سقيم المتن يتبين فيه أثر الصنعة.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي [دلائل النبوة: ٢٦٩/٧] قالاً: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحلق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا فدخل رجل أشهب اللحية جسم صحيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فبلى الله فأنبأ وإليه فارغبوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فإن المصاب من لم يجبر وانصرف فقال بعضهم لبعض: نعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم هو أخو رسول الله ﷺ الخضر عليه السلام.

وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن كامل بن طلحة به.

وفي متنه مخالفة لساق البيهقي ثم قال البيهقي [دلائل: ٢٦٩/٧]: عباد بن عبد الصمد ضعيف وهذا منكر بمرة.

قلت: عباد بن عبد الصمد هذا هو أبو معمر البصري. روى عن أنس نسخة. قال ابن حبان [المجروحين: ١٧١/٢] والمقبلي [الضعفاء الكبير: ١٣٩/٣]: أكثرها موضوع.

٤١٧/١٦، ٤١٨] حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي حدثنا بقة بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ألا أحذركم عن الخضر؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «بينما هو ذات يوم عشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال: تصدق علي بارك الله فيك فقال: الخضر: أمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ما عندي من شيء أعطيكه فقال المسكين: أسألك بوجه الله ما تصدقت علي فإني نظرت إلى السماء في وجهك ورجوت البركة عندك فقال الخضر: أمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعي فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم الحق أقول لك لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك بوجه ربي يعني.

قال: فقلتم إلى السوق فباعه بأربع مائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير عندي فأوصني بعمل قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس تشق علي. قال: فانقل هذه الحجارة. وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت وأطلقت ما لم أرك تطيقه.

ثم عرض للرجل سفر فقال: إني أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة قال: فأوصني بعمل، قال: إني أكره أن أشق عليك قال: ليس تشق علي قال: فاضرب من اللبن لبني حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناءه، فقال: أسألك بوجه الله ما سبيك وما أمرك؟ فقال: سألتني بوجه الله والسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذي سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عندي من شيء أعطيه فسألني بوجه الله فلمكتة من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقت يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم يتقطع. فقال الرجل: أمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم فقال: لا بأس أحسنت وأبقيت. فقال الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله أحكم في أهلي ومالي بما أراك الله أو أخبرك فأخلى سبيلك فقال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي فخلى سبيله. فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها.

وهذا حديث رفعه خطأ والأشبه أن يكون موقوفاً وفي رجاله من لا يعرف فأنه أعلم.

وقد رواه ابن الجوزي في كتابه «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» من طريق عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك عن بقة.

وقد روى الحافظ ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٤١٨/١٦، ٤٢٠] بإسناده إلى السدي أن الخضر وإلياس كانا أخوين وكان أبوهما ملكاً فقال إلياس لأبيه: إن أخي الخضر لا رغبة له في الملك فلو أنك زوجته لعله يحيى منه ولد يكون الملك له فزوجوه أبوه بامرأة حسناء بكر فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء فإن شئت أطلقت سراحك وإن شئت أقمت معي تعبدن الله عز وجل وتكمنين علي سري فقالت: نعم وأقامت معه سنة.

فلما مضت السنة دعاهما الملك فقال: إنك شابة وإبني شاب فإين الولد؟ فقالت: إنما الولد من عند الله إن شاء كان وإن لم يشأ لم يكن فأمره أبوه فظلفها وزوجه بأخرى ثيباً قد ولد لها فلما زفت إليه قال لها كما قال لتي قبلها فأجابته إلى الإقامة عنده.

فلما مضت السنة سأله الملك عن الولد فقالت إن ابنك لا حاجة له

وقد أورد ابن الجوزي من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا: حدثنا يعقوب بن يوسف حدثنا مالك بن إسماعيل فذكر نحوه. ثم قال: وهذا إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر.

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٢٧/١٦، ٤٢٧]: أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو إسحاق المزكي حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد أمه علينا بمبادان أنبأنا عمرو بن عاصم حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويغرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف الشر إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله».

قال: وقال ابن عباس: من قاله حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آتته الله من الغرق والحرق والسرقة. قال: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب.

قال الدارقطني في الأفراد: هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا الشيخ عن - يعني الحسن بن رزين هنا. وقد روى عنه محمد بن كثير العبدي أيضاً ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد بن علي ليس بالمعروف.

وقال الحافظ أبو جعفر العجلي: مجهول وحديثه غير محفوظ. وقال أبو الحسين بن المنادي: هو حديث وإسناده بالحسن بن رزين الحسن بن رزين.

وقد روى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٢٧/١٦، ٤٢٧] نحوه من طريق علي بن الحسن الجهمي وهو كذاب عن ضمرة بن حبيب القدسي عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيري عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً قال: «يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر».

وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً تركنا إيراده قصداً والله الحمد.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٢٨/١٦] من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى الخثني عن ابن أبي رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ويحجان في كل سنة ويشريان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٠٢/١٦، ٤٠٣] أن الوليد بن عبد الملك بن مروان باني جامع دمشق أحب أن يتعب ليلة في المسجد فأمر القومة أن يخلوه له ففعلوا فلما كان من الليل جاء من باب الساعات فتدخل الجامع فإذا رجل قائم يصلي فيما بينه وبين باب الخضر فقال للقومة: ألم أكرمكم أن تخلوه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا الخضر يحيي كل ليلة يصلي هنا.

وقال ابن عساكر أيضاً [تاريخ دمشق: ٤٣٢/١٦]: أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبري أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب هو ابن سفيان القسوي حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا ضمرة عن السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال: رايت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه فقلت في نفسي: إن هذا الرجل حافى قال: فلما انصرف من الصلاة قلت: من الرجل الذي كان معتمداً على يديك آنفاً؟ قال: وهل رأيته يا رباح؟ قلت: نعم قال ما

وقال البخاري [التاريخ الكبير: ٤١/٦] منكر الحديث. وقال أبو حاتم [المجرح والعليل: ٨٢/٦]: ضعيف الحديث جداً منكره. وقال ابن عدي [الكامل في الضعفاء: ١٦٤٨/٤]: عامة ما يرويه في فضائل علي وهو ضعيف غال في التشيع.

وقال الشافعي في مسنده [٢١٦/١]: أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال: لما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلًا يقول: إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودوكاً من كل فائت فبالله فتصوا ولياه فارجوا فإن لمصاب من حرم الثواب.

قال علي بن الحسين: أتترونها من هذا؟ هذا الخضر.

شيخ الشافعي القاسم العمري متروك.

قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: يكتذب. زاد أحمد: وضع الحديث. ثم هو مرسل ومثله لا يعتمد عليه هنا والله أعلم.

وقد روي من وجه آخر ضعيف عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي [دلائل النبوة للبيهقي: ٢٩٧/٧]، ولا يصح.

وقد روى عبد الله بن وهب عن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلي على جنازة إذ سمع هاتفاً وهو يقول: لا تسبقنا يرحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للميت إن تعذب فكثيراً عصاك وإن تغفر له فغفر لي رحمتك. ولما دفن قال: طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريقاً أو جلياً أو خازناً أو كاتباً أو شرطياً فقال عمر: خلوا الرجل نساه عن صلاته وكلامه عنن هو. قال: فتوارى عنهم فنظروا فإذا أثر قلعه فراع. فقال عمر: هذا والله الخضر الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ [تاريخ دمشق: ٤٢٤/١٦، ٤٢٥].

وهذا الأثر فيه مبهم وفيه انقطاع ولا يصح مثله.

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٢٩/١٦] عن الثوري عن عبد الله بن عمر عن يزيد بن الأسم عن علي بن أبي طالب قال: دخلت الطواف في بعض الليل فإذا أنا برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يمنعه سمع عن سمع ويا من لا تغلظه المسائل ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين ولا مسالة السائلين أرزقي برد عفوك وحلاوة رحمتك قال: فقلت: أعد علي ما قلت فقال لي: أو سمعته؟ قلت: نعم فقال لي: والذي نفس الخضر بيده قال: وكان هو الخضر لا يقرها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر وورق الشجر وعدد النجوم لغفرها الله له.

وهذا ضعيف من جهة عبد الله بن الحر فإنه متروك الحديث؛ وزيد بن الأصم لم يترك علماً ومثل هذا لا يصح والله أعلم.

وقد رواه أبو إسماعيل الترمذي [تاريخ دمشق: ٤١٦/١٦] من طريق أبي إسحاق: حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا صالح بن أبي الأسود عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي عن محمد بن يحيى قال: بينما علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة إذا هو برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا يغلظه السائلون ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين أدقي برد عفوك وحلاوة رحمتك قال: فقال له علي: يا عبد الله أعد دعاءك هنا قال: وقد سمعته؟ قال: نعم قال: فادع به في قبر كل صلاة فوالذي نفس الخضر بيده لو كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها وحصى الأرض وترابها لغفر لك أسرع من طرفة عين. وهذا أيضاً منقطع وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم.

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه.

ذكره البخاري عنه فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حياً في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره إن وصل أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده (٣٨٧/٣) حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشيم ثباتاً مجالداً عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعته إلا أن يتبعني».

وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة. وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره وفي عموم شرعه.

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع معهم ليلة الإسراء ورفع فوقعهم كلهم ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم في محل ولايتهم ودار إقامتهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

لإذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ وعن يقتدي بشره لا يسهل إلا ذلك.

هذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة لا يخرج منها ولا يبعد عنها وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بني إسرائيل ومعلوم أن الخضر لم يتنزل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عز وجل واستصره واستفتحته على من كفره: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض» (١٧٦٣)، ت (٣٠٨١)، أحمد (٣٠/٢)، (٣٢٢).

وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام كما قال حسان بن ثابت في قصيدة له في بيت يقال: إنه أنخر بيت قاتله العرب:

ويسر بسنن إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا وعمد
فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته.

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي: سئل بعض أصحابنا عن الخضر: هل مات؟ فقال: نعم.

قال: وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر بن الغباري قال: وكان يمتح بآته لو كان حياً لجاء إلى رسول الله ﷺ، نقله ابن الجوزي في العجالة.

فإن قيل: فهل يقال: إنه كان حاضراً في هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه.

أحبسك إلا رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بشرني أني سألني وأعدل.
قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: الرملي مجروح عند العلماء. وقد قدح أبو الحسين بن المنادي في ضمرة والسري ورياح.
ثم أورد من طرق آخر عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتمع بالخضر وضعتها كلها.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٤٢٩/١٦، ٤٣٣] أيضاً: أنه اجتمع بإبراهيم التيمي ويسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم.

وهذه الروايات والحكايات هي عملة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلاً حجة في الدين والحكايات لا يغلو أكثرها عن ضعف في الإسناد. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم.

وقال عبد الرزاق والمصنف (٢٠٨٢٤) أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثاً طويلاً عن الدجال وقال فيما يحدثنا: فيأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خيرههم فيقول: أشهد أنك أنت الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ بحديثه فيقول الدجال: أرايتم إن قتلنا هذا ثم أحيتة أشكركم في الأمر؟ فيقولون: لا فيقتله ثم يحيه فيقول حين يحى: والله ما كنت أشد بصيرة فيك مني الآن قال: فغريد قتله الثانية فلا يسلط عليه.

قال معمر: بلغني أنه يعمل على حلقه صحيفة من نحاس وبلغني أنه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحيه.

وهذا الحديث غرغري في الصحيحين (ج ١٨٨٢، ٧١٣٢)، م (٢٩٣٨) من حديث الزهري به.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوي عن مسلم: الصحيح أن يقال: إن هذا الرجل الخضر. وقول معمر وغيره بلغني ليس فيه حجة.

وقد ورد في بعض ألفاظ الحديث فيأتي بشاب مثلي شباباً فيقتله (م ٢٩٣٧)، ت (٢٢٤٠)، ج (٤٠٧٥).

وقوله: الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ لا يقتضي المشافهة بل يكفي التواتر.

وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتابه عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات فين أنها موضوعات ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدنا ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد.

وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ومنهم البخاري وإبراهيم الحاربي وأبو الحسين بن المنادي والشيخ أبو الفرج بن الجوزي وقد انتصر لذلك وألف فيه كتاباً سماه "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر" فيحتاج لهم بأشياء كثيرة.

منها قوله: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» [الأنبياء: ٣٤] فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا عمالة ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل علمه حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله.

ومنها أن الله تعالى قال: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

[١٩٠/١] عن البخاري وشيخه أبي بكر بن العربي أنه أدرك حياة النبي ﷺ ولكن مات بعده لهذا الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وأنه بقي إلى زمان النبي ﷺ نظر.

ورجح السهلي بقاءه وحكاة عن الأكثرين.

قال: وأما اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزته لأهل البيت فمروي من طرق صحاح ثم ذكر ما تقدم مما ضعفناه [العرف والإعلام: ١٩٥/١ - ١٩٨] ولم يورد أسانيدنا والله أعلم.

٥٧- قصة إلياس عليه السلام

أما إلياس عليه السلام فقال الله تعالى بعد قصة موسى وهارون من سورة الصافات: ﴿وَإِنِّيَاسٌ لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَنَا بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ الْأَوَّلِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَلَيْسَ لَهُمْ مَحْضَرُونَ. إِلَّا عِيَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣-١٢٢].

قال علماء النسب: هو إلياس بن تسي.

ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون.

وقيل: إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران.

قالوا: وكان أرسله إلى أهل بعلبك غربي دمشق فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل وأن يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلًا.

وقيل: كانت امرأة اسمها بعل والأول أصبح.

ولهذا قال لهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَنَا بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فكذبوه وخالفوه وأرادوا قتله فيقال: إنه هرب منهم واختفى عنهم.

قال أبو يعقوب الأذري عن يزيد بن عبد الصمد عن هشام بن عمار قال: وسمعت من يذكر عن كعب الأحبار أنه قال: إن إلياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك الله الملك وولي غيره فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام فأسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم [تاريخ دمشق: ٣٠٥/٩].

وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو محمد القاسم بن هاشم حدثنا عمر بن سعيد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق قال: أقام إلياس عليه السلام هارياً من قومه في كهف جبل عشرين ليلة أو قال: أربعين ليلة تأتبه الغريان برزقه وأخرجه من طريق أبي الهيثم ابن عسافر في تاريخ دمشق: ٢٠٦/٩.

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي: أتانا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: أول نبي بعث إدريس ثم نوح ثم إبراهيم ثم إسماعيل وإسحاق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهارون ابنا عمران ثم إلياس بن تسي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام [طبقات ابن سعد: ٥٤/١، ٥٥، مطوّل].

هكذا قال: وفي هذا الترتيب نظر.

وقال مكحول عن كعب: أربعة أنبياء أحياء اثنتان في الأرض إلياس والحضر واثنتان في السماء إدريس وعيسى [تاريخ دمشق: ٢٠٧/٦].

فالجواب: أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذي يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات. ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبه وأظهر لمعجزته.

ثم لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكنونة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية وقته مع المسلمين في غزواتهم وشهوده معهم وجماعاتهم ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم بمن سواهم وتسليده العلماء والحكام وتقريره الأدلة والأحكام أفضل مما يقال عنه من كونه في الأمصار. وجوبه القيافي والأقطار. واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم. وهذا الذي ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين [ج ١، ٦٠١، م ٢٥٣٧] وغيرهما [ج ٤، ٤٣٤٨]، ت (٢٢٥١)، م (٥٨٧١) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ صلى ليلة العشاء ثم قال: «أرايتم ليحكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى من هو على وجه الأرض اليوم أحد». وفي رواية [مشكل الآثار: ١٦١/١ من حديث أبي مسعود] «عين تطرف».

قال ابن عمر: فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هذه وإنما أراد اغترام قرنه.

قال الإمام أحمد [٨٨/٢] حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة أن عبد الله بن عمر قال: صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال: «أرايتم ليحكم هذه فإن رأس مائة سنة لا يبقى من على ظهر الأرض أحد».

وأخرجه البخاري [١١٦، ٥٦٤] ومسلم [٢٥٣٧] من حديث الزهري.

وقال الإمام أحمد [٣٠٦، ٣٠٥/٣]: حدثنا محمد بن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نصره عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته بقليل أو بشهر: «ما من نفس متفوسة» أو «ما منكم من نفس اليوم متفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية».

وقال أحمد [٣٤٥/٣]: حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لبيعة عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال قبل أن يموت بشهر فيسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم بالله ما على الأرض نفس متفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة.

وهكذا رواه مسلم [٢٥٣٨] من طريق أبي نصره وأبي الزبير كل منهما عن جابر بن عبد الله به نحوه.

وقال الترمذي [٢٢٥٠]: حدثنا هناد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض من نفس متفوسة يأتي عليها مائة سنة» وهذا أيضاً على شرط مسلم.

قال ابن الجوزي: فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر.

قالوا فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو المظنون الذي يترقى في القرة إلى القطع فلا إشكال وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعيش بعده مائة سنة فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً لأنه داخل في هذا العموم والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله والله أعلم.

وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهلي في كتابه التعريف والإعلام

وقد قدما قول من ذكر أن إيلias والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان بيت المقدس وأنهما يجعان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل.

وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة وبيننا أنه لم يصح شيء من ذلك وأن الذي يقرم عليه الليل أن الخضر مات وكذلك إيلias عليهما السلام.

وما ذكره وهب بن منبه وغيره [في تفسير الطبري: ٩٣/٢٣، ٩٤ من ابن إسحاق مطولاً] أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشاً وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكاً بشرياً مساوياً لأروى وأوصى إلى ليسع بن اخوطب ففي هذا نظر وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب بل الظاهر أن صحتها بعيدة والله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي [الذليل: ٤٢١/٥]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو العباس أحمد بن سعيد المحدثي ببخارى حدثنا عبد الله بن محمود حدثنا عباد بن سنان حدثني أحمد بن عبد الله البرقي حدثنا يزيد بن يزيد البرلي حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن مكحول عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد ﷺ المرحومة المغفورة الثابت لما قال فاشرفت على الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: فإني هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك قال: فأتته فأقرته السلام وقل له: أخوك إيلias يقرئك السلام قال: فأثيت النبي ﷺ فأخبرته فجاء حتى لقيه فعاثقه وسلم. ثم قدما يتحدان فقال له: يا رسول الله إني ما أكل في سنة إلا يوماً وهذا يوم فطري فأكل أنا وأنت قال: فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحرث وكرفس فأكلا وأطعماني وصلينا العصر ثم ودعه ورائته مر في السحاب نحو السماء.

فقد كانا البيهقي أمره وقال: هذا حديث ضعيف بمرة والعجب أن الحاكم أبا عبد الله السيابري أخرجه في مستدركه على الصحيحين وهذا مما يستلزم به على المستدرك فإنه حديث موضوع بخلاف للأحاديث الصحاح من وجوه. ومعناه لا يصح أيضاً فقد تقدم في الصحيحين (٢٢٧٧، ٢٢٨٤) م أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في السماء» إلى أن قال: «ثم لم يزل الخلق يتقص حتى الآن». وفيه أنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ حتى كان هو الذي ذهب إليه.

وهذا لا يصح لأنه كان أحق بالسعي إلى بين يدي خاتم الأنبياء. وفيه أنه يأكل في السنة مرة وقد تقدم عن وهب أنه سلبه الله لذة المطعم والمشرب وفيما تقدم عن بعضهم أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه إلى مثلها من الحول الآخر.

وهذه أشياء متعارضة وكلها باطلة لا يصح شيء منها.

وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طريق أخرى [تاريخ دمشق: ٢١٢/٩، ٢١٤] واعترف بضعفها وهذا عجب منه كيف تكلم عليه فإنه أورد من طريق خير بن عرفة عن هاني بن الحسن عن بقة عن الأوزاعي عن مكحول عن وائلة بن الأسقع فذكر نحو هذا مطولاً. وفيه: أن ذلك كان في غزوة تبوك وأنه بعث إليه رسول الله ﷺ أنس بن مالك وحفيضة بن اليمان قالا: فإذا هو أعلى جسماً منا بذراعين أو ثلاثة واعتذر بعدم قدومه ثلاث تنفر إلى بل.

وفيه أنه لما اجتمع به رسول الله ﷺ أكلا من طعام الجنة وقال: إن لي في كل أربعين يوماً أكلة وفي المائدة خبز ورومان وعنب وموز ورطب ويقل ما عدا الكراث.

وفيه أن رسول الله ﷺ سأله عن الخضر فقال: عهدي به عام أول وقال لي: إنك ستلقاه قبلي فأقرته مني السلام.

وهذا يدل على أن الخضر وإيلias بتقدير وجودهما وصحة هذا الحديث لم يجتمعا به إلى سنة تسع من الهجرة وهذا لا يسوغ شرعاً وهذا موضوع أيضاً.

وقد أورد ابن عساكر طرقات [تاريخ دمشق: ٢١٤/٩ - ٢١٧] فيمن اجتمع بإيلias من العباد وكلها لا يفرح بها لضعف إسنادها أو لجهالة المسند إليه فيها.

ومن أحسنها ما قال أبو بكر بن أبي الدنيا [من طريقه تاريخ دمشق: ٢١٧/٩ - ٢١٧]: حدثني بشر بن معاذ حدثنا حماد بن واقد عن ثابت قال: كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلت حاطة أصلي فيه ركعتين فافتحت «حم» فنزل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول [إلهام: ٣١-٣٢].

فإذا رجل من خلفي على بئلة شهية عليه مقطعات مينة فقال لي: إذا قلت: «غافر الذنب» قل: يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي. وإذا قلت: «وقابل التوب» قل: يا قابل التوب تقبل توبتي. وإذا قلت: «شديد العقاب» قل: يا شديد العقاب لا تصاقني. وإذا قلت: «ذو الطول» قل: يا ذا الطول تطول علي برحمة.

فالتفت فإذا لأحد وخرجت فسألت: مر بك رجل على بئلة شهية عليه مقطعات مينة؟ فقالوا: ما مر بنا أحد فكانوا لا يرون إلا أنه إيلias.

وقوله تعالى: «ذُكِّرْتُمْ فَنُفِثْتُمْ فَمَنْ مَخْضَرُونَ» أي للعذاب إما في الدنيا والآخرة وإما في الآخرة والأول أظهر على ما ذكره المفسرون والمؤرخون.

وقوله: «إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفُتُورُ الْعَظِيمُ» أي إلا من آمن منهم وقوله: «وَوَرَّتْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» أي أبقينا بعده ذكراً حسناً له في العالمين فلا يذكر إلا بخير وهذا قال: «سلام على إني يأسين» أي سلام على إيلias. العرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبطلها من غيرها كما قالوا لإسماعيل وإسماعين وإسرائيل وإسرائيلين وإيلias وإيلياسين.

ومن قرأ «سلام على آل ياسين» أي على آل محمد.

وقرأ ابن مسعود وغيره «سلام على إدراسين».

ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال: إيلias هو إدريس وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاة قتادة ومحمد بن إسحاق والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم بالصواب.

ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام ثم تنبهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام:

قال ابن جرير في تاريخه [٤٥٧/١]: لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور السالفين من أمثا وغيرهم أن القائم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا - يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام - وهو زوج أخته مريم وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القاتلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد «اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتْرُكُهُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [المائدة: ٢٣]

قال ابن جرير [طريقه: ٤٥٧/١]: ثم من بعده كان القائم بأمر بني

إسرائيل حزقيل بن بوذي وهو الذي دعا الله فأجابه ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

٥٨- قصة حزقيل

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَنُفْضِلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٣].

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذي وهو ابن المعجز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [تفسير الطبري: ٥٨٧/٢، ٥٨٨].

قال ابن إسحاق: فروا من الوفاء فزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله: موتوا فماتوا جميعاً فحفظوا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دعور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكراً فقبل له: أعب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكسي لحماً وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون وكبروا بكبرية رجل واحد [الربيع دمشقي: ٤٦٠/١].

وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قالوا: كانت قرية يقال لها: دار وردان قبل واسط ونسج بها الطاعون فهرب عامة أهلها فزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمض منهم كثير.

فلما ارتفع الطاعون رجعوا سائلين فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بئنا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفبح فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيل فلما رأيهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوي شديقه وأصابه فأوحى الله إليه: تريد أن أريك كيف أحْيِيهم؟ قال: نعم.

وإنما كان تفكر أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقبل له: ناد فنادى: يا أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمع في جعلت العظام بطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجساداً من عظام ثم أوحى الله إليه أن ناد: يا أيها العظام إن الله يأمرك أن تكسي لحماً. فأكست لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها. ثم قيل له: ناد فنادى: أيها الأجساد إن الله يأمرك أن تقوم فقاموا.

قال أسباط: فزعم منصور عن مجاهد: أنهم قالوا حين أحيوا: (سبحانك ربنا وبمجدك لا إله إلا أنت) فرجعوا إلى قومهم أحياء يرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوباً إلا عاد كفناً دَسَمًا حتى ماتوا لأجلهم التي كتبت لهم [تفسير الطبري: ٥٨٧/٢].

وعن ابن عباس: أنهم كانوا أربعة آلاف.

وعنه: ثمانية آلاف.

وعن أبي صالح: تسعة آلاف.

وعن ابن عباس أيضاً: كانوا أربعين ألفاً.

وعن سعيد بن عبد العزيز: كانوا من أهل أضرعات.

وقال ابن جريج عن عطاء: هذا مثلٌ يعني أنه سبق مثلاً مبنياً أنه لن يفيي حذر من قدر.

وقول الجمهور أقوى أن هذا وقع.

وقد روى الإمام أحمد (١/١٩٤) وصاحبنا الصحيح (١/٥٧٢٩) م (٢٢١٩) من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان يسرع لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأنخروهم أن الوفاء وقع بالشام؛ فذكر الحديث؛ يعني في مشاورته المهاجرين والأنصار فاختلقوا عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيّباً ببعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان بارض وأتمم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه» فحمد الله عمر ثم انصرف.

وقال الإمام أحمد (١/١٩٣) حدثنا حجاج ويزيد، المعنى، قالوا: حدثنا ابن أبي ذؤيب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي ﷺ: «إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بارض وأتمم بها فلا تخرجوا فراراً منه»

قال: فرجع عمر من الشام.

وأخرجه (١/٥٧٣، ٦٩٧٣) م (٢٢١٩) من حديث مالك عن الزهري بنحوه.

قال محمد بن إسحاق: ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل. ثم إن الله قبضه إليه. فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له: بعل؛ فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فتاحص بن العيزار بن هارون بن عمران [الربيع الطبري: ٤٦٠/١، ٤٦١].

قلت: وقد قلنا قصة إلياس تبعاً لقصة الخضر؛ لأنهما يقرنان في الذكر غالباً ولأجل أنها بعد قصة موسى في سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق فيما ذكر له عن وهب بن منبه [الربيع الطبري: ٤٦٤/١] قال: ثم تنبأ فيهم بعد إلياس وصيه الإِسْعَ بن أخطوب عليه السلام وهذه:

٥٩- قصة الإِسْعَ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد ذكره الله تعالى مع الأنبياء في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَدَاوُدَ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]. وقال تعالى في سورة ص: ﴿وَوَافَّرْنا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَدَاوُدَ وَكُلًّا مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨].

قال إسحاق بن بشر أبو حنيفة: أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال: كان بعد إلياس الإِسْعَ عليهما السلام فمكث ماشاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكاً بمنهج إلياس وشرعته حتى قبضه الله عز وجل إليه.

ثم خلف فيهم الخلفاء وعظمت فيهم الأحداث والحطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الأنبياء. وكان فيهم ملك جبار عنيد طاغ، ويقال: إنه الذي

من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وسبوا من أبنائهم جماعاً كثيراً وانقطعت النبوة من سبط لاوي ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلية فجعلت تدعو الله عز وجل أن يرزقها ولداً ذكراً، فولدت غلاماً فسمته أشمويل، ومعناه بالعبرانية إسماعيل أي: سمع الله دعائي. فلما ترعرع بعثته إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته، فكان عنده.

فلما بلغ أشده بينما هو ذات ليلة نائم إذا صوت يأتيه من ناحية المسجد، فاتبته مذعوراً فظنه الشيخ يدعو، فقال: ادعوتني؟ فكره أن يفرغه فقال: نعم ثم. فقام، ثم ناداه الثانية فذكر لك ثم الثالثة، فإذا جبريل يدعو فجاهد فقال: إن ربك قد بعثك إلى قومك.

فكان من أمره معهم ما قص الله في كتابه، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ إِنَّهُ لَمَلِكٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا نَآءً لَنَا أَلَّا تُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنَ ديارنا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْعَمَلِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ. فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاَفُوهُ اللَّهُ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَبِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلَمَّا بَرَوْا رَأَى جَالُوتَ وَجُنُودَهُ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبِكَيْتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

الفصل:

قال ابن جرير [البرق: ٤٦٤/١ - ٤٦٦] وغيره: ثم مرجع أمر بني إسرائيل وعظمت فيهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركه وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية عما ترك آل موسى وآل هارون.

فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم عليه وقهرهم على أخذهم فانتزعوه من أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً، وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له: شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه الأعداء فكان من أمرهم ما سنذكره عما قص الله في كتابه.

قال ابن جرير [البرق: ٤٦٥/١]: فكان بين وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث الله عز وجل شمويل بن ياي أربع مائة سنة وستون سنة.

ثم ذكر تفصيلها بمحمد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً.

وقيل: شمعون.

وقيل: هما واحد.

وقيل: يوشع؛ وهذا بعيد لما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه [٤٦٥/١] أن بين موت يوشع وبعثة شمويل أربع مائة سنة وستين فالله أعلم.

والمقصود أن هؤلاء القوم لا انهكهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكاً يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من روائه ومعه وبين يديه الأعداء فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا نَآءً لَنَا أَلَّا تُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: وأي شيء نتمننا من القتال.

﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ ديارنا وَأَبْنَانَا﴾ يقولون: نحن محروبون موتورون فحقق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهزمين المستضعفين فيهم المأسورين في قبضتهم.

تكفل له ذو الكفل إن هو تاب وراجع دخل الجنة فسمي ذا الكفل.

قال محمد بن إسحاق: هو إليسع بن أخطوب [البرق: ٤٦٦/١].

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في حرف الباء من تاريخه [١٠٩/١]: إليسع وهو الأسباط بن عدي بن شولم بن أفراتيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

ويقال: هو ابن عم إلياس النبي عليهما السلام.

ويقال: كان مستخفياً معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه إليها فلما رفع إلياس خلفه اليسع في قومه ونباه الله بعده.

ذكر ذلك عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه.

قال: وقال غيره كان الأسباط بانياس.

ثم ذكر ابن عساكر قراءة من قرأ اليسع بالتخفيف وبالتشديد ومن قرأ «اليسع»، وهو اسم واحد لني من الأنبياء.

قلت: قد قدما قصة ذا الكفل بعد قصة أيوب عليهما السلام؛ لأنه قد قيل: إنه ابن أيوب فالله أعلم.

قال ابن جرير [البرق: ٤٦٤/١ - ٤٦٦] وغيره: ثم مرجع أمر بني إسرائيل وعظمت فيهم الخطوب والخطايا وقتلوا من قتلوا من الأنبياء وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكاً جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضاً وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون ببركه وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية عما ترك آل موسى وآل هارون.

فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم عليه وقهرهم على أخذهم فانتزعوه من أيديهم فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمداً، وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبياً من الأنبياء يقال له: شمويل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكاً ليقاتلوا معه الأعداء فكان من أمرهم ما سنذكره عما قص الله في كتابه.

قال ابن جرير [البرق: ٤٦٥/١]: فكان بين وفاة يوشع بن نون إلى أن بعث الله عز وجل شمويل بن ياي أربع مائة سنة وستون سنة.

ثم ذكر تفصيلها بمحمد الملوك الذين ملكوا عليهم وسماهم واحداً واحداً تركنا ذكرهم قصداً.

٦٠- قصّة شمويل وبعض أمر داود عليهما السلام

هو شمويل ويقال: أشمويل بن ياي بن علقمة بن يوخام بن أليهو بن تهب بن صوف بن علقمة بن ماحت بن عموصا بن عزريا [نظر تاريخ الطبري: ٤٦٧/١].

قال مقاتل: هو من ذرية هارون.

وقال مجاهد: هو أشمويل بن هلفاقا. ولم يرفع في نسبه أكثر من هذا فالله أعلم.

حكى السدي [البرق: ٤٦٧/١، ٤٦٨] بإسناده عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة والتعلي وغيرهم: أنه لما غلبت العماليقة

لهم بارضهم فلما أصبحوا إذا التابوت على رأس الصنم فرضوه تحته فلما كان اليوم الثاني إذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا أن هذا أمر من الله تعالى فأخرجوه من بلدهم وجعلوه في قرية من قرىهم فأخذهم داء في رقابهم.

فلما طال عليهم هذا جعلوه في عجلة وربطوها في بقرتين وأرسلوهما فيقال: إن الملائكة ساقتهما حتى جاوزا بهما ملا بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك فالله أعلم على أي صفة جاءت به الملائكة. والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم من الآية والله أعلم.

وإن كان الأول قد ذكره كثير من المفسرين أو أكثرهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ فَخَنَ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ بِي وَوَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

قال ابن عباس وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشرية فكان من أمر طالوت بجهوده عند هذا النهر عن أمر نبي الله له عن أمر الله له اختياراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر اليوم فلا يصحني في هذه الغزوة ولا يصحني إلا من لم يطعمه إلا غرقة في يده.

قال الله تعالى: ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٩)

قال السدي: كان الجيش ثمانين ألفاً فشرب منه ستة وسبعون ألفاً فبقي معه أربعة آلاف كذا قال.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث إسرائيل (٣٩٥٨) وزهير (٣٩٥٧) والثوري (٣٩٥٩) أن بني إسحاق عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة.

وقول السدي أن عدة الجيش كانوا ثمانين ألفاً فيه نظراً لأن أرض بيت المقدس لا تحتمل أن يجتمع فيها جيش مقاتلة يبلغون ثمانين ألفاً والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي استقلوا أنفسهم واستضعفوها عن مقاومة أعدائهم بالنسبة إلى قتلهم وكثرة عدد علومهم.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاَقَ اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادُّنَ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يعني ثبتهم الشجعان منهم. والفرسان أهل الأيمان والإيقان الصابرون على الجلال والجدال والطعان.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِئَرًا﴾ أي أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرتنا على القوم الكافرين ﴿طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَفْرَغَ عَلَيْهِمَ الصَّبْرَ أَي يَغْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ فَوْقِهِمْ فَتَسْقُطَ قُلُوبُهُمْ وَلَا تَقْلَقُ وَإِنْ يَثْبِتَ أَقْدَامُهُمْ فِي مَجَالِ الْحَرْبِ وَمَعَرَكِ الْإِبْطَالِ وَحُومَةِ الرِّغَى وَالِدَعَاءِ إِلَى التَّزَالِ فَسَالُوا التَّيْبِتَ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ وَأَنْ يَزِلَّ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَانِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ بِآيَاتِهِ وَأَلَانِهِ فَأَجَابَهُمُ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ إِلَى مَا سَالُوا وَأَنَّهُمْ مَا إِلَيْهِ فِيهِ رَغْبًا.

ولهذا قال: ﴿فَهَرَمُوهُمْ يَادُّنَ اللَّهُ﴾ أي يحول الله لا يحولهم وبقرة الله ونصره لا بقوتهم وعددهم مع كثرة أعدائهم وكمال عددهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَتْلَ تَارُوتَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقيون رجعوا ونكلوا عن القتال.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

قال الثعلبي (مراسي الجاهلي: ص ٢٣٥): وهو طالوت بن قيس بن أفيال بن صارو بن نحور بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

قال عكرمة والسدي: كان سقاه.

وقال وهب بن منبه: كان دباغاً. وقيل غير ذلك فالله أعلم.

ولهذا ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾.

وقد ذكرنا أن النبوة كانت في سبط لاوي وأن الملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم وقالوا: نحن أحق بالملك منه وذكرنا أنه فقير لا سعة من المال معه فكيف يكون مثل هذا ملكاً؟ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

قيل: كان الله قد أوحى إلى شمويل أن أي بني إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا وإذا حضر عندك يغور هذا القرن الذي فيه من دهن القدس فهو ملكهم فجمعوا يدخلون ويقبسون أنفسهم بتلك العصا فلم يكن أحد منهم على طولها سوى طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك القرن فلحقه منه وعينه الملك عليهم وقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ قيل: في أمر الحروب وقيل: بل مطلقاً.

﴿وَالْجِسْمِ﴾ قيل: الطول وقيل: الجمال.

والظاهر من السياق أنه كان أجملهم وأعلمهم بعد نبيهم عليه السلام.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ فله الحكم وله الحق والأمر

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنتُمْ مَوْءِنِينَ﴾ وهذا أيضاً من بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم وبمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذي كان سلب منهم وقهرهم الأعداء عليه وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسبه.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ قيل: طست من ذهب كان يغسل فيه صلور الأنبياء.

وقيل: السكينة مثل الريح الحجاج (مصر الطبري: ٦١١/٢).

وقيل: صورتها مثل المهرة إذا صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ قيل: كان فيه رضاوض الألواح وشيء من المن الذي كان يزل عليهم بالثي.

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنتم ترون ذلك عياناً ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنتُمْ مَوْءِنِينَ﴾.

وقيل: إنه لما غلب العمالة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر من السكينة والبقية المباركة.

وقيل: كان فيه التوراة أيضاً فلما استقر في أيديهم وضغوه تحته صنم

مِمَّا يَشَاءُ﴾ فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وأنه قتله قتلاً أذل به جنده وكسر جيشه ولا أعظم من غزوة يقتل فيها ملك عدوه فيغتم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ويأسر الأبطال والشجعان والأقران وتعلم كلمة الإيمان على الأوثان ويدل لأولياء الله على أعدائه. ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه.

وقد ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه وكانوا ثلاثة عشر ذكراً كان سمع طالوت ملك بني إسرائيل وهو يعرض بني إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول: من قتل جالوت زوجته بابني وأشركه في ملكي وكان داود عليه السلام يرمي بالقنافة وهو المقلع رمياً عظيماً، فينا هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حجر: أن: خلني فإني بي تقتل جالوت فأخذه ثم حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة في غلاته فلما تواجه الصفاً برز جالوت ودعا إلى نفسه فتقدم إليه داود فقال له: ارجع فإني أكره قتلك قتال: لكني أحب قتلك. وأخذ تلك الأحجار الثلاثة من ميخايه فوضعها في القنافة ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً. ثم رمى بها جالوت فقتل رأسه وفر جيشه منهزماً فوفى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله واحتال على ذلك فلم يصل إليه وجعل العلماء يهونون طالوت عن قتل داود فتسلط عليهم فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا القليل. ثم حصل له توبة وتدم وإقلاع عما سلف منه وجعل يكثر من البكاء ويخرج إلى الجبابة فيكي حتى يبل الشرى بدموعه فتودي ذات يوم من الجبابة: أن يا طالوت قتلنا ونحن أحياء وآذيتنا ونحن أموات فازداد لذلك بكاءه وخوفه واشتد وجهه ثم جعل يسأل عن عالم يسأله عن أمره وهل له من توبة فتيل له: وهل أبقيت عالماً؟ حتى دل على امرأة من العابدات فأخذته فذهبت به إلى قبر يوشع عليه السلام.

قالوا: فدعت الله فقام يوشع من قبره فقال: أقامت القيامة؟ فقالت: لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة؟ فقال: نعم ينخلع من الملك وينهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل. ثم عاد ميتاً فترك الملك لداود عليه السلام وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا فلذلك قوله: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾.

هكذا ذكره ابن جرير في تاريخه [٤٧٢/١ - ٤٧٥] من طريق السدي بإسناده. وفي بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق: النبي الذي بعث فأخبر طالوت بوثقه هو إيلع بن أعطوب حكاه ابن جرير [٤٧٥/١] أيضاً. وذكر الثعلبي [رحمته الله] [٢٤٣] أنها أتت به إلى قبر أشمويل فعاتبه على ما صنع بعده من الأمور وهذا أسب. ولعله إنما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حياً فإن هذا إنما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبيه والله أعلم.

وقال ابن جرير [رحمته الله] [٤٧٥/١]: وزعم أهل الثوراة أن مدة ملك طالوت إلى أن قتل مع أولاده كانت أربعين سنة فإله أعلم.

٦١- قصة داود عليه السلام

هو داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن إدم بن حصرون بن فارس بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

الحليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس. قال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري] [٤٧٦/١]: عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: كان داود عليه السلام قصيراً أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب نقي.

تقدم أنه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكر ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٨٠/١٧] عند قصر أم حكيم بقرب مرج الصفر فأحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم فكان من أمر طالوت ما كان وصار الملك إلى داود عليه السلام وجمع الله له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والآخرة. وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا.

وهذا كما قال تعالى: ﴿وَوَقَّلْنَا دَاوُودَ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [القرة: ٢٥١] أي لولا إقامه الملوك حكماً على الناس لأكل قومي الناس ضعيفهم. ولهذا جاء في بعض الآثار: «السلطان ظل الله في أرضه» [السنن لابن أبي عمير (١٠١٧) (١٠٢٤)].

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان: (إن الله لينع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن) وقد ذكر ابن جرير في تاريخه [٤٧٨/١]: أن جالوت لما بارز طالوت فقال له: اخرج إلي وأخرج اليك فتدب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت.

قال وهب بن منبه: فمال الناس إلى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود. وقيل: إن ذلك عن أمر شمويل حتى قال بعضهم: إنه ولاء قبل الواقعة.

قال ابن جرير [رحمته الله] [٤٧٨/١]: والذي عليه الجمهور أنه إنما ولي ذلك بعد قتل جالوت والله أعلم.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٨٠/١٧] عن سعيد بن عبد العزيز أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم وأن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية فإله أعلم.

وقال تعالى: ﴿وَوَقَّلْنَا دَاوُودَ مِمَّا فَضَّلْنَا يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَّنَا لَهُ الْخَيْدَ. أَنْ اغْتَلَّ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السُّرُودِ وَاعْتَمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبا: ١١-١٠].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخَفِّضَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

[الأنبياء: ٧٩-٨٠]

أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعته وكيفيتها فقال: ﴿وَوَقَّلْنَا فِي السُّرُودِ﴾ أي لا تنق المسار فينقل ولا تغلظه فيفصم.

قاله مجاهد وقادة والحكم وعكرمة وغيرهم.

قال الحسن البصري وقادة والأعشى: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة.

قال قتادة: فكان أول من عمل الدروع من زرد وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

قال ابن شاذب: كان يعمل كل يوم درعاً يبيعه بستة آلاف درهم.

وقد ثبت في الحديث الصحيح [خ (٢٠٧٢)]: «إِنَّ أَطِيبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ».

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَتَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُتَى وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ. وَشَدَدْنَا

مُلْكَةً وَاتَّيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخُطَابُ ﴿ص: ١٧ - ٢٠﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: الأيد: القوة في الطاعة يعني ذا قوة في العبادة والعمل الصالح.

قال قتادة: أعطي قوة في العبادة وقها في الإسلام.

قال: وقد ذكر لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

وقد ثبت في الصحيحين [ج (١١٣١)، م. (١١٥٩)] أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سلسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يرا إذا لاقى».

وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْغَيْثِ وَالْإِشْرَاقِ﴾. وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿كَمَا قَالَ: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ أَي: سبّحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْغَيْثِ وَالْإِشْرَاقِ﴾ أي عند آخر النهار وأوله وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا بحيث أنه كان إذا ترم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيحه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تحييه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه.

وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أعطي داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى إن كان الطير والوحش يتعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا وحتى إن الأنهار لتقف.

وقال وهب بن منبه: كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهية الرقص وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الأذان مثله فيعكف الجبن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا.

وقال أبو عوانة الإسفرياني: حدثنا أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن منصور الطوسي سمعت صبيحا أبا تراب (ح) قال أبو عوانة: وحدثني أبو العباس المزي، حدثنا محمد بن صالح العلوي حدثنا سيار هو ابن حاتم عن جعفر عن مالك قال: كان داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفقت العناري؛ وهذا غريب.

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج: سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال: وما بأس بذلك سمعت عبيد بن عمر يقول: كان داود عليه السلام يأخذ المعزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يبكي ويبكي.

وقال الإمام أحمد [١٦٧/٦]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: «لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود» وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وقال أحمد [٣٥٤/٢]: حدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أعطي أبو موسى من مزامير داود» على شرط مسلم.

وقد روينا عن أبي عثمان النهدي أنه قال لقد سمعت الربيط والمزمار فما سمعت صوتا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري.

وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور كما قال الإمام أحمد [٣١٤/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا

من عمل يديه».

وكذلك رواه البخاري [٣٤١٧] متروكا به عن عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق به ولفظه: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه».

ثم قال البخاري: ورواه موسى ابن عقبة عن صفوان هو ابن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

وقد أسنده ابن عساکر في ترجمة داود عليه السلام في تاريخه [٨٩/١٧]، [٩٠] من طرق عن إبراهيم ابن طهمان عن موسى بن عقبة. ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السري عن صفوان بن سليم به.

والمراد بالقرآن هنا الزبور الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه وذكر دوابه أشبه أن يكون محفوظا فإنه كان ملكا له أتباع فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب وهذا أمر سريع مع التلبس والترجم والتشي به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّيْنَا دَاوُودَ زُيُورًا﴾ [الاسراء: ٥٥].

والزبور كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد [١٠٧/٤] وغيره أنه أنزل في شهر رمضان وفيه من المواعظ والحكم ما هو مشهور معروف لمن نظر فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْنَاهُ مَلَكًا عَظِيمًا وَفَضَّلَ الْخُطَابُ﴾ [ص: ٢٠] أي أعطيناه ملكا عظيما وحكما نافعا.

روى ابن جرير [مفسر ١٣٨/٢٣، ١٣٩] وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين تلعا إلى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فانكر المدعي عليه فأرجأ أمرهما إلى الليل فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعي فلما أصبح قال له داود إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك فأتاكك لا محالة فما خبرك فيما ادعيت على هذا؟ قال: والله يا بني الله إني لم أكن فيما ادعيت عليه ولكني كنت اغتلت أباه قبل هنا فقتلته فأمر به داود فقتل فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعا عظيما.

قال ابن عباس وهو قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْنَاهُ مَلَكًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ أي النبوة ﴿وَفَضَّلَ الْخُطَابُ﴾ قال شريح والشبي وقادة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم: فصل الخطاب الشهور والأعيان؛ يعنون بذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر. وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه.

وقال مجاهد هو الفصل في الكلام وفي الحكم واختاره ابن جرير.

وهذا لا يتأني ما روي عن أبي موسى أنه قول: أما بعد.

وقال وهب بن منبه: لما كثر الشر وشهادات الزور في بني إسرائيل أعطي داود سلسلة لفصل القضاء فكانت مملوءة من السماء إلى صخرة بيت المقدس وكانت من ذهب فإذا تشاجر الرجلان في حق فإيهما كان محقا نالها والآخر لا يصل إليها فلم تنزل كذلك حتى أوقع رجل رجلا لؤلؤة فجعلها منه واتخذ عكازا وأودعها فيه فلما حضرا عند السلسلة تناولها المدعي فلما قيل للآخر: خذها بيدك. عمد إلى المكاز فأعطاه المدعي وفيه تلك اللؤلؤة وقال اللهم: إنك تعلم أنني دفعتها إليه ثم تناول السلسلة فنالها فاشكل أمرها على بني إسرائيل. ثم رفعت سريعاً من بينهم [عمراس المجلد: ٢٤٦].

ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين.

وقد رواه إسحاق بن بشر عن إدريس بن سنان عن وهب به بمعناه.

ابن جريج: حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كائني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: «اللهم اكتب لي بها عندك أجراً واجعلها لي عندك ذخراً وضع عني بها وزراً واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود» وقال ابن عباس: فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة. ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقد ذكر بعض المفسرين أنه عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً. وقاله مجاهد والحسن وغيرهما (تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣ - ١٥٠). وورد في ذلك حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي (تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣ - ١٥١) وهو ضعيف متروك الرواية.

قال الله تعالى: ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَهُ عِثْنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ﴾. (ص: ٢٥) أي وإن له يوم القيامة لزلفى وهي القرية التي يقربه الله بها وينبئه من حظيرة قدسه بسببها كما ثبت في الحديث [١٨٢٧] (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وحكمهم وما ولوا).

وقال الإمام أحمد في مسنده [٢٢٧/٣]: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ جُلُوسُ إِمَامٍ عَادِلٍ وَإِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَابًا إِسَاءُ جَائِرٍ» وهكذا رواه الترمذي [١٣٢٩] من حديث فضيل بن مرزوق الأغر به. وقال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ عِثْنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ قال: يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله: يا داود مجنني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تعجلني به في الدنيا فيقول: وكيف وقد سلته؟ فيقول: إني أردت عليك اليوم قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان: قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

هذا خطاب من الله تعالى مع داود والمراد: ولاية الأمور وحكام الناس وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك. وقد كان داود عليه السلام هو المقتضى به في ذلك الزمان في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى إنه كان لا تضيء ساعة من آساء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (ص: ١٣).

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام حدثنا صالح المري عن أبي عمران الجوني عن أبي الجليل قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: يارب كيف لي أن أشركك وأنا لا أصل إلى شركك إلا بنعمتك؟ قال: فأتاه الوحي: «أَنْ يَا دَاوُدَ أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النِّعَمِ مِنِّي؟ قَالَ: بَلَىٰ يَارَبَّ قَالَ: فَإِنِّي أَرْضِي بِذَلِكَ مِنْكَ». وقال البيهقي (ذهب الإمامان [٤٤١٦]): «أَبَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَبَانَا

﴿وَقَالَ أَنَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْبَيْخِرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَهَيُّ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْتُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيجِكَ إِلَىٰ نَجَاحِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخَطَاةِ يَنْصِفِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص: ٢٥) ... فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَهُ عِثْنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (ص: ٢٦ - ٢٥).

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف مهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية ومنها ما هو مكشوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً اكتفاء واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقد اختلف الأئمة في سجدة «ص» هل هي من عزائم السجود أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود على قولين.

قال البخاري [٣٤٢١]: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال: سألت مجاهداً عن سجدة «ص» فقال سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ قال: أو ما تقرأ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودُ وَسُلَيْمَانُ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آتَيْنَاهُمُ الْإِسْلَامَ فَسَجَدُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَن يَنْتَدِي بِهِ فَسَجَدَهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد قال الإمام أحمد [٣٦٠/١]: حدثنا إسماعيل هو ابن علي عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في السجود في «ص» ليست من عزائم السجود. وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها.

وكذا رواه البخاري [٣٤٢٢] وأبو داود [١٤٠٩] والترمذي [٥٧٧] والنسائي (كمى [١١٧٠]) من حديث أيوب وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال النسائي [٩٠٦]: أخبرني إبراهيم بن الحسن المصمعي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد في «ص» وقال: «سجدتها داود توبة ونسجدتها شكراً».

تفرد به أحمد ورجاله ثقات.

وقال أبو داود [١٤١٠]: حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر «ص» فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرّن الناس للسجود فقال: «إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةُ نَبِيٍّ وَلَكِنْ رَأَيْتُكُمْ تَشْرُتُمْ» فزول وسجد.

تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح.

وقال الإمام أحمد [٧٨/٣]: حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عمر وأبو الصديق التاجي أنه أخبره أن أباً سعيد الخدري رأى رؤيا أنه يكتب «ص» فلما بلغ إلى التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء محضرتة انقلب ساجداً قال: فقصصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها بعد.

تفرد به أحمد.

وروى الترمذي [٥٧٩] وابن ماجه [١٠٥٣] من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي

لحمداً لله.

وقد ذكر الكلبي نحو هذا وأنه كان لداود عليه السلام مائة امرأة
وسليمان ألف امرأة منهن ثلاثمائة سريّة

وروى الحافظ في تاريخه [ص ٤٧/٢٤] في ترجمة صدقة
الدمشقي الذي يروي عن ابن عباس من طريق الفرّج بن فضالة الحمصي
عن أبي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشقي أن رجلاً سأل ابن عباس عن
الصيام فقال: لأحدثك بحديث كان عندي في التخت مخزوناً إن شئت
أنبأتك بصوم داود فإنه كان صوماً قواماً وكان شجاعاً لا يفر إذا لاقى
وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور
بسبعين صوتاً يُلَوِّنُ فيها وكانت له رعدة من الليل يكي فيها نفسه ويكي
بيكاته كل شيء ويصرف بصوته المهموم والمهموم.

وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان فإنه كان يصوم من أول الشهر
ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام يستفتح الشهر بصيام
ووسطه بصيام ويختمه بصيام.

وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء التبول عيسى بن مريم فإنه كان
يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد
ليس له ولد يموت ولا بيت يخرب وكان أينما أدركه الليل صنف بين قلمي
وقام يصلي حتى يصبح وكان راعياً لا يفوته حيد يريده وكان يمر بمجالس
بنو إسرائيل فيقضي لهم حوائجهم.

وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران فإنها كانت تصوم يوماً
وتفطر يومين.

وإن شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الأُمّي محمد ﷺ فإنه كان يصوم
من كل شهر ثلاثة أيام ويقول: «إن ذلك صوم الدهر» وقد رواه الإمام
أحمد [٣١٤/١] عن أبي النصر عن فرج بن فضالة عن أبي هرم عن صدقة
عن ابن عباس مرفوعاً في صوم داود.

٦٢- عمرُ داود ووفاته

قد تقدم في ذكر الاحاديث الواردة في خلق آدم أن الله لما استخرج
ذريته من ظهره فرأى فيهم الأنبياء عليهم السلام ورأى فيهم رجلاً يزهو
فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا ابنك داود قال: أي رب كم عمره؟
قال: ستون عاماً قال: أي رب زد في عمره قال: لا إلا أن أزيد من عمرك
وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً فلما اقتضى عمر آدم جاءه
ملك الموت فقال: بقي من عمري أربعون سنة ونسي آدم ما كان وهبه
لولده داود فألقاه الله لأدم ألف سنة ولد داود مائة سنة. رواه أحمد
[٢٥١/١] عن ابن عباس والترمذي [٣٠٧٦] وصححه عن أبي هريرة
وابن خزيمة وابن حبان [الإحسان ٦١٧٦]. وقال الحاكم [٣٢٥/٢]: على
شرط مسلم.

وقد تقدم ذكر طرقة وألفاظه في قصة آدم.

قال ابن جرير [٤٨٥/١]: وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر
داود كان سبعاً وسبعين سنة.

قلت: هذا غلط مردود عليهم. قالوا: وكان مدة ملكه أربعين سنة
وهذا قد يقبل نقله لأنه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه.

وأما وفاته عليه السلام فقال الإمام أحمد في مسنده [٤١٩/٢]: حدثنا

أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن يونس القرشي حدثنا روح بن عباد
حدثني عبد الله بن لاحق عن ابن شهاب قال: قال داود: الحمد لله كما
بني لي لكرم وجهه وعز جلاله، فأوحى الله إليه أنك أتعبت الحفظة يا داود

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا [كتاب الشكر ص ١٩] عن علي بن الجعد
عن الثوري مثله.

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد [ص ٣١٣]: أنبأنا سفيان
الثوري عن رجل عن وهب بن منبه قال: إن في حكمة آل داود: حتى على
العاقل أن لا يفتل عن أربع ساعات ساعة يتأجل فيها ربه وساعة يحاسب
فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يجربونه بعيوته ويصدقونه
عن نفسه وساعة يتخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه
الساعة عون على هذه الساعات وإجماع للقلوب وحتى على العاقل أن لا يظعن
يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه. وحتى على العاقل أن لا يظعن
إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده ومرة لمعاشه ولذة في غير محرم.

وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا [كتاب الصمت ٣١] عن أبي بكر بن
أبي خيثمة عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي الأغر عن وهب بن منبه
فذكره.

ورواه أيضاً عن علي بن الجعد عن عمر بن الهيثم الرقاشي عن أبي
الأغر عن وهب بن منبه فذكره.

وأبو الأغر هذا هو الذي أجهمه ابن المبارك في روايته.

قال ابن عساکر وقال عبد الرزاق [المصنف ١١٧٩٠]: أنبأنا بشر بن
رافع حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له: أبو عبد الله قال: سمعت وهب
بن منبه؛ فذكر مثله.

وقد روى الحافظ ابن عساکر في ترجمة داود عليه السلام أشياء كثيرة
ملحة منها قوله: كن لليتيم كالأب الرحيم. وأعلم أنك كما تزرع كذلك
تحصد.

وروي بسند غريب مرفوعاً قال داود: يا زارع السيئات أنت تحصد
شوكها وحسكها.

وعن داود عليه السلام أنه قال [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠٣/١٣]: مثل
الخطيب الأحق في نادي القوم كمثل المنى عند رأس الميت.

وقال أيضاً: ما أقيح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلالة بعد
الهدى.

وقال: انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت.
وقال: لا تمدن أخاك بما لا تنجزه له فإن ذلك عدواة ما يبتك ريبه.

وقال محمد بن سعد [الطبقات ٢٠٢/٨]: أنبأنا محمد بن عمر الواقدي
حدثني هشام بن سعد عن عمر مولى غفرة قال: قالت يهود لما رأت رسول
الله ﷺ يتزوج النساء: انظروا إلى هذا الذي لا يشبع من الطعام ولا والله
ما له همة إلا إلى النساء حسوده لكثرة نساؤه وعابوه بذلك فقالوا: لو كان
نبياً ما رغب في النساء وكان أشدهم في ذلك حيي بن أخطب فأكذبهم الله
وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وسلامه فقال:
«أَمْ يَحْسَبُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟» [النساء: ٥٤] يعني
بالناس: رسول الله ﷺ: «فَقَدْ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاكَ
مُلْكًا عَظِيمًا» [النساء: ٥٤] يعني ما أتى الله سليمان بن داود كانت له ألف
امرأة سبعانة مهيبة وثلاثمائة سريّة وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة
منهن امرأة أوربا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة هذا أكثر مما

همام الوليد بن شجاع حدثني الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الرزين بن عطاه عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتتوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سته وهدية مائتي سنة».

هذا حديث غريب وفي رفعه نظر والرزين بن عطاه كان ضعيفاً في الحديث والله أعلم.

٦٣- قصة سليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظ بن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٢/٢٣٠]: هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عيناظ بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الربيع نبي الله ابن نبي الله. جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق.

قال ابن ماکولا [الإكمال: ٥٢٧/٧]: فارص بالصاد المهملة.

وذكر نسه قريباً بما ذكره ابن عساكر.

قال الله تعالى: «وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَاقِبَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» [النمل: ١٦] أي ورثه في النبوة والملك وليس المراد وراثته المال لأنه قد كان له بنون غيره فما كان ليخس بالمال دونهم ولأنه قد ثبت في الصحاح (٣٠٩٣) م (١٧٥٩) من حديث أبي بكر من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

وفي لفظ: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» [إجماع: ٤٦٣/٢].

فاخير الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمجاورين لا يخصون بها أقرباءهم؛ لأن الدنيا كانت أمون عليهم وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم.

وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَاقِبَ الطَّيْرِ» يعني أنه عليه السلام كان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا علي بن هشاذ حدثنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الاسواني يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي يعقوب القمي حدثني أبو مالك قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله؟ قال: ينطقها إلى نفسه ويقول: زوجني أسكنك أي غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام: لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب.

رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٢/٢٣٢] عن أبي القاسم زاهر بن طاهر عن البيهقي به.

وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات: «وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والمعلوم والفهم والتعبير عن ضماير المخلوقات من الناطقات والصامتات.

ثم قال «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» أي من بسرائر البريات وخالق

قيصة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود النبي عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع».

قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لنقتضن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء فقال داود: أنت والله ملك الموت فمرحياً بأمر الله فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فُرع من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلت عليه الطير حتى اظلمت عليهما الأرض فقال لها سليمان: اقضي جناحاً جناحاً قال: قال أبو هريرة: يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير. وقبض رسول الله ﷺ بيده وغلبت عليه يومئذ المضرجة.

انفرد بإخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد قوي رجاله ثقات.

ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرجة أي: وغلبت على التظليل عليه المضرجة، وهي: الصقور الطوال الأجنبية واحداً مضرجي.

قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: مات داود عليه السلام فجاءه وكان يسبت وكانت الطير تنظره.

وقال السدي أيضاً عن أبي مالك وعن سعيد بن جبير قال: مات داود عليه السلام يوم السبت فجاءه.

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: مات داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة ومات يوم الأربعاء فجاءه.

وقال أبو السكن المجري: مات إبراهيم الخليل فجاءه وداود فجاءه وابنه سليمان فجاءه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين رواه ابن عساكر بمختصر [تاريخ دمشق: ١٤٠/٨].

وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من عرابه فقال له: دعني أنزل أو أصعد فقال: يا نبي الله قد نفذت السنون والشهور والآثار والأزواق. قال: فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراقبي قبضه وهو ساجد.

وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا واقر بن سليمان عن أبي سليمان الفلسطيني عن وهب بن منبه قال: إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا في الشمس في يوم صائف قال: وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البراس سوى غيرهم من الناس ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كات بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود قال: فأذاهم الحمر فنادوا سليمان عليه السلام أن يجعل عليهم لما أصابهم من الحمر فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها فأظلت الناس قال: فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غماً فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير: أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنتحي عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل وتهب عليهم الريح فكان ذلك أول ما رآوا من ملك سليمان بمختصر [تاريخ دمشق: ١٤٠/٨، ١٤١].

وقال الحافظ أبو يعلى [الإحسان من طريق أبي يعلى (٦٢٣٦)]: حدثنا أبو

الأرض والسماوات كما قال تعالى: ﴿وَحُزِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَبَسَّمْ سَجَاكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ - ١٩]

غير تعالى عن عبده ونبه وابن نبيه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه ركب يوماً في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير فالجن والإنس يسرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة أي تقياه يردون أوله على آخره فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور. ولقد ذكر وهب أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جَرَسَ رسا وكانت من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب.

وفي هذا كله نظر بل في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راجياً في خيوله وفرسانه لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط لأنه لو كان كذلك لم يبل النمل منه شيء ولا وطء؛ لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأمتال والحيام والأنعام والطير من فوق ذلك كله كما سيئنه بعد ذلك إن شاء الله تعالى. والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمنها من الراي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وليس كما يقوله بعض الجبهة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد والجمعه فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتهم مزية على غيره؛ إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضاً فائدة يحول عليها ولهذا قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي اهدني وارشدني.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فطلب من الله أن يقبضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن يسير عليه العمل الصالح وأن يشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله تعالى له.

والمراد بالوليده أبوه داود عليه السلام وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما:

قال سيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ قال: «قالت أم سليمان بن داود: يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيراً يوم القيامة». رواه ابن ماجه [١٣٢٢] عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه.

وقال عبد الرزاق [تاريخ دمشق: ٢٢٨/٢٢] عن معمر عن الزهري أن سليمان بن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستقون فرأى غلة قائمة

رافعة إحدى قوائمها تستقي فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٢٨/٢٢] وقد روي مرفوعاً ولم يذكر فيه سليمان.

ثم ساقه [تاريخ دمشق: ٢٢٨/٢٢] من طريق محمد بن عزيز عن سلامة بن روح بن خالد عن عقيل عن ابن شهاب حشبي أبو سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خرج نبي من الأنبياء بالناس يستقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة»

وقال السدي: أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجلها باسطة يديها وهي تقول: «اللهم إنا خلقنا من خلقك ولا غناء بنا عن فضلِكَ» قال: فصب الله عليهم المطر.

قال تعالى: ﴿وَتَقَوَّى الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأَعْلَبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذِيعَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ فُجِين. إِنِّي وَجَدْتُ لِمَرْأَةٍ تَمْلِكُهُمْ وَأَوْصَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَرْنَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَوَصَّيْنَهُمْ أَهْمُ الشَّيْطَانِ أَغْمَأْهُمْ فَصَلَّيْتُ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. قَالَ سَنْظُرُ أَصْدَقَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَافِينَ. انْغَبَ بِكِبَابِي هَذَا قَالَتْ لَهُ يَهْيَأْ لِي ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَنَظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي سُلَيْمِينَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفِرْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون. قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا نَأْسٍ شَدِيدٍ. وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ. قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنَرْخَسَنَّهُمْ مِنْهَا أَفَلَا وَهَمُّ صَاغِرُونَ﴾ [زهد: ٢٠ - ٣٧]

يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والمهدد وذلك أن الطيور كان على كل صف منها مقدمون يقرمون بما يطلب منهم ويحضرعون عنده بالوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك.

وكانت وظيفة المهدد على ما ذكره ابن عباس وغيره زهير الطوسي: [١٤٣/١٩] أنهم كانوا إذا أعزوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يميء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تحوم الأرض فإذا دهم عليه حفرها عنه واستبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم.

فلما طلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقد ولم يجده في موضعه من محل خدمته.

﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي ماله مفقود من ههنا أو قد غاب عن بصري فلا أراه بمحضرتي.

﴿لَأَعْلَبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ توعد بنوع من العذاب. اختلف المفسرون فيه: والمقصود حاصل على كل تقدير.

﴿أَوْ لَأَذِيعَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجة تنجيته من هذه

الورثة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي فغاب المهدد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان ﴿أَخْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه.

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا قَيِّينَ﴾ أي بنجر صادق.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم.

وذكر الثعلبي (رحمته المجلس ٢٧٨، ٢٧٩ مطولاً) وغيره (الكامل لابن الأثير: ٢٣٠/١ - ٢٣٢) أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلاً قسم به الفساد فأرسلت إليه تخفيته فتزوجها فلما دخلت عليه سته خراً ثم حرزت رأسه ونصبت على بابها فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلفيس بنت البشرخ وهو المهنداذ وقيل: شراحيل بن ذي جلد بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها من أكابر الملوك وكان قد تأبى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال: إنه تزوج بأمارة من الجفن اسمها ريحانة بنت الشكر فولدت له هذه المرأة واسمها بلعمة ويقال لها: بلفيس.

وقد روى الثعلبي (رحمته المجلس: ٢٧٨) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كان أحد أبوي بلفيس جنباً».

وهذا حديث غريب وفي سننه ضعف.

وقال الثعلبي (رحمته المجلس: ٢٧٩): أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة حدثنا أبو بكر بن جرجة حدثنا ابن أبي الليث حدثنا أبو كرب حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبي بكرة قال: ذكرت بلفيس عند رسول الله ﷺ فقال: «لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

إسماعيل بن مسلم هذا هو المكي ضعيف.

وقد ثبت في صحيح البخاري [٤٤٢٥، ٧٠٩٩] من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ لا بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

ورواه الترمذي [٢٢٦٢] والنسائي [٥٩٣٧] من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي:

حسن صحيح

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي بما من شأنه أن تؤتاها الملوك. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يعني سرير مملكتها كان مزخرفاً بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحلي الباهر.

ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له.

﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات.

فبعد ذلك بعث معه سليمان عليه السلام كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع للملكه وسلطانه ولهذا قال لهم: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ﴾ أي لا تستكبروا عن طاعتي

وامثال أوامري ﴿وَأُوتِيْتُ سُلَيْمِينَ﴾ أي وأقدموا علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة.

فلما جاءها الكتاب مع الطير ومن ثم اتخذ الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى! تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم عالم بما يقول ويقال له.

فذكر غير واحد من المفسرين (هسو الطبري: ١٥٢/١٩) وغيرهم (رحمته المجلس ٢٨٠) أن المهدد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فآلقها إليها وهي في خلوة لها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها وأولي مشورتها.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً ﴿وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُوتِيْتُ سُلَيْمِينَ﴾ ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي أَقْرَبِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تعني ما كنت لأبت أمراً إلا وأنتم حاضرون.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قَوْلًا وَأَوْلُوا بِأَسْ شَيْئٍ﴾ يعنون: لنا قوة وقدره على الجلال والقتال ومقاومة الإبطال فإن أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين ﴿وَمَعْ هَذَا﴾ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين؟ فبذلوا لها السمع والطاعة وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْلِيهَا أَذًى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقول برأيها السيد: إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إلي ولم تكن الحدة الشديدة والسطوة البليغة إلا علي.

﴿وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَن يَرْجِعُ الْفُرْسُلُونَ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها وتحف تبعها ولم تعلم أن سليمان عليه السلام لا يقبل منهم - والحالة هذه - صرفاً ولا عدلاً؛ لأنهم كافرون وهو وجوده عليهم قادرون ولهذا:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتِيْلُونَنِي بِمَا آتَايَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة كما ذكره المفسرون. ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذًى وَلَهُمْ صَافِرُونَ﴾.

يقول: ارجع بهديتك التي قدمت بها لي من قد من بها فإن عندي مما قد أنعم الله علي وأساده لي من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي فلابش إليهم بمجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزاهم ولا معانعتهم ولا قتالهم ولأخرجتهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة.

﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ عليهم الصغار والعار والدمار.

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة وأقبلوا صلبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين. فلما سمع بقدمهم عليه وفودهم إليه قال لمن بين يديه من هو مسخر له من الجان ما قصه الله عنه في القرآن:

قال الله تعالى اخباراً عن سليمان وقومه ﴿وَأَوْثَيْنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ. وَصَدَقْنَا مَا كَانَتْ تُعْجِدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي ومعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعاً لدين آبائهم واسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حادهم على ذلك وكان سليمان قد أمر بينه صرح من زجاج وعمل في عمره ماء وجعل عليه سقفاً من زجاج وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ الْعَالِينَ﴾.

وقد قيل: إن الجن أرادوا أن يشعروا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن ساقها ليرى ما عليها من الشعر فيغفروا ذلك منها وخشوا أن يتزوجها؛ لأن أمها من الجن فتسلط عليهم معه. وذكر بعضهم أن حافرهما كان كحافر الدابة وهو الطيرى: ١٩/١٦٨، ١٦٩].

وهذا ضعيف. وفي الأول أيضاً نظر والله أعلم. إلا أن سليمان قيل: إنه لما أراد إزالته حين عزم على تزوجها سأل الإنس عن زواله فذكروا له الموصى فامتنت من ذلك فقال الجن فضعوا له التوراة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام فلما وجد مسه قال: أوه من عذاب الله أوه أوه قيل أن لا ينفع أوه. رواه الطبراني مرفوعاً [عنه] فيسمى في «المجمع» ١/٢٧٩، ٢٠٧/٨ الطبراني في الكبير والأوسط وفيه نظر. وقد ذكر الثعلبي [عنه] (عنه) ٢٨٦ وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردعا إليه وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط وأمر الجن أن يبنوا لها ثلاثة قصور باليمن غمدان وساحلين وبنين قاله أعلم.

وقد روى ابن إسحاق [تاريخ الطبري: ٤٩٤/١، ٤٩٥] عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه: أن سليمان لم يتزوجها بل تزوجها بملك همدان وأقرها على ملك اليمن وسخر زويرة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن والأول أشهر وأظهر والله أعلم.

وقال تعالى في سورة ص ﴿وَوَعَيْنَا لَبِئَازُودَ سُلَيْمَانَ يَنْهَمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْغَنِيُّ الصَّافِنَاتِ الْجَيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رُدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ. وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جُنَاحًا ثُمَّ أَتَيْنَا قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِّن يَدِي إِنَّكَ أَنْتَ الرَّؤُوفُ. فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعِرَاصٍ. وَأَخْرَجْنَاهُ مَقْرَيْنَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾. [ص: ٣٠ - ٤٠]

يذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان عليهما السلام ثم أنسى الله عليه تعالى فقال: ﴿يَنْهَمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع مطيع لله.

ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافات - وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة - الجياد وهي المضجرة السراع.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يعني الشمس. وقيل: الخيل على ما سذكروه من القولين.

﴿رُدُّوهُمَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قيل مسح عراقيها وأعناقها بالسيف.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيْكُمُ الْيَأْنِي بِعَرَضِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عَفِيتُ مِّنَ الْجَنِّ أَنَا أَيْتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ. قَالَ نَكَرُوا فَلَمَّا عَرَضَتْهَا أَنْتَهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَضْتُكَ قَالَتُ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْثَيْنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ. وَصَدَقْنَا مَا كَانَتْ تُعْجِدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ. قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَاهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الهم: ٣٨ - ٤٤]

لما طلب سليمان من الجن أن يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير ملكها التي تجلس عليه وقت حكمها قبل قدومها عليه ﴿قَالَ عَفِيتُ مِّنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يعني قبل أن يتقاضى مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات

بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ﴿وَأَنسَى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [الهم: ٣٩] أي وإنسي لندو قدرة على إحضاره إليك وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان.

وقيل: هو رجل من مومني الجن كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم. وقيل: رجل من بني إسرائيل من علمائهم.

وقيل: إنه سليمان. وهذا غريب جداً. وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام.

قال: وقد قيل فيه قول رابع وهو جبريل [العرف والإعلام ص ٢٣٧] ﴿وَأَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قيل معناه: قبل أن تبحث رسولا إلى أقصى ما يتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك.

وقيل: قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس.

وقيل: قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك.

وقيل: قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم اغمضته واطر ما سلف من الأقوال فهو الطيرى: ١٩/١٦٣، ١٦٤ وهذا أقرب ما قيل.

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ أي فلما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفه عين.

﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ أي هذا من فضل الله علي وفضله على عبده ليختبرهم على الشكر أو خلافة.

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك عليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي غني عن شكر الشاكرين ولا ينضر بكفر الكافرين.

ثم أمر سليمان عليه السلام أن يغير حلي هذا العرش ويكرها ليختبر فهمها وعقلها ولهذا قال:

﴿نَظَرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرَضْتُكَ قَالَتُ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وهذا من فطنتها وغازاة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراها بارض اليمن ولم تكن تعلم أن أحدا يقدر

على هذا الصنع العجيب الغريب.

وقيل: مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها وبين يديه على القول الآخر.

والذي عليه أكثر السلف الأول.

فقالوا: اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس.

روي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره [هــسـ الطبري: ١٥٥/٢٣].

والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً من غير عذر اللهم إلا أن يقال: إنه كان سائفاً في شريعتهم تأخير الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل من ذلك.

وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعاً إذ ذاك حتى نسخ بصلاة الحرف قاله الشافعي وغيره.

وقال مكحول والأوزاعي: بل هو حكم محكم إلى اليوم أنه يجوز تأخيرها بعذر القتال الشديد كما ذكرنا تقرير ذلك في سورة النساء عند صلاة الحرف.

وقال آخرون: بل كان تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يوم الخندق نسياناً وعلى هذا فيحمل فعل سليمان عليه السلام على هذا والله أعلم. وأما من قال: الضمير في قوله ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ عائد على الخيل وإنه لم تفته وقت صلاة. وإن المراد بقوله ﴿وَرَكُوعًا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يعني مسح العرق عن عراقيها وأعناقها فهذا القول اختاره ابن جرير [هــسـه: ١٥٥/٢٣، ١٥٦].

ورواه الوالي عن ابن عباس في مسح العرق [هــسـسـ الطبري: ١٥٦/٢٣]. ووجه هذا القول ابن جرير بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرق ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها.

وهذا الذي قاله فيه نظر لأنه قد يكون هذا سائفاً في ملتهم.

وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من أغنام ونحوها جاز ذبحها وإهلاكها لتلا يتقروا بها؛ وعليه حمل صنع جعفر بن أبي طالب يوم عقر فرسه بموته.

وقد قيل: إنها كانت خيلاً عظيمة. قيل: كانت عشرة آلاف فرس.

وقيل: كانت عشرين ألف فرس.

وقيل: كان فيها عشرون فرساً من ذوات الأجنحة [هــسـو الطبري: ١٥٤/٢٢].

وقد روى أبو داود في سننه [٤٩٣٢] حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مريم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن محمد بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال: «ما هذا يا عائشة؟» فقالت: بتاتي ورأى يبينهن فرساً له جناحان من رفاع فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟» قالت: فرس قال: «وما الذي عليه هذا؟» قالت: جناحان قال: «فرس له جناحان؟» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة قالت: فضحك حتى رايت نواجذه ﷺ.

وقال بعض العلماء: لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كان غلدها شهراً ورواحها شهراً كما سيأتي الكلام عليها.

كما قال الإمام أحمد [٧٨/٥، ٧٩]: حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدغماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قال: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني بما علمه الله عز وجل وقال: «إنك لا تدع شيئاً اتقاه الله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه».

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ذكر ابن جرير. وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا أشارة كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متفقة من الإسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة.

ومضمون ما ذكره: أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوماً ثم عاد إليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه بناء محكماً.

وقد قلنا أنه جلده وأن أول من جعله مسجداً إسرائيل عليه السلام. كما ذكرنا ذلك عند قول أبي ذر قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «مسجد بيت المقدس» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» [خ (٣٣٦٦)، م (٥٢٠)].

ومعلوم أن بين إبراهيم الذي بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة دع أربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد إكمال بيت المقدس:

كما قال الإمام أحمد [١٧٦/٢] والنسائي [٦٩٢] وابن ماجه [١٤٠٨] وابن خزيمة [١٣٣٤] وابن حبان [الإحسان (١٩٣٣)] والحاكم [المستدرك ٣٠/١] بأسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الدلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خللاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سألها حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله إماماً رجلاً يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطبته مثل يوم ولدته أمه فتحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياهما».

فأما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد أتى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله: ﴿وَوَدَّوْهُ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكَتَا لِحُكْمِهِمْ شَاهِلَيْنِ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف [هــسو الطبري: ١٥٠/١٧ - ٥٤] أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فضئت فيه غنم قوم آخرين أي رعته بالليل فأكلت شجره بالكلية فتحاكموا إلى داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بيقته فلما خرجوا على سليمان قال: بما حكم لكم نبي الله؟ فقالوا: بكنا وكذا فقال: أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها تاجراً ودرأ حتى يصلح أصحاب الغنم الكرم أولئك ويردوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ داود عليه السلام ذلك فحكم به.

وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين [خ (٣٤٢٧)، م (١٧٢٠)] من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا امرأتان مهمما ابتاهما إلى عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخر فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك وقالت الصغرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود فحكم به للكبرى فخرجنا على سليمان فقال: اتوني

وقوله: ﴿وَبَيْنَ الْجَنِّ مَنْ يَمْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذَنُ رُبُّهُ وَمَنْ يُرْغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي وسخر الله له من الجن عمالاً يعملون له ما يشاء لا يفكرون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الأمر عذبه وبكل به.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَخَارِبٍ﴾ وهي الأماكن الحسنة وصلور المجالس.

﴿وَنَمَائِلٍ﴾ وهي الصور في المجدلان وكان هذا سائفاً في شريعتهم وملتهم.

﴿وَجَفَّانَ كَالْجَوَابِ﴾. قال ابن عباس: الجفنة كالجوبة من الأرض.

وعنه: كألياحس.

وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم (هــ الطبري: ٧١، ٧٢/٧٢).

وعلى هذه الرواية يكون الجواب جمع جلية وهي الخوض الذي يبيس فيه الماء كما قال الأعشى.

نفس السدم عن آل الخلق جفنة كجاية السبح البراني تفهت وأما القدر الراسيات:

فقال عكرمة: أتاها منها يعني أنهن ثواب لا يزلن عن أماكنهن.

وهكذا قال مجاهد وغير واحد.

ولما كان هنا بصدد إطعام الطعام والإحسان إلى الخلق من إنسان وجان قال تعالى: ﴿اغْتَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾ [ص: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨].

يعني أن منهم من قد سخره في البناء ومنهم من يأمره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك.

وقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهي القيود.

هذا كله من جملة ما به الله وسخر له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ولم يكن أيضاً لمن كان قبله

وقد قال البخاري (٣٤٢٣): حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن عفريتاً من الجن ثقلت الباردة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿زَبَّ اغْبِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبْغِي لَأَخِي مِنْ تَبْغِي﴾ [ص: ٣٥] فردده خاسئاً.

وكذا رواه مسلم (٥٤١) والنسائي (١١٤٤٠) من حديث شعبة.

وقال مسلم (٥٤٢): حدثنا محمد بن سلمة الماردي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي الدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فصلى فسمعناه يقول: «عوذ بالله منك العنك بلعة الله ثلاثاً وسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقول قبل ذلك وأربناك بسطت يدك قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات

بالسكين أشبه نصفين لكل واحدة منكما نصفه فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به لها.

ولعل كلاً من الحكمين كان سائفاً في شريعتهم ولكن ما قاله سليمان أرجح ولهذا أتى الله عليه بما ألهمه إياه ومدح بعد ذلك إياه فقال: ﴿وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا دَاوُودَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ كَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِيَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٩ - ٨٠].

ثم قال: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] أي: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ مَن يُغْوَصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ - ٨٢].

وقال في سورة ص: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِلَّا لَهُ عَذَابٌ لَّازِلٌ وَحُشِّنَ مَتَابِعُ﴾ [ص: ٣٦ - ٤٠].

لما ترك الخيل ابتغاه وجه الله عوضه الله منها الريح التي هي أسرع سيراً وأقوى وأعظم ولا كلفة عليه لها ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] أي حيث أراد من أي البلاد.

كان له بساط مركب من أخشاب بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من اللور المبينة والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمل والأثقال والرجال من الإنس والجان وغير ذلك من الحيوانات والطيور فإذا أراد سفراً أو مستزهاً أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط أمر الريح فدخلت تحته فرفعت فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون فوضعت في أي مكان شاء بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس فتدو به الريح فتضعه بإصطخر مسيرة شهر فيقيم هناك إلى آخر النهار.

ثم يروح من آخره فترده إلى بيت المقدس كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاطِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِلَّا لَهُ عَذَابٌ لَّازِلٌ وَحُشِّنَ مَتَابِعُ﴾ [ص: ١٢ - ١٣].

قال الحسن البصري: كان يندو من دمشق فينزل بإصطخر فيتغدى بها وينهب راثعاً منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر (هــ الطبري: ٧١/٧٢).

قلت: قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان أن إصطخر بته الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً وكذلك غيرها من بلدان شتى كتلعة بيت المقدس وباب جيرون وباب البريد اللذين بدمشق على أحد الأقوال.

وأما القطر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد: هو النحاس.

قال قتادة: وكانت باليمن أنبعاها الله له.

قال السدي: ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبناءات وغيرها (أخرج هذه الأقوال المقدمة الطبري في هــ: ٧١/٧٢).

عبد الرزاق به مثله.

وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن عن أبي هريرة: أن سليمان بن داود كان له أربعمائة امرأة وستمائة سارية فقال يوماً: لأطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو استثنى فقال: إن شاء الله لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل الله عز وجل». وأخرجه ابن عساکر في «تاريخ دمشق» من طريق إسحاق بن بشر: [٢٥٨/٥].

وهذا إسناد ضعيف لحال إسحاق بن بشر فإنه منكر الحديث ولا سيما وقد خالف الروايات الصحاح.

وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود وتوسعها ما لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه الله أحداً بعده كما قال: «وَأَوْثَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» [ر: ١٦].

«قَالَ رَبُّ اغْفِرْ لِي وَبِقَبِّ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَنْتَهِى أَنْتَ الْوَهَّابُ» [ر: ٣٥].

وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق.

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسده من النعم الكاملة العظيمة إليه قال: «فَعَزَّاهُ عِزًّا وَآتَيْنَاهُ سُلْطَانًا وَجَبَّارًا» [ص: ٣٩] أي أعطى من شئت وأحرم من شئت فلا حساب عليك أي تصرف في المال كيف شئت فإن الله قد سوغ لك كل ما تقهله من ذلك ولا يحاسبك على ذلك وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول فإن من شأنه أن لا يعطي أحداً ولا يمنع أحداً إلا بإذن الله له في ذلك. وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين المقامين فاختار أن يكون عبداً رسولاً واحداً: [٢٣١/٢].

وفي بعض الروايات [الطبراني في الكبير (١٣٣٠٩)] أنه استشار جبريل في ذلك فأشار إليه أن تواضع فاختار أن يكون عبداً رسولاً صلوات الله وسلامه عليه. وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة (خ (٣١٦))، م (١٠٣٧)، فله الحمد والمدة.

ولما ذكر تعالى ما وجهه لنبية سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل والقرية التي تقربه إليه والفوز العظيم والإكرام بين يديه وذلك يوم المعاد والحساب حيث قال تعالى: «وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ» [ص: ٤٠]

٦٤- ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته

قال الله تبارك وتعالى: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» [س: ١٤]

روى ابن جرير (هـ: ٧٤/٧٢) وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول كنا فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت، فينبأ هو

ثم قلت: ألتك بلغة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات. ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة». وكنا رواه النسائي [١٢١٤] عن محمد بن سلمة به.

وقال أحمد [٨٢٧/٣]: حدثنا أبو أحمد حدثنا مسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد صاحب سليمان قال: رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائماً يصلي فذهبت امرئ بن يديه فردني ثم قال: حدثني أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فاتبست عليه القراءة. فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخفه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والي ثلها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليعمل».

روى أبو داود [٦٩٩] منه «فمن استطاع» إلى آخره. عن أحمد ابن سريج عن أبي أحمد الزبيري به.

وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمئة مهور وثلاثمئة سراري وقيل: بالعكس ثلاثمئة حرائر وسبعمئة من الإماء [تاريخ الطبري: ٤٨٧/١]. وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً.

قال البخاري [٣٤٤]: حدثنا خالد بن غلث حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه» فقال النبي ﷺ: «لو قالها لجاهدوا في سبيل الله».

وقال شيبب وابن أبي الزناد: تسعين. وهو أصح تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله. ولم يقل: إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان» فقال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل». إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٢٢٩/٢]: حدثنا هشيم حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن فما ولدت إلا واحدة منهن بشق إنسان» قال: قال رسول الله ﷺ: «لو استثنى لولد له مائة غلام كلهم يقاتل في سبيل الله عز وجل» تفرد به أحمد أيضاً.

وقال الإمام أحمد [٢٧٥/٢]: حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طائوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله. ونسي أن يقول: إن شاء الله فطاف بهن قال: فلم تلد منهن امرأة إلا واحدة نصف إنسان» فقال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لم يحث وكان دركاً لحاجته».

وهكذا أخرجه في الصحيحين (خ (٥٢٤٢)، م (١٦٥٤)) من حديث

قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكراً لها.

وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

وقال أبو داود في كتاب القدر: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا قيسة حدثنا سفيان عن الأعمش عن خزيمة قال: قال سليمان بن داود عليها السلام لملك الموت إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني قال: ما أنا بأعلم بذلك منك إنما هي كتب تلقى إلي فيها تسمية من يموت.

وقال أصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لم سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير لیس له باب فقام يصلي فانكأ على عصاه قال: فندخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت.

قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال: فبعث الله دابة الأرض يعني إلى منسائه فاكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر فلما رأت الجن ذلك اتفصوا وذعبروا قال: فلذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الطبري: ٧٦، ٧٥/٢٢. (ص: ١٤)]

قال أصبغ: وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تآكل في منسائه حتى خر.

وقد روي نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم والله أعلم.

قال إسحاق بن بشر [إبراهيم دمشق: ٢٢/٢٩٩] عن محمد بن إسحاق عن الزهري وغيره أن سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة.

وقال إسحاق أنبأنا أبو روق عن عكرمة عن ابن عباس: أن ملكه كان عشرين سنة والله أعلم.

وقال ابن جرير [الطبري: ١/٥٠٣] فكان جميع عمر سليمان بن داود عليها السلام نيفاً وخمسين سنة.

وفي سنة أربع من ملكه أبدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر [الطبري: ١/٥٠٣] ثم ملك بعده ابنه رحبعام مئة سبع عشرة سنة فيما ذكره ابن جرير [الطبري: ١/٥١٧].

قال: ثم تفرقت بعده مملكة بني إسرائيل.

باب ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام:

٦٥- قصة شعيا بن أمصيا

فمنهم: شعيا بن أمصيا.

قال محمد بن إسحاق [إبراهيم الطبري: ١/٥٣٢ - ٥٣٥]: وكان قبل زكريا ويحيى وهو من بشر يعسى وعمد عليها السلام وكان في زمانه ملك اسمه: صديقة على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان سامعاً مطيعاً لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل فمرض الملك وخرجت في رجله قرحة. وقصد بيت المقدس ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنحاريب.

يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك؟ قالت: الخروب قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. فنحتها عصاً فتوكتا عليها حولا والجن تعمل فاكلتها الأرض فتبنت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين.

قال: وكان ابن عباس يقرأها كذلك.

قال: فشكرت الجن للأرض فكانت تأتيها بالماء. لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه تكارة.

وقد رواه الحافظ ابن عساکر [إبراهيم دمشق: ٢٢/٢٩٩، ٢٩٧] من طريق سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وهو أشبه بالصواب والله أعلم.

وقال السدي في خبر ذكره [في تفسير الطبري: ٢٢/٧٥] عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس. وعن مرة عن ابن مسعود. وعن أناس من الصحابة: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها.

فكان يده ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسأله: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا فإن كانت لغرس غرسها وإن كانت نبتت دواء قالت: نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروية فيسأله: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروية فقال: ولأي شيء نبت؟ فقالت: نبت لخراب هذا المسجد فقال سليمان: ما كان الله ليخبره وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فزعرها وغرسها في حائط له.

ثم دخل الخراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول الخراب وكان الخراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: أئتت جليلاً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في الخراب إلا احترق ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسائه وهي العصا بلسان الحية قد أكلتها الأرض ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرض على العصا فاكلت منها يوماً وليلة. ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي قراءة ابن مسعود فمكتسوا يدابرون له من بعد موته حولاً كاملاً فأنقذ الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له؛ وذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [ص: ١٤].

يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم.

ثم إن الشياطين قالوا للأرض: لو كنت تأكلين الطعام لأنيتك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكننا سنقتل إليك الماء والطين.

قال: فهم يغلون إليها ذلك حيث كانت.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني علي بن أبي مريم عن أحمد بن حبيب عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: قال أرميا: أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: أكثرهم لي ذكراً الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلاق. الذين لا تعرض لهم وساوس الغناء ولا يمدنون أنفسهم بالبقاء. الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه وإذا زوي عنهم سروروا بذلك. أولئك أشملهم عيني وأعطيهم فوق غاياتهم.

٦٧- ذكر خراب بيت المقدس في عهد أرميا

وقوله تعالى: ﴿وَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلاً. ذُرِّيَّةً مِّنْ خَلَقْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا. وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا. ثُمَّ دَخَلْنَا لَكُمْ الْأُكُودَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْزَالٍ رَّبِّيَّةٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتِيرًا. عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الاسراء: ١-٢٨].

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: أرميا حين ظهرت فيهم المعاصي: أن قم بين ظهراني قومك فاخبرهم أن لهم قلوباً ولا يفقهون وأعيناً ولا يبصرون وأذاناً ولا يسمعون وإني تذكرت صلاح آبائهم فعطفتي ذلك على أبنائهم فسلمهم كيف وجدوا غيب طاعني وهل سعد أحد من عصائي بمعصيتي؟ وهل شقي أحد من أطاعني بطاعتي.

إن الدواب تذكر أوطانها فتزحف إليها وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها.

أما أحبارهم فأنكروا حقي وأما قراؤهم فعبدوا غيري. وأما نساكهم فلم يتفعوا بما علموا وأما ولاتهم فكذبوا علي وعلى رجلي. خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا الكذب الستهم، وإني أقسم بجلالي وعزتي لأهيجن عليهم جيولاً لا يفقهون الستهم ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاءهم ولا يبعثن فيهم ملكاً جباراً قاسياً له عساكر تقطع السحاب وموابك كأمثال العجاج كان خفقان رايته طيران النور وكان حمل فرسانه كمر العقبان يعيدون العمران خراباً ويتركون القرى وحشة فيا ويل لإيلياه وسكانها كيف أذلهم للقتل وأسلط عليهم السباء وأعيد بعد لجب الأعراس صراحاً وبعد سهيل الخيل عواء الذئاب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضرو السرج وهج العجاج وبالزئ والنك وبالنعمة العبرية وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب، وبالمشي على الزرابي الحبيب ولأجلن أجسادهم زبلاً للأرض وعظامهم ضاحية للشمس ولأدوستهم بالوان العذاب ثم لأمرن السماء فلتكونن طبقاً من حديد والأرض سبيكة من نحاس فإن أمطرت لم تنبت الأرض وإن أثبتت شيئاً في خلال ذلك فبرحمي للبهائم. ثم أحجبه في زمان الزرع وأرسله في زمان الحصاد فإن زرعوا في خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة فإن خلص منه شيء نزعته منه البركة فإن دعوني لم أجبه وإن سألوكم لم أعطهم وإن بكروا لم أرحمهم وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم.

قال ابن إسحاق: في ستمائة ألف راية وفرغ الناس فرعاً عظيماً شديداً وقال الملك للثني شعيا: ماذا أوحى الله إليك في أمر سنحاريب وجنوده؟ فقال: لم يوح إلي فيهم شيء بعد.

ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك صليقة زقيا بأن يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء فإنه قد اقترب أجله.

فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبة فصلى وسبح ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله عز وجل بقلب مخلص وتوكل وصبر: «اللهم رب الأرباب وإله الألهة يا رحمن يا رحيم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلمي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك فانت أعلم به من نفسي سري وإعلاني لك».

قال: فاستجاب الله له ورحمه وأوحى الله إلى شعيا يشيره بأنه قد رحم بكاءه وقد أقر في أجله خمس عشرة سنة وأجاءه من عدوه سنحاريب. فلما قال له ذلك ذهب منه الروع وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجداً وقال في سجوده: «اللهم أنت الذي تعطي للملك من تشاء وتترعه من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين».

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن يأمره أن يأخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصحب قد برئ.

ففعل ذلك فشفي وأرسل الله على جيش سنحاريب الموت فاصبحوا وقد هلكوا كلهم سوى سنحاريب وخمسة من أصحابه منهم يختصر فأرسل ملك بني إسرائيل فجاء بهم فجعلهم في الأغلال وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والإهانة لهم سبعين يوماً ويطعمهم كل واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم أودعهم السجن وأوحى الله تعالى إلى شعيا أن يأمر الملك بإرسالهم إلى بلادهم لينزروا قومهم ما قد حل بهم. فلما رجعوا جمع سنحاريب قومه وأخبرهم بما قد كان من أمرهم فقال له السحرة والكهنة: إنا أخبرناك عن شأن ربهم وإني أعلمهم فلم تظننا وهي أمة لا يستطيعها أحد من ربهم فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به.

ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين.

قال ابن إسحاق [تاريخ الطبري: ٥٣٦/١، ٥٣٧]: ثم لما مات حزقيا ملك بني إسرائيل مرج أمرهم واختلطت أحداثهم وكثر شرهم فأوحى الله تعالى إلى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه. فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقطعوه ففهر منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهلبة ثوبه فأبرزها فلما رآوا ذلك جازأوا بالبنشار فوضعوه على الشجرة فشروها ونشروها معها؛ فإن الله وإنا إليه راجعون.

٦٦- قصة أرميا بن حلقيا

ومنهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب:

وقلد قيل: إنه الحضرة؛ رواه الضحاك عن ابن عباس [تاريخ الطبري: ٣٦٥/١، ٣٦٦].

وهو غريب وليس بصحيح.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٨/٨]: جاء في بعض الآثار أنه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو ينفور بدمشق فقال: أيها الدم قتلت الناس فاسكن. فسكن ورسب حتى غاب.

رواه ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٩٨/٣٠، بهذا اللفظ].

وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا إدريس عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بني إسرائيل وذلك حين عظمت الأحداث فيهم فعملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء طمع بختصر فيهم وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالسیر إليهم لما أراد الله أن يتم به منهم فأوحى الله إلى أرميا إني مهلك بني إسرائيل ومستم منهم فقم على صخرة بيت المقدس يأتيك أمري ووحى فقام أرميا فشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وخر ساجداً. وقال: يارب وددت أمي لم تلدنني حين جعلتني آخر أنبياء بني إسرائيل فيكون خراب بيت المقدس وبوار بني إسرائيل من أجلي.

فقليل له: ارفع رأسك. فرفع رأسه فبكى ثم قال: يا رب من تسلط عليهم؟ قال: عبيد النيران لا يخافون عقابي ولا يرجون ثوابي قم يا أرميا فاستمع وحيي أخبرك خبرك وخبر بني إسرائيل. من قبل أن أخلقك اخترتك. ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قلمتكم ومن قبل أن أتبع أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ نبأك ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ولأمر عظيم اجئتك فقم مع الملك تسدده وترشده.

فكان مع الملك يرشده ويأتيه الرحي من الله حتى عظمت الأحداث ونسوا ما نجاهم الله من عهدهم سنحارب وجنده.

فأوحى الله إلى أرميا قم فانصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم أحداثهم فقال أرميا: يارب إني ضعيف إن لم تقوني عاجز إن لم تبغني غطى إن لم تسدني غلoul إن لم تتصرني ذليل إن لم تعزني فقال الله تعالى: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وأن الخلق والأمر كله لي وأن القلوب والألسنة كلها بيدي فألقها كيف شئت فتطيعني فأتا الله الذي ليس شيء مثلي. قامت السماوات والأرض وما فيهن بكلمي. وإنه لا يخلص التوحيد ولم تتم القدرة إلا لي ولا يعلم ما عندي غيري وأنا الذي كلمت البحار فقهمت قولي وأمرتها ففعلت أمري وحددت عليها حدوداً فلا تعدو حدي وتأتي بأمواج كالجبال فإذا بلغت حدي ألبستها منلة لطاعي وخوفاً واعترافاً لأمري وإني معك ولن يصل إليك شيء معي وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم رسالاتي فتستوجب لذلك اجر من أتبعك ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً وإن تقصّر عنها، تستحق بذلك وزر من تركته في عماية، ولا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً انطلق إلى قومك فقم فيهم وقل لهم: إن الله قد ذكركم بصلاح آبائكم فلذلك استبقاكم يا معشر أبناء الأنبياء، كيف وجد آبائكم مغبة طاعتي وكيف وجدتم مغبة معصيتي؟ وهل وجدوا أحداً عصاني فسد بمعصيتي؟ وهل علموا أحداً أطاعني فشقي بطاعتي؟

إن الدواب إذا ذكرت أوطانها الصالحة نزعت إليها وإن هؤلاء القوم رتموا في مروج الملكة وتركوا الأمر الذي به أكرمت آباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها.

أما أحبارهم ورجالهم فاتخذوا عبادي خولاً يتبعونهم ويحكمون فيهم بغير كتابي حتى أجهلهم أمري وأنسوهم ذكري وسنتي وغرؤهم عني فدان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبي إلا لي فهم يطيعونهم في معصيتي.

وأما ملوكهم وأمرائهم فطغوا بنمسي وأمنوا مكربي وقرتهم الدنيا حتى نبذوا كتابي ونسوا عهدي فهم يحرفون كتابي ويفترون على رسلي جراً منهم عليّ وغرة بي فسبحان جلالتي وعلو مكاني وعظمة شأني! هل ينبغي أن يكون لي شريك في ملكي؟ وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي؟ وهل ينبغي لي أن أخلق عبداً أجعلهم أرباباً من دوني أو أذن

لأحد بالطاعة لأحد وهي لا تنبي إلا لي؟

وأما قراؤهم وقضاؤهم فيلنسون ما يتخيرون فيقادون للملوك فيتابعونهم على البذلح التي يتدعون في ديني! ويطيعونهم في معصيتي ويوفون لهم بالعهد الناقضة لعهدي فهم جهلة بما يعلمون، لا يتصفون بشيء مما علموا من كتابي.

وأما أولاد النبين فمقهورون ومفتونون يخوضون مع الخائفين يتمنون مثل نصري آباءهم والكرامة التي أكرمهم بها ويؤمنون أنه لا أحد أولى بذلك منهم بغير صدق منهم ولا تفكر ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم وكيف كان جهدهم في أمري حتى أغتر المفترون وكيف بذلوا أنفسهم ومداهم ففسبوا وسدقوا حتى عز أمري وظهر ديني فثابت هؤلاء القوم لعلهم يستحيون مني ويرجعون فطولت عليهم وصفت عنهم فأكثرت ومددت لهم في العمر وأعذرت لهم لعلهم يتذكرون.

وكل ذلك أطر عليهم السماء وأثبت لهم الأرض والبسم العافية وأظهرهم على العدو ولا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني فمتي متى هذا؟ أبي يسخرون؟ أم بي يتحشون؟ أم ليبي يخادعون؟ أم على يحترقون؟ فإني أقسم بعزتي لأتيحن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ويضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم ثم لأسلطن عليهم جبلاً قاسياً عاتياً ألبسه الهية وأزنع من قلبه الرافة والرحمة وآليت أن يتبعه عدو وسواد مثل الليل المظلم. له فيه عساكر مثل قطع السحاب ومواكب مثل العجاج وكان حفيظ رايته طيران النسور وحمل فرسانه كسرب العقيان يميلون العمران خراباً والقرى وحشا ويعيشون في الأرض فسداً ويتبرون ما علوا تبيهاً قاسية قلوبهم لا يكثرثون ولا يرقون ولا يرحمون ولا يصيرون ولا يسمعون يبولون في الأسواق بأصوات مرتفعة مثل زفير الأسد تتشعر من هيئتها الجلود وتطيش من سمعها الأحلام بالأسنة لا يفقهونها ووجوه ظاهرها عليها المنكر لا يعرفونها. فوعزتي لأعطئن بيوتهم من كتي وقديس ولأخلين مجالسهم من حديثها ودروسها ولأوحشن مساجدهم من عمارها وزوارها الذين كانوا يتبنون بعمارتها لغريبي ويتجهلون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغريبي الذين يتعلمون فيها لغريبي العمل لأبدلن ملوكها بالعز والذل وبالأمن والخوف وبالغني والفقير وبالنعمة والجوع وبطول العافية والرخاء والوان البلاء ولباس اللذيق والحريز مدارع الور والعباء وبالأرواح الطيبة والأدهان جيف القتلى، ولباس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال.

ثم لأعيدن فيهم بعد القصور الواسعة والحصون الحصينة الخراب وبعد البروج المشيدة مساكن السباع وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب وبعد ضوء السراج دخان الحريق وبعد الأنس الوحشة والقفار. ثم لأبدلن نساءها بالأسورة الأغلال ويقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد وبالألوان الطيب والأدهان النعم والغبار وبالمشي على الزرابي عبور الأسواق والأنهار والحلب إلى الليل في بطون الأسواق وبالحلود والستور المحسور عن الوجوه والسوق والأسفار والأرواح السموم.

ثم لأدوسنهم بأنواع العذاب حتى لو كان الكائن منهم في حالق لوصل ذلك إليه إني إنما أكرم من أكرمني وإلما أعين من هان عليه أمري. ثم لأمرن النساء خلال ذلك فلنكونن عليهم طبقاً من حديد ولأمرن الأرض فلنكونن سبيكة من نحاس فلا سماء تمطر ولا أرض تنبت. فإن أمطرت خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة فإن خلص منه شيء نزعته من البركة وإن دعوني لم أجبه وإن سالوني لم أعظمهم وإن بكوا لم أرحمهم

الفرية على الله واعتراك الجنون.

فأخذوه وقيده وسجنوه فعند ذلك بعث الله عليهم مختصر فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصروهم فكان كما قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥].

قال: فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه ففتحوا الأبواب وتخللوا الأروقة وذلك قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ وحكم فيهم حكم الجامعة وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبى الثلث وترك الزمنى والشيوخ والمجانز ثم وطئهم بالخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الأسواق عسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد وحرق الشوارع وسأل عن دانيال الذي كان كتب له الكتاب فوجدوه قد مات وأخرج أهل بيته الكتاب إليه وكان فيهم دانيال بن حزقيال الأصغر ميشائيل وعزرائيل وميخائيل فأمضى لهم ذلك الكتاب.

وكان دانيال بن حزقيال خلفا من دانيال الأكبر ودخل تحت نصر بجنوده بيت المقدس ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم.

فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الأموال التي كانت بها وساق السبايا فبلغ معه عدة صبيانهم من أبناء الأحرار والملوك تسعين ألف غلام وقذف الكنائس في بيت المقدس وبيع فيه المختازير وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط إيشا بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون وثمانون ألفا من سبط إيشا بن يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية آلاف من سبط يستاخ بن يعقوب وألفين من سبط رايلون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبييل ولاوي وأثنى عشر ألفا من سائر بني إسرائيل وانطلق حتى قدم أرض بابل.

قال إسحاق بن بشر: قال وهب بن منبه: فلما فعل ما فعل قيل له: كان لهم صاحب يحلهم ما أصابهم ويصفك ويخبرك لهم ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم وتسي ذرايعهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنائسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيده وحبسه فأمر مختصر فأخرج أرميا من السجن فقال له: أكنت تحفر هؤلاء القوم ما أصابهم؟ قال: نعم. قال: فإني علمت ذلك قال: أرسلني الله إليهم فكذبوني قال: كذبوك وضربوك وسجنوك؟ قال: نعم قال: بش القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك أن تلحق بي فأفكرتك وأواسيك وإن أحببت أن تقيم في بلادك فقد امتك؟ قال له أرميا: إني لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه ساعة قط ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان.

فلما سمع تحت نصر هذا القول منه تركه فأقام أرميا مكانه بأرض إيلياء [الخروج دمشق: ٣٤/٨ - ٤١].

وهذا سياق غريب. وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة وفيه من جهة التعريب غريبة.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كان مختصر أصفهنا لما بين الأهواز إلى الروم للملك على الفرس وهو هراسب وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلبق بالخنساء وقتل الترك والجاهم إلى أضيخ الأماكن وبعث مختصر لقتال بني إسرائيل بالشام.

فلما قدم الشام صالحه أهل دمشق.

وقد قيل: إن الذي بعث مختصر إنما هو بهمن ملك الفرس بعد بشناسب بن هراسب وذلك لتعدي بني إسرائيل على رسله إليهم [الخروج

وإن تضرعوا إلي صرفت وجهي عنهم. وإن قالوا: اللهم أنت الذي ابتدأتنا وآبأنا من قبلنا برحمتك وكرامتك وذلك بأنك اخترتنا لنفسك وجعلت فينا نبوتك وكتابك ومساجدك ثم مكنت لنا في البلاد واستخلفتنا فيها وريبتنا وآبأنا من قبلنا بنعمتك صغارا وحفظتنا وإياهم برحمتك كبارا فانت أوفى النعمين فلا تغير وإن غيرنا. ولا تبدل وإن بدلنا وإن تسم فضلك ومنك وطولك وإحسانك فإن قالوا ذلك قلت لهم: إني ابتدئ عبادي برحمتي ونعمتي. فإن قبلوا اتهمت وإن استرادوا زدت وإن شكروا ضاعفت وإن بدلوا غيرت وإذا غيروا غضبت. وإذا غضبت عذبت وليس يقوم شيء لعضي.

قال كعب: فقال أرميا: برحمتك أصبحت أتكلم بين يديك وهل ينبغي ذلك لي وأنا أكل وأضعف من أن يبغي لي أن أتكلم بين يديك ولكن برحمتك أبقيتني لهذا اليوم وليس أحد أحق أن يخاف هذا العذاب وهذا الوعيد مني مما رضيت به مني طولا والإقامة في دار الخاطئين وهم يعصونك حولي بغير تكبر ولا تغير مني فإن تعذبني فبذني وإن ترحمني فلنك ظني بك.

ثم قال: يا رب سبحانك وبمحمك وتباركت ربنا وتعاليت أتهلك هذه القرية وما حولها وهي مساكن أنبيائك ومنزل وحيك!

يارب سبحانك وبمحمك وتباركت ربنا وتعاليت لمخرب هذا المسجد وما حوله من المساجد ومن البيوت التي رفعت لذكرك!

يارب سبحانك وبمحمك وتباركت وتعاليت لملكك هذه الأمة وعذابك إياهم وهم من ولد إبراهيم خليلك وأمة موسى نبيك وقرن داود صفيك!

يا رب أي القرى تأمن عقوبتك بعد أورشليم! وأي العباد يأمون سيطرتك بعد ولد خليلك إبراهيم وأمة نبيك موسى وقوم خليلتك داود تسلط عليهم عبدة الثيران.

قال الله تعالى: "يا أرميا من عصاني فلا يستنكر تقمتي فإني إنما أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي ولو أنهم عصوني لأزلتهم دار العاصين إلا أن أتلذذهم برحمتي"

قال أرميا: يا رب اتخذ إبراهيم خليلًا وحفظتنا به وموسى قربته نجيا فنسألك أن تحفظنا ولا تخطفنا ولا تسلط علينا عدونا.

فأوحى الله إليه: "يا أرميا إني قستك في بطن أمك وأخرتك إلى هذا اليوم فلو أن قومك حفظوا إليّ الأمان والأرامل والمساكين وابن السبيل لكنت الداعم لهم وكانوا عندي بمنزلة جنة ناعم شجرها طاهر ماؤها ولا ينور ماؤها ولا تنور ثمارها ولا تقطع ولكن ساشكر إليك بني إسرائيل إني كنت لهم بمنزلة الراعي الشفيق أجنبهم كل قحط وكل عسرة وأتبع بهم الخصب حتى صاروا كباشا ينطح بعضها بعضا فيا ويلهم ثم يا ويلهم إنما أكرم من أكرمني وأمين من هان عليه أمري إن من كان قبل هؤلاء القوم من القرون يستخفون بمعصيتي وإن هؤلاء القوم يتبرعون بمعصيتي تبرعا فيظهرونها في المساجد والأسواق وعلى رؤوس الجبال وظلال الأشجار حتى عجت السماء إلي منهم وعجت الأرض والجبال ونفرت منها الوحوش بأطراف الأرض وأقاصيها وفي كل ذلك لا يتفكرون ولا يتفكرون بما علموا من الكتاب"

قال: فلما بلثهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا: كذبت وعظمت على الله الفرية فترجم أن الله معطل أرضه ومساجده من كتابه وعبادته وتوحيده فمن يعبده حين لا يبقى له في الأرض عابد ولا مسجد ولا كتاب لقد أعظمت

الطبري: ٥٣٩/١ - ٥٣٩.

ويجعل ما أعددت فقل وأرسل الله إليه من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال: دانيال، دانيال، فقال: من هذا؟ قال: أنا أرميا فقال: ما جاء بك؟ فقال: أرسلني إليك ربك. قال: وقد ذكرني ربي؟ قال: نعم فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره. والحمد لله الذي لا ينجب من رجاءه. والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره. والحمد لله الذي يميز بالإحسان إحساناً. والحمد لله الذي يميز بالصبر نجاة. والحمد لله الذي هو يكشف ضربنا بعد كرتنا. والحمد لله الذي ثقتنا حين يسره فنتنا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن أبي خلدبة خالد بن دينار: حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا له كعباً فنسخه بالعربية. فأتا أول رجل من العرب قرأه قرأه مثل ما أقرأ القرآن هذا فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتُم بالرجل؟ قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينشونه. قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريه فيمطرون قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شمرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوفاً من ثلاثمائة سنة فليس يني بل هو رجل صالح؛ لأن عيسى بن مريم ليس به وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخاري [٣٤٤٢] والفترة التي كانت بينهما أربع مائة سنة.

وقيل: ستمائة.

وقيل: ستمائة وعشرون سنة.

وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ولكن قريت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذ ملك الفرس فأقام عنده مسجوناً كما تقدم.

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أمته شهر.

وعن أنس ابن مالك بإسناد جيد: أن طول أمته ذراع.

فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد والله أعلم.

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب أحكام القبور: حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله عن أبي الأشعث الأحمري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفنه أمة عمده».

فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجهه في تابوت تضرب عروقه وورديه وقد كان رسول الله ﷺ قال: «من دل على دانيال فبشره بالجنة» فكان الذي دل عليه رجل يقال له: حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن ادفعه وأبعث إلى حرقوص فإن النبي ﷺ بشره بالجنة.

وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوفاً نظر والله أعلم.

ثم قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو بلال حدثنا قاسم بن عبد الله عن

وقد روى ابن جرير [في الطبري: ٢٩١/١٥، ٣٠] عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب: أن بخت نصر لما قدم دمشق وجد بها دماً يغلي على كيا يعني القمامة فسألم: ما هذا الدم؟ فقالوا: أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر. قال: فقتل على ذلك سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن.

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب.

وقد تقدم من كلام الحافظ ابن عساكر ما يدل على أن هذا دم يحيى بن زكريا وهذا لا يصح لأن يحيى بن زكريا بعد بخت نصر بمدة والظاهر أن هذا دم نبي متقدم أو دم لبعض الصالحين أو لمن شاء الله عن الله أعلم به.

قال هشام بن الكلبي: ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عمن بني إسرائيل وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع. فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه لأجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة ومسى الذرية.

قال: وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فأخرجه وقص عليه ما كان من أمره إياهم وتحفيروهم ثم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر: ينس القوم قوم عصوا رسول الله. وخلق سييله وأحسن إليه. واجتمع إليه من بقي من ضمء بني إسرائيل فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا ونحن نتوب إلى الله عز وجل عما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى إليه أنه غير فاعل فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة. فأخبرهم ما أمره الله تعالى به فقالوا: كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها! فأبوا أن يقيموا.

قال ابن الكلبي: ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فترلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادي القرى وذهبت شرذمة منهم إلى مصر فكتب بخت نصر إلى ملكها يطلب منه من شرد منهم إليه فأبى عليه فركب في جيشه فقاتله وقهره وغلبه ومسى ذراريهم. ثم ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصى تلك الناحية.

قال: ثم انصرف بسبي كثير من أرض المغرب ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال.

قلت: والظاهر أنه دانيال بن حزقيال الأصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب بن منبه والله أعلم.

٦٨- خبر دانيال عليه السلام

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني قال: إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه عن الأجلع الكندي عن عبد الله بن أبي المنليل.

قال: ضرى بخت نصر أسدين فالتقهما في جب وجاء بنيانيل فالتقاها عليهما فلم يهيجاها فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام أن أعد طعاماً وشراباً لدانيال فقال: يا رب أنا بالأرض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله إليه أن أعد ما أمرناك به فأتنا سترسل من يملك

الشام أنها خراب وإن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الإنسان أحد فتأدى في أرض بابل في بني إسرائيل أن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع وملك عليهم رجلاً من آل داود وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنى مسجداً فرجعوا فعمروها وفتح الله لأرميا عينه فنظر إلى المدينة كيف تبنى وكيف تعمر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة وقد عهد المدينة خراباً.

فلما نظر إليها عامرة أمله قال أعلم أن الله على كل شيء قدير. قال: فأقام بنو إسرائيل بها ورد الله عليهم أمرهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف. ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان يعني بعد ظهور النصارى عليهم.

هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه [٥٣٩/١، ٥٤٠] عنه. وذكر ابن جرير رحمه الله: [٥٤٠/١، ٥٤١] أن لهراسب كان ملكاً عادلاً سائساً لمملكته قد دانت له العباد والبلاد والملوك والقواد وإنه كان ذا رأي جيد في عمارة الأمصار والأنهار والمعاقل.

ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك لولده بشتاسب فكان في زمانه ظهور دين المجوسية وذلك أن رجلاً كان اسمه: زردشت كان قد صحب أرميا عليه السلام فأغضبه فدعا عليه أرميا فبرص زردشت فلعب فلحق بأرض آذربيجان وصحب بشتاسب فلقيه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه - لعنه الله - فقبله منه بشتاسب وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً من أبائهم. ثم كان بعد بشتاسب بهمن بن بشتاسب وهو من ملوك الفرس المشهورين والأبطال المذكورين وقد ناب بختنصر لكل واحد من هؤلاء الثلاثة وعمر دهرًا طويلاً فجهه الله.

والمقصود أن هذا الذي ذكره ابن جرير من أن هذا المار على هذه القرية هو أرميا عليه السلام.

قاله وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما رحمه الطبري: [٢٩/٣] وهو قوي من حيث السياق المتقدم.

وقد روي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس والحسن وقشادة والسدي وسليمان بن بريدة وغيرهم أنه عزيز رحمه الطبري: [٢٨/٣]. وهذا أشهر عند كثير من السلف والخلف والله أعلم.

٧٠- قصة العزيز

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر [تاريخ دمشق: ٦٠١/١١، ٦٠٢]: هو عزيز بن حيوه ويقال: بن سويق بن عرنا بن أيوب بن درثنا بن هري بن تقي بن السبوح بن فتاح بن العازر بن هارون بن عمران.

ويقال: عزيز بن شروخا.

جاء في بعض الآثار [تاريخ دمشق: ٣٢٣/٢ - ٣٢٥] أن قبره بدمشق. ثم ساق من طريق أبي القاسم البغوي عن داود ابن عمرو عن حبان ابن علي عن محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس مرفوعاً: «لا أدري ألحق نبي أم لا ولا أدري أكان عزيز نبياً أم لا».

ثم رواه من حديث مؤمل بن الحسن عن محمد بن إسحاق السجزي عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه.

ثم روى من طريق إسحاق بن بشر وهو متروك عن جوير ومقاتل

عنبسة بن سعيد وكان عالماً قال: وجد أبو موسى مع دانيال مصحفاً وجرة فيها ودعاهم وخافه فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: أما المصحف فابعث به إلينا وأما الرودك فابعث إلينا منه ورم من قبلك من المسلمين يشتقون به واقسم الدراهم بينهم وأما الخاتم فقد نفلناكه.

وروي ابن أبي الدنيا من غير وجه أن أبا موسى لما وجده وذكروا له أنه دانيال التزمه وعانقه وقبله. وكتب إلى عمر يذكر له أمره وأنه وجد عنده مالا موضوعاً قريباً من عشرة آلاف درهم وكان من جاء اقترض منها فلان ردعا وإلا مرض وإن عنده ربعة فامر عمر بأن يغسل بماء وسدر ويكفن ويدفن ويغنى قبره فلا يعلم به أحد وأمر بالمال أن يرد إلى بيت المال وبالربعة فتحمل إليه ونقله خاتمه.

وروي عن أبي موسى أنه أمر أربعة من الأسراء فسكروا نهراً وحفروا في وسطه قبراً فدفنه فيه ثم قدم الأربعة الأسراء فضرب أعناقهم فلم يعلم موضع قبره غير أبي موسى الأشعري رحمه الله.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الله حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري خاتماً نقش فصفه أسدان بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل.

قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذي زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسى يوم دفته.

قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم فقالوا: إن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا وكذا غلام يعمر ملكك وينسده فقال الملك: والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته إلا أنهم أخذوا دانيال فآلقوه في أجمة الأسود فبات الأسد ولبوته يلحسانه ولم يضراها فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه ففجأه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ.

قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته وصورة الأسدين يلحسانه في فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك.

إسناد حسن.

٦٩- عمارة بيت المقدس بعد خرابها

قال الله تعالى في كتابه المين وهو أصديق القائلين: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا ثُمَّ بَدَّلَهُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ لَمْ يَبْنِ قَالَ لَيْسَ يَوْمًا وَأَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَيْسَ بِمِائَةٍ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنِمْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْبَيْطَامِ كَيْفَ تُنْشِئُهُمَا ثُمَّ تَكْسُومُهُمَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الزمر: ٢٥٩]

قال هشام بن الكلبي: ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام فيما بلعني: أني عامر بيت المقدس فاخرج إليها فانزلها فخرج حتى قلعها وهي خراب فقال في نفسه: سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وأخبرني أنه عامرها فمتى يعمرها؟ ومتى يبنيها الله بعد موتها؟ ثم وضع رأسه فنام ومعه حمارة ورسلة من طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بختنصر والملك الذي فرقوه هو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقام بعده ولده بشتاسب بن لهراسب وكان موت بختنصر في دولته فبلغه عن بلاد

فصل:

وقد روى الجماعة [خ (٣٣٠٩)، م (٢٢٤١)، د (٥٢٦٦)، ص (٤٣٦٩)، ج (٣٢٢٥)] سوى الترمذي من حديث يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة. وكذلك رواه شعيب [إتباع دمشق: ١١/٦١٣] عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته غلة فأمر بهما فخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرفت بالنار فأوحى الله إليه فهلا غلة واحدة».

فروى إسحاق بن بشر عن ابن جريج عن عبد الوهاب بن مجاهد عن
أبيه أنه عزير.
وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري [الريخ دمشق: ٦٠٩/١١]
أنه عزير قاله أعلم.

۷۱۔ قصۂ زکریا و یحیی علیہما السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿كَيْمَعَصَ
ذَكَرَ رَحْمَةً رَبِّكَ عَبْدُهُ ذَكَّرَا. إِذْ نَادَى رُتَّةً يَنْدَاهُ حَيَّيَا. قَالَ رَبُّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاكَ رَبِّ شَغِيئًا. وَإِنِّي خِفْتُ
الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَوٰهِي
يَوْتُو مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا. يَا ذَكَرًا إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا. قَالَ رَبُّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلاَمٌ وَكَانَتِ
امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا. قَالَ كَذَلِكُ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا. قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْنَكَ آلًا
تَكْلُمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا. فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى
إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَغُصِّيًّا يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ
صَبِيًّا. وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا. وَرَأَى بَوَالِدَهُ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا.
وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْشَأُ حَيًّا﴾ [ص: ١ - ١٥]

[illegible]

وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿وَوَكِّرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ لَا تُنْفِرْنَا فِرًّا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَعَدْنَا لِيُتَمَّى وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا يَسْأَلُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَبُؤًا مِنْهُمْ فِي أَعْيُنِنَا ۚ وَوَدَّعَا
وَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾
[الأنبياء: ٨٩ - ٩٠]

وقال تعالى ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^[الأنعام: ٨٥]

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل [٤٨/١٩]: ذكرها بن برخيا.
ويقال: ذكرها بن دان.

ويقال: زكريا بن أدن بن مسلم بن صدوق بن عثمان بن داود بن

المشهور أن عزيزاً نبي من أنبياء بني إسرائيل وأنه كان فيما بين داود وسليمان بين زكريا ويحيى وأنه لما لم يتيق في بني إسرائيل من بحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل كما.

قال وهب بن منبه [تاريخ دمشق: ٦٠٦/١١]: أمر الله ملكا فتزل بمغرفة من نور فلقنها في في عزيز ففسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها.

وروى ابن عساکر (تاریخ دمشق: ٦٠٦/١١ - ٦٠٨) عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ غُرُورٌ إِنَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٣٠) لم قالوا: ذلك؟ فذكر له ابن سلام ما كان من كَيْدِ بني إسرائيل التوراة من حفظه وقول بني إسرائيل لم يستطيع موسى أن يأتيها بالتوراة إلا في كتاب وإن غريباً قد جاءنا بها من غير كتاب فرمى طوائف منهم وقالوا: غريب ابن الله.

ولهذا يقول كثير من العلماء: إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير، وهذا متجه جداً إذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصري وفيما رواه إسحاق ابن بشر [إلخ مشق: ٦١٤/٦] عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء الخزاساني عن أبيه ومقاتل عن عطاء ابن أبي رباح قال: كان في الفترة تسعة أشياء: مختصر وجنة صنعاء وجنة سبأ وأصحاب الأخلدود وأمر حاصورا وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل ومدينة أنطاكية وأمر تبع.

وقال إسحاق بن بشر [تاريخ دمشق: ٦١٤/١١، ٦١٥] إننا سعيده عن قتادة عن الحسن قال: كان أمر عزيز ومختصر في الفترة.

وقد ثبت في الصحيح [ج (٣٤٤٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولى الناس بابن مريم لأنا إنه ليس بيني وبينه نبي».

ولال ذهب بن منبه [تاريخ دمشق: ٦١٥/١١] كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام.

وقد روى ابن عساکر [إدراج دمشق: ١١/٦١٤] عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزیراً كان في زمن موسى بن عمران وأنه استأذن عليه فلم يأذن له - يعني لما كان من سؤاله عن القدر - وإنه انصرف وهو يقول مائة مائة أهون من ذل ساعة.

وفي معنى قول عزيز مائة مائة من ذل ساعة قول بعض الشعراء:

قَدْ يَصْبِرُ الْحَرُّ عَلَى السَّبْرِ وَيَأْتِي الصَّبْرُ عَلَى الْخَيْفِ
يُؤْتِرُ الْمَوْتَ عَلَى خَالَةٍ يَعْجِزُ فِيهَا عَنْ قَبْرِ الضَّيْفِ

فأما ما روى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٦١١/١ - ٦١٢] وغيره عن ابن عباس ونوف البکالی وسفيان الثوري وغيرهم من أنه سأل عن القدر فمضى اسمه من ذکر الأنبياء.

فهو منكر وفي صحته نظر وكأنه مأخوذ من الإسرائيليات.

وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال: قال عزيز فيما يناجي ربه: يا رب تخلق خلقاً أفضل من تشاء وتهدي من تشاء فقيل له: أعرض عن هذا فعاد فقيل له: لتعرضن عن هذا أو لأخون اسمك من الأنبياء إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون وهذا لا يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد فما محي اسمه والله أعلم.

١٦ أي في النبوة والملك كما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروي في الصحاح (ج ٣٠٩٣)، م (١٧٥٩) من حديث أبي بكرٍ، والمسند [مسند أحمد: ٤/١، ٦، ٩، ١٠، ٤٧، ٤٩، ٦٠، ٢٠٨] والسنن (ج ٢٩٧٦، ٢٩٧٧)، ت (١٦١٠)، م (٤١٥٩) وغيرهما من طرق عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

فهنا نص على أن رسول الله ﷺ لا يورث ولهذا منع الصديق أن يصرف ما كان يختص به في حياته إلى أحد من ورائه الذين لولا هذا النص لصرف إليهم وهم ابنة فاطمة وأزواجه التسع وعمه العباس رضي الله عنهم واحتج عليهم الصديق في منعه إليهم بهذا الحديث وقد وافقه على روايته عن رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأبو هريرة وآخرون رضي الله عنهم.

الثاني: أن الترمذي [١٦١٠] رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وصححه.

الثالث أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يتركوها لها أو يلتفتوا إليها أو يهتمهم أمرها حتى يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم فإن من لا يصل إلى قريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولداً يكون وارثاً له فيها.

الرابع: أن زكريا عليه السلام كان نجاراً يعمل بيده ويأكل من كسبها كما كان داود عليه السلام يأكل من كسب يده والغالب ولا سيما من مثل حال الأنبياء أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهاداً يستفضل منه مالا يكون ذخيرة له بخلفه من بعده؛ وهذا أمر بين واضح لكل من تأمله بتدبر وتفهم إن شاء الله.

قال الإمام أحمد [٢٩٦/٢]: حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجاراً».

وهكذا رواه مسلم [٢٣٧٩] وابن ماجه [٢١٥٠] من غير وجه عن حماد بن سلمة به.

وقوله: «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا». وهذا مفسر بقوله: «فَنَادَتْ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيَحْيَى مُصَلِّئًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّوْنِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» [آل عمران: ٣٩] فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له.

«قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» [مريم: ٨] أي كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل: كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة.

والأشبه والله أعلم أنه كان أسن من ذلك. «وَكُنْتَ امْرَأَتِي عَاقِرًا» يعني وقد كانت امرأتي في حال شيبتها عاقراً لا تلد والله أعلم.

كما قال الخليل «أَبَشِّرْهُنَّ بِوَلَدٍ غَيْرِ الْكَبِيرِ فِيمَ يُبَشِّرُونَ» [المعارج: ٥٤].

وقالت سارة: «يَا وَيْلَتَى أَلِدْتُ وَأَنَا عَتُورٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَخِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيبٌ مُجِيبٌ» [مريم: ٧٢ - ٧٣].

وهكذا أجيب زكريا عليه السلام قال له الملك الذي يوحى إليه بأمر

سليمان بن مسلم بن صديقه بن بركة بن ملقاطية بن ناحور بن سلوم بن يهفانيا بن حاش بن أبي بن خنعم بن سليمان بن داود أبو يحيى النبي عليه السلام من بني إسرائيل.

دخل البنية من أعمال دمشق في طلب ابنه يحيى. وقيل: إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله أعلم.

وقد قيل غير ذلك في نسبه ويقال فيه: زكريا بالمد وبالقصر. ويقال: زكري أيضا.

والمقصود أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقصص على الناس خبر زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولداً على الكبر وكانت امرأته عاقراً في حال شيبتها وقد استت أيضاً حتى لا يئس أحد من فضل الله ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس فقال تعالى: «وَذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَذَّاءُ حَتَّىٰ». [مريم: ٣-٢]

قال قتادة عند تفسيرها [هيسو الطبري: ٤٥/١٦]: إن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي.

وقال بعض السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة أسرها عنن كان حاضراً عنده مخافة فقال: يارب يا رب رب فقال الله ليك ليك ليك «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَفَنَ الْعَظُمِ مِنِّي» أي ضعف وخار من الكبر «وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا» استعلو من اشتعال النار في الحطاب أي غلب على سواد الشعر شيبه كما قال ابن دريد في مقصورته.

إما ترى رأسي حاكى لونه طرةً نحت أذيال الدججا واشتعل الميض في مودته مثل اشتعال النار في جزل الغضا وأضى روض اللؤلؤ ساءاً ذابوا من بعد ما قد كان مجاج الفرى يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطناً وظاهراً.

وهكذا قال زكريا عليه السلام: «إِنِّي وَفَنَ الْعَظُمِ مِنِّي وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا».

وقوله: «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا». أي ما عودني فيما أسألك إلا الإجابة.

وكان الباعث له على هذه المسألة أنه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان وكان كلما دخل عليها محرابها وجد عندها فاكهة في غير أوانها ولا في أوانها وهذه كرامات الأولياء فعلم أن الرزاق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً وإن كان قد طعن في سنه.

«فَمَثَلٌ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» [آل عمران: ٣٨].

وقوله: «وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي» قيل: المراد بالموالي العصبية وكأنه خاف من تصرفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسأل وجود ولد من صلبه يكون براً تقياً مرضياً ولهذا قال: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ» أي من عندك بمولود وقولك.

«وَلِيًّا. يَرْتَبِي» أي في النبوة والحكم في بني إسرائيل.

«وَوَرِّثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَحِيمًا» يعني كما كان آباءه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمهم بها من النبوة والوحي وليس المراد ههنا وراثته المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير [هيسو: ٤٨، ٤٧/١٦] ههنا وحكاة عن أبي صالح من السلف لوجه.

أحدها: ما قلنا عند قوله تعالى: «وَوَرِّثْ سَلِيمَانَ دَاوُودَ» [النمل:

ورحمها ويتنقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور فمن مسرور ومحبور ومن عززون ومشبور وما بين مجبور ومكسور وفريق في الجنة وفريق في السعير. ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول:

ولكنك أمك باكياً مستصرخاً والناس حولك يضحكون سروراً
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً سروراً
ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلم الله
على يحيى في كل موطن منها فقال: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا».

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى
التقيا فقال له عيسى: استغفر لي أنت خير مني فقال له الآخر: استغفر لي
أنت خير مني فقال له عيسى: أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله
عليك فعرف والله فضلها **رقص الطيري: ٥٩/١٦**.

وأما قوله في الآية الأخرى: «وَسَيِّدًا وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ»
فقال: المراد بالخصور الذي لا يأتي النساء.

وقيل: غير ذلك وهو أشبه لقوله: «هُبِّي لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً».
وقد قال الإمام أحمد **[٢٠٤/١٦]**: حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي
بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما
من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما
يبنى لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

علي بن زيد بن جعدان تكلم فيه غير واحد من الأئمة وهو متكرر
الحديث.

وقد رواه ابن خزيمة والدارقطني من طريق أبي عاصم العباداني عن
علي بن زيد بن جعدان به مطولاً.

ثم قال ابن خزيمة: وليس على شرطنا.

وقال ابن وهب: حدثني ابن لبيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال:
خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يوماً وهم يتناكرون فضل الأنبياء
فقال قائل: «موسى كليم الله» وقال قائل: «عيسى روح الله وكلمته» فقال
يقول: «إبراهيم خليل الله» فخرج النبي ﷺ وهم يذكرون ذلك فقال:
«أين الشهيد أين الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر خافة الذنب»

قال ابن وهب: يريد يحيى بن زكريا.

وقد رواه محمد ابن إسحاق وهو مدلس عن يحيى بن سعيد الأنصاري
عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:
«كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا».

فهذا من رواية ابن إسحاق وهو من المدلسين وقد عتق ههنا.
ثم قال قد رواه عبد الرزاق **رقصه: ٦/٢** عن معمر عن قتادة عن
سعيد بن المسيب مرسلًا.

ثم رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة عن يحيى بن سعيد
الأنصاري.

ثم قد رواه ابن عساكر من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني
خطيب دمشق:

حدثنا محمد بن الأصبهاني حدثنا أبو خالد الأحمر عن يحيى بن سعيد

ربه «هَذَاكَ قَالَ رَبُّكَ مَوْ عَلَيَّ هَيْنَ» أي هذا سهل يسير عليه.

«وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِن قَبْلُ وَكَمْ نَكُ شَيْئًا» أي قدرته أوجدتك بعد أن لم
تكن شيئاً مذكوراً أفلا يوجد منك ولداً وإن كنت شيخاً كبيراً.

وقال تعالى: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَعَدْنَا لَهُ لَهْجُوعًا وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَعْمَلُونَ زَكَاةً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ»
[الأنبياء: ٩٠].

ومعنى إصلاح زوجته أنها كانت لا تحيض فعاضت. وقيل: في لسانها
شيء أي بذاءة.

«قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً» أي علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا
الولد المبشر به.

«قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» **(مرهم: ١٠)** يقول:
علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً وأنت في
ذلك سوي الخلق صحيح المزاج معتدل البنية.

وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بقواده
بالعشي والإبكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسروراً بها على قومه من
عجابه.

«فَأَرْخَى إِلَيْهِمْ أَنْ سُبُّوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا». والوحي ههنا هو الأمر
الخفي إما بكتابه كما قاله مجاهد والسدي أو إشارة كما قاله مجاهد أيضاً
ووهب وقاتة **رقص الطيري: ٥٢/١٦ - ٥٤**.

قال مجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقاتة: اعتقل لسانه من غير
مرض.

وقال ابن زيد: كان يقرأ ويسبح ولكن لا يستطيع كلام أحد **رقصه**
الطيري: ٥٤/١٦.

وقوله: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»، يشير تعالى
عن وجود الولد وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا عليه السلام وأن الله علمه
الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه.

قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا:
انذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا.

قال: وذلك قوله: «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» **رقصه الطيري: ٥٥/١٦**.

وأما قوله: «وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا» فروى ابن جرير **رقصه: ٥٦/١٦** عن
عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما الحنان.

وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتة والضحاك «وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا»
أي رحمة من عندنا رحمتنا بها زكريا فوهبنا له هذا الولد **رقصه الطيري:**
٥٦، ٥٥/١٦.

وعن عكرمة «وَحَنَانًا» أي: محبة عليه.

ويحتمل أن يكون ذلك صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما على
أبويه وهو محبتهم والشفقة عليهما وبره بهما.

وأما الزكاة فهو طهارة القلب وسلامته من النقائص والردائل.

والنقوى طاعة الله بامتثال أوامره وترك زواجه. ثم ذكر يره بوالديه
وطاعته لما أمراً ونهياً وترك عقوقهما قولاً وفعلًا فقال: «وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ
وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا».

ثم قال: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» هذه
الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان فإنه يتنقل في كل منها من عالم
إلى عالم آخر فيفقد الأول ما كان آلفه وعرفه ويصير إلى الآخر ولا يلدري
ما بين يديه ولها يستهل صارخاً إذا خرج من بين الإحشاء وفارق ليناها

أن تعمل بهن وتأمري بني إسرائيل أن يعملوا بهن. فلما أن تبليهن وإما أن ابليهن فقال: يا אחי إني أسئتي إن سبقتي أن أعذب أو يخسف بي.

قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقدم على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثمقال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن. أولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله يورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غيره سيده فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك وإن الله خلقكم ورزقكم فأعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فلإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشده يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في إثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل.

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس: الله أمرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع ومن دسا بدعوى الجاهلية فهو من جثاه جهنم» قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل» وهكذا رواه أبو يعلى بسنده (١٥٧١) عن هبة بن خالد عن أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير به.

وكذلك رواه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) من حديث أبي داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل كلاهما عن أبان بن يزيد الطاطري. ورواه ابن ماجه (١٠٠٠) بإسناد صحيح عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب بن سابور عن معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري به.

ورواه الحاكم (المستدرک: ١/١١٨) من طريق مروان ابن محمد الطاطري عن معاوية بن سلام عن أخيه به. ثم قال: تفرد به مروان الطاطري عن معاوية بن سلام.

قلت: وليس كما قال.

ورواه الطبراني (المعجم الكبير: ٣٤٣٠) عن محمد بن عبدة عن أبي توبة الربيع بن نافع عن معاوية بن سلام عن أبي سلام عن الحارث الأشعري؛ فذكر نحوه فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية ثم روى الحافظ بن عساكر من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس قال: ذكر لنا عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات وذكر نحو ما تقدم.

وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس إما كان يأس إلى البراري ويأكل من ورق الأشجار ويرد ماء الأنهار ويتغذى

عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو قال: «ما أحد إلا يلتقي الله بنسب إلا يحيى بن زكريا». ثم تلا: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصَوْرًا﴾ ثم رفع شيئاً من الأرض فقال: «ما كان معه إلا مثل هذا ثم ذبح ذبحاً».

وهذا موقوف من هذه الطريق وكونه موقوفاً أصح من رفعه والله أعلم.

وأورده ابن عساكر من طرق عن معمر:

من ذلك ما أورده من حديث إسحاق بن بشر وهو ضعيف عن عثمان بن ساج، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه.

وروي من طريق أبي داود الطيالسي وغيره عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبيه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الحائلة يحيى وعيسى عليهما السلام».

وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني (المجلد: ١/٢٦٨، ٢٦٩) حدثنا إسحاق بن أحمد حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول: خرج عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا يتماشيان فقدم يحيى امرأة فقال له عيسى: يا ابن خالة لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أنه ينفر لك أبداً قال: وما هي يا ابن خالة؟ قال: امرأة صدمتها. قال: والله ما شعرت بها. قال سبحانه الله بذلك معي فإين روحك؟ قال: معلق بالعرش ولو أن قلبي اطمن إلى جبريل لظننت أنني ما عرفت الله طرقة عين.

فيه غرابة وهو من الاسرائيليات.

وقال إسرائيل عن أبي حصين عن خزيمة قال: كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الورب ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا أمة ولا مأوى يأويان إليه أينما جهنما الليل أوى فلما أراد أن يفرقا قال له يحيى: أوصني قال: لا تغضب قال: لا استطع إلا أن أغضب قال: لا تغتن مالا قال: أما هذه فمعي.

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه:

هل مات زكريا عليه السلام موتاً أو قتل قتلاً.

على روايتين:

فروى عبد النعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال: هرب من قومه فدخل شجرة فجاءوا ففرضوا المنشار عليها، فلما وصل المنشار إلى أضلاعه أن فأوحى الله إليه لئن لم يسكن أينك لأقلبن الأرض ومن عليها فسكن أينته حتى قطع بائتين [تاريخ دمشق: ١٩/٥٤، ٥٥].

وقد روي هذا في حديث مرفوع سنوده بعد إن شاء الله.

وروى ابن إسحاق بن بشر عن إدريس بن سنان عن وهب أنه قال: الذي انصدعت له الشجرة هو أشعيا فلما زكريا فمات موتاً [تاريخ دمشق: ١٩/٥٦] قاله أعلم.

وقال الإمام أحمد (١٣٠/٤): حدثنا عفان أنبأنا أبو خلف موسى بن خلف وكان يعد من البلاء حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده مطور عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يعطى فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أمرت بخمس كلمات

قال: فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته شيعته وكان بها معجباً ولم تكن تفعله فيما مضى فلما أن شيعته قال الملك: سليني فما سألتني شيئاً إلا أعطيتك قالت: أريد دم يحيى بن زكريا قال لها: سليني غيره قالت: هو ذاك قال: هو لك قال: فبعت جلاوزتها إلى يحيى وهو في محرابه يصلي وأنا إلى جانبه أصلي قال: فذبح في طست وحمل رأسه ودمه إليها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «فما بلغ من صبرك؟» قال: ما اقتلت من صلاتي قال: فلما حمل رأسه إليها فوضع بين يديها فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه.

فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل قد غضب إله زكريا لذكربا فتعالوا حتى تغضب للملكنا فقتل زكريا.

قال: فخرجوا في طلي ليقتلوني وجاهني النذير فهرت منهم وأبليس أمامهم يدم علي فلما تخوف أن لا أعجزهم عرضت لي شجرة فنأفتي وقالت: إني إلهي واتصدعت لي ودخلت فيها.

قال: وجاء إبليس حتى أخذ بطرف رائي والشجرة وقفي طرف رائي خارجاً من الشجرة وجاءت بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف رائي دخلها يسحره فقالوا: نحرق هذه الشجرة فقال إبليس: شقوه بالنشأ شقاً. قال: فشقت مع الشجرة بالنشأ فقال له النبي صلي الله عليه وسلم: «هل وجدت له مساً أو وجعاً» قال: «لا إنما وجدت ذلك الشجرة، جعل الله روعي فيها».

هذا سياق غريب وحديث عريب ورفقه منكر وفيه ما ينكر على كل حال: ولم نر في شيء من أحاديث الإسراء ذكر زكريا عليه السلام إلا في هذا الحديث.

ولما المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء. فمررت بابي الخالة يحيى وعيسى (١٦٢) وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فإن أم يحيى أشياخ بنت عمران أخت مريم بنت عمران.

وقيل: بل أشياخ وهي امرأة زكريا أم يحيى هي أخت حنة امرأة عمران أم مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم فإله أعلم.

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا هل كان في المسجد الأقصى أم بغيره على قولين:

فقال الثوري عن الأعمش عن شمر بن عطية قال: قتل على الصخرة التي بيت المقدس سبعون نبياً منهم يحيى بن زكريا عليه السلام.

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: قدم تحت نصر دمشق فإذا هو بدم يحيى ابن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن.

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة تحت نصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسن البصري فإله أعلم.

وروي الحافظ ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٢٤٦/٢) من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق فكانت البشارة والشعر على حاله لم يتغير.

وفي رواية: فكانما قتل الساعة.

وذكر في بناء مسجد دمشق (تاريخ دمشق: ٢٤٦/٢) أنه جعل تحت

بالجراد في بعض الأحيان ويقول: من أنعم منك يا يحيى.

وروي ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٥٤/١٩) أن أبوه خرجاً في طلبه فوجده عند بحيرة الأردن فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديداً لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل.

وقال ابن وهب عن مالك عن حميد بن قيس عن مجاهد قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينه لحرقه.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا أبو صالح حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: جلست يوماً إلى أبي إدريس الخولاني وهو يقص فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعاماً؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إن يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاماً إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم.

وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد قال: فقد زكريا ابنه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية فإذا هو قد احتفر قبراً وأقام فيه يبكي على نفسه فقال: يا بني أنا أطبك من ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه؟ فقال: يا أبت ألت أنت أخبرتي أن بين الجنة والنار مفازة لا تقطع إلا بدمع البكاين؟ فقال له: إلك يا بني. فبكيا جميعاً. وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه.

وروي ابن عساكر عنه أنه قال: إن أهل الجنة لا ينامون للجنة ما هم فيه من النعيم فكنا نبني للصديقين أن لا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل. ثم قال: كم بين التعمين وكم بينهما. وذكرنا أنه كان كثير البكاء حتى أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه.

٧٢- بيان سبب قتل يحيى عليه السلام

وذكروا في قتله أسباباً كثيرة:

من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان يريد أن يتزوج ببعض عذاره أو من لا يحل له تزويجها فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقي في نفسها منه.

فلما كان بينها وبين الملك ما يجب منها استرهت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله وجاء برأسه ودمه في طست إلى عندها فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها.

وقيل: بل أحبت امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها فلما ينست منه تحملت في أن استرته من الملك فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعثت من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست.

وقد ورد معناه في حديث رواه إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ (أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٥/١٩، ٥٦ من طريق إسحاق بن بشر، ٤٦) حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفي عن عمرو بن ميمون عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به رأى زكريا في السماء فسلم عليه وقال له: «يا أبا يحيى أخبرني عن تلك كيف كان ولم تقلك بنو إسرائيل؟» قال: يا محمد أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه وكان أجملهم وأصحبهم وجهاً وكان كما قال الله تعالى ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وكان لا يحتاج إلى النساء فهوته امرأة ملك بني إسرائيل وكانت بنية فارسلت إليه وعصمه الله وامتنع يحيى. وأبى عليها وأجمعت على قتل يحيى ولهم عيد يجتمعون في كل عام وكانت سنة الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب.

يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السلام والخلص من ذريته المتبعين شرعه للملازمين طاعته ثم خصص فقال: وأل إبراهيم فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق.

ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران هذا والد مريم عليها السلام.

قال محمد بن إسحاق (تاريخ الطبري: ٥٨٥/١، ٥٨٦): وهو عمران بن باشم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحزيق بن موثم بن عزاريا بن أمصيا بن يابوش بن أحزيه بن يارم بن يهناشاط بن إيش بن أبان بن رجعم بن سليمان ابن داود.

وقال أبو القاسم بن عساکر: مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر ابن اليود بن آجين بن صادق بن عازور بن الباقيم بن أيود بن زربائيل بن شالتان بن يوحنا بن برسيا بن أمون بن ميثا بن حزقيل بن أجاز بن يوثام بن عزريا بن بورام بن بوسافاط بن أسا بن آيا بن رخييم بن سليمان بن داود عليه السلام وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن إسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه وكانت أمها وهي حنة بنت قافود بن قبيل من العابدات وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم أشياخ في قول الجمهور وقيل: زوج خالتها أشياخ بالله أعلم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق (تاريخ الطبري: ٢٣٥/٣) وغيره: أن أم مريم كانت لا تحبل فرأت يوماً طائراً يرق فرخاً له فاشتت الولد فنزلت لله أن حلت لتجعلن ولدها محرراً أي حبيساً في خلعة بيت المقدس.

قالوا: فحاضت من فورها فلما طهرت واقمها بعلمها فحملت بمريم عليها السلام ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ وقرأه بضم التاء.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ أي في خلعة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم.

وقولها ﴿وَأَنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ استدل به على تسمية المولود يوم يولد وكما ثبت في الصحيحين [ج (٥٤٧٠)، م (٢١٤٤)] عن أنس في ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ فحنك أخاه وسماه عبد الله.

وجاء في حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً: أكل غلام رهينة بعقيقته تخبث عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه.

رواه أحمد [١٢/٥، ١٧، ٢٢] وأهل السنن [٢٨٣٧، ٢٨٣٨]، ت (١٥٢٢)، م (٤٢٣١)، ج (٣١٦٥) وصححه الترمذي.

وجاء في بعض ألفاظه «وُلِدَتْ» بدل «وِيسَمَى» وصححه بعضهم والله أعلم.

وقولها ﴿وَأَنِّي أُعِيذُكَ بِكَ وَذُرِّيَّتًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قد استجيب لها في هذا كما قبل منها نذرهما فقال الإمام أحمد [٢٧٤/٢]:

حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا الشيطان يمسح به حين يولد فيستهل صرخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها».

ثم يقول أبو هريرة وأقرؤوا إن شئتم: ﴿وَأَنِّي أُعِيذُكَ بِكَ وَذُرِّيَّتًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أخرجه [ج (٤٥٤٨)، م (٢٣٦٦)] من حديث عبد الرزاق.

ورواه ابن جرير [تفسيره: ٢٤٠/٣] عن أحمد بن الفرج عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

العمود المعروف بعمود السكاسكة فالله أعلم.

وقد روى الحافظ ابن عساکر في «المستقصى في فضائل الأقصى» من طريق العباس بن صبيح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قسيم مولي معاوية قال: كان ملك هذه المدينة يعني دمشق هداد بن هداد وكان قد زوج ابنه بابة أخيه أربيل ملكة صيدا.

قلت: وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة.

قال: وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً. ثم إنه أراد مراجعتها فاستغنى يحيى بن زكريا فقال: لا تلح لك حتى تنكح زوجاً غيرك فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيى بن زكريا وذلك بإشارة أمها فأبى عليها ثم أجابها إلى ذلك وبعث إليه وهو قائم يصلي بمسجد جيرون من أناه براسه في صينية فجعل الرأس يقول له: لا تلح له حتى تنكح زوجاً غيره فاختذت المرأة الطبى فحملته على رأسها وأت به أمها وهو يقول كذلك.

فلما تمثلت بين يدي أمها خسف بها إلى قديمها ثم إلى حقيرها وجعلت أمها تولول والجاروي يصرخن ويلطنن وجوههن ثم خسف بها إلى منكيها فأمرت أمها السيف أن يضرب عنقه لتسلى براسها ففعل فلفلظت الأرض جثتها عند ذلك ووقعوا في الذل والقناء ولم يزل دم يحيى يغور حتى قدم بختصر قتل عليه خمسة وسبعين ألفاً.

قال سعيد بن عبد العزيز: وهي دم كل نبي ولم يزل يغور حتى وقف عنده أرميا عليه السلام فقال: أيها الدم أفتيت بني إسرائيل فأسكن بإذن الله فسكن فرغ السيف وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس فتبعهم إليها فقتل خلقاً كثيراً لا يحصون كثرة وسب منهم ثم رجع عنهم.

٧٣- قصة عيسى بن مريم عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي أنزل صدرها وهو ثلاث وثمانون آية منها في الرد على النصارى عليهم لعائن الله الذين زعموا أن لله ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وكان قد قدم وقد نجوا منهم على رسول الله ﷺ فجعلوا يذكرهم ما هم عليه من الباطل من التثليث في الآقاسيم ويدعون بزعمهم إن الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة وعيسى ومريم على اختلاف فرقهم فانزل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره في الرحم كما صور غيره من المخلوقات وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وقال له: كن فكان سبحانه وتعالى.

وبين أصل ميلاد أمه مريم وكيف كان من أمرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم كما استكمل على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهنأته فقال تعالى وهو أصلق القائلين:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَعْضِ وَآلِهِ سَبِّحَ عَلَيْهِمْ. إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُكَ بِكَ وَذُرِّيَّتًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٧]

قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَأَكُونُ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

قال المفسرون: اتخذها زكريا مكاناً شرفاً من المسجد لا يدخله سواها فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سلاة البيت إذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها في بني إسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألهما ﴿أَتَى لَكَ هَذَا﴾ فتقول ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي رزق رزقته الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فبعد ذلك وهالك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر:

﴿قَالَ رَبِّ مَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

قال بعضهم (هــ الطبري: ٢٤٨/٢ وعزه لإسحاق بن بشر) قال: يا من يرزق مريم الشعر في غير أوانه هـ ب ولداً وإن كان في غير أوانه. فكان من خبره وقصته ما قلنا ذكره في قصته.

﴿وَأَذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنِي إِلَيْكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ إِلَيْهِمْ يُكَفَلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بَكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَتَعَلَّمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالشُّرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الْعِظَامِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْإِبْرَصَ وَأَخْصِي الْعَوْنَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْتَكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَنُصَبِّحُ لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ الشُّرَاةَ وَلَاحِلٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران: ٤٢ - ٥١)

يذكر الله تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمي زمانها بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب ويشترت بأن يكون نبياً شريعاً.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي في صفرة يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك في حال كهوله فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها.

وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلاً لهذه الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة.

فيقال: إنها كانت تقوم في الصلاة حتى تنطمرت قدمها رضي الله عنها ورحمها وأباهها فقول الملائكة ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك واجتلك.

﴿وَوَطَّهَّرَكِ﴾ أي من الأخلاق الرذيلة وأعطاك الصفات الجميلة.

﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها كقوله لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ وقوله عن بني إسرائيل:

وقال أحمد أيضاً [٢٨٨/٢]: حدثنا إسماعيل ابن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن عجلان مولى الشمعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل مولود من بني آدم يمه الشيطان بأصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى». تفرد به من هذا الوجه.

ورواه مسلم [٢٣٦٦] عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

وقال أحمد [٣٦٨/٢]: حدثنا هشيم حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بمحضنيه إلا ما كان من مريم وابنها لم تل إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ففذلك حين يلكزه الشيطان بمحضنيه وهذا على شرط مسلم ولم يخرج من هذا الوجه.

ورواه قيس (هــ الطبري: ٢٣٩/٣، ٢٤٠) عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا وقد عصه الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُكَ بِكَ وَذُرِّيَّتَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

وكنا رواه محمد بن إسحاق (هــ الطبري: ٢٣٩/٣) عن يزيد بن عبد الله بن قيس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بأصل الحديث.

وقال الإمام أحمد [٥٢٣/٢]: حدثنا عبد الملك حدثنا المغيرة هو ابن عبد الرحمن الخزامي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «كل بني آدم يلعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم ذهب يلعن طفلان في الحجاب».

وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقوله: ﴿وَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ذكر كثير من المفسرين (هــ الطبري: ٢٤٣/٣) أن أمها حين وضعتها لفنتها في خروجها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها.

والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صفرها. ثم لما دفعها إليهم تنازعوا في أيهم يكفلها وكان زكريا ينيهم في ذلك الزمان وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل أن زوجته اختها أو خالتها على القولين فشأخوه في ذلك وطلبوا أن يقتري معهم فساعدته المقادير فخرجت قرعته غالبية لهم وذلك أن الحالة بمنزلة الأم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ إِلَيْهِمْ يُكَفَلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. (آل عمران: ٤٤).

قالوا: وذلك أن كلاً منهم إلتى قلمه معروف به ثم حملوها ووضعوها في موضع وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث فأخرج واحداً منها فظهر قلم زكريا عليه السلام فطلبوا أن يقتريوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ثم طلبوا منه أن يقتريوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انمكس سيرها صعدا فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها إذ كان أحق بها شرعاً وقدراً لوجوه عديدة:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

الإبل.

نفرد به وهو على شرط الصحيح. ولهذا الحديث طرق أخر عن أبي هريرة.

وقال أبو يعلى الموصلي [سنه (٢٧٢٢)]: حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا داود بن أبي الفرات عن علي بن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربع خطوط فقال: «أتسدون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

ورواه النسائي [كروى (٨٣٦٤)] من طرق عن داود بن أبي الفرات. وقد رواه ابن عساکر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث حدثنا يحيى بن حاتم العسكري نبأنا بشر بن مهرا بن حمدان حدثنا محمد بن دينار عن داود ابن أبي هند عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «حبسك منهن أربع سيدات نساء الصالحين: فاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران».

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا وهب بن منبه حدثنا خالد بن عبد الله الواسطي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة أنها قالت لفاطمة: «أرأيت حين أكبتي على رسول الله ﷺ فيكبت ثم ضحكت؟» قالت: أخبرني أنه ميت من وجهه هذا فيكبت ثم أكبته عليه فأخبرني أنني أسرع أهله لحرقاً به وأني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت.

وأصل هذا الحديث في الصحيح [م (٢٤٥٠)]. وهذا إسناد على شرط مسلم وفيه: «أنهما أفضل الأربع المذكورات».

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: [٨٠/٣] حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن يزيد هو ابن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران» إسناد حسن وصححه الترمذي ولم يخرجوه. وقد روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب ولكن في إسناده ضعف.

والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع. ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة لكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول. فقال الحافظ أبو القاسم بن عساکر:

أبنا أبو الحسن بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالوا: أبنا أبو جعفر بن المسلمة أبنا أبو طاهر المخلص حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا الزبير هو ابن بكار حدثنا محمد بن الحسن عن عبد العزيز بن محمد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون».

فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بـ «ثم» التي للترتيب فهو مبين لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء وتقدم على ما تقدم من الأنفاظ التي وردت بواو العطف التي لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه والله أعلم. وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي عن طريقه ابن عساکر: «وبعدهم من تراجم النساء ص ٣٧٤» من داود الجعفري عن عبد العزيز ابن محمد وهو

والمعروف أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى وأن محمداً ﷺ أفضل منهما وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها وأكثر عدداً وأفضل علماً وأزكى عملاً من بني إسرائيل وغيرهم. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ محفوظ المعموم فتكون أفضل نساء الدنيا بمن كان قبلها ووجد بعدها لأنها إن كانت نية على قول من يقول بنبوتها ونسب سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى محتجاً بكلام الملائكة والوحي إلى أم موسى كما يزعم ذلك ابن حزم [المصل في اللؤلؤ والمرجل: ١٧/٥ - ١٩] وغيره فلا يتمتع على هذا أن يكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لمعوم قوله: ﴿وَأَصْطَفَاكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ إذ لم يعارضه غيره والله أعلم.

وأما قول الجمهور كما قد حكاه أبو الحسن الأشعري وغيره عن أهل السنة والجماعة من أن النبوة مختصة بالرجال وليس في النساء نية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [آل عمران: ٢٥] فعلى هذا لا يتمتع أن تكون أفضل الصليقات المشهورات عن كان قبلها وعن يكون بعدها والله أعلم.

وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن وأرضاهن.

وقد روى الإمام أحمد [٨٤/١، ١١٦، ١٣٢] والبخاري [٣٤٣٢، ٣٨١٥] ومسلم [٢٤٣٠] والترمذي [٣٨٧٧] والنسائي [كروى (٣٨٥٤)] من طرق عديدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساها مريم بنت عمران وخير نساها خديجة بنت خويلد».

وقال الإمام أحمد [١٣٥/٣]: حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حبسك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» ورواه الترمذي [٣٨٧٨] عن أبي بكر بن زهير عن عبد الرزاق به وصححه.

ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي وابن عساکر من طريق حميد بن زيد كلاهما عن أبي جعفر الرازي عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد رسول الله».

وقال الإمام أحمد [٢٧٥/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قال: كان أبو هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال: «خير نساء ركني الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاة لزوج في ذات يده».

قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بغيراً قط.

وقد رواه مسلم في صحيحه [٢٥٢٧] عن محمد بن رافع وعبد ابن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به.

وقال أحمد: حدثنا زيد ابن الحباب حدثني موسى بن علي سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركني الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرأفه بزوجه على قلة ذات يده» قال أبو هريرة وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تركب

عبد الله حدثنا يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى».

رواه أبو جعفر العجلي (الضعفاء الكبير: ٤/٤٥٩) من حديث عبد النور به؛ وزاد فقلت: هنيئاً لك يا رسول الله.

ثم قال العجلي: وليس بمحفوظ.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن عن يعلى بن المغيرة عن أبي أبي رواد قال دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: «بالكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً» أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت: وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قالت: بالرفاء والبنين.

وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال: «يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئين مني السلام» قالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: «لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى».

وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد: حدثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال: نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله ﷺ إذ مرت خديجة فقال جبريل: من هذا يا محمد؟ قال «هذه صديقة أمتي» قال جبريل: معي إليها رسالة من الرب عز وجل يقرئها السلام ويشرها بييت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب» قالت: الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ما ذلك البيت الذي من قصب؟ قال: «لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواجي يوم القيامة».

وأصل السلام على خديجة من الله ويشارتها بييت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب في الصحيح [ج (٣٨٢٠)، م (٢٤٢٢)] من حديث أبي هريرة ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جداً.

وكل هذه الأحاديث في أسانيدنا نظر.

وروى ابن عساكر من حديث أبي زرعة الدمشقي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن صفوان بن عمرو عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار: أن معاوية سأله عن الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فقال: الصخرة على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة ونحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة.

ثم رواه من طريق إسماعيل عن عياض عن ثعلبة بن مسلم عن مسعود عن عبد الرحمن عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ بمثله.

وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع.

ثم قد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن عن ابن عابد أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس فذكره.

قال الحافظ ابن عساكر: وكونه من كلام كعب الأحبار أشبه.

الدراوردي عن إبراهيم بن عتبة عن كرب عن ابن عباس مرفوعاً؛ فذكره بوار المعطف لا بـ «ثم» الترتيبية فخالفه إسناداً ومتناً فإلله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معاوية بن قره عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة إلا أبا داود [ج (٣٤١١)، م (٢٤٣١)]، ت (١٨٣٤)، م كسرى (٨٣٥٣، ٨٣٥٦)، ج (٣٢٨٠)، مسند أحمد ٣٩٤/٤، ٤٠٩ من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن المحدثين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

فإنه حديث صحيح كما ترى اتفق الشيخان على إخراجها ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية ولعل المراد بذلك في زمانها فإن كلا منهما كفلت نبياً في حال صغره.

فآسية كفلت موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة كخديجة وفاطمة فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة خمسة عشر سنة وبعدها أزيد من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضي الله عنها وأرضاها.

وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها؛ لأنها أصيبت برسول الله ﷺ وبقيت أخواتها من في حياة النبي ﷺ.

وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يتزوج بكراً غيرها ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة بل ولا في غيرها أعلم منها ولا أقهر وقد غار الله لها حين قال ما أهل الإنس ما قالوا: فأنزل برأيتها من فوق سبع سموات وقد عمرت بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفي المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين في قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين والأحسن الوقوف فيهما رضي الله عنهما وما ذلك إلا لأن قوله ﷺ: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى ما عدى المذكورات والله أعلم. والمقصود ههنا ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام فإن الله طهرها واصطفاهما على نساء عالمي زمانها.

ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا.

وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبي ﷺ في الجنة هي وآسية بنت مزاحم.

وقد ذكرنا في التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله «يَكُونُ وَأَبْكَاراً» (الصحيح: ٥) قال: فالثيب آسية. ومن الإبكار مريم بنت عمران. وقد ذكرناه في آخر سورة التحريم فإلله أعلم.

قال الطبراني (الكبير: ٥٤٨٥): حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا أبي أنبأنا عمي الحسين حدثنا يونس بن نفع عن سعد بن جندة هو العوفي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى».

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن عرعة حدثنا عبد النور بن

ج (٣٢٠٨)، م (٢٦٤٣).

قال محمد بن إسحاق: ثم شاع أمرها واشتهر في بني إسرائيل أنها حامل فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا.

قال: واتفقوا بعض الزنادقة بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد وتوارت عنهم مريم.

واعتزلتهم وانتبذت مكاناً قصباً.

وقوله: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي فالجأها واضطربها الطلق إلى جذع النخلة وهو بنص الحديث الذي رواه النسائي [٤٤٩] بإسناد لا بأس به عن أنس مرفوعاً والبيهقي [الدلائل: ٣٥٥/٢ - ٣٥٧] بإسناد وصححه عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً بيت لحم الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد على ما سنذكره هذا البناء المشاهد المائل.

﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ فيه دليل على جواز نفي الموت عند الفتن وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم بسلام على يدها مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات في المسجد المنقطع إلى المتكفات فيه ومن بيت التوبة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهمس ما غنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت ﴿نَسِيًّا مَسِيًّا﴾ أي لم تخلق بالكلية.

وقوله: ﴿فَتَأْتَاهَا مِنْ نَحْوِهَا﴾.

وقرئ: ﴿مِنْ نَحْوِهَا﴾ على الخفض.

وفي المضر قولان:

أحدهما أنه جبريل؛ قاله العوفي عن ابن عباس.

قال: ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم [هــ الطبري: ٦٨/١٦].

وهكلاً قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والضحاك والسدي وقناة [هــ الطبري: ٦٨/١٦، ٦٩].

وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير في رواية هو ابنها عيسى واختاره ابن جرير [هــ الطبري: ٦٨/١٦].

وقوله: ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرًّا﴾ قيل: النهر وإليه ذهب الجمهور.

وجاء فيه حديث رواه الطبراني [المعجم الكبير (١٣٣٠٣)] لكنه ضعيف واختاره ابن جرير [هــ الطبري: ٧١/١٦] وهو الصحيح.

وعن الحسن والربيع بن أنس وابن أسلم وغيرهم [هــ الطبري: ٧٠/١٦، ٧١] أنه ابنها والصحيح الأول لقوله: ﴿وَمَرْيَمُ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيًّا﴾ فذكر الطعام والشراب ولهذا قال: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا﴾.

ثم قيل: كان جذع النخلة يابساً.

وقيل: كانت غلة ثمرة فالله أعلم.

ويحتمل أنها كانت غلة لكنها لم تكن ثمرة إذ ذاك لأن ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

قال عمرو بن ميمون [هــ الطبري: ٧٢/١٦]: ليس شيء خيراً للنساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيان حدثنا مسروق بن سعيد التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «اكرموا عمكُم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس شيء من

أبي بن كعب [هــ الطبري: ٣٩/١٦، ٦٨/١٦] ولا في صدرها كما رواه السدي [البرق الطبري: ٥٩٩/١] بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي حملت ولدها.

﴿فَاتَّبَعَتْهُ بِمَكَانٍ قَصِيًّا﴾ وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت به ذراعاً وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام في حقها فذكر غير واحد من السلف منهم:

وهب بن منبه [هــ الطبري: ٦٤/١٦، ٦٥] أنها لما ظهرت عليها غايل الحمل كان أول من فطن لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له: يوسف بن يعقوب النجار وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً وذلك لما يعلم من ديانتها وزايعتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج فعرض لها ذات يوم في الكلام فقال: يا مريم هل يكون زوج من غير بنو؟ قالت: نعم فمن خلق الزرع الأول؟ ثم قال: فهل يكون شجر من غير ماء ولا مطر؟ قالت: نعم فمن خلق الشجر الأول؟ ثم قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى قال لها: فأخبريني خبرك فقالت: إن الله بشرني ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمَعْرُوفِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ - ٤٦].

ويروي مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سأله فأجابته بمثل هذا والله أعلم.

وذكر السدي بإسناده عن الصحابة أن مريم دخلت يوماً على اختها فقالت لها اختها: أشعرت أبي حبلى؟ فقلت مريم: وشعرت أيضاً أني حبلى؟ فاعتقتها وقالت لها أم يحيى: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك؛ وذلك قوله: ﴿تُصَلِّتُكَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ومعنى السجود ههنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان في شرع من قبلنا وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم.

وقال ابن القاسم: قال مالك: بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعاً معاً فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: أني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويرى الأكهمة والأبرص.

رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني وكلمني وإذا كنت بين الناس مسبح في بطني.

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لحيقات حملهن ووضعن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

وعن ابن عباس وعكرمة: أنها حملت به ثمانية أشهر.

وعن عباس: ما هو إلا أن حملت به فوضعت [هــ الطبري: ٧٢/١٦].

قال بعضهم: حملت به تسع ساعات واستأنسا لذلك بقوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَعَتْهُ بِمَكَانٍ قَصِيًّا. فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسب لقوله: ﴿تُصَلِّتُكَ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةً﴾ [هــ الطبري: ٦٣] وكقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمِضْغَةَ عِظَامًا فَكَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [الروم: ١٤].

ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوماً كما ثبت في الحديث المتفق عليه

قال الإمام أحمد [٥٢/٤]: حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نخجوان فقالوا: أرايت ما تقرأون ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكنا وكذا قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم». وكذا رواه مسلم [٢١٣٥] والنسائي [١١٣١٥] والترمذي [٣١٥٥] من حديث عبد الله بن إدريس. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديثه. وفي رواية «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمون بأسماء صالحهم وأنبيائهم».

وذكر قتادة وغيره (هــ الطبري: ٧٧/١٦) أنهم كانوا يكثر من التسمية بهارون حتى قيل: إنه حضر بعض جنازهم بشر كثير منهم عن يسمى بهارون أربعون ألفاً قاله أعلم. والمقصود أنهم قالوا: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسي اسمه هارون وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير؛ ولهذا قالوا:

﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا﴾ أي لست من بيت هنا شيمتهم ولا سجنيتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء.

فذكر ابن جرير في تاريخه [١٠٠/١، ١٠١] أنهم اتهموا بها زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف رداءه فنشروه فيها كما قدمنا (إبراهيم دمشق: ٥٤/١٩، ٥٥).

ومن المناققين من اتهمها بآبن خالها يوسف بن يعقوب التجار فلما ضاق الحال وانحصر الحال وامتنع المقال عظم التوكل على ذي الجلال ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال.

﴿فَأَنذَرْتُ إِلَيْهِ﴾ أي خاطبوه وكلموه فإن جوابكم عليه وما تبغون من الكلام لديه. فنعدنا قال من كان منهم جبلاً شقيفاً:

﴿كَفَيْتُ نَحْمَكُم مِّنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أي كيف تحيلنا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب وهو مع ذلك رضيع في مهله ولا يميز بين عصف وزبده وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتقص لنا والأجزاء إذ لا ترددين علينا قولاً نلقيا بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيّاً فنعدنا

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا فُتِّتَ حَيًّا﴾ هذا أول كلام نضوه به عيسى بن مريم فكان أول ما تكلم به أن ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية وأن الله ربه فتره جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم أنه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن أمته.

ثم برأ أمه عما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم كما قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ قَوْلُهُمْ عَلَىٰ مَرْتَمٍ مِّثْنًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٥٦)

وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنى في زمن الحيف لعنهم الله فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبياً مرسلأ أحد أولي العزم الخمسة الكبار ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله

الشجر يلقح غيرها».

وقال رسول الله ﷺ: «أطعموا نساءكم الوُثْدَ الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران».

وكذا رواه أبو يعلى في مسنده [٤٥٥] عن شيان بن فروخ عن مسروق بن سعيد.

وفي رواية مسرور بن سعد. والصحيح مسرور بن سعيد التميمي أورد له ابن عدي هذا الحديث عن الأوزاعي به، ثم قال: وهو منكر الحديث ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث.

وقال ابن حبان (في كتاب المروحين: ٤٤/٣) يروي عن الأوزاعي المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يروها.

وقوله: ﴿تَكَلَّمِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي﴾ له أي بلسان الحال والإشارة ﴿إِنِّي نَزَرْتُ لِالرُّحَّانِ صَوْمًا﴾ أي: صمتاً.

وكان من صومهم في شريعته ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن أسلم (هــ الطبري: ٧٤/١٦، ٧٥، ٧٦).

ويدل على ذلك قوله: ﴿فَلَنَ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فاما في شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُ بِهِ قَوْمَهَا تَحِيْلَهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا﴾ ذكر كثير من السلف عن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على حملتها والأنوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي امرأة عظيماً منكراً.

وفي هذا الذي قالوه نظر مع أنه كلام ينقض أوله آخره؛ وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملت بنفسها وأنت به قومه وهي تحمله.

قال ابن عباس: وذلك بعد ما تعالت من نفاسها بعد أربعين يوماً. والمقصود أنهم لما أروها تحمل معها ولدها ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ والغريبة هي الفعلية المتكررة العظيمة من الفعل والمقال.

ثم قالوا لها: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ قيل: شبهوها بعباد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة وكان اسمه هارون (هــ الطبري: ٧٧/١٦).

وقيل: شبهوها ببرجل فاجر في زمانهم اسمه هارون. قاله سعيد بن جبير.

وقيل: أرادوا بهارون أبا موسى شبهوها به في العبادة (هــ الطبري: ٧٨/١٦).

وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسباً فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا ينفى على أدنى من عنده من العلم ما يرد عن هذا القول الفظيخ، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون ضربت بالدف يوم لحا الله موسى وقومه وأغرق فرعون وملاؤه فاعتقد أن هذه هي هذه.

وهذا في غاية البطالان والمخالفة للحديث الصحيح (ع ٩٤٩)، م (٨٩٢) مع نص القرآن كما قرئناه في التفسير مطولاً ولله الحمد والمنة.

وقد ورد الحديث الصحيح (م ٢١٣٥) الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون وليس في ذكر قصة ولادتها وتغريز أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواها والله أعلم.

وحده لا شريك له ونزهه جنبه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا فُتِّ حَيًّا﴾ وهذه وظيفة المبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة والإحسان إلى الخليفة بالزكاة وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالمطية للمحاروج على اختلاف الأصناف وقرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات.

ثم قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي وجعلني برًّا بوالدي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتحض جهتها إذ لا والد له سواها فسبحان من خلق الخليفة وبرأها وأعطى كل نفس هذاها.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي لست بفظ ولا غليظ ولا يصدر مني قول ولا فعل يناق أمر الله وطاعة.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام.

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَخْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤-٣٥].

كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. إِذْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. إِنْ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِلِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨ - ٦٣].

ولهذا لما قدم وفد لمرحان وكانوا ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة: هم أشرفهم ورسالتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فانزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه.

فلما رأوا عينيها وأذنها نقصوا وامتنعوا عن المباحلة وعدلوا إلى المسألة والمراعاة وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم أنه ما لأحد قوم نبياً قط قبضي كبيرهم ولا بنت صغيرهم وإنها للاستصصال منكم ان علمتم فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسأله أن يقرب عليهم جزية وإن يبعث معهم رجلاً أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وسيأتي بسط هذه القضية في السيرة النبوية إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

والقصد أن الله تعالى بين أمر المسيح قال لرسوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَخْتَرُونَ﴾ يعني من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ولهذا قال:

﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي لا يعجزه شيء ولا يكرهه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم وإلههم وأن هذا هو الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ مُّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] أي فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه.

فمن قاتل من اليهود: إنه ولد زانية واستمروا على كفرهم وعنادهم. وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو الله.

وقال آخرون: هو ابن الله. وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه وهؤلاء هم التاجون المتباين المولدون المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ مُّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

قال البخاري [٣٤٣٥]: حدثنا صدقة بن الفضل أنبأنا الوليد حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هاني حدثني جندبة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

قال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير عن جندبة وزاد «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء».

وقد رواه مسلم [٢٨] عن داود بن رشيد عن الوليد عن جابر به. ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به.

٧٥- بيان أن الله تعالى مُنزَّهٌ عن الولد

قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِثًّا﴾ [مريم: ٨٨ - ٨٩] أي شيئاً عظيماً ومكراً من القول وزوراً ﴿كَذَّابُوا السَّمَاوَاتِ يَتَّقُونَ مِنْهُ وَتَشْتَرِي الْأَرْضَ وَتَجْعَلُ الْجِبَالَ حُدُودًا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْضَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٥].

فبين أنه تعالى لا ينبغي له الولد لأنه خالق كل شيء ومالكه وكل شيء فقير إليه، خاضع ذليل لديه وجميع سكان السماوات والأرض عبيده وهو ربهم لا إله إلا هو ولا رب سواه كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَنَبَاتٍ بِخَيْرٍ عَلِمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ. بَلِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الاسم: ١٠٠ - ١٠٣].

الذي يعبرون عنه بعله العلل والمبدأ الأول وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان ونفس وفلك ثم صدر عن الثاني كذلك حتى تناهت العقول إلى عشرة والنفس إلى تسعة والأفلاك إلى تسعة باعتبارات فاسدة ذكروها واختيارات باردة أوردوها ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر.

وهكذا طوائف من مشركي العرب زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله وأنه صاهر سروات الجن فتولد منهما الملائكة تعالى الله عما يقولون ونزهه عما يشركون كما قال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزمر: ١٩]

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ فَرَأَوْهُمُ التَّنَائِبُ لَهُمُ الْجَنُّ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثَاءً وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ لَدُنْهِمْ يَسْتَفْتُونَ. وَلَدَّ اللَّهُ وَأَنَّهُمْ لَكَايُونَ. أَصْطَفَى التَّنَائِبَ عَلَى الْعِلِيِّينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ. فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَاسًا. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الْجِنَّةَ إِنَّهُمْ لَهُمْ مُعَذِّبُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. [الصافات: ١٤٩ - ١٦٠]

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُوَ مِنَ خِصْيَتِهِ مُتَعَفِّفٌ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]

وقال تعالى في أول سورة الكهف وهي مكة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قِيمًا يُبَيِّنُ بَنَاسًا شَلِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. سَائِكِينَ فِيهِ أَبَدًا. وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنِهِمْ كِبَرٌ عَلَيْهِمْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. [الكهف: ١ - ١٥]

وقال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. قُلْ إِنْ لِلَّيْنِ يُقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُلْقِيهِمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠].

فهذه الآيات المكيات الكريكات تشمل الرد على سائر فرق الكفرة من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن لله ولداً سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً.

ولما كانت النصارى عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ذكروا في القرآن كثيراً للرد عليهم وبيان تناقضهم وقلة علمهم وكثرة جهلهم وقد تنوعت أقوالهم في كفرهم وذلك أن الباطل كثير الشعب والاختلاف والتناقض وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. [البقرة: ٨٢] فدل على أن الحق يتحد ويتفق والباطل يختلف ويضطرب.

فظائفة من ضلالم وجهلهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى.

وظائفة قالوا: هو ابن الله عز الله.

وظائفة قالوا: هو ثالث ثلاثة جل الله.

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ

فَإِنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَكَيْفَ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مَتَّاسِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا تَنْظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ فَلَا صَاحِبَةَ لَهُ فَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]

فتقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. ﴿الصَّمَدُ﴾ وهو السيد الذي كمل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي لم يوجد منه ولد.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي ولم يتولد عن شيء قبله.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي وليس له عدل ولا مكافئ ولا مساو فقطع النظير المدني والأعلى والمساوي فالتفتي أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقارنين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال تبارك وتعالى وتقدس: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْفَاً إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَنْ يَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [البقرة: ١٧١ - ١٧٣].

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين وهو مجاوزة الحد فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد فكان الواجب عليهم أن يعقدوا أنه عبد الله ورسوله وابن أمته العلواء البتول التي أحصنت فرجها فبعث الله الملك جبريل إليها ففضح فيها عن أمر الله فتخذه حلت منها بولدها عيسى عليه السلام والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم وهي خلوة من خلوقات الله تعالى كما يقال: بيت الله وناقة الله وعبد الله وكذا روح الله أضيفت إليه تشريفاً وتكريماً. وسُمي عيسى بها لأنه كان بها من غير أب وهي الكلمة أيضاً التي عنها خلق وبسببها وجد كما قال تعالى:

﴿وَإِنْ نَحْنُ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [البقرة: ٢١٣]

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُوَ مِنَ خِصْيَتِهِ مُتَعَفِّفٌ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَسَاءَ لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَن يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. [البقرة: ٣٠]

فانحبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقين ادعوا على الله شططاً وزعموا أن له ولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما اتفقوه إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة تشابهت قلوبهم وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود

[illegible]

إِبْنِ مَرْثَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. [الأنعام: ١٧٧]

فَاعْبِرْ تَعَالَى عَنْ كُفْرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَبَيْنَ أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَالْمَلِكُ. وَقَالَ فِي آوَاخِرِهَا:
وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْثَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْثَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ
وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَإِذْ قَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ
الْمَقْدُوسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَاسِرِينَ.
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ دَخَلْنَاهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِذْكُمْ عَلَيْهُنَّ غَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن
كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ دَخَلْنَاهَا أَوَّلًا مَا كَانُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ
وَرُفْقًا قَلِيلًا إِنَّا خَائِفُوا فَأَعَادُوا. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَتْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي
فَافِرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهِونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. وَأَتَتْ عَلَيْهِمُ نَارُ اللَّهِ بِآيَاتِهَا
بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبُوا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحْسَنِهَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَا تَأْتِكُ
قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ بَنِيكَ لِيَتَّقِيَ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
بِيَدِي إِلَيْكَ لَا تَأْتِكُ إِنِّي أَخَافُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُنِيَ بِإِذْنِي
وَالْحَقِّ فَتَكُونَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ
لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَادِي سَوْدَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
الْغُرَابِ فَأُوَادِيَ سَوْدَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى
بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثَّرْنَا مُنْهُمُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لِنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سُلُوكَهُمْ
وَلِنَعْلَمَ أَوْ يُتَّقِلُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقُولُوا أَزْ
يُصَلُّونَ أَوْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَيُؤَدِّبُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقُولُوا أَزْ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي النَّارِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَاتَّقُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَنُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا تَقَبَّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
بَخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ. وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً
بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ
فَإِنَّ اللَّهَ يُتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ لَهُ أَلَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَتَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ. يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا
أَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ

والعظام التي توجب النار فقال:

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول ﴿وَأُمُّهُ صَبِيحَةٌ﴾ أي ليست بفاجرة كما يقوله اليهود لعلمهم الله.

وفيه دليل على أنها ليست بنبية كما زعمه طائفة من علمائنا.

وقوله: ﴿كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ كناية عن خروجه منها كما يخرج من غيرها أي ومن كان بهذه الثابة كيف يكون إلهاً تعالى الله عن قولهم وجهلهم علواً كبيراً.

وقال السدي وغيره (هــو الطوسي: ٣١٤/٦): المراد بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ﴾ زعمهم في عيسى وأمه أنها إلهان مع الله، يعني كما بين تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا كُنْتُ فِيهِمْ فُلماً تَوْفِيقِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّحِيمُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِيبَاكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾. (الأنعام: ١١٦ - ١١٨)

يجزى تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه عن كذب عليه وإفترى وزعم أنه ابن الله أو أنه الله أو أنه شريك تعالى الله عما يقولون فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي تعاليت أن يكون معك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي ليس هذا يستحقه أحد

سواك

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ حين أرسلتني إليهم وانزلت علي الكتاب الذي كان ينزل عليهم.

ثم فسر ما قال لهم بقوله: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي خالقي وخالقكم ورازقي ورازكهم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا كُنْتُ فِيهِمْ فُلماً تَوْفِيقِي﴾ أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلي فرحمتني وخلصتني منهم والقيت شهادتي علي أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك: ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّحِيمُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

ثم قال علي وجه التوفيق إلى الرب عز وجل والتبري من أهل النصرانية ﴿إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِيبَاكَ﴾ أي وهم يستحقون ذلك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾.

وهذا التوفيق والإسناد إلى المشيئة بالشر لا يقتضي وقوع ذلك ولهذا قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾ ولم يقل: الغفور الرحيم.

وقد ذكرنا في التفسير ما رواه الإمام أحمد (١٤٩/٥) عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح ﴿إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِيبَاكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾

وقال: «إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فاعطانيها وهي نافذة

وَالْأَجَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُغِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبَدِّلُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أَُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالَّذِينَ يَبْتِغِيهِمُ الْعَذَابُ وَالْبَعْضُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُضِلِّينَ. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سُبْحَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَا فِيهِمْ الْجَنَّةَ النَّارِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ. يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أَُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أَُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَثِيراً وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ. وَحَسِبُوا أَلَّا يَكُونَ لَهُمْ جَزَاءٌ بِمَا وَصَّوْا أَنْ تَأْتِيَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَمَوْا وَصَمُّوا كَثِيراً مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَبِيحَةٌ كَمَا يَكْلَأُنَ الطَّعَامَ نَنْظُرُ كَيْفَ يُنْفِخُنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ نَنْظُرُ أَنَّي يُؤْفَكُونَ﴾. (الأنعام: ٧٢ - ٧٥)

حكم تعالى بكفرهم شرعاً وقدرأ فاحشاً أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم هو عيسى بن مريم قد بين لهم أنه عبد مروب مخلوق مصور في الرحم دافع إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار وعدم الفوز بدار القرار والجزى في الدار الآخرة والموان والعار ولهذا قال:

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
ثم قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

قال ابن جرير (هــو: ٣١٣/٦) وغيره: المراد بذلك قولهم بالآقانيم الثلاثة: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملكية والعقوبة والسطورية عليهم لعائن الله كما سنين كيفية اختلافهم في ذلك وبجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطنس وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة ولهذا قال تعالى:

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي وما من إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا كنه له ولا صاحبة له ولا ولد ثم توعدهم وتهددهم فقال:

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
ثم دعاهم برحمته وطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار

الأصنام يومئذ في مشارق الأرض ومغاربها وإن الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم إبليس الكبير أمر عيسى فوجده في حجر أمه والملائكة محدة به وأنه ظهر نجم عظيم في السماء وأن ملك القفرس أشفق من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا: هذا مولود عظيم في الأرض فبعث رسله ومعهم ذهب ورم ولبان هدية إلى عيسى.

فلما قدموا الشام سالم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى بن مريم بيت المقدس واشتهر أمره بسبب كلامه في المهدي فارسلهم إليه بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه.

فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ورجعوا قبل لها: إن رسل ملك الشام إنما جاؤوا ليقتلوا ولدك.

فاحتلمته فذهبت به إلى مصر فأقامت بها حتى بلغ عمره اثني عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره. فذكر منها:

أن الدقان الذي نزلوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمخاويج فلم يدر من أخذه وعز ذلك على مريم عليها السلام وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعيامهم أمرها فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه فقال للأعمى: احمل هذا المقعد وانهض به فقال: إني لا أستطيع ذلك فقال: بلى كما فعلت أنت وهو حين أخذنا هذا المال من تلك الكوة من الدار. فلما قال ذلك صدقه فيما قال وأتيا بالمال فعظم عيسى في أعين الناس وهو صغير جداً.

ومن ذلك أن ابن الدقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شراباً يعني خراً كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جواره شيئاً فشق ذلك عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويمر يده على أفواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلات شراباً من خيار الشراب. فتعجب الناس من ذلك جداً وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالا جزيلاً فلم يقبله وارغماً قاصدين بيت المقدس والله أعلم.

وقال إسحاق بن بشر: أنبأ عثمان بن ساج وغيره عن موسى بن وردان عن أبي نصره عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال:

إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فمجد الله تمجيداً لم تسمع الأذان بمثله لم يذع شمساً ولا قمرأ ولا جبلاً ولا نهراً ولا عيناً إلا ذكره في تمجيده فقال: (اللهم أنت القريب في علوك المتعال في دنوك الرفيع على كل شيء من خلقك. أنت الذي خلقت سبعاً في الهواء بكلماتك مستويات طباقاً أجيون وهن دخان من فرق فأتين طلائعاً لأمرك فيهن ملائكتك يسبحون فسلمك لتقديسك وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد فبعتك يجلو ضوء ظلمتك وجعلت فيهن مصابيح يهتدي بهن في الظلمات الجيران فتباركت اللهم في مظهر سمواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار المرح الغامر فأذللتها لإذلال الماء المتظاهر المتظاهر فقتل لطاعتك صعبها واستحى لأمرك أمرها وخضعت لعزتك أمواجها ففجرت فيها بعد البحور الأنهار ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الفزار. ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والشمار ثم جعلت على ظهرها الجبال فودنتها أرتاداً على ظهر الماء فاطسعت أطوارها وجلمودها

إن شاء الله لن لا يشرك بالله شيئاً

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَاعِلِينَ. بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَلْمُكُمْ فَإِذَا هُوَ ذَاهِبٌ وَرُكُمُ الْوَيْلِ مِمَّا تَصِفُونَ. وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنعام: ١٦ - ٢٠]

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥ - ١٥]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ. سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزمر: ٨١ - ٨٢]

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبِيرًا﴾ [الأنعام: ١٠١]

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُفُوءًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]

وثبت في الصحيح [ج (٤٩٧٤)، (٤٩٧٥)] عن رسول الله ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: شمتني ابن آدم ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد

وفي الصحيح [ج (٦٠٩٩)، (٧٣٧٨)، م (٢٨٠٤)] أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يزيههم ويعاقبهم

ولكن ثبت في الصحيح [ج (٤٦٨٦)، م (٢٥٨٣)] أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكُلُّكُمُ أَخَذَ مِنْهُ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَلِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَكَايَ سَنَ قَرِيبَةٍ أَتَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]

وقال تعالى: ﴿نُفِثَتْهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضَتْهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [الهمان: ٢٤]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ لَا يَفْلَحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُلْقِيهِمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠]

وقال تعالى: ﴿فَتَمَلَّكُ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُمُ رُتْدًا﴾ [الطلاق: ١٧]

٧٦- نشأة عيسى وبدء الوحي

قد تقدم أنه ولد بيت لحم قريباً من بيت المقدس [س (٤٤٩)] عن انس مرفوعاً.

وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وإن مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب التجار وهي راكبة على حمار ليس بينها وبين الإكاف شيء. وهذا لا يصح.

والحديث الذي تقدم ذكره [س (٤٤٩)] عن انس مرفوعاً دليل على أن مولده كان بيت لحم كما ذكرنا ومهما عارضه فباطل.

وذكر وهب بن منبه [البرق الطوي: ٥٩٤/١ - ٥٩٨]: أنه لما ولد خرت

المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يُقَرُّ عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عين الله معين وهو الجاري السارج على وجه الأرض.

فقيل: المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو عملة بيت المقدس ولهذا «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكُ سَرِينًا» [مریم: ٢٤] وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف.

وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق.

وقيل: ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم وآله أعلم.

وقيل: هي الرملة.

وقال إسحاق بن بشر: قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال: إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا.

قال: تقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقلوبهم وفزعوا لما كان يأتي من العجائب فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.

٧٧- نزول الإنجيل على عيسى عليه السلام

قال أبو زهرة الدمشقي: حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن حدثه قال: أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان

ونزل الزبور على داود في اثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وذلك بعد التوراة بالرعاة سنة واثنين وثمانين سنة.

وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم في ثمانين ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما

وأنزل الفرقان على محمد ﷺ في أربع وعشرين من شهر رمضان. وقد ذكرنا في التفسير عند قوله: «شَهْرُ رَجَبٍ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥] الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثمانين ليلة خلت من شهر رمضان.

وذكر ابن جرير في تاريخه [٥٩٨/١]: أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال إسحاق بن بشر: وأبنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم: يا عيسى جئ في أمري ولا تكن واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول أنك من غير فعل وأنا خلقتك آية للعالمين إياي فاعبد وعلي فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لأهل السريانية بلغ من بين يديك إنسي أنا الحق الحي القائم الذي لا أزل صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج - وهي العمامة - والمدرة والتعلين والحرارة - هي القضيبي - الأنجل العتيق الصلت الجين الواضح الخلد الجعد الرأس الكت اللحية المقرون الحاجين الأفي الألف الملقح الشايب البادي العنفة

تباركت اللهم فمن يبلغ بنعتي نعتك؟ أم يبلغ بصفته صفتك؟

تنشر السحاب وتلك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين لا إله إلا أنت سبحانه أمرت أن نستغفرك من كل ذنب لا إله إلا أنت سبحانه سترت السماوات عن الناس لا إله إلا أنت سبحانه إنما يخشاك من عبادة الأكياس نشهد أنك لست بإله استحدثناك ولا رب يبيد ذكره ولا كان معك شركاء يقضون معك فندعوه وننرك ولا أعانك على خلقنا أحد فتشك فيك نشهد أنك أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد

وقال إسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس: إن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم أطلقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان فآثر اليهود فيه وفي أمه من القول وكانوا يسمونه ابن البقية وذلك قوله تعالى: «وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» [النساء: ١٥٦]

قال: فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم شيئا إلا يدره إليه فعله أبا جاد فقال عيسى: ما أبو جاد؟ فقال المعلم: لا أدري فقال عيسى: كيف تعلمني ما لا تدري؟ فقال المعلم: إننا فعلنا فقال له عيسى: قم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه فقال: سلني فقال المعلم: ما أبو جاد؟ فقال عيسى: الألف آلاء الله، والباء بهاء الله واليمين بهجة الله وجهاله. فعجب المعلم من ذلك فكان أول من سر أبا جاد.

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فأجابه على كل كلمة كلمة بحديث طويل موضوع لا يُشكُّ فيه ولا يُنْكَرُ.

وهكذا روى ابن عدي [الكامل: ٢٩٩/١] من حديث إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود وعن يسير بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به.

ثم قال ابن عدي: وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد لم يرويه غير إسماعيل.

وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال: كان عبد الله بن عمرو يقول: وكان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبات لك أمك؟ فيقول: نعم فيقول: خبات لك كنا وكنا فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها: اطعيني ما خبات لي فتقول: وأي شيء خبات لك؟ فيقول: كنا وكنا فتقول له: من أخبرك؟ فيقول: عيسى بن مريم فقالوا: والله لئن تركهم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليمسكهم. فجمعهم في بيت وأغلقت عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا: إنما هؤلاء قررة وخنازير فقال: اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه بن عساکر.

وقال إسحاق بن بشر عن جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: وكان عيسى يُري العجائب في صباه إلهاماً من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر فلذلك قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» [المؤمن: ٥٠]

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الرواية التي ذكر الله من صفاتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهي أنها ربوة وهو

ينفع أهل ولا مال وإكل عيناك بثلثون الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذلك صابراً محتسباً وطوبى لك إن نالك ما وعدت الصابرين رج من الدنيا بالله يوماً يوم وفق مذاقه ما قد هرب منك أين طعمه وما لم يأتك كيف لذته فَرَجَ من الدنيا بالبلغة وليكفك منها الحشن الجشيب، قد رأيت إلى ما تصير أعمل على حساب فإنك مسؤول لو رأت عيناك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك.

وقال أبو داود في كتاب القدر: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن ابن طاووس عن أبيه قال: لقي عيسى بن مريم إيليس فقال: أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك؟ قال إيليس: فارق بذروة هذا الجبل فترُد منه فانظر هل تعيش أم لا؟ فقال ابن طاووس عن أبيه: فقال عيسى: أما علمت أن الله قال: «لا يجزي عبيدي فاني أفعل ما شئت».

وقال الزهري: إن العبد لا يتلي ربه ولكن الله يتلي عبده.

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن عبد الله أنبأنا سفيان عن عمرو عن طاووس قال: أتى الشيطان عيسى بن مريم فقال: اليس تزعم أنك صادق فأت هذه فأتك نفسك قال: ويليك اليس قال «يا ابن آدم لا تسألني هلاك نفسك فاني أفعل ما أشاء».

وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا حسين بن طلحة سمعت خالد بن يزيد قال: تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو ستين أقام يوماً على شفير جبل فقال الشيطان: «أرايت إن ألقيت نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي؟ قال: إني لست بالذي ابتلي ربي ولكن ربي إذا شاء ابتلائني» وعرف أنه الشيطان فقارقه.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا سُرَيْج بن يونس حدثنا علي بن ثابت عن الخطاب ابن القاسم عن أبي عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه بليس فقال: أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال: نعم قال: ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر عليّ فقال: يا لعين الله يجتبر العباد وليس العباد يجتبرون الله عز وجل.

وقال أيضاً: حدثنا الفضل بن موسى البصري حدثنا إبراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول: لقي عيسى بن مريم إيليس فقال له إيليس: يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صياً. ولم تكلم فيه أحد قبلك قال: بل الربوبية للإله الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحييني قال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك نحي الموتى قال: بل الربوبية لله الذي يحيي ويميت من أحببت ثم يميت قال: والله إنك لإله في السماء وإله في الأرض قال: فصكه جبريل صكة بجناحيه فما تناها دون قرون الشمس ثم صكه أخرى بجناحيه فما تناها دون العين الحامية ثم صكه أخرى فأدخله بحار السابعة فأساخه. وفي رواية فأسلكه فيها حتى وجد طعم الحماة فخرج منها وهو يقول: ما لقي أحد من أحد ما لقيت منك يا ابن مريم.

وقد رُوي نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر:

فقال الحافظ أبو بكر الخطيب: أخبرني أبو الحسن بن رزقويه أنبأنا أبو بكر أحمد بن سندي حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار أنبأنا علي بن عاصم حدثني أبو سلمة سويد عن بعض أصحابه قال: صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العتبة عرض له إيليس فاحتبه فجعل يعرض عليه ويكلمه ويقول له: إنه لا ينبغي لك أن تكون عبداً فأكثر عليه وجعل عيسى يحرص على

الذي كان عقه إبريق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سترته تجري كالفضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شثن الكف والقدم إذا التفت التفت جميعاً وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفع منه ولم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القائمة الطيب الريح تكاح النساء ذا النسل القليل إنما نسله من مباركة لها بيت يعني في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب يُكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة لأحد من البشر. كلامه القرآن ودينه الإسلام وأنا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه. قال عيسى: يا رب وما طوبى؟ قال: غرس شجرة أنا غرسها بيدي فهي للجنة كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم ويردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبداً.

قال عيسى: يا رب اسقني منها قال: «حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى تشرب منها أمة ذلك النبي».

قال: يا عيسى أوفعك لي؟ قال: رب ولم ترفعني؟ قال: أرفعك ثم أهبك في آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبي العجائب ولتعيهم على قتال اللعين الدجال أهبك في وقت صلاة ثم لا تصلي بهم لأنها مرحومة ولا نبي بعد نبهم.

وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه: أن عيسى قال: يا رب أنبئي عن هذه الأمة المرحومة قال: أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم بالسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله.

يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذلل السن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم.

رواه ابن عساکر

وروي ابن عساکر من طريق عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن عوسجة قال: أوحى الله إلى عيسى ابن مريم: أنزلي من نفسك كهكهم واجعلي ذخراً لك في معادك وتقرب لي بالنوافل أحبك ولا تولد غيري فأخذك اصبر على البلاء وأرض بالقضاء وكن لمسرتي فك فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى وكن مني قريباً وأحيي ذكري بلسانك ولكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة وكن لي راعياً راعياً وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرتي وأظم نهارك ليوهم الري عندي ناس في الخيرات جهلك وأعرف بالخير حيث توجهت وقم في الخلائق بنصحي واحكم في عبادي بعلمي فقد أنزلت عليك شفاه وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الألباس من غشاء الكلال ولا تكن خليساً كأنك مقبوض وأنت حي تنفس.

يا عيسى بن مريم ما أنت بي خليفة إلا خشعت ولا خشعت لي إلا رجت ثوابي فأشهدك أنها أمة من عقابي ما لم تغتر أو تبدل ستي.

يا عيسى بن مريم البكر البتول أباك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلا الدنيا وترك اللذات لأهلها وارقت رغبته فيما عند الله وكن في ذلك تالين الكلام وتقشسي السلام وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار حذار ما هو أت من أمر المعاد وزلازل شدائد الأهوال قبل أن لا

الكرامة وقضيت يوم خلقت السماوات والأرض أنه من اتخذك وأمك
إلحين من دون الله أن أجعلهم في الدرك الأسفل من النار وقضيت يوم
خلقت السماوات والأرض أنني مثبت هذا الأمر على يدي عبيدي محمد
وأختم به الأنبياء والرسل ومولده بمكة ومهاجره بطنية وملكه بالشام ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
بالخنا أسدده لكل أمر جليل وأهب له كل خلق كريم أجعل التقوى ضميره
والحكمة معقوله والرفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والإسلام
ملكه اسمه أحمد أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأغنى به بعد
العائلة وأرفع به بعد الضيعة أهدى به وافتتح به بين آذان صم وقلوب
غلف وأهواء مختلفة متفرقة أجعل أمته خير أمة أخرجت للناس تأمر
بالمعروف وينهون عن المنكر إخلاصاً لاسمي وتصديقاً لما جاء به الرسل
أفهمهم التسييح والتقييس والتهيل في مساجدهم ومجالسهم ويوتنهم
ومثلبهم ومثراهم يصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجداً ويقفون في
سبيلي صفوفاً وزخوفاً قرباتهم دواهم وأناجيلهم في صدورهم وقرباتهم
في بطونهم رهبان بالليل ليوث في النهار ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو
الفضل العظيم.

وستذكر ما يصدق كثيراً من هذا السياق عما سنورده من سورتي المائدة
والصف إن شاء الله وبه الثقة.

وقد روى أبو حنيفة إسحاق بن بشر بأسانيده عن كعب الأحبار
ووهب بن منبه وابن عباس وسلمان الفارسي دخل حديث بعضهم في
بعض.

قالوا: لما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل الكافرون
والمنافقون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به فيقولون: ما أكل
فلان الباردة وما ادخر في بيته؟ فيخبرهم فيزداد المؤمنون إيماناً والكافرون
والمنافقون شكاً وكفراناً. وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوي إليه إنما
يسبح في الأرض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان أول ما أحيا من
الموتى أنه مر ذات يوم على امرأة قاعلة عند قبر وهي تبكي فقال لها:
مالك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها، وإني
عاهدت ربي أن لا أبرح من موضعي هذا حتى أخوق ما ذاق من الموت
أو يحييها الله لي فأنظر إليها فقال لها عيسى: أرايت إن نظرت إليها أراجعة
أنت؟ قالت: نعم قالوا: فصلي ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فتأدى:
يا فلانة قومي ياذن الرحمن فأخرجني قال: فتحرك القبر ثم نادى الثانية
فاتصدع القبر ياذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض رأسها من
التراب فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عني؟ فقالت: لما جاءني الصيحة
الأولى بعث الله لي ملكاً فركب خلقي ثم جاءني الصيحة الثانية فرجع إلي
روحي ثم جاءني الصيحة الثالثة فنفخت أنها صيحة القيامة فشاب رأسي
وحاجبني وأشقر عيني من غافة القيامة ثم أقبلت على أمها فقالت: يا أمه
ما حلك على أن أخوق كرب الموت مرتين؟ يا أمه اصبري واحتسبي فلا
حاجة لي في الدنيا يا روح الله وكلمته سل ربي أن يرندني إلى الآخرة وأن
يهون علي كرب الموت فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض فبلغ
ذلك اليهود فازدادوا عليه غضباً

وقدما في عقيب قصة نوح أن بني إسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام بن
نوح فدعا الله عز وجل وصلى له، فأحياه الله لهم فحدثهم عن السفينة
وأمرها ثم دعا فعاد تراباً (هــسـر الطوري: ١٢/٣٥).

وقد روى السدي عن أبي صالح وإبي مالك عن ابن عباس في خبر

أن يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما يقول: لا ينبغي لك يا
عيسى أن تكون عبداً قال: فاستغاث عيسى بربه فأقبل جبريل وميكائيل
فلما رأهما إلياس كف فلما استغاثا معه على العقبة اكتفا عيسى وضرب
جبريل إلياس بمجناحه فقلقه في بطن الوادي قال: فعاد إلياس معه وعلم
أنهما لم يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى: قد أخبرت أنك لا ينبغي أن تكون
عبداً لم يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى: قد رأيت مالميت منك حين غضبت
ولكن ادعوك إلى أمر هو لك أمر الشياطين فليطيعوك فإذا رأى البشر أن
الشياطين أطاعوك عبدوك أما إنني لا أقول أن تكون إلها ليس معي إله
ولكن الله يكون إلها في السماء وتكون أنت إلها في الأرض.

فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فلما
إسرائيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف إلياس فلما استغر معهم
ضرب إسرائيل إلياس بمجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة
أخرى فأقبل إلياس يهوي ومر عيسى وهو بمكانه فقال: يا عيسى لقد
لقيت فيك اليوم تعباً شديداً فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك
عند العين الحامية قال: فغطوه فجعل كلما صرخ غطوه في تلك الحماة
قال: والله ما عاد إليه بعد.

قال: وحدثنا إسماعيل الططار حدثنا أبو حنيفة قال: واجتمع إليه
شياطينه فقالوا: سيدنا قد لقيت تعباً قال: إن هذا عبد معصوم ليس لي
عليه من سبيل وسأضرب بشراً كثيراً وأبش فيهم أهواء مختلفة وأجعلهم
شيئاً ويجعلونه وأمه إلحين من دون الله.

قال: وإنزل الله فيما أهد به عيسى وعصمه من إلياس قرآناً ناطقاً يذكر
نعمته على عيسى فقال:

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الْوَلَدِ إِنَّكَ إِذْ تُدْعَى بِرُوحِ
الْقُدُسِ ۝ ١١٠﴾ يعني إذ قربتك بروح القدس يعني جبريل
﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۝ وَإِذْ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ۝ ١١٠﴾ الآية وإذ جعلت
السالكين لك بطانة وصحابة وأعانوا ترضي بهم وصحابة وأعانوا يرضون
بك هادياً وقائلاً إلى الجنة فلذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد
لقيني بأزكى الخلائق وأرضاهما عندي وسيقول كل بنو إسرائيل: صمنا فلم
يقبل صيامتنا وصلينا فلم يقبل صلاتنا وتصدقنا فلم يقبل صدقاتنا ويكينا
بمثل حين الجمال فلم يرحم بكاءنا فقل لهم: ولم ذلك وما الذي ينبغي؟ أن
ذات يدي قلت؟

أو ليس خزان السماوات والأرض بيدي أنفق منها كيف أشاء أو أن
البخل يعتريني أو لست أجود من سئل وأوسع من أعطى أو أن رحمتي
ضاعت؟ وإنما يتراحم المتراحون بفضل رحمتي.

ولولا أن هؤلاء القوم يا عيسى بن مريم عدلوا أنفسهم بالحكمة التي
تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا آثرة على الآخرة لعرفوا من أين أتوا
وإذا أيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم وكيف أقبل صيامتهم وهم
يتقنون عليه بالأطعمة الحرام وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى
الذين يحاربوني ويستحلون محارمي؟! وكيف أقبل صدقاتهم وهم ينصبون
الناس عليها فيأخذونها من غير حلها؟!!

يا عيسى إنما أجزي عليها أهلها وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر
من دماء الأنبياء ازددت عليهم غضباً.

يا عيسى وقضيت يوم خلقت السماوات والأرض أنه من عيني وقال
فيكما بقولي أن أجعلهم جيرانك في النار ورفقاءك في المنازل وشركاءك في

أو حصي فقال: إلهما أحلى في قلوبكم؟ قالوا: هذا الذهب قال: فإنهما عندي سواء.

وقدنا في قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف: أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئاً لخدمته.

قال بعضهم: كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساکر عن الشعبي أنه قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت.

وعن عبد الملك بن سعيد بن أنجر أن عيسى كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ النكلى.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر حدثنا جعفر بن برقان: أن عيسى كان يقول: "اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتها بعملتي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تؤذي صديقي ولا تجعل مصيبتني في ديني ولا تسلط علي من لا يرحمني".

وقال الفضيل بن عياض عن يونس بن عبيد: كان عيسى يقول: «لا يصيب أحد حقيقة الإيمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا».

قال الفضيل: وكان عيسى يقول: «فكرت في الخلق فوجدت من لم يُخلق أغبط عندي من خلقي».

وقال إسحاق بن بشر عن هشام ابن حسان عن الحسن قال: «إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة».

قال: وإن الفرائين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى.

قال: «وبينا عيسى يوماً نائم على حجر قد توسده وقد وجد لذة النوم إذ مر به إبليس فقال: يا عيسى ألست تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا! فقام عيسى فقال: فأخذ الحجر فرمى به إليه وقال: هذا لك مع الدنيا».

وقال معتمر بن سليمان: «خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان حافيا باكيا شعنا مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها بإذن الله ولا عجب ولا فخر أتدرون أين بقي؟ قالوا: أين بيثك يا روح الله؟ قال: بقي المساجد وطبي الماء وإدامي الجوع وسراجي القمر بالليل وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وريحاتي بقول الأرض ولباسي الصوف وشعاري خوف رب العزة وجلسائي الزمنى والمساكين أصبح وليس لي شيء وأمسي وليس لي شيء وأنا طيب النفس غني مكتره فمن أغنى مني وأريح». رواه ابن عساکر.

وروى في ترجمة محمد بن الوليد بن أبان بن حبان أبي الحسن العقيلي المصري حدثنا هاني بن المتوكل الإسكندراني عن حبة بن شريح حدثني الوليد بن أبي الوليد عن شفي بن مائع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل من مكان إلى مكان لتلا تعرف فتؤذي فوعزتي وجلالي لأزوجك ألف حوراء ولأولن عليك أربعمائة عام».

وهذا حديث غريب رفعه، وقد يكون موقوفاً من رواية شفي بن مائع عن كعب الأحبار أو غيره من الإسرائيليين والله أعلم.

وقال عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب

الأغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ومسح الذين تكلموا في ذلك خنازير.

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير (في هـ: ١٣٤/٧) جميعاً: حدثنا الحسن بن قرة الباهلي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: «نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يثمنوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لعد فخانوا وادخروا ورفعوا ففسخوا قرعة وخنازير».

ثم رواه ابن جرير (هـ: ١٣٤/٧) عن بنار عن ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن خلاص عن عمار موقوفاً وهذا أصح.

وكذا رواه (هـ: ١٣٤/٧) من طريق سماك عن رجل من بني عجل عن عمار موقوفاً وهو الصواب والله أعلم.

وخلاص عن عمار منقطع فلو صح هذا الحديث مرفوعاً لكان فيصلاً في هذه القصة فإن العلماء اختلفوا في المائدة هل نزلت أم لا:

فالمجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن وأسيا قوله: «إني مَرَّلُهَا عَلَيْكُمْ» كما قرره ابن جرير والله أعلم.

وقد روى ابن جرير (هـ: ١٣٥/٧) بإسناد صحيح إلى عمار وإلى الحسن بن أبي الحسن البصري أنهما قالوا: لم تنزل وإنهم أبروا نزولها حين قال: «فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ بِكُمْ فَإِنِّي أَغْلِبُهُ عَذَاباً لَا أَغْلِبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ».

ولهذا قيل: إن النصارى لا يعرفون خبر المائدة وليس مذكوراً في كتابهم مع أن خبرها مما يتوفر الدواعي على نقله والله أعلم. وقد نقصنا الكلام على ذلك في التفسير فليكتب من هناك. ومن أراد مراجعته فليظره من ثم ولله الحمد والمنة.

٧٩- من أقوال عيسى عليه السلام وأفعاله

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا رجل سقط اسمه حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو هلال محمد ابن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال: فقد الحواريون نبهم عيسى قليل لم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء يرفعه الموج مرة يضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه وموثر بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم - قال أبو هلال ظننت أنه من أفاضلهم - ألا أجيء إليك يا نبي الله؟ قال: بلى قال: فوضع إحدى رجليه على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال: أوه غرقت يائي الله! فقال: أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء.

ورواه أبو سعيد بن الأعرابي عن إبراهيم بن أبي الجحيم عن سليمان بن حرب عن أبي هلال عن بكر بنحوه.

ثم قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن الحسن ابن شقيق حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض قال: قيل لعيسى ابن مريم: يا عيسى بأي شيء تمشي على الماء؟ قال: بالإيمان واليقين. قالوا: فإننا آتينا كما آمنا وأيقنا كما أيقنت قال: فامشوا إذا.

قال: فمشوا معه في الموج فغرقوا فقال لهم عيسى: مالكم؟ فقالوا: خننا الموج قال: ألا خنتم رب الموج؟ قال: فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر

قال: قال عيسى للمحاريين: «كما ترك لكم الملوك الحكمة كذلك فاتركوا لهم الدنيا».

وقال قتادة: قال عيسى عليه السلام: «سلوني فإني لئن لقيت القلب وإنني صغير عند نفسي».

وقال إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال عيسى للمحاريين: «كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين لحق ما أقول لكم: إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وإن عباد الله ليسوا بالمتنعين لحق ما أقول لكم: إن شركم عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله».

وروي نحوه عن أبي هريرة.

وقال أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول: «يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ولياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره».

وقال ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال: كان عيسى يقول: «اعبروا الدنيا ولا تمعروها».

وكان يقول: «حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزور في القلب الشهوة».

وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد «وبس شهوة أوردت أهلها حزناً طويلاً».

وعن عيسى عليه السلام: «يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيقاً واتخذ المساجد بيتاً وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التذكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة».

وعنه عليه السلام أنه قال: كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً».

وفي هذا يقول سابق البربري:

لكم بيوت بمستن السيل وقيل يقي على الماء بيت أشه سنو

وقال سفيان الثوري: قال عيسى بن مريم: «لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء».

وقال إبراهيم الحري عن داود بن رشيد عن أبي عبد الله الصوفي قال: قال عيسى: «طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله».

وعن عيسى عليه السلام: «إن الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيته مع الهوى واستمكانه عند الشهوات».

وقال الأعمش عن خيمشة: كان عيسى يصنع الطعام لأصحابه ويقوم عليهم ويقول: «هكذا فاصنعوا بالقرى».

وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام: طوبى لحجر حملك ولشدي أرضحك. فقال: «طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبه».

وعنه «طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه يته».

وعنه «طوبى لمن نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية واتبتهت إلى غير إثم».

وعن مالك بن دينار قال: مر عيسى وأصحابه بجيفة فقالوا: ما أنت رجيحاً فقال: «ما أبيض أسنانها» لينهاهم عن الغيبة.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا رحمه الله (٤٤٩): حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن زكريا بن عدي قال: قال عيسى بن مريم: يا معشر المحاريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع

سلامة الدنيا.

قال زكريا رحمه الله (٤٥٠): وفي ذلك يقول الشاعر:

أرى رجلاً بأبني الدين قد قيسوا ولا أراهم رُصوا في العيشي بالثون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بئسائهم عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك: قال قال عيسى بن مريم عليه السلام: لا تكتروا الحديث بغير ذكر الله فتفسر قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرواب وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجLAN معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

وقال الثوري: سمعت أبي يقول عن إبراهيم التيمي قال: قال عيسى لأصحابه: «يحق أقول لكم: من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير».

وقال مالك بن دينار: قال عيسى: إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

وقال عبد الله بن المبارك: أتينا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم انظروا إلى هذه الطير تنغو وتروح لا تحترق ولا تحصد والله يرزقها فإن قلتم: نحن أعظم بطوناً من الطير فانظروا إلى هذه الأبقار من الوحوش والحمر فإنها تنغو وتروح لا تحترق ولا تحصد والله يرزقها.

وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الله عن يزيد ابن مسيرة قال: قال الحواريون للمسيح: يا مسيح الله انظر إلى مسجد الله ما أحسنه قال: آمين آمين بحق أقول لكم: لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الأحجار التي تحججكم شيئاً إن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الأرض وبها يخرّب الله الأرض إذا كانت على غير ذلك.

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عسّار في تاريخه: أخبرنا أبو منصور أحمد

بن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن ابن إبراهيم الوركانية قالت:

حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الميثم إملاء حدثنا الوليد بن إبان إملاء حدثنا أحمد بن جعفر الرازي حدثنا سهل بن إبراهيم

الخطلي حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتمر عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مر عيسى عليه السلام على مدينة

خربة فأمجبه البنيان فقال: أي رب مر هذه المدينة أن تحيي؟ فأوحى الله إلى المدينة أيتها المدينة الخربة جاوبي عيسى قال: فنادت المدينة عيسى حيي

وما تريد مني؟ قال: ما فعل أشجارك؟ وما فعل أنهارك؟ وما فعل قصورك؟ وأين سكانك؟ قالت: حيي جاء وعد ربك الحق فيست

أشجاري ونشفت أنهاري وخربت قصوري ومات سكاني. قال: فآين أموالهم؟ فقالت: جمعوا من الخلال والحرام موضوعة في بطني. لله ميراث

السموات والأرض. قال: فنادى عيسى عليه السلام: فعبت من ثلاث أناس: طالب الدنيا والموت يطلبه وباني القصور والقبر منزله ومن يضحك

ملى فيه والنار أمامه ابن آدم لا بالكثير تشيع ولا بالقليل تقنع تجمع مالك لمن لا يملكه وتقدم على رب لا يعزرك وإنما أنت عبد بطنك وشهوتك

وإنما غلام بطنك إذا دخلت قبرك وأنت يا ابن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك».

هذا حديث غريب جداً وفيه موعظة حسنة فكتبته لذلك.

وقال سفيان الثوري عن أبيه عن إبراهيم التيمي قال: قال عيسى عليه السلام: «يا معشر الخواريين اجعلوا كنوزكم في السماء فإن قلب الرجل حيث كنزه».

وقال ثور بن يزيد عن عبد العزيز بن زبيلان قال قال عيسى بن مريم: «من تعلم وعلم وعمل دعي عظيما في ملكوت السماء».

وقال أبو كريب: روي أن عيسى عليه السلام قال: لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي.

وروي ابن عساكر بإسناد غريب عن ابن عباس مرفوعاً «أن عيسى قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الخواريين لا تحذثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله عز وجل».

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن رجل عن عكرمة قال قال عيسى: لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئاً ولا تعطوا الحكمة من لا يريد بها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريد بها شر من الخنزير.

وكذا حكى وهب وغيره عنه.

وعنه أنه قال لأصحابه: أنتم ملح الأرض فإذا فسدتم فلا دواء لكم وإن فيكم خصلتين من الجهل: الضحك من غير عجب والصبحة من غير سهر.

وعنه أنه قيل له: من أشد الناس فتنة؟ قال: زلة العالم فإن العالم إذا زل زل بزلته عالم كثير.

وعنه أنه قال: يا علماء السوء جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها.

وقال وهب قال عيسى: يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا أنتم تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلونها إن شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه.

وقال مكحول: التقى يحيى وعيسى فصافحه عيسى وهو يضحك فقال له يحيى: يا ابن خالة مالي أراك ضاحكاً كأنك قد امت؟ فقال له عيسى: مالي أراك عابساً كأنك قد يست. فآوحي الله إليهما إن أحبكما إلي أبشكما بصاحبه.

وقال وهب بن منبه: وقف عيسى هو وأصحابه على قبر وصاحبه يلبى فيه فيجعلون القبر وضيقه فقال: قد كنتم فيما هو أضيق منه في أرحام أمهاتكم فإذا أحب الله أن يوسع وسع.

وقال أبو عمر الضرير: بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلده دماً.

والآثار في مثل هذا كثيرة جداً. وقد أورد الحافظ ابن عساكر منها طرفاً صالحاً اقتصرنا منها على هذا القدر والله الموفق للصواب.

٨٠- رفع عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِقُكَ إِنِّي مَوِّدُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُتُورًا الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ

بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٤ - ٥٥]

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا خَلْفَ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَىهَا بَكَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا. وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَكُيُومِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٩].

فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه عن كان أراد أذنته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان.

قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق (هم الطبري: ١٤/٦): كان اسمه: داود بن يورا، فأمر بقتله وصلبه فحضره في دار يبلد بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روضة من ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهه فأخبروه ظانين أنه عيسى فقبلوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً وأخبر تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَكُيُومِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فإنه يبتذل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء وكما سنورد ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فنذكر ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال.

وهذا ذكر ما ورد من الآثار في صفة رفعه إلى السماء:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً منهم من الخواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقي عليه شيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له: اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال: أنا فقال: أنت هو ذاك فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به واقتروا ثلاث فرق فقالت طائفة: كان الله فينا ماشاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ماشاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون.

فنظاهرت الكافرتان على المسئلة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامساً

تروا أني خيركم فلا يتمنم بعضهم على بعض وليسذل بعضهم لبعض نفسه كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي التي استعتمكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي.

فلما نصبا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجهتدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله أما تصبرون لي ليلة واحدة تميئوني فيها، فقالوا: والله ما ندرى مالنا والله لقد كنا نسمر فنكسر السمر وما نطبق الليلة سمرأ وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه، فقال: يذهب بالراعي وتفرق الغنم وجعل يأتي بكلام غر هذا ينعي به نفسه.

ثم قال: الحق ليكنن بي أحكمكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات وليبني أحكمكم بلواهم يسيرة وليكائن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الخواريين فقالوا: هذا من أصحابه فجدد وقال: ما أنا بصاحبه فتكرهه.

ثم أخذه آخرون فجدد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه. فلما أصبح أتى أحد الخواريين إلى اليهود فقال: ما فعلكم لي إن ذلكمكم على المسيح؟ فعملوا له ثلاثين درهماً فاخذها ودفعه عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقرعونه ويقولون: أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ الجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل؟ ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب فجاءهما عيسى فقال: على ما تبكيان؟ قالتا: عليك فقال: إني قد رفعتي الله إليه ولم يصبي إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم فأمر الخواريين أن يلغوني إلى مكان كنا وكنا فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وقد قد الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأل عنه أصحابه فقالوا: إنه ندع على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال: لو تاب لتاب الله عليه.

ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له: يوحنا فقال: هو معكم فانطلقوا فإنه يصيح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فلينزههم وليدعهم.

وهذا إسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعه فأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب.

وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى النقل.

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما بلغه: أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام وهي تحسب أنه ابنها أن يتزل جسده فاجلبهم إلى ذلك ودفن. هنالك فقالت مريم لأم يحيى: ألا تذهين بنا زور قبر المسيح؟ فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم لأم يحيى: ألا تستترين؟ فقالت: وعن استتر؟ فقالت: من هذا الرجل الذي هو عند القبر فقالت أم يحيى: إني لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكانت قد بعد عهدا به فاستوثقت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرقته: يا مريم أين تريدين؟ فقالت: لزور قبر المسيح وأسلم عليه وأحدث عهداً به فقال: يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الثقي الذي ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه. وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به، فهم يكونون عليه فإذا كان يوم كنا وكنا فأت

حتى بعث الله عملاً عليه السلام. قال ابن عباس وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَكِيدُ الَّذِينَ أَتُوا عَلَىٰ عَوَالِمِهِمْ فَأَصْبَحُوا نَاجِدِينَ﴾ [الصافات: ١٤].

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم. ورواه النسائي (تكملة: ١١٥٩١) عن أبي كريب عن أبي معاوية به نحوه.

ورواه ابن جرير (تكملة: ٩٢/٢٨) عن سلم ابن جنادة عن أبي معاوية. وهكذا ذكر غير واحد من السلف.

ومن ذكر ذلك مطولا محمد بن إسحاق بن يسار (تكملة الطبري: ١٤/٦، ١٥) قال: وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر أجله يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله.

قيل: وكان عنده من الخواريين اثني عشر رجلاً بطرس ويعقوب بن زبدي ويحس أخو يعقوب وأنندراوس وفليس وابرنلما ومثى وتوماس ويعقوب بن حلقيا وتداوس وقتانيا يودس زكريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو الذي ألقى شبه المسيح عليه فصلب عنه (تكملة الطبري: ١٥/٦).

قال: وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقي عليه شبهه يودس زكريا يوطا والله أعلم.

وقال الضحاك عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس زكريا يوطا الذي ألقى عليه الشبه.

وقال أحمد بن مروان: حدثنا محمد بن الجهم قال: سمعت الفراء يقول في قوله: ﴿وَمَكَرُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ قال: إن عيسى غاب عن خالته زمنا فأتاها فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينه عن عيسى ثم خرج إلى أصحابه فقال: لم أراه ومعه سيف مسلول فقالوا: أنت عيسى وألقى الله شبه عيسى عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه فقال جل ذكره: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَبَّرُوهُ وَلَكِنَّ شَيْئاً لَّهُمْ﴾.

وقال ابن جرير (تكملة: ١٢/٦، ١٣) حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن هارون بن عثرة عن وهب بن منبه قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الخواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا لتبرز لنا عيسى أو لتقتلنكم جميعاً فقال عيسى لأصحابه: من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنّة؟ فقال رجل: أنا فخرج إليهم فقال: أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك.

قال ابن جرير (تكملة: ١٣/٦) وحدثنا المثنى حدثنا إسحاق حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول: إن عيسى بن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الخواريين وصنع لهم طعاماً فقال: احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاءهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ ينسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم شيابه فتعاطفوا ذلك وتكاهروه، فقال: ألا من رد علي شيئا الليلة عما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أما ما صنعت بكم الليلة عما خلعتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فإنكم

وذكر إسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبر: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل الذي شبه لهم وهم يحسونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى مجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان فقبل له: إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيى الموتى ويرى الأكه والأبرص ويفعل العجائب فعلموا عليه قتلوه وأهانوا أصحابه وجسوه فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشعمون وجماعة فسلمهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه فتابعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجيء بالجذع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعضه فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هنا دخل دين النصارية في الروم.

وفي هذا نظر من وجوه.

أحدنا: أن يحيى ابن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فإنه معصوم يعلم ما وقع على وجه الحق.

الثاني: أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطنس باني المدينة المنورة إليه على ما سنذكره.

الثالث: أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم آفروه بخشبه جعلوا مكانه مطرحاً للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الخرائية القنداقية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي فأنه أعلم أكان هذا أم لا؟ وهل كان هذا لأن ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلاً صالحاً أو كان هذا عمة وفتة لأمة النصارى في ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللاكي ومن ثم اتخذوا الصليبات وتبركوا بشكلها وقبلوها لنعم الله. وأمرت أم الملك هيلانة فازيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بألوان الزينة فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ويسمون القمامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها.

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسه وقاذوراته على الصخرة التي هي قبله اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخياف والأنجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء وهو الأقصى.

٨١- صفة عيسى عليه السلام وشأنه وفضائله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنصَبْنَا آبْنَ مَرْيَمَ عَلَى رَسُولٍ فَذُخِّلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُتِمَّتْ صِدْقَتُهُ﴾ [آلعة: ٢٥]

قيل: سمي المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له وإفترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام.

وقيل: لأنه كان مسح القدمين.

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا عَلَى آثَارِهِمُ بَنِي مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورَةٌ﴾ [آلعة: ٤٦].

غیضة كنا وكذا فإنك تأقین المسيح.

قال: فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغیضة.

فلما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغیضة، فلما رآها أسرع إليها فأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال: يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريباً فأصبري واذكري الله كثيراً ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت.

قال: ويلفتني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخسون سنة رضي الله عنها وأرضاها.

وقال الحسن البصري: كان عُمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة.

وفي الحديث رت (٢٥٤٥) «إن أهل الجنة يدخلونها جسداً مردداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين».

وفي الحديث الآخر «العجم الكبر للطريق» [٢٥٦/٢٠] على ميلاد عيسى وحسن يوسف.

وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه (العلوة والطريق: ٣١٦/٣) عن سعيد بن أبي مريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان: أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته: أن عائشة كانت تقول: أخبرني فاطمة أن رسول الله ﷺ أخبرها «أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله».

وأنه أخبرني «أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين».

هذا لفظ الفسوي فهو حديث غريب.

قال الحافظ ابن عساكر: والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه في أمته.

كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: قالت فاطمة: قال لي رسول الله ﷺ «إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة» وهذا منقطع.

وقال جبريل والثوري عن الأعمش: عن إبراهيم: مكث عيسى في قومه أربعين عاماً.

ويروي عن أمير المؤمنين علي: أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام.

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فذلت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر إليه وألقى إليها عيسى برداً له وقال: هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة وألقى عمامته إلى شعمون وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حباً شديداً لأنه توفر عليها حبه من جهي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سراً ولا حضراً.

قال بعض الشعراء:

وكنْتُ أرى كالموت من بين ساعَةٍ فكيف بين كان موته الحشرُ

وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَانِ وَآيَدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

والآيات في ذلك كثيرة جداً.

وقد تقدم ما ثبت في الصحيحين [٤٥٤٨هـ، م (٢٣٦٦)] فما من مولود إلا والشيطان يطمئن في خاصرته حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها ذهب يطمئن طفلان في الحجاب.

وتقدم حديث عمر بن هانئ عن جنادة عن عبادة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته التي أتقاهم إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» رواه البخاري [٣٤٣٥] وهذا لفظه ومسلم [٢٨].

وروى البخاري [٣٤٤٦] ومسلم [١٥٤] من حديث الشعبي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعطاها فتروها كان له أجران، وإذا آمن بعيسى بن مريم ثم آمن بي فله أجران، والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه فله أجران» هذا لفظ البخاري. وقال البخاري [٣٤٣٧]: حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا هشام عن معمر (ح) وحديثي محمود حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليلة أسري بي لقيت موسى قال: فنعته فإذا رجل حبسه قال: مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شواء».

قال «ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فقال: ربعة أحر كائنا خرج من دمهاس» يعني الحمام.

ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به» الحديث.

وقد تقدم في قصتي إبراهيم وموسى.

ثم قال [٣٤٣٨]: حدثنا محمد بن كثير أنبأنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم. فأما عيسى فأمر جعد عريض الصدر. وأما موسى فأدم جسيم سبط كأنه من رجال الرط» تفرد به البخاري.

وحدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهوراتي الناس المسيح الدجال فقال: «إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كان عينه عنة طافية وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كاحسن ما يرى من آدم الرجال تضرب له بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه جعد قطط أعور عين اليمنى كائنه من رأيت بابل قطن واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح الدجال» [٣٤٣٩].

ورواه مسلم [١٦٩] من حديث موسى ابن عقبة.

ثم قال البخاري: تابعه عبيد الله بن نافع.

ثم ساقه من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر قال الزهري: وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية [٣٤٤١].

فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسبحين، مسيح المهدي ومسيح الضلالة ليعرف هذا إذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر فيحلونه الموحلون.

وقال البخاري [٣٤٤٤]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد السراق

أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني».

وكذا رواه مسلم [٢٣٨٨] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.

وقال أحمد [٣٨٣/٢]: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن الحسن وغيره عن أبي هريرة قال: «ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى رجلاً يسرق فقال: يا فلان أسرقت؟ فقال: لا والله ما سرق قال: آمنت بالله وكذبت بصري».

وهنا يدل على سجية طاهرة حيث قدم حلف ذلك الرجل وظن أن أحداً لا يخلف بعظمة الله كاذباً على ما شاهدته منه عبثاً فقبل عنده ورجع على نفسه فقال: «آمنت بالله» أي صدقت وكذبت بصري لأجل حلفك.

وقال البخاري [٣٤٤٧]: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تعمشون حفاة عراة غرلاً» ثم قرأ ﴿كُنَّا بَنَاتًا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيْدُهُ وَغَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فأول الخلق بكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات البين وذات الشمال فأقول: أصحابي فيقال: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا مُنْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَلَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. إِنَّ تَعْلِبُهُمْ فَيُؤْنَسُ عِيَاذُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَيُنَافِقْ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ [الأنبياء: ١١٧ - ١١٨] تفرد به دون مسلم من هذا الوجه.

وقال أيضاً [٣٤٤٥]: حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان سمعت الزهري يقول: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»

وقال البخاري [٣٤٣٦]: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة: عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج يصلي إذ جاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجهه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته فإلى فانت راعياً فأمكنه من نفسها فولدت غلاماً فيقول لها: ممن؟ قالت: من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: فلان الراعي، قالوا: أنبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابنها لها في بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديها مصه».

قال أبو هريرة: كآني أنظر إلى النبي ﷺ بمص أصبعه «ثم مر بأمة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها فقالت: لم ذلك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرت وزينت ولم تفعل».

وقال البخاري [٣٤٤٢]: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إننا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي».

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

ورواه ابن حبان في صحيحه [١٦٩٥] من حديث أبي داود

الحفري عن الثوري عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي سلمة عن أبي هريرة

وقال أحمد (٤٦٣/٢): حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والأنبياء إخوة أولاد علات وليس بيني وبين عيسى نبي».

وهذا إسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وأخرجه أحمد (٣١٩/٢) عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

وأخرجه ابن حبان (الإحسان (٦١٩٤)) من حديث عبد الرزاق به، بنحوه.

وقال أحمد (٤٣٧/٢): حدثنا يحيى عن ابن أبي عروة حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، ودينهم واحد وأمهاتهم شتى. وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مرسوع إلى الحمرة والياض سبط كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً والنمر مع البقر والثنايا مع الغنم ويلعب الصياني والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفونه».

ثم رواه أحمد (٤٠٦/٢) عن عفان عن همام عن قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة فذكر نحوه وقال:

«فيمكث أربعين سنة. ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

ورواه أبو داود (٤٣٢٤) عن هبة بن خالد عن همام بن يحيى به نحوه.

وروى هشام بن عروة عن صالح مولى أبي هريرة عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فيمكث في الأرض أربعين سنة».

وسأني بيان نزوله عليه السلام في آخر الزمان في «كتاب الملاحم» كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٥٩].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِلْسَّاعَةِ﴾ الآية [تغرف: ٦١].

وإنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فصل، فيقول: لا بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة.

وفي رواية فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه. ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلقحه عند باب لد فيقتله بيده الكرعية.

وذكرنا أنه قوي الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض وقد بنيت أيضاً من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا يقل من أحد إلا الإسلام.

وأنه يخرج من فج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لثنتهما ويقيم أربعين

سنة ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله ﷺ وصاحبه.

وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً: أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية؛ ولكن لا يصح إسناده.

وقال أبو عيسى الترمذي (٣١١٧): حدثنا زيد بن أوزم الطائي حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة حدثني أبو موفود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام يدفن معه.

قال أبو موفود: وقد بقي من البيت موضع قبر.

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. كذا قالوا والصواب الضحاك بن عثمان المدني.

وقال البخاري (التاريخ الكبير (٢٦٣/١)) هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

وروى البخاري (٣٩٤٨) عن يحيى بن حماد عن أبي عروانة عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال: الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ستماية سنة.

وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة (نحو عبد الرزاق: ١٨٦/٢).

وقيل: خمسمائة وأربعون سنة.

وعن الضحاك: أربعمائة وربع وثلاثون سنة (نحو الطبري: ١٦٧/٦).

والمشهور ستماية سنة.

ومنه من يقول: ستماية وعشرون سنة بالقمريه فتكون ستماية بالشمسية والله أعلم.

وقال ابن حبان في صحيحه (الإحسان (٦٢٣٦)): ذكر المدة التي بقيت فيها أمة عيسى على هديه:

حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو همام حدثنا الوليد بن مسلم عن الهيثم بن حميد عن الرزين بن عطاء عن نصر بن علقمة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتروا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سته وهديه مائتي سنة».

وهذا حديث غريب جداً وإن صححه ابن حبان.

وذكر ابن جرير (نحوه: ١٠٢/١، ٦٠٣) عن محمد ابن إسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى الحواريين بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعن كل واحد منهم إلى طائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم.

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة: لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة وزيادات كثيرة ونقص بالنسبة إلى الأخرى.

وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه وهما: متى ويوحنا ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه وهما مرقس ولوقا فإله أعلم.

وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له: ضينا وكان خفياً في مغارة داخل الباب الشرقي قريباً من الكنيسة المصلبة خوفاً من بولص اليهودي وكان ظالماً غاشماً مغيضاً للمسيح ولما جاء به - وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد - ثم رجمه

الجلدي.

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنيت أمه
هيلانة والقمامة يعني على قبر المصلوب وهم يسمون لليهود أنه المسيح.
وقد كثرت هؤلاء وهؤلاء ووضعوا القوانين والأحكام ومنها مخالف
للعقيدة التي هي التوراة وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة ومن ذلك
الخنزير وصلوا إلى الشرق ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صخرة بيت
المقدس وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى. ومحمد خاتم النبيين صلى إليها
بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ثم حول إلى الكعبة
التي بناها إبراهيم الخليل (هـ ٢٥٠٥).

وصوروا الكنائس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا العقيدة التي
يحفظها أطفالهم ونسأولهم ورجالهم التي يسمونها بالأمانة وهي في الحقيقة
أكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسبورية أصحاب نسطورس أهل
الجمع الثاني والبعقونية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث
يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون في تفسيرها وما أنا أحكيها وحاشي الكفر
ليس بكافر لأبث على ما فيها ركة الألفاظ وكثرة الكفر والخيال القضي
بصاحبه إلى النار ذات الشواظ فيقولون عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم
القيامة:

نؤمن بالله واحد ضابط الكل خالق السماوات والأرض كل ما يرى
وكل ما لا يرى ورب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الأب
قبل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب
في الجوهر الذي كان به كل شيء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا
نزل من السماء وتجدد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأس وصلب
على عهد ملاطس النبطي وتألّم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب
وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وأيضاً فسبّاني بمجسه ليدير
الأحياء والأموات الذي لا فناء للملك وروح القدس الرب المحيي المبتلى من
الأب مع الأب والأب والابن مسجود له ومجد الناطق في الأنبياء كنسبة واحدة
جامعة مقدمة يهوية واعترف بمعبودية واحدة لغفرة الخطايا وأنه حي
قيامة الموتى وحياة الدهر العتيق كونه آمين.

حتى مات رحمه الله.

ولما سمع بولص أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق جهز
بغاله وخرج ليقتله فلقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه
ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فاعماه. فلما رأى ذلك وقع في نفسه
تصديق المسيح فجاء إليه واعتذر بما صنع وأمن به فقبل منه وسأله أن
يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال: اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في
طرف السوق المستطيل من المشرق فهو يدعو لك فجاء إليه فدعا فرد عليه
بصره وحسن إيمان بولص بالمسيح عليه السلام أنه عبدالله ورسوله وبنيت
له كنيسة باسمه فهي كنيسة بولص المشهورة بدمشق من زمن فتحها
الصحابه رضي الله عنهم حتى خربت في الزمان الذي سنورده إن شاء الله
تعالى.

وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه "الرد على النصارى"
لبعضهم يرد عليهم في قولهم: نصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع
دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا:

عجبا للمسيح بين النصارى ولئى والى الدنسيه
أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتلته صلبوه
فلما كان ما يقولون حقا وصحيحا فإين كان أبوه
حين خلّى ابنه رهين الأعادي أترأهم أرضوه أم أغضبوه؟
فلئن كان راضيا فاحدوهم لأنهم واقفوه
ولئن كان سائخا فأتروكه وابعدوهم لأنهم غلبوه

٨٢- اختلاف أصحاب المسيح فيه

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على
أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف كما أوردناه عند قوله:
﴿فَأَنبَأْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ غُلُوبِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (صافات: ٢٤).
قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله
رفع إلى السماء.

وقال آخرون: هو الله.

وقال آخرون: هو ابن الله (مفسر الطبري: ٩٢/٢٨).

والأول هو الحق والقولان الآخران كفر عظيم كما قال: ﴿فَاخْتَلَفَ
الْأَخْرَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مرم: ٣٧).
وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ما بين زيادة ونقصان
وتحريف وتبديل.

ثم بعد المسيح بثلاثة سنة حدثت فيه الطامة العظمى والبلية الكبرى.
اختلف البطارقة الأربعة وجميع الأساقفة والقساوسة والشماسة والرهباين
في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تضبط واجتمعوا وتحاكموا إلى
الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم المجمع الأول فصار الملك إلى قول
أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسما الملائكة ودحض من
عداهم وأبدلهم وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أميوس الذي ثبت
على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكتوا البراري
والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وقنعوا بالعيش الزهيد ولم
يخالطوا أولئك الملل والنحل وبنيت الملائكة الكنائس المائلة عمدوا إلى ما
كان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى

٣- كتاب أخبار الماضين

من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب
وجاهليتهم فلما سئرو ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.
قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (طه: ٩٩).

وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾. [يوسف: ٣]

١- خبر ذي القرنين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلَنَاهُ لَنْ نَذِي الْقَرْيُنَ قُلْ سَأَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا نَمُكِّنُهُ لَفِي الْأَرْضِ وَأَنَّا نَمُنِّيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا. فَاتَّبِعْ سَبِيلَ خَشْيَ. إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنِ حُومَةٍ وَوَجَدَ عَيْنَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَرْيُنَ إِنَّا أَنْ تَعَذَّبْ وَإِنَّا نَجْزِيهِمْ خُسْفًا. فَإِنَّا نَمُنِّيهِمْ خُسْفًا فَسَوْفَ نَعْلَبُهُ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا. وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءُ الْحُسْنَى وَسَعُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا. ثُمَّ أَتَتْ سَبِيًّا. خَشْيَ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا. كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا. ثُمَّ أَتَتْ سَبِيًّا. خَشْيَ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَتَفَهَرُونَ قَوْلًا. قُلُوا يَا ذَا الْقَرْيُنَ إِنَّا يَا جُورُجُ وَمَا جُورُجُ فِي الْأَرْضِ قَوْلُ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ لِنِسَاءٍ وَبَنِيهِمْ سَنًا. فَإِنَّا نَمُنِّيهِمْ فِي رُبِّي خَيْرٌ فَأَعْيُرْنِي بِقَوْمٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَمَضًا. أَتَوْنِي زُرَّ الْخَلِيدِ خَشْيَ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَائِقِ قَالَ انْصَحُوا خَشْيَ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتَوْنِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وِعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالعدلة الثامنة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهرة المستط.

والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين.

وقيل: كان نبياً. وقيل: كان رسولا.

وأغرب من قال: كان ملكاً من الملائكة.

وقد حكى هنا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: إذا القرنين فقال: مه ما كضام أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة (تفسير الطبري: ١٧/١٦) ذكره السهيلي (الروض الأظف: ١٨١/٣).

وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبياً [تاريخ دمشق: ٣٣٧/١٧ من طريق وكيع].

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٧/٢٣٧] من حديث أبي محمد بن أبي نصر عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي ثابت، حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقرئ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا أَفْرِي أَنْتُمْ كَانُوا لَيْسَاءُ أَمْ لَا وَلَا أَفْرِي الْخُنُودُ كَفَارَتْ لَأَهْلَهَا أَمْ لَا وَلَا أَفْرِي فَوَ الْقَرْنَيْنِ كَانَا نَبِيَّيْنِ أَمْ لَا».

وهذا غريب من هذا الوجه.

وقال إسحاق بن بشر [تاريخ دمشق: ٣٩٩/١٧] عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله وأثني عليه في كتابه وكان منصوباً وكان الخضر وزيره.

وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في اصطلاح الناس اليوم.

وقد ذكر الأزرقى [أخبار مكة: ص ٢٩] وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام.

وروي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشياً وأن إبراهيم لما سمع بقدمه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله مسخر للذي القرنين السحاب بحمله حيث أراد والله أعلم [تاريخ دمشق: ٤٥/١٧، ٣٤١].

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين:

فقيل: لأنه كان في رأسه شبه القرنين.

وقال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه. وهذا ضعيف.

وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم [تفسير الطبري]:
[٩٠].

وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض. وهذا أشبه من غيره وهو قول الزهري (تاريخ دمشق: ٣٣٦/١٧).

وقال الحسن البصري: كانت له غديرتان من شعر يطا فيهما فسمي ذا القرنين (تاريخ دمشق: ٣٣٦/١٧).

وقال إسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده أنه قال: دعا ملكاً جباراً إلى الله فضربه على قرنه ففكسره ورضه. ثم دعا فذق قرنه الثاني فكسره فسمي ذا القرنين [تاريخ دمشق: ٢٣٣٩/١٧].

ودوي الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبداً ناصحاً الله فناصره إلهاً فومه إلى الله فضربه على قرنه فمات فأنجاه الله فدعا قومه إلى الله فضربه على قرنه الآخر فمات فسمى ذا القرنين رحمه الطبري: ٩/١٦.

وهكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي به
[مسير الطبري: ٩/١٦].

وفي بعض الروايات عن أبي الطفيل عن علي قال: لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً يتبع دمشق: ٣٤٣/١٧، ٣٣٥.

وقد اختلف في اسمه:

فروي الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبدالله بن الضحاك
 بن معد [تاريخ دمشق: ٣٣١/١٧].

وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان.

وقد جاء في حديث (تاريخ دمشق: ١٧/٣٣٢) أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له: ابن الفيلسوف لعقله. وقد أشهد بعض الحميريين في ذلك شعراً يفخر بكونه أحد أجداده فقال:

لَمَّا كَانَ فِي الْقُرَيْشِ جَدِّي مُسْلِمًا مَلَكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتَحْشُدُ
لِغِ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَتَغَيَّرُ أَسْبَابُ أَمْرِ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ

في البلاد وأعطاه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة.

قال قتيبة عن أبي عروانة عن سماك عن حبيب بن جهمال قال: كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن ذي القرنين: كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال: سخر له السحاب ومذت له الأسباب ويسط له في النور. وقال: أزيدك فسكت الرجل وسكت على رضي الله عنه [تاريخ دمشق: ٣٣٣/١٧].

وعن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن عبد الله الوادعي سمعت معاوية يقول: ملك الأرض أربعة: سليمان بن داود عليهما السلام. وذو القرنين ورجل من أهل حلوان. ورجل آخر. فقليل له: الخضر؟ قال: لا [تاريخ دمشق: ٣٣٩/١٧].

وقال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثوري قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران سليمان النبي وذو القرنين وغرود ونجحت نصر [تاريخ دمشق: ٣٣٩/١٧].

وهكذا قال سعيد بن بشر سواء [تاريخ دمشق: ٣٣٧/١٧]. وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال: كان ذو القرنين ملك بعد النمرود وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب مد الله له في الأجل ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال وفتح المدن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي خبراً ﴿إِنَّا مَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي علماً بطلب أسباب المنازل [تاريخ دمشق: ٣٣٩/١٧]. قال إسحاق: وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدن ويجمع الكنوز فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله [تاريخ دمشق: ٣٤٠/١٧].

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقاتة والضحاك: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يعني علماً [تفسير الطبري: ٩/١٦].

وقال قتادة ومطر الوراق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني تعليم الألسنة كان لا يفزوا قوماً إلا أحدثهم بلنتهم [تفسير الطبري: ٩/١٦، ١٠].

والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر.

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمئة سنة يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وفي كل هذه المدة نظر والله أعلم.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٢٩٥/٦، ٢٩٦] وابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٣٨/١٧] حديثاً متلفاً بقروله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ مطبوعاً جداً وهو منكر جداً. وفي إسناده محمد بن يونس الكندي وهو منهم فلهاذا لم نكتبه لسقوطه عندنا والله أعلم.

وقوله: ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي طريقاً ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ﴾ يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على

فراى مغيب الشمس عند غروبها في حين ذي خلج وشاطر حرميد من بعيد بليقس كانت عمي مَلَكْتُهُمْ حَتَّىٰ أَتَاهَا الْمَدْعَدُ قال السهيلي [الروض الأثف: ١٧٨/٣] وقيل: كان اسمه: مرزيس بن مرثبة.

ذكره ابن هشام [السيرة: ٣٠٧/١]. وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مرثد وهو أول التابعة وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع [الروض الأثف: ١٧٩/٣]. وقيل: إنه أفريديون ابن إسفيان الذي قتل الضحاك [تاريخ الطبري: ٢١١/١]. وفي خطبة قس: يا معشر إباد، ابن الصعب ذو القرنين ملك الخفافين وأذل الثقلين وعمر الثقلين. ثم كان ذلك كملحظة عين.

ثم أنشد ابن هشام للأعشى والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنين في جَدَثٍ أُمِيمٍ مَقِيماً وذكر الدارقطني وابن مأكولا [الإكمال: ٥٥٩/١، ٥٦٠] أن اسمه هرمس.

ويقال: هرميس بن فيطون بن رومي بن لطفي ابن كسلوجين بن يونان بن يافت بن نوح فآله أعلم. وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشر عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام [تاريخ دمشق: ٣٣٣/١٧].

فأما ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيلبس بن مضريم بن هرمس بن هرميس بن ميطون بن رومي بن لطفي بن يونان بن يافت بن نونة بن سرحون بن رومة بن ثرنت بن توفيل بن رومي بن الأصغر بن الفيز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

كلنا نسبة الحافظ ابن عساكر في تاريخه [٣٣٠/١٧]. المقدوني اليوناني المصري باني إسكندرية الذي يؤرخ بإيامه الروم وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير.

فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكا عادلاً وكان وزيره الخضر وقد كان نبياً على ما قرئناه قبل هذا.

وأما الثاني فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفاً وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة.

فإن هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غي لا يعرف حقائق الأمور.

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم: سلوه عن رجل طواف في الأرض وعن فتية خرجوا لا يدري ما فعلوا فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين [تفسير الطبري: ١٩١/١٥].

ولهذا قال: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي من خبره وشأنه. ﴿وَذِكْرًا﴾ أي خبراً نافعاً كائناً في تعريف أمره وشرح حاله فقال: ﴿إِنَّا مَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي وسعنا ملكته

قال كثير من العلماء: ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَفَزِدْنا أَخْطَأَ بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا﴾ أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكفوه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها.

وقد روي عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما من السلف أن ذا القرنين حج ماشياً فلما سمع إبراهيم الخليل بقدمه تلقاه فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا ويقال: إنه جئ يفرس لبركيها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل فسخر الله له السحاب وبشره إبراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد [إلخ دمشق: ٣٤٠/١٧، ٣٤١ بهو].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ وَجَدَ مِنْ تُونَيْمًا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يعني غنما.

يقال: إنهم هم الترك أبناء عم ياجوج وماجوج. فذكروا له أن هاتين القيتين قد تمدوا عليهم وأفسدوا في بلادهم وقطعوا السبل عليهم وبذلوا له حملاً وهو الخراج على أن يقيم بينهم وبينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالاً وآلات لبني بينهم وبينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهم وفيه ذلك بحار مفرقة وجبال شائعة فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب.

وقيل: الرصاص والصحيح الأول.

فجعل بدل اللين حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي يعلاوا عليه بسلام ولا غيرها ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي بعمال ولا فؤوس ولا غيرها فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم في تلك الحلة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي الوقت الذي قدر الله خروجهم على الناس في آخر الزمان ﴿جَعَلَهُ كَذَابًا﴾ أي مساوياً للأرض ولا بد من كون هذا ولهذا قال: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ: الآية [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

ولما قال مهنا: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يعني يرمق فتح السد على الصحيح.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ وقد أوردنا الأحاديث الروية في خروج ياجوج وماجوج في التفسير وسنوردها إن شاء الله في كتاب الفتن والملاحم من كتابنا هذا إذا انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن توفيقه ومعوته وهديته.

قال أبو داود الطيالسي عن الثوري: بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال لما عاوه: إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لهن فيه إلا من كانت تكلى فلا تاكل منه شيئاً فلما فعلت ذلك لم تضع واحدة منهن يدها فيه فقالت لهن: سبحان الله ولكن تكلى؟ فقلن: أي والله ما منا إلا من أكلت فكان ذلك تسلياً لأمه [إلخ دمشق: ٣٥٨/١٧].

أحد قولي أرباب الميتة والثاني من ساحل هذا البحر كما قلنا. وعند شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته، ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ والمراد بها البحر في نظره فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا﴾ أي في نظره ولم يقل: فإذا هي تغرب في عين حمئة أي ذات حماء.

قال كعب الأحبار: وهو الطين الأسود. وقراء بعضهم حامية وهو الطير: ١٦/١١، ١٢. فقيل: يرجع إلى الأول. وقيل: من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها.

وقد روى الإمام أحمد [٢٠٧/٢] عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثني مولى لعبد الله ابن عمرو عن عبد الله. قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال: ﴿فِي نَارِ اللَّهِ الْحَامِيَةِ لَوْلَا مَا يَرْعَاهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَخْرَقَتْ مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾.

فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفاً من كلام عبد الله بن عمرو فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتعلمين فكان يحدث منهما؛ والله أعلم.

ومن زعم من القصص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأ وأبعد النجمة. وقال ما يخالف العقل والنقل.

وقد ذكر ابن عساکر [إلخ دمشق: ٣٤٦/١٧ - ٣٥١] من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبي جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبراً مطولاً جداً فيه:

أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رناقيل فسأله ذو القرنين: هل تعلم في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة؟ فذكر له صفة مكانها. فذهب ذو القرنين في طلبها وجعل الحضر على مقدمته فأتته الحضر إليها في وادٍ في أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إليها.

وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك وأنه أعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الحضر فوضع قبالة حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجع به. وقال: هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يورى بالتراب فسجد له العلماء تكريماً له وإعظاماً. والله أعلم.

ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية:

﴿وَقُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَإِنَّا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُمْ حَسْبًا﴾. قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْتَبُهِ ثُمَّ يُرْدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٨٦ - ٨٧].

أي فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة ويبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزعجر عند الكافر.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَوْفَ نُكَفِّرُ لَهُ مِنْ أَنْفَرَتَا يُسْرًا﴾ فبدأ بالأمم وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الإحسان منه إليه.

وهنا هو العدل والعلم والإيمان قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ أي سلك طريقاً راجعاً من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في ثلثي عشرة سنة.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ قَبْلِهَا سَبِيلًا﴾ أي ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس.

وذكر إسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذي القرنين وموعظه أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمر نافعة وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة [تاريخ دمشق: ٣٥٩/١٧].

وهذا غريب.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٣٦١/١٧]: وبلغني من وجه آخر أنه عاش ستاً وثلاثين سنة.

وقيل: كان عمره ثنتين وثلاثين سنة. وكان بعد داود بسبعائة سنة وأربعين سنة.

وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وإحدى وثمانين سنة.

وكان ملكه ست عشرة سنة [تاريخ دمشق: ٣٦٠/١٦، ٣٦١].

وهذا الذي ذكره إنما ينطبق على اسكتندر الثاني لا الأول وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداءً بجماعة من الحفاظ والله أعلم.

ومن جعلهما واحداً الإمام عبد الملك بن هشام راوي السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحفاظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله إنكاراً بليغاً ورد قوله رداً شتيعاً ورفق بينهما تفرقاً جيداً كما قلنا.

قال: ولعل جماعة من الملوك المتعلمين تسعوا بذئ القرنين تشبهاً بالأول [الروض الأثف: ١٨٠/٣] والله أعلم.

٢- ذكر أمي ياجوج وماجوج وصفاتهم

هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه.

ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين [خ (٣٣٤٨)، م (٢٢٢٢)] من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى يوم القيامة: يَا آدَمُ قُمْ فَأَبِثْ النَّارَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فيحسب شيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمَلٍ خَلْقَهَا وَنَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ قالوا: يا رسول الله أينما ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: أُنْبِئُوا فَإِنْ يَنْكُرُ وَاحِدًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا.

وفي رواية [ت (٣١٦٩)، ص كبرى: ١١٣٤٠] فقال: «أُنْبِئُوا فَإِنْ يَكُمُ اشْتِينَ مَا كُنْتُمْ فِي شَيْءٍ إِلَّا كُنْتُمْ أَهْلُ غَلَبَةٍ كَثْرَةٍ».

وهذا يدل على كثرتهم وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة.

ثم هم من ذرية نوح؛ لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ ثِيَارًا﴾ [يوح: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّيِّئَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

وتقدم في الحديث المروي في المسند [٩/٥] والسنن [٢٢٣٠، ٢٢٣١، ٣٩٣١] أن نوحاً ولد له ثلاثة، وهم سام وحام وياث، فسام أبو العرب وحام أبو السودان وياث أبو الترك.

فياجوج وماجوج طائفة من الترك وهم مغل المنسل وهم أشد بأساً وأكثر فساداً من هؤلاء، ونسبهم إليهم كتبة هؤلاء في غيرهم.

وقد قيل: إن الترك إنما سمو بذلك حين بنى ذو القرنين السد والجبا ياجوج وماجوج إلى ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم

فتركوا من ورثته، فلهمنا قيل لهم الترك.

ومن زعم أن ياجوج وماجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النواوي في شرح مسلم [٩٨/٣] وغيره وضعفه وهو جدير بذلك إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن.

وهكلاً من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً. فمنهم من هو كالنخلة السحوق ومنهم من هو غاية في القصر. ومنهم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى؛ فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان.

والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعاً ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يُنْقَصُ حَتَّى الْآنَ» [خ (٣٣٢٦)، م (٢٨٤١)]. وهذا في فصل في هذا الباب وغيره.

وما قيل: من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفاً فإن صح في خبر قلنا به وإلا فلا نرده إذ يحتمل العقل والنقل أيضاً قد يرشد إليه والله أعلم.

بل قد ورد حديث مصرح بذلك إن صح.

قال الطبراني [معجمه الكبير] في [الجمع: ٦/٨] للطبراني في الكبير والأوسط: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الأصماني حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَلَوْ أَرْسَلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَالِيَهُمْ وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِداً. وَإِنْ مِنْ وَرَثَتِهِمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ تَأْوِيلُ وَتَارِسَ وَمَسْكَ».

وهو حديث غريب جداً وإسناده ضعيف. وفيه نكارة شديدة.

وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في تاريخه [٧٠/١] أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم ليلة الإسراء فدعاهم إلى الله فاستنموا من إجابته ومتابعته وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تاريس وتأويل ومسك) فأجابوه فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث والله أعلم.

فإن قيل: فكيف دلَّ الحديث المتفق عليه [خ (٣٣٤٨)، م (٢٢٢٢)] أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة وأنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥]؟

فالجواب: أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والإعذار إليهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾. فإن كانوا في زمن الذي قبل بعث محمد ﷺ قد أتتهم رسل منهم فقد قامت على أولئك الحجة وإن لم يكن قد بعث الله إليهم رسلاً فهم في حكم أهل الفترة. ومن لم تبليه الدعوة.

وقد دلَّ الحديث المروي من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَمْتَحَنُ فِيهِ عَرَصَاتُ الْقِيَامَةِ فَتَنْزِيلُ أَجَابِ الْمَلَكِيِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ أَمَى دَخَلَ النَّارَ» وقد أوردنا الحديث بطرقه وألفاظه وكلام الأئمة عليه تفسيرنا [ص ٥٠/٥ - ٥٤] عند قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتحانهم لا يقتضي نجاةهم ولا ينافي الإخبار عنهم بأنهم من أهل النار؛

المبادر فلا إشكال أيضاً لأن قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي في ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك قدراً وتسلطهم عليه بالتدرج قليلاً قليلاً حتى يتم الأجل ويتقضي الأمد القدور فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ مِّنْ كُلِّ خَدْبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٥١٠/٢) قالوا: حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ لَيَخْرُجُنَّ السَّدُّ كُلُّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسُحُورُهُ غَدًا فَيَمُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَنُهُمْ وَارَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسُحُورُهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَسَتَبِي فَيَمُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْتِهِ حِينَ يَوْمِ تَرْكُوهُ فَيَخْرُجُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَشْتُونَ الْمَاءَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حَصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ بِسِهَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجَعُ عَلَيْهِمْ كَهَيْتِهِ الدَّمُ يَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَرْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْبَاهِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا». قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنَّ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدَمَائِهِمْ».

ورواه أحمد (٥١١/٢) أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به.

وهكذا رواه ابن ماجه (٤٠٨٠) من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال حدث أبو رافع.

ورواه الترمذي (٣١٥٣) من حديث أبي عروبة عن قتادة به. ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسون حتى كادوا ينظرون شِعَاعَ الشَّمْسِ من ورائه لرقته فإن لم يكن رفع هذا الحديث عفوفاً وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة وإن كان محفوظاً فيكون محمولاً على أن صنيهم هنا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروي عن كعب الأحبار أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي نافلاً منه فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم.

وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وعقد تسعين أي: فتح فتحاً نافلاً فيه والله أعلم.

٣- قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى: ﴿إِذْ حَبَّبَ إِلَهُ الْكُفَّيْنِ الْأَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمَ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَدَّلْنَاهُمْ نِعْلَهُمْ إِلَى الْحُزَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَتَيْنَا عَلَى آلِهِمْ كَذِبًا. وَإِذْ اخْتَارْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبَثُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَلَّوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَجًا».

لأن الله يطلع رسوله ﷺ على ما يشاء من أمر الغيب وقد أطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء وأن سجاياهم تأبى قبول الحق والانتقاد له فهم لا يغيرون الداعي إلى يوم القيامة فيعلم من هنا أنهم كانوا أشد تكليفاً للحق في الدنيا لو بلغهم فيها؛ لأن في عرصات القيلة يقاد خلق ممن كان مكذباً في الدنيا فيقطع الإيمان هناك لما يشاهد من الأحوال أولى وأحرى منه في الدنيا والله أعلم. كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [الجمعة: ١٢].

وقال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْهَرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨].
وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ دعاهم ليلة الإسراء فلم يجيروا فإنه حديث منكر بل موضوع وضعه عمرو بن الصبح.

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وسأوى به الجبال الصم الشاخات الطوال فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم.

قال البخاري: وقال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد قال: «وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟» قال: مثل البرد المحر فقال: «رَأَيْتَهُ».

ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم بعد (٣٣٤٥) ولم أره مستنداً من وجه متصل ارتضيه غير أن ابن جرير رواه في تفسيره (٢٣/١٦) مرسلًا فقال:

حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله قد رأيت سد ياجوج ومأجوج، قال: «نَشَأَتْ لِي» قال كالبرد المحر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال: «قَدْ رَأَيْتَهُ».

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلاً من جهته وكتب لهم كتاباً إلى الملوك يصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى يتهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين وعلى أي صفة فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه باباً عظيماً وعليه أقفال وأنه بناء بحكم شاهر منيف جداً وأن بقية اللين الحديد والآلات في برج هناك.

وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك التامخة لتلك البلاد وعلمته في شرقي الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية.

ويقال: إن بلادهم متسعة جداً وإنهم يقاتلون بأصناف من المعاش من حراثته وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أسمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم.

فإن قيل فما الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ وبين الحديث الذي رواه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمراً وجهه وهو يقول «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج ميثل هذيو؛ وحلق تسعين قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم؛ إذا كثر الخبث.

وأخرجاه في الصحيحين [٣٣٤٧] م (٢٨٨١) من حديث وهيب عن ابن طلوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وعقد تسعين.

فالجواب: أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفن وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال.

وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس كما هو الظاهر

واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم فراءوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للأوثان فظفروا بعين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء فخرجوا عن دينهم وابتعدوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

ويقال: إن كل واحد منهم لما أوتى الله في نفسه ما هداه إليه من الرحيد انحاز عن الناس واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخاري [٣٣٣٦] «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

فكل منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه فأخبره ما هو عليه واتفقوا على الانحياز عن قومهم والتبري منهم والخروج من بين أظهرهم والقرار بدينهم منهم وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور.

قال الله تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ مُدَى. وَرَبَّنَا عَلَيَّ غَلَبَتِ إِيذَانِي فَأَسْأَلُكَ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْخُو مِنْ دُونِهَا إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يُاتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ».

أي دليل ظاهر على ما ذهبوا إليه وصاروا من الأمر عليه. «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذْ اخْتَضَرْتُمُوهُمْ وَتَوَاعَدْتُمْ أَنْ لَنْ يَخْلُقُوا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ» أي وإذا فارقتموهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله كما قال الحليل: «إِنِّي بَرَأَ مَا مَعَا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ» [الجرم: ٢٦-٢٧].

وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم: إذا قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بأبدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرًّا «فَأَوَّاهُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رُوحِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا» أي يسبل عليكم ستره وتكونوا تحت حفظه وكفنه ويعمل عاقبة أمركم إلى خير كما جاء في الحديث «اللَّهُمَّ احْشِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِيَرَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ» [رواه: ١٨١١/٤].

ثم ذكر تعالى صفة الغار الذي آووا إليه وإن بابه موجه إلى نحو الشمال وأعماقه إلى جهة القبلة وذلك أنفع الأماكن أن يكون المكان قليلا وبابه نحو الشمال فقال تعالى:

«وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارَوْهُ وَقَرَّتْ: «تَوَارَوْهُ» عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ» فأخبر أن الشمس يعني في زمن الصيف وأشباحه تشرق أول طلوعها في الغار في جانبه الغربي ثم تشرق في الخروج منه قليلا قليلا وهو أזורارها ذات اليمين فترتفع في جو السماء وتقلص عن باب الغار ثم إذا تضيفت للغروب تشرق في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا إلى حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه.

«وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» أي بقاؤهم على هذه الصفة دهرًا طويلا من السنين لا ياكلون ولا يشربون ولا تنفذ أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهانه قدرته العظيمة «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَنَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَمَنْ يَفْظُلْ يَنْظُرْهُمْ رُفُودًا» قال بعضهم: لأن أعينهم مفتوحة لثلاث تنفس بطول الغمض.

«وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ» قيل: في كل عام يتحولون مرة من جنب إلى جنب ويحتمل أكثر من ذلك فإله أعلم.

«وَكُلُّهُمْ بَاتِمٌ بِزَعَايِهِ بِالزَّيْطِ» قال شعيب الجبائي: اسم كلهم

وتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَوَارَوْهُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَنَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَمَنْ يَفْظُلْ يَنْظُرْهُمْ رُفُودًا وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكُلُّهُمْ بَاتِمٌ بِزَعَايِهِ بِالزَّيْطِ لَوْ اطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتُ مِنْهُمْ فَرَارًا وَلَمْ لُفْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا. وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْتِئُوا أَحَدَكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا وَلَا تَنْظَفُوا بِكُمْ أَحَدًا. إِنْهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعْدِيوْكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا. وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا. سَتَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَابِعُهُمْ كُذِّبُوا رَجَسًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْتِيهِمْ كُلُّهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ مَا يَلْعَلُهمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَلَا تَقُولُوا لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُلْ رَيْكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا. وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَنْسِجْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» [الكهف: ٩-٢٩].

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة [سيرة ابن هشام: ٣٠١/١، ٣٠٢] وغيره [هشمو الطبري: ١٩١/١٥] أن قريشًا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ر ويسألونه عنها ليخبروا ما يوجب به فيها فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في البئر فلا يدرى ما صنعوا وعن رجل طواف في الأرض، وعن الروح فأنزل الله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ» [الإسراء: ٨٥] «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ» [الكهف: ٨٣].

وقال ههنا: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» أي ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلى ما أظلمناك عليه من الأخبار العظيمة والآيات الباهرة والعجائب الغريبة.

والكهف هو الغار في الجبل.

قال شعيب الجبائي [هشمو الطبري: ١٩٩/١٥] واسم كهفهم حيزم.

وأما الرقيم فعن ابن عباس أنه قال: لا أدري ما المراد به.

وقيل: هو الكتاب المرقوم فيه اسمائهم وما جرى لهم كتب من بعدهم اختاره ابن جرير وغيره.

وقيل: هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم.

قال ابن عباس وشعيب الجبائي: واسمه بناجلوس.

وقيل: هو اسم واد عند كهفهم.

وقيل: اسم قرية هنالك والله أعلم.

قال شعيب الجبائي: واسم كلهم حمران [هشمو الطبري: ١٩٩/١٥].

واعتاده اليهود بأمرهم ومعرفة خبرهم يدل على أن زمانهم مقدم على

ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح وأنهم كانوا نصارى.

والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام.

قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم: كانوا في زمن ملك يقال

له: دقيانوس وكانوا من أبناء الأكابر.

وقيل: من أبناء الملوك.

وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً أو تكون له صولة ينشون من مضرته
فيقال: إنه هرب منهم ويقال: بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من
أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوته
فأخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا ففعلوا أن هذا من قدرة الله
فيقال: إنهم استمروا واثقين ويقال: بل ماتوا بعد ذلك.
وأما أهل البلدة فيقال: إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار وعمى
الله عليهم أمرهم.
ويقال: لم يستطيعوا دخوله حساً.

ويقال مهابة لهم.
واختلفوا في أمرهم فقاتلون يقولون: «إِنَّا عَلَيْهِمْ بَيِّنَاتٌ» أي سدوا
عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم.
وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا: «لَتَسْخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا»
أي معبدًا يكون مباركًا لجوارته هؤلاء الصالحين. وهذا كان شائعاً فبين
كان قبلنا فاما في شرعنا فقد ثبت في الصحيحين [ع (١٣٣٠)، م (٥٢٩)]
عن رسول الله ر أنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
مَسَاجِدَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا فَيُحِلُّونَ»
وأما قوله: «وَكَذَلِكَ أَفْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُظْهِرُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا» فمعنى «أفترنا» أطلعنا على أمرهم الناس.
قال كثير من المفسرين: ليعلم الناس أن المعاد حق وأن الساعة لا ريب
فيها إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا تزيد من ثلاث مائة سنة ثم قاموا كما
كانوا من غير تغير منهم فإن من أبقاهم كما هم قادر على إعادة الأبدان
وإن أكلتها البدان، وعلى إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم
رفاتا، وهذا ما لا يشك فيه المؤمنون «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [العلق: ٤٠].

هذا ويحتمل عود الضمير في قوله «ليعلموا» إلى أصحاب الكهف، إذ
علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم، ويحتمل أن يعود على
الجميع والله أعلم.

ثم قال تعالى: «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالنَّبِيِّ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَانِيَهُمْ كَلْبُهُمْ» فذكر
اختلاف الناس في كميتهم، فحسكى ثلاثة أقوال وضعف الأولين وقرر
الثالث فدل على أنه الحق. إذ لو قيل غير ذلك لحكاه، ولو لم يكن هذا
الثالث هو الصحيح لوهاه فدل على ما قلناه. ولما كان النزاع في مثل هذا
لا طائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه ر إلى الأدب في مثل هذا الحال
إذا اختلف الناس فيه أن يقول: الله أعلم. ولهذا قال:

«قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَابِهِمْ» وقوله: «مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» أي من
الناس

«فَلَا تَمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ» أي سهلا ولا تكلف أعمال الجنان
في مثل هذا الحال، ولا تستغث في أمرهم أحداً من الرجال، ولهذا أهتم
تعالى عنهم في أول القصة فقال: «إِنَّهُمْ فِيَّةً اتَّسَوْا بِرَبِّهِمْ» ولو كان في
عين عهدهم كبير فائدة للذكرا عالم النيب والشهادة.

وقوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا» إلا أن يشاء الله
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا.

أدب عظيم أرشد الله تعالى إليه وحث خلقه عليه وهو ما إذا قال
أحدهم: إني سأفعل في المستقبل كذا فيشرع له أن يقول: إن شاء الله،
ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه لأن العبد لا يعلم ما في غده، ولا يدري أهنا

حمران.

وقال غيره: الرصيد اسكفة الباب.

والمراد أن كلهم الذي كان معهم وصحبهم حال انفرادهم من قومهم
لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل رضى على بابه ووضع يديه على
الرصيد وهذا من جملة آية ومن جملة ما أكرموا به فإن الملائكة لا تدخل
بيتاً فيه كلب ولما كانت النجبة مؤثرة حتى في كلب هؤلاء صار باقياً معهم
ببقائهم لأن من أحب قوماً سعد بهم فإذا كان هذا في حق كلب فما ظنك
بمن تبع أهل الخير وهو أهل للإكرام.

وقد ذكر كثير من القصص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلاً
أكثره متلقى من الإسرائيليات وكثير منها كذب وما لا فائدة فيه كاختلافهم
في اسمه ولونه.

وأما اختلاف العلماء في علة هذا الكهف:

فقال كثيرون: هو بآرض أيلة.

وقيل: بآرض نينوى. وقيل: بالبلقاء.

وقيل: ببلاد الروم وهو أشبه والله أعلم.

ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمرهم
ووصف حالهم حتى كان السامع راء والخبر مشاهد لصفة كهفهم
وكيفية في ذلك الكهف وتقليلهم من جنب إلى جنب وأن كلهم باسط
ذراعيه بالرصيد. قال:

«لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوُثِّتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُتَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا» أي لنا
عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه ولعل الخطاب ههنا
لجنس الإنسان المخاطب لا خصوصية الرسول ر كقوله «فَمَا يَكْتُبُكَ بَعْدُ
بِالْبَيْنِ» [البين: ٧] أي إيه الإنسان؛ وذلك لأن طبيعته البشرية تفر من رؤية
الأمور الهية غالباً ولهذا قال: «لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوُثِّتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمُتَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا».

ودل على أن الخبر ليس كالمأينة كما جاء في الحديث [مسند أحمد:
٢١٥/١، ٢٧١، الإحسان (٦٢١٣)] لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار
ولا الرعب.

ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من قفونهم بعد نومهم ثلاث مائة سنة وتسع
سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض: «كَمْ لَيْسَتْ قَالُوا لَيْتَنَّا يَوْمًا أَوْ
بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَتْ قَالِبْتُمْ أَهْدَكُم بِرَبِّكُمْ هَذِهِ إِلَى
النَّبِيِّ» أي بدوهمكم هذه يعني التي معهم إلى المدينة ويقال: كان اسمها
دفسوس.

«فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» أي أطيب مالا

«فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرَبِّكُمْ» أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم وورعهم.

«وَلْيَتَلَطَّفْ» أي في دخوله إليها

«وَلَا يُشْعِرَنَّكُمْ بِكُمْ أَحَدًا» إنهم إن نظفوها عليكم ترجعواكم أو
يُحْيُواكُمْ فِي بَيْتِهِمْ وَلَنْ تَقْلِقُوا إِذَا أَبَدًا» أي أن عدم في ملتهم بعد إذا
أنفذك الله منها وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر
من ذلك ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا تزيد من ثلاث مائة سنة وقد تبدلت
الدول أطواراً عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها وذبح أولئك القرن الذين
كانوا فيهم وجاء غيرهم وذبحوا وجاء غيرهم.

ولهذا لما خرج أحدهم وهو تيلوسيس فيما قيل وجاء إلى المدينة متكرراً
لئلا يعرفه أحد من قومه فيما يحسبه تنكرت له البلاد واستكره من رآه من
أهلها واستغربوا شكله وصفته ودرامه فيقال: إنهم حملوه إلى منزليهم

الذي عزم عليه مقدر أم لا، وليس هذا الاستثناء تعليقاً وإنما هو تحقيقي، ولهذا قال ابن عباس: إنه يصحح إلى سنة، ولكن قد يكون في بعض المحال لهذا ولهذا، كما تقدم في قصة سليمان عليه السلام حين قال: «لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقيل له: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله ر: «والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته» (ج ٣٤٢٤).

وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه.

وقوله ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهَيَّئَ رَبِّي لَأَفْرَبَ مِنْ هَذَا وَرَشْدًا﴾ أي إذا اشتبه أمر وأشكل حال والتبس أقوال الناس في شيء، فارغب إلى الله يسره لك، ويسهله عليك، ثم قال:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ لما كان في الإخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى، وهذه التسع المزیدة بالمعربة وهي لتكميل ثلاث مائة شمسية، فإن كل مائة معربة تنقص عن الشمسية ثلاث سنين.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي إذا سئلت عن مثل هذا وليس عندك في ذلك تقل فرد الأمر في ذلك إلى الله عز وجل.

﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَنْسِعْ﴾ يعني أنه يضع الأشياء في عالمه لعلمه التام بخلقها وما يستحقونه. ثم قال:

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ﴾ أي: بل هو المنفرد بالملك والمصرف وحده لا شريك له.

٤ - قصة الرجلين المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أصحاب الكهف: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لَاحِدٍمَا حَسْبَيْنِ مِنْ آفَاتٍ وَخَفَقْنَا فَمَا بَنَحْلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا. كَلِمَاتٍ الْحَسْبَيْنِ أَتَتْ أَكْثَهُمَا وَلَمْ نَحْطِمْ بِهِ شَيْئًا وَنَجَّيْنَا لِلْإِسْلَامِ نَهْرًا. وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ بِكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذَا أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنَّ عَلَيَّ. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلُ بِكَ مَالًا وَّوَلَدًا. فَجَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ بَخْسِكَ وَبَرَسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَصَاحِبُهَا صَاحِبًا زَلَّجًا. أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَرُورًا فَلَنْ نَسْتَعِيبَ لَهٗ ظُلْمًا. وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا انْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ نَفَةٌ يُبْصِرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. هَٰذَا لِكُلِّ ذَلِيلٍ هُوَ خَيْرٌ نَّوَابًا وَخَيْرٌ غَنًى﴾ (الكهف: ٣٢-٤٤).

قال بعض الناس: هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعاً. والجمهور أنه امر قد وقع.

وقوله ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾ يعني لكفار قريش في عدم اجتماعهم

بالمضغفة والفقر، وازدراءهم بهم واختارهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣). كما قدمنا الكلام على قصتهم قبل قصة موسى عليه السلام.

والشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين، وكان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً.

ويقال: إنه كان لكل منهما مال فاتفق المؤمن ماله في طاعة الله ومراضته ابتغاء وجهه.

وأما الكافر فإنه اتخذ له بستانين وهما الجتان المذكورتان في الآية على الصفة والنعت المذكور. فهما أعتاب وغل تحف تلك الأعتاب والزروع في خلال ذلك، والأنهار سارحة ههنا وههنا للسقي والشره، وقد استوسقت فهما الثمار، واضطربت فهما الأنهار، وابتهجت الزروع والثمار، واقتصر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير، فقال له:

﴿أَنَا أَكْثَرُ بِكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي وأمنع جنباً، ومراده أنه خير منه، ومعناه ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه في الرجة الذي صرفته فيه، كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي، فافتخر على صاحبه

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَنَفْسِهِ﴾ أي وهو على غير طريقة مرضية ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذَا أَبَدًا﴾ وذلك لما رأى من اتساع أرضها، وكثرة ماؤها وحسن نبات أشجارها، ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دائرة لكثرة مياهها. ثم قال:

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية، وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة. ثم قال:

﴿وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنَّ عَلَيَّ﴾ أي ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلاجِدَنَّ هناك خيراً من هذا وذلك لأنه اغتر بدنياه، واعتد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له، وحظوته عنده، كما قال العاصم بن وائل فيما قص الله من خبره وخبر خباب بن الأرت في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا. أَأَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مریم: ٧٧-٧٨).

وقال تعالى إخباراً عن الإنسان إذا أتم الله عليه ﴿يَقُولُونَ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأِجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنَّ عَلَيَّ﴾ (القصص: ٢٨).

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنْتَظِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَخَلْقُهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (القصص: ٥٠).

وقال قارون ﴿وَإِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٢٨) أي لعلم الله في أبي استحقه قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَغْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ بِهٖ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٢٨).

وقد قدمنا الكلام على قصته في اثنا قصة موسى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِأَنِّي تَقْرِيكُمْ عِنْدَنَا وَلَفْسِي إِلَّا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آَبِينَ﴾ (سبا: ٣٧).

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ خَيْرًا مِّنْ مَّا نَمْلِكُ مِنْ رَبِّكَ وَتَتَّبِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (الزمر: ٥٠-٥١).

ولما اغتر هذا الجاهل بما حوله الله به في الدنيا فجدد الآخرة، وادعى أنها إن وجدت ليجد عند ربه خيراً مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي يجادل ﴿أَكْثَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ أي أجددت المعاد وانت تعلم أن

يغتر بها ولا يتق بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه. ولكن بما في يد الله أوتق منه بما في يده.

وفيها أن من قدم شيئاً على طاعة الله والإنفاق في سبيله غلب به، وربما سلب منه معاملة له بتقيض قصده.

وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وإن غالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة.

وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر، ونفذ الأمر المحتم، والله المستعان وعليه التكلان..

٥- قصة أصحاب الجنة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ. وَلَا يَسْتَرْشِدُونَ. فَأَطَاعَهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ. فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ. أَنِ اغْلُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِينَ. فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ. أَن لَّا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مُّسْكِينٌ. وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ. فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لِفُتَالُونَ. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ. قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَنَّمْ أَقِلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ. قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ. عَسَى رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ. كَذَلِكَ الْقَصَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ١٧-٣٣].

وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم، فقابلوه بالكذب والمخالفة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ فَارَ الْبُؤْسِ. فَجَنَّتْهُمْ يَصْلَوْنَهَا وَيُشِرُّونَ الْفَرَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

قال ابن عباس: هم كفار قريش.

فصبر تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستتقت أن تجد وهو الصرام، ولهذا قال:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ فيما بينهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي ليجدنّها وهو الاستئلال ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي وقت الصبح حيث لا يرامهم فقير ولا محتاج فيعطوه شيئاً، فحلّقوا على ذلك، ولم يستشروا في عيهم، فعجزهم الله، وسلط عليها الآفة التي أحرقتها، وهي الشّعة التي اجتاحتها، ولم تبّ بها شيئاً يتنفع به، ولهذا قال:

﴿فَأَطَاعَهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

أي كالليل الأسود المنصرم من الضياء، وهذه معاملة بتقيض المقصود

﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ أي فاستيقظوا من نومهم، فنادى بعضهم بعضاً قائلين: ﴿اغْلُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِينَ﴾ أي باكروا إلى بستانكم

فاصرموه قبل أن يرتفع النهار، ويكر الزوال

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ أي يتحدّثون فيما بينهم خفية قائلين: ﴿لَّا يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مُّسْكِينٌ﴾ أي اتفقوا على هذا، واشتدوا عليه

﴿وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي انطلقوا مجدين في ذلك قادرين عليه

مُصَمِّين مُصْبِرِينَ على هذه النية الفاسدة.

وقال عكرمة والشعبي: ﴿وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ﴾ أي غضب على

المساكين.

وأبعد السدي في قوله أن اسم حرنهم حرد

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي وصلوا إليها ونظروا إلى ما حل بها، وما قد صارت

الله خلقاً من تراب. ثم من نطفة ثم طورك أطواراً حتى صرت رجلاً سورياً سمياً بصيراً، تعلم وتطيش وتفهم، فكيف أنكرت المعاد، والله قادر على البلاء

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي لكن أنا أقول بخلاف ما قلت واعتقد خلاف معتقدك ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي لا أعبد سواه واعتقد أنه يعث الأجساد بعد فناءها، ويعيد الأصوات، ويعمج العظام الرفات، وأعلم أن الله لا شريك له في خلقه، ولا في ملكه، ولا إله غيره.

ثم أرشده إلى ما كان الأولي به أن يسلكه عند دخول جنة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَّا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ ولهذا يستحب لكل من أعجب شيء من ماله أو أهله أو حاله، أن يقول كذلك، وقد ورد فيه حديث مرفوع في صحته نظر:

قال أبو يعلى الموصلي ذكره ابن حجر في المطلب العالية ٣٥٠/٣ وعنه لامي يعلی حلتنا جراح بن مخلد، حلتنا عمر بن يونس، حلتنا عيسى بن عون، حلتنا عبد الملك بن زرارة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت» وكان يتاول هذه الآية ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَّا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

قال الحافظ أبو الفتح الأزدي: عيسى بن عون، عن عبد الملك بن زرارة، عن أنس، لا يصح.

ثم قال المؤمن للكافر: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أي في الدار الآخرة

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقناة: أي غباراً من السماء وهو الطير الطوي: ٢٤٩/١٥.

والظاهر أنه الطير المزعج الباهر الذي يقتلع زروعها وأشجارها. ﴿فَتَصْبِحُ صَيْبًا رَّافًا﴾ وهو التراب الأمس الذي لا نبات فيه.

﴿أَوْ يُصْبِحُ مَاثِماً غَوَّاراً﴾ وهو ضد المعين السارح ﴿فَلَنَ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾ يعني فلا تقدر على استرجاعه.

قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي جاءه أمر أحاط بجميع حواصله، وخرب جنته ودمرها.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفًى عَلَى مَا آتَقَرَّ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾

أي خربت بالكلية، فلا عودة لها، وذلك ضد ما كان عليه أهل حيث قال:

﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وتدم على ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَتَصَرَّوْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُتَصَرًّا. مُنَالِك﴾ أي لم يكن أحد يتنالك ما فرط من أمره وما كان له

قدرة في نفسه على شيء من ذلك كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ومنهم من يندى بقوله ﴿مُنَالِكُ الْوَلَايَةِ

لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وهو حسن أيضاً كقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلْحَقِّ لِيَرْحَمَنَ وَكَانَ

يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [هزاع: ٢٦] فالحكم الذي لا يرد ولا يمانع

ولا يغالب في تلك الحال، وفي كل حال لله الحق.

ومنهم من رفع «الحق» جعله صفة لـ «الولاية» وهما متلازمان.

وقوله ﴿هُوَ خَيْرٌ نَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ أي معاملته خير لصاحبها نواباً

وهو الجزء «وَخَيْرٌ عُقْباً» وهو العاقبة في الدنيا والآخرة.

وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا

وَكَاْنَ أَمْرُ اللَّهِ مَثْوًى لَّهَا. (النساء: ٤٧).

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقناة والسدي وغيرهم: هم أهل أيلة (هسرو الطوري: ٩٠/٩، ٩١).

زاد ابن عباس: بين مدلين والطور (هسرو الطوري: ٣٣٠/١، ٩٠/٩).

قَالُوا: وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم، وذلك أنه كان يجرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت يكثر غشيتها لاحتهم من البحر، فتأتي من ههنا وههنا ظاهرة آمنة مسترسلة، فلا يهيجونها ولا يذعرونها ﴿وَيَوْمَ لَا يَنْتَبِرُونَ لَا أَنْتَهُمْ﴾ وذلك لأنهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ أي نجتبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت

السبت

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب فسقهم المتقدم، فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص، وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت بهذه المصائد، فإذا خرج سبهم اخنلوا، فنقض الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا عماره بالحيل التي هي ظاهرة للنظر، وهي في الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم ائترفوا الذين لم يفعلوا ذلك فرقتين:

فرقة أنكروا عليهم صنيعهم هذا واحتياهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان.

وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا ﴿لِمَ نَعْتَفَرُ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُبْدِيهِمْ أَوْ مُعْتَدِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقولون لهم: ما الفائدة في نهيكهم هؤلاء، وقد استحقوا العقوبة لا محالة، فاجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا ﴿مُعَذِّبَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أي فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به خوفا من عذابه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي ولعل هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع، فيقيم الله عذابه ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي لم يلتفتوا إلى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والنهية عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا مِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجه ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

ثم فسر العذاب الذي أصابهم بقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَّةً أَخْسِيْنَ﴾.

وسنذكر ما ورد من الآثار في ذلك.

والمقصود هنا أن الله أخبر أنه أهلك الظالمين ونجى المؤمنين المنكرين، وسكت عن الساكين.

وقد اختلف فيهم العلماء على قولين:

فقول: إني من الناجين.

وقول: إني من المالكين.

والصحيح الأول عند المحققين وهو الذي رجع إليه ابن عباس إمام المفسرين وذلك عند مناظرة مولاة عكرمة، فكساه من أجل ذلك حلة سنية

إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحسن والبهجة، فانتقلت بسبب النية الفاسدة، فعند ذلك قالوا:

﴿إِنَّا لَفَاحِشُونَ﴾ أي قد نهنا عنها وسلكتنا غير طريقها، ثم قالوا:

﴿فَبَلَّغْنَا نَحْنُ مَكْرُومُونَ﴾ أي بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا وحرمتنا بركة حرتنا

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾. قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو أعظمهم وخيرهم (هسرو الطوري: ٣٤/٢٩).

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: تستنون، قاله مجاهد والسدي وابن جريج.

وقيل: تقولون خيرا بدل ما قلتم من الشر.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَذَّذُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فندموا حيث لا ينفع الندم واعتفروا بالذنوب بعد العقوبة، وذلك حيث لا ينفع.

وقد قيل: إن هؤلاء كانوا إخوة، وقد ورثوا هذه الجنة عن أبيهم، وكان يتصدق منها كثيرا فلما صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم، وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئا، فعاقبهم الله هذه العقوبة، ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار، وحث على ذلك يوم الجهاد، كما قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٤١).

ثم قيل: كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها ضروان.

وقيل: من أهل الحيشة والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي هكنا نعذب من خالف أمرنا ولم يعطف على المأويج من خلقنا

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي أعظم وأظم من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ﴾.

وقصة هؤلاء شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آبَاءُ نَافِلَةً وَأَبْنَاؤها رُفْقًا رِغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْبَاءِ اللَّهِ فَأَنفَكَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْيُسُوعَ وَالْأَخْرُوفَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَيُكَلِّمُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (النحل: ١١٢-١١٣).

قيل: هنا مثل مضروب لأهل مكة.

وقيل: هم أهل مكة أنفسهم ضربهم مثلاً لأنفسهم، ولا ينافي ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

٦- قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في سبهم

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْيَمْرِ إِذْ يَنْتَوُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ نَعْتَفَرُ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُبْدِيهِمْ أَوْ مُعْتَدِيهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا مِنَ الظَّالِمِينَ لَبِئْسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَّةً أَخْسِيْنَ﴾ (الأعراف: ١٦٣-١٦٦).

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا بِكَيْبُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَّةً أَخْسِيْنَ. فَجَعَلْنَاهُمْ تَكَالُفًا لِمَا تَبَيَّنَ لَيْتَهُمْ وَمَا خَلَقْنَا وَرَوَّعَتَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٦٥-٦٦).

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿أَوْ لَعْنَتْهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ

تكرمة.

قلت: وإنما لم يذكروا مع الناجين لأنهم وإن كرهوا بيواطنتهم تلك الفاحشة، إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يمحلوها ظواهرهم بالعمل المأمور به من الإنكار القولي الذي هو أوسط المراتب الثلاث التي أعلاها الإنكار باليد ذات البنان وبعدما الإنكار القولي باللسان، وثالثها الإنكار بالجنان، فلما لم يذكروا لم يذكروا مع الناجين إذ لم يفعلوا الفاحشة بل أنكروا.

وقد روى عبد الرزاق (في تفسيره: ٢٤١/٢، ٢٤٢) عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس.

وحكى مالك (تفسير الطبري: ٩٦/٩، ٩٧) عن ابن رومان وشيبان عن قتادة وعطاء الخراساني ما مضمونه:

إن الذين ارتكبوا هذا الصنع اعترلهم بقية أهل البلد ونهاتهم من نهاهم منهم، فلم يقبلوا فكانوا يبيتون وحدهم ويفلقون بينهم وبينهم أبواباً حاجزاً لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فاصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم منقطة لم يفتحوها، وارتفع النهار واشتد الضحياء، فأمر بقية أهل البلد رجلاً أن يصعد على سلام ويشرف عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم إذا هم قردة لها أذناب يتمايرون ويتعادون، ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قرباتهم، ولا تعرفهم قرباتهم، فجعلوا يلوذون بهم ويقول لهم الناهون: ألم تنهكم عن صنعكم؟ فتشير القردة برؤوسها أن نعم.

ثم يكي عبد الله بن عباس وقال: إنا نرى منكرات كثيرة ولا نكرها ولا نقول فيها شيئاً!

وقال العوفي عن ابن عباس: صار شباب القرية قردة وشيوخها خنازير (تفسير الطبري: ١٠١/٩).

وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس: أنهم لم يعيشوا إلا قوماً ثم هلكوا ما كان لهم نسل (تفسيره: ٢٠٩/١).

وقال الضحاك عن ابن عباس: أنه لم يمش مسخ قط فوق ثلاثة أيام. ولم ياكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا.

وقد استقصينا الآثار في ذلك في تفسير سورتي البقرة والأعراف. ولله الحمد والمنة.

وقد روى ابن أبي حاتم (تفسيره: ٢٠٩/١) وإسبن جريس (تفسيره: ٣٣٢/١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وخنازير وإنما هو مثل ضربه الله ﴿كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَتَحَوَّلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: ٥).

وهذا صحيح إليه وغريب منه جداً ويخالف لظاهر القرآن ولما نص عليه غير واحد من السلف والخلف والله أعلم.

٧- قصة أصحاب القرية

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ تقدم ذكرها قبل قصة موسى عليه السلام.

٨- قصة سبأ

سبئي ذكرها في أيام العرب إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

٨- قصة قارون وقصة بلعام

تقدمنا في قصة موسى وهكنا قصة الخضر وقصة فرعون والسحرة كلها في ضمن قصة موسى. وقصة البقرة تقدمت في قصة موسى. وقصة ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ خَلْعُ الْمَوْتِ﴾ في قصة حزقيل. وقصة ﴿الْمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ في قصة شمويل وقصة ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ في قصة عزيز.

٩- قصة لقمان

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا اللَّهُ وَهُمَا عَلَى وَجْهِ وَفَضْلُهُ فِي غَافِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَهِي الْمَعْصِرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تِلْكَ الْبَقَّةُ الَّتِي مَنَ عَزَّزْتُكَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْنَعْ عَلَى مَا أَصْبَحْتَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ. وَلَا تَصْعَقْ خَلْقَ الْإِنْسَانِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْضِ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْخَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٢-١٩).

هو لقمان بن عتقاء بن سدون. ويقال: لقمان بن ثاران حكاه السهلي عن ابن جرير والقتبي.

قال السهلي: وكان نوبياً من أهل أيلة.

قلت: وكان رجلاً ذا عبادة وعبارة وحكمة عظيمة.

ويقال: كان قاضياً في زمن داود عليه السلام فآله أعلم.

وقال سفيان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان عبداً حبشياً نجاراً (الطبري: ٦٧/٢١، دون قوله: نجاراً).

وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم في شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً أظفلس من النوبة (الدار المنور: ١٦٠/٥).

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال: كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة (تفسير الطبري: ٦٧/٢١).

وقال الأوزاعي: حدثني عبدالرحمن بن حرملة قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد: لا تخرن من أجل أنك أسود، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان: بلال ومهجع موسى وعمر ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر (تفسير الطبري: ٦٧/٢١).

وقال الأعمش عن مجاهد: كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين (تفسير الطبري: ٦٧/٢١).

وفي رواية: مصفح القدمين.

وقال عمر بن قيس: كان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين، فثابه رجل وهو في مجلس أناس يجذتهم فقال له: السبت الذي كنت ترعى

الدخول في دينهما إلى أن قال خبراً عن لقمان فيما وعظ به ولله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي سَمَاءٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] ينهاه عن ظلم الناس ولو بحجة خردل فإن الله يسأل عنها ويعضرها حوزة الحساب، ويضعها في الميزان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَاتٍ لِيُحْيِيَ الْقَتْلَى فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحفارة كالخردلة، ولو كان في جوف صخرة صماء لا باب لها ولا كوة، أو لو كانت ساقطة في شيء من ظلمات الأرضين، أو السماوات في اتساعها وامتداد أرجائها، لعلم الله مكانها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: علمه دقيق، فلا يخفى عليه السر مما تراهي للنواظر أو توارى.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْلُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الزلزال: ٢٥].

وقال: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَنْزِلُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: ٣]. وقد زعم السدي في خبره عن الصحابة أن المراد بهذه الصخرة: الصخرة التي تحت الأرضين السبع (فسر الطوسي: ٧٧/٢١). وهكذا حكى عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمر وغيرهم.

وفي صفة هذا القول من أصله نظر. ثم في أن هذا هو المراد نظر آخر فإن هذه الآية نكرة غير معرفة، فلو كان المراد بها ما قاله لقمان: فتكن في الصخرة، وإلما المراد: فتكن في صخرة أي صخرة كانت.

كما قال الإمام أحمد [٢٨/٣] حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لميعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كأنما ما كان».

ثم قال: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: أدها بجميع واجباتها من حدودها وأوقاتها وركوعها وسجودها وطمايئتها وخشوعها، وما شرع فيها، واجتنب ما نهى عنه فيها.

ثم قال: ﴿وَأَقِمِ بِالْمُعْرُوفِ وَأَنِّهِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي: بمجهلك وطاقتك، إن استطعت باليد والباليد، وإلا فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، ثم أمره بالصبر فقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مظنة أن يعادي وينال منه، ولكن له العاقبة، ولهذا أمره بالصبر على ذلك، ومعلوم أن عاقبة الصبر الفرج.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: إن أمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وصبرك على الأذى من عزائم الأمور التي لا بد منها ولا محيد عنها.

وقوله: ﴿وَلَا تَصْغَرْ خَلْقَكَ لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحك ويزيد بن الأصم وأبو الجوزاء وغير واحد: معناه لا تكبر على الناس، وتعمل خلك حال كلامك لهم وكلامهم لك على وجه التكبر عليهم، والأزواء لهم (فسر الطوسي: ٧٤/٢١).

قال أهل اللغة: وأصل الصغر داء يأخذ الإبل في أعناقها فتلتوى

معها الغنم في مكان كنا وكنا؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعني.

رواه ابن جرير [٦٨/٢١] عن ابن حيد عن الحكم عنه به. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الرحمن بن أبي يزيد بن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته، فرأه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألت عبد بني فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعني.

وقال ابن وهب: أخبرني عبد الله بن عياش القتيبي عن عمر مولى عفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان؟ أنت عبد بني النخاس؟ قال: نعم، قال: فانت راعي الغنم الأسود؟ قال: أما سوداي فظاهر فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك وغشيهم بابلك ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة مطعمي، وحفظي فرجي، وقيامي بعدي، ووفائي بعهدي، وتكرمي ضيفي، وحفظي جاري، وترك ما لا يعني، فذاك الذي صيرني كما ترى.

وقال ابن أبي حاتم (فسر ابن كثير: ٢٧٣/٩، الدر المنثور: ١٦٢/٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن نفل، حدثنا عمرو بن واقد، عن عبدة بن رياح، عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوماً وذكر لقمان الحكيم فقال: ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب، ولا خصال، ولكنه كان رجلاً صمماً سكيناً طويل التفكير، عميق النظر، لم يتم نهراً قط، ولم يره أحد ييزق، ولا يتنحج، ولا يبول، ولا يتغوط، ولا يتنسل، ولا يبعث، ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوج، وولد له أولاد فماتوا، فلم يبك عليهم، وكان ينسى السلطان، ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي. ومنهم من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقرم بأعبائها، فاختار الحكمة لأنها أسهل عليه. وفي هذا نظر والله أعلم.

وهذا مروى عن قتادة كما سنذكره.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق وكيع عن إسرائيل عن جابر الجعفي عن عكرمة أنه قال: كان لقمان نبياً.

وهذا ضعيف لحال الجعفي (الدر المنثور: ١٦٢، ١٦١/٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم، (فسر الطوسي: ٦٨/٢١).

والمشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً ولم يكن نبياً، وقد ذكره الله تعالى في القرآن فأتى عليه، وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو أحب الخلق إليه وهو أشفق الناس عليه فكان من أول ما وعظ به أن قال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. فنهاه عنه وحذره منه.

وقد قال البخاري [٤٧٧٦، ٤٧٧٦]: حدثنا قتيبة، حدثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك علي أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنه ليس بذلك، ألم تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

ورواه مسلم [١٢٤] من حديث سليمان بن مهران الأعمش به. ثم اعترض تعالى بالوصية بالوالدين وبيان حقهما على الولد وتاكده وأمر بالإحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين ولكن لا يطاعان على

الله ﷺ قال: «قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني إياك والتمتع فإنه غرابة بالليل مذلة بالنهار» [البرهان: ١٦٢/٥] وعراه لابن أبي حاتم.

وقال أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا ضمرة، حدثنا السري بن يحيى قال: قال لقمان لابنه: يا بني إن الحكمة أجلبست المساكين مجالس الملوك.

وحدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال: قال لقمان لابنه: «يا بني إذا أتيت نادي قوم فارهمم بسهم الإسلام يعني: السلام، ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فاجلب سهمك معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم».

وحدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر، قال: وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبهِ، وجعل يعط ابنه وعظته ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال: يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل لتضرع. قال: فتغفر ابنه.

وقال أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير (١١٤٨٢)]: حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الحراني، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطراضي، حدثنا أبين بن سفيان المقدسي، عن خليفة بن سلام، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن».

قال الطبراني: يعني الحبيشة.

وهذا حديث غريب بل منكر.

وقد ذكر له الإمام أحمد ترجمة في كتاب الزهد ذكر فيها فوائد مهمة جمة، فقال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن رجل، عن مجاهد: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» [الزهد: ٤٨، ٤٩] قال: الفقه والإصابة في غير نية.

وكذا روي عن وهب بن منبه.

وحدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً [الزهد: ٤٩].

وحدثنا أسود، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب: أن لقمان كان خياطاً.

وحدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك يعني: ابن دينار. قال: قال لقمان لابنه: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة [الزهد: ٤٩].

وحدثنا يزيد، حدثنا أبو الأشهب، عن محمد بن واسع، قال: كان لقمان يقول لابنه: يا بني اتق الله ولا تر الناس أنك تحشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر [الزهد: ٤٩].

وحدثنا يزيد بن هارون ووكيع قالوا: حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربيعي، قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، فقال له سيده: اذبح لي شاة، فذبح له شاة، فقال: اتني بأطيب مضغتين فيها، فأتاه باللسان والقلب، فقال: أما كان فيها شيء أطيب من هذين؟ قال: لا، قال: فسكت عنه ما سكت، ثم قال له: اذبح لي شاة فذبح له شاة، فقال له: وأنت أعجبها مضغتين، فرمى باللسان والقلب، فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقى أعجبها مضغتين فأتيتك باللسان والقلب، فقال: إنه ليس شيء أطيب منها إذا طابا، ولا أحبث منهما إذا خبثا [الزهد: ٤٩].

رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر الذي يميل وجهه إذا كلم الناس، أو كلموه على وجه التعظيم عليهم.

قال أبو طالب في شعره [سورة ابن هشام: ٢٩٩/١]:
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ غَلَامَةً إِذَا مَا تَنَوَّا صُغُرَ الْخُدُودِ نُقْبِهَا

وقال عمرو بن حنبل التغلبي:
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صُغُرَ عُدَّتْ أَقْنَعَالُهُ مِنْ مِثْلِهِ نَقُورًا

وقوله: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» ينه عن التبخثر في المشية على وجه العظمة والفخر على الناس. كما قال تعالى: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» [الأعراس: ٣٧]. يعني: لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك هذه، ولست بدقك الأرض برجلك تخسف الأرض بوطئك عليها، ولست بتشاغلك وتعاطلك وترفعك تبلغ الجبال طولاً، فأتد على نفسك فلست تعدو قدرك.

وقد ثبت في الحديث: [م (٢٠٨٨)] من حديث أبي هريرة: «بينما رجل يمشي في يديه يتبخثر فيهما، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وفي الحديث الآخر [د (٤٠٨٤)]: «إياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله» كما قال في هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ».

ولما نهى عن الاختيال في المشي، أمره بالقصد فيه، فإنه لا بد له أن يمشي، فنهى عن الشر، وأمره بالخير، فقال: «وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ» أي: لا تباطأ مفرطاً، ولا تسرع إسراعاً مفرطاً، ولكن بين ذلك قواماً كما قال تعالى: «وَرِعَاذَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» [الفرقان: ٦٣].

ثم قال: «وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» يعني: إذا تكلمت لا تكلف رفع صوتك، فإن أرفع الأصوات وأنكرها صوت الحمير.

وقد ثبت في الصحيحين [ع (٣٣٠٣)، م (٢٧٢٩)] مطلقاً دون ذكر الليل، وما جاء مقيداً بذكر الليل أخرجه: [د (٥١٠٣)، ج (٣٥٥، ٣٠٦/٣)] الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير بالليل فإنها رأت شيطاناً ولهذا نهى عن رفع الصوت حيث لا حاجة إليه، ولا سيما عند العطاس، فيستحب خفض الصوت وتخميم الوجه، كما ثبت به الحديث [ع (٢٧٤٥)، د (٥٠٢٩)] من صنع رسول الله ﷺ - .

فأما رفع الأصوات بالأذان وعند الدعاء إلى الفنة للقتال، وعند الإهلال ونحو ذلك، فذلك مشروع.

فهذا مما قصه الله تعالى عن لقمان عليه السلام في القرآن من الحكم والوصايا النافعة الجامعة للخير المانعة من الشر، وقد وردت آثار كثيرة من أخباره ومواعظه، وقد كان له كتاب يؤثر عنه يسمى بـ «حكمة لقمان» ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله تعالى.

قال الإمام أحمد [٨٧/٢]: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، أخبرني نُهشل بن جَمْع الضبي، عن قرعة، عن ابن عمر، قال: أخبرنا رسول الله ﷺ قال: «إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئاً حفظه».

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي، عن موسى بن سليمان، عن القاسم بن خيمرة أن رسول

قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً [الزهدي: ص ٥٠].
وحديثنا أبو الصمد عن مالك بن دينار قال: وجدت في بعض الحكمة:
يبد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس ووجدت فيها: لا خير لك في
أن تعلم ما لم تعلم، ولما تعلم بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل
احتطب حطباً فحزم حزمة ثم ذهب يعملها فعجز عنها فحزم إليها أخرى
[الزهدي: ص ٥٠].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا الحكم بن أبي زهير وهو الحكم بن
موسى، حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد، قال: قال لقمان لابنه: يا
بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء والدر المنور:
١٦٤/٥، وعزه لحد الله بن أحمد في زوائده.

وهذا مجموع ما ذكره الإمام أحمد في هذا الموضع وقد قلنا من الآثار
كثيراً لم يروها كما أنه ذكر أشياء ليست عندنا والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا زيد
بن يحيى بن عبيد الخزاعي، حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال: خير الله
لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة على النبوة قال: فأتاه
جبريل وهو قائم فقرأ عليه الحكمة، قال: فاصبح ينطق بها والدر المنور:
١٦٤/٥، تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٣، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

قال سعيد: فسمعت قتادة يقول: قيل للقمان: كيف اخترت الحكمة
على النبوة، وقد خبرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت
فيه الفوز منه، ولكن أرجو أن أقوم بها، ولكنه خبرني فخفت أن أضعف
عن النبوة، فكانت الحكمة أحب إلى.

وهذا فيه نظر لأن سعيد بن بشير عن قتادة قد تكلموا فيه.
والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ
الْحِكْمَةَ﴾ قال: يعني الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً ولم يرح إليه وهب
الطبري: ٦٧/٢١، الدر المنور: ١٦٤/٥، وعزه لابن أبي حاتم.

وهكذا نص على هذا غير واحد من السلف منهم مجاهد وسعيد بن
السيب وابن عباس [تفسير الطبري: ٦٧/٢١، ٦٨] والله أعلم.

١٠ - قصة أصحاب الأخدود

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْجَبُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاقِيقِ
وَمَشْهُودِ. قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ. النَّارُ ذَاتَ الْوُفُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ.
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ. إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ﴾ [البورج: ١-١٠].

قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة ولله الحمد.
وقد زعم محمد بن إسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح، وخالفه غيره
فزعوا أنهم كانوا قبله.

وقد ذكر غير واحد أن هذا الصنيع مكرر في العالم مراراً في حق
المؤمنين من الجبارين الكافرين، ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد
فيهم حديث مرفوع، وأثر أورده ابن إسحاق وهما متعارضان وهما نحن
نوردهما لتقف عليهما.

قال الإمام أحمد [١٦٦، ١٧٠]: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن
ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ

وحدثنا داود بن رشيد، حدثنا ابن المبارك، حدثنا معمر عن أبي عثمان
رجل من أهل البصرة، يقال له: الجعد أبو عثمان قال: قال لقمان لابنه: لا
ترغب في ود الجاهل فیری أنك ترضى عمله، ولا تهانوا بمقت الحكيم
فيزهده فيك والدر المنور: ١٦٣/٥، وعزه لأحد في الزهدي.

وحدثنا داود بن رشيد حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن
زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن عبد الله بن زيد قال: قال لقمان:
الا إن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له.

وحدثنا عبد الرزاق سمعت ابن جريج قال: كنت أقتع رأسي بالليل
فقال لي عمرو: أما علمت أن لقمان قال: القناع بالنهار مذلة معذرة - أو
قال: معجزة - بالليل، فلم تقنع رأسك بالليل؟ قال: قلت له: إن لقمان لم
يكن عليه دين والدر المنور: ١٦٤/٥، وعزه لحد الله بن أحمد في زوائده.

وحدثني حسن بن الجعيد، حدثنا سفيان: قال لقمان لابنه: يا بني ما
نمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب
[الزهدي: ص ٤٩].

وحدثنا عبد الصمد ووكيع قالوا: حدثنا أبو الأشهب عن قتادة: أن
لقمان قال لابنه: يا بني اعتزل الشر يعتزلك، فإن الشر للشر خلق والدر
المنور: ١٦٤/٥، وعزه لأحد، والدر الزهدي: ص ٤٩.

وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، قال: مكتوب في
الحكمة: يا بني إياك والرغب فإن الرغب كل الرغب يبعد القريب من
القريب ويزيل الحلم كما يزيل الطرب. يا بني إياك وشدة الغضب، فإن
شدة الغضب محقة لفؤاد الحكيم والدر المنور: ١٦٤/٥، وعزه لأحد.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا نافع بن عمر عن
ابن أبي مليكة، عن عبيد بن عمير قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني
اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل، فاجلس
معه فإنك إن تك عالماً تنفعك علمك، وإن تك غيياً تعلموك، وإن يطلع
الله عليهم برحة تصيبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس السذي لا يذكر
الله فيه فإنك إن تك عالماً لا تنفعك علمك وإن تك غيياً يزيلوك غيأه،
وإن يطلع الله إليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم. يا بني لا تنطقن أمراً
رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين، فإن له عند الله قتالاً لا يموت والدر
المنور: ١٦٤/٥، وعزه لأحد.

وحدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه. قال: مكتوب في
الحكمة: «بني لكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى
الناس من يعطيهم العطاء».

وقال: مكتوب في الحكمة أو في التوراة: «الرفق رأس الحكمة».

وقال: مكتوب في التوراة: كما ترحمون ترحمون.

وقال: مكتوب في الحكمة: كما تزرعون تحصدون.

وقال: مكتوب في الحكمة: أحب خليلك وخليل أبيك» [الزهدي: ص ٤٩،

٤٥].

وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال: قيل
للقمان: أي الناس أصبر؟ قال صبر لا يتبعه أذى. قيل: فأي الناس أعلم؟
قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه.

قيل: فأي الناس خير؟ قال: «الغني». قيل: الغني من المال؟ قال: لا
ولكن الغني الذي إذا التمس عنه خير وجد ولا اغنى نفسه عن الناس
والدر المنور: ١٦٤/٥، وعزه لأحد.

وحدثنا سفيان - هو ابن عيينة - قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟

«كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً فلأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً فكان يعلمه السحر، وكان بين الملك وبين الساحر راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه لحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك قتل: حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك قتل: حبسني الساحر» قال: «فينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الساحر أحب إلى الله أم أمر الراهب».

قال: «فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورمها فقتلها. ومضى الناس فاتعبر الراهب بذلك فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبلي، فإن ابتليت فلا تدل علي».

فكان الغلام يرى الأكه والأبرص وسائر الأدواء، ويشفيهم وكان جالس للملك، فعني فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفي لي ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل، فإن أمنت به ودعوت الله شفاك. فأمن فدعا الله فشفاه

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي، قال: أنا؟ قال: لا ربي وربك، الله. قال: ولك رب غيره؟ قال: نعم ربي وربك الله.

فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فأتى به فقال: أي بني بلغ من سحر أن تبرئ الأكه والأبرص، وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحداً، إنما يشفي الله عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أولك رب غيره؟ قال: ربي وربك الله، قال: فأخذه أيضاً بالعذاب، ولم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال: أرجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعني: أرجع عن دينك فأبى، فبعث في مفرق رأسه حتى وقع شقاه وقال للغلام: أرجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته فإن رجعت عن دينه وإلا ندموه.

فذهبوا به فلما علوا الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فزحف بهم الجبل فدمدموا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم البحر فإن رجعت عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلعجوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون.

وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرتك به، فإن أنت فعلت ما أمرتك به قتلتي، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلي علي جذع وتأخذ سهماً من كنتاني. ثم قل: بسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي. ففعل ووضع السهم في كبد القوس ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرايت ما كنت تحذر، فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السك فخلدت فيها

الآخاديد وأضمرت فيها النيران، وقال: من رجعت عن دينه فدعوه، وإلا فأتحموه فيها» قال: «فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكانها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمه فإنك على الحق».

كذا رواه الإمام أحمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة (٣٠٥)، النسائي في الكبرى (١١٦٦١).

زاد النسائي: وحماد بن زيد.

كلامها عن ثابت به.

ورواه الترمذي (٣٣٤٠) من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن ثابت، بإسناده نحوه، وحرر لإيراده.

كما بسطنا ذلك في التفسير.

وقد أورد محمد ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٤/١) هذه القصة على وجه آخر فقال: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب.

وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها، أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قريه من قرأها قرياً من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فبيون ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه لي ابن منبه، قالوا: رجل نزلها فبانت خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر.

فبعث الناصر ابنه عبد الله بن الناصر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يري من عبادة وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم، فوحد الله وعبد، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه فكتمه إياه، وقال له: يا ابن أخي إنك لن تحمله، أخشى ضعفك عنه، الناصر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتحرف ضعفه فيه، عمد إلى قدح فجمعها، ثم لم يبق لله أسماً يعلمه إلا كتبه في قدح، لكل اسم قدح، حتى إذا احصاها أوقف نراها ثم جعل يقذفها قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدره، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي قد أصبت، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

فجعل عبد الله بن الناصر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبدالله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعانيك بما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم، ويدعو الله فيشفي حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فأتبه على أمره ودعا له فعرفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال: أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثل بك قال: لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقي به فيها فيخرج ليس به بأس.

فلما غلبه قال له عبد الله بن الناصر: إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما أمنت به، فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلني. قال: فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الناصر، ثم ضربه

حدثنا حسان بن عطية، حدثني أبو كيثبة السلولي أن عبد الله بن عمرو بن العاص حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ - يعني يقول -: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ورواه أحمد [٢٠٢/٢] أيضاً عن عبد الله بن عمر وعبد الرزاق كلاهما عن الأوزاعي به.

وهكذا رواه البخاري [٣٤٦١] عن أبي عاصم النبيل عن الأوزاعي به.

وكذا رواه الترمذي [٢٦٦٩] عن بندار، عن أبي عاصم.

ثم رواه عن محمد بن يحيى الذهلي، عن محمد بن يوسف الفريابي، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن حسان بن عطية به [٢٦٦٩].

وقال: حسن صحيح.

وقال أبو بكر البزار [كشف الأسرار ٢٣٠]: حدثنا محمد بن المثنى أبو موسى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي عن قتادة، عن أبي حسان عن عبدالله بن عمرو قال: كان نبي الله ﷺ يحدثنا عامة ليلة عن بني إسرائيل حتى يصبح، ما يقرم فيها إلا لعظم صلاة.

ورواه أبو داود [٣٦٦٣] عن محمد بن المثنى.

ثم قال البزار [كشف الأسرار ٢٢٣]: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عصفار، حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أبي حسان عن عمران بن حصين قال: كان رسول الله ﷺ يحدثنا عامة ليلة عن بني إسرائيل لا يقوم إلا لعظم صلاة.

قال البزار: وهشام أحفظ من أبي هلال يعني: أن الصواب عن عبد الله بن عمرو، لا عن عمران بن حصين والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٤٧٤/٢]: حدثنا يحيى هو القطان، عن محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» إسناده صحيح ولم يخرجه.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا وكيع، حدثنا ربيع بن سعد الجعفي عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل فإنه قد كان فيهم الأعاجيب» وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العلية [٦٧٨].

ثم أنشأ يحدث ﷺ قال: «خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل فيخرج لنا رجلاً قد مات نسأله يحدثنا عن الموت، ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك القبور رجل بين عينيه أثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم لي؟ فقد مت منذ مائة عام فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعينني كما كنت»، وهذا حديث غريب.

إذا تقرر جواز الرواية عنهم، فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحاً، فاما ما يعلم أو يظن بطلانه لمخالفته الحق الذي بآبائنا عن المعصوم، فذاك متروك مردود لا يعرج عليه، ثم مع هذا كله لا يلزم من جواز روايته أن يعتقد صحته لما رواه البخاري قاتلاً [٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢]: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ولا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا» تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وروى الإمام أحمد [١٣٦/٤] من طريق الزهري عن أبي ثعلبة

بعضاً في يده فشجه شجرة غير كبيرة فقتله، وهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر. وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان. قال فسار إليهم ذو نواس بجند فدهاهم إلى اليهودية، وخبرهم بين ذلك أو القتل، فأختاروا القتل فخذ الأخلود، وحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، فقتل منهم قريباً من عشرين ألفاً فبي ذئ نواس وجنده أنزل الله على رسوله: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخُودِ. النَّارُ ذَاتُ الْوُجُوهِ﴾ [البورج: ٤-٥] الآيات.

وهذا يقتضي أن هذه القصة غير ما وقع في سياق مسلم.

وقد زعم بعضهم أن الأخلود وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال: كان الأخلود في اليمن زمان تبسج، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم من دين المسيح والتوحيد، واتخذ أتواناً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل في زمان مختصر حين صنع الصنم، وأمر الناس فسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريّا ومشايل، فأوقد لهم أتواناً وألقى فيها الحطب والنار، ثم أقامها فيه، فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً وانقذهم منها، وألقى فيها الذين بنوا عليه وهم تسعة رمط فاكلتهم النار.

وقال أسباط عن السدي في قوله: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخُودِ﴾ قال: كان الأخلود ثلاثة: خد بالشام وخد بالعراق وخد باليمن رواه ابن أبي حاتم.

وقد استقصيت ذكر أصحاب الأخلود والكلام على تفسيرها في تفسير سورة البورج من كتابنا «التفسير»، والله الحمد والمنة.

١١- الإذن في الرواية عن بني إسرائيل

قال الإمام أحمد [٤٦٣/٣]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا هشام، حدثنا زيد عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «حدثوا عني ولا تكذبوا علي» ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

وقال أيضاً [السنن: ٥٦٣/٣]:

حدثنا عصفار، حدثنا هشام، أنبأنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «ولا تكذبوا عني شيئاً غير القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليسمه» وقال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، حدثوا عني ولا تكذبوا علي» قال: «ومن كذب علي» قال هشام: أحسبه قال: «متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

وهكذا رواه مسلم [٣٠٠٤] والنسائي من حديث هشام.

ورواه أبو عوانة الإسفريني عن أبي داود السجستاني، عن هبة، عن هشام، عن زيد بن أسلم به، ثم قال: قال أبو داود: أخطأ فيه هشام، وهو من قول أبي سعيد كنا قال.

وقد رواه الترمذي [٢٦٦٥] عن سفيان، عن وكيع، عن سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم ببعضه مرفوعاً قاله أعلم.

قال الإمام أحمد [١٥٩/٢]: حدثنا الوليد بن مسلم، أنبأنا الأوزاعي،

١٢- قصة جريج أحد عُبَّاد بني إسرائيل

قال الإمام أحمد [٣٠٧/٢]: حدثنا وهب بن جرير حدثني أبي سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم» قال: «وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتى صومعة وتعب فيها» قال: «فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بني منهم: لئن شتم لأقتنه، فقالوا: قد شتمنا ذلك» قال: «فأقته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكت نفسها من راع كان يأوي غنمه إلى أصل صومعة جريج فحملت فولدت غلاماً فقالوا: بمن؟ قالت: من جريج فأثرو فاستنزله فشتموه وضربوه وهدموا صومعته، فقال: ما شاتمكم؟ قالوا: إنك زنت بهذه البغي فولدت غلاماً فقال: وأين هو؟ قالوا: هو ذا» قال: «فقام فصلّي ودعا ثم انصرف إلى الغلام فطعنه بأصبعه فقال: بالله يا غلام من أبوك؟ فقال: أنا ابن الراعي، فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقلبونه وقالوا: نبي صومعتك من ذهب قال: لا حاجة لي في ذلك ابنوها من طين كما كانت».

قال: «وبينما امرأة في حجرها ابن لما ترضعه إذ مر بها راكب ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا» قال: «فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله» قال: «ثم عاد إلى ثديها فمصه» قال أبو هريرة: فكانني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي صنع الصبي ووضع أصبعه في فيه مصه» ثم مرّ بأمة تُضرب فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلاً» قال: «فترك ثديها وأقبل على الأمة فقال: اللهم اجعلني مثلاً» قال: «فذاك حين تراجعوا الحديث. فقالت: حلقي مر الراكب ذو الشارة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله ومرر بهذه الأمة فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلاً، فقلت: اللهم اجعلني مثلاً، فقال: يا أمته إن الراكب ذو الشارة جبار من الجبابرة، وإن هذه الأمة يقولون: زنت ولم تزن، وسرقت ولم تسرق. وهي تقول حسي الله».

وهكذا رواه البخاري في أحاديث الأنبياء [٥٢٣/٢، ٥٢٤] وفي المظالم [٢٤٨٢] عن مسلم بن إبراهيم، ومسلم في كتاب الأدب عن زهير بن حرب عن يزيد بن هارون كلاهما عن جرير بن حازم به [٢٥٥٠].

طريق أخرى. وسياق آخر:

قال الإمام أحمد [٤٣٣/٢]: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال عن أبي رافع، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان جريج يتعب في صومعته» قال: «فأقته أمه فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمني» قال: «وكان أبو هريرة يصف كما كان رسول الله ﷺ يصفها وضع يده على حاجبه الأيمن قال: «فصادفته يصلي قال: يارب أمي وصلاتي فاختر صلاته، فَرَجَعْتُ ثم أتته فصادفته يصلي فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمني قال: يا رب أمي وصلاتي فاختر صلاته، فقالت: اللهم هذا جريج وإنه ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني اللهم فلا غتمه حتى تريه المويسات. ولو دعت عليه أن يفتن لافتن».

قال: «وكان راع يأوي إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي فولدت غلاماً، فقيل: بمن هذا؟ فقالت: هو من صاحب الدبر، فاقبلوا بفؤوسهم ومساحيقهم وأقبلوا إلى الدبر فنادوه فلم يكلمهم، فاقبلوا يهدمون ديره، فنزل إليهم فقالوا: سل هذه المرأة قال: «أراه تبسم» قال: «ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: راعي الضأن، قالوا: يا جريج نبي ما

الأنصاري، عن أبيه أنه كان جالساً عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنان؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أعلم» فقال اليهودي: أنا أشهد. أنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكتبوهم وقولوا: آمنا بالله وكببه ورسله فإن كان حقاً لم تكتبوهم وإن كان باطلاً لم تصدقوهم» فترد به أحمد.

وقال الإمام أحمد [٤٥٧/١]: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم أنبأنا جلاله عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال: «أأنتم وكونوا فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي به لقد جتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل تصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني» فترد به أحمد وإسناده على شرط مسلم.

فهذه الأحاديث دليل على أنهم قد بدلوا ما بأيديهم من الكتب السماوية وحرفوها وأزكروها ووضعوها على غير مواضعها، ولا سيما ما يلدونه من المعريات التي لم يحيطوا بها علماً، وهي بلغتكم فكيف يعبرون عنها بغيرها، ولأجل هذا وقع في تعريضهم خطأ كبير، ووهم كثير، مع ما لهم من المقاصد الفاسدة والآراء الباردة، وهذا يتحققه من نظر في كتبهم التي بأيديهم، وتأمل ما فيها من سوء التعبير، وقبح التبديل والتغيير، والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير.

هذه التوراة التي يلدونها ويخفون منها كثيراً فيما ذكروه فيها تحريف وتبديل وتغيير وسوء تعبير، يعلم من نظر فيها وتأمل ما قالوه، وما أبدوه وما أخفوه، وكيف يصوغون عبارة فاسدة البناء والتركيب، باطلة من حيث معناها وألفاظها.

وهذا كعب الأخبار من أجود من ينقل عنهم، وقد أسلم في زمن عمر، وكان ينقل شيئاً عن كتب أهل الكتاب، فكان عمر رضي الله عنه يستحسن بعض ما ينقله لما يصدق من الحق، وتأليفاً لقلبه فتوسع كثير من الناس في أخذ ما عنده، وبالعكس أيضاً هو في نقل تلك الأشياء التي كثير منها ما يساري مداده. ومنها ما هو باطل لا محالة. ومنها ما هو صحيح لما يشهد له الحق الذي بأيدينا.

وقد قال البخاري [٧٣٦١]: وقال أبو اليمان: حدثنا شعيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلاً من قريش بالمنية. وذكر كعب الأخبار فقال: إن كان من أصلق هؤلاء المجذنين الذين يمدحون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب، يعني من غير قصد منه.

وروى البخاري [٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٣] عن حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس أنه قال: كيف يسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على رسوله أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يُشَبَّ؟ وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به شيئاً قليلاً ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألهم عن الذي أنزل عليكم.

وروى ابن جرير [٣/٢١] عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، إما أن تكتبوا بحق أو تصدقوا بباطل والله أعلم.

أبيه، عن جده، عن الأعمش عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿كَفَرَّ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ [المعشر: ١٦-١٧].

قال ابن مسعود: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها إخوة أربعة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فترك الراهب ففجر بها، فحملت فأنجبت الشيطان، فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإني رجل مصلق يسمع قولك فقتلها، ثم دفنها، قال: فأتى الشيطان إختوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا.

فلما أتوا أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا، قال: فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك. قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأنزله. ثم انطلقوا به، فأنجبت الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فأسجد لي سجدة واحدة وانحلي مما أوقعتك فيه قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأخذ قتل.

وهكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك.

وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سباق آخر فقال ابن جرير (مسير الطبري: ٤٩/٢٨): حدثنا خالد بن أسلم، حدثنا النصر بن شميل، أنبأنا شعبة عن أبي إسحاق، سمعت عبد الله بن نهيك، سمعت علياً يقول: إن راهباً تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أراد أن يهلكه فعمد إلى امرأة فأنجبت لها إخوة فقال لإختوتها: عليكم بهذا القس ففعلوها قال: فجاؤا بها إليه ففادواها، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته، فأنجبت، فعمد إليها فقتلها، ففجأ إختوتها فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك إنك أعيتني، أنا صنعت هذا بك فأطعني أهلك مما صنعت بك، أسجد لي سجدة، فسجد له قال: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿كَفَرَّ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿

١٤ - قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانطبق عليهم

قال الإمام البخاري (٣/٤٦٥): حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نمر عن كان فليكم يمسون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق. فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أن كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرتة فصار من أمره أنني اشتريت منه بقرًا، وأنه أناني يطلب أجره فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسحقها فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فأنها من ذلك الفرق، فساقها فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففأساخت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي إخوان شيخان كبيران،

هلعنا من دبرك بالذهب والفضة؟ قال: لا ولكن أعيدوه كما كان فعلوا. ورواه مسلم (٢/٢٥٥) في الاستئذان عن شيان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة به.

سباق آخر:

قال الإمام أحمد (٢/٣٨٥): حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنبأنا ثابت عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج. كان يتعبد في صومعته فاتته أمه ذات يوم فنادته فقالت: أي جريج أي بُني أشرف عليّ أكلحك، أنا أمك أشرف عليّ. فقال: أي رب صلاتي وأمي فأقبل على صلاته، ثم عادت فنادته مراراً فقالت: أي جريج أي بني أشرف عليّ فقال: أي رب صلاتي وأمي فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى تراه الموسمة.

وكانت راعية ترعى غنماً لأهلها، ثم تأوي إلى ظل صومعته فأصابته فاحشة فحملت فأولدت. وكان من زنى منهم قتل، فقالوا: ممن؟ قالت: من جريج صاحب الصومعة. فجاؤوا بالفؤوس والمروور فقالوا: أي جريج أي مرأه أنزل، فأبي وأقبل على صلاته يصلي، فآخذوا في هدم صومعته فلما رأى ذلك نزل فجعلوا في عنقه وعقها حبلًا فجعلوا يطوفون بهما في الناس، فوضع أصبعه على بطنها فقال: أي غلام من أبوك؟ فقال: أبي فلان راعي الضأن، فقبلوه وقالوا: إن شئت بنا لك صومعتك من ذهب وفضة، قال أعيدوها كما كانت.

وهذا سباق غريب وإسناده على شرط مسلم، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه.

فهؤلاء ثلاثة تكلموا في المهد عيسى ابن مريم عليه السلام وقد تقدم الكلام على قصته، وصاحب جريج ابن البني من الراعي كما سمعت، والثالث ابن المرأة التي كانت ترضعه، فتحت أن لا يكون كصاحب الشارة الحسة، فتمنى أن يكون كذلك الأمة المتهمه بما هي بريئة منه، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

كما تقدم في رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً.

وقد رواه الإمام أحمد (٢/٣٩٥): عن هروثة، عن عوف الأعرجي، عن خلاص، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بقصة هذا الغلام الرضيع وهو إسناد حسن.

وقال البخاري (٣/٤٦٦): حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج، حدثنا أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب وهي ترضعه فقالت: اللهم لا تمته ابني حتى يكون مثل هذا، فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم رجع في الثاني ومر بامرأة تجر ويلعب بها، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه. فقال: اللهم اجعلني مثلاً، أما الراكب فإنه كافر. وأما المرأة فإنهم يقولون لها: تزني وتقول: حسبي الله، ويقولون: تسرق وتقول: حسبي الله.

وقد ورد في من تكلم في المهد أيضاً شاهد يوسف، كما تقدم، وابن ماشطة آل فروخ فآله أعلم.

١٣ - قصة برصيصا

وهي عكس قصة جريج، فإن جريجاً عُصم وذلك فتن. قال ابن جرير (مسير الطبري: ٤٩/٢٨): حدثني يحيى بن إبراهيم السعدي، حدثنا أبي، عن

وكنتم آتيهما كل ليلة بلين غنم لي فإبطات عنهما ليلة فجنحت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنتم لا أستقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

وأتى الأقرع في صورته وهيته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت يسي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال:

قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشئ أخذته لله عز وجل، فقال: أمسك مالك فأعما ابتليتكم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك.

هنا لفظ البخاري في أحاديث بني إسرائيل.

١٦- حديث الذي استلف من صاحبه

ألف دينار فأداهما

قال الإمام أحمد [٣٤٨/٢]: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اتني بشهداء أشهدهم، قال: كفى بالله شهيداً، قال: اتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فنفعها إليه إلى أجل مسمى. فخرج في البحر فقضي حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي كان أجله، فلم يجد مركباً فآخذ خشبة ففقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر. ثم قال: اللهم إنك قد علمت أنني استلفت من فلان ألف دينار، فسألني كفيلاً قلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بذلك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بذلك وإنني قد جهدت أن أجده مركباً أبعث إليه بالذي له فلم أجده مركباً، وإنني استودعتكها فرمي بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركباً إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً يجيء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه، فأثاه بألف دينار وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت ليّ بشيء؟ قال: ألم أخبرك أنني لم أجده مركباً قبل هذا الذي جئت فيه؟ قال: فإن الله أدي عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بالملك راشداً.

هكذا رواه الإمام أحمد مستنداً.

وقد علقه البخاري [١٤٩٨، ٢٢٩١، ٢٤٠٤، ٢٤٣٠، ٢٧٣٤، ٢٧٦١] في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد، وأسندته في بعضها عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه [٢٠٦٣].

والعجب من الحافظ أبي بكر البزار كيف رواه في مسنده عن الحسن بن مارك عن يحيى بن حماد، عن أبي عروانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه. ثم قال: لا يروى إلا من هذا

وقلت أنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأنني راودتها عن نفسها فأبى إلا أن أتياها بمائة دينار، فطلبتها حتى قلت فأتيتها بها فلغبتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما عدلت بين رجلها فقال: اتني الله ولا تنرض الحتام إلا بحقه فممت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا، رواه مسلم عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر به [٢٧٤٣].

وقد رواه الإمام أحمد [١١٦/٢] منفرداً به عن مروان بن معاوية، عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن سالم عن أبيه، عن النبي ﷺ بنحوه.

ورواه الإمام أحمد [٢٧٤/٤] من حديث وهب بن منبه، عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق وفيه زيادات.

ورواه البزار من طريق أبي إسحاق عن رجل من بجيلة عن النعمان بن بشير مرفوعاً مثله [قال المصنف في الجمع ١٤٢/٨: رواه أحمد، والطبراني في الأوسط والكبير، والبزار بنحوه من طرق، ورجال أحمد قات].

ورواه البزار في مسنده [كشف الأسرار (١٨٦٧)] من حديث أبي حنبل، عن علي ابن أبي طالب عن النبي ﷺ بنحوه.

١٥- خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع

روى البخاري [٢٩٦٤، ٣٤٦٤، ٦٦٥٣] ومسلم [٢٩٦٤] من غير وجه عن همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يتلهم فبعث الله إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال له: أي شيء أحب إليك؟ فقال: لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس» قال: «فمسحه فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل» - أو قال: «البقر» - هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر - «فأعطي ناقه عشرة» فقال: يبارك لك فيها.

قال: «وأتى الأقرع فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس» قال: «فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والنا فاتتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيته، فقال: رجل مسكين تقطعت يسي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله، ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ علي في سفري، فقال له: إن

الوجه بهذا الإسناد.

أن تقري، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجد لي هذه أقرب بشير، فففر له. هكذا رواه مهنا مختصراً.

وقد رواه مسلم (٢٧٦٦) عن بندار به، ومن حديث شعبة ومن وجه آخر عن قتادة به مطولاً.

١٧- قصة المشري للعقار وفيه ذهب

قال البخاري (٣٤٧٢): حدثنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق عن معمر، عن همام بن منه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما لي رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية. قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقاً».

هكذا روى البخاري هذا الحديث في أخبار بني إسرائيل وأخرجه مسلم (١٧٢١) عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق به.

وقد روي أن هذه القصة وقعت في زمن ذي القرنين. وقد كان قبل بني إسرائيل بدهور متطاولة والله أعلم.

قال إسحاق بن بشر في كتابه المبتدأ عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن إن ذا القرنين كان يتفقد أمور مملكه وعماله بنفسه، وكان لا يطلع على أحد منهم خيانة إلا أنكر ذلك عليه، وكان لا يقبل ذلك حتى يطلع هو بنفسه. قال: فبينما هو يسير متكرراً في بعض المدن، فجلس إلى قاض من قضاتهم أياً ما لا يختلف إليه أحد في خصومة، فلما أن طال ذلك بذي القرنين ولم يطلع على شيء من أمر ذلك القاضي، وهم بالانصراف إذا هو برجلين قد اختصما إليه، فادعى أحدهما فقال: أيها القاضي إني اشترت من هذا داراً عمرتها ووجدت فيها كنزاً، وإني دعوته إلى أخذه فإني علي، فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: ما دنت ولا علمت به، فليس هو لي ولا أقبضه منه، قال المدعي: أيها القاضي مر من قبضه فتضعه حيث أجبته، فقال القاضي: نفر من الشر وتدخلني فيه، ما أنصفني وما أظن هذا في قضاء الملك. فقال القاضي: هل لكما في أمر أنصف مما دعوتاني إليه؟ قال: نعم. قال للمدعي: ألك ابن؟ قال: نعم، وقال للآخر: ألك ابنة؟ قال: نعم. قال: ادعيا زوج ابنتك من ابن هذا وجهزهما من هذا المال، وادفعوا فضل ما بقي اليهما يعيشان به فتكونا قد صليتما بخيره وشره. فمعب ذو القرنين حين سمع ذلك، ثم قال للقاضي: ما ظننت أن في الأرض أحد يفعل مثل هذا، أو قاض يقضي بمثل هذا. فقال القاضي وهو لا يعرفه: وهل أحد يفعل غير هذا؟ قال ذو القرنين: نعم، قال القاضي: فهل مطرون في بلادهم؟ فمعب ذو القرنين من ذلك، وقال: بمثل هذا قامت السماوات والأرض.

١٩- بقرة وذئب يتكلمان

قال البخاري (٣٤٧١): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: «فينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرح». فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم فقال: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كانه استنقذها منه فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني! فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم! قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم.

قال: وحدثنا علي قال: حدثنا سفيان عن مسعر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمثله.

وقد استند البخاري (٣٤٧١) في المزارعة عن محمد بن بشار.

ومسلم (٢٣٨٨) عن محمد بن عباد عن سفيان بن عيينة.

وأخرجه (٢٣٢٤) م (٢٣٨٨) من طريق شعبة كلاهما عن سعد به.

وقال الترمذي (٣١٧٧): حسن صحيح.

وأخرج مسلم الطريق الأول من حديث سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري كلاهما عن أبي الزناد به (٢٣٢٤).

٢٠- فيمن قبلكم محدثون

قال البخاري (٣٤٦٩): حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

لم يخرج مسلم من هذا الوجه.

وقد روى عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها (٢٣٩٨).

٢١- ما اتخذ نساء بني إسرائيل

قال البخاري (٣٤٦٨): حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن سفيان عام حج على المنبر، فتناول قصة من شعر كانت في يدي حرساً فقال: يا أهل المدينة أين علماكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن مثل هذه، ويقول: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذوا نساؤهم».

وهكذا رواه مسلم (٢١٢٧) وأبو داود (٤١٦٧) من حديث مالك.

١٨- قصة من قتل تسعاً وتسعين نفساً

قال البخاري (٣٤٧٠): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة، عن قتادة، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال: هل من توبة؟ قال: لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: أنت قربة كذا وكذا فأنكر الموت فناء بصدره نحوها، فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه

قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

تفرد به البخاري دون مسلم.

وقد رواه بعضهم عن ريمي بن حراش، عن حذيفة مرفوعاً وموقوفاً أيضاً [مسند الإمام أحمد: ٣٨٣/٥، أبو نعيم في الحلية: ٣٧٠/٤]. والله أعلم.

٢٦- امتلاء التنور

قال الإمام أحمد [٤٢١/٢]: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد يعني: ابن بهرام، حدثنا شهر بن حوشب قال: قال أبو هريرة «بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدرون على شيء، فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائئاً قد أصابته مسيبة شديدة فقال لامرأته: أعينك شيء؟ قالت: نعم، أبشر أنك رزق الله فاستحنتها فقال: ويحك ابني إن كان عندك شيء؟ قالت: نعم هنية نرجو رحمة الله، حتى إذا طال عليه الطوى، قال: ويحك قومي فابني إن كان عندك خبز فأتيني به فإني قد بلغت وجهتي. فقالت: نعم الآن يفضح التنور فلا تعجل، فلما أن سكنت عنها ساعة وتحيت أيضاً أن يقول لها قالت هي من عند نفسها: لو قمت فظفرت إلى تنوري، فقامت فوجدت تنورها ملأ من جنوب الغنم، ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فففضتها وأخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم».

قال أبو هريرة: فو الذي نفس أبي القاسم بيده عن قول محمد ﷺ: «لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطاحتها إلى يوم القيامة».

وقال أحمد [٥١٣/٢]: حدثنا ابن عامر، حدثنا أبو بكر عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البيرة، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها، وإلى التنور فسجرتها، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً. قال: فرجع الزوج قال: أصبمت بعدني شيئاً؟ قالت امرأته: نعم من رنا.

قام إلى الرحي فرفعهما فذكر للنبي ﷺ فقال: «أما إنه لو لم يرفعهما لم تزل تدور إلى يوم القيامة».

شهدت النبي ﷺ وهو يقول: «والله لأن يأتي أحدكم صبيراً ثم يحمله فيبعه فيستغف منه خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله».

٢٧- قصة الملكين الثانيين

قال الإمام أحمد [٤٥١/١]: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المسعودي عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكر فعلم أن ذلك مقطع عنه وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربه، ففسر فانسأب ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به يضرب اللبن بالأجر فيأكل ويتصدق بالفضل، ولم يزل كذلك حتى رقي أمره إلى ملكهم وعبادته وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه فأبى أن يأتيه فاعاد ثم أعاد إليه فأبى أن يأتيه، وقال: ما له وما لي؟ قال: فركب إليه الملك، فلما رآه الرجل وأبى هارباً فلما رأى ذلك الملك، ركض في أثره فلم يدركه، قال: فناداه يا عبد الله إنه ليس عليك مني بأس، فقام حتى أدركه، فقال له:

وكذا رواه معمر ويونس وسفيان بن عيينة عن الزهري بنحوه.

وقال الترمذي [٢٧٨١]: حديث صحيح.

وقال البخاري [٥٩٣٨، ٣٤٨٨]: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة قال: سمعت سعيد بن المسيب قال: قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة آخر قدمة قدامها، فخطبنا فأخرج من كمه كبة شعر فقال: ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود إن النبي ﷺ سماه الزور. يعني: الوصال في الشعر.

تابعه عن شعبة.

والعجب أن مسلماً رواه من غير وجه عن غنم، عن شعبة به. [١٢٣، ٢١٢٧] ومن حديث قتادة عن سعيد بن المسيب [١٢٤، ٢١٢٧].

٢٢- بغى تسقى كلباً

قال البخاري [٣٤٦٧]: حدثنا سعيد بن تليد، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني جرير بن حازم عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يطيف بركبة كاد يقتله العطش إذ رأته بغى بني إسرائيل، فترعت موقفها فسقته فغفر لها به».

ورواه مسلم [٢٢٤٥] عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب به.

٢٣- امرأة عذبت في هرة

قال البخاري [٣٤٨٢]: حدثنا عبد الله بن أسماء، حدثنا جويرية عن نافع، عن عبد الله بن عمر. أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة سجتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

وكذا رواه مسلم [٢٢٤٢] عن عبد الله بن محمد بن أسماء به.

٢٤- امرأة تصنع رجلين من خشب

قال الإمام أحمد [٤٠/٣]: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا المستر بن الريان، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة، فصنعت رجلين من خشب، فكانت تمشي بين امرأتين قصيرتين، واتخذت خاتماً من ذهب وحشت تحت فمها أطيب الطيب والمسك، فكانت إذا مرت بالجلس حركته فتعرج رجليه».

ورواه مسلم [٢٢٥٢] من حديث المستر وخليفة بن جعفر كلاهما عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعاً قريباً منه.

وقال الترمذي [٩٩١]: حديث حسن صحيح.

٢٥- من كلام النبوة

قال البخاري [٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠]: حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن منصور، سمعت ريمي بن حراش يحدث عن ابن مسعود قال:

عاصر بن سعد به:

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا داود بن أبي الفرات، حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون «فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء من عباده وأن الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا أن كان له مثل أجر شهيد. تفرد به البخاري [خ (٣٤٧٤)] عن مسلم من هذا الوجه.

٣١- إذا سرق فيهم الشريف

قال البخاري [خ (٣٤٧٥)]: حدثنا قتيبة، حدثنا ليث عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال: رسول الله ﷺ «اتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب، ثم قال: «إني أهلك الذين من قبلكم. أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وإني لأرى أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». وأخرجه بقية الجماعة عن طريق عن الليث بن سعد به [م (١٦٨٨)] و [خ (٤٣٧٣)]، ت (١٤٣٠)، س (٤٩١٤)، ج (٢٥٤٧).

٣٢- لا تختلفوا كما اختلف السابقون

وقال البخاري [خ (٣٤٧٦)]: حدثنا آدم حدثنا شعبة، حدثنا عبد الملك بن مسيرة سمعت النزال بن سبرة الهلالي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافاً، فجلست به النبي ﷺ فأخبرته، ففرقت في وجهه الكراهية وقال: «كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». تفرد به البخاري دون مسلم.

٣٣- مخالفة أهل الكتاب في الصبغة

قال البخاري [خ (٣٤٦٢)]: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح، عن ابن شهاب قال: قال أبو سلمة بين عبد الرحمن: إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم». تفرد به دون مسلم. وفي سنن أبي داود [د (٦٥٢)] «صلوا في نعالكم، خالفوا اليهود».

٣٤- بيع اليهود للشحوم

قال البخاري [خ (٣٤٦٠)]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو، عن طائوس، عن ابن عباس سمعت عمر رضي الله عنه يقول: قاتل الله فلاناً لم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها». رواه مسلم [م (١٥٨٢)] من حديث ابن عينة. ومن حديث عمرو بن

من أنت رحك الله؟ فقال: أنا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكرت في أمري فعلمت أن ما أنا فيه منقطع، فإنه قد شغلني عن عبادة ربي عز وجل، فتركته وجئت ههنا أعبد ربي، فقال له: ما أنت بأحوج لما صنعت مني، قال: ثم نزل عن دابته فسيها ثم تبعه فكانا جميعاً يبدآن الله عز وجل، فدعوا الله أن يبيتهما جميعاً قال: فماتا. قال عبد الله: فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعث الذي نعت لنا رسول الله ﷺ.

٢٨- رجل يطلب من بنيه أن يحرق بعد موته

قال البخاري [خ (٣٤٧٨)]: حدثنا أبو الوليد، حدثنا أبو عوانة عن قتادة، عن عتبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ «إن رجلاً كان قبلكم رغبه الله مالاً فقال لبيد لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال: فإني لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ادخوني في يوم عاصف. ففعلوا فجمعهم الله عز وجل فقال: ما حملك؟ فقال: غافتك، فتلحقا برحمتي».

ورواه في مواضع آخر [خ (٦٤٨١)، (٧٥٠٨)]، ومسلم [م (٢٧٥٧)] من طرق عن قتادة به.

ثم رواه البخاري ومسلم من حديث ربي بن حراش عن حنيفة، عن النبي ﷺ بنحوه [خ (٣٤٥٢)، (٣٤٧٩)، (٦٤٨٠)]. ولم يروه مسلم من هذا الوجه.

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه [خ (٣٤٨١)]، م (٢٧٥٦).

٢٩- التجاوز عن المعسر

قال البخاري [خ (٣٤٨٠)]: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا» قال: «فلقى الله فتجاوز عنه».

وقد رواه في مواضع آخر [خ (٢٠٧٨)]، ومسلم [م (١٥٦٢)] من طريق الزهري به.

٣٠- الطاعون رجس أرسل على طائفة

من بني إسرائيل

قال البخاري [خ (٣٤٧٣)]: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني مالك عن محمد بن المنكدر، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو على من كان قبلكم - فإذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

قال أبو النضر: «لا يخرجكم إلا فراراً منه».

ورواه مسلم [م (٢٢١٨)] من حديث مالك، ومن طرق آخر عن

الظاهر من فعلهم. كما نهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لتلا يشابه المشركين الذين يسجدون للشمس حيث، وإن كان المؤمن لا يخطر بباله شيء من ذلك بالكلية.

وهكذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا رِيعًا وَأَنْتُمْ بَصِيرَتَانِ﴾ [البقرة: ١٠٤]. فكان الكفار يقولون للنبي ﷺ في كلامهم معه: راع نا أي: انظر إلينا ببصرك، واسمع كلامنا. ويفصلون بقولهم: راعنا من الرعونة، فهي المؤمنين أن يقولوا ذلك، وإن كان لا يخطر ببال أحد منهم هذا أبداً.

فقد روى الإمام أحمد [٥٠/٢] والترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: فَبُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

فليس للمسلم أن يتشبه بهم لا في عباداتهم، ولا في مواسمهم، ولا في أعيادهم لأن الله تعالى شرف هذه الأمة بتخاتم الأنبياء الذي شرع له الدين العظيم القويم الشامل الكامل الذي لو كان موسى بن عمران الذي أنزلت عليه التوراة وعيسى ابن مريم الذي أنزل عليه الإنجيل حين لم يكن لهما شرع متبع، بل لو كانا موجودين، بل وكل الأنبياء لما ساءل لواحد منهم أن يكون على غير هذه الشريعة المطهرة المشرقة المكرمة المعظمة، فإذا كان الله تعالى قد من علينا بأن جعلنا من أتباع محمد ﷺ فكيف يليق بنا أن نتشبه بقوم قد ضلوا من قبل، واضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، قد بئسوا دينهم وحرّفوه وأوّلوه، حتى صار كانه غير ما شرع لهم أولاً.

ثم هو بعد ذلك كله منسوخ والتسك بالمتنسخ حرام، لا يقبل الله منه قليلاً ولا كثيراً ولا فرق بينه وبين ما لم يشرع بالكلية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٣٨- مثل اليهود والنصارى

قال البخاري [٣٤٥٩] ح: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأتسم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين. فغضب اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاء قال الله تعالى: هل ظلمتكم من حَقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا قال: فإنه فضلي أوتيته من أشاء من شئت».

وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى ما مضى من مدد الأمم قبلها، لقوله ﷺ «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم قبلكم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس». فالماضي لا يعلمه إلا الله كما أن الكي لا يعلمه إلا هو، ولكنه قصر بالنسبة إلى ما سبق ولا اطلاع لأحد على تحديد ما بقي إلا الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿لَا

ديار به.

ثم قال البخاري: تابعه جابر وأبو هريرة عن النبي ﷺ رُفِعَ الباري [٤٩٨/٦].

ولهذا الحديث طرق كثيرة وسيأتي في باب الحيل من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة.

٣٥- مخالفة أهل الكتاب في

الجمع للصلاة

قال البخاري [٦٠٣، ٣٤٥٧]: حَدَّثَنَا عمران بن مسيرة، حَدَّثَنَا عبد الوارث، حَدَّثَنَا خالد عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال: ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمروا بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة.

وأخرجه بقية الجماعة من حديث أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي به [٣٧٨، ٥٠٨، ٥٠٩]، ت (١٩٣)، س (٦٢٦)، ج (٧٢٩، ٧٣٠).

والمقصود من هذا مخالفة أهل الكتاب في جميع شعارهم فإن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة كان المسلمون يتحينون وقت الصلاة بغير دعوة إليها. ثم أمر من ينادي فيهم وقت الصلاة: الصلاة الجامعة. ثم أرادوا أن يدعوا إليها بشيء يعرفه الناس، فقال قائلون: نضرب بالناقوس، وقال آخرون: نوري ناراً، ففكروا ذلك لمشابهة أهل الكلايين، فأمر عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه الأذان، فقصصها على رسول الله ﷺ فأمروا بلالاً فنادى به كما هو مبسوط في موضعه من باب الأذان في كتاب الأحكام.

٣٦- اتخاذ أهل الكتاب قبور أنبيائهم مساجد

قال البخاري [٣٤٥٤، ٣٤٥٣]: حَدَّثَنَا بشر بن محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرني معمر ويونس عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عائشة وابن عباس قالوا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لَعَنَ اللَّهُ عَلَى اليهود والنصارى اتخولوا قبور أنبيائهم مساجد» يجز ما صنعوا.

وهكذا رواه في غير موضع، ومسلم من طرق عن الزهري به [٤٣٥، ٤٣٦، ٥٨١٥ - ٥٨١٧]، م (٥٣١).

٣٧- اتباع سنن من قبلكم

قال البخاري [٣٤٥٩]: حَدَّثَنَا سعيد بن أبي مريم، حَدَّثَنَا أبو غسان قال، حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال «لتبعن سنن من قبلكم شراً بشيراً وفراعاً بذراع حتى لو سلخوا جحر غبب استلكنوه»، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال النبي ﷺ: «فمن؟» وهكذا رواه مسلم [٢٦٦٩] من حديث زيد بن أسلم به.

والمقصود من هذا الإخبار عما يقع من الأقوال والأفعال المنهي عنها شرعاً، مما يشابه أهل الكتاب قبلنا، فإن الله ورسوله يتبيان عن مشابهمهم في أقوالهم وأفعالهم حتى ولو كان قصد المؤمن خيراً، لكنه تشبه بفعله في

٤٠ - ذكر تحريف أهل الكتاب وتبديلهم أديانهم

أما اليهود فقد أنزل الله عليهم التوراة على يدي موسى بن عمران عليه السلام، وكانت كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الاعراف: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنِينَ يُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الاعراف: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَكَرَامًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الاحقاف: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧-١١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الشُّرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّابِّثُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَرُّوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فكانوا يحكمون بها وهم متمسكون بها برهة من الزمان، ثم شرعوا في تحريفها وتبديلها وتغييرها وتاوليها وإبداء ما ليس منها. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ تَرْفَعُهُمْ يَقُولُونَ أَلْنَحْنُ وَنَحْنُ نُحْيِي الْمَيِّتِينَ وَنَحْنُ نَكْفُرُ بِالْكِتَابِ الَّذِي نَحْنُ بِآيَاتِهِ مُشْكِكُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

فأخبر تعالى أنهم يفسرونها ويتاولونها ويضعونها على غير مواضعها وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويميلونها على غير المراد، كما بدلوها حكم الرجم، والتحميم مع بقاء لفظ الرجم فيها، وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، مع أنهم مأمورون بإقامة الحد والقطع على الشريف والوضيع.

فأما تبديل ألفاظها فقال قائلون: بأنها جميعها بلكت وقال آخرون: لم تبدل واحتملوا بقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِبَدُكُمْ التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله: ﴿الَّذِي يَجْعَلُونَ كِتَابًا مِّمَّا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فِي الشُّرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٧] ويقول: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وبقصة الرجم فإنهم كما ثبت في الصحيحين [ج ١، ١٣٢٩، ٣١٣٥، ٤٥٥٦، ٦٨١٩، ٦٨٤١، ٧٣٣٢، ٧٥٤٣، ٧٥٤٣] م (١٦٩٩) عن ابن عمر وفي صحيح مسلم [ج ١، ١٧٠٠، ١٧٠١] عن البراء بن عازب. وجابر بن عبد الله.

وفي السنن [ج ١، ٤٤٥٠، ٤٤٥١] عن أبي هريرة وغيره، لما تحاكموا إلى رسول الله ر في قصة اليهودي واليهودية الذين زنيا فقال لهم: «ما تخذون في التوراة في شأن الرجم؟» فقالوا: نقضهم ويميلون، فأمرهم رسول الله ر بإحضار التوراة فلما جاؤوا بها وجعلوا يقرؤونها ويحكمون آية الرجم التي فيها، ووضع عبد الله بن صوريا يده على آية الرجم. وقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له رسول الله ر: «ارفع يدك يا أعمو» ورفع يده فإذا فيها آية الرجم فأمر رسول الله ر برجمها. وقال: «اللهم إني أول من أجى أمرك إذ أماتوه».

وعند أبي داود [ج ١، ٤٤٤٩] أنهم لما جاؤوا بها نزع الوسادة من تحته فوضعها تحتها، وقال: «أمنت بك ومن أنزلك».

يُجْلِيهَا لِيُوقِظَ إِلَّا هُوَ» [الاحقاف: ١٨٧] وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مَشْهَادُهَا﴾ [الزمر: ٤٢-٤٣].

وما يذكره بعض الناس من الحديث المشهور عند العامة من أنه عليه السلام لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل في كتب الحديث، وورد فيه حديث: «إن الدنيا جمعة من جمع الآخرة» [هذه السيوطي في البر المنور ٣٦٥/٤ لابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعا، ولابن أبي الدنيا عن سعد بن جبر]. وفي صحته نظر.

والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم، وأن ذلك ليس منوطاً بكثره العمل ولا قلته بل بأمور آخر معتبرة عند الله تعالى، وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير.

هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر سواها، وهؤلاء اصحاب محمد ر انفقوا في أوقات لو أنفق غيرهم من الذهب مثل أحد ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه من تمر، وهذا رسول الله ر بعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، وقبضه وهو ابن ثلاث وستين على المشهور، وقد برز في هذه الأمة - التي هي ثلاث وعشرون سنة - في العلوم النافعة، والأعمال الصالحة على سائر الأنبياء قبله، حتى على نوح النبي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويعمل بطاعة الله ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء أجمعين.

فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبينا وشرفه وعظمته، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَرُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقُولُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

٣٩ - كثرة أخبار بني إسرائيل

وأخبار بني إسرائيل كثيرة جداً في الكتاب والسنة النبوية، ولو ذهبنا ننقص ذلك لطلال الكتاب ولكن ذكرنا ما ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري في هذا الباب، ففيه مقنع وكفاية وهو تذكرة والنموذج لهذا الباب والله أعلم.

وأما الأخبار الإسرائيلية مما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جداً، ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع، وكثير منها - بل أكثرها - مما يذكره القصاص مكنوب مفترى، وضعه زنادقتهم وضلافهم، وهي ثلاثة أقسام: منها ما هو صحيح لموافقة ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله ر، ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ومنها ما يمحتمل الصدق والكذب. فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه فلا نصدق ولا نكذب، لما ثبت في الصحيح [ج ١، ٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢]: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: أئمتنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم». وتجوز روايته مع هذا الحديث المتقدم:

«وحدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج» [المسند ١٥٩/٢، ١٥٩/٢، ٢٠٢/٢، ج ١، ٣٤٦١، ٢، ٢٦٦٩].

وذكر بعضهم أنه قام لها ولم أقف على إسناده والله أعلم.

وهذا كله يشكل على ما يقوله كثير من المتكلمين وغيرهم: أن التوراة انقطع تواترها في زمن مختصر، ولم يبق من يحفظها إلا العزيز، ثم إن العزيز إن كان نبياً فهو معصوم والتواتر إلى المعصوم يكفي، اللهم إلا أن يقال: إنها لم تتواتر إليه، لكن بعده زكريا ويحيى وعيسى وكلهم كانوا متمسكين بالتوراة، فلو لم تكن صحيحة معمولاً بها لما اعتمدوا عليها وهم أنبياء معصومون.

ثم قد قال الله تعالى فيما أنزل على رسوله محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء منكرأ على اليهود في قصدهم الفاسد إذ عدلوا عما يعتقدون صحته عندهم - وأنهم مأمورون حتماً - إلى التحاكم إلى رسول الله ﷺ، وهم يعاندون ما جاء به، لكن لما كان في زعمهم ما قد يوافقهم على ما ابتدئوه من الجلد والتحميم المصادم لما أمر الله به حتماً، قالوا: إن حكم لكم بالجلد والتحميم، فاقبلوه وتكونون قد اعتدتم بحكم نبي لكم عند الله يوم القيامة وإن لم يحكم لكم بهذا بل بالرجم، فاحذروا أن تقبلوا منه فانكر الله تعالى عليهم في هذا القصد الفاسد الذي إنما حملهم عليه الغرض الفاسد، وموافقة الهوى لا الدين الحق فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحْكَمُونَكَ وَعِبْتَهُمُ التَّوْرَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّاسُخُونَ فِي الْأَخْبَارِ بِمَا اسْتَخِفُّوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية. ولما لم يحكم بالرجم، قال: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» وسألهم ما حملهم على هذا؟ ولم تركوا أمر الله الذي يأبدهم؟ فقالوا: إن الزنا قد كثر في أشرافنا، ولم يمكننا أن نقيمه عليهم، وكنا نرجم من زنى من ضعفائنا، فقلنا: تعالوا إلى أمر نصف تفعله مع الشريف والوضيع، فاصطلحنا على الجلد والتحميم، فهذا من جملة تحريفهم وتبديلهم وتغييرهم وتأويلهم الباطل، وهذا إنما فعلوه في المعاني مع بقاء لفظ الرجم في كتابهم، كما دل عليه الحديث المتفق عليه.

فلما قال من قال هذا من الناس: إنه لم يقع تبديلهم إلا في المعاني، وإن الألفاظ باقية وهي حجة عليهم إذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعه لقدم ذلك إلى اتباع الحق، ومتابعة الرسول محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الاعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَرْقِهِمْ وَمِنْ نَحْنِ أَرْجُلُهُمْ مُنْهُمْ أُمَّةٌ مُعْتَدِلَةٌ﴾ الآية [المائدة: ٦٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٦٨].

وهذا المذهب وهو القول بأن التبديل إنما وقع في معانيها لا في ألفاظها حكاة البخاري (خ [٧٥٤١]) عن ابن عباس في آخر كتابه «الصحیح»، وقرر عليه ولم يردده وحكاة العلامة الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره [الفسر الكبير ١٣٤/٣، ١٣٥] عن أكثر المتكلمين.

وذهب فقهاء الحنفية إلى أنه لا يجوز للجنب مس التوراة وهو محدث وحكاة الحنطاني في فتاويه عن بعض أصحاب الشافعي وهو غريب جداً. وذهب آخرون من العلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، فقال: أما من ذهب إلى أنها

كلها مبذلة من أولها إلى آخرها ولم يبق منها حرف إلا بدله، فهذا بعيد وكذا من قال: لم يبدل شيء منها بالكلية بعيد أيضاً، والحق أنه دخلها تبديل وتغيير، وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص، كما تصرفوا في معانيها وهذا معلوم عند التأمل، ولبسطة موضع آخر والله أعلم.

كما في قولهم في قصة النبيح: أذبح ابنك وحيدك، وفي نسخة: بكرك إسحاق، فللغة «إسحاق» مقحمة مزيدة بلا مرة لأن الوحيد - وهو البكر - إسماعيل لأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة فكيف يكون الوحيد البكر إسحاق؟! وإنما حملهم على ذلك حسد العرب أن يكون أبوه هو النبيح فأرادوا أن ينهبوا بهذه الفضيلة لهم، فزادوا ذلك في كتاب الله افتراء على الله وعلى رسوله ﷺ.

وقد اغتر بهذه الزيادة خلق كثير من السلف والخلف، وواقفهم على أن النبيح إسحاق والصحیح أن النبيح إسماعيل كما قلنا والله أعلم. وهكذا في توراة السامرة في العشر الكلمات زيادة، الأمر بالتوجه إلى الطور في الصلاة، وليس ذلك في سائر نسخ اليهود والنصارى. وهكذا يوجد في الزبور المأثور عن داود عليه السلام مختلفاً كثيراً، فيه أشياء مزيدة ملحقة فيه وليست منه والله أعلم.

قلت: وأما ما بأيديهم من التوراة المربة، فلا يشك عاقل في تبديلها وتحريف كثير من ألفاظها، وتغيير القصص والألفاظ والزيادات والنقص بين الواضح، وفيها من الكذب البين والحط الفاضل شيء كثير جداً، فاما ما يتلونه بلسانهم ويكتبونه بأقلامهم فلا اطلاع لنا عليه، والمظنون بهم أنهم كذبة خونة يكثرون القرية على الله ورسله وكتبه.

وأما النصارى: فأنابهم الأربعة من طريق مرقس ولوقا ومثي ويوحنا اشد اختلافاً وأكثر زيادة ونقصاً، وأفحش تفاوتا من التوراة، وقد خالفوا أحكام التوراة والإنجيل في غير ما شيء قد شرعوه لأنفسهم، فمن ذلك: صلاتهم إلى الشرق ليست منصوباً عليها ولا مأموراً بها في شيء من الأناجيل الأربعة وهكذا تصويرهم كنائسهم وتركهم الحتان، ونقلهم صياهم إلى زمن الربيع وزيادتهم إلى خمسين يوماً، وأكلهم الخنزير ووضعهم الأمانة الكبيرة، وإنما هي الحياة الصغيرة الخفية والرهانية، وهي ترك التزويج لمن أراد التبعيد وتحريمه عليه وكتبهم القوانين التي وضعتها لهم الاساقفة الثلاثة والثمانية عشر.

فكل هذه الأشياء ابتدئوها ووضعوها في أيام قسطنطين بن قسطنط بناني القسطنطينية، وكان زمنه بعد المسيح بثلاثمائة سنة، وكان أبوه أحد ملوك الروم وتزوج أمه هيلانة في بعض أسفاره للصيد من بلاد حران، وكانت نصرانية على دين الرهايين المقدمين، فلما ولد لها منه قسطنطين المذكور تعلم الفلسفة ومهر فيها، وصار فيه ميل بعض الشيء إلى النصرانية التي أمه عليها فغظم القائمين بها بعض الشيء، وهو على اعتقاد الفلاسفة، فلما مات أبوه واستقل هو في المملكة سار في رعيته سيرة عادلة، فاحبه الناس وساد فيهم وغلب على ملك الشام بأسره مع الجزيرة، وعظم شأنه وكان أول القياصرة.

ثم اتفق اختلاف في زمانه بين النصارى ومنازعة وقعت بين بطريق الإسكندرية إكسندروس وبين رجل من علمائهم يقال له: عبد الله بن أريوس، فذهب إكسندروس إلى أن عيسى ابن الله، تعالى الله عن قوله، وذهب ابن أريوس إلى أن عيسى عبد الله ورسوله، واتباعه على هذا طائفة من النصارى، وأصنفوا الآخرى على قول بطريقهم، ومنع ابن أريوس من دخول الكنيسة هو وأصحابه، فذهب يستعدي على

بالرخاء.

هكذا رواه الإمام أحمد من طريق زيد بن أسلم عن رجل، عن أبي سعيد.

وقد رواه ابن ماجه [ج (٤٠٢٤)] عن دحيم، عن ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد ذكره.

وقال الإمام أحمد [١٧٢/١]: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء». ثم الصالحون. ثم الأمثل فالأمثل من الناس يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض وما عليه خطيئة.

ورواه الترمذي [٢٣٩٨] والنسائي [٧٤٨١] وابن ماجه [ج (٤٠٢٣)] من حديث عاصم بن أبي النجود به.

وقال الترمذي حسن صحيح.

وتقدم في الحديث «لحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى».

والمنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً، حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله محمد ﷺ وعليهم إجماع، إلا أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: «وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» [الزمر: ٢٥]. وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» [الأنبياء: ٢٤].

فأولاد العلات أن يكون الأب واحداً، والأمهات مفرقات، فالأب بمنزلة الدين، وهو التوحيد والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها. كما قال تعالى: «وَكُلٌّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ شِرَعةً وَبَيْنَهُمْ جُفَاءً» [المائدة: ٤٨]. وقال: «وَكُلٌّ جَعَلْنَا مَسْكِكُمْ نَاسِكُكُمْ» [الحج: ٦٧]. وقال: «وَكُلٌّ وَجْهٌ هُوَ مُوَلِّيُهَا» [البقرة: ١٤٨] على أحد القولين في تفسيرها.

والمقصود أن الشرائع وإن تنوعت في أوقاتها إلا أن الجميع أمرة بعبادة الله وحده لا شريك له، وهو دين الإسلام الذي شرعه الله لجميع الأنبياء، وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره يوم القيامة، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَى نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رُؤُسُ اسْلِمَ قَالَ اسْلَمْتُ لِزَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَغْتَرِبْ يَا بَنِي إِبْرَاهِيمَ اسْلَمُوا لِلَّهِ الْغَيْرِ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٠-١٣٢]. وقال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا» [آل عمران: ٤٤].

فدين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الإخلاص له وحده دون ما سواه، والإحسان أن يكون على الوجه المشروع في ذلك، الوقت المأمور به ولهذا لا يقبل الله من أحد عملاً بعد أن بعث محمد ﷺ إلا على ما شرعه له كما قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ

شئياً: حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت على إثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل» وهو نعم في الحقة ١٦٢/٣ وهذا إسناد لا بأس به، لكني لا أعرف حال أحمد بن طارق هذا، قاله أعلم.

٤٢- ختم النبوة، وبلاء الأنبياء

قال عبد الله ابن الإمام أحمد [٧٩/٣]: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثني عبد المتعال بن عبد الروهاب، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال: قال أبو سعيد: هل تقرأ الحوارج بالدجال؟ قال: قلت: لا، فقال رسول الله ﷺ: «إني خاتم ألف نبي أو أكثر ما بعث نبي يُنبئ إلا وحذر أمته الدجال، وإنني قد بين لي من أمره ما لم بين لأحد، وإنه أعور وإن ريكم ليس بأعور، وعينه اليماني عوراء جاحظة لا تخفى كأنها غمامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء، يجري فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن» وهذا حديث غريب.

وقد روي عن جابر بن عبد الله فقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد عن الشعبي، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني خاتم ألف نبي أو أكثر وإنه ليس منهم نبي إلا وقد أنذر قومه الدجال وإنه قد تبين لي فيه ما لم يتبين لأحد منهم وإنه أعور، وإن ريكم ليس بأعور» [كشف الاستار (٣٣٨٠)]. وهذا إسناد حسن، وهو محمول على ذكر عدد من أنذر قومه الدجال من الأنبياء لكن في الحديث الآخر: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال» [م (٢٩٣٣)]، ت (٢٢٤٥)، واحد [١٧٣/٣] قاله أعلم.

وقال البخاري [ج (٣٤٥٥)]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن فرات. قال: سمعت أبا حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعت يحدث عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «فأول بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

وكنا رواه مسلم [م (١٨٤٢)] عن بندار ومن وجه آخر عن فرات به نحوه.

وقال البخاري [ج (٣٤٧٧، ٩٩٢٩)]: حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبي، حدثني الأعمش، حدثني شقيق قال: قال عبد الله - هو ابن مسعود -: كاتي أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه، فادموه وهو مسح الدم عن وجهه، ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وكذلك رواه مسلم [م (١٧٩٢)] من حديث الأعمش به نحوه.

وقال الإمام أحمد [ج (٩٤/٣)]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم، عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال: وضع رجل يده على النبي ﷺ فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك، فقال النبي ﷺ: «إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر إن كان النبي من الأنبياء يتلى بالقلم حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليتلى بالفقر حتى يأخذ العباءة فيعويها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون

وهكذا رواه مسلم [١٨٤٤] وأبو داود [٤٢٤٨] والنسائي [٤٢٠٢] وابن ماجه [٣٩٥٦] من طرق عن الأعمش به. ورواه مسلم [١٨٤٤] أيضاً من حديث الشعبي عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ بنحوه.

إِنَّكُمْ جَمِيعاً «الأعراف: ١٥٨» وقال تعالى: «وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَأُنْزِلَ بِكُمْ بِهِ وَنَزَّلَهُ بِإِذْنِ الْمَلَأِ» [الأنعام: ١٩]. وقال تعالى: «وَوَسَّنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنْ الْأَخْرَابِ فَأُلْأَقُ الْمُزَيِّغَةَ» [هود: ١٧]. وقال رسول الله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود».

قيل: أراد العرب والمجم. وقيل الإنس والجن، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم أتبعتموه وتركتموني لضللتكم». والأحاديث في هذا كثيرة جداً.

والمقصود أن إخوة العلات أن يكونوا من أب واحد وأمهم شتى، مأخوذ من شرب العلل بعد النهل. وأما إخوة الأخياف فعكس هذا أن تكون أمهم واحدة من أباء شتى. وإخوة الأعيان فهم الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الحديث الآخر «نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركنا فهو صدقة» وهذا من خصائص الأنبياء أنهم لا يورثون، وما ذاك إلا لأن الدنيا أحقر عندهم من أن تكون خلفه عنهم، ولأن توكلهم على الله عز وجل في ذرايرهم أعظم وأشد، وأكد من أن يحتاجوا معه إلى أن يتركوا لورثتهم - من بعدهم - ما لا يستأثرون به عن الناس، بل يكون جميع ما تركوه صدقة لفقراء الناس، ومحاييهم وذو خلتهم.

وسنذكر جميع ما يختص بالأنبياء عليهم السلام مع خصائص نبينا ﷺ وعليهم أجمعين في أول كتاب النكاح من كتاب «الأحكام الكبير» حيث ذكره الأئمة من المصنفين اقتداء بالإمام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله عليه وعليهم أجمعين.

وقال الإمام أحمد [١٦١/٢]: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظل الكعبة فسمعتة يقول: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزل منزلاً فمنا من يضرب خباه، ومنا من هو في جشره، ومنا من يتفضل إذ نادى مناديه: الصلاة جامعة، قال فاجتمعنا قال: فقام رسول الله ﷺ فخطبنا فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يعلمه خيراً لهم ويغفرهم ما يعلمه شراً لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وإن آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور تنكرونها، تحيى فتن يرقق بعضها لبعض، تحيى الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف. ثم تحيى الفتنة فيقول المؤمن: هذه. ثم تنكشف فمن سره منك أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة فلتتركه موته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعمه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر».

قال: فادخلت رأسي من بين الناس فقلت: أشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: فأشار بيده إلى أذنيه وقال: سمعته أذناي ورواه قلبي. قال: فقلت: هذا ابن عمك - يعني: معاوية - يأمرنا بأكل أموالنا بيتنا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» [النساء: ٢٩].

قال: فجمع يديه فوضعهما على جبهته، ثم بكس هنية. ثم رفع رأسه فقال: اطعمه في طاعة الله، وأعصه في معصية الله عز وجل.

ورواه أحمد [١٦١/١]: أيضاً عن وكيع عن الأعمش به وقال فيه: «أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على ما يعلمه خيراً لهم وينذرهم ما يعلمه شراً لهم» وذكر تمامه بنحوه.

٤- كتاب أخبار العرب

١- ذكر أخبار العرب

قيل: إن جميع العرب يتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام والتحية والإكرام. والصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل وقد قلنا أن العرب العاربة منهم عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجهرم والماليق وأمم آخرون لا يعلمهم إلا الله وكل هؤلاء كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام وفي زمانه أيضاً.

لما العرب المستعربة وهم عرب الحجاز فمن ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وأما عرب اليمن وهم حمير فالمشهور أنهم من قحطان واسمه مهزم. قاله ابن ماكولا. وذكروا أنهم كانوا أربعة أخوة: قحطان وقحاط ومقحط وفالق، وقحطان بن هود. وقيل: هو هود. وقيل: هود أخوه وقيل: من ذرية وقيل: إن قحطان من سلالة إسماعيل عليه الصلاة والسلام حكاه ابن إسحاق وغيره فقال بعضهم: هو قحطان بن الميسع بن تيم بن قينز بن نبت بن إسماعيل. وقيل غير ذلك في نسب إلى إسماعيل والله أعلم. وقد ترجم البخاري (ج ٣٥٠٧) في «صحيحه» على ذلك فقال: باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام:

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن يزيد بن أبي عبيد حدثنا سلمة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق فقال: «ارموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان». لأحد الفريقين فأمسكوا بأيديهم فقال: «ما لكم؟» قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

انفرد به البخاري وفي بعض ألفاظه «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رايأ ارموا وأنا مع ابن الأدرع» فأسك القوم فقال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

قال البخاري: وأسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة يعني وخزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم كما سيأتي بيانه وكانت الأوس والخزرج منهم. وقد قال لهم عليه الصلاة والسلام: «ارموا بني إسماعيل» فدل على أنهم من سلالة وتأوله آخرون على أن المراد بذلك جنس العرب لكنه تأويل بعيد إذ هو خلاف الظاهر بلا دليل لكن الجمهور على أن العرب القحطانية من عرب اليمن وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل وعندهم أن جميع العرب ينقسمون إلى قسمين: قحطانية وعدنانية فالقحطانية شعبان: سبأ وحضرموت. والعدنانية شعبان أيضاً: ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان والشعب الخامس وهم قضاة تختلف فيهم ف قيل: إنهم عدنانيون. قال ابن عبد البر وعليه الأكثرون

ويرى هذا عن ابن عباس وابن عمر، وجبر بن مطعم وهو اختيار الزبير بن بكار وعمه مصعب الزبيري وابن هشام.

وقد ورد في حديث قضاة بن معد ولكن لا يصح. قاله ابن عبد البر وغيره. ويقال: إنهم لم يزلوا في جاهليتهم وصدر من الإسلام يتسبون إلى عدنان فلما كان في زمن خالد بن يزيد بن معاوية وكانوا أخواله انتسبوا إلى

قحطان فقال في ذلك أعشى بن ثعلبة في قصيدة له: ابلغ قضاة في القيرطاس أنهم لولا خلافت آل الله ما عتقوا قالت قضاة إنما من ذوي يمن. والله يعلم ما برؤا وما صدقوا قد ادعوا والدا ما نال أنهم قد يعلمون ولكن ذلك الفرق وقد ذكر أبو عمرو السهيلي أيضاً من شعر العرب ما فيه إبداع في تفسير قضاة في انتسابهم إلى اليمن والله أعلم.

والقول الثاني أنهم من قحطان وهو قول ابن إسحاق والكلبي وطائفة من أهل النسب.

قال ابن إسحاق: وهو قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وقد قال بعض شعرائهم وهو عمرو بن مرة - صحابي له حديثان -: يا أيها الداعي ادعنا وأبشر. وكفن قضاة ولا تستزير نحن بنو الشيخ المجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير النسب المعروف غير التكسير في الحجر المنقوش تحت التيسير

قال بعض أهل النسب: هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن حمير.

وقال ابن لحيمة عن معروف بن سويد عن أبي عثانة حي بن يؤمن عن عتبة بن عامر قال: قالت: يا رسول الله أما نحن من معد؟ قال: «لا» قلت: فمن نحن؟ قال: «أنتم قضاة بن مالك بن حمير».

قال أبو حمير بن عبد البر: ولا يختلفون أن جبهة بن زيد بن سود بن أسلم بن عمران بن الحاف بن قضاة قبيلة عتبة بن عامر الجهني. فعلى هذا قضاة في اليمن في حمير بن سبأ.

وقد جمع بعضهم بين هذين القولين بما ذكره الزبير بن بكار وغيره من أن قضاة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير.

وزعم بعضهم أنه كان حلاً فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه. والله أعلم.

وقال محمد بن سلام البصري النسابة: العرب ثلاثة جرائيم: العدنانية والقحطانية وقضاة. قيل له: فأيها أكثر العدنانية أو القحطانية؟ فقال: ما شئت قضاة إن تيامنت فالقحطانية أكثر وإن تعددت فالعدنانية أكثر. وهذا يدل على أنهم يتلومون في نسبهم.

فإن صح حديث ابن لحيمة المقدم فهو دليل على أنهم من القحطانية والله أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

قال علماء النسب: يقال شعوب. ثم قبائل ثم عمار. ثم بطون. ثم أفخاذ. ثم فصائل. ثم عشائر. والعشيرة أقرب الناس إلى الرجل وليس بعدها شيء.

فصل في فوائد ملتقطة من كتاب «القصود والأسم» في معرفة العرب والعجم» للشيخ أبي عمر بن عبد البر رحمه الله قال:

اجمعوا أن العرب كلها من ولد سام وكذلك بنوا إسرائيل والروم الآخرة وهم بنو الأسفر واجمعوا أن الروم الأولى وهم اليونان من ولد

يعفر في شعره حيث يقول:

نزلوا بأثقرة يسيل عليهم ماء الفرات يسيل من أطواد

قال: ومن بني حام الذين لا تختلف فيهم ملوك مصر وفراعتها ولهم أربعة أصول في بني حام: قط واشمن وأزيب وصال أولاد مصر بن حام ولكل واحد من هؤلاء الأربعة مدينة بناها وحيز يختص به من نواحي مصر وكورها وكان في كل كورة كاهن يجلس على سرير من ذهب ويوبا وهو بيت الحكمة قال أبو عمر: وأما يافث فكان فيما ذكروا أكثر بني نوح ذرية قالوا: أن له من ظهره سبعة وثلاثون ولد لكل واحد ذرية ولغة على حدة ولهم سبعون سبهاً من مائة وعشرون سبهاً من الأرض فمنهم الأشبان والبرجان والترك والصقالية والأفرنج ويأجوج وماجوج والروم الأولى ولكل والافترة وغيرهم وفيهم سحرة ونصاري ومجوس وزنادقة وغير ذلك والروم الأولى هم بنو الروم بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح وكان منهم ذو القرنين وهم الذين بنوا دمشق وما حولها وكان في حكماء اليونان علم النجامة والحساب والفنسة والطب وصناعة المنطق والصناعات العجيبة اللطيفة قال أبو عمر: وكانت الأندلس وما جاورها يدينون طاغيتهم إلى أن غلب على بلادهم الروم الثانية وهم بنو الأصفر رومي بن لبطا وباطس وعيصو بن إسحاق بن الحليل وهؤلاء هم الذين بنوا رومية ومن حكماء اليونان سقراط وبقرات الأول وبقرات الثاني وإفلاطون وأرسطاطليس وإقليدس وبطيوليموس المنجم وجماعة وقد ملك منهم خلق كثير حتى كان آخرهم فلونطرة بنت مطليوس صاحب الحكمة والظلمان وكتاب الحليل حين غلب على اليونان الروم الثانية وهم من بني الأصفر بن عيصو بن إسحاق كما تقدم وذهب ذكر أولئك بالكلية قلت يقال إن ذلك كان قبل البعثة المحمدية وبعد العيسوية وكانوا أول نصرهم على يدي قسطنطين بن قسطنس قبل البعثة بثلاثمائة سنة وهذا الملك هو الذي بنى القسطنطينية وتنسب الطائفة الملكية إليه وبني لهم اثني عشر ألف كنيسة في مدة قريه حتى استحوذت اليد الإسلامية على جميع الممالك الشامية والجزيرة أيضاً. واقتصرت يد ملوكهم على القسطنطينية وما حولها فقط وانلقت عن الشام والجزيرة ولهذا لا يسمى قيصر أبداً لفوات الشرط اللغوي والشرعي أيضاً إذا ملك قيصر فلا قيصر بعده وإذا ملك كسرى فلا كسرى بعده قال أبو عمر: وأما الفرس فالصحيح أنهم من ولد عامور بن يافث بن نوح قال: وهم يتكروا ذلك ويؤمنون أنهم لا يعرفون نوحاً ولا الطوفان قلت وهم في ذلك ناساً جاهلون أو مكابرون قالوا: وكان أول ملوكهم بعد الطوفان أوشك بن أبرح بن عامور بن يافث وأنه ملكهم ألف سنة وكان أول من لبس تاجاً وجلس على سرير من ذهب وبعده كيومرث وبعده حم وقد ملكهم ألف سنة أيضاً وزعموا أنه صعد إلى السماء وبعده هراسب ثم أفريدون ثم منوشهر ثم غلب عليهم الإسكندر دادا ودبت ملوك الطوائف ثم ملكت الأكاسرة فكان أولهم اردشير بن بابك ويقال إنه أول من شرع نكاح الأمهات والأخوات أثناء به شيطانه وذكر له أن آدم زوج بنته من بنيه قالوا: فالألم أحق بالبر لأن النكاح عندهم إحسان وقد قيل إن الفرس من نسل سام بن نوح وكان دين الفرس الصابئة ثم تمجسوا وبنوا بيوت النيران وكان فيهم رياسة وسياسة ومعرفة بالحرب وفيهم الترسل والخطابة والنظافة ومعرفة الأطعمة والطبيب واللباس ومن كتبهم اشتمل الناس رسوم الملك قال: وأما الأكراد فيقال إنهم من نسل عمرو بن عامر مرتباً نزلوا بأرض العجم وتناسلوا وكثر عددهم فسموا الكرد وأما البرجان فمن نسل يونان بن يافث وملوكهم

يونان بن يافث بن نوح. وقالت طائفة أن الفرس من ولد سام، ثم روي من طريق إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب قال: ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فولد سام العرب، والروم وفارس، وولد يافث الترك والصقالية ويأجوج وماجوج. وولد حام القبط والسودان والبربر وكذلك قال: وهنئين منه أن العرب من ولد سام وحام أبو الحبش ويافث أسو الروم قال: يعني الروم الأولى قال: وفي حديث عمران بن حصين مثله قال: وكان سام وصى أبيه نوح وجعل الله في ذريته النبوة والكتاب وولد سام أرفخشذ وهو أبو العرب العاربة والمستعربة ولأود وهو أبو الفرس والبرجان وطسم وحليس وعمليق.

ومنهم كانت الجبارة بالشام الكنعانيون وغيرهم والفراعنة بمصر وأهل البحرين ونجد وأهل يثرب وأمة يسمون جاسم وأهل الحجاز والطائف وولد لسام أيضاً أسود وغويلم وأرم. قال: ولم يعقب. قال: ومن ولد يافث الترك والخزر والدليلم وفي الدليلم اختلاف قال: وأما حام فإن أهل الأثر روي أن نوحاً دعا عليه بتشويه الخلق وإن يكون ولده عبيداً لأولاد سام. فولد لحام كنعان وولد لكنعان بنون منهم: كوش وجاه أسود فهم كنعان يقتل امرأته فمعه سام.

وقال علي بن كيسان النسابة: ولد حام قوط وققط وكنعان وكوش ومصرم ومن ولد قوط أوققط وبربر وقال غيره: من ولد حام البربر والزنج والحبيشة والنوبة والسند وأجناس لا يحصيها إلا الذي خلقها فالنوبة من ولد نوبا بن قوط بن مصر بن حام والكرد من ولد كرد بن كنعان بن كوش بن كنعان بن حام والحبيشة من ولد حبيشة بن كوش بن كنعان وشرف بن حام وهم أكبر ملوك السودان وقد تصدروا في آخر الزمان قال: ويقية السودان على اختلاف أصنافهم يعبدون الأصنام الخشب والطيور والدواب الغريبة.

قال أبو عمر: وأما البربر فالاختلاف فيهم كبير وثابت ما قيل فيهم أنهم من ولد ققط بن حام وقد نزل ققط مصر فخرج ولده بربر فنزل بلاد المغرب ومنهم لواتة وهودة وقرقشانة وكنانة وصنهاجة وقد قيل إن كنانة وصنهاجة من حمير وقيل من لحم وزويلة تزعم أنها من جهم وهودة تزعم أنهم من عاملة قال وقد انتسب بعضهم يعني البربر في حمير وأنكر ذلك أكثر الناس قال: وقد انتسب طائفة من البربر إلى قيس غيلان وقال شاعرهم:

قبائل بر بن قيس بن خندف ... في عزها المتطاول

وقالت ... أخت بر بن قيس تثرية:

لتكبسي كسل باكية أختها كما أبك على بن قيس
تحمل عن عثيرته فاضحى ودون لقاءه أيضاً عيسى

وذكر لها غير ذلك من المراثي فيه ثم قال: وأنكر أكثر العلماء بالنسب وأيام العرب أن يكون لقيس بن غيلان بن تسمي برا وقال: البربر كلها من ولد حالوت وهو من ذرية شكلوحي بن مصرم بن حام بن نوح الذي قتله داود عليه السلام.

قال: والحبيشة الذين ببلاد النجاشي يزعمون أنهم من ولد حبش بن سعد بن طي بن أود ومنهم من يتسبب في رعين ومنهم من يتسبب في كلاخ وقيل من مدلاج وقيل من لحم وقيل من بني غيم وقيل غير ذلك قال: وقوم من الروم يزعمون أنهم من رباد دخلوا مع هرقل في دينهم حين فهرهم وأسرهم وكانوا سبعين ألفاً فنزلوا أثقرة وقد ذكر ذلك الأسود بن

الكرند ووراء صين الصين أمم عرا عول ليس لهم بيوت إنما لهم معابد يأوون إليها من الحر وليس لهم مأكلاً إلا السمك ونبات يشبه الكماة وخشاش الأرض ويتسافدون كالبهائم وأما أجوج ومأجوج فهم يسكنون الزاوية الشرقية الشمالية من الأرض وأرضهم متسعة جداً وهم من سلالة يافث طائفة من الترك وهم أمم لا يحصون كثرة وأشكالاً ولغات قلت والحقيقة لولا أخبار الله تعالى بهم لما كان لكثير من الناس علم بوجودهم دح عددهم وأشكالهم وأكثر ما يذكر من ذلك ليس عليه أدلة وهم يخرجون على الناس في آخر الزمان بإذن الله تعالى القدرى وذلك بعد نزول عيسى ابن مريم كما ذكرنا ذلك مستقصياً في كتابنا «التفسير» وفي «البداية والنهاية» والله الحمد والمثنة.

فصل: وقد تكلم أبو عمرو رحمه الله في هذا الكتاب على اختلاف لغات بني آدم فذكر أن الناس كانوا بعد الطوفان مجتمعين بأرض بابل لغتهم واحدة وهي السريانية إلى زمان فالغ بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح ثم اجتمع رأيهم على بناء صرح شامخ يكون حصناً لهم من الطوفان والبلاء وكان إلياس هو الذي شأ بذلك وقد كان يتبذل لهم في صورة ظاهرة ونهائم فالغ عن ذلك فعصوه ونشوا الصرح من الحجارة والرماس واللبان والشمع والكلس وكانوا يؤمنون اثنين وسبعين يتأ فأسرل الله على ذلك الصرح سيمة فهدته وأطبقت عليهم ظلمة شديدة وهبت عليهم ريح قوية فتفرقوا على اثنين وسبعين طريقاً وتبليت ألسنتهم على اثنين وسبعين لغة وصار كل قوم إلى قطر من الأرض يسكنونه وعمره وذكروا أبو عمر تفصيل ذلك ثم ذكر الخلاف في أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وأول من كتب قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وذلك يقتضي أنواع اللغات والأسماء والحساب والأيام والشهور والسنين وقد جاءت الآثار بأنه تكلم بالعربية وغيرها قال: وقد روي أن شيث رثى أباه آدم بقوله: تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغير قبيح ثم قال وليس هذا من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة إليه وحسب العالم أن يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه.

وقد روي أن كلام أهل الجنة عربي فالله أعلم ثم أسند من طريق محمد بن عبد الرحمن القشيري من بيت المقدس عن محمد بن إسحاق عن شهر بن عبد الرحمن بن عجم عن أبي ذر مرفوعاً: «أول من خطأ بالعلم إدريس».

وروي من طريق من مجالد عن الشعبي قال: أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم ذلك من أهل الحيرة وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار وقال غيره: أول من كتب من العرب عبد بن قصي تعلم ذلك من أهل اليمن ولم يعقب عبد بن قصي فالله أعلم.

ولنبداً أولاً بذكر القحطانية ثم نذكر بعدهم عرب الحجاز وهم العدنانية وما كان من أمر الجاهلية ليكون ذلك متصلاً بسيرة رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وقد قال البخاري (ج ٣٥١٧): باب ذكر قحطان:

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه».

وكذا رواه مسلم (ج ٢٩١٠) عن قتية عن النراوردي عن ثور بن زيد به.

قال السهلي: وقحطان أول من قيل له: أبيت اللعن وأول من قيل له:

متسعة وهم يحاربون الترك والصقالبة والخزر والروم وأما الديلم فالشهور أنهم من سلالة البرجان وقيل إن أصلهم من العرب من ذرية عدنان بن أد ولهذا يشبهون العرب في أشكالهم وحروبهم وعاداتهم وإنما صاروا إلى تلك الناحية فأقاموا بها فالله أعلم. وأما الترك فمن ذرية يافث بنص الحديث وهم طوائف كثيرة ومنهم من يسكن المدن والحصون ومنهم من يسكن البراري ورووس الجبال ويقطنون بالصيد ويأكلون الميتة والدم والغربان والرخم وغيرها وليس لهم دين ومنهم من تمجس وتهود وفيهم بأس شديد وسحر ومكر وهم بنو عم يأجوج ومأجوج وملكمهم الذي يقال له ألعان كثير الاحتجاب وقد قيل إن أصلهم من ذرية حمر دخلوا إلى بلاد العجم فاستجمعوا. قال أبو عمر: وأما بلاد الأندلس فسكنها قوم من اليونان وكان بها أربع وعشرون مدينة ملكهم رجل واحد وكانوا يعبدون الكواكب ثم غلب على تلك النواحي الروم الآخرة بنو عيص بن إسحاق فتصوروا معهم وكان في ملكهم بيت كلما ملك منهم رجل وضع عليه قفلاً حتى ملكهم زريق ففتح ذلك الباب قهراً وقد كان عليه أربعة وعشرون قفلاً فوجد فيه صور العرب عليهم عمائم حمر على خيل شهب ففتحت الأندلس في تلك السنة سنة اثنين وتسعين في أيام الوليد بن عبد الملك فتحها طارق بن زياد وموسى بن نصير فقتل زريق وأخذ من ذلك البيت مائة سليمان بن داود وكانت من ذهب مطوقة بالجواهر ووجد المرأة التي ينظر منها إلى الأقاليم السبعة ووجد فيه اثنين وعشرين مصحفاً مجلا بالذهب منها ومصحف فيه منافع الأحجار والأشجار والعجبية الصبعية ومصحف فيه عمل الصنعة وصنعة البواقيت ووجد قفاعة من حجر أخضر عملة أكبر الكيما خنومة ذهب فأرسل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك قال: ثم ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك في سنة ثمان وثلاثين ومائة واستمر الملك في ذريته بها إلى حدود سنة أربع مائة فباد ملكهم على يدي البربر قال ثم ضعفوا حتى صاروا يهودون إلى النصاري أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم قال: ثم لم يبق مع المسلمين من ممتلكاتها إلا القليل وتغلب على أكثرها الفرنج فإن الله وإنا إليه راجعون.

قال: وأما الصقالبة فيلادهم من ناحية الشمال بعيدة من الشمس فليس عندهم بحر مالح ولكن لهم بحر حلو تجري فيه السفن من الشمال إلى الجنوب ولهم أنهار كثيرة ولهم مدن كبار وحصون وكنائس تضرب فيها النواويس وأكثرهم مجوس وفيهم أيضاً ولهم سبعة أعياد في السنة على أسماء الكواكب وما وراءهم من ناحية الشمال بلاد ولا تسكن لشدة بردها وزلازلا وأما بلاد الصين فيقال إن فيها ثلثمائة مدينة ونيفاً ولا يمكن الخلوصل إليها حتى تقطع سبعة أمهر وأولها عين فارس وفي الصين عجائب كثيرة قال والأصل في عمارتها أن قوماً من بني عامر بن يافث وكان أبوهام عامور قد عمل ملكاً حكى به سفينة جده نوح ثم ركب بمن معه من أولاده فدخلوا بلد الصين فبوا الملائن وعملوا دقائق الصناعة واستخرجوا معادن الذهب وملكهم ثلثمائة سنة وملك بعدهم صباث مائتي سنة وبه سميت الصين ثم بنوا معابد الصائنين وصوروا ملوكهم وصالحهم فيها وعبدوهم ثم اقتضوا بالهند في عبادة البدو وأكثر ممتلكاتهم الصور بينها وبين حالفوا التي تبدأ فيها البحار ثلاثون يوماً وأهل الصين بيض إلى الصفرة يبيحون الزنا ويورثون الأئني أكثر من الذكر ويتخذون عبداً عند نزول الشمس الحمل يشربون الخمر سبعة أيام والذهب عندهم لكثرة كالتحاس عند غيرهم منه أوانيهم وغيرها ويلبسون الحرير وأشرف حليتهم من وفوق

انعم صباحاً.

قصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك مصر فرعون ومن ملك الحيشة النجاشي ومن ملك الهند بطليموس. وقد كان من جملة ملوك حير بأرض اليمن بلقيس وقد قلعتا قصتها مع سليمان عليه السلام وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارة وثمار وزروع كثيرة وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسادد وطريق الرشاد فلما بدلوا نعمة الله كفراً أحلوا قومهم دار البوار. قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً (هــسـو الطبري: ٢٧٨/٢٢). وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي (المرور: ١٠٥/٥) فالله أعلم.

٢- قصة سبأ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَحَّتْهُمُ بَحْثُتُهُمْ جِئْتِمْ ذَوَاتِي أَكُلَ خُمَطٍ وَأَتَلَتْ وَشْيَ مَنْ مِثْرَ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ. وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْفَرَى الَّتِي بَلَكَتْ فِيهَا فَرَى ظَاهِرَةٌ وَقُلْنَا فِيهَا السَّيْرُ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَيَوْمَ أُتِينَ. فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَنُصِرْنَاهُمْ أَهْلَآئِهِمْ وَفَرَقْنَاهُمْ كُلَّ فِرْقٍ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سبأ: ١٥-١٩).

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق (صورة ابن هشام ١٠١/١): اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا: وكان أول من سبى في العرب فسمي سبأ لذلك. وكان يقال له: الراش لأن كان يعطي الناس الأموال من متاعه.

قال السهلي: ويقال: إنه أول من توج.

وذكر بعضهم أنه كان مسلماً وكان له شعر بشر فيه بوجود رسول الله ﷺ فمن ذلك قوله:

سبيك بعننا ملكاً عظيماً نبي لا يرخص في الحرام
وعليك بعنه منهم ملوكٌ يدينون البيضة بنسبٍ دام
وعليك بعنهم منا ملوكٌ يصير الملكُ فينا باتصام
وعليك بعد قطبان نسي تقى خبئة خير الأنعام
يُسمى أحداً ياليت أني أعمر بعد بعنه بعام
فأعضده وأحسره بنصري بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه ليغنه سلامي

حكاه ابن دحية في كتابه «التنوير في مولد البشير النذير».

وقال الإمام أحمد (٣١٦/١): حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هيرة السبائي عن عبد الرحمن بن وعلة: سمعت عبد الله بن العباس يقول: إن رجلاً سأل النبي ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة. فأما اليمانيون: فمدحج وكندة والأزد والأشعريون وأمار وحير. وأما الشامية: فليخم وجذام وعاملة وغسان».

وقد ذكرنا في «التفسير» أن فروة بن مسيك الغطفاني هو السائل عن ذلك كما استقصينا طرق هذا الحديث والفاظه هناك ولله الحمد.

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها وقد كان فيهم التابعة بأرض اليمن وأهلهم تبع وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك وكانت العرب تسمي كل من ملك اليمن مع الشعر وحضرموت تبعاً كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة

والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال وسجدوا للشمس من دون الله وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَحَّتْهُمُ بَحْثُتُهُمْ جِئْتِمْ ذَوَاتِي أَكُلَ خُمَطٍ وَأَتَلَتْ وَشْيَ مَنْ مِثْرَ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ (سبأ: ١٦).

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم (هــسـو الطبري: ٢٧٨/٢٢) أن سد مأرب كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما بحكم جدا حتى ارتفع الماء فحكم على أهالي الجبلين وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأتينة وزرعوا الزروع الكثيرة ويقال: كان أول من بناه سبأ بن يعرب وسلط إليه سبعين وادياً يفد إليه وجعل له ثلاثين فريضة يخرج منها الماء ومات ولم يكمل بناؤه فكملة حير بعده وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ وكانوا في غبطة عظيمة وعيش رغيد وأيام طيبة حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمثل على رأسها فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث ولا الدواب المؤذية لصحة هوائهم وطيب فرائحهم (هــسـو الطبري: ٢٧٧/٢٢) كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ: ١٥). وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (الأنعام: ١٧).

فلما عدلوا غير الله ويطروا نعمته وسألوا بعد تقارب ما بين قراهم وطيب ما بينهما من البساتين وأمن الطرقات سألوا أن يباعدهم بين أسفارهم وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب وطلبوا أن يبدلوا بالخير شراً كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى البقول والقثاء والقمم والعدس والبصل فسلبوا تلك النعمة العظيمة والحسنة العميمة بتخريب البلاد والشتات على وجوه العباد كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ: ١٦).

قال غير واحد (هــسـو الطبري: ٢٨٠/٢٢): أرسل الله على أصل السد القار وهو الجرد ويقال: الخلد. فلما فظفوا لذلك أرسدوا عندها السناير فلم تن شياً إذ قد حم القدر ولم ينفع الخلد كلاً لا زرز فلما تحكم في أصله الفساد سقط وانهار فسلك الماء القرار فقطعت تلك الجداول والأنهار وانقطعت تلك الثمار ومادت تلك الزروع والأشجار وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار كما قال العزيز الجبار: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجِئْتِمْ ذَوَاتِي أَكُلَ خُمَطٍ وَأَتَلَتْ وَشْيَ مَنْ مِثْرَ قَلِيلٍ﴾. قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: هو الأراك وثمره البربر وأثل وهو الطرفاء (هــسـو الطبري: ٢٨١/٢٢). وقيل يشبهه. وهو حطب لا ثمر له ﴿وَشْيَ مَنْ مِثْرَ قَلِيلٍ﴾. وذلك لأنه لا كان يثمر الباق كان قليلاً مع أنه ذو شوك كثير وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل: لحم

وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (المعجم: ٢٣٢/٥).

فصل:

وليس جميع سبأ خرجوا من اليمن لما أصيبوا بسيل العرم بل أقام أكثرهم بها وذهب أهل مأرب الذين كان لهم السد ففرقوا في البلاد وهو مقتضى الحديث المتقدم عن ابن عباس (رحم: ٣٠٦/١) أن جميع قبائل سبأ لم يخرجوا من اليمن بل إنما تشاءم منهم أربعة وبقي باليمن ستة وهم مذحج وكندة وأثار والأشعريون وأثار هو أبو خشم وبجيلة وحبر فهؤلاء ست قبائل من سبأ أقاموا باليمن واستمر فيهم الملك والتبابعة حتى سلبهم ذلك ملك الحبشة بالجيش الذي بعثه صحبة أميره أبرهة وأرباط لحوا من سبعين سنة ثم استرجعه سيف بن ذي يزن الحميري وكان ذلك قبل مولد رسول الله ﷺ بقليل كما سنذكره مفصلاً قريباً إن شاء الله تعالى. وبه الثقة وعليه التكلان.

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن علياً وخالد بن الوليد ثم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وكانوا يدعون إلى الله تعالى ويبنون لهم الحجج ثم تغلب على اليمن الأسود العنسي وأخرج نواب رسول الله ﷺ منها فلما قتل الأسود استقرت اليد الإسلامية عليها في أيام أبي بكر الصديق (رحم: ١٠) كما سنبين ذلك بعد البعثة إن شاء الله تعالى.

٣- قِصَّة رَيْبَعَة بن نصر بن اللخمي

كنا ذكره ابن إسحاق (انظر تاريخ الطبري: ١١١/٢) وقال السهيلي (الروض الأثف: ١٣٠/١): ونساب اليمن تقول: نصر بن ربيعة. وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن ثمارة بن لحم. وقال الزبير بن بكار: ربيعة بن نصر بن مالك بن شعوب بن مالك بن عجم بن عمرو بن ثمارة بن لحم ولحم أخو جذام وسمي لحماً لأنه لحم أخاه أي لطمه فعرضه الآخر في يده فجذمها فسمي جذاماً.

وكان ربيعة أحد ملوك حمير التبابعة وخبره من شق وسطيح الكاهنين وإنذارهما بوجود رسول الله ﷺ أما سطيح فاسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان وأما شق فهو ابن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرق بن قسر بن عقر بن أثمار بن نزار. ومنهم من يقول: أثمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

ويقال: إن سطيحاً كان لا أعضاء له وإنما كان مثل السطيحة ووجهه في صدره وكان إذا غضب انتفخ وجلس وكان شق نصف إنسان. ويقال: إن خالد بن عبد الله بن القسري كان من سلالة.

وذكر السهيلي (الروض الأثف: ١٣٥/١) أنهما ولدا في يوم واحد وكان يوم ماتت طريفة بنت الحير الحميرية ويقال: إنها تغلبت في قم كل منهما فورث الكهانة عنها. وهي امرأة عمرو بن عامر المتقدم ذكره والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٥١ - ١٨): وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفضع بها فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عاقلاً ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم: إني قد رايت رؤيا هالتي وفضعت بها فأخبروني بها ويتأويلها.

جمل غث على رأس جبل وعمر لا سهل فيرتقى ولا سمين فيتقى ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ أي إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا وكذب رسلنا وخالف أمرنا وانتهك محارمنا وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرْقُصَاهُمْ كُلٌّ مُمَرِّقٌ﴾ وذلك أنهم لما ملكت أموالهم وخربت بلادهم احتاجوا أن يرتحلوا منها ويتقلوا عنها ففرقوا في غور البلاد ونجدها أيدي سبأ شنر منر فتزلت طوائف منهم الحجاز وهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة وكان من أمرهم ما سنذكره ومنهم المدينة النبوية اليوم فكانوا أول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم وكان من أمرهم ما سنذكره ونزلت طائفة أخرى منهم الشام وهم الذين تصروا فيما بعد وهم: غسان وعاملة ويهره ولخم وجذام وتوخ وتغلب وغيرهم وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهم.

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٤١/١): حدثني أبو عبيدة قال: قال الأعشى بن قيس بن ثعلبة وهو ميمون بن قيس:

وفي ذاك للمؤنسي أسسوة - ومأرب عفى عليها القرم
رخاماً يتتبع لهم حمير - إذا جاء مأركه لم يصرم
فاروى السزوع واعناها - على سعة ماؤهم إذ قُيم
فصاروا إبادي لا يقيدرو - من عسى شرب طفل فطيم

وقد ذكر محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٣١/١) في كتاب «السيرة» أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي. ولحم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهيص بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال: لحم بن عدي بن عمرو بن سبأ. قاله ابن هشام (سيرة ابن هشام: ١٢١/١). قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٣١/١): وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً يجفر في سد مأرب الذي كان يجس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من أرضهم فلمع أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على الثقة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتصموا عصابة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الأزد: لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك بجنازين يرتادون البلدان فحاربهم عك فكانت حربهم سجلاً ففي ذلك قال عباس بن مرداس:

وعك بن عنسان الذين تلعبوا - بغسان حتى طردوا كل مطرد

قال: فارتحلوا عنهم ففرقوا في البلاد فتزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزل الأوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرأً ونزلت أزد السراة السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهنعه وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات وقد روي عن السدي قريب من هذا (المعجم: ٢٣٢/٥، ٢٣١/٥). وعن محمد بن إسحاق (تفسير الطبري: ٨٦/٢٢). وعنده عمران بن عامر بدلاً من عمرو بن عامر في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهناً. وقال غيره: كانت أمراؤه طريفة بنت الحير الحميرية كاهنة فأخبرت بقرب هلاك بلادهم وكانهم راوا شاهد ذلك في الفار الذي سلط على سدعم فقتلوا ما فعلوا والله أعلم.

اسمه خرزاد ولعل أن خرزاد هذا نائب لهم أو ملك من ملوك الطوائف فإن زمان ربيعة بن نصر كان في زمانهم والله أعلم. وكانت ملوك الطوائف في زمان المسيح وقلبه ويعدده وكان الذي فرق شملهم اسكتندر بن فيلبس المقدوني لما قدم على دارا بن دارا وتزوج ابنته من بعد فمزق شملهم كيلا يتنظم لواحد منهم أمر فكان كل ملك على طائفة من الناس على قطر من الأرض منهم عرب ومنهم فرس وغيرهم واستمر الأمر كذلك قرىاً من خمسمائة سنة ثم قام بعدهم بنو ساسان بن، فكان أولهم اردشير ويعدده ابنه سابور الذي حارب الحضر وأخذه إمر الساطرون.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٩/١]: فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر بن النعمان بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر يعني الذي كان نائباً على الحيرة لملوك الأكاسرة وكانت العرب تعد إليه وتحتنه.

وهذا الذي قاله محمد بن محمد بن إسحاق من أن النعمان بن المنذر من سلالة ربيعة بن نصر، قاله أكثر الناس.

وقد روى ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٢/١] أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جئ به سيف النعمان بن المنذر، سأله جبير بن مطعم عنه: ممن كان؟ قال: من أشلاء قصص بن معد بن عدنان. قال ابن إسحاق: فآله أعلم أي ذلك كان.

٤- قصة تبع أبي كرب ملك اليمن وكيف أراد غزو

البيت الحرام، ثم شره وعظمه

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٩/١، ٢٠]: فلما ملك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تبيان أسعد أبي كرب وتبيان أسعد تبع الآخر ابن كلتيكرب بن زيد وزيد تبع الأول ابن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الراثن بن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب - كهف الظلم - بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أنس بن الميمس بن العرنيج والعرنيج: هو حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان. قال عبد الملك بن هشام: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٠/١]: وتبيان أسعد أبو كرب هو الذي قدم المدينة وساق الحبرين من اليهود إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر وكان قد جعل طريقه حين رجع من غزوة بلاد المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدائه فلم يهجم أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له قتل غيلة فقدمها وهو مجمع لإخراها واستصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحمي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني النجار ثم أحد بني عمرو بن مبلول واسم مبلول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

وقال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٢١/١]: عمرو بن طلة هو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار وطلة أمه وهي بنت عامر بن زريق الخزرجية.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١/١]: وقد كان رجل من بني عدي

فقالوا: أقصصها علينا تخبرك بتأويلها فقال: إني إن أخبركم بها لم أطمئن إلى خبركم بتأويلها لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبر بها فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليعت إلى شق وسطيح فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأله عنه.

فبعث إليهما فقدم إليهما سطيح قبل شق فقال له: إني قد رأيت رؤيا هالتي وفظعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها فقال: أنفل رأيت حمة خرجت من ظلمة. فوقعت بأرض تهمة. فأكلت منها كل ذات جمجمة. فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من حشش لتهبطن أرضكم الحشش. فليملكن ما بين آيين إلى جرش فقال له الملك: وأيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن؟ أي زمني أم بعده؟ فقال: لا بل بعده بحين. أكثر من ستين أو سبعين. مضين من السنين قال: أفيدوم ذلك من سلطانهم أم يقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليهم إرم ذي يزن. يخرج عليهم من عدن. فلا يترك منهم أحداً باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم يقطع؟ قال: بل ينقطع قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي. يأتيه الوحي من قبل العلي قال: وعن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون. يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم. والشق والفسق والفاق إذا اتسق إن ما أنباتك به الحق.

قال: ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكنمه ما قال سطيح لينظر أيتقنان أم يتفان قال: نعم رأيت حمة خرجت من ظلمة. فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة. فلما قال له ذلك عرف أنها قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن سطيحاً قال: وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة. وقال شق: وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان. ليتزلن أرضكم السودان فليغلن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين آيين إلى نجران فقال له الملك: وأيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن؟ أي زمني أم بعده؟ قال: لا بل بعده بزمان. ثم يستقذك منهم عظيم ذو شان. ويليقهم أشد الهوان. قال: ومن هذا العظيم الشان؟ قال: غلام ليس بنسبي ولا مدني يخرج عليهم من بيت ذي يزن. قال: أفيدوم سلطانه أم يقطع؟ قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات ويجمع الناس فيه للميقات يكون فيه لمن اتقى القسور والخيرات. قال: أحق ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض. وما بينهما من رفع وخفض. إن ما أنباتك به الحق ما فيه أمض [سورة ابن هشام: ١٨/١]. قال ابن اسحق [سورة ابن هشام: ١٨/١]: فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قال فجهز بنه وأهل بيته إلى العراق وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خرزاد فأسكنهم الحيرة.

قال أبو القاسم السهيلي: ليس في ملوك الفرس من اسمه: خرزاد فإنهم من ولد أردشير بن بابك وهو أولهم إلى يزجدر يعني ابن شهریار بن ابرويز بن هرمز بن نوشروان بن قباد وأسماءهم مخوفة ليس فيهم من

بن النجار يقال له أحر عدا على رجل من أصحاب تبع وجده يحقد عذقاً له فضره بمنجله فقتله وقال: إنما التمر لسن أبه فزاد تبعاً حنقاً عليهم فأتكلوا فزعم الأنصار أنهم كانوا يقتلونهم بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول: والله إن قومنا لكرام.

وحكى ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١] عن الأنصار أن تبعاً إنما كان حقه على اليهود أنهم منعوه من.

قال السهيلي [الروض الألف ١٦٦/١]: ويقال: إنه إنما جاء لنصرة الأنصار - أبناء عمه - على اليهود الذين نزلوا عندهم في المدينة على شروط فلم يفوا بها واستطالوا عليهم والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: فبينا تبع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة ابن إسحاق: - وقريظة والنضر والحام وعمرو وهو هذيل بنو الخزرج بن الصميص بن اليونان بن السبط ابن السبع بن سعد بن ولاء بن صير بن النحام بن سحوم بن حاذر بن عازار بن هارون بن عمران بن مصعب بن فاهت بن ولاء بن يعقوب وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم بن خليل الرحمن قال: عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنيك إن آبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما: ولم ذلك؟ قالوا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره فتنامي ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين عسفان وأمع أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دأثر غفلته الملوكة قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال بلى قالوا: بيت بمكة يعبد أهله ويصلون عنده وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوكة وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسالهما عن ذلك فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جنك ما تعلم بيتاً لله عز وجل اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً. قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده قال فما بمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه لبيت آبيت إبراهيم عليه السلام وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيتاً وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالوا له عرف نصحبهما وصدق حديثهما وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت وغر عنده وحلق رأسه وأقسام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحز بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأري في المنام أن يكسو البيت فكساء الخصف ثم أري في المنام أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء المعافر ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساء الملاء والوصائل فكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرمهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثالة وهي الخايض وجعل له باباً ومفتاحاً ففي ذلك قالت سبيعة بنت الأحب - تذكر ابنها خالد به عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وتناه عن البغي بمكة وتذكر له ما كان من أمر تبع فيها :-

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير واحفظ عارهما أبني ولا يغرنك الفرور أبني من يظلم بمكة يلق أطراف الثرور أبني يضرب وجهه ويأخذ بخصية الثمير أبني قد جرت بها فوجدت ظلمها يـ صور اللئـ أمها وما بُيت بـ صرتها قصور واللئـ أمن طيرها والعصم تائن في ثبير ولقد غزاها تبع فكسا بينها الحبير وأذل ربي مكنسه فيها فوافى بالنذور بمشي إليها حافياً بفنائها ألفا بمير ويظلم يطعم أهلها لحـ المهاري والجـ زور يسقيهم العسل المصفى والريحض من الثمير والقيـل أهلـك جيـه يـمون فيها بالصخور والملـك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والخـ زير فاسمع إذا حذرت وافهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: ثم خرج تبع متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله يحدث أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا: لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم قالوا: فحاکمنا إلى النار؟ قال: نعم قال: وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تقصر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يقرنون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند خرجها الذي تخرج منه فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس وأمرهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما ترق جباههما ولم تضربهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن مثلك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: وقد حدثني يحدث أن الحبرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها وقالوا: من ردها فهو أولي بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فغنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلوا يتلون التوراة وتنكص عنهما حتى رداها إلى خرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢/١]: وكان رشام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيتنا وبينه قال: فشأنكما به فاستخرجنا منه فيما يزعم أهل اليمن كلباً أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه.

وزعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان وكان صبيّاً صغيراً حين قتل أخوه حسان ثم شب غلاماً جليلاً وسيماً ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً فخبأه بين قدميه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب إليه فوائبه ذو نواس فوجهه حتى قتله ثم حزر رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له: ذا نواس أرطب أم يباس؟ فقال سسل غمخاس [سوة ابن هشام: ٣١/١].

استرطبان ذو نواس استرطبان لا يباس [الروض الأنف ١/١٩١، ١٩١] فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لخنعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك إذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه عليهم واجتمعت عليه حير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حير وتسعى يوسف فأقام في ملكه زمناً، وينجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر.

ثم ذكر ابن إسحاق [سوة ابن هشام ٣١/١ - ٣٤. تاريخ الطبري ١١٩/٢ - ١٢١] سبب دخول أهل نجران في دين النصارى وأن ذلك كان على يدي رجل يقال له: فيميون كان من عباد النصارى بأطراف الشام وكان يجاب الدعوة وصحبه رجل يقال له: صالح فكانا يتبعان يوم الأحد ويعمل فيميون بقية الجمعة في البناء وكان يدعو للعرضى والزمنى وأهل العاهات فيشغون ثم استأسره وصاحبه بعض الأعراب فباعوهما بنجران فكان الذي اشتري فيميون يراه إذا قام في مصلاه بالبيت الذي هو فيه - في الليل - يمتلى عليه البيت نوراً فأعجبه ذلك من أمره وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة يعلقون عليها حللي نسائهم ويعكفون عندها فقال فيميون لسيده: أرايت إن دعوت الله على هذه الشجرة فهلكت أتعلمون أن الذي أتم عليه باطل؟ قال: نعم فجمع له أهل نجران وقام فيميون إلى مصلاه فدعا الله عليها فأرسل الله عليها قاصفاً فجعلها من أصلها ورماها إلى الأرض فاتبه أهل نجران على دين النصرانية وحملهم على شريعة الإنجيل حتى حدثت فيهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران من أرض العرب.

ثم ذكر ابن إسحاق [سوة ابن هشام: ٣٤/١ - ٣٦. تاريخ الطبري ١٢١/٢ - ١٣٢] قصة عبد الله بن الثامر حين تنصر على يدي فيميون وكيف قتله وأصحابه ذو نواس وخذ لهم الأخدود - وقال ابن هشام [سوة ابن هشام: ٣٦/١]: وهو الحفر المستطيل في الأرض مثل الخندق - وأجبع فيه النار وحرقهم بها وقتل آخرين حتى قتل قريباً من عشرين ألفاً كما قلعتنا ذلك ميسوطاً في أخبار بني إسرائيل وكما هو مستقصى في تفسير سورة ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ من كتابنا «التفسير» ولله الحمد.

وقد ذكرنا في «التفسير» الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم» [إحد ٣٤٠/٥].

قال السهيلي [الروض الأنف ١/١٦٤]: وروى معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أسعد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة».

قال السهيلي [الروض الأنف ١/١٦٣]: وقد قال تبع حين أخبره الخبران عن رسول الله ﷺ شعراً:

شهدتُ على أحمد أنه نبي من الله بشاري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكننتُ وزيراً له وإسن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجتُ عن صدره كل هم

قال: ولم يزل هذا الشعر تتوارثه الأنصار ويحفظونه بينهم وكان عند أبي أيوب الأنصاري رحمه الله وأرضاه.

قال السهيلي [الروض الأنف ١/١٦٣]: وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» أن قبراً حفر بصنعاء فوجد فيه امرأتان مهمما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه: هذا قبر ليس وحى ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما.

ثم صار الملك فيما بعد إلى حسان بن تبان أسعد وهو أخو اليمامة الزرقاء التي صلبت على باب مليئة جو فسميت من يومئذ اليمامة.

قال ابن إسحاق [سوة ابن هشام: ٢٨/١]: فلما ملك ابنه حسان بن أبي كرب تبان أسعد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حير وقبائل اليمن السير معه وأرادوا الرحمة إلى بلادهم وأهلهم فكلّموا أخاً له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له: أقتل أخاك حسان وتملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا فاجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعتين الحميري فإنه نهى عمراً عن ذلك فلم يقبل منه فكتب ذو رعين رقعة فيها هذان البيتان: ألا سن يشتري مسهراً بنوم سعيذ سن يبيت قريش عيّن فاما جبير غدت وخصانت فمسلرة الإله لذي رعين

ثم استودعها عمراً. فلما قتل عمرو أخاه حسان ورجع إلى اليمن منع منه التوم وسلط عليه السهر فسأل الأطباء والحجزة من الكهان والعرافين عما به فقتل له: إنه والله ما قتل رجل أخاه قط أو ذا رحمه بغياً إلا ذهب نومه وسلط عليه السهر فعند ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه فلما خلص إلى ذي رعين قال له: إن لي عنك براءة قال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعته إليك فأخرجه فإذا فيه البشان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حير عند ذلك وتفرقوا.

٥- وثوب لخنعة ذي شناتر على ملك اليمن

وقد ملكها سبعاً وعشرين سنة قال ابن إسحاق [سوة ابن هشام ٢٩/١ - ٣١. تاريخ الطبري ١١٧/٢ - ١١٩]: فوثب عليهم رجل من حير لم يكن من بيوت الملك يقال له: لخنعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم وكان مع ذلك امرأة فاسقاً يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لتلا يملك بعد ذلك ثم يطلق من مشربة تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكاً فجعله في فيه ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى

٦- ذكر خروج الملك باليمن من حير

وصيرورته إلى الحبشة السودان

كما أخبر بذلك شبق وسطيح الكاهنان وذلك أنه لم ينح من أهل نجران إلا رجل واحد يقال له: دوس ذو ثعلبان [سوة ابن هشام ٣٧/١. تاريخ الطبري ١٢٤/٢، ١٢٥] على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قبصر ملك الروم فاستصره على ذي نواس

يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿١٠﴾

قيل: أول من ذلّل الفيلة أفريدون بن أنثيان الذي قتل الضحّاك. قاله الطبري وهو أول من اتخذ للخيال السروج وتاريخ الطبري: ٢١٤/١. وأما أول من سخر الخيل وركبها فظهورث وهو الملك الثالث من ملوك الدنيا ويقال إن أول من ركبها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. والروض الأنف ٢٩١/١ ويحتمل أنه أول من ركبها من العرب والله تعالى أعلم.

ويقال: إن الفيل مع عظم خلقه يفرق من الهر والأول لامي هلال العسكري ١٨٢/٢. وقد احتل بعض أمراء الحروب في قتال الهنود بإحضار ستائر إلى حومة الوغى ففترت الفيلة [الروض الأنف ٢٩١/١].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٤٣/١. وتاريخ الطبري ١٣٠/٢]: ثم إن أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها - في زمانها - بشئ من الأرض ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها للملك كان قبلك ولست بمتة حتى أصرف إليها حج العرب.

فذكر السهيلي [الروض الأنف ٢٤٥/١ - ٢٤٧] أن أبرهة استئذ أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الحنسية وسخرهم فيها أنواعا من السخر. وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا حالة. وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاماً وأحجاراً وأمتعة عظيمة وركب فيها صلباناً من ذهب وفضة. وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيماً جداً واتساعها بأمرها فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبيشة كان من تعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء. وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين، كعب وامراته، وكان طول كل منهما ستون ذراعاً. فتركها أهل اليمن على حالها. فلم تنزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم ففتقوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٤٣/١. وتاريخ الطبري ١٣٠/٢]: فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النساء من كنانة الذين يستثرون شهر الحرام إلى الحبل بمكة أيام الموسم كما قرنا ذلك عند قوله: ﴿إِنَّمَا الشَّيْءُ رِيَاةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [البقرة: ٣٧] الآية.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٤٥/١ - ٤٧. وتاريخ الطبري ١٣٠/٢ - ١٣٢]: فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعده فيه أي أحدث حيث لا يراه أحد ثم خرج فلبث بأرضه فأخبر أبرهة بذلك. فقال: من صنع هذا. فقيل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحججه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فقعده فيه أي أنه ليس لذلك بأهل. فغضب أبرهة عند ذلك وحلف لبيسر إلى البيت حتى يهله. ثم أمر الحبيشة فنهات وتجهزت. ثم سار وخرج معه بالليل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظفوا به وراوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام. فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نفر. فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه. فأجابه من أجابه إلى ذلك. ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتي به أسيراً. فلما أراد قتله قال له ذو نفر: يا أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من القتل. فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض

وجنوده وأخبره بما بلغ منهم، وذلك لأنه نصراني على دينهم. فقال له: بعدت بلادك منا ولكن ساكتب لك إلى ملك الحبيشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بشأه. فقدم دوس على النجاشي بكتاب يقصر فيبعث معه سبعين ألفاً من الحبيشة وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس وسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن. فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى غمرة فادخله فيها فكان آخر العهد به ودخل أرياط اليمن ومملكها.

وقد ذكر ابن إسحاق هاهنا أشعاراً للعرب فيما وقع من هذه الكائنة الغريبة [سيرة ابن هشام ٣٨/١ - ٤٠. وتاريخ الطبري ١٢٥/٢ - ١٢٧] وفيها فصاحة وحلاوة وبلاغة وطلاوة ولكن تركنا إيرادها خشية الإطالة وخوف الملالة وبالله المستعان.

٧- ذكر خروج أبرهة الأشرم على

أرياط واختلافهما

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٤١/١، ٤٢. وتاريخ الطبري ١٢٨/٢ - ١٣٠]: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك ثم نازعة أبرهة حتى تفرقت الحبيشة عليهما. فانحاز إلى كل منهما طائفة ثم سار أحدهما إلى الآخر. فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقي الحبيشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً، فابزلي وبأبرز لك فأبنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: انصفت فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً حليماً وكان ذا دين في النصرانية وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جليلاً عظيماً طويلاً وفي يده حرية له. وخلف أبرهة غلام يقال له: عتودة يمنع ظهره فرقع أرياط الحرية فضرب أبرهة يريده يافوخه. فوقعت الحرية على جهة أبرهة فشرمت حاجبه وعينه وأثفه وشفته فبذلك سمي أبرهة الأشرم. وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله. وانصرف جند أرياط إلى أبرهة. فاجتمعت عليه الحبيشة باليمن وودي أبرهة أرياط. فلما بلغ ذلك النجاشي - ملك الحبيشة الذي يبعثهم إلى اليمن - غضب غضباً شديداً على أبرهة وقال: عدا على أميري قتلته بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطا بلاده ويجز ناصيته فحلقت أبرهة رأسه وملاً جراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي ثم كتب إليه: أيها الملك إنما كان أرياط عبداً وأنا عبداً فاختلفنا في أمرك وكل طاعته لك إلا أنني كنت أقوى على أمر الحبيشة وأضبط لها وأسوس منه. وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فير قسمه في. فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن.

٨- ذكر سبب قصد أبرهة بالفييل مكة

ليخرب الكعبة

كما قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت. قال أنيس: فكلّم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش بابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلّمك في حاجته فأذن له أبرهة.

قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجلهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحشبة يجلسه معه على سرير ملكه. فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ثم قال لترجمانه قل له: حاجتك. فقال له ذلك الترجمان فقال: حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتي حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلمتني. أنكلمني في مائتي بعير أصابها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: إني أنسا رب الإبل وإن للبيت رأياً سيئمنه. فقال: ما كان ليمنتع مني. قال: أنت وذلك. فرد على عبد المطلب إليه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٥٠/١، ٥١، و تاريخ الطبري ١٣٤/٢، ١٣٥]: ويقال: إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمر بن نفاثة بن عدي بن اللؤلؤ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد بني بكر وخويلد بن وائلة سيد ذئيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فآله أعلم أكان ذلك أم لا.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده. وقال عبد المطلب - وهو أخذ بحلقة باب الكعبة -:
لَأَهْلُمُ إِنْ الْعَبْدَ بِمَنْعِ رَحْلِهِ فَمَنْعَ حَلَالِكَ
لَا يَخْلُسِينَ صَلَاتَهُمْ وَمَعَالَهُمْ شَتَاؤُا يَحَالِكُ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَلْبَتَا فَاْمُرْ مَا يَدُ الْبِكِ

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام ٥١/١]: هذا ما صح له منها. وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٥٢/١، ٥٣، و تاريخ الطبري ١٣٥/٢، ١٣٦]: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل. فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيه وهى جيشه، وكان اسم الفيل عموداً فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك عمود وارجع راشداً من حيث أتيت. فإني في بلد الله الحرام وأرسل أذنه. فبرك الفيل.

قال السهيلي [الروض الأنف ٢٦٩/١]: أي سقط إلى الأرض وليس من شأن الفيلة أن تبرك وقد قيل: إن منها ما يبرك كالبعير فآله أعلم.

وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد إلى الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى فاضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا عاجن لهم في مراحه فبرزوه بها ليقوم فأبى فوجهوا راجعاً إلى اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى مكة فبرك.

وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل

له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما: شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأبى به فلما هم يقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فأبى ذلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم - شهران وناهس - بالسمع والطاعة. فخلى سبيله وخرج به معه يده. حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن تقيف في رجال تقيف فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عنادنا لك خلاف. وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٧/١]: واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة. قال: فبعثوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة. فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالغمس. فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فبرجت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالغمس [تاريخ الطبري: ١٣٢/٢]. وقد تقدم في قصة ثمود أن أبا رغال كان رجلاً منهم وكان يمتنع بالحرم فلما خرج منه أصابه حجر فقتله وأن رسول الله ﷺ قال لأصحابه «وأيّة ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب» فحفرها فوجدوها قال: وهو أبو تقيف.

قلت: والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق أن أبا رغال هذا المتأخر وافق اسمه اسم جده الأعلى ووجه الناس كما رجحوا قبر الأول أيضاً والله أعلم.

وقد قال جرير:
إِذَا سَأَلَ السَّرَازِقُ فَرَجَحُوهُ كَرَجَحِكُمْ لِقَبْرِ أَبِي رُغَالٍ
الظاهر أنه الثاني.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٤٨/١، ٥٠، و تاريخ الطبري ١٣٢/٢ - ١٣٤]: فلما نزل أبرهة بالغمس بعث رجلاً من الحشبة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة. فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم. وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم - وهو يومئذ كبير قريش وسيدها - فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله. ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك. وبعث أبرهة حنيفة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول: إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه نجرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فإنتهي به فلما دخل حنيفة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقبل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة. فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه ومائتنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمتنع منه فهو حرمه وبيته وإن يجمل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حنيفة: فإنتظلي معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فإنتظلي معه عبد المطلب ومعه بعض بنيته حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقاً حتى دخل عليه وهو في محبة فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غداً أو عشيّاً؟ ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس القليل صديق لي. فسارسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال حسي.

وهكذا ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق وقيل: كانت صغاراً والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم (الترغ: ٣٩٥/٦): حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد الله بن عمر قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين في رجله وحجراً في مقاره. قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم. ثم صاحت وألقت ما في رجلها ومناقيرها. فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره. ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادت شدة فاهلكوا جميعاً.

وقد تقدم أن ابن إسحاق قال: وليس كلهم أصابته الحجارة يعني: بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من الكال. وذكرنا أن أبرهة رجع وهو يتساقط أمثلة أمثلة فلما وصل إلى اليمن اتصدع صدره فمات لعه الله.

وروي ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٥٧/١). ودلائل النبوة للبيهقي ١٢٥/١: قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل ورائه بمكة أعمىين مقعدين يستطعمان. وتقدم أن سائس الفيل كان اسمه أنيساً فأما قائده فلم يُسمَ والله أعلم.

وذكر النقاش في «تفسيره» أن السيل احتمل جثثهم فلقاها في البحر (الروض ٢٧٠/١). قال السهيلي (الروض ٢٧٠/١): وكانت قصة الفيل أول الحرم من سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين. قلت: وفي عامها ولد رسول الله ﷺ على المشهور. وقيل: كان قبل مولده بسنين (هجو القرطبي: ١٩٤/٢٠، ١٩٥). كما سنذكر إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

ثم ذكر إسحاق (سيرة ابن هشام ٥٧/١ - ٦١) ما قاله العرب من الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ويطهره ويوقره بيعة محمد ﷺ وما يشرع له من الدين القويم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه وسيجعل قبلته إلى هذه الكعبة المطهرة ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقرش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحشية، فإن الحشية إذ ذاك كانوا أقرب من مشركي قرش وإنما كان النصر للبيت الحرام وإلهاماً وتوطئة لبعة محمد ﷺ.

فمن ذلك ما قاله عبد الله بن الزبيري السهمي: فتكلموا عن بطسٍ مكة إنها كانت قديماً لا يُسرام خرءها لم تُخلق الشعرى ليلالي خرئت إذ لا عزير من الأنعام يرومها سائل أمير الجيوش عنها ما رأى فلسوف يُبني الجاهلين عليها سترن ألفاً لم يؤوروا أرضهم بل لم يحش بعد الإيابه سقيتها كانت بها عادٌ وبهم قبلهم والله من فوق العباد يقيها

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الأنصاري المدني: ومن صنعه يوم فيل الحبرو ش إذ كلمنا بشؤوه رزم محاجنهم تحت أقاربهم وقد شرموا أنفسه فاعزم وقد جعلوا سوطه مفصولاً إذا يمشؤوه قفلة كلهم فولس وأدبر اندراجة وقد باء بالظلم من كان ثم

طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في مقاره وحجران في رجله أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتندرون الطريق التي منها جاوروا. ويسألون عن نفيل بن حبيب ليطلع على الطريق إلى اليمن فقال نفيل في ذلك:

ألا حيتو عنا يا رقبنا نيتشاكم مع الإصباح عينا ردينه لو رأيتو فلا تريه لدى جنبه المحصب ما رأينا إذن لمنزني وجمدت أمري ولم تاسي على ما فاتينا حينئذ حدث الله إذ أبصر طيراً وغفت حجارة تلقى علينا وكل القوم يالاً عن نفيل كأن عليّ للجيشان ديننا

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٥٤/١). وديلم الطبري ١٣٦/٢، ١٣٧: فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل. وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم تسقط أمثاله أمثلة كلما سقطت أمثلة أتبعته منه يده توث قبحاً ودماً حتى قدما به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر. فما مات حتى اتصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٥٤/١). وديلم الطبري ١٣٦/٢، ١٣٧: وضوءه ٣٠٣/٣٠: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رأيت الحصبة والجلدي بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رأي بها مرائر الشجر الحمرل والحظلل والعشر ذلك العام.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٥٤/١، ٥٥): فلما بعث الله محمداً ﷺ كان بما يعد الله على قرش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحشية لبقاء أمرهم ومدتهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الفيل: ٥-١).

ثم شرع ابن إسحاق وابن هشام يتكلمان على تفسير هذه السورة والتي بعدها (سيرة ابن هشام ٥٥/١ - ٥٧) وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وله الحمد والمنة.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ٥٥/١): الأبايل: الجماعات ولم يتكلم العرب بواحد علمناه. قال: وأما السجيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب: الشديد الصلب.

قال: وزعم بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وأنها «سنج» و«جل» فالسنج: الحجر والجل: الطين. يقول: الحجارة من هتين الجنتين الحجر والطين. قال: والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب.

وقال الكسائي (هجو الطبري: ٢٩٦/٣٠): سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبايل إيل وقال كثير من السلف (هجو الطبري: ٢٩٧/٣٠). دلائل النبوة للبيهقي ١٢٢/١: الأبايل الفرق من الطير التي يتبع بعضها بعضاً من ههنا وههنا.

وعن ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب.

وعن عكرمة: كانت رؤوسها كرؤوس السباع خرجت عليهم من البحر وكانت خضراً.

وقال عبيد بن عمير: كانت سوداء بحرية في مناقيرها واكفها الحجارة. وعن ابن عباس: كانت أشكالكها كعقواء مغرب وعن ابن عباس (الروض ٢٧٠/١): كان أصغر حجر منها كراس الإنسان ومنها ما هو كالإبل.

فأرسل من فوتهم حاصباً فلتهم مثل لسف الفزم
تحض على الصبر اجازهم وقد نأجوا كؤاج القم
ومن ذلك قول أبي الصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج
التقي - قال ابن هشام (سورة ابن هشام ١/٦٠): ويروى لأمية ابن أبي
الصلت:

إن آيات رننا ناقبات ما يماري فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل من تين حابئ مقنور
ثم يجلو النهار رب رحيم بهماؤ شماعها منشور
حبس الفيل بالنفس حتى صار يجبر كأنه مقنور
لازم حلقة الجران كما طفر من صخر ككب محسور
حوته من ملوك كندة أبطال ملاوئث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابصرها جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
كل فيس يوم القيامة عند الله إلا دين الخيفة بؤر

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت أيضاً:

قوموا فمكثوا ربكم ونسحوا باركان هذا البيت بين الأخشاب
فبندكم منه بلاء مصائق غداة أبي يكوم هادي الكتاب
كيت به السهل تسمى وزجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود الملوك بين سافر وحاصب
فولوا سراعاً هارين ولم يئوب إلى أهله بلخيش غير عصائب

ومن ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات (ديوان عبد الله بن قيس الرقيات

ص ١٩٢) في عظمة البيت وحايته بهلاك من أراده بسوء:

كاه الأشرم الذي جاء بالقيس لي نسوي وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجند نذل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع وهو فل من الجيوش ذميم

قال ابن إسحاق وغيره (سورة ابن هشام ١/٦١، ٦٢. تاريخ الطبري ١٣٩/٢،

١٤٢): فلما هلك أبرهة ملك الحبشة بعده ابنه يكوم. ثم من بعده أخوه
مسروق بن أبرهة وهو آخر ملوكهم. وهو الذي انتزع سيف بن ذي يزن
الحميري الملك من يده بالجيوش الذين قدم بهم من عند كسرى أنو شروان
كما سيأتي بيانه.

وكانت قصة الفيل في الحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي
القرنين وهو الثاني إسكنر بن قليس المقدوني الذي يؤرخ له الروم ولما
هلك أبرهة وابناه وزال ملك الحبشة عن اليمن هجر القليس الذي كان بناء
أبرهة وأراد صرف حج العرب إليه لجله وقلة عقله. وأصبح يباباً لا أنيس
به. وكان قد بناء على صمتين وهما كعيب وامراته وكانا من خشب طول
كل منهما ستون ذراعاً في السماء وكانا مصحوبين من الجان ولهما كان لا
يتعرض أحد إلى أخذ شيء من بناء القليس وأتمته إلا أصابوه بسوء. فلم
يزل كذلك إلى أيام السفاح أول خلفاء بني العباس فذكر له أمره وما فيه
من الأمتعة والرخام الذي كان أبرهة نقله إليه من صرح بلقيس الذي كان
باليمن فبعث إليه من خربة حجرأ حجرأ وأخذ جميع ما فيه من الأمتعة
والحواصل هكنا ذكره السهيلي (الروض الأصف ١/٢٤٦، ٢٤٧) والله أعلم.

٩- ذكر خروج الملك عن الحبشة

ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن

قال محمد بن إسحاق رحمه الله (سورة ابن هشام ١/٦١ - ٦٥. تاريخ الطبري
١٣٩/٢ - ١٤٢): فلما هلك أبرهة ملك الحبشة يكوم بن أبرهة وبه كان
يكني فلما هلك يكوم ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة.
قال: فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري -
وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو
بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن
بن عريب بن زهير بن أمي بن الهيميسع بن العرنجج، وهو حمير بن سبأ
وكان سيف يكنى أبا مرة - حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ما
هو فيه وسأله أن يخرجهم عنه وبليهم هو ويخرج إليهم من شاء من الروم
فيكون له ملك اليمن فلم يشك.

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما
يليهما من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان: إن لي على
كسرى وفادة في كل عام فاقم عندي حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه
فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه
وكان تاجه مثل القتل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الباقوت والزبرجد
واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه
ذلك، وكانت عقه لا تحمل تاجه إنما بستر عليه بالثياب حتى يجلس في
مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في مجلسه كشف عنه
الثياب فلا يراه أحد لم يره قبل ذلك إلا برك هبة له.

فلما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك: إن هذا الأحق يدخل علي
من هذا الباب الطويل ثم يطأطأ رأسه. فقيل ذلك لسيف فقال: إنما فعلت
هذا لعمري لأنه يضيئ عنه كل شيء. ثم قال: أيها الملك غلبتنا على بلادنا
الأغربة. قال كسرى: أي الأغربة الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة فجتك
لتنصري ويكون ملك بلادك لك فقال له كسرى: بعدلت بلادك مع قلة
خيرها فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك،
ثم أجازته بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه
سيف خرج فجعل يثر ذلك البرق للناس، فبلغ ذلك الملك فقال: إن لهذا
لشأناً ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى حياء الملك تنشره للناس! قال وما
أصنع بهذا؟ ما جبال أروني التي جئت منها إلا ذهب وفضة يرغبه فيها،
فجمع كسرى مرازته فقال لهم: ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له؟
فقال قائل: أيها الملك إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل فلو أنك
بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكاً
أزددته، فبعث معه كسرى من كان في سجنونه وكانوا ثمانمائة رجل
واستعمل عليهم هرمز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حباً وبتاً فخرجوا في
ثمان سفائن ففرقت سفينتين ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن فجمع
سيف إلى هرمز من استطاع من قومه وقال له: رجلي ورجلك حتى نموت
جميعاً أو ننظر جميعاً فقال له وهرز: أنصف.

وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل إليهم
وهرز ابناً له ليقاتلهم فيختبر قائلهم، فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حقاً عليهم
فلما تواقف الناس على مصانهم. قال وهرز: أروني ملكهم فقالوا له:
أثرى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه بين عيني ياقوتة حمراء؟ قال:

نعم. قالوا: ذلك ملكهم فقال: اتركوه قال: فوقفوا طويلاً ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحول على الفرس. قال: اتركوه فتركوه طويلاً ثم قال: علام هو؟ قالوا: على البغلة قال وهرز: بنت الحمار ذل وذل ملكه إنني سأريه فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فانتبوا حتى أوتدكم فإني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القرم قد استنداروا به ولانوا فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم.

ثم وتر قوسه وكانت - فيما يزعمون - لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه ففصل الياقوتة التي بين عينيه وتغلغلت النشابة في راسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته واستندارت الحيشة ولانته به، وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايبي منكسة أبداً هدموا هذا الباب فهدم، ثم دخلها ناصباً رايته فقال سيف بن ذي يزن الحميري:

يظن الناس بالملك من أنهما قد التاما
ومن يسمع بلايهما فإن الخطب قد قعما
قتلنا القيل مسروقاً وروينا الكتيب دما
وإن القيل قيل النسا س وهرز نقيم قسما
ينوق مشتماً حتى نفسى السبي والتما

ووفدت العرب من الحجاز وغيرها على سيف يهتونه بعود الملك إليه وامتدحوه. فكان من جملة من وفد عليه قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم، فبشره سيف برسول الله ﷺ وأخبره بما يعلم من أمره وانظر الدلائل لابي نعيم ٩٥/١ - ٩٩ وسيأتي ذلك مفصلاً في باب البشارات به عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/٦٥، ٦٦) وقال أبو الصلت بن أبي وبيعة الثقفي - قال ابن هشام: وتروى لأمية بن أبي الصلت -: ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن رثم في البحر للأعداء أحوالا بم قصر لما حان رحلته فلم يجد عنه بعض الذي سالا ثم انتهى نحو كسرى بعد عشرة من السنين يهين النفس والمالا حتى أتى بيني الأحرار يحملهم إنك عمري لقد أسرعت فلقالا لله درهم من عصبه خرجوا ما إن أرى لهم في الناس أمثالا غلباً مرازية يضاً أساوراً أسداً ترّب في الغيصات أشبالا يرمون عن سُدُفٍ كأنها غبط يرمخز يعجل المرمي إعجالا أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد أضحى شريتهم في الأرض فلالا فاشرب هنياً عليك التاج مرققاً في رأس غمضان داراً منك علالا واشرب هنياً فقد شالت نعماتهم وأسلب اليوم في بُرديك إسبالا تلك المكادماً لا قبان من لبن شيئاً بماء فصادا بعد أبوالا

يقال: إن غمضان قصر باليمن (معجم البلدان ٨١١/٣) بناه يعرب بن قحطان وأكمله بعده واحتله وائل بن حجر بن سبأ (الروض الأثف ٣٠٦/١) ويقال: كان ارتفاعه عشرين طبقة فالله أعلم.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/٦٧، ٦٨) وقال عدي بن زيد

الحميري وكان أحد بني تميم: ما بعد صنعاء كان يعمرها ولاية ملكك جزل نوايهما رُعمها من بني لذي قزع الـ حزن وتندى مكاً عارها عفوفة بالجبال دون عسرى الكائن ما يرقى غوارها يأس فيها صوت النهام إذا جاورها بالمشي فاصها ساقن إليها الأسباب جند بني الأحـ ررار فرسانها مواكها وفوزت بالفسال توسق بالحد تنف وتسمى بها نواكها حتى رآها الأقوال من طرف الـ تنقل مخضرة كتابها يوم ينادون آل بريسر واليكوم لا يفلحن هارها فكان يوماً باقي الحديث وزالت إمسة تسابت مراتها وُسُذَل القيسج بالزرافسة والأيام خورن جم عجائبها بعد بني تبع لغاورة قد اطمأنت بها مرازها

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ٦٨/١): وهذا الذي عنى سطیح بقوله: يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن، فلا يترك منهم أحداً باليمن. والذي عنى شيق بقوله: غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٦٨/١، ٦٩): وأقام وهرز والفرس باليمن فممن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم. وكان ملك الحيشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحيشة اثنين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة: أرباط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة.

١٠- ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ٦٩/١): ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التينجان ثم مات فأمر ابن التينجان، ثم عزله عن اليمن وأمر عليها باذان وفي زمنه بعث رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ٦٩/١): فبلغني عن الزهري أنه قال: كتب كسرى إلى باذان: إنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستبه فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ «إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا».

فلما أتى باذان الكتاب وقف ليلتظر وقال: إن كان نياً فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام ٦٩/١): على يدي ابنه شيرويه. قلت: وقال بعضهم: بنوه قتلوا على قتله، وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن قباذ، وهو الذي غلب الروم (الروض الأثف ٣٠٠/١، ٣١٥) في قوله تعالى: «الهم غلبت الروم، في أدنى الأرض» كما سيأتي بيانه.

قال السهيلي (الروض الأثف ٣١٥/١): وكان قتله ليلة الثلاثاء لعشر خلون من جمادي الأولى سنة تسع من الهجرة. وكان والله أعلم لما كتب إليه رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام فنضب ومزق كتابه كتب إلى نائبه باليمن يقول له ما قال. وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال

وأنه روى عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قصص بن معد بن عدنان فهذه ثلاثة أقوال في نسبه. فاستطرد ابن هشام في ذكر صاحب الحضر. والحضر: حصن عظيم بناه هذا الملك وهو الساطرون على حافة الفرات وهو منيف مرتفع البناء، واسع الرحبة والفتاء، دوروه بقدر مدينة عظيمة وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء، وإليه يجمي ما حوله من الأقطار والأرجاء. واسم الساطرون الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أكرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاة كذا نسبه ابن الكلبي. وقال غيره: كان من الجرامقة وكان أحد ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان حصنه بين دجلة والفرات.

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٧١/١): وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا الساطرون ملك الحضر. وقال غير ابن هشام (البروس ١٤٥/١، ١٣٢٨): إنما الذي غزا صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان أذل ملوك الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة. وأما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل والله أعلم ذكره السهيلي.

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٧١/١): فحصره ستين وقال غيره: أربع ستين، وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيخته بأرض العراق فأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها النضيرة فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جبلاً، فندست إليه: أتزوجني إن تحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فاختذ مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه وبعث بها مع مولى لها ففتح الباب. ويقال: بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولوجوا منه إلى الحضر، ويقال: بل دلتهم على طلسم كان في الحضر وكان في علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة وراقه وتحضب رجلاها بمحض جارية بكر زرقاه ثم ترسل فإذا وقعت على سور الحضر سقط ذلك الطلسم فيفتح الباب ففعل ذلك فانفتح الباب، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تململ لا تنام فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس. فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم. قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسي الحرير ويطعمني الخمر ويسقي الخمر. قال: أفكان جزاء أباك ما صنعت به؟ أنت لي بذلك أسرع ثم أقرها فربطت قرون رأسها بذهب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها. ففيه يقول أعشى بن ثعلبة (ديوان الأعشى ص ٤٣، سورة ابن هشام ٧٢/١، البروس ١٤٥/١):

ألم تر للحضر إذ أهله بنعمى وهل خاليد من نعم
أقام به شاهبور الجنس د حوئين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة أناب إليه فلم يتقم
فهل زاده ربه قوّة ومثل مجاوره لم يُقيم
وكان دعا قومه دعوة هلموا إلى أمركم قد صُرم
فموتوا كراماً بأسيا فكم أرى الموت يحمي من جثيم

وقال عدي بن زيد في ذلك (سورة ابن هشام ٧٣/١):

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيد منكاهما
ريشة لم تروق والنعسا حينها إذ أضاع راقبها

لرسول باذان (إن ربي قد قتل الليلة ريك) (أحمد ٤٣/٥) فكان كما قال رسول الله ﷺ، قتل تلك الليلة بعينها، قتله بنوه لظلمه بعد عدله، بعد ما خلعه وولوا ابنه شرويه فلم يعيش بعد قتله أباه إلا ستة أشهر أو دونها. وفي هذا يقول -نالد بن حق الشيباني:

وكسري إذ تقسّمه بنوه بأسيا فكم اقتسم اللحام
تمحضت المنون له ييوم أنسى ولكل حاملّة تمام

قال الزهري: فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ فقالت الرسل: إلى من نحن يا رسول الله. قال: «أنتم منا أهل البيت». قال: الزهري ومن ثم قال رسول الله ﷺ «سلمان منا أهل البيت» وإحكام بن المستنك ٥٩٨/٣. وبهقي في الدلائل ٤١٨/٣. والطبري في المعجم الكبير (٢٠٤٠).

قلت: والظاهر أن هذا كان بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولما بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم إلى الله عز وجل، فبعث أولاً خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل. ودانت اليمن وأهلها للإسلام ومات باذان فقام بعده ولده شهر بن باذان، وهو الذي قتله الأسود العنسي حين تنبأ وأخذ زوجته - كما سيأتي بيانه - وأجلى عن اليمن نواب رسول الله ﷺ فلما قتل الأسود عادت اليد الإسلامية عليها.

وقال ابن هشام (سورة ابن هشام ٧٠/١): وهذا هو الذي عني به سطیح بقوله: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي. والذي عني شق بقوله: بل يقطع برسول مرسل، يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام ٧٠/١): وكان في حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب بالزمان الأول: لمن ملك ذمار؟ لخمير الأخياري؟ لمن ملك ذمار؟ للحبيشة الأشرار. لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار؟ لمن ملك ذمار؟ لفرش التجار. وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى فيما ذكره السعدي (مروج الذهب ٦٣/٢):

حين شيدت ذمار قيل لمن أنت؟ فقالت لخمير الأخياري
ثم سئلت من بعد ذاك فقالت أنا للحبيش أخير الأشرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنت؟ فقالت لفارس الأحرار
ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنت؟ فقالت لفرش التجار

ويقال: إن هذا الكلام الذي ذكره محمد بن إسحاق، وجد مكتوباً عند قبر هود عليه السلام حين كشفت الريح عن قبره بأرض اليمن وذلك قبل زمن بلقيس يسير في أيام مالك بن ذي المنار أخى عمرو ذي الأذعار بن ذي المنار. ويقال: كان مكتوباً على منبر هود أيضاً وهو من كلامه عليه السلام حكاه السهيلي (البروس ١٤٥/١) والله أعلم.

١١- قصة الساطرون صاحب الحضر

وقد ذكر قصته هاتما عبد الملك بن هشام (سورة ابن هشام ٧١/١ - ٧٣) لأجل ما قاله بعض علماء النسب: إن النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في ورود سيف بن ذي يزن عليه وسواله في مساعدته في رد ملك اليمن إليه إنه من سلالة الساطرون صاحب الحضر وقد قدمنا عن ابن إسحاق (سورة ابن هشام ١٩/١) أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر

إذ غيخته صهباء صافية والخمر وقُلَّ يهيم شاربها
فاسلمت أهلها بليتها نظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جسر الد صبح دعاء تمجدي سبابها
وخرب الحضر واستيح وقد أحرق في خدرها مشاجبها
وقال عدي بن زيد العبادي (الروض الأثافي ٣٣٢/١) أيضاً:
أيها الثامت المعير بالدحر أنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأ يام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من فاعليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أثروان أم أين قبله سابور
وينو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذکور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاهه مرمراً وجلّله كلساً فلطير في فراه وكسور
لم يهبه ريب المنون فبا ن الملكك عنه فبابه مهجور
وتذكّر ربّ الخورنق إذ اشرف يوماً وللهدي تفكير
سرّه ناله وكثرة ما يملك والبحر مُعْرِضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غيطة حيّ إلى المصانع يصير
ثم أضغوا كأهم ورق جف فألوت به الصبا واللبور

قلت: ورب الخورنق الذي ذكره في شعره رجل من الملوك المتقدمين وعظه بعض علماء زمانه في أمره الذي كان قد أسرف فيه وعتا وتمرد فيه وأتبع نفسه هواها ولم يراقب فيها مولاها فوعظه بمن سلف قبله من الملوك والدول وكيف بادوا ولم يبق منهم أحد وأنه ما صار إليه عن غيره إلا وهو متقل عنه إلى من بعده، فأخذته موعظته وبلغت منه كل مبلغ فارعوى لنفسه، وفكر في يومه وأسهه، وخاف من ضيق رصه. فتاب وأناب ونزع عما كان فيه وترك الملك وليس زي الفقراء وساح في الفلوات وحطى بالفلوات وخرج عما كان الناس فيه من اتباع الشهوات وعصيان رب السماوات.

وقد ذكر قصته مبسطة الشيخ الإمام موفق بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتاب «التوايين» [٣٩ - ٤٢] وكذلك أوردتها إساند متين الحافظ أبو القاسم السهيلي في كتاب «الروض الأنفي» [٣٢٩/١ - ٣٣٢] المرتب أحسن ترتيب وأوضح تبين.

١٢- خبر ملوك الطوائف

وأما صاحب الحضر وهو ساطرون فقد تقدم أنه كان مقدماً على سائر ملوك الطوائف وكان من زمن إسكندر بن فيليس القنطوني اليوناني وذلك لأنه لما غلب على ملك الفرس دارا بن دارا وأذل ملكه وخرب بلاده واستباح بيضة قومه ونهب حواصله ومزق شمل الفرس شذر منزعز أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في إقليم من أقاليم الأرض ما بين عريها وأعاجبها فاستمر كل ملك منهم بمحبي حوزته ويحفظ حصته ويستغل عائلته فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه فاستمر الأمر كذلك قريباً من خمسمائة سنة حتى كان أزدشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن بن أسفنديار بن

١٣- باب ذكر بني إسماعيل وما كان

من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة

تقدم ذكر إسماعيل نفسه عليه السلام مع ذكر الأنبياء وكيف كان من أمره حين احتمله أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مع أمه هاجر فاسكنهما بوادي مكة بين جبال فاران حيث لا أنيس به ولا حيس وكان إسماعيل رضيعاً ثم ذهب وتركهما هناك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء فلما نفذ ذلك أتبع الله هاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم كما تقدم بيانه في حديث ابن عباس الطويل الذي رواه البخاري رحمه الله.

ثم نزلت جرهم وهم طائفة من العرب العاربة من اسم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه ويتقون به فاستأنت هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطلع أمرهم في كل حين يقال: إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما تعرض الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبوع كما تقدم بيان أن الذبوع هو إسماعيل على الصحيح ثم لما كبر تزوج من جرهم امرأة ثم فارقتها وتزوج غيرها وتزوج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وجاءته باليتين الاتني عشر كما تقدم ذكرهم وهم: نابت، وقينز، وإدبل، وميشا، ومسمع، وماشى، ودما، وأقر، ويطور، ونيش، وطيما، وقيدما. هكذا ذكره محمد بن إسحاق وغيره (سيرة ابن هشام ٤/١، ٥. تاريخ الطبري ٣١٤/١). طقات ابن سعد ٥١/١ عن كتب أهل الكتاب وله ابنة واحدة اسمها نسمة وهي التي زوجها من ابن أخيه العيص بن إسحاق بن إبراهيم فولد له منها الروم واليونان والأشبان أيضاً في أحد القولين.

ثم جمع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم إلى ولديه نابت وقينز، وكان الرئيس بعده والقائم بالأمر الحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم نابت بن إسماعيل (سيرة ابن هشام ١١١/١) وهو ابن أخت الجرهميين، ثم تغلبت جرهم على البيت طمعاً في بني اختهم فحكموا بمكة وما والاها عوضاً عن بني إسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت مضاض بن عمرو بن سعد بن

الربيع بن هب بن تبت بن جرهم. جرهم بن يقطن بن غير بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح الجرهمي. وكان نازلاً بأعلى مكة بقرقيعان وكان السيلع سيد قطرواء نازلاً بقومه في أسفل مكة وكل منهما يعثر من مر به مجتازاً إلى مكة. ثم وقع بين جرهم وقطرواء فاقتلوا فقتل السيلع واسترق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينزاعه في ذلك ولد إسماعيل مع كثرهم وشرفهم وانتشارهم بمكة وبغيرها وذلك لحقولتهم له ولعظمة البيت الحرام (سيرة ابن هشام ١١٢/١، ١١٣). ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ثم إلى عمرو بن الحارث ثم بغت

وذكر السهيلي [الروض الأوفى ٢/٢٦٦] هذه الآيات إخوة وحكى عنها حكاية معجبة وإنشادات معربة. قال: وزاد أبو الوليد الأزرقى في كتابه «فضائل مكة» على هذه الآيات المذكورة المنسوبة إلى عمرو بن الحارث بن مضاخ:

قد ماله دهرٌ علينا ثم اهلكنا بالبغي فينا وبسرَّ الناس ناسونا
إن التفكير لا يجدي بصاحبه عند البديهة في علم له دوننا
قضوا أموركم بالحزم إن لها أمور رشداً رشدتكم ثم مسونا
واستخروا في صنيع الناس قبلكم كما استبان طريقاً عند الهونا
كنا زماناً ملوك الناس قبلكم بمسكنٍ في حرام الله مسكونا

١٤- قصة خزاعة وخبر عمرو بن

لحي وعبادة العرب للأصنام

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ١/٢١٧]: ثم إن غيثان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغيثاني وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة.

قالوا [سيرة ابن هشام ١/٩١٦، ٩٢]: وإما سميت خزاعة خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بم الظهران فأقاموا به. قال عون بن أيوب الأنصاري ثم الخزرجي في ذلك:

فلما هبطنا بطناً مسراً تخزعت خزاعة لنا في حلول كراكر
حت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرفقات البواتر

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري الأوسي:

فلما هبطنا بطن مكة أهدت خزاعة دار الأكمل التحامل
فحلت أكابراً وشئت قسابلأ على كل حي بين نجد وساحل
نفوا جرحماً عن بطن مكة واحتبوا بعز خزاعي شليل الكوامل

فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي الذي تزوج قصي بن كلاب ابنة خنيس فولدت له بنو الأربعة عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبداء ثم صار أمر البيت إليه كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

واستمرت خزاعة على ولاية البيت نحواً من ثلاثمائة سنة وقيل: خمسمائة سنة والله أعلم. وكانوا مشؤومين في ولايتهم وذلك لأن في زمانهم كان أول عبادة الأوثان بالحجاز وذلك بسبب رئيسهم عمرو بن لحي لئله الله فإنه أول من دأبهم إلى ذلك وكان ذا مال جزيل جداً. يقال: إنه قفا أمين عشرين بعيراً وذلك عبارة عن أنه ملك عشرين ألف بعير وكان من عادة العرب أن من ملك ألف بعير قفا عين واحد منها لأنه يدفع بذلك العين عنها. وعن ذكر ذلك الأزرقى [أخبار مكة ص ٥٨] وذكر السهيلي [الروض الأوفى ١/٣٥٧]: أنه ربح ذبح أيام الحجيج عشرة آلاف بنية وكس عشرة آلاف حلة في كل سنة يطعم العرب ويمسك لهم الحيس بالسمن والعسل ويبت لهم السويق. قالوا: وكان قوله وفعله فيهم كالشرع

جرهم بمكة وأكثر فيها الفساد وأحلوا بالمسجد الحرام حتى ذكر أن رجلاً منهم يقال له: إساف بن بني وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتماعاً في الكعبة فكان منه إليها الفاحشة فمسخهما الله حجرتين فصبهما الناس قريباً من البيت ليعتبرا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمد غداً من دون الله في زمن خزاعة كما سيأتي بيانه في موضعه. فكانا صنمين منصوبين يقال لهما: إساف ونائلة.

فلما كثرت جرهم البغي بالبلد الحرام تحالأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم. وقيل: إن خزاعة من بني إسماعيل قاله أعلم.

والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وأذنهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغيثان وأجلوهم عن البيت فعمد عمرو بن الحارث بن مضاخ الجرهمي - وهو سيدهم - إلى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الزكن - وهو الحجر الأسود - وإلى سيوف محلاة وأشياء أخر فدفعها في زمزم وعلم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن. وفي ذلك يقول عمرو بن الحارث بن مضاخ:

وقائله والدمع سكب مبادر وقد شرفت بالدمع منها المهاجر
كان لم يكن بين الحجون إلى العفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجله بين الجناسين طائر
بلى غمر كنا أهلها فازالنا صروف الليالي والجلود العوائر
وكنا ولا البيت من بعد نابت تطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ومحن ولينا البيت من بعد نابت بعز فما يحظى لدينا المكائر
ملكنا فمزنا فاعظم بملكنا فليس لحسي غيرنا ثم فاجر
لم تنكحوا من خير شخص علمته فابناؤه منا ونحن الأصاير
فلان تشني الدنيا علينا بما لها فلان لها حالاً وفيها التشاير
فاخرجنا منها المليك بقوة كذلك بالناس تجري المقادير
أقول إذا نام الخلسي ولم أم أفا العرش لا يمد سهيل وعامر
وبلغت منها أوجهاً لا أحبا قبائل منها جئير ويحابر
وصرنا أحاديثاً وكنا بيطوط بذلك عشتا السنون الغواير
فحنت دموع العين تكي للبدو بها حرم أنس وفيها المشاعر
وتبكي ليت ليس يؤذى حمامه يظل به أمناً وفيه العصار
وفيه وحوش لا تُرام أئيسة إذا خرجت منه فليت تنادر

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ١/١١٦]: وقال عمرو بن الحارث بن مضاخ - أيضاً - يذكر بني بكر وغيثان الذين خلفوا بعدهم بمكة: يا أيها الناس مبيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا نحو المطي وأرخوا من أربتها قيل المسات وتقصوا ما تقصونا كنا أناساً كما كنتم ففبر نا دهر فأنتم كما صرنا تصيروننا

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام ١/١١٦]: هنا ما صحح له منها وحديثي بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الآيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم قائلها.

التي لشرفه فيهم وحلته عندهم وكرمه عليهم.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ٧٧/١]: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يرمون العماليق وهم ولد عموق ويقال: ولد عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فتمطرها فتمطرنا ونستصبرها فتمطرنا. فقال لهم: ألا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فاعطوه صنماً يقال له: هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٧٧/١]: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل عليه السلام أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتصوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأصعبهم حتى خلفت الخلفون ونسوا ما كانوا عليه.

وفي «صحيح البخاري» [٤٣٧٦] عن أبي رجاء العطاردي. قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طعنا بها.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٧٧/١، ٧٨]: واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم عليه السلام يتسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفات والمزدلفة وهدي البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا حلوا قالوا: «إليك اللهم ليك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، فملكه وما ملك. فيحولونه بالثنية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده. يقول الله تعالى محمد ﷺ: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» [يوسف: ١٠٦] أي: ما يحوّلوني لحرفة حقي إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي.

وقد ذكر السبيلي [الروض الأثرف ٣٥٧/١، ٣٥٨] وغيره: أن أول من لى هذه التلية عمرو بن لحي وأن إيليس تبدى له في صورة شيخ فجعل يلقنه ذلك فيسمع منه ويقول كما يقول واتبعه العرب في ذلك.

وثبت في «الصحيح» [م (١١٨٥)] أن رسول الله ﷺ كان إذا سمعهم يقولون: ليك لا شريك لك يقول: «قد قده أي حسب حسب». وقد قال البخاري [خ (٣٥٢٠)]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عمرو بن لحي بن قُمَعة بن خندف أبو خزاعة». تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال عبد الله بن أحمد [م (٤٤٦/١)]: قرأت على أبي؛ حدثك عمرو بن مُجمَع، حدثنا إبراهيم المجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن أول من سب السواب وعبد الأصنام، أبو خزاعة عمرو بن عامر وإنه يجر أعمامه في النار». تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وهذا يقتضي أن عمرو بن لحي هو أبو خزاعة الذي تنسب إليه القبيلة بأكملها كما زعمه بعضهم من أهل النسب فيما حكاه ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٩١/١] وغيره ولو تركنا مجرد هذا لكان ظاهراً في ذلك بل كالتص

ولكن قد جاء ما يخالفه من بعض الوجوه فقال البخاري [خ (٣٥٢١)]: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري. قال: سمعت سعيد بن المسيب قال: البجيرة التي ينع درها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس، والسائبة، التي كانوا يسيرونها لأهلهم لا يعمل عليها شيء. قال: وقال أبو هريرة. قال النبي ﷺ: «رايت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار. كان أول من سب السواب».

وهكذا رواه البخاري [٤٦٢٣] أيضاً ومسلم [٢٨٥٦] من حديث صالح بن كيسان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة به. ثم قال البخاري: ورواه ابن الماد عن الزهري.

قال الحاكم [مخافة الأثراف ٣٧/١]: أراد البخاري: ورواه ابن الماد عن عبد الوهاب بن بخت عن الزهري كذا قال.

وقد رواه أحمد [٣٦٦/٢] عن عمرو بن سلمة الخزاعي عن الليث بن سعد عن يزيد بن الماد عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رايت عمرو بن عامر يجر قصبه في النار، وكان أول من سب السواب ويجر البجيرة». ولم يذكر بينهما عبد الوهاب بن بخت كما قال الحاكم فإله أعلم.

وقال أحمد أيضاً [٢٧٥/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، وهو أول من سب السواب». وهذا منقطع من هذا الوجه. والصحيح: الزهري عن سعيد عنه كما تقدم.

وقوله في هذا الحديث والذي قبله: الخزاعي يدل على أنه ليس والد القبيلة بل متسبب إليها مع ما وقع في الرواية من قوله: أبو خزاعة تصحيف من الراوي من: أخي خزاعة أو أنه كان يكنى بأبي خزاعة ولا يكون ذلك من باب الإخبار بأنه أبو خزاعة كلهم والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام ٧٧/١]: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثر من الجون الخزاعي: «يا أكثم رايت عمرو بن لحي بن قُمَعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رايت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه». فقال أكثم: عسى أن يضربني شبهه يا رسول الله قال: «لا إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان ويجر البجيرة وسب السائبة ووصل الوصيلة وحى الحامي». ليس في الكتب من هذا الوجه.

وقد رواه ابن جرير [م (٨٧/٧)]: عن هناد بن عتبة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله وليس في الكتب أيضاً.

وقال البخاري [٤٦٢٤]: حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «رايت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورايت عمراً يجر قصبه وهو أول من سب السواب». تفرد به البخاري.

وروى الطبراني [المعجم الكبير ١٠٨٠٨] من طريق صالح عن ابن عباس مرفوعاً في ذلك.

والمقصود أن عمرو بن لحي لعنه الله كان قد ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل فاتبعه العرب في ذلك ففعلوا بذلك ضلالاً بعيداً بيناً فظيماً شنيعاً وقد أنكر الله تعالى عليهم في كتاب العزيز في غير ما آتاه منه فقال تعالى: «وَلَا تَقْرَأُوا لَهَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هُنَّ خَلَالٌ وَقَدْ نَفِثْنَا

حَرَامٌ تَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» الآية [الصل: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَیِّئَةٍ وَلَا مَیْلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ أَكْثَرُهمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وقد تكلمنا على هذا كله مبسوطاً وبيننا اختلاف السلف في تفسير ذلك. فمن اراده فليأخذ من ثم والله الحمد والمثنة.

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَفْعَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ذَلَّلَهُ لِنَسْأَلُهُمْ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ يَوْمَ تَأْتِي السُّحُبُ﴾ [الصل: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دَرَاهِمٍ مِنَ الْخَرْبِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قُصُولُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ يُدْرِكُوهُمْ وَيُلَاقُوا عَلَيْهِمْ فِيهِمْ ثُمَّ قَتَلُوا شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَخَرَتْ حَبِرٌ لَا يَفْعَلُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَالْأَنْعَامُ خَرَّتْ طُغْيَانًا وَآثَامًا لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِمْ سُبْحَنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُخَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُ فَرْغٌ فِيهِ شِرْكَاءُ سُبْحَنَهُمْ وَصَنُفُهُمْ إِنَّمَا يَكُنَّ لِحَاجَتِهِمْ. قَدْ خَوَّيْنَاهُ لِنِيبِ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَهْوًا بَغْيًا عِلْمٌ وَخَرَّتْ وَمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٤٠].

قال البخاري في «صحيحه» (ج ٢٣/٣): باب جهل العرب:

حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا شرك أن تعلم جهل العرب فأقرأ ما فرق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَوَّيْنَاهُ لِنِيبِ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَهْوًا بَغْيًا عِلْمٌ وَخَرَّتْ وَمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]. وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة الفاسدة التي ظنها كثيرهم عمرو بن لحي بقبه الله مصلحة ورحمة بالدواب والبهائم وهو كاذب مقتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه هؤلاء الجاهلة الطغام في بل قد تابعوه فيما هو أطم من ذلك وأعظم بكثير وهو عبادة الأوثان مع الله عز وجل وبدلوا ما كان الله يبعث به إبراهيم خليله من الدين القويم والصرط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له وتحريم الشرك وغيره وشاءت الحج ومعامل الدين بغير علم ولا برهان ولا دليل صحيح ولا ضعيف واتبعوا في ذلك من كان قبلهم من الأمم المشركين وشابهوا قوم نوح وكانوا أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ولهذا بعث الله إليهم نوحاً وكان أول رسول بعث ينهى عن عبادة الأصنام كما تقدم بيته في قصة نوح ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَثَنًا وَلَا سِوَاكَ لَا يَفْقَهُونَ وَعِيقُ وَثَرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الآية [نوح: ٢٣-٢٤].

قال ابن عباس: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم [ج ٢٠/٤٩٢].

وقد بينا كيفية ما كان من أمرهم في عبادتهم بما أغنى عن إعادته هنا. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٧٨/١ - ٨٠] وغيره: ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل فكان وذو لبي كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وكان منصوباً بدومة الجندل وكان سواع لبي هبيل بن مدركة بن إلياس بن مضر. وكان منصوباً بمكان يقال له: رهاط. وكان يثوث لبي أنعم من طيى ولأهل جرش من مذبح وكان منصوباً بجرش. وكان يعوق منصوباً بأرض مملدان من اليمن لبي خيوان بطن من مملدان. وكان نسر منصوباً بأرض حمير لقلية يقال لهم: ذو الكلاع.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٨٠/١، ٨١]: وكان لحولان بأرضهم صنم يقال له: عميسان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قمماً بينه وبين الله فيما يزعمون فما دخل في حق عميسان من حق الله الذي قسموه له تركوه له وما دخل في حق الله من حق عميسان ردوه عليه وفيهم أنزل الله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ دَرَاهِمٍ مِنَ الْخَرْبِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الآية.

قال: وكان لبي ملكان بن كنانة بن خزاعة بن ملوكة صنم يقال له: سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بإبل له مؤيلة ليفقها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رآته الإبل وكانت مرجية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه اللعاب نفرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها وأخذ حجراً فرماه به ثم قال: لا بارك الله فيك نفرت عليّ إبلي ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال:

أَتَيْتُكَ إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلُنَا فَنَسْتَأْذِنَ سَعْدُ فَلَا عَيْنَ مِنْ سَعْدٍ وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ يَتَوَفَّقُ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَدْعُو لِعَيْنِي وَلَا تَشْدُ

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٨١/١]: وكان في دوس صنم لعمر بن حيمة الدوسي. قال وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له: هبل وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحي لعنه الله.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٨٢/١]: واتخذوا إسافاً وثالثة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلاً وامراً فوقع عليها في الكعبة فمسخهما الله حجراًين.

ثم قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت: سمعت عائشة تقول: ما زلتا نسبح أن إسافاً وثالثة كانا رجلاً وامراً من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله عز وجل حجراًين والله أعلم.

وقد قيل [الروض الأوفى ٣٩٤/١]: إن الله لم يمهلهما حتى فجرا فيها بل مسخهما قبل ذلك فعند ذلك نصباً عند الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي نقلهما فوضعهما على زمزم وطاف الناس بهما وفي ذلك يقول أبو طالب [سورة ابن هشام ٨٣/١]:

وحيث يُنْبِخُ الْأَشْعَرُونَ وَكَلْبِهِمْ بِمَقْصَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَثَالِثٍ

وقد ذكر الواقدي [المغازي ٨٤٩/١]: أن رسول الله ﷺ لما أمر بكسر ثالثة يوم الفتح خرجت منها سوداء شعثاء تمشي وجهها وتدعو بالويل والنبور.

وقد ذكر السهيلي [الروض الأوفى ٣٧١/١، ٣٧٢]: أن أجاً وسلمى وهما جبلان بأرض الحجاز إنما سميا باسم رجل اسمه أجاً بن عبد الحمي فجر يسلمى بنت حام فصليا في هذين الجبلين ففرقا بهما قال: وكان بين أجاً وسلمى صنم لطيف يقال له: فلس.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٨٣/١]: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً سمح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره سمح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله. قال: فلما بعث الله محمداً ﷺ بالترديد قالت قريش: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ٨٣/١]: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدة وحجاب،

جَرَّتْ الرِّيحُ عَلَى عَمَلٍ ديارهم فكانتَا كَانُوا عَلَى مِمَادٍ
وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يَلْهِي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ لِي بَلَى وَتَفَادٍ
قال السهلي [الروض الأثافي ٣٨٠/١]: الخورنق قصر بناء النعمان الأكبر
لسابور ليكون ولده فيه عنده، وبناء رجل يقال له: سمنار في عشرين سنة
ولم يُر بناء أعجب منه فخشي النعمان أن يبني لغيره مثله فآلقاه من أعلاه
فقتله ففي ذلك يقول الشاعر:

جزائي جزاء الله شرّ جزائه جزاء سمنار وما كان ذا ذنب
سوى رصفه البنيان عشرين حبةً يعدّ عليه بالقرابيد والسكب
فلما انتهى البنيان يوماً قامه وأصنّ كيشل الطود والباذخ الصغب
رمى سمنار على حنق رأسه وفكّ لعمر الله بين أتباع الخطب
قال السهلي [الروض الأثافي ٣٨١/١]: أنشده الجاحظ في كتاب «الحَيوان»
[٢٤، ٢٣/١] والسمنار من أسماء القمر.

والمقصود أن هذه البيوت كلها هدمت. لما جاء الإسلام جهز رسول
الله ﷺ إلى كل بيت من هذه سرايا تخربه وإلى تلك الأصنام من كسرهما
حتى لم يبق للكعبة ما يضاهيها وتُعدّ الله وحده لا شريك له كما سيأتي
بيانه وتفصيله في مواضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

١٥- خبر عدنان جدّ عرب الحجاز

لا خلاف أن عدنان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما
السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين إسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر
ما قيل: أريمون أباه وهو الموجود عند أهل الكتاب أخوه من كتاب رخصا
كاتب أرميا بن حلقيا على ما سنذكره وقيل: بينهما ثلاثون وقيل: عشرون
وقيل: خمسة عشر وقيل: عشرة وقيل: تسعة وقيل: سبعة وقيل: إن أقل ما
قيل في ذلك أربعة لما رواه موسى بن يعقوب [الشيخ الطبري ٢٧١/٢]. اللامع
للطبري [١٧٨، ١٧٧/١] عن عبد الله بن وهب بن زمة الزمعي عن عمته
عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: فَمُعَدُّ بن عدنان بن أدد بن زبد بن
يرى بن أعراف الثرى. قالت: أم سلمة: فزبد هو الحميص واليرى هو نبت
وأعراف الثرى هو إسماعيل لأنه ابن إبراهيم وإبراهيم لم تأكل النار كما أن
النار لا تأكل الثرى قال الدارقطني [الروض الأثافي ٦٧/١]: لا تعرف زنبأ إلا
في هذا الحديث وزبد بن الجون وهو أبو دلالة الشاعر.

قال الحافظ أبو القاسم السهلي [الروض الأثافي ٦٧/١ - ٦٩] وغيره
[الطبري في تاريخه ٥٥٩/١، ٥٦٠] من الأئمة: مدة ما بين عدنان إلى زمن
إسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة آباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن
معد بن عدنان كان عمره زمن يختصر ثلثي عشرة سنة.

وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان
إلى أرميا بن حلقيا: أن اذهب إلى نخت نصر فاعلمه أي قد سلطته على
العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا
تضيه النعمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نيا كرميا أختم به الرسل ففعل
أرميا ذلك واحتل معداً على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل
عن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة أسماها معانة
بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن
هدأت الفتن ومحضت جزيرة العرب وكان رخصا كاتب أرميا قد كتب
نسبه في كتاب عنده ليكون في خزنة أرميا فيحفظ نسب معد كذلك والله

وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحدر عندها. وهي
مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام
ومسجده. فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخله وكانت سدنتها وحجابها
بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن
الفتح كما سيأتي.

قال [سورة ابن هشام ٨٣/١، ٨٤]: وكانت اللات تضيف بالطائف وكانت
سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان والمغيرة بن شعبة
بعد مجيء أهل الطائف كما سيأتي.

قال [سورة ابن هشام ٨٥/١]: وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان
بدينهم من أهل المدينة على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد
خربها أبو سفيان أيضاً وقيل: علوي بن أبي طالب كما سيأتي.

قال [سورة ابن هشام ٨٦/١]: وكان ذو الحليفة لدوس وخثعم وبجيلة
ومن كان ببلادهم من العرب بنبالة وكان يقال له [الروض الأثافي ٣٧٥/١]:
الكعبة البمانية، وليت مكة: الكعبة البشامية وقد خربه جرير بن عبد الله
البجلي كما سيأتي.

قال [سورة ابن هشام ٨٧/١]: وكان فلس لطى ومن يليها بجبل طعى بين
أجنا وسلمى، وهما جبلان مشهوران كما تقدم.

قال [سورة ابن هشام ٨٨/١]: وكان رثام بيتاً لحمير وأهل اليمن كما تقدم
ذكره في قصة تبع أحد ملوك حمير وقصة الحبرين حين خرباه وقتلوا منه كلباً
أسود.

قال [سورة ابن هشام ٨٩/١، ٩٠]: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب
بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستورع واسمه كعب بن ربيعة بن
كعب:

ولقد شددت على رضاء شدةً فتركها قفراً بقاع أسحما
وأصان عبد الله في مكرومها ومثل عبد الله أغشى الحرما
وقال: إن المستورع هذا عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول
مضر كلها عمراً وهو الذي يقول:

ولقد ستمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئيتا
مائة حدثها بعد ما تسان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم ممر وليلة نخونسا

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ٩٨/١]: ويروى لزهير بن جناد بن هبل.
قال السهلي [الروض الأثافي ٣٧٨/١]: ومن المعمرين الذين جازوا المائتين
والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن
ضبع الفزاري وذو الأصبح العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع بن ريث
بن غطفان، وكان قد أسود شعره بعد ايضاضه وتقوم ظهره بعد اغتائه.

قال [سورة ابن هشام ٩٨/١]: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل
وأباد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير يسارق والبيت ذي الشرفات من سنداد
وأول هذه القصيدة [الروض الأثافي ٣٨١/١]:

ولقد علمت وإن تطاول بي المدى أن السيل سبيل ذي الأعواد
ما إذا أوصل بعد آل عمرق تركوا منازلهم وبعث لإباد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجمي من أطواد
أرض الخورنق والسدير يسارق والبيت ذو الكعبات من سنداد

اعلم.

ولهذا كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان.

قال السبيلي (الروض الأثري ٨٣/١، ٨٤): وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يري ذلك ولم يكرهه كإبن إسحاق والبخاري والزيبر بن بكر والطبري وغيرهم من العلماء، وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، وقال له: من أين له علم ذلك؟ فقبل له: فإلى إسماعيل فأنكر ذلك أيضاً. وقال: ومن يخبره به؟ وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال: إبراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعطي في كتابه.

قال: وقول مالك هذا نحو ما روي عن عروة بن الزبير (الطبقات لابن سعد ٥٨/١) أنه قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل. وعن ابن عباس أنه قال (الطبري ٧٢/٤) وقد عزاه إلى أبي عبيد وابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون.

وروي عن ابن عباس (الطبقات لابن سعد ٥٦/١) أيضاً أنه كان إذا بلغ عدنان يقول: كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً والأصح عن ابن مسعود مثله (طبري: ١٨٧/١٣).

وقال عمر بن الخطاب: إنما تنسب إلى عدنان.

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه (الإنباء في معرفة قبائل الرواة): روى ابن لبيبة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان إلا تحرقصاً.

وقال أبو الأسود (الطبقات لابن سعد ٤٨/١): سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم - يقول: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم.

قال أبو عمر (الإنباء ص ٤٩): وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَنِيهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ قالوا: كذب النسابون.

قال أبو عمر رحمه الله: والمعنى عدنان في هذا غير ما ذهبوا والمراد: أن من ادعى إحصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأبائهم وأنسابها قد وعوا وحفظوا جواهرها وأمهات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك.

قال أبو عمر: والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن شجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في (السيرة) (سورة ابن هشام ٨٧/١، ٨٨).

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٨٨/١): ويقال: عدنان بن أدد يعني: عدنان بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام. وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوفة شهيرة جداً لا يتمازى فيها إثبات النسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح وقد ورد حديث مرفوع بالنسب عليه كما سنورده في موضعه بعد الكلام على قبائل العرب وذكر أنسابها وانتظامها في سلك النسب الشريف والأصل المنيف إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وما أحسن ما نظم النسب النبوي الإمام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدته المشهورة المنسوبة إليه وهي قوله:

مدحت رسول الله أبني بمدحه وفرد حظوظي من كريم المنار

مدحت امرأً فاق المنيح موحداً بأوصافه عن معد ومقارب
نيباً تأسى في المشارق نوره فلاحته هوائيه لأهل المنار
أنتابه الأنبياء قبل عيته وشاعت به الأخبار في كل جانب
وأصبحت الكهان تهتف باسمه وتنفي به رجم الظنون الكواذب
وأطلقت الأصنام نطقاً تبرأت إلى الله فيه من مقال الأكاذيب
وقالت لأهل الكفر قولاً ميناً أياكم نبي من لؤي بن غالب
ودام استراق السمع حين فزيت مقاعهم منها رجوم الكواكب
هذان إلى سالم نكنس نهدي له لطول العمى من واضحات المناهب
وجاء بأيات تبين أنها دلائل جبار ميثب معاقب
فمنها اشتقاق البدر حين تعمت شعوب الضياء منه رؤوس الأخاشب
ومنهما نبوح الماء بين يديه وقد عدم البوراد قرب المنار
فروى به جأ غصيراً وأسلفت بأناقته طوعاً أكف المناصب
ويثر طفت بالماء من مس سهمه ومن قبل لم تسمح بملقة شراب
وضرع ممره فاستدر ولم يكن به درة تصغي إلى كف حالب
ونطق فصيح من ذراع مينة لكيد عدو للمداوة ناصب
واخبره بالأمر من قبل كونه وعند يوائيه بما في العواقب
ومن تلكم الآيات وحي أتى به قريب المسأتي مستجم العجائب
تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع بلياً ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة وفات مرام المستر الموارب
أثابته لا عن رؤية مرتئ ولا صفح مستمل ولا وصف كاتب
يواتيه طوراً في إجابة سائل وإثناء مستغف ووعظ مخاطب
وإتيان برهان وفرض شرائع وقص أحداث ونص مآرب
وتصريف أمثال وتبيت حجة وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
وفي مجمع النادي وفي حوب الوغى وعند حدوث المضلات الغرائب
فيأتي على ما شئت من طرقاته قويم المعاني مستدر الضرائب
يصدق منه البعض بعضاً كأنما يلاحظ معناه بعين المراقب
وعجز الوري عن أن يبينوا مثل ما وصفناه معلوم بطول التجارب
تأبى بعبد الله أكبرم والند تليج منه عن كريم المناسب
وشية ذي الحمد الذي فخرت به قريش على أهل العُلا والمناصب
ومن كان يستقى الغمام بوجهه ويصدر عن آرائه في التوائب
وهائشم الباني مشيد افتخاره بفر المساعي وامتتان المواهب
وعبد مناف وهو علم قومه اشتطاط الأماني واحتكام الرغائب
وإن قصياً من كريم غراسه لفي منهل لم يدن من كف قاضب
به جمع الله القبائل بعدما تقسمها نهب الأكف السوالب
وحل كلاب من ذرى المجد معقلاً تقاصر عنه كل دان وغائب
ومرة لم يحلل مريرة عزمه سفاه سفيه أو محوبة حائب
وكعب علا عن طالب المجد كعبه فقال بأذن السعي أعلى المراتب
والورى لؤي بالعلنة فطوعت له همم الشم الأنوف الأغائب

وفي غالب بياض أبي البأس دونهم ينافع عنهم كل قرن مغالب وكانت لقهر في قريش خطابة يعوذ بها عند اشتجار المخاطب وما زال منهم مالك خير مالك وأكرم مصحوب وأكرم صاحب وللنضر طول يقصر الطرف دونه بحيث التقى ضوء النجوم الثواب لعنري لقد أبدى كثافة قلبه محاسن تلي أن تطوع لغالب ومن قبله أبى خزيمه حمده تليد تراث عن حميد الأقارب ومروكة لم يندرك الناس مثله أعف وأعلى عن ذني المكاسب والباس كان اليأس منه مقارناً لأعدائه قبل اعتداد الكتاب وفي مضر يستجمع الفخر كله إذا اعتزكت يوماً زحوف المقاب وحل نزار من رئاسة أهله محلاً تسمى عن عيون الرواقب وكان متعزداً لوليه إذا خاف من كيد العدو الحاراب وما زال عدنان إذا عد فضله توحد فيه عن قريش وصاحب وأد تادى الفضل منه بغاية وإثر حواء عن تروم أشايب وفي أدد حليم تزيين بالحجبا إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب وما زال يستعلي هميسع بالملى وينبع أسال البعبد المراضب ونبت بته دوحة العز وإبتى معاقله في مشمخر الأماضب وحيزت لقبدار سماحة حاتم وحكمة لقمان وهمة حاجب هو نسل إسماعيل صادق وعده فما بعده في الفخر مسمى للهاب وكان خليل الله أكرم من عنت له الأرض من ماش عليها وراكب وتارح ما زالت له أريمية تبين منه عن حميد المضارب وناحور نحار العدى حفظت له مآثر لما يحصها عد حاسب واشرع في الهجاء ضيغم غابة يقد الطلى بالمرهفات القواضب وأرغوناب في الحروب محكم ضنين على نفس المشع المنساب وما فالغ في فضله تلو قومه ولا عابر من دونهم في المراتب وشالغ وأرفخشذ وسام سمت بهم سجايا محتم كل زار وعائب وما زال نوح عند ذي العرش فاضلاً يصدده في المصطفين الأطايب ولك أبوه كان في الروح رائحاً جريئاً على نفس الكمي المضارب ومن قبل لك لم يزل متوشلخ يلدو العدى بالذائعات الشوارب وكانت لإدريس النبي منازل من الله لم تقرر بهمة واغيب وينارد بحر عند آل سمراته أبي الحزايبا مستنق المآرب وكانت لمهلايل فهم فضائل مهذبة من فاحشات المنالاب وتينان من قبل ائتسى مجد قومه وفادت بشاؤ الفضل وخذ الركائب وكان أنوش ناشر للمجد نفسه ونزهها عن مرديات المطالب وما زال شيث بالفضائل فاضلاً شريفاً برئاً من ذميم المعائب وكلهم من نور آدم أقبسوا وعن عوده أجنوا نمار المناقب وكان رسول الله أكرم منجب جرى في ظهور الطيبين المناجب مقابلته آبائوه أمهاته مبرة من فاحشات المنالاب عليه سلام الله في كل شارق ألح لنا ضروماً وفي كل غارب

هكذا أورد القصيدة الشيخ أبو عمر بن عبد البر [الإمام ص ٥٠ - ٥٥] وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني في تهذيبه [تهذيب الكمال ١٧٧/١ - ١٨٠] من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شوشير أصله من الأتبار ورد بغداد ثم ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين وكان متكلماً معتزلاً يحكي عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه «المقالات» فيما يحكي عن المعتزلة وكان شاعراً مطبقاً حتى إن من جملة اقتداره على الشعر كان يعاكس الشعراء في المعاني فينظم في مخالفتهم ويترك ما لا يطبقونه من المعاني البليغة والألفاظ البليغة حتى نسب بعضهم إلى التهورس والاختلاط. وذكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد ٩٢/١، ٩٣] أن له قصيدة على قافية واحدة قريباً من أربعة آلاف بيت ذكرها الناجم وأرخ وفاته كما ذكرنا.

قلت: وهذه القصيدة تدل على فضيلته وبرايعه وفصاحته وبلاغته وعلمه وفهمه وحفظه وحسن لفظه وإطلاعه واضطلاحه واقتداره على نظم هذا النسب الشريف في سلك شعره وفروعه على هذه المعاني التي هي جواهر نفيسة من قاموس بحر فرحه الله وأثابه وأحسن مصيره وليابه.

١٦- ذكر أصول أنساب قبائل عرب

الحجاز إلى عدنان

وذلك لأن عدنان ولد له ولدان معد وعك. قال السهيلي [الروض الأنف ٩٩/١، ١٠٠]: ولعدنان أيضاً ابن اسمه الحارث وأخير يقال له: المنذهب. قال وقد ذكر أيضاً في بنيه الضحاك.

وقيل: إن الضحاك ابن لمعد لا ابن عدنان.

قال: وقيل: إن عدن الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أين كانا ابني لعدنان حكاة الطبري [تاريخ الطبري: ٢٧٠/٢]. فتزوج عك في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن فصار لنتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون: عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث ويقال: عك بن عدنان بن النيب بن عبد الله بن الأسد ويقال: الريث بدل النيب والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان. قال عباس بن مرداس [سيرة ابن هشام ٩/١، ١٠]:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بفسان حتى طردوا كل نطرد وأما معد فولد له أربعة: نزار وقضاة وقص وإياد وكان قضاة يكره وبه كان يكنى وقد قلعتا الخلاف في قضاة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن إسحاق وغيره والله أعلم.

وأما قص فيقال: إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً لكسرى على الحيرة كان من سلالة على قول طائفة من السلف وقيل: بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم.

وأما نزار فولد له ربيعة ومضر وأغار. قال ابن هشام [سيرة ابن هشام ٧٤/١]: وإياد ابن نزار كما قال الشاعر:

وَقَسْرُ حَسَنٍ أَوْجَهُهُمْ مِنْ إِسَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعْدٍ

قال: وإياد ومضر شقيقان أهمها سورة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وأغار شقيقة بنت عك بن عدنان. ويقال: جمعة بنت عك بن عدنان.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ٧٤/١]: فأما أغار فهو والد خثعم وبجيلة

قریشاً إما تفرقت من فهر بن مالك والذي عليه من أدركت من نسب قریش أن ولد فهر بن مالك قرشي وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قریش ثم نصر هذا القول نصراً عزيزاً وتحامى له بأنه ونحوه أعلم بنسب قومهم وأحفظ لأثرهم.

وقد روى البخاري (ج ٣٤٩١، ٣٤٩٢) من حديث كليب بن وائل قال: قلت لربيبة النبي ﷺ - يعني زينب في حديث ذكره -: أخبريني عن النبي ﷺ: أكان من مضر؟ قالت: فمن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة.

وقال الطبراني (٢٩٠): ثنا إبراهيم بن ناظلة الأصبهاني حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا الحسن بن صالح عن أبيه عن الجفيش الكندي قال: جاء قوم من كندة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أنت منا وادعوه، فقال: «لا تقفوا أئماً، ولا تنضي من أئمتنا نحن ولد النضر بن كنانة» وقال الإمام أبو عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد (الإمامة للحافظ ٤٩٢/١): ثنا أبي ثنا الكلي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء رجل من كندة يقال له: الجفيش الجفيش إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نزع من عبد مناف منا فأعرض عنه ثم عاد فقال مثل ذلك فقال النبي ﷺ: «فمن بنو النضر بن كنانة لا تقفوا أئمتنا ولا تنضي من أئمتنا» فقال الأشعث: ألا كنت سكت من المرة الأولى فأبطل ذلك من قولهم على لسان نبيه ﷺ وهذا غريب أيضاً من هذا الوجه والكلي ضعيف والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد (٢١٢/٥): حدثنا بهز وعفان قالوا: ثنا حاد بن سلمة. ثني عقيل بن طلحة. وقال عفان: عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن الحبيب عن الأشعث بن قيس أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد من كندة. قال عفان: لا يروني أفضلهم قال: فقلت: يا رسول الله إنا نزع منكم منا قال: فقال رسول الله ﷺ: «فمن بنو النضر بن كنانة لا تقفوا أئمتنا ولا تنضي من أئمتنا» قال: فقال الأشعث: فوالله لا أسمع أحداً نفي قریشاً من النضر بن كنانة إلا جللته الحد.

وهكذا رواه ابن ماجه (ج ٢٦١٢) عن طريق عن حماد بن سلمة به وهذا إسناد جيد قوي وهو فيصل في هذه المسألة فلا التفت إلى قول من خالفه والله أعلم.

وقد قال جرير بن عطية التميمي يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان (سورة ابن هشام ٩٣/١):

فما أَلَمَ السّي وَلَدَت قریشاً بِمُقَرَّفَةِ النُّجُومِ وَلَا عَقِيمِ
وَمَا قَرَّمَ بِالنَّجْبِ مَنْ أَيْكَمَ وَلَا خَالَ بِكَرَمٍ مَنْ قِيمِ

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٩٣/١): يعني أم النضر بن كنانة وهي برة بنت مرأخت قيم بن مر.

وأما اشتقاق قریش فقليل من التقرش؟ التجمع بعد التفرق وذلك في زمن قصي بن كلاب فإنهم كانوا متفرقين فجتمعهم بالحرم كما سيأتي بيانه وقد قال جنانة بن غانم العدوي:

أبوكم قَصِي كَانَ يُدْعَى مُجْتَمِعاً بِهِ جَمْعُ اللَّهِ الْقِبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

وقال بعضهم: كان قصي يقال له: قریش قيل: من التجمع والتقرش:

التجمع كما قال أبو خنيفة الشكري (سورة ابن هشام ٩٤/١):

إِخْرَجُوا قُرَيْشاً مِنَ الدُّنْيَا عَيْنَا فِي حَلِيقِهِ مِنْ دَهْرِنَا وَقَدِيمِ
وَقِيلَ: سَمِيَ قُرَيْشٌ مِنَ التَّقْرِشِ وَهُوَ التَّكْسِبُ وَالتَّجَارَةُ حَكَاهُ ابْنُ

قبيلة جرير بن عبد الله البجلي قال: وقد تيامنت فالتقت باليمن.

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٧٤/١): وأهل اليمن يقولون: أئمتنا بنو إراش بن لحيان بن عمرو بن النوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

قلت: والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا والله أعلم. قالوا: وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوماً عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول: وإبدياه وإبدياه فأعتقت الإبل لذلك (الروض الأوفى ٣٤٠/١).

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام ٧٥/١، ٧٦): فولد مضر بن نزار رجلين إلياس وغيلان وولد لإلياس مدركة وطابخة وقمعة وأهمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام ٧٥/١، ٧٦): وكان اسم مدركة عامراً واسم طابخة عامراً ولكن اصطفا صيداً فبينما هما يطبخانه إذ نفرت الإبل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعمار: أنت مدركة وقال لعمرو: أنت طابخة قال: وأما قمعة فيزعم نسب مضران خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس.

قلت: والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حبر كما تقدم والله أعلم.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام ٩٢/١، ٩٣): فولد مدركة رجلين خزعة وهذيل وأمه امرأة من قضاعة وولد لخزعة كنانة وأسدا وأسدة والمرون، قال: وولد كنانة النضر ومالكاً وعبد مائة وملكان.

وزاد أبو جعفر الطبري (تاريخ الطوي ٢٦٥/٢) في إنشاء كنانة على هؤلاء الأربعة عامراً والحارث والنضير وغمماً وسعداً وعوفاً وجرولاً والحلال وغزوان.

١٧- الكلام على قریش نسباً واشتقاقاً وفضلاً

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام ٩٣/١): وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة وسانث بنه لامرأة أخرى وخالفه ابن هشام فجعل برة بنت مر أم النضر ومالك وملكان. وأم عبد مائة هالة بنت سويد بن الغطفري من أزد شنوءة.

قال ابن هشام (سورة ابن هشام ٩٣/١): النضر هو قریش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وقال: ويقال: فهر بن مالك هو قریش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وهذا القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزيبر بن بكار ومصعب وغير واحد.

قال أبو عبيد وابن عبد البر: والذي عليه الأكثر أن النضر بن كنانة لحديث الأشعث بن قيس.

قلت: وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه. ثم اختار أبو عمر أنه فهر بن مالك واحتج بأنه ليس أحد اليوم ممن يتسبب إلى قریش إلا وهو يرجع في نسبه إلى فهر بن مالك ثم حكى اختيار هذا القول عن الزبير بن بكار ومصعب الزبيري وعلي بن كيسان. قال: وإليهم المرجع في هذا الشأن وقد قال الزبير بن بكار: وقد أجمع نسب قریش وغيرهم أن

هشام رحمه الله [سورة ابن هشام ١٩٣/١].

وقال الجوهري [مقدمة الصحاح ١٠١٦/٣]: القرش: الكسب والجمع وقد قرش يقرش.

قال الفراء: وبه سميت قريش وهي قبيلة وأبوهم النضر بن كنانة فكل من كان من ولده فهو قرشي دون ولد كنانة فما فوقه.

وقيل: من التفتيش.

قال هشام بن الكلبي: كان النضر بن كنانة تسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والقرش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيردونهم بما يلزمهم بلادهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً.

وقد قال الحارث بن حنظلة [شرح الملقات السبع ص ٤٥٣] في بيان أن القرش التفتيش:

أيها الناطق المقسّش عينا عند عمرو فهل له إقصاء

حكى ذلك الزبير بن بكار، وقيل: قريش تصغير قرش وهو دابة في البحر قال بعض الشعراء [المصعب ٣٦٢/٣]:

وقريش هي التي تكن البحر بها سُميت قريش قريشاً

قال البيهقي [دلائل النبوة ١٨٠/١، ١٨١]: أخبرنا أبو نصر بن قتادة ثنا أبو الحسن علي بن عيسى المالبي حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل السري أن أبا كريب حدثهم حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي ركانة العمري أن معاوية قال لابن عباس: فلم سميت قريش قريشاً؟ فقال: للدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه يقال لها: القرش لا تمر بشيء من الفث والسمين إلا أكلته. قال فأنشدني في ذلك شيئاً فأنشده شعر الجهمي إذ يقول:

وقريش هي التي تكن البحر بها سميت قريش قريشاً

تأكل الفث والسمين ولا تترك منها لذي الجناحين ريشاً

هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كمشياً

ولهم آخر الزمان نسي يكثر القتل فيهم والحموشا

وقيل: سمو بقريش بن الحارث بن يثمد بن النضر بن كنانة وكان دليل بني النضر وصاحب ميرتهم فكانت العرب تقول: قد جاءت عبر قريش قالوا: وابنه بدر بن قريش هو الذي حفر البئر المنسوبة إليه التي كانت عندها الوقعة العظمى يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله أعلم.

ويقال في النسبة إلى قريش: قرشي وقريشي قال الجوهري: وهو القياس.

قال الشاعر:

بكل قريشي عليه مهابة سريع إلى داعي النداء والتكرم

قال: فإذا أردت بقريش الحي صرفه وإن أردت القليلة منعه قال الشاعر في ترك الصرف:

وكفسي قريش المعضلات وسائعا

وقد روى مسلم في [صحيحه] (٢٢٧٦) عن حديث أبي عمرو الأوزاعي قال: حدثني شداد أبو عمار حدثني وأثله بن الأسقع قال: قال

رسول الله ﷺ: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً

من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم قريش واصطفاني من بني هاشم.

قال أبو عمر بن عبد البر [الإبارة ٦٩]: يقال: بنو عبد المطلب فصيلة

رسول الله ﷺ وبني هاشم فخذهم وبني عبد مناف بطه وقريش عمارته وبني كنانة قبيلة ومضر شعبه. صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

ثم قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ١٩٤/١]: فولد النضر بن كنانة مالكاً ويثمد.

قال ابن هشام: والصلت وأهمهم جميعاً بنت سعد بن الطرب العدناني.

قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بني مليح بن عمرو من خزاعة:

أليس أبي بالصلت أم ليس إختوتي لكل هجان من بني النضر أزهرها

رايت ثياب العصب مختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخضرا

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكاً بأنساب الفوائج اخضرا

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ١٩٥/١]: وبني مليح بن عمرو يمزون إلى الصلت بن النضر

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ١٩٥/١]: فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الأصغر وولد فهر غالباً وعمارياً

والحارث وأسداً وأهمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ١٩٥/١]: وأختهم لأبويهم جندلة بنت فهر.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ١٩٥/١]: فولد غالب بن فهر لؤي بن غالب وقيم بن غالب وهم الذين يقال لهم بنو الأدم وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ١٩٦/١]: وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي وهي أم لؤي وقيم ابني غالب.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام ١٩٦/١]: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعباً وعماراً وسامة وعوقاً.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ١٩٦/١]: ويقال: والحارث وهم جشم بن الحارث في هزان من ربيعة وسعد بن لؤي وهم بناتة في شيان بن ثعلبة

وبناتة حاضنة لهم وخزعة بن لؤي وهم عائلة في شيان بن ثعلبة.

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام ١٩٧/١] خبر سامة بن لؤي وأنه

خرج إلى عمان فكان بها وذلك لثان كان بينه وبين أخيه عامر فأخافه

عامر فخرج عنه هارباً إلى عمان وأنه مات بها غريباً وذلك أنه كان يرعى

ناقة فعلق حية بمشفرها فوقعت لشقاها ثم نهشت الحية سامة حتى قتله

فيقال إنه كب بأصبعه على الأرض:

عين فابكي لسامة بن لؤي علق ما بسامة الثلاثه

لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلاً لثاقه

بلغا عامراً وكعباً رسولاً أن نفسي إليهما مشاتة

إن تكن في عمان داري فإني غالباً خرجت من غير فاقه

رب كاس هرقت يا بن لؤي حنن الموت لم تكن مهراقه

رئت دفع الخوف يابن لؤي ما لسن رام فاك بالحلف طاقه

وخرووس السوي تركت ودياً بعد جد وجند وورشاته

قال ابن هشام [سورة ابن هشام ١٩٨/١]: ويلغني أن بعض ولده أتى رسول

الله ﷺ فانتسب إلى سامة بن لؤي فقال له رسول الله ﷺ: «الشاعر؟»

فقال له بعض أصحابه كاتك يا رسول الله أردت قوله:

رب كاس هرقت يابن لؤي حنن الموت لم تكن مهراقه

فقال: «أجل».

وذكر السهيلي (الروض الأثف ١/٤٠٧) عن بعضهم أنه لم يعقب. وقال الزبير: ولد أسامة بن لؤي غالباً والبيت والحارث. قالوا: وكانت له ذرية بالعراق ينتسبون علياً ومنهم علي بن الجعد كان يشتم أباه لكونه سماه علياً ومن بني سامة بن لؤي محمد بن عرعرة بن البرند شيخ البخاري.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/٩٨): وأما عوف بن لؤي فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطى به فانطلق من كان معه من قومه فأنه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان فحبسه وزوجه والناتية وأتاه ففشاغ نسبه في ذبيان وثعلبة فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/٩٩): وحديثي محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعياً حياً من العرب أو ملحقهم بنا لأدعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني: عوف بن لؤي.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/١٠٠): وحديثي من لا أنهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال منهم من بني مرة: إن شتم أن ترجعوا إلى نسبكم فلارجعوا إليه.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/١٠١): وكان القوم أشرفاً في غطفان هم ساداتهم وقادتهم قوم لهم صيت في غطفان وقيس كلها فأتوا على نسبهم. قال: وكانوا يقولون إذا ذكر لهم نسبهم: ما ننكره وما نحجله وإنه لأحب النسب إلينا ثم ذكر أشعارهم في انتمائهم إلى لؤي.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/١٠٢): وفيهم كان البسل وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويؤمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضاً.

قلت: وكانت ربيعة ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة وهي: ذو القعدة وذو الحجة والحرم واختلفت ربيعة ومضر في الرابع وهو رجب فقالت مضر: هو الذي بين جمادى وشعبان وقالت ربيعة: هو الذي بين شعبان وشوال. وقد ثبت في الصحيحين (٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٤٤٧) م (١٦٩٩) عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال في خطبة حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» فنص على ترجيح قول مضر لا ربيعة.

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (البقرة: ٣٦) فهذا رد على بني عوف بن لؤي في جعلهم الأشهر الحرم ثمانية فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه. وقوله في الحديث: «ثلاث متواليات» رد على أهل النسيئ الذين كانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر. وقوله فيه: «ورجب مضر» رد على ربيعة.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/١٠٣): فولد كعب بن لؤي ثلاثة، مرة، وعدياً، ومهصباً وولد مرة، ثلاثة أيضاً كلاب بن مرة، وتيم بن مرة، وبظقة بن مرة من أمهات ثلاث. قال: وولد كلاب رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجذرة من جعنة الأسد من اليمن خلفاء بني النضير بن بكر بن عبد مائة بن كنانة وفي أبيها

يقول الشاعر (سيرة ابن هشام ١/١٠٥):

ما نرى في الناس شخصاً واحداً
تسن علمناه كسعد بن سيل
فارساً أضبط فيه عسرة
وإذا ما واقف القيرن نزل
فارساً يستلج الخيل كما استلج
الحمر القطامي الجبل
قال السهيلي (الروض الأثف ١/٤٧٨): سيل اسم خير بن حمالة وهو أول من طليت له السيوف بالذهب والفضة.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/٢٠٥): وإنما سمو الجذرة لأن عامر بن عمرو بن خزاعة بن جعنة تزوج بنت الحارث بن مضااض الجرهمي وكانت جرهم إذ ذاك ولاية البيت فبنى للكعبة جداراً فسمي عامر بذلك الجدار فقيل لولده: الجذرة لذلك.

١٨- خبر قصي بن كلاب

وما كان من أمره في ارتجاعه ولاية البيت إلى قريش وانتزاعه ذلك من خزاعة واجتماع قريش إلى الحرم الذي جعله الله أمناً للباد بعد تفرقها في البلاد وتفرقها في الجبال والمهاد وذلك أنه لما مات أبوه كلاب تزوج أمه ربيعة بن حرام من عذرة وخرج بها وبه إلى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج حتى ابنة رئيس خزاعة حليل بن حبشية. فأما خزاعة فترعم أن حليلاً أوصى إلى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال: أنت أحق بذلك مني.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/١١٨): ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غيرهم فإنهم يزعمون أنه استجاش بأخوته من أمه - وكان رئيسهم رزاح بن ربيعة - وإخوة إخوته وبني كنانة وقضاة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فأجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت إلا أن إجازة الحجاج كانت إلى صوفة وهم بنو الغوث بن مر ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا يتفرون من منى حتى يتفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى انقضوا فورثهم ذلك بالقممذ بنو سعد بن زيد مائة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث بن شجعة بن عطارذ بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مائة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام وهو كرب بن صفوان. وكانت الإجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الإسلام على آخرهم وهو أبو سيرة عذيلة بن الأعزل وقيل: اسمه العاص بن خالد وكان يميز بالناس على أنان له عوراء مكث يطلع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل اللبنة مائة وأول من كان يقول: أشرق تبشير كيما تغير. حكاه السهيلي (الروض الأثف ١/٤١٢ - ٤٢٣).

وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يقضي به فتحاكموا إليه مرة في ميراث خشى فبات ليكنه ساهراً يترى ماذا يحكم به فراه جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له: ما لك - لا أباك - الليلة ساهراً؟ فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال: لعلها يكون عندها في ذلك شيء. فقالت: أتبع القضاء المبال فقال: فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك.

قال السهيلي (الروض الأثف ١/٥١٢): وهذا الحكم من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِ بْنِ كَلْبٍ﴾ (يوسف: ١٨) حيث لا أثر لأتباع الذهب فيه وقال تعالى:

﴿إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ كُلِّ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَافِينَ. وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ ذُبِّ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّالِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧].

وفي الحديث [السند ٢٣٩/١ د (٢٢٥٦)] «أنظروها فإن جاءت به أورق جعلاً جالياً فهو للذي رميت به».

قال ابن إسحاق [رسو ابن هشام ٤٣/١]: وكان النسيء في بني قيس بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزاعة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

قال ابن إسحاق [رسو ابن هشام ٤٤/١]: وكان أول من نسا الشهر على العرب القلبيس وهو حنيفة بن عبد بن قيس بن عدي ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثعلبة بن عوف بن قلع بن عباد بن حنيفة وهو القلبيس فعلى أبي ثعلبة قام الإسلام وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئاً أحل الحرم وجعل مكانه صغراً ليواطأوا علة ما حرم الله، فيقول: اللهم إني أحلت أحد الصغرين الصغر الأول وأتأت الأخر للعالم القليل فتبته العرب في ذلك ففي ذلك يقول عмир بن قيس أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ويعرف عмир بن قيس هذا بجند الطعان:

لقد علمتُ معذ أن قومي كرام الناس أن لهم كراماً
فأي الناس فاتونا بوترٍ وأي الناس لم نملك لجامساً
ألسنا الناس على معذٍ شهوّر الحبل نجعلها حراماً

وكان قصي في قومه سيداً رئيساً مطاعاً معظماً والمقصود أنه جمع قريشاً من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وإجلالهم عن البيت الحرام وتسليمه إلى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تناصروا إلى التحكيم فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بأن قصياً أولى بالبيت من خزاعة وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدحه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وينو بكر من قريش وكنانة وقضاة فيه الدية مؤداة وأن يغلى بين قصي وبين مكة والكعبة فسي يعمر يومئذ الشلخ.

قال ابن إسحاق [رسو ابن هشام ١٢٤/١]: فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه إلا أنه أقر للعرب على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك ديناً في نفسه لا يبغي تنفيره فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله.

قال: فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكاً أطاع له به قومه وكانت إليه الحجبة والسقاية والرفادة والتدوة واللواء فحاز شرف مكة وقطع مكة رباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة.

قلت: فرجع الحق إلى نصابه، ورد شارد العدل بعد إيايه، واستقرت بقرش الدار، وقضت من خزاعة المراد والأوطار، وتسلمت بينهم العتيق القديم لكن بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونصبها إياها حول الكعبة وغرمها لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال: قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسدائنه واللواء وبني دارا لإزاحة الظلمات وفصل

الخصومات سماًها دار التدوة إذا أعضلت قضية اجتماع الرؤساء. من كل قبيلة فاشترروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ولا تبلغ جارية أن تندع فتندع إلا بها وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلاحه على بيعها معاوية، وقال: بعت مكربة قومك وشرفهم بمائة ألف؟ فقال إنما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في المجاهلية بقرى خروها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأثنا المنقبون؟ [البروس الألف ٥٥/٢]. وأخرجه الطبراني [٣٠٧٣] ذكره الدارقطني في «أسماء رجال الموطاء».

وكانت إلى قصي سقاية الحجيج فلا يشربون إلا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تنادم عهدا ولا يهتدون إلى موضعها.

قال الواقدي: وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات. وأول من أحدث الرفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا وراجعين إلى بلادهم.

قال ابن إسحاق [رسو ابن هشام ١٣٠/١]: وذلك أن قصياً فرضه عليهم فقال لهم: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وإن الحجاج ضيف الله وزوار يته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاماً وشرباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجاً فيلقونهم إليه فيصنعه طعاماً للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في المجاهلية حتى قام الإسلام ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى يتقضي الحج.

قلت: ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق ثم أمر بإخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حل زاد وماء لأبناء السبل القاصدين إلى الحج وهذا صنع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أجل ما فيه والأولى أن يكون من جوالي اللفة لأنهم لا يجنون البيت العتيق وقد جاء في الحديث «من استطاع الحج فلم يجع فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» [ت (٨١٢)].

وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه: قصي لعمرى كان يدعى مجتماً به جمع الله القبائل من فهو هم ملووا البطحاء مجداً وسوداً وهم طردوا عنا غواة بني بكر

قال ابن إسحاق [رسو ابن هشام ١٢٦/١]: ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه وإخوته من آبيه الثلاثة وهم حن وعمود وجلهمة. قال رزاح في إجابته قصياً [رسو ابن هشام ١٢٦/١]:

ولما أتى من قصي رسولٌ فقال الرسول أجيبوا الخيلا
نهضنا إليه نقود الجياد ونطرح عنا الملو القيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ونكسي النهار لئلا نزولا
فهن سراع كور القطا يُجِن بنا من قصي رسولاً
جئنا من الر من أشمنين ومن كل حي جئنا قبيلا
فيالك حلبة ما ليلة تزيد على الألف سيلاً
فلما مررت على عاجر وأسهلن من مستاخ سيلا

أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر فاشترى قصي ولاية البيت منه بزق خر وقعود فكان يقال: أخسر من صفقة أبي غبشان. ولما رأت خزاعة ذلك اشتدوا على قصي فاستنصر أخاه فقدم بمن معه وكان ما كان ثم فوض قصي هذه الجهات التي كانت إليه من السدانة والحجابة واللواء والندوة والرفادة والسقاية إلى ابنه عبد الدار - كما سيأتي تفصيله وإيضاحه - وأقر الإجازة من مزدلفة إلى بني عدوان وأقر النسب في بني ققيم وأقر الإجازة - وهو النفر - في صوفة كما تقدم بيان ذلك كله مما كان بأبيهم قبل ذلك وتاريخ الطبري ٢/٢٥٦.

قال ابن إسحاق: فولد قصي أربعة نفر وأمرأتين عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبدًا وتحمير وبرة، وأمههم كلهم حتى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وهو آخر من ولي البيت من خزاعة ومن يده أخذ البيت قصي بن كلاب (سورة ابن هشام ١٠٥/١).

قال ابن إسحاق: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشمًا وعبد شمس والمطلب - وأمههم عاتكة بنت مرة بن هلال - ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية (سورة ابن هشام ١٠٦/١).

قال ابن هشام (السورة ١٠٧/١): وولد لعبد مناف أيضًا أبو عمرو وغمار وقلابة وحية وريطة وأم الأختم وأم سفيان.

قال ابن هشام (السورة ١٠٨/١): وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة: عبد المطلب وأسدًا وأبا صيفي ونضلة والشغاف وخالدة وضيفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليبيد بن خلدان بن عامر بن غنم بن عدلي بن النجار من المدينة وذكر أمهات الباقيين قال: وولد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم: العباس وحزرة وعبد الله وأبو طالب - واسمه عبد مناف لا عمران - والزيبر والحارث - وكان بكر أبيه وبه كان يكنى - وجحل ومنهم من يقول: جحل وكان يلقب بالتيقاف لكثرة خبره والمقوم وضرار وأبو لهب - واسمه عبد العزى - وصفيّة وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأمية وأروى وبرة وذكر أمهاتهم إلى أن قال: وأم عبد الله وأبي طالب والزيبر وجميع النساء إلا صفيّة فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال: فولد عبد الله محمدًا رسول الله ﷺ سيد ولد آدم وأمه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ثم ذكر أمهاتها فأغرق إلى أن قال: فهو أشرف ولد آدم حنبًا وأفضلهم نسبًا من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد تقدم حديث الأوزاعي عن شكاند أبي عمار عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». رواه مسلم [٢٢٧٦].

وسيأتي بيان مولده الكريم وما ورد فيه من الأخبار والآثار وسنورد عند سرد النسب الشريف فوائد آخر ليست هاهنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان.

ذكر جمل من الأحداث الواقعة في زمن الجاهلية:

قد تقدم ما كان من أخذ جرهم ولاية البيت من بني إسماعيل طمعوا فيهم لأنهم أبناء بناتهم وما كان من توثب خزاعة على جرهم وانتزاعهم ولاية البيت منهم ثم ما كان من رجوع ذلك إلى قصي وبنيه واستمرار

وجاوزن بالركن من ورقبان وجاوزن بالمرج حياً حلولا وعالجن من سر ليلاً طويلا وإرادة أن يسترقن الصهيل اجتمعا الرجال قبيلاً قبيلا وفي كل أوبر خلعتا العقولا خبز القري العزيرم الذليلا ويكرأ تلتنا وجيلاً فجيلا كذا كما لا يحلون أرضاً سهولا فاصبح سيئهم في الحديب

قال ابن إسحاق: فلما رجع زواج إلى بلاده نشره الله ونشر حنا، فهما قبيلا علرة إلى اليوم (سورة ابن هشام ١٢٩/١).

قال ابن إسحاق: وقال قصي بن كلاب في ذلك (سورة ابن هشام ١٢٨/١).

أنا ابن الماصمعي بني لتوي بمكة مسترلي وبها ريت إلى البطحاء قد علمت معد ومرونها رضى بها رضىت فليست لنفالي إن لم تأكل بها أولاد قبيلتي والنييت زواج ناصيري وبه أسامي فليست أخاف ضيماً ما حيت

وقد ذكر الأموي عن الأثرم عن أبي عبيدة عن محمد بن حفص: إن زواجاً إنما قدم بعدما نفي قصي خزاعة والله أعلم.

١٩- خبر أولاد قصي وذريته

ثم لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده. وإنما خصصه بها كلها لأن بقية إخوته عبد مناف وعبد العزى وعبدًا كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم ويلعنوا في قوتهم شرفاً كبيراً فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان إخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انتقضوا تشاجر أبناءهم في ذلك وقالوا: إنما خصص قصي عبد الدار بذلك ليلحقه بإخوته فنحن نستحق ما كان آباءنا يستحقونه.

وقال بنو عبد الدار: هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلقوا اختلافاً كثيراً وانقسمت بطون قريش فرقتين ففرقة بابيت عبد الدار وحالفهم وفرقة بابيت بني عبد مناف وحالفهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا بأيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيين. وكان منهم من قاتل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمع وبنو عدي واعتزلت بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطالحوا وافقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمر.

وحكى الأموي عن الأثرم عن أبي عبيدة قال: وزعم قوم من خزاعة أن قصياً لما تزوج حتى بنت حليل وقتل حليل عن ولاية البيت جعلها إلى ابنته حتى واستتاب عنها أبا غبشان سليم بن عمرو بن بؤي بن ملكان بن

ذلك في أيديهم إلى أن بعث الله رسوله ﷺ فآثر تلك الوظائف على ما كانت عليه.

باب ذكر جماعة كانوا مشهورين في زمن الجاهلية

٢٠- خبر خالد بن سنان العيسى الذي

كان في زمن الفتوة

وقد زعم بعضهم أنه كان نبياً والله أعلم.

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير ١٢٢٥٠]: حدثنا أحمد بن زهير التستري حدثنا يحيى بن المولى بن منصور الرازي حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي ﷺ فبسط لها ثوبه وقال: «بنت نبي ضيعه قومه».

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يحيى بن المولى بن منصور عن محمد بن الصلت عن قيس بن سالم عن سعيد عن ابن عباس، قال: ذكر خالد بن سنان عند رسول الله ﷺ فقال: «ذاك نبي ضيعه قومه» وكشف الأسرار: [٢٣٦١]. ثم قال: ولا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وكان قيس بن الربيع ثقة في نفسه إلا أنه كان رديء الحفظ وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها والله أعلم.

قال البزار [كشف الأسرار: ٢٣٦١]: وقد رواه الثوري عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير مرسلًا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المولى بن مهدي الموصلي قال: حدثنا أبو عروثة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من عيس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: «إني أطفئ عنكم نار الحداث فقال له رجل من قومه: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقاً فما شأنك وشأن نار الحداث تزعم أنك تطفئها؟ فخرج خالد ومعه أناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فاتوا فإذا هي تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضاً فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا كل هدى مردأ زعم ابن راعية المعزى أنني لا أخرج منها وثيايبي تنذني حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد: والله إن صاحبكم لو كان حياً لقد خرج إليكم بعد قالوا: فادعوه باسمه. قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو أخذ برأسه فقال: ألم أنهيكم أن تدعوني باسمي فقد والله تلتئموني فادفوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أثير فأبشروني فأنكم تجدونني حياً فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أثير فقلنا: أثبشوه فإنه أمرنا أن نبشيه فقال لهم عمارة: لا تبشروه لا والله لا نتحدث مضر أنا نبش موتانا وقد كان قال لهم خالد: إن في عجم امرأته لوحين فإن أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فأنكم ستجدون ما تسألون عنه قال: ولا يسمهما حائض فلما رجعا إلى امرأته سألوا عنها فأنجزتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي ﷺ فقال: «ذاك نبي أضاعه قومه» قال: أبو يونس: قال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان أتى النبي ﷺ فقال: «مرحبا بابن أخي» والطبراني في الكبير: ١١٧٩٣.

الحاكم في المستدرک: ٥٩٨/٢ فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبياً والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يمتنع بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات فإنه إن كان في زمن الفتوة فقد ثبت في «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بيني وبينه نبي». وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبياً لأن الله تعالى قال: «لَتُنذِرَنَّهُمْ قَوْماً مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ» [الجنه: ٣].

وقد قال غير واحد من العلماء: إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبياً في العرب إلا عمداً ﷺ خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل بابي الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعاً وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام وبهنا المسلك بعينه يؤد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له: شعيب بن ذي مهزم بن شعيب بن صفوان صاحب مدلين وبعث إلى العرب أيضاً حنظلة بن صفوان فكنبوها فسلط الله على العرب بختصر فتال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان.

والظاهر أن هؤلاء كانوا قوماً صالحين يهدون إلى الخير والله أعلم. وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرحهم.

٢١- ذكر حاتم الطائي أحد أجداد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدلي بن أحمز بن أبي أحمز واسمه هزومة بن ربيعة بن جروول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طهمس أبو سفانة الطائي والد عدي بن حاتم الصحابي كان جواداً مدحياً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الإسلام وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر.

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده [كشف الأسرار: ٩٢]: حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو مضر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: ذكر حاتم عند النبي ﷺ فقال: «ذاك أراد أمراً فأدره» حديث غريب.

قال الدارقطني: تفرد به عبيد بن واقد عن أبي مضر الناجي ويقال: إن اسمه حماد.

قال ابن عساکر [تاريخ ابن عساکر ٣٩٢/١١]: وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي مضر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي ووقع في بعض روايات الحافظ ابن عساکر عن أبي نصر شيبة الناجي والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٣٧٩/٤]: حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله ﷺ: إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك؟ يعني: من أجر قال: «إن أباك طلب أمراً فأصابه».

وهكذا رواه أبو يعلى عن القواريري عن غندر عن شعبة عن سماك به. وقال: «إن أباك أراد أمراً فأدره» يعني الذكر [تاريخ دمشق لابن عساکر ٣٩٠/١١]. وهكذا رواه أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة به سواء [تاريخ دمشق: ٣٦١/١١].

وقد ثبت في الصحيح (١٩٠٥) في الثلاثة الذين شعر بهم جهنم منهم الرجل الذي ينفق ليقال: إنه كريم فيكون جزاؤه أن يقال ذلك في الدنيا وكذا في العالم والمجاهد.

وفي الحديث الآخر في الصحيح (٢١٤) أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدهان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقالوا له: كان يقري الضيف ويعتق ويتصدق فهل يفعه ذلك؟ فقال: إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين! وهذا وقد كان من الأجداد المشهورين أيضاً المطعمين في السنين المحملة والأوقات المرملة.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أثبتنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العماني حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد عن أبي حمزة الشامي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي قال: قال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله ما أزهّد كثيراً من الناس في خير عجباً لرجل يحميه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح. فقام إليه رجل وقال: فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين أسمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خير منه لما أتى بسبيلاً طبع وقعت جارية حمراء لعشاء ذلفاء عيطاء شماء الأنف معتدلة القائمة والهامة درماء الكعمين خدلجة الساقين لغاء الفضلين خيصة الخصرين ضامرة الكشحين مصقولة التئين. قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لأطلين إلى رسول الله ﷺ فيبعيها لي فيبي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإنني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يجمي للدار ويفك العاني ويشيع الجائع ويكسر العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويشفي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طي. فقال النبي ﷺ: ذبا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق والله تعالى يجب مكارم الأخلاق. فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، والله يجب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ: هو الذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق [دلائل النبوة: ٣٤١/٥].

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني عمر بن بكر عن أبي عبد الرحمن الطائي - هو الهيثم بن عدي - عن ملحان بن عركي بن حليس الطائي عن أبيه عن جده - وكان أخا عدي بن حاتم لأمه - قال: قيل لنوار امرأة حاتم: حدثنا عن حاتم قالت: كل أمره كان عجباً أصابتنا سنة حصت كل شيء فاقشعرت لها الأرض واغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الإبل حدياء حديد ما تبض بقطرة وحلق المال وأنا نفسي ليلة صبر بعيلة ما بين الطرفين إذ تقاضى الأصيبة من الجوع عبد الله وعدي وسفانة فوالله إن وجدنا شيئاً نعلمهم به فقام إلى أحد الصبيان فحمله وقمت إلى الصبية فعملتها فوالله إن سكنا إلا بعد هداة من الليل ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعملناه حتى سكنت وما كاد ثم افترشنا قطيفة لنا شامية ذات خمل فأضجعنا الصبيان عليها ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا ثم أقبل عليّ يعللي لأنام وعرفت ما يريد فتاورمت فقال: مالك أمت؟ فسكت فقال: ما أراها إلا قد نامت وما بي نوم فلما أظلم الليل وتهورت النجوم وهذات الأصوات وسكنت الرجل إذ جانب البيت قد رفع فقال: من هذا؟ فولى حتى إذا قلت: قد أسحرنا أو كدنا عاد فقال:

من هذا؟ قالت: جارتك فلانة يا أبا عدي ما وجدت على أحد معرولاً غيرك أتيتك من عند أصيبة يتماون عواء الذئب من الجوع قال: أعجلهم عليّ قالت النوار: فوثبت قنلت: ماذا صنعت؟ والله لقد تقاضى أصيبتك فما وجدت ما تعلمهم به فكيف بهنّه ويولدهما؟ فقال: أسكني فوالله لأشبعنك ولأياهم إن شاء الله قالت: فأقبلت تحمل اثنين وعشني جنبتيها أربعة كانتها نعاماً حولها رثالها فقام إلى فرسه فوجأ بحمته في لبته ثم قدح زنده وأورى ناره ثم جاء بمدية فكشط عن جلده ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال: دونك ثم قال: ابغني صيانتك فيبعينهم ثم قال: سرمة أناكلون شيئاً دون أهل الصرم؟ فجعل يطوف فيهم حتى هبوا وأقبلوا عليه والتفّع في ثوبه ثم اضطجع ناحية ينظر إليها والله ما ذاق مرقة وإنه لأحوجهم إليه فأصبحتنا وما على الأرض منه إلا عظم أو حافر [تاريخ دمشق لابن عساکر: ٣٦٥/١١، ٣٦٦].

وقال البارقطي: حدثني القاضي أبو عبد الله الحاملي حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثني غنم بن ثوبة بن حيد الطائي عن أبيه عن جده قال: قالت امرأة حاتم لحاتم: يا أبا سفانة أشتيتي أن أكل أنا وأنت طعاماً وحدنا ليس عليه أحد فأمرها فحولت خيمتها من الجماعة على فرسخ وأمر بالطعام ففجى وهي مرخاة ستورها عليه وعليها فلما قارب نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال [ديوان حاتم: ١٧٢]:

فلا تطبخي قندي وسترك دونها عليّ أذن ما تطبخين حرام
ولكن بهذا البغاع فأوقدي بجزل إذا أوقدت لا بضرام
قال: ثم كشف الستور وقدم الطعام ودعي الناس فاكلوا فقال: ما أتممت لي ما قلت فأجابها: فإني لا تطاوعني نفسي ونفسي أكرم عليّ من أن يشي على هذا وقد سبق لي السخاء [تاريخ ابن عساکر: ٣٦٦/١١] ثم أنشأ يقول:

أمارس نفس الجود حتى أعزها وأترك نفس البخل ما استشرها
ولا تشكني جارتني غير أنها إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيلفها خيري ويرجع بعلها إليها ولم تنصر علي ستورها

ومن شعر حاتم [ديوان حاتم: ٢٧٢، ٢٧٣]:

إذا ما بت أشرب فوق رسي لسكر في الشراب فلا رويت
إذا ما بت أخيل عرس جاري ليخفيني الظلام فلا خفيت
أفصح جارتني وأخون جاري فلا وأله أفضل ما حييت

ومن شعره أيضاً [تاريخ دمشق: ٣٧٤/١١]:

ما ضر جارا لي أجاروه أن لا يكون لي أبوسه ستر
أفضي إذا ما جارتني برزت حتى يوارى جارتني الحذر

ومن شعر حاتم أيضاً [ديوان حاتم: ١٥٩]:

وما من شيمتي شتم ابن عسي وما أنا مُخْلِيفٌ مَنْ يرميمني
وكلمة حاسدٍ من غير جرم سمعتُ قنلتُ مري فأنقذني
وعابوها عليّ فلم تئبني ولم يمرق لها يوماً جيني
وفي وجهي يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يائلي
ظفرتُ ببيعه فكففتُ عنه محافظةً على حسي وديني

ومن شعره: [ديوان حاتم: ٣٠٠]

سلي البائن الموروز يا أم مالك إذا ما أناني بين ناري ومجزري

اليسط وجهي أنه أول القيرى وأبذل معروف له دون مُنْكَسري
وقال أيضاً: [ديوان حاتم: ١٨٣]
وانك إن أعطيت بطنك سُوءَه وفَرَجَكَ نالا متهى السلم أجمعاً

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكرياء الجريري: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي حدثنا أبو العباس المبرد أخبرني الشوري عن أبي عبيدة. قال لما بلغ حاتم طيء قول المتلمس: [ديوان المتلمس: ١٧٢، ١٧٣]
قليل المال تصلحه فيقيس ولا يقيس الكثير على الفساد
وحفظ المال خير من فناءه وعسر في البلاد ينير زاد

قال: ما له؟ قطع الله لسانه حل الناس على البخل فهلا قال:
فلا الجود يُغني المال قبل فناءه ولا البخل في مال الشحيح يزيد
فلا تلتزم مالا يمشي مقتر لكل غدر رزق يعمود جديد
الم تر أن المال غداً ورائح وأن السني يعطيك غير بعيد

قال القاضي أبو الفرج: ولقد أحيين في قوله: وأن الذي يعطيك غير بعيد. ولو كان مسلماً لرجي له الخير في معاده وقد قال الله في كتابه:
﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [البقرة: ٢١٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] [ديوان دمشق لابن صاكر: ٣٧١/١١، ٣٧٢].

وعن الوضاح بن معبد الطائي قال: وفد حاتم الطائي على النعمان بن المنذر فأكرمه وأدناه ثم زوجه عند انصرافه حامين ذهباً وورقاً غير ما أعطاه من طرائف بلده فرحل، فلما أشرف على أهله تلقته أعزب طيء. فقالت: يا حاتم أتيت من عند الملك بالغنى وأتينا من عند أهاليك بالفقر فقال حاتم: هلم فخلوا ما بين يدي فتزوجه فوثبوا إلى ما بين يديه من جباه النعمان فاقسموه. فخرجت إلى حاتم طريقة جاريته فقالت له: أتى الله وأبى على نفسك، فما يدع هؤلاء ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً [ديوان دمشق: ٣٦٨، ٣٦٩/١١، ٣٧٠].

وقالت طريقة ما تبقى دراهمتنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
إن يفر ما عندنا فآله يرزقنا ممن سوانا ولنا نحن نرتزق
ما ياتك درهم الكاري خرقنا إلا مَرَّ عليها ثم يطلق
إننا إذا اجتمعت يوماً دراهمتنا ظنك إلى مُلِّ المعروف تستيق

وقال أبو بكر بن عياش: قيل لحاتم: هل في العرب أجود منك؟ فقال: كل العرب أجود مني ثم أنشأ يحدث. قال: نزلت على غلام من العرب يتيم ذات ليلة وكانت له مائة من الغنم فذبح لي شاة منها وأتاني بها فلما قرب إليّ دماغها قلت: ما أطيب هذا الدماغ قال: فذعب فلم يزل يأتيني منه حتى قلت: قد اكتفيت، فلما أصبحت إذا هو قد ذبح المائة شاة ويقي لا شيء له؟ فقلت: فما صنعت به؟ فقال: ومتى أبلغ شكره ولو صنعت به كل شيء؟ فقال: على كل حال؟ فقال: أعطيته مائة ناقة من خيار إيلي. [ديوان دمشق: ٣٦٨/١١]

وقال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب «مكارم الأخلاق»: حدثنا العباس بن الفضل الربيعي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني حماد الرواية ومشية من مشية طيء، قالوا: كانت غنية بنت عفيف بن عمرو بن ابرئ القيس أم حاتم طيء، لا تمسك شيئاً سخاء وجوداً؛ وكان إخوتها يمتعونها فتأبى. وكانت امرأة موسرة، فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع. ثم أخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت

ذلك الخلق، فذفعوا إليها صيرمة من مالها، وقالوا: استمتعي بها، فأتتها امرأة من هوازن - وكانت تغشاه - فسألته فقالت: دونك هذه الصيرمة فقد والله مسني من الجوع ما أليت أن لا أمتنع سائلاً شيئاً. [ديوان دمشق: ٣٧٠/١١، ٣٧١] ثم أنشأت تقول: [ديوان حاتم: ١٠]

لتمري لقدمي عضتي الجوع عضه فكأيت أن لا أمتنع الدهر جالما
فقلوا لهذا اللاتمي اليوم أعفني وإن أنت لم تفعل فمضض الأصابع
فماذا عصيتهم أن تقولوا لأخيتكم سوى عذلكم أو عذل من كان مانعاً
ومهما ترون اليوم إلا طيعه فكيف يتركي يا ابن أم الطليع

وقال الهيثم بن عدي، عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده، قال: شهدت حاتمًا يكيد بنفسه، فقال لي: أي بني، إني أعهد من نفسي ثلاث خصال: والله ما خالفت جارة لريبة قط، ولا أؤقتت على أمانة إلا أديتها، ولا أوتي أحد من قبلي بسوء [ديوان دمشق: ٣٧٧/١١].

وقال أبو بكر الخرائطي: حدثنا علي بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى العدوي، حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي مسكين - يعني: جعفر بن الحرز بن الوليد - عن المحرر بن أبي هريرة، قال: مر نضر من عبد القيس بقر حاتم طيء فزفوا قريباً منه فقام إليه بعضهم - يقال له: أبو الخيري - فجعل يركض قبره برجله. ويقول: يا أبا الجعراء اقربنا، فقال له بعض أصحابه: ما تخاطب من رمة وقد بليت؟ وأجنهم الليل، فناموا. فقام صاحب القول فرعاً يقول: يا قوم! عليكم بمطيعكم - فإن حاتمًا أتاني في النوم وأشدني شعراً، وقد حفظته يقول: [ديوان حاتم: ١٧٦، ١٧٧]

أيا خيربي وأنت امرؤ ظلمت العشرة شتاتها
أيت بصحبك تبغي القيرى لدى حضرة صخب هاتها
أتبغي لي اللنسب عند الميـ سـو حوئك طيرى وأنعامها
وأنا سنشبع أضيافنا ونلاني المطيى فنعتناها

قال: وإذا ناقة صاحب القول تكوس عقيراً فنحروها، وقاموا يشترون وياكلون. وقالوا: والله لقد أضافنا حاتم حياً وميتاً. قال: وأصبح القوم وأردفوا أصحابهم وساروا فإذا رجل يتوه بهم راكباً جلاً ويقود آخر. فقال: إنيكم أبو الخيري؟ قال: أنا، قال: إن حاتمًا أتاني في النوم فأخبرني أنه قرئ أصحابك ناقتك، وأمرني أن أحملك، وهذا بعير فخذ، ودفعه إليه [ديوان دمشق: ٣٧٧/١١].

٢٢- ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان

هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة سيد بني تميم وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكان من الكرماء الأجواد في الجاهلية المطمئنين للمستين، وكان في بدء أمره فقيراً مملقاً، وكان شريفاً يكثر من الجنائيات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقيبلته، وأبغضوه حتى أبوه.

فخرج ذات يوم في شعاب مكة حائراً بائساً، فرأى شقاً في جبل فظن أن يكون به شيئاً يؤذي، فقصده لعله يموت فيستريح مما هو فيه. فلما اقترب منه إذا ثمان يخرج إليه ويثب عليه، فجعل يجيد عنه ويثب فلا يغني شيئاً، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتان، فكسره وأخذته ودخل الغار، فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم، ومنهم الحارث بن

ولا يصح من غير هذا الوجه.

وقال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٢٢/٩]: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، أكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة أبو يزيد، ويقال: أبو وهب ويقال: أبو الحارث الكندي. كان بأعمال دمشق وقد ذكر مواضع منها في شعره؛ فمن ذلك قوله:

فما نبتك من ذكرى حبيب ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحوتل
تروضع سلقرة لم يصف رسلها لما نبتجها من جنوب وشمال

قال: وهذه مواضع معروفة بمحور.

ثم روى من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي حديثي فروة بن سعيد بن عفيف بن معدى كرب، عن أبيه، عن جده. قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل وفد من اليمن، فقالوا: يا رسول الله لقد أحيانا الله بينين من شعر امرئ القيس. قال: «وكيف ذلك؟» قالوا: أبلينا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق أخطأنا الطريق فمكنا ثلاثاً لا نقدر على الماء، ففرقنا إلى أصول طلع وسمر، ليموت كل رجل منا في ظل شجرة، فبينما نحن بأخر رمق إذا راكب يوضع على بعير، فلما رآه بعضنا قال - والراكب يسمع -:

ولما رأت أن الشريعة متهلها وأن الياض من قرأتها دامي
نبتت العين التي عند ضارب يفيء عليها الظل فترضها طامي

فقال الراكب: ومن يقول هذا الشعر؟ - وقد رأى ما بنا من الجهد - قال: قلنا: امرؤ القيس بن حجر قال: والله ما كذب هذا ضارب عندهم فنظرنا فإذا بينا وبين الماء نحو من خمسين ذراعاً فحبونا إليه على الركب فإذا هو كما قال امرؤ القيس عليه العرمض يفيء عليه الظل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، شريف في الدنيا خامل في الآخرة، يبيد لواء الشعراء يقدومهم إلى النار» [تاريخ دمشق: ٢٢٤/٩، ٢٢٥].

وذكر الكلبي: أن امرأ القيس أقبل برأياه يريد قتال بني أسد حين تلوأ أباه فمر بنبالة زهبا ذو الخلصة وهو صنم وكانت العرب تستقسم عنده فاستقسم فخرج الفتح الناهي ثم الثانية ثم الثالثة كذلك فكرر الفتح وضرب بها وجه ذي الخلصة وقال: عضضت بأير أبيك لو كان أبوك المقتول لما عوقتي. ثم أغار على بني أسد فقتلهم قتلاً ذريعاً. قال ابن الكلبي: فلم يستقسم عند ذي الخلصة حتى جاء الإسلام [تاريخ دمشق: ٢٣٩/٩].

وذكر بعضهم [تاريخ دمشق: ٢٤٥/٩] أنه امتدح قيصر ملك الروم يستجده في بعض الحروب ويسترفقه فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك فيقال: إنه سقاء سماً فقتله فأجلاه الموت إلى جنب قبر امرأة عند جبل يقال له: عسيب فكتب هنالك:

أجارتنا إن المزارز قريب ولاني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إننا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وقد ذكروا أن المعلقة السبع كانت معلقة بالكمة، وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قصيدة عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكمة تعظيماً لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المعلقة السبع. فالأولى لامرئ القيس بن حجر الكندي كما تقدم وأولها:

مضاض الذي طالت غيبته فلا يلدري أين ذهب، ووجد عند رؤوسهم لوحاً من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتهم، وإذا عندهم من الجواهر واللازك والذهب والفضة شيء كثير، فأخذته حاجته ثم خرج وعلم باب الغار ثم انصرف إلى قومه فأعطاهم حتى أجسوه وسادهم، وجعل يعطهم الناس، وكلما قل ما في يده، ذهب إلى ذلك الغار فأخذ حاجته ثم رجع. فمن ذكر هذا عبد الملك بن هشام في كتاب «التيجان» وذكره أحمد بن عمار في كتاب «ري العاطش وأنس الواحش». وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره، ووقع فيها صغير ففرق.

وذكر ابن قتيبة [حرب الخليل: ٤٥٥/١] وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «أي: قال: لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عسي» أي: وقت الظهيرة.

وفي حديث مقتل أبي جهل أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «تظلموه بين القتل وتغفوه بشجة في ركبته، فإني تراحمت أنا وهو على مائة لابن جدعان فدفعته فسقط على ركبته فانهشمت، فأثرها باقى في ركبته» فوجدوه كذلك [دلائل النبوة للبيهقي: ٨٤/٣ - ٨٦].

وذكروا أنه كان يعطهم التمر والسيق وسقي اللبن، حتى سمع قول أمية بن أبي الصلت: [ديوان أمية: ٢٣]

ولقد رايت الفاعلين ويعلمهم فرايت أكرمهم بني الدبان
البر يلبك بالشهاد طمائمهم لا ما يملئنا بنو جدعان

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألقى بعير يحمل البر والشهد والسمن، وجعل منادياً ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة أن: هلموا إلى جفنة ابن جدعان. فقال أمية في ذلك: [ديوان أمية: ١٩]

له فاع بكمة مشمعل وأتخر فرق تخبها ينادي
لي رذخ من الشيزي بلاد لباب البر يثيك بالشهاد

ومع هذا كله فقد ثبت في الصحيح لمسلم [٢١٤] أن عائشة قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان يعطهم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: «لا إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»

٢٣- ذكر امرئ القيس بن حجر

الكندي صاحب إحدى المعلقات

وهي آخرهن وأشهرهن التي أولها: [ديوان امرئ القيس: ٨]
فما نبتك من ذكرى حبيب ومترل

قال الإمام أحمد [٢٢٨/٢]: حدثنا هشيم حدثنا أبو الجهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار».

وقد روى هذا الحديث عن هشيم جماعة كثيرون منهم بشر بن الحكم، والحسن بن عرفة، وعبد الله بن هارون - أمير المؤمنين - المأمون أخو الأمين ويحيى بن معين [تاريخ دمشق: ٢٣٥/٩ - ٢٣٧].

وأخرجه ابن عدي من طريق عبد الرزاق عن الزهري به، وهذا منقطع [الكامل: ١٤٠/٤].

وروي من وجه آخر عن أبي هريرة [تاريخ دمشق: ٢٣٧/٩ - ٢٣٩]

عامر بن صَفْصَفَةَ بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وأولها: عفت الديار مَطْلُها مَقْطُها بمعنى تابد غولها فَرَجَها فاما القصيدة التي لا يعرف قائلها فيما ذكره أبو عبيدة والأصمعي والمبرد وغيرهم فهي قوله: هل بالطلول لائل ردّ أم هل لها بتكلم عهد وهي مطولة وفيها معاني حسنة كثيرة.

٢٤ - من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي

قال الحافظ ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٢٥٥/٩): هو أمية بن أبي الصلت عبد الله ابن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان ويقال: أبو الحكم الثقفي. شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام وقيل: إنه كان مستقيماً وأنه كان في أول امره على الإيمان ثم زاغ عنه ولأنه هو الذي أراد الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ بُرْءَانَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥). قال الزبير بن بكار: فولدت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف أمية الشاعر ابن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن ثقيف (تاريخ دمشق: ٢٥٥/٩). وقال غيره: كان أبوه من الشعراء المشهورين بالطائف وكان أمية أشعرهم.

وقال عبد الرزاق (موسم عبد الرزاق: ٢٤٣/٢): قال الثوري: أخبرني حبيب بن أبي ثابت أن عبد الله بن عمرو قال في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ بُرْءَانَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥) هو أمية بن أبي الصلت. وكذا رواه أبو بكر بن مردويه عن أبي بكر الشافعي عن معاذ بن المثني عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم بن مسعود قال: إني لفي حلقة فيها عبد الله بن عمرو فقرأ رجل من القوم الآية التي في الأعراف ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ بُرْءَانَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥) فقال: هل تدرون من هو؟ فقال بعضهم: هو صفي بن الراهب. وقال آخر: بل هو بلعم رجل من بني إسرائيل قال: لا. قال: فمن هو؟ قال: هو أمية بن أبي الصلت (تاريخ دمشق: ٢٦٥/٩).

وهكذا قال أبو صالح والكلبي وحكاة قتادة عن بعضهم (تاريخ دمشق: ٢٦٦/٩).

وقال الطبراني (معجمه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٥٧/٩ - ٢٦٠ - من طريق سليمان بن أحمد وهو الطبراني ٤): حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن شبيب الربيعي حدثنا محمد بن سلمة بن هشام المخزومي حدثنا إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي حدثني أبي عن أبيه عن مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبيه، قال: خرجت أنا وأميه بن أبي الصلت الثقفي تجاراً إلى الشام فكلما نزلنا منزلاً أخذ أميه سقراً له يقرؤه علينا فكان كذلك حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فجاؤوه وأهدوا له وأكرموا وذهب معهم إلى بيوتهم ثم رجع في وسط النهار فطرح ثوبيه وأخذ ثوبين له أسودين فلبسهما وقال لي: هل لك يا أبا سفيان في عالم من علماء النصارى إليه يتناهى علم الكتاب تسأله؟ قلت: لا أرب لي فيه والله

فقال نيك من ذكرني حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل والثانية للناطقة الديواني: واسمه زياد بن معاوية ويقال زياد بن عمرو بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وأولها: يا دار مئة بالعمياء فالسند أقوت وطأن عليها سالف الأبد

والثالثة لزهر بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني وأولها: آمن أم أوفى دنسة لم تكلم بخزمانة السراج فالتلم

والرابعة لطرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأولها: لغزلة الحلال برقة نهد تلوح كباقي الرشم في ظاهر اليد

والخامسة لعنزة بن شداد بن معاوية بن قراد بن غزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس العبيسي، وأولها: هل غادر الشعراء من سترد أم هل غرفت السار بعد توهم

يا دار علة بالخواه تكلمي وعمي صباحا دار علة واسلمي دار لأنسة غضيض طرفها طوع العناق لذينة التيسم حيث من طلل تقادم عهد أقوى وأقصر بعد أم الهيثم ومنها:

وإذا سكرت فأنني مستهلك مالي وعرضي وانسر لم يلمس وإذا صحوت وعادني هممي فكما علمت شجاعتي وتكرمي

[وهو عربي... وإنما كانت أمه حبشية فكان اسمها اللون كاه فتوهم العامة أنه كان عبداً رقيقاً وسموا أمه زينة، ويقولون: عتر ويجعلون له أخاً اسمه: شيبوب ولم أر ذلك في شيء من التراخي وإنما كان له أخاً اسمه: عبيد فيما ذكره ابن خالوية في شرح المعلقات الست قال: كان أبوه من الشجعان أيضاً وكان يعرف بفارس حرة: اسم فارس له وكان عترة من أشد الناس بأساً واسمهم يدا وكانت له مقامات في الحرب وكان أبوه يعترف له بذلك ويشكره على ذلك وقد فخره رجل فقال له عترة: ويليك والله إني لأحضر الناس وأوفي المقام وأعف عند الغيبة وأفضل الشجعان: فقال له الرجل، أنا أشعر منك فقال: له عترة ستعلم ذلك فعمل قصيدته هذه يذكر فيها قتل معاوية أحمد بن زوال ويتغزل بمشوقته علة بنت أم الهيثم وله غيرها ولكن هذه القصيدة هي أول ما قاله من الشعر فيما ذكره ابن خالوية ومن شعره قوله:

يا جبل أين عن النية مهربي إن كان ربي في السماء قضاه

وقد ذكر له الأصمعي وأبو عبيد شيئا يسيراً من سيرته فزاد عليها القصاص وجهلة الناس أشياء كثيرة مكنوبة وحروياً كانت بين رستم وإسفنديار ملكين من ملوك الفرس كانت بينهما حرب طويلة فساقوا كثيراً منها في حروب عترة ووضعوا لها أشعاراً ركيكة لا يناسب وقد قيل لشيخنا العلامة ابن تيمية: إن العامة يجلسون يستمعون سيرة عترة ويأكلون من الترمس والبقلا المقلي فقال: هؤلاء عن الله في أمثالهم: ﴿سَمَّاهُمُ لِلْكَذِبِ أَكْأَثُ لَلْأَثَمِ﴾ [البقرة: ٤٢].

والسادسة لعلمة بن عبيدة بن النعمان بن قيس أحد بني غيم، وأولها: طحا بك قلب في الحسان طروب يُعبد الشباب عصر حان مشيب والسابعة - ومنهم من لا يثبتها في المعلقات وهو قول الأصمعي وغيره - وهي للبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن

لئن حدثني بما أحب لا أتت به ولئن حدثني بما أكره لأجدن منه.

قال: فذهب وخالفه شيخ من النصارى فدخل علي فقال: ما يمنعك أن تذهب إلى هذا الشيخ؟ قلت: لست على دينه قال: وإن فإنيك تسمع منه عجباً وتراه. ثم قال لي: انتفني أنت؟ قلت: لا ولكن قرشي. قال: فما يمنعك من الشيخ؟ فوالله إنه ليحبكم ويوصي بكم. قال: فخرج من عندنا ومكث أمية عندهم حتى جاءنا بعد هداة من الليل فطرح ثوبه ثم التجملد على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح كثيراً حزينا ساقطاً غبوقه على صبحه ما يكلمنا ولا نكلمه. ثم قال: ألا ترحل؟ قلت: وهل بك من رحيل؟ قال: نعم! قال: فرحلنا فسرنا بذلك ليلتين من همة ثم قال في الليلة الثالثة: ألا نتحدث يا أبا سفيان؟ قلت: وهل بك من حديث؟ والله ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال: أما إن ذلك لشيء لست فيه إنما ذلك لشيء وجئت به من مغليي قلت: وهل لك من مغلق؟ قال: أي والله لأموئن ثم لأحيين قال: قلت: هل أنت قابل أمانتي؟ قال: على ماذا؟ قلت: على أنك لا تبعت ولا تحاسب قال: فضحك ثم قال: بلى! والله يا أبا سفيان لنبعثن ثم لنحاسين وليدخلن فريق الجثة وفريق النار.

قلت: ففي أيهما أت أخبرك صاحبك؟ قال: لا علم لصاحبي بذلك لا في ولا في نفسه قال: فكنا في ذلك ليلتين يعجب مني وأضحك منه حتى قلنا غرطة دمشق فبعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين فارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما راوه جاوزوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيتهم فما جاء إلا بعد منتصف النهار فليس ثوبه وذهب إليهم حتى جاء بعد هداؤ من الليل فطرح ثوبه ورمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام وأصبح حزينا كثيراً لا يكلمنا ولا نكلمه.

ثم قال: ألا ترحل؟ قلت: بلى إن شئت فرحلنا كذلك من به وحزنه ليالي. ثم قال لي: يا أبا سفيان هل لك في المسير لتقدم أصحابنا؟ قلت: هل لي فيه قال: فيسر فسرنا حتى برزنا من أصحابنا ساعة ثم قال: هيا صخر قلت: ما تشاء؟ قال: حدثني عن عتبة بن ربيعة يجتنب المظالم والمحارم قلت: إي والله قال: ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟ قلت: إي والله قال: وكريم الطرفين وسط في الشيرة؟ قلت: نعم قال: فهل تعلم قرشياً أشرف منه؟ قلت: لا والله لا أعلم قال: أعوج هو؟ قلت: لا، بل هو ذو مال كثير قال: وكم أتى عليه من السن؟ فقلت: قد زاد على المائة قال: فالشرف والسن والمال أزرين به؟ قلت: ولم ذاك يزري به؟ لا والله بل يزيده خيراً قال: هو ذاك. هل لك في الميت؟ قلت: هل لي فيه.

قال: فاضطجعنا حتى مر القتل قال: فسرنا حتى نزلنا في المنزل وبيتنا به ثم ارتحلنا منه فلما كان الليل قال لي: يا أبا سفيان قلت: ما تشاء؟ قال: هل لك في مثل البارحة؟ قلت: هل لي فيه. قال: فسرنا على ناقتين يجتنبين حتى إذا برزنا قال: هيا صخر، هيه عن عتبة بن ربيعة قال: قلت: هيهأ فيه قال: يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم ويأمر بصلتها؟ قلت: إي والله إنه ليفعل قال: وذو مال؟ قلت: وذو مال قال: أتسلم قرشياً أسود منه؟ قلت: لا والله ما أعلمه. قال: كم أتى له من السن؟ قلت: قد زاد على المائة قال: فإن السن والشرف والمال أزرين به؟ قلت: كلا والله ما أزرى به ذاك وأنت قاتل شيئاً قله. قال: لا تذكر حليتي حتى يأتي مني ما هو آت. ثم قال: فإن الذي رأيت أصابني أتى جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ثم قلت: أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال: هو رجل من العرب قلت: قد علمت أنه من العرب فمن أي العرب هو؟ قال: من أهل بيت

نحج العرب قلت: وفيما بيت نحج العرب قال: هو من إخوانكم من قریش فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط. وخرج من يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون إياه قلت: فإذا كان ما كان فصفه لي قال: رجل شاب حين دخل في الكهولة. يُلَوُّ أمره يجتنب المظالم والمحارم ويصل الرحم ويأمر بصلتها وهو عوج كريم الطرفين متوسط في المشيرة أكثر جنده الملائكة قلت: وما آية ذلك؟ قال: قد رجعت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم عليه السلام ثمانين رجفة كلها مصيبة وبقيت رجفة عامة فيها مصائب.

قال أبو سفيان: فقلت: هذا والله الباطل لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شرفاً. قال أمية: والذي حلفت به إن هذا لحكنا يا أبا سفيان تقول: إن قول النصراني حق. هل لك في الميت؟ قلت: هل لي فيه قال: فبتنا حتى جاءنا القتل ثم خرجنا حتى إذا كنا بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فإذا هو يقول: أصابت أهل الشام بعدكم رجفة دمعت أهلها وأصابتهم فيها مصائب عظيمة. قال أبو سفيان: فأقبل عليّ أمية فقال: كيف ترى قول النصراني يا أبا سفيان؟ قلت: أرى والله وأظن أن ما حدثك به صاحبك حق.

قال أبو سفيان: فقلنا مكة فقصيب ما كان معي، ثم انطلقت حتى جئت اليمن تاجراً، فكتبت بها خمسة أشهر، ثم قدمت مكة فبينما أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون عليّ ويسألون عن بضاعتهم، حتى جاءني محمد بن عبد الله، وهند عندي تلاعب صبياتها، فسلم عليّ ورحب بي، وسألني عن سرق ومقامي، ولم يسألني عن بضاعته، ثم قام. فقلت: فشدت والله إن هذا ليعجبني، ما من أحد من قرشي له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها وما سألني هذا عن بضاعته. فقالت لي هند: وما علمت شأنه؟ قلت: وفزع: ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله.

فوقفتي وتذكرت قول النصراني فوجئت حتى قالت لي هند: ما لك؟ فانتبهت فقلت: إن هذا هو الباطل، هو أعقل من أن يقول هذا. قالت: بلى والله إنه ليقول ذلك، ويؤاتي عليه، وإن له لصحابة على دينه، قلت: هذا الباطل.

قال: وخرجت فبينما أنا أطوف بالبيت لقيته، فقلت له: إن بضاعتك قد بلغت كذا وكذا، وكان فيها خير فأرسل فخذها، ولست آخذ منك فيها ما آخذ من قومي، فأبى علي وقال: إذن لا آخذها، قلت: فأرسل فخذها وأنا آخذ منك مثل ما آخذ من قومي، فأرسل إليّ بضاعته فأخذها، وأخذت منه ما كنت آخذ من غيره. ولم أنشب أن خرجت إلى اليمن، فقدمت الطائف، فنزلت على أمية بن أبي الصلت، فقلت له: يا أبا عثمان. قال: ما تشاء؟ قلت: هل تذكر قول النصراني؟ قال: أذكره قلت: فقد كان. قال: ومن؟ قلت: محمد بن عبد الله قال: ابن عبد المطلب؟ قلت: ابن عبد المطلب، ثم قصص عليه خبر هند، قال: فالله يعلم لتصيب عرقاً. ثم قال: والله يا أبا سفيان لعله إن صفته لمي، ولئن ظهر وأنا حي لأبليين الله عز وجل في نصره عزراً.

قال: ومضيت إلى اليمن، فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله، وأقبلت حتى نزلت على أمية بن أبي الصلت بالطائف، فقلت: يا أبا عثمان قد كان من أمر الرجل ما قد بلغك وسمعت، قال: قد كان لعمرى، قلت: فإني أتت منه يا أبا عثمان؟ فقال: والله ما كنت لأومن برسول من غير نثيف أبداً.

قال أبو سفيان: وأقبلت إلى مكة فوالله ما أنا ببعيد حتى جئت مكة

فوجدت أصحابه يُضربون ويُحرقون، قال أبو سفيان: فجعلت أقول: فأين جنته من الملائكة، قال: فدخلني ما يدخل الناس من الفاقة.

وقد رواه الحافظ البيهقي في كتاب «الدلائل» [١١٦/٢، ١١٧] من حديث إسماعيل بن طريح به، ولكن سياق الطبراني الذي أورده أم وأطول والله أعلم.

وقال الطبراني (الكبر: ٧٢٦٢): حدثنا بكر بن أحمد بن مقبل حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا مجاشع بن عمرو الأسدي حدثنا ليث بن سعد عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب: أن أمية بن أبي الصلت كان بزة أو يولياءه، فلما قتلنا قال لي أمية: يا أبا سفيان هل لك أن تقدم على الرفقة فتحدث؟ قلت نعم قال: فعلنا فقال لي: يا أبا سفيان إيه عن عتبة بن ربيعة قال: كريم الطرفين ويحبب الحرام والمظالم؟ قلت: نعم. قال: وشريف سن؟ قلت: وشريف سن قال: السن والشرف أزر يا به. فقلت له: كذبت ما ازداد سناً إلا ازداد شرفاً. قال: يا أبا سفيان إنها كلمة ما سمعت أحداً يقولها في منذ تبصرت فلا تعجل علي حتى أخبرك قال: قلت: هات قال: إني كنت أجد في كتي نياً يبعث من حرتنا هذه فكتت أظن بل كنت لا أشك أنني أنا هو فلما دارست أهل العلم إذا هو من بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر غير عتبة بن ربيعة فلما أخبرني بسنه عرفت إنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه.

قال أبو سفيان: فضرب الدهر من ضربه فالوحي لي رسول الله ﷺ وخرجت في ركب من قريش أريد اليمن في تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به: يا أمية قد خرج النبي الذي كنت تتعته قال: أما إنه حق فاتبعه قلت: ما يمنعك من إتياعه؟ قال: ما يمنعني إلا الاستحياء من نساء قبيظ إني كنت أحدثهن أني هو ثم يرينني تابعا لفلان من بني عبد مناف. ثم قال أمية: وكأني بك يا أبا سفيان إن خلفته قد ربطت كما يربط الجلي حتى يؤتي بك إليه فيحكم فيك بما يريد.

وقال عبد الرازق (مهمو: ٣٤٣/٢): أخبرنا معمر عن الكلبي قال: بينا أمية راقد ومعه ابتان له إذ فرغت إحداهما فصاحت عليه فقال لها: ما شأنك؟ قالت: رأيت نسرين كشطاً سقف البيت فنزل أحدهما إليك فشق بطنك والآخر واقف على ظهر البيت فناداه فقال: أَوْعَى؟ قال وعى. قال: أركأ؟ قال لا فقال: ذاك خير أريد بأبيكما فلم يقبله.

وقد روي من وجه آخر سياق آخر فقال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: قدمت القارة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله ﷺ بها معجبا فقال لها ذات يوم: بما فارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئا؟ قالت نعم وأعجب منه ما قد رأيت. قالت: كان أخي في سفر فلما انصرف بداي فدخل على فرقة على السرير وأنا أخلق أدما في يدي إذ أقبل طائران أبيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على الكوة إحدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه ما بين قصه إلى عاتقه ثم أدخل يده في جوفه فأخرج قلبه فوضعه في كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر: أَوْعَى قال: وعى قال: أركأ؟ قال: أبى ثم رد القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفه عين ثم ذهب فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركه فقلت: هل تجد شيئا؟ قال: لا إلا توهيتا في جسدي - وقد كنت ارتعبت

فما رأيت - فقال: ما لي أراك مترعة؟ قالت: فأخبرته الخبر فقال: خير أريد بي ثم صرف عني. ثم أنشأ يقول: [ديوان أمية: ٥٠، ٥١]

بانت هموسي تسري طوارقها أكف حبي والدمع سابقتها
عما أناني من اليقين ولم أوت براءة يقص ناطقها
أم من تلتقى عليه واقفة النار يحيط بهم سرادقها
أم أسكن الجنة التي وعد الأبرار مصفوفة ثواقفها
لا يستوي المسترلان ثم ولا الأعمال لا تستوي طواقفها
هما فريقان فرقة تدخل الجنة حقت بهم حلقها
وفرقة منهم قد أدخلت النار فقامتهم مراقفها
تعاهدت هذه القلوب إذا همت بخير عاقف عواقفها
وصدعا للشقاء عن طلب الجنة دنيا اللئ ماحقها
عبد دما تفك فعاثها يعلم أن البصير راقفها
ما رغبة النفس في الحياة وإن تحس قليلا فالمرت لاحقها
يوشك من فر من ميتة يوما على غرور بواقفها
من لم يمت غبطة يمت هراما للموت كاس والمر فاقفها

قالت: ثم أنصرف إلى رحله فلم يلبث إلا يسيرا حتى طعن في جنازته فأتاني الخبر فأنصرفت إليه فوجدته متوشا قد سحج عليه فدنوت منه فشوق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف ورفع صوته. وقال: ليكاليا ليكاليا ها أنا ذا لديكاليا

لا ذو مال فيفدني ولا ذو أهل فتحمني.

ثم أغمى عليه إذ شوق شقة فقلت: قد هلك الرجل. فشق بصره نحو السقف فرفع صوته. فقال: ليكاليا ليكاليا ها أنا ذا لديكاليا

لا ذو براءة فاعتنر، ولا ذو عشيرة فأنصرت.

ثم أغمى عليه إذ شوق شقة وشق بصره ونظر نحو السقف. فقال: ليكاليا ليكاليا ها أنا ذا لديكاليا

بأنعم عفود ربالذب محصود

ثم أغمى عليه إذ شوق شقة. فقال: ليكاليا ليكاليا ها أنا ذا لديكاليا

إن تغفر اللهم تغفر جنا وأبي عبدلك لا ألبا

ثم أغمى عليه إذ شوق شقة فقال: [ديوان أمية: ٥٥]

كل عيش وإن تناول دهرأ صائر مرة إلى أن يمزولا
لستني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال أعرى الوعولا
قالت: ثم مات. فقال رسول الله ﷺ: فيها فارعة فإن مثل أخيك كمثل الذي أتاه الله آياته ﴿فَأَسْلَخْنَا مِنْهَا﴾ الآية [رواه دمشق: ٢٨٢/٩ - ٢٨٤].

وقد تكلم الخطابي على غريب هذا الحديث.

وروى الحافظ ابن عساكر [رواه دمشق: ٢٨٥/٩ - ٢٨٧] عن الزهري أنه قال: قال أمية ابن أبي الصلت: [ديوان أمية: ٤٦]

ألا رسول لنا منا يجرنا ما بعد غايته من رأس مجرنا

عندك لما نحن فيه من خرج؟ فقال: لا والله ولكن سائطر في ذلك.

قال: فساروا في تلك الحلة لعله يجد أحدا يسأله عما قد حل بهم من العناء إذا نزل تلوح على بعد فجاءها فإذا شيخ على باب خيمة يوقد ناراً وإذا هو من الجان في غاية الضالة والدعامة فسلموا عليه فسأله عما هم فيه فقال: إذا جاءكم قتل: باسمك اللهم فإنها تهرب فلما اجتمعوا وجاءتهم الثالثة أو الرابعة قال في وجهها أمية: باسمك اللهم فشردت ولم يقر لها قرار لكن عدت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية فقبره أصحابه هنالك حيث لا جبار ولا دار ففي ذلك يقول الجان:

وقبر حروب بمكان قسبر وليس قرب قبر حروب قبر

وذكر بعضهم: أنه كان يتفرس في بعض الأحيان في لغات الحيوانات فكان يمر في السفر على الطير فيقول لأصحابه: إن هذا يقول كذا وكذا فيقولون: لا نعلم صدق ما يقول حتى مروا على قطع غنم قد انقطعت منه شاة ومعها ولدعا فالتفت إليه ففتت كأنها تستحه. فقال: أتدرون ما تقول له؟ قالوا: لا قال: إنها تقول: أسرع بنا لا يبح النذب فيأكلك كما أكل النذب أخاك عام أول فأسرعوا حتى سألو الراعي: هل أكل له النذب عام أول حلاً بتلك البقرة فقال: نعم. قال: ومر يوماً على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه إليها ويرغو. فقال: إنه يقول لها إنك رحلتني وفي الحاجة خيط فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرجل فإذا فيه خيط كما قال [تاريخ دمشق: ٢٧٢/٩، ٢٧٣].

وذكر ابن السكيت: أن أمية بن أبي الصلت بينما هو يشرب يوماً إذ نصب غراب. فقال له: **يفيك التراب مرتين**. فقيل له: ما يقول؟ فقال: إنه يقول إنك تشرب هذا الكأس الذي في يدك ثم تكس فتموت. ثم نصب الغراب مرة أخرى فقال: إنه يقول: **وآية ذلك** أنني أنزل على هذه الزيلة فأكل منها فيملق عظم في حلقي فأموت. ثم نزل الغراب على تلك الزيلة فأكل شيئاً فملق في حلقة عظم فمات. فقال أمية: أما هنا فقد صدق في نفسه ولكن سائطر هل يصدق في أم لا. ثم شرب ذلك الكأس الذي في يده ثم أتكا فمات.

وقد ثبت في «الصحیح» ج (١١٤٧)، م (٢٢٥٦) من حديث ابن مهدي عن الثوري عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليلى: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»**. وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم.

وقال الإمام أحمد [٣٨٩/٤]: حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا إبراهيم بن ميسرة إنه سمع عمرو بن الشريد يقول: قال الشريد: كنت ردفاً لرسول الله ﷺ فقال لي: **«أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟»** قلت نعم. قال: **«فأنتشني»** فأنشدني بيتاً فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتاً: **«إيه»** حتى أنشدته مائة بيت. قال: ثم سكت النبي ﷺ وسكت.

وهكذا رواه مسلم ج (٢٢٥٥) من حديث سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة به.

ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي ﷺ. وفي بعض الروايات ج (٣٨٤١)، م (١١٤٧)، م (٢٢٥٥)، المسند: ٣٨٨/٤ قال رسول الله ﷺ: **«إن كاد يسلم»**.

وقال يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا حاتم بن أبي صفير عن سمك بن حرب عن عمرو بن نافع عن الشريد الحمدي - وأخواله ثقيف - قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فبينما أنا أمشي ذات يوم إذا وقع ناقة

قال ثم خرج أمية بن أبي الصلت إلى البحرين وتبأ رسول الله ﷺ وأقام أمية بالبحرين ثماني سنين ثم قدم الطائف فقال لهم: ما يقول محمد بن عبد الله؟ قالوا: يزعم أنه نبي فهو الذي كنت تمنى. قال: فخرج حتى قدم عليه مكة فلقبه. فقال: يا ابن عبد المطلب ما هذا الذي تقول؟ قال: **«أقول: إني رسول الله وأن لا إله إلا هو»**. قال: إني أريد أن أكلمك فعلمني غدا قال: **«فمعه غدا»** قال: فتحب أن أتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي وتأتيني وحك أو في جماعة من أصحابك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أي ذلك شئت»**. قال فإني أتيك في جماعة فأت في جماعة.

قال: فلما كان الغد غداً أمية في جماعة من قريش قال: وغدا رسول الله ﷺ معه نفر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة. قال: فلما أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ قال: اجبني يا ابن عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ: **«بسم الله الرحمن الرحيم. هيس. والقرآن الحكيم»** [٢، ١] حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر رجله قال: فبعتته قريش يقولون: ما تقول يا أمية؟ قال: أشهد أنه على الحق. فقالوا: هل تبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره قال: ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله ﷺ المدينة فلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بلداً ثم ترحل يريد رسول الله ﷺ فقال قائل: يا أبا الصلت ما تريد؟ قال: أريد عمداً قال: وما تصنع؟ قال: أؤمن به وألقي إليه مقالي هذا الأمر. قال: أتدري من في القلب؟ قال: لا قال: فيه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك - وأمه ربيعة بنت عبد شمس - قال: فجذع أذني ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القلب يقول: **«طبعت فحول الشعراء»** [٢٩٣/١] **«ما ذا يسد القلعت»** حقل من مرازة حجاج

القصيدة إلى آخرها كما سيأتي ذكرها بتمامها في قصة بدر إن شاء الله. ثم رجع إلى مكة والطائف وترك الإسلام. ثم ذكر قصة الطيرين وقصة وفاته كما تقدم وأنشد شعره عند الوفاة:

كل عيش وإن تطاول دمعاً صائر مرة إلى أن يسزولا
ليتي كنت قبل ما قد بدلي في قلال الجبال أرى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدعر إن للعر غرولا
ناتلاً ظفراً القساور والصدعان والطفل من المنار الشكيلا
ويضات النياف واليعفر النافر والموهج البرام الضيلا

فقوله: **«القساور جمع قسورة وهو الأسد»** والصدعان: شيران الوحش واحداً صدع. والطفل الشكل: من حمرة العين، والبغات: الرخم، والنياف: الجبال، واليعفر: الظبي، والموهج: ولد النعامة. يعني: أن الموت لا ينجو منه الوحوش في البراري ولا الرخم الساكنة في رؤوس الجبال ولا يترك صغيراً لصغره ولا كبيراً لكبره. وقد تكلم الخطابي وغيره على غريب هذه الأحاديث.

وقد ذكر السهيلي في كتابه «التعريف والإعلام» [١١٣، ١١٤] أن أمية بن أبي الصلت أول من قال: باسمك اللهم، وذكر عند ذلك قصة غريبة وهو أنهم خرجوا في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان قال: فمروا في مسيرهم بحية فقتلوها فلما أسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل تلك الحية ومعها قضيب فضربت به الأرض ضربة نفرت الإبل عن آخرها فذهبت وشردت كل منعب وقاموا فلم يزالوا في طلبها حتى ردوها فلما اجتمعوا جاءتهم أيضاً فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل فذهبوا في طلبها فلما أعياهم ذلك قالوا: والله هل

وقد كان عبد الله بن جدعان هذا من الكرماء الأجواد المحدثين المشهورين وكان له جفنة يأكل الراكب منها وهو على بعيره من عرض حافتها وكثرة طعامها، وكان يملأها لباب البر يلبك بالشهد والسمن، وكان يعتق الرقاب ويعين على التواضع.

وقد سألت عائشة عنه النبي ﷺ: أيقعه ذلك؟ فقال: فإنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

ومن شعر أمية البليغ:

لا ينكبون الأرض عند سؤاها كتلّاب العلات بالعيدان
بل يُسِفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كاحسن الألوان
وإذا المقلّ أقام وسط رحاها رفوه ربّ صواهل وقيان
وإذا دعوتهم لكلّ ملّة سدّوا شعاع الشمس بالفرسان
آخر ترجمة أمية بن أبي الصلت.

٢٥- بحيرى الراهب

الذي تومس في رسول الله ﷺ النبوة وهو مع عمه أبي طالب حين قدم الشام في تجار من أهل مكة وعصره إذ ذاك اثنا عشرة سنة فرأى الغمامة تظله من بينهم، فصنع لهم طعاماً ضيافة واستدعاهم كما سيأتي بيان ذلك في السيرة.

وقد روى الترمذي في ذلك حديثاً بسطنا الكلام عليه هنالك.

وقد أورد له الحافظ ابن عساكر شواهد وسائغات في ترجمة بحيرى ولم يورد ما رواه الترمذي وهذا عجب.

وذكر ابن عساكر أن بحيرى كان يسكن قرية يقال لها: الكفر بينها وبين بصرى سنة أميال وهي التي يقال لها: دير بحيرى. قال: ويقال: إنه كان يسكن قرية يقال لها: متعة بالبلقاء وراه زيرا والله أعلم.

٢٦- ذكر قس بن ساعدة الإيادي

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخراططي في كتاب «هواتف الجان»: حدثنا داود القنطري حدثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو عبد الله المشرقي عن أبي الحارث الوراق عن ثور بن يزيد عن مورق العجلي عن عباد بن الصامت. قال: لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال: «يا معشر وفد إياد ما فعل قس بن ساعدة الإيادي؟» قالوا: هلك يا رسول الله. قال: «لقد شهدته يوماً يسرق عكاظ على جبل أحمر يتكلم بكلام معجب مرتق لا أجدي أحفظه».

فقال إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يا رسول الله. قال: فسر النبي ﷺ بذلك قال: فكان يسوق عكاظ على جبل أحمر وهو يقول: يا معشر الناس اجتماعوا فكل من فأت فات، وكل شيء أت أت، ليل فاج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم ترهز، وجبال مرسية، وأنهار مجرية، إن في السماء خيراً، وإن في الأرض لعيراً، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ أقسم قس بالله قسماً لا ريب فيه. إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هنا ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصادر

خلفي فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فقال «الشريد؟» فقلت: نعم: قال: «ألا أحملك؟» قلت: بلى وما بي إعياء ولا أنوب ولكني أردت البركة في ركوبي مع رسول الله ﷺ فأناب فحملني فقال: «أمك من شعر أمية بن أبي الصلت؟» قلت: نعم. قال: «هات» فأنشدته - قال: أظنه قال - مائة بيت فقال: «عند الله علم أمية بن أبي الصلت» [تاريخ دمشق: ٢٦٨/٩، ٢٦٩].

ثم قال ابن صاعد: هذا حديث غريب.

فاما الذي يروى أن رسول الله ﷺ قال في أمية: «أسن شعره وكفر قلبه». فلا أعرفه والله أعلم [تاريخ دمشق: ٢٧٢/٩].

وقال الإمام أحمد [٢٥٦/١]: حدثنا عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ صدق أمية في شيء من شعره قال:

رجلٌ ونورٌ تحت رجلٍ ميمنه والنسر للآخرى وليت مرصد

فقال رسول الله ﷺ: «صدق». وقال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يُصبح لونها يتورّد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة ولا تجلّد
فقال رسول الله ﷺ: «صدق».

وفي رواية أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: إن الشمس لا تطلع حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقول لها: اطلعي اطلعي فتقول: لا اطلع على قوم يعبلوني من دون الله فإذا همت بالطلوع أتاها شيطان يريد أن يبطها فتطلع بين قرنيه وتحرقه فإذا تضيئت للغروب غرت على السجود لله عز وجل فيأتيها شيطان يريد أن يبطها عن السجود فتغرب من قرنيه وتحرقه. أورد ابن عساكر مطولاً [تاريخ دمشق: ٢٧٢/٩].

ومن شعره في حملة العرش:

فمن حامل إحدى قوائيم عرشه ولولا إليه الخلق كلوا وتلبدوا
قيام على الأقدام عاتون تحته فرائضهم من شدة الخوف ترعد

رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٧٩/٩، ٢٨٠].

وروي عن الأصمعي أنه كان ينشد من شعر أمية:

جئدوا الله فهو للمجد أفضل رننا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق الناس وسوى فوق السماء سريراً
شرجماً لا يناله بصير العين ترى دونه الملائك صورا

ثم يقول الأصمعي: الملائك جمع ملك والصور جمع أصور وهو المائل العنق وهؤلاء حملة العرش [تاريخ دمشق: ٢٧٧/٩].

ومن شعر أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان التيمي:

أذكر حاجتي أم قد كنتاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وأنت فرغ لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغسره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجوداً إذا ما الكلب أجحره الشتاء
وأرضك أرض مكرمة بتها بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أنسى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الشتاء
وله فيه مدائح أخر.

ورأيت قومي نحوها يضي الأصاغر والأكابر
لا من مضي إليك ولا من الباقيين غابر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر
وهذا إسناد غريب من هذا الوجه [دلائل النبوة للبيهقي: ١٠١/٢].

وقد رواه الطبراني من وجه آخر فقال في كتابه المعجم الكبير [١٢٥٩١]: حدثنا محمد بن السري بن مهران بن الناقد البغدادي حدثنا محمد بن حسان السمي حدثنا محمد بن الحجاج عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس. قال: قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ فقال: «أيكم يعرف القس بن ساعدة الأيادي؟» قالوا: كلنا يعرف يا رسول الله قال: «فما فعل؟» قالوا: هلك قال: «فما أنساه بكماظ في الشهر الحرام وهو على جمل أمر وهو يخطب الناس وهو يقول: يا أيها الناس اجتماعوا واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لغيراً، مهاد موضع، وسقف مرفوح، ونجوم تمور، وبحار لا تنور. أقسم قس قسماً حقاً لئن كان في الأمر رضى ليكون بعده سخط. إن لله لئنا هو أحب إلينا من دينكم الذي أنتم عليه. ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون! أرضوا بالمقام فأتاهوا. أم تركوا فناموا!» ثم قال رسول الله ﷺ «أيكم من يروي شعره؟» فأنشده بعضهم:

في الناهبين الأوليين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقيين غابر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر
وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه [دلائل النبوة: ١٠٤/٢] من طريق محمد بن حسان السمي به.

وهكذا رويته في الجزء الذي جمعه الأستاذ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه في أخبار قس قال: حدثنا عبد الكريم بن الهيثم الليرعاقولي عن سعيد بن شبيب عن محمد بن الحجاج وهو إبراهيم الواسطي نزيل بغداد ويعرف بصاحب الفريسة الهريسة به.

وقد كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والدارقطني وإتهمه غير واحد منهم ابن عدي بوضع الحديث. وقد رواه البزار وأبو نعيم من حديث محمد بن الحجاج هذا [كشف الاستر: ٢٧٥٩]. [دلائل النبوة للبيهقي: ١٠٤/٢].

ورواه ابن درستويه وأبو نعيم [الدلائل: ٥٥] من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا الطريق أمثل من التي قبلها وفيه أن أبا بكر هو الذي أورد القصة بأكملها نظمها ونثرها بين يدي رسول الله ﷺ.

ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث أحمد بن موسى بن إسحاق السجستاني حدثنا علي بن الحسين بن محمد المخزومي حدثنا أبو حاتم سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ فقال لهم: «ما فعل حليف لكم يقال له: قس بن ساعدة الأيادي؟» وذكر القصة مطولة

وأخبرنا الشيخ المسند الرحلة أحمد بن أبي طالب الحجار إجازة إن لم يكن سمعاً قال: أجاز لنا جعفر بن علي الهمداني قال: أخبرنا الحافظ أبو

طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي سمعاً.
وقرات على شيخنا الحافظ أبي عبد الله الذهبي أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن أبي بكر الحلال سمعاً قال: أنا جعفر بن علي سمعاً قال: أنا السلفي سمعاً أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي أنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد السعدي - قاضي فارس - حدثنا أبو داود سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي - من أهل حران - حدثنا أبو عمرو سعيد بن يزيد عن محمد بن إسحاق حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: كان الجارود بن المعلی بن حنش بن معلی العبدلي نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها علماً بغير الفرس وأقاربها بصراً بالفلسفة والطب ظاهر الدعاه والأدب كامل الجمال ذا ثروة ومال وإنه قدم على النبي ﷺ وأفاداً في رجال من عبد القيس ذوي آراء وأستان وفصاحة وبيان وحجج وبرهان فلما قدم على النبي ﷺ وقف بين يديه وأشار إليه وأنشأ يقول:

يا نبي المدي أتتك رجالاً قطعتم فدفناً وألاً فلا
وطوت نحوك الصحاح تهوي لا تعد الكلال فيك كلالا
كل بهماء قصر الطرف عنها ارتقلتها قلائصنا إرقالا
وطوتها العناق يجمع فيها بكماء كالمجم تلالا
تبتني دفع بأس يوم عظيم هائل أوجع القلوب وهالا
ومزاداً غش الحلق طوراً وفراقاً لمن تمادى ضلالا
نحو نور من الإله ويرهان وير ونعمة أن تلالا
خصك الله يا ابن آفة الخبر بها إذ أتت سجلاً سجلا
فاجعل الحظ منك يا حجة الله له جزيلاً لا حظ خلف أحالا

قال فأذاه النبي ﷺ وقرب مجلسه وقال له: «فيا جارود لقد تأخر الموعد بك ويقومك.» فقال الجارود: فذاك أبي وأمي أما من تأخر عنك فقد فاتته حظه وتلك أعظم حربة وأغلظ عقوبة وما كنت فيمن رآك أو سمع بك فعندك واتبع سواك وإني الآن على دين قد علمت به قد جشك وهما أنا تاركه لدينك أفذلك مما يمحض الذنوب والمآثم والخبوب؟ ويرضي الرب عن المريب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أنا ضامن لك ذلك وأخلص الآن لله الوحدانية ودع عنك دين النصرانية.»

فقال الجارود: فذاك أبي وأمي مد يدك فأتنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمد عبده ورسوله. قال: فأسلم وأسلم معه أناس من قومه فسر النبي ﷺ بإسلامهم، وأظهر من إكرامهم ما سروا به وابتهجوا به.

ثم أقبل عليهم رسول الله ﷺ فقال: «أيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي؟» فقال الجارود: فذاك أبي وأمي كلنا نعرفه وإني من بينهم لعالم بخبره واقف على أمره.

كان قس يا رسول الله سبطاً من أسباط العرب عمر ستماية سنة تقفر منها خمسة أعمار في البراري والفقر يضج بالتيسع على مثال المسيح لا يقره قرار ولا تكته دار ولا يستمتع به جار. كان يلبس الأسماح ويفوق السباح، ولا يفر من ربهانيته يتحسى في سياحته يبيض النعام ويأنس بالهوم، ويستمتع بالظلام، يصير فيعتبر، ويفكر فيزدجر، فصار لذلك واحداً

مستأً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الرجاء إليك عديتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحله. وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به [تابع دمشق: ٥٠٥/١٩].

وزاد: وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم.

وكان يجيئ المروضة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها ادفعها إليّ أكتلها فإذا ترعرت قال: إن شئت فخذها وإن شئت فادفعها. أخرجه النسائي [٨١٨٧] من طريق أبي أسامة.

وعلقه البخاري [٣٨٢٨] فقال: وقال الليث: كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه به.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق [السيرة: ٩٥، ٩٦]: وقد كان نَفَرٌ من قريش زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزعة. وأمه أئمة بنت عبد المطلب. واخته زينب بنت جحش - التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد مولاه زيد بن حارثة كما سيأتي بيانه - حضروا قريشاً عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعبد من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض وقالوا: تصادقوا وليكنم بعضهم على بعض. فقال قائلهم: تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد أخطؤوا دين إبراهيم وخالفوه ما وثن يعبد لا يضر ولا ينفع؟ فابتغوا لأنفسكم.

فخرجوا يطلبون ويسرون في الأرض يلتصقون أهل كتاب من اليهود والنصارى والمثل كلهم يسألونهم الحنيفية دين إبراهيم.

فأما ورقة بن نوفل فتصغر واستحكم في النصرانية واتباع الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب.

ولم يكن فيهم أحد أمراً وأعدل شأناً من زيد بن عمرو بن نفيل اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والمثل كلها إلا دين الحنيفية دين إبراهيم يوحد الله ويخلص من دونه ولا يأكل ذبائح قومه بأداهم بالفراق لما هم فيه. قال [سيرة ابن إسحاق: ٩٧]: وكان الخطاب قد آذاه أذى كثيراً حتى خرج منه إلى أعلى مكة واكل به الخطاب شباباً من قريش وسفهاء من سفهائهم فقال: لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها إلا سراً منهم فإذا علموا به أخرجه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد على ما هو عليه.

وقال موسى بن عقبة: سمعت من أروى يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلفها الله وأزل لها من السماء ماء وأثبت لها من الأرض لم تذبحوها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

وقال يونس عن ابن إسحاق: وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل قد هزم على الخروج من مكة يضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما أبصرته قد نهض للخروج وأرادته آذنت الخطاب بن نفيل فخرج زيد إلى الشام يلتصق ويلتصق في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ويسأل عنه ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل حتى أتى الشام فجعل فيها حتى أتى راباً بيعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال له الراهب: إنك لتسأل عن دين ما

أنت بواجد من يملكك عليه اليوم لقد درس من علمه وزهد من كان يعرفه، ولكنه قد أظلك خروج نبي وهذا زمانه.

وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئاً منها فخرج سريماً حين قال له الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا كان بأرض لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة يريته:

رشبت وأتممت ابن عمرو وإمسا تجبت تنسوراً من الناس حاميا بدنيك رباً ليس رباً كئيلو وتركت أوثان الطواغي كما هيأ وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض ستين وادياً

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدثنا أحمد بن طارق الراشبي ثنا عمرو بن عطية عن أبيه عن ابن عمر عن زيد بن عمرو بن نفيل: أنه كان يتأله في الجاهلية فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود فقال له: أحب أن تدخلني معك في دينك. فقال له اليهودي: لا أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب الله. فقال: من غضب الله أفر.

فانطلق حتى أتى نصرانياً فقال له: أحب أن تدخلني معك في دينك، فقال: لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من الضلالة. فقال: من الضلالة أفر. قال له النصراني: فإني أدلك على دين إن تبعته اهتديت. قال: أي دين؟ قال: دين إبراهيم قال: فقال: اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم عليه أحى وعليه أموت.

قال: فذكر شأنه للنبي ﷺ فقال: وهو أمة وحده يوم القيامة [تابع دمشق: ٤٩٨/١٩].

وقد روي موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر نحو هذا [تابع (٣٨٢٧)].

وقال محمد بن سعد: حدثنا علي بن محمد بن عبد الله بن سيف القرشي عن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاعت اليهودية والنصرانية فكرهتهما فكنت بالشام وما والاه حتى أثبت رهاً في صومعة فوقت عليه فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية. فقال لي: أراك تريد دين إبراهيم يا أخا أهل مكة إنك لتطلب ديناً ما يوجد اليوم أحد يدين به وهو دين إبيك إبراهيم كان حنيفاً لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي يبلاذك فالق ببلدك فإن الله يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم الحنيفية وهو أكرم الخلق على الله [تابع دمشق: ٤٩٨/١٩].

وقال يونس عن ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق ص ٩٦، سورة ابن هشام: ٢٣٠/١]: حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل: إن زيدا كان إذا دخل الكعبة قال: لييك حقاً حقاً، تعبداً ووقاً، عذت بما عاذ به إبراهيم وهو قائم، إذ قال:

أنسي لك اللهم عانٍ راغمُ مهما تجشني نسي جاشمُ
البر ابني لا الخال، ليس مهجر كمن قال.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند الطيالسي: ٢٣٤]: حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتصقان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد بن عمرو: من أين أقبلت يا صاحب البعير؟ فقال: قال: من بنية إبراهيم، فقال: وما تلتصق؟ قال التمس الدين، قال: أرجع فإنه يوشك أن يظهر في أرضك. قال:

لها من السماء ماء وأثبت لها من الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك واعظاماً له.

قال موسى بن عقبة: وحديثي سالم بن عبد الله - ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر - أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقني عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لملئ أن أدين دينكم فأخبرني، فقال: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئاً ولا استطيعه فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال زيد: وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد فلقني عالماً من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من الضلالة من لعنة الله قال: ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ولا استطيع، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهدك أنني على دين إبراهيم.

قال: وقال الليث: كتب إلي هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مستنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قریش والله ما منكم على دين إبراهيم غيبي.

وكان يحيى المروذي يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها انتهى ما ذكره البخاري.

وهذا الحديث الأخير قد أسنده الحفاظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٥٠٥/١٩] من طريق أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد عن الليث عن هشام عن أبيه عن أسماء فذكر نحوه.

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء قالت: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مستند ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قریش إياكم والزنا فإنه يورث الفقر [تاريخ دمشق: ٥١٢/١٩، ٥١٣].

وقد ساق ابن عساكر ههنا أحاديث غريبة جداً وفي بعضها نكارة شديدة [تاريخ دمشق: ٤٨٢/١٩ - ٤٨٦].

ثم أورد من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يعت يوم القيامة أمة وحدة».

فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول: إلهي إله إبراهيم ودين إبراهيم ويسجد. فقال رسول الله ﷺ «يعتير ذلك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم» [تاريخ دمشق: ٥١١/١٩].

إسناده جيد حسن.

وقال الواقدي: حدثني موسى بن شيبة عن خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت سعيد بن المسيب يذكر زيد بن عمرو بن نفيل فقال: توفي وقرش تبني الكعبة قبل أن يتزل الوحي على رسول الله ﷺ بخمس سنين، ولقد نزل به وإنه ليقول: إنا على دين إبراهيم. فأسلم ابنه سعيد بن زيد واتبع رسول الله ﷺ.

فأما ورقة فتتصر وأما أنا فعزمت على النصرانية فلم يوافقني فرجع وهو يقول:

ليكَ حقاً حقاً تبعُداً ررقاً

البر ابغي لا حلال فهل مهجر كمن قال

أمنت بما آمن به إبراهيم وهو يقول:

أنفي لك اللهم عانِ راغمُ مهما تجشني فلاني جاشمُ ثم يخر فيسجد.

قال وجاء ابنه يعني سعيد بن زيد أحد العشرة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إن أبي كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له، قال: «نعم فإنه يعث يوم القيامة أمة وحدة».

قال: وأتى زيد بن عمرو على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة وهما يأكلان من سفرة هما، فدعواهما لعلهما فقال زيد بن عمرو: يا ابن أخي أنا لا أكل مما ذبح على النصب.

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر حدثني أبو بكر بن أبي سيرة عن موسى بن ميسرة عن ابن أبي مليكة عن حجير بن أبي إهاب. قال: رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بؤابة بعد ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة وسجدتين ثم يقول: هذه قبله إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجراً ولا أصلي له ولا أكل ما ذبح له ولا استقسم الأوزام وأنا أصلي إلى هذا البيت حتى أموت.

وكان يبيع بقرعة، وكان يلي يقول: ليك لا شريك لك ولا ند لك ثم يدفع من عرفة ماشياً وهو يقول: ليك متعبناً مرقوقاً بطقات ابن سعد: ٣٧٩/٣، ٣٨٠.

وقال الواقدي: حدثني علي بن عيسى الحكمي عن أبيه عن عامر بن ربيعة قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا انتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقته وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرايته فافقه مني السلام وسأخبرك ما نعت حتى لا يخفى عليك.

قلت: هلم قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظفر أمره، فإياك أن تتحدع عنه فلاني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراهك وينعتونه مثل ما نعت لك ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر بن ربيعة: فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ قول زيد بن عمرو وأقراته من السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وقال: «قد رأيته في الجنة يسحب ذبيلاً» [تاريخ دمشق: ٥٠٤/١٩].

وقال البخاري في صحيحه [٣٨٢٦ - ٣٨٢٨]: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل:

حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة حدثني سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن يتزل على النبي ﷺ الوحي فقلعت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها. ثم قال زيد: إني لست أكل مما يذبحون على أصنامكم ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قرش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل

وأبى عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رسول الله ﷺ فسألاه عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: «غفر الله له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم». قال: فكان المسلمون بعد ذلك اليوم لا يذكره ذاكراً منهم إلا ترحم عليه واستغفر له، ثم يقول سعيد بن المسيب: رحمه الله وغفر له [تاريخ دمشق: ٥١٢/١٩].

وقال محمد بن سعد عن الواقدي: حدثني زكريا بن يحيى السعدي عن أبيه قال: مات زيد بن عمرو بن نفيل بمكة ودفن بأصل حراء. وقد تقدم أنه مات بأرض البلقاء من الشام لما عدا عليه قوم من بني لحم فقتلوه بمكان يقال له: ميفعة. والله أعلم [طبقات ابن سعد: ٢٨١/٣]. وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرايت لزيد بن عمرو بن نفيل جنتين» [تاريخ دمشق: ٥١٢/١٩].

وهذا إسناد جيد وليس هو في شيء من الكتب.

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله ما قلناه في يده الخلق من تلك القصيدة:

إلى الله أهدي مذخعي وثنايا وقولاً رغبياً لا يني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون ملثما

وقد قيل: إنها لأمية بن أبي الصلت والله أعلم.

ومن شعره في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق [السيرة: ٩٧] والزيبر بن بكار [تاريخ دمشق: ٥١٦/١٩] طريق الزبير بن بكار وغيرهما:

واسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقلاً
ذاهبا فلما استوت ثلثها سواء وأرسي عليها الجبالا
واسلمت وجهي لمن أسلمت له الميزن تحمل غنماً زلالا
إذا هي سبيقت إلى بلدٍ اطاعت فصبت عليها ميجالا
واسلمت وجهي لمن أسلمت له الريح تصبر حالاً فحالاً

وقال محمد بن إسحاق [السيرة: ٩٦، ٩٧]: حدثني هشام بن عروة قال:

روى أبي أن زيد بن عمرو قال:

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إن أقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجند الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتها ولا صنسي بني عمرو أوزر
ولا هبلأ أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ جلسي بمر
عجبت وفي الليالي معجبات وفي الأيام يرفها البصير
بأن الله قد أنسى رجلاً كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرى من قوم قيريل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يمشى ثاب يوماً كما يترج الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي لينفر ذنبي الرب النفسور
فقصي الله ريكماً أحفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
تري الأبرار دارهم جناناً ولل كفار حامية سمر
وخزي في الحياة وإن يموتوا يلقوا ما تضيئ به الصدور

هذا تمام ما ذكره محمد بن إسحاق من هذه القصيدة.

وقد رواه أبو القاسم البغوي [تاريخ دمشق: ٥١٤/١٩، ٥١٥] عن

مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال: قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجند الصبور
فلا العزى أدين ولا ابتها ولا صنسي بني طنم أدير
ولا غمأ أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ جلسي صغير
أرباً واحداً أم ألف رب أدين إن أقسمت الأمور
لم تعلم بأن الله أنسى رجلاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرى من قوم قيريل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يمشى ثاب يوماً كما يترج الغصن الصغير

قلت: فقال ورقة بن نوفل:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما نجبت توراً من النار حاميا
لدينك رباً ليس رب كمثلته وتركك جنان الجبال كما هيا
أقول إذا أبطت أرضاً خوفة حنايك لا تظهر علي الأعايا
حنائك إن الجن كانت رجائهم وأنت إلي رنا ورجائيا
لتدركن المرء رحمة ربه وإن كان تحت الأرض سبعين واديا
أدين لرب يسجيب ولا أرى أدين لما لا يسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت في كل تيمة تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

تقدم أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحوirth وعبيد الله بن جحش فتصوروا إلا زيدا فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبياً ما أمكنه من دين إبراهيم على ما ذكرناه.

وأما ورقة بن نوفل فسيأتي خبره في أول المبحث.

وأما عثمان بن الحوirth فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر.

وله خبر عجيب ذكره الأموي [تاريخ دمشق: ٨١/١١، ٨٢] ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكا إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك حرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فكتب إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب القيل، فكساه ابن جفنة قميصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سعه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموي تركناه اختصاراً.

وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما عبيد الله بن جحش فرجع إلى مكة وكان في جملة من أسلم وهاجر إلى الحبشة ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ثم عاد إلى النصرانية بأرض الحبشة فجدد الله ومات هناك فخلف على زوجته بعده رسول الله ﷺ كما سيأتي ذلك في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

شيء من الحوادث في زمن الفترة فمن ذلك بيان الكعبة:

٢٧- بنيان الكعبة

ولله قيل: إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد

الله بن عمرو وفي سنه ابن لمعة وهو ضعيف [دلائل البرهاني: ٤٥/٢].
وأقوى الأقوال: أن أول من بناء الخليل عليه السلام. كما تقدم
وكذلك رواه سماك بن حرب عن خالد بن عرعره عن علي بن أبي طالب
قال: ثم تهدم فبته العملاقة ثم تهدم فبته جرهم ثم تهدم فبته قريش.
قلت: سيأتي بناء قريش له وذلك قبل المبعث بخمسين سنين وقيل:
بخمسة عشرة سنة.

وقال الزهري: كان رسول الله ﷺ قد بلغ الحلم. وسيأتي ذلك كله
في موضعه إن شاء الله وبه الثقة.

٢٨- ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نعيم [الدلائل: ٤٦] من طريق محمد بن الحسن بن زبالة عن
محمد بن طلحة التيمي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة.
قال: كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة وكانت قريش تسمى يوم
الجمعة العروبة فيخطبهم فيقول: أما بعد فاسمعوا وتعلموا، وافهموا
واعلموا ليل ساج، ونهار ضاح، والأرض مهداة، والسماء بناء، والجبال
أوتاد، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين، والأثني والذكر والروح وما
يهيج إلى بلى فسلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وثمروا أموالكم. فهل
رأيتم من هالك رجع؟ أو ميت نثر؟ الدار أمامكم، والظن غير ما تقولون،
حرمكم زينوه وعظموه، ونسكوا به فسيتألي له نبأ عظيم؛ وسيخرج منه نبي
كريم، ثم يقول:

نهاراً وليس كل يوم بحادثٍ سواء علينا ليلها ونهارها
يؤويان بالأحداث حتى تأوؤا وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلتي يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها
ثم يقول: والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر، ويد ورجل، لتصببت
فيها تصبب الجمل، ولأرقت فيها إرقال الفحل ثم يقول:
يا ليتني شاهدت نجواء دعوتيه حين الشيرة تبغي الحق خذلانها
قال: وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسة
عام وستون سنة.

٢٩- ذكر تجديد حفر زمزم

على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم
جرهم لها إلى زمانه.

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٣- ٥، سورة ابن هشام: ١٤٢/١
- ١٤٥]: ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر أتته امرأة بمحفر زمزم
وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي
حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله الزيني عن عبد الله بن زبير الشافعي
أنه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب
بحفرها.

قال: قال عبد المطلب: إني لثائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي أحضر
طية. قال: قلت: وما طية؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى
مضجعي فمئت فجاءني فقال: أحفر برة. قال: قلت: وما برة؟ قال: ثم
ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فمئت فجاءني فقال: أحضر

المضنونة قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد
رجعت إلى مضجعي فمئت فيه فجاءني فقال: أحفر زمزم. قال: قلت: وما
زمزم؟ قال: لا تزف أبداً ولا تنم، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين
الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

قال: فلما بين في شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا
بمعمله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحضر
فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته. فقاموا
إليه فقالوا: يا عبد المطلب إنها بئر آبنا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا
معدك فيها. قال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم
وأعطيت من بينكم قالوا له: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نحاصمك فيها
قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شتمت أحاكمكم إليه قالوا: كاهنة بني سعد بن
هذيم قال: نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني
أبيه وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز
حتى إذا كانوا ببعضها نقد ماء عبد المطلب وأصحابه فعطشوا حتى
استيقنوا بالملكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة وإنا
نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب: إني أرى أن يحفر كل
رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه
أصحابه في حفرة ثم وأروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً فضيعة رجل
واحد أسير من ضيعة ركب جميعاً. فقالوا: نعم ما أمرت به.

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قدوا ينظرون الموت عطشى ثم إن
عبد المطلب قال لأصحابه: إن القاءنا باليدنا هكذا للموت لا نصرب في
الأرض لا نبقي لأنفسنا لعجز نفسى أن يرزقنا الله ماء يبيض البلاد.
فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انقضت من تحت خفها
عين ماء عذب فحفر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب
أصحابه واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون
إليهم في جميع هذه الأحوال فقال: هلنوا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤوا
فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا لعبد المطلب: قد والله قضى لك علينا والله
ما نحاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي
سقاك زمزم فأرجع إلى سقائك راشداً فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى
الكاهنة وخلصوا بينه وبين زمزم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم قال
ابن إسحاق: وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر
بحفر زمزم:

ثم ادع بالماء الروي غير الكدير يسقي حجاج الله في كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عثر

قال: فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلموا أنني
قد أمرت أن أحفر زمزم قالوا: فهل يبين لك أين هي؟ قال: لا قالوا:
فارجع إلى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت فإن يك حقاً من الله يبين
لك وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك فرجع ونام فأتته قبيل له: أحفر
زمزم، إنك إن حفرتها لن تندم. وهي تراث من أبائك الأعظم، لا تزف
أبداً ولا تنم تسقي الحجيج الأعظم. مثل نعم حافل لم يقسم. ينزل فيها
ناذر لمنم. تكون ميراثاً وعقداً يحكم. ليست كعوض ما قد تعلم. وهي بين
الفرث والدم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٤٦/١]: فزعموا أن عبد المطلب حين

قيل له ذلك قال: وأين هي؟ قيل له: عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً. فأنه أعلم أي ذلك كان.

قال: فعند عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره - زاد الأموي: ومولاه أصرم - فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندهما بين الوثنيين إساف وثلاثة للذين كانت قريش تنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش فقالوا: والله لا تركتك تحفر بين وثنيانا هذين اللذين تنحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذد عني حتى أحفر فوالله لأضين لما أمرت به.

فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى بنا له الطي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما عمداً به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرحهم قد دفتهما ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدرعاً.

فقال له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحقى قال: لا ولكن هلم إلى امر نصف بيني وبينكم فنضرب عليها بالقداح قالوا: وكيف نصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفت. فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد: أعل هبل يعني هذا الصنم.

وقام عبد المطلب يدعو الله. وذكر يونس بن بكير عن محمد ابن إسحاق (سورة ابن إسحاق: ٦) أن عبد المطلب جعل يقول: اللهم أنت الملك الحمود ربي فأتت المبيت المعيد وعسك الراسية الجلمود ومن عندك الطارف والتليد إن شئت لغمت كما تريد لموضع الجليفة والخديد فبين اليوم لما تريد إنني نذرت المعاهدة المهود أجعله لي رب فلا أصود

قال: وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالتين للكعبة، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب، وتخلف قدحاه قريش. فغضب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالتين من ذهب فكان أول ذهب حليته للكعبة فيما يزعمون. ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج.

وذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٤٧/١ - ١٥٠) وغيره أن مكة كان فيها آبار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عندها ابن إسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافرها إلى أن قال: فعفت زمزم على البئر كلها وانصرف الناس كلهم إليها لكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلي سائر العرب.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» (٧٤٧٣) في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال في زمزم: «إنها طعام طعم، وشفاء سقم».

وقال الإمام أحمد (٣٧٢/٣): حدثنا عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب منه».

وقد رواه ابن ماجه (٣٠٦٢) من حديث عبد الله بن المؤمل وقد تكلموا فيه ولفظه «ماء زمزم لما شرب له».

ورواه سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن أبي الموال عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ قال: «ماء زمزم لما شرب له» [الطحاوي في مشعب الإيمان: ٤١٢٨] ولكن سويد بن سعيد ضعيف والمخفوف عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمل كما تقدم.

وقد رواه الحاكم [المستدرک: ٤٧٣/١] عن ابن عباس مرفوعاً: «ماء زمزم لما شرب له» وفيه نظر والله أعلم.

وهكذا روى ابن ماجه أيضاً (٣٠٦٢) [الحاكم [المستدرک: ٤٧٢/١]

عن ابن عباس أنه قال لرجل: إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتفضل ثلاثاً وتفضل منها فإذا فرغت فاحمد الله فإن رسول الله ﷺ قال: «إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلعون من ماء زمزم».

وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال: اللهم إني لا أحلها لغتسل وهي لشارب حل ويل [الطحاوي في الدلائل: ٨٧/١].

وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه فإنه هو الذي جدد حفر زمزم كما قلنا والله أعلم [الطحاوي لابن قدامة: ٣٠/١].

وقد قال الأموي (في معانيه): حدثنا أبو عبيد أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حرملة سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين أحفر زمزم قال: لا أحلها لغتسل وهي لشارب حل ويل [غريب الحديث لأبي عبد: ٢٩/٤].

وذلك أنه جعل لها حوضين حوضاً للشرب، وحوضاً للوضوء. فعند ذلك قال: لا أحلها لغتسل ليزه المسجد عن أن يتنسل فيه.

قال أبو عبيد [غريب الحديث: ٢٧/٤]: قال الأصمعي: قوله: ويل إتياع قال أبو عبيد: والإتياع لا يكون بواو العطف وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان: إن «يل» بلفظة حير: مباح.

ثم قال أبو عبيد [غريب الحديث: ٢٩/٤] حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود أنه سمع زراً أنه سمع العباس يقول: لا أحلها لغتسل وهي لشارب حل ويل.

وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول ذلك [غريب الحديث لأبي عبد: ٢٩/٤].

وهذا صحيح اليهم، وكأنهما يقولان ذلك في إباحتهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لما فلا يتناقى ما تقدم والله أعلم.

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق أنه ألقى في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس: أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيتك جميع مالك فقال له العباس: بشرط إن لم تعطني ترك السقاية في أكفكها فقال: نعم.

فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ثم إلى داود بن علي ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستأب عليها مولاه أبا زرين ذكره الأموي [نظر أصحاب الأشراف: ٩٧/١].

٣٠- ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق: ١٠ - ١٢، سورة ابن هشام: ١٥١/١]: وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمتنعوا ليحزن أحدهم لله عند الكعبة. فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمتنعونه وهم: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله. جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك فاطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اتوني ففعلوا ثم أتوه.

فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكانت هبل على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة، وكان عند هبل قنّاح سبعة وهي الأزلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور جاؤوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه.

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقنّاح عند هبل خرج القنّاح على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف وثالثة لينذره فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه فقالت له قريش وبنوه: والله لا نذبحه أبداً حتى تملأ فيه لثن فعلت هذا لا يزال الرجل يحمي بابه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا.

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق: ١٢]: أن العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه لينذره فيقال: إنه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يلعب إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع فيسألها عن ذلك ثم أتت على رأس امرئ إن امرتك بذبحه فاذبحه وإن امرتك بامرئ لك وله فيه خرج قلبه.

فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة وهي سجاح - فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق - بخير فركبوا حتى جاؤوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم: أرجعوا عني اليوم حتى يأتيني تايبي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل وكانت كذلك قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقنّاح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى بركم وإن خرجت على الإبل فانغروها عنه فقد رضي بركم ونحما صاحبكم.

فخرجوا حتى قتلوا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ثم ضربوا فخرج القنّاح على عبد الله فزادوا عشراً ثم ضربوا فخرج القنّاح على عبد الله فزادوا عشراً فلم يزالوا يزيدون عشراً وعشر حتى بلغوا على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة. ثم ضربوا فخرج القنّاح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله: قد انتهى رضي ريك يا عبد المطلب. فرجعوا أنه قال: لا حتى أضرب عليها بالقنّاح ثلاث مرات فضربوا ثلاثاً ويقع القنّاح فيها على الإبل فتحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ١٥٥/١]: ويقال: ولا سبع. ويقال: إنه لما بلغت الإبل مائة خرج على عبد الله أيضاً فزادوا مائة أخرى حتى بلغت مائتين فخرج القنّاح على عبد الله فزادوا مائة أخرى فصارت الإبل ثلاثمائة. ثم ضربوا فخرج القنّاح على الإبل فتحرها عند ذلك عبد المطلب والصحيح الأول والله أعلم.

وقد روى ابن جرير [الدرر الطرية: ٢٣٩/٢] عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فامرأها بذبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب.

وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقف. فبلغ ذلك مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة فقال: إنهما لم يصيبا الفتيا ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل، وأخذ الناس يقول مروان في ذلك، والله أعلم.

٣١- ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد

الله من آمنه بنت وهب الزهرية

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٥٥/١، ١٥٦]: ثم انصرف عبد المطلب أخذاً بيد ابنه عبد الله فمر به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصي وهي أم قتال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهي عند الكعبة فنظرت إلى وجهه فقالت: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي قالت: لك مثل الأبل التي نحرت عنك وقع علي الآن. قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً فزوجه ابنة آمنه بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها فرجعوا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت منه بربول الله ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة.

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصر واتبع الكتب - أنه كان في هذه الأمة نبي فطمعت أن يكون منها فجعله الله تعالى في أشرف عصر وأكرم عند وأطيب أصل كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وسنذكر المولد مفصلاً.

وبما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تنسب على ما فاتها من الأمر الذي رامته وذلك فيما رواه البيهقي [الذليل: ١٠٣/١، ١٠٤] من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق رحمه الله:

عليك بكال زهرة حيث كانوا وأنت التي خلت غلاما نرى المهدي حين نزا عليها ونوراً قد تقدمه أماما إلى أن قالت:

نكسل الخلق يرجوه جميعاً يسوء الناس مهتدياً إماما نراه اللب من نور صفاء فأنعب نوره عنا الظلاما وذلك ضئع ريسك إذ جأ إذا ما سار يوماً أو أقاما

فيهدي أهل مكة بمكة كفرٍ ويفرضُ بمكة ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الحارثي [تاريخ دمشق: ٤٠٤/٣] من طريق الحارثي [٤]: حدثنا علي بن حرب حدثنا محمد بن عمار القرشي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تباله متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت: يا بني هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبد الله:

أما الحرأمة فآلمات دونك والحل لا حل فاستيت فكيف بالأمر الذي تبغيه يحمي الكريم عرفته ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فاقام عندها ثلاثاً. ثم إن نفسه دعت إلى ما دعت إليه الكاهنة فاتاهها فقالت: ما صنعت بعدي؟ فأخبرها. فقالت: والله ما أنا بصاحبة رية ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون في، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد. ثم أنشأت فاطمة تقول:

إنسي رايت غيلة لمعت فلالاً بمنام القطر
فلما نورا يضيء له ما حوله كاضاء البدر
ورجوتها فخراً أبوه به ما كل قاذح زنيه يسوري
لله ما زهرية سلبت نوبك ما استلبت وما تسدي

وقالت فاطمة أيضاً:

بني هاشم قد غادرت من أخيكُم امينة إذ للبساو يعتركان
كما غادر الصباح عند خمره قتال قد يثبت له بدهان
وما كل ما يحوي الفتى من تلاله بحزم ولا ما فاتته لتواني
فأجل إذا طالت أمراً فانه سيكتفيك جنان يعتلجان
سيكتفيك إن يد مفعيلة وإما يد مبسوطة بينان
ولما حوت منه أمانة ما حوت حوت منه فخراً ما لذلك ثان

وروى أبو نعيم الحافظ في كتاب «دلائل النبوة» [٧١] من طريق يعقوب بن محمد الزهري عن عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن جعفر عن أبي عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فتزل على حبر من اليهود قال: فقال لي رجل من أهل الزبور، يعني أهل الكتاب: يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك؟ قال: نعم ما لم يكن عورة. قال: ففتح إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال: أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة وأنا نجد ذلك في بني زهرة فكيف ذلك؟ قلت: لا أدري قال: هل لك من شاعة؟ قلت: وما الشاعة؟ قال: الزوجة. قلت: أما اليوم فلا قال: فإذا رجعت فتزوج فيهم. فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفيّة ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله ﷺ فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة: فليج. أي فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب.

سلمى ولدا فست شية فأقام عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين ثم جاء عمه المطلب بن عبد مناف فأخذته خفية من أمه فذهب به إلى مكة. فلما رآه الناس وراوه على الراحلة قالوا: من هذا معك؟ فقال: عيني ثم جاؤوا فهزؤوه به وجعلوا يقولون له: عبد المطلب لذلك فغلب عليه وساد في قريش سيادة عظيمة وذهب بشرفهم ورتاستهم. فكان جماع أمرهم إليه وكانت إليه السقاية والرفادة بعد المطلب وهو الذي جدد حفر زمزم بعد ما كانت مطبومة من عهد جرهم وهو أول من حلى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالتين اللتين من ذهب وجدعهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية.

قال ابن هشام (السيرة: ١٠٧/١): وعبد المطلب أخو أسد وفضلته وأبي صيفي وحية وخالدة ورقية والشقاء وضعية. كلهم أولاد هاشم واسمه عمرو وإنما سمي هاشماً لحشمه الشديد مع اللحم لقومه في سني الحبل كما قال مطرود بن كعب الخزاعي في قصيدته: هي لعبد الله بن الزعيري: عمرو الذي هُشم الشريف لقومه قسوم بمكة مُشْتَيْن عجافُ سُنْتُ إليه الرحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاء وِرْجَلَةُ الأصيفِ وذلك لأنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف وكان أكبر ولد أبيه. وحكى ابن جرير (الدرر الطوي: ٢٥٢/٢) أنه كان توائم أخيه عبد شمس وأن هاشماً خرج ورجله ملتصقة برأس عبد شمس فما تخلصت حتى سال بينهما دم فقال الناس: بذلك يكون بين أولادهما حروب فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس ستة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة.

وشقيقهم الثالث المطلب وكان المطلب أصغر ولد أبيه وأهم عاتكة بنت مرة بن هلال، ورابعهم نوفل من أم أخرى وهي واقلة بنت عمرو المازنية وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم وصارت إليهم الرئاسة وكان يقال لهم: الجيرون وذلك لأنهم أخذوا قومهم قريش الأسان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم فكان هاشم قد أخذ أماناً من ملوك الشام والروم وغسان وأخذ لهم عبد شمس من التجاشي الأكبر ملك الحبشة، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة، وأخذ لهم المطلب أماناً من ملوك حير. ولهم يقول الشاعر:

يا أيها الرجلُ المحمَّدُ رحلته ألا نزلت بسلِّ عبد مناف

وكان إلى هاشم السقاية والرفادة بعد أبيه، وإليه وإلى أخيه المطلب نسب ذوي القرى، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالي الجاهلية والإسلام، لم يفرقوا، ودخلوا معهم في الشعب، والتخلل عنهم بنو عبد شمس ونوفل.

ولها يقول أبو طالب في قصيدته:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرٍ عاجلاً غير آجل

ولا يُعرف بنو أب تابتوا في الوفاة منهم، فإن هاشماً مات بغزة من أرض الشام، وعبد شمس مات بمكة، ونوفلاً مات بسلطان من أرض العراق، ومات المطلب - وكان يقال له: القمر لحته - بردمان من طريق اليمن. فهؤلاء الإخوة الأربعة المشاهير وهم: هاشم، وعبد شمس، ونوفل، والمطلب. ولهم أخ خامس ليس بشهور وهو أبو عمرو واسمه عبد، وأصل اسمه عبد قسي. فقال الناس: عبد بن قسي درج ولا عقب له. قاله الزبير بن بكار وغيره (الدرر الطوي: ٢٥٤/٢). وأخوات ست وهن، قماضر، وحية، وريطة، وقلاصة، وأم الأخشم، وأم سفيان. كل هؤلاء أولاد عبد مناف ومناف اسم صنم.

٥- كتاب سيرة رسول الله ﷺ

١- ذكر نسبه الشريف

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤) ولما سال هرقل ملك الروم أبا سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو قينا ذو نسب قال: كذلك الرسل ثبت في أنساب قومها (ج ٧، ٢٩٤١، ٤٥٥٣) يعني في أكرمها أحساباً وأكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين.

فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة. أبو القاسم. وأبو إبراهيم. محمد. وأحمد. والملاح الذي يُمحى به الكفر. والعاقب الذي ليس بعده نبي. والهاشم الذي يحشر الناس على قدميه. والمقفي. ونبي الرحمة. ونبي التوبة. ونبي الملحمة. وخاتم النبيين. والقانع. وطه. وعبد الله. قال البيهقي (دلائل النبوة: ١/١٦٠): وزاد بعض العلماء فقال: سماء الله في القرآن رسولاً. نبياً. أمياً. شاهداً. مبشراً. نذيراً. وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً. ورؤوفاً رحيماً. ومذكراً. وجعله رحمة ونعمة وهادياً. وسنورد الأحاديث المروية في أسمائه عليه الصلاة والسلام في باب نعتله بعد فراغ السيرة فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران أبو بكر البيهقي (دلائل النبوة: ١/١٥١ - ١٦١) وأبو القاسم بن عسكار (درر دمشق: ١٧/٣ - ٣٤).

وأفرد الناس في ذلك مؤلفات حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم.

وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارح «الترمذي» بكتابه الذي سماه «الأحاديث» [٢٨١/١٠] فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين اسماً والله أعلم.

وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو النبي الثاني الملقب بمائة من الإبل كما تقدم.

قال الزمهرى (الدرر الطوي: ٢٤٦/٢): وكان أجل رجال قريش وهو أخو الحارث والزيبر وحزمة وضرار وأبي طالب، واسمه عبد مناف، وأبي لهب، واسمه عبد الغرى، والمقوم، واسمه عبد الكعبة، وقيل: هما اثنتان وحجل واسمه المنيرة والغيلاق وهو كثير الجود، واسمه نوفل، ويقال: إنه حجل والعباس.

فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام. وعماته ست وهن: أروى. وبرة. وأيمىة. وصفية. وعاتكة. وأم حكيم، وهي البيضاء، وستكلم على كل منهم فيما بعد إن شاء الله تعالى. فهؤلاء أولاد عبد المطلب - واسمه شية - يقال لشية كانت في رأسه ويقال له: شية الحمد لجوده. وإنما قيل له: عبد المطلب لأن أباه هاشماً لما مر بالمدينة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خلدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الخزرجي النجاري وكان سيد قومه فاعجبته ابنته سلمى فخطبها إلى أبيها فزوجها منه واشترط عليه مقامها عنده وقيل: بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة.

فلما رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة ووضعت

وأصل اسم عبد مناف المخزومي، وكان قد رأس في زمن والده، وذهب به الشرف كل منذهب، وهو أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه وإليه أوصى بالنائب كما تقدم.

وعبد العزى وعبد وبرة وتخمر وأمههم كلهم حُبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وأبوها آخر ملوك خزاعة وولادة البيت منهم، وكلهم أولاد قصي واسمه زيد. وإنما سمي بذلك لأن أمه تزوجت بعد أبيه بريعة بن حرام بن عذرة فاسافر بها إلى بلاده وإنها صغيرة فقصي قصياً لذلك. ثم عاد إلى مكة وهو كبير ولم شعث قريش وجعها من متفرقات البلاد، وأزاح يد خزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه وصار رئيس قريش على الإطلاق وكانت إليه الرفاة وهو سنها والسقاية والسلمة والحجابة واللواء وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كله. ولهذا قال الشاعر: [ربيع الطوي: ٢٥٦/٢] ونسيه لظروم قصي، لعمري كان يدعى جمعاً به جمع اللقالب من فهر

وهو أخو زهرة كلاهما ابنا كلاب أخي تيم ونظفة أبي غزوم ثلاثهم ابنا مرة أخي عدي وهيص وهما ابنا كعب وهو الذي كان يحطّب قومه كل جمعة ويشهرهم بمجت رسول الله ﷺ ويشد في ذلك أشعاراً كما قلنا، وهو أخو عامر وسامة وخزيمة وسعد والحارث وعوف سبعتهم أبناء لؤي أخي تيم الأدرم وهما أبناء غالب أخي الحارث وعارب ثلاثهم أبناء فهر وهو أخو الحارث وكلاهما ابن مالك، وهو أخو الصلت ويغلد، وهم بنو النضر الذي إليه جماع قريش على الصحيح كما قلنا الدليل عليه، وهو أخو مالك وملكان وعبد مناة وغيرهم كلهم أولاد كنانة أخي أسد وأسدة والهن أولاد خزيمة، وهو أخو هذيل وهما ابنا مدركة - واسمه عمرو أخو طائفة - واسمه عامر وقمعة ثلاثهم أبناء إلياس وأخو إلياس هو عيلان والد قيس كلها وهما ولدا مضر أخي بريعة. وقال لهما: الصريحان من ولد إسماعيل وأخواهما أثمار وإياد تيمنا، أربعهم أبناء نزار أخي قضاعة - في قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاعة حجازية عدنانية - وقد تقدم بيانه كلاهما أبناء معد بن عدنان.

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز يتبون إلى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَمُنُّ اللَّهُ بِعَاقَةِ الَّذِينَ آمَنُوا وَقِيلُوا لِلصَّالِحِينَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْغَوْثُ فِي الْقُرَى وَمَنْ يَسْتَرْفِ حَسَنَةً نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣] لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم [همس الطوي: ٢٣/٢٥].

وصدق ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال وأزيد عما قال، وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتمي إليه بالأبواء وكثير منهم بالأهمات أيضاً كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في أمهاته وأمهات آبائه وأمهاتهم مما يطول ذكره. وقد حرره ابن إسحاق رحمه الله والحافظ ابن عساكر وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسب وما قيل فيه وأنه من ولد إسماعيل لا محالة وإن اختلف في كم بينهما أباً؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم والله أعلم. وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشئ المتضمنة ذلك، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد. وقد تكلم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول «تاريخه» على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرراً نافعاً.

وقد ورد حديث في انتسابه عليه السلام إلى عدنان وهو على المنبر ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي [الذليل: ١٧٤/١]:

أبائنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ - ببغداد - حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد - إملاء سنة ست وتسعين ومائتين - حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان الفلاني حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلاً من كندة يزعمون أنهم منه وأنه منهم فقال: «إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قلما المدينة ليأمتا بذلك. وإننا لن نتفي من آبائنا، نحن بنو النضر بن كنانة»: قال: وخطب النبي ﷺ فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرتين إلا جعلني الله في خيرهما فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية. وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فانا خيركم نفساً، وخيركم أباً».

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك. فنرد به القدامي وهو ضعيف. ولكن سنذكر له شواهد من وجوه أخرى.

فمن ذلك قوله: «أخرجت من نكاح لا من سفاح».

قال عبد الرزاق [في مسنده: ٢٩١/١]: أخبرنا ابن عتبة عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال: وقال رسول الله ﷺ: «إني أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح» وهذا مرسل جيد.

وهكذا رواه البيهقي [في الإبان: ١٣٩٦] عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصاغاني عن يحيى بن أبي بكر عن عبد الغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح».

وقد رواه ابن عدي موصولاً فقال: حدثنا أحمد بن حفص حدثنا محمد بن أبي عمر العدني المكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال: أشهد على أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: «أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» [تاريخ دمشق: ٤٠٢/٣].

وهذا غريب من هنا الوجه ولا يكاد يصح.

وقال هشيم: حدثنا المدني عن أبي الحويرث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح ككناح الإسلام».

وهذا أيضاً غريب أورده الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٠٠/٣] ثم أسنده من حديث أبي هريرة وفي إسناد ضعيف والله أعلم.

وقال محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ٩١/١]: أخبرنا محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ولدت من نكاح غير سفاح».

ثم أورد ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٠١/٣] من حديث أبي عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَالِبْ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً. وزواه عن عطاء [تاريخ دمشق: ٤٠٢/٣].

من حديث محمد بن ذكوان خال حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: إنا لنعوذ بفناء النبي ﷺ إذ مرت به امرأة، فقال بعض القوم: هذه ابنة رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التن. فانطلقت المرأة فاخبرت النبي ﷺ فجاء رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب. فقال: «ما بال أقوال تبليني عن أقوام إن الله خلق السماوات سبعاً فاختار العلياء منها فألصقها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم».

وهذا أيضاً حديث غريب.

وثبت في «الصحیح» (٢٢٧٨) بدون لفظة: «ولا فخر» أن رسول الله ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر».

وروى الحاكم والبيهقي [الدلائل: ١٦٦/١] أيضاً من حديث موسى بن عبيدة: حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل عن الزهري عن أبي أسامة - أو أبي سلمة - عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من بني محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ١٦٦/١]: وهذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا يمتنع به فبعضها يؤكد بعضاً ومعنى جميعها يرجع إلى حديث واثلة بن الأسقع والله أعلم.

قلت: وفي هذا المعنى يقول أبو طالب ممدوح النبي ﷺ:

إذا جمعت يوماً قريشاً لقمح - فبئ ما نال من سيرها وصميمها
فإن حُصِّلَت أشرافُ عبد منافها - فسي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فُخِّرَت يوماً فإن محمداً - هو المصطفى من سرها وكرمها
تداعت قريش غنها وسينها - علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا فديها لا نقر ظلاماً - إذا ما ثوا صُمر الخدود تقيمها
ولحمي جها كل يوم كرهه - ونضرب عن أجارها من يروها
بنا اتعش العود النواء وإنا - باكانفا تنلدي وتنمي أرومها

قال أبو السكين زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور:

حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن منبه قال: قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقلمت عليه منصرفه من نوك، فاسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إني أريد أن امتدحك، فقال رسول الله ﷺ: «قل لا يفض الله فاك» فأنشأ يقول:

من قبلها طيت في الظلال وفي - مستودع حيث يُخَصِّفُه الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أئد - ست ولا مُنْثَنَة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد - الجسم نُسراً وأهله الفُرق
تنقل من صالبي إلى رجم - إذا مضى عالم بسا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من - خيلف عليه تحمها النطق
وانت لما ولدت أشرفت الأرض - وضامت بنسورك الأفق

وقال محمد بن سعد: أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيها سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية.

وثبت في «صحيح البخاري» (٣٥٥٧) من حديث عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه».

وفي «صحيح مسلم» (٢٢٧٦) من حديث الأزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم». وقال الإمام أحمد (٢١٠/١): حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس: بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس، فصعد المنبر فقال: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله ﷺ فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبايل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً. فانا خيركم بيتاً وخيركم نفساً صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين».

وقال يعقوب بن سفيان [العرفه والطريق: ٢٩٥/١، ٢٩٧]: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا التقوا لم يعض بعضهم بعضاً باليشاة، وإذا لقوا لم يوجسوا لا نعرفها. فغضب رسول الله ﷺ عند ذلك غضباً شديداً ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكم لله ولرسوله فقلت يا رسول الله: إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم فجعلوا مثلك مثل غلة في كبة من الأرض. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم لما فرغهم قبائل جعلني في خيرهم قبيلة. ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً».

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضال عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن ربيعة بن الحارث قال: بلغ النبي ﷺ. فذكره بنحو ما تقدم ولم يذكر العباس [الدلائل للبيهقي: ١٦٨/١، ١٦٩].

وقال يعقوب بن سفيان [العرفه والطريق: ٤٩٨/١]: حدثني يحيى بن عبد الحميد حدثني قيس بن عبد الله عن الأعمش عن عباد بن ريمي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، فذلك قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾» و«أَصْحَابُ الشِّمَالِ» فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ» و«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» فانا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة فذلك قوله: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» إذ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» وأنا أمي ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً وذلك قوله: «وَمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»، فانا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب.

وهذا الحديث فيه غرابة وتكرار.

وروى الحاكم [المستدرک: ٧٣/٤] والبيهقي [الدلائل: ١٧٢/١، ١٧٣]

فنحن في ذلك الضياء وفي الـ نور وسُبلُ الرُشاد غُشِقَ وقد روي هذا الشعر لحسان بن ثابت فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٠٨/٣، ٤٠٩] من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد: أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر أنا عبد السلام بن أحمد بن محمد القرشي حدثنا أبو حصين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني حدثني إسحاق بن إبراهيم بن بيان حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني حدثنا ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن عطاة ومجاهد عن ابن عباس قال سألت رسول الله ﷺ فقلت: فذاك أبي وأمي أين كنت وأدم في الجنة قال: فبسم حتى يبدت نواجله ثم قال: فكنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذفت بي في صلب أبي إبراهيم لم يلتق أبواي على سفاح قط لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسية إلى الأرحام الطاهرة صفى مهدي لا يشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدتي وبشر في التوراة والإنجيل ذكرني وبين كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام لوجهي وعلمي كتابه روى بي صحابه وشقي في اسماء من أسمائه فلو العرش محمود وأنا محمد ووعدي أن يجيوني بالخوض والكوش وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع ثم أخرجن من خير قرن لأمتي، وهم الحمدون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

٢- باب مولد رسول الله ﷺ
ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين. لما رواه مسلم في «صحيحه» [١١٦٢] من حديث غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة أن أعرابياً قال: يا رسول الله، ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه».

وقال الإمام أحمد [٢٧٧/١]: حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حشاش الصنعاني عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، واستنّى يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

تفرد به أحمد ورواه عمرو بن بكر عن ابن لهيعة وزاد: ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» [تاريخ دمشق: ٦٧/٣]. وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به وزاد أيضاً: وكانت وقعة بدر يوم الاثنين [تاريخ دمشق: ٦٨/٣، ٦٩].

ومن قال هذا يزيد بن أبي حبيب. وهذا منكر جداً.
قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٦٩/٣]: والحفظ أن بَدْراً ونزول «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» يوم الجمعة. وصدق ابن عساكر.
وروى عبيد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين [تاريخ دمشق: ٦٨/٣]. وهكذا روي من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين [تاريخ دمشق: ٦٧/٣، ٦٨].

وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين. وأبعد بل أخطأ من قال: ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب «إعلام الوري بأعلام الهدى» لبعض الشيعة. ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جليل بالتضعيف إذ هو خلاف النص. ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول فقيل: لليتين خلقت منه قاله ابن عبد البر في «الاستيعاب» [٣٠/١]. ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني. وقيل لثمان خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم [تاريخ دمشق: ٧٠/٣].

ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم.
ونقل ابن عبد البر [الاستيعاب: ٣٠/١] عن أصحاب الزيج أنهم صححوه.

وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه «التوير في مولد البشير النذير» وقيل: لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه.

ورواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٧٥/٣] عن أبي جعفر الباقر ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر. وقيل: لثنتي عشرة خلقت منه. نص عليه ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٥٨/١] ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن عفان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس أنهما قالوا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه

قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت في النبي ﷺ:
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع يوم يخلص السورق
ثم سكنت البلاد لا بشر أتت ولا نظفة ولا علق
مظهر تركب السفين وقد ألجم نراً وأهله النرق
تقل من أصلب إلى رحم إذا مضى طبق بسا طبق
فقال النبي ﷺ: «رحم الله حسان». فقال علي بن أبي طالب: وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة.
ثم قال الحافظ ابن عساكر: هذا حديث غريب جداً.
قلت: بل منكر جداً.
قال: وابن عساكر في تاريخ دمشق: [٤٠٩/٣] والحفظ أن هذه الآيات للعباس عليه السلام ثم أوردتها من حديث أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم.
قلت: ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مرداس السلمي قاله أعلم.

تنبيه: قال القاضي عياض، في كتابه «الشفاء» [٣١٤، ٣١٣/١]: وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمبع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك. وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد. فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» وهم: محمد بن أحبة بن الجلاح الأوسي. ومحمد بن سلمة الأنصاري. ومحمد بن البراء البكري. ومحمد بن سفيان بن مجاشع. ومحمد بن حمران الجعفي. ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم.
ويقال: إن أول من سمي محمداً: محمد بن سفيان بن مجاشع. واليمن تقول: بل محمد بن اليعمد من الأزد.
ثم إن الله حمى كل من سمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها له أحد، أو

أشيم أخا بني يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد. ورايت خلق الفيل أخضر عيلاً.

ورواه الترمذي [(٣١٩)] وإلحاقه [المسند: ٤٥٦/٣] من حديث محمد بن إسحاق به.

قال ابن إسحاق [السيرة: ٢٥]: وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ ابن عشرين سنة.

وقال ابن إسحاق: كان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة. وكان بناء الكعبة بعد الفجار بخمس عشر سنة، والمبعث بعد بنائها بخمس سنين [الرابع دمشق: ٧٢/٣].

وقال محمد بن جبير بن مطعم: كانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة، وبناء الكعبة بعد عكاظ بعشر سنين، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة [الرابع دمشق: ٧٤/٣].

وروى الحافظ البيهقي [اللائل البرة: ٧٨/١] من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني: حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقيت ابن أشيم الكعبي ثم الليثي: يا قيات أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسن منه. ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل عيلاً أعقله. وتبني رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة. وقال يعقوب بن سفيان [اللعرة والرابع: ٢٥٣/٣]: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا نعيم يعني ابن مسيرة، عن بعضهم عن سويد بن غفلة أنه قال: أنسا ليلدة رسول الله ﷺ ولدت عام الفيل.

قال البيهقي [اللائل: ٧٩/١] وقد روي عن سويد بن غفلة أنه قال: أنا أصغر من رسول الله ﷺ بستين.

قال يعقوب بن سفيان [اللعرة والرابع: ٢٥١/٣] حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان التوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم. قال: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل، وكانت بعده عكاظ بخمس عشرة سنة، وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وتبني رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة من الفيل.

والمقصود أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل على قول الجمهور فقيل: بعده بشهر، وقيل: بأربعين يوماً، وقيل: بخمسين يوماً، وهو أشهر.

وعن أبي جعفر الباقر: كان قدوم الفيل للنصف من المحرم، ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة [الرابع دمشق: ٧٥/٣].

وقال آخرون: بل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله ﷺ بعشر سنين. قاله ابن أزي [الرابع دمشق: ٧٦/٣].

وقيل: بثلاث وعشرين سنة رواه شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده كما تقدم [الرابع دمشق: ٦٦/٣].

وقيل: بعد الفيل بثلاثين سنة. قاله موسى بن عقبة عن الزهري رحمه الله [اللائل البيهقي: ٧٨/١].

واختاره موسى بن عقبة أيضاً رحمه الله [الرابع دمشق: ٧٦/٣]. وقال أبو زكريا العجلاني: بعد الفيل بأربعين عاماً، رواه ابن عساكر [الرابع دمشق: ٧٦/٣] وهذا غريب جداً.

وأغرب منه ما قال خليفة بن خياط [الرابع خليفة بن خياط: ١١/١]: حدثني شعيب بن حيان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن الكلبي عن أبي

عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم.

وقيل لسبع عشرة خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة. وقيل لثمان بقرين منه نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع ابن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه. والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت.

والقول الثاني أنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر [الاستيعاب: ٣٠/١] عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جداً وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم.

وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد كردوس الواسطي عن الملعلي بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول وانزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وانزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول، وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول.

وهذا غريب جداً رواه ابن عساكر [الرابع دمشق: ٦٨/٣]. قال الزبير بن بكار: حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى. وولد مكة بالدار المعروفة لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان [الاستيعاب: ٣٠/١].

ورواه الحافظ ابن عساكر [الرابع دمشق: ٦٦/٣] من طريق محمد بن عثمان عن عقبة بن مكرم عن المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال: حمل برسول الله ﷺ في يوم عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل.

وذكر غيره أن الحيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت أمرت ببناء هذه الدار مسجداً [الرابع الطبري: ١٥٦/٢]. فهو يعرف بها اليوم.

وذكر السهيلي [الروض الأنف: ١٥٩/٢] أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان.

وهذا أعدل الأزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج. وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدي وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء. وكان موافقاً من البروج الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل نقله كله ابن دحية والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٥٨/١]: وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل وهذا هو المشهور عند الجمهور.

قال إبراهيم بن المنذر الحزامي: وهو الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل. وقد رواه البيهقي [اللائل: ٧٥/١] من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٥٩/١]: حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن غرمة عن أبيه عن جده قيس بن غرمة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كنا لذين. قال: ومال عثمان رضي الله عنه

بن السائب الكلي عن أبيه وعن عوانة بن الحكم. قالوا: توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرين شهراً ويقال: سبعة أشهر.

وقال محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ١٠٠/١]: والأول أثبت أنه توفي ورسول الله ﷺ حل.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن حسن عن عبد السلام عن ابن خريز: قال: توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين، ومات جده وهو ابن ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب [تاريخ دمشق: ٧٨/٣].

والذي رجحه الواقدي وكتابه الحافظ محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ٩٩/١، ١٠٠] أنه عليه الصلاة والسلام توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه وهذا يبلغ اليم وأعلى مراتبه.

وقد تقدم في الحديث: «وروي أمني التي رأت حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام».

وقال محمد بن إسحاق [السيرة: ٢٢] فكانت أمة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أتت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولني: أعينه الواحد، من شر كل حاسد، في كل بر عامد وكل عبد رائد، نزول غير زائد، فإنه عبد الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد. وآية ذلك أنه يخرج معه نور مبعلاً فصور بصري من أرض الشام، فإذا وقع فسمي محمداً. فإن اسمه في التوراة أحمد بمحمد أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الإنجيل أحمد بمحمد أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد. وهذا وذاك يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام. ثم لما وضعت رأت عينا تأويل ذلك كما رآه قبل ذلك في المنام والله أعلم.

وقال محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ١٠١/١، ١٠٢]: أنبأنا محمد بن عمر، هو الواقدي، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري. قال الواقدي: وحدثنا موسى بن عبيدة عن أخيه ومحمد بن كعب القرظي ح وحدثني عبد الله بن جعفر الزهري عن عمته أم بكر بنت المسور عن أبيها. ح وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المنني وزيد بن حشر عن أبي جزة ح. وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح. وحدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أن أمة بنت وهب قالت: لقد عقلت به - تعني رسول الله ﷺ - فما وجدت له مشقة حتى وضعت، فلما فصل مني خرج معه نور أضاع له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم: وقع جاثياً على ركبتيه، وخرج معه نور أضاعت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعتاق الإبل يبصرى، رافعاً رأسه إلى السماء.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [اللائل: ١١٠/١، ١١١] أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن إسحاق حدثنا أبو بشر مبشر بن الحسن حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه عن ابن أبي سويد الثقفي عن عثمان بن أبي العاص حدثني أمي أنها شهدت ولادة أمة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولده، قالت: فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول:

صالح عن ابن عباس، قال: ولد رسول الله ﷺ قبل الفيل بمئتي عشرة سنة.

وهذا حديث غريب ومكرر وضعيف أيضاً.

قال خليفة بن خياط: [تاريخ خليفة بن خياط: ١٠١/١]: والجمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل.

٣- صفة مولده الشريف ﷺ

قد تقدم أن عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المائة عن ولده عبد الله حين كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قدر في الأزل من ظهور النبي الأمي ﷺ خاتم الرسل وسيد ولد آدم من صلبه، فذهب كما تقدم فزوجه اشرف عقيلة في قريش أمة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية، فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله ﷺ، وقد كانت أم قتال رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجامع أمة من النور، فودت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ، وأنه قد أرف زمانه فعرضت نفسها عليه.

قال بعضهم: ليتزوجها وهو أظهر والله أعلم فامتعت عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى أمة بمواقته إياها كأنه تندم على ما كانت عرضت عليه. فعرض لما لتعاوده. فقالت: لا حاجة في فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأشدت في ذلك ما قلناه من الشعر الفصيح البليغ. وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله ﷺ فإنه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وقد تقدم الحديث المروي من طريق جيد أنه قال عليه الصلاة والسلام: «فولدت من تكاح لا من سفاح» [تفسير عبد الرزاق: ٢٩١/١]. والمقصود أن أمه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حل في بطن أمه على المشهور.

قال محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ٩٩/١]: حدثنا محمد بن عمر، هو الواقدي، حدثنا موسى بن عبيدة الراسبي، عن محمد بن كعب وحدثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صمعة. قالوا: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في غير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض، فقال: اتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسلمهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض.

فيبت إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث. فوجده قد توفي ودفن في دار النابتة فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبد المطلب وأخوته وأخواته وجداً شديداً، ورسول الله ﷺ يومئذ حل. ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وستة عندنا [طبقات ابن سعد: ٩٩/١].

قال الواقدي: وحدثني معمر عن الزهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يختار لهم تمراً فمات [طبقات ابن سعد: ٩٩/١].

قال محمد بن سعد [طبقات ابن سعد: ١٠٠/١]: وقد أنبأنا هشام بن محمد

ليقمن علي:

وذكر القاضي عياض [الشفا: ٥١٩/١] عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابله وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل سمعت قائلاً يقول: يرحمك الله، وأنه سقط منه نور رُئيت منه قصور الروم.

قال محمد بن إسحاق [السيرة: ٢٢]: فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريته - وقد هلك أبوه وهي حبلى - ويقال: إن عبد الله هلك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً فإله أعلم أي ذلك كان - فقالت: قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه، فلما جاءه أخبرته وحديثه بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه. فأخذه عبد المطلب فدخله على هبل في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعو ويشكر الله عز وجل ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأركان
قد ساد في المهد على العلمان
أعينه بالله في الأركان
حتى يكون بلغته الفتيان
حتى أراه بالغ الفتيان
من حاسد مضطرب العنان
أعينه من كل ذي شأن
حتى أراه واقف اللسان
ذي هيئة ليس له عيان
أنت الذي سميت في الفرقان
في كعب ثابتة المثاني
أحمد مكتوباً على اللسان

وقال البيهقي [الذيل: ١١٤/١]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الداريجري - بمرو - حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة البخاري حدثنا يونس بن عطاء عن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي - بمصر - حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. قال: ولد رسول الله ﷺ غتونا مسروراً، قال: فأعجب جده عبد المطلب وحظي عنده. وقال: ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن. وهذا الحديث في صحته نظر.

وقد رواه الحافظ ابن عساكر [البرق: دمشق: ٤١٣/٣] من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن بن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «من كرامني على الله أني ولدت غتونا ولم ير سواي أحد».

ثم أورده [البرق: دمشق: ٤١٤/٣] من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به. ثم أورده [البرق: دمشق: ٤١٤/٣] من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو البخاري - حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي حدثنا موسى بن أبي موسى القنسي حدثني خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر. قال: ولد رسول الله ﷺ مسروراً غتونا.

وقال أبو نعيم [الذيل: لا يه: ٩٢]: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي حدثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي حدثنا سليمان بن سلمة البخاري حدثنا يونس بن عطاء حدثنا الحكم بن أبان حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس. قال: ولد رسول الله ﷺ غتونا مسروراً، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وحظي عنده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن، فكان له شأن.

وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه

متواتر وفي هذا كله نظر.

ومعنى غتونا أي مقطوع الختان، ومسروراً أي مقطوع السرة من بطن أمه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر [البرق: دمشق: ٤١٠/٣] من طريق عبد الرحمن بن عتبة البصري حدثنا علي بن محمد المدائني السلمي حدثنا سلمة بن محارب بن سلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكر: أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهر قلبه. وهذا غريب جداً. وقد روي زياد المعاد لابن هبم: ٨١/١، ٨٢] أن جده عبد المطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها والله أعلم.

وقال البيهقي [الذيل: ١١٣/١]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أحمد بن كامل القاضي - شافعاً - أن محمد بن إسماعيل حدثه - يعني السلمي - حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن أبي الحكم الترخي. قال: كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح فكفان عليه برمة، فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفان عليه برمة، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باتتین ووجدنه مفتوح العينين شاخصاً يبصره إلى السماء. فاتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولوداً مثله وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً يبصره إلى السماء. فقال: احفظنه برمة، فإني أرجو أن يكون له شأن، أو أن يصيب خيراً، فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب أرايت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميت؟ قال سميت محمدًا، قالوا: فلم رغبت به عن أسماء أهل بيتك؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلفه في الأرض قال أهل اللغة: كل جامع لصفات الخير يسمى محمدًا كما قال بعضهم:

إليك آيت اللعن أصلت ناتي إلى الماحد القرم الكريم الحمد
وقال بعض العلماء: المهمم الله عز وجل أن سموه محمدًا لما فيه من الصفات الحميدة ليلقي الاسم والفعل، ويتطابق الاسم والمسمى في الصورة والمعنى، كما قال عنه أبو طالب ويروي لحسان:

وشئ له من اسمه ليجله فلو العرش محمود وهذا محمد
وسنذكر أسماءه عليه الصلاة والسلام وشماله وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي [الذيل: ٤١٧/٢]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن شيبان الرملي حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبي حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثري عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دينك أمانة لتبوتك، وأنتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهني عن البكاء، وأسمع وجهه حين يسجد تحت العرش». ثم قال: تفرد به الحلبي وهو مجهول.

٤- ما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ

قد ذكرنا في باب هواتف الجنان ما تقدم من خرور كثير من الأصنام ليلئذ لوجوها وسقوطها من أماكنها، وما رآه التجاشي ملك الحيشة، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصور الشام حين ولد، وما كان من

النضر بن سلمة حدثنا إسماعيل بن قيس بن سليمان بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول: كان أجبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي ﷺ فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي وأنه لا نبي بعده، واسمه أحمد ومهاجره إلى يثرب فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسبوا وكفروا.

وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه [دلائل النبوة (٣٥)، ٣٦، ٣٩] من طرق أخرى والله الحمد.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا وهب بن بقة حدثنا خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد، قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: قال لي جبر من أجبار الشام: قد خرج في بلدك نبي، أو هو خاراج، قد خرج نجمه فأرجع فضدقه واتبعه.

٥ - ذكر ارتجاس إيوان كسرى وسقوط

الشرفات وحود النيران ورؤيا المويذان

وغير ذلك من الدلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخراطمي في كتاب «مؤلف الجان» [رواه الطبري في تاريخه: ١٦٦/٢ - ١٦٨، واليهقي في الدلائل: ١٢٩/١ - ١٢٩] حدثنا علي بن حرب حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جبر بن عبد الله البجلي - حدثني غزوم بن هاني المخزومي عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومائة سنة - قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخدنت نار فارس، ولم تحمد قبل ذلك بالف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى المويذان إيلاً صعباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفرعه ذلك فتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى أنه لا بدخ ذلك عن مرأته فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده، قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يجزينا الملك، فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بمحمود النيران فازداد غمّاً إلى غمه، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله، فقال المويذان: وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيت في هذه الليلة رؤياً ثم قصص عليه رؤياه في الإبل، فقال: أي شيء يكون هذا يا مويذان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب - وكان أعلمهم من أنفسهم - فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر: أما بعد: فوجه إليّ برجل عالم يا أريد أن أسأله عنه، فوجه إليه بعد المسيح بن عمرو بن حيان بن بيلة الغساني، فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: ليخبرني أو ليسألني الملك عما أحب، فإن كان عندي منه علم أخبرته وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذي وجه به إليه فيه. قال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له: سطحي قال: فأتته فأسأله عما سألتك عنه ثم أتني بتفسيره.

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطحي وقد أشفى على الضرب. فسلم عليه وكلمه فلم يرد إليه سطحي جواباً فأتاه يقول: أصمُّ أم يسمع غطريف اليمس - أم فساد فسادكم به شأواً التسن - يا فاصل الحطة أعيت من ومن وكائيف الكربة عن وجه غصن

سقوطه جاثياً رافعاً رأسه إلى السماء، وانفلاق تلك البرمة عن وجهه الكريم، وما شوهه من النور في المنزل الذي ولد فيه ودنو النجوم منهم وغير ذلك.

حكى السهيلي [الروض: ١٤٩/٢] عن «تفسير» بقي بن مخلد الحافظ: أن إبليس رن أربع رنات: حين لعن، وحين أهبط، وحين ولد رسول الله ﷺ، وحين أنزلت الفاتحة.

قال محمد بن إسحاق: وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من قريش: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم: والله ما نعلمه فقال: الله أكبر، أما إذا أخطاكم فلا بأس أنظروا واحفظوا ما أقول لكم: ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس. لا يرضع لبتين وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع.

فتصدع القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل إنسان منهم أهله فقالوا: قد والله ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً فالتقى القوم فقالوا: هل سمعتم حديث اليهودي؟ وهل بلغكم مولد هذا الغلام؟ فانتقلقوا حتى جاؤوا اليهودي فأخبروه الخبر. قال: فاذهبوا معي حتى أنظر إليه. فخرجوا به حتى أدخلوه على أمة فقال: أخرجني إني ابنك فأخرجته وكشفوا له عين ظهره. فرأى تلك الشامة. فوقع اليهودي مغشياً عليه. فلما أفاق قالوا له: ما لك ويلك؟ قال: ذبحت والله النبوة من بني إسرائيل، أفرحت به يا معشر قريش. أما والله ليسيطن بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٥٩/١] حدثني صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زروة قال: حدثني من شئت من رجال قومي عن لا أنهم عن حسان بن ثابت. قال: إني لغلام يفة ابن سبع سنين - أو ثمان سنين - أعقل ما رأيت وسمعت إذا يهودي ييثر يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحد الذي يولد به في هذه الليلة.

وروى الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» (٤٠) من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري عن سليمان بن سحيم وربيح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال: سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت نبي عبد الأشهل يوماً لأحدث فيهم ولحن يومئذ في هلنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: اطل خروج نبي يقال له: أحمد يخرج من الحرم. فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي، كالستهزئ به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل في عينه حمرة بلبس الثملة ويركب الحمار سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة. قال: فرجعت إلى قومي بني خلدرة وأنا يومئذ أتعجب عما يقول يوشع فاسمع رجلاً منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟ كل يهود يثرب يقولون هذا. قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعاً فتذكروا النبي ﷺ فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي وظهوره ولم يبق أحد إلا أحد وهذا مهاجرة. قال أبو سعيد: فلما قدم النبي ﷺ أخبره أبي هذا الخبر فقال رسول الله ﷺ: «لو أسلم الزبير ونووه من رؤساء اليهود إنما هم له تبع».

وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد حدثنا إبراهيم بن السدي حدثنا

وروي عن ابن عباس أنه قال: لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطحيًا إنما كان لحماً على وضم ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه وعينه وكفيه وكان يطوى الثوب من رجله إلى عنقه. ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه.

وقال غيره: إنه كان إذا غضب انتفخ وجلس.

ثم ذكر ابن عباس أنه قدم مكة فلقاه جماعة من رؤسائها منهم عبد شمس وعبد مناف أبناء قصي فامتحنوه في أشياء فاجابهم فيها بالصدق، فسألوه عما يكون في آخر الزمان، فقال: خذوا مني ومن إمام الله إياي: أنتم الآن يا معشر العرب في زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر العجم، لا علم عندكم ولا فهم، ونشأ من عبيكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم، ويتبعون الردم، ويقتلون العجم، ويطلبون الفهم.

ثم قال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد ليخرجن من ذا البلد، نبي مهتد، يهدي إلى الرشاد، يرفض يغوث والفند، يبرأ عن عبادة الضلعد، يعبد رباً انفراد، ثم يتوفاه الله بخير دار محموداً، من الأرض مفقوداً، وفي السماء مشهوداً، ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صلوك، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الخفيف، مجرب غطريف، قد أضاف المضيف، وأحكم التحنيف.

ثم ذكر عثمان ومقتله وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس. وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله.

وقد قلنا قوله لربيع بن نصر ملك اليمن حين أخبره برؤياه قبل أن يخبره بها ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتشير الدول حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن فقال له: أفيدوم ذلك من سلطانه أم يقطع؟ قال: بل يقطع قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال: ومن هذا النبي؟ قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون ويشتقي فيه المسيئون قال: أحق ما تخبرني؟ قال: نعم والشقق والغسق والقمر إذا اتسق إن ما أنباتك عليه حق. وواقفه على ذلك شق سواء بسواء بعبارة أخرى كما تقدم. ومن شعر سطحي قوله:

عليكم بتقوى الله في السر والجهر ولا تلبسوا صئق الأمانة بالفتن
وكونوا لجار الجنب جحناً وجنة إذا ما قرئت النابات من الدهر

وروي ذلك الحافظ ابن عساكر ثم أورد ذلك المعاني بن زكريا الجريزي فقال: وأخبار سطحي كثيرة وقد جمعها غير واحد من أهل العلم. والمشهور أنه كان كاهناً وقد أخبر عن النبي ﷺ وعن نعته ومبعثه. وروي لنا بإسناد الله به أعلم أن النبي ﷺ سئل عن سطحي فقال: فني ضيعه قومه.

قلت: أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلاً. ويروى مثله في خبر خالد بن سنان العيسبي ولا يصح أيضاً وظاهر هذه العبارات تدل على علم جيد لسطحي وفيها روائح التصديق لكنه لم يدرك الإسلام كما قال الجريزي. فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنه قال لابن أخته: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظاهر صاحب المراءة، وفاض وادي السماء وغاضت بحيرة ساوة، وخدنت نار فارس، فليس الشام لسطحي شاماً يملك منهم ملوك وملكات، على عدد

وأشبه من آل ذنب بن حجن
أيضاً فضفاض الرداء والبند
لا يرمب الرعد ولا رب الزمن
ترفعني وجناً وتهوي بسي وجن
تلقه في الریح بوغاء الدنن
كأنما حجت من جحشي تكن

قال: فلما سمع سطحي شعره رفع رأسه يقول: عبد المسيح، على جمل مشيح، إلى سطحي وقد أوفى على الصريح، بعثك ملك بني ساسان، لارنجاس الإيوان، وخود النيران، ورويا الموزنان، رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظاهر صاحب المراءة، وفاض وادي السماء، وغاضت بحيرة ساوة، وخدنت نار فارس، فليس الشام لسطحي شاماً. يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات وكلما هو آت أت. ثم قضى سطحي مكانه فهض عبد المسيح إلى راحته وهو يقول:

شمر فليكن ضاعي العزم شمير لا يفرغ عنك تفريق وتغيير
إن يمس ملك بني ساسان أفرطهم فلن ذا الدهر أطوار دهارير
فرما ربما اضحوا بمنزلة يخاف صولهم الأكدم المهابير
منهم انحسو الصرح بهرام وإخوته والمرزبان وسابور وسابور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد اقل فمحفوظ ومهجور
ورب قوم لهم صحيان ذي أذن بدت تلهمهم فيه الزامير
وهم بنو الأم إسا إن رلوا نكبا فلنك بالفتير عفوطة ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

قال: فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطحي، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كتكت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافه عثمان رضي الله عنه.

ورواه البيهقي [دلائل النبوة: ١٢٦/١ - ١٢٩] من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه.

قلت: كان آخر ملوكهم - الذي سلب منه الملك - يزدجرد بن شهريار بن أبريز بن هرمز بن أنوشروان وهو الذي انشق الإيوان في زمانه. وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستون سنة. وكان أول ملوكهم خيومت بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح.

أما سطحي هذا فقال الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»: هو الربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذنب بن عدي بن مازن بن الأزد. ويقال: الربيع بن مسعود وأمه دحيا بنت سعد بن الحارث الحمجوري وذكر غير ذلك في نسبه.

قال: وكان يسكن الجابية ثم روى عن أبي حاتم السجستاني قال: سمعت المشيخة منهم أبو عبيدة وغيره قالوا: وكان من بعد لقمان بن عاد. ولد في زمن سيل العرم وعاش إلى ملك ذي نواس وذلك نحو من ثلاثين قرناً وكان مسكنه البحرين وزعمت عبد القيس أنه منهم وترغم الأزد أنه منهم وأكثر المحدثين يقولون: هو من الأزد ولا ندري عن هو غير أن ولده يقولون: إنه من الأزد.

فما يدريك أنه ابني ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره؟ قال: قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله ليشبه علمه على العلماء فإنه حجة. وآية ذلك أنه الآن وجع فيشكي أياماً ثلاثة، يظهر به الجوع ثلاثاً ثم يمضي. فاحفظ لسانك فإنه لم يحسد أحد حسده قط ولم يبع على أحد كما يبني عليه. إن تعش حتى يبدو مقاله ثم يدعوا لظهور لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبر وعلى ذلك فاحفظ لسانك ودار عنه قال: فما عمره؟ قال: إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين، يموت في وتر دونها من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جل أمته. قال: وحمل برسول الله ﷺ في عاشوراء الحرم. وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب القيل (تاريخ دمشق: ٤٢٦/٣، ٤٢٧) هكذا رواه أبو نعيم وفيه غرابة.

٦- ذكر حواضنه ومراضه ﷺ

كانت أم إيمان واسمها بركة تحضنه، وكان قد ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه فلما كبر اعتمها وزوجها مولاه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم. وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاه عمه أبي لهب ثوبة قبل حليلة السعدية.

أخرج البخاري (٥١٠١، ٥١٠٧، ٥١٧٢) ومسلم (١٤٤٩) في «صحيحهما» من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان أنها قالت: يا رسول الله انكح אחتي بنت أبي سفيان - ولسلم: عزة بنت أبي سفيان - فقال رسول الله ﷺ: «أو تحبين ذلك؟» قلت: نعم! لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير אחتي. فقال النبي ﷺ: «فإن ذلك لا يجل لي!» قالت: فإنا نخدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة - وفي رواية: درة بنت أبي سلمة - قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم! قال «إنها لو لم تكن ربييتي في حجرني ما حلت لي. إنها لآنة אחي من الرضاعة أرضعتني وأبأ سلمة ثوبة. فلا تعرضن علي بتاتكن ولا أخواتكن» زاد البخاري: قال عروة: وثوبة مولاة لأخي لهب وكان أبو لهب اعتمها فأرضعت رسول الله ﷺ فلما مات أبو لهب أراه بعض أهله بشر حية. فقال له: ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب: لم ألق بدمك خيراً غير أنني سقيت في هذه بتافتي ثوبة. وأشار إلى الفقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع.

وذكر السهيلي وغيره: أن الراثي له هو أخوه العباس. وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر. وفيه أن أبا لهب قال للعباس: إنه ليخيف علي في مثل يوم الاثنين. قالوا: لأنه لما بشرته ثوبة بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله اعتمها من ساعته فجوزي بذلك لذلك.

٧- ذكر رضاعه ﷺ من حليلة السعدية

قال محمد بن إسحاق (السيرة: ٢٥): واسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعه - يعني زوج حليلة - الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن. وإخوته عليه الصلاة والسلام -

الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطحي مكانه. وكان ذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بشهر - أو شئعة - أي: أقل منه - وكانت وفاته بأطراف الشام بما يلي أرض العراق. فإله أعلم بأمره وما صار إليه. وذكر ابن طرار الجريري أنه عاش سبعاً وستة. وقال غيره: خمساً وستة، وقيل: ثلاثاً وستة فإله أعلم.

وقد روى ابن عساکر أن ملكاً سأل سطحي عن نسب غلام اختلف فيه فأخبره على الجلية في كلام طويل مليح فصيح. فقال له الملك: يا سطحي ألا تخبرني عن علمك هذا؟ فقال: إن علمي هذا ليس مني ولا غمّرس ولا بطن ولكن أخذته عن أخ لي جنتي قد سمع الوحي بطور سيناء. فقال له: أرايت أخاك هذا الجني أمو معك لا يفارقك؟ فقال: إنه ليزول حيث أزلو، ولا أنطق إلا بما يقول.

وتقدم أنه ولد هو وشق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن بسر بن عتبة الكاهن الآخر ولدا في يوم واحد، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميرية فقُلت في أنواعهما فورثا منها الكهانة وماتت سن يومها. وكان نصف إنسان ويقال: إن خالد بن عبد الله القسري من سلالته، وقد مات شق قبل سطحي بدهر.

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقلبة الفسائي النصراني فكان من المعمرين وقد ترجمه الحافظ ابن عساکر في «تاريخه» وقال: هو الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة وذكر له معه قصة طويلة وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يصبه سوء لأنه لما أخذه قال: بسم الله وبالله رب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه أدنى. ثم أكله فعلقه غشياً فضرب بيديه على صدره ثم عرق وأفاق ﷺ وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا المسيب بن شريك حدثنا محمد بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده. قال: كان يمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصاً من أهل الشام وكان متخفراً بالعاص بن وائل وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورقق وعلم. وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول:

إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك المعجم هذا زمانه ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته وتالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ولا حلت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه وكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه فيقول: ما جاء بعد. فيقال له: فصفه فيقول: لا. ويكتم ذلك للذي قد علم أنه لاق من قومه مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يكون إليه من الأدنى يوماً.

ولما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاً فوقف في أصل صومعته ثم نادى: يا عيصا. فتأناه: من هنا؟ فقال: أنا عبد الله فأشرف عليه فقال: كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبحث يوم الاثنين وموت يوم الاثنين قال: فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود. قال: فما سميت؟ قال: محمداً قال: والله لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت ثلاث خصال بها نعرفه منها: أن نمجه طلع البارحة وأنه ولد اليوم وأن اسمه محمد. انطلق إليه فإن الذي كنت أحدثكم عنه ابنك. قال:

نشئت نحوه فتجده قائماً متمتعاً لونه. فاعتقه أبوه وقال: يا بني ما شأنك؟ قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان» فرجعنا به معنا فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقني بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف. قالت حليمة: فاحتلمناه فلم ترع أمه إلا به. فقدمنا به عليها فقالت: ما ردكم به فقد كتمنا عليه حريصين؟ قلنا: لا والله ياظنر إلا أن الله قد أدى عنا وقضيته الذي علينا وقلنا: نخشي الإثلاف والأحداث نرده إلى أهله. فقالت: ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما؟ فلم تدعنا حتى أخبرتنا خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبل. والله إنه لكانن لابني هذا شأن إلا أخبركما خبره؟ قلنا: بلى. قالت:

حملت به فما حملت حملاً قط أخف منه فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكم.

وهذا الحديث قد روي من طرق آخر وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.

وقال الواقدي: حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: خرجت حليمة تطلب النبي ﷺ وقد وجدت البهم ثقيل فوجدته مع أخته فقالت: في هذا الحمار! فقالت أخته: يا أمه ما وجد أخني حراً. رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف ووقت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع (الطهطا لابن سعد: ١٥٢/١).

وقال ابن إسحاق (السيرة: ٢٨): حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك. قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام، ورات أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا في بهم لنا أثنائي رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوءة تلجأ فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا فآخرجاه منه علقه سوداء فآلقياها. ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بمشروء من أمته فوزني بمشروء فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته فوزني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمة لوزنتهم».

وهذا إسناده جيد قوي.

وقد روى أبو نعيم الحافظ في «الدلائل» وأخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق: (٤٦٩/٣ - ٤٧٣) من طريق عمر بن الصبح وهو أبو نعيم عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس.

هذه القصة مطولة جداً ولكن عمر بن صبح هذا متروك كذاب متهم بالوضع. فلها لم نذكر لفظ الحديث إلا لا يفرح به.

ثم قال: وحدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن نضر حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقة بن الوليد عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد أنه حدثه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضيتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فالتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما

يعني من الرضاعة - عبد الله بن الحارث وأبينة بنت الحارث وحذافة بنت الحارث وهي الشيماء وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم.

قال ابن إسحاق (السيرة: ٢٦ - ٢٨): حدثني جهم بن أبي جهم مولى لامرأة من بني تميم كانت عند الحارث بن حاطب، وكان يقال له: مولى الحارث بن حاطب. قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: حدثت عن حليمة ابنة الحارث أنها قالت: قلت مكة في نسوة وذكر الواقدي (الطهطا لابن سعد: ١١٠/١، ١١١) بإسناده أنهم كن عشرة نسوة من بني سعد بن بكر يلتصقن بها الرضاعة من بني سعد تلتصقن بها الرضاعة وفي سنة شهباء فقدمت على أثنان في قمرها كانت أذنت بالركب ومعني صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة. وما ننام ليلتنا ذلك أجمع مع صبيتنا ذلك ما نجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغنيه. ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أثنائي تلك فلقد أذنت بالركب حتى شق ذلك عليهن ضعفاً وعجزاً.

فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فقباه إذا قيل: إنه يتم تركناه وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعزوف من أبي الولد فأما أمه فإذا عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً غري. فلما لم نجد غيره واجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معني رضيع. لأطلقن إلى ذلك اليوم فلاخنته. فقال: لا عليك أن تفعلني فمضى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

فذهبت فأخذته فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره، فما هو إلا أن أخذته فنجت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن. فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي. وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا. فبينما نخرج ليلته فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة. ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه. فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً.

ثم خرجنا واجعين إلى بلادنا فوالله لقطعت أثنائي بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى أن صواحي ليقنن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أثنائك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لي فيقتلن والله إن لها لشأناً. حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها فإن كانت غنمي تسرح ثم تروح شيباعاً لبناً فتحلب ما شئتنا وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وإن اغنامهم لتروح جيعاً حتى إنهم ليقولون لرعاتهم - أو لرعيانهم - ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم. فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيربحون اغنامهم جيعاً ما فيها قطرة لبن وتروح اغنامي شيباعاً لبناً لحلب ما شئتنا.

فلم يزل الله يرينا البركة وتعرفها حتى بلغ ستية فكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان. فوالله ما بلغ الستين حتى كان غلاماً جفراً فقدمنا به على أمه ونحن أضن شيء به بما رأينا فيه من البركة. فلما رآه أمه قلنا لها: ياظنر دعينا نرجع بابتنا هذه السنة الأخرى فإنا نخشى عليه وباء مكة. فوالله ما زلنا بها حتى قالت: فنعيم.

فسرحته معنا فاقمتا به شهرين أو ثلاثة فيينا هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاء أخوه ذلك يشتد فقال: ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعهما فشقا بطنه. فخرجت أنا وأبوه

وفي الصحيحين (ج ٧٥١٧، م ١١٦٢) عن طريق شريك بن أبي نمر عن أنس.

وعن الزهري عن أنس عن أبي ذر (ج ٣٤٩، ١٦٣٦، ٣٣٤٢، م ١١٦٣).

وقد عرفت عن أنس عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في حديث الإسراء (ج ٣٢٠٧، ٣٨٨٧، م ١١٦٤).

كما سيأتي قصة شرح الصدر ليلته وأنه غسل بماء زمزم، ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين مرة وهو صغير ومرة ليلة الإسراء ليذهب للوفود إلى الملا الأعلى ولما جاعة الرب عز وجل والمثلوث بين يديه تبارك وتعالى.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٧/١): وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «أنا أهرىكم، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر». وذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٧/١): أن حليمة لما أُرجمته إلى أمه بعد فطامه مرت به على ركب من النصارى فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام فقبلوه وقالوا إنا سنذهب بهذا الغلام إلى ملكنا فإنه كان له شأن فلم تكذب تغفلت منهم إلا بعد جهد. وذكر أنها لما رده حين تحرفت عليه أن يكون أصابه عارض، فلما قربت من مكة افتقدته فلم تجد له فجاء جده عبد المطلب فخرج هو وجماعة في طلبه، فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فأتيا به جده، فانذهبه على عاتقه وذهب فطاف به يعوده ويدعو له ثم رده إلى أمة أمته.

وذكر الأموي من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي - وهو ضعيف - عن الزهري عن سعيد بن المسيب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ورضاعه من حليمة على غير سياق محمد بن إسحاق. وذكر أن عبد المطلب أمر ابنه عبد الله أن ياتخذه يطفوف به في أحياء العرب ليتخذ له مرضعة فطاف حتى استاجر حليمة على رضاعه وذكر أنه أقام عندهما ست سنين تزيره جده في كل عام فلما كان من شق صدره عندهما ما كان رده إليهم فاقام عند أمه حتى كان عمره ثمانين سنين ماتت فكنهه جده عبد المطلب فمات وله عليه الصلاة والسلام عشر سنين فكنهه عمه شقيقاً أبيه الزبير وأبو طالب، فلما كان له بضع عشرة سنة خرج مع عمه الزبير إلى اليمن. فلذكر أنهم راوا أمه آيات في تلك السفرة منها: أن فعلاً من الإبل كان قد قطع بعض الطريق في واد عمهم عليه فلما رأى رسول الله ﷺ برك حتى حك بكلكه الأرض فركبه عليه الصلاة والسلام. ومنها: أنه خاض بهم سيلاً عرمراً فألبسه الله تعالى له حتى جاوزوه ثم مات عمه الزبير وله أربع عشرة سنة فانفرد به أبو طالب.

والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ثم عادت على هوازن يكملهم فواصله حين أسرمهم بعد وقتهم، وذلك بعد فتح مكة بشهر. ففتوا إليه برضاعه فاعتقمهم وتحن عليهم وأحسن إليهم كما سيأتي مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام ٤٨٨/٣، ٤٨٩) في وقعة هوازن: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال: كنا مع رسول الله ﷺ عشرين فلما أصاب من أمهاتهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجرعانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامتن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله إن ما في الحظائر من السبائ خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، فلو أنا ملحن ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما

لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. فاقبلنا يتنتراني فأخذه في فبطحاني للفتا فشقا بطني ثم استخرجنا قلبي فشقا. فأخرجنا منه علقتين سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: اتني بماء تلج فغسلنا به جوفى ثم قال: اتني بماء بارد فغسلنا به قلبي ثم قال: اتني بالسكينة فغسلنا به قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه: خُصه فحاصه وختم على قلبي بخاتم النبوة. فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة، فإذا أنا أنظر إلى الألف فرتي أشفق أن يخرج علي بعضهم. فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم.

ثم انطلقا وتركانني وفرقت فرقة شديداً، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فاشفقت أن يكون قد تبس بي فقالت: أعليك بالله. فرحلت بغيراً لما وجعلتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي، فقالت: أدبت أماتي ودفعتي وحلثتها بالذي لقيت فلم يرعها. وقالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام (اللائل للهيتمي: ٧/٢، ٨). وتاريخ دمشق: ٦٤٤/٣ - ٦٦٦ من طريق ياقوت بن الوليد) ورواه أحمد (١٨٤/٤، ١٨٥) من حديث بقة بن الوليد به.

وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقة بن الوليد به.

وقد رواه ابن عساکر (تاريخ دمشق: ٤٦٠/٣، ٤٦١) من طريق أبي داود الطيالسي: حدثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي أخبرني عمر بن عروة بن الزبير. قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال: قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حين علمت ذلك واستيقنت أنك نبي؟ قال: «يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فزنه برجل فوزنت برجل فرجمته، وذكر ثمامه، وذكر شق صدره وخياطته وجعل الخاتم بين كتفيه قال: «فما هو إلا أن ولياً عني فكأنما أحيان الأمر معانيته».

ثم أورد ابن عساکر (تاريخ دمشق: ٤٦٢/٣ - ٤٦٤) عن أبي بن كعب بنحو ذلك. ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك (تاريخ دمشق: ٤٦٦/٣ - ٤٧٣). وثبت في «صحيح مسلم» (١١٦٢) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقه فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

وقد رواه ابن عساکر (تاريخ دمشق: ٤٦٠/٣) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن ثابت البناني عن أنس أن الصلاة فرضت بالمدينة، وأن ملكين أتيا رسول الله ﷺ فلذبا به إلى زمزم فشقا بطنه فأخرجوا حشوته في طست من ذهب فغسلوا بماء زمزم ثم كبسا جوفه حكمة وعلماً.

ومن طريق ابن وهب أيضاً (في تاريخ دمشق: ٤٦١/٣) عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس قال: أتني رسول الله ﷺ ثلاث ليال قال: خلدوا خيرهم وسيدهم، فأخذوا رسول الله ﷺ فعمد به إلى زمزم فشق جوفه ثم أتني بتور من ذهب فغسل جوفه ثم ملأ حكمة وإيماناً.

وثبت من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس (م ١١٦٢).

أمّة توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره ليأهمهم. فماتت وهي راجعة به إلى مكة. وذكر الواقدي بأسانيد له من طريق الواقفي أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١١٦/١ أن النبي ﷺ خرجت به أمه إلى المدينة ومعه أم أيمن وله ست سنين، فزارت أخواله.

قالت أم أيمن: فجماني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا لي: أخرجني إلينا أحمد ننظر إليه، فنظرا إليه وقتلاه فقال أحدهما لصاحبه: هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته، وسيكون بها من القتل والسبي أمر عظيم. فلما سمعت أمه خافت وانصرفت به، فماتت بالأبواء وهي راجعة. وقد قال الإمام أحمد (٣٥٦/٥، ٣٥٧): حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب بن جابر عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بوذان قال «مكانكم حتى أتاكم» فانطلق ثم جانا وهو سقيم، فقال: «إني أتيت قبر أم محمد فسالته ربي الشفاعة - يعني لها - فمعتنيها، وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام فكلوها وأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن الأشرية في هذه الأوعية فاشربوا فيما بدا لكم».

وقد رواه البيهقي (الدلائل: ١٨٩/١، ١٩٠) من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: انتهى النبي ﷺ إلى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله كثير، فجعل يرك رأسه كالخطاطب ثم بكى فاستقبله رضي الله عنه عمر فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «هذا قبر أمّة بنت وهب استأذنت ربي: أن أزور قبرها فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى علي، وأدركني رقتها فبكيت». قال: فما رأيت ساعة أكثر بأكيا من تلك الساعة. تابعه محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه.

ثم روى البيهقي (الدلائل: ١٨٩/١، ١٩٠) عن الحاكم عن الأصم عن بحر بن نصر عن عبد الله بن وهب حدثنا ابن جريج عن أيوب بن هاني عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود. قال: خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها، فناهجه طويلاً ثم ارتفع فحجب رسول الله ﷺ بأكبياً فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا فقلقه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ لقد أبكنا وأفزعنا. فجهأ فجلس إلينا فقال: «أفزعكم بكائي؟» قلنا نعم يا رسول الله فقال: «إن القبر الذي رأيتموني أتاجي فيه قبر أمّة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه، ونزل علي: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَرْغَبٍ وَهُوَ عَلِيمٌ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (البقرة: ١١٣ - ١١٤) فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني».

غريب ولم يخرجوه.

وروى مسلم (٩٧٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: «استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت».

وروى مسلم (٢٠٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد

مثل الذي أصابنا منك رجونا عائلتهما وعظمتها، وأنت خير المكفولين. ثم أنشد:

أمنن علينا رسول الله في كرمٍ فلذاك المرء نرجوه ونذخر
أمنن على يضيعة قد عاقها قنرٌ ممزقٌ شملها في دهرها غيرُ
أبقت لنا الدهر متافاً على حزنٍ على قلوبهم الغمأ والنمر
إن لم تداركها نغمأ تنشرها يا أرجح الناس جليماً حين يُختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من عضها دور
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يُرينك ما تأتي وما تذر
لا نجتنا كمن شالت نعامته واستبق منا فلما معشر رُفِر
إننا لنشكر للنعمى وإن كفرت وعنتنا بعد هذا اليوم مذخر

وقد رويت هذه القصة من طريق عبيد الله بن رماحس الكلبي الرملي عن زياد بن طارق الجشعي عن أبي صرد زهير بن جرو - وكان رئيس قومه - قال: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز بين الرجال والنساء وثبت حتى قعدت بين يديه وأسمعته شعراً، أذكره حين شب ونشأ في هوازن حيث أروضوه:

أمنن علينا رسول الله في دعة فلذاك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على يضيعة قد عاقها قنرٌ ممزقٌ شملها في دهرها غيرُ
أبقت لنا الحرب متافاً على حزنٍ على قلوبهم الغمأ والنمر
إن لم تداركها نغمأ تنشرها يا أرجح الناس جليماً حين يُختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من عضها الدور
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها وإذ يُرينك ما تأتي وما تذر
لا نجتنا كمن شالت نعامته واستبق منا فلما معشر رُفِر
إننا لنشكر للنعمى وإن كفرت وعنتنا بعد هذا اليوم مذخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر
إننا نؤمل عفواً منك تلبسه هني البرية إذ تمفو وتتصر
فاغفر عفا الله عما أنت رابيه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فقال رسول الله ﷺ: «أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لله ولكم» فقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ.

وسأني أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة، وأعطاهم أنعاماً وأناسي كثيراً. حتى قال أبو الحسن بن فارس: فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذٍ خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كله من بركة العاجلة في الدنيا، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة.

٨- رجوع النبي ﷺ إلى أمه

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٨/١): بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه أمّة بعد رضاعة حليلة له فكان رسول الله ﷺ مع أمه أمّة بنت وهب، وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه، بنّته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته فلما بلغ ست سنين توفيت أمه أمّة بنت وهب.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق: ٤٢، سيرة ابن هشام: ١٦٨/١): حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله ﷺ

٩- مقامه مع جدّه عبد المطلب ثم عمّه أبي طالب

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه أمة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بني إجلال له. قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه. فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري وحدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله. وحدثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن المنذر بن جهم. وحدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث. وحدثنا ابن أبي سبرة عن سليمان بن سحيم عن نافع عن ابن جبير - دخل حديث بعضهم في بعض - قالوا: كان رسول الله ﷺ يكون مع أمه أمة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جدّه عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة ما يرقها على ولده، وكان يقره منه ويذنيه ويدخل عليه إذا نام. وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك دعوا ابني إنه يؤسس ملكاً.

وقال قوم من بني مدليج لعبد المطلب: احتفظ به فإنا لن نر قلماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء! فكان أبو طالب يحفظ به. وقال عبد المطلب لأبى أيمن - وكانت تحضه -: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجلنته مع غلمان قريب من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة. وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول علي بابي فيؤتي به إليه.

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته ثم مات عبد المطلب ودفن بالحجون.

وقال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمان سنين هلك جدّه عبد المطلب بن هاشم. ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهن أن يرثينه. وهن: أروى وأمية، وبرة، وصفية، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء وذكر أشعارهن وما قلن في رثاء أبيهن وهو يسمع قبل موته وهذا أبلغ النوح. وسط القول في ذلك. وقد قال ابن هشام: ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر.

قال ابن إسحاق [السورة: ٤٧]: فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية بعده ابنه العباس، وهو من أحدث إخوته سناً فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ بعد جدّه عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. قال: فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه.

وقال الواقدي [خرجه ابن سعد في طاقته ١١٩/١، ١٢٠ عن الواقدي به]: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. وحدثنا معاذ بن محمد الأنصاري عن عطاء عن ابن عباس. وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حباً شديداً لا

بن سلعة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار! فلما قُتِيَ دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ١٩١/١، ١٩٢] من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين عن إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال إن أبي كان يصل الرحم، وكان، وكان، فأين هو؟ قال: في النار! قال فكان الأعرابي وجد من ذلك، فقال يا رسول الله أين أبوك؟ قال: حيثما مرتت بقبر كافر فبشره بالنار! قال فأسلم الأعرابي بعد ذلك. فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تبساً، ما مرتت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدثنا ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو. قال بينما نحن نمشي مع رسول الله ﷺ إذ بصر بامرأة لا يظن أنه عرفها، فلما توسط الطريق وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟» فقالت أتيت أهل هذا البيت فترجعت إليهم ميتهم وعزيتهم. قال: «لعلك بلغت معهم الكدوى» قالت معاذ الله أن أكون بلغتهم معهم وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر. قال: «لو بلغتهم معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك» ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث ربيعة بن سيف بن مانع المعافري الضمسي الإسكندردي وقد قال البخاري: عنده منكر. وقال النسائي: ليس به بأس وقال مرة: صدوق، وفي نسخة ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطئ كثيراً. وقال الدارقطني: صالح. وقال ابن يونس في تاريخ مصر: في حديثه منكرات توفي قريباً من ستة عشر ومائة، والمراد بالكدي القبور - وقيل النوح.

والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية خلافاً لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب على ما سيأتي في وفاة أبي طالب، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه دلائل النبوة: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وكفرهم لا يقدح في نسبة عليه الصلاة والسلام لأن أنكحة الكفار صحيحة. ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجلید العقد ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الإسلام وبالله التوفيق. انتهى كلامه.

قلت: وأخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسطناه سنناً ومتناً في تفسيرنا عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى تَبَيَّنَ رَسُولُكَ الْإِسْرَاءُ﴾ [١٥] فيكون منهم من يجب ومنهم من لا يجب. فيكون هؤلاء من جملة من لا يجب فلا منافاة والله الحمد والمنة.

وأما الحديث الذي ذكره السهيلي وذكر أن في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه، فأجابهما وأما به، فإنه حديث منكر جداً. وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى. لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم.

رسول الله ﷺ من بين القوم لحادثة سنة في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحري في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويعد عنه فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا: يا بحري ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدثنا سناً فتخلف في رحالتنا. قال: لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللوات والعزى إن كان للؤمأ بنا أن يتخلف محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيتنا. ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم.

فلما رآه بحري جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنه من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحري وقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرني عما أسألك عنه. وإما قال له بحري ذلك لأنه سمع قومه يملفون بهما. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألني باللات والعزى. فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما. فقال له بحري: فبالله إلا ما أخبرني عما أسألك عنه. فقال له: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيته وأمره. فجعل رسول الله ﷺ يخرجه. فوافق ذلك ما عند بحري من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني قال بحري: ما هو بابك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به قال: صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه يهود. فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليغته شراً، فإنه كان لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أتته مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق: ٥٥، سورة ابن هشام: ١٨٣/١): فزعموا - فيما روى الناس - أن زهيراً، وتعاماً، وديساً - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا رسول الله ﷺ مثلما رأى بحري في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردعه عنه بحري. فذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم أبجعموا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتكروه وانصرفوا عنه. وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق (السورة: ٥٥ - ٥٧) أن أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد. هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه.

وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي: حدثنا عباس بن محمد بن النوري حدثنا قراد أبو نوح حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش. فلما أشرافوا على الراهب - يعني بحري - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يهرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم قال: فنزل وهم يملون رحالهم. فجعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي ﷺ فقال: هذا سيد العالمين (طريق دمشق: ٦/٣، ٧).

وفي رواية البيهقي زيادة (اللائل: ٢٤/٢): هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرقت من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجدون إلا لني، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم

يحيه ولده، وكان لا ينأى إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه. وصب به أبو طالب صباة لم يصب مثلاً بشيء قط. وكان يخصه بالطعام وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرداً لم يشعروا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شعروا. فكان إذا أراد أن يذهبهم قال: كما أنتم حتى يأتي ابني. فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم وإن لم يكن معهم لم يشعروا فيقول أبو طالب: إنك لمبارك. وكان الصبيان يصبحون رمصاً شعناً ويصبح رسول الله ﷺ دهنياً كحيلاً.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمرو سمعت عطاء بن أبي رباح سمعت ابن عباس يقول: كان بنو أبي طالب يصبحون غصصاً رمصاً ويصبح رسول الله ﷺ صقيلاً دهنياً وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان صفحاتهم أول البكرة، فيجلسون ويتبهون ويكف رسول الله ﷺ يده لا يتبهم معهم. فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة (طريق دمشق: ٨٤/٣).

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٧٩/١، ١٨٠): حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من لب كان عاتفاً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويتأفف لهم فيهم. قال: فأتى أبو طالب برسول الله ﷺ وهو غلام مع من يأتيه قال: فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شيء. فلما فرغ قال: الغلام علي به. فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول: ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيته آنفاً فوالله ليكونن له شأن. قال وانطلق به أبو طالب.

١٠- قصته مع الراهب بحري

في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحري الراهب.

قال ابن إسحاق (السورة: ٥٣ - ٥٥، سورة ابن هشام: ١٨٠/١ - ١٨٣): ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام. فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله ﷺ - فيما يزعمون - فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقتي أبداً - أو كما قال - فخرج به معه. فلما نزل الركب بصري من أرض الشام وبها راهب يقال له: بحري في صومعة له. وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببصري وكانوا كثيراً ما يهرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام.

فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم. ثم أقبلوا فتلوا في ظل شجرة قريبا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها. فلما رأى ذلك بحري نزل من صومعته وقد أمر بطعام فصنع. ثم أرسل إليهم. فقال: إنني صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فإنا أحب أن نحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحرکم. فقال له رجل منهم: والله يا بحري إن لك لشأناً اليوم. ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم؟ قال له بحري: صدقت قد كان ما تقول ولكنكم غيبت وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا إليه وتخلف

للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرى. فقال لأبي طالب في السر ما قال. وأمره أن يحتفظ به فرده معه أبو طالب إلى مكة.

وكتب رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويعوطه من أمور الجاهلية ومعانيها لما يريد من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حِلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى. ما رُوي ملاحياً ولا ممارياً أحداً، حتى سماه قومه الأمين. لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة فكان أبو طالب يحفظه ويعوطه وينصره ويعضده حتى مات والطبقات لابن سعد: ١/١٢٠، ١٢١.

وقال محمد بن سعد والطبقات: ١/١٢٠: أخبرنا خالد بن خلدش حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي جهم أن عبد المطلب - أو أبا طالب شك خالد - قال: لما مات عبد الله عطف على محمد فكان لا يسافر سفيراً إلا كان معه فيه، وأنه توجه نحو الشام فتزلاً فتأه فيه راهب. فقال: إن فيكم رجلاً صالحاً ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال فقال: ها أنا ذا وليه - أو قيل: هنا وليه - قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تنزع به إلى الشام إن اليهود حسدوا وإنني أخشاهم عليه. قال: ما أنت تقول ذاك، ولكن الله يقول. فرده وقال: اللهم إني أستودعك محمداً ثم إنه مات. حكى السهيلي (الروض الألف: ٢٢٠/٢) عن سير الزهري أن بحيرى كان حبراً من أحبار يهود.

قلت: والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً والله أعلم. وعن السمعوني (مروج الذهب: ٨٩/١) أنه كان من عبد القيس وكان اسمه سرجس.

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة (ص: ٥٨): سمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة، بحيرى، ورتاب الشني والثلاث المتظفر. وكان الثالث المتظفر هو الرسول ﷺ قال ابن قتيبة: وكان قبر رتاب الشني وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندها طش، وهو المطر الخفيف.

١١ - نشأة النبي ﷺ

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٨٣/١): فكتب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويعوطه من أقدار الجاهلية، لما يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حساباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حِلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تزهاً وتكرماً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة وكان رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال: «لقد رأيتني في غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمي لاكم ما أراه لكمة وجيمة، ثم قال: شد عليك إزارك». قال: «فأخذته فشدته علي، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي».

وهذه القصة شبيهة بما في «الصحيح» عند بناء الكعبة حين كان ينقل - وعمره العباس فإن لم تكنها فهي متقدمة عليها كالتوطئة لها والله أعلم.

رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهاهم به - وكان هو في رعية الإبل - فقال: أرسلوا إلي فاتبل وغمامة تظله. فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة فلما دنا من القوم وجدتهم قد سبقوه إلى فيه الشجرة فلما جلس مال في فيه الشجرة عليه. قال: انظروا إلى فيه الشجرة مال عليه قال: فينما هو قائم عليهم وهو يشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن راوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا. قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإننا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ فقالوا: لا. قال: فبأيهم وأقاموا عنده. قال فقال الراهب: أشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل ينشأه حتى رده ويث معه أبو بكر وبلالاً وزوده الراهب من الكمك والزيت.

هكذا رواه الترمذي (٣٦٢٠) عن أبي العباس الفضل بن سهل الأخرج عن قراد أبي نوح به.

والحاكم (المستدرک: ١١٥/٢) والبيهقي (الدلائل: ٢٤٢ - ٢٤٦) وابن عساکر (الربيع دمشق: ٥/٣) من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم عن عباس بن محمد الدوري به.

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزامي مولاهم، ويقال له الضبي ويعرف بقراد. سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرحه ومع هذا في حديثه هذا غرابة، قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال عباس الدوري: ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح وقد سمعته منه أحد بن حبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده. حكاه البيهقي (الدلائل: ٢٦٩/٢) وابن عساکر (الربيع دمشق: ٥/٣).

قلت: فيه من الغرائب أنه من مراسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خير سنة سبع من الهجرة. ولا يُلْتَمِز إلى قول ابن إسحاق في جملة له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة وعلى كل تقدير فهو مرسل. فإن هذه القصة كانت للرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العمر فيما ذكره بعضهم ثلث عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون مبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذ من طريق الاستفاضة.

الثاني: أن الغمامة لم تذكر في حديث أصح من هذا.

الثالث: أن قوله: ويث معه أبو بكر وبلالاً إن كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثلثي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشر، وعمر بلال أقل من ذلك، فإين كان أبو بكر إذ ذاك؟ ثم أين كان بلال؟ كلاهما غريب اللبس إلا أن يقال إن هذا كان ورسول الله ﷺ كبير. إما بأن يكون سفره بعد هذا أو إن كان القول بأن عمره كان إذ ذاك ثلثي عشرة سنة غير مغفوط، فإنه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي.

وحكى السهيلي (الروض الألف: ٢٢١/٢) عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم.

قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حية عن داود بن الحصين. قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها

الرحمن بن حاطب عن أسامة بن زيد عن زيد بن حارثة. قال: كان صنم من نحاس يقال له: إساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا. فطاف رسول الله ﷺ وطفط معه، فلما مسرت مسحت به فقال رسول الله ﷺ: «لا تمسه» قال زيد: فططنا فقللت في نفسي: لأمسه حتى أنظر ما يكون، فمسحته فقال رسول الله ﷺ: «ألم تنه؟»

قال البيهقي: زاد غيره عن محمد بن عمرو بإسناده قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه.

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لجبري حين سأله باللات والعزى: «لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً بفضهما»

فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي [الذلال: ٣٥٠/٢] أخبرنا أبو سعد الماليني: أنبأ أبو أحمد ابن عدي الحافظ حدثنا إبراهيم بن أسباط حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان النبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدتهم قال: فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه: اذهب بنا حتى تقوم خلف رسول الله ﷺ قال: كيف تقوم خلفه وإنما عهدت بالسلام الأصنام قيل؟ قال: فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدتهم.

فهو حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة حتى قال الإمام أحمد فيه ميزان الاضلال: ٣٦١/٣: لم يكن أخوه يتلفظ بشيء من هذا.

وقد حكى البيهقي [الذلال: ٣٦٢/٢] عن بعضهم أن معناه: أنه شهد مع من يستلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه والله أعلم.

وقد تقدم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهود مشاهد المشركين حتى أكرمه الله برسالته. وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمزدلفة ليلة عرفة بل كان يقف مع الناس بعرفات كما قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن عه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير. قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم، توفيقاً من الله عز وجل [الذلال للبيهقي: ٣٧٢/٢].

قال البيهقي [الذلال للبيهقي: ٣٧٢/٢] معنى قوله: على دين قومه ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولم يشرك بالله قط صلوات الله وسلامه عليه دائماً.

قلت: ويؤمن من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه. وهذا توفيق من الله له ورواه الإمام أحمد [٨٢/٤] عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق به. ولقظه رأيت رسول الله ﷺ قبل أن يُنزل عليه وإنه لوافق على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم توفيقاً من الله. وقال الإمام أحمد [٨٠/٤]: حدثنا سفيان عن عمرو بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أضللت بعيراً لي بعرفة فذهبت أطليه فلأنا النبي ﷺ واقف فقلت: إن هذا من الحمس ما شأنه ههنا؟ وأخرجه [١٦٦٤] م. (١٢٢٠) من حديث سفيان بن عيينة به.

قال عبد الرزاق [الذلال للبيهقي: ٣٧٢/٢] من طريق عبد الرزاق به: أخبرنا ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة. فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل لي إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: «إزاري» فشد عليه إزاره.

أخرجه في الصحيحين [٣٨٢٩] م. (٣٤٠) من حديث عبد الرزاق.

وأخرجه أيضاً [٣٦٤] م. (٣٤٠) من حديث روح بن عبادة عن زكرياء عن إسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه.

وقال البيهقي [الذلال: ٣٧٢/٢]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصافعي حدثنا محمد بن بكر الحضرمي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله اللخثكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة حدثني ابن عباس عن أبيه أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قرش البيت، قال: وأفردت قرش رجلين رجلين، الرجال يتقلون الحجارة، وكانت النساء تنقل الشيد. قال: فكننت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وإزرننا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس انترنا، فينبأ أنا أمشي ومحمد أمامي قال: فخر وتطبع على وجهه، فبغت أسعى وألقت حجري وهو ينظر إلى السماء فقلت: ما شأنك؟ فقام وأخذ إزاره وقال: إني نهيته أن أمشي غرباناً. قال: وكنت أكرهها من الناس غافة أن يقولوا: مجنون.

وروى البيهقي [الذلال: ٣٧٢/٢، ٣٤] من حديث يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن غرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا لئلين كلاتهما عصني الله عز وجل فيهما. قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها - فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال: بلى. قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرايل والزماير فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلاتة. فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر. ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة. فسألت فقلت: نكح فلان فلاتة، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعد ما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته.

وهذا حديث غريب جداً وقد يكون عن علي نفسه ويكون قوله في آخره: «حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته» مقحماً والله أعلم.

وشيوخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في [الثقات: ٨٢/٩]. وزعم بعضهم أنه من رجال «الصحيح». قال شيخنا في «تهذيبه» [تهذيب الكمال: ٥٣٣/٢، ٥٣٤ حاشية (٤)] ولم أقف على ذلك والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [الذلال: ٣٤٠/٢]: حدثني أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن علي بن عفان الحامري حدثنا أبو أسامة حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ويحيى بن عبد

١٢- ذكر شهوده ﷺ حرب الفجار

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٨٦/١، ١٨٧]: حاجت حرب الفجار

ذلك ويعتوا إليهم أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام فلما رأته بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن دمايتهم وانقضت حرب الفجار. وقد ذكر الأموي حروب الفجار وأيامها واستقصاها مطولاً فيما رواه عن الأثرم. وهو المغيرة بن علي بن أبي عبيدة معمر بن النخعي فذكر ذلك.

١٣- شهوده ﷺ حلف الفضول

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٣٧٧/٢، ٣٨٠): أخبرنا أبو سعد السالبي أنبأنا أبو أحمد بن عدي الحافظ حدثنا يحيى بن علي بن هاشم الخفاف حدثنا أبو عبد الرحمن الأرمي حدثنا إسماعيل بن علي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. قال: قال رسول الله ﷺ: «شهدت مع عمرتي حلف المطيين فما أحب أن أكنه - أو كلمة نحوها - وأن لي حُرَّ النعم» قال: وكذلك رواه بشر بن الفضل عن عبد الرحمن. قال: وأخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو بكر بن داود السَّمانِي حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما شهدت حلفاً لقرش إلا حلف المطيين، وما أحب أن لي حر النعم وأني كنت نقضته» قال: والمطيون هاشم، وأمّية، وزهرة، وخزوم.

قال البيهقي: كذا روي هذا التفسير مدرجاً في الحديث ولا أدري قائله، وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول وأن النبي ﷺ لم يدرك حلف المطيين.

قلت: هذا لا شك فيه، وذلك أن قرشاً تحالفوا بعد موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية، والرفادة، واللواء، والنذوة، والحجابة، وتنازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قرش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوها أيديهم فيها وتحالفوا. فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت. فسموا المطيين كما تقدم وكان هذا قديماً ولكن المراد بهذا الحلف: حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدي وذكره السهيلي في الفروع الألف: ٧١/٢ عن سفيان بن عيينة عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت» تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يُحزَّ ظالم مظلوماً. قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر. وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة، وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سيه أن رجلاً من زيد قدم مكة يبضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدي عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار وخزوماً وجمع وسهماً وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وذبوا - أي اتهموا - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قيس عند طلوع الشمس - وقرش في أيديهم حول الكعبة - فنادى بأعلى صوته: يا آل فهرٍ لمظلومٍ بضاعتُه يبطن مكة نائي السدار والنفسر وعمرٍ أشعثٍ لم يقبض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وإنما سمي يوم الفجار، بما استحل هذان الحيان - كنانة وقيس عيلان - فيه من المحارم بينهم. وكان قائد قرش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس. وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة. حتى إذا كان وسط النهار في كان الظفر لكنانة على قيس.

وقال ابن هشام (السيرة: ١٨٤/١ - ١٨٦): فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني به أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء - حاجت حرب الفجار بين قرش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان. وكان الذي هاجها أن عروة الرحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجار لطيفة - أي نجارة - للنعمان بن المنذر. فقال له البراء بن قيس - أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أغيرها على كنانة؟ قال: نعم وعلى الحنظلي. فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراء يطلب غفلة. حتى إذا كان يتيمن ذي ظلال بالمالية غفل عروة فوثب عليه البراء فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار، وقال البراء في ذلك:

وداهية تهم الناس قلسي شددت لها بني بكرٍ خلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالضرع
رفعت له بني ظلال قصي فخرت يمين كسالجع الصريع

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب:
وأبلغ إن عرضت بني كلاب وعامر والخطوب لها موالى
وأبلغ إن عرضت بني نكير وأحوال القليل بني هلال
بأن الوافذ الرخال أسمى مقيماً عند تيمن ذي ظلال

قال ابن هشام (السيرة: ١٨٦/١): فأتى آت قرشاً فقال: إن البراء قد قتل عروة، وهو في الشهر الحرام بعاظ. فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم. ثم بلغهم الخبر فاتبعوه فادركوه قبل أن يدخلوا الحرم. فأتوا حتى جاء الليل فدخلوا الحرم فأمسكت هوازن عنهم، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً والقرم متساندون على كل قبيل من قرش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم. قال: وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم. أخرجه أعمالهم معهم وقال رسول الله ﷺ: «كنت أبطل على أعمامي» أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

قال ابن هشام (السيرة: ١٨٧/١): وحدث الفجار أطول مما ذكرت وإنما منعتني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ

وقال السهيلي (الفروع الألف: ٢٣٣/٢): والفجار بكسر الفاء على وزن قتال. وكانت الفجارات في العرب أربعة ذكرهن المسعودي. وآخرهن فجار البراء هذا. وكان القتال فيه في أربعة أيام، يوم شمطة، ويوم العبلاء، وهما عند عكاظ، ويوم الشرب - وهو أعظمها يوماً - وهو الذي حضره رسول الله ﷺ وفيه قيدا - رئيس قرش وبني كنانة وهما حرب بن أمية وأخوه سفيان - أنفسهما لتلا يفرا. وانهزمت يومئذ قيس إلا بني نصر فزاهم ثبوتا. ويوم الحريرة عند نخلة ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ. فلما توافوا الموعد ركب عتبة بن ربيعة جمه ونادى: يا معشر مضر علام تقتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح، قالوا: وكيف؟ قال: ندي قتلاكم ونزهمكم رهائن عليها، ونعفو عن دمايتنا. قالوا: ومن لنا بذلك؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: عتبة بن ربيعة: فوقع الصلح على

بن المهاجر بن قنض التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٤/١، ١٣٥]: وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهدي الليثي أن عمداً بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتتصفي من حقي أو لأخذن سيي في ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول. قال فقال عبد الله بن الزبير - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً. قال: وبلغت المسور بن عزمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك. وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك. فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي.

١٤ - تزويجه خديجة بنت خويلد

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق: ٥٩ - ٦١، سورة ابن هشام: ١٨٧/١]: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صلوة حليته وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج لها في مالها تاجراً إلى الشام وتمطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار. مع غلام لها يقال له: ميسرة، قبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى نزل الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة. فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نسي ثم باع رسول الله ﷺ سلته - يعني تجارتها - التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري.

ثم أتبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بماها باعته ما جاء به فاضف أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما كان يرى من إطلال الملكين إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له - فيما يزعمون - يا ابن عم أبي قد رغبت فيك لقربائك وبسطك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً. كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدّر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه الصلاة والسلام.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ١٩٠/١]: فاصدقها عشرين بكرة وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

إن الحرام لمن عمت كرامته ولا حراماً لشرب الفاسج العسبر. فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك. فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام فتعاهدوا وتعاهدوا بالله: ليكوننّ يبدأ واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة. وما رسا ثبير وحرا مكانهما. وعلى الناسي في الماش. فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فاتزعوا منه سلمة الزبيدي فنفعوها إليه. وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك:

حلفتُ لتُقيذنّ حلفاً عليهم وإن كنا جميعاً أهل دار
نسمي الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لذي الجسوار
ويعلم من حوالي اليتم أنا إباء الضيم تمنع كل عار
وقال الزبير أيضاً:

إن الفضول تعاقبوا وتحالفوا لا يقيم بطن مكة ظالم
أمر عليه تعاقبوا وتوافقوا فالجار والمُعتر فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت في «غريب الحديث» وذكره السهلي في الروض الألف: ٧٤، ٧٣/٢: «أن رجلاً من خنعم قدم مكة حاجباً - أو معتمراً - ومعه ابنة له يقال لها: القنول من أوصاء نساء المالين، فاختصها منه ثيبه بن الحجاج وغيبها عنه. فقال الخنعمي: من يُعديني على هذا الرجل؟ فقيل له: عليك بحلف الفضول. فوقف عند الكعبة ونادى: يا حلف الفضول. فإذا هم يمشون إليه من كل جانب، وقد انتصوا أسياهم يقولون: جادك الخوث فما لك؟ فقال: إن ثيباً ظلمي في بيتي وانتزعها مني قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب داره، فخرج إليهم فقالوا له: أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقبنا عليه، فقال: أفعل، ولكن متعوني بها الليلة، فقالوا: لا والله ولا شخب لشفة فآخروها إليهم وهو يقول:

راح صحي ولم أحني القنولا لم أدعهم وداعاً جبالاً
إذا جد الفضول أن يمنعوها قد أراني ولا أخاف الفضولا
لا تحالي أنسي عشبة راح الركب بئس علي أن لا أقنولا

وذكر إتياناً آخر غير هذه. وقد قيل: إنما سمي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفت جروهم على مثل هذا من نصر المظلوم على ظالمه. وكان الداعي إليه ثلاثة من أشرفهم اسم كل واحد منهم فضل، وهم: الفضل بن فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث. هذا قول ابن قتيبة وذكره السهلي في الروض الألف: ٧٠/٢ عن ابن قتيبة. وقال غيره: هم الفضيل بن شراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة وقد أورد السهيلي هذا رحمه الله.

قال محمد بن إسحاق بن يسار [سورة ابن هشام: ١٣٤/١، ١٣٥]: وتلعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه. وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة. فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يجحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه وكانوا على من ظلمه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٤/١]: فحدثني محمد بن زيد

ثم روى البيهقي (الدلائل: ٦٥/٢، ٦٦) من طريق الربيع بن بدو - وهو ضعيف - عن أبي الزبير عن جابر. قال قال رسول الله ﷺ: «أجبرت نفسي من خديجة سفتين بقلوص». وروى البيهقي (الدلائل: ٧٣/٢) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس: أن أبا خديجة زوّج رسول الله ﷺ وهو - أظنه قال - سكران. ثم قال البيهقي: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان قال: حدثني إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي حدثني عبد الله بن أبي حنيفة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن مقسم بن أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله ﷺ خديجة وما يذكرون فيه يقول: أنا أعلم الناس بتزويج إياها، إني كنت له قريباً وكنت له إلفاً وخذلنا. وإني خرجت مع رسول الله ﷺ ذات يوم حتى إذا كنا بالخزوة أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على آدم تبعها، فنادتني فأنصرفت إليها ووقف لي رسول الله ﷺ. فقالت:

أما بصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة؟ قال عمار: فرجعت إليه فأخبرته فقال: «بلى لمعري» فذكرت لها قول رسول الله ﷺ فقالت: اغلوا علينا إذا أصبحنا، فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذهبوا بقرعة والبسوا أبا خديجة حلة، وصفرت لحيته، وكلمت أخاها فكلّم أباه وقد سقى خيراً فذكر له رسول الله ﷺ مكانه وسأله أن يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ونام أبوها ثم استيقظ صاحباً. فقال: ما هذه الحلة وهذه التقيعة وهذا الطعام؟ فقالت له ابنة التي كانت قد كلمت عماراً: هذه حلة كساها محمد بن عبد الله ختتك وبقرة أمها لك فذبحناها حين زوجه خديجة، فأنكر أن يكون زوجته، وخرج يصيح حتى جاء الحجر، وخرج بنو هاشم برسول الله ﷺ فجاءوه فكلّموه. فقال: أين صاحبكم الذي تزعمون أبي زوجته خديجة؟ فبرز له رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال: إن كنت زوجته فسيب ذلك وإن لم أكن فعلت فقد زوجته.

وقد ذكر الزهري في «سيره» أن أباه زوجها منه وهو سكران وذكر نحو ما تقدم حكاة السهيلي (الروض الأصفى: ٢٣٩/٢، ٢٤٠).

قال الموصلي: المجتمع عليه أن عمها عمرو بن أسد هو الذي زوجها منه وهذا هو الذي رجحه السهيلي (الروض الأصفى: ٢٣٨/٢). وحكاة عن ابن عباس وعائشة قالت: وكان خويلد قد مات قبل الفجار، وهو الذي نازع بُعاً حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن، فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ما روعه، فترع عن ذلك وترك الحجر الأسود مكانه.

وذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٤٣/٤) في آخر «السيرة» أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها رسول الله ﷺ فأنه أعلم.

١٥- موقف ورقة بن نوفل من النبي ﷺ

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٤٣/٤): وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تبع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها من قول الراعب وما كان يرى منه إذ كان للملكان يظانها فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه

قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق: ٦١، سورة ابن هشام: ١٩٠/١): فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلثم - إلا إبراهيم - القاسم وكان به يكنى، والطيب والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

قال ابن هشام: أكبرهم القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر. وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال البيهقي (الدلائل: ٧٠/٢، ٧١) عن الحاكم: قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله. وبلغت خديجة خساً وستين سنة، ويقال: خمسين. وهو أصح.

وقال غيره (الدلائل للبيهقي: ٦٩/٢): بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبية ثم مات بعد النبوة.

وقيل: مات وهو رضيع فقال رسول الله ﷺ: «إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه» (الروض الأصفى للسهيلي: ٢٤٣/٢) والمعروف أن هذا في حق إبراهيم.

وقال يونس بن بكير: حدثنا إبراهيم بن عثمان عن الحكم مقسم عن ابن عباس قال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة: القاسم، ومهدا لله، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب، ورقية وأخرجهم ابن عساکر في تاريخ دمشق: ١٤٠/٣.

وقال الزبير بن بكار (أخرجهم ابن عساکر في تاريخ دمشق: ١٣١/٣): عبد الله هو الطيب وهو الطاهر، سمي بذلك لأنه ولد بعد النبوة قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٩٠/١): فأما القاسم والطيب والطاهر فماتوا قبل البعثة. وأما بناته فأنكرن البعثة ودخلن في الإسلام وهاجرن معه ﷺ.

قال ابن هشام (السيرة: ١٩١/١): وأما إبراهيم فمن مارية القبطية التي أمها له المقوقس صاحب إسكندرية من خف من كورة أئمننا وستكلم على أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام في باب مفرد لذلك في آخر السيرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

قال ابن هشام (السيرة: ١٨٧/١): وكان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خساً وعشرين سنة فيما حدثني غير واحد من أهل العلم، عن أبي عمرو المدني.

وقال يعقوب بن سفيان (العرفة والدرج: ٣٢٦/٣): كتبت عن إبراهيم بن المنذر حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي حدثني غير واحد أن عمرو بن أسد زوّج خديجة من رسول الله ﷺ وعمره خمس وعشرين سنة وقريش تبني الكعبة.

وهكذا نقل البيهقي (الدلائل: ٧٢/٢) عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خساً وعشرين سنة وكان عمرها إذ ذاك خساً وثلاثين. وقيل: خساً وعشرين سنة.

وقال البيهقي (الدلائل: ٦٥/٢): باب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج خديجة:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن عبد الله أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة. قال قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا راعي غنمه» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: «لوأنا راعيها لأهل مكة بالقرابط» رواه البخاري (٢٢٦٢) عن أحمد بن محمد المكي عن عمرو بن يحيى به.

سخر كل ما تحت السماء له لا ينهي أن ينأوي ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تقن عن هرمز يوماً خزائنه والحلقة قد حاولت عاذ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح به والجن والإنس فيما فيها سرود
أين الملوكة التي كانت لعمرتها من كل أوبى إليها وافد يقيد
حوض هنالك مرودة بلا كلب لا بد من وريده يوماً كما وردوا
ثم قال: هكذا نسب أبو الفرج إلى ورقة، قال: وفيه آيات تنسب إلى
أمية بن أبي الصلت
قلت: وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان
يشهد في بعض الأحيان بشيء من هذه الآيات والله أعلم.

١٦- تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث

بخمس سنين

ذكر البيهقي (اللائل: ٤٣/٢) بناء الكعبة قبل تزويجه عليه الصلاة
والسلام خديجة. والمشهور أن بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما
ذكرناه بعشر سنين. ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم
كما قلناه في قصته، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في «صحيح
البخاري» وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ولا يصح
ذلك، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتلياً وأول من
أسسه، وكانت بقعة معظمه قبل ذلك معنى بها مشرفة في سائر الأعصار
والأوقات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَنَئٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً
وَعَدْنَا لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ لِّبَنَاتٍ مَّتَمَّاتٍ لِّإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ خَلَعَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حُجٌّ أَتَيْتُمْ مِّنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧).

وثبت في «الصحيحين» عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي
مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد
الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة».

وقد تكلمنا على هذا فيما تقدم، وأن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل
وهو يعقوب عليه السلام. وفي «الصحيحين» (ج ٥، ٥٥٥٠) م (١٦٧٩) «أن
هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمه
الله إلى يوم القيامة».

وقال البيهقي (اللائل: ٤٤/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو
عبد الله الصغار حدثنا أحمد بن مهران حدثنا عبيد الله حدثنا إسرائيل عن
أبي يحيى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. قال: كان البيت قبل الأرض
بالقي سنة، «وَرَأَى الْأَرْضَ مَثُتًا» (الاسحاق: ٣) قال: من تحته مدأ. قال:
وقد تابعه منصور عن مجاهد.

قلت: وهذا غريب جداً وكأنه من الزمالتين اللتين أصابهما عبد الله
بن عمرو يوم اليرموك وكان فيهما إسرائيليان يحدثنهما وفيهما منكرات
وغرائب.

ثم قال البيهقي (اللائل: ٤٤/٢، ٤٥): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا
أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي حدثنا يحيى بن عثمان بن
صالح حدثنا أبو صالح الجهلي حدثني ابن لميعة عن يزيد عن أبي الخير
عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: قال رسول الله ﷺ: «بعث الله

كائن هذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه. أو كما قال. فجعل ورقة يستبطر
الأمر ويقول: حتى متى؟ وقال في ذلك:

لجبت وكنت في الذكرى لجوجاً لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
بيطن المكين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا
بما خيّرنا من قول قس من الرهبان أكره أن يعوجا
بان عمداً يسرد فينا ويخضم من يكون له حبيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ويلقى من يساله فلولجا
فياليتي إذا ما كان فاكهم شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولوجاً في الذي كرهت قريش ولو عجت بمكها عبيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سلفوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر بمن يختار سنك البروجا
فلان يبقوا وأبق يكن أمور بضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلي من الأتكلار متلفة خروجا

وقال ورقة أيضاً فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عنه: (سورة
ابن إسحاق: ٩٤، ٩٥)

أتبكر أم أنت المشية رائح وفي الصدر من إضمارك الحزن قاذح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صلق خبرت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فك الذي وخئت يا خير حرة بغور والنجدين حيث الصحاح
إلى سوق بصرى في الركاب التي غدت وهن من الأحمال قصص دوالج
فيخبرنا عن كل خير بعلمه وللحق أبواب لمن مفتح
بان ابن عبد الله أهد مرسل إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يثبت صادقاً كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حياً لؤي وغالب شبابهم والأشعيون الجحاجح
فلان أبق حتى يدرك الناس دهره فلاني به مستبشر السود فلرح
وإلا فلاني يا خديجة فاعلمي عن أرضك في الأرض الربيعة سائح
وزاد الأموي:

فمتبع دين الذي أسس البنا وكان له فضل على الناس راجح
واسن بنينا بمكة ثابتاً تلالاً فيه بالظلام المصايح
متاباً لأفناء القبائل كلها تحب إلى التملات الطلائح
حراجيج أشال القباح من السرى يعلق في أرساغهن السرايح
ومن شعره فيما أورده أبو القاسم السهيلي في «روضه»: (الروض المفض:

٢٥٠/٢)

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا التذير فلا يفرركم أحد
لا تعبدن إلا غير خالقكم فلان دعركم فقولوا بيتنا خذ
سبحان ذي العرش سبحان يدوم له وقبلنا سح الجودي والجند

في الركن أي القبائل تلي رفعه؟ فقالوا: تعالوا نحكم أول من يطلق علينا، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاح حمرة فحكموه فأمر بالركن فوضع في ثوب ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه، فكان لا يزداد على السن إلا رصاً حتى دعوه الأيمن قبل أن يتزل عليه الوحي، فطفقوا لا ينحرون جزواً إلا التمسوه فيدعو لهم فيها.

وهذا سياق حسن، وهو من «سير الزهري»، وفيه من الغرابة قوله: فلما بلغ الحليم. والمشهور أن هذا كان ورسول الله ﷺ عمره خمس وثلاثون سنة، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله [سيرة ابن إسحاق: ٨٤، ٨٨].

وقال موسى بن عقبة: كان بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة [الدلائل للبهقي: ٥٨/٢ - ٦١]. وهكذا قال بجاهد وعروة، ومحمد بن جبير بن مطعم، وغيرهم. فالحق أعلم [الدلائل للبهقي: ٦٢/٢].

وقال موسى بن عقبة: كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة [الدلائل للبهقي: ٥٨/٢].

قلت: وكان الفجار وحلف الفضول في سنة واحدة إذ كان عمر رسول الله ﷺ عشرون سنة وهذا يؤيد ما قال محمد بن إسحاق والله أعلم.

قال موسى بن عقبة: وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها، من فوق الردم الذي صنعوه فخر به فخافوا أن يدخلها الماء. وكان رجل يقال له: مليح سرق طيب الكعبة. فأرادوا أن يشيدوا بنائها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شأوا فاعيدوا لذلك نفقة وعملاً. ثم غدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر أن يمتنعهم الله الذي أرادوا. فكان أول رجل طلبها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة فلما رأوا الذي فعل الوليد تبايعوا فوضعوها فأعجبهم ذلك. فلما أرادوا أن يبايعوا في بنائها أحضرها معلمهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضع قدم. فزعروا أنهم رأوا حية قد احطت بالبيت رأسها عند ذنبها. فاشفقوا منها شفقة شديدة، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا عما عملوا فيهلكة.

وكانت الكعبة حرمهم ومنعتهم من الناس وشرافهم. فلما سقط في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان من نصحه لهم وأمره بإيادهم أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها. وأن يقتسموها أرباعاً. وأن لا يدخلوها في بنائها مالا حراماً. وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية في السماء وتغييت عنهم ورأوا أن ذلك من الله عز وجل. قال: ويقول بعض الناس: إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد [الدلائل للبهقي: ٥٨/٢].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار [سيرة ابن هشام: ١٩٢/١، ١٩٣]: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنان الكعبة وكانوا يهيمون بذلك ليستقنوها ويهايون دهمها. وإنما كانت رصماً فوق القامة. فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفراً سرقوا كثر الكعبة، وإنما كان في بشر في جوف الكعبة. وكان الذي وجد عنده الكثر دويكاً مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة. فقطعت قريش يده وترعهم قريش أن الذين سرقوه وضموه عند دويك. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جلة لرجل من تجار الروم. فتحطمت. فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها.

قال الأموي: كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيصة

جبريل إلى آدم وحواه فقال لهما: ابني لي بيتاً، فخط لهما جبريل فجعل آدم يغفر وحواه تنقل، حتى أجابه الماء نودي من تحته: حسبك يا آدم، فلما بناه أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه.

قال البيهقي: تفرد به ابن هبة هكذا مرفوعاً. قلت: وهو ضعيف، ووقفه على عبد الله بن عمرو وأثبت والله أعلم.

وقال الربيع [من طريق الربيع أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٥/٢]: أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال: حج آدم فلقته الملائكة فقالوا: بُرِّئْ نَسْكَ يا آدم لقد حججنا قبلك بالتي عام.

وقال يونس بن بكير [من طريق يونس أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٥/٢، ٤٦]: عن ابن إسحاق: حدثني بقة - أو قال: ثقة - من أهل المدينة عن عروة بن الزبير أنه قال: ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح.

قلت: وقد قلنا حججهما إليه. والمقصود الحج إلى عله ويقعته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم. ثم أورد البيهقي حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وقامه وهو في «صحيح البخاري». ثم روى البيهقي [الدلائل: ٥٥/٢، ٥٦] من حديث سماك بن حرب عن خالد بن عروة قال: سأل رجل علياً عن قوله تعالى: ﴿إِذَا أُولُوكَ يُنْتَضِعُ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْنَكَ بُارِكاً وَغَدَى لِلنَّالِينَ﴾ أمر أول بيت بني في الأرض؟ قال: لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة للناس والهدى ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً. وإن شئت نبأك كيف بناؤه. إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم: أن ابن لي بيتاً في الأرض فضاء به ذراعاً فارسل إليه السكينة وهي ربيع خرجوها رأس فاتح أحدهما صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت في موضع البيت تطوق الحية، فبنى إبراهيم حتى إذا بلغ مكان الحجر قال لابنه: ابني حجراً فالتمس حجراً حتى أتاه به فوجد الحجر الأسود قد ركب فقال لأبيه: من أين لك هذا؟ قال: جاء به من لا يتكل على بئسائك، جاء به جبريل من السماء فاتمه. قال: فمر عليه الدهر فأنهدم فبنته العملاقة، ثم أنهدم فبنته جرمهم، ثم أنهدم فبنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شاب. فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: يُحْكَمْ بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم ففضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم ترفع جميع القبائل كلهم.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عروة عن علي بن أبي طالب. قال: لما أنهدم البيت بعد جرمهم بته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه؟ فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شية فأمر بثرثب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه [الدلائل للبهقي: ٥٧/٢].

قال يعقوب بن سفيان [العرفه والطريق: ٢٥٦/٣، ٢٥٧]: أخبرني أصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: لما بلغ رسول الله ﷺ الحليم جمرت امرأة الكعبة فطارت شرارة من جمرها في ثياب الكعبة فاحتترقت فهدموها حتى إذا بنوها فلبغوا موضع الركن اختصمت قريش

وقال موسى بن عقبة: وزعم عبد الله بن عباس أن أولية قريش كانوا يحدثون أن رجلاً من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة وانتهوا إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عمد رجل منهم إلى حجر من الأساس الأول فرفعه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول، فأبصر القوم بركة تحت الحجر كادت تلتهم بصر الرجل، ونزا الحجر من يده فوقع في موضعه وفرغ الرجل والبناء. فلما ستر الحجر عنهم ما تحته عادوا إلى بنيانهم وقالوا: لا تحركوا هذا الحجر ولا شيئاً مجذاته.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٦، وسيرة ابن هشام: ١٩٦/١]: وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالبرانية فلم يعرفوا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحفنتها بسبعة أملاك حفاء لا تزول حتى يزول أخشابها - قال ابن هشام: يعني: جبلها - مبارك لأهلها في الماء واللين

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٦، وسيرة ابن هشام: ١٩٦/١]: وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه: مكة الله الحرام، يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يجلها أول من أهلها. قال: وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا في الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه: من يزرع خيراً يحمده غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة. تعملون السيئات وتجزون الحسنات! أجل كما لا يجيئني من الشوك العنب.

وقال سعيد بن يحيى الأموي: حدثنا معمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر عن الزهري، يرفع الحديث إلى النبي ﷺ قال: «وجد في المقام ثلاثة أصفح، في الصفح الأول: إني أنا الله ذو بكة، صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحفنتها بسبعة أملاك حفاء وباركت لأهلها في اللحم واللين وفي الصفح الثاني: إني أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي. فمن وصلها وصلته ومن قطعها بته، وفي الصفح الثالث: إني أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر وقدرته. فطوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه» [المصنف لعبد الرزاق: ٩٢١٩].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٦ - ٨٨، وسيرة ابن هشام: ١٩٦/١ - ١٩٨]: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة. ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختموها فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى. حتى تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال ففريت بنو عبد الدار جفنة علوة دماً. ثم تعاقبوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسفوا لعقة الدم. فمكنت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا. فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن نخزم - وكان عامتد أسن قريش كلها - قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. ففعلوا. فكان أول داخل دخل رسول الله ﷺ. فلما رآوه قالوا: هذا الأمين رضيانا، هذا محمد. فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ: «علموا لي ثوباً» فأتي به وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب. ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ﷺ. ثم بنى عليه. وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ الأمين.

وقال الإمام أحمد [٤٢٥/٣]: حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت - يعني: أبا زيد - حدثنا هلال - يعني: ابن خباب عن مجاهد عن مولاة - وهو

التي أحرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها رجلاً فمطمئنتها.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩٣/١]: وكان بمكة رجل قبضي نجار فنهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها. وكانت حية تخرج من بئر الكعبة - التي كانت يطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم - فتشترق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا اهزالت وكشت وفتحت فاهاً، فكانوا يهابونها، فينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائراً فاخطفها فذهب بها. فقالت قريش: إنا لنجرو أن يكون الله تعالى قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رقيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية.

وحكى السهيلي [الروض الأثف: ٢٧٧/٢]: عن رزين: أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جرهم ليرسق كنزها. فانهار البئر عليه حتى جاؤوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه، ثم سكنت هذا البئر حية رأسها كراس الجدي وظهرها أبيض وظهرها أسود فأقامت فيها خمسمائة عام وهي التي ذكرها محمد بن إسحاق.

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩٤/١]: فلما أجمعوا أمرهم لهمها وبنائها قام أبو وهب عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام: عابد بن عمران بن مخزوم - فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً. لا يدخل فيها مهر بنفي ولا بيع ربياً، ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن نخزم. ثم رجح ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٤، سورة ابن هشام: ١٩٤/١] أن قاتل ذلك أبو وهب بن عمرو. قال: وكان خال أبي النبي ﷺ وكان شرفاً ممحاً.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٥، سورة ابن هشام: ١٩٥/١]: ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة. فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم. وكان ظهر الكعبة لبني جهم وسهم. وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبي أسد بن عبد العزى ولبي عدي بن كعب، وهو الحطيم.

ثم إن الناس هابوا هلمها ورفقوا منه. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبذوكم في هلمها فأخذ المول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع اللهم إنا لا نريد إلا الخير. ثم هدم من ناحية الركنين فترى الناس تلك الليلة، وقالوا: نظروا فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً وردناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا من هلمها. فأصبح الوليد غادياً على عمله فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام - أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة أخذ بعضها بعضاً.

ووقع في «صحيح البخاري» [١٥٨٦] عن يزيد بن رومان: كاسنة الإبل.

قال السهيلي [الروض الأثف: ٢٨١/٢]: وأرى رواية «السيرة» كالأسنة وهماً والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٨٥، سورة ابن هشام: ١٩٥/١، ١٩٦]: فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها. فأنتهوا عن ذلك الأساس.

إذا قُمْنَا إِلَى التَّاسِيسِ شَدْتُ تُهِنَا الْبِنَاءُ وَقَدْ نَهَابَ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الزَّجَرَ جَاءَتْ عُقَابٌ تَلْتَلِبُ لَهَا تَصِيبُ
فَضَمْنَهَا إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَّتْ لَنَا الْبَيَانَ لَيْسَ لَهَا حِجَابُ
فَقُمْنَا حَائِثِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالْتِرَابُ
غَدَاةً نَرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُلَاوِنَا ثِيَابُ
أَعَزُّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لَسُوِي فُلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذُهَابُ
وَقَدْ حَدَّثْتُ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَمُرَّةٌ قَدْ تَقَدَّهَافُ كِلَابُ
فِيؤَاتِي الْمَلِيكُ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ الْمَلِكِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدمنا في فصل ما كان الله يحوط به رسوله ﷺ من أقدار الجاهلية، أنه كان هو والعباس عمه يتقلان الحجارة، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نهي عن خلع إزاره فأعاده إلى سيرته الأولى.

١٧- من حج الجاهلية

وذكر ابن إسحاق [سورة: ٨٠ - ٨٢] ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحرم، وهو الشدة في الدين والصلابة. وذلك لأنهم عظموا الحرم تنظيمًا زائدًا بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عرفة. وكنوا يقولون: نحن أبناء الحرم وقطان بيت الله. فكانوا لا يقفون بعرفات مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البعدة الفاسدة. وكانوا لا يدخرون من اللبن أقطًا ولا سمنًا ولا يسألون شحمًا وهم حرم. ولا يدخلون بيتًا من شعر ولا يستظلون إلا استظلوا إلا بيت من آدم. وكانوا يمنعون الحجيح والعمار - ما داموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش، ولا يطوفوا إلا في ثياب قريش، فإن لم يجد أحد منهم ثوب أحد من الحرم - وهم قريش وما ولدوا زمن دخل معهم من كنانة وخزاعة - طاف عريانًا ولو كانت امرأة ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها وتقول: البرم يبدو بعضه أو كله وما بد منه لا أحله

فإن تكرم أحد من يجد ثوب أحسن فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يلقيها فلا يتنفع بها بعد ذلك. وليس له ولا لغيره أن يمسها. وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقي قال بعض الشعراء:

كفى حزنًا كرى عليه كانه لقي بين أيدي الطافين حرم

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٠٣/١]: فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدًا ﷺ وأزل عليه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال ﴿ثُمَّ أَيْسَرُوا مِنْ حَيْثُ أَقْصَا النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: جمهور العرب من عرفات ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ كان يقف بعرفات قبل أن يُتَزَلَّ عليه توفيقاً من الله له، وأزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرموا من اللباس والطعام على الناس ﴿يَا أَيُّهَا آدَمُ خُذْ مَا عَلَيْكَ مِنْهُ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الآية: ٣١ - ٣٢].

وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق: ولا أدري أكان ابتناعهم لذلك قبل الفيل أو بعده.

السائب بن عبد الله - أنه حدث أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال: وكان لي حجر، أنا نخته أميلة من دون الله، قال: وكنت أجيء بالليل الحائر الذي أتته على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحبه ثم يشفر فيقول قال: فبينما حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد. فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترابها منه وجه الرجل. فقال بطن من قريش: نحن نضعه وقال آخرون: نحن نضعه فقالوا: اجعلوا بينكم حكماً. فقالوا: أول رجل يطلع من الفج. فجاء رسول الله ﷺ فقالوا: اتاكم الأمين. فقالوا له فوضعه في ثوب. ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو ﷺ.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٩٨/١، ١٩٩]: وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانتي عشرة ذراعاً وكانت تكسى القبايطي ثم كسيت بعد البرود. وأول من كساها الدياج الحجاج بن يوسف.

قلت: وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - وذلك لما قصرت بهم النفقة أي لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم. وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق. وجعلوه مرتفعاً لتلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شأوا ويمنعوا من شأوا. وقد ثبت في «الصحاحين» [٢٠] ع (١٥٨٦) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «لَمْ تَرِي أَنْ قَوْمَكَ قَصَرَتْ بِهِمُ النِّفَقَةُ. وَلَوْلَا جِدَّتَانِ قَوْمُكَ يَكْفُرُ لِنَفَقَتِ الْكُفَّةِ وَجَعَلَتْ لَهَا بَاباً شَرْقِيًّا وَبَاباً غَرْبِيًّا، وَأَدْخَلَتْ فِيهَا الْحَجَرَ» ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله ﷺ فجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل. لها بابان ملتصقان بالأرض شرقياً وغربياً. يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر. فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فصل ذلك من تلقاء نفسه. فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصبوه وأخرجوا منه الحجر ورسوا حجاراته في أرض الكعبة، فأرتفع بابها وسدوا الغربي واستمر الشرقي على ما كان عليه فلما كان في زمن المهدي - أو أبيه المنصور - استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير. فقال مالك رحمه الله: إني أكره أن يتخذها الملوك ملعباً. فتركها على ما هي عليه. فهي إلى الآن كذلك.

وأما المسجد الحرام: فأول من أخر البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتراها من أهلها وهدهما، فلما كان عثمان اشتري دوراً وزادها فيه. فلما ولي ابن الزبير أحكم بنيانه، وحسن جدراته وأكثر أبوابه. ولم يوسعه شيئاً آخر. فلما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع جدراته وأمر بالكعبة فكسيت الدياج. وكان الذي تولى ذلك بامر الحجاج بن يوسف.

وقد ذكرنا قصة بناء البيت والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال ابن إسحاق [سورة: ٨٩]: فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبنا إنا تصومستو العقاب إلى الثعبان وهي لها اضطراب وقد كانت يكوون لها كشيئ وأحياناً يكوون لها وثاب

١٨- مبعث النبي ﷺ وشيء من البشارات

قال محمد بن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن إسحاق: ٩٠، سيرة ابن هشام: ٢٠٤/١]: وكانت الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب قد غلبوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمانه، أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعمداً وجلبوا في كبتهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْلُونَهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [مائدة: ٦]. وقال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رَحِمَاءُ بِالنَّبِيِّينَ زَوَاجُ رَحْمَةٍ سَاجِدٌ لِلَّهِ فَخْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا لِمَنْ هُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَنْبَاءِ السَّعُورَةِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ الآية [الحج: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَأَيْنَا قَالَ فَانْهَكُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وفي [صحيح البخاري] [ليس منه] عن ابن عباس قال: لما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولننصرنه وليبعثه.

يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا وأمروا باتباعه. وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة: ﴿رَبَّنَا وَابْتَغْ فِيعِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ الآية [الزمر: ١٢٩].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان بده أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضواء له قصور الشام».

وقد روى محمد بن إسحاق [سيرة: ٢٨] عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله.

ومعنى هذا أنه أراد بده أمره بين الناس واشتهار ذكره وانتشاره فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل كما تقدم. يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً.

أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

كما قال الإمام أحمد [١٢٧/٤]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية. قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عبد الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيته، وسأبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورويا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين».

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال: إن أمه رأت حين

وضعت نوراً أضواءت منه قصور الشام [أحمد في المستدرج: ١٢٧/٤]. وقال الإمام أحمد أيضاً [٥٩/٥]: حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ تَرَدَّدَ بَيْنَ أَحَدٍ»

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب [دلائل النبوة: ١٣٠/٢] من حديث أبي هريرة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البغوي - حدثنا أبو همام الوليد بن مسلم عن الأوزاعي حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه».

ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به. وقال: «وَأَدَمَ مَنْجِدٌ فِي طَيْتِهِ» [المعجم: ١٨٤/٥].

وروي عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدم عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» [دلائل النبوة لامي لهم: ٣].

ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس: قيل: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وَأَدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» [الخطبة الكبر للعلي: ١٨٩٩].

وأما الكهان من العرب فأنهم به الشياطين من الجن مما تسترق من السمع، إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما بعض ذكر أموره ولا يلقى العرب ذلك فيه بالأحرى حتى بعث الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فمرفوها، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر زمان مبعثه حجب الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاسترق السمع فيها، فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل. قال: وفي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمِعْتُ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآتَيْنَا بِهِ وَلَنْ نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢] في آخر السورة.

وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْزِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِمْ قَوْمِي مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحزاب: ٢٩ - ٣٠]، الآيات، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك.

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٩٢، ٩٣، سيرة ابن هشام: ٢٠٦/١، ٢٠٧]: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنيس أنه حدث أن أول العرب فرع للرمي بالنجوم حين رمى بها هذا الحي من قبيص، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب وأكبرها رأياً، فقالوا له: يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم؟ قال: بلى، فانظروا فلان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعصر بها الأنواء من الصيف والشتاء، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها، فهو والله طي الدنيا، وهلاك هذا الخلق وإن كانت نجومها غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فانظروا فما هو؟

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٩١، ٩٢، سيرة ابن هشام: ٢٠٨/١]: وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم - يقال لها: الغيظلة -

بني عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنأ على بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فلذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار. قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بشأ كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبنونه عليه بأن ينجو من تلك النار غداً قالوا له: ويحك يا فلان فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنأ، فقال: إن يستفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فأما به وكفر به بغياً وحسداً. قال: قتلنا له: ويحك يا فلان أأنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به.

رواه أحمد [٤٦٧/٣] عن يعقوب عن أبيه عن ابن إسحاق.

ورواه البيهقي [دلائل النبوة: ٧٨/٢، ٧٩] عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير.

وروي أبو نعيم في «الدلائل» عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة قال: لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له: يوشع، فسمعه يقول - وإني لغلّام في إزار - قد أظلمكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت. ثم أشار بيده إلى بيت الله - فمن أدركه فليصمّقه. فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً.

وقد قلنا حديث أبي سعيد عن أبيه في أخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله ﷺ وصفته ونعته وأخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله ﷺ.

٢٠- إسلام ثعلبة بن سعيد وأسيد بن

سعية وزيد بن سعدة وغيرهم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٦٤، ٦٥. سورة ابن هشام: ٢١٣/١، ٢١٤]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة: قال لي: هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد - نفر من بني هذيل، إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ - قال: قلت: لا، قال: فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام يقال له: ابن الهيثم قدم علينا قبل الإسلام بسنتين فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكان إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيثم فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي غرجكم صدقة، فنقول له: كم؟ فيقول صاعاً من تمر، أو مثلين من شعير. قال: فنخرجها، ثم نخرج بنا إلى ظاهر حرمنا فيستسقي لنا، فوالله ما يبرح جلوسه حتى يمر السحاب ونسقي. قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الحضر والحضر إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: أنت أعلم قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظلم زمانه، هذه البلدة مهاجرة

كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانتقض تحتها، ثم قال: أدر ما أدر يوم عقر وغر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى فانتقض تحتها ثم قال: شعوب ما شعوب؟ يصرع فيه كعب لجنّوب. فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو، فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٠٩/١]: وحدثني علي بن نافع الجرمي أن جنياً - بطناً من اليمن - كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب، قالت له جنب: انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله. فنزل إليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً، ثم جعل يتزو، ثم قال: أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكته فيكم أيها الناس قليل. ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء، ثم ذكر ابن إسحاق قصة سواد بن قارب [سيرة ابن هشام: ٢٠٩/١، ٢١٠] وقد أخرناها إلى هواتف الجان.

١٩- كلام اليهود في المبعث

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن ما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى ومهداه لنا - ما كنا نسمع من رجل من يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا يزال يبتنا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكان كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتعدوننا به. فبادرناهم إليه، فأما به وكفروا به فبيننا وفيهم هذه الآية ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

وقال ورواه عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي: كانت اليهود تقول: اللهم ابث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به، أي يستنصرون به. رواه البيهقي [دلائل النبوة: ٧٦/٢].

ثم روى من طريق عبد الملك بن هارون بن عتبة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: كانت اليهود يجير تقاتل غطفان فكلما اتقوا هُزمت يهود خير، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا: اللهم نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا اتقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به. فانزل الله عز وجل: ﴿وَكَاذِبُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

وروى عطية عن ابن عباس نحوه [دلائل النبوة البيهقي: ٧٧/٢]. وروي عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق: ٦٣، ٦٤. سورة ابن هشام: ٢١٢/١]: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان من أهل بدر - قال: كان لنا جبار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على

النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون. وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم. وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم أتأهلها. ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله. فلما جئت قال: أي بني أين كنت ألم أكن أعهد إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت مررت بئاس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال: قلت له: كلا والله إنه خير من ديننا. قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته.

قال: وبعث إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم. فقلت لهم: إذا قضوا حاجتهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فالتقيت الحليد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجئت فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخذمك في كنيسةك وأتعلم منك وأصلي معك.

قال: ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئاً كثرة لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وايفضت بغضاً شديداً لما رأيته يصنع. ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنه. فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جتموه بها اكتمها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كثره، قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال علوة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبداً قال فصلبوه ورجوه بالحجارة. وجاءوا برجل آخر فوضعوه مكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أداً ليلاً ونهاراً. قال: فأحبته حباً لم أحب شيئاً قبله. قال: فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له: إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فلما من توصي بي؟ وم تأمرني به؟

قال: أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه. لقد هلك الناس وبنلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمرسل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به. قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب المرسل. فقلت: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألتحق بك وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي.

فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني بالحق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فلما من توصي بي وم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنت عليه إلا رجلاً بصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي. فقال: أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به

فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلمكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الزناري من خالفه فلا يمتنعكم ذلك منه. فلما بعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء القتيبة - وكانوا شياطيناً أحياناً -: يا بني قريظة والله إنه للذي عهد إليكم فيه ابن الهيثبان. قالوا: ليس به قالوا: لى والله إنه هو بصفته. فقتلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم.

قال ابن إسحاق: فهنا ما بلغنا عن أخبار يهود. قلت: وقد قدمنا في قدوم نبي اليماني - وهو أبو كرب تبار أسعد - إلى المدينة ومحاصرته إياها وأنه خرج إليه ذاك الخبران من اليهود فقالا له: إنه لا سبيل لك عليها، أنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فتشاء ذلك عنها.

وقد روى أبو نعيم في «الدلائل» [دلائل النبوة: ٤٨] من طريق الوليد بن مسلم حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده. قال عبد الله بن سلام: إن الله لما أراد هدى زيد بن سبعة قال زيد: لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ، حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيد به شدة الجهل عليه إلا حليماً. قال: لكنك أنطقت له لأن أخاطبه فأعرف حلمه وجهله، فذكر قصة إسلامه للذي ﷺ ملاً في حجر، قال: فلما حل الأجل أتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: يا محمد ألا تقضييني حقني؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمل.

قال: فنظر إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير. ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتضع ما أرى؟ فوالذي بعشه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتزودة وتبسم. ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه. وزد عشرين صاعاً من تمر» فأسلم زيد بن سبعة رضي الله عنه. وشهد بقية المشاهد مع رسول الله ﷺ، وتوفي عام تبوك رحمه الله.

٢١- إسلام سليمان الفارسي

ثم ذكر ابن إسحاق رحمه الله قصة ابن إسحاق: ٦٦ - ٧٠، سورة ابن هشام: ٢١٤/١ - ٢٢١: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه فقال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمد بن يزيد عن عبد الله بن عباس. قال: حدثني سلمان الفارسي - من قبه - قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها: حني وكان أبي دمعان قريته وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل حني إليّ حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في الجوسية حتى كنت قطن اللان التي يوقدنا لا يتركها تحب ساعة قال: وكانت لأمي ضيعة عظيمة: قال: فشغل في بستان له يوماً فقال لي: يا بني إنني قد شغلت في بستاني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذعبل إليها فاطلمها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. ثم قال لي: ولا تحبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتي عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعة التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس

فقال لي رسول الله ﷺ: «تقولون فتحوّل بين يديه، قصصت عليه حديثي كما حدثك يا ابن عباس. فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد. قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كتب يا سلمان، فكتبت صاحبي على ثلاثمائة غلة أحياها له بالفقر ولريمين أوقية. فقال رسول الله ﷺ: لأصحابه: «أعيسوا أخاكم» فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمسة عشرة ودية والرجل بعشر. يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فاتني أكن أنا أضعها بيدي».

قال: فقترت، وأعاني أصحلي، حتى إذا فرغت جته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها. فجعلتنا تقرب إليه الودي، ووضعه رسول الله ﷺ بيده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأدبت النخل وبقي علي المال. فأني رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض الملائك. فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدعيت له قال «خذ هذه فأعدها ثمًا عليك يا سلمان» قال: قلت: «لن تقع هذه مما علي» يا رسول الله؟ قال: «فخذها فإن الله سيؤتي بها عنك» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأرغمهم حقهم وعنت سلمان. فتشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرًا، ثم لم يفتني معه مشهد.

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق: ٧١، سورة ابن هشام: ٢٢١/١]: وحديثي يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال: لما قلت: «لن تقع هذه من الذي علي» يا رسول الله؟ أخذنا رسول الله ﷺ قلبها على لسانه ثم قال: «فخذها فأوفهم منها» فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن إسحاق: ٧١، سورة ابن هشام: ٢٢١/١]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال: حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خبره أن صاحب عمورية قال له: انت كذا وكذا من أرض الشام، فإن بها رجلًا بين غيظين يخرج كل سنة من هذه الغيضة مستجيرًا يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي فأسأله عن هذا الدين الذي تبني فهو ينجرك عنه.

قال سلمان: فخرجت حتى جئت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيرًا من إحدى الغيظين إلى الأخرى. ففشي الناس بمرضاهم لا يدعو لمرض إلا شفي وغلبوني غلبه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه. قال فتناوله فقال: من هذا؟ والتفت إلي قال: قلت: يرحمك الله أخبرني عن الحنيفة دين إبراهيم، قال: إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم.

قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فاته فهو يملكك عليه. ثم دخل فقال رسول الله ﷺ لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم».

هكذا وقع في هذه الرواية. وفيه رجل مبهم وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة. وقد قيل: إنه الحسن بن عماره ثم هو منقطع بل معضل بين عمر بن عبد العزيز وسلمان ﷺ وقوله: «لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد

الموت فلما خضر قلت له: يا فلان إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإني من توصي بي وم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا أملك أن تأتيه إلا رجل بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه. فإن أحببت فاتته فإنه على أمرنا. فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال: أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم.

قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمات، قال: ثم نزل به أمر الله فلما خضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإني من توصي بي وم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أملك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي وهو يموت بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل المدينة ولا يأكل الصدقة بين كفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب ومكث بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مر بي نفر من كلب غمار قتلهم: أحملوني إلى أرض العرب وأعطيتكم بقراتي هذه وغنميتي هذه قالوا: نعم فأعطيتهموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحن في نفسي.

فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فأتانيته فأتاني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا وأبنتها تعرفها بصفة صاحبي لها، فأقمت بها.

وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لقي راس علق لسيدي أعمل فيه بعض العمل. وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بني قيلة. والله إنهم الآن يجتمعون بقاء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلما سمعتها أخلتني العروراء حتى ظننت أنني ساقط على سيدي فتزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة. ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك، قال: فقلت: لا شيء إنما أردت أن أستبته عما قال. قال: وقد كان عندي شيء قد جمعت فلما أميت أخذته. ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة، فأرأيتم أحق به من غيركم. قال: فقررت إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة. ثم جئت فقلت له:

إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يبيع الفرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه. ثم استدبرته أنظر لي ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أنني استبثت في شيء وصف لي. فالتفتي رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فرعته، فأكببت عليه أقبلة وأبكي

أراد أن يزور بيت المقدس فصاحبه سلمان إليه قال: فكان فيما عشي يلتفت إليّ ويقول عليّ عيظي ويخبرني أن لي رياءً وأن بين يدي جنة ونارا وحساباً ويعلمني ويذكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الأحد حتى قال فيما يقول لي:

يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من تهامة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه فإن أدركه أنت فصدقه واتبعه، قلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: وإن أمرك فإن الحق فيما يحبي به ورضا الرحمن فيما قال. ثم ذكر قلوبهما إلى بيت المقدس وأن صاحبه صلى فيه هاهنا وهاهنا ثم نام وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظل مكان كذا أن يوقفه فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح، فلما استيقظ ذكر الله ولام سلمان على ترك ما أمره من ذلك ثم خرجا من بيت المقدس فسأله مقعد فقال: يا عبد الله سألتك حين دخلت فلم تعطني شيئاً وما أنا أسألك فتنظر فلم يجد أحداً فأخذ بيده وقال: قم بسم الله أقام وليس به بأس ولا قبة كأنما نشط من عقالي. فقال لي: يا عبد الله أحمل عليّ متاعني حتى أذهب إلى أهلي فأبشرهم، فاشتغلت به ثم أدركت الرجل فلم ألقه ولم أدر أين ذهب وكلما سألت عنه قوماً قالوا: أمامك حتى لقيني ركب من العرب من بني كلب فسألتهم فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بعيره فحملني خلفه حتى أتوا بني بلادهم. فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط لها وقدم رسول الله ﷺ. ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه، ثم تطلب النظر إلى خاتم النبوة فلما رآه آمن من ساعته.

وأخبر رسول الله ﷺ خبره الذي جرى له قال: فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق فاشتره من سيده فاشتغته، قال: ثم سأله يوماً عن دين النصارى فقال: «لا خير فيهم». قال: فوقع في نفسي من أولئك الذين صحبتهم ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي ببيت المقدس فدخلني من ذلك أمر عظيم حتى أنزل الله عليّ رسول الله ﷺ «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» [آل عمران: ٨٢].

فدعاني رسول الله ﷺ فبحث وأنا خائف فجلست بين يديه فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» الآيات. ثم قال: «يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى كانوا مسلمين».

فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق هو أمرني باتباعك. فقلت له: وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال: نعم فأتركه فإن الحق وما يرضي الله فيما يأمرك.

وفي هذا السياق غرابة كثيرة، وفيه بعض المخالفة لسياق محمد بن إسحاق، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً وأقرب إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» [٣٩٤٦]. من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي أنه تناول بضعة عشر من رب إلى رب، أي من معلم إلى معلم ومرتب إلى مثله والله أعلم.

قال السهيلي [الروض: ٣٤٧/٢]: تناول ثلاثون سيلاً من سيد إلى سيد، فآله أعلم.

لقيت عيسى ابن مريم* غريب جداً بل منكراً. فإن الفترة أقل ما قيل فيها أنها أربعمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة بالشمسية، وسلمان أكثر ما قيل: إنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة.

وحكى العباس بن يزيد البحراني إجماع مشايخه على أنه عاش مائتين وخمسين سنة. واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمائة وخمسين سنة فآله أعلم.

والظاهر أنه قال: «لقد لقيت وصي عيسى ابن مريم* فهذا يمكن إذ قد يكون ذاك عمر دهرًا طويلاً، وسلمان عمر بعده دهرًا آخر». والله أعلم بالصواب.

وقال السهيلي [الروض: ٢٤٥/٢]: الرجل المبهم هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف وإن صح لم يكن فيه نكارة لأن ابن جرير ذكر أن المسيح نزل من السماء بعدما رُفِع فوجد أمه وامرأة أخرى يكيان عند جذع المصلوب فأخبرهما أنه لم يقتل وبعث الخواريين بعد ذلك. قال: وإذا جاز نزوله مرة جاز نزوله مراراً ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويتزوج حيثذ امرأة من بني جنهم وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله ﷺ.

وقد روى البيهقي في كتاب دلائل النبوة (٩٢/٢ - ٩٧) قصة سلمان هذه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق كما تقدم. ورواها أيضاً [البيهقي في دلائل النبوة: ٨٢/٢ - ٩٢] عن الحاكم عن الأصم عن يحيى بن أبي طالب: حدثنا علي بن عاصم حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سمالك بن حرب عن زيد بن صوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول إسلامه. فذكر قصة طويلة وذكر أنه كان من رامهرمز وكان له أخ أكبر منه غني وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه، وإن ابن دهقان كان صاحباً له وكان يختلف معه إلى معلم لهم وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عباد من النصارى في كهف لهم فسأله سلمان أن ينصب به معه إليهم فقال له: إنك غلام وأخشى أن تتم عليهم فيقتلهم أبي فالتزم له أن لا يكون منه شيء يكرهه فذهب به معه فإذا هم ستة - أو سبعة - كان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر وما وجدوا فذكر عنهم أنهم يؤمنون بالرسول المتقدمين وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته أيلع بالمعجزات. وقالوا له: يا غلام إن لك رباً وإن لك معاداً وإن بين يديك جنة ونارا وإن هؤلاء القوم الذين يعبدون التيران أهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون ويسأوا على دين.

ثم جعل يتردد مع ذلك الغلام إليهم ثم لزمهم سلمان بالكلية ثم أجلاه ملك تلك البلاد - وهو أبو ذلك الغلام الذي صاحبه سلمان إليهم - عن أرضه واحتبس الملك ابنه عنده وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه فقال: إني مشغل بنفسي في طلب المعيشة فأرسل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسة الموصل فسلم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم فأبى إلا صحبتهم فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال فتحدروا إليهم رهبان تلك الناحية يسلمون عليهم واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ويسألونهم عني فيثبون علي خيراً.

وجاء رجل معظم فيهم فخطبهم فأتى على الله بما هو أهله وذكر الرسل وما أيدوا به وذكر عيسى ابن مريم وأنه كان عبد الله ورسوله وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه.

قال: فكان يصوم النهار ويقوم الليل من الأحد إلى الأحد الآخر فيخرج إليهم ويعظمهم ويأمرهم وينهاهم فنكث على ذلك مدة طويلة، ثم

وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» [١٩٩] وأورد لها أسانيد وألفاظاً كثيرة، وفي بعضها أن اسم سيده التي كاتبته خلسة. فإله أعلم.

٢٢- أخبار غريبة في المبعث

قال أبو نعيم في «الدلائل»: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية المقرئ حدثنا عباد بن كسيب عن أبيه عن أبي عتابة الخزاعي عن سفيان بن سودة العامري قال: كنت عشيقة لعقيلة من عقائل الحبي، أركب لها الصعب والذلول لا أبقي من البلاد مطرحاً أرجو رجلاً لا أتيه، فأنصرفت من الشام بمغرة وأثأت أريد به كبة الموسم ودهماء العرب، فدخلت مكة بليل مسدف فاقمت حتى تمرى عني قميص الليل فرفعت رأسي فإذا قباب مسامة شفع الجبال، مضروبة بأطباع الطائف وإذا جزر تنحر وأخرى تساق، وإذا أكلة وحشة على الطهارة يقولون: ألا عجلوا! ألا عجلوا! وإذا رجل يجر على نثر من الأرض، ينادي: يا وفد الله ميلوا إلى الغداء. وأنيسان على مدرجة يقول: يا وفد الله من طعم فليرح إلى العشاء.

فجهري ما رأيت فأقبلت أريد عميد القوم، فعرف رجل الذي بي، فقال: أمامك، وإذا شيخ كان في خديه الأساريع، وكان الشعرى توقد من جبينه، قد لاث على رأسه عمامة سوداء قد أبرز من ملائها جمّة فينائة كأنها سماسم - قال في بعض الروايات: تحته كرسي سماسم - ومن دونها ثمرة يده قضيب يتخصر به حوله مشايخ جملة نواكس الأذقان ما منهم أحد يفيض بكلمة. وقد كان غي ليّ حبر من أحبار الشام أن النبي الأمي هذا أو أن غومه، فلما رأيته ظننته ذلك. فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: مه مه، كلا وكان قد وليتني إياه فقلت: من هذا الشيخ؟ فقالوا: هذا أبو نضلة، هذا هاشم بن عبد مناف، فوليت وأنا أقول هذا والله المجد لا مجد لك جفنة. يعني ملوك عرب الشام من غسان كان يقال لهم: آل جفنة. وهذه الوظيفة التي حكاهما عن هاشم هي الرفادة يعني: إطعام الجميع زمن الموسم. [أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٤١٣/٢٠]

وقال أبو نعيم [دلائل النبوة: ٥١]: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا سعيد بن عثمان حدثنا علي بن قتيبة الخراساني حدثنا خالد بن إلياس عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده. قال: سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنة قريش وعلي مطرف خز وجهي تضرب منكبي فلما نظرت ليّ عرفت في وجهي الخير وأنا يومئذ سيد قومي فقلت: ما بال سيدنا قد أثأتنا متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر شيء؟ فقلت لها: بلى! وكان لا يكلمها أحد من الناس حتى يقبل يدها اليمنى، ثم يضع يده على أم رأسها ثم يذكر حاجته ولم أفعل لأنني كبير قومي. فجلست فقلت: إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كان شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهى منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً. ورأيت العرب والعجم ساجدين لها وهي تزدد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفي وساعة تزهر، ورأيت رمطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها. فلذا دنوا منها آخرهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب منه ريحاً فيكسر أظفرهم ويقلع

أعينهم. فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً، فمتعني الشاب فقلت: لمن النصيب؟ فقال: النصيب هؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك إليها. فأتيتها مذعوراً فزعاً فرائيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدق رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس.

ثم قال - يعني: عبد المطلب - لأبي طالب، لعلك تكون هذا المولود قال: فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث بعدما ولد رسول الله ﷺ وعندما بعث. ثم قال: كانت الشجرة - والله أعلم - أبا القاسم الأمين، فيقال لأبي طالب: ألا تؤمن؟ فيقول: السبة والعار.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن بكار الضبي حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس. قال: قال العباس: خرجت في تجارة إلى اليمن في ركب، منهم أبو سفيان بن حرب، فقلعت اليمن فكتبت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالفز ويصنع أبو سفيان يوماً، ويفعل مثل ذلك، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل ليّ غداء؟ فقلت: نعم. فانصرفت أنا والفز إلى بيته وأرسلت إلى الغداء فلما تغدى القوم قاموا واحتسني فقال: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله؟ فقلت: أي بني أخى؟ فقال أبو سفيان: إياي تكتم؟ وأي بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد؟ قلت: وأيهم على ذلك؟ قال: هو محمد بن عبد الله، فقلت: قد فعل؟ قال: بلى قد فعل.

وأخرج كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه: أخبرك أن محمداً قام بالأبطح فقال: «أنا رسول أَدْعُوكُمُ إِلَى اللَّهِ عز وجل» فقال العباس: قلت: لعله يا أبا حنظلة صادق. فقال: مهلاً يا أبا الفضل فوالله ما أحب أن يقول مثل هذا، إني لا أخشى أن يكون عليّ ضرر من هذا الحديث يا بني عبد المطلب، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم هنة وهنة، كل واحدة منهما غاية.

لنشدتك يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت: نعم قد سمعت. قال: فهذه والله شؤمتكم. قلت: فلملها مبتتا قال: فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة بالخبر وهو مؤمن، فحشا ذلك في مجالس اليمن، وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه خبر من أخبار اليهود، فقال له اليهودي: ما هذا الخبر؟ بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صدقوا وأنا عمه، فقال اليهودي: أخو أبيه؟ قال: نعم. قال: فحدثني عنه قال: لا تسألني ما أحب أن يدعي هذا الأمر أبداً، وما أحب أن أعيه وغيره خير منه. فرأى اليهودي أنه لا يُعْمَضُ عليه ولا يجب أن يعييه. فقال اليهودي: ليس به لا بأس على اليهود، وتوراة موسى.

قال العباس: فناداني الخبر، فجنحت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد، وفيه أبو سفيان بن حرب والخبر، فقلت للخبر: بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله ﷺ فأخبرك أنه عمه، وليس بعمه. ولكن ابن عمه وأنا عمه وأخو أبيه. قال: أخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه، فأقبل عليّ أبي سفيان فقال صدق؟ قال: نعم صدق، فقلت: سلفي فإن كذبت فليرد علي، فأقبل علي فقال: نشدتك هل كان لابن أخيك صوة أو سفهة؟ قلت: لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خائن، وإن كان اسمه عند قريش الأمين. قال: فهل كتب يده؟ قال العباس: فظننت أنه خير له أن يكتب يده فأردت أن أقولها ثم ذكرت

فلما حين سمعت به. وكان لنا صنم. وكان أبي سادناً له فقمنا إليه فكسرتة. ثم لحقت بالنبي ﷺ وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وأنتي لأملة الأحجار لو تبارك وشمرت عن ساق الإزار مهاجرة إليك أجوب القفر بعد الدكادك لأصحب خير الناس نفساً ووالداً رسولاً ملك الناس فوق الحباثك

فقال النبي ﷺ: فمرحاً بك يا عمرو بن مرة فقلت: يا رسول الله ابعتني إلى قومي، لعل الله من عليهم بي كما من علي بك. فبعثني إليهم. وقال: «عليك بالرفق والقول السديد ولا تكن ظفراً ولا متكبراً ولا حشوداً» فذكر أنه أتى قومه، فلدصاهم إلى ما دعاه إليه رسول الله ﷺ فأسلموا كلهم. إلا رجلاً واحداً منهم، وإنه وفد بهم إلى رسول الله ﷺ فرحب بهم وحياهم. وكتب لهم كتاباً منه نسخة «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله على لسان رسول الله ﷺ، بكتاب صادق، وحق ناطق مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زبيل: إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، تزدعون نباته وتشربون صافيه، على أن تقرؤوا بالخمس، وتصلوا صلاة الخمس وفي التبعة والصريمة إن اجتمعنا شاتان وإن تفرقتا شاة شاة، ليس على أهل الميرة صدقة، ولا على الواردة لبقة. (أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٦٠٨/١٣).

وشهد على نبينا ﷺ من حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس. وذكر شخراً قاله عمرو بن مرة في ذلك كما هو مبسوط في «المسند الكبير» وبالله الثقة وعليه التكلان.

٢٤- متى كتب نبوة النبي ﷺ

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب: ٧] قال كثيرون من المفسرين: لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم قال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً، وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» (ص: ٢٨) من طرق عن الوليد بن مسلم حدثنا الأزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة: سئل النبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه».

وهكذا رواه الترمذي (٣٦٠٩) من طريق الوليد بن مسلم. وقال: حسن غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي حدثنا أبو جعفر الغيلي حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن روم عن الصنابحي. قال: قال عمر: يا رسول الله، متى جعلت نبياً؟ قال: «وآدم متجدد في الطين» [الخصائص للسوطي: ٤/١].

ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» [الخصائص للسوطي: ٤/١].

وفي الحديث الذي أورده في قصة آدم حين استخرج الله من صلبه فريته خمس الأنبياء بنور بين أعينهم. والظاهر - والله أعلم - أنه كان على

مكان أبي سفيان أنه مكثني وراًء علي فقلت: لا يكتب فوثب الخبر ونزل رخاؤه وقال: ذهبت يهود، وقتلت يهود.

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا، قال أبو سفيان: يا أبا الفضل إن اليهود تنزع من ابن أخيك، قلت: قد رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقاً كنت قد سبقت وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك. قال: لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كداء، قلت: ما تقول؟ قال: كلمة جاءت على فمي إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء.

قال العباس: فلما استفتح رسول الله ﷺ مكة ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء، قلت: يا أبا سفيان تذكر الكلمة؟ قال: إي والله إنني للآكراها فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

وهذا سياق حسن عليه البهاء والنور وضياء الصدق وإن كان في رجاله من هو متكلم فيه والله أعلم.

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت، وهو شبه بهذا الباب وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات وعليه النور.

وسياقي أيضاً قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم حين سأله عن صفات رسول الله ﷺ وأحواله، واستدلالة بذلك على صدقه ونبوته ورسالته. وقال له: قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم، ولو أعلم أنني أخلص إليه لتجشمت لقيه. ولو كنت عنده لفضلت عن قدميه. ولئن كان ما تقول حقاً ليمكن موضع قدمي هاتين. وكذلك وقع والله الحمد والمنة.

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأحبار والعرب. فآثر وأطيب وأحسن وأطيب رحمه الله ورضي عنه.

٢٣- قصة عمرو بن مرة الجهني

قال الطبراني: حدثنا علي بن إبراهيم الخزاعي الأهملازي حدثنا عبد الله بن داود بن دهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن شريح بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله ﷺ حدثنا أبي عن أبيه دهاث عن أبيه إسماعيل أن أباه عبد الله حدثه عن أبيه أن أباه ياسر بن سويد حدثه عن عمرو بن مرة الجهني قال: خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في نومي وأنا بمكة، نوراً ساطعاً من الكعبة حتى وصل إلى جبل يثرب. وأشعر جبهة. فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول: انتشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء. ثم أضاء إضاءة أخرى، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، وسمعت صوتاً من النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام، فانتبهت نزعاً فقلت لقومي:

والله ليحشطن لهذا الحي من قريش حدث. وأخبرتهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جازني رجل يقال له: أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت. فقال: «يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة. أدعوه إلى الإسلام، وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً. فمن أجاب فله الجنة، ومن عصي فله النار، فأين بالله يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم؟ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله أنتت بما جئت من حلال وحرام، وإن رغم ذلك كثيراً من الأقوام. ثم انشدته آياتنا

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد.

وروى الحاكم في «مستدرکه» [٦١٥/٢] من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب لأنك لما خلقتني بيذك وتفتحت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمت أنك لم تصف لي اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم أنه لأحب الخلق إليّ وإذا قد سألني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

قال البيهقي [الدلائل: ٤٨٩/٥]: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف والله أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَتَرُونَا أَتَقَرَّبُونَ وَأَنَّا مُّعَمِّمُونَ الشَّاهِدِينَ. فَفَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ قَارُونَ لِمَا قَالُوا لَكَ مَا لَمْ يُغْنِ عَنْكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَنْتَ ظَالِمٌ ۚ﴾ [٨١-٨٢]

قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

وهذا تنويه وتبيين على شرفه وعظمته في سائر الملل وعلى السنة الأنبياء وإعلام لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان، وإنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين. وقد أوضح أمره وكشف خبره رسين سره، وجلى مجده ومولده وبلده إبراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت «رَبَّنَا وَابْنِ فِيهِمْ رَسُولًا مُّسَوِّمًا يُنْطَلِقُ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَتُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَتُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [البقرة: ١٢٩] فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء.

٢٥- نبوة أضاءت لها أرض بصرى الشام

ولما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج - يعني ابن فضالة - حدثنا لقمان بن عامر سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا نبي الله ما كان يده أمرك؟ قال «دعوة أبي إبراهيم، ويُشْرَى عيسى ورات أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» تفرد به الإمام أحمد ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة.

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب «المولد» من طريق بقة عن صفوان بن عمرو عن حجر بن حجر عن أبي مريم أن أعرابياً قال: يا رسول الله أي شيء كان أمر نبوتك؟ فقال: «أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم. ورات أم رسول الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجلها سراج أضاءت له قصور الشام».

وقال الإمام أحمد بن إسحاق بن يسار: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: «دعوة أبي إبراهيم، ويُشْرَى عيسى. ورات أمي حين

قدر منازلهم ورتبهم عند الله. وإذا كان الأمر كذلك فنور محمد ﷺ كان أظهر وأكبر وأعظم منهم كلهم. وهذا تنويه عظيم وتبيين ظاهر على شرفه وعلو قدره.

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد [١٢٧/٤]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرياض بن سارية. قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لحاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طيته، وسأبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين».

ورواه الليث [المسند لأحمد: ١٢٧/٤] وابن وهب [من طريق ابن وهب أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٩٩/٢١] وعبد الرحمن بن مهدي [الدلائل للبيهقي: ٨١/١]، وعبد الله بن صالح [تاريخ دمشق: ٩٩/٢١]، والدلائل للبيهقي: ١٣٠/٢] عن معاوية بن صالح وزاد «إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام» وقال الإمام أحمد [٥٩/٥]: حدثنا عبد الرحمن حدثنا منصور بن سعد عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن سيرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» [إسناده جيد أيضاً].

وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بديل بن مسيرة به.

ورواه أبو نعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيان عن الحسن بن دينار عن عبد الله بن شقيق عن مسيرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» [الخصائص للسيوطي: ٣/١].

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة»: حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن أبي هريرة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» [الترغيب: ١٨٤/٥].

ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله [الدلائل لابي نعيم: ٣].

وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيخان عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله. وهذا أثبت وأصح والله أعلم.

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم يفتح فيه الروح، لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السماوات والأرض لا محالة فلم يبق إلا هذا السني ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى والله أعلم.

وقد أورد أبو نعيم [الدلائل: ١١] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه [٢٣٨] م [٨٥٥]: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم».

وزاد أبو نعيم في آخره: فكان ﷺ آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة. وهو السابق يوم القيامة. لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد. ثم قال: ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله ﷺ لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم. ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته في آخر الزمان.

سبحون ألفاً بغير حساب ولا ترى معك إلا نقرأ يسيراً. فقال رسول الله ﷺ: «إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً» [تاريخ دمشق: ٤١٥/٣]. هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه.

وقال محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ يهود فقال: «أخرجوا أعلمكم» فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ، فناشده بدنيته، وما أنعم الله به عليهم، وأطعمهم من المسن والسلوى، وظللهم به من الغمام «أتعلمني رسول الله؟» قال: اللهم نعم. وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمين في التوراة ولكنهم حسدوك. قال: «فما بمنعك أنت؟» قال: أكره خلاف قومي. وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم [تاريخ دمشق: ٤١٧/٣، ٤١٨].

وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٤٤/١، ٥٤٥] عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول: كتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر فيسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى، وأخيه، والمصدق بما جاء به موسى، إلا إن الله قال لكم: يا معشر يهود وأهل التوراة، وإنكم تمجدون ذلك في كتابكم: إن محمداً: «رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ وَخُبِبَ الرَّوْعُ لِيُظِلَّ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَخَذَ اللَّهُ الْبَيْنَ أَمَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَيْنَهُمْ مُفْتَرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا» [صحيح: ٢٩] وإني أشدكم بالله والذي أنزل عليكم، وأشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وأشدكم بالذي أبس البحر لأبائكم حتى أتاكم من فرعون وعمله إلا أخبرتونا: هل تمجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تمجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي. وأدعوكم إلى الله وإلى نبيه ﷺ.

وقد ذكر إسحاق بن بشر في كتاب «الابتداء» عن سعيد بن بشر عن قتادة عن كعب الأجبارة، وروي غيره [الخصائص للسيوطي: ٢٣١/١، ٢٣٤] عن وهب بن منبه أن مختصر بعد أن خرب بيت المقدس واستقل بني إسرائيل بسبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة هالة فجمع الكهنة والحزاة، وسأله عن رؤياه تلك. فقالوا: ليقصها الملك حتى نخبره بتأويلها. فقال: إني أسئتها، وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلتمكم عن آخركم. فذهبوا خاضعين وجليلين من وعيده. فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه. فقال للسجنان: اذهب إليه فقل له: إن ههنا رجلاً عنده علم رؤياك وتأويلها. فذهب إليه فاعلمه فطلبه، فلما دخل عليه لم يسجد له. فقال له: ما منعك من السجود لي؟ قال: إن الله أتاني علماً وأمرني أن لا أسجد لغيره. فقال له مختصر: إني أحب الذين يوفون لأربابهم باليهود. فأخبرني عن رؤياه. قال له دانيال: رأيت صنماً عظيماً أرجلاه في الأرض ورأسه في السماء، أعلاه من ذهب ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخر، فبينما أنت تنظر إليه قد أصبحك حسنة وإحكام صنعتة فذهب الله بحجر من السماء. فوقع على قمة رأسه حتى طحنه واختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديدته وفخاره حتى تحيل إليك أنه لو اجتمع جميع الإنس والجن على أن يميزوا بعضه من بعض لم يقدروا على ذلك.

ونظرت إلى الحجر الذي قذف به يربو ويعظم ويشتتر حتى ملا

حلت كانه خرج منها نور أضاءت له بصرى من أرض الشام. إسناده جيد أيضاً. وفيه بشارة لأهل علمتنا أرض بصرى أنها أول بقعة من أرض الشام خلص إليها نور النبوة، والله الحمد والمنة ولهذا كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحاً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كما سيأتي بيانه.

وقد قدمها رسول الله ﷺ مرتين في صحبة عمه أبي طالب وهو ابن اثني عشرة سنة وكانت عندها قصة بحيرى الراهب كما بيناه. والثانية ومعه ميسرة مولى خديجة في تجارة لها. وبها مبرك الناقة التي يقال لها: إن ناقة رسول الله ﷺ بركت عليه فأثر ذلك فيها فيما يذكر. ثم نقل وبني عليه مسجد مشهور اليوم. وهي المدينة التي أضاءت أعناق الإبل عندها من نور النار التي خرجت من أرض الحجاز سنة أربع وخمسين وستمائة ولفى ما أخبر به رسول الله ﷺ في قوله: «تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى» [خ (٢٩٠٢، ٢٩١٨)].

وسياقي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

٢٦- صفة النبي ﷺ عند أهل الكتاب

وقال الله تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف: ١٥٧] الآية.

قال الإمام أحمد [٤١١/٥]: حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي صخر العقيلي: حاشي رجل من الأعراب قال: جبلت جلوية إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ. فلما فرغت من بيعي قلت: لأتقين هذا الرجل فلا اسمع منة. قال: فتلقتني بين أبي بكر وعمر بمشون، فتيبتم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كاحسن الثيآن واجملهم. فقال رسول الله ﷺ: «أشدكم بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي وخرجني؟» فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك وخرجك وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال: «أقيموا اليهودي عن أخيك».

ثم ولي كفته والصلاة عليه. وهذا إسناده جيد وله شواهد في «الصحيح» [خ (١٣٠٦، ٥٦٥٧)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبد الواحد بن غياث - أبو بحر - حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلنان بن عاصم وذكر أنه خاله قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ شخص بصره إلى رجل فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان. قال: فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول: يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أني رسول الله؟» قال: لا. قال رسول الله ﷺ: «أشرك التوراة؟» قال: نعم قال: «أشرك الإنجيل؟» قال: نعم. قال: والقرآن لو تشاء قرائته. فقال النبي ﷺ: «فبسم تقرأ التوراة والإنجيل، اتجندي نبياً؟» قال: إنا نجد نعتك وخرجك. فلما خرجت رجونا أن تكون فينا. فلما رأيناك عرفنا أنك لست به. قال رسول الله ﷺ: «ولم يا يهودي؟» قال: إنا نجده مكتوباً، يدخل من أمته الجنة

قلت: وهذا عن عبد الله بن سلام أشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما كثيراً، ويعلم أن كثيراً من السلف كانوا يطلقون التوراة على كتب أهل الكتاب فهي عندهم أهم من التي أنزلها الله على موسى وقد ثبت شاهد ذلك من الحديث (المسند لأحمد: ١٧٤/٢).

وقال يونس عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن ثابت بن شريحيل عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأحبار: كيف تجلدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: نجلده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق وأعطيت المفاتيح فيصير الله به أعيناً عوراً ويسمع آذاناً وقرأ ويقسم به آتينا معجزة حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين به المظلوم ويمنعهم (الدلائل للبهقي: ٣٧٧/١، ٣٧٧).

وقله روي عن كعب من غير هذا الوجه (الدلائل للبهقي: ٣٧٧/١). وروى البيهقي (الدلائل: ٣٨١/١) عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان: حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم حدثنا حمزة الزيات عن سليمان الأعمش عن علي بن مردك عن أبي زرعة عن أبي هريرة: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَازَيْتُنَا﴾ (القصص: ٤٦) قال: نودوا يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني. وذكر وهب بن منبه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور: يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً سيداً لا أغضب عليه أبداً، ولا ينقضني أبداً وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمه مرحومة أعطيتهم من التوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتيوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء. إلى أن قال: يا داود إني فضلت عمداً وأمتة على الأمم كلها (الدلائل للبهقي: ٣٨٠/١).

والعلم بأنه موجود في كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة وقد دل على ذلك آيات كثيرة في الكتاب العزيز تكلمنا عليها في مواضعها والله الحمد. فمن ذلك قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمْ قَوْلًا آمَنُوا بِهِ إِنَّهُمْ مِنَ الْخَاقِ مِنْ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٢ - ٥٣) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَرَفَعُونَ كُنُفَهُمْ وَيَقُولُونَ نَحْمَدُ اللَّهَ بِمَا نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَنُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَهْلَائِهِمْ وَإِنْ فَريقاً مِنْهُمْ لَيُكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْآذَانِ سُدُجاً. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً﴾ (الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨).

أي إن كان وعد ربنا بوجود محمد وإرساله لكان لا محالة فسبحان القدير على ما يشاء الذي لا يعجزه شيء.

وقال تعالى إخباراً عن القسيسين والرهبان: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (البقرة: ٨٣).

وفي قصة النجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام وغيرهم كما سيأتي شواهد كثيرة لهذا المعنى والله الحمد والمنة.

وذكرنا في تضاعيف قصص الأنبياء ما تقدم الإشارة إليه من وصفهم لبعثة رسول الله ﷺ ونعته وولد مولده ودار مهاجره ونعت أمته في قصة موسى وشعيا وأرميا ودانيال وغيرهم وقد أخبر الله تعالى عن آخر أنبياء بني إسرائيل وخاتمهم عيسى ابن مريم أنه قام في بني إسرائيل خطيباً قائلاً لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ

الارض كلها فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء. فقال له مختصر: صدقت هذه الرؤيا التي رأيتهما فما تأويلها؟ فقال دانيال: أما الصنم فامم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره؛ وأما الحجر الذي قذف به الصنم فدين يقذف الله به هذه الأمم في آخر الزمان فيظهره عليها فيبعث الله نبياً آمياً من العرب فيلدخ به الأمم والأديان كما رأيت الحجر دوخ أصناف الصنم ويظهر على الأديان والأمم كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلها، فيمحس الله به الحق ويهزق به الباطل ويهدي به أهل الضلالة ويعلم به الأمين ويقوي به الضعفة ويعز به الأذلة وينصر به المستضعفين. وذكر غمام القصة في إطلاق مختصر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام.

وذكر الواقدي بأسانيده عن المشيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الإسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله ﷺ قريباً من سؤال هرقل لأبي سفيان صخر بن حرب، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله ﷺ وأخبروه عن ذلك وهي قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» (ص: ٤٥).

وثبت في «الصحیح» (ج ٣١٦٧، ٩٩٤٤، ٧٢٤٨) أن رسول الله ﷺ مر بمدراس اليهود فقال لهم: فيا معشر اليهود أسلموا فوالذي نفسي بيده إنكم لتجلدون صفى في كتبكم الحديث.

وقال الإمام أحمد (١٧٤/٢): حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾، وحرراً للأمين، وأنت عهدي ورسولي سَيِّدُكَ المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع بالسببة السببة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

ورواه البخاري (٢١٢٥) عن محمد بن سنان العوفي عن فليح به. ورواه (ج ٨٣٨) أيضاً عن عبد الله - قيل: ابن رجاء، وقيل: ابن صالح - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علي به ولفظه قريب من هذا وفيه زيادة.

ورواه ابن جرير (القصص: ٨٣/٩) من حديث فليح عن هلال عن عطاء وزاد: قال عطاء: فلقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً.

وقال (ج ٢١٢٥) في البيوع. وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٣٧٦/١): أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا أبو صلح حدثنا الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام أنه كان يقول: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ إنا لرسولناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للأمين، أنت عهدي ورسولي، سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يميز السببة مظهرها ولكن يعفو ويتجاوز ولن أقبضه حتى يقيم الملة العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

قال عطاء بن يسار: وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام (الدلائل للبهقي: ٣٧٦/١).

يأتي من يعني اسمه أحمذ» [الف: ٣٦].

وفي الإنجيل البشارة بالبارقليط والمراد به محمد ﷺ.

وروى البيهقي [الدلائل للبيهقي: ٣٧٧/١، ٣٧٨] عن الحساكم عن الأصم عن أحد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حرب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مكتوب في الإنجيل: لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يعززي بالسبي مثلها بل يغفو ويصفح»

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا فيض الجبلي حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: جُدْ في أمري واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، أنا خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فيأبى قاعيد فين لأهل سوران بالسريانية، بلغ من بين يديك أني أنا الحق القائم الذي لا أزول صدقوا بالنبي الأمي العربي صاحب الجمل والمدعة والعمامة - وهي التاج - والتعلين والمرارة - وهي القضب - الجعد الرأس الصلت الجبين المقرن الحاجبين الأنجل العينين الأهدب الأشعار الأدهج العينين الأقنى الأنف الواضح الخدين الكث اللحية مرقعة في وجهه كاللؤلؤ ربح المسك ينضح منه كان عقه ليزيق فضة وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سترته تجري كالقضب ليس في بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم إذا جاء مع الناس غمرهم وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر ويتحدر من صبيب ذو النسل القليل - وكأنه أراد الذكور من صلبه - هكذا رواه البيهقي في [دلائل النبوة: ٣٧٨/١، ٣٧٩] من طريق يعقوب بن سفيان. وروى البيهقي [الدلائل: ٣٨٢/١، ٣٨٣] عن عمر بن الحكم بن رافع بن سنان حدثني بعض عمومي وأبائي أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام وهي عندهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ذكروها له وأثرو بها مكتوب فيها: بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب. هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يسئلون أطرافهم ويتزرون على أوساطهم ويخوضون البحور إلى أعماقهم فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، وفي عاد ما أهلكوا بالريح، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة: بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب. ثم ذكر قصة أخرى قال: فعجب رسول الله ﷺ لما قرأت عليه ما فيها.

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف: «الذي يجنونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» قصة هشام بن العاص الأموي حين بشه الصديق في سرية إلى هرقل يدعو إلى الله عز وجل. فذكر أنه أخرج لهم صور الأنبياء في رتبة من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين على النعت والشكل الذي كانوا عليه. ثم ذكر أنه لما أخرج صورة رسول الله ﷺ قام قائماً إكراماً له. ثم جلس وجعل ينظر إليها ويتأملها. قال: فقلنا له: من أين لك هذه الصورة؟ فقال: إن آدم سأل ربه أن يرهبه الأنبياء من ولده، فأرسل عليه صورهم، فكان في خزنة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين، فدفعها إلى دانيال. ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وأني كنت عبداً لأشركم ملكة حتى أموت. ثم أجازنا فأحسن جازئتنا وسرنا. فلما أتينا بأبا بكر الصديق فحدثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا، قال: فيكي أبو بكر وقال: مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم اليهود يجنون نعت محمد عندهم. رواه الحاكم بطوله فليكتبها هنا من التفسير. ورواه البيهقي في [دلائل النبوة: ٣٨٥/١ - ٣٩٠].

وقال الأموي: حدثنا عبد الله عن زياد عن ابن إسحاق: قال: وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده عمرو بن أمية قال: قدمت بريقين من عند التجاشي أعطانيهما فقالوا لي: يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا، فمر أبو بكر فقلت: أمر هذا؟ قالوا: لا، فمر عمر فقلت: أمر هذا؟ قالوا: لا فدخلنا الدار فمر رسول الله ﷺ فنادوني: يا عمرو هذا رسول الله ﷺ فنظرت فإذا هو من غير أن يخبرهم به أحد، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم.

وقد تقدم إنذار سبأ لقومه وبشارته لهم بوجود رسول الله ﷺ في شعر أسلفناه في ترجمته فاضى عن إعادته، وتقدم قول الحبريين من اليهود لتبع اليماني حين حاصر أهل المدينة: إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبي ﷺ.

٢٧- قصة سيف بن ذي يزن الحميري

وبشارته بالنبي الأمي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه «هواتف الجان»: حدثنا علي بن حرب حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عمرو بن بكر - هو ابن بكار القعني - عن أحمد بن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس: قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن - قال ابن المنذر: واسمه النعمان بن قيس - على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بستين سنة وفرد العرب وشعراؤها تهته وتحمده وتذكر ما كان من حسن بلاته، وأناه فيمن أتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميه بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد في أناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء، فإذا هو في رأس غمدان الذي ذكره أمية بن أبي الصلت: واشرب هنيئاً عليك التناج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك عملاً

فدخل عليه الآن، فأخبره بمكانهم فأنذهم، فنادى عبد المطلب فاستأنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذن لك، فقال له عبد المطلب: إن الله قد أحلك أيها الملك علماً رقيقاً صعباً منياً، شاعراً باذخاً، وأنيك منبأ طابت أرومته، وعزّت جروتمته، وثبت أصله، وبسقى فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن فانت - أبيت اللعن - ملك العرب وربيها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي له تقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومقعلها الذي يلجأ إليه العباد. سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف. فلن نحمد من هم سلفه ولن يهلك من أنت خلفه، ونحن أيها الملك أهل حرم الله رسلة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجتنا من كشفك الكرب الذي قد فدحتنا، وقد التهته لا وفد المرزئة.

قال: وأبهم أنت أيها التكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن اختنا؟ قال: نعم، قال: ادن فأنداه، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً، ومستأخاً سهلاً، وملياً رحلاً يعطي عطاء جزلاً.

قد سمع الملك مقالته وعرف قربانكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمت وإلجاء إذا علمتم، ثم أنهضوا إلى دار الكرامة والوفود، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثم انتبه لهم اتباعه فارسل إلى عبد المطلب فأنذى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد

مُثْلِفَةً مَرَاتِمَهَا تُعَالِي إِلَى صِنَاعَةٍ مِنْ فَنِّ عَمِيْقٍ
تُرْمُ بِهَا ابْنٌ ذِي يَزْنَ وَيُفْرِي بِذَاتِ بَطُونِهَا ذِمَّ الطَّرِيقِ
وَتَرْعَى مِنْ مَخَالَتِهِ بُرُوقاً مُوَاصِلَةً الْوَمِضِ إِلَى بُرُوقِ
فَلَمَّا وَاقَعَتْ صِنَاعَةً حَلَّتْ بِدَارِ الْمَلِكِ وَالْحَسْبِ الْعَتِيقِ

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» (ص: ٥٠) من طريق عمرو بن بكر بن بكار القعني به ثم.

قال أبو نعيم: أخبرني عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن عبد العزيز بن الصقر بن عفير بن زرة بن سيف بن ذي يزن حدثني أبي أبو يزن إبراهيم حدثنا عمي أحمد بن محمد أبو رجاء حدثنا عمي محمد بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن عفير عن أبيه عن زرة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال: لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحيشة. وذكره بطوله.

وقال أبو بكر الخرائطي: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسي حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية أخبرني أبي عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية عن جده أبي سوية عن أبيه خليفة قال: سألت محمد بن عثمان بن ربيعة بن سواة بن خنم بن سعد فقلت: كيف سمعك أبوك محمداً؟ فقال: سألت أبي عما سألتني عنه، فقال: خرجت رابع أربعة من بني نعيم أنا منهم، وسفيان بن مجاشع بن دارم، وأسامة بن مالك بن جندب بن العقيد، ويزيد بن ربيعة بن كنانة بن حريص بن مازن، ونحن نريد ابن جفنة ملك غسان فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فتحذتنا فسمع كلامنا راهب، فأشرف علينا فقال: إن هذه لغة ما هي بلغة هذه البلاد قلنا: نعم نحن قوم من مضر، قال: من أي المضرين؟ قلنا: من خندف قال: أما إنه سيبحث وشيكاً نبي خاتم النبيين، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا. فقلنا له: ما اسمه؟ قال: اسمه محمد. قال: فرجعنا من عند ابن جفنة فولد لكل واحد منا ابن فسماه محمداً، يعني أن كل واحد منهم طمع في أن يكون هذا النبي المبشر به ولده.

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثنا حازم بن عقال بن الزهر بن حبيب بن المنذر بن أبي الحصين بن السموال بن عدياء حدثني جابر بن حيران بن جميع بن عثمان بن سماك بن الحصين بن السموال بن عدياء. قال: لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا: إنه قد حضر من أمر الله ماترى وقد كنا نأمرك بالزوج في شبائك فتأبى وهذا أخوك الخزرج له حمة بنين، وليس لك ولد غير مالك فقال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك إن الذي يخرج النار من الوثيمة قادر أن يجعل لمالك نسلًا ورجالاً يسلاً وكل إلى الموت ثم أقبل على مالك وقال: أي بني النية ولا الدنيا، العقاب ولا العتاب، التجلد ولا التلد القبر خير من الفقر، إنه من قل ذل، ومن كرم فر، ومن كرم الكريم الدفع عن الحریم. والدهر يومان فيرم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصطبر، وكلاهما سينتصر، ليس يفلت منهما الملك المتزوج، ولا التميم للملحج، سلم ليومك حيال ربك، ثم أنشأ يقول:

شهدت السبايا يسوم آل عسرق وأدرك عمري صيحة الله في الحجر
فلم أر ذا مُلْكٍ مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ولا سُوقَةً إِلَّا إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ
فعل الذي أرى ثموداً وبجرهماً سيعقبني نسلًا على آخر الدهر

المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما أن لو يكون غيرك لم أبح به. ولكني رأيتك مدعنة فأطعكك طلحه فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره.

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجنا به دون غيرنا خيراً عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهلك كافة ولك خاصاً.

فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سرّ وسر، فما هو؟ فداؤك أهل الورير زمراً بعد زمرة قال: إذا ولد مولود بنتامة، غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: آيت اللعن، لقد آبت بخير ما آب به وافد، ولولا هبة الملك وإجلاله وإعظامه لسأته من ساره إياي ما أزداد به سروراً.

قال ابن ذي يزن: هنا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد واسمه محمد. يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمته. وللهنا مراراً والله باعته جهاراً، وجاهل له منا أنصاراً يعز بهم أوليائه وينذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكرس الأوثان ويخمد النيران، ويعبد الرحمن ويحدر الشيطان، قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويمنع عن المنكر ويطلبه.

فقال عبد المطلب: أيها الملك، عزّ جدك وعلا كمبك، ودام ملكك، وطال عمرك. فهذا تخاري فهل الملك سارني بإفصاح فقد وضع لي بعض الإيضاح.

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على القبع إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخر عبد المطلب ساجداً فقال: أرفع رأسك ثلج صدرك وعلا أرمك فهل أحسث شيئاً عما ذكرت لك؟ فقال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه أمّة بنت وهب فجاءت بغلام سمّيته محمداً فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه.

قال ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت فاحفظ بابتك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يعمل الله لهم عليه سيلاً، واطرو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخلهم النفاة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل ويتصورون له الحبال فهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أنني أعلم أن الموت يجتاحي قبل ممته لسرت بخلي ورجلي حتى أصير يرب دار مُلْكِي فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت - على حادثة سنة - أمره وأوطأت على أسنان العرب عقبه، ولكني صادف ذلك إليك عن غير تقصير من معك. قال: ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر إماء ومائة من الإبل وحلتين من البرود وبخمس أرطال من الذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له: إذا حال الحول فأتني.

فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول، فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: لا ينبغي رجل منكم بهزول عطاء الملك فإنه إلى نفاق ولكن لينبطي بما يبقى لي ولعقبتي من بعدي ذكره وفخره وشرفه، فإذا قيل له: متى ذلك؟ قال: سيعلم ولو بعد حين [إبراهيم دمشق: ٤٤١/٣ - ٤٤٥] وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس:

جئنا النصح تحفة المطايا على أكوار إجمال ونسوق

تقر بهم من آل عمرو بن عامر عيون لدى الداعي إلى طلب الوثر فإن لم تك الأيام ألبين جلتني وشين راسي والمشيئ مع العُمر فلن لنا رياء علا فوق عرشه غليماً بما يأتي من الخير والشر ألم يات قومى إن لله دعوة يفرؤ بها أهل السعادة والسر إن أبعث البعوث من آل غالب بمكة فيما بين مكة والخيضر هنالك فابغوا نصرته يبلادكم بني عامر إن السعادة في النصر قال: ثم قضى من ساعته [ربيع دمشق: ٤٥٦/٣، ٤٥٧].

٢٨- هواتف الجان وكلام الكهان في المبعث

[وقد تقدم كلام شق وسطيح لريعة بن نصر ملك اليمن في البشارة بوجود رسول الله ﷺ، رسول ذكي يأتي إليه الوحي من قبل العلمي. وسيأتي في المولد قول سطيح لعبد المسيح: إذا كثرت التلاوة وغاضت بحيرة ساوة وجاء صاحب الحراوة يعني بذلك رسول الله ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً.]

قال البخاري (٢٨٦٦): حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثني ابن وهب حدثني عمر - وهو ابن محمد بن زيد - أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت عمر يقول شيء قط: إني لأظنه إلا كان كما يظن. بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، علي الرجل، فدعني به فقال له ذلك فقال: ما رأيت كاليرم استقبل به رجلاً مسلماً. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرني قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جنتك؟ قال: بينما أنا في السوق يوماً جاءني أعرف فيها الفزع. فقالت:

ألم تر الحسن وإبراهيم وإسماعيل من بعد إكسابها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال عمر: صدق بينا أنا نائم عند أفهم جاء رجل بمجل فذمه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فممت فما نشينا أن قيل: هذا نبي. ففرد به البخاري.

وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي. ويقال: السلوسي من أهل السراة من جبال البلقاء له صفة ووفادة.

قال أبو حاتم وابن مند: روى عنه سعيد بن جبير، وأبو جعفر محمد بن علي. وقال البخاري (الأنبياء الكه: ٢٠٢/٤): له صفة.

وهكلاً ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن روح البرذعي الحافظ، والدارقطني، وغيرهما.

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري: سواد بن قارب بالتخفيف. وقال عثمان الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي: كان من أشرف أهل اليمن.

ذكره أبو نعيم في «الدلائل».

وقد روي حديثه من وجوه أخر مطولة بأبسط من رواية البخاري. وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٠٩/١، ٢١٠): حدثني من لا

أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان أنه حدث أن عمر بن الخطاب ﷺ بينما هو جالس في الناس في مسجد رسول الله ﷺ إذ أتبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر بن الخطاب. فلما نظر إليه عمر قال: إن الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهناً في الجاهلية فلم عليه الرجل ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيته منذ وليت ما وليت. فقال عمر: اللهم غفراً قد كنا في الجاهلية على شر من هنا نعيد الأصنام ونعنت الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله. وبالإسلام. قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهناً في الجاهلية قال: فأخبرني ما جاء به صاحبك. قال: جاني قبل الإسلام بشهر أو شيعه فقال:

ألم تر إلى الحسن وإبراهيم وإسماعيل من بعد إكسابها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

قال ابن إسحاق: هذا الكلام سجع وليس بشعر.

قال عبد الله بن كعب:

فقال عمر عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عبلاً، فحن ننتظر قسمه أن يقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قط أشد منه، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه يقول: يا فريخ أمر نجيح رجل يصيح يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام (السيرة: ٢١١/١): ويقال: رجل يصيح بلسان فصيح يقول: لا إله إلا الله قال: وأشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عجبت للحسن وإبراهيم وإسماعيل من بعد إكسابها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان

السامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن محمد بن عبد الرحمن الوقاصي

عن محمد بن كعب القرظي. قال: بينما عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم

جالس إذ مر به رجل. فقيل: يا أمير المؤمنين أعرف هذا المار؟ قال: ومن

هذا؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الذي أتاه ربه بظهور رسول الله ﷺ

قال: فأرسل إليه عمر. فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت

الذي أتاك ربي بظهور النبي ﷺ؟ قال: نعم، قال: فأت على ما كنت

عليه من كهاتك؟ قال: فغضب. وقال: ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت

يا أمير المؤمنين، فقال عمر: يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما

كنت عليه من كهاتك، فأخبرني بإتيانك ربي بظهور رسول الله ﷺ

قال: نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني

ربي فضرني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب، واسمع مقالتي وأقبل إن

كنت تمقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوك إلى الله وإلى

عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للحسن وإبراهيم وإسماعيل من بعد إكسابها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

فهو يري إلى مكة تفي الهدي ما صادق الجن ككناها

فأرحل لي الصفوة من هاشم ليس قدامها كاذباها

قال قلت: دعني أتأم فإني أميت ناعساً. قال: فلما كانت الليلة الثانية

أتاني فضرني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي، وأقبل إن

كنت تعقل، إنه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبت للجنّ وتخيّارها وشكّرهما العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنّ ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين زوايها وأخجارها

قال قلت: دعني أنام، فإني أسيت ناعساً، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضريني برجله. وقال: قم يا سواد بن قارب، فاسمع مقالتي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عجبت للجنّ ونحاسها وشكّرهما العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجنّ كاتحاسها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال: فقامت وقلت: قد امتحن الله قلبي، فزحلت ناقتي ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله ﷺ في أصحابه فدنوت فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله. قال: هات فأنشأت أقول:

أتاني نجيبي بعد هداه ورفده ولم يك فيما قد تلوث بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشررت عن ذيلي الإزار ووسطت بي الذعلب الوجناء غير السائب
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنت مأمون على كل غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمنن عن سواد بن قارب

قال: ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً، حتى رمي الفرح في وجوههم. قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال: قد كنت أشتكي أن اسمع هذا الحديث منك فهل يأتك ريتك اليوم؟ قال: أما منذ قرأت القرآن فلا، ونعم الموضع كتاب الله من الجن الدلائل للبهقي: [٢٥٢/٢].

ثم قال عمر: كنا يوماً في حمي من قريش يقال لهم: آل ذريح وقد ذبحوا عجلًا لهم والجزار يعالجه إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل، ولا نرى شيئاً، قال: يا آل ذريح، أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا إله إلا الله.

وهذا منقطع من هذا الوجه وشهد له رواية البخاري [٣٨٦٦] وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجان: حدثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدب حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا سعيد بن عبيد الله الوصافي عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي قال: دخل سواد بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: نشدتك بالله يا سواد بن قارب، هل تحسن اليوم من كهانتك شيئاً؟ فقال: سبحان الله يا أمير المؤمنين ما استقبلت أحداً من جلسائك بمثل ما استقبلتني به! قال: سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم مما كنت عليه من كهانتك، والله

يا سواد لقد بلغني عنك حديث إنه لعجب من العجب، قال: إي والله يا أمير المؤمنين إنه لعجب من العجب. قال: فحدثني قال: كنت كاهناً في الجاهلية، فينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني نجيبي فضريني برجله. ثم قال: يا سواد اسمع أقل لك، هات قال:

عجبت للجنّ وإخماسها وزحلها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنوها مثل أرجاسها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال فزمت ولم أحفل بقوله شيئاً، فلما كان الليلة الثانية أتاني فضريني برجله ثم قال لي: قم يا سواد بن قارب اسمع أقل لك، هات. قال:

عجبت للجنّ وتلأبها وشكّرهما العيس باتلأبها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجنّ ككذابها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم ليس المقاديم ككأنابها

قال: فحرك قوله مني شيئاً ونمت فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضريني برجله ثم قال: يا سواد بن قارب أتتقل أم لا تعقل؟ قلت: وما ذاك؟ قال: ظهر بمكة نبي يدعو إلى عبادة ربه فالحق به، اسمع أقل لك. قلت: هات قال:

عجبت للجنّ وتغارها وزحلها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجنّ ككفارها
فأرحل إلى الصفوة من هاشم بين زوايها وأخجارها

قال: فعلمت أن الله قد أراد بي خيراً. فقامت إلى بردة في ففتحتها وليستها ووضعت رجلي في فرز ركاب الناقة. وأقبلت حتى انتهت إلى النبي ﷺ فعرض علي الإسلام فأسلمت، وأخبرته الخبر فقال: «إذا اجتمع المسلمون فأخبرهم» فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت:

أتاني نجيبي بعد هداه ورفده ولم يك فيما قد تلوث بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشررت عن ساتي الإزار ووسطت بي الذعلب الوجناء غير السائب

وأعلم أن الله لا رب غيره وأنت مأمون على كل غالب
وأنت أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

قال: فسر المسلمون بذلك، فقال عمر: هل تحسن اليوم منها بشيء؟ قال: أما مذ علمني الله القرآن فلا (المصاحفي للسوطي: [١٠٣/١]).

وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن عمر بن حفص. قال لما ورد سواد بن قارب على عمر قال: يا سواد بن قارب ما بقي من كهانتك؟ فغضب وقال: ما أظنك يا أمير المؤمنين استقبلت أحداً من العرب بمثل هذا، فلما رأى ما في وجهه من الغضب، قال: انظر سواد للذي كنا عليه قبل اليوم من الشرك أعظم. ثم قال: يا سواد حدثني حديثاً كنت أشتكي أسمعه منك، قال: نعم.

بينما أنا في إيل لي بالبراة ليلاً وأنا نائم وكان لي نجيبي من الجن أتاني فضريني برجله فقال لي: قم يا سواد بن قارب فقد ظهر بهتامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر:

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو قرابة سواك بمنن عن سواد بن قارب

فقال رسول الله ﷺ: «سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم»

الكلب فمكث فينا حتى إنه يلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى إزاره وصاح بأعلى صوته وجعل يقول: يا ويلة يا ويلة، يا عولة يا عولة، يا ويل غنم، يا ويل فهم، من قابس النار الخيل والله وراء العقبة، فيهن فتیان حسان نجية.

فركبنا وأخذنا الأداة وقتلنا: يا ويلك ما ترى؟ فقال: هل من جارية طامث؟ قلنا: ومن لنا بها؟ فقال: شيخ منا: هي والله عندي عفيفة الأم قلنا: فمجلها فأتني بالجارية وطلح الجبل وقال للجارية: اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم، وقال للقوم: اتبعوا أثرها، وقال لرجل منا يقال له: امر بن حابس: يا امر بن حابس عليك أول فارس. فحمل امر فطعن أول فارس فصرعه وانهمزوا فنحنهم. قال: فابتنينا عليهم بيتاً وسميناه ذا الخلفة، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوماً: يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فاركبوا فركبنا فقال لنا: اكسبوا الخيل كلماً، احشوا القوم رمساً، القوهم غلبة واشربوا الخمر عشية.

قال: فلقيناهم فهزمونا وغلبنوا فرجعنا إليه قلنا: ما حالك وما الذي صنعت بنا؟ فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه وانتصبت أنفاه وانبرم غضباناً حتى كاد أن ينظر وقام فركبنا واغضرتنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دعانا فقال: هل لكم في غزوة تهب لكم عزاً وتجعل لكم حرزاً ويكون في أيديكم كثر؟ قلنا: ما أحوجنا إلى ذلك فقال: اركبوا فركبنا قلنا: ما تقول فقال: بنو الحارث بن مسلمة، ثم قال: قفوا فوقنا ثم قال: عليكم بفهم، ثم قال: ليس لكم فيهم ذم، عليكم بمضر هم أرباب خيل ونعم ثم قال: لا، رهن دريد بن الصمة قليل العدد وفي اللغة ثم قال: لا، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة واشكروها صنعة عامر بن صعصعة فليكن بهم الوقية.

قال: فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا قلنا: ويلك ماذا تصنع بنا قال: ما أدري كذبت الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثاً ثم اتروني. ففعلنا به ذلك ثم أتينا بعد ثلاثة ففتحنا عنه فإذا هو كأنه جرة نار، فقال: يا معشر دوس حرس السماء وخرج خير الأنبياء قلنا: أين؟ قال بمكة وأنا ميت فادفوني في رأس جبل فإني سوف أضرم ناراً وإن تركتموني كنت عليكم عاراً فإذا رأيتم اضطرامي وتلوي فاقفوني بثلاثة أحجار ثم قولوا مع كل حجر: بسمك اللهم فإني أهلاً وأطفاً.

قال: وإنه مات فاشتعل ناراً ففعلنا به ما أمر وقذفناه بثلاثة أحجار تقول مع كل حجر: بسمك اللهم فخمدم وطفى وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأتخبرونا بمبعثك يا رسول الله [الرابع دمشق: ٤٥١/٣].

غريب جداً.

وروي الواقدي عن ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الجذلي عن أبيه. قال: خرجنا في غير لنا إلى الشام فلما كنا بين الزرقاء ومعان قد عرسنا من الليل فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض: أيها النيام هبوا فليس هذا بيمين رقاد قد خرج أحمد وطردت الجن كل مطرد ففزعنا ونحن رفقة حزاورة كلهم قد سمع بهذا فرجعنا إلى أهلنا فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش في نبي قد خرج فيهم من بني عبد المطلب اسمه أحمد والطبقات لابن سعد: ١٦١/١.

ذكره أبو نعيم (في دلائل النبوة: ٥٩).

وقال الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبيد الله بن العلاء حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد

ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء الحاربي عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال: أخبرني سواد بن قارب الأزدي. قال: كنت نائماً على جبل من جبال السراة فأتاني آت ففرضني برجله. وذكر القصة أيضاً وخرجها البيهقي في الدلائل: ٢٥٣/٢.

ورواه أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء. قال قال سواد بن قارب: كنت نائلاً بالهند فجاءني رثي ذات ليلة فذكر القصة. وقال بعد إنشاد الشعر الأخير: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «أفلمحت يا سواد» [الدلائل للبيهقي: ٢٤٨/٢].

وروي الحافظ أبو نعيم [الدلائل: ٥٦] من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله ﷺ أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من الجن، فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائطهم، فقالت له: لم لا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك، ونخبرنا ونخبرك؟ فقال لها: إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع من القرار.

وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن علي بن الحسين. قال: إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ أن امرأة تدعى فاطمة كان لها تبع، فجاءها ذات يوم، فقام على الجدار فقالت: ألا تنزل؟ فقال: لا إنه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا والطبقات لابن سعد: ١٦٧/١.

وأرسله بعض التابعين أيضاً وسماء بابت لوزان وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة، ثم لما قدم عاتبته فقال: إني جئت الرسول فسمعتهم يحرم الزنا فعليك السلام.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة. قال: قال عثمان بن عفان: خرجنا في غير إلى الشام، قبل أن يبعث رسول الله ﷺ، فلما كنا بأفواه الشام - وتعرضت، فقالت: أتاني صاحبي فوقف على بابي، فقلت: ألا تدخل؟ فقلت: لا سبيل إلى ذلك، خرج أحمد وجاء أمر لا يطاق، ثم انصرفت فرجعت إلى مكة فوجدت رسول الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل [الدلائل لأبي نعيم: ٥٨].

وقال الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري. قال: كان الرحي يسمع فلما كان الإسلام منعوا وكانت امرأة من بني أسد يقال لها: سميرة لها تابع من الجن، فلما رأى الوحي لا يستطيع أناتها فدخل في صدرها فضج في صدرها فلعب عقلها فجعل يقول من صدرها: وضع المناق ومنع الرفاق وجاء أمر لا يطاق وأحمد حرم الزنا والطبقات لابن سعد: ١٦٧/١.

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي - بمصر - حدثنا عمارة بن زيد حدثنا عيسى بن يزيد عن صالح بن كيسان عن حدثه عن مرداس بن قيس الدوسي قال: حضرت النبي ﷺ - وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند خروجه - فقلت: يا رسول الله قد كان عندنا من ذلك شيء أخبرك أن جارية منا يقال لها: الخلفة لم يعلم عليها إلا خيراً، إذ جاءتنا فقالت: يا معشر دوس العجب العجيب لما أصابني، هل علمتم إلا خيراً؟ قلنا: وما ذاك؟ قالت: إني لفي غنمي إذ غشيتي ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة فقد خشيت أن أكون قد جبلت. حتى إذا ذنت ولادتها وضعت غلاماً أغضف له أذنان كأذني

وسمعت حتى جئت وثنا لنا يدعي الضُّمار وكنا نعبده ونكلم من جوفه
فكنست ما حوله ثم نحتت به وقبلته فإذا صائح من جوفه يقول:

قُلْ للقبائل من سليم كلها هلك الضُّمار وفاز أهل المسجد
هلك الضُّمار وكان يُعبد مرة قبل الكتاب مع النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والمهدي بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال: فخرجت مرعوباً حتى آتيت قومي فقصصت عليهم القصة
وأخبرتهم الخبر وخرجت في ثلاثمائة من قومي من بني حارثة إلى رسول
الله ﷺ وهو بالمدينة فدخلنا المسجد فلما رأي رسول الله ﷺ قال لي: يا
عباس كيف كان إسلامك؟ فقصصت عليه القصة. قال: فسر بذلك
وأسلمت أنا وقومي (تاريخ دمشق: ٤١٠/٢٦).

ورواه الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» من حديث أبي بكر بن أبي
عاصم عن عمرو بن عثمان به.

ثم رواه (ص: ٦٦) أيضاً من طريق الأصمعي حدثني الوصافي عن
منصور بن المعتمر عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزاعي عن العباس
بن مرداس السلمي. قال: أول إسلامي أن مرداساً أبني لما حضرته الوفاة
أوصاني بصمت له يقال له: ضمار فجعلته في بيت وجعلت آتيه كل يوم مرة
فلما ظهر النبي ﷺ سمعت صوتاً مرسلأ في جوف الليل راغي فوثبت إلى
ضمار مستغيثاً وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول:

قُلْ للقبيلة من سليم كلها هلك الأيس وعاش أهل المسجد
أودى ضمار وكان يُعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد
إن الذي ورث النبوة والمهدي بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال: فكنتم الناس فلما رجع الناس من الأحزاب بينا أنا في إليي
بطرف العقيق من ذات عرق راقدًا سمعت صوتاً وإذا برجل على جناح
نعامة وهو يقول: النور الذي وقع ليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة الغضباء
في ديار إخوان بني العنقاء، فأجابه هاتف من شماله وهو يقول:

بشِّر الجِسْنَ وإِلَاسَها أن وضعت الطي أحلاسها
وكَلَّات السماة أحراسها

قال فوثبت مذعوراً وعلمت أن محمداً مرسل، فركبت فرسي واحتثت
السير حتى انتهيت إليه فبايعته ثم انصرفت إلى ضمار فأحرقت بالنار ثم
رجعت إلى رسول الله ﷺ فأشلتته شعراً أقول فيه:

لعمرك إني يرم أجعل جاهلاً ضماراً ليرب السالين مشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ما أولئك

كتارك سهل الأرض والخرن يتني ليلتك في غشو الأمور المسالكا
فأمنت بالله الذي أنا عبده وخالفك من أسمى يريد المالك

ووجهك وجهي نحو مكة قاصداً أبايع نبي الأكرمين المباركا
نبي أتنا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل فيه كذلك

أبى عيسى الفرسان أول شافع وأول ميموث يوجب الملاك

تلافي عرى الإسلام بعد انتفاضها فأحكمتها حتى أقام المناسكا
عيشك يا خير البرية كلها توسطت في الفرعين والمجد مالكا

وأنت المصطفى من قريش إذا سمعت على ضمرها تبقى القرون المباركا
إذا انتسب الحبان كعب ومالك وجنداك محضاً والنساء المواركا

بن عمرو بن ثعلب وعبيد الله بن جحش بن رثاب وعثمان بن الحويرة
كانوا عند صنم لهم يمتعون إليه قد اغتزلوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً
كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ثم ياكلون ويشربون الخمر ويعكفون
عليه فدخلوا عليه في الليل فأراه مكبواً على وجهه، فأنكروا ذلك فأخذه
فردوه إلى حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيماً، فأخذه فردوه إلى حاله
فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك. فقال عثمان بن
الحويرة: ما له قد أكثر التكسب إن هذا لأمر قد حدث وذلك في الليلة
التي ولد فيها رسول الله ﷺ فجعل عثمان يقول:

أيا صنم العيد الذي صُفَّ حوله ضناديد وفرد من بعيد ومن قُرب
تكوست مغلوباً فما ذاك قل لنا أذاك سفه أم تكوست للتعيب

فإن كان من ذنب أتنا فأنسا نبوه بأقرار ونلوي عن الذنب
وإن كنت مغلوباً تكوست صاغراً فما أنت في الأوثان بالسيد الرب

قال: فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فلما استوى هتف بهم هاتف من
الصنم بصوت جهير وهو يقول:

تسرى لولسود أنارت بنسوره جيع فجاج الأرض في الشرق والغرب
وخرت له الأوثان طراً وأرعدت قلوب ملوك الأرض طراً من الرعب
ونار جيع الفرس بانخت واطلمت وقد بات شاة الفرس في أعظم الكرب
وصلت عن الكهان بالنيب منها فلا غبر عنهم بحق ولا كذب
نيل قصي لرجعوا عن ضلالكم وهبوا إلى الإسلام والميزل الرحب

قال: فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض: تصادقوا
وليكنم بعضكم على بعض فقالوا: أجل، فقال لهم ورقة بن نوفل: تعلمون
- والله - ما قومكم على دين ولقد أخطأوا الحجة وتركوا دين إبراهيم ما
حجر تظفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر؟ يا قوم التمسوا
لأنفسكم الدين. قال: فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن
الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فاما ورقة بن نوفل فتصغر وقرأ الكتب
حتى علم علماً وأما عثمان بن الحويرة فسار إلى قيصر فتصغر وحسنت
مزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن ثعلب فاراد الخروج فحبس ثم إته خرج
بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة فلقى بها
راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب: إنك تطلب ديناً ما نجد
من يملك عليه، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين
الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة ففارت عليه حنم فقتلوه.

وأما عبيد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بعث النبي ﷺ ثم خرج مع
من خرج إلى أرض الحبشة، فلما صار بها تصغر وشارك الإسلام فكان بها
حتى هلك هنالك نصرانياً (تاريخ دمشق: ٤٢٣/٣).

تقدم في ترجمة زيد بن عمر بن ثعلب له شاهد.

وقد قال الخرائطي: حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر السورقي
حدثنا عمرو بن عثمان حدثني أبي حدثنا عبد الله بن عبد العزيز حدثني
محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن أنس السلمي عن
العباس بن مرداس أنه كان بغمرة في لقاح له نصف النهار إذ طلعت عليه
نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض مثل اللبن فقال: يا عباس بن
مرداس لم تر أن السماء قد كفت أحراسها، وأن الحرب تجرعت أنفاسها،
وأن الخيل وضعت أحلاسها، وأن الذي تزل بالبر والتقى، يرم الاثنين
ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصوا قال: فرجعت مرعوباً قد راغيت ما رأيت

قال: فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم يا ابن أخت فخذ إليها شئت فداء لناقاة جاري الإنسي، فقام الفتى فآخذ منها ثوراً وانصرف.

ثم التفت إلى الشيخ فقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخذت هوله فقل: أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذب بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبي عربي لا شرقي ولا غربي يمث يوم الاثنين. قلت: وأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل. قال: فركبت راحلي حين سرق لي الصبح وجلدت السير حتى تقحمت المدينة فرأيت رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر له منه شيئاً ودعاني إلى الإسلام فأسلمت. قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرِيقَهُمْ رَاقِيَ﴾ [الجن: ٦] (والمرءى للسير: السوطي: ٢٧٢/٦).

وروى الخرافطي من طريق إبراهيم بن إسحاق بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي. قال: إذا كنت بواد تخاف السبع فقل: أعوذ بدانيال والجب، من شر الأسد.

وروى البلوي عن عمارة بن زيد عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن ابن عباس قصة قتال علي الجن بالبر ذات العلم التي بالحقفة حين بعثه رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء فأرادوا منه وقطعوا الدلو فزول إليهم. وهي قصة مطولة منكبة جداً والله أعلم.

وقال الخرافطي: حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره حدثنا سليمان ابن بنت شرحبيل الدمشقي حدثنا عبد القدوس بن الحجاج حدثنا مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن رجل قال: كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب النبي ﷺ يتناكرون فضائل القرآن فقال بعضهم: خواتيم سورة النحل، وقال بعضهم: سورة يس، وقال علي: فإني أتم عن فضيلة آية الكرسي؟ أما إنها خمسون كلمة في كل كلمة سبعون بركة.

قال: وفي القوم عمرو بن معدي كرب لا يغير جواباً، فقال: أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال عمر: حدثنا يا أبا ثور. قال: بينا أنا في الجماعة إذ جهلني الجوع فاقحمت فرسي في البرية فما أصبت إلا بيض النعام، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة، وللي جانبها كأنها شمس طالعة ومعه غنيمات له، فقلت له: استأسر ثكلتك أمك. فرفع رأسه إلي وقال: يا فتى إن أردت قرى فانزل وإن أردت معونة أعناك. فقلت له: استأسر فقال:

غرضنا عليك الزَّلَّ مَنَّا نَكْرُماً فَلَمْ تَرْجُوْهُ جَهْلًا كَيْفَ الْأَشْثَامِ وَجَنَّتْ بَيْهَاتَانِ زَوْدٍ وَدُونِ مَا تَنْتَبِهُ بِالنَّيْضِ حَرًّا الْخَلَامِ
قال: ووثب إلي وثبة وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. فكأنني مثلت نمته. ثم قال: أتتلك أم اخلي عنك؟ قلت: بل خل عني قال: فخل عني. ثم إن نفسي حدثني بالمعودة. فقلت: استأسر ثكلتك أمك فقال: بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فَرْنَا هُنَاكَ وَالرَّحِيمِ بِهِ فَزَرْنَا وَمَا تَنْفِي جَلَاةٌ ذِي حِفَاطٍ إِذَا يَوْمًا لِمَرْكُورٍ بَرَزْنَا

ثم وثب إلي وثبة كأنني مثلت نمته. فقال: أتتلك أم اخلي عنك؟ قال: قلت: بل خل عني. فخل عني فانطلقت غير بعيد. ثم قلت في نفسي: يا عمرو أيقهرك هذا الشيخ. والله للموت خير لك من الحياة، فرجعت إليه

قال الخرافطي: وحدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر حدثنا عمارة بن زيد حدثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق حدثني شيخ من الأنصار يقال له: عبد الله بن محمود من آل محمد بن سلمة قال: بلغني أن رجلاً من خشم كانوا يقولون: إن ما دعانا إلى الإسلام أنا كنا قوما نعبد الأوثان فبينما نحن ذات يوم عند وثن لنا إذ أقبل نفر يتقاضون إليه يرجون الفرج من عنده لشيء شجر بينهم إذ هتف بهم من الصنم فجعل يقول:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ذُو الْأَجْسَامِ مَنْ بَيْنَ أَشْيَاخٍ إِلَى غِلَامِ
مَا أَنْتُمْ وَطَائِفُ الْأَحْلَامِ وَمَنْذُ الْحُكْمِ إِلَى الْأَصْنَامِ
أَكَلَكُمْ فِي حَبِيرَةِ النَّيَامِ أَمْ لَا تَسْرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي
مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلَامِ قَدْ لَاحَ لِلنَّظَرِ مَنْ يَهَامِ
ذَاكَ نَبِيَّ سَيِّدِ الْأَنْبَامِ قَدْ جَاءَ بَعْدَ الْكُفْرِ بِالْإِسْلَامِ
أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ وَمَنْ رَسُولٌ صَادِقُ الْكَلَامِ
أَعْدَلُ ذِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ بِأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
وَالسَّيْرِ وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ وَيُزَجِّرُ النَّاسَ عَنِ الْأَنْبَامِ
وَالرَّجْسِ وَالْأَوْثَانِ وَالْحَرَامِ مَنْ هَانَتْ فِي ذُرَّةِ السَّانِ
مَسْتَعْلًا فِي الْبِلَدِ الْحَرَامِ

قال: فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه وأتبنا النبي ﷺ فأسلمنا (الربيع دمشق: ٤٥٠/٣).

وقال الخرافطي: حدثنا عبد الله البلوي حدثنا عمارة حدثني عبيد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكر عن سعيد بن جبير أن رجلاً من بني نجيم يقال له: رافع بن عمير. وكان أهدى الناس للطريق وأسراهم لبلي، وأهمهم على هول، وكانت العرب تسميه لذلك دُعْمُوصُ العرب لهديته وجرامته على السير، فذكر عن بده إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبي النوم فزلت عن راحلي وأختها وتوسدت ذراعها وغمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن من أن أؤذي أو أهاج. فرأيت في منامي رجلاً شاباً يرصد ناقتي ويده حرية يريد أن يضعها في نحرها، فانتبهت لذلك فرعاً فنظرت بيننا وشمالاً فلم أر شيئاً، فقلت: هذا حلم ثم عدت فنفست فرأيت في منامي مثل رؤياي الأولى فانتبهت فلدت حول ناقتي فلم أر شيئاً وإذا ناقتي ترعد، ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت فإذا أنا برجل شاب كالذي رأيت في المنام يده حرية ورجل شيخ ممسك بيده يرده عنها وهو يقول:

يَا مَالِكُ بْنُ مُهْلَهْلٍ بِنَ دُثَارٍ مَهْلًا فَدَى لَكَ مَرْتَدِي وَإِذَا رِي
عَنْ نَاقَةِ الْإِنْسِي لَا تَسْرِضْ لَهَا وَاخْتَرِ بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ أَثْوَارِي
وَلَقَدْ بَدَأَ لِي مِنْكَ مَا لَمْ أَحْتَسِبْ إِلَّا رَعِيَتْ قُرَابِي وَذِمَارِي
تَسْمُو إِلَيْهِ بِحَرْزَةٍ مَسْمُومَةٍ تَبَا لِيَقْلُوكَ يَا أَبَا الْغَفَارِ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ أَهْلَكَ جَبْرَةً لَعَلَّتْ مَا كَشَفْتَ مِنْ أَخْبَارِي
قال: فأجابه الشاب وهو يقول:

أَرَدْتُ أَنْ تَعْلُو وَتُخَفِّضَ ذِكْرُنَا فِي غَيْرِ مُرْبِرَةٍ أَبَا الْعِزَارِ
مَا كَانَ فِيهِمْ سَيِّدٌ فِيمَا مَضَى إِنْ الْخِيَارَ هُمُو بَنُو الْأَخْيَارِ
فَأَقْصِدْ لِقَصْدِكَ يَا مُكْبِرُ إِنَّمَا كَانَ الْجَمِيرُ مُهْلَهْلٌ بِنَ دُثَارِ

وتعلم القرآن، وفيما تعلمه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وكان يتعمد بها.

وقال الخرائطي: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد قال: حدثني عبد الله بن العلاء عن هشام بن عروة عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل يذكران أنهما أتيا النجاشي بعد رجوع أبرهة من مكة، قالوا: فلما دخلنا عليه قال لنا: أصدقاني أيها القرشيان هل ولد فيكم مولود أراد أبوه ذبحه فضرب عليه بالقداح فسلم ونحرت عنه إبل كثيرة؟ قلنا: نعم. قال: فهل لكما علم به ما فعل؟ قلنا: تزوج امرأة يقال لها: أمية بنت وهب تركها حاملاً وخرج قال: فهل تعلمان ولم أد ما؟ قال ورقة بن نوفل: أخبرك أيها الملك أني ليلة قد بت عند وثن لنا كنا نطيف به، ونعبده إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

وليد النبي فقلت الأملاك ونأي الضلال وأدبر الإشرار

ثم انتكس الصنم على وجهه. فقال زيد بن عمرو بن نفيل: عندي كخبير أيها الملك. فقال: هات قال: إني في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه خرجت من عند أهلي وهم يذكرون حمل أمية حتى أتيت جبل أبي قبيس أريد الخلو فيه لأمر رابني إذ رأيت رجلاً يتزل من السماء له جناحان أخضران، فوقف على أبي قبيس ثم أشرف على مكة فقال: ذل الشيطان وطلعت الأوثان وولد الأمين. ثم نشر ثوباً معه وأمرى به نحو المشرق والمغرب فرأيت قد جلى ما تحت السماء وسطع نور كان أد يختطف بصري وهالتي ما رأيت. وخنق الهاتف بجناحيه حتى سقط على الكعبة. فسطع له نور أشرقت له تهامة. وقال: ذكت الأرض وادت ربيعها. وأومأ إلى الأصنام التي كانت على الكعبة فسقطت كلها.

قال النجاشي: ويحكمنا أخبركم عما أصابني، إني لسانم في الليلة التي ذكرتها في قبة وقت خلوتي، إذ خرج علي من الأرض عنق وراس، وهو يقول: حل الويل بأصحاب الفيل، رمتهم طير أبيابيل، بحجارة من سجيل هلك الأشرم المعتدي الجرم، ولد النبي الأمي، الكمي الحرمي، من أجا به سعد، ومن أباه عند.

ثم دخل الأرض فغاب فذعبت أصبح فلم أطق الكلام، ومرت القيام فلم أطق القيام، فصرعت القبة بيدي فسمع بذلك أهلي فجأؤوني فقلت: احجبوا عني الحبيشة فحجبهم عني ثم أطلق عن لساني ورجلي.

وروى الحافظ أبو القاسم ابن عسك في «تاريخه» [٤٨٩/١١] في ترجمة الحارث بن هانئ بن المذللج بن القناد بن زمل بن عمرو العنزي عن أبيه عن جده عن أبيه عن زمل بن عمرو العنزي قال: كان لبني عذرة صنم يقال له: حمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة وكان سادته رجلاً يقال له: طارق وكانوا يعترفون عنده. فلما ظهر رسول الله ﷺ سمعنا صوتاً يقول: يا بني هند بن حرام. ظهر الحق وأودى حمام ودفع الشرك الإسلام. قال: ففرعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً وهو يقول: يا طارق يا طارق. بعث النبي الصادق، بوحى ناطق، صانع صاعد بأرض تهامة، لناصريه السلامة، ولخاذليه الندامة، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة. قال زمل: فوقع الصنم لوجهه. قال زمل: فابتعت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي ﷺ مع نفر من قومي وأشدته شعراً قلته:

إليك رسول الله أعلمت نصها وكلفتها حزناً وقسواً من الرمل

فقلت له: استأمر نكتلك أمك. فوثب إلي وثبة وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم فكأنني مثلت تحته، فقال: أتتلك أم أخلي عنك؟ قلت: بل خل عني فقال: هيهات، يا جارية اتيني بالمدينة فأتته بالمدينة فجز ناصيتي.

وكانت العرب إذا نظرت برجل فجزت ناصيته استعبدته، فكنيت معه أخذه مئة. ثم إنه قال: يا عمرو أريد أن تركب معي البرية وليس بي منك وجل، وإني بيسم الله الرحمن الرحيم لوائق قال: فسرنا حتى أتينا وادياً أشبأ مهولاً مغزلاً. فنادى بأعلى صوته: بسم الله الرحمن الرحيم. فلم يسن طير في وكره إلا طار. ثم أعاد الصوت فلم يبق سيع في مرضه إلا هرب، ثم أعاد الصوت فإذا نحن بمجشي قد خرج علينا من الوادي كالنحلة السحوق، فقال لي: يا عمرو إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل: غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم. قال: فلما رأيتهما قد اتحدنا قلت: غلبه صاحبي باللات والعزى فلم يصنع الشيخ شيئاً، فرجع إلي وقال: قد علمت أنك قد خالفت قولي. قلت: أجل ولست بعائد، فقال: إذا رأيتنا قد اتحدنا فقل: غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم، فقلت: أجل فلما رأيتهما قد اتحدنا قلت: غلبه صاحبي بيسم الله الرحمن الرحيم، قال: فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه فاشتق جوفه فاستخرج منه شيئاً كهيئة القنديل الأسود ثم قال: يا عمرو هذا غشه وغله. ثم قال: أتدري من تلك الجارية؟ قلت: لا، قال: تلك الفارعة بنت السليل الجرهمي وكان أبوها من خيبر الجن. وهؤلاء أهلها ويترعها يزوني منهم كل عام رجل يصرنه الله عليه بيسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: قد رأيت ما كان مني إلى الحبشي وقد غلب علي الجرح فأتيت بشيء أكله، فاستحمت بفرسي البرية فما أصبت إلا بيض النعام، فأتيت به فوجدته نائماً، وإذا تحت رأسه شيء كهيئة الحشبة، فاستلته فإذا هو سيف عرضه شبر في سبعة أشبار، فضربت ساقه ضربة أبنت الساقين مع القدمين، فاستوى على فقار ظهره وهو يقول: قاتلك الله ما أغدرك يا غدار. قال عمر: ثم ماذا صنعت؟ قلت: فلم أزل أضربه بسيفي حتى قطعت إرأ إرأ. قال: فوجع لذلك ثم أنشأ يقول:

بالغدر نلت إحدا الإسلام عن كعب ما إن سمعت كذا في سالف العرب والعجم تناف عما جته كزماً تباً لما جته في السيد الأرب

إنسي لأعجب أنى نلت تقتله أم كيف جازاك عند الذنب لم تنب قزّم عفا عنك سرارت وقد غلقت بالجسم منك يداؤه موضع العقب لو كنت آخذ في الإسلام ما فعلوا في الجاهلية أهل الشرك والصلب إذا نلتك من عدلي مخطئة تدعو لذهابها بالسويل والحرب

قال: ثم ما كان من حال الجارية؟ قلت: ثم إنني أتيت الجارية. فلما رأيته قالت: ما فعل الشيخ؟ قلت: قتله الحبشي، فقالت: كذب بل قتلت أنت بغدرك ثم أنشأت تقول:

عين جودي للفارس المغوار ثم جودي بواكفات غزار لا تلمي البكة إذ خلعتك الدم ربواف حقيقة صبار وتقسي وفي وقار وجلم وعديل الفخار يوم الفخار لهف نفسي على بقاتك عمرو أسلمت الأعمار للأقمار ولعمري لو لم تره بغدر رمت ليشاً بصارم بشار

قال: فاحفظني قولها فاستلكت سيفي ودخلت الخيمة لأقتلها فلم أر في الخيمة أحداً فاستقت الماشية ورجت إلى أهلي.

وهذا أثر عجب. والظاهر أن الشيخ كان من الجان وكان ممن أسلم

فبَلَغَنِي بِالْخَمْرِ خَوْفًا وَخَشْيَةً. وَيَالَهُمْ إِحْصَانًا فَحَصَّنَ لِي فِرْجِي
فَأَصْبَحْتُ هَمِي فِي الْجِهَادِ وَيَتِي فِي فَلْلُو مَا صَوْمِي وَلِلَّهِ مَا حَجَّيْ
قال: فلما أثبت قومي آبؤني وشتموني، وأمرؤا شاعرًا لم فهجاني،
فقلت: إن رددت علي فإِنما أهجو نفسي. فرحلت عنهم فأتيت منهم زلفة
عظيمة وكنت القِيمَ بأمورهم فقالوا: يا ابن عم: عينا عليك أمرًا وكرهنا
ذلك فإن آيت ذلك فارجع وقم بأمورنا وشغلك وما تدين به. فرجعت
معههم وقلت:

لُبَضُّكُمْ عِنْدَنَا مَرَّ مَنَاقِشِهِ وَيُغَضُّ عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَبْنُ
لَا يَطْفَنُ الدَّهْرُ إِنْ بَثَّ مَعَانِيَكُمْ وَكَلِمَ حِينَ يُشَى عَيْنًا فُلَيْنُ
شَاعَرْنَا مَقْعَمَ عَنكُمْ وَشَاعَرَكُمْ فِي حَدِيثِنَا مِيلُخُ فِي شَتْنِنَا لَبْنُ
مَا فِي الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا وَغَيْرُ. وَفِي قُلُوبِكُمُ الْبُغْضُ وَالْإِخْسَنُ
قال مازن: فهداهم الله بعد إلى الإسلام جميعًا.

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في «مغازيه»: حدثني محمد بن
سعيد - يعني عمه - قال: قال محمد بن المنكدر: إنه ذكر لي عن ابن عباس
قال: هتف هاتف من الجن على أبي قيس فقال:

تَبَّحَ إِلَهُ رَأَيْكُمْ أَكْ فَهَسِرَ مَا أَرَى الْعُقُولَ وَالْأَفْهَامَ
حِينَ تَعَصِي لِمَنْ يَعْصِي عَلَيْهَا فَيَنْ أَبَالُهَا الْحِمَاةَ الْكِرَامَ
حَالَفَ الْجَنُّ جَنْ يُبْصِرُ عَلَيْكُمْ وَرَجَسَالُ النَّخِيلِ وَالْأَطْهَامَ
تَوَشَّكُ الْخَيْلُ أَنْ تَرْوَحُوا تَهَادَى تَقْتُلُ الْقُرُومَ فِي حَرَامِ بَهَامَ
هَلْ كَرِمَ مِنْكُمْ لَهْ نَفْسُ حَسِرَ مَاجِدُ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَعْمَامَ
ضَارِبُ ضَرْبَةٍ تَكُونُ تَكَالًا وَرَوَاحًا مِنْ كُرْبَةٍ وَاغْتِمَامَ

قال ابن عباس: فأصبح هذا الشعر حديثًا لأهل مكة يتناشون به بينهم.
فقال رسول الله ﷺ: «هذا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له: مسعر،
والله عز وجل».

فمكثوا ثلاثة أيام فإذا هاتف يهتف على الجبل يقول:
نَحْنُ ثَلَاثَةٌ فِي ثَلَاثٍ يَنْشَعِرُ إِذْ سَقَى الْجَنُّ وَسْرَ الْمَكْرَا
فَعْتَهُ سَيْفًا حُسَامًا مُشْهَرَا بِشَتْنِهِ نِشْنَا الْمَطْهَرَا

فقال رسول الله ﷺ: «هذا عفريت من الجن اسمه مسج آمن بي
سميته عبد الله أخبرني أنه في طلبه ثلاثة أيام» فقال علي: جزاه الله خيرًا
يا رسول الله ﷺ وإخرجه أبو نعيم في «الدلائل»: ٦٠.

وقد روى الحافظ أبو نعيم في «الدلائل»: قال: حدثنا عبد الله بن محمد
بن جعفر حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب
الصفار. حدثنا عباس بن الفرخ الرياشي حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن
أبي ثابت عن أبيه عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن
عباس عن سعد بن عبادَةَ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حضرموت في
حاجة قبل الهجرة، حتى إذا كنت في بعض الطريق ساعة من الليل
فسمعت هاتفا يقول:

أَبَا عَمْرٍو تَسْأَلُونِي السُّهُودُ وَرَاحَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْمَجُودُ
لَذَكَّرَ عَصَابَتِي سَلَفُوا وَبَادُوا وَكُلَّ الْخَلْقِ قَصَّرْتُمْ يَدُ
تَوَلَّوْا وَارْبَدْنَ إِلَى الْمَائِيَا حِيَاضًا لَيْسَ مِنْهَا السُّرُودُ
مَضَرًا لِسُلَيْمٍ وَبَقِيَتْ خَلْفًا وَحِيدًا لَيْسَ يُعْفِي وَحِيدُ

لَأَنْصَرَّ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مَوْزَرًا وَأَعْقَدَ حَبْلًا مِنْ حَبَالِكَ فِي حَبْلِي
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ أَدِينُ بِهِ مَا أَتَقَلَّبْتُ قَدَمِي نَعْلِي

قال: فأسلمت. وبإيعاته. وأخبرناه بما سمعنا فقال: «ذاك من كلام
الجن». ثم قال: «يا معشر العرب إني رسول الله إلى الأنام كافة، أدعوهم
إلى عبادة الله وحده، وأني رسوله وعبد، وأن يحجوا البيت ويصوموا شهرًا
من اثني عشر شهرًا وهو شهر رمضان فمن أجابني فله الجنة نزلًا، ومن
عصاني كانت النار له مقبلًا».

قال: فأسلمنا وعقد لنا لواء. وكتب لنا كتابًا نسخته: «بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله ﷺ لزم لي بن عمرو ومن أسلم معه خاصة إني
بعثته إلى قومه عامدًا فمن أسلم ففي حزب الله ورسوله. ومن أبى فله
أمان شهرين. شهد علي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري».

ثم قال ابن عساکر: غريب جدًا.

وقال أبو نعيم في كتاب «دلائل النبوة» (ص: ٦٣): حدثنا عبد الله بن
محمد بن جعفر حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا علي بن حرب حدثنا
أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن عبد الله العماني. قال:
كان منا رجل يقال له: مازن بن العصورية يسند صنمًا بقرية يقال لها:
سمايا، من عُمان، وكانت تعظمه بنو الصامت ونسب حطامة ومهرة وهم
أحوال مازن. أمه زينب بنت عبد الله بن ربيعة بن حويص أحد بني ثمران.

قال مازن: فعترتنا يوماً عند الصنم عشرة، وهي الديبحة، فسمعت
صوتًا من الصنم يقول: يا مازن اسمع تسر، ظهر خير ونظن شر، بعث نبي
من مصر، بدين الله الأكبر، فدع نحيتنا من حجر. تسلم من حر سقر. قال
ففرغت لذلك نزعًا شديدًا. ثم عتروا بعد أيام عتيرة أخرى، فسمعت صوتًا
من الصنم يقول: أقبل إلي أقبل، تسلم ما لا تجهل، هذا نبي مرسل، جاء
بحق منزل، فأمن به كي تعدل عن حر نار تشعل وقودها الجندل.

قال مازن: فقلت: إن هذا لعجب وإن هذا لخبر يراد بي وقليم علينا
رجل من الحجاز فقلت: ما الخبر وراة؟ فقال: ظهر رجل يقال له: أحمد،
يقول لمن أتاه: «أجيبوا داعي الله»، فقلت: هذا نبي ما سمعت، فثرت إلى
الصنم فكسرتة فجذأ وركبت راحتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ
فشرح الله صدي للإسلام، فأسلمت، وقلت:

كُشِّرَتْ بَاجِرُ أَجْنَانًا وَكَانَ لَنَا رَسُومًا تَطْلِفُ بِهِ ضَلَالُ بَضَالُ
بِالْمَاشِمِ مَدَانَا مِنْ ضَلَالَتِنَا وَلَمْ يَكُنْ دِينُهُ مَنِي عَلَى بَالِ
يَا رَاكِبًا بَلَنْتُ عَمْرًا وَإِخْوَتَهُ إِنِّي لَيْسَ قَالُ رَيْسِي بِبَاجِرٍ قَالُ

يعني وعمرو الصامت وإخوته حطامة، فقلت: يا رسول الله ﷺ إني امرؤ
مولع بالطرب والمهلوك من النساء وشرب الخمر. وألحت علينا السنون
فأذهبن الأموال وأهزلن السراير وليس لي ولد، فأدعوا الله أن يذهب عني
ما أجد ويأتينا بالحيا، ويهب لي ولدا فقال النبي ﷺ: «اللهم أبدله بالطرب
قراءة القرآن، وبالخمر الحلال وبالإثم وبالمر عفة وآته بالحيا وهب له
ولدا» قال: فأذهب الله عني ما أجد واخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر
وحفظت شطر القرآن، ووهب الله لي حيان بن مازن وأنشأ يقول:

إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ خُبْتُ مَطِيئِي تَجْرِبُ الْفَيَافِي مِنْ عُمانَ إِلَى الْعَرَجِ
لَتَشْفَعُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَيَغْفِرُ لِي رَيْسِي فَارْجِعْ بِالْفَلَجِ
إِلَى مَعَشَرٍ خَالَفَتْ فِي اللَّهِ دِينَهُمْ فَلَا رَأْيَ لِي وَلَا شَرْجَ لِي شَرْجِي
وَكُنْتُ أَمْرًا بِالْخَمْرِ وَالْمَهْرِ مَوْلَا شَيْئِي حَتَّى أَذْنُ الْجَسْمِ بِالْهَنْجِ

سدى لا أستطيع علاج أمرٍ إذا ما عالج الطفل الوليد فلأياً ما بقيت إلى أناس وقذ باتت بهنكها ثمود وعادة والقرون بذي شعوب سواء كلهم إرم حصيد

قال: ثم صاح به آخر: يا خرب ذهب بك العجب. إن العجب كل العجب بين زهرة وثرب قال: وما ذاك يا شاحب؟ قال: نبي السلام، بعث بخير الكلام إلى جميع الأنام، فأخرج من البلد الحرام إلى نخل وأطام. قال: ما هذا النبي المرسل والكتاب المنزل، والأمر المفضل؟ قال: رجل من ولد لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. قال: ميهات فات عن هذا سبي، وذهب عنه زمي لقد رأيتني والنضر بين كنانة نرسي غرضاً واحداً، ونشرب حلباً بارداً، ولقد خرجت به من دوحه في غداة شبة وطلع مع الشمس وغرب معها، يروي ما يسمع ويثبت ما يصير. ولئن كان هذا من ولده لقد سل السيف وذهب الخوف، وحض الزنا، وهلك الربا. قال: فأخبرني ما يكون؟ قال: ذهبت السراة والمجاعة، والشدة والشجاعة، إلا بقية في خزاعة. وذهبت القراء والبؤس، والحلق المقفوس إلا بقية في الخزرج والأوس. وذهبت الخيلاء والفخر، والنيمة والغدر، إلا بقية في بني بكر. يعني بكر بن هوازن. وذهب الفعل المندم والعمل المؤتم، إلا بقية في خثعم. قال: أخبرني ما يكون؟ قال: إذا غلبت البرة، وكظمت الحررة، فأخرج من بلاد الهجرة، وإذا كف السلام، وقطعت الأرحام فأخرج من البلد الحرام. قال: أخبرني ما يكون؟ قال: لولا أذن تسمع، وعين تلمع لأخبرتك بما يفزع. ثم قال:

لا منام هلكته بنعيم يا ابن غوط ولا صباح أتنا قال: ثم صرصر صرصرة كأنها صرصرة جبل، فذهب الفجر فذهبت لأنظر فإذا عظاية وثبان ميثان. قال: فما علمت أن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث.

ثم رواه عن محمد بن جعفر عن إبراهيم بن علي عن النضر بن سلمة عن حسان بن عباد عن موسى عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر عن ابن عباس عن سعد بن عباد. قال: لما بايعنا رسول الله ﷺ بيعة العقبة خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة، قال: فقصيت حاجتي ثم أقبلت حتى إذا كنت ببعض الطريق نمت، ففزعت من الليل بصائح يقول: أبا عمرو تناسوبي السهو وراح النوم وانقطع المجرود وذكر مثله بطوله.

وقال أبو نعيم: حدثنا عمرو بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن علي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا أبو غزية محمد بن موسى عن العطاء بن خالد الوابسي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: سمعت تيمماً الداري يقول: كنت بالشام حين بعث النبي ﷺ، فخرجت لبعض حاجتي فأنكرني الليل. فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة. قال: فلما أخذت مضجعي إذا أنا بمناد ينادي، لا أراه. حذ بالله فإن الجن لا تجر أحداً على الله فقلت: أيم الله تقول؟ فقال: قد خرج رسول الأمين رسول الله وصلياً خلفه بالحقون. فأسلمنا وأتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب. ففطلق إلى محمد رسول رب العالمين فأسلم.

قال تميم: فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً وأخبرته الخبر. فقال الراهب: قد صدقك يخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو خير الأنبياء فلا تسبق إليه. قال تميم: فتكلفت الشخصوص حتى جئت رسول الله ﷺ فأسلمت [تاريخ دمشق: ٧٣/١].

وقال حاتم بن اسماعيل عن عبد الله بن يزيد الهذلي عن طريقه موصلاً في طبقات ابن سعد: [١٦٨/١] عن عبد الله بن ساعدة الهذلي عن أبيه قال: كنا عند صنمنا سواع، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مائتي شاة قد أصابها جرب، فادنياها منه لطلب بركته فسمعت متادياً من جوف الصنم ينادي: قد ذهب كيد الجن ورمينا بالشهب لني اسمه أحمد. قال: فقلت: غويت والله. فصرفت وجه غنمي متجداً إلى أعلي فقلت رجلاً. فخبرنني بظهور النبي ﷺ.

ذكره أبو نعيم هكذا معلقاً ثم قال [دلائل النبوة: ٦٨]: حدثنا عمر بن محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن السدي حدثنا النضر بن سلمة حدثنا محمد بن سلمة المخزومي حدثنا يحيى بن سليمان عن حكيم بن عطاء الظفري - من بني سليم من ولد راشد بن عبد ربه - عن أبيه عن جده عن راشد بن عبد ربه قال: كان الصنم الذي يقال له: سواع بالملاءة من رهاط تلين له هليل وينظر ظفر بن سليم فأرسلت بنظر راشد بن عبد ربه بهدية من سليم إلى سواع.

قال راشد: فالتقيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع، فإذا صارخ يصرخ من جوفه: العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب، يحرم الزنا والزنا والربح للأصنام. وحرست السماء ورمينا بالشهب العجب كل العجب. ثم هتف صنم آخر من جوفه: ترك الضمار وكان يعبد، خراج أحمد، نبي يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام، والسر والصلوات للأرحام. ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف يقول:

إن السدي ورت النبوة والمهدي بعد ابن مريم من قريش مهتد نبي يخرج بما قد سبق وما يكون من الند

قال راشد: فالتقيت سواعاً مع الفجر وتعلبان يلحسان ما حوله، ويأكلان ما يهدي له، ثم يمرجان عليه ببولهما، فعند ذلك يقول راشد بن عبد ربه:

أرب يسر الثعلبان براميه لقد ذل من بآلت عليه الثعالب وذلك عند خرج النبي ﷺ ومهاجرة إلى المدينة وتسامع الناس به فخرج راشد حتى أتى النبي ﷺ المدينة ومعه كلب له، واسم راشد يومئذ: ظالم، واسم كلبه: راشد فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: ظالم. قال: «فما اسم كلبك؟» قال: راشد، قال: «اسمك راشد، واسم كلبك ظالم» وضحك النبي ﷺ. وبايع النبي ﷺ وأقام بمكة معه ثم طلب من رسول الله ﷺ قطعة برهاط - ووصفها له - فأقطعه رسول الله ﷺ بالملاءة من رهاط شاة الفرس، ورميته ثلاث مرات بمجر، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتقل فيها وقال له: «فرغها في أعلى القطعة ولا تمنع الناس فضولها» ففعل فجعل الماء معيماً يجرى إلى اليوم ففرس عليها النخل. ويقال: إن رهاطاً كلها تشرب منه فسمها الناس ماء الرسول ﷺ. وأهل رهاط يقتلون بها ويلغت رمية راشد الركب الذي يقال له: ركب الحجر، وغدا راشد على سواع فكسره.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي حدثنا أبو محمد عبد الله بن داود بن دهاث بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع بن ياسر بن سويد صاحب رسول الله ﷺ حدثنا أبي عن أبيه دهاث عن أبيه إسماعيل أن باه عبد الله حدثه عن أبيه مسرع بن ياسر أن أباه ياسر حدثه عن عمرو بن مرة الجهني أنه كان يحدث قال: خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية. فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً

من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جهينة. فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انتشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن. فسمعت صوتاً في النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام، فانتبهت فرعاً، فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث وأخبرتهم بما رأيت.

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا رجل فأخبرنا أن رجلاً يقال له: أحمد قد بعث فأتيته فأخبرته بما رأيت فقال: فيما عمرو بن مرة إني المرسل إلى العباد كافة أدعومهم إلى الإسلام، وأمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله ورفض الأصنام، وحج البيت. وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله الجنة. ومن عصى فله النار، فأمن يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من نار جهنم فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله. آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام، ثم أُنشدته آياتاً قلتها حين سمعت به وكان لنا صنم وكان أبي سادنا له فقمنا إليه فكسرت ثم لحقت النبي ﷺ وأنا أقول:

شهدت بأن الله حقّ وإنّي
فسترت عن ساقى إزار مهاجر
لأصحب خير الناس نفساً والداً
رسولاً ملكاً الناس فوق الحياكل

فقال النبي ﷺ: «فرح بك يا عمرو بن مرة». فقلت: يا رسول الله بلبي أنت وأمي ابعت بي إلى قومي، لعل الله أن يمن ببي عليهم كما من بك علي، فبعثني إليهم وقال: «عليك بالقول السديد ولا تكن قفلاً ولا متكبراً ولا حسوذاً» فأبنت قومي فقلت لهم: يا بني رفاعة ثم يا بني جهينة إني رسول من رسول الله إليكم أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، وأمركم بحق النماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من إثني عشر شهراً. فمن أجاب فله الجنة. ومن عصي فله النار.

بامعشر جهة إن الله - وله الحمد - جعلكم خيار من أنتم منه
ويغض إليكم في جاهليتكم ما حجب إلى غيركم من الرث، لأنهم كانوا
يجمعون بين الأختين، ويخلف الرجل على امرأة أبيه، والترات في الشهر
الحرام. فأجيبوا هذا النبي المرسل ﷺ من بني لؤي بن غالب. تناولوا شرف
الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك تكن لكم فضيلة عند الله.
فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال: يا عمرو بن مرة أمر الله عليك عيشك،
أنا ما أن نرفض أختنا ونترق جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا
القرشي من أهل تهامة؟ لا ولا مرحباً ولا كرامة، ثم أنشأ يقول:

إِنْ أَبْنَىٰ سُرَّةً قَدْ اتَّيَ مَقَالِدُ
لَيْسَتْ مَقَالِدُ مَنْ يُرِيدُ مَصْلَاحًا
يَوْمًا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ رِيحًا
أَنْفُسُهُ الْأَشْيَاحُ مَنْ قَدْ مَضَىٰ
مَنْ رَأَىٰ ذَلِكَ لَا أَصَابَ فَلَاحًا

فقال عمرو بن مرة: الكاذب مني ومنك أمر الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكبه بصره. قال عمرو بن مرة: والله ما مات حتى سقط فوه وكان لا يجد طعام، وعمي وخرس. وخرج عمرو بن مرة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ، فرحب بهم وحيامهم وكتب لهم كتاباً هذه نسخته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله بكتاب صادق، وحق ناطق، مع عمرو بن مرة الجهني لجهينة بن زيد إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتلاع الأودية وظهورها، ترعون نباته

وتشيرون صافيه. على أن تقروا بالخمس وتصلوا الصلوات الخمس، وفي التبعة والصريمة شاتان إن اجتمعنا، وإن تفرقتا فثاة شاة ليس على أهل الميرة صدقة، ولا على الواردة لبقه. وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم. وذلك حين يقول عمرو بن مرة:

الْم تَرَأَ اللّٰهَ أَظْهَرَ دِيْنَهُ وَيُسِّنُّ بَرَهَانَ الْقُرْآنِ لِعَالَمٍ
 كِتَابَ مِنَ الرَّحْمَنِ نُورَ جَمِيْعِنَا وَاحْلَانِنَا فِي كُلِّ بَادٍ وَخَاصِرٍ
 إِلَى خَيْرٍ مِنْ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ كُلَّهَا وَأَفْضَلُهَا عِنْدَ اعْتِكَارِ الضَّرَائِرِ
 أَطْعَمَنَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَقَطَّعَتْ بَطُونَ الْأَعَادِي بِالطُّغْيَانِ وَالْخَوَاطِرِ
 فَتَحْنُ قِيلَ قَدْ بُنِيَ الْمَجْدُ حَوْلَنَا إِذَا اجْتَلَبَتْ فِي الْحَرْبِ هَامَ الْأَكْبَارِ
 بَنُو الْحَرْبِ تَقَرَّبُوا بِأَيْدِي طَوِيلَةٍ وَيَضِي تَلَالُفٌ فِي أَكْفِ الْمَغَاوِرِ
 تَرَى حَوْلَهُ الْأَنْصَارَ تَحْمِي أَمِيرَهُمْ بِسْمِ السَّوَالِي وَالصَّلَاحِ الْبَوَاتِرِ
 وَإِذَا الْحَرْبُ دَارَتْ عِنْدَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَدَارَتْ رَحَاهَا بِالْيُوثِ الْهَوَاسِرِ
 يَنْبَلِجُ مِنْهُ اللَّوْنُ وَازْدَادَ وَجْهَهُ كَيْشَلُ ضِيَاءِ الْبَدَنِ بَيْنَ الزُّوَاهِرِ

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في «مغازيه»: حدثنا عبد الله حدثنا أبو عبد الله حدثنا المجالد بن سعيد والأجلح عن الشعبي حدثني شيخ من جهة قال: مرض منا رجل مرضاً شديداً ففصل حتى حفرنا له قبره وهبنا أمره فاعظمي عليه ثم فتح عينيه وأفاق فقال: أحضرتم لي؟ قالوا: نعم، قال: فما فعل الفضل؟ - وهو ابن عم له - قلنا: صالح مر آنفاً يسأل عنك، قال: أما إنه يوشك أن يجعل في حفرتي إنه أثناني أت حين أعني علي فقال: أبك هبل، أما ترى حفرتك تُستل، وأمك قد كادت تتكل؟ لربيتك إن حولناها عنك بالحوّل، ثم ملأناها بالجندل، وقذفنا فيها الفضل، الذي مضى فأجزأك، وظن أن لن يفعل. أتشكر لربك، وتصل وتدع دين من أشرك وضل؟ قال: قلت: نعم. قال: قم قد برئت. قال: فبرئ الرجل ومات الفضل فجعل في حفرته. قال الجهمي: فرأيت الجهمي بعد ذلك يصلي ويسب الأوثان ويقم فيها.

وقال الأموي: حدثنا عبد الله قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس يتحدثون عن الجن، فقال خريم بن فاتك الأسدي: ألا أحدثك كيف كان إسلامي؟ قال: بلي، قال: إني يوماً في طلب ذودي منها على أثر تنصب وتعمد، حتى إذا كنت بأبرق العراق انحلت راحلتي وقلت: أعوذ بعظيم هذه الليلة أعوذ برئيس هذا الوادي، فإذا يهاتف يهتف بي: ويحك، عُدْ بالله ذي الحلال والمجد والعلاء والإفضال ثم اتل آيات من الأنفال ووحد الله ولا تبالي

قال: فذعرت ذعراً شديداً ثم رجعت إلى نفسي فقلت:
يا أيها الماتف ما تقول! أترشد عنك أم تضل
بين هذاك اللئيم ما الحويل

قال: فقال:
هنا رسول الله ذو الخيرات يشرب يدمو إلى النجاة
يا أمير البر والصلاة . ويزغ الناس عن المئات
قال: قلت له: والله لا أبرح حتى آتية وأومن به، فنصبت رجلي في
غرز راحلي وقلت:

أَرْضُنِي أَرْضُنِي هُدَيْتَا
لا جَعْتَا مَا عَشْتَا وَلَا عَرَبْتَا
وَلَا بَرَحْتَا سَيِّدَا مَقْبِيَا
لا تَوَثِّرُ الْخَبِيرَ الَّذِي أَتَيْتَا

على جميع الجان ما بقينا

فقال:

صاحبك الله وأدى رَحْلَكَما وعظمَ الأجرَ وعافى نفسَكَما
أيسرَ به أفلحَ ربي حقًا وانصره أعزُّ ربي نصرًا
قال: قلت: من أنت عافاك الله، حتى أخبره إذا قدمت عليه؟ فقال: أنا
مالك بن مالك، وأنا تقيه على جن نصيين. وكفيت إيلك حتى أضمتها
إلى أهلك إن شاء الله. قال: فخرجت حتى أتيت المدينة يوم الجمعة
والناس أرسال إلى المسجد والتي تليق على المتر كأنه البدر يخطب الناس،
فقلت: أنيخ على باب المسجد حتى يصلي وأدخل عليه فاسلم وأخبره عن
إسلامي، فلما أخرجني إلى أبو ذر فقال: مرحباً وأهلاً وسهلاً قد بلغنا
إسلامك، فدخل فصل، ففعلت، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرني
بإسلامي. فقلت: الحمد لله. قال: أما إن صاحبك قد وفى لك وهو أهل
ذلك، وأدى إيلك إلى أهلك

وقد رواه الطبراني في ترجمة خريم بن فاتك من «معجمه الكبير»
[٤١٦٥] قالاً: حدثنا الحسين بن إسحاق السبري حدثنا محمد بن إبراهيم
الشامي حدثنا عبد الله بن موسى الإسكندري حدثنا محمد بن إسحاق عن
سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال خريم بن فاتك لعمر
بن الخطاب: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي؟ قال: بلى.
فذكره غير أنه قال: فخرج إلى أبو بكر الصديق فقال: ادخل، فقد بلغنا
إسلامك، فقلت: لا أحسن الظهور، فعلمني فدخلت المسجد فرايت رسول
الله ﷺ كأنه البدر وهو يقول: «ما من مسلم ترضاً فاحسن الوضوء ثم
صلى صلاة يحفظها ويعقلها إلا دخل الجنة» فقال لي عمر: لتأبني على هذا
بينة أو لا تكون بك، فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان فأجاز شهادته.

ثم رواه «المعجم الكبير»: [٤١٦٦] عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن
محمد بن تميم عن محمد بن خليفة عن الحسن بن محمد عن أبيه قال: قال
عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك: حدثني بحديث يعجبني. فذكر مثل
السياق الأول سواء.

وقال أبو نعيم «دلائل النبوة»: [٦٩] حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أبو عبد
الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن
بنت شرحبيل حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني
عن عبد الله بن الديلمى قال: أتى رجل ابن عباس فقال: بلغنا أنك تذكر
سطيحاً تزعم أن الله خلقه، لم يخلق من ولد آدم شيئاً يشبهه؟ قال: نعم إن
الله خلق سطيحاً الغساني لحماً على وشم ولم يكن فيه عظم ولا عصب
إلا الجمجمة، والكفان. وكان يطوى من رجليه إلى ترقوته كما يطوى
الثوب، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه. فلما أراد الخروج إلى مكة
حُمِلَ على وضمه فأتى به مكة، فخرج إليه أربعة من قريش عبد شمس،
وهاشم ابنا عبد مناف بن قصي، والأحوص بن فهر، وعقيل بن أبي
وقاص فأتوا إلى غير نسيهم وقالوا: نحن أناس من جُمح أتيناك بلغنا
قلوبك، فرأينا أن إيتائنا إياك حق لك واجب علينا وأهدى إليه عقيل
صفحة هندية، وصعدة رديئة، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا،
أهل يراها سطيح أم لا. فقال: يا عقيل ناولني يلك فناولته يده فقال:

يا عقيل والعالم الخفية، والغافر الخطية، والذمة الوفية، والكعبة المبنية،
إنك لجاء بالمدينة، الصفحة الهندية، والصعدة الرديئة. قالوا: صدقت يا
سطيح، فقال: والآتي بالفرج، وقوس قزح، وسائر الفرج، واللطم المنبطح،

والتخل والرطب والبليح، إن الغراب حيث مرّ سنح، فأخبر أن القوم ليسوا
من جُمح، وأن نسيهم من قريش ذي الطبع قالوا: صدقت يا سطيح نحن
أهل البيت الحرام، أتيناك لتزورنا لما بلغنا من علمك. فأخبرنا عما يكون في
زماننا هذا وما يكون بعده ففعل أن يكون عندك في ذلك علم قال:

الآن صدقتم، خلوأ مني من الهام الله إياي، أتم يا معشر العرب في
زمان الحرم، سواء بصائرهم وبصائر المعجم، لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ
من عقبيكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم، فيكسرون الصنم، ويلغون
الردم، ويقتلون المعجم، يطلبون الغنم، قالوا: يا سطيح فمن يكون أولئك؟
فقال لهم: والبيت ذي الأركان، والأمن والسكان لينشؤون من عقبيكم ولدان
يكسرون الأوثان، وينكرون عبادة الشيطان، ويوحلون الرحمن وينشرون
دين الديان، يشرفون البنيان، ويستفتون الفتيان، قالوا: يا سطيح من نسل
من يكون أولئك؟ قال: وأشرف الأشراف، والمضي للإسراف، والمزعزع
الأحفاف، والمضعف الأضعاف، لينشؤون الآلاف من عبد شمس وعبد
مناف، نشوءاً يكون فيه اختلاف. قالوا: يا سواته يا سطيح فما تخبرنا من
العلم بأمرهم ومن أي بلد يخرج أولئك؟ فقال: والباقي الأبد، والبالغ
الأمد، ليخرجن من ذا البلد، فتى يهدي إلى الرشد يرفض يثوث والفسد،
يبرأ من عبادة الضده، يعبد رباً اتفرد، ثم يتوفاه الله محمداً، من الأرض
مفقوداً، في السماء مشهوداً.

ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق، في رد الحقوق لا خرق ولا
نزق ثم يلي أمره الخفيف، مجرب غطريف، ويرك قول العنيف. قد صاف
المضيف. وأحكم التحنيف. ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرباً، فيجتمع له
جموعاً وغصياً، فيقتلونه تمة عليه وغصياً، فيؤخذ الشيخ فيذبح أرباً فيقوم
به رجال خطباء ثم يلي أمره الناصر يخلط الرأي برأي التارك يظهر في
الأرض العساكر ثم يلي بعده ابنه يأخذ جمعه ويقل حمده. ويأخذ المال
ويأكل وحده، ويكثر المال لعقبه من بعده، ثم يلي من بعده عدو ملوك لا
شك الدم فيهم مسفوك، ثم يلي من بعدهم الصعلوك يطويهم كطي
الدرونك. ثم يلي من بعده عظمور يقصي الخلق ويذني مضر يفتح الأرض
افتتاحاً متكرراً، ثم يلي قصر القامة، بظهور علامة موت مواتاً وسلامة. ثم
يلي قليلاً باكر، فيترك الملك باثر ثم يلي أخوه يسته سابر، ينحس بالأموال
والمناير ثم يلي من بعده أهوج، صاحب دنيا ونعيم مخلج، ينشأوه معاشره
وذووه، ينهضون إليه يملعون به يأخذ الملك ويقتلونه، ثم يلي أمره من بعده
السايع، يترك الملك محلاً ضائع، يشوه في ملكه كالمشوه جائع، عند ذلك
يطمع في الملك كل عريان، ويلى أمره اللهفان. يرضي نزاراً جمع قحطان،
إذا التقيا بدمشق جمعان بين بيسان ولبنان، يصفن اليمن يومئذ صنفان.
صنف المسرة، وصف المخنول. لا ترى إلا حياء محلول. وأسيراً مغلول.
بين القراب والخيول.

عند ذلك تحرب المنازل وتسلب الأرامل، وتسقط الحوامل وتظهر
الزلازل، وتطلب الخلافة وائل، فتغضب نزار فتنتي العبيد والأشرار،
وتقصي الأمثال والأخبار. وتغلو الأسعار في صفر الأصفار يقل كل جبار
منه، ثم يسرون إلى خنادق وإنها ذات أشعار وأشجار تصد له الأنهار
ويهزمهم أول النهار، تظهر الأخبار فلا يتفهم نوم ولا قرار. حتى يدخل
مصرأ من الأمصار، فيدرك القضاء والأقدار. ثم يجي الرماة تلف مشاة،
لقتل الحكمة، وأسر الحماة ومهلك الغواة هنالك يدرك في أعلى المياه. ثم
يبور الدين، وتقلب الأمور، وتكثر الزبور، وتقطع الجسور، فلا يفلت إلا
من كان في جزائر البحور، ثم تبور الحبوب، وتظهر الأعراب ليس فيهم

فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لئلا ذلك. فإذا أوفى ببلوة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك. هكذا وقع مطولاً في باب التعبير من البخاري.

قال ابن شهاب (ج ٢٤): وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه -: «بينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملكُ الذي جاتني همزة جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرفعتُ منه، فرجعتُ فقلت: زملوني، زملوني فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ﴾ ثُمَّ فَأَنزِلُكُمْ فَذُكِّرُوا وَلِيَّاكُمْ فَطَهَّرُوا. وَالرَّجْزُ فَاهْبِطْ﴾ (البقرة: ١٠١) فحوسب الوحي وتابعه».

ثم قال البخاري (٣٣٩٢، ٤٩٢٦): تابعه عبد الله بن يوسف، وأبو صالح، يعني عن الليث، وتابعه هلال بن رواد عن الزهري. وقال يونس (٤٩٥٣) ومعمّر (٤٩٥٦، ٦٩٨٢): بواتره. وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري (٣، ٤٩٥٥) رحمه الله في كتابه في مواضع منه، وتكلمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي إسناداً ومتناً ولله الحمد والمنة.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (١٦٠) من حديث الليث به، ومن طريق يونس ومعمّر عن الزهري كما علقه البخاري (٤٩٥٣، ٤٩٥٦) عنهما، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم ورواياته ولله الحمد وانتهى سباقه إلى قول ورقة: أنصرك نصراً مؤزراً.

فقول أم المؤمنين عائشة. أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، بقوي ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار (سورة ابن هشام: ٢٣٦/١) عن عبيد بن عمير الليثي أن النبي ﷺ قال: «فجاءتني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب. فقال: اقرأ، فقلت: ما اقرأ؟ ففتني، حتى طشتُ أنه الموت، ثم أرسلني» وذكر نحو حديث عائشة سواء فكان هنا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة.

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «دلائل النبوة»: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا متجارب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح عن إبراهيم عن علقمة بن قيس. قال: إن أول ما يؤتي به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد.

وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه وهو كلام حسن يؤيده ما قبله ويؤيده ما بعده.

٣- ذكر عمره ﷺ ووقت بعثته

وتاريخها وما جرى له فيها

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عامر الشامي أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، ففرن بنبوتة إسرائيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوتة جبريل فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

معيب على أهل الفسوق والريب في زمان عصيب، لو كان للقوم حياة، وما تنفي المني.

قالوا: ثم ماذا يا سطيج؟ قال: ثم يظهر رجل من أهل اليمن كالشطرن، يذهب الله على رأسه الفتن.

وهذا أثر غريب كتبه لغيره وما تضمن من الفن والملاحم. وقد تقدم قصة شق وسطيح مع ربيعة بن نصر ملك اليمن، وكيف بشرنا بوجود رسول الله ﷺ وكذلك تقدم قصة سطيج مع ابن أخيه عبدالمسيح حين أرسله ملك بني ساسان، لارتجاس الإريوان، وخمود النيران، ورويا المويضان. وذلك ليلة مولد الذي نسخ بشريته سائر الأديان.

٢٩- باب كيف بدأ الوحي

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة. وحكى ابن جرير (١٩٨٥: ٢٩٩٢/٢) عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة.

قال البخاري (٦٩٨٢/٣): حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها. أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو العبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فقال: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذهني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذهني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (الفلم: ١-٥) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: فزملوني، فزملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة: كلا والله لا يجزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة. وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم! اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي كان نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة. حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواطئ الجبال فكلمها أوفى ببلوة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتفر نفسه.

فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن إسرائيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا يتأني هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرائيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بجراه فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وقرينة إلى أن جاءه جبريل. فعلمه بعد ما غطه ثلاث مررات، فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل.

وقال الإمام أحمد (٢٢٨/١): حدثنا يحيى عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشرة وبالمدينة عشراً. ومات وهو ابن ثلاث وستين.

وهكذا روى يحيى بن سعيد وسعيد بن المسيب [إبراهيم الطبري: ٢٩٢/٢].

ثم روى أحمد (٢٣٦/١، ٢٤٩): عن غندر وي زيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس قال: بُعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال الإمام أحمد (٢٧٩/١): حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت وثماني سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين.

قال أبو شامة: وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته فمن ذلك ما في «صحيح مسلم» [٢٧٧]: عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن» انتهى كلامه.

وإنما كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والافتراق عن قومه، لما يراه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلاوة عند مقارفة إيماء الله إليه صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ذكر محمد بن إسحاق [السيرة: ١٠٠، ١٠١] عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية، قال: وكان واعي، عن بعض أهل العلم قال: وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة يتسكف فيه - وكان من نسك قريش في الجاهلية - يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة.

وهكذا روى عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد الله بن الزبير مثل ذلك.

وهذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وَسُورَ وَسَنَ أَرْسَى بُسْبَرًا مَكَانَهُ - وَرَاقٍ لَسْبَرٍ فِي حِجْرِهِ وَنَزَالٍ

مكننا صوبه على رواية هذا البيت كما ذكره السهيلي [الروض الأنف: ٩٠/٣] وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمهم الله، وقد تصحف على بعض الرواة فقال فيه:

وَرَاقٍ لَسْبَرِي فِي حِجْرِهِ وَنَزَالٍ

وهذا ركيك ومخالف للصواب والله أعلم.

وحراء بقصر ويمد ويصرف ويمنع، وهو جبل بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار المار إلى منى، له قلة مشرفة على الكعبة متحنية والغار في تلك الحنية.

وما أحسن ما قال رؤية بن العجاج:

فلا وربّ الأكنسات القطن - وربّ ركبن من جبراه مُنْحَنِي

وقوله في الحديث: والتحنّث التبعّد، تفسير بالمعنى، وإلا فحقيقة التحنّث من حيث البنية فيما قاله السهيلي [الروض الأنف: ٣٩٠/٢] الدخول في الحنث ولكن سمعت ألفاظ قليلة في اللغة معناها الخروج من ذلك الشيء فتحنّث أي خرج من الحنث وتحنّث وتحجّج وتحمّج وهو ترك المجود وهو النوم للصلاة وتنجس وتقرّج أوردها أبو شامة.

وقد سئل ابن الأعرابي عن قوله: يتحنّث أي يتعبّد. فقال: لا أعرف هنا إنما هو يتحنّف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

قال ابن هشام [٢٣٥/١]: والعرب تقول: التحنّث والتحنّف يدلّون الغاء من الناء، كما قالوا: جدّث وجدف كما قال رؤية:

لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الْأَجْنَفِ

يريد الأجداث.

قال: وحديثي أبو عبيدة أن العرب تقول قُم في موضع ثم.

قلت: ومن ذلك قول بعض المفسرين في قوله تعالى: «وَقَوْمَهَا» أن المراد قُومها.

وقد اختلف العلماء في تبعّد عليه السلام قبل البعثة هل كان على شرع أم لا؟ وما ذلك الشرع؟ فقيل: شرع نوح وقيل: شرع إبراهيم. وهو الأشبه الأقوى. وقيل: موسى، وقيل: عيسى وقيل: كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به، وبسط هذه الأقوال ومناسبتها مواضع آخر في أصول الفقه والله أعلم.

وقوله: حتى فقه الحق وهو بغار حراء أي: جاء بغتة على غير موعد كما قال تعالى: «وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رُحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» [القصص: ٨٦] الآية. وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم» [العلق: ١-٥] وهي أول ما نزل من القرآن - كما قررنا ذلك في التفسير وكما سيأتي أيضاً - في يوم الاثنين كما ثبت في «صحيح مسلم» [١١٦٢] عن أبي قتادة: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «فذلك يومٌ ولدت فيه، ويومٌ أنزل عليّ فيه».

وقال ابن عباس: [إبراهيم الطبري: ٢٩٢/٢] ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين.

وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء: إنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم.

ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول، كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد عليه السلام، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء.

والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق [السيرة: ١٠٩] وغيرهما [إبراهيم الطبري: ٣٠٠/٢].

قيل: من الحزري، وقيل: من الحزن، وهذا لعلمه - بما أجرى الله به جبل العوالد في خلقه - أن من كان متصفاً بصفات الخير لا ينجزي في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكرت له من صفاته الجليلة ما كان من سجاياه الحسنة. فقالت: إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث - وقد كان مشهوراً بذلك صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق - وتحمل الكل، أي عن غيرك تعطي صاحب العيلة ما يريجه من ثقل مؤنة عياله، وتكسب المعلوم أي تسبق إلى فعل الخير فتبادر إلى إعطاء الفقير فتكسب حسته قبل غيرك. ويسمى الفقير معلوماً لأن حياته ناقصة. فوجوده وعلمه سواء كما قال بعضهم:

ليس من مات فاستراح يميتو إنما الميت ميت الأحياء

وقال أبو الحسن التهامي، فيما نقله عنه القاضي عياض في «شرح مسلم»:

عدنا الفقير ميتاً وكسباً كفننا بالياً ومالوا قبراً وقال الخطابي: الصواب: وتكسب المعلوم. أي: تبذل إليه أو يكون وتكسب المعلوم تعطيه مالاً يعيش به.

واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي أن المراد بالمعلوم ههنا المال المعطى أي يعطي المال لمن هو عاقله.

ومن قال: إن المراد أنك تكسب بانحيازك المال المعلوم، أو النفيس القليل النظر، فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع وتكلف ما ليس له به علم، فإن مثل هذا لا يمدح به غالباً، وقد ضعف هذا القول عياض والنووي وغيرهما والله أعلم.

وتقري الضيف، أي: تكرمه في تقديم قراه، وإحسان ماواه. وتعين على نواب الحق.

ويروى الخبر، أي: إذا وقعت نائبة لأحد في خير اعتنت فيها، وقعت مع صاحبها حتى يجد سداً من عيش أو قواماً من عيش.

وقوله: ثم أخذته فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل. وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

وقد قلنا طرفاً من خبره مع ذكر زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله. وأنه كان ممن تنصر في الجاهلية ففارقهم وارتحل إلى الشام، هو وزيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث، وعبيد الله بن جحش فتصنروا كلهم، لأنهم وجدوه أقرب الأديان إذ ذاك إلى الحق، إلا زيد بن عمرو بن نفيل فإنه رأى فيه دخلاً وتغييلاً وتبديلاً وتغريباً وتأويلاً. فأبت فطرته الدخول فيه أيضاً، ويشروه الأخبار والرهبان بوجود نبي قد أوف زمانه واقترب أوانه فرجع يطلب ذلك، واستمر على فطرته وتوحيده. لكن اخترته المية قبل البعثة المحمدية. وأدركها ورقة بن نوفل وكان يتوسمها في رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلنا بما كانت خلجية تمت له وتصفه له، وما هو منظر عليه من الصفات الطاهرة الجميلة وما ظهر عليه من الدلائل والآيات.

ولما لما وقع ما وقع أخذت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت به إليه فوفقت به عليه. وقالت: ابن عم اسمع من ابن أخيك؛ فلما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى قال ورقة: سُبْحَ سُبْحَ، هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ولم يذكر عيسى وإن كان متأخراً بعد موسى؛ لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسى عليهما السلام، وتسنت بعضها على الصحيح من قول العلماء. كما قال «ولأجل لكم بغض الذي خرم عليكم». [إلى عمرو: ٥٠].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٩/١، ٢٤٠]: مستدلاً على ذلك بما قاله الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] فقيل: في ثاني عشره.

وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقيل: في الرابع والعشرين منه [الطباقات لابن سعد: ١٩٤/١].

قال الإمام أحمد [١٠٧/٤]: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لسبع مئة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن أربع وعشرين ليلة خلت من رمضان».

وروى ابن مردويه في «تفسيره» عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه. ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

وأما قول جبريل: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ» فالصحيح أن قوله «ما أنا بقارئ» نفي أي: لست ممن يحسن القراءة. وعن رجحه النووي وكلمه الشيخ أبو شامة.

ومن قال إنها استهنامية فقله بعيد لأن الباء لا تزداد في الإثبات. ويؤيد الأول رواية أبي نعيم من حديث المتمر بن سليمان عن أبيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو خائف يرعد - «ما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ» فأنه جبريل ففتح غطاءً شديداً. ثم تركه فقال له: اقرأ. فقال محمد صلى الله عليه وسلم: «ما أرى شيئاً أقرأه، وما أقرأ، وما أكتب» [الشيخ دمشق: ١٧/١٧٢، ١٧٦٣].

يروي: «فغطني» كما في الصحيحين (خ (٣)، (٤٩٠٣)، م (١٦٠)) «وغطني».

ويروي: «قد غطني» أي خفتني. «حتى بلغ مني الجهد» يروي بضم الجيم وفتحها وبالنصب وبالرفع. وفعل به ذلك ثلاثاً.

قال أبو سليمان الخطابي: وإنما فعل ذلك به ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتساب ما كلفه به من أعباء النبوة، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم وتأخذه الرحاضة أي البهر والعرق.

وقال غيره: إنما فعل ذلك لأمر منها: أن يستيقظ لعظمة ما يلقي إليه بعد هذا الصنيع المشق على النفوس. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثِقِيلًا﴾ [الزمر: ٥].

ولما كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحمر وجهه ويغط كما يغط البكر من الإبل ويتصدج جبينه عرقاً في اليوم الشديد البرد. وقوله: فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يرجف فؤاده.

وفي رواية (خ (٤٩٠٣)): بوارده، جمع بادرة. قال أبو عبيدة: وهي لحمه بين النكب والعتق. وقال غيره: هي عروق تضطرب عند الفزع.

وفي بعض الروايات: ترجف بأدله واحتلتها بأدلة. وقيل: لحم الثديين وقيل غير ذلك. فقال: «زملوني زملوني» فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة: «ما لي؟ أي شيء عرض لي؟» وأخبرها ما كان من الأمر. ثم قال: «لقد خشيئت على نفسي» وذلك لأنه شاهد أمراً لم يمهله قبل ذلك، ولا كان في خلقه. ولهذا قالت خديجة: أبشِر، كلا والله لا ينزك الله أبداً.

وقول ورقة هنا كما قالت الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ أَوَّلِي مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الاحقاف: ٣٠].

ثم قال ورقة: يا ليتني فيها جذعاً أي يا ليتني أكون اليوم شاباً متمكناً من الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح: يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك يعني حتى أخرج معك وأتصرك فمتنعها قال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟».

قال السبيلي (الروض الأنف: ٤٢١/٢) وإنما قال ذلك، لأن فراق الوطن شليل على النفوس، فقال: نعم! إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا أي: أنصرك نصرًا عزيزاً أبداً.

وقوله: ثم لم ينشب ورقة أن توفي. أي توفي بعد هذه القصة بقليل رحمه الله ورضي عنه، فإن مثل هذا الذي صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحي وثبته صالحة للمستقبل.

وقد قال الإمام أحمد (٦/٦٥٦): حدثنا حسن عن ابن لهيعة حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة. أن خديجة سألت رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: «قَدْ رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٌ فَاحِبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٌ».

وهذا إسناد حسن لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلًا فالله أعلم.

وروي الحافظ أبو يعلى (في مسنده: ٢٠٤٧) عن شريح بن يونس عن إسماعيل عن مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ» وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: «يُتِمُّ بِرَمِّ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَخَدَّةً». وسئل عن أبي طالب فقال: «أَخْرَجْتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَحَضَاحِ مِثْنَاهُ» وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وإحكام القرآن، فقال: «أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فِي ثِيَابٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

إسناد حسن ولبعضه شواهد في «الصحيح» [ع (١٧٩٢)، (٣٨١٩)] والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار: ٢٧٥٠، ٢٧٥١): حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُسَبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ». وكذا رواه ابن عساکر (الدرر: ١٧/٢٦٧) من حديث أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة. وهذا إسناد جيد. وروي مرسلًا وهو أشبه.

وروي الحافظان البيهقي (١٥٨/٢) وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» من حديث يونس بن بكر عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَلَدِي سَمِعْتُ بُنَادًا، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله إنك لتؤذي الأمانة، وتصل الرحم، وتضيق الحديث.

فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر. فقال: انطلق بنا إلى ورقة قال: «وَمَنْ أَخْبَرَكُ؟» قال خديجة فانطلقنا

إليه قصصاً عليه. فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَلَدِي سَمِعْتُ بُنَادًا خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ». فقال له: لا تفعل. إذا أتاك فاقبت، حتى تسمع ما يقول لك ثم اتني فأخبرني. فلما خلا ناداه: يا محمد قل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَبْلُغَ «وَلَا الضَّالِّينَ» قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: ابْشِرْ ثُمَّ ابْشِرْ. فَأَتَانَا أَشْهَدُ إِنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِكَ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسَ مُوسَى، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَأَنَّكَ سَتُؤْمَرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا. وَلَتَنَ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ لِأَجَامِدَنْ مَعَكَ».

فلما توفي. قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الْقِسْرَ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» يعني ورقة.

هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل. وقد قدمنا من شعره ما يدل على إضماره الإيمان وعقده عليه وتناكده عنده، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع غلامها ميسرة وكيف كانت الغمامة تظله في هجير القبط. فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدمناها قبل هذا، منها قوله:

إِبْرَاهِيمَ سَيُودُ قَوْمًا وَيَضْمُ مِنْ يَكُونُ لَهُ حَبِيبًا
لَمْ يَطْلُبْ بَعَثَ النَّشِيجَا لَجِئْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجًا
ووصف من خديجة بعد وصفه فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي بِأَخِيحَا
يُطِئُ الْكَتَبِينَ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ إِنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَبِي مِنْ الرِّهَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَمُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيُودُ قَوْمًا وَيَضْمُ مِنْ يَكُونُ لَهُ حَبِيبَا
ويظهر في البلاذ ضياء نور يَقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةُ أَنْ تَمُوجَا
فيلقى من مجاريه خصاراً وَيَلْقَى مِنْ يَمَالَةٍ فُلُوجَا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكَم شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوْفَمَ وَلُوجَا
ولُوجًا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قَرِيشَ وَلَوْ عَجَبْتُ بِمَكِّيحَا عَجِيبَا
أَرْجِي بِأَلَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِذْ سَفَلُوا عُرُوجَا
فَلَنْ يَقْبَلُوا وَيَسْتَكُنَّ أُمُورَ يَفْضَحُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيبَا

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى: وَأَخْبَارُ صَدِيقٍ خَيْرٌ عَنْ مُحَمَّدٍ
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ مَرْسَلٌ إِلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبْطَاحُ
وطني به أن سوف يُنْصِتُ صَادِقًا كَمَا أُرْسِلَ الْعَبْدَانِ هُودُ وَصَالِحُ
وموسى وإبراهيم حتى يُرى له بهاءَ وَمُنْشُورُ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ
وَيْتُهُ حَيَا لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ شَبَابُهُمُ وَالْأَشْيَؤُ الْمَحْصَاحُ
فإن أبى حتى يدرك الناس دَعْرُهُ فَلَيْتَ بِهِ سَتِيشَرُ الْوَدَّ فَارِحُ
والا فلنبي يا خديجة فاعلمي عَنْ أَوْعَلِي فِي الْأَرْضِ الْعَرِضَةِ سَاتِحُ
وقال يونس من بكير عن ابن إسحاق (السيرة: ١٠٣، ١٠٤) قال ورقة:

فَلَنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي حَدِيثُكَ إِنَّا نَا فَا حَمْدُ مَرْسَلِ
وجبريل يأتيه ويكامل منهما من اللّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ
يفوز به من فازَ فيها بتوسُّعٍ رَشَقِي بِهِ الْعَاتِي الْغَرِيرُ الْمُضْلَلُ
فريقان منهم فِرْقَةٌ فِي جَنَاتِهِ وَأُخْرَى بِأَحْوَالِ الْجَحِيمِ تَعْلَلُ

إذا ما دعوا بالويل فيها تابعت مفاع في هاماتهم تسم تسخل
فشجان من تهوي الرياح بأمره ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها واقضاه في خلقه لا يسئل
وقال ورقة أيضاً:

يا للرجال وصرفوا الدهر والقدح وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها وما لها بخفي الغيب من خبر
جاءت لسألني عنه لأخبرها أمراً أراه سيأتي الناس من آخر
فخبرني بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحد يأتيه فيخبره جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي تريجن يُخبره لك الإله فرجني الخبر وانتظري
وأرسله إلينا كي نسأله عن أمره ما يرى في النوم والشهر
فقال حين أتانا متعلّفاً عجباً يقف منه أعالي الجبل والشعر
إنني رأيت أمين الله واجتهني في صورة أكملت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الحرف يذغرتني مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أبصلتني أن سوف يُبعث يتلو منزل السور
وسوف أليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بلا من ولا كدر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من «الدلائل» (١٥٠/٢، ١٥١)
وعندي في صحتها عن ورقة نظر والله أعلم.

وقال ابن إسحاق (السيرة: ١٠٠، ١٠١، رسوة ابن هشام: ٢٣٤/١)
حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي -
وكان واعية - عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله
كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت
ويضي إلى شعاب مكة ويطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال:
السلام عليك يا رسول الله. قال: فيلنثت حوله عن يمينه وعن شماله
وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء
الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو
بحراء في رمضان.

قال ابن إسحاق (رسوة ابن هشام: ٢٣٥/١، ٢٣٨) وحدثني وهب بن
كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبد بن
عمير بن قتادة الليثي: حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله
ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل قال: فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد
الله بن الزبير ومن عنده من الناس - : كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء
في كل سنة شهراً قال: وكان ذلك مما تحثت به قريش في الجماعية.

والتحنت التبر فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة
يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما
يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً
أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد
الله به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها وذلك الشهر رمضان
خرج إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى إذا كانت الليلة التي
أكرم الله فيها برسالاته ورحم العباد به جاءه جبريل يأمر الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: «فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من صياح فيه
كتاب فقال: اقرأ. قلت: ما اقرأ. قال: ففتني حتى ظننت أنه الموت، ثم

أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما اقرأ. قال: ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم
أرسلني، فقال: اقرأ قلت: ما اقرأ. قال: ففتني حتى ظننت أنه الموت ثم
أرسلني. فقال: اقرأ قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا إقتداء به أن يعود لي
بمثل ما صنع بي فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من
علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم.»
قال: فقراها ثم انتهى وانصرف عني وهيت من نومي فكأنما كتبت في قلبي
كتاباً.

قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من
السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال: فرفعت رأسي إلى
السماء فأنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قلعيه في أفق السماء
يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقت أنظر إليه فما أقدم وما
أناخر وجعلت أصرف وجهي عنه في أفق السماء فما أنظر في ناحية منها
إلا رأيت كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى
بعث خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في
مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرف راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة
فجلست إلى فخذهما مضيقاً إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد
بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ ثم حدثتها بالذي
رأيت. فقالت: أبشر يا ابن العم وأثبت فوالذي نفس خديجة بيده إنني
لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته
بما أخبرها به رسول الله ﷺ فقال ورقة: قدوس قدوس والذي نفس ورقة
بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي
موسى وإنه لني هذه الأمة وقولي له: فليتب.

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة فلما قضى
رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف
بها فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما
رأيت وسمعت فأخبره فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لني هذه
الامة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبه وتؤذنيه
وتخرجه وتقاتله، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرأ يعلمه.
ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

وهذا الذي ذكره عبيد بن عمر كما ذكرناه كالرطقة لما جاء بعده من
اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي الله عنها: فكان لا يرى رؤيا إلا
جاءت مثل فلق الصبح. ويحتمل أن هذا التام كان بعد ما رآه في اليقظة
صحيحة لينتد ويحتمل أنه كان بعده مدة والله أعلم.

وقال موسى بن عتبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: وكان
فيما بلغنا أول ما رأى - يعني رسول الله ﷺ - أن الله تعالى أراه رؤيا في
النام فشق ذلك عليه فذكرها لأمراءه خديجة فعصمها الله عن الكذب
وشرح صدرها للتصديق فقالت: أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً.

ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ثم
غسل وطهر ثم أعيد كما كان قالت: هذا والله خير فأبشر ثم استعمل له
جبريل وهو بأعلى مكة فأجلسه على مجلس كريم معجب كان النبي ﷺ
يقول: «أجلسني على بساط كهنة الدنول في الباقوت واللؤلؤ» فبشره
برسالة الله عز وجل حتى اطمان رسول الله ﷺ فقال له جبريل: اقرأ
فقال: «كيف أقرأ؟» فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من
علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم.»

يقول: السلام عليك يا رسول الله. فاطمأت نفسه وعرف كرامة الله إليه فإياه فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرت ما بوجهه من تنوير لونه فأنزعها ذلك، فقامت إليه فلما دنت منه جعلت تمسح عن وجهه وتقول: لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم فقال: «يا خديجة أرايت الذي كنت أرى في المنام والصوت الذي كنت أسمع في البقعة وأهال منه؟ فإنه جبريل قد استلمني لي وكلمي وأقرايني كلاماً فرعته منه ثم عاد إلي فأخبرني أنني نبي هذه الأمة فأقبلت راجعاً فأقبلت على شجرٍ وحجارة فقلن: السلام عليك يا رسول الله».

فكانت خديجة: أبشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيراً وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظره اليهود قد أخبرني به ناصح غلامي ويجري الرأب وأمرني أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة. فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الرأب وكان قريباً من مكة فلما دنت منه وعرفها. قال: مالك يا سيدة نساء قريش؟ فقالت: أقبلت إليك لتخبرني عن جبريل فقال: سبحان الله ربنا القنوس ما بال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان؟ جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى. فعرفت كرامة الله لحمد.

ثم أتت عبداً لعبته بن ربيعة يقال له: عداس فسأله فأنخبرها بمثل ما أخبرها به الرأب وأزيد. قال: جبريل كان مع موسى حين أغرق الله فرعون وقومه، وكان معه حين كلمه الله على الطور، وهو صاحب عيسى ابن مريم الذي أبده الله به.

ثم قامت من عنده فأتت ورقة بن نوفل فسأله عن جبريل فقال لها مثل ذلك ثم سأله: ما الخبر؟ فالحق أنه يكتم ما تقول له فحلف لها فقالت له: إن ابن عبد الله ذكر لي - وهو صادق أحلف بالله ما كذب ولا كذب - أنه نزل عليه جبريل بمراء وأنه أخبره أنه نبي هذه الأمة وأقره آيات أرسل بها. قال: فذعر ورقة لذلك وقال: لئن كان جبريل قد استقرت قدماء على الأرض لقد نزل على خير أهل الأرض وما نزل إلا على نبي وهو صاحب الأنبياء والرسل يرسله الله إليهم وقد صدقت عنه فأرسلني إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحشيه فإني أخاف أن يكون غير جبريل فإن بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويضلهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدحاً مجنوناً.

فقامت من عنده وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأنخبرته بما قال ورقة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ فِئْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُم بِأَيِّتٍ مِنْ رَبِّكُم فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَذِبَةٌ﴾ وقال لها: «كلا والله إنه لجبريل» فقالت له: أحب أن تأتيني فتخبره لعل الله أن يهديه فجاء رسول الله ﷺ فقال له ورقة: هذا الذي جاءك جارك في نور أو ظلمة؟ فأنخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمتها وما أوحاه إليه. فقال ورقة: أشهد أن هذا جبريل وأن هذا كلام الله فقد أسرك بشيء تبليغه قومك وإنه لأمر نيرة فإن أدرك زمانك أتبعك ثم قال: أبشر ابن عبد المطلب بما يشرك الله به.

قال: وذاع قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملا من قومه قال: وفتر الوحي فقالوا: لو كان من عند الله لتتابع ولكن الله فلاه فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بكملها. وقال البيهقي رحمه الله: ١٥١/٢: ١٥٢: حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق حدثني

قال: ويزعم ناس أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمَثُورُ﴾ أول سورة نزلت عليه والله أعلم.

قال: فقبل رسول الله ﷺ رسالة ربه وأتبع ما جاءه به جبريل من عند الله فلما انصرف متجلباً إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً فلما دخل على خديجة قال: «أرايتك الذي كنت أحدثك أنني رأيت في المنام؟ فإنه جبريل استلمني لي أرسله لي ربي عز وجل» وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت: أبشر فوالله لا يفعل لك إلا خيراً وأقبل الذي جاءك من أمر الله فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله ﷺ حقاً.

ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعبته بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له: عداس فقالت له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرني هل عندك علم من جبريل؟ فقال عداس: قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال: فإنه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام.

فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه جبريل. فقال لها ورقة: يا بنتي أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يملونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وأقسم بالله لئن كان إياه ثم أظهر دعاءه وأنا حي لأبلى الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته للصبر والنصر. فمات ورقة رحمه الله رحمه الله ﷺ ١٤٢/٢ - ١٤٥. قال الزهري فكانت خديجة أول من آمن بالله وصدق رسول الله ﷺ.

قال الحافظ البيهقي رحمه الله: ١٤٦/٢: بعد إلهاده ما ذكرناه: والذي ذكر فيه من شق بطنه يحتمل أن يكون حكاية منه لما صنع به في صباه يعني: شق بطنه عند حليمة ويحتمل أن يكون شق مرة أخرى ثم ثالثة حين عرج به إلى السماء والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن عسكار في ترجمة ورقة بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي. قال: بلغنا أن الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأس خمسين سنة من بناء الكعبة وكان أول شيء اختصه به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها فقص ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد فقالت له: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً فينبو هو ذات يوم في حراء وكان يفر إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل فدنا منه فخافه رسول الله ﷺ خافة شديدة فوضع جبريل يده على صدره ومن خلفه بين كفيه. فقال: اللهم احطط وزره، واشرح صدره، وطهر قلبه يا محمد أبشراً فإنك نبي هذه الأمة. أقرأ. فقال له نبي الله: وهو خائف يردد: فما قرأت كتاباً قط ولا أحسنه وما أكتب وما أقرأ فأخذه جبريل ففته غثاً شديداً ثم تركه ثم قال له أقرأ فأعاد عليه مثله فأجلسه على بساط كهية الدرنوك فرأى فيه من صفاته وحسنه كهية اللؤلؤ والياقوت وقال له: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الآيات ثم قال له: لا تحف يا محمد إنك رسول الله ثم انصرف.

وأقبل على رسول الله ﷺ همه فقال: «كيف أصنع وكيف أقول لقومي؟» ثم قام رسول الله ﷺ وهو خائف فأتاه جبريل من أمامه في صورة نفسه فأبصر رسول الله ﷺ أمراً عظيماً ملا صدره فقال له جبريل: لا تحف يا محمد جبريل رسول الله ﷺ إلى أنبيائه ورسله فأيقن بكرامة الله ﷻ فإنك رسول الله.

فرجع رسول الله ﷺ لا يمر على شجر ولا حجر إلا هو ساجد

الذي جانيه بمجرة قاعد على كرسى بين السماء والأرض فحيث منه فرأى حتى هويت إلى الأرض فحيث أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ، قُمْ فَأَنْزِلْ. وَرَبِّكَ كَبِيرٌ. وَتَبْلُوكَ فَطَهَّرْ. وَالرُّجُزُ فَأَهْبِزْ﴾ قال: ثم حي الوحي وتابعت فهذا أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقاً ذاك قوله ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ﴾ [خ (٤٩٢٤)] واللات حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم حيي الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه. ثم قوله: يحدث عن فترة الوحي دليل على تقدم الوحي على هذا الإجماع والله أعلم.

وقد ثبت في «الصحيحين» [خ (٤٩٢٢)، م (١٦١)، (٢٥٨)] من حديث علي بن المبارك وعند مسلم [(١٦١)، (٢٥٧)] والأوزاعي كلامهما عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ﴾ فقلت: أو ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ﴾ فقلت: ﴿وَأَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني جاورت بمجرة شهراً فلما قضيت جوارتي نزلت فاستبطنت الروادي فتوديت فظنرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أزل شيئاً ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فاخذني رعدة - أو قال: وحشة - فأتيت خديجة فامرئهم فدونني» فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَبْلُوكَ فَطَهَّرْ﴾. وقال في رواية [خ (٤)، م (١٦١)]: «فلما نزل الملك الذي جانيه بمجرة جالس على كرسى بين السماء والأرض فحيث منه».

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم.

ومنه من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة ﴿وَالضُّحَى﴾. والليل إذا سجي. ما ودعك ربك وما قلى - إلى آخرها. قاله محمد بن إسحاق [السورة: ١١٥، ١١٦].

وقال بعض القراء: ولهذا كبر رسول الله ﷺ في أولها فرحاً وهو قول بعيد يردّه ما تقدم من رواية صاحبي «الصحيح» من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ، قُمْ فَأَنْزِلْ﴾. ولكن نزلت سورة ﴿وَالضُّحَى﴾ بعد فترة أخرى كانت ليالي بسيرة كما ثبت في «الصحيحين» [خ (١١٢٤)، م (١٧٩٧)] وغيرهما [إت (٣٢٤٥)، م (١١٦٨١)] من حديث الأسود بن قيس عن جندب بن عبد الله البجلي. قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقدّم ليله أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل الله ﴿وَالضُّحَى﴾. والليل إذا سجي. ما ودعك ربك وما قلى.

وهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت النبوة. وقد قال بعضهم: كانت مدة الفترة قريباً من ستين أو ستين ونصف، والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشعبي وغيره، ولا ينبغي هنا تقدم إجماع جبريل إليه أولاً: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [اللق: ١] ثم حصلت الفترة التي اقترن معه ميكائيل ثم اقترن به جبريل بعد نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُنْتَرُ، قُمْ فَأَنْزِلْ. وَرَبِّكَ كَبِيرٌ. وَتَبْلُوكَ فَطَهَّرْ. وَالرُّجُزُ فَأَهْبِزْ﴾.

وتم حي الوحي بعد هذا وتتابع - أي تدارك شيئاً بعد شيء - وقام

إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما بينه مما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جئناك؟ فقال: «نعم» فقالت: إذا جئناك فأخبرني. فبينما رسول الله ﷺ عندهما إذ جاء جبريل فرأه رسول الله ﷺ. فقال: «يا خديجة هنا جبريل» فقالت: أتراه الآن؟ قال: «نعم» قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن فتحول فجلس فقالت: أتراه الآن؟ قال: «نعم» قالت: فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «نعم» فتحسرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها فقالت: هل تراه الآن؟ قال: «لا» قالت: ما هذا بشيطان إن هذا الملك يا ابن عم فائيت وأبشرت ثم أمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق.

قال ابن إسحاق [السورة: ١١٤، سورة ابن هشام: ٢٣٩/١]: فحدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أنني سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بيتها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام.

قال البيهقي [الدلائل: ١٥٢/٢]: وهذا شيء كانت خديجة تصنعه تستبث به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً. فاما التي ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً.

وقد قال مسلم في «صحيحه» [٢٢٧٧]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إبراهيم بن طهمان حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعريف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن».

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن بمكة حجراً كان يسلم عليّ ليالي بمئتين إني لأعرفه إذا مررت عليه». وروى البيهقي [الدلائل: ١٥٣/٢] من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عباد بن عبد الله عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه. قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

وفي رواية [الدلائل البيهقي: ١٥٤/٢]: لقد رأيته أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمع.

٣١- فتور الوحي مدة

قال البخاري في روايته المتقدمة [(١٤)]: ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلمنا أوفى بنزوة جبل لكي يلقي نفسه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك فإذا أوفى بنزوة جبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك.

وفي «الصحيحين» [خ (٤٩٢٥)، م (١٦١)] من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك

وإن كان ما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء ما يكون في الأرض تكلموا به قالوا: يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فيزلونهم على أوليائهم فلما بعث النبي محمد ﷺ دحروا بالنجوم فكان أول من علم بها ثقيف فكان ذو الغنم منهم يطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة وفو الإبل فينحر كل يوم بعيراً فأسرع الناس في أمولهم فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا فإن كانت النجوم التي يهتدون بها وإلا فإنه لأمر حدث فظفروا فإذا النجوم التي يهتدى بها كما هي لم يزل منها شيء فكفوا وصرف الله الجن فسمعوا القرآن فلما حضروه قالوا: أنصتوا وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه. فقال: هذا حدث حدث في الأرض فأتوني من كل أرض بترية فأتوه بترية تهامة فقال: وهنا الحدث.

ورواه البيهقي (الذلل: ٢٤٠/٢، ٢٤١) والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب.

وقال الواقدي: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمر بن عبدان العيصي عن ابن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمي بها فرات قرش أمراً لم تكن تراه فجعلوا يسيرون أنعامهم ويعتقون أرقاهم يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيف مثل ذلك فبلغ عبد ياليل بن عمرو ما صنعت ثقيف. قال: ولم فعلتم ما أرى؟ قالوا: رمي بالنجوم فرائبها تهافت من السماء فقال: إن إفادة المال بعد ذهابه شديد فلا تمجلوا وانظروا فإن تكن نجوماً تعرف فهو عنينا من فناء الناس وإن كانت شجوماً لا تعرف فهو لأمر قد حدث فظفروا فإذا هي لا تعرف فأخبروه فقال: الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبي. فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله فجاء عبد يا ليل فلذاكره أمر النجوم فقال أبو سفيان: ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل فقال عبد ياليل: فعند ذلك رمي بها. وقال سعيد بن منصور عن خالد عن حصين عن عامر الشعبي. قال: كانت النجوم لا يرمى بها حتى بعث رسول الله ﷺ فسيروا أنعامهم واعتقروا رقيقهم. فقال عبد ياليل: انظروا فإن كانت النجوم التي تعرف فهو عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو لأمر قد حدث فظفروا فإذا هي لا تعرف. قال: فامسكوا فلم يلثروا إلا يسيراً حتى جاءهم خروج النبي ﷺ.

وروى البيهقي (الذلل: ٢٤١/٢) والحاكم من طريق العوفي عن ابن عباس، قال: لم تكن سماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه. فلعل مراد من نفى ذلك أنها لم تكن تحرس حراسة شديدة، ويجب حل ذلك على هذا لما ثبت في الحديث (اللسد: ٢١٨/١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستار فقال: «ما كنتم تقولون إذا رمي بهذا؟» قالوا: كنا نقول: مات عظيم، وولد عظيم فقال: «لا ولكن...». فذكر الحديث. كما تقدم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد.

وقد ذكر ابن إسحاق في «السيرة» (ابن هشام: ٢٠٦/١) قصة رمي النجوم وذكر عن كير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم: إن كانت أعلام السماء أو غيرها ولكن سماه عمرو بن أمية فالله أعلم. وقال السدي: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً

حيث رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى الله القريب والبعيد، والأحرار والعبيد، فأمن به حيث كل ليبس نجيب سعيد، واستمر على مخالفته وعصيانته كل جبار عنيد، فكان أول من يادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الغلمان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام، ومن الموالي مولاة زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم. وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي ومات في الفترة ﷺ.

٣٢- استراق الشياطين السمع حين أنزل القرآن

فكان من راحة الله وفضله ولطفه بخلقه أن جهمهم عن السماء كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ خَرَسًا شَدِيدًا وَشَهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا. وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» (الجن: ٨ - ١٠). وقال تعالى: «وَمَا تَنَزَّلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ. وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَكْبِرُونَ. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُوْكَوْنٌ» (الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢).

قال الحافظ أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فتكون باطلاً، فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس - ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك - فقال لهم إبليس: هذا لأمر قد حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين فأتوه فأخبروه فقال: هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض (ص: الطبراني: ٣٦/٢٣).

وقال أبو عروانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخله عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا: «ها قومنا أتوا سعيماً قرأنا عجباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» (الجن: ٢ - ٤) فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ» الآية. أخرجه في «الصحيحين» (ج ٤٩٢١)، م (٤٤٩).

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (المصنف: ١٨٣٩١): حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد القيثا على الصفا قال: فإذا سمعت الملائكة خسروا سجدوا فلم يرفعوا رؤوسهم حتى يزل فإذا نزل قال بعضهم لبعض: ماذا قال ويكم؟ فإن كان ما يكون في السماء قالوا: الحق وهو العلي الكبير،

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليقتصد عرفاً أخرجه في «الصحيحين» ج (٢)، م (٨٧) من حديث مالك به.

ورواه الإمام أحمد [١٥٨/٦] عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة به نحوه.

وكذا رواه عبد بن سليمان الطبراني في الكبير [٣٣٤٦/٣] وأنس بن عياض عن هشام بن عروة.

وقد رواه أبو السخيتاني والطبراني في الكبير [٣٣٤٤/٣] عن أبوب السخيتي [٩] عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: كيف يأتيك الوحي؟ فذكره، ولم يذكر عائشة.

وفي حديث الإفك ج (٢٦٦١)، م (٢٧٧٠) قالت عائشة: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرء حتى أنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه.

وقال الإمام أحمد [٣٤١/١] حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال: أُمي عليّ يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد القاري سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل، وذكر تمام الحديث في نزول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وكذا رواه الترمذي [٣١٧٣] والنسائي [١٤٣٩] من حديث عبد الرزاق.

ثم قال النسائي: منكر لا تعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ولا نعرفه.

وفي صحيح مسلم [١٦٩٠] وغيره [٧١٤٣، ٧٩٨٠] من حديث الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كره ذلك وتردد وجهه - وفي رواية: وغضض عينه - وكنا نعرف ذلك منه.

وفي «الصحيحين» ج (٢٨٣١)، م (١٨٩٨) حديث زيد بن ثابت حين نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥] فلما شكى ابن أم مكتوم ضارته نزلت: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾. قال: وكانت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي وأنا أكسب فلما نزل الوحي كادت فخذنه ترض فخذي.

وفي صحيح مسلم [١١٨٠] من حديث همام بن يحيى عن عطاء عن صفوان بن يعلى بن أمية عن يعلى بن أمية. قال: قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجرم، فإذا هو حمر الوجه. وهو يفظ كما يفظ البكر. وثبت في «الصحيحين» ج (٤٧٩٥)، م (٢١٧٠) من حديث

عائشة: لما نزل الحجاب، وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسأله وهو جالس يتعشى والعرق في يده، فأوحى الله إليه والعرق في يده، ثم رفع رأسه فقال: «إِنَّهُ قَدْ أَذَّنَ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجْنَ حُلَاكِكُمْ».

فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية، بدليل أنه جالس لم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عباد بن منصور حدثنا عكرمة عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي تريد لذلك جسده ووجهه

رجوا ليلة من الليالي، ففرغ لذلك أهل الطائف. فقالوا: هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقدون أرقاهم، ويسبون مواشيهم. فقال لهم عبد ليال بن عمرو بن عمير: ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء وإنما هو من أجل ابن أبي كبشة، وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرواها فكفوا عن أموالهم وفزعت الشياطين في تلك الليلة فاتوا إليس فقال: اتوني من كل أرض بقبضة من تراب فأتوه فشم فقال: صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيين فقدموا مكة فوجدوا رسول الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنسوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلالهم تصيب ثم أسلموا فاتزل الله أمرهم على نبيه ﷺ.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسماعيل - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: لما بعث رسول الله ﷺ أصبح كل صنم منكساً فأتت الشياطين إليس فقالوا له: ما على الأرض من صنم إلا وقد أصبح منكساً، قال: هذا نبي قد بعث فالتسموه في قرى الأرياف فالتسموه فقالوا: لم نجده فقال: أنا صاحبه فخرج يلتسمه فتودي: عليك بجة القلب - يعني مكة - فالتسمه بها فوجد بها عند قرن الثعالب فخرج إلى الشياطين فقال: إني قد وجدته معه جبريل فما عندكم؟ قالوا: نزين الشهوات في عين أصحابه ونحبها إليهم قال: فلا آسى إذا [الدلائل لابي نعم: ١٧٨].

وقال الواقدي: حدثني طلحة بن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين السماء ورموا بالشهب فجاءوا إلى إليس فذكروا ذلك له فقال: أمر قد حدث هذا نبي قد خرج عليكم بالأرض المقدسة خرج بني إسرائيل قال: فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا: ليس بها أحد فقال إليس: أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بجراه متحدرًا معه جبريل فرجع إلى أصحابه فقال: قد بعث أحد ومعه جبريل فما عندكم؟ قالوا: الدنيا نجيبها إلى الناس قال: فذاك إذا [الدلائل لابي نعم: ١٧٩]. قال الواقدي: وحدثني طلحة بن عمرو عن عطاء بن ابن عباس: قال: كانت الشياطين يستمعون الوحي فلما بعث محمد ﷺ منموا فشكوا ذلك إلى إليس فقال: لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قيس - وهو أول جبل وضع على الأرض - فرأى رسول الله ﷺ يصلي خلف المقام. فقال: أذهب فاكسر عقه. فجاء يخطر وجبريل عنده، فركضه جبريل ركضة طرحة في كذا وكذا فولى الشيطان هارباً [الدلائل لابي نعم: ١٨٠].

ثم رواه الواقدي وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رياح بن أبي معروف عن قيس بن سعد عن مجاهد ذكر مثل هذا وقال: فركضه برجله فرماه بعدن.

٣٣- كيفية إتيان الوحي

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة، وثاني مرة أيضاً.

وقال مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ. قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني بئيل صلصة الجرس - وهو أشبه علي - فيفصم عني وقد وحيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلمني فأعي ما يقول».

قَرَأْتَهُ أَي تَلَا عَلَيْكَ الْمَلِكُ ﴿تَاتِبُ قَرَأْتَهُ﴾ أَي فَاسْتَمَعَ لَهُ وَتَنَبَّرَ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا بَيَّنَّهُ﴾ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وَلِي «الصَّحِيحِينَ» ج (٥)، م (٤٤٨) من حديث موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصَالِحُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، فَكَانَ يَمْرُكُ شَفِيعَةً، فَانْزَلَ اللَّهُ ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُتَجَنَّلَ بِهِ﴾. إِنَّ عَلِيًّا جَمَعَهُ وَقَرَأْتَهُ ﴿قَالَ: جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرُؤُهُ (فِيذًا) قَرَأْتَهُ فَاتَّبَعَ قَرَأْتَهُ﴾ فَاسْتَمَعَ لَهُ وَأَنْصَتَ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا بَيَّنَّهُ﴾ قَالَ: فَكَانَ إِذَا آتَاهُ جَبْرِيلُ اطَّرَقَ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٥- تَابِعُ الْوَحْيِ وَإِسْلَامُ خَدِيجَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [السيرة: ١١١، سورة ابن هشام: ٢٤٠/١]: ثُمَّ تَابِعَ الْوَحْيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَوْلِهِ وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ - عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسُخْطِهِمْ - وَلِلنَّبِيِّ اتِّصَالٌ وَمُؤْنَةٌ لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَضِلُّ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ، بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ لَمَا يُلْقُونَ مِنَ النَّاسِ، وَمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مَا جَاؤُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ، عَلَى مَا يُلْقَى مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْأَذَى.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [السيرة: ١١٢، سورة ابن هشام: ٢٤٠/١]: وَأَمْسَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ وَوَارِثَتَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ فَخَفَّفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِهِ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدِّ عَلَيْهِ، وَتَكْلِيفَ لَهُ فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ، إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تَبَتُّهُ وَتَخَفَّفَ عَنْهُ، وَتَصَدَّقَ وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاعَهَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٢٤١/١]: وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسَرْتُ أَنْ أَبْشُرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ مَرْجُوحٌ فِي «الصَّحِيحِينَ» ج (٣٨١٨)، م (٢٤٣٤) مِنْ حَدِيثِ هِشَامٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْقَصَبُ هُنَا اللَّوْزُ الْمَرْجُوفُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٢٤٣/١]: وَجَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِكْرِ جَمِيعِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ مِنَ النَّبِيِّ سِرًّا إِلَى مَنْ يَطْمَعُنَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ.

وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَفْبَةَ عَنْ الزَّهْرِيِّ: كَانَتْ خَدِيجَةُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ رَسُولَهُ، قَبْلَ أَنْ تَفْرُضَ الصَّلَاةَ وَالِدَالِلَ لِلْعَهْدِ: ١٤٣/٢.

قُلْتُ: يَعْنِي الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ. فَأَمَّا أَصْلُ الصَّلَاةِ فَقَدْ وَجِبَ فِي حَيَاةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَمَا سَنَبَيْنَهُ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [السيرة: ١١٢، ١١٣، وسورة ابن هشام: ٢٤٤، ٢٤٠/١]: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَهُ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ جَبْرِيلَ أتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ اقْتَرَضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي فَاتَّبَعَتْهُ لَعَيْنُ مَنْ مَاءَ زَمْزَمَ، فَتَرَضَا جَبْرِيلُ وَعَمَدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَسَجَدَ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَجَاءَهُ مَا يَحِبُّ مِنَ اللَّهِ، فَأَخَذَ يَدَ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَى بِهَا إِلَى الْعَيْنِ، فَتَرَضَا كَمَا تَرَضَا جَبْرِيلُ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ كَانَ هُوَ وَخَدِيجَةُ يَصَلِّيَانِ سِرًّا.

قُلْتُ: صَلَاةُ جَبْرِيلَ هَذِهِ غَيْرُ الصَّلَاةِ الَّتِي صَلَّاهَا بِهِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَبَيْنَ لَهَا أَوْقَاتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ

وَأَمْسَكَ عَنْ أَصْحَابِهِ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَفِي مُسْنَدِ أَحَدٍ [٢٢٢/٢] وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لُحَيْمَةَ: حَدَّثَنِي يُزَيْدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَحْسُ بِالْوَحْيِ؟ قَالَ: «نَعَمْ أَسْمَعُ صَلَاحًا لَمْ أَثْبُتْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِيطُ مِنْهُ».

وَقَالَ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ [في مسنده: ١٥٨٣]: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَبْجَاجِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ كَلِيبٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ خَالِهِ الْفَلْتَانِ بْنِ عَاصِمٍ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَانْزَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا انْزَلَ عَلَيْهِ دَامَ بِصَرِّهِ مَفْتُوحَةً عَيْنَاهُ، وَفَرَّغَ سَمْعَهُ وَقَلْبَهُ لِمَا يَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ غُرَابٍ عَنْ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِي عَوْنٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ صَلَّعَ وَغَلَفَ رَأْسَهُ بِالْحَنَاءِ. هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [٤٥٥/١]: حَدَّثَنَا أَبُو النُّضْرِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ شَيْبَانُ عَنْ لَيْثٍ عَنْ شُهْرٍ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يُزَيْدٍ. قَالَتْ: إِنِّي لَأَخِذَةُ بِزِمَامِ الْعِضْيَاءِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْمَائِدَةُ كُلُّهَا، وَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَنْقُضُ عِضْدَ النَّاقَةِ.

وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ بِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [١٧٦/٢]: أَيْضًا: حَدَّثَنَا حَسَنُ حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْمَةَ حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْمِلَهَا فَتَزَلَّ عَنْهَا.

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ صَبَاحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ حَدَّثَنِي أُمُّ عَمْرٍو عَنْ عَمِّهَا أَنَّهُ كَانَ فِي مَسِيرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلَّتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْمَائِدَةِ، فَانْقَضَتْ عَنْهُ الرَّاحِلَةُ مِنْ ثِقَلِهَا. وَهَذَا غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

ثُمَّ قَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» ج (٤٨٣٣)، م (١٧٨٦): نَزُولُ سُورَةِ الْفَتْحِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرْجَعُهُ مِنَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَكَانَ يَكُونُ تَارَةً وَتَارَةً بِحَسَبِ الْحَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنْوَاعَ الْوَحْيِ إِلَيْهِ ﷺ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ وَمَا ذَكَرَهُ الْحَلِيبِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَثَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣٤- تَلَاوَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَادِي الْأَمْرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُتَجَنَّلَ بِهِ﴾. إِنَّ عَلِيًّا جَمَعَهُ وَقَرَأْتَهُ. فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قَرَأْتَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا بَيَّنَّهُ ﴿وَالْقَائِمَةُ: ١٦- ١٩﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُتَجَنَّلُ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١١٤] وَكَانَ هَذَا فِي الْإِبْتِدَاءِ، كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ عَلَى أَخِيهِ مِنَ الْمَلِكِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَسَاقُوهُ فِي التَّلَاوَةِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْصَتَ لِذَلِكَ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْوَحْيِ، وَتَكْفُلَ لَهُ أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ، وَإِنْ يَسِرَّ عَلَيْهِ تَلَاوَتُهُ وَتَلْفِينُهُ، وَإِنْ يَبِينَهُ لَهُ، وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحُهُ وَيُوقِّفُهُ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ. وَهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تُتَجَنَّلُ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وَقَالَ: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُتَجَنَّلَ بِهِ﴾. إِنَّ عَلِيًّا جَمَعَهُ أَيِ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقَرَأْتَهُ﴾ أَيِ وَأَنْ تَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا

فرضيتها ليلة الإسراء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة، وعليه التكلان.

٣٦- أوّل الناس إسلاماً

قال ابن إسحاق (المسودة: ١١٨): ثم إن علي بن أبي طالب ﷺ جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان فقال علي: يا عمّ ما هذا؟ قال: «دين الله الذي اصطفى لنفسه، ويعدّ بو رسله، فادعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته. وتكرّر باللات والعزى». فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. ففكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره. فقال له: فيا علي! إذ لم تسلم فأكتم.

فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت عليّ يا عمّ؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتُكْفِّرُ بِاللَّاتِ وَالْعَزَى، وَتَبْرَأُ مِنَ الْأَنْتَادِ» ففعل عليّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكم عليّ إسلامه ولم يظهره، وأسلم ابن حارثة - يعني زيدا - فمكثا قريباً من شهر يختلف عليّ إلى رسول الله ﷺ، وكان ما أئتم الله به عليّ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٤٦/١): حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: وكان ما أئتم الله به عليّ أن قريشاً أصابهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ لعنه العباس - وكان من ليس بني هاشم - «فيا عباس! إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتى نخفف عنه من عياله» فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، فلم يزل مع رسول الله ﷺ حتى بعث الله نبياً، فاتبعه علي وآمن به وصدّقه.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق (المسودة: ١١٩): حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدثني إسماعيل بن أبي إياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال: كنت امرأة تاجراً قد قدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرأة تاجراً، فأتته ابتاع منه وإيئمه، قال: فيينا نحن إذ خرج رجل من خيبر فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلي، وخرج غلام فقام يصلي معه. فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ إن هذا الدين ما تدري ما هو فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى ويصير ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتي كنت آمنت يومئذ فكنت أكون ثانياً.

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وقال في الحديث: إذ خرج رجل من خيبر قريب منه، فنظر إلى السماء فلما رآها قد مالت قام يصلي. ثم ذكر قيام خديجة ورواه (الدلائل للمصنف: ١٦٣/٢).

وقال ابن جرير (المسودة: ٣١١/٢): حدثني محمد بن عبيد الجاربي حدثنا سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد المجلي عن يحيى بن عفيف عن عفيف. قال: جئت زمن الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب،

فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب فرمى بصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلاً فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب فركع الغلام والمرأة؛ فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً سجداً معه، فقلت: يا عباس أمر عظيم! فقال: أمر عظيم. فقال: أتدري من هذا؟ فقلت: لا، فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من الغلام؟ قلت: لا. قال هذا علي بن أبي طالب - ﷺ - أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي. وهذا حديثي أن ريك رب السماء أمره بهذا الذي تراهم عليه، وإيتم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وقال ابن جرير (المسودة: ٣١٢/٢): حدثني ابن حيد حدثنا عيسى بن سودة بن أبي الجعد حدثنا محمد بن المنكدر وروية عن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي. قالوا: علي أول من أسلم.

قال الكلبي: أسلم وهو ابن تسع سنين. وحدثنا الطبراني في تاريخه: ٣١٢/٢ ابن حيد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق. قال: أول ذكر آمن برسول الله ﷺ وصلى معه وصدّقه علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين وكان علي في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

قال الواقدي: أخبرنا إبراهيم بن نافع عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: أسلم علي وهو ابن عشر سنين (تاريخ الطبراني: ٣١٤/٢).

قال الواقدي: وأجمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله ﷺ (تاريخ الطبراني: ٣١٤/٢).

وقال محمد بن كعب: أول من أسلم من هذه الأمة خديجة وأول رجلين أسلما أبو بكر وعلي، وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان علي يكرم إمامته خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه قال: أسلمت؟ قال: نعم! قال: وأزدر ابن عمك وانصره. قال: وكان أبو بكر الصديق أول من أظهر الإسلام والدلائل للمصنف: ١٦٣/٢.

وروي ابن جرير في تاريخه (٣١٠/٢) من حديث شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس. قال: أول من صلى عليّ وحدثنا زكريا بن يحيى الضريز، حدثنا عبد الحميد بن بحر حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر. قال: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلي علي يوم الثلاثاء.

وروي الطبراني في تاريخه: ٣١٠/٢ من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة - رجل من الأنصار - سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.

قال: فذكرته للنخعي فأنكره. وقال: أبو بكر أول من أسلم.

ثم قال الطبراني في تاريخه: ٣١٠/٢: حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا العلاء عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله سمعت علياً يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولوا بعدي إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.

وهكذا رواه ابن ماجه (١٢٠) عن محمد بن إسماعيل الرازي عن عبيد الله بن موسى العباسي - وهو شيعي من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأسدي الكوفي - وثقه، ولكن قال أبو حاتم: كان من عتق الشيعة -.

وقال علي بن الملقني: روى أحاديث منكري المنهال بن عمرو ثقة.

وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الأسدي الكوفي - فقد قال فيه علي بن الحسين: هو ضعيف الحديث.

وقال البخاري: فيه نظر. وذكره ابن حبان في «الثقات» [١٤١/٥].

وهذا الحديث منكر بكل حال، ولا يقوله علي عليه السلام، وكيف يمكن أن يصلي قبل الناس بسبع سنين؟ هذا لا يتصور أصلاً والله أعلم.

وقال آخرون: أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق.

والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء وظاهر السياقات، وقبل الرجال أيضاً.

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب. فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام. وكان عبياً متألماً يذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله.

قال يونس عن ابن إسحاق [السورة: ١٢٠]: ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آفتناً، وتسفهاك عقولنا، وتكفرك آياتنا؟ فقال رسول الله ﷺ: قبلي إني رسول الله ونبي، بعتني لأبلغ رسالته وأذعرك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق، أذعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تبع غيري والمؤالة على طاعته وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر. فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

قال ابن إسحاق [السورة: ١٢٠، سورة ابن هشام: ٢٥٢/١]: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما ذعرت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عينه كبرة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكمت عنه حين ذكرته، ولا تردد فيه» عكمت أي: تلبت.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله فلم يقر ولم ينكر، منكر فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه، ما يمنعه من الكذب على الحق. فكيف يكذب على الله؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعمش، ولا عكمت وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته وأوردنا فضائله وشماله وأثبتنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً وأوردنا ما رواه كل منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث، وما روي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى، فبلغ ذلك ثلاث جلدات والله الحمد والمنة.

وقد ثبت في «صحيح البخاري» [٣٦١١] عن أبي السدود في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الخصومة وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ. وَوَسَّاتِي بَيْنَهُ وَمَالِي فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟» مرتين. فما أودى بعدها، وهذا كالنص على أنه أول من أسلم ﷺ.

وقد روي الترمذي [٣٦١٧] وابن حبان [الإحسان: ٦٨٦٣] عن حديث شعبة عن سعيد الجريدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال أبو بكر الصديق عليه السلام: «أست أحق الناس بها، أأست أول من أسلم، أأست صاحب كنزاً؟»

وروي ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٣٨/٣٠] عن طريق بهلول بن عبيد حدثنا أبو إسحاق السبيعي عن الحارث سمعت علياً يقول: أول من أسلم

من الرجال أبو بكر الصديق، وأول من صلى مع النبي ﷺ من الرجال علي بن أبي طالب.

وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال:

أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق [مسند أحمد: ٣٧١، ٣٦٨/٤، ت: ٣٧٣٥]. س: ٨١٣٧.

وقد تقدم رواية ابن جرير [في تاريخه: ٣١٠/٢] لهذا الحديث من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب.

قال عمرو بن مرة: فذكرته لإبراهيم النخعي فأنكره وقال: أول من أسلم أبو بكر الصديق عليه السلام.

وروي الواقدي بأسانيده عن أبي أروى الدوسي وأبي سلمة بن عبد الرحمن وجماعة من السلف: أول من أسلم أبو بكر الصديق والطهات لابن سعد: ١٧١/٣. وقال يعقوب بن سفيان [العرفه والتاريخ: ٢٦٣/٣] حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن مغول عن رجل قال: سئل ابن عباس: من أول من آمن؟ فقال: أبو بكر الصديق، أما سمعت قول حسان [ديوان حسان: ٢١١، ٢١٢]:

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْراً مِنْ أَخِي ثَقِيفٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ الرِّبَةِ أَوْفَاهَا وَأَعْدَلَهَا بِمَعْدِ النَّبِيِّ وَأَوْلَاهَا بِمَا خَمَلَا
وَالنَّالِي الثَّانِي الْمَحْمُودُ تَشْهَدُهُ وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَلَاقُ الرُّسُلَا
عَاشَ حَيْدًا لِأَمْرِ اللَّهِ مُتَبِعًا بِأَمْرِ صَاحِبِهِ الْمَاضِي وَمَا اتَّعَلَا

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة [في مصنفه: ١٨٤٣٣] حدثنا شيخ لنا عن مجاهد عن عامر قال: سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس -: أي الناس أول إسلاماً؟ قال: أما سمعت قول حسان بن ثابت فذكره.

وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجاهد عن عامر الشعبي: سألت ابن عباس فذكره [تاريخ دمشق: ٤٠/٣٠، تاريخ الطبري: ٣١٥/٢]. وقال أبو القاسم البغوي: حدثني سريج بن يونس حدثنا يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق عليه السلام [تاريخ دمشق: ٤٣/٣٠].

قلت: وهكذا قال إبراهيم النخعي ومحمد بن كعب ومحمد بن سيرين وسعيد بن إبراهيم وهو المشهور عن جمهور أهل السنة.

وروي ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٣٧/٣٠] عن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن الحنفية أنهما قالاً: لم يكن أولهم إسلاماً، ولكن كان أفضلهم إسلاماً.

قال سعد: وقد آمن قبله خمسة.

وثبت في صحيح البخاري [٣٦١٠] من حديث همام بن الحارث عن عمار بن ياسر. قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان، وأبو بكر.

وروي الإمام أحمد [٤٠/١] وابن ماجه [١٥٠] من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن ابن مسعود. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فاما رسول الله ﷺ فمعه الله بعمره، وأما أبو بكر فمعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسهم أدراع الحديد وصهرهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد أتاهاهم على ما أرادوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه

في جبل واحد ولم ينعهما بنو تيم فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين.
وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ لَنَا مِنْ الْبِرِّ وَالْغَنَةِ» رواه البيهقي (دلائل النبوة: ١٦٧/٢).

وقال الخافظ أبو الحسن خيثة بن سليمان الأطرابلسي: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المصيصية حدثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عبيد الله حدثني عبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة حدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر يريد رسول الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقبه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالبيع لأبائنا وإمهاتنا. فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ».

فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر، ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم فأسلموا رضي الله عنهم (تاريخ دمشق: ٤٨/٣٠ - ٥١).

قال عبد الله بن محمد: فحدثني أبي محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بطنين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، وتزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنه وجاء بنو تيم يتعاضدون فأجلبت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لقتلن عتبة بن ربيعة.

فجمعوا إلى أبي بكر فجعل أبو حفافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بالسهم وعزلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحَّت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحيين أن أذهب معك إلى ابنك؟ قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، ففتت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنِّي لأرجو أن يتمم الله لك. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن أبي الأرقم.

قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شرباً أو آتي رسول

نفسه في الله، وهان على قومه؟ فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شباب مكة وهو يقول: أحد أحد. وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلاً (تاريخ دمشق: ٤٨/١٠).

فلما ما رواه ابن جرير (في تاريخه: ٣١٦/٢) قائلًا: أخبرنا ابن حميد حدثنا كنانة بن جيلة عن إبراهيم بن طهمان عن ججاج عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص. قال: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ قال: لا! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ولكن كان أنفلسنا إسلاماً.

فإنه حديث منك إسناداً ومتناً.

قال ابن جرير (في تاريخه: ٣١٦/٢) وقال آخرون: كان أول من أسلم زيد بن حارثة.

ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ذئب الزهري: من أول من أسلم من النساء؟ قال: خديجة. قلت: فمن الرجال؟ قال: زيد بن حارثة.

وكذا قال عروة وسليمان بن يسار وغير واحد: أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة.

وقد أجاب أبو حنيفة رحمه الله بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قال محمد بن إسحاق (في السيرة: ١٢١، سورة ابن هشام: ٢٤٩/١): فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه عبياً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه بمن يشاءه ويخلص إليه فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر. فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأبناهم بحق الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء الثفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام فصدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله.

وقال محمد بن عمر الواقدي: حدثني الضحاك بن عثمان عن غمرة بن سليمان الوالي عن إبراهيم بن محمد بن طلحة. قال: قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى فلذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم: أنهم رجل من أهل الحرم؟ قال طلحة: قلت: نعم أنا، فقال: هل ظهر أحد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء أخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحره وسياحه، فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قلمت مكة فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تبا، وقد اتبعه ابن أبي حفافة. قال: فخرجت حتى قلمت على أبي بكر، فقلت: أتيت هذا الرجل؟ قال: نعم فانطلق إليه فدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك. فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العديلة - وكان يدعى أسد قريش - فشدهما

ياسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراياتهم دع الأجانب دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم.

وفي صحيح البخاري [٢٨٥٨] من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام.

أما قوله: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه فسهل.

ويروى: إلا في اليوم الذي أسلمت فيه وهو مشكل، إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام. وقد علم أن الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله، كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد، منهم ابن الأثير [تاريخ دمشق: ٢٩٨/٢].

ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أن كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه والله أعلم.

وأما قوله: ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه والله أعلم.

وقال أبو دارود الطيالسي [في مسنده: ٣٥٢]: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زهري عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: كنت غلاماً يافئاً أرحى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة. فأتني رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرأ من المشركين - فقال - أو قللاً -: عنك يا غلام لبن تشقياً؟

قلت: إني مؤمن، ولست بساقيكما فقال: هل عنك من جزعه لم ينز عليها الفحل بعد؟ قلت: نعم فأتيتهما بها فاعتقها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحمل الضرع، وأناه أبو بكر بصخرة متفجرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال للضرع: «أقلص» فقلص، فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال: «إنك غلام مملوك» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينزعني فيها أحد.

وهكذا رواه الإمام أحمد [٣٧٩/١، ٤٦٢] عن عفان عن حماد بن سلمة به.

ورواه الحسن بن عرفة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود به [الدلائل للهيتمي: ١٧٢/٢].

وقال البيهقي [الدلائل: ١٧٢/٢، ١٧٣]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله بن بطة الأصباهاني حدثنا الحسن بن الجهم حدثنا الحسين بن الفرج حدثنا محمد بن عمر حدثني جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن أبيه - أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بدء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفير النار، فذكر من سمعها ما الله أعلم به. ويرى في النوم كأن أتياً أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ أخذاً بحفويه لا يقع، ففرغ من نومه فقال: أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق، فلقني أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال أبو بكر: أريد بك خير هذا رسول الله ﷺ فأتبعه فإنك ستبته وتدخل معه في الإسلام، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها.

فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد إلام تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يصر، ولا يضر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده عن لا عبته».

الله ﷺ فأهلته حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجنا به يتكوى عليهما حتى أدخلناه على رسول الله ﷺ، قال: فأكب عليه رسول الله ﷺ قبله وأكب عليه المسلمون، وروى له رسول الله ﷺ رقة شديدة. فقال أبو بكر: يا أباي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستقدها بك من النار.

قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ثم دعاهما إلى الله فأسلمت، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في النار شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً.

وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر، ودعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ولأبي جهل بن هشام، فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، فبكر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة، وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر - وهو يقول: اللهم اغفر لي غير الأرقم فإنه كفر.

فقام عمر فقال: يا رسول الله علام تخفي ديتنا ونحن على الحق ويطهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: «فما عمرٌ إنما قليلٌ قد رأيتُ ما لقينا» فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مر بقرش وهي تنظره فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صاب؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً عبده ورسوله.

فوثب المشركون إليه، ووثب على عتبة فرك عليه فجعل يضربه، وأدخل أصبعه في عينه، فجعل عتبة يصيح فتحنى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى أعجز الناس. وأتبع المجلس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم. قال: ما عليك يا أباي وأمي والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي ﷺ.

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله.

وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على أفرادها، وسطنا القول هنالك والله الحمد.

وثبت في «صحيح مسلم» [٨٣٢] من حديث أبي أمامة عن عمرو بن عبسة السلمي ش قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخفياً، فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: ألكه أرسلك؟ قال: «نعم» قلت: ثم أرسلك؟ قال: «بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكبر الأصنام، وتصل الأرحام». قال: قلت: نعم ما أرسلك به فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» - يعني أبا بكر وبلالاً - قال: فكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام. قال: فأسلمت، قلت: فأتبعك يا رسول الله قال: «لا ولكن الحق يقوئك، فإذا أخبرتني قد خرجت فأتيني».

ويقال: إن معنى قوله عليه السلام: «حر وعبد» اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً فلعله أخبر أنه ربيع الإسلام بحسب علمه فإن المسلمين كانوا إذ ذاك يستسرون

وقال البخاري (٣٨٦١): «إسلام أبي ذر: حدثنا عمرو بن عباس، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى عن أبي جرة عن ابن عباس: قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الراوي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء. واسمع من قوله ثم اتني».

فانطلق الآخر حتى قلعه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني مما أردت. فتزود وحمل شاة فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع فراه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قريته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أسرى، فعاد إلى مضجعه فمر به عليّ فقال: أما آن للرجل يعلم منزله؟ فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليّ مثل ذلك فأقام معه فقال: ألا تحببني بالذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني ففعلت، ففعل فآخبره. قال: فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كائني أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي. ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه.

فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فآخبرهم حتى يأتيك أمري» فقال: والذي بئتك بالحق لأصرحن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فآكب عليه فقال: ويلكم الستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فآكب العباس عليه.

هذا لفظ البخاري. وقد جاء إسلامه مبسوطاً في «صحيح مسلم» وغيره.

فقال الإمام أحمد (١٧٤/٥، ١٧٥): «حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: خرجنا من قوما غفار - وكان يملون الشهر الحرام - وأنا وأخي أنيس وأما فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذو هيئة فآكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسبنا قومه فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلِكَ خلقتك إليهم أنيس. فجاء خالنا فتنا ما قيل له فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد. قال: فقرئنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغلى خالنا بثوبه وجعل يكي.

قال: فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال: فانفر أنيس رجلاً عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيساً. فأتانا بصرمتنا ومثلها، وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين، قال: قلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين توجه؟ قال: حيث وجهي الله.

قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل التقيت كائني خفاء حتى تعلوني الشمس قال: فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فآكفني حتى أتبك قال: فانطلق فراه عليّ، ثم أتاني فقلت: ما حسبك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله عليّ دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون إنه شاعر وساحر، وكان أنيس شاعراً. قال: فقلت: لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقرام الشعر فوالله ما

قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسر رسول الله ﷺ بإسلامه، وتنبى خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأتى به. فأنبه وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه. وقال: والله لأمنعنك القوت: فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه.

٣٧- إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق (السيرة: ١٥١، ١٥٢). وسورة ابن هشام: (٢٩١/١، ٢٩٢): «حدثني رجل عن أسلم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب، فأقبل نحوهم حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجها منها شجرة منكورة، وقامت رجال من قريش من بني غزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، وقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبات. قال حمزة: وما بمنعني وقد استبان لي منه وأنا أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين فقال أبو جهل: دعوا أبا عماراً فإني والله لقد سييت ابن أخيه سباً قبيحاً، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه. وقال حمزة في ذلك شعراً.

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٥٢، ١٥٣): «ثم رجع حمزة إلى بيته فأنابه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصالح وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل على حمزة به وقال: ما صنعت اللهم إن كان رشدنا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي ما وقعت فيه خرجاً فيات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فعدا على رسول الله ﷺ. فقال: يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي شديد؟ فحدثني حديثاً فقد اشتبهت يا ابن أخي أن تحببني.

فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه، وخوفه وبشره، فآلفي الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصديق، فآظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلمته السماء، وأني على ديني الأول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين. وهكذا

رواه البيهقي (الدلائل: ٢١٣/٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به.

٣٨- إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢١٢/٢): «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا الحسين بن محمد بن زياد حدثنا عبد الله بن الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي رُميل سمك بن الوليد عن مالك بن مرثد عن أبيه عن أبي ذر قال: كنت ربيع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع.

أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ.

هذا سياق مختصر.

ويقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات ببعثه عليه الصلاة والسلام.

٣٩- إسلام ضماد

روى مسلم [(٨٦٨)] والبيهقي [اللائل: ٢٢٣/٢، ٢٢٤] من حديث داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يركي من هذه الرياح، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون: إن عمداً مجنوناً. فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي؟ فلقيت عمداً فقلت: إنني أركي من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فلهم.

فقال محمد: «إن الحمد لله حمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». ثلاث مرات. فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة. وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فلهم يذك أبائكم على الإسلام. فبايعه رسول الله ﷺ فقال له: «وعلى قومك؟» فقال: «وعلى قومي».

فبعث النبي ﷺ جيشاً فمروا بقوم ضماد. فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردّها عليهم فإنهم قوم ضماد.

وفي زوالية [(٨٦٨)]: فقال له ضماد: أعد عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناعوس البحر.

وقد ذكر أبو نعيم في [دلائل النبوة: ص: ١٨٧، ١٩٠ - ١٩٢، ١٩٧ - ١٩٩] إسلام من أسلم من الأعيان فضلاً طويلاً، واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه.

وقد سرد ابن إسحاق [السيرة: ١٢٤، ١٢٥، وسيرة ابن هشام: ٢٥٢/١ - ٢٦٢] أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم. قال: ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، وخباب بن الارت، وعمير بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القاري، وسليط بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وامرأته أسماء بنت سلمة بن مخزومة التميمية، وخنيس بن حذافة، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت الجبل وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة بنت يسار، ومعمار بن الحارث بن معمر الجمعي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أظهر بن عبد عوف. وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهرة مولى أبي بكر، وخالد بن سعيد وأمينة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعافل بن البكير، وإلياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث.

وكان اسم عافل غافلاً فسماه رسول الله ﷺ عاقلاً، وهم حلفاء بني

يلتم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. قال: فقلت له: هل أنت كافي حتى أنطلق؟ قال: نعم! وكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شفقوا له ونغمهوا له. قال: فأنطلقت حتى قدمت مكة فتصفت رجلاً منهم فقلت: أين هذا الرجل الذي يدعونه الصايغ؟ قال: فأنشأ إلي قال: الصايغ. فقال أهل الوادي عليّ بكل مدرة وعظم حتى خورت مغشياً عليّ، ثم ارتفعت حين ارتفعت كائي نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يا ابن أخي ثلاثين من بين يوم وليلة ما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكس بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمرأ إضحيان وضرب الله على أسمعنة أهل مكة فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليّ وهما تدعوان إسافاً ونائلة. فقلت: أنكما أحدهما الآخر فما ثامها ذلك، فقلت: وهن مثل الخنبة غير أني لم أكن. قال: فأنطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارتنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال: مالكما؟ فقالتا: الصايغ بين الكعبة وأستارها قال: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة مملاً الفم.

قال: وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، ثم صلى. قال: فأتيت فكننت أول من حياه بنحية أهل الإسلام. فقال: «عليك السلام ورحمة الله من أنت؟» قال: قلت: من غفار، قال: فأمرى بيده فوضعها على جبهته قال: فقلت في نفسي: كره أن اتسميت إلى غفار، قال: فأردت أن آخذ بيده فقلني صاحبه وكان أعلم به مني قال: مَنِي كُنْتُ هَهُنَا؟ قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم. قال: فَمَن كَانَ يَطْلُبُكَ؟ قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكس بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم» قال: فقال أبو بكر: أذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة. قال: ففعل قال: فأنطلق التي ﷺ وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها. فلبثت ما لبثت. فقال رسول الله ﷺ: «إني قد وجهت إني أرض ذات غل ولا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله ينقهم بك ويأجرك فيهم؟»

قال: فأنطلقت حتى أتيت أخي أنيساً، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت: صنعت أني أسلمت وصدقت، قال: فما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت.

ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قوماً غفارا، قال: فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يرمذ.

وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيتهم قال: وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «غِفَارٌ غَفَّرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمَ سَالَمَهَا اللَّهُ».

ورواه مسلم [(٢٤٧٣)] عن هذبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه.

وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم.

عبد المطلب أنقلوا أنفسهم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقلني نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رجلاً سألها بيلهاها.

ورواه مسلم [٢٠٤] من حديث عبد الملك بن عمير. وأخرجاه في «الصحاحين» [٢٧٥٣]، م [٢٠٦] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة، وله طرق آخر عن أبي هريرة في «مسند أحمد» [٣٣٣/٢]، [٣٦١، ٥١٩] وغيره [٣٥٢٧] م [٢٠٦].

وقال أحمد [١٣٦/٦]، [١٨٧]: أيضاً حدثنا وكيع ثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. قام رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم» ورواه مسلم [٢٠٥] أيضاً.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في «الدلائل» [١٧٨/٢ - ١٨٠]: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكني اسمه - عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب. قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. وأخفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». قال رسول الله ﷺ: «عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمتُ. فجانني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك». قال علي: فدعاني فقال: «يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عَسْ لَبَن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب».

ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم اعمامه أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو هب الكافر الخبيث فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال: «كلوا بسم الله» فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل لياكل مثله. ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم يا علي» فبغت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو هب لعنه الله فقال: لَهْؤُا ما سحركم صاحبكم، ففرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يا علي عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جئتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأس، فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله إن كان الرجل لياكل مثله. ثم قال رسول الله ﷺ: «اسقهم يا علي» فبغت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، بدره أبو هب لعنه الله إلى الكلام فقال: لهد ما سحركم صاحبكم! ففرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ.

فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يا علي عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جئتهم له. فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأس فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيهم من ذلك القعب

عدي بن كعب، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان. ثم دخل الناس إرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به.

قال ابن إسحاق [السيرة: ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، وسيرة ابن هشام: ٢٦٢/١، ٢٦٣]: ثم أمر الله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين. قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر يصلون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعض المشركين فتأكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، ففرض سعد رجلاً من المشركين بلحي جبل فشجه، فكان أول دم أهرق في الإسلام.

وروى الأموي في «منازيه» من طريق الواقسي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه. فذكر القصة بطولها وفيه أن الشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله.

٤٠- الأمرُ بتبليغ الرسالة والصبر عليه

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَزِيِّرِ الرَّحِيمِ. الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. [الشعراء: ٢١٤-٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. [الأعراف: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا وَمَا عَلَّمَهُ الْقَصَصَ: ٨٥﴾.

أي إن الذي فرض عليك وأوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المماد، فيسالك عن ذلك كما قال تعالى: ﴿فَلْتَسْأَلْهُ الْبَلِغَ أَرْسِلْ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلْهُ الْمُتَرَسِّلِينَ﴾. [الأعراف: ٦]. وقال تعالى: ﴿فَوَرَّكَ لَتَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً. وقد نقصنا الكلام على ذلك في كتابنا «التفسير»، وسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

وأوردنا أحاديث جمّة في ذلك، فمن ذلك:

قال الإمام أحمد [٣٠٧/١]: حدثنا عبد الله بن عمر عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: لما أنزل الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يحجي إليه وبين رجل يبعث رسوله. فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر، يا بني لؤي أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تنبر عليكم، صدقتموني؟» قالوا: نعم! قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

فقال أبو هب - لعنه الله - تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عز وجل: ﴿بَشِّرْ يَاقُ أَيُّهَا نَهْبُ وَتَبَّ﴾.

وأخرجاه [٤٧٧/١]، م [٢٠٨] من حديث الأعمش به نحوه.

وقال أحمد [٣٦٠/٢]: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة. قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص. فقال: «يا معشر قريش أنقلوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقلوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقلوا أنفسكم من النار، يا معشر بني

حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها وليشرب مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة». هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ أبيهم اسمه عن عبد الله ابن الحارث به. وقد رواه أبو جعفر بن جرير (في تاريخه: ٣١٩/٢ - ٣٢١) عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل الأبرش عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبي مريم بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي فذكر مثله. وزاد بعد قوله: «وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة»: «وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخيه» وكذا وكذا. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - ولأني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحشهم ساقاً - أنا يا بني الله أكون وزيرك عليه فأخذ يرقني فقال: «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا». قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!.

نفرد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المدني وغيره بوضع الحديث. وضعفه الباقون. ولكن روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبيه عن الحسين بن عيسى بن مسيرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث. قال: قال علي: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. قال لي رسول الله ﷺ: «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام، وإنه لبناء، وادع لي بني هاشم» فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل، أو أربعون ورجل.

فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال: ويدرم رسول الله ﷺ الكلام. فقال: «أياكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال: فسكوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله، قال: وسكت أنا لسن العباس. ثم قال مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: «أنت؟» قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن؛ حش الساقين.

وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم إلا أنه لم يذكر ابن عباس فيها فالله أعلم. وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» [١١١/١] من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجد عن علي نحو ما تقدم - أو كالشاهد له - والله أعلم.

ومعنى قوله في هذا الحديث: «من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي» يعني: إذا مت، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله، ويقضي عنه؛ وقد آمنه الله من ذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [١٧: الآية].

والمقصود أن رسول الله ﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصد عنه صاد، يتبع الناس في أثليتهم، ومجامعهم ومخالفهم وفي المواسم، ومواقف الحج. يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي، وغني وفقير،

قال الإمام أحمد [٣٤١/٤]: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه. قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد من بني الدليل - وكان جاهلياً فأسلم - قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضئى الوجه أحول ذو غديرين يقول: إنه صائم كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب.

ثم رواه هو والبيهقي [الدلائل: ١٨٦/٢] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه.

وقال البيهقي [الدلائل: ١٨٥/٢] أيضاً: حدثنا أبو طاهر الفقيه، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر، عن ربيعة الدبلي. قال: رأيت رسول الله ﷺ بذي الحجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجتاه وهو يقول: أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قيل: هذا أبو لهب.

ثم رواه [البيهقي في الدلائل: ١٨٦/٢] من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ يسوق ذي الحجاز وهو يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب، وإذا هو أبو جهل، وإذا هو يقول: يا أيها الناس لا يفرنكم هذا عن دينكم فلما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزرى.

كما قال أبو جهل، والظاهر أنه أبو لهب، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته وذلك بعد وفاة بدر إن شاء الله تعالى.

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والمحن الطبيعي كما سيظهر من صناعته، وسجاياه واعتماده فيما يجامى به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

قال يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة أخبرني عتيل بن أبي طالب. قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجلنا فانه عنا. فقال: يا عتيل انطلق فأتني بمحمد، فانطلقت إليه فاستخرجته من كبس -

أو قال: جفش - يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فأنته عن أئامهم فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «ترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم! قال: «فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستعملوا منها شملة». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط فأرجعوا.

رواه البخاري في «التاريخ» (الطبع الكو: ٥٠/٧، ٥١) عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير.

ورواه البيهقي (الدلائل: ١٨٦/٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه -

ثم روى البيهقي (الدلائل: ١٨٧/٢) من طريق يونس عن ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث. أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبى عليّ وعلى نفسك ولا تحلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت. فأكف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وإنه خاذله ومسلّمة، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: فيما عم لو وضعت الشمس في يميني والقمري في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه.

ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي فأقبل عليه فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

قال ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب في ذلك: والله لو لن يخلصوا إليك بجنهم حتى أؤشد في التراب ففينا فامضي لأمرك ما عليك غضاضة أبشر - وقر بذلك منك عينا ودعوتني وعلمت أنك ناصحي - فلقد صدقت وكنت قنم أميناً وعرضت بيناً قد عرفت بأه من خير أمين البرية ديناً لولا الملامة أو حذرني سبة لوجدتني سمحاً بذلك فينا

ثم قال البيهقي (الدلائل: ١٨٨/٢): وذكر ابن إسحاق (السورة: ١٣٠، ١٣١) لأبي طالب في ذلك أشعاراً: وفي كل ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه، وقد كان يعصمه - حيث لا يكون عمه - بما شاء لا معقب لحكمه.

وقال يونس بن بكير: حدثني محمد بن إسحاق حدثني رجل من أهل مصر قديماً منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما تسرون من عيب ديننا، وشتم آبائنا وتنفية أحلامنا، وسب آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلس له غداً بمجر فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

فلما أصبح أبو جهل لفته الله أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ يتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يفعلون، وكان قبله الشام. فكان إذا صلى إلى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام. فقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدت قريش فيجلسوا في أنديتهم يتظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «ذلك جبريل، لو دنا مني لأخذه».

وقال البيهقي (الدلائل: ١٩١/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو النصر الفقيه حدثنا عثمان الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيان بن صالح عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عباس بن عبد المطلب. قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال: إن لله عليّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضبان حتى جاء المسجد ففعل أن يدخل من الباب فاتحهم الحافظ. فقلت: هذا يوم شر، فارتدت ثم أتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرا: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق» فلما بلغ شأن أبي جهل «كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى» فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم هذا محمد فقال أبو جهل: ألا ترون ما أرى؟ والله لقد صد أبق السماء عليّ فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد.

وقال الإمام أحمد (٣٦٨/١): حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عبد الكريم عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً».

ورواه البخاري (٤٩٥٨) عن يحيى عن عبد الرزاق به.

وقال داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس. قال: مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي. فقال: ألم أتك أن تصلي يا محمداً؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني، فاتهره النبي ﷺ، فقال جبريل: «فليبلغ نأيه. سنذبح الزبانية» والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب.

رواه أحمد (٢٥٦/١) والترمذي (٣٣٤٩) وصححه النسائي (١١٦٨٤) من طريق داود به. وقال الإمام أحمد (٢٤٨/١): حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو زيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس. قال: قال أبو جهل: لئن رأيت النبي ﷺ عند الكعبة يصلي لأكرمه حتى أطأ عنقه، قال: فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً».

وقال أبو جعفر بن جرير (٢٥٦/٣٠): حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس. قال: قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ من الآية «كلا لئن لم يتو تنسماً بالأنفصية. ناصية كاذبة خاطئة. فليبلغ نأيه. سنذبح الزبانية». فجاء النبي ﷺ يصلي فقيل: ما يمكنك؟ قال: قد أسود ما بيني وبينه من الكتاب.

قال ابن عباس: والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه. وقال ابن جرير (في نفسه: ٢٥٦/٣٠): حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه عن نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم! قال: فقال:

رجل من إراش يابل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام، فمطله بأثمانها. فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد. فقال: يا معشر قريش من رجل يعني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سيل، وقد غلبني على حقي؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك الرجل؟ - وهم يهزؤون به إلى رسول الله ﷺ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - أذهب إليه فهو يؤدبك عليه. فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقام معه فلما رآوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فأنظر ماذا يصنع؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه باه. فقال: من هذا؟ قال: «محمد فأخرج» فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم، وقد انتفخ لونه. فقال: «أعط هذا الرجل حقه»، فقال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له. فدخل فخرج إليه بحقه فبلغه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: «الحق لشأنك».

فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاء الله خيراً، فقد أخذت الذي لي، رجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رايت؟ قال: عجبا من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه باه فخرج وما معه زوجه فقال: «أعط هذا الرجل حقه». فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك مالك؟ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟ فقال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملتت رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أتياه لفحل قط، فوالله لو آيت لأكلني.

٤١- من فعل المشركين بالنبي ﷺ

وقال البخاري (٣٨٥٦): حدثنا عياش بن الوليد حدثنا الوليد بن مسلم حدثني الأزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير. سألت ابن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله؟ قال:

بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: «اتَّقُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» (طه: ٢٨) الآية.

تابعه ابن إسحاق (خ مطلقاً تحت (٣٨٥٦)) قال: أخبرني يحيى بن عروة عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو.

وقال عبدة (خ مطلقاً تحت (٣٨٥٦)): عن هشام عن أبيه قال: قيل لعمر بن العاص.

وقال محمد بن عمرو (خ مطلقاً تحت (٣٨٥٦)): عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص.

قال البيهقي (٢٧٦/٢): وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة.

انفرد به البخاري. وقد رواه في أسان من «صحيحه» (٣٦٧٨) وصرح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أشبه لرواية عروة عنه، وكونه عن عمرو أشبه لتقديم هذه القصة.

وقد روي البيهقي (٢٧٥/٢): عن الحاكم عن الأصم عن أحمد

واللثام والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب.

فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظا على رقبته. قال: فما فجنهم منه إلا وهو ينكص على عقبه، ويتقي يديه، قال: فقيل له: مالك؟ قال: إن بني وبيته خندقاً من نار وهولاً واجنحة. قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

قال: وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ». أن رآه استغنى إلى آخر السورة.

وقد رواه أحمد (٣٧٠/٢) ومسلم (٢٧٩٧) والنسائي (١١٦٨٣) وابن أبي حاتم والبيهقي (١١٦٨٣) من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به.

وقال الإمام أحمد (٤١٧/١): حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله. قال: ما رأيت رسول الله ﷺ دها على قريش غير يوم واحد، فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس، وسلى جزور قريب منه. فقالوا: ما يأخذ هذا وسلى فيلقبه على ظهره؟ فقال عقبة بن أبي معيط: أنا، فأنذه فالتقاء على ظهره. فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأنذته عن ظهره. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم عليك بهذا الملاً من قريش، اللهم عليك بعقبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بابي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهم عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف -» شعبة الشاك.

قال عبد الله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً، ثم سحروا إلى القليب غير أبي - أو أمية - فإنه كان رجلاً ضخماً فقطع.

وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من «صحيحه» (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤) من طرق عن أبي إسحاق به.

والصواب: أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر، وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد كما سيأتي بيانه. والسكلى: هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة.

وفي بعض ألفاظ الصحيح (خ (٥٢٠)، م (١٧٩٤)): أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لنعمهم الله.

وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسيبهم، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم، فلما رآوا ذلك سكن عنهم الضحك، وخافوا دعوته، وأنه ﷺ دها على الملاً منهم جملة وعين في دعائه سبعة. وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم وهم: عتبة، وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل بن هشام، وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف.

قال أبو إسحاق: ونسيت السابغ (م (١٧٩٤)). قلت: وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في «صحيح البخاري» (٥٢٠).

٤١- قصة الإراشي

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق (السيرة: ١٧٦، ١٧٧. وسورة ابن هشام: ٣٨٩/١، ٣٩٠): حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي. قال: قدم

بن سلمة به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال محمد بن إسحاق (السيرة: ١٢٩، وسيرة ابن هشام: ١/٢٦٤): وحذب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لدينه لا يرد عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب ألفتهم، ورأوا أن عمه أبو طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب، عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البخترى - واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وأبو جهل - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، ونيبه ومنبه، ابنا الحجاج بن عامر بن حنيفة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، والعاص بن وائل بن سعيد بن سهم - قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم - فقالوا:

يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب ألفتنا، وعاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آياتنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن نخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفكه. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جيلاً فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. وأكثر قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتوأمروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى. فقالوا له: يا أبا طالب إن لك ستاً وشرفاً ومنزلة فينا وإننا قد استثنينك من ابن أخيك فلم تنه عنه، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب ألفتنا حتى تكفه عنا أو ننزله وإليك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا - ثم انصرفوا عنه فغظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه.

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٣٥): وحذني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي: كذا وكذا - للذي - قالوا له - فأبى علي وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: فإيا عمَّ والوَلَوَ وَضَعُوا الشَّعْنَ فِي يَمِينِي، والقرى في يساري على أن أشرك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته، قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولي ناداه أبو طالب. فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ. فقال: أذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمتك لشيء أبداً.

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٣٣): ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له - فيما بلغني -: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنه قد قتل قريش وأجمله، فخذك فلك عقله ونصره، واتخذ ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف

بن عبد الجبار عن يونس عن محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عروة، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب ألفتنا، وصبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا - فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القوم، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال: «أستمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالنبيح».

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فما كنت ببجهول. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأثام معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لا كان يبلغهم من عيب ألفتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك».

ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه، وقام أبو بكر يكي دونه ويقول: ويلكم «أَتَتَلَوْنَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط.

أورد في ذلك من روايه الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو من غرائب الإحاديث قال الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا الحسن بن فرقة حدثنا مسلم بن علقمة عن دواد بن أبي هند عن الشعبي عن قيس بن جرير قال: قالت بنت الحكم: قلت كذا لجدي الحكم ما رأيت قوماً كانوا أعجز ولا... في رسول الله ﷺ منكم يا بني أمية قال لا تلوينا يا بني إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين قلنا والله ما نزال نسمع قريشاً تصلي هذا الصايغ في مسجنا تواعوا له حتى نأخذته فتواعدنا له فلما رأناه سمعنا صوتاً ظننا أنه ما بقي بتهمة جبل إلا بقيت علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا إليه، فرأيت الصفا والمروة التفتا إحداهما بالأخرى فحالتا بيننا وبينه فوالله ما نعلمنا ذلك وهذا إسناد جيد رجاله كله ثقات.].

٤٢ - محاولة المشركين منع عم أبي طالب من نصرة

في تأليب الملا من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته

قال الإمام أحمد (١٢٠/٣): حدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أُوتِيَ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤَدِّي أَخَذَ، وَأُخِضَتْ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَخَذَ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَنِي يَوْمَ وَلِيلَةٍ وَمَا لِي وَبِلَالٍ طَعَامَ يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ إِلَّا مَا يُؤَارِي يَبْطُ يَلَالِ».

وأخرجه الترمذي (٢٤٧٢) وابن ماجه (١٠١) من حديث حماد

وبنك ودين أبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامنا فقتله فإنما هو رجل
ونحسي حينها كل يوم كريمة وتضرب عن أحبارها من يؤمها
بنا اتعش العود السلواء وإنما باكتافنا تسدى وتنسى أرومها

قال: والله لبس ما تسموني أتعطوني ابتكم أغنوه لكم، وأعطيك
ابني تقتلوه! هذا والله ما لا يكون أبداً.

قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا
أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك
تريد أن تقبل منهم شيئا.

فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت
خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك - أو كما قال - فحقب
الأمر، وحيت الحرب، وتناذب القوم، ونادى بعضهم بعضاً.

فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويعم من خذله من
بني عبد مناف ومن عداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه وما تباعد من
أمرهم:

ألا قل لعمرى والوليد ومطعم ألا ليت حظي من حياطينكم بكر
من الخوارج جحاح كبير وغلاوة يرش على الشافين من بوليه قطر
تخلت خلف الرود ليس يلاحق إذا ما علا الفياء قيل له ورس
أرى أخويني من أيننا وأئنا إذا سئلنا قال لا غيرنا الأمر
يلس فما أسر ولكن نرحمنا كما جرت من رأس في علي الصخر
أعصر خصوصاً عبد شمس ونوفل هما نبلاً نأ بشل ما بُد الجمر
فما أحمراً للقوم في أخوينها فقد أصبنا بينهم أكفهما صخر
فما أشركا في الجدمن لا أبا له من الناس إلا أن يرس له ذكر
ويتم ومنخرم ودمرة بينهم وكأفوا لنا مولى إذا بُني النصر
فوالله لا تفك لنا صداوة ولا ينكم ما قام من نلنا شفر
قال ابن هشام (السورة: ٢٦٨/١): وتركنا منها بيتين أقدع فيهما.

٤٣- مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين

المستضعفين

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٦٨/١): ثم إن قريشاً تذاصروا بينهم
على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه،
فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويقتلونهم عن دينهم،
ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمه أبي طالب. وقد قام أبو طالب -
حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون - في بني هاشم وبني عبد المطلب
فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام بدونه فاجتمعوا إليه
وقاموا معه واجابوه إلى ما دعاهم إليه - إلا ما كان من أبي لب عبد الله

فقال في ذلك يمدحهم ويعرضهم على ما وافقوه عليه من الحذب
والنصرة لرسول الله ﷺ:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمخبر فبصد منافى سرها وصيها
وان حُصِّلَتْ أشراف عبد منافها فسي هاشم أشرافها وقديها
وان فخرت يوماً فسان محمداً هو المصطفى من سرها وكرمها
تداعت قريش غثها وسميها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

٤٤- ما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما

طلبوا من الآيات

وما تعتوا عليه في استلهم إياه أنواعاً من الآيات وخرق العادات على
وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد. فلها لم يجابوا إلى كثير مما
طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما
أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظفوا في غيهم وضلالهم يترقون.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنِ إِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ كَيُؤْمِنُوا
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ.
وَنَقُلُّبُ أَقْدِنْتَهُمْ وَكَيْسَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَتَمَهَرُونَ. وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ
شَيْءٍ كَلَّا مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾
(الأنعام: ١٠٩-١١١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ
جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٩٦-٩٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَاتَّيْنَا ثَمَرَهُ نَارَةً مَبْصُورَةً فَلَقَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾
(الأنعام: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ مِنَ الْأَرْضِ يَتْرَعاً.
أَنْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَعِيمٍ وَنَجْوَ تَصْغُرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَجْجُرُ. أَوْ
تُنْطِقُ السَّمَاءُ كَمَا رُفِعَتْ عَنَّا كَيْسَ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلاً. أَوْ
يَكُونَ لَكَ نَبِيٌّ مِنْ خُرْمٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفِكَ حَتَّى
تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً تُفَرِّدُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا وَرَسُولاً﴾ (الأنعام: ٩٣-٩٤).

وقد تكلنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في «التفسير»
ولله الحمد.

وقد روى يونس وزيد عن ابن إسحاق (السورة: ١٧٨، وسورة ابن هشام:
٢٦٨/١) عن بعض أهل العلم - وهو شيخ من أهل مصر يقال له: محمد
بن أبي محمد - عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس: قال: اجتمع
عليه من أشرف قريش - وعدد أسماءهم - بعد غروب الشمس عند
ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابشوا إلى محمد فكلوه، وخاصموه
حتى تعلموا فيه، فيعوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك،
فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بداء،
وكان حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عتهم، حتى جلس إليهم. فقالوا: يا
محمد إنا قد بعثنا إليك لنعلم فيك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب
أدخل على قومه ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين،
وسفحت الأحلام، وشتمت الأمة وقرقت الجماعة، وما بقي من قبيح إلا
وقد جت فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً
جمعنا لك من أموالنا حتى نكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف

بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أنني لا أصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزناً أسفاً لما فاتته مما طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مبادئهم إياه.

وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملائكة جلس ظلم وعدوان وعداء، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية، ألا يجاوبوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب.

كما قال الإمام أحمد (٢٥٨/١): حدثنا عثمان بن محمد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدعروا، فقيل له: إن شئت أن تستاني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم. قال: فلا بل استاني بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]. الآية.

وهكذا رواه النسائي (١١٢٩٠) من حديث جرير به.

وقال أحمد (٢٤٢/١): حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل، عن عمران أبي حكيم عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال: «وتفعلون؟» قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح الصفا لهم ذهباً. فمن كفر منهم بعد ذلك غلبته غلباً لا أعنيه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب الرحمة والتوبة، قال: «فإن باب التوبة والرحمة».

وهذان إسنادان جيذان، وقد جاء مرسلان عن جماعة من التابعين منهم سعيد بن جبير وقادة وابن جريح وغير واحد.

وروى الإمام أحمد (٢٥٤/٥) والترمذي (٢٣٤٧) من حديث عبد الله بن المبارك، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «فَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لَا يَأْرِبُ أَشْبَعُ يَوْمًا وَاجُوعُ يَوْمًا - أَوْ خَوْذَكَ - فَإِنَّا جَعَلْتُ تَضَرَعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شِيعَتْ حِمَّتُكَ وَشَكَرْتُكَ». لفظ أحمد.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وعلي بن يزيد يضعف في الحديث. وقال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر - قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة - عن عكرمة عن ابن عباس، قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوه عن محمد وصفاً لهم صفته واخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء.

فخرجوا حتى قعدوا بالمدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفاً لهم أمره وبعض قوله، وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ففروا فيه رأيكم.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف طواف مشاوق الأضرار ومغارها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فينا سؤدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك ريثاً ترأه قد غلب عليك - وكان يسمون التابع من الجن الرئي - فريما كان ذلك؛ بئنا أومأنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعدرك فيك؟.

فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون. ما جئكم بما جئكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فيلنظرون رسالة ربي ونصحت لكم، فإن قبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقالوا:

يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقت بلاداً، ولا أقل مالا، ولا أشد عيشاً منا. فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آياتنا، ولكن فيمن يعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فسلهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدقك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت إنما جئكم من عند الله بما بعثني به فقد بلنظكم ما أرسلت به إليكم، فإن قبلوه فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم». قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يعث لنا ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، ونسأله فيجعل لنا جناتاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغيثك عما نراك تبني فإناك تقوم في الأسواق وتلتبس المعاش كما نلتبس حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم: «ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعث إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فإن قبلوا ما جئكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة. وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقال: «ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك» فقالوا: يا محمد ما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيعتمد عليك ويعلمك ما تراجعتنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعلننا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى تهلك أو تهلكنا.

وقال قائلهم: نحن نعيد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب - فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم، ثم سألوكم لأنفسهم أموراً ليحرفوا بها منزلتكم من الله فلم تفعل، ثم سألوكم أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك

فأقبل النضر وعقبه حتى قلما على قريش فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أجبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبرهم بها، فجازوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا فسالوه عما أمرهم به. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً بما سألتكم عنه» ولم يستن فأنصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى أرفج أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحت فيها لا يغيرنا بشيء مما سأله عنه، وحتى أحن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.

ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سأله عنه من أمر الغيبة والرجل الطواف، وقول الله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (الإسراء: ٨٥). وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولاً فمن أراد فعله بكشفه من هناك.

ونزل قوله: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّوحِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا».

ثم شرع في تفصيل أمرهم واعترض في الوسط بتعليقه الاستثناء تحقيقاً لا تعليقاً في قوله: «وَلَا تَقُولُوا لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْفَعُوا رِثْكَ إِنْ أَنْتَ نَسِيتَ».

ثم ذكر قصة موسى لتعلمها بقصة الخضر ثم ذي القرنين ثم قال: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا» ثم شرح أمره وحكي خبره.

وقال في سورة مباحن: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» أي خلق عجب من خلقه، وأمر من أمره، قال لها: كوني فكانت. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه، وتفسير كيفيته في نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وحكمته، ولهذا قال: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

وقد ثبت في «الصحيحين» ج (١٧٥)، م (٢٧٩٤) أن اليهود سألو عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة، فتلا عليهم هذه الآية - فما أنها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جواباً - وإن كان نزولها متقدماً ومن قال: إنها إنما نزلت بالمدينة واستثناه من سورة مباحن ففي قوله نظر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق (صورة ابن هشام: ٢٧٧/١): ولما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يجبرهم وغيرهم في شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه. فقال:

ولما رأيت القوم لا رُدَّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوصلات

وقد صارحونا بالمناداة والأذى وقد طاوروا أمر العدو المزابل

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض غضب من تراث المقاول

وأخضرت عند البيت رهطي وخنوتي وأسكت من أثوابه بالوصلات

قياماً معاً مستقبلي تراجسه لذي حيث يقضي حلفه كل نافل

وحيث ينخ الأشعررون وركابهم بمفضي السيول من إساف وناتل

موسى الأعضاء أو قصراتها غيسة بين السديس وبازل
تري الودع فيها والرخام وزينة بأعناقها معقودة كالمشاكل
اعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح يبطل
ومن كاشح يسمى لنا بعمية ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
ونور ومن أرسى ثبيراً مكانه ورقا لبر في حراره ونزال
وباليت حق البيت من بطن مكة وبالحجر المسود إذ مسحونه
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل
وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فهما من صورة ونمائل
ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له إلا إلى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فسوق الجبال عشية يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقرات أجزته سراعاً كما يفرج من وقع وإبل
وبالحجرة الكبرى إذا صمدوا لها يؤمون تلقاً رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية تحجز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطهم سمر الرمالح وسرحه وشبرقه وخد النعام الجوافل
نهل بعد هذا من معاذ لعائد وهل من معيد يتقي الله عائد
بطاع بنا العبدى ووثوا لو اتنا تسد بنا أبواب تترك وكابل
كذبهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلايل
كلبتهم وبيت الله نيزى عملاً ولما تطاعن دونه وتناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونهزل عن أبنائنا والحلالل
وينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأنكب التحامل
وإننا لعمر الله إن جد ما أرى لتنبئن أسيفنا بالأسائل
بكفى قسى مثل الشهاب سديد أخى ثقة حامي الحقيقة باسل
شهوراً وأياماً وحولاً جزمأ علينا وتأتي حجة بعد قبائل
وما ترك قوم - لا أبا لك - سيداً يحوط النمار غير ذرب مواكل
وايض ينسقى الفمام بوجهه شمال اليسامى عصمة للأرامل
يلوذ به الملاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره إلى بغضنا جزأتنا لأكمل
وعثمان لم يربع علينا وقفد ولكن اطاعا أمر تلك القبائل
اطاعا أيأ وابن عبد يغوثهم ولم يرقبا فينا مقالة قاتل
كما قد لقينا من سبيغ ونوفل وكل تولى معرضاً لم يجامل
فإن يلفيا أو يمكن الله منهما نكل لهما صاعاً بصاع المكاييل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا ليطعنا في أهل شاء وجامل
يناجي بنا في كل عسى ومصبح فجاج أبا عمرو بنا ثم خاتل

ويؤلي لنا بالله ما إن يغشنا بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة من الأرض بين أخشب فمجادل
وسائل إبا الوليد ماذا حيوتنا بعيك فينا معرضاً كالمخائل
وكننت امرءاً ثمن يمشى برأيه ورحمته فينا ولست بجاهل
فغبة لا تسمع بنا قول كاشح حور كذوب بغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضاً كم مر قيل من عظام المقاول
يفر إلى نجد ويرد مياهه ويزعم أنني لست عنكم بغافل
وغيرنا فعل المناصح أنه شفيق ويخفي عارسات الدواخل
أطعم لم أخلك في يوم نجدة ولا معظم عند الأمور الجلائل
ولا يوم خصم إذ أتوك الأسد ألي جلد من الحصوم المساجل

أطعم إن القوم ساموك خطبة وإنني متى أوكل فلست بوائيل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شر عاجلاً غير آجل
بميزان قسط لا يخسر شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قمر تنبأوا بني خلف قبضاً بنا والغيائل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم وغزوم تمالوا وألبوا علينا العدى من كل طمل وخائل
فبعد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لمسري لقد وهتم وعجزتم وجتم بامر بطنى للمفاصل
وكنتم حديثاً حطب قدر وأنتم الآن حطاب أقدار ومراجل
ليهن بني عبد مناف عقوقنا وخذلاننا وتركتنا في العقائل
فإن نك قوما تشر ما صنعتموا وتخلبوا لقحة غير باهل
وسائط كانت في لؤي بن غالب نفاعم إلينا كل صقر حلاجل
ورعط نقيل شر من وطى الحصى والأم حاف من معد وناعل
فأبلغ قصياً أن سينشر امرنا ويشر قصياً بعننا بالتخاذل
ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة إذا ما لجأنا دونهم في المناخل
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم لكننا أسى عند النساء المطائل
فكل صديق وابن أخت نعلد لمسري وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رطاً من كلاب بن مرة براء إلينا من معقة خائل
ومنا لهم حتى تبلد جمعهم ويحمر عنا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكدى من غالب والكواهل
شباب من المطيسين وهاشم كبيض السيوف بين أيدي الصيائل
فما أدركوا ذخلاً ولا سفكوا دمأ ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم غساري أسود فوق لحم خردال
بني أمة محبوسة هندكية بني جمع عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كسرام لسادة بهم نعي الأقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساماً مفرداً من حائل
أشم من الشم البهاليل يسمي إلى حسب في حومة المجد فاضل
لمسري لقد كلفت وجداً باحد وإخوته داب المحب المواصل

قال ابن هشام (السورة: ١٧٠، سورة ابن هشام: ٣١٧/١): هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشرح ينكر أكثرها.

قلت: هذه قصيدة عظيمة فصحة بلغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعاً، وقد أوردها الأموي في «مغازيه» مطولة بزيادات آخر والله أعلم.

٤٥- نماذج من تعذيب المشركين للمسلمين

قال ابن إسحاق (السورة: ١٧٠، سورة ابن هشام: ٣١٧/١): ثم إنهم علوا على من أسلم وتابع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، ويرمضاه مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يقتلونه عن دينهم، فبعضهم من يقتل من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، فكان بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر مولديهم وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرج إذا حيت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ، وتعبد اللات والعزى فيقول - وهو في ذلك - : أحد أحد.

قال ابن إسحاق (السورة: ١٧٠، سورة ابن هشام: ٣١٨/١): فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل عمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمع فيقول: أحلف بالله لن تقتلوه على هذا لا تخفنه حناً.

قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الرحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فكيف عمر ورقة ببلال، وهو يعذب؟ وفيه نظر.

ثم ذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣١٨/١) مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب، فأشتره من أمية بعد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب وذكر مشتره لجماعة من أسلم من العبيد والإماء، منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عيسى وزينره التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها، والنهدية وابتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتها سيدتهما تطحنان لها فسمعهما وهي تقول لهما: والله لا اعتكما أبداً فقال أبو بكر: حلأ يا أم فلان، فقالت حلأ أنت أفستهما فاعتقهما: قال فبكم هما؟ قالت: بكنا وكنا. قال: قد

قلت: وفي مثل هذا أنزل الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَثَرَةٍ فَلْيُكْفِرْ بِهَا وَلْيَكُنْ مِنْ الْكَافِرِينَ صَدْرًا مُعْتَدِلًا غَضَبَ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١٠٦] الآية فهؤلاء كانوا ملعونين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البالغ، أجابنا الله من ذلك بحوله وقوته.

وقال الإمام أحمد (١١١/٥): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن مسلم، عن مسروق، عن خباب بن الارت. قال: كنت رجلاً قتيلاً وكان لي على العاصم بن وائل دين، فأتيت أبقاضاه فقال: لا والله لا أقبضك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم بعثت. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جثتي ولي ثم مال وولد فأقبضك. فأنزل الله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْثِينَ مَالًا وَلَوْلَا إِيمَانُ بِيَّ إِلَى قَوْلِهِ لَوَلَّىتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

أخرجاه في «المصحيحين» ج (٢٠٩١)، م (٢٧٩٥) وغيرهما رت (٣١٦٢) من طرق عن الأعمش به.

وفي لفظ البخاري (٢٢٧٥) كنت قتيلاً بمكة، فعملت للعاصم بن وائل سيفاً فبغت أبقاضاه فذكر الحديث.

وقال البخاري (٣٨٥): حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان وإسماعيل. قالوا: سمعنا قيساً يقول: سمعت خباباً يقول: أثبت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعوا الله؟ فقمده وهو محمر وجهه. فقال: «قَدْ كَانَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لِيَمِشَ بِأَمْشَاطِ الْحَبِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِمْ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ لِلنَّشَارِ عَلَى مِغْرَقٍ رَأْسُهُ فَيُشَقُّ بَاتْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَمْسَنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ نَصْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ». زاد بيان: «وَالذَّنْبُ عَلَى غَنِيٍّ».

وفي رواية ج (٣١٦٢): «وَلَكُنْكُمْ تَسْتَعِجِلُونَ» انفراد به البخاري دون مسلم.

وقد روي من وجه آخر عن خباب وهو مختصر من هنا والله أعلم. وقال الإمام أحمد (١١٠/٥): حدثنا عبد الرحمن عن سفيان ح وابن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب، عن خباب: قال: شكروا إلى النبي ﷺ شدة الرضا فما أشكنا - يعني في الصلاة - وقال ابن جعفر: فلم يشكنا.

وقال أيضاً [السند: ١٠٨/٥]: حدثنا سليمان بن داود، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، قال: سمعت سعيد بن وهب يقول سمعت خباباً يقول: شكروا إلى رسول الله ﷺ الرضا فلم يشكنا، قال شعبة: يعني في الظهر. ورواه مسلم (٦٩٩) والنسائي (٤٩٦) والبيهقي (في السنن الكبرى: ٤٣٨/١، ١٠٤/٢) من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن وهب عن خباب: قال: شكروا إلى رسول الله ﷺ حر الرضا - زاد البيهقي: في وجوهنا وأكفنا - فلم يشكنا.

وفي رواية ج (١٨٩/١١٩): شكروا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرضا فلم يشكنا. ورواه ابن ماجه (٦٧٥) عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الأعمش عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب العبدي عن خباب: قال: شكروا إلى رسول الله ﷺ حر الرضا فلم يشكنا.

والذي يقع لي - والله أعلم - أن هذا الحديث مختصر من الأول وهو أنهم شكروا إليه ﷺ ما يلقون من المشركين من التعذيب بحر الرضا، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فينقون بأكتفهم، وغير ذلك من أنواع

أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليهما طحيتهما. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما؟ قال: ذلك إن شئتما. واشترى جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - كان عمر يضربها على الإسلام.

قال ابن إسحاق [السيرة: ١٧١، سورة ابن هشام: ٣١٩/١]: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله. قال: قال أبو حنيفة لأبي بكر: يا بني إني أراك تمتق ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجلاً جلداء يمتعونك ويقومون دونك. قال: فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد. قال: فيتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه: ﴿فَمَا مِمَّا أُعْطِيَ وَأَتَقَى وَصَدَّقَ بِالْخُسْنَى. فَتُسَيَّرُ لِلْيُسْرَى﴾ [البال: ٧٥-٧٥] إلى آخر السورة.

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد (٤٠٤/١) وابن ماجه (١٥٠) من حديث عاصم بن بهلثة عن زر عن ابن مسعود. قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله ﷺ فمعه الله بعه، وأبو بكر معه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسوهم أدرع الحديد وصهرهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأخونوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شباب مكة وهو يقول: أحد أحد.

ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد رسلاً [الفتح دمشق: ٤٣٨/١٠ عن الثوري ٩٤].

قال ابن إسحاق [السيرة: ١٧٢، سورة ابن هشام: ٣١٩/١]: وكانت بنو خزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حيت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول - فيما يلقي -: «صَبْرًا أَلْ يَاسِرَ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ».

وقد روى البيهقي [اللائل: ٢٨٢/٢] عن الحاكم عن إبراهيم بن عصمة العدل: حدثنا السري بن خزيمة حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: «ابشروا آل عمار آل ياسر فإن موعدكم الجنة» فأما أمه فقتلوا، تأبى إلا الإسلام.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد. قال: أول شهيد كان في الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قلبها [دلائل النبوة للبيهقي: ٢٨٢/٢] من طريق الإمام أحمد ٩٤. وهنا مرسل.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٢٠/١]: وكان أبو جهل الفاسق الذي يفرى بهم في رجال من قريش، إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنه وخزاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لتسفن حملك، ولنفيان وأبيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسبن تجارتك ولنهلكن مالك. وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به لعنة الله وقبحه.

قال ابن إسحاق [السيرة: ١٧٢، ١٧٣، سورة ابن هشام: ٣٢٠/١]: وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله! إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى يعطيهم ما سالوه من الفتنة، حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله فيقول: نعم! اقتلاء منهم عما يلغون من جهلهم.

ما هو سَاحِرٌ قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بشفه ولا بعقده. قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله خلالة، وإن أصله لمندق، وإن فرعه لجني فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: هذا ساحر، فتقولوا: هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته ففرقوا عنه بذلك.

فجعلوا يجلسون للناس حتى قلعوا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره وأنزل الله في الوليد: ﴿فَرَزْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْلُوءاً. وَتَبَيَّنَ شُهوْدُ الْآيَاتِ فِي أُولَئِكَ الْغُرِّ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَيْلٌكَ لِنَسْأَلَتِهِمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴾ (الحجر: ٩١ - ٩٣).

قلت: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقولهم: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَصْحَابُ بَلِّ افْتَرَاهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (النجم: ٥) فعلموا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل، لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ. قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَظْهِمُونَ سَبِيلاً﴾ (الاسراء: ٤٨).

وقال الإمام عبد بن حميد في «مسنده»: حدثني أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح هو ابن عبد الله الكندي عن الذئلي بن حرمة الأسدي، عن جابر بن عبد الله. قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا لرجل الذي فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا، فليكنمه ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فإنه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسلم قولك إنا والله ما رأينا سخله قط أشام على قومه منك فرقت جماعتنا، وشئت أمرنا، وعبت ديننا، وفضختنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وإن في قريش كاهناً والله ما ننظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيف حتى نتفاني.

أيها الرجل: إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فللتزويجك عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال: نعم! فقال رسول الله ﷺ: ﴿حِمِّ تَنْزِيلُ مَنْ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (ص: ١-٣) إلى أن بلغ ﴿فَإِنْ أَحْرَضُوا فَقُلْ أَنْزَلْنَاهُ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (ص: ١٣).

فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: «لا» فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراؤك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم! ثم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً ما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. فقالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعرية لا تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً ما قال غير ذكر الصاعقة.

وقد رواه البيهقي (الدلائل: ٢٠٢/٢) وغيره (دلائل النبوة لأبي نعم: ١٨٢) عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن يحيى بن معين عن محمد بن فضيل عن الأجلح به.

العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره، وسألوا منه ﷺ أن يدعو الله لهم على المشركين أو يستنصر عليهم فوعدهم ذلك ولم ينجزه لهم في الحالة الراحة وأخبرهم عن كان قبلهم أنهم كانوا يلقون من العذاب ما هو أشد مما أصابهم ولا يصرفهم ذلك عن دينهم، ويشرهم أن الله سيتم هذا الأمر ويظهره ويعلنه وينشره وينصره في الآثام والآفاق حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذنب على عنقه، فولكنكم تستعجلون. ولهذا قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء في وجوهنا وأكفنا فلم يشكنا، أي: لم يدع لنا في الساعة الراحة، فمن استدل بهذا الحديث على عدم الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلي بالكف كما هو أحد قولَي الشافعي فيه نظر والله أعلم.

٤٦ - مجادلة المشركين للنبي وإقامة الحجة عليهم

قال إسحاق بن راهويه: حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن أيوب السخيتي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له فيبلغ ذلك أبا جهل فإنه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل في قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقوله خلالة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لم يثر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليعظم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر. قال: هذا سحر يؤثر يائره عن غيره فترلت: ﴿فَرَزْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْلُوءاً. وَتَبَيَّنَ شُهوْدُ الْآيَاتِ فِي أُولَئِكَ الْغُرِّ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَيْلٌكَ لِنَسْأَلَتِهِمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾﴾ (الحجر: ٩١ - ٩٣). هكنا رواه البيهقي (الدلائل: ٢١٨/٢) عن الحاكم (السنن: ١١ - ١٣) ٥٠٦/٢ عن أبي عبد الله بن محمد بن علي الصنعاني بمكة عن إسحاق به. وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلًا (الدلائل للبيهقي: ١٩٩/٢) وفيه أنه قرأ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُ بِالنَّعْدِ وَالْإِحْسَانِ وَإِنَّهُ ذِي الْفَرَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْفُجْيِ يَبْطِغُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الحج: ٩٠).

وقال البيهقي (في الدلائل: ١٩٩/٢ - ٢٠١): عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير - أو عكرمة - عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضهم بعضاً. فقل: يا أبا عبد شمس قتل واقم لنا رأياً نقوم به. فقال: بل أنتم تقولوا وأنا أسمع. فقالوا: نقول كاهن. قال: ما هو بكاهن فقد رأيت الكهان. فما هو بزممة الكهان. فقالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنفة ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا: نقول شاعر. فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول هو ساحر. قال:

وفيه كلام.

وزاد: وإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا الويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت وعنده أنه لما قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتسب عنهم. فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه.

فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صيوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما ينيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يكلمك محمداً أبداً. وقال: لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالاً، ولكني آتيه - وقص عليهم القصة - فاجابني بشئ والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرا ﴿حَمِّمْ تَنْزِيلَ مَنْ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ فامسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن يترد عليكم العذاب.

ثم قال البيهقي (الدلائل: ٢٠٤/٢) عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس، عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض على رسول الله ﷺ من المال والملك وغير ذلك.

وقال زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٩٣/١) فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه وكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطه في العشيرة والمكان في النسب، وأنت قد آتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به أنفسهم ودينهم وكفرت به من مضى من آياتهم. فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَبَا الْوَلِيدِ اسْمَعْ﴾. قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوندك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ونبئنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتدأى منه. أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال له النبي ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟﴾ قال: نعم! قال: ﴿فاسمع مني﴾، قال: افعل! فقال رسول الله ﷺ: ﴿حَمِّمْ تَنْزِيلَ مَنْ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. كَتَابُ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فمضي رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة انصت لها والتقى بيديه خلفه - أو خلف ظهره - معتمداً عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد لها ثم قال:

اسْمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قال: سمعت. قال: فَأَنْتَ وَذَلِكَ.

ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: تخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عركم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.

ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق (السيرة: ١٨٩) شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة.

وقال البيهقي (الدلائل: ٢٠٥/٢): أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمي بمكة حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطالسي، حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا المثنى بن زرة عن محمد بن إسحاق، عن نافع عن ابن عمر. قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة: ﴿حَمِّمْ تَنْزِيلَ مَنْ الرُّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أتى أصحابه فقال لهم: يا قوم أطيعوني في هذا الأمر اليوم، وأعصوني فيما بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذنأي كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه.

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

ثم روي البيهقي (الدلائل: ٢٠٦/٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق حدثني الزهري. قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع منه. وكل لا يعلم مكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقلوا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهانكم لأوقعتهم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، قال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا.

فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود. فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحلوا فحللنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاجنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمضى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدق. فقام عنه الأخنس بن شريق.

ثم قال البيهقي (الدلائل: ٢٠٧/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس حدثنا أحمد حدثنا يونس عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن

يَنْ ذَلِكَ سَيْلًا.

٤٧- هجرة الصحابة الأرض الحبيشة فراراً بدينهم

قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد، والإهانة البالغة. وكان الله عز وجل قد حجزهم عن رسول الله ﷺ، ومنعه معه أبي طالب، كما تقدم تفصيله والله الحمد والمنة.

وروى الواقدي من طريقه أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٢/١٤١ أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم اتفخوا إلى البحر ما بين مائتين وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبيشة. وهم: عثمان بن عفان، وامراته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة، وامراته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامراته ليلى بنت أبي حشمة، وأبو سيرة بن أبي رهم، ويقال: حاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن جرير (في تاريخه: ٣٣٠/٢): وقال الآخرون: بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً، سوى نساءهم وأبنائهم، وعامر بن ياسر. فشكل رأي ابن إسحاق السيرة: ٢/١١٠.

فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً.

وقال محمد بن إسحاق (السيرة: ١٥٤، سورة ابن هشام: ٣٢١/١): فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله عز وجل، ومن عهده أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: «لَنْ تَخْرُجُنَّ إِلَى أَرْضِ الْحَبِيشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلَكًا لَا يَظْلُمُ عَنْدَهُ أَحَدًا، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبيشة خافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

وكذا روى البيهقي (الذلال: ٢٩٧/٢) من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشار بن موسى عن الحسن بن زياد البرهمي: حدثنا قتادة: قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه امراته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبيشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد قد رأيت خنتك ومعه امراته. قال: «عَلَى أَيِّ حَالٍ رَأَيْتَهُمَا؟» قالت: رأيت قد حل امراته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ: «صَحِيحُهَا اللَّهُ، إِنَّ عُثْمَانَ أَوَّلُ مَنْ فَاجَرَ بِأَهْلِهِ بِئَذْ لَوْطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٥٦، ١٥٧، ٢٠٥، وسورة ابن هشام: ٣٢٢/١): وأبو حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو - وولدت له

المغيرة بن شعبة. قال: إن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أنني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أوقعة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «فَيَا أَبَا الْحَكَمِ، هَلَمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، أَذْهَبُكَ إِلَى اللَّهِ». فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت متبر من سب آلها؟ هل تريد إلا أن تشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أنني أعلم أن ما تقول حق لأتبعك.

فانصرف رسول الله ﷺ. وأقبل عليّ فقال: والله إنني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن شيء. إن بني قضي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السقاية. فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا الندوة. فقلنا: نعم. ثم قالوا: فينا اللواء. فقلنا: نعم. ثم أطمعوا وأطعمنا. حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل.

وقال البيهقي (الذلال: ٢٨٤/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن خالد، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق. قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان. فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس. قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فإني يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله ﷺ يسمع.

فأتاهما فقال: «أَمَا أَنْتَ يَا أَبَا سَفْيَانَ، فَمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ غَضِيْبٌ وَلَكِنَّكَ حَبِيْبٌ لِلْأَصْلِ. وَأَمَا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَكَمِ، فَوَاللَّهِ لَتَضْحَكُنَّ قَلِيْلًا وَلَتَبْكَيْنَ كَثِيْرًا» فقال: بشما تعلني يا ابن أخي من نبوتك.

هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وقول أبي جهل - لعنه الله - كما قال الله تعالى غيبراً عنه وعن أضرابه: «وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْجُوْنَكَ إِلَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ رُسُلًا. إِنَّ كَذِبُكُمْ عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيْلًا» (الفرقان: ٤١ - ٤٢).

وقال الإمام أحمد (٢٣١/١، ٢٣٥): حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا» (الاسراء: ١١٠).

قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به، قال: فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ» أي: بقرأتك فيسمع المشركون فسيبوا القرآن «وَلَا تُخَافِتُ بِهَا» عن أصحابك، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك «وَأَنْتُمْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلًا» (الاسراء: ١١٠).

وهكذا رواه صاحب «الصحیح» (ج ٤، ٤٧٢٢)، م (٤٤٦) من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وحشية به.

وقال محمد بن إسحاق (السيرة: ١٨٦، سورة ابن هشام: ٣١٣/١، ٣١٤): حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن - وهو يصلي - تفرقوا عنه وإبسا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع، دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ صوته لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله تعالى: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ» فيفترقوا عنك «وَلَا تُخَافِتُ بِهَا» فلا يسمع من أراد أن يسمعها عن يستر ذلك لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع، فيتتبع به «وَأَنْتُمْ

الحارث بن كلثة، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد والمطلب بن أظهر بن عبد عوف الزهري، وامراته رمة بنت أبي عوف بن صيرة - وولدت له بها عبد الله - وعبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة، والمقداد بن الأسود، والحارث بن خالد بن صخر التيمي، وامراته ربة بنت الحارث بن جيلة - وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة - وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي -.

قال ابن هشام في السيرة: ٣٢٧/١، ٣٢٧: وإنما سمي شمساً لحسنه وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حنيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم، وسلمة بن هشام بن المغيرة، وعيش بن أبي ربيعة بن المغيرة، ومعتب بن عوف بن عامر - ويقال له: عيهامة - وهو من حلفاء بني غزوم.

قال: وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، وحاطب بن الحارث بن معمر، ومعه امرأته فاطمة بنت الجمل، وابناه منها محمد والحارث، وأخوه خطاب، وامراته فكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر بن حبيب، وامراته حسنة، وابناه منها جابر وجنادة، وابنها من غيره، وهو شرحبيل بن عبد الله - أحد القوث بن مزاحم بن نعيم، وهو الذي يقال له: شرحبيل بن حسنة - وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حنافة بن جح، وخنيس بن حنافة بن قيس بن عدي، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد، وقيس بن حنافة بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي، وإخوته الحارث ومعمر والسائب ويشر وسعيد أبناء الحارث بن قيس بن عدي وأخو بشر بن الحارث بن قيس بن عدي لأمه وهو سعيد بن عمرو التيمي، وعمير بن رباب بن حنيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم، وحليف لبني سهم وهو: حمية بن جزء الزيندي، ومعمر بن عبد الله العلوي، وعروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة بن عبد العزى، وابنه النعمان، وعبد الله بن غرمة العامري، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسليط بن عمرو، وأخوه السكران، ومعه زوجته سودة بنت زمعة، ومالك بن زمعة، وامراته عمرة بنت السعدي، وحاطب بن عمرو العامري، وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن - وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وسهيل بن بيضاء - وهي أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن غزب بن الحارث بن فهر - وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبيب بن ضبة بن الحارث، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، وعياض بن زهير بن أبي شاذل بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ويقال: بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شاذل بن ربيعة، وعثمان بن عبد غنم بن زهير وسعد بن عبد قيس بن لقيط، وأخوه الحارث الفهريون.

قال ابن إسحاق في السيرة: ٢١٠، سيرة ابن هشام: ٣٣٠/١، فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صفاراً وولدتوا بها - ثلاثة وثلاثون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه.

قلت: وذكر ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريباً جلاً.

بالحبشة محمد بن أبي حنيفة - والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطاب، وهو من بني عتر بن وائل - وامراته ليلى بنت أبي حنيفة، وأبو سيرة بن أبي رهم العامري، وامراته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر - وهو أول من قدمها فيما قيل - وسهيل بن بيضاء. فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني.

قال ابن هشام في السيرة: ٣٢٣/١، وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق في السيرة: ٢٠٨، سيرة ابن هشام: ٣٢٣/١، ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له بها عبد الله بن جعفر. وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة. ولقد زعم موسى بن عتبة بن طرفة أخرجه البخاري في اللال: ٢٨٥/٢ أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشعب. وفي هذا نظر والله أعلم.

وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في الهجرة الثانية إليها. وذلك بعد عود بعض من كان خرج أولاً، حين بلغهم أن المشركين أسلموا وصلوا، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون - فلم يجئوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة. وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة، وهي الهجرة الثانية، كما سيأتي بيانه.

قال موسى بن عتبة: وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً. وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرحيل الأول أظهر كما سيأتي بيانه والله أعلم.

لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً، وهو المقدم عليهم والمترجم عنهم عند التجاشي وغيره، كما ستورده مبسوطاً.

ثم إن ابن إسحاق في السيرة: ٢٠٥، ٢٠٨، وسيرة ابن هشام: ٣٢٣/١ - ٢٣٠ سرد المهاجرين صحة جعفر رضي الله عنهم. وهم: عمرو بن سعيد بن العاص، وامراته فاطمة بنت صفوان ابن أمية بن محرز بن شق الكناني. وأخوه خالد، وامراته أمية بنت خلف بن أسعد الخزاعي - وولدت له بها سعيلاً، وأمة التي تزوجها بعد ذلك الزبير، فولدت له عمراً وخالدًا - قال: وعبد الله بن جحش ابن رباب، وأخوه عبيد الله، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمه وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان، ومعيقب بن أبي فاطمة، وهو من موالى آل سعيد بن العاص.

قال ابن هشام في السيرة: ٣٢٤/١، وهو من دوس. قال: وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة. - وستكمل معه في هنا - عتبة بن غزوان، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد، وطليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد وسويط بن سعد بن حرملة، وجهم بن قيس العبدي، ومعه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خزيمه، وولده عمرو بن جهم وخزيمه بن جهم، وأبو الروم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد السدار، وفراس بن النضر بن

فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى بن مريم، فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرج من العذراء البتول التي لم يقر بها بشر ولم يفرسها ولد: فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرمعه فقال: يا معشر القيسيين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ولا وزن هذه. مرجحاً بكم وعن جثم من عنده، فأتا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى. ولولا ما أتانا فيه من الملك لأكتبه حتى أتجل نعليه، أمكنوا في لوزي ما شتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. وقال: رقدوا على هذين هديتهما.

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً، وكان عمارة رجلاً جليلاً، وكانا أقبالاً في البحر، فشربا مع عمرو امرأته، فلما شربا قال عمارة لعمر: مر امرأتك فلتقبلي. فقال له عمرو: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة غمراً فرمى به في البحر، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة، فحقد عليه عمرو في ذلك. فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك، ندع النجاشي بعمارة فتفخ في إحليله فطار مع الوحش.

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٩٩) من طريق أبي علي الحسن بن سلام السواق عن عبيد الله بن موسى فذكر بإسناده مثله إلى قوله: فأمر لنا بطعام وكسوة.

قال: وهذا إسناده صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى كان بمكة، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى: أنهم بلغهم خرج رسول الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضعة وخمسين رجلاً في سفينة، فالتفتهم سفيتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فأمرهم جعفر بالإقامة، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله ﷺ زمن خيبر. قال (الطهري في الدلائل): ٣٠٠/٢: فأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي، فأخبر عنه. قال: ولعل الراوي وهم في قوله: أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلق والله أعلم.

وهكذا رواه البخاري (٢٨٧٦) في باب هجرة الحبشة: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: بلغنا خرج النبي ﷺ ونحن باليمن فركبنا سفينة فالتفتنا سفيتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ﷺ فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فقال النبي ﷺ: «لَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّيِّئَةِ فَيُفَرِّقَنَّ» وهكذا رواه مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) عن أبي كريب وأبي عامر عبد الله بن براد بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى كلاهما عن أبي أسامة به. ورواه (٣١٣٦، ٤٢٣٠) في مواضع آخر مطولاً. والله أعلم.

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإن الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من «تاريخه» من رواية نفسه، ومن رواية عمرو بن العاص. وعلى يديهما جرى الحديث، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم. وأم سلمة كما سيأتي. فاما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً. رواها ابن عساكر عن أبي القاسم السمرقندي، عن أبي الحسين بن النضر، عن أبي طاهر المخلص، عن أبي القاسم البغوي. قال: حدثنا أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أسد بن عمرو البجلي، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه. قال: بعثت قريش

وقد قال الإمام أحمد (٤٩١/١): حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجاً أخا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر، وعبد الله بن عرفة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى فاتوا النجاشي. وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهينة، فلما دخلوا على النجاشي سجدا له ثم ابتدوا عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له: إن نقرأ من بني عمن نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأتين هم؟ قالوا: في أرضك، فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسلاً ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فأتهم بخالفونك في عيسى بن مريم، قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: تقول كما قال الله: هو كلمة الله وروحه النفاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسه بشر، ولم يفرسها ولد. قال: فرجع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي تقول فيه ما يسو هذا، مرجحاً بكم وعن جثم من عنده، أشهد أنه رسول الله ﷺ. وأنه الذي نجد في الإنجيل. وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، أنزلوا حيث شتم، والله لولا ما أتانا فيه من الملك لأكتبه حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه. وأمر بهينة الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً. وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته.

وهذا إسناده جيد قوي وسياق حسن. وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان من هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، إن لم يكن ذكره منوجاً من بعض الرواة والله أعلم.

وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي من وجه آخر. فقال الحافظ أبو نعيم في «الدلائل» (١٩٦): حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا إسرائيل (ح). وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا، حدثنا الحسن بن علوية القطان، حدثنا عباد بن موسى الحنلي، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا إسرائيل (ح). وحدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه، حدثنا إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه - حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى. قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجعوا للنجاشي هدية وقدموا على النجاشي فأتاه بالهدية، فقبلها وسجد له ثم قال عمرو بن العاص:

إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك. قال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا: نعم! فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد. أنا خطيبكم اليوم، فأتهم إلى النجاشي، وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه، وعمارة عن يساره. والقيسون جلوس سماطين - وقد قال لهم عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك - فلما انتهوا بدرونا من عنده من القيسيين والرهبان: اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل. فقال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسلاً، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: «وَمِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فقدما عليه فلم يبق طريق من بطارقه إلا قَتَمُوا إليه هديته، وكَلَمَوْهُ وقالوا له: إنما قَدَمْنَا على هذا الملك في سفهاتنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فَبَعَثْنَا قومهم ليردّهم الملك عليهم، فإذا نحن كَلَمْنَاهُ فاشيروا عليه بأن يفعل فقالوا: نفعل. ثم قَتَمُوا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحب ما يهلون إليه من مكة الأدم -.

وذكر موسى بن عقبة [من حديثه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٩٣/٢] أنه تَمَّ أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه. قالوا له:

أيها الملك: إن قَتَمْنَا مِنَّا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجئوا إلى بلادك، وقد بعثنا إليك فيهم عشارهم، آبائهم وأعمامهم، وقومهم لتردّهم عليهم، فإنهم أعلى بهم عينا فقلت بطارقه: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عينا فإنهم لن يدخلوا في دينك فتنتهم لذلك. فنقض ثم قال: لا لعمر الله! لا أردّهم عليهم حتى أدعوه، فاكلهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجئوا إلى بلادي واختاروا جواربي على جوارب غيبري فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أتعهم عينا.

وذكر موسى بن عقبة [من حديثه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٩٣/٢ - ٢٩٥] أن أمراء أشاروا عليه بأن يردهم إليهم. فقال: لا والله! حتى اسمع كلامهم وأعلم على أي شيء هم عليه.

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهط ألا تحبّوني ما لكم لا تحبّوني كما يحبّني من أئمان من قومكم؟ وأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم؟ أنصاري أتم؟ قالوا: لا. قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر والصدقة والرفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصَدَّقْنَاهُ وعرفنا كلام الله وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبي الصادق وكُتِبُوا وأرادوا قتله، وأرادوا على عبادة الأوثان، فقررنا إليك بديننا ودماننا من قومنا. قال: والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى.

قال جعفر: وأما التحية فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السّلام، وأمرنا بذلك فحيّناك بالذي يحبّ بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم فبهدى الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا الصود. فقال عظماء الحبشة: والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك. فقال: والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناس في حين رد علي ملكي فأطاع الناس في دين الله. معاذ الله من ذلك.

وقال يونس عن ابن إسحاق: فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم. فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول؟ نقول والله ما نعرف. وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا ﷺ كأننا في ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية، ولا نصرانية. فما هذا

عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له - ونحن عنده -: قد صار إليك ناس من سيفلتنا وسفهناتنا، فادفعهم إلينا، قال: لا حتى أسمع كلامهم. قال: فبعث إلينا فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال: قلنا: إن هؤلاء قروم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسلاً فأما به وصدّقناه. فقال لهم النجاشي: أعيد هم لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلكم عليهم دين؟ قالوا: لا. قال: فخلوا سيبلهم. قال: فخرجنا من عنده فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول، قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار.

فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، قال: ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم؟ قلنا: يقول: هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال: فأرسل فقال: ادعوا لي فلاناً القس، وفلاناً الراهب. فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا، فما تقول؟.

قال النجاشي - وأخذ شيئاً من الأرض - قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم! فنادي مناد: من أدى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال: أيكنيكم؟ قلنا: لا، فأضعفنا. قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فزودنا قال: نعم! فحملنا وزودنا. ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله. وقل له يستغفر لي.

قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقي، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خير أفرح أم بقلوب جعفر؟» ووافق ذلك فتح خير، ثم جلس فقال رسول النجاشي: هذا جعفر نفسه ما صنع به صاحبتنا؟ فقال: نعم فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأَنَّ رسول الله. وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلنَّجَاشِيِّ» فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ.

ثم قال ابن عساکر: حسن غريب.

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق [السورة: ١٩٤ - ١٩٧]: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، عن أم سلمة رضي الله عنها. أنها قالت: لما ضاقت مكة وأودى أصحاب رسول الله ﷺ وقتوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عَمَلِهِ لا يصل إليه شيء مما يكره ويما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَارِضَ الْحَبِشَةِ مَلَكاً لَا يُظَلَمُ أَحَدٌ عَنْهُ فَأَلْحَقُوا بِلِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِرْجاً وَغُرْجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فخرجنا إليها أرسلأا حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جبار آمين على ديننا، ولم نخش فيها ظملاً. فلما رأت قريش أننا قد أصبنا داراً وأماناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم فيبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هبوا له هدية على حدة، وقالوا لها: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه فإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

ولا اطاع الناس في فاطم بن فاطم فيه. ردوا عليها مديابهما فلا حاجة لي بها. واخرجوا من بلادي فخرجوا مقبوحين مردوداً عليهما جاء به.

قالت: فاقمتا مع خير جبار في خير دار، فلم ينشب أن يخرج علي رجل من الحبشة يتازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزناً حزناً قط هو أشد منه، فرقاً من أن يظهر ذلك الملك علي فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو الله ونستصره للنجاشي فخرج إليه سائراً فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من يخرج فيحضر الواقعة حتى ينظر على من تكون؟ فقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً - أنا، فنفضخوا له قربة فجعلها في صدره، فجعل يسبح عليها في التل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الواقعة فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه. فجاء الزبير فجعل يلصق لنا بردائه ويقول: ألا فابشروا، فقد أظهر الله النجاشي. قالت: فوالله ما علمنا أننا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي ثم أقمتا عنده حتى خرج من خرج منا راجعاً إلى مكة، وأقام من أقام.

قال الزهري (السيرة لابن إسحاق: ١٩٧): فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة. فقال عروة: أتندري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة فيه، ولا اطاع الناس في فاطم بن فاطم فيه؟ فقلت: لا ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة. فقال عروة: فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلاً ولم يكن لأبي النجاشي ولد غير النجاشي فادارت الحبشة رأيها بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكتنا أخاه فإن له اثني عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك، لقيت الحبشة عليهم دهرًا طويلاً لا يكون بينهم اختلاف، فعلوا عليه قتلوه وملكوا أخاه.

فدخل النجاشي لعمه حتى غلب عليه فلا يغير أمره غيره، وكان ليلاً حازماً من الرجال، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا: قد غلب هذا الغلام على أمر عمه فما نأمن أن يملكه علينا وقد عرف أننا قتلنا أباه، فكنس فعل لم يدع منا شرفاً إلا قتله، فكلموه فيه فليقلته أو ليخرجه من بلادنا، فمشوا إلى عمه فقالوا: قد رأينا مكان هذا الفتي منك، وقد عرفت أننا قتلنا أباه وجعلنا مكانه وإنما نأمن أن يملك علينا فيقتلنا، فاما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا.

قال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأتله اليوم؟ بل أخرجه من بلادكم. فخرجوا به فوقوه في السوق وابعوه من تاجر من التجار بستمئة درهم أو بستمئة فقتله في سفينة فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحب الخريف فخرج عمه بيمطر تحتها فاصابه صاعقة فقتله ففزعوا إلى ولده فإذا هم عمقون ليس في أحد منهم خير فمرج على الحبشة أمرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعم الغداة، فإن كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه قبل أن يذهب، فخرجوا في طلبه فادركوه فردوه فقتلوا عليه تاجه وأجسروه على سزيه وملكوه، فقال التاجر: ردوا علي مالي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نمطيك. فقال: إذا والله لأكلمته فقالوا: وإن. فمشى إليه فكلمه فقال: أيها الملك إني اتبعت غلاماً قبضت مني الذي باعوه ثمته، ثم عدوا على غلامي فزعموه من يدي ولم يردوا علي مالي، فكان أول ما خير به من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله، أو لتجعلن يد غلامه في يده فليدين به حيث شاء. فقالوا: بل نمطيه ماله فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة فأخذ الرشوة حين رد علي ملكي، وما اطاع الناس

الدين؟ فقال له جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ونأكل الميتة ونسي الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمة. فبعت الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحرم الجوار ونصلي لله عز وجل، ونصوم له، ولا نعبد غيره.

وقال زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٦/١): فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونحلق ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قال: فعلوا عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبداً لله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فدعا علينا قومنا فعلمونا وفتنونا عن ديننا ليردوا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واختارتك على من سواك ورجعنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك شيء مما جاء به؟ - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله - فقال له جعفر: نعم! قال: فلم فأت علي مما جاء به.

فقرأ عليه صدراً من «كهيعص» فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحية وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا أردعهم عليكم ولا أنعمكم شيئاً.

فخرجنا من عنده وكان أبقى الرجلين فينا عبد الله بن ربيعة. فقال عمرو بن العاص: والله لأكرهه غداً بما أتصل به خضرأهم، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن إله الذي يعبد - عيسى ابن مريم - عبد. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً وهم حقاً. فقال: والله لأفعلن! فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عنه. فبعت والله إليهم ولم يتزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سالكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله الله فيه، والذي أمرنا نينا أن نقوله فيه.

فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر: نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته ألقاه إلى مريم العذراء البتول. فقل النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد. فتناخرت بطارقه. فقال: وإن تناخرت والله! اذهبوا فاقسم سيوم في الأرض - والسيوم: الآمنون في الأرض - من سيكم غرم، من سيكم غرم، من سيكم غرم، ثلاثاً ما أحب أن لي ذئباً وأني آتيت رجلاً منكم. والذير بلسانهم: الذهب. وقال زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٨/١): ما أحب أن لي ذئباً من ذهب.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام: ٣٣٨/١): ويقال: ذئب وهو الجبل بلغتهم.

ثم قال النجاشي: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي،

في فاطم بن عتبة.

وقال موسى بن عتبة عن حميد بن عماره البهقي في الدلائل: (٢٩٥/٢): كان أبو النجاشي ملك الحبشة، فمات النجاشي غلام صغير فأوصى إلى أخيه: إن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك فغضب أخوه في الملك فباع النجاشي من بعض التجار فمات عنه من ليلته وقضى، فردت الحبشة النجاشي حتى وضعوا الناج على رأسه.

هكذا ذكره مختصراً وسياق ابن إسحاق أحسن وأبسط فآله أعلم.

والذي وقع في سياق ابن إسحاق إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، والذي ذكره موسى بن عتبة والأموي وغير واحد أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ حين تضحكوا يوم وضع سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد عند الكعبة.

وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري. والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجة عمرو معه وعمارة كان شاباً حسناً فاصطحبا في السفينة وكان عمارة طمع في امرأة عمرو بن العاص، فالتقى عمراً في البحر ليهلك فسيح حتى رجع إليها. فقال له عمارة: لو أعلم أنك تحسن السباحة لما التقيت، فحقد عمرو عليه فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي، وكان عمارة قد توصل إلى بعض أهل النجاشي فوشى به عمرو فأمر به النجاشي فسحر حتى ذهب عقله وساح في البرية مع الوحوش.

وقد ذكر الأموي قصته مطولة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب، وأنه قصد بعض الصحابة ومسكه فجعل يقول: أرسلني أرسلني وإلا مات فلما لم يرسله مات من ساعته فآله أعلم.

وقد قيل: إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة والثانية مع عمرو، وعبد الله بن أبي ربيعة. نص عليه أبو نعيم في (الدلائل) (١٩٦): والله أعلم.

وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر - قاله الزهري - لينالوا من هناك نأراً فلم يبيهم النجاشي ﷺ وأرضاه إلى شيء عما سألوا فآله أعلم.

وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٣/١): أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنع قريش كتب إلى النجاشي إياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى من نزل عنده من قومه:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ وعمرو وأعداء العدو الأقارب وما نالت أفعال النجاشي جعفرًا وأصحابه أو عاق ذلك شاعِبٌ تعلم، أبيت اللعن أنك ماجدٌ كريمٌ فلا تشقى إليك المجانيب تعلم بأن الله زائدٌ بسلطة وأسبابٌ غير كلها بسك لازِبٌ

وقال يونس عن ابن إسحاق (السيرة: ١٩٩): حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قال: إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمشهور أن جعفرًا هو المترجم رضي الله عنهم.

وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٤٠/١): حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. قالت: لما مات النجاشي كان يُتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

ورواه أبو داود (٢٥٢٣) عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به: لما مات النجاشي ﷺ كنا نتحدث أنه لا

يزال يرى على قبره نور.

وقال زياد عن محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٤٠/١): حدثني جعفر بن محمد عن أبيه. قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فبيأ لهم سفناً. وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شتم وإن ظفرت فأتبوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصفوا له.

فقال: يا معشر الحبشة ألسن أحسن الناس بكم؟ قالوا: بلى! قال: فكيف رأيتم سرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله. فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه -: وهو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا، وإنما يعني على ما كتب، فرضوا وانصرفوا. فبلغ رسول الله ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.

وقد ثبت في «الصحاحين» ج (١٢٤٥)، م (٩٥٠) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات.

وقال البخاري (٣٨٧٧): «موت النجاشي: حدثنا أبو الربيع حدثنا ابن عينة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر. قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: «مات اليرم رجلٌ صالحٌ قَوْمُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَابَةً».

وروي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد وفي بعض الروايات تسميته أصحمة، وفي رواية: مصحمة وهو أصحمة بن أبجر وكان عبداً صالحاً ليياً ذكياً عادلاً عالماً ﷺ وأرضاه.

وقال يونس عن ابن إسحاق (السيرة: ٢٠١): اسم النجاشي مصحمة. وفي نسخة صححها البيهقي (الدلائل: ٢١٠/٢): أصحم وهو بالعربية: عطية.

قال وإنما النجاشي اسم الملك: كقولك كسرى وهرقل. قلت: كنا ولعله يريد به قصر فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة مع بلاد الروم، وكسرى علم على من ملك القرس وفرعون علم لمن ملك مصر كافراً، والقوقس لمن ملك الإسكندرية وتبع لمن ملك اليمن والشعر، والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطيحوس لمن ملك اليونان وقيل: الهند وخاقان لمن ملك الترك.

وقال بعض العلماء إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهمنا صلى عليه ﷺ: قالوا: فالغائب إن كان قد صلى عليه بيلده لا تشرع الصلاة عليه بيلد أخرى؟ ولهمنا لم يصل على النبي ﷺ في غير المدينة، لا أهل مكة ولا غيرهم وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلى على أحد منهم في غير البلدة التي صلى عليه فيها فآله أعلم.

قلت: وشهود أبي هريرة (رضي الله عنه) الصلاة على النجاشي، دليل على أنه إنما مات بعد فتح خيبر في السنة التي قدم بقية المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوم فتح خيبر.

ولمنا روي أن النبي ﷺ قال: «والله ما أذري بأيهما أتأسرُ بفتح خيبر»

حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي خيشمة قالت: والله إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر فوقف علي وهو على شركه، فقالت: وكنا نلقى منه بلاء، أدنى لنا وشدة علينا قالت: فقال: إنه للاتطلاق يا أم عبد الله، قلت: نعم! والله لنخرجن في أرض الله أفقيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا خرجاً.

قلت: فقال: صحبتكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجهما قالت: فجاء عامر بحاجته تلك فقلت: له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر أمّا ورقته وحزنه علينا قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم! قال: لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب، قالت: يأساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام.

قلت: هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين، ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق هنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه، وسياقها فإنه قال إنهم في السيرة: (٣٤٤، ٣٤٣/١)

وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب - وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام - رجل من بني عدي - قد أسلم أيضاً مستخفياً بإسلامه فرقاً من قومه، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوماً مترشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه فذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ عمه حزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة. فلقية نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقبلته. فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بيتي عبدمناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك تقيم أمرهم؟ قال: رأي أهل بيتي، قال: ختكت وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة فقد والله أسلموا وتابعا محمداً ﷺ على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عامداً إلى أخته وختته وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها «طه» يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تنفيس خباب في خلع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليهما: فلما دخل قال: ما هذه الهيئة التي سمعت؟ قال له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ويطش بخته سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ففرضها لشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته: نعم قد أسلمنا وأما بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وأرعوى، وقال لأخته: أعطني هذه الصحيفة التي كتبت تقرؤون أنا أنظر ما هذا الذي جاء

أم يقدوم جعفر؟ وقدموا معهم بهدياً وتحف من عند النجاشي ﷺ إلى النبي ﷺ وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعرين رضي الله عنهم، ومع جعفر وهديا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو خبر أو ذو خمر أرسله ليخدم النبي ﷺ عوضاً عن عمه رضي الله عنهما وأرضاعهما.

وقال السهيلي (الروص الف: ٢٦٢/٣): توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة.

وفي هذا نظر والله أعلم.

وقال البيهقي (الذليل: ٣٠٧/٢): أنبأنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطوسي حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا هلال بن العلاء الرقي حدثنا أبي العلاء بن هلال حدثنا أبي، هلال بن عمر عن أبيه عن أبي غالب عن أبي أمامة. قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكتفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإنني أحب أن أكافئهم».

ثم قال (البيهقي في الذليل: ٣٠٧/٢): وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا هلال بن العلاء حدثنا أبي حدثنا طلحة بن زيد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي قتادة. قال: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم فقال أصحابه: نحن نكتفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنني أحب أن أكافئهم».

تفرد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي.

وقال البيهقي (الذليل: ٣٠٧/٢): حدثنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو. قال: لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم، فقالوا: ما شأنه ما له لا يخرج؟ فقال عمرو: إن أصحمة يزعم أن صاحبكم نبي.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٤٢/١): ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردّهم النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ ومجزة حتى عازوا قريشاً فكان عبدالله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلياً معه.

٤٨ - إسلام عمر بن الخطاب

قلت: وثبت في «صحيح البخاري» (٣٨٦٣) عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

وقال زياد الكائني: حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم. قال: قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلياً معه (سيرة ابن هشام: ٣٤٢/١).

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٦٠، وسيرة ابن هشام: ٣٤٣، ٣٤٢/١): وكان إسلام عمر بعد خروج من أخرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية - قال عمر: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزره أدركته، فلما سمع حسي عرفني فظن أنني إنما اتبعته لأؤذيه، فنهمني ثم قال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟» قال: قلت: جئت لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال: «قد هداك الله يا عمر» ثم مسح صدره ودعا لي بالثابت ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته.

قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان.

قلت: وقد استقصيت كيفية إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والأثر مطوّلًا في أول سيرته التي أفردها على حدة والله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٦٤، وسيرة ابن هشام: ٣٤٩/١، ٣٤٩): وحدثني نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر. قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش انتقل للحديث؟ ف قيل له: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كل ما رأيت - حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنني أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتباعه عمر واتبعت أبي حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في انديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلع فقعده وقاموا على رأسه وهو يقول: اقلعوا ما بدا لكم فأحلف بالله أنه لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينما هم على ذلك إذ أتبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص مرشّي حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا صبا عمر، قال: فمه! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلّوا عن الرجل. قال: فوالله لكنا كانوا ثوباً كُشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: ياليت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي.

وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة وقد كان ميّزاً يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم.

٤٩- مسألة نصارى نجران للنبي ﷺ

وقال البيهقي (في الدلائل: ٣٠٦/٢): حدثنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس عن ابن إسحاق. قال: ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريب من ذلك - من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجئوه في المجلس، فكلّمه وسأله ورجل من قريش في انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن.

فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به

به محمد. وكان عمر كاتباً فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي وحلف لها بأخته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنه لا يسه إلا الطاهر.

فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها «طه» فقرأها فلما قرأ منها صدراً. قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خيأ بين الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم إهد الإسلام بابي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» قاله الله يا عمر فقال عند ذلك: فلنلي يا خيأ على محمد حتى آتية فأسلم. فقال له خيأ: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه.

فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرأه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فرح فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة: فاذن له فإن كان جاء يريد خيراً بئذله وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّدَنْ لَهُ» فاذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجره فاخذ بمحجزته أو بمجمع رداءه ثم جنّته جبّة شديدة فقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟» فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُترن الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال: ففكر رسول الله ﷺ بكثرة عرف أهل البيت أن عمر قد أسلم، ففرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنّهما سيبتعان رسول الله ﷺ، ويتصرفون بهما من عدوهم.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٤٦/١): فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم ﷺ.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٤٦/١ - ٣٤٨): وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمر بن عبد الله بن عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعدًا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالخزوة فخرجت ليلة أريد جلست أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أنني جئت فلاناً الخمار لعلي أجد عنده خراً فأشرب منها، فخرجت فجئت فلم أجد.

قال: فقلت: لو أنني جئت الكعبة فطقت سبعاً أو سبعين، قال: فجئت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني، قال: فقلت حين رأته: والله لو أنني استمعت لحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعه.

فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي وريداً ورسول الله ﷺ قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبلة ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي وكيبت ودخلني الإسلام، فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ثم انصرف

وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في

واشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة فحملت بعبسى فخلفه من روحه وتفخه كما خلق آدم بيده وتفخه. وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تبعني فتؤمن بي وبآلذي جانبي فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقربهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من أتبع الهدى».

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبجر: سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوروب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فاشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأرباع بن الأصم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن أتيك ففعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق.

٥١ - مقاطعة قبائل قريش للنبي ﷺ ومناصريه

في ذكر خلافة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ وتغالفهم فيما بينهم عليهم، على أن لا يبايعوهم ولا يئاكلوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وحصرهم بإمام في شعب أبي طالب مدة طويلة، وكتابتهم بذلك صحيفة ظالة فاجرة، وما ظهر في ذلك كله من آيات النيرة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة من طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٣١١/٢ - ٣١٤ عن الزهري: ثم إن المشركين اشتلوا على المسلمين كاشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية. فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، وأمرهم أن يمنعوهم من أرادوا قتله. فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حية، ومنهم من فعله إيماناً ويقناً.

فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، واجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فاجعوا أمرهم أن لا يبايعوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل.

فلتب بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا يبيعاً إلا يادروهم إليه فاشتروهم يريدون بذلك أن يدرکوا سفك دم رسول الله ﷺ، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نؤم الناس أمر أحد بنه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض قرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورواوا أنهم

وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: عيبكم الله من ركب بئسكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تظلمن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحق منكم - أو كما قالوا - قالوا لهم: لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألو أنفسنا خيراً.

فيقال: إن النفر من نصارى نجران - والله أعلم - إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا بُدِئَ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَتَيَذَرُوهُنَّ بِالْحُسْنِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [قصص: ٥٢ - ٥٥].

٥٠ - كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي

قال البيهقي في «الدلائل»: ٣٠٨/٢ باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي.

ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن ابن إسحاق. قال هذا كتاب من النبي ﷺ إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصم عظيم الحجة، سلاماً على من أتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فاسلم تسلم» ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَتَّبِعُونَ آلِيَّ كَلِمَةً سَوَاءً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فإن آيت فليكن إثم النصارى من قومك. هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة.

وفي ذكره مهنا نظر، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبل الفتح كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي.

قال الزهري: كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة؛ يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة «آل عمران»، وهي مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثلاثون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة.

فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله فيه: «إلى النجاشي الأصم» لعل الأصم مقدم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم.

وأنسب من هذا مهنا ما ذكره البيهقي أيضاً في «الدلائل»: ٣٠٩/٢،

٣١٠ عن الحاكم عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه - بمرو - : حدثنا حماد بن أحمد حدثنا محمد بن جريد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق. قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصم ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيم،

قلت: والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قلناها ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذكرها هنا أنسب والله أعلم.

ثم روى البيهقي (الدلائل: ٣١٤/٢، ٣١٥) من طريق يونس عن محمد بن إسحاق قال: لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه إلا أنهم أنفوا أن يستلوا ويسلموا أخاهم لما قارفه من قومه. فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يتكلموا ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعهم ولا يتنازعوا منهم وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوه وأذوهم واشتد عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزلاً شديداً ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبياتهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالة، وذكر أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرض فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والظلمة والبهتان فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمه أبا طالب، ثم ذكر بقية القصة كرواية موسى بن عتبة وأتم.

وقال ابن هشام (السيرة: ٣٥٠/١): عن زياد عن محمد بن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمنا وقراراً، وإن الجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وإن عمر قد أسلم فكان هو وحزبه مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفتش في القبائل فاجتمعوا وأقرروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحهم ولا يبيعهم شيئاً ولا يتنازعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله ﷺ فسل بعض أصابعه.

وقال الواقدي: كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدوي.

قلت: والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق، وهو الذي شئت يده فما كان يتضع بها وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى منصور بن عكرمة.

قال الواقدي: وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة (طلحات ابن سعد: ٢٠٩/١).

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٥١/١): فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو هب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهروهم.

وحثني حسين بن عبد الله: أن أبا هب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً. فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقه وظاهر عليها؟ قالت: نعم! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة.

قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرض فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال: كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب. فقال أبو طالب: لا والثواب ما كنيتي.

فأتلق بمشي بعضائه من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عاملين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأثروهم ليعطوهم رسول الله ﷺ. فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم تذكرها لكم، فأثروا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها. فأثروا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم فوضعوها بينهم. وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لملككم قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيتكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي قد أخبرني - ولم يكني - أن الله يرى من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومعا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعةكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان المغنيث الذي قال ابن أخي كما قال فافيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحيتم. قالوا: قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خيرها.

فلما رأها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم فلو تركسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم، والشدة على رسول الله ﷺ وعلى رعيته والقيام بما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجيت والسحر من أمرنا، ولو لا أنكم اجتمعتم على السحر لم تنفد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفتحن السحرة أم أفتهم؟

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولذتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البخري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي، في رجال من أشرفهم ووجوههم: نحن برآء عما في هذه الصحيفة.

فقال أبو جهل لعنه الله: هذا أمر قضى ليل ولأنا أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويعد النفر الذين تبرؤوا منها وتقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي.

قال البيهقي (الدلائل: ٣١٤/٢): وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق عن ابن طيبة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير - يعني كسبياق موسى بن عتبة رحمه الله -.

ولقد تقدم من موسى بن عتبة (في الدلائل للبيهقي: ٢٨٥/٢) أنه قال: إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشعب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك فالله أعلم.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥١/١]: وَحَدَّثَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ، فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ: يَعْنِي عَمْدَ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا يَزْعُمُ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَاذَا وَضَعَ فِي يَدَيْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْخُخُ فِي يَدَيْهِ يَقُولُ: تَبَّأَ لَكُمَا لَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئًا عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَانْزَلِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَيَّنَّا يَنَّا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥٢/١، ٣٥٣]: فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عَلَى ذَلِكَ قُرَيْشٌ وَصَنَعُوا فِيهِ الَّذِي صَنَعُوا قَالَ أَبُو طَالِبٍ: أَلَا أَبْلَغُا عَنِّي عَلَى ذَاتِ يَتَبَشَّأَ لَوْبًا وَخَصَصًا مِنْ لَوْيَ بَنِي كَعْبٍ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا عَمْدًا نَبِيًّا كَمَوْسَى خَطُّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ حُبَّةً وَلَا خَيْرَ ثَمَنٍ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ وَأَنَّ الَّذِي أَصَقْتُمْ مِنْ كِبَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنَ نَحْمَا كَرَاغِيَةِ الشُّقْبِ أَتَقِيقُوا أَتَقِيقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْفَرَ الشَّرُّ وَيَصْبِحَ مِنْ لَمْ يَمُنْ ذَنْبًا كَذِي النَّبِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الرِّشَاءِ وَتَقْطَعُوا أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالتَّعَرُّبِ وَتَسْتَجْلِبُوا حَرِبًا عَوَانًا وَرُبَّمَا أَمْرٌ عَلَى مَنْ ذَاكَ حَلَبَ الْحَرْبِ فَلَمَّا رَوَّبَ الْيَتِيمَ نَعَلِمَ أَحَدًا لِعَزَاءٍ مِنْ عَصْرِ الرُّثْمَانِ وَلَا كَرْبِ وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمَنْكُمُ سَوَافٍ وَابْدَأَتْ بِنَاقَسَايَةِ الشَّهْبِ بِمَعْرَكِ ضَيْقٍ تَرَى كَرَّ الْقَتَا بِهِ وَالتَّسْوِرَ الطَّخْمِ بِعَكْفَنِ كَالشَّرْبِ كَانَ جَمَالَ الْخَيْلِ فِي حِجْرَاتِهِ وَمَعْمَعَةِ الْإِبْطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعْمَانِ وَبِالضَّرْبِ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى نَمُتْنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْبَغُ مِنَ الْكُتْبِ وَلَكُنَّا أَهْلُ الْحِفَافِ وَالْهَيْسِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

٥٢- مناقشات النبي ﷺ لكبراء قریش

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥٨/١ - ٣٦٠]: وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَنَّا - يَوْمًا مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْغَزَاةِ فِي الْمَسْجِدِ فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْجَعَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ مِثْلُ الْقَهْوَةِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ١٠٠].

ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ السَّهْمِيَّ حَتَّى جَلَسَ. فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْغَزَاةِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَتَفًا وَمَا قَدَّمَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَا وَمَا نَعِدُ مِنْ أَفْتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجِدْتَهُ لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُوا مُحَمَّدًا أَكُلَّ مِنْ نَعِيدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ؟ فَتَحَنَّنَ نَعِيدُ الْمَلَائِكَةِ وَالْيَهُودِ تَعْبِدُ عَزِيرًا وَالنَّصَارَى تَعْبِدُ عِيسَى.

فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: «كُلُّ مَنْ أَحْبَبَ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عِبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرْتَهُمْ بِعِبَادَتِهِ فَانْزَلِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُنْعَكُونَ. لَا يُسْمِعُونَ حَسْبَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَكَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢] أَيْ: عِيسَى وَعَزِيرُ وَمَنْ عِبَدَ مِنَ الْأَحْيَارِ وَالرَّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَنَزَلَ فِيمَا يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَأَنَّهُ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وَالآيَاتُ بَعْدَهَا.

وَنَزَلَ فِي إِصْحَابِ الْمَشْرِكِينَ يَقُولُ ابْنُ الزُّبَيْرِ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْثَمَ مَثَلًا إِنَّا وَرَدْنَا بِنُفْسِهِ يَصْلُون. وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الفرغ: ٥٧-٥٨].

وَهَذَا الْجَبَلُ الَّذِي سَلَكُوهُ بَاطِلٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ لَأَنَّهُمْ قَوْمُ عَرَبٍ وَمَنْ لَهْتُمْ أَنْ «مَا» لَا يَعْضَلُ، فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ إِنَّمَا أَرِيدَ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَحْيَارِ الَّتِي كَانَتْ صُورَ أَصْنَامٍ، وَلَا يَتَوَلَّى ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي هَذِهِ الصُّوَرِ، وَلَا الْمَسِيحَ، وَلَا عَزِيرًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَتَوَلَّى لَمْ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥١/١]: وَحَدَّثَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ، فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ: يَعْنِي عَمْدَ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا يَزْعُمُ أَنَّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَاذَا وَضَعَ فِي يَدَيْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْخُخُ فِي يَدَيْهِ يَقُولُ: تَبَّأَ لَكُمَا لَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئًا عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَانْزَلِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَيَّنَّا يَنَّا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥٢/١، ٣٥٣]: فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ عَلَى ذَلِكَ قُرَيْشٌ وَصَنَعُوا فِيهِ الَّذِي صَنَعُوا قَالَ أَبُو طَالِبٍ:

أَلَا أَبْلَغُا عَنِّي عَلَى ذَاتِ يَتَبَشَّأَ لَوْبًا وَخَصَصًا مِنْ لَوْيَ بَنِي كَعْبٍ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا عَمْدًا نَبِيًّا كَمَوْسَى خَطُّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ حُبَّةً وَلَا خَيْرَ ثَمَنٍ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ وَأَنَّ الَّذِي أَصَقْتُمْ مِنْ كِبَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنَ نَحْمَا كَرَاغِيَةِ الشُّقْبِ أَتَقِيقُوا أَتَقِيقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْفَرَ الشَّرُّ وَيَصْبِحَ مِنْ لَمْ يَمُنْ ذَنْبًا كَذِي النَّبِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الرِّشَاءِ وَتَقْطَعُوا أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالتَّعَرُّبِ وَتَسْتَجْلِبُوا حَرِبًا عَوَانًا وَرُبَّمَا أَمْرٌ عَلَى مَنْ ذَاكَ حَلَبَ الْحَرْبِ فَلَمَّا رَوَّبَ الْيَتِيمَ نَعَلِمَ أَحَدًا لِعَزَاءٍ مِنْ عَصْرِ الرُّثْمَانِ وَلَا كَرْبِ وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمَنْكُمُ سَوَافٍ وَابْدَأَتْ بِنَاقَسَايَةِ الشَّهْبِ بِمَعْرَكِ ضَيْقٍ تَرَى كَرَّ الْقَتَا بِهِ وَالتَّسْوِرَ الطَّخْمِ بِعَكْفَنِ كَالشَّرْبِ كَانَ جَمَالَ الْخَيْلِ فِي حِجْرَاتِهِ وَمَعْمَعَةِ الْإِبْطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعْمَانِ وَبِالضَّرْبِ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى نَمُتْنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْبَغُ مِنَ الْكُتْبِ وَلَكُنَّا أَهْلُ الْحِفَافِ وَالْهَيْسِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥٢/١، ٣٥٤]: فَاقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَتِينَ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى جَاهَدُوا وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا سَرًّا مُسْتَخْفِيًا بِهِ مِنْ أَرَادَ صَلَاحَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - لَقِيَ حَكِيمَ بْنَ حَزَامٍ بْنَ خُوَيْلِدٍ بْنَ أَسَدٍ مَعَهُ غَلَامٌ يَحْمِلُ قَمْحًا يُرِيدُ بِهِ عَمَتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَهِيَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الشَّعْبِ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَقَالَ: أَتَنْلَعُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ؟ وَاللَّهِ لَا تَنْلَعُ أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ، فَجَاءَهُ أَبُو الْيَحْيَى بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ. فَقَالَ: مَالِكٌ بِهِ؟ فَقَالَ: يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْيَحْيَى: طَعَامٌ كَانَ لَعَمَتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ أَتَمَنَعُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهِ؟ خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ قَالَ: فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ حَتَّى نَالَ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فَأَخَذَ لَهُ أَبُو الْيَحْيَى لَحْيَ بَعِيرٍ فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ وَطَعَهُ وَطَأَ شَدِيدًا، وَحَمَزَةً مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبَ يَرِي ذَلِكَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَيَسْتَمُوا بِهِمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ يَدْعُو قَوْمَهُ لِيَلَّا وَنَهَارًا وَسَرًّا وَجَهَارًا مُنَادِيًا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَخْفَى فِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ.

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ - حِينَ مَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهَا وَقَامَ عَمَتُهُ وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ دُونَهُ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوا مِنَ الْبَطْشِ بِهِ - يُهَمِّزُونَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَهُ وَيَخَاصِمُونَهُ، وَجَعَلَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِي قُرَيْشٍ بِأَحْدَانِهِمْ، وَيَعِينُ نَصْبَ لِعِدَاوَتِهِ مِنْهُمْ، مِنْ سَعَى لَنَا وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي عَامَةٍ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْكَفَالِ.

فَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ٣٥٦/١] أَبَا لَهَبٍ وَنَزُولَ السُّورَةِ فِيهِ، وَآيَةَ بَنِي خَلْفٍ وَنَزُولَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيُنْزِلُ كُلُّهُمْ فَتَرَى السُّورَةَ يَكْمُلُهَا فِيهِ. وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَنَزُولَ قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْثِينَ

٥٣- سجود المشركين لما قرئت سورة النجم

ثم ذكر ابن إسحاق (سورة: ١٥٧، ١٥٨. وسورة ابن هشام: ٣٦٤/١ - ٣٦٩) من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة وكان النفل ليس بصحيح، ولكن كان له سبب، وهو ما ثبت في «الصحیح» (ج ١٠٧١) وغيره (ج ٥٧٥) أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين، وأنزل الله عليه ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد. فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس.

وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين (هــ الطبري: ١٨٦/١٧ - ١٩٠) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ فَیَنسُخُ اللَّهُ مَا يَلْفِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ بُيُوتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الحج: ٢٢).

وذكروا قصة الغرائب وقد أحبنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها، إلا أن أصل القصة في «الصحیح». قال البخاري (٤٨٦٢): حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. انقرد به البخاري دون مسلم.

وقال البخاري (١٠٦٧): حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت الأسود عن عبد الله. قال: قرأ النبي ﷺ بالنجم بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً - أو تراباً - فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا، فأرآته بعد قتل كافراً. ورواه مسلم (٥٧٦) وأبو داود (١٤٠٦) والنسائي (٩٥٨) من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد (٤٢٠/٣): حدثنا إبراهيم حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاووس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي داود عن أبيه. قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة «النجم»، فسجد وسجد من عنده، فرفعت رأسي وأبیت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب. فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرأها إلا سجد معه.

وقد رواه النسائي (٩٥٧) عن عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به.

وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً، وذلك الشيخ الذي استأنه ابن مسعود لم يسجد بالكلية والله أعلم.

والقصد: أن الناقل لما رأى المشركين قد سجلوا متابعة لرسول الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم، فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها، فظنوا صحة ذلك فاقبل منهم طائفة طامعين بذلك، وثبتت جماعة وكلامها عمن مصيب فيما فعل.

٥٤- مَنْ رَجَعَ مِنَ الْحَبِشَةِ لَمَّا طَارَ الْخَبْرُ

فذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٦٥/١ - ٣٦٦) أسماء من رجع منهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حنيفة بن عتبة بن ربيعة، وامرأته سهيل بنت سهيل، وعبد الله بن جحش بن رثاب،

فهم يعلمون أن ما ضربه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى: ﴿مَّا ضَرَبُوا لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ثم قال ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَيْسَى﴾ (الْأَعْبَدُ أَعْمَنَّا عَلَيْهِ) أي: بنو نسا ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من اثني بلا ذكر، وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا، وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الأخرى ﴿وَلَنَجْزِلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: آماراً ودليلاً على قدرتنا الباهرة ﴿وَوَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ نرحم بها من نشاء.

وذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٦٠/١، ٣٦١) الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلٌّ خَلْقًا مِّمَّنْ﴾ (العلق: ١٠) الآيات، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال: أبتر على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، وترك أبو مسعود عمرو بن عبد القيس سيد ثقيف؟ فنحن عظماء القريتين. ونزل قوله تعالى فيه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ﴾ (العرف: ٣١) والتي بعدها.

وذكر سورة ابن هشام: ٣٦١/١، ٣٦٢) أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط: ألم يلغني أنك جالست محمدًا وسمعت منه، وجهي من وجهك حرام إلا أن تضل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله، فأنزل الله ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٨) والتي بعدها.

قال (سورة ابن هشام: ٣٦١/١، ٣٦٢): ومشي أبي بن خلف بعظم بال قد أرم. فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدنا أرم؟ ثم تته يده ثم تفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ. فقال: «نعم» أنا أقول ذلك يبعث الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار» وأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْبُطْءَ وَهِيَ رَيْسِمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٨ - ٧٩) إلى آخر السورة.

قال (سورة ابن هشام: ٣٦٢/١) واعترض رسول الله ﷺ - فيما يلغني وهو يطوف عند باب الكعبة - الأسود بن المطلب. والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف، والعاص بن وائل. فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخرها.

ولما سمع أبو جهل بشجرة الزقوم. قال: أتسدرون ما الزقوم؟ هو حجر يضرب بالزبد ثم قال: هلموا فلتزقم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ. طَعَامُ الْآثِمِينَ﴾ (الدخان: ٤٣ - ٤٤).

قال (سورة ابن هشام: ٣٦٣/١، ٣٦٤): ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع في إسلامه فمر به ابن أم مكتوم - عاتكة بنت عبد الله بن عتبة - الأعسمي فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستغفره القرآن، فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً، وتركه فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ إلى قوله ﴿مَرْفُوعَةً مُّطَهَّرَةً﴾.

وقد قيل (الروض: ٣٢٨/٣) إن الذي كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف فآله أعلم.

المطلب.

فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عرف حدثني عن حدث عن عثمان. قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غلوي ورواحي أماناً في جوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وقت ذمتك، قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا ولكني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جوازي علانية كما أجزتك علانية.

قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد بن المغيرة: هذا عثمان قد جاء يرّد عليّ جوازي. قال: صدق قد وجهته وفيّ كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان ﷺ وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشد لهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد:

وكلّ نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان: كذبت! نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليكم فمضى حدث هذا ليكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفاه معه قد فارقوا ديننا فلا نجد في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل ولطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان. فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابا لغنية، ولقد كنت في ذمة منية. قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإنني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس. فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك فعد. قال: لا

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٧٢/١، ٣٧١/١): وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني غزوم فقالوا له: يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا منعه منا؟ قال: إنه استجار بي وهو ابن أخي وإن أنا لم أمتنع ابن أخي لم أمتنع ابن أخي.

فقال أبو لب. فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزلون تتوابعون عليه في جواره من بين قومه، والله لتتھن أو لتقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا: بل ننصرف عما نكره يا أبا عتبة. وكان لهم ولياً وناصراً على رسول الله ﷺ فأبغوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ فقال أبو طالب يعرض أبا لب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ:

وإن امرأاً أبو عتبة عه نفسي روضة ما إن يسام المظالم
أقول له وابن منه نصيحتي أبا متعب ثبت سوادك قائما
ولا تيلس الدهر ما عشت خطئة تسب بها إما هبطت المواسما

وعتبة بن غزوان، والزيبر بن العوام، ومصعب بن عمير، وسويط بن سعد، وطليب بن عمير، وعبد الرحمن بن عرف، والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وشمام بن عثمان، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة - وقد حُسيا بمكة حتى مضت بدر وأحد والختندق - وعمار بن ياسر - وهو ممن شك فيه أخرج إلى الحبشة لا - ومعتب بن عوف، وعثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخوان قدامة وعبد الله ابنا مظعون، وخنيس بن حذافة، وهشام بن العاص بن اثل - وقد حبس بمكة إلى بعد الختندق - وعامر بن ربيعة، وامراته ليلى بنت أبي حثمة. وعبد الله بن غرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو - وقد حبس حتى كان يوم بدر فأنجاز إلى المسلمين فشهد معهم بدرًا - وأبو سيرة بن أبي رهم، وامراته أم كلثوم بنت سهيل، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، وامراته سودة بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة وخلف على امراته رسول الله ﷺ - وسعد بن خولة، وأبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل بن يضاء، وعمرو بن أبي سرح فجميعهم ثلاثة وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم.

وقال البخاري: هجرة الحبشة وقالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتي» فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلى الحبشة إلى المدينة. فيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (فتح الباري: ١٨٦/٧، ١٨٧).

وقد تقدم حديث أبي موسى وهو في «الصححين» (ج ٣٨٧٦) م (٢٥٠٢، ٢٥٠٣)، وسأيت حديث أسماء بنت عميس بعد فتح خيبر حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة.

وقال البخاري (٣٨٧٥): حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نسلم على النبي ﷺ وهو يصلي فردد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا: يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فردد علينا. قال: «إن في الصلاة شغلاً» وقد رواه البخاري (١١٩٩) أيضاً ومسلم (٥٢٣) وأبو داود (٩٢٤) والنسائي (٥٤٠) من طرق آخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش به.

وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في «الصححين» (ج ١٢٠٠)، م (٥٣٩): كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله: «وَقَرَّبُوا لِلَّهِ فَاتَيْنِ» فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

على أن المراد جنس الصحابة فإن زيداً أنصاري مدني، وتحريم الكلام في الصلاة ثبت بمكة، فتعين الحمل على ما تقدم. وأما ذكره الآية وهي مدنية فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان الحرم له غيرها معها والله أعلم.

٥٥- دخول بعض الصحابة في جوار

عثمان بن مظعون وغيره

قال ابن إسحاق (السيرة: ١٥٨ - ١٥٩ سورة ابن هشام: ٣٦٩/١ - ٣٧١): وكان ممن دخل معهم بجوار عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد في جوار خاله أبي طالب فإن أمه برة بنت عبد

فأريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعلوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوابك الحق. فأتانا لك جار أرجع فأعبد ربك بذلك.

فرجع وارتحل مع ابن الدغنة، وطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، انفرجوا رجلاً يكسب المعلوم، ويصل الرحم، ويعمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوابك الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعمل به، فأتا نخشى أن يفتن نساونا وأبنائنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك بعيد ربه في داره، ولا يستعمل بصلاته، ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتخلف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون منه وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكاه لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، فأنزع ذلك أشراف قريش من المشركين فآرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم. فقالوا:

إننا كنا أجراً أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن في الصلاة والقراءة فيه، وإننا قد خشينا أن يفتن أبنائنا ونساونا فأنه فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أي إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرده إليك فتمك فأتا قد كرهنا أن نخفرك ولنا مقرين لأبي بكر الاستعلاء.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فأتا أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي فمتي فإني لا أحب أن أسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.

ثم ذكر تمام الحديث في هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٤/١]: وحديثي عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال: لقيه - يعني أبا بكر الصديق حين خرج من جوار ابن الدغنة - سفيه من سفهاء قريش وهو عائد إلى الكعبة فحشا على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاصم بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: أي رب ما أحلمك! أي رب ما أحلمك! أي رب ما أحلمك!

فصل: كل هذه القصص ذكرها ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٥١/١ - ٣٧٤] معترضاً بها بين تعاقب قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالة وحصرهم لإيهاهم في الشعب، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها وهي أمور مناسبة لهذا الوقت، ولهذا قال الشافعي رحمه الله [سننه عن الشافعي إجماعه المخطب القمادي في تاريخه: ٢١٩/١]: من أراد المغازي فهو عيال على ابن إسحاق.

٥٧- ذكر نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٤/١ - ٣٧٧]: هذا وينو هاشم، وينو المطلب في منزله الذي تعاقبت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها،

ورول سبيل المعجز غيرك منهم فذلك لم تخلق على المعجز لازماً وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى أنما الحرب بطي الخسف حتى يبالا وكيف ولم يبنوا عليك عظيمه ولم يخلدوك غافلاً أو مغارماً جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً وتباً وغزوماً عقوباً ومائماً بغريتهم من بعد ود والفة جماعتاً كما ينالوا الممارما كلنهم ويست الله نبيهم محمداً ولما تسروا يوماً لدى الشعب قائما قال ابن هشام [السيرة: ٣٧٢/١]: وبقي منها بيت تركناه

٥٦- عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٢/١ - ٣٧٤]: وقد كان أبو بكر الصديق ﷺ كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر ﷺ مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال الواقدي: اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة [طهفة بن سعد: ٥٧/٥]. وقال السهيلي [الروض المفيد: ٣٥٢/٣]: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي. قال: ولم فوالله إنك لتزين العشرة، وتعين على النواصب، وتعمل المعروف وتكسب المعلوم. أرجع فإنك في جواربي. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إنني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير. قالت: فكفوا عنه. قالت: وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكي قالت: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيته.

قالت: فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة. فقالوا: يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صيانتنا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأنه فمره بأن يدخل بيته فيصنع فيه ما شاء.

قالت: فمشى ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر إنني لم أجرك لتؤذي قومك. وقد كرهوا مكانك الذي أتت به وتأفوا بذلك منك، فأدخل بيتك فأصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله. قال: فأرد علي جواربي. قال: قد رددته عليك.

قالت: فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواربي فأناكم بصاحبكم.

وقد روى الإمام البخاري [(٣٩٠٥)] هذا الحديث مضافاً به وفيه زيادة حسنة. فقال: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يلبسان اللين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي

ثم إنه قام في نقض الصحيفة نفر من قريش، ولم يزل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن جذاعة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلًا، وكان ذا شرف في قومه فكان - فيما يلخني - يأتي باليمر ويتر هاشم ويتر المطلب في الشعب ليلاً قد أقره طعاماً، حتى إذا بلغ به فم الشعب خلع خطاه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أقره بُراً فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. فقال: يا زهير أقد رزيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأحوالك حيث قد علمت لا يبايعون ولا يتناحون، ولا يتكحون ولا يتنكح إليهم؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أحوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوتهم إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمته في نقضها.

قال: قد وجدت رجلاً، قال: من هو؟ قال: أنا قال له زهير: أبنا ثالثاً، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم أقد رزيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟ أما والله لئن أمكنتموه من هذه لتجعلنهم إليها منك سراعاً، قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت لك ثلثاً. قال: من؟ قال: أنا، قال: أبنا ثالثاً قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبنا رابعاً.

فلذهب إلى أبي البخترى بن هشام فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي، فقال: وهل تجد أحداً يعين على هذا؟ قال: نعم! قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك. قال: أبنا خامساً. فلذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلّمه وذكر له قريبتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم ثم سعى القوم. فأتبعوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم وتماقلا على القيام في الصحيفة حتى يقتضوها. وقال زهير: أنا أبلوكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أئذيتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أأكل الطعام ونلبس الثياب ويتر هاشم هلكني لا يتعاون ولا يتناحون منهم؟ والله لا أقعد حتى تنشق هذه الصحيفة القاطعة الظالة.

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد -: كذبت والله لا تنشق. قال زمعه بن الأسود: أتت والله أكذب، ما رزيتا كتابها حيث كتبت.

قال أبو البخترى: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به.

قال المطعم بن عدي: صدقنا وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها وما كتب فيها. قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

قال أبو جهل: هذا أمر قد قضى بلبيل تشوّر فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها إلا فباسمك اللهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فثلث يده فيما يزعمون.

قال ابن هشام [السورة: ٣٧٧/١]: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم إن الله قد سلط الأرض على صحيفة قريش

فلم تدخ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها، ونفث منها الظلم والنظيمة والبهتان. قال: أريك أخبرك بهذا؟ قال: نعم! قال: فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن أخي قد أخبرني بكل ما وكلنا فلهم صحيفتكم فإن كنت كما قال فأتيتوا عن قلوبنا وأنزلوا عنها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم لين أخي. فقال القوم: قد رزينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً فعند ذلك صنع الرمط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا. قال ابن إسحاق [سورة من هشام: ٣٧٨/١ - ٣٨٠]: فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة بمدحهم:

ألا هل أتى مجربنا صنع ربنا على نسايتهم والله بالناس أروء فيخبرهم أن الصحيفة مزقت وإن كل ما لم يرعه الله مفسد تراوحها إنك وسحر مجمع ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد تداعى لها من ليس فيها بقرقر فطازرها في رأسها يتردد وكانت كفاه وقعة بأثيمة ليقطع منها ساعد ومقلد ونظم من أهل المكين فيهربوا فرأى منهم من خشية الشر ترعد ويترك حرثاً بقلب أمره أيتهم فيها عند ذاك وينجد وتصدع بين الأخشين كنية لها حلاج سهم وقوس ومرمد فمن ينش من حضار مكة عزه فغزتني في بطسن مكة أثلد نشأتها بها والناس فيها قلاقل فلم تفكك نزاداً خيراً ولحمد ونظم حتى يترك الناس فضلهم إذا جعلت أيدي المقيضين ترعد جزى الله رهمطاً بالهجون تصابوا على ملا يهدي لحزم ويوشد قموداً لدى خطم الحجون كأنهم مقولة بسل هم أمز وأجمد أعان عليها كل مقرر كائنه إذا ما مشى في رفر الدرع أحرد جريء على جئى الخطوب كأنه شهاب يكفسي قابس يتوقد من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفاً وجهه يتريد طويل التجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد عظيم الرماد سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ويمشد ويبي لأبناء المشيرة صالحاً إذا نحن طفتنا في البلاد وبهمد ألظ بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يجمد فزوا ما فزوا في ليهم ثم أصبحوا على مهل وسائر الناس رقد هم رجعوا سهل بن يضاء واضياً وسر أبور بكر بها وعمد منى شرك الأقوام في جل امرنا وكنا قديماً قبلها تنوود وكنا قديماً لا نقر غلامه ونسردك ما شئت ولا تشدد فيال تصي هل لكم في نفوسكم وهل لكم فيما يميمي به غد فلاني ولإياكم كما قال قائل لديك اليان لو تكلمت أسود

قال السهيلي [الروض الأضف: ٣٦١/٣]: أسود اسم جبل قتل به قتيل ولم يعرف قتاله فقال أولياء القتول: لديك اليان لو تكلمت أسود، أي: يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عن قتله.

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة من هشام: ٣٨٠/١، ٣٨١] شعر حسان يمدح

المطعم بن عدي وهشام بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة. وقد ذكر الأموي ههنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابن إسحاق.

وقال الواقدي: سألت محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز: متى خرج بنو هاشم من الشعبة؟ قالوا: في السنة العاشرة - يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين. وعلق ابن سعد: ٢١٠/١

قلت: وفي هذه السنة بعد خروجهم تولى أبو طالب عم رسول الله ﷺ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

٥٨- تنقيح قريش أحياء العرب على النبي ﷺ

قال: ثم أتني صاحبني فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني. قالت: ولم؟ بأي أنت وأمي. قال: قلت: فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد ﷺ، قالت: فليدني دينك. قال: فقلت: فإذهبي إلى حتى ذي الشرى فتظهري منه، وكان ذو الشرى صنماً للوس وكان الحمى حى حموه له به وشل من ماله يهبط من جبل. قالت: بأي أنت وأمي أغشى على الصبية من ذي الشرى شيئاً؟ قال: قلت لا، أنا ضامن لذلك. قال: ففعلت فاعتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فإبطوا علي.

ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة. فقلت: يا رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم. قال: «اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفع بهم». قال: فلم أزل بأرض دوس أدعهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بئر واحد والخندق، ثم قلت على رسول الله ﷺ بن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخير حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس فلمحقنا برسول الله ﷺ بخير فأسلمهم لنا مع المسلمين. ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة.

قلت: يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكففين صنم عمرو بن حُمة حتى أحرقة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٥/١]: فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يوقد عليه النار يقول:

يا ذا الكففين لست من عبادك
ملائتنا أقدم من يلاؤك
إنسي حشوت النصارى فؤادك

قال ثم رجع رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنة عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه:

إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة فادخلتني في فرجها وأرى ابني يطليبي طلباً حيثما نم رأيه حبس عني، قالوا: خيراً قال: أما أنا والله فقد أولتها، قالوا:

ماذا؟ قال: أما حلق رأسي فوضعه، وأما الطائر الذي خرج منه فروحي، وأما المرأة التي ادخلتني في فرجها فالأرض تحفر في فاغيب فيها، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيحبد أن يصيب ما أصابني.

فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة، ثم استبل منها ثم قتل عام البرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله.

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا إسناد.

ولخبره شاهد في الحديث الصحيح.

ولقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمن نصب عدواة قريش لرسول الله ﷺ وتنقيح أحياء العرب والقادمين إلى مكة - لحج أو عمرة أو غير ذلك - منه، وإظهار الله المعجزات على يديه دلالة على صدقه فيما جاءهم به من البينات والهدى، وتكثيها لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتفول، والله غالب على أمره.

٥٩- قصة الطفل بن عمرو الدوسي في ذلك

فذكر قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة [سيرة ابن هشام: ٣٨٢/١ - ٣٨٥] وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشرف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه.

قال: فولأ ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمع.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فمعت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: وانكسر أمي والله إنني لرجل لبيب شاعر ما ينفني عليّ الحسن من القبيح فما يمتني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انتصرف رسول الله ﷺ فاتبته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا. قال: فولأ ما برحوا بي يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعي قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك.

قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه.

قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم ودايعهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعهم إليه. قال: فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بشية تطلعني على الحاضر، وقع بين عني نور مثل المصباح. قال: فقلت: اللهم في غير وجهي فإني

الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو.

٦٠ - قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام [السيرة: ٣٨٦/١ - ٣٨٨]: حدثني خلاد بن قره بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل عن أهل العلم أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح النبي ﷺ:

ألم تتمنض عيناك ليلة أرمداً ريت كما بات السليم مسهدا

وما ذاك من عشق النساء وإنما تأسيت قبل اليوم غلة مهددا

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاي عاد فافسدا

كهولاً وشباباً فقدت وثروة فله هذا الدهر كيف ترددا

وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع وليدأ وكهلاً حين شبت وأمردا

وإشذل العيس المراقيل تمتلني مسافة ما بين النجير فصرخدا

ألا أبعثنا الساتلي أين يمت فإنا لها في أهل يثرب موعدا

فإنا تسلي عني يا رب سائل خفي عن الأعشى به حيث أصدنا

أجدت برجليها نجاةً وراجعت يدها خائفاً لئلا غير أحردا

وفها إذا ما هجرت عجرفية إذا خلعت حرماء الظهيرة أصدنا

وأليت لا أوي لها من كلاله ولا من حفى حتى تلاقي عمداً

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله ندى

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد والنجدنا

له صدقات ما تقب ونائل فليس عطاء اليوم ماته غداً

أجذك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حيث أوصى وأشهدنا

إذا أنت لم ترحل بزد من التقى ولايت بعد الموت من قد تزودنا

نعمت على أن لا تكون كمثلته فترصد للأمر الذي كان أرودا

فإيساك والميتات لا تقرنها ولا تأخذن سهماً حينئذ لتفصدا

وذا النصب المصوب لا تسكنه ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا

ولا تقرن حرة كان سرها عليك حراماً فانكحن أو تهابدا

وذا الرحم القرى فلا تقطعه لعاقبة ولا الأسير المقيدا

وسبح على حين العتبة والفصحى ولا تحمد الشيطان والله فاحبدا

ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة ولا تحسبن المال للمرء غلدا

قال ابن هشام [السيرة: ٣٨٨/١]: فلما كان بمكة - أو قريباً منها -

اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد

رسول الله ﷺ ليعلم، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا. فقال الأعشى:

والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب. فقال: يا أبا بصير إنه يحرم الخمر.

فقال الأعشى: أما هذه قواله إن في نفسي منها لعلالات ولكني منصرف

فاتروى منها عامي هذا، ثم أتته فأسلم. فانصرف فمات في عامه ذلك ولم

يعد إلى النبي ﷺ.

هكذا أورد ابن هشام هذه القصة ههنا وهو كثير المواخذات لمحمد بن

إسحاق رحمه الله، وهذا مما يؤخذ به ابن هشام رحمه الله، فإن الخمر إنما

حرمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه فالظاهر أن عزم

قال الإمام أحمد (٤٤٨/٢): حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. قال: لما قدم الطفيل وأصحابه على النبي ﷺ قال: إن دوساً قد استمعت قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دُوساً وَانْتِ بِهِمْ».

رواه البخاري (٤٣٩٢) عن أبي نعيم عن سفيان الثوري.

وقال الإمام أحمد (٥٠٢/٢): حدثنا يزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي

سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه

فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها. قال أبو

هريرة: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقلت: هلكت دوس. فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دُوساً وَانْتِ بِهِمْ».

إسناده جيد ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد (٣٧٠/٢): حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد

بن زيد عن حجاج الصفوان عن أبي الزبير عن جابر. أن الطفيل بن عمرو

الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل لك في حصن حصين

ومتمعة؟ قال: حصن كان لدوس في الجاهلية - فأبى ذلك رسول الله ﷺ

للذي ذخر الله للأئصار.

فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر

معه رجل من قومه فاجتروا المدينة فعرض فجزع فأخذ مشاقص فقطع بها

براحه فشخب يدها فما رقا الدم حتى مات. فرأه الطفيل بن عمرو في

منامه في هيئة حسنة، ورأه مغطياً يديه. فقال له: ما صنع ربك بك؟ فقال:

غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ قال: فما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي:

إن يصلح منك ما أفسدت. قال: فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ فقال

رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ وَلِيَّيْهِ فَأَغْفِرْ».

رواه مسلم (١١٦٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم

كلاهما عن سليمان بن حرب به.

فإن قيل: فما الجمع بين هذا الحديث وبين ما ثبت في «الصحيحين»

إخ (٣٤٣)، م (١١٣) من طريق الحسن عن جندب قال: قال رسول

الله ﷺ: «كَانَ يَمِينُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بَوَّحٌ فَجَزَعُ، فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ

بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَيْبِي بِإِدْرَتِي نَفْسِيهِ

فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

فالجواب من وجوه أحدها: أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن،

ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه

مستقلاً إلا أنه به على هذا لتعبر أمته.

الثاني: قد يكون هناك عالماً بالتحريم وهذا غير عالم لحداثة عهده

بالإسلام.

الثالث: قد يكون ذاك فعله مستحلاً له وهذا لم يكن مستحلاً بل

خطأً.

الرابع: قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا

فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك.

الخامس: قد يكون هناك قليل الحسنة فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور

فدخل النار، وهذا قد يكون كثير الحسنة فقاومت الذنب فلم يلج النار

بل غفر له بالهجرة إلى نبيه ﷺ. ولكن بقي الشين في يده فقط وحسنت

هيئة سائرته فغطى الشين فمته فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له:

ما لك؟ قال: قيل لي: إن يصلح منك ما أفسدت.

فلما قصها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللَّهُمَّ وَلِيَّيْهِ

فَاغْفِرْ». أي: فاصلح منها ما كان فاسداً. وانحرف أن الله استجاب لرسول

مرات، كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك، وما كان أحد أبغض إليّ منك. وأما أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقام عنه رسول الله ﷺ وودّ عليه غنمه.

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت سيامي في كتاب «دلائل النبوة» بعد السيرة من طرق جيدة صحيحة في مرات متعددة إن شاء الله وبه الثقة. وقد تقدم عن أبي الأشثين أنه صرح النبي ﷺ فصرعه رسول الله ﷺ. ثم ذكر ابن إسحاق قصة قدوم النصارى من أهل الحبشة نحواً من عشرين ركباً إلى مكة فأسلموا عن آخرهم، وقد تقدم ذلك [دلائل هبوة الهادي: ٣٠٦/٢] بعد قصة التجاشي والله الحمد والمنة.

٦٢- النبي ﷺ مع المستضعفين

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٩٢/١): وكان رسول الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خباب، وعمار، وأبو عبيدة، يسار مولى صفوان بن أمية، وصهيب، وأشباههم من المسلمين. هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، هؤلاء ممن الله عليهم من بيتنا بالمهدى ودين الحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً مما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا. فانزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَلَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَذْكُرُونَ رَّبَّهُمْ بِالْغَفَاةِ وَالْعَتَاةِ يُرِيدُونَ رِجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَقْطِرْهُمْ فَيَتَكَفُّونَ مِنْ ظُلُمَاتِهِمْ﴾. وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليؤثروا هؤلاء من الله عليهم من بيتنا آتيس الله بأعلم بالأكبرين: وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من حول ينكم سوما بجهالة ثم نأب من نبيو وأصلح فأنه غفور رحيم (الأنعام: ٥٢ - ٥٤).

٦٣- قصص أخرى بين النبي والمشرّكين

قال: وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له: جبر، عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون: والله ما يعلم محمدًا كثيراً عما يأتي به إلا جبر، فأثزل الله تعالى في ذلك من قومه ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لَّنَا الَّذِي يَلْحَقُونُ إِلَيْهِ أَعْصِمِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِي مُبِينٌ﴾ (الحل: ١٠٣).

ثم ذكر نزول سورة «الكوثر» في العاصم بن وائل حين قال عن رسول الله ﷺ: إنه أبتر لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَيْئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي المقطوع الذكر بعده، ولو خلف ألوفاً من النسل والوزيرة وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد.

وقد روي عن أبي جعفر الباقر: أن العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم ابن النبي ﷺ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبة [الروض الأصف: ٤٠٧/٣].

ثم ذكر نزول قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨] وذلك بسبب قول أبي بن خلف وزمعة بن الأسود والعاص بن وائل والنضر بن الحارث: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك.

الأعشى على القُدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة وفي شعره ما يغفل على ذلك وهو قوله:

ألا أيها الساطي أين تُمثت فإن لها في أهل ينرب مؤعنا
وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخر ذكر هذه القصة إلى ما بعد
المجرة ولا يوردها هاهنا والله أعلم.

قال السهيلي [الروح الألف: ٣٧٨/٣]: وهذه غفلة من ابن هشام ومن تابعه فإن الناس يجمعون على أن الحمر لم يتزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أحد. وقد قال: وقيل: إن القاتل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة.

وذكر أبو عبيدة أن القاتل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل إلى رسول الله ﷺ قال: وقوله: ثم أتته فأسلم. لا يخرج عنه كفره بلا خلاف والله أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق (صورة ابن هشام: ٢٨٩/١) هنا قصة الإبراهيم وكيف استمدى إلى رسول الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه، وكيف أذل الله أبا جهل وأرغم الله حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراحنة وقد قلنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أنفة المشركين عند ذلك:

٦١- قصة مصارعة رُكَّانة وكيف أراه

الشجرة التي دعاها فأقبلت ﴿١٠٠﴾

قال ابن اسحاق [سوره بن هاشم: ٣٩٠/١، ٣٩١]: وحديثي أبي إسحاق بن يسار قال: وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ: يا ركانة ألا تحبني الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لأتيتك فقال له رسول الله: فافرايت إن صرعتك أنعمت أن ما أقول حق؟.

قال: نعم! قال: «قم حتى أصارعك». قال: «قام ركناً إليه فصارعه فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال: عليا محمد فعاد فصارعه. فقال: يا محمد والله إن هنا للعبج، أتصارعني؟! قال: «فأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن أتيت الله وأتيت أمري» قال: «وما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتي». قال: «ادعها فدعاهما فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. فقال لها: «ارجعي إلى مكانك» فرجعت إلى مكانها.

قال: فذهب ركّاة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسله بهذا البيان.

وقد روى أبو دلود [(٤٠٧٨)] والترمذي [(١٧٨٤)] من حديث أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه: أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ.

ثم قال الترمذي: غريب ولا تعرف أبا الحسن ولا ابن ركانة
قلت: وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي
الله عنهما: أن يزيد بن ركانة صارع النبي ﷺ فصصره النبي ﷺ ثلاث

فريض به على شربة فدخلت في أخمص رجله شوكه فقتلته. ومرة به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخض قبحاً فقتله

ثم ذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤١٠/١ - ٤١٢): أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم خالد وهشام والوليد. فقال لهم: أي بني أوصيكم بثلاث: دمي في خزاعة فلا تطلوهم، والله إنني لأعلم أنهم منه براء ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم. وربي في ثياف فلا تدعوه حتى تأخذوه، وعقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتكم به. وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات، وكان قد قبض عقرها منه - وهو صداقها - فلما مات الوليد وثبت بنو غزوم على خزاعة يلتصقون منهم عقل الوليد، وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم، فأبى عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر. ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل واصطلحوا وتحاجزوا.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤١٣/١ - ٤١٤): ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو يسوق ذي الجناز فقتله، وكان شريفاً في قومه. وكانت ابنته تحت أبي سفيان - وذلك بعد بدر - فعمد يزيد بن أبي سفيان فجمع الناس لبني غزوم وكان أبوه غائباً، فلما جاء أبو سفيان غاضبه ما صنع ابنه يزيد فلامه على ذلك وضربه وودى أبا أزيهر وقال لابنته: أعمدت إلى أن تقتل قريش بعضها بعضاً في رجل من دوس؟ وكذب حسان بن ثابت قصيدته له لمعرض أبا سفيان في دم أبي أزيهر، فقال: بئس ما ظن حسان أن يقتل بعضنا بعضاً وقد ذهب أشرافنا يوم بدر. ولما أسلم خالد بن الوليد وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ سأل به ريا أبيه من أهل الطائف

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤١٤/١): فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات نزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذُكِّرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وما بعدها.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤١٤/١): ولم يكن في بني أزيهر ثار نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس، إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الجهري خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس، فتركوا على امرأة يقال لها: أم غيلان مولاة لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر فقامت دون أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهن.

قال السهلي (الروح الأنف: ١٩/٤): يقال: إنها أدخلته بين دوعها وبناتها.

قال ابن هشام (السيرة: ٤١٥/١): فلما كانت أيام عمر بن الخطاب أتته أم غيلان وهي ترى أن ضراراً أخوه فقال لها عمر: لست بأخي إلا في الإسلام، وقد عرفت منك علي فاعطائها على أنها بنت سيل.

قال ابن هشام (السيرة: ٤١٥/١): وكان ضرار بن الخطاب لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد الإسلام رضي الله عنهما.

٦٤- دعاء النبي ﷺ على قريش لما استعصت عليه

وذكر البيهقي (الدلائل: ٣٢٧/٢) ههنا دعاء النبي ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبع كتب يوسف.

وأورد (الهامي في الدلائل: ٣٢٧/٢) ما أخرجه في «الصحيحين» ع

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٩٥/١ - ٣٩٦): ومرو رسول الله ﷺ فيما بلغنا بالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل بن هشام فهمزوه واستهزؤوا به، فغاضه ذلك فأتى الله تعالى في ذلك من أمرهم: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

قلت: وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنفَاهُمْ نَصْرَنَا وَلَا يَكُنْ لَّكَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

قال سفيان بن عيينة أخرجه الطبري في الأوسط (٤٩٨٣) عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: المستهزؤون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عيطل السهمي والعاص بن وائل السهمي. فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أبيه وقال: كفيه، ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عقه وقال: كفيه، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال: كفيه، ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال: كفيه، ومرة به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال: كفيه.

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فاصاب إبهامه فقطعها، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الأسود بن المطلب فعمي. وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. وجعل يقول: يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت، ما هو ذا الطعن بالشوك في عني. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. وأما الحارث بن عيطل فأخذ له الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خروء من فيه فمات منها. وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شربة حتى امتلأت منها فمات منها.

وقال غيره في هذا الحديث: فركب إلى الطائف على حمار فريض به على شربة - يعني شوكه - فدخلت في أخمص قدمه شوكه فقتلته. رواه البيهقي (في الدلائل: ٣١٦/٢ - ٣١٨) بنحو من هذا السياق.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٠٨/١ - ٤٠٩): وكان عظماء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم:

الأسود بن المطلب أبو زمعة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أعم بصره وأكله ولده».

والأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائع. وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْخَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦].

وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومرة به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه جناً ومرة به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة فتعلق سهم بلزازه فخلشه خدشاً يسيراً، فانتفض بعد ذلك فمات. ومرة به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف

المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «أما إنهم سيظهرون» فذكر أبو بكر ذلك للمشركون فقالوا: اجعل بيتنا وبينك أجلاً إن ظهرنا كان لك كلنا وكلنا، وإن ظهرنا كان لنا كلنا وكلنا فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته - أراه قال - دون العشرة» قال: فظهرت الروم بعد ذلك.

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في «التفسير» وذكرنا أن المباحث - أي المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف وأن الرهن كان على خمس فلائص، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحديبية - فآله أعلم.

ثم روي (في الدلائل: ٣٣٤/٢) من طريق الوليد بن مسلم حدثنا أسيد الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه. قال: رايت غلبة فارس الروم. ثم رايت غلبة الروم فارس، ثم رايت غلبة المسلمين فارس والروم وظهرهم على الشام والعراق، كل ذلك في خمس عشرة سنة.

٦٦- قصة الإسراء والمعراج

ذكر ابن عساکر (الربع دمشق: ٤٨٠/٣ - ٥١٨) أحاديث الإسراء في أوائل البعثة.

وأما ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٩٦/١ - ٤٠٨) فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين.

وروى البيهقي (في الدلائل: ٣٥٤/٢) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: أسري برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة. قال: وكذلك ذكره ابن لحيعة عن أبي الأسود عن عروة.

ثم روى (في الدلائل: ٣٥٥/٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي. أنه قال: فرض على رسول الله ﷺ الخمس بيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجرة بسنة عشر شهراً.

فعلى قول السدي يكون الإسراء في شهر ذي القعدة، وعلى قول الزهري وعروة يكون في ربيع الأول.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عثمان عن سعيد بن مينا عن جابر وابن عباس. قالوا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول. وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

فيه انقطاع

وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور القنسي في «سيرته» وقد أورد حديثاً لا يصح سنه ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب والله أعلم.

ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب وهي ليلة الرغائب التي أحدث فيها الصلاة المشهورة ولا أصل لذلك والله أعلم.

وينشد بعضهم في ذلك:

ليلة الجمعة عُرِجَ بالنبي ليلة الجمعة أَوْكِرَ رَجَبُ

وهذا الشعر عليه ركاكة وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به. وقد ذكرنا:

(٤٨٢٥)، م (٢٧٩٨) من طريق الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن ابن مسعود. قال: خمس مضين: الزام والروم، والدخان، والبطشة، والقمر. وفي رواية (البيهقي في الدلائل: ٣٢٤/٢، ٣٢٥) عن ابن مسعود. قال: إن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطوا عن الإسلام. قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف». قال: فأصابتهم سنة فصحت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والميتة وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهنة الدخان من الجوع. ثم دعا فكشف الله عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية: «وَأَنَا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» [الدخان: ١٥] قال: فعادوا فكفروا فاخروا إلى يوم القيامة - أو قال: فاخروا إلى يوم بدر - قال أبو عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم: «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُتَقِمُونَ» [الدخان: ١٦] قال: يوم بدر.

وفي رواية عنه (الدلائل البيهقي: ٣٢٦/٢، ٣٢٧) قال: لما رأى رسول الله ﷺ من الناس إبطاراً. قال: «اللهم سبعا كسيع يوسف» فاخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام. فجاءه أبو سفيان وناس من أهل مكة فقالوا: يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الفتيث، فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر. فقال: «اللهم حولنا ولا علينا» فالحمدت السحابة عن رأسه فسقي الناس حولهم.

قال: لقد مضت آية الدخان - وهو الجوع الذي أصابهم - وذلك قوله: «وَأَنَا كَاشِفُ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» وآية الروم، والبطشة الكبرى. وانشقاق القمر، وذلك كله يوم بدر.

قال البيهقي (في الدلائل: ٣٢٧/٢) يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية الزام كلها حصلت ببدر.

قال (البيهقي في الدلائل: ٣٢٧/٢) وقد أشار البخاري (١٠٢٠) إلى هذه الرواية.

ثم أورد (البيهقي في الدلائل: ٣٢٨/٢، ٣٢٩) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس. قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئاً حتى أكلوا العهن بالدم فأنزل الله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُهُمْ» [الزمر: ٢٧].

قال: فدعا رسول الله ﷺ حتى فرج الله عنهم.

ثم قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٣٢٩/٢) وقد روي في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك كان بعد الهجرة، ولعله كان مرتين والله أعلم.

٦٥- قصة فارس والروم وهزيمة الروم

ثم أورد البيهقي (في الدلائل: ٣٣٠/٢) قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى: «وَالَمْ يَكُنِ الْأَرْضُ مِنْ دُونِ سَبْعِينَ يَوْمًا إِلَّا جُرْحُ الْمُؤْمِنِينَ» [الزمر: ١٠ - ١٥].

ثم روى (في الدلائل: ٣٣١، ٣٣٢/٢) من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: كان المسلمون يجهلون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يجهلون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك

قال الحسن [سورة ابن هشام: ٣٩٨/١، ٣٩٩]: «وَأَنزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَرَأَى فَلَانًا لَّكَ إِنَّ رَبَّكَ أَخَاطَ النَّاسَ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخَوْنَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ الآية.

وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٢/١] فيما بلغه عن أم هانئ: أنها قالت: ما أسري برسول الله ﷺ إلا من بيتي، نام عندي تلك الليلة بعدما صلى العشاء الآخرة فلما كان قبيل الفجر أهبنا فلما صلى الصبح وصلينا معه. قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا الروادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين» ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداه فقلت: يا بني الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذوك. قال: «والله لأحدثهموه» فأخبرهم فكذبوه. فقال: «وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، فأنفهم حسن الدابة فتدلم بعير فدللتهم عليه وأنا توجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نيما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشي فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان. وآية ذلك أن عيرهم يصوب الآن من ثنية التميم البيضاء يقدمها جل أروق عليه غرارتان إحدهما سوداء والأخرى براقا. قالت: فابتدر القوم الثنية فلم يلهمهم أول من الجمل الذي وصف لهم، وسالهم عن الإناء وعن البعير فأخبرهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه.

وذكر يونس بن بكير عن أسباط عن إسماعيل السدي أن الشمس كادت أن تغرب قبل أن يقدم ذلك العير، فدها الله عز وجل فجبسها حتى قدموا كما وصف لهم. قال: فلم تجبس الشمس على أحد إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون. رواه البيهقي [في الدلائل: ٤٠٤/٢].

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٣/١]: وأخبرني من لا أنهم عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فلما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه يديكم عينه إذا حضر، فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له: باب الحفظة، عليه ملك من الملائكة يقال له: إسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك.

قال: يقول رسول الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث: «وَمَا يَنْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» [الزمر: ٣١]. ثم ذكر بقية الحديث. وهو مطول جداً وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في «التفسير» وتكلمنا عليه فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضعف.

وكنا في سياق حديث أم هانئ فإن الشابت في «الصحاحين» [ج (٣٥٧٠) م (١٦٢)] من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس أن الإسراء كان من المسجد من عند الحجر.

وفي سياقه غرابة أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ومنها قوله: وذلك قبل أن يوحى إليه، والجواب أن مجيئهم أول مرة كان قبل أن يوحى إليه فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ثم جاءه بعد ما أوحى إليه فكان يسير قطعاً بعد الإجماع إما بقليل كما زعمه طائفة، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون وهو الأظهر، وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلًا ثانيًا - أو ثالثًا - على قول لأنه مطلوب إلى الله الأعلى

الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» فلنكتب من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعز، والكلام عليها ومعها ففيها منقح وكفاية ولله الحمد والملة.

ولنذكر ملخص كلام ابن إسحاق رحمه الله [السورة: ٢٧٤، سورة ابن هشام: ٣٩٦/١، ٣٩٧] فإنه قال بعد ذكر ما تقدم من الفصول: ثم أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس - من إيلياه وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها. قال: وكان من الحديث - فيما بلغني عن مسراه ﷺ عن ابن مسعود وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقائدة وغيرهم من أهل العلم - ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه ﷺ وما ذكر لي منه بلاء. وتمحيص وأمر من أمر الله وقدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة ونبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين، فأسري به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد.

فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني يقول: أتى رسول الله ﷺ بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جموا له فضلى بهم ثم أتى بثلاثة آية من لين وخر، وماء فذكر أنه شرب إناء اللبن، «فقال لي جبريل: هديت وهديت أمتك». وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٩٧/١] في سياق الحسن البصري مرسلًا أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبه البراق وهو «دابة أبيض بين البيل والحمار وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجله يضع حافره في منتهى طرفه، ثم حلني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته.

قلت: وفي الحديث وهو عن قتادة فيما ذكره ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٩٨/١] أن رسول الله ﷺ لما أراد ركوب البراق شمس به فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال: «ألا تستحي يا براق بما تصنع، فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه. قال: فاستحي حتى أرفض عرقاً ثم فر حتى ركبته».

قال الحسن في حديث [سورة ابن هشام: ٣٩٨/١]: فمضى رسول الله ﷺ ومضى معه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله ﷺ فضلى بهم، ثم ذكر اختياره إناء اللبن على إناء الحمر وقول جبريل له: هديت وهديت أمتك، وحرمت عليكم الحمر.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة فأصبح بخير قريشاً بذلك فذكر [سورة ابن هشام: ٣٩٨/١، ٣٩٩] أنه كتبه أكثر الناس، وارتدت طائفة بعد إسلامها، وبادر الصليق إلى التصديق وقال: إني لأصدقك في خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقك في بيت المقدس! وذكر أن الصليق سأل عن صفة بيت المقدس فذكرها له رسول الله ﷺ قال: فيومئذ سمي أبر بكر الصليق.

والحضرة الإلهية ثم ركب البراق رفعة له وتعظيماً وتكريماً.

فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء ثم دخل بيت المقدس فصلّى في قبلته تحية المسجد

وانكر حذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدابة وصلاته فيه [حديث حليفه أخرجه ت (٣١٤٧)].

وهذا غريب، والنص المتيقن مقدم على الثاني.

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم أكان قبل عروجه إلى السماء كما دلّ عليه ما تقدم أو بعد نزوله منها كما دلّ عليه بعض السياقات وهو أنسب كما سنذكره على قولين فالله أعلم.

وقيل: إن صلاته بالأنبياء كانت في السماء، وهكذا تخيره من الأنبياء اللين والخمر والماء هل كانت بيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح [٢٨٨٧] م (١٦٤).

والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة. فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء.

وذكر أعيان من رآه من المرسلين كآدم في سماء الدنيا، وعيسى في الثانية وإدريس في الرابعة، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مستنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه صلاة وطوافاً ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورفعت لرسول الله ﷺ سلمة المنتهى وإذا روتها كآذان الغيلة، ونبقها كقلال هجر، وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة ألوان متعلدة بأمره وركبتها الملائكة مثل الفرغان على الشجر كثرة وفراش من ذهب وغشيتها من نور الرب جل جلاله.

ورأى هناك جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِندَ سِنْدَةِ الْغُلَّتَىٰ. إِذْ يَبْقَىٰ السَّنَّةُ مَا يُغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [الجم: ١٣ - ١٧] أي: ما زاغ بصره ولا شمالاً ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر إليه.

وهذا هو الثبات العظيم والأدب الكريم وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها كما نقله ابن مسعود [المسند: ٤١٢/١] وأبو هريرة [١٧٥] وأبو ذر [٣٤٩] م (١٦٣) وعائشة [٤٨٥٥] م (١٧٧) رضي الله عنهم أجمعين.

والأولى هي قوله تعالى: عَلَّمَ شَيْدَ الْقُرْآنِ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْخِيَ إِلَىٰ عَذِيبِهِ مَا أَوْخِيَ [الجم: ٥ - ١٠] وكان ذلك بالأبطح، تدلى جبريل على رسول الله ﷺ ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض حتى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى، هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم.

فاما قول شريك عن أنس في حديث الإسراء [٣٥٧٠] م (١٦٢): ثم دنا الجبريل رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقد يكون من فهم الراوي فاتقهم في الحديث والله أعلم.

وإن كان محفوفاً فليس بتفسير للآية الكريمة بل هو شيء آخر غير ما

دلت عليه الآية الكريمة والله أعلم.

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتذ حسن صلاة في كل يوم وليلة، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل حتى وضعها الرب جل جلاله وله الحمد والمئة إلى خمس. وقال: «هي خمس وهي خمسون: الحصة بعشر أمثالها، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتذ، وأتمه السنة كالمطبقين على هذا، واختلفوا في الرواية، فقال بعضهم: رآه بفؤاده مرتين، قاله ابن عباس وطائفة.

وأطلق ابن عباس وغيره الرواية وهو محمول على التقيد، ومن أطلق الرواية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما إذكره القاضي عياض في الشفا: [٢٦٠/١] وصرح بعضهم بالرواية بالعينين إذكره القاضي عياض في الشفا: [٢٦٠/١] واختاره ابن جرير وسالغ فيه، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين.

ومن نصّ على الرواية بعيني راسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهلي عنه [الروض الأنف: ٤٤٥/٣]، واختاره الشيخ أبو زكريا النسوي في فتاويه.

وقالت طائفة: لم يقع ذلك لحديث أبي ذر في «صحيح مسلم» [١٧٨] م: قلت: يا رسول الله هل رأيت ريك؟ فقال: «نور أني أراه» وفي رواية: «رأيت نوراً».

قالوا: ولم يمكن رؤية الباقي بالعين الغاية ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما روي في بعض الكتب الإلهية: يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدلّه.

والخلاف في هذه المسألة مشهور بين السلف والخلف والله أعلم. ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين لا يجمعون بأحد قبل الذي طلبوا إليه، ولهذا كان كلماً مرّ على واحد منهم يقول له جبريل، عند تقدّمك للسلام عليه: هذا فلان فلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرّف بهم مرة ثانية. وما يدل على ذلك أنه قال: «فلما حانت الصلاة: أمّتهم». ولم يحن وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر فتقدمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل - فاستفاد بعضهم من هذا أن الإمام الأعظم يقدم في الإمامة على رب المنزل حيث كان بيت المقدس محلّتهم ودار إقامتهم - ثم خرج منه فركب البراق وعاد إلى مكة فأصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار.

وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والأمر التي لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندعشاً أو طائش العقل، ولكنه ﷺ أصبح واجباً - أي ساكناً - بخشي إن بدا فأخبر قومه بما رأى أن يداخروا إلى تكليبه، فتلطف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خبر؟ فقال: «نعم!» فقال: وما هو؟ فقال: «إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس». قال: إلى بيت المقدس؟ قال: «نعم!» قال: أرايت إن دعوت قومك لك لتخبرهم فتخبرهم بما أخبرني به؟ قال: «نعم!» فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويلفهم.

فقال أبو جهل: هيا معشر قريش فاجتمعوا من أنديتهم فقال: أخبر قومك بما أخبرني به، فنص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى وأنه جاء

ولا ينام ليلي: «فنام عني وقلبي يقظان».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٩٧/١]: «فأله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعابن فيه ما عابن من أمر الله تعالى على أي حاله كان نائماً أو يقظان كل ذلك حق وصدق».

قلت: وقد توقف ابن إسحاق في ذلك وجوز كلاً من الأمرين من حيث الجملة، ولكن الذي لا يشك فيه ولا يمتارى أنه كان يقظان لا عالة لما تقدم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أن جسده ﷺ ما قد وإنما كان الإسراء بروحه أن يكون نائماً كما فهمه ابن إسحاق بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السموات وعابن ما عابن حقيقة ويقظة لا نائماً. لحل هذا مراد عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك. لا ما فهمه ابن إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم.

تنبيه: ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طبق ما وقع بعد ذلك، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد تقدم مثل ذلك في حديث بده الرشي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة نائماً قبله ليكون ذلك من باب الإرهاس والترطقة والتثيت والأيأس والله أعلم.

ثم قد اختلف العلماء في أن الإسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة أو كل في ليلة على حدة؟.

فمنهم من يزعم أن الإسراء في اليقظة، والمعراج في المنام.

وقد حكى المهلب بن أبي صفرة في «شرح البخاري» ذكره عنه السهلي [الروض الأثف: ٤١٧/٣] عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أن الإسراء مرتين: مرة بروحه نائماً، ومرة يبدنه وروحه يقظة. وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهلي [الروض الأثف: ٤١٧/٣] عن شيخه أبي بكر بن العري النقيع المالكي. وهذا القول يجمع الأحاديث فإن في حديث شريك عن أنس: وذلك فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وقال في آخره: «ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر» وهذا منام. ودل غيره على اليقظة.

ومنهم من يدعي تعدد الإسراء في اليقظة أيضاً حتى قال بعضهم: إنها أربع إسرائات، وزعم بعضهم أن بعضها كان بالملية.

وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف ما وقع في روايات حديث الإسراء بالجمع بالتعدد فيجعل ثلاث إسرائات، مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السموات على البراق أيضاً لحديث حذيفة، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات.

فقول: إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذ الثلاث صفات ومن أراد الوقوف على ذلك فلينظر فيما جمعه مستقصى في كتابنا «التفسير» عند قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمُتَّبِيهِ لَيْلًا» وإن كان إنما حمله أن التقسيم المحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من المحصر العقلي الوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل والله أعلم. والعجب أن الإمام أبى عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب، وابن إسحاق آخر ذكر موت أبي طالب على الإسراء، فأله أعلم أي ذلك كان.

والمقصود أن البخاري فرق بين الإسراء وبين المعراج فيؤب لكل منهما باباً على حدة فقال [خ: (٣٨٨٦)]: «باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه

بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيه، فمن بين مصفّق وبين مصفّر تكنيهاً له واستنجاداً لغيره وطار الخبر بمكة وجاء الناس إلى أبي بكر ﷺ فاخبروه أن عمداً ﷺ يقول كنا وكنا. فقال: إنكم تكذبون عليه فقالوا: والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركو قريش فسأله عن ذلك فاخبره فاستعلمه عن صفات بيت المقدس لسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به.

وفي «الصحيح» [م: (١٧٢)]: «أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: فجعلت أخبرهم عن آياته فائتسب عليّ بعض الشيء، فجلى الله لي بيت المقدس حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأثمتهم لهم. فقالوا: أما الصفة فقد أصاب».

وذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٢/١، ٤٠٣] ما تقدم من إخباره لهم بمروره بهمهم وما كان من شره ما هم، فقام الله عليهم المحبة واستنارت لهم المحبة، فأمن من آمن على يقين من ربه وكفر من كفر بعد قيام المحبة عليه. كما قال الله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» [الأنعام: ٦٠] أي اختباراً لهم وامتحاناً.

قال ابن عباس [صه المخرج: خ: (٣٨٨٨)]: «هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ».

وهذا مذهب جمهور السلف والخلف من أن الإسراء كان يبدنه وروحه صلوات الله وسلامه عليه كما دلّ على ذلك ظاهر السياقات من ركوبه وصعوده في المعراج وغير ذلك. ولهذا قال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِمُتَّبِيهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى».

والتيهح إنما يكون عند الآيات العظيمة المخارة فدل على أنه بالروح والجسد والعبد عبدة عنهما وإيضاً فلو كان نائماً لما يبادر كثر قريش إلى التكنيب به والاستبعاد له إذ ليس في ذلك كبير أمر، فدلّ على أنه أخبرهم بأنه أسري به يقظة لا نائماً.

وقوله في حديث شريك عن أنس [خ: (٣٥٧٠)، م: (١٦٢)]: «ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر» معدود في غلطات شريك أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يسمى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ الطائف فكذبوه، قال: «فرجعت مهموماً فلم أستفق إلا بقرن الثعالب».

وفي حديث أبي أسيد [خ: (١٦٩١)، م: (٢١٤٩)] كلاهما من حديث سهل بن سعد حين جاء بانه إلى رسول الله ﷺ ليحتكه فوضعه على فخذ رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا: رُفِعَ فسماه المنذر.

وهذا الحمل أحسن من التغليب والله أعلم.

وقد حكى ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٩٩/١] فقال: حدثني بعض أك أبي بكر عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه. قال: وحدثني يعقوب بن عتبة: أن معاوية كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كنت رؤيا من الله صادقة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٠/١]: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» وكما قال إبراهيم عليه السلام «يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَةً أُتْبَحُّكُمْ» [الصافات: ١٠٢] وفي الحديث [خ: (٣٥٦٩)] «فلما نَامَ صَحِي

فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت، بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد. قیل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم رفعت لي سكرة المنهى فإذا نبهها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سكرة المنهى وإذا أربعة أنهار: نهران طاهران، ونهران باطنان. فقلت: ما هنا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فهنران في الجنة، وأما الطاهران فالنيل والفرات.

ثم رُفِعَ لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتيت بآناه من خر وإناه من لبن وإناه من عسل، فأخذت اللبن قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: «أمرت بخمسين صلاة كل يوم». قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة؛ فارجع لي ريك فسله التخفيف لأمتك.

فرجعت فوضع عني عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً. فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت، فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت: بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع لي ريك فسله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي. هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا.

وقد رواه في مواضع آخر من «صحيحه» (٣٢٠٧) ومسلم (١١٤٤) والترمذي (٣٣٤٦) والنسائي (٤٤٧) والبيهقي (٣١٣) من طرق عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة.

ورويته من حديث أنس بن مالك عن أبي بن كعب، ومن حديث أنس عن أبي ذر. ومن طرق كثيرة عن أنس عن النبي ﷺ. وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في «التفسير»، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينسأه أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو ييسط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده.

ومن جعل كل رواية إسراء على حدة كما تقدم عن بعضهم، فقد أبعد جداً. وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء، وفي كل منها تعريفهم، وفي كلها يفرض عليه الصلوات. فكيف يمكن أن يدعى تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد والاستحالة والله أعلم.

ثم قال البخاري (٣٨٨٨): حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرْتُمُوكَ إِلَّا نَبْئًا لِلنَّاسِ». قال: هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة

وتعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِنَبِيِّكَ لَيْلًا».

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كنت في قريش كنت في الحجر فجلس الله لي بيت المقدس فطلعت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

وقد رواه مسلم (١٧٠) والترمذي (٣١٢٣) والنسائي (١١٢٨٢) من حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر به.

ورواه مسلم (١٧٢) والنسائي (١١٢٨٤) من حديث عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

ثم قال البخاري (٣٨٨٧): باب حديث المعراج:

حدثنا هبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة: أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به. قال: «بينما أنا في الحطيم - وربما قال: في الحجر - مضطجماً إذ أتاني آت قد قد - قال: وسمعت يقول: فشق - ما بين - هذه إلى هذه. فقلت للجارود وهو لي جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثرة غره إلى شعرته. وسمعت يقول: من قصه إلى شعرته. فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فنسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: أنس! نعم! يضع خطوه عند أقصى طرفه. فحملت عليه.

فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، فلما خلصت إذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قیل: من هنا؟ قال: جبريل قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم! قیل: مرحباً به فنعلم المحيي جاء، فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى

عن مجاهد عن عبد الله بن عمر، في قوله: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقِشَ الْفُجْرَ﴾. قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقان؛ فلقاً من دون الجبل وفلقاً من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد». وهكذا رواه مسلم (٢٨٠١) والترمذي (٣٢٨٨) من طريق عن الأعمش، عن مجاهد به.

قال مسلم (٢٨٠٠) كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما عبد الله بن مسعود:

فقال الإمام أحمد (٣٧٧/١): حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا».

وهكذا أخرجه إجماع (٣١٣٦)، م (٢٨٠٠) من حديث سفيان - وهو ابن عينة - به.

ومن حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا» وذعبت فرقة نحو الجبل. لفظ البخاري.

ثم قال البخاري (٣٨٦٩ تعليقاً): وقال أبو الضحاك عن مسروق عن عبد الله بن بكّة. وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه.

وقد أسند أبو داود الطيالسي (٢٩٥) حديث أبي الضحى عن مسروق ذلك في «مسنده» فقال: ثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود. قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كيشة. فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاه السفار فقالوا ذلك.

وقال البيهقي (١١٦٤٢/٢) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرتين. فقال كفار قريش لأهل مكة: هذا سحر سحرهم به ابن أبي كيشة، انظروا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحرهم به. قال: فقتل السفار - قال: وقدموا من كل وجهة - فقالوا: رأينا.

وهكذا رواه ابن جرير (٨٥/٢٧) في «تيسره» من حديث المغيرة، وزاد: فأنزل الله تعالى: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقِشَ الْفُجْرَ﴾.

ورواه أبو نعيم من حديث جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله به.

وقال الإمام أحمد (٤١٣/١): حدثنا مؤمل حدثنا إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجي القمر.

وهكذا رواه ابن جرير (٨٥/٢٧) في «تيسره» من حديث أسباط عن سماك به.

وقال الحافظ أبو نعيم: حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا أبو حصين محمد بن الحسين الوادعي حدثنا يحيى الحماني حدثنا يزيد عن عطاء عن سماك عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرتين فتوارت، فرقة خلف الجبل فقال النبي ﷺ:

شقيه.

وهكذا رواه الموفي عن ابن عباس رضيه وهو من مراسلاته وهو الطبري: (٨٦/٢٧).

وقال الحافظ أبو نعيم (الدلائل: ٢٠٩): حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقِشَ الْفُجْرَ﴾.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وزعقة بن الأسود، والنضر بن الحارث، ونظراؤهم. فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرتين نصفاً على أبي قيس ونصفاً على قميعة.

فقال لهم النبي ﷺ: «إن فعلت تؤمنوا؟» قالوا: نعم! وكانت ليلة بدر، فقال الله عز وجل: أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد شُكِّلَ نصفاً على أبي قيس ونصفاً على قميعة، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا».

ثم قال أبو نعيم: وحدثنا سليمان بن أحمد حدثنا الحسن بن العباس الرازي عن الهيثم بن النعمان حدثنا إسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. قال: انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فبهط جبريل فقال: يا محمد قل لأهل مكة أن يحتفلوا هذه الليلة فسيروا آية إن اتفقوا بها. فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبريل فخرجوا ليلة الشق ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة فظفروا، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا. فقالوا: يا محمد ما هذا إلا سحر ذاهب. فأنزل الله: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقِشَ الْفُجْرَ﴾.

ثم روى أبو نعيم (الدلائل: ٢١٠) عن الضحاك عن ابن عباس. قال: جاءت أخبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أرونا آية حتى نؤمن بها، فسأل ربه فأرأهم القمر قد انشق نصار قمرين؛ أحدهما على الصفا والآخر على المروة، قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب. فقالوا: هذا سحر مستمر.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (المعجم الكبير: ١١٦٤٢): حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. قال: كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر فنزلت: ﴿أَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَاتَّقِشَ الْفُجْرَ﴾. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.

وهذا إسناده جيد وفيه أنه كسف تلك الليلة فلم يحصل له انشقاق في ليلة كسوفه ولهذا خفي أمره على كثير من أهل الأرض ولعل ذلك في بعض ليالي الشتاء، حيث يكون أكثر الناس في البيوت، أو ستره غيم عن كثير من الأرض ومع هذا قد شوهد ذلك في كثير من بقاع الأرض ويقال: إنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند، وبني بناء تلك الليلة وأرخ بلبلة انشقاق القمر.

وأما ابن عمر:

فقال الحافظ البيهقي (٢٦٧/٢) أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش

والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تنسله وتبكي،
ورسول الله ﷺ يقول: «لا تبكي يا بنية فإن الله سائغ أباك» ويقول بين
ذلك: «ما نالتني قریش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك (سورة ابن هشام: ٤١٦/١): أن أحدهم ربما
طرح الأذى في برمة ﷺ إذا نصبت له. قال: فكان إذا فعلوا ذلك - كما
حدثني عمر بن عبد الله عن عروة - يخرج بذلك الشيء على العمود فيقف
به على بابه ثم يقول: «يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟» ثم يلقيه في
الطريق.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤١٧/١): لما اشتكى أبو طالب وبلغ
قريشاً ثقله قالت قريش بعضها لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا
امر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على
ابن أخيه وليعطه منا، فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤١٧/١): وحديثي العباس بن عبد الله
بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس. قال: لما مشوا إلى أبي طالب
وكلهم - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل
بن هشام، وأمية بن خلف، وأبو سفيان بن حرب - في رجال من
أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما
تري وتحزننا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ لنا
منه وخذ له ما ليكف عنا ولكف عنه، وليدعنا وديننا ولندعه ودينه.
فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد
اجتمعوا إليك ليمطرك وليأخذوا منك.

قال: فقال رسول الله ﷺ: فتم كلمة واحدة تعطونها فملكون بها
العرب وتدين لكم بها العجم». فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات.
قال: «تقولون لا إله إلا الله وتعلمون ما تدعون من دونه». قال: فصفقوا
بأيديهم. ثم قالوا: يا محمد أتريد أن نجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك
لعجب. قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك
شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم
وبينه، ثم تفرقوا.

قال: فقال أبو طالب: والله يا ابن أخي ما أريتك سالتهم شططاً. قال:
فطمع رسول الله ﷺ فيه فجعل يقول له: «أي عم فأتت فقلها استحل
لك بها الشفاعة يوم القيامة» قال: فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال:
يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أهلك من بعدي، وإن
تنظن قريش أنني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.
قال: فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفثيه
فأصغى إليه بأذنه، قال: فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي
أمرته أن يقولها قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم اسمع» قال: وأنزل الله
تعالى في أولئك الرمح: ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ
وَتَفَاقُحٍ﴾ [ص: ١-٢].

وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير» والله الحمد والمنة.

وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الفلاة إلى أن أبا
طالب مات مسلماً بقول العباس هذا الحديث: يا ابن أخي لقد قال أخي
الكلمة التي أمرته أن يقولها. يعني: لا إله إلا الله.

والجواب عن هذا من وجوه. أحدها: أن في السند بهماً لا يعرف
حاله وهو قوله: عن بعض أهله وهذا إيهام في الاسم والحال، ومثله
يتوقف فيه لو انفرد.

فاشهدوا، اشهدوا» [أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٠٩) من طريق إبراهيم (٤)].

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جعفر بن محمد
القلاني حدثنا آدم بن أبي إياس ثنا الليث بن سعد حدثنا هشام بن سعد
عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود. قال: انشق القمر ونحن
بمكة، فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة.

وحدثنا [قال أبو نعيم في الدلائل: ٢٠٧] أحمد بن إسحاق حدثنا أبو بكر
بن أبي عاصم حدثنا محمد بن حاتم أبو سعيد حدثنا معاوية بن عمرو عن
زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة فرائته فرقتين.

ثم روى من حديث علي بن سعيد بن مسروق حدثنا موسى بن عمير
عن منصور بن المعتمر عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود. قال:
رأيت القمر والله منشقاً بابتين بينهما حراء والطبراني في الكبير (٩٩٧) من
طريق علي بن سعيد (٤).

وروى أبو نعيم من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس. قال: انشق القمر فلتقتين: فلقه ذهبت، وفلقه بقيت.

قال ابن مسعود: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر، فذهبت
فلقة. فتعجب أهل مكة من ذلك وقالوا: هذا سحر مصنوع سيذهب.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: انشق القمر على عهد رسول
الله ﷺ فصار فرقتين. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر» وقال
المشركون: سحر القمر حتى انشق [هجر الطبراني: ٨٧/٢٧].

فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة
رجالها. وما يذكره بعض القصاص من أن القمر سقط إلى الأرض حتى
دخل في كم النبي ﷺ وخرج من الكم الآخر فلا أصل له، وهو كذب
مفترى ليس بصحيح.

والقمر حين انشق لم يزايل السماء غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ
انشق عن إشارته فصار فرقتين، فسارت واحدة حتى صارت من وراء
حراء، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه
شاهد ذلك.

وما وقع في رواية أنس في «مسند أحمد» (١٦٥/٣): فانشق القمر بمكة
مرتين فيه نظر، والظاهر أنه أراد فرقتين والله أعلم.

٦٩- وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ

وذكر الأحاديث فيه

وقيل: بل هي توفيت قبله والمشهور الأول. وهما المشفقان؛ هذا في
الظاهر وهذه في الباطن، هناك كافر وهذه مؤمنة صليقة رضي الله عنها
وأرضاهما.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤١٦/١): ثم إن خديجة وأبا طالب
هلكا في عام واحد، فتبايعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلك خديجة،
وكانت له. وزير صدق على الإسلام يسكن إليها، وبهلك عمه أبي طالب
وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصراً على قومه. وذلك قبل
مهاجرة إلى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من
رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطعم به في حياة أبي طالب حتى
اعترضه سفيه من سفهاء قريش فثر على رأسه تراباً.

فحدثني هشام بن عروة عن أبيه. قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته

نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول: لا إله إلا الله فأبى أن يقولها، وقال: هو على ملة الأشياخ وكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب.

ويؤكد هذا كله ما قال البخاري [(٣٨٨٣)]: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن عبد الملك بن عمير حدثني عبد الله بن الحارث حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبي ﷺ: ما أغثت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

ورواه مسلم في «صحيحه» [(٢٠٩)] من طرق عن عبد الملك بن عمير به.

وأخرجه في «الصحيحين» [خ (٣٨٨٥) م (٢١٠)] من حديث الليث حدثني ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يخلي منه دماغه» لفظ البخاري. وفي رواية: «تخلني منه أم دماغه».

وروى مسلم [(٢١٢)] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفا عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، متعل بتعلين من نار يغلي منها دماغه».

وفي «مغازي» يونس بن بكير: «يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه» ذكره السهيلي (الروض الأصف: ٢٨/٤).

وقال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده»: حدثنا عمر - هو ابن إسماعيل بن مجالد - حدثنا أبي عن مجالد عن الشعبي عن جابر. قال: سئل رسول الله ﷺ - أو قيل له - هل نفعت أبا طالب؟ قال: «أخرجته من النار إلى ضحضاح منها» تفرد به البزار.

قال السهيلي (الروض الأصف: ٢٧/٤): وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادة العباس لأخيه أنه قال الكلمة، وقال: «لم أسمع» لأن العباس كان إذ ذاك كافراً غير مقبول الشهادة.

قلت: وعندي أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم. وما يدل على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدم، وتقدير صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا ينفذ نفساً إيمانها والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي [في مسنده: ١٢٠]: حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت ناجية بن كعب يقول: سمعت علياً يقول: لما توفي أبي أبيت رسول الله ﷺ فقلت: إن عمك قد توفي. قال: «أذهب فواره» فقلت: إنه مات مشركاً، فقال: «أذهب فواره ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني» ففعلت ثم أتيت، فأمرني أن أغتسل.

ورواه النسائي [(١٩٠)] عن محمد بن المثني عن غندر عن شعبة. ورواه أبو داود [(٣٧١٤)] والنسائي [(٢٠٥)] من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية عن علي: لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله: إن عمك الشيخ الضال قد مات فمن يرأيه؟ قال: «أذهب فوار أباك ولا تحدث شيئاً حتى تأتيني» فأتيت فأمرني فاغتسلت، ثم دعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء.

وقال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٣٤٩/٢): أخبرنا أبو سعد الماليني حدثنا أبو أحمد بن عدي حدثنا محمد بن هارون بن حميد حدثنا محمد بن عبد

وقد روى الإمام أحمد [(٢٢٨/١)] والنسائي [(١١٤٣٧)] وابن جرير [في تفسيره: ١٢٥/٢٣] نحواً من السياق من طريق أبي أسامة عن الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره ولم يذكر قول العباس.

ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش عن يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس.

ورواه الترمذي [(٣٧٣٢)] وحسنه والنسائي [(١١٤٣٦)] وابن جرير أيضاً [في تفسيره: ١٢٥/٢٣]

ولفظ الحديث من سياق البيهقي (الدلائل: ٣٤٥/٢) فيما رواه من طريق الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ عند رأس أبي طالب، مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك. وشكوه إلى أبي طالب. فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عم إنما أريد منهم كلمة تذلهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم، كلمة واحدة». قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله» قال: فقالوا: أجمل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء لنا شيء عجاب. قال: ونزل فيهم «ص والقرآن ذي الذكر» الآيات إلى قوله «إلا أخلاق».

ثم قد عارضه - أعني سياق ابن إسحاق - ما هو أصح منه، وهو ما رواه البخاري [(٣٨٨٤)] قائلاً:

حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن السبب عن أبيه رضي الله عنه. أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل. فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما كلمهم به: على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فنزلت: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَا لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» [البقرة: ١١٣] ونزلت: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

ورواه مسلم [(٢٤)] عن إسحاق بن إبراهيم وعبد عن عبد الرزاق. وأخرجه [خ (١٣٦٠) م (٢٤)] أيضاً من حديث الزهري عن سعيد بن السبب عن أبيه بنحوه. وقال فيه: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعدون له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله - يعني بعد ذلك -: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَا لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» [البقرة: ١١٣] ونزل في أبي طالب: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ».

وهكلاً روى الإمام أحمد [(٤٤١/٢)] ومسلم [(٢٥)] والترمذي [(٣١٨٨)] من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال: «يا عمنا قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» فقال: لولا أن تعبرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقروا بها عينك، ولا أتوها إلا لأقر بها عينك. فأنزل الله عز وجل: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

وهكلاً قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقادة: إنها

وهو محتمل أو ظاهر. وسببه أن عائشة سمت بشبابها وحسنها وجبل عشرينها، وليس مرادها بقولها: قد أبدلك الله خيراً منها أنها تركي نفسها وتفضلها على خديجة، فإن هذا أمر مرجعه إلى الله عز وجل كما قال: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَتَّبِعُونَ﴾ [النساء: ٣٢] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنْ لَمْ يَأْتِهم بِاللَّهِ يُزَكِّي مِنْ يَدِهم﴾ [النساء: ٤٩] الآية.

وهذه مسألة وقع النزاع فيها بين العلماء قديماً وحديثاً ونجانبها طرفا نقض أهل التشيع وغيرهم لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء سلام الرب عليها، وكون ولد النبي ﷺ جيمهم - إلا إبراهيم - منها. وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها، وتقدم إسلامها، وكونها من الصليقات ولها مقام صدق في أول البعثة. وبذلك نفسها ومالها لرسول الله ﷺ.

وأما أهل السنة فمنهم من ينلو أيضاً ويثبت لكل واحدة منهما من الفضائل ما هو معروف ولكن تحملهم قوة التسنن على تفصيل عائشة لكونها ابنة الصديق، ولكونها أعلم من خديجة فإنه لم يكن في الأسم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول يحب أحداً من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروى بعده عنه عليه السلام علماً بما كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى قد ذكر كثير من الناس الحديث المشهور: «فخروا شطر دينكم عن الحمير».

والحق أن كلا منهما لها من الفضائل ما لو نظر الناظر فيه لبهرة وحيرة، والأحسن التوقف في ذلك ورد علم ذلك إلى الله عز وجل. ومن ظهر له دليل يقطع به، أو يغلب على ظنه في هذا الباب فذاك الذي يجب عليه أن يقول بما عنده من العلم ومن حصل له توقف في هذه المسألة أو في غيرها فالطريق الأقوم والمسلك الأسلم أن يقول: الله أعلم. وقد روى الإمام أحمد [] والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نساءها مريم بنت عمران، وخير نساءها خديجة بنت خويلد» أي خير نساء زمانها.

وروى شعبة عن معاوية بن قره عن أبيه قره بن إياس رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» رواه ابن مردويه في «تفسيره». وهذا إسناد صحيح إلى شعبة ويعده.

قالوا: والفرد المشترك بين هذه الثلاث نسوة؛ آسية ومريم وخديجة أن كلاً منهن كفلت نياً مرسلأ وأحست الصحة في كفالته وصدقته. فآسية ريت موسى وأحست إليه وصدقته حين بعث، ومريم كفلت ولداً ثم كفالة وأعظمها وصدقته حين أرسل. وخديجة رغبت في تزويج رسول الله ﷺ بها وبذلك في ذلك أمواليها كما تقدم وصدقته حين نزل عليه الوحي من الله عز وجل.

وقوله: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» هو ثابت في «الصحيحين» من طريق شعبة أيضاً عن عمرو بن مرة عن مرة الطيب المحدث عن أبي موسى الأشعري. قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» والثريد: هو الحبز واللحم جميعاً وهو أفر طعام العرب كما قال بعض الشعراء:

إذا ما الحزب تأوّه بلحم فذاك أمانة الله، الثريد

وفي لفظ له [ج (٣٨١٧)] عن عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها. قالت: وتزوجني بعد ما بثلاث سنين، وأمره ربه - أو جبريل عليه السلام - أن يسرها بيت في الجنة من قصب. وفي لفظ له [ج (٣٨١٨)] قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة - وما رايته - ولكن كان كثير ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة. فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد».

ثم قال البخاري [(٣٨٢١)]: حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع فقال: «اللهم هالة».

قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها. وهكذا رواه مسلم [(٢٤٣٧)] عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به. وهذا ظاهر في التبرير على أن عائشة خير من خديجة إما فضلاً وإما عشرة. إذا لم ينكر عليها ولا رد عليها ذلك كما هو ظاهر سياق البخاري رحمه الله.

ولكن قال الإمام أحمد [١٥٤/٦]: حدثنا مؤمل أبو عبد الرحمن حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن عبد الملك - هو ابن عمير - عن موسى بن طلحة عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ يوماً خديجة فاطنب في النساء عليها، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدين. قالت: فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيراً لم أره تغير عند شيء قط إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة، حتى يعلم رحمة أو عذاب؟.

وكذا رواه [في المسند: ١٥٠/٦] عن بهز بن أسد وعثمان بن مسلم كلاهما عن حماد بن سلمة عن عبد الملك بن عمير به. وزاد بعد قوله: حمراء الشدين: هلكت في الدهر الأول. قالت: فتصمّر وجهه فتمرأ ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينظر أرحمة أم عذاب؟ تفرد به أحمد. وهذا إسناد جيد.

وقال الإمام أحمد أيضاً [١١٧/٦، ١١٨]: ثنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة. قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أتى عليها بأحسن النساء. قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدين قد أبدلك الله خيراً منها. قال: فما أبدلني الله خيراً منها، قد أمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولداً إذ حرمني أولاد النساء، تفرد به أحمد أيضاً. وإسناده لا بأس به ومجالد روى له مسلم متابع وفيه كلام مشهور والله أعلم.

ولعل هنا - أعني قوله: «ورزقني الله ولداً إذ حرمني أولاد النساء» - كان قبل أن يولد إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية، وقبل مقدمها بالكلية وهذا متعين. فإن جميع أولاد النبي ﷺ - كما تقدم وكما سيأتي - من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية المصرية رضي الله عنها. وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على تفصيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وأرضاهما.

وتكلم آخرون في إسناده وتأوله آخرون على أنها كانت خيراً عشرة

وقد روى البخاري [(٣٨٩٦)] عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: توفيت خديجة قبل خروجه النبي ﷺ بثلاث سنين، فلبث ستين - أو قريباً من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بني بها وهي بنت تسع سنين. وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قلنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الأمر.

وقوله: تزوجها وهي ابنة ست سنين وبني بها وهي ابنة تسع ما لا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في «الصحاح» وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة.

وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر. فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال [لغرفة وأبو داود: ٢٦٨/٣]: حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل خروجه من مكة وأنا ابنة سبع - أو ست سنين، فلما قلنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا جمعة، فهيتاني وصنعني ثم أتيت بي إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين.

فقوله في هذا الحديث: «متوفى خديجة» يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة: بعد متوفى خديجة فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه والله أعلم. وقال البخاري [(٣٨٩٤)]: حدثنا فروة بن أبي المزاة حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقلعنا المدينة فقلنا في بني الحارث بن الخزرج. فوعكت قتمزق شعري فوفى لي جيمة فأتيت أمي أم رومان - وإني لفي أرجوحة ومعها صواحب - لي فصرخت بي فأتيتها ما أدري ما تريد بي، فأخذت يدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأتهيج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلي خير طائر، فأسلمتني إليهن، فاصلحن من شأنه، فلم يعرفني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وقال الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين (٢١٠/٦، ٢١١): حدثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة ويحيى. قالوا: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: «فمن البكر؟» قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة ابنة أبي بكر. قال: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة. قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال: «فأذهبي فاذكريهما علي». فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أحاطب علي عائشة، قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أحاطب علي عائشة قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «أرجعي إليه فقول لي أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وإبتك تصلح لي» فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري، وخرج. قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد وعداً قط فأتخلفه - لأبي بكر - فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتي. فقالت: يا ابن أبي

ويحتمل قوله «وفضل عائشة على النساء» أن يكون عاماً فيعم النساء المذكورات وغيرهن، ويحتمل أن يكون عاماً فيما عداهن ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوف بمجتمعات التسوية بينهما فيحتاج مرجح واحدة منهن على غيرها إلى دليل من خارج والله أعلم.

٧١- زواج النبي ﷺ بعائشة وسودة

في تزويجه عليه السلام بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصديق وسودة بنت زمعة رضي الله عنهما.

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً لما سيأتي. قال البخاري في باب تزويج عائشة [(٣٨٩٥)]: حدثنا معلى بن أسد حدثنا وهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «أأنتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير، ويقول: هذه امرأتك. فأكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه».

وقال البخاري: باب نكاح الأبيكار [(٥٠٧٧)]: وقال ابن أبي مليكة: قال ابن عباس لعائشة: لم ينكح النبي ﷺ بكراً غيرك.

حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله لو أنزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها، ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها» تعني أن النبي ﷺ لم يترجج بكراً غيرها. انفرد به البخاري.

ثم قال رخ [(٥٠٧٨)]: حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أأنتك في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سرقة حرير، فيقول: هذه امرأتك. فأكشفها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه».

ورواه مسلم [(٢٤٣٨)] من طريق هشام بن عروة به.

ورواه البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج [(٥١٢٥)]: ثنا مسدد، ثنا حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أأنتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه».

وفي رواية: «أأنتك في المنام ثلاث ليل».

وعند الترمذي [(٣٨٨٠)] أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.

وقال البخاري [(٥٠٨١)]: باب تزويج الصغار من الكبار.

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن يزيد عن عراك عن عسرة أن رسول الله ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك. فقال: «أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال».

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله.

وقال يونس بن بكير [وهو أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤١٠/٢] عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبني بها وهي ابنة تسع. ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمان عشرة سنة. وهذا غريب.

امراً من قومه يقال لها: سودة وكانت مصيبة، كان لها خمسة صبية - أو ست - من بعل لها مات. فقال رسول الله ﷺ: «ما يمتنع مني؟» قالت: والله يا نبي الله ما يعني منك أن لا تكون أحب البرية لي، ولكني أكره أن يَضَعُوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال: «فهل منعك مني شيء غير ذلك؟» قالت: لا والله، قال لها رسول الله ﷺ: «يرحمك الله إن خير نساء ركن أعجاز الإبل، صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل بذات يده».

قلت: وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو أخو سهل بن عمرو، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه.

فهذه السياقات كلها دالة على أن القعد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل.

ورواه يونس عن الزهري.

واختار ابن عبد البر أن القعد على سودة قبل عائشة وحكاها عن قتادة وأبي عبيد [الاسعاب: ١٨٦٧/٤]. قال: ورواه عقيل عن الزهري.

٧٢- ما نال النبي ﷺ من قريش بعد

وفاة عمه أبي طالب

قد تقدم ذكر موت أبي طالب هم رسول الله ﷺ وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ومداًعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال، فلما مات اجتزا سفهاء قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه.

كما قد رواه البيهقي [في الدلائل: ٣٥٠/٢] عن الحاكم عن الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا محمد بن إسحاق عن حدثه عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر. قال: لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فالتقى عليه تراءباً، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أي بنية لا تبكين فإن الله مانع أبائك» ويقول ما بين ذلك: «ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

وقد رواه زياد البكائي عن محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٦/١] عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا والله أعلم.

وروى البيهقي [الدلائل: ٣٤٩/٢] أيضاً عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما زالت قريش كاعين عني حتى مات أبو طالب».

ثم رواه [البيهقي في الدلائل: ٣٤٩/٢، ٣٥٠] عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري، عن يحيى بن معين حدثنا عتبة الجدر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب».

رقد روى الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي [التلخيص: ١١٣، ١٢] بسنده عن ثعلبة بن صعيّر وحكيم بن حزام أنهما قالوا: لما توفي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما شهر وخمسة أيام - اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان فلزم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا

قحافة لملك مصب صاحبنا مدخله في دينك الذي أتت عليه إن تزوج إليك؟ فقال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقول هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده. فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ اخطبك عليه. قالت: وددت، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له. وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم. قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله اخطبك عليه سودة. فقال: كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها لي فدعته قال: أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم، تخمين أن أزوجه بك؟ قالت: نعم. قال: ادعي لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يبكي على رأسه التراب. فقال بعد أن أسلم: لمعرك إني لسفيه يوم أحني في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة. قالت عائشة: فقللنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السبخ. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتني أمي وأنا لقي أروجة بين عذقين ترجع بي فأترلتني من الأروجة ولي جميمة ففرقتها، ومسحت وجهي بشئ من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك. فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما غرت علي جزور، ولا ذهبت علي شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نساءه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين. وهذا السياق كأنه مرسل وهو متصل لما رواه البيهقي [في الدلائل: ٤١١/٢] من طريق أحمد بن عبد الجبار.

حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي عن محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب. قال: قالت عائشة: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «ومن؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً. قال: «ومن البكر ومن الثيب؟» قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتمكت. قال: «فاذكريهما علي». وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم.

وهذا يقتضي أن عقده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة، ولكن دخوله على سودة كان بمكة، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود، حدثنا شريك عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة وهبت يومها لي، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نساءه. قالت: وكانت أول امرأة تزوجها بعدي.

وقال الإمام أحمد [٣١٨/١، ٣١٩]: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد، حدثني شهر، حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ خطب

جاههم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفة من قومه، فقال أحدهم: هو يَمرُط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لأن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يش من خير ثقيف.

وقله قال لهم - فيما ذكر لي -: «إن فعلتم ما فعلتم فاكموا علي» وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فينزلهم ذلك عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفاههم وعييدهم بسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس والجوهر إلى حائط لعنة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفاه ثقيف من كان يتبعه. فعمد إلى ظل حبله من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفاه أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك». فلما اطمان قال - فيما ذكر لي - «اللهم إليك أشكر ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلي؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك». هكذا أورد ابن إسحاق في كتابه «السيرة» هذا الدعاء من غير إسناد، بل ذكره معلقاً بصيغة البلاغ، فقال: فيما ذكر لي.

وقله روى الحافظ ابن عساكر، في ترجمة القاسم بن الليث الرُّسْعَني، شيخ السائي والطبراني وغير واحد، بسنده من حديثه، حدثني محمد بن أبي صفوان الثقفي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: لما توفي أبو طالب، خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه. قال: فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف إلى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: «اللهم إليك أشكر ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلي؟ إلى عدو غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

قال ابن إسحاق: فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس فقالا له: خذ قطعاً من هنا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: بسم الله ثم فطر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ فومن أهل أي بلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني وأنا رجل من أهل نيسوى. فقال رسول الله ﷺ: فمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي». فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. قال:

تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللوات لا يوصل إليك حتى أموت.

وسب ابن الغيطلة رسول الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فقال منه، فرأس يصيح: يا معشر قريش صبا أبو عتبة. فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطلب، ولكنني امتنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد. فقالوا: لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم. فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرض له أحد من قريش، وهاهنا أبا لهب إلى أن جاء عتبة بن أبي معيط، وأبو جهل إلى أبي لهب فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب: يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال: «مع قومه». فخرج إليهما فقال: قد سأله فقال: «مع قومه». فقالا: يزعم أنه في النار. فقال: يا محمد ابدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار». فقال أبو لهب - لعنه الله - والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. واشتد عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤١٥/١، ٤١٦): وكان النضر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعتبة بن أبي معيط، وعدي بن الحمراء، وابن الأصداء الهذلي. وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص. وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمه إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى، فكان إذا طرحوا شيئاً من ذلك يحمله على عود ثم يقف به على بابهم ثم يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقه في الطريق.

قلت: وعندي أن غالب ما روي عما تقدم من طرحهم سلى الجزور بين كتفيه وهو يصلي كما رواه ابن مسعود، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحت عنه، وأقبلت عليهم فشتتهم، ثم لما انصرف رسول الله ﷺ دعا على سبعة منهم كما تقدم (السند: ٤١٧/١).

وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق قاتلاً: انتقلون رجلاً أن يقول: ربي الله. وكذلك عزم أبي جهل - لعنه الله - على أن يطأ على عقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك، وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم. فذكرها هنا أنسب وأشبه.

٧٣- دعوة النبي ﷺ في الطائف

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤١٩/١، ٤٢٠): فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تتاله منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمثمة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم وحده. فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي. قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرفهم وهم أخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بن عمرو بن عيمر بن عوف بن علفة بن غيرة بن عوف بن ثقيف. وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما

وقد ذكر الأموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق فطلب منه أن يبهره بمكة. فقال: إن حليف قريش لا يبهر على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره فقال: نعم! قل له فليأت.

فلذهب إليه رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد وقال لرسول الله ﷺ: طف واحترأ بمقاتل سيفهم في المطاف، فأتى أبو سفيان إلى مطعم. فقال: أجير أو تابع؟ قال: لا بل يجير. قال: إذا لا تخش. فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه. وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال: فكنت أياماً ثم أذن له في الهجرة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة توفي المطعم بن عدي بعده يسير، فقال حسان بن ثابت: والله لأرثيه فقال فيما قال [ديوان حسان: ٢٤٣، ٢٤٤]:

فلو كان مجد يخلد اليوم واحداً من الناس نحى مجده اليوم لمعلمنا

أجرت رسول الله ﷺ منهم فأصبحوا عبادك ما لبى مُجِلٌّ وأحرما
فلو سئلته عنه معداً بأسرها وقحطان أو باقي بقية جُرْهُمُما
لقالوا هو المرفي بمُضَرَّة جاره وذئبه يوماً إذا ما تذمنا
وما تطلع الشمسُ الشيرةُ فوفهم على مثله فيهم أعز وأكرما
أيماً إذا يابى والين شيمته وأثوم عن جارٍ إذا الليل أظلمنا
قلت: ولهذا قال النبي ﷺ يوم أسارى بدر [٣١٣٩]: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء التي لو بهتهم له»

٧٥- عرض النبي ﷺ نفسه على أحياء العرب

في عرض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج أن يؤروه وينصروه ويمنعوه عن كلبه وخالفه فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله تعالى للأشعار من الكرامة العظيمة رضي الله عنهم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٢/١]: ثم قدم رسول الله ﷺ مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به، فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل، ويغريهم أنه نبي مرسل، ويسألم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعث به.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٢/١، ٤٢٣]: فحدثني من أصحابنا من لا أنهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدؤلي - أو من حدثه أبو الزناد عنه. وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي. قال: إني لفلان شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به.

قال: وخلفه رجل أحول رضي له فغيرتان عليه حلة عننية، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه. قال ذلك الرجل: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلموا اللات والعزى من أضغاثكم وحلفاءكم

يقول ابن ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قال له: ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقلميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قال له: ويمك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

وقد ذكر موسى بن عقبة نحواً من هذا السياق إلا أنه لم يذكر الدعاء وزاد: وقد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رفسخهما بالحجارة حتى أموه فخلص منهم وهما سيلان الدماء فعمد إلى ظل حيلة وهو مكروب وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، ففكر مكاتهما لعداوتهما لله ورسوله. ثم ذكر قصة عداس النصراني كنحو ما تقدم [الدلائل الصفي: ٤١٤/٢ - ٤١٦].

وقد روى الإمام أحمد [٣٣٥/٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس - أو عصى - حين أناهم يتيغي عندهم النصر، فسمعتهم يقرأ: «والسما والطارق» حتى ختمها. قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعيتي ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لأبغتناه.

وثبت في «الصحيحين» [٣٢٣١] م [١٧٩٥] من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يونس بن زيد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: فما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمت، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فتأدبني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم. ثم ناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثني ريك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش. فقال رسول الله ﷺ: قبل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

٧٤- دخول النبي في جوار المطعم بن عدي

وقد ذكر محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢١/١، ٤٢٢] سماع الجبل لقراءة رسول الله ﷺ، وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلى بأصحابه الصبح، فاستمع الجبل الذين صرخوا إليه قراءته هنالك.

قال ابن إسحاق: وكانوا سبعة نفر فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الاحقاف: ٢٩].

قلت: وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في «التفسير»، وتقدم قطعة من ذلك فالله أعلم.

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي، وازداد قومه عليه حقاً وغيظاً وجراً وتكنيهاً وعناداً والله المستعان وعليه التكلان.

عليه ذلك العام سالم عما كان في موسم فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تلاف؟ هل للناياها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولنا إسماعيلي قط، وإنها لحن فأتين رايتكم كان عنكم؟

وقال موسى بن عقبة [من طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤١٤/٢] عن الزهري: فكان رسول الله ﷺ في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسأله مع ذلك إلا أن يؤروه ويمتعوه، ويقول: ألا أكره أحدكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن كرهه، إما أريد أن تحزوني بما يرد بي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي، وحتى يقضي الله لي ولن صحبتي بما شاء.

فلم يقبله أحد منهم، ولم يأت أحد من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولغظوه؟! وكان ذلك بما ذخره الله للأخصار وأكرمهم به.

وقد روى الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الله بن الأجلح، ويحيى بن سعيد الأموي، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن العباس. قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة فهل أنت خرجي إلى السوق غداً حتى تعرفني منازل قبائل الناس؟» وكانت جميع العرب. قال: قلت: هذه كندة ولها وهي أفضل من بيع البيت من اليمن وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صعصعة، فاختار لنفسك.

قال: فبدأ بكندة فأتاهم فقال: «عن القوم؟» قالوا: من أهل اليمن. قال: «من أي اليمن؟» قالوا: من كندة. قال: «من أي كندة؟» قالوا: من بني عمرو بن معاوية، قال: «فهل لكم لي خير؟» قالوا: وما هو؟ قال: «تتهلون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤمنون بما جاء من عند الله».

قال عبد الله بن الأجلح: وحديثي أبي عن أشياخ قومه أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الملك لله يجعله حيث يشاء» فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به.

وقال الكلبي: فقالوا: أجتنا لتصلنا عن أهلكنا وننايذ العرب، الحق بقومك فلا حاجة لنا بك. فانصرف من عندهم فتى بكر بن وائل فقال: «عن القوم؟» قالوا: من بكر بن وائل. فقال: «من أي بكر بن وائل؟» قالوا: من بني قيس بن ثعلبة. قال: «كيف العدد؟» قالوا: كثير مثل الثرى. قال: «كيف المنعة؟» قالوا: لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجبر عليهم. قال: «فتجعلون لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستكبحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتعمدوا ثلاثاً وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين».

قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا رسول الله. ثم انطلق فلما ولي عنهم قال الكلبي: وكان عمه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مر أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في النزوة منا فعن أي شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه رسول الله، قال: ألا لا ترفعوا بقولاً رأساً، فإنه مجنون يهذي أم رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر.

قال الكلبي رحمه الله أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ٢٧١٥. وأخبرني عبد الرحمن

من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.

قال: قلت لأبي: يا أبت، من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب.

وقد روى الإمام أحمد [٣٤١/٤] هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد من بني الدئل - وكان جاهلياً فاسلم - قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا! والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غليظتين يقول: إنه صابئ كاذب - يتبعه حيث ذهب - فسألت عنه فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عمه أبو لهب.

ورواه البيهقي [في الدلائل: ١٨٥/٢] من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن عمرو عن محمد بن المنكدر عن ربيعة الدئل: رأيت رسول الله ﷺ يسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهن إلى الله، ووراءه رجل أحول تقد وجهته وهو يقول: أيها الناس لا يفرتكم هنا عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو لهب.

وكذا رواه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق ابن أبي ذئب وسعيد بن سلمة عن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه ومن هذين الطريقين رواه أحمد في المسند: ٤٩٧/٢.

ثم رواه البيهقي [في الدلائل: ١٨٦/٢] من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم عن رجل من كندة. قال: رأيت رسول الله ﷺ يسوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا! وإذا رجل خلفه يسفي عليه التراب فإذا هو أبو جهل وهو يقول: يا أيها الناس لا يفرنكم هنا عن دينكم فلما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى.

كنا قال في هذا السياق: أبو جهل. وقد يكون وهماً ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على إتيانه ﷺ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٤/١]: وحديثي ابن شهاب الزهري أنه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له: مليح، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٤/١]: وحديثي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أنه أتى كلباً في منازلهم، إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول لهم: يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أيكم؟ فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

وحديثي [سيرة ابن هشام: ٤٢٤/١] بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقيح رداً عليه منهم.

وحديثي [سيرة ابن هشام: ٤٢٤/١، ٤٢٥]: الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم يقال له: يبيحرة بن فراس: والله لو أتني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أبكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «ألا لله يضعه حيث يشاء». قال: فقال له: أنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لفيرنا! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يواي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حلتوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا

قالوا: لا. قال: فمنكم الحويزان بن شريك قاتل الملوك وسالباها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أحوال الملوك من كنته؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أمصار الملوك من لحم؟ قالوا: لا. قال: فلم أبو بكر رضي الله عنه: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر. قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهل، حين بقل وجهه، فآخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول:

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَكَ وَالْعَبْدُ لَا تَعْرِفُهُ أَتَى حَمِيلَهُ
يا هذا إنك سألنا فأخبرناك ولم تكتم شيئا، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال: رجل من قريش. فقال الغلام: بلغ بنو أهل السؤدد والرئاسة، وأزمت العرب وهذلتها فمن أنت من قريش؟ فقال له: رجل من بني تيم بن مرة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة؟ أمكنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها، وأجلى بقتلهم وجع قومه من كل أوب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار، ونزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك جمعا، وفيه يقول الشاعر لبني عبد مناف:

اليس أبوكم كان يُدعى جمعاً به جمع الله القبائل من فُهر
فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الرضايا وأبو الغطاريف السادة؟ فقال: أبو بكر: لا. قال: فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة، فيه يقول الشاعر:
غَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجُلًا مَكَّةَ مُنْتَوِنَ عِجَافٍ
سَنُوا إِلَيْهِ الرَّحَائِينَ كُلَّهُمَا عِنْدَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةَ الْأَصِفَاوِ
كانت قريش يصفون تغلقت فالح خالصة لعبد مناف
الرائشين وليس يُعرف رائش والقائلين هلم للأصيف
والضارين الكيش يسرق يفضه والماتين اليسف بالأسيف
لله ذكرك لو نزلت بناهم منموك من أزل ومن إقرار

فقال أبو بكر: لا. قال: فمنكم عبد المطلب شية الحمد، وصاحب عمر مكة، ومطعم طير السماء والوحوش والسياف في الفلا الذي كان وجهه قمر تلالاً في الليلة الظلماء؟ قال: لا. قال: فأمّن أهل الإفاضة أنت؟ قال: لا. قال: فأمّن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: فأمّن أهل الرداءة أنت؟ قال: لا. قال: فأمّن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: فأمّن أهل الرفاة أنت؟ قال: لا. قال: فأمّن المقيضين بالناس أنت؟ قال: لا. ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده، فقال له الغلام:

صادف درة السيل درة يدقعه يفضه حنفاً وحيناً يصدعه
ثم قال: أما والله يا ابن قريش لو ثبتت لحبرت أنك من زعمات قريش ولست من النواصب. قال: فأتى إلينا رسول الله ﷺ يتبسم قال علي: فقلت له: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقة. فقال: أجل يا أبا الحسن، إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالقول. قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار وإذا مشايخ لم أقدر وهيات، فقدم أبو بكر فسلم - قال علي: وكان أبو بكر مقتماً في كل خير - فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عز في قورهم - وفي رواية: ليس وراء هؤلاء غر من قورهم - وهؤلاء غر

العامري عن أشياخ من قومه قالوا: أنا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ، فقال: «ممن القوم؟» قلنا: من بني عامر بن صعصعة. قال: «ممن أي بني عامر بن صعصعة؟» قالوا: بنو كعب بن ربيعة. قال: «كيف المنعة؟» قلنا: لا يرام ما قبلنا، ولا يُصطلي بئارنا. قال: فقال لهم: «إني رسول الله وأتيتكم لتمعنوني حتى أبلغ رسالة ربي ولا أكره أحداً منكم على شيء» قالوا: ومن أي قريش أنت؟ قال: «من بني عبد المطلب». قالوا: فأين أنت من عبد مناف؟ قال: «هم أول من كذبني وطردني». قالوا: ولكننا لا نظردك ولا نؤمن بك، وسنمتنع حتى تبلغ رسالة ربك قال: فنزل إليهم والقوم يتسوقون، إذ أتاهم ببحرة بن فراس القشيري فقال: من هذا الرجل أراه عندهم أنكروه؟ قالوا: محمد بن عبد الله القرشي. قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنه رسول الله ﷺ فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه قال: ماذا رددمت عليه؟ قالوا: بالترحيب والسعة، فخرجك إلى بلادنا ومنعك ما تمنع به أنفسنا قال ببحرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشتر من شيء ترجعون به بدائم لتباليوا الناس وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به لو أتسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، أتعمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذبوه فتزورونه وتضرونه؟ فبش الرأي رأيتم. ثم أتى على رسول الله ﷺ فقال: قم فالحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك.

قال فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الحيث ببحرة شاكلتها فقصت برسول الله ﷺ فالتفت. وعند بني عامر يومئذ صبابة ابنة عامر بن قرط، كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله بمكة، جاءت زائرة إلى بني عامر، قالت: يا آل عامر - ولا عامر لي - أبصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بني عامر إلى ببحرة واثني أعمامه، فآخذ كل رجل منهم رجلاً فجعل به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علوا وجوههم لطمأ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء».

قال: فأسلم الثلاثة الذين نصره وقتلوا شهداء وهم: غطيف وغطفان ابنا سهل، وعروة - أو غزرة - بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم. وهلك الآخرون لعنا وهم: ببحرة بن فراس، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير، ومعاوية بن عبادة أحد بني عقيل لنعم الله لعنا كثيراً. وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته والله أعلم. وقد روى هذا الحديث بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به.

وقد روى أبو نعيم في اللال: ٢١٩ له شاهدنا من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة بني عامر بن صعصعة وقبح ردهم عليه. وأخرى من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم في اللال: ٢١٤ والحاكم والبيهقي في اللال: ٢/٤٢٢ - والسباق لأبي نعيم رحمهم الله - من حديث أبان بن عبد الله الجلي عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، حدثني علي بن أبي طالب. قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان أبو بكر مقتماً في كل خير، وكان رجلاً نساباً فقال: «ممن القوم؟» قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم؟ أمّن هامها أم من لهازمها؟ قالوا: بل من هامها العظمى. قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى؟ قالوا: ذهل الأكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عرف الذي كان يقال: لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا قال: فمنكم بسطام بن قيس بن مسعود أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟

مغفور، وعلموه غير مقبول. فإن أردت أن تنصرك وتغتمك مما يلي العرب فعلمنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم الرد إذ أقصحتهم بالصدق إنه لا يقوم بدلين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه». ثم قال رسول الله ﷺ: «أرايتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمتحنكم الله ببلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم أسيحون الله وتقبلونه؟»

فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش! فلا رسول الله ﷺ: «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَنَبِيّاً. وَقَاصِياً إِلَى اللَّهِ يَافِيَهُ وَسَيِّراً جَافِئاً مُبْتَرِئاً» (الأحزاب: ٤٥-٤٦) ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر.

قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «يا علي أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية، ما أشرافها! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا». قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ.

قال علي: وكانوا صدقاً صبراً فَرَّ رسول الله ﷺ بما رأى من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال: «ادعوا لإخوانكم من ربيعة؛ فقد أحاطتهم اليوم أبناء فارس». ثم دخل منزله، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه، فقال لهم: «احملوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصرؤا». قال: وكانت الوقعة بقرقر إلى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى: [وهوان الأعشى الكبير:

[٢٥٩]

ندى لبني فُحل بن شيبان ناعتي وراكبها عند اللقاء وقَلَّتْ
هُمُ ضُرِبُوا بِأَخْنُو حَنُو قَرَارِ مَقْدَمَةَ الْمَاسَرَةِ حَسَى تَوَلَّتْ
فَلَلُو عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ فَوَارِسٍ كَهْلُيْنِ شِيَابَهَا حَيْثُ وَلَّتْ
فَنَارُوا وَثَرْنَا وَالْمَوْدَةَ يَتَبَسَّا وَكَانَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتْ

هذا حديث غريب جداً كتبه لما فيه من دلائل النبوة وعجائب الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتفوا معهم بقرقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فتنصروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام.

وقال الواقدي [من طريقه أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ٢٢٠]: أخبرنا عبد الله بن وابصة العبيسي عن أبيه عن جده قال: جئنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجعرة الأولى التي تلي مسجد الخيف وهو على راحلته مردفاً خلفه زيد بن حارثة، فدعانا فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال: وقد كنا سمعنا به ويدعائه في المواسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له، وكان معنا ميسرة بن مسروق العبيسي. فقال لنا: أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وهلمنا حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأي. فاحلف بالله ليطهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم: دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا به.

وطعم رسول الله ﷺ في ميسرة فكلمه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأثوره، ولكن قومي يخالفوني وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه فالعدى أبعد فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صاعدين إلى أهلهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فلك فإن بها يهود نسالهم عن هذا الرجل،

الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهاتئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك.

وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم يثأراً ولساناً، وكانت له غديتان تسقطان على صدره. فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشد ما نكون غضباً حين نلقى، وإنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله. يدلينا مرة ويدلينا علينا مرة لملك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فما هو هذا فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك.

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال له: إلام تدعوا يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ر فجلس وقام أبو بكر يظهله بثوبه فقال ر: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وأن تؤووني وتمنعوني وتصرونني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد».

قال له: وإلى ما تدعوا أيضاً يا أخا قريش؟ فلا رسول الله ﷺ: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» إلى قوله: «فَتَعَرَّفُوا بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ فَدَعَاكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ» (الأنعام: ١٥١).

فقال له مفروق: وإلى ما تدعوا أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فلا رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَا ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْعَنِيِّ يُغْنِيكُمْ عَنْكُمْ تَعْلَمُونَ» (العلق: ٩٠).

فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق وعجائب الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هاتئ بن قبيصة فقال: وهذا هاتئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.

فقال له هاتئ: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك - مجلس جلست إلينا ليس له أول ولا آخر لم تنفكر في أمرك، ونظر في عاقبة ما تدعوا إليه - زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع وترجع وتظهر وتظهر - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة - فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك واستحسن قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هاتئ بن قبيصة وتركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلست إلينا وإنما نزلنا بين صيرين أحدهما البيعة، والآخر السمامة. فقال له رسول الله ﷺ:

«وما هذان الصيران؟» قال له: أما أحدهما فظفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنها كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا تحدث حدثاً، ولا تؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فنذهب صاحبه مغفور، وعلموه مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فنذهب صاحبه غير

القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى، وعرض عليه ما عنده.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٢٥/١ - ٤٢٧]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه. قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً - أو معتمراً - وكان سويد إذا سمع قومه - فيهم - الكامل لجلده وشعره ونسبه، وهو الذي يقول:

ألا ربّ من تدعو صديقاً ولو ترى
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً
وبالغيب ماثور على نُفُرة النحر
يسرّك باديهِ ونحمت أدمعِهِ
بجمة غشّ بُتري عَقَب الظُهر
تُبين لك العينان ما هو كاتم
من الغيل والبغضاء بالنظر الشُور
فَرشي بخير طالما قد برّيتني
وخير الموالى من برّيش ولا يبري

قال: فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه إلى الله والإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله ﷺ: قوما الذي معك؟ قال: جلة لقمان - يعني حكمة لقمان - فقال رسول الله ﷺ: «أعرضها علي»، فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور».

فلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام. فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج. فإن كان رجال من قومه يقولون: إننا نراه قتل وهو مسلم. وكان قتله قبل بعث.

وقد رواه البيهقي [في الدلائل: ٤١٩/٢] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق بأخسر من هذا.

٧٧- إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٢٧/١ - ٤٢٨]: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد: قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه قتيبة من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتصقون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» قال: قالوا: وما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل علي الكتاب.» ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن

قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً: أي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال: فانخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لخير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك.

قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون بهليل الله ويكره ويجمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع

فمالوا إلى يهود فأخرجوا سراً لم فوضوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ النبي الأمي العربي يركب الحمار ويجتري بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالجعد ولا بالسبط، في عينه حمرة مشرق اللون. فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإننا نحسده ولا تبعه، ولنا منه في مواطن بلاه عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا عن يتيه.

فقال مسيرة: يا قوم ألا إن هذا الأمر بين، فقال القوم: نرجع إلى الموسم فنلقاه فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً وحج حجة الوداع لقاء مسيرة فعرفه. فقال: يا رسول الله والله ما زلت حريصاً على اتباعك من يوم أخت بنا حتى كان ما كان وأبى إلا ماترى من تأخر إسلامي، وقد مات عامة الغر الذين كانوا معي فإين مدخلهم يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: «كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار» فقال: الحمد لله الذي أنقطني. فأسلم وحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر مكان.

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي عنه أخرجه أبو بصير في الدلائل: ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، وابن سعد في الطبقات: ٢١٦/١ قصص القبائل واحدة واحدة، فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عيس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكتب وبني الحارث بن كعب وبني غزرة وقيس بن الخطيم وغيرهم. وسياق أخبارها مطولة وقد ذكرنا من ذلك طرفاً صالحاً ولله الحمد والمئة.

وقال الإمام أحمد [٣٩٠/٣]: حدثنا أسود بن عامر أخبرنا إسرائيل عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله. قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالوقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟» فأتاه رجل من همدان فقال: ممن أنت؟ قال الرجل: من همدان. قال: «فهل عند قومك من منعة؟» قال: نعم! ثم إن الرجل خشى أن يحقره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال: أتيتهم فأخبرهم ثم أتيت من عام قاتل! قال: «نعم!» فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. وقد رواه أهل السنن الأربعة [٤٧٣٤]، ت (٢٩٢٥)، م (٧٧٢٧)، ج (٢٠١) من طرق عن إسرائيل به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

٧٦- وفود الأنصار وبيعتهم

ثم بعد ذلك تحول إليهم رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة. حديث سويد بن صامت الأنصاري وهو سويد بن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وأمه ليلي بنت عمرو التجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم. فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ.

قال محمد بن إسحاق بن يسار [سورة ابن هشام: ٤٢٥/١]: وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو

لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «من أنتم؟» قالوا: نضر من الخزرج قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم! قال: «أفلا تجلسون أكلهمكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أولئان، وكانوا قد غزوههم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه تبعه، يقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقكم إليه، فاجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرا ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فستقدم عليهم فنُدعوههم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا.

قال ابن إسحاق رِسْوة ابن هشام: ٤٢٩/١، ٤٣٠: وهم فيما ذكر في ستة نفر كلهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارَةَ بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار.

قال أبو نعيم في الدلائل: ٢٢٦: وقد قيل: إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج. ومن الأوس أبو الهيثم بن النيثان. وقيل: إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفرَاء والله أعلم.

وعرف بن الحارث بن رفاعَةَ بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار - وهو ابن عفرَاء - النجاريان، ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن زريق الزرقية وقطبة بن عامر بن حليمة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سادة بن تزييد بن جشم بن الخزرج السلمي ثم من بني سواد، وعقبة بن عامر بن ناهي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم السلمي أيضاً ثم من بني حرام، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن علي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي أيضاً، ثم من بني عبيد رضي الله عنهم.

وهكذا روي عن الشعبي والزهري وغيرهما أنهم كانوا ليلتد ستة نفر من الخزرج (الدلائل لأي نهم: ٢٢٦).

وذكر موسى بن عقبة (مخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٣٠/٢) فيما رواه عن الزهري وهروة بن الزبير أن أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم: معاذ بن عفرَاء، وأسعد بن زرارَةَ، ورافع بن مالك، ودُكوان - وهو ابن عبد قيس - وعبيدة بن الصامت، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن النيثان، وعويم بن ساعدة. فأسلموا وواعدهو إلى قبايل. فرجعوا إلى قومهم فدعوههم إلى الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفرَاء ورافع بن مالك أن ابعت إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فترز على أسعد بن زرارَةَ.

وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن إسحاق أتم من سياق موسى بن عقبة والله أعلم.

قال ابن إسحاق رِسْوة ابن هشام: ٤٣١/١ - ٤٣٣: فلما قدموا المدينة إلى

من رسول الله ﷺ ما سمع.

قلت: كان يوم بعث - وبعث موضع بالمدينة - كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشرف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يسق من شيوعهم إلا القليل.

وقد روى البخاري في «صحيحه» [٣٧٧٧] عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة. قالت: كان يوم بعث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملوهم وقتلت سراتهم.

٧٨- إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفرَاء

وقال أبو زرعة الرازي في كتابه «دلائل النبوة»: باب إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفرَاء، حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد ابن هاشم الشجري، حدثنا أبي، عن أبي إسحاق، حدثني عبيد بن يحيى، عن معاذ بن رفاعَةَ بن رافع، عن أبيه، عن جده أنه خرج هو وابن خاتمه معاذ بن عفرَاء حتى قدما مكة، فلما هبطا من الشَّيْء رأيا رجلاً تحت شجرة. قال: وهذا قبل خروج السنة من الأنصار. قال: فلما رأياه كلمناه، قلنا: نأتي هذا الرجل نستودعه راحلتنا حتى نطوف بالبيت. فجلسنا فسلمنا عليه تسليم أهل الجاهلية، فرد علينا تسليم أهل الإسلام، وقد سمعت بالنبي. قال: فأنكرنا، قلنا: من أنت؟ قال: «أنزلوا». فترزنا قلنا: أين هذا الرجل الذي يأتي ما يدعي، ويقول ما يقول؟ قال: «أنا هو». قلنا: فاعرض علينا الإسلام. فعرض وقال: «من خلق السموات والأرض والجبال؟ قلنا: خلقهن الله. قال: «من خلقكم؟ قلنا: الله. قال: «فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون؟ قلنا: نحن. قال: «الخالق أحق بالعبادة أو المخلوق؟ قلنا: «الخالق». قال: «فأنتم أحق أن تعبدكم، وأنتم عملتموها، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموها، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادته أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وصلة الرحم، وترك العبدان، وإن غضب الناس». فقالا: والله لو كان هذا الذي تدعو إليه باطلاً، لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق، فأمسك راحلتنا حتى نأتي البيت. فجلس عنده معاذ بن عفرَاء. قال رافع: وبحثت البيت فطفت وأخرجت سبعة قدام، وجعلت له منها قداحاً فاستقبلت البيت فقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقاً فأخرج قدحه. سبع مرات، فضربت بها سبع مرات فصاحت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فاجتمع الناس علي، وقالوا: مجنون، رجل صبا. فقلت: بل رجل مؤمن. ثم جئت إلى النبي ﷺ بأعلى مكة، فلما رأيته معاذ بن عفرَاء قال: لقد جئت بوجه ما ذهبت به، رافع. فبحثت وأمنت، وعلمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف و«أقرأ باسم ربك الذي خلق»، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فلما كنا بالعقيق قال معاذ: إني لم أطرق ليلاً قط، فبت بنا حتى نصبح. فقلت: أبيت ومعى ما معي من الخير! ما كنت لأفعل. وكان رافع إذا خرج سفيراً ثم قدم عرض قومه. إسناده حسن وسياقه حسن.

٧٩- بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق رِسْوة ابن هشام: ٤٢٩، ٤٢٨/١: فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه. وإيجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي

وغيرهما [ت: (١٤٣٩)، س (٤١٨٩)] من طرق عن الزهري به نحوه.
وقوله: على بيعة النساء - يعني: على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية - وكان هذا بما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة. وليس هذا بعجيب فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما موطن كما بيناه في «سيرته» وفي «التفسير»، وإن كانت هذه البيعة وقعت عن وحي غير متلو فهو أظهر والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٤/١]: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرتهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين.

وقد روى البيهقي [في الدلائل: ٤٣٧/٢] عن ابن إسحاق قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعث إليهم، وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدم، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى.

قال البيهقي [في الدلائل: ٤٣٧/٢]: وسياق ابن إسحاق أتم.
وقال ابن إسحاق: فكان عبد الله بن أبي بكر يقول: لا أدري ما العقبة الأولى.

ثم يقول ابن إسحاق: بلى لعمري قد كانت عقبة وعقبة.
قالوا كلهم [ابن هشام في السيرة: ٤٣٤/١] وبيهقي [في الدلائل: ٤٣٧/٢]: فنزل مصعب على أسعد بن زرارة فكان يسمى بالبيعة المقرئ.
قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٤/١، ٤٣٥]: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤتم بعض رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٥/١]: وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكتكت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة. قال: فكمت حيناً على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له. قال: فقلت في نفسي: والله إن هذا بي لمجز، ألا أسأله. فقلت: يا أبت ما لك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال: أي بني كان أول من جمع بنا بالبيعة في هزم البيت من حرة بني يثاعة في تقع يقال له: تقع الخضعات قال: قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلاً.

وقد روى هذا الحديث أبو داود [(١٠٦٩)] وابن ماجه [(١٠٨٢)] من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله.

وقد روى النراقطي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة [ذكره السهيلي في الروض الأنف: ١٠/٤، ١٠٢].

وفي إسناده غرابة والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٥/١، ٤٣٦]: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له: بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال عن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومهما، فلما سمعا به

قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعواهم إلى الإسلام حتى نشأ فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة المتقدم ذكره، وعوف بن الحارث المتقدم، وأخوه معاذ وهما ابنا عفرأ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً. وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقى.

قال ابن هشام: وهو أنصاري مهاجري وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم البلوي، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني، وعقبة بن عامر بن نابتة المتقدم ذكره، وقطبة بن عامر بن حليدة المتقدم، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الأوس اثنان وهما: عويم بن ساعدة وأبو الهيثم مالك بن النهران.

قال ابن هشام: النهران يخفف ويتقل كميت وميت.

قال السهيلي [الروض الأنف: ٩٤/٤، ٩٥]: أبو الهيثم بن النهران اسمه مالك بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زُغور بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

قال [في الروض الأنف: ٩٥/٤، ٩٦]: وقيل: إنه إراشي وقيل: بلوي.

ولهذا لم ينسب ابن إسحاق ولا ابن هشام.

قال [في الروض الأنف: ٩٦/٤]: والهيثم فرخ العقاب، وضرب من الثبات. والمقصود أن هؤلاء الاثني عشر رجلاً شهروا الموسم عامئذ، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ فلقوه بالعقبة فبايعوه عندها بيعة النساء وهي العقبة الأولى.

وروى أبو نعيم [في الدلائل: ٢٢٦] أن رسول الله ﷺ قرأ عليهم من قوله تعالى في سورة [إبراهيم]: ﴿وَرِثَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إلى آخرها.

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٣/١]: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً. فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وقيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وقد روى البخاري [(٣٨٩٣)] ومسلم [(١٧٠٩)] هذا الحديث من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب به نحوه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٤/١]: وذكر ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخولاني أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى: أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، فإن وقيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحمد في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وهذا الحديث مخرج في «الصحیحین» [ج (١٨)، م (١٧٠٩)]

سلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة، ووائل، وواقف، وتلك أوس وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صيفي.

وقال الزبير بن بكار: اسمه الحارث، وقيل: عبيد الله واسم أبيه الأسلت: عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس.

وكذا نسب ابن الكلبي أيضاً.

وكان شاعراً لم يقل شيئاً يستمعون منه ويطيعونه، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق.

قلت: وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكره ابن إسحاق أشعاراً رباعية حسنة تقرب من أشعار أمية بن أبي الصلت التقي.

قال ابن إسحاق فيما تقدم (سيرة ابن هشام: ٢٨٢/١): ولما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ - حين ذكر، وقبل أن يذكر - من هذا الحي من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أجاب يهود. فلما وقع أمره بالمدينة وتحذروا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف.

٨٠- إسلام أبي قيس بن الأسلت

قال السهيلي (في الروض الأنف: ٣٨٨/٤): هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار، قال: وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّامِرُ الرَّقْتُ إِلَى يَسَائِكُمْ﴾ الآية.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٨٣/١ - ٢٨٦): وكان يحب قريشاً، وكان لهم صهرًا. كانت تحته أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بآمرته.

قال قصيدة يعظم فيها الحرمه وينهى قريشاً فيها عن الحرب ويذكر فضلهم وأحلامهم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم القيل ويكده ويأمرهم بالكف عن رسول الله ﷺ:

أيأ ركباً إما عرضت فبلغن مغنلةً عني لؤي بن غالب
رسول امرئ قد راعه ذات ينيكم على النأي عزوزن ببلدك ناصب

وقد كان عندي للهوم معرس ولم اقتض منها حاجتي ومأربي
نيكم شرجين كل قبيلة لها أزم من بين منكم وحاطب
اعيزكم بالله من شر صنكم وشر تبأغيكم ودم المقارب
وأظهار أخلاق ونجوى سقيمة كوخز الأثافي وقمها حق صائب
فذكرهم بالله أول وملكة وإحلال إحرام الظباء الشواذب
وقل لهم والله يحكم حكمه فروا الحرب تلعب عتكم في المراحب
منى تبثوها تبثوها نفيمة هي الغول للأصين أو للأقارب
تقطع أرحاماً وتهلك أمة وتبري السيف من سنام وغارب
وتبذلوا بالأحمية بعدعها شليلاً وأصداء قباب المحارب

قال سعد لأسيد: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليستفهما ضعافنا فازجرهما، وانهما أن أتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كثيتك ذلك، هو ابن خالي ولا أجده عليه مقدماً.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حرته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومهم وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلهم. قال: فوقف عليهما منتصباً فقال: ما جاء بكما إلينا تستفهما ضعافنا؟ اعترلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة.

وقال موسى بن عقبة: فقال له: علام أتيتنا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعافنا بالباطل ويدعوهم إليه؟

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٣٦/١، ٤٣٧): فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رغبيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره. قال: أنصفت، قال: ثم ركز حرته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشرافه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالأ له: تقتسل فطهر وتطهر توبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن. سعد بن معاذ.

ثم أخذ حرته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديههم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً. قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً. وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.

وقد حدث أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقبلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالك ليخفروك، قال: فقام سعد بن معاذ منتصباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحرية في يده ثم قال: والله ما أراك أغيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فلما رأهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما منتصباً ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أفشأنا في دارنا بما تكره؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان.

قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رغبيت أمراً رغبيت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحرية وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن.

وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول «الزخرف».

قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشرافه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالأ: تقتسل فطهر وتطهر توبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حرته فاقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير.

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: خلّف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهما قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأمتنا نقيية، قال: فإن كلام رجالكم ونساءكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو

بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج - وهو الذي يقال له: ابن قحس - في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه فوكت الحرب بين الأوس والخزرج فقاتلوا قتالاً شديداً، وكان الظفر للخزرج، وقتل يومئذ الأسود بن الصامت الأوسي، قتله المنذر بن ضياد حليف بني عوف بن الخزرج، ثم كانت بينهم حروب يطول ذكرها أيضاً.

والقصد أن أبا قيس بن الأسلت مع علمه وفهمه لم يتنع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام، فأسلم من أهلها بشر كثير ولم يبق دار - أي حلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلمون ومسلمات غير دار بني واقف قبيلة أبي قيس يطمعن عن الإسلام وهو القاتل أيضاً:

أرب الناس أشياء ألت يلف الصعب منها بالفلول
أرب الناس إما إن ضللتنا فيرنا لمصروف السيل
فلولا ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بلذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقتنا إذ خلقتنا حنيفاً ديننا عن كل جيل
نسرق الهدي ترسف مذعنات مكشقة المناكب في الجللول

وحاصل ما يقول أنه حائر فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ ترقف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته وكان الذي يطمع عن الإسلام أولاً عبد الله بن أبي بن سلول بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر به يهود فتمتعه عن الإسلام

قال ابن إسحاق: ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخزج. وذكره ابن الأثير في أسد الغابة: ٤٠/٣.

وأنكر الزبير بن بكار أن يكون أبو قيس أسلم (انظر أسد الغابة: ٤٠/٣)،

وكذا الواقدي، قال: كان عزم على الإسلام أول ما دعاه رسول الله ﷺ، فلامه عبد الله بن أبي حفلفن لا يسلم إلى حول فمات في ذي القعدة (طقات ابن سعد: ٣٨٥/٤).

وقد ذكر غيره فيما حكاه ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» ٢٥٧/٦ أنه لما حضره الموت دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فسمع يقول: لا إله إلا الله.

وقال الإمام أحمد (١٥٤/٣): حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: يا خال قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ قال: «بل خال» قال: فخبرني أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم!» فردد به أحمد رحمه الله.

وذكر عكرمة وغيره أنه لما توفي أراد ابنه أن يتزوج امرأته كيسة بنت معن بن عاصم، فسألت رسول الله ﷺ في ذلك فأذن الله ﷻ «ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف» (النساء: ٢٢) (انظر مسود الطبري: ٣١٨/٤).

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٠/١): وسعيد بن يحيى الأموي في «مغازيه»: كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية وليس للمسرح، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة، وتطهر من الخافض من النساء وهم بالنصرانية ثم أسلك عنها ودخل بيتاً له فالتحفه مسجداً لا يدخل عليه فيه حافض ولا جنب. وقال: أعبد إله إبراهيم حين فارق الأوثان وكرههما، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم فحسن إسلامه، وهو شيخ كبير وكان قوالاً بالحق معظماً لله في جاهليته يقول في ذلك أشعاراً حسناً وهو الذي يقول:

وبالمسك والكافور غيراً سوابغاً كالأقترينها حيون الجناب
فليباكم والحرب لا تملقنكم وحوضاً وغيم الماء مر المشارب
تريمن للأقوام ثم يرونها بعاقبة إذ يئست أم صاحب
تحرق لا تشوي ضعيفاً وتتحي ذوي العز منكم بالتحرف الصواب
لم تعلموا ما كان في حرب داحس فتعبروا لو كان في حرب حاطب
وكم قد أصابت من شريف مسود طويل العمد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد أمره وفي شيمة محض كريم المضارب
وماء هريق في الضلال كانها أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم بأيامها والعلم علم التجارب
فيهموا الحراب ملمحارب واذكروا حسابكم والله خير محاسب
ولي أسرى فاختار ديناً فلا يكن عليكم رقيب غير رب التواب
أقيموا لنا ديناً حنيفاً فاتم لنا غاية قد يهندي بالذواب
وأتم لنا الناس نور وعصمة تؤمون والأحلام غير عواذب
وأتم إذا ما حُصل الناس جوهر لكم سر البطحاء ثم الأرائب
تصونون أجناداً كراماً متيقية مهذبة الأنساب غير أشائب
تري طالب الحاجات نحو بيوتكم عصاب هلكى تهندي بعصاب
لقد علم الأقوام أن سرائكم على كل حال خير أهل الجباب
وأفضله رايأ وإعلاء سنة وأقوله للحق وسط المراكب
قوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الأخائب
فندكم منه بلاد ومصدق غداة أبي يكوم هادي الكتائب
كيتيه بالسهل تمسي وزجلته على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاص
فولوا سراعاً هارين ولم يوب إلى أهله ولمجيش غير عصاب
فإن تهلكوا تهلك وتهلك مواسم يعاش بها قول اسرئ غير كاذب
وحرب داحس الذي ذكرها أبو قيس في شعره كانت في زمن الجاهلية مشهورة، وكان سببها فيما ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره: أن فرساً يقال له: داحس كانت لقيس بن زهير بن جليظة بن رواحة الغطفاني. أجراه مع فرس لحيفة بن بدر بن عمرو بن جوة الغطفاني أيضاً يقال لها: الغبراء، فجاءت داحس سابقاً فأمر لحيفة من ضرب وجهه فوثب مالك بن زهير فظلم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فظلم مالكاً، ثم إن أبا جندب العنسي لقي عوف بن لحيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله، فشبث الحرب بين بني عبس وفزارة فقتل لحيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعات آخرون، وقالوا في ذلك أشعاراً كثيرة يطول بسطها وذكرها.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام: ٢٨٧/١) ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء وأرسل لحيفة الخطار والحنفاء، والأول أصح.

قال: وأما حرب حاطب فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. كان قتل يهودياً جباراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أهر بن حولة بن ثعلبة بن كعب بن مالك

فقلنا: والله ما بلنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه. فقال: إني لمصل إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلياً إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك فلما قلنا مكة قال لي: يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فإنه قد وقع في نفسي منه شيء، لما رايت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ - وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، فقال: هل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم! وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال: فدخلنا المسجد وإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه.

فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن معمر سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر؟» قال: نعم! فقال له البراء بن معمر: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا قد هداني الله تعالى للإسلام، فرايت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فضليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فمأذا ترى يا رسول الله؟ قال: «قد كنت على قبلة لو صبرت عليها» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم.

قال كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحج وواعظنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا أخذناه وكنا نكتم من معنا من قوما من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً، ثم دعوانا إلى الإسلام وأخبرناه بمعجدها رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً.

وقد روى البخاري [(٣٨٩١)]: حدثني إبراهيم حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال عطاء: قال جابر: أنا وأبي وخالي من أصحاب العقبة. قال عبد الله بن محمد: قال ابن عينة: أحدهما البراء بن معمر.

حدثنا علي بن المديني حدثنا سفيان قال: كان عمرو يقول: سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهد بي خلاي العقبة. (ع) [(٣٨٩٠)]

وقال الإمام أحمد [(٣٢٢/٣، ٣٢٣)]: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر. قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشرة سنين يتبع الناس في منازلهم، بعكاظ وبجدة، وفي الموسم بمنى يقول: «من يؤمني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة» حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال فيه - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتكك، ويغضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى يبعثنا الله إليه من يرب قلوبنا وصدقاته، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويرقره القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم اتشربوا جميعاً فقلنا: حتى متى تترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل

يقول أبو قيس وأصبح غادياً ألا ما استطعتم من وصاتي فاضلوا فأوصيكم بالله والبر والتقوى وأعرضكم والبر بالله أول وإن قومكم سادوا فلا تحذوهم وإن كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فأنقذك من العشرة فاجعلوا وإن ناب غرم فادع فارفقوهم وما حملوكم في الملمات فاحلوا وإن أنتم أمعرتم فتعففوا وإن كان فضل الخير فيكم فائضلوا وقال أبو قيس أيضاً:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسك وكل هلال
عالم السر واليان جميعاً ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتلوي في وكور من آفات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراه في حفاف وفي ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت كل دين غافة من عضال
وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لربهم واحتفال
وله الراهب الحيس تراه رهن بؤس وكان ناعم بال
يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واقنوا الله في ضعف اليتامى وما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم ولياً علماً يهتدي بشير سؤال
ثم مال اليتيم لا تاكلوه إن مال اليتيم يرعاه والي
يا بني التخوم لا تجزلوها إن جزل التخوم ذو عقاب
يا بني الأيمان لا تأنوها واحذروا مكرها ومر الليالي
واعلموا أن مؤمها لنفاد الخلق ما كان من جديد ويالي
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا واختل الحلال

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٨/١ - ٤٤١]: وقال أبو قيس صرمة أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام، وما خصهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم: ثوى في قريش بضع عشرة حجةً يذكر لو يلقى صديقاً ثوثيا وسيتأي ذكرها بشماها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة.

٨١- قصة بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٨/١ - ٤٤١]: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم من كرامته والنصر لنيته وإعزاز الإسلام وأهله. فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أهل الأنصار - حدثه أن أباه كعباً حدثه - وكان ممن شهد العقبة ويابع رسول الله ﷺ بها - قال: خرجنا في حجاج قوما من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معمر وسيلنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء: يا هؤلاء إني قد رايت رايأ والله ما أدري أثوافقوني عليه أم لا؟ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: قد رايت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها قال:

وجابر بن عبد الله.

وقول محمد بن إسحاق أنهم خمسة وسبعون أثبت. والله أعلم.

قال كعب بن مالك: فاجتمعنا في الشعب ننظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا معه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجهما وأوسها - إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعنا من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزة من قومه، ومنعنا في بلد، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه وما منوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزة ومنعنا من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فنكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فنكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني عما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم».

قال: فآخذ البراء بن معرور يده ثم قال: نعم! فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك عما تمنع منه أئزنا فبايعنا يا رسول الله فتحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثاها كباراً عن كابر. قال: فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإننا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فقسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدّم الذم، والهدم الهدم. أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتهم وأسلم من سلمهم» قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقياً يكونون على قومهم بما فيهم» فأخرجوا منهم اثني عشر نقياً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. [سيرة ابن هشام: ٤٤١/١].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٣/١ - ٤٤٤]: وهم أبو أمامة أسعد بن زورارة - المتقدم - وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، ورافع بن مالك بن العجلان - المتقدم - والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن حبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وعبادة بن الصامت - المتقدم - وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن خزيمه بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، والمثد بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

فهؤلاء تسعة من الخزرج ومن الأوس ثلاثة وهم: أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، ورافعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن

إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعلناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندهما من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله علام نبأيعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في الشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم وعلى أن تصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة».

فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زورارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي [الدلائل: ٤٤٢/٢، ٤٤٣]: وهو أصغر السبعين إلا أنا - فقال: رويداً يا أهل يثرب فإننا لنضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً.

قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة. وقد رواه الإمام أحمد أيضاً [٣٢٢/٣] والبيهقي [في الدلائل: ٤٤٣/٢، ٤٤٤] من طريق داود بن عبد الرحمن العطار، زاد البيهقي [في الدلائل: ٤٤٣/٢ - ٤٤٤] عن الحاكم بسنده إلى يحيى بن سليم كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير به نحوه.

وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجه. وقال البراز [كشف الاستار: ٣٠٨/١]: ورواه غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروي عن جابر إلا من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٩٦/٣]: حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر. قال: كان العباس آخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسوله الله يوافقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ: «أخذت وأعطيت».

وقال البراز [كشف الاستار: ٣٠٧/٢]: حدثنا محمد بن معمر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - وداود - هو ابن أبي هند - عن الشعبي عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال قال رسول الله ﷺ للقباء من الأنصار: «توؤوني وتعتوني؟» قالوا: نعم قالوا: فما لنا؟ قال: «الجنة».

ثم قال: لا نعلمه يروي إلا بهذا الإسناد عن جابر. ثم قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤١/١ - ٤٤٣] عن معبد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك. قال: قمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا ليعاد رسول الله ﷺ تسلسل تسلسل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومنا امرأتان من نسائنا نسيت بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نايي إحدى نساء بني سلمة وهي أم متيع.

وقد صرح ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٥/٢] في رواية يونس بن بكير عنه بأسمائهم وأنبأهم.

قلت: وما ورد في بعض الأحاديث أنهم كانوا سبعين، فالعرب كثيراً ما تحذف الكسر.

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة [عنهما باسنادين أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٥٣/٢، ٤٥٤]: كانوا سبعين رجلاً وامرأة واحدة، قال: منهم أربعون من ذوي أستانهم، وثلاثون من شباهم قال: وأصغرهم أبو مسعود

مالك بن الأوس.

قال ابن هشام (في السيرة: ٤٤٥): وأهل العلم يعلنون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاة هذا.

وهو كذلك في رواية يونس عن ابن إسحاق (عنه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٤٨/٢).

واختره السهيلي (في الروض الأنف: ٩٤/٤، ٩٥) وابن الأثير في «الغابة: ٢٣٢/٦».

ثم استشهد ابن هشام (في السيرة: ٤٤٥/١) على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك في ذكر النقباء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال:

فأبلغ أياً أنه نفال رأيته وحنان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما متك نفسك إنه بمرصداً أمر الناس راء وسامع

وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا بأحد نور من هدى الله ساطع
فلا تعربن في حشد أمر تريده والرب وجمع كل ما أنت جامع

ودونك فاعلم أن تقض عهدنا أباه عليك الرهط حين تابعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما وأسعد بأباه عليك ورائع

وسعد أباه الساعدي ومنذر لأنك إن حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولت عهده بمسلمه لا يطعمن ثم طامع

وأيضاً فلا يعطيكه ابن ربيعة وإنخفاره من دونه السم نافع
وفاء به والقولقي بن صامت بمنلوحة عما تحاول يافع

أبو هيثم أيضاً وفي مثلها وفاء بما أعطى من المهد خانع
وما ابن حضير إن أردت بمطمع فهل أنت عن أمومة الغني نازع

وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ضرور لما حاولت ملأمر مانع
أولاك غموم لا يقبك منهم عليك بنحس في دجى الليل طالع

قال ابن هشام (في السيرة: ٤٤٥/١): فذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاة.

قلت: وذكر سعد بن معاذ وليس من النقباء بالكلية في هذه الليلة. وروى يعقوب بن سفيان (عنه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٥٣/٢) عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك. قال: كان الأنصار ليلة العقبة سبعون رجلاً، وكان قبائهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وحديثي شيخ من الأنصار أن جبريل كان يشير إلى رسول الله ﷺ إلى من يجعله نقيباً ليلة العقبة وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة.

رواه البيهقي.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٤٦/١): فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: «انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الخواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي» قالوا: نعم!

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم! قال:

إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن فهو والله -

إن فعلتم - خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإننا نأخذ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: «الجنة» قالوا: أبسط يدك فبسط يده فبايعوه.

قال عاصم بن عمر بن قتادة: وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في اعتناقهم.

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم، فإله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٤٧/١): فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زاررة كان أول من ضرب على يده. ويؤيد عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التيهان.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٧/١): وحدثني معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب بن مالك قال: فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معمر، ثم بايع القوم.

وقال ابن الأثير في «أسد الغابة» (١٤/٥): ويؤيد سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلتد كعب بن مالك.

وقد ثبت في «صحيح» البخاري (٣٨٨٩) ومسلم (٢٧١٩) من حديث الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه عن كعب بن مالك في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك. قال: ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بذر، وإن كانت بذر أذكر في الناس منها.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٤٥٠/٢، ٤٥١): أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي. قال: انطلق رسول الله ﷺ مع العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال:

«ليتكم متكلمكم ولا يظل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحكم».

فقال قائلهم - وهو أبو أمامة -: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت. ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك.

قال: «أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لأنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتصوروا وتمنعوا عما تمنعون منه أنفسكم». قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «لكم الجنة» قالوا: فلك ذلك.

ثم رواه حنبل (من طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٥١/٢) عن الإمام أحمد بن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبي عن أبي مسعود الأنصاري فذكره قال: وكان أبو مسعود أصغرهم.

وقال أحمد (في السند: ١٢٠/٤) عن يحيى عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: فما سمع الشيب والشبان خطبة مثلها. وقال البيهقي (في الدلائل: ٤٥١/٢، ٤٥٢): أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن حمش أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي أخبرنا عمرو بن عثمان الرقي حدثنا زهير حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاة عن أبيه قال: قلت رواية خبر، فأنما عباد بن الصامت فخرها وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على

من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعثاء حلو من الرجال، فقلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا.

فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكمة شديدة فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إني لفي أيديهم يسحبوني إذ أوى لي رجل من معهم. فقال: ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره وأمتهم من أراد ظلمهم بيلادي. وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فقال: ويحك فاهتف باسم الرجلين واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدتهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ليهتف بكما.

قالا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قالوا: صدق والله إن كان لجبير لنا تجارنا ونعمتهم أن يظلموا بيلده، قال: فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم، فانطلق وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو. قال ابن هشام في السيرة: ٤٥٠/١. وكان الذي أوى له أبو البخري بن هشام.

وروى البيهقي في الدلائل: ٤٢٨/٢، ٤٢٩ بسنده عن عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه قال: سمعت قريش قاتلاً يقول في الليل على أبي قيس:

فإن يُسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يمتشى خلاف المخالف فلما أصبحوا قال أبو سفيان: من السعدان؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم؟ فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قاتلاً يقول:

يا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين النصارف

اجيبا إلى داعي الهدى وتميها على اللؤي الفردوس ثنية عارف فإن شواب الله للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رصارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

٨٢ - قصة عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٢/١]: فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها. وفي قومهم بقايا من شيوخهم على دينهم من الشرك منهم: عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وكان ابنه معاذ بن عمرو ممن شهد العقبة، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة وأشرافهم، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له: مائة كما كانت الأشراف يصنعون يتخذونها إلهاً يعظمه ويظهره.

فلما أسلم قتيان بني سلمة، ابنه معاذ، ومعاذ بن جبل كانوا يلدجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويحكم من عدا على إلهنا هذه الليلة؟ ثم يغفو يلتصق حتى إذا وجدته غسله وطيبه وطهره ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيت.

فإذا أمسى ونام عمرو عثوا عليه ففعلوا مثل ذلك، فيغفو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيفسله ويطيبه ويطهره، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجوه من حيث ألقوه يوماً ففسله وطهره ويطيبه.

السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر والبسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن تنصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب بما تمنع به أنفسنا وأزواجنا وإبناؤنا ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها. وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه.

وقد روى يونس عن ابن إسحاق: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت. قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وإن لا تنازع الأمر أهله، وأن تقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. [الدلائل البيهقي: ٤٥٢/٢]

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٧/١، ٤٤٨]: في حديثه عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن كعب بن مالك. قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأفد صوت سمعته قط؟ يا أهل الجبابج: - والجبابج المنازل - هل لكم في منكم والصبا معه قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله ﷺ: هذا أرب العقبة، هذا ابن أُرَيْب.

قال ابن هشام: ويقال: ابن أُرَيْب. «أسمع أي عدو الله؟ أما والله لا تفرغ لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «أرفضوا إلى رحاكم». قال: فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله والذي بعثك بالحق إن شئت لتميلن على أهل منى غداً بأسافنا قال: فقال رسول الله ﷺ: فلم نؤمر بذلك ولكن أرجعوا إلى رحاكم». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فمتنا فيها حتى أصبحنا.

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاوزوا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا. وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا من أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فتابعت من هناك من مشركي قومتنا يملفون: ما كان من هذا شيء وما علمناه، قال: وصدقوا لم يعلموا، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض.

قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديان، قال: فقلت له كلمة - كأي أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا - يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتي من قريش؟ قال: فسمعتها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إلي. قال: والله لنتمتلئهما، قال: يقول أبو جابر: مه أحفظت والله الفتي فأردت إليه نعليه. قال: قلت: والله لا أردعهما، قال والله صالح، لئن صدق الغال لأسلبته.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٨/١ - ٤٥٠]: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا مثل ما ذكر كعب من القول فقال لهم: إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليغرقوا على مثل هذا وما علمته كان. قال: فانصرفوا عنه. قال: وتفر الناس من منى فتنتس القوم الخبر فوجدوه قد كان، فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والتذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقياً.

لما المنز فاعجز القوم، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويحبسونه بمجثم - وكان ذا شعر كثير - قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر

أحد النقباء، وذكر أن بن عبد قيس بن خلعة بن غنم بن عامر بن زريق، وهو الذي يقال له: مهاجري أنصاري لأنه أقام عند رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بلدي قتل يوم أحد.

وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بلدي، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بلدي أيضاً، والبراء بن معمر بن عبد النقباء وأول من يبيع فيما تزعم بنو سلمة وقد مات قبل مقدم النبي ﷺ المدينة وأوصى له بثلاث ماله فرده رسول الله ﷺ على ورثته، وابنه بشر بن البراء وقد شهد بدرًا وأحداً والخندق ومات بخير شهيلاً من أكله مع رسول الله ﷺ من تلك الشاة المسمومة رضي الله عنه.

وسنان بن صفي بن صخر بلدي، والطفيل بن التعمان بن خنساء بلدي، قتل يوم الخندق، ومعتل بن المنذر بن سرح بلدي، وأخوه يزيد بن المنذر بلدي ومسعود بن زيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بلدي، ويزيد بن خنم بن سبيع، وجابر بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد بلدي، والطفيل بن مالك بن خنساء بلدي، وكعب بن مالك، وسليم بن عمرو بن حذيفة بلدي وطفلة بن عامر بن حذيفة بلدي، وأخوه أبو المنذر يزيد بلدي أيضاً، وأبو اليسر كعب بن عمرو بلدي، وصفي بن سواد بن عباد، وطفلة بن غنم بن عدي بن ناي بلدي واستشهد بالخندق، وأخوه عمرو بن غنم بن عدي، وعيسى بن عامر بن عدي بلدي، وخالد بن عمرو بن عدي بن ناي، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة.

وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بلدي واستشهد يوم أحد وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بلدي وثابت بن الجذع بلدي وقتل شهيداً بالطائف، وعمر بن الحارث بن ثعلبة بلدي، وخديج بن سلامة حليف لهم من بني، ومعاذ بن جبل شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت أحد النقباء شهد بدرًا وما بعدها.

والعباس بن عباد بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها فكان يقال له: مهاجري أنصاري أيضاً وقتل يوم أحد شهيداً، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أسرم حليف لهم من بني، وعمرو بن الحارث بن لبدة، ورفاعة بن عمرو بن زيد بلدي، وعقبة بن وهب بن كلفة حليف لهم بلدي وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له: مهاجري أنصاري أيضاً، وسعد بن عباد بن دليم أحد النقباء، والمنذر بن عمرو ثقيف بلدي أحدي وقتل يوم بئر معونة أميراً وهو الذي يقال له: اعتق ليموت.

وأما المرتان: فأم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبلول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار المازنية النجارية.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٨/١]: وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب، وابناها حبيب وعبد الله، وابنها حبيب هذا هو الذي قتل مسيلمة الكذاب حين جعل يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: لا أسمع فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يديه لا يزيد على ذلك، فكانت أم عمارة ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً من بين طعنة وضربة رضي الله عنها وأرضاها.

والأخرى أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي بن ناي بن عمرو بن

ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فاستنح، فهنا السيف معك.

فلما أمسى ونام عمرو عثوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً ففروقه به فجعل ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذو من عذو الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن إسلامه.

فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة: والله لو كنت لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن أف للفساك إلهاً مستند إلا أن قشتاك عن سوء النسن الحمد لله العلي ذي النسن الواهب الرزاق ديان النسن هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتهم

٨٣- فصل يتضمن أسماء من

شهد بيعة العقبة الثانية

وجعلتهم على ما ذكره ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٨/١ - ٤٩٧] ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فمن الأوس أحد عشر رجلاً؛ أسيد بن حضير أحد النقباء، وأبو الهيثم بن النبهان بلدي أيضاً، وسلمة بن سلامة بن وقش بلدي أيضاً، وظهير بن رافع، وأبو بردة بن نيار بلدي، ونهير بن الهيثم بن ناي بن مجدة بن حارثة، وسعد بن خيثمة أحد النقباء بلدي وقتل بها شهيداً ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير ثقيف بلدي، وعبد الله بن جبير بن التعمان بن أمية بن البرك بلدي، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً على الرماة، ومعن بن عدي بن الجند بن حجلان بن الحارث بن ضبيعة البلوي حليف للأوس شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً، وعويم بن ساعدة شهد بدرًا وما بعدها.

ومن الخزرج اثنتان وستون رجلاً؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرًا وما بعدها ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً، ومعاذ بن الحارث وأخوه عوف ومعوذ وهم بنو عفره بلديون، وعمارة بن حزم شهد بدرًا وما بعدها وقتل باليمامة، وأسعد بن زرارة أبو أمامة أحد النقباء مات قبل بدر، وسهل بن عتيك بلدي، وأوس بن ثابت بن المنذر بلدي، وأبو طلحة زيد بن سهل بلدي، وقيس بن أبي معصية عمرو بن زيد بن عوف بن مبلول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر، وعمرو بن غزية، وسعد بن الربيع أحد النقباء شهد بدرًا وقتل يوم أحد.

وأخارجه بن زيد شهد بدرًا وقتل يوم أحد، وعبد الله بن ربيعة أحد النقباء شهد بدرًا وأحداً والخندق، وقتل يوم مؤتة أميراً، ويشير بن سعد بلدي، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الذي أرى النداء وهو بلدي، وخالد بن سويد بلدي أسدي خنذي وقتل يوم بني قريظة شهيداً طرحت عليه رعى فشدته فيقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر شهيدين».

وأبو مسعود عقبة بن عمرو البلوي - قال ابن إسحاق: وهو أحدث من شهد العقبة سناً ولم يشهد بدرًا - وزبيد بن ليث بلدي، وفروة بن عمرو بن ودقة بلدي، وخالد بن قيس بن مالك بلدي، ورافع بن مالك

سواد بن غنم بن كعب بن سلمة رضي الله عنه.

٨٤- بدء الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزهري عن عروة عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين: «قد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات غخل بين لابتین» فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين رواء البخاري (٢٢٩٧).

وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: «أريت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها غخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب».

وهذا الحديث قد أسنده البخاري في مواضع أخر بطوله (٣٦٢٢).

ورواه مسلم (٢٢٧٢) كلاهما عن أبي كريب.

زاد مسلم: وعبد الله بن براء كلاهما عن أبي أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ الحديث بطوله.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (في الدلائل: ٤٥٨/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السجستاني بمرو حدثنا إبراهيم بن هلال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق حدثنا عيسى بن عبيد الكندي عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي: أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك؛ المدينة أو البحرين، أو قسرين».

قال أهل العلم: ثم عزم له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها.

هنا حديث غريب جداً.

وقد رواه الترمذي في الثواب من «جامعه» (٣٩٢٣) منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير. قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي: أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك؛ المدينة، أو البحرين، أو قسرين». ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الفضل فترده به أبو عمار.

قلت: وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حبان في «الثقات» (٣١١/٧) إلا أنه قال: روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة والله أعلم.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٦٧/١، ٤٦٨): لما أذن الله تعالى في الحرب بقوله «وَأَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» [الحج: ٣٩ - ٤٠] الآية. فلما أذن الله في الحرب وياهم هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له، ولما أتبعه وأوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها وللحقوق بإخوانهم من الأنصار وقال: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها».

فخرجوا أرسالاً وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يآذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم، أبو

سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذته قريش مرجعه من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٦٩/١، ٤٧٠): فحدثني أبي عن سلمة عن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جده أم سلمة قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم جلسني عليه وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجر، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رآته رجال بني المخزبة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبنا هذه علام نترك تسير بها في البلاد؟ قالت: فتزعموا خطام البعير من يده وأخونوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ تزعموها من صاحبنا، قالت: فتجاوزوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وجسني بنو المخزبة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي - سنة أو قريباً منها - حتى مر بي رجل من بني عتي أحد بني المخزبة فرأى ما بي فرحني، فقال لبني المخزبة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فترسم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الخقي بزوجك إن شئت. قالت: فرد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني، قالت: فارحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجر، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله.

حتى إذا كنت بالتعميم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وأبني هذا، فقال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم مني، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قبله في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقلعته فرحله ثم استأخر عني وقال: اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى يتزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها على بركة الله.

ثم انصرف راجعاً إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رايت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة.

أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الخبيصة، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته؛ الحارث وكراب ومسافع، وعنه عثمان بن أبي طلحة. ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شبة والد بني شبة مفتاح الكعبة أقرها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهلية، ونزل في ذلك قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» [النساء: ٥٨] الآية.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٠/١، ٤٧١): ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي، معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة العدوية ثم عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن

ستعلم يوماً أينما إذ تزيلوا - وزيل أمر الناس للحق أصوب
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٧٤/١ - ٤٧٦]: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعيَّاش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة. فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال: أتعتد لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص، التناصب من أضاة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أينما لم يصبح عندهما فقد حبس فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعيَّاش عند التناصب وحبس هشام وفتن فافتن.

فلما قدما المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباه، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقال له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها قفلت له: إنه والله إن يمسك القوم إلا ليبتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أدى أمك القفل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستطلت.

قال: فقال: أبر قسم أمي ولي هنالك مال فأخذته قال: قلت: والله إنك لتعلم أنني لمن أكثر قریش مالاً، فلك نصف مالي ولا تنهب معهما. قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقي هذه فإنها ناقة نجية ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فاتج عليها.

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلطت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال: بلى. فاناخ واناخا ليتحول عليها، فلما استروا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه ورباطاً، ثم دخلا به مكة وقتناه فافتن.

قال عمر: فكانا نقول: لا يقبل الله عن افتتن توبة. وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنْبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَتَأْتُمُ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٢ - ٥٥].

قال عمر: فكتبته وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرأها بندي طوي أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها، فالتقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، فقال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة.

وذكر ابن هشام [في السيرة: ٤٧٦/١] أن الذي قدم بهشام بن العاص، وعيَّاش بن أبي ربيعة إلى المدينة: الوليد بن الوليد بن المغيرة سرقهما من مكة وقدم بهما يحملهما على بعيره وهو ماش معهما، فمثر فلميت أصبعه فقال:

هل استو إلا أصبح فيميت وفي سبيل الله ما أقيمت

وقال البخاري [٣٩٢٤]: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو إسحاق سمع البراء. قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار وبلال.

وحدثني [اللال البخاري: ٣٩٢٥] محمد بن بشر حدثنا غندر حدثنا شعبه عن أبي إسحاق سمعت البراء بن عازب. قال: أول من قدم علينا

صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأمله وبأخيه عبد أبي أحمد - اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل: ثمامة. قال السهيلي [الروض الأنف: ١٦٢/٤]: والأول أصح - وكان أبو أحمد رجلاً ضميم البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائده، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أمة أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. فنظرت دار بني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مصعدون إلى أعلى مكة، فنظر إليها عتبة تحقق أبوابها ياباً ليس بها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصعداء وقال:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستتركها النكباء والحسوب

قال ابن هشام: وهذا البيت لأبي داود الإبادي في قصيدة له.

قال السهيلي [الروض الأنف: ١٦٣/٤]: واسم أبي داود حظلة بن شرقي وقيل: جارية. ثم قال عتبة: أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل: وما تبكي عليه من قل بن قل ثم قال - يعني للعباس - هنا من عمل ابن أخيك هذا، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٧١/١ - ٤٧٤]: فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباه على مبشر بن عبد المنذر ثم قدم المهاجرون أرسالاً قال: وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة هجرة رجالم ونسأؤهم عبد الله بن جحش، وأخوه أبو أحمد، وعكاشة بن محسن، وشجاع، وعقبة ابن وهب، وأريد بن حميرة ومقذ بن نباتة، وسعيد بن رقيش، وعمر بن نضلة، ويزيد بن رقيش، وقيس بن جابر، وعمر بن محسن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وثقف بن عمرو وربيعة بن أكنم، والزبير بن عبيدة، ونمام بن عبيدة، وسخيرة بن عبيدة، ومحمد بن عبد الله بن جحش.

ومن نسأؤهم: زئب بنت جحش، وحننة بنت جحش، وأم حبيب بنت جحش، وجدامة بنت جندل، وأم قيس بنت محسن، وأم حبيب بنت ثمامة، وأمينة بنت رقيش، وسخيرة بنت تميم.

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة:

ولما رأسي أم أحمد غادياً بدمعة من أخشى بنيب وأرهب
تقول فما كنت لا بد فاعلاً فيم بنا البلدان ولتنا يثرب
فقلت لها ما يثرب بمظنة وما يشأ الرحمن فبالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقيم إلى الله يوماً وجهه لا ينجب
فكم قد تركنا من حيم مناصح وناصحة تبكي بدمع وتنسب
تري أن وترأ نأينا عن بلاضا ونحن نسرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دماهم وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا محمد الله لما دعاهم إلى الحق فاع والتجأ فأوعبوا
وكنا وأصحاب لنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
فكوجين أما متهم فمرفق على الحق مهدي وفوج معذب
طفوا ونموا كلبه وأزلم عن الحق إليس فخابوا وخيسوا
ورعنا إلى قول النبي محمد نطاب ولآء الحق منا وطبوا
نمت بأرحام إليهم قريبة ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب
فأي ابن أخت بعدنا يامتكم وأمة صهر بعد صهري ترقب

فلما رأيته قال: يا أبا يحيى ربيع البيع. ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله ما سبقي إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٨/١): ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن الحصين وابنه مرثد الغزيان حليفاً حمزة، وأتته وأبو كبشة مولياً رسول الله ﷺ على كلنوم بن الهدم أخيه بني عمرو بن عوف بقباء، وقيل: على سعد بن خيشمة، وقيل: بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة والله أعلم.

قال: ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحصين ومسطح بن أثانة وسويط بن سعد بن حرملة أخو بني عبد الدار وطلب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وختيابة مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقباء ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع، ونزل الزبير بن العوام وأبو سيرة بن أبي رهم على منذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح بالمصبة دار بني جحجي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاة على - شك ابن إسحاق، وقال الأسوي: على خبيب بن إساف أخي بني حارثة - ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الأشهل، ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن النضر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٠/١): ونزل الخزّاب من المهاجرين على سعد بن خيشمة وذلك أنه كان عزيزاً والله أعلم أي ذلك كان.

وقال يعقوب بن سفيان (الغرة والفتح: ٢٧٣/٣): حدثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه قال: قلنا من مكة فتركنا العصب، عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. فكان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرأناً.

٨٥- سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (الاسراء: ٨٠) أروشد الله وألمعه أن يدعو بهذا الدعاء أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً، فاذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الانتصار والأحباب، فصارت له داراً وقراراً، وأهلها له أنصاراً.

قال أحمد بن حنبل (٢٢٣/١) وعثمان بن أبي شيبة (من طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥١٦/٢) عن جرير عن قابوس بن أبي طيخان عن أبيه عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ بمكة، فلما بالهجرة وأنزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

قال قتادة: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: المدينة ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: الهجرة من مكة ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: كتاب الله وفرائضه وحلوه.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٠/١): وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حبس أو فتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة

مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكنانة يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ. فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإمام يقلت: قدم رسول الله ﷺ: فما قدم حتى قرأت: ﴿سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور من المفصل.

ورواه مسلم في «صحيحه» من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب بنحوه.

وفيه التصريح بأن سعد بن أبي وقاص هاجر قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة.

وقد زعم موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما هاجر بعد رسول الله ﷺ (البيهقي في الدلائل: ٤٦١/٢).

والصواب ما تقدم.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٦/١، ٤٧٧): ولما قدم عمر بن الخطاب المدينة هو ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقبة بن المعتمر وخنيس بن حذافة السهمي زوج ابنة حفصة وابن عمه سعيد بن عمرو بن ثعلب وروادق بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير لياس وخالد وعافل وعامر وحلفاؤهم من بني سعد بن ليش، فتركوا على رفاعة بن عبد المنذر بن زهير في بني عمرو بن عوف بقباء.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٧/١): ثم تابع المهاجرون رضي الله عنهم فترك طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخي بلحارث بن الخزرج بالسنع. ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة.

قال ابن هشام (في السيرة: ٤٧٧/١): وذكر لي عن أبي عثمان النهدي أنه قال: بلغني أن سهياً حين أرواد الهجرة قال له كفار قريش: أتبنا صلحوك؟ حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم سهيب: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتحلّون سيالي؟ قالوا: نعم! قال: فإني قد جعلت لكم مالي. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: فريح سهيب، ربيع سهيب.

وقد قال البيهقي (في الدلائل: ٥٢٢/٢، ٥٢٣): حدثنا الحافظ أبو عبد الله - إملاء - أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أخبرنا عبدان الأهوازي حدثنا زيد بن الحريش حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا حصين بن حذيفة بن صيفي بن سهيب بن حذثني أبي وعمومي عن سعيد بن المسيب عن سهيب. قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت دلو مخرجكم سيخة بين ظهراني حرتين، فإذا أن تكون هجر أو تكون يثرب».

قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتان من قريش، فجعلت ليالي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغل الله عنكم بيطنه - ولم أكن شاكياً - فناموا. فخرجت ولحقتي منهم ناس بعد ما سرت بريداً ليردوني فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أوقاي من ذهب وتحلوا سيالي وتوفوا لي ففعلوا فتبعهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكنة الباب فإن تحتها أوقاي، واذهبوا إلى فلانة فحلّوا الحلتين.

وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها،

قال: يقول الشيخ التجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره فترق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرسلونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «ثم على فراشي وتسج بيردي هذا الحضرمي الأخضر، فثم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام. وهذه القصة التي ذكرها ابن إسحاق قد رواها الواقدي رحمه الله عن سعد في الطبقات: [٢٢٧/١] بأساتيدته عن عائشة وابن عباس وعلي وسراقة بن مالك بن جعشم وغيرهم دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٣/١]: فحدثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي: قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال، وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتوه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذئب ثم بعثتم بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك أنت أصددهم» وأخذ الله على إصابعهم عنة فلا يرونها فجعل يثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يثر هذه الآيات: «يس. والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم. تنزيل العزيز الرحيم» إلى قوله «وَجَعَلْنَا بَيْنَ بَنِي آدَمَ سُلُكًا وَبَيْنَ خَلْقِهِمْ سُلُكًا فَأَعْتَيْنَاهُمْ فِيهِمْ لَا يَبْصُرُونَ» [يس: ١ - ٩].

ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فاتاهم أت من لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هنا؟ قالوا: محمداً، فقال: خيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً بيرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٤/١]: فكان لما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: «وَأَذِمْكُمْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُواكُم أَوْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُخْرِجُوكُمْ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [الأنفال: ٣٠] وقوله: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ الْغَنُونِ. قُلْ تَرْتَضُوا فِينِي مَنَكُم مِّنَ الْمُرْتَضِينَ» [الطور: ٣٠ - ٣١].

قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة.

٨٦- هجرة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق

وذلك أول التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العمرية كما بيناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

قال البخاري [٢٩٠/٢]: حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس. قال: بعث النبي ﷺ لأربعين سنة،

فيقول له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فطمع أبو بكر أن يكونه. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شعبة وأصحاب من غيرهم يغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٠/١ - ٤٨٣]: فحدثني من لا أنهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس. وغيره عن لا أنهم عن عبد الله بن عباس. قال: لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إيليس لعنه الله في صورة شيخ جليل عليه ثب له فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا: أجل فادخل.

فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش: عتبة وشيبة وأبو سفيان وطبيعة بن عدي وجبر بن مطعم بن عدي والحوارث بن عامر بن نوفل والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبو جهل بن هشام ونبيه ومنه ابنا الحجاج وأمية بن خلف ومن كان منهم وغيرهم عن لا يعد من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رايتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فاجعوا فيه رأياً.

قال: فتشاوروا ثم قال قاتل منهم - قيل: إنه أبو البختري بن هشام - : احبسوه في الحديد وأغلِقُوا عليه باباً ثم ترضوا به ما أصاب أشباعه من الشره الذين كانوا قبله زهيراً والتابعة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ التجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حسبتموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتهم ذنوه إلى أصحابه، فلا تشكروا أن يبشوا عليكم فيستزعموه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يفلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي.

فتشاوروا ثم قال قاتل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنفضيه من بلدنا فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت.

قال الشيخ التجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبيته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطاكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن في فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسياً وسيطاً فينا ثم نمطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدّر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا بنا بالعقل فعملنا لهم.

أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن تغل علي غضبك، وتزول بي سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نعتك، وتحول عافيتك وجيع سخطك. لك العتي عندي خير ما استطعت، لا حول ولا قوة إلا بك. [وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٩٢٣٤)].

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٥/١، ٤٨٦]: ثم عمدا إلى غار ثور - جبل بأسفل مكة - فدخله، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لما يقول الناس فيها مناره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهارة، ثم يرجمها عليهما إذا أمسى في الغار. فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهارة معهم يسعم ما ياتهم به، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا ودحبا. فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعني عليه.

وسياتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا. ولقد حكى ابن جرير [في تاريخه: ٣٧٤/٢] عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور، وأمر علياً أن يبله على مسيره ليحفقه، فلحقه في أثناء الطريق. وهذا غريب جداً وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٦/١، ٤٨٧]: وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تاتيهما من الطعام إذا أمسى بما يصلحهما، قالت أسماء: ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أثاناً نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمه طرح منها قرطبي ثم انصرفوا.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٨/١]: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال: والله إني لأراه قد فجعكم ماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وقال ابن هشام [في سورة: ٤٨٦/١]: وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري. قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار لينظر فيه سبع أو حية، بقي رسول الله ﷺ بنفسه.

وهذا فيه انقطاع من طرفه.

وقد قال أبو القاسم البغوي [عنه أخرجه ابن هاشم في تاريخ دمشق: ٨١/٣٠] حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا نافع بن عمر الجمحي عن

فمكت بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد (٢٧٧/١) عن ابن عباس أنه قال: ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، وتبع يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٤/١، ٤٨٥]: وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له: «لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً» قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إماماً يعني نفسه، فابتاع راحلتين فحبسهما في داره بملفهما إعداداً لذلك.

قال الواقدي: اشتراهما بثمانمائة درهم [الطبقات لابن سعد: ٢٢٨/١ عن الواقدي].

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٥/١، ٤٨٥]: فحدثني من لا أنهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يحظى رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة، وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه أثاناً رسول الله ﷺ بالمهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث.

قالت: فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني من عندك» قال: يا رسول الله إنا هما ابتاشي، وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ قال: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة».

قالت: فقال أبو بكر: الصبح يا رسول الله؟ قال: «الصبح» قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبيكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يرمض يبيكي. ثم قال: يا نبي الله إن هاتين راحلتين أعدتنيهما لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أرقط - قال ابن هشام [في سورة: ٤٨٨/١]: ويقال: عبد الله بن أرقط. رجلاً من بني الليل بن بكر، وكانت أمه من بني سهم بن عمرو، وكان مشركاً - يذهب على الطريق ودفعاً إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما ليعادهما.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٥/١، ٤٨٥]: ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وأك أبي بكر، وأما علي فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الدوائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٥/١]: فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجاً من خوغة لأبي بكر في ظهر بيته.

وقد روى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق. قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «الحمد لله الذي خلقي ولم لك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا، وبنوائك الدهر، ومصائب الليالي والأيام. اللهم اصحبني في سفري. واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتي ولك فذللي. وعلى صالح خلقي فقومني، وإليك رب فحبيبي، وإلى الناس فلا تكلفني، رب المستضعفين وأنت ربي

أصبحوا ناروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم. فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري. فانتصروا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار، فأروا على بابهِ نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابهِ، فمكث فيه ثلاث ليال. وهنا إسماعيل حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حباة الله رسول الله ﷺ.

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في «مسند أبي بكر» (٧٣): حدثنا بشار الحفاف حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني حدثنا المعلى بن زياد عن الحسن البصري. قال: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار. وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي ولكن خفاة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا».

وهنا مرسل عن الحسن، وهو حسن بحاله من الشاهد، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار.

وقد كان عليه السلام إذا حزبه أمر صلى. وروى هذا الرجل - أعني أبا بكر أحمد بن علي القاضي - عن عمرو الناقد عن خلف بن عيسى عن موسى بن مطير عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لأبيه: يا بني إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأ فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه فإنه سيأتيك رزقك فيه بكرة وعشياً.

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول: نسج داود ما حوى صاحب الغار - وكان الفخار للعنكبوت وقد ورد أن حمامتين عشتا على بابهِ أيضاً، وقد نظم ذلك الصرصري في شعره حيث يقول:

نفسى عليه العنكبوت بنسجه وظل على الباب الحمام يبيض والحديث بذلك رواه الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن محمد بن صاعد حدثنا عمرو بن علي حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القيسي - ويلقب «وعون» - عن طريقه أخرجه ابن سعد في طبعه: ٢٢٨/١، ٢٢٩ مطولاً حدثني أبو مصعب المكي. قال: أدركت زيد بن أرقم والمنيرة بن شعبة وأنس بن مالك، يذكرون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره، وأن الله بعث العنكبوت فتسج ما بينهما فسترت وجه رسول الله ﷺ وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة وأقبلت فتياق قريش من كل بطن منهم رجل، معهم عصيتهم وقسيهم وهراتهم، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قنر ماتني ذراع الدليل - وهو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي -: هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله. فقال الفتيان: أنت لم تخطئ منذ الليلة. حتى إذا أصبحنا قال: انظروا في الغار، فاستقدم القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قنر خمسين ذراعاً، فإذا الحمامتان فرجع فقالوا: ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنها بهما، فسمت عليهما - أي برك عليهما - وأحدرهما إلى الله الحرم فافترخا كما ترى.

وهنا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

ابن أبي مليكة: أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة. فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤذي من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤذي من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فاحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك.

قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جحر فالتقم أبو بكر رجله ذلك الجحر خوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ. وهنا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة الصديق رضي الله عنه.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٤٦٦/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق أنا موسى بن الحسن بن عباد حدثنا عثمان بن مسلم حدثنا السري بن يحيى حدثنا محمد بن سيرين. قال: ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلو عمر على أبي بكر. فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه. حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟» فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال: «يا أبا بكر لو كان شيء لأجبت أن يكون بك دوني؟» قال: نعم! والذي بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجره فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ. فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر.

وقد رواه البيهقي (في الدلائل: ٤٦٦/٢، ٤٧٧) من وجه آخر عن عمر وفيه: أن أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة، وخلفه أخرى، وعن يمينه وعن شماله. وفيه: أنه لما حفيت رجلاً رسول الله ﷺ حمله الصليق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سد تلك الأحجرة كلها وبقي منها جحر واحد، فالتقمه كعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموه تسيل. فقال له رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا».

وفي هذا السياق غرابة ونكارة.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٤٨٠/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا عباس الدوري حدثنا أسود بن عامر شافنا حدثنا إسرائيل عن الأسود عن جندب بن عبد الله. قال: كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار، فاصاب يده حجر فقال:

إِنْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَحَ ذَيْبٌ - وفي سبيل الله ما لقيت -

وقال الإمام أحمد (٣٤٨/١): حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٠] قال: تشاورت قريش ليلة بكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم: بل اقلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يهرسون علياً يحسونه النبي ﷺ. فلما

وقد رواه الحافظ أبو نعيم [في الدلائل: ٢٢٩] من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعون - بإسناده مثله.
وفيه: أن جميع حام مكة من نسل نيك الحماتين، وفي هذا الحديث أن القافض الذي أفضى لهم الأثر سراقا بن مالك المدلجي.
وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه أن النبي أفضى لهم الأثر كرز بن علقمة.

قلت: ويعتدل أن يكونا جميعاً اقتضيا الأثر والله أعلم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَنَحَّزْ إِيَّائِي اللَّهُ مَنَّا فَاتَّزَلَّ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ جُمُودٌ لَمْ يَرْوُوا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّعْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْفَتْحُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٤٠].

يقول تعالى مؤيِّداً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول ﷺ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾. انتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الثَّانِي كَفَرُوا﴾ من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصليبه أبي بكر ليس معه غيره ولهذا قال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما، وذلك لأن المشركين حين قتلوهما كما تقدم ذهبوا في طلبهما كل مذنب من سائر الجهات، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مائة من الإبل، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهم. وكان الذي يقتص الأثر لقرش سراقا بن مالك بن جعشم كما تقدم، فصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرّون على باب الغار، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يرونهما، حفظاً من الله لهما.

كما قال الإمام أحمد [٤/١]: حدثنا عفان حدثنا حماد أنا ثابت عن أنس بن مالك أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قلعيه لأبصرنا تحت قدميه. فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

وأخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» [خ (٣٦٥٣)، م (٢٣٨١)] من حديث حماد به.

وقد ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال النبي ﷺ: «لو جازونا من ههنا لأذهبتنا من ههنا» فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسقاية مشدودة إلى جانبه. وهذا ليس بمعجز من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإستناد قوي ولا ضعيف، ولنا ثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صحّ أو حسن سنده قلنا به والله أعلم.

وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاني [كشف الاستار: ١١٧٨]: حدثنا الفضل بن سهل حدثنا خلف بن نعيم حدثنا موسى بن مطير القرشي عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لأبنته: يا بني إن حدث في الناس حدث فأت الغار الذي رأيته اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية. ثم قال البرزاني: لا نعلم يرويه غير خلف بن نعيم. قلت: وموسى بن مطير هذا ضعيف متروك، وكذا يحيى بن معين [التابعين ليحيى بن معين: ٥٩٦/٢] فلا يقبل حديثه والله أعلم.

وقد ذكر يونس بن بكير [رحمه مطولاً أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٨٥/٣٠ - ٨٧] عن محمد بن إسحاق أن الصديق قال في دخولهما الغار، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سراقا كما سيأتي شعراً. فمنه قوله: قال النبي ولم أجزع يوفّرني - ونحن في سُدُود من ظُلُمَةِ الغار

لا تخش شيئاً فإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنا - وقد تركل في منته بإظهار
وقد روى أبو نعيم [في الدلائل: ٢٢٧] هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطولة جداً، وذكر معها قصيدة أخرى والله أعلم.

وقد روى ابن خزيمة [رحمه أخرجه الهيثمي في الدلائل: ٤٦٥/٢] عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير. قال فمكث رسول الله ﷺ بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الأنصار - بقية ذي الحجة والحرم وصفر، ثم إن مشركي قرش اجتمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، أو يجسوه، أو يخرجوه فاطلمه الله على ذلك فانزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. فأمر علياً فنام على فراشه، وذعب هو وأبو بكر، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كل وجه يطلبونهما.

وهكذا ذكر موسى بن عتبة في «مغازيه»، وأن خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً [والدلائل للهيتمي: ٤٦٦/٢].
وقد تقدم عن الحسن البصري فيما ذكره ابن هشام التصريح بذلك أيضاً.

وقال البخاري: [٣٩٠٥] حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل. قال ابن شهاب: فآخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة، فذكرت ما كان من رده لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قلناه عند هجرة الحبشة، إلى قوله: فقال أبو بكر: فإني أرد عليك جوارك وأرضي بجوار الله.

قالت: والنبي ﷺ يومئذ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريد دار هجرتكم ذات نخل بين لابتَيْنِ وهما الحِمْزَانِ. فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع بعض من كان هاجر قبل الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر مهاجراً قبل المدينة. فقال له رسول الله ﷺ: «علي رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتي كانتا عنده ورق السم - وهو الخبط - أربعة أشهر.

وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر.

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة، فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنّاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل فقال النبي ﷺ: «أخرج من عندك» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: «فإنه قد أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت وأمي، قال النبي ﷺ: «نعم» قال أبو بكر: فخذ أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. فقال رسول الله ﷺ: «بالتنم».

قالت عائشة: فجهزتهما أحث الجاهز فصنعتا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطافها فرطت به على فم الجراب، فلذلك سميت ذات النطاقين.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بفار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فبدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قرش بمكة كباث، لا يسمع أصراً

بن جعشم وهذا الذي قاله جيد.

ولما رجع سراقه جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلا رده وقال: كنتم هذا الوجه، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة. جعل سراقه يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ وما كان من قضية جواده، واشتهر هذا عنه. فنفخ رؤساء قريش معرفته، وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم، وكان سراقه أمير بني مدلج وريثهم، فكتب أبو جهل - لعنه الله - إليهم:

بني مدلج إنني أخاف سفيهكم سُراقَة مستغفِر لنفس محمد عليكم به ألا يفرق جمعكم فيصبح شتى بعد عز وسؤدد

قال: فقال سراقه بن مالك يبيح أبا جهل في قوله هذا: لبا حكم والله لو كنت شاهداً لأسر جوادى إذ تسوخ قوائمه عجبته ولم تشكك بأن محمداً رسولاً وبرهاناً فمن ذا يقاومه عليك بكف القوم عنه فإني إخال لنا يوماً ستبدو معالمه بأمر توذ الصر فيه فلانهم وإن جيع الناس طراً مُسلله

وذكر هذا الشعر الأموي في «معنازيه» بسنده عن أبي إسحاق. وقد رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» [٢٣٧] بسنده من طريق زياد عن ابن إسحاق، وزاد في شعر أبي جهل لعنه الله آياتاً تضمنت كراً بليناً.

وقال البخاري [٣٩٠٦] بسنده إلى ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قائلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وألبا بكر ثياب يياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يندون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم.

فلما أورا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فصر برسول الله ﷺ وأصحابه مضيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطلق من جاء من الأنصار عن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه برأيه. ففرح الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته وصار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين. وكان مريداً للتمر لسهول وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فسألهما بالمريد ليتخذ مسجداً، فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله، فلى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما. ثم بناء مسجداً. فظف رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بيانه، وهو يقول حين ينقل اللبن:

«هذا الجمال لأحبال خير هذا أبر رؤنا وأظهر»

يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فبرعها عليهما حين يذهب ساعة من الشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ووضيفهما - حتى يتنق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني حيد بن عدي هادياً خريئاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناء فدفعوا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ليال. وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب (ع ٣٩٠٦) مطلقاً: فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي - وهو ابن أخي سراقه - أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن مالك بن جعشم. يقول: جامنا رسل كفار قريش يعملون في رسول الله ﷺ وأبي بكر فية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس. فقال: يا سراقه إنني رأيت أنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقه: فعرفت أنهم هم قتلته له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا باعيتا، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفروسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت من ظهر البيت فخطت بزجه الأرض وخضت عليه، حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم.

فعثرت بي فرسي فخررت عنها فأموت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام فاستقسمت بها أضرمهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي - وعصيت الأزام - تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزام فخرج الذي أكره؛ فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جثتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتكم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع. فلم يوزاني ولم يسلاني إلا أن قال: «أخف عنا». فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم. ثم مضى رسول الله ﷺ.

وقد روى محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٩/١، ٤٩٠) عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن أبيه عن عمه سراقه فذكر هذه القصة، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أول ما خرج من منزله فخرج السهم الذي يكره لا يضره، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي يكره لا يضره. حتى ناداهم بالأمان. وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمانة ما بينه وبين رسول الله ﷺ، قال: فكتب لي كتاباً في عظم - أو رقعة أو خرقة - وذكر أنه جاء به إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة مرجمه من الطائف، فقال له: «يوم وفاء ويرا، ادنه» فدنوت منه وأسلمت.

قال ابن هشام (السيرة: ٤٩١/١): هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك

ويقول:

«اللهم إن الأجر أجراً الآخرة - فأرحم الأنصار والمهاجرة»
فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي.

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثّل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات.

هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه آخر وليس فيه قصة أم عبد الحزاعية، ولذا ذكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فثانياً.

قال الإمام أحمد (٣/٢١١): حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العقري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب. قال: اشتري أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى منزلي. فقال: لا حتى نحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه.

فقال أبو بكر: خرجنا فالدخا فاحتشنا يرمنا وليتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، ففريت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأمرت إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة وقلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطلب فإذا أنا براعي غنم، فقلت لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قریش - فسماها فعرفته - فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم! قلت: هل أنت حالب؟ قال: نعم فأمرته فاعتقل شاه منها ثم أمرته ففرض ضرعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفيه من الغبار، ومعى إداوة على فمها خرقة فحلب لي كبة من اللبن فضبيت - يعني الماء - على القدح حتى برد أسفله ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ.

فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رزيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ فأرسلنا والقوم يطلبونا فلم يدرنا أحد منهم إلا سراقاً بن مالك بن جشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. قال: لا تخزن إن الله معنا حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رعين - أو قال: رعين أو ثلاثة - قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. وبكيت قال: لم تبكي؟ قال: قلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فأدع الله أن يتجنبي عما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بأبالي وغنمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها» قال: ودعا له رسول الله ﷺ فاطلق ورجع إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قلعتنا المدينة وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق على الأجاجير واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد، قال: وتنازع القوم أيهم يستزل عليه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك».

فلما أصبح غداً حيث أمر. قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، ثم قدم علينا ابن أم مكتوم الأعمى أحد بني فهر، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، فقلنا: ما فعل رسول الله؟ قال: هو على أثري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من

الفصل.

أخرجاه في «الصحيحين» (٣/١٥٢)، م (٢٠٠٩) من حديث إسرائيل بدون قول البراء: أول من قدم علينا... إلخ. فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٦/١): فأتاهم رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قریش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه يبيعيريهما ويعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصماً فلما ارتحلا ذهبت لتملق السفرة فإذا ليس فيها عصام، فحلت نطاقها فجعلته عصماً ثم علقها به. فكان يقال لها: ذات النطاق لذلك.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٦/١): فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال: اركب فذاك أبي وأمي، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بغيراً ليس لي» قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: «لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به؟» قال: كذا وكذا قال: «أخذتها بذلك» قال: هي لك يا رسول الله.

وروى الواقدي بأسانيد أنه عليه السلام أخذ القصواء، قال وكان أبو بكر اشتراها بشمانانة درهم وطفقت ابن سعد: ٢٢٨/١، ٢٢٨.

وروى ابن عساکر من طريق أبي أسامة (من طريقه أخرجه خ (٤٠٩٣)) عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: وهي الجذعاء.

وهكذا حكى السهيلي (في الروض الناف: ٢٠٥/٤) عن ابن إسحاق أنها الجذعاء والله أعلم.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٧/١): فركبا وانطلقا وأوردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولا خلفه ليخدمهما في الطريق فحدثت عن أسماء أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قریش منهم أبو جهل فذكر ضربه لما على خدعا لطمه طرح منها قرطها من أذنهما كما تقدم. قالت: فمكثنا ثلاث ليال ما ندرى أين وجه رسول الله ﷺ حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتنقى بأبيات من شعر غناء العرب، وأن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزاءه رفيقين حلا خيمتي أم مقبلي
هنا نزلوا بالبر ثم تروحاً فأفلح من أسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكاث فتاتهم ومقمتها للمؤمنين برصد
قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه إلى المدينة.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٨/١): وكانوا أربعة؛ رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أرقط. كذا يقول ابن إسحاق، والمشهور: عبد الله بن أرقط الدثلي، وكان إذ ذاك مشركاً.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩١/١): ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أصح، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الحرار ثم أجاز بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لقفاً،

أرأيت محمدًا؟ من حليته كذا كذا، فوصفه لها. فقالت: ما أدري ما تقولون، قد ضافني حالب الحائل. قالت قريش: فذاك الذي نريد.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار: ١٧٤٢]: حدثنا محمد بن معمر حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله حدثنا أبي عن أبيه عن جابر. قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار، إذا في الغار جحر فألقاه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء فأقاما في الغار ثلاث ليل ثم خرجا حتى نزلوا بطنيات أم معبد فأرسلت إليه أم معبد: إني أرى وجوها حسنا، وإن الهى أقوى على كرامتكم مني، فلما أسروا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة. فقال رسول الله ﷺ: «أردد الشفرة ومات لنا فرقاء» يعني: القدح فأرسلت إليه أن لا ين فيها ولا ولد. قال: «مات لنا فرقاء» فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودوت فحلب فلما القدح فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب فبعث به إلى أم معبد. ثم قال البزار: لا تعلمه يروى إلا بهذا الإسناد. وعبد الرحمن بن عقبة لا تعلم أحدا حدث عنه إلا يعقوب بن محمد وإن كان معروفاً في النسب.

وروى الحافظ البيهقي (في الدلائل: ٤٩١/٢) من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يحدث عن أبي بكر الصديق. قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فأتتهما إلى حي من أحياء العرب، ففطر رسول الله ﷺ إلى بيت متحياً فقصده إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما عظيم الهى إن أردتم القرى، قال: فلم يجيبها وذلك عند المساء.

فجاء ابن لها باعتز يسوقها فقالت: يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطلق بالشفرة وجني بالقدح» قال: إنها قد عزبت وليس بها لبن، قال: «انطلق»، فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملا القدح، ثم قال: «انطلق به إلى أمك»، فشرت حتى رويت، ثم جاء به فقال: «انطلق بهذه وجني بأخرى»، ففعل بها كذلك ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ فبتنا ليلتنا، ثم انطلقنا. فكانت تسميه المبارك. وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر فرأه ابنها فعرفه فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك.

فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدلين من هواي؟ قال: لا، قال: هو نبي الله. قالت: فأدخلني عليه. قال: فأدخلها فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاهما.

زاد ابن عسبان في روايته: قالت: فأنطقت معي وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أنط ومنتاح الأعراب. قال: فكساها وأعطاهما. قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت.

إسناد حسن.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٤٩٢/٢): هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد، والظاهر أنها هي والله أعلم.

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي [من طريقه أخرجه ابن عسار في تاريخ دمشق: ٣٩٩/٣ - ٣٢٢]. قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا الحسن بن مكرم حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري حدثنا عبد الملك بن وهب المذحجي حدثنا الحر بن الصباح

ثم أجاز بهما مدجلة لقف، ثم استبطن بهما مدجلة بجاج ثم سلك بهما مرجح بجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي الفضرين، ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجناجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدجلة يتهن، ثم على العبايد، ثم أجاز بهما القاحة ثم هبط بهما المرجح.

وله أبداً عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم يقال له: أوس بن حجر على جمل يقال له: ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً يقال له: مسعود بن هذيلة، ثم خرج بهما دليلهما من المرجح فسلك بهما ثنية العائر عن عيين ركزية - ويقال: ثنية الغائر فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن ريم، ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاح وكادت الشمس تعتدل.

وله روى أبو نعيم من طريق الواقدي [من طريقه أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٢٣٢/١، ٢٣٣] نحواً من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها والله أعلم.

قال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق هو السراج حدثنا محمد بن عباد بن موسى العجلي حدثني أخي موسى بن عباد حدثني عبد الله بن سيار حدثني إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مسروا بليل لنا بالجحفة، فقال رسول الله ﷺ: «هل هذه الإبل؟» فقالوا: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سلمت إن شاء الله»، فقال: «ما اسمك؟» قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سلمت إن شاء الله». قال: فأتاه أبي فحملة على جمل يقال له: ابن الرداء [رأس الغابة لابن الأثير: ١٧/٥].

قلت: وقد تقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين. والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام، ثم سلك طريق الساحل وهي أبعد من الطريق الجادة واجتاز في مروره على أم معبد بنت كعب من بني كعب بن خزاعة، قاله ابن هشام [السيرة: ٤٨٧/١].

وقال يونس [من طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٩٣/٢] عن ابن إسحاق: اسمها عاتكة بنت خالد بن مقز بن ربيعة بن أصرم.

وقال الأموي: هي عاتكة بنت تبيع حليف بني مقز بن ربيعة بن أصرم بن ضيس بن حرام بن حشبة بن كعب بن عمرو، ولهذا المرأة من الولد معبد ونضرة وحيلة بنو أبي معبد، واسمها أكنم بن عبد العزى بن مقز بن ربيعة بن أصرم بن ضيس، وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً.

وهذه قصة أم معبد الخزاعية: قال يونس [من طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل: ٤٩٣/٢] عن ابن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ بحيمة أم معبد واسمها عاتكة بنت خالد بن مقز بن ربيعة بن أصرم فأرادوا القرى فقالت: والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال: «اشربي يا أم معبد» فقالت: اشرب فأنت أحق به فردة عليها فشرت، ثم دعا بمائل أخرى ففعل بها مثل ذلك بها فشره، ثم دعا بمائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله، ثم دعا بمائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً، ثم تروح.

وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه فقالوا:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الفد ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد ويهن بني كعب مكان فتاتهم ومقلها للمسلمين بمروءة قال - يعني عبد الملك بن وهب - فبلغني أن أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ.

وهكذا روى الحافظ أبو نعيم (في الدلائل: ٢٣٨) من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي فذكر مثله سواء وزاد في آخره: قال عبد الملك: بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسول الله ﷺ. ثم رواه أبو نعيم (في الدلائل: ٢٣٨) من طرق عن مكرم بن عمر الكعبي الخزاعي عن أبيه عمر بن مهدي عن حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي فعمروا بجمعة أم معبد وكانت امرأة برزة جليلة تحتج بفناء القبة، وذكر مثل ما تقدم سواء.

قال: وحديثه - فيما أظن - محمد بن أحمد بن علي بن خالد حدثنا محمد بن يونس بن موسى - يعني الكندي - حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب زمن طريقه أخرجه الطحاوي في الكبير: ٦٥١٠ حدثنا محمد بن سليمان بن سليل الأتصاري حدثني أبي عن أبيه سليل البدري. قال: لما خرج رسول الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة وابن أريقط يلهم على الطريق، مر بأم معبد الخزاعية وهي لا تعرفه فقال لها: «يا أم معبد هل عندك من لبن؟» قالت: لا والله إن الغنم لعازية قال: «فما هذه الشاة؟» قالت: خلفها الجهد عن الغنم، ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدم.

ثم قال البيهقي (في الدلائل: ٤٩٧/٢): يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة، ثم ذكر قصة شبيهة بقصة شاة أم معبد الخزاعية فقال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ - إمامه - حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن غالب حدثنا أبو الوليد حدثنا عبيد الله بن زياد بن لقيط حدثنا زياد بن لقيط عن قيس بن النعمان. قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين، مروا بعيد يعري غنماً فاستبقاه اللين فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن هنا غنماً حملت أول الشتاء وقد أخذت وما بقي لها من لبن فقال: «ادع بها» فدعا بها.

فاعقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرّب. فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: «أو تراك تكلم عليّ حتى أخبرك؟» قال: نعم! قال: «فاني محمد رسول الله». فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صليح؟ قال: «إنهم يقولون ذلك». قال: فأنشدك أنك نبي، وأنشد أن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك. قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنني قد ظهرت فاتنا».

ورواه أبو يعلى الموصلي عن جعفر بن حميد الكوفي عن عبيد الله بن زياد بن لقيط به. وقد ذكر أبو نعيم (في الدلائل: ٢٣٣) هنا قصة عبد الله بن مسعود فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود.

عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي، فعمروا بجمعة أم معبد الخزاعية، وكانت أم معبد امرأة برزة جليلة تحتج وبفناء الخيمة فطعمهم وتسقي. فسألوها هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري، وإذا القوم مرملون مسترون. فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» فقالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «فهل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «تأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: إن كان بها حلب فاحلبها.

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا بإناء لها يرضي الرهط فتناجت واجترت فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء فسقاها وسقى أصحابها فشربوا عللاً بعد نهل، حتى إذا رويوا شرب آخرهم وقال: «ساقى القوم آخرهم» ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بده فغادره عندها ثم ارتحلوا قال: «قل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجاناً يتسولون هنزى لا تقي بهن غنم قليل فلما رأى اللين عجب وقال: من أين هذا اللبن يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاة عازبة؟ فقالت: لا والله إنه من بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت.

فقال: صفه لي فوالله إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاعة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه ثجلة ولم تنز به صلبة قسم وسيم في عييه دمع، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل. أحور أكل أزج أقرن في عنقه مطع وفي لحيته كثافة. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق فصل لا تنز ولا هنز كان منطق خرزات نظم ينحدرون، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. ريمة لا تشزّه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدًا له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادلوا لأمره. محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال - يعني بعلمها -: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب، ولو صادفته لالتصمت أن أصحبه، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، قال: وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمونه ولا يرون من يقول وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد هما نزلوا بالبر وارتحلوا به فافلح من أمسى رفيق محمد فيال قصي ما زوى الله عكهم به من فعال لا تجارى وسودد سلوا أختكم عن شاتها وإناتها فأنكم إن تسألوا الشاة تشهد دعاءها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزيد فسادرة رهنا لديها لحالب يدر لها في مصدر ثم مورد قال: وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد قتلوا نبيهم، فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ قال: وأجابه حسان بن ثابت: [هيوان حسان بن ثابت: ٣٧٦، ٣٧٧].

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقُتس من يسري إليهم ويتندي ترحل عن قوم فزال عقوقهم وحل على قوم بنور مجدد وهل يستوي ضلال قوم تسفوها عسى وهذه يهتدون بمهتد

العشي من الزوال، وإما أن يكون المراد بذلك لما رحل من قباء - كما سيأتي - فسار فما انتهى إلى بني النجار إلا عشاء كما سيأتي بيانه والله أعلم.

وذكر البخاري [٣٩٠٦] عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقاء وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة وأسس مسجد بقاء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مريداً لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل، فابتاعه منهما واتخذهما مسجداً. وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٩٢/١]: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قالوا: لما بلغنا خرج النبي ﷺ من مكة وتوكلنا قدومه كنا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننظر النبي ﷺ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلًا دخلنا - وذلك في أيام حارة - حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذ لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء.

فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنة، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك؛ وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك.

وقد تقدم مثل ذلك في سياق البخاري وكذا ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» [نظر الدلائل للبيهقي: ٤٩٨/٢، ٤٩٩].

وقال الإمام أحمد [٢٢٢/٣]: حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك. قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر.

فكنا في بعض جوار المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية ليؤذنا بهما الأنصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين.

فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى إن المواشي لتوق البيوت يتراهم يقولون: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ.

قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أر يومين مثبهاً بهما.

ورواه البيهقي [في الدلائل: ٥٠٧/٢] عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصفحاني عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بنحوه، أو مثله. وفي «الصحيحين» [٢٤٣٩]، [٢٠٠٩]، م [٢٠٠٩] من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة. قال: وخرج الناس حين قلعتنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر.

وقال البيهقي [في الدلائل: ٥٠٧، ٥٠٦/٢]: أخبرنا أبو عمرو الأديب أخبرنا أبو بكر الإسمايلي سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة

قال: كنت غلاماً يافعاً أروى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة، فأتى رسول الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرا من المشركين - فقال: «يا غلام عندك لبن تسقين؟» فقلت: إني مؤتمن ولست بسائقكما، فقالا: هل عندك من جذعة لم يتر عليها الفحل بعد؟ قلت: نعم! فأتيتهما بها فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع وجاء أبو بكر بصخرة متفجرة فحلب فيها. ثم شرب هو وأبو بكر وسقاني، ثم قال للضرع: «أقلص» فقلص.

فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ: «إنك غلام معلم» فأخذت من فيه سبعين سورة ما يتزاعي فيها أحد.

فقوله في هذا السياق: وقد فرا من المشركين ليس المراد منه وقت الهجرة، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة، فإن ابن مسعود عن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم، وقصته هذه صحيحة ثابتة في «الصحيحين» [٢٤٣٩]، [٢٠٠٩/٧٥٥]، م وغيرها والسند: [٣٧٩/١، ٤٦٢] والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٧٤/٤]: حدثنا عبد الله بن مصعب بن عبد الله - هو الزبيري - حدثني أبي عن فائد مولى عبال قال: خرجت مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى إذا كنا بالعرج أتى ابن سعد - وسعد هو الذي دل رسول الله ﷺ على طريق ركة - فقال إبراهيم: أخبرني ما حدثك أبوك؟ قال ابن سعد: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر - وكان لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة - وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة، فقال له سعد: هذا الغار من ركة و به لسان من أسلم يقال لهما: المهاتان. فإن شئت أخذنا عليهما، فقال النبي ﷺ: «خذ بنا عليهما» قال سعد: فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني. فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما، ثم سالهما عن اسمائهما فقالا: نحن المهاتان. فقال: «بل أنتما المكرمان» وأمرهما أن يقدما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا ظاهر قباء فلتقاه بنو عمرو بن عوف فقال رسول الله ﷺ: «أين أبو أمامة أسعد بن زرارة؟» فقال سعد بن خيثمة: إنه أصاب قبلي يا رسول الله أفلا أخبره ذلك؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب ملؤه، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر هذا المنزل. رايتني أنزل إلى حياض كحياض بني مدلج» انفرد به أحد.

٨٧- دخول النبي ﷺ المدينة ومنزله بها

قد تقدم فيما رواه البخاري [٣٩٠٦] عن الزهري عن عروة أن النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهر.

قلت: ولعل ذلك كان بعد الزوال لما ثبت في «الصحيحين» [٢٤٣٩]، [٢٠٠٩]، م [٢٠٠٩] من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب عن أبي بكر في حديث الهجرة قال: قلعتنا ليلاً فتنازعه القوم أيهم أنزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أنزل علي بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك».

وهذا والله أعلم إما أن يكون يوم قدومه إلى قباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حر الظهيرة وأقام تحت تلك النخلة ثم سار بالمسلمين فنزل قباء وذلك ليلاً، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً، فإن

يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن: طلع البدر علينا - حين ثبات السوداع وجب الشكر علينا - ما دعا لله داع

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٦٣/١): فزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون يعني: حين نزل بقاءه - على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثة. ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم جلس للناس في بيت سعد بن خيثة، وذلك أنه كان عزيزاً لا أهل له، وكان يقال لبيته: بيت العزاب والله أعلم. ونزل أبو بكر ﷺ على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنع وقيل: على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٣/١، ٤٩٤): وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الروائع التي كانت عنده، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهدم فكان علي بن أبي طالب - وإنما كانت أقامته بقاء ليلة أو ليلتين - يقول: كانت بقاء امرأة لا زوج لها مسلمة، فرأيت انساناً يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطها شيئاً معه فتأخذه، فاستريت بشانه فقلت لها: يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف، وقد عرف أبي امرأة لا أحد لي فإذا أسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جامني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان علي ﷺ يأتى ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٤/١): فأقام رسول الله ﷺ بقاءه في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك. وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال: وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثلثي عشرة ليلة.

قلت: وقد تقدم فيما رواه البخاري (٣٩٠٦) من طريق الزهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضع عشرة ليلة.

وحكى موسى بن عقبة عن مجمع بن يزيد بن جارية أنه قال: أقام رسول الله ﷺ فينا - يعني في بني عمرو بن عوف بقاءه - اثنتين وعشرين ليلة (انظر الدلائل للبيهقي: ٥٠١/٢).

وقال الواقدي: ويقال: أقام فيهم أربع عشرة ليلة. وطقت ابن سعد: ٢٣٦/١

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٤/١، ٤٩٥): فادركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي - وادي راتونا - فكان أول جمعة صلاها بالمدينة. فاتاه عتب بن مالك وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سيبلها فإنها مأمورة» لائقته فخلوا سيبلها فانطلقت.

حتى إذا وازت دار بني يياضة تلقاه زيد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني يياضة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة

والمنعة. قال: «خلوا سيبلها فإنها مأمورة» فخلوا سيبلها. فانطلقت. حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عباد والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سيبلها فإنها مأمورة» فخلوا سيبلها فانطلقت.

حتى إذا وازت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سيبلها فإنها مأمورة» فخلوا سيبلها فانطلقت.

حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار - وهم أخواله ذنبا أم عبد المطلب، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم - اعترضه سليل بن قيس وأبو سليل أسيرة بن خارجة في رجال من بني عدي بن النجار فقالوا: يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة. قال: «خلوا سيبلها فإنها مأمورة» فخلوا سيبلها فانطلقت.

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده عليه السلام اليوم، وكان يومئذ مريداً لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما سهل وسهيل ابنا عمرو، وكانا في حجر معاذ بن عفرأ.

قلت: وقد تقدم في رواية البخاري (٣٩٠٦) من طريق الزهري عن عروة أنهما كانا في حجر أسعد بن زرارة والله أعلم.

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ مر في طريقه بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في بيت. فوقف رسول الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبد الله: أنظر الذين دعوك فانزل عليهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لغفر من الأنصار فقال سعد بن عباد يعتذر عنه: لقد من الله علينا بك يا رسول الله وإنا نريد أن نقعد على رأسه التاج ونملكه علينا والدلائل للبيهقي: ٤٩٩/٢، ٥٠٠.

قال موسى بن عقبة: وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشوا حول ناقته لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله ﷺ وتعظيماً له وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ: «دعوها فإنها مأمورة» فأنزل حيث أنزلني الله» فلما انتهت إلى باب أبي أيوب بركت به على الباب فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابنتى مسجده ومسكنه.

(الدلائل للبيهقي: ٥٠١/٢)

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٥/١، ٤٩٦): لما بركت الناقة برسول الله ﷺ لم يتزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تهلحلت ووزمت ووضعت جرائنها فنزل عنها رسول الله ﷺ. فأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ وسأل عن المريد: «من هو؟» فقال له معاذ بن عفرأ: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذ مسجداً، فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بني مسجده ومسكنه فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار.

وستأتي قصة بناء المسجد قريباً إن شاء الله.

وقال البيهقي في «الدلائل» (٥٠٨/٢): وقال أبو عبد الله أخبرنا أبو الحسن علي بن عمرو الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن غنم الدورى حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد حدثنا إبراهيم بن

فلهب فيها لهما مقيلاً ثم جاء فقال يا رسول الله قد هيات مقيلاً فوما على بركة الله قليلاً، فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقاً، وأنت جئت بحق ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم. فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأنني جئت بحق أسلموا» فقالوا: ما نعلمه، ثلاثاً. وكذا رواه البخاري [(٣٩١١)] مفرداً به عن محمد غير منسوب عن عبد الصمد به.

قال ابن إسحاق [رسالة ابن هشام: ٤٩٨/١، ٤٩٩]: وحديثي يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله الزيني عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب. قال: لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا بني أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فإظهر أنت فكن في العلو وتنزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب إن أرقب بنا وعن ينشأنا أن أكون في سفلى البيت».

فكان رسول الله ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن. فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا - ما لنا لحاف غيرها - ننشف بها الماء تحوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه، قال وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبغني بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعثناه وقد جعلنا له فيه بصلًا - أو ثوماً - فرده رسول الله ﷺ فلم أر ليده فيه أثراً، قال: فجئت فزعاً فقلت: يا رسول الله يا بني أنت وأمي رددت عشاك ولم أر فيه موضع بصل؟ فقال «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأما أتم فكلوه» قال: فأكلنا ولم نصنع له تلك الشجرة بعد.

وكذلك رواه البيهقي [في الدلائل: ٥١٠/٢] من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الحخير - مرثد بن عبد الله الزيني عن أبي رهم عن أبي أيوب فذكره. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة [في مصنفه: ٤٥٤١] عن يونس بن محمد المؤدب عن الليث.

وقال البيهقي [في الدلائل: ٥٠٩/٢] أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو عمرو الحيري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي حدثنا أبو النعمان حدثنا ثابت بن يزيد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفلى وأبو أيوب في العلو فاتبعه أبو أيوب ليلته فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ فتفتحوا فيأتي في جانب، ثم قال للنبي ﷺ - يعني في ذلك - فقال: «السفل أرقب بنا» فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول رسول الله ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفلى.

فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيفتح موضع أصابع رسول الله ﷺ فضنع له طعاماً فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له: لم ياكل ففرع وصعد إليه فقال: أحرام؟ فقال النبي ﷺ: «لا ولكني أكرهه» قال: فإني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال: وكان النبي ﷺ يؤتى - يعني يأتيه الملك.

ورواه مسلم [(٢٠٥٣)] عن أحمد بن سعيد به.

صرمة حدثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فلما دخلنا جاء الأنصار برجالها ونساءها فقالوا: إيلينا يا رسول الله. فقال: «دعوا الناقة فإنها مأمورة» فركت على باب أبي أيوب فخرجت جوار من بني النجار يضرين بالدغوف وهن يقطن:

غحن جوار من بني النجار يا حينا عمداً من جبار فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أعجبوني؟» فقالوا: أي والله يا رسول الله. فقال: «وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم».

هذا حديث غريب من هذا الوجه لم يروه أحد من أصحاب السنن، وقد خرجته الحاكم في «مستدركه» كما ترى.

ثم قال البيهقي [في الدلائل: ٥٠٨/٢] أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد حدثنا عمر بن الحسن الحلبي حدثنا أبو خيثمة المصيصي حدثنا عيسى بن يونس عن عوف الأعرابي عن ثمامة عن أنس. قال: مر النبي ﷺ بحي من بني النجار، وإذا جوار يضرين بالدغوف يقطن:

غحن جوار من بني النجار يا حينا عمداً من جبار فقال رسول الله ﷺ: «يعلم الله أن قلبي يحبكم».

ورواه ابن ماجه [(١٨٩٩)] عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس به.

وفي «صحيح البخاري» [(٣٧٨٥)] عن أبي معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين - حسب أنه قال: من عرس - فقام النبي ﷺ متلاً فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي» قلها ثلاث مرات.

وقال الإمام أحمد [(٢١١/٣)] حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثنا أنس بن مالك. قال: أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ورسول الله ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب إنما يهديه الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اصرمه» فصرعه فرسه ثم قامت تحمحم، ثم قال: يا نبي الله مرني بما شئت. فقال: «قف مكانك لا تترك أحداً يدمق بنا» قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسلحة له.

قال: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا فسلموا عليها وقالوا: أركبا آمين معلنين. فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرافوا نبي الله ﷺ ينظرون إليه ويقولون: جاء نبي الله. قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، قال: فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترق لهم، فجعل أن يضع الذي يخترق فيها فجاء وهي معه، وسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله، وقال نبي الله: «أي بيوت أهلنا أقرب؟» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه دارى وهذا يا نبي قال: «فانطلق فمعي لنا مقيلاً».

بمسكنها ونخلها وزروعها وأهلها، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في عائلتهم وهي كالقرى المتلاصقة، فاستأجر الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجار. [تاريخ دمشق: ١٦/٥٥ من طريق حبيب بن أبي ثابت ٢٤]

وقد ثبت في «الصحيحين» ج (٣٧٨٩)، م (٢٥١١) من حديث شعبة: سمعت قتادة عن أنس بن مالك عن أبي أسيد رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير» فقال سعد بن عباد: ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل: قد فضلكم على كثير: هذا لفظ البخاري.

وكذلك رواه البخاري (٣٧٩٠) ومسلم (٢٥١١) من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، ومن حديث عباس بن سهل عن أبي حميد عن النبي ﷺ بمثله سواء.

زاد في حديث أبي حميد: فقال أبو أسيد لسعد بن عباد: ألم تر أن النبي ﷺ خير الأنصار فجعلنا آخرًا، فأدرك سعد النبي ﷺ فقال: يا رسول الله خيرت دور الأنصار فجعلنا آخرًا؟ قال: «أو ليس محببكم أن تكونوا من الخيار؟»

بل قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة - وهم الأنصار - الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [توبة: ١٠٠] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [تأخر: ٩].

وقال رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس نادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شعار والناس دثار» ج (٤٣٣٠).

وقال: «الأنصار كرشي وعيبي» ج (٤٣٨٠).

وقال: «أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم» [السنن: ٣/٤٦٧].

وقال البخاري (٣٧٨٣): حدثنا حجاج بن منهال حدثنا شعبة حدثني عدي بن ثابت قال: سمعت البراء بن عازب يقول: سمعت رسول الله ﷺ - أو قال: قال رسول الله ﷺ -: «الأنصار لا يبغهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق. فمن أحبهم أحب الله ومن أبغضهم أبغض الله».

وقد أخرجه بقية الجماعة [م (٧٥)، ت (٣٩٠)، س (٨٣٤)، ج (١٦٣)] إلا أبا داود من حديث شعبة به.

وقال البخاري أيضاً [٣٧٨٤]: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن عبد الله بن عبد الله بن جبر عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

ورواه البخاري أيضاً (١٧) عن أبي الوليد الطيالسي ومسلم (٧٤) من حديث خالد بن الحارث وعبد الرحمن بن مهدي أريعتهم عن شعبة به.

والآيات والأحاديث في فضائل الأنصار كثيرة جداً. وما أحسن ما قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس - المتقدم ذكره أحد شعراء الأنصار - في قدوم رسول الله ﷺ إليهم ونصرهم إياه ومواساتهم له ولأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

وثبت في «الصحيحين» ج (٧٣٠٩)، م (٥٦٤) عن أنس بن مالك قال: جيء رسول الله ﷺ بيلد - وفي رواية: بقلد - فيه خضروات من بقول، قال: فسأل فأخبر بما فيها من البقول فلما رآه كره أكلها، قال: «كل فإنني أتأجج من لا تأجج».

وقد روى الواقدي أن أسعد بن زرارة - لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب - أخذ بمخاطم ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده وطلقات ابن سعد: ١/٢٣٧.

وروي عن زيد بن ثابت أنه قال: أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئت بها، قصعة فيها خبز مشرود بلبن وسمن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: «بارك الله فيك» ودعا أصحابه فأكلوها، ثم جاءت قصعة سعد بن عباد ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام يتناولون، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر.

قال: وبعث رسول الله ﷺ - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعران وخسمائة درهم ليجتا بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ، وسودة بنت زمعة زوجته، وأسامة بن زيد، وكانت رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان، وزينب عند زوجها بمكة أبي العاص بن الربيع، وجاءت معهم أم أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعال أبي بكر وفيهم عائشة أم المؤمنين ولم يدخل بها رسول الله ﷺ. [طلقات ابن سعد: ١٠/٢٣٧، ٢٣٨]

وقال البيهقي [في الدلائل: ٥٠٩/٢]: أخبرنا علي بن أحمد بن عبيدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا خلف بن عمرو العكري حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عطاء بن خالد حدثنا صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فاستأخنت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد، فأتاه الناس فقالوا: يا رسول الله المنزل. فأتبعته به راحلته فقال: «دعوها فإنها مأمورة» ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستأخنت ثم تخللت الناس وشم عريش كانوا يروونه ويعلمونه ويتبردون فيه، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل فاتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله إن منزلي أقرب المنازل إليك فائقل رحلك إلي؟ قال: «نعم» فذهب برحله إلى المنزل، ثم أتاه رجل فقال: يا رسول الله أين تحل؟ قال: «إن الرجل مع رحله حيث كان».

وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثني عشرة ليلة حتى بنى المسجد، وهذه متفة عظيمة لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ.

وقد رُوينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ؓ أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابن عباس نائياً عليها من جهة علي بن أبي طالب ؓ - فخرج له ابن عباس عن داره حتى أتته فيها كما أتزل رسول الله ﷺ في داره، وملكه كل ما أغلق عليه بابها. ولما أراد الانصراف أعطاه ابن عباس عشرين ألفاً، وأربعين عبداً. وقد صارت دار أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلق. فاستراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلح ما وقى من بيتانها ووهبها لأهل بيت قرقاء من أهل المدينة.

وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجار واختيار الله له ذلك متفة عظيمة لهم وقد كان في المدينة دور كثيرة تبلغ تسعاً كل دار محلة مستقلة

فأسكني أحب البلاد إليك.

فأسكنه الله المدينة. وهنا حديث غريب جداً.

والمشهور عن الجمهور أن مكة أفضل من المدينة إلا المكان الذي ضم جسد رسول الله ﷺ، وقد استدل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هنا وعملها في كتاب المناسك من «الأحكام» إن شاء الله تعالى.

وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد (٣٠٥/٤): حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالجزرة في سوق مكة يقول: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنه أخرج منك ما خرجت».

ورواه الطبراني (في الأوسط: ٤٥٧) عن أحمد بن خليل الحلبي عن الحميدي عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به.

فهذه طرق هذا الحديث، وأصحها ما تقدم والله أعلم.

سنة ١ - حوادث ووقائع

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل: سنة سبع عشرة، أو ثمانى عشرة - في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك - أي حجة - لرجل على آخر وفيه: أنه يحل عليه في شعبان. فقال عمر: أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك.

فقال قائل: أرخوا لتاريخ الفرس ففكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحداً بعد واحد. وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم. وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيليبس المقدوني ففكره ذلك. وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله ﷺ وقال آخرون: بل بمبعثه، وقال آخرون: بل بهجرته، وقال آخرون: بل بوفاته عليه السلام. فقال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره. واتفقوا معه على ذلك (تاريخ الطبري: ٣٨٨/٢، ٣٨٩).

وقال البخاري في «صحيحه» (٣٩٣٤): التاريخ ومتى أرخوا التاريخ:

حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد قال: ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مقدمه المدينة.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه. قال: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة.

وقال أبو داود الطيالسي عن قرة بن خالد السدوسي عن محمد بن سيرين قال: قام رجل إلى عمر فقال: أرخوا. فقال: ما أرخوا؟ فقال: شيء تفعله الأعاجم يكتبون: في شهر كذا من سنة كذا.

فقال عمر: حسن فأرخوا، فقالوا: من أي السنين نبدا؟ فقالوا: من مبعثه، وقالوا: من وفاته، ثم أجمعوا على الهجرة، ثم قالوا: وأي الشهور نبدا؟ فقالوا: رمضان، ثم قالوا: الحرم فهو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجتمعوا على الحرم (تاريخ الطبري: ٣٨٩/٢).

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٢/١): وقال أبو قيس صرمه بن أبي أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خصهم به من رسوله عليه السلام:

ثوى في قريش بضع عشرة حجةً يذكر لو يلقى صديقاً موثقاً ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يزوي ولم ير داعياً فلما أتانا أظهر الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة راضياً وألقى صديقاً وأطمأنت به النوى وكان له عوناً من الله باديها يقصر لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى إذ أجاب المناديا فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً بلتنا له الأموال من حل مالنا وأنشأنا عند الوغى والتأسي نعاذي الذي عاذى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المواسي ونعلم أن الله لا شيء غيره وأن كتاب الله أصبح هادياً أقول إذا صليت في كل بيعة حناتك لا تظهر علينا الأعادي أقول إذا جاوزت أرضاً خيفةً تباركت إسم الله أنت المواليا فلما مرضاً إن الخوف كثيرة وإنك لا تبقى لنفسك باقياً فوالله ما يدري الفتى كيف سعيه إذا هو لم يعمل له الله وأقيا ولا تحفل النخل المعيمة ربهما إذا أصبحت رياءً وأصبح ثاريسا ذكرها ابن إسحاق وغيره (الاستيعاب لابن عبد البر: ٧٣٨/٢) ورواها عبد الله بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عجزو من الأنصار قالت: رأيت عبد الله بن عباس يختلف إلى صرمه بن قيس يروي هذه الأبيات. رواه البيهقي (في الدلائل: ٥١٣/٢، ٥١٤).

٨٨ - فضل المدينة

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ومعقلاً وحصناً منيعاً للمسلمين، ودار هدى للعالمين والأحاديث في فضلها كثيرة جداً لما موضع آخر نوردنا فيه إن شاء الله.

وقد ثبت في «الصحيحين» (ج ١٨٧٦)، م (١٤٧) من طريق خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

ورواه مسلم (١٤٦) أيضاً عن محمد بن رافع عن شابة عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحوه. وفي «الصحيحين» (ج ١٨٧١)، م (١٣٨٢) أيضاً من حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع أبا الحباب سعيد بن يسار سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «أمريت بقرية تاكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكبر خبث الحديد».

وقد انفرد الإمام مالك عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة.

وقد قال البيهقي (في الدلائل: ٥١٩/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالوا: حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا سعيد بن سعيد حدثني أخي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلى»

وقال ابن جرير (في تاريخه: ٣٩٠/٢): حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا قتيبة حدثنا نوح بن قيس الطاحي عن عثمان بن حصن أن ابن عباس كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرُ﴾ وتُكَلِّمُ الْغُصْنِ هو المحرم فجر السنة.

وروي (الطبراني في تاريخه: ٣٩٠/٢) عن عبيد بن عمير: قال: إن المحرم شهر الله وهو رأس السنة يكسى به البيت، ويؤرخ به الناس، ويضرب فيه الورق.

وقال أحمد (من طريقه أخرجه الطبري في تاريخه: ٣٩٠/٢): حدثنا روح بن عباد حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار قال: إن أول من أرخ الكتب: يعلى بن أمية باليمن، وإن رسول الله ﷺ قدم المدينة في ربيع الأول وإن الناس أروها لأول السنة.

وروي محمد بن إسحاق عن الزهري وعن محمد بن صالح عن الشعبي أنهما قالوا: أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم، ثم أروها من بنيان إبراهيم وإسماعيل البيت، ثم أروها من موت كعب بن لؤي. ثم أروها من الفيل، ثم أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة (تاريخ الطبري: ٣٩٠/٢).

وقد ذكرنا هذا الفصل محرراً بأسانيد وطرقه في «السيرة المعرية» والله الحمد.

والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة، وجعلوا أولها من المحرم فيما اشتهر عنهم وهذا هو قول جمهور الأئمة.

وحكى السهيلي وغيره عن الإمام مالك أنه قال: أول السنة الإسلامية ربيع الأول لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ.

وقد استدلل السهيلي (الروض الألف: ٢٥٤/٤ - ٢٥٧) على ذلك في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (التوبة: ١٠٨) أي من أول يوم حلول النبي ﷺ بالمدينة، وهو أول يوم من التاريخ كما اتفق الصحابة على أول سني التاريخ عام الهجرة.

ولا شك أن هذا الذي قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة. وجعلوا أولها المحرم كما هو المعروف لتلاخظ النظام والله أعلم.

فنقول وبالله المستعان: استهلكت سنة الهجرة المباركة ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قلنا في أوسط أيام التشريق وهي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة قبل سنة الهجرة.

ثم رجع الأنصار وأذن رسول الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة فهاجر من هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة من يمكنه الخروج إلا رسول الله ﷺ، وحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قلنا.

ثم خرجا على الوجه الذي تقدم بسطه وتأخر علي بن أبي طالب بعد النبي ﷺ بأمره ليؤدي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء فقدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين قريباً من الزوال وقد اشتد الضحاه.

قال الواقدي وغيره: وذلك لليتين خلنا من شهر ربيع الأول (طبقات ابن سعد: ٢٣٣/١).

وحكاه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٢/١) إلا أنه لم يعرج عليه ورجع أنه لثني عشرة ليلة خلت منه، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور.

وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة في

أصح الأقوال، وهو رواية حماد بن سلمة (من طريقه أخرجه الطبري في تاريخه: ٣٨٤/٢) عن أبي جرة الضبي عن ابن عباس: قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة.

وهكذا روى ابن جرير (في تاريخه: ٣٨٥/٢) عن محمد بن معمر عن روح بن عباد عن زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة.

وتقدم أن ابن عباس كتب أبيات صرمة بن أبي أنس بن قيس: ثوى في فريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وقال الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه استشهد يقول صرمة:

ثوى في فريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً

وهكذا رواه ابن جرير (في تاريخه: ٣٨٦/٢) عن الحارث عن محمد بن سعد عن الواقدي: خمس عشرة حجة.

وهو قول غريب جداً، وأغرب منه ما قال ابن جرير (في تاريخه: ٣٨٧/٢): حدثت عن روح بن عباد حدثنا سعيد عن قتادة قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنين بمكة، وعشرًا بالمدينة.

وكان الحسن يقول: عشرًا بمكة، وعشرًا بالمدينة.

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسن البصري من أنه أقام بمكة عشر سنين ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيد بن المسيب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير (في تاريخه: ٢٨٣/٢، ٢٨٤) عنهم.

وهو رواية عن ابن عباس رواها أحمد بن حنبل (٢٢٨/١) عن يحيى بن سعيد عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس: قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فمكث بمكة عشرًا.

وقد قلنا عن الشعبي أنه قال: قرن إسماعيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين بليقي إليه الكلمة والشيء.

وفي رواية: يسمع حسه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبريل. وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا (تاريخ الطبري: ٣٨٧، ٣٨٦/٢).

وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال: إنه عليه السلام أقام بمكة عشرًا، وقول من قال: ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي والله أعلم.

سنة ١ - مسجد قباء

ولما حل الركاب النبوي بالمدينة، كان أول نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف وهي قباء كما تقدم فاقام بها - أكثر ما قيل: - تسعين وعشرين ليلة، وقيل: ثمانين عشرة ليلة. وقيل: بضع عشرة ليلة.

وقال موسى بن عقبة: ثلاث ليال (اللال للبيهي: ٥٠٠/٢).

والأشهر ما ذكره ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٩٤/١) وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقاءه من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة، وقد أسس في هذه المدة المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجد قباء.

وقد ادعى السهيلي (في الروض الألف: ٢٥٤/٤، ٢٥٥) أن رسول الله ﷺ أسسه في أول يوم قدم إلى قباء وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾.

ورد قول من أعربها: من تأسيس أول يوم، وهو مسجد شريف فاضل نزل فيه قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ

كذاب.

فكان أول شيء سمعته يقول: «أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

ورواه الترمذي [(٢٤٨٥)] وابن ماجه [(١٣٣٤، ٣٢٥١)] من طرق عن عرف الأعرابي عن زرار بن أبي أوفى به عنه.

وقال الترمذي: صحيح.

ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبي ﷺ ورآه أول قدمه حين أتاه بقاءه في بني عمرو بن عوف.

وتقدم في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أتاه عند دار أبي أيوب بعد ارتحاله من قباء إلى دار بني النجار كما تقدم (السنة: ٢١١/٣).

فلعله رآه أول ما رآه بقاءه، واجتمع به بعدما صار إلى دار بني النجار والله أعلم.

وفي سياق البخاري [(٣٩١١)] من طريق عبد العزيز عن أنس قال: فلما جاء النبي ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله وأنت جئت بحق، وقد علمت يهود أنني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلمهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت فينهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا في ما ليس في. فأرسل نبي الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم: «يا معشر اليهود وليكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا» قالوا: ما تعلمه قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاث مرار. فقال: «فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: «أرايتم إن أسلم؟» قالوا: حاش لله ما كان ليسلم. قال: «فيا ابن سلام أخرج عليهم» فخرج فقال: «يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ. هذه لفظه.

وفي رواية [ج (٣٩٣٨)، ص (٩٠٧٤)] فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا: شرتنا وابن شرتنا، وتتقصوه فقال: يا رسول الله هذا الذي كنت أخاف.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٥٢٨/٢، ٥٢٩): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا حميد عن أنس. قال: سمع عبد الله بن سلام يقدم النبي ﷺ وهو في أرض له - فأتى النبي ﷺ فقال: إنني سألتك عن ثلاث لا يعلمن إلا نبي؛ ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل أتاه قال: جبريل؟ قال: نعم» قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٧).

«أما أول أشرط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسلمهم عني بهتوني. فجاءت اليهود فقال: «أي رجل عبد الله فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: «أرايتم إن أسلم؟» قالوا: أعاضه الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

تَقَرَّرَ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» (البقرة: ١٠٨).

كما تكلمنا على تقرير ذلك في «التفسير» وذكرنا الحديث الذي في «صحيح مسلم» [(١٣٩٨)] أنه مسجد المدينة والجواب عنه.

وذكرنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد [(٤٢٢/٣)] حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا شرحبيل عن عويم بن ساعدة أنه حدثه أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بقاء فقال: «إن الله قد أحسن عليكم الشاء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا.

وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» [(٨٣)] وله شواهد أخرى.

وروي عن خزيمة بن ثابت ومحمد بن عبد الله بن سلام وابن عباس. وقد روى أبو داود [(٤٤)] والترمذي [(٣١٠٠)] وابن ماجه [(٣٥٧)] من حديث يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أهل بقاء: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾. قال: كانوا يستنجون بالماء فتزلت فيهم هذه الآية.

ثم قال الترمذي: غريب من هذا الوجه.

قلت: ويونس بن الحارث هذا ضعيف والله أعلم.

ومن قال بأنه المسجد الذي أسس على التقوى ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير.

ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وحكي عن الشعبي والحسن البصري وقائدة وسعيد بن جبيرة وعطية العوفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم (انظر لسور الطهري: ٢٧/١١، ٢٨).

وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه، وكان يأتي بقاء كل سبت تارة ركباً وتارة ماشياً [م (١٣٩٩)].

وفي الحديث [ت (٣٢٤)، ج (٤١١)]: «صلاة في مسجد بقاء كعمرة».

وقد ورد في حديث (الطهري في الكو: ٣١٨، ٣١٧/٢٤) أن جبريل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبله مسجد بقاء.

فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة، بل أول مسجد جعل لمعوم الناس في هذه الملة. واحتزننا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة عند باب داره يتعبد فيه ويصلي لأن ذاك كان خاصة نفسه لم يكن للناس عامة والله أعلم.

وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً فوضعه بين يديه وهو بقاء قال: هذا صدقة فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله وأمر أصحابه فأكلوها منه، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال: هذه هدية فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوها. تقدم الحديث بطوله.

سنة ١ - إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه

قال الإمام أحمد [(٤٥١/٥)]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن زرار بن عبد الله بن سلام. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن انجفل، فلما تبين وجهه عرفت أنه ليس بوجه

ذلك دأبه لعنه الله حتى قتل صبياً بين يدي رسول الله ﷺ يوم قتل مقاتلة بني قريظة كما سيأتي إن شاء الله.

سنة ١- أول جمعة صلاها بالمسلمين

ولما ارتحل عليه الصلاة والسلام من قباه وهو راكب ناقته القصواء وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف، فصلّى بالمسلمين الجمعة هناك، في واد يقال له وادي راتواناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة، أو مطلقاً لأنه - والله أعلم - لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له، وأنتهم إياه.

سنة ١- خطبة النبي ﷺ يومئذ

قال ابن جرير رحمه الله: ٣٩٦/٢ - ٣٩٦: حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنهم: الحمد لله أحمد واستغفره، واستغفره واستغفره، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فأحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى وإنه تقوى لمن عمل به على وجل وخافة، وعون صدق على ما تبتنون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعالية لا يتوهم بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أملاً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد.

والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى: ﴿مَّا يَلِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَلَّا يُلْقَىٰ أَفْوَاجًا﴾ [٢٩] واتقوا الله في عاجل أمركم وأجله في السر والعالية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله توفى مقته، وتوفى عقوبته وتوفى سخطه. وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة.

خلفوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ومماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة وميماً من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله. فآثروا ذكر الله وأعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قالوا: شرنا وابن شرنا وانتصوه. قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

ورواه البخاري [٤٤٨٠] عن عبد الله بن منير عن عبد الله بن بكر به.

ورواه زح [٣٩٣٨] عن حامد بن عمر عن بشر بن المفضل عن حميد به.

قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله عن رجل من آل عبد الله بن سلام. قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالماً - قال: لما سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهيته والذي كنا نتوكل له فكت مسراً بذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة.

فلما قدم نزل بقباه في بني عمرو بن عوف. فاقبل رجل حتى أخبر بقلومه، وثنا في رأس غلظة في أصل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحمي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت عمي حين سمعت تكبري: لو كنت سمعت موسى بن عمران ما زدت، قال: قلت لها: أي عمه. هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث مما بعث به. قال: فقالت له: يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم أقلت: فذاك إذا.

قال: فخرجت إلى رسول الله ﷺ فسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكتبت إسلامي من اليهود وقلت: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك فتبينني عنهم، ثم تسالم عني فيخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن يعلموا بذلك بهتوني وعابوني، وذكر نحو ما تقدم. قال: فأنشأت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث. [الدلائل للبهقي: ٥٣١، ٥٣٠/٢]

وقال يونس بن بكر عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثني حدثت عن صفية بنت حيي قالت: لم يكن أحد من ولد أبي عمي أحب إليهما مني، لم اتقهما في ولد لها قط أهش إليهما إلا اخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباه - قرية بني عمرو بن عوف - غداً إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب منلسين، فوالله ما جاءنا إلا مع منيب الشمس. فجاؤنا فأتين كسلاطين ساقطين يمشيان الموهبي، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: تعرفه بعينه وصفته؟ قال: نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت [الدلائل للبهقي: ٥٣٣/٢]. وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم أطيعون فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد اليهود، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسول الله ﷺ وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعاً - فقال: أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً. فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أم أطنبي في هذا الأمر وأعصني فيما شئت بعده لا تهلك، قال: لا والله لا أطيعك أبداً، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه [الدلائل للبهقي: ٥٣٢/٢، ٥٣٣].

قلت: أما أبو ياسر بن أخطب فلا أدري ما آل إليه أمره، وأما حيي بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرّب عداوة النبي ﷺ وأصحابه، ولم يزل

هكذا أوردنا ابن جرير وفي السند إرسال.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٥٢٤/٢، ٥٢٥): باب، أول خطبة خطبها رسول الله ر حين قدم المدينة:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شريق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ر بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فقد دعوا لأنفسكم تعلمن والله ليصنعن أحدكم ثم لينعن غنمه ليس لها راع، ثم يقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأتك رسولي فبلغك، وأتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قلعت لنفسك؟ فينظر بيننا وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فيكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله ر ورحمة الله وبركاته».

ثم خطب رسول الله ر مرة أخرى فقال: «إن الحمد لله أحمده واستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، أحباؤه من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تنس عنه قلوبكم فإنه من كل يختار الله ويصطفى فقد سماه خيره من الأعمال وخيره من العباد، والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله بغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وهذا الطريق أيضاً مرسله إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

سنة ١ - بناء مسجد الشريف

وقد اختلف في مدة مقامه بها، فقال الواقدي: سبعة أشهر وطفت ابن سعد: ٢٣٧/١.

وقال غيره: أقل من شهر والله أعلم.

قال البخاري (٢٩٣٢): حدثنا إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد قال: سمعت أبي يحدث: حدثنا أبو التياح يزيد بن حميد الضبي حدثنا أنس بن مالك. قال: لما قدم رسول الله ر المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فاقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملا بني النجار فجاءوا متقلدي سيفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ر على راحلته وأبو بكر ردفه، وملا بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب.

قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرائب الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملا بني النجار فجاءوا فقال: «يا بني النجار ثامنوني بمناظركم هذا» فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله عز وجل، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبور المشركين،

وكانت فيه خرب، وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ر بقبور المشركين فنبشت وبالحرب فسويت، وبالنخل فقطع. قال: فصفاوا النخل قبله المسجد، وجعلوا عضادته حجارة قال: فجعلوا يتقلون ذلك الصخر وهم يتجوزون، ورسول الله ر معهم يقول:

«اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة» فاتصر الأنصار والمهاجرة»

وقد رواه البخاري في مواضع أخر (٤٢٨) ومسلم من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد (٥٢٤).

وقد تقدم في صحيح البخاري (٣٩٠٦) عن الزهري عن عروة أن المسجد الذي كان مربداً - وهو بيدر التمر - ليتمين كانا في حجر أسعد بن زرارة وهما سهل وسهيل، فسامهما فيه رسول الله ر فقالا: بل نبيه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً. قال: وجعل رسول الله ر وهو يتقل معهم التراب يقول:

«هنا الحلال لأحمال خير» هنا أبصر ربنا وأطهره»

ويقول:

«اللهم إن الأجر أجر الآخرة» فارحم الأنصار والمهاجرة»

وذكر موسى بن عقبة أن أسعد بن زرارة عرضهما منه فخلاً له في بياضة، قال: وقيل: ابتاعه منهما رسول الله ر. [الدلائل للبيهقي: ٥٣٨/٢]

قلت: وذكر محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٥/١] أن المرید كان لنلامين يتمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو فآله أعلم.

وروى البيهقي (في الدلائل: ٥٤١/٢، ٥٤٢) من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن حماد الضبي حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن. قال: لما بنى رسول الله ر المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى أغبر صدره، فقال «بنوه عريشاً كعريش موسى» فقلت للحسن: ما عريش موسى؟ قال إذا رفع يديه بلغ العريش، يعني: السقف.

وهذا مرسل.

وروى [البيهقي في الدلائل: ٥٤٢/٢] من حديث حماد بن سلمة عن أبي سنان عن يعلى بن شداد بن أوس عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبي ر فقالوا: يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينته، إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟ فقال: «ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال أبو داود (٥٤١): حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيان عن فراس عن عطية العوفي عن ابن عمر أن مسجد النبي ر كانت سواربه على عهد رسول الله ر من جنود النخل، أعلاه مظلل بجريد النخل ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر، فبناها بجذوع وبجريد النخل، ثم إنها نخرت في خلافة عثمان فبناها بالأجر، فما زالت ثابتة حتى الآن.

وهذا غريب.

وقد قال أبو داود أيضاً (٥٤١): حدثنا مجاهد بن موسى حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثني أبي عن صالح حدثنا نافع عن ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ر مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بناته في

فجعل ينفض التراب عنه ويقول: «وبيع عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهن إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري [(٤٤٧)] عن مسدد عن عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء.

وعن إبراهيم بن موسى [خ (٢٨١٢)] عن عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء به.

إلا أنه لم يذكر قوله: «تقتلك الفئة الباغية».

قال البيهقي [في الدلائل: ٥٤٨/٢]: «وكانه إنما تركها لما رواه مسلم [(٤٩١٥/٧٠)] من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: أخبرني من هو خير مني أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، جعل يمسح رأسه ويقول: «بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية».

وقد رواه مسلم أيضاً [(٢٩١٥/٧١)] من حديث شعبة عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: حدثني من هو خير مني - أبو قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: «بؤس لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية».

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا وهيب عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناس يحملون لينة لينة، وعمار ناهق من وجع كان به، فجعل يحمل لبتين لبتين.

قال أبو سعيد: فحدثني بعض أصحابي أن رسول الله ﷺ كان ينفض التراب عن رأسه ويقول: «ويحك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية» [والدلائل البيهقي: ٥٤٨/٢، ٥٤٩].

قال البيهقي [في الدلائل: ٥٤٩/٢]: «فقد فرق بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه. قال: ويشبه أن يكون قوله: الخندق وهماً أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق والله أعلم».

قلت: حل اللين في حفر الخندق لا معنى له، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم.

وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمار أنه تقتله الفئة الباغية وقد قتله أهل الشام في وقعة صفين وعمار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه.

وقد كان علي إحق بالأمر من معاوية. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جبهة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كل مجتهد مصيباً بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر.

ومن زاد في هذا الحديث بعد قوله: «تقتلك الفئة الباغية»: لا أئامها الله شفاعتي يوم القيامة. فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ فإنه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم.

أما قوله: «يدعوهن إلى الجنة ويدعونه إلى النار» فإن عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة. وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه، وهذا يؤدي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة فهو لازم مذهبه ونأش عن مسلكتهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم.

وسيأتي تقرير هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صفين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن تأييده وتوفيقه.

والمقصود هنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على ياتيه أفضل الصلاة والتسليم.

بنائه في عهد النبي ﷺ باللين والجريد وأعاد عمده خشباً. وغيره عثمان ﷺ وزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقّفه بالساج.

وهكذا رواه البخاري [(٤٤٦)] عن علي بن المديني عن يعقوب بن إبراهيم به.

قلت: زاده عثمان بن عفان ﷺ متولواً قوله ﷺ: «من بنى لله مسلماً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة» [ج (٧٣٨)].

ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم ينفروا بعده، فيستدل بذلك على الراجح من قولي العلماء أن حكم الزيادة حكم المزيد، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه، وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق، زاده له بأمر عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعده، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الروضة والمزب بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٦/١، ٤٩٧]: «ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب، حتى بنى مسجده ومسكنه، وعمل فيه رسول الله ﷺ، ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، ودأبوا فيه، فقال قائل من المسلمين:

لئن تعدنا والنبي يعمل لئلا نأكل من العمل المضلل

وارغز المسلمون وهم يبنونه، يقولون:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

فيقول رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار» قال: فدخل عمار بن ياسر وقد انقلوه باللين فقال: يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون: قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته يديه - وكان رجلاً جمداً - وهو يقول: «وبيع ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية».

وهذا منقطع من هذا الوجه بل هو معضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة.

وقد وصله مسلم في «صحيحه» [(٢٩١٦/٧٢)] من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة - عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تقتل عماراً الفئة الباغية».

ورواه [م (٢٩١٦/٧٣)] من حديث ابن عليه عن ابن عون عن الحسن بن أمه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة: «وبيع لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية».

وقال عبد الرزاق [في مصنفه: ٢٠٤٢٦]: أخبرنا معمر عن الحسن يحدث عن أمه عن أم سلمة قالت: لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لينة، وعمار يحمل لبتين لينة عنه ولينة عن النبي ﷺ فمسح ظهره. وقال: «ابن سمية، للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن وتقتلك الفئة الباغية».

وهذا إسناد على شرط «الصحيحين».

وقد أورد البيهقي [في الدلائل: ٥٤٦/٢] وغيره [المسند: ٩٠/٣، ٩١] من طريق جماعة عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري. قال: كنا نحمل في بناء المسجد لينة لينة، وعمار يحمل لبتين لبتين. قرأه النبي ﷺ

ورواه الترمذي [٢٢٣] عن قتيبة عن حاتم بن إسماعيل عن أنس بن أبي يحيى الأسلمي به وقال: حسن صحيح.

وروى الإمام أحمد [٨/٣] عن إسحاق بن عيسى عن الليث بن سعد والترمذي [٣٠٩٩] والنسائي [٩٩٦] جميعاً عن قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه. قال: ثم أرى رجلاً في المسجد الذي أسس على التقوى، وذكر نحو ما تقدم.

وفي «صحيح مسلم» [١٣٩٨] من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عبد الرحمن بن أبي سعيد: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال أبي: أتيت رسول الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفاً من حصاه فضرب به الأرض. ثم قال: «هو مسجدكم هذا».

وقال الإمام أحمد [٣٣١/٥]: حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد قال: اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد في الذي أسس على التقوى. فقال أحدهما: هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأبى رسول الله ﷺ فسأله فقال: «هو مسجدني هذا».

وقال الإمام أحمد [١١٦/٥] حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «المسجد الذي أسس على التقوى مسجدني هذا».

فهذه طرق متعددة لعلها تقرب من إفادة القطع بأنه مسجد الرسول ﷺ وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، واختاره ابن جرير (مجموع الطبري: ٢٨/١١).

وقال آخرون: لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قباء - كما تقدم بيانه - وبين هذه الأحاديث. لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك لأن هذا أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها كما ثبت في «الصحيحين» [١١٨٩]، م [١٣٩٧] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدني هذا والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس».

وفي «صحيح مسلم» [٩٧٥/٢، ٩٧٦، ٨٢٧] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وذكرها.

وثبت في «الصحيحين» [١١٩٠]، م [١٣٩٤] أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدني هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وفي «مسند أحمد» [٢٩/٢] بإسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله: «فإن ذلك أفضل».

وفي «الصحيحين» [١١٩٦]، م [١٣٩١] من حديث يحيى القطان عن عبد الله عن خبيب عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي».

والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً وسنوردتها في كتاب المناسك من كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام لأن ذاك بناء إبراهيم، وهذا بناء محمد ﷺ، ومعلوم أن عمداً ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام.

وقد قال الحافظ البيهقي في «الدلائل» [٥٥٣/٢]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا حدثنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا عبيد بن شريك حدثنا نعيم بن حماد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشر بن نباتة عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ. قال: جاء أبو بكر بمحجر فوضعه، ثم جاء عمر بمحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بمحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء ولأمر بعدي».

ثم رواه البيهقي في «الدلائل» [٥٥٣/٢] من حديث يحيى بن عبد الحميد الحماني عن حشر عن سعيد عن سفينة. قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً. ثم قال: «ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري، ثم ليضع عمر حجراً إلى جنب حجر أبي بكر، ثم ليضع عثمان حجراً إلى جنب حجر عمر».

فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الخلفاء من بعدي» وهذا الحديث بهذا السياق غريب جداً.

والمعروف ما رواه الإمام أحمد [٢٢٠/٥، ٢٢١] عن أبي النضر عن حشر بن نباتة العنسي وعن بهز وزيد بن الحباب وعبد الصمد عن حماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون من بعد ذلك الملك».

ثم قال سفينة: أسكت؛ خلافة أبي بكر ستين، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثني عشرة سنة وخلافة علي ست سنين، هذا لفظ أحمد.

ورواه أبو داود [٤٦٤٦] والترمذي والنسائي [٨١٥٥] من طرق عن سعيد بن جهمان.

وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه. ولفظه: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضواً» وذكر بقية.

قلت: ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني منبر يخطب الناس عليه، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي فلما اتخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه، وجاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحن حنين النوى العشار لما كان يسمع من خطب الرسول عليه السلام عنده، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت.

كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق عن سهل بن سعد الساعدي وجابر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأم سلمة رضي الله عنهم.

وما أحسن ما قال الحسن البصري بعدما روي هذا الحديث عن أنس بن مالك: يا معشر المسلمين الخشية تمن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!؟

سنة ١ - فضل المسجد النبوي

قال الإمام أحمد [٢٣/٣]: حدثنا يحيى عن أنس بن أبي يحيى حدثني أبي قال: سمعت أبا سعيد الخدري قال: اختلف رجلان رجل من بني خندرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله ﷺ وقال العمري: هو مسجد قباء، فأبى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: «هو هذا المسجد لمسجد رسول الله ﷺ وقال: «في ذلك خير كثير» يعني: مسجد قباء.

وهل أُرِدْن يوماً مِياهَ جَنَّةٍ - وهل يَسْدُونُ لي شِامةً وطَفيلاً
قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا
المدينةَ كَحَبِّنا مَكَةَ أو أَشدَّ وصَحِّحها وبارك لنا في صاعِها ومَدَها، وانقل
حاما فاجعلها بالجحفة».

ورواه مسلم [١٣٧٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيدة عن هشام
مختصراً.

وفي رواية البخاري [١٨٨٩] له عن أبي أسامة عن هشام بن عروة
عن أبيه عن عائشة فذكره وزاد بعد شعر بلال: ثم يقول: اللهم العن عتبة
بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأميه بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء.
فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كَحَبِّنا مَكَةَ أو أَشدَّ،
اللَّهُمَّ بارك لنا في صاعِها وفي مَدَها وصَحِّحها لنا وانقل حاما إلى الجحفة».
وقلنا إلى المدينة وهي أوى أرض الله، وكان بطحان يجرى نجلاً -
تعني: ماء أجنباً -.

وقال زياد عن محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٨٨/١، ٥٨٩]: حدثني
هشام بن عروة وعمر بن عبد الله عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: لما
قدم رسول الله ﷺ المدينةَ قلنما وهي أوى أرض الله من الحمى فأصاب
أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ قالت: فكان أبو
بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى
فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا
يعلمه إلا الله من شدة الروع فدفنوا من أبي بكر فقلت: كيف تجدك يا
أيه؟ فقال:

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركاء نعليه

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، قالت: ثم دفنوا إلى عامر
بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ قال:

لقد وجدت الموت قبل فوقه إن الجبان حنَّه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالنور يحمي جيلته برؤفه

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول، قالت: وكان بلال إذا
أدركه الحمى اضطلع بفناء البيت ثم رفع عقبرته فقال:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بفخٍ وحولي إذ خسر وجليل
وهل أُرِدْن يوماً مِياهَ جَنَّةٍ - وهل يَسْدُونُ لي شِامةً وطَفيلاً

قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم وقلت: إنهم
ليهلون وما يعقلون من شدة الحمى فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ، كما
حببت إلينا مَكَةَ أو أَشدَّ وبارك لنا في مَدَها وصاعِها، وانقل وباءها إلى
مهبهة ومهبهة هي الجحفة».

وقال الإمام أحمد [٦٥/٦]: حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد بن أبي
حبيب عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة
عن عائشة قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينةَ اشتكى أصحابه واشتكى
أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وبلال، فاستأذنت عائشة رسول الله
ﷺ في عيادتهم فأذن لها، فقالت لأبي بكر: كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركاء نعليه
وسألت عامراً فقال:

إنني وجدت الموت قبل فوقه إن الجبان حنَّه من فوقه

وسألت بلالاً فقال:

وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك وقرروا أن المسجد الحرام أفضل
لأنه في بلد حرَّمه الله يرم خلق السموات والأرض، وحرَّمه إبراهيم
الخليل عليه السلام، ويحمد خاتم المرسلين. فاجتمع فيه من الصفات ما
ليس في غيره، وبسط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان.

سنة ١- مسكن النبي ﷺ في المسجد

وبني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حجر لتكون مساكن له
ولأهله وكانت مساكن قصيرة البناء قرية الفناء.

قال الحسن بن أبي الحسن البصري - وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة
أم سلمة -: لقد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي وأظفر
الروض الأضف: ٢٩٧/٤، ٢٩٨.

قلت: إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضخماً طويلاً رحمه الله.
وقال السهلي في «الروض» [٢٩٧/٤]: كانت مساكنه عليه السلام مبنية
من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد.
وقد حكى عن الحسن البصري ما تقدم وقال: وكانت حجرو من شعر
مربوطة بخشب من عرص.

قال السهلي في الروض: [٢٩٨/٤] وفي «تاريخ البخاري» أن بابيه عليه
الصلاة والسلام كان يقرع بالأظفار.
فدل على أنه لم يكن لأبوابه حلق.

قال السهلي في الروض: [٢٩٨/٤]: وقد أضيفت الحجر كلها بعد موت
أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد.

قال الواقدي [أظفر طبقات ابن سعد: ٦٢/٨، ٦٣، ١٦٥] وابن جرير [في
تاريخه: ٤٠٠/٢] وغيرهما: ولما رجع عبد الله بن أريقط الديلمي إلى مكة
بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع مولي رسول
الله ﷺ ليأتوا بأهلهم من مكة وبعضهم يحملين وخمسة درهم
ليشتروا بها لإلا من قديد، فذهبوا فجازوا بيتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم
وزوجتيه سودة وعائشة، وأما أم رومان وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر
صحبة عبد الله بن أبي بكر وقد شرد بعائشة وأما أم رومان الجميل في
أثناء الطريق فجمعت أم رومان تقول: وأعروساء، وأبنتاه.

قالت عائشة: فسمعت قاتلاً يقول: أرسلني خطامه. فأرسلت خطامه
فوقف يأذن الله وسلمنا الله عز وجل. فقلعوا فنزلوا بالنسخ. ثم دخل
رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي، وقدمت
معهم أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حامل متم بعبد الله
بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة.

سنة ١- الوباء الذي كان في المدينة

قال البخاري [٣٩٢٦]: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ
المدينةَ وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أباي كيف
تجدك؟ وبيا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:
كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركاء نعليه
وكان بلال إذا ألقه عنه الحمى يرفع عقبرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بسوادٍ وحولي إذ خسر وجليل

ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلون كذلك فقال لهم: «إعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل.

سنة ١ - موادة اليهود

وفصل في عقده عليه السلام الألفة بين المهاجرين الأنصار بالكتاب الذي أمر به فكذب بينهم والمواخاة التي أمرهم بها وقرهم عليها وموادته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بحث نصر حين دوح ببلاد المقدس فيما ذكره الطبري (٥٣٩/١).

ثم لما كان سيل العرم وتفرقت سبأ شلر ملو نزل الأوس والخزرج المدينة عند اليهود فحالفهم وصاروا يتشبهون بهم لما يرون لهم عليهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء لكن من الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وغفل أولئك لحسدتهم وبغيتهم واستكبارهم عن اتباع الحق.

وقال الإمام أحمد (٢٨١/٣): حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عاصم الأحول عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك. وقد رواه الإمام أحمد (١١١/٣، ١٤٥، ٢٨١) أيضاً والبخاري (٢٢٩٤) ومسلم (٢٥٢٩) وأبو داود (٢٩٢٦) من طرق متعددة عن عاصم بن سليمان الأحول عن أنس بن مالك. قال: حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري.

وقال الإمام أحمد (٢٠٤/٢): حدثنا نصر بن باب عن حجاج - هو ابن أوطاة - قال: وحللتنا سريع حدثنا عباد عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقبتهم، وأن يفندوا عاتيتهم بالمعروف والإصلاح بين المسلمين.

قال أحمد (٢٧١/١): وحللتنا سريع حدثنا عباد عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس مثله. تكرر به الإمام أحمد.

وفي «صحيح مسلم» (١٥٠٧) عن جابر قال: كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقولة.

وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠١/١ - ٥٠٤): كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس».

المهاجرون من قريش على ريعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفندون عاتيتهم بالمعروف والقسط وبنو عوف على ريعتهم يتعاقلون معاقلتهم الأولى وكل طائفة تفندي عاتيا بالمعروف والقسط بين المؤمنين».

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار بني ساعدة وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، إلى أن قال: «وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المؤمنين على من بنى منهم أو

بأليت شعري هل أبيت ليلة بفسخ وحولي إذ خسر وجليل فأت رسول الله ﷺ فأخبرته، فنظر إلى السماء وقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعها وفي مدعها، وانتقل وياءها إلى مهجة». وهي الجحفة فيما زعموا.

وكذا رواه النسائي (٧٥١٩) عن قتية عن الليث به. ورواه الإمام أحمد (٢٣٩/٦، ٢٤٠) من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله.

وقال البيهقي (في الدلائل: ٥٦٧/٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو. قالوا: حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أربا أرض الله، ورواها بطحان نجل قال هشام: وكان وياؤها معروفاً في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيتاً فأشرف عليه الإنسان قيل له أن ينهق ينهق الحمار، فلذا فعل ذلك لم يضره وياها ذلك الوادي.

وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة: «يوان عروة بن ورد: ٩٥ لعمرى لئن عشت لئن عشت من خيفة الردى نهيق الحمار إنسي لأجسزوع

وروى البخاري (٧٠٣٨) من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «رايت كأن امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهجة - وهي الجحفة - فأولت أن وياها المدينة نقل إليها».

هذا لفظ البخاري ولم يخرجهم مسلم.

ورواه الترمذي (٢٢٩٠) وصححه والنسائي (٧٦٥١) وابن ماجه (٣٩٢٤) من حديث موسى بن عقبة.

وقد روى حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة، فذكر الحديث بطوله إلى قوله: «فواقتل حماها إلى الجحفة».

قال هشام: فكان المولود يولد بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحصى.

ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٦٨/٢).

وقال يونس عن ابن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي وبيئة. فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ «والدلائل للبيهقي: ٥٦٨/٢».

وقد ثبت في «الصحيحين» (خ (١٦٠٢)، م (١٢٦٦)) عن ابن عباس، قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء. فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد قد وهنهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

قلت: وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بنقل الوفاء إلى قريب من ذلك، أو أنه رفع وبقي آثار منه قليل، أو أنهم بقوا في خمار ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة والله أعلم.

وقال زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٩٠/١): وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهلوا مرضاً، وصرف الله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٠٣].

قال البخاري (٤٥٨٠): حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ قال: ورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمة للأخوة التي أختى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ نسخت ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.

وقال الإمام أحمد (١١١/٣): قرئ على سفيان: سمعت عاصماً عن أنس قال: حالف النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دارنا قال سفيان: كأنه يقول: آخى.

وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠٤/١، ٥٠٥): وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال: - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: - «تآخروا في الله أخوين أخوين» ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «هنا أخى» فكان رسول الله ﷺ - سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد - وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب - أسد الله وأسود رسوله وعم رسول الله ﷺ - وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين وإليه أوصى حمزة يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين.

قال ابن هشام (السيرة: ٥٠٥/١): كان جعفر يومئذ غائباً بأرض الحبشة. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠٦/١، ٥٠٧): وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزيبر بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين، ويقال: بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر التجاري أخوين، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعبد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العسبي حليف عبد الأشهل أخوين، ويقال: بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين.

قلت: وهذا أنسب من وجهين.

قال (سيرة ابن هشام: ٥٠٦/١، ٥٠٧): وأبو ذر يريم بن جنداة والمنذر بن عمرو المعتق ليموت أخوين، وحاطب بن أبي بلعة وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين وبلال وأبو ربيعة عبد الله بن عبد الرحمن المختصمي ثم أحد الفزع أخوين. قال فهو لأه من سمي لنا ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم.

قلت: وفي بعض ما ذكره نظر، أما مؤاخاة النبي ﷺ وعلي فلان من العلماء من ينكر ذلك ويمتنع صحته ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحة علي إلى غيره فإنه كان ممن ينفع عليه رسول الله ﷺ من صفره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدم عن مجاهد وغيره. وكذلك يكون

ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيدبهم عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنة في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم.

وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وإن كل غزاة غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.

وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يعير مشرك مالا لتريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما فعلوا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومآلهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن يهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني نعلبة وجفنة وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كانوا أنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، ولا يتحجز على ثار جرح، وإنه من فتنك فبنفسه فتنك وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا.

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمه إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ.

وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جبار لمن بر واتقى.

كنا أورده ابن إسحاق بنحوه. وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب «الغريب» وغيره بما يطول ذكره.

سنة ١- مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْ حَاجَتِ اللَّهِمْ وَلَا يَجْلُثُونَ فِي صُلُوهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتَوْا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ [المختار: ٩] وقال

المهنا، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا، ما أنتم عليهم ودعوتهم الله لهم».

هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط «الصحيحين» ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح من وجه آخر.

وقال البخاري [٢٣٢٥]: أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. قال قالت الأنصار للنبي ﷺ: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا». قالوا: تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا. تفرد به.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ للأنصار: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمرة». قالوا: نعم (انظر تفسير الطبري: ٤١/٢٨، ٤٢).

وقد ذكرنا ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحسن سجاياهم عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية.

سنة ١ - أول من مات في المدينة بعد مقدم النبي ﷺ

في موت أبي أمانة أسعد بن زرارة بن علس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول وكان شاباً وهو أول من جمع بالمدينة في نقيع الخضعات في هزم النبي كما تقدم.

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠٧/١): وهلك في تلك الأشهر أبو أمانة أسعد بن زرارة والمسجد بيني أخذته الذمجة، أو الشهقة. وقال ابن جرير في «التاريخ» [٣٩٨/٢]: أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة. رجاله ثقات.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠٧/١): حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة. قال: قال رسول الله ﷺ: «بش الميت أبو أمانة ليهود ومنافقي العرب، يقولون: لو كان نبياً لم تمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً».

وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي ﷺ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في «أسد الغابة» [٨٧/١] أنه مات في شوال بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة أشهر فإلله أعلم.

وذكر محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٠٧/١، ٥٠٨) عن عاصم بن عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم تقيماً بعد أبي أمانة أسعد بن زرارة فقال: «أنتم أخواني وأنا بما فيكم وأنا نفيكم». وكره أن ينص بها بعضهم دون بعض. فكان من فضل بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نفيهم.

حزرة قد التزم بمصالح مولاهم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار والله أعلم.

وهكذا ذكره لمواخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه، فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه السلام إلى المدينة اللهم إلا أن يقال: إنه أُرصد لإخوته إذا قدم حين يقدم.

وقوله: وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد [١٥٢/٣]: حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة. وكذا رواه مسلم [٢٥٢٨] منفرداً به عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

وهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق من مواخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ والله أعلم.

وقال البخاري (فتح الباري: ٢٧٠/٧) وأخبرني عنه: خ [٣٩٣٧]: باب كيف أتى النبي ﷺ بين أصحابه.

وقال عبد الرحمن بن عوف: أتى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قلعتا المدينة. وقال أبو جحيفة: أتى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حميد عن أنس قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، ففرض عليه أن يناصره أهله وماله فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق. فريح شيئاً من أقط وسمن، فرأه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضرم من صفرة، فقال النبي ﷺ: «مهم يا عبد الرحمن؟» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار. قال: «فما سقت فيها؟» قال وزن نواة من ذهب، قال النبي ﷺ: «أو كرم ولو بشاة».

تفرد به من هذا الوجه. وقد رواه أيضاً [خ ٢٠٤٩] في مواضع آخر، ومسلم [١٤٢٧] من طرق عن حميد به.

وقال الإمام أحمد [٢٧١/٣]: حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وحيد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أي أخى إنما أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخله وتحني امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه فذهب فأشترى وبيع فريح فجاء بشيء من أقط وسمن.

ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه رُخ زعفران فقال رسول الله ﷺ «مهم؟» فقال: يا رسول الله تزوجت امرأة، قال: «ما أصدقها؟» قال: وزن نواة من ذهب، قال: «أو لم ولو بشاة» قال عبد الرحمن: فلقد رأيته ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذعباً وفضة.

وتعليق البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريب فإنه لا يعرف مستنداً إلا عن أنس اللهم إلا أن يكون أنس تلقاه عنه فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٠٠/٣، ٢٠١]: حدثنا يزيد أخبرنا حميد عن أنس. قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قلعتنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بديلاً من كثير، لقد كفونا المؤونة واشركونا في

مقرب قد دنا وضعها لولدها، فلما ولدت كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحاً بمولده لأنه كان قد بلنهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.

سنة ١ - بناء النبي ﷺ بعائشة

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة قال الإمام أحمد [٢٠١/٦]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية عن عبد الله بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني بي في شوال، فأني نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نسائها في شوال.

ورواه مسلم [١٤٢٣] والترمذي [١٠٩٣] والنسائي [٣٢٣٦]، [٢٣٧٧] وابن ماجه [١٩٩٠] من طرق عن سفيان الثوري به. وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري. فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر -.

وقد حكى القولين ابن جرير [٣٩٨/٢] في تاريخه.

وقد تقدم في تزويجه عليه السلام بسودة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعدما قلدوا المدينة وإن دخوله بها كان بالسنة نهراً. وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم.

وفي دخوله عليه السلام بها في شوال رداً لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيلين خشية المقارنة بين الزوجين وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رافة على من توهمه من الناس في ذلك الوقت: تزوجني في شوال وبني بي - أي دخل بي - في شوال، فأني نساؤه كان أحظى عنده مني؟.

فدل هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحب نسائه إليه، وهذا الفهم منها صحيح لما دل على ذلك من الدلائل الواضحة، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في «صحيح البخاري» [٣٦١٢] عن عمرو بن العاص: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال «أبوها».

سنة ١ - صلاة الحضر وصلاة السفر

قال ابن جرير [٤٠٠/٢] في تاريخه: وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحضر - فيما قيل - ركعتان، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة منه، وقال: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه.

قلت: قد تقدم الحديث الذي رواه البخاري [١٠٨٩] من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. وروي من طريق الشعبي عن مسروق عنها.

وقد حكى البيهقي [في الدلائل] [٤٠٧/٢] عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً والله أعلم.

وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

قال ابن الأثير [إسد الغابة: ٨٧/١]: وهذا يرد قول أبي نعيم وابن منه في قولهما: إن أسعد بن زرارة كان تقياً على بني ساعدة، إنما كان على بني النجار.

وصدق ابن الأثير فيما قال.

وقد قال أبو جعفر بن جرير في «التاريخ» [٣٩٧/٢]: كان أول من توفي بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهدم، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات، ثم توفي بعده أسعد بن زرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ بناء المسجد بالذمة أو الشقة.

قلت: وكلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء نزل في منزل هذا في الليل، وكان يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما إلى أن لوصل إلى دار بني النجار كما تقدم. قال ابن الأثير [إسد الغابة: ٤٩٨/٤]: وقد قيل: إنه أول من مات من المسلمين بعد مقدم رسول الله ﷺ، ثم بعده أسعد بن زرارة. ذكره الطبري.

سنة ١ - أول من وُلِدَ في الإسلام وبعد الهجرة

في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين كما أن النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما.

وقد زعم بعضهم [في تاريخ الطبري: ٤٠١/٢] أن ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود.

ورواه الواقدي [في تاريخ الطبري: ٤٠١/٢] عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنمة عن أبيه عن جده، وزعموا أن النعمان ولد قبل الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة. والصحيح ما قلناه.

قال البخاري [٣٩٠٩]: حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فمضغها ثم نفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حكه بتمر ثم دعا له وبرك عليه. وكان أول مولود ولد في الإسلام.

تابه خالد بن خالد عن علي بن مسهر عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حبلى.

حدثنا [الكامل] البخاري [٣٩١٠] قتية عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ غرة فلاكها ثم أدخلها في فيه فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ.

فهذا حجة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أن النبي ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط - لما رجع إلى مكة - زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعباله وعيال أبي بكر فقدما بهم أثر هجرة النبي ﷺ وأسماء حامل متم أي

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴿النساء: ١٠١﴾ الآية.

سنة ١ - مشروعية الأذان

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٠٨/١، ٥٠٩]: فلما أطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحکم أمر الإسلام، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحسب من الأنصار هم الذين تبوأوا الدار والإيمان.

وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إماماً يجمع الناس إليه للصلاة حين موافقتها بغير دعوة، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً يهود الذي يذعنون به لصلاتهم ثم كرهه، ثم أمر بالنافوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.

فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: ألا أهلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله»، فقم مع بلال فالتفتها عليه فليؤذن بها فإنه أئدى صوتاً منك.

فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يحير رداءه وهو يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: «فله الحمد». قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٠٩/١]: فحدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه.

وقد روى هذا الحديث أبو داود [٤٩٩] والترمذي [١٨٩] وابن ماجه [٧٠٦] وابن خزيمة من طرق عن محمد بن إسحاق به، وصححه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما [طريق الإرواء: ٢٩٥/١].

وعند أبي داود [٤٩٩] أنه علمه الإقامة قال: ثم تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

وقد روى ابن ماجه [٧٠٦] هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة الخزازي عن ابن إسحاق كما تقدم. ثم قال: قال أبو عبيد: وأخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد الأنصاري قال في ذلك:

أحمدُ اللهَ ذا الجلالِ وذا الإكرامِ حمداً على الأمانِ كثيراً
إذ أتاني به البشيرُ من الله فأكرمُ به لذي بشيراً
في ليالٍ وإلى بهن ثلاثٍ كلما جاة زانسي توقيراً
قلت: وهذا الشعر غريب وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليالٍ حتى

أخبر به رسول الله ﷺ قاله أعلم.

ورواه الإمام أحمد [٤٧/٤، ٤٨] من حديث محمد بن إسحاق قال: وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به نحو رواية ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ولم يذكر الشعر.

وقال ابن ماجه [٧٠٧]: حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهيمهم إلى الصلاة، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى فأرأى النداء تلك الليلة رجل من الأنصار يقال له: عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب، فطرق الأنصاري رسول الله ﷺ ليلاً فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن به.

قال الزهري: وزاد بلال في نداء صلاة الغداة، الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله رأيت مثل الذي رأى ولكنه سقي.

وسياقي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

فأما الحديث الذي أورده السهيلي [الروض الأنف: ٣٨٥/٤، ٣٨٥] بسنده من طريق الزيار حدثنا محمد بن عثمان بن غلدة حدثنا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكر حديث الإسراء وفيه:

فخرج ملك من وراء الحجاب فأذن بهذا الأذان وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأبى السماء وفيهم آدم ونوح.

ثم قال السهيلي: وأخلق بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويشاكله من حديث الإسراء.

فهذا الحديث ليس كما زعم السهيلي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين.

ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة والله أعلم.

قال ابن هشام في السيرة: [٥٠٩/١] وذكر ابن جريج: قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: ائتمر النبي ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام: لا تجمعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة. فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بما رأى وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: «قد سبقك بذلك الوحي».

وهذا يدل على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبد الله بن زيد بن عبد ربه كما صرح به بعضهم والله تعالى أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٠٩/١] وحديثي محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النصارى قالت: كان يبي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه غمطى ثم قال: اللهم امدك واستعينك على قریش أن يقيموا دينك، قالت: ثم يؤذن، قالت: والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة. يعني: هذه الكلمات.

ورواه أبو داود [٥١٩] من حديثه مفرداً به.

والجاهيل، ولله الحمد والمنة.

سنة ١- سرية حمزة بن عبد المطلب

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

قال ابن جرير (في تاريخه: ٤٠٢/٢): وزعم الواقدي أن رسول الله ﷺ عقد في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره حمزة بن عبد المطلب لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لعبيرات قريش وأن حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو ولم يكن بينهم قتال، قال: وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي.

سنة ١- سرية عبيدة بن الحارث

في سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب

قال ابن جرير (في تاريخه: ٤٠٢/٢): وزعم الواقدي أيضاً أن النبي ﷺ عقد في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالمسير إلى بطن رابغ. وكان لوائه مع سطح بن أثانة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وأنهم اتقوا هم والمشركون على مساء يقال له: أحياء وكان بينهم الرمي دون المسافة.

قال الواقدي: وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو المثلث عنتنا، وقيل: كان عليهم مركز بن حفص.

سنة ١- سرية سعد بن أبي وقاص

قال الواقدي رحمه الله الطبري في تاريخه: ٤٠٣/٢: وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة - عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمل المقتاد بن الأسود، فحلثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد عن أبيه. قال: خرجت في عشرين رجلاً على أقداننا، أو قال: أحد وعشرين رجلاً، فكان نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحنا الخرار صبح خامسة، وكان رسول الله ﷺ قد عهد لي أن لا أجاوز الخرار، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك يوم.

قال الواقدي رحمه الله الطبري في تاريخه: ٤٠٣/٢: كانت العير ستين وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين.

قال أبو جعفر بن جرير (رحمه الله) في تاريخه: ٤٠٣/٢: وعند ابن إسحاق (رحمه الله) أن هذه السرايا الثلاث - التي ذكرها الواقدي - كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ.

قلت: كلام ابن إسحاق ليس بصريح - فيما قاله أبو جعفر رحمه الله لمن تأمله - كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلو ما نحن فيه إن شاء الله، إذ يمتثل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى، وستزيدنا بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى.

والواقدي (رحمه الله) عنده زيادات حسنة، وتاريخ محرر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكشاك كما بسطنا القول في عداله وجرحه في كتابنا الموسوم بـ «التكميل في معرفة الثقات والضعفاء

سنة ١- ولادة ابن الزبير

ومن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الأولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري [٣٩٠٩] عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما.

ومن الناس من يقول: ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر.

فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين.

ومن الناس من يقول: إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة.

والظاهر الأول كما قلنا بيانه ولله الحمد والمنة، وستشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير (في تاريخه: ٤٠٢/٢): وقد قيل: إن المختار بن أبي عبيد وزيد بن سمية ولدا في هذه السنة الأولى قاله أعلم.

ومن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة: كلثوم بن المدم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقاء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدم، ويعد فيها أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار توفي ورسول الله ﷺ بيني المسجد كما تقدم رضي الله عنهما وأرضاهما.

قال ابن جرير (في تاريخه: ٣٩٨/٢): وفي هذه السنة - يعني الأولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بماله بالظائف ومات الوليد بن الغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة.

قلت: وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يسلموا لله عز وجل.

سنة ٢- حوادث ووقائع

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى التي كانت في رمضان منها، وقد فرق الله بها بين الحق والباطل، والهدى والنبي، وهذا أوان ذكر المغازي والبحوث فنقول وبالله المستعان:

سنة ٢- عداوة اليهود للمسلمين

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة [سيرة ابن هشام: ٥١٤/١] بعد ذكره أجبار اليهود ونصهم العداوة للإسلام وأهله وما نزل فيهم من الآيات: فمنهم حيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر وجدي، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع الأعر، تاجر أهل الحجاز وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر كما سيأتي، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بني نهبان وأمه من بني النضير، وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع كما سيأتي، وحليفاه الحجاج بن عمرو وكردم بن قيس لعنهم الله هؤلاء من بني النضير.

ومن بني ثعلبة بن الفطير عبد الله بن صوريا، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه.

قلت: وقد قيل: إنه أسلم، وابن صلويا وغيره وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي وكان حبر قومه.

وذلك أنه قال حين تخلف عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر.

فتمأما ابن امرأته عمر بن سعد إلى رسول الله ﷺ فأنكر الجلوس ذلك وحلف ما قال فنزل فيه ذلك.

قال: وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير.

قال وأخوه الحارث بن سويد، وهو الذي قتل المجذّر بن زياد البلوي وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد، خرج مع المسلمين وكان منافقاً فلما التقى الناس عدداً عليهما فقتلتهما ثم لحق بقريش (سيرة ابن هشام: ٥٢٠/١).

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام: ٥٢٠/١): وكان المجذّر قد قتل إياه سويد بن الصامت في بعض حروب الجاهلية فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد، كذا قال ابن هشام.

وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل سويد بن الصامت إنما هو معاذ بن عفراء قتله في غير حرب قبل يوم بعث رماه بسهم فقتله.

وأكثر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد.

قال: لأن ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٢١/١): وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، فبعت الحارث إلى أخيه الجلوس يطلب له التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله - فيما بلغني عن ابن عباس - ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ٨٦) إلى آخر القصة (تفسير الطبري: ٣٣٩/٣ - ٣٤٢).

قال: ومجاد بن عثمان بن عامر، ونبتل بن الحارث وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شيطان فليُنظر إلى هذا» وكان جسيماً أدم ثائر شعر الرأس أحر العينين أسفع الخدين، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه بشيء صدقه. فأنزل الله فيه ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ (آية: ٦١) (تفسير الطبري: ١٦٨/١).

قال: وأبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنى مسجد الضرار (تفسير الطبري: ٢٣/١١).

وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ثم نكثا، فنزل فيهما ذلك (تفسير الطبري: ١٩١/١٠ - ١٩٣).

ومعتب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا فنزل فيه الآية (تفسير الطبري: ١٣٩/٤ - ١٤٤).

وهو الذي قال يوم الأحزاب: كأن عمداً يمدنا أنا ناكل كنوز كسرى وقيصر، واحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه ﴿وَأَذِّنْ لِلْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شَأْنَهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَلَّا يَخْرُجُوا﴾ (الأحزاب: ١٢) (تفسير الطبري: ١٣٣/٢١).

قال ابن إسحاق: والحارث بن حاطب. قال ابن هشام: ومعتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهما من بني أمية بن زيد من أهل بدر. وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من اتق به من أهل العلم.

قال: وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر.

ومن بني قيثاق زيد بن النّصيت، وسعد بن حنيف، وعمود بن سيحان وعزير بن أبي عزيز وعبد الله بن صيف، وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفتحاص وأشيع ونعمان بن أضا، وبحري بن عمرو، وشأس بن عدي، وشأس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس، وعمود بن دحية، ومالك بن صيف وكعب بن راشد، وعازر ورافع بن أبي رافع، وخالد وأزار بن أبي أزار.

قال ابن هشام: ويقال آزر بن آزر، ورافع بن حارثة، ورافع بن حرملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبد الله بن سلام.

قلت: وقد تقدم إسلامه رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: وكان جبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٥/١، ٥١٦): ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شمويل وكعب بن أسد وهو صاحب عقدهم الذي تقضوه عام الأحزاب وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكية، والنحام بن زيد، وقرم بن كعب وهب بن زيد ونافع بن أبي نافع، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبل بن أبي قشير، وهب بن يهودا.

قال: ومن بني زريق، لبيد بن أعصم وهو الذي سحر رسول الله ﷺ. ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صوريا.

ومن يهود بني عمرو بن عوف: قردم بن عمرو.

ومن يهود بني النجار: سلسلة بن براه.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٦/١): فهؤلاء أحبار يهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وأصحاب المسألة الذين يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ على وجه التعنت والعداوة والكفر.

قال: وأصحاب النصب لأمر الإسلام ليطفئوه إلا ما كان من عبد الله بن سلام وخبريق.

ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام وإسلام عمته خالدة (سيرة ابن هشام: ٥١٦/١، ٥١٧) كما قلنا.

وذكر إسلام خبريق يوم أحد كما سيأتي وأنه قال لقومه - وكان يوم السبت -: يا معشر يهود والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم.

ثم أخذ سلاحه وخرج وعهد إلى من وراه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يرى فيها ما أراه الله - وكان كثير الأموال - ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

قال: فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني: «خبريق خير يهود»

سنة ٢ - عداوة المنافقين للمسلمين

ثم ذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٩/١) من مال إلى هؤلاء الأعداء من اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج فمن الأوس زوي بن الحارث، وجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري وفيه نزل ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً كَثِيرًا وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (آية: ٧٤)

حين مالوا في الباطن إلى بني النضير (فسو الطري: ٤٥/٢٨، ٤٦).

سنة ٢- من المنافيقين

ثم ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٧/١، ٥٢٨]: من أسلم من أحبار اليهود على سبيل التقية فكانوا كفاراً في الباطن فأتبعهم بصنف المنافيقين وهم من شرهم، سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ «والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلي الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها» فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك [الغازي للواقفي: ٤٢٣/٢، الدلائل للبيهي: ٥٩/٤].

قال: ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حريمة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا -: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافيقين» ورافعة بن زيد بن التابوت، وهو الذي حبت الريح الشديدة يوم موته عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال: «إنها ميت لموت عظيم من عظماء الكفار» [الغازي للواقفي: ٤٢٣/٢، ٤٢٣، الدلائل للبيهي: ٥٩/٤، ٦١] فلما قدموا المدينة وجدوا رافعة قد ماتت في ذلك اليوم وسلسلة بن براهيم وكنانة بن سوريا فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود.

قال: [سيرة ابن هشام: ٥٢٨/١، ٥٢٩] فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ويسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهنئون بدينهم، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس فرأهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم إلى بعض، فأمر بهم رسول الله ﷺ فاخرجوا من المسجد إخراجاً عنيماً.

فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب ألثمهم في الجاهلية - فاخذ برجله فسحب حتى أخرجه وهو يقول - لعنه الله - أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجاري فلبى برأته، ثم نثره نثراً شديداً ولطم وجهه فاخرجه من المسجد وهو يقول: أف لك منافقاً خبيثاً.

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو - وكان طويل اللحية - فاخذ بلبحيته وقاده بها قوداً عنيماً حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه جميعاً فلدمه بهما للمة في صدره خر منها قال: يقول: خلدشتي ياعمارة، فقال عمارة: أبعلك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ.

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار - وكان بدوياً - إلى قيس بن عمرو بن سهل وكان شاباً - وليس في المنافيقين شاب سواه - فجعل يذفع في قفاه حتى أخرجه.

وقام رجل من بني خلدرة إلى رجل يقال له الحارث بن عمرو - وكان ذا جمة - فاخذ بجمته فسحب بها سحباً عنيماً على ما مر به من الأرض حتى أخرجه، فجعل يقول المنافق: قد أغلظت يا أبا الحارث، فقال: إنك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس.

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث فاخرجه

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٢/١]: وعبد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ويخرج وكان من بني مسجد الضرار وعمرو بن خذام وعبد الله بن نبل، وجارية بن عامر بن العطار، وابناه يزيد وجمع ابنا جارية وهم ممن اتخذ مسجد الضرار، وكان جميع غلاماً حدثاً قد جمع أكثر القرآن وكان يصلي بهم فيه، فلما خرب مسجد الضرار كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك وكان في أيام عمر سال أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع فقال: لا والله، أو ليس إمام المنافيقين في مسجد الضرار؟ فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم. فزعموا أن عمر تركه فصلى بهم. قال: ووديعة بن ثابت وكان ممن بنى مسجد الضرار وهو الذي قال: إنما كنا غرض ونلعب؛ فنزل فيه ذلك. قال: وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره.

قال ابن هشام مستتركا على ابن إسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس: ويشر ورافع ابنا زيد [سيرة ابن هشام: ٥٢٣/١].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٣/١ - ٥٢٥]: ومربع بن قيطي - وكان أعمى - وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه وهو ذاهب إلى أحد: لا أحل لك إن كنت نبياً أن تمر في حائطي وأخذ في يده حفنة من تراب.

ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها. فابتدوه القرم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر» وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقرس فشجه.

قال: وأخوه أوس بن قيطي وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة. قال الله ﴿وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يَرِيئُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

قال وحاطب بن أمية بن رافع وكان شيخاً جسيماً قد عسا في جاهليته، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت فجعوا يقولون: أبشر بالجنة يا ابن حاطب. قال: فنجم ففاق أبيه فجعل يقول: أجل جنة من حرم، غررت والله هذا المسلمين من نفسه.

قال: ويشير بن أريق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه ﴿وَلَا تَجَاوَزْ عَنِ اللَّيْنِ يَخْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآيات].

قال: وقزمان حليف لبني ظفر الذي قتل يوم أحد سبعة نفر، ثم لما آتته الجراحة قتل نفسه وقال: والله ما قاتلت إلا حية على قومي ثم مات لعنه الله.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٥٢/١]: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم إلا أن الضحاك بن ثابت كان يتهم بالتفاق وحب يهود فهؤلاء كلهم من الأوس.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٥/١]: ومن الخزرج رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل، والجد بن قيس وهو الذي قال: «إِنَّكَ لَمَيِّمٌ وَلَا تَقْتَتِي»، وعبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافيقين ورئيس الخزرج والأوس أيضاً، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك شرق اللعين بريقه وغازله ذلك جداً، وهو الذي قال: ﴿إِنِّي رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَيْفَ نَجُزِي الْأَعْرُ بِهَا الْأَذَلَّ؟﴾. وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوقل وسويد وداحس وهم من رهنه نزل قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُمْ﴾ [الآيات]

إخراجاً عتيقاً وأقف منه وقال: غلب عليك الشيطان وأمره.

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٣٠/١ - ٥٧٢] ما نزل فيهم من الآيات من سورة البقرة وغيرها ومن سورة التوبة، وتكلم على تفسير ذلك فاجاد وأفاد رحمه الله.

سنة ٢ - غزوات النبي ﷺ وسراياه (بيانها)

قال البخاري [٣٩٤٩] قبل كتاب المغازي. قال ابن إسحاق: أول ما غزا رسول الله ﷺ الأيواء. ثم بواط، ثم العشرة.

ثم روى [٣٩٤٩] عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزا رسول الله ﷺ قال: تسع عشرة شهد منها سبع عشرة أولها العسيرة - أو العشرة - وسباني الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشرة إن شاء الله وبه الثقة.

وفي صحيح البخاري [٤٤٧٣] عن بريدة قال: غزا سبع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة.

ولمسلم [١٨١٤] عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة. وفي رواية له [١٨١٤] (١٤٧) عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وقاتل في ثمانين منها.

وقال الحسين بن واقد عن ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمانين يوم بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وقليد، وخيبر، ومكة، وحنين. وبعث أربعاً وعشرين سرية [والدلائل السفي: ٤٥٩/٥].

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن عثمان الدمشقي التوخي حدثنا الهيثم بن حيد أخبرني النعمان عن مكحول أن رسول الله ﷺ غزا ثمانية عشر غزوة، قاتل في ثمان غزوات أولهن بدر، ثم أحد، ثم الأحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف [المعرفة والتاريخ: ٣٠٠/٣]. قوله: بئر معونة بعد قريظة فيه نظر، والصحيح أنها بعد أحد كما سيأتي.

قال يعقوب حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله ﷺ ثمانين عشرة غزوة، وسمعت مرة أخرى يقول: أربعاً وعشرين. فلا أدري أكان ذلك وهماً أو شيئاً سمعه بعد ذلك [المعرفة والتاريخ: ٣٠٠/٣، ٣٠١].

وقد روى الطبراني عن الدبري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. قال: غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة [بعد الرزاق في مصنفه (٦٦٠٩) عن معمر ٤].

وقال عبد الرحمن بن حيد في مسنده حدثنا سعيد بن سلام حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا أبو الزبير عن جابر قال: غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة.

وقد روى الحاكم من طريق هشام عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين.

ثم قال الحاكم: لعله أراد السرايا دون الغزوات، فقد ذكرت في «الإكمال» على الترتيب بعث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة.

قال: وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السرايا والبعث دون الحروب نيفاً وسبعين. وهذا

الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحله كلام قتادة على ما قال فيه نظر. وقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون، أربع وعشرون بشاء، وتسع عشرة غزوة. خرج في ثمان منها بنفسه، بدر، وأحد، والأحزاب، والمريسيع، وخيبر، وفتح مكة، وحنين.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قال يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان، ثم حج أبو بكر سنة تسع، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر، وغزا ثني عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزاة غزاها الأيواء.

وقال حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري قال: أول آية نزلت في القتال «أَنْزِلْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْأَيَةَ بِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ.

إلى أن قال: ثم غزا بني النضير، ثم غزا أحداً في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان. وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأيواء، ثم العشرة، ثم غزوة عطفان، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة الأيواء، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة الحلبيّة، ثم غزوة الصفراء، ثم غزوة تبوك آخر غزوة.

ثم ذكر البعث، هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر ويخصر ابن عساكر: ١٨٨٩/٢، وهو غريب جداً، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتباً.

وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتهوؤ له كما رواه محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عن أبيه سمعت علي بن الحسين يقول: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن.

قال الواقدي: وسمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت عمي الزهري يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٠/١، ٥٩١] (رحمه الله) في المغازي بعد ذكره ما تقدم مما سقاه عنه من تعيين رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين لعنهم الله أجمعين وجمعهم في أسفل صافلين: ثم إن رسول الله ﷺ تهاجره وقام بما أمره الله به من جهاد عدوه وقال من أمره به عن يله من المشركين.

قال: وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تمتلئ لتسفي عشرة ليلة مقصت من شهر ربيع الأول، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعث الله ﷺ ثلاث عشرة سنة فاقام بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجماديين وربيعاً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً وفا القعدة وفا الحجة وولّى تلك الحجة المشركون، والمحرّم.

لنترك أصناماً بمكة عكفاً مواريثُ سوروثَ كريمٍ لسوارث
وذكر تمام القصيدة وما منعنا من ليرادها بتماها إلا أن الإمام عبد
الملك بن هشام رحمه الله - وكان إماماً في اللغة - ذكر أن أكثر أهل العلم
بالشعر ينكر هاتين القصيدتين.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٤/١، ٥٩٥] وقال سعد بن أبي
وقاص في رميته تلك فيما يذكرون:
ألا هل أتى رسول الله أتى حيثُ صحابي يصدور نيلسي
أنزود بها وأوائلهم ذباداً بكل حزنونة وبكل سهل
فما يحتد رام في عدو بهم يا رسول الله قبلي
وذلك أن بينك دينٌ صدقٍ وذو حقٍّ آتيت به وفضل
ينجى المؤمنين به ويجزى به الكفار عند مقام مهل
فمهلًا قد غويت فلا تعبي غوي الحي ويمك يا ابن جهل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.
قال ابن إسحاق: فكانت راية عبيدة - فيما بلغنا - أول راية عقدتها
رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين.
وقد خالفه الزهري وموسى بن عقبة [والدلال للبيهقي ٨/٣] بسنده إلى
موسى بن عقبة [والزهري] والواقدي [الغازي: ٢/١] فذهبوا إلى أن بعث حمزة
قبل بعث عبيدة بن الحارث والله أعلم.
وسأني في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول أمراء السرايا عبد الله
بن جحش الأسدي.
قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٥/١]: وبعض العلماء يزعم أن
رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة.
وهكذا حكى موسى بن عقبة عن الزهري [والدلال للبيهقي: ٩/٣].

سنة ٢- سرية حمزة بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٥/١]: وبعث رسول الله ﷺ في
مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر من ناحية
العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا
جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة فحجز
بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مودعاً للفرقتين جميعاً، فانصرف بعض
القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٦، ٥٩٧]: وبعض الناس يقول:
كانت راية حمزة أول راية عقدتها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين،
وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً فبشه ذلك على الناس.

قلت: وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري [والدلال للبيهقي: ٨/٣،
٩] من طريق موسى بن عقبة أن بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث، ونص
على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء. فلما قفل عليه السلام من
الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين، وذكر نحو ما تقدم.
وقد تقدم عن الواقدي أنه قال: كانت سرية حمزة في رمضان من السنة
الأولى، وبعدها سرية عبيدة في شوال منها والله أعلم.

وقد أورد ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٦/١] عن حمزة رضي الله عنه شعراً
يدل على أن رايته أول راية عقدت في الإسلام، لكن قال ابن إسحاق: فإن
كان حمزة قال ذلك فهو كما قال، لم يكن يقول إلا حقاً والله أعلم أي

ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من
مقدمه المدينة.

قال ابن هشام [السورة: ٥٩١/١]: واستعمل على المدينة سعد بن عباد.
قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩١/١] حتى بلغ وكان وهي غزوة
الأبواء.

قال ابن جرير [الرحمة: ٤٠٧/٢]: ويقال لها غزوة ودان أيضاً، يريد قريشاً
وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان
الذي وادعاه منهم غنشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه ذلك.
ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية صفر وصدراً
من شهر ربيع الأول.

قال ابن هشام [السورة: ٥٩١/١]: وهي أول غزوة غزاها عليه السلام.
قال الواقدي: وكان لواءه مع عمه حمزة، وكان أبيض وطيات ابن سعد:
٢٨/٢.

سنة ٢- سرية عبيدة بن الحارث إلى رايغ

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩١/١، ٥٩٢]: وبعث رسول الله ﷺ
في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي
في ستين - أو ثمانين - راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد،
فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز أسفل ثنية المرة فلقى بها جمعاً عظيماً من
قريش، فلم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ
بسهم، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام. ثم انصرف القوم
عن القوم. وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن
عمرو البهرازي حليف بني زهرة، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف
بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار.

قال ابن إسحاق: وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل.
وروى ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء عن أبي عمرو المنني أنه
قال: كان عليهم مركز بن حفص.

قلت: وقد تقدم عن حكاية الواقدي قولان:
أحدهما أنه مركز.

والثاني: أنه أبو سفيان صخر بن حرب وأنه رجح أنه أبو سفيان قاله
أعلم.

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٢/١ - ٥٩٣] القصيدة
المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها:
أين طيف سلمى بالطاح المماثر أرقبت وأسر في العشرة حداث
تري من لؤي فرقة لا يصنعها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتباعهم صادق فتكلموا عليه وقالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هرب المجرعات اللواث
القصيدة إلى آخرها.

وذكر [سورة ابن هشام: ٥٩٣/١، ٥٩٤] جواب عبد الله بن الزبير
في مناقضتها التي أولها:

أمن رسم دار أقضرت بالعشاعت بكيت بعين دُمعها غير لابت
ومن عجب الأيام والدهر كلُّ له عجب - من سابقنا وحادث
لجيش أتنا ذئ غرام يقوِّه عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث

ذلك كان. فاما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول. والقصيدة هي قوله:

ألا يا قومسي للتحلم والجهل وللقص من رأي الرجال وللفضل وللراكنيا بالظالم لم نطأ لهم حرمات من سوام ولا أهل كأننا تبلناهم ولا تبيل عندنا لهم غير أمر بالعصاف ويسالمدل وأمر بإسلام فلا يقبلونه ويترزل منهم مثل منزلة المنزل فما يرحوا حتى انتلبت لفارة لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل بإمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبل لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلبي فلما تراءينا أناخوا فمقلسوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل وقتلنا لهم: جبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالة من جبل تشار أبو جهل هنالك باغيا فخاب ورد الله كيد أبي جهل وما نحن إلا في ثلاثين راكبا وهم مائتان بعد واحدة فضل فيال لنؤي لا تطعموا غراتكم وفيتوا إلى الإسلام والمنهج السهل فلاني أخاف أن يصبب عليكم عذاب فتدعوا بالندامة والتكل قال [سورة ابن هشام: ٥٩٧/١]: فاجابه أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال: عجبنا لأسباب الخيطة والجهل وللشاغين بالخلافه وبالبطل وللتاركين ما وجدنا جدودنا عليه ذوي الأحساب والتؤدد الجزل ثم ذكر تمامها.

قال ابن هشام [السورة: ٥٩٨، ٥٩٦/١]: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة رضي الله عنه ولأبي جهل لعنه الله.

سنة ٢ - غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٨/١]: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول - يعني من السنة الثانية - بريد قريشاً. قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٥٩٨/١]: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

وقال الواقدي [طبقات ابن سعد: ٨/٢]: استخلف عليها سعد بن معاذ. وكان رسول الله ﷺ في مائتي راكب، وكان لواءه مع سعد بن أبي وقاص وكان مقصده أن يعترض لعير قريش وكان فيه أمية بن خلف ومائة رجل وللفان وخمسمائة بعير.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٨/١]: حتى بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى.

ثم غزا قريشاً يعني بذلك الغزوة التي يقال لها: غزوة العشرة وبالمهلملة والشير وبالمهلملة والعشيرة وبالمهلملة

قال ابن هشام [السورة: ٥٩٨/١]: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد. قال الواقدي [طبقات ابن سعد: ٩/٢]: وكان لواءه مع حمزة بن عبد المطلب.

قال: وخرج عليه السلام يعترض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٨/١، ٥٩٩]: فسلك على تقب بني ديار، ثم على فيفاء الخبر، فنزل تحت شجرة بطحاء بن أضره يقال لها ذات الساق فصلّى عندهم ثم مسجده، فصنع له عندنا طعام فأكل منه وأكل الناس معه، فوسم أثافي البرمة معلوم هنالك، واستخفى له من ماء يقال له المشرب ثم أرحل فترك الخلافات ييسار وسلك شعبة عبد الله، ثم صب الليسار حتى هبط ليل، فنزل بمجمعه وجمتمع الضبوعة ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل المشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليال من جمادى الآخرة ووداع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وقد قال البخاري [٣٩٤٩] حدثنا عبد الله حدثنا وهب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق. قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقبل له: كم غزا رسول الله ﷺ من غزوة؟ قال: سبع عشرة. قلت: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة غزوة، قلت: فأيهن كانت أول؟ قال العشرة - أو العسيرة - فذكرت لقتادة فقال: العشرة.

وهذا الحديث ظاهر في أن أول الغزوات العشرة، ويقال بالسين وبهما مع حذف التاء، وبهما مع المد اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم المشيرة وحيت لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٩٩/١]: ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي ما قال فحدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي حدثني أبو يزيد محمد بن محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر. قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة المشيرة من بطن ينبع، فلما نزلنا رسول الله ﷺ أقام بها شهراً فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة فوادعهم، فقال لي علي بن أبي طالب: هل لك يا أبا يقظان أن تأتي هؤلاء الفر - من بني مدلج يعملون في عين لهم - ننظر كيف يعملون؟ فأتيتهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم فعدلنا إلى صور من النخل في دقعا من الأرض فتمنا فيه، فوالله ما أبعنا إلا ورسول الله ﷺ يحرركنا بقلبه فجلسنا وقد تترينا من تلك الدقعا فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا أبا تراب؟» لما عليه من التراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا فقال: «ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله فقال: «أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه - حتى تبيل منها هذه - ووضع يده على لحية -».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وله شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب كما في صحيح البخاري [٤٤١، ٦٢٨٠] أن علياً خرج مغاضباً فاطمة، فجاء المسجد فنام فيه فدخل رسول الله ﷺ فسألهما عنه فقالت: خرج مغاضباً فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب»

سنة ٢ - غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠١/١]: ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشرة إلا ليال قلائل لا تبلغ العشرة حتى أغار

سنة ٢- سيرة عبد الله بن جحش

باب سيرة عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٠١/١، ٦٠٢]: ويعد رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في رجب مقلده من بدر الأولى ويعد معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وهم أبو حذيفة بن عتبة، وعكاشة بن محصن بن حريثان حليف بني أسد بن خزيم، وعتبة بن غزوان حليف بني نوفل، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وعامر بن ربيعة الوائلي حليف بني عدي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع النيمي حليف بني عدي أيضاً، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف بني عدي أيضاً، وسهيل بن بيضاء الفهري؛ فهؤلاء سبعة منهم أميرهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه.

وقال يونس عن ابن إسحاق [الدلائل البيهقي: ١٨٣ - ٢٠ من طريق يونس بن بكر عن ابن إسحاق]: كانوا ثمانية وأميرهم التاسع فإله أعلم وستأتي تسبيحهم على خلاف ما قال ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٠١/١ - ٦٠٤]: وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحداً.

فلما سار بهم يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم».

فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة وأخير أصحابي بما في الكتاب. وقال: قد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع فإما أنا فامض لأمر رسول الله ﷺ.

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرج يقال له: بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة، فمرت غير لقرش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي.

قال ابن هشام: واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصديقي. قال السهيلي: وقيل غير ذلك في نسبه وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأنشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه. فلما رآوه أمئوا، وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور الصحابة فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليقتعن به منكم ولئن قتلتموهم لتقتلهم في الشهر الحرام. فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله النيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأثر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ. وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فمزل

كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وفاته كرز فلم يدركه.

وقال الواقدي: وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب [طبقات ابن سعد: ١٩٢].

قال ابن هشام والواقدي: وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٠٠/١، ٦٠١]: فرجع رسول الله ﷺ فاقام جادى ورجباً وشعبان وقد كان بعث بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين، فخرج حتى بلغ الحزار من أرض الحجاز.

قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ثم رجع ولم يلق كيداً. فمكننا ذكره ابن إسحاق مختصراً.

وقد تقدم ذكر الواقدي لهذه البحوث الثلاثة، أعني بعث حمزة في رمضان، وبعث عبيدة في شوال، وبعث سعد في ذي القعدة كلها في السنة الأولى.

وقد قال الإمام أحمد [١٧٨/١]: حدثني عبد المتعال بن عبد الوهاب حدثني يحيى بن سعيد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثنا أبي حدثنا الجالد عن زيد بن علاقة عن سعد بن أبي وقاص. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت به جهينة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوتى حتى نأتيك وتؤمنا، فأوتى لهم فأسلموا.

قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا تكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا: لم تقتلوا في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأني نبي الله فغيره، وقال قوم: لا بل نقيم ههنا، وقلت أنا في أناس معي: لا بل نأني غير قريش فقططعها. وكان الضبي إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له، فانتظفنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبان عمر الوجه. فقال: «أذعنتم من عندي جيعاً ورجعتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش» فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير في الإسلام.

وقد رواه البيهقي في الدلائل [١٤/٣] من حديث يحيى بن أبي زائدة عن مجالد به نحوه وزاد بعد قولهم لأصحابه: لم تقتلوا في الشهر الحرام؟ فقالوا: نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام.

ثم رواه [١٥/٣] من حديث أبي أسامة عن مجالد عن زيد بن علاقة عن قطبة بن مالك عن سعد بن أبي وقاص فذكر نحوه فأدخل بين سعد وزيد قطبة بن مالك وهذا أنسب؛ والله أعلم.

وهذا الحديث يقتضي أن أول السرايا عبد الله بن جحش الأسدي وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق أن أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب [سيرة ابن هشام: ٥٩٥/٢، وللواقدي حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب [طبقات ابن سعد: ٦/٢] والله أعلم.

وقسم الباقي بين أصحابه وذلك قبل أن ينزل الخمس.

قال: ولما نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش كما قاله [سورة ابن هشام: ٦٠٥/١].

قال: ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٤، ٦٠٣/١]: فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: ها أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخلوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال، فقال من يرد عليهم من المسلمين عن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان، وقالت يهود قتال بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقتلت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ يَدْعُوهُ كَيْدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَهُ أَهْلُهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُوْجَكُمْ عَنْ بَيْتِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] أي إن كنتم تقتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجه منكم وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي قد كانوا يقتلون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُوْجَكُمْ عَنْ بَيْتِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٤، ٦٠٥/١]: فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشقاق، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ: «لا تفديكموهما حتى يقدم صاحبانا» - يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإنما نخشاكم عليهما. فإن تقتلوهما تقتل صاحبكم.

فقدم سعد وعتبة فأفاداهما رسول الله ﷺ. فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بدر معونة شهيدا، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٥/١]: فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله انقطع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فازلزلهم الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاءُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ بَرٍّ إِتَّخَذَ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوصفهم الله من ذلك على أعظم الرجاء.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٥/١]: والحديث في ذلك عن الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير.

وهكذا ذكر موسى بن عتبة عن الزهري [الدلائل للبهقي: ٢٠٣، ٢١] من طريقين عن موسى بن عتبة عن الزهري.

وكنا روى شبيب عن الزهري عن عروة لحواً من هذا وفيه: وكان ابن الحضرمي أول قتل قتل بين المسلمين والمشركين [البيهقي في الدلائل: ١٧/٣] من

طريق شبيب [٤].

وقال عبد الملك بن هشام [سورة ابن هشام: ٦٠٥/١]: هو أول قتل قتل المسلمون، وهذه أول غنمة غنمها المسلمون، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون.

قلت: وقد تقدم فيما رواه الإمام أحمد [المسند: ١٧٨/١] عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام.

وقد ذكرنا في التفسير لما أورده ابن إسحاق شواهد مستندة. فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر القلمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح. أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب بكى صباية إلى رسول الله ﷺ فجلس، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كنا وكنا. وقال: «لا تكرهن أحداً على المسير معك من أصحابك» فلما قرأ الكتاب استرجع وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، فخيرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع منهم رجلاً وبقي بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فازلزلهم الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ يَدْعُوهُ كَيْدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَهُ أَهْلُهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُوْجَكُمْ عَنْ بَيْتِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ الآية.

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ يَدْعُوهُ كَيْدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَهُ أَهْلُهُ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُوْجَكُمْ عَنْ بَيْتِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ وفيهم عمار بن ياسر وأبو حنيفة بن عتبة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان وسهل بن يضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله البربري حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن لخله فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص فإني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ فسار وتخلّف عنه سعد وعتبة أصلاً راحلة لهما فأقاما يطلبانها، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن لخله فإذا هو بالحكم بن كيسان والمغيرة بن عثمان وعبد الله بن المغيرة. فذكر قتل واقد لعمر بن الحضرمي ورجعوا بالغنمة والأسيرين فكانت أول غنمة غنمها المسلمون. وقال المشركون: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب. وقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى.

قال السدي: وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى الآخرة.

قلت: لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين، وقد كان الهلال رؤي تلك الليلة فآله أعلم.

وهكذا روى العوفي عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى، وكانت أول ليلة من رجب ولم يشعروا [تفسير الطبري: ٣٥٠/٢، ٣٥١].

وكنا تقدم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم. وقد تقدم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب وخافوا إن لم يتلوا هذه الغنمة ويتهزوا هذه الفرصة دخل أولئك في الحرم فيقتل عليهم ذلك فاعتدوا عليهم عالمين بذلك.

ﷺ قِيلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقَبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تَحُولَ رِجَالُ قَتْلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَاتَزَلَّ اللَّهُ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَزُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].
ورواه مسلم [٥٢٥] من وجه آخر.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا الحسن بن عطية حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء. قال: كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان يجب أن يوجه نحو الكعبة فاتزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. قال: فوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ﴿وَمَا وَلَاؤُهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾. فاتزل الله ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤١].

وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه كما رواه الإمام أحمد [المسند: ٣٧٥/١] عن ابن عباس رضي الله عنه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية والله أعلم.

وكان عليه السلام يجب أن يصرف قبله نحو الكعبة قبله إبراهيم وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك فاتزل الله عز وجل ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية. فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك كما رواه النسائي [الكبرى: ١١١٠٤ والمختصر: ٧٣١] عن أبي سعيد بن المعلى وأن ذلك كان وقت الظهر.

وقال بعض الناس: نزل تحويلها بين الصلاتين قاله مجاهد وغيره. ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيحين [ج ٤٠، م ٥٢٥] عن البراء أن أول صلاة صلاها عليه السلام إلى الكعبة بالمدينة العصر والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني كما ثبت في الصحيحين [ج ٤٠٣، م ٥٢٦] عن ابن عمر. قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

وفي صحيح مسلم [٥٢٧] عن أنس بن مالك نحو ذلك. والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس طعن طاعنون من السفهاء والجهلة والأغبياء وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؛ هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله لما يجولونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم من أن المدينة مهاجرة وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال ﴿وَأَنْ أَلْبِئْسَ أَتَوْنَا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الآية وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم وتعتهم فقال ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاؤُهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] أي هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه الذي يفعل ما يشاء في خلقه ويحكم ما يريد في شرعه وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويضل من يشاء عن

وكذا قال الزهري عن عروة رواه البيهقي [دلائل النبوة: ٢١/٣] فالله أعلم أي ذلك كان.

قال الزهري عن عروة: فبلغنا أن رسول الله ﷺ عقل ابن الحضرمي وحرم الشهر الحرام كما كان يحرّمه حتى أنزل الله براءة رواه البيهقي. [دلائل النبوة: ١٨/٣]

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٠٥/١، ٦٠٦]: فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلل الشهر الحرام. قال ابن هشام هي لعبد الله بن جحش: تَمْدُونُ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ لِي بَرَى الرُّشْدَ رَاشِدٌ صُدُوكُمْ عَمَّا يَقُولُ عَمْدٌ وَكَفَرُ بِهِ وَاللَّهِ رَأَى وَشَاهَدَ وَإِخْرَاجَكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَعْلَى لَثَلًا يُرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ فَاتَّأَمَّا وَإِنْ عَرَفْتُمْنَا بِقَتْلِهِ وَارْجَفْ بِالْإِسْلَامِ بَاغٌ وَحَاسِدٌ سَقِيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رَمَاحًا بَنَخْلَةً لَهَا أَوْقَدُ الْحَرْبِ وَأَقْدَمَ دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا يَنْزَعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَبْرِ عَانِدٌ

سنة ٢- تحويل القبلة قبل وقعة بدر

قال بعضهم: كان ذلك في رجب من سنة تبتين وبه قال قتادة وزيد بن أسلم وهو رواية عن محمد بن إسحاق [مجموع الطبري: ٣/٢ - ٥].

وقد روى أحمد [٢٥٠/١، ٣٥٠، ٣٥٧] عن ابن عباس ما يدل على ذلك وهو ظاهر حديث البراء عن عازب كما سيأتي والله أعلم. وقيل في شعبان منها.

قال ابن إسحاق بعد غزوة عبد الله بن جحش: ويقال صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة وحكى هذا القول ابن جرير [تاريخه: ٤١٦/٢] من طريق السدي بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة.

قال الجمهور الأعظم: إنما صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة. ثم حكى عن محمد بن سعد [تاريخ الطبري: ٤١٦/٢] عن الواقدي أنها حولت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، وفي هذا التحديد نظر والله أعلم.

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِذْ الَّتِي أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطعام على ذلك لأنه أول نسخ وقع في الإسلام هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يُلْغَظْ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقد قال البخاري [٤٤٨٦] حدثنا أبو نعيم سمع زهيراً عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً - أو سبعة عشر شهراً - وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت، وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل عن كان معه صلى فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي

تَلْعَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥]. وقد تكلمنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك والآثار المروية في ذلك والأحكام المستفادة منه والله الحمد.

وقد قال الإمام أحمد [المسند: ٢٤٦/٥] حَدَّثَنَا أَبُو النضر حَدَّثَنَا المسعودي حَدَّثَنَا عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل. قال: أحليت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فذكر أحوال الصلاة. قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء ثم إن الله فرض عليه الصيام وأنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إلى قوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر وثابت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام فهذان حولان.

قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى فجاء إلى أهله فعلى العشاء ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائماً، فرأه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً فقال «ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً» فأخبره.

قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعلمنا نام فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأنزل الله ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرُّقْتُ إِلَى نِسَائِكُم مَّن لَّيْسَ لَكُمْ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

ورواه أبو داود في سننه [٥٠٧] والحاكم في مستدركه [٢٧٤/٢] من حديث المسعودي نحوه.

وفي الصحيحين [ع (٢٠٠١)، م (١١٢٥)] من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: كان عاشوراء يصام، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر.

وللبخاري عن ابن عمر [١٨٩٢] وابن مسعود [٤٥٠٣] مثله. ولتحريه هذا، موضع آخر من التفسير ومن الأحكام الكبير وبالله المستعان.

قال ابن جرير [الدرر: ٤١٨/٢]: وفي هذه السنة أمر الناس بركة الفطر، وقد قيل: إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم - أو يومين - وأمرهم بذلك.

قال: وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد وخرج بالناس إلى الصلوة فكان أول صلاة عيد صلاماً وخرجوا بين يديه بالحرية وكانت للزبير ومهيا له النجاشي فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد.

قلت: وفي هذه السنة فيما ذكره غير واحد من المتأخرين فرضت الزكاة ذات النصب كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الطريق القويم وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكَ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي خيراً ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم وهديناكم إلى قبة أيبكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين كذلك جعلناكم خيار الأمم وخلاصة العالم وأشرف الطوائف وأكرم التلاد والطارف لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم كما ثبت في صحيح البخاري [٣٣٣٩] عن أبي سعيد مرفوعاً عن استشهد نوح بهذه الأمة يوم القيامة وإذا استشهد بهم نوح مع تقدم زمانه فمن بعده بطريق الأولى الأخرى.

ثم قال تعالى مينا حكمته في حلول نعمته بمن شك وارتاب بهذه الواقعة. وحلول نعمته على من صدق وتابع هذه الكائنة. فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْفِيلَةَ لَئِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلَمَ مِن يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال ابن عباس [مفسر الطوسي: ١٣/٢]: إلا لئرى من يتبع الرسول من يقبل على عقبيه، ﴿وَأَن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقع كبيرة المحل شديدة الأمر ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي فهم مؤمنون بها مصدقون لها لا يشكون ولا يرتابون بل يرضون ويسلمون ويؤمنون ويعملون لأنهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم.

وقوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها وذلك بسبب في التفسير وستزيد ذلك بياناً في كتابنا الأحكام الكبير.

وقد روى الإمام أحمد [المسند: ١٣٤/٦، ١٣٥] حَدَّثَنَا علي بن عاصم حَدَّثَنَا حصين بن عبد الرحمن عن عمر بن قيس عن محمد بن الأشعث عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ - يعني في أهل الكتاب -: «إنهم لم يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها وغلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وغلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام أمين»

سنة ٢ - فريضة شهر رمضان قبل

وقعة بدر

قال ابن جرير [الدرر: ٤١٧/٢]: وفي هذه السنة فرض صيام شهر رمضان وقد قيل: إنه فرض في شعبان منها.

ثم حكى [الدرر: ٤١٧/٢] أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألم عنه فقالوا: هذا يوم نحى الله فيه موسى. فقال: «لن أحق بموسى منكم» فصامه وأمر الناس بصيامه.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين [ع (٢٠٠٤)، م (١١٣٠)] عن ابن عباس وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. أَيَّامًا مَّسْكُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

سنة ٢- غزوة بدر العظمى يوم الفرقان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

وقال الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّرْكَ تَكُونُ لَكُمْ وَرَبُّكَ اللَّهُ أَنْ يُحِبَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِبَّ الْحَقُّ وَيُظِلَّ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨-١٠] وما بعدها إلى تمام القصة من سورة الأنفال وقد تكلمنا عليها هنالك وسنورد هاهنا في كل موضع ما يناسبه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٦/١] رحمه الله بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش:

ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلاً - أو أربعون - منهم غزوة بن نوفل وعمرو بن العاص.

قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين.

قال: وكان في العير ألف بعير تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد المزى فلها تخلف عن بدر.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٦/١، ٦٠٧]: فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر.

قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يفلحكموها» فانتدب الناس فحفف بعضهم وقفل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو سفيان حين ذنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أموال الناس حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستغفرهم إلى أموالهم ويغيرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٧/١ - ٦٠٩]: فحدثني من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير. قالوا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليال رؤيا أنزعها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعني وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فأتكم علي ما أحدثك، قال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انظروا يا آل غنم لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بملها: ألا انظروا يا آل غنم لمصارعكم في ثلاث ثم شلَّ به بعيره على رأس أبي قيس فصرخ بملها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا

دخلتها منها قلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فأتكمها لا تذكرها لأحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة - وكان له صديق - فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فندوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برويا عاتكة، فلما رأيته أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبوة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة! قال: قلت: وما رأته؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انظروا في ثلاث فستريص بكم هذه الثلاث فإن يك حقاً ما تقول فيسكون. وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب، قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أتني جحدت ذلك وانكرت أن تكون رأت شيئاً، قال: ثم تفرقا.

فلما أمست لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غير شيء عما سمعت؟ قال: قلت: قد والله فعلت ما كان مني إليه من كبير، وإيم الله لأتعرضن له فإذا عاد لأكفيته.

قال: فندوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أبي قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه. قال: فدخلت المسجد فرائيته فوالله إني لأمشي نحوه أتمرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به، وكان رجلاً خفيفاً حليد الوجه حليد اللسان حليد النظر، قال: إذا خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله، أكل هذا فرق مني أن أشائه؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ بطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش الطليعة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تتركوها، الفوت الفوت قال: فشلني عنه وشغلني عني ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أياظن محمد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي؟ والله ليعلمن غير ذلك.

وذكر موسى بن عقبة رؤيا عاتكة كنحو من سياق ابن إسحاق. قال: فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصفة خافوا من رؤيا عاتكة فخرجوا على الصبب والذللول.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٩/١، ٦١٠]: فكانا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرفها أحد إلا أن أبا لب بن عبد المطلب بعث مكانه للعاصي بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه قد أفلس بها.

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن أبي نجيح أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأنه عقبه بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهرائي قومه بمجمرة يحملها فيها نار ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال: يا أبا علي استجمر فلما أنت من النساء. قال: فبحك الله وقبح ما جنت به، قال: ثم تجهز وخرج مع الناس؛ هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصة.

وقد رواها البخاري [٣٩٥٠] على نحو آخر فقال: حدثني أحمد بن

وَأَنِّي جَاءْتُكُمْ فَلَمَّا تَرَأَيْتُمُ الْفِتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿سورة الأنفال: ٤٧ - ٤٨﴾.

غرم لعنه الله حتى ساروا وسار معهم منزلة منزلة ومعه جنوده وروايته كما قاله غير واحد منهم، فأسلمهم لمصارعهم.

فلما رأى الجند والملائكة تنزل للنصر وعين جبريل نكص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾. وهذا كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَوَدَّعَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فإليس لعنه الله لما عين الملائكة يومئذ تنزل للنصر فر ذاهبا فكان أول من هرب يومئذ بعد أن كان هو المشجع لهم المجير لهم كما غرهم ووعدهم ومناهم وما يعلمهم الشيطان إلا غرورا.

وقال يونس عن ابن إسحاق: خرجت قريش على الصعب والذلول في تسعة وخمسين مقاتلاً معهم مائتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضربن بالدغفر ويغنين بهجاه المسلمين. وذكر الطمعين لقريش يوما يوما.

وذكر الأموي أن أول من غر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل غر لهم عشراً، ثم غر لهم أمية بن خلف بسفان تسعاً، وغر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً، ومالوا من قديد إلى مياه غمر البحر فظفروا فيها وأقلعوا بها يوماً فغر لهم شعبة بن ربيعة تسعاً، ثم أصبحوا بالجحفة ففغر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً، ثم أصبحوا بالأبواء ففغر لهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشراً، وغر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً، وغر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً، وغر لهم علي ماء ببلد أبو البخري عشراً، ثم أكلوا من أزوادهم.

قال الأموي: حدثنا أبي حدثنا أبو بكر الحنظلي قال: كان مع المشركين ستون فرساً وستائة درع وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعاً. هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر.

وأما رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق [سورة هاشم: ٦١٢/١، ٦١٣/١]: وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ورد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أبيض، وبين يدي رسول الله ﷺ رايان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

قال ابن هشام [سورة: ٦١٣/١]: كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ. وقال الأموي: كانت مع الحباب بن المنذر.

قال ابن إسحاق: وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار.

وقال الأموي: وكان معهم فرسان على إحداهما مصعب بن عمير وعلى الأخرى الزبير بن العوام ومرة سعد بن خيثمة ومرة المقداد بن الأسود.

وقد روى الإمام أحمد [١٢٥/١، ١٣٨] من حديث أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.

وروى البيهقي [الذليل: ٣٩٩/٣] من طريق ابن وهب عن أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن علياً قال له: ما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود - يعني يوم

عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق حدثني عمرو بن ميمون أنه سمع عبد الله بن مسعود حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلني أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان من هنا معك؟ قال: هذا سعد. قال له أبا جهل: ألا أراك تطوف بمكة أمناً وقد أوتيت الصبابة وزعمتم أنكم تنصرونهم ويعتقونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد - ورفع صوته عليه - أما والله لئن منعتني هذا لأمنعتك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم فإنه سيد أهل الرداء، قال سعد: دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ قَالَ: بِمَكَّة؟ قَالَ: لَا أَدْرِي؟ فَضَرَحَ لِلذَّكَ أَمِيَّةَ فَرَحاً شَدِيداً فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ قَالَ: يَا أُمِ صَفْوَانِ أَلَمْ تَرِي مَا قَالِ لِي سَعْدُ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالِ لَكَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، فَقُلْتُ لَهُ: بِمَكَّة؟ قَالَ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ أَمِيَّةُ: وَاللَّهِ لَا أَخْرِجُ مِنْ مَكَّةَ.

فلما كان يوم بدر استفر أبو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الرداء تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبت فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا يتزل متزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قُتل الله بيدر.

وقد رواه البخاري في موضع آخر [٣١٣٢] عن أحمد بن إسحاق عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق به نحوه، تفرد به البخاري.

وقد رواه الإمام أحمد [٤٠٠/١] عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد كلاهما عن إسرائيل وفي رواية إسرائيل قالت له امرأته: والله إن محمداً لا يكذب.

قال ابن إسحاق: [سورة ابن هشام: ٦١٠/١، ٦١١] ولما فرغوا من جهازهم واجتمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب. فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر في ابن لخص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي قتل رجل من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوحة، ثم أخذ بثاره أخوه مركز بن حفص فقتل عامراً وخاض بسيفه في بطنه ثم جاء من الليل فعلقه بأستار الكعبة فخالقهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦١٢/١]: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر فكاد ذلك أن يشتمهم، فنبذ لهم إيليس في صورة سراقه بن مسالك بن جشم الملبغي وكان من أشرف بني كنانة. فقال: أنا لكم جبار من أن تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراهاً.

قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَآءَ النَّاسِ وَتَصَلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. وَإِذْ رَأَى لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ

بدر -

وقال الأموي: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال: كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان، الزبير بن العوام على المينة، والمقداد بن الأسود على الميسرة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦١٣/١]: وكان معهم سبعون بعيراً يعقبونها، فكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعقبون بعيراً، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة يعقبون بعيراً. كذا قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى.

وقد قال الإمام أحمد [٤١٦/١]: حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود. قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلي زميلي رسول الله ﷺ. قال: فكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالوا: نحن نمشي عنك. فقال: فما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما.

وقد رواه النسائي [كبرى: ٨٨٠٧] عن الفلاس عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة به.

قلت: ولعل هنا كان قبل أن يرد أبا لبابة من الروحاء، ثم كان زميلاً علي ومرثد يدل أبي لبابة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [١٥٠/٦]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارمة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر، وهذا على شرط الصحيحين.

وإنما رواه النسائي [كبرى: ٨٨٠٩] عن أبي الأشعث عن خالد بن الحارث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

قال شيخنا الحافظ المزي في الأطراف [مغمة الأشراف: ٤١٠/١١] وتابعه سعيد بن بشر عن قتادة. وقد رواه هشام عن قتادة عن زرارمة عن أبي هريرة [كبرى (٨٨١٠)] قاله أعلم.

وقال البخاري [٣٩٥١]: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أنني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. تفرد به.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦١٣/١، ٦١٤]: فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نعب المدينة ثم على العقيق ثم على ذي الحليفة ثم على أولات الجيش ثم مر على تزيان ثم على ملل ثم على غميس الحمام ثم على صخيرات اليمام ثم على السبالة ثم على فح الروحاء ثم على شتوك وهي الطريق المعتلة حتى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ قال: أوفيكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم! فلم عليه ثم قال: لئن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه، قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل علي فأتا أخبرني عن ذلك، تزوت عليها ففني بطنها منك سخلة، فقال رسول الله ﷺ: «مه أفحشت على الرجل». ثم أعرض عن سلمة ونزل رسول الله ﷺ سجع وهي بئر الروحاء ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمصرف ترك طريق مكة يسار وسلك ذات الجبلين على النازية يريد

بدرأ فسلك في ناحية منها حتى إذا جنز واديا يقال له رُحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ثم انصب منه حتى إذا كان قريباً من الصفراء بحث ببس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعمره.

وقال موسى بن عقبة: بعثهما قبل أن يخرج من المدينة فلما رجعا فأخبراه بغير العير استنفر الناس إليها.

فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً فقد بعثهما مرتين والله أعلم.

قال ابن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن هشام: ٦١٤/١]: ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قامتهما فلما استقبل الصفراء وهي قرية بين جبلين سأل عن جبلها ما أسماؤهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما مسلح وللآخر غرير وسأل عن أهلها فقيل: بنو النار، وبنو حراق، بطنان من غفار فذكرهما رسول الله ﷺ والمرور بينهما وتساءل بأسمائهما وأسماء أهلتهما فتركهما والصفراء يسار وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذفران فجنز فيه ثم نزل وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشبهوا علي أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالمعقة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من فواعك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما تمنع منه إبنائنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا عن دمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال: قد أمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا وموثقنا على السمع والطاعة لك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.

قال: فسر رسول الله ﷺ يقول سعد ونشطه ثم قال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القرم».

هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله. وله شواهد من وجوه كثيرة: فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه [٣٩٥٢]: حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن حمارق عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود شهيداً لأن أكون صاحبه كان أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين. فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: «فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، قال: فرأيت النبي ﷺ

أشرق وجهه وسره.

اتفرد به البخاري دون مسلم فراه في مواضع من صحيحه من حديث غارق به [٤٩٠٦].

ورواه النسائي [كوى: ١١١٤٠] من حديثه وعنده: وجاء المقداد بن الأسود يوم بدر على فرس فذكره.

وقال الإمام أحمد [١٨٨/٣]: حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال: استشار النبي ﷺ فخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم فأشار عليه عمر، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار. فقال بعض الأنصار: يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك.

وهنا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح.

وقال أحمد [٢٥٨، ٢٥٧/٣] أيضاً: حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقال سعد بن عباد: إيانا يريد رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضا البحار لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، فتدب رسول الله ﷺ الناس.

قال: فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل بن هشام وعبة بن ربيعة وشيبة وأمية بن خلف فإذا قال ذلك ضربه فإذا ضربه. قال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان فإذا تركوه فسألوه قال: ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعبة وشيبة وأمية في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربه ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف فقال: والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم وتتركونه إذا كذبتكم. قال: وقال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فلان يضع يده على الأرض ههنا وههنا، فما أطاق أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

ورواه مسلم [١٧٧٩] عن أبي بكر عن عفان بن محم.

وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه واللفظ له من طريق عبد الله بن لبيبة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله يفتنناها؟» قلنا: نعم! فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «ما ترون في القوم فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟» قلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم، ولكننا أردنا العير، ثم قال: «ما ترون في قتال القوم؟» قلنا: مثل ذلك، فقام المقداد بن عمرو فقال: إنا لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم، قال: فأنزل الله عز وجل على رسوله ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥]. وذكر تمام الحديث.

وروى ابن مردويه أيضاً من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه، عن جده. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى

إذا كان بالروحاء خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله بلغنا أنهم بكنا وكذا، قال: ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي عن لنسرين معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتل، إنا معكم متبعون، ولعل أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له، فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥] الآيات.

وذكره الأُمري في مغازيه [انظر سبل الهدى والرشاد ٤٢/٤، ٤٣] وزاد بعد قوله: وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطينا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسرين معك.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦١٦/١، ٦١٦/٢]: ثم راحل رسول الله ﷺ من ذفران فسلك على ثانيا يقال لها: الأصافر ثم انحط منها إلى بلد يقال له الدبة وترك الحنان يمين وهو كتيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبا من بدر فركب هو ورجل من أصحابه.

قال ابن هشام: هو أبو بكر.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦١٦/١] كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبراني عن أئمتنا؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أو ذاك بذلك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صدقي فهم اليوم بمكان كذا وكذا. للمكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: عن أئمتنا؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نحن من ماء» ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء آمن ماء العراق؟ قال ابن هشام: يقال لهذا الشيخ سفيان الضمري.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦١٦/١، ٦١٦/٢]: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتبسون الخبر له كما:

حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير [تاريخ الطبري: ٤٣١/٢]: فأصابوا رواية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعرض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، ففكر القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضريرهما، فلما أذاقوهما قالوا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله ﷺ ومسجد سجديته وسلم. وقال: «إذا صدقكم ضريرهما، وإذا كذباكم تركوهما صدقا والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟» قالوا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكتيب العققل. فقال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم؟» قالوا:

هاتين القيلتين أحد.

قال: ومضى القوم وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القرم - وبين بعض قريش محاربة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال في ذلك: لا حُرمَ إسمًا ينسبون طالب في عُصبة مُحالِف محارب في يقنب من هذه المقائِب فليكن المسلوب غير السَّلب ولكن المسلوب غير الغالب

قال ابن إسحاق: [سيرة ابن هشام: ١/٦١٩، ٦٢٠] ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العققل ويطن الوادي وهو بَيْل، بين بدر وبين العققل الكتيب الذي خلفه قريش، والغليب يسدر في العدوة الدنيا من بطن بَيْل إلى المدينة. قلت: وفي هذا قال تعالى: ﴿إِذْ أَسْمَ بِالْمُنُورَةِ الثَّنَاءِ وَهُمْ بِالْمُنُورَةِ الْقُصُورِ وَالرُّكْبِ اسْتَفْلَ يَنْكُمُ﴾ [الأهلال: ٤٢] أي من ناحية الساحل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَقْتُمْ فِي الْوَعْدِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأهلال: ٤٢] الآيات.

وبعث الله السماء وكان الرادي فغصا فاصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لئد لهم الأرض ولم يمنهم من السير، واصاب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه.

قلت وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّيَطْفَرُكُمْ بِهِ وَيُذْجِبُ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأهلال: ١١] فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً، وأنه ثبت أقدامهم وشجع قلوبهم واذبح عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته الخواطر، وهذا تثبيت الباطن والظاهر وأئزل النصر عليهم من فوقهم في قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي على الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: لكلا يستمسك منهم السلاح ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ فَتَوَقَّوهُ وَأَنْ لِّكُلِّفَيْنِ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الأهلال: ١٢ - ١٤].

قال ابن جرير: [تفسيره: ١/١٩٤، ١٩٥] حدثني هارون بن إسحاق حدثنا مصعب بن القدام ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب. قال: أصابنا من الليل طش من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، ويات رسول الله ﷺ - يعني قائماً يصلي - وحرّض على القتال.

وقال الإمام أحمد [١/١٢٥، ١٢٨]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي. قال: ما كان فينا فارس يوم بدر إلا المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويكي حتى أصبح. وسيأتي هذا الحديث مطولاً.

ورواه النسائي [١/٤٤٧] عن بندار عن غنتر عن شعبة

كثير. قال: فما عندهم؟ قال: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قال: يوماً تسعاً ويوماً عشرة. فقال رسول الله ﷺ: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف» ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشرف قريش؟» قال: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزعمة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونييه ونييه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود. قال: فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١/٦١٧، ٦١٨]: وكان بسيس بن عمرو وعدي بن أبي الزُعَياء قد مضيا حتى نزلا بداراً فأتاخا إلى تل قريب من الماء ثم أتخا شتا لهما يستقيان فيه. وعبدى بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسيس جاريين من جوارى الحاضر وهما يتلازمان على الماء والمزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فاعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. قال مجدي: صدقت ثم خلص بينهما. وسمع ذلك عدي وبسيس فجلسا علي بغيرهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه بما سمعا، وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذراً حتى ورد الماء. فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره إلا أنني قد رأيت راكبين قد أتاخا إلى هذا التل ثم استقيا في شين لهما ثم انطلقا، فأنى أبو سفيان مناخهما فاخذ من أبعار بغيرهما فقتله فإذا فيه النوى. فقال: هذه والله علائق يرب فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجهه عيره عن الطريق فسلح بها وترك بداراً يسار وانطلق حتى أسرع.

قال: وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن غزوة بن المطلب بن عبد مناف رؤياً. فقال: إنني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأميمة بن خلف وفلان وفلان فعد رجلاً عن قتل يوم بدر من أشرف قريش، ثم رأته ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خياه من أخية العسكر إلا أصابه نضح من دمه قال: فلبت أبا جهل لعنه الله فقال: هذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول إن نحن التفتينا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١/٦١٩، ٦١٨]: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجحها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بداراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام فقيم عليه ثلاثاً فتنحر الجُرُز وتطعم الطعام وتسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويمسرينا وجمنا فلا يزالون يهابوننا أبداً فامضوا.

وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زهرة - وهم بالجحفة: يا بني زهرة قد نحى الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم غزوة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوا وماله فاجعلوا بي جنبها وارجعوا فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة لا ما يقول هذا.

قال: فرجعوا فلم يشهدا زهري واحد، اطاعوه وكان فيهم مطاعاً ولم يكن بقي بطن من قريش إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي لم يخرج منهم رجل واحد، فرجعت بنو زهرة مع الأحنس فلم يشهد بداراً من

وقال مجاهد: أنزل عليهم المطر فاطفاً به الغبار وتلبدت به الأرض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم [تفسير الطبري: ١/١٩٦].

صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا.

قال: وقد كان خفاف بن إيماء بن رخصة أو أبوه إيماء بن رخصة الغفاري، بعث إلى قريش ابناً له بجزار أهلهما لهم. وقال: «إن أحبيتم أن نذكركم بسلاح ورجال فعلنا» قال: فأرسلوا إليه مع ابنه أن وصلتك رحم، وقد قضيت الذي عليك، فلعمري إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة.

قال: فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ» فما شرب منه رجلٌ يوشئ إلا قُتل إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يُقتل. ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه فكان إذا اجتهد في عيته قال: لا والذي لحجاني يوم بدر.

قلت: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما سيأتي بيان ذلك في فصل نغلقه بعد الوقعة، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم إن شاء الله.

ففي صحيح البخاري [٣٩٥٩] عن البراء. قال: كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وضع عشرة على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوزوه إلا مؤمن.

وللبخاري [٣٩٥٦] أيضاً عنه. قال استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين، والأَنْصار نيفاً وأربعون ومائتان.

وروى الإمام أحمد [٢٤٨/١] عن نصر بن باب عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال: كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضى يوم الجمعة في شهر رمضان. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَائِكَاتٍ قَلِيلًا وَأَنَّ أَرَاكُمُ كَثِيرًا تَقْبِلُونَهُمْ وَتَسْتَازِعُنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأفلاك: ٤٣] الآية. وكان ذلك في منامه تلك الليلة.

وليل: إنه نام في العريش وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فلما القوم منهم فجعل الصديق يوقظه ويقول: يا رسول الله دنوا منا فاستيقظ، وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً. ذكره الأموي وهو غريب جداً.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي الْغَيْثِ فِي أَهْيَتِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيهِ أَهْيَتِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأفلاك: ٤٤].

فمنما تقابل الفريقان قلل الله كلا منهما في أعين الآخرين ليجترأ هؤلاء على هؤلاء، وهؤلاء على هؤلاء لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وليس هذا معارض لقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتِيَنِ الْقِتَابِ فِي تَقَاتُلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافَّةً يَرَوْنَهُمْ مَثَلُهم رَأَى الْغَيْثِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٣] فإن المعنى في ذلك على أصح القولين أن الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي حشد الكافرة على الصحيح أيضاً، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا فاستلذذهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً، ثم أيد المؤمنين بنصره فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا. ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

قال إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي حبيدة، عن عبد الله: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى أتى لأقوال رجل إلى جني أترامهم سبعين؟ فقال: أترامهم مائة. (هــو الطوسي: ١٣/١٠)

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/١ - ١٢٢٤]: وحلثني أبي إسحاق

قلت: وكانت ليلة بدر ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جمل شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول: «يا حيُّ يا قيُّوم» يكرِّر ذلك ويلفظ به عليه السلام.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/١]: فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/١]: فحلثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب بن منلة بن الجهمسج. قال: يا رسول الله أرايت هذا المنزل أمراً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه. أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنزلهم ثم نغزو ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤوه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أَشْرَبْتُ بِالرَّيِّ».

قال الأموي حلثنا أبي قال: وزعم الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص وجبريل عن يمينه إذ أتاه ملك من الملائكة فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام فقال رسول الله ﷺ: «هو السلام ومنه السلام وإليه السلام» فقال الملك: إن الله يقول لك إن الأمر هو الذي أملك به الحباب بن المنلة. فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل هل تعرف هذا؟» فقال: ما كل أهل السماء أعرف وإنه لصادق وما هو بشيطان فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فعمرت، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فملأ ماء ثم قلقلوا فيه الآية.

وذكر بعضهم أن الحباب بن المنلة لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ نزل ملك من السماء وجبريل عند النبي ﷺ فقال الملك: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الرأي ما أشار به الحباب، فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال: «ليس كُلُّ الملائكة أعرفهم وأنه مَلَكٌ وليس بشيطان».

وذكر الأموي أنهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل، وأنهم نزلوا فيه واستقوا منه وملؤوا الخياض حتى أصبحت ملاء وليس للمشركين ماء.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/١، ١٢٢/١]: فحلثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله ﷺ ألا نبني لك عريشا نكون فيه ونبذل عنك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن ورامنا من قوما فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ حياءَ لك منهم، ولو ظننا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمتنع الله بهم يتاصرونك ويحاصرونك. فأتى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريشاً كان فيه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/١]: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما أراها رسول الله ﷺ تصوب من العققل وهو الكتب الذي جاؤوا منه إلى الوادي. قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادوك وتكذب رسلك اللهم فاصبرك الذي وعدتني اللهم أحتمل الغداة». وقد قال رسول الله ﷺ: «وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم وهو على جمل له أحر: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند

ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فنجته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن خلفه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه وهو يقول: فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي اليوم إلى بني غزوم قفقت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا! ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة ثلاثاً فبوتني من الخبر شيء، وعتبة متكى على إيماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشرة جزائر. فطلع أبو جهل والشتر في وجهه فقال لعتبة: انتفخ سحرک؟ فقال له عتبة: ستعلم! فسل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رخصة: بش الفأل هذا! فعند ذلك قامت الحرب. وقد صف رسول الله ﷺ أصحابه وعيَّاهم أحسن تهيئة.

فروى الترمذي [١٦٧٧] عن عبد الرحمن بن عوف. قال: صفنا رسول الله ﷺ يوم بدر ليلاً.

وروى الإمام أحمد [٤٢٠/٥] من حديث ابن هبة حنثي يزيد بن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول: صفنا يوم بدر فبلرت منا بادرة أمام الصف، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال: «معي»، ففر به أحمد وهذا إسناد حسن.

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٢٦/١]: وحديثي حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعمل به القوم، فمر بسواد بن غزوة حليف بني عدي بن النجار وهو مستنبل من الصف، فظعن في بطنه بالقدح وقال: «استرو يا سواده» فقال: يا رسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأوتيتني. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استد»، قال: فاعتقه فقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواده؟» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقاله.

قال ابن إسحاق: وحديثي عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث - وهو ابن عفراء - قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غَسَمَ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ قَدْفُهَا، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ۖ».

قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره.

وقال ابن إسحاق وغيره [سورة ابن هشام: ٦٢٨/١، وباربع الطري: ٤٤٩/٢]: وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدمه العدو من المشركين والجناب الجانب مهية لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة كما أشار به سعد بن معاذ.

وقد روى البزار في مسنده [كشف الاستار: ١٦١/٣، ١٦٢] من حديث محمد بن عجيل عن علي أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إنني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جملنا لرسول الله ﷺ عريشاً قلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ ثلاثاً يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شأهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

قال: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخته قريش فهذا يَجُؤُهُ، وهذا

بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمعي فقالوا: احزرن لنا القوم أصحاب محمد، قال: فاستجال بفروسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً، أو يتقصون ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمين أو مستد. قال: فضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكن قد رأيت يا معشر قريش البليبا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت النافع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروراً وإيكم يا معشر قريش؟ فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال: قد فعلت أنت علي بذلك، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله. فات ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فاني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره، ثم قام عتبة خطيباً فقال: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لنن أصبنموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه - أو ابن خاله - أو رجلاً من عشيرته فأرجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك الفأكم ولم تعرضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جثت أبا جهل فوجدته قد نثل درعاً له فهو يهتها قفقت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعثته ما قال ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه فقد تحوفكم عليه، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي. فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع الناس، وقد رأيت تارك بعينك فقم فانتشد خنرتك ومقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ وأعمراه وأعمراه.

قال: فحميت الحرب وحقب أمر الناس واستوسقوا على ما هم عليه من الشر وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة. فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره قال: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه فلما رأى ذلك اعتجر على رأسه ببرد له.

وقد روى ابن جرير [لاري: ٤٤٣/٢] من طريق مسور بن عبد الملك البريمعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال: بينما نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل حاجبه فقال: حكيم بن حزام يستأذن، قال: استذن له فلما دخل قال: مرحباً يا أبا خالد أدن، فقال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ثم استقبله فقال: حدثنا حديث بدر. فقال: خرجنا حتى إذا كنا بالحنفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها فلم يشهد أحد من مشركهم بدرًا، ثم خرجنا حتى نزلنا المدونة التي قال الله تعالى، فنجث عتبة بن ربيعة قفقت: يا أبا الوليد هل لك في أن نذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي وهو حليفك، فتحمل بدنيته ويرجع الناس. فقال: أنت علي بذلك وانعبد إلى ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - قتل له: هل لك أن

رسول الله ﷺ لأنه أول موقف واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه فاحب أن يكون أولئك من عشيرته فأمرهم بالرجوع وأمر أولئك الثلاثة بالخروج. قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١/٦٢٥]: فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ - وفي هذا دليل أنهم كانوا مُكَلِّين لا يُعرفون من السلاح - فقال عبيدة بن جراح: وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي. قالوا: نعم! أكفأ كرام. فبارز عبيدة وكان أسن القوم عبدة، وبارزة حمزة شعبة، وبارز علي الوليد بن عتبة. فاما حمزة فلم يجهل شعبة أن قتله وأما علي فلم يجهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بفريقتين كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلياً بأسيانهما على عتبة فلذا ضاع عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما ﷺ.

وقد ثبت في الصحيحين [ج ٤٧٤٣، م ٣٠٣٣] من حديث أبي مجاز عن قيس بن عباد عن أبي ذر: أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] نزلت في حمزة وصاحبه، وعتبة وصاحبه يوم برزوا في بدر. هذا لفظ البخاري في تفسيرها.

وقال البخاري [٤٧٤٤]: حدثنا حجاج بن منهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي ثاب أبو مجاز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب. أنه قال: أنا أول من يجي بين يدي الرحمن عز وجل في الخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشعبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

تفرد به البخاري. وقد أوسعنا الكلام عليها في التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمثنة.

وقال الأموي: حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي: قال: برز عتبة وشعبة والوليد وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعلي. فقالوا: تكلموا تعرفكم. فقال حمزة: أنا أسد الله وأسد رسول الله أنا حمزة بن عبد المطلب فقال: كتمو كريم. وقال علي: أنا عبد الله وأخو رسول الله. وقال عبيدة: أنا الذي في الخلفاء.

فقام كل رجل إلى رجل فقاتلوهم فقتلهم الله. فقالت هند في ذلك: أعيوني جُوداً بدمع سُرِبَ على خير خندف لم ينقلب تداعى له رءطه غُدوة بنو هاشم وبنو المطلب يُذيقونه حذاً أسياهم يُبْلُونه بعدما قد عَطِبَ ولما نذرت هند أن تاكل من كبدة حمزة.

قلت: وعبيدة هذا هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأشرفه رسول الله ﷺ فوضع خده على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رأيته أبو طالب لعلم أنه أحق بقوله:

وَسَلِّمَهُ حَتَّى تَصْرُغَ خَوَافُهُ وَنَحْلُ عَنْ إِبْنَاتِنَا وَالْحَالِيسِ
ثم مات ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أنك شهيد».
رواه الشافعي رحمه الله.

وكان أول قتل من المسلمين في المعركة مهجع مولى عمر بن الخطاب رُمِيَ بسهم فقتله.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١/٦٢٧]: فكان أول من قتل، ثم رُمِيَ بعده حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من الخوض

ينتلله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً. فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويَجَأُ هذا وينتل هذا وهو يقول: ويلكم اتقنوا رجلاً أن يقول: ربي الله. ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحينه ثم قال: أنشدكم الله أؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه.

ثم قال البراء: لا تعلمه يروى إلا من هذا الوجه.

فهذه خصوصية للصديق حيث هو مع الرسول ﷺ في العرش كما كان معه في الغار ﷺ وأرضاء. ورسول الله ﷺ يكثر الإبهال والتضرع والدعاء ويقول فيما يدعو به: «اللهم إني إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض» وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه. وجعل أبو بكر ﷺ يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الإبهال: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك [م ١٧٦٣] بحره من حديث عمر بن الخطاب.

هكذا حكى السهيلي [الروض الأنف: ١٣٠/٥] من قاسم بن ثابت أن الصديق إنما قال: بعض مناشدتك ربك. من باب الإشفاق لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله أي لم تعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان ﷺ رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ.

وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي بأنه قال: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف والصديق في مقام الرجاء وكان مقام الخوف في هذا الوقت - يعني أكمل - قال: لأن لله أن يفعل ما يشاء فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة [الروض الأنف: ١٣٠/٥].

قلت: وأما قول بعض الصوفية إن هذا المقام في مقابلة ما كان يوم الغار. فهو قول مردود على قائله إذ لم يتبر هذا القائل عَوْرَ ما قال، ولا لازمه ولا ما يترتب عليه والله أعلم.

هذا وقد تواجه الفتان وتقابل الفريقان وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء وضع الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف البلاء. فكان أول من قتل من المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١/٦٢٤، ١/٦٢٥، تاريخ الطبري: ٤٤٥/٢]: وكان رجلاً شرساً سعى الخلق فقال: أعاهد الله لأشربين من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموئن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما اتقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الخوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم جأ إلى الخوض حتى اقتحم فيه يريد - رَعَمَ - أن يُرْمِيه ويتابعه حمزة فنصره حتى قتله في الخوض.

قال الأموي: فقام عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شعبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الصفيين دعوا إلى البراز فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفرأ، والثالث عبد الله بن رواحة - فيما قيل - فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار. فقالوا: ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية فقالوا: أكفأ كرام ولكن أخرجوا إلينا من بني عمناء، ونادى مناديه: يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، وعند الأموي أن التفر من الأنصار لما خرجوا كره ذلك

بهم فأصاب نحو فمات.

وثبت في الصحيحين [٢٨٠٩]، ولم يخرج مسلم عن أنس: أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان في النظرة أصابه سهم غرب فقتله، فجاءته أمه فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله ما أصنع - يعني من النجاح - وكانت لم تحرم بعد. فقال لها رسول الله ﷺ: «ويحك أمهلت، إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٦٢/١]: ثم تراحم الناس ودنا بعضهم من بعض.

وقال: أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن اكتفمكم فانضحهم عنكم بالنيل».

وفي صحيح البخاري [٣٩٨٤] عن أبي أسيد. قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «إذا كثبوكم - يعني المشركين - فارمهم واستبقوا بلكم».

وقال البيهقي [دلائل الشدة: ٧٠/٣]: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن الزبير. قال: جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، وسمى خيله: خيل الله.

قال ابن هشام [السيرة: ٦٣٤/١]: كان شعار الصحابة يوم بدر: أخذ أخذ.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٢٦/١، ٦٢٦]: ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر ؓ - يعني وهو يستغيث الله عز وجل - كما قال تعالى: «إِذْ تَسْتَشِيرُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [الأنفال: ١٠-٩].

قال الإمام أحمد [٣٠/١]: حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سمك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداءه ولإزاره ثم قال: «اللَّهُمَّ انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد في الأرض أبداً» قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فاخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا رسول الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فانزل الله ﷻ: «إِذْ تَسْتَشِيرُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ» [الأنفال: ٩] وذكر تمام الحديث كما سيأتي.

وقد رواه مسلم [١٧٦٣] وأبو داود [٢٦٩٠] والترمذي [٣٠٨١] وابن جرير [السيرة: ١٨٩/٩] وغيرهم من حديث عكرمة بن عمار اليماني وصححه علي بن المديني والترمذي.

وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس والسدي وابن جريج وغيرهم: أن هذه الآية نزلت في دعاء النبي ﷺ يوم بدر.

وقد ذكر الأموي وغيره أن المسلمين عجزوا إلى الله عز وجل في الاستغاثة بجنابه والاستعانة به.

وقوله تعالى: «بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ» أي رداً لكم ومبدأ لفتكم. رواه العوفي عن ابن عباس. وقاله مجاهد وابن كثير وعبد الرحمن

بن زيد وغيرهم [سيرة الطبري: ١٩٠/٩، ١٩١].

وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس «مُرَوِّفِينَ» ورواه كل مَلَكٍ مَلَكٌ.

وفي رواية عنه بهذا الإسناد «مُرَوِّفِينَ» بعضهم على أثر بعض [سيرة الطبري: ١٩١/٩] وكذا قال أبو طليان والضحاك وقائدة [سيرة الطبري: ١٩١/٩].

وقد روى علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس قال: وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة، وكان جبريل في خمسمائة عجلة، وميكائيل في خمسمائة عجلة، وهذا هو المشهور [سيرة الطبري: ١٩٥/٩].

ولكن قال ابن جرير [السيرة: ١٩٧/٩]: حدثني المنشي حدثنا إسحاق حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثني عبد العزيز بن عمران عن الزمعي عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي. قال: نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ وأنا في الميسرة.

ورواه البيهقي في الدلائل [٥٥/٣] من حديث محمد بن جبير عن علي فزاد: ونزل إسرائيل في ألف من الملائكة وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء، فذكر أنه نزلت ثلاث آلاف من الملائكة.

وهذا غريب وفي إسناده ضعف ولو صحَّ لكان فيه تقوية لما تقدم من الأقوال ويؤيدها قراءة من قرأ «بألف» من الملائكة مردفين، بفتح الدال والله أعلم.

وقال البيهقي [الدلائل: ٤٩/٣]: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا محمد بن سنان الفزاز حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب أخبرني إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافع عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب ؓ. قال: لما كان يوم بدر قالت شيئا من قتال، ثم جئت مسرعا لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل، قال: فجنحت فإذا هو ساجد يقول: «يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم» لا يزيد عليها فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً، حتى فتح الله على يده.

وقد رواه النسائي في اليوم والليلة [الكبرى (١٠٤٤٧)] كتاب حمل اليوم والليلة عن بندار، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي، به.

وقال الأعمش عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود. قال: ما سمعت مناشداً ينشد حقاً له أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر، جعل يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْشِدُكَ عَهْدَكَ وَعُودَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تَعْبُدْ ثُمَّ التَفْتُ وَكَانَ شَقَّ وَجْهِهِ الْقَمَرُ. وَقَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ عَشِيَّةً» [الدلائل للبيهقي: ٥٠/٣] من طريق الأعمش به نحوه.

رواه النسائي [كبرى (١٠٤٤٢)] من حديث الأعمش به. وقال: لما التقينا يوم بدر قام رسول الله ﷺ فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له أشد مناشدة من رسول الله ﷺ وذكره.

وقد ثبت إخباره عليه الصلاة والسلام بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر.

في صحيح مسلم [١٧٧٩] عن أنس بن مالك كما تقدم، وسيأتي في صحيح مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب.

ومقتضى حديث ابن مسعود أنه أخبر بذلك يوم الواقعة وهو مناسب،

ورواه مسلم [١٩٠١] عن أبي بكر بن النضر وجماعة عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به.

وقد ذكر ابن جرير [٤٤٨/٢] أن عميراً قاتل وهو يقول ﷺ: ركضاً إلى الله بنسيرة زاذ إلا القسي وعمل المهاد والصبر في الله على المهاد وكل زاد غرضة الفساد غير القسي والسبر والرشاد

وقال الإمام أحمد [١١٧/١]: حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارة بن مضرب عن علي. قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتريتها وأصبنا بها وعك، وكان رسول الله ﷺ يتخير عن بدر فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر - وسيد بشر - فسبنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين منهم؛ رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فاما القرشي فانتقلت، وأما المولى فاخذناه فجعلنا تقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: كم القوم؟ قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم. فجهد النبي ﷺ أن يجيره كم هم فأبى ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر؟ فقال: عشرين كل يوم. فقال النبي ﷺ: «القوم ألف، كل جزور مائة وتبعها».

ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجفة نستظل تحتها من المطر، ويات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد؛ فلما طلع الفجر نادى «الصلوة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فجلس بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال ثم قال: «إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل» فلما دنا القوم منا وصافقناهم إذا رجل منهم على جمل له أحر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ناد في حمزة - وكان أقربهم من المشركين - من صاحب الجمل الأحمر» فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم اعصبوها براسي وقولوا: جئنا عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنني لست بأجبنكم. فسمع بذلك أبو جهل فقال: أنت تقول ذلك؟! والله لو غيرك يقول لأضضته قد ملأت رصك جوفك رعباً. فقال: إني أتمير يا مصغر استه؟ ستعلم اليوم أينما الجبان فبرز عتبة وأخوه شيبه فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن نبارز من بني عمناء من بني عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب» فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة فقتلنا منهم سبعين، وأسروا سبعين وجاء رجل من الأنصار قصير العباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله والله إن هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أجلع من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسكت، فقد أهلك الله مملك كريمة» قال: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً ونوفل بن الحارث.

هذا سياق حسن وفيه شواهد لما تقدم ولما سيأتي. وقد تفرد بطوله الإمام أحمد.

وروى أبو داود [٢٦٦٥] بعضه من حديث إسرائيل به. ولما نزل رسول الله ﷺ من العريش وحرض الناس على القتال والناس على مصافهم صابرين ذاكرين الله كثيراً كما قال الله تعالى أمراً لهم

وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك اليوم ولا مانع من الجمع بين ذلك بأن يجز به قبل ذلك اليوم وأكثر، وأن يجز به قبل ذلك بساعة يوم الرقعة والله أعلم.

وقد روى البخاري [٢٩١٥، ٢٩٥٣، ٤٨٧٥، ٤٨٧٧] من طرق عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «اللهم أشدك عهدك وعهدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فآخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يشب في الدرع وهو يقول «سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُؤَلُّونَ الدَّبِيرَ» بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنَى وَأَمْرٌ» [والمر: ٤٥ - ٤٦].

وهذه الآية مكية وقد جاء تصديقها يوم بدر كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال: لما نزلت «سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُؤَلُّونَ الدَّبِيرَ» قال عمر: أي جمع يهزم وأي جمع يلبق؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يشب في الدرع وهو يقول: «سَهْزَمُ الْجَمْعِ وَيُؤَلُّونَ الدَّبِيرَ» بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنَى وَأَمْرٌ» ففرفت تأويلها يومئذ.

وروى البخاري [٤٨٧٦] من طريق ابن جريج عن يوسف بن ماهان سمع عائشة تقول: نزل على محمد مكة - وإني لجارية العبد - «بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنَى وَأَمْرٌ»

قال ابن إسحاق [سورة من شام: ١٢٧/١]: وجعل رسول الله ﷺ يتأشد ربه ما وعد من النصر ويقول فيما يقول «اللهم إن تهلك هذه المصيبة اليوم لا تعبد» وأبو بكر يقول: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، وقد خضع النبي ﷺ خفقه وهو في العريش ثم أتته فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثيابه التمع» يعني الغبار.

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم. وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً تحسباً مقلداً غير منبر إلا أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: يخ بخ أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله.

وقال الإمام أحمد [١٣٦/٣]: حدثنا هاشم، ثنا سليمان عن ثابت عن أنس. قال: بعث رسول الله ﷺ بَيْسَةَ عَيْناً ينظر ما صنعت عبر أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ قال: لا أدري ما استسنى من بعض نسائه، قال: فحدثه الحديث. قال فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: «إن لنا طليقة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا» فجعل رجال يستأفونه في ظهورهم في غلوة المدينة قال: «لا إلا من كان ظهره حاضراً» وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يتعلمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا أوله» فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم! قال: يخ بخ؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك: يخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فذلك من أهلها» قال: فأنخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلِبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية (الأهلال: ٤٥).

وقال الأموي: حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق قال: قال الأوزاعي: كان يقال: قلما ثبت قوم قياماً، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس أو ينفض طرفه ويذكر الله رجوت أن يبسلم من الريحاء.

وقال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا ترونهم - يعني أصحاب النبي ﷺ - جثياً على الركب كأنهم حرس يتلمظون كما تتلمظ الحيات - أو قال الأفاعي -.

قال الأموي في مغازيه: وقد كان النبي ﷺ حين حرض المسلمين على القتال قد نفل كل امرئ ما أصاب وقال: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل يفتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» وذكر قصة عمير بن الحمام كما تقدم.

وقد قاتل بنفسه الكرمية قتالاً شديداً بيده، وكذلك أبو بكر الصديق كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم تلا فحرضاً وشجاً على القتال وقتلا بالأيديان جمعاً بين المقامين الشريفين.

قال الإمام أحمد (٨٦/١): حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارث بن مضرب عن علي قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.

ورواه النسائي (٨٦٣/١) عن حديث أبي إسحاق عن حارثة عن علي قال: كنا إذا حمي اليأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد (١٤٧/١): حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن أبي عون عن أبي صالح الخنفي عن علي. قال: قيل لعلي ولأبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل - أو قال: يشهد الصف -.

وهذا يشبه ما تقدم من الحديث [تفسير الطبري: ١٩٢/٩] أن أبا بكر كان في اليمين ولما تنزل الملائكة يوم بدر تنزلاً كان جبريل على أحد الجانبين في خمسمائة من الملائكة، فكان في اليمين من ناحية أبي بكر الصديق، وكان ميكائيل على الجنب الأخرى في خمسمائة من الملائكة فوققوا في الميسرة وكان علي بن أبي طالب فيها.

وفي حديث رواه أبو يعلى [مسند: ٤٨٩] من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن علي. قال كنت أمتح على القلب يوم بدر فجاءت ريح شديدة ثم أخرى ثم أخرى فنزل ميكائيل في ألف من الملائكة فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر، وإسرافيل في ألف في الميسرة وأما فيها، وجبريل في ألف قال: ولقد طعنت يومئذ حتى بلغ الدم يبطي.

وقد ذكر صاحب العقد [العقد الفريد: ١٠٦/٦] وغيره أن أخضر بيت قاله العرب قول حسان بن ثابت:

ويبتر بدر إذ يكف مطيهم جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري (٣٩٩٢): حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما تعلمون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين». أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة. انفراد به البخاري.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ

وَاضْرِبُوا فِيهِمُ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأهلال: ١٢).

وفي صحيح مسلم (١٧٦٣) من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس. قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقاً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٣/١]: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن حدث عن ابن عباس، عن رجل من بني غفار. قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ونحن على شركنا، وإنا لنفي جبل ننظر الرقعة على من تكون الذبّة فنتهب، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل، سمعنا منها حمحة الحيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكشفت أن أهلك، ثم انتعشت بعد ذلك.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٣/١]: وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرًا قال بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم بيدرو معي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أفتارى.

فلما نزلت الملائكة ورأى إيليس وأوحى الله إليهم ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وتبينهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه، فيقول له: ابشروا فإنهم ليسوا بشيء، والله معكم كروا عليهم.

ولما رأى إيليس الملائكة ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، وهو في صورة سراقا، وأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول: لا يهولكم خذلان سراقا إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه، ثم قال: واللوات والعزى لا ترجع حتى نفرق محمدًا وأصحابه في الجبال، فلا تقتلوهم وخذلوهم أخذاً.

وقال الواقدي [مغازي: ٧٩/١]: حدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس. قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون، فيقول: إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون: لو حلوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء. إلى غير ذلك من القول، فذلك قوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأهلال: ١٢) الآية.

وروى البيهقي [الدلائل: ٥٣/٣] من طريق سلامة، عن عقيل، عن ابن شهاب عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال أبو أسيد بعدما ذهب بصره ابن أخي وأخيه وأنت بيدرو، ثم أطلق الله بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك، ولا غمار.

وروى البخاري (٣٩٩٥) عن إبراهيم بن موسى، عن عبد الوهاب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب».

وقال الواقدي [المغازي: ٨١/١]: حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه، وحدثني عاصم بن يحيى عن أبي الحويرث، عن عمارة بن أكبة الليثي، عن حكيم بن حزام، قالوا: لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول: «اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين». وأبو بكر يقول: والله ليصرنك

انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال: «من أسرك؟» قلت: لا أعرفه! وكهرت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: «أسرك ملك من الملائكة، اذهب يا ابن عوف بأسيرك» [بخاري الواقدي: ٧٩/١].

وقال الواقدي [بخاري: ٨٠/١]: حدثني عائذ بن يحيى، حدثنا أبو الحويرث عن عمارة بن أكيمة، عن حكيم بن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق، فإذا الوادي يسيل غللاً، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء، أيده به محمد فما كانت إلا الهزيمة وهي الملائكة.

وقال إسحاق بن راهويه: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق، حدثني أبي عن جبير بن مطعم. قال: رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل الجباد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود، فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم.

ولما نزلت الملائكة للنصر، ورأهم رسول الله ﷺ حين أغشى إغفاءة ثم استيقظ، ويشر بذلك أبا بكر وقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثيابه النقع». يعني من المعركة.

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدرع فجعل يحرض على القتال، ويشر الناس بالجنة، ويشجعهم بتزول الملائكة، والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم، حصل لهم السكينة والطمأنينة، وقد حصل للناس الذي هو دليل على الطمأنينة والثبات والإيمان، كما قال: «إذ يفشاكم النعاس أمة منه» [الأهبال: ١١].

وهنا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أحد بنص القرآن، ولهذا قال ابن مسعود: النعاس في المصاف من الإيمان، والنعاس في الصلاة من التفاني [تفسير الطبري: ١٤١/٤، ١٩٢/٩].

وقال الله تعالى: «إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدَّ جَاهُكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تُقَاتِلُوا نُقَدِّ وَلَكُمْ نُفُيْ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» [الأهبال: ١٩].

قال الإمام أحمد [بخاري: ٤٣٩/١]: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف فأجبه الغداة. فكان هو المستفتح.

وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة [سيرة ابن هشام: ٦٢٨/١]. ورواه النسائي [مجموع: ١١٢٠١] من طريق صالح بن كيسان عن الزهري.

ورواه الحاكم [المستدرک: ٣٢٨/٢] من حديث الزهري أيضاً، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال الأموي: حدثنا أسباط بن محمد القرشي عن مطرف، عن عطية، في قوله: «إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدَّ جَاهُكُمْ الْفَتْحُ» قال: قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الثنتين، وأكرم القبيلتين، وأكثر الفريقين. فنزلت: «إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَتَدَّ جَاهُكُمْ الْفَتْحُ».

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: «وَإِذْ يَبْلُغُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ» [الأهبال: ٢] قال: أقبلت غير أهل مكة تريد الشام، فبلغ ذلك أهل المدينة فخرجوا، ومعهم رسول الله ﷺ يريدون المعير، فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا السير إليها لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه فسبقت المعير رسول الله ﷺ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين، وكانوا يحبون أن يلقوا المعير، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين

الله وليبضن وجهك، فأنزل الله الفأ من الملائكة مردفين عند اكتناف العلو. قال رسول الله ﷺ: «أبشرا يا أبا بكر هذا جبريل متعرج بعمامة صفراء، أخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض تنيب عني ساعة ثم طلع، وعلى ثيابه النقع يقول: أتاك نصر الله إذ دعوته».

وروى البيهقي [الذيل: ٥٦/٣] عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه. قال: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أجدنا لإشير إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٣/١]: حدثني والذي حدثني رجال من بني مازن عن أبي واقد الليثي قال: إني لأبص رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله.

وقال يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله التميمي، عن الربيع بن أنس. قال: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة عن قتلهم بضرب فوق الأضلاع وعلى البنان مثل سيمة النار وقد أحرق به.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٣/١]: حدثني من لا أنهم، عن مقسم عن ابن عباس. قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، قد أرخواها على ظهورهم، إلا جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء.

وقد قال ابن عباس: لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومداً لا يضيرون [سيرة ابن هشام: ٦٣٤/١].

وقال الواقدي [بخاري: ٧٦/١]: حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية، عن مصعب بن عبد الله، عن مولى لسهيل بن عمرو: سمعت سهيل بن عمرو يقول: لقد رأيت يوم بدر رجلاً يضاء على خيل بلق بين السماء والأرض مؤلِّمين يقتلون ويأسرون. وكان أبو أسيد يحدث بعد أن ذهب بصره. قال: لو كنت معكم الآن يبلر ومعني بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمري.

قال: وحدثني خارجة بن إبراهيم عن أبيه. قال قال رسول الله ﷺ لجبريل: «من القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم؟» فقال جبريل: يا محمد ما كل أهل السماء أعرف [بخاري الواقدي: ٧٧/١].

قلت: وهذا الأثر مرسل، وهو يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل، كما قاله السهيلي [الروض الأنف: ١٣٨/٥، ١٣٩] وغيره والله أعلم.

وقال الواقدي [بخاري: ٧٨/١]: حدثني إسحاق بن يحيى عن حمزة بن صهيب، عن أبيه قال: [بخاري: ٧٨/١] فما أدري كم يد مقطوعة وضربة جافقة لم يَدْمَ كُلُّهَا قد رأيتها يوم بدر.

وحدثني محمد بن يحيى عن أبي عقيل، عن رافع بن خديج عن أبي بردة بن نيار قال: جئت يوم بدر بثلاثة أروس فوضعتن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: أما راسان فقد قتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً طويلاً ضربه، فتشددت أمامه، فأخذت رأسه. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك فلان من الملائكة» [بخاري الواقدي: ٧٨/١، ٧٩].

وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه. قال: كان السائب بن أبي حبيش يحدث في زمن عمر يقول: والله ما أسرتني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ يقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فأدركني رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً فنادى في العسكر: من أسر هذا؟ حتى

الله بن ثعلبة بن صعير، أن أبا جهل حين التقى القوم قال: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأخذه الغداة. فكان هو المستفتح.

فيما هم على تلك الحال، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العرش، ثم اتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معترج بعمامة أخذ بعنان فرسه يقوده على ثيابه النقع، أتاك نصر الله وعنته». وأمر رسول الله ﷺ فاخذ كفاً من الحصى بيده، ثم خرج فاستقبل القوم فقال: «شاحت الوجوه، ثم تفهم بها، ثم قال لأصحابه: «احلوا» فلم تكن إلا الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديدهم، وأسر من أسر منهم.

وقال زياد عن ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أخذ خضفة من الحصاة فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاحت الوجوه ثم تفهم بها، وأمر أصحابه فقال: «شلوا» فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرفهم [سورة ابن هشام: ١/٦٢٨].

وقال السدي الكبير: قال رسول الله ﷺ لعلي يوم بدر: «أعطني حصي من الأرض» فناله حصي عليها تراب، فرمى به في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل في حبيبه من ذلك التراب شيء، ثم دفعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، وأنزل الله في ذلك: ﴿قُلْ قَتَلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَزَيْتُ إِذْ رَزَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الأنفال: ١٧] وهو الطبري: ٢٠٥/٩.

وهكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس وقاتدة وابن زيد وغيرهم [وهو الطبري: ٢٠٤/٩، ٢٠٥]. أن هذه الآية نزلت في ذلك، يوم بدر، وقد فعل عليه السلام مثل ذلك في غزوة حنين كما سيأتي في موضعه، إذا انتهينا إليه إن شاء الله وبه الثقة.

وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١/٦٢٨] أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ورمى المشركين بما رماهم به من التراب وهزمهم الله تعالى، صعد إلى العرش أيضاً ومعه أبو بكر، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العرش، ومعهم السيوف خيفة أن تكرر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١/٦٢٨]: ولما وضع القوم أيديهم بأسرون رأى رسول الله ﷺ فيما ذكر لي في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له: «كأنني بك يا سعد تكرم ما يصنع القوم؟» قال: أجل يا رسول الله كانت أول وقعة أوقفها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استيقاه الرجال.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١/٦٢٨، ٦٢٩]: وحديث العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرماء لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البخري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إما يخرج مستكرهاً، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقش أباناً وأباناً وإخواننا وترك العباس، والله لئن لقيته لأخذه بالسيف. فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر: «يا أبا حفص»، قال عمر: «والله إنه لأول يوم كنتني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص، «أضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟» فقال عمر: يا رسول الله دعني فلاضرب عقه بالسيف، فوالله لقد نائق. فقال أبو حذيفة: ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال

يريد القوم، وكره القوم سيرهم لشوكة القوم. فنزل النبي ﷺ والمسلمون، وبينهم وبين الماء زملة وخصّة فأصاب المسلمون ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم القطط يوسوسهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كنذا فامطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، فأدب الله عنهم رجز الشيطان، فصار الرمل كبداء، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم وأبى الله نبيه والمؤمنين بالغف من الملائكة فكان جبريل في خمسة من الملائكة مجنبة، وميكائيل في خمسة من الملائكة مجنبة، وجاء إلياس في جند من الشياطين ومعه رايته، وهم في صورة رجال من بني مدلج والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جشم، وقال الشيطان للمشركين: ﴿لَا مَلَأَ لَكُمْ الْيَوْمَ يَسَّرَ النَّاسَ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ فلما اصطفت الناس قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره، ورفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً». فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا وأصاب عينه ومنخره وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إلياس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إلياس يده، ثم ولى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سراقه أما زعمت أنك لنا جار؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَهِيدٌ الْيَقِينُ﴾، وذلك حين رأى الملائكة. رواه البيهقي في الدلائل ٣/٧٨، ٧٩.

قال الطبراني (الكبير ٤٥٥٠): حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا عبد العزيز بن عمران، ثنا هشام بن سعد عن عبد ربه بن سعيد بن قيس الأنصاري، عن رفاعه بن رافع. قال: لما رأى إلياس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر، أشفق أن يخلص القتل إليه، فتشب به الحارث بن هشام، وهو يظن أنه سراقه بن مالك، فوكز في صدر الحارث فاقلاه، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر، ورفع يديه فقال: اللهم إني أسألك نظرتك إياي. وخاف أن يخلص القتل إليه. وأقبل أبو جهل فقال: يا معشر الناس لا يهولكنم خذلان سراقه بن مالك، فإنه كان على ميعد من محمد ولا يهولكنم قتل شعبة وعتبة والوليد، فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا ترجع حتى نقرهم بالحبال، فلا اثنين رجلاً منكم قتل رجلاً، ولكن خلوهم أخلاً حتى تعرفوهم سوء صنيعهم من مفارقتهم إياكم، وروغبتهم عن اللات والعزى. ثم قال أبو جهل متمثلاً: ما تنقم الحرب الشوموس مني - ببالز علمين حبيث مني

لعل هذا ولدتي أمي

وروى الواقدي [المغازي: ١/٩٥] عن موسى بن يعقوب الزمعي عن عمه عن أبي بكر بن أبي سليمان بن أبي حشمة: سمعت مروان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر، فجعل الشيخ يكره ذلك، فألح عليه فقال حكيم: التبتنا فاقتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقعة الحصاة في الطست، وقبض النبي ﷺ القبضة التراب فرمى بها فانهمزنا.

قال الواقدي [المغازي: ١/٩٥]: وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير سمعت نوفل بن معاوية الديلمي يقول: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع صوتاً كوقع الحصى في الطساس في أفئدتنا ومن خلفنا، وكان ذلك من أشد الأربع علينا.

وقال الأموي: حدثنا أبي، ثنا ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد

منها خائفاً، إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً ﷺ.

سنة ٢ - مقتل أبي البخري بن هشام

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٢٩/١، ٦٣٠): وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البخري لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة. كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة فلقه الجندر بن ذياب البلوي حليف الأنصار فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن تلك ومع أبي البخري زميل له خرج معه من مكة وهو جنادة بن ملبعة وهو من بني ليث. قال: وزميلي؟ فقال له الجندر: لا والله ما غن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، قال: لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعاً لا يتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. وقال أبو البخري وهو ينازل الجندر: لن يسلم إسر حررة زميله حتى يموت أو يبرى سبيله.

قال: فاقطلا قتله الجندر بن زياد وقال في ذلك: إما جهلت أو نسيت نسي فأنبت النسبة إني من بليسي الطمانين برملاح السخري والطمانين الكيش حتى ينحسي بشر يتسم من أبوه البخري أو بشرن بمنلهما سني بني أنا الذي يقال أصلي من بليسي اطعن بالصعدة حتى تشي وأصبحت القرن بتفسي مشرق أروم للموت كإزام الكسري فلا يبرى مجسداً يفرى فري

ثم أتى الجندر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلا أن يقاتلي، فقاتلته فقتلته.

سنة ٢ - مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٩٣١/١): وحديثي بجيس بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه وحديثه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف. قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغب من اسم سماكه أباك؟ قال: فأقول: نعم! قال: فلاني لا أعرف الرحمن فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به أما أنت فلا تحيي باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه، قال: فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت قال: فأنت عبد الإله قال: قلت: نعم! قال: فكت إذا مررت به قال: يا عبد الإله فأجيبه فالتحدث معه، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو أخذ يبلعه، قال: ومعني أذراع لي قد استلبتها فأتا أحلها فلما رأيته. قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله فقلت: نعم! قال: هل لك في فانا خير لك من هذه الأذراع التي معك قال: قلت: نعم ها الله قال: فطرح الأذراع من يدي وأخذت يده ويده ابنه وهو يقول: ما رايت كاليرم قط، أما لكم حاجة في اللين؟ ثم خرجت أممي بهما.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٢/١): حدثني عبد الواحد بن أبي عرون عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف. قال: قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل

منكم المعلم بريشة نعامه في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله لأنني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام - فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجما، قال: قلت: أي بلال أباسيري، قال: لا نجوت إن نجما، قال: ثم صرخ بأعلا صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجما، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة فأتا أذنب عنه، قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلهما قط، قال: قلت: انج بنفسك ولا نجما، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: ففهرهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما، قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً فجمعني بأدراعي وأسيري.

وهكذا رواه البخاري في صحيحه [٢٣٠١] قريباً من هذا السياق فقال في الوكالة: حدثنا عبد العزيز - هو ابن عبد الله - حدثنا يوسف - هو ابن الماجشون - عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن عوف قال: كتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغتي بمكة وأحفظه في صاغتي بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن، كاتبي باسمك الذي كان في الجاهلية فكتبته عبد عمرو فلما كان يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف! لا نجوت إن نجما أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثم أتوا حتى تبعونا وكان رجلاً قتيلاً، فلما أدركونا قلت له: أبرك! فبرك فالتفت عليه نفسي لأمنه فتخللوه بالسيف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه فكان عبد الرحمن بن عوف يرى ذلك الأثر في ظهر قدمه.

سمع يوسف صالحاً وإبراهيم أباه. تنرد به البخاري من بينهم كلهم. وفي مسند رفاعه بن رافع: أنه هو الذي قتل أمية بن خلف.

سنة ٢ - مقتل أبي جهل لعنه الله

قال ابن هشام (سيرة: ٦٣٤/١): وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ويقول: ما تنقم الحرب العوان سني بساؤل عامين حليث سني ثل هذا ولدتي أسني

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٥، ٦٣٤/١): ولما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتل، وكان أول من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك قالاً: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة وهم يقولون: أبا الحكم لا يخلص إليه، فلما سمعته جعلته من شائي فصمدت نحوه، فلما أمكنتني حملت عليه فضرته ضربة أطلت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح بيدي فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي فلما أدتني وضعت عليها قدمي ثم طعنت بها عليها حتى طرحتها.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٥/١، ٦٣٦): ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان. ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء

رجل تقتلموه.

وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: انتهيت إلى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد. ومعي سيف رديء فجعلت أوقف رأسه بسيفي وأذكر ثقفاً كان يتف راسي بمكة حتى ضعفت يده فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال: على من كانت الدائرة لنا أو علينا ألت روعيتنا بمكة؟ قال: فقتلته، ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: قتلت أبا جهل، فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» فاستحلفني ثلاث مرات ثم قام معي إليهم فدعا عليهم [الطبراني في الكبير: ٨١/٩ (٨٤٧٠)].

وقال الإمام أحمد (٤٤٤/١): حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: انتهيت إلى أبي جهل يوم بدر وقد ضرت رجله وهو يذب الناس عنه بسيف له، فقلت: الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله. قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، قال: فجعلت أتناوله بسيف في غير طائل فأصبت يده فندرت سيفه فأخذته فضربته حتى قتله قال ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كما أقول من الأرض فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» فرددها ثلاثاً، قال: قلت: الله الذي لا إله إلا هو قال: فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال: «الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الأمة».

وفي رواية أخرى [المسنَد: ٤٤٤/١] قال ابن مسعود: فغلظي سيفه.

وقال أبو إسحاق الفزاري عن الثوري، عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم بدر فقلت: قد قتلت أبا جهل فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» فقلت: الله الذي لا إله إلا هو - مرتين أو ثلاثاً - قال: فقال النبي ﷺ: «الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: «انطلق فارنيه» فانطلقت فارنيه فقال: «هذا فرعون هذه الأمة» [المسنَد: ٤٤٤/١].

ورواه أبو داود (٢٧٠٩) والسنائي (٨٦٧٠) من حديث أبي إسحاق السبيعي به.

وقال الواقدي: وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابني عفره فقال: «رحم الله ابني عفره فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفرة» فقل: يا رسول الله ومن قتله معهما؟ قال: «الملائكة وإبن مسعود قد شرك في قتله» رواه البيهقي [الدلائل: ٨٨/٣].

وقال البيهقي [الدلائل: ٨٩/٣]: أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن عتبة بن الأزرع عن أبي إسحاق قال: لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيته قتيلاً؟ فحلف له فخر رسول الله ﷺ ساجداً.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٨٩/٣] من طريق أبي نعيم عن سلمة بن رجاء عن الشعثاء - امرأة من بني أسد - عن عبد الله بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين حين بشر بالفتح وحين جيء برأس أبي جهل.

وقال ابن ماجه (١٣٩١): حدثنا أبو بشر بكر بن خلف حدثنا سلمة بن رجاء قال: حدثني شعثاء عن عبد الله بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى يوم بُرئ برأس أبي جهل ركعتين.

وقال ابن أبي الدنيا: [الدلائل للبيهقي: ٨٩/٣، ٩٠ من طريق ابن أبي الدنيا به] حدثنا أبي، حدثنا هشيم، أخبرنا جلاله عن الشعبي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني مرت ببنو فرائث رجلاً يخرج من الأرض فيضربه

فضربه حتى أثبتته، وتركه وبه رمق. وقاتل معوذ حتى قتل، فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتصق في القتل وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني -: «انظروا إن خفي عليكم في القتل إلى أثر جرح في ركبته فإني أزدحم أنا وهو يوماً على مائدة لعبد الله بن جعدان وغن غلامان وكنت أشف منه يسير، فدفعته فوق ع على ركبته ففجّش في أحدهما فجحشاً لم يزل أثره به».

قال ابن مسعود: فوجدته بأخر رمق فرفسته. فوضعت رجلي على عقبه. قال: وقد كان ضبب بي مرة بمكة فأذاني ولكنني ثم قلت له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبما أخزاني؟ قال: أعمد من رجل تقتلموه أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٦/١]: وزعم رجال من بني غزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا ربيعة الغنم، قال: ثم احتزرت رأسه ثم جثت به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله. فقال: «الله الذي لا إله غيره؟» وكانت بين رسول الله ﷺ فقلت: نعم والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله. هكذا ذكر ابن إسحاق رحمه الله.

وقد ثبت في الصحيحين [ج (٣١٤١)، م (١٧٥٢)] من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف. قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالى فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حليئة أمتانهما، فتمنيت أن أكون بين أطلع منهما ففمزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أباه جهل؟ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفرق سوادى سواده حتى يموت الأعرج منا فتجبت لذلك ففمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلاً، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسالان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: «أيكما قتله؟» قال كل منهما: أنا قتله. قال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قال: لا. قال: فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: «كلاهما قتله» وقضى بسبله لعماد بن عمرو بن الجموح - والآخر معاذ بن عفره.

وقال البخاري (٣٩٨٨): حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده. قال: قال عبد الرحمن: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكانتي لم آمن بمكانتهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشداً عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفره.

وفي الصحيحين [ج (٣٩٦٢)، م (١٨٠٠)] أيضاً من حديث أبي سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: فمن ينظر ما صنع أبو جهل؟ قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله فانطلق فوجدته قد ضربه ابنا عفره حتى برد. قال: فأخذ بليحيته قال فقلت: أنت أبو جهل؟ فقال: وهو فوق رجل تقتلموه - أو قال: قتله قومه -.

وعند البخاري (٣٩٦١) عن أبي أسامة عن إسماعيل عن قيس عن ابن مسعود أنه أتى أبا جهل فقال: هل أخزأك الله؟ فقال: هل أعمد من

«عكاشة بن محصن» فقال ضرار بن الأزور الأسدي: ذاك رجل منا يارسول الله؟ قال: «ليس منكم ولكنه منا للحلف».

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٩٩/٣] عن الحاكم من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه عن عته قالت: قال عكاشة بن محصن: انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين، ولم يزل عنده حتى هلك.

سنة ٢- قتال سلمة بن الحصين

وقال الواقدي [المغازي: ٩٣/١، ٩٤]: وحدثني أسامة بن زيد عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل علة قالوا: انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيئاً كان في يده من عراجين ابن طاب فقال: اضرب به فإذا سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد.

سنة ٢- رده عليه السلام عين قتادة

قال البيهقي في الدلائل [٩٩/٣، ١٠٠]: أخبرنا أبو سعد الماليني أخبرنا أبو أحمد بن عدي حدثنا أبو يعلى حدثنا يحيى الحماني حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان: أنه أصيب عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجهته فأرادوا أن يقطعوها فسألو رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يلدي أي عينه أصيبت.

وفي رواية: فكانت أحسن عينيه.

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأشد مع ذلك:

أنا ابن الذي سألت على الحد عينه فرددت بكف المصطفى إما رد؟ فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشأ قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن فأنشده عمر في موضعه حقاً:

تلك المكارم لا فبيان من لين شيباً بماء فعاباً بفؤ أبوالا

سنة ٢- في قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي [الدلائل: ١٠٠/٣]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا محمد بن صالح أخبرنا الفضل بن محمد الشعرائي حدثنا إبراهيم بن المنذر أخبرنا عبد العزيز بن عمران حدثني رفاعه بن يحيى عن معاذ بن رفاعه بن رافع عن أبيه رفاعه بن رافع بن مالك، عن أبيه قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فطعته بالسيف فيها طعنة فقطعت، ورميت به يوم بدر، ففقت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما أذاني منها شيء.

وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيد ولم يخرجوه.

ورواه الطبراني [في الكبير: ٣٤/٥، ٥٣٥]] من حديث إبراهيم بن المنذر.

رجل بمقعة معه حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة».

وقال الأموي في مغازيه: سمعت أبي حدثنا الجالد بن سعيد عن عامر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت رجلاً جالساً في بدر ورجل يضرب رأسه بعمود من حديد حتى يغيب في الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج فهو يتجملجل فيها إلى يوم القيامة».

وقال البخاري [٣٩٩٨]: حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيلة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكتئب ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بعزة فطعته في عينه فمات قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم غمطت فكان الجهد أن نزعتها، وقد انتنى طرفها، قال عروة: فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياه عمر بن الخطاب فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل.

سنة ٢- ما أعطي عكاشة بن محصن

وقتاله يوم بدر

وقال ابن هشام [السيرة: ٣٣٧/١، ٦٣٧]: حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومرو به - إني أراك كأن في نفسك شيئاً أراك تظن أنني قتلت أباك إنني لو قتلت لم أحضر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة فأما أبوك فإني مروت به وهو يبحث الثور بروقه فحدث عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٧/١]: وقاتل عكاشة بن محصن بن حمران الأسدي حليف بني عبد شمس يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة» فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحة الأسدي أيام الردة، وأشد طليحة في ذلك قصيدة منها قوله:

عشيرة غادرْتُ ابنَ أقرمَ ثاوياً وعكاشة الغنمي عندَ مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحة كما سيأتي بيانه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٨/١]: وعكاشة هو الذي قال حين بشر رسول الله ﷺ أنه سبعمائة ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: ادع الله أن يجعلني منهم قال: «اللهم اجعله منهم» وهذا الحديث خرج في الصحاح [٥٧٠٥، م (٢٢٠)] والحسان [٢٤٤٦]، مسند أحمد: [٢٧١/١] وغيرها قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - «منا خير فارس في العرب» قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال:

رسول الله ﷺ: «إنه ليعذب بخطيته وذنبه، وإن أهله ليكون عليه الآن». قالت رَج (٣٩٧٩): «وذلك مثل قوله: إن رسول الله ﷺ قام على القلب وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال، قال: «إنهم ليسمعون ما أقول» وإما قال: «إنهم الآن ليعلمون إنما كنت أقول لهم حق»، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل: ٨٠) ﴿وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (طاهر: ٢٢) تقول: حين تروؤوا مقاعدن من النار. وقد رواه مسلم [٩٣٢] عن أبي كريب عن أبي أسامة به.

وقد جاء التصريح بسماع الميت بعد دفنه في غير ما حديث كما سقرر ذلك في كتاب الجنائز من الأحكام الكبير إن شاء الله.

ثم قال البخاري (٣٩٨٠، ٣٩٨١): حدثني عثمان حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قلب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم» وذكر لعائشة فقالت: «إما قال النبي ﷺ إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ حتى قرأت الآية. وقد رواه مسلم [٩٣٢] عن أبي كريب عن أبي أسامة. وعن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن هشام بن عروة.

وقال البخاري (٣٩٧٩): حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقلعوا في طوي من أطواء بدر خيبت، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم «يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان ليسركم أنكم أعلمتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله تويخاً وتصفيراً ونقمة وحسرة ونداماً.

وقد أخرجه بقية الجماعة (٢٨٧٥)، د (٢٩٥)، ت (١٥٥١)، م (كبرى ٨٦٥٧) إلا ابن ماجه من طرق عن سعيد بن أبي عروبة. ورواه الإمام أحمد (١٤٥/٣) عن يونس بن محمد المذدب عن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال: حدث أنس بن مالك فذكر مثله.

فلم يذكر أبا طلحة وهذا إسناد صحيح، ولكن الأول أصح وأظهر والله أعلم.

وقال الإمام أحمد (٢٨٧/٣): حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جفوا، ثم أتاهم فقام عليهم فقال: «يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً قال: فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون؟ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. ولكن لا يستطيعون أن يسميوا».

ورواه مسلم [٢٨٧٤] عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٩٧/١، ٦٤٠) وقال حسان بن ثابت:

قال ابن هشام (سيرة: ٦٣٨/١): ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومت مع المشركين لم يسلم بعد فقال: أين مالي يا خيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يبقَ إلا شكتة ويعسوبٌ وصارم يقتل ضلالة الشيب يعني لم يبقَ إلا عدة الحرب، وحصان وهو العيوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفه.

وقد روي في مغازي الأموي أن رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدر هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ورسول الله ﷺ يقول: «فقلق هامة» فيقول الصديق:

يسن رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعزّ وأظلمنا

سنة ٢- ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر بدر

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٩/١، ٦٣٩): وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القلب، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفع في درعه فملأها ذهبوا ليخرجوه فترايل لحمه فأقروه وألقوا عليه ما غيه من التراب والحجارة، فلما أقامهم في القلب وقف عليهم فقال: «يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟» فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله أنكلم قوماً موتى؟ فقال: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق» قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإما قال رسول الله ﷺ: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٩/١): وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله ﷺ من جوف الليل وهو يقول: «يا أهل القلب، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام - فعُد من كان منهم في القلب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جفوا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يسميوني».

وقد رواه الإمام أحمد (١٥٤/٣) عن ابن أبي عدي عن حميد عن أنس فذكر نحوه. وهذا على شرط الشيخين.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٣٩/١): وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «يا أهل القلب بشئ عسيرة النبي كتمت لنبيكم كُتبتوني وصدقتي الناس، وأخرجتموني وأواني الناس، وقاتلتوني ونصرني الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟» فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً.

قلت: وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تأوله من الأحاديث كما قد جمع ما كانت تأوله من الأحاديث في جزء وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله ﴿وَمَا أَنْتَ بِسَمِيعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (طاهر: ٢٢) وليس هو بمعارض له والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم للأحاديث الدالة نصاً على خلاف ما ذهب إليه رضي الله عنها وأرضاها.

وقال البخاري (٢٩٧٨): حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذكر عند عائشة أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ «أن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله» فقالت: «وَجَلَّ رَحِمُ اللَّهِ، إِمَّا قَالَ

وقال الإمام أحمد [رواية يحيى بن برمك: ٢٢٨/١، ٢٢٩، ورواية عبد الرزاق: ٣١٤/١]: حدثنا يحيى بن أبي بكير وعبد الرزاق. قالوا: حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب، عن عكرمة عن ابن عباس. قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، فناداه العباس وهو في الوثاق: إنه لا يصلح لك. قال: «لم؟» قال: لأن الله وعده إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعده.

وقد كانت جملة من قتل من سراة الكفار يوم بدر سبعين، هذا مع حضور ألف من الملائكة وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم أن يسلم منهم بشر كثير. ولو شاء الله لسلط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكيفية، وقد كان في الملائكة جبريل الذي أمره الله تعالى فاقطع مدائن قوم لوط وكنُ سبياً فيهن من الأمم والدواب والأراضي والزروع، وما لا يعلمه إلا الله، فرفعهن حتى بلغ بهن عنان السماء على طرف جناحه ثم قلبهن منكسات وأتبعهن بالحجارة التي سومت لهم كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط فيما تقدم.

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين وبين تعالى حكمه في ذلك فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحَبْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مِمَّا بَينَ يَدَيْهِمَا فَإِمَّا وَخْيًا حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَرْزَأَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ الآية [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونَهُمْ يَنْبِذَهُمُ اللَّهُ بِأَلْيَتِكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِفُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُلُوبَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ. وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [طه: ١٤ - ١٥] الآية.

فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الأنصار، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ويمسك بلحيته ويصعد على صدره حتى قال له: لقد أوتيت مرتقى صعباً يا رويي الغنم، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله فشفى الله به قلوب المؤمنين، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة أو أن يسقط عليه سقف منزله أو يموت حتف أنفه والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٤١/١] فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً ولكنه خرج معهم تقية منهم لأنه كان فيهم مضطهداً قد قنته عن إسلامه جماعة منهم؛ الحارث بن زعمة بن الأسود وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد بن المشيرة وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج.

قال: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَآيَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله منهم من آل رسول الله ﷺ: عمه العباس بن عبد المطلب، وابن عمه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحنارث بن عبد المطلب. وقد استلک الشافعي والبخاري وكتاب العقق. باب إذا أسر أحد الرجل أو عمه هل يفادي (إذا كان شركاً) وغيرهما بذلك على أنه ليس كل من ملك ذا رحم محرم يعتق عليه وعارضوا به حديث الحسن عن ابن سمره في ذلك [أحمد: ٤١٨، ١٥٠/٥، ٢٠٠، ٢٤٩ (٣)، ت (١٣٦٥)، س (كمي: ٤٨٩٨ - ٤٩٠٢)] فآله أعلم. وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية زوج زينب بنت النبي ﷺ.

كخط الوحشي في السورق القشيب من الوسمي منهمر سكوب يلبأ بعد ساكنها الحبيب ورد حرارة القلب الكتيب بصدق غير إخبار الكلوب لنا في المشركين من النصيب بدلت أركانه جنح الغروب كأمس الغاب مردان وشيب على الأعداء في نفع الحروب وكل مجرب خاظمي الكموب بنو النجار في الدين الصليب وعبية قد تركنا بالجبوب ذوي حسب إذا نسبوا حسب فلغناهم كباك في القلب وأمر الله يأخذ بالقلوب؟ صدقت وكنت ذا رأي مصيب!

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٤١، ٦٤٠/١]: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلتوا في القلب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القلب فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حنيفة بن عتبة فإذا هو كتيب قد تغير لونه فقال: يا حنيفة لعلك قد دخلك من شأن أليك شيء؟ - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رابياً وحليماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهدي ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً.

وقال البخاري [٣٩٧٧]: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عطاء عن ابن عباس: ﴿الَّذِينَ يَبْكُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ كَثَرًا﴾ قال: هم وآله كفار قريش. قال عمرو: هم قريش، ومحمد ﷺ نعمة الله ﴿وَأَخْلَوْا قَوْمَهُمْ ذَرَّ الْبَوَارِ﴾ قال: النار يوم بدر.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٦٤/١] وقال حسان بن ثابت: قومي الذين هم آووا نبيهم وصدقوه وأهل الأرض كفار إلا خصائص أتواهم هم سلف متبشرين بقسم الله قولهم أهلاً وسهلاً نفسي آمن وفي سعة فتأزلوه بسلام لا يخاف بها وقاسموه بها الأموال إذ قديموا سيرنا وساروا إلى بدر حينهم دلاهم بنورهم ثم أسلمهم وقال إنني لكم جاور فأوردكم ثم التفتنا فوئنا عن سراتهم

سنة ٢- الحكم في الأسارى

وقد اختلف الصحابة في الأسارى يقتلون أو يفادون على قولين، كما قال الإمام أحمد [٢٤٣/٣]: حدثنا علي بن عاصم عن حميد عن أنس - وذكر رجلاً - عن الحسن. قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم» قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال: فأعرض عنه النبي ﷺ، ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأسر. قال: فقام عمر فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي، ثم عاد، النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصديق فقال: يا رسول نرى أن تغفر عنهم وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله تعالى «لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ» إلى آخر الآية [الأهلال: ٦٨]، انفرد به أحمد. وقد روى الإمام أحمد [٣٠/١] - واللفظ له - ومسلم [١٧٦٣] وأبو داود [٢٦٦٠] والترمذي [٣٠٨١] وصححه وكنا علي بن المديني وصححه من حديث عكرمة بن عمار: حدثنا سمال الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة؛ فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله قتل منهم سبعون رجلاً، وأسر منهم سبعون رجلاً، واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليا وعمر، فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو النعم والعشيرة والإخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن نمكني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، ونمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ونمكن حمزة من فلان أن يضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأنعمهم وقادتهم. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء.

فلما كان من الغد قال عمر: ففدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبيكان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبيكان أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تنابكت لبيكانكما؟ فقال رسول الله ﷺ: «للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض علي عنابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قرية - وأنزل الله تعالى: «ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تریلون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم» [الأهلال: ٦٧ - ٦٨] من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم. وذكر تمام الحديث.

وقال الإمام أحمد [٣٨٣/١، ٣٨٤]: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟» قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكتبوك قريتهم فأضرب أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا.

قال: فقال العباس: قطعت رحلك قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئا. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن ملك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ» [براهيم: ٣٦] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: «إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِثَابُكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ» [البقرة: ١٧٨] وإن ملك يا عمر كمثل نوح قال: «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا عَلَى الْأَرْضِ إِنَّ الْكَافِرِينَ خِيفَارٌ» [نوح: ٢٦] وإن ملك يا عمر كمثل موسى قال: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْذِنُوا حَتَّى يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» [يونس: ٨٨] أنتم عالة فلا تغفلن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق» قال عبد الله: فقلت: يا رسول الله إلا سهل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام قال: فسكت، قال: فما رأيتي في يوم أخوف أن تقع على حجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال: «إلا سهل بن بيضاء» قال: فأنزل الله «ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشخن في الأرض تریلون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» لولا كتاب من الله سبق لمسكم إلى آخر الآيتين.

وهكذا رواه الترمذي [١٧١٤] والحاكم [المستدرک: ٢١/٣، ٢٢] من حديث أبي معاوية. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك. ولقد روي عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه.

وقد روى ابن مردويه والحاكم في المستدرک [٣٢٩/٢] من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال: لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فبمن أسر أسره رجل من الأنصار قال: وقد أودعته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إني لم أتم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه» قال عمر: أفأنتهم؟ قال: «نعم» فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن كان له رضى فخذنه، فأخذ عمر فلما صار في يده قال له عمر: يا عباس لتسلم فوالله لئن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبني إسلامك.

قال: واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم. واستشار عمر فقال: اقتلهم، ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله: «ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشخن في الأرض» الآية.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى الترمذي [١٥٦٧] والنسائي [٨٦٦٢] وابن حبان [الإحسان: ٤٧٩٥] من حديث سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: خير أصحابك في الأسارى إن شاوروا الفداء وإن شاوروا القتل على أن يقتل عاما قابلاً منهم مثلهم، قالوا: الفداء أو يقتل منا. وهذا حديث غريب جداً، ومنهم من رواه مراسلاً عن عبيدة والله أعلم.

وقد قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٧٥/١، ٦٧٦] عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس في قوله «لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» يقول: لولا أني لا أعذب من عصاتي حتى

أتقدم إليه لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم.

وهكذا روى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (تفسير الطبري: ٤٧/١٠) أيضاً واختاره ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٧٦/١) وغيره. وقال الأعمش: سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدرًا.

وهكذا روى عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبير وعطاء بن رباح.

وقال مجاهد والثوري: ﴿لَوْلَا كِتَابُ مَنْ اللَّهِ سَبَقَ﴾ أي لم بالمغفرة. وقال الوالي عن ابن عباس: سبق في أم الكتاب الأول أن الغنائم وفداء الأسارى حلال لكم، ولهذا قال بعده ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.

وهكذا روى عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقادة والأعمش، واختاره ابن جرير (تفسيره: ٤٤/١٠).

وقد ترجع هذا القول بما ثبت في الصحيحين [ج (٣٣٥)، م (٥٢١)] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت حُساماً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه ويمتد إلى الناس عامة».

وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا» [ت (٣٠٨٥)].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فاذن الله تعالى في أكل الغنائم وفداء الأسارى.

وقد قال أبو داود: [٢٦٩١] حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة.

وهذا كان أقل ما فردي به أحد منهم من المال، وأكثر ما فردي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم. وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي آيَاتِكُمْ مِنَ الْأَسْوَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ بِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ الآية (الأهلال: ٧٠).

وقال الوالي عن ابن عباس: نزلت في العباس ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب قال العباس: فأتاني الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه. (تفسير الطبري: ٤٩/١٠)

وقال ابن إسحاق (تاريخ الطبري: ٤٦٣/٢): حدثني العباس بن عبد الله بن مبيد عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما أسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى عبوسون بالوثاق، بات النبي ﷺ ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه: مالك لا تنام يا رسول الله؟ فقال: «سمعت أنين عمي العباس في وثاقه، فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ».

قال ابن إسحاق: وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمائة أوقية من ذهب [دلائل البره للبيهقي: ١٤١/٣].

قلت: وهذه المائة كانت عن نفسه وعن ابني أخويه عقيل ونوفل، وعن حليقة هبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم فقال له رسول الله ﷺ: «أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك» فادعى أنه لا مال عنده قال: «فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل وقلت لها: إن أصبت في سفري فهذا ليبي الفضل وعبد الله وقيم؟» فقال: «والله أني لأعلم أنك رسول الله إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل».

رواه ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس (الدلائل للبيهقي: ١٤٣/٣).

وثبت في صحيح البخاري [٢٥٣٧] من طريق موسى بن عقبة قال الزهري: حدثني أنس بن مالك قال: إن رجلاً من الأنصار استأفوا رسول الله ﷺ قالوا: انزل لنا فلتترك لابن اختنا العباس فداءه. فقال: «لا والله لا تنزلون منه درهما».

قال البخاري (٤٢١) معلقاً: وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس: أن النبي ﷺ أتى بمال من البحرين فقال: «أنشروه في المسجد فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً فقال: «خذ» فحشا في ثوبه ثم ذهب يلقه فلم يستطع فقال: مر بعضهم يرفعه لي. قال: «لا» قال: فإرفعه أنت علي، قال: «لا» فشر منه ثم ذهب يلقه فلم يستطع فقال: مر بعضهم يرفعه لي قال: «لا» قال: فإرفعه أنت علي قال: «لا» فشر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق. فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وشر منها درهم.

وقال البيهقي (الدلائل: ١٤٠/٣): أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي. قال: كان فداء العباس وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب كل رجل أربعمئة دينار، ثم توعد تسالي الآخرين فقال: ﴿وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَكْثَرُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الأهلال: ٧١).

سنة ٢ - أسارى وقتلى المشركين يوم بدر

والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، وقتلى من المشركين سبعين كما ورد في غير ما حليت مما تقدم وسيأتي إن شاء الله، وكما في حليت البراء بن عازب في صحيح البخاري [٣٩٨٦]: أنهم قتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين.

وقال موسى بن عقبة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ومن الأنصار ثمانية، وقتل من المشركين تسعة وأربعون، وأسروا منهم تسعة وثلاثون.

مكننا رواه البيهقي (الدلائل: ١٤٢/٣) عنه. قال (الدلائل: ١٢٣/٣): وهكذا ذكر ابن لحيعة عن أبي الأسود عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين.

ثم قال (الدلائل: ١٢٣/٣): أخبرنا الحاكم أخبرنا الأصم أخبرنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق. قال: واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً، أربعة من قريش وسبعة من الأنصار وقتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً.

وقال في موضع آخر: وكان مع رسول الله ﷺ أربعة وأربعون أسيراً، وكانت القتلى مثل ذلك.

ثم روى البيهقي (الدلائل: ١٢٣/٣، ١٢٤) من طريق أبي صالح كاتب الليث عن الليث عن عقيل عن الزهري قال: وكان أول قتيل من المسلمين مهجع مولى عمر، ورجل من الأنصار وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين، وأسروا منهم مثل ذلك.

قال: ورواه ابن وهب عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عروة بن

الزبير.

قال: قال البيهقي - وهو الأصح - فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم.

ثم استدل على ذلك بما ساقه هو والبخاري (٣٩٨٦) أيضاً من طريق أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: أمر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً. قلت: والصحيح أن جملة المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد صرح قتادة بأنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وكأنه أخذه من هذا الذي ذكرناه والله أعلم.

وفي حديث عمر المتقدم (مسند أحمد: ٣٠/١) أنهم كانوا زيادة على الألف، والصحيح الأول لقوله عليه السلام: «القوم ما بين التسعمائة إلى الألف».

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كما سيأتي التخصيص على ذلك وعلى أسمائهم إن شاء الله، وتقدم في حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس: أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، وقاله أيضاً عروة بن الزبير وقاتدة وإسماعيل السدي الكبير وأبو جعفر الباقر [الدلائل البيهقي: ١٢٦/٣، ١٢٧].

وروى البيهقي [الدلائل: ١٢٧/٣، ١٢٨] من طريق قتيبة عن جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر قال: «فقرروها لإحدى عشرة بقين فإن صبيحتها يوم بدر».

قال البيهقي [الدلائل: ١٢٨/٣]: وروى عن زيد بن أرقم: أنه سئل عن ليلة القدر فقال ليلة تسع عشرة ما شك، وقال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان.

قال البيهقي [الدلائل: ١٢٨/٣]: والمشهور عن أهل المغازي أن ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان.

ثم قال البيهقي [الدلائل: ١٢٨/٣، ١٢٩]: أخبرنا أبو الحسين بن بشران حدثنا أبو عمرو بن السماك حدثنا حنبل بن إسحاق حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن عثمان سمعت موسى بن طلحة يقول: سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر فقال: إما لسبع عشرة خلعت، أو ثلاث عشرة خلعت أو لإحدى عشرة بقيت. وإما لسبع عشرة بقيت. وهذا غريب جداً.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة قيات بن أشيم الليثي من طريق الواقدي وغيره بإستادهم إليه أنه شهد يوم بدر مع المشركين فذكر هزيمتهم مع قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال: وجعلت أقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء والله لو خرجت نساء قريش باكمتها ردت عمداً وأصحابه. فلما كان بعد الحتق قلت: لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمد وقد وقع في نفسي الإسلام، قال: فقدمتها فسألت عنه فقالوا: هو ذاك في ظل المسجد في ملا من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه فسلمت فقال: «يا قيات بن أشيم أنت القاتل يوم بدر ما رأيت مثل هذا الأمر فرمته إلا النساء؟» قلت: أشهد أنك رسول الله فإن هذا الأمر ما خرج مني إلى أحد قط ولا ترمزت به إلا شيئاً حدثت به نفسي، فلولا أنك نبي ما أطلعك الله عليه، هلم أباعك على الإسلام فأسلمت.

سنة ٢- الحكم في المغام يوم بدر

وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر في المغام من المشركين يومئذ لمن تكون منهم وكانوا ثلاثة أصناف حين ولى المشركون: ففرقة أحلقت برسول الله ﷺ تخمسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه.

وفرقة سالت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون.

وفرقة جمعت المغام من متفرقات الأماكن.

فادعى كل فريق من هؤلاء أنه أحق بالغنم من الآخرين لما صنع من الأمر المهم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٧/١]: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فبينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الغل وسامت فيه أخلاقنا، فترعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسمة بين المسلمين عن براء، يقول: عن سواه.

وهكذا رواه أحمد (٣٢٢، ٣٢٢/٥) عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به.

ومعنى قوله: على السواء أي ساوى فيها بين الذين جمعوها وبين الذين اتبعوا العدو وبين الذين ثبتوا تحت الرايات لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه كما قد يترجمه بعض العلماء منهم أبو عبيد وغيره والله أعلم. بل قد تغل رسول الله ﷺ سيفه ذو الفقار من مغام بدر.

قال ابن جرير [الترغ: ٤٧٩/٢]: وكذا أصطفى جملاً لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً.

وقال الإمام أحمد (٣٢٣/٥، ٣٢٤): حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلام عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأكبت طائفة على العسكر يحرقونه ويحجمونه، وأحلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن فبينا منها العدو وهزمناهم، وقال الذين أسندوا برسول الله ﷺ: خفنا أن يصيب العدو منها غرة فاشتغلنا به، فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] فقسما رسول الله ﷺ على فوق المسلمين وكان رسول الله ﷺ إذا غار في أرض العدو نزل الربع فإذا قبل راجعاً نزل الثلث وكان يكره الأنفال.

وقد روى الترمذي (١٥٦١) وابن ماجه (٢٨٥٢) من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث.... آخره.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٤٨٥٥) والمحاكم في مستدركه (١٣٦، ١٣٥/٢) من حديث عبد الرحمن، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

وقد روى أبو داود (٢٧٣٧) والنسائي (١١١٩٧) وابن حبان

بمريضها بأمر رسول الله ﷺ، وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره في بدر.

قال أسامة: فلما قدم أبي زيد بن حارثة جثته وهو واقف بالمصلى وقد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وزعمة بن الأسود، وأبو البخري العاص بن هشام، وأمّية بن خلف، ونيه ومنه ابنا الحجاج. قال: قلت: يا أبا حق هذا؟ قال: أي والله يا بني.

وروي البيهقي [الدلائل: ١٣٠/٣] من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقية رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعت الهيفة فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى. وضرب رسول الله ﷺ لثمان بسهمه.

وقال الواقدي [المغازي: ١١٣/١]: صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل فلما صلى ركعة تبسم فسلط عن تبسمه فقال: «مرّ بي ميكائيل وعلى جناحه النقع تقسم لي» وقال: إني كنت في طلب القوم، وإتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر على فرس أنثى معقود الناصية وقد عصم ثنيته الغبار فقال: يا محمد إن ربي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى هل رضى؟ قال: نعم.

قال الواقدي [المغازي: ١١٤/١]: قالوا وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل فجاءا يوم الأحد حين أشد الضحى، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرمهم، قتل ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وأبو جهل، وقتل زعمة بن الأسود، وأمّية بن خلف، وأسر سهيل بن عمرو قال عاصم بن عدي: قممت إليه فنحوته فقلت: أحقاً يا ابن رواحة؟ فقال: إي والله وغدا يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين. ثم تبع دور الأنصار بالعالية يشرهم داراً داراً والعيبان يشتكون معه يقولون: قتل أبو جهل الفاسق، حتى إذا انتهى إلى دار بني أمّية وقدم زيد بن حارثة على ناقية رسول الله ﷺ القصواء يشر أهل المدينة، فلما جاء المصلى صاح على راحلته: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجاج، وقتل أمّية بن خلف وأبو جهل وأبو البخري وزعمة بن الأسود، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثير فجعل بعض الناس لا يصدقون زيداً ويقولون: ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا.

وقدم زيد حين سويتا على رقية بنت رسول الله ﷺ الخراب بالبيق، وقال رجل من المنافقين لأسامة: قتل صاحبكم ومن معه؟ وقال آخر لأبي لبابة: قد تفرق أصحابكم تفرقاً لا يجتمعون فيه أبداً وقد قتل عليه أصحابه وقتل محمد وهذه ناقته نعرها، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب، وجاء فلا فقال أبو لبابة: يكذب الله قولك. وقالت اليهود: ما جاء زيد إلا فلا.

قال أسامة: فجئت حتى خلوت بأبي فقلت: أحق ما تقول؟ فقال: إي والله حق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق فقلت: أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لتقدمك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضربن عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه. قال: فجاء بالأسرى وعليهم شفران مولى رسول الله ﷺ وكان قد

والحاكم [المستدرک: ٣٢٦/٢، ٣٢٧] من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا»، فتسارع في ذلك شبان الرجال وبقي الشيخ تحت الرايات، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم قال الشيخ: لا تستأثروا علينا فإننا كنا ردماً لكم ولو انكشفتم لفتنتم إلينا، فتنازعوا فانزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية أنسراً آخر يطول بسطها ههنا ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله يحكمها فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] ثم ذكر ما وقع في قصة بدر وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية.

فاظاهر أن هذه الآية مبنية لحكم الله في الأنفال الذي جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ، فينه تعالى وحكم فيه بما أراد تعالى، وهو قول ابن زيد [تفسير الطبري: ١٧٨/٩].

وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله [الأموال: ص ٣٨٤] أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس، ولم يخصها. ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم، وهكذا روى الواقي عن ابن عباس [تفسير الطبري: ١٧٥/٩، ١٧٦].

وه قال جامد وعكرمة والسدي [تفسير الطبري: ١٧٥/٩، ١٧٦] وفي هذا نظر والله أعلم.

فإن في سياق الآيات قبل آية الخمس ويعدّها كلها في غزوة بدر فيقتضي أن ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاضل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً، ثم في الصحيحين [ج ٢٣٧٥، م ١٩٧٩] عن علي عليه السلام أنه قال في قصة شارقيّه اللذين اجتبى استمتهما حمزة: إن إحداهما كانت من الخمس يوم بدر ما يرد صريحاً على أبي عبيد أن غنائم بدر لم تخمس والله أعلم. بل خست كما هو قول البخاري [٣٠٩١] وابن جرير [تفسيره: ١/١٠] وغيرهما وهو الصحيح الراجح والله أعلم.

سنة ٢ - رجوعه من بدر إلى المدينة

وقد تقدم أن الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وثبت في الصحيحين [ج ٣٠٦٥، م ٢٨٧٥] أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاثة أيام، وقد أقام عليه السلام بعرصة بدر ثلاثة أيام كما تقدم وكان رحيله منها ليلة الاثنين، فركب ناقته ووقف على قلب بدر ففرق أولئك الذين سحروا إليه كما تقدم ذكره، ثم سار عليه السلام ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة وقد بعث عليه السلام بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجهده وبه كفر؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة.

قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر حين سويتا الخراب على رقية بنت رسول الله ﷺ وكان زوجها عثمان بن عفان عليه السلام قد احتبس عندهما

عقبى وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستلدان، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فالتقاء على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة ففسلته عن رأسي.
قال ابن هشام [السيرة: ٦٤٤/١]: ويقال بل قتل عقبه علي بن أبي

طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم.
قلت: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وغيثاً وحسداً وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٢٢/٢]: فقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها:

يا راكباً إن الأتيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن نجية ما إن تزال بها التجائب تخفق
مسي إليك وعبرة مسفوحة جادت بواكفها وأخرى تخفق
هل يسمعن النضر إن ناديت أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أحمد يا خير خيرة كريمة من قومها والفحل فحل مسروق
ما كان ضورك لو منتت وربما من الفتى وهو الغيظ المنفق
أو كنت قابل فدية فليفقن بأعز ما يغلسر به ما ينفق

والنضر أقرب من أسرت قرابة واحقهم إن كان عتق يتنق
ظلت سيوف بني أبيه تتوشه لله أرحام هنالك تشفق
صبراً يقاد إلى النية متعباً رسف القيد وهو عان موثق

قال ابن هشام [السيرة: ٤٣٢/٢]: ويقال والله أعلم إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال: «لو بلغني هذا قبل قتلته لمنت عليه».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٤/١]: وقد تلقى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو الليثي حجاجه عليه السلام ومعه زق ملوئ حياً - وهو التمر والسويق باليمن - هدية لرسول الله ﷺ فقبله منه ووصى به الأنصار.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٤/١]: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٥/١]: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار: أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقه بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً».

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى.

قال أبو عزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأمرني فقال: شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك.

قال أبو عزيز: فكنيت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصروني بالحجر وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بإيهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا فلتحتي بها فاستحي فأودعها فريدها علي ما مسحها.

قال ابن هشام [السيرة: ٦٤٦/١]: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟ فقال له مصعب: إنه أخي دونك فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي

فقبل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم فقتله بها.

قلت: وأبو عزيز هذا اسمه زرارة فيما قاله ابن الأثير في غابة الصحابة

شهد معهم بدرًا وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا.
قال الواقدي [الغزاة: ١١٦/١، ١١٧]: وهم سبعون في الأصل مجتمع عليه لا شك فيه.

قال: ولقي رسول الله ﷺ إلى الروحاء رؤوس الناس يهتونه بما فتح الله عليه فقال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدوًا، ولكن ظننت أنها غير ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت. فقال له رسول الله: «صدقت».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٣/١]: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث وقد جعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبنول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار. فقال راجز من المسلمين قال ابن هشام يقال: إنه هو عدي بن أبي الزغباء:

أقم لها صلورها يا بسيس ليس بذئ الطلح لها معرس
ولا بصحراء غمير محبس إن مطايا القوم لا تحبس
فحملها على الطريق أكبس قد نصر الله وفر الأخص

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كتيب بين المضيق وبين النازية يقال له ستر إلى سرحه به قسم هنالك النفل الذي أهأه الله على المسلمين من المشركين على النساء، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش كما حدثني عاصم بن عمر ويزيد بن رومان: ما الذي تهترننا به؟ والله إن لقينا إلا عجائز صلماً كالبدن المعقلة فنحرناها. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «أي ابن أخي أولئك الملاة».

قال ابن هشام [السيرة: ٦٤٤/١]: يعني الأشراف والرؤساء.

سنة ٢- مقتل النضر بن الحارث وعقبه

بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق [السيرة: ٦٤٤/١]: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبه بن أبي معيط.

قال ابن إسحاق [السيرة: ٦٤٤/١]: فقال عقبه حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: «النار» وكان الذي قتله عاصم بن ثابت ابن أبي الأطلح، أخو بني عمرو بن عوف، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.

وكذا قال موسى بن عقبه في مغازيه [الدلائل للهيتمي: ١١٧/٣] من طريق موسى بن عقبه، وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره.

قال: ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت. قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين من هنذا؟ قال: على عداوتك الله ورسوله.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل عقبه قال: أقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: نعم! أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على

[٢١٣/٦]

وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة طبقات خليفة: [٣٣/١]: وكان أخا مصعب بن عمير لأبيه، وكان لهما أخ آخر لأبويهما وهو أبو الروم بن عمير وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافراً ذاك أبو عزة كما سيأتي في موضعه والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٥/١]: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة. قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم وسودة بنت زمة زوج النبي ﷺ عند آل عفره في مناتهم على عوف ومعوذ ابني عفره، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب.

قال: تقول سودة: والله إني لنتدمم إذ أتينا قتيلاً: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يده إلى عنقه يحبل قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم، إلا متم كراماً؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: يا سودة أعلى الله وعلى رسوله محرضين، قالت: قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت.

ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فلانهم وكيفية إن شاء الله.

سنة ٢- فرح النجاشي بوقعة بدر ﷺ

قال الحافظ البيهقي [الذليل: ١٣٣/٣، ١٣٤]: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحريبي ببغداد حدثنا أحمد بن سليمان النجاد حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبدان بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن - رجل من أهل صنعاء - قال: أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلعان ثياب جالس على التراب.

قال جعفر: فاشفقنا منه حين رأيته على تلك الحال، فلما إن رأى ما في وجوهنا قال: إني أبشركم بما يسركم. إنه جاني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان. التقوا بواد يقال له بدر كثير الأراك كاني أنظر إليه كنت أرى به لسدي رجل من بني ضمرة إليه، فقال له جعفر: ما بالك جالس على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟ قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى إن حقاً على عباد الله أن يجدوا لله تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله لي نصر نبيه ﷺ أحدثت له هذا التواضع.

سنة ٢- في وصول خير مصاب أهل بدر إلى أهاليهم

بمكة

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٦/١]: وكان أول من قدم مكة

بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا له: ما وراك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميمة بن خلف، وزمنة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو اليختر بن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسوره عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالساً في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتل.

قال موسى بن عقبة [دلائل النبوة للبيهقي: ١١٧/٣ من طريق موسى بن عقبة]: ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحققوه قطعت النساء شعورهن وعقرت خيول كثيرة ورواحل.

وذكر السهيلي [الروض الأنف: ٢٢٤/٥، ٢٢٥] عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أنه قال: لما كانت وقعة بدر سمع أهل مكة هاتفاً من الجن يقول:

أزار الخنفسون بدمراً وقبعة سينفض منها ركن كسرى وقبصرا
أبادت رجالاً من لؤي وأبرزت خرائد يضرمن السراب خُسرا
فيا ويح من أسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحسراً

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٦/١، ٦٤٧]: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة - وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً - فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجعنا في أنفسنا قوة وعزاً.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل الأقداح أمتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أحت أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرنا ما جانا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يمر رجله بشر حتى جلس على طناب الحجر، فكان ظهري إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان - واسمه المغيرة - ابن الحارث بن عبد المطلب قد قدم.

قال: فقال أبو لهب: هلم إلي فنعتك لعمرى الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمتحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلاً بيضاً على خيل يلقي بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طناب الحجر بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: وثأرتي فاحتلني وضرب بسي الأرض، ثم برك علي يضربني - وكنت رجلاً ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجر فأخلته فضربت به ضربة قلعت في رأسه شجة منكبة، وقالت: استضعفت إن غاب عنه سيده، فقام مولياً ذليلاً؛ فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعنسة فقتله.

زاد يونس عن ابن إسحاق: فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أتت. وكانت قريش تتقي هذه العنسة كما تتقي الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكموا ألا تستحيان أن أباكم قد أتت في بيته لا

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٩/١]: وحديثي محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: دعني أترع ثبتي سهيل بن عمرو يلعب لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً».

قلت: وهذا حديث مرسل بل معضل.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٩/١]: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تنعمه».

قلت: وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة حين مات رسول الله ﷺ وأردت من أردت من العرب، ونجم التفارق بالمدينة وغيرها، فقام بمكة فخطب الناس ووثبهم على الدين الخفيف، كما سيأتي في موضعه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٩/١، ٦٥٠]: فلما قاومهم فيه مكرز وانهى إلى رضائهم قالوا: هات الذي لنا قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلوا سبيل سهيل وجسوا مكرزاً عندهم، وأشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً، أنكره ابن هشام [السيرة: ٦٥٠/١] فآله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٠/١]: وحديثي عبد الله بن أبي بكر قال: وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٠/١]: وكانت أمه بنت عقبة بن أبي معيط.

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ٦٥٠/١]: بل كانت أمه أخت أبي معيط.

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ٦٥٠/١]: وكان الذي أسره علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق [السيرة: ٦٥٠/١، ٦٥١]: وحديثي عبد الله بن أبي بكر قال: فقتل لأبي سفيان أقد عمراً ابنك، قال أجمع عليّ دمي ومالي، قتلوا حنظلة وأندي عمراً؟ دعوه في أيديهم يسكوه ما بدا لهم.

قال: فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني معاوية معتمراً ومعه مرية له، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالقيع فخرج من هنالك معتمراً، ولم يظن أنه يجبس بمكة، إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا لا يخبر، فعلم عليه أبو سفيان بن حرب بمكة فحبسه بابه عمرو، وقال في ذلك:

أرھط ابن أكال أجيبوا دعاءه تعاقدم لا تسلوا السيد الكهلا
فلن بني عمرو لساناً أكلة لئن لم يكفوا عن أسيرهم الكيلا

قال: فأجابه حسان بن ثابت يقول:

لو كان سعد يوم مكة مطلقاً لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسان أو بصفراء نعمة تحمن إذا ما أنبضت تحفز النبلا

قال: ومشي بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه خبره، وسأله أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به أصحابهم، فأعطاهم النبي ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥١/١، ٦٥٢]: وقد كان في الأسارى أبو العاصم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ٦٥١/١، ٦٥٢]: وكان الذي أسره خراش

تدفنانه؟ فقالوا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فانا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذاً بالماء عليه من بعيد ما يمشون منه، ثم احتملوه إلى أعلا مكة فأنشدوه إلى جدار، ثم رضموا عليه بالحجارة.

قال يونس عن ابن إسحاق: وحديثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين، أنها كانت لا تمر على مكان أبي لب

هذا إلا تستر بثوبها حتى تحجوز.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٧/١، ٦٤٨]: وحديثي يحيى بن عباد عن أبيه قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشتموا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء.

قلت: وكان هذا من تمام ما عذب الله به أحياءهم في ذلك الوقت، وهو تركهم النوح على قتلاهم، فإن اليكاء على الميت مما ييل فواد الحزين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٨/١]: وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زمة وعقيل والحارث، وكان يجب أن يكي على بنه قال: فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له - وكان قد ذهب بصره - انظر هل أحل التحب؟ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني ولده زمة - فإن جوتي قد احترق، قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته، قال: فذلك حين يقول الأسود:

أبكي أن أضل لها بغير وعندها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجسود
على بدر سراً بني مصيص وعجزدم ورهط أبي الوليد
ويكي إن بكيت على عقيل ويكي حارثاً أسد الأسود
ويكيهم ولا تسمي جيماً وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا

سنة ٢- في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء

أسراهم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٧/١، ٦٤٨]: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضيرة السهمي. فقال رسول الله ﷺ: «إن له بمكة ابناً كيباً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه» فلما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم، لا يارب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة، وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى: صدقتم لا تعجلوا، وانسل من الليل وقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فاطلق به.

قلت: وكان هذا أول أسير فدي، ثم بعثت قريش في فداء أسراهم، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم بن عوف، فقال في ذلك:

أسرت سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جيع الأسم
وخشلف تعلم أن الفتى قتله سهيل إذا يظلم
ضربت بذني الشفر حتى انثنى واكرهت نفسي على ذي التلم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤٩/١]: وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى.

بن الصمة أحد بني حرام.

قال ابن إسحاق (سورة: هشام: ٦٥١/١، ٦٥٢): وكان أبو العاص من رجال مكة الملوذين مالا، ولماعة، وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنته زينب، وكان لا يخالفتها، وذلك قبل الوحي، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية - أو أم كلثوم - من عتبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا عمداً بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبك، ونحن نزوجك بآي امرأة من قريش، شئت، قال: لا والله إن لا أفارق صاحبي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، وكان رسول الله ﷺ يشي عليه في صهره فيما بلغني.

قلت: الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره، ثابت في الصحيح (ج ٣١١٠، م ٢٤٤٩) كما سيأتي.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٥٢/١): وكان رسول الله ﷺ لا يحمل بمكة ولا يحرم مغلولاً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص، وكان لا يقدر على أن يفرق بينهما.

قلت: إما حرم الله المسلمين على المشركين عام الحديث سنة ست من الهجرة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٥٣/١): حلثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقوة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوها». قالوا: نعم يا رسول الله، فاطلقوه وردوها عليها الذي لها.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٥٣/١): وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلي سبيل زينب - يعني أن تهاجر إلى المدينة - فوفى أبو العاص بذلك كما سيأتي.

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق ههنا فأخبرناه لأنه أنسب والله أعلم. وقد تقدم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ نفسه وعقيلاً وتوفلاً ابني أخويه بمائة أوقية من الذهب.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٥٩/١): فكان ممن سمي لنا ممن عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء من بني أمية أبو العاص بن الربيع، ومن بني خزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم أسره بعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلوا سبيله فلقن بقرمه.

وقال ابن هشام (سورة: ٦٥٩/١): كان الذي أسره أبو أيوب خالد بن زيد.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٦٠/١): وصيغني بن أبي رفاعه بن عائد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك في أيدي أصحابه، فأخذوا عليه ليعثن لهم بفدائه، فخلوا سبيله ولم يف لهم. فقال حسان بن ثابت في ذلك: ما كان صيفي ليو في أمانة - قفا تلعب أعيا يعمض الموارد

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٦٠/١): وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جهم كان محتاجاً ذا بنات، قال: يا رسول

الله لقد عرفت ما لي من مال، وإني لثو حاجة، وخذ عيالي، فامتن علي، فمَن عليه رسول الله ﷺ وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك:

من يبلغ عني الرسول عمداً بآنك حق والمليك حيد
وأت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بولت فينا مائة لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربتك لحارب شقي ومن سألته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدمراً وأهله تأوب ما بي حسرة وقعود

قلت: ثم إن أبا عزة هذا تقص ما كان عامد الرسول عليه، ولعب المشركون بعقله، فرجع إليهم، فلما كان يوم أحد أسر أيضاً، فسأل من النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً، فقال النبي ﷺ: «لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول: خدعت عمداً مرتين» ثم أمر به فضررت عنقه كما سيأتي في غزوة أحد..

ويقال: إن فيه قال رسول الله ﷺ: «لا يلدخ المؤمن من جحر مرتين» (ج ٦١٣، م ٢٩٩٨) وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٦١/١): وحلثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمعي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر يسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وعن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر.

قال ابن هشام (سورة: ٦٦١/١): والذي أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق.

قال ابن إسحاق (سورة: ٦٦١/١ - ٦٦٣): فحلثني محمد بن جعفر، عن عروة فذكر أصحاب القلب ومصابهم فقال صفوان: «والله إن في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت، أما والله لو لا دين عليّ، ليس عندي قضاؤه، وعيال أخشى عليهم الضيقة بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي بقلهم علة أبنني أسير في أيديهم». قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: «عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقرا، لا يسعي شيء ويجز عنهم». فقال له عمير: فاكم عني شائي وشانك، قال: سافعل.

قال: ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحنثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عندهم، إذ نظر عمر على عمير بن وهب، وقد أتاخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيتنا، وحزرتنا للمقرم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه. قال: «فادخله علي»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بمحالة سيفه في عنقه فلبى بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الحديث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بمحالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادن يا عمير» فلما، ثم قال: أنعموا صباحاً. وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير

بعد البداة برسول الله ﷺ، ثم بأي بكر، وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم، وذلك من كتاب الأحكام الكبير للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، وغيره بعد البداة باسم رئيسهم وفخرهم وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ.

حرف الألف:

أبي بن كعب التجاري سيد القراء، الأرقم بن أبي الأرقم وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أسعد بن يزيد بن الفاكة بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان، أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم.

كنا قال موسى بن عقبة.

وقال الأموي: سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عدي شك فيه. وقال سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق [السورة: ٦٩٨/١]: سواد بن زريق بن ثعلبة.

وقال ابن عائذ: سواد بن زيد، أسير بن عمرو الأنصاري أبو سليل. وقيل: أسير بن عمرو بن أمية بن لوذان بن سالم بن ثابت الخزرجي، ولم يذكره موسى بن عقبة، أنس بن قنادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسي.

كنا سماه موسى بن عقبة، والأموي وسمّاه في السيرة أنيساً.

قلت: وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لما روى عمر بن شبة التميمي: حملنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه، عن ثعلمة بن أنس قال: قيل لأنس بن مالك: أشهدت بدرًا؟ قال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك! ١٩. وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أبي عن مولى لأنس بن مالك، أنه قال لأنس: شهدت بدرًا؟ قال: لا أم لك وأين أغيب عن بدر؟

قال محمد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام بخله.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه [٣٩٨/٣]: هكذا قال الأنصاري، ولم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي: أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. أنسة الحبشي: مولى رسول الله ﷺ.

أوس بن ثابت بن المنذر التجاري، أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عرف بن الخزرج الخزرجي. وقال موسى بن عقبة: أوس بن عبد الله بن الحارث بن خولي، أوس بن الصامت الخزرجي، أخو عبادة بن الصامت.

إياس بن البكير بن عبد ليث بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر حليف بني عدي بن كعب.

حرف الباء:

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار.

بجاث بن ثعلبة بن خزعة بن أصرم بن عمرو بن حمارة البلوي، حليف الأنصار.

بالسلام تحية أهل الجنة قال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: فحبها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: «أصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك، قال: «بل قد عدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرنا أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلي له، والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذب بما كنت تأتينا به من خير السماء، وما يترسل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقهاوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهلاً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعهم إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، ولا آتيتهم في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك في دينهم، قال: فأذن له رسول الله ﷺ فدخل بمكة.

وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول: ابشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب، فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً. قال ابن إسحاق [السورة: ٦٩٣/١]: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فاسلم على يديه ناس كثير. قال ابن إسحاق [السورة: ٦٩٣/١]: وعمير بن وهب - أو الحارث بن هشام - هو الذي رأى عدو الله إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر، وفر هارباً وقال: إني بروئ منكم، إني أرى ما لا ترون، وكان إبليس يومئذ في صورة سراققة بن مالك بن جعشم أمير مدلج.

سنة ٢ - رواية ابن إسحاق في قصة بدر

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر، وهو من أول سورة الأنفال إلى آخرها، فأجاد وأفاد [السورة: ٦٩٦/١ - ٦٩٧].

وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليظره ثم ولله الحمد والمنة.

سنة ٢ - تسمية من شهد بدرًا من المسلمين

ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين، [السورة: ٦٩٧/١ - ٧٠٦] فسر أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً، ثم أسماء من شهدها من الأنصار: أوسها وخزرجها إلى أن قال:

فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار من شهدها ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون رجلاً. ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً. وقد سردهم البخاري في صحيحه [كتاب المغازي - باب تسمية من هم من أهل بدر بعد ح ٤٠٢٧] مرتين على حروف المعجم

بسيس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد بن
ذبيان بن رشدان بن قيس بن جبهة الجهني، حليف بني ساعدة، وهو أحد
العينين هو وعدي بن أبي الزغباء كما تقدم.

بشر بن البراء بن معرور الخزرجي، الذي مات بتغيير من الشاة
المسومة.

وهذا الإسناد على شرط مسلم، لكن قال محمد بن سعد: ذكرت لمحمد
بن عمر يعني الواقدي هذا الحديث فقال: هنا وهم من أهل العراق، وأنكر
أن يكون جابر شهد بداراً.

بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، والد النعمان بن بشير، ويقال: إنه
أول من بايع الصديق.

وقال الإمام أحمد بن حنبل [٣٢٩/٣]: حدثنا روح بن عباد، ثنا زكريا
بن إسحاق، ثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: غزوت مع
رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بداراً ولا أحداً، منعني أبي فلما
قتل أبي يوم أحد، لم تختلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة.

بشير بن عبد المنذر أبو ليابة الأوسي رده عليه الصلاة والسلام من
الرواح، واستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره.

حرف التاء:

تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن
الحارث بن الخزرج.

تميم مولى خراش بن الصمة.

تميم مولى بني غنم بن السلم.

وقال ابن هشام [السيرة: ٦٩٠/١]: وهو مولى سعد بن خثيمة.

حرف الحاء:

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي. الحارث بن أوس بن معاذ بن
أخي سعد بن معاذ الأوسي، الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن
أمية بن زيد بن مالك بن الأوس رده عليه السلام من الطريق، وضرب له
بسهمه وأجره.

حرف اللام:

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان.

ثابت بن ثعلبة، ويقال لثعلبة هذا: الجلفج بن زيد بن الحارث بن حرام
بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.

ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم
بن مالك بن النجار التجاري.

ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن
عدي بن النجار التجاري.

ثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك
بن النجار التجاري.

ثابت بن هزال الخزرجي.

ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن
الأوس.

ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك التجاري

ثعلبة بن عمرو بن حصن الخزرجي.

ثعلبة بن عتمة بن عدي بن نايي السلمى.

ثقف بن عمرو بن بني حجر آل بني سليم، وهو من حلفاء بني كثير
بن غنم بن دودان بن أسد.

حرف الجيم:

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن
النجار التجاري.

جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن
غنم بن كعب بن سلمة السلمى، أحد الذين شهدوا العقبة.

قلت: فاما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى أيضاً فذكره

ورواه مسلم [٢٨١٣] عن أبي خثيمة عن روح.

جبار بن صخر السلمي.

جبر بن عتيك الأنصاري.

جبير بن لياس الخزرجي.

الحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو
بن عوف بن الخزرج، حليف لبني زعور ابن عبد الأشهل، الحارث بن
الصمة الخزرجي، رده عليه السلام لأنه كسر من الطريق، وضرب له
بسهمه وأجره.

الحارث بن عرفة الأوسي، الحارث بن قيس بن خالد أبو خالد
الخزرجي، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري، حارثة بن سراقه التجاري
أصابه سهم غرب وهو في النظارة فرفع إلى الفردوس. حارثة بن النعمان
بن رافع الأنصاري.

حاطب ابن أبي بلتعة اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن
قصي، حاطب بن عمرو بن عبيد ابن أمية الأشجعي من بني دهمان، هكنا
ذكره ابن هشام [السيرة: ٦٨٨/١] عن غير ابن إسحاق.

وقال الواقدي [المغازي: ١٥٦/١]: حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن
عبلود، وكذا ذكره ابن عائذ في مغازيه.

وقال ابن أبي حاتم: حاطب بن عمرو بن عبد شمس، سمعته من
أبي، وقال: هو رجل مجهول.

الحباب ابن المنذر الخزرجي، ويقال: كان لواء الخزرج معه يومئذ،
حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلمة.

وقال موسى بن عقيق: حبيب بن سعد بلد أسود.

وقال ابن أبي حاتم: حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج،
أنصاري يلدري.

حريث بن زيد بن ثعلبة ابن عبد ربه الأنصاري، أخو عبد الله بن زيد
الذي أرى للنساء، الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، حمزة بن
عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ.

حرف الحاء:

خالد بن البكير أخو إلياس المتقدم، خالد بن زيد أبو أيوب التجاري، خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري.
خارجة بن الحمير حليف بني خنساء من الخزرج، وقيل: اسمه حمزة بن الحمير، وسماء ابن عائذ خارجة قاله أعلم.
خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق.
خباب بن الأوت حليف بني زهرة وهو من المهاجرين الأولين وأصله من بني تميم ويقال: من خزاعة.
خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين الأولين.
خراش بن الصمة السلمي، خبيب بن إساف بن عتبة الخزرجي.
خريم بن فاتك ذكره البخاري [التاريخ الكبير: ٢٢٤/٣] فيهم.
خليفة بن عدي الخزرجي، خليل بن قيس بن النعمان ابن سنان بن عبيد الأنصاري السلمي.
خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي، قتل يومئذ، فتألمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب.
خوات بن جبير الأنصاري، ضرب له بسهمه وأجره، لم يشهدا بنفسه.

خولي بن أبي خولي العجلي حليف بني عدي من المهاجرين الأولين.
خلاد بن رافع، وخلاد بن مسويد، وخلاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون.

حرف اللال:

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي، ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غنشان بن سليم بن ملكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، حليف لبني زهرة، قتل يومئذ شهيداً.
قال ابن هشام [السيرة: ٦٨١/١] واسمه عمير وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسر.

حرف الراء:

رافع بن الحارث الأوسي.
رافع بن عنبلة قال ابن هشام [السيرة: ٦٨٨/١]: هي أمه.
رافع بن الملقى بن لؤذان الخزرجي قتل يومئذ.
رعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن عجلان بن ضبيعة.
وقال موسى بن عقبة: رعي بن أبي رافع.
ربيع بن إلياس الخزرجي.
ربيعة بن أكنم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزاعة، حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف، وهو من المهاجرين الأولين.
رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي.
رفاعة بن رافع الزرقعي، أخو خلاد بن رافع.

رفاعة بن عبد المنذر بن زهير الأوسي أخو أبي لبابة.
رفاعة بن عمرو ابن زيد الخزرجي.

حرف الزاي:

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه.
زياد بن عمرو.
وقال موسى بن عقبة: زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني.
وقال الواقدي: زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن كليب بن مودعة بن عدي بن عمرو بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة.
زياد بن لبيد الزرقعي، زياد بن المزين بن قيس الخزرجي.
زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة، زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله ﷺ.
زيد بن الخطاب بن نفل، أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام التجاري أبو طلحة ؓ.

حرف السين:

سالم بن عمير الأوسي، سالم بن غنم بن عوف الخزرجي، سالم ابن معقل مولى أبي حنيفة.
السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي شهد مع أبيه.
سبيع بن قيس بن عائذ الخزرجي.
سيرة بن فاتك ذكره البخاري [التاريخ الكبير: ١٨٧/٤].
سراقة بن عمرو التجاري، سراقة بن كعب التجاري أيضاً.
سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي، من المهاجرين الأولين، سعد بن خيثمة الأوسي قتل يومئذ شهيداً، سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أحد شهيداً، سعد بن زيد بن مالك الأوسي سعد بن زيد بن النافكة الخزرجي، سعد بن سهيل بن عبد الأشهل التجاري، سعد بن عبيد الأنصاري، سعد بن عثمان بن خلدة الخزرجي، أبو عبادة.
وقال ابن عائذ: أبو عبيدة.

سعد بن معاذ الأوسي كان لواء الأوس معه، سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي.

ذكره غير واحد منهم عروة والبخاري [التاريخ الكبير: ٤٤/٤] وابن أبي حاتم [الجرم والصدل: ٨٨/٤] والطبراني [الكبير: ١٧/٦] (٢٣٥٢) فيمن شهدا بدراً.

ووقع في صحيح مسلم [١٧٧٩] ما يشهد بذلك حين شاور النبي ﷺ في ملتقى النخيل من قريش، فقال سعد بن عبادة: كأنك تريدنا يا رسول الله الحديث.

والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ، والمشهور أن سعد بن عبادة رده من الطريق، قيل: لاستنابته على المدينة، وقيل: لذعته حية، فلم يتمكن من الخروج إلى بدر، حكاه السهيلي [الروض الأنف: ٢٦٩/٥] عن ابن تقيّة [المعارف: ص ٢٥٩] قاله أعلم.

سعد بن أبي وقاص، مالك بن أهيب الزهري أحد العشرة، سعد بن

ضمرة بن عمرو الجهني، وقال موسى بن عقبة: ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار وهو أخو زياد بن عمرو.

حرف الطاء:

طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة، قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

طفيل بن الحارث بن المطلب بن عبيد مناف من المهاجرين، وهو أخو حصين وعيلة.

طفيل بن مالك بن خنساء السلمي.

طفيل بن النعمان بن خنساء السلمي، ابن عم الذي قبله.

طلب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد بن قصي؛ ذكره الواقدي [المغازي: ١/١٥٤].

حرف الظاء:

ظهير بن رافع الأوسي ذكره البخاري [٤٠١٢، ٤٠١٣].

حرف العين:

عاصم بن ثابت بن أبي الأتلع الأنصاري، الذي حته الدبر حين قتل بالرجع. عاصم بن عدي بن الجعد بن عجلان رده عليه السلام من الروحاء وضرب له بسهمه وأجره، عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي.

عاقل بن البكير أخو إلياس وخالد وعامر.

عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري، عامر بن الحارث الفهري، كذا ذكره سلمة عن ابن إسحاق، وابن عائذ.

وقال موسى بن عقبة، وزاد عن ابن إسحاق [السيرة: ١/٦٨٥]: عمرو بن الحارث.

عامر بن ربيعة بن مالك العتري، حليف بني عدي من المهاجرين، عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي، حليف بني مالك بن سالم بن غنم.

قال ابن هشام [السيرة: ١/٦٩٣]: ويقال: عمرو بن سلمة.

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن حارث بن فهر، أبو عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة من المهاجرين الأولين. عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، عامر بن غنم النجاري.

عائذ بن ماعص بن قيس الخزرجي.

عباد بن بشر بن وقش الأوسي، عباد بن قيس بن عامر الخزرجي، عباد بن قيس بن عيشة الخزرجي، أخو سبيع المتقدم؟

عبادة بن الحشاش القضاعي، عبادة بن الصامت الخزرجي، عبادة بن

قيس بن كعب بن قيس.

عبد الله بن أمية بن عرفة، عبد الله بن ثعلبة بن خزيمة أخو محاث المتقدم، عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي، عبد الله بن الجعد بن قيس السلمي، عبد الله بن حق بن أوس الساعدي.

مالك أبو سهل، قال الواقدي [المغازي: ١/١٠١]: تجهز ليخرج فمريض، فمات قبل الخروج.

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، ابن عم عمر بن الخطاب، يقال: قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي.

سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي، سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة، سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة.

سليم بن الحارث النجاري، سليم بن عمرو السلمي، سليم بن قيس بن قهد الخزرجي، سليم بن ملحان أخو حرام بن ملحان النجاري.

سماك بن أوس بن خرشة أبو دجاعة، ويقال سماك بن خرشة، سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي، وهو أخو بشر بن سعد المتقدم.

سهل بن حنيف الأوسي، سهل بن عتيك النجاري، سهل بن قيس السلمي.

سهيل بن رافع النجاري الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم، سهيل بن وهب الفهري، وهو ابن بيضاء وهي أمه.

سنان بن أبي سنان محسن بن حراث من المهاجرين حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، سنان بن صيفي السلمي.

سواد بن زريق بن زيد الأنصاري، وقال الأموي: سواد ابن رزام، سواد بن غزية بن أهيب البلوي.

سويط بن سعد بن حرمة العبدي.

سويد بن غنمي أو غنمي الطائي، حليف بني عبد شمس، وقيل: اسمه أريد بن حمير.

حرف الشين:

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس، من المهاجرين الأولين.

شماس بن عثمان المخزومي، قال ابن هشام [السيرة: ١/٦٨٣]: واسمه عثمان بن عثمان، وإنما سمي شماساً لحسنه، وشبهه شماساً كان في الجاهلية.

شقران مولى رسول الله ﷺ، قال الواقدي [المغازي: ١/١٥٣]: لم يسهم له، وكان على الأسرى، فأعطاه كل رجل من له في الأسرى شيئاً، فحصل له أكثر من سهم.

حرف الصاد:

صهيب بن سنان الرومي من المهاجرين الأولين.

صفوان بن وهب بن ربيعة الفهري أخو سهيل بن بيضاء، قتل شهيداً يومئذ.

صخر بن أمية بن خنساء السلمي.

حرف الضاد:

ضحاك بن حارثة بن زيد السلمي، ضحاك بن عبد عمرو النجاري.

وقال موسى بن عقبة والواقدي [المغازي: ١٦٨/١] وابن عائد: عبد رب بن حن.

وقال ابن هشام [السيرة: ٦٩٦/١]: عبد ربه بن حن.

عبد الله بن الحميم حليف لبني حرام، وهو أخو خارجة بن الحميم من أشجع، عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي، عبد الله بن رواحة الخزرجي، عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة الخزرجي الذي أرى النباه، عبد الله بن سراقه العدوي، لم يذكره موسى بن عقبة، ولا الواقدي، ولا ابن عائد، وذكره ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٩٦/١] وغيره.

عبد الله بن سلمة بن مالك العجلاني حليف الأنصار، عبد الله بن سهل بن رافع أخو بني زعورا، عبد الله بن سهل بن عمرو خرج مع أبيه والمشركون، ثم فر من المشركين إلى المسلمين، فشهداه معهم، عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي حليف الأوس، عبد الله بن عامر بن بلي، ذكره ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٩٦/١]، عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي، وكان أبوه رأس المنافقين.

عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن غزوم أبو سلمة زوج أم سلمة قتل يومئذ، عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي، عبد الله بن عيس، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب أبو بكر الصديق ﷺ، عبد الله بن عرفطة بن عدي الخزرجي، عبد الله بن عمر بن حرام السلمي أبو جابر، عبد الله بن عمير بن عدي الخزرجي، عبد الله بن قيس بن خالد التجاري، عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمي، عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبلول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، جعله النبي ﷺ مع عدي بن أبي الزغباء على الثقل يوم بدر، عبد الله بن غزوة بن عبد العزى من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة من المهاجرين الأولين، عبد الله بن مظعون الجمحي من المهاجرين الأولين، عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلمي، عبد الله بن أنيسة بن النعمان السلمي، عبد الرحمن بن جبر بن عمرو أبو عيس الخزرجي، عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة أبو عقيل القضاعي البلوي، عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهري، أحد العشرة رضي الله عنهم، عيس بن عامر بن عدي السلمي.

عبيد بن التيهان أخو أبي الهيثم بن التيهان، ويقال عتيك بدل عبيد، عبيد بن ثعلبة من بني غنم بن مالك، عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر، عبيد بن أبي عبيد.

عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الحصين والطفيل، وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر، فقطعت يده، ثم مات بعد المعركة ﷺ، عتب بن مالك بن عمرو الخزرجي.

عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهري، حليف بني أمية ابن لؤذان، عتبة بن عبد الله بن صخر السلمي، عتبة بن غزوان بن جابر من المهاجرين الأولين.

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد العشرة، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ بمرضها حتى ماتت، فضرب له بسهمه وأجره، عثمان بن مظعون الجمحي أبو السائب، أخو عبد الله وقدامة من المهاجرين الأولين.

عدي بن أبي الزغباء الجهني، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ

ويسب بن عمرو بن يثيب عينا.

عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان. عصيمة حليف لبني الحارث بن سواد من أشجع، وقيل: من بني أسد بن خزاعة.

عطية بن نؤيرة بن عامر بن عطية الخزرجي.

عقبة بن عامر بن ناهي السلمي، عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجي أخو سعد بن عثمان، عقبة بن عمرو أبو مسعود البديري. وقع في صحيح البخاري [٤٠٠٧] أنه شهد بدرًا، وفيه نظر عند كثير من أصحاب المغازي، ولهذا لم يذكره. عقبة بن وهب بن ربيعة الأسدي، أسد خزيمه، حليف لبني عبد شمس، وهو أخو شجاع بن وهب من المهاجرين الأولين. عقبة بن وهب بن كلفة حليف بني غطفان.

عكاشة بن حصن الغنمي من المهاجرين الأولين، وعمن لا حساب عليه.

علي بن أبي طالب الهاشمي أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ ﷺ.

عمار بن ياسر العنسي المدحجي من المهاجرين الأولين.

عمارة بن حزم بن زيد التجاري.

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أحد الخلفاء الأربعة، وأحد الشيخين المقتدى بهما رضي الله عنهما. عمر بن عمرو بن إلياس، من أهل اليمن، حليف لبني لؤذان بن عمرو بن سالم، وقيل: هو أخو ربيع ووذقة.

عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر أبو حكيم، عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن غنم بن الحارث بن فهر الفهري، عمرو بن سراقه العدوي من المهاجرين، عمرو بن أبي سرح الفهري من المهاجرين. وقال الواقدي [المغازي: ١٥٧/١] وابن عائد: معمر بدل عمرو، عمرو بن طلحة بن زيد بن أمية بن سان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام، عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري، عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم، ذكره الواقدي [المغازي: ١٦٢/١] والأموي، عمرو بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر أبو خارجة ولم يذكره موسى بن عقبة، عمرو بن عامر بن الحارث الفهري ذكره موسى بن عقبة، عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسي، عمرو بن معاذ الأوسي، أخو سعد بن معاذ، عمير بن الحارث بن ثعلبة، ويقال: عمير بن الحارث بن لبلة بن ثعلبة السلمي.

عمير بن حرام بن الجموح السلمي ذكره ابن عائد والواقدي [المغازي: ١٦٩/٢]، عمير بن الحمام بن الجموح بن عم الذي قبله، قتل يومئذ شهيدًا،

عمير بن عامر بن مالك بن الحنساء بن مبلول بن عمرو بن غنم بن مازن أبو داود المازني، عمير بن عوف، مولى سهيل بن عمرو، وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف، وكسنا وقع في الصحيحين [ج (٣١٥٨)، ٢،

(٢٩٦١)] في حديث بعث أبي عبيدة إلى البحرين، عمير بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص قتل يومئذ شهيدًا.

عنترة مولى بني سليم وقيل: إنه منهم قاله أعلم.

عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث التجاري، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة التجارية، قتل يومئذ شهيدًا.

عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد.

عباس بن غنم الفهري من المهاجرين الأولين، رضي الله عنهم أجمعين.

حرف الين:

ماعض الخزرجي أخو عائذ، معبد بن عباد بن قشير بن القدم بن سالم بن غنم، ويقال: معبد بن عبادة بن قيس.

وقال الواقدي [المغازي: ١٦٧/١]: قشعر بدل قشير.

وقال ابن هشام [السيرة: ٦٩٣/١]: قشعر أبو خيصة، معبد بن قيس بن صخر السلمي، أخو عبد الله بن قيس.

معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي، معتب بن عوف الخزاعي، حليف بني غزوم من المهاجرين، معتب بن قشير الأوسي.

معقل بن المنذر السلمي، معمر بن الحارث الجمحي من المهاجرين، معن بن عدي الأوسي، معوذ بن الحارث البخاري وهو بن عفراء، أخو معاذ وعوف، معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي، لعله أخو معاذ بن عمرو.

المقتاد بن عمرو البهراني وهو المقتاد بن الأسود، من المهاجرين الأولين، وهو ذو المقال المحمود الذي المتقدم ذكره، وكان أحد الفرسان يومئذ، مليل بن وبرة الخزرجي، المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي، المنذر بن قدامة بن عرفة الخزرجي، المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري من بني جحجج، مهجع مولى عمر بن الخطاب أصله من اليمن، وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ.

حرف النون:

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر وهو كعب، نعمان بن عبد عمرو التجاري، وهو أخو الضحاك، نعمان بن عمرو بن رفاعة التجاري، نعمان بن عصر بن الربيع الحارث حليف لبني الأوس، نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي، ويقال له: قرقل، نعمان بن يسار مولى لبني نعمان بن سنان بن عبيد، ويقال: نعمان بن سنان، نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجي.

حرف الهاء:

هاني بن نيار أبو بردة البلوي، خال البراء بن عازب، هلال بن أمية الواقفي، وقع ذكره في أهل بدر في الصحيحين [ج ٤٤١٨، م ٢٧٦٩]، في قصة كعب بن مالك، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي، هلال بن المعلق الخزرجي أخو رافع بن المعلق.

حرف الواو:

واقد بن عبد الله التميمي، حليف بني عدي من المهاجرين، وديعة بن عمرو بن جراد الجهني، ذكره الواقدي [المغازي: ١٦٦/١] وابن عائذ، وذقة بن إياس بن عمرو الخزرجي، أخو ربيع بن إياس، وهب بن سعد بن أبي سرح، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي في بني عامر بن لؤي، ولم يذكره ابن إسحاق.

حرف الياء:

يزيد بن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرة السلمي.

قال السهيلي [الروض الألف: ٣٠٠/٥]: شهد هو وأبوه وابنه، يعني بداراً،

غنام بن أوس الخزرجي، ذكره الواقدي [المغازي: ١٧٢/١] وليس بمجمع عليه.

حرف القاء:

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي، فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجي.

حرف القاف:

قتادة بن النعمان الأوسي، قدامة بن مظعون الجمحي من المهاجرين، أخو عثمان وعبد الله، قطبة بن عامر بن حديفة السلمي، قيس بن السكن التجاري، قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني كان على الساقة يوم بدر، قيس بن حصن بن خالد الخزرجي، قيس بن مخلد بن ثعلبة التجاري.

حرف الكاف:

كعب بن حمار، ويقال جَمَاز، ويقال حمان، وقال ابن هشام [السيرة: ٦٩٦/١] من غُيَاش.

ويقال: كعب بن مالك بن ثعلبة بن جماز، وقال الأموي: كعب بن ثعلبة ابن حباله بن غنم الغساني، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة، كعب بن زيد بن قيس التجاري، كعب بن عمرو أبو اليسر السلمي، كلفة بن ثعلبة أحد البكائين، ذكره موسى بن عقبة، كناز بن حصين بن يرسع أبو مرثد الغنوي من المهاجرين الأولين.

حرف الميم:

مالك بن الدخشم، ويقال ابن الدخشن الخزرجي، مالك بن أبي خولي الجعفي حليف بني عدي، مالك بن ربيعة أبو أسيد الساعدي، مالك بن قدامة الأوسي، مالك بن عمرو أخو ثقف بن عمرو، وكلاهما مهاجري، وهما من حلفاء بني تميم بن دوحان بن أسد، مالك بن مسعود الخزرجي، مالك بن ثابت بن ثملة المزني، حليف لبني عمرو بن عوف، مبشر بن عبد المنذر بن ذئير الأوسي أخو أبي لبابة ورفاعة، قتل يومئذ شهيداً، المنذر بن زياد البلوي مهاجري، محرز بن عامر التجاري، محرز بن نضلة الأسدي، حليف بني عبد شمس مهاجري، محمد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل، مدليج ويقال: مدلاج بن عمرو أخو ثقف بن عمرو مهاجري، مرثد بن أبي مرثد الغنوي، مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف من المهاجرين الأولين، وقيل: اسمه عوف، مسعود بن أوس الأنصاري التجاري، مسعود بن خلدة الخزرجي، مسعود بن ربيعة القاري حليف بني زهرة مهاجري، مسعود بن سعد، ويقال: ابن عبد سعد - بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، مسعود ابن سعد بن قيس الخزرجي.

مصعب بن عمير العبدي مهاجري، كان معه اللواء يومئذ.

معاذ بن جبل الخزرجي، معاذ بن الحارث التجاري، وهذا هو ابن عفراء أخو عوف ومعوذ، معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي، معاذ بن

طالب. وحامل راية الأنصار سعد بن عباد. وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال.

قال ابن جرير [٤٣٢/٢]: وقيل: كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال. قلت: وقد يكون هذا عد معهم النبي ﷺ والأول عددهم بدونهم فالله أعلم.

وقد تقدم عن ابن إسحاق [سيرة ابن إسحاق ص ٢٨٨، وانظر [سيرة ابن هشام: ٧٠٦/١] أن المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. وأن الأوس أحد وستون رجلاً. والخزرج مائة وسبعون رجلاً وسردهم.

وهذا يخالف لما ذكره البخاري ولما روي عن ابن عباس فالله أعلم. وفي الصحيح [ذكره الحافظ في الفتح ٢٩٢/٧، وعزاه للإمام أحمد] عن أنس أنه قيل له: شهدت بدرًا. فقال: وأين أغيب؟

وفي سنن أبي داود [٢٧٣١] عن سعيد بن منصور عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنه قال: كنت أُمِج لأصحابي الماء يوم بدر. وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء فالله أعلم.

قلت: وفي الذين عددهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في منتهى وأنه لم يحضرها تخلف عنها لغيره أذن له في التخلف بسببها وكانوا ثمانية أو تسعة وهم: عثمان بن عفان تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ بمرضها حتى ماتت فضرب له بسهمه وأجره.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان بالشام فضرب له بسهمه وأجره.

وطلحة بن عبيد الله كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره. وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر رده رسول الله ﷺ من الروحاء حين بلغه خروج الغير من مكة فاستعمله على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. والحوارث بن حاطب بن عبيد بن أمية رده رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق وضرب له بسهمه وأجره.

والحوارث بن الصمة كبر بالروحاء فرفع فضرب له بسهمه. زاد الواقدي [الغازي: ١٦٣/١]: وأجره.

وخوات بن جبير لم يحضر الرقعة وضرب له بسهمه وأجره. وأبو الضياع بن ثابت خرج مع رسول الله ﷺ فأصاب ساقه فصيل حجر فرفع وضرب له بسهمه وأجره.

قال الواقدي [الغازي: ١٦٨/١]: وسعد أبو مالك تجهز ليخرج فمات وقيل: إنه مات بالروحاء فضرب له بسهمه وأجره.

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين ستة وهم:

عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله فمات بالصفراء رحمه الله. وعمر بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزمري قتله العاص بن سعيد وهو ابن ست عشرة سنة ويقال: إنه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصفره فكفى فأذن له في الذهاب فقتل ﷺ، وحليفهم ذو الشمالين بن عبد عمرو المزاعي، وصفوان بن بيضاء، وعاقل بن البكير الليثي حليف بني عدي، ومهجع مولى عمر بن الخطاب وكان أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ.

ومن الأنصار ثمانية، وهم: حارثة بن سراقة رماه حيان بن العرقه بسهم فأصاب حنجرته فمات، ومعوذ وعوف ابنا عفرأ، ويزيد بن الحارث - ويقال ابن فسحم - وعمير

ولا يعرف لهم نظير في الصحابة، ولم يذكرهم ابن إسحاق، ولا الأكثرون، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان، يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي، وهو الذي يقال له ابن فسحم، وهي أمه، قتل يومئذ شهيداً ببدر، يزيد بن عامر بن حنيفة أبو المنذر السلمي، يزيد بن المنذر بن سرح السلمي وهو أخو معقل بن المنذر.

باب الكنى:

أبو أسيد مالك بن ربيعة تقدم، أبو الأعور بن الحارث بن ظالم التجاري.

وقال ابن هشام [السيرة: ٧٠٥/١]: أبو الأعور الحارث بن ظالم. وقال الواقدي [الغازي: ١٦٤/١]: أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم، أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان تقدم، أبو حبة بن عمرو بن ثابت أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري، أبو حنيفة بن عتبة بن ربيعة من المهاجرين، وقيل: اسمه مهشم، أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعه بن عفرأ، أبو خزعة بن أوس بن أسرم التجاري، أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى من المهاجرين، أبو سنان بن محسن بن حرثان أخو عكاشة، ومعه ابنه سنان من المهاجرين، أبو الضياع بن النعمان، وقيل: نعيم بن ثابت بن النعمان بن أمية بن أسرى القيس بن ثعلبة، رجح من الطريق، وقتل يوم خيبر، رجح لجرح أصابه من حجر، فضرب له بسهمه، أبو عرفة من خلفاء بني جحججى، أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، أبو لبابة بشير بن عبد المنذر تقدم، أبو مرثد الغنوي كنز بن حصين تقدم، أبو مسعود البكري عقبه بن عمرو تقدم، أبو مليل بن الأعرع بن زيد الأوسي.

سنة ٢- من تخلف عن بدر، وأسارى المشركين

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله ﷺ كما قال البخاري [٣٩٥٧]: حدثنا عمرو بن خالد ثنا زهير ثنا أبو إسحاق سمعت البراء بن عازب يقول: حدثني أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم عن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة. قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

ثم رواه البخاري [٣٩٥٨، ٣٨٥٩] من طريق إسرائيل وسفيان الثوري عن أبي إسحاق عن البراء لمحوه.

قال ابن جرير [٤٣٢/٢]: وهذا قول عامة السلف: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً. وقال البخاري [٣٩٥٦] أيضاً: حدثنا محمود، ثنا وهب عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال: استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين.

هكذا وقع في هذه الرواية.

وقال ابن جرير [٤٣٢/٢]: حدثني محمد بن عبد الحارثي ثنا أبو مالك الجني عن الحجاج - وهو ابن أوطاه - عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً. وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً. وكان حامل راية النبي ﷺ علي بن أبي

الله ﷺ فناداهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء غلام يوماً يبيكي إلى أبيه فقالت: ما شأنك؟ فقال: ضربني معلمي فقال: الخبيث يطلب بلحل بدر والله لا تأتيه أبداً. انقرد به أحمد وهو على شرط السنن وتقدم بسط ذلك كله والله الحمد والمنة.

سنة ٢- فضل من شهد بدمراً من المسلمين

قال البخاري (٣٩٨٢، ٦٥٥٠) في هذا الباب: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنساً يقول: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءته أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن بك في الجنة أصبر وأحسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع فقال: «ويحك أو هببت لوزجنة واحدة هي؟ إنها جنات كثيرة وإنه في جنة الفردوس» تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابت (٨٢٣٢)، أحمد: (١٢٤/٣، ٢١٥، ٢٧٢، ٢٨٢) وتقدم (٢٨٠٩)، ت (٣١٧٤) أحمد: (٢١٠/٣، ٢٦٠، ٢٨٣) عن أنس وإن حارثة كان في النظارة وفيه «إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

وفي هذا تبييه عظيم على فضل أهل بدر فإن هذا الذي لم يكن في مجبة القتال ولا في حرمة الرضى بل كان من النظارة من بعيد وإنما أصابه سهم غرب وهو يشرب من الخوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه ليأبها فإذا كان هذا حال هذا فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو وعدوهم على ثلاثة أضغانهم عدداً وغلداً.

ثم روى البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) جميعاً عن إسحاق بن راهويه عن عبد الله بن إدريس عن حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عتقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدمراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ولفظ البخاري «أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم الجنة» أو قد غفرت لكم - فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.

وروى مسلم (٢٤٩٥) عن قتبية عن الليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت: لا يدخلها فإنه شهد بدمراً والحديث».

وقال الإمام أحمد (٣٩٦/٣) حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو بكر بن عياش حدثني الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من يدخل النار رجل شهد بدمراً أو بالحديث» تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد (٢٩٥/٢، ٢٩٦) حدثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

بن الحمام، ورافع بن المعلى بن لؤثان وسعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عن جميعهم.

وكان مع المسلمين سبعون بغيراً كما تقدم.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٦٦/١): وكان معهم فرسان على أحلبها المقداد بن الأسود واسمها بعزجة - ويقال سبعة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام واسمها اليسوب وكان معهم لواء يحمل مصعب بن عمير، ورايتان يحمل إحداهما للمهاجرين علي بن أبي طالب، والتي للأَنْصار يحملها سعد بن عبيدة، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ.

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف وقد نص عروة وقائدة أنهم كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً.

وقال الواقدي (المغازي: ٣٩٩/١): كانوا تسعمائة وثلاثين رجلاً. وهذا التحديد يحتاج إلى دليل وقد تقدم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف (مسند أحمد: ٣٠/١)؛ فلهذا عدد أتباعهم معهم والله أعلم.

وقد تقدم الحديث الصحيح عند البخاري (٣٩٨٦) عن البراء أنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهذا قول الجمهور، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له:

فأقسام بالظن المعطس منهم سبعون عتبة منهم والأسود

وقد حكى الواقدي (المغازي: ١٤٣/١، ١٤٤) الإجماع على ذلك وفيما قاله نظره، فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا خلاف ذلك وهما من أئمة هذا الشأن فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح والله أعلم.

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٧٠٨/١، ٧١٥) وغيره (مغازي الواقدي: ١٣٨/١، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٢).

وحرر ذلك الحافظ الضياء في أحكامه جيداً وقد تقدم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وأول من فر وهو خالد بن الأعلم الخزاعي - أو العقيلي - حليف بني مخزوم وما أفاده ذلك فإنه أسر وهو القاتل في شعره: ولنا على الأعقاب نمتى كلؤنا ولكن على أقداننا يقطر الدم فما صدق في ذلك.

وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلأ صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين وأنه عليه الصلاة والسلام أطلق جماعة من الأسارى مجانباً بلا فداء منهم أبو العاصم بن الربيع الأموي، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي، وصهيب بن أبي رفاعه كما تقدم، وأبو عزة الشاعر، وهوب بن عمير بن وهب الحمصي كما تقدم، وفادي بقبته حتى عمه العباس أخذ منه أكثر مما أخذ من سائر الأسرى لثلاث بياحه لكونه عمه مع أنه قد ساله اللين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداء فأبى عليهم ذلك، وقال: «لا تتركوا منه درهما».

وقد كان فداؤهم متفاوتاً فأقل ما أخذ أربعمئة، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقية من ذهب. قاله موسى بن عقبة وأخذ من العباس مائة أوقية من ذهب، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فداؤه كما قال الإمام أحمد (٢٤٧/١) حدثنا علي بن عاصم قال: قال داود: حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول

لنا من ثروة. ولكن أرجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها سرا والخفها بأبيها، قال: ففعل.

وقد ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٦/١] أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند لنهم على ذلك:

أقي السُّلَمَ أعيار جفساء وغلظت وفي الحرب أشباه النساء العوارك وقد قيل: إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر بعد ما قتل منهم الذين قتلوا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٦/١]: فأقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقلما بها ليلا على رسول الله ﷺ.

وقد روي البيهقي في الدلائل [١٥٦/٣، ١٥٧] من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة فذكر قصة خروجها ورددعها ووضعها ما في بطنها وأن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه لتجنبي معه فتلف زيد فأعطاه راحيا من مكة فاعطى الخاتم لزَيْنَب فلما رآته عرفته فقالت: من دفع إليك هذا؟ قال: رجل في ظاهر مكة فخرجت زينب ليلا فركبت وراه حتى قدم بها للمدينة.

قال: فكان رسول الله ﷺ يقول: «هي أفضل بناتي أصيبت في» قال: فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين فأتى عروة فقال: ما حديث بلغني أنك تحمله تنقص فيه فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقا هو لها وأما بعدُ فلك أن لا أحدث أبدا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٥/١، ٦٥٦]: فقال في ذلك عبد الله بن رواحة أو أبو خيثمة أخو بني سلم بن عوف. قال ابن هشام هي لأبي خيثمة:

أنتاني الذي لا يقدر الناس قدره لزَيْنَب فيهم من عقوق ومائم وإخراجهم لم يحمز فيها محمد على ماقط وريثا عطر منشم وأمسى أبو سفيان من حلف ضميم ومن حربنا في رغم أنف ومندم قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه بذى حلق جلد الصلاصل محكم فاقسمت لا تفكك منا كتاب سراة خيس من لمام مسوم نروع قريش الكفر حتى نعلها بخطامة فوق الأنوف بميم نزلهم أكتاف محمد وغلظة وإن يئهموا بالخل والرجل تهم يدي الدهر حتى لا يعوج سرينا ونلقهم آثار عاد وجرهم ويندم قوم لم يطبعوا عمدا على أرمهم وأي حين تندم فابلق أبا سفيان إما لقيته لئن أنت لم تخلص سجود وتسلم فأبشر بخزفي في الحياة معجل وسريال قار خالدا في جهنم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٦/١]: ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر هو عامر بن الحضرمي.

وقال ابن هشام [السيرة: ٦٥٦/١]: إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي فاما عامر بن الحضرمي فإنه قتل يوم بدر.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٧/١]: وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن يسار عن أبي إسحاق الدوسي عن أبي هريرة. قال: بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها فقال: إن ظفرهم بهيار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما

قال: «إن الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». ورواه أبو داود [٤٦٥٤] عن موسى بن إسماعيل عن حماد. وعن أحمد بن سنان، عن يزيد بن هارون عن حماد عن أحمد بن سنان وموسى بن إسماعيل كلاهما عن يزيد بن هارون به.

وروي البزار في مسنده [كشف الاستار ٢٧٦١] حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله» ثم قال: لا تعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه.

قلت: وقد تفرد البزار بهذا الحديث ولم يخرجوه وهو على شرط الصحيح والله أعلم.

وقال البخاري في باب شهود الملائكة بدرًا [٣٩٩٢] حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ماتمون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين» - أو كلمة نحوها - قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» انفرد به البخاري.

سنة ٢- هجرة زينب بنت النبي ﷺ

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٣/١]: ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلى سبيله - يعني كما تقدم - بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه فقال: كونا بطن يساجج حتى نمر بكما زينب فتصحباهما فتأتياني بها، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر - أو شيعة - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها فخرجت فجهز.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٣/١، ٦٥٤]: فحدثني عبد الله بن أبي بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة فقالت: يا ابنة محمد ألم يلغني أنك تريدن للحرور بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عم لا تفعلين إن كان لك حاجة تمتاع عما يروق بك في سفرك أو بما تبغين به إلى أليك فإن عندي حاجتك فلا تضطغي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال، قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتضلل، قالت: ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٥٤/١، ٦٥٥]: فتجهزت فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيرا فركبه وأخذ قوسه وكناته ثم خرج بها نهرا يقود بها وهي في هودج لها وتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طوى وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والفهري فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملا فيما يزعمون فطرحت وبرز حموها كنانة ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا فتكركر الناس عنه وأتى أبو سفيان في جلة من قريش فقال: أيها الرجل كف عنا نيك حتى تكلمك، فكف فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذ خرجت بابتة إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا وإن ذلك ضعف منا ووهن ولعمري ما لنا نجسها من أيها من حاجة وما

انقضت ولم يسلم انفسن نكاحها وزينب رضي الله عنها أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ وهاجرت بعد بدر بشهر وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان. فمن قال: ردها عليه بعد ست سنين أي من حين هجرتها فهو صحيح.

ومن قال بعد ستين أي حين حرمت المسلمات على المشركين فهو صحيح أيضا. وعلى كل تقدير فالظاهر انقضاء عدتها في هذه المدة التي أقفلها ستان من حين التحريم أو قريب منها فكيف ردها عليه بالنكاح الأول؟ فقال قائلون: يحتمل أن عدتها لم تنقض وهذه قصة عين يتطرق إليها الاحتمال.

وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول السني رواه أحمد (٢٠٧/٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) والترمذي (١١٤٢) وابن ماجه (٢٠١٠) من حديث الحجاج بن أروطة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ رد بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد. قال الإمام أحمد: هذا حديث ضعيف وإو ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزمي والعرزمي لا يساوي حديثه شيئا والحديث الصحيح الذي روي أن النبي ﷺ أقرهما على النكاح الأول.

وهكذا قال الدارقطني (السنن: ٢٠٣/٣، ٢٠٤): لا يثبت هذا الحديث والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردها بالنكاح الأول.

وقال الترمذي: هذا حديث في إسناده مقال والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال آخرون: بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدد لها نكاحاً فضيف، ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها، فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك، بل تبقى بالخيار، إن شامت تزوجت غيره، وإن شامت ترصدت وانتظرت إسلام زوجها، أي وقت كان، وهي امرأته ما لم تزوج.

وهذا القول فيه قوة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم.

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري (٥٢٨٦) حيث قال: نكاح من أسلم من الشركات وعدتهن: حدثنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن ابن جريح، وقال: عن عطاء: عن ابن عباس: كان المشركون على مرتلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين، كانوا مشركي أهل حرب يقاتلونهم ويقاتلونهم، ومشركي أهل عهد لا يقاتلونهم ولا يقاتلونهم، فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتظهر، فإذا ظهرت حل لها النكاح، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه، وإن هاجر عبد منهم أو أمة فهم حُران، ولهما ما للمهاجرين، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد.

هنا لفظة مجروفة. فقوله «فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتظهر» يقتضي أنها كانت تسيرى بحضة، لا تعدد بثلاثة قروء، وقد ذهب قوم إلى هنا.

وقوله: «فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردت إليه» يقتضي أنه وإن

بالنار؟ فلما كان الغد بعث إلينا فقال: «إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن اختلفوهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» تفرد به ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه.

وقال البخاري (٣٠١٦): حدثنا قتية حدثنا الليث عن بكير عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار» ثم قال حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وأن النار لا يذهب بها إلا الله، فإن وجدتموها فاقتلوها».

وقد ذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١/٢٥٧، ٢٥٨) أن أبا العاص أقام بمكة على كفره واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قتل من الشام لقيته سرية فأنخلوا ما معه وأحجزهم هرباً وجاءه تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارتها، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس صرخت من صفّة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله ﷺ أتبل على الناس فقال: «أيها الناس هل سمعتم الذي صنعت؟» قالوا: نعم! قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم وإنه يجير على المسلمين أديانهم».

ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته زينب فقال «أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له».

قال: وبعث رسول الله ﷺ فحثهم على رد ما كان معه فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً فأخذته أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له ثم قال: يا معشر قریش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجئناك وفياً كريماً، قال: فإني أشهد أن إلا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا تخوف أن نظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: (سيرة ابن هشام: ١/٢٥٨، ٢٥٩) فحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: رد عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول ولم يحدث شيئا.

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد (٢١٧١) وأبو داود (٢٢٤٠) والترمذي (١١٤٣) وابن ماجه (٢٠٠٩) من حديث محمد بن إسحاق، وقال الترمذي: ليس بإسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين.

وقال السهيلي (الروض الأوفى: ٢٠/٥): لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت.

وفي لفظ «ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين» [أحمد: ١/٢٦١، د (٢٢٤٠)، ت (١١٤٣)].

وفي رواية «بعد ستين بالنكاح الأول» [أحمد: ١/٣٥١، د (٢٢٤٠)، ج (٢٠٠٩)].

رواه ابن جرير (تاريخه: ٢/٤٧٢).

وفي رواية «لم يحدث نكاحاً» [ت (١١٤٣)]. وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافر فإن كان قبل الدخول تمجّلت الفرقة وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة فإن أسلم فيها استمر على نكاحها وإن

هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة، أنها ترد إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجا غيره، كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي ﷺ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء والله أعلم.

سنة ٢- الأشعار في غزوة بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٨/٢، ٩) عن حمزة بن عبد المطلب وإنكرها ابن هشام:

الم ترى أمراً كان من عجب الدهر وللحين أسباب مينة الأمر وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم فخانوا تواص بالعمق وبالكفر عشية راحوا نحو بدر بجمعهم فكانوا رهونا للركبة من بدر وكنا طليبا المير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر فلما التقينا لم تكن متوبة لنا غير طعن بالمتغفة الممر وضرب ببيض يختلي الهام حلما مشهورة الألوان بينة الأثر ونحن تركنا عتبة الغني ثاريا وشية في قلى نخرجهم في الجفر وعمرو وثوى فيهم: ثوى من حماهم ثقت جيوب النائحات على عمرو جيوب نساء من لؤي بن غالب كرام تفرقن النواذب من فهر أولئك قوم قتلوا في ضلالهم وغلوا لواء غير محضر النصر لواء ضلال قاد إليهم أهله فخلص بهم، إن الخيث إلى غدر وقال لهم، إذ عابن الأمر واضحا برقت إليكم ما بي اليوم من صبر فلاني أرى ما لا ترون، وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قدر قديمهم للحين حتى تورطوا وكان بما لم يحضر القوم ذا خبر فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ثلاث مشين كالسدة الزهر وفيها جنود الله حين يملنا بهم في مقام ثم متوضح الذكر فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مازق فيه منايهم تجري وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام أخي أبي جهل عمرو بن هشام، تركناها عمداً، وقال علي بن أبي طالب وإنكرها ابن هشام: (السورة: ١٠/١، ١١)

الم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذو فضل بما أنزل الكفار دار منللة فلاقوا هوانا من إسماع ومن قتل فامسى رسول الله قد عز نصره وكان رسول الله أرسل بالعدك فجاء بفرقان من الله منزل مينة آياته لنوي العقل فأمن أقوام بذلك وأيقنوا فأسوا بحمد الله مجتمعى الشمل وأنكر أقوام فراغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خيلا على خيل وأمكن منهم يوم بدر رسوله وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل بإيديهم بيض خفاف عصوا بها وقد حادوثها بالجلاء وبالصقل فكمن تركوا من ناشئ فوحية صريعا ومن ذي نعمة منهم كهمل تبيت عيون النائحات عليهم محمود بإسبال الرشاش وبالبويل نوالح تنمى عتبة الغني وابنه وشية تدمع وتنمى أبا جهل وفا الرجل تنمى وابن جدعان فيهم مسلبة حرى مينة الكؤكل

ثوى منهم في بئر بدر عصابة ثوى نجيدات في الحروب وفي الخيل دعا الغني منهم من دعا فاجابه وللغني أسباب مرمقة الوصل فاضحوا لدى دار الجحيم بمعزل عن الشغب والعدوان في أسفل الفل

وقد ذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٢/٢، ١٣) تقيضها من الحارث بن هشام أيضا تركناها قصدا، وقال كعب بن مالك: (سورة ابن

هشام: ١٥/٢، ١٥)

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد، ليس لله قاهر قضى يوم بدر أن تلاقى معشرا بنوا وسيل البني بالناس جائر وقد حشدوا واستفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكائر وسارت إلينا لا نحاول غيرنا باجمعا كعب جميعا وعامر وفيما رسول الله والأوس حوله وجه بني النجار تحت لوائه فلما لقيناهم وكسل مجاهد شهدنا بأن الله لا رب غيره له معقل منهم عزيز وناصر وقد عريت بيض خفاف كأنها مقاييس يزهها لعينيك شاهر بهن أبندنا جمعهم فبددوا وكان يلاقي الحين من هو فاجر فكب أبو جهل صريعا لوجهه وعتبة قد غادته وهو عائر وشية والتيمي غادرت في الوغى وما منها إلا بذى العرش كافر فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر تلظى عليهم وهي قد شب حمها بيزر الحديد والحجارة ساجر وكان رسول الله قد قال أقبلوا فلووا وقالوا إنما أنت ساحر ولأمر أراد الله أن يهلكوا به وليس لأمر حقه الله زاجر

وقال كعب في يوم بدر: (سورة ابن هشام: ٢٥/٢)

ألا هل أتى غسان في ناي دارها وأخبر شبيء بالأمر عليهمها بان قد رمنا عن قسي عداوة معد معاً جهالها وحليهما لأننا عبدنا الله لم نرج غيره رجاء الجنان إذ أثننا زعيمها نبي له في قومه إرث عزة وأعراق صدق هذبها أرومها فماروا وسرنا فالتقينا كأننا أسود لقاء لا يرجى كليهما ضربناهم حتى هوى في مكرنا لمنخر سوء من لؤي عظيمها فولوا ومنهمام ببيض صوارم سواء علينا حلفها وصميمها

وقال كعب أيضاً: (سورة ابن هشام: ٢٦/٢، ٢٥/٢)

لعمرو أيكما يا ابني لؤي على زهو لديكم واتخاذ لما حامت فزارسكم بيذر ولا صبروا به عند اللقاء وردناه بنور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء رسول الله يقدمنا بأمر من أمر الله أحكم بالقضاء فما ظفرت فوارسكم بيذر وما رجعوا إليكم بالسواء فلا تعجل أبا سفيان وارقب جواد الخيل تطلع من كداء بنصر الله روح القدس فيها وميكال فيا طيب الملاء وقال حسان بن ثابت: قال ابن هشام (السورة: ٢٠/٢)، وقال: هي لعبد

الله بن الحارث السهمي: جلد التحيزة ماض غير وعديد
 مستعري حلق الماضي يقدمهم على البرية بالتفوى وبالجود
 أصي رسول إليه الخلق فضله وماء بدر زعمتم غير مورود
 وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم حتى شربنا زؤاء غير تصريد
 ثم وردنا ولم نسمع لقولكم متحكم من حبال الله محلود
 مستعصين بجبل غير منجذم حتى الممات ونصر غير محلود
 فينا الرسول وفينا الحق تبعه بدر أثار على كل الأماجيد
 واف وماض شهاب يستضاء به وقال حسان بن ثابت أيضاً: (سورة ابن هشام: ٢١/٢، ٢٢)

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة إبارتنا الكفار في ساعة السر
 قلنا سررة القوم عند مجالنا فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
 قلنا أبا جهل وعتبة قبله وشية يكبو للبدن وللنحر
 قلنا سويدا، ثم عتبة بعده وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر
 فكم قد قلنا من كريم مردأ له حسب في قومه نابه الذكر
 تركناهم للماويات بينهم ويصلون ناراً بعد حامية القعر
 لمرك ما حامت فوارس مالك وأشياهم يوم القينا على بدر
 وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في يوم بدر في قطع رجله في
 مبارزته هو وحزرة وعلي، مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأئكرها ابن
 هشام: (السورة: ٢٣/٢، ٢٤)

سبلغ عنا أهل مكة وقعة يهب لها من كان عن ذاك نايبا
 بعنبة إذ ولي وشية بعده وما كان فيها بكر عتبة راضيا
 فإن قطعوا رجلي فإني سلم أرجي بها عيشا من الله دانيا
 مع الحور أمثال التماثيل أخلصت من الجنة العليا لمن كان عاليا
 ويعت بها عيشا تعرفت صفوه وعاجلته حتى قفلت الأنايا
 فأكرمني الرحمن من فضل منته بشوب من الإسلام غطي المساويا
 وماكان مكروها إلي تنالم غداة دعا الأكفاه من كان داعيا
 ولم ييغ إذ سالوا النبي سوادنا ثلاثنا حتى حضرنا المناديا
 لقيناهم كالأسد تحطروا بالقنا ثلثنا حتى أزيروا المنايا
 فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلثنا حتى أزيروا المنايا

وقال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٨، ١٩/٢): وقال حسان بن ثابت
 أيضاً يذم الحارث بن هشام على فراره يوم بدر وتركه قومه لا يقاتل
 دونهم: تبليت فؤادك في المنام خريدة تشفي الضجيع يبارد بام
 كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم النبيح مدام
 نفع الحقية بوضهها متضد بلهاف غير وشيكة الأقسام
 بنيت على قطن أجسم كانه فضلا إذا قعدت مداك رخام
 وتكاد تكسل أن تجيء فراشها في جسم خريفة وحسن قوام
 أما النهار فلا افتّر أذكرها والليل توزعني بها أحلامي
 اتسمت أساما وأترك ذكرها حتى تغيب في الضريح عظامي

وقال حسان أيضاً: (السورة: ١٩/٢، ٢٠) يا حبار قد عوكت غير معوك
 إذ تمطى سرح اليلين نجية عند الهياج وساعة الأحساب
 والقوم خلفك قد تركت قتالهم مرطي الجراء طريلة الأقارب
 إلا عطفك على ابن أمك إذ نوى ترجو النجاء وليس حين ذهاب
 عجل المليك له فاعملك جمعة فقصر الأسنة ضائع الأسلاب
 ولقد علمت فريش يوم بدر بشار مخزبة وسوء عذاب
 بأننا حين تشجر العوالي إيلنا في مضاعفة الحديد
 قلنا إني ربيعة يوم سارا بنو النجار تحطروا كالأسود
 وفر بها حكيم يوم جالت وأسلمها الحويرث من بعيد
 ولت عند ذاك جموع فيهر لقد لاقيتم ذلا وتلا
 وكل القوم قد وئروا جيعاً ولم يألوا على الحبيب التليد
 وقالت هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن
 المطلب: (السورة: ٤١/١، ٤٢) لقد ضمن الصغرة مجداً وشؤداً
 وعيدة فليكن لأضياف غريفة وأرملة تهوي لأشعث كالجلد

أحسا نفقة في النابيات؛ مَرُومًا كريماً تشاء لا يجيلا ولا ذرياً
يُطيفُ به العافون يفتشون يابه يؤمّون نهراً لا تَزُوروا ولا صربا
فوالله لا تنفك نفسي حزينة تملل حتى تصدقوا الخرج الضربا

ويكنه للأنعام والريح زعفران وتشييب قنبر طالما أريدت تغلي
فإن تصبغ النيران قد مات ضرؤها فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل
لطارق ليل أو للمتمس القيسرى ومستبح أضحى لديه على رسل

سنة ٢- المشركون يرثون قتلاهم

وقد ذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٢/٢ - ١٦ - ٢٧ - ٤٣)
أشعاراً من جهة المشركين قوية الصنعة يرثون بها قتلاهم يوم بدر فمن
ذلك قول ضرار بن الخطاب بن مرداس أخى بني عمار بن فهر وقد
أسلم بعد ذلك، والسهيلي في روضه [٣٩٨/٥، ٤٢٧ - ٣٨٨] يتكلم
على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك:

عجبتُ لقنبر الأوس والحِمْيَرِ دائر عليهم غداً والدمعُ فيه بصائر
وفخر بني النجار إن كان معشرُ أصيروا يندر كلهم ثم صائر
فإن تك قتل غودرت من رجائنا فإننا رجالاً بدمهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم بني الأوس حتى يشفي النفس نائر
ووسط بني النجار سوف نكفرها لها بالقنا والدارعين زوافر
فترك صرعى تصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأساني ناصر
وتكيهم من أهل يثرب نورة فمن بها ليل عن النوم ساهر
وذلك أنا لا نزال سيرتنا بهم دم ممن يحاربين مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فائنا بإحد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنظر الأخير هم أولياؤه يحامون في اللأواء والموت حاضر
يُعدُّ أبو بكر وحمة فيهم ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من شجعت في ديارها بنو الأوس والتجار حين تفاخر
ولكن أبوه من لؤي بن غالب إذا عثت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الحيل في كل معرك غداة الهياج الأليسون الأكثر

فاجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها وهي قوله:

عجبتُ لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٩/٢): وقال أبو بكر واسمه شداد بن
الأسود بن شعوب

قلت: وقد ذكر البخاري (٣٩٢١) أنه خلف على امرأة أبي بكر
الصدق حين طلقها الصديق وذلك لما حرم الله الشركات على المسلمين
واسمها أم بكر:

تحياي بالسلامة أم بكبر وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقلب قليب بدر من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقلب قليب بدر من الشيزى تكلل بالنام
وكم لك بالطوي طوي بدر من الحومات والنسم المنام
وكم لك بالطوي طوي بدر من الغايات والدمع العظام
وأصحاب الكرم أبي علي أخى الكأس الكريمة والندام
وإنك لو رأيت أبا عقبل وأصحاب التينة من نعام
إذا لظلمت من وجده عليهم كأم السقب جائلة الموام

وقال الأموي في مغازيه: حدثني سعيد بن قطن قال: قالت عاتكة بنت
عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بداراً:

أنا نكن رؤياي حياءً وبائكم بتأويلها فل من القوم هارب
رأى فاتكهم باليقين الذي رأى بعينه ما نفري السيوف الفواضب
فقلنهم ولم اكذب كذبست وإنما يكذبني بالصدق من هو كاذب
وما جاء إلا رهبة الموت هاربا حكيماً وقد أميت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم وخطبة فيها الثبا والتمالب
كان حريق النار لمع طباتها إذا ما تعاطها الليث المشاغب
ألا بأبي يوم اللقاء عمداً إذا عض من عون الحروب الفوارب
سرى بالسيوف المرفقات نفوسكم كفاحاً كما نفري السحاب الجنائب
فكم بمرت أسيافه من مليكة ووعز عرود بعد ذلك صالب
فما بال قتل في القليب ومثلهم لدى ابن أخى أسرى له ما تضارب
فكانوا نساءً أم أتى لنفوسهم من الله حين ساق والحين حال
فكيف رأى عند اللقاء عمداً بنو عمه والحرب فيها التجارب
لم يفتنكم ضرباً يحار لوقعه الجبان وتبدو بالنهار الكواكب
حلفت لئن عادوا لتصلطنهم بحاراً تردى بحربها القنات
كان ضياء الشمس لمع طباتها لها من شعاع النور قرن وحاجب
وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأموي:

هلا صبرتم للنسي عمداً بدير ومن يفتش الوغى حق صابر
ولم ترجعوا عن مرفقات كأنها حريق بايدي المؤمنين بوائر
ولم تصبروا للبيض حتى اخذتم قليلا بايدي المؤمنين الماسر
ووليموا نفراً وما البطل الذي يقاتل بين وقع السلاح بنافر
أتاكم مما جاء النيون قبله وما ابن أخى التير الصلوق بشاعر
سكني الذي ضيعتم من نيكهم ونصرة الحبان عمرو وعامر

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب
القلب من قريش الذين قتلوا يومئذ من قومه وهو بعد على دين قومه إذ
ذاك: (الوسنة: ٢٩/٢، ٢٧)

ألا إن عيني أنفذت دمعها سكبا تكي على كعب وما إن ترى كعبا
ألا إن كعباً في الحروب تحاذروا وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنباً
وعامر تكي للملكات غلوة فياليت شعري هل أرى لهم قرماً
فيا أخوتنا عبد شمس ونوفلا فداً لكما لا تبغوا بيتاً حرباً
ولا تصبحوا من بعد وداً وإلقة أحاديث فيها كنكم يشكني النكبا
لم تعلموا ما كان في حرب داحس وحرب أبي بكر يومئذ ملؤوا الشعا
فلولا فداً الله لا شيء غيره لأصحبتم لا تمنعون لكم ميرزاً
فما إن جئنا في قريش عزيمة سوى أن حنينا خير من وطن التريا

جهل بن هشام وأضرابه من الكثرة التام والجهلة الطعام ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله وحببه وخليه فخر البشر ومن وجهه أنور من القمر ذي العلم الأكمل والعقل الأشمل ومن صاحبه الصديق المبادر إلى الصديق والسابق إلى الخيرات وفعل المكرمات وبسلك الألوف والتمتات في طاعة رب الأرض والسماوات وكذلك بقية أصحابه الغر الكرام الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام رضي الله عن جميعهم ما اختلط الضياء والظلام. وما تعاقبت الليالي والأيام. وقد تركنا أشعاراً كثيرة أوردتها ابن إسحاق رحمه الله خوفاً الإطالة وخشية الملالة وفيما أوردنا كفاية لله الحمد والمنة.

وقد قال الأموي في مغازيه: سمعت أبي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهلية. قال سليمان فذكر ذلك الزهري فقال: عفا عنه إلا قصيدتين؛ كلمة أمية التي ذكر فيها أهل بدر، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص. وهذا حديث غريب وسليمان بن أرقم هذا متروك والله أعلم.

سنة ٢ - غزوة بني سليم

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق ص ٢٩٠]: وكان فراخ رسول الله ﷺ من بدر في عقب شهر رمضان - أو في شوال - ولما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٣/٢]: واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري - أو ابن أم مكتوم الأعمى -.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣/٢]: فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وأقضى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش.

سنة ٢ - غزوة السويق

قال السهيلي [الروض الأمف: ٤٠٤/٥]: والقرقرة: الأرض المساء، والكندر: طير في ألوانها كدرة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق ص ٢٩٩]: وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليرى بينه فسلك النجدة حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له ثيب من المدينة على بريد أو غموة، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه بابيه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقرأه وسقاه ويطن له من خبر الناس.

ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجلاً من قريش فأثروا ناحية منها يقال لها: العريض فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرت لهما فقتلوهما وانصرفوا راجعين، فنذر بهم الناس فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٥/٢]: واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير

يخبرنا الرسول لسرف غيا وكيف حياة أعداء وهام؟ قلت: وقد أورد البخاري بعضها في صحيحه [٣٩٢١] ليعرف به حال قائلها. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٠/٢ - ٣٢]: وقال أمية بن أبي الصلت يرثي من قتل من قريش يوم بدر:

الا يكيتو على الكرام
بني الكرام أولي الممادح
كجكا الحماس على فروع
الأيك في الفصن الجوانح
يكنين حراً مكيناتو
يرخن مع الروانح
اشالهن الباقيات
المولات من التوانح

من يكيهم يكي على
حزن ويصنئ كل ماذح
ماذا يندر والعققل
من مرزابة ججاجح
فمدافع البرقين فالحنان
من طرفة الأواشح
شمنط وشبان بها
ليبل مغاوير وحادح
الا ترون يسا أرى
ولقد إبان لكل لامح

أن قد تغير بطن مكة
فهى موحشة الأباطح
من كل بطريق بطريق
تقى السود واضمح
دغموص أبواب الملوك
وجائيل للخرق فنانح
ومن السراطة الخلاجمة
الملاثة النجاجح
القائلين الفاعل
بين الأميين بكل صالح

المطمعين الشم فرق الخبز
شحم كالأشنانح
تقل الجفان مع الجفا
ن إلى جفان كالمناضح
ليست باصفار لمن
يففو ولا ربح رحارح
للضيف ثم الضيف بعد
الضيف والسط السلاطح
وعبد المئين من المئين
إلى المئين من اللوانح

سوق المئين
للمويل صادرات عن بلادح
إكرامهم فوق الكرا
م مينة وزن الرواجح
كشافل الأرطال بال
قطاس بالأيدي الموانح
خللتهم قة وهم يجم
سور عورات القضايح
الضارين التقديم
من بين مستق وصانح

ولقد عنائي صونهم
أهم منهم ونكاح
لله در بني علي
أهم منهم ونكاح
إن لم ينفروا غارة
شعراة تحجر كل نايح
بالمقربات المبيدات
من بين مستق وصانح
مُرداً على جرد إلى
أشد مكابدة كوالح

وإلاق قرن قرن
مثنى المصانح للمصانح
بزماء السفر ثم
أفغ بين ذي بلدن ورامح

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ.

قلت: هذا شعر المخنول المعكوس المنكوس الذي حمله كثرة جهله وقلة عقله على أن مدح المشركين وذم المؤمنين واستوحش بمكة من أبي

بن عبد المنذر.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق ص ٢٩١، ٢٩٢): فبلغ قرقرة الكدر ثم انصرف راجعاً وقد فاتته أبو سفيان وأصحابه ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاهم المشركون يتخفون منها وعامتها سوق، فسميت غزوة السوق. قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال نعم. قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٢): وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ويملح سلام بن مشكم اليهودي: وإنني تخيرت المدينة واحداً لحلف فلم اتسلم ولم اتلسم سقاني فرواني كميماً مداماً على عجل مني سلام بن مشكم ولما تولى الجيش قلت ولم أكن لأفرحه أبشر بفزوه ومنهم تأمل فلان القوم سر وإنهم صريح لؤي لا شملط جهم وما كان إلا بعض ليلة راكب أتى ساعياً من غير خلة معتم

سنة ٢ - زواج علي بن أبي طالب

بفاطمة رضي الله عنهما

وذلك في سنة ثنتين بعد وفاة بدر لما رواه البخاري [٤٠٠٣] ومسلم [١٩٧٩] من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطيني شارباً مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ فلما أردت أن ابني فاطمة بنت النبي ﷺ وأعدت رجلاً صواغاً من بني قيتاق أن يرخل معي فتأتي بإذخر فأردت أن أبيعهم من الصوافين فاستعين به في وليمة عرسى فبينما أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والفرائر والحبال وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأت المنظر فقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت وهو في شرب من الأنصار وعنده قبة وأصحابه، فقالت في غناها: ألا يا حمزُ للشرف الأثواء

فوثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة فعرف النبي ﷺ الذي لقيت فقال: «مالك؟» فقلت: يا رسول الله ما رأيت كالיום عدا حمزة على ناقي فأجب أسنمتها وبقرت خواصرهما وما هو ذا في البيت معه شرب فدعا النبي ﷺ يرداه فارتداه ثم انطلق عشي وأتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستاذن عليه فأذن له فطلق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل حمرة عتبه فأنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي. فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل فنكص رسول الله ﷺ على عقبه القهقري فخرج وخرجنا معه.

هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي.

وقد رواه في أماكن آخر من صحيحه [٢٠٨٩، ٢٣٧٥، ٣٠٩١، ٥٧٩٣] بالفاظ كثيرة.

وفي هذا دليل على ما قنعناه من أن غنائم بدر قد خست لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال [ص ٣٨٤] من أن الخمس إنما نزل بعد قسمتها وقد خالفة في ذلك جماعة منهم البخاري وابن جرير وبيننا غلظه في ذلك في التفسير [٥٤٩/٣ - ٥٥١] وفيها تقدم والله أعلم.

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه رضي الله عنهم قبل أن تحرم الخمر بل قد قتل حمزة يوم أحد كما سيأتي وذلك قبل تحريم الخمر والله أعلم.

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبارة السكران مسلوقة لا تأثير لها لا في طلاق ولا إقرار ولا غير ذلك كما ذهب إليه من ذهب من العلماء كما هو مقرر في كتاب الأحكام.

وقال الإمام أحمد [٨٠/١]: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل سمع علياً يقول: أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فقلت: ما لي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائلته فخطبتها إليه فقال: «هل لك من شيء؟» فقلت: لا قال: «فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟» قال: هي عندي قال «فأعطيتها» قال: فأعطيتها إياه.

هكذا رواه أحمد في مسنده وفيه رجل مبهم.

وقد قال أبو داود [٢١٢٥]: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا عبدة حدثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما قال له رسول الله ﷺ «أعطتها شيئاً؟» قال: ما عندي شيء. قال: «أين درعك الخطمية؟»

ورواه النسائي [٣٣٧٦]: عن هارون بن إسحاق عن عبدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عروبة عن أيوب السخيتي به.

وقال أبو داود [٢١٢٦]: حدثنا كثير بن عبيد الحمصي حدثنا أبو حيوة عن شعيب بن أبي حمزة حدثني غيلان بن أسد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ أراد أن يدخل بها فنصم رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً فقال: يا رسول الله ليس لي شيء فقال له النبي ﷺ «أعطها درعاً» فأعطها درعه ثم دخل بها.

وقال البيهقي في الدلائل [١٦٠/٣]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي هل: علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ قلت: لا، قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك، فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك، قال: فوالله ما زلت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن تعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وحيه فقال رسول الله ﷺ «ما جاء بك ألك حاجة؟» فسكت فقال: «ما جاء بك، ألك حاجة؟» فكسّْتُ فقال: «الملك جئت تخطب فاطمة؟» فقلت: نعم فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها به؟» فقلت: لا والله يا رسول الله فقال: «ما فعلت درعاً سلخكتها» فوالذي نفس علي بيده إنها لخطمية ما قيمتها أربعة دراهم فقلت: عندي. فقال: «قد زوجتكها فابعت إليها بها فاستحلها بها»، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

سنة ٣- حوادث ووقائع

في أولها كانت غزوة نجد ويقال لها: غزوة ذي أَمْر.
قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٣): فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ثم غزا نجداً يريد غطفان وهي غزوة ذي أَمْر.
قال ابن هشام (السيرة: ٤٦/٢): واستعمل على المدينة عثمان بن عفان.
قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ثم رجع ولم يلق كيداً.

وقال الواقدي (الغزوات: ١٩٤/١ - ١٩٦): بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن عمار تجمعوا بذئ أَمْر يريدون حربه، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فغاب أحد عشر يوماً وكان معه أربع مائة وخمسون رجلاً، وهرت منه الأعراب في رؤوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أَمْر ففسكه بر أصابهم مطر كثير فابتل ثياب رسول الله ﷺ فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف وذلك بمراءى من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له: غورث بن الحارث أو دعوث بن الحارث فقالوا: قد أمكنك الله من قتل محمد، فلعب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: «الله». ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: لا أحد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً. فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فلما رجع إلى أصحابه فقالوا: وملك، مالك؟ فقال: نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدره فوقعت لظهري فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله والله لا أكثر عليه جمعاً، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام. قال: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُرُونَ إِلَيْكُمْ بَيِّنُهُمْ فَكَفَّ أَبْطِينَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية (سورة المائدة: ١١).

قال البيهقي (الدايل: ١٦٩/٣): وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه فلعلها قصتان.

قلت: إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم بل استمر على دينه ولكن عاهد النبي ﷺ أن لا يقاتله. والله أعلم.

سنة ٣- غزوة الفُرْع من بُحْران

قال ابن إسحاق (سيرة: ص ٢٩٤): فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إلا قليلاً منه ثم غزا يريد قریشاً.

قال ابن هشام (السيرة: ٤٦/٢): واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.
قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُحْران وهو معدن بالحجاز من ناحية الفُرْع فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.
وقال الواقدي (الغزوات: ١٩٧/١): إنما كانت غيته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام. قاله أعلم

قال ابن إسحاق (سيرة ابن إسحاق ص ٢٣١): فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً وعسناً - مات صغيراً - وأم كلثوم وزينب.

ثم روى البيهقي (الدايل: ١٦١/٣) من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي: قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خيل وقرية ووسادة آدم حشوها إذخر.

ونقل البيهقي (الدايل: ١٦٢/٣) عن كتاب المعرفة لأبي عبد الله بن منده أن علياً تزوج فاطمة بعد سنة من الهجرة وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى.

قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة فظاهر سياق حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر يسير فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية والله أعلم.

سنة ٢- حوادث أخرى

تقدم ما ذكرناه من تزويجه عليه الصلاة والسلام بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة وقد تضمن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشركين فكان ممن توفي فيها الشهداء يوم بدر وهم أربعة عشر ما بين مهاجري وأنصاري تقدم تسميتهم، والرؤساء من مشركي قريش وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور، وتوفي بعد الوقعة يسير أبو لب عبدالمزني بن عبد المطلب لعنه الله كما تقدم.

ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بما أحل الله بالمشركين وما فتح على المؤمنين وجعلوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت وسأوا عليها التراب. وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ﷺ له بذلك. ولهذا ضرب له بسهم في مقام بدر وأجره عند الله يوم القيامة، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان ذو النورين ويقال: إنه لم يعلق أحد على ابنتي نبي واحدة بعد الأخرى غيره ﷺ وأرضاه.

وفيها حولت القبلة كما تقدم وزيد في صلاة الحضر على ما سلف.

وفيها فرض الصيام صيام رمضان كما تقدم.

وفيها فرضت الزكاة ذات النصاب وفرضت زكاة الفطر.

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة واليهود الذين هم بها من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود بني حارثة وصانعو المسلمين وأظهر الإسلام طائفة كثيرة من المشركين واليهود وهم في الباطن منافقون منهم من هو على ما كان عليه ومنهم من اغل بالكيفية فيغيب لميلها لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله في كتابه.

قال ابن جرير (الترغ: ٤٨٦/٢): وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل وكانت معلقة بسيفه.

قال ابن جرير (الترغ: ٤٨٥/٢، ٤٨٦): وقيل: إن الحسن بن علي ولد فيها.

قال: وأما الواقدي فإنه زعم أن أبي سيرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها.

قال: فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل.

سنة ٣- خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي [الغازي: ١٧٦/١] أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال ستة ثنتين من الهجرة فالتهمهم وهم الماردون بقوله تعالى ﴿كَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا أَخًا وَتَالُوا أَيْمَانَهُمْ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الحجر: ١٥].

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٤]: وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع.

قال: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من القصة واسلموا فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل يحملون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم. فقالوا: يا محمد إنك ترى أننا قومك لا يفرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس.

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٤]: فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزلت هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُوءُ يَوْمَهُمَا﴾. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتِيمَي النَّفْتَانِ [سورة آل عمران: ١٢، ١٣] يعني أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿يَوْمَ تَقَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَأُخْرَىٰ يُزَوِّنُهُمْ مُّكَلِّمُهُمْ رَبِّي الْأَعْنَىٰ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصُرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِزَّةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢-١٣].

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٥]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود تقصروا العهد وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٧/٢، ٤٨]: فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن غمرمة عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبى فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فغلقه لئلا يظهرها فلما قامت انكشفت سورتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً فشنت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فأغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٥]: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه قال: فادخل يده في جيب درع النبي ﷺ.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٩/٢]: وكان يقال لها ذات الفضول فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلني» وغضب رسول الله ﷺ حتى راوا لوجهه ظللاً ثم قال: «وإيكم، أرسلني» قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائة حاسر وثلاثمائة درع قد متعوني من الأحمر والأسود تحصدكم في غداة واحدة! إني والله أروأ أخشى الدوائر. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «هم لك».

قال ابن هشام [السيرة: ٤٩/٢]: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته ليأهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر وكانت محاصرته ليأهم خمس عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٥، ٢٩٦]: وحدثني أبي عن عبادة بن

الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تثبت بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ومضى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان من بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولائهم.

قال: وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَتَّبِعُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ [الآيات حتى قوله ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنَادُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تَصَنَّفَ آيَاتُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ﴾ يعني عبد الله بن أبي إلى قوله ﴿وَمَنْ يَقُولُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٦] يعني عبادة بن الصامت. وقد تكلمنا على ذلك في التفسير (١٢٢/٣ - ١٣١).

سنة ٣- سرية زيد بن حارثة إلى عير

قريش صحبة أبي سفيان

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وكانت بعد وقعة بدر سنة أشهر.

قال ابن إسحاق [سيرة: ص ٢٩٦]: وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم نجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة وهي عظم نجارتهم واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيان يعني العجلي حليف بني سهم ليبلغهم على تلك الطريق.

قال ابن إسحاق: فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقبهم على ماء يقال له القردة من مياه نجد فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ فقال في ذلك حسان بن ثابت:

دعوا لتجالت الشام قد حال دونها جلال كساؤه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأبيدي الملائك
إذا سلك للفقور من بطن عالج فقولوا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام [السيرة: ٥١/٢]: وهذه القصيدة في آيات لحسان وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث.

وقال الواقدي [الغازي: ١٩٧/١]: كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهل جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية وكان سبب بعث زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه واجتمع بكتانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليل بن النعمان وكان أسلم فشرخوا وكان ذلك قبل أن تحرم الخمر فتحدث بفضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال فخرج سليل من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقروهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير فحتمها رسول الله ﷺ فبلغ خمسمائة ألفاً وقسم أربعة أمانها على السرية. وكان فيمن أسر الدليل فوات بن حيان فأسلم ورضي الله عنه.

قال ابن جرير [الترغيم: ٤٩١/٢، ٤٩٢]: وزعم الواقدي أن في ربيع من

رسول الله ﷺ، ويشند الأشجار ويندب من قتل من المشركين يوم بدر، فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها:

طعنت رحى بدر لمهلك أهله ولشبل بدر تستهل وتلمع

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضي الله عنه ومن غيره. ثم عاد إلى المدينة فجعل يشب ببناء المسلمين ويهجو النبي ﷺ وأصحابه.

وقال موسى بن عقة: وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيههم قد أذى رسول الله ﷺ بالهجاء، وركب إلى قریش فاستفروهم، وقال له أبو سفيان وهو بمكة: أناشدك الله، أديتنا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبت الشمال. قال له كعب بن الأشرف: أتم لهدى منهم سيلاً. قال: فانزل الله على رسوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤَيِّنُونَ بِالْجُنَّةِ وَالطَّاعُونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ فَخَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥١، ٥٢].

قال موسى ومحمد بن إسحاق [سورة ابن إسحاق] ٢٩٧: وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتل رسول الله ﷺ، وجعل يشب بأم الفضل بنت الحارث ويغيرها من نساء المسلمين حتى آذاهم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن إسحاق] ٢٩٧: قال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المنثب بن أبي بردة: فمن لي بأبن الأشرف؟ فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك. قال: فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: لم تركت الطعام والشراب؟ فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: إنما عليك الجهد. قال: يا رسول الله، إنه لا بد لنا أن نقول، قال: فقولوا ما بدا لكم، فأنتم في حل من ذلك. قال: فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلطان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل. وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة وعبد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وأبو عيس بن جبر أخو بني حارثة. قال: فقلعوا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلطان بن سلامة أبا نائلة فجاءه فتحدث معه ساعة فتناشدا شعرا وكان أبو نائلة يقول الشعر. ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فافهم عني، قال: أفعل. قال: كان قدام هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحتنا قد جهدنا وجهد عيالنا. فقال كعب بن الأشرف: أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير لي ما أقول فقال له سلطان: إني قد أردت أن تبيتنا طعاما ونزهنك وتوثق لك، ونحسن في ذلك، قال: ترهوني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحننا، إن معي أصحابا لي على مثل رأيي وقد أردت أن أتيتك بهم فتبيعهم ونحسن في ذلك، ونزهنك من الحلقة ما فيه وفاء، وأراد سلطان أن لا ينكر السلاح إذا جالوا بها. فقال: إن في الحلقة لوفاء. قال: فرجع سلطان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق [سورة] ٢٩٨، ٢٩٩: فحدثني ثور بن زيد عن

هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها.

سنة ٣- مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيء، ثم أحد بني نهان، ولكن أمه من بني النضير. هكذا ذكره ابن إسحاق [سورة: ص ٢٩٧] قبل جلاء بني النضير.

وذكره البخاري [٤٠٣٧] والبيهقي [الدلائل: ١٨٧/٣] بعد قصة بني النضير، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد، وفي محاصرتهم حرمت الحفر، كما سيئنه بطريقه إن شاء الله.

قال البخاري في صحيحه [٤٠٣٧]: قتل كعب بن الأشرف: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله؟» فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أحب أن أقتله؟ قال: «نعم» قال: فأذن لي أن أقول شيئا، قال: «قل» فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وأنه قد عانا، وإني قد أتيتك استسلفك. قال: وأيضا والله لتملك. قال: إنا قد اتبعناه، فلا تحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا قال: نعم، أرهوني، قلت: أي شيء تريد؟ قال: أرهوني نساءكم فقالوا: كيف نزنهنك نساءنا؟ وأنت أجمل العرب؟ قال: فأرهوني أبناءكم، قالوا: كيف نزنهنك أبناءنا فكبأ أحدهم فيقال رهن بوسى أو وسقن هذا عار علينا ولكن نزنهنك الامة.

قال سفيان يعني السلاح. فواعد أن يأتيه ليلا فجاهه ليلا ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ وقال غير عمرو: قالت: اسمع صوتا كأنه يقطر من الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيحي أبو نائلة. إن الكريم لو دعني إلى طعنة لبلى لأجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين - قيل لسفيان: سمعاهم عمرو؟ قال: سعى بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين. وقال غير عمرو: أبو عيس بن جبر والحارث بن أوس وعبد بن بشر - قال عمرو: جاء معه برجلين فقال: إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فنونكم فاضربوه، وقال مرة: ثم أشمكم فنزل إليه متوشحا، وهو يتنفع منه ريح الطيب، فقال: ما رأيته كاليوم رجيا أي أطيب. وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء الغرب وأجل العرب، قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه. ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

وقال محمد بن إسحاق [سورة: ص ٢٩٧]: كان من حديث كعب بن الأشرف، وكان رجلا من طيء ثم أحد بني نهان، وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قال: والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ليطن الأرض خير من ظهرها. فلما تبين عدو الله الخبر، خرج إلى مكة فنزل على المطلب بن أبي داعة بن ضيرة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمه، وجعل يحرض على قتال

عكرمة عن ابن عباس قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: «انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنيهم» ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلة مقمرة، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه، فتهافت به أبو نائلة، وكان حديث عهد بمرس فوثب في ملحفته، فاختلعت امرأته بناحيتهما وقالت: أتت امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة لو وجدي نائما ما أيقظني. فقالت: والله إنني لأعرف في صوته الشر. قال: يقول لها كعب: لو دعي الفتى لطمعة أجاب، فتزل فتحدثت معه ساعة وتحدثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم.

فخرجوا يمشون فمشوا ساعة. ثم إن أبا نائلة شام يده في فود راسه ثم شم يده. فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ثم مشى ساعة ثم عاد لملها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ثم عاد لملها فأخذ بفودي راسه ثم قال: اضربوا عدو الله! فاختلفت عليه أسياهم فلم تغز شيئا. قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغرلاً في سيغي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، قال: فوضعته في نثته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه، فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رجله أو في راسه أصابه بعض سيوفنا، قال: فخرجنا حتى سلكتنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بعات حتى أسندنا في حرة العريض وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزفه الدم فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه، فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله وتسل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلكنا، فأصبحنا وقد خافت يهود يوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه.

قال ابن جرير [الرابعة: ٤٩١/٢]: وزعم الواقدي أنهم جازوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٧/٢]: وفي ذلك يقول كعب بن مالك:

فغودر منهم كعب صريحا فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهورة ذكور
بأمر محمد إذ مس ليلا إلى كعب أنسا كعب يسير
فماكره فانزله بمكر ومحمود أخو ثقة جهور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي. قلت: كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة.

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت: [سورة ابن هشام: ٥٧/٢، ٥٨]

لله در عصابة لا يتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليك مرحا كأسد في عرين مفرف
حتى أتوكم في عمل بلادكم فقومكم حفا ببيض ذئف
مستبصرين لنصر دين نبيهم مستبصرين لكل أمر مجحف

قال محمد بن إسحاق [سورة: ص ٣٠٠]: وقال رسول الله ﷺ: «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه» فوثب عند ذلك عجيصة بن مسعود

الأوسي على ابن سنية. رجل من نجار يهود كان يلايهم ويياهم. فقتله، كان أخوه حويصة بن مسعود أسن منه ولم يسلم بعد، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول: أي عدو الله أقتله؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله. قال عجيصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال: فو الله إن كان لأول إسلام حويصة وقال آو الله لو أمرك محمد بقتلي لتقتلي قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها.

قال: فو الله إن ديننا بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٨/٢]: حلثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة عن ابنة عجيصة عن أبيها. وقال في ذلك عجيصة:

يلوم ابن أم لو أمرت بقتله لطبقت ففسره بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صفقه متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرنى أتني قتلتك طامعا وإن لنا ما بين بصري ومبارب

وحكى ابن هشام [السورة: ٥٩/٢] عن أبي عبيدة عن أبي عمرو المدني، أن هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة، فإن المقترول كان كعب بن يهونا، فلما قتله عجيصة عن أمر رسول الله ﷺ يوم بني قريظة، قال له أخوه حويصة ما قال فرد عليه عجيصة بما تقدم، فأسلم حويصة يومئذ. قاله أعلم.

تنبيه: ذكر البيهقي والبخاري قبله خير بني النضير قبل وقعة أحد، والصابر لإرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي، وبرهانه أن الخمر حرمت لبالي حصار بني النضير، وثبت في الصحيح [٢٨١٥، ٤٠٤٤، ٤٦١٨] أنه أصطحب الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيدا، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً، وإنما حرمت بعد ذلك، فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد. والله أعلم.

تنبيه آخر: خبر يهود بني قيتاق بعد وقعة بدر كما تقدم، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهودي على يدي الأوس، وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي، وكذلك مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج على المشهور، وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب، وقصة الخنلق كما سيأتي...

سنة ٣- غزوة أحد

فائدة: ذكرها المؤلف في تسمية أحد قال: سمي أحد أهداً لتوحدته من بين تلك الجبال.

ولي الصحيح [ج (١٤٨٤)، م (١٣٦٥)] «أحد جبل يحبنا ونحبه» قيل: معناه أهله وقيل: لأنه كان يبشر أهله إذا رجع من سفره كما يفعل المحب. وقيل على ظاهره كقوله: «وَرَأَى مِنْهَا لَمَّا تَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْبُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» [الفرقة: ٧٤].

وفي الحديث [كشف الاستار (١١٩٩)، والوسط للطبراني (٦٥٠١)] عن أبي عبيد بن جبر «أحد يحبنا ونحبه وهو على باب الجنة، وغيره يَبْصُرُنا وَيُبْصِرُنا وهو على باب من أبواب النار».

قال السهيلي [الروض الأنف: ٤٤٩/٥] مقوياً لهذا الحديث وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال: «المرء مع من أحب» [ج (١١٦٨)، م (٢٦٤٠)].

وهذا من غريب صنع السهيلي فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس ولا

يسمى الجبل امرأة، وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث.

قاله الزهري وقائدة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك.

قال ابن إسحاق: للنصف من شوال.

وقال قتادة: يوم السبت الحادي عشر منه.

قال مالك: وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَيْبَكُمْ بِلَاغَةِ آلَافٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ. بَلَى أَنْ نَصِيبُوا وَتَقْتُلُوا وَتَوَكَّرُوا مِنْ قُوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّلُكُمْ رَيْبَكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ الآيات وما بعدها إلى قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١ - ١٧٩].

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتابنا التفسير (٩٠/٢ - ١٥١) بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

ولنذكر هنا ملخص الوقعة بما ساقه محمد بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن.

قال ابن إسحاق رحمه الله: [سورة: ص ٣٠١] وكان من حديث أحد كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقت.

قالوا: أو من قال منهم: لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش عن أصيب آبائهم وإبنائهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة.

فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثاراً، ففعلوا.

قال ابن إسحاق [سورة: ص ٣٠١ - ٣٠٣]: ففهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُمْ لِيَسْلُبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقْتُلُوهُمْ ثُمَّ يَبْغُونَ خِصْرَهُمْ ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُغْلِبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَسْتَأْذِنُوا فَاذْنَبُوا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأنفال: ٣٦].

قالوا: فاجتمع قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحليشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة وكان في الأسارى، فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة، إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك وأخرج معنا فقال: إن محمداً قد من علي فلا أريد أن أظاهر عليه. قال: بلى، فأعنا بنفسك فلك الله إن رجعت أن أعينك وإن قتلت أن أجعل بئناك مع بنتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر، فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول:

إيا بني عبد مناف الرزاق . انتسم حُمةً وأبوكم حام

لا تَعُدُونِي نصركم بعد العام لا تملوني لا يحمل إسلام

قال: وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول:

يا مال مال الحبيب المقيم . انتشد ذا القربى ذا النعم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم . الخلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المظلم

قال: ودعا جبر بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحجرة له قذف الحبشة قلماً يخطى بها فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق.

قال: فخرجت قريش بجدها وحليدها وجدها وأحليشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن التماس الحظيفة وإن لا يفروا، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب وهو قائد الناس ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج صفوان بن أمية ببيزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وخرج عمرو بن العاص بربطة بنت منبه بن الحجاج وهي أم ابنه عبد الله بن عمرو وذكر غيرهم ممن خرج بأمرائه. قال: وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول ونها أبا دسمة اشف واششف، يعني تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب.

قال: فأقبلوا حتى نزلوا بعيتين بجبل بطن السبخة من قنعة على سفير الوادي مقابل المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال لهم: إني قد رأيت والله خيراً رأيت بقرا تنبج ورأيت في ذباب سفيي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة.

وهذا الحديث رواه البخاري [٣٦٢٢] ومسلم [٢٢٧٢] جميعاً عن أبي كريب عن أبي أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: فرأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو قنجر فإذا هي المدينة يثرب ورأيت في رؤياي هذه أني هرزت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هرزته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير ونواب الصلح الذي أتاننا الله بعد يوم بدر.

وقال البيهقي [الذيل: ٢٠٤/٣، ٢٠٥]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا الأصم أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر.

قال ابن عباس: وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأيهم بالمدنية فيقاتلهم فيها فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرأ: تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد. ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أذاته ثم ندعوا وقالوا: يا رسول الله أقم فالراي رأيك فقال لهم: ما ينبغي لني أن يضع أذاته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

قال: وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الأداة: إني رأيت أني في

دفع حصينة فأولتها المدينة وأني مرفوف كبشاً فأولته كبش الكنية ورايت أن سيفي ذا الفغار فلأ فأولته فلا فيكم ورايت بقرأ تنبئ فبقر والله خير». ورواه الترمذي [١٥٩١] وابن ماجه [٢٨٠٨] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به.

وروي البيهقي [الدلائل: ٢٥٠/٣] من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس مرفوعاً قال: فرأيت فيما يرى النائم كائي مردف كبشاً وكان ظبة سيفي انكسرت فأولت أني أقتل كبش القوم وأولت كسر ظبة سيفي قتل رجل من عترتي. فقتل حمزة وقتل رسول الله ﷺ طلحة وكان صاحب اللواء.

وقال موسى بن عقبة رحمه الله: ورجعت قريش فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر حتى نزلوا ببطن الوادي الذي قيل أحد وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرأ قد نعموا على ما فاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرأ يقدمو العدو عليهم وقالوا: قد ساق الله علينا أميناً.

ثم إن رسول الله ﷺ أرى ليلة الجمعة رؤيا فاصبح فجاءه نفر من أصحابه فقال لهم: فرأيت البارحة في منامي بقرأ تنبئ والله خير ورايت سيفي ذا الفغار انقص من عند ظتيه، أو قال: به فلول فكرهته وهما مصيبتان ورايت أني في دوع حصينة وأني مردف كبشاً. فلما أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه، قالوا: يا رسول الله، ماذا أولت ورؤياك؟ قال: «أولت البقر الذي رأيت نقرأ فينا وفي القوم وكهرته ما رأيت بسيفي، ويقول رجال: كان الذي رأى سيفه الذي أصاب وجهه فإن العدو أصاب وجهه يومئذ وقصموا ريعابه وخرقوا شفته يزعمون أن الذي رماه عتبة بن أبي وقاص وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذ.

وقال: «أولت الكبش أنه كبش كنية العدو يقتله الله وأولت الدرع الحصينة المدينة فامكتوا واجعلوا الدزاري في الأظام فإن دخل علينا القوم في الأزقة قاتلناهم ورؤوا من فوق البيوت» وكانوا قد سَكُوا أزقة المدينة بالبيان حتى كانت كالحصن. فقال الذين لم يشهدوا بدرأ: كنا نتمنى هذا اليوم وتدعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير وقال رجال من الأنصار: متى تقتلهم يا رسول الله إننا لم نقاتلهم عند شعبنا؟ وقال رجال: ماذا نمنع إذا لم نمنع الحارث يُززع؟ وقال رجال قولا صدقوا به ومضوا عليه منهم حمزة بن عبد المطلب قال: والذي أنزل عليك الكتاب لنجادلهم. وقال نعمان بن مالك بن ثعلبة وهو أحد بني سالم: يا نبي الله لا نحرمن الحنة فولذي نفسي بيده لأدخلها. فقال له رسول الله ﷺ: «م؟» قال: باني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول الله ﷺ: «صدقت»، واستشهد يومئذ. وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرأ قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة.

فلما صلى رسول الله ﷺ الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته ندعا بلامته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج فلما رأى ذلك رجال من ذوي الرأي قالوا: أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد وبآية الوحي من السماء فقالوا يا رسول الله امكث كما أمرتنا فقال: «ما ينبغي لني إذا أخذ

لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأيتمم إلا الخروج فليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ما أكرمكم به فافعلوه».

قال: فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فسلخوا على البدائع وهم ألف رجل والمشركون ثلاثة آلاف فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلثمائة فبقي رسول الله ﷺ في سبعمئة. [الدلائل للبيهقي: ٢٥١/٣ - ٢٥٨ عن موسى بن عقبة]

قال البيهقي [الدلائل: ٢٥٢/٣، ٢٥٢١]: هذا هو المشهور عند أهل المغازي أنهم بقوا في سبعمئة مقاتل.

قال: والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمئة مقاتل. كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ عن ابن وهب عن يونس عن الزهري.

وقيل: عنه بهذا الإسناد سبعمئة فآله أعلم.

قال موسى بن عقبة: وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد وكان معهم مائة فرس وكان لرواه مع عثمان بن طلحة قال: ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة ذكر الرقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى [الدلائل للبيهقي: ٢٥٩/٣].

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣/٢، ٦٤]: لما قص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم: «إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها».

وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم فقال رجال من المسلمين عن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره عن كان فاته بدر: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جئنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي: يا رسول الله لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمة وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو فصلى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك فلما خرج عليهم قالوا: يا رسول الله إن شئت فاصعد فقال: «ما ينبغي لني إذا لبس لأمة أن يضعها حتى يقاتل». فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه.

قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبي بن ثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني ما ندرى علام تقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي والد جابر بن عبد الله فقال: يا قوم أذكركم الله أن لا تتخللوا قومكم ونيكم عند ما حضر من علومهم. قالوا: لو تعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكننا لا نرى أنه يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيفي الله عنكم نبيه ﷺ.

قلت: وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى: «وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا قَبْلَآ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اقْضُوا قِآلُوا لَوْ نَشَاءُ لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَزِينُونَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أََعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» [سورة آل عمران: ١٦٧] يعني أنهم

فأجازني». وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وغرابة بن أوس بن قبيط. ذكره ابن قتيبة في المعارف [ص ٣٢٠]، وأورده السهيلي [الروض المف: ٤٥٣/٥]، وهو الذي يقول فيه الشماخ:

إِذَا مَا رَايْتَهُ وَقَعْتُ لِحَبْلِ تَلْقَاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

ومنه سعد بن حبة ذكره السهيلي أيضاً وأجازهم كلهم يوم الخندق وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل: يا رسول الله إن رافعاً رام فأجازه فقيل: يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه.

قال ابن إسحاق رحمه الله [سورة ابن هشام: ٦٦/٢]. وتعبات قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنّبوا فجعّلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام وقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به في العدو حتى ينحني». قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه. فقاطعه إياه.

هكذا ذكره ابن إسحاق مقطعاً.

وقد قال الإمام أحمد [١٢٣/٣]: حدثنا يزيد وعفان قالوا: حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف؟» فأخذه قوم فجعّلوا ينظرون إليه فقال: «من يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك: أنا أخذه بحقه. فأخذه فقلق به هام المشركين.

ورواه مسلم [٢٤٧٠] عن أبي بكر عن عفان به.

قال ابن إسحاق: وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يمثال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يُعَلِّمُ بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه الناس سيقاتل، قال: فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصبته تلك فاعتصب بها ثم جعل يبتخر بين الصفيين.

قال: فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يبتخر: «إنها لشية يفضيها الله إلا في مثل هذا الموضع».

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٧/٢، ٦٨]: وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال: يا بني عبد الدار قد وليتم لواننا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتهم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواننا وإما أن نخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواننا! ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع. وذلك أراد أبو سفيان. قال فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللائي معها وأخذن الدفوف يضررن بها خلف الرجال ويعرضن على القتال فقالت هند فيما تقول:

وَيْسَاءُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَسَاءُ حِمَاةُ الْأَبْرَارِ
ضَرْباً بِكُلِّ بَنَارٍ

وتقول أيضاً:

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَاتِي وَتَفَرِّشُوا النَّمَارِقَ

أَوْ تُدْبِرُوا تَفَارِقِي فِرَاقَ غَيْرِ وَاسِقٍ

كاذبون في قولهم: لو نعلم قتالا لاتمتاكم، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء به ولا شك فيه وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرَكُمُهم بِمَا كُتِبُوا﴾ الآية [سورة النساء: ٨٨] وذلك أن طائفة قالت: نقاتلهم وقال آخرون: لا نقاتلهم كما ثبت وبين في الصحيح [ج ٤٥٨٩] م [٢٧٧٦].

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حيث ذر رسول الله ﷺ في الاستماعة محلقاتهم من يهود المدينة فقال: «لا حاجة لنا فيهم».

وذكر عروة بن موسى بن عتبة: أن بني سلمة وبني حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه همتا أن تمشلا فبينما الله تعالى، ولهذا قال: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَمْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢] قال جابر بن عبد الله: ما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ كما هو ثابت في الصحيحين [ج ٤٥٩١] م [٢٥٠٥] عنه.

قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب كلاب سيف فاستله فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف: «شيم سيفك - أي اغمد - فإني أرى السيف يستسل اليوم». ثم قال النبي ﷺ لأصحابه: «من رجل يخرج بنا على القوم من كتب - أي من قرب - من طريق لا يمر بنا عليهم؟» فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله ففد به في حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال لربع بين قيطي وكان رجلاً منافقاً ضريب البصر فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يمشي في وجوههم التراب ويقول: إن كنت رسول الله ﷺ فإني لا أحل لك أن تدخل في حاطي.

قال ابن إسحاق: وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر»، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نهى رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه فشجه.

ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: «لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال». وقد سرح قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصنفة من قناة للمسلمين فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أترعى زروع بني قيلة ولما تضارب؟ وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل وأمر على الرماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بتياب ييض والرماة خسون رجلاً فقال: «انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فائت مكانك لا تؤذين من قبلك». وسيأتي شاهد هذا في الصحيحين إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٧/٢]: وظهر رسول الله ﷺ بين درعين يعني لبس درعاً فوق درع ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار.

قلت: وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم منهم عبد الله بن عمر كما ثبت عنه في الصحيحين [ج ٢٦٦٤] م [١٨٦٨] قال: عُرِضَتْ على النبي ﷺ يوم أحد فلم يُجْزَنِي وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة

الشركين جُئِعُ اللّامة يجوز المسلمين وهو يقول: استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم. قال: وإذا رجل من المسلمين قائم يتظرو عليه لأمته فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أقتر المسلم والكافر بيصرى فإذا الكافر أفضلهما عدة وهينة. قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا فضرب المسلم الكافر على جيل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرقت فرقتين ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجانة.

سنة ٣- مقتل حمزة ﷺ

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٩/٢، ٧٠): وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان أحد الثفر الذين يحملون اللواء، وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول: **إِنْ عَلَى أَهْلِ اللّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِعُوا الصُّنْدُءَ أَوْ تَنْدُقَا** فحمل عليه حمزة فقتله ثم مر به سياح بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم آثار مولاة شريك بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت تخانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

فقال وحشي غلام جبير بن مطعم: واللّه إنني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يُلَيِّقُ شيئاً يرُّ به مثل الجمل الأورق إذ قد تقدمني إليه سياح فقال حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور. فضربه ضربة فكتما أخطأ رأسه وهزرت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقع في ثيبي حتى خرجت من بين رجله فأقبل نحوي فغلب فوقع وأمهلت حتى إذا مات جئت فأخذت حربي ثم تتحيت إلى المسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره.

وقال أبو بكر بن أبي عاصم: حدثني عبد الوهّاب بن نجدة، حدثنا بقة، عن مجمر، عن خالد بن معدان، عن أبي بلال، عن عبد الله بن السائب، أن رسول الله ﷺ كان يوم الشعب آخر أصحابه، ولم يكن بينه وبين العدو غير حمزة يقاتل العدو، فرصده وحشي فقتله، وقد قتل الله يبيد حمزة من الكفار أحداً وثلاثين، وكان يدعى أسد الله.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٧٠/٢ - ٧٣): وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الحيار أخو بني نوفل بن عبد مناف في زمن معاوية فأدركنا مع الناس فلما مرونا بمحص وكان وحشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها فلما قمعناها قال عبيد الله بن عدي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت.

فخرجنا نسأل عنه بمحص فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فإن تجداه صاحياً تجداه رجلاً غريباً وتجداه عنده بعض ما تريدان وتضيأ عنده ما شئتما من حديث نسأله عنه وإن تجداه وبه بعض ما يكون به فأنصرفا عنه ودعاه.

قال: فخرجنا نمشي حتى جئناه فإذا هو بفناء داره على طغسة له وإذا شيخ كبير مثل البغاث، وإذا هو صاحب لا بأس به، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال: ابن لعدي بن الحيار أنت؟

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٩/٢): وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صفية بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خسون غلاماً من الأوس وبعض الناس يقول: كانوا خمسة عشر وكان يعد قرشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وتجدان أهل مكة فنأدى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر قالوا: فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق. وكان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق. فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديداً ثم راضخهم بالحجارة.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٩/٢): فقاتل الناس حتى حيت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس.

قال ابن هشام: وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمعتنيه وأعطاه أبا دجانة وقلت: أنا ابن صفة عمته ومن قرش وقد قمت إليه وسأله إياه قبله فأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنظرن ما يصنع فأتيت فأنخرج عصابة له حمراء فمصّب بها رأسه فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أنا الذي صاعدني خليلي ونحن بالفتح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيفي الله والرسول
وقال الأموي: حدثني أبو عبيد في حديث النبي ﷺ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل، فسأله سيفاً يقاتل به فقال: لعلك إن أعطيتك تقاتل في الكيول؟ قال: لا. فأعطاه سيفاً فجعل يرمز ويقول:
أنا الذي صاعدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكيول
وهذا حديث يروى عن شعبة.

ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عن هنية بن خالد أو غيره يرفعه.

الكيول يعني: مؤخر الصفوف سمعته من عدة من أهل العلم ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٩/٢): فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفب عليه فجعل كل منهما يذو من صاحبه فدعسوا الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين ف ضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بندقته فعصّت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله. ثم رأيت قد حل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم.

وقد رواه البيهقي في الدلائل (٢٣٢/٣، ٢٣٣) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام بذلك.

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يُحمِشُ الناسَ حَمَشاً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وذكر موسى بن عتبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبه منه عمر فأعرض عنه ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه فوجدا في أنفسهما من ذلك ثم عرضه الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه.

قال: فزعموا أن كعب بن مالك قال: كنت فيمن خرج من المسلمين فلما رأيت مثل المشركين يقتلى المسلمين قمت فتجاوزت فإذا رجل من

سليمان بن يسار عن ابن عمر قال: سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول: قتل العبد الأسود.

وقد روى البخاري [٤٠٧٢] قصة مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبد الله بن عدي بن الحيار. فذكر القصة كما تقدم.

وذكر أن عبد الله بن عدي كان معتجراً عمامة لا يرى منه وحشي إلا عينيه ورجليه فذكر من معرفته له ما تقدم، وهذه قبالة عظيمة كما عرف مجزئ المدلجي أقنام زيد وابنه أسامة مع اختلاف الروايات.

وقال في سياقه: فلما أن صف الناس للقتال خرج سبيح فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له: يا سبيح يا ابن أم آثار مقطعة البطور اتحاداً ورسوله؟ ثم شد عليه فكان كاسم الناهب، قال: وكنت لحزمة تحت صخرة فلما دنا مني رميته بحربي فاضعها في ثنته حتى خرجت من بين يدي وركبه قال: فكان ذلك آخر العهد به.

إلى أن قال: فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلة الكذاب قلت: لأخرج إلى مسيلة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة.

قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جل أروق نائر الرأس، قال: فرميت بحربي فاضعها بين يديه حتى خرجت من كنفه، قال: وثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر البيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود.

قال ابن هشام [السيرة: ٧٣/٢]: فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحد في الحمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة.

قلت: وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة ويقال أبو حرب بمحصر وكان أول من لبس الثياب المدلوك.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٧٣/٢]: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال: قتلتم عمداً.

قلت: وذكر موسى بن عقة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن النبي قتل مصعباً هو أبي بن خلف فأنه أعلم.

قال ابن إسحاق: فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: كان اللواء أولاً مع علي بن أبي طالب، فلما رأى رسول الله ﷺ اللواء المشركين مع عبد الدار قال: نحن أحق بالوفاء منهم أخذ اللواء من علي بن أبي طالب فدفعه إلى مصعب بن عمير، فلما قتل مصعب أعطى اللواء علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٧٣/٢]: وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

قال ابن هشام [السيرة: ٧٤، ٧٣/٢]: وحشي مسلة بن حلقة المازني، قال: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية فتقدم علي وهو يقول: أنا أبو القصم فتداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا

قال: نعم. قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذئ طوى فإني ناولتكها وهي على بعيرها فأخفكتك بعرضيك فلمعت في قدامك حين رفعتك إليها فوالله ما هو إلا أن وقتت علي ففترقتها.

قال: فجلستنا إليه فقلنا: جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة كيف قتلته؟ قال: أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألتني عن ذلك، كنت غلاماً لجير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إن قتل حمزة عم محمد يعني فانت عتيق. قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أنفذ بالحرية فذف الحيشة قلماً أخطى بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأبصره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدماً ما يقوم له شيء فوالله إني لأنتهيا له أريده وأستر منه بشجرة أو بحجر ليلنوني إذ تقدمني إليه سبيح بن عبد العزى فلما رآه حمزة قال: هلم إلي يا ابن مقطعة البطور، قال: فضربه ضربة كالها أخطأ رأسه، قال: وهزمت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوفعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه وذهب لينوه نحوي فقلب وتركة ولهاها حتى مات ثم أتيت فأخذت حربي ثم رجعت إلى المسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتله لأعتق.

فلما قدمت مكة عتقت ثم أمتت حتى إذا انتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فكتبت بها فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تمنت علي المذاهب فقلت: الحق بالشام أو اليمن أو بعض البلاد فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق.

قال: فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رأيته قال: «أوحشي؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «أعند فحدثني كيف قتل حمزة؟» قال: فحدثته كما حدثكما، فلما فرغت من حديثي قال: «ويحك غيب عني وجهك فلا أرىك»، قال: فكتبت أتكتب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عز وجل. فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلة قائماً في يده السيف وما أعرفه فتهيات له ونهيا له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريد فهزمت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوفعت فيه، وشد عليه الأنصاري بالسيف فربك أعلم أين قتله، فإن كنت قبلته فقد قلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس.

قلت: الأنصاري هو أبو دجانة سماك بن خرشة كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة مع مسيلة.

وقال الواقدي في الردة [المغازي: ٢٦٩/١]: هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني.

وقال سيف بن عمر: هو عدي بن سهل وهو القاتل: ألم تر أنني ووحشيهم قتلنا مُسْلِمَةً الْفَتَنَ ويسألني الناس عن قتلهم قتلنا ضربت، وهذا طعن

والمشهور أن وحشياً هو الذي بدره بالضربة وذف عليه أبو دجانة، لما روى ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٧٣/٢] عن عبد الله بن الفضل عن

وما زال مهري مزجر الكلب منهم لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لِفِرْعَوْنَ
أَتَانَهُمْ وَأَدْعَى بِأَلْفَالِبٍ وَأَفْهَمَهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبٍ
فَبَكَى وَلَا تَرَعَى مَقَالَةَ عَادِلٍ وَلَا تَأْمِي مِنْ عُسْبَةِ وَغَيْبِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَابَعُوا وَحَقَّ لَهُمْ مِنْ عِبْرَةٍ بِصِيبِ
وَسَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ إِنِّي قُلْتُ مِنَ النِّجَارِ كُلِّ لُجْبِ
وَمَنْ هَاشِمٌ قَرْمًا كَرِيمًا وَمُضْعِبًا وَكَانَ لَدَى الْمِجَاهِ غَيْرِ هَيُوبِ
فَلَوْ أَنِّي لَمْ أَشْفَوْ تَقْسِي مِنْهُمْ لَكَانَتْ شَجَى فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُدُوبِ
فَبَآوَا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَالِيْبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعِطٍ وَكَيْبِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِبِمَائِهِمْ كَفَاءً وَلَا فِي خَطَةِ بِضْرِيبِ

فَاجِبِهِ حَسَانٌ بِنِ ثَابِتٍ:

ذَكَرْتُ الْقُرُومَ الصَّيِّدَةَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتُ لِزُرُورٍ قُلْتُهِ بِمَصِيبِ
أَتَجَبُّ أَنْ أَصْدَنْتُ حَزَّةَ مِنْهُمْ نَحِيًّا وَقَدْ سَيَّئَتْهُ بِنَجِيبِ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعَتَبَةً وَابْنَهُ وَشَيْئَةً وَالحِجَابِ وَابْنَ حَيْبِ
غُدَاةَ دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةٍ غَضَبٍ بَلَّغَهُ بِخَضِيبِ

سنة ٣- تمام غزوة أحد

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٧٧/٢ - ٧٩): ثم أُنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده فحسروهم بالسيف حتى كشفهم عن العسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها.

وحديثي يحيى بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: والله لقد رأيته أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشعرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة على العسكر حين كشفنا القوم عنه وغلوا ظهورنا للخليل فأتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن عملاً قد قتل فانكثنا وانكثا القوم علينا بعد أن أصابنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد منهم.

قال: فحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت عقلة الحارثية فرفعت لقرش فلاثوا به وكان اللواء مع صواب غلام لبني أبي طلحة حبشي وكان آخر من أخذه منهم فقاتل به حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذ اللواء بصدرة وعقته حتى قتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت - يعني اللهم هل أعلزرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَخَرَّتُمْ بِأَلْوَاءٍ وَشَرُّ فَخْرٍ لِسَوَاءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابٍ
جَعَلْتُمْ فخرَكُمْ فِيهِ لِعَبْدٍ وَالْأَمُّ مِنْ يَطَا قَفَرُ السَّرَابِ
ظَنَنْتُمْ، وَالسَّيْفُ لَهُ ظَنُونٌ وَمَا إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الصَّرَابِ
بِأَنَّ جَلَدَنَا يَوْمَ التَّيْنِ بِمَكَّةَ يَمَكُّكُمْ خُسْرَ الْعِيَابِ
أَتَرُ السَّيْنِ إِنْ غَضِبَتْ يَدَاهُ وَمَا إِنْ تَغَضَّبَانِ عَلَى خِيَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت عقلة اللواء لهم:

إِذَا غَضَلُ سَيْفَتِ لَيْسَ كَأَنَّهَا جَنَابُ شِرْكٍ مُثَلَّمَاتِ الْحَوَابِ
أَقَمْنَا لَهَا طَعْنًا مُبِيرًا مَنَكَلًا وَخَرْنَاهُمْ بِالصَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَسْنَا لِسَوَاءٍ الْحَارِثِيَّةِ أَصْحَابًا يُعَاوَنُ فِي الْأَسْوَاقِ تَيْعَ الْجَلَابِ

القسم في البراز من حاجة؟ قال: نعم فبرزنا بين الصفيين فاختلعا ضربتين فضر به علي فضرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استبطني بعورته فغطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله، وقد فعل ذلك علي ﷺ يوم صفين مع بسر بن أبي أوطاة لما حمل عليه ليقتله أبدى له عن عورته فرجع عنه. وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه علي في بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع علي أيضاً، فقي ذلك يقول الحارث بن النضر:

أَتَى كُلَّ يَوْمٍ فَارَسَ غَيْرَ مَتَوٍ وَعُورَتِهِ وَسَطَ الْعِجَاجَةِ بِأَدْيِهِ
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلِيٌّ مَسْنَانَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهَا فِي الْخِلَاءِ مَعَاوِيَهُ

وذكر يونس عن ابن إسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جله، ثم اتحجم به الأرض فالتقاء عنه وذبحه بسيفه فأتى عليه رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي حواريًا وحواريي الزبير» [٣٧١٩] وقال: لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه (الدلائل للبيهقي: ٢٢٧/٣، من يونس: ٤).

وقال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٧٤/٢): قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح قتل مسافع بن أبي طلحة وأخاه الجللاس كلاهما يشعروهما سهماً فيأتي أمه سلافة فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركاً أبداً ولا يمسه؛ ولهذا حمى الله منه يوم الرجيع كما سيأتي.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٧٥/٢): والتقى حنظلة بن أبي عامر واسمه عمرو ويقال: عبد عمرو بن صفيي وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية الواهب؛ لكثرة عبادته فسماه رسول الله ﷺ الفاسق لما خالف الحق وأهله. وخرج من المدينة هرباً من الإسلام وغالفة للرسول عليه السلام وحنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل؛ لأنه غسلته الملائكة كما سيأتي - هو وأبو سفيان صخر بن حرب فلما علا حنظلة رآه شداد بن الأوس وهو الذي يقال له ابن شعوب فضر به شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم لنفسه الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه» فسئلت صاحبه - قال الواقدي (الغازي: ٢٧٣/١): هي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة. فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتمة فقال رسول الله ﷺ: «كذلك غسلته الملائكة».

وقد ذكر موسى بن عقبة: أن أباة ضرب برجله في صدره وقال: ذنبان أصبتهما ولقد نهيتك عن مصرعك هذا، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برأ بالوالد.

قال ابن إسحاق وقال شداد بن الأسود في قتله حنظلة:

لَأَحْسَيْنَ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ شَلَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ

وقال ابن شعوب: [سورة ابن هشام: ٧٦/٢، ٧٧] ولولا دفاعي يا ابن حرب ومشهدني لأنيت يوم التَّنَفُّفِ غير مجيب ولولا بكري المهمل بالنف فرقرت عليه ضياع أو ضيراء كليب

وقال أبو سفيان: [سورة ابن هشام: ٧٥/٢، ٧٦] ولو شئت لنجتني كميت طويرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

الزهرى شجّة في جبهته وإن عبد الله بن قنشة جرح وجته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجته ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب يده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ومضى مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرد فقال: فمن من دمه دمي لم نصيبه النار.

قلت: وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقه اغمى عليه فمر به سالم مول أبي حنيفة فاجلسه ومسح الدم عن وجهه فأفاق وهو يقول: «كيف يُفْلِح قوم فعلوا هذا بنبئهم وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» الآية.

رواه ابن جرير [نفسه: ٨٧/٤] وهو مرسل وسيأتي بسط هذا في فصل وحده.

قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكفار كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَبَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تَصْحَلُونَ وَلَا تَأْوُونَ عَلَى آخِرِ الرُّسُولِ يَذْعُوكُمْ فِي الْأَمْرِ فَنُاجِيكُمْ غَمًّا بِئَمَّ» الآية [سورة آل عمران: ١٥٢، ١٥٣].

قال الإمام أحمد (٢٨٨، ٢٨٧/١): حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثني سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أحد قال: فانكرنا ذلك فقال: بني وبين من أنكر ذلك كتاب الله إن الله يقول في يوم أحد: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ» يقول ابن عباس والحسن: القتل «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» إلى قوله: «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» وإنما عفا عنهم الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: «أَحْشُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْنَا نَفْسًا تَقُتِلُ فَلَا تَتَصَرَّوْا وَإِنْ رَأَيْنَا نَفْسًا فَلَا تَشْرُكُونَا».

فلما غم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر يهرون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم هكذا (وشيك بين أصابع يديه) والتبسوا فلما أحل الرماة تلك الحلفة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً فالتبسوا وقُتل من المسلمين ناسٌ كثير وقد كان لرسول الله وأصحابه أول النهار حتى قُتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ولم يلبثوا - حيث يقول الناس -: الغار إنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قُتل محمداً فلم يشك فيه أنه حق. فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله ﷺ بين السبعين نعره بتكبيره إذا مشى قال: ففرحنا كأنه لم يصيبنا ما أصابنا.

قال: فرقي نخونا وهو يقول: «أَشَدُّ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ دَعَمُوا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ». ويقول مرة أخرى: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا» حتى انتهى إلينا فنكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعلّ هبل، مرتين (يعني أخته)، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر بن الخطاب: ألا أجيبه؟ قال: «بلى» قال: فلما قال: اعلّ هبل قال: الله اعلّ وأجلّ. فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب قد أتممت عينها، فعاد عنها أو فعاد عنها.

فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٧٩/٢، ٨٠]: فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فذُت بالحجارة حتى وقع لشقه فاصيبت رباطه وشج في وجهه وكلمت شفته وكان الذي أصابه عتبه بن أبي وقاص:

فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كسرت رباطه النبي ﷺ يوم أحد وشج في وجهه وجعل مسح الدم ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله» فأنزل الله: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَسَوْفَ يَظَاهِرُونَ» [سورة آل عمران: ١٢٨].

قال ابن جرير في تاريخه (٥١٩/٢ - ٥٢١): حدثنا محمد بن الحسين حدثنا أحمد بن الفضل حدثنا أسباط عن السدي قال: أتى ابن قنشة الحارثي فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباطه وشج في وجهه فأنقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طلحة فوق الجبل إلى الصخرة وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إلي عباد الله، إلي عباد الله» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقطن النبي ﷺ فقال: «بل أنا أقتله» فقال: يا كذاب أين تفر؟ فحمل عليه فطعن النبي ﷺ في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق وقع بخور خوار الثور فاحتلموه وقالوا: ليس بك جراحة فما يزعرك؟ قال: «أليس قال: «لَا تَتْلُكُمَا» لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلهم. فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وقفاً في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمة من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم. فقال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ اللهم إني أحزن إليك عما يقول هؤلاء وأبرأ إليك عما جاء به هؤلاء؛ ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة فلما راوه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال: «أنا رسول الله» ففروا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به.

فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن فأتوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عز وجل في الذين قالوا: إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» الآية [آل عمران: ٤٤].

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ومهمهم أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ: «ليس لهم أن يعلمونا، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد في الأرض». ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أترلوه فقال أبو سفيان يومئذ: اعلّ هبل حنظلة بمحظلة ويوم أحد يوم بدر. وذكر تمام القصة.

وهذا غريب جداً وفي بعضه نكارة.

قال ابن هشام [السيرة: ٤٥/٢]: وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد أن عتبه بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباطه اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وإن عبد الله بن شهاب

أني القوم ابن الخطاب؟ أني القوم ابن أبي حنيفة؟ أني القوم ابن الخطاب؟ أني القوم ابن الخطاب؟ أني القوم ابن الخطاب؟ ثم أتبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كُفِتْهُمْ، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عدت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك. فقال: يوم يوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسوني. ثم أخذ يرحل: اعلُ هبل، اعلُ هبل، اعلُ هبل.

فقال رسول الله ﷺ: «ألا تحيونه؟» قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: «قولوا: الله اعلي وأجل». قال: إن العزى لنا ولا عزى لكم؟ قال رسول الله ﷺ: «ألا تحيونه؟» قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

ورواه البخاري [٣٩٨٦، ٤٠٦٧، ٤٥٦١] من حديث زهير وهو ابن معاوية مختصراً، وقد تقدم روايته لمطولة من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق.

وقال الإمام أحمد [٢٨٦/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت وعلي بن زيد عن أس بن مالك أن المشركين لما رهبوا النبي ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، قال: «من يرُدُّم عنا وهو رفيق في الجنة؟» فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل. فلما رهبوه أيضاً قال: «من يرُدُّم عنا وهو رفيق في الجنة؟» حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «ما أنصفتنا أصحابنا».

ورواه مسلم [١٧٨٩]، وعنده فيه «كتاب» بدل «هبة» عن هبة بن خالد عن حماد بن سلمة به.

وقال البيهقي في الدلائل [٢٣٦/٣، ٢٣٧]: بإسناده عن عمارة بن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال: «ألا أحد هؤلاء؟» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: «كما أنت يا طلحة»، فقال رجل من الأنصار: فأتا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه، فقال: «ألا رجل هؤلاء؟» فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الأنصار: فأتا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه، فقال: «ألا رجل هؤلاء؟». فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأتا يا رسول الله. فأذن له. فقاتل مثل قتاله وقتل صاحبه، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة: أنا يا رسول الله فيحبه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله، حتى لم يبق معه إلا طلحة ففشوهما، فقال رسول الله ﷺ: «من هؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصابت أنامله فقال حسن، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء»، ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون.

وروى البخاري [٤٠٦٣] عن أبي بكر عبد الله بن أبي شيبه عن وكيع عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة سلاء وفي بها النبي ﷺ يوم أحد.

عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر وهذا أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان: يوم يوم بدر، الأيام حول وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: لا سواء، قتلنا في الجنة وتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خينا إذن وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلناكم مثله ولم يكن ذلك عن رأي سرتنا. قال: ثم أدركته حية الجاهلية فقال: إما إنه إن كان ذلك لم نكرهه.

وقله رواه ابن أبي حاتم [١٦٤٤] والحاكم في مستدركه [٢٩٦/٢، ٢٩٧]، والبيهقي في الدلائل [٢٦٩/٣ - ٢٧١] من حديث سليمان بن داود الهاشمي به.

وهذا حديث غريب وهو من مراسلات ابن عباس وله شواهد من وجوه كثيرة سنذكر منها ما تيسر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وهو المستعان.

قال البخاري [٤٠٤٣]: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تتيقنوا». فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتليذن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! فقال عبد الله: عهد لي النبي ﷺ أن لا تبرحوا. فأبوا، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أني القوم محمد؟ فقال: «ألا تحيونه». فقال: أني القوم ابن أبي حنيفة؟ فقال: «ألا تحيونه». فقال: أني القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبى الله عليك ما يجزئك. فقال أبو سفيان: اعلُ هبل. فقال النبي ﷺ: «أحيوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله اعلي وأجل». فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: «أحيوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم يوم بدر، والحرب سجال، وتجندون مثله لم أمر بها ولم تسوني.

وهذا من أفراد البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد [٢٩٣/٤]: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير.

قال: ووضعهم موضعاً وقال: «إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطانهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»، قال: ففهموهم، قال: فأتا والله رأيت النساء يشتليذن على الجبل وقد بدت أسنوفهن وخلاخلهن واقعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم، الغنيمة. ظهر أصحابكم، فما تنظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إنا والله لثابتين الناس فلنصبيهن من الغنيمة! فلما اتوهم صرفت وجوههم فأتبوا منهزمين، فلذلك الذي يدعوهم الرسول في آخرهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا من سبعين رجلاً، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أني القوم محمد، أني القوم محمد؟ أني القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيئوه، ثم قال: أني القوم ابن أبي حنيفة؟ أني القوم ابن أبي حنيفة؟ أني القوم ابن الخطاب،

وفي الصحيحين [خ (٣٧٢٢)، م (٢٤١٤)] من حديث موسى بن إسماعيل عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد عن حديثهما.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية عن هاشم بن هاشم سمعت سعد بن السيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: نزل في رسول الله ﷺ كئنته يوم أحد وقال: «إرم فذاك أبي وأمي».

وأخرجه البخاري [٤٠٥٥] عن عبد الله بن محمد عن مروان به. وفي صحيح البخاري [٢٩٠٥] من حديث عبد الله بن شداد عن علي بن أبي طالب قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك فإني سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد ارم فذاك أبي وأمي».

قال محمد بن إسحاق [الدلائل للبيهقي: ٢٣٩/٣]، عن محمد بن إسحاق [٥] حديث صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يتناولني النبل ويقول: «إرم فذاك أبي وأمي». حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل فأرمي به.

وثبت في الصحيحين [خ (٤٠٥٤)، م (٢٣٠٦)] من حديث إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان أشد القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده. يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقال أحمد [٢٨٧/٣، ٢٨٧]، حدثنا عفان، أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به، وكان رامياً وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول: هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم، نحري دون حرك. وكان أبو طلحة يشور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جلدت يا رسول الله، فوجئني في حوائجك، ومُرني بما شئت.

وقال البخاري [٤٠٦٤]: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ محبب عليه بحجة له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع، كسر يرمز قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة. قال: ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون حرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإيهما لمشعرتان أرى خدماً سوقهما تفترقان القرب على متونهما فترغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأتهما، ثم تحيطان فترغانه في أفواه القوم. ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً.

قال البخاري [٤٠٦٨]: وقال في خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: كنت فيمن تنشأه النعاس يوم أحد حتى سقط سفي من يدي مراراً يسقط وأخذته، ويسقط فاتخذته.

هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ بَدْرِ النِّعَمِ أَنَّهُ نَاسًا نَفْسًا طَائِفَةٌ مِّنْكَ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبُشِّرُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءًا قُلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ

كَبَّ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْلِغَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُورِكُمْ وَلِيَمْلِكَنَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤، ١٥٥].

قال البخاري [٤٠٦٦]: حدثنا عبدان أخبرنا أبو حمزة عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل حج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود؟ قال: هؤلاء قريش، قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء أتحدثني؟ قال: أتشدك بحمرة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد، قال: نعم. قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدا؟ قال: نعم. قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم. قال: فكثير.

قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت النبي ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» ف ضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان». اذهب بهذا الآن معك.

وقله رواه البخاري [٣٦٩٨] أيضاً في موضع آخر والترمذي [٣٧٠٦] من حديث أبي عروبة عن عثمان بن عبد الله بن موهب به.

وقال الأمامي في مغازيه عن ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المتيقن دون الأعوص، وفر عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان، رجلاً من الأنصار حتى بلغوا الجبل فجل بناحية المدينة مما يلي الأعوص فاقاموا ثلاثاً، ثم رجعوا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم: «لقد ذهبتم فيها عريضة».

والمقصود أن أختاً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر، منها حصول النعاس حال التحام الحرب، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكلاها على خالقها وبارئها. وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿إِذْ يَشَاكُمُ النَّعَاسُ أَمَةً مِنْهُ﴾ الآية [الأنفال: ١١].

وقال هانئ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ بَدْرِ النِّعَمِ أَنَّهُ نَاسًا نَفْسًا طَائِفَةٌ مِّنْكَ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استصر يوم أحد كما استصر يوم بدر بقوله: «إِنْ تَشَأْ لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ» كما قال الإمام أحمد [١٥٢/٣]: حدثنا عبد الصمد وعفان قالا: حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد: «اللهم إني لا تعبد في الأرض».

ورواه مسلم [١٧٤٣] عن حجاج بن الشاعر عن عبد الصمد عن حماد بن سلمة به.

وقال البخاري [٤٠٤٦]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن عمرو سمع جابر بن عبد الله قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرايت إن قُتلَ فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فالتقى غمرات في يده ثم قاتل حتى قُتل.

ورواه مسلم [١٨٩٩] والنسائي [٣١٥٤] من حديث سفيان بن عينة به.
وهذا شيء بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاعهما.

سنة ٣- ما لقي النبي ﷺ يومئذ من المشركين

قال البخاري [٤٠٧٣]: ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد:

حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن همام بن منبه، سمع النبي ﷺ أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا بينه - يشير إلى ربايته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله».

ورواه مسلم [١٧٩٣] من طريق عبد الرزاق.

حدثنا غلند بن مالك حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس قال: «اشتد غضب الله على من قتل النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم ذموا وجه نبي الله ﷺ» [٤٠٧٤].

وقال أحمد [٢٥٣/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد وهو يسلك الدم عن وجهه وهو يقول: «كيف يفلح قوم شجروا بينهم وكسروا ربايته، وهو يدعوهم إلى الله» فانزل ذلك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يمتنهم فيأنهم ظالمون ﴿سورة آل عمران: ١٢٨﴾.

ورواه مسلم [١٧٩١] عن القعني عن حماد بن سلمة به.

ورواه الإمام أحمد [٩١/٣] عن هشيم وي زيد بن هارون عن حميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت ربايته يوم أحد وشجج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بينهم وهو يدعوهم إلى ربه» فانزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وقال البخاري [٤٠٧٥]: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما ذؤوي، قال: كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعليه يسكب الماء بالجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وأصقتها فاستمسك الدم، وكسرت ربايته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده [٦]: حدثنا ابن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله أخبرني عيسى بن طلحة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد فرائت رجلا يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه وأراه قال: يحميه، قال: فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلا من قومي أحب إلي، ويبي وبين المشرق رجلا لا أعرفه وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه وهو يحفظ المشي خطفا لا أعطفه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فاتتهما إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت ربايته وشجج في وجهه، وقد دخل في وجتيه حلقتان من حلق المغفر، قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» يريد طلحة وقد نرف، فلم تلفت إلى قوله قال: ودعيت لأنزع

ذاك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، فتركته فكره أن يتأولهما بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزَمَ عليهما فبغى فاستخرج أحدي الحلقتين ووقمت ثيبي مع الحلقة ودعيت لأصنع ما صنع فقال أقسمت عليك بحقي لما تركتني. قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى فوقمت ثيبي الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة ﷺ بين أحسن الناس هتماً. فاصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا هو به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه فاصلحنا من شأنه.

وذكر الراقيدي [المغازي: ٢٣٧/١، ٢٣٨] عن ابن أبي سيرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي الحويرث عن نافع بن جبير قال: سمعت رجلا من المهاجرين يقول: شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ورسول الله ﷺ وسطها كل ذلك يصرف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد لا تجرت إن نجما، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية، فقال: والله ما رأيت، أحلف بالله أنه منا ممنوع، خرجنا أربعة فتعادنا وتعادتنا على قتله، فلم نخلص إليه.

قال الراقيدي [المغازي: ٢٤٤/١]: والثابت عندنا أن الذي رمى في وجتي رسول الله ﷺ ابن قمئة، والذي رمى في شفته وأصاب ربايته عتبة بن أبي وقاص.

وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا وأن الرابية التي كسرت له عليه الصلاة والسلام هي اليمنى السفلى.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٧/٢]: وحدثني صالح بن كيسان عن حماد بن سعد بن أبي وقاص قال: ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمت لسبي الخلق مبنصفاً في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على من دعى وجهه ورسوله».

وقال عبد الرزاق [سيرة: ١٣١/١، والمصنف: ٢٩٠/٥، ٢٩١]: حدثنا معمر عن الزهري، وعن عثمان الجزري، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر ربايته ودعى وجهه فقال: «اللهم لا تجعل عليه الحول حتى يموت كافراً» فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار.

وقال أبو سليمان الجوزجاني: حدثنا محمد بن الحسن، حدثني إبراهيم بن محمد، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحد بعظم بال.

هنا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأموي في وقعة أحد. ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال رجع وهو يقول: قتلتم عمداً، وصرخ الشيطان أرب العقبة يومئذ بأبعد صوت: ألا إن محمداً قد قُتل! فحصل بهمة عظيمة في المسلمين واعتقد كثير من الناس ذلك، وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره.

وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَفُضَّرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيُجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُرَجَّلًا وَمَنْ يَرِ

أخيه عتي الريح بنت النضر: فما عرفت أخي إلا بيناته. ونزلت هذه الآية ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَيَعْتَدُ مَن يَنْظُرُ وَمَا يُبْدِلُوا بَيْدِلًا﴾ [سورة الاحزاب: ٢٣] قال: فكنا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

ورواه مسلم [١٩٠٣] عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد.

ورواه الترمذي [٣٢٠٠] والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك وزاد النسائي [كوفي (٨٢٩١)] [كوفي (١١٤٠٢)] وأبي داود: حدثنا وحاد بن سلمة أريعتهم عن سليمان بن المغيرة به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أبو الأسود عن عروة بن الزبير قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتل رسول الله ﷺ. فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال: «هل لنا أقتله إن شاء الله».

فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقنعاً وهو يقول: لا نجوت إن لجأ محمد. فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بقي رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول الله ﷺ ترقة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة فطعته بحجرته فوقع إلى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعته دم، فأناته أصحابه فاحتملوه وهو يتحور خوار الثور فقالوا له: ما أجزعك؟ إنما هو غنشل. ففكر لهم قول رسول الله ﷺ: «أنا أقتل أياً» ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز لما تروا أجمعون. فمات إلى النار فسحاً لأصحاب السير.

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري عن سعيد بن المسيب نحوه.

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٨٤/٢]: لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: لا نجوت إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله يطفئ عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرت تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعته في عقه طعنة تداد منها عن فرسه مراراً.

وذكر الواقدي [المغازي: ٢٥١/١، ٢٥٢] عن يونس بن محمد، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه نحوه ذلك.

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف بيطن رابغ، فإني لأسير بيطن رابغ بعد هوي من الليل فإذا أنا بنار تأججت فبهتها، وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يمتننها بيهجه العطش، فإذا رجل يقول: لا تسقه، فإنه قتل رسول الله ﷺ، هذا أبي بن خلف.

وقد ثبت في الصحيحين [خ (٤٠٧٣)، م (١٧٩٣)] كما تقدم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله».

ورواه البخاري [٤٠٧٤] من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: «اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ في سبيل الله».

وقال البخاري [٤٠٨٠] وقال أبو الوليد عن شعبة عن ابن المنكدر سمعت جابرًا قال: لما قتل أبي جعلت أبكي واكتشف الثوب عن وجهه،

فَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا دُرُوبَنَا وَاسْرِفْ فِي أَمْرِنَا وَبُكِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَرْكُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَمَلَّكُوا خَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ. سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُحِزْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَوْلَاهُمْ النَّارُ وَيَسْئَرُ الظَّالِمِينَ [سورة آل عمران: ١٤٤ - ١٥١]. وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد.

وقد خطب الصديق ﷺ في أول مقام قام بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال:

أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَرَأَيْتُمْ أَزْوَاجُ الَّذِينَ اتَّبَعْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية. قال: فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من الناس أحد إلا يتلوه.

وروى البيهقي في دلائل النبوة [٢٤٨/٣، ٢٤٩] من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه قال: مر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشطح في دمه. فقال له: يا فلان، أشمرت أن محمداً قد قُتل. فقال الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم، فتزل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية. ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر ﷺ وهو عم أنس بن مالك.

قال الإمام أحمد [٢٠١/٣]: حدثنا يزيد، حدثنا حميد عن أنس، أن عمه غاب عن قتال بدر، فقال: غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين، لأن أشهدني الله قتالا للمشركين ليرين الله ما صنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني اعتذر إليك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد: أنا معك. قال سعد: فلم أستطع أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة سيف وطعنة برمح ورمية بسهم، قال: فكنا نقول: فيه وفي أصحابه نزلت ﴿فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَيَعْتَدُ مَن يَنْظُرُ﴾ [الاحزاب: ٢٣].

ورواه الترمذي [٣٢٠١] عن عبد بن حميد والنسائي [كوفي (١١٤٠٣)] عن إسحاق بن راهويه كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي: حسن.

قلت: بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه.

وقال أحمد [١٩٤/٣]: حدثنا بهز وحدثنا هاشم قال: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قال أنس: عمي (قال هاشم: أنس بن النضر) سميت به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر. قال: فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، غبت عنه، ولئن أرواني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما صنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ وأما لربح الجنة أجده دون أحد. قال: فقاتلهم حتى قُتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية. قال فقالت

فجعل أصحاب النبي ﷺ يهنؤني والنبي ﷺ لم يته، وقال النبي ﷺ: «ولا تبيكه أو ما تبيكه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفِعَ».

هكذا ذكر هذا الحديث مهنا معلقاً، وقد أسنده في الجناز عن بندار عن غنبل عن شعبة (١٧٤٤).

ورواه مسلم (٢٤٧١) والنسائي (١٨٤٤) من طرق عن شعبة به.

وقال البخاري (٤٠٤٥): حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف أتني بطعام وكان صائماً فقال: قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني كُفُن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسانتنا حُجِلت لنا. ثم جعل يبيكي حتى ترك الطعام.

انفرد به البخاري.

وقال البخاري (٤٠٨٢): حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا الأعمش عن شقيق عن خباب بن الارت قال: هاجرنا مع النبي ﷺ بنبني وجه الله فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يترك إلا ثمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر». ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

وأخرجه بقية الجماعة (٩٤٠)، د (٢٨٧٦)، ت (٣٨٥٣)، س (١٩٠٢) إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به.

وقال البخاري (٤٠٦٥): حدثنا عبيد الله بن سعيد حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كان يوم أحد هُزِمَ المشركون فصرخ إليّ لعل الله عليه: أي عباد الله أحرأكم. فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أي أبي. قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه. فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله مازال في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل.

قلت: كان سبب ذلك أن اليمان وثابت بن وقش كانا في الأظام مع النساء لكبرهما وضعفهما فقالا: إنه لم يبق من أجالنا إلا ظمء حمار، فنزلا ليحضرنا الحرب، ففأ طريقهما ناحية المشركين، فأما ثابت فقتله المشركون، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأ، وتصلق حذيفة بلبية أبيه على المسلمين، ولم يعاتب أحداً منهم لظهور العذر في ذلك.

سنة ٣- إصابة عين قتادة في أحد

قال ابن إسحاق (سوره: ٣٠٨): وأصبحت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى سقطت على وجهه فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه وأحدثهما.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيب عينه يوم أحد حتى سالت على خده فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن عينيه وأحدثهما وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وروى الدارقطني بإسناد غريب عن مالك، عن محمد بن عبد الله بن أبي صمصعة عن أبيه، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال:

أصبحت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجهي فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما وصبق فيهما فعداتا ترقان. والمشهور الأول أنه إنما أصيب عينه الواحدة. ولهذا ما وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز قال له: من أنت؟ فقال له مرتجلاً:

أنا ابن الذي سالت على الخذ عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد فعدا كما كانت لأول أمرها فيا حسنها ما عثرت ويا حسن ما أخذ فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك:

تلك المكارم لا فبان من لبن شيئاً بماء فعدا بعد أبوالا ثم وصله فاحسن جازته ﷺ.

سنة ٣- دفاع أم عمارة وأبي دجانة

وغيرهما عن النبي ﷺ

قال ابن هشام (السوره: ٨١/٢، ٨٢): وقاتلت أم عمارة نسبية بنت كعب المازنية يوم أحد ففكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهمز المسلمون اغرقت إلى رسول الله ﷺ، فقامت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلى. قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمتة أقماه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد فلا تجوت إن لها فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ففرضني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان.

قال ابن إسحاق (سوره ابن هشام: ٨٢/٢): وترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحرف عليه حتى كثر فيه النبل.

قال ابن إسحاق (سوره ابن هشام: ٨٢/٢): وحديثي عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيته، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده.

قال ابن إسحاق (سوره: ٣٠٩): وحديثي القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد اتقوا بأيديهم فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك.

فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته. عرفته بيثانه.

قال ابن هشام (السوره: ٨٣/٢): وحديثي بعض أهل العلم أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله ففرج.

سنة ٣ - إشاعة مقتل النبي ﷺ في

أحد، ومقتل حمزة وقصة قزمان

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٢/٢، ٨٤]: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ - كما ذكر لي الزهري - كعب بن مالك قال: رأيت عينيه ترهان من تحت المغفر، فتأذيت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هنا رسول الله ﷺ فأشار إلي رسول الله ﷺ أن أتصت.

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام والحارث بن الصمة وروبط من المسلمين فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف (فذكر قتله عليه الصلاة والسلام أياً كما تقدم).

قال ابن إسحاق: وكان أبي بن خلف، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندي المودة - فرساً - أعلفه كل يوم فرساً من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بئس أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عقه خنثياً غير كبير، فاحتقن الدم فقال: قتلتني والله محمد. فقالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك بأس. قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق علي لقتني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة. قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لقد ورت الضلالة عن أبي أبي يوم بارزه الرسول
أبئت إليه عمل رم عظم وتوعدته وأنت به تجهول
وقد قلت بنو النجار منكم أمة إذ ينفوت يا عقيـل
وتب ابناً ريمع إذ أطاعا أبا جهل لأهمما المبول
وافلت حارث لما شغلنا بأشر القوم أسرته فليـل
وقال حسان بن ثابت أيضاً:

الآن مبلغ عني أياً لقد أثبتت في سحر السعير
تُمنى بالضلالة من بعيد وتقيم إن قُذرت مع النذور
تُميتك الأماني من بعيد وتقول الكفر يرجع في غرور
فقد لأفك طمعة ذي جفاظ كريم البيت ليس بلني فجور
له فضل على الأحياء طُراً إذا نابت ثلثات الأمور

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٥/٢]: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى قم الشعب، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً عفافة ولم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: «اشتد غضب الله على من دعى وجهه نيه».

ولقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٦/٢]: فبينما رسول الله ﷺ في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل.

قال ابن هشام: فيهم خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه لا يتبني لهم أن

يغلزوا». فقاتل عمر بن الخطاب وروبط معه من المهاجرين حتى أبطوهم من الجبل، ونهض النبي ﷺ إلى صخرة من الجبل ليلوها وقد كان بذن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها.

فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: «أولجبت طلحة» حين صنع برسول الله ﷺ يومئذ ما صنع.

قال ابن هشام [سيرة: ٨٧/٢]: وذكر عمر مولى غفرة: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصى المسلمون خلفه قمرأ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٢/٢]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتى لا يدري من هو يقال له: قزمان، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له: «إنه لمن أهل النار» قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس فأتته الجراحة، فاحتل إلى دار بني ظفر قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه.

ولقد ورد مثل قصة هنا في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله.

قال الإمام أحمد [٣٠٩/٢]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن المسيب عن أبي هريرة قال: شغلنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال لرجل من يدي الإسلام: «هنا من أهل النار».

فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً فأصابته جراحة فقتل: يا رسول الله الرجل الذي قلت: «إنه من أهل النار» فإنه قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات فقال النبي ﷺ: «إلى النار» فكاد بعض القوم أن يرتاب فينما هم على ذلك إذ قيل: فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «والله أكبر، أشهد أنني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالا فنادى في الناس «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». وأخرجاه في الصحيحين [٣٠٦٢، ٣٠٦٢] م (١١١) من حديث عبد الرزاق به.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٨٨/٢، ٨٩]: وكان ممن قتل يوم أحد غريق وكان أحد بني ثعلبة بن القيطون فلما كان يوم أحد قال: يا معشر يهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت. قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعذته وقال: إن أصبت فمالي ل محمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قُتل. فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: «مغريق خير يهود».

قال السهيلي [الروض الأنف: ص ٧٦]: فجعل رسول الله ﷺ أموال غريق - وكانت سح حوائط - أوقافاً بالمدينة.

قال محمد بن كعب القرظي: وكانت أول وقف بالمدينة.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٠/٢]: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصل قط، فلما لم يعرفه الناس سأله من هو؟ فيقول: أصبم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش، قال الحصين: فقلت لعمود بن لبيد: كيف شأن الأصبر؟

الحرب سجال، يوم يوم بدر، اهل هبل (أي أظهر دينك)، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «قُمْ يا عمر فأجبه قتل: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلتنا في الجنة وقاتلكم في النار» فقال له أبو سفيان: هلم لي يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أنته فانظر ما شأنه». فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا؟ فقال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال: أنت عني أصدق عني من ابن قنعة وأبر.

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٣١٣): ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتالكم مثل، والله ما رضيت وما سخطت، وما نهيت ولا أمرت. قال: ولما انصرف أبو سفيان نادى: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل: نعم هو بيننا وبينك موعده».

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتنطوا الإبل فأنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة. والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل وامتنطوا الإبل ووجهوا إلى مكة.

سنة ٣- دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد

قال الإمام أحمد (٤٢٤/٣): حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقني عن أبيه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استأثروا حتى أتيي على رسي عز وجل» فصاروا خلفه صفواً فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قربت. اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الحزوف. اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين وأخينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون ورسلك ويضلون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق».

ورواه النسائي في اليوم والليلة (١٠٤٤٥) عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه.

سنة ٣- تمثيل قریش بمحزمة ومقتل سعد بن الربيع

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٣١٣، ٣١٤): وفرغ الناس لقتالهم فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَقَى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا. فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق، قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن

قال: كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل ياتسون قتالهم في المعركة إذا هم به فقالوا: والله إن هذا للأصيرم ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمكر لهذا الحديث فسالوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام آمنت بالله وبرسوله واسلمت ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث أن مات في أيديهم فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لَوْنُ أَهْلِ الْخِنْدَةِ».

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٩٠/٢، ٩١): وحدثني أبي عن أشياخ من بني سلمة قالوا: كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبه وقالوا: إن الله قد عذرك. فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بني يربعون أن يجسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطا بعرجتي هذه في الجنة فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يريزقه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أحد ﷺ.

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٣١٢): ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاحي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ فيجذعن الأذان والأنوف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وأنوفهم خدماً وقلاداً وأعطت خدمها وقلادها وقرطها وحنياً. وقررت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

وذكر موسى بن عتبة أن الذي يقر عن كبد حمزة وحنى فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فآله أعلم.

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٩١/٢، ٩٢): ثم غلّت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

مَحْسَنُ جَزَنَاتِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سَعِيرٍ
مَا كَانَتْ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ وَلَا أَخِي وَعَمْرٍ وَبِكْرٍ
شَفِيتُ نَفْسِي وَقَفِيتُ نَفْسِي شَفِيتُ وَحْشِي غَلِيلٌ صَدْرِي
فَشَكَرْتُ وَحْشِي عَلَيَّ عُمَرِي حَتَّى تَرَمَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي

قال: فأجابتها هند بنت أئمة بن عباد بن المطلب فقالت: خَرَيْتَ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَابَتْ وَقَاعٌ عَظِيمٌ الْكَفَرِ صَبَحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مَلْهَاشِئِينَ الطُّرُقِ الزُّهَرِ بِكُلِّ قَطْعٍ حُمَامٍ يَفْرِي حَمْرَةٌ لَيْشِي وَعَلَيَّ صَفْرِي إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَابِسُوكَ غَدْرِي فَخَضِبَا مِنْهُ ضَوَاحِي الشُّحْرِ وَنَذَرُوكَ السَّوَةَ فَشَرُّ نَذَرٍ

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٩٣/٢): وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مر بأبي سفيان وهو يضرب في شلق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول: ذق عُقُق. فقال الحليس: يا بني كئانة هذا سيد قریش يصنع بأبن عمه ما تزون لحماً. فقال: ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلة.

قال ابن إسحاق (سوره: ص ٣١٢، ٣١٣): ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أُنْعِمْتَ فَتَعْمَل، إن

عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة.

وهذا غريب وسند ضعيف.

قال السهيلي [الروض الأنف: ٤٧/٦، ٤٨]: ولم يقل به أحد من علماء الأئصار.

وقد قال الإمام أحمد [٤٦٣/١]: حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود قال: إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يُجهِزْنَ على جرحى المشركين فلو حلفت يومئذ رجسوت أن أبرئ: إنه ليس أحد منا يريد الدنيا حتى أنزل الله: ﴿وَيَنْكُرُ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَيَنْكُرُ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ بِتَبْيِيحِكُمْ﴾.

فلما خالف أصحاب رسول الله وعصوا ما أمروا به أورد رسول الله ﷺ في تسعة - سبعة من الأئصار ورجلين من قريش وهو عاشرهم - فلما رهموه قال: فرجم الله رجلاً ردهم عنه! قال: فقام رجل من الأئصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رهموه أيضاً قال: «رحم الله رجلاً ردهم عنه» فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبه: «ما أتصفنا أصحابنا، فجاء أبو سفيان فقال: اعمل مُبِل! فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجل»، فقالوا: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ثم قال أبو سفيان: يوم يوم بلد، يوم لنا ويوم علينا، ويوم نساء ويوم نسر، حنظلة بحنظلة، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: «لا سواء، أما قتلانا فأحياء يُرزقون ويُتلاكم في النار يُعذبون».

قال أبو سفيان: قد كانت في القوم مثلة وإن كانت لمن غير ملائنا، ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت، ولا سائني ولا سرتني، قال: فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكها فلم تستطع أن تأكلها فقال رسول الله ﷺ: «أأكلت منه شيئاً؟» قالوا: لا، قال «ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار».

قال: فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيء برجل من الأئصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأئصارى وترك حمزة ثم جيء بأخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رفع وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة.

تفرد به أحمد وهذا إسناد فيه ضعف أيضاً من جهة عطاء بن السائب فإله أعلم.

والذي رواه البخاري [٤٠٧٩] أثبت حيث قال:

حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «لهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير له إلى أحدهما قمعه في الحدد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة». وأمر بفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا.

تفرد به البخاري دون مسلم.

ورواه أهل السنن [٣١٣٨، ٣١٣٩]، ت (١٠٣٦)، س (١٩٥٤).

ج (١٥١٤) من حديث الليث بن سعد به.

وقال أحمد [٧٩٩/٣]: حدثنا محمد يعني ابن جعفر حدثنا شعبة سمعت عبد ربه يحدث عن الزهري عن ابن جابر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال في قتلى أحد: «فإن كل جرح أو كل دم فسوح يسكب يوم القيامة». ولم يصل عليهم وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بستين صلاة قبل وفاته يسير كما قال البخاري [٤٠٤٧]:

انظر في الأحياء أنت أم في الأموات فقال: أنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلصت إلى نبيكم ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات قال: فبغت النبي ﷺ فأخبرته خبره.

قلت: كان الرجل الذي التمس سعداً في القتل محمد بن مسلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي [المغازي: ٢٩٩/١، ٢٩٩] وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه فلما قال: إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك أجابه بصوت ضعيف وذكره.

وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب [٥٩٠/٢]: كان الرجل الذي التمس سعداً أي بن كعب فإله أعلم.

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة العقبة ﷺ وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٥/٢، ٩٦]: وخرج رسول الله ﷺ فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده بطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: فلو أن حمزاً صفة وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم! فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرننا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم نمثلها أحد من العرب.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٦/٢]: فحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب، وحدثني من لا أنهم عن ابن عباس أن الله عز وجل أنزل في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الآية. قال: فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة.

قلت: هذه الآيات مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتصق هذا مع هذا فإله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٦/٢]: وحدثني حميد الطويل عن الحسن عن سمرة قال: ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقته حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة.

وقال ابن هشام [السيرة: ٩٦/٢]: ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت قط موقفاً أغيظ إلي من هذا» ثم قال: «جائني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

قلت: ابن هشام: وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أشعوي رسول الله ﷺ من الرضاعة أرضعتهما ثلاثهم ثوية مولاة لبي لهب.

سنة ٣ - الصلاة على حمزة وقلبي أحد

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٧/٢]: وحدثني من لا أنهم عن مقسم عن ابن عباس قال: «أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى

بل تركهم يجرأهم ودمانهم كما روى ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٨/٢] عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صُغَيْر أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتل يوم أحد قال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء ما بين جريح يُجرَح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يُنمِّي جرحه اللون لون دم والريح ريح مسك».

قال: وحديثي عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يجرَح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يُنمِّي اللون لون الدم والريح ريح المسك».

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين (ج ٢٣٧، م ١٨٧٦) من غير هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٢٤٧/١]: حدثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالثهداء أن يتزع عنهن الحديد والجلود وقال: «ادفنوهن بدمائهن ويايهن».

رواه أبو داود [٣١٣٤] وابن ماجه [١٥١٥] من حديث علي بن عاصم به.

وقال الإمام أبو داود في سننه [٣٢١٥]: حدثنا القعني أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر أنه قال: جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا: قد أصابنا قرح وجهد فكيف تأمرنا؟ فقال: «احضروا وأوسموا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد».

قيل: يا رسول الله فأيهم يقدم؟ قال: «أكثرهم قرأتاً».

ثم رواه من حديث الثوري عن أيوب عن حميد بن هلال عن هشام بن عامر فكره وزاد وأعمقوا [د (٣٢١٦)].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٨]: وقد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادفنوهم حيث صرعوا».

وقد قال الإمام أحمد [٣٩٦/٣]: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا عبد الله وعتاب حدثنا عبد الله حدثنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدني حدثني أبي سمعت جابر بن عبد الله يقول: استشهد أبي بأحد فارسلني أخواتي إليه بناضح لمن قتلن: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة. قال: فجئته وأعاون لي فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني فقال: «والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوانه» فدفن مع أصحابه بأحد. تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد [٢٩٧/٣]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الأسود بن قيس عن نبيح عن جابر بن عبد الله: أن قتل أحد حملوا من مكانهم فنادى منادي النبي ﷺ: أن رُودوا القتل إلى مضاجعهم.

وقد رواه أبو داود [٣١٦٥] والنسائي [٢٠٠٤] من حديث الثوري، والترمذي [١٧١٧] من حديث شعبة.

والنسائي أيضا [٢٠٠٣] وابن ماجه [١٥١٦] من حديث سفيان بن عيينة كلهم عن الأسود بن قيس به.

وقال أحمد [٣٩٧/٣، ٣٩٨]: حدثنا عفان حدثنا أبو عروبة حدثنا عن نبيح المعزني عن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال في أبي عبد الله: يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا فإني والله لولا أنسي أترك بنات في بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي قال: فبينما أنا في النظارين إذ

حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا زكريا بن عدي أخبرنا ابن المبارك عن حيوة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبه بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتل أحد بعد ثمانين سنين كالْمَوْعُ للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فَرَطُ وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإنني لأنظرُ إليه من مقامي هذا وإنني لست أخشى عليكم أن تشرکوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها». قال: فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ.

ورواه البخاري في مواضع أخر [١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٨٥، ٦٤٠٢٦، ٦٥٩٠] ومسلم [٢٢٩٦] وأبو داود [٣٢٢٤، ٣٢٢٣] والنسائي [١٩٥٣] من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه.

وقال الأموي: حدثني أبي حدثنا الحسن بن عماره عن حبيب بن أبي ثابت قال: قالت عائشة: خرجنا من السحر فخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نستطلع الخبر حتى إذا طلع الفجر إذا رجل عَجَز يشند ويقول: لبث قليلا يشهد الهيجا حَسَل

قالت: فنظرنا فإذا أسيد بن حضير، ثم مكثنا بعد ذلك فإذا بعير قد أقبل، عليه امرأة بين وسقين قالت: فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح قتلنا لها: ما الخبر؟ قالت: دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَرِيبًا غَنِيًّا» [الأحزاب: ٢٥]. ثم قالت لبعيرها: حل. ثم نزلت، فقلنا لها: ما هذا؟ قالت: أخي وزوجي.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٧/٢]: وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأماها فقتل رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «ألقها فارجمها لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمه إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي. قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه مُثَل بأخي وذلك في الله فما أراضنا ما كان من ذلك لأحسبن ولاصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال: «خُلْ سليلها»، فأتته فنظرت إليه وصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرت.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٧/٢]: ثم أمر به رسول الله ﷺ فُدِّنَ ودفن معه ابن اخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مُثَل به غير أنه لم يقر عن كبده رضي الله عنهما.

قال السهلي [الروض المفيد: ٤٤/٦، ٤٥]: وكان يقال له المَجْدُع في الله. قال: وذكر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دعيا بدعوة فاستجيب لهما فدعا سعد أن يلقي فارسا من المشركين فيقتله ويستلبه فكان ذلك ودعا عبد الله بن جحش أن يلقاه فارس فيقتله ويحصد نفسه في الله فكان ذلك.

وذكر الزبير بن بكار: أن سيفه يومئذ انقطع فاعطاه رسول الله ﷺ عرجونا نصار في يد عبد الله بن جحش سيفا يقاتل به ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار وهذا كما تقدم لعلاشة في يوم بدر.

وقد تقدم في صحيح البخاري [٤٠٧٩] أيضا أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد بل في الكفن الواحد وإنما أخصص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يشق معها أن يحضروا لكل واحد واحدا ويقدم في اللحد أكثرهما أخذًا للقرآن وكان يجمع بين الرجلين المتصاحين في اللحد الواحد كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وبين عمرو بن الجموح لأنهما كانا متصاحين ولم يفضلوا

أربعة من المهاجرين: حمزة وعبد الله بن جحش ومصعب بن عمير وشعسان بن عثمان والباقر من الأنصار وسرد أسماءهم على قبائلهم. وقد استدرك عليه ابن هشام (السيرة: ١٧٢/٢) زيادة على ذلك خمسة آخرين فصاروا سبعة على قول ابن هشام.

وسرد ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٢٧/٢ - ١٢٩) أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً.

وعن عروة كان الشهداء يوم أحد أربعة أو قال: سبعة وأربعين.

وقال موسى بن عقبة: تسعة وأربعون.

قال موسى: وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً.

وقال عروة: تسعة عشر.

وقال ابن إسحاق: اثنان وعشرون.

وقال الربيع عن الشافعي (اللائل للهيتمي: ٢٨٠/٣، ٢٨١): ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي وقد كان في الأسارى يوم بدر فمن عليه رسول الله ﷺ بلا فدية واشترط عليه ألا يقتله فلما أسر يوم أحد قال: يا محمد أمنت علي لبنتي وأعادها أن لا أقاتلك فقال له رسول الله ﷺ: ولا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول: خذعتُ محمدًا مرتين؟ ثم أمر به فضربت عنقه.

وذكر بعضهم (ج: ٦١٣٣)، م (٢٩٩٨) أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» (ج: ٦١٣٣)، م (٢٩٩٨).

سنة ٣- بعض من قُتل في أحد

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٩٨/٢): ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقية حنة بنت جحش كما ذكر لي فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبيكان» لما رأى من تبعتها عند أخيها وخالها وصباحها على زوجها.

وقد قال ابن ماجه (١٥٩٠): حدثنا محمد بن يحيى حدثنا إسحاق بن محمد الفروي حدثنا عبد الله بن عمر عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش عن أبيه عن حنة بنت جحش: أنه قيل لها: قتل أخوك، فقالت: رحمه الله وإننا لله وإننا إليه راجعون. فقالوا: قتل زوجك قالت: واخزناه. فقال رسول الله ﷺ: «إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٩٩/٢): وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله ﷺ بأمرأة من بني ديار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نعاها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خير يا أم فلان هو محمد الله كما تحبين، قالت: أروني حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

قال ابن هشام (السيرة: ٩٩/٢): الجليل يكون من القليل والكثير وهو منها القليل.

قال امرؤ القيس:

يَقْتُلُ بَنِي أَسَدٍ رُبُّهُمْ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ خِلالَ جَنْلٍ

أي صغير وقليل.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٠٠/٢): فلما انتهى رسول الله ﷺ

ما شاء الله أن أصلي وما في الوادي داح ولا حبيب إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي: السلام عليكم. قالت: فسمعت رد السلام علي يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقتني وكما أعرف الليل من النهار فاقشعرت كل شعرة مني.

وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١١٩/٢): عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لَمَّا أَصِيبَ إِخْرَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَمَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَادِ طَيْرٍ خَضِرَ تَرَدُّ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ وَتَاكَلُوا مِنْ ثَمَارِهَا وَتَوَارَى إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلُوقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْرَ مَشْرِبِهِمْ وَمَا كَلِمَهُمْ وَحُسْنِ مَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْرَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نَرْزُقُ لَهَا نَتَكَلَّمُ عَنْ الْحَرْبِ وَلَا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّا بَلَّغْتُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وروى مسلم (١٨٨٧) والبيهقي (اللائل: ٣٠٣/٣) من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. فقال: أما إننا قد سألتنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش» قال: «فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم رُكُّ الطلعة، فقال: سألوني ما شئتم، فقالوا: يا ربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا، فلما راوا أن لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: نسألك أن ترُدَّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا تقتل في سبيلك» قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا.

سنة ٣- عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً.

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري (٣٩٦٨) عن البراء أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً قاله أعلم.

وقال قتادة عن أنس (ج: ٤٠٧٨): قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه كان يقول: يا رب السبعين يوم أحد ويوم بئر معونة ويوم مؤتة ويوم اليمامة.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب: قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم اليمامة سبعون ويوم جسر أبي عبيد سبعون.

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهري ومحمد بن إسحاق في قتلهم أحد (ضم الطوي: ١٦٥/٤، اللال للهيتمي: ٢٧٨/٣، ٢٧٩، سيرة ابن هشام: ١٢٦/٢) ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِيهَا﴾ يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين.

وعن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٢٦/٢) قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون.

وكلامه في السيرة يدل أنه قتل من المسلمين يومئذ خمسة وستون

وسعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن ربيعة فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل ناحية باكية كانت بالمدينة فقالوا: والله لا تبكين قتل الأنصار حتى تبكين هم النبي ﷺ فإنه قد ذكر أنه لا يواكي له بالمدينة.

وزعموا أن الذي جاء بالوفاة عبد الله بن ربيعة فلما سمع رسول الله ﷺ قال: «ما هذا؟» فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال: «ما هذا أزدت، وما أحب البكاء» ونهى عنه.

وهكذا ذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء [الدلائل البيهقي: ٣٠٠/٣، ٣٠١، عن ابن لهيعة، ٥].

قال موسى بن عتبة: وأخذ المناقبون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتخزين المسلمين وظهور غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق فور الرجل وقالت اليهود: لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ولكنه طالب مُلْك تكون له الدولة وعليه، وقال المناقبون مثل قولهم وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعمونا ما أصابكم الذي أصابوا منكم فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نفاق وتزوية المسلمين يعني فيمن قُتل منهم فقال: «وَإِذْ عَوَّدْتُمُ الْمُنَافِقِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [آل عمران: ١٢١] الآيات كلها كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمثلة.

سنة ٣- خروج النبي ﷺ وأصحابه في ملاحقة سفیان

قال موسى بن عتبة بعد اقتصاصه وقصة أحد وذكره رجوعه عليه السلام إلى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله ﷺ فسأله عن أبي سفیان وأصحابه فقال: نازلهم فسمعتمهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكة القوم وحدثهم ثم تركوهم ولم تبتروهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فأمر رسول الله ﷺ - وأصحابه وبهم أشد القرح - بطلب العدو ليسمعوا بذلك وقال: «لا يُطْلَقَنَّ معي إلا من شهد القتال». فقال عبد الله بن أبي: أنا راكب معك. فقال: «لا»، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء فانطلقوا. فقال الله في كتابه العزيز: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» [سورة آل عمران: ١٧٢].

قال: وأذن رسول الله ﷺ لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته، قال: وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد.

وهكذا روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير سواء [الدلائل البيهقي: ٣١٣/٣، من طريق ابن لهيعة، ٥].

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه [سيرة ابن هشام: ١٠١/٢]: وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه ألا يخرج من أحد إلا من حضر يومنا بالأسس، فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له.

قال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهبا للعدو ليلفهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يؤههم من عدوهم.

قال ابن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن هشام: ١٠١/٢]: فحللني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن

إلى أهله ناول سيفه ابته فاطمة فقال: «اغسلي عن هنا دمه يا بنية»، فوالله لقد صدقتني في هذا اليوم» وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا فاعسلي عنه دمه فوالله لقد صدقتني اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدقتك معك سهل بن حنيف وأبو دجانة».

وقال موسى بن عتبة في موضع آخر [الدلائل البيهقي: ٢١٥/٢]: ولما رأى رسول الله ﷺ سيف علي غضبا بالدماء قال: «لئن كنت أحسنت القتال لقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف».

وروى البيهقي [الدلائل: ٢٨٣/٣، ٢٨٤] عن سفیان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحى فقال لفاطمة: هاك السيف حينما فيها قد شفتني، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت أجذت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة».

قال ابن هشام [السيرة: ١٠٠/٢]: وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار.

قال: وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجیح قال: نادى مناو يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

قال: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لا يصيب المشركون منا مثلهما حتى يفتح الله علينا».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٩٩/٢]: ومَرَّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والناوح على قتلاهم فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «لكن حمزة لا يواكي له».

فلما رجع سعد بن معاذ وأمسد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيكين على عم رسول الله ﷺ.

فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهم على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يكين فقال: «ارجعن ترحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن».

قال: ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح فيما قال ابن هشام، وهذا الذي ذكره ابن إسحاق منقطع ومنه مرسل.

وقد أسنده الإمام أحمد [٤٠/٢] فقال: حدثنا زيد بن الحبيب حدثني أسامة بن زيد حدثني نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد فجعل نساء الأنصار يكين على من قُتل من أزواجهن قال: فقال رسول الله ﷺ: «ولكن حمزة لا يواكي له» قال: ثم نام فاستبه وهن يكين قال: «فهن اليوم إذا يكينن يتبنن حمزة».

وهنا على شرط مسلم.

وقد رواه ابن ماجه [١٥٩١] عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ مرَّ بنساء بني عبد الأشهل يكينن مَلَكًا من يوم أحد فقال رسول الله ﷺ: «لكن حمزة لا يواكي له» فجاء نساء الأنصار يكين حمزة فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «وتيهنن ما أقلن بعد؟» فزهرن فليقلن ولا يكينن على هالك بعد اليوم».

وقال موسى بن عتبة: ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور قال: «ما هذا؟» قالوا: هذه نساء الأنصار يكين قتلاهم فقال: «لكن حمزة لا يواكي له» واستغفر له فسمع ذلك سعد بن معاذ

اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ».

تفرد بروايته البخاري.

وقد قال البخاري [٤٠٧٧]: حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» قالت لمروة: يا ابن أخي كان أبواك منهم؛ الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال: «مَنْ يَنْعَبُ فِي أَثَرِهِمْ؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير.

هكذا رواه البخاري.

وقد رواه مسلم مختصراً [٢٤١٨] من أوجه عن هشام.

وهكذا رواه سعيد بن منصور [السنن (٥٤٥)] وأبو بكر الحميدي [مسنده (٢٦٣)] جميعاً عن سفیان بن عيينة. وأخرجه ابن ماجه [١٢٤] من طريقه عن هشام بن عروة به.

ورواه الحاكم في مستدركه [٢٩٨/٢، ٢٩٨/٣] من طريق أبي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به.

ورواه من حديث أبيه عن عروة وقال في كل منهما: صحيح ولم يخرجاه.

كذا قالوا وهذا السياق غريب جداً فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقيون.

وقد روى ابن جرير [تفسيره: ١٧٧/٤] من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف في قلب أبي سفیان الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة فيتلون بيدر الصفري في كل سنة مرة وإنهم قلموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المسلمين القرع واشتكا ذلك إلى رسول الله ﷺ واشتد عليهم الذي أصابهم وإن رسول الله ﷺ ندب الناس ليطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال: «إِنَّمَا تَرْحَلُونَ الْآنَ فَيَأْتُونَ الْحَجَّ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى عَامٍ قَابِلٍ» فجاء الشيطان يخوف أوليائه فقال: إن الناس قد جمعوا لكم فاذهب عليهم الناس أن يتبعوه فقال: «إِنِّي ذَاهِبٌ وَإِن لَمْ يَتَّبِعْنِي أَحَدٌ» فالتفت مع أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفیان حتى بلغوا الصفراء فارتل الله: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ».

وهذا غريب أيضاً.

وقال ابن هشام [السيرة: ١٠٤/٢]: حدثنا أبو عبيدة: أن أبا سفیان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة فقال لهم صفوان بن أمية: لا تفعلوا فإن القوم قد حاربوا وقد خشيتم أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا، فقال النبي ﷺ وهو بمجرأ الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سُمِّتُ لَهُمْ حِجَارَةً لَوْ صَبَحُوا بِهَا لَكُنُوا كَأَسَنِ النَّاهِبِ» قال: وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس جد عبد الملك بن مروان لأمة عائشة بنت معاوية وأباً عزة الجمحي وكان رسول الله ﷺ قد أسره بيدر ثم من عليه فقال: يا رسول الله أقتني،

رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريمين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة تركبها وما منا إلا جريح قليل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عتبة ومشي عتبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٠١/٢، ١٠٢]: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن هشام [السيرة: ١٠٢/٢]: وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٠٢/٢، ١٠٣]: حدثني عبد الله بن أبي بكر ابن معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عينة نصح لرسول الله ﷺ بهتامة صفقهم معه لانيخسون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك مر برسول الله ﷺ وهو بمقيم بمجرأ الأسد فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله ﷺ بمجرأ الأسد حتى لقي أبا سفیان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: أصبنا خذ أصحابنا وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغ منهم. فلما رأى أبو سفیان معبداً قال: ما وراك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ونعدوا على ما صنعوا، فيهم من الحق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل شأفتهم، قال: فإني أنهلك عن ذلك، والله لقد حلني ما رأيت على أن قلت فيه آياتاً من شعر. قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلي إذ سالت الأرض بالجرود الأبايل
تري بأشد كرام لا تابلية عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عشواً أظن الأرض مائلة لما سحوا برئيس غير غنول
فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم إذا تقطعت الطحاة بالجيل
إني نذير لأهل البشل ضاحية لكل ذي إرسة منهم ومعقول
من جيش أحد لا تخش قنابله وليس يوصف ما أنشئت بالقليل
قال: فتى ذلك أبا سفیان ومن معه.

ومر به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: المدينة، قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؟ قال: فهل أنتم مبلغون عني عمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إليكم هذه غداً زيباً بكماظ إذا وائتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وائتموها فآخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابنا لنستأصل بقيتهم.

فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بمجرأ الأسد فآخبروه بالذي قال أبو سفیان، فقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ». وكذا قال الحسن البصري.

وقد قال البخاري [٤٠٦٣]: حدثنا أحمد بن يونس أراه قال: حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ» قالوا إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ».

قال: «لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين»،
اضرب عقه يا زبير، فضرب عقه.

قال ابن هشام [السيرة: ١٠٤/٢، ١٠٥]: ويلغني عن ابن المسيب أنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جَحْرِ مَرَّتَيْنِ، اضرب عقه يا
عاصم بن ثابت» فضرب عقه.

وذكر ابن هشام [السيرة: ١٠٤/٢، ١٠٥] أن معاوية بن المغيرة بن
أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاث فيحث إليه رسول
الله ﷺ بعدما زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال: «سَتَجِدَانِي فِي مَكَانٍ
كَذَا وَكَذَا فَاتَّكَاهُ» ففعلوا رضي الله عنهما.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٠٥/٢]: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى
المدينة كان عبد الله بن أبي كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا
يتكر له شرفاً في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفاً إذا جلس رسول الله
ﷺ يوم الجمعة وهو يحيط الناس قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله
بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعُزُّوه واسمعوا له
واطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل
ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون يشابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي
علو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى
رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشد أمرو. فلقبه
رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك مالك؟ قال: قمت أشد
أمرو فوثب إلي رجال من أصحابه يجذبوني ويمتقونني لكأنما قلت بُجراً أن
قمت أشد أمرو. قالوا: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ. قال:
والله ما ابتغي أن يستغفر لي.

ثم ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٠٦/٢ - ١٢١] ما نزل من
القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ
أَهْلِكَ ثُبُورَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:
١٢١] قال: إلى تمام ستين آية، وتكلم عليها، وقد بسطنا الكلام على ذلك
في كتابنا التفسير بما فيه كفاية.

ثم شرع ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٢/٢ - ١٢٧] في ذكر
شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت
عادته فذكر من المهاجرين أربعة حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن
جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ومن الأنصار إلى تمام خمسة
وستين رجلاً. واستدرك عليه ابن هشام [السيرة: ١٢٧/٢] خمسة أخرى
فصاروا سبعين على قول ابن هشام. ثم سمي ابن إسحاق [سيرة ابن
هشام: ١٢٧/٢ - ١٢٩] من قتل من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً
على قبائلهم أيضاً.

قلت: ولم يؤخر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي كما ذكره
الشافعي [الدرر للبيهقي: ٢٨٠/٣، ٢٨١، عن الربيع به] وغيره وقتله
رسول الله ﷺ صبراً بين يديه أمر الزبير - ويقال عاصم بن ثابت بن أبي
الأقلح - فضرب عقه.

سنة ٣- ما قال المؤمنون والكفار من شعر وقعة أحد

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ليكون أبلغ في
وقتها في الأسماع والأنفام وأقطع لشبهة الكفرة الطغاة.

قال الإمام محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٢٩/٢ - ١٣١] رحمه

الله: وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي
وهو على دين قومه من قريش فقال:

ما بال هم عبيد بات يطرقي
باتت ثعالبني هند وتغلني
والحرب قد شغلت عني موالها
ما قد علمت وما إن لست أخفيها

مهلاً فلا تغلني إن من خلقي
مساعف لبني كعب بما كلفوا
وقد حملت سلاحي فوق مُشْرِفٍ
كأنه إذ جرى غير يندفني

من آل عرج رباح الندى له
اعدته ورقاق الحدة متخلاً
هنا ويضاه مثل النهي مُحْكَمَةً
سُفناً كنانة من اطراف ذي يمن

قالت كنانة أنى تلعبون بنا؟
نحن الفوارس يوم الجمر من أحد
هابوا ضراباً وطناً صادقاً خلباً
نُفْتُ رُخاً كأنها عارض برّد

كان هامهم عند الوغى قلن
أو حظل دعدته الريح في غصن
قد نبلك المال سحاً لا حاب له
وليلة من جُمادى ذات أنديّة

وليلة يصطلي بالفرث جازوها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة
أوقدت فيها لذي الضراء جاحة
أورثني ذلكم عمر ووالده

كانوا يسارون أنواء النجوم فما
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٣١/٢، ١٣٢]: فأجابه حسان بن ثابت
ﷺ فقال - قال ابن هشام: وتروى لكعب بن مالك وغيره.

قلت: وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم:
سُتِمَ كنانة جهلاً من سفاهتكم
أوردتموها حياض الموت ضاحية
جتموهم أحياشاً بلا حسيب

الآ اعتبرتم بحيل الله إذ قلت
كم من أسير فككنة بلا ثمن
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٣٢/٢ - ١٣٥]: وقال كعب بن مالك

يجب هبيرة بن أبي وهب المخزومي أيضاً:
ألا هل أنى غسان عنا وفوتهم
من الأرض خرق سيرة متنعج
صحارى وأعلام كان تاتنها
من اليمى نفع هامد متقطع
تظل به السيل العراميس رُوحاً
ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلسو صليها
كما لاخ كان التجار الموضع

به العين والأرام بمشعين خيلفةً ويسهر نعام فيفقه بفلسع
مُجَالَسًا عَنْ دَيْتَا كُلِّ فُخْمَةٍ مُذْرِئَةٍ فِيهَا الْقَوَائِسُ تَلْسَعُ
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصُّوَانِ كَانَهَا إِنْ لُبَّتْ نَهْيُ مِنَ الْمَاءِ مُتَرَعُ
وَلَكِنْ يَبْدُو سَائِلُوا مِنْ لَقِيْتُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءُ بِالغَيْبِ تَضَعُ
وَأَنَا بَارِضُ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سِوَانَا لَقَدْ أَجْلَوْا بَلِيلَ فَاتْنَعُوا
إِذَا جَاءَ مِنْهَا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَجْدُوا لِمَا يَرْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَهَمُّهُمَا يَهْمُ النَّاسِ مِمَّا يَكِيدُنَا فَخَنَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ الرِّئْثَةُ قَدْ أَعْطَوْا بَدَأَ وَتَوَدَّعُوا
نُجَالِدُ لَا تَقْصِي عَلَيْنَا قِيْلَةً مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْطَعُوا
وَلَمَّا ابْتَدَا بِالْعِرْضِ قَالَتْ سُرَاتُنَا عَلَامُ إِنْ لَمْ نَمْنَحِ الْعِرْضَ نَزَرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَنْجِعُ أَمْرُهُ إِنْ قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا تَطْلُعُ
تَدْنَى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَسْمِهِ يَنْزِلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُوقِعُ
نُشَاوَرُهُ فِيمَا نَرِيدُ وَقَصْرُنَا إِنْ مَا اشْتَهَى أَنَا نَطْلِعُ وَنَمْنَحُ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَلُوا لَنَا ذَرُوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَيِّتَاتِ وَاطْمَعُوا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرَأُ إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُوجِسُ
وَلَكِنْ خَلُّوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ الْأَمْرُ لِلَّهِ أَجْمَعُ
فَمِيزْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رَحَالِهِمْ ضُحِيًّا عَلَيْنَا الْيَهْفُ لَا تَخْشَعُ
بَلْمُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا إِنْ أَضْرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوْرُعُ
فَجَعَلْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَةً أَحْيَيْشُ مِنْهُمْ خَاسِرٌ وَمُقْتَعُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَلَحْمٌ نَصِيْةٌ ثَلَاثُ مِائَةٍ إِنْ كُنْزْنَا وَارْبَعُ
نُفَارُهُمْ تَجْمِرِي الْمَيْتَةَ يَتَا نَشَارُغُهُمْ حَوْضُ الْمَنَاطِي وَنُشْرَعُ
تُهَادِي قَسِي الثُّبُعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَشْرِي الْمَقْطَعُ
وَنُجُوفَةٌ حَرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ يُنْزَلُ عَلَيْهَا السَّمَاءُ سَاعَةً تُصْنَعُ
تُصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً قَرَّ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تَقْمَقُ
وَعَبِلَ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَانَهَا جِرَادٌ مَبَا فِي قَسْرَةٍ يَتَرَعُ
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرُّوحَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حُهُ اللَّهُ مَدْفَعُ
ضُرَرِنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سُرَاتِهِمْ كَلْبُهُمْ بِالْقَضَاعِ خُشْبٌ مَصْرَعُ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَقْبَحْنَا عَشِيَّةً كَانَتْ ذَكَانَا حَرٌّ نَارٍ تَلْفَعُ
وَرَاوَحُوا سِيرَاعًا مُوجِعِينَ كَانَهُمْ جِهَامٌ قَرَأَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مَقْلَعُ
وَرَحْنَا وَانْخَرَاتْنَا بِطَاءٍ كَانَتْهَا أَسْوَدُ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةٍ ظَلُّعُ
قَلْبُنَا وَتَالَ الْقَوْمُ مِنْهَا وَرِمَا فَعَلْنَا، وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَالَهُمْ وَقَدْ جَعَلُوا كُلُّ مِنَ الشَّرِّ يَشْعُ
وَلَحْنُ أَنْسَانٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَّ يَنْعَسُ
جَلَاةٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ
بُنُو الْحَوْبِ لَا نَبْيَا بِشَيْءٍ تَقُولُهُ وَلَا لَحْنٌ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
بُنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَرْنَا فَلَمَّا بَفَحْشٍ وَلَا لَحْنٌ مِنْ أَفْطَارِهَا تَوَجَّعُ
وَكُنَّا شَهَابًا يَتَقَشَّى النَّاسُ حَرَّهُ وَيَفْرُجُ عَنْهُ مِنْ يَلِيهِ وَيَمْنَعُ
فَخَرَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ نُبْجَعُ

فَلَنْ عَنْكَ فِي عَلِيٍّ مَقْدُ وَغَيْرَهَا مِنْ النَّاسِ مِنْ آخِرَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ
وَمَنْ هُوَ لَمْ يَتْرَكْ لَهُ الْحَرْبَ مَفْخَرًا وَمَنْ خَدَّ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَضْرَعُ
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالتَّصَرُّ شَدَّةً عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ شُرْعُ
تَكْبُرُ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فَرَوْغَهَا عَزَلِي مَزَادَ مَاؤَهَا يَتَهَرَّجُ
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ اللُّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ بِذِكْرِ اللُّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا بَدَأَ وَتَخَافُوا إِبْنُ اللَّهِ إِلَّا أَمْرُهُ وَهُوَ أَصْنَعُ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ١٣٦/٢، ١٣٧]: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أَحُدَ وَهُوَ يَوْمُ مَدَنٍ مَشْرُوعُ:

يَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَسَمِعْتَ قَوْلِي إِنْمَا تَطْلُقُ شَيْئًا قَدْ فُضِّلَ
إِنْ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَنِي وَكَلَّا ذَلِكَ وَجْهَ وَقِيلَ
وَالْعِيَّاتُ خِيَّاسٌ بَيْنَهُمْ وَمَوَاةٌ قَبْرٌ مُشْرِ وَمُضِلُّ
كُلِّ عَيْشٍ وَنَيْمٍ زَائِلٌ وَنَبَاتُ الدَّهْرِ يَلْمَعُ بِكُلِّ
أَبْلَغْنِ حَانَ عَيْيَ آيَةٍ قَفْرِضُ الشَّعْرِ يَشْفِي فَالْغُلُّ
كَمْ تَرَى بِالْجَزْءِ مِنْ جُمُجَةٍ وَأَكْفُ قَدْ أَتَرْتُ وَرَجُلُ
وَسَرَايِلُ حَنَانٍ شُرَيْتٍ عَنْ كَمَا أَهْلَكُوا فِي الْمَنْزِلِ
كَمْ تَقْلَنَا مِنْ كَرِيمٍ سَبِيٍّ مَاجِدِ الْجُنَيْنِ وَمَقْدَامٍ بَطْلِ
صَادِقِ النُّجْدَةِ قَسْرَمُ بَارِعِ غَيْرِ مَلَنَاتٍ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ
فَلِ الْمَهْرَاسِ مَا سَاكَنَ بَيْنَ اقْتِحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَبْلِ
لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُو شَهْدَا جَزَعُ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ
حِينَ حَكَّتْ بِقَبَاءٍ بَرَكْهَا وَاسْتَحْرَ الْقَتْلُ فِي عِبْدِ الْأَسْلِ
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُمُ رَقَصًا رَقَصَ الْحَفَّانِ يَلْعُو فِي الْجَبْلِ
فَقَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاغْتَدَلِ
لَا الْيَوْمَ الْفَتْسُ إِلَّا لَانْسَا لَوْ كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْفَتَقِلَ
بَسِيفِ الْمَنْدِ تَعْلُو هَاتِهِمْ غَلَّا تَعْلُوهُمْ بِعَدِّ نَهْلِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ [سورة ابن هشام: ١٣٧/٢، ١٣٨]: فَاجَابَهُ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ
ذَهَبَتْ بِأَبْنِ الزُّبَيْرِ وَقَعَةٌ
وَلَقَدْ نَلْنَمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ
نُخْرُجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ
إِذْ تَوَلَّوْنَ عَلَيَّ أَعْقَابَكُمْ
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً
بِخَطَائِلِ كَأَنَّافِ الْمَلَا
ضَاقَ عَنَا الشُّعْبُ إِذْ نَحْزَعُهُ
بِرَجْسَالٍ لَسْتُمْ أَشْهَالُهُمْ
وَعَلُونَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالثَّقَى
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَاسٍ مِنْهُمْ
وَتَرَكْنَا فِي قَرْيَتِي عَوْرَةً

كَانَ مِنَ الْفَضْلِ فِيهَا لَوْ عَدَلَ
وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا قَوْلُ
حَيْثُ نَهَى عَنْهَا بَعْدَ نَهْلِ
كِلَاحِ الْيَبِّ يَأْكُلُنِ الْعَصَلَ
هَرَبًا فِي الشُّعْبِ أَشْبَهُ الرُّسُلِ
فَاجْتَأَسْنَا إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
مَنْ يَلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ
وَمَلْنَا الْقَرْطَ مِنْهُ وَالرُّجُلُ
أَبْدُوا جَبْرِيْلَ نَصْرًا فَتَزَلُ
طَاعَةُ اللَّهِ وَتَصْدِيقُ الرُّسُلِ
وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رَفَلَ
يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثُ الْقَتْلِ

ورسول الله حقاً شاهد في قريش من جموع جُمعوا نحن لا أمثالكم ولقد استبها	يسوم بدر والتبائيل المجل مثل ما يجمع في الخصب المجل نحضر البأس إذا البأس نزل	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
ياف وأرملة تلامح حرب لحرب وهي لاقح يا حمز قد كنت المصاح	ليُنْخاخ أيتام وأض ولما ينوب الدهر في يا فارساً يا يذرها عنا شديداً الخطر	قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
ل وفاك مدرهنا المتناخ عُد الشريرون المحجاج سبط اليلين أغر واضع ذو علة بالجلل أنسج	ذكرتني أسد الرسو عنا وكان بعد إذ يعلمو القمقام جهرة لا طلائش رعش ولا	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
رأ منه سيب أو منادح لظ والتبيلون المراجع تبي ما يصفقهن ناضح من شحمه شطَب شرائع	أودى شباب أبي الحفا الطعمون إذا المشا لحم الجلال وفوقه ليدافعوا عن جوارهم	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
ما رام ذو الضئيل المكاشع خاهم كاتهم المصايح رفعة خضارمة مصاح أموال إن الحمد رابع	لغسي لشبان رز شم بطارقة غطا المشرون الحمد بال والجمازون بلجهم	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
يوماً إذا ما صاح صائح قر من زمان غير صالح يرسمن في غير صحاصح ركب صلورهم رواشح	ما إن تزال ركابه راحت تبارى وهو في حتى تؤوب له العا يا حمز قد أوحنتني	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
كالعود شذبه الكوافح المكسور والصنفائح تلك إذا جاد الفرح ضارح بالترب سسوته المماسح	أنكرو إليك وفوقك الترب من جنسك يلتبه فر في واسع يحشونه فماؤنا أنا تقو	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
ل وقولنا برح بوارح أوقع الحدثنان جانح نساء لهلكاتنا التوافح من ذوي السماحة والممادح	فليكننا فليكنك عي القائلين الفاعلي من لا يزال ندى يدي قال ابن هشام [السورة: ١٥٥/٢]: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
له له طوال الدهر مانح قال ابن هشام [السورة: ١٥٥/٢]: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج
وَجَزَعْتَ أَنْ سُلْخَ الشَّيْبِ الْأَغْيُذُ فَهَوَاكَ غَوْرِي وَصَحْوُكَ مَنَجُذُ قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنُذُ أَوْ تَسْتَحْيِي إِنْهَا نَهَاكَ الْمَرْشُدُ	مَالِكُ يَكِي حِزَّةٌ وَأَصْحَابُهُ: طَرَقَتْ هُمُوكَ فَالْقَرَادُ مَهْدُ وَدَعَتْ فَوَاذِكَ لِلْهَوَى ضَمْرَةٌ فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادراً وَلَقَدْ نَسَى لَكَ أَنْ تَسْأَلَ طَانِعاً	قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٣٨/٢، ١٣٩] وقال كعب يكي حزة ومن قتل من المسلمين يوم أحد رضي الله عنهم: ونكتت نكتى تذكر تلجج أحاديث في الزمن الأعرج من الشرق والحزن المتفرج كرام الماخيل والمخرج لواء الرسول بندي الأعرج جبعاً بنو الأوس والخزرج على الحق ذي النور والمنهج ومضون في القسطل المرمج إلى جنبه دوحه المصولج على ملأه الله لم يخرج بندي هبة صارم سُلجج يرير كالجلجل الأدمج تلهب في اللهب الموهج وحظلة الخير لم يخرج إلى منزل ناخر الزبرج من النار في الدرك المرتجج

ولقد مُدِدَتْ لِقَدْحِ حِزْزَةِ هَذِهِ وَلَوْ أَنَّهُ فَجَعَتْ حِجْرَاءَ يَمْلُكُهُ قَرْنَمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ وَالْعَافِرِ الْكُومِ الْجِلَادَةِ إِنْ غَدَتِ وَالشَّارِكِ الْقِرْنِ الْكَمِيِّ عَمْدَلًا وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ عَمُّ النَّبِيِّ عَمَلٌ وَصَفِيَّةُ وَاتَى الْمَيْتَةَ مُؤَلِّمًا فِي أَسْرَةٍ وَلَقَدْ إِخْلَالَ بِذَلِكَ هِنْدًا بَشَّرَتْ عَمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقْلِ قَوْمَهَا وَيَبْرُ بِلْدٍ إِذْ يَرُدُّ وَجْهَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سِرَاتِهِمْ فَأَتَانِ بِالْفُطْنِ الْمُطْمَنِّ مِنْهُمْ وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً وَأَمِيَّةُ الْجَحْشِيِّ قَوْمٌ تَلَّيْهُ قَاتِلَاكَ فَلِلْمُشْرِكِينَ كَانَهُمْ شَتَانٌ مِنْ هُوٍ فِي جَهَنَّمَ ثَالِيًا

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٢/٢، ١٦٣): وقال عبد الله بن ربيعة يبيكي حزمة وأصحابه يوم أحد.

قال ابن هشام: وأشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك فأنشده: وما يغني البكاء ولا العويل
أحزرة ذاكم الرجل القليل
هناك وقد أصيب به الرسول
وأنت الماجد البر الوصول
مخالطها نعيم لا يزول
فكل فمالك حسن جميل
بامر الله ينطق إذ يقول
فبعد اليوم فائسة تدول
وقاتلنا بها ينشفي الغليل
غداة أتاكم الموت العجيب
عليه الطير حائمة مجبول
وشية فضة السيف الصقيل
وفي حيزومه لذئ نيل
ففي أسافنا منها فلول
فأتت الوالد المبرى المبول
بمحمزة إن عزمكم ذليل

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٧/٢): وقالت صفية بنت عبد المطلب يبيكي أخاها حزمة بن عبد المطلب وهي أم الزبير عمة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين:

ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعُدُ
لَرَأَيْتُ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
حَيْثُ النِّبْوَةُ وَالنَّدَى وَالسَّوْدُ
رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ
يَوْمَ الْكَرْبَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
خَوْ لِبَدَةِ شَيْئِ الْبَرَاءِ أُرِيدُ
وَزَّذَ الْجِمَامِ فَطَلَبَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُشْتَهَدُ
لَتُعَيِّتَ دَاخِلَ غَضَّةٍ لَا تَبْرُدُ
يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
جَبْرِيلُ نَحْتُ لَوَاتِنَا وَعَمْدُ
قَمِينٍ يَقْتُلُ مِنْ نَشْأَةٍ وَتَطْرُدُ
سَبْعُونَ غُبَّةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رِشَاشٌ مَزِيدُ
عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مَهْدُ
وَالْحَبِيلُ تَقْنَهُمْ نَعَامُ شَرْدُ
أَبْدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ خَلْدُ

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٧/٢، ١٦٨): وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان يبيكي زوجها:

يَا عَيْنُ جُودِي بَغِيضٌ غَيْرَ لِبَاسٍ
عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ لِبَاسٍ
صَعْبٌ الْبَدِيَّةِ مَيِّمُونَ تَقِيَّتُهُ
حَالُ الْوَيْلَةِ رَكَابِ أَنْفَاسٍ
أَتَوَلَّى لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزْعًا
أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعَمِ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ بَجَالُهُ
لَا يُعِيدُ اللَّهُ مِنْهَا قَرَبَ شَمَاسٍ

قال: فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزبها فقال:

أَقْنَى حِمَاكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ
فَأَمَّا كَانَ شَمَاسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَيْتُهُ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حِزْمَةُ لَيْثُ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي
فَلَقَا يَوْمَئِذٍ مِنْ كَاسِ شَمَاسٍ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان حين رجعوا من أحد:

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بِلَابِلٍ جُمَّةٌ
وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي
مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ
بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمَنْ أَمَلُ يَثْرَبِ
وَلَكِنِّي قَدْ نَلْتُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ
كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكَبِي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد.

وقد أورد الأموي في مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ولا سيما هنا فمن ذلك ما ذكره لحيان بن ثابت أنه قال: في غزوة أحد فأنشده:

طَاوَعُوا الشَّيْطَانَ إِذْ أَخْرَاهُمْ
مَعَ أَبِي سَفْيَانَ قَالُوا أَعْلَى هَبْلٍ
فَأَجْنَاهُمْ جَمِيعًا كُنَّا
رَبَّنَا الرَّحْمَنُ أَعْلَى وَاجِلٍ
أَتَبَتُوا نُسُوقَكُمْ مَوْرَةً
مِنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ نَهْلٍ
وَأَعْلَمُوا أَنَا إِنْ مَا نَفَعْتُ
عَنْ حِيَالِ الْمَوْتِ قَدْزُ نَشْتَلٍ

وكان هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى والله أعلم.

سنة ٣- ومن الأحداث في هذه السنة

فصل: قد تقدم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرائيا، ومن أشهرها وقعة أحد وكانت في النصف من شوال منها، وقد تقدم بسطها والله الحمد.

وفيها في أحد توفي شهيداً أبو يعلى ويقال أبو عماره أيضاً حزمة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ الملقب بأسد الله وأسد رسوله وكان

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٦٧/٢): وقالت صفية بنت عبد المطلب يبيكي أخاها حزمة بن عبد المطلب وهي أم الزبير عمة النبي ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين:

بأس بالنكاح في شوال والدخول فيه وقد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وأعرس بي فيه. قال: وماتت أم سلمة في ذي القعدة سنة تسع وخسين. رواه البيهقي [الذيل: ٣١٩/٣ - ٢٢٢].

قلت: سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي ﷺ بأم سلمة وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمه في النكاح ومناهب العلماء في ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

سنة ٤ - غزوة الرجيع

قال الواقدي [الغازي: ٣٥٤/١]: وكانت في صفر يعني سنة أربع بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه قال: والرجيع على سبعة أميال من عسفان.

قال البخاري [٤٠٨٦]: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن معمر عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان فتبعوهم بقرب من مائة رام فاتصروا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يربث فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدند وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك. فقاتلوه حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالليل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكثوا منهم حلوا أوتار قسيهم فطروهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر؛ فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا اجتمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحذ بها فاعترته.

قالت: ففتلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذيه فلما رأته فرغت فرعة عرف ذلك مني وفي يده الموصى فقال: اتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.

وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيت ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموت في الحليد وما كان إلا رزقا رزقه الله، فخرجهوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بداً. ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزج

قال: ثم قام إلى عقبه بن الحارث فقتله، وبعث قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيماً من عظماتهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الثبر فحمت من رؤسهم فلم يقدروا منه على شيء.

ثم قال البخاري [٤٠٨٧]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن

رضيع النبي ﷺ هو وأبو سلمة بن عبد الأسد أرضعتهما كلهم ثوية مولا أبي لهب كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه [٢٦٤٥، ٥١٠٠]، م (١٤٤٧)، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل ﷺ فإنه كان من الشجعان الأبطال ومن الصليبين الكبار وقتل معه يومئذ تمام السبعين رضي الله عنهم أجمعين.

قال مصعب الزبيري: ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين كلهم انقرضوا وكان له بنت يقال لها عمارة.

قلت: وهي التي تناولها علي وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فاختصم في حضانتها علي وزيد بن حارثة وجعفر قضى بها النبي ﷺ لخالتها امرأة جعفر وقال: [الحالة بمنزلة الأم] [٤٢٥١].

ولها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية وكان عقده عليها في ربيع الأول منها وبني بها في جمادى الآخرة منها كما تقدم فيما ذكره الواقدي [نفسه ابن جرير: ٤٩١/٢، ٤٩٢ من طريق الواقدي]

ولها قال ابن جرير [الرياسة: ٥٣٧/٢]: ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب. وفيها علقت بالحسين رضي الله عنهم.

سنة ٤ - حوادث ووقائع

في الحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي فانتهى إلى ماء يقال له قطن.

قال الواقدي [الغازي: ٣٤٠/١ - ٣٤٤]: حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد البربري عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً فخرج جرحاً على عضده فأقام شهراً يداوى فلما كان هلال الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة دعاه رسول الله ﷺ فقال: [أخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها] وعقده له لواء وقال: [سر حتى تأتي أرض بني أسد فأخبر عليهم، وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، وخرج معه في تلك السرية خسون ومائة فانتهى إلى أدنى قطن وهو ماء لبني أسد وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد وقد جمعا خلقاً من بني أسد ليقتلوا حرب النبي ﷺ فجاء رجل منهم إلى النبي ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه.

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم فآخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة عماليك وأقبل راجعاً إلى المدينة فأعطى ذلك الرجل الأسدي السني لهم نصيباً وأفرأ من المنعم، وأخرج صفى النبي ﷺ عبداً وخمس الغنيمة وقسمها بين أصحابه ثم قدم المدينة.

قال عمر بن عثمان: فحدثني عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن عمر بن أبي سلمة قال: كان الذي جرح أبي أبو أسامة الجشمي فمكث شهراً يداويه فبرأ فيما نرى وبعثه رسول الله ﷺ في الحرم يعني من سنة أربع إلى قطن فغاب بضع عشرة ليلة، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات ثلاث بقين من جمادى الأولى.

قال عمر: واعتدت أمي حتى خلت أربعة أشهر وعشر ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليال بقين من شوال فكانت أمي تقول: ما

عمرو سمع جابر بن عبد الله يقول: الذي قتل خبيئاً هو أبو سيرة قتل: واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك وله حديث في الرضاع [٢٠٥٢].

وقل: قيل: إن أبا سيرة وعقبة اخوان فالله أعلم. هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من صحيحه قصة أصحاب الرجيع.

ورواه أيضاً في التوحيد [٧٤٠٢] وفي الجهاد [٣٠٤٥] من طرق عن الزمري عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة ومنهم من يقول عمر بن أبي سفيان والمشهور عمرو. وفي لفظ للبخاري [٣٠٤٥]: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأتلع وساق نحوه.

وقل: خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ولذكر كلام ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٦٩/٢، ١٧٣] ليخبر ما بينهما من التنازع والاختلاف على أن ابن إسحاق إمام في هذا الشأن وغير مدافع كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢١٩/١]

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٦٩/٢]: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من غُضَل والقارة فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نقرأ من أصحابك فيقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نقرأ ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب - قال ابن إسحاق وهو أمير القوم - وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأتلع أخو بني عمرو بن عوف وخبيب بن عدي أخو بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضي الله عنهم.

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة.

وكذا ذكر موسى بن عقبة وسامهم كما قال ابن إسحاق.

وعند البخاري [٣٠٤٥] أنهم كانوا عشرة. وعنده إن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأتلع فالله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٦٩/٢، ١٧٠] فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهداة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيل، فلم يزع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشومهم. فأنشدوا أسياهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا تقتلكم.

لما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عهداً أبداً، وقال عاصم بن ثابت:

ما عَلىّ وأنا جَلَدٌ نابلٌ والقومُ فيها وترٌ عنابلٌ
تزلُّ عن صفحها المسابلُ الموتُ حقٌّ والحياة باطلٌ
وكلُّ ما حَمَّ الإله نازلُ بالره والمرء إليه آبل
إن لم أقاتلكم فإني هابل

وقال عاصم أيضاً:

أبو سليمان ورشش المقعد وضالٌّ مثل الجحيم الموقد

إذا النواحي اقترشت لم أرعد ومُجَنَّا من جلد سور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً:

أبو سليمان ومثلي راماً وكان قومي مغشراً كراماً
قال: ثم قاتل حتى قتل وقتل أصحابه.

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليعبوه من سلاقة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قلدت على رأس عاصم لشربن في قحفه الخمر فمئنته الذئب.

هكذا ذكره البخاري [٣٠٤٥] بعد وصول خبيب وزيد بن الدثنة إلى مكة.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق أنسب.

قال: فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فنذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعت: يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته فمئنته الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٧١/٢]: وأما خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق، فلانوا وروقا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليعبوه بها حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبزه بالظهران.

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٧١/٢، ١٧٢]: فابتاع خبيئاً حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأنه ليقتله بأبيه.

قال: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى النعيم وأخرجته من الحرم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أشدك الله يا زيد أحب أن عمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن عمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكه تؤذيه وإنني جالس في أهلي.

قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحبيب أصحاب محمد ﷺ قال: ثم قتله نسطاس.

قال: وأما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله ابن أبي نجيح أنه حدث عن مائة مولاة حجير بن أبي إهاب، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خبيب عندي حبس في بيتي فلقد اطلمت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٧٢/٢، ١٧٣]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح إنهما قالاً: قالت: قال لي حين حضره القتل: ابني لي بمجدة أتظهر بها للقتل. قالت: فأعطيت غلاماً من الحي الموسى فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل البيت فقلت: فوالله إن هو إلا أن ولي الغلام بها إليه فقلت: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل

زاده إلا إيماناً وتسليماً.

وذكر عروة وموسى بن عقبة: أنهم لما رفعوا خبيبا على الخشبة نادوه ينادشونه أحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن ينفذني بشركة يشاكها في قلعة فضحكوا منه.

وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة فوالله أعلم.

قال موسى بن عقبة: زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيبا.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٧٣/٢): وحديثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث قال: سمعته يقول: والله ما أنا قتلت خبيبا لأبي كنت أصغر من ذلك، ولكن ثيا ميسرة أخا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ يدي وبالحرية ثم طعنه بها حتى قتله.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٧٣/٢، ١٧٤): وحديثي بعض أصحابنا قال: كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام، فكانت تصيه غشية وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر وقيل: إن الرجل مصاب، فسأله عمر في قلعة قدمها عليه فقال: يا سعيد ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشي علي فزادته عند عمر خيراً.

وقد قال الأموي: حديثي أبي قال: قال ابن إسحاق: وبلغنا أن عمر قال: من سره أن ينظر إلى رجل نسيج وحده فيلظر إلى سعيد بن عامر.

قال ابن هشام (سورة: ١٧٤/٢): أقام خبيب في أبيلهم حتى انسلخت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

وقد روى البيهقي (الذلال: ٣٢١/٣، ٣٢٢) من طريق إبراهيم بن إسماعيل، حديثي جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية، عن أبيه، عن جده عمرو بن أمية: أن رسول الله ﷺ كان يبعث عينا وحده، قال: جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أعرف العيون، فاطلقت فوقع إلى الأرض، ثم اقتحمت فانتبذت قليلا، ثم التفت فلم أر شيئا، فكأنما ابتلعت الأرض، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

ثم روى ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٧٤/٢) عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما قتل أصحاب الرجيع قال ناس من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكنا لا هم أقاموا في أهلهم ولا هم أقوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَيَرَى النَّاسَ يُنْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٤) وما بعده. وأنزل الله في أصحاب السرية: ﴿وَيَرَى النَّاسَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ زُؤُوفٌ بِالْآيَاتِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٧٦/٢، ١٧٧): وكان مما قيل من الشر في هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا على قتله: - قال ابن هشام: ومن الناس من ينكروا له -:

لقد جمع الأحزاب حربي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع وكلهم مبدي السداوة جاهد علي لائي في وثاق مضيق وقد جمعوا إبنائهم ونساءهم وقربت من جذع طويل منع إلى الله أشكو غربي ثم كرسي وما أروصد الأعداء في عند مصرعي

ثاره يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً رجلاً، فلما ناوله الحليدة أخذها من يده ثم قال: لعمر ك ما خافت أمك غدري حين بعتك بهذه الحليدة لي. ثم خلى سبيله.

قال ابن هشام: ويقال إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا يخيب حتى جاءوا به إلى التميم ليلبسوه، وقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين اتفهما وأحسهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طوكت جزعا من القتل لاستكرت من الصلاة.

قال: فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين.

قال: ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم إننا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدأ ولا تغادر منهم أحداً ثم قتلوه وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه.

فائدة: قال السهيلي (الروض الأوفى: ١٩٢/٦): وإنما صارت الركعتان سنة - يعني عند القتل - لأنها فعلت في زمن النبي ﷺ فأقر عليها واستحسن من صنيعة.

قال: وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي ﷺ.

ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلاً من الطائف واشترط عليه المكاري أن ينزله حيث شاء، فمال به إلى خربة فإذا بها قتل كثيرة، فلما هم بقتله قال له زيد: دعني حتى أصلي ركعتين. فقال: صل ركعتين لطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا. قال: فصلبت ثم جاء ليقبطني فقلت: يا أرحم الراحمين، فإذا صارخ يقول لا تقتله، فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئا، ثم جاء ليقبطني فقلت: يا أرحم الراحمين، فسمع أيضاً الصوت يقول: لا تقتله، فذهب ليلظر ثم جاء، فقلت: يا أرحم الراحمين، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حرية في رأسها شعلة من نار فطعته بها حتى أنقله فوقع ميتاً، ثم قال: لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ولما دعوته في الثالثة أتيتك.

قال السهيلي (الروض الأوفى: ١٩٠/٦، ١٩١): وقد صلاها حجر بن عدي بن الأكبر حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد بن أبيه وفيه: أنه خرج عليه وأراد خلعه، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين، فلما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: أو أنا أمير المؤمنين؟ وأمر بقتله. فصلى ركعتين قبل قتله رحمه الله.

قال: وقد عاتب عائشة معاوية في قتله فقال: إنما قتله من شهد عليه، ثم قال: دعني وحجراً فإني سألقاه على الجادة يوم القيامة. قالت: فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: حين غاب عني مثلك من قومي.

وفي مغازي موسى بن عقبة: أن خبيبا وزيد بن الدثنة قتلا في يوم واحد، وأن رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول: فوعليكما أو عليك السلام خبيب قتله قريش.

وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتوه عن دينه فما

صلى الإله على الذين تَاجَرُوا يوم الرجيع فأكرموا وأثبنا
رأس السرية مرثد وأميرهم وابن الكبير إمامهم وخيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم وافاه ثم جماعه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم كتب للمعالي إنه لكتبوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره حتى يجالده إنه لنجيب
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

سنة ٤- سرية عمرو بن أمية الضمري

على إثر مقتل خبيب

قال الواقدي (والدليل البيهقي: ٣٣٣/٣ - ٣٣٧ من طريق الواقدي: ٢٩) حدثني
إبراهيم بن جعفر عن أبيه وعبد الله بن أبي عبيدة عن جعفر بن عمرو بن
أمية الضمري وعبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن أبي عون (وزاد
بعضهم على بعض) قالوا: كان أبو سفيان بن حرب قد قال لغر من قريش
بمكة: ما أحد يقتال عملاً فإنه يمشي في الأسواق فتدرك ثأرنا. فأتاه رجل
من العرب فدخل عليه منزله وقال له: إن أنت قوتني خرجت إليه حتى
أقتله، فإني هاد بالطريق خربت، معي خنجر مثل خافية النسر. قال: أنت
صاحبنا. وأعطاه بغيراً ونفقة وقال: اطو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا
أحد فينبهني إلى عمده.

قال: قال العربي: لا يعلمه أحد. فخرج ليلاً على راحلته فصار خمساً
وصبح ظهر الحرة صبح سادسه ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى
أتى المصلى فقال له قاتل: قد توجه إلى بني عبد الأشهل فخرج الأعرابي
يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يؤم
رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده. فدخل،
فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إن هذا الرجل يريد غدراً والله
حائل بينه وبين ما يريد». فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له
رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب» فذهب يُجئني على رسول الله ﷺ
كأنه يسأره فجلبه أسيد بن حضير وقال: تنح عن رسول الله ﷺ وجذب
بداخلة إزاره فإذا الخنجر فقال: يا رسول الله هذا غادر فأسقط في يد
الأعرابي وقال: دمي دمي يا محمد. وأخذ أسيد بن حضير يلبيه فقال له
النبي ﷺ: «اصدقني ما أنت وما أقدمك فإن صدقتني فنعك الصلح وإن
كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به». قال العربي: فأتنا آمين؟ قال:
«فأنت آمن». فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له فأمر به فحبس عند
أسيد بن حضير ثم دعا به من الغد فقال: «قد أمتك فاذهب حيث شئت
أخبر لك من ذلك؟» قال: وما هو؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله
وأني رسول الله» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك أنت رسول الله
والله يا محمد ما كنت أفرق من الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي
وضعت نفسي، ثم أطلعت على ما هممت به فما سبقت به الركبان ولم
يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنتك على حق وأن حزب أبي سفيان
حزب الشيطان. فجعل النبي ﷺ يتيسم وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ
فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر.

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن
حريش اخرجوا حتى تأتيا بأبسايفان بن حرب فإن أصبنا منه غرة فاقفلا.

فذا العرش صبرني على ما يراد بي فقد بضغوا لحمي وقد يأسن مطعمني
وذلك في ذات الإله وإن يشا يبارك على أوصال شيلو ثمزع
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عنيائي بين غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لثبت ولكن حذارني جحيم نارا ملقح
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً على أي جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبيل للموت تخشعاً ولا جزعا إني إلى الله مرجعي
وقد تقدم في صحيح البخاري [٣٠٤٥] بيتان من هذه القصيدة وهما
قوله:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشا يبارك على أوصال شيلو ثمزع
وقال حسان بن ثابت يرثي خبيبا فيما ذكره ابن إسحاق [سورة ابن هشام:
١٧٧/٢]:

ما بال عينك لا ترقا مدامعها سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب قسى القتيان قد علموا لا فيسبل حين تلقاه ولا نزع
فأذهب خيباً جزاك الله طيبة وجنة الخلد عند الحور في الرقت
ماذا تقولون إن قال النسي لكم حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قلتم شهيده الله في رجل طام قد أوعث في البلدان والرقن
قال ابن هشام: تركنا بعضها لأنه أقدع فيها.

وقال حسان يهجو الذين غلدوا بأصحاب الرجيع من بني لحيان فيما
ذكره ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٧٩/٢، ١٨٠]:

إن سرّك الغدر صرف لا مزاح له فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
تروم توأصوا بأكل الجوار بينهم فالكلب والقرد والإنسان مثلاًن
لو ينطق النّس يوماً قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شأن

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم
بأصحاب الرجيع رضي الله تعالى عنهم أجمعين:

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرّك أحاديث كانت في خيب وعاصم
أحاديث لحيان صلّوا بقيحها ولحيان جرّامون شرّ الجرائم
أناس هم من قومهم في صنيعهم بمنزلة الزمعان بُرّ القوام
هم غلدوا يوم الرجيع وأسلمت أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسول رسول الله غداً ولم تكن هذيل توفى منكراات المحارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهم يقتل الذي تمعيه دون الحرائم
إبائيل تبّر شمس دون حمه حمت لحم شهاده عظام الملاحم
لعل هذيل أن يروا بمصابه مصارع قلى أو مقاسا إلمات
وتوقّع فيها وقعة ذات صولة يوافي بها الركبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إن رسوله رأى رأي ذي حزم بلحيان عالم
تؤكّلة ليس الوفاء يهتهم وإن ظلموا لم يدفعوا كف ظالم
إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم يجرى سيل الماء بين المخارم
معلم دار البوار ورأيهم إذا نابهم أمر كراي البهائم

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميه في شعره كما
ذكره ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٨٣/٢] رحمه الله تعالى:

وقيل عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر. فإله أعلم والله الحمد.

سنة ٤ - سرية بدر معونة

وقد كانت في صفر منها. وأغرب ماحول رحمه الله حيث قال: إنها

كانت بعد الحندق والفرقة والنايخ: ٣/٣٠٠.

قال البخاري [٤٠٨٨]: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيّان من بني سليم رجل وذكوآن عند بئر يقال لها: بئر معونة فقال القوم: والله ما يراكم أرونا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ فقتلوهم فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقتت.

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه. ثم قال البخاري [٤٠٩٠]: حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك: أن رجلاً وذكوآن وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدّهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كانوا بئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبي ﷺ ففقت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب: على رجل وذكوآن وعصية وبني لحيان.

قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنًا ثم إن ذلك رفع «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا».

ثم قال البخاري [٤٠٩١]: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك: أن النبي ﷺ بعث خاله (أخاً لأم سليم) في سبعين راكباً وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر أو أكون خليفتك أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف فطعن عامر في بيت أم فلان فقال: غلة كغلة البكر في بيت امرأة من آل فلان، اتوني بفرسي. فمات على ظهر فرسه فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان فقال: كونا قريباً حتى أتيتهم فإن آمنوني كنتم قريباً وإن تولوني أتيتهم أصحابكم فقال: اتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يحدّثهم وأومؤوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه - قال همام: أحسبه قال: حتى أنفذه بالرمح فقال: الله أكبر فزرت ورب الكعبة فلفح الرجل فقتلوا كلهم غير الأعرج وكان في رأس جبل فأنزل الله علياً ثم كان من المنسوخ «إننا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً على رجل وذكوآن وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله.

وقال البخاري [٤٠٩٢]: حدثنا حيّان حدثنا عبد الله أخبرني معمر حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك يقول: لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا ففضحه على وجهه ورأسه وقال: فزت ورب الكعبة.

وروى البخاري [٤٠٩٣] عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن هشام بن عروة: أخبرني أبي قال: لما قتل الذين بئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة قال: لقد رأيته بعدلما قتل رفع إلى

قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج فقبلنا بعيرنا وقال لي صاحبي: يا عمرو هل لك في أن نأتي مكة فنتطوف بالبيت أسبوعاً ونصلي ركعتين فقلت: إني أعرف مكة من القرس الأبلق وإنهم إن رأوني عرفوني، وأنا أعرف أهل مكة؛ إنهم إذا أسوا انتجعوا بأنبيئهم. فأبى علي فانطلقنا فأتينا مكة فظننا أسبوعاً وصلينا ركعتين فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية وأخبر أباه.

فندر بنا أهل مكة فقالوا: ما جاء عمرو في خير. وكان عمرو فانكا في الجاهلية. فحشد أهل مكة ونجمعوا وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غاراً فتغيبت عنهم حتى أصبحت وياتوا يطلبونا في الجبل وسمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحتنا فلما كان ضحوة الداء أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يخني لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم: إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد أقصروا عنا فلم يزل ينو من باب الغار حتى أشرف علينا، قال: فخرجت إليه فطعته طعنة تحت الثدي فخنجرني فسقط وصاح فاسمع أهل مكة فأتوا بعد نفرهم ودخلت الغار وقلت لصاحبي: لا تحرك، فأتوا حتى أتوه وقالوا: من قتل؟ قال: عمرو بن أمية الضمري. فقال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأت لخير. ولم يستطع أن يجرهم بمكاننا فإنه كان يأخر رمق فمات وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه فمكنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا فقال صاحبي: يا عمرو بن أمية: هل لك في خبيب بن عدي نزل؟ فقلت له: أين هو؟ قال: هو ذلك مصلوب حول الحرس. فقلت: لهمني ورتج عني فإن خشيت شيئاً فأتني إلى بعيرك فاقعد عليه فات رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني فإني عالم بالمدينة. ثم اشتدّت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثري فطرح الحشيش فما أنسى وقنّها دب - يعني صوتها - ثم أهلت عليه التراب برجلي فأخذت طريق الصفراء فأعبروا ورجعوا وكنت لا أدرك مع بقاء نفسي فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره وأقبلت حتى أشرفت على الغنيم، غميم فوجدنا فدخلت في غار معي قوسي واسهمي وخنجرتي فينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بني الدليل بن بكر أعور طويل، يسوق غنماً ومعزى فدخل الغار وقال: من الرجل؟ فقلت: رجل من بني بكر فقال: وأنا من بني بكر ثم أتكا ورفع عقيرته يخني ويقول:

فلمست بمسلم ما دمْتُ حياً ولست أدبُ دينَ المسلمين
فقلت في نفسي: والله إني لأرجو أن أقتلك. فلما نام قمت إليه فقتلته شر قتلة قتلته أحداً قط ثم خرجت حتى هبطت فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار فقلت: استأسرا فأبى أحدهما فرمته فقتلته فلما رأى ذلك الآخر استأسر فشددته وثاقاً ثم أتيت به إلى النبي ﷺ.

فلما قلمت المدينة أتى صبيان وهم يلعبون وسمعوا أشياخهم يقولون: هذا عمرو؛ فاشتد الصبيان إلى النبي ﷺ فأخبروه وأتته بالرجل قد ربطت إبهامه برتر قوسي فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يضحك ثم دعا لي بخير.

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام رواء البيهقي. وقد تقدم أن عمراً لما أبط خبيلاً لم ير له رمة ولا جسداً فلعله دفن مكان سقوطه والله أعلم.

وهذه السرية إنما استدرکها ابن هشام على ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٣٢/٢ - ٦٣٥] وساقها بنحو من سياق الواقدي لما لكن عنده أن

الأنصاري: لكي لم أكن لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال. فقاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو أسيراً. فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رغبة كانت على أمه فيما زعم.

قال: وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قنساء أقبل رجلاً من بني عامر حتى نزل في ظل هو فيه وكان مع العامرين عهد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية وقد سالهما حين نزل: ممن أنتم؟ قالوا: من بني عامر فأمهلهم حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلها وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره بالخبر فقال رسول الله ﷺ: «لقد قتلتي قتيلاً لا ينبغي» ثم قال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً» فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إظهار عامر إياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره. فقال حسان بن ثابت في إظهار عامر أبا براء ويعرض بني أبي براء على عامر:

بني أم البنين ألم يرُكمم واتم من ذائب أهل نجد
تهكمُ عامر بلأبي براء ليخفوه وما خطاً كتمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحثثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حُكم بين سعد
قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ١٨٨/٢]: أم البنين أم أبي براء وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

قال: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعن في فخذه فأشواه ووقع عن فرسه وقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت فمعي لمعي فلا يُبَيِّن به، وإن أعش فسأرى رأيي.

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق، قال موسى: وكان أمير القوم المنذر بن عمرو. وقيل: مرثد بن أبي مرثد.

وقال حسان بن ثابت يكي قتل بثر معونة - فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله - والله أعلم [سيرة ابن هشام: ١٨٩/٢]:

على قتل معونة فاستلهمي بدمع العين سحاً غير نَزَر
على خيل الرسول غداة لاقوا ولا قنهم ثيابهم بَقَنَر
أصابهم الفناء بعقد قوم تحوُّن عقد حبلهم بفند
فيا لَهْفسي لمنزل إذ تولى وأعسق في منيته بصبر
وكان قد أصيب غداة ذاك من أبيض ماجد من سرِّ عمرو

سنة ٤- غزوة بني النضير

وفي صحيح البخاري [٤٠٢٩، ٤٨٨٣] عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير.

وحكى البخاري [معلقاً قبل (٤٠٢٨)] عن الزهري عن عروة أنه قال: كانت بنو النضير يعد بدو ستة أشهر قبل أحد.

وقد استند ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري به.

وهكذا روى حنبل بن إسحاق عن هلال بن العلاء عن عبد الله بن

السما حتى أتى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض. ثم وضع فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: «إن أصحابكم قد أصيبوا وإنهم قد سالوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رزينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم عنهم».

وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمي عروة به ومنذر بن عمرو وسمي به منثوراً.

هكذا وقع في رواية البخاري مرسل عن عروة.

ولله رواه البيهقي [الذاتل: ٣٥٢/٢، ٣٥٣] من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة؛ فساق من حديث الهجرة وأخرج في آخره ما ذكره البخاري هنا فإله أعلم.

وروى الواقدي [المغازي: ٣٤٧/١ - ٣٤٩] عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود وعن عروة؛ فذكر القصة وشأن عامر بن فهيرة وأخبار عامر بن الطفيل أنه رُفِع إلى السماء وذكر أن الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي قال: ولما طعنه بالرمح قال: فزت ورب الكعبة ثم سال جبار بعد ذلك: ما معنى قوله «فزت»؟ قالوا: يعني بالجنة فقال: صدق والله. ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك.

وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة أنه قال: لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارتته.

وقال يونس عن ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أحد بقية شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم ثم بعث أصحاب بثر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد:

فحدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسيطة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعا إليه فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد».

فقال أبو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المصطلق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين فيهم

الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعمار بن فهيرة مولى أبي بكر في رجال من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بثر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم فلما نزلوا بثرأ حرام بن

ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فأتوا أن

يحيوا إلى ما دعاهم وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم - غصية ورجلاً وذكوان والقارة -

فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما

راوهم أخذوا أسياهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني ديار بن النجار فإنهم تركوه به ومتى فارت من بين القتلى

فعاش حتى قتل يوم الحندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف، فلم يُبَيِّنهما بمصاب القوم إلا

الطير تحوم حول المسكر فقالوا: والله إن هذه الطير لشاناً فأقبلوا لينظروا فإذا

القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن لنحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر فقال

رواه البيهقي [الدلائل: ٣٦٠/٣].

وروى من طريق يعقوب بن محمد عن الزهري عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ.

وروى البيهقي [السنن الكبرى: ٢٨/٦] وغيره [الحاكم في المستدرک: ٥٢/٢] أنه كانت لهم موقعة فقال رسول الله ﷺ: «اضعوا وتجهلوا».

وفي صحته نظر والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩١/٢، ١٩٢]: فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فيطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها.

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدنوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما ربي مثله لحي من الناس في زمانهم.

قال: وغلوا الأموال لرسول الله ﷺ - يعني النخيل والمزارع - فكانت له خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا قرأ فاعطاهما - وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة حكاة السهيلي [الروض الأنف: ٢٢٣/٦].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩٢/٢]: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان وهما: يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وابو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي؟» فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق: فأنزل الله فيهم سورة الحشر بأكملها يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم.

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها وقد تكلمنا عليها بطولها مبسطة في كتابنا التفسير والله الحمد.

قال الله تعالى: «سَجَّ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاتَّخِذُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ذِكْرًا أَنَّ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَنَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. مَا ظَنَنْتُمْ مَنْ لِيَتْهُ أَوْ تَرَكْتُمُوهُمَا قَائِمَةً عَلَى أَرْضِهَا فَيَذَنِ اللَّهُ وَلِيَّخَيْرِي الْفَاسِقِينَ» [سورة الحشر: ٥-١].

سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز وهو منبع الجناب فلا ترام عظمته وكبريائه وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجاتبا رسوله وشرعه وما كان من

جعفر الرقي عن مطرف بن مازن اليماني عن معمر عن الزهري [مغازي الزهري: ص ١٠٥] فذكر غزوة بدر في سابع عشر من رمضان سنة ثنتين. قال: ثم غزا بني النضير ثم غزا أحنا في شوال سنة ثلاث ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٥٤/٣]: وقد كان الزهري يقول: هي قبل أحد. قال: وذهب آخرون إلى أنها بعدها ويعد بئر معونة أيضاً. قلت: هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو بن أمية وقتله فينك الرجلين من بني عامر ولم يشعر بهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ولهذا قال له رسول الله ﷺ: «لقد قتلت رجلين لأيتيئهما».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩٠/٢]: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية فينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية للعهد الذي كان ﷺ أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف فلما أتاهم ﷺ قالوا: نعم يا أبا القاسم نتيك على ما أحببت. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجهلوا الرجل على مثل حاله هذه [ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد] فمن رجل يعلم على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويرميها منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله ﷺ من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة فلما استلبت النبي ﷺ أصحابه قلعوا في طلبة فلقوا رجلاً مقيلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخل المدينة.

فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادوا من الغدر به.

قال الواقدي [المغازي: ٣٦٦/١ - ٣٧٠]: فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جوارهم ويبلغه فبعث إليهم أهل النفاق يثبوتهم ويحرضونهم على القام ويعلمونهم النصر، فوقيت عند ذلك نفوسهم وحسي حي بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون وناذبوه بتفض اليهود فعد ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال الواقدي [المغازي: ٣٧٤/١]: فحاصروهم خمس عشرة ليلة. وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩٠/٢]: وأمر النبي ﷺ بالنهي لحريمه والمسير إليهم.

قال ابن هشام [السيرة: ١٩٠/٢، ١٩١]: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٩١/٢]: فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليالٍ، ونزل تحريم الحمر حيتن، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتبيح من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها؟ قال: وقد كان رطط من بني عوف بن الحزرج منهم عبد الله بن أبي وديعة ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن أبتوا وتغنوا فلنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم، فترى صرنا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دعائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة.

وقال العوفي عن ابن عباس: أعطى كل ثلاثة بغيراً يعقبونه وسبقاً

السبب المتقضي لقتالهم كما تقدم حتى حاصروهم المؤيد بالرعب والرُعب سيرة شهر ومع هذا فأسرهم بالمحصنة بمنزلة ونفسه الشريفة ست ليال فذهب بهم الرعب كل مذبح حتى صاموا وصالحوا على حسن دمانهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركايبهم على أنهم لا يستصحبون شيئاً من السلاح إمانة لهم واحتضاراً فجعلوا «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ».

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصيهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول ﷺ من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل مع ما ادخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم.

ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلمهم وترك ما بقي لهم وإن ذلك كله سافح فقال: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ» وهو جيد التمر «أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ» إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأ فلا حرج عليكم فيه ولتعلم ما رأيت من ذلك وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد إنما هو إظهار للفرقة وإخزاء للكفرة الفجرة.

وقد روى البخاري (٤٨٨٤) ومسلم (١٧٤٦) جميعاً عن قتبية عن الليث عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخلم بني النضير وقطع وهي البويرة فانزل الله: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَيَخْرِجُ الْقَائِمِينَ».

وعند البخاري (٢٣٢٦، ٤٠٣٢) من طريق جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخلم بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت:

وهذا على سُرّاق بني لؤي
حريقاً بالبويرة مستطير

فاجابه أبو سفيان بن الحارث يقول:

أدام الله ذلك من صنيح
وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينما بسترو
وتعلم أي أرضينا نضير

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٩٨/٢ - ٢٠٠): وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف بالله أعلم.

لقد خربت بفندقها الجبور
كذلك الدهر ذو صرف يدور

وذلك أنهم كفروا ببرب
عظيم أمره أمر كبير

وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً
وجاههم من الله التدبير

نذير صادق أدى كتاباً
وآيات مينة تنوير

فقالوا ما أتيت بامر صدق
وأنت بمنكر منا جدير

فقال بلى لقد أديت حقاً
يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهْمُ الْخَبِير

فمن يتبه يهد لكل رشداً
ومن يكفر به يُجْزَى الْكَفُور

فلما أشرىوا غداً وكفراً
وجد بهم عن الحق النور

أرى الله النبي براءى صدق
وكان الله يحكم لا يجوز

فأبده وسلطه عليهم
فأبديهم بعد مصرعه النضير

فأبديهم منهم كعب صريعاً
فأبديهم مشهورة ذكور

على الكافرين ثم وقد حنقه
بأيدينا مشهورة ذكور

بأمر محمد إذ دس ليلاً
للى كعب أخا كعب يسير

فما كره فانزله بمكر
ومحمدة أخو ثقة جسر

فذلك بنو النضير بدلوا سوء
بأزهرهم بما اجترأوا المبير

غداة أتاهم في الزحف رُغوا
رسول الله وهو بهم بصير

وغداً الحماة موازروه
على الأعداء وهو لهم وزير

فقال السلم ويحكم فصلاً
وخالف أمرهم كذوب وزور

فناقوا غيب أمرهم وبالا
لكل ثلاثة منهم بصير

وأجلوا عامدين لقيغشاع
وغرور منهم نخمل ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسؤال اليهودي، فتركناها قصداً.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٩٥/٢، ١٩٦): وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي، ويقال: قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعي:

أعلى فداء لأمري غير هالك
أحبل اليهود بالحسي المزم

يقيلون في جمر الغضا ويكفوا
أهيب عودي بالودي المكتم

فلن بك علي صادقاً محمد
تروا خيله بين الصلا وترنم

يؤم بها عمرو بن بشة إنهم
عدو وما خي صديق كمجرم

عليهم أبطال مساعير في الوغى
يَهْزُونَ أطراف الوشيح المقصم

وكل رقيق الشفرتين مهنو
تورثن من أزمان عاد وجرمهم

فمن مبلغ عني قرشاً رسالة
فهل بعدكم في الحمد من تكرم

بأن أخاهم فاعلن محمد
تليد الندي بين الحجون وزرم

فدينوا له بالحق تجسم أموركم
وتسمو من الدنيا إلى كل منظم

نسي تلاقته من الله رحمة
ولا تسالوه أمر غيب مرجم

فقد كان في بدر لعمرى عبرة
لكم يا قرشاً والقليب المثلثم

غداة أتى في الخزرجية عامداً
إليكهم طمعيًا للعظيم المكرم

مُعاناً بروح القدس يُنكي عدوه
رسولاً من الرحمن حقاً تعلم

غداة أرى امره يزفاد في كل موطن
رسولاً من الرحمن يثلو كتابه

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ١٩٦/٢، ١٩٧): وقال علي بن أبي طالب - وقال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين ولم أر أحداً يعرفها لعلي -:

عرفت ومن يتبدل يعرفو
وأقننت حقاً ولم أصيدو

عن الكلثم الحكمم الآي من
لدى الله ذي الرأفة الأراف

رسائل تُدرس في المؤمنين
بهن اصطفى أحد المصطفى

فأصبح أحمد فينا عزيزاً
عزيز المقامة والورف

فيا أيها الموعودوه سيفاً
ولم يأت جوراً ولم يُعنف

ألستم تخافون أذى العذاب
وما آيين الله كالأخوف

وإن تصرعوا تحت أسيافه
كمصرع كعب أبي الأشرف

غداة رأى الله طغيانه
وأعرض كالجلجل الأجنف

فأنزل جبريل في قتله
بوحى إلى عبده مُطْلَف

فدس الرسول رسولاً له
بأيض ذي فبة مرقف

فبات عيون له مُعْبُولَات
حتى يُنح كعب لها تلف

وقلن لأحمد ذرنا قليلاً
فإننا من النوح لم نشف

سنة ٤ - قصة عمرو بن سعدى القرظي حين

مر على ديار بني النضير وقد صارت يابا ليس

بها داء ولا حبيب

وقد كانت بنو النضير أشرف من بني قريظة حتى حمله ذلك على الإسلام وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة.

قال الواقدي: حدثنا إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها وفكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم نرك؟ وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية، قال: رأيت اليوم عمراً قد غيّرنا بها، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارح، قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ولا والتوراة ما سُلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزمهم ثم يشه في بيته أمنا وأوقع بابن شنيعة سيدهم وأوقع ببني قيتضاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود وكانوا أهل علة وسلاح ونجدة فحصرهم أجلاهم من يثر. يا قوم قد رأيت ما رأيت فاطيعوني وتعالوا نتبع عمداً والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به ويأمروا ابن الهيثان أبو عمير وابن حراش وهما أعلم يهود جاءنا يتوكلان قدومه وأمرانا باتباعه جاءنا من بيت المقدس وأمرنا أن نقره منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بخرتا هذه، فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسبأ والجلاء.

فقال الزبير بن باطا: قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا التوراة التي نزلت على موسى ليس في المخاني الذي أحلثنا. قال: فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت قال كعب: فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعتنا اتبعناه وإن أبيت أبيتنا، فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال كعب ما عندي في امره إلا ما قلت: ما تطيب نفسي أن أصير تابعا. رواه البيهقي [الدلائل: ٣٩١/٣، ٣٩٢].

سنة ٤ - غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة

الخوف بعسفان

هنا ذكرها البيهقي في الدلائل [٣٩٤/٣ - ٣٩٨]، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رايته من طريق ابن هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٩٤/٣ - ٣٩٨]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: لما أصيب خبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمانهم ليصيب من بني لحيان غرة، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان، حتى نزل بأرضهم

فخلعهم ثم قال: اظعنوا - دُحوراً على رُغم الأتف وأجلسي النضير إلى غربة - وكانوا ببلاد ذوي رُحرف إلى أذرعات رُفاناً وهم على كل ذي تيسر أصعب وتركنا جوابها أيضاً من سمالك اليهودي قصداً.

ثم ذكر تعالى حكم النبي ﷺ وأنه حكم بأموال بني النضير لرسول الله ﷺ وملكها له فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى كما ثبت في الصحيحين [ج ٢٩٠٤، ٤٨٨٥، م (١٧٥٧)] عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: كانت أموال بني النضير مما آفاه الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بحيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصة فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل.

ثم بين تعالى حكم النبي ﷺ وأنه للمهاجرين والأنصار والشابدين لهم بإحسان على منازلهم وطريقاتهم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ قَوْلُ تَبَيَّنَ الْأَغْنِيَاءُ مِنْكُمْ وَمَا تَأْكُمُ الرُّسُلُ فَخَلَوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: ٧].

قال الإمام أحمد [٢١٩/٣]: حدثنا عمار وعفان قال: حدثنا معتمر سمعت أبي يقول: حدثنا أنس بن مالك عن نبي الله ﷺ أن الرجل كان يجعل له من ماله التخللات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير.

قال: فجعل يرد بعد ذلك.

قال: وإن أهلي أمروني أن أتني نبي الله ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله ﷺ أعطاهم أم أين أو كما شاء الله.

قال: فسألت النبي ﷺ فأعطانيه فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عتي وجعلت تقول: كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكمهن وقد أعطانيه. أو كما قالت. فقال النبي ﷺ: «لك كذا وكذا» وتقول: كلا والله. قال: ويقول: «لك كذا وكذا» وتقول: كلا والله قال: ويقول: «لك كذا وكذا» حتى أعطاهما - حسب أنه قال - عشرة أمثاله أو قال: قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال.

أخبرناه [ج ٣١٢٨، م (١٧٧١)] بنحوه من طرق عن معتمر به.

ثم قال تعالى ذمماً للمنافقين الذين مالوا إلى بني النضير في الباطن كما تقدم ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء بل خذلوههم أحوج ما كانوا إليهم وغروهم من أنفسهم فقال: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَتِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا يَطِيعُكُمْ أَحَدٌ أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤَيِّدَنَّ الْأَظْهَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١، ١٢].

ثم ذمهم تعالى على جبنهم وقلة علمهم وخفة عقلمهم النافع ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين قال للإنسان ﴿اكَفَرْنَا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الحشر: ١٦، ١٧].

بين ضجنان وعسفان فقال المشركون: إن هؤلاء صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم وهي العصر فاجمعوا أركم فمبلوا عليهم ميلة واحدة. وإن جبريل أتى رسول الله ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين فيصلي بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ولرسول الله ﷺ ركعتان.

ورواه الترمذي [٣٠٣٥] والنسائي [١٩٣٢] من حديث عبد الصمد به وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خيبر وإلا فهو من مراسلات الصحابي ولا يضر ذلك عند الجمهور والله أعلم.

ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبي داود الطيالسي أمر عسفان ولا خالد بن الوليد لكن الظاهر أنها واحدة. بقي الشأن في أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها، فإن من العلماء منهم الشافعي من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق فإنهم أخرجوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك لفعلوا ولم يؤخروها.

ولهذا قال بعض أهل المخازي [سورة ابن هشام: ٢٧٩/٢، معاذي الوافدي: ٥٣٥/٢، تاريخ الطبري: ٥٩٥/٢]: إن غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بني قريظة.

وقد ذكر الواقدي [المعادي: ٧٤٥/٢، ٧٤٦] بإسناده عن خالد بن الوليد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أماناً فهمنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا فاطلمه الله على ما في أنفسنا من الحم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف.

قلت: وعمره الحديبية كانت في ذي القعدة ستة ست بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي.

وفي سياق حديث أبي عياش الزرقني ما يقتضي أن آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عسفان فانتضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاها والله أعلم.

وستذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

سنة ٤- غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٠٣/٢، ٢٠٤]: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان واستعمل على المدينة أبا ذر.

قال ابن هشام: ويقال عثمان بن عفان.

قال ابن إسحاق: فسار حتى نزل غخلا وهي غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: لأنهم رجعوا فيها راياتهم، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع.

وقال الواقدي [المعادي: ٣٩٥/١]: بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض، وفي حديث أبي موسى (ج) (٤١٢٨)، م (١٨١٦): إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من الحرق من شدة الحر.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٠٤/٢، ٢٠٥]: فلقى بها جمعاً من

فوجدتهم قد حنروا وتحنوا في رؤوس الجبال، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنا حبطينا عسفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة».

فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا، فذكر أبو عياش الزرقني أن رسول الله ﷺ صلى بعسفان صلاة الخوف.

وقد قال الإمام أحمد [٥٩/٤، ٦٠]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقينا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرثهم.

ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح فصففتنا خلفه صفين ثم ركع فركعنا جميعاً ثم رفع فرفعنا جميعاً ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال: ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم انصرف.

قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين مرة عسفان ومرة بأرض بني سليم.

ثم رواه أحمد [٦٠/٤] عن غندر عن شعبة عن منصور به نحوه. وقد رواه أبو داود [١٢٣٦] عن سعيد بن منصور عن جرير بن عبد الحميد والنسائي [١٤٥٨، ١٤٥٩] عن الفلاس عن عبد العزيز بن عبد الصمد وعن محمد بن الحنفية وبنابر عن غندر عن شعبة ثلاثهم عن منصور به.

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرج واحد منهما. لكن روى مسلم (٨٤٠٠) [٣٠٨] من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة فقاتلوا قتالاً شديداً فلما أن صلى الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لانتطعنهم فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: فوقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد فذكر الحديث كنحو ما تقدم.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند (١٧٣٨)]: حدثنا هشام عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: «صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهم به المشركون ثم قالوا: دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من آبائهم، قال: فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره صلى بأصحابه صلاة العصر فصهّم صفين بين أيديهم رسول الله ﷺ والعدو بين يدي رسول الله ﷺ فكبر وكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلقونه والآخرين قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون.

وقد استشهد البخاري في صحيحه [٤١٣٠] برواية هشام هذه عن أبي الزبير عن جابر.

وقال الإمام أحمد [٥٢٢/٢]: حدثنا عبد الصمد حدثنا سعيد بن عبيد الهثاني حدثنا عبد الله بن شقيق حدثنا أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ نزل

ثابتة في الصحيحين [خ (٢٩١٠) من حديث سنان، خ (٤١٣٥)، م (٨٤٣)] من حديث سنان وأبي سلمة معاً من حديث الزهري عن سنان بن أبي سنان وأبي سلمة عن جابر: أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما قفل رسول الله ﷺ أدركه القاتلة في واد كثير العضاة ففرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا فأجبناه وإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اختزط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال: مَنْ يمنعك مني؟ قلت: الله». فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشام السيف وجلس» ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك.

وقد رواه مسلم [٨٤٣] أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر قال: أتينا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا ببلات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاختزطه وقال لرسول الله ﷺ: تخافني؟ قال: «لا». قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فهذه أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه. قال: ونودي بالصلاة فصلى بطلاقة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين قال: فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان.

وقد علقه البخاري [٤١٣٦] بصيغة الجزم عن أبان به. قال البخاري [٤١٣٦]: وقال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر أن اسم الرجل غورث بن الحارث.

وأسند البيهقي [الذليل: ٣/٣٧٦، ٣٧٧] من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سليمان بن قيس عن جابر قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفةً بنخل فراؤا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: «من يمنعك مني؟» فقال: كن خير أخذ. قال: «تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس.

ثم ذكر صلاة الخوف وأنه صلى أربع ركعات بكل طائفة ركعتين. وقد أورد البيهقي [الذليل: ٣/٣٧٦، ٣٧٧] هنا طرق صلاة الخوف ببلات الرقاع عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة، وحديث الزهري عن سالم عن أبيه في صلاة الخوف بنجد وموضع ذلك كتاب الأحكام. والله أعلم.

سن ٤ - قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢/٢٠٨، ٢٠٩]: حدثني عمي صدقة بن يسار عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا يتهي حتى يهريق في أصحاب عمده فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «من رجل يكونوا لينا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار. فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بضم الشعب من الوادي»، وهما عمار بن ياسر

عطفان فثارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف.

وقد أسند ابن هشام [سورة ابن هشام: ٢/٢٠٤، ٢٠٥] حديث صلاة الخوف ههنا عن عبد الوارث بن سعيد التنوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله وعن عبد الوارث عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر وعن عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر. ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ولم يتعرض لزمان ولا مكان وفي كون غزوة ذات الرقاع - التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن عطفان - قبل الخندق نظر.

وقد ذهب البخاري [٤١٢٥] إلى أن ذلك كان بعد خيبر واستدل على ذلك بأن أبا موسى الأشعري شهدها كما سيأتي.

وقدومه إنما كان ليالي خيبر صجبه جعفر وأصحابه وكذلك أبو هريرة وقد قال: صليت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف [١٢٤٠]، م (١٠٤٢).

وما يدل على أنها بعد الخندق: أن ابن عمر إنما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق.

وقد ثبت عنه في الصحيح [خ (٢٦٦٤)، م (١٨٦٨)] أنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر صلاة الخوف.

وقول الواقدي [المغازي: ٣/٣٩٦]: إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعمائة ويقال: سبعمائة من أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس. فيه نظر، ثم لا يحصل به نجة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق لأن الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور، وقيل: في شوال سنة أربع، فتحصل على هذا القول خلاص من حديث ابن عمر، فاما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا.

سنة ٤ - قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة [سورة ابن هشام: ٢/٢٠٥، ٢٠٦]: حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من عطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى وكيف تقتله؟ قال: أترك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره. فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: «نعم»، فأخذه ثم جعل يهزه ويهم فكبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: «لا، ما أخاف منك؟» قال: أما تخافني وفي يدي السيف. قال: «لا، بمعنى الله منك». ثم عمد إلى سيف النبي ﷺ فرده عليه فانزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نَعِمْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ آيَاتِهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ١١].

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢/٢٠٩، ٢١٠]: وحدثني يزيد بن رومان أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هم به.

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبيد القلدي رأس الفرقة الضالة وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه عن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه ولله الحمد.

فقد أورد الحافظ البيهقي ههنا طرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن، وهي

«أفلا جارية تلأحها وتلأحيك؟»، قال: قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن. قال: «أصبحت إن شاء الله، أما إننا لو جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنقضت غارقهما»، قال: فقلت: والله يا رسول الله مالنا غمارق، قال: «إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملًا كئيبًا».

قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا. قال: فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فنونك فسمع وطاعة.

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أغمته على باب رسول الله ﷺ ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال: وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: «ما هذا»، قالوا: يا رسول الله هنا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر»، فدعيت له، قال: فقال: «يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك»، قال: ودعا بلالا فقال: اذهب بجابر فاعطه أوقية، قال: فدعيت معه فاعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً، قال: فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا، يعني يوم الحرة.

وقد أخرجه صاحب الصحيح [ج (٢٠٩٧)، م (٧١٥)] من حديث عبيد الله بن عمر العمري عن وهب بن كيسان عن جابر بنحوه.

قال السهيلي [الروض الأليف: ٦/٢٤٨، ٢٤٩]: في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله «أن الله أحيا والده وكلمه فقال له: تمم عليّ» وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى: «وَإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» وزادهم على ذلك في قوله: «لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» ثم جمع لهم بين العوض والمعرض فرد عليهم أرواحهم التي اشتروا منهم فقال: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» [سورة آل عمران: ١٦٩] والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز.

قال: فلذلك اشتري رسول الله ﷺ من جابر جملة وهو مطية فاعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك.

قال: ففيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه.

وهذا الذي سلكه السهيلي هنا إشارة غريبة وتخييل بديع والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) [٣٨١/٣] على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال: باب ما كان ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جل جابر بن عبد الله ﷺ.

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة وفيه اختلاف كثير في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع. وتحري ذلك واستقصاءه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم.

وقد جاء تقييده بهذه الغزوة وجاء تقييده بغيرها كما سيأتي ومستبعد تعدد ذلك والله أعلم.

سنة ٤- غزوة بدر الأخيرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٢٠٩]: ولما رجع رسول الله ﷺ

وعباد بن بشر فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه؟ أوله أم آخره؟ قال: بلى أكفي أوله، فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي، قال: وأنى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريشة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فأنزعه ووضعه وثبت قائماً. قال: ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه. فترعه فوضعه وثبت قائماً قال: ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فترعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أمب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت، قال: فوثب الرجل فلما رأعها الرجل عرف أنه قد نذروا به فهرب قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من النماء قال: سبحان الله أفلا أبيتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنتهها فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنتهها.

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي.

وقد رواه أبو داود [١٩٨] عن أبي توبة عن عبد الله بن المبارك عن ابن إسحاق به.

وقد ذكر الواقدي [المغازي: ١/٣٩٦، ٣٩٧] عن عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه حديث صلاة الحرف بطوله قال: وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في عالم نسوة، وكان في السبي جارية وضيفة وكان زوجها يجدها فحلف ليطلن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبه، ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق.

قال الواقدي [المغازي: ١/٣٩٨]: وكان جابر بن عبد الله يقول: بينا أنا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ورسول الله ﷺ ينظر إليه فأقبل إليه أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك فقال رسول الله ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ؟! أَخَذْتُمْ فَرْخَهُ فَطَرَحْتُمْ نَفْسَهُ رَحْمَةً لِفَرْخِهِ فَوَاللَّهِ لِرَيْكُم أَرْحَمُ بِكُمْ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ بِفَرْخِهِ»

سنة ٤- قصة جل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٢٠٦، ٢٠٧]: حدثني وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف فلما قتل رسول الله ﷺ جعلت الرقاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: «مالك يا جابر؟» قلت: يا رسول الله أباط بي جملي هذا. قال: «أبغضه»، قال: فأخذه وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال: «أعطني هذه العصا من يدك» أو «أقطع عصا من شجرة» ففعلت، فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال: «اركب» فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهن ناقته مواهقة. قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال: «أَتَيْعُنِي جَمَلُكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟» قال: قلت: بلى أبيع لك قال: «ولا ولكن بعينه»، قال: قلت: «فَسُئِلْتَهُ»، قال: «قد أخذته بدينهم»، قال: قلت: لا إذا تبني يا رسول الله، قال: «فبدينهمين»، قال: قلت: لا، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية، قال: فقلت: أفقد رضى؟ قال: «نعم»، قلت: «فهل لك»، قال: قد أخذته ثم قال: «يا جابر هل تزوجت بعد؟»، قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أَتَيْتُ أَمْ بَكَرًا»، قال: قلت: بلى ثيباً، قال:

إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ثم خرج في شعبان إلى بدر لمعاد أبي سفيان.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٢٠٩/٢]: واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٠٩/٢]: فقتل رسول الله ﷺ بدرأ وأقام عليه ثمانيا ينتظر أبا سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بجدة من ناحية الظهران. وبعض الناس يقول: قد بلغ هسفان ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، فإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السوق يقولون: إنما خرجتم تشربون السوق.

قال: وأتى مخشي بن عمرو الضمري وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة وكان على بني ضمرة فقال: يا محمد أجت للقاء قريش على هذا الماء قال: نعم يا أبا بني ضمرة وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجاللتنا حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال: لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيدا.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٠/٢، ٢١١]: وقد قال عبد الله بن رواحة - يعني في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك - قال ابن هشام: وقد أنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك:

وعذنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد
لجناده صيدنا وما كان وافيها
فأقسم لو لايتيسرنا فلقيتنا
لأبث ذميماً وافقت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه
وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويها
عصيت رسول الله أف لديكم
وأمركم السيء الذي كان غايها
فلاني وإن عفتنوني لقلائل
فدنى لرسول الله أهلي وماليها
أطعناه لم نعليله فيما بغيره
شهابنا لنا في ظلمة الليل هاديها

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١١/٢، ٢١٢]: وقال حسان بن ثابت في ذلك:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها
جلاذ كانوا للمخاض الأوارك
بأبدي رجال هاجروا نحو ربهم
وأصهاره حقاً وإبدي الملائك
إذا سلكت للخور من بطن عالج
فقولاً لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرس السزوع ثمانيا
بارعن جسرأ عريض المبارك
بكل كمين: جزؤه نصف خلفه
وقب طوال مشرفات الحوراك
تري الترفج العاصي تذيي أصوله
مناسم أخفاف المطبي الرواتك
فإن تلق في تطواينا والتماسنا
فراث بن حيان يكن رغن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده
يؤذ في سواد لونه لسن حالك
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة
فإنك من غر الرجال الصمالك

قال [سورة ابن هشام: ٢١٢/٢، ٢١٣]: فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم فيما بعد ذلك:

أحسن إننا يا ابن أكلة الفقا
وجلك ننتال الحروق كذلك
خرجنا وما تنجو العاصير بيتنا
ولو وألكت منا بشد سدارك
إننا ما ابتعنا من مناسخ حسبه
مؤمن أهل الموسم المتعارك

أقمت على الرس السزوع تريدنا
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا
أقمنا ثلاثاً بين سلع وفارح
حسبم جلاذ القوم عند فئناكم
فلا تبعت الخيل الجياد وقل لها
سجدتم بها وغيركم كان أهلها
فإنك لا في هجرة إن ذكرتها
ولا حرمات دينها أنت نامك

قال ابن هشام [السورة: ٢١٣/٢]: تركنا منها آياتاً لاختلاف قوافيها. وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استفرغ الناس لموعده أبي سفيان وأبعت المنافقون في الناس يشيطونهم فسلم الله أولياءه، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع وقالوا: إن وجئنا أبا سفيان ولا اشترينا من بضائع موسم بدر، ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى بجدة ورجوعه وفي مقابلة الضمري، وعرض النبي ﷺ المناينة فأبى ذلك.

قال الواقدي [المغازي: ٣٨٧/١]: خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسة من أصحابه واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة. وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع.

والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان لكن قال: في سنة ثلاث؛ وهذا وهم فإن هذه تراعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم والله أعلم.

قال الواقدي [المغازي: ٣٨٤/١]: فاقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام فرجعوا وقد ربحوا من الدهم دوهين.

وقال غيره [هو قول ابن عباس ومجاهد والسدي، انظر تفسير الطبري: ١٨٣/٤]: فالتقوا كما قال الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْتِمْزَ مِنْ اللَّهِ تَفَضُّلٌ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٤].

سنة ٤ - أحداث أخرى

قال ابن جرير [المغازي: ٥٥٥/٢]: وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان ؓ - قلت: من رقية بنت رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرة والده عثمان بن عفان ؓ.

قلت: وفيه توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن غزوم القرشي المخزومي وأمه برة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكان رضيع رسول الله ﷺ ارتضعا من ثوية مولاة أبي لهب وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ثم عاد إلى مكة وقد ولد لهما بالحبشة أولاد، ثم هاجر من مكة إلى المدينة وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم، وشهد بدرأ واحداً ومات من آثار جرح جرّحه بأحد ؓ وأرضاه، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سلمة قرياً.

مُصَيَّبِي واخلف لي خيراً منها إلا قَتَلَ به. قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ فلما انقضت عدتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي فسلست يدي من القرظ وأذنت له فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف فقمعد عليها فيخطيني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة، ولكني امرأة بي غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعينني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال. فقال: «أنا ما ذكرت من الغيرة فيذهبها الله عنك وأنا ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي»، فقالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ فقالت أم سلمة: فقد أبدلي الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن بن أبي سلمة عن أم سلمة عن أبي سلمة به. وقال الترمذي حسن غريب. وفي رواية للنسائي عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة به.

وقال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعد - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع. وقال الواقدي: وفي هذه السنة يعني سنة أربع أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود. قلت: ثبت عنه في الصحيح أنه قال: تعلمته في خمسة عشر يوماً والله أعلم.

سنة ٥ - غزوة دومة الجندل

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٣/٢]: ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل. قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٢١٣/٢]: في ربيع الأول، - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٣/٢]: ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية سته، هكذا قال ابن إسحاق. وقد قال محمد بن عمر الواقدي [المغازي: ٤٠٢/١ - ٤٠٤]: بإسناده

عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا: أراد رسول الله ﷺ أن يذنبوا إلى أداني الشام، وقيل له: إن ذلك مما يفرق قبصر، وذكر له أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مر بهم، وكان لما سوق عظيم وهم يريدون أن يذنبوا من المدينة، فندب رسول الله ﷺ الناس فخرج في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له: مذکور هاذ خريت، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعايتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا، فقتل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبت السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم فأتى به رسول الله ﷺ، فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس، فنرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال الواقدي [المغازي: ٤٠٢/١]: وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر سنة خمس.

قال ابن جرير [تاريخ الطبري: ٥٥٥/٢]: وفي ليال خلون من شعبان ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

قال [تاريخ الطبري: ٥٤٥/٢]: وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية.

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ١٨٥٣/٤] عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال: كانت أخت ميمونة بنت الحارث. ثم استغربه وقال: لم أره لغيره. وهي التي يقال لها: أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم ويزورها لهم وإحسانها اليهم، وأصدقها ثني عشرة أوقية ونشأ ودخل بها في رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها.

قال أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ١٨٥٣/٤] عن علي بن عبد العزيز الجرجاني: ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

قال ابن الأثير في الغابة [١٢٩/٧]: وقيل: كانت تحب عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد.

قال أبو عمر [الاستيعاب: ١٨٥٣/٤]: ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ وقيل: لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضي الله عنها.

وقال الواقدي [المغازي: ٣٤٤/١]: في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية.

قلت: وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد وقد كان شهد بدرًا وأحداً كما تقدم، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ، ثم خرج في سرية فغنم منها نعاماً ومغنماً جيداً، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مرراً فذكر أنها امرأة عذراء أي: شديدة الغيرة وأنها مصيبة أي: لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم، فقال: «أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله - أي نفقته - ليس إليك، وأما الغيرة فادعوا الله فينعيها»، فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له: قم فزوج النبي ﷺ.

تعني: قد رضيت وأذنت.

فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك والله الحمد والمثمة. وإن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو أكبر ولدها وساغ هنا لأن أباه ابن عمها فللأبوين ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البتة بالإجماع، وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً، فلما محض البتة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده وخالفه الثلاثة أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله ولبسط هنا موضع آخر يذكر فيه وهو كتاب النكاح من الأحكام الكبير إن شاء الله.

قال الإمام أحمد [٢٧/٤، ٢٨]: حدثنا يونس حدثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهدي عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أم سلمة قالت: أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسرت به، قال: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة يسترجع مُصَيَّبٌ ثم يقول اللهم أجرني في

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال: ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع. وكذلك قال الإمام مالك بن أنس فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه.

قال البيهقي [الدلائل: ٣/٣٩٥]: ولا اختلاف بينهم في الحقيقة لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس، ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقرش لجذب ذلك العام فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين، فتمين أن الخندق في شوال من سنة خمس والله أعلم.

وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بستين ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة التالية لسنة الهجرة، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها كما حكاه البيهقي [الدلائل: ٣/٣٩٧].

وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي [المعرفة والبرهان: ٣/٢٨٦] وقد صرح بأن بدراً في الأولى، وأحدًا في سنة اثنين، وبدراً الموعد في شعبان سنة ثلاث، والخندق في شوال سنة أربع. وهذا مخالف لقول الجمهور فإن الشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة.

وعن مالك: من ربيع الأول سنة الهجرة، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم.

والصحيح قول الجمهور أن أحدًا في شوال سنة ثلاث، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم.

فأما الحديث المتفق عليه في «الصحاحين» [ج (٢٦٦٤)، م (١٨٦٨)] من طريق عبد الله بن نافع عن ابن عمر أنه قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزي، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فاجازني، فقد أجاب عنه جماعة من العلماء منهم البيهقي [الدلائل: ٣/٣٩٦] بأنه عرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة.

قلت: ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه في يوم الأحزاب كان قد استكمل خمس عشرة سنة التي يجاز لها العلماء، فلا يبقى على هذا زيادة عليها. ولهذا ما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال: إن هذا لفرق بين الصغير والكبير، ثم كتب به إلى الأفاق واعتمد على ذلك جمهور العلماء والله أعلم.

وهذا سياق القصة كما ذكره ابن إسحاق وغيره.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٤/٢ - ٢١٦]: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس. فحدثني يزيد بن رومان عن عروة ومن لا اتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض. قالوا:

إنه كان من حديث الخندق أن نقرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحبي بن أنخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فخرجوا حتى قدموا على قرش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا:

إنا نكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قرش: يا معشر

قال: وفيه توفيت أم سعد بن عبادة وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة.

وقد قال أبو عيسى الترمذي في «جامعة» [١٠٣٨]: حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب: أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر.

وهذا مرسل جيد، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فرقه على مآذره الواقدي رحمه الله.

سنة ٥ - غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة «الأحزاب» فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءَ وَكُفُّوا مِنْ قَوْمِكُمْ وَبَيْنَ أَسْفُلٍ بَيْنَكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللِّهِ الظُّنُونًا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِلَّا يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سِيلُوا الْقِتْلَةَ لَاتَرَوْهَا وَمَا تَلَاَوْهَا إِلَّا بِسِيرَةٍ. وَلَقَدْ كَانُوا عَاكِفُوا عَلَى الْبَاءِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَنْثَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ سَبْعًا. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمُوتُونَ إِلَّا قَتِيلًا. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ قَدَرٍ لَّهُ وَلِيًّا وَلَا يُصِيرُ. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْمُنَافِقِينَ لَاخُوتَهُمْ فَلَمْ يُنَالُوا لِيَأْتُوا الْبَاءَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشِيعَةً عَلَيْكُمْ إِذًا جَاءَ الْخَوْفُ وَرَأَيْتُمْ أَنَّهُمْ تَصُورُونَ إِلَيْكَ تَصُورُ أَهْلَهُمْ كَأَنَّهُمْ يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْعَزَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفْتُمْ بِالْمَقَرِّ جِدَادُ أَشِيعَةٍ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِرُوا فَأَخْطَأَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا. يَحْشُرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَاقُونَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَلُّوا مِنْهُ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا كَيْدًا. لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمْ يَبْلُغُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَرِيبًا غَرِيبًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبُ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْلُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا [سورة الأحزاب: ٢٧٩] وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في «التفسير» ولله الحمد والمثني، ولندكر ههنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٤/٢] وعروة بن الزبير وقاتدة والبيهقي [الدلائل: ٣/٣٩٤، ٣/٣٩٥] وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً.

له:

لَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا
وفي «الصحيحين» (ج ٣٧٩٥)، م (١٢٧، ١٨٠٥) من حديث
شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس نحوه.
وقد رواه مسلم (١٨٠٥/١٣٠): رواية حماد عن ثابت عن أنس من
حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحيد عن أنس بنحوه.

وقال البخاري (٢٨٣٥): حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث عن عبد
العزيز عن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول
المدينة ويقولون التراب على متونهم ويقولون:

لَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا
قال: يقول النبي ﷺ بحميتهم: «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك
في الانتصار والمهاجرة» قال: يؤتون بملء كفي من الشعر فيصنع لهم بإهالة
سنة توضع بين يدي القوم والقوم جياح وهي شمة في الحلق ولها ربح
متن.

وقال البخاري (٤٠٩٨): حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن
أبي حازم عن سهل بن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهم
يحفرون ولحن نقتل التراب على أكفادنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا
عيش إلا عيش الآخرة، فافخر للمهاجرين والأنصار».

ورواه مسلم (١٨٠٤) عن القعني عن عبد العزيز به.

وقال البخاري (٤١٠٤): حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا شعبة عن
أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب
يوم الخندق حتى أغمر بطنه - أو أغمر بطنه - يقول:
والله لولا الله ما اعتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا
فلازلن سكة علينا وبشت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد نفوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا
ورفع بها صوته: أيتها، أيتها.

ورواه مسلم (١٨٠٣) من حديث شعبة به.

ثم قال البخاري (٤١٠٦): حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن
مسلمة حدثني إبراهيم بن يوسف حدثني أبي عن أبي إسحاق عن البراء
يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأته ينقل من
تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر،
فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اعتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا
فلازلن سكة علينا وبشت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد نفوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا

ثم يمد صوته بأخرها. وقال البيهقي في الدلائل (٤١٤/٣): أخبرنا
على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفاور حدثنا إسماعيل بن
الفضل الجلي حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي حدثنا المسيب بن شريك
عن زياد بن أبي زياد عن أبي عثمان عن سلمان: أن رسول الله ﷺ
ضرب في الخندق وقال:

بسم الله وبه هدينا ولو عيشتا غير شقيتا
يا حبذا رؤا وحببنا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد،
أفدنتا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه،
فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُرْسِلُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكُتُبِ
يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّغْرَةِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا سَبِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَنَجْهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾
[سورة النساء: ٥١] الآيات.

فلما قالوا ذلك لقرش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب
رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتحدوا له، ثم خرج أولئك النفر من
اليهود حتى جاوروا غطفان من قيس عيلان فدعواهم إلى حرب النبي ﷺ
وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك
واجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان
وقائدها عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن
عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومصرع بن ربيعة بن نيرة بن
طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن
غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق
على المدينة قال ابن هشام [السيرة: ٢٢٤/٢]: يقال إن الذي أشار به
سلمان.

قال الطبري (في تاريخه: ٣٧٩/١) والسهيلي (الروض: ٣٠٦/٦) أول
من حفر الخندق من شهر بن لريح بن أفريدون وكان في زمن موسى عليه
السلام.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢١٦/٢]: فعمل فيه رسول الله
ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، وتختلف طائفة من
المتأقين يحتلون بالضعف، ومنهم من ينسل خفية بغير إذنه ولا علمه
عليه الصلاة والسلام.

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَفْعَلُوا
شَأْنَهُمْ فَإِذَا كُنْ مِنْ شَيْءٍ مِنْهُمْ وَاسْتَفْزِزْ لَهُمْ إِلَهَ إِنْ إِلَهُكَ فَظُورٌ رَّحِيمٌ. لَا
تَجْعَلُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ تَبْكَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ يُخَالِفُ لَنُفِ عَنْ أَمْرِهِمْ أَنْ تَصِيبَهُمْ بَتَّةً أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَكْتَبُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة
النور: ٦٢-٦٤].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢١٧/٢]: فعمل المسلمون فيه حتى
أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له: جميل سماء رسول الله
ﷺ عمره، فقالوا فيما يقولون:

سماء من بعد جميل عمره وكان للباس يوماً ظهراً
وكانوا إذا قالوا عمره قال معهم رسول الله ﷺ: «عمره»، وإذا قالوا:
ظهره قال لهم: «ظهره».

وقد قال البخاري (٢٨٣٤): حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية
بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن حميد سمعت أنساً قال: خرج رسول الله
ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن
لهم عييد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال:
«اللهم إن العيش عيش الآخرة، فافخر للأنصار والمهاجرة». فقالوا بحميتهم

وقال الإمام أحمد [٢١٠/٣]: حدثنا سليمان حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال وهم يحفرون الخندق: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة». وأخرجه في «الصحيحين» [٦٤١٣، ٦٤١٤] م (١٨٠٥) من حديث غندر عن شعبة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٧/٢، ٢١٨]: وقد كان في حفر الخندق أحداث بلغت فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون. فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كثرة فشكوا إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء من ماء فقل في ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضج الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالسني بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكتيب ما ترد فأساً ولا مسحة. هكذا ذكره ابن إسحاق مقطوعاً عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وقد قال البخاري رحمه الله [٤١٠١]: حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: أثبت جابر أقال لنا يوم الخندق لحفر فرضت كدية شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل». ثم قام ويطه مصوب بمجر ولبنا ثلاثة أيام لا نلوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المول فضرب فعدا كتيماً أهيل أو أهيم.

فقلت: يا رسول الله انذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعتك شئ؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جثت النبي ﷺ والمعجم قد انكسر والبرمة بين الأثاني قد كادت أن تنضج فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان.

قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال: «كثير طيب، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التور حتى آتي»، فقال: «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سالك؟ قلت: نعم فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا»، فجعل يكسر الخبز ويميل عليه اللحم ويحفر البرمة والتور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه، ثم يتزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال: «كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابهم مجاعة». تفرد به البخاري.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٠٠/٣، ٣٠١] عن وكيع عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أن أيمن الحبشي مولى بني غزوم عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم.

ورواه البيهقي في «الدلائل» [٤١٥/٣، ٤١٦] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر بقصة الكدية والطعام وطوله أتم من رواية البخاري قال فيه: لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً: «قوموا إلى جابر» فقاموا، قال: فلقيت من الحياة ما لا يعلمه إلا الله وقلت: جاء بالخلق على صاع من شعير وعناق. ودخلت على امرأتي أقول: انقضحت! جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين، فقلت: هل كان سالك كم طعامكم؟ قلت: نعم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فكشفت عني غماً شديداً، قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال: «خذي ودعيني من اللحم». وجعل رسول الله ﷺ يترد ويغرف اللحم ويحفر هنا ويحفر هنا فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التور والقدر أملاً ما كانا، ثم قال

رسول الله ﷺ: «كلي وأهدي» فلم تزل ناكل ونهدي يمناً أجمع. وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن محمد الحارثي عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر به وأبسط أيضاً، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثلاثمائة أو قال: ثلاثمائة.

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد عن أبي الزبير عن جابر. فذكر القصة بطولها في الطعام فقط وقال: وكانوا ثلاثمائة. ثم قال البخاري: [٤١٠٢] حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا حنظلة بن أبي سفيان أخبرنا سعيد ابن ميناء سمعت جابر بن عبد الله قال: لما حفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خصاً فأنكضت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خصاً شديداً فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تقضحي برسول الله ﷺ وبمن معه.

فجثت فسأرتنه فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فقال أنت وتفر معك. فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً فحي هلا بكم»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تترزوا برمتكم ولا تخبروا عبيكم حتى أجيء». فجثت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جثت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت. فأخرجت لنا عجيناً فبصق فيه وبارك ثم قال: «ادع خبزاً فلتخبز معك واقذحي من برمتك ولا تزلوها» وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه والحرفوا وإن برمتنا لتنط كما هي وإن عجيننا كما هو.

ورواه مسلم [٢٠٣٩] عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم به نحوه. وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غريبة من بعض الوجوه فقال [سورة ابن هشام: ٢١٨/٢، ٢١٩]: حدثني سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وكانت عندي شوية غير جد سمينة قال: فقلت: والله لو صنعتها لرسول الله ﷺ قال: وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فوثبناها لرسول الله ﷺ فلما أسيئنا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال: وكنا نعمل فيه نهراً، فإذا أسيئنا رجعنا إلى أهاليها قال: فقلت: يا رسول الله أتني قد صنعت لك شوية كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فأتنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي قال: وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده. قال: فلما أن قلت ذلك قال: «نعم» ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله. قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: فأقبل رسول الله ﷺ وأقبل الناس معه فجلس وأخرجناها إليه قال: فترك وسعى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها.

والمعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق عنه عن جابر مثله سواء.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٨/٢، ٢١٩]: وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعيت أمي عمرة بنت رواحة فأعطيت حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية أهدني إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغلافهما. قالت فأخذتها

وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً. وقال المنافقون: يخبركم أنه يصير من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل فيهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مِرْسٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٢] وهذا حديث غريب.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا هارون بن ملول حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالخندق فخندق على المدينة قالوا: يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها، فقام النبي ﷺ وقمصا معه فلما أتاه أخذ المول ففرض به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: «فتحت فارس»، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: «فتحت الروم»، ثم ضرب أخرى فكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: «جاء الله بحمير أعوانا وأنصارا».

وهذا أيضا غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي فيه ضعف قاله أعلم.

وقال الطبراني أيضاً والمعجم الكبير: ٣٧٦/١١ (١٢٠٥٢): حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو تميلة حدثنا نعيم بن سعيد العبدي أن عكرمة حدث عن ابن عباس قال: احتضر رسول الله ﷺ والخندق، وأصحابه قد شلدوا الحجارة على بطونهم من الجرح فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «هل دلتكم على رجل يطلعنا أكلة؟» قال رجل: نعم. قال: «إما لا تقدم فلئلا عليه». فانطلقوا إلى بيت الرجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه فأرسلت امرأته أن جئ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسمى وقال: بلأبي وأمي وله معزة ومعها جديها فوثب إليها فقال النبي ﷺ: الجدي من ورائها فنبج الجدي.

وعمدت المرأة إلى طحينة لما فمجتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصبتها فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها وقال: «بسم الله اللهم بارك فيها أطعموا» فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثها ففرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن أذهبوا وسرحوا إينا بعدنكم فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ثم قام ودعا لربة البيت وسمت عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق فقال: «أذهبوا بنا إلى سلمان»، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «دعوني فأكون أول من ضربها». فقال: «بسم الله». فضربها ففرقت فلقة ثلثها فقال: «الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة»، ثم ضرب أخرى ففرقت فلقة فقال: «الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة». قال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم.

ثم قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٤٢١/٣]: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا محمد بن غالب بن حرب حدثنا هودة حدثنا عوف عن ميمون بن أستاذ الزهري حدثني البراء بن عازب الأنصاري قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فلما رآها أخذ المول وقال: «بسم الله» وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر»

وانطلقت بها فمرت برسول الله ﷺ وأنا أتمس أبي وخالي فقال: «تعال يا بنية ما هنا معك؟» قالت: قلت يا رسول الله هذا غر بعثني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن راحة يتغلبانه. فقال: «هاتيه» قالت: فصبته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأهم ثم أمر بوث فبسط له ثم دحا بالثر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء».

فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإته ليسقط من أطراف الثوب. هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع.

وهكذا رواه الحافظ البيهقي [الدلائل: ٤٢٧/٣] من طريقه ولم يزد. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٩/٢]: وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي صخرة ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رأيته أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المول من يدي ففرض به ضربة لمت تحمت المول برقة ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال: ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى.

قال: قلت: بلأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هنا الذي رأيت لمع تحت المول وأنت تضرب؟ قال: «أؤد رأيت ذلك يا سلمان؟» قال: قلت: نعم. قال: «أما الأولى فإن الله فتح علي باب اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق».

قال البيهقي: وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في «مغازيه»، وذكره أبو الأسود عن عروة.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٤١٨/٣ - ٤٢٠] من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر.

لكن رواه ابن جرير في «تاريخه» [٥٦٧/٢ - ٥٧٠] عن محمد بن بشار بندار، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال: واحتق المهاجرون والأنصار في سلمان فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت». قال عمرو بن عوف: فكتت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرونا حتى إذا بلغنا الندى ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية، فأخبره عنها فجاء فأخذ المول من سلمان ففرض الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لايتها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها الثانية فكنك، ثم الثالثة فكنك.

وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك النور، فقال: «لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها».

ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها.

ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأبشروا».

واستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله مرعود صادق. قال: ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله

قصورها الحمر إن شاء الله.

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض».

ثم ضرب الثالثة فقال: «بسم الله قطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة».

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا وهو بصري روى عن البراء وعبد الله بن عمرو وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي.

قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين: كان ثقة وقال علي بن المديني: كان يحيى بن سعيد القطان لا يتحدث عنه.

وقال النسائي [٣١٧٦]: حدثنا عيسى بن يونس حدثنا ضمرة عن أبي زرة السبائي عن أبي سكين - رجل من المحررين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أسر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي ﷺ وأخذ المول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: «فَوُتَّتْ كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ بركة ثم ضرب الثانية وقال: «فَوُتَّتْ كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فنذر الثلث الآخر وبرة بركة فرأى سلمان ثم ضرب الثالثة وقال: «فَوُتَّتْ كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فاخذ رداءه وجلس.

فقال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تقرب ضربة إلا كانت معها بركة قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان رأيت ذلك؟» قال: أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: «فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعني فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفتتنا ذراريهم ونغرب بأيدينا بلادهم فدعا بذلك قال: «ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعني» قالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفتتنا ذراريهم ونغرب بأيدينا بلادهم فدعا ثم قال: «ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعني» ثم قال رسول الله ﷺ: «دَعُوا الحبشة ما ودَّعُوكم واتركوا الترك ما تركوكم».

هكذا رواه النسائي مطولاً وإنما روى منه أبو داود [٤٣٠٢] «دَعُوا الحبشة ما ودَّعُوكم واتركوا الترك ما تركوكم» عن عيسى بن محمد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن أبي زرة يحيى بن أبي عمرو السبائي به.

ثم قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٩/٢]: وحديثي من لا أنهم عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا فتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً وقد وصل من غير وجه والله الحمد.

فقال الإمام أحمد [٤٥٥/٢]: حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُشِّتْ بجوامع الكُلم وتُصْرَت بالرُعب وينا أنا نائمُ أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فُوضت في يدي».

وقد رواه البخاري منفرداً به عن يحيى بن بكير [٢٩٧٧] وسعد بن عفير [٧٠١٣] كلاهما عن الليث به وعنده قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تتنزلونها.

وقال الإمام أحمد [٥٠١/٢، ٥٠٢]: حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تُصْرَت بالرُعب وأُوتيتُ جوامع الكُلم وجُعِلَت لي الأرض مسجداً وطهوراً وينا أنا نائمُ أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض قُلت في يدي».

وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه.

وفي الصحيحين: [خ (٣١٢٠)، م (٢٩١٨)] «إِذَا هَلَكَ قِصْرُ فَلَا قِصْرَ بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ كَسْرَى فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَنْفَعَنَّ كَنْزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وفي الحديث الصحيح [م (٢٨٨٩)، د (٤٢٥٢)، ت (٢١٧٦)، ج (٣٩٥٢)]: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَسَيَلْغَ مَلِكٌ أَمِيٌّ مَا زَوَى لِي مِنْهَا».

سنة ٥ - نقض اليهود لليهود في غزوة

الخندق، وأحداث أخرى

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢١٩/٢، ٢٢٠]: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الأسياح من رومة بين الجرف وزغابه في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذيئب نعى إلى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ف ضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القرم وأمر بالنداري والنساء فجعلوا فوق الآطام.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قلت: وهذا معنى قوله تعالى: «وَإِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتْ الْقُلُوبُ الْخَنَازِرُ وَنَفْسُ الَّذِينَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ» [الأحزاب: ١٠]

قال البخاري [٤١٠٣]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة «وَإِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ» قالت: ذلك يوم الخندق.

قال موسى بن عقبة: ولما نزل الأحزاب حول المدينة أخلق بنو قريظة حصنهم دونهم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢٠/٢، ٢٢١]: وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه: ويمك يا كعب افتح لي. قال: ويمك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عامدت محمداً فطست بانفس ما ببني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا. قال: ويمك افتح لي أكلكم. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جيشك أن أكل معك منها.

فأحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويمك يا كعب جئتكم بجز الدهر وبحر طام قال: وما ذاك؟ قال: جئتكم بقرش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجمع الأسياح من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم

فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمسي بالنبل والحجارة قال سعيد بن المسيب: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك عهدك وعذك اللهم إن تشأ لا تعبد».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢٢/٢]: وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونعم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدثنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

وحتى قال أوس بن قيطي: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو - وذلك عن ملا من رجال قومه - فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة.

قلت: هؤلاء وأمثالهم المراءون بقوله تعالى: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُّأْخَذْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْإِغْرُورُ. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِذْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا» [الأحزاب: ١٢].

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢٢/٢، ٢٢٣]: فأقام رسول الله ﷺ - يعني مُرابطاً - وأقام المشركون يحاصرونه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل، فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أنهم عن الزهري إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قاتلنا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهم عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا حزيمة الصلح إلا المراوضة.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه. فقالا: يا رسول الله أمرأ تحبه فنصته، أم شيئا أمرك الله به لا بد من العمل به، أم شيئا نصنعه لنا؟ فقال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب زمتكم عن قوس واحدة وكأبؤكم من كل جانب فلو تدت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما». فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها قرعة واحدة إلا قرى أو بيعا، أفنحن أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال النبي ﷺ: «أنت وذاك». فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢٢/٢، ٢٢٥]: فأقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أحد بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس أحد بني حارث بن فهر، تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنزل بني كنانة فقالوا: تهيشوا يا بني كنانة للحرب فستملعون من الفرسان اليوم.

ثم أقبلوا تمنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا: والله إن هذه لكيدة ما كانت العرب تكيدها. ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا ففرضوا خيلهم فالتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق

بجنب تقمى إلى جانب أحد، قد عامدون وعامدون على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه.

فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق مائه يرعد ويرق وليس فيه شيء. ويحك يا حي! فدعني وما أنا عليه فإنه لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء.

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن فيما ذكره موسى بن عقبة ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ومعاقدتهم إياه على نصره وقال: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدلو.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢١/٢]: فلم يزل حيي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ وفي عمارته مع الأحزاب - على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيروا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده ويرى مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

قال موسى بن عقبة: وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم يعني لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً، قالوا: وتكون الرهائن تسعين رجلا من أشرفهم. فنالهم حيي على ذلك. فعند ذلك نقضوا العهد ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سعية أسد وأسيد وثعلبة فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢١/٢، ٢٢٢]: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير فقال: «انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتتظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقا فالحقنا لي لحنا أعرفه ولا تفتروا في أعضاد المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس». قال: فخرجوا حتى أتوهم.

قال موسى بن عقبة: فدخلوا معهم حصنهم فدعوههم إلى المراجعة وتجديد الحلف فقالوا: الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم؟ يريدون بني النضير ونالوا من رسول الله ﷺ فجعل سعد بن عباد يشاقهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: إنا والله ما جئنا لهذا ولما يتنا أكبر من المشاقة. ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه. فقالوا: أكلت أير أيبك. فقال: غير هذا من القول كان أجل بكم وأحسن.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢٢/٢]: نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاقتهم سعد بن معاذ وشاقوه وكان رجلا فيه حنة فقال له سعد بن عباد: دع عنك مشاقمتهم لما بيننا وبينهم أرى من المشاقة.

ثم أقبل السعدان ومن معهم إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة أي كندهم بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين».

قال موسى بن عقبة: ثم تمنع رسول الله ﷺ بويه حين جاءه الخبر عن بني قريظة فاضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين راوه اضطجع وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خير. ثم إنه رفع رأسه وقال: «أبشروا بفتح الله ونصره».

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: غيرك يا ابن أخي ومن أعلمك من هو أسن منك فإني أكره أن أهرق منك؟ فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهرق منك، فغضب فزول وسل سيفه كأنه شعله نار، ثم أقبل نحو علي منفضاً واستقبله علي بدوقته فضره عمرو في دوقته فقتلها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشق، وضربه علي على جبهته فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتل. ثم علي يقول:

أعليّ تقتحمُ القوارسُ مكلداً عني وعتهم أخسروا أصحابي
اليوم تَمُنُّني القرارُ حفيظي ومُصَنِّمُ في الراس ليس بنلي
إلى أن قال:

قَبِدَ الحجارة من سَفَاةِ رأيهِ وعبدتُ ربَّ محمدٍ بصوابي

إلى آخرها. قال ثم أقبل على نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا استلبته دعه فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضرت فاتقاني يسرته فاستحييت ابن عمي أن أسلبه، قال: وخرجت خيوله منهزمة حتى اتحمت من الخندق.

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي [الدلائل: ٤٣٨/٢] أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجه من مראה فمات في الخندق، ويعد المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بمشيرة آلاف، فقال: «هو لكم لا ناكلُ ثمن الموتى».

وقال الإمام أحمد [٢٤٨/١]: حدثنا نصر بن باب حدثنا حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أنه قال: قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين فأعطوا بجيفته مالاً، فقال رسول الله ﷺ: «ادفعوا إليهم جيفته فإنه خيرٌ خيبت النية»، فلم يقبل منهم شيئاً. وقد رواه البيهقي [الدلائل: ٤٤٠/٣] من حديث حماد بن سلمة عن حجاج هو ابن أروطة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس: أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعت إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في جسده ولا في ثمنه».

وقد رواه الترمذي [١٧١٥] من حديث سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وقال: غريب.

وقد ذكر موسى بن عتبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل وعرضوا عليه الدية فقال: «إنه خيرٌ خيبت النية فلعله الله ولعن دية». فلا أرب لنا في دية ولنستمتعكم أن تدفونه.

وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة فخرج إليه الزبير بن العوام فضره فشقه باثنين حتى قل في سيفه فلا وانصرف وهو يقول:

إنني أسرو أسمي واحتسي عن النبي المصطفى الأسي

وقد ذكر ابن جرير [٥٧٤/٢] أن نوفلاً لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا مشر العرب. فنزل إليه علي فقتله وطلب المشركون رثته من رسول الله ﷺ بالثمن فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ومكثهم من أخذ إليهم.

وهذا غريب من وجوه.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٤٣٩/٣، ٤٤٠] عن طريق حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: جعلت يوم

وسلخ وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقمحوها منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تمتع نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب ﷺ، فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام.

قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني أدعوك إلى التزال. قال له: لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك. قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فعمى عمرو عند ذلك فاتحتم عن فرسه ففرقه وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتزالا وتجاولا فقتله علي ﷺ وخرجت خيلهم منهزمة حتى اتحمت من الخندق هاربة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٢٥/٢]: وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نَصَرَ الحجارة من سَفَاةِ رأيهِ ونَصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصوابي
فَصَدَدْتُ حين تَرَكُهُ متجذلاً كالجلذع بين دكايلٍ وروابي
وَحَفَفْتُ عن أثوابِهِ ولو أنني كنتُ المقطَّرُ بَرَكِي أثوابي
لا تحسِنُ اللَّهُ خاتِلَ دِيهِه ونِيَّه يا مشرَّ الأحزاب

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لمعلي. قال ابن هشام: وألقى عكرمة رعه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال في ذلك حسان بن ثابت [ديوان حسان: ٢٦١، ٢٦٢]:

فَرَّ وَالْقَى لَنَا رُحْمَهُ لَعَلَّكَ عَكْرَمُ لم تفعل
وَوَلَّيْتَ تَمَدُّو كَمَدُّو الظِّلِّ م ما أن تَحْشُرَ عن المَسْدِلِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مَتَابُلاً كَأَنَّ قَالِكَ قَا فَرُغْلِ

قال ابن هشام: الفراعيل صغار الضياع.

وذكر الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» [٤٣٨/٣، ٤٣٩] عن ابن إسحاق في موضع آخر غير «السيرة» قال: خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد فنادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال: إنه عمرو، اجلس. ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلاً؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله؟ فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة فقال:

وَلَقَدْ بَحَثْتُ مِنَ النِّسَاءِ بجمعكم هل من مبارز
وَوَقَفْتُ إذ جِئْتُ المَشْجُعَ موقفَ القرون المنأجر
وَلَسْنَاكَ إِنْسِي لم أزل متبرعاً قبَل المَزاوِر
إِنَّ الشَّجَاعَةَ في الفَتَى والجود من خير الفرائز

قال فقام علي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا. فقال: «إنه عمرو»، فقال: وإن كان عمراً. فاذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أبى وهو يقول:

لَا تَجْجَلَنَّ قَدْ أَتَاكَ عجبٌ صوتك غير عاجر
في ثِيَابٍ وبصيرة والصدق متجس كل فائر

إنسي لأرجو أن أترسم عليك نائحة الجنائر
من ضربتي لحناء يقيى ذكرها عند المَزاوِر

تري يطيف بالحصن وإني والله ما آتته أن يدل على هورتا من ورامنا من يهود وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فقاتله.

قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا. قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضرته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمتني من سلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب.

حكى السهيلي [الروض: ١/٣٢٤] عن بعضهم أنه قال: كان حسان جباناً شديداً الجبن قال: وأنكر آخرون ذلك وطعنوا في هذا الخبر فقالوا: هو مقطوع قالوا: وقد كان يهاجي المشركين من الشعراء كابن الزبيري وضربوا بن الخطاب وغيرهما فلم يعيره واحد منهم بالجبن قال: ومن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر الترمي قالوا: ويتقدير صحة هذا الخبر لعله كان مقطوعاً في الأطراف لعله عارضة ومال إلى هنا السهيلي والله أعلم قال موسى بن عقبة: وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتابتهم فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدري أتم صلاته أم لا قال: ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقتل النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا فانكفت الكتيبة مع الليل فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «فشلونا عن صلاة العصر ملاً الله بطونهم وقلوبهم - وفي رواية: وقبورهم - ناراً».

فلما اشتد البلاء ناقد ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب جعل يشهرهم ويقول: «والذي نفسي بيده ليرجحنَّ عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله لي مفاتيح الكعبة وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ولتفتقنَّ كنوزهما في سبيل الله».

وقد قال البخاري [٤١١]: حدثنا إسحاق حدثنا روح حدثنا هشام عن محمد بن عبيدة عن علي بن أبي حمزة أنه قال يوم الخندق: «ملا الله عليهم يؤتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس».

وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي بن أبي حمزة [٢٠٢/٢٢٧]، د [٤٠٩].

ورواه مسلم [٢٠٣/٢٢٧] والترمذي [٢٩٨٤] من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة عن علي بن أبي حمزة [٤١٢]:

وقال الترمذي: حسن صحيح. ثم قال البخاري [٤١٢]: حدثنا المكي بن إبراهيم حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ما كذبت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ: «والله ما صليتها» فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان فتروا للصلاة وتروأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

وقد رواه البخاري [٥٩٦] أيضاً ومسلم [٦٣١] والترمذي [١٨٠] والنسائي [١٣٩٥] من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به.

وقال الإمام أحمد [٣٠١/١]: حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس قال: قاتل النبي ﷺ عدواً فلم يفرغ منهم

الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ومعهم عمر بن أبي سلمة فجعل يطأطيأ لي فأصعد على ظهره فأنظر قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة ههنا ومرة ههنا فما يرتفع له شيء إلا أتاه فلما أمسى جاءنا إلى الأطم قلت: يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع قال: ورأيتني يائسي؟ قلت: نعم قال: فدى لك أبي وأمي.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢٦/٢، ٢٢٧]: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن. قالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب. قالت: فمر سعد وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حوته يرقد بها ويقول: «بُثْ قليباً يشهد الهيجا خَمَلٌ لا بأس بالموث إذا حان الأجل».

فكانت له أمة: الحق بني فقد والله آخرت، قالت عائشة لها: يا أم سعد والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ بما هي. قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه. فُرِي سعد بن معاذ بهم فقطع منه الأكل.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢٧/٢، ٢٢٨]: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: رماه حيان بن قيس بن العرقعة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقعة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقي لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكتبوه وأخرجوه. اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها في شهادة ولا تمتني حتى تفرعني من بني قريظة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢٧/٢، ٢٢٨]: وحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني غزوم، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل:

أعكرمُ هلاً لمتني إذ تقول لي فذلك بأطام المدينة خالد
الست الذي التزمت سعداً فُرِشَةً لها بين اثنين المرافق صائد
فقصي نجبه منها سعيداً فأقولت عليه مع الشمط العذاري التواهد
وأنت الذي فافعت عنه وقد دعا عبيدة جُفماً منهم إذ يكسأب
على حين ما هم جائر عن طريقه وأخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق: والله أعلم أي ذلك كان. قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حيان.

قلت: وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة أقر الله عينه فعكم فهم بقدرته وتيسيره وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك كما سيأتي بيانه فحكم بقتل مقاتلتهم وسي ذوابهم حتى قال له رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٢٨/٢، ٢٢٩]: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في غور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن آتانا آت فقلت: يا حسان إن هنا اليهودي كما

حتى آخر العصر عن وقتها فلما رأى ذلك قال: «اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملا بيوهم نارا واملأ قبورهم نارا» ونحو ذلك. تفرد به أحمد وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره.

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث. وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي.

وقد بوب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث ويقول ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - «لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة» وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحداً من الفريقين واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن. وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور منهم الشافعي: هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشريعة صلاة الخوف بعد ذلك لأنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلعلنا أخروها يومئذ.

وهو مشكل فإن ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بسفان وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام في المغازي قبل الخندق وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق فالحق الله أعلم. وأما الذين قالوا: إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً.

كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس فهو مشكل إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على المحافظة على الصلاة كيف وقد روي أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء.

قال الإمام أحمد (٦٨، ٦٧/٣): حدثنا يزيد وحجاج قالوا: حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قوله: ﴿وَرَزَّ اللَّهُ النَّبِينَ ثَمَرًا كَفَرُوا بِعَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥]. قال: فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها ثم أقام العصر فصلها كذلك ثم أقام المغرب فصلها كذلك ثم أقام العشاء فصلها كذلك وذلك قبل أن يُزِيلَ - قال حجاج: في صلاة الخوف -: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِيتُمْ فَأُذِكُوا اللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

وقد رواه النسائي (٦٦٠) عن قتباس عن يحيى القطان عن ابن أبي ذئب به. قال: شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس فذكره.

وقال أحمد (٣٧٥/١): حدثنا هشيم حدثنا أبو الزبير عن نافع بن جبير عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله. قال: فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ثم

أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار: ٣٦٥]: حدثنا محمد بن معمر حدثنا مؤمل يعني ابن إسماعيل حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن عبد الكريم يعني ابن أبي المخارق عن مجاهد عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء ثم قال: «ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم». تفرد به البزار، وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم، عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله.

سنة ٥ - دعاء النبي ﷺ على الأحزاب

وكيف صرفهم الله بحوله وقوته استجابة لرسوله ﷺ وصيانة لحوزته الشريفة فزلزل قلوبهم ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبنائهم. قال الإمام أحمد (٣٧٣/٣): حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر، قال: «نعم. اللهم استر عورتنا وآمن روعائنا» قال: فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فنهزمهم الله بالريح.

وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبيه عن أبي عامر - وهو العقدي - عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد فذكره وهذا هو الصواب. وقال الإمام أحمد (٣٩٣/٣): حدثنا حسين عن ابن أبي ذئب عن رجل من بني سلمة عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مَدًّا يدعو عليهم ولم يصل. قال: ثم جاء ودعا عليهم وصلى.

وثبت في «الصحاحين» ج (٢٩٣٣)، م (١٧٤٢) من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم مُزِلْ الْكُتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ وَزَلِّهِمْ». وفي رواية: ج (٣٩٦٦)، م (١٧٤٢/٢٠) «اللهم اهْزِمِهِمْ وَأَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

وروى البخاري (٤١١٥) عن قتبية عن الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده أعز جنته ونصر عبده وظل الأحزاب وحده فلا شيء بعده».

وقال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٢٩/٢ - ٢٣١): وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة لنتظار علوهم عليهم ولينصرتهم فقام من فوقهم ومن أسفل منهم. قال (سورة ابن هشام: ٢٢٩/٢ - ٢٣١): ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أبف بن ثعلبة بن قنذ بن هلال بن خلاوة بن شجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فعرني بما شئت فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فنخلك عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم ندباً في الجاهلية

وراءكم؟ فقال: إنه قد بعث قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فينازوك، فقالت قريظة: نعم فأرسلوا إلينا بالرهن. وقد ذكر فيما تقدم: أنهم إنما تقضوا المهد على يدي حيي بن أخطب بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «إني مُرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره»، قال: «إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم»، فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان وقال رسول الله ﷺ: «الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا».

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه واتفق ذلك ليلة السبت يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة فأوقع الله بينهم واختلفوا.

قلت: وقد يحتمل أن تكون قريظة لما يسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بنحو إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٣١/٤ - ٢٣٣]: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٣١/٤ - ٢٣٣]: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله أرايت رسول الله ﷺ وصحبيموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمضي على الأرض والحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنائق وصلى رسول الله ﷺ هوى من الليل ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ؟» فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة «أَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ».

فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يبق أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا»، قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجتود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا نأراً ولا بناءً.

فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه. قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فاعرجوا إليّ فمخجل، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ: «لا تحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت لقتله بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في ويرط لبعض نسائه فمراجل رأيت أدخلني إلى رجله وطرح عليّ طرف المرت ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم، وهذا منقطع من هذا الوجه.

فقال لهم: يا بني قريظة قد عرفت ودي إليكم وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كائتم، البلد ببلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسألكم لا تقدرن على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جأؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهر قومه عليه وبلدكم ونسألكم وأموالهم بغيره فليسوا كائتم فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلقوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكرنون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تتناجزوه. قالوا: لقد أشرت بالراي.

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفت ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني. قالوا: نفعل قال: تعلموا أن معشر يهود قد نلوا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد نلنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فتعطيكمهم فتضرب أعناقهم ثم تكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم أن نعم: فإن بعثت إليكم يهود يلتصمون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهمونني. قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال: فاكتموا عني قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحزبهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى تنأجز محمداً وتفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ولنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تطولنا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى تنأجز محمداً فإنا نخشى إن ضررناكم الحروب واشتد عليكم القتال أن تنشملوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاحرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق. ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشملوا إلى بلادهم وخلقوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله ما نقاتل معكم حتى تطولنا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قنودهم وتطرح أبنتهم.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن ما ذكره موسى بن عبيدة.

وقد أورد عنه البيهقي في «الدلائل» [٤٠٤/٣، ٤٠٥] فإنه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يلعب ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مرّ برسول الله ﷺ ذات يوم عشاء، فأشار إليه أن تعال، فجاء فقال: «ما

ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاه.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي فوالله ما عدا أن رجعت وراجعتي القر وجعلت أترقف فلوماً إلى رسول الله ﷺ بيده وهو يصلي فدنوت منه فأسبل علي شملته، وكان رسول الله ﷺ إذا حزه أمر صلى. فأخبرته خبر القوم، أخبرته أنني تركهم يرحلون قال: وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودُهُ فَازْدَلَّتْ عَنْكُمْ وَجُنُودُهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ صَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٩] يعني الآيات كلها إلى قوله: ﴿وَرَزَقَ اللَّهُ الْيَتِيمَ كَثْرًا بَعِثْنَاهُمْ لَمْ يَتَأَلَّوْا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥] أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته.

لهذا ثبت في [الصحيحين] (ج ٤١١٤)، م (٢٧٢٤) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده».

وفي قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم.

وهكذا وقع ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين، كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن هشام: ٢٥٤/٢]: فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: «لن تغزواكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونها». قال: فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة وهذا بلاغ من ابن إسحاق.

وقد قال الإمام أحمد [٢٦٧/٤]: حدثنا يحيى عن سفيان حلفي أبو إسحاق سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزونا».

وهكذا رواه البخاري [٤١٠٩] من حديث إسرائيل وسفيان الثوري كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي عن سليمان بن صرد به.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٥٤/٢، ٢٥٤]: واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة، ثلاثة من بني عبد الأشهل وهم: سعد بن معاذ - وستاتي وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو وعبد الله بن سهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة الجشماني السلمياني وكعب بن زيد التجاري أصابه سهم فقتله.

قال: وقتل من المشركين ثلاثة وهم: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جثته بثمان كبير كما تقدم وعمرو بن عبد ود العامري قتله علي بن أبي طالب.

قال ابن هشام [السيرة: ٢٥٣/٢]: وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال: قتل علي يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه جيل بن عمرو. قال ابن هشام [السيرة: ٢٥٤/٢]: يقال: عمرو بن عبد ود ويقال: عمرو بن عبد.

وقله روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في «صحيحه» [١٧٨٨] من حديث الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال له رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ فقلت معه وأبليت، فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ربح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني خبر القوم يكون معي يوم القيامة؟» فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية ثم الثالثة مثله. ثم قال: «يا حذيفة قم فأتينا بخبر القوم».

فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم، فقال: «أتيني بخبر القوم ولا تدعهم علي». قال: فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تدعهم علي»، ولو رميته لأصعبته، فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله ﷺ فاصابني البرد حين رجعت، وقررت فأخبرت رسول الله ﷺ، والبسي من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائمًا حتى الصباح، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نومان»!

وقله روى الحاكم والمافظ البيهقي في «الدلائل» [٤٥١/٣ - ٤٥٣] هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال: ذكر حذيفة مشاهدته مع رسول الله ﷺ، فقال جلساءه: أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا فقال حذيفة: لا أتوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعد وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريبة اليهود أسفل منا نخافهم على فرارنا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المناقون يستأفنون النبي ﷺ ويقولون: إن بيوتنا عمدة وما هي بعمره، فما يستأفنه أحد منهم إلا أخذ له، ويأذن لهم ويتسللون، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لأمرائي ما يجاوز ركبتي.

قال: فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة، فقال: «حذيفة! فتناصرت بالأرض فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم قال: «قم» فقم فقال: «إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم».

قال: وأنا من أشد الناس فرعاً وأشدهم قراً.

قال: فخرجت فقال رسول الله ﷺ: «اللهم احفظه من بين يدي ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته» قال: فوالله ما خلق الله فرعاً ولا قرأ في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد فيه شيئاً. قال: فلما وليت قال: «يا حذيفة لا تحلن في القوم شيئاً حتى تأتيني».

قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل الرحيل! ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كتاني أبيض الرش فاضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحلن فيهم شيئاً حتى تأتيني»، فأمسكت ورددت سهمي إلى كتاني، ثم إنني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يألك عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم، وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إنني لأسمع صوت الحجارة في رحالمهم وفرشهم الريح تضربهم بها.

ثم خرجت نحو رسول الله ﷺ فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من

سنة ٥- غزوة بني قريظة

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم وذلك لكفرهم ونقضهم العهد التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ومُوالائهم الأحزاب عليه لما أجدى ذلك عنهم شيئاً وبأوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ بِرِيقًا. وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَقَبَاظَهُمْ وَأَنْزَلْنَاهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْرُقْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥، ٢٦].

قال البخاري [٤١١٦]: حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا عبد الله حدثنا موسى بن عقبة عن سالم ونافع عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قتل من الغزو والحج والعمره يبدأ فيكبر ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيرون تائبون عابدون ساجدون لربنا حاملون صلح الله وعدده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن هشام: ٢٣٣/٢، ٢٣٤]: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعو السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني الزهري معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج، فقال: «أَوَ قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم»، فقال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني أعمد إليهم فمزول بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤثماً فاذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

قال ابن هشام [السيرة: ٢٣٤/٢]: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. وقال البخاري [٤١١٧]: حدثني عبد الله بن أبي شبة حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعتها! فأخرج إليهم، قال: «فأين؟» قال: ههنا وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ.

وقال أحمد [٢٨٠/٩]: وحدثنا حسن حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المختل ليتسل وجاء جبريل فرايته من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار، فقال: يا محمد أوضعتم أسلحتكم؟ فقال: ما وضعنا أسلحتنا بعد أنهذ إلى بني قريظة.

ثم قال البخاري [٤١١٨]: حدثنا موسى حدثنا جبر بن حازم عن حيد بن هلال عن أنس بن مالك قال: كُتِبَ أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة.

ثم قال البخاري [٩٤٦]: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يُرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم ينفذ واحداً منهم.

وهكذا رواه مسلم [١٧٧٠] عن عبد الله بن محمد بن أسماء به. وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٨/٧٤]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن خالد بن خلص حدثنا بشر بن شبيب عن أبيه حدثنا الزهري أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللامة واغتسل واستجمر، فتبذى له جبريل عليه السلام فقال: عذرك من عذاب إلا أراك قد وضعت اللامة وما وضعتها بعد، قال: فوثب النبي ﷺ فرعاً فزعز على الناس لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة. قال: فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس فاختمهم الناس عند غروب الشمس، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى تأتي بني قريظة فلما نحن في عزمة رسول الله ﷺ، فلبس علينا إثم، وصلى طائفة من الناس احتساباً، وترك طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس، فصلوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً، فلم ينفذ رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٨/٤ - ١٠] عن طريق عبد الله العمري عن أخيه عبيد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان عندها، فسلم علينا رجل ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فرعاً، وقمت في أثره فلما بدية الكلي، فقال: «هنا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال: قد وضعت السلاح لكننا لم نضع، طلبنا المشركين حتى بلغنا حراء الأسد» وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق.

فقام رسول الله ﷺ فرعاً وقال لأصحابه: «عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة»، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة فصلوا، وقالت طائفة: وإله إنا لنفي عزمة رسول الله ﷺ وما علينا من إثم، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً، وترك طائفة إيماناً واحتساباً، ولم ينفذ رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين.

وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال: «هل مَرَّ بكم أحد؟» فقالوا: مَرَّ علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج، فقال: «ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة لينزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب».

فحاصروهم النبي ﷺ وأمر أصحابه أن يستروهم بالجحف حتى يسمعهم كلامه، فناداهم: «يا إخوة القردة والخنازير». فقالوا: يا أبا القاسم لم تكن فحاشاً، فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم ونساءهم.

ولمنا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها. وقد اختلف العلماء في الصيب من الصحابة يومئذ من هو؟ بل الإجماع على أن كلا الفريقين مأجور ومعتور غير معنف. فقالت طائفة من العلماء: الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوا في بني قريظة هم المصيبون، لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاص، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً.

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتابه «السيرة» [١٩٢]: «وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام. وهذا القول منه ماش على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر».

وقالت طائفة أخرى من العلماء: بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما

لأبابة: لا أتيتهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «قد أذنت لك»، فأتاهم أبو لبابة ففكروا إليه وقالوا: يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا فإنه لا طاقة لنا بالقتال؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمر عليه أصحابه، يريهم إنما يراد بهم القتل.

فلما انصرف أبو لبابة سقط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي، فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد، وزعموا أنه أربط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ كما ذكر حين رآه عليه أبو لبابة: «أما فرغ أبو لبابة من حلقائه»، قالوا: يا رسول الله، قد والله انصرف من عند الحصن، وما ندرى أين سلك. فقال رسول الله ﷺ: «قد حذرت لأبي لبابة أمراً، ما كان عليه». فاقبل رجل من عند المسجد فقال: يا رسول الله، قد رأيت أبا لبابة ارتبط بجبل إلى جذع من جذوع المسجد. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أصابته بعدي فتنة ولو جاني لاستغفرت له وإذ قد فصل هذا فلن أحركه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما يشاء».

وهكلا رواه ابن لبيبة عن أبي الأسود عن عروة.

وكذا ذكره محمد بن إسحاق في «مغازيه» [سورة ابن هشام: ٢٣٤/٢ - ٢٣٧] في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهري ومثل رواية أبي الأسود عن عروة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٣٤/٢ - ٢٣٧]: ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وقد كان حسي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عامده عليه، فلما إيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها. قالوا: وما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدق فوائده لقد تبين لكم أنه لني مرسل، وأنه للذي تجبونه في كتابكم فتأمّنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم.

قالوا: لا تفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره. قال: فإذا آييتهم عليّ هذه فهلهم لقتل أبناءنا ونساءنا، ثم أخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيف لم تترك وراءنا نقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: أنقل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن آييتهم عليّ هذه، فالليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها، فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة. قالوا: أنفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يتفح عتك من المسخ.

فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدت أمه ليلة من الدهر حازماً. ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابنت أبا لبابة بن عبد المنذر أختا بني عمرو بن عوف - وكانوا حلفاء الأوس - نستشير في أمرنا. فأرسله رسول الله ﷺ، فلما رآوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يكونون في وجهه، فرق لهم وقالوا: يا أبا لبابة أئثرى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه أنه الذئبع، قال أبو لبابة: فوالله ما

أدركتهم وهم في سبيلهم، هم المصبيون لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة، لا تأخير الصلاة، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها، مع فهمهم عن الشارع ما أراد، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حولت إليه يومئذ، كما يدعي أولئك، وأما أولئك الذين آخروا فعندوا بحسب ما فهموا، وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه.

وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال، كما فهمه البخاري [١٩٤٦] حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا، فلا إشكال على من آخر، ولا على من قدم أيضاً والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٣٤/٢]: وقدم رسول الله ﷺ على بني أبي طالب ومعه رايته وابتدروا الناس.

وقال موسى بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري: فبينما رسول الله ﷺ في مقتله كما يزعمون قد رجل أحد شقيه أتاه جبريل على فرس عليه لأمته حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنات، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له جبريل: غفر الله لك أو قد وضعت السلاح؟ قال: «نعم». فقال جبريل: لكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو ومازلت في طلبهم حتى هزمهم الله.

ويقولون: إن على وجه جبريل لأثر الغبار. فقال له جبريل: إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة فإنا عاهد إليهم بمن معي من الملائكة ألا نزلهم بهم الحصون فآخروا بالخروج بالناس.

فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل فمر على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ فسلمهم فقال: «مرّ عليكم فارس أنفأ؟» قالوا: مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته منط أو قطيفة ديباج عليه اللامة، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال: فذاك جبريل.

وكان رسول الله ﷺ يشبه دحية الكلبي بجبريل، فقال: «الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر»، فقاموا ومن شاء الله من المسلمين فانطلقوا إلى بني قريظة، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة؟

وقال آخرون: هي الصلاة، فصلى منهم قوم وأخبرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بني قريظة بعد أن غابت الشمس.

فذكروا لرسول الله ﷺ من عجل منهم الصلاة ومن آخرها، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعف واحداً من الفريقين. قال: فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال: أرجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود.

وكان علي قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وإزواجه رضي الله عنهن ففكره عليّ أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لم تأمرني بالرجوع؟» فكلمه ما سمع منهم فقال: «أظنك سمعت لي منهم أذى فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت».

فلما نزل رسول الله ﷺ محصنهم، وكانوا في أعلاه نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعههم فقال: «أجيبوا يا معشر يهود يا إخوة القردة، قد نزل بكم خزي الله عز وجل»، فحاصروهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ورد الله حسي بن أخطب حتى دخل حصن بني قريظة وقذف الله في قلوبهم الرعب، واشتد عليهم الحصار فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر - وكانوا حلفاء الأنصار - فقال أبو

قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها: ربيعة في مسجده، وكانت تناوي الجرحى، فلما حكمه في بني قريظة أثناء قومه فحملوه على حمار قد وطؤوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جيلًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم. فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم».

فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد الأنصار وأما الأنصار فيقولون: قد هم رسول الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمتم؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» قال سعد: فتأيي أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسي الذراري والنساء.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٤٠/٢]: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة».

وقال ابن هشام [السيرة: ٢٤٠/٢]: حدثني من اتق به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كية الإيمان وتقدم هو والزيبر بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو أقتحم حصنهم، فقالوا: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.

وقد قال الإمام أحمد [٢٢/٣]: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم، سمعت أبا أمامة بن سهل، سمعت أبا سعيد الخدري، قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ: «قوموا لسيدكم. أو: خيركم». ثم قال: إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال: تقتل مقاتلتهم وتسي ذريتهم.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «قضيت بحكم الله». وربما قال: «قضيت بحكم الملك». وفي رواية: «الملك». أخرجه في «الصحيحين» [٣٠٤٣، ٣٠٤٤] م (١٦٨٩) من طرق عن شعبة.

وقال الإمام أحمد [٣٥٠/٣]: حدثنا حجين ويونس قالوا: حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أنه قال: رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانضخت يده، فترفه فحسمه أخرى فانضخت يده، فترفه فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عني من بني قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسي نساؤهم وذريتهم، يستعين بهم المسلمون، فقال رسول الله ﷺ: «أصبحت حكم الله فيهم». وكانوا أربعمائة. فلما فرغ من قتلهم انفتحت عرقه فمات.

وقد رواه الترمذي [١٥٨٢] والنسائي [٨٦٧٩] جميعاً عن قتية، عن الليث به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٥٩/٦]: حدثنا ابن غير، عن هشام أخبرني أبي عن

زالت قدميها من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال: لا أبرح مكانتي حتى يتوب الله عليّ مما صنعت. وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً.

قال ابن هشام [السيرة: ٢٣٧/٢]: وأُنزل الله فيما قال سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أُمَّتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [سورة الاحفال: ٢٧].

قال ابن هشام [السيرة: ٢٣٨/٢]: أقام مرتبطاً ست ليال تأتبه امرأته في وقت كل صلاة فتحله حتى يتوضأ ويصلي، ثم يرتبط حتى نزلت توبته في قوله تعالى: «وَأَخْرُوجُوا عَنْهُمْ وَأَنْزِلُوا عَلَيْهِمْ حُلُوفَ ضَالِحًا وَأَخْرَسُوا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [سورة النحر: ١٠٢]. وقول موسى بن عقبة: إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به أشبهه والله أعلم.

وذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٧/٢]: أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل، وهو في بيت أم سلمة، فجعل يشتم، فسأله أم سلمة فاتعبرها بتوبة الله على أبي لبابة، فاستأذنته أن تبشره، فأذن لها فخرجت فبشرته، فثار الناس إليه يشيرونه، وراودوا أن يخلوه من رباطه، فقال: والله لا يخلني منه إلا رسول الله ﷺ.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حله من رباطه ﷺ وأرضاه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٨/٢، ٢٣٩]: ثم إن ثعلبة بن سمية، وأسيد بن سمية، وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد بن القريظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليهم محمد بن سلمة تلك الليلة فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في خدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن سلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمي إقالة عثرات الكرام.

ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا.

فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال: «ذاك رجل نجاه الله بوفائه». وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة، فأصبحت رمته سلقاً، ولم يدر أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٩/٢]: فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثب الأوس فقالوا: يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالينا إخواننا بالأمس ما قد علمت، يعنون عفره عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أبي كما تقدم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٩/٢، ٢٤٠]: فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأوس ألا تعرضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى. قال: «فذلك إلى سعد بن معاذ»، وكان رسول الله ﷺ

وعيك! إنك قد أكثر منذ اليوم، وأين التحوز أبو الغرار إلا إلى الله عز وجل. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له: ابن العرقعة وقال: خذها وأنا ابن العرقعة، فأصاب أكحله قطعه.

فدعا الله سعد فقال: اللهم لا تمنني حتى تقرب عيني من بني قريظة، قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية، قالت: فقرأ كلمة، ويست الله الربيع على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً. فلهن أبو سفيان ومن معه بهامة، ولحق عينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقية من آدم، ففصرت على سعد في المسجد.

قالت: فجاء جبريل وإن على ثيابه لنقع الغبار فقال: أقدم وضعت السلاح؟ والله ما وضعت الملائكة السلاح بعدا أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله ﷺ لامته وأذن في الناس بالرحيل، أن يخرجوا، فمر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله فقال: لمن مر بكم؟ قالوا: مر بنا دحية الكلبي - وكان دحية الكلبي تشبه لحينه وسنه ووجهه جبريل عليه السلام - فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصروهم حساً وعشرين ليلة.

فلما اشتد حصرهم، واشتد البلاء، قيل لهم: اتزولوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبيح، قالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ: «اتزولوا على حكم سعد بن معاذ»، فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حمل عليه، وحف به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة، ومن قد علمت، قالت: ولا يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم.

قالت: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم فانزلوه» قال عمر: سيدنا الله، قال: «انزلوه»، فانزلوه. قال رسول الله ﷺ: «أحكم فيهم»، فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتبني ذراريهم، وتقسّم أموالهم فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله، وحكم رسوله»، ثم دعا سعد فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً، فأبقي لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقضي إليك.

قالت: فانفجر كلمة وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبة التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رَحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ﴾.

قال علقمة: قللت: يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تلمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فلاناً هو أخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة، وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين، مرة قبل حكمه في بني قريظة، ومرة بعد ذلك، كما قلناه أولاً، والله الحمد والمنة.

وستذكر كيفية وفاته ودفنه وفضله في ذلك ﷺ وأرضاه بعد فراغنا من القصة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٠/٢، ٢٤١]: ثم استزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، قلت: هي نسية بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس، وكانت تحت

عائشة، قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال: قد وضعت السلاح! فوالله ما وضعتها! أخرج إليهم. قال رسول الله ﷺ: «فأين؟» قال: وهنا وأشار إلى بني قريظة، فخرج رسول الله ﷺ إليهم.

قال هشام: فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ فرد الحكم فيهم إلى سعد قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتبني النساء والذرية وتقسّم أموالهم.

قال هشام: قال أبي: فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله».

وقال البخاري [٤١٢٢]: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام عن أبيه، عن عائشة، قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماء رجل من قريش يقال له: حيان بن العرقعة، رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفخ رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح! والله ما وضعتها أخرج إليهم.

قال النبي ﷺ: «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فزولوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تبني النساء والذرية، وأن تقسّم أموالهم.

قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة: أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدكم فيك من قوم كنّبوا رسولك، وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء، فأبقي له حتى أجاهدكم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها وأجعل موتي فيها. فاستفجرت من لبته فلم يرحمهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هنا الذي أتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يخلو جرحه دماً فمات منها.

وهكذا رواه مسلم [١٧٦٩/٦٥] من حديث عبد الله بن نمير به.

قلت: كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة، ولهذا قال فيه: ولا تمنني حتى تقرب عيني من بني قريظة، فاستجاب الله له، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أتم قرار، دعا ثانياً بهذا الدعاء، فجعلها الله له شهادة ﷻ وأرضاه. وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله.

وقد رواه الإمام أحمد [١٤١/٦، ١٤٢] من وجه آخر عن عائشة مطولاً جداً، وفيه فوائد فقال: حدثنا يزيد، أنبأنا محمد بن عمرو عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص، قال: أخبرني عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وتيد الأرض وراني، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجته، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أقفوف على أطراف سعد، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول:

لَبِثْتُ قَلِيلاً بِسَدْرِكَ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت: فقامت فاتحمت حذيفة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبحة له تعني المغفر فقال عمر: ما جاء بك، والله إنك لجرية، وما يؤمنك أن يكون بلاء، أو يكون غموز، فما زال يلومني حتى تخيمت أن الأرض انشقت لي ساعداً فدخلت فيها، فرفع الرجل التسبحة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال: يا عمر

عمير عن عطية القرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أثبت منهم، وكنت غلاماً فوجدوني لم أثبت، فخلوا سبيلي. ورواه أهل السنن الأربعة [د (٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، ت (١٥٨٤)، س (٨٦٢٠، ٨٦٢١)، ج (٢٥٤١، ٢٥٤٢)] من حديث عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي نحوه.

وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إثبات الشعر الحشن حول الفرج دليل على البلوغ، بل هو بلوغ في أصح قولي الشافعي. ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل النعة، فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم، لأن المسلم قد يتأذى بذلك المقصد.

وقد روى ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٤/٢] عن أيوب بن عبد الرحمن: أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن سموان، وكان قد بلغ فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك فأطلقه لها، وكانت قالت: يارسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيصلي، ويأكل لحم الجمل. فأجابها إلى ذلك فأطلقه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٢/٢]: وحديثي محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة قالت: لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي، تصحك ظهراً وبتناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل! قلت: ولم؟ قالت: لحديث أحدثته، قالت: فانطلق بها ففرضت عقبتها، وكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل.

وهكذا رواه الإمام أحمد [٢٧٧/٦] عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق به. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٢/٢] هي التي طرحت الرجا على خلاد بن سويد فقتله، يعني قتلها رسول الله ﷺ به. قاله ابن إسحاق في موضع آخر وسماها نبأ امرأة الحكم القرظي.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٤/٢]: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس، وقسم للفارس ثلاثة أسهم، سهمين للفارس وسهماً لراكبه، وسهماً للراجل، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين. قال: وكان أول في وقت فيه السهمان وخمس.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٥/٢]: وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد بسايا من بني قريظة إلى نجد، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً. وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نساءهم ورجلانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت، ثم أسلمت بعد ذلك، فسر رسول الله ﷺ بإسلامها، وقد عرض عليها أن يعتقها ويترجها، فاختارت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها، فلم تنزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام.

ثم تكلم ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٥/٢ - ٢٥٠] على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة.

وقد قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٥٤/٢]: واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي، طرحت عليه رجا فشدخته شدة شديداً، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجر

مسيلة الكذاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عمر بن كريز، ثم خرج ﷺ إلى سوق المدينة فخنق بها خناتق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخناتق، فخرج بهم إليه أرسلاً، وفهم عند الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة. والمكث لهم يقول: كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة.

قلت: وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر: أنهم كانوا أربعمائة فوالله أعلم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤١/٢]: وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذبح بهم إلى رسول الله ﷺ أرسلاً: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أي كل موطن لا تعقلون، ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل. فلم يزل ذلك الداب حتى فرغ منهم، وأتى بحبي بن أخطب وعليه حلة له فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قمر أكمة، ثلاثاً يسليها، مجموعة يده إلى عنقه بجبل.

فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عدوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بامر الله، كتاب وقدر وملحمة، كتبها الله على بني إسرائيل. ثم جلس ففرضت عقبه، فقال جبل بن جوال التميمي:

لعمرك ما لآم ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل لجأه حتى أبلغ النفس عندها وفقلل يغني العز كل مقلل

وقد وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٢/٢، ٢٤٣] قصة الزبير بن باطا وكان شيخاً كبيراً، وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس، وجز ناصيته، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاه فقال: هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك، فقال له ثابت: أريد أن أكافئك فقال: إن الكريم يميز الكريم، فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه فأطلقه له ثم جاءه فأخبره فقال: شيخ كبير لا أهل ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده، فأطلقهم له ثم جاءه فأخبره فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزبير بن باطا، فأطلقه له، ثم جاءه فأخبره فقال له: يا ثابت ما فعل الذي كان وجهه امرأة صينية تراه فيها عنذراي الحمي؟ يعني كعب بن أسد؟ قال: قتل. قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شلحنا وحاميتنا إذا فرنا؟ عزال بن شموال؟ قال: قتل. قال: فما فعل المجلسان؟ - يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة - قال: ذهبوا قتلوا، قال: فإني أسألك يا ثابت يدي عندك إلا ألحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أتأ بصابر لله قيلة ولو ناضح حتى ألقى الأحبة.

فقد تم ثابت ففرضت عقبه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: ألقى الأحبة. قال: يلغامهم والله في نار جهنم خللاً فيها خللاً.

قال ابن إسحاق: «قيلة» بالفاء والياء المثناة من أسفل.

وقال ابن هشام: بالقاف والياء الموحدة.

وقال ابن هشام: الناضح: البعير الذي يستقي عليه الماء لسقي النخل.

وقال أبو عبيدة: معناه إفراغه دلو.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٤٤/٢]: وكان رسول الله ﷺ قد أمر يقتل كل من أثبت منهم. فحدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن

شهيدين».

قلت: كان الذي ألقى عليه الرمح تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٢٥٤]: ومات أبو سنان بن محضر بن حراثن من بني أسد بن خزيمة ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم.

سنة ٥ - وفاة سعد بن معاذ

قد تقدم أن حيان بن العرقه لعنه الله رماه بسهم فاصاب أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ كيأ بالنار فاستمسك الجرح، وكان سعد قد دعا الله أن لا يمته حتى يقر عينه من بني قريظة، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من اليهود والمواثيق والذمام، ومالوا عليه مع الأحزاب، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه، والصفقة الحاضرة في الدنيا والآخرة، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدم.

فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أتوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فيحكم فيهم بما أراه الله فرد الحكم فيها إلى رئيس الأوس، وكانوا حلفاءهم في الجاهلية، وهو سعد بن معاذ فرفضوا بذلك، ويقال: بل نزلوا ابتداء على حكم سعد، لما يرجون من خنوه عليهم، وإحسانه وميله إليهم، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدائهم من القردة والخنائير، لشدة إيمانه وصدقيته ﷺ وأرضاه، فبعث إليه رسول الله ﷺ وكان في خيمة في المسجد النبوي، فجاء به على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه، ولما قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له، قيل: ليتزل من شدة مرضه، وقيل: توقيراً له بمحضرة المحكوم عليهم، ليكون أبلغ في نفوذ حكمه والله أعلم.

فلما حكم فيهم بالقتل والسبي وأقر الله عينه وشفى صدره منهم، وعاد إلى خيمته من المسجد النبوي صحبة رسول الله ﷺ، دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة، واختار الله له ما عنده، فأنفجر جرحه من الليل، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات ﷺ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٢٥١]: فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً. حدثني معاذ بن رفاعه الزرقعي، قال: حدثني من شئت من رجال قومي: أن جبriel أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتر له العرش؟ قال: فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات ﷺ، هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله.

وقد قال الحافظ البيهقي في «الدلائل» [٢/٢٩٤]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبي وشعيب بن الليث قال: حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد، عن معاذ بن رفاعه عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبriel إلى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ، قال: فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن، فبينما هو جالس إذ قال: «سبحان الله» مرتين، فسيح القوم، ثم قال: «الله أكبر الله أكبر»

فكبر القوم، ثم قال رسول الله ﷺ: «عجبت لهذا العبد الصالح شدة غليظ في قبره حتى كان هذا حين فرج له».

وروى الإمام أحمد [٣/٣٢٧] والنسائي [٨٢٢٤] من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن: «سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء شدة عليه ثم فرج الله عنه». وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٢٥١]: حدثني معاذ بن رفاعه عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجهم عن جابر بن عبد الله قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبى رسول الله ﷺ فسيح الناس معه، ثم كبر فكب الناس معه فقالوا: يا رسول الله يم سبحت؟ قال: «لقد تفتأ على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه».

وهكذا رواه الإمام أحمد [٣/٣٩٠، ٣٧٧] عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحاق به.

قال ابن هشام [السيرة: ٢/٢٥٢]: وعجز هذا الحديث قول عائشة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للقبر ضمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ».

قلت: وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد [٥٥/٦] حدثنا يحيى عن شعبة عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «إن للقبر ضمة ولو كان أحد ناجياً منها لتجا سعد بن معاذ».

وهذا الحديث سنده على شرط «الصحيحين» إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن إنسان عن عائشة به.

ورواه الحافظ البزار [كشف الاستار: ٢/٢٩٩] عن نافع، عن ابن عمر قال: حدثنا عبد الأعلى بن جلد، حدثنا داود عن عبد الرحمن، حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يبطوا قبل ذلك، ولقد ضمه القبر ضمة». قال: ثم بكى نافع.

وهذا إسناد جيد، لكن قال البزار: رواه غيره عن عبيد الله، عن نافع مرسلًا.

ثم رواه البزار [كشف الاستار: ٢/٢٩٨] عن سليمان بن سيف، عن أبي عتاب، عن مسكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد نزل موت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطنوا الأرض قبلها» وقال حين دفن: «سبحان الله لو أنفلت أحد من ضمة القبر لأنفلت منها سعد».

قال البزار [كشف الاستار: ٢/٢٩٩]: حدثنا إسماعيل بن حفص حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب عن مجاهد، عن ابن عمر قال: اهتر العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ، قال: ثقيل: إنما يعني السرير «وَرَفَعَ أَبْرُوهُ عَلَى الْعَرْشِ»، قال: تنسخت أعراده. قال: ودخل رسول الله ﷺ قبره فاجتس، فلما خرج قيل له: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: «ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه».

قال البزار: تفرد به عطاء بن السائب.

قلت: وهو متكلم فيه.

وقد ذكر البيهقي رحمه الله [الدلائل: ٤/٣٠] بعد روايته ضمة سعد ﷺ في القبر أثرًا غريبًا، فقال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس عن ابن إسحاق حدثني

وقال أحمد [٢٣٤/٣]: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد هو ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن أكبر دومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جبة. وذلك قبل أن يُهَيَّ عن الحرير، فلبسها فعجب الناس منها فقال: «والذي نفس محمد بيده لمناذيل سعد في الجنة أحسن من هذه».

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه وإنما ذكره البخاري تعليقاً [٢٦١٦] وقال أحمد [١٢١/٣، ١٢٢]: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ - قال محمد: وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم - قال: دخلت على أنس بن مالك فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، فقال: إنك بسعد لشيء، ثم بكى وأكثر البكاء، وقال: رحمة الله على سعد كان من أعظم الناس وأطولهم، ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أكبر دومة، فأرسل لي رسول الله ﷺ بحجة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله ﷺ فقام على المنبر أو جلس، فلم يتكلم ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجبة وينظرون إليها، فقال رسول الله ﷺ: «أتمجبون منها، لمناذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون».

وهكذا رواه الترمذي [١٧٢٣] والنسائي [٥٣١٧] من حديث محمد بن عمرو به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٥٢/٢]: بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ: وفي ذلك يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرشُ الله من موتِ هالكٍ سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

قال: وقالت أمه - يعني كيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الحذرية الخزرجية - حين احتمل سعد على نعشه تنليه:

ويل أم سعد سعداً صراماً وحداً

وسوداً ومجداً وفارساً مُمداً

مُدببه مدناً يقدُ هاماً قد

قال: يقول رسول الله ﷺ: «كل نافعة تكذب إلا نافعة سعد بن معاذ».

قلت: كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة، وكان قدم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم، فأتوا قريباً من شهر، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حكم سعد، فمات بعد حكمه عليهم بقليل، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس والله أعلم.

وهكذا قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٧٩/٢]: إن فتح بني قريظة كان في ذي القعدة، وصدر ذي الحجة قال: وولي تلك الحجة المشركون.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يريي سعد بن معاذ ﷺ:

لقد سمجت من دمغ عيني عبرة وحق لعيني أن تفيض على سعد

فتيل نوى في معرك فجعست به عيون فوارى الدمع دائمة الوجد

على ملة الرحمن وارث جنّة مع الشهداء وقلها أكرم الوفاء

فإن تك قد ودعنا وتركتنا وأمست في غرباء مظلمة اللحد

فأتت الذي يا سعد أتت بمشهد كريم وأتوب الكارم والحمد

بحكمك في حسي قريظة بسالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد

أمية بن عبد الله: أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال: «كان يقصر في بعض الطهور من البول»».

وقال البخاري [٣٨٠٣]: حدثنا محمد بن المنثري، حدثنا الفضل بن مساور، حدثنا أبو عروبة عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ».

وعن الأعمش: حدثنا أبو صالح عن جابر، عن النبي ﷺ مثله، فقال رجل لجابر: فإن البراء بن عازب يقول: اهتز السرير فقال: إنه كان بين هذين الحين ضغائن، سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ».

ورواه مسلم [٢٤٦٦] عن عمرو الناقد، عن عبد الله بن إدريس، وابن ماجه [١٥٨] عن علي بن محمد، عن أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به.

وليس نعلمنا زيادة قول الأعمش عن أبي صالح، عن جابر.

وقال أحمد [٢٩٥/٣، ٢٩٦]: حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم: «اهتز لها عرش الرحمن».

ورواه مسلم [٢٤٦٦] عن عبد بن حديد والترمذي [٣٨٤٨] عن محمود بن غيلان كلاهما عن عبد الرزاق به، وقال الإمام أحمد [٢٣/٣، ٢٤]: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عوف، حدثنا أبو نضرة، سمعت أبا سعيد عن النبي ﷺ: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ».

ورواه النسائي [٨٢٢٥] عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى به.

وقال أحمد [٢٣٤/٣]: حدثنا عبد الوهاب عن سعيد قال قتادة: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازة موضوعة: «اهتز لها عرش الرحمن».

ورواه مسلم [٢٤٦٧] عن محمد بن عبد الله الرزقي، عن عبد الوهاب به.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٢٨/٤] من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن البصري قال: اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا زهير بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة، عن أنس قال لما حملت جنازة سعد قال المناقبون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فسئل رسول الله ﷺ فقال: «لا ولكن الملائكة كانت تحمله» إسناد جيد.

فائدة: قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ٦٠٤/٢]: حديث اهتزاز العرش ثابت متواتر.

وقال السهيلي [الروض الأثف: ٣٤٠/٦، ٣٤١]: رواه جماعة من الصحابة منهم: جابر وأبو سعيد وأسيد بن حضير ورميشة بنت عمرو قال: وهو محمول على الحقيقة لأن العرش لا يتمتع عليه الحركة والاهتزاز. قال: وما روي عن مالك من تضعيفه لهذا الحديث وتوحيته للتحدث به فلعله لم يصح عنه ذلك والله أعلم.

وقال البخاري [٣٨٠٢]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق: سمعت البراء بن عازب يقول: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويمسجون من لينها، فقال: «أتمجبون من لين هذه لمناذيل سعد بن معاذ خير منها، أو الين».

ثم قال: رواه قتادة والزهري، سمعنا أنما عن النبي ﷺ.

فوافق حكم الله حكك فيهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ربُّ الدهر أمضاك في الألى شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فتم مصير الصادقين إذا دعوا إلى الله يوماً للوجاهة والقصد

سنة ٥ - قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري (٤١٢٣): حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، حدثنا
عدي بن ثابت: أنه سمع البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ لحسان:

«همهم - أرواهم - وجبريل معك».

قال البخاري (٤١٢٤): وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيباني عن
عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان

بن ثابت: «اهج المشركين، فإن جبريل معك».

وقد رواه البخاري أيضاً (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦) والنسائي
(٦٠٢٤، ٦٠٢٥) من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخاري
يوم بني قريظة.

قال ابن إسحاق رحمه الله (سيرة ابن هشام: ٢٥٤/٢، ٢٥٥): وقال ضرار
بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق - قلت:

وذلك قبل إسلامه -:

ومشفقة نظن بنا الظنونا وقد قلنا عرندمة طحونا

كان زهادنا أحد إذا ما بدلت أركانه للناظرينا

تري الأبدان فيها مسجات على الأبطال واللب الحصينا

وجرداً كالقنداح موماني نؤم بها الغيرة الحافطينا

كانهم إذا صالوا وصلنا بباب الخندقين مصافحونا

إناس لا نرى فيهم رشياً وقد قالوا لنا راشديننا

فأحجرتهم شهراً كريئاً وكنا فوقهم كالقاهرينا

نزاحهم ونغسلو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا

بأبدنا صوامر مرفقات نقد بها الفارق والشؤونا

كان مريضهم معربات إذا لاحت بأيدي مصلتينا

ربيض حقيقه لعت بليل تری فيها العفاق مستينا

فلولا خندق كانوا لديه لدمرنا عليهم أجمينا

ولكن حال دونهم وكانوا به من خورنا متعذرينا

فلما نرحل فإننا قد تركنا لدى أيباتكم سعداً رهينا

إذا جن الظلام سمعت نوحى على سعدو يرجع من الحنينا

وسوف نزرركم عما قريب كما زرناسكم متوازيننا

بجمع من كنانة غير عزل كأسد الغاب إذ حس العرينا

قال ابن إسحاق في سيرة ابن هشام: (٢٥٥/٢): فأجابه كعب بن مالك أخو

بني سلمة ﷺ فقال:

وسائلة تقاتل ما لقينا ولو شهدت رائنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكليننا

وكان لنا النبي وزير صدق به نعلو البرية أجمينا

نقاتل معشراً ظلموا وعقروا وكانوا بالعداوة مرصديننا

نعالجهم إذا نهضوا إلينا نعالجهم إذا نهضوا إلينا
ترانا في فضافض سابغات ترانا في فضافض سابغات
وفي أيماننا يبيض خفاف وفي أيماننا يبيض خفاف
بباب الخندقين كان أسداً بباب الخندقين كان أسداً

فوارسنا إذا بكروا وراحوا فوارسنا إذا بكروا وراحوا

لتنصر أحداً والله حتى لتنصر أحداً والله حتى

ويعلم أهل مكة حين ماروا ويعلم أهل مكة حين ماروا

بان الله ليس له شريك بان الله ليس له شريك

فلما تقتلوا سعداً سفاهاً فلما تقتلوا سعداً سفاهاً

سيدخله جناتاً طيبات سيدخله جناتاً طيبات

كما قد ردكم فلأ شريداً كما قد ردكم فلأ شريداً

خزايما لم تتالوا ثم خيراً خزايما لم تتالوا ثم خيراً

بربح عاصف هبت عليكم بربح عاصف هبت عليكم

بضرب يُعجل المشرعينا بضرب يُعجل المشرعينا
كفدران الملا متبرلين كفدران الملا متبرلين
بها نشفي مراح الشاغينا بها نشفي مراح الشاغينا
شوايكهن يحمين العرينا شوايكهن يحمين العرينا

على الأعداء شوماً معلمين على الأعداء شوماً معلمين

تكون عباد صدق مخلصينا تكون عباد صدق مخلصينا

وأحزاب اترو متحزينا وأحزاب اترو متحزينا

وأن الله مولى المؤمنين وأن الله مولى المؤمنين

فإن الله خير القاهرين فإن الله خير القاهرين

تكون مقاماً للصالحينا تكون مقاماً للصالحينا

بنظكم خزايما خائينا بنظكم خزايما خائينا

وكدم أن تكونوا دمرينا وكدم أن تكونوا دمرينا

فكتم تحتها متكهنينا فكتم تحتها متكهنينا

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٥٦/٢ - ٢٥٨): وقال عبد الله بن

الزبير السهمي في يوم الخندق - قلت: وذلك قبل أن يسلم -:

طول البلى وتراوح الأحقاب طول البلى وتراوح الأحقاب

إلا الكيف ومعقد الأناب إلا الكيف ومعقد الأناب

في نعمة بأوائس اترباب في نعمة بأوائس اترباب

وعلة خلق المقام يباب وعلة خلق المقام يباب

ساروا بإجمعهم من الأناب ساروا بإجمعهم من الأناب

في ذي غياطل جفجل ججباب في ذي غياطل جفجل ججباب

في كل نشز ظاهري وشعاب في كل نشز ظاهري وشعاب

قُب البطون لواحق الأقرب قُب البطون لواحق الأقرب

كالسيد بادر غفلة الرقاب كالسيد بادر غفلة الرقاب

فيه وصغر قائد الأحزاب فيه وصغر قائد الأحزاب

غيث الفقير ومقل المهرب غيث الفقير ومقل المهرب

للموت كل مجرب قضاب للموت كل مجرب قضاب

وصحابه في الحرب خير صحاب وصحابه في الحرب خير صحاب

كلنا نكون بها مع الحياب كلنا نكون بها مع الحياب

تلقى لطير سُنْب وفتاب تلقى لطير سُنْب وفتاب

قال (سيرة ابن هشام: ٢٥٨/٢، ٢٥٩): فأجابه حسان بن ثابت ﷺ فقال:

متكلم لحاور مجحواب متكلم لحاور مجحواب

وهبوب كل مطيلة مرباب وهبوب كل مطيلة مرباب

يبض الوجوه ثواقب الأحاب يبض الوجوه ثواقب الأحاب

يبض أئمة الخلد كعاب يبض أئمة الخلد كعاب

من معشر ظلموا الرسول غضاب من معشر ظلموا الرسول غضاب

أهل القرى وسواي الأعراب أهل القرى وسواي الأعراب

متخبطون بحلبة الأحزاب متخبطون بحلبة الأحزاب

فدعي الديار وذكر كل خريدة فدعي الديار وذكر كل خريدة

واشك الموم إلى الإله وما ترى واشك الموم إلى الإله وما ترى

ساروا بجمعهم إليه وآلبوا ساروا بجمعهم إليه وآلبوا

جيش عينة وأبى حرب فيهم جيش عينة وأبى حرب فيهم

حتى إذا وردوا المدينة وانحسروا قتل الرسول ومغمم الأسلاب
وغدوا علينا قادين بأيديهم ردوا بغيلهم على الأعقاب
بهبوب مصفحة تشرق جمع وجنود ريك سيد الأرياب
فكفى الإله المؤمنين قتالهم وأثابهم في الأجر خير ثواب
من بعد ما تطلوا ففرق جمعهم تزييل نصر ملكنا الوهاب
واقتر عين محمد وصحابه وأذل كل مكذب مرتاب
عاني القواد موقع ذي ربيعة في الكفر ليس بطاهر الأنواب
علق الشقاء بقلبه فقواده في الكفر آخر هذه الأحقاب
قال (سورة ابن هشام: ٢٥٩/٢، ٢٦٠): وأجابه كعب بن مالك رضي الله عنه أيضاً فقال:

أبقى لنا خنث الحروب بقاء من خير لحظة رؤنا الوهاب
يضاه مشرفة النرى ومعاظناً حُم الجندوع غزيرة الأحلاب
كاللوب يُذل جُها وحفيلها للجار وابن العم والمتاب
وتزائم مثل السراج نعى بها علف الشعير وجرة المقضاب
عري الشوى منها وأردف تحضها جرة المنون وسائر الأراب
فرداً تراح إلى الصياح إذا غلت فعل الضراء تراح للكُلاب
وتحوط سائمة الديار وتارة تردى العدا وتوب بالأسلاب
خوش الوحوش مطارة عند الوعى عيسى اللقاء بينة الإنجاب
غلقت على دعة فصارت بئناً دُخَس البضيع خفيفة الأتصاب
يخلون بالزغف المضاعف شكه ويمرصات في التضاف صياب
وصوارم نزع الصياقل غلبها ويكل أروع ماجد الأنساب
يصل اليقين بمارن مقارب وكلت وقينته إلى خباب
وأغر ازرق في القناة كائنه في طخية الظلماء ضوء شهاب
وكيف يغني القيران تيرها وترد حد قواحر النشاب
جأوى ململمة كان رماحها في كل جمعة ضريبة غاب
تأوى إلى ظل اللواء كائنه في صعدة الخطى في عَقاب
أعيت أبا كرب وأعيت تبعاً وأبت بآلتها على الأعراب
ومواعظ من رينا تُهدى بها بلسان أزهر طيب الأنواب
عُرِضت علينا فاشتبهنا ذكورها من بعد ما عرضت على الأحزاب
جكماً يراها المجرمون بزعمهم حرجاً وبغهمها ذور الألباب
جاءت سخينة كي تغالب ريثها فليغلبن مغالب الغلاب

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٦٣/٢): وقال كعب بن مالك أيضاً:
لقد علم الأحزاب حين تالبوا علينا وراسوا ديتنا ما نوداع
أضام من قيس بن عيلان أصفت وخنل في بلدوا بما هو واقع
يلودوننا عن ديتنا ونلودهم عن الكفر والرحمن راه وسامع
إذا غايطونا في مقام أماننا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ولله فسوق الصائعين صنائع
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. يعني: طويلة. قال ابن
إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧١/٢): وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة
(ديوان حسان: ٢٤٥):

وما وجدت لذل من نصير ولقد لقيت قريظة ما ساءها
أصابهم بلاء كان فيه وسوى ما قد أصاب بني النضير
غداة ألهم يهوي إليهم رسول الله كالفهر المنير
له خيل مجنبة تماذى بفرسان عليها كالصقور
تركانهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليها كالعير
فهم صرعى محرم الطير فيهم كذاك يدان ذو العند القصور

قال ابن هشام (السورة: ٢٩١/٢): حدثني من أثنى به، حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال له لما سمع منه هذا البيت: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».

قلت: ومراده بسخينة قريش وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا ينهي لغيرهم غالباً من أهل البوادي فآله أعلم.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٩١/٢ - ٢٩٣): وقال كعب بن مالك أيضاً:

الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

قال: ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتناكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف. فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخير فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة الحارث بن رعي، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم، فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قتلوا خبير أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أخلقوه على أهله.

قال: وكان في عليّ له إليها عجلة قال: فاستندوا إليها حتى قاموا على بابها، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من الحرب نلتهم الميرة. قالت: فاكم صايحكم فادخلوا عليه.

قال: فلما دخلنا أخلقنا علينا وعليه الحجره تحرق أن يكون دونه محاولة تحول بيتا وبنيه. قال: فصاحت امرأته فنهت بتا فابتدناه وهو على فراشه بأسياقتنا، فولله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه، كأنه قطعة ملقاة. قال: فلما صاحبت بتا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغت منها بليل.

قال: فلما ضربناه بأسياقتنا نحامل عليه عبدالله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى انتفذه وهو يقول: قطني قطني أي: حسبي حسبي. قال: وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سعي البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثقت يده وثماً شديداً، وحملناه حتى نأثي به منهراً من عيونهم فدخل فيه، فأرقدوا الثيران واشتدوا في كل وجه يطلبونا، حتى إذا يشوا رجعوا إلى أصحابهم، فاكشفوه وهو يقضي.

قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن علو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فانظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس قال: فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول: أما والله قد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكنبت نفسي وقلت: أني ابن عتيك بهذه البلاد؟ ثم أكنبت عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظ وإله يهود، فما سمعت كلمة كانت ألد على نفسي منها.

قال: ثم جامنا فآخبرنا الخير فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا على رسول الله ﷺ فآخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنه في قتله كلنا بدعيه.

قال فقال: «ماتوا أسياقكم». فجئنا بها فنظر إليها فقال ل سيف عبد الله بن أنيس: «هنا قتله، أرى فيه أثر الطعام».

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧٧/٢): فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لله در عصابةٍ لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مُرحاً كأسد في عرين مفرف
حتى أتوكم في عمل بلادكم فقومكم حنفاً يبصر ذئف
مستصرين لنصر دين نبيهم مستصرين لكل امر مجحف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله.

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري (٤٠٣٨): حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن أبي زائدة عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع فدخّل عليه

فأثّر مثلها نصحاً قريشاً من الرحمن إن قبلت نذيري
قال (سورة ابن هشام: ٢٧٧/٢): وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة (ديوان حسان: ٢٥٣):

تصادق معشر نصبروا قريشاً وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه وهم عمي من التوراة بور
كفرهم بالقرآن وقد أثبتهم بتصديق الذي قال النذير
فهان على سرة بني لؤي حريقاً بالبريرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال:

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في طوافها السعير
ستعلم أينما منها بئرو وتعلم أي أرضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركاباً لقالوا لا مقام لكم فـيروا
قلت: وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم، وقد تقدم في «صحيح البخاري» بعض هذه الآيات.

وذكر ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧٧/٢، ٢٧٣) جواب حسان في ذلك لجبل بن جوال الثعلبي تركناه قصداً. قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧٠/٢، ٢٧١): وقال حسان بن ثابت أيضاً يكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة (ديوان حسان: ٢٤١، ٢٤٢):

ألا يسألوني هل لما حم دافع وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهاقت بنات الحشا وأهل سني المدامع
صباية وجد ذكرني إخوة وتلقى مضى فيها طفيل ودافع
وسعداً فأضحو في الجنان وأوحشت منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعاً فأجابهو بحسن وكلهم مطيع له في كل أمر وسامع
فما تكلوا حتى توالوا جماعة ولا يقطع الأجال إلا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعاً إذا لم يكن إلا التبيرون شافع
فلذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله والموت نافع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وأن قضاء الله لا بد واقع

سنة ٥ - مقتل أبي رافع

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧٣/٢): ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخير فأذن لهم.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٢٧٣/٢ - ٢٧٥): فحدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هنين الحين من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصالو الفضلين، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام، فلا يتهمون حتى يوقموا مثلها، وإذا فعلت

عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم يقتله.

ثم قال البخاري [٤٠٣٩]: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غرت الشمس، وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطف للرباب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تنقح بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهبط به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على ود قال: فمعت إلى الأقاليد فأخفيتها، وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل، فقلت: إن القوم نلروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله.

فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فاهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغثت شيئاً وصاح، فخرجت من البيت فأمكت غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الرجل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أئخته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلت، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعضتها بعمامة حتى انطلقت، حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أئسي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع.

فانتهيت إلى النبي ﷺ فحلبته، فقال: «ابسط رجلك» فبسطت رجلي فمسحها فكتما لم اشتكها قط.

ثم قال البخاري [٤٠٤٠]: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، حدثنا شريح، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، سمعت البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن، فقال لهم عبد الله بن عتيك: امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنتظر، قال: فتلطفت حتى أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم فخرجوا يقبس يطلبونه. قال: فخشيت أن أعرف قال: فغطيت رأسي وجلست كأنني أقضي حاجة، فقال البواب: من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه. فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن، فتمشوا عند أبي رافع، وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل، ثم رجعوا إلى بيوتهم.

فلما هدأت الأصوات ولا أسمع حركة، خرجت، قال: ورايت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة، فأخذه فتحت به باب الحصن، قال: قلت: إن نذر بي القوم انطلقت على مهل، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم، فإذا البيت مظلم قد طوى سراج، فلم أدر أين الرجل، فقلت: يا أبا رافع قال: من هذا؟ فعمدت نحو الصوت فأضربه، وصاح فلم تن شيئاً. قال:

ثم جته كأنني أغثته، فقلت: ما لك يا أبا رافع؟ وغيرت صوتي، قال: ألا أعجبك لأمك الولي! دخل علي رجل فضرني بالسيف، قال: فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تن شيئاً فصاح وقام أهله، ثم جئت وغيرت صوتي كهينة الميت، فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفت عليه حتى سمعت صوت العظم، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل، فانسقط منه، فأنخلت رجلي فعضتها، ثم أتيت أصحابي أحجل، فقلت: انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية.

فلما كان في وجه الصبح، صعد الناعية فقال: أئسي أبا رافع، قال: فمعت أمشي ما بي قلباً فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشروه.

نفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة. قلت: يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة اتنكت قلمه، وانكسرت ساقه، ووثت رجله ويده فلما عصها استكن ما به لا هو فيه من الأمر الباهر، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه، ثاوره الوجع في رجله، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي، ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت والله أعلم.

هذا وقد ذكر موسى بن عتبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق، وسمي الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق.

ثم قال: قال الزمري، قال ابن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر، فقال: «أفلحت الوجوه» قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، قال: «أفلتتموه؟» قالوا: نعم قال: «ناولني السيف» فسلمه، فقال: «أجل هذا طعامه في ذباب السيف».

سنة ٥- مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في «الدلائل» [٤٠/٤] - [٤٣] تلو مقتل أبي رافع.

قال الإمام أحمد [٤٩٦/٣]: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بئرنة فاتته فأقتله». قال قلت: يا رسول الله أنتع لي حتى أعرفه. قال: «إذا رأيته وجدت له شعيرة»، قال: فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه، وهو بئرنة مع ظعن يرتاد هسن منزلاً، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من الشعيرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاورة تشغلي عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومس براسي للركون والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب، سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني، حملت عليه السيف حتى قتلت، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه.

فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرأني قال: «أفلح الوجه». قال: قلت: قتله يا رسول الله، قال: «صدقت» قال: ثم قام معي رسول الله

سنة ٥ - قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وفاة

الخندق وإسلامه على يديه

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٧٦/٢ - ٢٧٨]: بعد مقتل أبي رافع: وحلثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلم الأمور علواً منكراً، وإنني قد رايت أسراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رايت؟ قال: رايت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا، كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتيأنا منهم إلا خير.

قالوا: إن هذا لراي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قلعنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعث إليه في شأن جعفر وأصحابه.

قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فاعطانيه ففريت عنه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنني قد أجزأت عنها حين قلت رسول محمد.

قال: فدخلت عليه فوجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقتي، هل أهيت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك قد أهيت لك أدماً كثيراً. قال: ثم قرنته إليه فأعجبه واشتبهه. ثم قلت له: أيها الملك إني قد رايت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فاعطيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظنت أنه قد كسره، فلما انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً منه. ثم قلت: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألته. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لثقلته؟ قال: قلت: أيها الملك أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو ألعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده.

قال: قلت: أفتباعدني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت على أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فقلت لخالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح، وهو مقل من مكة فقلت: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله لقد استقام الميسم، وإن الرجل ليني أنعب والله فأسلم، فحني متى؟ قال: قلت: والله ماجئت إلا لأسلم.

قال: فقلعنا المدينة على النبي ﷺ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أباعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال: رسول الله ﷺ: يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال: فبايعته ثم انصرفت.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٧٨/٢]: وقد حدثني من لا أتهم،

بأنه فدخل في بيته، فأعطاني عصاً فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطينها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتي هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ.

قال: فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه، ثم دفنا جميعاً.

ثم رواه الإمام أحمد [٤٩٦/٣] عن يحيى بن آدم، عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس - أو قال: عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه.

وهكذا رواه أبو داود [١٢٤٩] عن أبي معمر، عن عبد الوارث، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، فذكر نحوه.

ورواه الحافظ البيهقي [الدلائل: ٤٢/٤، ٤٣] من طريق محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه فذكره.

وقد ذكر نحوه عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في «مغازيهما» مرسله فאלله أعلم.

قال ابن هشام [السيرة: ٦٢٠/٢، ٦٢١]: وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

تركك ابن شور كالحوار وحوله نواضح تقصري كل جيب مقدد
تارلته والظعن خلفي وخلفه بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم لسان الدارحين كانه شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه أنا ابن أنيس فارس غير قعد
أنا ابن الذي لم يتزل الدهر قبله رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خلفها بضربة ماجد حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر سبقت إليه باللسان واليد

قلت: عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام أبو يحيى الجهمي، صحابي مشهور، كبير القدر، كان فيمن شهد العقبة، وشهد أحداً والخندق، وما بعد ذلك، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور، وقيل: توفي سنة أربع وخمسين والله أعلم.

وقد فرق علي بن المنفي وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري الذي روى عن النبي ﷺ أنه دعا يوم أحد بإدلاء فيها ماء، فخنث فيها وشرب منها، كما رواه أبو داود [٣٧٢١] والترمذي [١٨٩١] من طريق عبد الله العمري، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه.

ثم قال الترمذي: وليس إسناده يصح، وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه.

بن علي بن الحسين، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وساق عنه أربعمائة دينار. وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو: أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها: أبرهة كانت تقيم على ثيابه وتُغفِيه، فاستأذنت علي فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه فقلت: بشرك الله بالخير، وقالت: يقول لك الملك وكلي من يزوجه.

قالت: فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فولته، وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين من فضة كاتتا علي وخواتيم من فضة كانت في كل أصبع رجلي، سروراً بما بشرتني به.

فلما أن كان من العشي، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدوس المؤمن المهيمن، العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم. أما بعد، فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله أحمده واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا.

قلت: فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الختنق، إنما كان في قضية أم حبيبة فآله أعلم.

لكن قال الحافظ البيهقي (الذلائل: ٤٦٢/٣): ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست، وإن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع.

قلت: وكذا قال خليفة وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن البرقي: إن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست.

وقال بعض الناس: سنة سبع.

قال البيهقي (الذلائل: ٤٦٢/٣): وذهب ابن إسحاق إلى أنه عليه السلام تزوج بأم حبيبة قبل أم سلمة.

قال البيهقي: هو أشبه.

قلت: قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك، ويحتمل أن يكون بعده، وكونه بعد الختنق أشبه لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي، فهو في قضيتها والله أعلم.

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في «الغابة» [١١٦/٧] عن قتادة: أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها. وحكي عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم [٢٥٠١] من طريق عكرمة بن عمار اليمامي، عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس: أن أبا سفيان قال: يا رسول

أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما، أسلم حين أسلما، فقال عبد الله بن الزبيري السهمي:

أشدد عثمان بن طلحة حلقها وملقى نعال القوم عند المقبل وما عقد الأبناء من كل جلفة وما خالد من مثلها بمحسل أمفتاح يست غير يشك تبغسي وما تبغسي من بيت مجر مؤنل فلا تأسن خالداً بعد هذه وعثمان جاما بالديم المضلل

قلت: كان إسلامهم بعد الحديبية، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى، لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الختنق، الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس. والله أعلم.

سنة ٥ - تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة

ذكر البيهقي (الذلائل: ٤٥٩/٣) بعد وقعة الختنق من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾ [سورة الممتحنة: ٧] قال هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أم المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين.

ثم قال البيهقي (الذلائل: ٤٦٠/٣): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا علي بن عيسى حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، أنبأنا ابن المبارك عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أم حبيبة: أنها كانت عند عبيد الله بن جحش، وكان رحل إلى النجاشي، فمات، وإن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة، وزوجها إياه النجاشي، ومهرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وجهزها من عنده، وما بعث إليها رسول الله ﷺ بشيء. قال: وكان مهور أزواج النبي ﷺ أربعمائة.

قلت: والصحيح أنه مهور أزواج النبي ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقية، ونشأ والوقية أربعون درهما والنش النصف، وذلك يعدل خمسمائة درهم.

ثم روى البيهقي (الذلائل: ٤٦٠/٣) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ زوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قلت: أما تنصر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة، استتره الشيطان فزين له دين النصراني، فصار إليه حتى مات عليه لعنه الله، وكان يلتقي المسلمين فيقول لهم: أبصرنا وصاصم.

وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة.

وأما قول عروة: إن عثمان زوجها منه قريب، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك، ثم هاجر إلى المدينة، وصحبته زوجته رقية كما تقدم والله أعلم.

والصحيح ما ذكره يونس عن محمد بن إسحاق قال: بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص.

قلت: وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أصحمة النجاشي ملك الحبشة، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق: حدثني أبو جعفر محمد

وقد تكلمنا على ذلك في «التفسير» بما فيه كفاية، فالمراد بالذي أنعم الله عليه ههنا زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق، وزوجه بابنة عمته زينب بنت جحش.

قال مقاتل بن حيان: وكان صدقاه لها عشرة ذنانير وستين درهماً، وخاراً وملحفة ودرعاً وخمين مدناً من طعام وعشرة أمداد من ثمر فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل ﷺ يقول له: «اتق الله وأمسك عليك زوجك». قال الله: «وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ».

قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي: كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام. وقد تكلم كثير من السلف ههنا بأثار غريبة وبعضها فيه نظر تركناها قصداً.

قال الله تعالى: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَهْلًا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا»، وذلك أن زيدا طلقها، فلما انقضت علتها بعث إليها رسول الله ﷺ بخطبها إلى نفسها، ثم تزوجها، وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى، كما ثبت في «صحيح البخاري» [٧٤٢٠] عن أنس بن مالك: أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: زوّجكن أهليكن وزوجي الله من فوق سبع سماوات.

وفي رواية [٧٤٢١]، س [١١٤١١] من طريق عيسى بن طهمان عن أنس قال: كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: أنكحي الله من السله. وفيها أنزلت آية الحجاب: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ امْنُتُوا لَا تَخْلُوْا بِبُيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِلِينَ إِنَّهُ» [سورة الأحزاب: ٥٣] الآية.

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٦٥/٣] من حديث حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: جاء زيد يشكو زينب فجعل رسول الله ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: فلو كان رسول الله ﷺ كافراً شيئاً لكم هذه فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوّجكن أهليكن، وزوجي الله من فوق سبع سماوات.

ثم قال: رواه البخاري [٧٤٢٠] عن أحمد عن محمد بن أبي بكر المقدمي، عن حماد بن زيد.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٤٦٦/٣] من طريق عفان، عن حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك أهلك» فترتلت: «وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ».

ثم قال: رواه البخاري [٤٧٨٧] عن محمد بن عبد الرحيم عن معلى بن منصور عن حماد مختصراً.

وقال ابن جرير [المفسر: ١٤/٢٢]: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدي وجدك واحد - تعني عبد المطلب فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أمها أميمة بنت عبد المطلب - وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء، وأن السفير جبريل عليه السلام. وقال الإمام أحمد [١٩٥/٣، ١٩٦]: حدثنا هاشم - يعني ابن القاسم أبا النضر - حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت علة زينب قال النبي ﷺ لزيد: «اذهب فاذكركها علي»، فانطلق حتى أتاهما وهي تفخر عجبها قال: فلما رأيتهما عظمت في صدري حتى ما استطيع أن أنظر إليهما،

الله ثلاث أعطيهن. قال: «نعم». قال: تؤمرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «نعم». قال: ومعاوية يجعله كاتباً بين يديك. قال: «نعم». قال: وعندي أحسن العرب وأجمله بنت أبي سفيان أزوجهما. الحديث بتمامه.

قال ابن الأثير [مذاهب: ١١٦/٧]: وهذا الحديث مما أنكر على مسلم، لأن أبا سفيان لما جاء يجسد العقد قبل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبي ﷺ، فقال: والله ما أدري لوغبت بي عنه أو به عني؟ قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك. فقال: والله لقد أصابك بعدي يابنة شر.

وقال ابن حزم: هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار، وهذا القول منه لا يتابع عليه.

وقال آخرون: أراد أن يجسد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه. وقال بعضهم: لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه.

وهذه كلها ضعيفة، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عزة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان باختها أم حبيبة كما في «الصحيحين» ج (٥١٠١)، م (١٤٤٩)، وإنما وهم الراوي هنا بتسميته أم حبيبة، وقد افردنا لذلك جزءاً مفرداً.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين، وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: توفيت قبل معاوية بسنة، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين.

سنة ٥- تزويج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش

تزويجه عليه السلام بزَيْنَب بنت جحش بنت وثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبر بن غنم بن هودان بن أسد بن خزيمه الأسدي أم المؤمنين. وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وكانت قبله هند مولاة زيد بن حارثة ﷺ.

قال قتادة والواقدي وبعض أهل المدينة: تزوجها عليه السلام سنة خمس، زاد بعضهم: في ذي القعدة.

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٤٦٧/٣]: تزوجها بعد بني فريظة.

وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده: تزوجها سنة ثلاث.

والأول أشهر، وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عليه السلام، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في «مسنده» [١٤٩/٣، ١٥٠] تركنا لإرواده قصداً، لئلا يضلعه من لا يفهم على غير موضعه.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: «وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَانْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مَهْلًا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْضُورًا» [سورة الأحزاب: ٣٧، ٣٨].

داخلة وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب، فمد به البخاري من هذا الوجه.

ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق، هو ابن منصور، عن عبد الله بن بكر السهمي، عن حميد عن أنس بنحو ذلك، وقال: رجلان. بدل ثلاثة فإله أعلم.

قال البخاري [٥١٦٣]: وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان، عن أنس فذكر نحوه.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو المظفر، حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان الشكري، عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه، فصنعت أم سليم حبساً، ثم وضعت في تور، فقالت: اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هنا ما له قليل، قال أنس: والناس يومئذ في جهد، فجئت به فقلت: يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك، وهي ثقلك السلام، وتقول أخبره أن هنا ما له قليل، فنظر إليه ثم قال: «ضعه» فوضعت في ناحية البيت، ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً» فسمي رجلاً كثيراً، قال: «فومن لقيت من المسلمين»، فدعوت من قال لي، ومن لقيت من المسلمين، فجئت والبيت والصُفة والحجرة ملأى من الناس. فقلت: يا أبا عثمان كم كانوا؟ قال: كانوا زهاء ثلاثمائة. قال أنس: فقال لي رسول الله ﷺ: «جيء به»، فجشيت به إليه، فوضع يده عليه ودعا وقال: «ما شاء الله» ثم قال: «ليتخلق عشرة عشرة، ويسمو ولياكل كل إنسان مما يليه».

فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «ارفعه» قال: فجئت فأخذت التور فنظرت فما أدري أهر حين وضعت أكثر أم حين رفعت، قال: وتختلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فاطالوا الحديث، فشقا على رسول الله ﷺ، وكان أشد الناس حياءً، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيراً.

فقام رسول الله ﷺ فسلم على حجره، وعلى نسائه، فلما رآوه قد جاء ظنوا أنهم قد قتلوا عليه ابتدوا الباب، فخرجوا، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر، ودخل البيت وأنا في الحجرة، ففكك رسول الله ﷺ في بيته سيراً، وأنزل الله القرآن، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ إِنَّا هِيَ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرُوا وَلَا مَسْتَأْذِنِينَ لَخَبِيثَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعْجِلُ بِكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْجِلُ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا زُجْرًا مِنْ بَيْنِهِمْ أُولَئِكَ هِيَ الْفَاحِشَاتُ وَالنَّافِثَاتُ الْكَافِرَاتُ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣، ٥٤].

قال أنس فقرأهن عليّ قبل الناس وأنا أحدث الناس بهن عهداً. وقد رواه مسلم [١٤٢٨/٩٤] والترمذي [٣٢١٨] والنسائي [١١٤١٧] جميعاً عن قتيبة، عن جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عثمان به.

وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضاً [١٤٢٨/٩٥] عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الجعد أبي عثمان به. وقد روى هذا الحديث البخاري [٥١٧٠] والترمذي [٣٢١٩] والنسائي [١١٤١٧] من طرق عن بيان أبي بشر الأحمسي الكوفي، عن

أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري وتكصت على عقي. وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

قال أنس: ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ وأتبعته، فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ويقولن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر.

قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالتقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية.

وكذا رواه مسلم [١٤٢٨] والنسائي [٣٢٥١] من طرق سليمان بن المغيرة.

سنة ٥- نزول آية الحجاب صبيحة

عرسها الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين، وذلك وفق الرأي العمري.

قال البخاري [٤٧٩٠]: حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، حدثنا معمر بن سليمان، سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو ينهيا للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، وجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم أنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآية.

وقد رواه البخاري [٦٢٣٩] في مواضع أخر ومسلم [١٤٢٨/٩٢] والنسائي [١١٤٢٠] من طرق عن معمر.

ثم رواه البخاري [٤٧٩٢] منفرداً به، من حديث أيوب عن أبي قلابة، عن أنس نحوه.

وقال البخاري [٤٧٩٣]: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بُني على النبي ﷺ زينب بنت جحش بميز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدموه، فقلت: يا بني الله ما أجد أحداً أدموه. قال: «فادعوا طعامكم».

وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته»، قالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بورك الله لك؟ ففقرى حجر نساءه كلهن، ويقول لمن كما يقول لعائشة، ويقولن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون، وكان النبي ﷺ شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا، فخرج حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب

كما قال الشافعي رحمه الله: من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق. وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان: لقوا بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق لقوا سرعاناً يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجرة فيلسن ولكنهم كانوا يساراً تبعث شعاب حجاز غير ذي متفقد

سنة ٦ - غزوة ذي قرد

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٨١/٢]: ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يبق بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح النبي ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح. قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٨١/٢، ٢٨٢]: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ولا أنهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله، معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع ثم صرخ: واصباحاه! ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يرددهم بالنبل ويقول إذا رمى:

خلفنا وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضوع
فإذا وجهت الخيل نحوه، انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال:

خلفنا وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضوع

قال فيقول قائلهم: أويكنا هو أول النهار. قال: وبلغ رسول الله ﷺ صباح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: «الفرخ الفرخ». فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود، ثم عباد بن بشر، وسعد بن زيد، وأسيد بن ظهير - يشك فيه - وعكاشة بن محسن، وعمر بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمه، وأبو قتادة الحارث بن ربيع، أخو بني سلمة، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت، أخو بني زريق، قال: فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال: «اخرج في طلب القوم حتى الحلق في الناس».

وقد قال النبي ﷺ لأبي عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق: يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم، قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله: أنا أفرس الناس. ثم ضربت الفرس فوالله ما جرى بي حسين ذراعاً حتى طرحتني، فمضت من ذلك، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص، أبو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلفة، وكان ثامناً.

قال [سيرة ابن هشام: ٢٨٢/٢، ٢٨٣]: وبعض الناس بعد سلمة بن الأكوع ثامناً، وطرحت أسيد بن ظهير فوالله أعلم أي ذلك كان. قال: ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. قال: فخرج الفرسان حتى تلاحقوا، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم حمز بن نضلة وكان يقال له: الأخرم ويقال له: قمبر وكانت الفرس التي تحته لحمود بن سلمة، وكان يقال

أنس بنحوه.

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نضرة العبدني عن أنس بنحوه ولم يخرجوه.

ورواه ابن جرير [الفسو: ٣٧/٢٢، ٣٨] من حديث عمرو بن سعيد، ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك.

قلت: كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها من المهاجرات الأول، وكانت كثيرة الخير والصدقة، وكان اسمها أولاً برة فسمها النبي ﷺ زينب، وكانت تكنى بأم الحكم.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم وأعظم امتانة وصدقة (٢٤٤٢).

وثبت في [الصحيحين: ج ٤ (٤٧٥٠)، م (٢٧٧٠)] كما سيأتي في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت: وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش وهي التي كانت تسميني من نساء النبي ﷺ فعصمها الله بالورع فقالت: يا رسول الله أحي سمعي ويصري، ما علمت إلا خيراً. وقال مسلم بن الحجاج في [صحيحه: ٢٤٥٢]: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا الفضل بن موسى السنياني، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أمرعن لحوقاً بي أطولكن يداً» قالت: فكانتا تناولونا أبنا أطول يداً، قالت: فكانت زينب أطولنا يداً لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. انفرد به مسلم.

قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ: توفيت سنة عشرين من الهجرة وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالقيع وهي أول امرأة صنع لها النعش.

سنة ٦ - حوادث ووقائع

قال البيهقي [الدلائل: ١٧٨/٤]: يقال: في الحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قبل نخله، وأسروا فيها ثمانية من أثال اليمامي.

قلت: لكن في سياق ابن إسحاق عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة أنه شهد ذلك، وهو إنما هاجر بعد خير فتوخى إلى ما بعدهما والله أعلم.

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان على الصحيح.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٧٩/٢]: وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون يعني في سنة خمس كما تقدم. قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس سنة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة. قال ابن هشام [السيرة: ٢٧٩/٢]: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منزلهم هربوا من بين يديه، فتحصنوا في رؤوس الجبال، فمال إلى عصفان فلقى بها جمعاً من المشركين وصلى بها صلاة الخوف. وقد تقدم ذكر هذه الغزوة ابن سنة أربع، وهناك ذكرها البيهقي، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق، فإن صلاة الخوف على المشهور إنما فعلت بعد يوم الخندق، وقد ثبت أنه صلى بعصفان يوم بني لحيان، فلتكتب ههنا وتحول من هناك اتباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده.

قال: وجاء النبي ﷺ والناس، فقلت: يا رسول الله قد حيت القوم الماء ومع عطاش، فأبى الله الساعة. فقال: «يا ابن الأكوع، ملكك فأسجد» ثم رجعا ويردني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة. وهكذا رواه مسلم (١٨٠٦) عن قتبية به.

ورواه البخاري (٣٠٤١) من طريق مكى بن إبراهيم عن أبي عاصم النبيل، عن يزيد بن أبي عبيد، عن مولاة سلمة بنحوه.

وقال الإمام أحمد (٥٧/٤ - ٥٤): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ، فخرجت أنا ورياح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله، كنت أريد أن أنديه مع الإبل، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها، وخرج يطردوها هو وأنا معي في خيل، فقلت: يا رباح أقعد على هذا الفرس فالحقه بطلحة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغر على سرحه.

قال: وقمت على تل فجعلت وجهي من قبل المدينة، ثم ناديت ثلاث مرات: يا أصحاباه! قال: ثم أتيت القوم معي سيفي ونبلتي، فجعلت أرميهم وأقر بهم، وذلك حين يكثر الشجر فإذا رجع إلي فإرس جليست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يقبل عليّ فارس إلا عقرت به، فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: فأتني رجل منهم فاربه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كفه فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الشيا عولت الجبل فرددتهم بالحجارة، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرجمز، حتى ما خلق الله شيئا من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى أتوا أكثر من ثلاثين رجلاً، وأكثر من ثلاثين برده، يستخفون منها، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله ﷺ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عينة بن بدر الفزاري مدداً لهم، وهم في ثنية ضيقة، ثم عولت الجبل، فأننا فورهم.

فقال عينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح ما فارقنا بسحر حتى الآن، وأخذ كل شيء في أيدينا، وجعله وراء ظهره. فقال عينة: لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليقم إليه نفر منكم. فقام إليه نفر منهم أربعة، فصعدوا في الجبل فلما سمعهم الصوت قلت: أتعرفوني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع، والذي كرم وجه محمد لا يطلي رجل منكم فيدركني، ولا أطليه فيفتوني.

فقال رجل منهم: إن أظن. قال: فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، وإذا أولهم الأخرم الأسدي، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ، وعلى أثر أبي قتادة المقداد بن الأسود الكندي، فولى المشركون مدبرين، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه، فقلت: يا أخرم أشد القوم - يعني أحقرهم - فاني لا آمن أن يقطعوك، فأتد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق والنار حق، فلا تحل

للفرس: ذو اللمة، فلما انتهى إلى العدو قال لهم: قفوا معشر بني الكريمة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار قال: فحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على أرية من بني عبد الأشهل أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٨٢/٢): ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقاص بن مجزز المدلجي.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٨٤/٢): وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمرراً كان على فرس لمكاشة بين حصن يقال لها: الجناح فقتل عمرز واستلبت الجناح فإله أعلم.

قال (سيرة ابن هشام: ٢٨٤/٢، ٢٨٥): ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عينة وغشاه برده، ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين. قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فإذا حبيب مسجي يرد أبي قتادة فاسترجع الناس، وقالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة ولكنه قتل لأبي قتادة، ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه.

قال: وأدرك عكاشة بن حصن أوبراً وابنه عمرو بن أوبر، وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً، واستنقذوا بعض اللقاح، قال: وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بأجل من ذي قرد، وتلاحق به الناس، فأقام عليه يوماً وليلة، وقال له سلمة بن الأكوع: يا رسول الله لو سرحني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني: «إنهم الآن يلبقون في غطفان»، فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة.

قال: وأقبلت امرأة الغفاري على ناقه من إبل النبي ﷺ حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر، فلما فرغت قالت: يا رسول الله إني قد نلرت الله أن أحرما إن لحاني الله عليها، قال: فبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بسم ما جزيتها أن حملك الله عليها ولحاك بها، ثم تحررتها إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكون، إنما هي ناقه من إيلي، فأرجعي إلى أهلك على بركة الله».

قال ابن إسحاق: والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري.

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق. وقد قال البخاري رحمه الله (٤١٩٤) بعد قصة الحديبية وقيل خير غزوة ذي قرد، وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خير ثلاث. حدثنا قتبية بن سعيد، حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد، سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح النبي ﷺ ترعى بذني قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح النبي ﷺ، فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان.

قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا أصحاباه! قال: فاسمعت ما بين لابي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت راعياً، وأقول: أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع. وأرجمز حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين برده.

بني وبين الشهادة. قال: فخلعت عنان فرسه، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن، فاختلعا طعنتين، فمقر الأخرم بعبد الرحمن، وطمع عبد الرحمن فقتله، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن، فاختلعا طعنتين فمقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم.

ثم إني خرجت أعلو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً، ويعرضون قبل غيوبة الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له: ذو قرد، فلأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعلو وراءهم، فطعموا عنه واشتوتوا في التنية، ثنية ذي بئر وغربت الشمس، ولحق رجلًا فارميه قتل: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يسوم الرضع

قال: فقال: يا لكل أم أكوع بكرة. فقلت: نعم أي علو نفسه. وكان الذي رميته بكرة، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان، ويخلفون فرسين، فجت بهما أسوتهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ذو قرد، وإذا بنبي الله ﷺ في خسماته، وإذا بلال قد حفر جزوراً مما خلفت، فهو يشري لرسول الله ﷺ من كبدها وستماها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله خلني فأتخب من أصحابك مائة فأخذ على الكفار بالعبوة، فلا يقي منهم غير إلا قتلته.

فقال: «أكنت فاعلاً ذلك يا سلمة؟» قال: قلت: نعم والذي أكرمك. فضحك رسول الله ﷺ حتى رايت نواجذه في ضوء النار، ثم قال: «إنهم يقولون الآن بأرض غطفان»، فجاء رجل من غطفان فقال: مروا على فلان النطفاني فتحرم لهم جزوراً، فلما أخذوا يكشفون جلدعها، رأوا غيرة فتركوها وخرجوا هرباً، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجائنا سلمة»، فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً، ثم أرففني وراءه على العصابة واجعين إلى المدينة، فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادي: هل من مسابق؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فاعاد ذلك مراراً، وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي فقلت له: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريقاً؟ قال: لا، إلا رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلا يسابق الرجل. قال: «إن شئت».

قلت: اذهب إليك فطفر عن راحلته، وثبتت رجلي فطمرت عن الناقة، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين، يعني استقيت من نفسي، ثم إني عدوت حتى لحقه فاصك بين كتفيه يدي، قلت: سبتك والله أو كلمة شجوها، قال: فضحك وقال: إن أظن. حتى قلنا المدينة.

وهكذا رواه مسلم [١٨٠٧] من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه، وعنده: سبقت إلى المدينة، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. ولأحمد هذا السياق.

ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر، وهو أشبه بما ذكره ابن إسحاق والله أعلم.

فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة، فإن خيبر كانت في صفر منها.

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي ﷺ ونزلت نحرها لنجاتها عليها، فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير عن الحسن البصري مرسلًا. وقد جاء متصلاً من وجه آخر.

قال الإمام أحمد [٤٣٠/٤]: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا

أيوب عن أبي قتادة عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين قال: كانت العصابة لرجل من بني عقيل، وكانت من سوابق الحاج فأسر الرجل، فأخذت العصابة معه، قال: فمر به رسول الله ﷺ وهو في وثاق، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة، فقال: يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابغة الحاج؟ فقال رسول الله ﷺ: «نأخذك بجمرة حلفائك نقيف» قال: وكانت نقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ.

وقال فيما قال: وإني مسلم، فقال رسول الله ﷺ: «لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»، قال: ومضى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إني جائع فأطعمني، وإني ظمآن فاسقي، فقال رسول الله ﷺ: «هذه حاجتك»، ثم فدي بالرجلين وحبس رسول الله ﷺ العصابة لرحله.

قال: ثم إن المشركين أغادروا على سرح المدينة، فذهبوا به، وكانت العصابة فيه قال: وأسروا امرأة من المسلمين. قال: وكانوا إذا نزلوا لأرواحوا إليه بأنيتهم، قال: فقامت المرأة ذات ليلة بعدما نوما فجعلت كلما أتت على بعر رغا، حتى أتت على العصابة فأتت على ناقة ذلول مجرسة، فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة.

قال: ونزلت إن الله ألهما عليها لتحررها، فلما قدمت المدينة عرفت الناقة، فقيل: ناقة رسول الله ﷺ، قال: وأخبر رسول الله ﷺ بنزوها أو أنه فآخبرته، فقال: «بش ما جزيتها»، أو: «بش ما جزتها أن ألهما الله عليها لتحررها». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم».

ورواه مسلم [١٦٤١] عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد، به. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٨٥/٢، ٢٨٦): وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت (رضي الله عنه):

لولا الذي لاقتُ ومنسُورها يجنوب ساية أسس في التقواد
للتيكم يحملن كل مدجج حامي الحقيفة ماجد الأجداد
ولسراً أولاد القليظة أنسا سينم غداة فوارس القداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلاً لجباً فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم ويقدمون عنان كل جواد
كنا رب الرافضات إلى جنس يقطعن عرض غلام الأطواد
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم ونسوب بالملكات والأولاد
زهواً بكل قفص وطمر في كل معترك عطفن وواد
أفنى دوابها ولاح متونها يرم تقاد به ويوم طراد
فكناك إن جيانا مليونة والحرب مشغلة بريح غواد
وسيوننا يبيض الحداثات مجتلي جئن الحديدي وهامة المرتاد
أخذ الإله عليهم خرامه ولمزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين قبلوا أيام ذي قرد وجو عباد

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٢٨٧/٢): فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان، وحلف لا يكلمه أبداً، وقال: انطلق إلى خلي وفوارسي فجعلها للمقداد. فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد: إذا أردت الأشد الجلداً أو ذا غناء فعليك سعدنا

سعد بن زيد لا يهد هداً

على ماء من مياههم يقال له: المريسع من ناحية قلبيد إلى الساحل، فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونُقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فافاءهم عليه.

وقال الواقدي [المغازي: ٤٠٤/١ - ٤٠٧]: خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه إلى بني المصطلق، وكانوا حلفاء بني مدلج، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق، ويقال: إلى عمار بن ياسر، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، ثم أمر عمر بن الخطاب فتأدى في الناس أن قولوا: لا إله إلا الله فتنموا بها أنفسكم وأموالكم.

فأبوا فقاموا بالليل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم رجل واحد، وقتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد.

وثبت في [الصحيحين: ج ٢ (٢٥٤١)، م (١٧٣٠)] من حديث عبد الله بن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فقال: قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأتباعهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى سيهم، فأصاب يومئذ - أحسبه قال: - جويرة بنت الحارث. وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك وكان بذلك الجيش.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢]: وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له: هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ.

وذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٩٣/٢، ٢٩٤] أن أخاه مقيس بن صبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ لأنه قتل خطأ، فأعطاه دية، ثم مكث يسيراً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ورجع مرتداً إلى مكة وقال في ذلك:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسنداً يضرعُ توبه دماء الأخاءع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم تحميني وطاة المضاجع
حللت به وتري وأدركت ثؤرتي وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثارت به فهراً وحملت عقله سررة بني النجار أرباب فراع

قلت: ولما كان مقيس هنا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم، وإن وجنوا معلقين بأستار الكعبة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢ - ٢٩٢]: فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وير الجهمي حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاشتتلا فصرخ الجهمي: يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رمح من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال: أوقد فعلوها؟ قد نأرونا وكأثرونا في بلادنا، والله ما أكلنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول: سَمَنُ كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هنا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتهموهم بلادكم وقاسمتهموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمضى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فآخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا

قال: فلم تقع منه بموقع. وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد: اظن عينه إذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورها
فأكلت ما كنت صنته وقتلتم سنغم امراً كبيراً
فغنت المدينة إذ زرتها وآتت للأسد فيها زئيراً
وولوا سيراها كشد النعام ولم يكشفوا عن ثلث حصيرا
أمير علينا رسول الملك أحب بئذا إلينا اميراً
رسول يصلق ماجاهم ويتلو كتاباً مضياً منيراً

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين: [سيرة ابن هشام: ٢٨٧/٢، ٢٨٨]
أحب أولاد القليظة أنسا على الخيل لنا مثلهم في الفوارس
وإننا أناس لا نرى القتل شبة ولا تشي عند الرماح المداعس
وإننا لنفري الضيف من قمع الذرى ونضرب رأس الأبلخ المشاوس
نرد كمة المعلمين إذا انتخوا بضرب يلقى غصوة المتناقص
بكل فتى حامي الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضلة غالس
ينزودون عن أصحابهم وتلاهم يبيض قدأ الهام تحت القوائس
فائل بني بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ولا تكلموا أخباركم في المجالس
وقولوا زلنا عن محالب خادير به وخر في الصلر ما لم يملس

سنة ٦- غزوة بني المصطلق من خزاعة

قال البخاري [فتح الباري: ٤٢٨/٧]: وهي غزوة المريسع.

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٨٩/٢]: وذلك في سنة ست.

وقال موسى بن عقبة: سنة أربع.

وقال النعمان بن راشد عن الزهري: كان حديث الإفك في غزوة المريسع.

هكذا، حكاه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة، أنها كانت في سنة أربع.

والذي حكاه البيهقي: [الدلائل: ٤٥/٤] عنه وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس.

وقال الواقدي [المغازي: ٤٠٤/١]: كانت لليلتين من شعبان سنة خمس في سبعمائة من أصحابه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار [سيرة ابن هشام: ٢٨٩/٢]: بعلمنا أورد قصة ذي قرد: فأتاه رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال ثعلبة بن عبد الله الليثي.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقاللهم الحارث بن أبي ضرار، أبو جويرة بنت الحارث، التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد هنا، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعتقونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر أما والله لو قتله يوم قتل لي: أقتله لأرعدت له أتف لو أمرتها اليوم بقتله لقتله». فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله ﷺ وقف لأبيه عبد الله بن أبي ابن سلول عند مضيق المدينة فقال: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٤/٢]: وأصيب يومئذ من بني المصطلق ناس وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين: مالكاً وابنه.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٢٩٤/٢]: وكان شعار المسلمين: يا منصور أمت أمت.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٤/٢]: وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سيئاً كثيراً قسمهم في المسلمين.

وقال البخاري (٤١٣٨): حدثنا قتية بن سعيد، أخبرني إسماعيل بن جعفر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن عمير أنه قال: دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري، فجلست إليه فسألته عن العزل، فقال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فأصبنا سيئاً من سبي العرب، فاشتبهتنا النساء واشتدت علينا العزوة، وأحبنا العزل، وقلنا: نغزل وروسول ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله، فسألناه عن ذلك فقال: «ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنت إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة». وهكذا رواه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٤/٢، ٢٩٥]: وكان فيمن أصيب يومئذ من السبابة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة، عن عائشة قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبابة بني المصطلق، وقمت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكانت على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحاة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتى رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها.

قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه يسير منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقع في السهم لثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له، فكانت على نفسي فجتك أستعينك على كتابتي.

قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عك كتابتك وأزوجك». قالت: نعم يا رسول الله قال: «قد فعلت». قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ. فأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بترويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها.

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٧/٢ - ٣٠٧] قصة الإنفك بتمامها في هذه الغزوة، وكذلك البخاري (٤١٤١) وغير واحد من أهل العلم، وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور فليبحث بكماله إلى ههنا وبالله المستعان.

وقال الواقدي [المغازي: ٤١١/١، ٤١٢]: حدثنا حرام عن هشام بن

نجدت الناس أن عمداً يقتل أصحابه لا ولكن أذن بالرحيل. وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فأرجل الناس وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان في قومه شريكاً عظيماً.

فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حذراً على ابن أبيه ودفعاً عنه.

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النيرة وسلم عليه وقال: يا رسول الله والله لقد رحت في ساعة منكرو، ما كنت تروح في مثلها. فقال له رسول الله ﷺ: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» قال: أي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي». قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذن». قال: فأتى والله يا رسول الله فخرجه إن شئت، هو والله اللئيل، وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جأنا الله بك، وإن قومه لينظرون له الحزحز ليتزوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى أذهب الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقوا نياماً. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوقف التقيع، يقال له بقاء، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة فأذهبهم وتحوفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تحوفوها فإنما هبت لمرت عظيم من عظماء الكفار».

لما قنعوا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع، وكان عظيماً من عظماء اليهود، وكهفياً للمنافقين، مات ذلك اليوم. وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي [المغازي: ٤١٥/٢ - ٤٢٠].

وروى مسلم (٢٧٨٧) من طريق الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر نحو هذه القصة، إلا أنه لم يسم الذي مات من المنافقين، قال: هبت ريح شديدة والتي ﷺ في بعض أسفارهم، فقال: «هذه لمرت منافق»، فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٧/٢]: ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي، ومن كان على مثل أمره، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم وقال: «هذا الذي أوفى الله بأذنيه».

قلت: وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها في كتابنا «التفسير» بما فيه كثافة عن إعادته ههنا، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله الحمد والمنة، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه ههنا، فليطلب من هناك وبالله التوفيق. قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٧/٢، ٢٩٨]: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمروني به، فلما أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الحزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي بمشي في الناس فأتته، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: «بل تترقب به وتحسن صحبته ما بقي معنا».

يضرب علينا الحجاب، فلما رأيته قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، طمينة رسول الله ﷺ وأنا متلفة في ثيابي. قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته. ثم قرب إلي البعير فقال: اركبي واستأخري عني.

قالت: فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدرنا الناس وما اقتضت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما أطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، وارتج العسكر ووالله ما أعلم شيء من ذلك، ثم قلعتنا المدينة فلم ألبث أن اشتكت شكوى شديدة لا يلغني من ذلك شيء. وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي كنت إذا اشتكت رحمي ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك فأنكرت ذلك منه.

كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضي قال: «كيف يَكُم؟» لا يزيد على ذلك، قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفاته لي - لو أننت لي فانتقلت إلى أمي فمرغشتي؟ قال: «لا عليك»، قالت: فانتقلت إلى أمي ولا أعلم لي بشيء عما كان، حتى نقيت من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكف الذي تتخذها الأعاجم، نعاها ونكرها، إنما كنا نخرج في فصح المدينة، ولما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حواشيهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم خالة أبي بكر الصديق.

قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح. ومسطح لقب واسمه عرف. قالت: فقلت: بشس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين، وقد شهد بدراً، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر، قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان، قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصعد كبدي.

قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدثت الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟ قالت: أي بنية خفصي عليك الشأن، فوالله لقد كانت امرأة حسنة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرت، وكثر الناس عليها، قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم، ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس ما بال رجال يؤذوني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل، والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي».

قالت: وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمة بنت جحش، وذلك أن اختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصني في المنزل عنه غيرها، فأما زينب فعصمها الله بدنيها فلم تقل إلا خيراً، وأما حمة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضاني لأختها، فثقيت بذلك، فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكيتهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أملك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم.

قالت: فقام سعد بن عباد، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال:

عروة، عن أبيه قال: قالت جويرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال، كان القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجرني، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس، حتى قدم رسول الله ﷺ، فلما سئنا رجوت الرؤيا قالت: فأعقتني رسول الله ﷺ وتزوجني، والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تحبرني الخبر، فحمدت الله تعالى.

قال الواقدي [الغازي: ٤١٢/١]: ويقال: إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق. ويقال: جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق.

وذكر موسى بن عقبة عن بني المصطلق أن أباهما طلبها وافتداهما، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها.

سنة ٦- قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق لحديث الإفك:

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٧/٢]: حدثني الزهري عن علقمة بن وقاص، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال الزهري: كل قد حدثني بهذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت كل الذي حدثني القوم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٩٧/٢ - ٣٠٢]: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً، يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها بما سمع.

قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأبنت خرج سهمها خرج بها معه، فلما كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذا ذاك يأكلن العلق لم يهجن اللحم فيقتلن، وكنت إذا رحلت لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي ويعملوني، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفقونه فيضمونه على ظهر البعير، فيشدون بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فيطلقونه به.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن مؤذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وفي عتقي عقد لي فيه جزع ظفار فلما فرغت انسل من عتقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرجل ذهب الشمس في عتقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتصت حتى وجنته، وجاء القوم خلاقي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلتهم، فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه، كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه داح ولا عجيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتلقت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو اقتضت لرجع إلي. قالت: فوالله إنني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادياً فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن

كذبت لعمر الله، لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا! فقال أسيد بن حضير: كذبت لعمر الله، ولكنت منافق نجادل عن المنافقين.

قالت: وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله ﷺ فدخل علي قالت: فدعا علي بن أبي طالب وأسماء بن زيد فاستشارهما، فلما أسامة فأتني علي خيراً، وقاله: ثم قال: يا رسول الله أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل. وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لتقدر على أن تستخلف، وسل الجارية فلأنها تستصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ برة لسانها قالت: فقام إليها علي فضرها ضرباً شديداً ويقول: اصدقي رسول الله ﷺ. قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعجب على عائشة شيئاً إلا أنني كنت أعجبني فامرأها أن تحفظه فقام عنه، فتأتي الشاة فتأكله.

قالت: ثم دخل علي رسول الله ﷺ وعندي أبوي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله وإن كنت قد قارفت سواء بما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده». قالت: فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك فقلص معمي حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يبيحا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلموا. قالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله في قرآناً يقرأ به ويصلي به، ولكنني كنت لرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي أو يغير خبراً، وأما قرآناً ينزل في فوالله لنضي كانت أحقر عندي من ذلك.

قالت: فلما لم أر أبوي يتكلمان قلت لهما: ألا تخيان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندرى بماذا نجيبه. قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما استعجما علي استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله عما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لمن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أبي منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصلقوني.

قالت: ثم التمت اسم يعقوب فما أدكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: «فَصَبَّرْ جَبِيلَ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ» قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ جلسه حتى تنشأه من الله ما كان يتنشأه، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فرغت، وما باليت، قد عرفت أبي بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرحاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

قالت: ثم سري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمان في يوم شات، فجعل مسح العرق عن جبينه ويقول: «إبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك».

قالت: قلت: الحمد لله. ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك، ثم أمر بمطبخ بن أئانة وحسان بن ثابت وحنة بنت جحش وكانوا عن أفصح بالقفاشة فضرى حنهم.

وهذا الحديث مخسرج في «الصحيحين» ج (٢٦٦١)، م (٢٦٧٠/٥٦) عن الزهري.

وهذا السياق فيه فوائد جمة. وذكر حد القذف لحسان ومن معه، رواه أبو داود في «سننه» [٤٧٧٥]. قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٠٧/٢]: وقال قاتل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه:

لقد فاق حسان الذي كان أهله وحننة إذ قالوا هجيراً ومططح تصاطوا بجرم الغيب زوج نكسهم وسخطة ذي العرش الكريم فاترحوا وآذوا رسول الله ﷺ فيها فجللوا غزاي تقيس غمومها وفضحوا وصبت عليهم محصداً كأنها شأيب قطر من ذرا المزن تسفع

وقد ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٠٤/٢، ٣٠٥] أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المفضل وجماعة من قريش عن تخاصم على الماء من أصحاب وجهه كما تقدم أوله:

أمس الجلايب قد عزروا وقد كثروا وإسن القريرة أمسى تيفضة البلد قد تكلت أنه من كنت صاحبه أو كان متشيباً في برن الأسد

ما لتقليسي الذي أضدو فأخذ من دية فيه يطعما ولا قسود ما البحر حين تهب الريح شامية فيغطل ويرمي البير بالزبد يوماً بأغلب مني حين تبصرني بلغيت أفري قفري المعارض البرد أما قريش فإني لا أسألها حتى يئيسوا من الغيث للرشد ويتركوا السلات والعزى بعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق فيوفوا بحق الله والوكد

قال: فاعترضه صفوان بن المفضل فضربه بالسيف وهو يقول: تلق ذباب السيف عني فإني غلام إذا هوجيت لست بشاعر

وذكر [سيرة ابن هشام: ٣٠٥/٢، ٣٠٦] أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً، فلقبه عبد الله بن راحة فقال: ما هذا؟ فقال: ضرب حسان بالسيف. فقال عبد الله: هل علم رسول الله ﷺ بشي؟ عما صنعت؟ قال: لا. فاطلقه.

ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ فقال ابن المفضل: يا رسول الله آتاني وهجائي، فاحتمني الغضب فضربتته. فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان اتشوقت على قومي إذ هداهم الله». ثم قال: «أحسن يا حسان فيما أصابك». فقال: هي لك يا رسول الله. فعوضه منها يبرحاء التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قطيبة، يقال لها: سيرين، جاءه منها ابنه عبد الرحمن. قال: وكانت عائشة تقول: سئل عن ابن المفضل فوجد رجلاً حصوراً ما يأتي النساء. ثم قتل بعد ذلك شهيداً ﷺ.

وقد ترجمه الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في تاريخه [١٥٨/٢٤١ - ١٧٦]، وروى عنه شيئاً من الحديث، وذكر أنه توفي شهيداً في فتح سمنسط، سنة ستين. وقيل: إنه توفي في بعض الفتوحات عند ذلك بعد العشرين. وهذا أشبه. والله أعلم.

وقال الطبراني [المعجم الكبير: ٦٦٦، (٤٥٩٥)]: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا عمر بن عبد الوهاب الرياحي، حدثنا عامر بن صالح بن رستم، عن أبيه، عن الحسن، عن سعد مولى أبي بكر قال: شكا رجل إلى رسول الله ﷺ صفوان بن المفضل، وكان يقول هذا الشعر، فقال: يا رسول الله، إن صفوان هجاني. فقال رسول الله ﷺ: «دعوا صفوان، فإن صفوان خبيث اللسان، طيب القلب». حديث غريب جداً.

من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٠٨/٢ - ٣١٠): وحديثي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه الهدى سبعين بدنة، وكان الناس مسبعمائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة.

قال الزهري: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بفسفان لقيه بشر بن سفيان الكمي، فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطايل قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذئ طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم.

قال فقال رسول الله ﷺ: «يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهروني الله عليهم دخلوا في الإسلام واقرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟» فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه الساقطة ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟»

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٠٩/٢، ٣١٠): فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعراً أجزل بين شعاب، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين، فانضروا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك، فقال: «والله إنها للخطئة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقرولوها».

قال ابن شهاب: فأمر رسول الله ﷺ الناس، فقال: «اسلكوا ذات اليمين» بين ظهري الحمص في طريق تخرجه على ثنية المراء مهبط الحديبية من أسفل مكة. قال: فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش.

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المراء بركت ناقته، فقال الناس: خللات فقال: «ما خللات وما هو لما تخلق، ولكن حبسها حبس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطي يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها». ثم قال للناس: «انزلوا». قيل له: يا رسول الله ما بالوادي ماء تنزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأطاعه رجلاً من أصحابه، فنزل به في قلب من تلك القلب فغرزته في جوفه، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بطن.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣١٠/٢): فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم، أن الذي نزل في القلب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣١١/٢): وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ قاله أعلم أي ذلك كان.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٠٩/٢): ثم قال حسان بن ثابت (ديوان حسان: ٢٢٨، ٢٢٩) يعتدل من الذي كان قال في شأن عائشة: **حَصَانٌ زَوَانٌ مَا تَزْنُ بِرَيْبَةٍ وَتَصْبُحُ غَرْثِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ عَقِيلَةٍ حَيٍّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاحِي يَجْتُمِعُ غَيْرُ زَائِلٍ وَطَهْرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبِاطِلٍ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتَ فَكَيْفَ وَوَدِّي مَا حَيَّتْ وَنَضَرْتِي لَهُ رَتَبَ عَلَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَإِنْ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُطِ**

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق قبل البيت الأول: **رَأَيْتُكَ وَلِيغْفِرَ لَكَ اللَّهُ حَرَةً مِنْ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ غَوَافِلٍ وَتَصْبُحُ غَرْثِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ وَإِنْ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَا تُطِ فَإِنْ كُنْتُ أَهْجُوكُمْ كَمَا بَلَّغُوكُمْ فَكَيْفَ وَوَدِّي مَا حَيَّتْ وَنَضَرْتِي وَإِنْ لَمْ عَزَأْ بِرَى النَّاسِ دُونَهُ**

ولتكتب هنا الآيات من سورة النور وهي من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ إلى قول: ﴿لَهُمْ ثُغْيفَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة النور: ١١-٢٦) وما أوردناه هناك من الأحاديث والطرق والأثر عن السلف والخلف، وبالله التوفيق.

سنة ٦- غزوة الحديبية

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف. وعن نص على ذلك الزهري وتافع مولى ابن عمر، وتادعة، وموسى بن عتبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم. وهو الذي رواه ابن لبيعة عن أبي الأسود، عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة سنة ست.

وقال يعقوب بن سفيان (المعرفة والخلق: ٢٨٧/٣): حدثنا إسماعيل بن الخليل عن علي بن مسهر، أخبرني هشام بن عروة عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان، وكانت الحديبية في شوال. وهذا غريب جداً عن عروة.

وقد روى البخاري (٤١٤٨) ومسلم (١٢٥٣) جميعاً عن هبة عن همام عن قتادة أن أنس بن مالك أخبره: أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة، إلا العمرة التي مع حجة، عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة، حيث قسم غنائم حنين، وعمرة مع حجة. وهذا لفظ البخاري.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٠٨/٢): ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً.

قال ابن هشام (سيرة ابن هشام: ٣٠٨/٢): واستعمل على المدينة ثعلبة بن عبد الله الليثي.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٠٨/٢): واستقر العرب ومن حول

بظر اللات نحن نكتشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أبي قحافة». قال: أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديبية، قال: فجعل يقرب يده إذ تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، قال: فيقول عروة: ويحك ما أفظك واغلظك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة»، قال: أي غنر وهل غسلت سوءتك إلا بالأسر؟

قال ابن هشام [السيرة: ٣١٣/٢، ٣١٤]: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من تقيف فتهابح الحبيان من تقيف بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الأمر.

قال الزهري: فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً، فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتروأ إلا ابتدروا وضروه، ولا يصق بصاقاً إلا ابتدروا، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذه، فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسري في ملكه، وقصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رايكم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣١٤/٢]: وحديثي بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، ففعلوا به جل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله فمنعه الأحباش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣١٤/٢، ٣١٥]: وحديثي بعض من لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو حسين وأمروهم أن يطبقوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا أخنأ فأتي بهم رسول الله ﷺ فغفا عنهم، وخلي سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل، ثم دعا عمر بن الخطاب لبيعة إلى مكة فبلغ عنه أشرف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني علي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عدائتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أهلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت لطف. قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣١٥/٢، ٣١٦]: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: «لا نبريح

ثم استدل ابن إسحاق للأول بأن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية في أسفله فيجح فقالت:

يا أيها المسائح دلوني دونكا إنسي رأيت الناس يمدونكا
يُسنون خبيراً ويمجدونكا

فأجابها فقال:

قد علمت جاريةً بمانيه أني أنا المسائح واسمي ناجية
وطعنة ذات رشاش وأهيه طعتها عند صلور العاديه

قال الزهري في حديثه: فلما أطمأن رسول الله ﷺ أنه لم يبدل بين ورقاء في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته. ثم قال لهم نحو ما قال بشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهمهم وجهوهم وقالوا: وإن جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنة أبداً، ولا نتحدث بذلك عنا العرب.

قال الزهري: وكانت خزاعة عيبة تصح رسول الله ﷺ مسلماً ومشركاً، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة. قال: ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «هذا رجل غادر».

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه، قال له رسول الله ﷺ غوا عما قال لبيل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علفمة أو ابن زيان، وكان يومئذ سيد الأحباش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا من قوم يتأفرون، فابعدوا المهدي في وجهه حتى يراه».

فلما رأى المهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلاته، قد أكل أوياره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ أعظماً لما رأى، فقال لهم ذلك. قال: فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣١٢/٢]: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا حالناكم، أبصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأتفرن بالأحباش نفرة رجل واحد. قالوا: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثموه إلى محمد إذ جاءكم من التقيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعي من قومي ثم جئتكم حتى آسيتمكم بنفسي. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى يفضتك لتفضها بهم، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر يماهدون الله لا تدخلها عليهم عنة أبداً، وإيم الله لكائي بهؤلاء قد انكشوا عنك غداً.

قال: وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ فقال: امصص

علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فاقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.

قال: فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا، وهم لا يشكون في الفتح لرويا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلييه وقال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: «صدقت» فجعل يتره بتلييه ويمرعه يعني ليرثه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أروا لي إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم.

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً وغرماً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيتهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم» قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما هم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال: فغن الرجل بأبيه، ونفذت القضية.

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، أشهد على الصلح رجلاً من المسلمين، ورجلاً من المشركين: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، وعمود بن مسلمة، ومكرو بن حصص - وهو يومئذ مشرك - وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلق، وكان يصلي في الحرم، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فحرمه، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد حمر وحلق، تواتروا ينحرون ويحلقون.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣١٩/٢): وحديثي عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «يرحم الله المحلقين» قالوا: والمقصرين يا رسول الله! قال: «والمقصرين» قالوا: يا رسول الله فلم ظهرت الترجيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: «لم يشكروا».

وقال عبد الله بن أبي نجيح: حدثني مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جلاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة، لينظف بذلك المشركين.

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة، وفي سياق البخاري - كما سيأتي - مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترأها إن شاء الله وبه الثقة. ولزودها بتمامها ونذكر ما في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه شاهد في كل موطن يحسبه إن شاء الله تعالى وعليه التكلان وهو المستعان.

قال البخاري (٤١٤٧): حدثنا خالد بن خالد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله، عن زيد بن خالد قال:

حتى نأجر القوم». ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن يبايعنا على أن لا نفر، فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة، وكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأنني أنظر إليه لاصفاً بإبط ناقته قد ضبا إليها يستتر من الناس. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل.

قال ابن هشام (السيرة: ٣١٩/٢): فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي.

قال ابن هشام (السيرة: ٣١٩/٢): وحديثي من أتى به عن حدثه بإسناد له عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان، فغضب بإحدى يديه على الأخرى.

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد الضعيف، ثابت في «الصحيحين».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣١٩/٢ - ٣١٩): قال الزهري: ثم بعث قريش سهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله ﷺ وقالوا: انت محمداً وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا نتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل». فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التام الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر اليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غزوة فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألتست برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال: «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيئني».

فكان عمر رضي الله عنه يقول: ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً. قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، قال: فقال: رسول الله ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، فكتبها، ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو». قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أبي محمد من قريش يغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً عن مع محمد لم يردوه عليه، وأن يبتنا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواترت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده وتواترت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنتك ترجع عامك هذا فلا تدخل

عن سفيان بن عيينة به.

وهكذا رواه الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن جابر قال: إن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها، شهد بدرًا والحديبية» رواه مسلم [٢٤٩٥/١٦٢]. وعند مسلم [٢٤٩٦/١٦٣] أيضاً من طريق ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابراً يقول: أخبرني أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها». فقالت حفصة: بلى يا رسول الله، فأنتهرها، فقالت حفصة: «إِنْ شَكُمُ الْإِثْمَ وَأَرَدُهَا» [سورة مريم: ٧١] فقال رسول الله ﷺ: قد قال تعالى: «ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَجَّرَ الْفَالِغِينَ فِيهَا جَذَبًا» [سورة مريم: ٧٢] قال البخاري [٤١٥٥]: وقال عبيد الله بن معاذ: حدثنا أبي، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، حدثني عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثمن المهاجرين.

تابعه محمد بن بشار: حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة. هكذا رواه البخاري معلقاً عن عبيد الله. وقد رواه مسلم [١٨٥٧/٧٥] عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه، عن شعبة. وعن محمد بن المثنى عن أبي داود، عن إسحاق بن إبراهيم، عن النضر بن شميل، كلاهما عن شعبة به.

ثم قال البخاري [٤١٥٧]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن مروان والمسيور بن مخزومة قالوا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان ببذي الحليفة فلد المدي وأشعر وأحرم منها. فترد به البخاري وسياقي هذا السياق بتمامه.

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة، وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين بدنة، وكل منها عن عشرة على اختياره، فيكون المهلون سبعمائة، ولا يلزم أن يهدي كلهم ولا أن يحرم كلهم أيضاً، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة، ولم يحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، فقال: «هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟» قالوا: لا، قال: «فكلوا ما بقي من لحمها» [خ (١٨٢٤)، م (١١٩٦)].

وقد قال البخاري [١٨٢٢]: حدثنا سعيد بن الربيع، حدثنا علي بن المبارك عن يحيى، عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال: انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية فأحرم أصحابه ولم أحرم.

وقال البخاري [٤١٦٢]: حدثنا محمد بن رافع، حدثنا شبابة بن سوار الفزاري، حدثنا شعبة عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها.

حدثنا [خ (٤١٦٤)] موسى، حدثنا أبو عروبة، حدثنا طارق عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة، فرجعنا إليها العام المقبل فميت علينا.

وقال البخاري أيضاً [٤١٦٣]: حدثنا عمود، حدثنا عبيد الله بن إسرائيل، عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون، فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، فأبى سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها.

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ريكم؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فإما من قال: مطرنا برحمة الله ويزق الله ويفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وإما من قال: مطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بي».

وهكذا رواه في غير موضع من «صحيحه» [خ (٨٤٦)].

ومسلم من طرق [٧١/١٢٥، ٧٢/١٢٦]، وقد روى [م (٧٢/١٢٦)] عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة.

وقال البخاري [٤١٥٠]: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، ففتحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتانا فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضى، ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرت ما شئنا نحن وركابنا. فترد به البخاري.

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى [سورة ابن هشام: ٣٢٢/٢]: «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ قَرِيْبًا» [سورة الفتح: ٢٧] صلح الحديبية.

قال الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت المدينة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس، كلم بعضهم بعضاً، والتفوا فتواضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل - شيئاً - إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام [سورة ابن هشام: ٣٢٢/٢]: والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف.

وقال البخاري [٤١٥٢]: حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فضيل، حدثنا حصين عن سالم، عن جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به، ولا ما نشرب إلا ما في ركوتك. قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأشال العيون. قال: فشرنا وتوضأنا. فقلنا لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

وقد رواه البخاري [٣٥٧٦] أيضاً ومسلم [١٨٥٦/٧٣] من طرق عن حصين عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر به.

وقال البخاري [٤١٥٣]: حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد، عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة. فقال لي سعيد: حدثني جابر: كانوا خمس عشرة مائة، الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية.

تابعه أبو داود: حدثنا قره عن قتادة. فترد به البخاري.

ثم قال البخاري [٤١٥٤]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت جابراً قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأرتكم مكان الشجرة.

وقد روى البخاري [٤٨٤٢] أيضاً ومسلم [١٨٥٦/٧١] من طرق

ثم قال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلمتموها أنتم! فأنتم أعلم!

ورواه البخاري [٤١٦٤] ومسلم [٧٧، ١٨٥٩/٧٨] من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق.

وقال البخاري [٤١٦٧]: حدثنا إسماعيل، حدثني أخيه عن سليمان، عن عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم قال: لما كان يوم الحرة والناس يابعون لعبد الله بن حنظلة، فقال ابن زيد: على ما يبيع ابن حنظلة الناس؟ قيل له: على الموت فقال: لا أبيع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ، وكان شهد معه الحديبية.

وقد رواه البخاري [٢٩٥٩] أيضاً ومسلم [١٨٦١] من طرق عن عمرو بن يحيى به.

وقال البخاري [٤١٦٩]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء يابعتهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

ورواه مسلم [١٨٦٠] من حديث يزيد بن أبي عبيد.

وفي «صحيح مسلم» عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم [١٨٠٧]. وفي «صحيح مسلم» [١٨٥٨] عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبيع الناس، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سنان، وهو وهب بن محسن أخو عكاشة بن محسن، وقيل: سنان بن أبي سنان.

وقال البخاري [٤١٨٩]: حدثني شجاع بن الوليد، سمع النضر بن محمد حدثنا صخر بن الربيع، عن نافع قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله ﷺ يبيع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلثم للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبيع تحت الشجرة. قال: فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ، وهي التي تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر.

وقال هشام بن عمار: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عمر بن محمد العمري، أخبرني نافع عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية، فترقوا في ظلال الشجرة، فإذا الناس محذوقون بالنبي ﷺ فقال: يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحذقوا برسول الله ﷺ؟ فوجدتهم يابعون فبايع، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع، فنرد به البخاري [٤١٨٧] من هذين الرجلين.

سنة ٦- ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية

قال في كتاب المغازي [٤١٧٨]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظت بعضه، وثبتني معمر عن عروة بن الزبير، عن المسور بن غرمة ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه، قالوا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعت عيلاً له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بتدبير الأشطاط أتاه حينه قال: إن قريشاً قد جمعوا لك جمعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت وماتوك.

فقال: «أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل إلى عيالم وذريتي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين». قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عادماً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له فممن صدنا عنه قاتلناه. قال: «امضوا على اسم الله». هكذا رواه هنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا.

وقال في كتاب الشهادات [٢٧٣١]: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، أخبرني الزهري، أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن غرمة ومروان بن الحكم، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغيم في خيل لقريش طلبعة فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بفترة الجيش، فانطلق يركض نضراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به وراحته، فقال الناس: «حُلْ حُلْ»، فالتفت فقالوا: خللات القصواء، خللات القصواء، فقال رسول الله ﷺ: «ما خللات القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حبس الغيل»، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله، إلا أعطيتهم إياها.

ثم زجرها فوثبت، ففعل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يترضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوا، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يمشي لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن وقاص الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عية نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العود المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت.

فقال النبي ﷺ: «إننا لم نحج لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكهم الحرب وأضررت بهم، فإن شأوا ما ددتهم مدة ويحلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شأوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جوا، وإن هم أبوا فالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سألقي، وليتخذن أمر الله».

قال بديل: سأبلنهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعتاه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، أستم بالولد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تهموني؟ قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أنني استغفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد أقبلوها ودعوني آتة، فقالوا: آتة، فاتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات أعن نفر عنه ونده؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده

لولا يد كانت لك عندي، لم أجرك بها لأجبتك.

قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بليته والمنيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة يده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المنيرة بن شعبة. فقال: أي غدر ألت أسعى في غدرتك؟ وكان المنيرة بن شعبة صاحب قوماً في الجاهلية يقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلتست منه في شيء».

ثم إن عروة جعل يرمى أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما نتخم رسول الله ﷺ ثغمة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوءه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يملكون إليه النظر تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيتم ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن نتخم ثغمة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوءه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يملكون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها.

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آت. قالوا: آت. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هنا فلان وهو من قوم يعظمون البذن فابعدوها له». فبعث له واستقبله الناس يلبون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي هؤلاء أن يصلوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البذن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصلوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مركز بن حفص فقال: دعوني آت. قالوا: آت. فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا مركز وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبي ﷺ، فينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لقد سهل لكم من أمركم».

قال معمر: قال الزهري في حديث: فجاء سهيل فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هنا ما قاضي عليه محمد رسول الله». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله، إلا أعطيتهم إياها» فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به».

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب إننا أخذنا ضفطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيناك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً. فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين

أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعده». قال: فوالله إننا لم أصالحك على شيء أبداً. فقال النبي ﷺ: «فأجزه لي». قال: ما أنا بمجزئه لك. قال: فبلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مركز: بلى قد أجزأته لك.

قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أورد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد فعلت؟ - وكان قد غلب غلباً شديداً في الله - فقال عمر رضي الله عنه: فأتيت رسول الله فقلت: ألتست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألتست على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم تعطني الدين في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أرسلت كنت تحدثنا إننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك أتيت ومطوف به».

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر اليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألتست على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم تعطني الدين في ديننا إذن؟ قال: «ليها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بفرزه، فوالله إنه على الحق». قلت: اليس كان يحدثنا إننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: «فإنك أتيت ومطوف به».

قال الزهري: قال عمر: فعلت لذلك أصحلاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقيت من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله الحب ذلٌّ؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر لبثك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فصل ذلك: لحر بُدنة ودعا حالقه فحلقه، فلما رآوا ذلك قاموا فأنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا.

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: «وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ» حتى بلغ «وَيُحْصِمُ الْكَافِرِينَ» [الممتحنة: ١٠] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك. فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم فأسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فترزوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هنا يا فلان جيداً. فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جريت به ثم جريت به ثم جريت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه. فأمكنه منه فضره حتى يرد وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا دُعراً» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإنني لمقتول.

فجاءه أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم إني أجيئ الله منهم. فقال النبي ﷺ: «ويل الله ما سمع حرب لو كان له أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيره إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. قال: وبلغت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ

تأشده لله والرحم لما أرسل إليهم، فمن آتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْفَيْتُمْ أَفْئِدَتُمْ عَنْكُمْ وَأَبْأَيْتُمْ عَنْهُمْ يَقْبِضْ يَدُكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ أُنْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ «الْحَيَّةَ حَيَّةً الْجَاهِلِيَّةَ» [الفتح: ٢٤-٢٦] وكانت حينئذ منهم لم يقرأوا أنه نبي الله، ولم يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

فهذا السياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري، فقد رواه عن الزهري، جماعة منهم: سفيان بن عيينة ومعمرو، ومحمد بن إسحاق، كلهم عن الزهري، عن عروة، عن مروان ومسور، فذكر القصة [ع: (١٦٩٤)].

وقد رواه البخاري [٢٧١١] في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد، عن عقيل عن الزهري، عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن غرمة عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر القصة. وهذا هو الأشبه، فإن مروان ومسور كانا صغيرين يوم الحديبية، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وقال البخاري: حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سابق، حدثنا مالك بن مغول سمعت أبا حصين قال: قال أبو وائل: لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتياه نستخبره فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيته يوم أبي جندل ولو استطع أن أرى رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيفنا على عواتقنا لأمر يظفنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه، قبل هذا الأمر ما نسد منهما خصماً إلا انفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له.

وقال البخاري [٤١٧٧]: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمك أمك يا عمر تزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك. قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن يزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن.

فبحث رسول الله ﷺ فلمحت عليه فقال: «لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ: ﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ قَتَحٌ مُبِينٌ﴾ [الفتح: ١].

قلت: وقد تكلمنا على سورة «الفتح» بكاملها في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية لله الحمد والمئة، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليعمل.

سنة ٦- ذكر السرايا والبعوث

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي قال:

في ربيع الأول منها أو الآخر، بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محسن في أربعين رجلاً إلى خضر مرزوق، ماء لبني أسد فهربوا منه ونزل على مياههم وبعث في آثارهم، وأخذ منهم مائتي بعير فاستاقها إلى المدينة.

ولمها كان بعث أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في أربعين رجلاً أيضاً، فساروا ليلتهم مشاة حتى أتوها في عماية الصبح، فهربوا منه في رؤوس الجبال فأسر منهم رجلاً، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم.

وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر، فكمن القوم لهم حتى ناموا،

فقتل أصحاب محمد بن مسلمة كلهم وأفلت هو جريحاً. ولمها كان بعث زيد بن حارثة بالخموم، فأصاب امرأة من مزينة يقال لها: حلينة، ففلتت على غلة من محال بني سليم، فأصابوا منها نعلماً وشاء وأسرى وكان فيهم زوج حلينة هذه، فوهبها رسول الله ﷺ لزوجها وأطلقهما.

ولمها كان بعث زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فهربت منه الأعراب، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ثم رجع بعد أربع ليال.

ولمها خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص. قال: وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع، فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فاجترته.

وقد ذكر ابن إسحاق - كما تقدم - قصته حين أخذت العبر التي كانت معه، وقتل أصحابه وفر هو من بينهم حتى قدم المدينة، وكانت امراته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بئر، فلما جاء المدينة استجار بها فاجترته بعد صلاة الصبح، فأجراه لها رسول الله ﷺ، وأمر الناس برد ما أخذوا من عيره، فردوا كل شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً، فلما رجع بها إلى مكة وأدى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة، فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث نكاحاً ولا عقداً، كما تقدم بيان ذلك.

وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ويورى ستين. وقد بينا أنه لا منافاة بين الروایتين، لأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بستين، وكان إسلامه في ستة ثمان في سنة الفتح، لا كما يُتهم من كلام الواقدي من أنه سنة ست فإله أعلم.

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر، وقد أجازته بأموال وخلع، فلما كان بمحسمى لقيه ناس من جنّام فقتلوا عليه الطريق، فلم يتركوا معه شيئاً، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً ﷺ.

قال الواقدي [الملازي: ٥٦٧/٢]: حدثني عبد الله بن جعفر عن يعقوب بن عتبة قال: خرج علي عليه السلام في مائة رجل إلى أن نزل إلى حي من بني سعد بن بكر، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يملؤوا يهود خيبر، فسار إليهم بالليل، وكمن بالنهار وأصاب عينا لهم، فأقر له أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر.

قال الواقدي رحمه الله تعالى [الملازي: ٥٦١/٢]: وفي سنة ست في شعبان منها كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، وقال له رسول الله ﷺ: «إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم»، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم فحاضر بنت الأصبغ الكلبي وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

قال الواقدي [الملازي: ٥٦٨/٢]: في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العُزَيْنِيِّين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا النعم، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً، فردوهم.

فكان من أمرهم ما أخرجه البخاري [٤١٩٢] ومسلم [١٦٧١/١٣] من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رهطاً من عكل وعربة - وفي رواية [ع: (٢٣٣)]، م: (١٦٧/١١): من عكل أو عربة -

أثروا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا أناس أهل ضرع، ولم تكن أهل ريف، فاسترحنا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بنود ورواح، وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فاطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث النبي ﷺ في طلبهم، فأمر بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك.

قال قتادة: فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضراً على الصدقة ونهى عن التلثة.

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة (ج ١٥٠١)، م (١٦٧١/١٣)، د (٤٣٦٨)، المسند: ١٦٣/٣، ١٧٧، ٢٨٧، ورواه جماعة عن أنس بن مالك (ج ٢٣٣)، م (٩ - ١٦٧١/١٤)، د (٤٣٦٧)، ت (٧٧)، ١٨٤٥، ٢٠٤٢، م (٤٠٤٠ - ٤٠٤٣، ٤٠٤٦)، ج (٣٥٧٨، ٣٥٧٩).

وفي هذه السنة كانت غزوة المريسيع التي كانت فيها قصة الإفك ونزول برائة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم.

ولمّا كانت عمرة الحديبية وما كان من صد المشركين رسول الله ﷺ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين، يامن فيهن الناس بعضهم بعضاً، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال، وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أماكنه ولله الحمد والمثمة، وولى الحج في هذه السنة المشركون.

قال الواقدي: وفيها في ذي الحجة منها، بعث رسول الله ﷺ ستة نفر مصطحين حاطب بن أبي بلتعة إلى الموقر صاحب الإسكندرية، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة - شهد بدراً - إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، يعني ملك عرب النصارى، بالشام، وديحة بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وهو هرقل ملك الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامري إلى هوة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن أبحر.

سنة ٧ - غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: ﴿وَأَنبَأَهُمْ فَتَحاً قَرِيباً﴾ قال: خيبر.

وقال موسى بن عقبة: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث بالمدينة عشرين يوماً أو قريباً من ذلك، ثم خرج إلى خيبر وهي التي وعده الله إياها.

وحكى موسى عن الزهري أن افتتح خيبر في سنة ست، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قلنا.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٢٧٨/٢): ثم أقبل رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري، عن عروة، عن مروان والمسرود قالاً: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فترك عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم فتركه بالرجيع وأبو بين خيبر وخطفان، فتخوف أن تدمر خطفان فبات حتى أصبح ففدا إليهم.

قال البيهقي (هلال: ١٩٧/٤): ويعتمد رواه الواقدي (المغازي: ٦٣٤/٢ - ٦٣٨) عن شيوخه في خروجه في أول سنة سبع من الهجرة.

وقال عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر قال: لما كان افتتاح خيبر في عقب المحرم وقدم النبي ﷺ في آخر صفر.

قال ابن هشام (السيرة: ٣٢٨/٢): واستعمل على المدينة غيلة بن عبد الله

أثروا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا أناس أهل ضرع، ولم تكن أهل ريف، فاسترحنا المدينة. فأمر لهم رسول الله ﷺ بنود ورواح، وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فاطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث النبي ﷺ في طلبهم، فأمر بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك.

قال قتادة: فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضراً على الصدقة ونهى عن التلثة.

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة (ج ١٥٠١)، م (١٦٧١/١٣)، د (٤٣٦٨)، المسند: ١٦٣/٣، ١٧٧، ٢٨٧، ورواه جماعة عن أنس بن مالك (ج ٢٣٣)، م (٩ - ١٦٧١/١٤)، د (٤٣٦٧)، ت (٧٧)، ١٨٤٥، ٢٠٤٢، م (٤٠٤٠ - ٤٠٤٣، ٤٠٤٦)، ج (٣٥٧٨، ٣٥٧٩).

وفي رواية مسلم (١٦٧١/١٣) عن معاوية بن قرة عن أنس، أن نقرأ من عرية أثروا رسول الله ﷺ فأسلموا ويلعوه، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام - فقالوا: هذا الوجد قد وقع يا رسول الله، فلو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل. قال: نعم، فأخرجوا فكونوا فيها، فخرجوا فقتلوا الراعين وذهبوا بالإبل. وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين، فأرسلهم إليهم وبعث معهم قاتلاً يقتص أثرهم، فأتى بهم قطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم.

وفي «صحيح البخاري» (٢٣٣) من طريق أيوب عن أبي قلابة، عن أنس أنه قال: قدم رطع من عكل فأسلموا واجتسروا المدينة، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: «الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها». قال: فذهبوا ففكروا فيها ما شاء الله، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، فجاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ فأسرسل في طلبهم فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم، فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها، وقطع أيديهم وأرجلهم وأقامهم في الحرة يستقون فلا يسقون، حتى ماتوا ولم يسمهم.

وفي رواية عن أنس قال (ج ٥٩٨٥): فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش. قال أبو قلابة: فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله ﷺ.

وقد روى البيهقي (الدلائل: ٨٨/٤) من طريق عثمان بن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سليمان، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال: «اللهم عمّ عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيّق من مسك جمل». قال: نعمى الله عليهم السبيل، فأدركوا فأتى بهم رسول الله ﷺ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم.

وفي «صحيح مسلم» (١٦٧٧/٨٤) إنما أسلمهم لأنهم سملوا أعينهم الرعاء.

سنة ٩ - أحداث أخرى

أعني سنة ست من الهجرة فيها نزل فرض الحج كماله قررته الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة: ١٩٦) ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور، لأنه ﷺ لم يبعج إلا في سنة عشر. وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد، فعتنهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور، ومنعوا أن يكون الوجوب مستغداً من قوله تعالى: ﴿وَأَيُّمُوا الْحَجَّ وَالْمَعْرَةَ لِلَّهِ﴾ وإنما في هذه الآية

اللبي.

وقد قال الإمام أحمد (٣٤٥/٢، ٣٤٦): حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا خثيم يعني ابن عراك، عن أبيه: أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه، والنبي ﷺ في خيبر وقد استخلف سباع بن عرفة - يعني الغطفاني - على المدينة، قال: فأتته إلى وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ «كهيمص»، وفي الثانية: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ»، فقلت في نفسي: ويل لفلان إذا أكتال أكتال بالوافي وإذا كالأ كالأ بالناقص قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ﷺ خيبر، قال: فكلّم المسلمين فاشركونا في سهمهم.

وقد رواه البيهقي (الدلائل: ١٩٨/٤، ١٩٩) من حديث سليمان بن حرب عن وهيب عن خثيم بن عراك، عن أبيه، عن نضر من بني غفار قالوا: إن أبا هريرة قدم المدينة مذكرة.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٠/٢): وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر فبني له فيها مسجداً، ثم على الصبابة، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له: الرجيع، فقتل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظهروا اليهود عليه، حتى إذا ساروا مقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على اعتابهم، فأتوا في أموالهم وأهلهم وخلصوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

وقال البخاري (٤١٩٥): حدثنا عبد الله بن مسleme عن مالك، عن يحيى بن سعيد عن بشر: أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر، حتى إذا كانوا بالصباح - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر، ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فشري فأكمل وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضض ثم صلى ولم يتوضأ.

وقال البخاري (٤١٩٦): حدثنا عبد الله بن مسleme، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعتنا من ههنا؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فقتل يحدو بالقوم يقول:

لأقسم لولا أنت ما أعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أعتينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والتيمن سكيكة علينا إنا إذا صبح بنا إينا
وبالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يرحمه الله». فقال رجل من القوم: وجبت يا بني الله لولا أمتعتنا به. فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا حمصة شديدة. ثم إن الله فتحها عليهم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم، أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟» قالوا: على لحم. قال: «على أي لحم؟» قالوا: لحم الحمر الإنسية، قال النبي ﷺ: «أهريقوها واكسروها» فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها؟ فقال: «أو ذلك».

فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه فيرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ربة عامر، فمات منه، فلما قفلوا

قال سلمة: رأيته رسول الله ﷺ وهو أخذ بيدي، قال: «ما لك؟» قلت: فذلك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ: «كذب من قاله إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد قُلْ عربي مشى بها مثله».

ورواه مسلم (١٨٠٢/١٢٣) من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة به نحوه. ويروى (٤١٩٦): «نشأ بها مثله».

قال السهيلي (الروض الأوفى: ٥٧٤/٦): ويروى: «قُلْ عربي مثابها مثله». ويكون منصوباً على الحالية من نكرة، وهو صالح، إذا دلت على تصحيح معنى، كما جاء في الحديث: «فصلى وراءه رجال قياماً».

وقد روى ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٢٩/٢، ٣٢٩) قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الميمون بن نصر بن دهر الأسلمي، أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: «انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من ههناك» فقال: فقتل يرتجز لرسول الله ﷺ فقال:

والله لولا الله ما اعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغيرنا علينا وإن أرادوا فتنة إينا
فانزلن سكيكة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ: «يرحمك ربك». فقال عمر بن الخطاب: وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به، فقتل يوم خيبر شهيداً، ثم ذكر صفة قتله كنعو ما ذكره البخاري.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٢٩/٢): وحدثني من لا أنهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: «فقوا»، قال: «اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله».

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

وقد رواه الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٠٣/٤، ٢٠٤) عن الحاكم، عن الأصم عن العطاردي عن يونس بن بكير، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن صالح بن كيسان، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، حتى إذا كنا قريباً، وأشرقت علينا قال رسول الله ﷺ للناس: «فقوا» فوق الناس، فقال: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٢٩/٢، ٣٣٠): وحدثني من لا أنهم عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يفر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أسك وإن لم يسمع أذاناً أغار، فقتلنا خيبر ليلاً فبات رسول الله ﷺ حتى إذا أصبح، لم يسمع أذاناً فركب وركبنا معه، وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ،

قلت: والذي ثبت في «الصحیح» عند البخاري (٣٧١) عن أنس: إن رسول الله ﷺ أجرى في رزاق خيبر حتى المحسر الإزار عن فخذيه، فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار. ولعل هذا الحديث - إن كان صحيحاً - محمول على أنه ركب في بعض الأيام وهو عاصرها والله أعلم.

وقال البخاري (٤٢٠٨): حدثنا محمد بن سعيد الخزاعي، حدثنا زياد بن الريح عن أبي عمران الجوني قال: نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال: كأنهم الساعة يهود خيبر.

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي بن أبي طالب يخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر، وكان رمداً فقال: إنما تخلف عن النبي ﷺ؟ فلتح به. فلما بنتا الليلة التي فتحت خيبر قال: «لأعطين الراية غداً - أو ليأخذن الراية غداً - رجل يبعه الله ورسوله يفتح عليه». فنحن نرجوها. فقيل: هذا عليٌّ فأعطاه ففتح عليه. ورواه البخاري (٢٩٧٥) أيضاً ومسلم (٢٤٠٧) عن قتية عن حاتم به.

ثم قال البخاري (٤٢١٠): حدثنا قتية، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاه، فلما أصبح الناس غدوا على النبي ﷺ كلهم يرجون أن يعطاه فقال: «لئن علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشكني عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فصلى رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبدا حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم». وقد رواه مسلم (٢٤٠٦) والنسائي (٨١٤٩، ٨٥٨٧) جميعاً عن قتية به.

وفي «صحيح مسلم» (٢٤٠٥) والبيهقي (الدلائل: ٢٠٦/٤) من حديث سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه»، قال عمر: فما أحبيت الإمارة قط إلا يومئذ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: «اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت». قال علي: علي ما أقاتل الناس؟ قال: «فقاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». لفظ البيهقي.

وقال الإمام أحمد (١٦/٣): حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى قال: حدثنا إسرائيل حدثنا عبد الله بن عصة العجلي، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: أن رسول الله ﷺ أخذ الراية فنهضها ثم قال: «من يأخذها بحقها؟» فجاء فلان فقال: أنا، قال: «أبيط»، ثم جاء رجل آخر فقال: «أبيط»، ثم قال النبي ﷺ: «والذي كرم وجهه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا علي». فاسطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاءه بعجوتها وقنيدهما.

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به، وفيه غرابة. وعبد الله بن عصة ويقال: ابن عَصَم هذا يكنى بأبي علوان العجلي

واستقبلنا عمال خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، فلما راوا رسول الله ﷺ والجيش قالوا: محمد والخميس معه! فأدبروا هرباً، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنزيرين».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٠/٢): حدثنا هارون عن حميد عن أنس بمثله.

وقال البخاري (٤١٩٧): حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا مالك عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً يليل لم يقرهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما راوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنزيرين»، تفرد به دون مسلم.

وقال البخاري (٤١٩٨): حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عينة، حدثنا أيوب عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس! فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنزيرين». قال: فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس. تفرد به البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد (١٦٤/٣): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة، عن أنس قال: لما أتى النبي ﷺ خيبر فوجد لهم حين خرجوا إلى زرعهم ومعهم مساحيهم، فلما راوه ومعه الجيش، تكصروا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي ﷺ: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنزيرين». تفرد به أحمد وهو على شرط «الصحاحين».

وقال البخاري (٤٢٠٠): حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن ثابت، عن أنس بن مالك قال صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنزيرين». فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسمى الذرية، وكان في السبي صفية فصار إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها.

قال عبد العزيز بن صهيب لثابت: يا أبا محمد أنت قلت لأنس: ما أصدقها؟ فحرك ثابت رأسه تصديقاً له، تفرد به دون مسلم.

وقد أورد البخاري (٣١٥٥) ومسلم (١٩٣٧/٢٦) النهي عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تذكر في كتاب «الأحكام».

وقد قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٠٤/٤): أنبأنا أبو طاهر الفقيه، أنبأنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد الأيوودي، حدثنا محمد بن الفضل عن مسلم الأعمور الملائي، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويتبع الجنازة ويحب دعوة المملوك ويركب الحمار، وكان يوم قرظة والنضير على حمار، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسرس ليف ونعته إكاف من ليف.

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي (١٠١٧) عن علي بن حجر عن علي بن مسهر، وابن ماجه (٢٢٩٦، ٤١٧٨) عن محمد بن الصباح، عن سفيان وعن عمرو بن رافع عن جرير كلهم عن مسلم وهو ابن كيسان الملائي الأعمور الكوفي عن أنس به.

وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعف.

إذا الليوث أقبليست تلهب واحجمت عن صولة الغلب
فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سئني اسمي خيبره كليث غابات شديد القسورة
أكلكم بالصاع كيل السندرة

قال فاختلفا ضريتين، فبدره علي بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه
ووقع في الأعراس، وأخذ المدينة.

وقد روى الحافظ البزار [كشف الاستار: ٢٥٤٥] عن عباد بن يعقوب
عن عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن
عباس قصة بعث أبي بكر ثم عمر يوم خيبر، ثم بعث علي فكان الفتح
على يديه.

وفي سياقه غرابة ونكارة وفي إنشاده من هو منهم بالتشيع والله أعلم.
وقد روى مسلم [١٨٠٧] والبيهقي [الدلائل: ٢٠٧/٤ - ٢٠٩] واللفظ له
من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن
أبيه فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة.
قال: فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر.

قال: وخرج عامر فجعل يقول:
والله لولا أنت ما اعتنينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغنينا فأنزلن سكينه علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال: فقال رسول الله ﷺ: «من هذا القاتل؟» فقالوا: عامر. فقال:
«غفر لك ربك». قال: وما خص رسول الله ﷺ قط أحداً به إلا استشهد.
فقال عمر: وهو على جبل: لولا متعتنا بعامر. قال: فقدنا خيبر،
فخرج مَرْحَب وهو يخطر بسيفه ويقول:
قد علمت خيبر أني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبليست تلهب

قال: فبرز له عامر عليه السلام وهو يقول:
قد علمت خيبر أني عامر شاكى السلاح بطل مغامر
قال: فاختلفا ضريتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب بسفل
له، ففرج على نفسه فقطع أكماله وكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون:
بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال:
«ما لك؟» فقلت: قالوا: إن عامراً بطل عمله. فقال: «من قال ذلك؟»
فقلت: نفر من أصحابك. فقال: «كذب أولئك بل له الأجر مرتين».

قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام يدعو وهو أرمد وقال:
«أعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله». قال: فبحث به أقوده قال:
فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ فاعطاه الراية، فبرز مرحب وهو يقول:
قد علمت خيبر أني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبليست تلهب

قال: فبرز له علي وهو يقول:
أنا الذي سئني اسمي حيدر كليث غابات كره النظره
أوفيهم بالصاع كيل السندرة
قال: فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله. وكان الفتح.

وأصله من الإمامة سكن الكوفة وقد وثقه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا
بأس به، وقال أبو حاتم: شيخ. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ
كثيراً وذكره في «الضعفاء»، وقال: يحدث عن الأثبات مما لا يشبه حديث
الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان
بن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الأكوع عليه السلام: بعث
النبي ﷺ أبا بكر عليه السلام إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن
فتح وقد جهد. ثم بعث عمر عليه السلام فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح. فقال
رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله
ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفراة». قال سلمة: فدعا رسول الله ﷺ
علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يومئذ أرمد ففضل في عينيه ثم قال: «خذ
الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك»، فخرج بها والله يأتيح يهرول
هرولة، وإنا خلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رفس من حجارة تحت
الحصن فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن
أبي طالب فقال اليهودي: غلبت وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح
الله على يديه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢١٠/٤]: أثبتنا الحاكم، أثبتنا الأصم، أثبتنا
العتاردي عن يونس بن بكير، عن الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة
أخبرني أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له،
وقتل محمود بن مسلمة ورجع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «لأدفعن
لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لن يرجع حتى
يُفتح له»، فبتنا طية نفوسنا أن الفتح غداً، فصلى رسول الله ﷺ صلاة
الغداة ثم دعا باللواء وقام قائماً فما منا من رجل له منزلة من رسول الله
ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تناولوا أنا لما ورفعت
رأسي لمنزلة كانت لي منه، فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه،
قال: فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح له، فسمعت عبد الله بن بريدة
يقول: حدثني أبي أنه كان صاحب مرحب.

قال يونس: قال ابن إسحاق: كان أول حصون خيبر فتحاً حصن
ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه رحي منه فقتله.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٢١٠/٤ - ٢١٢] عن يونس بن بكير عن
المسيب بن مسلمة الأزدي حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان
رسول الله ﷺ يوماً أخذته الشقيقة فلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل
خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله
ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذنا عمر فقاتل قتالاً شديداً
هو أشد من القتال الأول ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال:
«لأعطين غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله يأخذها عنوة».
وليس ثم علي، فتناولوا لما قرش، ورجا كل رجل منهم أن يكون
صاحب ذلك، فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أتاها
قريباً، وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ:
«ما لك؟» قال: رمدت بمدك، قال: «أدنّني» ففل في عينه، فما وجعها
حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية، فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء
قد أخرج خلها، فأتى مدينة خيبر، وخرج مَرْحَب صاحب الحصن وعليه
مغفر مائي وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكى سلاحي بطل مجرب

خرج له فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول الله؟ فقال: قبل ابنك يقتله إن شاء الله. فالتفتا فقتله الزبير. قال: فكان الزبير إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً يقول: والله ما كان صارماً ولكني أكرمه.

وقال يونس عن ابن إسحاق عن بعض أهلها، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ بربائته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نعهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه.

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر.

ولكن روى الحافظ البيهقي [الذليل: ٢١٢/٤] والحاكم من طريق مطلب بن زياد عن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر الباقر عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فانفتحوها، وإنه جرت بهد ذلك فلم يحمله أربعمائة رجلاً.

وفيه ضعف أيضاً.

وفي رواية ضعيفة عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جاهدتهم أن أعادوا الباب.

وقال البخاري [٤٢٠٦]: حدثنا مكِّي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابها يوم خيبر فقال الناس: أصيب سلمة. فأتيت النبي ﷺ فنضت فيه ثلاث نقطات فما اشتكت حتى الساعة.

ثم قال البخاري [٤٢٠٧]: حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه، عن سهل قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فافتتروا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاة ولا فاة إلا أتبعها ففصرها بسيفه، فليل: يا رسول الله ما أجراً منا أحد ما أجراً فلان. قال: فإنه من أهل النار. فقالوا: إنا من أهل الجنة إن كان هنا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لأتبعه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين يديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «وما ذلك؟» فأخبره فقال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة».

رواه أيضاً عن قتبية عن يعقوب عن أبي حازم عن سهل فذكر مثله أو نحوه.

وقال البخاري [٢٨٩٨]: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل من معه يدعي الإسلام: «هنا من أهل النار». فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة حتى كاد بعض الناس يوتأب. فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى يده إلى كتافته فاستخرج منها أسهماً فحتر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حيلتك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: «قم يا فلان فاذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر».

هكذا وقع في هذا السياق أن علياً هو الذي قتل مرجأ اليهودي لعنه الله.

وقال أحمد [١١١/١]: حدثنا حسين بن حسن الأشقر، حدثني ابن قايوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جده عن علي قال: لما قتل مرجأ جئت يراسه إلى رسول الله ﷺ.

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري: أن الذي قتل مرجأ هو محمد بن مسلمة.

وكذلك قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٣٢/٢]: حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة، عن جابر بن عبد الله قال: خرج مرجب اليهودي من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرجب شاكى السلاح بطل مجرب
أطمعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليث أقبلت تحرب
إن حياى للحمى لا يقرب

قال: فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أنني كعب مفرج الغما جسر صلب
إذ شبت الحرب تلته الحرب معي حُمام كالعقيق غضب
يطاكمو حتى يذل الصعب نطفي الجزاء أو يفسى النهب
يكف ماضٍ ليس فيه غُتب

قال: وجعل مرجب - وهو ابن حمير - يرتجز ويقول: هل من مبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا؟» فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي بالأمس. فقال: «قم إليه اللهم اعنه عليه».

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية من شجر العُثْر، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها كلما لاذ بها أحدهما اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فن، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فأنقاه بالرقعة فوقع سيفه فيها فمضت به، فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٨٥/٣] عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال:

قد علمت خيبر أنني ماضٍ حُلُوْ إذا شئت وسَم قاضٍ

وهكذا رواه الواقدي [المغازي: ٦٥٧/٢، ٦٥٧] عن جابر وغيره من السلف، أن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرجأ، وذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلي مرجب فقال له: أجهز علي. فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة. فمر به علي وقطع رأسه، فاخصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه وروحه ومغفره ويضته. قال: وكان مكتوباً على سيفه:

هذا سيف مرجب من يلقه يطب

ثم ذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٣٤/٢]: أن أبا مرجب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول: هل من مبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير

المبارك عن ابن جريج به نحوه.

سنة ٧- حكم لحوم الحمر

الأهلية والمطعم في خير

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٠/٢، ٣٣١): وتذني رسول الله ﷺ الأموال بأخذها مالا مالا ويفتحها حصناً حصناً، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم، وعنده قتل عمود بن مسلمة، أقيمت عليه رحى منه فقتلته، ثم القمص حصن بني أبي الحقيق. وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبانيا منهن صفية بنت حيمي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ويتأعم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها.

قال: وفشت السبانيا من خير في المسلمين، وأكل الناس لحوم الحمر، فذكر نهي رسول الله ﷺ ليأهم عن أكلها.

وقد اعتنى البخاري بهذا الفصل فأورد النهي عنها من طرق جيدة، وتحرمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وهو مذهب الأئمة الأربعة. وقد ذهب بعض السلف - منهم ابن عباس - إلى إباحتها، وتوعدت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها، فقيل: لأنها كانت ظهراً يستينون بها في الحمولة، وقيل: لأنها لم تكن خست بعد، وقيل: لأنها كانت تأكل العذرة يعني جلالة، والصحيح أنه نهي عنها لأنها فإن في الأثر الصحيح (ج ٥٥٢٨) أنه نادى منادي رسول الله ﷺ: إن الله ورسوله ينهيكم عن لحوم الحمر فإنها رجس، فكفتموها والقدور تفور بها. وموضع تقرير ذلك في كتاب «الأحكام».

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣١/٢): حدثني سلام بن كركرة عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله - ولم يشهد جابر خير - أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل. وهذا الحديث أصله ثابت في «الصحيحين» (ج ٤٢١٩)، م (١٩٤١/٣٦) من حديث حماد بن زيد عن عمرو بن دينار، عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خير عن لحوم الحمر، ورخص في الخيل. لفظ البخاري.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣١/٢): وحدثنا عبد الله بن أبي نعيم عن مكحول: أن النبي ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع: عن إتيان الجبال من النساء، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغام حتى تقسم. وهذا مرسل.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣١/٢، ٣٣٢): وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي مرزوق مولى نجيب، عن حش الصنعاني قال: غزونا مع ربيعة بن ثابت الأصباري المغرب، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها: جربة، فقام فيها خطيباً فقال: أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خير، قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي مائه زرع غيره» يعني إتيان الجبال من السي - ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السي حتى يستبرئها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب بيع مغنماً حتى يقسم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب

وقد روى موسى بن عتبة قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة. وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال: وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر، كان في غنم لسيده، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سالم قال: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي. فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ، فاقبل بغمته حتى عمد لرسول الله ﷺ فقال: إني ما تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الإسلام» أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن لا تعبد إلا الله.

قال: فقال العبد: فماذا يكون إن شهد بذلك وآمنت بالله؟ قال رسول الله ﷺ: «الجنة إن مت على ذلك». فأسلم العبد فقال: يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة. فقال رسول الله ﷺ: «أخرجها من عسكرنا وارمها بالخصاء فإن الله سيؤدي عنك أمانتك» ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ففرح اليهودي أن غلامه قد أسلم.

فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً، ودنوه من حصن اليهود، وقته مرحباً وقتل مع علي ذلك العبد الأسود فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم، فدخل في القسطنطينية، فزعموا أن رسول الله ﷺ أطلع في القسطنطينية، ثم أطلع على أصحابه فقال: «لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير قد كان الإسلام من نفسه حقاً وقد رايت عند رأسه اثنتين من الحور العين».

وقد روى الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٢١/٤) من طريق ابن وهب عن حيرة بن شريح، عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه: قتل شهيداً وما سجد لله سجدة.

ثم قال البيهقي (الدلائل: ٢٢١/٤): حدثنا محمد بن محمد بن عمش النقيع، حدثنا أبو بكر القطان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه منتن الريح لا مال لي، فإن قتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: «نعم» فتقدم فقاتل حتى قتل، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول فقال: «لقد حسن الله وجهك وطيّب ريحك وكثر مالك». وقال: «لقد رايت زوجتي من الحور العين يتنازعان جنته عنه يدخلان فيما بين جلته وجنته».

ثم روى البيهقي (الدلائل: ٢٢٢/٤) من طريق ابن جريج، أخبرني عكرمة بن خالد عن ابن أبي عمير عن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فأمن به واتبه فقال: أهاجر معك. فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسّمه وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهريهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ، فقال: ما على هذا إيتيتك، ولكي إيتيتك على أن أرمي ههنا - وأشار إلى حلقة - بسهم، فأمرت فدخل الجنة. فقال: «إن تصدق الله يصدقك». ثم نهضوا إلى قتال العدو، فأتى به رسول الله ﷺ يحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «هو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله» فصدقه. وكفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قلمه فصلى عليه، فكان ما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك قتل شهيداً أنا عليه شهيد».

وقد رواه النسائي [١٩٥٢] عن سويد بن نصر، عن عبد الله بن

الشهر عنه، فقال له أمير المؤمنين علي: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح التمة ولحوم الحرم الأهلية يوم خير، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة. وللى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي تلمذه الله برحمته آمين.

ومع هذا ما رجح ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحرم والمتعة، أما النهي عن الحرم فتأوله بأنها كانت حولتهم، وأما التمة فلما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار، وحمل النهي على ذلك في حال الرفاهية والوجنان، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده.

وقد حكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمدب ابن عباس وهي ضعيفة، وحاول بعض من صنف في الخلاف نقل رواية عن الإمام أحمد بمثل ذلك، ولا يصح أيضاً والله أعلم. وموضع تحريم ذلك في كتاب «الأحكام» وبالله المستعان.

سنة ٧ - تمة ما جرى في خير

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٢/٢): ثم جعل رسول الله ﷺ يتلنى الحصون والأموال، فحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدثه بعض أسلم، أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: والله يا رسول الله لقد جهلنا وما بأبدينا من شيء، فلم يجلبوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه فقال: «اللهم إنا قد عرفنا حالهم وإن ليست بهم قوة وإن ليس ببدي شيء أعطيهم إياه، فأتبع عليهم أعظم حصونها عندهم وأكثرها طعاماً وودكاً». فلما الناس ففتح عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٢/٢): ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلام، وكان آخر حصون خير افتتاحاً، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضعة عشر ليلة.

قال ابن هشام (السيرة: ٣٣٢/٢): وكان شعارهم يوم خير: يا منصور أمت.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٦، ٣٣٥/٢): وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن بعض رجال بني سلمة، عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال: إنا لع رسول الله ﷺ بخير ذات عشة إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم فقال رسول الله ﷺ: «من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟» قال أبو اليسر فقلت: أنا يا رسول الله قال: «فانفل».

قال: فخرجت أشد مثل الظليم، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ مولياً قال: «اللهم أمتنا به» قال: فادركت الغنم وقد دخلت أولها الحصن، فأخذت شاتين من آخرها فاحتضمتها تحت يدي، ثم جئت بهما أشد كأنه ليس معي شيء حتى التقيتهما عند رسول الله ﷺ فذبحهما فاكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً، وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال: أمتوا بني لمعري حتى كنت من آخرهم.

وقال الحافظ البيهقي في «الدلائل» [٢٤٢/٤]: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا سعدان بن

دابة من فيه المسلمين حتى إذا أعجبها ردها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيه المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه. وهكذا روى هذا الحديث أبو داود [٢١٥٨، ٢١٥٩] من طريق محمد بن إسحاق به.

ورواه الترمذي [١١٣١] عن عمرو بن حفص الشيباني، عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب، عن ربيعة بن سليم عن بسر بن عبيد الله، عن رويغ بن ثابت مختصراً، وقال: حسن.

وفي «صحيح البخاري» [٤٢١٥] عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ نهى يوم خير عن لحوم الحرم الأهلية وعن أكل الثوم.

وقد حكى ابن حزم (المحلى: ٦٧/٤) عن علي وشريك بن الحنبل أنهما ذبعا إلى تحريم البصل والثوم النهي.

والذي نقله الترمذي [١٨٠٨، ١٨٠٩] عنهما الكرامة فالله أعلم.

وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في «الصحيحين» [٤٢١٦]، م [١٤٠٧] من طريق الزهري عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما، عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ: أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح التمة يوم خير وعن لحوم الحرم الأهلية.

هذا لفظ «الصحيحين» من طريق مالك وغيره عن الزهري. وهو يقتضي تنقيح تحريم نكاح التمة يوم خير، وهو مشكل من وجهين:

أحدهما: أن يوم خير لم يكن ثم نساء يتمتعون بهن إذ قد حصل لهم الاستغناء بالنساء عن نكاح التمة.

الثاني: أنه قد ثبت في «صحيح مسلم» [١٤٠٦] عن الربيع بن سبرة بن معبد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أذن لهم في التمة زمن الفتح ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها، وقال: «إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة». فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حرمت، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد.

ومع هذا فقد نص الشافعي على أنه لا يعلم شيئاً أبيض ثم حرم ثم أبيض ثم حرم غير نكاح التمة، وما حدها على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه.

وقد حكى السهيلي (الروض: ٥٥٧/٦) ألف: وغيره عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيضت ثلاث مرات وحرمت ثلاث مرات.

وقال آخرون: أربع مرات، وهذا بعيد جداً والله أعلم.

واختلفوا أي وقت أول ما حرمت فقييل: في خير، وقيل: في عمرة القضاء، وقيل: في عام الفتح وهو الذي يظهر، وقيل: في أوطاس وهو قريب من الذي قبله، وقيل: في تبوك، وقيل: في حجة الوداع رواه أبو داود [٢٠٧٢].

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث علي ﷺ بأنه وقع فيه تقليم وتأخير.

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد [٧٩/١]: حدثنا سفيان عن الزهري، عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن علياً قال لابن عباس: إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح التمة وعن لحوم الحرم الأهلية زمن خير. قالوا: فاعقد الراوي أن قوله «خير» ظرف للمنهى عنهما وليس كذلك، إنما هو ظرف للنهي عن لحوم الحرم، فاما نكاح التمة فلم يذكر له ظرفاً، وإنما جمعه معه لأن علياً ﷺ بلغه أن ابن عباس أباح نكاح التمة ولحوم الحرم الأهلية كما هو

الحقيق، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ، ثم لما تأملت للتزويج تزوجها بعض بني عمها، فلما زفت إليه وأدخلت عليه بنى بها، ومضى على ذلك ليل، رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجرها، فقصت رؤياها على ابن عمها، فلطم وجهها وقال: أتمنين ملك يثرب أن يصير بملك، فما كان إلا بجسيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم، فكانت صفية في جملة السبي، وكان زوجها في جملة القتلى.

ولما اصطفاها رسول الله ﷺ وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي، وبني بها بعد استبائها وحلها، وجد أثر تلك اللطمة في خدها، فسألها: «ما شأنها؟»، فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها.

قال البخاري (٤٢٠٠): حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنفذين»، فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسى الذرية، وكان في السبي صفية فصارَت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها.

ورواه مسلم أيضاً (٨٤٤، ٨٥٠، ٨٧، ١٣٦٥/٨٨) من حديث حماد بن زيد - وله طرق - عن أنس.

وقال البخاري (٤٢٠١): حدثنا آدم عن شعبة، عن عبد العزيز بن صهيب قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سبى النبي ﷺ صفية فاعتقها وتزوجها. قال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فاعتقها، تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري (٤٢١١): حدثنا عبد الغفار بن داود، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن. ح. وحدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك قال: قمنا خير فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصهباء حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حياً في نطع صغير، ثم قال لي: «أذن من حولك»، فكانت تلك وليمة على صفية.

ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بغيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب. تفرد به دون مسلم.

وقال البخاري (٤٢١٣): حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول: أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُسبى عليه بصفية، فدعرت المسلمين إلى وليمة، وما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأطاع فبسطت فائقاً عليها النمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حببها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحببها فهي عا ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب. انفرد به البخاري.

وقال أبو داود (٢٩٩٦): حدثنا مسدد، حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: صارت صفية لدحية الكلبي، ثم صارت لرسول الله ﷺ.

نصر، حدثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي أو عن أبي قلابة قال: لما قدم النبي ﷺ خيبر قدم والشمرة خضرة قال: فأسرع الناس فيها فحتموا فشكروا ذلك إليه فامرهم أن يقرسوا الماء في الشنان ثم يخبروا عليهم بين أذاني الفجر ويذكرون اسم الله عليه، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عقل.

قال البيهقي: ورواه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً، وعنه: بين صلاحى المغرب والعشاء.

وقال الإمام أحمد (٨٧/٤): حدثنا يحيى ويهز قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا عبد الله بن مغفل قال: كُلي جراب من شحم يوم خيبر فالتزمت، فقلت: لا أعطي أحداً منه شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ يتبسم.

وقال أحمد (٥٥/٥): حدثنا عفان، حدثنا شعبة عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل قال: كنا محاصرين قصر خيبر فالتقي إلينا جراب فيه شحم، فذهبت أخذه فرأيت النبي ﷺ فاستحييت.

وقد أخرجه صاحب «الصحیح» (ج ٣، ٣١٥٣)، م (١٧٧٢/٧٣) من حديث شعبة.

ورواه مسلم (١٧٧٢/٧٢) أيضاً عن شيان بن فروخ، عن سليمان بن المغيرة.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٩/٢): وحدثني من لا أنهم عن عبد الله بن مغفل المزني قال: أصبت من فيه خيبر جراب شحم، قال: فاحتملته على عتقي إلى رحلي وأصحابي، قال: فلقبني صاحب المنام الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا حتى تقسمه بين المسلمين، قال: وقلت: لا والله لا أعطيك، قال: وجعل يمازني الجراب، قال: فرأنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكاً.

ثم قال لصاحب المنام: «لا أبا لك خل بينه وبينه». قال: فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه.

وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحم ذبائح اليهود - ما كان حراماً عليهم - على غيرهم من المسلمين، لأن الله تعالى قال: «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ». قال: لكم. قال: وليس هذا من طعامهم.

فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر، وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم. وقد استدللوا بهذا الحديث على أن الطعام لا ينجس.

ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود (٢٧٠٤): حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو معاوية، حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن محمد بن أبي مجالد، عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قلت: هل كتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبنا طعاماً يوم خيبر، وكان الرجل يجيء فيأخذ منه قدر ما يكفيه، ثم ينصرف. تفرد به أبو داود وهو حسن.

سنة ٧- قصة صفية بنت حيي بن

أخطب النضرية رضي الله عنها

وكان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة كما تقدم، فذهب عامتهم إلى خيبر، وفيهم حيي بن أخطب وبنو أبي

عن مثنى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محصة بن مسعود أخو بني حارثة. فلما نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعلم لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أن إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وعامل أهل فكم بمثل ذلك.

سنة ٧- فتح حصون خيبر وقسم أرضها

قال الواقدي [الفازي: ٦٦٦/٢ - ٦٦٨]: لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير، حاصروهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، فجاء رجل من اليهود يقال له: غزال فقال: يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، ونخرج إلى أهل الشق، فإن أهل الشق قد هلكوا ربما منك؟ قال: فأمته رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال له اليهودي: إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك، إن لهم تحت الأرض ديولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعته. فأمر رسول الله ﷺ بقطع ديولهم، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال، وقتل من المسلمين يرمثذ نفر، وأصيب من اليهود عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، وكان آخر حصون النطاة.

وتحول إلى الشق وكان به حصون ذوات عدد، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبي، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها: سموان، فقاتل عليها أهل الحصن أشد القتال، فخرج منهم رجل يقال له: عزول، فدعا إلى البراز، فبرز إليه الحباب بن المنذر، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه، ووقع السيف من يده وفر اليهودي راجعاً، فأتبعه الحباب فقطع عرقبيه، وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودي، فنفض إليه أبر دجاجة فقتله وأخذ سلحه، وأحجموا عن البراز ففكر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمأهم أبو دجاجة، فوجدوا فيه اثناً ومئاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتجمعوا الجبل كأنهم الظباء حتى صاروا إلى حصن التزار بالشق، وتجمعوا أشد التجمع، فحرف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقاموا ورمى معهم رسول الله ﷺ يده الكريمة حتى أصاب نبلهم ثيابه عليه الصلاة والسلام، فأخذ عليه السلام كفاً من الحصى ورمى حصنهم بها، فرفج بهم حتى ساق في الأرض، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد.

قال الواقدي [الفازي: ٦٧٠/٢، ٦٧١]: ثم تحول رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوطيح والسلام حصني ابن أبي الحقيق، ونحسنا أشد التحصن، وجاء إليهم كل فلٍ كان قد انهزم من النطاة والشق فتحصنوا معهم في القموص وهو في الكتيبة، وكان حصناً نبيماً، وفي الوطيح والسلام، وجعلوا لا يظلمون من حصونهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم، فلما أيقنوا بالملكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً، نزل إليه ابن أبي الحقيق فضالحه على حقن دماهم ويسيرهم، ويحلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والكراخ والحلقة، وعلى البز إلا ما كان على ظهر الإنسان يعني لباسهم، فقال رسول الله ﷺ: «وبرت منكم فمة الله وفضة رسوله إن كنتم شئاً»، فصالحوه على ذلك.

قلت: ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة، تبين أنه لا عهد لهم، فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله بسبب

وقال أبو داود [٢٩٩٨]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس قال: جمع السي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السي قال: «اذهب فخذ جارية». فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية - قال يعقوب: - صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك، قال: «ادع بها»، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من السي غيرها» وإن رسول الله ﷺ أعطاها وتزوجها. وأخرجاه [ج (٣٧١)، م (١٣٦٥/٨٤)] من حديث ابن علية.

وقال أبو داود [٢٩٩٧]: حدثنا محمد بن خالد الباهلي، حدثنا بهز بن أسد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أنس قال: وقع في سهم دحية جارية جميلة، فاشترأها رسول الله ﷺ بسبعة أروس، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهبها. قال حماد: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها صفية بنت حيي. تفرد به أبو داود.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٦/٢]: فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص حصن بني أبي الحقيق، أتى بصفية بنت حيي بن أخطب وأخرى معها، فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «عزبوا عني هذه الشيطانة». وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه.

وقال رسول الله ﷺ لبلال - فيما بلغني - حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: «أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى عمر بامرأتين على قتلى رجالهما». وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكتانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أن قرأاً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز عمداً، فلطم وجهها لطمه خضر عيناها منها. فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها: «ما هذا؟» فأخبرته الخبر.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٦/٢، ٢٣٧]: وأتى رسول الله ﷺ بكتانة بن الربيع وكان عنده كثر بني النضير، فسأله عنه فوجد أن يكون يعلم مكانه. فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الحفرة كل غداة. فقال رسول الله ﷺ لكتانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟» قال: نعم. فأمر رسول الله ﷺ بالحفرة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: «عليه حتى تتأصل ما عنده». وكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فحضره عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

سنة ٧- مصالحة أهل خيبر على النصف

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٣٧/٢]: وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم: الوطيح والسلام، حتى إذا أيقنوا بالملكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق والنطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين، فلما سمع بهم أهل فكم قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويحلوا له الأموال ففعل، وكان

نقض اليهود منهم والمواقع.

وقال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٢٩/٤ - ٢٣١): حدثني أبو الحسن علي بن محمد القري الإسفراسني، حدثنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عبيد الله بن عمر - فيما يحسب أبو سلمة - عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خير حتى الجاهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلبوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله ﷺ الصغراء والبيضاء، ويخرجون منها، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يخبروا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحبي بن أخطب، وكان احتمله معه إلى خير حين أجليت النضير.

فقال رسول الله ﷺ لعمّ حُي: «ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير؟» فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال: «العهد قريب والمال أكثر من ذلك»، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعناب، وقد كان حبي قبل ذلك دخل خربة فقال: قد رايت حياً يطوف في خربة ههنا، فدعبروا فظافوا فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق، وأحدهما زوج صفة بنت حبي بن أخطب، وسى رسول الله ﷺ نساهم وذرايعهم، وقسم أموالهم بالنكت الذي نكتوا، وأراد إجلاءهم منها.

فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها، فأعطاهم خير على أن لهم الشطر من كل زرع وغنيل، وشيء ما بنا لرسول الله ﷺ.

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيحرصها عليهم ثم يضمنهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة حرصه وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله تطعموني السحت، والله لقد جتكم من عند أحب الناس إلي، ولأتم أبض إلي من عندكم من القردة والخنازير، ولا يجملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم.

فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض. قال: فرأى رسول الله ﷺ بعين صفة خضرة، فقال: «يا صفة ما هذه الخضرة؟» قالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فأريت كأن قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني وقال: تسنين ملك يرب؟ قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبض الناس إلي، قتل زوجي وأبي فما زال يعتذر إلي ويقول: «إن أباك ألب علي العرب» وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي.

وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير، فلما كان في زمان عمر غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت، فدفعوا يديه فقال عمر: من كان له سهم بخير فليحضر حتى تقسمها، قسمها بينهم. فقال رئيسهم: لا نخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال عمر لرئيسهم: أتراني سقط عني قول رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً؟» وقسمها عمر بين من كان شهد خير من أهل الحديبية.

وقد رواه أبو داود (٣٠٠٦) مختصراً من حديث حماد بن سلمة.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٣١/٤): عقله البخاري في كتابه فقال: ورواه حماد بن سلمة.

قلت: ولم أره في الأطراف فآله أعلم.

وقال أبو داود (٣٠٠٨): حدثنا سليمان بن داود المهري، حدثنا ابن وهب، أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع، عن عبد الله بن عمر قال: لما فتحت خير سالت يهود رسول الله ﷺ أن يقرهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها، فقال رسول الله ﷺ: «أقرم فيها على ذلك ما شئنا»، فكانوا على ذلك، وكان الثمر يقسم على السهمان من نصف خير، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقاً من شعير. فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي ﷺ فقال هن: من أحب منكن أن أقسم لها نخلاً يخرصها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها، ومن الزرع مزعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا.

وقد روى أبو داود (٣٠٠٧) من حديث محمد بن إسحاق: حدثني نافع عن عبد الله بن عمر: أن عمر قال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ عامل يهود خير على أن يخرجهم إذا شاء، فمن كان له مال فليلق به فإني خرج يهود. فأخرجهم.

وقال البخاري (٤٢٢٩): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب: أن جبير بن مطعم أخبره قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خير وتركتنا ونحن وهم بمزلة واحدة منك. فقال: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد».

قال جبير بن مطعم: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً.

تفرد به دون مسلم.

وفي لفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام».

قال الشافعي: دخلوا معهم في الشعب وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم.

قلت: وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرٍ عاجلاً غير آجل

وقال البخاري (٤٢٢٨): حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سابق، حدثنا زائدة عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خير للفرس سهمين، وللراجل سهماً. قال: فسر نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، وإن لم يكن معه فرس فله سهم.

وقال البخاري (٤٢٣٥): حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرني زيد عن أبيه، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: أما والذي نفسي بيده لو أن أترك آخر الناس بياناً ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خير، ولكي أتركها خزانة لهم يقسمونها.

وقد رواه البخاري أيضاً (٣١٢٥) من حديث مالك وأبو داود (٣٠٢٠) عن أحمد بن حنبل، عن ابن مهدي عن مالك، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر به.

وهذا السياق يقتضي أن خير بكاملها قسمت بين الغنائين.

بن عبد الله بن دينار عن أبيه، عن ابن عمر قال: ما شعبنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خير.

وقال محمد بن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٤٩/٢، ٣٥٠): كانت الشق والنطاة في سهمان المسلمين، الشق ثلاثة عشر سهماً، ونطاة خمسة أسهم، قسم الجميع على ألف وثمناثة سهم، ودفع ذلك إلى من شهد الحليبية من حضر خير ومن غاب عنها، ولم يغب عن خير عن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله، فضرب له بسهمه.

قال: وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمائة، وكان معهم مائتا فرس، لكل فرس سهمان، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهماً، وزيد المائتا فارس أربعمائة سهم لخيولهم.

وهكذا رواه البيهقي من طريق سفيان بن عينة، عن يحيى بن سعيد عن صالح بن كيسان: أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ومائتا فرس.

قلت: وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم، وكان أول سهم من سهمان الشق مع عاصم بن علي.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٤٩/٢ - ٣٥٧): وكانت الكتيبة خمساً لله تعالى، وسهم النبي ﷺ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطعمة أزواج النبي ﷺ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فلك، منهم محبة بن مسعود، أقطعهم رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر، وثلاثين وسقاً من شعير.

قال: وكان وديهاها اللذان قسمت عليه يقال لهما: وادي السرير ووادي خاص.

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها، فأجاد وأفاد رحمه الله. قال (سورة ابن هشام: ٣٥٧/٢): وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بني سلمة، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما.

قلت: وكان الأمير على خرص نخيل خير عبد الله بن رواحة فخرصها ستين، ثم لما قتل ﷺ - كما سيأتي في يوم مؤتة - ولي بعده جبار بن صخر ﷺ.

وقد قال البخاري (٤٢٤٤): حدثنا إسماعيل، حدثني مالك عن عبد المجيد بن سهل، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خير فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: «كل تمر خير هكذا؟» قال: لا والله يا رسول الله، إنا نأخذ الصاع من هنا بالصاعين والصاعين بالثلاثة، فقال: «لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيهاً».

قال البخاري (٤٢٤٦): وقال الدراوردي عن عبد المجيد، عن سعيد بن المسيب: أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثا: أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خير وأمره عليها، وعن عبد المجيد عن أبي صالح السمان، عن أبي سعيد وأبي هريرة مثله.

قلت: كان سهم النبي ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بتخير وفلك بكاملها - وهي طائفة كبيرة من أرض خير، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه - وأموال بني النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يعزل منها نفقة أهله لسته، ثم يجعل ما بقي يجعل مال الله يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين، فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ - أو أكثرهن - أن

وقد قال أبو داود (٣٠١٨): حدثنا ابن السرح، أنبأنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خير عنوة بعد القتال، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال. وهذا قال الزهري: خمس رسول الله ﷺ خير، ثم قسم ساثرها على من شهدا.

وفيما قاله الزهري نظر، فإن الصحيح أن خير جميعها لم تقسم، وإنما قسم نصفها بين الغنائم كما سيأتي بيانه، وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإسم خير في الأراضي المغنومة، إن شاء قسمها، وإن شاء أوصدها لمصالح المسلمين، وإن شاء قسم بعضها وأوصدها لغيرها لما ينوبه في الحاجات والمصالح.

قال أبو داود (٣٠١٩): حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا يحيى بن زكريا، حدثني سفيان عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار، عن سهل بن أبي حنيفة قال: قسم رسول الله ﷺ خير نصفين، نصفاً لنوابه، ونصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً. تفرد به أبو داود.

ثم رواه أبو داود (٣٠١٣) من حديث بشير بن يسار مرسلاً، فعين نصف النواصب والوطيح والكتيبة والسلام وما حيز معها، ونصف المسلمين الشق والنطاة وما حيز معهم، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهم.

وقال أيضاً (٣٠١٣): حدثنا حسين بن علي، حدثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار مولى الأنصار، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خير قسمها على ستة وثلاثين سهماً، جمع كل سهم مائة سهم، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونواصب الناس.

تفرد به أبو داود.

قال أبو داود (٣٠١٥): حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن - قال: قسمت خير على أهل الحليبية، قسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلاثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين وأعطى الراجل سهماً.

تفرد به أبو داود.

وقال مالك عن الزهري: أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي ﷺ افتتح بعض خير عنوة.

رواه أبو داود (٣٠١٧).

ثم قال أبو داود: قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم ابن وهب، حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب، أن خير بعضها كان عنوة، وبعضها صلحاً، والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح.

قلت للملك: وما الكتيبة؟ قال: أرض خير وهي أربعون ألف علق.

قال أبو داود: والعلق: النخلة. والعلق: العرجون.

ولها قال البخاري (٤٢٤٧): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا حرمي، حدثنا شعبة، حدثنا عمارة عن عكرمة، عن عائشة قالت: فلما فتح خير قلنا: الآن نشعب من التمر.

حدثنا (ج) (٤٢٤٣) الحسن، حدثنا قرة بن حبيب، حدثنا عبد الرحمن

قالت: أثبت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خير - فننادوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «على بركة الله». قالت: فخرجنا معه، قالت: وكنت جارية حدة السن، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيه رحله، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ، ونزلت عن حقيه رحله، قالت: وإذا بها دم مني، وكانت أول حيفة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «مالك؟ لملك نفست؟» قالت: قلت: نعم، قال: «فأصلي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحفيسة من الدم ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خير رضع لنا من النقي، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عقي فأعطانيها، وعلقها بيده في عقي، فوالله لا تفارقي أبداً. وكانت في عقيها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها.

قالت: وكانت لا تظهر من حضها إلا جعلت في طهرها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت.

وهكنا رواه الإمام أحمد [٣٨٠/٦] وأبو داود [٣١٣] من حديث محمد بن إسحاق به.

قال شيخنا أبو الحجاج المزي في «أطرافه» [خفة الأشراف: ١٢/١٢٣]: ورواه الواقدي (المغازي: ٦٨٥/٢، ٦٨٦) عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن سليمان بن سحيم عن أم علي بنت أبي الحكم، عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي ﷺ به.

وقال الإمام أحمد [٣٧١/٦]: حدثنا حسن بن موسى: حدثنا رافع بن سلمة الأشجعي، حدثني حشر بن زياد عن جدته أم أبيه قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خير وأنا سادسة ست نسوة، قالت: فبلغ النبي ﷺ أن معه نساء، قالت: فأرسل إلينا فدعانا. قالت: فرأينا في وجهه الغضب فقال: «ما أخرجكن ويأمر من خرجن؟» قلنا: خرجنا نناول السهام، ونسقي السويق، ومعنا دواء للجرحى، ونغزل الشعر فتعين به في سبيل الله، قال: «فمن فأنصرفن؟» قالت: فلما فتح الله عليه خير أخرج لنا سهماً كسهم الرجال، فقلت لها: يا جدته وما الذي أخرج لكن؟ قالت: «فمراة».

قلت: إنما أعطاهن من الحاصل، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهم الرجال فلا! والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٤٢/٤، ٢٤٣): وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ: أن عبد الله الأصهباني أخبره حدثنا الحسين بن الجهم، حدثنا الحسين بن الفرج، حدثنا الواقدي، حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير، عن أبيه عن جده، عن عبد الله بن أنيس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خير ومعي زوجتي وهي حبلى فنفست في الطريق، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي: «انتقع لها ثمراً فإذا انتمر بله فامرته لتشر به» ففعلت، فما رأت شيئاً تكرهه، فلما فتحنا خير أجدى النساء ولم يسهم لهن، فأجدي زوجتي وولدي الذي ولد. قال عبد السلام: لست أدري غلام أو جارية.

هذه الأراضي تكون موروثه عنه، ولم يلغنها ما ثبت عنه من قوله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة» ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك، وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» وقال: أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ، والله لقرباة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابي. وصدق ﷺ وأرضاه، فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق، وطلب العباس وعلي - على لسان فاطمة إذ قد فاتهم الميراث - أن ينظرا في هذه الصدقة، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها، فأبى عليهم الصديق ذلك، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سنته.

فتغضب فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك، ووجدت في نفسها بعض المولدة، ولم يكن لها ذلك. والصديق من قد عرفت هي والمسلمون عمله ومزنته من رسول الله ﷺ، وقيامه في نصرة النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر، ثم جدد علي البيعة بعد ذلك.

فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس، واثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة، ففعل عمر ﷺ ذلك، وذلك لكثرة أشغاله واتساع ملكته وامتداد رعيته، فثقل على علي عمه العباس فيها، ثم تساقوا يتحصنان إلى عمر، وقلما بين أبييهما جماعة من الصحابة، وسألا منه أن يقسمها بينهما، فينظر كل منهما فيما لا ينظر فيه الآخر.

فامتنع عمر من ذلك أشد الامتناع، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث، وقال: انظرا فيها وأتصبا جميع فإن عجزتما عنها فادعاهما إلي، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا. فاستمرتا فيها ومن بعدهما من ولدهما إلى أيام بني العباس، تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها، أموال بني النضير وفدك وسهم رسول الله ﷺ من خير.

سنة ٧- توزيع الأسهم في خير

وأما من شهد خير من العبد والنساء فرضخ لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة ولم يسهم لهم.

قال أبو داود [٢٧٣٠]: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا بشر بن المفضل عن محمد بن زيد، حدثني عمير مولى أبي اللحم قال: شهدت خير مع سادتي فكلموا في رسول الله ﷺ، فأمر بي فقلت سيقاً، فلوذا أنا أجره، فأخبرني أمي مملوك، فأمر لي بشيء من خزني المخ.

ورواه الترمذي [١٥٥٧] والنسائي [٧٣٣٥] جميعاً عن قتية عن بشر بن المفضل به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه [٢٨٥٥] عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ عن عمير به.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٤٢/٢]: وشهد خير مع رسول الله ﷺ نساء، فرضخ لهن ولم يصرف لهن بسهم. حدثني سليمان بن سحيم عن أمية بنت أبي الصلت، عن امرأة من بني غفار قد سماها لي

سنة ٧ - قدوم جعفر بن أبي طالب

ومن معه من الحبشة

قال البخاري (٤٣٠ - ٤٣٢): حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، حدثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: بلغنا غرض النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بردة والآخر أبو رهم - إما قال: في بضع وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة فالتفتنا سفيثاً إلى النجاشي بالحبشة، فوافقتنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قلعنا جميعاً، فوافقتنا النبي ﷺ حين اقتتحت خير، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالمجرة.

ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر: حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشة هذه؟ البعيرة هذه؟ قالت: أسماء: نعم! قال: سبقناكم بالمجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فنفضت وقالت: كلا والله أكنتم مع رسول الله ﷺ بطعم جائنكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعاء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وإيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قال: «فما قلت له؟» قالت: قلت كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله لأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان». قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وأنه ليستعيد هذا الحديث مني.

وقال أبو بردة عن أبي موسى قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالأنهار، ومنهم حكيم إذا لقي العدو - أو قال: الخيل - قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم» [٤٢٣٢].

وهكذا رواه مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) عن أبي كريب وعبد الله بن براء عن أبي أسامة به.

ثم قال البخاري (٤٢٣٣): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قدما على النبي ﷺ بعد أن افتتح خير قسم لنا، ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا.

نقد به البخاري دون مسلم.

ورواه أبو داود (٢٧٢٥) والترمذي (١٥٥٩) وصححه من حديث بريد به.

وقد ذكر محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٠٩/٢] أن رسول الله

ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة، فقدموا صحبة جعفر، وقد فتح النبي ﷺ خير، قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح عن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خير، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خير أم بقدوم جعفر». وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح عن الشعبي مرسلًا.

واسند البيهقي [الدلائل: ٢٤٦/٤] من طريق حسن بن حسين الثوري عن الأجلح عن الشعبي عن جابر قال: لما قدم رسول الله ﷺ من خير قدم جعفر من الحبشة، فلقاه وقبل وجهه، وقال: «والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خير أم بقدوم جعفر».

ثم قال: البيهقي [الدلائل: ٢٤٦/٤]: أتانا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل العلوي، حدثنا أحمد بن محمد البيروني، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة، حدثني مكى بن إبراهيم الرضعي، حدثنا سفيان الثوري عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، تلقاه رسول الله ﷺ، فلما نظر جعفر إليه حجل - قال مكى: يعني مشى على رجل واحدة إعظاماً لرسول الله ﷺ - فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه.

ثم قال البيهقي: في إسناده من لا يعرف إلى الثوري.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٥٩/٢ - ٣٦٢]: وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خير ستة عشر رجلاً. وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم: جعفر بن أبي طالب الهاشمي، وامراته أسماء بنت عميس، وابنه عبد الله ولد بالحبشة، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وامراته أمية بنت خلف بن أسعد، وولده سعيد، وامة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، ومعيقيب بن أبي فاطمة وكان إلى آل سعيد بن العاص، قال: وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة، وأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي، وجهم بن قيس بن عبد شريحيل العبدري، وقد ماتت امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة، وابنه عمرو، وابنته خزيمة ماتت بها رحمهم الله، وعامر بن أبي وقاص الزهري، وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل، والخبارث بن خالد بن صخر التيمي، وقد هلكت بها امرأته ربيعة بنت الحارث رحمها الله، وعثمان بن ربيعة بن أبيان الجمحي، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العلوي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدي، والخبارث بن عبد قيس بن لقيط القهري..

قلت: ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعرين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري، وأخوه أبا بردة وأبا رهم وعمة أبا عامر، بل لم يذكر من الأشعرين غير أبي موسى، ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في «صحيح البخاري». وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك والله أعلم.

قال [سيرة ابن هشام: ٣٦٢/٢]: وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك، وقد حرر ههنا شيئاً كثيراً حسناً.

قال البخاري (٤٢٣٧): حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان سمعت الزهري وسأله إسماعيل بن أمية قال: أخبرني عتبة بن سعيد أن أبا هريرة

سنة ٧- قصة الشاة المسمومة

قال البخاري: رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ. ثم قال [٤٢٤٩]: حدثنا عبدالله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهدت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم. هكذا أوردته ههنا مختصراً.

وقد قال الإمام أحمد [٤٥١/٢]: حدثنا حجاج، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهدت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود» فجمعوا له فقال رسول الله ﷺ: «إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: «أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كنتم بل أبوكم فلان» قالوا: صدقت وبرتت فقال: «هل أنتم صادقي عن شيء» إن سألتكم عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كنناك عرفت كننا كما عرفت في أيها، فقال رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» قالوا: نكرن فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «والله لا تخلفكم فيها أبداً»، ثم قال لهم: «هل أنتم صادقي عن شيء سألتكم؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟» فقالوا: نعم! قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك.

وقد رواه البخاري [٣١٦٩] في الجزية عن عبد الله بن يوسف، وفي المغازي أيضاً [٥٧٧٧] عن قتيبة كلاهما عن الليث به.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٥٩/٤، ٢٦٠]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين، عن الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فقال لأصحابه: «أسكروا فإنها مسمومة» وقال لها: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فيطعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك. قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ.

رواه أبو داود [٤٥٠٩] عن هارون بن عبد الله عن سعيد بن سليمان به.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٢٦٠/٤] عن طريق عبد الملك بن أبي نصر، عن أبيه عن جابر بن عبد الله نحو ذلك.

وقال الإمام أحمد [٣٠٥/١، ٣٠٦]: حدثنا سريج، حدثنا عباد عن هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة، عن ابن عباس: أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة فأرسل إليها فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: أحببت - أو أردت - إن كنت نبياً فإن الله سيطعك عليه، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجج، قال: فسافر مرة، فلما أحرّم وجد من ذلك شيئاً فاحتجج.

تفرد به أحمد وإسناده حسن.

وفي «الصحيحين» [ج (٢٦١٧)، م (٢٦١٠)] من حديث شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسلما عن ذلك. قالت: أردت أنأفلك. فقال: «ما كان الله ليلسلك علي» أو قال: «على

أتى رسول الله ﷺ فسأله - يعني أن يقسم له - فقال بعض بني سعيد بن العاص: لا تعطه! فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قوئل فقال: واعجباً لويس تلى من قدم الضأن. تفرد به دون مسلم.

قال البخاري [٤٢٣٨]: ويذكر عن الزبيدي عن الزهري أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال: بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل مجده، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ فخير بعد ما افتتحها، وإن حزم خيلهم لليف. قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله لا تقسم لهم، فقال أبان: وأنت بهذا يا وير تحذر من رأس ضال؟ فقال النبي ﷺ: «يا أبان اجلس» ولم يقسم لهم.

وقد أسند أبو داود [٢٧٢٣] هذا الحديث عن سعيد بن منصور، عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه.

ثم قال البخاري [٤٢٣٩]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد أخبرني جدي - وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص -: أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال أبو هريرة: يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل، فقال أبان لأبي هريرة: واعجباً لك وير تردى من قدم ضال، تنمى علي امرأة أكرمها الله يدي، ومنعه أن يهتني يله؟ هكذا رواه منفرداً به ههنا.

وقال [ج (٢٨٢٧)] في الجهاد: حدثنا الحميدي عن سفيان عن الزهري عن عنبسة بن سعيد، عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يخبر بعد ما افتتحها، فقلت: يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض آل سعيد بن العاص: لا تقسم له، فقلت: يا رسول الله هذا قاتل ابن قوئل الحديث.

قال سفيان: حدثني السعدي - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا.

فهني هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر، وتقدم في أول هذه الغزوة. رواه الإمام أحمد [٣٤٥/٢، ٣٤٦] من طريق عراك بن مالك عن أبي هريرة، وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر، فكلم المسلمين فأشركونا في أسهامهم.

وقال الإمام أحمد [٥٣٥/٢]: حدثنا روح، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن عمار بن أبي عمار قال: قال أبو هريرة: ما شهدت مع رسول الله ﷺ متناً قط إلا قسم لي، إلا خير فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة.

قلت: وكان أبو هريرة وأبو موسى جاء بين الحديبية وخيبر.

وقد قال البخاري [٤٢٣٤]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق عن مالك بن أنس، حدثني ثور، حدثني سالم مولى عبد الله بن مطيع أنه سمع أبا هريرة يقول: افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له: مدغم، أهناه له بعض بني الضبيب، فبينما هو يحيط رحل رسول الله ﷺ، إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد. فقال الناس: هتياً له الشهادة. فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً» فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشارك أو شركين، فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: «فشارك أو شركان من نار».

فلما أسغت ما في فيك لم أرغب بنفسي عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطها وفيها نعي، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطليسان، وما طله وجعه حتى كان لا يتحول حتى يُحوّل.

قال الزهري: قال جابر: واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ، حجمه مولى بني ياضة بالقرن والشفرة وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين، حتى كان وجعه الذي توفي فيه فقال: «مازلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عذاباً حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري» توفي رسول الله ﷺ شهيداً.

وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٨، ٣٣٧/٢): فلما أطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت: أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع. فأكثر فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسفها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأسفها وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسوم» ثم دعا بها فاعتزفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذاباً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٣٨/٢): وحديثي مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن الملقى قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور - «يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر».

قال ابن هشام: الأبهري: العرق الملقى بالقلب، قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.

وقال الحافظ أبو بكر البرزاني (كشف الأسرار: ٢٢٤٤): حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن سيف الحراني قالا: حدثنا أبو عتاب سهل بن حماد، حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري: أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطة، فلما بسط القوم أليدهم قال رسول الله ﷺ: «أسكروا فإن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسومة» فأرسل إلى صاحبها: «أسممت طعامك؟» قالت: نعم قال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: أحبيت إن كنت كاذباً أن أريح الناس منك، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلمك عليه. فبسط يده وقال: «كلوا بسم الله» قال: فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر أحداً منا. ثم قال: لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه.

قلت: وفيه تكاثر وغرابة شديدة والله أعلم.

وذكر الواقدي (الوفاء: ٦٧٥/٢، ٦٧٦): أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر، فطمع من رؤياه أن يقتل رسول الله ﷺ فيظفر به، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها، فقال: يا محمد اعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ: «كذبت رؤياك» وأخبره بما رأى، فرجع عيينة فلقية الحارث بن عوف فقال: ألم أقل إنك توضع في غير شيء؟ والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا، أشهد سمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول: إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون، إنه لم يرسل، ويهود لا تطاوعني على

ذلك قالوا: ألا تقتلها قال: «لا» قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

وقال أبو داود (٤٥١٠): حدثنا سليمان بن داود المهري، حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فاكل منها، واكل رطب من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم».

وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاهما فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التي في يدي» وهي الذراع، قالت: نعم قال: «فما أردت بذلك؟» قالت: قلت إن كنت نبياً فلن تضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك. فغفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشفرة، وهو مولى لبني ياضة من الأنصار.

ثم قال أبو داود (٤٥١١): حدثنا وهب بن بقية، حدثنا خالد بن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية تخيبر شاة مصلية. نحو حديث جابر، قال: فمات بشر بن البراء بن معرور، فأرسل إلى اليهودية فقال: «ما حملك على الذي صنعت؟» فذكر نحو حديث جابر، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ولم يذكر أمر الحجامه.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٦٢، ٢٦٢/٤): وروياه من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال: ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها.

وروى البيهقي (الدلائل: ٢٦٠/٤، ٢٦١) من حديث عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال: «ما هذه؟» قالت: هدية، وحذرت أن تقول: صدقة فلا يأكل، قال: فأكل وأصحابه ثم قال: «أسكروا» ثم قال للمرأة: «هل سمعت هذه الشاة؟» قالت: من أخبرك هنا؟ قال: «هنا العظم لساقها وهو في يده، قالت: نعم قال: «لم؟» قالت: أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. قال: فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل، وأمر أصحابه فاحتجموا. ومات بعضهم.

قال الزهري: فأسلمت فتركها النبي ﷺ.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٦٢/٤): هذا مرسل، ولعله قد يكون عبد الرحمن حملة عن جابر بن عبد الله ﷺ.

وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وكذلك موسى بن عقبة عن الزهري قالوا: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية - وهي ابنة أخي مرحب - لصيفة شاة مصلية وسمتها، وأكثر في الكفف والذراع، لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفة ومعه بشر بن البراء بن معرور، وهو أحد بني سلمة، فقلعت لإهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكفف وانتش منها، وتناول بشر عظماً فانتش منه، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم فإن كشف هذه الشاة يخبرني أنني نعت فيها» فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، فما منعي أن ألتظها إلا أنني أعظمتك أن أتصك طعامك،

هنا، ولنا منه دُجَان، واحد يثرب وآخر بخير، قال الحارث: قلت لسلام يملك الأرض؟ قال: نعم والتوراة التي أنزلت على موسى، وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه.

سنة ٧- بناء النبي ﷺ بصفية،

وأخبار أخرى في خير

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٣٩، ٣٣٨/٢]: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة. ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهم غارب فقتله، وقال الناس: هنيئاً له الشهادة. فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير لم تصبها المقاسم لتشتمل عليه ناراً». وقد تقدم في [صحيح البخاري: ٤٢٣٤] نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم. وسيتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن جبان، عن أبي عمرة عن زيد بن خالد الجهني: أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفي يوم خير، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم» فغير وجوه الناس من ذلك، فقال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين».

وهكذا رواه أبو داود [٢٧١٠] والنسائي [١٩٥٨] من حديث يحيى بن سعيد القطان - زاد أبو داود: ويشر بن الفضل - وابن ماجه [٢٨٤٨] من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به.

وقد ذكر البيهقي [الدلائل: ٢٤٨/٤، ٢٤٩] أن بني فزارة أرادوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خير وتجمعوا لذلك، فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً، فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرب، وذهبوا من طريقه كل مذهب، وتقدم أن رسول الله ﷺ لما حلت صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له: سد الصهايا في أثناء طريقه إلى المدينة، وأولم عليها بحبس، وأقام ثلاثة أيام يئى عليه بها، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مد عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضي الله عنها.

وذكر محمد بن إسحاق في [السيرة: سورة ابن هشام: ٣٣٩/٢، ٣٤٠] قال: لما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخير - أو ببعض الطريق - وكانت التي جعلتها إلى رسول الله ﷺ ومثلتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب متوشحاً سيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطفئ بالقبة حتى أصبح، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال: «مالك يا أبا أيوب؟» قال: خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديث عهد بكفر فخفتها عليك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني».

ثم قال [سيرة ابن هشام: ٣٤٠/٢]: حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خير، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال؟» قال: يا رسول الله أخذ بنفي الذي أخذ بنفسك، قال: «صدقت» ثم افتاد ناقته غير كثير، ثم

نزل فتوضأ وصلى كما كان يصليها قبل ذلك.

وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسلاً [الوطا: ٢٥]، وهذا مرسل من هذا الوجه.

وقد قال أبو داود [٤٣٥]: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ حين قتل من غزوة خير، فسار ليلة حتى إذا أدركنها الكرى عرس وقال لبلال: «اكلاً لنا الليل» قال: فغلبت بلالاً حيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففرع رسول الله ﷺ وقال: «يا بلال» قال: أخذ بنفي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فأتادوا وراحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله ﷺ فأمر بلالاً فأقام لهم الصلاة وصلى بهم الصبح، فلما أن قضى الصلاة قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» [سورة طه: ١٤].

قال يونس: وكان ابن شهاب يقرأها كذلك.

وهكذا رواه مسلم [٦٨٠] عن حرملة بن يحيى، عن عبد الله بن وهب به. وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خير.

وفي حديث شعبة عن جامع بن شداد عن عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود: أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية، ففي رواية عنه [٤٤٧]، س (٨٨٥٣)، المسند [٣٨٦/١] أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم.

وفي رواية [المسند ٣٩١/١]، س (٨٨٥٤) أنه هو الذي كان يكلؤهم.

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٧٥/٤]: فيحتمل أن ذلك كان مرتين.

قال: وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة: نومهم عن الصلاة. وفيه حديث الميضأة، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المراتين أو مرة ثالثة.

قال: وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك.

قال: وروى زافر بن سليمان عن شعبة عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن عن ابن مسعود: أن ذلك كان مرجعهم من تبوك فآله أعلم.

ثم أورد البيهقي [الدلائل: ٢٧٧/٤ - ٢٧٩] ما رواه صاحب [الصحيح: ج ٢ (٣٤٤)] من قصة عرف الأعرابي عن أبي رجاء عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السطحيين، وكيف أخلوا منهما ماء روى الجيش بكماله، ولم ينقص ذلك منه شيئاً.

ثم ذكر ما رواه مسلم [٦٨١] من حديث ثابت البناني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضأة.

وقد رواه عبد الرزاق [المصنف: ٢٠٥٣٨] عن معمر عن قتادة.

وقال البخاري [٤٢٠٥]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد عن عاصم، عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خير، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ - أشرف التلوى على واد فرموا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدرن أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم».

وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعي وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: «يا عبد الله بن قيس» قلت: ليك يا رسول الله قال: «ألا

سنة ٧ - خير الحجاج بن علاط البهزي

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٤٥/٢ - ٣٤٦]: ولما فتحت خير كلم رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي فقال: يا رسول الله إن لي بمكة مالا عند صاحبي أم شية بنت أبي طلحة - وكانت عنده له منها معرض بن الحجاج - ومالا متفرقا في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له فقال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول، قال: «قل»، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قمت مكة وجدت بشية البيضاء رجلا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خير وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خير وهي بلد يهود ويرف الحجاز.

قال: قلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فالتبطوا بجني ناقي يقولون: إيه يا حجاج. قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقد قتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة وقالوا: قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم، قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة، وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خير فاصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك.

قال: فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كاحت جمع سمعت به، قال: وجئت صاحبي فقلت: مالي - وكان عنده مال موضوع - فلعلني الحق بخير فاصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار، قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني أقبل حتى وقف إلى جني وأنا في خيمة من تخيم التجار، فقال: يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم قال: قلت: فاستأخر عني حتى أتناك على خلاء فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى أفرغ، قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة واجمعت الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ علي حليتي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ما شئت قال: أفعل قلت: فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي - وقد افتتح خير وانتل ما فيها وصارت له ولأصحابه.

قال: ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت: أي والله فاكم عني ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أركم فهو والله على ما تحب، قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتحلق وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها، فلما رآوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحرم المصيبة! قال: كلا والله الذي حلفت به لقد افتتح محمد خير وترك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولأصحابه! قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ ماله فانطلق ليحني بمحمد وأصحابه فيكون معه، فقالوا: يا العباد الله انقلبت عنو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم ينشروا أن جاءهم الخبر بذلك.

أذلك على كلمة من كثر الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وقد رواه بقية الجماعة [م: (٢٧٠٤)، د: (٢٥٢٦) - ١٥٢٨)، ت (٣٤٦١)، س (٧٦٧٩ - ٧٦٨١)، ٨٨٢٣، ٨٨٢٤، ١٠٣٧١، ١٠٣٧٢، ١٠٣٧٣، ج (٣٠٨٢)] من طرق عن عبد الرحمن بن مل أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري.

والصواب أنه كان مرجعهم من خير فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خير كما تقدم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٤٥/٢، ٣٤٦]: وكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - قد أعطى ابن لقيم العبيسي حين افتتح خير ما بها من دجاجة أو داجن، وكان فتح خير في صفر، فقال ابن لقيم في فتح خير: وميت نطة من الرسول بقيق شهباء ذات مناكب وقفار واستيقنت بالليل لما شئيت ورجال أسلم وسطها وغفار صبحت بني عمرو بن زرعة غدوة والشق اظلم أهلها بنهار جرت بأيلحها الذبول فلم تدع إلا الدجاج تصيح بالأسحار ولكل حصن شاغل من خيلهم من عبد الأشهل أو بني النجار ومهاجرين قد أعلموا سيماهم فوق المغفار لم ينسوا لفرار ولقد علمت ليثلين عمدا وليثيين بها إلى أصفار فرت يهود عند ذلك في الوغى تحت العجاج غمام الأبصار

سنة ٧ - من استشهد بخير من الصحابة

فصل من استشهد بخير من الصحابة على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي [سيرة ابن هشام: ٧٤٣/٢، ٧٤٤] رضي الله عنهم

فمن خير المهاجرين: ربيعة بن أكرم بن سخيرة الأسدي مولى بني أمية، وتقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح حلفاء بني أمية، وعبد الله بن الهيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة من بني سعد بن ليث حليف بني أسد وابن أختهم.

ومن الأنصار: بشر بن البراء بن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله ﷺ كما تقدم، وفضيل بن النعمان السلماني، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلفة بن عامر بن زريق الزرقني، وعمود بن سلمة الأشهلي، وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان العمري، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة بن سراقه، وأوس الفائد وأنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة وطلحة، وعملرة بن عقبة رمي بسهم فقتله، وعامر بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله رحمه الله كما تقدم، والأسود الراعي. وقد أفرد ابن إسحاق ههنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٤٤/٢]: ومن استشهد بخير - فيما ذكره ابن شهاب - من بني زهرة: مسعود بن ربيعة حليف لهم من القنارة، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضي الله عنهم أجمعين.

هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة.

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال (١٣٨/٣، ١٣٩): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال: لما انتفع رسول الله ﷺ خير قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أعلا، وإنني أريد أن أتهم أنا في حل إننا نلت منك أو قلت شيئا؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء. فأتى امرأته حين قدم فقال: أجمعي لي ما كان عندك فلاني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استباحوا وأصبحت أموالهم، قال: ونفسى ذلك بمكة فاتجمع المسلمون وأظهروا المشركون فرحا وسرورا، قال: وبلغ الخبر العباس فقهر، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأتى عثماني الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابنأ له يقال له: قثم واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول:

حَسْبِي قُثْمٌ حَسْبِي قُثْمٌ
شَبِيهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ
نَسْبِي ذِي النُّعْمِ
يُورِغُمُ مِنْ رَغْمِ

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط: ويليك ما جئت به، وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، فقال الحجاج بن علاط للغلام: أترى على أبي الفضل السلام، وقل له: فليخ لي في بعض بيوته لأتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج فأثقه، قال: ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد انتفع خير وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حبي واتخذها لنفسه، وخبرها أن يعتقه وتكون زوجته أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقه وتكون زوجته.

قال: ولكني جئت لئلا كان ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف علي ثلاثاً ثم أذكر ما بدا لك. قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعتها ودفعتها إليه، ثم استمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يميزك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغناك، قال: أجل لا يميزني الله، ولم يكن محمد الله إلا ما أحبينا، فتح الله خير على رسوله، وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقاً. قال: فلاني صادق والأمر على ما أخبرتك، ثم ذهب حتى أتى مجلساً قريباً وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال: لم يصيبني إلا خير بمحمد الله.

أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب، قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون ورد الله ما كان من كآبة أو غيظ أو جزن على المشركين.

وهذا الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي (٨٦٤٦) عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد

الرزاق به نحوه.

ورواه الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٦٨/٤) من طريق محمود بن غيلان عن عبد الرزاق.

ورواه أيضاً البيهقي (الدلائل: ٢٦٦/٤، ٢٦٧) من طريق يعقوب بن سفيان عن زيد بن المبارك عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه.

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه» أن قريشاً كان بينهم تراض عظيم وتباعد، منهم من يقول: يظهر محمد وأصحابه، ومنهم من يقول: يظهر الحليفان ويهود خير، وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خير، وكان تحته أم شبة أخت بني عبد الدار بن قصي، وكان الحجاج مكرراً من المال، وكانت له معادن أرض بني سليم، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خير استأذن الحجاج رسول الله ﷺ في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله فأذن له فذكر نحو ما تقدم والله أعلم قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٤٧/٢): وما قبل من الشعر في غزوة

خير قول حسان: (ديوان حسان: ٢٥٠)

بشس ما قتلت خير عما جمعوا من مزارع ونجيل
كرهوا الموت فاستيح حاهم وأقروا فعل اللئيم اللليل
أبى الموت يهربون فلان الموت موت الهزال غير جميل
وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام (السورة: ٣٤٨/٢، ٣٤٩) عن أبي زيد الأنصاري:

ولحن وودنا خيراً وفروضة بكل نفس عاري الأشجاع منود
جواد لدى الغابات لا واهن القوى جري على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب بصل المشرقي المهند
يرى القتل مدحاً إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزاً بأحد
يلوذ ويحمي عن فمار محمد ويدفع عنه باللسان وبالياد
وينصره من كل أمر يريه يهود بنفس دون نفس محمد
يصدق بالإنباء بالغيب غلصاً يريد بذلك العز والفوز في غد

سنة ٧- مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته

قوما من اليهود ومصالحة يهود تيماء

قال الواقدي (الغزاة: ٧٠٩/٢، ٧١٠): حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من خير إلى وادي القرى، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له: مدعم وكان يرسل لرسول الله ﷺ، فلما نزلنا بوادي القرى اتبعتها إلى يهود، وقدم إليها ناس من العرب، فينا مدعم يحيط رحل رسول الله ﷺ وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم تكن على تبعية، وهم يصيحون في آذانهم، فيقبل سهم عائر فأصاب مدعماً فقتله، فقال الناس: هنئلاً له بالجنة. فقال النبي ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خير من المشاتم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً».

فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشارك أو شراكين، فقال النبي ﷺ: «شراك من نار أو شراكان من نار».

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعمل عليهم في الحرق، فلما توفي الله نبيه ﷺ أقرها أبو بكر بأبيهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجهه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فخص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت، فأرسل إلى يهود فقال: إن الله قد أذن لي في إجلائكم. وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أشد له، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجر للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ.

قلت: قد ادعى يهود خير في أزمان متاخرة بعد الثلاثمائة أن بأبيهم كتاباً من رسول الله ﷺ فيه أنه وضع الجزية عنهم، وقد اختلف بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون، وهو كتاب مزور مكشوب مفتعل لا أصل له، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد، وقد تعرض لذكره وإطلاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في «شامله»، والشيخ أبي حامد في «تعليقته»، وصف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه، وقد تحركوا به بعد السبعماية وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم، وقد وقفت عليه فإذا هو مكتوب، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان مات قبل زمن خير، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ، وفي آخره: وكتبه علي بن أبو طالب وهذا لحن وخطأ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذ من أهل نجران. وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع والله أعلم.

ثم قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٥٧/٢): وحديثي نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخير نتعاهدها، فلما قلعتنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدي علي تحت الليل وأنا نائم على فراشي، فكدعت يدي من مرققي، فلما استصرخت على صاحبي فأتاني فسالني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري فأصلحنا من يدي، ثم قلعا بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خير على أن يخرجهم إذا شئت، وقد علوا على عبد الله بن عمر فقدموا يديه كما بلنكم مع عدوتهم على الأنصاري قبله لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال من خير فليلحق به فإني أخرج يهود فأخرجهم.

قلت: كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخير، وقد كان وقفه في سبيل الله، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ كما هو ثابت في «الصحيحين» (ج ٢٧٣٧)، م (١٦٣٢، ١٦٣٣)، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في «الدلائل» [٢٩٠/٤]: جماع أبواب السرايا

وهذا الحديث في «الصحيحين» (ج ٢٢٤٤)، م (١١٥) من حديث مالك عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه. قال الرازي (المعاني: ٧١/٢، ٧١): فبني رسول الله ﷺ للقتال وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، ورواية إلى الحباب بن المنذر، ورواية إلى سهل بن حنيف، ورواية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله، قال: فبرز رجل منهم فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه علي فقتله، ثم برز آخر فبرز إليه أبو دجانة فقتله حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً كلما قتل منهم رجل دعا من بقي منهم إلى الإسلام، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي رسول الله ﷺ بأصحابه ثم يعود فيدعهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله، وقتلهم حتى أسما وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأبيهم، وفتحها عنوة، وغنمهم الله أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام فقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما وطع به رسول الله ﷺ خير وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأبيهم أموالهم، فلما كان عمر أخرج يهود خير وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، ومن وراء ذلك من الشام.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خير ووادي القرى وغنمه الله عز وجل.

قال الرازي (المعاني: ٧١٢/٢، ٧١٣): حديثي يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن الحارث بن عبد الله بن كعب عن أم عمارة قالت: سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول: «لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء» قالت: فذهب رجل من الحي فطرق أهله فوجد ما يكره، فخلى سبيله ولم يهجه، وضم بزوجه أن يفارها وكان له منها أولاد وكان يجيها، فعصى رسول الله ﷺ فرأى ما يكره.

سنة ٧- الجزية في خير، أو المصالحة

ثبت في «الصحيحين» (ج ٢٢٨٥)، م (١)، ٢، ٣ (١٥٥١/٣) أن رسول الله ﷺ لما افتتح خير عامل يهودها على شرط ما يخرج منها من تمر أو زرع. وقد ورد في بعض الفاظ هذا الحديث: على أن يعملوها من أموالهم، وفي بعضها: وقال لهم النبي ﷺ: «تقرم فيها ما شئنا». وفي «السير» أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استعواء ثمارها، ثم يضمهم إياه، فلما قتل عبد الله بن رواحة بموتة بعث جبار بن صخر كما تقدم. وموضع تحرير الفاظهم وبيان طرقه كتاب المزاورة من كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله وبه الثقة.

وقال محمد بن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٥٦/٢، ٣٥٧): سألت ابن شهاب: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خير لخلهم؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خير عنوة بعد القتال وكانت خير ما آفاه الله عليه، خسها وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: «إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيتنا وبينكم فأقرم ما أقرم الله».

التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي.

سنة ٧- سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد [٤٦/٤]: حدثنا بهز، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة، وأمره رسول الله ﷺ علينا، ففزوننا بني فزارة، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرسنا، فلما صلبنا الصبح أمرنا أبو بكر ففتنا الغارة فقتلنا على الماء من قتلنا.

قال سلمة: ثم نظرت إلى عتق من الناس فيه من الذرية والنساء نحو الجبل، وأنا أعلو في آثارهم فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل، قال: فنجت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيتهم على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها ثشع من آدم، ومعها ابنة لها من أحسن العرب، قال: فظفني أبو بكر بثها، قال: فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة، ثم بت فلم أكشف لها ثوباً، قال: فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال لي: يا سلمة هب لي المرأة، قال: فقلت: والله يا رسول الله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، قال: فسكت رسول الله ﷺ وتركني حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك، قال: فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً وهي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة.

وقد رواه مسلم [١٧٥٥] والبيهقي [الدلائل: ٢٩٠/٤، ٢٩١] من حديث عكرمة بن عمار به.

سنة ٧- سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى توبة من أرض

هوازن وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي [الدلائل: ٢٩٢/٤] من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين ركباً ومعهم دليل من بني هلال وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكر عمر راجعاً إلى المدينة، فقيل له: هل لك في قتال خثعم؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم.

سنة ٧- سرية عبد الله بن رواحة إلى

يُسَير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ومن طريق موسى بن عقبة عن الزهري أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين ركباً فيهم عبد الله بن أنيس إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بجيبر، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوهم، فأتوه فقالوا:

أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعلمك على خير، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة ثبار، وهي من خير على ستة أميال، ندم يسير بن رزام فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس، ففطن له عبد الله بن أنيس فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من يسير ضرب رجله فقطعها، واقتحم يسير وفي يده غرخر من شوحط فضرب به وجه عبد الله بن أنيس فشجه شجة مأمومة، وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحد، ويصق رسول الله ﷺ في شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذ حتى مات.

سنة ٧- سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى البيهقي في الدلائل: [٢٩٥/٤] من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين ركباً إلى بني مرة من أرض فذك فاستاق منهم، فقاتلوه وقتلوا عامه من معه، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً، وقاتل قتلاً شديداً، ثم لجأ إلى فذك فبات بها عند رجل من اليهود، ثم كر راجعاً إلى المدينة.

قال الواقدي [المغازي: ٧٢٣/٢ - ٧٢٥]: ثم بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله، ومعهم جماعة من كبار الصحابة فذكرهم أسامة بن زيد، وأبا مسعود البديري، وكعب بن عجرة. ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرادس بن نهيك حليف بني مرة، وقوله حين علاه بالسيف: لا إله إلا الله، وإن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل. وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلمة عن رجال من قومه أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فاصاب مرادس بن نهيك حليفاً لهم من الحقرة قال: فقتله أسامة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٢٢/٢، ٦٢٣]: فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد قال: أدرسته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرادس بن نهيك - فلما شهرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله فلن نزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال: يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟ فقلت: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً من القتل، قال: فممن لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟ فالذي بعث بالحق ما زال يرددها علي حتى تمنيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذ ولم أقتله. فقلت: إني أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله أبداً، فقال: «بعدي يا أسامة» فقلت: بعذك.

قال الإمام أحمد [٢٠٠/٥]: حدثنا هشيم بن بشير أنبأنا حصين عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يحدث قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحقرة من جهة، قال: فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم، قال: فنشيت أنا ورجل من الأنصار، فلما تنشيت قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري وقتلته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا أسامة أقتله بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ قال قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل، قال: فكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ. وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هشيم به نحوه.

تأخذونها من واد ما زاد، والله ما عندي ما أعينك به» فلبث أياماً ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له: رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطن عظيم من جشم حتى نزل بقرمه ومن معه بالغلبة يريد أن يجمع قيساً على غارة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشرف في جشم، قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال: «أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم». وقدم لنا شارفاً عجباً، فحمل عليه أحدنا فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجلان من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت، وقال: «تبلغوا على هذه» فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمت في ناحية وأمرت صاحبي فكمنّا في ناحية أخرى من حاضر القوم وقلت لهما: «إذا سمعتماني قد كثرت وشددت في العسكر فكبرا وشدا معي، فوالله إنا كذلك نتظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتحفروا عليه، فقام صاحبهم رفاعه بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال: والله لأتقين أمر راعيها ولقد أصابه شر، فقال نفر ممن معه: والله لا نذهب نحن تكفيك، فقال: لا يذهب إلا أنا، قالوا: نحن معك. فقال: والله لا يتبعني منكم أحد.

وخرج حتى يمر بي فلما أمكنني نفتح بهم فوضعت في فؤاده، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ثم شلدت ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا، فوالله ما كان إلا النجاء عن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من تساهلهم وأبناهم وما خف معهم من أموالهم، واستقنا إبلًا عظيمة وغنماً كثيرة فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحله معي، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداتي فجمعت إلي أهلي.

سنة ٧- السرية التي قتل فيها عَلم بن

جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ١٦٦/٢، ٦٢٧): حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابن عبد الله بن أبي حلد، عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين منهم: أبو قتادة الحارث بن ربيعي وعلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متبع له ووطب من لبن، فسلم علينا بنحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه علم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه، فلما قلنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيَنْدِبُ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُتِبَ مِنْ قَبْلُ اللَّهُ عَلَيكُمْ فَتَقَاتِلُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة النساء: ٩٤).

وهكذا رواه الإمام أحمد (١١/٦) عن يعقوب، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القمعاق بن عبد الله بن أبي حلد، عن أبيه فذكره.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٢٧/٢): حدثني محمد بن جعفر: سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضميري يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه وجده قال - وكانا شهدا حيناً - قال: فصلى رسول الله ﷺ صلاة

وقال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٠٩/٢ - ٦١١): حدثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جندب بن مكثب الجهني قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث إلى بني الملوحة بالكديد وأمره أن يخبر عليهم، وكنت في سريره، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء الليثي فأخذه فقال: إني إنما جئت لأسلم، فقال له غالب بن عبد الله: إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت على غير ذلك استوتقنا منك، قال: فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويلاً أسود كان معنا وقال: امكث معي حتى نمر عليك فإن نازعك فاحترز رأسه. ومضينا حتى أتينا بطن الكديد فنزلنا عشية بعد العصر، فبعثني أصحابي إليه فعمدت إلى تل يطلعي على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبل غروب الشمس، فخرج رجل منهم فظفر فرأني منبطحاً على التل فقال لأمراه: إني لأرى سواداً على هذا التل ما رأيته في أول النهار فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك؟ فنظرت فقالت: والله ما أفقد منها شيئاً، قال: فتأوليني قوسي وسهمين من نبلي فتأولته فرماني بسهم في جيبتي - أو قال: في جني فتزعت فوضعت ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكي فتزعت فوضعت ولم أتحرك، فقال لأمراه: أما والله لقد خالطت سهمي ولو كان ريشة لتحرك فإذا أصبحت فابتنى سهمي فخلجهما لا تخضعهما علي الكلاب.

قال: فأمهلنا حتى إذا راحت رويجهم، وحتى احتلبوا وعطروا وسكنوا وذهبت عتمة من الليل، شئنا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم، ووجهنا قافلين به وخرج صريخ القوم إلى قومه بقرينا، قال: وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه، فانطلقنا به معنا وأتانا صريخ الناس، فجاءنا مالا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء ماء ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، وجاء بما لا يقدر أن يقدم عليه، فلقد رأيهم وقفا ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه، ونحن نحدّ بها أو نحدوها - شك النقلي - فلذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا.

وقد رواه أبو داود (٢٩٧٨) من حديث محمد بن إسحاق فقال: في روايته: عبد الله بن غالب، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم. وذكر الواقدي (المغازي: ٧٢٦/٢، ٧٢٧) هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه: وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً.

ثم ذكر البيهقي (الدلائل: ٣٠١/٤، ٣٠٢) من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خير فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نعاماً كثيراً، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل، ودليله حسيل بن نورية وهو الذي كان دليل النبي ﷺ إلى خير قاله الواقدي.

سنة ٧- سرية أبي حلد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٢٩/٢ - ٦٣١): كان من حديث قصة أبي حلد وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حلد قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقتهما مائتي درهم، قال: فأتيت رسول الله ﷺ أستعيه على نكاحي فقال: «كم أصدقت؟» فقلت: مائتي درهم، فقال: «سبحان الله والله لو كتبت

فتكلم فيه عينة والأقرع فقال الأقرع: يا رسول الله سن اليوم وغير غداً. فقال عينة: لا والله حتى تلذق نساؤه من الشك ما ذاق نسائي، فجاء عظمي بن بريد فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: «لا غفر الله لك» فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له ساعة حتى مات، فدفنوه فلفظته الأرض.

فجاؤوا النبي ﷺ فذكروا ذلك له فقال: «إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمكم» ثم طرحوه بين صدف جبل فلقوا عليه من الحجارة ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّأُوا﴾ (سورة النساء: ٩٤).

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري، ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن موهب، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة إلا أنه لم يسم عظم بن جثامة ولا عمر بن الأضبط.

وكذلك رواه البيهقي (الذلال: ٣٠٩/٤، ٣١٠) عن الحسن البصري بنحو هذه القصة، وقال: وفيه نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّأُوا﴾.

قال: وقد تكلمنا على سبب نزول هذه الآية ومعناها في «التفسير» بما فيه الكفاية والله الحمد والمنة.

سنة ٧- سرية عبد الله بن حذافة السهمي

ثبت في «الصحيحين» [خ (٤٣٤٠)، م (١٨٤٠) (٤٠)] من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية بينهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى قال: فادخلوها قال: فظفر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، قال: فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف».

وهذه القصة ثابتة أيضاً في «الصحيحين» [خ (٤٥٨٤)، م (١٨٣٤)] من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وقد تكلمنا على هذه الآية بما فيه كفاية في «التفسير» والله الحمد والمنة.

سنة ٧- عمرة القضاء

ويقال: القصص ورجحه السهلي (الروض الأنف: ٢٥/٧) ويقال: عمرة القضية فالأول قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى: ﴿وَالْحَرَمَاتُ قِصَاصٌ﴾ والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا، ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جليان السلاح، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة «الفتح» المباركة ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْوَكَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الآية.

وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية، وهي

الظهر فقام إلى ظل شجرة فقعده فيه، فقام إليه عينة بن بدر يطلب يده عامر بن الأضبط الأشجعي وهو سيد قيس، وجاء الأقرع بن حابس يرؤ من محلم بن جثامة وهو سيد خندف، فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر: «هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بغيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟» فقال عينة بن بدر: والله لا أدعه حتى أذيق نساؤه من الحزن مثل ما أذاق نسائي.

فقام رجل من بني ليث يقال له: ابن مكيتل وهو قصد من الرجال فقال: يا رسول الله ما أجد لهذا القتل مثلاً في غرة الإسلام إلا كنتم وردت فرميت أولاهما ففرت آخرهما استن اليوم وغير غداً، فقال رسول الله ﷺ: «هل لكم أن تأخذوا خمسين بغيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة؟» فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية، فقال قوم عظم بن جثامة: اتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فجاء رجل طوال ضرب اللحم في حلة قد تها فيها للقتل، فقام بين يدي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «اللهم لا تغفر لحلم» قالوا ثلاثاً، فقام وإنه ليتلقى دموعه بطرف ثوبه.

قال محمد بن إسحاق: زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك. وهكذا رواه أبو داود (٤٥٠٣) من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق.

ورواه ابن ماجه (٢٦٢٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، عن زيد بن ضميرة، عن أبيه وعنه فذكر بعضه.

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة، عن أبيه وجده.

وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة، عن أبيه وجده، بنحوه كما تقدم.

وقال ابن إسحاق: حدثني سالم أبو النضر أنه قال: لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال: يا معشر قيس سالكم رسول الله ﷺ قتيلاً تركونه ليصلح به بين الناس فمعتموه إياه، فأقسمت أن ينضب عليكم رسول الله ﷺ فينضب الله لغضبه، أو يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعته لكم والله لتسلمن إلى رسول الله ﷺ أو لأتين بخمسين من بني نعيم كلهم يشهدون أن القتل كافر، ما صلى قط، فلا تظنن دمه، فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية.

وهذا مقطع معضل.

وقد روى ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٢٨/٢) عمن لا يهتم عن الحسن البصري: أن علماً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له: «أمت بالله ثم تلتك؟» ثم دعا عليه.

قال الحسن: فوالله ما مكث عظم إلا سبماً حتى مات فلفظته الأرض، ثم دفنوه فلفظته الأرض، ثم دفنوه فلفظته الأرض، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم بما أراكم منه».

وقال ابن جرير (الضر: ٢٢٢/٥): حدثنا وكيع حدثنا جرير عن ابن إسحاق، عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ عظم بن جثامة مبعثاً، فلقيهم عامر بن الأضبط فحياهم بتحية الإسلام - وكانت بينهم جنة في الجاهلية - فرماه عظم بهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ

ورواه مسلم [١٢٦٦] عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد.
 وأسند البيهقي [الدلائل: ٣٢٦/٤] طريق حماد بن سلمة.
 وقال البخاري [٤٢٥٥]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا
 إسماعيل بن أبي خالد سمع من أبي أوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ
 سترناه من غلمان المشركين، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ، وسيأتي بقية
 الكلام على هذا المقام.
 قال ابن إسحاق [رسالة ابن هشام: ٣٧١/٢]: وحدثني عبد الله بن أبي بكر
 أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة، دخلها وعبد الله بن
 ربيعة أخذ بخطام ناقته يقول:

خلوا بني الكفار عن سيبله خلوا فكل الخير في رسوله
 يارب إنسي مؤمن بقلبه أصرف حق الله في قوله
 نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
 ضرباً يزيل الهام من مثيله ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام [السيرة: ٣٧١/٢، ٣٧٢]: نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر
 الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم، يعني يوم صفين.
 قال السهيلي [الروض الأنف: ٢٨/٧]: قال ابن هشام [السيرة: ٣٧١/٢،
 ٣٧٢]: والدليل على ذلك أن ابن ربيعة إنما أراد المشركين، والمشركون لم
 يقرؤا بالتنزيل، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل.

وفيما قاله ابن هشام نظير فلان الحافظ البيهقي روى من غير وجه
 [الدلائل: ٣٢٢/٤، ٣٢٣] عن عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري عن
 أنس قال: لما دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن
 ربيعة بين يديه، وفي رواية: وهو أخذ بغرزه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سيبله قد نزل الرحمن في تنزيله
 بأن خير القتل في سيبله نحن قتلناكم على تأويله
 وفي رواية بهذا الإسناد بعينه [دلائل البراءة للبيهقي: ٣٢٣/٤]:

خلوا بني الكفار عن سيبله اليوم نضريكم على تنزيله
 ضرباً يزيل الهام عن مثيله ويذهل الخليل عن خليله
 يارب إنسي مؤمن بقلبه

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم: أن رسول
 الله ﷺ دخل عام القضية مكة، فطاف بالبيت على ناقته، واستلم الركن
 بحجته - قال هشام: من غير علة - والمسلمون يشتدون حوله، وعبد الله
 بن ربيعة يقول:

بسم الذي لا دين إلا دينه بسم الذي محمد رسول الله
 خلوا بني الكفار عن سيبله

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم خرج رسول الله ﷺ من العام
 القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي
 صده المشركون عن المسجد الحرام، حتى إذا بلغ يساجع وضع الأداة كلها
 الحجف والجان والرماح والنبل، ودخلوا بسلام الركب السيف، وبعث
 رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمنة بنت الحارث
 العامرية، فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس، وكان تحتها أختها أم
 الفضل بنت الحارث، فزوجها العباس رسول الله ﷺ.
 فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال: «اكشفوا عن الناكب

الموجود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له: ألم
 تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى أفأخبرت أنك تأتيه
 عامك هذا؟» قال: لا، قال: «فلذلك أتبه ومطوف به» وهي المثار إليها في
 قول عبد الله بن ربيعة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ مكة يوم
 عمرة القضاء وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سيبله اليوم نضريكم على تأويله
 كما نضركم على تنزيله

أي هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ جاءت مثل فلق
 الصبح.

قال ابن إسحاق [رسالة ابن هشام: ٣٧٠/٢]: فلما رجع رسول الله ﷺ
 من خير إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وجاديين ورجباً وشعبان وشهر
 رمضان وشوالاً يبعث فيما بين ذلك سراياه، ثم خرج من ذي القعدة في
 الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التي
 صده عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عوف بن الأصبط الدثلي ويقال
 لها: عمرة القصاص لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر
 الحرام من سنة ست، فاقص رسول الله ﷺ منهم فدخل مكة في ذي
 القعدة في الشهر الحرام الذي صده فيه من سنة سبع، بلغنا عن ابن عباس
 أنه قال: فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾.

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه في «مغازيه»: لما رجع رسول الله ﷺ
 من خير أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة فنادى في الناس
 أن يتجهزوا للعمرة، فتجهزوا وخرجوا إلى مكة.

وقال ابن إسحاق [رسالة ابن هشام: ٣٧٠/٢]: وخرج معه المسلمون ممن
 كان صد معه في عمرته تلك، وهي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة
 خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عمرة وجهد
 وشدة.

قال ابن إسحاق [رسالة ابن هشام: ٣٧١/٢]: فحدثني عن أبيه عن عبد
 الله بن عباس قال: صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما
 دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطجع برذاته وأخرج عضده اليمنى ثم قال:
 «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» ثم استلم الركن ثم خرج يهرول
 ويهرول أصحابه معه حتى إذا أراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني،
 مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى
 سائرهما.

فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن
 رسول الله ﷺ إنما صنتها لهذا الحي من قريش، للذي بلغه عنهم حتى
 حج حجة الوداع فلزمها فمضت السنة بها.

وقال البخاري [٤٢٥٦]: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد - هو
 ابن زيد - عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم رسول
 الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد ومنهم من يثرب،
 فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم
 يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

قال أبو عبد الله: وزاد ابن سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب
 عن سعيد بن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال:
 «ارملوا» ليرى المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقان.

ثم رجعت، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي، فأتيت ابن عباس فسألته فقال: أبلد الهدي فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحديبية في عمرة القضاء.

فرد به أبو داود من حديث أبي حنيفة عن عثمان بن حذاف الحميري، عن ابن عباس فذكره.

وقال الحافظ البيهقي (الرحمة: ٣١٩/٤، ٣٢٠): أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني عمرو بن ميمون قال: كان أبي يسأل كثيراً: هل كان رسول الله ﷺ أبلد هديه الذي نحر حين صده المشركون عن البيت؟ ولا يجد في ذلك شيئاً، حتى سمعته يسأل أبا حنيفة الحميري عن ذلك فقال له: على الخبر سقطت، حججت عام ابن الزبير في الحضر الأول، فأهديت هدياً فحالوا بيننا وبين البيت، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن، وقلت: لي برسول الله ﷺ أسوة.

فلما كان العام المقبل حججت فقلت ابن عباس، فسألته عما نحرت: علي بده أم لا؟ قال: نعم فأبدل، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدهم المشركون، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء، ففزع الإبل عليهم، فرخص لهم رسول الله ﷺ في البقر.

وقال الواقدي (الرحمة: ٧٣٢/٢، ٧٣٣): حدثني غانم بن أبي غانم عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: جعل رسول الله ﷺ ناجية بين جندب الأسلمي على هديه يسير بالهدي أمامه يطلب الرعي في الشجر معه أربعة فتان من أسلم، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضاء ستين بدنة.

فحدثني محمد بن نعيم الجمر عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كنت مع صاحب البدن أسوقها.

قال الواقدي (الرحمة: ٧٣٤/٢ - ٧٣٦): وسار رسول الله ﷺ يلي والمسلمون معه يلبون، ومضى محمد بن مسلمة بالخيال إلى مر الظهران، فيجد بها نفرًا من قريش، فسألوا محمد بن مسلمة؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله، وراؤا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فآخروهم بالذي راؤوا من السلاح والخيال، ففزع قريش وقالوا: والله ما أحدثنا حدثاً وإننا على كتابنا وهدنتنا، فقيم يغزوننا محمد في أصحابه؟ ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم. وبثت قريش مركز بن حفص بن الأحنف في نحر من قريش حتى لقوه بطن يأجج، ورسول الله ﷺ في أصحابه، والهدي والسلاح قد تلاحقوا، فقالوا: يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب؟ فقال النبي ﷺ: «إني لا أدخل عليهم السلاح» فقال مركز بن حفص: هذا الذي تعرف به البر والوفاء.

ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم. فلما أن جاء مركز بن حفص بخبر النبي ﷺ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال، وخلوا مكة، وقالوا: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه، فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بني طوى، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم محددون به يلبون، وهم متوشحون السيوف، فلما انتهى إلى ذي طوى وقف على ناقته القصواء والمسلمون حوله، ثم دخل الثنية التي

واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم، وكان يكادهم بكل ما استطاع، فاستكف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله أنا الشهيد أنه رسول الله
قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله
فالיום نصركم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويخلص الخليل عن خليله

قال: وتغيب رجال من أشرف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحقاً ونفاسة وحسداً، وخرجوا إلى الخندمة، فقام رسول الله ﷺ بمكة وأقام ثلاث ليال، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية، فلما أن أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عباد، فصاح حويطب بن عبد العزى: نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث، فقال سعد بن عباد: كذبت لا أم لك، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك، والله لا يخرج.

ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطاً فقال: «إني قد نكحت فيكم امرأة، فما يضركم أن أمكت حتى أدخل بها ونصنع الطعام فئاكل وتاكلون معنا؟» فقالوا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرف، وأقام المسلمون وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناه وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف فبني بها، ثم أذلج فسار حتى قدم المدينة، وقدر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ.

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال: وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ﴾ فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صد فيه. وقد روى ابن لحيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحواً من هذا السياق.

ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة، ففى «صحيح البخاري» [٤٢٥٢] من طريق فليح بن سليمان عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً أمروا أن يخرج فخرج.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه، عن ابن عمر قال: لم تكن هذه عمرة قضاء، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صدهم فيه المشركون.

وقال أبو داود [١٨٩٤]: حدثنا الثعلبي، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن ميمون: سمعت أبا حنيفة الحميري يحدث أبي ميمون بن مهران قال: خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة، وبعث معي رجال من قومي بهلي، قال: فلما انتهينا إلى أهل الشام تمنعوا أن ندخل الحرم، قال: فنحرت الهدي مكاني ثم أحللت

هنا لا نترك شيئاً قبله رسول الله عليه السلام [د: (١٨٨٧)، ج (٢٩٥٢)، المسند: ٤٥/١] وموضع تقرير هذا كتاب «الأحكام».

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة كما ثبت في «الصحيحين» [خ (١٦٤٩)، م (١٢٦٦) (١٢٤١)] من حديث سفيان بن عينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء عن ابن عباس قال: إما سعى النبي عليه السلام بالبيت وبين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته. لفظ البخاري.

وقال الواقدي [المغازي: ٧٣٧/٢، ٧٣٨]: لما قضى رسول الله عليه السلام نسكه في القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، وكان رسول الله عليه السلام أمره بذلك، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!! وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا. وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهض فوق الكعبة. وأما سهيل بن عمرو ورجال معه لما سمعوا بذلك غطوا وجوههم.

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٢٩/٤]: قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام. قلت: كنا ذكره البيهقي [الدلائل: ٣٢٨/٤، ٣٢٩] من طريق الواقدي، أن هذا كان في عسرة القضاء، والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح والله أعلم.

سنة ٧- وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٢/٢]: حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله عليه السلام تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام، وكان الذي تزوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

قال ابن هشام [السيرة: ٣٧٢/٢]: كانت جعلت أمرها إلى اختها أم الفضل، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس، فزوجه رسول الله عليه السلام وأصدقها عنه أربعمائة درهم.

وذكر السهيلي [الروض الألف: ٢٩/٧] أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله عليه السلام لها وهي راجية بعيراً قالت: الجمل وما عليه لرسول الله عليه السلام.

قال: وفيها نزلت الآية: ﴿وَأَمْرًا مَرْءَةً مَرْيَمَ إِذْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِذْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْبِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٥٠].

وقد روى البخاري [٤٢٥٨] من طريق أيوب عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله عليه السلام تزوج ميمونة وهو محرم، ونسب بها وهو حلال، وماتت بسرف.

قال السهيلي [الروض الألف: ٣٠/٧]: وروى الدارقطني [السنن: ٢٢٦٣/٣] من طريق أبي الأسود يقيم عروة، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله عليه السلام تزوج ميمونة وهو حلال. قال: وتناولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان محرماً أي في شهر حرام كما قال الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً قدما فلم أر مثله غنولاً
أي في شهر حرام.

قلت: وفي هذا التأويل نظر، لأن الروايات متطابقة عن ابن عباس بخلاف ذلك، ولا سيما قوله: تزوجه وهو محرم، ونسب بها وهو حلال،

تطلع على الحجون على راحته القضاء وابن رواحة أخذ بزمامها وهو يرتجز بشعره ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله.

إلى آخره

وفي «الصحيحين» [خ (٤٢٥٦)، م (١٢٦٦)] من حديث ابن عباس قال: قدم رسول الله عليه السلام وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذي القعدة سنة سبع - فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهتهم حمى يثرب، فأمر رسول الله عليه السلام أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يعيشوا بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.

وقال الإمام أحمد [٣٠٥/١]: حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن زكريا عن عبد الله بن عثمان، عن أبي الطفيل عن ابن عباس أن رسول الله عليه السلام لما نزل من الظهران في عمرته، بلغ أصحاب رسول الله عليه السلام أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف، فقال أصحابه: لو انتحرنّا من ظهرنا فاكلنا من لحمه، وحسنوا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنّا جماعة.

فقال: «لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم» فجمعوا له وسبطوا الأنطاع فاكلوا حتى تركوا، وحنا كل واحد منهم في جرابه، ثم أقبل رسول الله عليه السلام حتى دخل المسجد، وقعدت قريش نحو الحجر، فاضطجع بردائه ثم قال: «لا يرى القوم فيكم غمزة» فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود، فقالت قريش: ما يرغسون بالمشي أما إنهم ليفتزون نقر الظباء، ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة.

قال أبو الطفيل: وأخبرني ابن عباس أن رسول الله عليه السلام فعل ذلك في حجة الوداع. تفرد به أحمد من هذا الوجه.

قال أبو داود [١٨٨٥]: حدثنا أبو سلمة موسى، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنا أبو عاصم الغفوي عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله عليه السلام قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة. فقال: صدقوا وكنّبوا.

قلت: ما صدقوا وما كنّبوا؟ قال: صدقوا رمل رسول الله عليه السلام، وكنّبوا ليس بسنة، إن قريشاً قالت: زمن الخديجة دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت التنف، فلما صالحوه على أن يعيشوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله عليه السلام والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله عليه السلام لأصحابه: «ارملوا بالبيت ثلاثاً» قال: وليس بسنة.

وقد رواه مسلم [٢٣٨، ٢٣٧، ١٢٦٤، ١٢٦٥] من حديث سعيد الجريدي وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وعبد الملك بن سعيد بن بجر، ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن ابن عباس به نحوه.

وكون الرمل في الطواف سنة مذنب الجمهور، فإن رسول الله عليه السلام رمل في عمرة القضاء، وفي عمرة الجمرات أيضاً.

كما رواه أبو داود [١٨٩٠] وابن ماجه [٢٩٥٣] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره.

وثبت في حديث جابر عند مسلم [١٢١٨] وغيره [د: (١٩٠٥)، م (٢٩٣٩)، ٢٩٤٤، ٢٩٦١، ٢٩٦٢، ٢٩٧٤، ٢٩٨٢، ٢٩٨٣، ج (٣٠٧٤)] أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف.

ولمّا قال عمر بن الخطاب: فيم الرملان وقد أخطأ الله الإسلام؟ ومع

وقال البخاري (٤٢٥١): حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقر بهذا، لو تعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله قال: «أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله».

ثم قال لعلي بن أبي طالب: «امح: رسول الله» قال: لا والله لا امحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة إلا السيف في القرباب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه، وأن لا يمنح من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها، فلما دخل ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل.

فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها علي فأخذ ييدها، وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي: أنا أختلتها وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتي نحتي، وقال زيد: ابنة أخي، ففضى بها النبي ﷺ لخالتيها وقال: «الحالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» قال علي: ألا تزوج ابنة حمزة، قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة».

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقد روى الواقدي [المغازي: ٧٣٨/٢، ٧٣٩] قصة ابنة حمزة فقال: حدثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال: علام تترك ابنة عمنا يتيمه بين ظهرائي المشركين؟ فلم يبه النبي ﷺ عن إخراجها، فخرج بها، فتكلم زيد بن حارثة، وكان وصي حمزة، وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين، فقال: أنا أحق بها ابنة أخي، فلما سمع بذلك جعفر قال: الحالة والدة، وأنا أحق بها لكان خالتيها عندي أسماء بنت عميس، وقال علي: ألا أراكم تختصمون هي ابنة عمي وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين. وليس لكم إليها سبب دوني، وأنا أحق بها منكم.

فقال النبي ﷺ: «أنا أحكم بينكم، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله، وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي، وأنت يا جعفر أولى بها، تحمك خالتيها ولا تنكح المرأة على خالتيها ولا على عمتها» فقضى بها لجعفر.

قال الواقدي: فلما قضى بها لجعفر قام جعفر فحجل حول رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا يا جعفر؟» فقال: يا رسول الله كان التجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله، فقال للنبي ﷺ: تزوجها فقال: «ابنة أخي من الرضاعة» فزوجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة، فكان النبي ﷺ يقول: «هل جزيت سلمة؟»

قلت: لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ بأمة أم سلمة، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة، والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٢/٢، ٣٧٣]: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة، وتولى المشركون تلك الحجة.

قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ٣٧٢/٢، ٣٧٣]: وأُنزل الله في هذه

وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً وهو شهر حرام.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا عبد الرزاق قال: قال لي الشوري: لا تلتفت إلى قول أهل المدينة. أخبرني عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج وهو محرم، قال أبو عبد الله: قلت لعبد الرزاق: روى سفيان الحدِيثين جميعاً عن عمرو، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس، وابن خثيم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؟ قال: نعم.

أما حديث ابن خثيم فحدثنا ههنا - يعني باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعني بمكة - وأخرجاه في «الصحيحين» [ج (٥١٤)، م (٤١٠)] من حديث عمرو بن دينار به.

وفي «صحيح البخاري» [١٨٣٧] من طريق الأوزاعي: أنبأنا عطاء عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم.

فقال سعيد بن المسيب: وهل ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها إلا بعد ما أحل.

وقال يونس عن ابن إسحاق: حدثني ثقة عن سعيد بن المسيب أنه قال: هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم فذكر كلمته: إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فكان الحل والنكاح جميعاً، فتشبه ذلك على ابن الناس.

وروى مسلم [١٤١١] وأهل السنن [د (١٨٤٣)، ت (٨٤٥)، م (٥٤٤)، ج (١٩٦٤)] من طرق عن يزيد بن الأصم العامري عن خالته ميمونة بنت الحارث قالت: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف. لكن قال الترمذي: روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسل أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال.

وقال الحافظ البيهقي [الذيل: ٣٣٩/٤]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مطر البراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن سليمان بن يسار، عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ونسب بها وهو حلال، وكنت الرسول بينهما.

وهكذا رواه الترمذي [٨٤١] والنسائي [٥٤٠٢] جميعاً عن قتية، عن حماد بن زيد به.

ثم قال الترمذي: حسن. ولا نعلم أحداً أسنده غير حماد، عن مطر.

ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسل.

ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسل.

قلت: وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين، ويقال: سنة ستين رضي الله عنها.

سنة ٧- ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي ثلاثة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم، وإنما أراد تأليفهم بذلك، فأبوا عليه، وقالوا: بل أخرج عنا، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٢/٢].

قريش كلها لم أسلم، فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدموني فيما ناهيهم، فقلت لهم: كيف أنا فيكم؟ قالوا: ذو رأينا، ومدرنا في بين نقيّة وبركة أمر.

قال: قلت: تعلمون أبي والله لأرى أمر محمد أمراً يعلمو الأمور علواً منكراً، وإني قد رايت رأياً، قالوا: وما هو؟ قلت: نلحق بالنجاشي فنكون معه، فإن يظهر محمد كتنا عند النجاشي، فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا، قالوا: هذا الرأي. قال: قلت: فاجعوا ما نهيه له - وكان أحب ما يهتدى إليه من أرضنا الأدم - فجمعنا أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قلعنا على النجاشي، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطيني ففرضت عقه، فإذا فعلت ذلك سررت قريشاً وكنت قد أجزأت عنها حتى قتلت رسول رسول محمد.

فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي أهليت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك أهليت لك أدماً كثيراً ثم قمته فأعجبه وفرق منه شيئاً بين بطارقه وأمر بسأته فادخل في موضع وأمر أن يكتب ويحفظ به، فلما رايت طيب نفسه قلت: أيها الملك إني قد رايت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطيني فآتته.

فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره، فابتدر منخراي فجعلت أثلقى الدم بياضي فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها فرقا منه، ثم قلت: أيها الملك لو ظننت أنك تكبره ما قلت ما سألتك، قال: فاستحيا وقال: يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه التاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والسدي كان يأتي عيسى لثقله؟ قال عمرو: فغير الله قلبي عما كنت عليه، وقلت في نفسي: عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالفت أنت؟ ثم قلت: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأعطيني واتبته فوالله إنه لعلى الحق وليظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قلت: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم فبسط يده فبايعني على الإسلام، ثم دعا بطست ففصل عني الدم وكساني ثياباً - وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فآلقتيها - ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسرة النجاشي سروا بذلك وقالوا: هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت لهم: كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت: أعود إليه، فقالوا: الرأي ما رايت. قال: ففارقتهم وكأني أحمده إلى حاجة فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد شحنت تدفع.

قال: فركبت معهم ودفعوا حتى انتهوا إلى الشعية وخرجت من السفينة ومعني نفقة، فابتعت بعيراً وخرجت أريد المدينة حتى مسرت على مر الظهران، ثم مضيت حتى إذا كنت بالمدّة فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً وأحدهما داخل في الحيمة والأخر يمسك الراجلتين.

قال: فنظرت فإذا خالد بن الوليد، قال: قلت: أين تريد؟ قال: محمدلاً، دخل الناس في الإسلام فلم يبق أحد به طعم، والله لو أقمّت لأخذ برفاقنا كما يؤخذ برفقة الضيع في مغارثها، قلت: وأنا الله قد أردت محملاً وأردت الإسلام، فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي فترلنا جميعاً في المنزل، ثم تراءفنا حتى أتينا المدينة فما أتى قول رجل لقيناه يبرأ أبي عتبة يصيح: يا

العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آيِينَ مُحَلِّقِينَ وَرُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [سورة الفتح: ٢٧] يعني: خير.

سنة ٧ - سيرة ابن أبي العوجاء

ذكر البيهقي زاد اللال: ٣٤١/٤، ٣٤٢ ههنا سيرة ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم، ثم ساق بسنده عن الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري قال: لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القصية، رجع في ذي الحجة من سنة سبع، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً، فخرج إلى بني سليم، وكان عين بني سليم معه، فلما فصل من المدينة، خرج العين إلى قومه فحذرهم وأخبرهم، فجمعوا جمعاً كثيراً، وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون، فلما أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعو قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه، فرموهم ساعة وجعلت الأمداد تأتي حتى أحرقوا بهم من كل جانب، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان.

سنة ٧ - أحداث أخرى

قال الواقدي: في الحرم من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع - وقد قدمنا الكلام على ذلك - وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند الموقر، ومعه ملوكة وسيرين، وقد أسلمتا في الطريق، وغلما خصي.

قال الواقدي: وفيها أخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده، قال: والثبت عندنا أنه عمل في سنة ثمان.

سنة ٨ - إسلام عمرو بن العاص وخالد

بن الوليد وعثمان بن طلحة

قد تقدم طرف من ذلك فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي، وذلك في سنة خمس من الهجرة.

وإنما ذكره الحافظ البيهقي زاد اللال: ٣٤٣/٤ - ٣٤٦ ههنا بعد عمرة القضاء، فروي من طريق الواقدي: أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: قال عمرو بن العاص: كنت للإسلام عجائباً معانداً، حضرت بدرًا مع المشركين فنجوت، ثم حضرت أحدًا فنجوت، ثم حضرت الخندق فنجوت، قال: فقلت في نفسي: كم أوضع والله ليظهرن محمد على قريش، فلحقت بمالي بالوطء وأقللت من الناس - أي من لقائهم - فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله ﷺ في الصلح، ورجعت قريش إلى مكة، جعلت أقول: يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه، ما مكة بمنزل ولا الطائف، ولا شيء خير من الخروج، وأنا بعد نادم عن الإسلام، وأرى لو أسلمت

أمون، فأخرج إلى هرقل؟ فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فاقم مع عجم تابعاً، فاقم في داري بمن بقي؟ فانا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضية، فتفتيت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضية، فطمني فلم يجئني فكذب إلي كتاباً فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهل أحد؟ وقد سألت رسول الله عنك وقال: «أين خالد؟» قلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل تكايته وحده مع المسلمين كان خيراً له، ولقدعنا على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك فقد فاتك مواطن صالحة.

قال: فلما جامني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كاني في بلاد ضيقة مجلبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة فقلت: إن هذه لرويا، فلما أن قمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر، فقال: غررك الذي هناك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك قال: فلما اجعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصحاب إلى رسول الله ﷺ؟ فقلت صفوان بن أمية قلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن أكلة رأس وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف. فإني أشد الإياء فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً، فافترقا وقلت: هذا رجل قتل أخوه وأبوه يسير، فقلت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت: فاكم علي، قال: لا أذكره.

فخرجت إلى منزلي فمرت براحلي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة فقلت: إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو، ثم ذكرت من قتل من أبائه فكرهت أن أذكره، ثم قلت: وما علي وأنا راحل من ساعتي فذكرت له ما صار الأمر إليه فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء خرج، وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي فأسرع الإجابة، وقال: إني غدت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلي بفخ مناخة.

قال: فتأملت أنا وهو ياجع إن سبقي أقام وإن سبقته أقمت عليه، قال: فادلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجج، ففدونا حتى انتهنا إلى الهدنة، فنجد عمرو بن العاص بها.

قال: مرحباً بالقوم قلنا: ويك، فقال: إلى أين مسيركم؟ قلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ، قال: وذلك الذي أقدمني، فاصلطنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنشأنا بظهر الحرة وركبنا فاخرج بنا رسول الله ﷺ فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي: فقال أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم.

فأسرنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتيسر لي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال: «تعال» ثم قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هناك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا لي خير» قلت: يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يغفرها لي، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام يجب ما كان قبله» قلت: يا رسول الله على ذلك، قال: «اللهم

رباح يا رباح يا رباح، ففادنا بقوله وسرنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد منين، فظننت أنه يعني خالد بن الوليد وولي مديراً إلى المسجد سريعاً فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدومنا فكانت كما ظننت، وأنشأنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه، وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سسروا بإسلامنا، فتقدم خالد بن الوليد فبايع، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي إليه حياء منه.

قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر، فقال: «إن الإسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها» قال: فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة، وكان عمر على خالد كالعقاب.

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي: فذكرت هنا الحديث ليزيد بن أبي حبيب فقال: أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن مولا حبيب عن عمرو بن العاص نحو ذلك.

قلت: كذلك رواه محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٧٦/٢ - ٢٧٨] عن يزيد بن أبي حبيب، عن راشد عن مولا حبيب قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه، فذكر ما تقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع. وسياق الواقدي أبسط وأحسن.

قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد: فقلت ليزيد بن أبي حبيب: وقت لك متى قدم عمرو وخالد؟ قال: لا إلا أنه قال: قبل الفتح، قلت: فإن أبي أخبرني أن عمراً وخالدًا وعثمان بن طلحة قدموا لئلا صفر سنة ثمان.

وسياقي عند وفاة عمرو من «صحيح مسلم» ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام، وصفة موته ﷺ.

سنة ٨- طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي [الغازي: ٧٤٥/٢ - ٧٤٩]: حدثني يحيى بن المنيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قلن في قلبي الإسلام وحضرني رشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ﷺ، فليس في موطن أشهد إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء، وأن عمداً سيظهر.

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان، فقامت بإزائه وترغمت له فصلى بأصحابه الظهر أماناً فهمنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على ما في أنفسنا من الهمة به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الحرف، فوق ذلك منا موقماً وقلت: الرجل ممنوع فاعتزلنا، وعدل عن سَنَن خيلنا وأخذ ذات اليمين.

فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعه قريش بالراح قلت في نفسي: أي شيء بقي؟ أين المذهب؟ إلى النجاشي؟ فقد اتبع عمداً وأصحابه عنده

سنة ٨ - غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام.

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية [سورة ابن هشام: ٣٧٣/٢]:
فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة - وولي تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرًا وشهري ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصابوا بمؤتة.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إِنْ أَصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، إِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ» فتهيؤوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

وقال الواقدي [المغازي: ٧٥٦، ٧٥٥/٢]: حدثني ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم، عن أبيه قال: جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَإِنَّ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَلْيَرْضَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلًا فَلْيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ». فقال النعمان: أبا القاسم إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا فَلَوْ سَمِيتُ مِنْ سَمِيتٍ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا أَصِيبُوا جَمِيعًا، إِنْ الْأَنْبِيَاءُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَمُوا الرَّجُلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالُوا: إِنْ أَصِيبَ فَلَانُ فَفُلَانُ، فَلَوْ سَمَوْا مِائَةَ أَصِيبُوا جَمِيعًا، ثُمَّ جَعَلَ الْيَهُودِيُّ يَقُولُ لَزَيْدٍ: اعْمِدْ فَإِنَّكَ لَا تَرْجِعُ أَبَدًا إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَادِقٌ بَار. رواه البيهقي.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٧٣/٢، ٣٧٤]: فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم، فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَرَأَوْا مَا كَانَ عَلَى رُءُوسِهِمْ خُشًا مُقْتَضِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦١] فلست أدري كيف لي بالصبر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبك الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مفسرة وضربة ذات فرغٍ تقذف الزبدا
أو طعنةٌ يبدئ حركانٌ مجهزة بحرمة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدني أرشده الله من غاز وقد رشدا

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٧٤/٢]: ثم أن القوم تهيؤوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه ثم قال:

نُبِّئْتُ اللَّهَ مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَبَيَّنَ مُوسَى وَنَصَرَ كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَرَسْتُ فَيْكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَرُ

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٧٤/٢]: ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم، حتى إذا ودعهم وانصرف، قال عبد الله بن رواحة:

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعَتْهُ فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مِنْ شَيْعِ وَخَلِيلِ

أغفر لخالد بن الوليد كل ما أوقع فيه من صد عن سبيلك. قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ، قال: وكان قلوبنا في صفر سنة ثمان، قال: فوالله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحدا من أصحابه فيما حزه.

سنة ٨ - سرية شجاع بن وهب

الأسدي إلى نفر من هوازن

قال الواقدي [المغازي: ٧٥٤، ٧٥٣/٢]: حدثني ابن أبي سيرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم قال: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم غارين، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا تمتنعوا في الطلب، فأصابوا نعمًا كثيرة وشاء فاستأقوا ذلك حتى إذا قدموا للمدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل.

وزعم غيره أنهم أصابوا سبيًا أيضاً، وأن الأمير اصطفى منه جارية وضية ثم قدم أهلهم مسلمين فشاور النبي ﷺ أميرهم في ردعهم إليهم، فقال: نعم فردوهم وخير التي عنده فاختارت المقام عنده [مغازي الواقدي: ٧٥٤/٢].

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نحد فكان فيهم عبد الله بن عمر، قال: فأصبنا إبلاً كثيراً فبلغت سهامنا إثني عشر بعيراً ونقلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً.

أخرجناه في «الصحيحين» [ج (٣١٣٤)، م (١٧٤٩) (٣٥)] من حديث مالك، ورواه مسلم [١٧٤٩] (٣٦، ٣٧) أيضاً من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه.

وقال أبو داود [٢٧٤٣]: حدثنا هناد، حدثنا عبدة عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نحد، فخرجت فيها فأصبنا نعمًا كثيراً، فغلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان، ثم قلنا على رسول الله ﷺ فقسم بيتنا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبتنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنقله.

سنة ٨ - سرية كعب بن عمير إلى بني

قُضَاعَةَ من أرض الشام

قال الواقدي [المغازي: ٧٥٣، ٧٥٢/٢]: حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن برد عليه الليل تحمل حتى أتى رسول الله ﷺ، فهم بالبيعة إليهم، فبئله أنهم ساروا إلى موضع آخر.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٦/٢]: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردي على حافية رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يشد ألباته هذه:

إذا أبتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فثانك أئسم وخلاك دم ولا أرجع لي أهلي ورائسي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتبه الثواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا غخل أسافلها رواء

قال: فلما سمعته من بكيت، فحففتي بالردة وقال: ما عليك يا كعب أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل؟ ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زيدُ زبدَ الجميلات الذبل تطاول الليل هديت فاستزل

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٧/٢]: ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة فالتقى الناس عندها فتبعاً لهم المسلمون فجمعوا على ميمتهم رجلاً من بني عذرة يقال له: قطبة بن قتادة وعلى مسيرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عباية بن مالك.

وقال الواقدي [المغازي: ٧٦٠/٢]: حدثني ربيعة بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة قال: شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون وأبنا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحريز والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم! قال: إنك لم تشهد معنا بدءاً، إننا لن نصر بالكثرة. رواء البيهقي.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٨/٢]: ثم التقى الناس فاقبلوا فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمة القتال، اقتحم عن فرس له شقراء فعفرها، ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٨/٢]: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عفرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

يا حبلاً الجنة واقتربها طيبةً وبأراداً شرابها
والردوم روم قد دنا عذابها كفاةً بعيدة أنسابها
علي إن لايتها ضرابها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود [٢٥٧٣] من حديث ابن إسحاق ولم يذكر الشعر، وقد استدلل به من جوز قتل الحيوان خشية أن يتبع به العدو كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السير ويغشى من لحوق العدو لها واتساعهم بها أنها تلذع وتحرق ليحال بينهم وبين ذلك والله أعلم.

قال السهلي [الروض الأثمن: ٣١٧/٧]: ولم ينكر أحد على جعفر، فدل

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو خالد الأحمر، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة فاستعمل زيداً، فإن قتل زيد جعفر، فإن قتل جعفر فابن رواحة، فتخلف ابن رواحة، فجمع مع النبي ﷺ، فرأه فقال: «ما خلنك؟» فقال: أجمع معلن. قال: «لقدوة أو روعة خير من الدنيا وما فيها».

وقال أحمد [٢٢٤/١]: حدثنا أبو معاوية حدثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة قال: تقدم أصحابه وقال: اتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم قال: فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال: ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال: فقال: أردت أن أصلي معلن الجمعة ثم ألحقهم قال: فقال رسول الله ﷺ: «لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غلوتهم».

وهذا الحديث قد رواه الترمذي [٥٢٧] من حديث أبي معاوية، عن الحجاج - وهو ابن أوطاة - ثم علله الترمذي بما حكاه عن شعبة أنه قال: لم يسمع الحكم عن مقسم إلا خمسة أحاديث، وليس هذا منها.

قلت: والحجاج بن أوطاة في روايته نظر والله أعلم

والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم جمعة والله أعلم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٦، ٣٧٥/٢]: ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لحم وجنداء والقين وبهراء وبلي مائة ألف منهم عليهم رجل من بلي، ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن زائلة.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: فبلغهم أن هرقل نزل بمأب في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستمرة.

وقيل: كان الروم مائتي ألف ومن عندهم خمسون ألفاً.

وأقل ما قيل: إن الروم كانوا مائة ألف ومن العرب خمسون ألفاً حكاه السهلي [الروض الأثمن: ٤١/٧]، فلما بلغ ذلك المسلمين أقبلوا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، قال: فجمع الناس عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم والله إن التي تذكرون لتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما تقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنيما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة في عجبهم ذلك:

جلينا الحيل من أجا وفرع تفر من الحشيش لها المعكوم
حنوتها من الصوان سبتاً أزل كان صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجباد مسومات تنفس في مناخرها الشوموم
فلا وأبسي مأب لثانيتها وإن كانت بها عرب وروم
فبائنا أعتها فجاءت عوابس والنصار لها برسم
بذي جبر كان البيض فيه إذا برزت قوائنها النجوم
فراضية المعيشة طلفتها استتنا فتكحج أو تتييم

تفرد به البخاري ورواه [خ (٢٧٩٨)] في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر: «وما يسره لهم أنهم عندنا».

وقال البخاري [٤٢٦١]: حدثنا أحمد بن أبي بكر، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن المخزومي - وليس بالخزاعي - عن عبد الله بن مسعود، عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة».

قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتصنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتل ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية. تفرد به البخاري أيضا.

وقال البخاري أيضا [٤٢٦٠]: حدثنا أحمد حدثنا ابن وهب عن عمرو عن ابن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قال: وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيلا فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره. وهذا أيضا من أفراد البخاري.

ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها أن ابن عمر رضي الله عنهما اطلع على هذا العدد، وغيره اطلع على أكثر من ذلك، أو أن هذه في قلبه أصيبتها قبل أن يقتل، فلما صرع إلى الأرض ضربه أيضا ضربات في ظهره، فعد ابن عمر ما كان في قلبه وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل ﷺ.

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي مسكة اللواء ثم شماله ما رواه البخاري [٣٧٠٩]:

حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا عمر بن علي عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر قال: كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

ورواه أيضا في المناقب [خ (٣٧٠٩)] والنسائي [٨١٥٨] من حديث يزيد بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالد به.

وقال البخاري [٤٢٦٥]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة بمائة.

ثم رواه [خ (٤٢٦٦)] عن محمد بن المثنى، عن يحيى عن إسماعيل: حدثني قيس سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وصبرت في يدي صفيحة بمائة. انفرد به البخاري.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٣٦٧/٤، ٣٦٨]: حدثنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو عمرو بن مطر حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال: قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري وكانت الأنصار تفتقه، ففتشه الناس ففتشه فيمن غشيه فقال: حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: «عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»، قال: فوثب جعفر وقال: يا رسول الله ما كنت أربح أن تستعمل زيدا علي قال: «امض فإنك لا تدري أي ذلك خير»، فاتطلقوا فلبنوا ما شاء الله فصعد رسول الله ﷺ المنبر فأمر فتودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس على رسول الله ﷺ فقال: «أخبركم عن جيشكم هذا، إنهم انطلقوا فلحقوا العدو فقتل زيد شهيدا - فاستنفر له - ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل

على جوارحه إذا خيف أخذ العدو له ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثا.

قال ابن هشام [السيرة: ٣٧٨/٢]: وحديثي من أثنى به من أهل العلم أن جعفرأ أخذ اللواء يمينه فقطعت، فأخذته بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأتاه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء.

ويقال: إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة قطعه بنصفين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٧٩/٢، ٣٨٠]: وحديثي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف قال: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ويقول:

أقسمت يا نفس لتتزلزله
تستزلزل أو تكهره
إن أجلب الناس وشدوا الرنة
ما لي أراك تكهرمين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنة
وقال أيضا:

يا نفس إن لا تقتلي موتي
هذا جمام الموت قد صليت
وما تميت فقيس أعطيت
إن تعلمي فتلها مديت

يريد صاحبه زيدا وجعفرأ، ثم نزل فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذته من يده فانتهس منه نهمته. ثم سمع الخطمة في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا؟ ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل ﷺ.

قال: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان. فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٠/٢]: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني -: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا». ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا، قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا»، ثم قال: «لقد رفنوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سر من ذهب فرايت في سريري عبد الله بن رواحة أزورا عن سريري صاحبه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى».

هكذا ذكر ابن إسحاق هذا مقطعا.

وقد قال البخاري [٤٢٦٢]: حدثنا أحمد بن واثق حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعينه ترفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

بن الوليد المخزومي فجزم الله العدو وأظهر المسلمين قال: ويعتهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى، يعني سنة ثمان.

قال موسى بن عقبة: وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «مر على جعفر في الملائكة يطير كما يطيرون له جناحان». قال: وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ يخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ:

«إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرك»، قال: أخبرني يا رسول الله قال: فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كله ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم».

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالد إنما حاشى بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط. وموسى بن عقبة والواقدي مصرحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً: «ثم أخذ الراية سيف من سيف الله ففتح الله على يديه، رواه البخاري (ج ٢٢٦٢)» وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي (والدلائل: ٣٧٥/٤) بعد حكاية القولين لما ذكره من الحديث.

قلت: ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقرين، وهو أن خالداً لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة، فلما أصبح وحول الجيش ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة كما ذكره الواقدي توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله والله أعلم.

وقد قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٨٢/٢): حدثني محمد بن جعفر عن عروة قال: لما أقبل أصحاب مؤتة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة فقال: «أخذوا الصبيان فأحلوهم وأعطوني ابن جعفر» فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه قال: وجعل الناس يحشون عليهم بالتراب ويقولون: يا فرار فررت في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى».

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا لجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين وهو على المنبر في قوله: «ثم أخذ الراية سيف من سيف الله ففتح الله على يديه»، فما كان المسلمون ليسمئوهم فراراً بعد ذلك وإنما تلقوهم إكراماً لهم وإعظماً، وإنما كان التأنيب وحي التراب للذين فروا وتركوهم هنالك، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال الإمام أحمد (٧٠/٢): حدثنا حسن، حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة وكنت فيمن حاص، قلنا: كيف نضع وقد فررنا من الزحف ويؤنا بالغضب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبتا.

فأتيته قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم؟» قال: قلنا: نحن الفارون، فقال: «لا بل أنتم المكارون أننا فتكم وأنا فئة المسلمين»، قال:

شهيداً - شهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قلميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه.

ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت نصرته» فمن يومئذ سمي خالد سيف الله.

ورواه النسائي (٨١٥٩) من حديث عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان به نحوه.

وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه الصلاة والسلام لما اجتمع إليه الناس قال: «ثاب خبر، ثاب خبر» وذكر الحديث.

وقال الواقدي (المغازي: ٧٦١/٢، ٧٦٢): حدثني عبد الجبار بن عمارة بن غزفة، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله ﷺ على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم، فقال: «أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت، وحبب إليه الدنيا فقال: الآن استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تحبب إلي الدنيا؟ ففضى قلعاً حتى استشهد» فضلى عليه رسول الله ﷺ وقال: «استغفروا له فقد دخل الجنة وهو يسمى».

قال الواقدي (المغازي: ٧٦١/٢، ٧٦٢): وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة: أن رسول الله ﷺ قال: «لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت ومناه الدنيا، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين فغشيت الدنيا؟ ثم مضى قلعاً حتى استشهد» فضلى عليه رسول الله ﷺ وقال: «استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة وهو يطير في الجنة بمجنحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة».

قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضاً فشق ذلك على الأنصار فقيل: يا رسول الله ما اعترضه؟ قال: «لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع واستشهد فدخل الجنة» فسري عن قومه.

قال الواقدي (المغازي: ٧٦٤/٢): وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال: لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ: «الآن حي الوطيس».

قال الواقدي (المغازي: ٧٦٤/٢): فحدثني العطار بن خالد قال: لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمته ميسرته، قال: فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين، قال: فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه فإنه قال بعد عمرة الخلبية: ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة فمكث بها ستة أشهر ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أصيب جعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن أصيب جعفر فبعيد الله بن رواحة أميرهم»، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الساسي بمؤتة وبها جموع من نصارى العرب والروم بها توخ وهرباء فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام، ثم خرجوا فاتقوا على ردغ أمر فالتقوا قتالاً شديداً، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل، ثم أخذه جعفر فقتل، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ثم اصططح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد

فأثابتها حتى قبلنا يده.

ثم رواه [المستد: ٨٩٦/٢] غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر قال: كنا في سرية فقررنا فأردنا أن نركب البحر، فأثابتنا رسول الله ﷺ قتلنا: يا رسول الله نحن الفرارون، فقال: ولا بل أنتم العكارون.

ورواه أبو داود [٢٦٤٧، ٥٢٢٣] والترمذي [١٧١٦] وابن ماجه [٣٧٠٤] من حديث يزيد بن أبي زياد وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديثه. وقال أحمد [١١٠/٢، ١١١]: حدثنا إسحاق بن عيسى وأسد بن عامر قالوا: حدثنا شريك عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختبنا ثم قلنا: لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتنونا إليه، فخرجنا إليه فلما لقيناه قلنا: نحن الفرارون يا رسول الله قال: «هل أنتم العكارون ولنا فتكم».

قال الأسود: فوأنفة كل مسلم.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٢/٢، ٣٨٣]: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام وهم أحواله: أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صلح به الناس يا فرار فررت في سبيل الله، حتى قعد في بيته ما يخرج، وكان في غزاة مؤتة.

قلت: لعل طائفة منهم فروا لما عابوا كثرة جموع الروم، وكانوا أكثر منهم أضعاف مضاعفة، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان العدو على ما ذكره ماتني ألف ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد قرر، فلما فر هؤلاء ثبت بأقيهم ونصح الله عليهم وتخلصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله، ويؤيد ذلك ويشاكله بالصحبة ما رواه الإمام أحمد [٢٧/٦، ٢٨]: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، ورافقتي مددي من اليمن ليس معه غير سيفه فتحر رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طائفة من جلده فأعطاه إياه فاتخذته كهيئة الدرة.

ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح منعب، فجعل الرومي يغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فزعم فرسه فخر وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فيأخذ من السلب، قال عوف: فأثبته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى ولكي استكثرت، فقلت: لتردنه إليه أو لأحرقنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد رد عليه ما أخفنت منه» قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا خالد لا ترد عليه هل أنتم تتركوا لي أمراي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره».

قال الوليد: سألت ثورا عن هذا الحديث فحدثني عن خالد بن معدان

عن جبير بن نفير عن عوف بنحوه، ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بنحوه.

ورواه مسلم [١٧٥٣] وأبو داود [٢٧١٩] من حديث جبير بن نفير، عن عوف بن مالك به نحوه.

وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم.

وقد تقدم فيما رواه البخاري [٤٢٦٦] أن خالداً رضي الله عنه أتت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلا صفيحة بمائة.

وهذا يقتضي أنهم استخفوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم.

وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي، وحكاه ابن هشام عن الزهري.

قال البيهقي رحمه الله [الذليل: ٣٧٥/٤]: أنه اختلف أهل المنازي في فرارهم والحيازهم، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا. قال: وحديث أس بن مالك عن النبي ﷺ: «ثم أخذوا خالد ففتح الله عليه» [خ (٤٢٦٢)] يدل على ظهورهم عليهم والله أعلم.

قلت: وقد ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨١/٢] أن قطبة بن قتادة العنزي - وكان رأس ميمنة المسلمين - حمل على مالك بن زافلة - قال ابن هشام: ويقال: رافلة، بالراء وهو أمير أعراب النصارى قتلته وقال يفتخر بذلك:

طعنن إبن رافلة بن الإراش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة فقال كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بني عمه غداة رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نساءهم وهذا واضح فيما ذكرناه والله أعلم.

وأما ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٣/٢] فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلص من أيدي الروم وسمى هذا نصراً وفتحاً أي باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثرهم عليهم، فكان مقتضى العادة أن يصطلموا بالكلية، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام، وهذا محتمل لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام: «افتتح الله عليهم».

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال [سيرة ابن هشام: ٣٨٣/٢]: وقد قال - فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد وخاشاته بالناس وانصرافهم بهم فيس بن الحمر - اليمصري يعتذر بما صنع يومئذ وصنع الناس يقول:

فوالله لا تنفك نفسي تلومني على موقفي والحيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيراً فنافناً ولا ملتمساً من كان حُماً له القتل
على اتني آسيت نفسي بخالد ألا خالداً في القوم ليس له مثل
وجاشت لي النفس من غمر جعفر بمؤتة إذ لا ينزع النابيل النبيل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عَزَل

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٣/٢]: فيسب قيس ما اختلف فيه

الناس من ذلك في شعره أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقق الحجاز خالد بن معمر. قال ابن هشام [سيرة ابن هشام: ٣٨٣/٢]: وأما الزهري فقال - فيما بلغنا عنه - أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة.

سنة ٨- نعي جعفر بن أبي طالب ومن معه

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨٠/٢، ٣٨١]: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى الخزاعية عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين مئاً وعجنت عجيني وغسلت يني ودهنتهم ونظفنتهم قالت: فقال رسول الله ﷺ: «اتيني ببني جعفر» فأتيته بهم فشمهم وفزفت عيانه، فقلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ما يكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم، أصيبوا هذا اليوم». قالت: فقممت أصبح واجتمع إلي النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «لا تنفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم».

وهكذا رواه الإمام أحمد [٣٧٠/٦] من حديث ابن إسحاق ورواه ابن ماجه [١٦١١] من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن أم عيسى عن أم عون بنت محمد بن جعفر عن أسماء فذكر الأمر بعمل الطعام، والصواب أنها أم جعفر وأم عون. وقال الإمام أحمد [٢٠٥/١]: حدثنا سفيان، حدثنا جعفر بن خالد عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم». أو: «أتاهم ما يشغلهم».

وهكذا رواه أبو داود [٣١٢٢] والترمذي [٩٩٨] وابن ماجه [١٦١٠] من حديث سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد بن سارة المخزومي المكي عن أبيه عن عبد الله بن جعفر وقال الترمذي: حسن.

ثم قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٣٨١/٢]: حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله إن النساء عيتنا وقتنا، قال: «أرجع اليهن فاسكنهن» قالت: فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك، قالت: وربما ضر التكلف. يعني أهله قالت: قال: «فأذهب فاسكنهن فإن أبين فاحث في أفواههن التراب» قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ.

قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يمحي في أفواههن التراب. انشرد به ابن إسحاق من هذا الوجه وليس في شيء من الكتب.

وقال البخاري [٤٢٦٣]: حدثنا قتيبة حدثنا عبد الوهاب سمعت يحيى بن سعيد قال: أخبرني عمرة قالت: سمعت عائشة تقول: لما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن ربيعة جلس رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الحزن، قالت عائشة: وأنا أطلع من صائر الباب - شق - فأتاه رجل فقال: أي رسول الله ﷺ إن نساء جعفر وذكر بكاءهن، فأمره أن ينهائهن قالت: فذهب الرجل ثم أتى فقال: والله لقد غلبتنا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: «فاحث في أفواههن من التراب».

قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت

تفعل وما تركت رسول الله ﷺ من العناء.

وهكذا رواه مسلم [٩٣٥] وأبو داود [٣١٢٢] والنسائي [١٨٤٦] من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عمرة عنها.

وقال الإمام أحمد [٢٠٥/١، ٢٠٥]: حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأمركم عبد الله بن ربيعة».

فلحقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن ربيعة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن أخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن ربيعة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه».

قال: ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» قال: فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادعوا لي الحلاق» فجيء بالحلاق فحلق وروستا، ثم قال: «أما محمد فشيء عمننا أبي طالب، وأما عبد الله فشيء خلقي وخلقي» ثم أخذ بيدي فاشأها وقال: «اللهم اخلف جعفرأ في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» فلما ثلاث مرات.

قال: فجاءت أمنا فذكرت له يتما وجعلت تضرع له فقال: «العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة».

ورواه أبو داود [٤١٩٢] بإسناد، والنسائي [٨٦٠٤] في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به.

وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ثم نهاهم عنه بعدها.

ولعله معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٤٣٨/٦] من حديث الحكم عن عبد الله بن شداد عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لما لما أصيب جعفر: «تسلي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت» فترد به أحمد.

فيحتمل أنه أذن لها في التسلب وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ويكون هذا من باب التخصيص لما بهنا لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت بما يفعله المعتاد على أزواجهم من الإحداد المعتاد والله أعلم.

ويروي: «تسلي ثلاثاً» أي تصبري ثلاثاً وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد [٣١٩/٦]: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن طلحة ثنا الحكم بن عتيبة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت: دخل علي رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال: لا تحدي بعد يومك هذا، فإنه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به، ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره لأنه قد ثبت في «الصحيحين» (خ (١٢٨٠)، م (١٤٨٦)) أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميتها أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة

أشهر وعشراً.

فإن كان ما رواه الإمام أحمد محفوظاً فتكون مخصوصة بذلك أو هو أمر بالمبالغة في الإحداث هذه الثلاثة أيام كما تقدم والله أعلم.

قلت: ورثت أسماء بنت عيسى زوجها بقصيدة تقول فيها:

فأليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغصبرا
فأليت عينا من رأى مثله قسى أكرس وأحسى في الميلاج وأصبرا
ثم لم تشب أن انقضت عدتها فخطبها أبو بكر الصديق ﷺ فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة فكان فيهم علي بن أبي طالب، فلما ذهب الناس استأذن علي أبو بكر رضي الله عنهما أن يكلم أسماء من وراء البستر فأذن له، فلما اقترب من البستر نفضه ربح طيها فقال لها علي، على وجه البسط: من الفائلة في شعرها:

فأليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغصبرا
قالت: دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعابة. فولدت للصديق محمد بن أبي بكر، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة، ورسول الله ﷺ ذهب إلى حجة الوداع، فأمرها أن تغتسل وتهل وسيتي في موضعه، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب وولدت له أولاداً ﷺ وعنها وعنه أجيمن.

سنة ٨ - كُرَارَ وليسوا قُرَاراً

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٨٢/٢): فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، قال: ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: «خذوا الصبيان فاحلومهم وأعطوني ابن جعفر» فأتى بعبد الله بن جعفر فحملة بين يديه، قال: وجعل الناس يحشون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررم في سبيل الله! قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله» وهذا مرسل.

وقد قال الإمام أحمد (٢١٣/١): حدثنا أبو معاوية، حدثنا عاصم، عن مروق العجلي، عن عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى بالصبيان من أهل بيته، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه. قال: فحملني بين يديه. قال: ثم جيء بأحد ابني فاطمة، إما حسن وإما حسين، فأودعه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة. وقد رواه مسلم (٢٤٢٨) وأبو داود (٢٥٦٦) والنسائي (٤٢٤٦) وابن ماجه (٣٧٧٣) من حديث عاصم الأحول، عن مروق به.

وقال الإمام أحمد (٢٠٥/١): حدثنا روح حدثنا ابن جريح حدثنا جعفر بن خالد بن سارة أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال: لو رأيته وقم وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال: «ارفعوا هذا إلي» فحملني أمامه وقال لقم: «ارفعوا هذا إلي» فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قثم لما استحى من عمه أن حمل قثم وتركه.

قال: ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلما مسح: «اللهم اخلف جعفرأ في ولده» قال: قلت لعبد الله: ما فعل قثم؟ قال: استشهد قال: قلت: الله ورسوله أعلم بالخبر. قال أجل.

ورواه النسائي (١٠٩٠٥) في «اليوم والليلة» من حديث ابن جريح

به.

وهذا كان بعد الفتح فإن العباس إذا قدم المدينة بعد الفتح. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٢٠٣/١): حدثنا إسماعيل حدثنا حبيب بن الشهيد عن عبد الله بن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم فحملنا وتركك.

هكذا رأيته في المسند وكأنه غلط في النسخة فإنه من مسند عبد الله بن جعفر فصوابه: قال: قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر: أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن عباس؟ قال: نعم فحملنا وتركك.

وبهذا اللفظ أخرجه البخاري (٣٠٨٢) ومسلم (٢٤٢٧) من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من الأجوبة المسكوة، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً [السند ٢٤٠/١] وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قلنا بيانه والله أعلم.

سنة ٨ - فضل زيد بن حارثة

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي مولى رسول الله ﷺ. وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغار عليهم خيل بلقين فأخذوه فاشتره حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل: اشتراه رسول الله ﷺ لما فوجته من رسول الله ﷺ قبل النبوة، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمد.

وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً، وكان أول من أسلم من الموالى، وتزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» [سورة الاحزاب: ٤] وقوله تعالى: «ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» [الاحزاب: ٥] وقوله تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ» [سورة الاحزاب: ٤٠] وقوله: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» [سورة الاحزاب: ٣٧] الآية.

اجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه، ومعنى «أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» أي: بالإسلام «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» أي: بالعتق، وقد تكلمنا عليها في «التفسير». والمقصود أن الله تعالى لم يسم أحداً من الصحابة في القرآن غيره، وهده إلى الإسلام وأعتقه رسول الله ﷺ وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد، فكان يقال له: الحبيب بن الحبيب، ثم زوجته بابتة عمته زينب بنت جحش وأخى بيته وبين عمه حمزة بن عبد المطلب، وقلعه في الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة كما ذكرناه.

وقد قال الإمام أحمد (٢٢٦/١، ٢٢٧) والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبه [المصنف: ١٨٨٢٤] - وهذا لفظه -: حدثنا محمد بن عبيد عن وائل بن داود سمعت البيه يحدث أن عائشة كانت تقول: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه.

ورواه النسائي (٨١٨٢) عن أحمد بن سليمان عن محمد بن عبيد الطنافسي به.

وهذا إسناد جيد قوي على شرط الصحيح وهو غريب جداً والله أعلم. وقال الإمام أحمد (١١٠/٢): حدثنا سليمان حدثنا إسماعيل أخبرني ابن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث بئشاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطلعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمره أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليقاً للإمرة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بئشه».

وأخرجه في «الصحيحين» (٦٦٢٧، ٢٤٢٦) عن قتية عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فذكره.

ورواه البخاري (٤٤٦٨) من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه.

ورواه البزار من حديث عاصم بن عمرو عن عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع عن ابن عمر. ثم استغربه من هذا الوجه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار: ٢٦٧٥): حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد فأوقف بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فأخبر ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال: «الأيّ منك اليوم ما لقيت منك أمس».

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم. وقد تقدم في «الصحيحين» (٢٧٩٨) أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه» قال: وإن عينيه لتفرقان، وقال: «وما يسرهم أنهم عندنا».

وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة فهم من يقطع لهم بالجنة. وقد قال حسان بن ثابت يري زيد بن حارثة وابن رواحة وسواهم هشام: ٣٨٨، ٣٨٧/٢:

عيرٌ جُودي بدمعك المزور	وإذكرني في الرخاء أهل القبور
وإذكرني مؤتة وما كان فيها	يوم راحوا في وقعه التبور
حين راحوا وغادروا ثم زينا	نعم ماوى الضربك والمأسور
حببٌ غير الأنام طراً جميعاً	سيد الناس حبه في الصلور
ذاك أحد الذي لا سواه	ذاك حزني له معاً وسروري
إن زينا قد كان مناً بامرٍ	ليس امر المكلتب المفور
ثم جودي للخزرجي بدمع	سيداً كان ثم غير نزور
قد أئنا من قتلهم ما كفانا	فبحزن نيت غير سرور

سنة ٨- فضل جعفر بن أبي طالب

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فهو ابن عم رسول الله ﷺ وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، وكان عقيل أسن

من جعفر بعشر سنين، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين، أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة، وكانت له هناك مواقف مشهورة، ومقامات عمودة، وأجوبة سليطة، وأحوال رشيدة، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة والله الحمد.

وقد قدم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أدري بأبهما أنا أسر، أبقتوم جعفر أم بفتح خير؟» وقام إليه واعتقه وقبل بين عيني، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية: «أشبهت خلقي وخلقي» فيقال: إنه جعل عند ذلك فرحاً كما تقدم ذلك في موضعه والله الحمد والمئة.

ولما بعث إلى مؤتة جعله في الإمرة مصلياً - أي ثانياً - زيد بن حارثة، ولما قتل وجلا في بضاً وتسعين ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو عسك اللواء، فلما قتلها احتضته حتى قتل وهو كذلك. فيقال: إن رجلاً من الروم ضربة بسيف فقطعه باثنتين رضي الله عن جعفر ولعن قاتله.

وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد، فهو ممن يقطع له بالجنة، وجاء بالأحاديث تسميته بذي الجناحين.

وروى البخاري (٣٧٠٩) عن ابن عمر: أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين، وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه، والصحيح ما في «الصحيح» عن ابن عمر. قالوا: لأن الله تعالى عرضه عن يديه بجناحين في الجنة وقد تقدم بعض ما روي في ذلك.

قال الحافظ أبو عيسى الترمذي (٣٧٦٣): حدثنا علي بن حجر حدثنا عبد الله بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «وليت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة».

وتقدم في حديث أنه رضي الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

وقال ابن الأثير في «الغابة» (٣٤٤/١): كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين، قال: وقيل: غير ذلك.

قلت: وعلى ما قيل: إنه كان أسن من علي بعشر سنين يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة والله أعلم.

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله: الطيار لما ذكرنا، وكان كريماً جواداً عديماً، وكان لكرمه يقال له في حياته: أبو المساكين لإحسانه إليهم.

قال الإمام أحمد (٤١٣/٢، ٤١٤): وحدثنا عفان ثنا وهيب، حدثنا خالد عن عكرمة عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا اتعلل، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب.

وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة وكأنه إنما يفضل في الكرم، فأما في الفضيلة النبوية فمعلوم أن الصديق والفاروق بل وعثمان بن عفان أفضل منه، وأما أخوه علي رضي الله عنهم فالظاهر أنهما متكافئان أو علي أفضل منه.

وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم بدليل ما رواه البخاري (٣٧٠٨): حدثنا أحمد بن أبي بكر، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة: أن الناس كانوا

يقولون: أكثر أبو هريرة وإني كنت أزم رسول الله ﷺ بشيخ بطني حين لا أكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة، وكنت الصق بطني بالحصبة من الجوع، وإن كنت لاستقري الرجل الآية هي معي كي يتقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان يتقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها. تفرد به البخاري.

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفرًا: (سورة ابن هشام: ٣٨٦/٢، ٣٨٧)

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعت لي من للجلاذ لدى العقاب وظلها
بالبياض حين نُزل من أعماها ضرباً وإتهال الرماح وعُلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها وأجلها
رُزماً وأكرمها جميعاً محمداً وأعزها مظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تتحل كلباً وأنداهها يداً وأقلها
فحشاً وأكثرها إذا ما يجتدي فضلاً وأذلها ندى وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله حي من أحياء البرية كلها

سنة ٨ - فضل عبد الله بن رواحة

وأما ابن رواحة فهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج أبو محمد - ويقال: أبو رواحة، ويقال: أبو عمرو - الأنصاري الخزرجي وهو خال النعمان بن بشير، اخته عمرة بنت رواحة أسلم قديماً وشهد العقبة، وكان أحد الثقات ليلتذ ليبي الحارث بن الخزرج وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر، وكان يعيش ﷺ على خرصها كما قلنا وشهد عمرة القضاء، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقه رسول الله ﷺ - وقيل: بفرزه. يعني الركاب - وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سيله

الآيات كما تقدم. وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة كما تقدم، وقد شجع المسلمين للقاء الروم حين اشتروا في ذلك وشجع نفسه أيضاً حتى نزل بعد ما قتل صاحبه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة فهو من يقطع له بدخول الجنة. ويروى أنه لما أشد النبي ﷺ شعره حين ودعه الذي يقول فيه:

ثبت الله ما أتاك من حسن ثبتي موسى ونصراً كالذي نصروا

قال له رسول الله ﷺ: «وَأَنْتَ فَنَيْتِكَ اللَّهُ».

قال هشام بن عروة: فثبته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنة.

وروي حماد بن زيد عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول: «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ النبي من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ذاك الله حرصاً على طواعة الله وطواعة رسوله».

وقال البخاري في «صحيحه» [فتح الباري: ٤٥/١]: وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة.

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك.

وقال البيهقي [شعب الإيمان: ٧٥/١]: حدثنا الحاكم، حدثنا أبو بكر، حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أحمد بن يونس حدثنا شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار: أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: تعال حتى نؤمن ساعة. قال: أو لنا بمؤمنين؟ قال: بلى ولكننا نذكر الله فتزداد إيماناً.

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكائي من حديث أبي اليمان عن صفوان بن سليم، عن شريح بن عبيد: أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من هذين الرجلين، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول «شرح البخاري» ولله الحمد والمنة.

وفي «صحيح البخاري» [١٩٤٥] عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر في حر شديد وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ﷺ.

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين، وما نقله البخاري [١١٥٥] من شعره في رسول الله ﷺ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبعث بجاني جنبه عن فراشه إذا استقلت بالمشركين المضاجع
أتى بالهدى بعد العمى قلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
وقال البخاري [٤٢٦٧]: حدثنا عمران بن ميسرة، حدثنا محمد بن فضيل عن حصين، عن عامر عن النعمان بن بشير قال: أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت اخته عمرة تبكي، واجلأه واكفأه واكفأه تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟

حدثنا قتية حدثنا عثر عن حصين، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: أغمى على عبد الله بن رواحة، بهذا. فلما مات لم تبك عليه.

وقد قلنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره.

وقال شاعر من المسلمين عن رجوع من مؤتة مع من رجع رضي الله عنهم: (سورة ابن هشام: ٣٨٨/٢)

كفى حزناً أنني رجعت وجعفر وزيد وعبد الله في رمسٍ أقبر
نفسوا نجبهم لما مضوا لسيلهم وخلفت للبلوى مع المنفير

وسياتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضي الله عنهما وأرضاهما.

سنة ٨ - من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين: جعفر بن أبي طالب، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العلوي، ووهب بن سعد بن أبي سرح، فهؤلاء أربعة نفر. ومن الأنصار: عبد الله بن رواحة، وعباد بن

ثم انطلقا بي فإذا بنساء تنهشن ثديهن الحيات فقلت: ما بال هؤلاء؟
قالا: هؤلاء اللاتي يمتعن أولادهن ألبانهن.

ثم انطلقا بي فإذا بفلمان يلعبون بين بحرين قلت: من هؤلاء؟ قالوا:
هؤلاء ذراري المؤمنين.

ثم أشرقا بي شرفاً فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

ثم أشرقا بي شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة فقلت: من هؤلاء؟ قالوا:
هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك.

سنة ٨- ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٨٣/٢ - ٣٨٥): وكان مما بُكي به أصحاب مؤتة قول حسان:

تأوي لي ليل يثرب أصغر
ولذكرى حبيب هيجت لي عبرة
بلى إن فقدان الحبيب بليّة
رأيت خيار المسلمين تواردوا
فلا يبعدن الله قتلى تسابعا
وزيد وعبد الله حين تسابعا
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
أغر كضوء البدر من آل هاشم
فطاعن حتى مال غير مؤسد
فصار مع المشهدين ثوابه
وكنا نرى في جعفر من محمد
وما زال في الإسلام من آل هاشم
همّ جبل الإسلام والناس حولهم
بهايل منهم جعفر وابن أمه
وحزة والعباس منهم ومنهم
بهم تفرج اللاواء في كل مازق
هم أولياء الله أنزل حكمه

وقال كعب بن مالك (سيرة ابن هشام: ٣٨٥/٢، ٣٨٦)

نام العيون ودمع عينك يهمل
في ليلة ردت عليّ همومها
واعتادني حزنٌ فبت كائنٍ
وكأنا بين الجوانح والحشا
وجداً على النفر الذين تسابعا
صلى الأله عليهم من فتية
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
فمضوا أمام المسلمين كأنهم

قيس الخزرجيان، والحارث بن التعمان بن إساف بن نضلة التجاري، وسراق بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني، أربعة نفر. فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية على ما ذكره ابن إسحاق.

لكن قال ابن هشام (السيرة: ٣٨٨/٢، ٣٨٩): ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري: أبو كليب وجابر ابن عمرو بن زيد بن عوف بن مبنول المازنيان وهما شقيقان لأب وأم، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى هؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً فالجميع على القولين اثنا عشر رجلاً، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفتنة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف مقاتل، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً، وقد قتل من المشركين خلق كثير.

هذا خالد وحده يقول: لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا فضيحة يمانية فمأذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟! دع غيره من الأبطال والشجعان من حلة القرآن. وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن، في ذلك الزمان وفي كل أوان. وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتِيمِنَ الْنَّعْتَا فَبَقِيَ تَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مَثَلَهُمْ فِي آيَةِ الْقَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

سنة ٨- حديث فيه فضيلة عظيمة

لأمرأه هذه السرية

وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم.

قال الإمام العالم الحافظ أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازي نضر الله وجهه في كتابه «دلائل النبوة» - وهو كتاب جليل -: حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا ابن جابر. (ح) وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي حدثنا الوليد وعمرو - يعني ابن عبد الواحد - قالوا: حدثنا ابن جابر سمعت سليم بن عامر الخبازي يقول: أخبرني أبو أمانة الباهلي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«بينما أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا: اصعد، فقلت: لا أطيقه، فقالا: إنا سنسهله لك قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هؤلاء الأصوات؟ فقالا: عواء أهل النار.

ثم انطلقا بي فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دماً فقلت: ما هؤلاء؟ فقالوا: هؤلاء الذين يظفرون قبل تحلة صومهم، فقال: خابت اليهود والنصارى. قال سليم: لا أدري أسمعته من رسول الله ﷺ أم من رآه؟ ثم انطلقا بي فإذا قوم أشد شيء انتفاخاً وأثنت شيء ريحاً كأن ريحهم المراحض قلت: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء الكفار.

ثم انطلقا بي فإذا بقوم أشد شيء انتفاخاً وأثنت شيء ريحاً كأن ريحهم المراحض قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني.

فأصبح ذات غداة وهو مهموم يقلب طرفه إلى السماء، فقالت له بطارقته: أيها الملك لقد أصبحت مهموماً. فقال: أجل، فقالوا: وما ذاك؟ فقال: أريت في هذه الليلة أن ملك الحثان ظاهر، فقالوا: والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود وهم تحت يدك وفي سلطانك فإن كان قد وقع هذا في نفسك منهم فابعث في علكتك كلها فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه، فتستريح من هذا الهم، فإنهم في ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم، فقال: أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاة والإيل يجذتك عن حدث كان ببلادهم فأسأله عنه.

فلما انتهى إليه قال لترجمانه: سل ما هذا الخبر الذي كان في بلادهم؟ فسأله فقال: هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن، فخرجت من بلادهم وهم على ذلك.

فلما أخبره الخبر قال: جردوه فإذا هو غثوث فقال: هذا والله الذي قد أريت لا ما تقولون، أعطه ثوبه، انطلق لسانك. ثم إنه دعا صاحب شرطه فقال له: قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه.

قال أبو سفيان: فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسألنا: ممن أنتم؟ فأخبرنا فسألنا إليه جميعاً فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان: فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان آدمي من ذلك الأغلف - يريد هرقل - قال: فلما انتهينا إليه قال: أيكم أسب به رجماً؟ فقلت: أنا، قال: ادنوه مني، قال: فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال: إن كذب فردوا عليه.

قال أبو سفيان: فلقد عرفت أنني لو كذبت ما ردوا علي ولكني كنت امرأ سبياً أتكرم وأستحي من الكذب، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عني ثم يتحدثوا به عني بمكة فلم أكذب، فقال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم، فزهدت له شأنه وصغرت له أمره، فوالله ما التفت لي ذلك مدي وقال: أخبرني عما أسألك عنه من أمره فقلت: سألني عما بدا لك؟ فقال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: محضاً من أوسطنا نسباً، قال: فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يشبه به؟ فقلت: لا قال: فأخبرني هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهننا الحديث لتردوه عليه؟ فقلت: لا قال: فأخبرني عن أتباعه من هم؟ فقلت: الأحداث والضعفاء والمساكين فأما أشرافهم وذو الأستان فلا.

قال: فأخبرني عمن يصحبه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه؟ قلت: ما صحبه رجل ففارقته قال: فأخبرني عن الحرب يتبعكم وبينه؟ فقلت: سجال يدال علينا وننال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي قلت: لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره فيها. فوالله ما التفت إليهما مدي قال: فأعاد علي الحديث، فقال: زعمت أنه من أعصكم نسباً وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يشبه به فقلت: لا، وسألتك هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهننا الحديث لتردوا عليه ملكه فقلت: لا، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان.

وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه يفارقه، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك

إذ يهتدون بجمعهم ولوائحه - قدام أولمهم فنعسم الأول حتى تفرجت الصفوف وجمعهم فتسير القمير المنسير لفقدته والشمس قد كسفت وكادت تافل قُرم على بنيانه من هاشم قُوم بهم عصم الإله عباده فضلوا المعاشر عزّة وتكرماً لا يطلقون إلى السفاء خبائهم يبيض الوجوه ترى بطون أفقهم ويذهبهم رضي الإله خلقه ويجعلهم نُصر النبي المرسل

سنة ٨ - كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق

وكتبه إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية.

وذكر البيهقي (الذليل: ٤/٣٧٦ - ٣٩٦) هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة والله أعلم.

ولا خلاف بينهم أن بده ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول أبي سفيان لهرقل حين سأله: هل يغدر؟ فقال: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها.

وفي لفظ للبخاري (٧) وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن إسحاق: كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام. ونحن نذكر ذلك هنا وإن كان قول الواقدي عتلاً والله أعلم.

وقد روى مسلم (١٧٧٤) عن يوسف بن حماد المعني عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل ونيس بالنجاشي الذي صلى عليه.

سنة ٨ - إرساله ﷺ إلى هرقل

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حلثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس حدثني أبو سفيان بن فيه لي في قال: كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا، فلما كانت المدة - مئة الحديبية - بيننا وبين رسول الله ﷺ لم نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت تجاراً إلى الشام مع رهط من قريش فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعة، وكان وجه متجرنا من الشام غرة من أرض فلسطين فخرجنا حتى قلنا ماها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ورد عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من أرض الشام فخرج منها عشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه بسط له البسط ويطرح عليها الرياحين، حتى انتهى إلى إيلياه فصلى بها.

قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتوه؟ قلت: نعم قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى يقول قبل قبله، وسألتك هل كان من آباءه من ملك فذكرت أن لا فلو كان من آباءه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذكر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل.

وسألتك أين يدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين غلظت بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك ما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أنني آخضض إليهم لثجست لقاؤه، ولو كنت عنده لفعلت عن قلبي، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين». «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (سورة آل عمران: ٦٤).

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمير ابن أبي كيشة أنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام قال، وكان ابن الناطور - صاحب إيلياء وهرقل - سقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقه: قد استكرنا هيتشك؟ قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت في النجوم ملك الحفان قد ظهر فمن يحتش من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يحتش إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى ملائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا اختش هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختش، وسأله عن العرب فقال: هم يختشون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يرافقه رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي،

كيف الحرب بينكم وبينه فزعمت أنها سجال يدال عليكم وتداولون عليه، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر فأتيت كنت صدقتي ليغلين على ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أنني عنده فافسل عن قدميه.

ثم قال: الحق بشأنك؟ قال: فممت وأنا اضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول: يا عباد الله لقد أمر ابن أبي كيشة، أصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري قال: حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك الزمان قال: قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت فإن إثم الأكارين عليك». قال: فلما انتهى إليه كتابه وقراه أخذ فجمعه بين فخذه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله ﷺ فكتب إليه: إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه فاتبعه، فأمر بعضه الروم فجمعوا له في دسكرة ملكة ثم أمر بها فأشربت عليهم وأطلع عليهم من عليه له وهو منهم خائف فقال:

يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحمد وإبنة والله النبي الذي كنا ننتظر، ولحد ذكره في كتابنا نعرفه بعلماته وزمانه، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم ديناكم وآخركم، فنخروا نخرة رجل واحد وابتدؤوا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم، فخافهم وقال: ردوهم علي، فردوهم عليه، فقال لهم: يا معشر الروم إني إنما قلت لكم هذه المقالة اختبركم بها لأنظر كيف صلاتكم في دينكم، فلقد رأيت منكم ما سرتني فوقسوا له سجداً، ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا.

وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخر أحببنا أن نوردنا بسندنا وحروفها من «الصحیح» ليعلم ما بين السياقين من التباين، وما فيهما من الفوائد.

قال البخاري قبل الإيمان من «صحیح» [٧]: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره، إن أبا سفيان أخبره، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قرش وكانوا تجاراً بالشام، في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان، وكفار قرش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أياكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، قال: أدنوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهري.

ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سألكم هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا أن يأتروا عني كذباً لكنت عنه، ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أين يدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا قال: فهل يندري؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا نتظره ونجده في كتابنا، ولكي أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعتهم، فاذبحوا إلى ضغاطر الأسقف، فأذكر له أمر صاحبكم فهو والله في الروم أعظم مني وأجوز قولاً عندهم مني، فانظر ماذا يقول لك؟ قال: فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل وما يدعو إليه، فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه، ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس ثياباً بياضاً ثم أخذ عصاه فخرج على السورم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحد يدعونا فيه إلى الله عز وجل، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله.

قال: فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه قال: فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال: قد قلت: لك إننا نخافهم على أنفسنا، فضاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني.

وقد روى الطبراني والمعجم الكبير: ٢٦٦/٤ (٤١٩٨) عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت: استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ، فأتني قيصر فقيل له: إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله فنفروا لذلك وقال: أدخله فادخلني عليه وعنده بطارقه فاعطيته الكتاب فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم: فخر ابن أخ له أحر أزرق سبط فقال: لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدا بنفسه، وكتب صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم، قال: فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلي فدخلت عليه فسألني فأخبرته، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه - وكان صاحب أمرهم يصدر عن رايه وعن قوله - فلما قرأ الكتاب قال الأسقف:

هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا نتظر، قال قيصر: فما تأمرني؟ قال الأسقف: أما أنا فإني مصدقه ومتبعه، فقال قيصر: أعرف أنه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكي وقاتلي الروم.

ويه قال محمد بن إسحاق عن خالد بن يسار عن رجل من قدماء أهل الشام قال: لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الروم فقال: يا معشر الروم إني عارض عليكم أموراً فانظروا فيما أردت بها؟ قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا فهلم فلتبعه فتسلم لنا دنيا وآخرة، فقالوا: نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس ملكاً، وأكثرهم رجالاً وأقصادهم بلداً؟ قال: فهلم أعطيه الجزية كل سنة أكرعني شركته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه، قالوا: نحن نعطى العرب الذل والصغار يخرج يأخذوننا ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنهم بلداً، لا والله لا نفعل هذا أبداً، قال: فهلم فإلصاحه على أن أعطيه أرض سورية ويدعني وأرض الشام، قال: وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما دون الدرب من أرض سورية، وما كان وراء الدرب عندهم فهو الشام، فقالوا: نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها سرّة الشام؟ لا نفعل هذا أبداً، فلما أبوا عليه قال: أما والله لتودن أنكم قد ظفرت إذا امتعتم منه في مدينتكم. قال: ثم جلس على بغل له، فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام، ثم قال: السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية والله أعلم.

فأذن هرقل لعظماء الروم في مسكرة له بمحصر، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم أطلع فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم، فتباعدوا لهذا النبي.

فحاصروا حصنة حر الوحش إلى الأبواب فوجدها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وليس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني إنما قلت مقالتي أتأبى اختير بها شدتكم على دينكم فقد رأيته، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

قال البخاري: ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعر عن الزهري. وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في «صحيحه» [٢٩٤١، ٥١] بالكفاظ يطول استقصاؤها.

وأخرجه بقية الجماعة [١٧٧٣]، د (٥١٣٦)، ت (٢٧١٧)، م (١١٠٦٤)، إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري.

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا للصحيح البخاري بما فيه كفاية، وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله الحمد والمنة.

وقال ابن لبيبة عن أبي الأسود عن عروة قال: خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ، فأراد أن يعلم ما يعلم من أمر رسول الله ﷺ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه فأمره أن يبعث إليه رجلاً من العرب يسألهم عنه، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياه التي في جوفها.

فقال هرقل: أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره؟ قالوا: ساحر كذاب وليس نبي، قال: فأخبروني بأعلمكم به وأقربكم منه رجلاً قالوا: هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله، فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه، ثم اجلس أبو سفيان فاستخبره، قال: أخبرني يا أبا سفيان؟ فقال: هو ساحر كذاب، فقال هرقل: إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم؟ قال: هو والله من بيت قريش، قال: كيف عقله ورايه؟ قال: لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط.

قال هرقل: هل كان حلفاً كذاباً مخادعاً في أمره؟ قال: لا والله ما كان كذلك، قال: لعله يطلب ملكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله؟ قال أبو سفيان: لا، ثم قال: من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد؟ قال: لا، قال هرقل: هل ينذر إذا عاهد؟ قال: لا إلا أن يفتر مدته هذه. فقال هرقل: وما تخاف من مدته هذه؟ قال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة، قال هرقل: إن كنتم أنتم بدأت فأنتم أغدر، فغضب أبو سفيان وقال: لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب - وهو يوم بدر - ثم غزوته مرتين في بيوتهم بغير البطون ومجدع الأذنان والفروج، فقال هرقل: أكاذيب تراه أم صادقاً؟ فقال: بل هو كاذب، فقال: إن كان فيكم نبي فلا تقتلوه، فإن أفعل الناس لذلك اليهود. ثم رجع أبو سفيان.

فهذه هي السياق غريبة وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري.

وقد أورد موسى بن عقبة في «مغازيه» قريباً عما ذكره عروة بن الزبير والله أعلم.

وقال ابن جرير في «تاريخه» ٦٥٠/٢، ٦٥١: حدثنا ابن حميد، حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم قال: إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ والله إني

سنة ٨- إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى

الذين بالشام

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب أنحا بني أسد بن خزعة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق. قال الواقدي: وكتب معه: «سلام على من أتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك». فقدم شجاع بن وهب فقراه عليه فقال: ومن يتزع ملكي؟ إني سأسير إليه.

سنة ٨- بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

وروى البخاري [٧٢٦٤] من حديث الليث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه.

قال: فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

وقال عبد الله بن وهب، عن يونس عن الزهري: حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري: أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: «أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا علي كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم».

فقال المهاجرون: يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وإبعثنا، فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وهب فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه، فقال شجاع بن وهب: لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ، فقال كسرى: أدنه فلنا فنأوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه:

«من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس». قال: فأغضبه حين بدا رسول الله ﷺ بنفسه، وصاح وغضب ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج، فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال: والله ما أبالي على أي الطريقين أكون إذ أدبعت كتاب رسول الله ﷺ.

قال: ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه فالتمس فلم يوجد، فطلب إلى الحيرة فسبق، فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مزق كسرى ملكه».

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتاب إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال: «مزق ملكه».

وقال ابن جرير [درج الطبري: ٦٥٤/٢ - ٦٥٧]: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا سلمة حدثنا ابن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من أتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنشر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم الجورس عليك».

قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب لي بهذا وهو عبيدي؟! قال: ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جليلين فليأتياي به، فبعث باذام قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً - بكتاب فارس، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له: خرخرة، وكتب معهم إلى رسول الله ﷺ بآمره أن ينصرف معهم إلى كسرى، وقال لأبذويه: انت بلاد هذا الرجل وكله واتني بخبره.

فخرجوا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة، واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا. وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل، فخرجوا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه أبذويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتتلقني معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك يفضلك ويكف عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك وغرب بلادك.

ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعنيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ: «ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي» ثم قال: «ارجعا حتى تأتياي غدا».

قال: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله. قال: فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد قدعنا عليك ما هو أيسر من هذا فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام؟ قال: «نعم أخبره ذاك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ويتهي إلى منتهى الخف والحافرة، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء».

ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وقضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجوا من عنده حتى قدما على باذام فأخبره الخبر فقال: والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول وليكون ما قد قال، فلتن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا، فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرفهم ونحرمهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة عن قلبك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. قال: وقد قال بأبذويه لبازام: ما كلمت أحداً أعجب عندي منه فقال له باذام: هل معه شرط؟ قال: لا.

قال الواقدي رحمه الله: وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها.

قلت: وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء:

قتلوا كسرى بلبيل محرماً
فكسروا لم يُمتَح بكفن
وقال بعض شعراء العرب:

وكسرى إذ تقاسمه بنوره
باسيف كما اقتسم اللحم
فخضت المنون له يوم
أتى ولكل حامله تمام

وروى الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٩٠/٤] من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن ربي قد قتل الليلة ربك» قال: وقال له - يعني النبي ﷺ - «إنه قد استخلف ابنته» فقال: «لا يفلح قوم غلبتهم امرأة».

قال البيهقي [الدلائل: ٣٩٠/٤، ٣٩١]: وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل عامل كسرى، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له: ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه؟ لتكفينه أو لأفعلن بك، فبعث فقال لرسله: «أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة» فوجدوه كما قال.

قال البيهقي في الدلائل: ٣٩١/٤: وروى داود بن أبي هند عن عامر الشعبي نحو هذا.

ثم روى البيهقي [البيهقي في الدلائل: ٣٩١/٤] من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة قال: أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن في وجه سعد خبراً» قال: يا رسول الله هلك كسرى فقال: «لعن الله كسرى أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب»

قلت: الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى للذينك الرجلين يعني الأميرين اللذين قلعا من نائب اليمن بأثام، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره عليه السلام وهكذا بنحو هذا التقدير ذكره البيهقي رحمه الله [البيهقي في الدلائل: ٣٩١/٤].

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٣٩١/٤، ٣٩٢] من غير وجه عن الزهري: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قبض له - عارض يعرض عليه الحق فلم يفجأ كسرى إلا برجل يمشي وفي يده عصاً فقال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ فقال كسرى: نعم لا تكسرها، فولى الرجل فلما ذهب أوصل كسرى إلى حجابيه فقال: من أذن لهذا الرجل علي؟ فقالوا: ما دخل عليك أحد، فقال: كذبت، قال: فغضب عليهم وتهدهم ثم تركهم. قال: فلما كان رأس الحول أتى ذلك الرجل ومعه العصا قال: يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا؟ قال: نعم لا تكسرها، فلما انصرف عنه دعا حجابيه فقال لهم كالمة الأولى، فلما كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له: هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا فقال: لا تكسرها. فكسرها، فأهلك الله كسرى عند ذلك.

وقال الإمام الشافعي: أنبأ ابن عينة عن الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتفتحن

كنوزهما في سبيل الله».

أخرجه مسلم [٢٩١٨/٧٥] من حديث ابن عينة وأخرجاه [خ (٣٦١٨)، م (٢٩١٨/٧٥)] من حديث الزهري به.

قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه، فقال رسول الله ﷺ: «تفرق ملكه».

وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مسك، فقال رسول الله ﷺ: «ثبت ملكه».

قال الشافعي وغيره من العلماء [البيهقي في الدلائل: ٣٩٤/٤]: ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» قال: فباد ملك الأكاسرة بالكلية، وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظموا كتابه والله أعلم.

قلت: وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام. وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، ويطليموس لمن ملك الهند، ولم أعلام أجناس غير ذلك وقد ذكرناها في غير هذا الموضع والله أعلم.

وروى مسلم [٢٩١٩/٧٨] عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة، عن سماك عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتنفتح عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض».

وروى أسباط عن سماك، عن جابر بن سمرة مثل ذلك، وزاد: وكنت أنا وأبي فيهم فأصابنا من ذلك ألف درهم.

سنة ٨ - بعثته ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة

الإسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبد القاري: أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين إحداهما أم إبراهيم وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبلي. رواه البيهقي [الدلائل: ٣٩٥/٤].

ثم روى [البيهقي في الدلائل: ٣٩٥/٤، ٣٩٦] من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فبجته بكتاب رسول الله ﷺ فأتاني في منزله وأقامت عنده، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقه وقال: إني سأتلك عن كلام فأجب أن تفهم عني قال: قلت: هلم قال: أخبرني عن صاحبك اليس هو نبياً؟ قلت: بلى هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكنا لم يدع على قومه حيث أخرجه من بلده إلى غيرها؟ قال: فقلت عيسى بن مريم اليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا؟ فقال لي: أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعت بها

حين وجهه: «لا تختلفا».

مكك إلى محمد وأرسل معك بنبذة يذرقونك إلى مأمنك.

قال: فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار منهن أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حنيفة العدوي، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطرف من طرفهم.

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم والأخرى سيرين التي وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان.

قلت: وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي اسمه مابور وخفان ساذجان أسودان وبغلة بيضاء اسمها اللدليل، وكان مابور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره بادئ الأمر فصار يدخل على مارية كما كان من عادتهم ببلاد مصر، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصي حتى قال بعضهم: إنه الذي أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصياً فتركه، والحديث في صحيح مسلم [٢٧٧١].

قال ابن إسحاق: ويث رسول الله ﷺ سليل بن عمرو بن عبد ود أخا بني عامر بن لؤي إلى هوفة بن علي صاحب اليمامة، ويث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساسي، أخى بني عبد القيس، صاحب البحرين، وعمرو بن العاص إلى جبير بن الجندبي وعمار بن الجندبي الأزديين صاحبي عمان.

سنة ٨- غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٩٧/٤ - ٤٠٣] هنا قبل غزوة الفتح، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالاً: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي وعبد الله ومن يليهم من قضاة - قال عروة بن الزبير: بنو بلي أخوال العاص بن وائل - فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستعلمه، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين، وأمر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح.

قال موسى بن عقبة فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ استعلمه بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمدته، فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لين الشيمة قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا» وإنك إن عصيتي لأطعنك. فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلي فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل - وه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال: فلما كان عليه وخاف، بعث إلى رسول الله ﷺ يستعلمه، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي، فقال له أبو عبيدة: لا ولكي علي ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه. وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً، حينئذ عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: أنت مددي فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قد قال لي: «لا تختلفا» وإنك إن عصيتي أطعنك، فقال له عمرو: فإني أمير عليك وإنما أنت مدد لي، قال: فدونك. فصلى عمرو بن العاص بالناس.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان عن يزيد بن رومان أن أبا عبيدة لما لب إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسة فصاروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها، وكلمتا انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة ويلقن ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتلوا ساعة، وتراموا بالنبيل، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهربوا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا، ودوخ عمرو ما هناك وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاة والنعم فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن لهم غنائم تقسم.

وقال أبو داود [٣٣٤]: حدثنا ابن المثنى حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فاشتفت إن اغتسلت أن أهلك، قال: فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ٢٩] فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً. حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب حدثنا ابن ليعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن عمرو بن العاص كان على سرية. فذكر الحديث نحوه.

قال: ففعل مغابته وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم فذكر نحوه ولم يذكر التيمم.

قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأزاعي عن حسان بن عطية وقال فيه: تيمم.

وقال الواقدي: حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قتلوا احتلم في ليلة باردة كاشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ما ترون؟ قد والله احتلمت فإن اغتسلت مت، فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بعث عرف بن مالك بريداً.

قال عرف: فقلت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته فسلمت عليه فقال رسول الله ﷺ: «عرف بن مالك؟» فقلت: عرف بن مالك يا رسول الله، قال: «صاحب الجزور؟» قلت: نعم. ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ثم قال: «أخبرني» فأخبرته بما كان من سيرتنا وما كان من أبي عبيدة وعمرو ومطاوعة أبي عبيدة، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح».

قال: ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء لم يزد

سنة ٨- سرية أبي عبيدة بن الجراح

إلى سيف البحر

قال الإمام مالك عن وهب بن كيسان عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة، قال جابر: وأنا فيهم، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش، فجمع كله فكان مزودي غم، فكان يقولنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى في ولم يكن يصيبنا إلا غمرة حمرة، قال: فقلت: وما تنفي غمرة؟ فقال: لقد وجدنا قلعها حين فنيته.

قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الطرب، قال: فاكل منه ذلك الجيش ثمانين عشر ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فصبها، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبها.

أخرجاه في «الصحيحين» [ج (٢٤٨٣)، م (١٩٣٥/٢١)] من حديث مالك بنحوه.

وهو في «الصحيحين» أيضاً [ج (٤٣٦١)، م (١٩٣٥/١٨)] من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عبراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخيط، فسمي ذلك الجيش جيش الخيط، قال: ونحرق رجل ثلاث جزائر ثم نحرق ثلاث جزائر ثم ثلاثاً فنهاه أبو عبيدة، قال: وألقى البحر دابة يقال لها: العنبر فأكلنا منها نصف شهر وأدعنا حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت، ثم ذكر قصة الضلع.

فقره في الحديث: نرصد عبراً لقريش دليل على أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية والله أعلم.

والرجل الذي نحرق لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما.

وقال الحافظ البيهقي (الذليل: ٤٠٨/٤، ٤٠٩): أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن إسحاق حدثنا إسماعيل بن قتيبة، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو خيثمة وهو زهير بن معاوية عن أبي الزبير، عن جابر قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة تتلقى عبراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا غمرة حمرة. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نخصها كما يخص الصبي، ثم نشرب عليها الماء فتكنينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخيط، ثم نبه بالماء فناكله.

قال: فانطلقنا إلى ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهية الكتيب الضخم، فأتينا فإذا به دابة تدعى العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطربتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد كنا نعرف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقطع منه الفدر كالشور أو كقدر الشور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشرة رجلاً فأقعدهم في عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه، فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها فمر تحتها، وتزودنا من لحمها وشاقت.

فلما قلنا للمدينة أتيا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرج الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فاكل منه.

على أن غسل فرجه وتوضأ، فسكت رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته، فأخبره فقال: والذي بمشك بالحق إني لو اغتسلت لمت لم أجد برذاً قط مثله. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ قال: فضحك رسول الله ﷺ ولم يلبثنا أنه قال شيئاً.

وقال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٦٢٥/٢، ٦٦٢): حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر فمررت بقوم وهم على جزور قد غروها وهم لا يقدرون على أن يمشوها، وكنت امرأة جازوا، فقلت لهم: تعطوني منها شيئاً على أن أقسمها بكنكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فأطبخناه وأكلناه.

فقال أبو بكر وعمر: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمنا هذا، ثم قاما يتقيان ما في بطونهما منه، فلما أن قتل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فحجته وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «عوف بن مالك؟» فقلت: نعم يا بني أنت وأمي فقال: «صاحب الجزور؟» ولم يزديني على ذلك شيئاً.

هكذا رواه محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل.

قال الحافظ البيهقي (الذليل: ٤٠٥/٤): وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط، عن مالك بن هدم أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال: فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال: قد تمجلت أجرك ولم يأكله.

ثم حكى عن أبي عبيدة مثله، ولم يذكر فيه أبا بكر وغممه كنحو ما تقدم. وقال الحافظ البيهقي (الذليل: ٤٠٠/٤، ٤٠١): أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثنا يحيى بن أبي طالب، حدثنا علي بن عاصم حدثنا خالد الحذاء، عن أبي عثمان النهدي: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يعثنى على أبي بكر وعمر إلا لمتزلة لي عنده، قال: فأتيت حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قلت: إني لست أسألك عن أمك، قال: «فأبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» قلت: ثم من؟ حتى عدد رهطاً قال: قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا.

وهذا الحديث خرج في «الصحيحين» [ج (٣٦٦٢)، م (٢٣٨٤)] من طريق خالد بن مهران الحذاء عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل، حدثني عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيت فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعدد رجلاً. وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية [ج (٤٣٥٨)]: قال عمرو: فسكت خافة أن يجعلني في آخرهم.

سنة ٨- غزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ عَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الحديد: ١٠] الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر].

وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير عن السور بن غرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالاً: كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فتوالت خزاعة وقالوا: نحن ندخل في عقد محمد وعهده، وتوالت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم.

فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له: الوثير وهو قريب من مكة، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانهم عليهم بالكراع والسلاح، وقتلواهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوثير حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ أشدتها ليها:

لأُحْمُ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ أَيُّهُ وَإِنَّا الْاُتْلَادُ
قَدْ كَتَمَ رِئَاسًا وَكُنَّا وَالِدَا ثَمْتُ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَسْتَعِ يَدَا
فَانصَرَّ رَسُولُ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا وَادَعَ عِبَادَ اللَّهِ يَسْتَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَمَّرَدَا إِنْ سِجِّمْ خُفَّافًا وَجْهَهُ تَرِيدَا
فِي فَيْلَسَ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مَزِيدَا إِنْ قَرِيشًا اخْتَلَفُوكَ الْمُرْعَدَا
وَتَقَضَّوْا مِثْلَاقَ الْمُزَكَّدَا وَجَعَلُوا لِي فِي كِدَاةٍ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا فَهَمُّ أَثَلْ وَأَقْلَّ عَدَدَا
هَمُّ يَبْتُونَا بِالْوَتِيرِ هَجْدَا وَقَتْلُونَا رَكْعًا وَسَجْدَا

فقال رسول الله ﷺ: «فصرت يا عمرو بن سالم» فما برح حتى مرت بنا عانة في السماء فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتسهل بنصر بني كعب» وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكرمهم خرجهم، وسأل الله أن يعي على قريش خبره حتى يفتهم في بلادهم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٨٩/٢]: وكان السبب الذي هاجهم أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد من حلفاء الأسود بن رزن، خرج تاجراً فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدثلي - وهم منخر بني كنانة وأشرافهم، سلمى وكلثوم وذؤب - فقتلوهم بركة عند أنصاب الحرم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٣٩٠/٢، ٣٩١]: وحدثني رجل من الدثلي قال: كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية دينين دينين.

قال ابن إسحاق: فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجز بينهم الإسلام، فلما كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وكانت الهدنة اغتتمها بنو الدثلي من بني بكر

ورواه مسلم [١٧/١٩٣٥] عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس.

وأبو داود [٣٨٤٠] عن النفيلى، ثلاثهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن ثورس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به.

قلت: ومقتضى أكثر هذه السياقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية، ولكن أوردناها هنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله، فإنه أوردنا بعد موقعة وقبل غزوة الفتح والله أعلم.

وقد ذكر البخاري [٤٣٦٩] بعد غزوة موقعة أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهة فقال: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا هشيم، أنبأنا حصين بن جندب، حدثنا أبو طبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرة فصحبنا القوم فلهزمناهم، ولحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشينا قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعته برمي حتى قتله، فلما قدما بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» قلت: كان متعمداً، فما زال يكررها حتى تمت أي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وقد تقدم هنا الحديث والكلام عليه فيما سلف.

ثم روى البخاري [٤٢٧٠] من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وخرجت فيما يبعث من البعث تسع غزوات علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ثم ذكر الحافظ البيهقي [الذليل: ٤١٠/٤ - ٤١٢] ههنا موت النجاشي - صاحب الحبشة - على الإسلام، ونبي رسول الله ﷺ له إلى المسلمين وصلاته عليه.

فروي من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات.

أخرجه [ج ١٢٤٥]، م [١٢٤/٦٢] من حديث مالك.

وأخرجه أيضاً [ج ١٣٢٧]، م [٩٥١/٦٣] من حديث الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه.

وأخرجه [ج ١٣٢٠]، م [٩٥٢/٦٥] من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مات اليوم رجل صالح».

فصلوا على أصحابه وقد تقدمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها والله الحمد.

قلت: والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير، فإن في «صحيح مسلم» [١٧٧٤] أنه لما كتب إلى ملوك الأفاق كتب إلى النجاشي وليس هو بالمسلم.

وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم.

وروى الحافظ البيهقي [الذليل: ٤١٢/٤] من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن موسى بن عقبة عن أبيه، عن أم كلثوم قالت: لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال: «قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلة وإنني لا أراه إلا قد مات، ولا أرى الهدية إلا استرد علي فإن ردت علي - أظنه قال - تستها بيتكن» أو «فهي لك» قال: فكان كما قال رسول الله ﷺ، مات النجاشي وردت الهدية، فلما ردت عليه أعطى كل امرأة من نسائه أوقية، من ذلك المسك، وأعطى سائر أم سلمة، وأعطاهما الحلة والله أعلم.

فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه، فقال: يا بنية والله لقد أصابك بعدي شر ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً.

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد لكم إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعندها حسن غلام يدب بين يديهما، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: ويحك أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمرني بيبك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما بلغ بئي ذلك أن يجبر بين الناس وما يجبر أحد على النبي ﷺ، فقال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحي؟ قال: والله ما أعلم شيئاً يخفي عنك، ولكنك سيد بني كنانة ققم فأجبر بين الناس ثم الحق بأرضك فقال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فاطلق، فلما قدم على قريش قالوا: ما وراك؟ قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدى العدو، ثم جئت علياً فوجدته أكين القوم وقد أشار علي بأمر صنعه فوالله ما أدري هل يخفي عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت، قالوا: هل أجاز ذلك محمداً؟ قال: لا، قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يخفي عنا ما قلت، فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك. فائدة ذكرها السهيلي (الروض الأنف: ٨٥/٧، ٨٦) تكلم على قول فاطمة في هذا الحديث: وما يجبر أحد على رسول الله ﷺ على ما جاء في الحديث: «ويجبر على المسلمين أذانهم» رد (٢٧٥١، ٤٥٣١)، ج (٢٦٨٥)، المسند: ٣٦٥/٢، ١٩٧/٤، ٢٥٠/٥، ١٩٠/٦، ٣١٥.

قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالخديث من يجبر واحداً أو نفراً سيراً، وقول فاطمة فمن يجبر عدواً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال: كان سحنون وابن الماجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله ﷺ: «لأم هانئ: فقد أجرتنا من أجرت يا أم هانئ». قال: ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام: «ويجبر عليهم أذانهم» ما يقتضي دخول العبد والمرأة والله أعلم.

وقد روى البيهقي (الدلائل: ١٣/٥) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قالت بنو كعب:

لأقم إنسي ناشد همدا حلف أينما وأبيه الأتلسا فتاتصر هناك الله نصرأ اعتدأ وادع عباد الله يأتوا مددا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة: ثم إن بني نفثة من بني النثل أغاروا على بني كعب وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ، وكانت بنو نفثة في صلح

وارادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك نفر، فخرج نوفل بن معاوية الدثلي في قومه وهو يومئذ سيدهم وقائدهم وليس كل بني بكر تابعه، فبیت خزاعة وهم على الوثير - ماء لهم - فأصابوا رجلاً منهم وتحاوروا واقتتلوا وورفت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إهلك إهلك فقال كلمة عظيمة: لا إله اليوم يا بني بكر أصيبوا ثأركم فلمعري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيرون ثأركم فيه؟ ولجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له: رافع. وقد قال الأخزر بن لعط الدثلي في ذلك (سيرة ابن هشام: ٣٩٢/٢، ٣٩٣):

ألا هل أتى قصوى الأحايش أننا رددنا بني كعب بأفوق ناصل
جسناهم في دارة العبد رافع وعند بديل عصباً غير طائل
بديل الذليل الأخذ الضيم بعدما شفتنا الفرس منهم بالمتاصل
جسناهم حتى إذا طال يومهم نفخنا لهم من كل شعب بوابيل
نذهمم فيح التيسوس كأننا أسود تبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا في سيرهم وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
كلهمم بالجزع إذ يطردونهم قفا شور حفان النعام الجوافل
قال: فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجدب وكان يقال له: بديل بن أم أصرم فقال:

تسائد قوم يفخرون ولم تسدع لهم سيلاً يندوهم غير نائل
أمن خيفة القوم الأولى ترددهم تحيز الوثير خاضاً غير آيل
وفى كل يوم نحن نجو حيائنا لعقل ولا يُجبي لنا في المائل
ونحن صبحنا بالثلاثة داركم بأسيانا يسبقن لوم المساوئل
ونحن منعنا بين يضر وعتود إلى خيف رضوى من جمر القبائل
ويوم الغميم قد تكفت ساعياً عيس فجعنا به جلد حلاصل
آن أجبرت في بيتها أم بعضكم بعمومها تترون إن لم تقاتل
كلبتهم ويبت الله ما إن قتلتهم ولكن تركنا أمركم في بلايل

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «كانكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد وي زيد في المدة».

قال ابن إسحاق: ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قلعوا على رسول الله ﷺ، فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان ببسفان قد بعته قريش إلى رسول الله ﷺ يشد العقد وي زيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا.

فلما لقي أبو سفيان بديلاً قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ فقال: سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي. قال: فعمد أبو سفيان إلى ميرك ناقته فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفواش أو رغبت به عني؟ فقالت: هو

قريش، فأعانت بنو بكر بني نفاثة وأعانتهم قريش بالسلاح والريقت، واعتزلتهم بنو منديل ووفروا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ، وفي بني الدئل رجلان هما سيدهام، سلم بن الأسود وكثوم بن الأسود.

ويذكرون أن من أعانتهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو، فأغارت بنو الدئل على بني عمرو وعامتهم - زعموا - نساء وصبيان وضعفاء الرجال فألجؤوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بنديل بن ورقاء بمكة، فخرج ركب من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ فذكروا له الذي أصابهم وما كان من قريش عليهم في ذلك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ارجعوا فتفرقوا في البلدان».

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ ونحوه الذي كان، فقال: يا عماد أشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: «ولذلك قلتم؟ هل كان من حدث قبلكم؟» فقال: معاذ الله نحن على عهدنا وصلحتنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل.

فخرج من عند رسول الله ﷺ فأتى أبا بكر فقال: جدد العقد وزدنا في المدة. فقال أبو بكر: جواربي في جوار رسول الله ﷺ، والله لو وجدت النذر تقتلكم لأعتها عليكم.

ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر بن الخطاب: ما كان من حلفتنا جديداً فأخلفه الله. وما كان منه شيئاً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله. فقال له أبو سفيان: جزيت من ذي رحم شراً.

ثم دخل على عثمان فكلمه فقال عثمان: جواربي في جوار رسول الله ﷺ، ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم فكلهم يقول: عقدنا في عقد رسول الله ﷺ، فلما يشي بما عندهم دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلما فقالت: إما أنا امرأة وإما ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: فأمرني أحد ابنك، فقالت: إنهما صبيان ليس مثلهما بيهر، قال: فكلمي علياً، فقالت: أنت فكلمه، فكلم علياً فقال له: يا أبا سفيان إنه ليس من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها فأجر بين عشيرتك، قال: صدقت وأنا كذلك.

فخرج فصاح: ألا إني قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفروني أحد، ثم دخل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إني قد أجرت بين الناس، ولا والله ما أظن أن يخفروني أحد ولا يرد جواربي؟ فقال: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة» فخرج أبو سفيان على ذلك فزعموا - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ قال حين أدير أبو سفيان: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بنته ولا يسمعوا بنا إلا فجأة».

وقدم أبو سفيان مكة فقالت له قريش: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال: لا والله لقد أتى علي وقد تبعته أصحابه فما رأيت قوماً للملك عليهم أطوع منهم له، غير أن علي بن أبي طالب قد قال لي: لم تلتصق جوار الناس على محمد ولا تخبرني أنت عليه وعلى قومك وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها أن لا يخفروا جوارهم؟ فقمت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أنني قد أجرت بين الناس وقلت: ما أظن أن تخفروني؟ فقال: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة؟» فقالوا - مجيبين له -: رضيت بغير رضا، وجئت بما لا ينبغي عنا ولا عنك شيئاً وإنا لعب بك على لعمر الله ما جوارك بجارت وإن إخبارك عليهم حين، ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت: قبحك الله من وافد قوم فما جئت بخير.

قال: وراي رسول الله ﷺ سحاباً فقال: «إن هذه السحاب لبعض بنصر بني كعب» فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنفى، فقال لها: يا بنية لم تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال: أريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت فقال يريد بني الأصفر؟ - وهم الروم - فصمتت قال: فلعله يريد أهل نجد؟ فصمتت قال: فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت.

قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله ﷺ أريد أن تخرج خرجاً؟ قال: نعم، قال: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال: «لا» قال: أريد أهل نجد؟ قال: «لا»، قال: فلعلك تريد قريشاً؟ قال: نعم، قال أبو بكر: يا رسول الله اليس بينك وبينهم منة؟ قال: «ألم يملك ما صنعوا ببني كعب؟»!

قال: وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالفزو، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب وذكر القصة كما سيأتي.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغزل حنطة فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فتجهز، قال: ولئى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٩٧/٢، ٣٩٨): ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمر بالجد والتهيؤ وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبينها في بلادها».

فتجهز الناس فقال حسان يجرى الناس ويذكر مصاب خزاعة: [ديوان حسان: ٣٣٠، ٣٣١]

عساني ولم أشهد يطعاه مكة رجال بني كعب تحمز رقابها
بأيدي رجال لم يسلاو سيرهم وقتلى كثير لم تحن نياها
ألا ليت شعري هل تالن نصرتي سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عود حزم من شفر استه فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تاتسنا يا ابن أم جالد إذا احتلبت صرفاً وأعصل نايها
ولا تجزعوا منها فلان سيفونا لها وقعة بالسراوت يفتح بابها

سنة ٨- قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن إسحاق (سورة ابن هشام: ٣٩٨/٢، ٣٩٩): حدثني محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم في غيره أنها سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبثه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم قتل عليه قرونها ثم خرجت به.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال: «أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن

وقال الإمام أحمد (٣٥٠/٣): حدثنا حجين ويونس قالوا: حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله: أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم، فدل رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال: «يا حاطب أقمعت؟» قال: نعم، قال: أما إنني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً. قد علمت أن الله مظهر رسوله ومتم له أمره غير أنني كنت عريراً بين ظهرهم وكانت والدي معهم فأردت أن اتخذ هذا عندهم، فقال له عمر: ألا أضرب رأس هذا؟ فقال: «أقتل رجلاً من أهل بدر وما يدريك لعل الله قد أطلع لي أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم».

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد، وإسناده على شرط مسلم ولله الحمد.

سنة ٨ - الصيام في غزوة الفتح

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٩٩/٢، ٤٠٠): فحدثني محمد بن مسلم بين شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضي من شهر رمضان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمع أظفر، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين - وقال عروة بن الزبير: كان معه اثنا عشر ألفاً. وكنا قال الزهري وموسى بن عقبة - فسمعت سليم وبعضهم يقول: ألفت سليم وألفت مزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد.

وروى البخاري (٤٢٧٦) عن محمود بن عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري نحوه. وقد روى البيهقي (الذليل: ٢١٠/٥) من حديث عاصم بن علي عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان. قال: وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال: صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أظفر، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر.

ورواه البخاري (٤٢٧٥) عن عبد الله بن يوسف عن الليث، غير أنه لم يذكر التريدين بين شعبان ورمضان.

وقال البخاري (٤٢٧٩): ثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور، عن مجاهد، عن طاووس عن ابن عباس قال: سافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء فشرب نهراً ليراه الناس، فأظفر حتى قدم مكة. قال: وكان ابن عباس يقول: صام رسول الله ﷺ في السفر وأظفر، فمن شاء صام، ومن شاء أظفر.

وقال يونس عن ابن إسحاق عن الزهري، عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وخرج لعشر مضي من رمضان، فصام وصام الناس معه حتى أتى الكديد - ماء بين عسفان وأمع - فأظفر، ودخل مكة مطراً، فكان الناس يرون أن آخر الأمرين من رسول

أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يخبرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم، فخرجوا حتى أدركاهم بالخليفة خليفة بني أبي أحمد فاستزلوها فالتصاه في رحلها فلم يبيد فيه شيئاً.

فقال لما علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبتنا ولنخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأته الجدة منه قالت: اعرض فأعرض، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ.

فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟» فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانتمهم عليهم.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع لي أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وانزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَثْوِي وَعَثْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيَّاهُ مَرْضَاتِي تَسِيرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى آخر القصة.

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسله.

وقد ذكر السهيلي [الروض: ٨٦/٧] أنه كان في كتاب حاطب: إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالليل وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده.

قال: وفي «تفسير ابن سلام» أن حاطباً كتب: إن محمداً قد نفر إماما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر.

وقد قال البخاري (٤٢٧٤): ثنا تميم ثنا سفيان عن عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع سمعت علياً يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظنينة معها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظنينة، قلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، قلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الشيايب. قال: فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال: «يا حاطب ما هذا؟» فقال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأة ملصقةً في قريش - يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يعمون بها أعليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يعمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد أطلع علي من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فانزل الله السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَثْوِي وَعَثْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

وأخرجه بقية الجماعة [م (٢٤٩٤)، د (٢٦٥٠)، ت (٣٣٠٥)، س (١١٥٨٥)] إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة وقال الترمذي: حسن صحيح.

الله ﷺ الفطر، وأنه نسخ ما كانت قبله.

قال البيهقي [الدلائل: ٢٠/٥]: فقله خرج لعشر من رمضان مدرج في الحديث، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق.

ثم روى [الدلائل: ٢٠/٥، ٢١] من طريق يعقوب بن سفيان، عن حامد بن يحيى عن صدقة عن ابن إسحاق، أنه قال: خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان ستة ثمان.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٢٣/٥] من حديث أبي إسحاق الفزاري، عن محمد بن أبي حفصة، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان الفتح ثلاث عشرة خلت من شهر رمضان.

قال البيهقي: وهذا الإدراج وهم إنما هو من كلام الزهري.

ثم روى [الدلائل: ٢٣/٥، ٢٤] من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمانين سنين ونصف سنة من مقدمة المدينة. وافتتح مكة ثلاث عشرة بقين من رمضان.

وروى البيهقي [الدلائل: ٢١/٥، ٢٢] من طريق عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين، فقام حتى بلغ الكديد ثم أفطر. فقال الزهري: وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث.

قال الزهري: فصيح رسول الله ﷺ مكة ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، ثم عزاه في «الصحاحين» ج (٤٢٧٦)، م (١١١٣/٨٨) من طريق عبد الرزاق والله أعلم.

وروى البيهقي [الدلائل: ٢٤/٥] من طريق سعيد بن عبد العزيز التوخي عن عطية بن قيس عن فرقة بن يحيى عن أبي سعيد الخدري قال: أذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر، فأصبح الناس شرحين منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغنا المنزل الذي تلقى العدو فيه أمرنا بالفطر فافطرننا أجمعون.

وقد رواه الإمام أحمد (٨٧/٣) عن أبي المغيرة، عن سعيد بن عبد العزيز، حدثني عطية بن قيس عن محمد بن أبي سعيد الخدري قال: أذننا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر، حتى إذا بلغ أدنى منزل تلقاه العدو أمرنا بالفطر فافطرننا أجمعون.

قلت: فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان، يقتضي أن سيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة.

ولكن روى البيهقي [الدلائل: ٢٤/٥] عن أبي الحسين بن الفضل عن عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن سفيان، عن الحسن بن الربيع، عن ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعمر بن شبيب، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا: كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان ستة ثمان.

قال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود: ١٦٦٦]: ثنا وهيب عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركباً وذلك في

شهر رمضان، فقيل: يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصرم، وإنما ينظرون كيف فعلت. فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون، فصام بعض الناس وأفطر البعض حتى أخبر النبي ﷺ أن بعضهم صائم فقال رسول الله ﷺ: «أولئك العصاة».

وقد رواه مسلم (١١١٤) من حديث الثقيفي، والدروري عن جعفر بن محمد.

وروى الإمام أحمد (٢٦١/١) من حديث محمد بن إسحاق: حدثني بشير بن يسار عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء في قعب، وهو على راحلته فشرب والناس ينظرون، يعلمهم أنه قد أفطر، فافطر المسلمون، تفرد به أحمد.

سنة ٨- إسلام العباس وأبي سفيان بن الحارث وآخرين

قبيل الفتح

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٠/٢، ٤٠١]: وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق.

قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض، فيما ذكره ابن شهاب الزهري.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٠/٢، ٤٠١]: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقياً رسول الله ﷺ أيضاً بنيت العقاب فيما بين مكة والمدينة واتمما الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيها فقالت: يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال: «لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال».

قال: فلما خرج إليهما الخبر بذلك، ومع أبي سفيان بُني له فقال: والله لياذنن لي أو لأخذن بيد بني هذا، ثم لنهدين في الأرض، حتى نموت عطشاً وجوعاً.

فلما بلغ ذلك النبي ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما فدخلوا عليه فأسلما، وأشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتز إليه عما كان مضى منه:

لعمرك إنني يوم أحمل رايةً تغلب غيل اللات خيل محمد لكالدلاج الحيران أظلم ليلىه فهذا أواني حين أهدى واهدي هداني هاد غير نفسي ونالي مع الله من طردت كل مطرد أصد وأنى جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أتب من محمد هُم ما هُم من لم يقل بهواهم وإن كان ذا رأي يلم ويفد أريد لأرضيهم ولست بلاقط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد فقل لتحيي لا أريد قتالها وقل لتحيي تلك غيري أوعدي

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جثت الأراك فقلت: لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة.

قال: فوالله إني لأسير عليها وألتبس ما خرجت له إذا سمعت كلام أبي سفيان ويدل بن ورفاه وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالبيلة نيراناً قط ولا عسكرياً. قال: يقول بدليل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب.

قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة. فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: ما لك فدى لك أبي وأمي؟ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ في الناس وأصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فذاك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأنه لك، قال: فركب خلفي ورجع صاحياً. وقال عروة: بل ذهباً إلى النبي ﷺ فأسلمنا وجعل يستخيرهما عن أهل مكة.

وقال الزهري وموسى بن عقبة: بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: قال: فجنحت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بنير عقد ولا عهد. وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبته أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس.

وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جامهم فقالوا: من أنتم؟ قالوا: وقد رسول الله ﷺ فلفقهم العباس فدخل بهم على رسول الله ﷺ فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا وأن عمداً رسول الله ﷺ تشهد حكيم ويدل وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح ثم سالوه أن يؤمن قريشاً فقال: فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابه فهو آمن.

قال العباس [سورة ابن هشام: ٤٠٢/٢، ٤٠٣]: ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فالتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بنير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه. قال: قلت: يا رسول الله إني قد أجزته.

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا يتابعه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه قال: قلت: مهلاً يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي من إسلام الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم.

فما كنت في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن جرأ لساني ولا يدي قبائل جاءت من بلاد بعيضة نزاع جاءت من سهام وسردد قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠١/٢]: فرموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ:

.....ونالني مع الله من طردت كل مطرد
ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد».

سنة ٨ - المسير إلى فتح مكة

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى مر الظهران نزل فيه، فأقام كما روى البخاري [٣٤٠٦] عن يحيى بن بكير عن الليث، ومسلم [٢٠٥٠] عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، كلاهما عن يونس، عن الزهري عن أبي سلمة، عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران تحتي الكباث، وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيب» قالوا: يا رسول الله أكنث ترعى الغنم؟ قال: «نعم وهل من نبي إلا وقد رعاهما؟».

وقال البيهقي [الذيل: ٢٩/٥]: عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير عن ستان بن إسماعيل عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال: لما فرغ أهل مؤتة ورجعوا أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مكة، فلما انتهى إلى مر الظهران نزل بالعفة، فأرسل الجناة يجتئون الكباث، فقلت لسعيد: وما هو؟ قال: ثمر الأراك قال: فانتظرت ابن مسعود فيمن يجتني، قال: فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقني ابن مسعود وهو يرقى في الشجرة فيضحكون فقال رسول الله ﷺ: «تمتعون من دقة ساقيه؟ فوالذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد».

وكان ابن مسعود ما اجتني من شيء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ فقال في ذلك:

هنا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يسله إلى فيه
وفي «الصحاحين» ج (٢٥٧٢)، م (١٩٥٣)، عن أنس قال: أتفجنا أربناً ونحن بمر الظهران فسمع القوم فلغوا فأدركتها فأخذتها له فأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها أو فخلها فقبله.

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٠/٢]: ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد سميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ويدل بن ورفاه يتحسسون الأخبار وينظرون هل يجيئون خبراً أو يسمعون به.

وذكر ابن هبة عن أبي الأسود عن عروة: أن رسول الله ﷺ بعث بين يديه، خيلاً يقتصون العيون وخزاعة لا تدع أحداً يعضي وراءها، فلما جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين وقام إليه عمر يما في عنقه حتى أجاره العباس بن عبد المطلب وكان صاحباً لأبي سفيان.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٢/٢]: وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران: قلت: وا صباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأنوه إنه هلاك قريش إلى آخر الدهر،

إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه علي.
فقال له رسول الله: «أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتوني ونصروني إذ أخرجتموني» ثم شكى إليه قول سعد بن عباد حين مر عليه فقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة.
فقال رسول الله ﷺ: «كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة».

وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس، ورأى الناس يحششون للصلاة ويشترشون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس: ما بالهم؟ قال: إنهم سمعوا النداء فهم يشترشون للصلاة، فلما حضرت الصلاة وآرمهم يركعون يركعوه ويسجدون بسجوده قال: يا عباس ما يأمركم بشيء إلا فعلوه! قال: نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه.

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله ﷺ جعلوا يتكفنون، فقال: يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقصر.
وقد روى الحافظ البيهقي (الذلال: ٣٢/٥ - ٣٥) عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة قاله أعلم.

على أنه قد روى البيهقي (الذلال: ٣١/٥، ٣٢) من طريق أبي بلال الأشعري عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال: جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال: فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليته قبل أن يصيح بين يدي رسول الله ﷺ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال أبو سفيان: وما تسع دارى؟ فقال: «ومن دخل الكعبة فهو آمن» قال: وما تسع الكعبة؟ فقال: «ومن دخل المسجد فهو آمن» قال: وما يسع المسجد؟ فقال: «ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» فقال أبو سفيان: هذه واسعة.

وقال البخاري (٤٢٨٠): حدثنا عبيد بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ويديل بن ورقاء يلتزمون الخبر عن رسول الله ﷺ فاقبلوا يسرون حتى أتوا سر الظهران فإذا هم ببنان كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ كأنها نيران عرفة! فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك.
فرأهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فآخضوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: «احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين» فحبسه العباس فجعلت القبايل تمر مع رسول الله ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار قال: ما لي ولغفار ثم مرت جهة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيل فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلاً فقال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عباد معه الراية.

فقال سعد بن عباد: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبنا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتاب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية رسول الله ﷺ مع

فقال رسول الله: «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فاتتني به» قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم إني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك.

قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». زاد عروة: «ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن».

وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري «ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن».

فلما ذهب ليصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فإرهاه».

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان يديلاً وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار وأعطاهما الزبير بن العوام فدخل بها من أعلا مكة وغرزهما بالحجون، ودخل خالد من أسفل مكة فلقبه بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة وانهزموا فقتلوا بالخزوة حتى بلغ قتلهم باب المسجد.

قال العباس [صورة ابن هشام: ٤٠٤/٢، ٤٠٥]: فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن احبسه، قال: ومرت القبايل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: سليم فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة فيقول: ما لي ولزينة، حتى نفذت القبايل ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها فإذا أخبرته قال: ما لي ولبي فلان.

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبة الخضر وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد. فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: «نعم إذن، قال: قلت: النجاء إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميم الدسم الأحسن قبيح من طليعة قوم، فقال أبو سفيان: وليكم لا تغزركم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تنفي عنا دارك؟ قال: «ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد».

وذكر عروة عن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبي سفيان قال له:

قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة «الفتح» يرجع وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٥/٢]: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء، وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثونه ليكاد يمس واسطة الرجل.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٦٨/٥، ٦٩]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا دعلج بن أحمد ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ودفنه على راحله متخشعاً.

وقال [الدلائل: ٦٩/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر بن بالويه ثنا أحمد بن صاعد ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ثنا جعفر بن عون ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن ابن مسعود أن رجلاً كلم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذه الرعدة، فقال النبي ﷺ: «هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القنيد».

قال: وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن الزهير عن إسماعيل بن أبي الحارث موصولاً.

ثم رواه عن أبي زكريا المزكي عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب، عن محمد بن عبد الوهاب، عن جعفر بن عون، عن إسماعيل بن قيس مرسلًا قال: وهو المحفوظ.

وهذا التواضع في هذا الوطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمم بخلاف ما اعتمدته سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أي ركع - يقولون: حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون: حطة في شجرة.

وقال البخاري [٤٢٩٠]: حدثنا [الميشم] بن خارجة ثنا حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه: أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة، وتابعه أبو أسامة وهيب: في كداء.

حدثنا [٤٢٩١]: عبيد بن إسماعيل ثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه: دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء وهو أصح. إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام وإلا فكداء بالدهم المذكورة في الروايتين وهي في أعلى مكة وكُدَى مقصوداً في أسفل مكة وهذا هو المشهور والأنسب وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ودخل هو عليه السلام من أسفلها من كُدَى وهو في «صحيح البخاري» والله أعلم.

وقد قال البيهقي [الدلائل: ٦٩/٥]: أنبأنا أبو الحسن بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا عبد الله بن الصقر عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا معن ثنا عبد الله بن عمر بن حفص عن نافع عن ابن عمر قال: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل فتبسم إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان؟» فأنشده أبو بكر ﷺ:

عذمت بيئي إن لم تزوماً يُبْرِئُ النّفس من كُفْي كداء
ينسازغن الأعنة مسرجاتو يَلْمُهنَّ بالحقم النساء

الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عباد؟ فقال: «ما قال؟» قال: كنا وكنا فقال: «كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة» وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالبحون.

قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم، قال: وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أصلا مكة من كداء ودخل رسول الله ﷺ من كُدَى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري.

وقال أبو دأود [٣٠٢١]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهري، عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ عام الفتح، جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب، فأسلم بمر الظهران، فقال له العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فلو جعلت له شيئاً؟ قال: فنعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

سنة ٨ - صفة دخوله ﷺ مكة

ثبت في «الصحيحين» [٤٢٨٦]، م [١٣٥٧] من حديث مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما نزع جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: «أقتلوه» قال مالك ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى والله أعلم محرماً. وقال أحمد [٣٦٣/٣]: ثنا عفان ثنا حماد أنبأ أبو الزبير عن جابر: أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء.

ورواه أهل السنن الأربعة [٤٠٧٦]، ت [١٧٣٥]، س [٩٧٥٧]، ج [٢٨٢٢، ٣٥٨٥] من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي: حسن صحيح.

ورواه مسلم [١٣٥٨] عن قتبية ويحيى بن يحيى عن معاوية بن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام.

وروى مسلم [١٣٥٩/٤٥٣] من حديث أبي أسامة عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: كئى أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة حرقانية سوداء قد أروخى طرفها بين كتفيه.

وروى مسلم في «صحيحه» [١٣٥٨/١٠٠] والترمذي [١٦٧٩] والنسائي [٥٣٦٠] من حديث عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء.

وروى أهل السنن الأربعة [٢٥٩٢]، ت [١٦٧٩]، س [٢٨٦٦]، ج [٢٨١٧] من حديث يحيى بن آدم عن شريك القاضي عن عمار الدهني عن أبي الزبير عن جابر قال: كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض.

وقال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عائشة قالت: كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ورايته سوداء تسمى «مُقاب»، وكانت قطعة من مرط منرجل.

وقال البخاري [٤٢٨١]: ثنا أبو الوليد ثنا شعبة عن معاوية بن قرة

أعلم.

وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ثنا عبد الله بن السري الأنطاكي ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد. وحدثني موسى بن عقبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عباد فجعل يهزها ويقول: اليوم يوم الملحمة يوم تستحل الحرمة. قال: فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم. قال: فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في سيره وأنشأت تقول:

يا نسي الهدي يسك لجأ حي قريش ولات حين لجأ
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إلى السماء
وانتفت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلواء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من النير ظ رمانا بالنسر والعواء
فانهبه فانه الأسد الام ود والليث والبع في الدماء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حاة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش بقعة القبايع في أكف الإماء
إنه مصلت يريد لها الرأ ي صموت كالخية الصماء

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لم يرافقه بهم، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عباد ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد. قال: فبرى أنه عليه الصلاة والسلام أحب أن لا يجيها إذا رغبت إليه واستغاثت به، وأحب أن لا يغضب سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٧/٢]: وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على الجنبه اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة ونجينة وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لكمة بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أواخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له هنالك قبة.

وروى البخاري [١٥٨٨] من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله أين تنزل غدا؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع؟» ثم قال: «لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن».

ثم قال البخاري [٤٢٨٤]: حدثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، ثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «متزلا - إن شاء الله إذا فتح الله - الخيف حيث تقاسموا على الكفر».

وقال الإمام أحمد [٣٥٧/٢]: حدثنا يونس ثنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «متزلا غدا إن شاء الله نجيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

ورواه البخاري [٤٢٨٥] من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه.

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٧/٢]: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخنمة ليقاتلوا، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحا قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه، فقالت له امرأته: لما تعد ما أرى؟ قال: لحمد وأصحابه، فقالت: والله

فقال رسول الله ﷺ: «أدخلوها من حيث قال حسان». وقال محمد ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٥/٢، ٤٠٦]: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو حنيفة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية أظهر يي علي أبي قيس، قالت: وقد كف بصره، قالت: فأشرفت به عليه فقال: أي بنية ماذا ترى؟ قالت: أرى سوادا مجتمعاً قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلا يسمى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنية ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله أذن دفعت الخيل فأمر عري يي إلى يتي فأخطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق فتلقاهما رجل فيقطع من عنقه.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقره فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا أتبه فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمضي إليك من أن تمضي إليه. قال: مقال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال: «أسلم» فأسلم، قالت: ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالغمامة يابضا فقال رسول الله ﷺ: «غبروا هذا من شعره» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد اخته وقال: أشهد الله والإسلام طرق أخيه؟ فلم يجبه أحد قالت: فقال: أي أخيه احتسني طورك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم القليل. يعني الصديق ذلك اليوم على التمين لأن الجيش فيه كثرة ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ولعل الذي أخذه تناول أنه من حربي والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٩٦/٥]: ثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس الأصم ثنا بحر بن نصر ثنا ابن وهب أخبرني ابن جريح، عن أبي الزبير، عن جابر: أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي حنيفة فأتى به النبي ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال: «غبروه ولا تقربوه سوادا». قال ابن وهب: وأخبرني عمر بن محمد عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلم أبيه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٦/٢]: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذي طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى، وكان الزبير على الجنبه اليسرى، وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداء.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٠٦/٢، ٤٠٧]: فزعم بعض أهل العلم أن سعدا حين وجه داخل قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل.

قال ابن هشام: يقال: إنه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله أسمع ما يقول سعد بن عباد؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعلي: «أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها».

قلت: وذكر غير محمد بن إسحاق [الدلائل للبيهقي: ٣٨/٥] أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عباد حين مر به، وقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة - يعني الكعبة - فقال النبي ﷺ: «بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة» وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عباد الكاتبين له، ويقال: إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد.

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: دفعها إلى الزبير بن العوام فآلته

ما أرى يقوم لحمد وأصحابه شيء، قال: والله إنني لأرجو أن أخدمكم بعضهم. ثم قال:

إن يقلبوا اليوم فمالي علة هذا سلاح كامل وألوه وذو غرابين سريع السله

قال: ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ناوشوهم شيئاً من قتال فقتل كرز بن جابر أحد بني عارب بن فهر وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منذر وكانا في جيش خالد، فثنا عنه فسلكا غير طريقه فقتلا جميعاً، وكان قبل كرز قتل خنيس قالاً: وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ثم انتهزموا فخرج حاس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامراته: أغلقي علي بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة وأبو يزيد قائم كالقوس واستقبلهم بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وججمه ضرباً فلا يسمع إلا غنمهم لم نهيت خلفنا وهمهم لم تطقي في اللوم أدنى كلمة

قال ابن هشام [السيرة: ٤٠٩/٢]: وتروى هذه الأبيات للرعايش المهمل. قال: وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحين والطائف: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

وقال الطبراني [المعجم الأوسط: ٣٨٧٨] ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا أبو حسان الزبدي ثنا شعيب بن صفوان عن عطاء بن السائب عن طلوس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لا يحل لأحد قبلي وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان» فقيل له: هذا خالد بن الوليد يقتل؟ فقال: «قم يا فلان فات خالد بن الوليد فقتل له فليرفع يديه من القتل».

فأناه الرجل فقال: إن النبي ﷺ يقول: أقتل من قدرت عليه، فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل إلى خالد فقال: «ألم أنك عن القتل؟» فقال: جاني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه، فأرسل إليه: «ألم أرك؟» قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكان أمر الله فوق أمرك، وما استطعت إلا الذي كان. فسكت عنه النبي ﷺ فما رد عليه شيئاً.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٩/٢]: وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى امرأته أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكعب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال: «نعم» فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هنا حين رأيي قد صمت فيقلته» فقالوا: يا رسول الله هلا أومأت إلينا؟ فقال: «إن النبي لا يقتل بالإشارة».

وفي رواية (٢٩٨٣، ٤٣٥٩): «إنه لا ينبغي لني أن تكون له خاتنة الأعين».

قال ابن هشام [السيرة: ٤٠٩/٢]: وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان

قلت: ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاحها في بيته كما سيأتي بيانه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٠٩/٢، ٤١٠]: وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب.

قلت: ويقال: إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمي عبد الله ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصلحاً ويعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قبتان: فترتى وصاحبها فكانتا تنبيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين، فلها أهدر دمه ودم قتيته فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة، اشترك في قتله أبو برة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتل إحدى قتيته واستؤمن للأخرى.

قال [سيرة ابن هشام: ٤١٠/٢، ٤١١]: والحويث بن تقيذ بن وهب بن عبد بن قصي وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، ولما تحمل الملبس بفاطمة وأم كلثوم لينهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نخس بهما الحويث هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب.

قال: ومقيس بن صبابه لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية ثم ارتد مشركاً، قتله رجل من قومه يقال له: بيلة بن عبد الله.

قال: وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة.

قلت: وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة وكانها عفي عنها أو هربت ثم أهدر دمه والله أعلم. فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاثت إلى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت.

وذكر السهيلي [الروض الأنف: ١١١/٧] أن فترتى أسلمت أيضاً.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤١٠/٢]: وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

وقال البيهقي [الدلائل: ٥٩/٥، ٦٠]: أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن عمش الفقيه أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا أحمد بن الفضل ثنا أسباط بن نصر الميموني قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين. وقال: «أقتلوهم وإن وجدوهم متعلقين بأستار الكعبة» وهم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

فأما عبد الله بن خطل فأهدر دمه وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله.

وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه.

وأما عكرمة فركب البحر فاصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لأهل السفينة: اخلصوا فإن أمتكم لا تنفي عنكم شيئاً منها، فقال عكرمة: والله لنن لم ينح في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجلي في البر غيره، اللهم إن

نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلى رجلان من أمهاني من بني مخزوم قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

قال ابن إسحاق: وكانت عند هيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل علي أخي علي بن أبا طالب فقال: والله لأقتلها فاخلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة فوجدته يقتسل من جفة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تسره يثره، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانين ركعات من الضحى ثم انصرف إلى فقال: «مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك؟» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «قد أجزنا من أجرت وأمانا من أمنت فلا يقتلها»

قال البخاري [٤٧٢]: حدثنا أبو الوليد، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى قال: ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ فإنها ذكرت أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثمانين ركعات، قالت: ولم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود.

وفي «صحيح مسلم» [٣٣٦/٧١] من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن أبي هند: أن أبا مرة مولى عقيل حدثه، أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته، أنه لما كان عام الفتح قر إليها رجلان من بني مخزوم فاجارتهما، قالت: فدخل علي علي قال: أقتلها، فلما سمعته أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فلما رأيته رحب وقال: «ما جاء بك؟» قلت: يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أمهاني فأراد علي قتلها، فقال رسول الله ﷺ: «قد أجزنا من أجرت يا أم هانئ» ثم قام رسول الله ﷺ إلى غلته فستر عليه فاطمة، ثم أخذ ثوبا فالتحف به ثم صلى ثمانين ركعات سبحة الضحى.

وفي رواية [٣٥٧] م، [٣٣٦/٨٢] أنها دخلت عليه وهو يقتسل وفاطمة ابنته تسره بوب، فقال: «من هذه؟» قالت: أم هانئ، قال: «مرحبا بأم هانئ» قالت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجزتهما؟ فقال: «قد أجزنا من أجرت يا أم هانئ» قالت: ثم صلى ثمانين ركعات وذلك ضحى، فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى.

وقال آخرون: بل كانت هذه صلاة الفتح، وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين.

وهو يرد على السهلي [الروض الأنف: ١٠٨/٧] وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانين تسليمة واحدة، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في ليوان كسرى ثمانين ركعات يسلم من كل ركعتين ولله الحمد.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤١١/٢، ٤١٢]: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة وأطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت فظاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيوان فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد.

وقال موسى بن عقبة: ثم سجد سجدتين، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ، والناس يتسددون وضوءه، والمشركون يتعجبون من ذلك، ويقولون: ما رأينا ملكاً

لك علي عهداً إن أنت عاقبتي مما أتانا فيه، أن أتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجئته غفواً كريماً.

فجاء فأسلم، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك باي، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومات إلينا بعتك؟ فقال: «إنه لا ينبغي لني أن تكون له خاتمة الأعين».

ورواه أبو داود [٢١٨٣] والنسائي [٤٠٧٨] من حديث أحمد بن الفضل به نحوه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٦٠/٥، ٦١]: أنبأ أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، أنبأنا أبو زرعة الدمشقي، ثنا الحسن بن بشر الكوفي، ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: أمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة: عبد العزى بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأم سارة.

فأما عبد العزى بن خطل فإنه قتل وهو متملق باستار الكعبة، قال: ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له، فلما بصر به الأنصاري اشتعل على السيف، ثم أتاه فوجدته في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه، فبسط النبي ﷺ يده فبايعه، ثم قال للأنصاري: «قد انتظرتك أن توفي بنذرك» قال: يا رسول الله هبتك أفلا أومضت لي؟ قال: «إنه ليس لني أن يومض».

وأما مقيس بن صبابة فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك.

قال: وأما أم سارة فكانت مولاة لقرش، فأثت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة، فاعطاهم شيئاً، ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة.

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن مقيس بن صبابة قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق، قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة.

وقد ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٩٣/٢، ٢٩٤] والبيهقي [الدلائل: ٦١/٥] شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله:

شفي النفس من قد بات بالقاع مستداً يضرج ثوبه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تُلْم وتسي وطاء الضامع
قتلت به نهراً وغرمت عقله سراً بني التجار أرباب فراع
حللت به نذري وأدركت ثورتي وكنت إلى الأوثان أول راجع

قلت: وقيل إن القيتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابة هذا، وإن ابن عمه قتله بين الصفا والمروة. وقال بعضهم: قتل ابن خطل الزبير بن العوام رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤١١/٢]: حدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت: لما

بن أبي بكر عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ قضيه فجعل يهوي به إلى الصنم وهو يهوي حتى مر عليها كلها.

ثم من طريق سويد البهقي في الدلائل: [٧٢/٥] عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلى كل صنم بعصا وقال: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً». فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمس بعصاه، ثم قال: وهذا وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكد. وقال حنبل بن إسحاق: أثبت أبو الربيع عن يعقوب القمي، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جاءت عجوز شمطاء حشية تحمش وجهها وتدعو بالويل، فقال رسول الله ﷺ: «تلك نائلة أيسر أن تعبد ببلدكم هذا أبداً».

وقال ابن هشام [السيرة: ٤١٦/٢، ٤١٧]: حدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقضاه، ولا أشار إلى قناه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال غميم بن أسد الخزازي:

وفى الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

وفى «صحيح مسلم» [١٧٨٠] عن شيان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه وطاف بالبيت، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه وفي يده رسول الله ﷺ قوس وهو أخذ بسيتها فلما أتى على الصنم جعل يطعن في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرغ يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو.

وقال البخاري [٤٢٨٨]: حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا عبد الصمد ثنا أبي حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى أن يدخل البيت وفيه الألهة، فأمر بها فأخرجت فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله لقد علموا ما استقسم بها قط» ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت وخرج ولم يصل. ترد به البخاري دون مسلم.

وقال الإمام أحمد [٣١١/١]: حدثنا عبد الصمد حدثنا همام حدثنا عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوار، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصل فيه.

ورواه مسلم [١٣٣١] عن شيان بن فروخ، عن همام بن يحيى العوفي عن عطاء به.

وقال الإمام أحمد [٢٧٧/١]: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث: أن بكراً حدثه عن كريب عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال: «أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه

قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - . وآخر المقام إلى مقامه اليوم وكان ملتصقاً بالبيت.

قال محمد ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٦/٢]: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدة البيت وسقاية الحاج، ألا وتقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الليلة مغلفة مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء، الناس من آدم وادم من نوح، ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الآية كلها.

ثم قال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خير، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعي له فقال: «هناك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء»

وقال الإمام أحمد [١١/٢]: حدثنا سفيان عن ابن جعدان عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مائة من الإبل» وقال مرة أخرى: «مغلظة فيها أربعون خلفه في بطونها أولادها، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى» وقال مرة: «ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدة البيت فلاني أمضيتهما لأهلها على ما كانت».

وهكذا رواه أبو داود [٤٥٤٩] والنسائي [٤٨١٣] وابن ماجه [٢٦٢٨] من حديث علي بن زيد بن جعدان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني عن ابن عمر به.

قال ابن هشام [السيرة: ٤١٦/٢]: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، ورأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها فقال: «قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم والأزلام؟ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾» [سورة آل عمران: ٦٧] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

وقال الإمام أحمد [٣٩٦/٣]: حدثنا سليمان، أنبأ عبد الرحمن عن موسى بن عتبة، عن أبي الزبير عن جابر قال: كان في الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يحوها، فبل عمر نوباً وعماها به. فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء.

وقال البخاري [٤٢٨٧]: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنهم بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة [١٧٨١].

وروى البيهقي [الدلائل: ٧٢، ٧١/٥] عن ابن إسحاق عن عبد الله

صورة هذا إبراهيم مصوراً فما به يستقسم؟.

وقد رواه البخاري (٣٣٠١) والنسائي (٩٧٧٢) من حديث ابن وهب به.

وقال الإمام أحمد (٥٠/٢): حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري: أنه سمع مقيماً يحدث عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ثم خرج فصلى ركعتين. تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد (٥٠/٢): حدثنا إسماعيل، أخبرنا ليث عن مجاهد عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ صلى في البيت ركعتين.

قال البخاري (٤٢٨٩): وقال الليث: حدثنا يونس، أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال، ومعه عثمان بن طلحة من الحجة حتى أتوا في المسجد فأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً، فسأله أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله: ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة.

ورواه الإمام أحمد (٣/٢) عن هشيم، حدثنا غير واحد وابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأجاف عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج.

قال ابن عمر: فكان أول من لقيت منهم بلالاً، فقلت: أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: ههنا بين الأسطوانتين.

قلت: وقد ثبت في [صحيح البخاري] (٥٠٥) وغيره [٢٠٢٣]، [٢٠٢٤]، [٧٤٨] أنه ﷺ صلى في الكعبة تلقاه وجهة بابها من وراء ظهره فجعل عمودين عن يمينه وعموداً عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقلد ثلاثة أذرع.

قال ابن هشام [السيرة: ٤١٣/٢]: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه عتق لأتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصة.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «قد علمت الذي قلتم» ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني والذي حدثني بعض آل جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالاً فملا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة، فقال بعض بني سديد بن العاص: لقد أكرم الله سديداً إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة. وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال: قال ابن أبي مليكة: أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام: ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد؟ فقال: دعه فإن يكن الله يكرمه فسيكرمه.

وقال يونس بن بكير وغيره [تاريخ دمشق: ٤٦٦/١٠] عن هشام بن

عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليخطب به المشركين.

وقال محمد بن سعد، عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق: أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه: لو جمعت لمحمد جميعاً؟ فإنه ليحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: «إذا يجزيك الله» قال: فرفع رأسه فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه فقال: ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة.

قال البيهقي [الدلائل: ١٠٢/٥]: وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرئ أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي حدثنا محمد بن يوسف القرطبي حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر عن ابن عباس قال: رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطئون عقبه. فقال بينه وبين نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال: «إذا يجزيك الله» فقال: أتوب إلى الله واستغفر الله مما تفوتت به.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ١٠٢/٥، ١٠٣] من طريق ابن خزيمة وغيره عن أبي حامد بن الشرقي عن محمد بن يحيى الذهلي حدثنا محمد بن موسى بن أعين الجزري حدثنا أبي عن إسحاق بن راشد عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهند: أتري هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله.

قال: ثم أصبح أبو سفيان فدنا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «قلت لهند: أتري هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله» فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يغلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند.

وقال البخاري (٤٣١٣): حدثنا إسحاق حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج أخبرني حسن بن مسلم عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر لا يفر صيدها ولا يعصد شوكها ولا يتجلى خلالها ولا تحل لقطنها إلا لمنشده».

فقال العباس بن عبد المطلب: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه لا بد منه للقيين والبيوت. فسكت ثم قال: «إلا الإذخر فإنه حلال».

وعن ابن جريج أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة عن ابن عباس يمثل هذا أو نحو هذا.

ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. تفرد به البخاري (١١٢) من الوجه الأول وهو مرسل، ومن الوجه الثاني أيضاً.

وبهذا الحديث وأمثاله استدلل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة، وللوقعة التي كانت في الخنتملة كما تقدم. وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين وهي ظاهرة في ذلك وهو ملهوب جمهور العلماء، والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً لأنها لم تقسم، ولقوله ﷺ ليلة الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل الحرم فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى.

وقال البخاري (٤٢٩٥): حدثنا سعيد بن شريح، حدثنا الليث عن

قال: «كفوا السلاح».

فلقي رجلاً من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال - فرأيت وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال: - «إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله أو قتل بذحول الجاهلية». وذكر تمام الحديث وهذا غريب جداً.

وقلد روى أهل السنن بعض هذا الحديث [٤٥٦٦، ٣٥٤٦، ٤٥٦٦، ٤٥٦٦] ت [١٣٩٠، ١٥٨٥]، س [٢٥٣٩، ٣٧٦٦، ٤٨٦٥، ٤٨٦٦] ج [٢٦٥٥].

فأما ما فيه من أنه رخص لخزاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح فلم أراه إلا في هذا الحديث وكأنه - إن صح - من باب الاختصاص لهم بما كانوا أصلاً منهم ليلة الوتر والله أعلم.

وروى الإمام أحمد [٤١٧/٣] عن يحيى بن سعيد وسفيان بن عيينة ويزيد بن هارون وعبد كلهم عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن الحارث بن مالك بن البرصاء الخزاعي: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة».

ورواه الترمذي [١٦١١] عن بندار عن يحيى بن سعيد القطان به وقال: حسن صحيح.

قلت: فإن كان نهياً فلا إشكال، وإن كان نهيّاً فقال البيهقي [٧٥/٥]: معناه: على كثر أهلها.

وفي «صحيح مسلم» [١٧٨٢] من حديث زكريا بن أبي زائدة، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن مطيع، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة» والكلام عليه كالأول سواء.

قال ابن هشام [٤١٦/٢]: وبلغني أن رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو الله وقد أخذت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: «ماذا قلتم؟» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله الحيا عياكم والمات ماتكم».

وهذا الذي علقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» [٥٣٨/٢] فقال: حدثنا بهز وهاشم قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت. وقال هاشم: حدثني ثابت البجلي، حدثنا عبد الله بن رباح قال: وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام، قال: وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا - قال هاشم: يكثر أن يدعونا - إلى رحله، قال: فقلت: ألا اصنع طعاماً فدعومهم إلى رحلي؟ قال: فأمرت بطعام يصنع فلقيت أبا هريرة من المشاء، قال: قلت: يا أبا هريرة الدعوة عندي الليلة قال: أسبقتني قال هاشم: قلت: نعم قال: فدعوتهم فهم عندي. قال: فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار؟ قال: فذكر فتح مكة.

قال: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة، قال: فبعث الزبير على أحد المجنبتين، وبعث خالداً على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحشر، وأخذوا بطسن الوادي ورسول الله ﷺ في كنيسته، وقد وبشت قریش أوباشها، قال: قالوا: نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطاهم الذي سئلنا.

قال أبو هريرة: فنظر فرأني فقال: «يا أبا هريرة» فقلت: لبيك رسول

المقبري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: إنني لي أيتها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذني ووعاه قلبي وأبصرته عيني حين تكلم به، أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرماً لله ولم يجرمها الناس لا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعصدها بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب».

فقليل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعضد عصاً ولا فأراً بدم، ولا فأراً بخربة. ورواه البخاري أيضاً [١٨٣٢] ومسلم [١٣٥٤] عن قتية عن الليث بن سعد به نحوه.

وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٤/٢، ٤١٥] أن رجلاً يقال له: ابن الأثوخ قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له: أحر باساً، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوخ وهو بمكة قتله خراش بن أمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر القتل إن نفع لقد قتلتم رجلاً لأديبه».

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٥/٢]: وحدثني عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي عن سعيد بن المسيب قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال: «إن خراشاً لقتال».

وقال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٥/٢، ٤١٦]: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الخزاعي قال: لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جتته فقلت له: يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هنبل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ولا يعصدها شجراً، لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي ولم تحلل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحلها لكم يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر إن نفع لقد قتلتم قتيلاً لأديبه فمن قتل بعد مقامي هنا فأهله بخير النظرين إن شاؤوا فدم قاتله وإن شاؤوا فقهله».

ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خزاعة. فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالغ طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهداً غائباً، وقد أبغضت فأتيت وشأنتك.

قال ابن هشام [السورة: ٤١٦/٢]: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جندب بن الأكوع قتله بنو كعب فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة.

وقال الإمام أحمد [١٧٩/٢]: حدثنا يحيى عن حسين، عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: «كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر» فأذن لهم حتى صلى العصر ثم

عمر حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتكم به، قال: وبلك اعزب عني فلا تكلمني قال: أي صفوان فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شركك وملكه ملكك. قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم.

فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد امتني؟ قال: «صدق» قال: فاجعلني بالخيار فيه شهرين. قال: «أنت بالخيار أربعة أشهر».

ثم حكى ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٨/٢] عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، أسلمتا وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم فلما أسلما أقرهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٨/٢، ٤١٩]: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال: رمى حسان بن الزبير وهو بنجران بيت واحد مازاد عليه:

لا تعدمن رجلاً أحلك بنضه نجران في عيش أحد لثيم
فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أباري الشيطان في سنن ألف سي ومن مال ميله مشور
آمن اللحم والعظام لربي ثم قلبي الشهيد أنت التذير
إنني عنك زاجرٌ ثم حياً من لؤي وكلهم مغرور
قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٩، ٤٢٠]: وقال عبد الله بن الزبير أيضاً حين أسلم:

منع الرقاد بلاجل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
عما أتاني أن أحد لامي فيه نيت كآتي محموم
يا خير من حلت على أوصالها عبرانة سُرح اليبين غشوم
إنني لمتلر إليك من الذي أسليت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تآمرني بأغوى خطة سهم وتآمرني بها غمزوم
وأمد أسباب الردى وتقودني أمر الغواية وأمرهم مشؤوم
فاليرم آسن بالتي عمد قلبي وخطى هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وحلوم
فاغفر فدي لك والديا كلاهما زلني فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم غنوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفاً وبرهانه إله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وإنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بيتانه من هاشم فرغ تمكن في السنرا وأروم
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

الله، فقال: «اهتف لي بالأنصار، ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفت بهم فجاؤوا فاطافوا برسول الله ﷺ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أترون لي أرباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال يديه إحناهما على الأخرى: «أحصلوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء».

قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً، قال: فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «من أغلق بابهُ فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن».

قال: فنلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت. قال: وفي يده قوس أخذ بسية القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل» قال: ثم أتى الصفاء فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرجع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه، قال: والأنصار تحته قال: يقول بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورافة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي.

قال هاشم: فلما قضى الوحي رفع رأسه ثم قال: «يا معشر الأنصار ألقنتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورافة بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «فما أسمى إذا؟ كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليك فالحيا عياكم والممات عاتكم» قال: فاقبلوا إليه يكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعنونكم».

وقد رواه مسلم (٨٤، ٨٥، ١٧٨٠) والنسائي (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة زاد النسائي: وسلام بن مسكين، ورواه مسلم أيضاً (١٧٨٠/٨٦) من حديث حماد بن سلمة ثلاثهم عن ثابت، عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة، عن أبي هريرة به نحوه.

وقال ابن هشام [السورة: ٤١٧/٢]: وحدثني يعني بعض أهل العلم أن فضالة بن عمر بن الملوح يعني الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: «فضالة؟» قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: «استغفر الله» ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.

قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بأمارة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث. فقال: لا، واتبعت فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأتني عليك الله والإسلام
أز ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسر الأصنام
لأبست دين الله أضحى يئساً والشرك يغشى وجهه الإظلام

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤١٧/٢، ٤١٨]: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة قال: خرج صفوان بن أمية يريد جثّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمر بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقتل نفسه في البحر، فأنته يا رسول الله صلى الله عليك فقال: «هو آمن» فقال: يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك. فأعطاه رسول الله ﷺ عماته التي دخل فيها مكة، فخرج بها

هجومت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أنهجهوه ولست له بكشفه فشركما خيركما الفداء
هجومت مباركاً براً حنيفاً أمين الله شيعته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبى ووالده وعرضي لعرض عمد منكم وقاه
لأبي صارم لا عيب فيه وبعمري لا تكدره الدلاء

قال ابن هشام [السيرة: ٤٢٤/٢]: قالها حسان قبل الفتح.
قلت: والذي قاله مترجماً لما في أثناء هذه القصيدة مما يدل على ذلك
وأبو سفيان المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.
قال ابن هشام [السيرة: ٤٢٤/٢]: ويلغني عن الزهري أنه قال: لما رأى
رسول الله ﷺ النساء يطمعن الخيل بالخير تسم إلى أبي بكر رضي الله عنه.
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٤/٢، ٤٢٥]: وقال أنس بن زعيم
الثلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ بما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي
- يعني لما جاء يستنصر عليهم كما تقدم -:

أنت الذي تهدي معداً بامره بل الله يهديهم وقال لك أشهد
وما حلت من ناقة فوق رحله أيسر وأوفى فمة من محمد
أحس على خير وأسبغ نائلاً إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المجرد
تعلم رسول الله أنك مدركي وأن عيدا منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر على كل صرم متهمين ومنجد
تعلم بأن الركب ركب عويمر هموا الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبرا رسول الله أتى هجوته فلا حملت سوطي لي إذني يدي
سوى أنني قد قلت ويل أم فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهم من لم يكن للمائهم كفاء فمزرت قسبرتي وتلدي
وإنك قد أخضرت أنك ساعياً بعيد بن عبد الله وابنة مهود
تؤيب وكلثوم وسلمى تابعوا جميعاً فإن لا تدمع العين أكمد
وسلمى وسلمى ليس حي كمثلها وإخوته وهل ملوك كأعبد
نسائي لا ديناً فقتت ولا دماً هرقت بين عالم الحق واقصد

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢٥/٢، ٤٢٦]: وقال بجير بن زهير بن
أبي سلمى في يوم الفتح:

نفى أهل الحبلى كل فج مزينة غدوة وينو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح الله سي الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم واللف من بني عثمان واف
نظا أكافهم ضرباً وطعناً ورشقا بالريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما اتصاع القواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجرول فيهم بارصاح مقومة الثفاف
فأبنا غنائين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا موافقتنا على حسن التصافي
وقد سمعوا مقاتلتنا فنهضوا غداة السروج منا بانصراف

قلت: كان عبد الله بن الزعري السهمي من أكبر أعداء الإسلام ومن
الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثم من الله عليه بالتوبة
والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذب عنه.

سنة ٨ - عدد من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢١/٢]: وكان جميع من شهد فتح
مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبعائة ويقول بعضهم: ألف
ومن بني غفار أربعائة ومن أسلم أربعائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر
وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من نجيم وقيس
وأسد.

وقال عروة والزهري وموسى بن عقبة: كان المسلمون يوم الفتح الذين
مع رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً فأنه أعلم.

سنة ٨ - ما قبل من شعر في يوم الفتح

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٢١/٢ - ٤٢٤]: وكان مما قيل من
الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت [ديوان حسان: ٧١ - ٧٧]:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحساس قفر تعفيا الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء
فلح هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء
لشعنا الذي قد تيمته فليس لقلبه منها شفاء
كان خيئة من بيت رأس يكون مزاجها عمل وماء
إذا ما الأشربات ذكرون يوماً فهن لطيب الراح القداء
نوليها الملاحة أن النسا إذا ما كان مغت أو لحاء
وتشرها فتركتنا ملوكا وأسد ما ينهننا اللقاء
عدنا خيلنا إن لم تروها تثير الفتح موعدها كداء
ينازعن الأعدة مصغيات على أكافها الأسل الظماء
تظل جياشنا متطبرات يلطمهن بالساحم النساء
فما تعرضوا عنا اعترنا وكان الفتح واكتشف الغطاء
والأ فاصبروا جلال يوم يمر الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبداً يقول الحق إن فتح البلاء
شهدت به قوموا صدقوه فقلتم لا تقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جنداً هم الأنصار عرضها اللثاء
لنا في كل يوم من معد سبب أو قتال أو هجاء
فحككم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلفة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبد الدار سادتها الإماء

فنهزم خالد فسكت عنه، وإنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه فاشتدت مراجعتهم، فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله. وأما الآخر فسلم مولى أبي حنيفة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣٠/٢]: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي ميلة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطياً لرسول الله ﷺ ما لا نعلم ولا تعلمون.

ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: «أصبحت وأحسنت» ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شامراً بديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبتيه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات.

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً: إنه قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حنافة السهمي وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقتلهم لانتاعهم من الإسلام.

قال ابن هشام [السورة: ٤١٣/٢]: قال أبو عمرو المديني: لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا: صبياناً صبياناً وهذه رسائل ومتقطعات.

وقد قال الإمام أحمد [١٥٠/٢، ١٥١]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبياناً صبياناً وجعل خالد بهم أسراً وقتلاً، قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيراً حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيراً.

قال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال: فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنع خالد فقال النبي ﷺ ورفع يديه: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين.

ورواه البخاري [٧١٨٩] والنسائي [٨٥٩٦] من حديث عبد الرزاق به نحوه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٣١/٢، ٤٣٢]: وقد قال لهم جحدم لما رأى ما يصنع خالد: يا بني جذيمة ضاع الضرب قد كنت حذرتكم مما وقفت فيه.

قال ابن إسحاق: وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال: إنما ثارت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت قد قتلت قاتل أبي، ولكنك ثارت بعملك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غلوة رجل من أصحابي ولا روحته».

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن

وقال ابن هشام [السورة: ٤٢٦/٢، ٤٢٧]: وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة:

منا بمكة يسوم فتتح محمد ألف تسيل به البطاح موم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبت به أقدامهم ضحك كان الهام فيه الحتم
جرت سنابكها بنجد قبلها حتى استقام لها الحجاز الأدم
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرئاسة شامخ عرينه منطلع تغر المكارم خضرم

وذكر ابن هشام [السورة: ٤٢٧/٢] في سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له: ضمار فلما حضرته الوفاة أوصاه به، فبينما هو يوماً يجلمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول:

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورت النبوة والمهدي بعد ابن مريم من فريش مهتدي
أودى ضمار وكان يُعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد
قال: ففرق عباس ضماراً ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم، وقد تقدمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجان مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة.

سنة ٨- بعثه ﷺ خالد بن الوليد بعد

الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٢٨/٢، ٤٢٩]: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعث مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب سليم بن منصور ومذليج بن مرة فوطروا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٢٩/٢]: وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا - يقال له: جحدم -: وليكم يا بني جذيمة إنه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم سلاحهم فقول خالد.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٢٩/٢]: فحدثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفروا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

قال ابن هشام [السورة: ٤٢٩/٢، ٤٣٠]: حدثني بعض أهل العلم أنه أنفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: «هل أنكر عليه أحد؟» فقال: نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربة

وروى الحافظ البيهقي [الدلائل: ١١٦/٥، ١١٧] من طريق الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له: ابن عصام عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال: «إذا رأيتم مسلحاً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً» قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك فخرجنا قبل نهامة فأدركنا رجلاً يسوق بظلعان فقلنا له: أسلم، فقال: وما الإسلام؟ فأخبرناه به فإذا هو لا يعرفه، قال: أفريتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون؟ قال: قلنا: تقتلك، فقال: فهل أنتم متظري حتى أدرك الظلعان؟ قال: قلنا: نعم ونحن مدركوك، قال: فأدرك الظلعان فقال: أسلمي جيش قبل نفاذ العيش. فقالت الأخرى: أسلم عشرين وتسعاً وترأ وثمانياً ترى ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله: وينأى الأمير بالحبيب المقارق، ثم رجع إلينا فقال: شأنكم قال: فقدمناه فضرنا عنقه قال: فاشمردت الأخرى من هودجها فحنت عليه حتى ماتت.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ١١٧/٥، ١١٨] من طريق أبي عبد الرحمن النسائي: حدثنا محمد بن علي بن حرب المروزي حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا وفيهم رجل، فقال لهم: إني لست منهم إني عشقت امرأة فلحقها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم، قال: فإذا امرأة آدماء طويلة فقال لها: أسلمي جيش قبل نفاذ العيش، ثم ذكر البيتين بمعناها. قال: فقالت: نعم فديتك، قال: فقدموه فضرىوا عنقه فجات المرأة فوقعت عليه فشقت شققة أو شهقتين ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فقال: «أما كان فيكم رجل رحيم؟».

سنة ٨ - بعث خالد بن الوليد هدم العزى

قال ابن جرير [تاريخ الطبري: ٦٥/٣]: وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامت. قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٣٦/٢، ٤٣٧]: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بيتاً بنخله يعظمه قريش وكثانة ومضر، وكان سدنتها وحجلبها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

إيا عُرْ شدي شدة لا شوى لها على خالد ألقى الفئاع وشمري
أيسا عزْ إن لم تقتلي المرأة خالداً فبوشي بذيئ عاجل أو تصشري

قال: فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

وقد روى الواقدي [المغازي: ٨٧٤، ٨٧٤/٣] وغيره [طبقات ابن سعد: ١٤٥/٢، ١٤٦] أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «ما رأيته؟» قال: لم أر شيئاً، فأمره بالرجوع فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فغلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عُرْ كفرانك لا سبحانه إني رأيت الله قد أهانك
ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه وأخذ ما كان فيه من الأموال
فهدمها وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ فقال: «تلك العزى ولا تعبد أبداً».

وقال البيهقي [الدلائل: ٧٧/٥]: أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه أنبأنا محمد بن أبي جعفر أنبأنا أحمد بن علي حدثنا أبو كريب عن ابن فضيل عن

عبد شمس ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذينة كان هلك باليمن فحملوه إلى ورثه فادعاه رجل منهم يقال له: خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذينة فطلبه منهم قبل أن يصلوا إلى أهل الميت فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قتل عرف والفاكه، وأخذت أموالهما.

وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام، وفر منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة، فهمت قريش بغزو بني جذينة، فبعث بنو جذينة يعتنرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم، وردوا لهم القتيلين وأموالهما، ووضعوا الحرب بينهم.

يعني فلها قال خالد بن الوليد لعبد الرحمن: إنما تأثرت بأبيك، يعني حين قتلته بنو جذينة، فاجابه بأنه قد أخذ ثاره، وقتل قاتله، ورد عليه بأنه إنما ثار بعمه الفاكه بن المخيرة حين قتلوه، وأخذوا أمواله، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك، وإنما يقال هذا في وقت المخاصمة، فإذا أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله، وإن كان قد أخطأ في أمر واعتقد أنهم يتقصون الإسلام بقولهم: صلباً صلباً، ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا، فقتل طائفة كثيرة منهم، وأسر بقيتهم، وقتل أكثر الأسرى أيضاً، ومع هذا لم يعزل رسول الله ﷺ بل استمر به أميراً، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعه ذلك، وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مال، ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله والله أعلم.

ولها لم يعزل الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة، وتناول عليه ما تأول حين ضرب عنقه، واصطفى امرأته أم تميم، فقال له عمر بن الخطاب: اعزله فإن في سيفه رهقاً فقال الصديق: لا أعمد سلّه سنة الله على المشركين.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٣٣/٢، ٤٣٤]: حدثني يعقوب بن عتبة بن المخيرة بن الأخنس عن الزهري، عن ابن أبي حنبل الأسلمي قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال قتي من بني جذينة وهو في سني، وقد جمعت يده إلى عنقه برم، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا قتي فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت أخذ بهذه الرمة فقاتلني إلى هذه النسوة حتى أقضي إليهن حاجة، ثم تدني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسر ما طلبت، فأخذت برمته فقتله بها حتى وقفته عليهن فقال: أسلمي جيش على نفاذ العيش:

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بجملة أو ألفيتكم بالخراتق
ألم يك أهلاً أن ينول عائشك تكلف إدلاج السرى والودائس
فلا تنب لي قد قلت إذ أهلكنا معاً أثبي بود قبل إحدى الصفات
أثبي بود قبل أن تشطح النوى وينأى الأمير بالحبيب المقارق
فلاهي لا ضيعت سر أمانه ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامس
قلت: وأنت فحييت عشرين وتسعاً وترأ وثمانياً تترى. قال: ثم انصرفت به فضررت عنقه.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس بن أبي سنبل الأسلمي عن أشياخ منهم عن كان حضرها منهم قالوا: قامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

شعيب وغيرهم قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة.

سنة ٨- ما حكم ﷺ من الأحكام في مكة

قال البخاري (٤٣٠٣): حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ (ح).

وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمة، وقال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمة فاقبل به إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه عبد بن زمة فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي عهد إلي أنه ابنه، قال عبد بن زمة: يا رسول الله هذا أخي هذا ابن زمة ولد على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك هو أخوك يا عبد بن زمة من أجل أنه ولد على فراشه» وقال رسول الله ﷺ: «احتجني منه يأسودة لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص».

قال ابن شهاب: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

قال ابن شهاب: وكان أبو هريرة يصرح بذلك.

وقد رواه البخاري أيضاً [٢٢١٨] ومسلم [١٤٥٧] وأبو داود [٢٢٧٣] من طريق سفیان بن عيينة عن الزهري به، والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به. وابن ماجه من حديثه [٢٠٠٤] من طريق سفیان بن عيينة عن الزهري به.

وانفرد البخاري [٢٧٤٥] بروايته له من حديث مالك عن الزهري. ثم قال البخاري (٤٣٠٤): حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أنا يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير: أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح فنزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفونهم. قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ وقال: «أتكلمني في حد من حدود الله؟» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأتى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ثم أمر رسول الله ﷺ بذلك المرأة فقطعت يدها فحسنت ثوبها بعد ذلك وتزوجت.

فالت عائشة: كانت تأتي بعد ذلك فاربع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وقد رواه البخاري [٢٦٤٨] في موضع آخر ومسلم [١٤٠٦/٢٨] من حديث ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

وفي «صحيح مسلم» [١٤٠٦/٢٢] من حديث سبرة بن معبد الجهني قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ثم لم يخرج حتى نهانا عنها.

وفي رواية فقال [١٤٠٦/٢٨]: «ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة».

وفي رواية في «مسند أحمد» [٤٠٤، ٤٠٣] و«السنن» [٤]

الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأتاها وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد فلما نظرت إليه السلثة وهم حجابها أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون: يا عزي خيليه يا عزي عوريه وإلا فموتي برغم، قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحن التراب على رأسها ووجهها فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى».

سنة ٨- مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر، وهذا دليل من قال من العلماء: إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يقصر ويفطر إلى ثمانين يوماً في أحد القولين وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه.

قال البخاري (٤٢٩٧): حدثنا أبو نعيم حدثنا سفیان (ح) وحدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن يحيى بن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ عشرًا نقصر الصلاة.

وقد رواه بقية الجماعة [٦ (٩٦٣)، د (١٢٣٣)، ت (٥٤٨)، م (١٤٣٧)، ١٤٥١] ج (١٠٧٧) من طرق متعددة عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري عن أنس به نحوه.

قال البخاري (٤٢٩٨): حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أنبأنا عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين.

ورواه البخاري [١٠٨٠] أيضاً من وجه آخر - زاد البخاري: وحسين كلاهما - وأبو داود [١٢٣٠] والترمذي [٥٤٩] وابن ماجه [١٠٧٥] من حديث عاصم بن سليمان الأحول عن عكرمة عن ابن عباس به.

وفي لفظ لأبي داود: سبع عشر يوماً.

وحدثنا [ج (٤٢٩٩)] أحمد بن يونس حدثنا أبو شهاب عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة. وقال ابن عباس: فنحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة، فإذا زدنا أقمنا.

وقال أبو داود (١٢٢٩): حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن علية حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن عمران بن حصين قال: غزوت مع رسول الله ﷺ ربهت معه فتح مادم ساني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين يقول: «يا أهل البلد صلوا أربعاً فإننا سفر».

وهكذا رواه الترمذي [٥٤٥] من حديث علي بن زيد بن جذعان وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة. ثم قال: رواه غير واحد عن ابن إسحاق لم يذكرها ابن عباس.

وقال ابن إدريس عن محمد بن إسحاق عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن

الله ﷺ لا يصفاح النساء ولا يس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه.

وثبت في «الصحاحين» [ج (٤٨٩١)، م (١٨٦٦)] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط. وفي رواية [ج (١٥٩٧)، م (٤١٩٢)]، المسند [ج (٣٥٧/٦)] ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول: «إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لأمّة امرأة».

وفي «الصحاحين» [ج (٢٢١١)، م (١٧١٤)] عن عائشة: أن هنداً بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل علي من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه؟ قال: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك».

وروى البيهقي [الذليل: ١٠٠/٥] من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخياء أو أهل خباء - الشك من أبي بكير - أحب إلي من أن يذلوا من أهل أخباتك - أو خباتك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخياء - أو خياء - أحب إلي من أن يزروا من أهل أخباتك - أو خباتك - فقال رسول الله ﷺ: «وايضاً والذي نفس محمد بيده».

قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج أن أطعم من الذي له؟ قال: «لا إلا بالمعروف».

ورواه البخاري [ج (٦٦٤١)] عن يحيى بن بكير بنحوه وتقدم ما يتعلق بإسلام أبي سفيان.

سنة ٨ - لا هجرة بعد الفتح

وقال أبو داود [ج (٢٤٨٠)]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طائوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

ورواه البخاري [ج (١٨٣٤)] عن عثمان بن أبي شيبة ومسلم [ج (١٣٥٣/٨٥)] عن يحيى بن يحيى عن جرير.

وقال الإمام أحمد [ج (٤٠١/٣)، م (٤٦٥/٦)، ج (٤٦٦)]: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا ابن طائوس عن أبيه عن صفوان بن أمية: أنه قيل له: إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر فقلت له: لا أدخل منزلي حتى أتني رسول الله ﷺ فأسأله فأتني فذكرت له فقال: «لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» تفرد به أحمد.

وقال البخاري [ج (٤٣٠٧)]: حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا الفضيل بن سليمان حدثنا عاصم عن أبي عثمان النهدي عن مجاشع بن مسعود قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة فقال: «مضت الهجرة لأهلها أبايعهم على الإسلام والجهاد» فلقيت أبا معبد فسأته فقال: صدق مجاشع. وقال خالد عن أبي عثمان عن مجاشع أنه جاء بأخيه مجالد.

وقال البخاري [ج (٤٣٠٥)]: حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا عاصم عن أبي عثمان قال: حدثني مجاشع قال: أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت: يا رسول الله جئت بك أخي لتبايعه على الهجرة قال: «ذهب أهل الهجرة بما فيها» فقلت على أي شيء تبايعه؟ قال: «أبايعهم على الإسلام والإيمان والجهاد».

(٢٠٧٢)، م (٥٥٤١)، ج (١٩٦٢)] أن ذلك كان في حجة الوداع فالله أعلم.

وفي صحيح مسلم [ج (١٨/١٤٠٥)] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد بن زياد عن أبي العيس عن أبياس بن سلمة بن الأكوخ عن أبيه أنه قال: رخص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في تمتع النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه.

قال البيهقي [الذليل: ٨٩/٥]: وعام أوطاس هو عام الفتح فهو وحديث سيرة سواء.

قلت: من أثبت النهي عنها في غزوة خيبر قال: إنها أبيحت مرتين وحرمت مرتين، وقد نص على ذلك الشافعي وغيره. وقد قيل: إنها أبيحت وحرمت أكثر من مرتين فالله أعلم.

وقيل: إنها إنما حرمت مرة واحدة وهي هذه المرة في غزوة الفتح، وقيل: إنها إنما أبيحت للضرورة فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت وهذا رواية عن الإمام أحمد.

وقيل: بل لم تحرم مطلقاً وهي على الإباحة هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة وموضع تحرير ذلك في «الأحكام».

سنة ٨ - البيعة يوم الفتح

قال الإمام أحمد [ج (٤١٥/٣)]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا ابن جريج أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم: أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح، قال: جلس عند قرن مسقلة يبايع الناس على الإسلام والشهادة قال: قلت: وما الشهادة؟ قال: أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه يبايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. تفرد به أحمد.

وعند البيهقي [الذليل: ٩٤/٥]: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة. وقال ابن جرير [تاريخ الطبري: ٩١/٣، ج (٦٢)]: ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا.

قال: فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة منتقبة متكررة بجديتها لما كان من صنعها بحمزة فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بجديتها ذلك، فلما دئبن من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال: «بابعيني على أن لا تشركن بالله شيئاً» فقالت هند: والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذ من الرجال. قال: «ولا تسكرن» فقالت: والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهبة بعد الهبة وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟.

فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل، فقال رسول الله ﷺ: «وانك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك ثم قال: «ولا تزنين» فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ ثم قال: «ولا تقتلن أولادكن» قالت: قد ربيتهن صغيراً وقتلتهن بغير كبراً فأنت وهم أعلم فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب ثم قال: «ولا تأتين بهتان فتزنيهن بين أيديكن ولرجلكن» فقالت: والله إن إتيان البهتان لقيح، وبعض التجاوز أمثل ثم قال: «ولا تعصيني» فقالت: في معروف، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «بابعهن واستغفرن لله إن الله غفور رحيم» فبايعهن عمر وكان رسول

أفكأن تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا، فقال: ما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فلذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخاري.

وهكذا روي من غير وجه عن ابن عباس أنه فسر ذلك بنبي رسول الله ﷺ في أجله، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد (٢١٧/١): حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «تُعَيَّنَ لِي نَفْسِي» بأنه مقبوض في تلك السنة.

تفرد به الإمام أحمد وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الحراساني وفيه ضعف تكلم فيه غير واحد من الأئمة وفي لفظه نكارة شديدة وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة، وهذا باطل فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها كما تقدم بيانه وهذا ما لا خلاف فيه. وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا خلاف أيضاً.

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني رحمه الله (المعجم الكبير: ٣٩٧/١٠: ١١٧٣٦): حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العيس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جيماً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

فيه نكارة أيضاً وفي إسناده نظر أيضاً ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم.

وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة.

وقال البخاري (٤٣٠٢): حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن سلمة - قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسأله - قال: كنا بماء عر الناس، وكان يمر بنا الركان فنسلمهم ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا. فكتكت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يغري في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون: اتروكم وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئكم والله من عند النبي حقاً. قال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرأتاً»، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرأتاً مني لما كنت أتلقى من الركان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تظنون عنا إست قارتكم؟ فاشتروا قطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص. تفرد به البخاري دون مسلم.

سنة ٨- غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَثِقُوا مَوْبِقَكُمْ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ

فلقيت أبا معبد بعد وكان أكبرهما سنّاً فسأله فقال: صدق مجاشع. وقال البخاري (٤٣٠٩): حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال: قلت لابن عمر: أريد أن أهاجر إلى الشام. فقال: لا هجرة ولكن جهاد انطلق فأعرض نفسك فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت.

وقال أبو النضر: أنا شعبة أنا أبو بشر سمعت مجاهداً قال: قلت لابن عمر: فقال: لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - مثله.

حدثنا (ع ٤٣١١) إسحاق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن عتبة بن أبي لبابة عن مجاهد بن جبر: أن عبد الله بن عمر قال: لا هجرة بعد الفتح.

وقال البخاري (٤٣١٢): حدثنا إسحاق بن يزيد أنا يحيى بن حمزة أنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح قال: زوت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت: لا هجرة اليوم. كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ خافة أن يفن عليه، فاما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالؤمن يعبد ربه حيث يشاء ولكن جهاد ونية.

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة - إما الكاملة أو مطلقاً - قد انقطعت بعد فتح مكة لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعاؤه فلم تبق هجرة اللهم إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم فتجب الهجرة إلى دار الإسلام وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح، كما أن كلاً من الجهاد والإتفاق في سبيل الله مشروع ومرغوب فيه إلى يوم القيامة ولكن ليس كالإتفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ حَرْجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْتَفِينَ﴾ (سورة الحديد: ١٠ الآية).

سنة ٨- نزول سورة الفتح

وقد قال الإمام أحمد (٢٢/٣): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه السورة الكريمة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ قراها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس حَيْرٌ وأنا وأصحابي حَيْرٌ» وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» فقال له مروان: كذبت، وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصلدة، فرفع مروان عليه الدرة لبضربه فلما رآها ذلك. قالوا: صدق. تفرد به أحمد.

وقال البخاري (٤٩٧٠): حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فسا رُئيت أنه ادخلني فيهم يرمئني إلا ليربهم، فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي:

ظهوري - وكره أن يكون لزيد فيها ذكر أو رأي - فقالوا: أطلعناك فقال زيد: هذا يوم لم أشهد ولم يفتي:

يألتني فيها جئع أخب فيها وأضع
أتود وطفاء الزمض كأنها شاة صنع

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شملوا شدة رجل واحد.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٣٩/٢): وحلثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عينا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ولكم ما شئكم؟ قالوا: رأينا رجلا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٣٩/٢، ٤٤٠): ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيهم بخبرهم، فانطلق ابن أبي حذرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة حتى تؤديها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكتفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأل أن يكتفيهم حلماً ففعل.

هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد.

وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه، وعن عمرو بن شعيب والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم.

وقصة الأدراع كما تقدم وفيه: أن ابن أبي حذرد لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذب عمر بن الخطاب، فقال له ابن أبي حذرد: لئن كذبتني يا عمر فرميا كذبت بالحق، فقال عمر: ألا تسمع ما يقول يا رسول الله؟ فقال: «قد كنت ضالاً فهداك الله».

وقد قال الإمام أحمد (٤٠٠/٣، ٤٠١، ٤٦٥/٦): حدثنا يزيد بن هارون أن شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ استأمر منه يوم حنين أدراعاً فقال: أغصباً يا محمد؟ فقال: «بل عارية مضمونة» قال: فضاء بعضها فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمها له فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب.

ورواه أبو داود (٣٥٦٢) والنسائي (٥٧٧٩) من حديث يزيد بن هارون به.

وأخرجه النسائي (٥٧٨٠) من رواية إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية: أن رسول الله ﷺ استأمر من صفوان أدراعاً وأقراساً وساق الحديث.

ورواه (٥٧٧٨) من حديث شميم عن حجاج عن عطاء: أن رسول الله ﷺ استأمر من صفوان أدراعاً وأقراساً وساق الحديث.

جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَنَدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥ - ٢٧﴾.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه (سيرة ابن هشام: ٤٣٧/٢): أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة.

وهكذا روى عن ابن مسعود وبه قال عروة بن الزبير واختاره ابن جرير في تاريخه (٥٦٣).

وقال الواقدي (المغازي: ٨٨٩/٣، ٨٩٢): خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست خلون من شوال فأتته إلى حنين في عاشره. وقال أبو بكر الصديق: لن تغلب اليوم من قلة!! فانهمزوا فكلن أول من انهزم بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٣٧/٢ - ٤٣٩): ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصري فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليل ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء.

وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ولم يشهدا منهم أحد له اسم وفي بني جشم زيد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً عجياً، وفي ثقيف سيدان لهم، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث وأخوه أحر بن الحارث وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري.

فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم زيد بن الصمة في شجار له يقاد به، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس قال: نعم مجال الخيل لا حَزَنَ شَرَسَ ولا سَهْلَ دَجَسَ، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويمار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم، قال: أين مالك؟ قالوا: هذا مالك. ودعي له، قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويمار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فأتقض به، ثم قال: راعي ضان والله، هل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم يضعك إلا رجل يسفه ورعه. وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قال: لم يشهدا منهم أحد. قال: غاب الحد والجند لو كان يوم علاء ورفعة لم تغيب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فلتتمن ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال: ذاك الجندهان من عامر لا ينفعان ولا يضران ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نخور الخيل شيئاً، ثم قال زيد مالك بن عوف: ارفعهم إلى متمن بلادهم وعليا قومهم ثم ألق الصبي على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، ثم قال مالك: والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده مرفوعاً.

وقال أبو داود (٢٥٠١): حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام عن السلولي أنه حدثه سهل بن الخطيب أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فاطنوا السير حتى كان عشية، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غثيمة المسلمين غنا إن شاء الله» ثم قال: «من يجرسنا الليلة؟» قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال: فاركب فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نفر من قبلك الليلة».

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال: «هل أحستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله ما أحسنا، فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي ويلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلاه هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ فلما أصبحت طلعت الشيعين كليهما فنظرت فلم أر أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: «هل نزلت الليلة؟» قال: لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة فقال له رسول الله ﷺ: «قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدما».

وهكذا رواه النسائي (٨٨٧٠) عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني عن أبي توبة الربيع بن نافع به.

سنة ٨- ما كان في أول الأمر من

الفرار ثم كانت العاقبة للمقتين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال: فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها فاعدوا وتهيؤوا في مضائق الوادي وأحاثته وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمادة الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الحيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول: «أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله» قال: فلا شيء، وركبت الإبل بعضها بعضاً.

فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والفضل بن العباس وقيل الفضيل بن أبي سفيان وأمين بن أم أيمن وأسامة بن زيد، ومن الناس من يزيد فيهم قسم بن العباس ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحكمة بنكته البيضاء وهو عليها قد شجرها.

قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمري بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه إذ أدرك طعن برمه وإذا فاته الناس

وقال أبو داود (٣٥٦٣): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن أناس من آل عبد الله بن صفوان: أن رسول الله ﷺ قال: «يا صفوان هل عندك من سلاح؟» قال: عارية أم غصبا، قال: «لا، بل عارية» فأعلمه ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً، فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدرعاً، فقال رسول الله ﷺ لصفوان: «قد فقدنا من أدرعك أدرعاً فهل نغرم لك؟» قال: لا يا رسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن فيه يومئذ. وهذا مرسل أيضاً.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٤٠/٢): ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً.

قلت: وعلى قول عروة والزهرري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى هوازن أربعة عشر ألفاً، لأنه قدم بآثني عشر ألفاً إلى مكة على قورم وأضيف ألفان من الطلقاء.

وذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٣٧/٢) أنه خرج من مكة في خاص شوال.

قال: واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي.

قلت: وكان عمره إذا ذاك قريباً من عشرين سنة.

قال: ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمى في ذلك منها قوله:

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها
مني رسالة نصح فيه تبيان
إنني أظن رسول الله ﷺ صاحبكم
جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم
والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد
والأجربان بنو عيس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبة
وفي مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان قبلا مزينة.

قال [سيرة ابن هشام: ٤٤٢/٢]: وحدثني الزهرري عن ستان بن أبي سنان الدثلي عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين.

قال: وكانت لكفار قریش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها: ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويمكفون عليها يوماً.

قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدة خضراء عظيمة، قال: فتداني من جنبات الطريق: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: «اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة» قال إنكم قوم تجهلون» [الأعراف: ١٣٨] إنها السنن لتركيبن سنن من كان قبلكم».

وقد روى هذا الحديث الترمذي (٢١٨٠) عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عن سفيان.

والنسائي (١١١٨٥) عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر كلاهما عن الزهرري.

كما رواه ابن إسحاق عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

رفع رعه لمن وراه فاتبوه.

قال: فبينما هو كذلك إذ هوى له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فباتي علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أظن قدمه بنصف ساقه فانجعت عن رحله.

قال: واجتلد الناس قولاً ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجعلوا الأسارى مكفين عند رسول الله ﷺ.

ورواه الإمام أحمد (٣٧٦/٣، ٣٧٧) عن يعقوب بن إبراهيم الزهري عن أبيه عن محمد بن إسحاق قال ابن إسحاق: والثفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو أخذ بفرقته رسول الله ﷺ فقال: «من هنا؟» قال: ابن أمك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٤٣/٢، ٤٤٤]: ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزام معه يومئذ - قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ كلداء بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم. فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فوالله لئن يرئني رجل من قريش أحب إلي من أن يريني رجل من هوازن.

وقال الإمام أحمد (٢٧٩/٣): حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، أنبا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك: أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فجعلوها صفوفاً يكثر على رسول الله ﷺ فلما التقوا ولى المسلمون منبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله» ثم قال: «يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله» قال: فهزم الله المشركين ولم يضرب سيف ولم يطعن برمح. قال وقال رسول الله ﷺ يومئذ: «من قتل كافراً فله سلبه» قال: فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم، وقال أبو قتادة: يا رسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه دوح فلأجهضت عنه فانظر من أخذها قال: فقام رجل فقال: أنا أخذتها فأرضه منها وأعطيها.

قال: وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت، فسكت رسول الله ﷺ. فقال عمر: والله لا يئتيها الله على أسد من أسد الله ويعطيها، فقال رسول الله ﷺ: «صدق عمر» قال: ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال أبو طلحة: ما هذا؟ فقالت: إن دنأ مني بعض المشركين أن أبجج به بطنه، فقال أبو طلحة: أما تسمع ما تقول أم سليم؟ فضحك رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال: «إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم».

وقد روى مسلم (١٨٠٩) منه قصة خنجر أم سليم، وأبو داود (٢٧١٨) قوله: «من قتل قتيلاً فله سلبه» كلاهما من حديث حماد بن سلمة به.

وقول عمر في هذا مستغرب والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق.

وقال الإمام أحمد (١٥١/٣): حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا أبي، حدثنا نافع أبو غالب، شهد أنس بن مالك قال: فقال العلاء بن زياد العلوي: يا أبا حمزة بسن أي الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بعث؟ فقال: ابن أربعين سنة، قال: ثم كان ماذا؟ قال: ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة

عشر سنين فتمت له ستون سنة، ثم قبضه الله إليه، قال: بسن أي الرجال هو يومئذ؟ قال: كاتب الرجال وأحسنه وأجله وألحمه، قال: يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم غزوت معه يوم حنين فخرج المشركون بكرة فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحططنا، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل فهزمهم الله فولوا، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح فجعل يبعث بهم أسارى رجل رجل فيأبىونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: إن علي نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحططنا لأضربن عنقه، قال: فسكت رسول الله ﷺ وجيء بالرجل فلما رأى نبي الله ﷺ قال: يا نبي الله تبت إلى الله؟ قال: وأمسك نبي الله ﷺ أن يأبىه ليوفي الآخر نذره، قال: وجعل ينظر إلى النبي ﷺ ليأمره بقتله ويهاب رسول الله ﷺ، فلما رأى النبي ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بأمره فقال: يا نبي الله ننذري؟ قال: «لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك» فقال: يا رسول الله ألا أومات لي؟ قال: «إنه ليس لي أن أومئ».

نفرده به أحمد (أخرج د ٣١٩٤) بعضه من طريق عبد الوارث، به.

وقال أحمد (٢١١/٣): حدثنا يزيد، حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين: «اللهم إنك تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم» إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه.

وقال البخاري (٤٣١٧): حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس: أفررت عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم اتكشفوا فأكبينا على الغنائم فاستقبلنا بالسهم. ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بقلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول: «أنا النبي لا كذب»، ورواه البخاري (٤٣١٦) عن أبي الوليد عن شعبة به وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخاري (٤٣١٧): وقال إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق عن البراء: ثم نزل عن بقلته.

ورواه مسلم (١٦٧٦) والنسائي (٨٦٣٨) عن بندار. زاد مسلم، وأبي موسى كلاهما عن غندر به.

وروى مسلم (١٦٧٦) من حديث زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن البراء قال: ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

«اللهم نزل نصرتك».

قال البراء: ولقد كنا إذا حمي البأس تنقي برسول الله ﷺ وإن الشجاع الذي يحاذي به.

وروى البيهقي (الدلائل: ١٣٥/٥، ١٣٦) من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «أنا ابن العواتك».

وقال الطبراني (المعجم: ٢٠١/٧): حدثنا عباس بن الفضل الأسفاطي حدثنا عمرو بن عوف الواسطي حدثنا هشيم، أنبا يحيى بن سعيد عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن سبابة بن عاصم السلمي أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك».

وقال البخاري (٤٣٢١): حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبا مالك عن

رجعت راجعةً الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناهم.

وقال ابن لبيعة عن أبي الأسود عن عروة. وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقر بها عينه، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم ينادر منهم أحداً ركباً ومشاة حتى خرج النساء يمشين على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدعة برسول الله ﷺ وأصحابه.

قالوا: وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما.

قالوا: وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دريد بن الصمة يرعش من الكبر، ومعه النساء والزراير والنعم، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدره عينا، فبات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه: إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد واكسروا أعماد سيفكم واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً.

فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة وصف الناس بعضهم لبعض وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - فبينما هم كذلك حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد، فجال المسلمون جولة ثم ولوا مدبرين، فقال حارة بن النعمان: اني لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس فقلت: مائة رجل، قالوا: ومروا رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجترونها أبداً، فقال له صفوان: تبشرني بظهور الأعراب فوالله لأزب من قريش أحب إلي من رب الأعراب، وغضب صفوان لذلك.

قال موسى: ويبحث صفوان غلاماً له فقال: اسمع ابن الشعار؟ فجاءه فقال: سمعتهم يقولون: يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله، يا بني عبد الله، فقال: ظهر محمد وكان ذلك شعارهم في الحرب.

قالوا: وكان رسول الله ﷺ لما غشي القتال قام في الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعوهم ويقول: «اللهم إني أشدك ما وعدتني اللهم لا ينجيهم أن يظهروا علينا» ونادى أصحابه وذمهم: «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكثرة على نبيكم».

وقال: حرضهم فقال: «يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج يا أصحاب سورة البقرة» وأمر من أصحابه من ينادي بذلك.

قالوا: وقبض قبضة من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواجههم كلها وقال: «شاهت الوجوه» وأقبل أصحابه إليه سراعاً يتدبرون، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «الآن حي الوطيس» فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصيبهم منها، واتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنمهم الله نساهم وذرايعهم، وفر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأتاس من أشرف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله ﷺ وإعزازه دينه.

رواه البيهقي [دلائل النبوة: ١٢٩/٥].

وقال ابن وهب: أخبرني يونس عن الزهري، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب، قال: قال العباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث لا تفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة

يحمي بن سعيد عن عمر بن كثير بن أنفح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة عن أبي قتادة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضرته من ورائه على جبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل علي فضمني ضمة وجذبت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فإرسلي فلحقت عمر، فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله، عز وجل، ثم رجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه» فمقت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست فقال رسول الله ﷺ مثله، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، ثم قال رسول الله ﷺ مثله فمقت فقال: «مالك يا أبا قتادة؟» فأخبرته فقال رجل: «صدق سلبه عندي فأرضه بني، فقال أبو بكر: لاها الله إذا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه؟» فقال النبي ﷺ: «صدق فأعطه» فأعطانيه فأبنت به مخرفاً في بني سلمة فإنه لأول مال تأكله في الإسلام.

ورواه بقية الجماعة [م (١٧٥١)، د (٢٧١٧)، ت (١٥٦٢)، ج (٢٨٣٧)] إلا النسائي من حديث يحيى بن سعيد.

قال البخاري [٤٣٢٢] وقال الليث بن سعد: حدثني يحيى بن سعيد عن عمر بن كثير بن أنفح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة أن أبا قتادة قال: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يَحْتَلُهُ من ورائه ليقبضه، فأسرعت إلى الذي يَحْتَلُهُ فرفع يده ليضربي فأضرب يده فقطعتها، ثم أخدني فضمني ضماً شديداً حتى تخوفت، ثم ترك فتحل فدفعته ثم قتله، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من أقام بيعة على قتيل قتله فله سلبه» فمقت لألتبس بيعة على قتيلي فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتل الذي يذكر عندي فأرضه بني، فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أصبغ من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله ﷺ فاداه إلي فاشتريت به خيراً فكان أول مال تأكله.

وقد رواه البخاري في مواضع آخر [٧١٧٠] ومسلم [١٧٥١] كلاهما عن قتيبة عن الليث بن سعد به.

وقد تقدم من رواية نافع أبي غالب عن أنس أن القاتل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعة لأبي بكر الصديق ومساعدة وموافقة له، أو قد اشتبه على الراوي والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [دلائل: ١٢٩/٥]: أنبأنا الحاكم، أنبأ الأصم، أنبأ أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى: «يا عباس ناد: يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة فاجابوه لييك لييك، فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك فينفذ دبره في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناس فافتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جعلت آخراً بالخزرج، وكانوا صبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: «الآن حي الوطيس» قال: فوالله ما

يضاه أهدأها له فروة بن نفاثة الجلفامي، فلما التقى الناس ولى المسلمون مدبرين ففطق رسول الله ﷺ يركض بقلته قبل الكفار.

قال العباس: وأنا أخذ بلجامها أختها لإرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس ناد أصحاب السمره» قال: فوالله لكأنما عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لييكاه يا لييكاه، قال: فاقبلتوا هم والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالنطاول عليها إلى قتالهم فقال: «هذا حين حمي الوطيس» ثم أخذ ﷺ حصيات فرمى بهن في وجه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياتها فما زلت أرى حثم كليلًا، وأمرهم مدبرًا.

ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به نحوه (١٧٧٥) (٧٦).

ورواه أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق، عن معمر عن الزهري نحوه (١٧٧٥) (٧٧).

وروى مسلم [١٧٧٧] من حديث عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حينئذ فلما واجهنا العدو تقدمت فاعلوا ثيبة فاستقبلني رجل من المشركين فأرميه بهم، وتوارى عني فما دريت ما صنع ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعا من ثيبة أخرى فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ فولى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزما وعلي بردتان متزتا بإحداهما مرتليا بالأخرى.

قال: فاستطلق إزارى فجمعتهما جعاً ومررت على النبي ﷺ وأنا منهزم وهو على بغلته الشهباء، فقال: «لقد رأى ابن الأكوع فرعاً فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل به وجوههم وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً من تلك القبضة فولوا مدبرين، فهزمهم الله وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده [١٣٧١]: حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن يسار، عن أبي عبد الرحمن الفهري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حنين فسرنا في يوم قايظ شديد الحر فزلنا تحت ظلال الشجر، فلما زالت الشمس لبست لأمني وركبت فرسي فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فسطاطه فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قد حان الرواح يا رسول الله؟ قال: «أجل» ثم قال رسول الله ﷺ: «قم يا بلال» فنار من تحت سمره كأن ظلّه ظلّ طائر فقال: ليك وسعديك وأنا فداؤك؟ فقال: «أسرج لي فرسي» فأتاه بدفتين من ليف ليس فيهما أثر ولا بطر. قال: فركب فرسه فسرنا يومنا فلقينا العدو وتناحيت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله» واحتجم رسول الله ﷺ عن فرسه.

وحديثي من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحشي بها وجوه العدو وقال: «شاهت الوجوه».

قال يعلى بن عطاء: فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا: ما بقي أحد إلا امتلأت عيناه وغمه من التراب، وسمعتنا صلصلة من السماء كمر الحديد

على الطست الجديد، فهزمهم الله عز وجل.

ورواه أبو داود السجستاني في سننه [٥٢٣٣] عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة به نحوه.

وقال الإمام أحمد [٤٥٣/١، ٤٥٤]: حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الحارث بن حصيرة، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قمعا ولم نولهم الدبر، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينه.

قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قلعاً، فحادث به بغلته فقال عن السرج فقلت له: ارتفع رفعلك الله فقال: «فأولني كفاً من تراب» فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً قال: «أيس المهاجرين والأنصار؟» قلت: هم أولاً قال: «اهتف بهم» فتهتف بهم فجأؤوا وسيوفهم بأيامهم كأنها الشهب ولى المشركون أديارهم.

نقرد به أحمد.

وقال البيهقي [الدلائل: ١٤٢/٥]: أنبأ أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن نجيم القطري، حدثنا أبو قلاية، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطاطي، أخبرني عبد الله بن عباس بن الحارث الأنصاري عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قتل يوم بدر، قال: وأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فرمى بها في وجوها فانهزمت.

ورواه البخاري في تاريخه [التاريخ الكبير: ١٩/٧] ولم ينسب عياضاً.

وقال مسدد: حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عوف، ثنا عبد الرحمن مولى أم برثن عن شهد حنيناً كافراً قال: لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ والمسلمون لم يقوموا لنا حلب شاة، فجتنا نهش سيفونا بين يدي رسول الله ﷺ حتى إذ غشيته فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا: شاهت الوجوه فارجعوا، فهزمتنا من ذلك الكلام.

رواه البيهقي [الدلائل: ١٤٣/٥].

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو سفيان، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني محمد بن عبد الله الشُعَيْثِي عن الحارث بن بدل النصري عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمرو بن سفيان الثقفي قال: انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث، قال: فقبض رسول الله ﷺ قبضة من الحصاء فرمى بها في وجوههم، قال: فانهزمتا فما خجل إلينا إلا أن كل حجر أو شجر فارس يطلبنا.

قال الثقفي: فأعجرت على فرسي حتى دخلت الطائف [الغرة والحارث: ٣٧٧/١ والدلائل للبيهقي: ٣٧٧/١].

وروى يونس بن بكير في معانيه عن يوسف بن صهيب عن عبد الله أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد.

وروى البيهقي [الدلائل: ١٤٣/٥، ١٤٤] من طريق الكندي حدثنا موسى بن مسعود حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطاطي عن السائب بن يسار عن يزيد بن عامر السوائي أنه قال: عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين فقتلهم الكفار وأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم، وقال: «ارجعوا شاهت الوجوه» فما أحد يلتقي أخاه إلا وهو يشكر قذى في عينه.

ولما دونوا من حنين ومائه وأينا سواها منكر اللون أخصفا بملومة شهاب لو قذفوا بها شامخ من عروى إذا عاد صفصفا ولو أن قومي طاعوني سراتهم إذا ما لقينا العارض المتكشفا إذا ما لقينا جند آل محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفا وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرمز ويقول:

أشدّ عجاج إنّه يوم نكر مثلي على مثلك يعمي ويكر
إذا أضيغ الصفّ يوماً واللُّبّر ثم حزّألت ومُر بعد زمر
كتاب يكل فهن البصر قد أطمعن الطعنة تقذي بالشر
حين يذم المُنتكين المتجسر وأطمعن النجلاء تصوي وتهر
لها من الجوف وشاش منهمر تفهق تارات وحينا تفجر
وثعلب العامل فيها منكسر بما زُين يا ابن مهمم أين نفر
قد نَفَذَ الفرس وقد طال العمر قد علم البيض الطويلات الحمر
أنسي في أمثالي غير غمر إذ تخرج الحاضن من تحت السُتر

وذكر البيهقي [الدلائل: ١٤٧/٥] من طريق يونس بن بكير عن أبي إسحاق أنه أشد من شعر مالك أيضاً حين ولي أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل: هي لغزيرة:

أذكر مسيرهم والناس كلهم ومالك فوّه الربابت تخفق
ومالك مالك ما فوّه أحد يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الناس حين البأس يقدمهم عليهم البيض والأبسدان والسردق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا حول النبي وحتى جُثّه الغسق
حتى تنزل جبريل بصرهم فالقوم منهزم منا ومعلق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا لمُعتنا إذا أسيافا الفلّسك
وقد وفى عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرجه الملق
قال ابن إسحاق: ولما هزم المشركون وأمكن الله رسوله منهم قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل السلات والله أحق بالثبات
قال ابن هشام: وقد أشدني بعض أهل الرواية للشعر:

غلبت خيل الله خيل السلات وخيله أحق بالثبات
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٩/٢، ٤٥٠]: فلما انهزمت هوازن استحر القتل من قيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم وكانت مع ذي الحمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب فقاتل بها حتى قتل، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال: «أبعده الله فإنه كان يبغي قريشاً».

وذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٠/٢] عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلام له نصراني، فجاء رجل من الأنصار ليسلبيه فإذا هو أغرل، فصاح بأعلا صوته: يا معشر العرب يعلم الله إن ثقيفاً أغرل، قال المغيرة بن شعبه الثقفي: فأخذت يده وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت: لا تقل كذلك فذاك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني، ثم جعلت أكشف له القتل فأقول له ألا تراهم غنيتين كما ترى؟.

ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة: حدثنا سعيد بن السائب بن يسار الطافقي، حدثني أبي السائب بن يسار سمعت يزيد بن عامر السوائي - وكان شهد حيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال: فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان؟ قال: فكان يأخذ لنا بمصاة قيرمي بها في الطست فيطن، قال: كنا نحيد في أجوافنا مثل هذا [الدلائل: ١٤٤/٥].

وقال البيهقي [الدلائل: ١٤٦، ١٤٥/٥]: أنبا أبو عبد الله الحافظ وعبد بن موسى بن الفضل قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس عن محمد بن بكر الحضرمي، حدثنا أيوب بن جابر عن صدقة بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ولكن أبييت أن تظهر هوازن على قريش فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله إني أرى خيلاً بلقاً، فقال: «يا شيبة إنه لا يراها إلا كافراً» فضرب يده في صدري ثم قال: «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثانية فقال: «اللهم اهد شيبة» ثم ضربها الثالثة ثم قال: «اللهم اهد شيبة» قال: فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلي منه.

ثم ذكر الحديث في التثاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين.

وقال البيهقي [الدلائل: ١٤٥/٥]: أنبا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي، عن عكرمة مولى ابن عباس عن شيبة بن عثمان قال: لما رايت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عري، ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحزرة ليأهما، فقلت: اليوم أدرك ثاري من رسول الله ﷺ، قال: فذهبت لأجيته عن يمينه فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً عليه درع يضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج، فقلت: عمه ولن يخذله.

قال: ثم جته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقلت: ابن عمه ولن يخذله، قال: ثم جته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف إذ رُفع شواط من نار بيني وبينه كأنه برق فمخت أن يحشني، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «يا شيبة يا شيبة»، ادن مني، اللهم اذهب عنه الشيطان» قال: فرفعت إليه بصري وهو أحب إلي من سمعي وبصري، فقال: «يا شيبة قاتل الكفار».

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٤/٢]: وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت: اليوم أدرك ثاري - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً، قال: فأدرك برسول الله ﷺ لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك وعلمت أنه ممنوع مني.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٤٩/٢]: وحدثني والدي إسحاق بن يسار عن حدثه عن جبير بن مطعم قال: إننا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين والناس يقتلون إذ نظرت إلى مثل الجباد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم فإذا غل مشور قد ملأ الوادي فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشك أنها الملائكة.

ورواه البيهقي [الدلائل: ١٤٦/٥، ١٤٧] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به. وزاد فقال خديج بن العرجا النصري - يعني في ذلك-:

مع طائفة من أصحابه فقال: قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلتق أحراركم.
قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٥٦/٢): فبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على النخلة فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم، فقال: هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تبينها فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضِي رماحهم أغفالا على خيلهم، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج ولا بأس عليكم منهم، فلما انتهوا إلى أصل النخلة سلكوا طريق بني سليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى فارساً طويل الباد وأضعا رمح على عاتقه عاصباً رأسه بملاء حمراء، قال: هذا الزبير بن العوام وأقسم باللات ليخاطبكن فابتئنا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل النخلة أبصر القرم فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها.

سنة ٨ - غنائم هوازن

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق وأمر أن تساق إلى الجمرات فتحبس هناك.
قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٥٩/٢): وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري

سنة ٨ - النهي عن قتل الولدان والنساء في الغزو

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٥٧/٢، ٤٥٨): وحلثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة قتلتها خالد بن الوليد والناس متصفون عليها فقال لبعض أصحابه: «أدرك خالدًا قتل له: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً».

هكذا رواه ابن إسحاق متقطعاً.
وقد قال الإمام أحمد (٤٨٨/٣): حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد، حدثني المرقع بن صيفي عن جده رباح بن ربيع أخي حفظة الكاتب أنه أخبره أنه خرج رسول الله ﷺ في غزوة غزاهما وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة عما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته، فانفجروا عنها فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال: «ما كانت هذه لتقاتل» فقال لأحدهم: «الحق خالدًا قتل له: لا تقتلن ذرية ولا عسيفاً».

وكذلك رواه أبو داود (٢٦٦٩) والنسائي (٨٦٢٥، ٨٦٢٦) وابن ماجه (٢٨٤٢) من حديث المرقع بن صيفي به نحوه.

سنة ٨ - سرية أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انتهزمت ذهبت فرقة منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصري فلجؤوا إلى الطائف فتحصنوا بها، وسارت فرقة فسكروا بمكان يقال له أوطاس، فبعث إليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فقتلهم، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة فحاصر أهل الطائف كما سيأتي.

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انتهز الناس أسند رأيته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين، رجل من بني غيرة يقال له: وهب ورجل من بني كبة يقال له الجلاح، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: «قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيذة» يعني الحارث بن أويس.
قال ابن إسحاق: فقال العباس بن مرداس: يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخمار وحبه نفسه وقومه للموت:

ألا من بلغ غيلان عني وسوف أخال يأتيه الخبر
وعودة إنما أهدي جواباً وقولا غير قولكما يبر
بأن محمداً عبد رسول لرب لا يضل ولا يغير
وجلتاه نبياً مثل موسى فكل فتى بخبايره غير
ويش الأمر أمر بني قسي بروج إذا تقمتم الأمور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم أمير والدوائر قد تلور
فجتنا أسد غابات إليهم جنود الله ضاحية تدير
نؤم الجمع جمع بني قسي على حتى تكاد له نظير
وأقسم لو هُتوا مكثوا لسننا إليهم بالجنود ولم ينهروا
فكننا أسد لئمة ثم حتى اجتاعها وأسلمت التصور
ويوم كان قبل لدى حين فأتلق والدماء به تمور
من الأيام لم تسمع كيوم ولم يسمع به قوم ذكور
قتلنا في الفجار بني حليط على رياتها والخيول زور
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم لهم عقل يعاقب أو تكبر
أقام بهم على سنن المنايا وقد باتت لبحرها الأمور
فأفلت من نجا منهم جريضاً وقتل منهم بشرٌ كثير
ولا يني الأمور أخو التواني ولا الفلق الصيرة الحصور
أحانهم وحنان وملكوه أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تتيح بهم جباد أمين لها القصاص والشعر
فلولا قارب وبنو أبيه تقمتم المزارع والقصور
ولكن الرئاسة عموها على يُمن أشار به المشير
أطاعوا قارباً ولهم جلود وإحلام إلى عزز نصير
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ما ستر السمر
فإن لم يسلما فهموا آذان بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكّت بنو سعد وحرب يرهط بني غزية عتقير
كان بني معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائقة تحصور
قتلنا أسلموا إننا أخوكم وقد برأت من الإحن الصدور
كان القوم إذ جاؤوا إلينا من البغضاء بعد السلم عور

سنة ٨ - مع ملك هوازن

ولما انتهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصري على ثنية

هما تركاه لدى معرك كان على عطفه مجسدا فلم ير في الناس مثليهما أقبل عشاراً وأرمى يداً وقال البخاري [٤٣٢٣]: حدثنا محمد بن الصلاء، وحدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: ويعني مع أبي عامر فرمي أبو عامر في ركبته رماة جشمي بهم فأتته في ركبته، قال: فانتبهت إليه فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته فلما رأيته ولي فأتته وجعلت أقول له: ألا تستحي ألا تثبت؟ فكف فاختلنا خريتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فأنزع هذا السهم فترعه فترأ منه الماء. قال: يا ابن أخي أقرئ رسول الله ﷺ السلام وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله: قل له: استغفر لي قال: فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر» ورأيت يابض إبطيه ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» - أو من الناس - فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً» قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى رضي الله عنهما.

ورواه مسلم [٢٤٩٨] عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن بَرَاد عن أبي أسامة به نحوه.

وقال الإسحاق أحمد [٧٢/٣]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأ سفيان - هو الثوري - عن عثمان البتي عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا نساء من سبي أوطاس ولهن أزواج، فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج، فسالنا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٤] قال: فاستحللنا بها فزوجهن.

وهكذا رواه الترمذي [١١٣٢] والنسائي [كبرى (١١٠٩٧)] من حديث عثمان البتي به. وأخرجه مسلم في صحيحه [١٤٥٦٦] (٣٥) من حديث شعبة، عن قتادة عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري.

وقد رواه الإمام أحمد [٨٤/٣] ومسلم [١٤٥٦٦] (٣٣) وأبو داود [٢١٥٥] والنسائي [٣٣٣٣] من حديث سعيد بن أبي عروبة.

زاد مسلم وشعبة والترمذي [٣٠١٦] من حديث همام بن يحيى ثلاثهم عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي علقمة الهاشمي، عن أبي سعيد: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبائاً يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأنوا من غشيانهم، فنزلت هذه الآية في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

وهذا لفظ أحمد بن حنبل فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي وهو ثقة، وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم.

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن يبيع الأمة طلائها.

وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٣/٢]: ولما انتهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك النشابة.

قال: فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان السلمي ويعرف بابن الدُّخْنَةِ - وهي أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه في شجار لهم، فإذا برجل فأناب به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، قال: بئس ما سلخك أمك! أخذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فأبني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك.

فزع بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف فإذا عجانه ويطون فخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباهما فمن ذلك قولها:

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا فظنن دمعبي على السريال منحدر لولا الذي قهر الأقوام كلهم رأت سليم وكعب كيف تأنفر إذن لصبحهم غيماً وظلمة حيث استقرت نواهم جحفل دفر

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٤/٢، ٤٥٥]: ويعت رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك من الناس بعض من انتهزم فتأوشوه القتال فرمي أبو عامر فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بهم فاصاب ركبته فقتله وقال:

إن تسألوا عني فسأني سلمه ابن سمارد لم تسمه أضرب بالسيف رؤوس المسلمين

قال ابن هشام [السيرة: ٤٥٧/٢]: وحدثني من أتى به من أهل العلم بالشعر وحدثني أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة أخوة من المشركين فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر فأفلت فأسلم بعد فحسن إسلامه، فكان النبي ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر» قال: وومي أبا عامر، إخوان العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه، وولى الناس أبا موسى فحمل عليهما فقتلتهما، فقال رجل من بني جشم يرثيهما:

وإن الرزية قتل العلاء وأوفى جميعاً ولم يمتنا همما القاتلان أبا عامر وقد كان ذا هبة أريدا

عباس وسعيد بن المسيب والحسن البصري (نحو الطبري: ٣/٥، ٤).

وخالفهم الجمهور مستلذين بحديث بريرة حيث بيعت ثم خيرت في نسخ نكاحها أو إيقائه، فلما كان يبعثها طلاقاً لها لما خيرت، وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية، وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير.

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشتركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس.

وخالفهم الجمهور وقالوا: هذه قضية عين، فلمهلن أسلمن أو كن كتابيات، وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى.

سنة ٨- من استشهد يوم حنين وبسيرة أوطاس

أبى بن أمية مولى رسول الله ﷺ وهو أبى بن عبيد، وزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، جمع به فرسه الذي يقال له الجناح فمات، وسراقة بن مالك بن الحارث بن عدي الأنصاري من بني العجلان، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أوطاس، فهؤلاء أربعة رضي الله عنهم.

سنة ٨- ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بجر بن زهير أبي سلمى:

لسولا الإله وعبيده وليتم حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا أقراننا وسوايح يكبون للأدقان
من بين ساع ثوبه في كفه ومقطر بستانك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديتنا وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم وانفسم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام: ويروي فيها بعض الرواة:

إذ قام عم نيكم ووليه يدعون يا لكيفة الإيمان
أبى الذين هم أجابوا ربهم يوم العريض ويعة الرغوان
وقال عباس بن مرداس السلمي:

فلي السوايح يوم جمع ولولا الرسول من الكتاب
لقد أحيت ما لقيت تقيف بجانب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من أهل نجد قتلهم اللذ من الشراب
همزنا الجمع جمع بني نسي وحكت بركهيا بي رباب
وصرنا من هلال غادرهم باوطاس تغفر بالشراب
ولولا قين جمع بني كلاب لقام نساؤهم والنقع كلابي
ركضنا الخيل فيهم بين بر إلى الأورال تحسب بالهذاب
بذي لجيو رسول الله فيهم كيفة تغرر للشراب
وقال عباس بن مرداس أيضاً:

يا خاتم النبأ إنك مرسل بالحق كل هدى الليل هناك
إن الإله بنى عليك عجة في خلقه وعمداً سماكاً

ثم الذين وفوا بما عاهدتهم رجال به فزب السلاح كأنه
يفشى ذوي النسب القريب واما أنيس أنسي قد رايت تكره
طوراً يعلق باليلين وتارة يفشى به هام الكما ولو ترى
وينو سليم مقيمون امامه يمشون تحت لوائه وكنائهم
ما يرمجون من القريب قرابة هذي مشاهدنا التي كانت لنا
وقال عباس بن مرداس أيضاً:

عفا مجدك من أهله فتنازع ديار لنا يا جنبل إذجل عشنا
حيية الثوب بها غربة النوى لسان تبني الكفار غير ملومة
دعانا إليه خير وفد علمهم فجتنا بالق من سليم عليهم
نابعه بالأخشين واما فجتنا مع المهدي مكة عنوة
علاية والخيال يفشى متونها ويوم حنين حين سارت هوازن
صبرنا مع الضحاك لا يفرغنا أصام رسول الله يخفق فوقنا
شية ضحاك بن سفيان مخلص نفوذ أخانا عن أخينا ولو نرى
ولكن دين الله دين محمد اقام به بعد الضلالة أمرنا
وقال عباس أيضاً:

تقطع باقي وصل أم مؤمل وقد حلفت بالله لا تقطع القوى
خفالية بطن العقيق مصيها فإني تبجع الكفار أم مؤمل
وسوف يتبها الخبير بأننا وإننا مع الهادي النبي عمدا
بفتيان صديق من سليم أعز خفاف وذكوان وعوف تخالم
كان نسيج الشهب والبيض ملين بنا عز دين الله غير تحلل
بعاقبة واستبكت نية خلفنا وما صدقت فيه ولا برئت الخلفا
وتحل في البابين وجرة فالمرنا فقد زودت قلبي على نايها شخفا
أينا ولم نطلب سوى رنا حلفا وفيها ولم يسترفها معشر ألفا
اطامروا فما يصون من أمره حرفا مصاعب زافت في طرقتها كلفا
أسودا ثلاث في مراصدنا غضفا وزدنا على المحي الذي معه ضيفا

بمكة إذ جننا كأن لواءنا
على شخص الأبرار تحبب بينها
غداة وطئت المشركين ولم نجد
بمعزول لا يسمع القوم وسطه
يبغي تطير الهام عن سقرها
فكانت تركنا من قبل ملحب
رضا الله نوي لا رضا الناس نبتني
وقال عباس بن مرداس أيضاً ﷺ:

ما بال عينك فيها عائر سهر
عين تأويها من شجوها أرق
كانه نظم در عند ناظمه
يا بعد منزل من ترجو مودته
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد
واقتر بلاء سليم في مواطنها
قوم هموا نصرورا الرحمن واتبعوا
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم
إلا سوايح كالعقبان مفرسة
تدعى خفاف وصوف في جواتها
الضاريون جنود الشرك ضاحية
حتى دفنوا وقتلهم كأنهم
ولحن يوم حين كان مشهدنا
إذ تركب الموت خضرًا بطائنه
تحت اللواء مع الضحاك يفلطنا
في مأزق من بحر الحروب كلكتها
وقد صبرنا باوطاس استتنا
حتى تأوَّب أقوام منازلهم
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا إلا
وقال عباس أيضاً ﷺ:

يا أيها الرجل الذي تهوي به
إنا آتيت على النبي فقل له
يا خير من ركب المطي ومن مشى
إنا وفينا بالذي عاهدتنا
إذ سال من أفتاه بهشة كلها
حتى صبحنا أهل مكة فيلقاً
من كل أغلب من سليم فوقه
يروى القنة إذا تجاسر في الوعى
يشقى الكيكة معلماً ويكفسه
وعلى حين قد وقى من جميعنا
وجناء مجمرة الناسم عزمس
حقاً عليك إذا اطمان المجلس
فوق التراب إذا نعد الأنفس
والخيل تدع بالكماة وتضرس
جمع تظل به المخارم ترجس
شبهاء يقدمها الهام الأشرس
بيضاء عكمة الدخال وقونس
وتخاله أسداً إذا ما يعيس
عصب يقد به ولدن مدعى
ألف أمذ به الرسول عرنلس
وحتى أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن
مرداس السلمي ﷺ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية
الإطالة وخوف الملالة، ثم أورد من شعر غيره أيضاً، وقد حصل ما فيه
كفاية من ذلك والله أعلم.

سنة ٨- غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: قاتل رسول الله ﷺ يوم
حين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان.
وقال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٧٨/٢ - ٤٨٠): ولما قدم قل
تقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال، ولم
يشهد حيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا
بحرس يتعلمان صنعة الدبابات والجانيق والضيور، قال: ثم سار رسول الله
ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حين فقال كعب بن مالك في ذلك:
قضينا من تهامة كل رئيس وخير ثم أجمعنا السيف

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينصر
إن التي حُرِّقَتْ بالشدِّ فاشتعلت ولم تقا تل لى أحجارها هند
إن الرسول متى يتزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر
قال ابن إسحاق: فسل رسول الله ﷺ - يعني من حين إلى الطائف
- على نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على الملح ثم على بحرة الرغاء من
لية فابتى بها مسجدا فصلى فيه.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤٨٢/٢): فحدثني عمرو بن شعيب أنه
عليه الصلاة والسلام أقاد يومئذ بحيرة الرغاء حين نزها بدم وهو أول دم
أقيد به في الإسلام رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به، وأمر
رسول الله ﷺ وهو بلية بمصن مالك بن عوف فهدم.

قال ابن إسحاق: ثم سلك في طريق يقال لها: الضيقة فلما توجه
رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال: ما اسم هذه الطريق فقيل: الضيقة
فقال: بل هي اليسرى، ثم خرج منها على نجح حتى نزل تحت سدرة يقال
لها الصادرة قريبا من مال رجل من تقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: إما
أن تخرج إلينا وإما أن تغرب عليك حائطك، فأبى أن يخرج فأمر رسول الله
ﷺ بإخراجه.

وقال ابن إسحاق: عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير
سمعت عبد الله بن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا
معه إلى الطائف فمرونا بقبر، فقال رسول الله ﷺ: «هنا قبر أبي رغال
وهو أبو تقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يُذفع عنه فلما خرج
أصابته القملة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن
معه غصن من ذهب إن اتهم نيشتم عنه أصتموه» قال: فابتهر الناس
فاستخرجوا معه الغصن (الدلائل البيهقي: ٦٩٧/٦، عن طريق ابن إسحاق، هـ).

ورواه أبو داود (٣٠٨٨) عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن
حازم، عن أبيه عن محمد بن إسحاق به.

ورواه البيهقي (الدلائل: ٢٩٧/٦) من حديث يزيد بن زريع، عن روح
بن القاسم، عن إسماعيل بن أمية به.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤٨٢/٢، ٤٨٣): ثم مضى رسول الله
ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف فحضر به عسكره فقتل ناس من أصحابه
بالبئيل، وذلك أن العسكر أقرب من حائط الطائف فتأخروا إلى موضع
مسجده عليه الصلاة والسلام اليوم بالطائف الذي بته تقيف بعد
إسلامها، بناء عمرو بن أمية بن وهب وكانت فيه سارية لا تطلع عليها
الشمس صبيحة كل يوم إلا سمح لها تقيض فيما يذكرون، قال:
فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة.

قال ابن هشام: ويقال سبع عشرة ليلة.

وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: ثم سار رسول الله ﷺ إلى
الطائف، وترك السبي بالجرانة، وملكت عرش مكة منهم، ونزل رسول الله
ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضعة عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونهم من
وراء حصنهم، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكره بن مسروح أخيه زياد
لأمة، فاعتقه رسول الله ﷺ وكثر الجراح، وقطعوا طائفة من أعنانهم
ليظفروهم بها، فقالت لهم تقيف: لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لكم.

وقال عروة: أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع
خمس نخلات أو خمس خيلات، ويحث مناديا ينادي: من خرج إلينا فهو
حر، فأتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكره بن مسروح أخو زياد بن أبي

قواطئهم دوساً أو تقيفا
بأحة داركم منا الوفا
وتصبح دوركم منكم خلوا
يفساد خلفه جمعا كيفا
لما عما ألتخ بها رجيفا
يزرن المظلمين بها الخروفا
قيرون الهند لم تضرب كيفا
غداة الزحف جافيا مدونا
من الأقوام كان بنا عريفا
عناق الخيل والتجرب الطروفا
يحيط بسور حصنهم صفوفا
تقي القلب مصطبرا عروفا
وحلم لم يكن نرقا خفيفا
هو الرحمن كان بنا رؤوفا
ونجملكم لنا عضدا وريفا
ولا يك امرنا رجسا ضعيفا
إلى الإسلام إذعنا مضيفا
أهلكنا اللادة أم الطريفا
صميم الجند منهم والخيلا
فجذعنا المسامع والأنروفا
نوفهم بها سؤفا عيفا
يقوم الدين معتدلا حيفا
ونسلبها القلائد والشروفا
ومن لا يمتنع يقبل خسوفا
وقال ابن إسحاق: فاجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عامر
التقي:

قلت: قد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد تقيف فأسلم
معه. قاله موسى بن عقبة وابن إسحاق وأبو عمر بن عبد البر
(الاستيعاب: ١٣٣٠/٣) وابن الأثير (أسد الغابة: ٥٠٠/٤) وغير واحد،
وزعم المدائني أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتصهر ومات بها:

فمن كان يغينا يريد قتالنا
وجلنا بها الآباء من قبل ما ترى
وقد جرئت قبل عمرو بن عامر
وقد علمت إن قالت الحق أننا
نقومها حتى يلبس شريها
علينا دلاص من تران عروقي
نرقمها عتا بيض صوامر
إذا جرئت في غمرة لا نشيها

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٤٨١/٢، ٤٨٢): وقال شداد بن عارض
الجشمي في مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف:

ليحرقوا جدار أهل الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد حماة فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلاً، فحيتذ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعتاب ثقيف فوق وقع الناس فيها يقطعون.

قال: وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فتأفيا ثقيفاً بالأمان حتى يكلماهم فأتوهما فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهم وهما يخافان عليهن النساء إذا فتح الحصن، فأين فقال لهما ابن الأسود بن مسعود: ألا أدلكما على خير مما جئتما؟ إن مال بني الأسود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ نازلاً بواد يقال له العقيق وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف، وليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مؤونة ولا أبعد عمارة منه، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً، فكلما فليأخذه نفسه أو ليدعه لله وللرحم. فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم.

وقد روى الواقدي (المغازي: ٩٢٩/٣) عن شيوخه نحو هذا، وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمتجنيق وعمله بيده، وقيل: قدم به وديابطين فآله أعلم.

وقد أورد البيهقي (الدلائل: ١٦٣/٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة: أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعهم إلى الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمروهم بالثبات في حصنهم، وقال: لا يهولكنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ: «ما قلت لهم؟» قال: دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة، فقال: «كذبت بل قلت لهم كذا وكذا» فقال: صدقت يا رسول الله أتوب إلى الله وإليك من ذلك.

وقد روى البيهقي (الدلائل: ١٥٩/٥، ١٦٠) عن الحاكم عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن هشام الدستوائي، عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي نجيح السلمي وهو عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: حاصراً مع رسول الله ﷺ قصر الطائف فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بلغ يسهم فله درجة في الجنة» فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً، وسمعت يقول: «من رمى يسهم في سبيل الله فهو عدل محرم، ومن شاب شية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة، وأما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامه وقاء كل عظم بغظم، وأما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله - عز وجل - جاعل كل عظم من عظامها وقاء كل عظم من عظامها من النار».

ورواه أبو داود (٣٩٦٥) والترمذي (١٦٣٨) وصححه والنسائي (٣١٤٣) من حديث قتادة به.

وقال البخاري (٤٣٢٤): حدثنا الحميدي سمع سفيان حدثنا هشام عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي غنث، فسمعت يقول لعبد الله بن أبي أمية: أرايت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فليكن بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن» قال ابن عينة وقال ابن جريج: المختل هيت.

وقد رواه البخاري (٥٢٣٥، ٥٨٨٧) أيضاً ومسلم (٢١٨٠) من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به.

ولي لفظ: وكانوا يرونه من غير أولي الإربة من الرجال. ولي لفظ قال رسول الله ﷺ: «ألا لرى هذا يعلم ما هاهنا، لا يدخلن عليكن هؤلاء» (م (٢١٨١)) يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو

سفيان لأمه فاعتقهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعمله ويحمله.

وقال الإمام أحمد (٢٣٩/١): حدثنا يزيد، حدثنا حجاج عن الحكم، عن مقسم عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه. من العيد قبل مواليهم إذا أسلموا، وقد أعتق يوم الطائف رجلين.

وقال أحمد أيضاً (٢٤٣/١): حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس، حدثنا الحجاج عن الحكم عن مقسم، عن ابن عباس قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فخرج إليه عبدان فاعتقهما، أحدهما أبو بكر وكان رسول الله ﷺ يعتق العيد إذا خرجوا إليه.

وقال أحمد أيضاً (٢٤٨/١): حدثنا نصر بن باب عن الحجاج، عن الحكم عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الطائف: «من خرج إلينا من العيد فهو حر» فخرج عيد من العيد فيهم أبو بكر فاعتقهم رسول الله ﷺ.

هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج بن أرمطة وهو ضعيف. لكن ذهب الإمام أحمد إلى هنا فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً.

وقال آخرون: إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ولو صح الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «من قتل قتيلاً فله سلبه» (ج (٤٣٢١)، م (١٧٥١)، د (٢٧١٧)، ت (١٥٦٢)، ج (٢٨٣٧)).

وقد قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن مكرم الثقفي قال: لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، خرج إليه رقيق من رقيقهم أبو بكر وكان عبداً للحارث بن كلدة والنبعث، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله ﷺ المنبعث، ويخس ووردان في رهط من رقيقهم فأسلموا، فلما قدم وفد أهل الطائف فأسلموا قالوا: يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك؟ قال: «لا أولئك عتقاء الله» ورد على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه.

وقال البخاري (٤٣٢٦): حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن عاصم، سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً - وهو أول من رمى يسهم في سبيل الله وأبى بكره وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاه إلى رسول الله ﷺ - قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام».

ورواه مسلم (١١٥٥) (٩٣) من حديث عاصم به.

قال البخاري (٤٣٢٧) (مطلقاً): وقال هشام: أنبأنا معمر عن عاصم، عن أبي العالية أو أبي عثمان التهدي قال: سمعت سعداً وأبى بكره عن النبي ﷺ قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حبسك بهما، قال: أجل أما أحدهما فأول من رمى يسهم في سبيل الله، وأما الآخر فتزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف.

قال محمد بن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٤٨٢/٢ - ٤٨٤) وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه، إحدهما أم سلمة فضرب لهما قبتين فكان يصلي بينهما.

فحاصرهم وقتلهم قتلاً شديداً، وتراموا بالنبل.

قال ابن هشام: ورواهم بالمتجنيق، فحسنتي من أتى به أن النبي ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمتجنيق رمى به أهل الطائف.

وذكر ابن إسحاق أن نفرًا من الصحابة دخلوا تحت دبابه، ثم زحفوا

كراماً، فقال له رجل من المسلمين: فانتك الله يا عينة اتحدج المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره؟ فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطوها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً مناكير.

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قصة خولة بنت حكيم، وقول رسول الله ﷺ ما قال. وتأذين عمر بالرحيل قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يرحلوا ظهورهم، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه، ودعا حين ركب قافلاً فقال: «اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم» [البهقي في الدلائل: ١٦٨/٥، ١٦٩ من طريق ابن لهيعة، ٤٦].

وروى الترمذي [٣٩٤٢] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير عن جابر قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم فقال: اللهم اهد ثقيفاً ثم قال: هذا حديث حسن غريب. وروى يونس عن ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكدم عن أدركو من أهل العلم قالوا: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم، فقدم المدينة فجاءهم وذهبهم في رمضان فأسلموا، وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله.

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٧/٢، ٤٨٧]:

فمن قريش: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية. وعرفطة بن جندب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي من رمية رميها يومئذ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدي، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي وأخوه عبد الله، وجليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث.

ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني، والمنذر بن عبد الله من بني ساعدة.

ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤثان بن معاوية؛ فقط، فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٧/٢، ٤٨٨]: ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بجبر بن زهير بن أبي سلمى يذكر حينئذ والطائف:

كانت غلالة يوم بطسن حثين وغداة أوطاس ورمم الأبرق
جمعت بأغواء هوازن جمعها فبهدوا كالطائر المتمزق
لم يمتصوا منا مقاماً واحداً إلا جدارهم ووطن الحندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا فاستحصوا منا يسابو مثلق
ترتد حشراتنا إلى رجراجة شهياه تلمع بالنايا فيلق
ملومة خضراء لو قذفوا بها خضنا لظل كائمه لم يخلق
مشي الضراء على الحراس كائنا فترق في القياد وتلقني
في كل سابعة إذا ما استحصت كالنهي هبت ريحه المشرق
جدل تمس فضروهن نعالنا من نسج داود وأك محرق
وقال أبو داود [٣٠٦٧]: حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص، حدثنا

داخل في قوله تعالى: «أَوِ الْبَطْلُ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَى عَوَازَاتِ النِّسَاءِ» [النور: ٣١] والمراد بالمخت في حرف السلف الذي لا همة له إلى النساء وليس المراد به الذي يؤتى، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دل عليه الحديث [مسند أحمد: ٣٠٠/١، د (٤٤٦٢)، ت (١٤٥٦)، ج (٢٥٦١)]، وكما قتله أبو بكر الصديق ﷺ.

ومعنى قوله «تقبل بأربع وتدبر بثمان» يعني بذلك عكس بطنها فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف، وهذا المخت قد ذكر البخاري عن ابن جريج: أن اسمه هيت، وهذا هو المشهور.

لكن قال يونس عن ابن إسحاق قال: وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاخته بنت عمرو بن عابد غنث يقال له: مائع يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ولا يرى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يفتن إليه الرجال، ولا يرى أن له في ذلك إرباً، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد: يا خالد إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تغفلن منكم بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال رسول الله ﷺ حين سمع هنا منه: «ألا أرى هذا يفتن لهذا الحديث. ثم قال لنسائه: لا يدخلن عليكم» فحجب عن بيت رسول الله ﷺ.

وقال البخاري [٤٣٢٥]: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو بن أبي العباس الشاعر الأعمى عن عبد الله بن عمرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم يزل منهم شيئاً قال: «إنا قائلون غداً إن شاء الله» فقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ فقال: «اغدوا على القتال» فغدوا فأصابهم جراح فقال: «إنا قائلون غداً إن شاء الله» فأعجبهم فضحك النبي ﷺ، وقال سفيان مرة: فتبسم.

ورواه مسلم [١٧٧٨] من حديث سفيان بن عينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، واختلف في نسخ البخاري، فهي نسخة كذلك، وفي نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص والله أعلم.

وقال الواقدي [المغازي: ٩٣٦/٢، ٩٣٧]: حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لما مضت خمس عشرة ليلة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدثلي فقال: «ها نوفل ما ترى في المقام عليهم؟» قال: يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٤/٢، ٤٨٥]: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وهو محاصر ثقيفاً: «يا أبا بكر إنني رأيت أني أهديت لي قبة مملوءة زبداً ففرها جيك ففرق ما فيها» فقال أبو بكر ﷺ: ما أظن أن تترك منهم يوماً هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «وأننا لا أرى ذلك» قال: ثم إن خولة بنت حكيم السلمية وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حللي بادية بنت غيلان بن سلمة أو حللي الفارعة بنت عقيل - وكأنا من أحلى نساء ثقيف - فلذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لم يؤذن في ثقيف يا خويلدة» فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما حديث حديثي خويلدة زعمت أنك قلته؟ قال: «قد قلته» قال: أو ما أذن فيهم؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: بلى، فأذن عمر بالرحيل.

فلما استقبل الناس ناضى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحبي مقيم، قال يقول عينة بن حصن: أجل والله مينة

ما أصاب من أموالم وسبايهم أذكره وفد هوازن بالجرعانة، وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامن علينا من الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال: يا رسول الله إنا ما في الخطائر من السبايا خالاتك وعصانتك وحواضتك اللاتي كن يكتلنك، ولو أنا ملحنا لابن أبي شحر أو النعمان بن المنذر، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسول الله في كرم
امنن على يضيعة قد عاقها قدر
عزق شملها في دهرها غير
أبقت لها الحرب هُتانا على حزن
على قلوبهم الغماء والغمر
يا خير طفل ومولود ومتجب
في العالين إذا ما حُصِّل البشر
يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
إن لم تداركها نعماء تنشرها
امنن على نسوة قد كنت ترضعها
إذ فوك تملؤه من عضها اللذر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها
وإذ يرنك ما تأتي وما تذر
لا نجعلنا كمن شالت نعماته
واسبق منا فإننا معشر زهر
واعتننا بعد هذا اليوم مدخر
إننا لنشكر آله وإن كُفرت

قال: فقال رسول الله ﷺ: «نساؤكم وأبنائكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبنائنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله: «أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس قوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونساءنا، فإني سأعطيكم عند ذلك وأسال لكم».

فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ فقال: «أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لكم» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عينة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرادس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال: يقول عباس بن مرادس لبني سليم وعتنوني؟ فقال رسول الله ﷺ: «من أسلك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول في نصيبه» فردوا إلى الناس نساءهم وأبنائهم.

ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيتنا، حتى اضطره إلى شجرة فارتفعت رداءه فقال: «أيها الناس ردوا عليّ رداي، فولدي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألتفتوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً».

ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وتره فجعلها بين إصبعيه، ثم رفعها فقال: «أيها الناس والله مالي من فينكم ولا هذه البريرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم، فادوا الحيايط والمخييط، فإن الغلول عار ونار وشار على أهله يوم القيامة» فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله أخذت هذه لأخيظ بها برذعة بعير لي ذب، فقال رسول الله ﷺ: «أما حقي منها فلك» فقال الرجل: أما إذا بلغ الأمر فيها إلى هذا فلا حاجة لي بها فرمى بها من يده.

وهذا السياق يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام رد إليهم سيهم قبل

الغريابي، حدثنا أبان، قال عمر: - هو ابن عبد الله بن أبي حازم - حدثنا عثمان بن أبي حازم، عن أبيه عن جده صخر - هو بن العيلة الأحسي - أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً، فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يمد النبي ﷺ، فوجده قد انصرف ولم يفتح، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكتب إليه صخر: أما بعد فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا مقبل بهم وهم في خيل، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات: «اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها»، وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال: يا رسول الله إن صخرأ أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، فدعاه فقال: «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عمته فدفعها إليه، وسأل رسول الله ﷺ ماء لبني سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء فقال: يا رسول الله أنزلني أنا وقومي؟ قال: «نعم» فأنزله وأسلم - يعني السلميين - فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخرأ ليدفع إلينا ما لنا فأتى علينا، فقال: «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ما هم» قال: نعم يا نبي الله، فرايت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أخذه الجارية وأخذله الماء.

تقره به أبو داود وفي إسناده اختلاف.

قلت: وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يتأصلوا قتلاً، لأنه قد تقدم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤروه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل وذلك بعد موت عمه أبي طالب، فردوا عليه قوله وكذبوه فرجع مغموماً فلم يستق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغنمة وإذا فيها جبريل فداده ملك الجبال فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام وقد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشيش؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل أstantي بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يبعده وحده لا يشرك به شيئاً» فأنسب قوله «بل أstantي بهم» أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم، وأن يؤخر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

سنة ٨- مرجعه من الطائف وقسمة غنائم هوازن

فصل في مرجعه عليه الصلاة والسلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن التي أصابها يوم حين قبل دخوله مكة معتمراً من الجعرانة قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٨/٢]: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا، حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظن من عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وأنت بهم» قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجرعانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء مالا يدري عدته.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٤٨٨/٢ - ٤٩٠، ٤٩٢]: فحدثني عمرو بن شعيب، وفي رواية يونس بن بكير عنه قال: حدثنا عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: كنا مع رسول الله ﷺ بجنين، فلما أصاب من هوازن

القسمة، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسار خلافاً لموسى بن عقبة وغيره.

وفي صحيح البخاري [٤٣١٨] من طريق الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن عروة عن المسور بن غرمة ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوا أن ترد إليهم أموالهم ونسأؤهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معي من تزون، وأحب الحديث إلي أصدقاه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال؟ وقد كنت استأثيت بكم» وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: إنا نختار سبينا.

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سيهم، فمن أحب أن يطيّب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال نفسي» الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيبتنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم: «إنا لا نندي من أذن منكم في ذلك عن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بأنهم قد طيبروا وأذنوا.

فلما ما بلغنا عن سبي هوازن.

ولم يتعرض البخاري لمنع الأقرب وعينة وقومها، بل سكت عن ذلك، والمثبت مقدم على الثاني فكيف الساكت!

وروى البخاري [٢٨٢١، ٣١٤٨] من حديث الزهري: أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من حين، علفت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سمرّة فخطفت رداه، فوقف رسول الله ﷺ ثم قال: «أعطوني رداي فلو كان عدد هذه العضاء نغماً لقسمته بينكم، ثم لا تجلدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً».

تقدم به البخاري.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٠/٢]: وحديثي أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها: ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها: زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر جارية فوهها لابنه عبد الله.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٠/٢]: فحدثني نافع عن عبد الله بن عمر قال: بعث بها إلى أخوالي من بني جمح ليصلحوا لي منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم أتيتهم وأنا أريد أن أصيها إذا رجعت إليها، قال: فخرجت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقالت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله ﷺ نسأنا وأبنائنا، قلت: تلکم صاحبکم في بني جمح فاذهبوا فخذوها فذهبوا إليها فآخذوها.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٠/٢]: وأما عينة بن حصن فآخذ عجزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها: أرى عجزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فلأؤاها، فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض أبى أن يردها، فقال له زمير بن صرد: خذها عنك فوالله ما فوها يبارد، ولا ثيبها بنامد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا حرها بماكد فرددتها بست فرائض، قال: فزعموا أن عينة لقي الأنسج فشكى إليه

ذلك، فقال إنك واللّه ما أخذتها بيضاء غريبة ولا نصفاً وثيرة.

قال الواقدي [الغازي: ٩٤٩/٣]: ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجماعة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة.

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من شهد حيناً قال: والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقه لي وفي رجلي نمل غليظة، إذ زحمت عناقتي ناقه رسول الله ﷺ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه، ففرع قدمي بالسوط وقال: «أوجعتني فأخّر عني» فانصرفت، فلما كان الغد إذا رسول الله ﷺ يلتصني قال: قلت: هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس.

قال: فجيته وأنا أتوقع فقال: «إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدمعتك لأعوضك منها» فأعطاني ثمانين نعجة بالفضرة التي ضربني [الريخ الطيري: ٩٣/٣].

والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره، وظاهر حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ رد إلى هوازن سيهم قبل القسمة، ولما لا رد السبي وركب، علفت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له: انقسم علينا فيتنا حتى اضطروه إلى سمرّة، فخطفت رداه فقال: «ردوا عليّ رداي أيها الناس فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه البضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجلدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذباناً».

كما رواه البخاري [٢٨٢١] عن جبير بن مطعم بنحوه.

وكانهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نسأهم وأطافهم فسألوه قسمة ذلك، فقسّمها عليه الصلاة والسلام بالجماعة كما أمره الله عز وجل، وآثر أناساً في القسمة، وتألف أتواماً من رؤساء القبائل، وأمرائهم فعتب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطبيقاً لقلوبهم، وتشدّ بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج كذبي الخويصرة وأشباهه فجهه الله كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك وبالله المستعان.

قال الإمام أحمد [١٥٧/٣، ١٥٨]: حدثنا عارم، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي يقول: حدثنا السيمط السدوسي عن أنس بن مالك قال: فتحنا مكة ثم إنا غزونا حيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم النعم، قال: ونحن بشر كبير قد بلغنا ستة آلاف، وعلى جنبه خيلنا خالد بن الوليد، قال: فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا قال: فلم نلبث أن اكتشف خيلنا وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس، قال: فنادى رسول الله ﷺ: «يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأَنْصار، يا للأَنْصار» - قال أنس: هذا حديث عمّي - قال: قلنا ليك يا رسول الله، قال: وتقدم رسول الله ﷺ قال: وإيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال، ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعتنا إلى مكة، قال: فنزلنا فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المنة، ويعطي الرجل المنة، قال: فتحدث الأنصار بينها أما من قاتله فيعطيه، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه!

فرجع الحديث إلى رسول الله ﷺ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ثم قال: «لا يدخلن عليّ إلا أنصاري - أو الأنصار» قال: فدخلنا القبة حتى ملأناها قال نبي الله ﷺ: «فيا معشر الأنصار» أو كما

قال: «ما حديث ثنائي؟» قالوا: ما أتاك يا رسول الله؟ قال: «ما حديث ثنائي؟» قالوا: ما أتاك يا رسول الله؟ قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم؟» قالوا: «رضينا يا رسول الله، قال: فرضوا أو كما قال.

وهكذا رواه مسلم [١٠٥٩] (١٣٦) من حديث معتمر بن سليمان. وفيه من الغريب قوله: «أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف»، وإنما كانوا في اثني عشر ألفاً.

وقوله: «إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة»، وإنما حاصروهم قريباً من شهر، أو دون العشرين ليلة، فإله أعلم.

وقال البخاري [٤٣٣١]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، حدثنا معمر عن الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن: فطلق النبي ﷺ يعطي رجلاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويرتنا وسيرفنا تقطر من دماهم؟!

قال أنس بن مالك: فحدث رسول الله ﷺ بمثلهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة آدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» قال فقهاء الأنصار: أما رؤسائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثاً أسألتهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويرتنا وسيرفنا تقطر من دماهم، فقال رسول الله ﷺ: «فإني لأعطي رجلاً حديثي عهد بكتف أميهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكهم؟ فوالله لما تلقون به خير مما يتلقون به»، قالوا: يا رسول الله قد رضىنا، فقال لهم النبي ﷺ: «فستجئون أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الخوض» قال أنس: فلم يصبروا.

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

ثم رواه البخاري [٤٣٣٣] ومسلم [١٠٥٩] (١٣٥) من حديث بن عون عن هشام بن زيد، عن جده أنس بن مالك قال: لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطفاء فادبروا فقال: «يا معشر الأنصار» قالوا: ليك يا رسول الله وسعديك ليك نحن بين يديك، فترسل رسول الله ﷺ فقال: «أنا عبد الله ورسوله» فانهزم المشركون، فأعطى الطلقاء والمهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالوا: فدعاهم فادخلهم في قبة فقال: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله؟» قالوا: «بلى، فقال رسول الله ﷺ: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار».

وفي رواية للبخاري [٤٣٣٧] من هذا الوجه قال: لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وفرايرهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطفاء، فادبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءً لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «يا معشر الأنصار؟» قالوا: ليك يا رسول الله أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «يا معشر الأنصار؟» فقالوا: ليك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بنية بيضاء، فترسل فقال: «أنا عبد الله ورسوله» فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغام كثيرة، فقسم بين المهاجرين والطفاء ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطي الغنمة غيرنا، فبلغ ذلك فجمعهم في قبة فقال: «يا معشر الأنصار ما حديث بلغني؟» فسكتوا فقال: «يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالنبات وتذهبون برسول

الله تحوزونه إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى فقال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار».

قال هشام: قلت: يا أبا حزة وأنت شاهد ذلك؟ قال: «وإن أغيب عنه؟»

ثم رواه البخاري [٤٣٣٤] ومسلم [١٠٥٩] (١٣٣) أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال: «جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال: «إن قريشاً حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالنبات وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟» قالوا: بلى، قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار» أو «شعب الأنصار».

وأخرجه [٤٣٣٧] م [١٠٥٩] (١٣٤) أيضاً من حديث شعبة عن أبي التياح يزيد بن حديد، عن أنس بنحوه وفيه فقالوا: والله إن هذا هو العجب إن سيرفنا تقطر من دماهم والغنائم تقسم فيهم! فخطبهم وذكر نحو ما تقدم.

وقال الإمام أحمد [٢٤٩/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين، فقالت الأنصار: يا رسول الله سيرفنا تقطر من دماهم وهم يذهبون بالغنائم؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال: «فيكم أحد من غيركم؟» قالوا: لا إلا ابن اختنا، قال: «ابن أخت القوم منهم؟» ثم قال: «أقلتم كذا وكذا؟» قالوا: نعم، قال: «أنتم الشعار والناس الدثار أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم؟» قالوا: بلى، قال: «الأنصار كرشي وعيبي لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار».

وقال قال حماد: أعطى مائة من الإبل فسمى كل واحد من هؤلاء.

تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم.

وقال الإمام أحمد [١٠٤/٣] (١٠٥) حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الأنصار ألم أتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ألم أتكم متفرقين فجمعكم الله بي؟ ألم أتكم أعداء فأنزل الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «أفلا تقولون: جئنا خائفين فأنقذنا، وطريداً فأورثنا، وغنولاً فنصرنا؟» قالوا: بلى لله المن علينا ولرسوله.

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، فهذا الحديث كالماتر عن أنس بن مالك. وقد روي عن غيره من الصحابة.

قال البخاري [٤٣٣٠]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصيبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجذكُم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فأنقذكم الله بي؟ وعالة فأنقذكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أم، قال: «لو شتمت قلتم جئنا كذا وكذا، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكهم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الخوض».

سفيان بن حرب مائة، وأعطى صفوان بن أمية مائة، وأعطى عيينة بن حصن مائة، وأعطى الأقرع بن حابس مائة، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأعطى مالك بن عوف مائة، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول:

المحمل نهبي ونهب العيينة — سد بنين عينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس — يفوقان مرداس في الجمع
وما كنت دون امرئ منهما — ومن تخفض اليوم لا يُرُفع
وقد كنت في الحرب فأتدأ — فلم أعط شيئا ولم أنع
قال: فاتم له رسول الله ﷺ مائة.

رواه مسلم [١٠٦٠] (١٣٧) من حديث ابن عينة بنحوه، وهذا لفظ البيهقي [الدلائل: ١٧٨/٥، ١٧٩].

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق [الدلائل: ١٧٩/٥ - ١٨٢] قال:

كانت نهاباً ثلاثينها — بكري على المهر في الأجرع
وإيقاظي الحسي أن يرقدوا — إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العيينة — سد بين عينة والأقرع
وقد كنت في الحرب فأتدري — فلم أعط شيئا ولم أنع
إلا أنسائل أعطيتها — عديد قوايتها الأربع
وما كان حصن ولا حابس — يفوقان مرداس في الجمع
وما كنت دون امرئ منهما — ومن تضع اليوم لا يرفع
قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له: «أنت القاتل أصبح نهبي ونهب العيينة بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: ما هكذا قال يا رسول الله، ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي لك. فقال: «كيف قال؟» فأنشده أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: «هما سواء ما يضرك بأيهما بدأت» ثم قال رسول الله ﷺ: «أقطعوا عني لسانه» فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به، وإنما أراد النبي ﷺ العطية، قال: وعُيِدَ فرسه.

وقال البخاري [٤٣٧٨]: حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالمجرعة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت علي من أبشرا فأقبل على أبي موسى وبلال كهينة الغضبان فقال: فرد البشري فأقبل أثنى قال: «فقبلنا» ثم دعا بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: «أشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا» فأخذا القدح فقلعا، فنادت أم سلمة من وراء الستار أن انضرا لأكمنا، فأفضلا لها منه طائفة. هكذا رواه.

وقال البخاري [٣١٩٩]: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد فخراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبه، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعباءة.

ورواه مسلم [١٠٦١] من حديث عمرو بن يحيى المازني به. وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين وقسم للمقاتلين من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير، وجد هذا الحبي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه.

فمشى سعد بن عباد إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هذا الحبي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؟ فقال: «فيم؟» قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فاجع لي قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمني» فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة، فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم فدخلوا وجاء آخرون فردد، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أثناء فقال: يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحبي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فاغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا تحبون يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المُرُّ لله ولرسوله قال: «أما والله لو شتم لقلمت فصدتكم وصدتكم: جئتاً طريداً فأوثنتك، وعائلاً فأثنتك، وخائفاً فأمناك، وغدولاً فنصرتك» فقالوا: المُرُّ لله ولرسوله؛ فقال رسول الله ﷺ: «أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لاعة من الدنيا، تألفت بها قوماً أسلموا وولكنكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالم بالشاء والبعر وتذهبون برسول الله إلى رحالك، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلخوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فيكي القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رغبنا بالله ورسوله قسماً ثم انصرف وتفرقوا.

وهكذا رواه الإمام أحمد [٧٦/٣، ٧٧] من حديث ابن إسحاق ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، وهو صحيح.

وقد رواه الإمام أحمد [٨٩/٣] عن يحيى بن بكير عن الفضل بن مرزوق، عن عطية بن سعد العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال رجل من الأنصار لأصحابه: أما والله لقد كنت أحننكم أنه لو استقامت الأمور قد أثر عليكم، قال: فردوا عليه رداً عتيماً، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فوكتم لا تكون الخيل» وكلما قال لهم شيئا قالوا: بلى يا رسول الله، ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم، تفرد به أحمد أيضاً.

وهكذا رواه الإمام أحمد [٥٧/٣] متفرداً به من حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد بنحوه.

ورواه أحمد [٣٤٧/٣] أيضاً عن موسى، عن ابن لهيعة عن أبي الزبير، عن جابر مختصراً.

وقال سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد بن مسروق، عن أبيه، عن عباد بن رفاع بن رافع بن خديج، عن جده رافع بن خديج: أن رسول الله ﷺ أعطى المولفة قلوبهم من سي حنين مائة من الإبل، وأعطى أبا

رسول الله ﷺ أتى بمال - أو سي - قسمه.... بهذا.

وفي رواية للبخاري [٩٢٣] قال: أتى رسول الله بمال - أو بشيء - فأعطى رجلاً وترك رجلاً، فبلغه أن الذين ترك عبوا، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد» فذكر مثله سواء. تفرد به البخاري.

وقد ذكر ابن هشام [السيرة: ٤٩٧/٢، ٤٩٨] أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنمة:

زادت هموم فمساء العين منحدر سحاً إنا حفلت به عيرة دور
وجدنا بشماعة إذ شاء بهكنة هيفاء لا فتن فيها ولا غور
دع عنك شماعة إذ كانت مودتها نزرأ وشراً وصال الواصل التور
وانت الرسول وقل يا خير مؤمن للمؤمنين إذ ما عدد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة قدام قوم هموا آووا وهم نصروا
سمّاهم الله أنصاراً بنصرهم دين الهدى وعوان الحرب تستر
وسارعوا في سبيل الله واعتزفوا للنائب وما خاتوا وما ضجروا
والناس ألب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر
نجاهد الناس لا نبقي على أحد ولا نضيق ما توحى به السور
ولا تهرجنا الحرب نادينا ونحن حين تلظى نارها سحر
كما رددنا يسر دون ما طلبوا أهل النفاق ونبينا يتزل الظفر
ونحن جنك يوم النعم من أحد إنا حرّيت بطراً أحزابها مضر
فما ونبنا وما ختنا وما خبروا منا عشاراً وكل الناس قد عثروا

سنة ٨- اعراض بعض الجهلة من أهل

الشقاق والنفاق على رسول الله ﷺ

في القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخاري [٤٣٣٥]: حدثنا قيسة، حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله، قال: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتفسير وجهه ثم قال: فرحم الله على موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر.

ورواه مسلم [١٠٦٢] (١٤١) من حديث الأعمش به.

ثم قال البخاري [٤٣٣٦]: حدثنا قيسة بن سعيد، حدثنا جرير عن منصور، عن أبي وائل عن عبد الله قال: لما كان يوم حنين أثار النبي ﷺ ناساً أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عينة مثل ذلك، وأعطى ناساً فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال: فرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر.

وهكذا رواه مسلم [١٠٦٢] (١٤٠) من حديث منصور عن المعتز به.

وفي رواية للبخاري [٣١٥٠] فقال وجلي: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيت فأخبرته فقال: «أمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر».

وقد ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٢/٢، ٤٩٣] الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذ مائة من الإبل وهم: أبو سفيان صخر بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار، وعلقمة بن علاثة، والعلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة، والحارث بن هشام، وجبير بن مطعم، ومالك بن عوف النصري، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، وصفوان بن أمية، والأقرع بن حابس.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٦/٢]: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن قاتلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله أعطيت عينة والأقرع مائة مائة وترك جليل بن سراقه الضمري؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده لجميل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عينة والأقرع، ولكن تألفتهما ليسلما، ووكلت جليل بن سراقه إلى إسلامه».

ثم ذكر ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٣/٢] من أعطاه رسول الله ﷺ دون المائة ممن يطول ذكره.

وفي الحديث الصحيح [٢٣١٣] م عن صفوان بن أمية أنه قال: ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إلي حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه.

سنة ٨- قدوم مالك بن عوف النصري

على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩١/٢]: وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسالم عن مالك بن عوف «ما فعل؟» فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف فقال ﷺ: «أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله، وأعطيت مائة من الإبل» فلما بلغ ذلك مالكا أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه، فرد عليه أهله وماله، ولما أعطاه مائة فقال مالك بن عوف رضي الله عنه:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشا يضربك عمّا في غد وإذا الكيبة عرّدت أتابها بالسهمري وضرب كل مهند فكأنه ليث على أشباله وسط الحياة خادر في مرصد

قال: واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وتلك القبائل ثمانية وسلمة وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

وقال البخاري [٣١٥٥]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، حدثني عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين فكانهم عتروا عليه فقال: «إني أعطي قوماً أخاف ظلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب».

قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حر النعم.

زاد أبو عاصم عن جرير: سمعت الحسن، حدثنا عمرو بن تغلب: أن

سنة ٨ - مجيء أخت رسول الله ﷺ من

الرضاعة وهو بالجعرانة واسمها الشيماء

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٨/٢]: وحديثي بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن: «إن قومك على بجاه - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يفلتكنكم» وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، قال: فعنفوا عليها في السوق فقالت للمسلمين: تعلموا والله إنني لأخت صاحبكم من الرضاعة؟ فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٥٨/٢]: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله إنني أختك من الرضاعة، قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عضه عَضِفْتُهَا في ظهري وأنا متروكك، قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخبرها وقال: «إن أحببت فعندي مُحَبَّةٌ مكرمة، وإن أحببت أن أمتنعك وترجعني إلى قومك فعلت؟» قالت: بل تمنعني وتردني إلى قومي، فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها، فرعمت بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً يقال له مكحول وجارية، فزوجت أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية.

وروى البيهقي [الداية: ١٩٩/٥، ١٩٩/٥]: من حديث الحكم بن عبيد الملك عن قتادة قال: لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا أختك، أنا شيماء بنت الحارث، فقال لها: «إن تكوني صادقة فإن بك مني أثر لا يلبس» قال: فكشفت عن عضدها فقالت: نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعَضِفْتُ هذه العضة، قال: فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ثم قال: «سلي تطعي واشفعي تشفعي».

وقال البيهقي [الداية: ١٩٩/٥]: أنبأنا أبو نصر بن قتادة أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السلام، حدثنا أبو مسلم، حدثنا أبو عاصم، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان، أخبرني عمي عمار بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره قال: كنت غلاماً أحمل عَضَمَ البعير، ورايت رسول الله ﷺ يقسم نعماً بالجعرانة، قال: فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت: من هن؟ قالوا: أمه التي أرضعته.

هذا حديث غريب، ولعله يريد أخته وقد كانت تحضه مع أمها حليلة السعدية، وإن كان محفوظاً فقد عمرت حليلة دهرها، فإن من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ثلاثين سنة، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك. وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبوه من الرضاعة قلما عليه والله أعلم بصحته.

قال أبو دأود في المراسيل [في السنن: ٥١٤٥]: حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، أن عمر بن السائب حدثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانب الآخر فجلست عليه، ثم جاءه أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٤٩٦/٢، ٤٩٧]: وحديثي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقا نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التيمي يوم حنين؟ قال: نعم جاء رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال له: يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «أجل فكيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت، قال: فغضب النبي ﷺ فقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا نقضه؟ فقال: «ولا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القنح فلا يوجد شيء، ثم في الفرق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم».

وقال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل بالجعرانة النبي ﷺ منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد أعدل قال: «فويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق؟ فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»، ورواه مسلم [١٠٦٣] عن محمد بن ربيع عن الليث.

وقال أحمد [٢٣٢/٢]: حدثنا أبو عامر، حدثنا قرة عن عمرو بن دينار، عن جابر قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم مغنم حنين إذ قام إليه رجل فقال: أعدل، فقال: «لقد شقيت إن لم أعدل».

ورواه البخاري [٣١٣٨] عن مسلم بن إبراهيم، عن قرة بن خالد السدوسي به.

وفي الصحيحين [ج ٣، ٣٦١٠]، م (١٠٦٤) (١٠٤٨) من حديث الزهري عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله أعدل، فقال رسول الله ﷺ: «فويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت، إن لم أعدل» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحداكم صلاحته مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قنحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قنذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آتتهم رجل أسود إحدى عضليه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدر، ويخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

ورواه مسلم [١٠٦٥] (١٠٥٠) أيضاً من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نصره عن أبي سعيد به نحوه.

غريب من هذا الوجه، وهذه الثلاث عمر اللاتي وقعن في ذي القعدة ماعدا عمرته مع حجة فإنها وقعت في ذي الحجة مع الحجة، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يرد عمرة الحديبية لأنه صُدَّ عنها ولم يفعلها والله أعلم.

قلت: وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة بالكليبة، وذلك فيما:

قال البخاري [٣١٤٤]: حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله إنه كان علي اعتكاف يوم في الجاعلية فأمره أن يفي به، قال: وأصاب عمر جارين من سبي حنين، فوضعهما في بعض بيوت مكة قال: فمن رسول الله ﷺ على سبي حنين، فجعلوا يسمعون في السكك، فقال عمر: يا عبد الله انظر ما هذا؟ قال: من رسول الله ﷺ على السبي، قال: انزعب فارسل الجارين. قال نافع: ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله.

وقد رواه مسلم [١٦٥٦] (٢٨) من حديث أيوب السخيتاني، عن نافع عن ابن عمر به.

ورواه مسلم [١٦٥٦] أيضاً عن أحمد بن عبد الصفي عن حماد بن زيد، عن أيوب عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها.

وهذا غريب جداً عن ابن عمر عن مولاه نافع في إنكارهما عمرة الجعرانة، وقد أطلق النقلة عن عدهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلهم.

وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين [١٧٧٧] م مختصراً، م [١٢٥٥] (٢١٩) من حديث عطاء بن أبي رباح، عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله أن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب وقالت: ينقض الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهد، وما اعتمر في رجب قط.

وقال الإمام أحمد [١٤٣/٢]: حدثنا ابن غير حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: سألت عروة بن الزبير ابن عمر: في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ؟ قال: في رجب، فسمعت عائشة فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة.

وأخرجه البخاري [١٧٧٦] ومسلم [١٢٥٥] (٢٢٠) من حديث جرير عن منصور عن مجاهد به نحوه.

ورواه أبو داود [١٩٩٢] والنسائي [٤٢١٨] أيضاً من حديث زهير عن أبي إسحاق عن مجاهد سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ قال: مرتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع.

قال الإمام أحمد [١٥٥/٢]: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا مفضل عن منصور، عن مجاهد قال: دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى. فقال عروة: أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة؟ قال: بدعة، فقال له عروة: أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال: أربعاً إحداها في رجب، قال: وسمعتا استئذان عائشة في الحجر، فقال لها عروة: إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله ﷺ اعتمر أربعاً إحداها في رجب؟ فقالت: يرحم الله أبا عبد

وقد تقدم أن هوازن يكملها متواليه بضاعته من بني سعد بن بكر، وهم شذمة من هوازن، فقال خطيبهم زهير بن سرد: يا رسول الله إنما في الخطائر أمهاتك وخالاتك وحواضنك فامتن علينا من الله عليك وقال فيما قال:

امتن على نسوة قد كنت ترغمتها إذ فوك يملؤه من عضها يرز
امتن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فاعدت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً، خصوصاً وعموماً.

وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال: كان النضير بن الحارث بن كلفة من أخلص الناس فكان يقول: الحمد لله الذي من علينا بالإسلام، ومن علينا بمحمد ﷺ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء، وقتل عليه الإخوة، ويؤن العم.

ثم ذكر عدلوته للنبي ﷺ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد، قال: ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نعين عليه فلم يمكننا ذلك، فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلى ما أنا عليه، إن شعرت إلا برسول الله ﷺ فقال: «أنضير؟» قلت: ليك قال: «هنا خير ما أردت يوم حنين عما حال الله بينك وبينه؟» قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: «قد أن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع» قلت: قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم زده ثباتاً» قال النضير: فوالذي بعث بالحق لكان قلبي حجر ثباتاً في الدين، وتبصرة بالحق. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هدانا»

سنة ٨- عمرة الجعرانة في ذي القعدة

قال الإمام أحمد [١٣٤/٣]: حدثنا بهز وعبد الصمد المعنى قالوا: حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حج رسول الله ﷺ؟ قال: حجة واحدة، واعتمر أربع مرار. عمرته زمن الحديبية وعمرته في ذي القعدة من المدينة، وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة، حيث قسم غنيمة حنين، وعمرته مع حجة.

ورواه البخاري [١٧٧٨] ومسلم [١٢٥٣] وأبو داود [١٩٩٤] والترمذي [٨١٥] من طرق عن همام بن يحيى به. وقال الترمذي حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [١٨٠/٢]: حدثنا أبو النضر، حدثنا داود - يعني العطار - عن عمرو عن عكرمة، عن ابن عباس قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر، عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجة.

ورواه أبو داود [١٩٩٣] والترمذي [٨١٦] وابن ماجه [٣٠٠٣] من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المكي، عن عمرو بن دينار به، وحسنه الترمذي.

وقال الإمام أحمد [١٨٠/٢]: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده - هو عبد الله بن عمرو بن العاص - قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، كل ذلك في ذي القعدة يلي حتى يستلم الجحر.

الرحمن ما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو معه، وما اعتمر في رجب قط.
وهكذا رواه الترمذي [٩٣٧] عن أحمد بن منيع، عن الحسن بن موسى عن شيان عن منصور، به. وقال: حسن صحيح غريب.
وقال الإمام أحمد [٤٢٧/٣]: حدثنا روح، حدثنا ابن جريج أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن غرش الكعبي أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلا حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلا يقضي عمرته، ثم خرج من تحت ليلته فاصبح بالجعرانة كباث، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف، حتى جاء مع الطريق - طريق المدينة - بسرف.

قال غرش: فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس.

ورواه الإمام أحمد [٤٢٧/٣] عن يحيى بن سعيد، عن ابن جريج كذلك وهو من أفراد [بل رواه الترمذي (٩٣٥)، النسائي (٢٨٦٣) من طريق ابن جريج].

والمقصود أن عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ومن نفاها لا حجة معه في مقابلة من أثبتناه والله أعلم. ثم هم كالجحيم على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف، وقسم غنائم حنين.

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير [٤٣١/١١] (١٢٢٢٣) قاتلاً: حدثنا الحسن بن إسحاق التستري، حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن الحسن الأسدي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن عمير مولى عبد الله بن عباس عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة قسم بها الغنائم ثم اعتمر منها، وذلك لليتين بقيتا من شوال.

فإنه غريب جداً وفي إسناده نظر والله أعلم.

وقال البخاري [٤٣٢٩]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إسماعيل حدثنا ابن جريج أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يترل عليه قال: فينا رسول الله ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه إعرابي عليه جبة متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمره في جئته بعد ما تمضخ بالطيب؛ فاشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده: أن تعال فجاه يعلى فادخل رأسه فإذا النبي ﷺ عمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سري عنه فقال: «أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً؟» فالتمس الرجل فأتي به، قال: «أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك».

ورواه مسلم [١١٨٠] (٨) من حديث ابن جريج.

وأخرجه [ج] (١٧٨٩)، م (١١٨٠) (٧، ٦، ٩، ١٠) من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى عن أبيه، به.

وقال الإمام أحمد [٢٠١/١] (٢٠٢): حدثنا أبو أسامة أنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكة ودخل في العمرة من كدنى.

وقال أبو داود [١٨٨٤]: حدثنا موسى أبو سلمة، حدثنا حماد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا لردتهم تحت أباطهم، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى.

تفرد به أبو داود.

ورواه [١٨٩٠] أيضاً وابن ماجه [٢٩٥٣] من حديث ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس مختصراً.

وقال الإمام أحمد [٩٨/٤]: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج حدثني الحسن بن مسلم عن طاوس أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال: قصرت عن رسول الله ﷺ بمشقص أو قال: رأته يقصر عنه بمشقص عند المروة.

وقد أخرجه في الصحيحين [ج] (١٧٣٠) مختصراً، م (١٢٤٩) (٢١٠) من حديث ابن جريج به.

ورواه مسلم [١٢٤٩] (٢٠٩) أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس عن معاوية به.

ورواه أبو داود [١٨٠٣] والنسائي [٢٩٨٨] أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه به.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد [٩٧/٤]: حدثني عمرو بن محمد الناقد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس عن معاوية قال: قصرت عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة.

والمقصود أن هذا إما يوجه أن يكون في عمرة الجعرانة وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صعد عنها كما تقدم بيانه، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ بل خرجوا منها، وتغيبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام، وعمرته التي كانت مع حجة لم يتحلل منها بالاتفاق، فتعين أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا والله تعالى أعلم.

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله [سيرة ابن هشام: ٥٠٠/٢]: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً وأمر ببقاء الفتيء فحسب بمنجى بناحية مَرَّ الظهران.

قلت: الظاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض الغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة.

قال ابن إسحاق: [سيرة ابن هشام: ٥٠٠/٢] فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يقيه الناس في الدين ويعلمهم القرآن.

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ خلف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة.

وقال ابن هشام [السيرة: ٥٠٠/٢]: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس أجاج الله كيد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠٠/٢]: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة.

قال ابن هشام [السيرة: ٥٠٠/٢]: فلما لست بيقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المديني.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠٠/٢]: وحج الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن

أسيد وهي سنة ثمان.

قال: وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفتهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع.

سنة ٨- إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وأبوه هو صاحب إحدى الملحقات السبع الشاعر ابن الشاعر وذكر قصيدته التي سمعها رسول الله ﷺ وهي: بانت سعاد.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠١/٢]: ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بغير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وأن من بقي من شعراء قريش، ابن الزبير وهيرة بن أبي وهب هربوا في كل وجه فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه ثانياً، وإن أنت لم تفعل فأتناج إلى نجائك من الأرض. وكان كعب قد قال:

الا بلغنا عني بغيراً رسالة فوجعك فيما قلت وبعك هل لك
فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلوكا
على خلق لم آلف يوماً أباً له عليه وما تلقى عليه إبا لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتل إسا عثرت لماً لك
سفاك بها المأمون كاساً رويةً فانهلك المأمون منها وعلوكا
قال ابن هشام [السيرة: ٥٠٢/٢]: وأشدني بعض أهل العلم بالشعر:

من بلغني عني بغيراً رسالة فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك
شربت مع المأمون كاساً رويةً فانهلك المأمون منها وعلوكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أي شيء ونب غيرك دلوكا
على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه ولم تدرك عليه إباحاً لك
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتل إسا عثرت لماً لك

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠٢/٢]: وبعث بها إلى بغير فلما أتت بغيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأشده إياها، فقال رسول الله ﷺ: لما سمع سفاك بها المأمون: «صلى وإنه لك ذوب أنا المأمون» ولما سمع «على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه قال: «أجل لم تلف عليه إباح ولا أمه» قال: ثم كتب بغير إلى كعب يقول له:

من مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتتجو إذا كان التجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى علسي محرم

قال: فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض واشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه وقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بنا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل - كانت بينه وبينه معرفة - من جهة كما ذكر لي فلما به إلى رسول الله

ﷺ في صلاة الصبح فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستمته، فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ووضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك ثانياً مسلماً فهل أنت قابل منه إن جئتكم به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقال: إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٠٣/٢ - ٥١٢]: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك فإنه جاء ثانياً نازعاً» قال: فضرب كعب بن زهير على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم؛ وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يَفْذْ مكبول
وما سعاد غداة البين إذ بَرَزْتُ إلا أَغْرُ غضيض الطرف مكبول
هيفاً مقبلةً عجواً مدبرة لا يشتكى قَصْرُ منها ولا طول
نحلوا عوارض ذي ظلم إذا ابتست كانه منهل بالراح معلول
شجّت بلدي شجب من ماء عحية صاف بأبطع أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القلبي عنه وأفرطه من صوب غادية يبيض يماليل
فيا لها خلعة لو أنها صدقت بوعدها أَوْزُرُ أن النصح مقبول
لكنها خلعة قد سيط من دمها فجع ولوع وإخلافاً وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغبول
وما تَسْكُ بالهد الذي زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يفرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأبطاليل
أرجو وأمل أن ينجسني في أبدي وما لمن أخال الدهر تمجيل
أمت سعاد بأرض لا تبغها إلا العتاق النجيات المراسيل
ولكن يلغها إلا غداً فرة فيها على الأبن إرقال وتبغيل
من كل نضاعة الذفرى إذا عرقت غُرَضَتْها طامس الأعلام مجهول
ترى النجاد بعيني مفرد لفق إذا توقدت الجوزان والميليل
ضخم مقلدنا فتمم مقلدنا في خلقها عن بنات الفحل تفصيل
حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها قوداه شميليل
يمشي القُراد عليها ثم يزلقه منها لبان وأقارب زماليل
عبرانة قلقت بالنحض عن غُرَضْ مرفقها عن بنات الزور مفتول
قتواء في حُرْمِها للبعير بها عتق بين وفي الخدين تسهيل
كانما فات عينيها ومَلَبَّحْها من خطمها ومن اللحين برطيل
ثم مثل عيب النخل ذا خُصَلْ في غادر لم تخونه الأحاليل
تهوي على يسرات وهي لاهية ذوابل وقهمن الأرض تحليل
سمر العجايب يتركن الحمصى زهاً لم يقهمن سواد اللحم تمثيل
يوماً تظلل به الحرياء مُرْتَبِئاً كان ضاحيه بالشمس مُتَلَوِّ

على خلق لم تُلغَ أمأ ولا أبأ عليه ولم تترك عليه أحدا لكسا سقاك أبو بكر بكأس روية وأهلك المأمون منها وعلكسا فلما بلغت الآيات رسول الله ﷺ أهله واهله وقال: «من لقي كعباً فليقتله».

فكتب بذلك بجيرا إلى أخيه وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهله واهله ويقول له النجاة وما أراك تنفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: أعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل، قال: فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ثم أقبل حتى أتاه راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه كالمائدة بين القوم متعلقون معه حلقة خلف حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم.

قال كعب: فالتفت وراحتي بباب المسجد، ثم دخلت المسجد، فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت وقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ﷺ يا رسول الله، قال: «ومن أنت؟» قال: كعب بن زهير، قال: «الذي يقول؟» ثم التفت رسول الله ﷺ فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟» فأنشده أبو بكر:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأهلك المأمون منها وعلكسا قال: يا رسول الله ما قلت هكذا، قال: «فكيف قلت؟» قال: قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية وأهلك المأمون منها وعلكسا فقال رسول الله ﷺ «مأمون والله» ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى على آخرها وهي هذه القصيدة:

باتت سعاد قلبي اليرم متبول مقيم عندها لم يفد مكبول وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله عز وجل.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب (١٣١٤/٣، ١٣١٥) أن كعباً لما انتهى إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله ملول ثبت أن رسول الله ﷺ أوعدني والعفو عند رسول الله ﷺ مأمول قال: فأنشأ رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا. وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه ولله الحمد والمنة.

قلت: ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه برده حين أنشده القصيدة وقد نظم ذلك الصرخي في بعض مدائحه.

وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة (٤٧٧/٤) قال: وهي البردة التي عند الخلفاء.

قلت: وهذا من الأمور المشهورة جداً ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرفضه فالله أعلم.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال له لما قال: باتت سعاد: «ومن سعاد؟» قال: زوجتي يا رسول الله، قال: «لم تبين» ولكن لم يصح ذلك وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تبين أمراته والظاهر أنه إنما أراد البيونة الحسية لا الحكيمية والله تعالى أعلم.

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنداب يركضن الحصا قبلوا كان أوب فزاعبها وقد عرفت وقد تُلغع بالفقور المساقيل أوبٌ يئتي فاسد شطاة مُؤَلِّجٌ قامت فجاوِها نُكْدُ مشاكيل نواحة رخوة الضجين ليس لها لما نَسَى بكرها الناعون مفعول تقري اللبان بكفيها ومدرعها مشفق عن ترائها رعايل تسعى الفؤاة جانيها وقولهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول وقال كل صديق كنت أمله لا الهنك إنني عنك مشغول قفلت خلوا سيلي لا أبالك فكل ما نثر الرحمن مفعول كل ابن أنسى وإن طالت سلامته يوما على آفة حبيب محمول ثبت أن رسول الله ﷺ أوعدني والعفو عند رسول الله ﷺ مأمول مهلا هناك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيه موايعظ وتفصيل لا تساغني بأقوال الوشاة ولم أذنّب ولو كثرت في الأقاويل لقد أقوم مقاماً لم يقوم به أرى وأسمع ما قد يسمع القيل لظلم تُرْعِدُ من وجد بسوايهِ إن لم يكن من رسول الله ﷺ تنويل حتى وضعت يميني ما أنازعه في كف ذي نعمات قوله القيل فلهو أخوي عندي إذ أكلمه وقيل إنك منسوب ومسؤول من ضيف بضمراء الأرض غُدْرُهُ في بطن عُرٍّ غيل دونه غيل يغدو يُلْجِمُ ضرغامين عيشهما لحم من الناس مغفور خراويل إذا يساور قرناً لا يحل له أن يترك القِرْنَ إلا وهو مغلول منه تظل حير الوحش نافرة ولا تمشي بواديهِ الأراجيل ولا يزال بواديهِ أخو ثقة مضرخ الزيّ والدوسان مأكول إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله ملول في عصبة من قريش قال قائلهم يطن مكة لما أسلموا زولوا زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقواء ولا ميل مازيل يمسون مشي الجمال الزهر بعصمهم ضرب إذا عُرِد السود التنابيل شم العرائن أبطل لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرايل يفض سوايح قد شكت لها حلق كأنها حلق الففعا مجدول ليسوا مفاريج إن نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا لا يقع الطعن إلا في محورهم ولا وهم عن حياض الموت تهليل هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً.

وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٧/٥ - ٢٠٩ بحوه) بإسناد متصل فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمان حدثنا إبراهيم بن الحسين حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا الحجاج بن ذي الرقية بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العُرَاف فقال بجير لكعب: أثبت في هذا المكان حتى أتني هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأسمع ما يقول فثبت كعب وخرج بجير فجاه رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم فبلغ ذلك كعباً فقال:

إلا أبلفا عني بجيراً رسالة على أي شيء وب غيرك دُكُسا

سنة ٨- أحداث سنة ثمان

فكان في جمادى منها وقعة مؤنة، وفي رمضان غزوة فتح مكة، وبعدها في شوال غزوة هوازن بجنين، وبعده كان حصار الطائف، ثم كانت عمرة الجمرات في ذي القعدة، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة.

قال الواقدي: رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالي بقتين من ذي الحجة في سفرته هذه.

قال الواقدي: وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجلندي من الأزد، وأخذت الجزيرة من عبوس بلدعها ومن حولها من الأعراب.

قال: وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة فاستعادت منه ﷺ ففارقها، وقيل: بل غيرها فاختارت الدنيا ففارقها.

قال: وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً وكنت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشر به رسول الله ﷺ فاعطاه مملوكاً ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بركة بنت المنذر بن زيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مبلول.

وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع. وقد قلنا هذا خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنحلة بين مكة والطائف وذلك لخمس بقتين من رمضان منها.

قال الواقدي: وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط، هدمها عمرو بن العاص ﷺ ولم يجد في خزائنه شيئاً.

وفيها هُدم مناة بالمثل وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه هدمه سعد بن زيد الأشهلي ﷺ وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٩ - ٢٠]

قلت: وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خشم البيت الذي كانت تعبد ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية وتلك - الكعبة اليمانية.

فقال البخاري (٤٣٥٧): حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريجي من ذي الخلصة؟» فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل ففكرت ذلك للنبي ﷺ ففرض يده في صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: «اللهم شتبه واجعله هادياً مهدياً» قال: فما وقعت عن فرس بعد.

قال: وكان ذو الخلصة يتأ باليمن لخنعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية.

قال: فأتاها فحرقتها في النار وكسرها.

قال: فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقبل له: إن رسول الله ﷺ هاهنا فإن قدر عليك ضرب عتقك.

قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنا وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عتقك؟ فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلاً من أحس يكنى أوطاة إلى النبي ﷺ يشره بذلك، قال: فلما أتى رسول

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥١٤/٢، ٥١٥): وقال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب - يعني في قصيدته -: إذا غرد السور التابيل وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صنع به، وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم بمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن:

من سره كرم الحية فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار
ورثوا المكرم كابرًا عن كابر إن الخيار مُنم بنو الخيار
المكرهين السمهرى بأفزع كسوف المهندي غير قصار
والناظرين بأعين عمرة كالجمر غير كليلة الأبيصار
والبائعين نفوسهم لئيبهم للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين الناس عن أديانهم بالمشرفي وبالقفنا الخطار
يتظهرون يرونه نكاحهم بدماء من علقوا من الكفار
دبروا كما دريت يطن خفية غلب الرقاب من الأسود صواري
وإذا حللت لينعموك إليهم أصبحت عند معاقل الأغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جيع نزار
لو يعلم الأقوام علمي كله فيهم لصنقي اللين أماري
قوم إذا خوت النجوم فلانهم للطارقين النازلين مقاري
في الفر من غسان من جرثومة أعيت عافرها على المنقار

قال ابن هشام (السيرة: ٥١٥/٢): ويقال: إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعد: «لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل» فقال كعب هذه الأبيات وهي في قصيدة له.

قال: ويلفتي عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد بانت سعد فقلبي اليوم متبول.

وقد رواه الحافظ البيهقي (الدايل: ٢١١/٥) بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني معن بن عيسى حدثني محمد بن عبد الرحمن الأوقص عن ابن جدعان فذكره وهو مرسل.

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١٣١٣/٣ - ١٣١٧) بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال: وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما وأبوهما زهير فوقهما وما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبي سعي الفتى وهو خيره له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يدرها فالنفس واحدة والمهم متشر
والمرء ما عاش مخلود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر
ثم أورد له ابن عبد الله أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته، وكلنا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب «الغابة في معرفة الصحابة» (١/٤) ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة قاله أعلم.

وقال السهيلي (الروض الأصف: ٣٠٤/٧): وما أجاد فيه كعب بن زهير قوله بمدح رسول الله ﷺ:

تجري به الناقة الأمعاء معتجراً بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ففسى عطايفه أو أنشاء بردته ما يعلم الله من دين ومن كرم

بالتهدؤ لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من البلاد وحين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه.

وكان رسول الله ﷺ قل ما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه، ليتأهب الناس لذلك أهبة. فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم. فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجدد بن قيس أحد بني سلمة: أما جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشد عجباً بالنساء مني وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أفتت لك» ففي الجدل أنزل الله هذه الآية «وَيَهَيِّئْ لَهُمْ مِنْ يَتُوكَ إِذْ يَخْرُجُونَ فِي يَوْمٍ لَا يُصِيبُهمْ سَيْفٌ وَلَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَلَا يَتُوبُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنْزِلُ السَّمَاءَ الْوَهَّاجَ» [سورة البقرة: ٢١٨-٢١٩].

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر؛ زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول ﷺ، فانزل الله فيهم «وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكْسِبُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [سورة البقرة: ٨١-٨٢].

قال ابن هشام [السيرة: ٥١٧/٢]: حدثني الثقة عن حدثه عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده قال: بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي - وكان يته عند جاسوم - يبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فبعث إليهم طلحة بن عبد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة فاتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فافلتوا فقال الضحاك في ذلك:

كَادَتْ وَيَسْتُ اللَّهُ نَسَارَ مُحَمَّدٍ يَشِيْطُ بِهَا الضَّحَاكُ وَابْنُ أَبِي رِيٍّ وَظَلَّتْ وَقَدْ طَبِئَتْ كَيْسَ سُوَيْلَمٍ أَتَوْهُ عَلَى رَجُلِي كَسْباً وَمَرْقَصِي سَلَامٍ عَلَيْكُمْ لَا أَسْوَءَ لِيْثِلَهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرِقُ

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥١٧/٢، ٥١٨]: ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش وحض أهل الغنى على الثقة والحملاان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً.

قال ابن هشام [السيرة: ٥١٨/٢]: فحدثني من أتى به أن عثمان انفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض».

وقد قال الإمام أحمد [٦٣/٥]: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، حدثنا عبد الله بن شاذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبها في حجر النبي ﷺ، فحمل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم».

ورواه الترمذي [٣٧٠١] عن محمد بن إسماعيل، عن الحسن بن واقع، عن ضمرة به، وقال حسن غريب. وقاله عبد الله بن أحمد في مسنده أبيه [أطراف المسند: ٢٥٧/٤] حدثني أبو

الله ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جل أجرب، قال: فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحسن ورجلها خسر مرات.

ورواه مسلم [٢٤٧٦] (١٣٧) عن طرق متعدة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه.

سنة ٩ - غزوة تبوك في رجب منها

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَاهِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَكِيمٌ. قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَبَيِّنُونَ بَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٨-٢١٩].

روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقسادة والضحاك وغيرهم: أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره. قالت قريش: لينطفعن عنا التاجر والأسواق أيام الحج وليمنعن ما كنا نصيب منها؛ فموضعهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. [الطبري: ١٠٩/١٠ - ١٠٨]

قلت: فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرعهم إلى الإسلام وأمله. وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٣].

فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الروم عام تبوك وكان ذلك في حر شديد وضيق من الحال جلى للناس أمرها ودعى من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه فأوعب معه بشر كثير كما سيأتي قريباً من ثلاثين ألفاً وتختلف آخرون فعاتب الله من تخلف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين، ولأمرهم ووبخهم وقرعهم أشد القرع وفصحهم أشد الفضيحة وأنزل فيهم قرآناً يتلى وبين أمرهم في سورة براءة كما قد بينا ذلك مبسوطاً في التفسير [٩٥، ٩٤/٤] وأمر المؤمنين بالفر على كل حال فقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَنْهُمْ الشُّعْبَةُ وَاسْبَحِلْفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاثِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤١-٤٢] ثم الآيات بعدها.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٢] قيل: إن هذه ناسخة لتلك، وقيل: لا، فالله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥١٥/٢، ٥١٦]: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب - يعني من سنة تسع - ثم أمر الناس بالتهدؤ لغزو الروم.

فذكر الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم ابن عمر بن قتادة وغيرهم من علمائنا، كلٌ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه

حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني. ويضع الناس يقولون: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف، وعرباض بن سارية القرظي.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٥١٨/٢): فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يكيان، فقال: ما يكيكما؟ قالوا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه، فاعطاهما ناضحا له فارتحلاه، وزودهما شيئا من تمر، فخرجا مع النبي ﷺ.

زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وأما علبة بن زيد، فخرج من الليل فصرى من ليته ما شاء الله ثم بكى وقال: اللهم إني أكرمت بالجهد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها؛ في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدق هذه الليلة؟» فلم يبق أحد، ثم قال: «أين المتصدق؟ فليقسم» فقام إليه فافخره فقال رسول الله ﷺ: «أبشر فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المقبلة».

وقد أورد الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢١٦/٥، ٢١٧) هاتين حديث أبي موسى الأشعري فقال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي، حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحملان إذ هم معه في جيش العسرة وهو في غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحلکم على شيء» ووافته وهو غضبان ولا أشعر، فرجعت حزينا من منع رسول الله ﷺ ومن غفلة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه علي، فرجعت إلى أصحابي فاخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ فلم ألبث إلا سبعة أيام إذ سمعت بلالا ينادي: أين عبد الله بن قيس؟ فاجتبه فقال: أجب، رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيت رسول الله ﷺ قال: «خذ هذين القرين وهذين القرين وهذين القرين» لست بأعيرة ابتاعهم حيث شئت من سعد، فقال: «انطلق بهم إلى أصحابك فقل: إن الله - أو قال: إن رسول الله - يحملك على هؤلاء فاركبوهم».

قال أبو موسى: فسانطلقت إلى أصحابي فقلت: إن رسول الله ﷺ يحملك على هؤلاء، ولكن والله لا أدعكم حتى يطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ، حين سأله لكم، ومنعه لي في أول مرة، ثم إعطاه إياي بعد ذلك؛ لا تغفلوا أي حدثكم شيئا لم يقله، فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق ولنعملن ما أحيت، قال: فانطلق أبو موسى بشرفهم، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم، ثم إعطاه بعد، فحدثوهم بما حدثهم به أبو موسى سواء.

وأخرجه البخاري (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) (٨) جميعاً عن أبي كريب عن أبي سامة.

وفي رواية لما راجع (٣١٣٣)، م (١٦٤٩) (٧، ٩) عن أبي موسى قال: أتيت رسول الله ﷺ في رهط من الأشعرين ليحملنا فقال: «والله ما أحلکم وما عندي ما أحلکم عليه» قال: ثم جيء رسول الله ﷺ بنهب إيل، فأمر لنا بست ذؤن غر اللزى فاختلنا، ثم قلنا تغفلنا رسول الله ﷺ بيته، والله لا يبارك لنا، فرجعنا له فقال: «ما أنا حلتكم ولكن الله حلتكم»

موسى العنزي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني سكن بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن خباب السلمي. قال: خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: عليّ مائة بعير بأحلاسها وأتائبها، قال: ثم نزل مرة من النبر، ثم حث فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأتائبها، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد يده كالتمجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا».

وهكذا رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن محمد بن بشار، عن أبي داود الطيالسي، عن سكن بن المغيرة أبي محمد، مولى لآل عثمان، به. وقال: غريب من هذا الوجه.

ورواه البيهقي (الدلائل: ٢١٤/٥) من طريق عمرو بن مرزوق، عن سكن بن المغيرة به. وقال: ثلاث مرات، وأنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأتائبها. قال عبد الرحمن: فأتنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على النبر: «ما ضر عثمان بعدا - أو قال - بعد اليوم».

وقال أبو داود الطيالسي (مسند: ٨٢): حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن جاوران، عن الأحنف بن قيس قال: سمعت عثمان بن عفان يقول لسعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة: أتشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز جيش العسرة غفر الله له» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً؟ قالوا: اللهم نعم. ورواه النسائي (٣٦٠٨) من حديث حصين به.

سنة ٩- تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ أَنْ آتَيْنَا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا فَرَّغْنَا مِنْ الْفَاقِعِ عَنِ الرَّسُولِ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْخَوَالِفَ حَتَّى يَلْقَاهُمْ لَبَّى عَلَيْهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْرِ اللَّهِ وَفَضْلِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ. وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. لَيْسَ عَلَى الصُّفَّةِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ خَرَجَ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتُهُمْ فَبِغْضٍ مِنَ اللَّهِ تَكُونُوا يَأْتِ الْخَوَالِفَ وَطُبِعَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضُوا بَأَن يُكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (همزة: ٨٦-٩٣)

قد تكلمنا على تفسير هذا كله في التفسير (١٣٥/٤ - ١٣٩) بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة.

والقصد ذكر البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم حتى يصحبوه في غزوته هذه، فلم يجدوا عنده من الظهر ما يحملهم عليه، فرجعوا وهم يكونون تأسفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه.

قال ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٥١٨/٢) وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم.

فمن بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد أخو بني

ثم قال: «إني والله إن شاء الله لا أحلف على عيّن، فإرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥١٩/٢]: وقد كان نفر من المسلمين أباطت بهم النية حتى تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة، ومراة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف، وكانوا نفر صدق لا يهتمون في إسلامهم.

قلت: أما الثلاثة الأول فسألت قصتهم مبسطة قريباً إن شاء الله تعالى، وهم الذين أنزل الله فيهم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا خَسَى إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] وأما أبو خيثمة فإنه عاد وعزم على اللحق برسول الله ﷺ كما سيأتي.

سنة ٩ - تجهيز عسكر المسلمين مع رسول الله صلى عليه وسلم وعددهم ثلاثون ألفاً

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: ثم استتب برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس، وضرب عبد الله بن أبي عدو الله عسكره أسفل منه - وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين - فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي في طائفة من المناقبين وأهل الربيع.

قال ابن هشام [السيرة: ٥١٩/٢]: واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري.

قال: وذكر الدراودي: أنه استخلف عليها عام تبوك سبع بن عرفة. قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥١٩/٢]: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، على أهله، وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المناقبون، وقالوا: ما خلفه إلا استقالاً له، وتخففاً منه، فلما قالوا ذلك، أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا فقال: «كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فأرجع فإخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» فرجع علي ومضى رسول الله ﷺ في سفره.

ثم قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٠/٢]: حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.

وقد روى البخاري [٣٧٠٦] ومسلم [٢٤٠٤] هذا الحديث من طريق شعبة عن سعد بن إبراهيم، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه به.

وقد قال أبو داود الطيالسي في مسنده [٢٠٩]: حدثنا شعبة عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي».

وأخرجه [خ (٤٤١٦)، م (٢٤٠٤)] من طرق عن شعبة نحوه. وعلقه

البخاري [٤٤١٦] أيضاً من طريق أبي داود عن شعبة.

وقال الإمام أحمد [١٨٥/١]: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن سمارة، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول له - وخلفه في بعض مغازيه - فقال علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

ورواه مسلم [٢٤٠٤] (٣٢) والترمذي [٣٧٢٤] عن قتيبة: زاد مسلم ومحمد بن عباد. كلاهما عن حاتم ابن إسماعيل به. وقال الترمذي: حسن صحيح، غريب من هذا الوجه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٠/٢، ٥٢١]: ثم إن أبا خيثمة بعد ما سار رسول الله ﷺ إياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً. فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحار، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيب وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالثمن؟ ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهبتا زائداً. ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارخله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير ابن وهب الجمعي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ تخلف قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة» فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له: «أولئك يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال خيراً ودعا له بخير.

وقد ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قصة أبي خيثمة بنحو من سياق محمد بن إسحاق، وأبسط، وذكر أن خروجه عليه السلام إلى تبوك كان في زمن الحارث [دلائل النبوة للبيهقي: ٢٢٤/٥] فالله أعلم.

قال ابن هشام [السيرة: ٥٢١/٢] وقال أبو خيثمة واسمه مالك بن قيس في ذلك:

لما رأيت الناس في الدين ناسقوا أتيت التي كانت أعف وأكرما
وتأيت باليمن يدي لمحمدا فلم أكتب إثمأ ولم أغش عرماً
تركت خضياً في العريش وصرمة صفايا كراما بسرهما قد تحمما
وكتبت إذا شك المناقب أستمحت إلى الدين نفسي شطراً حيث مما

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق، عن بريدة، عن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك، جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول: «دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطا به بعيره، فقال: «دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» فتلوم أبو ذر بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازل، ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله إن هذا الرجل ماش على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبداً ذر» فلما تأمله القوم

أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد الخدري - شك الأعمش - قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا ففتحنا نواضحتنا فأكلنا وأذهبنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا» فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن لغلت قل الظهر، ولكن ادهمهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فيها البركة، فقال رسول الله: «نعم» فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة، ويجيء الآخر بكف من التمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: «دخلوا في أوتيتكم» فأدخلوا في أوتيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة».

ورواه مسلم (٢٥٥) (٢٧) عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش به.

ورواه الإمام أحمد (٤٢١/٢) من حديث سهيل عن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة به، ولم يذكر غزوة تبوك، بل قال: كان في غزوة غزاه.

سنة ٨- مووره ﷺ في ذهابه إلى تبوك بمساكن غود

قال ابن إسحاق [سورة في هشام: ٥٢١/٢]: وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من مياهها شيئا، ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجين عجمته فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا».

هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد.

وقال الإمام أحمد (٦٦٢/٢): حدثنا يعمر بن بشير، حدثنا عبد الله - وهو ابن المبارك - أخبرنا معمر عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه: أن رسول الله ﷺ لما مر بالحجر قال: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم» وتقعس بردائه وهو على الرحل.

ورواه البخاري (٣٣٨٠، ٤٤١٩) من حديث عبد الله بن المبارك، وعبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه.

وقال مالك عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم» [البيهقي في الدلائل: ٢٣٣/٥، من طريق مالك، ٢٤].

ورواه البخاري (٤٣٣، ٢٣٧٨) من حديث مالك، ومن حديث سليمان بن بلال، كلاهما عن عبد الله بن دينار.

ورواه مسلم (٢٩٨٠) من وجه آخر عن عبد الله بن دينار نحوه.

وقال الإمام أحمد (١١٧/٢): حدثنا عبد الصمد، حدثنا صخر - هو ابن جويعة - عن نافع، عن ابن عمر قال: نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحج، عند بيوت ثمود فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم أرحل بهم، حتى نزل بهم على البئر، التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم».

قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر ممشى وحده، ويموت وحده، ويعيث وحده» قال: فضرب الدهر من ضربه وسير أبو ذر إلى الرينة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وعلامة فقال: إذا مت فاغسلاني وكفاني من الليل، ثم ضعاني على قارعة الطريق فأولع ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فأطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركايبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود يكي وقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، ممشى وحده ويموت وحده ويعيث وحده»، فتزل قوليه بنفسه حتى أجنه. إسناده حسن ولم يخرجوه.

قال الإمام أحمد [البيهقي في الدلائل: ٢٢٧/٥، من طريق أحمد بن حنبل، به]: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله: «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ» [سورة التوبة: ١١٧]. قال: خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وخرجوا في حرس شديد، فأصابهم في يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إلبهم لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها، فكان ذلك عسرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر.

قال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عتبة بن أبي عتبة، عن نافع بن جبير، عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن ساعة العسرة فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان أحدنا لينهب فيلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرسه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الداء خيرا فادع الله لنا، فقال: «أوتحب ذلك؟» قال: نعم! قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلمت، ثم سكبت فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر [الدلائل للبيهقي: ٢٣١/٥، من طريق ابن وهب، ٢٤].

إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقد ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه: أن هذه القضية كانت وهم بالحجر، وأنهم قالوا لرجل معهم منافع: ويحك هل يعد هذا من شيء؟ فقال: سحابة مارة، وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلت فذهبوا في طلبها فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن حزم الأنصاري - وكان عنده -: «إن رجلا قال: هذا عمدة يخرجكم أنه نبي، ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلفي الله عليها هي في الوادي، قد حبستها شجرة بزمانها» فانطلقوا فجاءوا بها، فرجع عمارة إلى رحله فحدثهم عما جاء رسول الله ﷺ من خبر الرجل، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة: إنما قال ذلك زيد بن الصلت وكان في رحل عمارة قبل أن يأتي، فأقبل عمارة على زيد يبغا في عقه ويقول: إن في رحلي لنامية وأنا لا أدري، أخرج عني يا عدو الله فلا تصحبي، فقال بعض الناس: إن زيدا تاب، وقال بعضهم: لم يزل مصرا حتى هلك.

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٣٢/٥]: وقد روي عن حديث ابن مسعود شيئا بقصة الراحلة، ثم روى من حديث الأعمش.

وقد رواه الإمام أحمد (١١٣/٣) عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن

الساعدي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، حتى جئنا وادي القرى، فإذا امرأة في حليقة لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أخروا» فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال رسول الله ﷺ للمرأة: «أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله».

قال: فخرج حتى قدم تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقوم فيها رجل، فمن كان له بعير فليوثق عقاله».

قال أبو حيد: ففعلناها، فلما كان من الليل هبت علينا ريح شديدة، فقام فيها رجل فألقته في جبل طح، ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة فأهدى لرسول الله ﷺ بنلة بيضاء وكساه رسول الله ﷺ برداً وكعب له بيحرم ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جئنا وادي القرى فقال للمرأة: «كم جاءت حليقتك؟» قالت: عشرة أوسق، خرص رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنني متعجل فمن أحب منكم أن يتعجل فليقبل» قال: فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه حتى إذا أوفى على الملتية قال: «هذه طابة»، فلما رأى أحداً قال «هنا أحد يجنا ونجبه، ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بني عبد الأشهل، ثم دار بني ساعدة، ثم في كل دور الأنصار خير».

وأخرجه البخاري (١٤٨١) ومسلم (١٣٩٢) من غير وجه عن عمرو بن يحيى بن محرز. وقال الإمام مالك رحمه الله (الموطأ: ١٤٣/١، ١٤٤) عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فكان يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، قال: فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى ضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي» قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فسألها رسول الله ﷺ: «هل مستمنا من مائها شيئاً؟» قال: نعم فسيهما! وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرغوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملأ جناناً».

وأخرجه مسلم (٧٠٦) (١٠) من حديث مالك به.

سنة ٩ - ذكر خطبته ﷺ إلى تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم (٧٣/٣) ويونس بن محمد المؤدب (٤١/٣، ٤٢) وحجاج بن محمد (٥٧/٣، ٥٨) ثلاثهم عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحارث عن أبي الخطاب عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مستند ظهره إلى نخلة فقال: «ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يروعي إلى شيء منه» ورواه النسائي (٣١٠٦) عن قتيبة عن الليث به وقال: أبو الخطاب لا أعره.

وروى البيهقي (الدلائل: ٢٤١/٥، ٢٤٢) من طريق يعقوب بن محمد

وهذا الحديث إسناده على شرط الصحيحين من هذا الوجه، ولم يخرجوه، وإنما أخرجه البخاري (٣٣٧٩) ومسلم (٢٩٨١) من حديث أنس بن حياض، عن أبي حمزة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر به.

قال البخاري: وتابعه أسامة عن عبيد الله.

ورواه مسلم (٢٩٨١) من حديث شعيب بن إسحاق عن عبيد الله عن نافع به.

وقال الإمام أحمد (٢٩٦/٣): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن عبيد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألتها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصلر من هذا الفج، فعثروا عن أمر ربهم فغفروها وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فغفروها فآخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

إسناده صحيح ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد (٢٣١/٤): حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا المسعودي، عن إسماعيل بن أوسط، عن محمد بن أبي كشة الأحمري، عن أبيه قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فتودي في الناس الصلاة جامعة، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو عسك بعيره وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم» فناداه رجل منهم: نعجب منهم يا رسول الله؟ قال: «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم يبتكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدعون عن أنفسهم شيئاً».

إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي - أو عن العباس عن سهل بن سعد الشك مني - أن رسول الله ﷺ حين مر بالحجر، ونزلها استقى الناس من بئرها، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس: «لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضؤوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجمته فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج من أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له» ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجة، وخرج الآخر في طلب بعير له، فلما الذي ذهب لحاجة، فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتلمته الريح حتى ألقت به في طح، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «ألم أنبئكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له» ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ بعد مرجعه من تبوك.

وفي رواية زياد عن ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٢٢/٢) أن طيناً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن العباس بن سهل سعى له الرجلين، لكنه استكتمه إياهما فلم يحدثني بهما. وقد قال الإمام: أحمد (٤٢٥، ٤٢٤/٥) حدثنا عفان، حدثنا وهيب بن خالد، حدثنا عمرو بن يحيى عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبي حيد

سنة ٩- الصلاة على معاوية بن معاوية

إن صح الخبر في ذلك

روى البيهقي [الدلائل: ٢٤٥/٥] من حديث يزيد بن هارون أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله ﷺ بتوك، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت فيما مضى، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: «يا جبريل ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى؟» قال: ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال: «وهم ذاك؟» قال: بكثرة قراءته ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بالليل والنهار، وفي عشاءه وفي قيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه؟ قال «نعم» قال: فصلى عليه ثم رجع. وهذا الحديث فيه غرابة شديدة ونكارة، والناس يستنون أمره إلى العلاء بن زيد هنا وقد تكلموا فيه.

ثم قال البيهقي [الدلائل: ٢٤٦/٥]: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن حبيب الصفار حدثنا هشام بن علي أخبرنا عثمان بن الجهم حدثنا محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال: جاء جبريل فقال: يا محمد مات معاوية بن معاوية المزني أقتحب أن تصلي عليه؟ قال «نعم!» ف ضرب بمحناه فلم يبق من شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت له، قال: فصلى وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك، قال: قلت: «يا جبريل ما نال هذه المنزلة من الله؟» قال عبه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقرؤها قائما وقاعنا، وذاهبا وجائيا، وعلى كل حال.

قال عثمان: فسألت أبي: أين كان النبي ﷺ؟ قال: بغزوة تبوك بالشام، ومات معاوية بالمدينة، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلى عليه.

وهنا أيضا منكر من هنا الوجه.

سنة ٩- قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتوك

قال الإمام أحمد [٤٤١/٣، ٤٤٢]: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بمحصر وكان جناراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفند أو قرب. فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ فقال: بلى! قدم رسول الله ﷺ بتوك فبعث دحية الكلبي إلى هرقل فلما أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قيسياً الروم ويطارقتهم ما أغلق عليه وعليهم الدار فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم؟ وقد أرسل لي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب. والله لقد عرفت فيما تقررون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي فهلم فليتبعه على دينه أو نعطيه ما لنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانهم، وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟!

فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفاههم، ولم يكذ وقال: إنما قلت ذلك لأعلم صلاتكم على أمركم ثم دعا رجلاً من عرب نجيب كان على نصارى العرب قال: ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي

الزهرى عن عبد العزيز بن عمران: حدثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن جميل بن سنان أخبرني أبي سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فاسترد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: «ألم أقل لك يا بلال اكلاً لنا الفجر؟» فقال: يا رسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك.

قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد ثم صلى وسار بقية يومه وليته فأصبح بتوك، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أيها الناس أما بعد؛ فإن أصقل الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما أتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر النعمة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا جبراً. ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجراً ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب، وخير الفنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياح من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جنى جهنم. والشعر من إيليس، والخمر جماع الإثم والنساء جبايل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكول أكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خوافه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأكل على الله يكليه، ومن يستغفره يغفر له ومن يعف يعف الله عنه. ومن يكظم باجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يتنقى السمعة يستع الله به، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله، اللهم اغفر لي ولأمتي» قالنا ثلاثاً ثم قال: «استغفر الله لي ولكم».

وهذا حديث غريب وفيه نكارة وفي إسناده ضعف والله أعلم بالصواب.

وقال أبو داود [٧٠٧]: حدثنا أحمد بن سعيد الحمداي وسليمان ابن داود. قالوا: أخبرنا ابن وهب أخبرني معاوية عن سعيد بن غزوان عن أبيه: أنه نزل بتوك وهو حاج فإذا رجل مقعد، فسأله عن أمره فقال: سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أبي حي. إن رسول الله ﷺ نزل بتوك إلى نخلة فقال: «هذه قبلتنا» ثم صلى إليها، قال: فاقبلت وأنا غلام أسعى حتى مرت بينه وبينها، فقال: «قطع صلاتنا قطع الله أثره». قال: فما قمت عليها إلى يومي هذا.

ثم رواه أبو داود [٧٠٥] من حديث سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن مولى يزيد بن نمران عن يزيد بن نمران. قال: رأيت بتوك مقعداً فقال: مرت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمار وهو يصلى فقال: «اللهم اقطع أثره» فما مشيت عليها بعد.

وفي رواية [٧٠٦] «قطع صلاتنا قطع الله أثره»

اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاءه بي فدفعه إلى هرقل كاتباً فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب لي بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهوره هل به شيء يريبك.

قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكاً فإذا هو جالس بين ظهرائي أصحابه غتياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هو ذا، فاقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: «عن أنت؟» فقلت: أنا أخو تنوخ قال: «هل لك إلى الإسلام الحنيفة ملة أبيك إبراهيم؟» قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله بمزقه ومزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فمزقها والله مزقها وعزق ملكه وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يملكون من بأس ما دام في العيش خير» قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهماً من جمعي فكتبت به في جنب سيفي ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فآلئ النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار» قال: فأخذت سهماً من جمعي فكتبت به في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: «إن لك حقاً وإنك رسول، فلو وجدت عندنا جائرة جوزناك بها، إنا سنفر مزميلون» قال: فتأده رجل من طائفة الناس قال: أنا أجوزك، ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعا في حجره، قلت: من صاحب الجائرة؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله ﷺ: «أيكم يؤزل هذا الرجل؟» فقال قس من الأنصار: أنا، فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ: «تعال يا أخا تنوخ» فاقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حوته عن ظهره وقال: «ها هنا امض لما أمرت به» فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غصون الكنف مثل الحجة الضخمة.

هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد.

سنة ٩ - مصالحته ﷺ ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح

وهو مقيم على تبوك قبل رجوعه

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٥/٢]: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه بجنة بن ربيعة صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح وأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم، فكتب لبيعة بن ربيعة وأهل أيلة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله وعهد النبي رسول الله ﷺ لبيعة بن ربيعة وأهل أيلة منهمم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وعهد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه. وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يعمره ما يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر» زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق بعد هذا: «وهذا كتاب جهيم بن

سنة ٩ - بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٦/٢]: ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً، وقال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك ستجده يصيد البقر».

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفي ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته. وباتت البقر تحمق بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فتزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نضر من أهل بيته فهم أخ له يقال له: حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم. فلما خرجوا تلقاهم خيل النبي ﷺ فانقضته، وقتلوا أخاه وكان عليه قباه من ديباج غرّص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أنس بن مالك قال: رأيت قباه أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٦/٢]: ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ حنن له دمه فصالحه على الجزية، ثم خلّى سبيله فرجع إلى قريته، فقال رجل من بني طئ يقال له بجير بن بجرة في ذلك:

بَارَكَ سَائِلُ الْبَرَارَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِلًا عَنْ بَيْ تَبُوكَ فَإِنَّا قَدْ أَمْرُنَا بِالْجَهْدِ
وقد حكى البيهقي [الدلائل: ٢٥١/٥]: أن رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر: «لَا يَفْقُضُ اللَّهُ فَالِكَ فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُونَ سَنَةً مَا تَحْرُكُ لَهُ فِيهَا ضَرْسٌ وَلَا سَنَ».

وقد روى ابن ليعية عن أبي الأسود عن عروة: أن رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمئة وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة. فذكر نحوه ما تقدم إلا أنه ذكر: أنه مأكراً حتى أنزله من الحصن، وذكر أنه قدم مع أكيدر إلى رسول الله ﷺ ثمانمائة من السبي، وألف بعير، وأربعمئة درع، وأربعمئة رمح، وذكر أنه لما سمع عظيم أيلة يؤخّنه بن رؤية بقضية أكيدر دومة أقبل قادماً إلى رسول الله ﷺ يصالحه، فاجتمعا

«بلى الذين لهم نعم بشبكة شديخ» فتذكروهم في بني غفار، فلم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يا رسول الله أولئك رهط من أسلم حلفاء فينا. فقال رسول الله ﷺ: «ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يعمل على بعير من إله امرأة شيطا في سبيل الله؟ إن أعر أملي علي أن يتخلف عني المهاجرون والأنصار وغفار وأسلم».

قال ابن لبيبة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: لما قتل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة فم جماعة من المنافقين بالفتك به وأن يطرحوه من رأس عبة في الطريق، فأخبر بغيرهم فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة وسلكها معه أولئك نفر وقد تلمسوا وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه، عمار أخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوه، فغضب رسول الله ﷺ وأبصر حذيفة غضبه فرجع إليهم ومعه معجن فاستقبل وجوه وراحلهم بمحجنه، فلما رأوا حذيفة نظنوا أن قد أظهر على ما أضمره من الأمر العظيم فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينظرون الناس، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة: «هل عرفت هؤلاء القوم؟» قال: ما عرفت إلا وراحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم، ثم قال: «علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟» قال: لا، فأخبرهما بما كانوا يمالؤوا عليه وسماهم لهما واستكتهما ذلك؟ فقالا: يا رسول الله أنفلا تأمر بقتلهم؟ فقال: «أكره أن يتحدث الناس أن عمداً يقتل أصحابه».

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة إلا أنه ذكر أن النبي ﷺ إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده وهنا هو الأشبه والله أعلم.

ويشهد له قول أبي الدرداء لعقمة صاحب ابن مسعود: أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السواد والرساد؟ - يعني ابن مسعود - أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ - يعني حذيفة - أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمد؟ - يعني عماراً؟ [خ (٢٧٤٢)].

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لحذيفة: أقسمت عليك بالله أنا منهم؟ قال: لا ولا أبرئ بعذك أحداً - يعني حتى لا يكون مفشياً سر النبي ﷺ -.

قلت: وقد كانوا أربعة عشر رجلاً.

وقيل: كانوا اثني عشر رجلاً.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما يمالؤوا عليه. ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم قال: وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وَمَنْ أُولَئِكَ يَمْأَلُؤْا﴾ [آية: ٢].

وروى البيهقي [الذلال: ٢٦٠/٥، ٢٦١] من طريق محمد بن مسلمة عن أبي إسحاق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن حذيفة بن اليمان قال: كنت أخدم ناقة رسول الله ﷺ أقود به وعمار يسوق الناقة - أو أنا أسوق وعمار يقود به - حتى إذا كنا بالعقبة إذا بآثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها، قال: فأنهت رسول الله ﷺ فصرخ بهم فولوا ملبيين، فقال لنا رسول الله ﷺ: «هل عرفتم القوم؟» قلنا: لا يا رسول الله قد كانوا مثلثين ولكننا قد عرفنا الركاب، قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا قال: «أرادوا أن يزحوا رسول الله ﷺ في العقبة فيلقوه منها» قلنا: يا رسول الله أو لا تبعث إلى

عند رسول الله ﷺ تبوك؛ قاله أعلم.

وروى يونس بن بكير عن سعد بن أسود عن بلال بن يحيى: أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل، قاله أعلم.

سنة ٩- الحديث عن المنافقين

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٧/٢]: فأقام رسول الله ﷺ بضعة عشرة ليلة بتبوك لم يجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

قال: وكان في الطريق ماء يخرج من وشل، يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له: وادي المشق، فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستين منه شيئاً حتى نأتيه».

قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء؟» قيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال: «أولئك أنهم أن يستقوا منه حتى آتاه»، ثم لعنهم ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نفضه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق، فنرب الناس واستقوا حاجتهم منه، فقال رسول الله ﷺ: «لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمن بهذا الوادي وهو أنصب ما بين يديه وما خلفه».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٧/٢، ٥٢٨]: وحديثي محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فأتيتها أنظر إليها، قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرة، وأبو بكر وعمر يلبثانه إليه وإذا هو يقول: «أدنيا لي أخاكم فدلياه إليه، فلما هياه لشقه قال: «اللهم إني قد أسيت راضياً عنه فأرض عنه» قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

قال ابن هشام: إنما سمي ذا البجادين لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيّقوا عليه حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجداد - وهو الكساء اللطيف - فشقه باثنتين فاتتزر بواحدة وارتنى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسُي ذا البجادين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٢٨/٢، ٥٢٩]: وذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي أبي رهم الغفاري أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين - وكان من أصحاب الشجرة - يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر وألقى الله علي العباس فطفقت أستقيظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبي ﷺ فيفرعني دنوا منه مخافة أن أصيب رجله في الفرز، فطفقت أحوز راحلتي عنه حتى غلبتني عني في بعض الطريق فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الفرز، فلم أستقيظ إلا بقوله: «حسن» فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فقال: «مير» فجعل رسول الله ﷺ يسألني عن تخلف عنه من بني غفار، فأخبره به. فقال: وهو يسألني: «ما فعل النسر الحمر الطوال النطاط الذين لا شر في وجوههم؟» فحلستهم بتخلفهم، قال: «فما فعل النسر السود الجماد القصار» قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا قال:

[١٤٨/٤ - ١٥٥] بما فيه كفاية والله الحمد.

وذكر ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٢٩/٢ - ٥٣٠) كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله وكيفية أمر رسول الله ﷺ بحرقه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة.

ومضمون ذلك: أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريباً من مسجد قباء وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك، فلما رجع منها فستل بلدي أوان - مكان بينه وبين المدينة ساعة - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية.

أما قوله ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ بالله لا للإيمان به، ﴿وَتَفْرِيقًا﴾ للجماعة عن مسجد قباء ﴿وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو أبو عامر الراهب الفاسق قبحه الله وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأنى عليه؛ ذهب إلى أهل مكة فاستغفرهم، فجاؤوا عام أحد فكان من أمرهم ما قدّمناه، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستصره على رسول الله ﷺ.

وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصر معهم من العرب وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يهدمهم وينمّمهم وما يعلمهم الشيطان إلا غروراً، فكانت مكاتباته ورسله تهدد إليهم كل حين، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة وباطنه دار حرب ومقر لمن يهد من عند أبي عامر الراهب، وجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

ثم قال ﴿وَلَيَحْلِقُنَّ﴾ أي الذين بنوه ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ أي إنما أردنا ببنائه الخير. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ثم قال الله تعالى لرسوله ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرر أمره ثم أمره وحته على القيام في المسجد الذي «أسس على التقوى من أول يوم» وهو مسجد قباء لما دل عليه السياق والأحاديث الواردة في البناء على تطهير أهله مشيرة إليه. وما ثبت في صحيح مسلم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدم لأنّه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى، وأثبت في الفضل منه وأقوى، وقد أشبعنا القول في ذلك في التفسير والله الحمد.

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بلدي أوان دعا مالك بن النخشم ومن بن علي - أو أخاه عاصم بن عدي - رضي الله عنهما فأمرهم أن يذهبوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقوا بالنار، فذهبوا فحرقوا بالنار، وتفرق عنه أهله.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٣٠/٢): وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً وهم: خفام بن خالد - وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد - وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وأبو حبيصة بن الأزعر، وعبد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، وجارية بن عامر، وابناه جهم وزيد، ونبتل بن الحارث، ومجنج - وهو إلى بني ضبيعة، ومجداد بن عثمان وهو من بني ضبيعة، ووديع بن ثابت وهو إلى بني أمية.

قلت: وفي غزوة تبوك هذه صلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر أدرك معه الركعة الثانية منها، وذلك أن رسول الله

عشائهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال: «لا، أكره أن تحدث العرب بيننا أن محمداً قاتل بقوم، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم» ثم قال: «اللهم ارمهم بالثيالة» قلنا: يا رسول الله وما الثيالة؟ قال: «هي شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدكم فيهلك».

وفي صحيح مسلم (٢٧٧٩) [(٩)] من طريق شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن قيس بن عباد. قال: قلت لعمار: أرايتم صنعكم هذا فيما كان من أمر عليّ أرايتم رأيتموه أم شيء عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

وفي رواية له من وجه آخر عن قتادة «إن في أمي اثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكم الدلية، سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم» [(١٠) (٢٧٧٩)].

قال الحافظ البيهقي (الذيل: ٢٢٢/٥): وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر - أو خمسة عشر - وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعشر ثلاثة أنهم قالوا: ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد.

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في مسنده [٤٥٣/٥، ٤٥٤] قال: حدثنا يزيد - هو ابن هارون - أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ أخذ بالعقبة فلا يخلعها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار إذ أقبل رهط منثلثون على الرواحل فمشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قد قُذِيَ حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمار قال: «يا عمار هل عرفت القوم؟» قال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم منثلثون قال: «هل تدري ما أرادوا؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أرادوا أن يثيروا برسول الله ﷺ فيطرحوه» قال: فسار عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

سنة ٩ - قصة مسجد الضرار

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِقُنَّ إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رَجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَمُوتُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ. أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى فِتْنَةٍ فَانْهَارَ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [العنكب: ١٠٧ - ١١٠].

وقد تكلمنا على تفسير ما يتعلق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا التفسير

يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أمية غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان -.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم يتزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه فلم يزل يتماذى حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت: اتجهز بعد يوم أو يومين ثم أحققهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتضارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم - وليتني فعلت - فلم يقدر لي ذلك، فكنيت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقت فيهم أحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً عن عنبر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبه برده ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بش ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك، قال: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً واستمعت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أطل قادمًا زاح عني الباطل وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فاجتمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا فكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يبتعدون إليه ويجلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وباعبهم واستغفر لهم وكنل سرائرهم إلى الله عز وجل، فجنه فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال» فجنه أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابعت ظهرك؟» فقلت بلى إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه مبذور - ولقد أعطيت جدلاً - ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عنبر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هنا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» فقامت فثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه.

فاجتبتنا الناس وتغبروا لنا حتى تكثرت في نفسي الأرض فما هي التي

تذهب يترها ومعه المغيرة بن شعبة فأبطلوا على الناس، فأتيت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف، فلما سلم الناس أعظموا ما وقع فقال لهم رسول الله ﷺ: «أحسستم وأصبتم».

وذلك فيما رواه البخاري [(٣٩٣) مختصراً، وأخرجه بتمامه م (٢٧٤) (٨١)] رحمه الله قاتلاً: حدثنا.

وقال البخاري [(٤٤٢٣)]: حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ففنا من المدينة فقال: «إن بالمدينة أقواماً ما سرفم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» فقالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال «وهم بالمدينة حبسهم العذر».

تفرد به من هذا الوجه.

قال البخاري [(٤٤٢٢)]: حدثنا خالد بن خالد حدثنا سليمان حدثني عمرو بن يحيى عن العباس بن سهل بن سعد عن أبي حميد قال: أقبنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أسرفنا على المدينة قال: «هذه طابة، وهذا أحد جبل يبيننا ونحب».

ورواه مسلم [(١٣٩٢)] من حديث سليمان بن بلال به نحوه.

وقال البخاري [(٤٤٢٧)]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن الزهري عن السائب بن يزيد قال: أذكر أنني خرجت مع الصبيان تتلقى رسول الله ﷺ إلى ثنية الوداع مقدمه من غزوة تبوك.

ورواه أبو داود [(٢٧٧٩)] والترمذي [(١٧١٨)] من حديث سفيان بن عيينة به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال البيهقي (الذيل: ٢٦٦/٥): أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر سمعت أبا خليفة يقول: سمعت ابن عائشة يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ الْبَشَرُ عَلَيْنَا مِنْ ثِيَابِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لَلَّه نَاغ

قال البيهقي: وهذا يذكره علماءنا عند مقدمه المدينة من مكة لا أنه لما قدم المدينة من ثيات الوداع عند مقدمه من تبوك والله أعلم. فذكرناه هنا أيضاً.

سنة ٩ - المتخلفون عن تبوك

قال البخاري رحمه الله [(٤٤١٨)]: حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: حدثني يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بني حنينة عمي - قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاهوا إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله

من قبلها طبت في الظلال وفي
ثم هبطت البلاد لا بشر
بل نطفة تركب السفين وقد
تفضل من صالبا إلى رحم
حتى احتوى بيتك الميمن من
وأنت لما ولدت اشرفت الأر
فنحن في ذلك الضياء وفي ال
نور وسبل الرشاد نخترق

ثم روى البيهقي (الذلال: ٢٦٨/٥، ٢٦٩) من طريق أخرى عن أبي
السكين زكريا بن يحيى الطائي وهو في جزء له مروي عنه.
قال البيهقي: وزاد: ثم قال رسول الله ﷺ: «هذه الحيرة البيضاء
رفعت لي، وهذه الشيماء بنت ثعلبة الأزدية على بغلة شهباء معطرة بخمار
أسود» فقلت: يا رسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها كما نصف فهي
لي؟ قال: «هي لك» قال: ثم كانت الردة فما ارتد أحد من طي وكنا نقاتل
من يلينا من العرب على الإسلام لكننا نقاتل قيسا وفيها عينة بن حصن،
وكنا نقاتل بني أسد وفيهم طليحة بن خويلد، وكان خالد بن الوليد يمدحنا،
وكان فيما قال فينا:

جَزَى اللَّهُ عَسَا طَيْشًا فِي دِيَارِهِا بِمُعْتَرَكِ الْأَبْطَسَالِ خَيْرِ جَزَاءِ
هُمْ أَهْل رِيَاثَتِ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى إِذَا مَا الصَّبَا السَّوْتُ بِكُلِّ خِيَامٍ
هُمْ مَرَّتُوا قِيَامًا عَلَى الدُّنَيْنِ بَعْدًا أَجَابُوا مُنَادِي ظُلْمَةٍ وَعَمَاءِ
قال: ثم سار خالد إلى مسيلة الكذاب فسرنا معه فلما فرغنا من
مسيلة أقبلنا إلى ناحية البصرة فلقينا هرمز بكاطمة في جيش هو أكبر من
جمعنا، ولم يكن أحد من الناس أعدى للعرب والإسلام من هرمز، فخرج
إليه خالد ودعاه إلى البراز فبرز له فقتله خالد وكتب بخبره إلى الصديق
فنفله سلبه فبلغت قلتسوة هرمز مائة ألف درهم وكانت الفرس إذا شرف
فيها الرجل جعلت قلتسوته بمائة ألف درهم.

قال: ثم أقبلنا على طريق الطيف إلى الحيرة فأول من تلقانا حين
دخلناها الشيماء بنت ثعلبة كما قال رسول الله ﷺ «على بغلة شهباء
معطرة بخمار أسود» فتعلقت بها وقلت: هذه وهبا لي رسول الله ﷺ،
فدعاني خالد عليها بالينة فأتيت بها، وكانت الينة محمد بن مسلمة ومحمد
بن بشير الأنصاري فسلمها لي، فنزل لي أخوها عبد المسيح يريد الصلح
فقال: يعنيها، فقلت: لا أنقصها والله عن عشرة مائة درهم فأعطاني ألف
درهم وسلمتها إليه، فقيل: لو قلت: مائة ألف للدعما إليك، فقلت: ما
كنت أحسب أن عددا أكثر من عشر مائة.

فصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ أموالكم» فانزل الله
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله «وَأَخْرَجُوا مُرَجَبُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِشَاءَ
يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّا تَتَوَّابٌ عَلَيْهِمْ﴾ (الطه: ١٠٣ - ١٠٦) وهم الذين لم يربطوا
أنفسهم بالسواري فارتجوا حتى نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
وَالْمُحَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (الطه: ١١٧ - ١١٨) إلى آخرها.
وكذا رواه عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس بنحوه (تفسير الطبري:
١١٣/١١، ١١٧).

وقد ذكر سعيد بن المسيب ومجاهد ومحمد بن إسحاق قصة أبي لبابة
وما كان من أمره يوم بني قريظة وربط نفسه حتى تيب عليه، ثم إنه تخلف
عن غزوة تبوك فربط نفسه أيضا حتى تاب الله عليه، وأراد أن ينخلع من
ماله كله صدقة فقال له رسول الله ﷺ: «يكفيك من ذلك الثلث».
قال مجاهد وابن إسحاق: وفيه نزل ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجَبُونَ بِذُنُوبِهِمْ﴾
الآية.

قال سعيد بن المسيب: ثم لم ير منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرا
رضي الله عنه وأرضاه (الذلال للبيهقي: ٢٧٠/٥، ٢٧١) باسنادين عن ابن المسيب
ومجاهد، ب.

قلت: ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه واقتصروا على
أنه كان كالزعيم لهم كما دل عليه سياق ابن عباس والله أعلم.
وروى الحافظ البيهقي (الذلال: ٢٨٣/٥، ٢٨٤) من طريق أبي أحمد
الزيري عن سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن عياض بن عياض عن
أبيه عن أبي مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إن منكم منافقين
فمن سئيت فليقم قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان» حتى عد ستة
وثلاثين، ثم قال: «إن فيكم - أو إن منكم - منافقين فسلوا الله العافية».
قال: فمر عمر برجل متنع وقد كان بينه وبينه معرفة فقال: ما
شأنك؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ، فقال: بعدا لك سائر اليوم.
قلت: كان المخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام:
مأمورون ماجورون: كملي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة، وابن أم
مكتوم.

ومعنورون وهم الضعفاء والمرضى.
والمقلون وهم البكاؤون.
وعصاة منبئون وهم الثلاثة: أبو لبابة وأصحابه المذكورون، وآخرون
ملومون مذمومون وهم المنافقون.

سنة ٩- ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى

المدينة ومنصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقي (الذلال: ٢٩٧/٥): حدثنا أبو عبد الله الحافظ إسماعيل
أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو البخري عبد الله بن محمد
بن شاذر حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا عم أبي زحر بن حصن عن جده
حميد بن منبه قال: سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة بن لام
يقول: هاجرت إلى رسول الله ﷺ متصرفه من تبوك، فسمعت العباس بن
عبد المطلب يقول: يا رسول الله إني أريد أن امتدحك! فقال رسول الله
ﷺ: «قل لا يفضض الله فاك» فقال

سنة ٩- قدوم وفد ثقيف على رسول

الله ﷺ في رمضان

تقدم أن رسول الله ﷺ لما رحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم
فدعا لهم بالمداية، وقد تقدم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوف
النضري أئتم عليه وأعطاه وجعله أميرا على من أسلم من قومه، فكان
يفزو بلاد ثقيف ويضيقت عليهم حتى الجأهم إلى الدخول في الإسلام،
وتقدم أيضا فيما رواه أبو داود (٣٠٦٧) عن صخر بن العيلة الأحمي أنه

قال: وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية - وهي اللات - ثلاث سنين، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألفوا سفهاءهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى إلا أن يبعث معهم أباً سفيان بن حرب والمغيرة ليهدماها، وسألوه مع ذلك أن لا يصلوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم فقال: «أما كسر أصنامكم بأيديكم فستعفيكم من ذلك، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت ذنابة.

وقد قال الإمام أحمد [٢١٨/٤]: حدثنا عفان حدثنا محمد بن مسلمة عن حميد عن الحسن بن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يحشروا ولا يُغشروا ولا يُجْبَرُوا ولا يستعمل عليهم غيرهم، فقال رسول الله ﷺ: «لكن أن لا تحشروا ولا تُجْبَرُوا ولا يستعمل عليكم غيركم، ولا خير في دين لا ركوع فيه» وقال عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله علمني القرآن واجعلني إمام قومي.

وقد رواه أبو داود [٣٠٢٦] من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن حميد بن.

وقال أبو داود [٣٠٢٥]: حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه، عن أبيه، عن وهب قال: سألت جابرًا عن شأن ثقيف إذ بايعت قال: اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «فَيَصْطَلُّونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا».

قال ابن إسحاق [٢٥٨/٥]: فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان أحدتهم سناً - لأن الصديق قال: يا رسول الله إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن.

وذكر موسى بن عقبة: أن وفدكم كانوا إذا أتوا رسول الله ﷺ خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم فلإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم فاستقره القرآن، فإن رجعه نائمًا ذهب إلى أبي بكر الصديق، فلم يزل دأبه حتى فقه في الإسلام وأحب رسول الله ﷺ حباً شديداً.

قال ابن إسحاق [٢٥٨/٥]: حدثني سعيد بن أبي هند عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عثمان بن أبي العاص. قال: كان من آخر ما عهد لي رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف أن قال: «يا عثمان تحوَّز في الصلاة، واقدِر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذو الحاجة».

وقال الإمام أحمد [٢١٦/٤]: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سعيد الجريدي عن أبي العلاء عن مطرف عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت: يا رسول الله اجعلني إمام قومي قال: «أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أفانه أجراً».

رواه أبو داود [٥٣١] والنسائي [٦٧١] من حديث حماد بن سلمة به. ورواه ابن ماجه [٩٨٧] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن إسماعيل بن عليه عن محمد بن إسحاق كما تقدم.

وروى أحمد [٢١٨/٤] عن عفان عن وهيب وعن معاوية بن عمرو عن زائدة كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن داود بن أبي عاصم عن عثمان بن أبي العاص: أن آخر ما فارقه رسول الله ﷺ حين استعمله على

لم يزل يثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ، فأتى بهم إلى المدينة النبوية ياذن رسول الله ﷺ له في ذلك.

وقال ابن إسحاق [٢٥٨/٢، ٥٣٨]: وقدّم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدّم عليه في ذلك الشهر وفد من ثقيف، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدث قومه -: «إنهم قاتلوك» وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من إيكارهم، وكان فيهم كذلك عجباً مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لزلزته فيهم، فلما أشرف على عليّ له وقد دعامهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه، رموه بالبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله، فترجم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك، ويزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عتاب يقال له وهب بن جابر، فقيل لمروءة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله لي فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفونني معهم فدفنوه معهم فزعوا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه».

وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكر الصديق، وتابته أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٢٩٩/٥ - ٣٠٤] عن موسى بن عقبة في ذلك.

وهذا بعيد، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكر كما ذكره ابن إسحاق والله أعلم.

قال ابن إسحاق [٢٥٨/٢، ٥٣٩]: ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنهم اتهموا بينهم ورواوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايخوا وأسلموا، فأتهموا فيما بينهم وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاج فأتهموا بينهم ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك، وهم الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، وعثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف أخو بني سالم، وغير بن خروشة بن ربيعة.

وقال موسى بن عقبة: كانوا بضعة عشر رجلاً فيهم كنانة بن عبد ياليل - وهو رئيسهم - وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغر الوفد.

قال ابن إسحاق [٢٥٨/٢، ٥٤٠]: فلما دنوا من المدينة ونزلوا قنأة ألفوا المغيرة بن شعبة يرمي في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رأهم ذهب يشتد ليشر رسول الله ﷺ بقدمهم فلقه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ويكتبوا كتاباً في قومهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدمهم، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهور معهم وعلمهم كيف يجيئون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليهم قبة في المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم، وهو الذي كتب لهم كتابهم.

تترد به ابن ماجه.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٤٠/٢]: وحديثي عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدكم قال: كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصننا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفطرونا وسحورنا فيأتينا بالسحور فإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع؟ فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر لتأخير السحور، ويأتينا بفطرونا وإنا لنقول: ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد، فيقول: ما جتكم حتى أكمل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة فيلقم منه.

وروى الإمام أحمد [٩/٤، ٣٤٣] وأبو داود [١٣٩٣] وابن ماجه [١٣٤٥] من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده أوس بن حذيفة قال: قلنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له كل ليلة يأتينا بعد العشاء بمحدثنا قائما على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قریش، ثم يقول: «لا أنسى وكنا مستضعفين مستذلّين بمكة، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه قلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟ فقال: «إنه طرأ علي جزئي من القرآن فكهرت أن أجيب» حتى أتمه. قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع وإحدى عشرة، وثلاث عشرة. وحزب القصل وحده.

لفظ أبو داود.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٤١/٢]: فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذئ المزمر، فلما دخل المغيرة علاها يضرها بالملعول وقام قومه بني معتب ذوته خيبة أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود قال: وخرج نساء ثقيف حسرا يكيبن عليها ويقولن:

لنكيبن دَنَسَاع أسلمها الرُشَاع لم يحسنوا المصَاع

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٤٢/٢]: ويقول أبو سفيان والمغيرة يضرهما بالقاس: وأهأ لك إهلاكك، فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان فقال: إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود والد قارب بن الأسود فتيهنما من مال الطاغية فقضى ذلك عنهما.

قلت: كان الأسود قد مات مشركا ولكن أمر رسول الله ﷺ بذلك تأليفا وإكراما لولده قارب بن الأسود رضي الله عنه. وذكر موسى بن عقبة: أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلا، فلما تقدموا أنزلهم رسول الله ﷺ المسجد ليسمعوا القرآن، فسألوه عن الربا والزنا والخمر فحرم عليهم ذلك كله فسألوه عن الربو ما هو صانع بها؟ قال: «أهدموها» قالوا: هيئات لو تعلم المرأة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها، فقال عمر بن الخطاب: ويحك يا ابن عبد ياليل ما أجملك، إنما الربية حجر. فقالوا: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب، ثم قالوا: يا رسول الله تول أنت هدمها

الطائف أن قال: «إذا صليت بقوم فخفف بهم حتى وقت لي» [أقرأ باسم ربك الذي خلق؟]، وأشباهها من القرآن.

وقال أحمد [٢٢/٤]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن عمرو بن مرة سمعت سعيد بن المسيب قال: حدث عثمان بن أبي العاص. قال: آخر ما عهد لي رسول الله ﷺ أن قال: «إذا أمت قوما فخفف بهم الصلاة».

ورواه مسلم [٤٦٨] (١٨٧) عن محمد بن مثنى ويندار كلاهما عن محمد بن جعفر عن غندر، به.

وقال أحمد [٢١٨/٤]: حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي عن عبد الله بن الحكم: أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول: استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، فكان آخر ما عهد لي أن قال: «خفف عن الناس الصلاة» تترد به من هنا الوجه.

وقال أحمد [٢١٦/٤]: حدثنا يحيى بن سعيد أخبرنا عمرو بن عثمان حدثني موسى - هو ابن طلحة - أن عثمان بن أبي العاص حدثه: أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤم قومه ثم قال: «من أم قوما فليخفف بهم فإن فيهم الضعيف والكبير وذو الحاجة، فإذا صلى وحده ليصل كيف شاء».

ورواه مسلم [٤٦٨] (١٨٦) من حديث عمرو بن عثمان، به.

وقال أحمد [٢١/٤]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن النعمان بن سالم سمعت أشياخا من ثقيف قالوا: حدثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «وأم قومك» وإذا أمت قوما فخفف بهم الصلاة فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة».

وقال أحمد [٢١٦/٤]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير: أن عثمان قال: يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أنت حسسته فتعزذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني.

ورواه مسلم [٢٢٠٣] من حديث سعيد الجريري، به.

وروى مالك [٩٤٢/٢] وأحمد [٢١/٤] ومسلم [٢٢٠٢] وأهل السنن [٣٨٩١]، ت (٢٠٨٠)، م: كسوى (١٠٨٣٧ - ١٠٨٤٠)، ج (٣٥٢٢) من طرق عن نافع بن جبير بن مطعم عن عثمان بن أبي العاص: أنه شكأ إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده فقال له: «ضع يدك على الذي بال من جسدي» وقال: بسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

وفي بعض الروايات: ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم.

وقال أبو عبد الله بن ماجه [٣٥٤٨]: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثني عينة بن عبد الرحمن - وهو ابن جوشن - حدثني أبي عن عثمان بن أبي العاص. قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «إبن أبي العاص؟» قلت: نعم! يا رسول الله! قال: «ما جاء بك؟» قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي قال: «ذاك الشيطان أذنه» ففوتت منه فجلست على صلور قديمي، قال: ففرض صدي بيده وتقل في فمي وقال: «أخرج عدو الله» ففعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: «الحق بملكك». قال: فقال عثمان: فلعمري ما أحبه خالطي بعد.

بعضهم وقد ضعف أحمد والبخاري (التاريخ الكبير: ١٤٠/١) وغيرهما هذا الحديث، وصححه الشافعي (التاريخ الكبير: ١٤٠/١) وقال بمقتضاه والله أعلم.

سنة ٩ - ذكر موت عبد الله بن أبي، قبحه الله

قال محمد بن إسحاق (الدلائل البيهقي: ٢٨٥/٥، من طريق ابن إسحاق، به): حدثني الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد. قال: دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه، فلما أن عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ: «أما والله إن كنت لأنهاك عن حب يهوده فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمه؟»

وقال الواقدي (الغازي: ١٠٥٧/٣): مرض عبد الله بن أبي في ليال بقين من شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضه عشرين ليلة، فكان رسول الله ﷺ يعود فيه، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه فقال: «قد نبيتك عن حب يهوده فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه؟ ثم قال: يا رسول الله ليس هذا بحين عتاب هو الموت فإن مُتُّ، فأحضر غسلي وأعطيني قميصك الذي يلي جلدك فكفني فيه وصل علي واستغفر لي. ففعل ذلك به رسول الله ﷺ.

وروي البيهقي (الدلائل: ٢٨٨/٥) من حديث سالم بن عجлан عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحواً مما ذكره الواقدي فالحق أعلم.

وقد قال إسحاق بن راهويه: قلت لأبي أسامة: أحذركم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ وسأله أن يعطيه قميصه ليكنفه فيه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «إن ربي خيرني فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» (البقرة: ٨٠) وسأزيد على السبعين فقال: إنه منافق أتصلي عليه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٨٤) فأقر به أبو أسامة وقال: نعم.

واخرجاه في الصحيحين [ج (٤٦٧٠)، م (٢٧٧٤)] من حديث أبي أسامة.

وفي رواية للبخاري وغيره [ج (٤٦٧١)، أحمد: ١٦/١، ت (٣٠٩٧)،

س (١٩٥٦)] قال عمر: فقلت: يا رسول الله تصلي عليه وقد قال في يوم كذا وكذا، وقال في يوم كذا وكذا وكذا!! فقال: «دعني يا عمر فلاني بين خيرتين، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت» ثم صلى عليه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَصَلُّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ الآية. قال عمر: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ. والله ورسوله أعلم.

وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول: أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبي بعدما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبته - أو فخذه - ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه فالحق أعلم.

وفي صحيح البخاري (١٣٥٠، ٣٠٠٨) بهذا الإسناد مثله وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأة لما كان كسى العباس قميصاً حين قدم المدينة فلم

أما نحن فإننا لن نهديها أبداً، فقال: «سأبث إليكم من يكفيكم هدمها» فكتابه على ذلك واستأذنه أن يسبقوا رسله إليهم.

فلما جازوا قومهم تلقوهم فسألوهم: ما وراءكم؟ فأظهروا الحزن وأنهم إنما جازوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف يحكم ما يريد وقد دوخ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الرية، فضرت ثقيف وقالوا: لا نطيع لهذا أبداً، قال: فأُخبروا للقتال وأعدوا السلاح، فمكثوا على ذلك يومين - أو ثلاثة - ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وأبوا وقالوا: ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه قالوا: فإننا قد فعلنا ذلك ووجدناه ألقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في سيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه، فافهموا ما في القضية واقبلوا عافية الله، قالوا: فلم كتمتمونا هذا أولاً؟ قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياماً ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أتمر عليهم خالد بن الوليد وفيهم المغيرة بن شعبه، فعملوا إلى اللات وقد استكتفت ثقيف رجالها ونساؤها والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويطنون أنها ممتعة، فقام المغيرة بن شعبه فأخذ الكرزين - يعني الملول - وقال لأصحابه: والله لأضجكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزتين ثم سقط يركض برجله فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا: أبعد الله المغيرة قتله الرية، وقالوا لأولئك: من شاء منكم فليقترب، فقام المغيرة فقال: والله يا معشر ثقيف إنما هي لكاح حجارة ومَلَزْ، فاقبلوا عافية الله وأعدوه، ثم إنه ضرب الباب فكسره ثم علا سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهلمونها حجراً حجراً حتى سورها بالأرض، وجعل ساندنها يقول: ليغضن الأساس فليخسن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها. فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه وحملوا الله تعالى على اعتزاز دينه ونصرة رسوله.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٤٢/٢، ٥٤٣): وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين؛ إن عفاه وج وصيته لا يُعْضَدُ مَنْ يُجَدُّ بفعل شيئا من ذلك فإنه يجلد وتُسَرَّعُ ثيابه، وإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيُلْغى به النبي محمداً وإن هذا أمر النبي محمداً».

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله.

وقد قال الإمام أحمد (٦٥/١): حدثنا عبد الله بن الحارث - من أهل مكة غزومي - حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان - وأثنى عليه خيراً - عن أبيه عن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: أتينا مع رسول الله ﷺ من ليث حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن حذوها فاستقبل نجياً يصير - يعني وادياً - ووقف حتى اتفق الناس كلهم ثم قال: «إِنَّ صَيْدَ وَجٍ وَعِصَاهُ حَرَمٌ عَرْمٌ لِلَّهِ» وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً.

وقد رواه أبو داود (٢٠٣٢) من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي وقد ذكره ابن حبان في ثقافته (الطهات: ٣٣/٩). وقال ابن معين وأخرجه ابن أبي حاتم في «المجروح والصدوق»: ٢٩٤/٧ هـ: ليس به بأس. تكلم فيه

الشرك على منازلهم من حجهم لم يُصنّفوا بعد عن البيت ومنهم من له عهد مؤقت إلى أمد.

فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه بمن معه من المسلمين وفصل عن المدينة أنزل الله عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ إلى قوله ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١ - ٣] إلى آخر القصة.

ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات وقد بسطنا الكلام عليها في التفسير [٤٤/٤ - ٦٥] ولله الحمد والمدة.

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ويتولى عليّ بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٤٥/٢]: حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعث بها إلى أبي بكر فقال: لا يؤدي عني إلا رجلاً من أهل بيتي؟ ثم دعا علي بن أبي طالب فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر «براءة» وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: ألا إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته».

فخرج علي بن أبي طالب على ناقه رسول الله ﷺ بالضيافة حتى أدرك أبا بكر الصديق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضى فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به رسول الله ﷺ وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى ما منهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحب كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته فلم يخرج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطوف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ.

وهنا مرسل من هذا الوجه.

وقد قال البخاري [٤٣٦٣]: باب حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس سنة تسع: حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث في الحجة التي أمره عليها النبي ﷺ قبل حجة الوداع في رطب يؤذن في الناس أن لا يخرج بعد العام مشرك، ولا يطوفن في البيت عريان.

وقال البخاري في موضع آخر [٤٦٥٦]: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يخرج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان.

قال حميد: ثم أرفد النبي ﷺ بعلي فأمره أن يؤذن بـ «براءة». قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر بـ «براءة». أن لا يخرج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان.

وقال البخاري في كتاب الجهاد [٣١٧٧]: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق فيمن يؤذن يوم النحر بمنى؛ لا يخرج بعد العام مشرك ولا يطوف.

يجلوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبي.

وقد ذكر البيهقي [الذليل: ٢٨٩/٥ - ٢٩٢] ما هنا قصة ثعلبة بن حاطب وكيف افتتن بكثرة المال ومنعه الصدقة، وقد حررنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَيْهِمْ مِنْ عَافَةِ اللَّهِ لَيْنَ آثَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية [التوبة: ٣٥].

سنة ٩- أيام الأنصار

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٥٤/٢]: وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه بعد أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه.

قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْعَدٍ كُلِّهَا نَفَرَا وَمَعَشَرَا إِنْ هُمْ عَمُوا وَإِنْ حَصَلُوا قَوْمٌ هُمْ شُهُودَا بِلَدَا بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آكُوا وَمَا خَذَلُوا وَبِأَيِّهِمْ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيمَانِهِ دَخِلَ وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مَنْ أَحَدٌ غَرِبَ رَصِينَ كَحَرِ النَّارِ مَشْتَعِلَ وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارَ بِهِمْ عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَاسَمُوا وَمَا تَكَلَرُوا وَذَا الْعُثَيْرَةِ جَاسَرُوا بِحَيْلِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ وَيَوْمَ وَكَانَ أَجْلُوا أَمْلَهُ رَقِصَا بِالْحَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزَنُ وَالْجَبَلُ وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوهُمْ لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمَلُوا وَلَيْلَةً بِمَنْبَيْنِ جَالِدُوا مَعَهُ فِيهَا يَتَلْتَمِسُ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا وَغَزْوَةً يَوْمَ نَجَدَ ثَمَ كَانَ لَمْ مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالْفُلُ وَغَزْوَةً الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمُشْرَبِ الرُّمُلُ وَيَوْمَ بَرِيعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ عَلَى الْجِلَادِ فَآسَرَهُ وَمَا عَدَلُوا وَغَزْوَةً الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيرَتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَيْتِنِهِ يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مَتَبِيلَ بِطَلٍ بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً تَفْرُجُ فِي الْفُسْرُبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَسْبَابًا إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَابَاتُهُ الْأَوَّلُ وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرِبَ بَدَتْ لَمْ حَتَّى يَدَا لَمْ الْإِقْبَالُ فَالْفُلُ أَوْلَتْكَ الْقَوْمَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ وَهُمْ قَوْمِي أَصِيرَ إِلَيْهِمْ حِينَ اتَّصَلُ مَاثِرَا كِرَامَا وَلَمْ تَكُثْ عَهْدُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلُوا

سنة ٩- بعث رسول الله ﷺ أبا بكر

أميراً على الحج ونزول سورة براءة

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٤٣/٢]: بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً.

قال: أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقم للمسلمين حجهم، وأهل

ابن صخر أنه سمع أبا معاوية الجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول: سألت علي بن أبي طالب عن يوم الحج الأكبر فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج، ويعشي معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إلي فقال: قم يا علي فاذ رسالة رسول الله ﷺ فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صلدنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البنية ثم حلق رأسه وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا كلهم خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم عرفة، فطقت أتبع بها الفساطيط أثرها عليهم.

قال علي: فمن ثم إخال حسبت أنه يوم النحر، إلا وهو يوم عرفة. وقد نقصنا الكلام على هذا المقام في التفسير [٤٤/٤ - ٦٥] وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطا بما فيها كفاية والله الحمد والمثمة. قال الواقدي [تاريخ الطبري: ١٢٢/٣، عن الواقدي مطولاً]: وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمائة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف، وخرج أبو بكر معه بمئتين بنتان، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ثم أرفده بعلي فلحقه بالعرج فتأدى بـ «براءة» أمام الموسم.

سنة ٩ - أحداث في السنة التاسعة

كان في هذه السنة - أعني في سنة تسع - من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب كما تقدم بيانه.

قال الواقدي [تاريخ الطبري: ١٢٢/٣، ١٢٤، عن الواقدي]: وفي رجب منها مات النجاشي صاحب الحبشة ونعاه رسول الله ﷺ إلى الناس.

وفي شعبان منها - أي من هذه السنة - توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ففصلها أسماء بنت عيسى وصفيّة بنت عبد المطلب، وقيل غسلها نسوة من الأنصار فيهن أم عطية.

قلت: وهذا ثابت في الصحيحين [ج (١٢٥٣)، م (١٣٩)].

وثبت في الحديث [ج (١٨٢٥)، ١٣٤٢] أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام لما صلى عليها وأراد دفنها قال: «لا يدخله أحد قارف الليلة أهله» فأتته زوجها عثمان لذلك ودفنها أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولى ذلك ممن يتبرع بالحفر والدفن من الصحابة كابي عبيدة وأبي طلحة ومن شابههم فقال: «لا يدخل قبرها إلا من لم يقارف أهله من هؤلاء» إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، هذا بعيداً والله أعلم.

وفيهما صالح ملك أيلة وأهل جرياء وأذرح وصاحب دومة الجندل كما تقدم أيضاً ذلك كله في مواضعه.

وفيهما هدم مسجد الضرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد وهو دار حرب في الباطن فأمر به عليه الصلاة والسلام فحرق.

وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم ورجعوا إليهم بالأمان وكسرت اللات كما تقدم.

وفيهما توفي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين لعنه الله في أواخرها، وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية الليثي - أو الزني - وهو الذي صلى عليه رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك إن صح الخبر في ذلك.

وفيهما حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له

باليث عريان. ويوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل: الأكبر من أجل قول الناس: الحج الأصغر، فنذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك. ورواه مسلم [١٣٤٧] من طريق الزهري به نحوه.

وقال الإمام أحمد [٢٩٩/٢]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن مغيرة عن الشعبي عن عمار بن أبي هريرة عن أبيه. قال: كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ فقال: «ما كنتم تنادون؟ قالوا: كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف في البيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله - أو أمده - إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة أشهر فإن الله يري من المشركين ورسوله، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك. قال فكنت أنادي حتى صَحَل صوتي.

وهذا إسناد جيد لكن فيه تكرار في جهة قول الراوي: إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر.

وقد ذهب إلى هذا فاهرون ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر ومن ليس له أمد بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر، بقي قسم ثالث وهو من له أمد يتناهي إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول، فيكون أجله إلى ملته وإن قل، ويحتمل أن يقال: إنه يؤجل إلى أربعة أشهر؛ لكنه أولى من ليس له عهد بالكلية والله تعالى أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٩٧/٢]: حدثنا عفان حدثنا حماد عن سمك عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ بعث بـ «براءة»، مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال: «لا يُلْفها إلا أنا أو رجل من أهل يثرب» فبعث بها مع علي بن أبي طالب.

وقد رواه الترمذي [٣٠٩٠] من حديث حماد بن سلمة وقال: حسن غريب من حديث أنس.

وقد روى عبد الله بن أحمد [المسند: ١٥١/١ مطولاً] عن لويس عن محمد بن جابر عن سمك عن حش عن علي أن رسول الله ﷺ لما أُرِفَ أبا بكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالحنيفة رجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: «لا ولكن جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك».

وهذا ضعيف الإسناد ومثته فيه نكارة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٧٩/١]: حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيب - رجل من همدان - قال: سألتنا علياً بأي شيء بعثت؟ - يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أبي بكر في الحجة - قال: «بأربع» لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهد إلى ملته ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا.

وهكذا رواه الترمذي [٨٧١، ٨٧٢، ٣٠٩٢] من حديث سفيان - هو ابن عيينة - عن أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن يثيب عن علي به وقال: حسن صحيح.

ثم قال: وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق فقال: عن زيد بن أنيل، ورواه الثوري عن أبي إسحاق عن بعض أصحابه عن علي.

قلت: ورواه ابن جرير [تفسيره: ١٠/٦٤] من حديث معمر عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي.

وقال ابن جرير [تفسيره: ١٠/٩٧] حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد أخبرنا حيوة بن شريح أخبرنا

في ذلك.

ولفها كان قديم عامة وفود آحياء العرب ولذلك تسمى سنة تسع سنة الوفود، وما نحن نعتقد لذلك كتاباً برأسه اقتداءً بالخاري وغيره.

سنة ٩- كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٥٩/٢، ٥٦٠]: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبليعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب ترخص بإسلامها أمر هذا الحبي من قريش، لأن قريش كانوا إمام الناس، وهاديتهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم وقادة العرب لا يتكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عدائوه فدخلوا في دين الله - كما قال عز وجل - أفواجاً يضربون إليه من كل وجه يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَفْتِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ أي فاحمد الله على ما ظهر من دينك واستغفره إنه كان تواباً.

وقد قلنا حديث عمرو بن سلمة [ج ٤٣٠٢] قال: كانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون: أتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ويئز - أي قومي - بإسلامهم، فلما قدم قال: جئكم والله من عند النبي حقا، قال: «صلوا صلاة كنا في حين كنا وصلاة كنا في حين كنا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدهم وليؤمكم أكثركم قرآنه»، وذكر تمام الحديث وهو في صحيح البخاري [٤٣٠٢].

قلت: وقد ذكر محمد بن إسحاق ثم الواقدي والبخاري ثم البيهقي بعدهم من الوفود ما هو مقدم تاريخ قومهم على سنة تسع بل وعلى فتح مكة. وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَطْعَمَ رِزْقَهُمْ مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

وتقدم قوله ﷺ يوم الفتح: «لا هجرة ولكن جهاد ونية» [ج ٤٣٠٩]، م (٣٨٩٩) من حديث ابن عمر؛ فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الواقدين على زمن الفتح من بعد وفود هجرة، وبين اللاحق لهم بعد الفتح من وعدة الله غيرا وحسن، ولكن ليس في ذلك كالتسابق له في الزمان والفضيلة والله أعلم.

على أن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بإيراد الوفود قد تركوا فيما أوردوه أشياء لم يذكرها ونحن نورد بحمد الله ومنه ما ذكروه ونبه على ما ينهني التنبيه عليه من ذلك ونذكر ما وقع لنا مما أعملوه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

سنة ٩- وفد مزينة

وقد قال محمد بن عمر الواقدي: حدثنا كثير من عبد الله المزني عن أبيه عن جده. قال: كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مضر أربعائة من مزينة وذلك في رجب سنة خمس فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم.

ثم ذكر الواقدي عن هشام بن الكلبي بإسناده: أن أول من قدم من مزينة خزاعي بن عبد نهم ومعه عشرة من قومه فباع رسول الله ﷺ على إسلام قومه، فلما رجع إليهم لم يجدهم كما ظن فيهم فتأخروا عنه. فأمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت أن يعرض بخزاعي من غير أن يهجو، فذكر أبياتا فلما بلغت خزاعيا شكى ذلك إلى قومه فحتموا له وأسلموا معه وقدم بهم إلى رسول الله ﷺ فلما كان يوم الفتح دفع رسول الله ﷺ لواء مزينة - وكانوا يومئذ ألفا - إلى خزاعي هذا، قال: وهو أخو عبد الله ذو البجادين [طبقات ابن سعد: ٢٩١/١ من طريق الواقدي: ٦٤].

قال البخاري رحمه الله [٤٣٦٥]: باب وفد بني تميم:

حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي صخرة عن صفوان بن عمرز المازني عن عمران بن حصين. قال: أتى نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: «اقبلوا البشري يا بني تميم» قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فاعطنا، فرثي ذلك في وجهه ثم جاء نفر من اليمن فقال: «اقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا يا رسول الله.

ثم قال البخاري [٤٣٦٧]: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبره عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القمقاع بن معبد بن زائرة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي فقال عمر: ما أردت خلافتك فتصاربا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ حتى انقضت.

ورواه البخاري أيضاً من غير وجه عن ابن أبي مليكة بالفاظ آخر [٤٨٤٥، ٤٨٤٧، ٧٣٠٢]، وقد ذكرنا ذلك في التفسير عند قوله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات: ٢].

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٦٠/٢ - ٥٦٣]: ولما قدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب قدم عليه عطارد بن حاجب بن زوارة بن عدس التميمي في أشرف بني تميم؛ منهم الأقرع بن حابس، والزريقان بن بدر التميمي - أحد بني سعد - وعمرو بن الأهم، والحجاب بن يزيد، ونعيم بن يزيد وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم أخو بني سعد في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن إسحاق: ومعهم عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقد كان الأقرع بن حابس وعينه شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحيناً والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمد، فأذن ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك فاذن لنا شعرنا وخطيبنا. قال: «قد أذنت لحطيتكم فليقل» فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أمله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالاً عظماً نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق

وأكثره عدداً وأيسره عنة. فمن مثلاً في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فآخرونا فليعد مثل ما وعدنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكننا نستحي من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس أخى بني الحارث بن الخزرج: «قم فأجب الرجل في خطبته» فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسباً وأصدق حديثاً وأفضل حسباً، فأنزل عليه كتاباً واتممه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به فآمن برسول الله المأجرون من قومه وذوي رحمته أكرم الناس أحساباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فصلاً. ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهلناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم. فقام الزبيرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حسي يعادلنا
من المملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم
عند الهباب وفضل المزبوع
وغن يطعم عند القحط مطعمنا
من الشواء إذا لم يؤنس القزح
بما ترى الناس تأتينا سراتهم
من كل أرض هوياً ثم نصطنع
فتنحر الكوم عبطاً في أرومتنا
للتازلين إذا ما أنزلوا شجعوا
فما تراتنا إلى حسي نفاخرهم
إلا استفادوا وكانوا الرأس يقتطع
فمن يفآخرونا في ذاك نعرنه
فيرجع القوم والأخبار تسمع
إنا أينما ولم يملأ لنا أحد
إنا كذلك عند الفخر ترتفع
قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٦٣/٢ - ٥٦٥]: وكان حسان بن ثابت غائباً فبعث إليه رسول الله ﷺ.

قال حسان: فجاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، قال: فخرجت وأنا أقول:

منعنا رسول الله أن حل وسطنا
على أنف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين يوتنا
بأسيفتنا من كل باغ وظالم
بيت حريد حمزه وثراؤه
بجانيه الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السوداء والندى
وجاء المملوك واحتمال المظالم

قال: فلما انتهت إلى رسول الله ﷺ وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال، فلما فرغ الزبيرقان قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال» فقال حسان:

إن اللوائب من فخر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تبع
يرضى بها كل من كانت سريره
تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع في أشياهم نفعا
سجية تلك منهم غير عذبة
إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سابقون بعدهم
فكل سبق لأنى سبقهم تبع

وقال ابن هشام [السيرة: ٥٦٥/٢، ٥٦٦]: وأخبرني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبيرقان لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قام فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
إذا اختلفوا عند احتضار المواسم
بأننا فروع الناس في كل موطن
وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأنا نلود المعلمين إذا اتخوا
ونضرب رأس الأصيد المتفام
وإن لنا المراع في كل غارة
تغير بنجد أو يارض الأعاجم

قال: فقام حسان فأجابه فقال:

هل المجد إلا السوداء والندى
وجاء المملوك واحتمال المظالم
نصرنا وأوتينا النبي محمداً
على أنف راض من معد وراغم
بحي حريد أصله وثراؤه
بجانيه الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لما حل بين ديارنا
بأسيفتنا من كل باغ وظالم
جعلنا بيننا دونه وبناتنا
وطبنا له نقبا بفسى المفام
ومحن ضربنا الناس حتى تسابوا
على دينه بالرهفات الصوارم
ومحن ولدنا من قريش عظيمها
ولنا نبي الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إن فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبتهم علينا تفخسرون وأنتم
لنا خول من بين ظر وخادم
فلن كنتم جتم لحقن دماءكم
وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا
ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٦٦/٢]: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي إن هذا مؤتى له خطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعل من أصواتنا.

قال: فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم، وكان عمرو بن الأهم قد خلفه القوم في رحالم وكان أصغرهم منا، فقال قيس بن عاصم - وكان يفيض عمرو بن الأهم -: يا رسول الله إنه كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث وأزرى به، فأعطاها

رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القرم.

قال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجه:

ظَلَمْتُ مَفْتَرِشَ الْمَلْبَاءِ تَشْتَمِي
عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
سدناكم سوداً رهواً وسوددكم
بإذ نواجهه مقع على الذنب

وقد روى الحافظ البيهقي [اللائل: ٣١٦/٥] من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن الزبير الحنظلي. قال: قدم على رسول الله ﷺ الزريقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم. فقال لعمرو بن الأهتم: «اخبرني عن الزريقان، فإنا هنا فليست أسألك عنه» وإياه كان قد عرف قيساً، قال: فقال: مطاع في أذنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره.

فقال الزريقان: قد قال ما قال وهو يعلم أنني أفضل مما قال، قال: فقال عمرو: والله ما علمتكم إلا زيمَ المروءة، ضيق العطن، أحرق الأب، لثيم الخال، ثم قال: يا رسول الله قد صدقتُ فيهما جميعاً، أرضاني فقلت بأحسن ما أعلم فيه وأستخفي فقلت بأسوأ ما أعلم فيه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان سحراً».

وهنا مرسل من هذا الوجه.

قال البيهقي [اللائل: ٣١٦/٥، ٣١٧]: وقد روي من وجه آخر موصولاً: أنبأنا أبو جعفر كامل بن أحمد المستعلمي حدثنا محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسين العلاف ببغداد حدثنا علي بن حرب الطائي أنبأنا أبو سعد الهيثم بن محفوظ عن أبي المقوم يحيى بن يزيد الأنصاري عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: جلس إلى رسول الله ﷺ قيس بن عاصم والزريقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميون، فنظر الزريقان فقال:

يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجانب، امنعهم من الظلم وأخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك - يعني عمرو بن الأهتم - فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذنيه. فقال الزريقان: والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمرو بن الأهتم: أنا أحسدك فوالله إنك لثيم الخال، حنيث المال، أحقر الوالد، مضيق في الثبيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت آخراً ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً. فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان سحراً».

وهنا إسناد غريب جداً

وقد ذكر الواقدي سبب قتلهم وهو أنه كانوا قد جهزوا السلاح على خزاعة فبعث إليهم رسول الله ﷺ عينيه بن بدر في خمسين ليس فيهم أنصاري ولا مهاجري، فأمر منهم أحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً فقدم رؤسائهم بسبب أسراهم ويقال: قدم منهم تسعين - أو ثمانين - رجلاً في ذلك منهم عطارد والزريقان وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد والأقرع بن حابس ورياح بن الحارث وعمرو بن الأهتم، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال الظهر والناس يتظنون رسول الله ﷺ ليخرج إليهم ففعل هؤلاء فنادوه من وراء الحجرات فنزل فيهم ما نزل.

ثم ذكر الواقدي خطيبهم وشاعرهم وأنه عليه الصلاة والسلام أجازهم على كل رجل اثني عشرة أوقية ونشأ إلا عمرو بن الأهتم فإنما أعطى

خمس أواق لحداثة سنه والله أعلم.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٦٧/٥]: ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [الحجرات: ٤ - ٥].

قال ابن جرير [موسم: ١٢١/٢٦]: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله: «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن حمدي زين، وذمي شين. فقال: «ذاك الله عز وجل».

وهذا إسناد جيد متصل.

وقد روي عن الحسن البصري وقادة مرسلات عنهما [موسم الطبري: ١٢٢/٢٦].

وقد وقع تسمية هذا الرجل فقال الإمام أحمد [٣٩٣/٦، ٣٩٤]: حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه. فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين. فقال: «ذاك الله عز وجل».

سنة ٩- حديث في فضل بني تميم

قال البخاري [٤٣٦٦]: حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرة عن أبي هريرة. قال: لا يزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهم من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «هم أشد أمتي على الدجال» وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: «اعتقها فإنها من ولد إسماعيل» وجاءت صدقاتهم فقال: «هذه صدقات قوم - أو قومي -».

وهكذا رواه مسلم [٢٥٢٥] عن زهير بن حرب به.

وهذا الحديث يرد على ما ذكره صاحب «الحمامة» وغيره من شعر من ذمهم حيث يقول:

تُيم بطرق اللوم أهدى من القطا ولو سلكت طرق الرشاد لضللت
ولو أن يرغوا على ظهر قملتي رأته تُيم من يعمد لولت

سنة ٩- وفد بني عبد القيس

ثم قال البخاري [٤٣٦٨]: بعد وفد بني تميم: باب وفد عبد القيس. حدثنا إسحاق حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا قرة عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إن لي جرة يتبذ في فيها نبذ فأشره حلواً في جرٍّ، إن أكثر من فجالست القرم فأطلت الجلوس خشيت أن أتضع؟ فقال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال: «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا الندامى» فقال: يا رسول الله إنا بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام فحدثنا بجمَل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة ندعو به من ورائنا. قال: «أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع» الإيمان بالله هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن

أربع: ما يتبد في الدباء والتقير والحتم والمزفت.

وهكذا رواه مسلم (١٧) (٢٥) من حديث قرة بن خالد عن أبي جحرة، به.

ولسه طرق في الصحيحين [٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ١٠٠٠، م (٢٣) و(١٧) و(٢٤) و(١٧) و(٣٩) عن أبي جحرة.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧٤٧)، حدثنا شعبة عن أبي جحرة سمعت ابن عباس يقول: إن وفد عبد القيس لما قدم على رسول الله ﷺ قال: «من القوم؟» قالوا: من ربيعة. قال: «مرحبا بالوفد غير الخزياء ولا التنامي» فقالوا: يا رسول الله، إنا حي من ربيعة، وإنا نأتيك من شقة بعيدة، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل ندعوا إليه من وراءنا وتدخل به الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أترككم بأربع وأنهاكم عن أربع، أترككم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المقام الخمس، وأنهاكم عن أربع: عن الدباء والحتم والتقير والمزفت - وربما قال والمقير - فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم».

وقد أخرجه أصحابا الصحيحين [٥٣، م (١٧) من حديث شعبة بنحوه.

وقد رواه مسلم (١٨) من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد بحديث قصتهم يمثل هذا السياق، وعنده أن رسول الله ﷺ قال لأشجع عبد القيس: «إن فيك لختين يجبهما الله عز وجل: الحلم والأناة».

وفي رواية: «يجبهما الله ورسوله» [٥٨٧] في «الأدب المفرد» (٥٨٧) بنحوها: فقال: يا رسول الله أخلقنا تخلفتهما أم جبلي الله عليهما؟ فقال: «بل جبلك الله عليهما» فقال: الحمد لله الذي جبلي على خلقين يجبهما الله ورسوله.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا مطر بن عبد الرحمن سمعت هند بنت الوائز تقول: إنها سمعت الوائز يقول: أثبت رسول الله ﷺ والأشجع المنذر بن عامر - أو عامر بن المنذر - ومعهم رجل مصاب فأتوها إلى رسول الله ﷺ فلما راوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده، ثم نزل الأشجع فمقل راحلته وأخرج عيته ففتحها فأنجز ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى وراحله فمقلها فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أشجع إن فيك خصلتين يجبهما الله عز وجل ورسوله: الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله أنا تخلفتهما أم جبلي الله عليهما؟ فقال: «بل الله جبلك عليهما». قال: الحمد لله الذي جبلي على خلقين يجبهما الله عز وجل ورسوله. فقال الوائز: يا رسول الله إن معي خالا لي مصابا فادع الله له فقال: «أين هو الذي به» قال فصنعت مثل ما صنع الأشجع البسته ثوبيه وأتيته فآخذ من ورائه يرفعها حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره فقال: «أخرج عدو الله» فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح.

وروى الحافظ البيهقي [دلائل النبوة: ٣٢٦/٥، ٣٢٧] من طريق هود بن عبد الله بن سعد أنه سمع جده مزينة العصري. قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق» فقام عمر فترجعه نحوهم فقلتي ثلاثة عشر ركابا، فقال: من القوم؟ فقالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقمكم هذه البلاد؟ التجارة؟ قالوا:

لا قال: أما إن النبي ﷺ قد ذكركم أننا فقال خيراً، ثم مشوا معه حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: وهذا صاحبكم الذي تريدون، فرمى القوم بأنفسهم عن ركايبهم فنهض من مشى ومنهم من هرب ومنهم من سعى حتى أتوا رسول الله ﷺ فآخذوا بيده فقبلوها، وتخلف الأشجع في الركاب حتى أتوا رسول الله ﷺ فجمع مناع القوم ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، فقال النبي ﷺ: «إن فيك خلتين يجبهما الله ورسوله». قال: جبيلٌ جبيلٌ أم تخلفني؟ قال: «بل جبيل» فقال: الحمد لله الذي جبلي على ما يحب الله ورسوله.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٥/٢]: وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حشش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: وهو الجارود بن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن قال: لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه فغرض عليه الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه فقال: يا محمد إني كنت على دين وإني تارك ديني لئلا أقتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا ضامن أن قد هدك الله إلى ما هو خير منه» قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان فقال: «والله ما عندي ما أحلكم عليه». قال: يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوالا من ضوال الناس أفتبلغ عليها إلى بلادنا، قال: «لا إياك وليها فأما تلك حرق النار».

قال: فخرج الجارود راجعاً إلى قومه وكان حسن الإسلام صلباً على دينه حتى هلك، وقد أدرك الردة فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس أي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأكثر من لم يشهد. وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم فحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين.

ولها روى البخاري (٨٩٢، ٤٣٧١) من حديث إبراهيم بن طهمان عن أبي جحرة عن ابن عباس. قال: أول جمعة جمعت - بعد جُمعة جُمعت في مسجد رسول الله ﷺ - في مسجد عبد القيس بجؤاني من البحرين.

وروى البخاري (٤٣٧٠) عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ آخر الركعتين بعد الظهر بسبب وفد عبد القيس حتى صلاهما بعد العصر في بيتها.

قلت: لكن في سياق ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقومهم: وبيننا وبينك هذا الحي من مضر لا نصل إليك إلا في شهر حرام والله أعلم.

سنة ٩ - قصة ثمامة ووفد بني حنيفة ومعهم

مسيلمة الكذاب لعنه الله

قال البخاري (٤٣٧٢): باب وفد بني حنيفة وقصة ثمامة بن أثال: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث بن سعد حدثني سعيد بن أبي

سعيد أنه سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

فتركه حتى كان الغد ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك. فتركه حتى بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك. فقال: «اطلوا ثمامة» فانطلق إلى غل قريب من المسجد فاقتل ثم دخل المسجد. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فعماراً ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتصر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبر؟ قال: لا ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.

وقد رواه البخاري (٤٦٩، ٢٤٢٢) في موضع آخر ومسلم (١٧٦٤) (٥٩)، وأبو داود (٢٦٧٩) والنسائي (١٨٩، ٧١١) كلهم عن ثنية عن الليث به.

وفي ذكر البخاري هذه القصة في الوفود نظر وذلك أن ثمامة لم يقد بنفسه وإنما أسر وقدم به في الوثاق فربط بسارية من سواري المسجد ثم في ذكره مع الوفود سنة تسع نظر آخر، وذلك أن الظاهر من سياق قصته أنها قيل الفتح لأن أهل مكة عيروه بالإسلام وقالوا: أصبوا! فتوعدهم بأنه لا ينفذ إليهم من اليمامة حبة حنطة مرة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، فدل على أن مكة كانت إذ ذاك دار حرب لم يسلم أهلها بعد والله أعلم.

ولها ذكر الحافظ البيهقي [الدلائل: ٧٨/٤ - ٨١] قصة ثمامة بن أثال قبل فتح مكة وهو أشبه ولكن ذكرناه هاماً اتباعاً للبخاري رحمه الله.

وقال البخاري (٤٣٧٣، ٤٣٧٤): حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس. قال: قدم مسيلة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، وقطعها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلة في أصحابه. فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكم، ولن تعدوا أمر الله فيكم، ولن أدبرت ليعقرنك الله، وأني لأراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت يبيحك عني» ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: سألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أريت فيه ما أريت، فاجبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحى إلي في المنام أن انفضهما فنفضتهما فطارا فأولتهما كذاين يجرجان بعدي أحدهما الأسود العنسي والآخر مسيلة».

ثم قال البخاري (٤٣٧٥): حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرني معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم أتيت بخرائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبيرا علي فأوحى إلي أن انفضهما فنفضتهما فذهب فأولتهما الكذابين اللذين أتينا بهما» صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة.

ثم قال البخاري (٤٣٧٨، ٤٣٧٩): حدثنا سعيد بن محمد الجرهمي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن ابن عبيدة بن نسيط - وكان في موضع آخر اسمه عبد الله - أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. قال: بلغنا أن مسيلة الكذاب قدم المدينة فزول في دار بنت الحارث وكان تحته بنت الحارث بن كريب وهي أم عبد الله بن الحارث بن كريب فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وهو الذي يقال له خطيب رسول الله ﷺ، وفي يد رسول الله ﷺ قضيب فوقف عليه فكلمه فقال له مسيلة إن شئت خلت بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك. فقال رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتك وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس بن شماس وسيجيك عني» فانصرف رسول الله ﷺ.

قال عبيد الله: سألت ابن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر فقال ابن عباس: ذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب فظننتهما وكرهتهما فاذن لي فنفضتهما فطارا فأولتهما كذاين يجرجان» فقال عبيد الله: أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلة الكذاب.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٦/٢]: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلة بن حبيب الكذاب.

وقال ابن هشام: هو مسيلة بن ثمامة ويكنى: أبا سماعة.

وقال أبو القاسم السهيلي [الروض: ٤٤٢/٧ - ٤٤٤]: هو مسيلة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الذول بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة وقيل: أبا هارون وكان قد تسمى بالرحمان فكان يقال له: رحمان اليمامة. وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة، وكان يعرف أرباباً من التبرجات فكان يدخل البيضة إلى القارورة وهو أول من فعل ذلك، وكان يقص جناح الطير ثم يصله ويدي أن ظية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها.

قلت: وسنذكر أشياء من خبره عند ذكر مقتله لعنه الله.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٦/٢]: وكان منزله في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ثم من بني النجار.

قال السهيلي: هي زينب وقيل: كبشة بنت الحارث بن كريب بن حبيب بن عبد شمس كان مسيلة تزوجها قديماً ثم فارقه فلها نزلوا في دارها.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه معه عسيب من سَعَف النخل في رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله فقال له رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك».

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٦/٢، ٥٧٧]: وحدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا. وزعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركائبنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً» أي لحفظه ضيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاءوا مسيلة بما أعطاه رسول الله ﷺ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتباً وتكذب لهم وقال: إني

أسلم وقد مضى الحديث في إسلامه. وأما ابن النواحة فأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا جعفر بن عوف أنبأنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم. قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: إنني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرؤون قراءة ما أنزل الله على محمد ﷺ: والطاحات طحنا، والعاجنات عجننا، والحفايزات خبزنا، والشارفات شرفاً، واللاقامات لقماً.

قال: فأرسل إليهم عبد الله فأتى بهم وهم سبعون رجلاً ورأسهم عبد الله بن النواحة، قال: فأمر به عبد الله فقتل ثم قال: ما كنا بمحززين الشيطان من هؤلاء ولكننا نجوزهم إلى الشام لعل الله أن يكتفيهم.

وقال الواقدي: كان وفد بني حنيفة بضعة عشر رجلاً عليهم سلمى بن حنظلة وفيهم الرجال بن عترة وطلق بن علي وعلي بن سنان ومسيلمة بن حبيب الكذاب، فأنزلوا في دار رملية بنت الحارث وأجريت عليهم الضيافة فكانوا يؤتون بغداء وعشاء مرة خبزاً ولحماً، ومرة خبزاً ولبناً، ومرة خبزاً، ومرة خبزاً وسمناً، ومرة تمرأ يثر لهم.

فلما قدموا المسجد أسلموا وقد خلقوا مسيلمة في رحالهم، ولما أرادوا الانصراف أعطاهم جوازهم خمس أواق من فضة، وأمر لمسيلمة بمثل ما أعطاهم، لما ذكروا أنه في رحالهم فقال: «أما إنه ليس بشركم مكاناً» فلما رجعوا إليه أخبروه بما قال عنه فقال: إما قال ذلك لأنه عرف أن الأمر لي من بعده وبهذه الكلمة تثبت قبجه الله حتى ادعى النبوة.

قال الواقدي: وقد كان رسول الله ﷺ بعث معهم بأداة فيها فضل طهوره وأمرهم أن يهدموا بيعتهم وينضحوا هذا الماء مكانه ويتخذوه مسجداً ففعلوا.

وسأني ذكر مقتل الأسود العنسي في آخر حياة رسول الله ﷺ، ومقتل مسيلمة الكذاب في أيام الصديق، وما كان من أمر بني حنيفة إن شاء الله تعالى.

سنة ٩ - وفد أهل نجران

قال البخاري (٤٣٨٠): حدثنا عباس بن الحسين حدثنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حليفه. قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبتنا من بعده، قال: إنا نمطيك ما سألنا وأبعت معنا أميناً ولا تبعت معنا إلا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين». فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذه أمينة هذه الأمة».

وقد رواه البخاري (٣٧٤٥) أيضاً ومسلم (٢٤٢٠) من حديث شعبة عن أبي إسحاق به.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٣٨٥/٥ - ٣٩١): أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا، يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده - قال يونس: وكان نصرانياً فأسلم - أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه «طس» سليمان؛ باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

قد أشركت في الأمر معه، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: «أما إنه ليس بشركم مكاناً»؛ ما ذلك إلا لما كان يعلم أنني قد أشركت في الأمر معه ثم جعل يسعهم لهم السجعات ويقول لهم فيما يقول مضاعفة للقرآن: لقد أنعم الله على الجبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشا.

وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي. فأصفت معه بنو حنيفة على ذلك.

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٧٧/٢): فأنه أعلم أي ذلك كان.

وذكر السهيلي (الروض الأنف: ٤٤٢/٧) وغيره: أن الرجال بن عترة - واسمه نهار بن عترة - وكان قد أسلم وتعلم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله ﷺ مدة، وقد مر عليه رسول الله ﷺ وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حيان فقال لهم: «أحذركم خرسه في النار مثل أحد» فلم يزالا خافين حتى ارتد الرجال مع مسيلمة وشهد له زوراً أن رسول الله ﷺ أشركه في الأمر معه، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادعاه مسيلمة لنفسه فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة كما سيأتي.

قال السهيلي (الروض الأنف: ٤٤٤/٧، ٤٤٥): وكان مؤذن مسيلمة يقال له حجر، وكان مدير الحرب بين يديه يحكم بين الطفل، وأضيف إليهم سجاح وكانت تكنى أم صادر تزوجها مسيلمة وله معها اختيار فاحشة، واسم مؤذنها زهير بن عمرو وقيل: جنبه بن طارق، ويقال: إن شيث بن ريمي أذن لها أيضاً ثم أسلم وقد أسلمت هي أيضاً أيام عمر بن الخطاب فحسن إسلامها.

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وقد كان مسيلمة بن حبيب كتب إلى رسول الله ﷺ:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله؛ سلام عليك أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك فإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، ولكن قریشاً قوم يعتدون. فقدم عليه رسولنا بهذا الكتاب فكتب إليه رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من أتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قال: وكان ذلك في آخر سنة عشر - يعني ورود هذا الكتاب - (الدلائل للبيهقي: ٣٣١/٥ - ٣٣٢، من طريق يونس بن بكير، به مطولاً).

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: فحدثني سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب يكتبان يقول لهما: «واتمنا تقولان مثل ما يقول؟» قال: نعم! فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما.

وقال أبو داود الطيالسي (سنن: ٢٥١): حدثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود. قال: جاء ابن النواحة وابنه أشال رسولاً لمسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ. فقال لهما: «أنتهذان أني رسول الله؟» فقالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أمنت بالله ورسوله، ولو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتهما» قال عبد الله بن مسعود: فمضت السنة بأن الرسل لا تقتل. قال عبد الله: فاما ابن أشال فقد كذبه الله، وأما ابن النواحة فلم يزل في نفسه منه حتى أمكن الله منه.

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٣٣٢/٥، ٣٣٣): أما أسامة بن أشال فإنه

تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَكُمْ وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبَيُّكُمْ فَتَجْعَلُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٩ - ٦١﴾. فابوا أن يقرأوا بذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خيل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعة وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصعدوا إلا عن رأيي، وإنني والله أرى أمرا تقبلا، والله لئن كان هذا الرجل ملكا متقويا فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجانحة وإنا أدنى العرب منهم جوارا، ولئن كان هذا الرجل نبيًا مرسلًا فلاعنا لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحبه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أحكمه فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبداً فقالا له: أنت وذلك، قال: فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رايت خيراً من ملاعتك فقال: «وما هو؟» فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فبنا فهو جائز، فقال رسول الله ﷺ: «لعل وراثة أحد يثرب عليك؟» فقال شرحبيل: سل صاحبي، فسألهما فقالا: ما يريد الوادي ولا يصدر إلا عن رأيي شرحبيل، فقال رسول الله ﷺ: «كافر» أو قال: جاحد موقر، فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران أن كان عليهم حكمه في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وريقني فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألقى حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، وذكر تمام الشروط. إلى أن قال: شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والأقرع بن حابس المخزومي والمغيرة بن شعبة، وكتب حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران فلتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران ومع الأسقف إخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له: بشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف، فبينما هو يقرأه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كتبت بشر ناقته فتعس بشر غير أنه لا يكتي عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تعسنت نبياً مرسلًا فقال له بشر: لا جرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتي رسول الله ﷺ، قال: فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه، فقال له: افهم عني إني قلت هذا ليلبع عني العرب غافة أن يروا أننا أخذنا حقهم أو رضينا نصرتهم أو بئعنا لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب ونحن أعزهم وأجهم داراً فقال له بشر: لا والله لا أقبل ما خرج من راسك أبداً، فضرب بشر ناقته وهو مولد الأسقف ظهره وارحز يقول:

إليك تملق قلقتا وضيتها معترضاً بي بطنها جنيهاً
خالفنا دين النصارى وبنها

حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك.
قال: ودخل الوفد نجران فأتى الزاهد ليث بن أبي شمر الزبيدي وهو في رأس صومعته فقال له: إن نبياً بعث بهتامة فذكر له ما كان من وفد

من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام.

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فطغ به وذعر به ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة - وكان من أهل همدان ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب - فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي وجهدت لك، فقال له الأسقف: تنح فاجلس، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له: عبد الله بن شرحبيل وهو من ذئ أصبح من حبر فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: تنح فاجلس فتنتحى فجلس ناحية، وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحامس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنتحى فجلس ناحية؛ فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت السوح في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمع حين ضرب بالناقوس ورفعت السوح أهل الوادي أعلاه وأسفله وطول السواقي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسأله عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يعثر شرحبيل بن وداعة الممثلة وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتوهم بمجر رسول الله ﷺ.

قال: فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حلالاً لهم يبرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلال والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانوا يعرفونهما فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس. فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا عجبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدنا لكلامه نهراً طويلاً فأهيناً أن يكلمنا فما الرأي منكما، أثرون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان ولعبد الرحمن رضي الله عنهم: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يسودوا إليه، ففعلوا فسلموا فرد سلامهم. ثم قال: هو الذي بعثي بالحق لقد أتوني مرة الأولى وإن إليس لهمهم. ثم سألهم وسأله فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا ما تقول في عيسى فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نسبح ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى».

فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

سنة ٩- وفد بني عامر وقصة عامر بن

الطفيل وأربد بن قيس لعنهما الله

قال ابن إسحاق [سورة: هشام: ٥٦٧/٢ - ٥٦٩]: وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر وجابر بن سلمى بن مالك بن جعفر وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم وقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا أبا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم. قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقيي فأتيت عقب هذا الفتي من قريش؟ ثم قال لأربد: إن قلنا على الرجل فإني ساشغل عنك وجهه فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالي قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده» قال: يا محمد خالي، قال: وجعل يكلمه ويتنظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يعبر شيئا، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالي، قال: «لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له» فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولي قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد: إني ما كنت امرتك به والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف على نفسي منك، وإني والله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتي به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما لوى غبرك فأفادريك بالسيف؟!

وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر أغتة كغثة البكر في بيت امرأة من بني سلول؟.

قال ابن هشام [السورة: ٥٦٩/٢]: ويقال: أغتة كغثة الإبل وموتاً في بيت سلولية؟!

وروى الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٢١/٥] من طريق الزبير بن بكار: حدثني فاطمة بنت عبد العزيز بن مولة عن أبيها عن جدتها مولة بن جميل قال: أتى عامر بن الطفيل رسول الله ﷺ فقال له: يا عامر أسلم؟ فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المندر: قال: «لا» ثم قال: أسلم فقال: أسلم على أن لي الوبر ولك المندر: قال: «لا» فولى وهو يقول: والله يا محمد لأملأنها عليك خيلا جرذا ورجالا مرداً ولأرطن بكل نخلة فرسا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامراً واحداً قومه».

فخرج حتى إذا كان بظهر المنية صادف امرأة من قومه يقال لها: سلولية فنزل عن فرسه ونام في بيتها فأخذه غلة في حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يبول وهو يقول: غلة كغثة البكر وموت في بيت سلولية.

فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً.

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب [١٤٨٧/٤] في أسماء الصحابة مولة هذا فقال هو مولة بن كثيف الضبابي الكلابي العامري من بني عامر بن صعصعة أتى رسول الله ﷺ وهو ابن عشرين سنة فأسلم وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يدعى ذا اللسانين من

نجران إلى رسول الله ﷺ وأنه عرض عليهم الملاعة فأبوا وأن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم فقال الراهب: أنزلوني وإلا أليت نفسي من هذه الصومعة قال: فأنزلوه فأخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله ﷺ منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء وقعب وعصا. فأقام مدة عند رسول الله ﷺ يسمع الرحي ثم رجع إلى قومه ولم يقدر له الإسلام ووعد أنه سيعود فلم يقدر له حتى توفي رسول الله ﷺ وإن الأسقف أبي الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه فأقاموا عنده يسمعون ما يتزل الله عليه وكتب للأسقف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف أبي الحارث وكل أساقفة نجران وكهنتهم وراهبائهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من راهبته ولا كاهن من كهنته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا مما كانوا عليه على ذلك، جوار الله ورسوله أبداً ما نصحوا وأصلحوا عليهم غير متقلين بظلم ولا ظالمين» وكتب المخيرة بن شعبة.

وذكر محمد بن إسحاق [سورة: هشام: ٥٧٣/١ - ٥٧٥، مطولاً] أن وفد نصارى نجران كان ستين راكباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح والسيد وهو الأبهيم وأبو حارثة بن علقمة وأوس والحارث وزيد وقيس ويزيد ونبية وخويلد وعمرو وإخالد وعبد الله ويغنس وأمر هؤلاء الأربعة عشر يؤول إلى ثلاثة منهم؛ وهم: العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم والسيد وكان ثلماهم وصاحب رحلهم وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وخبرهم وكان رجل من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل في دين النصرانية فعظمت الروم وشرفوه وينوا له الكنائس ومولوه وأخدموه لما يعرفون من صلاته في دينهم وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه من اتباع الحق.

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان عن ابن البيلماني عن كرز بن علقمة: قال: قدم وفد نصارى نجران ستون راكباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وصاحب مدراسهم وكانوا قد شرفوه فيهم ومولوه وأخدموه، وسيطوا عليه الكرامات وينوا له الكنائس لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما توجهوا من نجران جلس أبو حارثة على بغلة له وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسأله إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال كرز: تعس الأبعد - يريد رسول الله ﷺ - فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست فقال له كرز: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه للنبي الذي كنا نتظنه فقال له كرز: وما يمتنع وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومزولونا وأخدمونا وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى قال: فاضمر عليها منه أخوه كرز حتى أسلم بعد ذلك.

وذكر ابن إسحاق [سورة: هشام: ٥٧٤/١ - ٥٨٤] أنهم لما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق. فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» فكان المتكلم لهم أبا حارثة بن علقمة والسيد والعاقب حتى نزل فيهم صلوة سورة آل عمران والمباينة فأبوا ذلك وسألوا أن يرسل معهم أمينا فيمت معهم أبا عبيدة بن الجراح كما تقدم في رواية البخاري [٣٧٤/٥]: وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسير سورة آل عمران والله الحمد والمنة.

فصاحته، روى عنه ابنه عبد العزيز وهو الذي روى قصة عامر بن الطفيل: غُتَّة كُفَّة البعير وموت في بيت سلولية.

قال الزبير بن بكار: حدثني ظميا بنت عبد العزيز بن مَوْلة بن كُيُف بن حُمَل بن خالد بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قالت: حدثني أبي عن أبيه عن مولة أنه أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو ابن عشرين سنة وبايع رسول الله ﷺ ومسح بيمينه وساق إبله إلى رسول الله ﷺ فصَلَّيْها بنت لبون ثم صحب أبا هريرة بعد رسول الله ﷺ وعاش في الإسلام مائة سنة وكان يسمى ذا اللسانين من فصاحته.

قلت: والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح، وإن كان ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٦٧/٢ - ٥٦٩] والبيهقي [الدلائل: ٣١٨/٥ - ٣٢١] قد ذكروا بعد الفتح وذلك.

لما رواه الحافظ البيهقي [الدلائل: ٣٢٠/٥] عن الحاكم عن الأصم أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس في قصة بشر معونة وقتل عامر بن الطفيل حرام بن ملحان - خال أنس بن مالك - وغدوه بأصحاب بشر معونة حتى قتلوا عن آخرهم سوى عمرو بن أمية كما تقدم.

قال الأوزاعي قال يحيى: فمكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وأبئت عليه ما يقتله». فبعت الله عليه الطاعون [البيهقي في «الدلائل»: ٣٢٠/٥، من طريق الأوزاعي، ٩].

وروى عن همام عن إسحاق بن عبد الله عن أنس في قصة ابن ملحان قال: وكان عامر بن الطفيل قد أتى رسول الله ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لي أهل اليرير وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بالشفق أشقر وألف شقراء، قال: فطعن في بيت امرأة فقال غدة أغدَّة كُفَّة البعير وموت في بيت امرأة من بني فلان اتنوي يفرسي. فركب فمات على ظهر فرسه. [الدلائل: ٣٢٠/٥]

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٦٩/٢]: ثم خرج أصحابه حين وأروه حتى قلعوا أرض بني عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: وما وراءك يا أريد؟ قال: لا شيء. والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت لو أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله الآن فخرج بعد مقاله بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهم.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٦٩/٥ - ٥٧٠]: وكان أريد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه فقال لبيد يبيكي أريد:

ما إن تُعْرِي المتون من أحد لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أريد الخشوف ولا أهرب نوء السماك والأسد
فمين هلا بكيت أريد إذ قمنا وقام النساء في كبد
إن يشنوا لا يزال شنبهم أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته مر لصيق الأحشاء والكبد
وعين هلا بكيت أريد إذ السوت رياح الشتاء بالفضد
وأصبحت لاقحا مصرمة حتى نهجت غواير المدد
أشجع من ليث غابة لحم ذو نهمة في الملا ومتقد

لا تبلغ العين كل نهمة لها
الباعث النوح في ماتمه مثل الظباء الأيكار بالجرد
فجسي البرق والصواعق بالفا والحارب الجابر الحريب إذا
يعفو على الجهد والسؤال كما كل بني حرة مصرهم
إن يُغبطوا يُهبطوا وإن أميروا يوماً فهم للهلاك والنفس

قد روى ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٧١/٢ - ٥٧٣] عن لبيد اشعاراً كثيرة في رثاء أخيه لأمه أريد بن قيس تركناها اختصاراً واكتفاء بما أوردناه والله الموفق للصواب.

قال ابن هشام [السورة: ٥٦٩/٣]: وذكر زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن جليس قال: فأنزل الله عز وجل في عامر وأريد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْوِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرْفُؤُا ذُرِّيًّا وَمَا تَكْبُرُ فِي شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقُدْرَةٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٨ - ١١] يعني: محمداً ﷺ ثم ذكر أريد وقتله فقال الله تعالى:

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الْقَثَالَ وَيُنْجِي الْرُفْدَ بِخُلُقَيْهِ وَالْعَلَايِكَةَ مِنْ خَفِيَّتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١١ - ١٣]

قلت: وقد تكلمنا على هذه الآيات الكريمات في سورة الرعد ولله الحمد والملة.

وقد وقع لنا إسناد ما علَّقه ابن هشام رحمه الله فروينا من طريق الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير [٣٧٩/١٠ - ٣٨١ - ١٠٧٦٠] حيث قال:

حدثنا مسعدة بن سعد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز بن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس: أن أريد بن قيس بن جزيه بن خالد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله ﷺ فأتنها إليه وهو جالس فجلسا بين يديه: فقال عامر بن الطفيل: يا محمد ما نجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ». قال عامر: اتجمل لي الأمر إن أسلمت من بعدك. فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعة الحيل». قال: أنا الآن في أعة خيل نجدة، اجعل لي الوير ولك المدر. قال رسول الله ﷺ: «لا» فلما قفا من عنده، قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال رسول الله ﷺ: «فمنعك الله».

فلما خرج أريد وعامر قال عامر: يا أريد أنا أشغل عنك محمداً بالحديث فاضربه بالسيف فإن الناس إذا قلت محمداً لم يزيديا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فسنعطهم الدية، قال أريد: أفضل. فأتقلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ فخلعا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه، وسل أريد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف، فلم

يستطع سل السيف فأبطأ أريد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أريد وما يصنع فاتصرف عنهما. فلما خرج أريد وعامر من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كانا بالحرّة حرّوً واقم نزلاً فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير فقالا: اشخصا يا عدوئي الله لنعمنا الله، فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: أسيد بن حضير الكتاب. فخرجنا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أريد صاعقة فقتله وخرج عامر حتى إذا كان بالحرّة أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يسرحه في حلقه ويقول: غدة كندة الجمل في بيت سلوية يرغب عن أن يموت في بيتها ثم ركب فرسه فأحضرها حتى مات عليها راجعا فانزل الله فيها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْوِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِ يَمِينٍ وَال﴾. قال: المعقبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ. ثم ذكر أريد وما قتله به فقال: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ الآية.

وفي هذا السياق دلالة على تقدم قصة عامر وأريد؛ وذلك لذكر سعد بن معاذ فيه والله أعلم. وقلة تقدم وفرد الطفيل بن عامر الدوسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بمكة وإسلامه وكيف جعل الله له نورا بين عينيه ثم سأل الله فحوّله له إلى طرف سوطه وبسطنا ذلك هناك فلا حاجة إلى إعادته هاهنا كما صنع البيهقي (اللائل: ٣٥٩/٥ - ٣٦٢) وغيره.

سنة ٩ - قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ

وافداً على قومه بني سعد بن بكر

وفي هذا السياق ما يدل على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح؛ لأن العزى خربها خالد بن الوليد أيام الفتح. وقد قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن شريك بن عبد الله بن أبي نجر عن كريب عن ابن عباس. قال: بعثت بنو سعد بن بكر في رجب سنة خمس ضمام بن ثعلبة وكان جليلاً أشعر ذا غدارتين وافداً إلى رسول الله ﷺ فاقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فسأله فأغلظ في المسألة؛ سأله عن أمره وما أرسله وسأله عن شرائع الإسلام فأجابهم رسول الله ﷺ في ذلك كله فرجع إلى قومه مسلماً قد خلع الأنداد فأخبرهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فما أمسى في ذلك اليوم في حاضرة رجل ولا امرأة إلا مسلماً وبثوا المساجد وأذنوا بالصلاة.

وقال الإمام أحمد (١٤٧/٣): حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن ثابت عن أنس بن مالك. قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء فكان يجيبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك قال: «صدّق!» قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله» قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله» قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك؟ قال: «نعم!» قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: «صدّق» قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: «صدّق» قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «صدّق» قال: ثم ولي فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا. فقال النبي ﷺ: «إن صدق ليدخلن الجنة».

وهذا الحديث خرج في الصحيحين (ج (٦٣)، م (١٢)) وغيرهما (ج (٤٨٧)، م (٢٠٩١ - ٢٠٩٣)، ج (١٤٠٢)) بأسانيد وألفاظ كثيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وقد رواه مسلم (١٢) (١٠) من حديث أبي النضر هاشم بن

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٥٩/٥ - ٣٦٢): حدثني محمد بن الوليد بن نوفع عن كريب عن ابن عباس. قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم إليه وأثنى عليه على باب المسجد ثم قلعه ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جليلاً أشعر ذا غليظتين فاقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه. فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب» فقال: يا محمد قال: «نعم». قال: يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجحد في نفسك. قال: «لا أجد في نفسي قسلاً عما بدا لك» فقال: أتشدك إلهك الله وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللهم نعم» قال: فأتشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آبائنا يعبدون؟ قال: «اللهم نعم» قال: فأتشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم».

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وسأودي هذه القرائض وأجبت ما نهيتي عنه ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم اتصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن

القاسم عن سليمان بن المغيرة.

وعلقه البخاري [١٦٣] من طريقه.

وأخرجه من وجه آخر [المسند: ١٦٨/٣] نحوه. فقال الإمام أحمد:

حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي سعيد عن شريك بن عبد

الله بن أبي نحر أنه سمع أنس بن مالك يقول: بينما نحن عند رسول الله

ﷺ جلوساً في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم

قال: أيكم عمده؟ ورسول الله ﷺ متكئ بين ظهرانيهم قال: فقلنا: هذا

الرجل الأبيض التكني. فقال الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له رسول

الله ﷺ: «قد أجبتك» فقال الرجل: يا محمد إني سائلك فمشتد عليك في

المسألة فلا تجد عليّ في نفسك فقال: «سل ما بدا لك». فقال الرجل:

«أشكك برك ورب من كان قبلك أكله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال

رسول الله ﷺ: «اللهم نعم» قال: فأشكك الله أكله أمرك أن تصلي

الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ فقال: «اللهم نعم» قال: فأشكك الله

أكله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم

نعم» قال: أشكك الله أكله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقسمها

على فقرائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم نعم» قال الرجل: آمنت بما

جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضممام بن ثعلبة أخو بني

سعد بن بكر.

وفد رواه البخاري [٦٣] عن عبد الله بن يوسف عن الليث بن سعد

عن سعيد المقبري به.

وهكذا رواه أبو داود [٤٨٦] والنسائي [٢٠٩١] وابن ماجه

[١٤٠٢] عن الليث به.

والعجب أن النسائي رواه من طريق آخر عن الليث [٢٠٩٢] قال:

حدثني ابن عجلان وغيره من أصحابنا عن سعيد المقبري عن شريك عن

أنس بن مالك فذكره.

وفد رواه النسائي أيضاً من حديث عبيد الله العمري عن سعيد

المقبري عن أبي هريرة [٢٠٩٣]، فلمعه عن سعيد المقبري من الوجهين

جيباً.

وفد قلنا ما رواه الإمام أحمد [٣٠٢/١] عن يحيى بن آدم عن حفص

بن غياث عن داود بن أبي هند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في

قدم ضماد الأزدي على رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وإسلامه

وإسلام قومه كما ذكرناه مبسوطاً بما أغنى عن إعادته هاهنا ولله الحمد

والمنة

سنة ٩- وفد طئ مع زيد الخيل رضي الله عنه

وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منبه أبو مكتف الطائي وكان من

أحسن العرب وأطولهم رجلاً وسمي زيد الخيل لخمس أفراس كن له.

قال السهيلي [الروض الأثف: ٤٤٧/٧] ولهن أسماء لا يحضرني الآن

حفظها.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٧/٢، ٥٧٨]: وقدم على رسول الله

ﷺ وفد طئ وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا إليه كلموه

وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم. وقال

رسول الله ﷺ كما حدثني من لا أتهم من رجال طئ لما ذكر لي رجل

من العرب بفضل ثم جاني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم

يُبلغ كل الذي فيه ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فید

وأرضين معه وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله ﷺ واجعا إلى

قومه فقال رسول الله ﷺ: «إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه».

قال: وقد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى وغير أم مُلذَم لم

يُشته.

قال: فلما انتهى من بلد غجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة أصابته

الحمى فمات بها ولما أحس بالموت قال:

أمرتحل قومي المشرق غُدوةً وأتسرك في بيت بفرودة منجد

ألا رب يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يبر منهم يجهد

قال: ولما مات عمدت امرأته - بجهلها وقلة عقلها ودينها - إلى ما

كان معه من الكتب فحرقتها بالنار.

قلت: وقد ثبت في الصحيحين [ج (٣٣٤٤)، م (١٠٦٤)] عن أبي

سعيد أن علي بن أبي طالب بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبية في

تربتها قسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: زيد الخيل وعلقمة بن علاثة،

والأقرع بن حابس، وغُيَنة بن بدر. الحديث. وسيأتي ذكره في بعث علي

إلى اليمن إن شاء الله تعالى.

سنة ٩- قصة عدي بن حاتم الطائي

قال البخاري في الصحيح [٤٣٩٤]: وفد طئ وحديث عدي بن

حاتم:

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عروانة حدثنا عبد الملك بن عمير

عن عمرو بن حريث عن عدي بن حاتم. قال: أتينا عمر بن الخطاب في

وفد فجعل يدعو رجلاً رجلاً يسميهم. فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟

قال: بلى أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت

إذ أنكروا. فقال عدي: لا أبالي إذا.

وقال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٧٨/٢ - ٥٨١]: وأما عدي بن حاتم

فكان يقول فيما بلغني: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله

ﷺ حين سمع به مني أما أنا فكنيت امرأة شريفاً وكنيت نصرانياً وكنيت

أسير في قومي بالرياء وكنيت في نفسي على دين وكنيت ملكاً في قومي لما

كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته فقلت لنفام كان لي

عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك أعدد لي من إبلي أجمالا ذللاً سماناً

فاحتبسها قريباً مني فإذا سمعت يبيح لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني

ففعل.

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صامتا إذا غشيتك خيل

محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش

محمد. قال: قلت: فقرب إلي أجمالي. فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم

قلت: الحق بأهل ديني من النصاري بالشام فسلكت الجوشية وخلفت بشا

لحاتم في الحاضر.

فلما قلعت الشام أتمت بها وتحالفني خيل رسول الله ﷺ فُصِيب

ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبأيا من طئ

وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام. قال: فجعلت ابنة حاتم في

حظيرة بياب المسجد كانت السبأيا تحبس بها فمر بها رسول الله ﷺ

فقامت إليه وكانت امرأة جزلة. فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب

وجوه أخر.

فقال الإمام أحمد [٣٧٩، ٣٧٨]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت سماك بن حرب سمعت عباد بن حيش يحدث عن عدي بن حاتم. قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بقرب فاختنوا عصي وناسا فلما أتوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصفوا له. قالت: يا رسول الله بآي الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خلعة فمَن علي مَن الله عليك. فقال: فومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم قال: «الذي فر من الله ورسوله؟»، قالت: فمَن علي. فلما رجع ورجل إلى جنبه - نرى أنه علي - قال: سليه حملا قال: فسألته فأمرها. قال عدي: فأتيتي فقلت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها! وقالت: إيتي راغبا أو راها فقد أشاء فلان فاصاب منه وأماه فلان فاصاب منه. قال: فأتيتي فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي فذكر قريهم منه فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر. فقال له: «يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله؟» ما أفرك؟ أفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟»، قال: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: «إن المُفْضُوبَ عَلَيْهِمُ: اليهود وإن المُضَالَيْنُ: النصارى».

قال: ثم سأله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فلكم أيها الناس أن تَرْضَخُوا من الفضل ارتضخ اسروا بصاع ببعض صاع يُقبضة ببعض قُبضة» - قال شعبة - وأكثر علمي أنه قال: «بتمره بشتى تمره - وإن أحذكم لآتي الله فقاتل ما أقول: ألم أجعلكم سمعا بصيرا؟ ألم أجعل لك مالا وولدا؟ فاما قلدت؟ فيظن من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئا فما يقي النار إلا بوجهه فأتقوا الله ولو بشتى تمره فإن لم تجدوه فبكملة لينة، أي لا أخشى عليكم الناقة لينصركم الله وليعطيتكم أو ليفتنن عليكم حتى تسير الظنينة بين الحيرة ويثر، أو أكثر، ما تخاف السرق على ظنيتها».

وقله رواه الترمذي [٢٩٥٣] من حديث شعبة [٢٩٥٤] وعمرو بن أبي قيس [٢٩٥٣] كلاهما عن سماك ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك.

وقال الإمام أحمد [٢٥٧/٤] أيضا: حدثنا يزيد أنبأنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة - هو ابن حنيفة - عن رجل. قال: قلت لعدي بن حاتم: حديث بلغني عنك أحب أن اسمعه منك قال: نعم! لما بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفي رواية حتى قلدت على قيصر - قال: فكرهت مكاني ذلك أشد من كراهتي لخروجه قال: قلت: والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرني وإن كان صادقا علمت.

قال: فقدمت فأتيت فلما قلدت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بن حاتم. فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عدي بن حاتم أسلم تسلم» ثلاثا قال: قلت: إني على دين. قال: «أنا أعلم بدينك منك» قلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: «نعم! ألسنت من الركوبة وأنت تاكل مرياع قومك؟» قلت: بلى! قال: «هنا لا يحل لك في دينك» قال: نعم! فلم يعبُد أن قالها فتراضعت لها. قال: «أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام تقول: إنما أتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد سمعت بها قال: «فوالذي نفسي بيده ليمتن الله هنا الأمر حتى تخرج الظنينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قال: قلت كسرى ابن هرمز؟ قال: نعم!

الوافد فامتن علي مَن الله عليك. قال: «ومن وافدك؟» قالت: علي بن حاتم قال: «الفار من الله ورسوله؟» قالت: ثم مضى وتركني. حتى إذا كان الغد مر بي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يست فاضار إلي رجل خلفه أن قومي فكلهم.

قالت: فممت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامتن علي مَن الله عليك. فقال ﷺ: «قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذني». فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن كلمه قتل لي علي بن أبي طالب قالت: فاقمت حتى قدم ركب من بني أو قضاة قالت: وإنما أريد أن أتني أخي بالشام فجنحت فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكسائي وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في اهلي فنظرت إلى ظنينة تصوب إلى قوما قال: فقلت: ابنة حاتم؟ قال: فإذا هي هي فلما وقفت علي انسلخت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدت وتركت بقية والدك عورتك؟ قال: قلت: أي أخية لا تقولي إلا خيرا فوالله ما لي من عنز لقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل، قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نيبا فللسابق إليه فضله وإن يكن ملكا فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي قال: فخرجت حتى أتم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه. فقال: «من الرجل؟» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيت امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفت فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفا فقفها لي فقال: «اجلس على هذه» قال قلت: بل أنت فاجلس عليها. قال: «بل أنت» فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بامر ملك، ثم قال: «إليه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسيا؟» قال: قلت: بلى! قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟» قال: قلت: بلى! قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك» قال: قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل ثم قال: «ولعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمح بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وإيم الله ليوشكن أن تسمح بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

قال: فأسلمت، قال: فكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تلجج هذا البيت، وإيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه. هكذا أورد ابن إسحاق رحمه الله هذا السياق بلا إسناد وله شواهد من

كسرى بن هرمز، وليئذئذ المال حتى لا يقبله أحد.
قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تأتي من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.
ثم قال أحمد [٣٧٧/٤]: حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي عبيدة بن حنيفة عن رجل - وقال حماد: عن هشام عن محمد عن أبي عبيدة - عن رجل - قال: كنت أسأل الناس عن حديث عدي بن حاتم وهو لي جني ولا أسأله قال: فأتيت نسائه فقال: نعم! فذكر الحديث.
وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [الذلل: ٣٤٤، ٣٤٥/٥]: أنبأنا أبو عمرو الأديب أنبأنا أبو بكر الإسماعيلي أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأنا النضر بن شميل أنبأنا إسرائيل أنبأنا سعد الطائي أنبأنا علي ابن خليفة عن عدي بن حاتم. قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، وأنه آخر فشكى إليه قطع السيل. قال: «يا عدي بن حاتم هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد أنبت عنها قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله عز وجل». قال: قلت في نفسي: «فإن دُعا طيئ - الذين سغروا البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج بملة كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحداكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم». قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجد شق تمره فبكلمة طيبة».

قال عدي: فقد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة ستروا ما قال أبو القاسم ﷺ.
وقد رواه البخاري [٣٩٥] عن محمد بن الحكم عن النضر بن شميل به بطوله.

وقد رواه من وجه آخر [١٤١٣] عن سعدان بن بشر عن سعد أبي مجاهد الطائي عن علي بن خليفة عن عدي به.
ورواه الإمام أحمد [٢٥٦/٤] والنسائي [٢٥٥١] من حديث شعبة عن سعد أبي مجاهد الطائي به.

وعن روى هذه القصة عن عدي عامر بن شرحبيل الشعبي فذكر نحوه.

وقال: لا تخاف إلا الله والذنب على غمها [الذلل للبيهقي: ٣٤٤/٥، ٣٤٥]. وثبت في صحيح البخاري [١٤١٧] من حديث شعبة.

وعند مسلم [١٠١٦] (١٠١٦) من حديث زهير بن معاوية كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الله بن معقل بن مقرن المزني عن عدي بن حاتم. قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمره».

ولفظ مسلم: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل».

طريق أخرى فيها شاهد لما تقدم:

وقد قال الحافظ البيهقي [الذلل: ٣٤١/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف حدثنا أبو سعيد عبيد بن كثير بن عبد الواحد الكوفي حدثنا ضرار بن صرد حدثنا عاصم بن حميد عن

أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد النخعي. قال: قال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله ما أزهق كثيراً من الناس في خير! عجا لرجل يبيته أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح، فقام إليه رجل فقال: فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! وما هو خير منه. لما أتني بسبأ طيئ وقفت جارية حراء لعساء ذلفاء عيطاء شماء الأنف معتلة القائمة والمهمة درماء الكعبين خذلة الساقين لفاء الفضل خيصة الحصرين ضامرة الكشحين مصقولة الثنين. قال: فلما رأيتهما أعجبت بهما وقلت: لأظنن إلى رسول الله ﷺ يجعلهما في فيثي. فلما تكلمت أنسيت جمالهما لما رأيت من فصاحتها. فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تمشيت بنا أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحرمي النمار ويفك العاني ويشيع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفش السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيئ فقال رسول الله ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمن حق لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق». فقام أبو بردة بن نيار. قال: يا رسول الله والله يحب مكارم الأخلاق؟ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق».

هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جداً عزيز المخرج. وقد ذكرنا ترجمة حاتم الطائي أيام الجاهلية عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان إلا أن نفع ذلك في الآخرة معذوق بالإيمان وهو ممن لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.

وقد زعم الواقدي: أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب في ربيع الآخر من سنة تسع إلى بلاد طيئ فجاه معه بسبأ فيهم أخت عدي بن حاتم وجاء معه بسيفين كانا في بيت الصنم يقال لأحدهما الرسوب والآخر المخدم كان الحارث بن أبي شير قد نذرهما لذلك الصنم [تاريخ الطبري: ١١١/٣].

قال البخاري رحمه الله [٤٣٩٢]:

سنة ٩- قصة دوس والطفيل بن عمرو

حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن ذكوان - هو عبد الله أبو الزناد - عن عبد الرحمن الأخرج عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد هلك، عصت وأبت فادع الله عليهم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إهد دوساً واثب بهم».

انفرد به البخاري من هذا الوجه.

ثم قال [٤٣٩٣]: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة حدثنا إسماعيل عن قيس عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعناؤها على أنها من دارة الكفر نجت

وأبني غلام في الطريق.

فلما قدمت على النبي ﷺ وبأيتي فينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي

النبي ﷺ: «يا أبا هريرة هذا غلامك» فقلت هو حر لوجه الله عز وجل فاعتقته.
انفرد به البخاري من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم.
وهذا الذي ذكره البخاري من قدوم الطفيل بن عمرو فقد كان قبل الهجرة ثم إن قدر قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح؛ لأن دوسا قدموا معهم أبو هريرة وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله ﷺ محاصر خير ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله ﷺ خيبر بعد الفتح فرضخ لهم شيئا من الغنمة وقد قلنا ذلك كله مطولا في مواضعه.
قال البخاري رحمه الله (بعد [٤٣٨٣]):

سنة ٩ - قصة عُمان والبحرين

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان سمع محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا» ثلاثا.
فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ. فلما قدم على أبي بكر أمر مناديا فنادى: من كان له عند النبي ﷺ دين أو عتة فليأتني.

قال جابر: فجيئت أبا بكر فأخبرته أن رسول الله ﷺ قال: «لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا» ثلاثا قال: فأعطاني قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسأله فلم يعطني ثم أتته فلم يعطني ثم أتته الثالثة فلم يعطني فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ثم أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فلما أن تعطيني ولما أن تبخل عني قال: أقلت: تبخل عني! قال: وأي داء أدوا من البخل؛ قالنا ثلاثا: ما منعك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك.

وهكذا رواه البخاري ها هنا.

وقد رواه مسلم [٢٣١٤] (٦٠) عن عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة به.

ثم قال البخاري [٤٣٨٣] بعده عن عمرو بن محمد ابن علي سمعت جابر بن عبد الله يقول: جئت فقال لي أبو بكر: «عُثُها فلعنيتها فوجدها خمسمائة فقال: خذ مثلها مرتين».

وقد رواه البخاري [٢٢٩٦] أيضاً عن علي بن المنيني عن سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي أبي جعفر الباقر عن جابر كروايته له عن قتيبة

ورواه أيضاً هو [٢٢٩٦] ومسلم [٢٣١٤] (٦٠) من طرق آخر

عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن محمد بن علي عن جابر بنحوه. وفي رواية [ج] (٣١٣٧، ٣١٦٤) أخرى له أنه أمره فحشى يلبيه من دراهم فعدها فإذا هي خمسمائة. فأضمتها له مرتين يعني فكان جملة ما أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم.

سنة ٩ - وفود فروة بن مسيك المرادي أحد

رؤساء قومه إلى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٨١/٢): «وقدم فروة بن مسيك المرادي مفارقاً للملك كنة ومباغياً لهم، إلى رسول الله ﷺ. وقد كان بين قومه مراد وبين همدان وقعة قبيل الإسلام أصابت فيها همدان من قومه حتى أتخونهم وكان ذلك في يوم يقال له: الردم وكان الذي قاد همدان إليهم الأجدع بن مالك».

قال ابن هشام: ويقال مالك بن خريم الهملاني.

قال ابن إسحاق: فقال فروة بن مسيك في ذلك اليوم:

النبي ﷺ: «يا أبا هريرة هذا غلامك» فقلت هو حر لوجه الله عز وجل فاعتقته.

انفرد به البخاري من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم.

وهذا الذي ذكره البخاري من قدوم الطفيل بن عمرو فقد كان قبل الهجرة ثم إن قدر قدومه بعد الهجرة فقد كان قبل الفتح؛ لأن دوسا قدموا معهم أبو هريرة وكان قدوم أبي هريرة ورسول الله ﷺ محاصر خير ثم ارتحل أبو هريرة حتى قدم على رسول الله ﷺ خيبر بعد الفتح فرضخ لهم شيئا من الغنمة وقد قلنا ذلك كله مطولا في مواضعه.
قال البخاري رحمه الله (بعد [٤٣٨٣]):

سنة ٩ - قدوم الأشعرين وأهل اليمن

ثم روى [٤٣٨٨] من حديث شعبة عن سليمان بن مهران الأعمش عن ذكوان أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخلافة في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم».

ورواه مسلم [٥٢] (٩١) من حديث شعبة.

ثم رواه البخاري [٤٣٩٠] عن أبي اليان عن شبيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة. الفقه يمان، والحكمة يمانية».

ثم روى [٤٣٨٩] عن إسماعيل بن سليمان عن ثور عن أبي النيث عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان يمان، والفطنة هاهنا ها هنا يطلع قرن الشيطان».

ورواه مسلم [٥٢] (٨٩) عن شبيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

ثم روى البخاري [٤٣٨٧] من حديث شعبة عن إسماعيل عن قيس عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان هاهنا - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء وغلظ القلوب في الفدائيين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر».

وهكذا رواه البخاري [٣٣٠٢] أيضاً ومسلم [٥١] (٨١) من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود عقبه بن عمرو.

ثم روى [ج] (٤٣٨٦) من حديث سفيان الثوري عن أبي صخرة جامع بن شداد حدثنا صفوان بن محرز عن عمران بن حصين. قال: جاءت بنتو تميم إلى رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا يا بني تميم» فقالوا: أما إذا بشرتنا فأعطينا. فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء ناس من أهل اليمن فقال: «أقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنتو تميم» فقالوا: قبلنا يا رسول الله.

وقد رواه الترمذي [٣٩٥١] والنسائي (كسرى ١١٢٤٠) من حديث عبد الرحمن المسعودي، لا سفيان من حديث الثوري به.

وهذا كله مما يدل على فضل وفود أهل اليمن وليس فيه تعرض لوقت وفودهم، وفود بني تميم - وإن كان متأخراً قدومهم - لا يلزم من هذا أن يكون مقارناً لقدم الأشعرين بل الأشعرين مقدم وفدهم على هذا فإنهم قدموا صحبة أبي موسى الأشعري في صحبة جعفر بن أبي طالب وأصحابه من المهاجرين الذين كانوا بالحبيشة وذلك كله حين فتح رسول

يسامي القرن إن قرن تيممه فيعضده
فيأخذه فيرفمه فيخضه فيعضده
فيلمنه فيطمه فيخضه فيزدره
ظلم الشرك فيما أحد رزت أتياه ويده

مررن على لقات ومن خوص ينازعن الأعنة يتحيننا
فلن نغلب فغلبون قدما وإن نغلب فنغير مغلبنا
وما إن طئنا جين ولكن نئابنا وطعمة آخرينا
كذلك الدهر دولته سجال نكر صروفه حيننا فينا
فيما ما نسر به ونرضى ولو لبست غضارته سنينا
إذا انقلب به كرات دهر فالتفت في الأولى غبطوا طحيننا
فمن ينيط بربب الدهر منهم يجد ريب الزمان له خوونا
فلو خلد الملوك إذا خللنا ولو بقي الكرام إذا بقينا
فأنسى ذلكم سروات قومي كما أنسى القرون الأولينا

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٨٤/٢، ٥٨٥]: فأقام عمرو بن رسول الله ﷺ مفارقا ملوك كندة قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نائها
قربت راحلتي أوم محمدا أرجو فواضلها وحسن ثرائها

قال: فلما انتهى فروة إلى رسول الله ﷺ قال له: - فيما بلنني - فيا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لايؤوه ذلك فقال له رسول الله ﷺ: فاما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا.

واستعمله على مراد وزبيد ومنحج كلها ويث مع خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

سنة ٩- قدوم عمرو بن معد يكرب في

أناس من زبيد

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٨٤/٢، ٥٨٥]: وقد كان عمرو بن معد يكرب قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال إنه نبي فاطلق بنا إليه حتى نعلم علمه فإن كان نبيا كما تقول فإنه لن يخفى علينا وإذا لقيناه اتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رايه.

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا وقال: خالفني وترك أمري ورائي. فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك:

أمرتكم يوم ذي صنع اه أمرا باديا رشده
أمرتكم باتقاء الله وا لمعرف تمصده
خرجت من المنى مثل ا لحصير غره وتده
تمتاني على فرس عليه جالبا أسده
علي مفاضة كالتد هي أخلص ماءه جدده
ترد الرمح متشى ال سنان عوائلرأ قصده
فلو لاقتبني للقب ت ليشأ فوفقه لبده
تلاقي شنبأ شثن ال برائن ناشرا كده

سنة ٩- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٨٥/٢، ٥٨٦]: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كندة:

فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكبا من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجدة قد رجّلوا بهمهم وتكلموا عليهم جيب الخبرة قد كُفّوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال لهم: «ألم تسلموا؟» قالوا: بلى! قال: «فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشقوه منها فالتقوه ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله نحن بنو أكل المار وأنت ابن أكل المار. قال: فسيم رسول الله ﷺ وقال: فانسوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث وكانا تاجرين إذا شاعا في العرب

فقال النبي ﷺ عند ذلك: «وهن شر غالب لمن غلب». فشكى إليه امرأته وما صنعت به وإنها عند رجل منهم يقال له: مطرف بن نهشل فكذب له النبي ﷺ إلى مطرف: «انظر امرأة هذا معاذا فادفعها إليه»، فأتاه كتاب النبي ﷺ فقرأ عليه فقال لها: يا معاذا هذا كتاب النبي ﷺ فيك فأتا دافعك إليه فقالت: خذ لي عليه العهد والميثاق وذمة نبيه أن لا يعاقبي فيما صنعت فأخذ لها ذلك عليه ودفعها مطرف إليه فأتاها يقول:

لمعرك ما حيي معاذا بالذي يغيره الواشي ولا تقدم العهد ولا سوء ما جاءت به إذ أزالها غواة الرجال إذ يناجونها بعدي

سنة ٩ - قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم

قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٨٧/٢، ٥٨٨): وقدم صرد بن عبد الله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزدي فأسلم وحسن إسلامه وأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فذهب فحاصر جرش وبها قبائل من اليمن وقد ضوت إليهم ختم حين سمعوا بمسيره إليهم فأقام عليهم قريبا من شهر فامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم حتى إذا كان قريبا من جبل يقال له شكر فظنوا أنه قد ولى عنهم منهزما فخرجوا في طلبه فلعطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش يمشوا منهم رجلين إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة فيبينما هما عنده بعد العصر إذ قال: «بأي بلاد الله شكر؟» فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك تسميه أهل جرش فقال: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر» قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ فقال: «إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتَنَحِرَ عَنْهُ الْآنَ»، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ الآن لينى لكما قومكما فقوموا إليه فأسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما فقاما إليه فأسألاه ذلك فقال: «اللهم ارفع عنهم» فرجعا فوجدنا قومه قد أصيبوا يوم أخبر عنهم رسول الله ﷺ ثم جاء وفد أهل جرش بمن بقي منهم حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحسن إسلامهم وحملهم حول قريتهم.

سنة ٩ - قدوم رسول ملوك حمير إلى رسول الله ﷺ

قال الواقدي: وكان ذلك في رمضان سنة تسع [تابع الطبري: ١٢٠/٣]. قال ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٥٨٨/٢): وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير ورسولهم بإسلامهم مقدمه من تبوك وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْلَ ذِي رُعَيْنَ ومعافر وهمدان وبعث إليه زهرة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومشارقتهم الشرك وأهله، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيْلَ ذِي رُعَيْنَ ومعافر وهمدان، أما بعد:

ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو فإنه قد وقع بنا رسولكم مثقلين من أرض الروم فلتقيا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما

فستلا: من أتما قالوا: نحن بنو أكل المرار يعني ينسبان إلى كندة ليعزا في تلك البلاد؛ لأن كندة كانوا ملوكا، فاعتقدت كندة أن قريشا منهم لقول عباس وربيعة: نحن بنو أكل المرار وهو الحارث بن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرثع بن معاوية بن كندة - ويقال ابن كندة - ثم قال رسول الله ﷺ لهم: «لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نتقوا أمنا ولا تنتهي من أبنائنا». فقال لهم الأشعث بن قيس: والله يا معشر كندة لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين.

وقد روي هذا الحديث متصلا من وجه آخر:

فقال الإمام أحمد (٢١٢/٥): حدثنا بهز وعفان قالوا: حدثنا حماد بن سلمة حدثني عقيل بن طلحة وقال عفان في حديثه: أنبأنا عقيل بن طلحة السلمي عن مسلم بن هيصم عن الأشعث بن قيس أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة - قال عفان - لا يروني أفضلهم، قال: قلت يا رسول الله: أنا ابن عمِّ إنيكم ما. قال: فقال رسول الله ﷺ: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نتقوا أمنا ولا نتضي من أبنائنا». قال: وقال الأشعث: فوالله لا أسمع أحدا نفي قريشا من النضر بن كنانة إلا جللته الحد.

وقد رواه ابن ماجه (٢١٢/٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون، وعن محمد بن يحيى عن سليمان بن حرب. وعن هارون بن حيان عن عبد العزيز بن المغيرة ثلاثهم عن حماد بن سلمة به نحوه.

وقال الإمام أحمد (٢١١/٥): حدثنا سريج بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس. قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي: «هل لك من ولد؟» قلت: غلام ولد لي في غرجي إليك من ابنة جُمْدَ ولوددت أن مكاته شيخ القوم. قال: «لا تقولن ذلك فإن فيهم قرعة عين وأجرأ إذا قبضوا ثم ولكن قلت ذلك إنهم لجنبنة حزنة إنهم لجنبنة حزنة».

تفرد به أحمد وهو حديث حسن جيد الإسناد.

سنة ٩ - قدوم أعشى بني مازن على النبي ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد (٢٠٢/٢)، وهو من زوائد عبد الله: حدثني العباس بن عبد العظيم العبدي حدثنا أبو سلمة عبيد بن عبد الرحمن الحنفي قال: حدثني الجندب بن أمين بن ذروة بن نضلة بن طريف بن بُهْصَلُ الحرامزي حدثني أبي أمين عن أبي ذروة عن أبيه نضلة: أن رجلا منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله بن الأمور كانت عنده امرأة يقال لها: معاذا خرج في رجب يمر أهله من هجر فهربت امرأته بعده ناشرا عليه فعاذت برجل منهم يقال له: مطرف بن نهشل بن كعب بن قميض ابن ذلف ابن أضمم بن عبد الله بن الحرامز فاجعلها خلف ظهره فلما قدم لم يجدها في بيته وأخبر أنها نشرت عليه وأنها عاذت بمطرف بن نهشل فأتاه فقال: يا ابن عمِّ أعنتك امرأتي معاذا فادفعها إلي قال: ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك قال: وكان مطرف أعز منه قال: فخرج الأعشى حتى أتى النبي ﷺ فعاذ به وأتاه يقول:

يا سيد الناس وديان العرب إليك أشكو ذرية من السلب كالدنية الغيباء في ظل السرب خرجت أبنها الطعام في رجب فخلقتني بـتـزاع وهـرب أخلفت الوعد ولطت بالسلب وقدقتني بين عصر مؤتشب وهن شر غالب لمن غلب

والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبين للناس بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين، وأن ينهى الناس فلا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر، وأن ينظر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ولين لهم في الحق ويشدد عليهم في الظلم فإن الله - عز وجل - حرم الظلم ونهى عنه فقال ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصْلُونُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٨-١٩] وأن يشر الناس بالجنة ويعملها وينذر الناس النار وعملها ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفرائضه وما أمره الله به والحج الأكبر: الحج والحج الأصغر: العمرة، وأن ينهى الناس أن يصلي الرجل في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون واسعاً، فيخالف بين طرفيه على عاتقيه، وينهى أن يجتري الرجل في ثوب واحد، ويفضي بفرجه إلى السماء، ولا يقطع شعر رأسه إذا عفى في قفاه، وينهى الناس إن كان بينهم هيح أن يدعو إلى القبائل والعشائر، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله - عز وجل - ودعى إلى العشائر والقبائل فليعطوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء، وجوهرهم وإيديمهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعنين، وأن يحسوا رؤوسهم كما أمرهم الله عز وجل، وأمروا بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسجود، وأن يعلّس بالصبح، وأن يهجر بالهجرة حتى تغيب الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مبدئة، والمغرب حين يقبل الليل، لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل وأمره بالسعي إلى الجمعة إذا نودي بها، والغسل عند الرواح إليها، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله ما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار فيما سقطت العين وفيما سقطت السماء العشر، وما سقى القرب نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي عشرين أربع شياه، وفي أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين من الصدقة، فمن زاد فهو خير له، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه، فدان دين الإسلام، فإنه من المؤمنين له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهودية أو نصرانية فإنه لا يغير عنها، وعلى كل حالم ذكر وأثنى حر أو عبد دينار واف، أو عوزة من الثياب، فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله ورسوله، ومن منع ذلك فإنه عدو الله ورسوله والمؤمنين جميعاً، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

قال الحافظ البيهقي [١١١١/٥]: وقد روى سليمان بن داود عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده هذا الحديث موصولاً بزيادات كثيرة ونقصان عن بعض ما ذكرناه في الزكاة والديات وغير ذلك.

قلت: ومن هذا الوجه رواه الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سنته [٤٨٦٩، ٤٨٦٩] مطولاً وأبو داود في كتاب المراسيل [٨٥] مختصراً، ٩٧ مطولاً وقد ذكرت ذلك بأسانيد والقفاضة في السنن [جامع المسانيد والسُنن: ٥٦٠/٩ - ٥٦٥] والله الحمد والمنة.

وستذكر بعد الوفود بعث النبي ﷺ الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس وأخذ صدقاتهم وأخماسهم؛ معاذ بن جبل وأبو موسى وخالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

قبلكم وأبنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتهم من المغنم خمس الله وسهم النبي ﷺ وصفيه وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقط العين وسقط السماء وعلى ما سقى القرب نصف العشر وأن في الإبل في الأربعين ابنه لبون وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الإبل شاة وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن كان على يهودية أو نصرانية فإنه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أثنى حر أو عبد دينار واف من قيمة المغافر أو عوزة ثيابا فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ورسوله.

أما بعد فإن رسول الله ﷺ الذي أرسل إلى زرة بن ذي يزن أن إذا أتاك رسل فلو صيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن عمر ومالك بن مرة وأصحابهم، وأن اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلتي وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا يتقيا إلا راضياً.

أما بعد: فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ثم إن مالك ابن مرة الراوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حير وقتلت المشركين فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً ولا تخنوا ولا تخافوا فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته وإنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وإن مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب فأمركم به خيراً وأني قد أرسلت إليكم من صالحني أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم فأمركم بهم خيراً فإنهم متظرون إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد قال الإمام أحمد [٢٢١/٣]: حدثنا حسن حدثنا عماره عن ثابت عن أنس بن مالك أن مالك ذي يزن أهدى إلى رسول الله ﷺ حلة قد أخذها بثلاثة وثلاثين بعمراً وثلاثة وثلاثين ناقة.

ورواه أبو داود [٤٠٣٤] عن عمرو بن عون الواسطي عن عماره بن زاذان الصيدلاني عن ثابت البناني عن أنس به.

وقد أورد الحافظ البيهقي [١١١١/٥]: هاهنا - حديث كتاب عمرو بن حزم فقال:

أبنا أبو عبد الله الحافظ أبنا أبو العباس الأصم حدثنا أحمد بن حيد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال:

هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فيه أمره، فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [البقرة: ١] عهداً من رسول الله لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا

سنة ٩ - قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه

قال الإمام أحمد [٣٩٥/٤]: حدثنا أبو قطن حدثني يونس عن المغيرة بن شبل. قال: وقال جرير: لما دنوت من المدينة انفتحت راحلتي ثم حلت عيني ثم ليست حلتي ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالندق، قلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال: «يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن، إلا أن على وجهه مسحة ملك» قال جرير: فحملت الله عز وجل على ما أبلاني.

وقال أبو قطن: فقلت له: سمعته منه أو سمعته من المغيرة بن شبل؟ قال: نعم!

ثم رواه الإمام أحمد عن أبي نعيم [٣٩٥/٤] وإسحاق بن يوسف [٣٩٤/٤].

وأخرجه النسائي [كبرى (٨٣٠٤)] من حديث الفضل بن موسى ثلاثهم عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن المغيرة بن شبل - ويقال ابن شبل - عن عوف البجلي الكوفي عن جرير بن عبد الله وليس له عنه غيره.

وقد رواه النسائي [كبرى (٨٣٠٢)] عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بقصته: «يدخل عليكم من هذا الباب وجل على وجهه مسحة ملك» الحديث وهذا على شرط الصحيحين.

وقال الإمام أحمد [٣٥٨/٤]: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير. قال: ما حجني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيته إلا تبسم في وجهي.

وقد رواه الجماعة [خ (٣٣٥)، م (٢٤٧٥)، ت (٣٨٢٠)، (٣٨٢١)، م كبرى (٨٣٠٢)، ج (١٥٩)] إلا أبا داود من طريق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه.

وفي الصحيحين [خ (٣٠٣٩)، م (٤٤٧٥)، (١٣٥)] زيادة: وشكوت إلى رسول الله ﷺ أنني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدره. وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً».

ورواه النسائي [كبرى (٨٣٠٢)] عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن قيس عنه وزاد فيه -: «يدخل عليكم من هذا الباب وجل على وجهه مسحة ملك» فذكر نحو ما تقدم.

قال الحافظ البيهقي [الذلال: ٣٤٧/٥]: أنبأ أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السماك حدثنا الحسن بن سلام السواق حدثنا محمد بن مقاتل الحراساني حدثنا حصين بن عمر الأحمسي حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله. قال: بعث إلي رسول الله ﷺ. فقال: «يا جرير لأي شيء جئت؟» قلت: أسلم على يدك يا رسول الله قال: فأتني علي كساء ثم أقبل على أصحابه فقال: «إذا أتاكم كريم قوموا فأكروهم» ثم قال: «يا جرير ادعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تؤمن بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وتصلّي الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المقروضة» ففعلت ذلك فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسم في وجهي.

هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٩٥/٤]: حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله. قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

وأخرجه في الصحيحين [خ (٥٧)، م (٥٦)] من حديث إسماعيل بن أبي خالد به.

وهو في الصحيحين [خ (٥٨)، م (٥٦)، (٩٨)] من حديث زياد بن علاقة عن جرير به.

وقال الإمام أحمد [٣٩٤/٤]: حدثنا أبو سعيد حدثنا زائدة حدثنا عاصم عن شقيق يعني - أبا وائل - عن جرير. قال: قلت: يا رسول الله اشتربت علي فأت أعلم بالشرط قال: «أبأبئك على أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصنع المسلم، وتبرا من الشرك».

ورواه النسائي [٤١٧٥] من حديث شعبة عن الأعمش عن أبي وائل عن جرير.

وفي طريق أخرى عن الأعمش [٤١٧٦]: ومنصور [٤١٧٧] عن أبي وائل عن أبي غنيلة عن جرير به قاله أعلم.

ورواه أيضاً [٤١٧٤] عن محمد بن قدامة عن جرير عن مغيرة عن أبي وائل والشعبي عن جرير به.

ورواه عن جرير عبد الله بن عسيرة رواه أحمد [٣٩٦/٤] منفرداً به وابنه عبيد الله بن جرير رواه أحمد أيضاً منفرداً به [٣٥٨/٤].

وأبو جميلة وصوابه غنيلة ورواه أحمد [٣٩٥/٥] والنسائي [٤١٧٦] و[٤١٧٧].

ورواه أحمد أيضاً [٣٥٨/٤] عن غندر عن شعبة عن منصور عن أبي وائل عن رجل عن جرير فذكره، والظاهر أن هذا الرجل هو أبو غنيلة البجلي والله أعلم.

وقد ذكرنا بعث النبي ﷺ له حين أسلم إلى ذي الخلفة بيت كان يعبده خشم وبجيلة وكان يقال له الكعبة اليمانية يضاهون به الكعبة التي بمكة ويقولون للنبي بكعة: الكعبة الشامية وليتهم: الكعبة اليمانية فقال له رسول الله ﷺ: «ألا تريحي من ذي الخلفة» فحيته شكى إلى النبي ﷺ أنه لا يثبت على الخيل فضرب بيده الكرمة في صدره حتى أثرت فيه وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً». فلم يسقط بعد ذلك عن فرس

ونفر إلى ذي الخلفة في خمسين ومائة راكب من قومه من أحسن فخر ب ذلك البيت وحرقه حتى تركه مثل الجمل الأجر، وبعث إلى النبي ﷺ بشيراً يقال له: أبو أرطاة فشره بذلك فبرك رسول الله ﷺ على خيل

أحسن ورجلها خمس مرات والحديث مبسوط في الصحيحين [خ (٣٠٢٠)، م (٢٤٧٦)] وغيرهما كما قلناه بعد الفتح استطراداً بعد ذكر تخريب بيت العزى على يدي خالد بن الوليد رضي الله عنه.

والظاهر أن إسلام جرير رضي الله عنه كان متأخراً عن الفتح بمقدار جيد.

فإن الإمام أحمد [٣٩٩/٤] قال: حدثنا هشام بن القاسم حدثنا زياد بن عبد الله بن علاقة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي. قال: إنما أسلمت بعدما أنزلت المائدة وأنا رأيت رسول الله ﷺ: مسح بعد ما أسلمت.

تفرد به أحمد وهو إسناد جيد اللهم إلا أن يكون مقطوعاً بين مجاهد وبينه.

السمعي الأنصاري القبائي من بني عمرو بن عوف عن دهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المثق العقبلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دهم: وحديثه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المثق. قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبي حتى قمنا على رسول الله ﷺ المدينة انسلاخ رجب فأتينا رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيباً. فقال: «أيها الناس ألا إنني قد

خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم ألا فهل من أمرئ بعثه قومه» فقالوا: أعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ ألا ثم لعله أن يليه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يليه الضلال ألا إنني مسؤول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا» قال: فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنني ابتني لسقطه. فقال: «فمن ريك عز وجل بمفاتح خس من الغيب لا يعلمها إلا الله» وأشار بيده قلت: وما هي؟ قال: «علم الميتة قد علم متى ميتة أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المتي حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمون وعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم يوم النيث يشرف عليكم أزلين مستين فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب» قال لقيط: قلت: إن نعلم من رب يضحك خيراً «وعلم يوم الساعة». قلت: يا رسول الله، علمنا عما تعلم الناس، وما تعلم، فأنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد، من منجح التي تروى علينا ونخشم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها قال: «تلبثون ما لبستم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبستم ثم تبث الصائحة لعمر إلك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة اللين مع ربك - عز وجل - فأصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه فيستوى جالسا فيقول ربك عز وجل: مهيم؟ - لما كان فيه - فيقول: يارب أمس اليوم فلعمبه بالحياة يحسبه حديثاً بأمله. قلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما غزينا الرياح والبلوى والسباع؟ فقال: «أنتك يمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت: لا تحيا أبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شسرة واحدة فلعمر إلك هو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتظفرون إليه وينظر إليكم». قال: قلت: يا رسول الله وكيف ونحن ملء الأرض وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ فقال: «أنتك يمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ولعمر إلك هو أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما ويريانكم لا تضارون في رؤيتهما».

قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: «تعرضون عليه بادية له صحافتكم لا ينفى عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فيضخ فيبلكم بها فلعمر إلك ما تخطي وجه أحدكم منها قطرة فأما المسلم فتدع على وجهه مثل الرطة البيضاء وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الأسود ألا ثم ينصرف نبيكم وينصرف على أثره الصالحون فتسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس فيقول ربك عز وجل أو أنه تظفرون على حوض الرسول على أنما والله ناعلة عليها، ما

وثبت في الصحيحين [٣٨٧] م (٢٧٢) أن أصحاب عبد الله بن مسعود كان يعجبهم حديث جرير في مسح الخف لأن إسلام جرير إنما كان بعد نزول المائدة ويسألني في حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال له: «استصنت الناس يا جرير» وإنما أمره بذلك لأنه كان صيباً وكان ذا شكل عظيم كانت نعله طولها ذراع وكان من أحسن الناس وجهاً وكان مسح هذا من أغض الناس طرفاً. ولهذا روي في الحديث الصحيح [٢١٥٩] عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر العجأة فقال: «أطرق بصرك».

سنة ٩- وفادة وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل

بن يعمر الحضرمي أبي هنيذ أحد ملوك اليمن

على رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ١٥٦٢/٤، ١٥٦٣]: كان أحد أقبال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، ويقال: إن رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه به وقال: «يأتكم بقية أبناء الملوك» فلما دخل رحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وسط له رداءه. وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده» واستعمله على الأقبال من حضرموت وكتب معه ثلاث كتب؛ منها كتاب إلى المهاجر بن أبي أمية، وكتاب إلى الأقبال والعبالة وأقطعهم أرضاً وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان. فخرج معه راجلاً فشكى إليه معاوية حر الرضاء فقال: اتعل ظل الناقة فقال: وما يعني عني ذلك لو جعلتني ردفاً. فقال له وائل: اسكت فلتست من أرداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى وفد على معاوية وهو أمير المؤمنين فعرفه معاوية فرحب به وقرنه وأدناه وأذكره الحديث وعرض عليه جائزة سنية فأبى أن يأخذها، وقال: أعطها من هو أحوج إليها مني.

وأورد الحافظ البيهقي [الذيل: ٣٩٩/٥] بعض هذا وأشار إلى أن البخاري في التاريخ [التاريخ الكبير: ١٧٦، ١٧٥/٨] روى في ذلك شيئاً. وقد قال الإمام أحمد [٣٩٩/٦]: حدثنا حجاج أثبتاً شعبة عن سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أقطعهم أرضاً قال: وأرسل معي معاوية أن أعطيها إياه - أو قال: أعلمها إياه - قال: فقال لي معاوية: أردفتي خلفك فقلت: لا تكون من أرداف الملوك قال: فقال: أعطني نملك فقلت: اتعل ظل الناقة قال: فلما استخلف معاوية أتيت فأتعتني معه على السرور فذكرني الحديث - قال سماك - فقال: وددت أنني كنت حملته بين يدي.

وقد رواه أبو داود [٣٠٥٨] والترمذي [١٣٨١] من حديث شعبة. وقال الترمذي: صحيح.

سنة ٩- وفادة لقيط بن عامر بن المثق أبي رزيق

العقبلي إلى رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن الإمام أحمد [١٤، ١٣/٤]: كتب لي إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتب إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعت على ما كتبت به إليك فحدثت بذلك عني. قال: حدثني عبد الرحمن بن المشيرة الخزاعي حدثني عبد الرحمن بن عياش

بن الحارث الصدائي يحدث. قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فأخبرت أنه قد بعث جيشاً إلى قومي فقلت: يا رسول الله اردد الجيش وأتاك لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي: «أذهب فردهم» فقلت: يا رسول الله إن راحلي قد كُلت. فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردهم، قال الصدائي: وكتب إليهم كتاباً أقدم وفدعهم بإسلامهم فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صداة إنك لمطاع في قومك» فقلت: بل الله هداهم للإسلام فقال: «أفلا أؤمرك عليهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: فكتب لي كتاباً أمرني فقلت: يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال: «نعم» فكتب لي كتاباً آخر.

قال الصدائي: وكان ذلك في بعض أسفاره، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم، ويقولون: أخذنا بشيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «أو فعل ذلك؟» قالوا: نعم! فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأتاه فيهم فقال: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن».

قال الصدائي: فدخل قوله في نفسي، ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله أعطني، فقال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس عن ظهر غنى فسلع في الرأس وداء في البطن». فقال السائل: أعطني من الصدقة فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره، حتى حكم هو فيها، فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك» قال الصدائي: فدخل ذلك في نفسي أي غني وأني سألت من الصدقة، قال: ثم إن رسول الله ﷺ اعتشى من أول الليل، فلزمت وكنت قريباً، فكان أصحابه يتقطعون عنه ويستأخرون منه، ولم يبق معه أحد غيري، فلما كان أوان صلاة الصبح أمرني فأذنت، فجعلت أقول: أقيم يا رسول الله! فجعل ينظر ناحية المشرق إلى الفجر، ويقول: «لا» حتى طلع الفجر، نزل فبرز ثم انصرف إليّ وهو متلاحق أصحابه فقال: «هل من ماء يا أخا صداة» قلت: لا إلا شيء قليل لا يكفيك، فقال: «اجعله في إناء ثم اتني به» ففعلت، فوضع كفه في الماء قال: رأيت بين أصبعين من أصابعه عينا تقصرو، فقال رسول الله ﷺ: «ولو أتني استحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا ناد في أصحابي: من له حاجة في الماء؟ فناديت فيهم، فأخذ من أراد منهم شيئاً، ثم قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فأراد بلال أن يقيم، فقال له رسول الله ﷺ: «إن أخا صداة أذن ومن أذن فهو يقيم».

قال الصدائي: فأتيت، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة أتته بالكنايين، فقلت: يا رسول الله أعفني من هذين. فقال: «ما بدا لك؟» فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن»، وأنا أومن بالله ورسوله. وسمعتك تقول للسائل: «من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صناع في الرأس وداء في البطن» وسألتك وأنا غني. فقال: «هو ذاك فإن شئت فاقبل وإن شئت فدع» فقلت: أدع. فقال لي رسول الله ﷺ: «فدلي على رجل أمره عليكم» فدلته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه، فأمره عليهم، ثم قلنا: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل ماؤها ففترقنا على مياه حولنا، فقد أسلمنا وكل من حولنا عدو، فادع الله لنا في بئرا فيسعدنا ماؤها، فنجتمع عليه، ولا نتفرق! فدعا بسبع حصيات فمركهن بيده ودعا فيهن، ثم قال: «أذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فالقوا واحدة واحدة واذكروا الله». قال الصدائي: ففعلنا ما قال لنا فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها - يعني البئر -.

رأيتنا قط، فلعمرك إنك لا يسطر واحد منكم يده إلا وقع عليها فحس يطهره من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقرم فلا ترون منهما واحداً» قال: قلت: يا رسول الله فبم نصبر؟ قال: «بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرفت الأرض وواجهته الجبال». قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟ قال: «الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو». قال: قلت: يا رسول الله إما الجنة وإما النار؟ قال: «لعمرك إنك إن للآثار لسبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً». قلت: يا رسول الله فلعلنا نطلع من الجنة؟ قال: «على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كلس ما بها من صناع ولا ندامة وأنهار من لبن ما يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لمعمرك إنك ما تعلمون وغير من مثله معه أزواج مطهرة» قلت: يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو ما منهن مصلحات؟ قال: «الصالحات للصالحين تلذثون بهن مثل لذتكم في الدنيا ويلذثون بكم غير أن لا توالده. قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالنون ومتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ قلت: يا رسول الله علام أبليكم؟ فبسط النبي ﷺ يده وقال: «على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وإن لا تشرك بالله إلها غيره». قال: قلت: وإن لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض النبي ﷺ يده وظن أنني مشترط شيئاً لا يعطينيه. قال: قلت: نحل منها حيث شئت ولا يجني منها امرؤ إلا على نفسه، فبسط يده وقال: «ذلك لك نحل حيث شئت ولا تجني عليك إلا نفسك» قال: فأنصرفت عنه. ثم قال: «إن هذين من أقصى الناس - لعمرك إنك - في الأولى والأخرة» فقال له كعب بن الخنزارة أديني بكر بن كلاب: من هم؟ يا رسول الله؟ قال: بنو المشرق أهل ذلك قال: فأنصرفت وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله هل لأحد من مضي خير في جاهليتهم؟ قال: فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المشرق لفي النار قال: فلكانه وقع حر بين جلدي وجهي ولحمي مما قال، لأبي على رؤوس الناس فهيمت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجبل فقلت: يا رسول الله وأهلك؟ قال: «وأهلك لعمرك الله، ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد فأبشرك بما يسورك نجر على وجهك وبطنك في النار».

قال: قلت: يا رسول الله ما فعل بهم ذلك وقد كثرتوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وقد كانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال: «ذلك بأن الله يبعث في آخر كل سبع أمم - يعني نبياً - فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين».

هذا حديث غريب جداً والفاظه في بعضها نكارة.

وقله أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البحث والنشور وعبد الحق الأشيلي في العاقبة والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة [١٧٣] وسيأتي في كتاب البحث والنشور إن شاء الله تعالى.

سنة ٩- وفادة زياد بن الحارث الصدائي

قال الحافظ البيهقي [دلائل النبوة: ٣٥٥/٥ - ٣٥٧]: أتانا أبو أحمد الأسدي بادي بها، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القيطي، حدثنا أبو علي بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، حدثني زياد بن نعيم الحضرمي، سمعت زياد

سنة ٩- وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل مع قومه

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الذليل: ٣٥٨/٥): أنبأنا أبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف السوسي أنبأنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي أنبأنا علي بن الجعد حدثنا عبد العزيز حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو خالد يزيد الأسدي حدثنا عون بن أبي جحيفة عن عبد الرحمن بن علقمة الثقفي عن عبد الرحمن بن أبي عقيل. قال: انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأنخنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل تلج عليه، فلما دخلنا وخرجنا فمنا في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه. قال: فقال قاتل منا: يارسول الله ألا سالت ربك ملأكم كملك سليمان قال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: ففعل لصاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذها دنيا فأعطيا، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوة فاختيتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

سنة ٩- قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه

روى الحافظ البيهقي (الذليل: ٣٨٠/٥، ٣٨١) من طريق أبي جناد الكلابي عن جامع بن شداد الحارثي حدثني رجل من قومي يقال له: طارق بن عبد الله قال: إني لقائم بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله فتلحقوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وهو يقول: يا أيها الناس إنه كتاب، فلا تصدقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله قال: قلت: من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الريلة نريد المدينة نتمار من جرهما فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلت: لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه إذا رجل في طمرين فسلم علينا وقال: من أين أقبل القوم؟ قلنا: من الريلة قال: وأين تريدون؟ قلنا: نريد هذه المدينة. قال: ما حاجتكم منها؟ قلنا: نتمار من جرهما. قال: ومعنا طعنة لنا ومعنا جل أحمر نخطوم فقال: أتبيعوني بجلكم هذا؟ قلنا: نعم! بكذا وكذا صاعا من تمر قال: فما استوضعنا بما قلنا شيئا وأخذ بخطام الجمل وانطلق، فلما توارى عنا بميطان المدينة ونخلها قلنا: ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن يعرف ولا أخذنا له ثمننا قال: تقول المرأة التي معنا: والله لقد رايت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر أنا ضامة لثمن جلكم، إذ أقبل الرجل فقال: أنا رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكلوا واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا واكلنا فاستوفينا ثم دخلنا المدينة فنخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول:

تصدقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى، أمك وأباك وأختك وأخاك وأذكاك وأذكاك إذ أقبل رجل من بني يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله لنا في هؤلاء دماء في الجاعلية. فقال: «إن أبا لا يجني على ولد - ثلاث مرات -».

وقد روى النسائي (٢٥٣١) فضل الصدقة منه عن يوسف بن عيسى عن الفضل بن موسى عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن جامع بن شداد عن طارق بن عبد الله الحارثي ببعضه.

وهذا الحديث له شواهد في سنن أبي داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧).

وقد ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ كان بعث بعد عمرة الجعرانة قيس بن سعد بن عبادة في أربعمائة إلى بلاد صداه فيوطنها، فيعشوا رجلا منهم فقال: جئتكم لترد عن قومي الجيش، وأنا لك بهم ثم قدم وفدهم خمسة عشر رجلا، ثم رأى منهم حجة الوداع مائة رجل. ثم روى الواقدي عن الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن زياد بن نعيم، عن زياد بن الحارث الصدائي قصته في الأذان.

سنة ٩- وفادة الحارث بن حسان

البكري إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد (٤٨٢/٢): حدثنا زيد بن الحبيب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري. قال: خرجت أشكر العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمرت بالريذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها. فقالت: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبغض إلي؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غاص بأهله وإذا راية سوداء تخلق ويلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا. قال: فجلست فدخل منزله أو قال: رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال: هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم! وكانت الدائرة عليهم.

ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألني أن أحملها إليك وما هي بالياب فأذن لها فدخلت. فقلت: يا رسول الله إن رأيت أن نجعل بيننا وبين تميم حاجزا فجعل الدعاء، فحميت العجوز واستوفزت وأخذتها الحمية وقالت: يا رسول الله فإني أين يضطر مضرك؟ قال: قلت: إن تئلى ما قال الأول: معزى حملت حنظلها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كروافد عاد. قال: هيو وما وافد عاد؟ وهي أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه. قلت: إن عادًا قطعوا فبعثوا وأفلما لم يقال له: قيل فمر معاوية بن بكر فقام عنه شهراً يسقيه الخمر وتغني جارتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال: اللهم إنك تعلم أنني لم أجس إلى مريض فألوا به، ولا إلى أسير فأفانيه، اللهم استع عاد ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود فتودى منها: فأولما إلى سحابة منها سوداء فتودى منها: فخذها رمادا ومريدا، لا تبق من عاد أحدا. قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح ألا بقدر ما يجري في خافي هذا حتى هلكوا قال - أبو وائل: وصدق - وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وأفلما لم قالوا: لا تكن كروافد عاد.

وقد رواه الترمذي (٣٢٧٤) والنسائي (بكروى (٨٦٠٧)) من حديث أبي المنذر سلام بن سليمان به.

ورواه ابن ماجه (٢٨١٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن الحارث البكري ولم يذكر أبا وائل. وهكذا رواه الإمام أحمد (٤٨١/٣، ٤٨٢) عن أبي بكر بن عياش عن عاصم عن الحارث والصواب عن عاصم عن أبي وائل عن الحارث كما تقدم.

فلقي إنساناً يجيرُ شرَّه فقال له: من أنت؟ قال: أنا الجساسة قالوا: فأتخبرنا قال: لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة.

فدخلناها فإذا رجل مقيد فقال: من أنتم؟ قلنا: ناس من العرب قال: ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم؟ قلنا: قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه. قال: ذلك خير لهم قال: أفلا تخبروني عن عين زُغَرٍ ما فعلت؟ فأتخبرناه عنها فوثب وثبة كأن أد يخرج من وراء الجدار ثم قال: ما فعل نخل بيسان هل أظعم بعد؟ فأتخبرناه أنه قد أظعم فوثب مثلها ثم قال: أما لو قد أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طية.

قالت: فأخرجه رسول الله ﷺ فحدث الناس فقال: هذه طية. وذلك المجال.

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد (٣٧٣/٦، ٣٧٤) ومسلم (٢٩٤٢) وأهل السنن (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، ت (٢٢٥٣)، ص (كوى ٤٢٥٨)، ج (٤٠٧٤) من طرق عن عامر بن شراحيل الشعبي عن فاطمة بنت قيس.

وقد أورد له الإمام أحمد شاهداً من رواية أبي هريرة وعائشة أم المؤمنين (٣٧٤/٦) وسياقي هذا الحديث بطريقة والفاظه في كتاب الفتن. وذكر الواقدي وفد الدارس من لحم وكانوا عشرة.

سنة ٩ - ولد بني أسد

وهكلا ذكر الواقدي: أنه قدم على رسول الله ﷺ في أول سنة تسع وولد بني أسد وكانوا عشرة: منهم ضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، وطليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه، ونُقادة بن عبد الله بن خلف. فقال له رئيسهم حضرمي بن عامر: يا رسول الله أتيناك تدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث إلينا بعشاً. فنزل فيهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هُنَاكَ لِلْإِيمَانِ إِزْنٌ كَتَمْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمرات: ٢٧].

وكان فيهم قبيلة يقال لهم: بنو الزُزَيْة فغير اسمهم فقال: أنتم بنو الرُزْدَة.

وقد استهدى رسول الله ﷺ من نُقادة بن عبد الله بن خلف ناقه تكون جينة للركوب وللحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها إلا عند ابن عم له فجاه بها فأمره رسول الله ﷺ بحلبها فشرب منها وسقاه سوره ثم قال: «اللهم بارك فيها وفيمن منحها». فقال: يا رسول الله وفيمن جاء بها فقال: «وفين جاء بها».

سنة ٩ - ولد بني عيس

ذكر الواقدي: أنهم كانوا تسعة نفر وسماهم الواقدي فقال لهم النبي ﷺ: «إنا عاشركم» وأمر طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء وجعل شعارهم: يا عشرة.

وذكر أن رسول الله ﷺ سألهم عن خالد بن سنان العبسي الذي قتلناه ترجمته في أيام الجاهلية فذكروا أنه لا عقب له وذكر أن رسول الله ﷺ بمنهم يرصدون عيراً لقريش قدمت من الشام وهذا يقتضي تقدم وفادتهم على الفتح والله أعلم.

ورواه الحافظ البيهقي (الدلائل: ٣٨١/٥) أيضاً عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن يزيد بن زياد عن جامع عن طارق بطوله كما تقدم وقال فيه: فقالت الظمينة: لا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغتر ما رأيت شيئاً أشبه بالقر ليلة البدر من وجهه.

سنة ٩ - قدوم وفد فروة بن عمرو الجذامي

صاحب بلاد معان بإسلامه على رسول الله ﷺ وأظن ذلك إما بتبوك أو بعدها

قال ابن إسحاق (سورة من همام: ٥٩١/٢): وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي ثم الفثالي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأمدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم. فقال في حبسه ذلك:

طرقت سليمى موها أصحابي والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساء ما قد رأى وهممت أن أغضي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي إثمنا سلمى ولا تنسين للإيمان
ولقد علمت أبا كيشة أنني وسط الأعزّة لا يحص لساني
فكنن هلكت لتفقدن أحواكم ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتي من جودة وشجاعة وبيان
قال: فلما أجمعت الروم على صلبه على ما لم يقال له: عفرى
بفلسطين. قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقه لم يضرب الفحل أمها مثلبة أطرافها بالنجاجل
قال: وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقبلوه قال:

بلغ سررة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي
قال: ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء رحمه الله ورضي عنه
وارضاه وجعل الجنة مثواه.

سنة ٩ - قدوم تميم الداري على رسول الله ﷺ

وأخبره إياه بأمر الجساسة

قال البيهقي (الدلائل: ٤١٧/٥، ٤١٨) أخبرنا أبو عبد الله سهل بن محمد بن نصرويه المروزي ببسايور أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حبيب، أنبأنا يحيى بن أبي طالب (ح) وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالوا: أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد القنطان حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبير أنبأنا وهب بن جرير حدثنا أبي سمعت غيلان بن جرير يحدث عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت: قدم على رسول الله ﷺ تميم الداري فأتخبر رسول الله ﷺ أنه ركب البحر فتأملت به فسيفته فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتئمسون الماء

وومسح رسول الله ﷺ وجهه خزيمة بن سواة فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يحيز الوفد وانصرفوا إلى بلادهم.

ذكر الواقدي: أنهم قدموا سنة تسع وهم ثلاثة عشر رجلا، منهم: لبيد بن ربيعة الشاعر، وجابر بن سلمى وكان بينه وبين كعب بن مالك خلة فحرج به وأكرمه وأهدى إليه، وجاؤوا معه إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه بسلام الإسلام وذكروا له أن الضحاك بن سفيان الكلابي سار فيهم بكتاب الله وسنة رسوله التي أمره الله بها ودعاهم إلى الله فاستجابوا له وأخذ صدقاتهم من أغنيائهم فصرفها على فقرائهم.

ذكر الراقي: أن رجلاً يقال له عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد بن زواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم ثم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الله فقالوا: حتى نصيب من بني عقيّل مثل ما أصابوا منا. فذكر مقتلة كانت بينهم وأن عمرو بن مالك هذا قتل رجلاً من بني عقيّل. قال: فشدت يدي في غلٍّ وأتيت رسول الله ﷺ وبلغته ما صنعتُ فقال: «لئن أتاني لأضرب ما فوق الغل من يده».

فلما جئت سلمت فلم يرد عليّ السلام وأعرض عني فأنيت عن يمينه فأعرض عني فأنيت عن يساره فأعرض عني فأنيت من قبل وجهه فقلت: يا رسول الله إن الرب عز وجل ليرضى فيرضى فأرض عني رضي الله عنك. قال: «قد رضي».

ذكر الراشد: أنهم قدموا على رسول الله ﷺ فأقطعهم العقيق - عقيق بني عقيل - وهي أرض فيها غيل وعيون وكتب لهم بذلك كتاباً: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيماً ومطرفاً أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ولم يعطهم حقاً لمسلم. فكان الكتاب في يد مطرف.

قال: وقدم عليه أيضا لقيط بن عامر بن المتفق بن عامر بن عقيل وهو أبو رزين فأعطاه ماء يقال له التنظيم ويأبى على قومه؛ وقد دنا قومه وقصته وحديثه بطوله ولله الحمد والمنة.

وذلك قبل حجة الوداع، وقيل حين: فذكر فيهم: قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير فأسلم فاعطاه رسول الله ﷺ وكساه برداً وأمره أن يلي صدقات قومه فقال قرة حين رجع:

حَاجَا رَسُولُ اللَّهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَأَمْنَتْهَا مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مُنْقِرٍ
فَأَمَحَّتْ بِرَوْضِ الْخَضِرِ وَهِيَ حَيْثُ وَقَدْ انْتَهَتْ حَاجَاتُهَا مِنْ عَمَدٍ
عَلَيْهَا تَقَى لَا يَرُدُّ الدَّمُ رَحْلَهُ تَسْرُوكُ لِأَمْرِ الْعَاجِزِ الْمُسْتَرْدِّ

قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمر الجمحي عن أبي
وجزة السعدي. قال: لما رجع رسول الله من تبوك وكان معه تسعة قدم
عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فهم:

خارجة بن حصن، والحارث بن قيس بن حصن، وهو أصغرهم على
ركاب عجايف فجاؤا ومترين بالإسلام وسألهم رسول الله عن بلادهم.
فقال أحدهم: يا رسول الله أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجذب جَنَانُنَا
وَعُرْتُ عَيْلَانَا، فادع الله لنا.

فصعد رسول الله المنبر ودعا فقال: «اللهم اسق بلادك وبهاثمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً طيباً وأسعاً عاجلاً غير آجل نافعا غير ضار، اللهم اسقنا سقياً رحمة لا سقياً عذاب ولا هدم، ولا غرق، ولا حق، اللهم اسقنا الغيث واتصرننا على الأعداء».

قال: فطمرت فما راوا السماء سبأً فصعد رسول الله ﷺ المنبر فدعا فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الأكام والظراب ويطون الأودية ومنابت الشجر» فانجابت السماء عن المدينة أغياب الثوب.

قال الواقدي: إنهم قلعوا ستة تسع عند مرجعه من تبوك وكانوا ثلاثة عشر رجلا رأسهم الحارث بن عوف، فأجازهم عليه الصلاة والسلام بعشر أواق من فضة وأعطى الحارث بن عوف ثني عشرة أوقية، وذكروا أن بلادهم مجلبة فدعا لهم. فقال: «اللهم اسقهم الغيث». فلما رجعوا إلى بلادهم وجدوها قد مطرت ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن رجل من بني نعلبة عن أبيه. قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الجعرانة سنة ثمان، قدمنا عليه أربعة نفر قلنا: نحن رسل من خلفنا من قومنا وهم يقرؤون بالإسلام، فأمر لنا بضيافة وأقامنا أياماً ثم جئناه لودعه فقال ليلاً: «أجزهم كما تحبيز الوفء» فجاء بقر من فضة فأعطى كل رجل منّا خمس أواق وقال: «ليس عندنا دراهم» وانصرفوا إلى بلادنا.

قال الواقدي: حدثني محمد بن صالح عن أبي وجزة السعدي، قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر فيهم سواء بين الحارث، وابنة خزيمة بن سواء فانزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فاسلموا وقالوا: نحن على من وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله ﷺ منهم، وكان في الوفد رجل منهم يعرفه رسول الله ﷺ فقال: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل»

سنة ٩- وفد بني البكاء

ذكر الواقدي أنهم قدموا سنة تسع وأنهم كانوا ثلاثين رجلاً؛ فيهم: معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء وهو يومئذ ابن مائة سنة ومعه ابن له يقال له بشر فقال: يا رسول الله إني أتبرك بك وقد كبرت وإبني هذا يرعى فامسح وجهه، فمسح رسول الله ﷺ وجهه وأعطاه أعزاً عفرأ ويرك عليهم فكانوا لا يصيبهم بعد ذلك قحط ولا سنة. وقال: محمد بن بشر بن معاوية في ذلك:

وأبني الذي مسح الرسول برأسه ودعاه بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعزاً عفرأ فواجل لسن بالحببات
بملآن وفد الحسي كل عشية ويعود ذاك المسل بالندوات
بوركن من منح ويسورك ملحاً وعليه مني ما حيث صلاحني

سنة ٩- وفد كنانة

روى الواقدي بأسانيد (المغازي) ١٠٢٨/٣: أن وائلة بن الأسقع الليثي قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فصلى معه الصبح ثم رجع إلى قومه فدعاهم وأخبرهم عن رسول الله ﷺ. فقال أبوه: والله لا أكلمك أبداً. وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهازته حتى سار مع رسول الله ﷺ إلى تبوك وهو راكب على بعير لكعب بن عجرة، وعشه رسول الله ﷺ مع خالد إلى أكيكر دومة فلما رجعوا عرض وائلة على كعب بن عجرة ما كان شرطه عليه من سهو من الغنمة فقال له كعب: إنما حملتك لله عز وجل.

سنة ٩- وفد أشجع

ذكر الواقدي: أنهم قدموا عام الحندق وهم مائة رجل ورئيسهم مسعود بن ربيعة فتلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول الله ﷺ وأمرهم بأحمال التم، ويقال: بل قدموا بعد ما فرغ من بني قريظة وكانوا سبع مائة رجل فوادعهم ورجعوا ثم أسلموا بعد ذلك.

سنة ٩- وفد باهلة

قدم رئيسهم مطرف بن الكاهن بعد الفتح فأسلم. وأخذ لقومه أماتاً وكتب له كتاباً فيه الفرائض وشرائع الإسلام كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

سنة ٩- وفد بني سليم

قال: وقدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سليم يقال له: قيس بن نثبة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فاجابه ووعى ذلك كله، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ورجع إلى قومه بني سليم فقال: سمعت ترجمة الروم وهيمنة فارس وأشعار العرب وكهانة الكهان وكلام مقاول حير فما

يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم، فاطيعوني وخذوا بنصيحكم منه. فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم فلقوا رسول الله ﷺ بقديد وهم سبع مائة. ويقال: كانوا ألفاً وفيهم: العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا وقالوا: اجعلنا في مقدمتك واجعل لوائنا أحمر وشعارنا مقنماً. ففعل ذلك بهم. فشهدوا معه الفتح والطائف وحنينا وقد كان راشد بن عبد ربه السلمي يعبد صنماً فرأه يوماً وتغلبان يولان عليه فقال: أرب يسول التغلبان برأسه لقد ذل من بآلت عليه التغالب ثم شد عليه فكسره ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم وقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» قال: غاوي بن عبد العزى. فقال: قبل أنت راشد بن عبد ربه، وأقطعك موضعاً يقال له: رهاط فيه عين تحرقي يقال لها: عين الرسول. وقال: هو خير بني سليم وعقد له على قومه وشهد الفتح وما بعدها.

سنة ٩- وفد بني هلال بن عامر

ذكر في وفدهم: عبد عوف بن أصرم فأسلم وسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقبضة بن غارق الذي له حديث في الصدقات، وذكر في وفد بني هلال زياد بن عبد الله بن مالك بن بجير بن الحزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر فلما دخل المدينة تيمم منزل خالته ميمونة بنت الحارث فدخل عليها فلما دخل رسول الله ﷺ منزله رآه فغضب ورجع. فقالت: يا رسول الله إنه ابن أخي فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد ففصل الظهر ثم أدنا زياداً فدعا له ووضع يده على رأسه ثم حلقها على طرف أنه فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد. وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يا ابن الذي مسح الرسول برأسه ودعاه بالخير عند المسجد
أعني زياداً لا أريد سواه من عابر أو منهم أو منجد
ما زال ذاك النور في عريني حتى تبوا بيتي في ملحد

سنة ٩- وفد بني بكر بن وائل

ذكر الواقدي: أنهم لما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن قس بن ساعدة. فقال: «ليس ذاك منكم ذاك رجل من لياد تحنف في الجاهلية فوافي عكاظ والناس يجتمعون، فكلهم بكلامه الذي حفظ عنه». قال: وكان في الوفد بشير بن الخصاصة وعبد الله بن مرثد وحسان بن خوط. فقال رجل من ولد حسان: أنا وحسان بن خوط وأبني رسول بكر كلها إلى النبي

سنة ٩- وفد بني تغلب

ذكر الواقدي أنهم كانوا ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فتلوا دار رملة بنت الحارث فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن لا يصبنوا أولادهم في النصرانية وأجار المسلمين منهم.

سنة ٩- وفادات أهل اليمن: وفد تُجيب

ذكر الواقدي أنهم قدموا سنة تسع وأنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً فأجازهم أكثر ما أجاز غيرهم وأن غلاماً منهم قال له رسول الله ﷺ: «ما حاجتك؟» فقال: يا رسول الله ادع الله يغفر لي ويرحمي ويعجل غنائي في قلبي. فقال: «اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه». فكان بعد ذلك من أزهّد الناس.

سنة ٩- وفد خولان

ذكر الواقدي أنهم كانوا عشرة وأنهم قدموا في شعبان سنة عشر وسألهم رسول الله ﷺ عن صنمهم الذي كان يقال له: عُم أنس فقالوا: أبدلنا به خيراً منه ولو قد رجعنا لهدمناه، وتعلموا القرآن والسنة فلما رجعوا هدموا الصنم، وأحلوا ما أحل الله وحرّموا ما حرّم الله.

سنة ٩- وفد جعفي

ذكر الواقدي أنهم كانوا يحرموا أكل القلب فلما أسلم وفداهم أمرهم رسول الله ﷺ بأكل القلب وأمر به فتشوي وناوله رئيسهم وقال: «لا يتيم إيمانكم حتى تأكلوه» فأخذه ويده ترعد فأكله وقال:

على أني أكلت القلب كرهاً وترَعَضْتُ حين مُتته بناني

ثم ذكر: وفد كتلة وأنهم كانوا بضعة عشر ركباً عليهم: الأشعث بن قيس وأنه أجازهم بعشر أواق وأجاز الأشعث ثني عشرة أوقية وقد تقدم.

سنة ٩- وفد الصدق

قدموا في بضعة عشر ركباً فصادفوا رسول الله ﷺ فخطب على المنبر فجلسوا ولم يسلموا فقال: «اسلمون أنتم؟» قالوا: نعم! قال: «فهلأ سلتهم؟» فقاموا قياماً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فقال: «وعليكم السلام، اجلسوا» فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلوات.

سنة ٩- وفد خشين

قال: وقدم أبو ثعلبة الخشني ورسول الله ﷺ يجهز إلى خيبر فشهد معه خير، ثم قدم بعد ذلك بضعة عشر رجلاً منهم فأسلموا.

سنة ٩- وفد بني سعد

ثم ذكر وفد بني سعد هذيم وبلي وبهراء وبني عنزة وسلامان وجهينة وبني كلب والبحرين وقد تقدم حديث عمرو بن سلمة الجرمي في صحيح البخاري.

وذكر: وفد الأزد وغانس والحارث بن كعب وهمدان وسعد العشيرة وعُتْن، ووفد النازيين والرهاويين وبني غامد والنخع وبجيلة وخثعم

وحضرموت. وذكر فيهم وائل بن حجر وذكر فيهم الملوك الأربعة: جَمْدًا وغوساً ومشرحاً وابضعة.

وقد ورد في مسند أحمد (٣٨٧/٤) نعتهم مع اختهم القَمَرَة؛ وتكلم الواقدي كلاماً فيه طول.

وذكر وفد أزد عمان وغافق وبارق ودوس وثمالة والحُدَنان وأسلم وجذام ومهرة وحير ونجران وجيشان. ويسط الكلام على هذه القبائل بطول جداً، وقد قدمنا بعض ما يتعلق بذلك وفيما أوردناه كفاية والله أعلم. ثم قال الواقدي:

سنة ٩- وفاد السباع

حدثني شعيب بن عباد عن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: بينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه أقبل ذئب فوقف بين يديه فعزى. فقال رسول الله ﷺ: «هنا وفاد السباع إليكم! فإن أحبيتم أن ترفضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره وإن أحبيتم تركتموه وعجزتم منه فما أخذ فهو رزقه». قالوا: يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء فأومأ إليه النبي بأصابعه الثلاث أي خالسهم فولى وله عسلان وطباق ابن سعد: ٣٥٩/١، عن الواقدي، ٤٦.

وهذا مرسل من هذا الوجه ويشبه هذا الذئب الذئب الذي ذكر في الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٨٣/٣، ٨٤): حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا القاسم بن الفضل الحضاني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري. قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فظلمها الراعي فانتزعها منه فألقى الذئب على ذنبه فقال: ألا تبقى الله تنزع مني رزقاً ساقه الله لي؟ فقال: يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد رسول الله ﷺ يثرب يثرب يثرب الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسرق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فتودي: الصلاة جامعة. ثم خرج فقال للأعرابي: «أخبرهم» فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: «صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وتكلم الرجل غلبةً سوطه وشراك نعله ويُخبره فخذ به مما أحدث أهله بعده».

وقد رواه الترمذي (٢١٨١) عن سفيان بن وكيع بن الجراح عن أبيه عن القاسم بن الفضل به وقال: حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل به وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى وابن مهدي.

قلت: وقد رواه الإمام أحمد (٨٨/٣، ٨٩) أيضاً: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب هو ابن أبي حمزة حدثني عبد الله بن أبي الحسين حدثني شهر بن أبا سعيد الخدري حدثه. فذكر هذه القصة بطولها بأبسط من هذا السياق.

ثم رواه أحمد (٨٩/٣): حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر قال: حدث أبو سعيد. فذكره.

وهذا السياق أشبه والله أعلم وهو إسناده على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

سنة ٩- قدوم وفد الأزدي على رسول الله ﷺ

ذكر أبو نعيم في كتاب «معركة الصحابة» [حلية الأولياء: ٢٧٩/٩] والحافظ أبو موسى المديني من حديث أحمد بن أبي الخواريزي قال: سمعت أبا سليمان الداراني قال: حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي قال: حدثني أبي عن جدي عن سويد بن الحارث. قال: وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبنا ما رأى من سمنا وزينا فقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنون فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» قال سويد: قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا بها ورسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقت بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا. فقال رسول الله ﷺ: «ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلِي أن تؤمنوا بها؟» قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال: «وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟» قلنا: أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا. فقال: «وما الخمسة الذي تخلقتم بها في الجاهلية؟» قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضى بمر القضاء، والصديق في مواطن اللقاء، وترك الشهامة بالأعداء. فقال رسول الله ﷺ: «حكما علماء كانوا من فقههم أن يكرنوا أنبياء» ثم قال: «وأننا أزيدكم خمسا فتيم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوها ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا تزولون واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وإرغبوا فيما عليه تقدمون، وفيه تخلدون» فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها.

سنة ٩- وفود الجن

وقد تقدم ذكر وفود الجن بمكة قبل الهجرة وقد نقصنا الكلام في ذلك عند قوله تعالى في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]؛ فلذكرنا ما ورد من الأحاديث في ذلك والآثار وأوردنا حديث سواد بن قارب الذي كان كاهنا فأسلم. وما رواه عن رثيه الذي كان يأتيه بالخبر حين أسلم الرئي، حين قال له:

عجبت للجن وانهاشها وشهدا العيس باحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن كارجاسها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها
ثم قوله:

عجبت للجن وتلايها وشهدا العيس باتنايها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس فتنامها كاذنايها
فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى نايها
ثم قوله:

عجبت للجن وتجاها وشهدا العيس باكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس فو الشر كانيها

فانهض إلى الصفوة من هاشم ما مؤمنو الجن ككافرها
وهذا وأمثاله مما يدل على تكرار وفود الجن إلى مكة وقد قررنا ذلك هناك بما فيه كفاية ولله الحمد والمثله فيه التوفيق.

وقد أورد الحافظ أبو بكر البيهقي ما هنا حديثا غريبا جدا بل منكرا أو موضوعا ولكن مخرجه عزيز أحببنا أن نورد كما أوردته والعجب منه فإنه قال في دلائل النبوة [٤١٨/٥ - ٤٢٠]: باب قدوم هامة بن هيم بن لاقيس بن إليس على النبي ﷺ وإسلامه.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله أنبأنا أبو نصر محمد بن حنويه بن سهل الغازي المروزي حدثنا عبد الله بن حماد الأملي حدثنا محمد بن أبي معشر أخبرني أبي عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه: بينا نحن نقود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي ﷺ فرد عليه النبي ﷺ ثم قال: «نعمة جن وغفمتهم من أنت؟» قال: أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إليس. فقال النبي ﷺ: «فما بينك وبين إليس إلا إيهوان فكم أمي لك من الدهر» قال: قد أنفيت الدنيا عمرها إلا قليلا ليالي قتل قبائل هایل كنت غلاما ابن أعرام أفهم الكلام وأمر بالأكام وأمر بإفساد الطعام وقطيعه الأرحام. فقال رسول الله ﷺ: «فبئس عمل الشيخ المتوسم، والشاب المتلوم» قال: ذرني من الترداد إني تائب إلى الله عز وجل، إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وقال: لا جرم أني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال: قلت: يا نوح إني كنت ممن اشتبك في دم السعيد الشهيد هایل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة؟ قال: يا هام هُم بالخير وافعله قبل الحسرة والتنامة إني قرأت فيما أنزل الله علي أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغ أمره ما بلغ إلا تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدة قال: فعلت من ساعتي ما أمرني به. فناداني: ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت لله ساجدا.

قال: وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني فقال: لا جرم أني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال: وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني وقال: أنا على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وكنت أزور يعقوب، وكنت مع يوسف في المكان الأمين، وكنت ألقى إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن، وأني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال: إن لقيت عيسى بن مريم فأقرته مي السلام. وأني لقيت عيسى بن مريم فأقرته عن موسى السلام، وإن عيسى قال: إن لقيت محمدا ﷺ فأقرته مي السلام فأرسل رسول الله ﷺ عني فيكي ثم قال: «وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك السلام يا هام باداك الأمانة» قال: يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى إني علمي من التوراة قال: فعلمه رسول الله ﷺ: إذا وقعت الواقعة، والمرسلات، وهم يساءلون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين، وقل هو الله أحد، وقال: «ارفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تدع زيارتنا» قال عمر: فقبض رسول الله ﷺ ولم يتعَ إلينا فلا ندري الآن أحي هو أم ميت؟.

ثم قال البيهقي: أبو معشر قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعفونه. وقد روي هذا الحديث من وجه آخر هو أقوى منه والله أعلم.

سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٩٢/٢ - ٥٩٤]: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضرسون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ، إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم. حمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك، فإنيك بعثني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم لا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام، وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدعت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركباناً قالوا: يا بني الحارث أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ، حتى يكتب إلي رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: [بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن كتابك جامني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم وأقبل، ولقبك معك وفدكم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.]

فاقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب؛ منهم قيس بن الحصين ذو الفصة، ويزيد بن عبد المنان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزياتي، وشداد بن عبيد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي.

فلما قدموا علي رسول الله ﷺ ورأهم قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» قيل: يا رسول الله هؤلاء بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «وأننا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» ثم قال: «أنتم الذين إذا رُجروا استقموا» فسكتوا فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الثانية، ثم الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الرابعة. فقال يزيد بن عبد المنان: نعم يا رسول الله نحن الذين إذا رُجروا استقموا، قالها أربع مرات. فقال رسول الله ﷺ: «لو أن خالداً لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لأقيت رؤوسكم تحت أقدامكم» فقال يزيد بن عبد المنان: أما والله ما حدثناك ولا حدثنا خالداً قال: «فمن محمد؟» قالوا: محمدنا الذي هدانا بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتم». ثم قال: «هم كتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نك

تغلب أحداً، قال: «بلى قد كتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: كنا تغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفرق، ولا نبداً أحداً بظلم، قال: «صدقتم». ثم أمر عليهم قيس بن الحصين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٩٤/٢]: ثم رجعوا إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة.

قال: ثم بعث إليهم بعد أن ولي وفدهم عمرو بن حزم ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده وأمره أمره.

ثم أورده ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٥٩٤/٢ - ٥٩٦]: وقد قدمناه في وفد ملوك حير من طريق البيهقي، وقد رواه النسائي [٤٨٥٧] نظير ما ساقه محمد بن إسحاق بغير إسناد.

سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن

قبل حجة الوداع يدعوهم إلى الله عز وجل

قال البخاري [٤٣٤٢، ٤٣٤١]: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع:

حدثنا موسى، ثنا أبو عوانة، ثنا عبد الملك عن أبي بردة، قال بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على خلاف، قال: واليمن خلافاً. ثم قال: «فيسراً ولا تمسراً وبشراً ولا تشمراً» وفي رواية [ج (٣٠٣٨)، م (١٧٣٣) (٧)]: «وتطوعاً ولا تخلفاً»، وأطلق كل واحد منهما إلى عمله، قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه، فسلر معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بقلته حتى انتهى إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع الناس إليه، وإذا رجل عنده قد جمعت يده إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أئيم هنا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جئ به لذلك، فأنزل. قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل ثم نزل. فقال: يا عبد الله كيف تقرأ القرآن؟ قال: أفترقه تفرقاً، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحسب نومي كما أحسب قومي.

انفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

ثم قال البخاري [٤٣٤٣]: ثنا إسحاق، ثنا خالد عن الشيباني، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ بعث إلى اليمن سفلة عن أشربة تصنع بها، فقال: «ما هي؟» قال: البتع والمزر، فقلت لأبي بردة: ما البتع؟ قال: نبيذ العسل، والمزر نبيذ الشعير. فقال: «كل مسكر حرام».

رواه جرير وعبد الواحد عن الشيباني، عن أبي بردة.

ورواه مسلم [١٧٣٣] مختصراً من حديث سعيد بن أبي بردة.

وقال البخاري [٤٣٤٧]: حدثنا حبان، أنبأنا عبد الله عن زكريا بن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمعاد بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم

أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على قرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وقد أخرجه بقية الجماعة [م (١٩)، د (١٥٨٤)، ت (٢٥) و (٢٠١٤)، س (٢٤٣٥)، ج (١٧٨٣)] من طرق متعددة.

وقال الإمام أحمد [٢٣٥/٥]: حدثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، حدثني راشد بن سعد عن عاصم بن حيد السكوني، عن معاذ بن جبل. قال: لما بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا».

ثم رواه [المسند: ٢٣٥/٥] عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عاصم بن حيد السكوني: أن معاذاً لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله ﷺ. فقال: «لا تيك يا معاذ للبهاء أوان، البكاء من الشيطان».

وقال الإمام أحمد [٢٣٥/٥]: حدثنا أبو المغيرة، ثنا صفوان، حدثني أبو زياد يحيى بن عبيد الغساني، عن يزيد بن قطيب، عن معاذ أنه كان يقول: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال: «لعلك أن تمر بقبري ومسجدي، فقد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم، يقاتلون على الحق مرتين؛ فقاتل بمن أطاعك منهم من عصاك، ثم يفتنون إلى الإسلام حتى تبادر المرأة زوجها والولد والده والأخ أخاه، فانزل بين الحين السكن والسكاسك».

وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيحاء إلى أن معاذاً رضي الله عنه لا يجتمع بالي ﷺ بعد ذلك؛ وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع، ثم كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد أحد وثمانين يوماً من يوم الحج الأكبر.

فما الحديث الذي قال الإمام أحمد [٢٢٧/٥، ٢٢٨]: حدثنا وكيع عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن معاذ؛ أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله رأيت رجلاً باليمن يسجد بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت أمر بشرأ أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وقد رواه أحمد [٢٢٨/٥] عن ابن عمر، عن الأعمش، سمعت أبا ظبيان يحدث عن رجل من الأنصار، عن معاذ بن جبل قال: أقبل معاذ من اليمن فقال: يا رسول الله إني رأيت رجلاً. فذكر معناه.

فقد دار على رجل مئهم، ومثله لا يمتنع به، لا سيما وقد خالفه غيره عن يعتد به، فقالوا: لما قدم معاذ من الشام كذلك رواه أحمد.

وقال أحمد [٢٤٢/٥]: حدثنا إبراهيم بن مهدي، ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله».

وقال أحمد [٢٢٨/٥]: ثنا وكيع، ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ: أن رسول الله ﷺ قال: «يا معاذ أتبع السيرة الحسنة تمحها، وخالف الناس يخلق حسن» قال وكيع: وجدته في

كتابي عن أبي ذر، وهو السماع الأول، وقال سفيان مرة عن معاذ. ثم قال الإمام أحمد [٢٣٦/٥]: حدثنا إسماعيل عن ليث، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ. أنه قال: يا رسول الله أوصني، فقال: «أتق الله حيثما كنت» قال: زدني قال: «أتبع السيرة الحسنة تمحها»، قال: زدني قال: «خالق الناس يخلق حسن».

وقد رواه الترمذي في جامعه [١٩٨٧] عن محمود بن غيلان عن وكيع، عن سفيان الثوري به، وقال: حسن.

قال شيخنا في الأطراف [مخة الأشراف: ٤١٧/٨ - ٤١٨]: وتابعه فضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم، والأعمش، عن حبيب به.

وقال أحمد [٢٣٨/٥]: حدثنا أبو اليمان، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن بقير الحضرمي، عن معاذ بن جبل. قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قتلت وحرقت، ولا تعف عن الناس، والذبح وإن أمارك أن تخرج من أهلِكَ ومالك، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشرب خمرأ فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية يمل سخط الله، وإياك والفرار من الزحف، وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فابئت، وأنتق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم في الله عز وجل».

وقال الإمام أحمد [٢٤٣/٥، ٢٤٤]: حدثنا يونس، ثنا بقية عن السري بن ينعنم، عن مزيح بن مسروق، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن. قال: «إياك والتعمم فإن عباد الله ليسوا بالمتعممين».

وقال أحمد [٢٣٣/٥]: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي، ثنا أبو بكر - يعني ابن عياش - ثنا عاصم عن أبي وائل، عن معاذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل حالم ديناراً، أو عله من المعافر، وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة مسنة، ومن كل ثلاثين بقرة تبيعاً حولياً، وأمرني فيما سقت السماء العشر، وما سقي بالدوالي نصف العشر.

وقد رواه أبو داود [١٥٧٦] من حديث أبي معاوية، والنسائي [٢٤٥٣] من حديث محمد بن إسحاق عن الأعمش كذلك.

وقد رواه أهل السنن الأربعة [د (١٥٧٨)، ت (٦٢٣)، س (٢٤٥٣)، ج (١٨٠٣)] من طرق عن الأعمش، عن أبي وائل، عن مسروق، عن معاذ.

وقال أحمد [٢٤٠/٥]: ثنا معاوية عن عمرو وهارون بن معروف، قال: ثنا عبد الله بن وهب عن حيوة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سلمة بن أسامة، عن يحيى بن الحكم: أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ أصدق أهل اليمن، فأمرني أن آخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعاً، قال هارون - والتابع الجلع أو الجذعة - ومن كل أربعين مسنة؛ فعرضوا علي أن آخذ ما بين الأربعين والخمسين، وما بين الستين والسبعين، وما بين الثمانين والتسعين، فأبيت ذلك. وقلت لهم: حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقدمت فأخبرت النبي ﷺ فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين تبيعاً ومن كل أربعين مسنة، ومن الستين تبيعين، ومن السبعين مسنة وتبيعاً، ومن الثمانين مستين، ومن التسعين ثلاثة أتباع، ومن المائة مسنة وتبيعين، ومن العشرة ومائة مستين وتبيعاً، ومن العشرين ومائة ثلاث مسنات أو أربعة أتباع.

قال: وأمرني رسول الله ﷺ أن لا آخذ فيما بين ذلك شيئاً إلا أن

حديث شعبة به، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتمصل.

وقد رواه ابن ماجه [٥٥] من وجه آخر عنه إلا أنه من طريق محمد بن سعيد بن حسان - وهو المصلوب أحد الكنايين - عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ به نحوه.

وقد روى الإمام أحمد [٢٣٦، ٢٣٠/٥] عن محمد بن جعفر، ويحيى بن سعيد، عن شعبة، عن عمرو بن أبي حكيم، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الدئلي، قال: كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودي مات، وترك أخاً مسلماً. فقال معاذ: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإسلام يزيد ولا ينقص» فوره.

ورواه أبو داود [٢٩١٢، ٢٩١٣] من حديث ابن بريدة به.

وقد حكى هذا المذهب عن معاوية بن أبي سفيان ورواه يحيى بن يعمر القاضي، وطائفة من السلف، وإليه ذهب إسحاق بن راهويه، وخالفهم الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة وأصحابهم محتجين بما ثبت في الصحيحين [ج (٢٨٢)، م (١٦١٤)] عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر».

والمقصود أن معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن، وحاكماً في الحروب، ومصدّقاً إليه تدفع الصدقات كما دل عليه حديث ابن عباس المتقدم، وقد كان بارزاً للناس يصلي بهم الصلوات الخمس، كما قال البخاري [٤٣٤٨]:

حدثنا سليمان بن حرب، ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون، أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقروا: «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً» [الباء: ١٢٥] فقال رجل من القوم: لقد قرأت عين أم إبراهيم. انقرد به البخاري.

ثم قال البخاري [٤٣٤٩]:

سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع

حدثنا أحمد بن عثمان، ثنا شريح بن مسلمة، ثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، حدثني أبي، عن أبي إسحاق، سمعت البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، قال: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليقب، ومن شاء فليقبل» فكتف فيمن عقب معه، قال: فنمنا أواقى ذات علد.

انقرد به البخاري من هذا الوجه.

ثم قال البخاري [٤٣٥٠]: حدثنا محمد بن بشار، ثنا روح بن عبادة، ثنا علي بن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الحسن، وكنت أبغض علياً فأصبح وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قلنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «يا بريدة! تبغض علياً؟» فقلت: نعم! فقال: «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك».

انقرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٥٠/٥، ٣٥١]: حدثنا يحيى بن سعيد، ثنا عبد

يبلغ سنة أو جذاً. وزعم أن الأوقاص لا فريضة فيها.

وهذا من أفراد أحمد، وفيه دلالة على أنه قدم بعد مصيره إلى اليمن على رسول الله ﷺ، والصحيح أنه لم ير النبي ﷺ بعد ذلك كما تقدم في الحديث.

وقد قال عبد الرزاق [المصنف (١٥١٧٧)]: أثبتنا معمر عن الزهري، عن أبي بن كعب بن مالك. قال: كان معاذ ابن جبل شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى كان عليه دين أغلق ماله، فكلّم رسول الله ﷺ في أن يكلم غرماء ففعل. فلم يضعوا له شيئاً، فلو ترك لأحد بكلام أحد لترك لمعاذ بكلام رسول الله ﷺ، قال: فدعاه رسول الله ﷺ فلم يبرح أن باع ماله وقسمه بين غرمائه. قال: فقام معاذ ولا مال له، قال: فلما حج رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن ليحبّره، قال: فكان أول من نحر في هذا المال معاذ.

قال: فقدم على أبي بكر الصديق من اليمن وقد توفي رسول الله ﷺ، فجاء عمر فقال: هل لك أن تطيعني فتدفع هذا المال إلى أبي بكر، فإن أعطاكه فاقبله، قال: فقال معاذ: لم أدفعه إليه وإنما بعثني رسول الله ﷺ ليحبّره، فلما أبى عليه انطلقت عمر إلى أبي بكر فقال: أرسل إلى هذا الرجل فخذ منه ودع له. فقال أبو بكر: ما كنت لأفعل إنما بعثه رسول الله ﷺ ليحبّره، فليست آخذ منه شيئاً. قال: فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال: ما أراني إلا فاعل الذي قلت إني رأيته البارحة في النوم - فيما يحسب عبد الرزاق قال - أجز إلى النار، وأنت آخذ بحجرتي قال: فانطلق إلى أبي بكر بكل شيء جاء به، حتى جاءه بسوطه، وحلف أنه لم يكتمه شيئاً. قال فقال أبو بكر رضي الله عنه: هو لك لا آخذ منه شيئاً.

وقد رواه ابن ثور عن معمر، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، فذكره إلا أنه قال: حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه، رسول الله ﷺ على طائفة من اليمن أميراً، فمكث حتى قبض رسول الله ﷺ، ثم قدم في خلافة أبي بكر، وخرج إلى الشام.

قال البيهقي [الذليل: ٤٥٠/٥]: وقد قلنا أن رسول الله ﷺ استخلفه بمكة مع عتاب بن أسيد ليعلم أهلها، وأنه شهد غزوة تبوك؛ فالأشبه أن بعثه إلى اليمن كان بعد ذلك، والله أعلم.

ثم ذكر البيهقي [الذليل: ٤٥٠/٥، ٤٥٧] لقصة منام معاذ شاهداً من طريق الأعمش عن أبي وائل، عن عبد الله وأنه كان من جملة ما جاء به عبيد فأتى بهم أبا بكر، فلما ردّ الجميع عليه رجع بهم، ثم قام يصلي فقاموا كلهم يصلون معه، فلما انصرف. قال: من صليتم؟ قالوا: لله، قال: فأتيت له عتقاء فاعتقهم.

وقال الإمام أحمد [٢٣٠/٥]: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو بن أخشي المغيرة بن شعبة، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حصص، عن معاذ، أن رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن قال: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فسته رسول الله ﷺ قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال: أجتهد برأئي لا أكو. قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ».

وقد رواه أحمد [٢٤٢/٥] عن وكيع، عن عصفان، عن شعبة بإسناده ولفظه.

وأخرجه أبو داود [٣٥٩٢، ٣٥٩٣] والترمذي [١٣٢٧، ١٣٢٨] من

إبراهيم بن يوسف.

وقال البيهقي (الذيل: ٣٩٨/٥، ٣٩٩) أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان، حدثنا أبو إسحاق: إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا إسماعيل بن أبي أوس، حدثني أخيه عن سليمان بن بلال، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة، عن أبي سعيد الخدري؛ أنه قال: بعث رسول الله علي بن أبي طالب إلى اليمن. قال أبو سعيد: فكنتم فيمن خرج معه، فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا وكنا قد رأينا في إبلنا خلافاً علينا وقال: إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين.

قال: فلما فرغ علي وانطلق من اليمن راجعاً، أمر علينا إنساناً وأسرع هو، فأدرك الحج، فلما قضى حجه قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم» فقال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي معنا إياه ففعل، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت، ورأى أثر الراكب ذم الذي أمره ولامه. فقلت: أما إن لله علي لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ، ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق.

قال: فلما قدمنا المدينة غلوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ، فلما رأيته وقف معي ورحب بي وسألتني وسأله. وقال: متى قدمت؟ فقلت: قدمت البارحة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فدخل، وقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد. فقال «اذن له» فدخلت فحييت رسول الله ﷺ وحياي وأقبل علي وسألني عن نفسي وأهلي، وأخفى المسألة فقلت: يا رسول الله ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الضجة والتضييق، فانتبذ رسول الله ﷺ وجعل أنا أمدد ما لقينا منه، حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ علي فخذني، وكنت منه قريباً وقال «يا سعد بن مالك ابن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخصن في سبيل الله». قال: فقلت في نفسي: تكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم، وما أدري لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سرّاً ولا علانية.

وهذا إسناد جيد على شرط النسائي، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة.

وقد قال يونس عن محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: إنما وجد جيش علي بن أبي طالب الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلاً، وتعجل إلى رسول الله ﷺ، قال: فعمد الرجل فكسى كل رجل حلة، فلما دنوا خرج علي يستقبلهم، فإذا عليهم الحلال قال علي: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان. قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله ﷺ فيصنع ما شاء، فنزع الحلال منهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ اشتكوه لذلك، وكانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ، وإنما بعث علياً إلى جزية موضوعة.

قلت: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي، وذلك أن علياً سبقهم لأجل الحج، وساق معه هدياً، وأهل كاهل النسي ﷺ، فأمره أن يمكث حراماً.

وفي رواية البراء بن عازب أنه قال له: إني سقت الهدى وقرنت. والمقصود أن علياً لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه

الجليل قال: انتهيت إلى حلقة فيها أبو جازر وابن بريدة فقال عبد الله بن بريدة: حدثني أبي بريدة قال: ابغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته ما أصبح إلا على بغضه علياً قال: فأصبنا سيئاً، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ ابعث إني من يبعثه قال: فبعث إني علياً، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي. قال: فحشس وقسم فخرج ورأسه يقطر قلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ فقال: ألم تتروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قسمت وقسمت فصارت في الحشس، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي ووقعتم بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعتني؛ فبعثني مصداً، فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق، قال: فامسك يدي والكتاب فقال: «تبغض علياً؟» قال: قلت: نعم! قال: فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً فوالذي نفس محمد بيده لنصيب لك علي في الخمس أفضل من وصيفة.

قال: فما كان من الناس أحد بعد قول النبي ﷺ أحب إلي من علي. قال عبد الله بن بريدة: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة.

تفرد به بهذا السياق عبد الجليل بن عطية الفقيه أبو صالح البصري، وثقه ابن معين وابن حبان. وقال البخاري: إنما يهم في الشيء بعد الشيء. وقال محمد بن إسحاق: ثنا أبان بن صالح عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن خاله عمرو بن شاس الأسلمي، وكان من أصحاب الخليفة. قال: كنت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعته فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن، فجفاني علي بعض الجفاه، فوجدت في نفسي عليه، فلما قدمت المدينة اشتكيت في مجالس المدينة وعند من لقيته، فاقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فلما رأيته أنظر إلى عينيه، نظر إلي حتى جلست إليه، فلما جلست إليه قال: «إنه والله يا عمرو بن شاس لقد آتيتي» فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤدي رسول الله ﷺ. فقال: «من آتني علياً فقد آتاني».

وقد رواه البيهقي (الذيل: ٣٩٨/٥، ٣٩٩) من وجه آخر عن ابن إسحاق، عن أبان عن الفضل بن معقل بن سنان، عن عبد الله بن نيار، عن خاله عمرو بن شاس، فذكره بمعناه.

وقال الحافظ البيهقي (الذيل: ٣٩٦/٥، ٣٩٧) أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو إسحاق الزكفي، أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن علي الجوزجاني، ثنا أبو عبيدة بن أبي السفر، سمعت إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنتم فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيئوه.

ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقتل خالداً إلا رجلاً كان ممن مع خالد، فأحب أن يعقب مع علي فليعقب معه. قال البراء: فكنتم فيمن يعقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خسر ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان السلام على همدان».

قال البيهقي: رواه البخاري [٤٣٤٩] مختصراً من وجه آخر عن

أمره في طهر فقال علي لاثنتين: أنطيان نفساً لنا؟ فقالا: لا، فاقبل على الآخرين فقال: أنطيان نفساً لنا؟ فقالا: لا فقال: أنتم شركاء مشاكسون. فقال: إني مقرع بينكم، فأيكم قرع أغرمت ثلثي الدية وألزمت الولد، قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا أعلم إلا ما قال علي».

وقال: أحمد [٣٧٤/٤] حدثنا سريج بن النعمان، ثنا هشيم أباننا الأجلح عن الشعبي، عن أبي الخليل، عن يزيد بن أرقم: أن علياً أتى في ثلاثة نفر إذ كان في اليمن اشتركوا في ولد، فأقرع بينهم فضمن الذي أصابته القرعة ثلثي الدية وجعل الولد له. قال زيد بن أرقم: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بقضاء علي، فضحك حتى بدت نواجذه.

ورواه أبو داود [٢٢٦٩] عن مسدد، عن يحيى القطان.

والنسائي [٣٤٨٩] عن علي بن حجر، عن علي بن مسهر، كلاهما عن الأجلح بن عبد الله، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن الخليل، وقال النسائي في روايته: عبد الله بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم. قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء رجل من أهل اليمن فقال: إن ثلاثة نفر أتوا علياً يختصمون في ولد وقمرا على امرأة في طهر واحد، فذكر نحو ما تقدم. وقال: فضحك النبي ﷺ.

وقد روياه أعني أبو داود [٢٢٧١] والنسائي [٣٤٩٢] من حديث شعبة عن سلمة بن كهيل، عن الشعبي عن أبي الخليل أو بن الخليل عن علي قوله: فأرسله ولم يرفعه.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٧٣/٤] أيضاً عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن الأجلح، عن الشعبي، عن عبد خير، عن زيد بن أرقم، فذكر نحو ما تقدم.

وأخرجه أبو داود [٢٢٧٠] والنسائي [٣٤٨٨] جميعاً عن خشيش بن أصرم.

وابن ماجه [٢٣٤٨] عن إسحاق بن منصور، كلاهما عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن صالح الممداني، عن الشعبي، عن عبد خير، عن زيد بن أرقم به.

قال شيخنا في الأطراف: لعل عبد خير هذا هو عبد الله بن الخليل، ولكن لم يقبض الراوي اسمه.

قلت: فعلى هذا يقرى الحديث وإن كان غيره كان أجود ثباتاً له، لكن الأجلح بن عبد الله الكندي فيه كلام ما، وقد ذهب إلى القول بالقرعة في الأنساب الإمام أحمد وهو من أفراد.

وقال الإمام أحمد [٧٧/١]: ثنا أبو سعيد، ثنا إسرائيل، ثنا سماك، عن حنث، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأتيتها إلى قوم قد بنوا رتيبة للأحد فبينما هم كذلك يتناقضون إذ سقط رجل ففعل بآخر، ثم تعلق رجلٌ بآخر حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله وماتوا من جراحهم كلهم. فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقبضوا، فأتاهم علي على نقشة ذلك، فقال: تريدون أن تقتلوا ورسول الله ﷺ حي؟ إني أقضي بينكم قضاء، إن رضيت فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ، فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجعروا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية وثلاث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللالو الربع لأنه ملك من قورقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، وللرايع الدية، فأبوا أن يرضوا، فأبوا النبي ﷺ وهو عند مقام

ليأهم استعمال إبل الصدقة، واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه، وعلي معذور فيما فعل، لكن أشهر الكلام فيه في الحجيج. فلذلك والله أعلم لما رجع رسول الله ﷺ من حجة وتشرع من مناسكه، ورجع إلى المدينة، فمر بغدير خم قام في الناس خطيباً، فبدا ساحة علي ورفع من قدره، ونبه على فضله ليزيل ما قر في نفوس كثير من الناس، وسيأتي هذا مفصلاً في موضعه إن شاء الله وبه الثقة.

وقال البخاري [٤٣٥١]: حدثنا قتيبة، ثنا عبد الواحد عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، حدثني عبد الرحمن بن أبي نعم، سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ من اليمن بذهبية في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها. قال: فقسما بين أربعة، بين عينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرايع إما علقمة يعني ابن علاثة وإما عامر بن الطفيل. فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خير السماء صباحاً ومساءً». قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، علقو الرأس، مشعر الإزار. فقال: يا رسول الله أتت الله فقال: «ويلك أو لست أحق الناس أن يتقي الله؟» قال: ثم ولي الرجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عقه؟ قال: «لا لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إني يخرج من ضفتي هذا قوم يتلون كتاب الله ربياً، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» - أظنه قال: لئن أدركهم لأقتلهم قتل ثمود -.

وقد رواه البخاري في مواضع أخر من كتابه [٣٦١٠، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١] عن أبي سعيد الخدري، ومسلم في كتاب الزكاة من صحيحه [١٠٦٤] (١٤٤ - ١٤٦) من طرق متعددة إلى عمارة بن القعقاع به.

ثم قال الإمام أحمد [٨٣/١]: حدثنا يحيى عن الأعشى عن عمرو بن مرة، عن أبي اليختر، عن علي. قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن، قال: فقلت: تبثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء. قال: «إن الله سيهدي لسناك ويثبت قلبك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

ورواه ابن ماجه [٢٣١٠] من حديث الأعشى به.

وقال الإمام أحمد [٩١١/١]: حدثنا أسود بن عامر، ثنا شريك عن سماك، عن حنث، عن علي. قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: فقلت: يا رسول الله تبثني إلى قوم أسن مني، وأنا حدث لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده علي صدري وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء» قال: فما اختلف علي قضاء بعد - أو ما أشكل علي قضاء بعد -.

ورواه أحمد [٩٦/١، ١٤٩ - ١٥٠] أيضاً وأبو داود [٣٥٨٢] من طرق عن شريك.

والترمذي [١٣٣١] من حديث زائدة، كلاهما عن سماك بن حرب، عن حنث بن المعتمر، وقيل: ابن ربيعة الكتاني الكوفي عن علي به.

وقال الإمام أحمد [٣٧٤/٤]: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الأجلح عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم: أن قرأ وطروا

عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجمرات، والرابعة التي مع حجة.

ورواه أبو داود [١٩٩٣]، والترمذي [٨١٦]، والنسائي [لم يروه، رواه ج (٣٠٠٣)] من حديث داود العطار وحسنه الترمذي.

وقد تقدم هذا الفصل عند عمرة الجمرات. وسيأتي في فصل من قال: إنه عليه الصلاة والسلام حج قارناً وبالله المستعان.

فالأولى: من هذه العمرة عمرة الحديبية التي صد عنها.

ثم بعدها عمرة القضاء، ويقال عمرة القصاص، ويقال: عمرة القضية. ثم بعدها عمرة الجمرات مرجعه من الطائف حين قسم غنائم حنين، وقد قلنا ذلك كله في موضعه.

والرابعة عمرته مع حجته، وسنين اختلاف الناس في عمرته هذه مع الحجّة، هل كان متمتعاً بأن أوقع العمرة قبل الحجّة وحل منها، أو منعه من الإحلال منها سوقه المهدي، أو كان قارناً لها مع الحجّة كما نذكره من الأحاديث الدالة على ذلك، أو كان مفرداً لها عن الحجّة بأن أوقمها بعد قضاء الحجّة؟ وهذا هو الذي يقوله من يقول بالإفراد كما هو المشهور عن الشافعي، وسيأتي بيان هذا عند ذكرنا إحرامه ﷺ كيف كان مفرداً أو متمتعاً أو قارناً.

قال البخاري [٤٤٠٤]: حدثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير، ثنا أبو إسحاق، حدثني زيد بن أرقم أن النبي ﷺ غزا سبع عشرة غزوة، وأنه حج بعدها حاجر حجة واحدة.

قال أبو إسحاق: وبمكة أخرى.

وقد رواه مسلم من حديث زهير [١٢٥٤]، وأخرجاه [ج (٣٩٤٩) م (١٢٥٤) (١٤٣)] من حديث شعبة. زاد البخاري [٤٤٧١] وإسرائيل ثلاثهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن زيد به.

وهذا الذي قال أبو إسحاق من أنه عليه الصلاة والسلام حج بمكة حجة أخرى، أي أراد أنه لم يقع منه بمكة إلا حجة واحدة، كما هو ظاهر لفظه، فهو بعيد. فإنه عليه الصلاة والسلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحج، ويدعو الناس إلى الله ويقول: «مَنْ رَجَلَ يَرْوِيهِ حَتَّى أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي، فَإِنْ قَرِشًا قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَقْبِضَ اللَّهُ لَهُ جَمَاعَةَ الْأَنْصَارِ يَلْقَوْنَ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ أَيْ شِعَةَ يَوْمِ النُّحْرِ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ مُتَالِيَاتٍ، حَتَّى إِذَا كَانُوا آخِرَ سَنَةِ بَالِغَوْهُ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ ثَالِثُ اجْتِمَاعِهِ لَهُمْ بِهِ، ثُمَّ كَانَتْ بَعْدَهَا الْمَجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا قُلْنَا ذَلِكَ مُبَسَّوْطاً فِي مَوْضِعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وفي حديث جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة سبع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس بالحج، فاجتمع بالمدينة بشر كثير، فخرج رسول الله ﷺ لخصس بقين من ذي القعدة أو أربع، فلما كان بذي الحليفة صلى ثم استوى على راحلته، فلما أخذت به في اليلاء لى وأهلنا لا نوري إلا الحج. وسيأتي الحديث بطوله، وهو في صحيح مسلم [١٢١٨] (١٤٧)، وهذا لفظ البيهقي [الدلائل: ٤٣٢/٥] من طريق أحمد بن حنبل، عن إبراهيم بن طهمان، عن جعفر بن محمد به.

سنة ١٠ - خروج النبي ﷺ لحجة الوداع

باب تاريخ خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة لحجة الوداع بعدما

إبراهيم، فقصوا عليه القصة. فقال: «إِنَّمَا أَحْكَمَ بَيْنَكُمْ»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله إن علياً قضى فينا، فقصوا عليه القصة، فاجازه رسول الله ﷺ.

ثم رواه الإمام أحمد [١٢٨/١] أيضاً عن وكيع، عن حماد بن سلمة، عن سمك بن حرب، عن حنش عن علي فذكره.

سنة ١٠ - كتاب حجة الوداع

ويقال لها حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها. وقد قيل: إن فريضة الحج نزلت عامته، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ست، وقيل: قبل الهجرة، وهو غريب، وسميت حجة البلاغ لأنه عليه الصلاة والسلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه الصلاة والسلام، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. [آل عمران: ٣]. وسيأتي إيضاح لهذا كله.

والمقصود ذكر حجة عليه الصلاة والسلام كيف كانت، فإن التقلد اختلقوا فيها اختلافاً كثيراً جداً بحسب ما وصل إلى كل منهم من العلم، وتفاوتوا في ذلك تفاوتاً كثيراً لا سيما ما بعد الصحابة رضي الله عنهم، ونحن نورد بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ما ذكره الأئمة في كتبهم من هذه الروايات، ونجمع بينهما جماً يتلج قلب من تأمله وأنعم النظر فيه، وجمع بين طريقي الحديث وفهم معانيه إن شاء الله، وبالله الثقة وعليه التكلان.

وقد اعتنى الناس بحجة رسول الله ﷺ اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخريهم، وقد صنف العلامة أبو محمد بن حزم الأندلسي رحمه الله مجلداً في حجة الوداع أجاد في أكثره، ووقع فيه له أوهام سنّته عليها في مواضعها وبالله المستعان.

سنة ١٠ - عدد ما حج النبي ﷺ واعتمر

كما رواه البخاري [١٧٨٠] ومسلم [١٢٥٣] (٢١٧) عن هبة، عن همام، عن قتادة، عن أنس. قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهم في ذي القعدة إلا التي في حجة؛ الحديث.

وقد رواه يونس بن بكير عن عمر بن ذر، عن مجاهد، عن أبي هريرة مثله [الدلائل للمهقي: ٤٥٦/٥].

وقال سعيد بن منصور عن الدراوردي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، عمرة في شوال، وعمرتين في ذي القعدة.

وكذا رواه ابن بكير عن مالك، عن هشام بن عروة [المرآة: ٣٤٢/١].

وروى الإمام أحمد [١٨٠/٢] من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاث عمر كلهم في ذي القعدة.

وقال أحمد [٣٢١/١]: ثنا أبو النضر، ثنا داود - يعني العطار - عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع

يعني ابن المنكر - وإبراهيم بن ميسرة، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذئ الحليفة ركعتين.

ورواه البخاري [١٠٨٩] عن أبي نعيم عن سفيان الثوري به. وأخرجه مسلم [٦٩٠] (١١) وأبو داود [١٢٠٢] والنسائي [٤٦٩] من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكر، وإبراهيم بن ميسرة، عن أنس به.

وقال أحمد [٣٧٨/٣]: ثنا محمد بن بكر، ثنا ابن جريج عن محمد بن المنكر، عن أنس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً والعصر بذئ الحليفة ركعتين، ثم بات بذئ الحليفة حتى أصبح، فلما ركب راحلته واستوت به أهل.

وقال أحمد [٢٣٧/٣]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن المنكر التيمي، عن أنس بن مالك الأنصاري، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر في مسجده بالمدينة أربع ركعات، ثم صلى بنا العصر بذئ الحليفة ركعتين، أمناً لا يخاف في حجة الوداع.

تفرد به أحمد من هذين الوجهين الآخرين، وهما على شرط الصحيح، وهذا يعني كون خروجه عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة قطعاً، ولا يجوز على هذا أن يكون خروجه يوم الخميس كما قال ابن حزم، لأنه كان يوم الرابع والعشرين من ذي القعدة لأنه لا خلاف أن أول ذي الحجة كان يوم الخميس، لما ثبت بالتواتر والإجماع من أنه عليه الصلاة والسلام وقف بعرفة يوم الجمعة، وهو تاسع ذي الحجة بلا نزاع، فلو كان خروجه يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي القعدة لبقى في الشهر ست ليال، قطعاً ليلة الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، فهذه ست ليال.

وقد قال ابن عباس وعائشة وجابر: أنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة. وتعلم أنه يوم الجمعة لحديث أنس، فتعين على هذا أنه عليه الصلاة والسلام خرج من المدينة يوم السبت، وظن الراوي أن الشهر يكون تاماً، فاتفق في تلك السنة نقصانه، فانسلك يوم الأربعاء، واستهل شهر ذي الحجة ليلة الخميس، ويؤيده ما وقع في رواية جابر: لخمس بقين أو أربع. وهذا التقرير على هذا التقدير لا محيد عنه، ولا بد منه والله أعلم.

سنة ١٠- صفة خروجه ﷺ من المدينة إلى مكة للحج

قال البخاري [١٥٣٣]: حدثنا إبراهيم بن المنور، ثنا أنس بن عبياس عن عبيد الله هو ابن عمر، عن نافع، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعسر وأن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة، وإذا رجع صلى بذئ الحليفة بطن الوادي، وبات حتى يصبح.

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: وجدته في كتابي عن عمرو بن مالك، عن يزيد بن زريع، عن هشام، عن عزة بن ثابت، عن ثمامة، عن أنس؛ أن النبي ﷺ: حج على رجل رث وتحت طيقة، وقال: فحجة لا رياء فيها ولا سمعة.

وقد علقه البخاري في صحيحه [١٥١٧] موصولاً في رواية أبي ذر وأبي الوقت؛ فقال: وقال محمد بن أبي بكر الملقب: حدثنا يزيد بن زريع، عن عزة بن ثابت، عن ثمامة قال: حج أنس على رجل رث، ولم يكن شحيحاً، وحدث أن رسول الله ﷺ حج على رجل وكانت زاملته.

استعمل عليها أبا دجانة سماك بن خرشة الساعدي، ويقال: سباع بن عرفة الغفاري

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠١/٢]: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة من سنة عشر تهيئ للحج، وأمر الناس بالجهاز له:

فحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

وهذا إسناد جيد.

وروي الإمام مالك في موطئه [٣٩٣/١] عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة.

ورواه الإمام أحمد [١٩٤/٦] عن عبد الله بن نمير، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة عنها.

وهو ثبت في الصحيحين [خ (١٧٠٩)، م (١٢١١)، (١٢٥)] وسنن النسائي [٢٨٠٣] وابن ماجه [٢٩٨١]، ومصنف ابن أبي شيبة [ج (٢٩٨١)] عن ابن أبي شبة، [٢٤] من طرق عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة لا نرى إلا الحج. الحديث بطوله كما سيأتي.

وقال البخاري [١٥٤٥]: حدثنا محمد بن أبي بكر الملقب، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عفيف، أخبرني كريب عن ابن عباس. قال: انطلق النبي ﷺ من المدينة بعدما ترجل وأدعن وبس إزاره ورداه، ولم ينه عن شيء من الأردية ولا الأزر [تلبس] إلا الزعفرانة التي تردع على الجلد فأصبح بذئ الحليفة، ركب راحلته حتى استوى على البيضاء [أهل] هو وأصحابه، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة، فقدم مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة.

تفرد به البخاري بقوله - وذلك لخمس بقين من ذي القعدة - إن أراد به صبيحة يومه بذئ الحليفة صح قول ابن حزم [حجة الوداع: ص ٣٧، ٣٩] في دعواه أنه ﷺ خرج من المدينة يوم الخميس، وبات بذئ الحليفة ليلة الجمعة، وأصبح بها يوم الجمعة وهو اليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة.

وإن أراد ابن عباس بقوله: وذلك لخمس بقين من ذي القعدة يوم انطلاقه عليه الصلاة والسلام من المدينة بعدما ترجل وأدعن وبس إزاره ورداه، كما قالت عائشة وجابر: إنهم خرجوا من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة، بمذ قول ابن حزم وتعلم المصير إليه، وتعين القول بغيره، ولم ينطبق ذلك إلا على يوم الجمعة إن كان شهر ذي القعدة كاملاً.

ولا يجوز أن يكون خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة، كان يوم الجمعة لما روى البخاري [١٥٥١]: حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا وهيب، ثنا أيوب عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: صلى رسول الله ﷺ ونحن معه الظهر بالمدينة الظهر أربعاً، والعصر بذئ الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب حتى استوت به راحلته على البيضاء، حمد الله عز وجل، وسبح وكثر ثم أهل بمحج وعمرة.

وقد رواه مسلم [٦٩٠] (١٠) والنسائي [٤٧٧] جميعاً عن قتية عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذئ الحليفة ركعتين.

وقال أحمد [١٧٧/٣]: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان، عن محمد -

فأما الحديث الذي رواه أبو بكر البزار في مسنده قائلا: حدثنا إسماعيل بن حفص، ثنا يحيى بن الميان، ثنا حمزة الزيات عن حمران بن أعين، عن أبي الطفيل عن أبي سعيد. قال: حج النبي ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطهم ومشيههم خلط المرولة. فإنه حديث منكر ضعيف الإسناد، وحمزة بن حبيب الزيات ضعيف، وشيخه متروك الحديث.

وقد قال البزار: لا يروى إلا من هذا الوجه، وإن كان إسناده حسناً عندنا، ومعناه أنهم كانوا في عمرة إن ثبت الحديث، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما حج حجة واحدة، وكان راكباً وبعض أصحابه مشاة. قلت: ولم يتم النبي ﷺ في شيء من عمره ماشياً لا في الحديبية، ولا في القضاء، ولا الجمرات، ولا في حجة الوداع، وأحواله عليه الصلاة والسلام أشهر وأعرف من أن تخفى على الناس، بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله، والله أعلم.

سنة ١٠ - القصر والطيب للحاج

تقدم أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بالمدينة أربعاً، ثم ركب منها إلى الخليفة وهي وادي العقيق، فصلى بها العصر ركعتين، فدل على أنه جاء الخليفة نهراً في وقت العصر، فصلى بها العصر قسراً، وهي من المدينة على ثلاثة أميال، ثم صلى بها المغرب والعشاء، ويات بها حتى أصبح، فصلى بأصحابه وأخبرهم أنه جاءه الوحي من الليل بما يعتمله في الإحرام؛ كما قال الإمام أحمد (٩٠/٢):

حدثنا يحيى بن آدم، ثنا زهير عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ: أنه أتى وهو في المرحس من ذي الحليفة، فقيل له: إنك يبطحاه مباركة. وأخبراه في الصحيحين (١٥٣٥)، م (١٣٤٦) من حديث موسى ابن عقبة به.

وقال البخاري (١٥٣٤): حدثنا الحميدي، ثنا الوليد وشعر بن بكر. قالوا: ثنا الأوزاعي، ثنا يحيى، حدثني عكرمة أنه سمع ابن عباس أنه سمع عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ ينادي العقيق يقول: «أتاني الليلة أت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة». فنرد به دون مسلم.

فالظاهر أن أمره عليه الصلاة والسلام بالصلاة في وادي العقيق، هو أمر بالإقامة به، إلى أن يصلي صلاة الظهر، لأن الأمر إنما جاءه في الليل، وأخبرهم بعد صلاة الصبح فلم يبق إلا صلاة الظهر، فأمر أن يصليها هناك، وأن يوقع الإحرام بعدها ولهذا قال: «أتاني الليلة أت من ربي عز وجل»، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة، وقد احتج به على الأمر بالقران في الحج، وهو من أقوى الأدلة على ذلك كما سيأتي بيانه قريباً.

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام أمر بالإقامة بوادي العقيق إلى صلاة الظهر، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، فأقام هنالك، وطاف على نسائه في تلك الصبيحة، وكنّ تسع نساء، وكلهن خرج معه، ولم يزل هنالك حتى صلى الظهر. كما سيأتي في حديث أبي حسان الأعرج، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ صلى الظهر ببني الحليفة، ثم أشعر ببنته، ثم ركب فاهل وهو عند مسلم (١٢٤٣).

هكذا ذكره البزار والبخاري معلقاً مقطوع الإسناد من أوله. وقد أسنده الحافظ البيهقي في سننه (٣٣٢/٤) فقال أنبأنا أبو الحسن بن محمد بن علي المقرئ أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا يزيد بن زريع؛ فذكره.

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده [دلائل البيهقي: ٤٢٤/٥]، من طريق أبي يعلى، به [من وجه آخر عن أنس بن مالك. فقال: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: حج رسول الله ﷺ على رجل رث وقطيفة تساوي - أو لا تساوي - أربعة دراهم. فقال: «اللهم حجة لا رياء فيها».

وقد رواه الترمذي في الشمائل (٣١٩) وعنده: عن أبي داود الجفري بدل الطالسي، عن صفوان، وليس عن أبي داود وصفوان معاً من حديث أبي داود الطالسي، وصفوان الثوري، وابن ماجه (٢٨٩٠)، من حديث وكيع بن الجراح، ثلاثهم عن الربيع بن صبيح به.

وهو إسناد ضعيف من جهة يزيد بن أبان الرقاشي فإنه غير مقبول الرواية عند الأئمة.

وقال الإمام أحمد (١٢٠/٢): حدثنا هاشم، ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه. قال: صدرت مع ابن عمر، فمرت بنا رفقة بمائة وروحاهم الأدم، وخطم لإلهم الجرز. فقال عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة وردت العام برسول الله ﷺ وأصحابه، إذ قدموا في حجة الوداع فليظنر إلى هذه الرفقة.

ورواه أبو داود (٤١٤٤) عن هناد، عن وكيع، عن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن ابن عمر.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (السنن الكبرى: ٢٣٢/٤، ٢٣٣): أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو طاهر الفقيه، وأبو زكريا بن أبي إسحاق، وأبو بكر بن الحسن، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: ثنا أبو العباس هو الأصم، أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنبأنا سعيد بن بشر القرشي، حدثنا عبد الله بن حكيم الكتاني - رجل من أهل اليمن من مواليهم - عن بشر بن قدامة الضبابي. قال: أبصر عيناى حبيبي رسول الله ﷺ واقفاً يعرفات مع الناس على ناقه له حمراء فصواء، تحته قطيفة بولانية وهو يقول: «اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا خباء ولا سمعة». والناس يقولون هذا رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد (٣٤٤/٦): حدثنا عبد الله بن إدريس، ثنا ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه. أن أسماء بنت أبي بكر قالت: خرجنا مع النبي ﷺ حجاجاً حتى إذا كنا بالعرج، نزل رسول الله ﷺ فجلست عائشة إلى جنب رسول الله ﷺ، وجلست إلى جنب أبي، وكانت زمالة رسول الله ﷺ وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام أبي بكر، فجلس أبو بكر ينظر أن يطلع عليه، فطلع وليس معه غيره. فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضلته البارحة، فقال أبو بكر: بعير واحد فضله! فطلق يضربه، ورسول الله ﷺ يتسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم وما يصنع».

وكذا رواه أبو داود (١٨١٨) عن أحمد بن حنبل، وعحمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة. وأخبره ابن ماجه (٢٩٣٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس به.

وقد رواه مسلم ((١١٨٩)) (٣٦) من حديث سفيان ابن عيينة. وأخرجه البخاري ((٥٩٢٨)) من حديث وهب عن هشام بن عروة، عن أخيه عثمان، عن أبيه عروة، عن عائشة به.

وقال البخاري ((١٥٣٩)) : حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: كنت أطيّب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم، ولعله قبل أن يطوف بالبيت.

وقال مسلم ((١١٨٩)) (٣٥) : حدثنا عبد بن حميد، أنبأنا محمد بن بكر، أنبأنا ابن جريج، أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة، أنه سمع عروة والقاسم يخبرانه عن عائشة قالت: طيبت رسول الله ﷺ بيدي بذيروة في حجة الوداع للحل والإحرام.

وروى مسلم ((١١٨٩)) (٣١) من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين لحرمه حين أحرم، ولعله قبل أن يطوف بالبيت.

وقال مسلم ((١١٩١)) حديثي أحمد بن منيع ويعقوب الدورقي، قالوا: ثنا هشيم، أنبأنا منصور عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أطيّب النبي ﷺ قبل أن يحرم ويوم التحر قبل أن يطوف بالبيت، بطيب فيه سكر.

وقال مسلم ((١١٩٠)) (٤١) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب وأبو سعيد الأشج قالوا: ثنا وكيع، ثنا الأعمش عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: كاني أنظر إلى ويص المسك في مفرق رسول الله ﷺ وهو يلي.

ثم رواه مسلم ((١١٩٠)) (٤٥) من حديث الثوري، وغيره عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: كاني أنظر إلى ويص المسك في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم.

ورواه البخاري ((١٥٣٨)) من حديث سفيان الثوري. ومسلم ((١١٩٠)) (٣٩) (٤٠) من حديث حماد بن زيد، عن منصور والأعمش كلاهما عن إبراهيم، عن الأسود، كلاهما عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود عنها.

وأخرجه في الصحيحين [ج (٢٧١)، م (١١٩٠)] (٤٢) من حديث شعبة عن الحكم بن إبراهيم، عن الأسود عن عائشة.

وقال أبو داود الطيالسي [مسنده (١٢٧٨)] : أنبأنا شعبة عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: كاني أنظر إلى ويص الطيب في أصول شعر رسول الله ﷺ وهو محرم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عثمان، ثنا حماد بن سلمة عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة. قالت: كاني أنظر إلى ويص الطيب في مفرق النبي ﷺ بعد أيام وهو محرم.

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي [مسنده (٢١٥)] : حدثنا سفيان بن عيينة، ثنا عطاء بن السائب، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة قالت: رأيت الطيب في مفرق رسول الله ﷺ بعد ثالثة وهو محرم.

فهذه الأحاديث دالة على أنه عليه الصلاة والسلام تطيب بعد الغسل، إذ لو كان الطيب قبل الغسل للذهب به الغسل، ولما بقي له أثر، ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الإحرام.

وقد ذهب طائفة من السلف منهم: ابن عمر إلى كراهة التطيب عند الإحرام.

وقد رُوينا هذا الحديث من طريق ابن عمر عن عائشة، فقال الحافظ

وهكذا قال الإمام أحمد (٢٠٧/٣) : حدثنا روح، ثنا أنثعت - هو ابن عبد الملك عن الحسن، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صلى الظهر، ثم ركب راحلته، فلما علا شرف البيداء أهل.

ورواه أبو داود (١٧٧٤) عن أحمد بن حنبل. والنسائي (٢٦٦٢، ٢٧٥٥) عن إسحاق بن راهويه، عن النضر بن شميل، عن أنثعت بمعناه.

وعن أحمد بن الأزهر عن محمد بن عبد الله الأنصاري، عن أنثعت أمته [ص (٢٩٣)].

وهذا فيه رد على ابن حزم، حيث زعم أن ذلك في صدر النهار [حجة الوداع ص ١٨].

وله أن يقتصد بما رواه البخاري (١٧١٥) من طريق أيوب عن رجل، عن أنس: أن رسول الله ﷺ بات بذي الحليفة حتى أصبح، فصلّى الصبح، ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البيداء أهل بممرة وحج، ولكن في إسناده رجل مبهم، والظاهر أنه أبو قلابة والله أعلم.

قال مسلم في صحيحه ((١١٩٢)) (٤٨) : حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - ثنا شعبة عن إبراهيم بن محمد بن المنصور، سمعت أبي يحدث عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كنت أطيّب رسول الله ﷺ ثم يطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً ينتفضح طياً.

وقد رواه البخاري (٢٦٦٧) من حديث شعبة.

وأخرجه من حديث أبي عوانة [ج (٢٧٠)] من حديث أبي عروبة، م (١١٩٢) (٤٧، ٤٨) من حديث أبي عروبة ومسلم وسفيان زاد مسلم ومسعر وسفيان بن سعيد الثوري، أرويعتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنصور.

وفي رواية لمسلم ((١١٩٢)) (٤٧) عن إبراهيم بن محمد بن المنصور، عن أبيه قال: سألت عبد الله بن عمر عن الرجل يطيب ثم يصبح محرماً. قال: ما أحب أني أصبح محرماً أنتضح طياً، لأن أظلي القطران أحب إليّ من أن أفل ذلك. فقالت عائشة: أنا طيبت رسول الله ﷺ عند إحرامه، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح محرماً.

وهذا اللفظ الذي رواه مسلم يقتضي أنه كان ﷺ يطيب قبل أن يطوف على نسائه وكأنه ﷺ تطيب قبل أن يطوف على نسائه، ليكون ذلك طيب لنفسه وأحب إليهن، ثم لما اغتسل من الجنابة والإحرام تطيب أيضاً للإحرام طياً آخر.

كما رواه الترمذي (٨٣٠) والبيهقي [السنن الكبرى: ٣٢/٥، ٣٣] من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، أنه رأى رسول الله ﷺ تجرد لإلهاله واغتسل. وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال الإمام أحمد (٧٨/٦) : حدثنا زكريا بن عدي، أنبأنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بمطمي وأثنان ودعنه بشيء من زيت غير كثير.

الحديث تفرد به أحمد.

وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله [ترتيب مسند الشافعي (٧٧٣)] : أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عثمان بن عروة، سمعت أبي يقول: سمعت عائشة تقول: طيبت رسول الله ﷺ لحرمه ولحله، قلت لها: بأي طيب؟ قالت: بأطيب الطيب.

سنة ١٠ - باب بيان الموضع الذي اهل منه ﷺ

واختلاف الناقلين لذلك وترجيح الحق في ذلك

ذكر من قال انه عليه الصلاة والسلام اكرم من المسجد الذي بنى الخليفة بعد الصلاة:

تقدم الحديث الذي رواه البخاري [١٥٣٤] من حديث الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يروى العتيق يقول: «أتاني آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».

وقال البخاري [١٥٤١] باب الإهلال عند مسجد ذي الحليفة:

حدثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان، ثنا موسى بن عقبة، سمعت سالم بن عبد الله سمعت ابن عمر. وحدثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا مالك عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، أنه سمع أباه يقول: ما اهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد - يعني مسجد ذي الحليفة -.

وقد رواه الجماعة [١١٨٦]، د [١٧٧١]، ت (٨١٨)، س (٢٧٥٧) إلا ابن ماجه من طرق عن موسى بن عقبة.

وفي رواية لمسلم [١١٨٤] (٢٠) عن موسى بن عقبة، عن سالم ونافع وحمزة بن عبد الله بن عمر، ثلاثهم عن عبد الله بن عمر فذكره. وزاد فقال: «ليكن اللهم ليكن».

وفي رواية لهما [١٥٤١]، م (١١٨٦) واللفظ لمسلم من طريق مالك عن موسى بن عقبة، عن سالم قال: قال عبد الله بن عمر: يبداؤكم هذه التي تكتبون على رسول الله ﷺ فيها، ما اهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد.

وقد روي عن ابن عمر خلاف هذا كما يأتي في الشق الآخر، وهو ما أخرجه في الصحيحين [١٦٦]، م (١١٨٧) من طريق مالك عن سعيد المقبري، عن عبيد بن جريح، عن ابن عمر، فذكر حديثاً فيه أن عبد الله قال: وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تبيت به راحلته.

وقال الإمام أحمد [٢٦٠/١] حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني خصيف بن عبد الرحمن الجزري، عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس: يا أبا العباس عجباً لاختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في إهلال رسول الله ﷺ حين أوجب! فقال: إني لأعلم الناس بذلك، إما كانت من رسول الله ﷺ حجة واحدة، فمن هناك اختلفوا، خرج رسول الله ﷺ حاجاً، فلما صلى في مسجده بنى الخليفة ركعتيه، أوجب في مجلسه، فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه، فسمع ذلك منه قوم فحفظوا عنه، ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وأدرك ذلك منه أقوام، وذلك أن الناس إما كانوا يأتون أرسالا، فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل، فقالوا: إما اهل رسول الله ﷺ حين استقلت به ناقته، ثم مضى رسول الله ﷺ فلما علا شرف اليبداء، اهل وأدرك ذلك منه أقوام، فقالوا: إما اهل رسول الله ﷺ حين علا شرف اليبداء. وإيم الله لقد أوجب في مصلاه، واهل حين استقلت به ناقته، واهل حين علا شرف اليبداء.

فمن أخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه إذا فرغ من ركعتيه. وقد رواه الترمذي [٨١٩] والنسائي [١] جميعاً عن قتيبة، عن عبد السلام بن حرب، عن خصيف به نحوه.

البيهقي [السنن الكبرى: ٣٥/٥]: أنبأنا أبو الحسين بن بشران - ببغداد - أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المصري، ثنا يحيى بن عثمان بن صالح، ثنا عبد الرحمن بن أبي الغمر، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، عن عائشة؛ أنها قالت: طابت رسول الله ﷺ بالغالية الجيدة عند إحرامه.

وهذا إسناد غريب، عزيز المخرج، ثم إنه عليه الصلاة والسلام لبد رأسه ليكون أحفظ لما فيه من الطيب، وأصون له من استقرار التراب والتبار.

قال مالك [الموطأ برواية أبي مصعب: ٥٤٠/١] عن نافع عن ابن عمر: أن حفصة زوج النبي ﷺ قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ قال: «إني لثبت رأسي، وقلدت هدي، فلا أحل حتى أحرم».

وأخرجه في الصحيحين [١٥٦٦]، م (١٢٢٩) (١٧٦) من حديث مالك وله طرق كثيرة عن نافع [١٦٩٧]، م (٤٣٩٨)، م (١٢٢٩) (١٧٧)، د (١٨٠٦)، س (٢٦٨٢)، ج (٣٠٤٦).

قال البيهقي [السنن الكبرى: ٣٦/٥]: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأحم، أنبأنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، ثنا عبد الأعلى، ثنا محمد بن إسحاق عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ لبد رأسه بالصل.

وهذا إسناد جيد.

ثم إنه عليه السلام أشعر الهدي وقلده وكان معه بنى الخليفة.

قال الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج، وأهدى، فساق معه الهدي من ذي الحليفة. وسبأني الحديث بتمامه وهو في الصحيحين [١٦٩١]، م (١٢٢٧) (١٧٤)، والكلام عليه إن شاء الله.

وقال مسلم [١٢٤٣] (١٠٠٠): حدثنا محمد بن المثنى، ثنا معاذ بن هشام، هو الدستوائي، حدثني أبي عن قتادة، عن أبي حسان، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ لما أتى ذا الحليفة دعا بناقته فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسلت الدم، وقلدها نعلين، ثم ركب راحلته.

وقد رواه أهل السنن الأربعة [١٧٥٢]، (١٧٥٣)، ت (٩٠٦)، س (٢٧٧٢)، (٢٧٧٤)، (٢٧٨٢)، (٢٧٩١)، ج (٣٠٩٧) من طرق عن قتادة، وهذا يدل على أنه عليه السلام تعاطى هذا الإشعار والتقليد بيده الكريمة في هذه البنية، وتولى إشعار بقية الهدي وتقليده غيره، فإنه قد كان مُدني كثير، إما مائة بنية، أو أقل منها بقليل، وقد ذبح بيده الكريمة ثلاثاً وستين بنية، وأعطى علياً فذبح ما غير.

وفي حديث جابر أن علياً قدم من اليمن يسدن للنبي ﷺ، وفي سياق ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٠٢/٢]: أنه عليه السلام أشرك علياً في بُنية وأله أعلم.

وذكر غير أنه ذبح هو وعلي يوم النحر مائة بنية، فعلى هذا يكون قد ساقها معه من ذي الحليفة، وقد يكون اشترى بعضها بعد ذلك وهو محرم.

وقال الترمذي: حسن غريب، لا نعرف أحد رواه غير عبد السلام كنا قال. وقد تقدم رواية الإمام أحمد له من طريق محمد بن إسحاق عنه. وكذلك رواه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٢٧/٥] عن الحاكم، عن القطيعي، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، ثم قال: خفيف الجزري غير قوي.

وقد رواه الواقدي بإسناد له عن ابن عباس. قال البيهقي: إلا أنه لا ينفع متابعة الواقدي، والأحاديث التي وردت في ذلك عن عمر وغيره أسانيداً قوية ثابتة، والله تعالى أعلم.

قلت: فلو صح هذا الحديث لكان فيه جمع لما بين الأحاديث من الاختلاف، ويسط لعمر من نقل خلاف الواقع، ولكن في إسناده ضعف. ثم قد روي عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما تقدم عنهما كما سننته عليه وننته؛ وهكذا ذكر من قال: أنه عليه الصلاة والسلام أهل حين استوت به راحلته.

قال البخاري [١٥٤٦]: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا هشام بن يوسف، أنبأ ابن جريج، حدثني محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك. قال: صلى النبي ﷺ بالمدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين، ثم بات حتى أصبح بذى الحليفة، فلما ركب راحلته واستوت به أهل.

وقد رواه البخاري [١٠٨٩] ومسلم [٦٩٠] (١١) وأهل السنن [١٢٠٢]، ت (٥٤٦)، م (٤٦٩) من طرق عن محمد بن المنكدر، وإبراهيم بن ميسرة عن أنس.

وثابت في الصحيحين [١٦٦]، م (١١٨٧) (٢٥) من حديث مالك عن سعيد المقبري عن عبيد بن جريج، عن ابن عمر. قال: وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبت به راحلته.

وأخرجه في الصحيحين [١٥٦٤]، م (١١٨٧) (٢٩) من رواية ابن وهب عن يونس، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان يركب راحلته بذى الحليفة ثم يهل حين تستوي به قائلة.

وقال البخاري [١٥٥٢]: باب من أهل حين استوت به راحلته: حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني صالح بن كيسان، عن نافع، عن ابن عمر. قال: أهل النبي ﷺ حين استوت به راحلته قائلة.

وقد رواه مسلم [١١٨٧] (٢٨) والسناني [٢٧٥٨] من حديث ابن جريج به.

وقال مسلم [١١٨٧] (٢٧): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ إذا وضع رجله في الفرز وانبتت به راحلته قائلة أهل من ذي الحليفة. انفرد به مسلم من هذا الوجه.

وأخرجه [٢٨٦٥]، وليس للحديث عند مسلم طريق أخرى من وجه آخر عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عنه.

ثم قال البخاري [١٥٥٣]: باب الإهلال مستقبل القبلة.

قال أبو عمر: حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب عن نافع. قال: كان ابن عمر إذا صلى الغداة بذى الحليفة أمر بإراحته فرحلت، ثم ركب فإذا استوت به استقبل القبلة قائماً، ثم يلي حتى يبلغ الحرم، ثم يسلك حتى إذا جاء ذا طوى بات به حتى يصبح، فإذا صلى الغداة اغتسل، وزعم أن رسول الله ﷺ فعل ذلك، ثم قال: تابعه إسماعيل عن أيوب في الغسل.

وقد علق البخاري أيضاً هذا الحديث في كتاب الحج [١٧٦٩] عن محمد بن عيسى، عن حماد بن زيد. وأسند فيه [١٥٧٣] عن يعقوب بن

إبراهيم الدورقي، عن إسماعيل هو ابن علي.

ورواه مسلم عن زهير بن حرب، عن إسماعيل وعن أبي الربيع الزهراني وغيره وهو من رواية أبي الربيع الزهراني عن حماد قط رقم (١٢٥٩) (٢٢٧)، عن حماد بن زيد، ثلاثهم عن أيوب، عن أبي تيمية السخيتي به. ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل عن إسماعيل بن علي به.

ثم قال البخاري [١٥٥٤]: حدثنا سليمان أبو الربيع، ثنا فليح عن نافع قال: كان ابن عمر إذا أراد الخروج إلى مكة أذهن بدهن ليس له رائحة طيبة، ثم يأتي مسجد ذي الحليفة فيصلي، ثم يركب، فإذا استوت به راحلته قائمة أحرم، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل. تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وروى مسلم [١١٨٦] (٢٤) عن قتية، عن حاتم بن إسماعيل، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن أبيه قال: يداؤم هذه التي تكلبون على رسول الله ﷺ، فيها والله ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد حين قام به بعيره.

وهذا الحديث يجمع بين رواية ابن عمر الأولى وهذه الروايات عنه، وهو أن الإحرام كان من عند المسجد، ولكن بعدما ركب راحلته واستوت به على البلقاء، يعني الأرض، وذلك قبل أن يصل إلى المكان المعروف بالبلقاء.

ثم قال البخاري في موضع آخر [١٥٤٥]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة، حدثني كريب عن عبد الله بن عباس قال: انطلق النبي ﷺ من المدينة بعدما تجرل وأذهن، وليس إزاره ورواه هو وأصحابه، ولم يته عن شيء من الأردية والأزر تلبس إلا الزعفرة التي تردع على الجلد، فأصبح بذى الحليفة ركب راحلته حتى استوى على البلقاء، أهل هو وأصحابه، وقلد بدنه، وذلك لحسن يقين من ذي القعدة فقدم مكة لأربع خلون من ذي الحجة. فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ولم يهل من أجل بدنه، لأنه قلدها، ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون، وهو مهمل بالحج، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها، حتى رجع من عرفة، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم يقصروا من رؤوسهم، ثم يحلوا، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها، ومن كانت معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب.

انفرد به البخاري.

وقد روى الإمام أحمد [٢٥٤/١]، ٢٨٠، ٣٢٩، ٣٤٧: عن بهز بن أسد، وحجاج وروح بن عبادة، وعفان بن مسلم، كلهم عن شعبة، قال: أخبرني قتادة، قال: سمعت أبا حسان الأعرج الأجرد، وهو مسلم بن عبد الله البصري، عن ابن عباس قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بذى الحليفة، ثم دعا ببنته فأشعر صفحة سنانها الأيمن، وسلت الدم عنها، وقلدتها ثعلين، ثم دعا بإراحته، فلما استوت على البلقاء أهل بالحج.

ورواه [٢١٦/١] أيضاً عن هشيم، أنبأ أصحابنا منهم شعبة، فذكر نحوه.

ثم رواه الإمام أحمد [٣٤٤/١]، ٣٧٢ أيضاً عن روح وأبي داود الطيالسي ووكيع بن الجراح كلهم عن هشام الدستوائي عن قتادة به نحوه.

ومن هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه [١٢٤٣] وأهل السنن في كتبهم [١٧٥٢]، ١٧٥٣، ت (٩٠٦)، م (٢٧٧٤، ٢٧٧٥، ٢٧٨٢، ٢٧٩١) فهذه الطرق عن ابن عباس من أنه عليه الصلاة والسلام أهل حين استوت به راحلته. أصح وأثبت من رواية خفيف الجزري عن سعيد

بن جبير عنه والله أعلم.

وهكذا الرواية المثبتة المقررة أنه أهل حين استوت به الراحلة، مقدمة على الأخرى لاحتمال أنه أحرم من عند المسجد حين استوت به راحلته، ويكون رواية روكبه الراحلة فيها زيادة علم على الأخرى، والله أعلم.

ورواية أنس في ذلك سائلة عن المعارض، وهكذا رواية جابر بن عبد الله في صحيح مسلم [١٢١٨] من طريق جعفر الصادق، عن أبيه محمد بن علي أبي الحسين زين العابدين، عن جابر في حديثه الطويل الذي سيأتي: أن رسول الله ﷺ أهل حين استوت به راحلته سائلة عن المعارض والله أعلم.

وروى البخاري [١٥١٥] من طريق الأوزاعي: سمعت عطاء عن جابر بن عبد الله: أن إهلال رسول الله ﷺ من ذي الحليفة حين استوت به راحلته؛ فأما الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق بن يسار عن أبي الزناد، عن عائشة بنت سعد. قالت: قال سعد: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ طريق الفرع أهل إذا استقلت به راحلته، وإذا أخذ طريق أحد أهل إذا علا على شرف اليناء.

فرواه أبو داود [١٧٧٥] والبيهقي [السنن الكبرى: ٣٨/٥، ٣٩] من حديث ابن إسحاق، وفيه غرابة ونكارة، والله أعلم.

فهذه الطرق كلها دالة على القطع، أو الظن الغالب أنه عليه السلام أحرم بعد الصلاة، ولبعدها ركب راحلته وابتنأت به السير، زاد ابن عمر في روايته: وهو مستقبل القبلة.

سنة ١٠ - باب بسط البيان لما أحرم به ﷺ في حجته

هذه من الأفراد والتمتع أو القرآن

سنة ١٠ - ذكر الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان مفرداً

رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك:

قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي [ترتيب مسند الشافعي (١٩٧٧)]: أنبأنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

ورواه مسلم [١٢٢٢] عن إسماعيل، عن أبي أويس ويحيى بن يحيى، عن مالك.

ورواه الإمام أحمد [٣٦/٦] عن عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك به. وقال أحمد [١٠٧/٦]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حديثه المنكدر بن محمد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

وقال الإمام أحمد [١٠٧/٦]: حدثنا سريج، ثنا ابن أبي الزناد عن أبيه، عن عروة، عن عائشة. وعن علقمة بن أبي علقمة عن أمه، عن عائشة. وعن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج. تفرد به أحد من هذه الوجوه عنها.

وقال الإمام أحمد [٢٤٣/٦]: حدثني عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك بن أنس عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

وقال [٢٤٣/٦]: حدثنا روح، ثنا مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل - وكان يتيماً في حجر عروة - عن عروة بن الزبير، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

ورواه ابن ماجه [٢٩٦٥] عن أبي مصعب، عن مالك كذلك.

ورواه النسائي [٢٧١٥] عن قتيبة، عن مالك، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أهل بالحج.

وقال أحمد [٣٦/٦] أيضاً: حدثنا عبد الرحمن عن مالك، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فمنا من أهل بالحج، ومنا من أهل بالعمرة، ومنا من أهل بالحج والعمرة، وأهل رسول الله ﷺ بالحج؛ فأما من أهل بالعمرة فأحلوا حين طافوا بالبيت وبالصفا والمروة، وأما من أهل بالحج أو بالحج والعمرة، فلم يحلوا إلى يوم النحر.

وهكذا رواه البخاري [١٥٦٢] عن عبد الله ابن يوسف، والقعيني، وإسماعيل بن أبي أويس، عن مالك.

ورواه مسلم [١٢١١] (١١٨) عن يحيى بن يحيى، عن مالك به.

وقال أحمد [٣٧/٦]: حدثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أهل رسول الله ﷺ بالحج، وأهل ناس بالحج والعمرة، وأهل ناس بالعمرة.

ورواه مسلم [١٢١١] (١١٤) عن ابن أبي عمير، عن سفيان بن عيينة به نحوه.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد [٩٢/٦]: حدثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر الناس في حجة الوداع فقال: من أحب أن يبدأ بعمرة قبل الحج فليفعل، وأفرد رسول الله ﷺ الحج ولم يتختر. فإنه حديث غريب جداً، تفرد به أحمد ابن حنبل، وإسناده لا بأس به، ولكن لفظه فيه نكارة شديدة، وهو قوله: فلم يتختر.

فإن أريد بهذا أنه لم يتختر من الحج ولا قبله، هو قول من ذهب إلى الأفراد، وإن أريد أنه لم يتختر بالكلية لا قبل الحج ولا معه ولا بعده، فهذا مما لا أعلم أحداً من العلماء قال به، ثم هو مخالف لما صحح عن عائشة وغيرها، من أنه ﷺ اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته. وسيأتي تقرير هذا في فصل القرآن مستقصى والله أعلم.

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد قائلًا في مسنده [٢٤٣/٦]: حدثنا روح، ثنا صالح بن أبي الأخضر، ثنا ابن شهاب أن عروة أخيره: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أهل رسول الله ﷺ بالحج والعمرة في حجة الوداع، وساق معه الهدي، وأهل ناس معه بالعمرة وساقوا الهدي، وأهل ناس بالعمرة ولم يسوقوا هدياً، قالت عائشة: وكنت عن أهل بالعمرة، ولم أسق هدياً، فلما قدم رسول الله ﷺ قال: «من كان منكم أهل بالعمرة فساق معه الهدي فليطف بالبيت وبالصفا والمروة، ولا يحل منه شيء حرم منه، حتى يقضي حجه وينحر منه يوم النحر، ومن كان منكم أهل بالعمرة ولم يسق معه هدياً فليطف بالبيت وبالصفا والمروة ثم ليقتصر وليحلل، ثم ليهل بالحج وليهد، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام من الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله». قالت عائشة فقدم رسول الله ﷺ الذي خاف فوته وأخر العمرة.

فهو حديث من أفراد الإمام أحمد، وفي بعض ألفاظه نكارة، ولبعضه شاعده في الصحيح (خ) [١٦٩١] من حديث عائشة، وصالح بن أبي الأخضر

روى الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٤/٥] من حديث روح بن عباد، عن شعبة، عن أيوب، عن أبي العالية البراء، عن ابن عباس. أنه قال: أهل رسول الله ﷺ بالحج، فقدم لأربع مضين من ذي الحجة، ففصل بنا الصبح بالبطحاء. ثم قال: ومن شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها. ثم قال: رواه مسلم [١٢٤٠] (٢٠١) عن إبراهيم بن دينار، عن روح.

وتقدم من رواية قتادة عن أبي حسان الأعرج، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بذي الحليفة، ثم أتى بيئنة فأشعر صفحة سنامها الأيمن، ثم أتى براحته فركبها فلما استوت به على اليبداء أهل بالحج، وهو في صحيح مسلم أيضاً.

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني [السنن: ٢٣٩٩/٢]: حدثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا أبو هشام، ثنا أبو بكر بن عياش، ثنا أبو حصين عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه. قال: حججت مع أبي بكر فجرد، ومع عمر فجرد، ومع عثمان فجرد. تابعه الثوري عن أبي حصين.

وهنا إننا ذكرناه هنا لأن الظاهر أن هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم، إنما يفعلون هذا عن توقيف، والمراد بالتجريد هنا الأفراد والله أعلم.

وقال الدارقطني [السنن: ٢٣٩٩/٢]: حدثنا أبو عبيد الله القاسم بن إسماعيل ومحمد بن مخلد. قال: ثنا علي بن محمد بن معاوية البزاز، ثنا عبد الله بن نافع، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أن النبي ﷺ استعمل عتاب بن أسيد على الحج فأفرد، ثم استعمل أبا بكر سنة تسع فأفرد الحج، ثم حج النبي ﷺ سنة عشر فأفرد الحج، ثم توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فبعث عمر فأفرد الحج، ثم حج أبو بكر فأفرد الحج، وتوفي أبو بكر واستخلف عمر فبعث عبد الرحمن بن عوف فأفرد الحج، ثم حج عمر سنيته كلها فأفرد الحج، ثم توفي عمر واستخلف عثمان فأفرد الحج، ثم حضر عثمان فأقام عبد الله بن عباس للناس فأفرد الحج.

في إسناده عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف لكن قال الحافظ البيهقي: له شاهد بإسناد صحيح.

سنة ١٠- ذكر من قال إنه ﷺ حج متمتعاً

قال الإمام أحمد [١٣٩٩/٢، ١٤٠]: حدثنا حماد، ثنا ليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج، وأهدى فساق الهدي من ذي الحليفة، ويبدأ رسول الله ﷺ فأهل بالعمرة، ثم أهل بالحج، وتمتع الناس مع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج، فكان من الناس من أهدى فساق الهدي من ذي الحليفة ومنهم من لم يهد. فلما قدم رسول الله ﷺ مكة قال للناس: فمن كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفاء والمروة، وليقصر وليحلق ثم ليهل بالحج وليهد، فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام وسبعة إذا رجع إلى أهله.

وطاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة، استلم الركن أول شيء، ثم خبّ ثلاثة أشواط من السبع، ومشى أربعة أطراف، ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلم فانصرف، فاتى الصفاء، فطاف بالصفاء والمروة، ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر، وأفاض فطاف بالبيت، ثم حلّ من كل شيء حُرّم منه وفعل

ليس من عليّة أصحاب الزمهرري، لا سيما إذا خالفه غيره كما هنا في بعض ألفاظ سيقته هذا.

وقوله: تقدم الحج الذي يخاف فوته، وآخر العمرة، لا يلتزم مع أول الحديث أهل بالحج والعمرة، فإن أراد أنه أهل بهما في الجملة وقدم أفعال الحج، ثم بعد فراغه أهل بالعمرة كما يقوله من ذهب إلى الأفراد، فهو مما نحن فيه هنا، وإن أراد أنه آخر العمرة بالكليّة بعد إحرامه بها، فهذا لا أعلم أحداً من العلماء صار إليه، وإن أراد أنه المقضي بأفعال الحج عن أفعال العمرة عن أفعال العمرة، ودخلت العمرة في الحج، فهذا قول من ذهب إلى التران، وهم يؤولون قول من روى أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج، أي أفرد أفعال الحج، وإن كان قد نوى معه العمرة، قالوا: لأنه قد روى القرآن كل من روى الأفراد، كما سيأتي بيانه والله تعالى أعلم.

رواية جابر بن عبد الله في الأفراد:

قال الإمام أحمد [٣١٥/٣]: حدثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله. قال: أهل رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالحج.

إسناده جيد على شرط مسلم.

ورواه البيهقي [السنن الكبرى: ٤/٥] عن الحاكم، وغيره عن الأصم، عن أحمد ابن عبد الجبار، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. قال: أهل رسول الله ﷺ في حجته بالحج ليس معه عمرة. وهذه الزيادة غريبة جداً، ورواية الإمام أحمد بن حنبل أحفظ والله أعلم.

وفي صحيح مسلم [١٢١٨] (١٤٧) من طريق جعفر بن عمدة عن أبيه، عن جابر. قال: وأهلنا بالحج لسنا نعرف العمرة.

وقد روى ابن ماجه [٢٩٦٦] عن هشام بن عمار عن الدراوردي وحاتم بن إسماعيل، كلاهما عن جعفر بن عمدة عن أبيه، عن جابر: أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

وهنا إسناده جيد.

وقال الإمام أحمد [٣٠٥/٣]: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، ثنا حبيب - يعني المعلم - عن عطاء، حدثني جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ أهل هو وأصحابه بالحج ليس مع أحد منهم هدي إلا النبي ﷺ وطلحة؛ وذكر غمام الحديث وهو في صحيح البخاري [١٦٥١] بطوله كما سيأتي عن محمد بن المثني، عن عبد الوهاب.

رواية عبد الله بن عمر للأفراد:

قال الإمام أحمد [٩٧/٢]: حدثنا إسماعيل بن محمد، ثنا عباد - يعني ابن عباد - حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. قال: أهلنا مع النبي ﷺ بالحج مفرداً.

ورواه مسلم في صحيحه [١٢٣١] عن عبد الله بن عون، عن عباد بن عباد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أهل بالحج مفرداً.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن عبد العزيز ومحمد بن مسكين. قالوا: ثنا بشر بن بكر، ثنا سعيد بن عبد العزيز عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أهل بالحج - يعني مفرداً -.

إسناده جيد ولم يخرجوه.

رواية ابن عباس للأفراد:

ويان هنا في الحديث الذي رواه عبد الله بن وهب: أخبرني مالك بن أنس وغيره أن نافعاً حدثهم أن عبد الله بن عمر خرج في الفتنة معتمراً، وقال: إن صددت عن البيت صنعنا كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج فأهل بالعمرة وسار حتى إذا ظهر على ظاهر اليبلاء انفتحت إلى أصحابه فقال: ما أمرهما إلا واحد، أشهدكم أنني قد أوجبت الحج مع العمرة، فخرج حتى جاء البيت فطاف به وطاف بين الصفا والمروة سبعاً لم يزد عليه، ورأى أن ذلك مجزئ عنه وأهدى.

وقد أخرجه صاحبنا الصحيح [ج (١٨٠٦)، م (١٢٣٠)، (١٨٠)] من حديث مالك.

وأخرجه [ج (٤١٨٤)، م (١٢٣٠)، (١٨١)] من حديث عبيد الله عن نافع به.

ورواه عبد الرزاق عن عبيد الله، وعبد العزيز بن أبي رواد عن نافع به نحوه؛ وفيه ثم قال في آخره: هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيما رواه البخاري [١٦٤٠] حيث قال: حدثنا قتيبة، ثنا ليث عن نافع: أن ابن عمر أراد الحج عام نزل الحجاج بابن الزبير، فقبل له: إن الناس كائن بينهم قتال، وإننا نخاف أن يصدوك. قال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الأحزاب: ٢١]، إذا صنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إني أشهدكم أنني قد أوجبت عمرة. ثم خرج حتى إذا كان بظاهر اليبلاء قال: ما شأن الحج والعمرة إلا واحداً، أشهدكم أنني أوجبت حجاً مع عمرتي، فأهدى هلباً اشتراه بقليد، ولم يزد على ذلك، ولم ينحر، ولم يجل من شيء حرم منه، ولم يجلت، ولم يقصر حتى كان يوم النحر، فنحر وحلق، ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول. وقال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال البخاري [١٦٣٩]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا ابن علية، عن أيوب، عن نافع: أن ابن عمر دخل ابنه عبد الله بن عبد الله وظهره في الدار فقال: إني لا آمن أن يكون العام بين الناس قتال فيصدوك عن البيت، فلو أقمته. قال: قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش بينه وبين البيت، فإن يجل بيني وبينه أفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، إذا صنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إني أشهدكم أنني قد أوجبت مع عمرتي حجاً. ثم قدم فطاف لهما طوافاً واحداً.

وهكذا رواه البخاري [١٦٩٣] عن أبي النعمان، عن حماد بن زيد، عن أيوب بن أبي تيمية السخيتي، عن نافع به.

ورواه مسلم [١٢٣٠، (١٨٣)] من حديثهما عن أيوب به. فقد اقتدى ابن عمر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم في التحلل عند حضر العدو، والاكتفاء بطواف واحد عن الحج والعمرة، وذلك لأنه كان قد أحرم أولاً بعمرة ليكون متمتعاً فخشى أن يكون خضراً، فجمعهما، وأدخل الحج على العمرة قبل الطواف، فصار قارناً، وقال: ما أرى أمرهما إلا واحداً - يعني لا فرق بين أن يحصر الإنسان عن الحج أو العمرة أو عنهما - فلما قدم مكة اكتفى عنهما بطوافه الأول كما صرح به في السياق الأول الذي أوردناه، وهو قوله: ورأى أن قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول. قال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أنه اكتفى عن الحج والعمرة بطواف واحد - يعني بين الصفا والمروة -.

وفي هذا دلالة على أن ابن عمر روى القرآن، ولهذا روى النسائي [٢٩٢٢] عن محمد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن أيوب بن

مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى فساق الهدي من الناس.

قال الإمام أحمد [١٤٠/٢]: وحدثنا حجاج، ثنا ليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب، عن عروة ابن الزبير: أن عائشة أخبرته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمتع بالعمرة إلى الحج، وتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم بن عبد الله، عن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى هذا الحديث البخاري [ج (١٦٩١)] عن يحيى بن بكير، ومسلم [١٢٢٧] وأبو داود عن عبد الملك بن شعيب بن الليث، عن أبيه. والنسائي عن محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي عن حجين بن المثنى، ثلاثهم عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم عن أبيه، به، وأخرجه صاحبنا الصحيح [ج (١٦٩٢)، م (١٢٢٨)] من طريق الليث عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة كما ذكره الإمام أحمد رحمه الله.

وهذا الحديث من المشكلات على كل من الأقوال الثلاثة، أما قول الأفراد ففي هذا إثبات عمرة، إما قبل الحج أو معه، وأما على قول المتمتع الخاص، فلا أنه لم يجل من إحرامه بعدما طاف بالصفا والمروة. وليس هذا شأن المتمتع، ومن زعم أنه إنما تمتع من التحلل سوق الهدي كما قد يفهم من حديث ابن عمر عن حفصة أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة، ولم تحل أنت من عمرتك، فقال: «إني لبئت رأسي، وقلدت هدي فلا أحل حتى آخره».

فقولهم بعيد لأن الأحاديث الواردة في إثبات القرآن ترد هذا القول وتلبي كونه عليه الصلاة والسلام إما أهل أولاً بعمرة ثم بعد سعيه بالصفا والمروة أهل بالحج، فإن هذا على هذه الصفة لم ينقله أحد بإسناد صحيح، بل ولا حسن ولا ضعيف.

وقوله في هذا الحديث: تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج. إن أريد بذلك المتمتع الخاص، وهو الذي يجل منه بعد السعي، فليس كذلك، فإن في سياق الحديث ما يبرره، ثم في إثبات العمرة المقارنة لحجه عليه الصلاة والسلام ما يباه، وإن أريد به المتمتع العام دخل فيه القرآن وهو المراد.

وقوله: وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل بالعمرة، ثم أهل بالحج. إن أريد به بدأ بلفظ العمرة على لفظ الحج بأن قال: «إليك اللهم عمرة وحجاً» فهذا سهل ولا ينافي القرآن، وإن أريد به أنه أهل بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج بترأخ، ولكن قبل الطواف قد صار قارناً أيضاً، وإن أريد به أنه أهل بالعمرة، ثم فرغ من أفعالها تحلل أو لم يتحلل بسوق الهدي، كما زعمه زاعمون، ولكنه أهل بحج بعد قضاء مناسك العمرة وقبل خروجه إلى منى، فهذا لم ينقله أحد من الصحابة كما قدمنا، ومن ادعاه من الناس فقوله مردود لعدم نقله ومخالفته الأحاديث الواردة في إثبات القرآن كما سيأتي، بل والأحاديث الواردة في الأفراد كما سبق والله أعلم.

والظاهر والله أعلم أن حديث الليث هذا عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، مروى من الطريق الأخرى عن ابن عمر حين أراد الحج زمن الحج، محاصرة الحجاج لابن الزبير، فقبل له: إن الناس كائن بينهم شيء، فلو أخرت الحج عامك هذا؟ فقال: إنا أفعل كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يعني زمن حُجْر عام الحليفة، فأحرم بعمرة من ذي الحليفة، ثم لما علا شرف اليبلاء قال: ما أرى أمرهما إلا واحداً، فأهل بحج معها، فاعتقد الراوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فعل سواء، بدأ فأهل بالعمرة، ثم أهل بالحج، ففرووه كذلك، وفيه نظر لما سئبه.

الدليل، وإن رجحنا رواية مسلم في صحيحه في رواية العمرة، فقد تقدم عن ابن عباس أنه روى الإفراد وهو الإحرام بالحج، فتكون هذه زيادة على الحج فيجوز القول بالقران لا سيما وسباني عن ابن عباس ما يدل على ذلك.

وروى مسلم [١٢٤١] من حديث غندر ومعاذ بن معاذ عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: هذه عمرة استمتعنا بها، فمن لم يكن معه هدي فليحل الحل كله، فإن العمرة قد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة.

وروى البخاري [١٥٦٧] عن آدم بن أبي إياس ومسلم [١٢٤٢] من حديث غندر، كلاهما عن شعبة، عن أبي جرة قال: تمتعت فنهاني ناس، فسألت ابن عباس فأمرني بها، فرأيت في المنام كأن رجلاً يقول: حج مبرور وممتع متقبلة. فأخبرت ابن عباس فقال: الله أكبر سنة أبي القاسم، صلوات الله وسلامه عليه.

والمراد بالمتعة هنا القران.

وقال القعني وغيره عن مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص، والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج. فقال الضحاك: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بش ما قلت يا ابن أخي، فقال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها. فقال سعد: قد صنعتها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

ورواه الترمذي [٨٢٣] والسنائي [٢٧٣٣] عن قتية عن مالك، وقال الترمذي: صحيح.

وقال عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك كلاهما عن سليمان التيمي: حدثني غنيم بن قيس، سألت سعد بن أبي وقاص: عن التمتع بالعمرة إلى الحج قال: فعلناها مع رسول الله ﷺ، وهذا يومئذ كافر في العرش - يعني مكة - ويعني به معاوية.

ورواه مسلم [١٢٢٥] من حديث شعبة، وسفيان الثوري ويحيى بن سعيد، ومروان الفزاري، أربعتهم عن سليمان التيمي، سمعت غنيم بن قيس سألت سعداً عن المتعة فقال: قد فعلناها، وهذا يومئذ كافر بالعرش. وفي رواية يحيى بن سعيد - يعني معاوية -.

وهذا كله من باب إطلاق التمتع على ما هو أعم من التمتع الخاص، وهو الإحرام بالعمرة والفراغ منها، ثم الإحرام بالحج ومن القران، بل كلام سعد فيه دلالة على إطلاق التمتع على الاعتمار في أشهر الحج، وذلك أنهم اعتمروا ومعاوية بكافر بمكة قبل الحج، أما عمرة الحديبية أو عمرة القضاء وهو الأشبه، فأما عمرة الجمرات فقد كان معاوية أسلم مع أبيه ليلة الفتح، وروينا أنه قصر من شعر النبي ﷺ بمشقص في بعض عمره، وهي عمرة الجمرات لا عمالة والله أعلم.

سنة ١٠- ذكر حجة من ذهب إلى أنه ﷺ كان قارناً

وسرد الأحاديث في ذلك

رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قد تقدم ما رواه البخاري [١٥٣٤] من حديث أبي عمرو الأوزاعي:

موسى، عن نافع: أن ابن عمر قرن الحج والعمرة طوافاً واحداً.

ثم رواه السنائي [٢٩٣٣] عن علي بن ميمون الرقي، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، وأيوب بن موسى، وأيوب السخيتاني، وعبد الله بن عمر أربعتهم عن نافع: أن ابن عمر أتى ذا الحليفة فأهل بعمرة، فخشي أن يصد عن البيت. فذكر تمام الحديث من إدخاله الحج على العمرة وصبروته قارناً.

والمقصود أن بعض الرواة لما سمع قول ابن عمر: إذا أصنع كما صنع رسول الله ﷺ، وقوله: كذلك فعل رسول الله ﷺ. اعتقد أن رسول الله ﷺ بدأ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج فأدخله عليها قبل الطواف، فرواه بمعنى ما فهم، ولم يرد ابن عمر ذلك وإنما أراد ما ذكرناه والله أعلم بالصواب.

ثم بتقدير أن يكون أهل بالعمرة أولاً ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف، فإنه يصير قارناً لا متمتعاً التمتع الخاص، فيكون فيه دلالة لمن ذهب إلى أفضلية التمتع، والله تعالى أعلم.

وأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه [١٥٧١]: حدثنا موسى بن إسماعيل، ثنا همام عن قتادة، حدثني مطرف عن عمران. قال: تمتعنا على عهد النبي ﷺ ونزل القران، قال رجل براه ما شاء.

فقد رواه مسلم [١٢٢٦] [١٧٠] عن محمد بن المنسي، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن همام، عن قتادة به.

والمراد به المتعة التي أعم من القران، والتمتع الخاص، ويدل على ذلك ما رواه مسلم [١٢٢٦] [١٦٨، ١٦٩] من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن مطرف، عن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن الحصين: أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة، وذكر تمام الحديث.

وأكثر السلف يطلقون المتعة على القران كما قال البخاري [١٥٦٩]:

حدثنا قتية، ثنا حجاج بن محمد الأعور عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب. قال: اختلف عليّ وعثمان رضي الله عنهما وهما بعسفان في المتعة، فقال علي: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أهل بهما جميعاً.

ورواه مسلم [١٢٢٣] [١٥٩] من حديث شعبة وأخرجه البخاري [٥٦٣] من حديث شعبة أيضاً عن الحكم بن عيينة، عن عليّ بن الحسين، عن مروان بن الحكم، عنهما به. وقال عليّ: ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من ورواه مسلم [١٢٢٣] [١٥٨] من حديث شعبة أيضاً عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، عنهما. فقال له علي: لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ؟ قال: أجل! ولكننا كنا خائفين.

وأما الحديث الذي رواه مسلم [١٢٣٩] من حديث غندر عن شعبة، وعن عبيد الله بن معاذ، عن أبيه، عن شعبة، عن مسلم بن غزاق القرني، سمع ابن عباس يقول: أهل رسول الله ﷺ بعمرة وأهل أصحابه جميع فلم يحل رسول الله ﷺ ولا من ساق الهدي من أصحابه وحل بقيتهم.

فقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده [٢٧٦٣]، وروح بن عبادة عن شعبة، عن مسلم القرني، عن ابن عباس. قال: أهل رسول الله ﷺ بالحج - وفي رواية أبي داود - أهل رسول الله ﷺ وأصحابه بالحج. فمن كان منهم لم يكن له متعة هدي حل، ومن كان معه هدي لم يحل. الحديث.

فإن صححنا الروایتين جاء القران، وإن توقفتنا في كل منهما وقف

هكذا رواه الإمام أحمد مختصراً.

وقد أخرجه في الصحيحين [ج (١٥٦٩)، (١٢٢٣)، (١٥٩)] من حديث شعبة عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب. قال: اختلف عليّ وعثمان وهما بعسفان في المتعة. فقال عليّ: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله رسول الله ﷺ، فلما رأى ذلك عليّ بن أبي طالب أهل بهما جميعاً، وهكذا لفظ البخاري.

وقال البخاري (١٥٦٣): ثنا محمد بن بشار، ثنا غندر عن شعبة، عن الحكم، عن عليّ بن الحسين، عن مروان بن الحكم. قال: شهدت عثمان وعليّاً وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى عليّ أهل بهما، ليك بعمرة وحج. قال: ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد.

ورواه النسائي (١٧٢٢) من حديث شعبة به، ومن حديث الأعمش عن مسلم البطين، عن عليّ بن الحسين به (٢٧٢١). وقال الإمام أحمد (٩٧/١): ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن قتادة. قال: قال عبد الله بن شقيق: كان عثمان ينهى عن المتعة، وعليّ يأمر بها. فقال عثمان لعليّ: إنك لكنا وكنا. ثم قال: عليّ: لقد علمت أنا تمتنا مع رسول الله ﷺ. قال: أجل ولكنا كنا خاضعين.

ورواه مسلم (١٢٢٣) (١٥٨) من حديث شعبة.

فهذا اعتراف من عثمان رضي الله بما رواه عليّ رضي الله عنهما، ومعلوم أن عليّاً رضي الله عنه أحرم عام حجة الوداع بإهلاك كاهل الله ﷺ، وكان قد ساق الهدي، وأمره عليه الصلاة والسلام أن يمكث حراساً، وأشركه النبي ﷺ في هديه كما سيأتي بيانه.

وروى مالك في الموطأ (٣٣٦/١) عن جعفر بن محمد عن أبيه، أن المقداد بن الأسود دخل على عليّ بن أبي طالب بالسفيا وهو يتجعد بكرات له دقيقتاً وخبطاً. فقال: هذا عثمان بن عفان ينهى عن أن يقرن بين الحج والعمرة، فخرج عليّ وعلى يده أثر الدقيق والحبط - ما أنسى أثر الدقيق والحبط على ذراعيه - حتى دخل على عثمان. فقال: أنت تنهى أن يقرن بين الحج والعمرة؟ فقال عثمان: ذلك رأيي، فخرج عليّ مغضباً وهو يقول: ليك اللهم ليك بحجة وعمرة معاً.

وقد قال أبو داود في سننه (١٧٩٧): حدثنا يحيى بن معين، ثنا حجاج، ثنا يونس عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: كنت مع عليّ حين أمره رسول الله ﷺ على اليمن، فذكر الحديث في قدوم عليّ. قال عليّ: فقال لي رسول الله ﷺ: «كيف صنعت؟» قال: قلت: إنما أهلك يا هلال النبي ﷺ. قال: إني قد سقت الهدي وقرنت.

وقد رواه النسائي (٢٧٢٤) من حديث يحيى بن معين بإسناده، وهو على شرط الشيخين، وعلمه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٥/٥] بأنه لم يذكر هذا اللفظ في سياق حديث جابر الطويل.

وهذا التعليل فيه نظر لأنه قد روى القرآن من حديث جابر بن عبد الله كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وروى ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٣٧٧٧) عن عليّ بن أبي طالب. قال: خرج رسول الله ﷺ من المدينة وخرجت أنا من اليمن. وقلت: ليك يا هلال كاهل الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: «فإني أهلك بالحج والعمرة جميعاً».

رواية أنس بن مالك رضي الله عنه:

وقد رواه عند جماعة من التابعين ونحن نوردتهم مرتبين على حروف المعجم:

سمعت يحيى بن أبي كثير عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول: «إتاني آت من ربي عز وجل فقال صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة».

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٣/٥]: أنبأنا عليّ بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ، أنبأنا أبو أحمد بن سليمان قال: قرئ على عبد الملك بن محمد وأنا اسمع: حدثنا أبو زيد الهروي، ثنا عليّ بن المبارك، ثنا يحيى بن أبي كثير، ثنا عكرمة، حدثني ابن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إتاني جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقيق فقال: صل في هذا الوادي المبارك ركعتين، وقل: عمرة في حجة، فقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة».

ثم قال البيهقي: رواه البخاري (٧٣٤٣) عن أبي زيد الهروي.

وقال الإمام أحمد (٣٤/١): حدثنا هشيم، ثنا سيار عن أبي وائل، أن رجلاً كان نصرانياً يقال له الصبي بن معبد، فأراد الجهاد فقبل له أبناً بالحج فأتى الأشعري فأمره أن يهل بالحج والعمرة جميعاً ففعل، فبينما هو يولي إذ مر يزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة. فقال أحدهما لصاحبه: لهذا أضل من بعير أهله، فسمعها الصبي، فذكر ذلك عليه، فلما قدم أتى عمر بن الخطاب فذكر ذلك له. فقال له عمر: هديت لسنة نبيك ﷺ. قال: وسمعت مرة أخرى يقول: وقفت لسنة نبيك ﷺ.

وقد رواه الإمام أحمد (٣٧/١) عن يحيى بن سعيد القطان، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي وائل، عن الصبي بن معبد، عن عمر بن الخطاب فذكره. وقال: إنهما لم يقلوا شيئاً، هديت لسنة نبيك ﷺ.

ورواه (٣٧/١) عن عبد الرزاق عن سفیان الثوري، عن منصور، عن أبي وائل به. ورواه (١٤/١) أيضاً عن غندر، عن شعبة، عن الحكم، عن أبي وائل.

وعن سفیان بن عيينة، عن عتبة بن أبي لبابة، عن أبي وائل [السنن: ٢٥/١].

قال: قال الصبي بن معبد كنت رجلاً نصرانياً فأسلمت فأهلكت بحج وعمرة فسمعي زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أهل بهما. فقالا: لهذا أضل من بعير أهله، فكأنا حمل عليّ بكلمتهما جبل، فقدمت على عمر فأخبرته، فأقبل عليهما فلامهما، وأقبل عليّ فقال: هديت لسنة النبي ﷺ. قال عتبة: قال أبو وائل: كثيراً ما ذهبت أنا ومسروق إلى الصبي بن معبد نسأله عنه.

وهذه أسانيد جيدة على شرط الصحيح.

وقد رواه أبو داود (١٧٩٩، ١٧٩٨) والنسائي (٢٧١٨، ٢٧١٩)، (٢٧٢٠) وابن ماجه (٢٩٧٠) من طرق عن أبي وائل شقيق بن سلمة به.

وقال النسائي في كتاب الحج من سننه (٢٧٣٥): حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، ثنا أبي عن أبي حمزة السكري، عن مطرف، عن سلمة بن كهيل، عن طائوس، عن ابن عباس، عن عمر. أنه قال: والله إني لأنهاكم عن المتعة وإنها لفي كتاب الله، وقد فعلها النبي ﷺ.

[إسناده جيد.

رواية أميري المؤمنين عثمان وعليّ رضي الله عنهما:

قال الإمام أحمد (١٣٩/١): حدثنا محمد ابن جعفر، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن المسيب. قال: اجتمع عليّ وعثمان بعسفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال عليّ: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه. فقال عثمان: دعنا منك.

بكر بن عبد الله المزني عنه:

قال الإمام أحمد (٩٩/٣): حدثنا هشيم، ثنا حيد الطويل، أنبأنا بكر بن عبد الله المزني. قال: سمعت أنس بن مالك يحدث، قال: سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً، فحدثت بذلك ابن عمر. فقال: لبي بالحج وحده، فليقت أنساً فحدثته يقول ابن عمر. فقال: ما تعلمونا إلا صيائناً سمعت رسول الله ﷺ يقول: لبيك عمرة وحجاً.

ورواه البخاري (٤٣٥٣) عن مسدد، عن بشر بن المفضل عن حميد به.

وأخرجه مسلم (١٢٣٢) (١٨٥) عن سريج بن يونس، عن هشيم به.

وعن أمية بن بسطام عن يزيد بن زريع، عن حبيب بن الشهيد، عن بكر بن عبد الله المزني، به (١٢٣٢) (١٨٦).

ثابت البناني عن أنس:

قال الإمام أحمد (١٨٣/٣): حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى، عن ثابت، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «ليكن بعمرة وحجة معاً».

تفرد به من هذا الوجه الحسن البصري عنه.

قال: الإمام أحمد (١٤٧/٣): ثنا روح، ثنا أشعث عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ وأصحابه قدموا مكة وقد لبوا بحج وعمرة. فأمرهم رسول الله ﷺ بعلما طافوا بالبيت وبالصف والمروة، أن يحلوا وأن يجعلوها عمرة، فكان القوم هابوا ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «فلو أتني سقت هدياً لأحللت»، فأحل القوم وتمتعوا.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الحسن بن زرعة، ثنا سفيان بن حبيب، ثنا أشعث عن الحسن، عن أنس: أن النبي ﷺ أهل هو وأصحابه بالحج والعمرة، فلما قدموا مكة طافوا بالبيت وبالصف والمروة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يحلوا فهابوا ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «أحلوا فلولا أن معي الهدى لأحللت»، فحلوا حتى حلوا إلى النساء.

ثم قال: البزار لا تعلم رواه عن الحسن إلا أشعث بن عبد الملك.

حميد بن ترويه الطويل عنه:

قال الإمام أحمد (١٨٢/٣): حدثنا يحيى عن حميد، سمعت أنساً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكن حج وعمرة وحج».

هذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه.

لكن رواه مسلم (١٢٥١) (٢١٤) عن يحيى بن يحيى عن هشيم، عن يحيى بن أبي إسحاق، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد، أنهم سمعوا أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ﷺ أهل بهما جميعاً: «ليكن عمرة وحجاً، لبيك عمرة وحجاً».

وقال الإمام أحمد (٢٦٦/٣): حدثنا يعمر بن بشر، ثنا عبد الله، أنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك. قال: ساق رسول الله ﷺ بدنأ كثيرة وقال: «ليكن بعمرة وحج»، وإني لعدت فخذت ناته اليسرى.

تفرد به أحد من هذا الوجه أيضاً.

حميد بن هلال العلوي البصري عنه:

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا محمد بن المنشى، ثنا عبد الوهاب عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، وحدثنا سلمة بن شبيب، ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن أيوب، عن أبي قلابة وحميد بن

هلال عن أنس. قال: إني ردفت أبي طلحة، وإن ركبته لتمس ركة رسول الله ﷺ وهو يلبي بالحج والعمرة.

وهذا إسناد جيد قوي على شرط الصحيح، ولم يخرجوه. وقد تأوله البزار على أن الذي كان يلبي بالحج والعمرة أبو طلحة، قال: ولم ينكر عليه النبي ﷺ.

وهذا التأويل فيه نظر، ولا حاجة إليه لحي. ذلك من طرق عن أنس، كما مضى وكما سيأتي، ثم عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى، وهو في هذه الصورة أقوى دلالة والله أعلم، وسيأتي في رواية سالم بن أبي الجعد عن أنس صريح الرد على هذا التأويل.

زيد بن أسلم عنه:

قال الحافظ أبو بكر البزار: روى سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ أهل حج وعمرة.

حدثناه الحسن بن عبد العزيز الجروي، ومحمد بن مسكين. قالوا: حدثنا بشر بن بكر عن سعيد بن عبد العزيز، عن زيد بن أسلم، عن أنس.

قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي [السنن الكبرى: ٩/٥] بأبسط من هذا السياق. فقال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، قالوا: ثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب، أنبأنا العباس بن الوليد بن مزهد، أخبرني أبي، ثنا شبيب بن عبد العزيز عن زيد بن أسلم وغيره، أن رجلاً أتى ابن عمر فقال: تم أهل رسول الله ﷺ؟ قال ابن عمر: أهل بالحج فانصرف، ثم أتاه من العام المقبل. فقال: تم أهل رسول الله ﷺ؟ قال: ألم تأتيني عام أول. قال: بلى! ولكن أنس بن مالك يزعم أنه قرن، قال ابن عمر: إن أنس بن مالك كان يدخل على النساء وهن مكشفات الرؤوس، وإني كنت تحت ناقة رسول الله ﷺ بمسني لعابها أسمعه يلبي بالحج.

سالم بن أبي الجعد العطفاني الكوفي عنه:

قال الإمام أحمد (٢٨٠/٣): حدثنا يحيى بن آدم، ثنا شريك عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس بن مالك، يرفعه إلى النبي ﷺ: أنه جمع بين الحج والعمرة فقال: «ليكن بعمرة وحجة معاً».

حسن ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد (٢٨٠/٣): حدثنا عفان، ثنا أبو عوانة، ثنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد، عن سعد مولى الحسن بن علي. قال: خرجنا مع علي فأتينا ذا الحليفة. فقال علي: إني أريد أن أجمع بين الحج والعمرة، فمن أراد ذلك فليقل كما أقول، ثم لبي قال: لبيك بحجة وعمرة معاً. قال: وقال سالم: وقد أخبرني أنس بن مالك. قال: والله إن رجلي لتمس رجل رسول الله ﷺ، وإنه ليهل بهما جميعاً.

وهذا أيضاً إسناد جيد من هذا الوجه، ولم يخرجوه، وهذا السياق يرد على الحافظ البزار ما تأول به حديث حميد بن هلال، عن أنس كما تقدم والله أعلم.

سليمان بن طرخان التيمي عنه:

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا يحيى بن حبيب ابن عربي، ثنا المعتمر بن سليمان، سمعت أبي يحدث عن أنس بن مالك. قال: سمعت النبي ﷺ يلبي بهما جميعاً. ثم قال البزار: لم يروه عن التيمي إلا ابنه

المعتمر، ولم يسمعه إلا من يحيى بن حبيب العربي عنه.

قلت: وهو على شرط الصحيح ولم يخرجه.

سويد بن حجير عنه:

قال الإمام أحمد [١٧١/٣]: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي قزعة سويد بن حجير، عن أنس بن مالك. قال: كنت رديف أبي طلحة فكانت ركة أبي طلحة تكاد أن تصيب ركة رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يهل بهما.

وهذا إسناده جيد تفرد به أحمد، ولم يخرجه وفيه رد على الحافظ البزار صريح.

عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي عنه:

قال الإمام أحمد [١١٤/٣]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس، قال: كنت رديف أبي طلحة وهو يسائر النبي ﷺ. قال: فإن رجلي تلمس غرز النبي ﷺ فسمعتة يلبي بالبحج والعمرة معاً.

وقد رواه البخاري [١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٥١، ١٧١٢، وهو هام] من طرق عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال: صلى النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين، ثم بات بها حتى أصبح، ثم ركب راحلته حتى استوت به على البلقاء حمد الله وسبح وكبر، وأهل بحج وعمرة، وأهل الناس بهما جميعاً.

وفي رواية له [٢٩٨٦]: كنت رديف أبي طلحة، وإنهم ليصرخون بهما جميعاً الحج والعمرة.

وفي رواية له [١٧١٥] عن أيوب، عن رجل، عن أنس. قال: ثم بات حتى أصبح، فصلى الصبح ثم ركب راحلته حتى إذا استوت به البلقاء أهل بعمرة وحج.

عبد العزيز بن صهيب:

تقدمت روايته عنه مع رواية حميد الطويل عنه عند مسلم.

علي بن زيد بن جدعان عنه:

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد، ثنا علي بن حكيم عن شريك، عن علي بن زيد، عن أنس: أن رسول الله ﷺ لبي بهما جميعاً.

هذا غريب من هذا الوجه، ولم يخرجه أحد من أصحاب السنن وهو على شرطهم.

قائدة بن دعام السدوسي عنه:

قال الإمام أحمد [١٣٤/٣]: حدثنا بهز وعبد الصمد المعنى. قالوا: أخبرنا همام بن يحيى، ثنا قائدة. قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم حج النبي ﷺ؟ قال: حجة واحدة واعتمر أربع مرات، عمرته زمن الحديبية، وعمرته في ذي القعدة من المدينة، وعمرته من الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنمة خيبر، وعمرته مع حجته.

وأخرجه في الصحيحين [خ (١٧٧٨)، م (١٢٥٣)] من حديث همام بن يحيى به.

مصعب بن سليم الزبيري مولا هم عنه:

قال الإمام أحمد [١٨٣/٣]: حدثنا وكيع، ثنا مصعب ابن سليم، سمعت أنس بن مالك يقول: أهل رسول الله ﷺ بحجة وعمرة.

تفرد به أحمد.

يحيى بن إسحاق الحضرمي عنه:

قال الإمام أحمد [٩٩/٣]: حدثنا هشيم، أنبأنا يحيى بن أبي إسحاق، وعبد العزيز بن صهيب، وحميد الطويل عن أنس، أنهم سمعوه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالبحج والعمرة جميعاً يقول: «لييك عمرة وحجاً، لييك عمرة وحجاً».

وقد تقدم أن مسلماً رواه عن يحيى بن يحيى، عن هشيم به.

وقال الإمام أحمد أيضاً [١٨٧/٣]: ثنا عبد الأعلى عن يحيى، عن أنس. قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة قال: فسمعتة يقول: «لييك عمرة وحجاً».

أبو أسماء الصيقلي عنه:

قال الإمام أحمد [١٤٨/٣]: حدثنا حسن، ثنا زهير. وحدثنا أحمد بن عبد الملك، ثنا زهير عن أبي إسحاق، عن أبي أسماء الصيقلي، عن أنس بن مالك. قال: خرجنا نصرخ بالبحج، فلما قلنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة. وقال: «لو استقبلت من أمري ما استقبلت لجعلتها عمرة، ولكني سقت الهدى» وقرئت الحج بالعمرة.

ورواه النسائي [٢٧٢٩] عن هناد، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي أسماء الصيقلي، عن أنس بن مالك. قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم يلبي بهما.

أبو قدامة الحنفي، ويقال: إن اسمه: محمد بن عبيد عن أنس:

قال الإمام أحمد [١٤٢/٣]: حدثنا روح بن عباد، حدثنا شعبة عن يونس بن عبيد، عن أبي قدامة الحنفي. قال: قلت لأنس: بأي شيء كان رسول الله ﷺ يلبي؟ فقال: سمعته سبع مرات يلبي بعمرة وحجة، بعمرة وحجة.

تفرد به الإمام أحمد، وهو إسناده جيد قري ولله الحمد والمنة، وبه التوثيق والمصحة.

وروي ابن حبان في صحيحه [الإحسان (٢٩٩١)] عن أنس بن مالك. قال: كان رسول الله ﷺ قرن بين الحج والعمرة، وقرن القوم معه.

وقد أورد الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٠، ٩/٥] بعض هذه الطرق عن أنس بن مالك، ثم شرع يعمل ذلك بكلام فيه نظر، وحاصله أنه قال:

والاشتباه وقع لأنس لا لمن دونه، ويحتمل أن يكون سمعه رسول الله ﷺ يعلم غيره كيف يهل بالقران لا أنه يهل بهما عن نفسه والله أعلم.

قال: وقد روي ذلك عن غير أنس بن مالك، وفي ثبوته نظر.

قلت: ولا يخفى ما في هذا الكلام من النظر الظاهر لمن تأمله، وربما كان ترك هذا الكلام أولى منه، إذ فيه تطرق احتمال إلى حفظ الصحابي مع تواتره عنه، كما رأيت آنفاً، وفتح هذا يفضي إلى علو كبير والله تعالى أعلم.

حديث البراء بن عازب في القرآن:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي [السنن الكبرى: ١١/٥]: أنبأنا أبو الحسين ابن بشران، أنبأنا علي بن محمد المصري، حدثنا أبو غسان مالك بن يحيى، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر كلهن في ذي القعدة. فقالت عائشة: لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرة التي حج معها. قال

البيهقي: ليس هنا محفوظ.

قلت: سيأتي بإسناد صحيح إلى عائشة غره.

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطني [السنن: ٢٧٨/٢]: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، ومحمد بن جعفر بن ربيع، والقاسم بن إسماعيل أبو عبيد، وعثمان بن جعفر اللبان وغيرهم. قالوا: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، ثنا زيد بن حباب، ثنا سفيان الثوري عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. قال: حج النبي ﷺ ثلاث حجج: حجتين قبل أن يهاجر، وحجة قرن معها عمرة.

وقد روى هذا الحديث الترمذي [٨١٥] وابن ماجه [٣٠٧٦] من حديث سفيان بن سعيد الثوري به.

وأما الترمذي فرواه عن عبد الله بن أبي زياد، عن زيد بن حباب، عن سفيان به. ثم قال: غريب من حديث سفيان، لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب. ورويت عبد الله بن عبد الرحمن - يعني الدارمي - روى هذا الحديث في كتبه عن عبد الله بن أبي زياد، وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه، وروايته لا يعمده عفوطاً. قال: وإنما روى عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن مجاهد مرسلًا.

وفي السنن الكبرى للبيهقي [١٢/٥]: قال أبو عيسى الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال: هذا حديث خطأ وإنما روي هذا عن الثوري مرسلًا.

قال البخاري: وكان زيد بن الحباب إذا روى حفظاً ربما غلط في الشيء.

وأما ابن ماجه [٣٠٧٦] فرواه عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبي عن عبد الله بن داود الحربي عن سفيان به، وهذه طريق لم يقف عليها الترمذي ولا البيهقي، وربما ولا البخاري، حيث تكلم في زيد ابن الحباب ظاناً أنه انفرد به، وليس كذلك والله أعلم.

طريق أخرى عن جابر:

قال أبو عيسى الترمذي [٩٤٧]: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا أبو معاوية عن حجاج، عن أبي الزبير، عن جابر. أن رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة، وطاف لهما طوافاً واحداً. ثم قال: هذا حديث حسن، وفي نسخة: صحيح.

ورواه ابن حبان في صحيحه [الإحسان: ٣٨١٩، ٣٩١٤] عن جابر قال: لم يطق النبي ﷺ إلا طوافاً واحداً لحجه ولعمرة.

قلت: حجاج هذا هو ابن أوطاة. وقد تكلم فيه غير واحد من الأئمة. ولكن قد روي من وجه آخر عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله أيضاً، كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده:

حدثنا مقدم بن محمد، حدثني عمي القاسم بن يحيى بن مقدم، عن عبد الرحمن بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر. أن رسول الله ﷺ قدم فقرن بين الحج والعمرة، وساق المدي. وقال رسول الله ﷺ: فمن لم يقلد المدي فليجعلها عمرة.

ثم قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

انفرد بهذه الطريق البزار في مسنده وإسنادهما غريب جداً وليست في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم.

رواية أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد [٢٨/٤]: حدثنا أبو معاوية ثنا حجاج - هو ابن أوطاة - عن الحسن بن سعد، عن ابن عباس. قال: أخبرني أبو طلحة أن رسول الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة.

ورواه ابن ماجه [٢٩٧١] عن علي بن محمد، عن أبي معاوية بإسناده ولفظه، أن رسول الله ﷺ قرن بين الحج والعمرة.

الحجاج بن أوطاة فيه ضعف والله أعلم.

رواية سراقه بن مالك بن جعشم:

قال الإمام أحمد [١٧٥/٤]: حدثنا مكى بن إبراهيم، ثنا داود - يعني ابن يزيد - سمعت عبد الملك الزرداء يقول: سمعت النزال بن سبرة صاحب علي يقول: سمعت سراقه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ودخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة. قال: وقرن رسول الله ﷺ في حجة الوداع.

رواية سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه تمتع بالحج إلى العمرة وهو القرآن:

قال الإمام مالك [الموطأ: ٣٤٤/١]: عن ابن شهاب، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، أنه حدث أنه سمع سعد بن أبي وقاص، والضحاك بن قيس عام حج معاوية بن أبي سفيان يذكر تمتع بالعمرة إلى الحج. فقال الضحاك: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بش ما قلت يا ابن أخي. فقال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب كان ينهى عنها، فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

ورواه الترمذي [٨٢٣] والنسائي [٢٧٣٣] جميعاً عن قتيبة، عن مالك به. وقال: الترمذي هذا حديث صحيح.

وقال الإمام أحمد [١٨١/١]: ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سليمان - يعني التيمي - حدثني غنيم. قال: سألت ابن أبي وقاص عن التمتع فقال: فعلناها، وهذا كافر بالعرش - يعني معاوية -.

هكذا رواه مختصراً.

وقد رواه مسلم في صحيحه [١٢٢٥] من حديث سفيان بن سعيد الثوري، وشعبة، ومروان الفزاري، ويحيى بن سعيد القطان، أربعتهم عن سليمان بن طرخان التيمي، سمعت غنيم بن قيس، سألت سعد بن أبي وقاص عن التمتع؟ فقال: قد فعلناها، وهذا يومئذ كافر بالعرش.

قال: يحيى بن سعيد في روايته - يعني معاوية - ورواه عبد الرزاق عن معتمر بن سليمان وعبد الله بن المبارك، كلاهما عن سليمان التيمي، عن غنيم بن قيس، سألت سعداً عن التمتع بالعمرة إلى الحج. فقال: فعلناها مع رسول الله ﷺ وهذا يومئذ كافر بالعرش - يعني مكة ويعني به معاوية.

وهذا الحديث الثاني أصح إسناداً، وإنما ذكرناه اعتضاداً لا اعتماداً، والأول صحيح الإسناد، وهو أصرح في المقصود من هذا والله أعلم.

رواية عبد الله بن أبي أوفى:

قال الطبراني [المعجم الأوسط: ٢٦٣٣]: حدثنا سعيد بن محمد بن الغيرة المصري، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا يزيد بن عطاء عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى. قال: إنما جمع رسول الله ﷺ بين الحج والعمرة لأنه علم أنه لم يكن حاجاً بعد ذلك العام.

رواية عبد الله بن عباس في ذلك:

حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ إنما قرن خشية أن يصد عن البيت، وقال: إن لم تكن حجة فعمرة.

وهذا حديث غريب سنناً ومتناً، تفرد بروايته الإمام أحمد.

وقد قال أحمد في يونس بن الحارث الثقفي هذا: كان مضطرب الحديث، وضعفه، وكذا ضعفه يحيى بن معين في رواية عنه والنسائي. وأما من حيث المتن فنقله: إنما قرن رسول الله ﷺ خشية أن يصد عن البيت. فمن الذي كان يصد عليه الصلاة والسلام، عن البيت وقد ألد الله الإسلام وفتح البلد الحرام، وقد نودي برحاب منى أيام الموسم في العام الماضي فإن لا ينج بعد العام مشرك ولا يوطن بالبيت عريان، وقد كان معه عليه السلام في حجة الوداع قريب من أربعين ألفاً، وما هذا بأعجب من قول أمير المؤمنين عثمان لعلي بن أبي طالب حين قال له علي: لقد علمت أنا تفتنا مع رسول الله ﷺ. فقال: أجل ولكننا كنا خائفين م (١٢٢٢) (١٥٨)، ولست أدري علام يحمل هذا الحرف من أي جهة كان؟ إلا أنه تضمن رواية الصحابي لما رواه، وحمله على معنى ظنه، فما رواه صحيح مقبول، وما اعتقله فليس بمعصوم فيه، فهو موقوف عليه، وليس بحجة على غيره، ولا يلزم منه رد الحديث الذي رواه: وهكذا قول عبد الله بن عمرو. لو صح السند لكان والله أعلم.

رواية عمران بن حصين رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد [٤٢٧/٤]: حدثنا محمد بن جعفر، وحجاج قالوا: ثنا شعبة عن حميد بن هلال، سمعت مطرفاً قال: قال لي عمران بن حصين: إني عثرت حديثاً عسى الله أن يفعله به: إن رسول الله ﷺ قد جمع بين حجة وعمرة، ثم لم يته عنه حتى مات، ولم يزل قرآن فيه يحرمه، وإنه كان يسلم علي، فلما اكتمت أمسك عني فلما تركته عاد إلي.

وقد رواه مسلم [١٢٢٦] (١٠٠٠)، عن محمد بن المنذر، ومحمد ابن بشار، عن غندر [١٢٢٦] (١٠٠٠)، عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه [١٢٢٦] (١٢٧)، والنسائي [٢٧٢٥] عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث، ثلاثهم عن شعبة، عن حميد بن هلال، عن مطرف، عن عمران به.

ورواه مسلم [١٢٢٦] (١٦٨، ١٦٩) من حديث شعبة وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن الحصين، أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة الحديث.

قال الحافظ أبو الحسن النوارقطني (الطبعة الأولى: ١٩٠/٨) حديث شعبة عن حميد بن هلال، عن مطرف صحيح، وأما حديثه عن قتادة عن مطرف، فلأنما رواه عن شعبة كذلك بقية بن الوليد. وقد رواه غندر وغيره عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

قلت: وقد رواه أيضاً النسائي في سننه [٢٧٢٦] عن عمرو بن علي الفلاس، عن خالد بن الحارث، عن شعبة، وفي نسخة عن سعيد بن شعبة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن الحصين، فذكره والله أعلم.

وثبت في الصحيحين [١٥٧١] م (١٢٢٦) (١٧٠) من حديث همام عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن الحصين قال: تفتنا على عهد رسول الله ﷺ ثم لم يزل قرآن يحرمه، ولم يته عنها حتى مات رسول الله ﷺ.

رواية الهرماس بن زياد الباهلي:

قال الإمام أحمد [٢٤٦/١]: حدثنا أبو النضر، ثنا داود - يعني العطار - عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجة.

وقد رواه أبو داود [١٩٩٣] والترمذي [٨١٦] وابن ماجه [٣٠٠٣] من طرق عن داود بن عبد الرحمن العطار المكي، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به وقال الترمذي: حسن غريب.

ورواه الترمذي [١٨١٦] عن سعيد بن عبد الرحمن، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة مرسلًا.

ورواه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٢/٥] من طريق أبي الحسن علي بن عبد العزيز البغوي، عن الحسن بن الربيع، وشهاب بن عباد، كلاهما عن داود بن عبد الرحمن العطار فذكره. وقال: الرابعة التي قرنها مع حجة.

ثم قال أبو الحسن علي بن عبد العزيز: ليس أحد يقول في هذا الحديث عن ابن عباس إلا داود بن عبد الرحمن.

ثم حكى البيهقي [السنن الكبرى: ١٢/٥] عن البخاري أنه قال: داود بن عبد الرحمن صدوق إلا أنه ربما يهيم في الشيء.

وقد تقدم ما رواه البخاري [٢٥٣٤٦] من طريق ابن عباس عن عمر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بوادي القيق: «ثاني أت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة» فلعل هذا مستند ابن عباس فيما حكاه والله أعلم.

رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قد تقدم فيما رواه البخاري ومسلم من طريق الليث عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أنه قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأهدى فساق الهدي من ذي الحليفة، وبدأ رسول الله ﷺ فاهل بالعمرة، ثم أهل بالحج.

وذكر تمام الحديث في عدم إحلاله بعد السعي، فلمع كما قرئناه أولاً إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن متمتعاً تمتع الخاص وإنما كان قارناً لأنه حكى أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن متمتعاً، اكفى بطواف واحد بين الصفا والمروة عن حجه وعمرة. وهذا شأن القارن على منذهب الجمهور كما سيأتي بيانه والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خيثمة، ثنا يحيى بن ممان عن سفيان، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ طاف طوافاً واحداً لإقرانه لم يحمل بينهما، واشترى من الطريق - يعني الهدي -

وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقة، إلا أن يحيى بن ممان وإن كان من رجال مسلم في أحاديثه عن الثوري تارة شديدة والله أعلم.

وبما يرجع أن ابن عمر أراد بالإفراد الذي رواه أفراد أفعال الحج لا الإفراد الخاص الذي يصير إليه أصحاب الشافعي، وهو الحج، ثم الاعتدال بعده في بقية ذي الحجة، قول الشافعي (ترتيب مسند الشافعي: ٩٦٤): «ثباتاً مالك عن صدقة بن يسار، عن ابن عمر. أنه قال: لأن أعتصر قبل الحج وأهدي أحب إلي من أن أعتصر بعد الحج في ذي الحجة».

رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:

قال الإمام أحمد [٢١٥، ٢١٤/٢]: حدثنا أبو أحمد - يعني الزبيري -

الزهرى فذكره.

ثم رواه (١٢١١) (١١٣) عن عبد بن حميد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فأهللت بعمرة، ولم أكن سقت الهدي فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه هدي فليهل بالحج مع عمرته، لا يحل حتى يحل منهما جميعاً»، وذكر تمام الحديث كما تقدم.

والقصد من إيراد هذا الحديث هنا قوله ﷺ «من كان معه هدي فليهل بالحج وعمرته». ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام قد كان معه هدي فهو أول وأولى من ائتمر بهذا، لأن المخاطب داخل في عموم متعلق خطابه على الصحيح. وأيضاً فإنها قالت: وأما الذين جمعوا الحج والعمره فإما طافوا طوافاً واحداً، يعني بين الصفا والمروة. وقد روى مسلم (١٢١١) (١١١) عنها: أن رسول الله ﷺ إنما طاف بين الصفا والمروة طوافاً واحداً، فعلم من هذا أنه كان قد جمع بين الحج والعمره.

وقد روى مسلم (١٢١١) (١٢١) بولس فيه هذا اللفظ، بل هو لفظ الماجنون من حديث حاد بن زيد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: فكان الهدي مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وذوي اليسار.

وأيضاً فإنها ذكرت أن رسول الله ﷺ لم يتحلل من النسكين، فلم يكن متمتعاً، وذكرت أنها سألت رسول الله ﷺ أن يعمرها من التمتع. وقالت: يا رسول الله يرجع الناس بحج وعمره وأنطلق بحج. فبعثها مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرها من التمتع.

ولم يذكر أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر بعد حجه فلم يكن مفرداً. فعلم أنه كان قارناً لأنه كان باتفاق الناس قد اعتمر في حجة الوداع والله أعلم.

وقد تقدم ما رواه الحافظ البيهقي من طريق يزيد بن هارون، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب أنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر كلهن في ذي القعدة، فقالت عائشة: لقد علم أنه اعتمر أربع عمر بعمرته التي حج معها.

وقال البيهقي في الخلافيات: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنبأنا أبو محمد بن حبان الأصماني، أنبأنا إبراهيم بن شريك، أنبأنا أحمد بن يونس، ثنا زهير، ثنا أبو إسحاق، عن مجاهد، قال: سئل ابن عمر: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فقال: مرتين، فقالت عائشة: لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى العمرة التي قرنها مع حجة الوداع.

ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا بأس به، لكن فيه إرسال - مجاهد لم يسمع من عائشة في قول بعض المحدثين.

قلت: كان شعبة ينكره، وأما البخاري ومسلم فإنما أثبتاه والله أعلم. وقد روي (١٥٦٠) م (١٢١١) (١١٩ - ١٢٤) من حديث القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

وعروة بن الزبير وغير واحد عن عائشة (٣١٦) م (١٢١١) (١١١ - ١١٨) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان معه الهدي عام حجة الوداع.

ولي أعمالها من التمتع ومصادقتها له منهبطاً على أهل مكة، ويتوته بالحصب حتى صلى الصبح بمكة، ثم رجع إلى المدينة. وهذا كله مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يعتمر بعد حجه تلك، ولم أعلم أحداً من الصحابة نقله.

ومعلوم أنه لم يتحلل بين النسكين، ولا روى أحد أنه عليه السلام بعد

قال عبد الله ابن الإمام أحمد [المسند: ٤٨٥/٣ من رواية الإمام أحمد، وخلف ذلك المصنف في الجمع ٢٣٥/٣]: حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي علي أبو عماد من أهل الري، وكان أصله أصمياً: حدثنا يحيى بن الضريس، حدثنا عكرمة بن عمار عن المراسم. قال: كنت ردف أبي فرايت النبي ﷺ وهو على بعير وهو يقول: «ليك حجة وعمره معاً». وهذا على شرط السنن ولم يخرجوه.

رواية حقة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها:

قال الإمام أحمد (٢٨٤/٦): حدثنا عبد الرحمن عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة أنها قالت للنبي ﷺ: مالك لم تحل من عمرتك؟ قال: «إني لبنت رأسي وقلدت هدي، فلا أحل حتى أفر».

وقد أخرجه في الصحيحين [ج (١٥٦٦) م (١٢٢٩) (١٢٦) من حديث مالك وعبيد الله بن عمر، زاد البخاري (٤٣٩٨) وموسى بن عتبة، زاد مسلم (١٢٢٩) (١٢٦) وابن جريج كلهم عن نافع، عن ابن عمر به. وفي لفظهما أنها قالت: يا رسول الله ما شأن الناس حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك؟ فقال: «إني قلدت هدي ولبنت رأسي فلا أحل حتى أفر».

وقال الإمام أحمد (٢٨٥/٦) أيضاً: حدثنا شعيب بن أبي حمزة. قال: قال نافع: كان عبد الله بن عمر يقول: أخبرتنا حفصة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ أمر أزواجه أن يحلن عام حجة الوداع. فقالت له فلاتة: ما يمنعك أن تحل؟ قال: «إني لبنت رأسي وقلدت هدي فليست أحل حتى أفر هدي».

وقال أحمد أيضاً (٢٨٥/٦): حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني نافع بن عبد الله بن عمر، عن حفصة بنت عمر أنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نسائه أن يحلن بعمرة. قلنا: فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا؟ قال: «إني أهديت ولبنت فلا أحل حتى أفر هدي».

ثم رواه أحمد (٢٨٥/٦) عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن نافع، عن ابن عمر، عن حفصة فذكره.

فهذا الحديث فيه أن رسول الله ﷺ كان متلباً بعمرة، ولم يحل منها، وقد علم بما تقدم من أحاديث الأفراد أنه كان قد أحل بحج أيضاً فدل مجموع ذلك أنه قارن مع ما سلف من رواية من صرح بذلك والله أعلم.

رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

قال البخاري (١٥٥٦): حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع فأهللت بعمرة. ثم قال النبي ﷺ: «من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً»، فقدمت مكة وأنا حائض، فلم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «انتفضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج، ودعي العمرة»، ففعلت فلما قضيت الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التمتع فاعتمرت. فقال: «هذه مكان عمرتك» قالت: فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة بالبيت، وبين الصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة، فإما طافوا طوافاً واحداً.

وكذلك رواه مسلم (١٢١١) (١١١) من حديث مالك، عن

فقال معاوية: أتشدكم بالله أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود النور أن يركب عليها، قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن لباس الذهب إلا مقطعا، قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا: اللهم نعم! قال: وتعلمون أنه نهى عن المتعة - يعني متعة الحج - قالوا: اللهم لا! قال: أما إنها معهن؟ وقال أحمد [٩٩/٤]: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا سعيد عن قتادة، عن أبي شيخ الهنائي، أنه شهد معاوية وعنده جمع من أصحاب النبي ﷺ فقال لهم معاوية: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى عن ركوب جلود النور؟ قالوا: نعم! قال: تعلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير، قالوا: اللهم نعم! قال: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة؟ قالوا: اللهم نعم! قال: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى عن جمع بين حج وعمره؟ قالوا: اللهم لا! قال: فوالله إنها لمعهن. وكذا رواه حماد بن سلمة عن قتادة [١٧٩٤]، وزاد: ولكنكم نستم. وكذا رواه أشعث بن نزار، وسعيد بن أبي عروبة [٥١٦٦]، وهما عن قتادة بأصله. ورواه مطر الوراق ويحيى بن نهدان عن أبي شيخ [٥١٧٤]، في متعة الحج.

فقد رواه أبو داود والنسائي من طرق عن أبي شيخ الهنائي به، وهو حديث جيد الإسناد، ويستغرب منه رواية معاوية رضي الله عنه، النهي عن الجمع بين الحج والعمره، ولعل أصل الحديث النهي عن المتعة، فاعتقد الراوي أنها متعة الحج، وإنما هي متعة النساء، ولم يكن عند أولئك الصحابة رواية في النهي عنها، أو لعل النهي عن الإقراء في التمر كما في حديث ابن عمر [٢٤٥٥]، م [٢٠٤٥]، فاعتقد الراوي أن المراد القرآن في الحج وليس كذلك، أو لعل معاوية رضي الله عنه قال: إنما قال أتعملون أنه نهى عن كذا، فبأنه لما لم يسم فاعله، فصرح الراوي بالرفع إلى النبي ﷺ، وهم في ذلك، فإن الذي كان ينهى عن متعة الحج إنما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن ينهى عن ذلك على وجه التحريم ولا الختم كما قلنا، وإنما كان ينهى عنها لفرد عن الحج بسفر آخر لتكثر زيارة البيت، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهابونه كثيراً، فلا يتجاسرون على مخالفته غالباً، وكان ابنه عبد الله يخالفه فيقال له: إن أباك كان ينهى عنها، فيقول: لقد خشيت أن تقع عليكم حجارة من السماء قد فعلها رسول الله ﷺ أفنته رسول الله ﷺ، أم سنة عمر بن الخطاب [مسند أحمد: ١٩٥/٢].

وكذلك كان عثمان بن عفان رضي الله عنه ينهى عنها، وخالفه علي بن أبي طالب كما تقدم، وقال: لا أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس. وقال عمران بن حصين: تمتعنا مع رسول الله ﷺ، ثم لم يزل قرآن يحرمه، ولم ينهها رسول الله ﷺ حتى مات، أخرجه في الصحيحين [٤٥١٨]، م [١٢٢٦] (١٦٥ - ١٦٧) (١٧٢، ١٧٣).

وفي صحيح مسلم [١٢٢٥] عن سعد أنه أنكر على معاوية إنكاره المتعة، وقال: قد فعلناها مع رسول الله ﷺ، وهذا يومئذ كافر بالعرش يعني معاوية أنه كان حين فعلوها مع رسول الله ﷺ كافراً بمكة يومئذ.

قلت: وقد تقدم أنه عليه السلام حج قارناً بما ذكرناه من الأحاديث الواردة في ذلك، ولم يكن بين حجة الوداع وبين وفاة رسول الله ﷺ إلا أحد وثلاثون يوماً، وقد شهد الحجة ما ينفى على أربعين ألف صحابي قولاً منه وفعلًا، فلو كان قد نهى عن القرآن في الحج الذي شهدته منه

طوافه بالبيت وسعيه بين الصفا والمروة خلق ولا قصر ولا تحلل، بل استمر على إحرامه باتفاق، ولم ينقل أنه أهل بحج لا سار إلى منى، فعلم أنه لم يكن متمتعاً.

وقد اتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر عام حجة الوداع، فلم يتحلل بين النسكين ولا أنشأ إحراماً للحج، ولا اعتمر بعد الحج فلزم القرآن، وهذا مما يصير الجواب عنه والله أعلم.

وأيضاً فإن رواية القرآن مثبته لا سكوت عنه أو نفيه من روى الأفراد والتمتع، فهي مقلمة عليها كما هو مقرر في علم الأصول، وعن أبي عمران أنه حج مع مواليه. قال: فأتيت أم سلمة فقلت: يا أم المؤمنين إني لم أحج قط، فإنهما أبدا بالعمرة أم بالحج؟ قالت: أبداً بأيهما شئت. قال: ثم أتيت صفية أم المؤمنين فسألتهما فقالت لي مثل ما قالت: ثم جئت أم سلمة فآخبرتها بقول صفية فقالت لي أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا آل محمد من حج منكم فليلهم بعمره في حجة».

رواه ابن حبان في صحيحه [الإحسان (٣٩٢٠) و(٣٩٢٢)].

وقد رواه ابن حزم في حجة الوداع [٩٨، ٩٩] من حديث الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم عن أبي عمران، عن أم سلمة به.

سنة ١٠ - الجمع بين أحاديث الأفراد والجمع

إن قيل: قد رويتم عن جماعة من الصحابة أنه عليه الصلاة والسلام أفرد الحج، ثم رويتم عن هؤلاء بأعيانهم وعن غيرهم أنه جمع بين الحج والعمرة فما الجمع بين ذلك؟ فالجواب: أن رواية من روى أنه أفرد الحج محمولة على أنه أفرد أفعال الحج، ودخلت العمرة فيه نية وفعلًا ووقتًا، وهذا يدل على أنه اكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها، كما هو ملخص الجمهور في القرآن، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، حيث ذهب إلى أن القرآن يطوف طوافين ويسعى سعيين، واعتمد على ما روي في ذلك عن علي بن أبي طالب [السنن للدارقطني: ٢٢٣/٢، ٢٢٥] وفي الإسناد إليه نظر.

وأما من روى التمتع ثم روى القرآن، فقد قلنا الجواب عن ذلك بأن التمتع في كلام السلف أهم من التمتع الخاص بالقرآن بل ويطلقونه على الاعتمار في أشهر الحج، وإن لم يكن معه حج. كما قال سعد بن أبي وقاص [١٢٢٥]: تمتعنا مع رسول الله ﷺ وهذا - يعني معاوية - يومئذ كافر بالعرش - يعني بمكة - وإنما يريد بهنا إحدى العمرتين، إما الحديبية أو القضاء فاما عمرة الجعرانة فقد كان معاوية قد أسلم لأنها كانت بعد الفتح، وحجة الوداع بعد ذلك ستة عشر، وهذا بين واضح والله أعلم.

إن قيل: فما جوابكم عن الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي في مسنده. حدثنا هشام عن قتادة، عن أبي شيخ الهنائي، واسمه حيوان بن خالد: أن معاوية قال لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى عن صُفْتِ النور، قالوا: اللهم نعم! قال: وأنا أشهد قال: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب إلا مقطعا، قالوا: اللهم نعم! قال: أتعملون أن رسول الله ﷺ نهى أن يقرن بين الحج والعمرة، قالوا: اللهم لا! قال: والله إنها لمعهن.

وقال الإمام أحمد [٩٢/٤]: حدثنا عفان، ثنا همام عن قتادة عن أبي شيخ الهنائي قال: كنت في ملا من أصحاب رسول الله ﷺ عند معاوية

قلت: نعم! قال: «فانفري». قالت قلت: يا رسول الله إني لم أكن أهملت قال: «فاعتمرني من التتيميم» قال: فخرج معها أخوها، قالت: فلقينا مدجلاً. فقال: «موعدك كذا وكذا».

هكذا رواه البيهقي.

وقد رواه البخاري [١٧٢٧] عن محمد بن قيس: هو ابن يحيى الذهلي، عن معاذ بن الوزع، إلا أنه قال: قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر إلا الحج، وهذا أشبه بأحاديثها المتقدمة. لكن روى مسلم [١٢١١] (١٢٩) عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر حجاً ولا عمرة. وقد أخرجه البخاري [١٥٦١] ومسلم [١٢١١] (١٢٨) عن حديث منصور عن إبراهيم، عن الأسود، عنها. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نرى إلا أنه الحج.

وهذا أصح وأثبت والله أعلم.

وفي رواية لها [م] (١٢١١) (١٢٩) من هذا الوجه: خرجنا نلبي ولا نذكر حجاً ولا عمرة.

وهو معمول على أنهم لا يذكرون ذلك مع التلبية، وإن كانوا قد سموه حال الإحرام كما في حديث أس واحد: ٩٩/٣: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليكن اللهم حجاً وعمرة». وقال أس: وسمعتهم يصرخون بهما جميعاً.

فأما الحديث الذي رواه مسلم [١٢٤٨] من حديث داود بن أبي هند، عن أبي نصر، عن جابر وأبي سعيد الخدري. قالوا: قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصرخ بالحج صرخاً. فإنه حديث مشكل على هذا والله أعلم.

سنة ١٠ - ذكر تلبية رسول الله ﷺ

قال الشافعي [ترتيب مسند الشافعي] (٧٨٩): أخبرنا مالك عن نافع، عن عبد الله بن عمر: أن تلبية رسول الله ﷺ: «ليكن اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لك لا شريك لك» وكان عبد الله بن عمر يزيد فيها: ليك ليك وسعديك، والخير في يديك، والرباء إليك والعمل.

ورواه البخاري [١٥٤٩] دون زيادة ابن عمر عن عبد الله بن يوسف، ومسلم [١١٨٤] (١٩) عن يحيى بن يحيى، كلاهما عن مالك به.

وقال مسلم [١١٨٤] (٢٠): حدثنا محمد بن عباد، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله بن عمر ونافع مولى عبد الله بن عمر وحزرة بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا استرت به وراحت قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل، فقال: «ليكن اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». قالوا: وكان عبد الله يقول: هذه تلبية رسول الله ﷺ. قال نافع: وكان عبد الله يزيد مع هذا ليك ليك ليك، وسعديك والخير يديك ليك والرباء إليك والعمل.

حدثنا محمد بن المنى، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر قال: تلغفت التلبية من رسول الله ﷺ فذكر بمثل حديثهم.

حدثني حملة بن يحيى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب. قال: قال: فإن سالم ابن عبد الله بن عمر، أخبرني عن أبيه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يهل ملتبداً يقول: «ليكن اللهم ليك، ليك لا

الناس، لم يفرده به واحد من الصحابة، ويروى عليه جماعة منهم عن سمع منه، ومن لم يسمع، فهذا كله مما يدل على أن هذا هكذا ليس محفوظاً عن معاوية رضي الله عنه والله أعلم.

وقال أبو داود [١٧٩٣]: حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني حيوة أخبرني أبو عيسى الخراساني عن عبد الله بن القاسم الخراساني عن سعيد بن المسيب أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أتى عمر بن الخطاب فشهد أنه سمع رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج.

وهذا الإسناد لا يخلو عن نظر ثم إن كان هذا الصحابي هو معاوية فقد تقدم الكلام على ذلك ولكن في هذا التهي عن المتعة لا القرآن. وإن كان في غيره فهو مشكل في الجملة لكن لا على القرآن والله أعلم.

سنة ١٠ - ذكر مستند من قال: أنه ﷺ

أطلق الإحرام ولم يعين حجاً ولا عمرة أولاً، ثم

بعد ذلك صرفه إلى معين

وقد حكى عن الشافعي أنه الأفضل، إلا أنه قول ضعيف.

قال الشافعي رحمه الله [ترتيب مسند الشافعي] (٩٦٠): أنبأنا سفيان، أنبأنا ابن طائوس، وإبراهيم بن ميسرة، سمعا طائوساً يقول: خرج رسول الله ﷺ من المدينة لا يسمي حجاً ولا عمرة، ينتظر القضاء، فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهل بالحج، ولم يكن معه هدي أن يجعلها عمرة. وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولكن لبئت رأسي، وسقت هدي فليس لي عمل إلا عمل هدي» فقام إليه سراق بن مالك. فقال: يا رسول الله أقض لنا قضاء قوم كانوا ولدوا اليوم أمعرتنا هذه لعائنا هذا أم للأبد؟ فقال رسول الله ﷺ: قبل للأبد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة. قال: فدخل علي من اليمن فسأله النبي ﷺ: «م أهملت؟» فقال أحدهما عن طائوس: قلت: ليك إلهام النبي ﷺ، وقال الآخر: ليك حجة النبي ﷺ.

وهذا مرسل طائوس وفيه غرابة، وقاعدة الشافعي رحمه الله أنه لا يقبل المرسل بمجرد حتى يعتضد بغيره، اللهم إلا أن يكون عن كبار التابعين كما عول عليه كلامه في الرسالة، لأن الغالب أنهم لا يرسلون إلا عن الصحابة والله أعلم. وهذا المرسل ليس من هذا القليل بل هو مخالف للأحاديث المتقدمة، كلها أحاديث الأفراد وأحاديث التمتع، وأحاديث القرآن وهي مستندة صحيحة، كما تقدم فهي مقدمة عليه ولأنها مثبتة أسراً نفاه هذا المرسل، والمثبت مقدم على النافي لو تكافأ، فكيف والمسند صحيح والمرسل من حيث لا يتنهض حجة لا تقطع سننه والله تعالى أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [السنن الكبرى] ٦/٥: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا معاصر، حدثنا الأعمش عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة. قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نذكر حجاً ولا عمرة، فلما قدمنا أمرنا أن نحل، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية بنت حيي. فقال النبي ﷺ: «حلقي عقرى ما أراها إلا حابسكم». قال: «هل كنت طفت يوم النحر؟»

فيه فزاد فيها: «ليكن إن العيش عيش الآخرة». قال ابن جريج: وحسب أن ذلك يوم عرفة.

هذا مرسل من هذا الوجه.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي [السنن الكبرى: ٤٥٠/٥]: أخبرنا عبد الله الحافظ، أخبرني أبو أحمد يوسف بن محمد بن محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا نصر بن علي الجهضمي، ثنا عروب بن الحسن، ثنا داود عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ خطب برفراف فلما قال: «ليكن اللهم ليكن». قال: «إنما الخير خير الآخرة».

وهذا إسناد غريب، وإسناده على شرط السنن، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد [٣٢٥/٢]: حدثنا روح، ثنا أسامة بن زيد، حدثنا عبد الله بن أبي ليلى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإلهال فإنه من شاعر الحج».

نقده به أحمد.

وقد رواه البيهقي [السنن الكبرى: ٤٢٧/٥] عن الحاكم عن الأصم، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن ابن وهب، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الله بن أبي ليلى عن المطلب عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ فذكره.

وقد قال عبد الرزاق [السنن الكبرى للبيهقي: ٤٢٧/٥]، من طريق عبد الرزاق، [٤]: أخبرنا الثوري عن ابن أبي ليلى عن المطلب بن حنطب، عن خلاد بن السائب، عن زيد بن خالد. قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: مر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها شعار الحج.

وكذا رواه ابن ماجه [٢٩٢٣] عن علي بن محمد، عن وكيع، عن الثوري به.

وكذلك رواه شعبه وموسى بن عقبة عن عبد الله بن أبي ليلى به [السنن الكبرى للبيهقي: ٤٢٧/٥].

وقال الإمام أحمد [١٩٢/٥]: حدثنا وكيع، ثنا سفيان عن عبد الله بن أبي ليلى، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن خلاد بن السائب، عن زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءني جبرائيل فقال: يا محمد مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها شعار الحج».

قال شيخنا أبو الحجاج المزي في كتابه الأطراف [٢٣١/٣]: وقد رواه معاوية بن هشام وقيصة عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن أبي ليلى، عن المطلب، عن خلاد بن السائب، عن أبيه، عن زيد بن خالد به.

وقال أحمد [٥٩٦/٤]: ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الملك بن أبي بكر بن الحارث بن هشام، عن خلاد بن السائب بن خالد، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فقال: مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالإلهال».

وقال أحمد [٥٩٦/٤]: قرأت على عبد الرحمن بن مهدي عن مالك، وحدثنا روح، ثنا مالك يعني ابن أنس، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن خلاد بن السائب الأنصاري، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبرائيل فأمرني أن آمر أصحابي - أو من معي - أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية أو بالإلهال» - يريد أحدهما.

وكذلك رواه الشافعي [ترتيب مسند الشافعي (٧٩٤)] عن مالك.

ورواه أبو داود [١٨١٤] عن القعني عن مالك به.

شريك لك ليكن، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» لا يزيد علي هؤلاء الكلمات، وإن عبد الله بن عمر كان يقول: كان رسول الله ﷺ يركب بذئ الحليفة ركعتين فإذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل بيوتهم بالكلمات. وقال عبد الله بن عمر: كان عمر بن الخطاب يهل بإلهال النبي ﷺ من هؤلاء الكلمات وهو يقول: ليكن اللهم ليكن، ليكن وسعديك والخير في يدك ليكن والرباه إليك والعمل. هذا لفظ مسلم [١١٨٤] (٢١).

وفي حديث جابر من التلبية كما في حديث ابن عمر، وسيلاني مطرولا قريبا رواه مسلم منفردا به.

وقال البخاري [١٥٥٠]: بعد إيرادهم من طريق مالك عن نافع، عن ابن عمر ما تقدم:

حدثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان عن الأعمش، عن عمارة، عن أبي عطية، عن عائشة. قالت: إني لأعلم كيف كان النبي ﷺ يلي: «ليكن اللهم ليكن، ليكن لا شريك لك ليكن، إن الحمد والنعمة لك».

تابعه أبو معاوية عن الأعمش، وقال شعبه: أخبرنا سليمان، سمعت خيثمة عن أبي عطية، سمعت عائشة.

نقده به البخاري.

وقد رواه الإمام أحمد [١٨١/٦] عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن سليمان بن مهران الأعمش، عن عمارة بن عمر، عن أبي عطية الوداعي، عن عائشة فذكر مثل ما رواه البخاري سواء.

ورواه أحمد [٢٢٩/٦] عن أبي معاوية، وعبد الله بن عمر عن الأعمش، كما ذكره البخاري سواء.

ورواه أيضاً عن محمد بن جعفر، وروح بن عباد عن شعبه، عن سليمان بن مهران الأعمش به [٢٤٣، ١٠٠/٦]. كما ذكره البخاري.

وكذلك رواه أبو داود الطيالسي في مسنده [١٥١٣] عن شعبه سواء.

وقال الإمام أحمد [٣٢٧/٦]: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا الأعمش عن عمارة بن عمر، عن أبي عطية. قال: قالت عائشة: إني لأعلم كيف كان رسول الله ﷺ يلي. قال: ثم سمعتها تلي. فقالت: ليكن اللهم ليكن، ليكن لا شريك لك ليكن، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. فزاد في هذا السياق وحده: والملك لا شريك لك.

وقال البيهقي [السنن الكبرى: ٤٥٠/٥]: أخبرنا الحاكم، أنبأنا الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنبأنا ابن وهب، أخبرني عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، أن عبد الله بن الفضل حدثه عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة أنه قال: كان من تلبية رسول الله ﷺ: «ليكن إله الحق».

وقد رواه النسائي [٢٧٥١] عن قتية، عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد العزيز بن أبي سلمة.

وابن ماجه [٢٩٢٠] عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، كلاهما عن وكيع، عن عبد العزيز به.

قال: النسائي: ولا أعلم أحدا أسنده عن عبد الله بن الفضل إلا عبد العزيز، ورواه إسماعيل بن أمية مرسل.

وقال الشافعي [ترتيب مسند الشافعي (٧٩٢)]: أنبأنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج، أخبرني حميد الأعرج عن مجاهد. أنه قال: كان النبي ﷺ يظهر من التلبية ليكن اللهم ليكن. فذكر التلبية.

قال: حتى إذا كان ذات يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو

أتينا الكعبة، فاستلم نبي الله ﷺ الحجر الأسود، ثم ومّل ثلاثة ومشي أربعة، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم، فصلّى خلفه ركعتين ثم قرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

قال أحمد: وقال أبو عبد الله - يعني جعفر - قرأ فيهما بالتوحيد، وقل يا أيها الكافرون ثم استلم الحجر وخرج إلى الصفا ثم قرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. ثم قال: «نبأ ما بدا الله به» فرقي على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كثير. ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده الخزع وعده وصديق وعده وهزم - أو غلب - الأحزاب وحده. ثم دعا ثم رجع إلى هذا الكلام، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماء في الوادي رمّل حتى إذا صعد مشى، حتى أتى المروة فرقي عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا.

فلما كان السابع عند المروة. قال: «يا أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهذلي ولجعلنا عمرة، فمن لم يكن معه هذلي فليحلّ ولجعلنا عمرة». فحل الناس كلهم، فقال سراقا بن مالك بن جُشم وهو في أسفل الوادي: يا رسول الله العمانا هذا أم لايبدا؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه فقال: «لايبدا» ثلاث مرات. ثم قال: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة».

قال: «وقدم عليّ من اليمن يهدي وساق رسول الله ﷺ معه من هدي المدينة هدياً، فإذا فاطمة قد حلّت ولبست ثياباً صيفاً واكتحلت فانكر ذلك عليّ عليها فقالت: أمرني به أبي. قال: قال عليّ بالكوفة - قال جعفر: قال أبي هذا الحرف، لم يذكره جابر - فذهبت محرماً استغفني رسول الله ﷺ في الذي ذكرت فاطمة، قلت: إن فاطمة لبست ثياباً صيفاً واكتحلت، وقالت: أمرني به أبي. قال: «صدقت صدقت أنا امرتها به». وقال جابر، وقال لعلي: «م أهملت؟» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك، قال: ومعني الهدي، قال: «فلا تحل».

قال: «وكان جماعة الهدي الذي أتى به عليّ من اليمن، والذي أتى به رسول الله ﷺ مائة، فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين، ثم أعطى عليّاً فنحر ما غبر وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة بضعة فجعلت في قدر فاكلنا من لحنها وشربا من مرقها. ثم قال رسول الله ﷺ: «قد تحرت ههنا ومنى كلها منحر»، ووقف بعرفة فقال: «وقفت ههنا، وعرفة كلها موقف»، ووقف بالمزدلفة وقال: «وقفت ههنا والمزدلفة كلها موقف».

هكذا أورد الإمام أحمد هذا الحديث وقد اختصر آخره جداً.

ورواه الإمام مسلم بن الحجاج في المناسك من صحيحه ((١٢١٨)) (١٤٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله ﷺ فذكره.

وقد أعلمنا على الزيادات المتفاوتة من سياق أحمد ومسلم إلى قوله عليه الصلاة والسلام لعليّ «صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟». قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك ﷺ. قال: «فإن معني الهدي فلا تحل» قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به عليّ من اليمن والذي أتى به رسول الله ﷺ مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي.

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث

ورواه الإمام أحمد (٥٠٦/٤) أيضاً من حديث ابن جريج، والترمذي (٨٢٩)، والنسائي (٢٧٥٢)، وابن ماجه (٢٩٢٢) من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٤٢/٥]: ورواه ابن جريج قال: كتب لي عبد الله بن أبي بكر فذكره، ولم يذكر أبا خلد في إسناده، قال: والصحيح رواية مالك وسفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الملك، عن خلد بن السائب، عن أبيه، عن النبي ﷺ كذلك، قال البخاري وغيره كنا قال.

وقد قال الإمام أحمد في مسند السائب بن خلد بن سويد أبي سهلة الأنصاري (٥٠٦/٤): ثنا محمد بن بكر، أنبأ ابن جريج. وروح، ثنا ابن جريج. قال: كتب لي عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن خلد بن السائب الأنصاري، عن أبيه السائب بن خلد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبرائيل فقال: إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والإلهال. وقال روح: بالتلبية أو بالإلهال. قال: ولا أدري أين ومِلّ أنا أو عبد الله أو خلد في الإلهال أو التلبية؟ هذا لفظ أحمد في مسنده.

وكذلك ذكره شيخنا في أطرافه (٢٣١/٣) عن ابن جريج كرواية مالك وسفيان بن عيينة فآله أعلم.

سنة ١٠- حديث جابر بن عبد

الله ﷺ في حجة رسول الله ﷺ

وهو وحده منسك مستقل رأينا أن إيراد ههنا أنسب لضمه التلبية وغيرها عما سلف، وما سيأتي فنورد طرقه وألفاظه ثم نتبعه بشواهد من الأحاديث الواردة في معناه وبالله المستعان.

قال: الإمام أحمد (٣٢٠/٣، ٣٢١): حدثنا يحيى بن سعيد، ثنا جعفر بن محمد، حدثني أبي قال: أتينا جابر بن عبد الله وهو في بني سلمة، فسألناه عن حجة رسول الله ﷺ فحدثنا أن رسول الله ﷺ مكث في المدينة تسع سنين لم يبع، ثم أذن في الناس أن رسول الله ﷺ حاج هذا العام. قال: فنزل المدينة بشر كثير، كلهم يلتصق أن يأتهم برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل، فخرج رسول الله ﷺ لعشر بقين من ذي القعدة، وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة نكست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي ثم استغثي بثوب، ثم أهلي».

فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهل بالتوحيد: «إليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، وتلى الناس، والناس يزدبون ذا العارج ونحوه من الكلام، والذي يسمع فلم يقل لهم شيئاً فنظرت مذ بصري بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش ومن خلفه كذلك وعن يمينه مثل ذلك، وعن شماله مثل ذلك.

قال جابر ورسول الله ﷺ بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملناه، فخرجنا لا ننوي إلا الحج حتى إذا

قال: «فحرت ههنا ومنى كلها منحر، فافغروا في رحالكم، ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف، ووقفت ههنا وجمع كلها موقف».

ولقد رواه أبو داود [١٩٠٥] بطوله عن الثبلي وعثمان بن أبي شيبة، وهشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة والشيء، أريعتهم عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بنحر من رواية مسلم، وقد رمزنا لبعض زياداته عليه.

ورواه أبو داود [١٩٠٩] أيضاً والنسائي [٢٧٣٩] عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحيى بن سعيد القطان، عن جعفر به.

ورواه النسائي [٢٧١١، ٢٧٤٢] أيضاً عن محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد ببعضه.

وعن إبراهيم بن هارون البلخي، عن حاتم بن إسماعيل ببعضه [٤١٦٧].

سنة ١٠ - الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو

ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته

قال البخاري [٤٨٣]: باب المساجد التي على طرق المدينة والمواقع التي صلى فيها النبي ﷺ:

حدثنا محمد بن أبي بكر المديني، قال: ثنا فضيل بن سليمان قال: ثنا موسى بن عقبة. قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلّي فيها، ويحدث أن أباه كان يصلّي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلّي في تلك الأماكن.

وحدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يصلّي في تلك الأماكن، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلا وافق نافعًا في الأماكن كلها، إلا أنها اختلفا في مسجد بشرف الروحاء.

حدثنا إبراهيم ابن المنذر، ثنا أنس بن عياض قال: ثنا موسى بن عقبة عن نافع: أن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يتزلّ بذئ الحليفة حين يتمر، وفي حجته حين حج تحت سمره في موضع المسجد الذي بذئ الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق، أو حج أو عمرة، هبط من بطن واد، فإذا ظهر من بطن واد أتاخ بالبطحاء التي على سفح الوادي الشرقية، فمرّس ثم حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بمجاردة، ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثم خليج يصلّي عبد الله عنده في بطنه كتب، كان رسول الله ﷺ ثم يصلّي، فدحى السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلّي فيه [خ (٤٨٤)].

وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي كان صلى فيه النبي ﷺ يقول: ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلّي، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بمجر، أو نحو ذلك [خ (٤٨٥)].

وأن ابن عمر كان يصلّي إلى العرق الذي عند منصرف الروحاء، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف، وأنت ذاهب إلى مكة، وقد ابتني ثم مسجد، فلم يكن عبد الله يصلّي في ذلك المسجد، كان يتركه عن يساره ووراءه، ويصلّي أمامه إلى العرق نفسه.

فليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة له من شعر، فضربت له بنمرة فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند الشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فاجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زافت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دعاءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودعاء الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من دمائكم إبن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. ورب الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربنا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويتكلم إلى الناس: «اللهم أشهد اللهم أشهد» ثلاث مرات. ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصوى إلى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص، وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس! السكينة السكينة» كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى الشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جلدًا، ودفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل ابن العباس، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض، وسيمًا. فلما دفع رسول الله ﷺ مرت طعن يجرين، فطفت الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر.

حتى إذا أتى بطن محسر، فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها حصى الخنف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين يده، ثم أعطى علياً فنحر ما غير، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة بيضة، فجعلت في قدر، فطبخت فأكلوا من لحمها وشربوا من مرقها.

ثم ركب رسول الله ﷺ فافاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «أزعموا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقائكم لتزعت منكم». فتأولوه دلواً فشرب منه.

ثم رواه مسلم [١٢١٨] (١٤٨، ١٤٩) عن عمر بن حفص، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر فذكره بنحوه. وذكر قصة أبي سيرة وأنه كان يدفع بأهل الجاهلية على حمار عري، وأن رسول الله ﷺ

سنة ١٠- دخول النبي ﷺ إلى مكة

شرفها الله عز وجل

قال البخاري [١٥٧٤]: حدثنا مسدد، ثنا يحيى عن عبيد الله، حدثني نافع عن ابن عمر. قال: بات النبي ﷺ بذي طوى حتى أصبح، ثم دخل مكة وكان ابن عمر يفعل.

ورواه مسلم [١٢٥٩] (٢٢٦) من حديث يحيى بن سعيد القطان به. وزاد: حتى صلى الصبح، أو قال: حتى أصبح.

وقال مسلم [١٢٥٩] (٢٢٩): ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حماد عن أيوب، عن نافع: أن ابن عمر، كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى، حتى يصبح ويستسل، ثم يدخل مكة نهراً، ويذكر عن النبي ﷺ أنه فعله.

ورواه البخاري [١٧٦٩] معلقاً من حديث حماد بن زيد عن أيوب به. ولهما [١٥٥٣] (١٥٧٣)، ولما مسلم فذكره المزي في الصفحة: ٦٢/٦ أنه

عن زهير بن حرب، عن إسماعيل بن علية بن أيوب [٩] من طريق أخرى عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: كان إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية، ثم يبيت بذي طوى وذكره.

وتقدم أنفاً ما أخرجه من طريق موسى بن عقبة عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يبيت بذي طوى حتى يصبح، فيصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلّي رسول الله ﷺ عند أكمة غليظة، وأن رسول الله ﷺ استقبل فرضي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلّي رسول الله ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تصلي مستقبل الفرضين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة.

أخرجه في الصحيحين [٤٩١] م (١٢٥٩) من حديث ابن عمر.

وحاصل هذا كله أنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى في مسيره إلى ذي طوى وهو قريب من مكة، متاخماً للحرم، أمسك عن التلبية لأنه قد وصل إلى المقصود، وبات بذلك المكان حتى أصبح فصلى هنالك الصبح في المكان الذي وصفه بين فرضي الجبل الطويل هنالك. ومن تأمل هذه الأماكن المشار إليها بعين البصيرة عرفها معرفة جيدة، وتعين له المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ.

ثم اغتسل صلوات الله وسلامه عليه لأجل دخول مكة، ثم ركب ودخلها نهراً جبهة علانية من الثنية العليا التي بالطحاء. ويقال كذا ليراه الناس ويشرف عليهم، وكذلك دخل منها يوم الفتح كما ذكرناه.

قال مالك عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دخل مكة من الثنية العليا، وخرج من الثنية السفلى، أخرجه في الصحيحين [١٥٧٥] (١٥٧٥)، وليس عند مسلم من هذا الطريق [١] من حديثه، ولهما [١٥٧٦] م (١٢٥٧) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ دخل مكة من الثنية العليا التي بالطحاء، وخرج من الثنية السفلى.

ولهما [١٥٧٧] م (١٢٥٨) (٢٢٤) أيضاً من حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة مثل ذلك.

ولما وقع بصره عليه الصلاة والسلام على البيت. قال ما رواه الشافعي في مسنده [ترتيب مسند الشافعي] (٨٧٤): أخبرنا سعيد بن سالم، عن ابن جريج: أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال: «اللهم

وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان، فيصلي فيه الظهر، وإذا أقبل من مكة فإن مر به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر، عرس حتى يصلي بها الصبح [٤٨٦].

وأن عبد الله حدث أن النبي ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الروثة عن يمين الطريق، ووجه الطريق في مكان بطح سهل حتى يفضي من أكمة دون بريد الروثة بميلين، وقد انكسر أعلاها، فانتنى في جوفها وهي قائمة على ساق، وفي ساقها كتب كثيرة [٤٨٧].

وأن عبد الله بن عمر حدث أن النبي ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج وأنت ذاهب إلى هضبة، عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة على القبرود رضم من حجارة عن يمين الطريق، عند سلمات الطريق بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تحيل الشمس بالمهاجرة، فيصلي الظهر في ذلك المسجد [٤٨٨].

وأن عبد الله بن عمر حدث أن رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشي ذلك المسيل لاصق بكراع هرشي، بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة، هي أقرب السرحات إلى الطريق، وهي أطولهن [٤٨٩].

وأن عبد الله بن عمر حدث أن رسول الله ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مر الظهران، قبل المدينة حين يهبط من الصفاوات، ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلا رمية بمجر [٤٩٠].

وأن عبد الله بن عمر حدث أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طوى، ويبست حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلّي رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بُني ثم ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة [٤٩١].

وأن عبد الله حدث أن رسول الله ﷺ استقبل فرضي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بنى ثم يسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلّي النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تصلي مستقبل الفرضين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة [٤٩٢].

نقد البخاري رحمه الله بهذا الحديث بطوله وسياقه.

إلا أن مسلماً [١٢٥٩] (٢٢٨) و[١٢٦٠] (٢٢٩) روى منه عند قوله في آخره وأن عبد الله بن عمر حدث أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي طوى.... إلى آخر الحديث عن محمد بن إسحاق المسمي، عن أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر فذكره.

وقد رواه الإمام أحمد [٨٧/٢] بطوله عن أبي قرة موسى بن طارق، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر به نحوه.

وهذه الأماكن لا يعرف اليوم كثير منها أو أكثرها لأنه قد غيّر أسماء أكثر هذه البقاع اليوم عند هؤلاء الأعصاب اللذين هناك، فإن الجهل قد غلب على أكثرهم. ولما أوردنا البخاري رحمه الله في كتابه لعل أحداً يهتدي إليها بالتأمل والتفكير والتوسم أو لعل أكثرها أو كثيراً منها كان معلوماً في زمان البخاري والله تعالى أعلم.

وقولها: ثم لم تكن عمرة. يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يتحلل بين السككين، ثم كان أول ما ابتدأ به عليه الصلاة والسلام استلام الحجر الأسود قبل الطواف.

كما قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً ومشى أريعاً [مسند أحمد: ٣٧٠/٣، ٣٧١].

وقال البخاري [١٥٩٧]: ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عابس ابن ربيعة، عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبله، وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

ورواه مسلم [١٢٧٠] (٢٥١) عن يحيى بن يحيى، وأبي بكر بن أبي شبة وزهير بن حرب. وابن نمير جميعاً عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر يقبل الحجر ويقول: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

وقال الإمام أحمد [٢٦/١] عن أبي معاوية، ٤٦/١ عن محمد بن عبيد: حدثنا محمد بن عبيد وأبو معاوية. قالوا: حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة. قال: رأيت عمر أتى الحجر فقال: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. ثم دنا قبله.

فهذا السياق يقتضي أنه قال ما قال، ثم قبله بعد ذلك بخلاف سياق صاحبي الصحيح، فالله أعلم.

وقال أحمد [٥٣/١] عن يحيى، ٥٤/١ عن وكيع: ثنا وكيع ويحيى - واللفظ لوكيع - عن هشام، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب أتى الحجر فقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، وقال: ثم قبله.

وهنا منقطع بين عروة بن الزبير، وبين عمر.

وقال البخاري [١٦٠٥] أيضاً: ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، أخبرني زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال للركن: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك. فاستلمه. ثم قال: وما لنا وللركن، إنما كنا رامينا به المشركين، ولقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا تحب أن تتركه.

وهنا يدل على أن الاستلام تأخر عن القول.

وقال البخاري [١٦١٠]: حدثنا أحمد بن سنان، ثنا يزيد بن هارون، ثنا ورقاء، حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه. قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر، وقال: لولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

وقال مسلم بن الحجاج [١٢٧٠] (٢٤٨): ثنا حرمة، ثنا ابن وهب، أخبرني يونس بن - ابن زيد الأيلي - وعمر، هو - ابن دينار - (ح) وحدثنا هارون بن سعيد الأيلي، أنبأ ابن وهب، أخبرني عمرو عن ابن شهاب، عن سالم: أن أباه حدث أنه قال: قبل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

زاد هارون في روايته قال عمرو: وحدثني بمثلها زيد بن أسلم عن أبيه أسلم - يعني - عن عمر به.

وهنا صريح في أن التحليل تقدم على القول فالله أعلم.

زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وكرمه، بمن حجه واعتمره تشريقاً وتكريماً وتعظيماً وبراءً.

قال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٧٣/٥]: هذا منقطع وله شاهد مرسل عن سفيان الثوري، عن أبي سعيد الشامي، عن مكحول. قال: كان النبي ﷺ إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، فحينئذ ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريقاً وتعظيماً وبراءً».

وقال الشافعي [ترتيب مسند الشافعي (٨٧٥)]: أنبأنا سعيد بن سالم عن ابن جريج قال: حدثت عن مقسم، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ. قال: «ترفع الأيدي في الصلاة وإذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عرفة، وبجمع، وعند الجمرتين، وعلى الميت».

قال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٧٣/٥]: وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، وعن نافع، عن ابن عمر مرة موقوفاً عليهما، ومرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ دون ذكر الميت. قال: وابن أبي ليلى هذا غير قوي. ثم أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد من باب بني شبة.

قال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٧٢/٥]: ورونا عن ابن جريج، عن عطية بن أبي رياح قال: يدخل الحرم من حيث شاء. قال: ودخل النبي ﷺ من باب بني شبة، وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا. ثم قال البيهقي: وهذا مرسل جيد.

وقد استدل البيهقي على استحباب دخول المسجد من باب بني شبة بما رواه [السنن الكبرى: ٧٢/٥] من طريق أبي داود الطيالسي، ثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام، كلهم عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعة، عن علي رضي الله عنه. قال: لما انهدم البيت بعد جرحهم، بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشارجوا من يضعه فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شبة، فأمر رسول الله ﷺ بتراب فوضع الحجر وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من التراب فرغمه وأخذ رسول الله ﷺ بوضع.

وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في باب بناء الكعبة قبل البشة. وفي الاستدلال على استحباب الدخول من باب بني شبة بهذا نظر والله أعلم.

سنة ١٠ - صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه

قال البخاري [١٦١٤]: حدثنا أصبغ بن الفرج عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن. قال: ذكرت لعروة قال: أخبرني عائشة: أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي ﷺ أنه توضأ ثم طاف، ثم لم تكن عمرة، ثم حج أبو بكر وعمر مثله.

ثم حجبت مع أبي الزبير، فأول شيء بدأ به الطواف. ثم رأيت المهاجرين والأنصار يفعلونه.

وقد أخبرني أمي أنها أملت هي وأختها والزبير وفلان وفلان بمعمرة، فلما مسحوا الركن حلوا.

هذا لفظه.

وقد رواه في موضع آخر [١٦٤١] عن أحمد بن عيسى ومسلم عن هارون بن سعيد ثلاثهم عن ابن وهب به.

الأشعر عن عمر.

وقد أوردنا ذلك كله بطرقه وألفاظه وعزوه وعلله في الكتاب الذي جمعناه في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولله الحمد والمنة.

وبالجملة فهذا الحديث مروي من طرق متعددة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي تنفي القطع عند كثير من أئمة هذا الشأن، وليس في هذه الروايات أنه عليه الصلاة والسلام سجد على الحجر إلا ما أشعر به، رواية أبي داود الطيالسي عن جعفر بن عثمان، وليست صريحة في الرفح.

ولكن رواه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٧٤/٥] من طريق أبي عاصم النبيل، ثنا جعفر بن عبد الله. قال: رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه، ثم قال: رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه. وقال ابن عباس: رأيت عمر قبله وسجد عليه. ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا ففعلت.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٧٥/٥]: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا الطبراني، أنبأنا أبو الزنابع، ثنا يحيى بن سليمان الجعفي، ثنا يحيى بن يمان، ثنا سفيان عن أبي حسين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ يسجد على الحجر.

قال الطبراني: لم يروه عن سفيان إلا يحيى بن يمان.

وقال البخاري [١٦١١]: ثنا مسدد، ثنا حماد عن الزبير بن عري، قال: سألت رجل ابن عمر عن استلام الحجر. قال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: أرايت إن زحمت؟ أرايت إن غلبت؟ قال: اجعل أرايت باليمن. رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله.

نفرد به دون مسلم.

وقال البخاري [١٦٠٦]: حدثنا مسدد، ثنا يحيى عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما، فقلت لنافع: أكان ابن عمر يمشي بين الركنين؟ قال: إنا كان يمشي ليكون أسير لاستلامه.

ووروي أبو داود [١٨٧٦] والنسائي [٢٩٤٧] من حديث يحيى بن سعيد القطان، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة. وقال البخاري [١٦٠٨]: حدثنا أبو الوليد، ثنا ليث عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه. قال: لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين.

ورواه مسلم [١٢٦٧] (٢٤٢) عن يحيى بن يحيى، وقتيبة عن الليث بن سعد به.

وفي رواية عنه أنه قال: ما أرى النبي ﷺ ترك استلام الركنين الشاميين إلا أنهما لم يتمسا على قواعد إبراهيم [خ (٥٨٣)، م (١٣٣٣)، د (٣٩٩)، (١٨٧٥)].

وقال البخاري [خ (١٦٠٨) مطلقاً]: وقال محمد بن بكر: أنبأنا ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن أبي الشعثاء أنه قال: ومن يتقي شيئاً من البيت؟ وكان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عباس: إنه لا يستلم هذان الركنان، فقال له: ليس من البيت شيء مهجوراً، وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن.

انفرد بروايته البخاري رحمه الله تعالى.

وقال الإمام أحمد [٣٤/١]: ثنا عبد الرزاق، أنبأنا عبد الله عن نافع، عن ابن عمر: أن عمر قبل الحجر. ثم قال: قد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك.

هكذا رواه الإمام أحمد.

وقد أخرجه مسلم في صحيحه [١٢٧٠] (٢٤٩) عن محمد بن أبي بكر الملقبي، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر قبل الحجر وقال: لأنني لأقبلك، وإني لأعلم أنك حجر ولكي رأيت رسول الله ﷺ يقبلك.

ثم قال مسلم [١٢٧٠] (٢٥٠): ثنا خلف بن هشام والمقدمي وأبو كامل وقتيبة، كلهم عن حماد. قال خلف: ثنا حماد بن زيد، عن عاصم الأحول، عن عبد الله بن سرجس. قال: رأيت الأصلح - يعني عمر - يقبل الحجر ويقول: والله إنني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر، وإنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك.

وفي رواية الملقبي وأبي كامل: رأيت الأصلح.

وهذا من أفراد مسلم دون البخاري.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٤/١] (٣٥) عن أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس به.

ورواه أحمد [٥١، ٥٠/١] أيضاً عن غندر، عن شعبة، عن عاصم الأحول به.

وقال الإمام أحمد [٣٩/١]: ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: رأيت عمر يقبل الحجر ويقول: إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولكي رأيت أبا القاسم ﷺ بك حفياً.

ثم رواه أحمد [٥٤/١] عن وكيع، عن سفيان الثوري به. وزاد قبله والتزمه، وهكذا رواه مسلم [١٢٧١] (٤٠٠) من حديث عبد الرحمن بن مهدي بلا زيادة.

ومن حديث وكيع [١٢٧١] (٢٥٢) بهذه الزيادة قبل الحجر والتزمه. وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً.

وقال الإمام أحمد [٢١/١]: حدثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب أكب على الركن وقال: إنني لأعلم أنك حجر، ولو لم أر حبيبي ﷺ قبلك واستلمت ما استلمتك ولا قبلتك «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [الأحزاب: ٢١].

وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه.

وقال أبو داود الطيالسي [مسنده (٢٩)]: ثنا جعفر بن عثمان القرشي من أهل مكة، قال: رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر، وسجد عليه. ثم قال: رأيت خالك ابن عباس قبله وسجد عليه. وقال ابن عباس: رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه. ثم قال عمر: لو لم أر النبي ﷺ قبله ما قبلته.

وهذا أيضاً إسناد حسن، ولم يخرجوه إلا النسائي [٢٩٣٨] عن عمرو بن عثمان، عن الوليد بن مسلم، عن حنظلة بن أبي سفيان، عن طاووس، عن ابن عباس، عن عمر فذكر نحوه.

وقد روى هذا الحديث عن عمر الإمام أحمد [٤٥، ٣٧/١] أيضاً من حديث يعلى بن أمية عنه.

وأبو يعلى الموصلي في مسنده [٢٢١] من طريق هشام بن حبيب بن

وقال البخاري [١٦٠٤]: حدثنا محمد بن سلام، ثنا شريح ابن النعمان، ثنا فليح عن نافع، عن ابن عمر. قال: سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى أربعة في الحج والمعدة. تابعه الليث. حدثني كثير بن فرقد عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ.

انفرد به البخاري.

وقد رواه النسائي [٣٩٣٧] وكوي [٣٩٣٧] عن محمد وعبد الرحمن ابني عبد الله بن عبد الحكم، كلاهما عن شعب بن الليث، عن أبيه الليث بن سعد، عن كثير بن فرقد، عن نافع، عن ابن عمر به.

وقال البخاري [١٦١٦]: حدثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أبو ضمرة أنس ابن عياض، ثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد الله بن عمر. أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم سعى ثلاثة أطواف ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة. ورواه مسلم [١٢٦١] (٢٣١) من حديث موسى بن عقبة.

وقال البخاري [١٦١٧]: حدثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا أنس عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول يخط ثلاثة أطواف ومشى أربعة، وأنه كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة.

ورواه مسلم [١٢٦١] (٢٣٠) من حديث عبيد الله بن عمر.

قال مسلم [١٢٦٢] (٢٣٣): أنبأنا عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا عبيد الله بن نافع، عن ابن عمر. قال: رمل رسول الله ﷺ من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً. ثم رواه [١٢٦٢] (٢٣٤) من حديث سليم بن أخضر عن عبيد الله بنحوه.

وقال مسلم [١٢٦٣] (٢٣٦): أيضاً: حدثني أبو طاهر، حدثني عبد الله بن وهب، أخبرني مالك وابن جريج عن جعفر ابن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. أن رسول الله ﷺ رمل الثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر.

وقال عمر بن الخطاب: فيم الرملان والكشف عن المناكب، وقد أظهد الله الإسلام ونفى الكفر وأهلله! ومع ذلك لا ترك شيئا كنا نفعله مع رسول الله ﷺ.

رواه أحمد [٤٥/١] وأبو داود [١٨٨٧] وابن ماجه [٢٩٥٢] والبيهقي [السنن الكبرى (٧٩/٥)] من حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن أبيه عنه.

وهذا كله رد على ابن عباس ومن تابعه من أن المرسل ليس بسنة، لأن رسول الله ﷺ إنما فعله لما قدم هو وأصحابه صبيحة رابعة - يعني في عمرة القضاء - وقال الشركون: إنه يقدم عليكم وقد وهتهم حتى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشراف الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يرملوا الأشراف كلها إلا خشية الإبقاء عليهم. وهذا ثابت عنه في الصحيحين ج (١٦٠٢)، م (١٢٦٦) (٢٤٠) فكان ابن عباس ينكر وقوع الرمل في حجة الوداع. وقد صبح بالقلب الثابت كما تقدم بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر، ولم يمش ما بين الركنين اليمانيين لزوال تلك العلة المشار إليها وهي الضعف.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس أنهم رملوا في عمرة الجعرانة واضطبعوا وهو رد عليه، فإن عمرة الجعرانة لم يبق في أيامها

وقال مسلم في صحيحه [١٢٦٩]: حدثني أبو الطاهر، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن قتادة بن دعامة حدثه أن أبا الطفيل البكري، حدثه أنه سمع ابن عباس يقول: لم أر رسول الله ﷺ يستلم غير الركنين اليمانيين.

انفرد به مسلم.

فالذي رواه ابن عمر موافق لما قاله ابن عباس أنه لا يستلم الركنان الشاميان لأنهما لم يتمسكا على قواعد إبراهيم، لأن قريشاً قصرت بهم النفقة، فأخرجوا الحجر من البيت حين بنوه كما تقدم بيته. وود النبي ﷺ أن لو بناه فتمسكه على قواعد إبراهيم ولكن خشي من حداثة عهد الناس بالجاهلية فتكره قلوبهم.

فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناه على ما أشار إليه ﷺ كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق. فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جداً، وهو والله المظنون به.

وقال: أبو داود [١٨٧٦]: حدثنا مسدد، ثنا يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوافه.

ورواه النسائي [٢٩٤٧] عن محمد بن المثنى، عن يحيى.

وقال النسائي [٣٩٣٤]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن جريج، عن يحيى بن عبيد، عن أبيه، عن عبد الله بن السائب. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركن اليماني والحجر ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ورواه أبو داود [١٨٩٢] عن مسدد، عن عيسى بن يونس، عن ابن جريج به.

وقال الترمذي [٨٥٦]: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا يحيى بن آدم، ثنا سفيان عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. قال: لما قدم النبي ﷺ مكة دخل المسجد فاستلم الحجر، ثم مضى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم أتى المقام فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت، ثم أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا أظنه قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم. وهكذا رواه إسحاق بن راهويه عن يحيى بن آدم [١٢١٨] (١٥٠).

ورواه الطبراني [المعجم الأوسط (١٦٨٢)] عن النسائي وغيره، عن عبد الأعلى بن واصل، عن يحيى بن آدم به.

سنة ١٠ - ذكر رَمَلَهُ ﷺ في طوافه واضطباعه

قال البخاري [١٦٠٣]: حدثنا أصبغ بن الفرج، أخبرني ابن وهب عن يونس، عن ابن شهاب، عن سالم عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود أول ما يطوف يخط ثلاث أشواط من السبع.

ورواه مسلم [١٢٦١] (٢٣٢) عن أبي الطاهر بن السرح، وحرمله كلاهما عن ابن وهب به.

هنا في كتاب الطلاق عن عبد الله بن محمد، عن أبي عامر، عن إبراهيم بن طهمان به [خ (٢٩٣)]:

وروى مسلم [١٢٧٤] عن الحكم بن موسى، عن شعيب بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ طاف في حجة الوداع حول الكعبة على بعير يستلم الركن كراهية أن يضرب عنه الناس.

فهذا إيجاب أنه عليه الصلاة والسلام طاف في حجة الوداع على بعير، ولكن حجة الوداع كان فيها ثلاثة أطواف:

الأول: طواف القدوم.

والثاني: طواف الإفاضة، وهو طواف القرص، وكان يوم النحر.

والثالث: طواف الوداع.

فلعل ركوبه ﷺ كان في أحد الآخرين أو في كليهما.

فأما الأول وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه. وقد نص الشافعي [١٤٨/٢] على هذا كله والله أعلم وأحكم.

والدليل على ذلك ما قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه السنن الكبير [٧٤/٥]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، ثنا الفضل بن محمد بن المسيب، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق - هو ابن يسار رحمه الله - عن أبي جعفر، وهو محمد بن علي بن الحسين، عن جابر بن عبد الله قال: دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى، فأتى النبي ﷺ باب المسجد، فأنشأ راحته، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بال بكاء، ثم رمل ثلاثاً ومشى أربعاً حتى فرغ، فلما فرغ قبل الحجر ووضع يده عليه ومسح بهما وجهه.

وهذا إسناد جيد.

فأما ما رواه أبو داود [١٨٨١]: حدثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد الله، ثنا يزيد بن أبي زياد عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قدم مكة وهو يشتهي، فطاف على راحته، فلما أتى على الركن استلمه بمحجن، فلما فرغ من طوافه أنشأ فضلى ركعتين.

نفرد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف، ثم لم يذكر أنه في حجة الوداع، ولا ذكر أنه في الطواف الأول من حجة الوداع، ولم يذكر ابن عباس في الحديث الصحيح عنه عند مسلم [١٢٦٥] من حديث ابن عباس، [١٢٧٣] (٢٥٤، ٢٥٥) من حديث جابر. وكذا جابر: أن النبي ﷺ ركب في طوافه لضعفه، وإنما ذكرنا كثرة الناس وغشيانهم له، وكان لا يجب أن يضربوا بين يديه كما سيأتي تقريره قريباً إن شاء الله.

ثم هذا التفسير الثاني الذي ذكره ابن إسحاق في روايته بعد الطواف، وبعد ركعتيه أيضاً ثابت في صحيح مسلم [١٢١٨] (١٤٧) من حديث جابر. قال فيه بعد ذكر صلاة ركعتي الطواف: ثم رجع إلى الركن فاستلمه. وقد قال مسلم بن الحجاج في صحيحه [١٢٦٨] (٢٤٦): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير جميعاً، عن أبي خالد، قال أبو بكر: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عبيد الله، عن نافع، قال: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ثم قبل يده قال: وما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

فهذا يحتمل أنه رأى رسول الله ﷺ في بعض الطوافات أو في آخر استلام فعل هذا كما ذكرنا. أو أن ابن عمر لم يصل إلى الحجر لضعف كان به، أو لتلا يزاحم غيره فيحصل لغيره أدنى به.

وقد قال رسول الله ﷺ لوالده ما رواه أحمد في مسنده [٢٨/١]:

خوف، لأنها بعد الفتح كما تقدم.

رواه حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمرُوا من الجعرانة، فرملوا بالبيت واضطبعوا ووضعوا أريدتهم تحت آباطهم وعلى عواتقهم [مسند أحمد: ٣٠٦/١، ٣٧١].

ورواه أبو داود [١٨٨٤] من حديث حماد بنحوه.

ومن حديث عبد الله بن خثيم عن أبي الطفيل، عن ابن عباس به [١٨٩٠].

فأما الاضطباع في حجة الوداع فقد قال قبيصة والفرجاني عن سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، عن ابن يعلى بن أمية، عن أبيه. قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت مضطبعاً.

رواه الترمذي [٨٥٩] من حديث الثوري وقال: حسن صحيح.

وقال أبو داود [١٨٨٣]: حدثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان عن ابن جريج، عن ابن يعلى، عن أبيه. قال: طاف رسول الله ﷺ مضطبعاً برداء أخضر.

وهكذا رواه الإمام أحمد [١٢٣/٤] عن وكيع، عن الثوري، عن ابن جريج، عن ابن يعلى، عن أبيه أن النبي ﷺ لما قدم طاف بالبيت وهو مضطبع يرد له حضرمي.

وقال جابر في حديثه المتقدم: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً. ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَأَنبِئُونَا بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَقُلاً﴾ [البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت، فذكر أنه صلى ركعتين قرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فإن قيل: فهل كان عليه الصلاة والسلام في هذا الطواف ركباً أو ماشياً؟ فالجواب أنه قد ورد ثقلان قد يظن أنهما متعارضان، ونحن نذكرهما ونشير إلى التوفيق بينهما، ودفع اللبس عند من يتوهم فيهما تعارضاً، وبالله التوفيق وعليه الاستعانة وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال البخاري [١٦٠٧] رحمه الله: حدثنا أحمد بن صالح، ويحيى بن سليمان قالوا: ثنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. قال: طاف النبي ﷺ على بعيره في حجة الوداع يستلم الركن بمحجن.

وأخرجه بقية الجماعة [م (١٢٧٢)، د (١٨٧٧)، س (٢٩٥٤)، ج (٢٩٤٨)] إلا الترمذي من طرق عن ابن وهب.

قال البخاري: تابعه الدوادودي عن ابن أخي الزهري، عن عمه. وهذه المتابعة غريبة جداً.

وقال البخاري [١٦١٢]: حدثنا محمد بن المثنى، ثنا عبد الوهاب، ثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه.

وقد رواه الترمذي [٨٦٥] من حديث عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، وعبد الوارث، كلاهما عن خالد بن مهزبان الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: طاف رسول الله ﷺ على راحته، فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه. وقال: حسن صحيح.

ثم قال البخاري [١٦١٣]: حدثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد الله، عن خالد الحذاء عن عكرمة، عن ابن عباس قال: طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر.

تابعه إبراهيم بن طهمان عن خالد الحذاء. وقد أسند هذا التعليق ها

حدثنا وكيع، ثنا سفيان عن أبي يعفور العبدى. قال: سمعت شيخاً بمكة في إمارة الحجاج يحدث عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر تؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله فهلل وكبر». وهذا إسناد جيد لكن رواه عن عمر مبهم لم يسم، والظاهر أنه ثقة جليل.

فقد رواه الشافعي [معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٦٠/٤، ٦١، من طريق الشافعي، ٦] عن سفيان بن عيينة، عن أبي يعفور العبدى، واسمه وقدان: سمعت رجلاً من خزاعة حين قتل ابن الزبير، وكان أميراً على مكة يقول: قال رسول الله ﷺ لعمر: «يا أبا حفص إنك رجل قوي فلا تزاحم على الركن، فإنك تؤذي الضعيف، ولكن إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فكبر وامض». قال سفيان بن عيينة: هو عبد الرحمن بن الحارث، كان الحجاج استعمله عليها منصرفه منها حين قتل ابن الزبير.

قلت: وقد كان عبد الرحمن هذا جليلاً نبيلاً، كبير القدر، وكان أحد الثغر الأربعة الذين نديهم عثمان بن عفان في كتابة المصاحف التي نفذها إلى الآفاق، ووقع على ما فعله الإجماع والاتفاق.

سنة ١٠ - ذكر طوافه عليه ﷺ بين الصفا والمروة

روى مسلم في صحيحه (١٢١٨) عن جابر في حديثه الطويل المتقدم بعد ذكره طوافه عليه الصلاة والسلام بالبيت سبعاً، وصلاته عند المقام ركعتين. قال: ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقر: ١٥٨] أبداً بما بدا الله به. فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماء في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة، فرقي عليها حتى نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا.

وقال الإمام أحمد (٢٢٣/٤): حدثنا عمر بن هارون البلخي أبو حفص، ثنا ابن جريج عن بعض بني يعلى بن أمية، عن أبيه. قال: رايت النبي ﷺ مضطجاً بين الصفا والمروة يردد له تحراتي.

وقال الإمام أحمد (٤٢١/٦): حدثنا يونس، ثنا عبد الله بن المؤمل، عن عمر بن عبد الرحمن، ثنا عطاء، عن صفية بنت شيبة، عن حبيبة بنت أبي نجرمة قالت: دخلت دار أبي حسين في نسوة من قریش والنبي ﷺ يطوف بين الصفا والمروة قالت: وهو يسعى يدور به إزاره من شدة السعي، وهو يقول لأصحابه: «اسعوا إن الله كتب عليكم السعي».

وقال أحمد أيضاً (٤٢١/٦، ٤٢٢): حدثنا سريج، ثنا عبد الله بن المؤمل، عن عمر بن عبد الرحمن ثنا عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة، عن حبيبة بنت أبي نجرمة قالت: رايت النبي ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه، وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي، يدور به إزاره وهو يقول: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».

فترد به أحمد.

وقد رواه أحمد (٤٣٧/٦) أيضاً عن عبد الرزاق، عن معمر، عن واصل مولى أبي عيينة، عن موسى بن عبيدة، عن صفية بنت شيبة: أن امرأة أخبرتها أنها سمعت النبي ﷺ بين الصفا والمروة يقول: «كتب عليكم السعي فاسعوا».

وهذه المرأة هي حبيبة بنت أبي نجرمة المصرح بذكرها في الإسنادين الأولين.

وعن أم ولد شيبة بن عثمان أنها أبصرت النبي ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول: «لا يقطع الأبطح إلا شدا». رواه النسائي (٢٩٨٠).

والمراد بالسعي ها هنا هو الذهاب من الصفا إلى المروة، ومنها إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المرولة والإسراع، فإن الله لم يكتبه علينا حتماً بل لو مشى الإنسان على هيئة في السبع الطوافات بينهما، ولم يرمل في المسيل أجزاء ذلك عند جماعة العلماء، لا نعرف بينهم اختلافاً في ذلك.

وقد نقله الترمذي [علا ٨٦٣] رحمه الله عن أهل العلم. ثم قال: (٨٦٤) ثنا يوسف بن عيسى، ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب، عن كثير بن جهمان قال: رايت ابن عمر يمشي في المسعى، فقلت: اقتشي في السعي بين الصفا والمروة فقال: لئن سميت، فقد رايت رسول الله ﷺ يسعى، ولئن مشيت لقد رايت رسول الله ﷺ يمشي، وأنا شيخ كبير.

ثم قال: «هذه حديث حسن صحيح». وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس نحو هذا.

وقد رواه أبو داود (١٩٠٤) والنسائي (٢٩٧٦) وابن ماجه (٢٩٨٨) من حديث عطاء بن السائب، عن كثير بن جهمان السلمي الكوفي، عن ابن عمر، فقال ابن عمر: إنه شاهد الحالين منه ﷺ يحتمل شيئين:

أحدهما أنه رآه يسعى في وقت ماشياً لم يمزجه برمل فيه بالكليّة. والثاني: أنه رآه يسعى في بعض الطريق ويمشي في بعضه، وهذا له قوة، لأنه قد روى البخاري (١٦٤٤) ومسلم (١٦٢١) (٢٣٠) من حديث عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يسعى بطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة. وتقدم في حديث جابر أنه عليه السلام: نزل من الصفا، فلما انصبت قدماء في الوادي، رمل حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة.

وهذا هو الذي تستحبه العلماء قاطبة، أن الساعي بين الصفا والمروة يستحب له أن يرمل في بطن الوادي في كل طوافه في بطن المسيل الذي بينهما، وحدود ذلك بما بين الأميال الخضر، فواحد مفرد من ناحية الصفا مما يلي المسجد، واثان مجتمعان من ناحية المروة مما يلي المسجد أيضاً.

وقال بعض العلماء: ما بين هذه الأميال اليوم أوسع من بطن المسيل الذي رمل فيه رسول الله ﷺ فإلله أعلم.

وأما قول محمد بن حزم في الكتاب الذي جمعه في حجة الوداع [حجة الوداع ص ٢٠]: ثم خرج عليه الصلاة والسلام إلى الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبداً بما بدا الله به، فطاف بين الصفا والمروة أيضاً سبعاً ركباً على بعير، يخب ثلاثاً ويمشي أربعاً، فإنه لم يتابع على هذا القول، ولم يتفوه به أحد قبله من أنه عليه الصلاة والسلام خب ثلاثاً أشواط بين الصفا والمروة، ومشى أربعاً ثم مع هذا الغلط الفاحش لم يذكر عليه دليلاً بالكليّة، بل ما انتهى إلى موضع الاستدلال عليه، قال: ولم نجد عدد الرَّمَل بين الصفا والمروة منصوفاً، ولكنه متفق عليه [حجة الوداع ص ٦٣] هذا لفظه.

والمروة قال [حجة الوداع ص ٦٢]: لأنه لم يطف بينهما إلا مرة واحدة، ثم تأول قول جابر: حتى إذا انصبت قدماء في الوادي رمل. بأنه يصلى ذلك، وإن كان ركباً فإنه إذا انصب بعيره فقد انصب كله، وانصبت قدماء مع سائر جسده. قال: وكذلك ذكر الرمل يعني به رمل الدابة براكبها. وهذا التأويل بعيد جداً والله أعلم.

وقال أبو داود حدثنا أبو سلمة موسى، ثنا حماد، أنبأنا أبو عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت وأن ذلك من سنة؟ قال: صدقوا وكذبوا، قلت: ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا رمل رسول الله ﷺ، وكذبوا ليس بسنة: إن قريشاً قالت زمن الحليية: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النصف، فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل قميعة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا ارملوا بالبيت ثلاثاً» وليس بسنة. قلت: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ طاف بين الصفا والمروة على بعير وأن ذلك سنة قال: صدقوا وكذبوا، قلت: ما صدقوا وما كذبوا؟ قال: صدقوا قد طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليست بسنة، كان الناس لا يدعون عن رسول الله ﷺ ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه، وليروا مكانه، ولا تتاله أيديهم.

هكذا رواه أبو داود.

وقد رواه مسلم (١٢٦٤) (٢٣٧) عن أبي كامل، عن عبد الواحد بن زياد، عن الجريزي، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس فذكر الطواف بالبيت بنحو ما تقدم. ثم قال: قلت لابن عباس: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة ركباً أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة؟ قال: صدقوا وكذبوا. قلت: فما قولك؟ صدقوا وكذبوا؟ قال: إن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس يقولون هذا محمد، هذا محمداً حتى خرج العواتق من البيوت، وكان رسول الله ﷺ لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس ركب. قال ابن عباس: والمشي والسعي أفضل.

هذا لقول مسلم، وهو يقتضي أنه إما ركب في أثناء الحال. وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والله أعلم.

وأما ما رواه مسلم في صحيحه (١٢٦٥) حيث قال: ثنا محمد بن رافع، ثنا يحيى بن آدم، ثنا زهير عن عبد الملك بن سعيد، عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: أراني قد رأيت رسول الله ﷺ قال: نصفه لي قلت: رأيته عند المروة على ناقه، وقد كثر الناس عليه فقال ابن عباس: ذاك رسول الله ﷺ إنهم كانوا لا يُدْعَوْنَ عنه ولا يكرهون.

فقد نفرد به مسلم، وليس فيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام سعى بين الصفا والمروة ركباً إذ لم يقيد ذلك بحجة الوداع، ولا غيرها، ويتقدير أن يكون ذلك في حجة الوداع، فمن الجائز أنه عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من السعي وجلسه على المروة، وخطبه الناس، وأمره بإياهم من لم يسق المهدي منهم أن يفسخ الحج إلى العمرة، فحل الناس كلهم إلا من ساق المهدي كما تقدم في حديث جابر. ثم بعد هذا كله أتى بناتقه فركبها وسار إلى منزله بالأبطح كما سنذكره قريباً. وحيث رآه أبو الطفيل عامر بن واثلة البكري، وهو معبود في صفار الصحابة.

لكن قال أبو داود (١٨٧٩) ثنا هارون بن عبد الله ومحمد بن رافع. قال: ثنا أبو عاصم عن معروف يعني ابن خربوذ المكي، حدثنا أبو الطفيل قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالبيت على راحلته يستلم الركن بحمته، ثم

فإن أراد أن الرمل في الطوافات الثلاث الأول على ما ذكر متفق عليه، فليس بصحيح بل لم يقله أحد، وإن أراد أن الرمل في الثلاث الأول في الجملة متفق عليه فلا يجدي له شيئاً، ولا يحصل له شيئاً مقصوداً، فإنهم كما اتفقوا على الرمل في الثلاث الأول في بعضها على ما ذكرناه، كذلك اتفقوا على استحبابه في الأربع الآخر أيضاً.

فتخصيص ابن حزم الثلاث الأول باستحباب الرمل فيها مخالف لما ذكره العلماء والله أعلم.

وأما قول ابن حزم أنه عليه الصلاة والسلام كان ركباً بين الصفا والمروة، فقد تقدم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يسعى بطن المسيل أخرجه.

وللتلميذ عنه: إن أسمى فقد رأيت رسول الله ﷺ يسعى، وإن مشيت فقد رأيت رسول الله ﷺ يمشي. وقال جابر: فلما انصبت قدماء في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى رواه مسلم.

وقالت حبيبة بنت أبي نجرة: يسعى يدور به إزاره من شدة السعي، رواه أحمد (٤٢١/٦). وفي صحيح مسلم عن جابر كما تقدم أنه رقي على الصفا حتى رأى البيت. وكذلك على المروة. وقد قلنا من حديث محمد بن إسحاق عن أبي جعفر الباقر، عن جابر: أن رسول الله ﷺ أتاه بعيره على باب المسجد، يعني حتى طاف، ثم لم يذكر أنه ركب حال ما خرج إلى الصفا، وهذا كله مما يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام سعى بين الصفا والمروة ماشياً.

ولكن قال مسلم (١٢٧٣) (٢٥٥) و(١٢٧٩) (٢٠٠): ثنا عبد بن حيد ثنا محمد - يعني ابن بكر - أنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه: سمع جابر بن عبد الله يقول: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة على بعير ليراه الناس، وليشرف وليسأله، فإن الناس غشوه، ولم يطف النبي ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً.

ورواه مسلم (١٢٧٣) (٢٥٥) و(١٢٧٩) (٢٦٥) أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن علي بن مسهر، وعن علي بن خنيس، عن عيسى بن يونس، وعن محمد بن حاتم، عن يحيى بن سعيد، كلهم عن ابن جريج به. وليس في بعضها: وبين الصفا والمروة.

وقد رواه أبو داود (١٨٨٠) عن أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد القطان، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة.

ورواه النسائي (٢٩٧٥، ٢٩٨٦) عن الفلاس، عن يحيى، وعن عمران بن يزيد، عن شعيب بن إسحاق كلاهما عن ابن جريج به.

فهنا محض من حديث ابن جريج وهو مشكل جداً، لأن بقية الروايات عن جابر وغيره، تدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان ماشياً بين الصفا والمروة، وقد تكون رواية أبي الزبير عن جابر هذه الزيادة، وهي قوله: «وبين الصفا والمروة» مقحمة أو مدرجة عن بعد الصحابي والله أعلم. أو أنه عليه الصلاة والسلام طاف بين الصفا والمروة بعض الطوفان على قدميه، وشهد منه ما ذكر، فلما ازدحم الناس عليه وكثروا، ركب كما يدل عليه حديث ابن عباس كالآتي قريباً.

وقد سلم ابن حزم أن طوافه الأول بالبيت كان ماشياً، وحمل ركوبه في الطواف على ما بعد ذلك، وادعى أنه كان ركباً في السعي بين الصفا

يقبله، زاد محمد بن رافع، ثم خرج إلى الصفا والمروة فطاف سبعا على راحلته.

وقد رواه مسلم في صحيحه [١٢٧٥] من حديث أبي داود الطيالسي، عن معروف بن خربوذ به، بدون الزيادة التي ذكرها محمد بن رافع.

وكذلك رواه عبيد الله بن موسى عن معروف بدونها، ورواه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٠١/٥] عن أبي سعيد بن أبي عمرو، عن الأصم، عن يحيى بن أبي طالب، عن يزيد بن أبي حكيم، عن يزيد بن مالك، عن أبي الطفيل، بدونها قاله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٠١/٥]: أثبت أبو بكر بن الحسن، وأبو زكريا بن أبي إسحاق قالا: ثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم ثنا أحمد ابن حازم، أثبتا عبيد الله بن موسى، وجعفر بن عون قالا: أثبتا ابن بن نابل عن قدامة بن عبد الله بن عمار، قال: رأيت رسول الله ﷺ يسمى بين الصفا والمروة على بعير، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك.

وقال البيهقي: كنا قالا. وقد رواه جماعة عن ابن فقالوا: يرمي الجمرة يوم النحر، قال: ويحتمل أن يكونا صحيحين.

قلت رواه الإمام أحمد في مسنده [٤١٢/٣، ٤١٣] عن وكيع، وقرآن بن تمام، وأبي قرّة موسى بن طارق قاضي أهل اليمن، وأبي أحمد محمد بن عبد الله الزبيري، ومعتز بن سليمان عن ابن بن نابل الحنسي، أبي عمران المكي نزيل عسقلان، مولى أبي بكر الصديق، وهو ثقة جليل من رجال البخاري، عن قدامة بن عبد الله بن عمار الكلابي: أنه رأى رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر من بطن الوادي، على ناقه صهباء، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك.

وهكذا رواه الترمذي [٩٠٣] عن أحمد بن منيع، عن مروان بن معاوية.

وأخرجه النسائي [٣٠٦١] عن إسحاق بن راهويه، وابن ماجه [٣٠٣٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة، كلاهما عن وكيع، كلاهما عن ابن بن نابل، عن قدامة.

كما رواه الإمام أحمد [٤١٢/٣، ٤١٣]، وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: قد ذهب طائفة من العراقيين كأبي حنيفة وأصحابه والثوري، إلى أن القارن يطوف طوافين، ويسعى سبعين وهو مروي عن عليّ وابن مسعود ومجاهد والشعبي. ولهم أن يحتجوا بحديث جابر الطويل، دلالة على أنه سعى بين الصفا والمروة ماشيا، وحديثه هذا أنه سعى بينهما راكبا على تعدد الطواف بينهما، مرة ماشيا، ومرة راكبا. وقد روى سعيد بن منصور في سننه عن عليّ رضي الله عنه، أنه أهل بحجة وعمره، فلما قدم مكة طاف بالبيت والصفا والمروة لعمرة، ثم عاد فطاف بالبيت والصفا والمروة لحجته، ثم أقام حراما إلى يوم النحر هذا لفظه.

ورواه أبو ذر الحروي في مناسكه عن عليّ، أنه جمع بين الحج والعمرة، فطاف لهما طوافين، وسعى لهما سبعين، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل.

وكذلك رواه البيهقي والدارقطني [السنن: ٢٦٣/٢] والنسائي في خصائص عليّ.

فقال البيهقي في سننه [١٠٨/٥، ١٠٩] أثبتا أبو بكر بن الحارث النخعي، أثبتا عليّ بن عمر الحافظ، أثبتا أبو محمد بن صاعد، ثنا محمد بن

زبور، ثنا فضيل بن عياض عن منصور، عن إبراهيم، عن مالك بن الحارث أو منصور، عن مالك بن الحارث، عن أبي نصر قال: لقيت عليا وقد أهلكت بالحج وأهل هو بالحج والعمرة، فقلت: هل أستطيع أن أفعل كما فعلت؟ قال: ذلك لو كنت بدأت بالعمرة، قلت: كيف أفعل إذا أردت ذلك؟ قال: تأخذ إداوة من ماء فتفيضها عليك، ثم تهل بهما جميعا، ثم تطوف لهما طوافين، وتسعى لهما سبعين، ولا يحل لك حرام دون يوم النحر.

قال منصور: فذكرت ذلك لمجاهد قال: ما كنا نفيء إلا بطواف واحد، فاما الآن فلا تفعل.

قال الحافظ البيهقي: وقد رواه سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وشعبة عن منصور، فلم يذكر فيه السعي.

قال: وأبو نصر هنا مجهول، وإن صح فيحتمل أنه أراد طواف القدوم، وطواف الزيارة.

قال: وقد روى بأسانيد آخر عن علي مرفوعاً وموقوفاً، ومدارها على الحسن بن عمار، وحفص بن أبي داود، وعيسى بن عبد الله، وحماد بن عبد الرحمن، وكلهم ضعيف لا يحتج بشيء مما روه في ذلك والله أعلم. قلت: والمقول في الأحاديث الصحاح خلاف ذلك، فقد قدمنا عن ابن عمر في صحيح البخاري أنه أهل بعمرة، وأدخل عليها الحج، فصار قارناً، وطاف لهما طوافاً واحداً بين الحج والعمرة، وقال: هكذا فعل رسول الله ﷺ.

قد روى الترمذي [٩٤٨] وابن ماجه [٢٩٧٥] والبيهقي [السنن الكبرى: ١٠٧/٥] من حديث الدراوردي عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: فمن جمع بين الحج والعمرة طاف لهما طوافاً واحداً، وسعى لهما سعيًا واحداً. قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

قلت: إسناده على شرط مسلم.

وهكذا جرى لعائشة أم المؤمنين فإنها كانت ممن أهل بعمرة لعدم سوق الهدي معها، فلما حاضت أمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتهل بحج مع عمرتها، فصارت قارنة، فلما رجعا من منى طلبت أن يعمرها من بعد الحج، فأعمرها تظلياً لقلبها كما جاء مصرحاً به في الحديث.

وقد قال الإمام أبو عبد الله الشافعي [ترتيب مسند الشافعي: ١٠٠٥]: أثبتا مسلم هو ابن خالد الزنجي، عن ابن جريج، عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرك». وهذا ظاهره الإرسال، وهو مسند في المعنى يدلل ما قال الشافعي أيضاً [ترتيب مسند الشافعي: ١٠٠٦]: أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عطاء، عن عائشة عن النبي ﷺ - قال الشافعي: وربما قال سفيان: عن عطاء، عن عائشة، وربما قال: عن عطاء: أن النبي ﷺ قال لعائشة: فذكره.

قال الحافظ البيهقي: ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة موصلاً.

وقد رواه مسلم [١٢١١] (١٢٣٢) من حديث وهيب عن ابن طاوس، عن ابن عباس، عن أبيه، عن عائشة، بمثله.

وروى مسلم [١٢١٣] (١٠٠٠) من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وهي تبكي فقال: «ما لك تبكين؟» قالت: أبكي أن الناس حلوا ولم أحل، وطافوا

يسق الهدي، بل عنده أنه يحل شرعاً إذا طاف بالبيت، ولم يكن ساق هدياً صار حلالاً بمجرد ذلك، وليس عنده التنسك إلا القرآن لمن ساق الهدي أو التمتع لمن لم يسق فالله أعلم.

قال البخاري (٢٥٠٥، ٢٥٠٦): ثنا أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء، عن جابر، وعن طلوس، عن ابن عباس. قال: قدم النبي ﷺ وأصحابه صبح رابعة من ذي الحجة يهلون بالحج، لا يخلطه شيء، فلما قلعتنا أمرنا فجعلناها عمرة، وأن نحل إلى نسلتنا، ففشت في ذلك القالة.

قال عطاء: قال جابر: فبروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً. قال جابر - بكه - بلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «بلغني أن قوماً يقولون كذا وكذا، والله لأنا برأ وأتقى لله منهم، ولو أنني استقبلت من أمري ما استبدرت ما أحدثت، وكولاً أن معي الهدي لأحلت»، فقام سرقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله هي لنا أو للأبد؟ فقال: «لا، بل للأبد».

قال مسلم (١٢١٣): حدثنا قتيبة، ثنا الليث، هو ابن سعد عن أبي الزبير، عن جابر أنه قال: أقبلنا مهلين مع رسول الله ﷺ بحج مفرد، وأقبلت عائشة بعمرة حتى إذا كنا بسرف عركت حتى إذا قلعتنا طفنا بالكعبة والصفاء والمروة، وأمرنا رسول الله ﷺ أن يحل منا من لم يكن معه هدي. قال: قلنا: جل ماذا؟ قال: «الحل كله»، فواقعتنا النساء وتطينا بالطيب، ولبسنا ثيابنا وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال، فهذان الحديشان فيها التصريح بأنه عليه الصلاة والسلام قدم مكة عام حجة الوداع لصبح رابعة ذي الحجة، وذلك يوم الأحد حين ارتفع النهار وقت الضحاه، لأن أول ذي الحجة تلك السنة كان يوم الخميس بلا خلاف، لأن يوم عرفة منه كان يوم الجمعة بنص حديث عمر بن الخطاب الثابت في الصحيحين كما سيأتي.

فلما قدم عليه الصلاة والسلام يوم الأحد رابع الشهر بدأ كما ذكرنا بالطواف، بالبيت ثم بالسعي بين الصفا والمروة، فلما انتهى طوافه بينهما عند المروة أمر من لم يكن معه هدي أن يحل من إحرامه حتماً، فوجب ذلك عليهم لا محالة، ففعلوه، وبعضهم متأسف لأجل أنه عليه الصلاة والسلام لم يحل من إحرامه لأجل سوقه الهدي، وكانوا يجنون موافقته عليه الصلاة والسلام، والتأسي به، فلما رأى ما عندهم من ذلك قال لهم: «لو استقبلت من أمري ما استبدرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة». أي لو أعلم أن هذا ليشق عليكم لكتبت تركت سوق الهدي حتى أحل كما أحلتهم.

ومن هنا تضح الدلالة على أفضلية التمتع كما ذهب إليه الإمام أحمد أخذنا من هذا، فإنه قال (إسناد ابن ربيعة: ٨١/٢٦، ١٦٦، ٢٨٣): لا أشك أن رسول الله ﷺ كان قارناً، ولكن التمتع أفضل لتأسفه عليه وجوابه: أنه عليه الصلاة والسلام لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل من القرآن في حق من ساق الهدي، وإنما تأسف عليه لتلا يشق على أصحابه في بقاءه على إحرامه، وأمره لهم بالإحلال، ولهذا والله أعلم لما تأمل الإمام أحمد هذا السر نص في رواية أخرى عنه على أن التمتع أفضل في حق من لم يسق الهدي، لأمره عليه الصلاة والسلام من لم يسق الهدي من أصحابه بالتمتع، وأن القرآن أفضل في حق من ساق الهدي، كما اختار الله عز وجل لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه في حجة الوداع، وأمره له بذلك كما تقدم والله أعلم.

بالبيت ولم أطف، وهذا الحج قد حضر قال: «إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم، فافتسلي وأهلي بحج»، قالت: ففعلت ذلك، فلما ظهرت قال: «طوفي بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم قد حلت من حجك وعمرتك». قالت: يا رسول الله إني أجد في نفسي من عمرتي أنني لم أكن طفت حتى حججت قال: «اذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التعميم».

وله من حديث ابن جريج (١٢١٥): أيضاً: أخبرني أبو الزبير، سمعت جابراً قال: لم يطف النبي ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً، وعند أصحاب أبي حنيفة رحمه الله أن النبي ﷺ وأصحابه الذين ساقوا الهدي، كانوا قد قنروا بين الحج والعمرة كما دل عليه الأحاديث المتقدمة والله أعلم.

وقال الشافعي: أثبتنا إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن مكي عن الثوري عن يونس بن عيسى عن جعفر بن محمد، عن علي بن مكي، عن الشافعي قال: قال الشافعي: «العمرة طوافان ويسعى سعي».

قال الشافعي (السنن الكبرى للبيهقي: ١٠٥/٥) وقال بعض الناس: طوافان وسعيان، واحتج فيه برواية ضعيفة عن علي.

قال [أي البيهقي] جعفر: يروي عن علي قولنا، ورويناه عن النبي ﷺ.

سنة ١٠ - سوق الهدي

قال جابر في حديثه: حتى إذا كان آخر طوافه عند المروة قال: «إني لو استقبلت من أمري ما استبدرت، لم أسق الهدي». رواه مسلم (١٢١٨).

فيه دلالة على من ذهب إلى أن السعي بين الصفا والمروة أربعة عشر، كل ذهاب وإياب، يحسب مرة. قاله جماعة من أكابر الشافعية.

وهذا الحديث رد عليهم، لأن آخر الطواف عن قولهم يكون عند الصفا لا عند المروة، ولهذا قال أحد في روايته في حديث جابر: فلما كان السابع عند المروة، قال: «أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استبدرت، لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن لم يكن معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة، فحل الناس كلهم». وقال مسلم: فحل الناس كلهم وقصروا، إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي.

سنة ١٠ - من لم يسق الهدي

روى أمره عليه الصلاة والسلام لمن لم يسق الهدي يفسخ الحج إلى العمرة، خلق من الصحابة يطول ذكرنا لهم ما هنا وموضع سرد ذلك كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله.

ولقد اختلف العلماء في ذلك:

فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي: كان ذلك من خصائص الصحابة، ثم نسخ جواز الفسخ لغیرهم، ونسكوا بقول أبي ذر رضي الله عنه: لم يكن فسخ الحج إلى العمرة إلا لأصحاب محمد ﷺ. رواه مسلم (١٢٢٤) (١٠٠٠).

وأما الإمام أحمد فرد ذلك. وقال (مسائل الإمام أحمد برواية ابن هانئ: ١٤٧/١، ١٤٨): قد رواه أحد عشر صحابياً، فأين تقع هذه الرواية من ذلك؟

وذهب رحمه الله إلى جواز الفسخ لغير الصحابة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما بوجوب الفسخ على كل من لم

سنة ١٠ - نزول الأبطح

ثم سار صلوات الله وسلامه عليه بعد فراغه من طوافه بين الصفا والمروة وأمره بالفسخ لمن لم يسق الهدي، والناس معه، حتى نزل بالأبطح شرقي مكة، فقام هناك بقية يوم الأحد ويوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء حتى صلى الصبح من يوم الخميس وكل ذلك يصلي بأصحابه هنالك ولم يعد إلى الكعبة من تلك الأيام كلها.

قال البخاري [١٦٢٥]: باب ممن لم يقرب الكعبة، ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الأول:

حدثنا محمد بن أبي بكر، ثنا فضيل بن سليمان، ثنا موسى بن عقبة قال: أخبرني كريب عن عبد الله بن عباس قال: قدم النبي ﷺ مكة فطاف سبعا، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها، حتى رجع من عرفة. انفراد به البخاري.

فصل:

وقدم في هذا الوقت - ورسول الله ﷺ منيخ بالبطحاء خارج مكة - عليّ من اليمن، وكان النبي ﷺ قد بعثه كما قلنا إلى اليمن أميراً بعد خالد بن الوليد رضي الله عنهما، فلما قدم وجد زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قد حلت كما حل أزواج رسول الله ﷺ والذين لم يسقوا الهدي، واكتحلت وليست ثيابا صيفا، فقال: من أمرك بهذا؟ قالت أمي، فذهب عمرشاً عليها إلى رسول الله ﷺ، فأخبره أنها حلت وليست ثيابا صيفا واكتحلت، وزعمت أنك أمرتها بذلك يا رسول الله فقال: «صدقت صدقت صدقت». ثم قال له رسول الله ﷺ: «هم أهملت حين أوجبت الحج؟» قال: «يا لهلال كإهلال النبي ﷺ». قال: «فإن معي الهدي فلا تحل»، فكان جماعة الهدي الذي جاء به عليّ من اليمن، والذي أتى به رسول الله ﷺ من المدينة، واشتراه في الطريق مائة من الإبل، واشتركا في الهدي جميعاً.

وقد تقدم هذا كله في صحيح مسلم رحمه الله.

وهذا التقرير يرد الرواية التي ذكرها الحافظ أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير: ٢٣٠/١١، ٢٣١ (١٥٨٤)] رحمه الله من حديث عكرمة، عن ابن عباس. أن علياً تلقى النبي ﷺ إلى الجحفة. والله أعلم.

وكان أبو موسى في جملة من قدم مع عليّ، ولكنه لم يسق هدياً فأمره رسول الله ﷺ بأن يحمل بعدما طاف للعمرة وسعى، ففسخ حجه إلى العمرة، وصار متمتعاً، فكان يفتي بذلك في أثناء خلافة عمر بن الخطاب، فلما رأى عمر بن الخطاب أن يفرد الحج عن العمرة، ترك فتياه مهابة لأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه.

وقال الإمام أحمد [٣٠٨/٤]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه. قال: رايت بلالا يؤذن ويدور وأنتبج فاه ها هنا وما هنا، وأصبعه في أذنيه. قال: ورسول الله ﷺ في قبة له حمراء أراها من آدم. قال: فخرج بلال بين يديه بالعزّة فركبها، فصلى رسول الله ﷺ. قال عبد الرزاق: وسمعت بمكة قال: بالبطحاء يمر بين يديه الكلب والمرأة والحمراء، وعليه حلة حمراء كأنني أنظر إلى بريث ساقيه قال سفيان: نراها حبرة.

وقال أحمد [٣٠٨/٤، ٣٠٩]: ثنا وكيع، ثنا سفيان عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه. قال: أتيت النبي ﷺ بالأبطح وهو في قبة له حمراء، فخرج بلال بفضل وضوئه، فمن تاضع ونائل. قال: فأذن بلال، فكتفت أنتبج فاه هكذا وهكذا - يعني مينا وشمالاً - قال: ثم ركزت له عزّة فخرج رسول الله ﷺ وعليه جبة له حمراء، أو حلة حمراء، وكأنني أنظر إلى بريث ساقيه، فصلى بنا إلى عزّة الظهر، أو العصر، ركعتين، ثم المرأة والكلب والحمراء لا يمنع، ثم لم يزل يصلي ركعتين حتى أتى المدينة. وقال مرة: فصلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين. وأخرجه في الصحيحين [خ (٦٣٤)، م (٥٠٣) (٢٢٩)] من حديث سفيان الثوري.

وقال أحمد أيضاً [٣٠٩/٤]: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة وحجاج، ح وأخبرني شعبة عن الحكم، سمعت أبا جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالمهاجرة إلى البطحاء، فترواً وصلى الظهر ركعتين، وبين يديه عزّة، وزاد فيه عون عن أبيه أبي جحيفة: وكان يمر من ورائنا الحمراء والمرأة. قال حجاج في الحديث: ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم. قال: فأخذت يده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك.

وقد أخرجه صاحبها الصحيح [خ (١٨٧)، م (٥٠٣) (٢٥٢)، (٢٥٣)] من حديث شعبة بتمامه.

سنة ١٠ - يوم التروية

فقام عليه الصلاة والسلام بالأبطح كما قلنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء. وقد حل الناس إلا من ساق الهدي، وقدم في هذه الأيام عليّ بن أبي طالب من اليمن بمن معه من المسلمين وما معه من الأموال، ولم يعد عليه الصلاة والسلام إلى الكعبة بعدما طاف بها، فلما أصبح عليه الصلاة والسلام يوم الخميس صلى بالأبطح الصبح من يومئذ وهو يوم التروية ويقال له: يوم منى لأنه يسار فيه إليها. وقد روي أن النبي ﷺ خطب قبل هذا اليوم. ويقال لذلك قبله فيما رأيته في بعض التعاليف. يوم الزينة، لأنه تزئّن فيه البدن بالجلال ونحوها فإله أعلم.

قال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١١١/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أحمد بن محمد ابن جعفر الجلودي، ثنا محمد بن إسماعيل بن مهران، ثنا محمد بن يوسف، ثنا أبو قرة عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان قبل يوم التروية خطب يوم التروية خطب الناس، فأخبرهم بمناسكهم، فركب عليه الصلاة والسلام قاصداً إلى منى قبل الزوال، وقيل: بعده، وأحرم الذين كانوا قد حلوا بالحج من الأبطح حين توجهوا إلى منى، واتبعت رواحلهم نحوها.

قال عبد الملك: عن عطاء، عن جابر بن عبد الله: قدمنا مع رسول الله ﷺ فأحللنا حتى كان يوم التروية، وجعلنا مكة مثلاً بظهر، لبنا بالحج. ذكره البخاري تعليقا مجزواً [ك ٢٥ ب ٨٢].

وقال مسلم [١٢١٤]: ثنا محمد بن حاتم، ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير عن جابر. قال: أمرنا رسول الله ﷺ لما أحللتنا أن نحرم إذا توجهنا إلى منى. قال: وأهلنا من الأبطح. وقال عبيد بن جريج لابن عمر: رأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا

أروا الهلال، ولم تهل أنت حتى يوم التروية! فقال: لم أر النبي ﷺ يصل حتى تثبت به راحلته. رواه البخاري [١٦٦، ٥٨٥١] في جملة حديث طويل.

قال البخاري (كتاب ٢٥ باب ٨٢): وسئل عطاء عن المجاور منى يلي بالحج؟ فقال: كان ابن عمر يلي يوم التروية إذا صلى الظهر واستوى على راحلته.

قلت: هكذا كان ابن عمر يصنع إذا حج معتمراً يحل من العمرة، فإذا كان يوم التروية لا يلي حتى تثبت به راحلته متوجهاً إلى منى، كما أحرم رسول الله ﷺ من ذي الحليفة بعدما صلى الظهر، وانتبعت به راحلته، لكن يوم التروية لم يصل النبي ﷺ الظهر بالأبطح، وإنما صلاها يومئذ منى، وهذا ما لا نزاع فيه.

قال البخاري [١٦٥٣]: باب أين يصلي الظهر يوم التروية:

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا إسحاق الأزرق، حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع. قال: سألت أنس بن مالك قلت: أخبرني بشيء عقلته من رسول الله ﷺ أين يصلي الظهر والعصر يوم التروية؟ قال: بمنى قلت: فأين صلى العصر يوم التروية؟ قال: بالأبطح. ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك.

وقد أخرجه بقية الجماعة [١٣٠٩، ١٩١٢، ١٩٦٤]، ت (٩٦٤)، س (٢٩٩٧) إلا ابن ماجه من طرق عن إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان الثوري به.

وكذلك رواه الإمام أحمد [١٠/٣] عن إسحاق بن يوسف الأزرق به. وقال الترمذي: حسن صحيح، يستغرب من حديث الأزرق عن الثوري.

ثم قال البخاري [١٦٥٤]: أنبأنا عليّ سمع أبا بكر بن عياش، ثنا عبد العزيز بن رفيع. قال: لقيت أنس بن مالك، وحدثني إسماعيل بن أبان، ثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز. قال: خرجت إلى منى يوم التروية فقلت أنا ذاهباً على حمار، فقلت: أين صلى النبي ﷺ هذا اليوم الظهر؟ فقال: انظر حيث يصلي أمراؤك فصل.

وقال أحمد [٢٩٦/١، ٢٩٧، ٣٠٣]: حدثنا أسود بن عامر، ثنا أبو كندينة عن الأعمش، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ صلى خمس صلوات بمنى.

وقال أحمد أيضاً [٢٩٧/١]: حدثنا أسود بن عامر، ثنا أبو عبيدة يعنى بن يعلى التيمي، عن الأعمش، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم التروية بمنى، وصلى النداء يوم عرفة بها.

وقد رواه أبو داود [١٩١١] عن زهير بن حرب، عن أحوص بن جواب، عن عمال بن زريق، عن سليمان بن مهران الأعمش به. ولفظه: صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى.

وأخرجه الترمذي [٨٨٠] عن الأشج عن عبد الله بن الأجلح، عن الأعمش بمعناه. وقال: ليس هذا مما عده شعبة فيما سمعه الحكم عن مقسم.

وقال الترمذي [٨٧٩]: ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبد الله بن الأجلح عن إسماعيل بن مسلم، عن عطاء، عن ابن عباس قال: صلى بنا رسول الله ﷺ بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم غدا إلى عرفات.

ثم قال: وإسماعيل بن مسلم قد تكلم فيه. وفي الباب عن عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك.

وقال الإمام أحمد [٢٦٨/٥] ثنا يزيد بن عبد ربه، ثنا الوليد بن مسلم، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن روى النبي ﷺ أنه راح إلى منى يوم التروية وإلى جانبه بلال بيده عود عليه ثوب يظلله به رسول الله ﷺ - يعني من الحر -.

تفرد به أحمد.

وقد نص الشافعي على أنه عليه السلام ركب من الأبطح إلى منى بعد الزوال، ولكنه إنما صلى الظهر بمنى فقد يستدل به بهذا الحديث والله أعلم.

وتقدم في حديث جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر [١٢١٨]. قال: فحلّ الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأملوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فوصل بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر ببقية له من شعر فضرت له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زأغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس. وقال: «إن دعاءكم وأمواكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودعاء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث - وكان مسترضعاً في بيتي سعد، فقتلته هذيل -». وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء فإنكم أخذنكم بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» ثلاث مرات.

وقال أبو عبد الرحمن النسائي (كمى [٤٠٠٢]): أنبأنا علي بن حجر قال: أنبأنا جرير عن عن المغيرة، عن موسى بن زياد بن حليم بن عمرو السعدي، عن أبيه، عن جده. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: «اعلموا أن دعاءكم وأمواكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا كحرمة بلدكم هذا».

وقال أبو داود [١٩١٥] باب الخطبة على المنبر بعرفة:

حدثنا هناد عن ابن أبي زائدة، ثنا سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم، عن رجل من بني ضمرة، عن أبيه أو عمه، قال: رايت رسول الله ﷺ وهو على المنبر بعرفة.

وهذا الإسناد ضعيف. لأن فيه رجلاً مبهماً.

ثم تقدم في حديث جابر الطويل [١٢١٨] أنه عليه الصلاة والسلام خطب على ناقته القصواء.

ثم قال أبو داود [١٩١٦]: حدثنا مسدد، ثنا عبد الله بن داود عن سلمة بن نبيب، عن رجل من الحبي، عن أبيه نبيب: أنه رأى رسول الله ﷺ واقفاً بعرفة على بعير آخر يخطب.

وهذا فيه مبهم أيضاً. ولكن حديث جابر شاهد له.

بني وبين أبي، قلت: إن كنت تريد أن تصيب السنة اليوم فأقصر الخطبة، وعجل الوقوف، فقال ابن عمر: صدق.

ورواه البخاري أيضاً [١٦٦٣] عن القعني عن مالك.

وأخرجه النسائي [٣٠٠٩، ٣٠٠٥] من حديث أشهب وابن وهب عن مالك. ثم قال [١٦٦٢] معلقاً البخاري بعد روايته هذا الحديث. وقال الليث: حدثني عقيل عن ابن شهاب، عن سالم: أن الحجاج عام نزل بابن الزبير سأل عبد الله: كيف تصنع في الموقف؟ فقال سالم: إن كنت تريد السنة فهجر بالصلاة يوم عرفة، فقال ابن عمر: صدق، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة، قلت لسالم: أفعل ذلك رسول الله ﷺ؟ فقال: هل تبتغون بذلك إلا سنة.

وقال أبو داود [١٦١٣]: حدثنا أحمد بن حنبل، ثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ غدا من منى حين صلى الصبح صبيحة يوم عرفة، فزل بنمرة وهي منزل الإسماعيل الذي يتزل به بعرفة، حتى إذا كان عند صلاة الظهر راح رسول الله ﷺ مهجراً، فجمع بين الظهر والعصر.

وهكذا ذكر جابر في حديثه [م] [١٢١٨] بعدما أورد الخطبة المتقدمة قال: ثم أذن بلال، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئا.

وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام خطب أولا ثم أقيمت الصلاة، ولم يتعرض للخطبة الثانية.

وقد قال الشافعي [رتب سند الشافعي] [٩١١]: أثبتنا إبراهيم بن محمد وغيره عن جعفر بن محمد، عن أبيه، وعن جابر في حجة الإسلام. قال: فراح النبي ﷺ إلى الموقف بعرفة فخطب الناس الخطبة الأولى، ثم أذن بلال، ثم أخذ النبي ﷺ في الخطبة الثانية ففرغ من الخطبة وبلال من الأذان، ثم أقام بلال فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر.

قال البيهقي: تفرد به إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى.

قال مسلم عن جابر: ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقه القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة.

وقال البخاري [١٩٨٩]: حدثنا يحيى بن سليمان عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير، عن كريب، عن ميمونة: أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة فأرسلت إليه بجلاب، وهو واقف في الموقف فشرب منه والناس ينظرون.

وأخرجه مسلم [١١٢٤] [١١٢] عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب به.

وقال البخاري [١٩٨٨]: أثبتنا عبد الله بن يوسف، أثبتنا مالك عن النضر، مولى عمر بن عبيد الله، عن عمير مولى ابن عباس، عن أم الفضل بنت الحارث، أن ناساً تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقلع لبن وهو واقف على بعيره فشربه.

ورواه مسلم [١١٢٣] [١١٠] من حديث مالك أيضاً.

وأخرجه [خ] [١٦٥٨]، م [١١٢٣] [١١١] من طرق آخر عن أبي النضر به.

قلت: أم الفضل هي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وقصتهما واحدة والله أعلم. وصح إسناد الإرسال إليهما لأنه من عندها اللهم إلا

ثم قال أبو داود [١٩١٧]: حدثنا هناد بن السري، وعثمان بن أبي شيبة، قالوا: ثنا وكيع عن عبد المجيد أبي عمرو، قال: حدثني العلاء بن خالد بن هوذة، وقال هناد عن عبد المجيد: حدثني خالد بن العلاء بن هوذة، قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس يوم عرفة على بعير قائماً في الركابين.

قال أبو داود: رواه ابن العلاء عن وكيع، كما قال هناد. وحدثنا عباس بن عبد العظيم، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد المجيد أبو عمرو عن العلاء بن خالد بمعناه.

وفي الصحيحين [خ] [١٨٤١]، م [١٨٧٨] (٤) عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بعرفات: فمن لم يجد نعلين فليلبس الخفين، ومن لم يجد إزاراً فليلبس السراويل للمحرم.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام] [٦٠٥/٢]: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد. قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسول الله ﷺ: «قل أيها الناس إن رسول الله يقول: «هل تدرون أي شهر هذا؟»، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: «قل لهم إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا» ثم يقول: «قل: أيها الناس إن رسول الله يقول: هل تدرون أي بلد هذا؟»، وذكر تمام الحديث.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام] [٦٠٥/٢]: حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خلجة. قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة في حاجة فلبغته، ثم وقفت تحت ناقته وإن لعبها ليقع على رأسي فسمعتة يقول: «أيها الناس إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراس وللعاقر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

ورواه الترمذي [٢١٢١] والنسائي [٣٦٤٣] وابن ماجه [٢٧١٢] من حديث قتادة عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن عمرو بن خارجة به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وفيه اختلاف على قتادة والله أعلم.

وستذكر الخطبة التي خطبها عليه الصلاة والسلام بعد هذه الخطبة يوم النحر، وما فيها من الحكم والمواعظ والتفاصيل والآداب النبوية إن شاء الله.

قال البخاري [١٦٥٩] باب التلبية والتكبير إذا غدا من منى إلى عرفة: حدثنا عبد الله بن يوسف، أثبتنا مالك عن محمد بن أبي بكر الثقفي، أنه سأل أنس بن مالك وهما غائبان من منى إلى عرفة: كيف كنتم تصيرون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ؟ فقال: كان يهل منا المهمل فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر منا فلا ينكر عليه.

وأخرجه مسلم [١٢٨٥] [٢٧٤]، م [٢٧٥] من حديث مالك وموسى بن عقبة، كلاهما عن محمد بن أبي بكر بن عوف بن رباح الثقفي الحجازي، عن أنس به.

وقال البخاري [١٦٦٣]: حدثنا عبد الله بن مسلمة، ثنا مالك عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج بن يوسف أن يأتم بعبد الله بن عمر في الحج فلما كان يوم عرفة، جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس - أو زالت الشمس - فصاح عند فسطاطه: أين هذا؟ فخرج إليه. فقال ابن عمر: الرواح فقال: الآن؟ قال نعم! فقال: انتظرنني حتى أفيض عليّ ماء، فزل ابن عمر حتى خرج فصار

سنة ١٠- دعاء النبي ﷺ وهو واقف بعرفة

قد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام أفطر يوم عرفة، فدل على أن الإنظار هناك أفضل من الصيام لما فيه من التقوي على الدعاء، لأنه المقصود الأهم هناك، ولها وقف عليه الصلاة والسلام وهو راكب على الراحلة من لدن الزوال، إلى أن غربت الشمس.

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن حوشب بن عقيل، عن مهدي المجري، عن عكرمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة.

وقال الإمام أحمد [٣٠٤/٢]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا حوشب بن عقيل، حدثني مهدي المجري، حدثني عكرمة مولى ابن عباس قال: دخلت على أبي هريرة في بيته فسأته عن صوم يوم عرفة بعرفات. فقال: نهى رسول الله ﷺ عن صوم عرفة بعرفات.

وقال عبد الرحمن مرة عن مهدي العبدي: وكذلك رواه أحمد [٤٤٦/٢] عن وكيع، عن حوشب، عن مهدي العبدي، فذكره.

وقد رواه أبو داود [٢٤٤٠] عن سليمان بن حرب عن حوشب. والنسائي [٢٨٣١، ٢٨٣٠] عن سليمان بن معبد، عن سليمان بن حرب به. وعن الفلاس عن ابن مهدي به. وابن ماجه [١٧٣٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، كلاهما عن وكيع، عن حوشب.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١١٧/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو أسامة الكلبي، ثنا حسن بن الربيع، ثنا الحارث بن عبيد عن حوشب بن عقيل، عن مهدي المجري، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: نهى النبي ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة. قال البيهقي: كنا قال الحارث بن عبيد، والحفوف عن عكرمة عن أبي هريرة.

وروى أبو حاتم محمد بن حبان البستي في صحيحه [الإحسان ٣٦٠٤] عن عبد الله بن عمرو، أنه سئل عن صوم يوم عرفة فقال: حججت مع رسول الله ﷺ فلم يصمه، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، وأنا فلا أصومه ولا أمر به ولا أنهى عنه.

قال الإمام مالك [الموطأ: ٤٢٢، ٤٢٣] عن زياد بن أبي زياد، مولى ابن عباس، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

قال البيهقي [السنن الكبرى: ١١٧/٥]: هذا مرسل. وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصلاً وإسناده ضعيف.

وقد روى الإمام أحمد والترمذي [٣٥٨٥] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده. أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

وللإمام أحمد [٢١٠/٢] أيضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده. قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

وقال أبو عبد الله بن منده: أنبأنا أحمد بن إسحاق بن أيوب

أن يكون بعد ذلك أو تعدد الإرسال من هذه، ومن هذه، والله أعلم. وقال الإمام أحمد [٣٥٩/١]: حدثنا إسماعيل، ثنا أيوب قال: لا أدري أسمعته من سعيد بن جبير، أم بُثِّته عنه. قال: أثبت على ابن عباس وهو بعرفة وهو يأكل رماناً. وقال: أفطر رسول الله ﷺ بعرفة، وبعثت إليه أم الفضل بلبن فشربه.

وقال أحمد [٣٤٤/١]: حدثنا وكيع، ثنا ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس: أنهم غامروا في صوم النبي ﷺ يوم عرفة، فأرسلت أم الفضل إلى رسول الله ﷺ بلبن فشربه.

وقال الإمام أحمد [٣٦٧/١]: حدثنا عبد الرزاق وإبن بكر قالوا: أنبأنا ابن جريج قال: قال عطاء: دعا عبد الله بن عباس الفضل بن عباس إلى الطعام يوم عرفة، فقال: إني صائم، فقال عبد الله: لا تصم فإن رسول الله ﷺ قرب إليه حلاب فيه لبن يوم عرفة فشرب منه، فلا تصم فإن الناس مستنون بكم.

وقال ابن بكر وروح: أن الناس يستنون بكم.

وقال البخاري [١٨٥٠]: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يتنا رجل واقف مع النبي ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقضته أو قال: فأوقضته، فقال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفوه في ثوبين، ولا تمسوه طيباً ولا تحمروا رأسه، ولا تحنطوه، فإن الله يبعثه يوم القيامة مليئاً».

ورواه مسلم [١٢٠٦، ٩٤] عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد.

وقال النسائي [المجتبى ٣٠١٦] والكبرى [٤٠١١]: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه، أخبرنا وكيع، أنبأنا سفيان الثوري عن بكير بن عطاء، عن عبد الرحمن بن يعمر الدبلي، قال: شهدت رسول الله ﷺ بعرفة وأتاه أناس من أهل نجد، فسألوه عن الحج فقال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة» فمن أدرك ليلة عرفة قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه.

وقد رواه بقية أصحاب السنن [١٩٤٩]، ت [٨٨٩]، م كبرى [٤١٨٠]، ج [٣٠١٥] من حديث سفيان الثوري، زاد النسائي وشعبة عن بكير بن عطاء به.

وقال النسائي [الكبرى ٤٠١٠]: أنبأنا قتيبة، أنبأنا سفيان عن عمرو بن دينار، أخبرني عمرو بن عبد الله بن صفوان: أن يزيد بن شيان قال: كنا وقوفاً بعرفة مكاناً بعيداً من الموقف، فأتانا ابن مريع الأنصاري فقال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يقول لكم: كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم.

وقد رواه أبو داود [١٩١٩] والترمذي [٨٨٣] وابن ماجه [٣٠١١] من حديث سفيان بن عيينة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ولا نعرفه إلا من حديث ابن عينة عن عمرو بن دينار. وابن مريع اسمه يزيد بن مريع الأنصاري، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد.

قال: وفي الباب عن علي وعائشة وجبير بن مطعم، والشريد بن سويد.

وقد تقدم من رواية مسلم عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف» زاد مالك في موطئه وأرفعوا عن بطن عُرنة.

وقال الإمام أحمد [٢٠٩/٥]: حدثنا هشيم، أنبأنا عبد الملك، ثنا عطاء. قال: قال أسامة بن زيد: كنت رديف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو فمالت به ناقته فسقط خطامها قال: فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى.

وهكذا رواه النسائي [٣٠١١] عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم، به. وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١١٧/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا علي بن الحسن، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز، ثنا ابن جريج عن حسين بن عبد الله الهاشمي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ يدعو بعرفة يده إلى صدره كاستطعام المسكين.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا عبد القاهر بن السري، حدثني ابن لكتانة بن العباس بن مرداس عن أبيه، عن جده عباس بن مرداس، أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمت بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى إليه إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال: «يا رب إنك قادر على أن تتيب هذا المظلم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله تعالى: إني قد غفرت لهم. فتبسم رسول الله ﷺ فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تبسم فيها! قال: تبسمت من عدو الله إليّ ليس إته لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمي أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحشو التراب على رأسه».

ورواه أبو داود السجستاني في سننه [٥٢٣٤] عن عيسى بن إبراهيم البركي وأبي الوليد الطيالسي كلاهما عن عبد القاهر بن السري، عن ابن كنانة بن عباس بن مرداس، عن أبيه، عن جده مختصراً.

ورواه ابن ماجه [٣٠١٣] عن أيوب بن محمد الهاشمي عن عبد القاهر بن السري، عن عبد الله بن كنانة بن عباس، عن أبيه، عن جده به مطولاً.

ورواه ابن جرير في تفسيره [٢٩٤/٢] عن إسماعيل بن سيف العجلي، عن عبد القاهر بن السري، عن ابن لكتانة يكنى أبا كنانة، عن أبيه، عن جده العباس بن مرداس فذكره.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديبري، ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن سمع قتادة يقول: ثنا خلاص بن عمرو، عن عباد بن الصامت. قال: قال رسول الله ﷺ يوم عرفة: «أيها الناس إن الله تطول عليكم في هذا اليوم، فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم، ووهب مسيحتكم لمحسنتكم. وأعطى محسنتكم ما سأل. فادفعوا بسم الله». فلما كانوا يجمع قال: «إن الله قد غفر لصالحكم وشفع لصالحكم في طالحكم، تنزل الرحمة فتعهم ثم تفرق الرحمة في الأرض فتقع على كل نائب من حفظ لسانه ويده. وإليس وجنوده على جبال عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم؟ فإذا نزلت الرحمة دعا هو وجنوده بالويل والثبور، يقول: كنت أستغفرهم حَقّاً من الدهر فجاءت المغفرة فغشيتهم، فيتفرقون يدعون بالويل والثبور».

النسائوري، ثنا أحمد بن داود بن جابر الأحمسي، ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي، ثنا فرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

وقال الإمام أحمد [١٩٦/١]: حدثنا يزيد يعني ابن عبد ربه الجرجسي، ثنا بقة بن الوليد، حدثني جبير بن عمرو القرشي عن أبي سعيد الأنصاري، عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [آل عمران: ١٨] «وأسألكم على ذلك من الشاهدين يارب».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في مناسكه: حدثنا الحسن بن مثنى بن معاذ العنبري، ثنا عفان بن مسلم، ثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح، عن خليفة، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير».

وقال الترمذي في الدعوات [٣٥٢٠]: حدثنا محمد بن حاتم المودب، ثنا علي بن ثابت ثنا قيس بن الربيع، وكان من بني أسد عن الأغر بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن علي رضي الله عنه، قال: كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ يوم عرفة في الموقف: «اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما تقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ولك رب ترائي، أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما تهب به الريح».

ثم قال: غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

وقد رواه الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١١٧/٥] من طريق موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر دعاء من كان قبلي ودعائي يوم عرفة أن أقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل لي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وفي قلبي نوراً. اللهم اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر، وشر فتنة القبر، وشر ما يلج في الليل، وشر ما يلج في النهار، وشر ما تهب به الرياح، وشر بوائق الدهر».

ثم قال: تفرد به موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وأخوه عبد الله لم يدرك علياً.

وقال الطبراني في مناسكه [المعجم الكبير: ١٧٤/١١، ١٧٥]: حدثنا يحيى بن عثمان المصري، ثنا يحيى بن بكير، ثنا يحيى بن صالح الأيلي عن إسماعيل بن أمية، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: كان فيما دعا به رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلاتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستجير المستجير الرجل المشفق المتر المعترف بذنبي، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك أبتهل المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضعيف، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته، وفذل لك جسده ورغم لك أنفه. اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين ويا خير المعطين».

سنة ١٠- ذكر ما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي

المنيف في هذا الموقف الشريف

قال الإمام أحمد [٢٢٨/١]: حدثنا جعفر بن عون، ثنا أبو العيسى عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب. قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال وأي آية هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [٣] فقال عمر: والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ نزلت عشية عرفة في يوم جمعة.

ورواه البخاري [٤٥] عن الحسن بن الصباح، عن جعفر بن عون. وأخرجه [٤٤٧] أيضاً ومسلم [٣٠١٧] والترمذي [٣٠٤٣] والنسائي [٣٠٠٢] من طرق عن قيس بن مسلم به.

سنة ١٠- ذكر إفاضته ﷺ من

عرفات إلى المشعر الحرام

قال جابر بن حذيفة الطويل: فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حين غاب القرص، فأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شئت للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رجله، ويقول بيده اليمنى: «يا أيها الناس السكينة السكينة!!» كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً. رواه مسلم [١٢١٨].

وقال البخاري [١٦٦٦] باب السير إذا دفع من عرفة:

حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: ستل أسامة وأنا جالس: كيف كان النبي ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير المتى فإذا وجد فجوة نص. قال هشام: والنص فرق المتى.

ورواه الإمام أحمد [٢٠٥/٥] وبقية الجماعة [م (١٢٨٦) (٢٨٣) (٢٨٤)، د (١٩٢٣)، م (٣٠٢٣)، ج (٣٠١٧)] إلا الترمذي من طرق عدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسامة بن زيد.

وقال الإمام أحمد [٢٠١/٥، ٢٠٢]: ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسامة بن زيد. قال: كنت رديف رسول الله ﷺ عشية عرفة. قال: فلما وقعت الشمس دفع رسول الله ﷺ فلما سمع حطمة الناس خلفه. قال: فوجدوا أيها الناس عليكم السكينة إن البر ليس بالإيضاع. قال: فكان رسول الله ﷺ إذا التحم عليه الناس اعتق وإذا وجد فرجة نص، حتى أتى المزدلفة فنزل فيها فجمع بين الصلوتين المغرب والعشاء الآخرة.

ثم رواه الإمام أحمد [٢٠٢/٥] من طريق محمد بن إسحاق، حدثني إبراهيم بن عتبة عن كريب، عن أسامة بن زيد فذكر مثله.

وقال الإمام أحمد [٢٠٧/٥]: حدثنا أبو كامل، ثنا حماد عن قيس بن

سعد، عن عطاه، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد قال: أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وأنا رديفه، فجعل يكبح راحلته حتى إن ذفرها ليكد يصيب قادمة الرجل. ويقول: «يا أيها الناس عليكم السكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاح الإبل».

وكذا رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به [٢٠١/٥].

ورواه النسائي [٣٠١٨] من حديث حماد بن سلمة به.

ورواه مسلم [١٢٨٦] (٢٨٢) عن زهير بن حرب، عن يزيد بن هارون، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاه، عن ابن عباس، عن أسامة بنحوه. قال: وقال أسامة: فما زال يسير على هيئته حتى أتى جمعاً.

وقال الإمام أحمد [٢٠٧/٥]: حدثنا أحمد بن الحجاج، ثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب، عن شعبة، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد. أنه ردف رسول الله ﷺ يوم عرفة حتى دخل الشعب، ثم أفرق الماء وتوضأ، ثم ركب ولم يصل.

وقال الإمام أحمد [٢٠٦/٥]: حدثنا عبد الصمد، ثنا همام عن قتادة، عن عذرة، عن الشعبي، عن أسامة بن زيد أنه حدثه. قال: كنت رديف رسول الله ﷺ حين أفاض من عرفات، فلم ترفع راحلته وجلها غادية حتى بلغ جمعاً.

وقال الإمام أحمد [٢٠٠/٥]: حدثنا سفيان عن إبراهيم بن عتبة، عن كريب، عن ابن عباس، أخبرني أسامة بن زيد: أن النبي ﷺ أردفه من عرفة، فلما أتى الشعب نزل فبال، ولم يقل: أفرق الماء فصبيت عليه فتوضأ وضواً خفيفاً، فقلت: الصلاة؟ فقال: «الصلاة أمامك».

قال: ثم أتى المزدلفة فصلى المغرب ثم حلوا رحالهم وأعتهم ثم صلى العشاء. كذا رواه الإمام أحمد عن كريب، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد فذكره.

ورواه النسائي [٦٠٨] عن الحسين بن حريث عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن عتبة، ومحمد بن أبي حمزة، كلاهما عن كريب، عن ابن عباس، عن أسامة.

قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه [٤٨/١]: والصحيح كريب عن أسامة.

وقال البخاري [١٦٧٢]: حدثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن موسى بن عتبة، عن كريب، عن أسامة بن زيد. أنه سمعه يقول: دفع رسول الله ﷺ من عرفة، فنزل الشعب فبال ثم توضأ، فلم يسبح الوضوء، فقلت له: الصلاة، فقال: «الصلاة أمامك». فجاء المزدلفة فتوضأ فأسبح، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب، ثم أتاه كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء ولم يصل بينهما.

وهكذا رواه البخاري [١٣٩] أيضاً عن القتيبي، ومسلم [١٢٨٠] (٢٧٦) عن يحيى بن يحيى، والنسائي [كبرى (٤٠٢٩)] عن قتيبة، عن مالك، عن موسى بن عتبة به. وأخرجه [ج (١٨١)، م (١٢٨٠) (٢٧٧)] من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن موسى بن عتبة أيضاً.

ورواه مسلم [١٢٨٠] (٢٧٩) [٢٨٠] من حديث إبراهيم بن عتبة ومحمد بن عتبة، عن كريب كنحو رواية أخيهما موسى بن عتبة عنه.

وقال البخاري [١٦٦٩] أيضاً: حدثنا قتيبة، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد ابن أبي حمزة عن كريب، عن أسامة بن زيد أنه قال: ردف رسول الله ﷺ، فلما بلغ رسول الله ﷺ من عرفات، الشعب الأيسر الذي دون المزدلفة، أتاه فبال، ثم جاء فصبيت عليه الوضوء فتوضأ وضواً

خفيفاً. فقلت: الصلاة يا رسول الله؟ قال: «الصلاة أمامك»، فركب رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة، ف صلى ثم ردف الفضل رسول الله ﷺ غداة جمع.

قال كريب [ج (١٦٧٠)]: فأخبرني عبد الله بن عباس عن الفضل: أن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتى بلغ الجعرة.

ورواه مسلم [١٢٨٠] عن قتية، ويحيى بن يحيى، ويحيى بن أيوب، وعلي بن حجر، أربعهم عن إسماعيل بن جعفر به.

وقال الإمام أحمد [٢٠٨/٥]: حدثنا وكيع، ثنا عمر بن ذر عن مجاهد، عن أسامة بن زيد. أن رسول الله ﷺ أوقفه من عرفة. قال: فقال الناس:

سيخبرنا صاحبنا ما صنع. قال: فقال أسامة: لما دفع من عرفة فوق كف رأس راحلته حتى أصاب رأسها واسطة الرجل، أو كاد يصيبه، يشير إلى الناس بيده «السكينة السكينة» حتى أتى جمعا، ثم أوقف الفضل بن عباس قال فقال الناس: سيخبرنا صاحبنا بما صنع رسول الله ﷺ، فقال الفضل: لم يزل يسير سيرا لنا كسيرة بالأمس، حتى أتى على وادي محسر، فلدغ فيه حتى استوت به الأرض.

وقال البخاري [١٦٧١]: حدثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا إبراهيم بن سويد، حدثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، أخبرني سعيد بن جبير مولى والية الكوفة، حدثني ابن عباس. أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً، وضرباً للابل، فأشار بسوطه إليهم، وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة! فإن البر ليس بالإيضاع».

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقد تقدم رواية الإمام أحمد ومسلم والنسائي، هذا من طريق عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن أسامة بن زيد قاله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٥١/١]: حدثنا إسماعيل بن عمر، ثنا المسعودي عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: لما أفاض رسول الله ﷺ من عرفات أوضع الناس، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «يا أيها الناس ليس البر بإيضاع الخيل ولا الركاب». قال: فما رأيت من رافعة يديها غادية حتى نزل جمعا.

وقال الإمام أحمد [٢٧٣/١]: حدثنا حسين وأبو نعيم. قالوا: ثنا إسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع، قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول: لم يستزل رسول الله ﷺ من عرفات وجمع إلا لثريق الماء.

وقال الإمام أحمد [١٣١/٢]: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عبد الملك عن أنس بن سيرين، قال: كنت مع ابن عمر بعرفات: فلما كان حين راح رحت معه، حتى أتى الإمام فضلى معه الأولى والعصر ثم وقف معه وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهينا إلى المضيق دون المزمين، فأناننا وأختنا، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته، فهو يجب أن يقضي حاجته.

وقال البخاري [١٦٦٨]: ثنا موسى، ثنا جويرية عن نافع. قال: كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع، غير أنه يمر بالشعب الذي أخذه رسول الله ﷺ فيدخل فيتقص ويتوضأ ولا يصلي حتى يجيء جمعا.

تفرد به البخاري رحمه الله من هذا الوجه.

وقال البخاري [١٦٧٣]: ثنا آدم، ثنا ابن أبي ذئب عن الزهري، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر. قال: جمع النبي ﷺ المغرب والعشاء بجمع

كل واحدة منهما بإقامة، ولم يسيح بينهما ولا على إثر واحدة منهما. ورواه مسلم [٧٠٣] (٢٨٦) عن يحيى بن يحيى، عن مالك، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعاً.

ثم قال مسلم [١٢٨٨] (٢٨٧): حدثني حرملة حدثني ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، أن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخبره، أن أباه قال: جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة، فصلى المغرب ثلاث ركعات، وصلى العشاء ركعتين، فكان عبد الله يصلي بجمع كذلك حتى لحق بالله.

ثم روى مسلم [١٢٨٨] (٢٨٨، ٢٨٩) من حديث شعبة عن الحكم، وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير: أنه صلى المغرب بجمع والعشاء بإقامة واحدة. ثم حدث عن ابن عمر أنه صلى مثل ذلك. وحدث ابن عمر أن رسول الله ﷺ صنع مثل ذلك.

ثم رواه [م (١٢٨٨) (٢٩٠)] عن طريق الثوري عن سلمة عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر. قال: جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع، صلى المغرب ثلاثاً، والعشاء ركعتين بإقامة واحدة.

ثم قال مسلم [١٢٨٨] (٢٩١): ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن نمير، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق. قال: قال سعيد ابن جبير: أفضنا مع ابن عمر حتى أتينا جمعا، فصلى بنا المغرب والعشاء بإقامة واحدة، ثم انصرف، فقال: هكذا صلى بنا رسول الله ﷺ في هذا المكان.

وقال البخاري [١٦٧٤]: حدثنا خالد بن مخلد، ثنا سليمان بن بلال، حدثني يحيى بن سعيد، حدثني عدي بن ثابت، حدثني عبد الله بن يزيد الخطمي، حدثني أبو أيوب الأنصاري: أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة.

ورواه البخاري أيضاً في المغازي [٤٤١٤] عن القعني عن مالك.

ومسلم [١٢٨٧] من حديث سليمان بن بلال والليث بن سعد، ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عدي بن ثابت، به.

ورواه النسائي [٤٠٢٣] (كجوى) أيضاً عن الفلاس، عن يحيى القطان، عن شعبة، عن عدي بن ثابت به.

ثم قال البخاري [١٦٧٥] باب من أذن وأقام لكل واحدة منهما.

حدثنا عمرو بن خالد، ثنا زهير بن حرب، ثنا أبو إسحاق، سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: حج عبد الله بن مسعود فأتينا المزدلفة حين الأذان بالتممة، أو قريباً من ذلك، فأمر رجلاً فأذن وأقام ثم صلى المغرب، وصلى بعدها ركعتين، ثم دعا بشائه فتعشى، ثم أمر رجلاً فأذن وأقام. قال عمرو: - لا أعلم الشك إلا من زهير، ثم صلى العشاء ركعتين، فلما طلع الفجر قال: إن النبي ﷺ كان لا يصلي هذه الساعة إلا هذه الصلاة في هذا المكان من هذا اليوم.

قال عبد الله: هما صلاتان تحولان عن وقتها صلاة المغرب بعدما يأتي الناس المزدلفة، والفجر حين يزيغ الفجر. قال: رأيت النبي ﷺ يفعله. وهذا اللفظ وهو قوله: «والفجر حين يزيغ الفجر» أبين وأظهر من الحديث الآخر الذي رواه البخاري [١٦٨٢] عن حفص بن عمر بن غياث، عن أبيه، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود. قال: ما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة بغير ميقاتها إلا صلاتين جمع بين المغرب والعشاء وصلى الفجر قبل ميقاتها.

ورواه مسلم [١٢٨٩] من حديث أبي معاوية وجزيير عن الأعمش

محمد، كلاهما عن وكيع، عن مسعر، وسفيان الثوري، كلاهما عن سلمة بن كهيل به.

وقال أحمد [٣٢٦/١]: ثنا يحيى بن آدم، ثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: مر بنا رسول الله ﷺ ليلة النحر وعلينا سواد من الليل، فجعل يضرب أفضاننا ويقول: «أبني أفضوا لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس».

ثم رواه الإمام أحمد [٣٢٦/١، ٣٤٤] من حديث المسعودي، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: قدم رسول الله ﷺ ضعة أهله من المزدلفة بليل، فجعل يوصيهم أن لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس.

وقال أبو داود [١٩٤١]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا الوليد بن عقبة، ثنا حمزة الزيات بن حبيب عن عطاء، عن ابن عباس. قال: كان رسول الله ﷺ يقدم ضعة أهله بفلس ويسأهمهم - يعني أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس.

وكذا رواه النسائي [٣٠٦٥] عن محمود بن غيلان، عن بشر بن السري، عن سفيان، عن حبيب.

قال الطبراني [المعجم الكبير: ١١/١٣٨]: وهو ابن أبي ثابت عن عطاء، عن ابن عباس، فخرج حمزة الزيات من عهده، وجاد إسناد الحديث والله أعلم.

وقد قال البخاري [١٦٧٩]: ثنا مسدد بن يحيى، عن ابن جريج، حدثني عبد الله مولى أسماء، عن أسماء، أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة، فقالت: يا بني هل غاب القمر؟ قلت: لا، فصلت ساعة، ثم قالت: هل غاب القمر؟ قلت نعم: قالت: فارغوا. فارغوا فمضينا حتى رمت الجمرة، ثم رجعت فصلت الصبح في منزلها، فقلت لها: يا هتاه، ما أرانا إلا قد غلسنا فقالت: يا بني إن رسول الله ﷺ أذن للظعن.

ورواه مسلم [١٢٩١] من حديث ابن جريج به. فإن كانت أسماء بنت الصديق رمت الجمار قبل طلوع الشمس كما ذكرها هنا عن توقيف، فروايتها مقدمة على رواية ابن عباس، لأن إسناد حديثها أصح من إسناد حديثه، اللهم إلا أن يقال: إن القلمان أخف حالا من النساء وأنشط، فلها أمر القلمان بأن لا يرموا قبل طلوع الشمس، وأذن للظعن في الرمي قبل طلوع الشمس، لأنهم أثقل حالا وأبلغ في التستر والله أعلم.

وإن كانت أسماء لم تفعله عن توقيف، فحديث ابن عباس مقدم على فعلها. لكن يقوي الأول قول أبي داود [١٩٤٣]:

ثنا محمد بن خلاد الباهلي، ثنا يحيى عن ابن جريج، أخبرني عطاء، أخبرني خضر عن أسماء، أنها رمت الجمرة بليل، قلت: إنا رمينا الجمرة بليل، قالت: إنا كنا نضع هذا على عهد النبي ﷺ.

وقال البخاري [١٦٨١]: حدثنا أبو نعيم، ثنا أفلح بن حميد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة بطيئة، فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا نحن حتى أصبحنا، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به.

وأخرجه مسلم [١٢٩٠] (٢٩٣) عن القعني، عن أفلح بن حميد به.

وأخرجه في الصحيحين [خ (١٦٨٠)، م (٢٩٠)، م (٢٩٦)] من

وقال جابر في حديثه: ثم اضطلع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة. وقد شهد معه هذه الصلاة عروة بن مضر بن أوس بن حارثة بن لام الطائي.

قال الإمام أحمد [١٥/٤]: ثنا هشيم، ثنا ابن أبي خالد وزكريا عن الشعبي، أخبرني عروة بن مضر. قال: أتيت النبي ﷺ وهو يجمع فقلت: يا رسول الله جئتكم من جبلتي طيء، أتعبت نفسي وأنصبت راحلي، والله ما تركت من جبل إلا وقتت عليه، فهل لي من حج؟ فقال: «من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر - يجمع، ووقف معنا حتى يفيض منه وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلًا أو نهارًا، فقد تم حجه وقضى نسجه».

وقد رواه الإمام أحمد [١٥/٤، ٢٦١، ٢٦٢] أيضاً وأهل السنن الأربعة [د (١٩٥٠)، ت (٨٩١)، م (٣٠٣٩، ٣٠٤٠)، ج (٣٠١٦)] من طرق عن الشعبي، عن عروة بن مضر، وقال الترمذي: حسن صحيح

سنة ١٠ - تقديم طائفة من أهله من المزدلفة إلى منى

وقد كان رسول الله ﷺ قدم طائفة من أهله بين يديه من الليل، قبل حطمة الناس من المزدلفة إلى منى.

قال البخاري [١٦٧٩]: بساب من قدم ضعة أهله بالليل، فيقفون بالمزدلفة ويدهون، ويقدم إذا غاب القمر.

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب. قال: قال سالم: كان عبد الله بن عمر يقدم ضعة أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليل، فيذكرون الله ما بدا لهم، ثم يدعون قبل أن يقف الإمام، وقبل أن يدفع، فمنهم من يقدم منى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قلدوا رموا الجمرة.

وكان ابن عمر يقول: أرخص في أولئك رسول الله ﷺ. حدثنا سليمان بن حرب: ثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: يعني رسول الله ﷺ من جمع بليل [١٦٧٧].

وقال البخاري [١٦٧٨]: حدثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان، أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعة أهله.

وروى مسلم [١٢٩٤] من حديث ابن جريج، أخبرني عطاء، عن ابن عباس. قال: بعث بي رسول الله ﷺ من جمع بسحر مع ثقله.

وقال الإمام أحمد [٣١٦/١]: ثنا سفيان الثوري، ثنا سلمة بن كهيل عن الحسن العربي عن ابن عباس قال: قلنا رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على حراثنا فجعل يلطخ أفضاننا بيده، ويقول: «أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس». قال ابن عباس: ما أخال أحداً يرمي الجمرة حتى تطلع الشمس.

وقد رواه أحمد [٣٤٣/١] أيضاً عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري فذكره.

وقد رواه أبو داود [١٩٤٠] عن محمد بن كثير، عن الثوري به. والنسائي [٣٠٦٤] عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن سفيان بن عيينة، عن سفيان الثوري به.

وأخرجه ابن ماجه [٣٠٢٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن

الشرك والأوثان كانوا يدفعون عن ها هنا عند غروب الشمس حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال، مثل عمائم الرجال على رؤوسها، ههنا مخالف لهديهم. وكانوا يدفعون من الشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها، ههنا مخالف لهديهم.
قال: ورواه عبد الله بن إدريس عن ابن جريج، عن محمد بن قيس بن غمرة مرسلًا.

وقال الإمام أحمد [٢٣١/١]: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان، قال: سمعت الأعمش عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أفاض من المزدلفة قبل طلوع الشمس.

وقال البخاري [١٦٨٧، ١٦٨٦]: حدثنا زهير بن حرب، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي عن يونس الأيلي، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس: أن أسامة رضي الله عنه كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى. قال: فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جرة العقبة.

ورواه ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس [١٦٨٥].

وروى مسلم [١٢٨٢] (٢٦٨) من حديث الليث بن سعد عن أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عباس، عن الفضل بن عباس. وكان رديف رسول الله ﷺ أنه قال في عتبة عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا: عليكم بالسكينة وهو كاف نافته حتى دخل محسرا وهو من منى. قال: عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة. قال: ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى رمى الجمرة.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٥/٥] باب الإيضاع في وادي محسر:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عمرو المقرئ وأبو بكر الوراق، قالا: أنبأنا الحسن بن سفيان، ثنا هشام بن عمار، وأبو بكر بن أبي شيبة. قالا: ثنا حاتم بن إسماعيل، ثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر في حج النبي ﷺ. قال: حتى إذا أتى محسرا، حرك قليلا.

رواه مسلم في الصحيح [١٢١٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة.

ثم روى البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٥/٥] من حديث سفيان الثوري عن أبي الزبير، عن جابر. قال: أفاض رسول الله ﷺ وعليه السكينة، وأمرهم بالسكينة وأوضع في وادي محسر، وأمرهم أن يرموا الجمار بمثل حصى الخذف. وقال: «خذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد علمي هذا».

ثم روى البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٥/٥، ١٢٦] من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي: أن رسول الله ﷺ أفاض من جمع، حتى أتى محسرا، ففرق نافته حتى جاوز الوادي فوقف، ثم أردف الفضل ثم أتى الجمرة فرماها.

مكننا رواه مختصرا.

وقد قال الإمام أحمد [٧٦، ٧٥/١]: حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري، ثنا سفيان بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياض بن أبي ربيعة، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي. قال: وقف رسول الله ﷺ بعرفة فقال: «ههنا الموقف، وعرفة كلها موقف»، وأفاض حين غابت الشمس وأردف أسامة فجعل يهتق على بعيره، والناس يضربون ميمنا وشمالا يلتفت إليهم. ويقول: «السكينة أيها الناس».

حدث سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة به. وقال أبو داود [١٩٤٢]: ثنا هارون بن عبد الله، ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك - يعني ابن عثمان - عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. أنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ بأم سلمة ليلة النحر، فرمت الجمرة قبل الفجر، ثم مضت فافاضت، وكان ذلك اليوم الذي يكون رسول الله ﷺ. قال أبو داود - يعني عندها -.

انفرد به أبو داود، وهو إسناد جيد قوي، رجاله ثقات.

سنة ١٠ - ذكر تلبيته عليه السلام بالمزدلفة

قال مسلم [١٢٨٣] (٢٦٩): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو الأحوص، عن حصين عن كثير بن مدرك، عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: قال عبد الله - ونحن يجمع: سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام، «ليكن اللهم ليكن».

سنة ١٠ - وقوفه عليه السلام بالشعر الحرام ودفعه من المزدلفة

قبل طلوع الشمس وإيضاعه في وادي محسر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمُشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ الآية [البقرة: ١٩٨].

وقال جابر في حديثه [١٢١٨]: فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى الشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعا الله عز وجل وكبر وهلل وحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا، ودفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس وراءه.

وقال البخاري [١٦٨٤]: ثنا حجاج بن منهال، ثنا شعبة عن أبي إسحاق السبيعي. قال: سمعت عمرو بن ميمون يقول: شهدت عمر رضي الله عنه صلى بجمع الصبح، ثم وقف، فقال: إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أشرق تبير، وإن رسول الله ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس.

وقال البخاري [١٦٨٣]: ثنا عبد الله بن رجاء، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: خرجت مع عبد الله إلى مكة، ثم قلنا جمعا فصلى الصلاتين، كل صلاة وحدها بأذان وإقامة، والعشاء بينهما، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر. قاتل يقول: طلع الفجر وقاتل يقول: لم يطلع الفجر. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن هاتين الصلاتين حركتا عن وقتها في هذا المكان المغرب والعشاء»، فلا يقدم الناس جمعا حتى يتمتا وصلاة الفجر هذه الساعة ثم وقف حتى أسفر. ثم قال: لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنة، فلا أدري أقوله كان أسرع أو دفع عثمان رضي الله عنه، فلم يزل يلبي حتى رمى جرة العقبة يوم النحر.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٥/٥]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي، ثنا عبد الوارث بن سعيد عن إسحاق جريح، عن محمد بن قيس بن غمرة، عن المسور بن غمرة رضي الله عنه. قال: خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «لما بعد فإن أهل

ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلوتين المغرب والعشاء. ثم بات حتى أصبح، ثم أتى قرح فوقف على قرح فقال: «هذا الموقف، وجمع كلها موقف».

ثم سار حتى أتى محسراً فوقف عليه فقرر دابته فغبت حتى جاز الوادي ثم حبسها، ثم أردف الفضل وسار حتى أتى الجمرة فرماها، ثم أتى المنحر. فقال: «هذا المنحر ومنى كلها منحر».

قال: واستفتت جارية شابة من خثعم. فقالت: إن أبي شيخ كبير قد أفند وقد أدركته فريضة الله في الحج، فهل يجزئ عنه أن أؤدي عنه؟ قال: «نعم! فإني عن أبيك». قال: ولوى عن الفضل فقال له العباس: يا رسول الله لم لويت عن أبي عمك؟ قال: «رايت شاباً وشابة فلم آسن الشيطان عليهما».

قال: ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله حلفت قبل أن أنحر. قال: «أنحر ولا حرج». ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله إني أنضت قبل أن أحلق. قال: «أحلق أو قصر ولا حرج».

ثم أتى البيت طفاف، ثم أتى زمزم فقال: «يا بني عبد المطلب سقائكم، ولولا أن يغلبكم الناس عليها لترعت معكم».

وقد رواه أبو داود (١٩٢٢، ١٩٣٥) عن أحمد بن حنبل عن يحيى بن آدم، عن سفيان الثوري.

ورواه الترمذي (٨٨٥) عن بندار، عن أبي أحمد الزبيري.

وابن ماجه (٣٠١٠) عن علي بن محمد عن يحيى بن آدم.

وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه من حديث علي إلا من هذا الوجه.

قلت: وله شواهد من وجوه صحيحة خرجة في الصحاح وغيرها، فمن ذلك قصة الخثعمية، وهو في الصحيحين [ج (٥١٣)، م (١٣٣٥)] من طريق الفضل، وتقدمت في حديث جابر، وسنذكر من ذلك ما تيسر.

وقد حكى البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٦/٥، ١٢٧] بإسناد عن ابن عباس أنه أنكر الإسراع في وادي محسر؛ وقال: إنما كان ذلك من الأعراب. قال: والبيت مقدم على الثاني.

قلت: وفي ثبوته عنه نظر والله أعلم.

وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ [نظر: م (١٢١٨)، (١٤٧)]، وصح من صنيع الشيخين رضي الله عنهما أبي بكر وعمر أنهما كانا يغلان ذلك.

فروى البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٦/٥] عن الحاكم عن النجاد وغيره، عن أبي علي محمد بن معاذ بن المستهل المعروف بـ«نكران»، عن القعنبي، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن السور بن غزوة أن عمر كان يوضح ويقول:

إليك تمسداً قلقتنا وخزيها - مخالف ديسن الصلارى دينها

سنة ١٠- رمى جرة العقبة

ذكر رميه عليه الصلاة والسلام جرة العقبة وحدها يوم النحر وكيف رماها ومنى رماها؟ ومن أي موضع رماها؟ وكيف قطعته التلبية حين رماها

قد تقدم من حديث أسامة والفضل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، أنه عليه الصلاة والسلام لم يزل يلبى حتى رمى جرة العقبة.

وقال البيهقي [السنن الكبرى: ١٣٧/٥]: أنبأنا الإمام أبو عثمان، أنبأنا أبو طاهر بن خزيمة، أنبأنا جدي - يعني إمام الأئمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا علي بن حجر، ثنا شريك عن عامر بن شقيق، عن أبي وائل، عن عبد الله. قال: رمقت النبي ﷺ فلم يزل يلبى حتى رمى جرة العقبة بأول حصاة.

وبه [السنن الكبرى: ١٣٧/٥] عن ابن خزيمة، ثنا عمرو بن حفص الشيباني، ثنا حفص بن غياث، ثنا جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن ابن عباس، عن الفضل. قال: أنضت مع رسول الله ﷺ من عرفات، فلم يزل يلبى حتى رمى جرة العقبة، يكبر مع كل حصاة، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة.

قال البيهقي [السنن الكبرى: ١٣٧/٥، ١٣٨]: وهذه زيادة غريبة ليست في الروايات المشهورة عن ابن عباس، عن الفضل، وإن كان ابن خزيمة قد اختارها.

وقال محمد بن إسحاق [السنن الكبرى: ١٣٨/٥]: حدثني أبان بن صالح عن عكرمة. قال: أنضت مع الحسين بن علي فما أزال أسمعه يلبى حتى رمى جرة العقبة، فلما قذفها أسك. فقلت: ما هذا؟ فقال: رايت أبي علي بن أبي طالب يلبى حتى رمى جرة العقبة، وأخبرني أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك.

وتقدم من حديث الليث عن أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عباس، عن أخيه الفضل: أن النبي ﷺ أمر الناس في وادي محسر بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة.

رواه مسلم (١٢٨٢) (٢٦٨).

وقال أبو العالية عن ابن عباس: حدثني الفضل، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة يوم النحر: «هات فألقط لي حصاة، فللقطت له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهن في يده فقال: «بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء، ولبيكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»». رواه البيهقي [السنن الكبرى: ١٢٧/٥].

وقال جابر في حديثه حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي.

رواه مسلم (١٢١٨).

وقال البخاري [كتاب ٢٥ باب ١٣٤ قبل (١٧٤٦)]: وقال جابر رضي الله عنه: رمى النبي ﷺ يوم النحر ضحى، ورمى بعد ذلك بعد الزوال.

وهذا الحديث الذي علقه البخاري أسننه مسلم (١٢٩٩) (٣١٤) من حديث ابن جريج أخبرني أبو الزبير، سمع جابراً. قال: رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضحى، وأما بعد فلما زالت الشمس.

وفي الصحيحين [ج (١٧٤٧)، م (١٢٩٦)، (٣٠٥)] من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد. قال: رمى عبد الله من بطن الوادي فقلت: يا أبا عبد الرحمن إن ناساً يرمونها من فوقها. فقال: والذي لا إله غيره هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

لفظ البخاري.

وفي لفظ له [١٧٤٨] من حديث شعبة عن الحكم، عن إبراهيم عن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود: أنه أتى الجمرة الكبرى، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، ورمى بسبع. وقال: هكنا رمى الذي أنزلت

عليه سورة البقرة.

ثم قال البخاري [قبل (١٧٤٨)] باب من رمى الجمار بسبع يكبر مع كل حصاة، قاله ابن عمر عن النبي ﷺ.

وهذا إما يعرف في حديث جابر بن طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر كما تقدم أنه أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها، مثل حصى الخلف [م (١٢١٨)].

وقد روى البخاري (١٧٥٠) في هذه الترجمة من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة. ثم قال: من ها هنا والذي لا إله غيره قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وروى مسلم (١٢٩٩) (٣١٣) من حديث ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، سمع جابر بن عبد الله. قال: رأيت رسول الله ﷺ رمى الجمرة بسبع مثل حصى الخلف.

وقال الإمام أحمد (٢٣٢/١): حدثنا يحيى بن زكريا، ثنا حجاج عن الحكم، عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس. أن النبي ﷺ رمى الجمرة، جرة العقبة يوم النحر ركباً.

ورواه الترمذي (٨٩٩) عن أحمد بن منيع، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وقال: حسن.

وأخرجه ابن ماجه (٣٠٣٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي خالد الأحمر، عن الحجاج بن أرطاة به.

وقد روى أحمد (٣٧٩/٥) وأبو داود (١٩٦٦) وابن ماجه (٢٠٢٨)، (٣٠٣١) والبيهقي (السنن الكبرى: ١٢٨/٥) من حديث يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أمه أم جندب الأزدية. قالت: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمار من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة، ورجل من خلفه يستره، فسألت عن الرجل فقالوا: الفضل بن عباس، فازدحم الناس. فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، وإنا رميت الجمرة فارموا بمثل حصى الخلف».

لفظ أبي داود.

وفي رواية له (١٩٦٧، ١٩٦٨) قالت: رأيته عند جرة العقبة ركباً، ورأيت بين أصابعه حجراً، فرمى ورمى الناس، ولم يبق عندها.

ولابن ماجه (٣٠٢٨) قالت: رأيت رسول الله ﷺ يوم النحر عند جرة العقبة وهو راكب على بئلة.

وذكر الحديث، وذكر البئلة ها هنا غريب جداً.

وقد روى مسلم في صحيحه (١٢٩٩) من حديث ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله يقول: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة على راحته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».

وروى مسلم (١٢٩٨) (٣١١) أيضاً من حديث زيد بن أبي أنيسة، عن يحيى بن الحصين، عن جدته أم الحصين، سمعتها تقول: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيت حين رمى جرة العقبة وانصرف وهو على راحته يوم النحر، وهو يقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».

وفي رواية (١٢٩٨) (٣١٢) قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيت أسامة وبلاسا أحدهما أخذ بخطام ناقة النبي ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جرة العقبة.

وقال الإمام أحمد (٤١٣/٣): حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله الزبيري، ثنا ابن نابل، ثنا قدامة بن عبد الله الكلبي: أنه رأى رسول الله ﷺ رمى الجمرة، جرة العقبة من بطن الوادي يوم النحر، على ناقة له صهباء، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك.

ورواه أحمد (٤١٢/٣، ٤١٣) أيضاً عن وكيع ومعتز بن سليمان وأبي قرة موسى بن طارق الزبيدي، ثلاثهم عن ابن بن نابل به.

ورواه أيضاً (٤١٣/٣) عن أبي قرة، عن سفیان الثوري، عن ابن. وأخرجه النسائي (٣٠٦١) وابن ماجه (٣٠٣٥) من حديث وكيع به.

ورواه الترمذي (٩٠٣) عن أحمد بن منيع، عن مروان بن معاوية، عن ابن بن نابل به. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد (١٣٨/٢): ثنا نوح بن ميمون ثنا عبد الله - يعني العمري - عن نافع قال: كان ابن عمر يرمي جرة العقبة على دابته يوم النحر، وكان لا يأتي سائرهما بعد ذلك إلا ماشياً، ذاهباً وراجعاً. وزعم أن النبي ﷺ كان لا يأتيها إلا ماشياً ذاهباً وراجعاً.

ورواه أبو داود (١٩٦٦) عن الثعني عن عبد الله العمري به.

سنة ١٠ - النحر

قال جابر: ثم انصرف إلى النحر فنحر ثلاثاً وستين يده، ثم أعطى علياً فنحر ما غير وأشرکه في هذه ثم أمر من كل بدنة بضة فجعلت في قدر، فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها [م (١٢١٨)]. وستكمل على هذا الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل (٦١/٤ و ٣٧٤/٥): ثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن حميد الأعرج، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرحمن بن معاذ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. قال: خطب النبي ﷺ الناس بمنى ونزلهم منازلهم فقال: «ليُنزل المهاجرون ها هنا، وأشار إلى مينة القبلية، «والأنصار ها هنا» وأشار إلى مسيرة القبلية. «ثم لينزل الناس حولهم». قال: وعلمهم مناسكهم، ففتحت أسماع أهل منى حتى سمعوه في منازلهم. قال: فسمعت يقول: «أرموا الجمرة بمثل حصى الخلف».

وكذا رواه أبو داود (١٩٥١) عن أحمد بن حنبل إلى قوله «ثم لينزل الناس حولهم».

وقد رواه الإمام أحمد (٦١/٤ و ٣٧٤/٥) عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه.

وأبو داود (١٩٥١) عن مسدد عن عبد الوارث.

وابن ماجه [س لا ابن ماجه برقم (١٩٩٦)] من حديث ابن المبارك، عن عبد الوارث، عن حميد بن قيس الأعرج، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي. قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كأننا نسمع ما يقول: والحديث.

ذكر جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أشرك علي بن أبي طالب في الهدى، وأن جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن والذي جاء به رسول الله ﷺ مائة من الإبل، وأن رسول الله ﷺ نحر بيده الكرمة ثلاثاً وستين بدنة.

قال ابن حبان (الإحسان: ٢٥٢/٩) وغيره (زاد المعاد: ٢٥٢/٢): وذلك مناسب لعمره عليه السلام فإنه كان ثلاثاً وستين سنة.

وقد قال الإمام أحمد (٣١٤/١): ثنا يحيى بن آدم ثنا زهير، ثنا محمد بن

مرة أو مرتين. قالوا: والمقصرين يارسول الله؟ قال: «والمقصرين». وقال مسلم [١٣٠٣] ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع وأبو داود الطيالسي عن شعبة عن يحيى بن الحصين، عن جده، أنها سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة، ولم يقل وكيع: في حجة الوداع.

وهكذا روى هذا الحديث مسلم [١٣٠١] (١٣١٧ - ١٣١٩) من حديث مالك وعبد الله بن نافع، عن ابن عمر.

وعماره عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، والملاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة [٣٢٠] (١٣٠٢) و(٣٢٠) (١٣٠٢).

وقال مسلم [١٣٠٥] (١٣٢٣) ثنا يحيى بن يحيى ثنا حفص بن غياث، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك. أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجعرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحس. ثم قال للحلاق: «خذ»، وأشار إلى جانب الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

وفي رواية له [٣٢٤] (١٣٠٥) أنه حلق شقه الأيمن، فقسّمه بين الناس من شعرة وشعرتين، وأعطى شقه الأيسر لأبي طلحة.

وفي رواية له [٣٢٦] (١٣٠٥) أنه أعطى الأيمن لأبي طلحة، وأعطاه الأيسر وأمره أن يقسمه بين الناس.

وقال الإمام أحمد [١٣٠/٣] حدثنا سليمان بن حرب، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. قال: رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يملقه، وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. انفرد به أحمد.

سنة ١٠ - بعد الرمي والنحر

ثم لبس عليه الصلاة والسلام ثيابه وتطيب بعدما رمى جرة العقبة، ونحر هديه، وقبل أن يطوف بالبيت طيبته عائشة أم المؤمنين.

قال البخاري [١٧٥٤] : ثنا علي بن عبد الله بن المديني، ثنا سفيان - هو ابن عينة - ثنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وكان أفضل أهل زمانه. أنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول: إنه سمع عائشة تقول: طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين حين أحرم، ولحله حين أحل قبل أن يطوف. وسطت يديها.

وقال مسلم [١١٩١] ثنا يعقوب الدورقي وأحمد بن منيع. قالوا: ثنا هشيم أنبأ منصور عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة. قالت: كنت أطيب رسول الله ﷺ قبل أن يحرم، ويحل يوم النحر قبل أن يطوف بالبيت، يطيب فيه مسك.

وروى النسائي [٢٦٨٦] من حديث سفيان بن عينة عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: طيبت رسول الله ﷺ لحرمه حين أحرم، ولحله بعدما رمى جرة العقبة قبل أن يطوف بالبيت.

وقال الشافعي [رحم منه الشافعي] (٧٧٨): أنبأنا سفيان بن عينة عن عمرو بن دينار، عن سالم. قال: قالت عائشة: أنا طيبت رسول الله ﷺ لحله وإحرامه.

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، عن سالم، عن عائشة فذكره.

وفي الصحيحين [ع] (٥٩٣٠)، م (١١٨٩) (٣٥) من حديث ابن جريج: أخبرني عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم يخبرا

عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس. قال: نحر رسول الله ﷺ في الحج مائة بنية، نحر منها بيده ستين، وأمر ببقيتها فتحرت، وأخذ من كل بنية بضعة، فجمعت في قدر فأكل منها وحسى من مرقها. قال: ونحر يوم الحديبية سبعين، فيها جمل أبي جهل، فلما صدت عن البيت حنّت كما نحن إلى أولادها.

وقله روى ابن ماجه [٣١٠٠] بعضه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد عن وكيع، عن سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى به.

وقال الإمام أحمد [٢٦٠/١] : ثنا يعقوب، ثنا أبي عن محمد بن إسحاق، حدثني رجل عن عبد الله بن أبي نجیح، عن مجاهد بن جبر، عن ابن عباس. قال: أهدى رسول الله ﷺ في حجة الوداع مائة بنية نحر منها ثلاثين بنية بيده، ثم أمر علياً فنحر ما بقي منها. وقال: «اقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس، ولا تعطين جزأاً منها شيئاً، وخذ لنا من كل بعير جديّة من لحم، واجعلها في قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها» ففعل.

وثبت في الصحيحين [ع] (١٧٠٧)، م (١٣١٧) (٣٤٨) من حديث مجاهد عن ابن أبي ليلى، عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بئته وأن أتصدق بلحومها وجلودها وأجلتها وأن لا أعطي الجزار منها شيئاً وقال: «نحن نعطيه من عنتنا».

وقال أبو داود: [١٧٦٦] ثنا محمد بن حاتم، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا عبد الله بن المبارك، عن حملة بن عمران، عن عبد الله بن الحارث الأزدي، سمعت غرة بن الحارث الكندي. قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتى بالبدن فقال: «أدع لي أبا حسن»، فدعي له علي. فقال: «خذ بأسفل الحرية» وأخذ رسول الله ﷺ بأعلامها ثم طعن بها في البدن، فلما فرغ ركب بغلته وأردف علياً.

تفرد به أبو داود، وفي إسناده ومثله غرابة والله أعلم. وقال الإمام أحمد [٢٥٠/١] : حدثنا أحمد بن الحجاج: أنبأنا عبد الله، أنبأنا الحجاج بن أرطاة، عن الحكم عن أبي القاسم - يعني مقسماً - عن ابن عباس. قال: رمى رسول الله ﷺ جرة العقبة، ثم ذبح ثم حلق. وقد ادعى ابن حزم [حجة الوداع ص ٢٧، ١٠٣] أنه ضحى عن نسائه بالبرق، وأهدى عنهن بقرة، وضحى هو يومئذ بكبشين أملحين.

سنة ١٠ - صفة الحلق

قال الإمام أحمد [٣٣/٢] : [٨٩] : ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر. أن رسول الله ﷺ حلق في حجته.

ورواه النسائي [٤١١٤] [مكزي] عن إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - عن عبد الرزاق، به.

وقال البخاري [١٧٢٦] : ثنا أبو اليمان، ثنا شعيب، قال: قال نافع: كان: عبد الله بن عمر يقول: حلق رسول الله ﷺ في حجته.

ورواه مسلم [١٣٠٤] من حديث موسى بن عقبة، عن نافع به. وقال البخاري [١٧٢٩] : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، ثنا جويرية بن أسماء، عن نافع أن عبد الله بن عمر. قال: حلق رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه وقصر بعضهم.

ورواه مسلم [١٣٠١] (٣١٦) من حديث الليث عن نافع به وزاد [١٣٠١] (٣١٧): قال عبد الله قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين»

ذلك الوقت كان صيفاً، والنهار طويل، وإن كان قد صدر منه عليه الصلاة والسلام أفعال كثيرة في صدر هذا النهار، فإنه دفع فيه من المزدلفة بعدما أسفر الفجر جنداً، ولكنه قبل طلوع الشمس، ثم قدم منى فبدأ يرمي جرة العقبة بسبع حصيات. ثم جاء، فحرق بيده ثلاثاً وستين بدنة، وغرعل ببقية المائة، ثم أخذ من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت، فأكل من ذلك اللحم، وشرب من ذلك المرق. وفي غضون ذلك حلق رأسه عليه الصلاة والسلام وتطيب، فلما فرغ من هذا كله ركب إلى البيت، وقد خطب عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم خطبة عظيمة، ولست أدري أكانت قبل دخابه إلى البيت، أو بعد رجوعه منه إلى منى، فآله أعلم.

والقصود أنه ركب إلى البيت فطاف به سبعة أطواف راكباً، ولم يطف بين الصفا والمروة كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر وعائشة رضي الله عنهما، ثم شرب من ماء زمزم ومن نبيذ بئر من ماء زمزم. فهنا كله بما يقوي قول من قال: أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمكة، كما رواه جابر.

ويحتمل أنه رجع إلى منى في آخر وقت الظهر، فصلى بأصحابه بمنى الظهر أيضاً. وهذا هو الذي أشكل على ابن حزم [حجة الدواع ص: ٢٨] فلم يدر ما يقول فيه وهو معذور لتعارض الروايات الصحيحة فيه وآله أعلم.

وقال أبو داود (١٩٧٣): حدثنا علي بن بحر وعبد الله بن سعيد المعني. قالوا: ثنا أبو خالد الأحمر، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليلي أيام التشريق، يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جرة بسبع حصيات، يكر مع كل حصاة. قال ابن حزم [حجة الدواع ص: ١٦] فهنا جابر وعائشة قد اتفقا على أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر يوم النحر بمكة، وهذا وآله أعلم أضبط لذلك من ابن عمر.

كما قالوا وليس بشيء، فإن رواية عائشة هذه ليست ناصة أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمكة، بل محتملة إن كان المحفوظ في الرواية حتى صلى الظهر، وإن كانت الرواية حين صلى الظهر وهو الأشبه، فإن ذلك دليل على أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب إلى البيت، وهو محتمل والله سبحانه وتعالى أعلم.

وعلى هذا فيبقى مخالفاً لحديث جابر، فإن هذا يقتضي أنه صلى الظهر بمنى قبل أن يركب إلى البيت، وحديث جابر يقتضي أنه ركب إلى البيت قبل أن يصلي الظهر وصلاهما بمكة.

وقد قال البخاري [كتاب ٢٥ باب ١٢٩] وقال أبو الزبير عن عائشة وابن عباس: أخر النبي ﷺ - يعني طواف الزيارة إلى الليل.

وهذا والذي علقه البخاري، فقد رواه الناس من حديث أبي حذيفة ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، ونوح بن ميمون، عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن عائشة وابن عباس: أن النبي ﷺ أخر الطواف يوم النحر إلى الليل.

ورواه أهل السنن الأربعة (د (٣٠٠)، ت (٩٢٠)، س كبرى (٤١٦٩) من حديث عبد الرحمن بن مهدي، ج (٣٠٥٩) من حديث يحيى بن سعيد) من حديث سفيان به. وقال الترمذي: حسن.

وقال الإمام أحمد (٥٠/٢) حدثنا محمد بن عبد الله، ثنا سفيان عن

عن عائشة. أنها قالت: طيبت رسول الله ﷺ يدي بذريرة في حجة الوداع للحل والإحرام.

ورواه مسلم (١١٨٩) (٣٨) من حديث الضحاك بن عثمان عن أبي الرجال، عن أمه عمرة، عن عائشة به.

وقال سفيان الثوري (س (٣٠٨٤)، ج (٣٠٤١) عن سلمة بن كهيل، عن الحسن الثوري عن ابن عباس. أنه قال: إذا رميت الجمرة فقد حللت من كل شيء كان عليكم حراماً إلا النساء، حتى تطوفوا بالبيت. فقال رجل: والطيب يا أبا العباس؟ فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ يضمخ رأسه بالمسك فطيب هو أم لا؟

وقال محمد بن إسحاق: حدثني أبو عبيدة بن عبد الله بن زمة، عن أبيه وأمه زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة قالت: كانت الليلة التي يدور فيها رسول الله ﷺ ليلة النحر، فكان رسول الله ﷺ عندي، فدخل وهب بن زمة ورجل من آل أبي أمية متقمصين. فقال لهما رسول الله ﷺ: «أفضمنا؟» قال: لا. قال: «فانزعا قميصكما» فنزعاهما. فقال له وهب: ولم يا رسول الله؟ فقال: «هذا يوم أرخص لكم فيه إذا رميت الجمرة، وتحرم هلياً، إن كان لكم فقد أحللت من كل شيء حرمتم منه، إلا النساء، حتى تطوفوا بالبيت، فإذا أسيتم ولم تفيضوا صرتم حراماً كما كنتم أول مرة حتى تطوفوا بالبيت».

وهكذا رواه أبو داود (١٩٩٩) عن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين كلاهما عن ابن أبي عدي، عن ابن إسحاق فذكره.

وأخرجه البيهقي (السنن الكبرى: ١٣٧/٥) عن الحاكم، عن أبي بكر بن إسحاق، عن أبي المثنى العنبري، عن يحيى بن معين، وزاد في آخره: قال أبو عبيدة: وحديثي أم قيس بنت محسن، قالت: خرج من عندي عكاشة بن محسن في نفر من بني أسد متقمصين عشية يوم النحر، ثم رجعوا إلينا عشية وقصصهم على أيديهم يحملونها فسألهم فأنبروها بمثل ما قال رسول الله ﷺ لوهب بن زمة وصاحبه.

وهذا الحديث غريب جداً، لا أعلم أحداً من العلماء قال به. وآله أعلم.

سنة ١٠ - إفاضته عليه السلام إلى البيت العتيق

قال جابر: ثم ركب رسول الله ﷺ فافاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم. فقال: «انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يثلبكم الناس على سقايتكم لتزعتم معكم»، فناولوه دلواً فشرّب منه.

رواه مسلم (١٢١٨).

ففي هذا السياق ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام ركب إلى مكة قبل الزوال فطاف بالبيت ثم لما فرغ صلى الظهر هناك.

وقال مسلم أيضاً (١٣٠٨): أخبرنا محمد بن رافع، أنبأنا عبد الرزاق، أنبأنا عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر، ثم رجع فصلى الظهر بمنى.

وهذا خلاف حديث جابر، وكلاهما عند مسلم، فإن عملنا بهما أمكن أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر بمكة، ثم رجع إلى منى فوجد الناس ينتظرونه، فصلى بهم وآله أعلم.

ورجوعه عليه الصلاة والسلام إلى منى في وقت الظهر ممكن لأن

فيها. فقال: «اعملوا فإنكم على عمل صالح». ثم قال: «لولا أن تغلبوا لزلزلت حتى أضاع الحبل على هذه - يعني عاتقه - وأشار إلى عاتقه». وعنده [١٦٣٥] من حديث عاصم عن الشعبي: أن ابن عباس قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم. قال عاصم: فحلف عكرمة - ما كان يرمذ إلا على بئر. وفي رواية ناهية.

وقال الإمام أحمد [٢١٤/١، ٢١٥]: حدثنا هشيم، ثنا يزيد بن أبي زياد عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو علي بئر، واستلم الحجر بمحجن كان معه. قال: وأتى السقاية فقال: «اسقوني!» فقالوا: إن هذا يخوضه الناس، ولكننا نأتيك به من البيت. فقال: «لا حاجة لي فيه، اسقوني عما يشرب منه الناس».

وقد روى أبو داود [١٨٨١] عن مسدد عن خالد الطحان، عن يزيد بن أبي زياد، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: قدم رسول الله ﷺ مكة ونحن نستقي، فطاف علي راحلته، والحديث.

وقال الإمام أحمد [٣٧٢/١]: حدثنا روح وعفان. قالوا: ثنا حماد عن قيس، وقال عفان في حديثه: أنبأنا قيس عن مجاهد، عن ابن عباس. أنه قال: جاء النبي ﷺ إلى زمزم، فزعتنا له لدوا فشرب، ثم مسح فيه ثم أفرغها في زمزم. ثم قال: «لولا أن تغلبوا عليها لزعزت يدي». انفرد به أحمد وإسناده على شرط مسلم.

سنة ١٠- الطواف عند المتمتع والقارن

ثم إنه ﷺ لم يعد الطواف بين الصفا والمروة مرة ثانية، بل اكتفى بطوافه الأول. كما روى مسلم في صحيحه [١٢٧٩] (٢٦٥) عن طريق ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله يقول: لم يطف النبي ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً.

قلت: والمراد بأصحابه هنا الذين ساقوا المدي وكافوا قلائد. كما ثبت في صحيح مسلم [١٢١٣] (١٠٠) أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: - وكانت أدخلت الحج على العمرة فصاروا قارنة - : «يكفيك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجك وعمرتك».

وعند أصحاب الإمام أحمد أن قول جابر وأصحابه عام في القارنين والمتمتعين. ولهذا نص الإمام أحمد على أن المتمتع يكفيه طواف واحد عن حجة وعمرته، وإن تحلل بينهما تحلل. وهو قول غريب مأخذه ظاهر عموم الحديث والله أعلم.

وقال أصحاب أبي حنيفة في المتمتع كما قال المالكية والشافعية، إنه يجب عليه طوافان وسعيان حتى طردت الحنفية ذلك في القارن، وهو من أفراد مذهبهم، أنه يطوف طوافين وسعيين، وتلقوا ذلك عن علي موقوفاً. وروى عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وقد قلنا الكلام على ذلك كله عند الطواف، وبيننا أن أسانيد ذلك ضعيفة مخالفة للأحاديث الصحيحة والله أعلم.

سنة ١٠- الرجوع إلى منى

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى منى بعدما صلى الظهر بمكة، كما دل عليه حديث جابر. وقال ابن عمر: رجع فصلى الظهر بمنى، وراهما مسلم كما تقدم قريباً، ويمكن الجمع بينهما بوقوع ذلك بمكة ومعنى والله

أبي الزبير، عن عائشة وابن عمر: أن رسول الله ﷺ وسلم زار ليلاً. فإن حمل هذا على أنه أخر ذلك إلى ما بعد الزوال، كأنه يقول: إلى العشي صح ذلك. وأما إن حمل على ما بعد الغروب فهو بعيد جداً، ومخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة من أنه عليه الصلاة والسلام طاف يوم النحر نهراً، وشرب من سقاية زمزم.

وأما الطواف الذي ذهب في الليل إلى البيت بسببه فهو طواف الوداع. ومن الرواية من يعبر عنه بطواف الزيارة كما سنذكره إن شاء الله؛ أو طواف زيارة عضة قبل طواف الوداع، وبعد طواف الصدر الذي هو طواف الفرض. وقد ورد حديث سنذكره في موضعه، أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى، وهذا بعيد أيضاً والله أعلم.

وقد روى الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٤٤/٥] من حديث عمر بن قيس، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أذن لأصحابه فزاروا البيت يوم النحر ظهيرة، وزار رسول الله ﷺ مع نسائه ليلاً.

وهذا حديث غريب جداً أيضاً، وهذا قول طائوس وعروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ أخر الطواف يوم النحر إلى الليل.

والصحيح من الروايات، وعليه الجمهور أنه عليه الصلاة والسلام طاف يوم النحر بالنهاري، والأشبه أنه كان قبل الزوال ويحتمل أن يكون بعده والله أعلم.

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم مكة طاف بالبيت سبعاً وهو راكب، ثم جاء زمزم وبنى عبد المطلب يستقون منها ويسقون الناس، فتناول منها لدوا فشرب منه وأفرغ عليه منه.

كما قال مسلم [١٣١٦]: أخبرنا محمد بن منهل الضرير، ثنا يزيد بن زريع، ثنا حميد الطويل، عن بكر بن عبد الله المزني، سمع ابن عباس يقول وهو جالس معه عند الكعبة: قدم النبي ﷺ على راحلته، وخلفه أسامة فأثبته بإثابه فيه نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة وقال: «أحسبم وأجلستم هكذا فاصنموا». قال ابن عباس: فنحن لا نريد أن نغير ما أمر به رسول الله ﷺ.

وفي رواية عن بكر [١٣١٦]، د [٢٠٢١] أن إعرابيا قال لابن عباس: مالي أرى بني عمكم يسقون اللبن والعسل، وأنتم تسقون النبيذ، أمن حاجة بكم أم من يخل؟ فذكر له ابن عباس هذا الحديث.

وقال أحمد [٣٧٢/١] حدثنا روح، ثنا حماد، عن حميد، عن بكر، عن عبد الله: أن إعرابيا قال لابن عباس: ما شأن أكل معاوية يسقون الماء والعسل، وأكل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ. أمن يخل بكم أم حاجة؟ فقال ابن عباس: ما بنا يخل ولا حاجة، ولكن رسول الله ﷺ جاءنا وورديه أسامة بن زيد، فاستسقى فسقيته من هنا - يعني نبيذ السقاية - فشرب منه وقال: «أحسبم هكذا فاصنموا».

ورواه أحمد [٣٢١، ٣٢٠/١] عن روح ومحمد بن بكر عن ابن جريج، عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، وداود بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس، فذكره.

وروى البخاري [١٦٣٥] عن إسحاق بن شاهين عن خالد عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فات رسول الله ﷺ بشرب من عندها. فقال: «اسقني!» فقال: يا رسول الله إنهم يعملون إلبهم فيه. قال: «اسقني!» فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون

سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه فذكره. وزاد في آخره: ثم انكفأ إلى كبشين أملحين، فذبحهما وإلى جنيعة من الغنم قسمها بيتنا.

وقال الإمام أحمد (٣٧/٥): حدثنا إسماعيل، أنبأنا أيوب عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة. أن رسول الله ﷺ خطب في حجته فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثني عشر شهراً، منها أربعة حرم؛ ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان». ثم قال: «ألا أي يوم هنا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليس هنا يوم النحر؟» قلنا: بلى! ثم قال: «أي شهر هنا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى! ثم قال: «أي بلد هنا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليست البلدة؟» قلنا: بلى! قال: «فإن دعاءكم وأموالكم - أحسب - قال: وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أفعالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليلع الشاهد الغائب، فلعن من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه».

وهكذا وقع في مستند الإمام أحمد عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة. وهكذا رواه أبو داود (١٩٤٧) عن مسدد؛ والنسائي (٤١٤١) عن عمرو بن زورقة، كلاهما عن إسماعيل - وهو ابن علي - عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي بكرة به.

وهو مقطوع لكن صاحبها الصحيح (ج ٦٧)، م (١٦٧٩) أخرجه من غير وجه عن أيوب وغيره، عن محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه به.

وقال البخاري (١٧٤٢) أيضاً: حدثنا محمد بن المنثري، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر. قال: قال النبي ﷺ منى: «أتدرون أي يوم هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن هذا يوم حرام، وأتدرون أي بلد هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «بلد حرام». قال: «أتدرون أي شهر هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهر حرام». قال: «فإن الله حرم عليكم دعاءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».

ولقد أخرجه البخاري في أماكن متفرقة من صحيحه (٤٤٠٣، ٦٠٤٣، وغیرهما). وبقية الجماعة (م ٦٦)، د (٤٦٨٦)، س (٤١٣٦)، ج (٣٩٤٣) إلا الترمذي، من طرق عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن جده عبد الله بن عمر، فذكره.

قال البخاري (١٧٤٢) معلقاً: وقال هشام بن الغاز: أخبرني نافع عن ابن عمر: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بها. وقال: «هذا يوم الحج الأكبر»، فطلق النبي ﷺ يقول: «اللهم اشهد» وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.

ولقد استند هذا الحديث أبو داود (١٩٤٥) عن مؤمل بن الفضل، عن الوليد بن مسلم.

وأخرجه ابن ماجه (٣٠٥٨) عن هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد، كلاهما عن هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى أبي العباس الدمشقي به.

وقيامه عليه الصلاة والسلام بهذه الخطبة عند الجمرات يحتمل أنه بعد

وتوقف ابن حزم [حجة الوداع ص ٢٨] في هذا المقام، فلم يجزم فيه بشيء، وهو معلود لتعارض الثقلين الصحيحين فيه فإلله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرات إذا زالت الشمس، كل جرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة.

ورواه أبو داود (١٩٧٣) منفرداً به.

وهذا يدل على أن ذهابه عليه الصلاة والسلام إلى مكة يوم النحر كان بعد الزوال. وهذا يتنافى حديث ابن عمر قطعاً وفي منافاته لحديث جابر نظر والله أعلم.

سنة ١٠ - خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع

ولقد خطب رسول الله ﷺ في هذا اليوم الشريف خطبة عظيمة، تواترت بها الأحاديث، ونحن نذكر منها ما يسره الله عز وجل.

قال البخاري (١٧٣٩) باب الخطبة أيام منى:

حدثنا علي بن عبد الله، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا فضيل بن غزوان، ثنا عكرمة عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «فإن دعاءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا». قال: فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت؟» قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته - فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ورواه الترمذي (٢١٩٣) عن الفلاس، عن يحيى القطان به. وقال: حسن صحيح.

وقال البخاري (١٧٤١) أيضاً: حدثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو عامر العقدي، ثنا قرّة بن خالد، عن محمد بن سيرين، أخبرني عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، ورجل أفضل في نفسي من عبد الرحمن، حميد بن عبد الرحمن عن أبي بكرة رضي الله عنه. قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليس هذا يوم النحر؟» قلنا: بلى! قال: «أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليس ذو الحجة؟» قلنا: بلى! قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيمسح بغير اسمه. قال: «أليس بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى! قال: «فإن دعاءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم! قال: «اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب، قرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ورواه البخاري (ج ٦٧، ١٠٥، ٣١٩٧.....) ومسلم (١٦٧٩) من طرق عن محمد بن سيرين به.

ورواه مسلم (١٦٧٩) (٣٠) من حديث عبد الله بن عون، عن ابن

بأشح عليهم مني حين سمعتهن من رسول الله ﷺ.
وقد رواه أحمد [٣٢٩/٤، ٣٤٠] والنسائي [كبرى (١١٣٧٣)] من حديث منصور عن هلال بن يساف. وكذلك رواه سفيان بن عينة والثوري عن منصور.

وقال ابن حزم في حجة الوداع [ص ١٢٣، ١٢٤]: حدثنا أحمد بن عمر بن أنس العذري، ثنا أبو ذر عبد بن أحد الهروي الأنصاري، ثنا أحمد بن عبدان الحافظ بالأهواز، ثنا سهل بن موسى بن بشر، ثنا موسى بن عمرو بن عاصم، ثنا أبو العوام، ثنا محمد بن جحادة عن زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك. قال: شهدت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهو يخطب وهو يقول: «أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك»، قال: فجاء قوم فقالوا: يا رسول الله قتلنا بنو يربوع فقال رسول الله ﷺ: «لا تحبني نفس على أخرى»، ثم سأله رجل نسي أن يرمي الجمار. فقال: «أرم ولا حرج». ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله نسيت الطواف، فقال: «طف ولا حرج». ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح قال: «اذبح ولا حرج». فما سأله يومئذ عن شيء إلا قال: «لا حرج لا حرج». ثم قال: «قد أذهب الله الحرج إلا رجلاً اقترض امرأة مسلماً فذلك الذي خرج وأهلك». وقال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء إلا الهرم».

وقد روى الإمام أحمد [٢٧٨/٤] وأهل السنن [د (٣٨٥٥)، ت (٢٠٣٨)، س (كبرى ٧٥٥٣)، ج (٣٤٣٩)] بعض هذا السياق من هذه الطريق. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٣٥٨/٤]: حدثنا حجاج، حدثني شعبة عن علي بن مدرك، سمعت أبا زرة يحدث عن جرير، وهو جده، عن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: «يا جرير استصنت الناس» ثم قال في خطبته: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ثم رواه أحمد [٦٦٣/٤، ٣٦٦] عن غندر وعن ابن مهدي، كل منهما عن شعبة به.

وأخرجاه الصحيحين [ج (١٢١)، م (٦٥)] من حديث شعبة به.
وقال أحمد [٣٦٦/٤]: ثنا ابن نمير، ثنا إسماعيل بن قيس، قال: بلغنا أن جريراً قال: قال رسول الله ﷺ: «استصنت الناس»، ثم قال عند ذلك: «لا أعرفن بعدما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». ورواه النسائي [كبرى (٣٤٩٧)] من حديث عبد الله بن نمير به. وقال النسائي [كبرى (٤١٠)]: ثنا هناد بن السري عن أبي الأحوص، عن ابن غرقلة، عن سليمان بن عمرو، عن أبيه. قال: شهدت رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول: «أيها الناس» ثلاث مرات «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم الحج الأكبر. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم، هنا في بلدكم هذا، إلا بيني وجان علي والده، ولا مولود علي والده، ألا إن الشيطان قد يش أن يعبد في بلدكم هذا ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحقرون من أعمالكم فيرضى، ألا وإن كل ريا من ريا الجاهلية يوضع لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون». وذكر تمام الحديث.

وقال أبو داود [١٩٥٤]: باب من قال خطب يوم النحر: حدثنا هارون بن عبد الله، ثنا هشام بن عبد الملك، ثنا عكرمة - هو ابن عمار - ثنا الهرماس بن زياد الباهلي قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس على ناقته الغضبية يوم الأضحية بمى.
ورواه أحمد [٤٨٥/٣، ٧/٥] والنسائي [كبرى (٤٠٩٥)] من غير وجه

رميه الجمرة يوم النحر، وقبل طوافه. ويحتمل أنه بعد طوافه ورجوعه إلى منى ورميه بالجمرات.

لكن يقي الأول ما رواه النسائي [كبرى (٤٠٦٦)] حيث قال: «حدثنا عمرو بن هشام الحراني، ثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة، عن يحيى بن حصين الأحمسي عن جدته أم حصين، قالت: حججت في حجة النبي ﷺ فرايت بلالاً أخذاً بخطام وراحته، وأسامة بن زيد رافع عليه ثوبه يظلمه من الحر، وهو محرم حتى رمى جمرة العقبة. ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر قولاً كثيراً».

وقد رواه مسلم [١٢٩٨] (٣١١) من حديث زيد بن أبي أنيسة، عن يحيى بن الحصين، عن جدته أم الحصين، قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرايت أسامة وبلالاً أحدهما أخذ بخطام ناقه رسول الله ﷺ، والآخر رافع ثوبه يستر من الحر حتى رمى جمرة العقبة. قالت فقال رسول الله ﷺ قولاً كثيراً. ثم سمعته يقول: «إن أضر عليكم عبد مجعد - حسبنا قالت: أسود - يتودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا».

وقال الإمام أحمد [٣٧١/٣]: حدثنا محمد بن عبيد، ثنا الأعمش عن أبي صالح وهو ذكوان السمان عن جابر. قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: «أي يوم أعظم حرمة؟» قالوا: يومنا هذا. قال: «أي شهر أعظم حرمة؟» قالوا: شهرنا هذا. قال: «أي بلد أعظم حرمة؟» قالوا: بلدنا هذا. قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد».

انفرد به أحد من هذا الوجه، وهو على شرط الصحيحين.
ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية، عن الأعمش به [مصنف ابن أبي شيبة (١٩٠١٢)].

وقد تقدم حديث جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر في خطبته عليه الصلاة والسلام يوم عرفة فإله أعلم.

قال الإمام أحمد [٨٠/٣]: ثنا علي بن بحر، ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فذكر معناه.

وقد رواه ابن ماجه [٣٩٣١] عن هشام بن عمار، عن عيسى بن يونس به. وإسناده على شرط الصحيحين فإله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار (٣٣٤٦)]، حدثنا أبو هشام، ثنا حفص عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وأبي سعيد. أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام. قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».

ثم قال البزار: رواه أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو أبي سعيد. وجميعهما لنا أبو هشام عن حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وأبي سعيد.

قلت: وتقدم رواية أحمد له عن محمد بن عبيد الطنافيسي عن الأعمش، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله، فلهذا عند أبي صالح عن الثلاثة والله أعلم.

وقال هلال بن يساف - عن سلمة بن قيس الأشجعي. قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «إنما من أربع لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنا ولا تسرقوا». قال: فما أنا

بمضى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فلفظت يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار، فوضع أصبعيه السابحين ثم قال: حصي الخنفس. ثم أمر المهاجرين فزولوا في مقدم المسجد، وأمر الأنصار فزولوا من وراء المسجد، ثم نزل الناس بعد ذلك.

وقد رواه أحمد [٦١/٤، ٣٧٤/٥] عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه.

وأخرجه النسائي [٢٩٩٦] من حديث ابن المبارك، عن عبد الوارث كذلك.

وتقدم رواية الإمام أحمد [٦١/٤، ٣٧٤/٥] له عن عبد الرزاق، عن معمر، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرحمن بن معاذ، عن رجل من الصحابة قاله أعلم.

وثبت في الصحيحين [ج (١٧٣٧)، م (١٣٠٦)، ٣٢٩، ٣٣٠] من حديث ابن جريج عن الزهري، عن عيسى بن طلحة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بنا هو يخطب يوم النحر، فقام إليه رجل فقال: كنت أحسب أن كنا وكنا، قبل كنا وكنا. ثم قام آخر فقال: كنت أحسب أن كنا وكنا قبل كنا. فقال رسول الله ﷺ: «افعل ولا حرج».

وأخرجه [ج (٨٣)، م (١٣٠٦)، ٣٢٧، ٣٢٨] من حديث مالك. زاد مسلم ويونس عن الزهري به وله ألفاظ كثيرة ليس هذا موضع استقصائها. وعمله كتاب الأحكام، وبالله المستعان.

ولي لفظ الصحيحين [ج (١٧٣٦)، م (١٣٠٦)، ١٢٧]. قال: فما سئل رسول الله ﷺ في ذلك اليوم عن شيء قدم وإلا آخر إلا قال: «افعل ولا حرج».

سنة ١٠ - النزول بمضى

ثم نزل عليه الصلاة والسلام بمضى حيث المسجد اليوم فيما يقال، وأنزل المهاجرين بمته والأنصار يسره والناس حولهم من بعدهم.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١٣٩/٥] أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة، ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر، عن يوسف بن ماهك، عن أم مسيكة، عن عائشة. قالت: قيل: يا رسول الله ﷺ ألا نبني لك بمضى بناء يظلك. قال: «لا منى مناخ من سبق».

وهذا إسناد لا بأس به، وليس هو في المسند ولا في الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أبو داود [١٩٥٨]: ثنا أبو بكر محمد بن خالد الباهلي، ثنا يحيى عن ابن جريج حدثني حريز أو أبو حريز - الشك من يحيى - أنه سمع عبد الرحمن بن فروخ يسأل ابن عمر قال: إنا نتباع بأموال الناس فيأتي أحدنا مكة فيبيت على المال، فقال: أما رسول الله ﷺ فبات بمضى وظل.

انفرد به أبو داود.

ثم قال أبو داود [١٩٥٩]: ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا ابن نمير وأبو أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: قال استأذن العباس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، فأذن له.

وهكلا رواه البخاري [١٦٤٥، ١٦٣٤] ومسلم [١٣١٥، ٣٤٦] من حديث عبد الله بن نمير، زاد البخاري: ولبي ضمرة أنس بن عياض،

عن عكرمة بن عمار، عن المرماس. قال: كان أبي مردني، فرأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمضى يوم النحر على ناقته العجباء. لفظ أحد وهو من ثلاثيات المسند والله الحمد.

ثم قال أبو داود [١٩٥٥]: ثنا مؤمل بن الفضل الحراني، ثنا الوليد، ثنا ابن جابر، ثنا سليم بن عامر، سمعت أبا أمامة يقول: سمعت خطبة رسول الله ﷺ بمضى يوم النحر.

وقال الإمام أحمد [٢٦٢/٥]: ثنا عبد الرحمن بن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر الكلاعي. سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ على الجذعاء، وأضع رجله في الغرز يتناول ليسمع الناس. فقال بأعلى صوته: «ألا تسمعون؟» فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله ﷺ ماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أعبدوا ربكم وصلوا خشعكم، وصوموا شهركم، وأطعموا إذا أمرتم، تدخلوا جنة ربكم» فقلت: يا أبا أمامة مثل من أتى يومئذ؟ قال: أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة، أراحم البعير أرزححه لرسول الله ﷺ.

ورواه أحمد [٢٥١/٥] أيضاً عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح.

وأخرجه الترمذي [٦١٦] عن موسى بن عبد الرحمن الكوفي، عن زيد بن الحباب. وقال: حسن صحيح.

قال الإمام أحمد [٢٦٧/٥]: ثنا أبو المغيرة، ثنا إسماعيل بن عياش، ثنا شريح بن مسلم الحولاني، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث، والولد للفرش، وللعاهر الحجر، وحسابهم على الله. ومن ادعى إلى غير أبيه أو اتقى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق المرأة من بيتها إلا بأذن زوجها». فقيل: يا رسول الله ﷺ ولا الطعام؟ قال: «فذلك أفضل أموالنا». ثم قال رسول الله ﷺ: «العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدين مقضى، والزعيم غارم». رواه أهل السنن [د (٢٨٧٠، ٣٥٦٥)، ت (٢١٢٠)، ج (٢٣٩٨)، ٢٧١٣] الأربعة من حديث إسماعيل بن عياش، وقال الترمذي: حسن.

ثم قال أبو داود [١٩٥٦] رحمه الله باب متى يخطب يوم النحر: حدثنا عبد الوهاب بن عبد الرحيم النمشي، ثنا مروان عن هلال بن عامر المزني، حدثني رافع بن عمرو المزني. قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمضى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليه يعبر عنه، والناس بين قائم وقاعد.

ورواه النسائي [٤٠٩٤] عن دحيم عن مروان الفزاري به. وقال الإمام أحمد [٤٧٧/٣] حدثنا أبو معاوية، ثنا هلال بن عامر المزني عن أبيه. قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمضى على بغلة وعليه برد أحمر. قال: ورجل من أهل بدر بين يديه يعبر عنه. قال: فنجست حتى أدخلت يدي بين قلعه وشراكه. قال: فجعلت أعجب من بردها. حدثنا محمد بن عبيد، ثنا شيخ من بني فزارة عن هلال بن عامر المزني، عن أبيه. قال: رأيت رسول الله ﷺ على بغلة شهباء وعليه يعبر عنه [أحمد: ٤٧٧/٣].

ورواه أبو داود [٤٠٧٣] من حديث أبي معاوية عن هلال بن عامر. ثم قال أبو داود [١٩٥٧] باب ما يذكر الإمام في خطبته بمضى: حدثنا مسدد، ثنا عبد الوارث عن حميد الأخرج، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي. قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن

زاد مسلم: وأبي أسامة حماد بن أسامة.

وقد علقه البخاري [١٧٤٥] عن أبي أسامة وعقبة بن خالد، كلهم عن عبيد الله بن عمر به.

وقد كان ﷺ يصلي بأصحابه بمنى ركعتين كما ثبت عنه ذلك في الصحيحين من حديث ابن مسعود [ج (١٠٨٤)، م (٦٩٥)]، وحارثة بن وهب [ج (١٠٨٣)، م (٦٩٦)] رضي الله عنهما. ولهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن سبب هذا القصر النسك، كما هو قول طائفة من المالكية وغيرهم. قالوا: ومن قال: أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول بمنى لأهل مكة: أمروا فإنا قوم سفر، فقد غلط إنما قال: ذلك رسول الله ﷺ عام الفتح، وهو نازل بالأبطح كما تقدم والله أعلم.

وكان ﷺ يرمي الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام منى بعد الزوال، كما قال جابر فيما تقدم ماشياً، كما قال ابن عمر فيما سلف، كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة. ويقف عند الأولى وعند الثانية يدعو الله عز وجل ولا يقف عند الثالثة.

قال أبو داود [١٩٧٣]: ثنا علي بن بحر وعبد الله بن سعيد المعنى قالوا: ثنا أبو خالد الأحمر، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى منى فمكث بها ليلتي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس، كل جمرة بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة، ويقف عند الأولى والثانية فيطيل القيام، ويتسرع ويرمي الثالثة ولا يقف عندها. انفرد به أبو داود.

وروى البخاري [١٧٥١، ١٧٥٢] ومعلقاً برقم [١٧٥٣] من غير وجه، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل فيقوم مستقبل القبلة طويلاً، ويدعو ويرفع يديه ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال، فيسهل فيقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي جرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف فيقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

وقال وبرة بن عبد الرحمن: قام ابن عمر عند العقبة بقدر قراءة سورة البقرة.

وقال أبو مجلز: حزرت قيامه بعد قراءة سورة يوسف، ذكرهما البيهقي [السنن الكبرى: ١٤٩/٥].

وقال الإمام أحمد [٤٥٠/٥]: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن أبي البتّاح، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ رخص للرعاة أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً.

وقال أحمد [٤٥٠/٥]: حدثنا محمد بن بكر، أنبأنا روح، ثنا ابن جريج، أخبرني محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو عن أبيه، عن أبي البتّاح بن عاصم بن عدي، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ أرخص للرعاة أن يتعاقبوا فيرموا يوم النحر ثم يدعوا يوماً وليلة ثم يرموا الغد.

وقال الإمام أحمد [٤٥٠/٥]: حد ثنا عبد الرحمن، ثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه، عن أبي البتّاح بن عاصم بن عدي، عن أبيه. أن رسول الله ﷺ رخص لرعاة الإبل في البيوتة عن منى يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد أو من بعد الغد اليومين، ثم يرمون يوم النفر.

وكنا رواه عن عبد الرزاق عن مالك بنحوه [٤٥٠/٥].

وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث مالك [د (١٩٧٥)، ت (٩٥٥)،

س (٣٠٩٩)، ج (٣٠٣٧)]، ومن حديث سفيان بن عيينة [د (١٩٧٦)، ت (٩٥٤)، س (٣٠٦٨)، ج (٣٠٣٦)] به. قال الترمذي: ورواية مالك أصح، وهو حديث حسن صحيح.

سنة ١٠- خطب الناس بمنى في اليوم الثاني من

أيام التشريق وهو أوسطها

قال أبو داود [١٩٥٢] باب أي يوم يخطب بمنى:

حدثنا محمد بن العلاء، أنبأنا ابن المبارك عن إبراهيم بن نافع، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، عن رجلين من بني بكر. قالوا: رأينا رسول الله ﷺ يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحته، وهي خطبة رسول الله ﷺ التي يخطب بمنى.

انفرد به أبو داود.

ثم قال أبو داود [١٩٥٣]: ثنا محمد بن بشر، ثنا أبو عاصم، ثنا ربيعة بن عبد الرحمن بن حصن، حدثني جنتي سراء بنت نبهان - وكانت ربة بيت في الجاهلية - قالت: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الرووس فقال: «أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: «أليس أوسط أيام التشريق؟»

انفرد به أبو داود. قال أبو داود: وكذلك قال عم أبي حرة الرقاشي أنه خطب أوسط أيام التشريق.

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد [٧٢/٥] متصلاً مطولاً، فقال:

ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأنا علي بن زيد، عن أبي حرة الرقاشي عن عمه. قال: كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس. فقال: «يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم؟» قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام. قال: «فإن مءامكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه». ثم قال: «اسمعوا مني تعشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا يطيب نفس منه، ألا إن كل دم ومال ومائة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث، فقتله هذيل. ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع، وإن الله عز وجل قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض»، ثم قرأ «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» [البقرة: ٣٦] «ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون، ولكنه في التحريش بينكم، واتقوا الله - عز وجل - في النساء، فإنهن عندكم عوان لا يمكن لأنتهين شيئاً، وإن لمن عليكم حقاً ولكم عليهن حق، أن لا يوطئن فرشكم أحد غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه. فإن خفتم نشوزهن فغلظن واهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، قال حميد: قلنا للحسن ما المبرح؟ قال: المؤثر ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما اخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها» وسط به

سنة ١٠ - زيارة البيت أيام منى

قال البخاري [كتاب ٢٥ باب ١٢٩] يذكر عن أبي حسان، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت في أيام منى.

هكذا ذكره معلقاً بصيغة التمرّض.

وقد قال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ١/١٤٦]: أخبرنا أبو الحسن بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار، ثنا العمري، أنبأنا ابن عرسرة قال: دفع إلينا معاذ بن هشام كتاباً قال سمعته من أبي، ولم يقرأه قال: فكان فيه عن قتادة، عن أبي حسان، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يزور البيت كل ليلة ما دام منى. قال: وما رأيت أحداً رآه عليه.

قال البيهقي: وروى الثوري في الجامع عن ابن طاوس، عن طاوس، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يفيض كل ليلة - يعني ليالي منى - وهذا مرسل.

سنة ١٠ - أحكام في الحج

اليوم السادس من ذي الحجة:

قال بعضهم: يقال: له: يوم الزينة لأنه تُزَيَّن فيه البدن بالجلال وغيرها.

واليوم السابع يقال له: يوم التزوية لأنهم يتزوون فيه من الماء: ويعملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده.

واليوم الثامن يقال له: يوم منى لأنهم يرحلون فيه من الأبطح إلى منى.

واليوم التاسع يقال له: يوم عرفة لوقوفهم فيه بها.

واليوم العاشر يقال له: يوم النحر ويوم الأضحي ويوم الحج الأكبر.

واليوم الذي يليه يقال له: يوم القرب لأنهم يقرون فيه، ويقال له: يوم الرؤوس لأنهم ياكلون فيه رؤوس الأضاحي، وهو أول أيام التشريق.

وثاني أيام التشريق يقال له: يوم النفر الأول لجواز النفر فيه، وقيل: هو اليوم الذي يقال له يوم الرؤوس.

واليوم الثالث من أيام التشريق يقال له: يوم النفر الأخير. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ وَغَرَّ بِمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِنَّهُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٠٣].

فلما كان يوم النفر الآخر، وهو اليوم الثالث من أيام التشريق، وكان يوم الثلاثاء، ركب رسول الله ﷺ والمسلمون، معه نضر بهم من منى، فنزل المحصب وهو واد بين مكة ومنى، فصلى به العصر.

كما قال البخاري [١٧٦٣]: حدثنا محمد بن المنثري، ثنا إسحاق بن يوسف، ثنا سفیان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع. قال: سألت أنس بن مالك: أخبرني بشيء عقلته عن رسول الله ﷺ أين صلى الظهر يوم التزوية؟ قال منى. قلت: فأين صلى العصر يوم النفر؟ قال: بالأبطح، أفعّل كما يفعل أمراؤك.

وقد روي أنه ﷺ صلى الظهر يوم النفر بالأبطح وهو المحصب؛ فآله أعلم.

قال البخاري [١٧٦٤]: حدثنا عبد المتعال بن طالب، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن قتادة حدثه أن أنس بن مالك حدثه عن النبي ﷺ: أنه صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وردد رقة بالمحصب ثم

وقال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟» ثم قال: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ أوسع من سامع». قال حميد: قال الحسن: حين بلغ هذه الكلمة: قد والله بلغوا أقواماً كانوا أوسع به.

وقد روى أبو داود في كتاب النكاح من سننه [٢١٤٥] عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي حرة الرقاشي - واسمه حنيفة - عن عمه ببعضه في التشويز.

قال: ابن حزم [حجة الوداع ص ١٢٥] جاء أنه خطب يوم الرؤوس وهو اليوم الثاني من يوم النحر بلا خلاف عن أهل مكة، وجاء أنه أوسط أيام التشريق، فتحمل على أن أوسط بمعنى أشرف، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

وهذا المسلك الذي سلكه ابن حزم بعيد والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار ١/١٤١]: حدثنا الوليد بن عمرو بن السكين، ثنا أبو همام محمد بن الزبيرقان، ثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار، وصدقة بن يسار عن عبد الله بن عمر، قال: نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ منى وهو في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ﴿إِنَّا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عرف أنه الوداع، فأمر بإحلاله القصواء فرحلت له، ثم ركب فوقف للناس بالعقة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: «أما بعد أيها الناس فإن كل دم كان في الجاهلية فهو هدر، وإن أول دماءكم أهدر دم ربيعة في الحارث، كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل. وكل ريا في الجاهلية فهو موضوع، وإن أول دماءكم أضاع ريا العباس بن عبد المطلب، أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض: وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر، منها أربعة حرم رجب - مضر - الذي بين جدادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقَدِيمُ فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٣٦] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَاعَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ مَا كَفَرَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٣٧] كانوا يحلون صغراً عاماً، ويمحرون المحرم عاماً، ويمحرون صغراً عاماً، ويحلون المحرم عاماً، فذلك النسيء».

يا أيها الناس من كان عنده وديعة فليؤدها إلى من اتتمنه عليها، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان، وقد يرضى عنكم بمحقرات الأعمال، فاحذروه على دينكم محقرات الأعمال، أيها الناس إن النساء عندهم عوان، أخذنوهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، لكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حاكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يعيبنكم في معروف، فإن فعلن ذلك فليس لكم عليهن سبيل، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، فإن ضربت فاضربوا ضرباً غير مبرح. ولا يحمل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه، أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا، كتاب الله فاعملوا به، أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة هذا اليوم، في هذا البلد وهذا الشهر، ألا ليبلغ شهادتكم غائبكم، لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم»، ثم رفع يديه فقال: «اللهم اشهد».

ركب إلى البيت فطاف به. قلت - يعني طواف الوداع -.

وقال البخاري [١٧٦٨]: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، ثنا خالد بن الحارث. قال: سئل عبيد الله عن المحصب: فحللنا عبيد الله عن نافع قال: نزل بها رسول الله ﷺ، وعمر وابن عمر.

وعن نافع: أن ابن عمر كان يصلي بها - يعني المحصب - الظهر والعصر أحسبه قال: والمغرب قال: خالد لا أشك في العشاء، ثم يهجع هجعة، ويذكر ذلك عن النبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد [١٣٨٢]: ثنا نوح بن ميمون أنبأنا عبد الله عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان نزلوا المحصب.

هكذا رواه في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله العمري، عن نافع.

وقد روى الترمذي [٩٢١] هذا الحديث عن إسحاق بن منصور. وأخرجه ابن ماجه [٣٠٩٩] عن محمد بن يحيى، كلاهما عن عبد الرزاق، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح.

قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وأبي رافع وابن عباس، وحديث ابن عمر حسن غريب، وإنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله بن عمر به.

وقد رواه مسلم [١٣١٠] [٣٣٧] عن محمد بن مهران الرازي عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح.

ورواه مسلم [١٣١٠] [٣٣٨] أيضاً من حديث صخر بن جويرية، عن نافع عن ابن عمر: أنه كان يرى التحصيب سنة. وكان يصلي الظهر يوم النحر بالحصبة. قال نافع: قد حصب رسول الله ﷺ والخلفاء بعده.

وقال الإمام أحمد [١٢٤٢]: حدثنا يونس، ثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن أيوب وحيد عن بكر بن عبد الله، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالطحاه، ثم هجع هجعة، ثم دخل - يعني مكة - فطاف بالبيت.

ورواه أحمد [١٠٠/٢] أيضاً عن عفان، عن حماد، عن حميد، عن بكر، عن ابن عمر، فذكره؛ وزاد في آخره: وكان ابن عمر يفعله. وكذلك رواه أبو داود [٢٠١٣] عن أحمد بن حنبل.

وقال البخاري [١٥٩٠]: حدثنا الحميدي، ثنا الوليد، ثنا الأوزاعي، حدثني الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ من الغد يوم النحر بمنى: «فمن نازلون غداً نجف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفرة» - يعني بذلك المحصب - الحديث.

ورواه مسلم [١٣١٤] [٣٤٤] عن زهير بن حرب، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي؛ فذكر مثله سواء.

وقال الإمام أحمد [٢٠٣، ٢٠٢/٥]: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن أسامة بن زيد. قال: قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً - في حجة؟ - قال: «وهل ترك لنا عقيل من الولاة؟» ثم قال: «فمن نازلون غداً إن شاء الله نجف بني كنانة» - يعني المحصب - حيث قاسمت قريش على الكفرة.

وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم أن لا يأتكحروهم ولا يبيعوهم ولا يؤوهم - يعني حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. ثم قال

عند ذلك: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم» قال الزهري - وخيف - الرادي.

أخرجه [٣٠٥٨] م [١٣٥١] [٤٤٠] من حديث عبد الرزاق. وهذا الحديثان فيهما دلالة على أنه عليه السلام قصد النزول في المحصب مراغمة، لما كان مثلاً عليه كفار قريش لما كبروا الصحيفة في مصارمة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ كما قلنا بيان ذلك في موضعه. وكذلك نزل عام الفتح، فعلى هذا يكون نزوله سنة مرغياً فيها، وهو أحد قولي العلماء.

وقد قال البخاري [١٧٦٥]: ثنا أبو نعيم أنبأنا سفيان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: إما كان منزلاً ينزله النبي ﷺ ليكون أسمع لخروجه - يعني الأبطح -.

وأخرجه مسلم [١٣١١] [٣٣٩] من حديث هشام به.

ورواه أبو داود [٢٠٠٨] عن أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: إما نزل رسول الله ﷺ المحصب ليكون أسمع لخروجه، وليس بسنة، فمن شاء نزل ومن شاء لم ينزل.

وقال البخاري [١٧٦٦]: حدثنا علي بن عبد الله، ثنا سفيان. قال: قال عمرو بن عطاء، عن ابن عباس قال: ليس التحصيب بشيء، إنما هو منزل نزل رسول الله ﷺ.

ورواه مسلم [١٣١٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان - وهو ابن عيينة به.

وقال أبو داود [٢٠٠٩]: حدثنا أحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة ومسدد المعنى قالوا: ثنا سفيان، ثنا صالح بن كيسان عن سليمان بن يسار، قال: قال أبو رافع: لم يأمرني يعني رسول الله ﷺ أن أنزله، ولكن ضريت قيته فنزله. قال مسدد: وكان على ثقل النبي ﷺ وقال عثمان - يعني في الأبطح -.

ورواه مسلم [١٣١٣] عن قتيبة وأبي بكر وزهير بن حرب، عن سفيان بن عيينة به.

والمقصود أن هؤلاء كلهم اتفقوا على نزول النبي ﷺ في المحصب لما نفر من منى، ولكن اختلفوا فمفهم من قال لم يقصد نزوله، وإما نزله اتفاقاً ليكون أسمع لخروجه، ومنهم من أشعر كلامه بقصد عليه الصلاة والسلام نزوله، وهذا هو الأشبه، وذلك أنه عليه السلام أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، وكانوا قبل ذلك ينصرفون من كل وجه كما قال ابن عباس [١٧٥٥] م [١٣٢٨] [٣٨٠]، فأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت - يعني طواف الوداع - . فأراد عليه الصلاة والسلام أن يطوف هو ومن معه من المسلمين بالبيت طواف الوداع، وقد نفر من منى قريب الزوال، فلم يكن يمكنه أن يجيء البيت في بقية يومه ويطوف به ويرحل إلى طاهر مكة من جانب المدينة، لأن ذلك قد يتعذر على هذا الجمل الغفير، فاحتاج أن يبيت قبل مكة، ولم يكن منزل أنسب لبيته من المحصب الذي كانت قريش قد عقدت بني كنانة على بني هاشم وبني المطلب فيه، فلم يرهم الله لقريش أمراً بل كبتهم وردمهم خائنين، وأظهر الله دينه ونصر نبيه وأعلى كلمته، وأتم له الدين القويم، وأوضح به الصراط المستقيم، فخرج بالناس وبينهم شرائع الله وشعائره، وقد نفر بعد إكمال المناسك، فنزل في الموضع الذي تقاسمت قريش فيه على الظلم والعدوان والقطيعة، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وهجع هجعة، وقد كان بعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن ليعمرها من التميم، فإذا فرغت

سنة ١٠ - دخول مكة من أعلاها

والخروج من أسفلها

ثم خرج عليه الصلاة والسلام من أسفل مكة كما قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ دخل مكة من أعلاها وخرج من أسفلها. أخرجه إمام (١٥٧٧) م (١٢٥٨) (٢٢٤). وقال ابن عمر: دخل رسول الله ﷺ من الشية العليا التي بالطحاء، وخرج من الشية السفلى.

رواه البخاري [١٥٧٥] ومسلم [١٢٥٧] (٢٢٣).

وفي لفظ إمام (١٥٧٨) م (١٢٥٨) (٢٢٥) دخل من كذا، وخرج من كذا.

وقد قال الإمام أحمد [٣٠٥/٣]: حدثنا محمد بن فضيل، ثنا أجلع بن عبد الله عن أبي الزبير، عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ من مكة عند غروب الشمس، فلم يصل حتى أتى سرف وهي على تسعة أميال من مكة.

وهذا غريب جداً، وأجلع فيه نظر، ولعل هنا في غير حجة الوداع، فإنه عليه الصلاة والسلام كما قلنا طاف بالبيت بعد صلاة الصبح، فمافاً آخره إلى وقت الغروب. هذا غريب جداً، اللهم إلا أن يكون ما ادعاه ابن حزم صحيحاً من أنه عليه الصلاة والسلام رجع إلى المحصب من مكة بعد طوافه بالبيت طواف الوداع، ولم يذكر دليلاً على ذلك إلا قول عائشة حين رجعت من اعتمادها من التعميم فلقية مصعدة، وهو مهبط على أهل مكة، أو منهبطه، وهو مصعد.

قال ابن حزم [حجة الوداع ص ١٣٣]: الذي لا شك فيه أنها كانت مصعدة من مكة، وهو منهبط لأنها تقدمت إلى العمرة وانتظرها حتى جاءت، ثم نهض عليه الصلاة والسلام إلى طواف الوداع، فلقيا متصرفة إلى المحصب من مكة.

وقال البخاري: باب من نزل بني طوى إذا رجع من مكة. وقال محمد بن عيسى: حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان إذا أقبل بات بني طوى حتى إذا أصبح دخل، وإذا نهر مر بني طوى، وبات بها حتى يصبح، وكان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. إمام (٥٧٣) مستنداً من حديث إسماعيل بن علية م (١٢٥٩) (٢٢٧).

هكذا ذكر هذا معلقاً بصيغة الجزم، قد أسنده هو ومسلم [١٧١٩] معلقاً من حديث حماد بن زيد به، لكن ليس فيه ذكر المبيت ببني طوى في الرجعة فالله أعلم.

فائدة عزيزة: فيها أن رسول الله ﷺ استصحب معه من ماء زمزم شيئاً.

قال: الحافظ أبو عيسى الترمذي [٩٦٣]: حدثنا أبو كريب. ثنا خلاد بن يزيد الجعفي، ثنا زهير بن معاوية عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنها كانت تحمل من ماء زمزم وتجر أن رسول الله ﷺ كان يحملها. ثم قال: هنا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال البخاري [٤١١٦]: حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - ثنا موسى بن عقبة، عن سالم ونافع، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة، يسأله فيكر ثلاث مرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا

أنه، فلما قضت عمرتها ورجعت أذن في المسلمين بالرحيل إلى البيت العتيق.

كما قال أبو داود [٢٠٠٥]: حدثنا وهب بن بكرة، ثنا خالد عن أنس، عن القاسم، عن عائشة قالت: أحرمت من التعميم بعمره، فدخلت فقضيت عمرتي وانتظرني رسول الله ﷺ بالأبطح حتى فرغت وأمر الناس بالرحيل. قالت: وأتى رسول الله ﷺ البيت فطاف به ثم خرج. وأخرجه في الصحيحين [١٧٨٨] م (١٢١١) (١٢٣) من حديث أنس بن حميد.

ثم قال أبو داود [٢٠٠٦]: ثنا محمد بن يشار، ثنا أبو بكر - يعني الحنفي - ثنا أنس عن القاسم عنها - يعني عائشة - قالت: خرجت معه، تعني رسول الله ﷺ، في نفر الآخر ونزل المحصب. قال أبو داود: فذكر ابن يشار قصة بعثها إلى التعميم قالت: ثم جئت سحراً، فأذن في الصحابة بالرحيل، فارتحل فمر بالبيت قبل صلاة الصبح، فطاف به حين خرج، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة.

ورواه البخاري [١٥٦٠] موطأ عن محمد بن يشار به.

قلت: والظاهر أنه عليه السلام صلى الصبح يومئذ عند الكعبة بأصحابه، وقرأ في صلاته تلك بسورة «الطور». وكتب «سُطُور». وفي رَق سُطُور. وَابْتِيتِ الْمُتَعَوِّر. وَالسُّقُوفِ الْمَرْفُوع. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ. وَالطُّور: ١-٦ السورة بكاملها.

وذلك لما رواه البخاري [١٦١٩] حيث قال: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن عروة بن الزبير، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ. قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني اشتكتي، قال: «طوي من وراء الناس وأنت راكبة»، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي حيثنذ إلى جنب البيت، وهو يقرأ «الطور». وكتب «سُطُور». وأخرجه بقية الجماعة [١٢٧٦] م (٢٥٨)، د (١٨٨٢)، م (٢٩٢٥)، ج (٢٩٦١) إلا الترمذي من حديث مالك بإسناده نحوه.

وقد رواه البخاري [١٦٢٠] من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب، عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال وهو بمكة وأراد الخروج ولم تكن أم سلمة طافت وأرادت الخروج فقال لها: «إذا أقيمت صلاة الصبح فطوي على بعيرك والناس يصلون» فذكر الحديث.

فأما ما رواه الإمام أحمد [٢٩١/٦]: حدثنا أبو معاوية، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة.

فهو إسناده كما ترى على شرط الصحيحين، ولم يخرج أحد من هذا الوجه بهذا اللفظ، ولعل قوله «يوم النحر» غلط من الراوي أو من النسخ، وإنما هو «يوم النفر»، ويؤيده ما ذكرناه من رواية البخاري والله أعلم.

والقصد أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من صلاة الصبح طاف بالبيت سبعاً، ووقف في المثلزم بين الركن الذي فيه الحجر الأسود وبين باب الكعبة فدعا الله عز وجل وألزم خذ بجدار الكعبة.

قال الثوري عن المثني بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. قال: رأيت رسول الله ﷺ يلزم وجهه وصلته بالمثلزم.

المثني ضعيف. [الكامل لابن عني: ٢٤١٨/٦]

حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

والأحاديث في هذا كثيرة ولله الحمد والمنة.

سنة ١٠ - حديث غدير خم وفضائل علي عليه السلام

في إيراد الحديث الدال على أنه عليه الصلاة والسلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غدير خم -.

فبين فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه عما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعللة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً ومجلاً، والصواب كان معه في ذلك، ولهذا لما تفرغ عليه الصلاة والسلام من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامته، وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه، ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه. ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة في ذلك ونبين ما فيها من صحيح وضعيف بحول الله وقوته وعونه.

وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجعل فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الفث والسمين والصحيح والسقيم، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين، يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه. وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساکر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة. ونحن نورد عيون ما روي في ذلك مع إعلامنا أنه لاحظ للشيعة فيه، ولا متمسك لهم ولا دليل لما سنيته ونبيه عليه، فنقول وبالله المستعان: قال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢/٦٠٣] - في سياق حجة الوداع - حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي من اليمن ليقبى رسول الله ﷺ بمكة، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسى كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل. قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد. قال: اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله من أن يشكى».

ورواه الإمام أحمد [٨٦/٣] من حديث محمد بن إسحاق به، وقال: «إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله».

وقال الإمام أحمد [٣٤٧/٥]: حدثنا الفضل بن دكين، ثنا ابن أبي غنية، عن الحكم بن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، عن بريدة قال: غزوت مع علي بن اليمن فראيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتقصته، فראيت وجه رسول الله ﷺ يتغير. فقال: «يا بريدة

أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وكذا رواه النسائي [كبرى (٨٤٦٧)] عن أبي داود الحراني، عن أبي نعيم الفضل بن دكين، عن عبد الملك بن أبي غنية بإسناده نحوه.

وهذا إسناد جيد قوي. رجاله كلهم ثقات.

وقد روى النسائي في سننه [كبرى (٨٤٦٤)] عن محمد بن المنى، عن يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم. قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمعن ثم قال: «كأنني قد دعيت فاجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يرثي علي الحوض»، ثم قال: «الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعيني، وسمعه بإذني.

تفرد به النسائي من هذا الوجه.

قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

وقال ابن ماجه [١١٦]: حدثنا علي بن محمد، أنا أبو الحسين، أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان، عن عدي ابن ثابت، عن البراء بن عازب. قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج فتزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: «أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى! قال: «أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر، عن علي بن زيد بن جدعان، عن عدي، عن البراء.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي، والحسن بن سفيان: ثنا هبة، ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، وأبي هارون، عن عدي بن ثابت، عن البراء. قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما أتينا على غدير خم كُتِبَ لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله ﷺ علياً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: «أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فإن هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقبه عمر بن الخطاب فقال: «هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة».

ورواه ابن جرير عن أبي زرعة عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، وأبي هارون العبدى - وكلاهما ضعيف - عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب به.

وروى ابن جرير هذا الحديث من حديث موسى بن عثمان الحضرمي - وهو ضعيف جداً - عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء وزيد بن أرقم. قاله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٨٤/١]: حدثنا ابن نمير، ثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي، عن زاذان أبي عمر قال: سمعت علياً بالرحبة وهو يشد الناس من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خم وهو يقول ما قال؟ قال: فقام اثنا عشر رجلاً، فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

تفرد به أحد وأبو عبد الرحيم هذا لا يعرف.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد في مسند أبيه [١١٨/١]: حدثنا علي بن حكيم الأودي: أخبرنا شريك عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قال: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم إلا قام؟ قال: فقام من قبل سعيد ستة، ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين؟» قالوا: بلى! قال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

قال عبد الله [المسند: ١١٨/١]: وحدثني علي بن حكيم، أنا شريك عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مِرْثَلٍ حديث أبي إسحاق، يعني عن سعيد وزيد وزاد فيه: فواتر من نصره واخذل من خذله.

قال عبد الله [المسند: ١١٨/١]: وحدثنا علي، أنا شريك عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ مثله.

وقال النسائي في كتاب خصائص علي [٩٨]: حدثنا الحسين بن خُريت، ثنا الفضل بن موسى، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب. قال: قال علي في الرحبة: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّي وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَهُ فَهَذَا وَلِيهِ، اللَّهُمَّ وَالْ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادْ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصِرْ مَنْ نَصَرَهُ».

وكذلك رواه شعبة عن أبي إسحاق [مس كوى (٨٤٧١)].

وهذا إسناده جيد.

ورواه النسائي [خصائص علي (٩٩)، السنن الكبرى (٨٤٨٤)] أيضاً من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مِرْثَلٍ. قال: نشد علي الناس بالرحبة، فقام أناس شهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وبأبغض من أبغضه، وانصر من نصره».

ورواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، وعبد خير عن علي.

وقد رواه ابن جرير عن أحمد بن منصور عن عبيد الله بن موسى وهو شيعي ثقة، عن فطر بن خليفة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب وزيد بن يثيع، وعمرو ذي مِرْثَلٍ: أن علياً أنشد الناس بالكوفة. وذكر الحديث.

وقال عبد الله بن أحمد [المسند: ١١٩/١]: «حدثني عبيد الله بن عمر القواريري، ثنا يونس بن أرقم، ثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: شهدت علياً في الرحبة ينشد الناس فقال: أشهد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». لما قام فشهد. قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر رجلاً بديراً كاني أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشدنا أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «أليس الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم»، قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

إسناده ضعيف غريب.

وقال عبد الله بن أحمد [المسند: ١١٩/١]: حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي، ثنا زيد بن الحباب، ثنا الوليد بن عتبة بن نزار الغنسي، أنبأ سماك بن عبيد بن الوليد الغنسي قال: دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى، فحدثني أنه شهد علياً في الرحبة قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ وشهد يوم غدير خم إلا قام، ولا يقوم إلا من قد رآه، فقام اثنا عشر

رجلاً فقالوا: قد رأيناه وسمعناه حيث أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». فقام إلا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابهم دعوته.

وروي أيضاً عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به.

وقال ابن جرير: ثنا أحمد بن منصور، ثنا أبو عامر العقدي.

(ج) وروي ابن أبي عاصم [السنة (١٣٦١)] عن سليمان الغلابي، عن أبي عامر العقدي، ثنا كثير بن زيد، حدثني محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي: أن رسول الله ﷺ حضر الشجرة بجم. فذكر الحديث وفيه: «من كنت مولاه فإن علياً مولاه».

وقد رواه بعضهم عن أبي عامر، عن كثير، عن محمد بن عمر بن علي، عن علي متقطعا.

وقال إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف، عن مسعر، عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد: أنه شهد علياً على المنبر ينادي أصحاب رسول الله ﷺ من سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وقد رواه عبيد الله بن موسى عن هاتين بن أيوب - وهو ثقة - عن طلحة بن مصرف به.

وقال عبد الله بن أحمد [المسند: ١٥٢/١]: حدثني حجاج بن الشاعر، ثنا شيبان، ثنا نعيم بن حكيم، حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي، عن علي. أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه». قال: فزاد الناس بعد - وقال من والاه، وعاد من عاداه. روى أبو داود [٤٧٧٠] بهذا السند حديث المخرج.

وقال الإمام أحمد [٣٧٠/٤]: حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى. قالوا: ثنا فطر عن أبي الطفيل. قال: جمع علي الناس في الرحبة - يعني رجة مسجد الكوفة - فقال: أنشد الله كل من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام. فقام ثلاثون من الناس. وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «أتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كان في نفسي شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم. فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا. قال: فما تذكر؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.

مكننا ذكره الإمام أحمد في مسند زيد بن أرقم رضي الله عنه.

ورواه النسائي [كوى (٨٦٤)] من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت: عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم به وقد تقدم.

وأخرجه الترمذي [٣٧١٣] عن بشار، عن غندر، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة - أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

ورواه ابن جرير عن أحمد بن حازم، عن إبي نعيم، عن كامل أبي العلاء، عن حبيب بن أبي ثابت، عن يحيى بن جعدة، عن زيد بن أرقم.

وقال الإمام أحمد [٣٧٢/٤]: حدثنا عفان، ثنا أبو عوانة عن المخيرة، عن أبي عبيد، عن ميمون أبي عبد الله. قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها

وقال الإمام أحمد [١٦٤/٤]: حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير: قالوا: ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة: قال يحيى بن آدم: وكان قد شهد حجة الوداع: قال: - قال رسول الله ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليّ».

وقال ابن أبي بكير: «لا يقضي عني ديني إلا أنا أو عليّ».

وكذا رواه أحمد [١٦٥/٤] أيضاً عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل.

قال الإمام أحمد [١٦٥/٤]: وحدثناه الزبيري، ثنا شريك عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة مثله.

قال: فقلت لأبي إسحاق: أين سمعت منه؟ قال: وقف علينا على فرس له في مجلسنا في جبانة السبع.

وكذا رواه أحمد [١٦٥/٤] عن أسود بن عامر، ويحيى بن آدم عن شريك.

ورواه الترمذي [٣٧١٩] عن إسماعيل بن موسى عن شريك.

وابن ماجه [١١٩] عن أبي بكر بن أبي شيبة، وسويد بن سعيد، وإسماعيل بن موسى، ثلثتهم عن شريك به.

ورواه النسائي (٨٤٥٩) عن أحمد بن سليمان، عن يحيى بن آدم، عن إسرائيل به.

وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

ورواه سليمان بن قرم - وهو متروك - عن أبي إسحاق، عن حبشي بن جنادة: سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». وذكر الحديث.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أنبأنا شريك عن أبي يزيد الأودي، عن أبيه. قال: دخل أبو هريرة المسجد فاجتمع الناس إليه، فقام إليه شاب. فقال: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» قال: نعم.

ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن شاذان عن شريك به. تابعه إدريس الأودي عن أخيه أبي يزيد، واسمه داود بن يزيد به.

ورواه ابن جرير أيضاً من حديث إدريس وداود، عن أبيهما، عن أبي هريرة فذكره.

فأما الحديث الذي رواه ضمرة عن ابن شاذان، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة. قال: لما أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [آلعة: ٣]. قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم، من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً.

فإنه حديث منكر جداً، بل كذب لمخالفته لما ثبت في الصحيحين (ج ٤٤٠٧)، م (٣٠١٧) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة. ورسول الله ﷺ واقف بها كما تقدمنا.

وكذا قوله أن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم يعدل صيام ستين شهراً لا يصح، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح (ج ١١٦٤) أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً؟ هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً. ورواه حبشون الحفلا، وأحمد بن عبد الله بن أحمد

بهبير. قال: فخطبنا وظلّ رسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمر من الشمس. فقال: «الستم تعلمون - أو أستم تشهدون - أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فمن كنت مولاه فإنا علياً مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

ثم رواه أحمد [٣٧٢/٤، ٣٧٣] عن غنتر، عن شعبة، عن ميمون أبي عبد الله، عن زيد بن أرقم إله قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

قال ميمون: حدثني بعض القوم عن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وهذا إسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن. وقد صحح الترمذي بهذا السند حديثاً في الزيت.

وقال الإمام أحمد [٤١٩/٥]: ثنا يحيى بن آدم، ثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي، عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى عليّ بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟! قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فهذا مولاه». قال رياح: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيوب الأنصاري.

وقال الإمام أحمد [٤١٩/٥]: حدثنا حنش عن رياح بن الحارث. قال: رأيت قوماً من الأنصار قلموا على عليّ في الرحبة فقال: من القوم؟ فقالوا: مواليك يا أمير المؤمنين. فذكر معناه.

هذا لفظه، وهو من أفراده.

وقال ابن جرير: ثنا أحمد بن عثمان أبو الجوزاء، حدثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي - وهو صدوق - حدثني مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد، سمعت أباها يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد عليّ فخطب فحمد الله وأثنى ثم قال: «أيها الناس إني وليكم» قالوا: صدقت! فرفع يد عليّ فقال: «هنا وليي والمؤدي عني وإن الله مولاي من والاه، ومعادي من عاداه».

قال شيخنا الذهبي: وهذا حديث حسن غريب.

ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كبير، عن مهاجر بن مسمار. فذكر الحديث وأنه عليه الصلاة والسلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم فخطبهم. الحديث.

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتاب «غدير خم» - قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وجدته في نسخة مكتوبة عن ابن جرير - حدثنا محمد بن عوف الطائي، ثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا إسماعيل بن نسيط عن جميل بن عمار، عن سالم بن عبد الله بن عمر، قال ابن جرير: أحسبه قال: عن عمر، وليس في كتابي -: سمعت رسول الله ﷺ وهو أخذ بيد عليّ: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وهذا حديث غريب. بل منكر وإسناده ضعيف.

قال البخاري في جميل بن عماره هذا: فيه نظر [الخاريج الكبير: ٢١٦/٢، وفيه: جميل بن عمار].

وقال المطلب بن زياد عن عبد الله بن محمد بن عقيل سمع جابر بن عبد الله يقول: كنا بالجحفة بغدير خم، فخرج علينا رسول الله ﷺ من خيابه أو قسطاً، فأخذ بيد عليّ. فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

قال شيخنا الذهبي: هذا حديث حسن. وقد رواه ابن ليعة عن بكر بن سواد وغيره، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بنحوه.

التشريق، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع، فأمر بإراحته القصواء فرحلت، ثم ذكر خطبته في ذلك اليوم كما تقدم.

وهكذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعمر بن الخطاب حين سأل عن تفسير هذه السورة بمحضر كثير من الصحابة، ليريه فضل ابن عباس وتقدمه وعلمه حين لاهم بعضهم على تقديمه وإجلائه له مع مشايخ بدر. فقال: إنه من حيث تعلمون، ثم سلمهم وابن عباس حاضر عن تفسير هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح. «وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. [النصر: ١-٣] فقالوا: أمرنا إذا فتح لنا أن نذكر الله ولحمده ونستغفره فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ نبي إليه. فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تعلم [ج: ٤٩٧٠].

وقد ذكرنا في تفسير هذه السورة ما يدل على قول ابن عباس من وجوه، وإن كان لا ينافي ما فسرها به الصحابة رضي الله عنهم.

وكذلك ما رواه الإمام أحمد [٤٤٦/٢]: حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ لما حج بنسائه قال: «إنما هي هذه الحجة، ثم الزمن ظهور المحضر».

نفرد به أحد من هذا الوجه.

وقد رواه أبو داود في سننه [١٧٢٢] من وجه آخر جيد.

والمقصود أن النفوس استشعرت بوفاته عليه الصلاة والسلام في هذه السنة، ونحن نذكر ذلك ونورد ما روي فيما يتعلق به من الأحاديث والأثار، وبالله المستعان، ولتقدم على ذلك ما ذكره الأئمة عمدة بن إسحاق بن يسار، وأبو جعفر بن جرير، وأبو بكر البيهقي في هذا الموضع قبل الوفاة من تعدد حججه وغزواته وسراياه وكتبه ورسله إلى الملوك فلنذكر ذلك ملخصاً مختصراً ثم تتبعه بالوفاة.

سنة ١١ - ذكر عدد غزواته وسراياه

وبعثه وعدد حجاته وعمراته:

ففي الصحيحين [ج: ٤٤٠٤]، م [١٢٥٤] من حديث أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وحج بعدما هاجر حجة الوداع، ولم يحج بعدما قال أبو إسحاق: وواحدة بمكة. كذا قال أبو إسحاق السبيعي.

وقد قال زيد بن الحباب عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر: أن رسول الله ﷺ حج ثلاث حججات: حجتين قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر معها عمر، وساق ستاً وثلاثين بلفة، وجاء علي بتعامها من اليمن.

وقد قلنا عن غير واحد من الصحابة منهم أنس بن مالك في الصحيحين [ج: ١٧٧٨]، م [١٢٥٣]: أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجعرانة، والعمرة التي مع حجة الوداع.

وأما الغزوات فروى البخاري [٤٧٧٢] عن أبي عاصم النبيل، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره علينا رسول الله

النبي - وهما صدوقان - عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة.

قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وإبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر اتفق أن رسول الله ﷺ قاله.

وأما «اللهم وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد، وأما هذا الصوم فليس بصحيح، ولا والله ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة قبل غدير خم بأيام، والله تعالى أعلم.

وقال الطبراني [المعجم الكبير: ١٢٦٦/٦]: حدثنا علي بن إسحاق الوزير الأصبهاني، حدثنا علي، حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي، حدثنا علي بن محمد بن يوسف بن سنان بن مالك بن سمع، حدثنا سهل بن يوسف بن سهل بن مالك، أخي كعب بن مالك عن أبيه، عن جده. قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط، فاعرفوا ذلك له. يا أيها الناس إني عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راض، فاعرفوا ذلك لهم».

أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهارى واختاني لا يطلبكم الله بمظلمة أحد منهم. أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً.

سنة ١١ - سنة إحدى عشرة من الهجرة

استهلكت هذه السنة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة النبوية المظهرة مرجعه من حجة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام: من أعظمها خطباً وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه الصلاة والسلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في علة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى كما قال تعالى: «وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» [الضحى: ٤-٥].

وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإلّاغها، ونصح أمته ودلهم على خير ما يعلمهم، وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم في دنياهم وأخرامهم.

وقد قلنا ما رواه صاحب الصحيح [ج: ٤٦٠١]، م [٣٠٢١] من حديث عمر بن الخطاب أنه قال: نزل قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [البقرة: ٣] يوم الجمعة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة.

وروينا [مصنف ابن أبي شيبة (١٢٢٥٠)] من طريق جيد: أن عمر بن الخطاب حين نزلت هذه الآية بكى، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا القصدان. وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ.

وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك فيما رواه مسلم [١٢٩٧] من حديث ابن جريج عن أبي الزبير. عن جابر: أن رسول الله ﷺ وقف عند جمره العقبة وقال لنا: «دخلوا عني مناسككم، فلمعلي لا أحج بعد عامي هذا».

وقلنا ما رواه الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي [الدائمت: ٤٤٧/٥] من حديث موسى ابن عبيدة الريني، عن صدقة بن يسار، عن ابن عمر. قال: نزلت هذه السورة «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» في أواسط أيام

ﷺ

وفي الصحيحين [ج (٤٢٧٠)، م (١٨١٥)] عن قتبية، عن حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن سلمة. قال: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وفيما يبعث من البعوث تسع غزوات، مرة علينا أبو بكر، ومرة علينا أسامة بن زيد.

وفي صحيح البخاري [٤٤٧٢] من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم قال: غزا رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة.

وفي الصحيحين [ج (٣٩٤٩)، م (١٢٥٤)] من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء: أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وشهد معه منها سبع عشرة، أولها العشير أو العسير.

وروى مسلم [١٨١٤] عن أحمد بن حنبل، عن معتمر، عن كهمس بن الحسن، عن ابن بريدة، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة.

وفي رواية لمسلم [١٨١٤] من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة قاتل منها في ثمان.

وفي رواية عنه [الدلائل للبيهقي: ٤٥٥/٥] بهذا الإسناد: وبعث أربعاً وعشرين سرية، قاتل يوم بدر وأحد والأحزاب والمريسيع وخيبر ومكة وحنين.

وفي صحيح مسلم [١٨١٣] وليس فيه (أحدى وعشرين غزوة) من حديث أبي الزبير عن جابر: أن رسول الله ﷺ غزا إحدى وعشرين غزوة، غزوت معه منها تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أحدًا، منعتني أبي، فلما قتل أبي يوم أحد، لم أختلف عن غزاة غزاه.

وقال عبد الرزاق: [المصنف (٩٦٥٩)] أنبأنا معمر عن الزهري. قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: غزا رسول الله ﷺ ثمان عشرة غزوة. قال: وسمعت مرة أخرى يقول: أربعاً وعشرين غزوة، فلا أدري أكان ذلك وهما، أو شيئاً سمعه بعد ذلك.

وقال قتادة: غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة، قاتل في ثمان منها، وبعث من البعوث أربعاً وعشرين. فجميع غزواته وسراياه ثلاث وأربعون.

وقد ذكر عروة بن الزبير والزهري وموسى بن عقبة وعبد بن إسحاق بن يسار، وغير واحد من أئمة هذا الشأن: أنه عليه الصلاة والسلام قاتل يوم بدر في رمضان من سنة اثنتين، ثم في أحد في شوال سنة ثلاث، ثم في الخندق، وبني قريظة في شوال أيضاً من سنة أربع، وقيل خمس، ثم في بني المصطلق بالمريسيع في شعبان سنة خمس، ثم في خيبر في صفر سنة سبع ومنهم من يقول سنة ست، والصحيح أنه في أول سنة سبع، وآخر سنة ست، ثم قاتل أهل مكة في رمضان سنة ثمان، وقاتل هوازن، وحاصر أهل الطائف في شوال وبعض ذي القعدة سنة ثمان كما تقدم تفصيله.

وحج في سنة ثمان بالناس عتاب بن أسيد نائب مكة. ثم في سنة تسع أبو بكر الصديق، ثم حج رسول الله ﷺ بالمسلمين سنة عشر.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٨/٢، ٦٠٩]: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة سبعاً وعشرين غزوة: غزوة ودان وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط من ناحية رضوى، ثم غزوة العشرة من بطن يثيب، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر العظمى الذي قتل الله فيها صنناديد قريش، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكندر، ثم

غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة نجران معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم حراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا، فصدته المشركون، ثم غزوة خيبر.

ثم عمرة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

قال ابن إسحاق: قاتل منها في تسع غزوات: غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف.

قلت: وقد تقدم ذلك كله مبسوطة في أماكنه بشواهده وأدلته ولله الحمد.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٠٩/٢]: وكانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وسراياه ثمانية وثلاثين من بين بعث وسرية.

ثم شرع رحمه الله في ذكر تفصيل ذلك.

وقد قدمنا ذلك كله أو أكثره مفصلاً في مواضعه ولله الحمد والمنة.

ولنذكر ملخص ما ذكره ابن إسحاق: بعث عبيدة بن الحارث إلى أسفل ثنية المرة، ثم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى الساحل من ناحية المعيص، ومن الناس من يقدم هنا على بعث عبيدة كما تقدم قاله أعلم.

بعث سعد بن أبي وقاص إلى الحارث، بعث عبد الله بن جحش إلى نخلة، بعث زيد بن حارثة إلى القردة، بعث محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف، بعث مرثد بن أبي مرثد إلى الرجيع، بعث المنذر بن عمرو إلى بئر معونة، بعث أبي عبيدة إلى ذي القصة، بعث عمر بن الخطاب إلى تربة في أرض بني عامر، بعث علي إلى اليمن، بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى الكندي فاصاب بني اللوح اغار عليهم في الليل فقتل طائفة منهم، واستاق نهمهم فجاء فغيرهم في طلب النعم، فلما اقتربوا حال بينهم وبينهم واد من السيل، وأسروا في سيرهم هذا الحارث بن مالك ابن البرصاء.

وقد حرر ابن إسحاق هنا ما هنا، وقد تقدم بيانه.

بعث علي بن أبي طالب إلى أرض فلك، بعث أبي العرجاء السلمي إلى بني سليم أصيب هو وأصحابه.

بعث عكاشة إلى الغمرة.

بعث أبي سلمة بن عبد الأسد إلى قطن، وهو ماء بنجد لبني أسد، بعث محمد بن مسلمة إلى القرطاء من هوازن.

بعث بشير بن سعد إلى بني مرة بفلك، وبعثه أيضاً إلى ناحية حنين.

بعث زيد بن حارثة إلى الجمام من أرض بني سليم.

بعث زيد بن حارثة إلى جذام من أرض بني خثين.

قال ابن هشام [السورة: ٦١٢/٢]: وهي من أرض حسمى وكان سببها فيما ذكره ابن إسحاق وغيره:

أن دحية بن خليفة لما رجع من عند قيصر وقد أبلغه كتاب رسول الله ﷺ يدعو إلى الله فأعاطه من عنده تحفاً وهدياً، فلما بلغ وادياً في أرض بني جذام يقال له شار اغار عليه الحنيد بن عوص وابنه عوص بن الحنيد الصليحيان والصليحي بطن من جذام فأخذا ما معه نفر حي منهم قد أسلموا فاستنقذوا ما كان أخذ لدحية ففروه عليه.

فلما رجع دحية إلى رسول الله ﷺ أخبره الخبر واستسقام دم الحنيد وابنه عوص، فبعث حيث زيد بن حارثة في جيش إليهم، فأساروا إليهم من

بعث غالب بن عبد الله أيضاً إلى أرض بني مرة، فأصيب بها مرداس بن نهيك حليف لهم من الحرة، من جهة قتله أسامة بن زيد، ورجل من الأنصار، أدركاه فلما شهرا السلاح قال: لا إله إلا الله، فلما رجعا لامهما رسول الله ﷺ أشد اللوم، فاعتذرا بأنه ما قال ذلك إلا تنوذاً من القتل. فقال لأسامة: «هلا شقت عن قلبه، وجعل يقول لأسامة: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» قال أسامة: فما زال يكرزها حتى لوددت أن لم أكن أسلمت قبل ذلك. وقد تقدم الحديث بذلك.

بعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة يستنفر العرب إلى أرض الشام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني، فلذلك بعث عمرو يستنفرهم ليكون الجمع فيهم، فلما وصل إلى ماء لهم يقال له: السلسل، خافهم فبعث يستمد رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ سرية فيهم أبو بكر وعمر وعليه أبو عبيدة بن الجراح، فلما انتهوا إليه نأمر عليهم كلهم عمرو وقال: إنما بعثتم مدداً لي فلم يأتهم أبو عبيدة لأنه كان رجلاً سهلاً لنا هنا عليه أمر الدنيا، فسلم له وانقاد معه، فكان عمرو يصلي بهم كلهم، ولما لا رجوع قال: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» (بخ (٣٦٦٢)، م (٢٣٨٤)).

بعث عبد الله بن أبي حلدرد إلى بطن إضم وذلك قبل فتح مكة، وفيها قصة علم بن جثامة، وقد تقدم مطولا في سنة سبع.

بعث ابن أبي حلدرد أيضاً إلى الغابة.

بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل.

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٣١/٢]: حدثني من لا أنهم عن عطاء بن أبي رباح. قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم. قال: فقال عبد الله: أخبرك إن شاء الله عن ذلك، أعلم، أي كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب النبي ﷺ في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله ﷺ ثم جلس. فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً». قال: فأي المؤمنين أكسر؟ قال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً لقبل أن يتزل به أولئك الأكياس»، ثم سكت الفتى. وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم - وأعوذ بالله أن تدركوهن - أنه لم يظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلَنوا عليها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المونة وجور السلطان، ولم يمتروا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا الهائم ما مطروا، وما تنقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدا من غيرهم، فأنذت بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أنتمهم بكتاب الله وتحيزوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

قال: ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرايس سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ ثم نقضها، ثم عممه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك. ثم قال: «هكذا يا ابن عوف، فاعتم فإنه أحسن وأعرف»، ثم أمر بلالا أن يبلغ إليه اللواء، فنذعه إليه، فحمد الله وصلى على نفسه ثم قال: «خذه يا ابن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا

ناحية الأولاج فاغزوا بالمناقص من ناحية الحرة، فجمعوا ما وجدوا من مال وناس، وقتلوا المنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف، ورجلاً من بني خصيب، فلما احتاز زيد أموالهم وذرايعهم اجتمع نفر منهم برفاعة بن زيد. وكان قد جاءه كتاب من رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله، فقرأه عليهم رفاة فاستجاب له طائفة منهم، ولم يكن زيد بن حارثة يعلم ذلك، فركبوا إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة في ثلاثة أيام، فأعطوه الكتاب فأمر بقراءته جهرة على الناس. ثم قال رسول الله ﷺ: كيف أصنع بالقتلى؟ ثلاث مرات. فقال رجل منهم يقال له أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قتل فهو تحت قدمي هذه، فبعث معهم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال علي: إن زيدا لا يطيعني، فأعطاه رسول الله ﷺ سيئه علامة، فسار معهم على جمل لهم، فلحقوا زيدا وجيشه ومعهم الأموال والذراير بفناء الفحلين فسلمهم علي جميع ما كان أخذ لهم لم يفتقدوا منه شيئاً.

بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بني فزارة بوادي القرى، فقتل طائفة من أصحابه وارث هو من بين القتلى، فلما رجع كل أن لا يس رأسه غسل من جناية حتى يغزوه أيضاً، فلما استبل من جراحه، بعثه رسول الله ﷺ ثانياً في جيش، فقتلهم بوادي القرى وأسر أم قرقة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر، ومعاينة لها، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليمري فقتل أم قرقة، واستبقى ابنتها، وكانت من بيت شرف يضرب بأم قرقة المثل في عزها، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع، فاستوبها منه رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فوهبها رسول الله ﷺ لحاله حزن بن أبي وهب، فولدت له ابنة عبد الرحمن.

بعث عبد الله بن رواحة إلى خير مرتين:

إحداهما التي أصاب فيها الشير بن رزام، وكان يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في نفر منهم عبد الله بن أنيس، فقدموا عليهم، فلم يزالوا يرغبونه ليقدموه على رسول الله ﷺ فسار معهم، فلما كانوا بالقرقرة على ستة أميال من خير ندم الشير على مسيره، ففطن له عبد الله بن أنيس - وهو يريد السيف - فضره بالسيف فاطن قدمه، وضره اليسر بمخرش من شوحط في رأسه فأمه، ومال كل رجل من المسلمين على صاحبه من اليهود فقتله إلا رجلاً واحداً أثلت على رجله، فلما قدم ابن أنيس ثقل في رأسه رسول الله ﷺ فلم يفتح جرحه ولم يؤذ.

قلت: وأظن البعث الآخر إلى خير لما بعثه عليه الصلاة والسلام خارصاً على تغل خير والله أعلم.

بعث عبد الله بن عتيك وأصحابه إلى خير فقتلوا أبا رافع اليهودي.

بعث عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن بيهق فقتله بكرة.

ولقد روى ابن إسحاق قصته ما هنا مطولة، وقد تقدم ذكرها في سنة خمس والله أعلم.

بعث زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا كما تقدم.

بعث كعب بن عيمر إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فأصيبوا جميعاً أيضاً.

بعث عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر إلى بني العنبر من حميم، فأغار عليهم فأصاب منهم أناساً، وسبى منهم أناساً ثم ركب وفدهم إلى رسول الله ﷺ في أسراهم فأعتق بعضاً وفدى بعضاً.

تَقْتُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِدَاءَ، فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ وَسِيرَةُ نَبِيِّكُمْ فَيَكُفُّمُ. فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ اللِّوَاءَ.

قال: ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

بعث أبي عبيدة بن الجراح وأصحابه وكانوا قريبا من ثلاثمائة راكب إلى سيف البحر وتزويده عليه الصلاة والسلام جرابا من تمر، وفيها قصة العنبر وهي الحوت العظيم الذي دسره البحر وأكلهم كلهم منه قريبا من شهر حتى سموا وتزودوا منه وشائق - أي شرائح - حتى رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأطعموه منه، فأكل منه كما تقدم بذلك الحديث.

قال ابن هشام [السيرة: ٦٣٣/٢]: وما لم يذكر ابن إسحاق من البعوث - يعني ها هنا - بعث عمرو بن أمية الضمري لقتل أبي سفيان صخر بن حرب بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه، فكان من أمره ما قلناه، وكان مع عمرو بن أمية جبار بن صخر، ولم يتفق لهما قتل أبي سفيان، بل قتل رجلا غيره، وأنزل خبيبا عن جذعه، وبعث سالم بن عمير أحد البكائين إلى أبي عفاك، أحد بني عمرو بن عوف وكان قد نجح نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ المحابر ابن سويد بن الصامت كما تقدم. فقال يريته ويدم - قبحه الله - الدخول في الدين:

لَقَدْ عَشْتُ دَعْوًا وَمَا إِن أَرَى مِنَ النَّاسِ ذَارًا وَلَا جَمْعًا
أَبْرَءُهُمْ وَأَوْقَى لَيْسَ يُقَاتِلُ فِيهِمْ إِنْ مَا دَعَا
مَنْ أَوْلَا قِلَّةً فِي جَمْعِهِمْ يَهُؤُ الْجِبَالُ وَلَكُمْ يُخْضَعُ
فَصَدَّعْتُمْ رَاكِبَ جَانِبِهِمْ خَلَالَ حَرَامٍ لَتَسْتَي نَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَقْتُمْ أَوْ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ كُتَمَا

فقال رسول الله ﷺ: «من في بهذا الحديث؟» فانتدب له سالم بن عمير هذا فقتله فقالت أمانة المريمية في ذلك:

تَكُونُ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَرْءِ أَحَدًا لَعَمْرُو الَّذِي أَمَّاكَ بَشَرٌ الَّذِي يَمِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ أَتَجَرَّ اللَّيْلَ طَلْعَةً أَبَا عَفَاكَ خَلَعَا عَلَى كَبَرِ السِّنِّ
وبعث عمير بن عدي الحطيمي لقتل العصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، كانت تهجو الإسلام وأهله، ولما قتل أبو عفاك المذكور أظهرت النفاق وقالت في ذلك:

بِاسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنِّيَّةِ وَعُوفٍ وَبِاسْتِ بَنِي الْخَزَرِجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِي مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مَرَادٍ وَلَا مَذْجِ
تَرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرُّؤُوسِ كَمَا يَرْجَى سَرَقُ الْمَضْجِ
أَلَا أَنْفٌ يَتَنَفَّى غَمْرَةً يَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمَرْغَمِيِّ
قال: فأجابها حسان بن ثابت فقال:

بَنُو وَالِئِلِّ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزَرِجِ
مَتَى مَا دَعَتْ سَفْهًا وَيَجْهًا بِعُولَتِهَا وَالنَّايَا تَجْهِي
فَهَزَتْ تَنَسَّى مَاجِدًا عَرَقَهُ كَرِيمُ الْمَدْخَلِ وَالْمَخْرَجِ
فَضَرَجَهَا مِنْ نَجِيحِ الدَّمَاءِ بَعْدَ الْمَدِيدِ فَلَمْ يَخْرُجْ

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «أَلَا أَخَذَ لِي مِنْ ابْنَةِ مَرْوَانَ»، فسمع ذلك عمير ابن عدي، فلما أمسى من تلك الليلة سري عليها فقتلها. ثم أصبح فقال: يا رسول الله قتلتها. فقال: «فصرت الله ورسوله يا عمير». قال: يا رسول الله هل علي شيء من شأنها. قال: «لا يتطع فيها»

عززان». فرجع عمير إلى قومه وهم يختلفون في قتلها، وكان لها بنون خمسة. فقال: أنا قتلتها فكيدوني جميعا، ثم لا تنظرون فلذلك أول يوم عز الإسلام في بني خطمة، فأسلم منهم بشر كثير لا رأوا من عز الإسلام.

ثم ذكر البعث الذين أسروا ثمانية بن أثال الحنفي، وما كان من أمره في إسلامه. وقد تقدم ذلك في الأحاديث الصحاح.

وذكر ابن هشام أنه هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ». لما كان من قلة أكله بعد إسلامه، وأنه لما انفصل عن المدينة، دخل مكة متمترا وهو يلي فيها أهل مكة من ذلك، فأبى عليهم وتوعدهم بقطع الميرة عنهم من اليمامة، فلما عاد إلى اليمامة منعهم الميرة حتى كتب إليه رسول الله ﷺ فأعادها إليهم. وقال بعض بني حنيفة:

وَمَنَا الَّذِي لَبَسَ بِمَكَّةَ عَمْرًا بِرَغَمِ أَبِي سَفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
وبعث علقمة بن مجزز المدلجي ليأخذ بثأر أخيه وقاص بن مجزز يوم قتل بني قرد، فاستأذن رسول الله ﷺ ليرجع في آثار القوم، فأذن له وأمره على طائفة من الناس، فلما قفلوا أذن لطائفة منهم في التقدم، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة، وكانت فيه دعابة، فاسترقد نارا وأمرهم أن يدخلوها، فلما عزم بعضهم على الدخول قال: إنما كنت أضحك، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه».

والحديث في هذا ذكره ابن هشام [السيرة: ٦٤٠/٢] عن الدراودي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبي سعيد الخدري.

وبعث كرز بن جابر لقتل أولئك النفر الذين قعدوا المدينة، وكانوا من قيس كبة من بجيلة، فاستوخروا المدينة واستويوها فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى إبله فيشربوا من آبائها وآلياتها، فلما صحوا قتلوا راعيها وهو يسار مولى رسول الله ﷺ، فجوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح، فبعث في آثارهم كرز بن جابر في نفر من الصحابة، فجاؤا بأولئك النفر من بجيلة مرجعه عليه الصلاة والسلام من غزوة ذي قرد، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم، وسلمت أعينهم، وهؤلاء النفر إن كانوا هم المذكورين في حديث أنس الملقق عليه، أن نفرا ثمانية من عكل أو عريضة قعدوا المدينة. الحديث.

والظاهر أنهم هم، فقد تقدمت قصتهم مطولة وإن كانوا غيرهم فما قد أوردنا عيون ما ذكره ابن هشام والله أعلم.

قال ابن هشام [السيرة: ٦٤١/٢]: وغزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن التي غزاها مرتين.

قال أبو عمرو المدني: بعث رسول الله ﷺ عليا إلى اليمن، وخالدا في جند آخر. وقال: «إن اجتمعتم فالأمير علي بن أبي طالب».

قال: وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد ولم يذكره في عدد البعث والسرايا، فينبغي أن تكون العلة في قوله تسعا وثلاثين.

قال ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٤١/٢، ٦٤٢]: وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطن الخيل تحوم اللقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون.

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

وقال جابر: رايت رسول الله ﷺ يرمي الجمار فوقف. وقال: «لأخونا عني مناسككم فلملي لا أحج بعد عامي هذا» [١٢٩٧].
وقال عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة كما سيأتي: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، وما أرى ذلك إلا اقتراب أجلي» [٣٦٢٣، ٣٦٢٤].

وفي صحيح البخاري (٤٩٩٨) بنحوه (٢٠٤٤) مختصراً من حديث أبي بكر بن عياش عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: كان رسول الله ﷺ يتكف في كل شهر رمضان عشرة أيام، فلما كان من العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن كل رمضان مرة، فلما كان العام الذي توفي فيه، عرض عليه القرآن مرتين.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٤٧/٢]: رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بيقته والحجر وصفر، وبعث أسامة بن زيد فيينا الناس على ذلك ابتدى رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحته وكرامته في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدى به رسول الله ﷺ من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد في جوف الليل. فاستغفر لهم. ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدى بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٤٧/٢]: وحديثي عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير، مولى الحكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي موهبة مولى رسول الله ﷺ. قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: «يا أبا موهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلقن معي» فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنا لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن قطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها. الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا موهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». قال: قلت: بأي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة. قال: «لا والله يا أبا موهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبئى رسول الله ﷺ وجهه الذي قبضه الله فيه لم يخرج أحد من أصحاب الكتب.

وإما رواه أحمد (٤٨٩/٣) عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه عن محمد بن إسحاق به.

وقال الإمام أحمد (٤٨٨/٣): ثنا أبو النضر، ثنا الحكم بن فضيل، ثنا يعلى بن عطاء عن عبيد بن جبير عن أبي موهبة. قال: أمر رسول الله ﷺ أن يصلي على أهل البقيع، فصلى عليهم ثلاث مرات، فلما كانت الليلة الثالثة. قال: «يا أبا موهبة أسرج لي دابتي». قال: فركب ومشيت حتى انتهى إليهم، فنزل عن دابته وأمسكت الدابة فوقف. أو قال - قام عليهم - فقال: «لبيكم ما أنتم في ما فيه الناس، أتت الفتن قطع الليل المظلم، يتبع بعضها بعضاً، الآخرة أشد من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس». ثم رجع فقال: «يا أبا موهبة إني أعطيت - أو قال: خيرت بين مفاتيح ما يفتح على أمي من بعدي، والجنة أو لقاء ربي»، قال: فقلت: بأي أنت وأمي فاخترنا قال: «لأن تردّ على عنها ما شاء الله، فاخترت لقاء ربي»، فما لبث بعد ذلك إلا سبعا أو ثمانياً حتى قبض.

وقال عبد الرزاق [المصنف (٢٠٠٣٤)]: عن معمر، عن ابن طباوس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «فصر بالربع، وأعطيت الخزانين،

وقال البخاري (٤٤٦٩): حدثنا إسماعيل، ثنا مالك عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث بشاً وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام النبي ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد كتم تطعنون في إماره أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده».

ورواه الترمذي (٣٨١٦) من حديث مالك. وقال: حديث صحيح حسن.

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة غيم بالجرف. وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي وكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول ﷺ من رب العالمين؟ ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناء الشارع من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب فأذن له في المقام عند الصديق، ونفذ الصديق جيش أسامة كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى.

سنة ١١ - الآيات والأحاديث المنذرة بوفاة

رسول الله ﷺ وكيف ابتدى رسول الله ﷺ

بمرضه الذي مات فيه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. ثُمَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَحْصِيمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَقْبَانَ مَتَّ فَمَنْ الْخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَأْتِي أَوْ قِيلَ لَنَنْقَلِبَكُمْ عَلَى أَفْئِدَتِكُمْ وَمَنْ يَغْلِبْ عَلَى عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وهذه الآية هي التي تلاها الصديق يوم وفاة رسول الله ﷺ فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل ذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

قال عمر بن الخطاب وابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه [٣٦٢٧].

وقال ابن عمر: نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع فخطب الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم، الخطبة المشهورة كما تقدم.

وخبرت بين أن أبى حتى أرى ما يفتح على أمي، وبين التعجيل، فاخترت التعجيل.

قال البيهقي: وهذا مرسل، وهو شاهد لحديث أبي مويبة.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٤٧/٢، ٦٤٣]: وحديث يعقوب بن عتبة عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن عائشة. قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: واراياه. فقال: «بل أنا والله يا عائشة واراياه» قالت: ثم قال: «وما شرك لو مت قبلي فممت عليك وكففتك وصليت عليك وددتكم؟» قالت: قلت: والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: قسم رسول الله ﷺ وتام به وجهه وهو يدور على نساءه، حتى استعز به في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأنهن أن يمرض في بيتي فأذن له.

قالت: فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر عاصباً رأسه تخط قدماه الأرض حتى دخل بيتي. قال عبيد الله: فحدثت به ابن عباس فقال: أتدري من الرجل الآخر؟ هو علي بن أبي طالب. وهذا الحديث له شواهد ستأتي قريباً.

وقال البيهقي [الذيل: ١٦٨/٧، ١٦٩]: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، حديث يعقوب بن عتبة عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وهو يصدع، وأنا اشتكي رأسي فقلت: واراياه! فقال: «بل أنا والله يا عائشة واراياه» ثم قال: «وما عليك لو مت قبلي، فوليت امرؤك وصليت عليك وواريتك». فقلت: والله إنني لأحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار، فضحك رسول الله ﷺ ثم حمأى به وجهه فاستعز به وهو يدور على نساءه في بيت ميمونة، فاجتمع إليه أهله. فقال العباس: إنا لنرى برسول الله ذات الجنب فهلما فتلده، فلدوه فأنافق رسول الله ﷺ. فقال: «من فعل هذا؟» فقالوا: عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب. فقال رسول الله ﷺ: «إنها من الشيطان، وما كان الله ليسلبه علي لا يبقى في البيت أحد إلا لددقوه إلا عمي العباس»، فلما أهل البيت كلهم حتى ميمونة، وإنها لصائمة، وذلك بعين رسول الله ﷺ، ثم استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج وهو بين العباس ورجل آخر - لم تسمه - تخط قدماه بالأرض. قال عبيد الله: قال ابن عباس: الرجل الآخر علي بن أبي طالب.

قال البخاري [٤٤٤٢]: حدثنا سعيد بن عفير، ثنا الليث، حديث عقال عن ابن شهاب، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجهه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه الأرض بين عباس بن عبد المطلب، وبين رجل آخر. قال عبيد الله فاخبرت عبد الله - يعني ابن عباس - بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا! قال ابن عباس: هو علي، فكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجهه. قال: «هريقوا علي من سبع قرب لم تحمل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس»، فاجلسناه في خضب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفتنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشرب إلينا بيده أن قد فعلت. قالت عائشة: ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم.

وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع آخر من صحيحه (١٩٨، ٦٦٥، ٢٥٨٨، ٣٠٩٩، ٥٧١٤. مطولاً ومختصراً، ومسلم [٤١٨] (٩١) (٩٢) من طرق عن الزهري به.

وقال البخاري [٤٤٥٠]: حدثنا إسماعيل، ثنا سليمان بن بلال، قال هشام بن عروة: أخبرني أبي عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها.

قالت عائشة رضي الله عنها: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، وقبضه الله وإن رأسه لين سحري ومجري وخالط ريقه ريقني. قالت: ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ. فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقمضته، ثم مضته فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مُسْتَيْدٌ إلى صلري.

انفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري [٤٤٤٦]: أخبرنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، حديث ابن الهاد عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: مات النبي ﷺ وإته لين حائتي وذائتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.

وقال البخاري [٤٤٣٩]: حدثنا حبان، أنبأنا عبد الله، أنبأنا يونس عن ابن شهاب، قال أخبرني عروة أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه يده، فلما اشتكى وجهه الذي توفي فيه طفتت أنثت عليه بالمعوذات التي كان ينثت، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه.

ورواه مسلم [٢١٩٢] (٥١) من حديث ابن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري به.

وثبت في الصحيحين [٦٢٨٥، ٦٢٨٦] م (٢٤٥٠) (٩٨) من حديث أبي عوانة عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: اجتمع نساء رسول الله ﷺ عنده، لم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطى مشيتها مشية أبيها. فقال: «مرحبا بابتي»، فأتبعها عن يمينه أو شماله، ثم سارها بشيء فبكّت، ثم سارها فضحكت فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ بالسرايا وأنت تبكين، فلما أن قام. قلت لها: أخبريني ما سارك؟ فقالت: ما كنت لأشفي سر رسول الله ﷺ، فلما توفي. قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم! قالت: سارني في الأولى، قال لي: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني في هذا العام مرتين ولا أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، فاتقي الله وأصبري فنعم السلف أنا لك»، فبكيت. ثم سارني فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة»، فضحكت.

وله طرق عن عائشة.

وقد روى البخاري [٤٤٥٨] عن علي بن عبد الله والفلاس ومسلم [٢٢١٣] (٨٥) عن محمد بن حاتم، كلهم عن يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان الثوري، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله، عن عائشة. قالت: لدينا رسول الله ﷺ في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدون، فقلنا: كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: «ألم أنهكم أن لا تلدون؟» قلنا: كراهية المريض للدواء. فقال: «لا يبقى أحد في البيت

ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «قوموا». قال عبيد الله: قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغلطهم.

ورواه مسلم [(١٦٣٧) (٢٢)] عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق بنحوه.

وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه [(١١٤) (٥٦٦) (٧٣٦٦)] من حديث معمر ويونس عن الزهري به.

وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغنياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم، كل يدعي أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمزون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمشابهة، وترك الحكم. وأهل السنة يأخذون بالحكم، ويردون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراشدين في العلم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه، وهذا الموضع مما زل فيه أقدم كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه، قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه.

فإنه قد قال الإمام أحمد [(١٠٦/٦)]: «حدثنا مؤمل، ثنا نافع بن عمرو، ثنا ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، قال: فادعوا لي أبا بكر وابنه فليكتب لحي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع، ولا يتمناه متمن». ثم قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون». مرتين. قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون».

انفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد [(٤٧/٦)]: «حدثنا أبو معاوية، ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما تقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: «التي بكف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد»، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم. قال: «يأبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر».

انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً.

وروى البخاري [(٧٢١٧)] عن يحيى بن يحيى، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فاعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنون». فقلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

وفي صحيح البخاري [(٣٦٥٩)] ومسلم [(٢٣٨٩) (١٠)] من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه. قال: «أنت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: أرايت إن جنت ولم أجلك؟ كأنها تقول: الموت قال: «إن لم تحبيني فات أبا بكر».

والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه الصلاة والسلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه، وقد خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يقبض عليه الصلاة والسلام بخمس أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة، مع ما كان قد نص عليه أن يوم الصحابة أجمعين، كما سيأتي بيانه مع حضورهم كلهم. ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عما أراد أن يكتب في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة، فصبوا عليه من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بالسبع، كما وردت بها الأحاديث في غير هذا الموضع.

إلا لد - وأنا أنظر إلا العباس - فإنه لم يشهدكم». قال البخاري [عقب ح (٤٤٥٨)]: ورواه ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ.

وقال البخاري [(٤٤٢٨)]: وقال يونس عن الزهري، قال عروة، قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يأبى عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

هكذا ذكره البخاري معلقاً.

وقد أسنده الحافظ البيهقي [والدلائل: (١٧٢/٧)] عن الحاكم، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى الأشقر، عن يوسف بن موسى، عن أحمد بن صالح، عن عنبسة، عن يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري به.

وقال البيهقي [والدلائل: (١٧٢/٧)]: «ثابتاً الحاكم، ثابتاً الأصم، ثابتاً أحمد بن عبد الجبار، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود. قال: لئن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذني نبياً واتخذني شهيداً».

وقال البخاري [(٤٤٤٧)]: «حدثنا إسحاق أخبرنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة، حدثني أبي عن الزهري. قال: أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: أن عبد الله ابن عباس أخبره، أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح محمد الله بارئاً. فأخذ يده عباس بن عبد المطلب. فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد المصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلتسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمئنتها، لا يعطينها الناس بعده، وإني والله لا أسأله رسول الله ﷺ».

انفرد به البخاري.

وقال البخاري [(٤٤٣١)]: «ثنا قتيبة، ثنا سفيان عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير. قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله ﷺ وجعه. فقال: «اتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعله أبداً فتأذعوا». ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه يهجر؟ استغفموا، فذهبوا يردون عنه. فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»، فأوصاهم بثلاث. قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنتيتها.

ورواه البخاري في موضع آخر [(٣٠٥٣) (٣١٦٨)]، ومسلم [(١٦٣٧) (٢٠)] من حديث سفيان بن عيينة به.

ثم قال البخاري [(٤٤٣٢)]: «حدثنا علي بن عبد الله، ثنا عبد الرزاق، ثابتاً معمر عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس. قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن حسبتنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا. فمنهم من يقول: قروا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام اغتسل، ثم خرج فصلى بالناس، ثم خطبهم كما تقدم في حديث عائشة رضي الله عنها.

ذكر الأحاديث الواردة في ذلك:

قال البيهقي [الدلائل: ١٧٧/٧، ١٧٨]: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم عن أحمد ابن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن أيوب بن بشير؛ أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «أفيضوا علي من سبع قرب، من سبع آبار شتى، حتى أخرج فاعهد إلى الناس». ففعلوا فخرج فجلس على المنبر، فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والشهادة عليه، ذكر أصحاب أحد، فاستغفر لهم ودعا لهم. ثم قال: «يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تريدون والأنصار على هيتبنا لا تزيد، وإنهم عيبي التي أوتيت إليها، فأكرموا كرمهم ونجاوزوا عن سيئهم».

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيرته الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، ففهمها أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى. وقال: بل نحن نفدك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر! انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسلوها إلا ما كان من بيت أبي بكر، فإني لا أعلم أحداً عندي أفضل في الصحة منه».

هذا مرسل له شواهد كثيرة.

وقال الواقدي: حدثني فروة بن زيد بن طوس، عن عائشة بنت سعد، عن أم ذرة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ. قالت: خرج رسول الله ﷺ عاصياً رأسه بخرقة، فلما استوى على المنبر تحقّق الناس بالنبر. واستكفوا. فقال: «والذي نفسي بيده إني لقاتم على الخوض الساعة» ثم تشهد فلما قضى تشهده كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد. ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار العبد ما عند الله»، فبكى أبو بكر ففجعنا لبكائه. وقال: بأبي وأمي نفدك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله ﷺ. وجعل رسول الله ﷺ يقول له: «على رسلك!».

وقال الإمام أحمد [١٨/٣] حدثنا أبو عامر ثنا فليح عن سالم أبي النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله». قال: فبكى أبو بكر. قال: ففجعنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به. فقال: رسول الله ﷺ «إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام ومودته، لا يقي في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر».

وهكذا رواه البخاري [٣٦٥٤] من حديث أبي عامر العقدي به.

ثم رواه الإمام أحمد [١٨/٣] عن يونس، عن فليح، عن سالم أبي النضر، عن عبيد بن حنين، عن بسر بن سعيد، عن أبي سعيد به. وهكذا رواه البخاري [٤٦٦، ٣٩٠٤] ومسلم [٢٣٨٢] من حديث فليح ومالك بن أنس، عن سالم، عن بسر بن سعيد، وعبيد بن حنين، كلاهما عن أبي سعيد بنحوه.

وقال الإمام أحمد [٤٧٨/٣ و ٢١١/٤، ٢١٢]: حدثنا أبو الوليد

هشام، ثنا أبو عوانة عن عبد الملك، عن ابن أبي الملعن عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فقال: «إن رجلاً خيرته ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش فيها، يأكل من الدنيا ما شاء أن يأكل منها، وسين لقاء ربه، فاختار لقاء ربه»، فبكى أبو بكر. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ أن ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيرته ربه بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه. فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: بل نفدك بأموالنا وأبنائنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما من الناس أحد آمن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة، ولكن ود وإخاء وإيمان ولكن ود وإخاء وإيمان - مرتين - وإن صاحبكم خليل الله عز وجل».

تفرد به أحمد وإسحق عن علي بن أبي حمزة (٣٦٥٩)، قالوا: وصوابه أبو سعيد بن الملعن قاله أعلم.

وقد روى الحافظ البيهقي [الدلائل: ١٧٦/٧، ١٧٧] من طريق إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حدثنا زكريا بن عدي ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، حدثني جندب؛ أنه سمع رسول الله ﷺ قبل أن يتوفى بخمس وهو يقول: «قد كان لي منكم أخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى كل خليل من خلتي، ولو كنت متخذاً من أمي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وإن ربي اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن قوماً ممن كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد، فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

وقد رواه مسلم في صحيحه [٥٣٢٢] (٢٣) عن إسحاق بن راهويه بنحوه.

وهذا اليوم الذي كان قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بخمسة أيام هو يوم الخميس الذي ذكره ابن عباس فيما تقدم. وقد رويته هذه الخطبة من طريق ابن عباس.

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ١٧٦/٧]: أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ، أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب قال: ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، سمعت يعلى بن حكيم، يحدث عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصياً رأسه بخرقة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «إنه ليس من الناس أحد آمن عليّ بنفسه وماله من أبي بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سلوا عني كل خوذة في المسجد، غير خوذة أبي بكر».

ورواه البخاري [٤٦٧] عن عبد الله بن محمد الجعفي عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه به.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام «سلوا عني كل خوذة» - يعني الأبواب الصغار - إلى المسجد «غير خوذة أبي بكر» إشارة إلى الخلافة أي ليخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين.

وقد رواه البخاري [٩٧٢] أيضاً من حديث عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الفضل، عن عكرمة، عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصياً رأسه بعصابة دسماء، ملتحفاً بملحفة على منكبيه، فجلس على المنبر فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاية بالأنصار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى

قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه الصلاة والسلام.

وقد روي من وجه آخر عن ابن عباس بإسناد غريب، ولفظ غريب.
فقال الحافظ البيهقي [الذلل: ١٧٩/٧، ١٨٠]: أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار، ثنا ابن أبي قماش، وهو محمد بن عيسى، ثنا موسى بن إسماعيل أبو عمران الجبلي، ثنا معن بن عيسى القزاز، عن الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس اللثبي، عن القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنه، عن الفضل بن عباس رضي الله عنه. قال: أناني رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكا شديدا، وقد عصب رأسه، فقال: «خذ بيدي يا فضل». قال: فأخذت يده حتى قدم على المنبر. ثم قال: «ناد في الناس يا فضل»، فتنادت الصلاة جامعة. قال: فاجتمعوا، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أما بعد أيها الناس إنه قد دنى مني حقوق من بين أظهركم، ولن تروني في هذا المقام فيكم، وقد كنت أرى أن غيره غير مغن عني حتى أقومه فيكم إلا فمن كنت جلست له ظهراً فهذا ظهري فليستد، ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شئت له عرضاً فهذا عرضي فليستد، ولا يقولن قائل: أخاف الشحنة من قبل رسول الله، إلا وإن الشحنة ليست من شأني ولا من خلقي، وإن أحبكم إليّ من أخذ حقاً إن كان له علي، أو حللي فليقت الله عز وجل، وليس لأحد عندي مظلمة». قال: فقام منهم رجل فقال: يا رسول الله لي عندك ثلاثة دراهم. فقال: «أما أنا فلا أكذب قاتلاً ولا مستحلفه على يمين فيم كانت لك عندي؟» قال: أما تذكر أنه مر بك سائل فأمرتني فأعطيت ثلاثة دراهم. قال: «أعطه يا فضل». قال: وأمر به فجلس. قال: ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى. ثم قال: «يا أيها الناس من عنده من الغلول شيء فليرده»، فقام رجل فقال: يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله. قال: «فلم غللتها؟» قال: كنت إليها محتاجاً. قال: «خذها منه يا فضل». ثم عاد رسول الله ﷺ في مقالته الأولى، وقال: «يا أيها الناس من أحس من نفسه شيئاً فليقم ادعوا الله له». فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إني لشافق، وإني لكتوب، وإني لنزوم. فقال عمر بن الخطاب: ويحك أيها الرجل لقد سترك الله، لو سترت على نفسك. فقال رسول الله ﷺ: «مه يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة، ألهم أرزقه صدقاً وإيماناً، وأذهب عنه النرم إذا شاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر». وفي إسناده ومته غرابة شديدة.

سنة ١١ - إمامة أبي بكر في الصلاة

مع حضور النبي ﷺ

ذكر أمره عليه الصلاة والسلام أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالصحابة مجتمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه الصلاة والسلام فصلى ورواه مقتدياً به في بعض الصلوات على ما سنذكره وإماماً له ولئن بعلم من الصحابة

قال الإمام أحمد [٣٢٢/٤]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، قال: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه، عن عبد الله بن زمة بن الأسود بن

المطلب بن أسد. قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعا بلال للصلاة فقال: «مروا من يصلي بالناس». قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبا فقلت: قم يا عمر فصل بالناس. قال: فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً فقال رسول الله ﷺ: «فأين أبو بكر؟ يأي الله ذلك والمسلمون، يأي الله ذلك والمسلمون». قال: بعثت إلى أبي بكر فجاء بعلمنا صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس. وقال عبد الله بن زمة: قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت يا ابن زمة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت. قال قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ أمرك، ولكن حين لم أر أبا بكر رايتك أحق من حضر بالصلاة. وهكذا رواه أبو داود [٤٦٦٠] من حديث ابن إسحاق: حدثني الزهري.

ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدثني يعقوب بن عتبة عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن زمة فذكره.
 وقال أبو داود [٤٦٦١]: ثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن أبي فليك، حدثني موسى بن يعقوب عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن زمة أخبره بهذا الخبر. قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر. قال ابن زمة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال: «لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة»، يقول ذلك مضطرباً.

وقال البخاري [٦٦٤]: حدثنا عمر بن حفص، ثنا أبي، ثنا الأعمش عن إبراهيم. قال الأسود: كنا عند عائشة، فذكرنا المراقبة على الصلاة والمراقبة والتعظيم لها. قالت: لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه، فحضرت الصلاة فأذن بلال. فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقبل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة. فقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس». فخرج أبو بكر فصلّى، فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين، كاني أنظر إلى رجله تحيطان الأرض من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك. ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه.

قبل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاته أبي بكر؟ فقال يرأسه نعم.

ثم قال البخاري: رواه أبو داود عن شعبة بعضه، وزاد أبو معاوية: عن الأعمش: جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً.

وقد رواه البخاري [٧١٢، ٧١٣] في غير ما موضع من كتابه، ومسلم [٤١٨] (٩٥) (٩٦) والسنائي [٨٢٣] وابن ماجه [١٢٣٢] من طرق متعددة عن الأعمش به.

منها ما رواه البخاري [٧١٢، ٧١٣] عن قتية ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن يحيى عن أبي معاوية به.

وقال البخاري [٦٧٩]: ثنا عبد الله بن يوسف، أنبأنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر يصلي بالناس». قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك، لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس، فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس. ففعلت حفصة،

يتظرونك يا رسول الله قالت: والناس عكوف في المسجد يتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً. فقال: يا عمر صل بالناس، فقال: أنت أحق بذلك، فصلى بهم تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة، فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله ﷺ يصلي قاعداً.

قال عبيد الله: فدخلت على ابن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: مات فحدثته فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: سميت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي.

وقد رواه البخاري [٦٨٧] ومسلم [٤١٨] (٩٠) جميعاً عن أحمد بن يونس، عن زائدة به.

وفي رواية [انظر الدلائل للبيهقي: ١٩٠/٧، ١٩١] فجعل أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ وهو قائم، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ورسول الله ﷺ قاعداً.

قال البيهقي [الدلائل: ١٩١/٧]: ففسى هذا أن النبي ﷺ تقدم في هذه الصلاة، وعلق أبو بكر صلاته بصلاته.

قال: وكذلك رواه الأسود وعروة عن عائشة. وكذلك رواه الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس يعني بذلك.

ما رواه الإمام أحمد [٢٣١، ٢٣٠/١]: حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثني أبي عن أبي إسحاق، عن الأرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس. قال: لما مرض النبي ﷺ أمر أبو بكر أن يصلي بالناس، ثم وجد خفة فخرج، فلما أحس به أبو بكر أراد أن ينكص، فأومأ إليه النبي ﷺ فجلس إلى جنب أبي بكر عن يساره، واستفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر ﷺ.

ثم رواه أيضاً [المسند: ٣٥٦/١، ٣٥٧] عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أرقم عن ابن عباس بأطول من هذا.

وقال وكيع مرة: فكان أبو بكر يأم بالنبي ﷺ والناس يأتون بأبي بكر. ورواه ابن ماجه [١٢٣٥] عن علي بن محمد، عن وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن أرقم بن شرحبيل، عن ابن عباس بنحوه.

وقد قال الإمام أحمد [١٥٩/٦]: ثنا شعبة بن سوار، ثنا شعبة عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة قالت: صلى رسول الله ﷺ خلف أبا بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه.

وقد رواه الترمذي [٦٣٢] والنسائي [٧٨٥] من حديث شعبة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال أحمد [١٥٩/٦]: حدثنا بكر بن عيسى، سمعت شعبة بن الحجاج، عن نعيم بن أبي هند، عن أبي وائل، عن مسروق، عن عائشة: أن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله ﷺ في الصف.

وقال البيهقي [الدلائل: ١٩٢/٧]: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأنا عبد الله بن جعفر، أنبأنا يعقوب بن سفيان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا شعبة عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم عن الأسود، عن عائشة. أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبا بكر.

وهذا إسناد جيد، ولم يخرجوه.

قال البيهقي [الدلائل: ١٩٢/٧]: وكذلك رواه حميد عن أنس بن مالك،

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْكَرَ لَأَنْتُمْ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ». فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً. ورواه الترمذي والنسائي، من حديث مالك به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال البخاري: ثنا زكريا بن يحيى ثنا ابن نمير ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه فكان يصلي بهم. قال عروة: فوجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج فإذا أبو بكر يؤمُّ الناس، فلما رآه أبو بكر استأخر، فأشار إليه أن كما أنت. فجلس رسول الله ﷺ حذاء أبي بكر إلى جنبه، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه. ورواه مسلم من حديث عبد الله بن نمير به.

وفي «صحيح البخاري» من حديث ابن وهب عن يونس، عن الزهري، عن حمزة بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه، قيل له في الصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت له عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ رقيق، إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء. فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فعادته مثل مقالته، فقال: «أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس».

قال ابن شهاب: فأخبرني عبيد الله بن عبد الله عن عائشة أنها قالت: لقد عاودت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حلني علي معاودته إلا أنني خشيت أن يشامم الناس بأبي بكر، وإلا أنني علمت أنه لن يقوم مقامه أحد، إلا تشامم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر إلى غيره.

وفي صحيح مسلم [٤١٨] (٩٤) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. قال: وأخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر، عن عائشة قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: قلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه، فلو أمرت غير أبي بكر. قالت: والله! ما بي إلا كراهية أن يشامم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً. فقال: «ليصل بالناس أبو بكر فإنكن صواحب يوسف».

وفي الصحيحين [٦٧٨] م (٤٢٠) (١٠١) من حديث عبيد الملك بن عمير، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه. قال: مرض رسول الله ﷺ فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، متى يقيم مقامك لا يستطع يصلي بالناس. قال: فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف». قال: فصلى أبو بكر حياة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد [٥٢/٢] (٢٥١/٦): حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، أنبأنا زائدة عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله. قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى! ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا، هم يتظرونك يا رسول الله. فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا، قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا، هم يتظرونك يا رسول الله. قال: «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا، هم

يونس عن الحسن مرسلًا.

ثم أسند ذلك من طريق هشيم، أخبرنا يونس عن الحسن. قال هشيم: وأبناؤنا حميد عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ خرج وأبو بكر يصلي بالناس، فجلس إلى جنبه، وهو في سورة قد خالف بين طرفيها، فصلّى بصلاته.

قال البيهقي (الدلائل: ١٩٢/٧): وأخبرنا علي بن أحمد بن حيدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا عبيد بن شريك، أنبأنا ابن أبي مريم، أنبأنا محمد بن جعفر، أخبرني حميد أنه سمع أنسًا يقول: آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد، ملتحفًا به خلف أبي بكر.

قلت: وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح، ولم يخرجوه، وهذا التقيد جيد بأنها آخر صلاة صلاها مع الناس صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ذكر البيهقي (الدلائل: ١٩٢/٧، ١٩٣) من طريق سليمان ابن بلال، ويحيى بن أيوب عن حميد، عن أنس: أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر في ثوب واحد برء خالفا بين طرفيه، فلما أراد أن يقوم قال: «ادع لي أسامة بن زيد»، فجاء فأسند ظهره إلى غره فكانت آخر صلاة صلاها.

قال البيهقي (الدلائل: ١٩٢/٧، ١٩٣، ١٩٧): ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة كانت صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأنها آخر صلاة صلاها لما ثبت أنه توفي ضحى يوم الاثنين.

وهذا الذي قاله البيهقي: أخذه مسلماً من مغازي موسى بن عقبة، فإنه كذلك ذكر.

وكذا روى أبو الأسود عن عروة وذلك ضعيف بل هذه آخر صلاة صلاها مع القوم كما تقدم تقييده في الرواية الأخرى، والحديث واحد فيحمل مطلقاً على مقبده، ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأن تلك لم يصلها مع الجماعة، بل في بيته لما به من الضعف صلوات الله وسلامه عليه، والدليل على ذلك:

ما قال البخاري في صحيحه (٦٨٠): حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك، وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبه: أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجره ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، تبسم يضحك، فهمنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبه، لبصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأنشأ إلينا النبي ﷺ أن أمهوا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من يومه ﷺ.

وقد رواه مسلم (٤١٩) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) من حديث سفيان بن عيينة، وصالح بن كيسان، ومعمّر عن الزهري، عن أنس.

ثم قال البخاري (٦٨١): ثنا أبو معمر، ثنا عبد الوارث، ثنا عبد العزيز، عن أنس بن مالك. قال: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً، فاقامت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله ﷺ: «عليكم بالحجاب»، فرفعه، فلما وضع وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضع لنا. فلوما النبي ﷺ يده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى النبي ﷺ الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات. ﷺ.

ورواه مسلم (٤١٩) (١٠٠) من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه به.

فهذا أوضح دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس، وأنه كان قد انقطع عنهم، لم يخرج إليهم ثلاثاً.

قلنا: فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر، كما جاء مصرحاً به في حديث عائشة المتقدم، ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت، ولا يوم الأحد، كما حكاه البيهقي عن مغازي موسى بن عقبة، وهو ضعيف، لما قلنا من خطبته بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل.

وقال الواقدي عن أبي بكر بن أبي سبرة: أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة.

وقال غيره: عشرين صلاة. قاله أعلم.

ثم بنا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الاثنين، فودعهم بنظرة كادوا يفتنون بها، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم:

وَكُنْتُ أَرَى كَأَلَوْتُ مِنْ بَيْنِي سَاعَةً فَكَيْفَ يَبِينُ كَانَ مَوْعِدَ الْحَشْرِ

والعجب أن الحافظ البيهقي (الدلائل: ١٩٧/٧، ١٩٨) أورد هذا الحديث من هاتين الطريقتين. ثم قال ما حاصله:

فلعله عليه الصلاة والسلام احتجب عنهم في أول ركعة، ثم خرج في الركعة الثانية، فصلى خلف أبي بكر، كما قال عروة وموسى بن عقبة، وخفي ذلك على أنس بن مالك أو أنه ذكر بعض الخبر وسكت عن آخره. وهذا الذي ذكره أيضاً بعيد جداً، لأن أنسًا قال: فلم يقدر عليه حتى مات.

وفي رواية قال: فكان ذلك آخر العهد به.

وقول الصحابي مقدم على قول التابعي والله أعلم.

والمقصود أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر الصديق إماماً للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري (الإبانة: ٢٥١/٢٨ - ٢٥٧، ومقالات الإسلاميين: ٣٩/١): وتقديره له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

قال: وتقديره له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقروهم لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء (٦٧٣) (٢٩٠، ٢٩١)، د (٥٨٢ - ٥٨٤)، ت (٢٣٥)، س (٧٧٩)، ج (٩٨٠). أن رسول الله ﷺ قال: «يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سناً، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم سِلْماً».

قلت: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب.

ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا يثاني ما روي في الصحيح (٦٨٧)، م (٤١٨)، أن أبا بكر اتهم به عليه الصلاة والسلام، لأن ذلك في صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة، ورحمهم الله عز وجل.

فائدة: استدل مالك والشافعي وجماعة من العلماء ومنهم البخاري بصلاته عليه الصلاة والسلام قاعداً، وأبو بكر مقتدياً به قائماً، والناس بأبي بكر على نسخ قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه، (٣٧٨)، م (٤١١) (٤١٣) حين صلى ببعض أصحابه قاعداً. وقد وقع عن فرس فجحش شقه، فصلوا وراءه قياماً فأنشأ إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال: «كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفضل فارس والروم، يقومون على عظامهم وهم جلوس». وقال: «إنما جعل الإمام ليؤتم به،

فلذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون». قالوا: ثم إنه عليه الصلاة والسلام أهمهم قاعدًا، وهم قيام في مرض الموت، فدل على نسخ ما تقدم والله أعلم.

وقد تنوعت مسالك الناس في الجواب عن هذا الاستدلال، على وجه كثيرة موضع ذكرها كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

وملخص ذلك أن من الناس من زعم أن الصحابة جلسوا لأمره المتقدم، وإنما استمر أبو بكر قائمًا لأجل التبليغ عنه ﷺ.

ومن الناس من قال: بل كان أبو بكر هو الإمام في نفس الأمر كما صرح به بعض الرواة كما تقدم. وكان أبو بكر لشدة أدبه مع الرسول ﷺ لا يادبه لم يقتدي به، فكانه عليه الصلاة والسلام صار إمام الإمام، فلذلك لم يجلسوا لاعتنائهم بأبي بكر، وهو قائم ولم يجلس الصديق لأجل أنه إمام، ولأنه يبلغهم عن النبي ﷺ الحركات والسكنات والانتقالات، والله أعلم.

ومن الناس من قال: فرق بين أن يتنا الصلاة خلف الإمام في حال القيام، فيستمر فيها قائمًا وإن طرأ جلوس الإمام في أثنائها كما في هذه الحال، وبين أن يتدنى الصلاة خلف إمام جالس، فيجب الجلوس للحديث المتقدم والله أعلم.

ومن الناس من قال: هذا الصنيع والحديث المتقدم دليل على جواز القيام والجلوس، وأن كلا منهما سائق جائز؛ الجلوس لما تقدم، والقيام للفعل المتأخر؛ والله أعلم.

سنة ١١ - كيفية احتضاره ووفاته ﷺ

قال الإمام أحمد [٣٨١/١]: حدثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن الحارث ابن سويد، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فمستته. فقلت: يا رسول الله إنك لتوعد وعكاً شديداً. قال: «أجل! إني أوعك كما يوعك الرجلان منك، قلت: إن لك أجريين. قال: «نعم» والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطيئه كما تحط الشجرة ورقها».

وقد أخرجه البخاري [٥٦٤٧] ومسلم [٢٥٧١] من طرق متعددة، عن سليمان بن مهران الأعمش به.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن زيد بن أسلم، عن رجل، عن أبي سعيد الخدري. قال: وضعت يدي على النبي ﷺ فقلت: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حراك. فقال النبي ﷺ: «إنما معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء، كما يضاعف لنا الأجر، إن كان النبي من الأنبياء ليلتي بالقمل حتى يقتله، وإن كان الرجل ليلتي بالعري حتى يأخذ العباءة فيجربها، وإن كانوا ليرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء».

فيه رجل مبهمة لا يعرف بالكلية فالله أعلم.

وقد روى البخاري [٥٦٤٩] ومسلم [٢٥٧٠] من حديث سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج زاد مسلم: وجرير، ثلاثهم عن الأعمش عن أبي وائل، شقيق بن سلمة، عن مسروق، عن عائشة. قالت: ما رأيت

الوجه على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ. وفي صحيح البخاري [٤٤٤٦] من حديث يزيد بن المهدي عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: مات رسول الله ﷺ بين حائتي وذائتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.

وفي الحديث الآخر الذي رواه.... في صحيحه قال: قال رسول الله: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلاة شدد عليه في البلاء». [مسند أحمد: ١٧٢/١]

وقال الإمام أحمد [٢٠١/٥]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني سعيد بن عبيد بن السباق عن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه أسامة بن زيد. قال: لما نفل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصغمت فلا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصبها على وجهه أعرف أنه يدعو لي. ورواه الترمذي [٣٨١٧] عن أبي كريب، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق وقال: حسن غريب.

وقال الإمام مالك في موطأه [٨٩٢/٢] عن إسماعيل بن أبي حكيم: أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يقين دينان بأرض العرب».

هكذا رواه مسنداً عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله. وقد روى البخاري [٤٣٥] ومسلم [٥٣١] من حديث الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة وابن عباس. قالوا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه. فقال: وهو كذلك: «لعمرة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٠٤/٧]: أنبأنا أبو بكر بن أبي رجاء الأديب، أنبأنا أبو العباس الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «أحسنوا الظن بالله».

وفي بعض الأحاديث كما رواه مسلم [٢٨٧٧] (٨١) من حديث الأعمش عن أبي سفيان طلحة ابن نافع، عن جابر. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى».

وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً» [لم يروه مسلم بهذا اللفظ، وانظر الإحسان (٦٤١)].

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٠٤/٧، ٢٠٥]: أنبأنا الحاكم، حدثنا الأصم، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، ثنا جرير عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس. قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» حتى جعل يفرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه.

وقال الإمام أحمد [١١٧/٣]: حدثنا أسباط بن محمد، ثنا التيمي عن قتادة، عن أنس بن مالك. قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل رسول الله ﷺ يفرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه.

وقد رواه النسائي [٧٠٩٥] وابن ماجه [٢٦٩٧] من حديث سليمان بن طرخان، وهو التيمي عن قتادة، عن أنس به.

بن سعيد بن أبي حسين، أثبتنا ابن أبي مليكة: أن أباه عمرو ذكوان مولى عائشة أخيره أن عائشة كانت تقول: إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في يومي وفي بيتي، وبين سحري وغري، وأن الله جمع بين ربي وربيقة عند الموت.

قالت: دخل علي أخي بسواك معه، وأنا مستندة رسول الله ﷺ إلى صديري، فرايته ينظر إليه. وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه. فقلت: آخذ لك؟ فأشار برأسه أي نعم! فليت له فأمره على فيه. قالت: وبين يديه ركوة أو علة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ثم يقول: «لا إله إلا الله إن للموت لسكرات»، ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، حتى قبض ومالت يده في الماء.

ورواه البخاري [٤٤٤٩] عن محمد بن عيسى بن يونس.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند (١٤٥٦)]: ثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم، سمعت عروة يحدث عن عائشة قالت: كنا نتحدث أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخبر بين الدنيا والآخرة. قالت: فلما كان مرض رسول الله ﷺ الذي مات فيه، عرضت له بئحة، فسمته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً». قالت عائشة: فظننا أنه كان يخبر.

وأخرجه [خ (٤٤٣٥)، م (٢٤٤٤) (٨٦)] من حديث شعبة به.

وقال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من أهل العلم، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخبر». قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت. وقال: «اللهم الرفيق الأعلى». ففكرت أنه الحديث الذي كان حدثناه وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخبر».

قالت عائشة: فقلت: إذا لا تختارنا، قالت عائشة: كانت تلك الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ: «الرفيق الأعلى».

أخرجه [خ (٤٤٦٣)، م (٢٤٤٤) (٨٧)] من غير وجه عن الزهري به.

وقال سفيان: - هو الثوري - عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي بردة، عن عائشة قالت: أغشى علي رسول الله ﷺ وهو في حجرتي، فجعلت أمسح وجهه وأدعو له بالشفا. فقال: «لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل».

رواه النسائي [كبرى (٧١٠٤) و(٩٠٩٣)] من حديث سفيان الثوري به.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٠٩/٧]: أثبتنا أبو عبد الله الحافظ وغيره قالوا: ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا أس بن عياض عن هشام بن عروة، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن عائشة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحطني بالرفيق الأعلى».

أخرجه [خ (٤٤٤٠)، م (٢٤٤٤) (٨٥)] من حديث هشام بن عروة. وقال الإمام أحمد [٢٧٤/٦]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحري وغري، وفي دولتي، ولم

وفي رواية للنسائي [كبرى (٧٠٩٦)] عن قتادة، عن صاحب له، عن أنس به.

وقال أحمد [٩٠/١]: حدثنا بكر بن عيسى الراسبي، ثنا عمر بن الفضل، عن نعيم بن يزيد، عن علي بن أبي طالب. قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتبه بطبق يكتب فيه ما لا تقل أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه. قال: قلت: إني أحفظ وأعي. قال: «أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت إيمانكم».

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، ثنا أبو عروبة عن قتادة، عن سفيان، عن أم سلمة قالت: كان عامة وصية رسول الله ﷺ عند موته الصلاة وما ملكت إيمانكم، حتى جعل يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه.

وهكذا رواه النسائي [كبرى (٧٠٩٨)] عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، أن سفيان حدث، عن أم سلمة به.

قال البيهقي [الدلائل: ٢٠٥/٧]: والصحيح ما رواه عفان عن همام، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن سفيان، عن أم سلمة به.

وهكذا رواه النسائي [كبرى (٧١٠٠)] أيضاً وابن ماجه [١٦٢٥] من حديث يزيد بن هارون، عن همام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفيان، عن أم سلمة به. وقال أحمد [٦٤/٦]: حدثنا يونس، ثنا الليث عن يزيد بن الحاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم، عن عائشة قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فدخل يده في القدح ثم مسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت».

ورواه الترمذي [٩٧٨] والنسائي [كبرى (٧١٠١)] وابن ماجه [١٦٢٣] من حديث الليث به، وقال الترمذي: غريب.

وقال الإمام أحمد [١٣٨/٦]: حدثنا وكيع، عن إسماعيل، عن مصعب بن إسحاق ابن طلحة، عن عائشة عن النبي ﷺ إنه قال: «ليهن علي إني رأيت يياض كف عائشة في الجنة».

تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به.

وهذا دليل على شدة محبة عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها. وقد ذكر الناس معاني كثيرة في كثرة المحبة، ولم يبلغ أحدهم هذا المبلغ، وما ذاك إلا لأنهم يبالغون كلاماً لا حقيقة له، وهذا كلام حق لا عمالة ولا شك فيه.

وقال حماد بن زيد عن أيوب، عن ابن أبي مليكة. قال: قالت عائشة: توفي رسول الله ﷺ في بيبي ويومي وتوفي بين سحري وغري وكان جبريل يعرّفه بدعاه إذا مرض، فذهبت أدعو به، فرفع بصره إلى السماء وقال: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى».

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ويده جريدة رطبة، فنظر إليها، فظننت أن له بها حاجة قالت: فأخلفتها فنفضتها فلفعتها إليه فاستن بها أحسن ما كان مستنّاً، ثم ذهب يتناولها فسقطت من يده. قالت: فجمع الله بين ربي وربيقة في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة [الدلائل للبيهقي: ٢٠٦/٧].

ورواه البخاري [٤٤٥١] عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به. وقال البيهقي [الدلائل: ٢٠٦/٧، ٢٠٧]: أثبتنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه بخاري، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادى، ثنا داود بن عمرو بن زهير الضبي، ثنا عيسى بن يونس عن عمر

عائشة، فكتت أمرضه، ولم أمرض أحدا قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبى إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة، فوقعت على ثفرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه غشي عليه، فسجته ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا فأذنت لهما، وجنبت إلي الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ، ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ، قال: كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب، فنظر إليه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته، ثم قال: واتياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: واصفياه ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ.

وخرج إلى المسجد وعمر يخطف الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. فتكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) حتى فرغ من الآية، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قِيلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ (آل عمران: ١٤٤) حتى فرغ من الآية.

ثم قال: فمن كان يعبد الله - عز وجل - فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، فقال عمر: وإنا لفي في كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله. ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر، وهو ذو شيبة المسلمين فليعمره فليعمره.

وقد روى أبو داود [٢١٣٧] والترمذي في الشمائل [٣٧٤] من حديث مرحوم بن عبد العزيز الططار، عن أبي عمران الجوني به، ببعضه. وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢١٥/٧]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ،

أنبأنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنع حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فيسم رسول الله ﷺ وهو مسجى يبرد حيرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى، ثم قال: بلبي أنت وأمي يا رسول الله، والله لا يجمع الله عليك مرتين أبداً، أما المرات التي كتبت عليك فقد متها.

قال الزهري: وحديثي أبو سلمة عن ابن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس. فقال اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه. فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قِيلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية (آل عمران: ١٤٤). قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقيها منه الناس كلهم، فما سمع بشر من الناس إلا يتلوها [الدلائل للبيهقي: ٢١٥/٧، ٢١٦].

قال الزهري: وأخبرني سعيد بن السيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق، ففُتِرَتْ حتى ما يُقَالُ رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات.

أظلم فيه أحداً، فمن سفيهي وحلانة سني أن رسول الله ﷺ قبض وهو في حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتئم مع النساء، وأضرب وجهي.

وقال الإمام أحمد [٤/٦]: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، ثنا كثير بن زيد عن المطلب ابن عبد الله. قال: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي إلا قبض نفسه، ثم يرى الثواب، ثم ترد إليه فيخير بين أن ترد إليه وبين أن يلحق»، فكانت قد حفظت ذلك منه، فإني لمسندته إلى صدرى فنظرت إليه حين مالت عنقه، فقلبت: قد قضى، فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حين ارتفع فنظر. قالت قلت: إذا والله لا يختارنا فقال: «مع الرفيق الأعلى في الجنة» (مَعَ الَّذِينَ اتَّخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

تفرد به أحمد ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد [١٢١/٦، ١٢٢]: حدثنا عفان، أنبأنا همام، أنبأنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. قالت: قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحري وغري، قالت: فلما خرجت نفسه، لم أجد ريحا قط أطيبت منها.

وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة.

ورواه البيهقي [الدلائل: ٢١٣/٧] من حديث حنبل بن إسحاق عن عفان.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢١٩/٧]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس الأصم، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، عن أبي عروة عن أم سلمة قالت: وضعت يدي على صدر رسول الله ﷺ يوم مات، فمرت بي جُمُعُ أَكَلٍ، وأترضا وما يذهب ريح المسك من يدي.

وقال أحمد [١٣١/٦]: حدثنا عفان وبهز قال: ثنا سليمان بن المغيرة، ثنا حميد بن هلال، عن أبي بردة. قال: دخلت على عائشة فأنجرت إلينا إزاراً غليظاً مما صنع باليمن، وكساء من التي يدعون الملبدة فقالت: إن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين.

وقد رواه الجماعة [ج (٣١٠٨)، م (٢٠٨٠)، (٣٤)، (٣٥)، د (٤٠٣٦)، ت (١٧٣٣)، ج (٣٥٥١)] إلا النسائي من طرق عن حميد بن هلال به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٢١٩/٦، ٢٢٠]: حدثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة، أنبأنا أبو عمران الجوني، عن يزيد بن يابنوس. قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة، وجلبت إليها الحجاب. فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العراك؟ قالت: وما العراك؟ فضربت منكب صاحبي. قالت: مه أنيت أخاك. ثم قالت: ما العراك الحيف؟ قولوا ما قال الله عز وجل ﴿الْمُحَيِّضُ﴾. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوشحي وينال من رأسي، ويبي وبني وبني ثوب، وأنا حائض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مر بياني مما يلقي الكلمة يتعني الله بها فمر ذات يوم، فلم يقل شيئاً، ثم مر فلم يقل شيئاً مرتين أو ثلاثا فقلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب وعصبت رأسي فمر بي. فقال: فيها عائشة ما شاك؟ فقلت: اشتكى رأسي. فقال: «أنا وأرأساه»، فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولا في كساء، فدخل عليّ وبعث إلى النساء فقال: «إني قد اشتكت»، وإني لا أستطيع أنا وأدور بيتكن، فاستأذني في فلاكن عند

بعضهم: مات! وقال بعضهم: لم يمِت، وضعت أسماء بنت عيسى يدها بين كفتي رسول الله ﷺ فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الحاتم من بين كفتيه، فكان هذا الذي قد عرف به موته.

هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة (٢١٩/٧) من طريق الواقدي، وهو ضعيف وشيخه لم يسموا، ثم هو مقطوع بكل حال، ومخالف لما صح وفيه غرابة شديدة، وهو رفع الحاتم. فإلله أعلم بالصواب. وقلة ذكر الواقدي وغيره في الرواة أخبارا كثيرة فيها تكاررات وغرابة شديدة، أضربنا عن أكثرها صفحا لضعف أسانيدنا، وتكرار متونها، ولا سيما ما يورده كثير من القصص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب، وما لا يعرف سننه والله أعلم.

سنة ١١ - ذكر أمور مهمة وقعت بعد

وفاته ﷺ وقبل دفته ﷺ

ومن أعظمها وأجلها وأهمها بركة على الإسلام وأهله يعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضي الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع، وكشف ستر الحجر، ونظرا إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي بكر، فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه، حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام.

فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة، دخل عليه وقال لعائشة: ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد أفلح عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة - يعني إحدى زوجتيه - وكانت ساكنة بالسبخ شرقى المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم، وقيل: عند زوال الشمس؛ فإله أعلم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم فمن قائل يقول: مات رسول الله ﷺ، ومن قائل: لم يمِت، فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى السبخ، فأعلمه بموت رسول الله ﷺ فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ منزله، وكشف الغطاء عن وجهه وقبله، وتحقق أنه قد مات خرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المشير، وبين لهم وفاة رسول الله ﷺ كما قدمنا، وأزاح الجدل وأزال الإشكال، ورجع الناس كلهم إليه، وباعيه في المسجد جماعة من الصحابة، ووقعت شبهة لبعض الأنصار، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار، وتوسط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين، وأمير من الأنصار، حتى بين لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبينه وننبه عليه.

سنة ١١ - قصة سقيفة بني ساعدة

قال الإمام أحمد (٥٥/١، ٥٦): حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، ثنا

ورواه البخاري (٤٥٢ - ٤٥٤) عن يحيى بن بكير به.

وروى الحافظ البيهقي [دلائل النبوة: ٢١٧/٧ - ٢١٩] من طريق ابن لبيعة، ثنا أبو الأسود عن عروة بن الزبير في ذكر وفاة رسول الله ﷺ قال: وقام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتواعد من قال: مات بالقتل والقطع ويقول: إن رسول الله ﷺ في غشيته لو قد قام قتل وقطع. وعمر بن قيس بن زائدة بن الأصم بن أم مكتوم في مؤخر المسجد يقرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية. والناس في المسجد ييكونون وموجودون لا يسمعون، فخرج عباس بن عبد المطلب على الناس. فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد من رسول الله ﷺ في وفاته، فليحلتنا. قالوا: لا! قال: هل عندك يا عمر من علم؟ قال: لا! فقال العباس: اشهدوا أيها الناس أن أحدا لا يشهد على رسول الله ﷺ بعهد عده إليه في وفاته، والله الذي لا إله إلا هو، لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت.

قال: وأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السبخ على دابته حتى نزل بيباب المسجد، وأقبل مكروبا حزينا، فاستأذن في بيت ابنته عائشة، فأذنت له، فدخل ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش والنسوة حوله فخمرون وجوههم، واستترن من أبي بكر، إلا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ فحنى عليه يقبله ويكي ويقول: ليس ما يقول ابن الخطاب شيئا، توفي رسول الله ﷺ والذي نفس بيده رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيا وميتا. ثم غشا بالثوب، ثم خرج سريعا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس، حتى أتى المنبر وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا إليه، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر، ونادى الناس فجلسوا، وانصهروا فتشهد أبو بكر بما علمه من التشهد. وقال: إن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه، وهو حي بين أظهركم، ونعاكم إلى أنفسكم وهو الموت حتى لا يبقى أحد، إلا الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية. فقال عمر: هذه الآية في القرآن؟! والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم، وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَنَ وَتَنَسَّى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْمَجَالِلِ الْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] وقال تعالى: ﴿كُلٌّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْعُمُوتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [ال عمران: ١٨٥] ثم قال: إن الله تعالى عمرَ محمدا ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلغ رسالة الله، وجاهد في سبيل الله، ثم توفاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة قلن يهلك هالك إلا ما بعد البينة والشفاء، فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدا ﷺ ويتر له لما فقد هلك إلهه. فأتوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره، ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء وبه هدى الله محمدا ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيف الله لسلولة ما وضعناها بعد، ولتجاهلن من خالفنا كما جاهلنا مع رسول الله ﷺ، فلا يتيقن أحد إلا على نفسه.

ثم انصرف وانصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ. فذكر الحديث في غسله وتكفيله والصلاة عليه ودفعه.

قلت: كما سنذكره مفصلا بدلائله وشواهد، إن شاء الله تعالى.

وذكر الواقدي عن شيخه. قالوا: ولما شك في موت النبي ﷺ فقال

ما له؟ قالوا: وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فأتى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دقت دافة منكم يريدون أن يفتزلونا من أصلنا، ويخفّضونا من الأمر.

فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، وهو كان أحكم مني وأوفر، فقال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضيه، وكان أعلم مني وأوفر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديته وأفضل حين سكت. فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير، فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا أخي من قريش، هم أوسط العرب نبأً وداراً، وقد رضيت لكم أحد مئين الرجلين أيهما شتم، وأخذ يدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره ما قال غيرها، كأن والله أن أقدّم فتضرب عني لا يقريني ذلك إلى إثم أحب إلي أن أتمر على قوم فهم أبو بكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت، فقال قاتل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكك، وعُذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش - فقلت: مالك: ما يعني أنا جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجب؟ قال: كأنه يقول: أنا داهيتها -.

قال: فكر اللفظ وارتفعت الأصوات حتى خشنا الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد فقال قاتل منهم: قتلتم سعداً، فقلت: قتل الله سعداً. قال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أرفق من مبايعة أبي بكر، خشنا إن فارقتا القوم ولم تكن بيعة أن يمدشوا بعدنا بيعة، فإما نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تفرقة أن يقتلوا.

قال مالك: فأخبرني ابن شهاب عن عروة: أن الرجلين اللذين لقياهما: عويم بن ساعدة ومعن بن علي.

قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب: أن الذي قال: أنا جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجب هو الحباب ابن المنذر.

وقد أخرج هذا الحديث الجماعة [٢: ٢٤٦٢]، م (١٦٩١) (١٥)، د (٤٤١٨)، ت (١٤٣٢)، س كوى (٧١٥٦ - ٧١٦٠)، ج (٢٥٥٣) مطراً ومختصراً في كتبهم من طرق عن مالك وغيره، عن الزهري به.

وقال الإمام أحمد [٢١/١]: حدثنا معاوية بن عمرو، ثنا زائدة، ثنا عاصم [٢١/١]، (ج) وحديثي حسين بن علي عن زائدة، عن عاصم [٣٩٦/١]، عن زر عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألسن تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فايكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

ورواه النسائي [٧٧٦] عن إسحاق بن راهويه، وهناد بن السري عن حسين بن علي الجمعي، عن زائدة به.

ورواه علي بن الملقني عن حسين بن علي، وقال: صحيح لا أحفظه إلا من حديث زائدة عن عاصم.

وقد رواه النسائي [كوى (٨١٠٩، ١١٢١٩)] أيضاً من حديث سلمة بن نبيب، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيب بن شريط، عن سالم بن عبيد عن

مالك بن أنس، حدثني ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود: أن ابن عباس أخبره، أن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى رحله - قال ابن عباس: وكنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، فوجدني وأنا انتظره - وذلك بمتي في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب، فقال عبد الرحمن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلاناً يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فقال عمر: إني قائم العشي، إن شاء الله في الناس فمحنهم هؤلاء رهط الذين يريدون أن ينصبوهم أمرهم.

قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاة الناس وغرغاهم، وأنهم الذين يملكون على مجلسك إذا قمت في الناس، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك، فلا يموها ولا يضعوها مواضعها، ولكن حتى مقدم المدينة، فلها دار الهجرة والسنة، وتخلص بئلاء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكناً، فيؤمن مقاتلك ويضعونها مواضعها، قال عمر: لئن قدمت المدينة سالماً صالحاً لأكلن بها الناس في أول مقام أقومه.

فلما قدمت المدينة في عقب ذي الحجة، وكان يوم الجمعة، عجلت الرواح صكة الأعمى - قلت للمالك: وما صكة الأعمى؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج لا يعرف الحر والبرد. أو نحو هذا. فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقي، فجلست حذاءه تحك ركبتي وركبته، فلم أنشب أن طلع عمر، فلما رأته قلت: ليقولن العشي على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله. قال: فأفكر سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد؟.

فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإني قاتل مقالة وقد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن وعاهها وعقلها فليحدث بها حيث انتهت به راحته، ومن لم يعها فلا أحل له أن يكذب علي، إن الله بعث نفعاً بالحق، وإنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل علي آية الرجم، فقرأتها ما ووعيتها وعقلتها، ورجم رسول الله ﷺ ورجعنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قاتل: لا نغد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عز وجل، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف، ألا وإننا قد كنا نقرا: لا نرضوا عن آبائكم، فإن كفرأ بكم أن نرضوا عن آبائكم، ألا وإن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطروني عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»، وقد بلغني أن قاتلاً منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يفتن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، قمت. ألا وإنها كانت كذلك، ألا إن الله وقى شرها، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعتاق مثل أبي بكر، والله كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علينا والوزير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلّفت عنا الأنصار باجمعيها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً، فنكروا لنا الذي صنع القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالوا: لا عليكم أن لا تقرّبوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لأنتيهم.

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عباد، فقلت:

عمر مثله.

وقد روي عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر رت في «الشمال» (٣٧٩) والكبير للطبري (٦٣٦٧).

وجاء من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر. أنه قال: قلت: يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، أبو بكر السباق الميّن، ثم أخذت بيده ويذرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتبايع الناس.

وقد روى محمد بن سعد [الطبقات الكبرى: ١٨٢/٣] عن عمار بن الفضل، عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد؛ فذكر نحواً من هذه القصة، وسمى هذا الرجل الذي بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب. فقال: هو بشير بن سعد، والد النعمان بن بشير.

سنة ١١ - اعتراف سعد بن عباد بصحة ما قاله

الصديق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد (٥/١): حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأودي، عن حيد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في طائفة من المدينة. قال: فجاء فكشف عن وجهه قبله. وقال: فدئ أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث.

قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاربان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره. وقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار». ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال - وأنت قاعد -: «قرئش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأئمة الأمراء.

وقال الإمام أحمد (٨/١) حدثنا علي بن عيسى، ثنا الوليد بن مسلم، أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي غصن العباسي، عن عبد الملك بن عمير اللخمي، عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل. قال: رسالته عما قيل في بيعتهم. فقال وهو يحدث عما تقول به الأنصار وما كلمهم به. وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به، من امامي ليأمر بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتحرفت أن تكون فتنة بعدما ردة.

وهذا إسناد جيد قوي.

ومعنى هذا أنه رضي الله عنه إما قبل الإمامة تخوفاً أن تقع فتنة، أرى من تركه قبلها رضي الله عنه وأرضاه.

قلت: كان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء، اجتمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً.

قال البخاري (٢٢١٩): أنبأ إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن معمر، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين

جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يتبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمداً قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، هدى الله محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثنائي اثنين، وإنه أولى الناس بأمرهم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر.

قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر! فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ١٦٠/٢، ١٦١]: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك. قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أيها الناس إنني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت بما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدر أمرنا - يقول: يكون آخرنا - وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هناكم الله لا كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أركانكم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثنائي اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فاعفوني، وإن أسأت فقوموني. الصديق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقاً إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ منه الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالبلد، ولا تنزع الفاحشة في قوم قط إلا عصمهم الله بالبلد، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

وهذا إسناد صحيح.

فقوله رضي الله عنه - «وليتكم ولست بخيركم» - عن باب المضم والتراض، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنهم. وقال الحافظ أبو بكر البهيقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الإسفرائيني، حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وابن إبراهيم بن أبي طالب. قالوا: حدثنا بندار، ابن بشار، وحدثنا أبو هشام المخزومي، حدثنا وهيب، حدثنا داود بن أبي هند، حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عباد، وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتململون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم! أما لو قلتم على غير هذا لم تنابكم، وأخذ بيد أبي بكر. وقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار.

قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تترب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه.

حي.

إسناد جيد والله الحمد والمئة.

سنة ١١- تقديم أبي بكر على غيره

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة - المهاجرين منهم والأنصار - على تقديم أبي بكر، وظهر برهانه قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الله والمؤمنون إلا أبا بكر» [مسند أحمد: ١٠٦/٦]. وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عيناً لأحد من الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعليّ كما يقوله طائفة من الرافضة. ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق كما قدمنا وكما سنذكره. والله الحمد.

كما ثبت في الصحيحين (ج ٧٢١٨)، م (١٨٢٣) (١١) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني. يعني - أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني - رسول الله ﷺ - قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف.

وقال سفيان الثوري عن الأسود بن قيس عن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر عليّ على الناس قال: يا أيها الناس يوم الجمعة، قال: إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فاقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فاقام واستقام حتى مضى لسبيله - أو قال: حتى ضرب الدين بجراته - إلى آخره.

وقال الإمام أحمد (١٤٧/١): ثنا أبو نعيم، ثنا شريك عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان. قال: خطب رجل يوم البصرة حين ظهر عليّ فقال عليّ: هذا الخطيب الشحشحي! - سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر وثلاث عمر، ثم خبطنا ثنتي بدمع يصنع الله فيها ما يشاء.

وقال الحافظ البيهقي (الذلل: ٢٢٣/٧): أثبات أبو عبد الله الحافظ، أثبات أبو بكر محمد ابن أحمد المزكي جرو، ثنا عبد الله بن روح المدائني، ثنا شبابة بن سوار، ثنا شعيب بن ميمون عن حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي عن أبي وائل. قال: قيل لعليّ بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم. إسناد جيد ولم يخرجه.

وقد قدمنا ما ذكره البخاري (٤٤٧) من حديث الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن ابن عباس: أن عباساً وعلياً لما خرجا من عند رسول الله ﷺ، فقال رجل: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال عليّ: أصبح محمد الله بارئاً. فقال العباس: إنك والله بعد ثلاث عبد العباس، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت، رأيته لأرى في وجه رسول الله - ﷺ - الموت فاذهب بنا إليه فساله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا. فقال عليّ: إني لا أسأله ذلك، والله إن متعنا لا يعطيناها الناس بعد أبداً.

وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهري به فذكره. وقال في آخره: فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم (سورة ابن هشام).

ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعليّ بن أبي طالب فجاء. فقال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه عليّ ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين؟! قال: لا ترتيب يا خليفة رسول الله. فبأيهم. هذا أو معناه.

وقال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جازني مسلم بن الحجاج نسائي عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه وقال: هذا حديث يسوّى بدنة بل يسوي بدلة!

وقد رواه البيهقي (السنن الكبرى: ١٤٣/٨) عن الحاكم، وأبي محمد بن أبي حامد المقرئ، كلاهما عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم، عن جعفر بن محمد بن شاذان، عن عفان بن مسلم، عن وهيب به.

ولكن ذكر أن الصديق هو القاتل لخطيب الأنصار بدل عمر. وفيه: أن زيد بن ثابت أخذ بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فاتوا به فذكر نحو ما تقدم، ثم ذكر قصة الزبير بعد عليّ فآله أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد وابن صاكر في تاريخ دمشق (٢٧٨/٣٠) من طريق الإمام أحمد عن عفان، به عن الثقة، عن وهيب مختصراً.

وقد رواه علي بن عاصم عن الجريدي، عن أبي نصره، عن أبي سعيد الخدري، فذكر نحو ما تقدم.

وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نصره المنذر بن مالك بن قطعة، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري.

وفيه فائدة جلية، وهي مبايعة عليّ بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق، فإن عليّ بن أبي طالب لم يشارك الصديق في وقت من الأوقات، ولم يقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبينه قريباً، ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ، ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضي الله عنه أنه قال: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» [ج ٢٠٩٣]، م (١٧٥٩) فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح، كما سنبين ذلك في موضعه، فسألته أن ينظر عليّ في صدقة الأرض التي يجير وفنك، فلم يجيبها إلى ذلك. لأنه رأى أن حقا عليه أن يقوم في جمع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ. وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي الله عنه، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتب وتغضب، ولم تكلم الصديق حتى ماتت، واحتاج عليّ أن يراعي خاطرهما بعض الشيء. فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها عليّ رأى عليّ أن يجد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه كما سنذكره من الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى، مع ما تقدم له من البيعة، قبل دفن رسول الله ﷺ.

وزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم، حدثني أبي أن أبا عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير. ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس، وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها في سر ولا علانية. فقبل المهاجرون مقالته. وقال عليّ والزبير: ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة، ولأننا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإننا نعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو

٢/٦٥٤.

قلت: فهذا يكون في يوم الاثنين يوم الروفة، فدل على أنه عليه الصلاة والسلام توفي عن غير وصية في الإمامة.

وفي الصحيحين [ج (١١٤)، م (١٦٣٧) (٢٢)] عن ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك الكتاب. وقد قلنا أنه عليه الصلاة والسلام كان طلب أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده، فلما كثرت اللغظ والاختلاف عنده قال: «قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه» وقد قلنا أنه قال بعد ذلك: «يا أي الله والمؤمنون إلا أبو بكر».

وفي الصحيحين [ج (٢٧٤١)، م (١٦٣٦)] من حديث عبد الله بن عوف عن إبراهيم النخعي، عن الأسود: قال: قيل لعائشة: إنهم يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى عليّ. فقالت: بما أوصى إلى عليّ؟ لقد دعا بطست ليول فيها وأنا مستندة إلى صدره، فاخنت فمات وما شعرت، فيم يقول هؤلاء: إنه أوصى إلى عليّ!!

وفي الصحيحين [ج (٢٧٤٠)، م (١٦٣٤) (١٦) (١٧)] من حديث مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: لا قلت: فلم أمرنا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل. قال طلحة بن مصرف، وقال هزبل بن شرحبيل: أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله ﷺ، وذو أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله ﷺ فخرم أمته بخزامة.

وفي الصحيحين [ج (١٨٧٠)، م (١٣٧٠) (١٦٧)] أيضاً من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه. قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال: من زعم أن عهدنا شيئاً نقرأه ليس كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات - فقد كذب.

وفيهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين غيري إلى ثور من أحدث فيها حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو اتهمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما [د (٢٠٣٤)، ت (٢١٢٧)] عن عليّ رضي الله عنه، يرد على فرقة الرافضة في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطرح لله ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه، فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا وكما، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضاداتهم في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المذموم.

ثم لو كان مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه نص، فلم لا كان يحتاج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر ولم يفعلها فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن

الإمارة، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل. ثم وقد عرفه وعلمه من بعده، فهذا حال افتراء وجهل وضلال. وإنما يحسن هنا في أذهان الجبهة الطغام والمغترين من الأنام، يزينة لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد التحكم والهيبة والإنكاف والبهتان، عياداً بالله عما هم فيه من التخليط والخدلان، والتخييط والكفران، ومسللاً بالله بالتمسك بالسنة والقرآن، والوفاء على الإسلام والإيمان، والوفاء على الثبات والإيقان، وتثقيل الميزان، والنجاة من النيران، والفوز بالجنة، إنه كريم منان رحيم رحمن.

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن عليّ الذي قلناه رد على مقولة كثير من الطريقة، والقصائص الجبهة في دعوهم أن النبي ﷺ أوصى إلى عليّ بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة: يا عليّ افعل كذا، يا عليّ لا تفعل كذا، يا عليّ من فعل كذا كان كذا وكذا. بالفاظ ركيكة ومعاني أكثرها سخيفة، وكثير منها ضعيفة لا تساوي تسويد الصحيفة، والله أعلم.

وقد أورد الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٢٩/٧] من طريق حماد بن عمرو النصي - وهو أحد الكذابين الرضاعين - عن السري بن خلاد عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ قال: «يا عليّ أوصيك بوصية فاحفظها: فإنك لا تزال بخير ما حفظتها، يا عليّ إن للمؤمن ثلاث علامات الصلاة والصيام والزكاة».

قال البيهقي فذكر حديثاً طويلاً في الرغائب والآداب، وهو حديث موضوع وقد شرطت في أول الكتاب أن لا أخرج فيه حديثاً أعلمه موضوعاً.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٢٢٩/٧] من طريق حماد بن عمرو هذا عن زيد بن رفيع، عن مكحول الشامي، قال: هذا ما قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب حين رجع من غزوة حنين وأنزلت عليه سورة النصر. قال البيهقي: فذكر حديثاً طويلاً في الفتنة، وهو أيضاً حديث منكر ليس له أصل، وفي الأحاديث الصحيحة كذابة وبالله التوفيق.

ولنذكر هنا ترجمة حماد بن عمر أبي إسماعيل النصي: روى عن الأعمش وغيره، وعنه إبراهيم بن موسى ومحمد بن مهران وموسى بن أيوب وغيرهم.

قال يحيى بن معين: هو ممن يكذب ويضع الحديث. وقال عمرو بن علي الفلاس وأبو حاتم: منكر الحديث ضعيف جداً. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: كان يكذب.

وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال ابن حبان: يضع الحديث وضعاً. وقال ابن عدي: عامة حديثه مما لا يتابعه أحد من الثقات عليه. وقال الدارقطني: ضعيف.

وقال الحاكم أبو عبد الله: يروي عن الثقات أحاديث موضوعة، وهو ساقط برة.

فأما الحديث الذي قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٣١/٧، ٢٣٢]: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا حمزة بن العباس العقبي ببغداد، ثنا عبد الله بن روح الملائني، ثنا سلام بن سليمان الملائني، ثنا سلام بن سليم الطويل، عن عبد الملك بن عبد الرحمن، عن الحسن الغرثي، عن الأشعث بن طلق، عن مرة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود. قال: لما ثقل رسول الله ﷺ اجتمعنا في بيت عائشة، فنظر إلينا رسول الله ﷺ فدمعت عيناه، ثم قال لنا: قد دنا الفراق ونسى إلينا نفسه، ثم قال:

الاثنين.

رواه الإمام أحمد [٢٧٧/١] والبيهقي [الدلائل: ٢٣٣/٧].

وقال سفيان الثوري عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي أبو بكر: أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: يوم الاثنين. فقال: إني لأرجو أن أموت فيه. فمات فيه.

رواه البيهقي [الدلائل: ٢٣٣/٧] من حديث الثوري به.

وقال الإمام أحمد [١١٠/٤]: حدثنا أسود بن عامر، ثنا هريم، حدثني ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. قالت: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء.

تفرد به أحمد.

وقال عروة بن الزبير في مغازيه، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه، أرسلت عائشة إلى أبي بكر، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسلت فاطمة إلى علي، فلم يجتمعوا حتى توفي رسول الله ﷺ، وهو في صدر عائشة وفي يومها؛ يوم الاثنين حين زاغت الشمس لخلال ربيع الأول.

وقد قال أبو يعلى [سنده ٣٥٤٨]: حدثنا أبو خيثمة، ثنا ابن عينة، عن الزهري، عن أنس. قال: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين كشف الستارة، والناس خلف أبي بكر، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، فأراد الناس أن ينحرفوا، فأشار إليهم أن امكثوا وألقى السجف، وتوفي من آخر ذلك اليوم.

وهذا الحديث في الصحيح [ج (٨٦٠)، م (٤١٩)]، وهو يدل على أن الوفاة وقعت بعد الزوال والله أعلم.

وروي يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكارة، عن محمد بن شبيب، وعن صفوان، عن عمر بن عبد الواحد، جميعاً عن الأوزاعي، أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين قبل أن يتصف النهار.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٣٤/٧]: أثبت أبو عبد الله الحافظ، أثبتنا أحمد بن كامل، ثنا الحسن بن علي البزار، ثنا محمد بن عبد الأعلى، ثنا المنصور بن سليمان، عن أبيه وهو سليمان بن طرخان التيمي في كتاب المغازي. قال: إن رسول الله ﷺ مرض لاثنتين وعشرين ليلة من صفر، وبعده وجعه عند وليلة له يقال لها ربيعة، كانت من سبي اليهود، وكان أول يوم مرض فيه يوم السبت، وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين لليتين خلتما من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مقدمه عليه الصلاة والسلام المدينة.

وقال الواقدي: حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس. قال: اشتكى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة في بيت زينب بنت جحش، شكوى شديدة، فاجتمع عنده نساؤه كلهن فاشتكى ثلاثة عشر يوماً، وتوفي يوم الاثنين لليتين خلتما من ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

وقال الواقدي: وقالوا: بدئ رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لليتين بقيتا من صفر، وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

وهكذا جزم به محمد بن سعد كاتبه، وزاد: ودفن يوم الثلاثاء.

قال الواقدي: وحدثني سعيد بن عبد الله بن أبي الأبيض عن المقبري، عن عبد الله بن رافع، عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ بدئ في بيت ميمونة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أحمد بن يونس، ثنا أبو معشر عن

«مرحبا بكم حياكم الله، هذاكم الله، نصركم الله، فنعكم الله، وفقكم الله، سددكم الله، وقاكم الله، اعانكم الله، قبلكم الله، اوصيكم بتقوى الله، واوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعولوا على الله في عباده وبلاده. فإن الله قال لي ولكم ﴿بَلِّغُوا الذِّكْرَ الْآخِرَةَ نَجْعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» [القصص: ٨٣]. وقال: «إِلَيْسَ فِي جَنَّتِهِمْ مَشْرُؤُ الْمُتَكَبِّرِينَ» [الحجرات: ٢٨].

قلنا: فمتى أجلك يا رسول الله؟ قال: «قد نذا الأجل، والمقلب إلى الله والسلة المنتهى، والكاس الأوفى، والفرش الأعلى». قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال: «رجال أهل بيتي الأئني فالأئني، مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم». قلنا: فقيم تكفئك يا رسول الله؟ قال: «في ثيابي منه إن شتم، أو في عينية أو في بياض مصر». قلنا: فمن يصلي عليك يا رسول الله؟ فبكي وبكيا. وقال: «مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نيكم خيراً، إذا غسلتموني وحطتموني وكفتموني فضعوني على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي خليلي وجلسي جبريل وميكائيل، ثم إسرايل، ثم ملك الموت مع جنود من الملائكة عليهم السلام، وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ثم نسألهم، ثم ادخلوا علي أرواحاً وفراي، ولا تؤذوني بياكية ولا برنة ولا بصيحة، ومن كان غائباً من أصحابي فابلقوه عني السلام، وأشهدكم بأنني قد سلمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني في ديني هذا، منذ اليوم إلى يوم القيامة». قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: رجال أهل بيتي الأئني فالأئني مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم». ثم قال البيهقي تابعه أحمد بن يونس عن سلام الطويل. وتفرد به سلام الطويل.

قلت: وهو سلام بن سلم، ويقال: ابن سليم، ويقال: ابن سليمان، والأول أصح، التميمي السعدي الطويل. يروي عن جعفر الصادق، وحيد الطويل، وزيد العمي وجماعة. وعنه جماعة أيضاً منهم: أحمد بن عبد الله بن يونس، وأسد بن موسى، وخلف بن هشام البزار، وعلي بن الجعد، وقيصة بن عقبة.

وقد ضعفه علي بن المديني، وأحمد ابن حنبل، ويعني بن معين، والبخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والجوزجاني والنسائي وغير واحد، وكذبه بعض الأئمة، وتركه آخرون.

لكن روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار (٨٤٧)] من غير طريق سلام هذا فقال:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحسي، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن ابن الأصبهاني، أنه أخبره عن مرة، عن عبد الله. فذكر الحديث بطوله. ثم قال البزار: وقد روي هذا عن مرة من غير وجه بأسانيد متقاربة، وعبد الرحمن بن الأصبهاني لم يسمع هذا من مرة، وإنما هو عن أخبره عن مرة، ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله غير مرة.

سنة ١١ - تاريخ وفاة النبي ﷺ وسنه

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الاثنين.

قال ابن عباس: ولد نيكم ﷺ في يوم الاثنين، ونسب يوم الاثنين، وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين، ودخل يوم الاثنين، ومات يوم

من المدينة - إلى حجة الوداع.

ويتعين كما ذكرناه أنه خرج يوم السبت، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس [حجة الوداع ص ١٧]، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة، لأن أنساً قال: صلى رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بندي الحليفة ركعتين [ج (١٧١٥)، م (١٦٩٠)، (١٦٩٠)].

فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين، فعلى هذا إما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة، وإذا كان أول ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة، وحسبت الشهور بعده كواكل، يكون أول ربيع الأول يوم الخميس، فيكون ثاني عشرة يوم الاثنين والله أعلم.

وثبت في الصحيحين [ج (٣٥٤٨)، م (٢٣٤٧)، (١١٣)] من حديث مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، ولا بالجعد القبط، ولا بالسبط، بعثه الله عز وجل على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

وهكلا رواه ابن وهب عن قرة، عن الزهري، عن أنس، وعن قرة عن ربيعة، عن أنس مثل ذلك.

قال الحافظ ابن عساكر: حديث قرة عن الزهري غريب، وأما من رواية ربيعة عن أنس، فرواها عنه جماعة كذلك.

ثم أسند من طريق سليمان بن بلال عن يحيى ابن سعيد وربيعة عن أنس: أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين.

وكذلك رواه ابن البربري ونافع بن أبي نعيم عن ربيعة، عن أنس به. قال: والمخفوظ عن ربيعة عن أنس: ستون.

ثم أورده ابن عساكر من طريق مالك والأوزاعي، ومسلم وإبراهيم بن طهمان، وعبد الله بن عمر، وسليمان بن بلال، وأنس بن عياض، والدرودري، ومحمد ابن قيس المدني، كلهم عن ربيعة، عن أنس. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ستين سنة.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٣٧/٧]: أثبت أبو الحسين بن بشران، ثنا أبو عمرو بن السماك، ثنا حنبل بن إسحاق، ثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو، حدثنا عبد الوارث، ثنا أبو غالب الباهلي قال: قلت لأنس بن مالك: بين أي الرجال كان رسول الله ﷺ - إذ بعث؟ قال: كان ابن أربعين سنة، قال: ثم كان ماذا؟ قال: كان بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، فتمت له ستون سنة يوم قبضه الله عز وجل وهو كأشد الرجال وأحسبه وأجله وأحبه.

ورواه الإمام أحمد [٢٣٧/٧] عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه به.

وقد روى مسلم [٢٣٤٨] عن أبي غسان محمد بن عمرو الرازي الملقب بزئيج، عن حكام بن سلم عن عثمان بن زائدة، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال: قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وقبض أبو بكر هو ابن ثلاث وستين وقبض عمر هو ابن ثلاث وستين. انفرد به مسلم وهنا لا ينافي ما تقدم عن أنس لأن العرب كثيراً ما تحذف الكسر.

وثبت في الصحيحين [ج (٤٤٦٦)، م (٢٣٤٩)، (١١٥)] من حديث الليث بن سعد عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: توفي

محمد بن قيس. قال: اشكى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً، فكان إذا وجد خفة صلى، وإذا ثقل صلى أبو بكر رضي الله عنه.

وقال محمد بن إسحاق [الدلائل للبيهقي: ٢٣٥/٧]: توفي رسول الله ﷺ لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً، واستكمل رسول الله ﷺ في هجرته عشر سنين كواكل.

قال الواقدي: وهو المثلث عندنا، وجزم به محمد بن سعد كاتبه والطائفة الكبرى لابن سعد: ٣١١/٢.

وقال يعقوب بن سفيان عن يحيى بن بكير، عن الليث: أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ليلة خلت من ربيع الأول، وفيه قدم المدينة على رأس عشر سنين من مقدمه.

وقال سعد بن إبراهيم الزهري: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول، لتمام عشر سنين من مقدمه المدينة، رواه ابن عساكر.

ورواه الواقدي عن أبي معشر عن محمد بن قيس مثله سواء. وقاله خليفة بن خياط [تاريخه: ص ٦٨] أيضاً: وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين مستهل ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مقدمه المدينة.

ورواه ابن عساكر [مختصر تاريخ دمشق: ٣٨٧/٢] أيضاً. وقد تقدم قريباً عن عروة، وموسى بن عتبة، والزهري مثله فيما نقلناه عن منازبهما قاله أعلم.

والمشهور قول ابن إسحاق والواقدي. ورواه الواقدي عن ابن عباس، عن عائشة رضي الله عنها، فقال: حدثني إبراهيم بن يزيد، عن ابن طلوس، عن أبيه، عن ابن عباس. وحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. قالوا: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. ورواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه مثله - وزاد ودفن ليلة الأربعاء.

وروى سيف بن عمر عن محمد بن عبيد الله العزمي، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: لما قضى رسول الله ﷺ حجة الوداع ارتحل فأتى المدينة، فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفرًا، ومات يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول.

وروى أيضاً عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة، وفي حديث فاطمة عن عمرة. عن عائشة مثله، إلا أن ابن عباس قال في أوله: أيام مضين منه وقالت عائشة: بعدما مضى أيام منه.

فائدة: قال أبو القاسم السهيلي في الروض [٥٧٩/٧] ما مضمونه: لا يتصور وقوع وفاته عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من سنة إحدى عشرة، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام وقف في حجة الوداع سنة عشر يوم الجمعة، فكان أول ذي الحجة يوم الخميس، فعلى تقدير أن تحسب الشهور تامة أو ناقصة أو بعضها تام وبعضها ناقص، لا يتصور أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول.

وقد اشتهر هنا الإيراد على هذا القول. وقد حاول جماعة الجواب، عنه ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد، وهو اختلاف المطالع بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة، ويؤيد هنا قول عائشة وغيرها: خرج رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة [ج (١٧٠٩)، م (١٢١١)، (١٢٥)] - يعني

رسول الله ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.
قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب مثله.

وروى موسى بن عقبة وقيل ويونس بن يزيد وابن جريج عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأخرج رواية موسى بن عقبة في الإحسان (٦٣٨٨)، ورواية عقيل خ (٤٤٦٦)، م (٢٣٤٩) (١٥)، وأخرج رواية يونس بن يزيد م (٢٣٤٩) (١٠٠٠).

قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب مثل ذلك.
وقال البخاري (٤٤٦٤، ٤٤٦٥): ثنا أبو نعيم، ثنا شيان عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عائشة، وابن عباس: أن رسول الله ﷺ مكث بمكة عشر سنين يُنزل عليه القرآن، وبالمدينة عشراً، لم يخرج مسلم.
وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: ثنا شعبة عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد عن جرير بن عبد الله، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قبض النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين. وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وعمر وهو ابن ثلاث وستين.

وهكذا رواه مسلم (٢٣٥٢) (١٢٠) من حديث غندر، عن شعبة، وهو من أفراد دون البخاري. ومنهم من يقول: عن عامر بن سعد، عن معاوية، والصواب ما ذكرناه عن عامر بن سعد عن جرير، عن معاوية فذكره.

ورويت من طريق عامر ابن شراحيل الشعبي، عن جرير بن عبد الله البجلي، عن معاوية فذكره.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق القاضي أبي يوسف، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن أنس، قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي عمر وهو ابن ثلاث وستين.

وقال ابن ليعبة عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي، فكان رسول الله ﷺ أكبر من أبي بكر، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وتوفي أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين.

وقال الثوري عن الأعمش، عن القاسم بن عبد الرحمن. قال: توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وهم بنو ثلاث وستين.

وقال حنبل: حدثنا الإمام أحمد: ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين فأقام بمكة عشراً وبالمدينة عشراً.

وهذا غريب عنه، وصحيح إليه.

وقال أحمد: ثنا هشيم، ثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال: نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فمكث ثلاث سنين، ثم بعث إليه جبريل بالرسالة، ثم مكث بعد ذلك عشر سنين، ثم هاجر إلى المدينة، فقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة.

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل: الثابت عندنا ثلاث وستون وخمسة تاريخ دمشق: ٣٨٩/٢.

قلت: وهكذا روى مجاهد عن الشعبي، وروى من حديث إسماعيل بن أبي خالد عنه.

وفي الصحيحين (٣٩٠٣)، م (٢٣٥١) من حديث روح بن عبادة عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس: أن

رسول الله ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وفي صحيح البخاري (٣٩٠٢) من حديث روح بن عبادة أيضاً عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين.

وكذلك رواه الإمام (٣٧١/١) أحمد عن روح بن عبادة ويحيى بن سعيد ويزيد بن هارون، كلهم عن هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

وقد رواه أبو يعلى الموصلي عن الحسن بن عمر بن شقيق، عن جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس فذكر مثله.

ثم أورده من طرق عن ابن عباس مثل ذلك.
ورواه مسلم (٢٣٥١) (١١٨) من حديث حماد بن سلمة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، وبالمدينة عشراً، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقد أسند الحافظ ابن عساكر من طريق سلم بن جندبة عن عبد الله بن عمر، عن كريب عن ابن عباس. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين.

ومن حديث أبي نضرة عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس مثله. وهذا القول هو الأشهر، وعليه الأكثر.

وقال الإمام أحمد (٢٢٣/١، ٣٥٩): ثنا إسماعيل، عن خالد الحذاء، حدثني عمار مولى بني هاشم، سمعت ابن عباس يقول: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة.

ورواه مسلم (٢٣٥٣) (١٢٢) من حديث خالد الحذاء به.

وقال أحمد (٢٦٦/١، ٢٩٤): ثنا حسن بن موسى، ثنا حماد ابن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة؛ ثمان سنين - أو سبع - يرى الضوء ويسمع الصوت، وثماناً أو سبعاً يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً.

ورواه مسلم (٢٣٥٣) (١٢٣) من حديث حماد بن سلمة به.

وقال أحمد أيضاً (٢٩٠/١): حدثنا عفان، ثنا يزيد بن زريع، ثنا يونس عن عمار مولى بني هاشم. قال: سألت ابن عباس: كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات؟ قال: ما كنت أرى مثلك في قومه يخفى عليك ذلك! قال: قلت: إني قد سألت فاختلف عليّ فأحببت أن أعلم قولك فيه. قال: اتعصب؟ قلت: نعم! قال: أمسك! أربعين بعث لها، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف، وعشراً مهاجراً بالمدينة.

وهكذا رواه مسلم (٢٣٥٣) (١٢١) من حديث يزيد بن زريع، وشعبة بن الحجاج، كلاهما عن يونس بن عبيد عن عمار، عن ابن عباس بنحوه.

وقال الإمام أحمد (٢٣٠/١): ثنا ابن ثمر، ثنا العلاء ابن صالح، ثنا المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير: أن رجلاً أتى ابن عباس فقال: أنزل على النبي ﷺ عشراً بمكة وعشراً بالمدينة. فقال: من يقول ذلك؟ لقد أنزل عليه بمكة خمس عشرة، وبالمدينة عشراً، خمساً وستين وأكثر.

وهذا من أفراد أحمد استأذناً ومتناً.

وقال الإمام أحمد (٢١٥/١): ثنا هشيم: ثنا علي بن زيد عن يوسف

تجهيز رسول الله ﷺ مقتنين في كل ما أشكل عليهم بأي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٢٦٢/٢]: فلما بويج أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وقد تقدم من حديث ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، ثنا أبو بردة عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه. قال: لما أخذوا في غسل رسول الله ﷺ ناداهم مناد من الداخل: أن لا تجردوا عن رسول الله ﷺ قميصه.

ورواه ابن ماجه [١٤٦٦] من حديث أبي معاوية، عن أبي بردة - واسمه عمرو بن يزيد التميمي كوفي.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، سمعت عائشة تقول: لما أرادوا غسل النبي ﷺ، قالوا: ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما تجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا ودفته في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت، لا يدرون من هو: أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، فيلكونه بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استبشرت، ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه.

رواه أبو داود [٣١٤١] من حديث ابن إسحاق.

وقال الإمام أحمد [٢٦٠/١]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله، عمه العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد ابن حارثة، وصالح مولاة. فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوس بن خولي الأنصاري أحد بني عوف بن الحارث - وكان بدياً - علي بن أبي طالب. فقال: يا علي تشدك الله وحظنا من رسول الله ﷺ. فقال له علي: أدخل فدخل، فحضر غسل رسول الله ﷺ، ولم يل من غسله شيئاً، فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه، وكان العباس وفضل وقثم يلقبونه مع علي، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاها يصبان الماء، وجعل علي يغسله ولم ير من رسول الله ﷺ شيئاً مما يراه من الميت. وهو يقول: بأي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ وكان يغسل بالماء والسر جففوه ثم صنع به ما يصنع بالميت ثم أخرج في ثلاثة أثواب: ثوبين أبيضين ويرد حبرة، قال: ثم دعا العباس رجلين. فقال: لينهب أحدهما إلى أبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يضرخ لأهل مكة. وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري - وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة. قال: ثم قال العباس حين سرحهما: اللهم خر لرسولك! قال: فلعبا فلم يجد صاحب أبي عبيدة أباً عبيدة، ووجد صاحب أبي طلحة أباً طلحة، فجاء به، فلحد رسول الله ﷺ.

انفرد به أحمد.

وقال يونس بن بكير عن المنذر بن ثعلبة، عن العلاء بن أحر قال: كان علي والفضل يفسلان رسول الله ﷺ، فنودي علي: ارفع طرفك إلى السماء.

بن مهران، عن ابن عباس. قال: قبض النبي ﷺ وهو ابن خمس وستين سنة.

انفرد به أحمد.

وقد روى الترمذي في كتاب الشمال [٣٦٦] وأبو يعلى الموصلي [مسند (١٥٧٥)] والبيهقي [اللائل: ٢٤٠/٧، ٢٤١] من حديث قتادة عن الحسن البصري عن دغفل بن حنظلة الشيباني النسابة: أن النبي ﷺ قبض وهو ابن خمس وستين.

ثم قال الترمذي: دغفل لا يعرف له سماعاً عن النبي ﷺ، وقد كان في زمانه رجلاً.

وقال البيهقي: وهذا يوافق رواية عمار ومن تابعه عن ابن عباس. ورواية الجماعة عن ابن عباس: في ثلاث وستين أصبح، فهم أوثق وأكثر، وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة، عن عائشة، وإحدى الروايتين عن أنس، والرواية الصحيحة عن معاوية، وهي قول سعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وأبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم.

قلت: وعبد الله بن عتبة والقاسم بن عبد الرحمن والحسن البصري وعلي بن الحسين وغير واحد.

ومن الأقوال الغريبة ما رواه خليفة بن خياط [لائحه: ٧٠/١] عن معاذ بن هشام: حدثني أبي عن قتادة. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستة.

ورواه يعقوب بن سفيان عن محمد بن المثنى، عن معاذ بن هشام، عن أبيه عن قتادة مثله.

ورواه زيد العمي عن يزيد، عن أنس.

ومن ذلك ما رواه محمد بن عاذ عن القاسم بن حيد، عن النعمان بن المنذر الفسائي عن مكحول. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة وأشهر.

ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمد بن شعيب، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول. قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف.

وأغرب من ذلك كله ما رواه الإمام أحمد عن روح، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن. قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ ثمانين سنين بمكة، وعشر بعدما هاجر. فإن كان الحسن ممن يقول بقول الجمهور، وهو أنه عليه الصلاة والسلام أنزل عليه القرآن وعمره أربعون سنة، فقد ذهب إلى أنه عليه الصلاة والسلام عاش ثمانياً وخمسين سنة. وهذا غريب جداً.

لكن رويانا من طريق مسند عن هشام بن حسان، عن الحسن. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ستين سنة.

وقال خليفة بن خياط [لائحه: ١١/١]: 'حدثنا أبو عاصم عن أشعث، عن الحسن قال: بعث رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وأربعين، فأقام بمكة عشرًا، وبالمدينة ثمانياً، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.'

وهذا بهذه الصفة غريب جداً والله أعلم.

سنة ١١ - صفة غسله ﷺ

قد قدمنا أنهم رضي الله عنهم اشتغلوا بيعة الصديق ببقية يوم الاثنين وبعض يوم الثلاثاء، فلما تمهدت وتوطدت وتمت شرعوا، بعد ذلك في

وهذا منقطع.

قلت: وقد روى بعض أهل السنن [د (٣١٤٠، ٤٠١٥)] ج (١٤٦٠) عن علي بن أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال له: «يا علي لا تبد فخذك، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت».

وهذا فيه إشعار بأمره له في حق نفسه والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٢٤٣/٧، ٢٤٤]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن يعقوب، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا مسدد، ثنا عبد الواحد بن زياد، ثنا معمر بن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: قال علي: غسلت رسول الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ﷺ.

وقد رواه أبو داود في المراسيل [ص ٢٠٩]، وابن ماجه [١٤٦٧] من حديث معمر به، زاد البيهقي في روايته: قال سعيد بن المسيب: وقد ولي دفعه عليه الصلاة والسلام أربعة: عليّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، لحذوا له لحداً، ونصبوا عليه اللبن نصباً.

وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين، منهم عامر الشعبي ومحمد بن قيس وعبد الله بن الحارث وغيرهم، بالفاظ مختلفة يطول بسطها هنا.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٤٤/٧]: وروى أبو عمرو كيسان عن يزيد بن بلال، سمعت علياً يقول: أوصى رسول الله ﷺ أن لا يغسله أحد غيري؛ فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه. قال علي: فكان العباس وأسماء بنت أبي بكر من وراء الستر، قال علي: فما تناولت عضواً إلا كأنه يقلبني معي ثلاثون رجلاً، حتى فرغت من غسله.

وقد أسند هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار في مسنده [كشف الاستر (٨٤٨)]: فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، ثنا عبد الصمد بن النعمان، ثنا كيسان أبو عمرو عن يزيد بن بلال. قال: قال علي: أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله أحد غيري، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه. قال علي: فكان العباس وأسماء بنت أبي بكر من وراء الستر.

قلت: هذا غريب جداً.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٤٥/٧]: أنبأنا محمد بن موسى بن الفضل، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين بن حفص عن سفيان عن عبد الملك بن جريج، سمعت محمد بن عليّ أبا جعفر، قال: غسل النبي ﷺ بالسدر ثلاثاً، وغسل وعليه قميص، وغسل من بثر كان يقال لها الغرس بقاء كانت لسعد بن خيثمة، وكان رسول الله ﷺ يشرب منها، وولي غسله عليّ والفضل محتضنه، والعباس يصب الماء، فجعل الفضل يقول: أرحني قطعت وتبي إني لأجد شيئاً يترطل عليّ.

وقال الواقدي: ثنا عاصم بن عبد الله الحكمي عن عمر بن الحكم. قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم البثر بثر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه». وكان رسول الله ﷺ يستعذب له منها، وغسل من بثر غرس.

وقال سيف بن عمر، عن محمد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: لما فرغ من القبر وصلى الناس الظهر، أخذ العباس في غسل رسول الله ﷺ، ففُتِرَ عليه كُتَّةٌ من ثياب ممانية صفاق في جوف البيت، فدخل الكُتَّةَ ودعا علياً والفضل، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيها، دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله ورجال من بني هاشم من وراء الكُتَّةَ، ومن أدخل من الأنصار حيث ناشلوا أبي وسألوه منهم: أوس بن خولي رضي الله عنهم

أجمعين.

ثم قال سيف عن الضحاك بن يربوع الحنفي، عن ماهان الحنفي، عن ابن عباس، فذكر ضرب الكُتَّةَ، وأن العباس أدخل فيها علياً والفضل وأبا سفيان وأسماء، ورجال من بني هاشم من وراء الكُتَّةَ في البيت، فذكر أنهم ألقي عليهم الثعالب فسمعوا قاتلاً يقول: لا تغسلوا رسول الله ﷺ فإنه كان طاهراً، فقال العباس: ألا بلى، وقال أهل البيت: صدق فلا تغسلوه، فقال العباس: لا ندع شئته لصوت لا ندري ما هو؟ وغشيهم الثعالب ثانية، فتأهوا أن يغسلوه وعليه ثيابه. فقال أهل البيت: ألا لا. وقال العباس: ألا نعم! فشرعوا في غسله وعليه قميص ومجوز مفتوح، فغسلوه بالماء القراح، وطبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله، واعتصر قميصه ومجوله، ثم أدرج في أكفانه، وجروه عوداً ونذاً ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسجّوه.

وهذا السياق فيه غرابة جداً.

سنة ١١ - صفة كفته ﷺ

قال الإمام أحمد [١٦١/٦]: حدثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، حدثني الزهري، عن القاسم، عن عائشة. قالت: أدرج رسول الله ﷺ في ثوب حبرة، ثم أخذ عنه.

قال القاسم: إن بقايا ذلك الثوب لعندنا بعد.

وهذا الإسناد على شرط الشيخين. وإنما رواه أبو داود [٣١٤٩] عن أحمد بن حنبل والنسائي [كبرى (٢١١٨)]، عن محمد بن مثنى، ومجاهد بن موسى، فرفقهما كلهم عن الوليد بن مسلم به.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي [ترويض مسند الشافعي (٥٧٤)]: ثنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة. قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية، ليس فيها قميص ولا عمامة.

وكذا رواه البخاري [١٢٧٣] عن إسماعيل بن إدريس، عن مالك.

وقال الإمام أحمد [٤٠/٦]: حدثنا سفيان عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض.

وأخرجه مسلم [٩٤١] (٤٦) من حديث سفيان بن عيينة.

وأخرجه البخاري [١٢٧١] عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، كلاهما عن هشام بن عروة به.

وقال أبو داود [٣١٥٢]: ثنا قتيبة، ثنا حفص بن غياث، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض ممانية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة. قال: فذكر لعائشة قولهم في ثوبين ويرد حبرة، فقالت: قد أتني بالبرد، ولكنهم ردوه ولم يكفوه فيه.

وهكذا رواه مسلم [٩٤١] (٤٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث به.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٤٧/٧]: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، ثنا أحمد بن سلمه، ثنا هناد بن السري، ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة، فأما الحلة، فلما شبه على الناس فيها، إنما اشترت له حلة ليكفن فيها فتركته. فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال: لأحبسها لنفسي

أبيه، عن ابن عباس، عن الفضل. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين [صحيح ابن حبان كما في الإحسان (٣٠٣٥)]. وفي رواية: سحولين [صحيح ابن حبان كما في الإحسان (٣٠٣٥)] فالله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي طاهر المخلص: حدثنا أحمد بن إسحاق بن البهلول، ثنا عباد بن يعقوب، ثنا شريك عن أبي إسحاق. قال: وقعت على مجلس بني عبد المطلب وهم متوافرون، فقلت لهم: في كم كُفِّنَ رسول الله ﷺ؟ قالوا: في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا قباء ولا عمامة قلت: كم أسر منكم يوم بدر؟ قالوا: العباس ونوفل وعقيل.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٢٤٨/٧] من طريق الزهري عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب أحدها برد حره حبرة.

وقد ساه الحافظ ابن عساكر من طريق في صحته نظر، عن علي بن أبي طالب. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين سحولين وبرد حبرة.

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا إبراهيم بن الوليد، ثنا محمد بن كثير، ثنا هشام بن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ربطتين، وبرد نحراي.

وكنا رواه أبو داود الطيالسي عن هشام وعمران القطان عن قتادة، عن سعيد، عن أبي هريرة به.

وقد رواه الربيع بن سليمان، عن أسد بن موسى: ثنا نصر بن طريف عن قتادة، ثنا ابن المسيب عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب أحدها برد نحراي.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٤٩/٧]: وفيما رويناه عن عائشة بيان سبب الاشتباه على الناس، وأن الحبرة أخرت عنه والله أعلم.

ثم روى الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٤٩/٧] من طريق محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن حسن بن صالح، عن هارون بن سعد. قال: كان عند عليّ مسك، فأوصى أن يحيط به، وقال: هو من فضل حنوط رسول الله ﷺ.

ورواه [الدلائل: ٢٤٩/٧] من طريق إبراهيم بن موسى عن حميد عن حسن، عن هارون، عن أبي واثل، عن عليّ فذكره.

سنة ١١ - كيفية الصلاة عليه ﷺ

وقد تقدم الحديث الذي رواه البيهقي [الدلائل: ٢٣١/٧، ٢٣٢] من حديث الأشعث بن طلق، والبخاري [كشف الاستار (٨٤٧)] من حديث الأصبهاني، كلاهما عن مرة، عن ابن مسعود: في وصية النبي ﷺ أن يغسله رجال أهل بيته، وأنه قال: «كفوني في ثيابي هذه، أو في عتيّة أو بياض مصر»، وأنه إذا كفّنه يضعونه على شفير قبره، ثم يخرجون عنه حتى تصلي عليه الملائكة، ثم يدخل عليه رجال أهل بيته فيصلون عليه، ثم الناس بعدهم فرادى. الحديث بتمامه. وفي صحته نظر كما قدمنا والله أعلم.

وقال محمد بن إسحاق [الدلائل للبيهقي: ٢٥٠/٧]: حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال فضلوا عليه بغير إمام أرسالا حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فضلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه، ثم أدخل

حتى أكفن فيها. ثم قال: لو رضىها الله لنيه بيته لكفنه فيها، فباعها وتصدق بمنها.

رواه مسلم في الصحيح [(٩٤١) (٤٥)] عن يحيى بن يحيى وغيره، عن أبي معاوية.

ثم رواه البيهقي [الدلائل: ٢٤٧/٧، ٢٤٨] عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن أبي معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في برد حبرة كانت لعبد الله بن أبي بكر ولف فيها، ثم نزعته، فكان عبد الله بن أبي بكر قد أمسك تلك الحلة لنفسه حتى يكفن فيها إذا مات. ثم قال بعد أن أمسكها: ما كنت أمسك لنفسي شيئا منع الله رسوله ﷺ أن يكفن فيه، فتصدق بمنها عبد الله.

وقال الإمام أحمد [٢٣١/٦]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية يفض.

ورواه النسائي [١٨٩٦] عن إسحاق بن راهويه، عن عبد الرزاق.

قال الإمام أحمد [٢٦٤/٦]: حدثنا مسكين بن بكر، عن سعيد يعني ابن عبد العزيز، قال: قال مكحول: حدثني عروة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة رباط بمانية.

انفرد به أحمد.

وقال أبو يعلى الموصلي: ثنا سهل بن حبيب الأنصاري، ثنا عاصم بن هلال إمام مسجد أبوب، ثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب يفض سحولية.

وقال سفيان بن عاصم بن عبيد الله، عن سالم عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب.

ووقع في بعض الروايات: ثوبين صحارين وبرد حبرة [طبقات ابن سعد: ٢٨٨/٢].

وقال الإمام أحمد [٢٢٢/١]: ثنا ابن إدريس، ثنا يزيد عن مقسم، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب في قميصه الذي مات فيه، وحلة نحراي - الحلة ثوبان -.

ورواه أبو داود [٣١٥٣] عن أحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة.

وابن ماجه [١٤٧١] عن علي بن محمد، ثلاثهم عن عبد الله بن إدريس، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس بنحوه.

وهذا غريب جدا.

وقال الإمام أحمد [٣١٣/١] أيضاً: حدثنا عبد الرزاق، ثنا سفيان عن أبي أيوب، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين وبرد أحمر.

انفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا علي بن الحسن، ثنا حميد بن الربيع، ثنا بكر - يعني ابن عبد الرحمن - ثنا عيسى - يعني ابن المختار - عن محمد بن عبد الرحمن، هو ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن ابن عباس، عن الفضل بن عباس. قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين وبرد أحمر.

وقال أبو يعلى [مسند (٦٧٢٠)]: حدثنا سليمان الشاذكوني، ثنا يحيى بن أبي الهيثم، ثنا عثمان بن عطاء عن أبيه، عن ابن عباس، عن الفضل.

قال: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثوبين أبيضين سحوليين، زاد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وبرد أحمر.

وقد رواه غير واحد عن إسماعيل المؤدب، عن يعقوب بن عطاء، عن

سنة ١١- صفة دفنه ﷺ، وأين دفن وذكر

الخلاف في دفنه ليلا كان أم نهاراً

قال الإمام أحمد [٧/١]: حدثنا عبد الرزاق، ثنا ابن جريح، أخبرني أبي - وهو عبد العزيز بن جريح: أن أصحاب النبي ﷺ لم يدفروا أين يقبروا النبي ﷺ. حتى قال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: لم يقبر نبي إلا حيث يموت، فأخروا فراشه وحفروا له تحت فراشه ﷺ. وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريح وبين الصديق، فإنه لم يدركه.

لكن رواه الحافظ أبو يعلى [مسنده ٤٥] من حديث ابن عباس وعائشة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم. فقال: حدثنا أبو موسى المروزي، ثنا أبو معاوية، ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: اختلفوا في دفن النبي ﷺ حين قبض، فقال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه» فقال: ادفنه حيث قبض.

وهكذا رواه الترمذي [١٠١٨] عن أبي كريب عن أبي معاوية، عن عبد الرحمن بن أبي بكر المكي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيت. قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه». ادفنه في موضع فراشه.

ثم إن الترمذي ضعف المكي، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ. وقال الأرموي عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن رجل حدثه عن عروة، عن عائشة: أن أبا بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يدفن نبي قط إلا حيث قبض».

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني محمد بن سهل التميمي، ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان بالمدينة حفاران، فلما مات النبي ﷺ قالوا: أين ندفعه؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: في المكان الذي مات فيه، وكان أحدهما يلحد والآخر يشق، فجاء الذي يلحد فلحد للنبي ﷺ.

وقد رواه مالك بن أنس [الموطأ: ٢٣١/١] عن هشام بن عروة، عن أبيه منقطعاً.

وقال أبو يعلى [مسنده ٢٢] حدثنا جعفر بن مهرا، ثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق، حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحضروا للنبي ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرع كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي كان يحضر لأهل المدينة وكان يلحد، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خير لرسولك. قال: فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ، فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفعه في مسجده. وقال قائل: ندفعه مع أصحابه. فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي فيه فحفروا له تحته، ثم أدخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه

العبد فصلوا عليه أرسالا، لم يأمرهم على رسول الله ﷺ أحد. وقال الواقدي: حدثني أبي بن عياش بن سهل بن سعد، عن أبيه عن جده قال: لما أخرج رسول الله ﷺ في أكفاته وضع على سريره، ثم وضع على شفير حفرة، ثم كان الناس يدخلون عليه رفقاً ورفقاً لا يؤمهم أحد. قال الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم قال: وجدت كتاباً بخط أبي فيه أنه لما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار، بقدر ما يسع البيت. فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر، ثم صفوا صفواً لا يؤمهم أحد. فقال أبو بكر وعمر - وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ -: اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه، ونصح لأمة، وجاهد في سبيل الله، حتى أعز الله دينه، وتمت كلمته، وأومن به، وحده لا شريك له، فاجعلنا إلفنا عن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى نعرفه بنا ونعرفنا به، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبغض بالإنسان بديلاً، ولا نشترى به ثماناً أبداً.

فيقول الناس: آمين آمين، ويخرجون ويدخل آخرون حتى صلى الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان.

وقد قيل: إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من يوم الثلاثاء، وقيل: إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون عليه، كما سيأتي بيان ذلك قريباً والله أعلم.

وهذا الضنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه، أمر مجمع عليه لا خلاف فيه، وقد اختلف في تعليقه. فله صرح الحديث الذي أورده عن ابن مسعود، لكان نصاً في ذلك، ويكون من باب التعبد الذي يعسر تعقل معناه. وليس لأحد أن يقول: إنهم إنما صلوا عليه كذلك؛ لأنه لم يكن لهم إمام؛ لأننا قد قمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه الصلاة والسلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه.

وقد قال بعض العلماء: إنما لم يؤمهم أحد ليشاء كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة، رجالهم ونساءهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء. وأما السهيلي فقال ما حاصله [الروض المفرد: ٥٨٩/٧]: إن الله قد أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يصلّي عليه فوجب على كل أحد أن يباشر الصلاة عليه منه إليه، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل. قال: وأيضاً فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة فالله أعلم. وقد اختلف المتأخرون من أصحاب الشافعي في مشروعية الصلاة على قبره لغیر الصحابة.

ف قيل: نعم! لأن جسده عليه الصلاة والسلام طري في قبره، لأن الله قد حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء كما ورد بذلك الحديث في السنن [١٠٤٧] (١٥٣١)، ص (١٣٧٣)، ج (١٠٨٥) وغيرها وابن حبان كما في الإحسان (٩١٠)، مسند أحمد ٨/٤، فهو كالميت اليوم.

وقال آخرون: لا يفعل لأن السلف ممن بعد الصحابة لم يفعلوه، ولو كان مشروعاً لبادروا إليه ولتأثروا عليه والله أعلم.

أرسالا الرجال حتى إذا فرغ منهم، أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء، أدخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد. فدفن رسول الله ﷺ من أوسط الليل ليلة الأربعاء.

وهكذا رواه ابن ماجه [١٦٢٨] عن نصر بن علي الجهضمي، عن وهب بن جريز، عن أبيه، عن عماد بن إسحاق فذكر بإسناده مثله. وزاد في آخره ونزل في حفرته علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا عباس وشقران مولى رسول الله ﷺ.

قال أوس بن خولي - وهو أبو ليلى - لعلي بن أبي طالب: أتشكك الله! وحظنا من رسول الله ﷺ، قال له علي: أنزل وكان شقران مولاه أخذ قطيفة كان رسول الله ﷺ يلبسها، فذنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك! فدفنت مع رسول الله ﷺ.

وقد رواه الإمام أحمد [٢٩٢/١] عن حسين بن محمد، عن جرير بن حازم، عن ابن إسحاق مختصراً.

وكذلك رواه يونس بن بكير وغيره عن ابن إسحاق به.

وروى الواقدي عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر الصديق، عن رسول الله ﷺ: «ما قبض الله نبياً إلا دفن حيث قبض».

وروى البيهقي [الدلائل: ٢٦٠/٧، ٢٦١] عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين، أو محمد بن جعفر بن الزبير. قال: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقالوا: كيف تدفنه مع الناس أو في بيوته؟ فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله نبياً إلا دفن حيث قبض». فدفن حيث كان فرائسه رفع الفراش وحفر تحته.

وقال الواقدي: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن عثمان بن محمد الأخنسي، عن عبد الرحمن بن سعيد يعني ابن يربوع قال: لما توفي النبي ﷺ اختلفوا في موضع قبره. فقال قائل: في البقيع، فقد كان يكثر الاستغفار لهم، وقال قائل: عند منبره، وقال قائل: في مصلاه. فجاه أبو بكر فقال: إن عندي من هذا خبراً وعلماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي».

قال الحافظ البيهقي: وهو في حديث يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد، وفي حديث ابن جريج عن أبيه، كلاهما عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ مرسل.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٥٩/٧] عن الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن سلمة بن نبيب بن شريط، عن أبيه، عن سالم بن عبيد وكان من أصحاب الصفة. قال: دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، حين مات ثم خرج، فقيل له: توفي رسول الله ﷺ قال: نعم! فاعلموا أنه كما قال وقيل له: أنصلي عليه؟ وكيف نصلي عليه؟ قال: نحيون غصباً غصباً فنصلون، فاعلموا أنه كما قال. قالوا: هل يدفن وأيسر؟ قال: حيث قبض الله روحه، فإنه لم يقبض روحه إلا في مكان طيب، فاعلموا أنه كما قال.

وروى البيهقي [الدلائل: ٢٦١/٧، ٢٦٢] عن حديث سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب. قال: عرضت عائشة على أبيها رؤيا وكان من أعر الناس، قالت: رأيت ثلاثة أقمار وقعت في حجر، فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك خير أهل الأرض

ثلاثة، فلما قبض رسول الله ﷺ قال: يا عائشة: هذا خير أقمارك.

ورواه مالك [الموطأ: ٢٣٢/١] عن يحيى بن سعيد عن عائشة منقطعاً. وفي الصحيحين [ج (٣١٠٠)، م (٢٤٤٣) و (٢٤٤٤)] واللفظ

للبخاري عنها أنها قالت: توفي النبي ﷺ في بيبي وفي يومي وبين سحري وغري وجمع الله بين ربي وربي في آخر ساعة من الدنيا، وأول ساعة من الآخرة.

وفي صحيح البخاري [١٣٩٠] من حديث أبي عوانة عن هلال الوزان، عن عروة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه يقول: «لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

وقال ابن ماجه [١٥٥٧]: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا هاشم بن القاسم، ثنا مبارك بن فضالة، حدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك. قال: لما توفي رسول الله ﷺ كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرع، فقالوا: نستخير الله ونبعث إليهما، فإيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد، فلحلوا للنبي ﷺ.

تفرد به ابن ماجه، وقد رواه الإمام أحمد [١٣٩/٣] عن أبي النضر هاشم بن القاسم به.

وقال ابن ماجه [١٥٥٨] أيضاً: حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد، ثنا عبيد بن طفيل، ثنا عبد الرحمن بن أبي مليكة، حدثني ابن أبي مليكة، عن عائشة. قالت: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك، وارتفعت أصواتهم. فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً - أو كلمة نحوها - فإرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً فحياه اللاحد فلحد رسول الله ﷺ ثم دفن.

تفرد به ابن ماجه.

وقال الإمام أحمد [٢٤/٢، ١٣٦/٦]: حدثنا وكيع، ثنا العمري، عن نافع عن ابن عمر، وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ لحد له لحد.

تفرد به أحمد من هذين الوجهين.

وقال الإمام أحمد [٢٢٨/١]: حدثنا يحيى عن شعبة وابن جعفر، ثنا شعبة، حدثني أبو جرة عن ابن عباس. قال: جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حراء.

وقد رواه مسلم [٩٦٧] والترمذي [١٠٤٨] والنسائي [٢٠١١] من طرق عن شعبة به.

وقد رواه وكيع عن شعبة [م (٩٦٧)].

وقال وكيع: كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ، رواه ابن عساکر.

وقال ابن سعد [الطبقات: ٢٩٩/٢]: أتانا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا شعث بن عبد الملك الحمراني، عن الحسن: أن رسول الله ﷺ بسط تحته سَمَل قطيفة حراء كان يلبسها، قال: وكانت أرضاً ندية.

وقال هشيم عن منصور عن الحسن قال: جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حراء، كان أصليها يوم خيبر قال الحسن: جعلها لأن المدينة أرض سبخة قال: ففرشت تحته.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٢٩٩/٢]: ثنا حماد بن خالد الحياط عن عتبة بن أبي الصهباء، سمعت الحسن يقول: قال رسول الله ﷺ: «أفرشوا لي قطيفتي في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء».

في زمان عمر، أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا: يا أبا حسن جئتكَ نسالك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه. قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، قالوا: أجل! عن ذلك جئنا نسالك. قال: أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس. فنردّه أحد من هذا الوجه.

وقد رواه يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق به مثله سواء إلا أنه قال قبله: عن ابن إسحاق قال: وكان المغيرة بن شعبة يقول: أخذت خاتمي فالتقيت في قبر رسول الله ﷺ، وقلت حين خرج القوم: إن خاتمي قد سقط في القبر، ولما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ فاكون آخر الناس عهداً به.

قال ابن إسحاق: فحدثني والدي إسحاق بن يسار، عن مقسم، عن مولا، عن عبد الله بن الحارث. قال: اعترت مع عليّ فذكر ما تقدم. وهذا الذي ذكر عن المغيرة بن شعبة لا يقتضي أنه حصل له ما أمله، فإنه قد يكون عليّ رضي الله عنه لم يمكنه من النزول في القبر، بل أمر غيره فتاوله إياه، وعلى ما تقدم يكون الذي أمره بمناولته له قثم بن عباس.

وقد قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. قال: ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر رسول الله ﷺ. فقال عليّ: إنما ألقيته لتقول: نزلت في قبر النبي ﷺ فنزل فأعطاه أو أمر رجلاً فأعطاه.

وقد قال الإمام أحمد [٨١/٥]: حدثنا بهز وأبو كامل. قالوا: ثنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني، عن أبي عسيب، أو أبي عسيم قال بهز: إنه شهد الصلاة على النبي ﷺ قالوا: كيف نصلي عليه؟ قال: ادخلوا أرسالا أرسالا، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، قال: فلما وضع في لحدّه قال المغيرة: قد بقي من رجله شيء لم تصلحوه، قالوا: فأدخل فاصلحه، فدخل وأدخل يده فمس قدميه عليه الصلاة والسلام. فقال: أهبلوا علي التراب، فأهالوا عليه حتى بلغ إلى أنصاف ساقيه، ثم خرج، فكان يقول: أنا أحدثكم عهداً برسول الله - ﷺ ...

سنة ١١- متى وقع دفنه ﷺ

وقال يونس عن ابن إسحاق [الدلائل: ٢٥٦/٧]: من طريق يونس بن بكير، [٢٥]: حدثني فاطمة بنت محمد، امرأة عبد الله بن أبي بكر، وأدخلني عليها قال: حتى سمعته منها عن عمرة، عن عائشة. أنها قالت: ما علمنا بدفن النبي ﷺ حتى سمعنا صوته المساحي في جوف ليلة الأربعاء. وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي سبرة عن الخليل بن هاشم، عن عبد الله بن وهب، عن أم سلمة. قالت: بينما نحن مجتمعون نبكي، لم نسم رسول الله ﷺ في بيوتنا، ونحن تسلي برؤيته على السرير، إذ سمعنا صوت الإكرازين في السحر. قالت أم سلمة: فصحبنا وصاح أهل المسجد فانجبت المدينة صيحة واحدة، وأذن بلال بالفجر، فلما ذكر النبي ﷺ بكى فانتحب، فزادنا حزناً وعالج الناس الدخول إلى قبره فنلقى دونهم، فيها لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت، إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ. وقد روى الإمام أحمد [١١٠/٦] من حديث محمد بن إسحاق، عن

وروي الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٤٣/٧، ٢٤٤] من حديث مسدد: ثنا عبد الواحد، ثنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: قال عليّ: غسلت النبي ﷺ فلعبت أنظر إلى ما يكون من الميت فلم أر شيئاً، وكان طيباً حياً وميتاً ﷺ قال: وولي دفنه عليه الصلاة والسلام وإيجانه دون الناس أربعة، عليّ والعباس والفضل وصالح مولى النبي ﷺ، ولحد للنبي ﷺ لحداً، ونصب عليه اللبن نصيباً. وذكر البيهقي [الدلائل: ٢٥٢/٧] عن بعضهم: أنه نصب على لحدّه عليه الصلاة والسلام سبع لبنات.

وروي الواقدي عن ابن أبي سيرة عن عباس بن عبد الله بن معبد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين، إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء، يصلي الناس عليه وسريه على شفير قبره. فلما أرادوا أن يقبروه عليه الصلاة والسلام نحوا السرير قبل رجله، فدخل من هناك. ودخل في حفرة العباس وعليّ وقم والفضل وشقران.

وروي البيهقي [الدلائل: ٢٥٤/٧] من حديث إسماعيل السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: دخل قبر رسول الله ﷺ العباس وعليّ والفضل وسوى لحدّه رجل من الأنصار، وهو الذي سوى لحدود قبور الشهداء يوم بدر.

قال ابن عساکر: صوابه يوم أحد. وقد تقدم رواية ابن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٦٦٣/٢] عن حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس. قال: كان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ عليّ والفضل وقثم وشقران، وذكر الحفاس وهو أوس بن خولي، وذكر قصة القطيفة التي وضعها في القبر شقران.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٥٥/٧]: أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو طاهر المحمد ابادي، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، ثنا سفيان بن سعيد هو الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: حدثني أبو مرحب. قال: كاتي أنظر إليهم في قبر النبي ﷺ أربعة: أحدهم عبد الرحمن بن عوف.

وهكذا رواه أبو داود [٣٢١٠] عن محمد بن الصباح، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد به.

ثم رواه عن [٣٢٠٩] أحمد بن يونس، عن زهير، عن إسماعيل، عن الشعبي، حدثني مرحب أو أبو مرحب: أنهم أدخلوا معهم عبد الرحمن بن عوف، فلما فرغ عليّ قال: إنما يلي الرجل أهله.

وهذا حديث غريب جداً وإسناده جيد، قوي ولا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقد قال أبو عمر بن عبد البر في استيعابه [١٧٥٥/٤]: أبو مرحب اسمه سويد بن قيس، وذكر أبا مرحب آخر وقال: لا أعرف خبره.

قال ابن الأثير في الغابة [٢٨٣/٦]: فيحتمل أن يكون راوي هذا الحديث أحدهما، أو ثالثاً غيرهما والله الحمد.

سنة ١١- ذكر من كان آخر الناس به عهداً ﷺ

قال الإمام أحمد [١٠١/١]: حدثنا يعقوب، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني أبي إسحاق بن يسار، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولا عبد الله بن الحارث. قال: اعترت مع عليّ

قال سيف: وحديثنا يحيى بن سعيد مرة بجمعيه عن عمرة، عن عائشة مثلة.

وهذا غريب جداً.

وقال الواقدي: حدثنا عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون، عن أبي عتيق، عن جابر بن عبد الله. قال: رشح على قبر النبي ﷺ الماء رشاً، وكان الذي رشح بلال بن رباح بقرية، بنا من قبل رأسه من شقة الأيمن حتى انتهى إلى رجله، ثم ضرب بالماء إلى الجدار لم يقدروا على أن يلبسوا من الجدار.

سنة ١١ - صفة قبره ﷺ

قد علم بالتراتب أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت تختص بها، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلىة من الحجرة، ثم دفن بعده فيها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما.

وقد قال البخاري (عقب ح ١٣٩٠): ثنا محمد بن مقاتل، ثنا أبو بكر بن عياش، عن سفیان التمار: أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسماً.

تفرد به البخاري.

وقال أبو داود (٣٢٢٠): ثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن أبي فليك، أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ، عن القاسم. قال: دخلت على عائشة وقلت لها: يا أمه أكتفي في عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما. فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مطوحة يطحاء العرصة الحمراء. النبي ﷺ، أبو بكر رضي الله عنه، عمر رضي الله عنه.

تفرد به أبو داود.

وقد رواه الحاكم (المستدرک: ٣٩١/١) والبيهقي (الذليل: ٢٦٣/٧) من حديث ابن أبي فليك، عن عمرو بن عثمان، عن القاسم. قال: فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام مقبلاً، وأبو بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ، وعمر رأسه عند رجل النبي ﷺ.

قال البيهقي: وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطحة لأن الحصاة لا تثبت إلا على المسطح.

وهنا عجيب من البيهقي رحمه الله، فإنه ليس في الرواية ذكر الحصاة بالكلية، ويتقيد ذلك فيمكن أن يكون مسماً وعليه الحصاة مغروزة بالطين ونحوه.

وقد روى الواقدي عن الدراودي عن جعفر بن محمد، عن أبيه. قال: جعل قبر النبي ﷺ مسطحاً.

وقال البخاري (عقب ح ١٣٩٠): ثنا فروة بن أبي المغراء، ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما سقط عليهم الحائط في زمان الوليد بن عبد الملك، أخذوا في بناء فبذت لهم قدم ففزعوا فظنوا أنها قدم النبي ﷺ فما وجدوا وحده يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: لا والله ما هي قدم النبي ﷺ ما هي إلا قدم عمر.

وعن هشام عن أبيه، عن عائشة: أنها أوصت عبد الله بن الزبير: لا تدفني معهم وادفني مع صواحيي البقيع لا أركب به أبداً. (ع ١٣٩١)

قلت: كان الوليد بن عبد الملك حين ولي الإمارة في سنة ست وثمانين قد شرع في بناء جامع دمشق، وكتب إلى نائبه بالمدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يوسع مسجد المدينة، فوسعه حتى من ناحية الشرق، فدخلت الحجرة النبوية فيه.

عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء.

وقد تقدم مثله في غير ما حديث. وهو الذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفاً وخلفاً؛ منهم سليمان بن طرخان التيمي، وجعفر بن محمد الصادق، وابن إسحاق، وموسى بن عقبة وغيرهم.

وقد روى يعقوب بن سفیان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمد بن شعيب، عن الأوزاعي. أنه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين قبل أن يتصف النهار، ودفن يوم الثلاثاء.

وهكذا روى الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن ابن جريج. قال: أخبرني أن رسول الله ﷺ مات في الضحى يوم الاثنين، ودفن الغد في الضحى.

وقال سعيد بن منصور عن الدراودي، عن شريك بن عبد الله بن أبي غمر، عن أبي سلمة. قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء.

وقال ابن خزيمة: حدثنا سلم بن جناح، عن أبيه، عن عبيد الله بن عمر، عن كريب، عن ابن عباس. قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء.

وقال الواقدي: حدثني أبي بن عياش بن سهل بن سعيد عن أبيه. قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ودفن ليلة الثلاثاء.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا عن محمد بن سعد: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، ودفن يوم الثلاثاء (الطبقات: ٢٧٣/٢).

وقال عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا: ثنا الحسن بن إسرائيل، أبو محمد النهدي، ثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد، سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: مات رسول الله ﷺ يوم الاثنين؛ فلم يدفن إلا يوم الثلاثاء.

وهكذا قال سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو جعفر الباق (طبقات ابن سعد: ٢٠٥/٢).

وقال يعقوب بن سفیان، حدثنا سعيد بن منصور، ثنا سفیان عن جعفر بن محمد، عن أبيه، وعن ابن جريج، عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين، فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار.

فهو قول غريب.

والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه منه إنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الاثنين، ودفن ليلة الأربعاء.

ومن الأقوال الغربية في هذا أيضاً ما رواه يعقوب بن سفیان عن عبد الحميد بن بكار، عن محمد بن شعيب، عن النعمان، عن مكحول. قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وأوحى إليه يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين لثنتين وستين سنة ونصف، ومكث ثلاثة أيام لا يدفن، يدخل عليه الناس أرسالا أرسالا يصلون لا يصفون ولا يؤمهم عليه أحد (الذليل للبيهقي: ٢٥٥/٧).

فقوله إنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريب، والصحيح: أنه مكث بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء بكامله، ودفن ليلة الأربعاء كما قلنا والله أعلم. وضده ما رواه سيف عن هشام، عن أبيه قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وغسل يوم الاثنين ودفن ليلة الثلاثاء.

حديث صحيح غريب.

قلت: وإسناده على شرط الصحيحين، ومخفوف من حديث جعفر بن سليمان، وقد أخرج له الجماعة، رواه الناس عنه كذلك.

وقد أغرب الكندي وهو محمد بن يونس رحمه الله في روايته له حيث قال: حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، ثنا جعفر بن سليمان الضبيعي، عن ثابت، عن أنس. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضها إلى بعض، وكان أحدها يسطط يده فلا يراها - أو لا يصرها، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

رواه البيهقي [الذليل: ٢٦٥/٧] من طريقه كذلك، وقد رواه من طريق غيره من الحفاظ عن أبي الوليد الطيالسي [الذليل: ٢٦٥/٧] كما قدمنا، وهو المخفوف والله أعلم.

وقد روى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي حفص بن شاهين، ثنا حسين بن أحمد بن بسطام بالأبلة، ثنا محمد بن يزيد الرواسي، ثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند، عن أبي نصره، عن أبي سعيد الخدري. قال: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.

وقال ابن ماجه [١٦٣٣]: ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي، عن ابن عرون، عن الحسن، عن أبي بن كعب. قال: كنا مع رسول الله ﷺ وإنا وجهنا واحدا، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا.

وقال أيضا [١٦٣٤]: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا خالي محمد بن إبراهيم بن المطلب بن السائب بن أبي وداعة السهمي، حدثني موسى بن عبد الله بن أبي أمية المخزومي، حدثني مصعب بن عبد الله عن أم سلمة بنت أبي أمية زوج النبي ﷺ. أنها قالت: كانت الناس في عهد رسول الله ﷺ إذا قام المصلي يصلي لم يُغْدَ بصر أحدهم موضع قدميه، فتوفي رسول الله ﷺ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يُغْدَ بصر أحدهم موضع جبينه، فتوفي أبو بكر وكان عمر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يُغْدَ بصر أحدهم موضع القبلة، فتوفي عمر وكان عثمان، وكانت الفتنة، فتلقت الناس بيننا وشمالا.

وقال الإمام أحمد [٢١٦/٣]: حدثنا عبد الصمد، ثنا حماد عن ثابت، عن أنس: أن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله ﷺ فقتل لها: ما يبيك على النبي ﷺ؟ فقالت: إني قد علمت أن رسول الله ﷺ سيموت، ولكي إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا.

هكذا رواه مختصراً.

وقد قال البيهقي [الذليل: ٢٦٦/٧]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن نعيم، ومحمد بن النضر الجارودي. قالوا: ثنا الحسن بن علي الحلواني، ثنا عمرو بن عاصم الكلبي، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. قال: ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً ودعيت معه، فقربت إليه شرباً. فلما كان صائماً، وإما كان لا يريد فرده. فأقبلت على رسول الله ﷺ تضاحكه. فقال أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ لعمر: اطلق بنا إلى أم أيمن نزرورها؛ فلما اتينا إليها بكت. فقالوا لها: ما يبيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع عن السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلنا يبيكان. ورواه مسلم [٢٤٥٤] مفرداً به عن زهير بن حرب، عن عمرو بن عاصم به.

وقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن زاذان مولى الفرافصة، وهو الذي بني المسجد النبوي أيام ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة، فذكر عن سالم بن عبد الله نحو ما ذكره البخاري، وحكى صفة القبور كما رواه أبو داود.

سنة ١١- ذكر ما أصاب المسلمين من

المصيبة العظيمة بوفاته ﷺ

قال البخاري [٤٤٩٢]: حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت عن أنس. قال: لما نزل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب. فقالت فاطمة: واكرب أبناه. فقال لها: ليس على أهلك كرب بعد اليوم؛ فلما مات قالت: يا ابنه أجب رثاً دعاء، يا ابنه من جنة الفردوس مأواه، يا ابنه إلى جبريل نعمة. فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟

فرد به البخاري رحمه الله.

وقال الإمام أحمد [٢٠٤/٣]: حدثنا يزيد، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت البناني. قال أنس: فلما دفن النبي ﷺ قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنت رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم؟

وهكذا رواه ابن ماجه [١٦٣٠] مختصراً من حديث حماد بن زيد به. وعنده قال حماد: فكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه.

وهذا لا يعد نائحة بل هو من باب ذكر فضائله الحق عليه أنفضل الصلاة والسلام، وإنا قلنا هذا لأن رسول الله ﷺ نهى عن النائحة.

وقد روى الإمام أحمد [٦١/٥] والنسائي [١٨٥٠] من حديث شعبة: سمعت قتادة، سمعت مطرفاً يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم، عن أبيه - فيما أوصى به إلى بنيه - أنه قال: ولا تنوحوا علي، فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه.

وقد رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في النوادر، عن عمرو بن مرزوق، عن شعبة به.

ثم رواه عن علي بن المديني، عن المغيرة بن سلمة، عن الصنع بن حزن عن القاسم بن مطيب، عن الحسن البصري، عن قيس بن عاصم به. قال: لا تنوحوا علي، فإن رسول الله ﷺ لم يُنح عليه، وقد سمعته ينهى عن النائحة.

ثم رواه عن علي، عن محمد بن الفضل، عن الصنع، عن القاسم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عاصم به.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار ٧٩٦]: حدثنا عقبة بن سنان، ثنا عثمان بن عثمان، ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لم ينح عليه.

وقال الإمام أحمد [٢٦٨/٣]: حدثنا عفان، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا ثابت عن أنس. قال: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء.

قال: وما نفطنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا.

وهكذا رواه الترمذي [٣٦١٨] وابن ماجه [١٦٣١] جميعاً عن بشر بن هلال الصواف، عن جعفر بن سليمان الضبيعي به. وقال الترمذي: هذا

يُصَلِّي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها». قال: قلت: ويعد الموت؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء عليهم السلام - نبي الله حي يزرع».

وهذا من أفراد ابن ماجه رحمه الله.

وقد عقد الحافظ ابن عساكر مختصر تاريخ دمشق: ٤٠٦/٦ - ٤٠٨ هـ ما هنا باباً في إيراد الأحاديث المروية في زيارة قبره الشريف، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وموضع استقصاء ذلك في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى.

سنة ١١ - ما ورد من التعزية به ﷺ

قال ابن ماجه (١٥٩٩): حدثنا الوليد بن عمرو بن السكين، ثنا أبو همام وهو محمد بن الزبير بن الأوزاعي، ثنا موسى بن عبيدة، ثنا مصعب بن محمد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة. قالت: فتح رسول الله ﷺ باباً بيته وبين الناس - أو كشف ستراً - فإذا الناس يصلون وراه أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم. فقال: «يا أيها الناس إنما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب مصيبة فليتزعم مصيبتى بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمي لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى».

نقرد به ابن ماجه.

وقال الحافظ البيهقي (الذليل: ٢٩٦/٧، ٢٩٨): أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه، ثنا شافع بن محمد، ثنا أبو جعفر بن سلامة الطحاوي، ثنا المزني، ثنا الشافعي عن القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن رجلاً من قريش دخلوا على أبيه علي بن الحسين. فقالوا: ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى! فحدثنا عن أبي القاسم. قال: لما مرض رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك ترحيماً لك وتشريعاً لك، وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تحمدك؟ قال: «أجديني يا جبريل مغموماً، وأجديني يا جبريل مكروباً» ثم جاءه اليوم الثاني فقال له ذلك، فرد عليه النبي ﷺ كما رد أول يوم، ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد، وجاءه معه ملك يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك كل ملك على مائة ألف ملك، فاستأذن عليه فسأل عنه، ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه له»، فأذن له فدخل فسلم عليه، ثم قال: يا محمد إن الله أرسلني إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضته، وإن أمرتني أن أتركه تركته. فقال رسول الله ﷺ: «أو تفعل يا ملك الموت؟» قال نعم! وبذلك أمرت، وأمرت أن أطمعك. قال: فظن النبي ﷺ إلى جبريل فقال له جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ لملك الموت: «امض لما أمرت به» فقبض روحه، فلما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية سمعوا صوتاً من ناحية البيت؛ السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هلك، ودرأً من كل فائت، فبالله فتشوا، ولبياه فارجوا، فلما المصاب من حرم الثواب. فقال علي رضي الله عنه: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه الصلاة والسلام.

وهذا الحديث مرسل، وفي إسناده ضعف، بحال القاسم العمري هذا

وقال موسى بن عقبة في قصة وفاة رسول الله ﷺ، وخطبة أبي بكر فيها. قال: ورجع الناس حين فرغ أبو بكر من الخطبة، وأم أيمن قاعلة تبكي، فقبل لها: ما يبكيك؟ قد أكرم الله نبيه ﷺ وأدخله جنته، وأراحه من نصب الدنيا. فقالت: إنما أبكي على خبر السماء، كان يأتينا غصاً جديداً كل يوم وليلة، فقد انقطع ورفع، فعليه أبكي، فحجب الناس من قوماً.

وقد قال مسلم ابن الحجاج في صحيحه (٢٢٨٨): وحدثت عن أبي أسامة. وعن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة، حدثني يزيد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ. قال: «إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً يشهد لها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها، وهو ينظر إليها فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

نقرد به مسلم إسناده ومثلاً.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار (٨٤٥)): حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان عن عبد الله - هو ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمي السلام». قال: وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحذرون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم؟ فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

ثم قال البزار: لم تعرف آخره يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه. قلت: وأما أوله وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمي السلام».

فقد رواه النسائي (١٢٨١) من طرق متعددة عن سفيان الثوري، وعن الأعمش، كلاهما عن عبد الله بن السائب به.

وقد قال الإمام أحمد (٨/٤): حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس. قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النخعة، وفيه الصعقة، فأكثرنا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي». قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يعني قد بليت - قال: «إن الله قد حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء عليهم السلام».

وهكذا رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله (١٠٤٧)، وعن الحسن بن علي (١٥٣١)، والنسائي عن إسحاق بن منصور، ثلاثهم عن حسين بن علي به.

ورواه ابن ماجه (١٠٨٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حسين بن علي، عن ابن جابر، عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس، فذكره.

قال شيخنا أبو الحجاج المزي (تحفة الأشراف: ٤/٢) وذلك وهم من ابن ماجه، والصحيح أوس بن أوس وهو التقفي رضي الله عنه.

قلت: وهو عتي في نسخة جبلية مشهورة على الصواب، كما رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس.

ثم قال ابن ماجه (١٦٣٧): حدثنا عمرو بن سواد المصري، ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن، عن عبادة ابن نسي، عن أبي السرداء. قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرنا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد الملائكة، وإن أحدًا لن

فقال لي: أخبر صاحبك أنا قد جئت، ولعلنا نستعد إن شاء الله عز وجل. قال: ورجعا إلى اليمن، فلما أتيت أخبرت أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم. فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جبري إن بك علي كرامة، وإني غبرك خيراً، إنكم معشر العرب لن تزالوا تخبر ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، وإذا كانت بالسيف كنتم ملوكاً تغضبون غضب الملوك وترضون رضى الملوك.

هكذا رواه الإمام أحمد [٣٦٣/٤] والبخاري [٤٣٥٩] عن أبي بكر بن أبي شيبة.

وهكذا رواه البيهقي [الدلائل: ٢٧٠/٧] عن الحاكم عن عبد الله بن جعفر، عن يعقوب بن سفيان عنه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٧١/٧]: أنبأنا الحاكم أنبأنا علي بن التركل ثنا محمد بن يونس ثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، ثنا زائدة عن زياد بن علاقة عن جبري. قال: لقيني حبر باليمن وقال لي: إن كان صاحبكم نبياً فقد مات يوم الاثنين. هكذا رواه البيهقي.

وقد قال الإمام أحمد [٣٦٤/٢]: حدثنا أبو سعيد ثنا زائدة ثنا زياد بن علاقة عن جبري. قال: قال لي حبر باليمن: إن كان صاحبكم نبياً فقد مات اليوم. قال جبري: فمات يوم الاثنين ﷺ.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٧١/٧، ٢٧٢]: أنبأنا أبو الحسين بن بشران المذلق ببغداد أنبأنا أبو جعفر محمد بن عمرو ثنا محمد بن الهيثم ثنا سعيد بن كثير بن غفر بن كعب حدثني عبد الحميد بن كعب بن علقمة بن كعب بن عدي الترخي عن عمرو بن الحارث بن علقمة بن كعب بن عدي الترخي عن عمرو بن الحارث عن ناعم بن أجبل عن كعب بن عدي. قال: أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ﷺ، فمرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة، فلم نلبث أن جاءت وفاة النبي ﷺ فارتأب أصحابي وقالوا: لو كان نبياً لم يمُت. فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبت على إسلامي ثم خرجت أريد المدينة، فمرت يراهم كما لا تقطع أمراً دونه، فقلت له: أخبرني عن أمر أودته لقيح في صدري منه شيء، فقال: انت باسم من الأسماء فأتيت بكعب، فقال: ألقه في هذا السُفر. لیسر أخرجره فالتقت الكعب فيه فصُفح فيه فإذا بصفة النبي ﷺ كما رأيته، وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه.

قال: فاشتدت بصيرتي في إيماني، فقلت على أبي بكر رضي الله عنه فاعلمته وأقيمت عنده، فوجهني إلى الموقر فرجعت، ووجهني أيضاً عمر بن الخطاب، فقلت عليه بكتابه، فأتيت وقعة البرموك ولم أعلم بها، فقال لي: أعلمت أن الروم قتل العرب وهزمتهم؟ فقلت: كلا قال: ولم؟ قلت: إن الله وعد نبيه أن يظهره على الدين كله وليس بمخلف اليعاد. قال: فإن نبيكم قد صدقكم، قتل الروم والله قتل عاد.

قال: ثم سألني عن وجه أصحاب رسول الله ﷺ فأخبرته، فأهدى إلى عمر وإليه. وكان ممن أهدى إليه علي وعبد الرحمن والوزير - وأحبه ذكر العباس - قال كعب: وكنت شريكاً لعمر في البز في الجاهلية، فلما أن فرض الدين فرض لي في بني عدي بن كعب. وهذا أثر غريب، وفيه بآ عجيب وهو صحيح.

١١- مرحلة ما بعد الوفاة

قال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ٦٦٥/٢]: ولما توفي رسول الله

ﷺ قد ضعفه غير واحد من الأمة، وتركه بالكافة آخرون. وقد رواه الربيع عن الشافعي، عن القاسم، عن جعفر، عن أبيه، عن جده؛ فذكر منه قصة التزنية - فقط موصلاً - وفي الإستناد العمري المذكور، قد نبها على أمره لئلا يفتري به.

على أنه قد رواه الحافظ البيهقي [الدلائل: ٢٦٩/٧] عن الحاكم، عن أبي جعفر البغدادي، حدثنا عبد الله بن الحارث، أو عبد الرحمن بن المرتعد الصنعاني، ثنا أبو الوليد المخزومي، ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله. قال: لما توفي رسول الله ﷺ عزتههم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص. فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل فائت، ودركاً من كل هالك، فبالله ففروا، وإياه فارجوا، فإنما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم قال البيهقي [الدلائل: ٢٦٩/٧]: هذان الإسنادان وإن كانا ضعيفين فأحدهما يتأكد بالآخر ويدل على أن له أصلاً من حديث جعفر وأبيه أعلم.

وقال البيهقي [دلائل النبوة: ٢٦٩/٧]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا كامل بن طلحة، ثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله، واجتمعوا فدخل رجل أشبه اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضاً من كل فائت، وخلفاً من كل هالك، فإلى الله فانيبوا وإليه فارغبوا، ونظروا إليكم في البلايا فانتظروا، فإن المصاب من لم يجبر، فانصرف. فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر وعلي: نعم! هذا آخر رسول الله ﷺ الحضرة.

ثم قال البيهقي: عباد بن عبد الصمد ضعيف، وهذا منكر بمرة. وقد روى الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد، أنبأنا هاشم بن القاسم، ثنا صالح المري عن أبي حازم المدني: أن رسول الله ﷺ حين قبضه الله عز وجل دخل المهاجرون فوجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك، ثم دخل أهل المدينة حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء، فكان منهن صوت وجزع، كبعض ما يكون منهن، فسمعن هزة في البيت ففرقن فسكنن، فإذا قاتل يقول: إن في الله عزاء من كل هالك، وعوض من كل مصيبة، وخلف من كل فائت، والمجبور من جبره الثواب والمصاب من لم يجبره الثواب.

سنة ١١- ما روي من معرفة أهل

الكتاب يوم وفاته ﷺ

قال أبو بكر بن أبي شيبة [المصنف: ١٨٨٦٩]: حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جبري بن عبد الله البجلي. قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو، فجعلت أحدثهما عن رسول الله ﷺ قال: فقالا لي: إن كان ما تقول حقاً فقد مضى صاحبك على أجله منذ ثلاث. قال: فأقبلت وأقبلت معي حتى إذا كنا في بعض الطريق، رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، والناس صالحون. قال:

ﷺ عَظُمَتْ بِهِ مَصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ عَاشَتْ، فِيمَا بَلَغَنِي، تَقُولُ: لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَلَتْ الْعَرَبُ، وَاشْرَابَتْ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ وَنَجْمُ الْتَفَاقِ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الْمَطْبُورَةِ فِي اللَّيْلَةِ الشَّائِيَةِ لَفَقَدَ نَبِيَهُمْ، حَتَّى جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عِيْنَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ مَكَّةَ لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَمُّوا بِالرَّجُوعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَرَادُوا ذَلِكَ، حَتَّى خَافَهُمْ عَتَابُ بَنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِتْوَارَى. فَقَامَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ الْإِسْلَامَ إِلَّا قُوَّةً، فَمَنْ رَابِنَا ضَرَبْنَا عَنْقَهُ. فَتَرَجَعَ النَّاسُ وَكُتُبُوا عَمَّا هَمُّوا بِهِ، فَظَهَرَ عَتَابُ بَنِ أَسِيدٍ.

فَهَذَا الْمَقَامُ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ - يَعْني حِينَ أَشَارَ بِقَلْعِ نَبِيِّنَا حِينَ وَقَعَ فِي الْأَسَارِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ -: «إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَاقُومَ مَقَامًا لَا نَنْدُهُ».

قُلْتُ: وَسَيَأْتِي عَمَّا قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذِكْرُ مَا وَقَعَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرَّدَةِ فِي أَحْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمَةٍ بَيْنَ حَبِيبِ التَّنْبِيهِ بِالْإِيمَانَةِ، وَالْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ بِالْإِيمَنِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ حَتَّى قَالُوا وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ نَازِعِينَ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَالِ رَدَّتِهِمْ مِنَ السَّفَاهَةِ وَالْجَهْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي اسْتَفْزَمَهُ الشَّيْطَانُ بِهِ، حَتَّى نَصَرَهُمُ اللَّهُ وَثَبَّتَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَى دِينِهِ الْحَقِّ عَلَى يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الصَّدِيقِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، كَمَا سَيَأْتِي مَبْصُوطًا مَبِينًا مُشْرُوحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

سنة ١١ - شعر في وفاة النبي ﷺ

وَلَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ قِصَاصَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَأَفْصَحَهُ وَأَعْظَمَهُ، مَا رَوَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ [السُّوْدَةَ: ١٦٦/٢ - ١٦٦٩] رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ يَكْبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

بَطِيئَةً رَسَمَ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدٍ مَنِيرٍ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومَ وَمَعْهَدٍ
وَلَا تَمْتَحِي الْأَيَّاتُ مِنْ دَارِ حَرَمَةٍ بِهَا مَنِيرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَسَاقِي مَعَالِمٍ وَرَبِّعَ لَهُ فِيهِ مَصْلَى وَمَسْجِدُ
بِهَا حَجَرَاتُ كَانَ يَتَرَلَّ وَسَطُهَا مِنْ اللَّهِ نُورٌ يَسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ
مَعَارِفٌ لَمْ تَطْلُسْ عَلَى الْمَعْدِ آيَهَا أَنَا هَا الْبَلَى فَالْآيِ مِنْهَا تَجَمُّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرُّسُولِ وَعَهْدَهُ وَتَقِيرًا بِهَا وَارَافَهُ فِي السَّرِّ مَلْجِدُ
ظَلَّكَتْ بِهَا أَبْكَى الرُّسُولِ فَاسْمَعْتُ عِيُونَ وَمِثْلَاهَا مِنْ الْجَنِّ تَسْمَعُ
يُذَكِّرُنَ آلَاءَ الرُّسُولِ وَلَا أَرَى لَهَا مَحْصِيَةً نَفْسِي فَتُحْصَى تَبْلُدُ
مَفْجَعَةٌ قَدْ شَفَعَهَا قَدْ أَحَدٍ تَقَلَّتْ لَأَلَاءِ الرُّسُولِ تَعَمُّدُ
وَمَا بَلَغْتَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَةٍ وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطْلَعْتُ وَقُوفًا تَلْزَفُ الْعَيْنُ جِهْدَهَا عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الْخَفِيِّ فِيهِ أَحَدُ
فِي وَرَكَتِ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَبُورَكَتِ بِلَادِ نَسْوَى فِيهَا الرُّشِيدُ الْمَسْدُ
وَيَسُورُكَ لِحْدُ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبًا عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفْحِ مَنُفَسْدُ
تَهْيِيلُ عَلَيْهِ التَّرَبُّ أَيْدٍ وَأَعْيُنٍ عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِبَلَدِكَ - أَسْعَدُ

لَقَدْ غَيَّرُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيَّةً عَلَوْهُ الشَّرُّ لَا يَوْسَدُ
وَرَاوَحُوا يَحْزَنُ لَيْسَ فِيهِمْ نِيْهِمٌ وَقَدْ وَهَتْ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْضَدُ
يَكُونُ مِنْ تَكْبِي السَّمَوَاتِ يَوْمَهُ وَمَنْ قَدْ يَكْتُهُ الْأَرْضُ فَالْأَنَاسُ أَكْمَدُ
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكًا رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ عَمْدُ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَتَرُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَنْفُورُ وَيَنْجَدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ وَيَنْقُذُ مِنَ هَوْلِ الْخَوَافِي وَيُشَدُّ
إِسْمَ لَهْمٍ يَهْدِيهِمْ الْحَقُّ جَاهِدًا مُعَلِّمٌ صَدَقَ إِنْ يَطْلُمُوهُ يَسْعَدُ
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلَاتِ يَقْبَلُ عُلُومَهُ وَإِنْ يَحْشِنُوا قَالَهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ
وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ فَمَنْ عَنْدَهُ تَسِيرٌ مَا يَتَشَدُّ
فِيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ يَبْتَهِمُ دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يَقْصَدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودُوا عَنِ الْمَهْدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَفِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُنْكِي جَنَاحَهُ لِي كَتِفِي يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَهْدُ
فِيْنَا هَمٌّ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا لِي نُورُهُمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مَقْصَدُ
فَأَصْبَحَ عَمُومًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا يَكْبِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيَعْمَدُ
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحُشًا بِقَاعِهَا لَنِيَّةً مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْمَدُ
قَفَارًا سَوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا قَفِيدٌ يَكْبِيهِ بِلَاطٌ وَغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُورُثَاتُ لَقَقَدَهُ خِلَاءُ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَبِالْجَمْرِ الْكَبِيرِ لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ دِيَارُ وَعَرَصَاتُ وَرَبِيعٌ وَمَوْلَدُ
فَكْبِي رَسُولُ اللَّهِ يَا عَيْنَ عِبْرَةٍ وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
وَمَا لَكَ لَا تَكْبِيَنَّ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَعَمَدُ
فَجُرْدِي عَلَيْهِ بِالدَّمْعِ وَأَعْرُوِي لَقَقَدَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يَوْجَدُ
وَمَا قَدَّ الْمَاضُونَ مِثْلَ عَمْدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يَقْقَدُ
أَعْفُ وَأَوْفَى نَمَّةً بَعْدَ نَمَّةٍ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَسَالًا لَا يَنْكَدُ
وَابْنُذَلْ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدُ إِذَا ضَنَّ مَعْطَاهُ بِمَا كَانَ يَنْلَدُ
وَأكْرَمُ حَيًّا فِي الْيُسُوفِ إِذَا اتَّمَسَى وَأكْرَمُ جِنَا أَبْطَحِيًّا يَسُودُ
وَأَمْسَحَ ذُرُوفًا وَتَبَيَّنَتْ فِي الْعَلَا دَعَائِمُ عِزِّ شَاهِقَاتٍ تَشِيدُ
وَأَبَيَّتَ فِرْعَانًا فِي الْقُرُوعِ وَمُنَبَّأُ وَعُرُودًا غَدَاهُ الْمَزْنَ قَالْعُودُ أَغِيدُ
رِيَاءَهُ وَلِيْدًا فَاسْتَمْتُمْ تَمَامَهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مَجْمَدُ
تَسَامَتْ وَصَلَةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفَّةٍ فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يَفْنَدُ
أَقُولُ وَلَا يَلْفِي لَمَّا يَقُولِي عَالِيَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْقَوْلِ مَجْدُ
وَلَيْسَ هَوَاتِي نَازِعًا عَنْ ثَلَاثِهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِبَنَافِثِ جِوَاهِرِهِ وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْمَى وَأَجْهَدُ
وَلَيْسَ هَوَاتِي نَازِعًا عَنْ ثَلَاثِهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِبَنَافِثِ جِوَاهِرِهِ وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْمَى وَأَجْهَدُ
وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ السَّهْلِيُّ فِي أَحْسَرِ كِتَابِهِ الرُّوْضُ: وَقَالَ أَبُو
سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَكْبِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَرْقُوتُ نَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الصَّبِيَّةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْمَعُنِي الْيَكَاةَ وَذَاكَ فِيمَا أَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ

أنبأنا جعفر بن عون، أنبأنا مسعر عن عاصم، عن ذر. قال: قالت عائشة: تسألوني عن ميراث رسول الله ﷺ ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة. قال مسعر: أراه قال: ولا شاة ولا بعبيراً. قال: وأنبأنا مسعر عن علي بن ثابت، عن علي بن الحسين. قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، وقد ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورواه عن أبيه. وفي لفظ للبخاري رواه عن قبيصة، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضى الله عنها. قالت: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين. ورواه البيهقي من حديث يزيد بن هارون، عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عنها. قالت: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير. ثم قال: رواه البخاري عن محمد بن كثير، عن سفيان. ثم قال البيهقي: أنبأنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أبو بكر محمد بن حمويه العسكري، ثنا جعفر بن محمد القلانسي، ثنا آدم، ثنا شيبان عن قتادة، عن أنس. قال: لقد دعي رسول الله ﷺ على خبز شعير وإمالة نسخة. قال أنس ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع ير ولا صاع تمر». وإن له يومئذ تسع نسوة، ولقد رهن درعاً له عند يهودي بالمدينة، وأخذ منه طعاماً فما وجد وما يفتنكها به حتى مات ﷺ.

وقد روى ابن ((٤٤٣٧)) من حديث هشام الدستوائي، عن قتادة به. وما حديث شيبان، عن قتادة فقد رواه أحمد في المسند (٢٣٨/٣) ماوجه بعضه من حديث شيبان بن عبد الرحمن النخعي عن قتادة به.

وقال الإمام أحمد (٣٠١/١): حدثنا عبد الصمد، ثنا ثابت، ثنا هلال عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ نظر إلى أحد. فقال: «والذي نفسي بيده ما يسرنى أن أحداً لآل محمد ذهباً أفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت وعندي منه ديناران إلا أن أُرصدلها لئلا». قال: فمات فما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة، فترك درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير.

وقد روى آخره ابن ماجه (٢٤٣٩) عن عبد الله بن معاوية الجمحي عن ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب العبدي الكوفي به. وأوله شاهد في الصحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه. [مسند أحمد: ١٤٨/٥، ١٤٩. ولم يره (خ) أو ((]].

وقد قال الإمام أحمد (٣٠١/١): حدثنا عبد الصمد وأبو سعيد وعفان. قالوا: حدثنا ثابت - هو ابن يزيد - ثنا هلال - هو ابن خباب - عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه. فقال: يا نبي الله لو اتخذت فراشا أثر من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا، وما ثلثي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها».

تفرد به أحمد وإسناده جيد. وله شاهد من حديث ابن عباس عن عمر (خ) (٢٤٦٨)، م (١٤٧٩) في المراتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، وقصة الايلاء. وسيأتي الحديث مع غيره مما شاكه في بيان زهده عليه الصلاة والسلام وتركه الدنيا، وإعراضه عنها وإطراحه لها، وهو مما يدل على ما قلناه من أنه عليه الصلاة والسلام لم تكن الدنيا عنده ببال.

وقال الإمام أحمد (٢٢٠/١): حدثنا سفيان، ثنا عبد العزيز بن ربيع. قال: دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال ابن عباس: ما ترك

لقد عظمت مصيبتنا وجلت
وأضحت أرضنا مما عراها
فقدنا الوحي والتزليل فينا
وذلك أحق ما سالت عليه
نبي كان يجلو الشك عنا
ويهدينا فلا نخشى ضلالا
أنفاسم إن جزعت فلذاك علل
فغير أيبك سيد كل قبر

سنة ١١- لم يترك درهماً ولا ديناراً

باب بيان أن النبي ﷺ لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا شاة ولا بعبيراً ولا شيئاً يورث عنه، بل أرضاً جعلها كلها صدقة لله عز وجل

فإن الدنيا مجتافرها كانت أحقر عنده - كما هي عند الله - من أن يسمى لها أو يتركها بعده ميراثاً صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وسلم تسليمًا كثيراً دائماً إلى يوم الدين.

قال البخاري: حدثنا، قتيبة ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث. قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بقلته البيضاء التي كان يركبها، وسلحاه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة. انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في أماكن من صحيحه من طرق متعددة عن أبي الأحوص وسفيان الثوري وزهير بن معاوية، ورواه الترمذي من حديث إسرائيل والنسائي أيضاً من حديث يونس بن أبي إسحاق، كلهم عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن عمرو بن الحارث بن المصطلق بن أبي ضرار أخيه جويبة بنت الحارث، أم المؤمنين رضي الله عنهما به. وقد رواه الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، وابن نمير عن الأعمش عن شقيق عن مسروق عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعبيراً ولا أوصى بشيء. وهكذا رواه مسلم منفرداً به عن البخاري، وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن سليمان بن مهران الأعمش عن شقيق بن سلمة أبي وائل، عن مسروق بن الأجلع، عن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها وأرضاعها، وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف عن سفيان، عن عاصم عن ذر بن حبيش، عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا أمة ولا عبداً ولا شاة ولا بعبيراً. وحدثنا عبد الرحمن عن سفيان، عن عاصم، عن ذر، عن عائشة: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعبيراً. قال سفيان: وأكثر علمي وأشك في العبد والأمة. وهكذا رواه الترمذي في الشمال عن بندار، عن عبد الرحمن بن مهدي به. قال الإمام أحمد. وحدثنا وكيع، ثنا مسعر عن عاصم بن أبي النجود، عن ذر عن عائشة. قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعبيراً. هكذا رواه الإمام أحمد من غير شك. وقد رواه البيهقي عن أبي زكريا بن أبي إسحاق المزكي، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الوهاب،

رسول الله ﷺ إلا ما بين هذين اللوحين. قال: ودخلنا على محمد بن علي فقال مثل ذلك.

وهكذا رواه البخاري [٥٠١٩] عن قتيبة عن سفيان بن عيينة به.

وقال البخاري [٤٤٦٠]: حدثنا أبو نعيم، ثنا مالك بن مغول عن طلحة، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ فقال لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أمروا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل.

وقد رواه البخاري [٢٧٤٠] أيضاً ومسلم [١٦٣٤] وأهل السنن [٢١١٩]، ص [٣٦٢٢]، ج [٢٦٩٦] إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول.

قريبه: قد وردت أحاديث كثيرة سنورها قريباً بعد هذا الفصل في ذكر أشياء كان يختص بها صلوات الله وسلامه عليه في حياته من دور، ومسكن نسائه، وإماء وعبيد وخيول وليل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك مما ستوضحه بطرقه ودلائله، فلعله عليه الصلاة والسلام تصدق بكثير منها في حياته منجراً، واعتق من اعتق من إماءه وعبيده، وأرصد ما أرصد من امتته، مع ما خصه الله به من الأرضين من بني النضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين على ما سنيته إن شاء الله، إلا أنه لم يخلف من ذلك شيئاً يورث عنه قطعاً لما سنذكره قريباً وبالله المستعان.

سنة ١١ - بيان أنه عليه السلام قال: «لا نورث»

قال الإمام أحمد [٢٤٢/٢]: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة يبلغ به، وقال مرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة».

وقد رواه البخاري [٢٧٧٦] ومسلم [١٧٦٠] (٥٥) وأبو داود [٢٩٧٤] من طرق عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة» لفظ البخاري.

ثم قال البخاري [٢٧٣٠]: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن أزواج النبي ﷺ حين تسوي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألن ميراثهن، فقالت عائشة: ليس قد قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركنا صدقة»؟

وهكذا رواه مسلم [١٧٥٨] (٥١) عن يحيى بن يحيى، وأبو داود [٢٩٧٦] عن القعني، والنسائي (كجوى [٦٣١١]) عن قتيبة، كلهم عن مالك به.

فهذه إحدى النساء الواثقات - إن لو قتر ميراث - قد اعترفت أن رسول الله ﷺ جعل ما تركه صدقة لا ميراثاً، والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ما روت، وتذكرن ما قالت هن من ذلك، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن والله أعلم.

وقال البخاري [٦٧٢٧]: حدثنا إسماعيل بن أبان، ثنا عبد الله بن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ قال:

«لا نورث ما تركنا صدقة».

وقال البخاري باب قول رسول الله ﷺ [ك (٨٥) باب (٣)] «لا نورث ما تركنا صدقة»:

حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا هشام، أنبأنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة والعباس أنبا أبا بكر رضي الله عنه عنه يلتصقان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خيبر. فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال». قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيته رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت [٢٧٢٥].

وهكذا رواه الإمام أحمد [٤/١] عن عبد الرزاق، عن معمر.

ثم رواه أحمد [٦/١] عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ ميراثها عما ترك ما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» فضضت فاطمة وهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت. قال: وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر. وذكر تمام الحديث.

هكذا قال الإمام أحمد.

وقد روى البخاري هذا الحديث في كتاب المغازي من صحيحه [٤٢٤٠، ٤٢٤١] عن يحيى ابن بكير، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري عن عروة، عن عائشة كما تقدم، وزاد: فلما توفيت دفنها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استكر عليّ وجهه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر: اتنا ولا يأتيك معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر. فقال عمر: والله لا تدخل عليهم وحداً. قال أبو بكر: وما عسى أن يصنعوا بي؟ والله لا أكثهم.

فانطلق أبو بكر رضي الله عنه فتشهد عليّ عليه السلام قال: إننا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنكم استبددتم بالأمر. وكنا نرى قربابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا في هذا الأمر نصيباً.

فلم يزل عليّ يذكر حتى بكى أبو بكر رضي الله عنه. وقال: والذي نفسي بيده لقرباة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابي، وأما الذي شجر بيني وبينكم في هذه الأموال، فإني لم آكل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً صنعته رسول الله ﷺ إلا صنعت. فقال عليّ: موعذك للبيعة عشيّة. فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه الظهر رقي على المنبر، فتشهد وذكر شأن عليّ وتخلّفه عن البيعة، وغذره بالذي اعتنر به، وتشهد عليّ رضي الله عنه فغطم حقّ أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقتها، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ثم قام إلى أبي بكر رضي الله عنهما فبايعه. فاقبل الناس على عليّ فقالوا: أحسنت. وكان الناس إلى عليّ قريباً حين راجع الأمر بالعرف.

وقد رواه البخاري [٣٠٩٨٢] أيضاً ومسلم [١٧٥٨] (٥١) و[١٧٥٩] (٥٢) (٥٣) (٥٤) وأبو داود [٢٩٦٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٦، ٢٩٧٧] والنسائي [٤١٥٢] من طرق متعددة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة بنحوه.

فهذه البيعة التي وقعت من عليّ رضي الله عنه، لأبي بكر رضي الله

ثم قال: هل لك في عليّ وعباس؟ قال: نعم! قال عباس: يا أمير المؤمنين أقض بيني وبين هذا، قال: أتشدكم بالله الذي يأبته تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة؟» يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك. فأقبل على عليّ وعباس فقال: هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالوا: قد قال ذلك، قال عمر بن الخطاب: إني أحتكم عن هذا الأمر؛ إن الله كان قد خص لرسول الله ﷺ في هذا الشيء بشيء لم يعطه أحدا غيره، قال: «مُشَا أَنَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ» إلى قوله: «قُتِيْرَ» [الحشر: الآية ٧] فكانت خالصة لرسول الله ﷺ، والله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها وبها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله من هذا المال نفقة ستة، ثم يأخذ ما بقي فيجعله يجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته. أتشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم! ثم قال لمليّ وعباس: أتشدكم بالله هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم! فنفق رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها، فعمل بما عمل به رسول الله ﷺ، ثم توفي الله أبا بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله ﷺ، فقبضتها ستين أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، ثم جتماني وكلمتكم واحدة وأمركم جميع، حتى جتمني تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجأني هذا ليسألني نصيب امرأته من أبيها، فقلت: إن شئتما دفعتهما إليكما بذلك، فلتتسان مني قضاء غير ذلك! فوالله الذي يأبته تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما فادفعاهما إليّ فأتا أكفياهما.

وقد رواه البخاري في أماكن متفرقة من صحيحه (٣٠٩٤، ٤٠٣٣، ٥٣٥٨، ٧٣٠٥)، وسلم (١٧٥٧) (٤٨، ٤٩، ٥٠)، وأهل السنن (٢٩٦٣)، ت (١٦١٠)، س (٦٣٠٧ - ١٦٣١٠)، ولم يخرجه ج من طرق عن الزهري به.

وفي رواية في الصحيحين (ج (٧٣٠٥)، م (١٧٥٧) (٤٩)) فقال عمر: فوليها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم أنه صادق باز راشد تابع للحق، ثم وليها فعملت فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر، والله يعلم أني صادق باز راشد تابع للحق. ثم جتماني فدفعتهما إليكما لتعلما فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعملت فيها أنا، أتشدكم بالله أدفعتهما إليهما بذلك؟ قالوا: نعم. ثم قال لهما: أتشدكم بالله هل دفعتهما إليكما بذلك؟ قالوا: نعم، قال: أفتلتسان مني قضاء غير ذلك؟ لا! والذي يأبته تقوم السماء والأرض.

وقال الإمام أحمد (٢٥/١، ١٦٢، ١٦٤، ١٩١): حدثنا سفيان عن عمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس قال: سمعت عمر يقول لعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد: نشدكم بالله الذي تقوم السماء والأرض بأمره، أعلمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة؟» قالوا: نعم! على شرط الصحيحين.

قلت: وكل الذي سأل - بعد تفويض النظر إليهما والله أعلم - هو أن يقسم بينهما النظر، فيجعل لكل واحد منهما نظر ما كان يستحقه بالإرث، لو قدر أنه كان وارثا، وكأنهما قلما بين أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما، فقالت الصحابة الذين قدمهم بين أيديهما: يا أمير المؤمنين أقض بينهما، وأرجح أحدهما من الآخر. فكان عمر رضي الله عنه تخرج من قسمة النظر بينهما بما يشبه

عنه، بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، بعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولا يوم السقيفة، كما رواه ابن خزيمة، وصححه مسلم بن الحجاج، ولم يكن عليّ مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر، بل كان يصلي راءه ويحضر عنده للمشورة، وركب معه إلى ذي القصة كما سيأتي.

وفي صحيح البخاري (٣٥٤٢، ٣٧٥٠) أن أبا بكر رضي الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ ليال، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن عليّ يلعب مع الغلمان، فاحتمله على كاهله وجعل يقول: يا بني شيء النبي، ليس شيئا بعلي. وعليّ يضحك.

ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها، فنفي ذلك، والمثبت مقدم على الثاني كما تقدم، وكما تقرر والله أعلم، وأما تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبي بكر رضي الله عنه وأرضاها، فما أدري ما وجهه، فإن كان لحنه إياها ما سألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» وهي عن تغاض لنص الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك، ووافقتها عليه، وليس يظن بفاطمة رضي الله عنها أنها اتهمت الصديق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين كما سنبينه قريباً. ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه، لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والالتقاد له في ذلك، وإن كان غضبها لأجل ما سألته الصديق - إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثاً - أن يكون زوجها ينظر فيها، فقد اعتذر بما حصله أنه لا كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمل رسول الله ﷺ، وليس ما كان يليه رسول الله ﷺ، ولهذا قال: وإني والله لا أدع أمراً كان يصنع فيه رسول الله ﷺ إلا صنعه، قال: فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت. وهذا المجران والحالة هذه فتح على فرقة الرافضة شراً عريضاً، وجهلاً طويلاً، وأدخلوا أنفسهم بسبه فيما لا يعنيه، ولو تفهموا الأمور على ما هي عليه، لعرفوا للصديق فضله، وقبلوا منه عنده الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة غفولة، وفرقة مردولة، يتمسكون بالثبابة، ويتركون الأسور المحكمة المقررة عند أئمة الإسلام، من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم من العلماء المتبرين في سائر الأعصار والأمصار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

سنة ١١ - بيان رواية الجماعة لما رواه الصديق

وموافقتهم على ذلك

قال البخاري (٦٧٢٨): حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان، وكان محمد بن جبير بن مطعم ذكر لي ذكراً من حديثه ذلك، فاطلقت حتى دخلت عليه فسألته فقال: انطلقت حتى أدخل على عمر، فأتاه حاجبه يرفا فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ قال: نعم! فاذن لهم،

فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هنا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أحب أن أذن له؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاه رسول الله، ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضاها حتى رزيت. وهذا إسناد جيد قوي، والظاهر أن عامراً الشعبي سمعه من علي، أو عن سمعه من علي.

وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبو بكر في ذلك. قال الحافظ البيهقي (السنن الكبرى: ٣٠٧/٦): أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله الصفار، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا نصر بن علي، ثنا ابن داود عن فضيل بن مرزوق، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي: أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر - رضي الله عنه - لحكمت بما حكم به أبو بكر - رضي الله عنه - في ذلك.

سنة ١١ - الرد على الرافضة في مقام الميراث

ورد ما احتجوا به

وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا ينعينهم، وحاول بعضهم أن يرد خبر أبي بكر رضي الله عنه فيما ذكرناه بأنه مخالف للقرآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ الآية (النمل: ١٦). وحيث قال تعالى إخباراً عن زكريا أنه قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَتَرَبَّصُّ مِنْ آلِ الْفَقْرَةِ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ (مريم: ٦٥). واستدلواهم هذا باطل من وجوه:

أحدها أن قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ إنما يعني بذلك في الملك والنسب، أي جعلناه قائماً بعده فيما كان يليه من الملك وتبدير الراعياء، والحكم بين بني إسرائيل، وجعلناه نبياً كريماً كآبائه، فكمما جمع لأبيه الملك والنسب كذلك جعل ولده بعده، وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال: مائة ولدي. فلم يقتصر على ذكر سليمان من بينهم، لو كان المراد وراثة المال؟ إنما المراد وراثة القيام بعده في النبوة والملك، ولهذا قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَاقِبَ الطَّيِّبِينَ وَأَوْحَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ وما بعدها من الآيات (النمل: ١٦). وقد أضيفنا الكلام على هذا في كتابنا التفسير بما فيه كفاية، والله الحمد والمنة كثيراً.

وأما قصة زكريا فإنه عليه السلام من الأنبياء الكرام، والدنيا كانت عنه أحقر من أن يسأل الله ولداً ليرثه في ماله، كيف؟ وإنما كان نجاراً يأكل من كسب يده كما رواه البخاري (٢٠٧٢). يذكر داود - عليه السلام - بلذكر - عليه السلام - وليس له كان نجاراً، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته، حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله - إن لو كان له مال - وإنما سأل ولداً صالحاً يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل، وحلهم على السداد.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَهَمَّصُوا: ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا. قَالَ رَبِّ إِنِّي وَفَرَنَ الْعَظِيمِ إِنِّي وَاشْتَغَلْتُ الرَّأْسَ شَيْئًا وَنَسِيتُ الْكُنْ بِدَعَائِكَ رَبِّ شَيْئًا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَثَتِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَتَرَبَّصُّ مِنْ آلِ الْفَقْرِ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ القصة بتمامها (مريم: ٦١).

قصة الميراث ولو في الصورة الظاهرة محافظة على امتثال قوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشد الإباء رضي الله عنه وأرضاه.

ثم إن علياً والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعاً إلى زمان عثمان بن عفان، فغلبه عليها علي وتتركها له العباس بإشارة ابنه عبد الله رضي الله عنهما بين يدي عثمان، كما رواه أحمد في مسنده (١٣/١). فاستمرت في أيدي العلويين. وقد تقصيت طرق هذا الحديث والآفاظه في مستندي الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإني والله الحمد جمعت لكل واحد منهما مجلداً ضخماً عما رواه عن رسول الله ﷺ، ورآه من الفقه النافع الصحيح، ورتبته على أبواب الفقه المصطلح عليها اليوم.

وقد رويتنا أن فاطمة رضي الله عنها احتجت أولاً بالقياس وبالمعوم في الآية الكريمة، فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع في حق النبي ﷺ، وأنها سلمت له ما قال. وهذا هو المظنون بها رضي الله عنها.

وقال الإمام أحمد (١٠/١): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة: أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فما لنا لا نرث رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن النبي لا يورث» ولكني أعول من كان رسول الله ﷺ يقول، وأتفق على من كان رسول الله ﷺ يتفق.

وقد رواه الترمذي في جامعه (١٦٠٨) عن محمد بن المثنى عن أبي الوليد الطيالسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، فذكره، فوصل الحديث. وقال الترمذي: حسن غريب.

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد (٤/١): حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ثنا محمد بن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل. قال: لما قبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: آتت ورثته رسول الله أم أهله؟ فقال: لا بل أهله، فقالت: فابن سهم رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمته، ثم قبضه جعله للذي يقرم من بعده» فرايت أن اردء على المسلمين. قالت: فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ.

وهكذا رواه أبو داود (٢٩٧٣) عن عثمان بن أبي شيبة، عن محمد بن فضيل به.

ففي لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة، ولعله روي بمعنى ما فهمه بعض الرواة، ومنهم من فيه تشيع فليعلم ذلك.

وأحسن ما فيه قولها «أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ» وهذا هو المظنون بها، والاتق بأمرها وسياقتها وعلمها ودينها، رضي الله عنها. وكأنها سأله بعد هذا أن يجعل زوجها نازراً على هذه الصدقة فلم يجيبها إلى ذلك لما قلناه، فتعنت عليه بسبب ذلك، وهي امرأة من بني آدم، تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله ﷺ، وخالفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وقد رويتنا عن أبي بكر رضي الله عنه: أنه ترضى فاطمة وتلايتها قبل موتها فريضت رضي الله عنها.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (السنن الكبرى: ٣٠١/٦): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبد الوهاب، ثنا عبدان بن عثمان العنكي بنيسابور، أنبأنا أبو حمزة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي. قال: لما مرضت فاطمة أتاه أبو بكر الصديق،

فقال: ﴿وَيَا يَرْثِي وَيَرثُ مِنْ كُلِّ يَهْقُوبَ﴾ يعني النبوة كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة.

وقد تقدم في رواية أبي سلمة عن أبي هريرة عن أبي بكر. أن رسول الله ﷺ قال: «التي لا يورث» وهذا اسم جنس يضم كل الأنبياء وقد حسنه الترمذي. وفي الحديث الآخر: «نحن معشر الأنبياء لا نورث».

والوجه الثاني: أن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها كما سنعد له باباً مفرداً في آخر السيرة إن شاء الله، فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون - وليس الأمر كذلك - لكان ما رواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ مبيناً لتخصيصه بهذا الحكم دون ما سواه.

والثالث: أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء، واعترف بصحته العلماء، سواء كان من خصائصه أم لا. فإنه قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» إذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «ما تركناه صدقة» أن يكون خبراً عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ما تقدم وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون إنشاء وصية كأنه يقول: لا نورث لأن جميع ما تركناه جعلناه صدقة، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة، والاحتمال الأول أظهر. وهو الذي سلكه الجمهور.

وقد يقوى المعنى الثاني بما تقدم من حديث مالك وغيره عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة» وهذا اللفظ مخرج في الصحيحين [خ (٢٧٧٩)، م (١٧٦٠)] حديث أبي هريرة، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث «ما تركناه صدقة» بالنصب، جعل - «ما» - نافية، فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله: «لا نورث»؟! وبهذه الرواية: «ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة» وما شأن هذا إلا كما حكى عن بعض المعتزلة أنه قرأ على شيخ من أهل السنة ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب الجلالة، فقال له الشيخ: ويحك كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِحِقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ: «لا نورث ما تركناه صدقة» على كل تقليد احتمله اللفظ والمعنى فإنه يخصص لعموم آية الميراث، ومخرج له عليه الصلاة والسلام منها، إما وحده أو مع غيره من إخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

٦- كتاب زوجات النبي ﷺ وخواصه

١- ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه

ورضي عنهن وأولاده عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي بَعَثْتُ فِيكُمْ نُبِيًّا مِنْكُمْ أَنْ يَقُولَ لِلَّهِ عِبَادَةً وَتَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَوْنَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا. يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ لَنْتَرَكُوكُمْ قُلُوبًا كَافِرِينَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْضَعُونَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَنُ السَّلَاطِي فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضًا وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَقُرْنُ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤-٣٦].

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام توفي عن تسع هن: عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية، وحفصة بنت عمر بن الخطاب العلوية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية، وزينب بنت جحش الأسدية، وأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، وميمونة بنت الحارث الملالية، وسودة بنت زمعة العامرية، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وصفيّة بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية المارونية، رضي الله عنهن وأرضاهن.

وكانت له سُبُتان وهما: مارية بنت شمعون القبطية المصرية، من كورة أنصنا وهي أم ولده إبراهيم عليه السلام، وريحانة بنت شمعون القرظية أسلمت، ثم اعتقها فلاحقت بأهلها. ومن الناس من يزعم أنها حُجِّبَت والله أعلم.

وأما الكلام على ذلك مفصلاً ومرتباً من حيث ما وقع أولاً فالأول مجموعاً من كلام الأئمة رحمهم الله فنقول وبالله المستعان:

روى الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٢٨٨/٧، ٢٨٩] من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قال: تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، دخل منهن ثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة، ومات عن تسع، ثم ذكر هؤلاء التسع اللاتي ذكرناهن رضي الله عنهن.

ورواه سيف بن عمر عن سعيد عن قتادة عن أنس والأول أصح.

ورواه سيف بن عمر التميمي عن سعيد عن قتادة عن أنس وابن عباس مثله.

وروي عن سعيد بن عبد الله، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة مثله. قالت: فالمرأتان اللتان لم يدخل بهما فهما: عمرة بنت يزيد الغفارية والشبابة.

فأما عمرة فإنه خلا بها وجرداها فرأى بها وضحاً فرداها، وأوجب لها الصداق، وحرمت على غيره.

وأما الشبابة فلما أدخلت عليه لم تكن سيرة، فتركها ينتظر بها اليسر فلما مات ابنه إبراهيم على تَقَبُّه ذلك قالت: لو كان نبياً لم يمت ابنه، فطلقها وأوجب لها الصداق، وحرمت على غيره.

قالت: فاللاتي اجتمعن عنده؛ عائشة وسودة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجويرية وصفيّة وميمونة وأم شريك.

قلت: وفي صحيح البخاري [٢٦٨] عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يطوف على نسائه وهن إحدى عشرة امرأة.

والمشهور أن أم شريك لم يدخل بها كما سيأتي بيانه، ولكن المراد بالإحدى عشرة اللاتي كان يطوف عليهن التسع المذكورات، والجاريتان مارية وريحانة.

وروى يعقوب بن سفيان القسوي عن الحجاج بن أبي منيع، عن جده عبيد الله بن أبي زياد الرصافي، عن الزهري - وقد علق البخاري في صحيحه [عقب ج ٥٢٥٤] عن الحجاج هذا.

وأورده الحافظ ابن عساكر [مراجع دمشق: ١٧٧/٣] طرفاً عنه أن أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وزوجها إياها أبوها قبل البعثة.

وفي رواية [تاريخ دمشق: ١٨٤/٣] قال الزهري: وكان عمر رسول الله ﷺ يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة، وقيل: خمساً وعشرين سنة، زمان بنيت الكعبة.

وقال الواقدي وزاد: ولها خمس وأربعون سنة.

وقال آخرون من أهل العلم: كان عمره عليه الصلاة والسلام يومئذ ثلاثين سنة.

وعن حكيم بن حزام: قال: كان عمر رسول الله ﷺ يوم تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وعمرها أربعون سنة.

وعن ابن عباس: كان عمرها ثمانياً وعشرين سنة. رواهما ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٩٢/٣، ١٩٤].

وقال ابن جريج: كان عليه الصلاة والسلام ابن سبع وثلاثين سنة، فولدت له القاسم وبه كان يكنى والطيب والطاهر، وزينب، وزكية، وأم كلثوم، وفاطمة [تاريخ دمشق: ١٨٤/٣].

قلت: وهي أم أولاده كلهم سوى إبراهيم، فمن مارية كما سيأتي بيانه.

ثم تكلم على كل بنت من بنات رسول الله ﷺ ومن تزوجها، وحاصله:

أن زينب تزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن أخت خديجة، أمه هالة بنت خويلد، فولدت له ابناً اسمه علي، وبنتاً اسمها أمامة بنت زينب، وقد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة، ومات وهي عنده، ثم تزوجت بعده بالمغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب. وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان فولدت له ابنه عبد الله وبه كان يكنى أولاً، ثم اكتنى بابنه عمرو، وماتت رقية ورسول الله ﷺ بيد، ولما قدم زيد بن حارثة بالبشارة وجدهم قد ساءوا التراب عليها، وكان عثمان قد أقام عندها يمرضها، ففرض له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، ثم زوجه بأختها أم كلثوم، ولهذا كان يقال له ذو النورين، فتوفيت عنده أيضاً في حياته رسول الله ﷺ.

وأما فاطمة فتزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، فدخل بها بعد وقعة بدر كما قلنا، فولدت له حسناً وبه كان يكنى، وحسبنا وهو المقتول شهيداً بأرض العراق.

قلت: ويقال ومُحَسَّنًا.

وقال: وزينب وأم كلثوم، وقد تزوج زينب هذه ابن عمها عبد الله بن جعفر، فولدت له علياً وعروناً وماتت عنده.

وأما أم كلثوم، فتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فولدت له زيداً، ومات عنها، فتزوجت بعده بني عمها جعفر واحداً وبعد واحد، تزوجت بعون بن جعفر، فمات عنها، فخلف عليها أخوه محمد، فمات عنها، فخلف عليها أخوها عبد الله بن جعفر فماتت عنده.

قال الزهري: وقد كانت خديجة بنت خويلد تزوجت قبل رسول الله ﷺ بـرجلين؛ الأول منهما عتيق بن عائذ بن غزوم فولدت منه جارية وهي أم محمد بن صفين، والثاني أبو هالة التميمي فولدت له هند بن هند، وقد سماه ابن إسحاق (سورة ابن هشام: ٦٤٣/٢، ٦٤٤) فقال: ثم خلف عليها بعد هلاك عتيق بن عائذ أبو هالة النباش بن زرارة، أحد بني عمرو بن نعيم، حليف بني عبد الدار، فولدت له رجلاً وامراً، ثم هلك عنها، فخلف عليها رسول الله ﷺ فولدت له بنته الأربع، ثم بعدهن القاسم والطيب والطاهر، فذهب الغلبة جميعاً وهم يرضعون.

قلت: ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ مدة حياتها امرأة. كذلك رواه عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت ذلك [م (٢٤٣٦) (٧٧) عن عبد بن محمد عن عبد الرزاق، ٩٤].

وقله قلنا تزويجها في موضعه، وتكرنا شيئاً من فضائلها بدلائلها. قال الزهري: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة بعائشة بنت أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولم يتزوج بغيرها.

قلت: ولم يولد له منها ولد، وقيل بل أسقطت منه ولداً سماه رسول الله ﷺ عبد الله، ولهذا كانت تكتى بأم عبد الله، وقيل: إنما كانت تكتى بعبد الله ابن اختها أسماء من الزبير بن العوام رضي الله عنهم.

قلت: وقد قيل: إنه تزوج سورة قبل عائشة، قال ابن إسحاق وغيره كما قلنا ذكر الخلاف في ذلك فالله أعلم. وقد قلنا صفة تزويجه عليه الصلاة والسلام بهما قبل الهجرة، وتأخر دخوله بعائشة إلى ما بعد الهجرة. قال: وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، مات عنها مؤمناً.

قال: وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن غزوم وكانت قبله تحت ابن عمها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن غزوم.

قال: وتزوج سورة بنت زمة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وكانت قبله تحت السكران ابن عمرو أخي سهيل بن عمرو بن عبد شمس، مات عنها مسلماً بعد رجوعه ولياها من أرض الحبشة إلى مكة رضي الله عنها.

قال: وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش بن رثاب من بني أسد بن خزيمه مات بأرض الحبشة نصرانياً، بعث إليها رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى أرض الحبشة فخطبها عليه فزوجها منه عثمان بن عفان، كذا قال والصواب خالد بن سعيد بن العاص وأصدقها عنه النجاشي أربعمئة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وقد قلنا ذلك كله مطولاً ولله الحمد.

قال: وتزوج زينب بنت جحش بن رثاب بن أسد بن خزيمه، وأما: أمية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام، وهي أول نسائه لحوقاً به، وأول من عمل عليها النعش، صنعتها أسماء بنت عميس عليها، كما رأت ذلك بأرض الحبشة.

قال: وتزوج زينب بنت خزيمه وهي من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، ويقال لها: أم المساكين، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش بن رثاب، قتل يوم أحد، فلم تلبث عنده عليه الصلاة والسلام إلا يسيراً حتى توفيت رضي الله عنها.

وقال يونس عن محمد بن إسحاق (سورة ابن إسحاق ص ٢٤١): كانت قبله عند الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث.

قال الزهري: وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الحزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة قال: وهي التي وهبت نفسها.

قلت: الصحيح أنه ﷺ خطبها وكان السفير بينهما أبو رافع مولاه، كما بسطنا ذلك في عمرة القضاء.

قال الزهري: وقد تزوجت قبله رجلين أولهما ابن عبد ياليل - وقال سيف بن عمر في روايته: كانت تحت عمير، بن عمرو أحد بني عقدة بن ثقيف بن عمرو الثقفي، مات عنها - ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

قال: وسمى رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عامر بن مالك بن المصطلق من خزاعة، يوم المريسج فاعتقها وتزوجها، ويقال: بل قدم أبوها الحارث، وكان ملك خزاعة فأسلم ثم تزوجها منه ﷺ، وكانت قبله عند ابن عمها صفوان بن أبي الشؤف. قاله قتادة عن سعيد بن المسيب والشعبي ومحمد بن إسحاق وغيرهم. قالوا: وكان هذا البطن من خزاعة حلفاء لأبي سفيان على رسول الله ﷺ. ولهذا يقول حسان:

وحلف الحارث بن أبي ضرار وحلف قريظة فكهم سواء

وقال سيف بن عمر في روايته عن سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: وكانت جويرية تحت ابن عمها مالك بن صفوان بن تولب ذي الشؤف بن أبي السرح بن مالك بن المصطلق.

قال: وسمى صفية بنت حُمي بن أخطب، من بني النضير يوم خيبر، وهي عروس بكنانة بن أبي الحقيق. وقد زعم سيف بن عمر في روايته أنها كانت قبل كنانة عند سلام بن مشكم قاله أعلم.

قال: فهذه إحدى عشرة امرأة دخل بهن، قال: وقد قسم عمر بن الخطاب في خلافته لكل امرأة من أزواج النبي ﷺ اثني عشر ألفاً، وأعطى جويرية وصفية ستة آلاف ستة آلاف، بسبب أنهما سييتا. قال الزهري: وقد حجبهما رسول الله ﷺ وقسم لها.

قلت: وقد بسطنا الكلام فيما تقدم في تزويجه عليه الصلاة والسلام كل واحدة من هذه النسوة رضي الله عنهن في موضعه.

قال الزهري: وقد تزوج العالية بنت طليان بن عمرو من بني أبي بكر بن كلاب، ودخل بها وطلقها ﷺ.

فجلسنا بينهما، فقال رسول الله ﷺ: «اجلسوا» ودخل هو وقد أتى بالجنوبة فزلزلت في بيت أمية بنت النعمان بن شراحيل ومعهما دابة لها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قال: «هي لي نفسك»؛ قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، وقالت: إني أعوذ بالله منك، قال: «لقد عذت بمعامه». ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أسيد اكسها رازقيتين، والحقها بأهلها».

وقال غير أبي أحمد: امرأة من بني الجون يقال لها: أمية. وقال البخاري (٥٢٥٥): حدثنا أبو نعيم، ثنا عبد الرحمن بن الغنيل، عن حمزة بن أبي أسيد، عن أسيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال: «اجلسوا هاهنا» فدخل وقد أتى بالجنوبة فانزلت في غل في بيت أمية بنت النعمان بن شراحيل، ومعهما دابتهما حاضرة لها، فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قال: «هي لي نفسك». قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟! قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن، فقالت: أعوذ بالله منك. قال: «قد عذت بمعامه». ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أسيد اكسها رازقيتين والحقها بأهلها».

قال البخاري (٥٢٥٦، ٥٢٥٧) معلقاً: وقال الحسين بن الوليد، عن عبد الرحمن بن الغنيل، عن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه، وأبي أسيد. قال: تزوج النبي ﷺ أمية بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رزاقين.

ثم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا إبراهيم بن أبي الوزير، ثنا عبد الرحمن بن حمزة عن أبيه، وعن عباس بن سهل ابن سعد، عن أبيه بهذا.

انفرد البخاري بهذه الروايات من بين أصحاب الكتب.

وقال البخاري (٥٢٥٤): ثنا الحميدي، ثنا الوليد، ثنا الأوزاعي: سألت الزهري: أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه؟ فقال: أخبرني عروة عن عائشة، أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقى بأهلك».

وقال: ورواه حجاج بن أبي منيع عن جده، عن الزهري: أن عروة أخبره أن عائشة قالت... الحديث، انفرد به دون مسلم.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٨٧/٧، ٢٨٨): ورويت في كتاب المعرفة لابن منده أن اسم التي استعاذت منه أمية بنت النعمان بن شراحيل. ويقال: فاطمة بنت الضحاك.

والصحيح أنها أمية والله أعلم.

وزعموا أن الكلابية اسمها عمرة وهي التي وصفها أبوها بأنها لم تمض قط، فرغب عنها رسول الله ﷺ.

وقد روى محمد بن سعد (الطبقات: ١٤١/٨) عن محمد بن عبد الله، عن الزهري. قال: هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان، استعاذت منه فطلقها، فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية. قال: وتزوجها في ذي القعدة سنة ثمان، وماتت سنة ستين.

وذكر يونس عن ابن إسحاق فيمن تزوجها عليه الصلاة والسلام ولم يدخل بها: أسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد الكلابية.

وقال ابن عباس وقتادة: أسماء بنت النعمان بن أبي الجون فأنه أعلم. قال ابن عباس: لما استعاذت منه خرج من عندها مغضباً، فقال له الأشعث: لا يسوك ذلك يا رسول الله فمندی أجل منها، فزوجه أخته

قال البيهقي: كنا في كتابي، وفي رواية غيره: ولم يدخل بها فطلقها. وقد قال محمد بن سعد (الطبقات الكبرى: ١٤٣/٨) عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، حدثني رجل من بني أبي بكر بن كلاب أن رسول الله ﷺ تزوج العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب فمكثت عنده دهرًا ثم طلقها.

وقد روى يعقوب بن سفيان عن حجاج بن أبي منيع، عن جده، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن الضحاك بن سفيان الكلابي هو الذي دل رسول الله ﷺ عليها، وأنا أسمع من وراه الحجاب، قال: يا رسول الله هل لك في أخت أم شبيب؟ وأم شبيب امرأة الضحاك.

وه قال الزهري. وتزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني عمرو بن كلاب فأنشأ بها بياضاً، فطلقها ولم يدخل بها.

قلت: الظاهر أن هذه هي التي قبلها والله أعلم.

قال: وتزوج أخت بني الجون الكندي وهم حلفاء بني فزارة فاستعاذت منه فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقى بأهلك» فطلقها ولم يدخل بها.

قال: وكانت لرسول الله ﷺ سرية يقال لها مارية، فولدت له غلاماً اسمه إبراهيم، فتوفي وقد ملأ المهد، وكانت له وليدة يقال لها: رجانة بنت شمعون من أهل الكتاب من خثافة، وهم بطن من بني قريظة اعتقها رسول الله ﷺ، ويزعمون أنها قد احتجبت.

وقد روى الحافظ ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٢٣٣/٣) بسنده عن علي بن مجاهد: أن رسول الله ﷺ تزوج خولة بنت المثلث بن هبيرة التغلبي، وأمها خرق بنت خليفة أخت دحية بن خليفة، فحملت إليه من الشام، فماتت في الطريق، فتزوج خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة فحملت إليه من الشام فماتت في الطريق أيضاً.

وقال يونس بن بكير عن محمد ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء بنت كعب الجونية فلم يدخل بها حتى طلقها، وتزوج عمرة بنت زيد، إحدى نساء بني كلاب، ثم من بني الوحيد، وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب، فطلقها ولم يدخل بها رسوة ابن إسحاق: ص ٢٤٨.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٨٧/٧): فهاتان هما اللتان ذكرهما الزهري ولم يسمهما، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر العالية.

وقال البيهقي (الدلائل: ٢٨٧/٧): أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير، عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي قال: وهين لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن، فدخل ببعضهن وأرجى بعضهن، فلم يقربهن حتى توفي، ولم يتكهن بعه، منهن أم شريك، فذلك قوله تعالى: ﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْذِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَنِيتَ مِنْهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ (الأحزاب: ٥١).

قال البيهقي: وقد روي عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: كانت خولة - يعني بنت حكيم - من وهين أنفسهن لرسول الله ﷺ.

وقال البيهقي: وروينا في حديث أبي أسيد الساعدي في قصة الجونية التي استعاذت فألقها بأهلها، أن اسمها أمية بنت النعمان بن شراحيل، كذا قال.

وقد قال الإمام أحمد (٤٩٨/٣، ٣٣٩/٥) حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري، حدثنا عبد الرحمن بن الغنيل، عن حمزة بن أبي أسيد، عن أبيه وعباس بن مهول، عن أبيه قال: مر بنا النبي ﷺ وأصحاب له، فخرجنا معه حتى انطلقنا إلى حائط يقال له: الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين

قتيلة [طبقات ابن سعد: ١٤٧/٨].

وقال غيره: كان ذلك في ربيع سنة تسع [طبقات ابن سعد: ١٤٥/٨].

وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، فذكر منهن أم شريك الأنصارية قال: وقد قال رسول الله ﷺ: إني لأحب أن أتزوج من الأنصار، ولكني أكره غيرتهن، ولم يدخل بها.

قال: وتزوج أسماء بنت الصلت من بني حرام ثم من بني سليم، ولم يدخل بها، وخطب حمزة بنت الحارث المزينة.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تزوج رسول الله ﷺ ثمان عشرة امرأة، فذكر منهن قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس، فزعم بعضهم أنه تزوجها قبل وفاته بشهرين، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه. قال: ولم يكن قدمت عليه ولا رآها ولم يدخل بها.

قال: وزعم آخرون أنه عليه الصلاة والسلام أوصى أن تحرق قتيلة فإن شئت يضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وإن شئت فلتنكح من شئت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بمحضرسوت، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: لقد هممت أن أحرق عليها. فقال عمر بن الخطاب: ما هي من أمهات المؤمنين، ولا دخل بها، ولا ضرب عليها الحجاب.

قال أبو عبيدة: وزعم بعضهم أن رسول الله ﷺ لم يوص فيها بشيء، وأنها ارتدت بعده، فاحتج عمر على أبي بكر بارتدادها أنها ليست من أمهات المؤمنين.

وذكر ابن منه أن التي ارتدت هي البرصاء من بني عوف بن سعد بن ذبيان.

ولله روى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٢٦/٣، ٢٢٧] من طرق عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج قتيلة أخت الأشعث بن قيس، فمات قبل أن يجيئها فبرأها الله منه.

وروى حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: أن عكرمة بن أبي جهل لما تزوج قتيلة أراد أبو بكر أن يضرب عنقه، فراجع عمر بن الخطاب فقال: إن رسول الله ﷺ لم يدخل بها، وإنها ارتدت مع أخيها، فبرئت من الله ورسوله. فلم يزل به حتى كف عنه.

قال الحاكم: وزاد أبو عبيدة في العدد فاطمة بنت شريح، وسنا بنت أسماء بن الصلت السلمية.

هكذا روى ذلك ابن عساكر من طريق ابن منه بسنده عن قتادة فذكره.

وقال محمد بن سعد عن ابن الكلبي مثل ذلك. قال ابن سعد: وهي سبا [الطبقات: ١٤٩/٨].

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٣١/٤]: ويقال سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمالك بن عوف السلمي.

قال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي: حدثني العرمزي عن نافع، عن ابن عمر قال: كان في نساء رسول الله ﷺ سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب.

وقال ابن عمر: إن رسول الله ﷺ بعث أبا أسيد يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواح بن كلاب، فتزوجها، فبلغه أن بها بياضاً فطلقها.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ١٤٨/٨] عن الواقدي: حدثني أبو معشر. قال: تزوج رسول الله ﷺ مليكة بنت كعب، وكانت تذكر بحمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: ألا تستعين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعازت منه فطلقها، فجاء قومها فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة ولا رأي لها، وإنها خدعت فارجمها، فأبى. فاستأذنه أن يزوجهما بقریب لها من بني عذرة فأذن لهم، قال: وكان أبوها قد قتلته خالد بن الوليد يوم الفتح.

قال الواقدي: وحدثني عبد العزيز الجندعي عن أبيه، عن عطاء بن يزيد قال: دخل بها رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثمان، وماتت عنده. قال الواقدي: وأصحابنا ينكرون ذلك. [طبقات ابن سعد: ١٤٨/٨، ١٤٩]

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر [تاريخ دمشق: ١٧٤/٣، ١٧٥]: أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد الماهاني أنبأنا شجاع بن علي بن شجاع، أنبأنا أبو عبد الله بن منه، أنبأنا الحسن بن محمد بن حليم المروزي، ثنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري، أنبأنا عبد الله بن عثمان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري قال: تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بمكة، وكانت قبله تحت عتيق بن عائد المخزومي، ثم تزوج بمكة عائشة بنت أبي بكر، ثم تزوج بالمدينة حفصة بنت عمر، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي، ثم تزوج سودة بنت زمعة، وكانت قبله تحت السكران بن عمرو، أخي بني عامر بن لؤي، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي أحد بني خزاعة، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية وكان اسمها هند، وكانت قبله تحت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد العزى، ثم تزوج زينب بنت خزاعة الهلالية، وتزوج ﷺ العالية بنت ظبيان من بني بكر بن عمرو بن كلاب، وتزوج ﷺ امرأة من بني الجون من كندة، وسى جويرية - في الغزوة التي هدم فيها مناة غزوة المريسع - ابنة الحارث بن أبي ضرار من بني المصطلق من خزاعة، وسى صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير وكانت بما آفاه الله عليه فقسّم لها له، واستسر مارية جاريته القبطية، فولدت له إبراهيم، واستسر ربحانة من بني قريظة، ثم اعتقها فلحقها بأهلها، واحتجبت وهي عند أهلها، وطلق رسول الله ﷺ العالية بنت ظبيان، وفارق أخت بني عمرو بن كلاب، وفارق أخت بني الجون الكنتية من أجل بياض كان بها، وتوفيت زينب بنت خزاعة الهلالية ورسول الله ﷺ حي، وبلغنا أن العالية بنت ظبيان التي طلقت تزوجت قبل أن يحرم الله النساء، فنكحت ابن عم لها من قومها وولدت فيهم.

سقتنا بالسند لغرابة ما فيه من ذكره تزويج سودة بالمدينة، والصحيح أنه كان بمكة قبل الهجرة كما قدمناه والله أعلم.

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: قال: فماتت خديجة بنت خويلد قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بثلاث سنين، لم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة، فتزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بن زمعة، ثم تزوج بعد سودة عائشة بنت أبي بكر لم يتزوج بكراً غيرها، ولم يصب منها ولداً حتى مات، ثم تزوج بعد عائشة حفصة بنت عمر، ثم تزوج بعد حفصة زينب بنت خزاعة الهلالية أم المساكين، ثم تزوج بعدها أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم تزوج بعدها أم سلمة هند بنت أبي أمية؛ ثم تزوج بعدها زينب بنت جحش، ثم تزوج بعدها جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، قال: ثم تزوج بعد جويرية صفية بنت حيي بن

وقيل: المراد بقوله: «الْأَنبِيَاءُ هَاجَرُونَ مَعَكَ» أي من القربايات المذكورات.

وقال قتادة: «الْأَنبِيَاءُ هَاجَرُونَ مَعَكَ» أي أسلمن معك.

فعلى هذا لا يجرم عليه إلا نساء الكفار، وتحل له جميع المسلمات، فلا يتنافى تزويجه من نساء الأنصار إن ثبت ذلك، ولكن لم يدخل بواحدة منهن أصلاً.

وأما حكاية الماوردي عن الشعبي: أن زينب بنت خزيمة أم المساكين أنصارية؛ فليس بجيد. فإنها هلالية بلا خلاف كما تقدم بيانه والله أعلم.

وروى محمد بن سعد [الطبقات: ١٥٠/٨] عن هشام بن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس. قال: أقبلت ليلى بنت الحظيم إلى رسول الله ﷺ وهو مول ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه فقال: «من هذا؟ أكله الأسود وكان كثيراً ما يقولها». فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الرياح، أنا ليلى بنت الحظيم، جئتك لأعرض عليك نفسي تزويجي؟ قال: «قد فعلت» فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوجت النبي ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرة، ورسول الله ﷺ صاحب نساء تغارين عليه، فيدعو الله عليك فاستقبله، فرجعت فقالت: ألقني يا رسول الله. فأتاها. فتزوجها سعد بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له، فينما هي يوماً تتنفل في بعض حيطان المدينة إذ وثب عليها فذب أسود فأكل بعضها، فماتت.

وبه عن ابن عباس: أن ضباعة بنت عامر بن قرط، كانت تحت عبد الله بن جدعان فطلقها، فتزوجها بعده هشام بن المغيرة، فولدت له سلمة، وكانت امرأة ضخمة جميلة لها شعر غزير يجمل جسمها، فخطبها رسول الله ﷺ من ابنها سلمة، فقال: حتى استأمرها؟ فاستأذنها فقالت: يا بني إني رسول الله ﷺ تستأذن؟ فرجع ابنها فسكت ولم يرد جواباً على رسول الله ﷺ وكأنه رأى أنها قد طمعت في السن، وسكت النبي ﷺ عنها.

وبه عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ صفية بنت بشامة بن نضلة العنبري، وكان أصابها سبأ فخبرها رسول الله ﷺ فقال: «إن شئت أنا وإن شئت زوجك» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلعلتها بن نعيم. وقال محمد بن سعد [الطبقات: ١٥٤/٨] أنبأ الواقدي، ثنا موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي فوهبت نفسها من رسول الله ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت.

قال محمد بن سعد [الطبقات: ١٥٥/٨]: وأبنا وكيع عن شريك عن جابر، عن الحكم، عن علي بن الحسين أن رسول الله ﷺ تزوج أم شريك الدوسية.

قال الواقدي: ثبت عندنا أنها من دوس من الأزد.

قال محمد بن سعد: واسمها غزية بنت جابر بن حكيم.

وقال الليث بن سعد: عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنا نتحدث:

أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت امرأة صالحة.

ومن خطبها ولم يعقد عليها جرة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني، فقال أبوها: إن بها سوماً - ولم يكن بها - فرجع إليها وقد تبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر.

هكذا ذكره سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

قال: وخطب أم حبيبة بنت العباس بن عبد المطلب فوجد أباهما أخوه من الرضاعة أرضعتهما ثوية مولاة أبي لهب.

أخطب، ثم تزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية.

فهذا الترتيب أحسن وأقرب عما رتبته الزهري والله أعلم.

وقال يونس بن بكير، عن أبي يعبي، عن جميل بن زيد الطائفي، عن سهل بن زيد الأنصاري قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني غفار، فدخل بها، فأمرها فتزعت ثوبها، فرأى بها يابضاً من برص عند ثديها، فأنما رسول الله ﷺ وقال: «خذني ثوبك» وأصبح فقال لها: «الخطي بأهلك» فأكل لها صداقها [السنن الكبرى للبيهقي: ٢٥٦/٧].

وقد رواه أبو نعيم من حديث جميل بن زيد، عن سهل بن زيد الأنصاري، وكان ممن رأى النبي ﷺ قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غفار؛ فذكر مثله.

قلت: ومن تزوجها ﷺ ولم يدخل بها أم شريك الأزدية.

قال الواقدي: والثبت أنها دوسية وقيل: الأنصارية، ويقال: عامرية، وأنها حولة بنت حكيم السلمي.

وقال الواقدي: اسمها غزية بنت جابر بن حكيم.

قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه قال: كان جميع ما تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة، منهن أم شريك الأنصارية وهبت نفسها للنبي ﷺ.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: وتزوج أم شريك الأنصارية من بني النجار. وقال: «إني أحب أن أتزوج من الأنصار لكنني أكره غيرتهن» ولم يدخل بها.

وقال ابن إسحاق عن حكيم، عن محمد ابن علي عن أبيه قال: تزوج ﷺ ليلى بنت الحظيم الأنصارية وكانت غيوراً فخافت نفسها عليه فاستأذنها فأتاها.

٢- من خطبها ﷺ ولم يعقد عليها

قال اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، عن أم هانئ فاخته بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ خطبها فذكرت أن لها صبياً صغيراً فتركها، وقال: «خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على طفل في صغيره، وأرعاه على زوج في ذات يده» [الطبقات لابن سعد: ١٥٢/٨ من طريق [إسماعيل بن أبي خالد، ٩٤].

وقال عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال [٣٥٢٧] من طريق عبد الرزاق، ٩٤.

وقال الترمذي [٣٢١٤]: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن السدي، عن أبي صالح، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني. ثم أنزل الله: ﴿إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الْإِنْسِيَّةَ أَجْوَافَةً وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَتَنَاسَتْ عَمَّاكَ وَتَنَاسَتْ خَالَاتُكَ وَتَنَاسَتْ خَالَاتُكَ الْإِنْسِيَّةَ هَاجَرُونَ مَعَكَ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠]. قال: فلم أكن أحل له لأنني لم أهاجر كنت من الطلقاء. ثم قال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث السدي.

فهذا يقتضي أن من لم تكن من المهاجرات لا تحل له ﷺ. وقد نقل هذا المذهب مطلقاً القاضي الماوردي في «تفسيره» عن بعض العلماء.

فكان يركب البغلة بالمدينة، واتخذ إحدى الجاريتين فولدت له إبراهيم ابنه، ووهب الأخرى.

وقال الواقدي: حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صمصمة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صمصمة قال: كان رسول الله ﷺ يعجب بمارية القبطية، وكانت بيضاء جملة جميلة، فأنزلها وأختها على أم سليم بنت ملحان، فدخل عليهما رسول الله ﷺ ففرض عليهما الإسلام فأسلمتا هناك، فوطئ مارية بالملك، وحوها إلى مال له بالعالية، كان من أموال بني النضير، فكانت فيه في الصيف، وفي خرافة النخل. فكان يأتيها هناك، وكانت حسنة الدين، ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن، وولدت مارية لرسول الله ﷺ غلاما سماه إبراهيم، وعق عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدغف في الأرض، وسماه إبراهيم، وكانت قابليتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فاخبرته بأنها قد ولدت غلاما، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشره فوهب له عبداً، وغار نساء رسول الله ﷺ واشتد عليهن حين رزق منها الولد.

وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني [السنن: ١٣١/٤، ١٣٢] عن أبي عبيد القاسم بن إسماعيل، عن زياد بن أيوب عن سعيد بن زكريا المدني، عن ابن أبي سارة، عن ابن أبي الحسين، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ: «اعتقها ولدها».

ثم قال الدارقطني: تفرد به زياد بن أيوب، وهو ثقة.

وقد رواه ابن ماجه [٢٥١٦] من حديث حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس بمثل. وروياه من وجه آخر. وقد أفردنا لهذه المسألة وهي يبيع أمهات الأولاد مصفا مفرداً على حديثه، وحكي في أقوال العلماء بما حاصله يرجع إلى ثمانية أقوال، وذكرنا مستند كل قول ولله الحمد والمنة.

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق [ص ٢٥٢]، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب قال: أكرموا على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها يزورها، ويختلف إليها، فقال رسول الله ﷺ: «خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقبله قال: قلت: يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالشكة الحماة لا يشتني شيء حتى أمضي لما أمرتني به، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال رسول الله ﷺ: قبل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب» فاقبلت متوحشا السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما رأيته عرف أنني أريد، فأتى لخلعة فرقي فيها ثم رمى بنفسه على قفاه، ثم شال رجله فإذا به أجب أمسح، ما له مما للرجال، قليل ولا كثير، فأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال: «الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت».

وقال الإمام أحمد [٨٣/١]: حدثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان، حدثني محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن علي قال: قلت: يا رسول الله إذا بعثتي أكون كالشكة الحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: «الشاهد يرى ما لا يرى الغائب».

هكذا رواه مختصراً. وهو أصل الحديث الذي أوردناه وإسناده رجال ثقات.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني، حدثنا أبي، حدثنا ابن لبيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعقيل، عن الزهري، عن أنس قال: لما ولدت مارية إبراهيم كاد أن يقع في النبي ﷺ منه شيء، حتى نزل

نفولاء نساؤه وهن ثلاثة أصناف:

صنف دخل بهن ومات عنهن، وهن التسع المبدأ بذكرهن، وهن حرام على الناس بعد موته عليه الصلاة والسلام بالإجماع المحقق المعلوم من الدين ضرورة، وعدنهن بانتضاء أعمارهن. قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا» [الأحزاب: ٥٣].

وصنف دخل بهن وطلقهن في حياته، فهل يحل لأحد أن يتزوجهن بعد انتضاء عدتهن منه عليه الصلاة والسلام؟ فيه قولان للعلماء: أحدهما: لا لعموم الآية التي ذكرناها.

والثاني: نعم بلبيل آية التخيير وهي قوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّكُمْ وَأَسْرِكُمْ حَتَّىٰ سَرَّاحًا جَبِيلًا. وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

فالقول: فلولا أنها تحمل لتسريحه أن يتزوجها بعد فراقه إياها لم يكن في تغييرها بين الدنيا والآخرة فائدة، إذ لو كان فراقها لها لا يبيحها لغيره لم يكن فيه فائدة لها، وهذا قوي والله تعالى أعلم.

وأما الصنف الثالث: وهي من تزوجها وطلقها قبل أن يدخل بها، فهذه يحل لغيره أن يتزوجها، ولا أعلم في هذا القسم نزاعاً، وأما من خطبها ولم يعقد عقدة عليها، فأولى لها أن تزوج، وأولى. وسيجيء فصل في كتاب الخصائص يتعلق بهذا المقام والله أعلم.

٣- فصل في ذكر سرايه ﷺ

كانت له عليه الصلاة والسلام سُرَّتَانِ، إحداهما: مارية بنت شمعون القبطية، أهداها له صاحب إسكندرية واسمه جريج بن مينا، وأهدى معها أختها سيرين. وذكر أبو نعيم أنه أهداها في أربع جوار، والله أعلم وغلاماً خصياً اسمه مابور، وبغلة يقال لها: اللؤلؤ قبل هديته، واختار لنفسه مارية، وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها: حفن من كورة أنصنا، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاوية بن أبي سفيان في أيام إمارته الخراج إكراماً لها من أجل أنها حملت من رسول الله ﷺ بولد ذكر وهو إبراهيم عليه السلام.

فالقول: وكانت مارية جميلة بيضاء، أعجب بها رسول الله ﷺ وأحبها، وحظيت عنده، ولا سيما بعدما وضعت إبراهيم ولده.

وأما أختها سيرين فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان، وأما الغلام الخصي وهو مابور، فقد كان يدخل على مارية وسيرين بلا إذن كما جرت به عادته بمصر، فتكلم بعض الناس فيها بسبب ذلك، ولم يشعروا أنه خصي حتى انكشف الحال على ما سنيته قريباً إن شاء الله.

وأما البغلة فكان عليه الصلاة والسلام يركبها، والظاهر والله أعلم أنها التي كان راكباها يوم حنين. وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام إمارته، ومات فصارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكبرت حتى كان يَجُشُّ لها الشعر لتاكله.

قال أبو بكر بن خزيمة: حدثنا محمد بن زياد بن عبيد الله، أثبتنا سفيان بن عيينة عن بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب، عن أبيه قال: أهدى أمير القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين أختين، وبغلة

جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

وقال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا محمد بن يحيى الباهلي، حدثنا يعقوب بن محمد عن رجل سمى، عن الليث بن سعد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: أهدى ملك من بطارقة الروم يقال له: المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك، يقال لها: مارية إلى النبي ﷺ، وأهدى معها ابن عم لها شاباً، فدخل رسول الله ﷺ منها ذات يوم مَخْلَجٌ خَلَوْه، فأصابها فحملت بإبراهيم، قالت عائشة: فلما استبان حملها جرعت من ذلك، فسكت رسول الله ﷺ، فلم يكن لها لبن، فاشتري لها غثاة لبونا تغذي منها الصبي، فصَلَحَ عليه جسمه وحسن لونه، وصفاً لونه، فجاء به ذات يوم يحمل على عُنَقِهِ فقال: «يا عائشة كيف ترين الشبه؟» قلت: وأنا غَيْرِي: ما أرى شيئاً، فقال: «ولا اللحم؟» قلت: لمعري من تغذي باللبان الضأن ليحسن لحمه. قال الواقدي: ماتت مارية في الحرم سنة ست عشرة، فصلى عليها عمر ودفعها في البقيع، وكذا قال المفضل بن غسان الغلابي. وقال خليفة وأبو عبيدة ويعقوب بن سفيان: ماتت سنة ست عشرة رحماً الله.

ومنهن ريحانة بنت زيد من بني النضير ويقال: من بني قريظة.

قال الواقدي [المغازي: ٥٢٠/٢]: كانت ريحانة بنت زيد من بني النضير، ويقال من بني قريظة. وكانت موزوجة في بني قريظة، وكان رسول الله ﷺ قد أخذها لنفسه صفياً، وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله ﷺ أن تسلم فأبى إلا اليهودية، فزماها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه، فأرسل إلى ابن سَيِّة فذكر له ذلك فقال ابن سَيِّة: فذاك أبي وأمي هي تسلم، فخرج حتى جاءها فجميل يقول لها: لا تبغي قومك فقد رأيت ما أدخل عليهم حيي من أخطب فأسلمني يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه، فيينا رسول الله ﷺ في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال: «إن هاتين لنعلا ابن سَيِّة يشرنني بإسلام ريحانة» فجاء يقول: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فسُرَّ بذلك.

وقال محمد بن إسحاق [سيرة ابن هشام: ٢٤٥/٢]: لما فتح رسول الله ﷺ قريظة اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة فكانت عنده حتى توفي عنها وهي في ملكه، وكان عرض عليها الإسلام ويتزوجها فأبى إلا اليهودية. ثم ذكر من إسلامها ما تقدم.

قال الواقدي [المغازي: ٥٢٠/٢، ٥٢١]: فحدثني عبد الملك بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي حصصة، عن أيوب بن بشير الماعري قال: فأرسل بها رسول الله ﷺ إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر، فكانت عندها حتى حاضت حيضة، ثم ظهرت من حيضها، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله ﷺ، فجاءها في منزل أم المنذر فقال لها: «إن أحببت أن أعفك وأتزوجك ففعلت، وإن أحببت أن تكوني في ملكي أطاك بالملك ففعلت» فقالت: يا رسول الله إن أخف عليك وعليّ أن أكون في ملكك.

فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطأها حتى ماتت.

قال الواقدي [المغازي: ٥٢١/٢]: وحدثني ابن أبي ذئب. قال: سألت الزهري عن ريحانة فقال: كانت أمة رسول الله ﷺ فاعتقها وتزوجها، فكانت تحتجب في أهلها وتقول: لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ. قال الواقدي [المغازي: ٥٢١/٢]: وهذا أثبت الحديثين عننا، وكان زوجها قبله عليه الصلاة والسلام الحكم.

وقال الواقدي [المغازي: ٥٢١/٢]: ثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم، عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة، وكانت عند زوج لها، وكان عباً لها مكرباً، فقالت: لا استخلف بعد أحداً أبداً، وكانت ذات جمال، فلما سييت بنت قريظة، عرض السي على رسول الله ﷺ، قالت: ففكت فيمن عرض عليه فأمر بي فمزلت، وكان يكون له صفي في كل غنيمة، فلما عزلت خال الله لي، فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرق السي، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فحَيَّيْتُ منه جاء، فدعاني فأجلسني بين يديه، فقال: «إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله ﷺ نفسه» فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني وأصلقني اثنتي عشرة أوقية ونشاً كما كان يصدق نساءه، وأعسر بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما يقسم لنسائه، وضرب عليّ الحجاب.

قال: وكان رسول الله ﷺ معجباً بها، وكانت لا تسأله شيئاً إلا أعطاه، فقيل لها: لو كنت سألت رسول الله ﷺ بني قريظة لأعتقهم، فكانت تقول: لم يخل بي حتى فرق السي، ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع. فدفنها بالبقيع. وكان تزويجه إياها في الحرم سنة ست من الهجرة.

وقال ابن وهب عن يونس بن يزيد، عن الزهري قال: واستمر رسول الله ﷺ ريحانة من بني قريظة، ثم أعتقها فملحت بأهلها.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كانت ريحانة بنت زيد بن شمعون من بني النضير. وقال بعضهم: من بني قريظة، وكانت تكون في نخل من نخل الصدقة، فكان رسول الله ﷺ يقبل عندها أحياناً، وكان سبأها في شوال سنة أربع.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: ثنا أحمد بن المقدام، ثنا زهير عن سعيد، عن قتادة قال: كانت لرسول الله ﷺ وليتان: مارية القبطية وريحانة بنت شمعون بن زيد بن خنافة، من بني عمرو بن قريظة، كانت عند ابن عم لها يقال له: عبد الحكم فيما بلغني، وماتت قبل وفاة النبي ﷺ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كانت لرسول الله ﷺ أربع ولائد: مارية القبطية، وريحانة القرظية، وكانت له جارية أخرى جميلة فكادها نساؤه وخفن أن تغلظن عليه، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش، وكان هجرها في شأن صفة بنت حيي ذا الحجة والحرم وصفرأ، فلما كان شهر ربيع الأول الذي قبض فيه، عليه الصلاة والسلام رضي عن زينب ودخل عليها، فقالت: ما أدري ما أجزيك؟ فوهبتها له ﷺ.

وقد روى سيف بن عمر عن سعيد بن عبد الله، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة. أن رسول الله ﷺ كان يقسم لمارية وريحانة مرة، ويتكهما مرة.

٤- ذكره أولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام

لا خلاف أن جميع أولاده ﷺ من خديجة بنت خويلد سوى إبراهيم فمن مارية بنت شمعون القبطية.

قال محمد بن سعد [الطبقات: ١٢٣/١]: أنبأنا هشام بن الكلبي، أخبرني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس. قال: كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فمات القاسم - وهو أول ميت من ولده - بمكة، ثم مات عبد الله فقال

ويقال: إن الطيب والمطيب ولدا في بطن، والطاهر والمطهر ولدا في بطن.
وقال الفضل بن غسان أنا أبي، عن أحمد بن حنبل، حدثنا عبد الرزاق، ثنا ابن جريج، عن مجاهد قال: مكث القاسم ابن النبي ﷺ سبع ليال ثم مات.

قال الفضل: وهذا خطأ، والصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً.
وقال الحافظ أبو نعيم: قال مجاهد: مات القاسم وله سبعة أيام.
وقال الزهري: وهو ابن ستين.
وقال قتادة: عاش حتى مشى.

وقال هشام بن عروة: وضع أهل العراق ذكر الطيب والطاهر، فأما مشايخنا فقالوا: عبد العزى وعبد مناف والقاسم، ومن النساء رقية وأم كلثوم وفاطمة.

هكذا رواه ابن عساکر [ساربع دمشق: ١٧٢/٣] وهو منكرو، والذي أنكره هو المعروف، وسقط ذكر زينب ولا بد منها والله أعلم.

فأما زينب فقال عبد الرزاق عن ابن جريج، قال لي غير واحد: كانت زينب أكبر بنات رسول الله ﷺ، وكانت فاطمة أصغرهن وأحبهن إلى رسول الله ﷺ.

وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع فولدت منه عليا وأمama، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها في الصلاة، فإذا سجد وضعها. وإذا قام حملها. ولعل ذلك كان بعد موت أمها سنة ثمان من الهجرة على ما ذكره الواقدي وقاتدة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهم وطبقت ابن سعد: ٣٤٨/٨، وكأنها كانت طفلة صغيرة فالله أعلم. وقد تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موت فاطمة على ما سيأتي إن شاء الله.

وكانت وفاة زينب رضي الله عنها في سنة ثمان.
قاله قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وخليفة بن خياط، وأبو بكر بن أبي خيثمة وغير واحد.

وقال قتادة عن ابن حزم: في أول سنة ثمان.
وذكر حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنها لما هاجرت دفعها رجل فوقعت على صخرة فأسقطت حملها، ثم لم تنزل وجعة حتى ماتت. فكانوا يرونها ماتت شهيدة.

وأما رقية فكان قد تزوجها أولا ابن عمها عتبة بن أبي لهب كما تزوج اختها أم كلثوم، أخوة عتية بن أبي لهب، ثم طلقاها قبل الدخول بهما بغضة في رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿بَيِّنْ لَهُمْ نَهْيَهُمْ وَتَبْ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حِثْلَةَ الْحَظْبِ. فِي جِيلٍ مَا جَلَّ مِنْ مَسْئُورٍ﴾ [سورة المسد] فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، ويقال: إنه أول من هاجر إليها. ثم رجعا إلى مكة كما قلنا، وهاجرا إلى المدينة وولدت له ابنة عبد الله، فبلغ ست سنين، ففتره ديك في عينيه فمات، وبه كان يكنى أولا، ثم اكنى بابنه عمرو، وتوفيت وقد انتصر رسول الله ﷺ بيلد يوم الفرقان يوم التقى الجمعان. ولما أن جاء البشير بالنصر إلى المدينة - وهو زيد بن حارثة - وجدهم قد ساروا على قبرها التراب، وكان عثمان قد أقام عليها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره، ولما رجع ﷺ تزوجه بأختها أم كلثوم أيضا، ولها كان يقال له: ذو النورين، ثم ماتت عنه في شعبان سنة تسع، ولم تلد له شيئا. وقد قال رسول الله ﷺ: «لو كانت عندي ثلاثة لزوجتها عثمان» [الطبراني في الكبير: ١٧٨٤/١٧].

العاص بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر، فانزل الله عز وجل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْخَرْ. إِنَّ شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر، الآية: ١-٣].

قال: ثم ولدت له مارية بالمدينة لإبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، فمات ابن ثمانية عشر شهرا.

وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريدي: ثنا عبد الباقي بن قانع، ثنا محمد بن زكريا، ثنا العباس بن بكارة، حدثني محمد بن زياد والفرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: ولدت خديجة من النبي ﷺ عبد الله بن محمد، ثم أبطا عليه الولد من بعده، فبينما رسول الله ﷺ يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر إليه إذ قال له رجل: من هنا؟ قال له: هذا الأبتر. وكانت قريش إذا ولد للرجل ولد، ثم أبطا عليه الولد من بعده، قالوا: هذا الأبتر، فانزل الله تبارك وتعالى ﴿إِن شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي مبغضك هو الأبتر من كل خير.

قال: ثم ولدت له زينب، ثم ولدت له رقية، ثم ولدت له القاسم، ثم ولدت الطاهر، ثم ولدت المطهر، ثم ولدت الطيب، ثم ولدت فاطمة، ثم ولدت أم كلثوم، ثم ولدت فاطمة، وكانت أصغرهم، وكانت خديجة إذا ولدت ولدا دفعت له من يرضعه. فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحد غيرها.

وقال الميثم بن عدي: حدثنا هشام بن عروة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: كان للنبي ﷺ ابنان: طاهر والطيب. وكان يسمى أحدهما عبد شمس، والآخر عبد العزى.
وهنا فيه نكارة والله أعلم.

وقال محمد بن عائذ: أخبرني الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز: أن خديجة ولدت القاسم والطيب والطاهر ومطهرا وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم.

وقال الزبير بن بكار: أخبرني عمي مصعب بن عبد الله قال: ولدت خديجة القاسم والطاهر، وكان يقال له: الطيب، وولد الطاهر بعد النبوة، ومات صغيرا واسمه عبد الله، وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم ورضوان الله عليهم أجمعين.

قال الزبير: وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لمية، عن أبي الأسود: أن خديجة ولدت القاسم والطاهر والطيب وعبد الله وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم.

وحدثني محمد ابن فضالة عن بعض من أدرك من المشيخة قال: ولدت خديجة القاسم وعبد الله، فأما القاسم فعاش حتى مشى، وأما عبد الله فمات وهو صغير.

وقال الزبير بن بكار: كانت خديجة تذكر في الجاهلية الطاهرة بنت خويلد، وقد ولدت لرسول الله ﷺ القاسم وهو أكبر ولده وبه كان يكنى، ثم زينب، ثم عبد الله وكان يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، ولد بعد النبوة ومات صغيرا. ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. هم هكذا الأول فالأول. ثم مات القاسم بمكة - وهو أول ميت من ولده - ثم مات عبد الله، ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم وهي القبطية التي أمها لها له المقوقس صاحب إسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له: مابور، فوهب سيرين لحسان بن ثابت، فولدت له ابنة عبد الرحمن. وقد انقرض نسل حسان بن ثابت.

وقال أبو بكر بن البرقي: يقال: إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله،

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «لو كن عسراً لزوجتهن عثمان» والسنة لابن أبي حاتم (١٢٩١) من حديث أبي هريرة.

وأما فاطمة فتزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب في صفر سنة اثنتين، فولدت له الحسن والحسين، ويقال: ومحمداً، وولدت له أم كلثوم وزينب. وقد تزوج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة وأكرمها إكراماً زائداً أصداً أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله ﷺ، فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب، ولما قتل عمر ابن الخطاب تزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر فمات عنها، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها، فتزوجها أخوها عبد الله بن جعفر فماتت عنه.

وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت علي من فاطمة، وماتت عنه أيضاً، وقد توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على أشهر الأقوال.

وهذا الثابت عن عائشة في الصحيح (ج ٤٢٤١، ٤٢٤٠)، وقاله الزهري أيضاً، وأبو جعفر الباقر «طبقات ابن سعد: ٢٨/٨» وعن الزهري بثلاثة أشهر «طبقات ابن سعد: ٢٨/٨».

وقال أبو الزبير: بشهرين. وقال أبو بريدة: عاشت بعده سبعين من بين يوم وليلة.

وقال عمرو بن دينار: مكثت بعده ثمانية أشهر. وكذا قال عبد الله بن الحارث.

وفي رواية عن عمرو بن دينار بثلاثة أشهر. وأما إبراهيم فمن مارية القبطية كما قدمنا، وكان ميلاده في ذي الحجة سنة ثمان.

وقد روي عن ابن أبي عمير وغيره عن عبد الرحمن بن زياد. قال: لما حبل إبراهيم أتى جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، إن الله قد وهب لك غلاماً من أم ولدك مارية، وأمر أن تسميه إبراهيم، فبارك الله لك فيه، وجعله قرّة عين لك في الدنيا والآخرة.

وروى الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار: ١٤٩٢) عن محمد بن مسكين، عن عثمان بن صالح عن ابن أبي عمير، عن عقيل ويّزيد بن أبي حبيب، عن الزهري، عن أنس قال: لما ولد للنبي ﷺ ابنه إبراهيم وقع في نفسه منه شيء، فأنابه جبريل - عليه السلام - فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

وقال أسباط عن السدي، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن قال: سألت أنس بن مالك قلت: كم بلغ إبراهيم ابن النبي ﷺ من العمر؟ قال: قد كان ملا مهده، ولو بقي لكان نبياً ولكن لم يكن ليت لأن نبيكم ﷺ آخر الأنبياء.

وقد قال الإمام أحمد (١٣٣/٣): حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا سفيان عن السدي، عن أنس بن مالك قال: لو عاش إبراهيم ابن النبي ﷺ لكان صديقاً نبياً.

وقال أبو عبد الله بن منته: ثنا محمد بن سعد ومحمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن عثمان العباسي، ثنا منجاب، ثنا أبو عامر الأسدي، ثنا سفيان عن السدي، عن أنس قال: توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن ستة عشر شهراً. فقال رسول الله ﷺ: «ادفنيه في البقيع فإن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة».

وقال أبو يعلى: ثنا أبو خيثمة، ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن

عمرو بن سعيد، عن أنس قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعمال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت وإنه ليدخن، وكان نظره فينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع.

قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي وإن له نظرين تكملان رضاعه في الجنة».

وقد روى جرير وأبو عوانة عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبي الضحى، عن البراء قال: توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ستة عشر شهراً، فقال: «ادفنيه في البقيع فإن له مرضعاً في الجنة».

ورواه أحمد (٢٨٣/٤) من حديث جابر عن عمر، عن البراء. وهكذا رواه سفيان الثوري عن فراس، عن الشعبي، عن البراء بن عازب بمثله.

وكذا رواه الثوري أيضاً عن أبي إسحاق، عن البراء.

وأورد له ابن عساكر (تاريخ دمشق: ١٤٣/٣) من طريق عتاب بن محمد ابن شاذب عن عبد الله بن أبي أوفى قال: توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يرضع بقية رضاعه في الجنة».

وقال أبو يعلى الموصلي: ثنا زكريا بن يحيى الواسطي، ثنا هشيم عن إسماعيل قال: سألت ابن أبي أوفى - أو سمعته يسأل - عن إبراهيم ابن النبي ﷺ. فقال: مات وهو صغير، ولو قضي أن يكون بعد النبي ﷺ نبي لعاش.

وروى ابن عساكر (تاريخ دمشق: ١٣٨/٣) من حديث أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، ثنا عبيد بن إبراهيم الجعفي، ثنا الحسن بن أبي عبد الله الفراء، ثنا مصعب بن سلام، عن أبي حزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ: «لو عاش إبراهيم لكان نبياً».

وروى ابن عساكر (تاريخ دمشق: ١٣٩/٣) من حديث محمد بن إسماعيل بن سمرة، عن محمد بن الحسن الأسدي، عن أبي شيبة، عن أنس قال: لما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «لا تترجوه في أكفانه حتى أنظر إليه» فجاء فانكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنيه. ﷺ قلت: أبو شيبة هذا لا يتعامل بروايته.

ثم روى (تاريخ دمشق: ١٣٩/٣) من حديث مسلم بن خالد الزنجي عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: لما توفي إبراهيم بكى رسول الله ﷺ فقال أبو بكر وعمر: أنت أحق من علم لله حق، فقال: «تدع العين ويحزن القلب، ولا تقولوا ما يستخط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر منا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً أشد مما وجدنا، ولنا بك يا إبراهيم لحزونون».

وقال الإمام أحمد (٢٨٣/٤): حدثنا أسود بن عامر، ثنا إسرائيل عن جابر، عن الشعبي، عن البراء. قال: صلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً. وقال: «إن له في الجنة من يتم رضاعه وهو صبي».

وقد روي من حديث الحكم بن عتيبة عن الشعبي، عن البراء. وقال أبو يعلى: ثنا القواريري، أنبأنا عبيد بن القاسم، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن ابن أبي أوفى قال: صلى رسول الله ﷺ على ابنه، وصليت خلفه، وكبر عليه أربعاً.

وقد روى يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن

إمارة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الخلق إليّ وإن هذا لمن أحبب الخلق إليّ بعده، وهو في الصحيح [٤٤٦٨] من حديث موسى بن عبيدة، عن سالم، عن أبيه.

وثبت في صحيح البخاري [٣٧٣٥] عن أسامة رضي الله عنه، أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني والحسن فيقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما».

وروي عن الشعبي عن عائشة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب الله ورسوله فليحب أسامة ابن زيد» [١٥٧، ١٥٦/٦].

ولهذا لما فرض عمر بن الخطاب للناس في الديوان، فرض لأسامة في خمسة آلاف. وأعطى ابنه عبد الله بن عمر في أربعة آلاف. فقتل له في ذلك، فقال: إنه كان أحب إلي رسول الله ﷺ منك، وأبوه كان أحب إلي رسول الله ﷺ من أبيك.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة: أن رسول الله ﷺ أرفقه خلقه على حمار عليه قطيفة حين ذهب يهود سعد ابن جادة، قبل وقعة بدر. [١٧٩٨] من طريق عبد الرزاق به مطوًماً.

قلت: وهكذا أرفقه وراءه على ناقته حين دفع من عرفات إلى المزدلفة كما قلنا في حجة الوداع، وقد ذكر غير واحد أنه رضي الله عنه لم يشهد مع عليّ شيئاً من مشاهدته، واعتز إليه بما قال له رسول الله ﷺ حين قتل ذلك الرجل، وقد قال: لا إله إلا الله، فقال: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة أقتله بعدما قال: لا إله إلا الله؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟» [٩٧] الحديث.

وذكر فضائله كثيرة رضي الله عنه. وقد كان أسود كالليل، أنفاس حلواً حسناً كبيراً فصيحاً عالماً رباتياً، رضي الله عنه. وكان أبوه كذلك إلا أنه كان أبيض شديد البياض، ولهذا طعن بعض من لا يعلم في نسبه منه. ولما مر بجز المديحي عليهما وهما نائمان في قطيفة وقد بدت أقدامهما، أسامة يسواهما وأبوه زيد يبيضهما قال: سبحان الله، إن بعض هذه الأقدام لمن بعض. أعجب بذلك رسول الله ﷺ. ودخل على عائشة مسروراً ترفق أسارير وجهه فقال: «ألم ترى أن جزأاً نظرت أنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن بعض هذه الأقدام لمن بعض» [١٤٥٩].

ولهذا أخذ فقهاء الحديث كالشافعي وأحمد من هذا الحديث من حيث التقرير عليه والاستبشار به؛ العمل بقول القافة في اختلاط الأنساب واشتباها كما هو مقرر في موضعه.

والمقصود أنه رضي الله عنه توفي سنة أربع وخمسين فيما صححه أبو عمر [الاصحاب: ٧٧/١].

وقال غيره: سنة ثمان أو تسع وخمسين [إسد الغابة: ٨١/١]. وقيل: مات بعد مقتل عثمان [إسد الغابة: ٨١/١] فالله أعلم. وروى له الجماعة في كتبهم الستة.

٢- ومنهم: أسلم وقيل: إبراهيم وقيل: ثابت وقيل: هرمز. أبو رافع القبطي أسلم قبل بدر ولم يشهدها لأنه كان بمكة مع سادته آل العباس، وكان ينحت القناجر، وقصته مع الحليث أبي لهب حين جاء خبر وقعة بدر تقدمت والله الحمد.

ثم هاجر وشهد أحداً وما بعدها، وكان كاتباً، وقد كتب بين يدي عليّ بن أبي طالب بالكوفة، قاله المفضل بن غسان الغلابي [هو من قول مصعب، رواه عنه المفضل، تاريخ دمشق: ٢٥٢/٤].

وشهد فتح مصر في أيام عمر، وقد كان أولاً للعباس بن عبد المطلب

طلحة بن يزيد بن ركانة قال: مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً، فلم يصل عليه.

وروي ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٤٤/٣، ١٤٥] من حديث إسحاق بن محمد القروي، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن أبي جده عن عليّ رضي الله عنه، قال: لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب إلى أمه مارية القبطية وهي في مشربة، فحمله عليّ في سقط، وجعله بين يديه على الفرس، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فجلسه وكفنه وخسرج به، وخرج الناس معه، فدفعه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد، فدخل عليّ في قبره حتى سوى عليه دفنه، ثم خرج ورش على قبره، وادخل رسول الله ﷺ يده في قبره، فقال: «أما والله إنه لنبي ابن نبي» وبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت، ثم قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين وبجز القلب، ولا نقول ما يفتضح الرب، وإنما عليك يا إبراهيم غزونون».

وقال الواقدي: مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر، وهو ابن ثمانية عشر شهراً في بني مازن بن النجار في دار أم بريدة بنت المنذر، ودفن بالبيع.

قلت: وقد قلنا أن الشمس كسفت يوم موته، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم. فخطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، لا يتكفنان لموت أحد ولا حياته». قال الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٥١/٤].

٥- ذكر عبيده ومواليه وخدمته

باب ذكر عبيده عليه الصلاة والسلام وإمانته وذكر خدمه وكتابه وإمانته مع مراعاة الحروف في أسمائهم وذكر بعض ما ذكر من أبنائهم ولذلك ما أورده مع الزيادة والتقصان والله المستعان.

١- فمنهم: أسامة بن زيد بن حارثة أبو زيد الكلبي، ويقال: أبو يزيد. ويقال: أبو محمد مولى رسول الله ﷺ وابن مولا، وجيه وابن حبه، وأمه أم أيمن، واسمها بركة، كانت حاضنة رسول الله ﷺ في صغره، ومن آمن به قديماً بعد بعثته، وقد أمره رسول الله ﷺ في آخر أيام حياته، وكان عمره إذ ذاك ثمانين عشرة أو تسع عشرة سنة، وتوفي ﷺ وهو أمير على جيش كثيف منهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق. وهو قول ضعيف، لأن رسول الله ﷺ نصبه للإمامة، فلما توفي عليه الصلاة والسلام وجيش أسامة يخيم بالهرف كما قلناه، استطلق أبو بكر من أسامة عمر بن الخطاب في الإقامة عنده ليستضيء برأيه، فأطلقه له، وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بعد مراجعة كثيرة من الصحابة له في ذلك، وكل ذلك يأبى عليهم ويقول: والله لا أحل راية عقدتها رسول الله ﷺ، فساروا حتى بلغوا مخزوم البلقاء من أرض الشام، حيث قتل أبوه زيد، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، فأغار على تلك البلاد وغنم وسبي، وكر راجعاً سالماً مؤيداً كما سيأتي. فلهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يلقى أسامة إلا قال له: السلام عليك أيها الأمير.

ولما عقد له رسول الله ﷺ راية الإمرة، طعن بعض الناس في إمارته، فخطب رسول الله ﷺ فقال فيها: «إن تعطنوا في إمارته فقد طعتم في

مكة واليمن، وقيل: من حمير من أهل اليمن. وقيل: من الهان، وقيل من حكم بن سعد العثيرة عن حنظل أصابه سبأ في الجاهلية. فاشتره رسول الله ﷺ فاعطاه وخيره إن شاء أن يرجع إلى قومه، وإن شاء أن يثبت فإنه منهم أهل البيت. فاقام على ولاء رسول الله ﷺ ولم يفارقه حضراً ولا سفراً حتى توفي رسول الله ﷺ.

وشهد فتح مصر أيام عمر، ونزل حمص بعد ذلك وابتنى بها داراً، واقام بها إلى أن مات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة أربع وأربعين - وهو خطأ - وقيل: إنه مات بمصر، والصحيح حمص كما قلنا والله أعلم. روى له البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في صحيحه وأهل السنن الأربعة.

٧- ومنهم: حين مولى النبي ﷺ، وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين، وروينا أنه كان يخدم النبي ﷺ ويؤضه، فإذا فرغ النبي ﷺ خرج بفضلته الرضوء إلى أصحابه، فممن من يشرب منه، ومنهم من يمسح به، فاحتسبه حين فخباه عنده في جرة حتى شكوه إلى النبي ﷺ، فقال له: «ما تصنع به؟» فقال: أذكره عندي أشربه يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «هل رايتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا؟» ثم إن النبي ﷺ وهبه لعمه العباس، فاعطاه رضي الله عنهما.

٨- ومنهم: ذكوان. يأتي ذكره في ترجمة طهمان.

٩- ومنهم: رافع أو أبو رافع. ويقال له: أبو البهي.

قال أبو بكر بن أبي خيشمة: كان لأبي أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه واعتق ثلاثة منهم أنصاءهم وشهد معهم بدر، فقتلوا ثلاثتهم، ثم اشترى أبو رافع بقية أنصاء بني سعيد مولاة إلا نصيب خالد بن سعيد، فوهب خالد نصيبه لرسول الله ﷺ فقبله وأعطاه. فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ، وكذلك كان بنوه يقولون من بعده.

١٠- ومنهم: رباح الأسود: وكان يأذن على النبي ﷺ وهو الذي أخذ الإذن لعمر بن الخطاب حتى دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشرة يوم ألى من نسائه واعتزلن في تلك المشرة وحده عليه الصلاة والسلام.

هكذا جاء مصححاً باسمه في حديث عكرمة بن عمار عن أبي رُمَيْل سمك بن الوليد عن ابن عباس عن عمر.

وقال الإمام أحمد [٦٤/٤]: ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: كان للنبي ﷺ غلام يسمى رباح.

١١- ومنهم: رويغ مولاة عليه الصلاة والسلام. هكذا عنه في الموالى مصعب بن عبد الله الزبيري وأبو بكر بن أبي خيشمة قالا: وقد وفد ابنه على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته ففرض له. قالا: ولا عقب له. قلت: كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد الاعتناء بموالي رسول الله ﷺ، يجب أن يعرفهم ويسم إليهم. وقد كتب في أيام خلافته إلى أبي بكر بن حزم عالم أهل المدينة في زمانه: أن يفحص له عن موالى رسول الله ﷺ الرجال والنساء وخدامه. رواه الواقدي.

وقد ذكره أبو عمر [الاستيعاب: ٥٠٤/٢] مختصراً وقال: لا أعلم له رواية، حكاه ابن الأثير في أسد الغابة [٢٤٠/٢].

١٢- ومنهم: زيد بن حارثة الكلبي: وقد قلنا طرفاً من ذكر مقتله بغزوة مؤتة رضي الله عنه، وذلك في جمادى من سنة ثمان قبل الفتح بأشهر، وقد كان هو الأمير المقدم، ثم بعده جعفر ثم بعدهما عبد الله بن رواحة.

فوهبه للنبي ﷺ واعطاه وزوجه مولاته سلمى، فولدت له أولاداً وكان يكون على ثقل النبي ﷺ.

وقال الإمام أحمد [١٠/٦]: ثنا محمد بن جعفر وبهز قالا: ثنا شعبة عن الحكم بن ابن أبي رافع عن أبي رافع: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني غزوم على الصدقة. فقال لأبي رافع: أصحني كما نصيب منها، فقال: لا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: «الصدقة لا تحمل لنا، وإن مولى القوم منهم».

وقد رواه الثوري عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم به [٨/٦].

وروى أبو يعلى في مسنده عنه أنه أصابهم برد شديد وهم بخير، فقال رسول الله ﷺ: «من كان له لحاف فليخف من لا لحاف له» قال أبو رافع: فلم أجد من يلدحي معه، فأتيت رسول الله ﷺ فالتقي عليّ لحافه، فتمنا حتى أصبحنا، فوجد رسول الله ﷺ عند رجله حية فقال: «ها أبا رافع أقتلها أقتلها».

وروى له الجماعة في كتبهم، ومات في أيام عليّ رضي الله عنه.

٣- ومنهم: أنسة بن هادة أبو مشر، ويقال: أبو مسروح. من مولدي الشراة مهاجري شهد بدرأ فيما ذكره عروة والزهرى وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والبخاري وغير واحد.

قالوا: وكان ممن يأذن على النبي ﷺ إذا جلس.

وذكر خليفة بن خياط في كتابه [تاريخ خليفة: ٢٠/١] قال: قال عليّ بن محمد عن عبد العزيز بن أبي ثابت عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: استشهد يوم بدر أنسة مولى رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وليس هنا يثبت عندنا، ورأيت أهل العلم يشيرون أنه شهد أحدأ أيضاً وبقي زماناً وأنه توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته لا رواية له.

٤- ومنهم: أيمن بن عبيد بن زيد الحنصلي. ونسبه ابن منده إلى عوف بن الخزرج وفيه نظر، وهو ابن أم أيمن بركة أخو أسامة لأمه.

قال ابن إسحاق: وكان على مطهرة النبي ﷺ، وكان ممن ثبت يوم حنين، ويقال: إن فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

قال الشافعي: قتل أيمن مع النبي ﷺ يوم حنين. قال: فرواية مجاهد عنه منقطعة.

يعني بذلك ما رواه الثوري عن منصور عن مجاهد عن عطاء عن أيمن الحنصلي قال: لم يقطع النبي ﷺ السارق إلا في الجن، وكان ثمن الجن يومئذ ديناراً.

وقد رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن هارون بن عبد الله عن أسود بن عامر عن الحسن بن صالح عن منصور عن الحكم عن مجاهد وعطاء عن أيمن عن النبي ﷺ نحوه.

وهنا يقتضي تأخر موته عن النبي ﷺ إن لم يكن الحديث مدلساً عنه، ويحتمل أن يكون أريد غيره، والجمهور كابن إسحاق وغيره ذكروه فيمن قتل من الصحابة يوم حنين قاله أعلم، ولايته الحجاج بن أيمن مع عبد الله بن عمر قصة.

٥- ومنهم: باذام. وسبأني ذكره في ترجمة طهمان.

٦- ومنهم: ثوبان بن جُحْدٍ ويقال: ابن جَحْثَر. أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الكريم، ويقال: أبو عبد الرحمن. أصله من أهل السراة مكان بين

البجلي عن مولى لأم سلمة. قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررتنا بواد - أو نهر - فكتكت أعبر الناس، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما كنت منذ اليوم إلا سفينة».

وهكذا رواه الإمام أحمد [٢٢١/٥] عن أسود بن عامر عن شريك. وقال أبو عبد الله بن منده: ثنا الحسن بن مكرم ثنا عثمان بن عمر ثنا أسامة بن زيد عن محمد بن المنكدر عن سفينة قال: ركبنا البحر في سفينة فكسرت بنا، فركبت لوحاً منها فطرحني في جزيرة فيها أسد، فلم يرعني إلا به، فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ، فحصل ينمزنني بمنكبه حتى أقامني على الطريق، ثم معهم فظننت أنه السلام. وقد رواه أبو القاسم البغوي عن إبراهيم بن هانئ عن عبيد الله بن موسى عن رجل عن محمد بن المنكدر عنه.

ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الله المخرمي عن حسين ابن محمد. قال: قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن سفينة فذكره.

ورواه أيضاً: حدثنا هارون بن عبد الله ثنا علي بن عاصم حدثني أبو ريحانة عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: لقيني الأسد فقلت: أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: فضر بطنه الأرض وقعد. وروى له مسلم وأهل السنن.

وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد [٢٢١/٥] أنه كان يسكن بطن نخلة، وأنه تأخر إلى أيام الحجاج.

١٥- ومنهم: سلمان الفارسي أبو عبد الله مولى الإسلام: أصله من فارس وتقلت به الأحوال إلى أن صار لرجل من يهود المدينة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أسلم سلمان وأمره رسول الله ﷺ فكتب سيده اليهودي، وأعطاه رسول الله ﷺ على أداء ما عليه فنسب إليه وقال: «سلمان منا أهل البيت».

وقد قلنا صفة هجرته من بلده وصحبته لأولئك الرهبان واحداً بعد واحد حتى آل به الحال إلى المدينة النبوية، وذكر صفة إسلامه رضي الله عنه في أوائل الهجرة النبوية إلى المدينة وكانت وفاته في سنة خمس وثلاثين في آخر أيام عثمان - أو في أول سنة ست وثلاثين - وقيل: إنه توفي في أيام عمر بن الخطاب، والأول أكثر.

قال العباس بن يزيد البحراني: وكان أهل العلم لا يشكون إنه عاش مائتين وخمسين سنة واختلفوا فيما زاد على ذلك إلى ثلاثمائة وخمسين. وقد ادعى بعض الحفاظ المتأخرين أنه لم يجاوز المائة فآله أعلم بالصواب.

١٦- ومنهم: شقران الحبشي. واسمه صالح بن عدي، ورثه عليه السلام من أبيه.

وقال مصعب الزبيري ومحمد بن سعد [الطبقات: ٤٩/٣، ٥٠]: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي ﷺ.

وقد روى أحمد بن حنبل عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر أنه ذكره فيمن شهد بدراً، قال: ولم يقسم له رسول الله ﷺ.

وهكذا ذكره محمد بن سعد فيمن شهد بدراً وهو مملوك، فلها لم يسهم له بل استعمله على الأسرى، فجزاه كل رجل له أمير شيتاً، فحصل له أكثر من نصيب كامل.

قال: وقد كان يبدر ثلاثة غلمان غيره: غلام لعبد الرحمن بن عوف، وغلام لحاطب بن أبي بلتعة، وغلام لسعد بن معاذ فوضع لهم ولم يقسم.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في سرية إلا أتره عليهم، ولو بقي بعله لاستخلفه. رواه أحمد.

١٣- ومنهم: زيد أبو يسار:

قال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة سكن المدينة، روى حديثاً واحداً لا أعلم له غيره:

حدثنا محمد بن علي الجوزجاني ثنا أبو سلمة - هو التبوذكي - ثنا حفص بن عمر الطائي ثنا أبو عمر بن مرة سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ، سمعت أبي حديثي عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو المحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف».

وهكذا رواه أبو داود [١٥١٧] عن أبي سلمة:

وأخرجه الترمذي [٣٥٧٧] عن محمد بن إسماعيل البخاري عن أبي سلمة موسى بن إسماعيل به. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

١٤- ومنهم: سفينة أبو عبد الرحمن ويقال: أبو البخري كان اسمه مهران، وقيل: عيس، وقيل: أحر، وقيل: رومان، فلقبه رسول الله ﷺ سفينة، لسبب سنذكره، فلقب عليه. وكان مولى لأم سلمة فأعنته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ حتى يموت، فقبل ذلك. وقال: لو لم تشتري علي ما فارقت. وهذا الحديث في السنن [٣٩٣٢]، م كوى (٤٩٩٥، ٤٩٩٦) ج (٢٥٢٦). وهو من مولدي العرب وأصله من أبناء فارس وهو سفينة بن مرفة.

وقال الإمام أحمد [٢٢١/٥]: حدثنا أبو النضر ثنا حشرج بن نباتة العباسي كوفي حدثنا سعيد بن جهمان حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمي ثلاثون سنة، ثم ملكاً بعد ذلك» ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وأمسك خلافة علي، ثم قال: فوجدناها ثلاثين سنة. ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق بهم ثلاثون. قلت لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: بطن نخلة في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثلاث ليال أسأله عن أحاديث رسول الله ﷺ. قلت له: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سماني رسول الله ﷺ سفينة. قلت: ولم سمأك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فقتل عليهم متاعهم فقال لي: «ابسط كساءك» فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علي، فقال لي رسول الله ﷺ: «أجل فإنما أنت سفينة» فلما حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما تفل علي، إلا أن يخفوا.

وهذا الحديث عند أبي داود [٤٦٤٧، ٤٦٤٦] والترمذي [٢٢٢٦] والنسائي [٨١٥٥]. ولفظه عندهم «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً».

وقال الإمام أحمد [٢٢٢/٥]: حدثنا بهز، ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جهمان عن سفينة. قال: كنا في سفر، فكان كلما أعيا رجلاً القى علي ثيابه، ترساً أو سيفاً حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً، فقال النبي ﷺ: «أنت سفينة».

هذا هو المشهور في تسميته سفينة.

وقد قال أبو القاسم البغوي: ثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهراني ومحمد بن جعفر الوركاني قالا: ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن عمران

قال أبو القاسم البغوي: وليس له ذكر فيمن شهد بحدوثه في كتاب الزهري، ولا في كتاب ابن إسحاق.

وذكر الواقدي عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سيرة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم قال: استعمل رسول الله ﷺ شقران مولاه على جميع ما وجد في رحال المريسيع من رثة المتاع والسلاح والنعم والشاة وجمع الذرية ناحية.

وقال الإمام أحمد (٤٩٥/٣): ثنا أسود بن عامر ثنا مسلم بن خالد عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه عن شقران مولى رسول الله ﷺ قال: رأيته - يعني النبي ﷺ - متوجهاً إلى خير على حمار يصلي عليه، يومئذ إمام. وفي هذه الأحاديث شواهد أنه رضي الله عنه شهد هذه المشاهد.

وروى الترمذي (١٠٤٧) عن زيد بن أحمز عن عثمان بن فرقد عن جعفر بن محمد أخبرني ابن أبي رافع، قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: الذي أخذ قبر النبي ﷺ أبو طلحة، والذي ألقى القطيفة تحته شقران. ثم قال الترمذي: حسن غريب. وقد تقدم أنه شهد غسل رسول الله ﷺ ونزل في قبره، وأنه وضع تحته القطيفة التي كان رسول الله ﷺ يصلي عليها وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك.

وذكر الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة (٥٢٧/٢) أنه انقرض نسله، فكان آخرهم موتاً بالمدينة في أيام الرشيد.

١٧- ومنهم: ضميرة بن أبي ضمرة الحميري: أصابه سبابة في الجاهلية فاشتره النبي ﷺ فأعتقه ذكره مصعب الزبيري قال: وكانت له دار بالقيح، وولد.

قال عبد الله بن وهب عن ابن أبي ذئب عن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده ضميرة أن رسول الله ﷺ مر بأبى ضميرة وهي تبكي فقال لها: «ما يبكيك؟ أجانعة أنت، أم غارة أنت؟» قالت: يا رسول الله فرق بيني وبين ابني، فقال رسول الله ﷺ: «لا يفرق بين الوالدة وولدها» ثم أرسل إلى الذي عنده ضميرة فدعاها فباتعه منه بكرة.

قال ابن أبي ذئب: ثم أقراني كتاباً عنده: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لأبي ضميرة وأهل بيته، أن رسول الله ﷺ أعقهم وأنهم من أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله، وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم، فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً. وكتب أبي بن كعب.

١٨- ومنهم: طهمان، ويقال: ذكوان. ويقال: مهران، ويقال: ميمون، وقيل: كيسان، وقيل: بإذام.

روى عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة لا تلج إلا لأهل بيتي، وإن مولى القوم من أنفسهم» رواه البغوي عن منجاب بن الحارث وغيره عن شريك عن عطاء بن السائب عن إحدى بنات علي بن أبي طالب، وهي أم كلثوم بنت علي قالت: حدثني مولى للنبي ﷺ يقال له: طهمان أو ذكوان. قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

١٩- ومنهم: عبيد مولى النبي ﷺ.

قال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن سليمان التيمي، عن شيخ عن عبيد مولى للنبي ﷺ قال: قلت: هل كان النبي ﷺ يأمر بصلاة سوى المكتوبة؟ قال: صلاة بين المغرب والعشاء.

قال أبو القاسم البغوي: لا أعلم روى غيره.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٧٤/٤، ٢٧٥]: وليس كما قال. ثم ساق [تاريخ دمشق: ٢٧٤/٤، ٢٧٥] من طريق أبي يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى بن حاد ثنا حماد بن سلمة عن سليمان التيمي، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ: أن امرأتين كانتا صائمتين، وكانتا تختابان الناس، فدعا رسول الله ﷺ بقدر فقال لهما «قينا» فقادتا قيعاً ودماً ولحماً عيطاً ثم قال: «إن هاتين صامتا عن الحلال وأفطرتا على الحرام».

وقد رواه الإمام أحمد (٤٣١/٥) عن يزيد بن هارون وابن أبي حنلي عن سليمان التيمي عن رجل حدثهم في مجلس أبي عثمان عن عبيد مولى رسول الله ﷺ فذكره.

ورواه أحمد أيضاً (٤٣١/٥) عن غندر عن عثمان بن غياث قال: كنت مع أبي عثمان فقال رجل: حدثني سعيد - أو عبيد - عثمان يشك مولى النبي ﷺ فذكره.

٢٠- ومنهم: فضالة مولى النبي ﷺ:

قال محمد بن سعيد: أنبأ الواقدي حدثني عتبة بن جبرية الأشجعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم أن افحص لي عن أسماء خدم رسول الله ﷺ من الرجال والنساء ومواليه، فكتب إليه قال: وكان فضالة مولى له يماني نزل الشام بعده وكان أبوه مويبة مولداً من مولدي مزينة فاعتقه.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٧٧/٤]: لم أجد لفضالة ذكراً في الموالى إلا من هذا الوجه.

٢١- ومنهم: قنيز أوله قاف وآخره زاي:

قال أبو عبد الله بن منته: أنبأنا سهل بن السري ثنا أحمد بن محمد بن المنكدر، ثنا محمد بن يحيى عن محمد بن سليمان الحراني عن زهير بن محمد عن أبي بكر بن عبيد الله بن أنس عن أنس. قال: كان لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له: قنيز. تفرد به محمد بن سليمان.

٢٢- ومنهم: كركرة: كان على نقل النبي ﷺ في بعض غزواته.

وقد ذكره أبو بكر بن حزم فيما كتب به إلى عمر بن عبد العزيز.

قال الإمام أحمد (١٦٠/٢): حدثنا سفيان عن عمرو بن مالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن عمرو قال: كان على ثقل النبي ﷺ رجل يقال له كركرة، فمات فقال: «هو في النار» فنظروا فلماذا عليه عبادة قد غلبها، أو كساء قد غلبه.

رواه البخاري (٣٠٧٤) عن علي بن المديني عن سفيان.

قلت: وقصته شبيهة بقصة يذم الذي أهدها رفاعه من بني الضئيب كما سيأتي.

٢٣- ومنهم: كيسان:

قال البغوي: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب قال: أتيت أم كلثوم بنت علي فقالت: حدثني مولى للنبي ﷺ يقال له كيسان قال له النبي ﷺ في شيء من أمر الصدقة: «إنا أهل البيت نهينا أن نأكل الصدقة، وإن مولانا من أنفسنا فلا تأكل الصدقة».

٢٤- ومنهم: مأبور القبطي الخصي:

أهده له صاحب إسكندرية مع مارية وسيرين والبغلة. وقد قدمنا من خبره في ترجمة مارية رضي الله عنهما ما فيه كفاية.

٢٥- ومنهم: مدعهم: وكان أسود من مولدي حمى.

أهده رفاعه بن زيد الجذلامي، قتل في حياة النبي ﷺ، وذلك مرجعهم من خير، فلما وصلوا إلى وادي القرى فينما مدعهم يحيط عن ناقته رسول

الأبار عن ابن أبي زياد، عن معاوية قال: شهد بئراً عشرون مملوكاً، منهم مملوك للنبي ﷺ يقال له هرمز فاعتقه رسول الله ﷺ وقال: «إن الله قد أعتقك، وإن مولى القوم من أنفسهم؛ وأنا أهل بيت لا نأكل الصدقة فلا تأكلها».

٣٢- ومنهم: هشام مولى النبي ﷺ قال محمد بن سعد: أنبأنا سليمان بن عبيد الله الرقي أنبأنا محمد بن أيوب الرقي عن سفيان عن عبد الكريم عن أبي الزبير عن هشام مولى رسول الله ﷺ قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي لا تدفع يد لامس، قال: «طلقها» قال: إنها تعجنني، قال: «فتمتع بها».

قال ابن منده: وقد رواه جماعة عن سفيان الثوري عن عبد الكريم عن أبي الزبير عن مولى بني هاشم عن النبي ﷺ ولم يسمه. ورواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن أبي الزبير عن جابر.

٣٣- ومنهم: يسار، ويقال: إنه الذي قتله العرنيون وقد ثلثوا به. وقد ذكر الرازي (الغازي: ١٨٢/١، ١٨٣) بسنده عن يعقوب بن عتبة أن رسول الله ﷺ أخذه يوم قرقرة الكدر مع نعم بن يخطان وسليم، فوجهه الناس لرسول الله ﷺ قبله منهم، لأنه رآه يحسن الصلاة فاعتقه، ثم قسم في الناس النعم فأصاب كل إنسان منهم سبعة أبعرة، وكانوا ماتين.

٣٤- ومنهم: أبو الحمراء مولى النبي ﷺ وخادمه، وهو الذي يقال: إن اسمه هلال بن الحارث، وقيل: ابن ظفر، وقيل: هلال بن الحارث بن ظفر السلمي، أصابه سبأ في الجاهلية. وقال أبو جعفر محمد بن علي بن دحي: ثنا أحمد بن حازم أنبأنا عبيد الله بن موسى والفصل بن دكين عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي داود القاسم عن أبي الحمراء قال: ولبطت المدينة سبعة أشهر كيوم، فكان النبي ﷺ يأتي باب علي وفاطمة كل غداة فيقول: «الصلاة الصلاة، إنيأ تريد الله لينهب عنكم الرجز أهل البيت ويظهركم تطهيراً» (الأحراب: ٣٣). قال أحمد بن حازم: وأنبأنا عبيد الله بن موسى والفصل بن دكين - واللفظ له - عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي داود عن أبي الحمراء قال: مر النبي ﷺ برجل عنده طعام في وعاء فأدخله يده، فقال: «غششت! من غشنا فليس منا».

وقد رواه ابن ماجه [٢٢٢٥] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي نعيم به. وليس عنده سواه.

وأبو داود هذا هو نفع بن الحارث الأعمى أحد المتروكين الضعفاء. قال عباس الدوري عن ابن معين: أبو الحمراء صاحب رسول الله ﷺ اسمه هلال بن الحارث، كان يكون محبص، وقد رأيت بها غلاماً من ولده.

وقال غيره: كان منزله خارج باب حصص. وقال أبو الزوارق عن سمرة: كان أبو الحمراء من الموالى.

٣٥- ومنهم: أبو سلمى راعي النبي ﷺ، ويقال: أبو سلام. واسمه حرث.

قال أبو القاسم البغوي: ثنا كامل بن طلحة ثنا عباد بن عبد الصمد، حدثني أبو سلمى راعي النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وآمن بالبعث والحساب؛ دخل الجنة». قلنا: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأدخل أصبعه في أذنيه ثم قال: أنا سمعت هذا منه غير مرة، ولا مرتين.

الله ﷺ رحلها، إذ جاءه سهم عائر فقتله. فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر - لم تصبها المقاسم - لتشتعل عليه ناراً» فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشارك - أو شراكين - فقال النبي ﷺ: «شارك من نار أو شراكان من نار». أخرجه [ج (٤٢٣٤)، م (١١٥)، (١٨٣)] من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث، عن أبي هريرة.

٢٦- ومنهم: مهراون ويقال: طهمان: وهو الذي روت عنه أم كلثوم بنت علي في تحريم الصدقة على بني هاشم ومواليهم كما تقدم.

٢٧- ومنهم: ميمون وهو الذي قبله.

٢٨- ومنهم: نافع مولا:

قال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٨٥/٤] أنبأنا أبو الفتح الماهاني أنبأنا شجاع الصوفي أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن محمد بن زياد حدثنا محمد بن عبد الملك بن مروان ثنا يزيد بن هارون أنبأنا أبو مالك الأشجعي عن يوسف بن ميمون، عن نافع مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة شيخ زان، ولا مسكين مستكبر، ولا منان يعمل على الله عز وجل».

٢٩- ومنهم: قبيح، ويقال: مسروح، ويقال: نافع بن مسروح. والصحيح نافع بن الحارث ابن كلفة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسي، وهو تقيف أبو بكره الثقفي. وأمه سمية أم زياد. ثلث هو وجماعة من العبيد من سور الطائف، فأعتقهم رسول الله ﷺ وكان نزوله في بكره فسماه رسول الله ﷺ أبا بكره. قال أبو نعيم: وكان رجلاً صالحاً أتى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي برزة الأسلمي.

قلت: وهو الذي صلى عليه بوصيته إليه، ولم يشهد أبو بكره وقعة الجمل، ولا أيام صفين. وكانت وفاته في سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين.

٣٠- ومنهم: واقد، أو أبو واقد مولى رسول الله ﷺ.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا محمد بن يحيى بن عبد الكريم، حدثنا الحسين بن محمد، ثنا الهيثم بن حماد عن الحارث بن غسان، عن رجل من قريش من أهل المدينة، عن زاذان، عن واقد مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله. وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فلم يذكره وإن كثرة صلاته وصيامه وتلاوته القرآن».

٣١- ومنهم: هرمز أبو كيسان، ويقال: هرمز أو كيسان، وهو الذي يقال فيه طهمان كما تقدم.

وقد قال ابن وهب: ثنا علي بن عابس عن عطاء بن السائب، عن فاطمة بنت علي، أو أم كلثوم بنت علي قالت: سمعت مولى لنا يقال له: هرمز، يكنى أبا كيسان. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا أهل بيت لا نحل لنا الصدقة، وإن موالينا من أنفسنا فلا تأكلوا الصدقة».

وقد رواه الربيع بن سليمان عن أسد بن موسى، عن ورقاء، عن عطاء بن السائب، قال: دخلت علي أم كلثوم فقالت: إن هرمز أو كيسان حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «إنا لا نأكل الصدقة».

وقال أبو القاسم البغوي: ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا أبو حفص

ولكن وقع في رواية ابن أبي عاصم: حدثنا عقبة بن مكرم ثنا محمد بن موسى حدثنا غليلة بنت الكميت العنكية قالت: حدثني أمي عن أمة الله خادم النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ سبأ صفيه يوم قريظة والنضير فاعتقها وأمهرها زينة أم أمة الله.

وهذا حديث غريب جداً.

٢- ومنهن: أميمة.

قال ابن الأثير [إسناد العامة: ٢٦١/٧، ٢٧]: وهي مولاة رسول الله ﷺ. روى حديثها أهل الشام روى عنها جبير بن نفير أنها كانت توضع رسول الله ﷺ فأنامه رجل يوماً فقال له: أوصني، فقال: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت بالدار، ولا تدع صلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ولا تشرب من مسكراً فإنه رأس كل خطيئة، ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تختلي من أهلك وديك».

٣- ومنهن: بركة أم أيمن وام أسامة بن زيد بن حارثة:

وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان الحبشية، غلب عليها كنيهاً أم أيمن وهو ابنها من زوجها الأول عبيد بن زيد الحبشي، ثم تزوجها بعده زيد بن حارثة فولدت له أسامة ابن زيد، وتعرف أيضاً بأم الظباء، وقد هاجرت المجرتين رضي الله عنها، وهي حاضنة رسول الله ﷺ مع أم أمة بنت وهب، وقد كانت من ورثها رسول الله ﷺ من أبيه، قاله الواقدي.

وقال غيره: بل ورثها من أمه، وقيل: بل كانت لأخت خديجة فوهرتها من رسول الله ﷺ. وأمنت قدماً وهاجرت، وتاخرت بعد النبي ﷺ.

وتقدم ما ذكرناه من زيارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليأياها بعد وفاة النبي ﷺ، وأنها بكت فقالا لها: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى، ولكن أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء، فجعلوا يبكيان معها (م ٢٤٥٤).

وقال البخاري في التاريخ [تاريخ دمشق: ٣٠٤/٤ من طريق البخاري، ٦٠]، وقال عبد الله بن يوسف عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن الزهري قال: كانت أم أيمن تحضن النبي ﷺ حتى كبر، فاعتقها ثم زوجها زيد بن حارثة، وتوفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر، وقيل: ستة أشهر. وقيل: إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب.

وقد رواه مسلم [(١٧٧١) (٧٠)] عن أبي الطاهر وحرمله كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: كانت أم أيمن الحبشية. فذكره. وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٢٢٦/٨] عن الواقدي: توفيت أم أيمن في أول خلافة عثمان بن عفان.

قال الواقدي: وأبناها يحيى بن سعيد بن دينار عن شيخ من بني سعد بن بكر قال: كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن: «يا أمه» وكان إذا نظر إليها قال: «هذه بقية أهل بيتي».

وقال أبو بكر بن أبي خيشمة: أخبرني سليمان بن أبي شيخ قال: كان النبي ﷺ يقول: «أم أيمن أمي بعد أمي».

وقال الواقدي عن أصحابه الذين قالوا: نظرت أم أيمن إلى النبي ﷺ وهو يشرب فقالت: اسقي، فقالت عائشة: يا أم أيمن اتقولي هذا لرسول الله ﷺ! فقالت: ما خدمته أطول، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت» ففجأ بالله فسقاها.

وقال الفضل بن غسان: حدثنا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت

هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الأجر سواء»، ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو يخطئ فيه يتفه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علماً فهو يقول: لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الوزر سواء». وهكذا رواه ابن ماجه [٢٢٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد كلاهما عن وكيع.

ورواه ابن ماجه [عقب ح ٤٢٢٨] أيضاً من وجه آخر من حديث منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ابن أبي كيشة، عن أبيه. وسماه بعضهم عبد الله بن أبي كيشة.

وقال أحمد [٢٣١/٤]: حدثنا يزيد بن عبد ربه، ثنا محمد بن حرب ثنا الزبيدي عن راشد بن سعد عن أبي عامر الهوزني عن أبي كيشة الأنصاري، أنه أتاه فقال: أطرقني من فرسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أطرق مسلماً فمقب له الفرس كان أكبر سبعين فرساً حمل عليه في سبيل الله عز وجل».

وقد روى الترمذي [٢٣٢٥] عن محمد بن إسماعيل عن أبي نعيم عن عبادة بن مسلم عن يونس بن خباب عن سعيد أبي البخترى الطائي، حدثني أبو كيشة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن وأحذركم حديثاً فاحفظوه! ما تنقص مال عبد من صدقة، وما ظلم عبد بمظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزاء، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» الحديث. وقال: حسن صحيح.

وقد رواه أحمد [٢٣١/٤]، عن عبد الله بن عمر، عن عبادة بن مسلم [٦] عن غنتر عن شعبة عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عنه. وروى أبو داود [٣٨٥٩] وابن ماجه [٣٤٨٤] من حديث الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان عن أبيه عن أبي كيشة الأنصاري، أن رسول الله ﷺ كان يجتجم على هامته وبين كفيه.

وروى الترمذي [١٧٨٢]: حدثنا حميد بن مسعدة ثنا محمد بن حمران عن أبي سعيد - وهو عبد الله بن بسر - قال: سمعت أبا كيشة الأنصاري يقول: كانت كمام أصحاب رسول الله ﷺ بطحاً.

٤١- ومنهم: أبو مويهبة مولاة عليه الصلاة والسلام: كان من مولدي مزينة اشتراه رسول الله ﷺ فاعتقه ولا يعرف اسمه رضي الله عنه.

وقال مصعب الزبيري: شهد أبو مويهبة المريسيع، وهو الذي كان يقود لعائشة رضي الله عنها بعيراً.

وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد [٤٨٨/٣] وبسنده عنه في ذهابه مع رسول الله ﷺ في الليل إلى البقيع، فوقف عليه الصلاة والسلام فدعا لهم واستغفر لهم، ثم قال: «ليهنكم ما أنتم فيه مما فيه الناس، أتت الفتن كقطع الليل المظلم يركب بعضها بعضاً، الآخرة أشد من الأولى، فليهنكم ما أنتم فيه» ثم رجع فقال: «يا أبا مويهبة إني خيرت مفتاح ما يفتح على أمي من بعدي والخلة، أو لقاء ربي، فاخترت لقاء ربي» قال: فما لبث بعد ذلك إلا سبعا - أو ثمانية - حتى قبض ﷺ. فهؤلاء عبيده عليه الصلاة والسلام

٦- إمامه ﷺ

١- فلهن: أمة الله بنت زينة: الصحيح أن الصحبة لأمها زينة كما سيأتي.

فزل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [ضحى: ١-٣].

وهذا غريب، والمشهور في سبب نزولها غير ذلك والله أعلم.

٧- ومنهن: رزية:

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٣٠٥/٤]: والصحيح أنها كانت لصيفة بنت حبي، وكانت تحمّد النبي ﷺ.

قلت: وقد تقدم في ترجمة ابنتها أمة الله أنه عليه الصلاة والسلام أمره صفة بنت حبي أمها رزية، فعلى هذا يكون أصلها له عليه الصلاة والسلام.

وقال الحافظ أبو يعلى: ثنا أبو سعيد الجشمي حدثنا عليّة بنت الكميث قالت: سمعت أمي أمية قالت: حدثني أمة الله بنت رزية عن أمها رزية مولاة رسول الله ﷺ أن، رسول الله ﷺ سبأ صفة يوم قريظة والنضير حين فتح الله عليه، فجاء يقودها سبية، فلما رأت النساء قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فأرسلها وكان ذراعها في يده، فاعتقها ثم خطبها وتزوجها وأمهرها رزية.

هكذا وقع في هذا السياق، وهو أجود مما سبق من رواية ابن أبي عاصم، ولكن الحق أنه عليه الصلاة والسلام اصطفى صفة من غنم خبير، وأنه اعتقها وجعل عنها صداقتها. وما وقع في هذه الرواية يوم قريظة والنضير تحييط فاتهم يومان، بينهما ستان والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [٢٢٦/٩] أخبرنا ابن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد الصغار، ثنا علي بن الحسن السكري ثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا عليّة بنت الكميث النخعية عن أمها أمية، قالت: قلت لأمة الله بنت رزية مولاة رسول الله ﷺ: يا أمة الله أسمعك أمك تذكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر صوم عاشوراء؟ قالت: نعم، كان يعظمه ويدعو برُضْعائه ورُضْعاء ابنته فاطمة فينزل في أفواههم ويقول لأمهاتهم: «لا ترضعهم إلى الليل». له شاهد في الصحيح.

٨- ومنهن: رضوى:

قال ابن الأثير [إسد الغابة: ١١٠/٧]: روى سعيد بن بشير عن قتادة عن رضوى بنت كعب أنها سألت رسول الله ﷺ عن الحائض تختضب، فقال: «ما بذلك بأس». رواه أبو موسى المديني.

٩- ومنهن: وبخانة بنت شمعون القرظية، وقيل: النضرية، وقد تقدم ذكرها بعد أزواجه ﷺ رضي الله عنهن.

١٠- ومنهن: رزية بتقديم الزاي والصحيح رزية كما تقدم.

١١- ومنهن: سائلة مولاة رسول الله ﷺ: روت عنه حديثاً في اللقطة، وعنها طارق بن عبد الرحمن روى حديثها أبو موسى المديني. هكذا ذكر ابن الأثير في إسد الغابة [١٣٧/٧].

١٢- ومنهن سلبية الأنصارية: وقيل: مولاة حفصة بنت عمر. روت عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خراً لوجهه».

قال ابن الأثير [إسد الغابة: ١٣٩/٧]: رواه عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق عن أبيه عن إسرائيل عن الأوزاعي عن سالم عن سلبية.

ورواه إسحاق بن يسار عن الفضل. فقال: عن سلبية عن حفصة عن النبي ﷺ، فذكره. رواه أبو نعيم وابن منده.

١٣- ومنهن: سلامة حاضنة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ:

روت عنه حديثاً في فضل الحمل والطلق والرضاع والسهرة، فيه غرابة

عثمان بن القاسم قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء وهي صائمة، فأصابها عطش شديد حتى جهدها، قال: فلبى عليها دلو من السماء برشاه أبيض فيه ماء، قالت: فشربت فما أصابني عطش بعد، وقد تعرضت للعطش بالصوم في المهاجر فما عطشت بعد.

وقال الحافظ أبو يعلى: ثنا محمد بن أبي بكر المديني ثنا مسلم بن قتيبة عن الحسين بن حريث، عن يعلى بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرحمن، عن أم أيمن قالت: كان لرسول الله ﷺ فخارة يول فيها فكان إذا أصبح يقول: «يا أم أيمن صبي ما في الفخارة» فقامت ليلة وأنا عطشى فنلقت فشربت ما فيها، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم أيمن صبي ما في الفخارة» فقالت: يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها فقال: «إنك لن تشكي بطنك بعد يومك هذا أبداً».

قال ابن الأثير في الغابة [٢٧/٧]: وروى حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن حكيم بنت أمية، عن أمها أمية بنت رقيقة قالت: كان للنبي ﷺ قندح من عيدان فيول فيه يضعه تحت السرير، فجاءت امرأة اسمها بركة فشرته، فطلبه فلم يجده، فقيل: شرته بركة. فقال: «لقد احتظرت من النار بخظارة».

قال الحافظ أبو الحسن بن الأثير [إسد الغابة: ٣٠٣/٧]: وقيل: إن النبي ﷺ شررت بوله عليه الصلاة والسلام إنما هي بركة الحبيبة التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة. وقرئ بينهما فالله أعلم.

قلت: فأما بريرة فإنها كانت لآل أبي أحمد بن جحش فكانت بواش فاشترتها عائشة منهم فاعتقها فثبت ولأولها كما ورد الحديث بذلك في الصحيحين [ج: ٢٧٢٩، م: ١٥٠٤]، ولم يذكرها ابن عساکر.

٤- ومنهن خضرة: ذكرها ابن منده فقال: روى معاوية بن هشام عن سفيان عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: كان للنبي ﷺ خادم يقال: لها خضرة.

وقال محمد بن سعد عن الواقدي: ثنا فائد مولى عبيد الله عن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن جلدته سلمى قالت: كان خدم رسول الله ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد، أعقهن رسول الله ﷺ كلهن رضي الله عنهن.

٥- ومنهن: خليصة مولاة حفصة بنت عمر بن الخطاب:

قال ابن الأثير في إسد الغابة [٨٧/٧]: روت حديثها عليّة بنت الكميث عن جلدتها عن خليصة مولاة حفصة في قصة حفصة وعائشة مع سودة بنت زمعة ومزحهما معها بأن الدجال قد خرج. فاختبأت في بيت كانوا يوقدون فيه واستضحكتا، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «ما شأنكما؟» فأخبرته بما كان من أمر سودة، فلعب إليها فقالت: يا رسول الله أخرج الدجال؟ فقال: «لا» وكان قد خرج فخرجت وجعلت تنفض عنها بيض المنكروت.

وذكر ابن الأثير [إسد الغابة: ٨٧] خليصة مولاة سلمان الفارسي وقال: لما ذكر في إسلام سلمان وإعتاقها إياه، وتعيينه عليه الصلاة والسلام لما بأن غرس لها ثلاثمائة فسيلة، ذكرتها تمييزاً.

٦- ومنهن: خولة خادم النبي ﷺ:

كما قال ابن الأثير [إسد الغابة: ٩٤/٧، ٩٥]: وقد روى حديثها الحافظ أبو نعيم من طريق حفص بن سعيد القرشي عن أمه عن أمها خولة وكانت خادم النبي ﷺ، فذكر حديثاً في تأخر الوحي بسبب جرو كلب مات تحت سريته عليه الصلاة والسلام ولم يشعروا به، فلما أخرجه جاء الوحي،

ونكارة من جهة إسناده ومثته.

رواه أبو نعيم وابن منده من حديث هشام بن عمار بن نصير خطيب دمشق عن أبيه عمرو بن سعيد الخولاني، عن أنس عنها. ذكرها ابن الأثير. ١٤- ومنهن: سلمى وهي أم رافع امرأة أبي رافع: كما رواه الواقدي عنها أنها قالت: كنت أخدم رسول الله ﷺ أنا وخضرة ووضوى وميمونة بنت سعد، فأعتقنا رسول الله ﷺ كلنا.

قال الإمام أحمد [٤٦٢/٦]: حدثنا أبو عامر وأبو سعيد مولى بن هاشم، ثنا عبد الرحمن بن أبي الموالى عن فائد مولى ابن أبي رافع عن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع، عن جدته سلمى خدام النبي ﷺ قالت: ما سمعت قط أحدا يشكر إلى رسول الله ﷺ وجعا في رأسه إلا قال: «احتجم» وفي رجله إلا قال: «أخضبه بالحناء».

وهكذا رواه أبو داود [٣٨٥٨] من حديث ابن أبي الموالى والترمذي [٢٥٥٤] وابن ماجه [٣٥٠٢] من حديث زيد بن الحباب كلاهما عن فائد عن مولاة عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن جدته سلمى به. وقال الترمذي: غريب إنما نعرفه من حديث فائد. وقد روت عدة أحاديث عن النبي ﷺ يطول ذكرها واستقصاؤها.

قال مصعب الزبيري: وقد شهدت سلمى وقعة خيبر. قلت: وقد ورد أنها كانت تطبخ للنبي ﷺ الحريرة فتعجبه، وقد تأخرت إلى بعد موته عليه الصلاة والسلام، وشهدت وفاة فاطمة رضي الله عنها، وقد كانت أولا صفية بنت عبد المطلب عمته عليه الصلاة والسلام، ثم صارت لرسول الله ﷺ، وكانت قابلة أولاد فاطمة وهي التي قبلت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وقد شهدت غسل فاطمة وغسلتها مع زوجها علي بن أبي طالب، وأسماء بنت عيسى امرأة الصديق.

وقد قال الإمام أحمد [٤٦١/٦]: حدثنا أبو النصر، ثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن سلمى قالت: اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها الذي قبضت فيها، فكننت أمرضا، فأصبحت يوماً كامئلاً ما رأيته في شكواها تلك، قالت: وخرج علي لبعض حاجته فقالت: يا أمه اسكبي لي غسلا، فسكبت لها غسلا فأغسلت كاحسن ما رأيته تتسل، ثم قالت: يا أمه أعطني ثيابي الجند فأعطينتها فلبستها، ثم قالت: يا أمه قدمي لي فراشي وسط البيت، ففعلت واضطجعت، فاستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمه إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء علي فأخبرته. وهو غريب جدا.

١٥- ومنهن: سهرين، ويقال: سهرين أخت مارية القبطية خالة إبراهيم عليه السلام، وقد قلعنا أن الموقس صاحب إسكندرية واسمه جريج بن مينا أمهاهما مع غلام اسمه مأبور، وبغلة يقال لها: اللؤلؤ فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان.

١٦- ومنهن: عقودة أم صبيح الحبشية جارية عائشة، كان اسمها عتبة فسمها رسول الله ﷺ عقودة. رواه أبو نعيم. ويقال: اسمها غفيرة.

١٧- فروة ظر النبي ﷺ - يعني مرضعه - قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أويت إلى فراشك فارقي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، فإنها براءة من الشرك» ذكرها أبو أحمد العسكري.

قاله ابن الأثير في أسد الغابة [٢٣٣/٧].

١٨- فأما حفصة النوية: فقد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة [٢٣٦/٧]

أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ. ثم أورد بإسناد مظلم عن محبوب بن حيد البصري عن القاسم بن بهرام عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

ثم ذكر ما مضمونه: أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله ﷺ، وعادهما عامة العرب، فقالوا لعلي: لو نذرت؟ فقال علي: إن يربنا مما بهما صمت لله ثلاثة أيام، وقالت فاطمة كذلك، وقالت حفصة كذلك، فألبسها الله العافية فصاموا. وذهب علي فاستقرض من شمعون الحنظري ثلاثة أصع من شعير، فبهنوا منه تلك الليلة صاعا فلما وضعوه بين أيديهم للششاء وقف على الباب سائل فقال: أطعموا المسكين أطعمكم الله على موائد الجنة، فأمرهم علي فأعطوه ذلك الطعام وطوروا، فلما كانت الليلة الثانية صنعوا لهم الصاع الآخر فلما وضعوه بين أيديهم وقف سائل فقال: أطعموا اليتيم فأعطوه ذلك وطوروا. فلما كانت الليلة الثالثة قال: أطعموا الأسير فأعطوه وطوروا ثلاثة أيام وثلاث ليال. فأنزل الله في حقهم ﴿قُلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩١].

وهذا الحديث منكر، ومن الأئمة من يجعله موضوعاً ويستند ذلك إلى ركة الفاطمة، وأن هذه السورة مكية والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة والله أعلم.

١٩- ليلي مولاة عائشة: قالت: يا رسول الله إنك تخرج من الخلاء فادخل في أترك فلم أر شيئا إلا أنني أجد ريح المسك؟ فقال: «إنا معشر الأنبياء نبت أجسادنا على أرواح أهل الجنة، فما خرج منا من نبت ابتلعت الأرض».

رواه أبو نعيم من حديث أبي عبد الله المدني - وهو أحد المجاهيل - عنها.

٢٠- مارية القبطية أم إبراهيم: تقدم ذكرها مع أمهات المؤمنين. وقد فرق ابن الأثير [أسد الغابة: ٢٦١/٧، ٢٦٢] بينهما وبين مارية أم الرباب، قال: وهي جارية للنبي ﷺ أيضاً.

حديثها عند أهل البصرة رواه عبد الله بن حبيب عن أم سليمان عن أمها، عن جدتها مارية قالت: تطاطات للنبي ﷺ حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين. ثم قال: ومارية خدام النبي ﷺ، روى أبو بكر بن عيَّاش عن المشي بن صالح عن جدته مارية - وكانت خدام النبي ﷺ - أنها قالت: ما مسست بيدي شيئا قط ألين من كف رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب [١٩١١/٤]: لا أدري أمي التي قبلها أم لا.

٢١- ومنهن: ميمونة بنت سعد:

قال الإمام أحمد [٤٦٣/٦]: حدثنا علي بن بحر ثنا عيسى - هو ابن يونس - ثنا ثور - هو ابن يزيد - عن زياد بن أبي سودة عن أخيه أن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المنشر والحشر، اتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كآلف صلاة فيما سواه» قالت: أرايت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: «فليهد إليه زيتا يسرج فيه، فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه».

وهكذا رواه ابن ماجه [١٤٥٧] عن إسماعيل بن عبد الله الرقي عن عيسى بن يونس، عن ثور عن زياد عن أخيه عثمان بن أبي سودة عن ميمونة مولاة النبي ﷺ.

ذكرهن، أو زائنة عليهن، والله تعالى أعلم.

٧- وأما خدامه ﷺ ورضي الله عنهم الذين خدموه

من أصحابه غير مواليه

١- فمنهم أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جذنب بن عاصم بن غنم ابن عدي بن النجار الأنصاري التجاري أبو حرة المدني نزيل البصرة.

خدم رسول الله ﷺ مدة مقامه بالمدينة عشر سنين، فما عاتبه على شيء أبدا، ولا قال شيء فعله، لم فعلته، ولا شيء لم يفعله، ألا فعلته؟ وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام هي التي أعطته رسول الله ﷺ قبله، وسألته أن يدعو له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، وأدخله الجنة»، قال أنس: فقد رأيت اثنين وأنا انتظر الثالثة، والله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو من مائة (٢٤٨١).

وفي رواية [تاريخ دمشق: ٣٤٩/٩]: وإن كرمي ليحصل في السنة مرتين. وإن ولدي لصلي مائة وستة أولاد.

وقد اختلف في شهوده بدماء، وقد روى الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: قيل لأنس أشهدت بدماء؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك! والشهور أن لم يشهد بدماء لصفره. ولم يشهد أحدا أيضا لذلك. وشهد الحديبية وخيبر وعمرة القضاء والفتح وحينا والطائف، وما بعد ذلك. قال أبو هريرة: ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك [ابن سعد في الطبقات: ٢٠/٧] - . وقال ابن سيرين: كان أحسن الناس صلاة في سفره وحضره [سند أحمد: ٤٢٩/١].

وكانت وفاته بالبصرة وهو آخر من كان قد بقي فيها من الصحابة، فيما قاله علي بن المديني، وذلك في سنة تسعين، وقيل: إحدى، وقيل: اثنتين، وقيل: ثلاثاً وتسعين، وهو الأشهر، وعليه الأكثر.

وأما عمره يوم مات فقد روى الإمام أحمد: في مسنده [١٢٤/٣] حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أسأ عمر مائة سنة غير سنة، وأقل ما قيل ست وتسعون، وأكثر ما قيل مائة وسبع سنين، وقيل: ست، وقيل: مائة وثلاث سنين فالله أعلم.

٢- ومنهم: رضي الله عنهم: الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي. قال محمد بن سعد: كان اسمه ميمون بن سبأ.

قال الربيع بن بدر الأعرجي عن أبيه، عن جده، عن الأسلع قال: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال ذات ليلة: «يا أسلع قم فارحل» قال: أصابني جنابة يا رسول الله، قال: فسكت ساعة وأتاه جبريل بأية الصعيد، قال: فتمسحت وصليت، فلما انتهيت إلى الماء قال: «يا أسلع قم فاغسل»، قال: فأراني التيمم فغضب رسول الله ﷺ يديه إلى الأرض ثم نفضهما، ثم مسح بهما وجهه، ثم ضرب يديه الأرض ثم نفضهما فمسح بهما ذراعيه، باليمينى على اليسرى، واليسرى على اليمينى، ظاهرهما وباطنهما. قال الربيع: وأراني أبي، كما أراه أبوه، كما أراه الأسلع، كما أراه رسول الله ﷺ.

قال الربيع: فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبي جيلة فقال: هكذا

وقد رواه أبو داود [٤٥٧] عن النخيلي، عن مسكين بن بكير عن سعيد بن عبد العزيز عن زياد. عن ميمونة. لم يذكر أخاه فالله أعلم.

وقال أحمد [٤٦٣/٦]: حدثنا حسين وأبو نعيم قالا: ثنا إسرائيل عن زيد بن جبير عن أبي يزيد الضبي عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: سئل النبي ﷺ عن ولد الزنا قال: «لا خير فيه، نعلان أجاهد بهما في سبيل الله أحب إلي من اعتق ولد الزنى».

وهكذا رواه النسائي [كبرى (٤٩١٣)] عن عباس الدوري وابن ماجه [٢٥٣١] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي نعيم الفضل بن دكين به.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا الحارثي ثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة - وكانت تخدم النبي ﷺ - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرافلة في الزينة في غير أهلها، كالظلمة يوم القيامة لا نور لها».

ورواه الترمذي [١١٦٧] من حديث موسى بن عبيدة وقال: لا نعرفه إلا من حديثه وهو يضعفه في الحديث.

وقد رواه بعضهم عنه فلم يرفعه.

٢٢- ومنهم: ميمونة بنت أبي غنمة أو بنت غنمة: قاله أبو عمر وابن مند.

قال أبو نعيم: وهو تصحيف والصواب ميمونة بنت أبي عسيب. كذلك روى حديثها المتجع بن مصعب أبو عبد الله العبدلي عن ربيعة بنت يزيد وكانت تنزل في بني قريع عن منه عن ميمونة بنت أبي عسيب، وقيل: بنت أبي عسيبة مولاة النبي ﷺ أن امرأة من جُرَش أتت النبي ﷺ، فنادت: يا عائشة أغشييني بدعوة من رسول الله ﷺ تكسني بها وتطعنني بها، وأنه قال لها: «ضعي يديك اليمنى على فؤادك فامسحيه، وقولي: بسم الله اللهم دلوني بدوائك، واشفني بشفاك، واغني بفضلك عمن سواك» قالت ربيعة: فدعوت به فوجدته جيذا. [العجم الكبير للطبراني: ٣٩/٢٥] من طريق الصحيح، [٤].

٢٣- ومنهم: أم ضمرة زوج أبي ضمرة: قد تقدم الكلام عليهم رضي الله عنهم.

٢٤- ومنهم: أم عياش: بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته رقية تخدمها حين زوجها بعثمان بن عفان.

قال أبو القاسم البغوي: حدثنا هُدبة، ثنا عبد الواحد بن صفوان، حدثني أبي صفوان، عن أبيه، عن جدته أم عياش - وكانت خادمة النبي ﷺ - بعث بها مع ابنته إلى عثمان، قالت: كنت أمفت لعثمان التمر غلوة، فيشره عشيبة، وأبذه عشيبة فيشره غلوة، فسألني ذات يوم فقال: تخطين فيه شيئا؟ فقلت: أجل قال: فلا تمودي.

فهؤلاء إملاءه رضي الله عنهم.

وقد قال الإمام أحمد [١٣٧/٦]: حدثنا وكيع، ثنا القاسم بن الفضل، حدثني ثمامة ابن حزن، قال: سألت عائشة عن النبي ﷺ فقالت: هذه خدام رسول الله ﷺ فسلها، لجارية حبشية، فقالت: كنت أبذ لرسول الله ﷺ في سقاء عشاء فاوكيه، فإذا أصبح شرب منه.

ورواه مسلم [٢٠٠٥] (٨٤) والنسائي [كبرى (٦٨٤٨)] من حديث القاسم بن الفضل به.

هكذا ذكره أصحاب الاطراف في مسند عائشة، والأليق ذكره في مسند جارية حبشية كانت تخدم النبي ﷺ، وهي إما أن تكون واحدة ممن قدمنا

والله رأيت الحسن يصنع.

رواه ابن منده والبخاري في كتابيهما معجم الصحابة من حديث الربيع بن بدر هذا.

قال البخاري: ولا أعلمه روى غيره.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٣١٣/٤]: وقد روى- يعني هذا الحديث - الحميد بن رزق المالكي المدجلي عن أبيه عن الأسلمع بن شريك.

٣- ومنهم: رضي الله عنهم أسماء بن حارثة بن سعيد بن عبد الله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن الهضي الأسلمي.

وكان من أهل الصفة، قاله محمد ابن سعد [الطبقات: ٣٢٢/٤]. وهو أخو هند بنت حارثة، وكانا يخدمان النبي ﷺ.

قال الإمام أحمد [٤٨٤/٣]: حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا عبد الرحمن بن حرملة عن يحيى بن هند بن حارثة، وكان هند من أصحاب الحديث، وكان أخوه الذي بعته رسول الله ﷺ يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة.

فحدثني يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة أن رسول الله ﷺ بعته فقال: «مر قومك بصيام هذا اليوم». قال: أرايت إن وجدتهم قد طعموا؟ قال: «فليصموا آخر يومهم».

وقله رواه أحمد بن خالد الرهوي عن محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن حبيب بن هند بن أسماء الأسلمي عن أبيه هند قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قوم من أسلم فقال: «مر قومك فليصوموا هذا اليوم، ومن وجدت منهم أكل في أول يومه فليصم آخره».

قال محمد بن سعد عن الواقدي: أنبأنا محمد بن نعيم بن عبد الله المجرم عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنت أظن أن هنداً وأسماء ابني حارثة إلا علوكين لرسول الله ﷺ.

قال الواقدي: كانا يخدمانه لا يبرحان أباه هما وأنس بن مالك.

قال محمد بن سعد: وقد توفي أسماء بن حارثة في سنة ست وستين بالبصرة عن ثمانين سنة.

٤- ومنهم رضي الله عنهم بلال بن رباح الحبشي: ولد بمكة وكان مولى لأمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر منه بمال جزيل لأن أمية كان يعذبه عذاباً شديداً ليرتد عن الإسلام فيأبى إلا الإسلام رضي الله عنه، فلما اشتراه أبو بكر اعتقه ابتداء وجه الله، وهاجر حين هاجر الناس، وشهد بدرًا وأحداً وما بعدهما من المشاهد رضي الله عنه. وكان يعرف بلال ابن حمامة وهي أمه، وكان من أفصح الناس لا كما يتفعله بعض الناس أن سيئه كانت شيئاً، حتى إن بعض الناس يروي حديثاً في ذلك لا أصل له عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن سين بلال عند الله شيئاً». وهو أحد المؤذنين الأربعة كما سيأتي، وهو أول من أذن كما قلنا. وكان يلي أمر الثقة على العيال، ومعه حاصل ما يكون من المال.

ولما توفي رسول الله ﷺ كان فيمن خرج إلى الشام للغزو، ويقال: إنه أقام يؤذن لأبي بكر أيام خلافته، والأول أشهر.

قال الواقدي: مات بدمشق سنة عشرين وله بضع وستون سنة.

وقال الفلاس: قبره بدمشق، ويقال: بداريا، وقيل: إنه مات بحلب، والصحيح أن الذي مات بحلب أخوه خالد.

قال مكحول: حدثني من رأى بلال قال: كان شديد الأدمة غيفاً أجناً له شعر كثير، وكان لا يغير شيبه رضي الله عنه.

٥- ومنهم، رضي الله عنهم: بكير بن الشلاخ الليثي:

ذكر ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي عن عبد الملك بن يعلى الليثي أن بكير بن شلاخ الليثي كان يخدم النبي ﷺ، فاحتمل فاعلم بذلك رسول الله ﷺ وقال: إني كنت أدخل على أهلك وقد احتلمت الآن يا رسول الله، فقال: «اللهم صدق قوله، ولقنه الظفر».

فلما كان في زمان عمر قتل رجل من اليهود، فقام عمر خطيباً قال: أنشد الله رجلاً عنه من ذلك علم؟ فقام بكير فقال: أنا قتلته يا أمير المؤمنين. فقال عمر: يؤت بدمه فأين المخرج؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن رجلاً من الغزاة استخلفني على أهله، فبحث فإذا هذا اليهودي عند امرأته وهو يقول:

واشمت غيرة الإسلام مني خلوت بعمره ليل التمام
أبيت على ترابها وكسي على قرد الأجنة والحزام
كان مجامع التراتل منها فنام يهضون إلى فنام
قال: فصدق عمر قوله وأبطل دم اليهودي بدعاء رسول الله ﷺ لبكير بما تقدم.

٦- ومنهم: رضي الله عنهم حبة وسواء ابنا خالد رضي الله عنهما. قال الإمام أحمد [٤٩٩/٣]: حدثنا أبو معاوية، قال: وثنا وكيع، ثنا الأعمش عن سلام بن شرحبيل، عن حبة وسواء ابني خالد قالوا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئاً فأضاه، فقال: «لا تيسا من الرزق ما تهزرت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمير ليس عليه قشرة، ثم يزرقه الله عز وجل».

٧- ومنهم: رضي الله عنهم ذو مخمر، ويقال: ذو عجر، وهو ابن أخي النجاشي ملك الحبشة، ويقال ابن أخته. والصحيح الأول. كان بعته ليخدم رسول الله ﷺ نياية عنه.

قال الإمام أحمد [٩٠/٤]: حدثنا أبو النضر، ثنا حريز عن يزيد بن صليح عن ذي غمر - وكان رجلاً من الحبشة يخدم النبي ﷺ - قال: كنا معه في سفر فأسرع السير حتى انصرف، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد. فقال له قائل: يا رسول الله قد انقطع الناس، قال: فحبس وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه، فقال لهم: «هل لكم أن نهجع هجعة؟» أو قال له قائل فترزول وتزلوا فقالوا: من يكلونا الليلة؟ فقلت: أنا جعلني الله فداءك، فأعطاني خطام ناقته فقال: «هاك لا تكونن لكما» قال: فأخذت بخطام ناقته رسول الله ﷺ وخطام ناقتي، فتنتحيت غير بعيد فخلت سيولهما ترعيان، فإني في ذلك أنظر إليهما حتى أخذنني النوم، فلم أشعر بشيء حتى وجدت حر الشمس على وجهي، فاستيقظت فنظرت بيناً وشمالاً فإذا أنا بالراحتين مني غير بعيد، فأخذت بخطام ناقته رسول الله ﷺ وخطام ناقتي، فأتيت أدنى القوم فايقظته فقلت: أصليت؟ قال: لا، فايقظ الناس بعضهم بعضاً حتى استيقظ رسول الله ﷺ، فقال: «يا بلال هل في الميضة ماء؟» يعني الإداوة، فقال: نعم جعلني الله فداءك، فأتاه بوضوء فتوضأ وضوءاً لم يُلُتْ منه التراب، فأمر بلالاً فأذن ثم قام النبي ﷺ فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل، ثم أمره فأقام الصلاة فصلى وهو غير عجل، فقال له قائل: يا رسول الله أفرطنا؟ قال: «لا، قبض الله أرواحنا وردها إلينا، وقد صلينا».

٨- ومنهم: رضي الله عنهم ربيعة بن كعب الأسلمي أبو فراس: قال الأزاعي حدثني يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن ربيعة بن كعب، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتته بوضوءه وحاجته، فكان

كرهتها، فندم فأحضرني فقال لي: قل لي كما قلت لك قال: فقلت: لا والله لا أقول لك كما قلت لي، قال: إذا أتني رسول الله. قال: فأتني رسول الله ﷺ وتبعته فجماعني قومي يتبعوني فقالوا: هو الذي قال لك وهو يأتي رسول الله فيشكرك؟ قال: فالتفت إليهم فقلت: تدرون من هذا؟ هذا الصديق وذو شية المسلمين، أرجعوا لا يلتفت فبراكم فيظن أنكم إما جتم لتعنوني عليه فيغضب، فأتني رسول الله ﷺ فيخبره فيهلك ربيعه. قال: فأتني رسول الله ﷺ فقال: إني قلت لربيعة كلمة كرهها فقلت له يقول لي مثل ما قلت له فأبى، فقال رسول الله ﷺ: «يا ربيعة ومالك وللصديق؟» قال: فقلت: يا رسول الله لا والله لا أقول له كما قال لي، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل له كما قال لك، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر»

٩- ومنهم: رضي الله عنهم سعد مولى أبي بكر رضي الله عنه، ويقال مولى النبي ﷺ.

قال أبو داود الطيالسي: ثنا أبو عامر عن الحسن عن سعد مولى أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر - وكان سعد مملوكاً لأبي بكر، وكان رسول الله ﷺ يعجبه خدمته - «اعتق سعداً» فقال: يا رسول الله مالنا خادم ها هنا غيره، فقال: «اعتق سعد أتاك الرجال أتاك الرجال».

وهكلاً رواه أحمد [١٩٩/١] عن أبي داود الطيالسي.

وقال أبو داود الطيالسي (المسند: ١٩٩/١)، عن الطيالسي، به: حدثنا أبو عامر عن الحسن، عن سعد قال: قرئت بين يدي رسول الله ﷺ ثمراً، فجمعوا يقرنون، فنهى رسول الله ﷺ عن القرآن.

ورواه ابن ماجه [٣٣٣٢] عن بندار عن أبي داود به.

١٠- ومنهم رضي الله عنهم عبد الله بن رواحة: دخل يوم عمرة القضاء مكة وهو يقود بئاق رسول الله ﷺ وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سييله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضربنا يزيد المصام عن مقليله
ويشغل الخليل عن خليله

كما قلنا ذلك بطوله.

وقد قتل عبد الله بن رواحة بعد هذا بأشهر في يوم مؤتة كما تقدم أيضاً.

١١- ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن مسعود بن غاثل بن حبيب بن شمع أبو عبد الرحمن الهللي: أحد أئمة الصحابة: هاجر المهجرين وشهد بدرًا وما بعدها، كان يلي حمل نعلي النبي ﷺ، ويلي طهوره، ويرحل دابته إذا أراد الركوب، وكانت له اليد الطولى في تفسير كلام الله تعالى، وله العلم الجم والفضل والحلم، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه - وقد جعلوا يعجبون من دقة ساقه - فقال: «والذي نفسي بيده لما في الميزان أثقل من أحد» (مسند أحمد: ٤٢٠/١، ٤٢١).

وقال عمر بن الخطاب في ابن مسعود: هو كئيف ملأ علماً واحداً في فصال الصحابة (١٥٥٠).

وذكروا أنه تحيف الخلق حسن الخلق.

يقال: إنه كان إذا مشى يسامت الجلوس وكان يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودله وسمته، يعني أنه يشبه بالنبي ﷺ في حركاته وسكناته وكلامه ويتشبه بما استطاع من عبادته.

يقوم من الليل فيقول: «سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده، سبحان رب العالمين سبحان رب العالمين» المروي. فقال رسول الله ﷺ: «هل لك حاجة؟» قلت: يا رسول الله مراقتك في الجنة، قال: «فاعني على نفسك بكثرة السجود».

وقال الإمام أحمد [٥٩/٤]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، ثنا أبي، ثنا محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن عمرو بن عطاء عن نعيم بن مجير عن ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، وأقوم له في حوائجه، نهاري أجمع، حتى يصلي عشاء الآخرة، فأجلس بيابه إذا دخل بيته أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة، فما أزال أسمع رسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله وبحمده» حتى أمل فأرجع، أو تغلبي عيني فأرقد، فقال لي يوماً: - لما يرى من خفي له وخدمتي إياه - «يا ربيعة بن كعب سلني أعطك» قال: فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك، قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا مقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيكتفي ويأتي، قال: فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لأخبرني فإنه من الله عز وجل بالمثل الذي هو به، قال: فجنه فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟» قال: فقلت: نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتني من النار، قال: فقال: «من أملك بهذا يا ربيعة؟» قال: فقلت: لا والله الذي يمشك بالحق ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت: «سلني أعطك» وكنت من الله بالمثل الذي أنت به نظرت في أمري فعرفت أن الدنيا مقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتي، فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لأخبرني. قال: فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال لي: «إني فاعل فاعني على نفسك بكثرة السجود».

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو خيثمة أنبأنا يزيد بن هارون، ثنا مبارك بن فضالة، ثنا أبو عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي - وكان يخدم النبي ﷺ - قال: فقال لي ذات يوم: «يا ربيعة ألا تزوج؟» قال قلت: يا رسول الله ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء. قال: فسكت فلما كان بعد قال لي: «يا ربيعة ألا تزوج؟» قلت لا يا رسول الله ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء، وما عندي ما أعطي المرأة. قال: فقلت بعد ذلك: رسول الله أعلم بما عندي حتى، يدعوني إلى التزويج، لئن دعاني هذه المرأة لأجيبه، قال: فقال لي: «يا ربيعة ألا تزوج؟» فقلت: يا رسول الله ومن يزوجني؟ ما عندي ما أعطي المرأة. فقال لي: «انطلق إلى بني فلان فقل لهم: إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم فلانة» قال: فأتيتهم فقلت: إن رسول الله أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة، قالوا: فلانة؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً برسول الله ﷺ ومرحباً برسوله، فزوجوني، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أتيتك من خير أهل بيت صدقوني وزوجوني، فمن أين لي ما أعطي صدقي؟ فقال رسول الله ﷺ لربيعة الأسلمي: «اجمعا لربيعة في صدقه في وزن نواة من ذهب» فجمعوها فأعطوني فأتيتهم فقبلوها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قبلوا فمن أين لي ما أؤلم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ لربيعة: «اجمعا لربيعة في ثمن كبش» قال: فجمعوا وقال لي: «انطلق إلى عائشة فقل لها فلتفتع إليك ما عندها من الشعر» قال: فأتيتها فلدغت إلي، فانطلقت بالكبش والشعر فقالوا: أما الشعر فنحن نكفيك، وأما الكبش فمر أصحابك فليذبحوه، وعملوا الشعر فأصبح والله عندنا خبز ولحم، ثم إن رسول الله ﷺ أقطع أبا بكر أرضاً له فاختلفنا، في علق، فقلت: هو في أرضي. وقال أبو بكر: هو في أرضي، فتنازعنا فقال لي أبو بكر كلمة

توفي رضي الله عنه في أيام عثمان سنة اثنتين - أو ثلاث - وثلاثين بالمدينة عن ثلاث وستين سنة.

وقيل: إنه توفي بالكوفة والأول أصح.

١٢- ومنهم: رضي الله عنهم عقبه بن عامر الجهمي:

قال الإمام أحمد (١٤٤/٤): ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن عقبه بن عامر قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ في نخب من تلك النقاب، إذ قال لي: «يا عقيب، ألا تركب؟» قال: فاشتفت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيئة، ثم ركب، ثم قال: «يا عقيب، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأقراني ﴿قُلْ أَغْوَدُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَغْوَدُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثم أقيمت الصلاة فقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما. ثم مر بي فقال: «كيف رايت يا عقيب، أقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت؟»

وهكذا رواه النسائي [٥٤٥٢] من حديث الوليد بن مسلم، وعبد الله بن المبارك عن ابن جابر.

ورواه أبو داود [١٤٦٢] النسائي [٥٤٥١] أيضاً من حديث ابن وهب عن معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم أبي عبد الرحمن. عن عقبه به.

١٣- ومنهم: رضي الله عنهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي.

روى البخاري [٧١٥٥] عن أنس قال: كان قيس بن سعد بن عبادة من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرط من الأمير.

وقد كان قيس هذا رضي الله عنه من أطول الرجال، وكان كوسجاً، ويقال: إن سراويله كان يضعه على أنه من يكون من أطول الرجال فصل رجلاه الأرض، وقد بعث سراويله معاوية بن أبي سفيان إلى ملك الروم يقول له: هل عندكم رجل نجيء سراويله على طوله؟ فعجب ملك الروم من ذلك.

وذكروا أنه كان كريماً عديداً ذا رأي ودعاء، وكان مع علي بن أبي طالب أيام صفين.

وقال مسعر عن معبد بن خالد: كان قيس بن سعد لا يزال رافعاً أصبعه المسبحة يدعو رضي الله عنه وأرضاه.

وقال الواقدي [طبقات ابن سعد: ٥٣/٦] عن الواقدي وخليفة بن خياط [تاريخ خليفة: ٢٧٣/١] وغيرهما: توفي بالمدينة في آخر أيام معاوية.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار: ٢٤٤٥]: ثنا عمر بن الخطاب السجستاني ثنا علي بن يزيد الحفصي ثنا سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبي سفيان، عن أنس قال: كان عشرون شاباً من الأنصار يلزمون رسول الله ﷺ لحوائجه، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه.

١٤- ومنهم: رضي الله عنهم المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله عنه.

كان بمنزلة السلحفاة بين يدي رسول الله ﷺ، كما كان رافعاً السيف في يده وهو واقف على رأس النبي ﷺ في الحجة يوم الحديبية: فجعل كلما أمرى عنه عروة بن مسعود الثقفي حين قدم في الرسالة إلى حبة رسول الله ﷺ - على ما جرت به عادة العرب في مخاطباتها - يقرع يده بقائمة السيف ويقول: أخرج بك عن حبة رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل

إليك. الحديث كما قلناه.

قال محمد بن سعد وغيره: شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وولاه مع أبي سفيان الإمرة حين ذهباً فخرياً طاغوت أهل الطائف، وهي المدغرة بالرقة، وهي اللات، وكان داعية من دعاة العرب.

قال الشعبي: سمعته يقول: ما غلبي أحد قط.

وقال الشعبي: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر، لخرج من أبوابها.

وقال الشعبي: القضاة أربعة: علي وعمر وابن مسعود وأبو موسى، والدعاة أربعة: معاوية وعمر بن العاص والمغيرة وزيد.

وقال الزهري: الدعاة خمسة: معاوية وعمر والمغيرة وأثنان مع علي وهما قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء.

وقال الإمام مالك: كان المغيرة بن شعبة رجلاً نكاحاً للنساء، وكان يقول: صاحب الواحدة إن حاضت حاض معها، وإن مرضت مرض معها، وصاحب الثنتين بين نارين تشتعلان، قال: فكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهن جميعاً.

وقال غيره: تزوج ثمانين امرأة، وقيل: ثلاث مائة امرأة، وقيل: أحصن بألف امرأة.

وقد اختلف في وفاته على أقوال أشهرها وأصحها وهو الذي حكى عليه الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٩١/١] الإجماع أنه توفي سنة خمسين.

١٥- ومنهم: رضي الله عنهم المقداد بن الأسود أبو معبد الكندي حليف بني زهرة.

قال الإمام أحمد (٤/٦، ٥): حدثنا عصفان، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن المقداد بن الأسود قال: قلت للمدينة أنا وصاحبان لي فعرضتا للناس فلم يصفنا أحد، فأتينا النبي ﷺ فذكرنا له، فذهب بنا إلى منزله وعنده أربعة أعتر، فقال: «أهلبيهم يا مقداد، وجزئهم أربعة أجزاء، وأعط كل إنسان جزءاً» فكتف أفضل ذلك فرفضت للنبي ﷺ ذات ليلة فاحتبس واضطجعت على فراشي، فقالت لي نفسي: إن النبي ﷺ قد أتى أهل بيت من الأنصار، فلو قمت فشربت هذه الشرية فلم تزل بي حتى قمت فشربت جزءاً، فلما دخل في بطني وتقرأ أخلني ما قدّم وما حدث، فقلت: يميني الآن النبي ﷺ جاثعاً ظمناً فلا يرى في القدر شيئاً. فسمعت ثوباً على وجهي.

وجاء النبي ﷺ فسلم تسليمه يسمع البقظان ولا تروظ النائم، فكشف عنه فلم ير شيئاً، فرفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم اسق من سقائي، وأطعم من أطعمني» فاغتمت دعوته وقمت فاخذت الشرية فلدنت إلى الأعتر فجعلت أجسهن أينهن أسمن لأذنبهما، فوقعت يدي على ضرع إحداهن فإذا هي حافل، ونظرت إلى الأخرى فإذا هي حافل، فنظرت فإذا هن كلهن حفل، فجلبت في الإناء فأتيته به فقلت: اشرب، فقال: هما الخبر يا مقداد؟ فقلت: اشرب ثم الخبر، فقال: «بعض سؤاتك يا مقداد» فشرب ثم قال: «اشرب» فقلت: اشرب يا بني الله، فشرب حتى تضلّع ثم أخذته فشرته، ثم أخبرته الخبر فقال النبي ﷺ: «هيه» فقلت: كان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «هذه بركة منزلة من السماء، أفلا أخبرتني حتى أسقي صاحبك؟» فقلت: إذا شررت البركة أنا وأنت فلا أبالي من أخطأت.

خمس بن عبد مناف بن قصي الأموي. أسلم بعد أخويه خالد وعمرو، وكان إسلامه بعد الحديبية لأنه هو الذي أجار عثمان حين بعث رسول الله ﷺ إلى أهل مكة يوم الحديبية. وقيل: خير لأن له ذكر في الصحيح (ج ٤٢٣٨) من حديث أبي هريرة في قصة غنائم خيبر، وكان سبب إسلامه أنه اجتمع براهب وهو في تجارة بالشام فذكر له أمر رسول الله ﷺ فقال له الراهب: ما اسمه؟ قال: عمدة، قال: فانا أنتم لك. فوصفه بصفته سواء وقال: إذا رجعت إلى أهلك فأقرته السلام. فأسلم بعد مرجعه وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبد الملك بن مروان.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ أبي بن كعب، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت، وكتب له عثمان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد. هكذا قال - يعني بالمدينة - ولا فالسور المكية لم يكن أبي بن كعب حال نزولها، وقد كتبها الصحابة بمكة رضي الله عنهم.

وقد اختلف في وفاة أبان بن سعيد هذا فقال موسى بن عقبة ومصعب بن الزبير (سب قريش: ص ١٧٤) والزيبر بن بكار وأكثر أهل النسب: قتل يوم أحنافين، يعني في جمادى الأولى سنة ثني عشرة.

وقال آخرون: قتل يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة.

وقال محمد بن إسحاق: قتل هو وأخوه عمرو يوم اليرموك لخمس مئتين من رجب سنة خمس عشرة.

وقيل: إنه تأخر إلى أيام عثمان وأنه أمره عثمان رضي الله عنه، أن يُجِلَّ المصحف على زيد بن ثابت ثم توفي سنة تسع وعشرين قاله أعلم.

٦- ومنهم رضي الله عنهم: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري. أبو المنذر، ويقال: أبو الطفيل، سيد القراء شهد العقبة الثانية ويندأ وما بعدها. وكان رعة نحيفاً أبيض الرأس واللحية، لا يغير شيبه. قال أنس: جمع القرآن أربعة - يعني من الأنصار - أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ورجل من الأنصار يقال له: أبو زيد. أخرجه (ج ٥٠٠٣)، م (٢٤٦٥).

وفي الصحيحين (ج ٤٩٥٩ - ٤٩٦١)، م (٧٩٩)، ع (١٢١) عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» قال: وسماني لك يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال: فذرفت عينا.

ومعنى «أن أقرأ عليك» قراءة إيلاخ وإسماع لا قراءة تعلم منه، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم، وإنما نهنا على هذا لتلا يعقد خلافه.

وقد ذكرنا في موضع آخر سبب القراءة عليه وأنه قرأ عليه سورة «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَحَكِّمِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً. فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ» (البقرة: ١٢٩) وذلك أن أبي بن كعب كان قد أترك على رجل قراءة سورة على خلاف ما كان يقرأ أبي، فرفعه أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: «اقرأ يا أبي» فقرأ فقال: «هكذا أنزلت» ثم قال لذلك الرجل: «اقرأ» فقرأ فقال: «هكذا أنزلت» قال أبي: فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية، قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره ففُضْتُ عرقاً وكأنا أنظر إلى الله فرأى (م ٨٢٠).

فبعد ذلك تلا عليه رسول الله ﷺ هذه السورة كالتثنية له والبيان له أن هذا القرآن حق وصدق، وأنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفا بالعباد.

وقال ابن أبي خيثمة: هو أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ يعني بالمدينة.

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً (٣/٦) عن أبي النضر عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المقداد. فذكر ما تقدم، وفيه أنه حلب في الإناء الذي كانوا لا يطعمون أن يملأوا فيه، فحلب حتى علته الرغوة. ولما جاء به قال له رسول الله ﷺ: «أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد؟» فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب ثم ناولني فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب ثم ناولني فأخذت ما بقي ثم شربت. فلما عرفت أن رسول الله ﷺ قد روي فأصابني دعوته ضحكت حتى أقيت إلى الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «إحدى سؤاتك يا مقداد» فقلت: يا رسول الله كان من أمرى كذا، صنعت كذا. فقال: «ما كانت هذه إلا رحمة الله، ألا كنت أذنتي نوقط صاحبك هذين فيصبيان منها؟» قال: قلت: والذي يمكك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس.

وقد رواه مسلم (٢٠٥٥)، (١٧٤) والترمذي (٢٧١٩) والنسائي (١٠٥٥) من حديث سليمان بن المغيرة به.

١٦- ومنهم: رضي الله عنهم مهاجر مولى أم سلمة.

قال الطبراني (الكبير: ٣٣٠/٢٠): حدثنا أبو الزناد روح بن الفرج، ثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني إبراهيم بن عبد الله، سمعت بكيراً يقول: سمعت مهاجراً مولى أم سلمة قال: خدمت رسول الله ﷺ سنين، فلم يقل لي شيء صنعت: لم صنعت؟ ولا شيء تركت: لم تركت؟ وفي رواية [تاريخ دمشق: ٣٢٣/٤]: خدمت عشر سنين أو خمس سنين.

١٧- ومنهم: رضي الله عنهم أبو السمح.

قال أبو العباس محمد بن إسحاق التقي: حدثنا مجاهد بن موسى ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا يحيى بن الوليد حدثني عجل بن خليفة حدثني أبو السمح قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، قال: كان إذا أراد أن يغتسل قال: «ناولني إداوتي»، قال: فأناوله وأسأره، فأني بمسح أو حسين فيال على صدره، فنجت لأغسله فقال: فُيُغْسَل من بول الجارية، ويُرْسَر من بول الغلام.

وهكذا رواه أبو داود (٣٧٦) والنسائي (٢٢٤) وابن ماجه (٥٢٦)، ع (٦١٣) عن مجاهد بن موسى.

١٨- ومنهم رضي الله عنهم: الفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق رضي الله عنه، تولى خدمته بنفسه في سفرة الهجرة لا سيما في الغار وبعد خروجه من مكة حتى وصلوا إلى المدينة كما تقدم ذلك مبسوطاً والله الحمد والمنة.

٨- أما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله

وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين

فمنهم: الخلفاء الأربعة:

١- أبو بكر

٢- وعمر

٣- وعثمان

٤- وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وسياتي ترجمة كل واحد

منهم في أيام خلافته إن شاء الله وبه الثقة.

٥- ومنهم: رضي الله عنهم أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٤٩٨/٣]: كان يكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ.

وقد اختلف في وفاته فقيل: في سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: ثلاث وعشرين، وقيل: قبل مقتل عثمان بجمعة قاله أعلم.

٧- ومنهم: رضي الله عنهم أرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد مناف بن أسد بن جذب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي.

أسلم قديماً وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً في داره عند الصفا وتعرف تلك الدار بعد ذلك بالخيزران.

وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها، وقد أثنى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن أبيس، وهو الذي كتب أقطاع عظيم بن الحارث المخاريبي بأمر رسول الله ﷺ بفتح وغيره، وذلك فيما رواه الحافظ ابن عساكر [مراجع دمشق: ٣٢٥/٤] من طريق عتيق بن يعقوب الزبيري، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، عن عمرو بن حزم.

وقد توفي في سنة ثلاث - وقيل خمس - وخمسين وله خمس وثلاثون سنة.

وقد روى الإمام أحمد له حديثين؛

الأول قال أحمد والحسن بن عرفة - واللفظ لأحمد [٤١٧/٣] -: حدثنا عباد بن عباد المهلب عن هشام بن زياد عن عمار بن سعد عن عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم، عن أبيه - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كالجأر قصبه في النار».

والثاني قال أحمد: حدثنا عصام بن خالد، ثنا العطار بن خالد ثنا يحيى بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن الأرقم، عن جده الأرقم: أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «أين تريد؟» قال: أردت يا رسول الله ما هنا، وأوماً بيده إلى حيز بيت المقدس، قال: «ما يخرجك إليه التجارة؟» قال: لا ولكن أردت الصلاة فيه، قال: «الصلاة ما هنا» وأوماً بيده إلى مكة «خير من ألف صلاة» وأوماً بيده إلى الشام. تفرد بهما أحمد.

٨- ومنهم: رضي الله عنهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد. المنني خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب النبي ﷺ.

قال محمد بن سعد [الطبقات: ٣٥٣/١]: أنبأنا علي بن محمد المدايني بأساتيده عن شيوخه في وفود العرب على رسول الله ﷺ، قالوا: قدم عبد الله بن علس الشمالي. وسُئِلَ بن هران الحنثاني على رسول الله ﷺ في رهط من قومهما بعد فتح مكة فأسلموا وبايعوا على قومهم، وكتب لهم كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم. وهذا الرجل ممن ثبت في صحيح [١١٩] مسلم أن رسول الله ﷺ بشره بالجنة.

ووروى الترمذي في جامعه بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح».

وقد قتل رضي الله عنه شهيداً يوم اليمامة سنة اثني عشرة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وله قصة سنودها إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذلك بحول الله وقوته وعونه ومعونته.

٩- ومنهم: رضي الله عنهم حنظلة بن الربيع بن صفي بن رياح بن الحارث بن مخاض بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الأسدي الكاتب، وأخوه رياح صحابي أيضاً، وعمه أكنم بن صفيي كان حكيماً العرب.

قال الواقدي: كتب للنبي ﷺ كتاباً.

وقال غيره: بعه رسول الله ﷺ إلى أهل الطوائف في الصلح، وشهد مع خالد حروبه بالعراق وغيرها وقد أدرك أيام عليّ وتخلّف عن القتال معه في الجمل وغيره، ثم انتقل عن الكوفة لما شتم بها عثمان، ومات بعد أيام عليّ.

وقد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة [٦٥/٢]، أن امرأته لما ماتت جزعته عليه فلامها جاراتها في ذلك فقالت:

تعجبت دعد لحزنونة تبكي على ذي شية شاحب
إن تسالي اليوم ما شفي أخبرك قولاً ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى به حزن على حنظلة الكاتب
قال أحمد بن عبد الله بن البرقي: كان معتزلاً للفتنة حتى مات بعد عليّ، جاءه حديثان.

قلت: بل ثلاثة.

قال الإمام أحمد [٢٦٧/٤]: حدثنا عبد الصمد وعفان قالا: ثنا همام، ثنا قتادة عن حنظلة الكاتب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقبهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة» أو قال: «وجب له».

تفرد به أحمد وهو منقطع بين قتادة وحنظلة والله أعلم.

والحديث الثاني: رواه أحمد [٣٤٦/٤] ومسلم [٢٧٥٠] والترمذي [٢٥١٤]، وابن ماجه [٤٢٣٩] من حديث سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة: «لو تدمون كما تكونون عندي لصافحكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم، ولكن ساعة وساعة».

وقد رواه أحمد والترمذي أيضاً من حديث عمران بن داود القطان عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن حنظلة.

والثالث رواه أحمد [١٧٨/٤] والنسائي [كبرى (٨٩٢٧)] وابن ماجه [٢٨٤٢] من حديث سفيان الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صفيي بن حنظلة، عن جده في النهي عن قتل النساء في الحرب.

لكن رواه الإمام أحمد [٤٨٨/٣]، [٣٤٦/٤] عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني عن أبي الزناد عن مرقع بن صفيي بن رياح بن ربيع عن جده رياح بن الربيع أخى حنظلة الكاتب فذكره.

وكذلك رواه أحمد [٤٨٨/٣]، [٣٤٦/٤] أيضاً عن حسين بن محمد وإبراهيم بن أبي العباس كلاهما عن ابن أبي الزناد عن أبيه. وعن سعيد بن منصور وأبي عامر العقدي كلاهما عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن مرقع عن جده رياح.

ومن طريق المغيرة رواه النسائي [كبرى (٨٩٢٦)] وابن ماجه [عقب ج (٢٨٤٢)] كذلك.

ووروى أبو داود [٢٦٦٩] والنسائي [كبرى (٨٩٢٥)] من حديث عمر

ثم مات خالد في أيام عمر وذلك في سنة إحدى وعشرين وقيل اثنتين وعشرين - والأول أصح - بقرية على ميل من حصن.
قال الواقدي: سألت عنها فقيل لي ذرت.
وقال دحيم: مات بالمدينة. والأول أصح. وقد روى أحاديث كثيرة يطول ذكرها.

قال عتيق بن يعقوب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه عن جده، عن عمرو بن حزم أن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عهد رسول الله إلى المؤمنين أن عضاة رج لا يعضد، وصيده لا يقتل، فمن وجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يولد ويتزوج ثياب، وإن تعدى ذلك أحد فإنه يؤخذ فيبلغ به النبي ﷺ، وإن هذا من عهد النبي» وكتب خالد بن الوليد بأمر رسول الله ﷺ فلا يتعداه أحد، فيظلم نفسه فيما أمره به محمد ﷺ.

١٢- ومنهم: رضي الله عنهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو عبد الله الأسدي:

أحد العشرة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وحواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وزوج أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه.
روى عتيق بن يعقوب بسنده المتقدم أن الزبير بن العوام هو الذي كتب لبني معاوية بن جبرول الكتاب الذي أمره به رسول الله ﷺ أن يكتبه لهم.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٣١/٤] بإسناد عن عتيق به.
أسلم الزبير قديماً رضي الله عنه وهو ابن ست عشرة سنة، ويقال: ابن ثمان سنين، وهاجر المجريين وشهد المشاهد كلها وهو أول من سل سيفاً في سيل الله، وقد جمع له رسول الله ﷺ يوم الحندق أبويه وقال: «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير».

وقد شهد اليرموك وكان أفضل من شهدها، واخترق يومئذ صفوف الروم من أولهم إلى آخرهم مرتين ويخرج من الجانب الآخر سالماً، لكن جرح في قفاه بضرقتين رضي الله عنه.

وله فضائل ومناقب كثيرة وكانت وفاته يوم الجمل، وذلك أنه كثر راجعاً عن القتال فلحقه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ورجل ثالث يقال له نفيح: التميميون، بمكان يقال له وادي السباع، فبدر إليه عمرو بن جرموز وهو نائم فقتله، وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله من العمر يومئذ سبع وستون سنة، وقد خلف ﷺ بعده تركة عظيمة فإوصى من ذلك بالثلث بعد إخراج ألفي ألف ومائتي ألف دينار كانت عليه، فلما قضى دينه وأخرج ثلث ماله قسم الباقي على ورثته فقال كل امرأة من نسائه - وكان أربعاً - ألف ألف ومائتا ألف، فمجموع ما ذكرناه مما تركه رضي الله عنه تسعة وخمسين ألف ألف وثمان مئة ألف وهذا كله من وجوه جيل نالها في حياته مما كان يصيبه من الفيء والمغانم، ووجوه متاجر الحلال وذلك كله بعد إخراج الزكاة في أوقاتها، والصلوات البارعة الكثيرة لأربابها في أوقات حاجتها رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنات الفردوس مثواه - وقد فعل - فإنه قد شهد له سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين بالجنة، والله الحمد والملة.

وذكر ابن الأثير في الغابة [٢٥١/٢]: أنه كان له ألف علوك يؤدون إليه الخراج، وأنه كان يتصدق بذلك كله. وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه

بن مرقع عن أبيه عن جده رباح فذكره.
فالحدث عن رباح لا عن حنظلة.
ولذا قال أبو بكر بن أبي شبة: كان سفیان الثوري يخطئ في هذا الحديث [صدح ج طب (٢٨٤٢)].

قلت: وصح قول ابن البرقي: أنه لم يرو سوى حديثين والله أعلم.
١٠- ومنهم: رضي الله عنهم خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سعيد الأموي.

أسلم قديماً، يقال: بعد الصديق بثلاثة أو أربعة، وأكثر ما قيل خمسة. وذكروا أن سبب إسلامه أنه رأى في النوم كأنه واقف على شفير جهنم فذكر من سمعها ما الله به عليم.

قال وكان أباه يبلغه فيها، وكان رسول الله ﷺ أخذ بيده ليعتبه من الوقوع فيها، فقص هذه الرواية على أبي بكر الصديق فقال له: لقد أريد بك خير، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه نتج مما خفت. فجاه رسول الله ﷺ فأسلم، فلما بلغ أباه إسلامه غضب عليه وضربه بعضاً في يده حتى كسرها على رأسه وأخرجه من منزله ومنعه القوت، ونهى بقية إخوته أن يكلموه، فلزم خالد رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً، ثم أسلم أخوه عمرو، فلما هاجر الناس إلى أرض الحبشة هاجروا معهم ثم كان هو الذي ولي العقد في تزويج أم حبيبة من رسول الله ﷺ كما قلنا، ثم هاجرا من أرض الحبشة بصحبة جعفر فقلعا على رسول الله ﷺ بخير وقد افتتحها، فأسهم لهما عن مشورة المسلمين، وجاء أخوهما أبان بن سعيد فشهد فتح خيبر كما قلنا، ثم كان رسول الله ﷺ يوليهم الأعمال.

فلما كانت خلافة الصديق خرجوا إلى الشام للغزو فقتل خالد بأجنادين، ويقال: بمرج الصفر والله أعلم.

قال عتيق بن يعقوب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر عن أبيه عن جده عن عمرو بن حزم؛ يعني أن خالد بن سعيد كتب عن رسول الله ﷺ كتاباً: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله راشد بن عبد رب السلمي أعطاه غلوتين بسهم وغلوة بحجر برهاط، فمن حاقه فلا حق له وحق حق». وكتب خالد بن سعيد.

وقال محمد بن سعد عن الواقدي: حدثني جعفر بن محمد بن خالد عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: أقام خالد بن سعيد بعد أن قدم من أرض الحبشة بالمدينة، وكان يكتب لرسول الله ﷺ وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف، وسعى في الصلح بينهم وبين رسول الله ﷺ.

١١- ومنهم: رضي الله عنهم خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو سليمان المخزومي. وهو أمير الجيوش المنصورة الإسلامية، والعساكر الحميدية، والمواقف المشهورة، والأيام الحمودة. ذو الرأي السديد والبأس الشديد، والطريق الحميد. أبو سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ويقال: إنه لم يكن في جيش فكر لا في جاهلية ولا إسلام.
قال الزبير بن بكار: كانت إليه في قریش القبة وأتته الخيل.

أسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بعد الحديبية وقيل: خير، ولم يزل رسول الله ﷺ يبعثه فيما يبعث أميراً. ثم كان المقدم على العساكر كلها في أيام الصديق، فلما ولي عمر بن الخطاب عزله وولى أبو عبيدة أمين الأمة على أن لا يخرج عن رأي أبي سليمان.

ويفضله بذلك:

أقسام على عهد النبي وهدية حواريه والقول بالفعل يُعدل
أقسام على مناجاه وطريقه يولي ولي الحق والحق أصل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محمل
وإن امراً كانت صفية أمه ومن أسير في يثبه لُرُقُصَل
له من رسول الله قري قريّة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثّل
فكم كريمة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي ويمزّل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض سباق إلى الصوت يُرُقُصَل
فما مثله فيهم ولا كان قلبه وليس يكون الدهر ما دام يلبل
قد تقدم أنه قتل عمرو بن جرموز التميمي بوادي السباع وهو نائم،
ويقال: بل قام من آثار النوم وهو دعث فركب وبارزه ابن جرموز، فلما
صمم عليه الزبير أجمده صاحبه فضالة ونقيع فقتلوه، وأخذ عمرو بن
جرموز رأسه وسيفه. فلما دخل بهما على عليّ قال عليّ رضي الله عنه لما
رأى سيف الزبير: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله
ﷺ.

وقال عليّ فيما قال: بشر قاتل ابن صفية بالنار.

فيقال: إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه.

والصحيح أنه عثر بعد عليّ حتى كانت أيام ابن الزبير فاستتاب أخاه
مصعباً على العراق، فاخفى عمرو بن جرموز خوفاً من سطوته أن يقتله
بأبيه. فقال مصعب: أبلغوه أنه آمن، أحسب أنني أقتله بأبي عبد الله؟ كلا
والله ليس سواه، وهذا من حلم مصعب وعلوه ورياسته.

وقد روى الزبير عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة يطول ذكرها، ولما
قتل الزبير بن العوام بوادي السباع كما تقدم قالت امرأته عاتكة بنت زيد
بن عمرو بن نغيل تربته رضي الله عنها وعته:

غدر ابن جرموز بفارس يهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نهته لوجنته لا طائناً رعنش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يشته عنها طرادك يا ابن ققع القرد
تكلنك أمك إن ظفرت بمنله فيمن مضى ثمن يروح ويشتدي
والله ربك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتمرد

١٣- ومنهم رضي الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحّاك بن زيد بن
لؤذان بن عمرو بن عبيد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري
النجاري، أبو سعيد ويقال أبو خارجة ويقال أبو عبد الرحمن المدني. قدم
رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة فلهمنا لم يشهد بدراً
لصغره، قيل: ولا أحداً وأول مشاهدته الخندق، ثم شهد ما بعدها. وكان
حافظاً لبياً عالماً عاقلًا.

ثبت عنه في صحيح البخاري (٧١٩٥) معلقاً أن رسول الله ﷺ أمره
أن يعلم كتاب يهود ليقراء على النبي ﷺ إذا كتبوا إليه. فتعلمه في خمسة
عشر يوماً.

وقد قال الإمام أحمد (١٨٦/٥): حدثنا سليمان بن داود، ثنا عبد
الرحمن عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد، أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم
رسول الله ﷺ المدينة قال زيد: ذهب بي إلى رسول الله ﷺ فأعجب بي،
فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك

بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وقال: يا زيد تعلم لي
كتاب يهود فإني والله ما آمن يهود على كتابي قال زيد: فتعلمت له
كتابهم ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حدثته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا
كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب.

ثم رواه أحمد (١٨٦/٣، ١٩١) عن سريج بن النعمان عن ابن أبي
الزناد، عن أبيه عن خارجة، عن أبيه فذكر نحوه.

وقد علقه البخاري في الأحكام (٧١٩٥) معلقاً عن خارجة بن زيد بن
ثابت بصيغة الجزم، فقال: وقال خارجة بن زيد فذكره.

ورواه أبو داود (٣٦٤٥) عن أحمد بن يونس.

والترمذي (٢٧١٥) عن عليّ بن حجر كلاهما عن عبد الرحمن بن
أبي الزناد عن أبيه عن خارجة، عن أبيه به نحوه. وقال الترمذي حسن
صحيح.

وهذا ذكاء مفرد جداً. وقد كان من جمع القرآن على عهد رسول الله
ﷺ من القراء كما ثبت في الصحيحين (٣٨١٠)، م (٢٤٦٥) عن
أنس.

وروى (٢٨١/٣) أحمد والنسائي (كبرى (٨٢٤٢)) من حديث أبي
قلاية عن أنس، عن رسول الله أنه قال: «أرحم أمي بأمني أبو بكر،
وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأفضاهم عليّ بن أبي
طالب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأعلمهم بالفرائض زيد
بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

ومن الحفاظ من يجعله مرسلًا إلا ما يتعلق بأبي عبيدة.

ففي صحيح البخاري (٣٧٤٤) من هذا الوجه.

وقد كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ في غير ما موطن، ومن
أوضح ذلك ما ثبت في الصحيح (٢٨٣٢، ٤٥٩٢) عنه أنه قال: لما نزل
قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَبِ﴾
وَالْمُتَابِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الآية (النساء: ٩٥)، دعاني رسول الله ﷺ
فقال: «اكتب لا يستوي القاعلون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله»
فجاء ابن أم مكتوم فجعل يشكو ضرارته، فنزل الوحي على رسول الله
ﷺ فنقلت فخذني على فخذني حتى كادت ترضعها، فنزل ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَبِ﴾
الضَّرَبِ فأمرني فألقها، فقال زيد: فإني لأعرف موضع ملحقها عند
صدع في ذلك اللوح - يعني من عظام - الحديث.

وقد شهد زيد اليمامة وأصابه سهم فلم يضره، وهو الذي أمره
الصديق بعد هذا بأن يتبع القرآن فيجمعه، وقال له: إنك شاب عاقل لا
تتهمل، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتبع القرآن فأجمعه.

ففعل ما أمره بن الصديق، فكان في ذلك خير كثير والله الحمد والمنة.

وقد استباه عمر مرتين في حديثين على المدينة، واستباه لما خرج إلى
الشام، وكذلك كان عثمان يستباه على المدينة أيضاً، وكان عليّ يحبه، وكان
يعظم علياً ويعرف له قدره، ولم يشهد معه شيئاً من حروبه، وتأخر بعده
حتى توفي سنة خمس وأربعين، وقيل: سنة إحدى وقيل: خمس وخمسين،
وهو غن كان يكتب المصاحف الأئمة التي نفذ بها عثمان بن عفان إلى سائر
الأفاق اللاتي وقع على التلاوة طبق رسمهن الإجماع والاتفاق كما قرنا
ذلك في كتاب فضائل القرآن الذي كتبناه مقدمة في أول كتابنا التفسير والله
الحمد والمنة.

١٤- ومنهم رضي الله عنهم: السَّجَل، كما ورد به الحديث المروي في
ذلك عن ابن عباس - إن صح - وفيه نظر.

معروف بن خريوذ عن سمع أبا جعفر يقول: السجل الملك. وهذا الذي أنكره ابن جرير من كون السجل اسم صحابي أو ملك قوي جداً، والحديث في ذلك منكر جداً. ومن ذكره في أسماء الصحابة كابن منده وأبي نعيم الأصبهاني وابن الأثير في الغابة [٣٢٦/٢] إنما ذكره إحساناً للظن بهذا الحديث، أو تعليقاً على صحته والله أعلم.

١٥- ومنهم رضي الله عنهم: سعد بن أبي مسرحة. فيما قاله خليفة بن خياط [٢٧٧/١]. وقد وهم إنما هو ابنه عبد الله بن سعد بن أبي مسرحة كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

١٦- ومنهم رضي الله عنهم: عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق. قال الإمام أحمد [١٧٥/٤، ١٧٦]: حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال: قال الزهري: أخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك أن أباه أخبره أنه سمع سراقه يقول: فذكر خبر هجرة النبي ﷺ وقال فيه: قتلته له: إن قومك جعلوا فيك النية، وأخبرتهم من أخبار سفرهم وما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمخاض فلم يرزوني منه شيئاً ولم يسألوني إلا أن أخف عنا، فسألت أن يكتب لي كتاب موادة آمن به، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدبهم، ثم مضى.

قلت: وقد تقدم الحديث بتمامه في الهجرة.

وقد روي أن أبا بكر هو الذي كتب لسراقه هذا الكتاب فآله أعلم. وقد كان عامر بن فهيرة - ويكنى أبا عمرو - من مولدي الأزدي أسود اللون، وكان أولاً مولى للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأُمها أم رومان، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم التي عند الصفا مستخفياً، فكان عامر يعذب مع جملة المستضعفين بمكة، ليرجع عن دينه فإبى، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه، فكان يرعى له غنماً بظاهر مكة. ولما هاجر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر كان معهما رديفاً لأبي بكر ومعهم الدليل الدثلي فقط كما تقدم مبسوطاً، ولما وردوا المدينة نزل عامر بن فهيرة على سعد بن خيصة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن معاذ وشهد بدرًا واحداً وقتل يوم بئر معونة كما تقدم وذلك سنة أربع من الهجرة، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة فآله أعلم.

وقد ذكر عروة وابن إسحاق والواقدي وغير واحد: أن عامراً قتل يوم بئر معونة رجل يقال له: جبار بن سلمى من بني كلاب، فلما طعته بالرمح قال: فزت ورب الكعبة، ورفع عامر حتى غاب عن الأبصار حتى قال عامر بن الطفيل: لقد رفع حتى رأيت السماء دونه، وستل عمرو بن أمية عنه فقال: كان ممن أفضلنا ومن أول أهل بيت نينا ﷺ. قال جبار: فسألت الضحّاك بن سفيان عما قال ما يعني به؟ فقال: يعني الجنة، ودعاني الضحّاك إلى الإسلام فأسلمت لما رأيت من قتل عامر بن فهيرة، فكتب الضحّاك إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي وما كان من أمر عامر، فقال: فوارته الملائكة وأنزل عليهن.

وفي الصحيحين [ج (٤٠٩٠)، م (٦٧٧) (٢٩٧)] عن أنس أنه قال: قرأنا فيهم قرآناً (أن بلغوا عنا قومنا أنّا لقينا رينا فرضي عنا ولوّضنا). وقد تقدم ذلك بتمامه في موضعه عند غزوة بئر معونة.

وقال محمد بن إسحاق [سورة ابن هشام: ١٨٦/٢]: حدثني هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منكم لما قتل رأيتاه رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: عامر بن فهيرة.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جسده، يرون أن

قال أبو داود [٢٩٣٥]: حدثنا قتية بن سعيد ثنا نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: السجل كاتب للنبي ﷺ.

وهكلاً رواه النسائي [كبرى (١١٣٣٥)] عن قتية به وعن ابن عباس، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ﴾ لِكُتُبِهِ. والاصح: [١٠٤] السجل الرجل. هذا لفظه.

ورواه أبو جعفر بن جرير في تفسيره [١٠٠/١٧] عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ﴾ لِكُتُبِهِ. عن نصر بن علي بن نوح بن قيس، وهو ثقة من رجال مسلم. وقد ضعفه ابن معين في رواية عنه. وأما شيخه يزيد بن كعب العزدي البصري فلم يرو عنه سوى نوح بن قيس، وقد ذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات [٢٧١/٩].

وقد عرضت هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جداً، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع، وإن كان في سنن أبي داود. فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله.

قلت: وقد رواه الحافظ ابن عدي في كامله [٢٦٦٢/٧] من حديث محمد بن سليمان الملقب ببومة عن يحيى بن عمرو بن مسالك التكري عن أبيه عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ كاتب يقال له السجل، وهو قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ﴾ لِكُتُبِهِ. قال كما يطوي السجل الكتاب، كذلك تطوي السماء.

وهكلاً رواه البيهقي [السنن الكبرى: ١٠/١٢٦] عن أبي نصر بن قتادة عن أبي علي الرفاء عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم عن يحيى بن عمرو بن مالك به.

ويحيى هذا ضعيف جداً فلا يصلح للمتابعة والله أعلم.

وأغرب من ذلك أيضاً ما رواه الحافظ أبو بكر الخطيب [تاريخ بغداد: ١٧٥/٨] وابن منده من حديث أحمد بن سعيد البغدادي المعروف بمحمدان عن ابن نمير، عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: كان للنبي ﷺ كاتب يقال له سجل، فانزل الله ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ﴾ لِكُتُبِهِ.

قال ابن منده: غريب تفرد به حمدان. وقال البرقاني: قال أبو الفتح الأزدي: تفرد به ابن نمير - إن صح -.

قلت: وهذا أيضاً منكر عن ابن عمر كما هو منكر عن ابن عباس، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر خلاف ذلك: فقد روى الواقدي والعوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: قال كطي الصحيفة على الكتاب. وكذلك قال مجاهد [تفسير الطبري: ١٧/١٠٠].

وقال ابن جرير [تفسيره: ١٠٠/١٧]: هذا هو المعروف في اللغة أن السجل هو الصحيفة، قال: ولا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وأنكر أن يكون السجل اسم ملك من الملائكة.

كما رواه [تفسير الطبري: ١٧/٩٩] عن أبي كريب عن ابن عباس: ثنا أبو الوفاء الأشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجُلِ﴾ لِكُتُبِهِ. قال: السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال الله: اكتبها نوراً.

وحدثنا بننار عن مؤمل عن سفيان: سمعت السدي يقول: فذكر مثله [تفسير الطبري: ١٧/١٠٠].

وهكلاً قال أبو جعفر الباقى فيما رواه أبو كريب عن ابن المبارك عن

الملائكة وارتت.

١٧- ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي: أسلم عام الفتح وكتب للنبي ﷺ.

قال الإمام مالك: وكان ينفذ ما يفعله ويشكره ويستجيبه.

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير: أن رسول الله ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث، وكان يجيب عنه الملوك، ويبلغ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب، ويختم على ما يقرأه لأمانته عنده وكتب لأبي بكر وجعل إليه بيت المال، وأقره عليهما عمر بن الخطاب، فلما كان عثمان عزله عنهما.

قلت: وذلك بعدما استغفاه عبد الله بن أرقم، ويقال: إن عثمان عرض عليه ثلاثمائة ألف درهم من أجرة عماله فأبى أن يقبلها وقال: إنما عملت لله فأجري على الله عز وجل.

قال ابن إسحاق: وكتب لرسول الله ﷺ زيد بن ثابت، فإذا لم يحضر ابن الأرقم وزيد بن ثابت كتب من حضر من الناس. وقد كتب عمر وعليّ وزيد والمغيرة بن شعبة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم عن سعي من العرب.

وقال الأعمش: قلت لشقيق بن سلمة: من كان كاتب النبي ﷺ؟ قال: عبد الله بن الأرقم، وقد جامنا كتاب عمر بالقادسية وفي أسفله؛ وكتب عبد الله بن الأرقم.

وقال البيهقي (السنن الكبرى: ١٠/١٢٦): أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ثنا محمد بن صالح بن هانئ حدثنا الفضل بن محمد البيهقي ثنا عبد الله بن صالح ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر قال: أتى النبي ﷺ كتاب رجل، فقال لعبد الله بن الأرقم: «أجب عني» فكتب جوابه ثم قرأه عليه، فقال: «أصبت وأحسن، اللهم وفقه» قال: فلما ولي عمر كان يشاوره. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: ما رأيت أخشى لله من - يعني في العمال - أخير رضي الله عنه قبل وفاته.

١٨- ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي، صاحب الأذان: أسلم قديماً شهيد عقبه السبعين، وحضر بدرأ وما بعدها، ومن أكبر مناقبه رؤيته الأذان والإقامة في الترم، وعرضه ذلك على رسول الله ﷺ وتقريره عليه، وقوله له: «إنها لرؤيا حق فألقه على بلال، فإنه أئدنى صوتاً منك» وقد قلنا الحديث بذلك في موضعه.

وقد روى الواقدي بأسانيده عن ابن عباس: أنه كتب كتاباً لمن أسلم من جرش فيه الأمر لهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإعطاء خمس المغنم. وقد توفي رضي الله عنه سنة اثنين وثلاثين من أربع وستين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١٩- ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، القرشي العامري، أخو عثمان بن عفان من الرضاعة. أروضت أمه عثمان. وكتب الوحي، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ - وكان قد أهدر دمه فيمن أهدر من الدماء - فجاء إلى عثمان بن عفان فاستأمن له، فأمنه رسول الله ﷺ كما قلنا في غزوة الفتح، ثم حسن إسلام عبد الله بن سعد جداً بعد ذلك.

قال أبو داود [٤٣٥٨]: حدثنا أحمد بن محمد المروزي، ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب للنبي ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ.

ورواه السنائي [٩٠٨٠] من حديث علي بن الحسين بن واقد به.

قلت: وكان على مينة عمرو بن العاص حين انتزع عمرو مصر سنة عشرين في الدولة العمرية، فاستتاب عمر بن الخطاب عمراً عليها، فلما صارت الخلافة إلى عثمان عزل عنها عمرو بن العاص وولى عليها عبد الله بن سعد سنة خمس وعشرين، وأمره بغزو بلاد أفريقية فزاعماً ففتحها، وحصل للجيش منها مال عظيم كان قسم الغنيمة لكل فارس من الجيش ثلاثة آلاف مقل من ذهب، وللراجل ألف مقل. وكان معه في جيشه هذا ثلاثة من العبادلة؛ عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، ثم غزا عبد الله بن سعد بعد أفريقية الأساود من أرض التوبة فهانهم فهي إلى اليوم، وذلك سنة إحدى وثلاثين.

ثم غزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم وهي غزوة عظيمة كما سيأتي بيانها في موضعها إن شاء الله.

فلما اختلف الناس على عثمان خرج من مصر واستتاب عليها لينهب إلى عثمان ليصره. فلما قتل عثمان أقام بمسقلان - وقيل بالرملة - ودعا الله أن يقضه في الصلاة، فصلى يوماً الفجر وقرأ في الأولى منها بفاعلة الكتاب والعايات، وفي الثانية بفاعلة الكتاب وسورة، ولما فرغ من الشهد سلم التسليم الأولى، ثم أراد أن يسلم الثانية فمات بينهما رضي الله عنه، وذلك في سنة ست وثلاثين، وقيل سنة سبع، وقيل: إنه تأخر إلى سنة تسع وخمسين، والصحيح الأول.

قلت: ولم يقع له رواية في الكتب الستة ولا في المسند للإمام أحمد.

٢٠- ومنهم: رضي الله عنهم عبد الله بن عثمان، أبو بكر الصديق. وقد تقدم الوعد بأن ترجمته سنائي في أيام خلافة إن شاء الله عز وجل وبه الثقة.

وقد جمعت مجلداً في سيرته وما رواه من الأحاديث وما روي عنه من الآثار، والدليل على كتابته ما ذكره موسى بن عقبة عن الزهري، عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، عن أبيه، عن سراقبة بن مالك في حديثه حين أتبع رسول الله ﷺ حين خرج هو وأبو بكر من الغار فمروا على أرضهم، فلما غشيهم - وكان من أمر فرسه ما كان - سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً ثم ألقاه إليه.

وقد روى الإمام أحمد [١٧٥/٤] مطولاً من طريق الزهري بهذا السند أن عامر بن فهيرة كتبه، فيحتمل أن أبا بكر كتب بعضه ثم أمر مولا عامراً فكتب بآقيه والله أعلم.

٢١- ومنهم: رضي الله عنهم عثمان بن عفان أمير المؤمنين، وستأتي ترجمته في أيام خلافة وكتابه بين يديه عليه الصلاة والسلام مشهورة.

وقد روى الواقدي بأسانيده أن نهل بن مالك الوائلي، لما قدم على رسول الله ﷺ أمر رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فكتب له كتاباً فيه شرائع الإسلام.

٢٢- ومنهم: رضي الله عنهم علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وستأتي ترجمته في خلافة.

وقد تقدم أنه كتب الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية أن يأمن الناس، وأنه لا إسلا ولا إغلال، وعلى وضع الحرب عشر سنين.

وقد كتب غير ذلك من الكتب بين يديه ﷺ.

وأما ما يدعيه طائفة من يهود خير أن بأيديهم كتاب من النبي ﷺ بوضع الجزية عنهم وفي آخره وكتب علي بن أبي طالب، وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم سعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان فهو كذب مفتعل ويهتان غثلق موضوع مصنوع، وقد بين جماعة من العلماء بطلانه، واغتر بعض الفقهاء المتقدمين فقالوا بوضع الجزية عنهم وهذا ضعيف جداً. وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه بطلانه وأنه موضوع، اختلقوه ووضعوه وهم أهل لذلك، وبيت وجمعت متفرق كلام الأئمة فيه والله الحمد والمنة.

٢٣- ومنهم رضي الله عنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وستأتي ترجمته في موضعها. وقد أفردت له مجلداً على حدة، ومجلداً ضخماً في الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ والآثار والأحكام الروية عنه رضي الله عنه، وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة عبد الله بن الأرقم.

٢٤- ومنهم: رضي الله عنهم العلاء بن الحضرمي واسم الحضرمي عباد، ويقال: عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن عوف بن مالك بن الحزرج بن إيلاد بن الصدف بن زيد بن مقنع بن حضرموت بن قحطان، وقيل غير ذلك في نسبه. وهو من حلفاء بني أمية.

وقد تقدم بيان كتابته في ترجمة أبان بن سعيد بن العاص، وكان له من الأخوة عشيرة غيره فمنهم: عمرو بن الحضرمي أول قبيل من المشركين قتله المسلمون في سرية عبد الله بن جحش، وهي أول سرية كما تقدم.

٢٥- ومنهم عامر بن الحضرمي الذي أمره أبو جهل لعنه الله فكشف عن عورته، وناداه واعمراه حين اصطف المسلمون والمشركون يوم بدر، فهاجت الحرب وقامت على ساق وكان ما كان مما قلناه مبسوطاً في موضعه.

٢٦- ومنهم شريح بن الحضرمي، وكان من خيار الصحابة. قال فيه رسول الله ﷺ: «ذاك رجل لا يتوسد القرآن» [مسند أحمد: ٤٤٩/٣، ص (١٧٨٢)] يعني لا ينام ويتركه، بل يقوم به آتاء الليل والنهار. ولهم كلهم أخت واحدة وهي الصعبة بنت الحضرمي أم طلحة بن عبيد الله.

وقد بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى التسلل بين ساوى ملك البحرين، ثم ولاء عليها أميراً حين انتحها. وأقره عليها الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة. فلما كان في أثناء الطريق توفي وذلك في سنة إحدى وعشرين.

وقد روى البيهقي عنه وغيره كرامات كثيرة، منها: أنه سار بجيشه على وجه البحر ما يصل إلى ركب خيولهم، وقيل: إنه ما بل أسافل نعال خيولهم، وأمرهم كلهم فعملوا يقولون: يا حليم يا عظيم، وأنه كان في جيشه فاحتاجوا إلى ماء، فدعا الله فأمرهم قلد كفايتهم، وأنه لما دفن لم ير له أثر بالكليّة، وكان قد سأل الله ذلك، وسيأتي هذا في كتاب دلائل النبوة قريباً إن شاء الله عز وجل.

له عن رسول الله ﷺ ثلاثة أحاديث الأول.

قال الإمام أحمد [٣٣١/٤]: حدثنا سفيان بن عيينة حدثني عبد الرحمن بن حيد بن عبد الرحمن بن عوف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي أن رسول الله ﷺ قال: «يمكث المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثاً» وقد أخرجه الجماعة [ع (٣٩٣)، م (١٣٥٢)، د (٢٠٢٢)، ت (٩٤٩)، ص (١٤٥٣، ١٤٥٤)، ج (١٠٧٣)] من حديثه.

والثاني: قال أحمد [٣٣٩/٤]: حدثنا هشيم، ثنا منصور عن ابن سيرين، عن ابن العلاء بن الحضرمي: أن أباه كتب إلى النبي ﷺ فبدأ بنفسه.

وكذا رواه أبو داود [٥١٤٣] عن أحمد بن حنبل.

والحديث الثالث رواه أحمد [٥٢/٥] وابن ماجه [١٨٣١] من طريق محمد بن زيد عن حبان الأعرج عنه، أنه كتب إلى رسول الله ﷺ من البحرين في الحائط - يعني البستان - يكون بين الإخوة فيسلم أحدهم؟ فأمره أن يأخذ العشر من أسلم، والخراج - يعني من لم يسلم -.

٢٧- ومنهم: العلاء بن عتبة:

قال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٤٧/٤]: كان كاتباً للنبي ﷺ، ولم أجد أحداً ذكره إلا فيما أخبرنا، ثم ذكر إسناده إلى عتيق بن يعقوب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، عن عمرو بن حزم: إن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ هؤلاء القوم فذكرها، وذكر فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد عباس بن مرداس السلمي أعطاه مدفوراً فمن حاقه فيها فلا حق له، وحقه حق»، وكتب العلاء بن عتبة وشهد. ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله عوسجة بن حرمة الجهمي، من ذي المروة وما بين بكة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية فمن حاقه فلا حق له وحقه حق»، وكتبه العلاء بن عتبة.

وروى الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ أقطع لبني شخ من جهينة، وكتب كتابهم بذلك العلاء بن عتبة، وشهد.

وقد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة [٧٧/٤] هذا الرجل مختصراً فقال: العلاء بن عتبة كتب للنبي ﷺ، ذكره في حديث عمرو بن حزم، ذكره جعفر أخرجه أبو موسى - يعني المنيني - في كتابه.

٢٨- ومنهم: رضي الله عنهم محمد بن مسلمة بن سلمة بن خريش بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الحارث بن الأصباري الحارثي الخزرجي أبو عبد الله، ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال أبو سعيد المنيني حليف بني عبد الأشهل.

أسلم على يدي مصعب بن عمير. وقيل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وأخى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة عام تبوك.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب [١٣٧٧/٣]: كان شليد السمرة طويلاً أصلياً ذا جثة، وكان من فضلاء الصحابة، وكان ممن اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً من خشب. ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين على المشهور عند الجهمور، وصلى عليه مروان بن الحكم. وقد روى حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ.

وذكر محمد بن سعد [الطبقات: ٣٥٥/١] عن علي بن محمد المدائني بأسانيده أن محمد بن مسلمة هو الذي كتب لوفد نهره كتاباً عن أمر رسول الله ﷺ.

٢٩- ومنهم: رضي الله عنهم معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي وستأتي ترجمته في أيام إمارته إن شاء الله.

وقد ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه عليه الصلاة والسلام.

وقد روى مسلم في صحيحه [٢٥٠/١] (١٦٨) عن حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل سمالك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان قال:

العشرة رضي الله عنه.

٢- وعبد الرحمن بن عوف الزهري.

قلت: أما أبو عبيدة فقد روى البخاري [٤٣٨٢] من حديث أبي قلابة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح» وفي لفظ [٧٢٥٥] أن رسول الله ﷺ قال لو قد عبد لجران: «لا بعثن فيكم أمينا حتى أمين» فبعث معهم أبا عبيدة.

٣- قال: ومنهم معيقب بن أبي فاطمة اللؤسي مولى بني عبد شمس، كان على خاتمه. ويقال: كان خازنه.

وقال غيره: أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة في الناس، ثم إلى المدينة وشهد بدرأ وما بعدها، وكان على الخاتم. واستعمله الشيخان على بيت المال، قالوا: وكان قد أصابه الجنام فأمر عمر بن الخطاب فندوي بالحنظل، فتوقف المرض. وكانت وفاته في خلافة عثمان وقيل: سنة أربعين فآله أعلم.

قال الإمام أحمد [٤٢٦٣]: حدثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا شيان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة: حدثني معيقب أن رسول الله ﷺ قال في الرجل يسري التراب حيث يسجد قال: «إن كنت لا بد فاعلا فواحدة». وأخرجه في الصحيحين من حديث شيان النحوي [خ (١٢٠٧)، م (٥٤٦)، (٤٩)] زاد مسلم: وهشام، الدستوائي [٥٤٦، (٤٨)، (٤٧)].

زاد الترمذي [٣٨٠] والنسائي [١٩١١] وابن ماجه [١٠٢٦] والأوزاعي ثلثتهم عن يحيى بن أبي كثير به وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٤٢٦٣، ٤٢٥٥]: ثنا خلف بن الوليد، ثنا أيوب عن عتبة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن معيقب قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأعقاب من النار».

وتفرد به الإمام أحمد.

وقد روى أبو داود [٤٢٢٢] والنسائي [٥٢٢٠] من حديث أبي عتاب سهل بن حماد الدلال عن أبي مكي نوح بن ربيعة عن إياس بن الحارث بن المعيقب عن جده - وكان على خاتم النبي ﷺ - قال: كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوي عليه فضة، قال: فرما كان في يدي.

قلت: أما خاتم النبي ﷺ فالصحيح أنه كان من فضة، فصفه منه كما سيأتي في الصحيحين وكان قد اتخذ قبله خاتم ذهب فلبسه حيناً ثم رمى به، وقال: «والله لا ألبسه» ثم اتخذ هذا الخاتم من فضة فصفه منه، ونقشه محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، فكان في يده عليه الصلاة والسلام ثم كان في يد أبي بكر من بعده ثم في يد عمر ثم كان في يد عثمان فلبث في يده ست سنين ثم سقط منه في بئر أريس فاجتهد في تحصيله فلم يقدّر عليه.

وقد صنف أبو داود رحمة الله عليه كتاباً مستقلاً في سنته [٤٢١٤] - [٤٢٢٩] في الخاتم وحده، وسنوده ثم إن شاء الله قريباً ما يحتاج إليه وبالله المستعان.

وأما ليس معيقب لهذا الخاتم فيدل على ضعف ما نقل أنه أصابه الجنام، كما ذكره ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٤٧٩/٤] وغيره، لكنه مشهور فعله أصابه ذلك بعد النبي ﷺ، أو كان به وكان عما لا يعنى منه، أو كان ذلك من خصائص النبي ﷺ لقوة تركله، كما قال لذلك الجنود - ووضع يده في القصة - «كل ثقة بالله، وتوكلا عليه» رواه أبو داود [٣٩٢٥].

يا رسول الله ثلاث أعطينهن؟ قال «نعم؟» قال: تؤمّرنني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم؟» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم؟» الحديث.

وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة بسبب ما وقع فيه من ذكر طلبه تزويج أم حبيبة من رسول الله ﷺ، ولكن فيه من المحفوظ تأمير أبي سفيان وتوليته معاوية منصب الكتابة بين يديه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا قدر متفق عليه بين الناس قاطبة.

فأما الحديث الذي قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه [٣٤٩/٤] في ترجمة معاوية: «ها هنا أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الله العطشي حدثنا أحمد بن محمد البورانني ثنا السري بن عاصم ثنا الحسن بن زياد عن القاسم بن بهرام عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال: استكتبه فإنه أمين.

فإنه حديث غريب بل منكر. والسري بن عاصم هذا هو أبو عاصم الهملاني وكان يؤدب المعتز بالله، كُتبه في الحديث ابن خراش.

وقال ابن حبان وابن عدي: كان يسرق الحديث. زاد ابن حبان: ويرفع الموقوفات لا يحمل الاحتجاج به.

وقال الدارقطني: كان ضعيف الحديث وشيخه الحسن بن زياد - إن كان اللؤلؤي - فقد تركه غير واحد من الأئمة، وصرح كثير منهم بكذبه، وإن كان غيره فهو مجهول العين والحال.

وأما القاسم بن بهرام فثانان:

أحدهما يقال له القاسم بن بهرام الأسدي الواسطي الأعرج أصله من أصبهان، روى له النسائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حديث الفنون بطوله. وقد وثقه ابن معين وأبو خاتم وأبو داود وابن حبان.

والثاني: القاسم بن بهرام أبو همدان، قاضي هيت. قال ابن معين: كان كتاباً.

والجملعة فهذا الحديث من هذا الوجه ليس بثابت ولا يغتر به، والعجب من الحافظ ابن عساكر مع جلالة قدره وإطلاعه على صناعة الحديث أكثر من غيره من أبناء عصره - بل ومن تقدمه بهر - كيف يورد في تاريخه هذا وأحاديث كثيرة من هذا النمط ثم لا يبين حالها، ولا يشير إلى شيء من ذلك إشارة لا ظاهرة ولا خفية، ومثل هذا الصنيع فيه نظر والله أعلم.

٣٠- ومنهم رضي الله عنهم: المعيرة بن شعبة الثقفي: وقد تقدمت ترجمته فيمن كان يخدمه عليه الصلاة والسلام من بين أصحابه من غير مواليه، وأنه كان سيفاً على رأس رسول الله ﷺ.

وقد روى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٤٩/٤، ٣٥٠] بسنده عن عتيق بن يعقوب بإسناده المتقدم غير مرة أن المعيرة بن شعبة هو الذي كتب أقطاع حصين بن نضلة الأسدي الذي أقطعه إياه رسول الله ﷺ بأمره. فهؤلاء كتبه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه.

٩- أمناء النبي ﷺ

وقد ذكر ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٥١/٤] من أمناه:

١- أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي القهري: أحد

١٠- أمراء النبي ﷺ

وقد ثبت في صحيح مسلم [هو لي البخاري (٥٧٠٧)] أن رسول الله ﷺ قال: «فر من المجنوم فرارك من الأسد» والله أعلم.
وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام فقد ذكرناهم عند بحث السرايا متصرفاً على أسمائهم ولله الحمد والمنة.

١١- عددُ الصحابة

وأما جملة الصحابة فقد اختلف الناس في عدلتهم:
فتقل عن أبي زرعة أنه قال: يبلغون مائة ألف وعشرين ألف.
وعن الشافعي رحمه الله أنه قال: توفي رسول الله ﷺ والمسلمون ممن سمع منه وراءه زهاء عن ستين ألف.
وقال الحاكم أبو عبد الله: يروي الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي.

قلت: والذي روى عنهم الإمام أحمد مع كثرة روايته وإطلاعه واتساع رحلته وإمامته فمن الصحابة تسعمائة وسبعة وثمانون نفساً، ووقع في الكتب الستة من الزيادات على ذلك قريب من ثلاثمائة صحابي أيضاً.
وقد اعتنى جماعة من الحفاظ رحمهم الله ب ضبط أسمائهم وذكر أبايهم ووفياتهم، من أجلهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري في كتابه الاستيعاب، وأبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، وأبو موسى الملبيني، ثم نظم جميع ذلك الحفاظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، صنف كتابه أسد الغابة في ذلك فأجاد وأفاد، وجمع وحصل، ونال ما رام وأمل، فرحمه الله وأثابه وجمعه والصحابة آمين يا رب العالمين.

ثم اتخذ خاتماً من فضة نقش فيه: محمد رسول الله، ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر، ثم لبسه بعد أبي بكر عمر، ثم لبسه بعده عثمان حتى وقع في بئر أريس.

وقد رواه البخاري [٥٨٦٦] عن يوسف بن موسى عن أبي أسامة حماد بن أسامة به.

ثم قال أبو داود [٤٢١٩]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أيوب بن موسى، عن نافع، عن ابن عمر في هذا الخبر عن النبي ﷺ فنقش فيه محمد رسول الله، وقال: «لا ينقش أحد على خاتمي هذا».

وساق الحديث.

وقد رواه مسلم [٢٠٩١] وأهل السنن الأربعة [٢ في الشمائل (٩٧)، م (٥٢٣١)، ج (٣٦٣٩)] من حديث سفيان بن عيينة به نحوه.

ثم قال أبو داود [٤٢٢٠]: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا أبو عاصم، عن المغيرة بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر في هذا الخبر عن النبي ﷺ قال: فالتمسوه فلم يجلبوه، فأتخذ عثمان خاتماً ونقش فيه محمد رسول الله، قال: فكان يحنم به أو يتحنم به.

ورواه النسائي [٥٢٢٢] عن محمد بن معمر عن أبي عاصم الضحاك بن غلد النبل به، ثم قال أبو داود [٤٢٢١]:

حدثنا محمد بن سليمان لؤي، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من ورق يوماً واحداً، فصنع الناس فليسا، وطرح النبي ﷺ فطرح الناس.

ثم قال: رواه عن الزهري زياد بن سعد وشعيب وابن مسافر كلهم قال من ورق.

قلت: وقد رواه البخاري [٥٨٦٨] حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني أنس بن مالك أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من ورق يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم. ثم علقه البخاري عن إبراهيم ابن سعد الزهري المدني وشعيب بن أبي حمزة وزيايد بن سعد الخراساني.

وأخرجه مسلم من حديثه [٢٠٩٣]، وانفرد أبو داود بعبد الرحمن بن خالد بن مسافر كلهم عن الزهري كما قال أبو داود: خاتماً من ورق.

والصحيح أن الذي لبسه يوماً واحداً ثم رمى به، إنما هو خاتم الذهب، لا خاتم الورق، لما ثبت في الصحيحين [ع (٥٨٦٧)] ولم يروه مسلم عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب، فنبذه وقال: لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم.

وقد كان خاتم الفضة يلبسه كثيراً، ولم يزل في يده حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه، وكان فسه منه يعني ليس فيه فص ينفصل عنه، ومن روى أنه كان فيه صورة شخص فقد أبعد وأخطأ، بل كان فسه كله وفسه منه، ونقشه: محمد رسول الله ثلاثة أسطر: محمد سطر. رسول سطر. الله سطر، وكأنه أعلم كان مقروشاً وكتابه مقلوقة لطبع على الاستقامة كما جرت العادة بهذا، وقد قيل: إن كتابه كانت مستقيمة وتطبع كذلك، وفي صحة هذا نظر، ولست أرفق لذلك إسناداً لا صحيحاً ولا ضعيفاً.

وهذه الأحاديث التي أوردها أنه عليه الصلاة والسلام كان له خاتم من فضة، ترد الأحاديث التي قدمناها في سني أبي داود [٤٢٢٤] والنسائي [٥٢٢٠] من طريق أبي عتاب سهل بن حماد الدلال عن أبي مكي نوح

٧- كتاب شمائل النبي ﷺ

١- ذكر الخاتم الذي كان يلبسه ﷺ ومن أي

شيء كان من الأجسام

وقد انفرد له أبو داود في كتابه السنن كتاباً على حدة، ولنذكر عيون ما ذكره في ذلك مع ما نضيفه إليه، والمول في أصل ما تذكره عليه.

قال أبو داود [٤٢١٤]: حدثنا عبد الرحيم بن مطرف الرؤاسي، حدثنا عيسى، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: أراد رسول الله ﷺ أن يكتب لي بعض الأعاجم فقبل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا بخاتم، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله.

وهكذا رواه البخاري [٥٨٧٢] عن عبد الأعلى بن حماد عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

ثم قال أبو داود [٤٢١٥]: حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن سعيد، عن قتادة عن أنس بمعنى حديث عيسى بن يونس زاد: فكان في يده حتى قبض، وفي يد أبي بكر حتى قبض، وفي يد عمر حتى قبض وفي يد عثمان، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر فأمر بها فترحت، فلم يقبله عليه.

نفرد به أبو داود من هذا الوجه.

ثم قال أبو داود رحمه الله [٤٢١٦]: حدثنا قتيبة بن سعيد وأحمد بن صالح قال: أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ من ورق فسه حبشي.

وقد روى هذا الحديث البخاري [٥٨٦٨] من حديث الليث.

ومسلم [٢٠٩٤] (٦٢، ٦١) من حديث ابن وهب، وطلحة بن يحيى الأنصاري، وسليمان بن بلال، زاد النسائي [٥٢٩٢] وابن ماجه [٣٦٤١] وعثمان بن عمر خستهم عن يونس بن يزيد الأيلي به.

وقال الترمذي [عق ح (١٧٣٩)]: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

ثم قال أبو داود [٤٢١٧]: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا حيد الطويل، عن أنس بن مالك قال: كان خاتم النبي ﷺ من فضة كله فسه منه.

وقد رواه الترمذي [١٧٤٠] والنسائي [٥٢١٥] من حديث زهير بن معاوية الجعفي أبي خيشمة الكوفي به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وقال البخاري [٥٨٧٤]: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتماً، فقال: إنا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه نقشاً فلا ينقش عليه أحد، قال: فإني أرى يرقه في خصره.

ثم قال أبو داود [٤٢١٨]: حدثنا نصير بن الفرج، حدثنا أبو أسامة، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب وجعل فسه ما على بطن كفه، ونقش فيه محمد رسول الله، فاتخذ الناس خواتم الذهب فلما رأهم قد اتخذوها رمى به وقال: «لا ألبسه أبداً».

٢- ذكر سيفه

قال الإمام أحمد [٢٧١/١]: حدثنا سريج، حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، قال: فرأيت في سيفي ذا الفقار فلا فأولته فلا يكون فيكم، ورأيت أتي مردف كيشاً، فأولته كيش الكتيبة، ورأيت أنسي في درع حصينة فأولتها المدينة، ورأيت بقرأ تنبئ، بقرأ والله خير بقرأ والله خير، فكان الذي قال رسول الله ﷺ.

وقد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه به.

وقد ذكر أهل السنن [ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة: ٣٦٤/١] وهزه لابن عدي] أنه سمع قائل يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

وروى الترمذي [١٦٩٠] من حديث هود بن عبد الله بن سعد، عن جده مزينة بن جابر العبدي العصري رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وعلى سيفه ذهب وفضة، الحديث، ثم قال: هذا حديث غريب.

وقال الترمذي في الشمائل [١٠٢]: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن هشام، حدثنا أبي، عن قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن قال: كانت قبعة سيف رسول الله ﷺ من فضة.

وروى أيضاً [الشمائل (١٠٤)] من حديث عثمان بن سعد عن ابن سيرين قال: صنعت سيفي على سيف سمرة، وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف رسول الله ﷺ وكان حنفياً وقد صار إلى آل علي سيف من سيوف رسول الله ﷺ فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء عند الطف كان معه فأخذه علي بن الحسين زين العابدين فقدم معه دمشق حين دخل على يزيد بن معاوية، ثم رجع معه إلى المدينة.

ثبت في الصحيحين [ج (٣١١٠)، م (٢٤٤٩) (٩٥)] عن المسور بن غزوة أنه تلقاه إلى الطريق، فقال له: هل لك لي من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقال: لا، فقال: هل أنت معطي سيف رسول الله ﷺ فإني أخشى أن يغلبك عليه القوم، وإيم الله إن أعطيتيه لا يخلص إليه أحد حتى يبلغ نفسي.

وقد ذكر لثني سيفه غير ذلك من السلاح، من ذلك الدروع كما روى غير واحد منهم السائب بن يزيد، وعبد الله بن الزبير، أن رسول الله ﷺ ظهر يوم أحد بين درعين.

وفي الصحيحين [ج (١٨٤٦)، م (١٣٥٧) (٤٥٠)] من حديث مالك عن الزهري عن أنس، أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعلى رأسه المنقر، فلما نزع قيل له: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: أقتلوه.

وعند مسلم [١٣٥٨] (٤٥١)] من حديث أبي الزبير، عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء.

وقال وكيع عن مساور الوراق عن جعفر بن عمرو بن حريش، عن أبيه، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وعليه عمامة دسما، ذكرهما الترمذي في الشمائل [١١١، ١١٣].

وله من حديث الدراوردي، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر

بن ربيعة عن إياس بن الحارث بن معيقب بن أبي فاطمة عن جده قال: كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوي عليه فضة، وما يزيد ضعف الحديث الذي رواه أحمد [٣٥٩/٥] وأبو داود [٤٢٢٣] والترمذي [١٧٨٥] والنسائي [٥٢١٠] من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم السلمي المروزي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من شئ فقال: «مالي أجد منك ربح الأصنام؟» فطره، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: «مالي أرى عليك حلية أهل النار؟» فطره، ثم قال: يا رسول الله من أي شيء اتخذه؟ قال: اتخذه من ورق، ولا تتمه مقالاً.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يلبسه في يده اليمنى كما رواه أبو داود [٤٢٢٦] والترمذي في الشمائل [٩٢]، والنسائي من حديث شريك [٥٢١٨] القاضي، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حنين، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ.

قال شريك: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه، وروي في اليسرى.

رواه أبو داود [٤٤٢٣] من حديث عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يساره، وكان فضة في باطن كفه.

قال أبو داود: رواه أبو إسحاق وأسماء بن زيد عن نافع في يمينه. وحدثنا [٤٢٢٨] هناد، عن عبيدة، عن عبيد الله، عن نافع: أن ابن عمر كان يلبس خاتمه في يده اليسرى.

ثم قال أبو داود [٣٢٢٩]: حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق قال: رأيت على الصلت بن عبد الله بن نوفل بن عبد المطلب خاتماً في خصره اليمنى، فقلت: ما هذا؟ فقال: رأيت ابن عباس يلبس خاتمه هكذا وجعل فضة على ظهرها، فقال: ولا يتحال ابن عباس إلا قد كان يذكر أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمه كذلك.

وهكذا رواه الترمذي [١٧٤٢] من حديث محمد بن إسحاق به، ثم قال: قال محمد بن إسماعيل يعني البخاري: حديث ابن إسحاق عن الصلت حديث حسن.

وقد روى الترمذي في الشمائل [٩٣، ٩٤] عن أنس وعن جابر وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ كان يتختم في اليمين.

وقال البخاري [٥٨٧٨]: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا أبي، عن ثمامة، عن أنس بن مالك أن أبا بكر لما استخلف كتب له وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: محمد سطر. ورسول سطر. والله سطر.

قال أبو عبد الله: وزادني أحمد: حدثنا الأنصاري حدثني أبي ثناء، ثمامة، عن أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، قال: فلما كان عثمان جالس على بئر أريس، فأخرج الخاتم فجعل الخاتم يعث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فترج البئر فلم نجده.

فأما الحديث الذي رواه الترمذي في الشمائل [٨٥]، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ، اتخذ خاتماً من فضة فكان يتختم به ولا يلبسه.

فإنه حديث غريب جداً. وفي السنن [د (١٩)، ت (١٧٤٦)، س (٥٢٢٨)، ج (٢٠٣)] من حديث ابن جريج عن الزهري عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء نزع خاتمه.

قال: كان رسول الله ﷺ إذا اعتم سدلها بين كتفيه.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده [كشف الاستعار (٨٤٠)]: حدثنا أبو شيبة إبراهيم بن عبد الله بن محمد، حدثنا خنول بن إبراهيم، حدثنا إسرائيل، عن عاصم، عن محمد بن سيرين، عن أنس بن مالك أنه كانت عنده عصية لرسول الله ﷺ فساخت ففعلت معه بين جنبه وبين قميصه. ثم قال البزار: لا نعلم رواه إلا خنول بن راشد، وهو صدوق فيه شيعة. واحتمل على ذلك.

وقال الحافظ البيهقي [الذليل: ٢٧٩/٧] بعد روايته هذا الحديث من طريق خنول هذا قال: وهو من الشيعة يأتي بأفراد عن إسرائيل لا يأتي بها غيره، والضعف على رواياته بين ظاهر.

٣- ذكر نعله التي كان يمشي فيها ﷺ

ثبت في الصحيح (١٦٦) و(٥٨٥١) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبس النعال السنية، وهي التي لا شعر عليها.

وقد قال البخاري في صحيحه (٥٨٥٨): حدثنا محمد بن عبد الله بن مقاتل، حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك، أخبرنا عيسى بن طهمان، قال: خرج إلينا أنس بن مالك بنعلين لهما قبالة، فقال ثابت البناني: هذه نعل النبي ﷺ. وقد رواه في كتاب الخس عن عبد الله بن محمد عن أبي أحمد الزبيري عن عيسى بن طهمان عن أنس، قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالة. فحدثني ثابت البناني بعد عن أنس أنهما نعلان النبي ﷺ.

وقد رواه الترمذي في الشمائل (٧٥) عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزبيري به.

وقال الترمذي في الشمائل (٧٤): حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالة من شراكهما.

وقال أيضاً (٧٧): حدثنا إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالة.

وقال الترمذي [الشمائل (٨٣)]: حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله: حدثنا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية، حدثنا هشام، عن محمد، عن أبي هريرة قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قبالة وأبي بكر وعمر وأول من عقد عقداً واحداً عثمان.

حدثنا أحمد بن منيع، ثنا أبو أحمد، ثنا سفيان، عن السدي، حدثني من سمع عمرو بن حريث يقول: رأيت رسول الله ﷺ يضي في نعلين مخصوصين [الشمائل (٧٨)].

قال الجوهري: يقال النعل بالكسر: التزامم الذي يكون بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

قلت: واشتهر في حدود سنة ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبي الحلود، نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي ﷺ فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه مال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه وعظمها، ثم لما بنا دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة، جعلها في خزانة منها، وجعل لها خادماً، وقرّر له من المعلوم كل شهر أربعين درهماً،

وهي موجودة إلى الآن في الدار المذكورة.

وقال الترمذي في الشمائل (٢٠٩): حدثنا محمد بن رافع وغير واحد قالوا: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا شيان، عن عبد الله بن المختار، عن موسى بن أنس، عن أبيه قال: كانت لرسول الله ﷺ سكة يتطلب منها.

٤- صفة قدح النبي ﷺ

قال الإمام أحمد (١٣٩/٢): حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك، عن عاصم قال: رأيت عند أنس قدح النبي ﷺ فيه ضبة من فضة.

وقال الحافظ البيهقي [السنن الكبرى: ٣٠/١]: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أخبرني أحمد بن محمد النسوي، حدثنا حماد بن شاذان، حدثنا محمد بن إسماعيل هو البخاري، حدثنا الحسن بن مكر، حدثني يحيى بن حماد أخبرنا أبو عروبة، عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس بن مالك وكان قد انصدع فسلطه بفضة.

قال: وهو قدح جيد عريض من نضار. قال أنس: لقد سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كنا وكذا.

قال: وقال ابن سيرين: إنه كان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة فقال له أبو طلحة: لا تفرن شيئاً صنعه رسول الله ﷺ، فتركه.

وقال الإمام أحمد (١٨٧/٣): حدثنا روح بن عبادة، حدثنا حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة من حديد، فأخرج من غلاف أسود وهو دون الربع وربع نصف الربع، وأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا وصبنا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي ﷺ. انقرد به أحمد.

٥- اكتحال النبي ﷺ

قال الإمام أحمد (٣٥٤/١): حدثنا يزيد، أخبرنا عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً في كل عين.

وقد رواه الترمذي (٢٠٤٨) وابن ماجه (٣٤٩٩) من حديث يزيد بن هارون.

قال علي بن المدني: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت لعباد بن منصور: سمعت هذا الحديث من عكرمة، فقال: أخبرني ابن أبي يحيى عن داود بن الحصين عنه.

قلت: وقد بلغني أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي ﷺ اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة وبيل وشط وغير ذلك فأنه أعلم.

٦- البردة

قال الحافظ البيهقي [الذليل: ٢٨٧/٧]: وأما البرد الذي عند الخلفاء فقد روي عن محمد بن إسحاق بن يسار في قصة تبوك أن رسول الله ﷺ

علي بن ثابت، حدثنا غالب الجزري عن أنس قال: لقد قبض رسول الله ﷺ وإنه لينسج له كساء من صوف.

وهذا شامد لما قبله.

وقال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا سعدان بن نصر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن حسين بن حسين، عن فاطمة بنت الحسين أن رسول الله ﷺ قبض وله بردان في الجفء يعملان.

وهذا مرسل.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا أبو أمية عمرو بن هشام الحراني، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، عن علي بن عروة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وعمرو بن دينار، عن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيته من فضة، وكان يسمى ذا الفقار، وكان له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجَمْع وكانت له درع موشحة بالحناس تسمى ذات الفضول، وكانت له حربة تسمى النُباع، وكان له عجن يسمى الذفن، وكان له ترس أبيض يسمى الموجز، وكان له فرس أدهم يسمى السُكَب وكان له سرج يسمى الداج، وكان له بغلة شهباء يقال لها دلدل، وكانت له ناقه تسمى القصواء، وكان له حمار يقال له: يعفور، وكان له بساط يسمى الكر، وكان له عُرَّة تسمى النمر، وكانت له ركوة تسمى الصادر، وكانت له مرأة تسمى المرأة، وكان له مقراض يسمى الجسامع، وكان له قضيب شَوْخَط يسمى المشوق.

وهذا غريب جداً.

قلت: قد تقدم عن غير واحد من الصحابة أن رسول الله ﷺ لم يترك ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة سوى بغلة وأرض جعلها صدقة، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام نُحِزَ العتق في جميع ما ذكرناه من العبيد، والإماء، والصدقة في جميع ما ذكر من السلاح، والحيوانات، والأثاث، والمتاع بما أوردناه وما لم نورد.

فأما بغلته فهي الشهباء، وهي البيضاء أيضاً والله أعلم، وهي التي أهداها له المقوقس، صاحب الإسكندرية واسمه جريج بن ميناء فيما أهدى من التحف، وهي التي كان رسول الله ﷺ راكباها يوم حنين وهو في غور العدو ينوه باسمه الكريم شجاعة وتوكلاً على الله عز وجل، فقد قيل: إنها عمرت بعده حتى كانت عند علي بن أبي طالب في أيام خلافته وتأنخت أيامها حتى كانت عند علي عند عبد الله بن جعفر فكان يَجُشُّ لها الشعر حتى تأكله من ضعفها بعد ذلك.

وأما حماره يعفور، ويصغر فيقال له عفير، فقد كان عليه الصلاة والسلام يركبه في بعض الأحيان.

وقد روى أحمد [١١٩/١] من حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله التيمي، عن عبد الله بن زبير، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ يركب حماراً يقال له عفير.

ورواه أبو يعلى [مسند] (٥٠٢٦) من حديث عون بن عبد الله عن ابن مسعود.

وقد ورد في أحاديث عدة أنه عليه الصلاة والسلام ركب الحمار.

وفي الصحيحين [ع] (٢٩٩١)، م (١٧٩٨) (١١٦) بنحوه أنه عليه الصلاة والسلام مر وهو راكب حماراً يجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وأخطلط من المسلمين والمشركون عبدة الأوثان واليهود، فتنزل ودعاهم إلى الله عز وجل، وذلك قبل وقعة بدر، وكان قد عزم على عبادة

أعطى أهل أيلة برده مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم، فاشتره أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار - يعني بذلك أول خلفاء بني العباس وهو السفاح رحمه الله - وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف كان الخليفة يلبسها يوم العيد على كتفيه، ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلوات الله وسلامه عليه في إحدى يديه، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع به القلوب، ويهر به الأبصار، ويلبسون السواد في أيام الجمع والأعياد، وذلك اقتداء منهم بسيد أهل البدو والحضر، ممن سكن الوبر والمدر، لما أخرجه البخاري [١٨٤٦] ومسلم [١٣٥٧] (٤٥) مطولاً إماما أهل الأثر، من حديث عن مالك، عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر.

وفي رواية: [م] (١٣٥٨) (٤٥٣) وعليه عمامة سوداء.

وفي رواية [م] (١٣٥٨) (٤٥١) قد أرخى طرفها بين كتفيه، صلوات الله وسلامه عليه.

وقد قال البخاري [٥٨١٨]: حدثنا مسدد، حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن محمد عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت: قبض روح النبي ﷺ في ملين.

وللبخاري [٥٨١٥، ٥٨١٦] من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة وابن عباس قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خيصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعلنا الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحزن ما صنعوا». قلت: وهذه الأتواب الثلاثة لا يدري ما كان من أمرها بعد هذا، وقد تقدم أنه عليه الصلاة والسلام طرحت تحته في قبره الكريم قطيفة حمراء كان يصلي عليها، ولو تقصينا ما كان يلبسه في أيام حياته لطال الفصل وموضعه كتاب اللبس من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

٧- ذكر أفراسه ومراكبه

قال ابن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله التيمي، عن عبد الله بن زبير، عن علي قال: كان للنبي ﷺ فرس يقال له المرتجز، وحمار يقال له عفير، وبغلة يقال لها دلدل، وسيف ذو الفقار، ودرعه ذو الفضول.

ورواه البيهقي [الذليل: ٢٧٨/٧] من حديث الحكم عن يحيى بن الجزار عن علي نحوه.

قال البيهقي [الذليل: ٢٧٨/٧] وروينا في كتاب السنن أسماء أفراسه التي كانت عند الساعدين، ليزاراً واللحيف وقيل: اللخيف والظرب، والذي ركب لأبي طلحة يقال له المنسوب وناقته القصواء والعصباء والجعداء، وبغلته الشهباء، والبيضاء.

قال البيهقي: وليس في شيء من الروايات أنه مات عنهن إلا ما روي في بغلته البيضاء، وسلاحه وأرض جعلها صدقة، ومن ثيابه، ونعليه، وخاتمه ما روي في هذا الباب.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زعمة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: توفي رسول الله ﷺ وله جبة صوف في الحياكة.

وهذا إسناد جيد.

وقد روى الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا مجاهد بن موسى، حدثنا

٨- شمائل رسول الله ﷺ وبيان

خلقته الظاهر وخلقته الطاهر

قد صف الناس في هذا قديماً وحديثاً، كتباً كثيرة مفردة وغير مفردة، ومن أحسن من جمع في ذلك فاجاد وافاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله، أفرده في هذا المعنى كتابه المشهور بالشمائل، ولنا به سماع متصل إليه، ونحن نورد عيون ما أورده فيه، ونزيد عليه أشياء مهمة لاستغني عنها المحدث والفقير، ولنذكر أولاً بيان حسنه الباهر عليه الصلاة والسلام وجماله الجميل، ثم نشرع بعد ذلك في إيراد الجمل والتفاصيل، فنقول والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٩- حسنه الباهر بعدما تقدم من حسبه الظاهر

قال البخاري [٣٥٤٩]: حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق: قال: سمعت البراء بن عازب يقول: كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن خلقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير. وهكذا رواه مسلم [٢٣٣٧] (٩٣) عن أبي كريب عن إسحاق بن منصور به.

وقال البخاري [٣٥٥١]: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب. قال: كان النبي ﷺ مروباً بعيداً ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رايته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه. قال يوسف بن أبي إسحاق عن أبيه: إلى منكبیه.

وقال الإمام أحمد [٢٩٠/٤، ٣٠٠]: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ، له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وقد رواه مسلم [٢٣٩٧] (٩١) وأبو داود [٤١٨٣] والترمذي [١٧٢٤، ٣٩٣٥] والنسائي [٥٢٤٨] من حديث وكيع به.

وقال الإمام أحمد [٢٩٥/٤]: حدثنا أسود بن عامر، أخبرنا إسرائيل، أخبرنا أبو إسحاق، (ح) وحدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: ما رأيت أحداً من خلق الله أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ وإن جُمُئْتُ لضرب إلى منكبيه، قال ابن أبي بكير: لضرب قريباً من منكبيه. قال - يعني أبا إسحاق - وقد سمعته يحدث به مراراً ما حدث به قط إلا ضحك.

وقد رواه البخاري [٥٩١٠] في اللباس [٥٩١٠]، والترمذي في الشمائل [٦٢] والنسائي في الزينة [٥٠٧٥] من حديث إسرائيل به.

وقال البخاري [٣٥٥٢]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير، عن أبي إسحاق قال: سئل البراء بن عازب: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر.

ورواه الترمذي [٣٦٣٦] من حديث زهير بن معاوية الجعفي الكوفي عن أبي إسحاق السبيعي واسمه عمرو بن عبد الله الكوفي عن البراء بن عازب به وقال: حسن صحيح.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الدلائل [١٩٥/١]: أخبرنا أبو

سعد بن عباد، فقال له عبد الله: لا أحسن مما تقول أيها المرء فإن كان حقاً فلا تغشنا به في مجالسنا، وذلك قبل أن يظهر الإسلام، ويقال: إنه خسر أنه لما غشيتهم عجاجة الدابة وقال: لا تؤذونا بنتن حمارك، فقال له عبد الله بن رواحة: والله لريح حمار رسول الله ﷺ أطيب من ريحك. وقال عبد الله: بل يا رسول الله اغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك. فتشاور الحيان وهموا أن يقتلوا فسكنهم رسول الله ﷺ ثم ذهب إلى سعد بن عباد فشكى إليه عبد الله بن أبي. فقال: ارفق به يا رسول الله، فوالذي أكرمك بالحق لقد بعثك الله بالحق، وإننا لنظم له الحزَّزَ لتؤجَّه علينا، فلما جاء الله بالحق الذي بعثك به شرف بريقه.

وقد قلنا أنه ركب الحمار في بعض أيام خيبر، وجاء أنه أرفد معافاً على حمار، ولو أوردناها بالفاظها وأسانيدها لطال الفصل والله أعلم.

فأما ما ذكره القاضي عياض بن موسى السبي في كتابه الشفا [٤٤٣/١]، وذكره قبل إمام الحرمين في كتابه الكبير في أصول الدين وغيرهما أنه كان لرسول الله ﷺ حمار يسمى زيد بن شهاب وأن رسول الله ﷺ كان يبعثه ليطلب له بعض أصحابه فيجيء إلى باب أحدهم فيَقْتَمَعُه فيعلم أن رسول الله ﷺ يطلبه، وأنه ذكر للنبي ﷺ أنه سلالة سبعين حماراً كل منها ركبته نبي، وأنه لما توفي رسول الله ﷺ ذهب فتردى في بئر فمات.

فهو حديث لا يعرف له إسناد بالكلية، وقد أنكره غير واحد من الحفاظ منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم وأبوه رحمهما الله، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله ينكره غير مرة إنكاراً شديداً.

وقال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة [٢٨٨]: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى العنبري، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا إبراهيم بن سويد الجلودعي، حدثني عبد الله بن أذينة الطائي، عن شور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: أتى النبي ﷺ وهو يجير حمار أسود فوقف بين يديه، فقال: «من أنت؟» قال: أنا عمرو بن فلان كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم، وكنت لك فملكني رجل من اليهود، فكنت إذا ذكرتك كبوت به فيوجعني ضرباً. فقال رسول الله ﷺ: «فانت يعمور».

هذا حديث غريب جداً.

فصل:

وهذا أو أن إيراد ما بقي علينا من متعلقات السيرة الشريفة، وذلك أربعة كتب:

الأول: في الشمائل.

الثاني: في الدلائل.

الثالث: في الفضائل.

الرابع: في الخصائص.

وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

حدثنا عبد الوارث حدثنا حنبل بن عبد الملك السهمي، حدثني كريمة بن الحارث بن عمرو السهمي أن الحارث بن عمرو حدثه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يمشي أو يعرفات وقد أطاف به الناس. قال: ونحى الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا: هذا وجه مبارك.

١٠ - صفة لون رسول الله ﷺ

قال البخاري (٣٥٤٧): حدثنا يحيى بن بكير؛ حدثنا الليث؛ عن خالد هو ابن يزيد، عن سعيد - يعني ابن أبي هلال - عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال: كان ربيعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا بآدم؛ ليس بجعد قطط ولا بسيط رجل؛ أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين يُنزَل عليه بالمدينة عشراً وتوفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر؛ فسالت فقيل: أحمر من الطيب.

ثم قال البخاري (٣٥٤٨): حدثنا عبد الله بن يوسف؛ أخبرنا مالك بن أنس؛ عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير؛ وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم؛ وليس بالجمع القطط؛ ولا بالبسط؛ بعته الله على رأس أربعين سنة؛ فأقام بمكة عشر سنين؛ وبالمدينة عشر سنين، فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

وكذا رواه مسلم (٢٣٤٧) (١١٣) عن يحيى بن يحيى عن مالك. ورواه أيضاً عن قتية ويحيى بن أيوب وعلي بن حجر؛ ثلاثهم عن إسماعيل بن جعفر؛ وعن القاسم بن زكريا؛ عن خالد بن مخلد؛ عن سليمان بن بلال ثلاثهم عن ربيعة (٢٣٤٧) (١١٣) (١٠٠). ورواه الترمذي (٣٢٢٣) والنسائي (٣٩١٠) جميعاً عن قتية عن مالك به؛ وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ٢٠٣/١): ورواه ثابت عن أنس فقال: كان أزهر اللون؛ قال: ورواه حميد كما أخبرنا؛ ثم ساق بإسناده عن يعقوب بن سفيان؛ حدثني عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالوا: حدثنا خالد بن عبد الله؛ عن حميد الطويل؛ عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ أسمر اللون.

وهكلم روى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار (٢٣٨٨) عن الحسن بن علي بن خالد بن عبد الله عن حميد عن أنس؛ قال: وحدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب؛ قال: حدثنا حميد عن أنس قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل ولا بالقصير؛ وكان إذا مشى نكحاً وكان أسمر اللون؛ ثم قال البزار: لا تعلم رواه عن حميد إلا خالد وعبد الوهاب؛ ثم قال البيهقي رحمه الله (الدلائل: ٢٠٤/١)

وأخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر الرازي: حدثنا يحيى بن جعفر؛ حدثنا علي بن عاصم، حدثنا حميد سمعت أنس بن مالك يقول؛ فذكر الحديث في صفة النبي ﷺ؛ قال: كان أبيض يابض إلى السمرة. قلت: وهذا السياق أصح من الذي قبله؛ وهو يقتضي أن السمرة التي كانت تلو وجهه عليه الصلاة والسلام من كثرة أسفاره ويزوره للشمس، والله أعلم، فقد قال يعقوب بن سفيان القسوي أيضاً:

حدثني عمرو بن عون وسعيد بن منصور قالوا: حدثنا خالد بن عبد

الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن سفيان، حدثنا أبو نعيم وعبيد الله، عن إسرائيل، عن سمك أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف؟ قال جابر: لا؛ بل مثل الشمس والقمر مستديرًا.

وهكلم رواه مسلم (٢٣٤٤) (١٠٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى به.

وقد رواه الإمام أحمد (١٠٤/٥) مطولاً فقال: حدثنا عبد الرزاق؛ أخبرنا إسرائيل؛ عن سمك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ قد شحط مقدم رأسه ولحيته؛ فإذا ادسن ومشطون لم يبين؛ وإذا شعث رأسه تين؛ وكان كثير الشعر والحية؛ فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا؛ بل مثل الشمس والقمر مستديرًا؛ قال: ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

وقال الحافظ البيهقي (الدلائل: ١٩٩/١): أخبرنا أبو طاهر الفقيه؛ أخبرنا أبو حامد بن بلال؛ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي؛ حدثنا الحارثي؛ عن أشعث؛ عن أبي إسحاق؛ عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو كان في عيني أحسن من القمر.

وهكلم رواه الترمذي (٢٨١١) والنسائي (٩٤٠) جميعاً عن هناد بن السري عن عث بن القاسم عن أشعث بن سوار؛ قال النسائي: وهو ضعيف؛ وقد أخطأ، والصواب أبو إسحاق عن البراء، وقال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث أشعث بن سوار؛ وسألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - قلت: حديث أبي إسحاق عن البراء، أصح أم حديثه عن جابر؟ فوالى كلا الحديثين صحيحاً.

وثبت في صحيح البخاري (٤٤١٨) عن كعب بن مالك في حديث التوبة قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُر استار وجهه كأنه قطعة قمر؛ وقد تقدم الحديث بتمامه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد، حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدلي؛ عن أبي إسحاق الميماني؛ عن امرأة من همدان سماها. قالت: حججت مع رسول الله ﷺ فرأيت على يمينه له يظوف بالكعبة يده محجن عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه؛ إذا مر بالحجر استلمه بالحنج ثم يرفعه إليه فيقبله؛ قال أبو إسحاق: فقلت لها: شبيهه. قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا إبراهيم بن المنذر؛ حدثنا عبد الله بن موسى التيمي؛ حدثنا أسلمة بن زيد؛ عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للرؤيع بنت معوذ: صفني لي رسول الله ﷺ؛ قالت: يابني لو رأيته رأيت الشمس طالعة.

ورواه البيهقي (الدلائل: ١٩٩/١) من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن عبد الله بن موسى التيمي بسنده فقالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة.

وثبت في الصحيحين (١٧٧١) م (١٤٥٩) (٣٨) من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه. الحديث.

وقال أبو زرعة الرازي في دلائل النبوة (باب من كان يترك بوجهه النبي ﷺ ونسبه المبارك): حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج،

الله عن الجريري؛ عن أبي الطفيل قال: رأيت النبي ﷺ ولم يبق أحد رآه غيري؛ فقلنا له: صف لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مليح الوجه. ورواه مسلم [٢٣٤٠] (٢٣٤٠) عن سعيد بن منصور به.

ورواه أيضاً أبو داود [٤٨٦٤] من حديث سعيد بن إياس الجريري. عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي. قال: كان رسول الله ﷺ أبيض مليحاً، إذا مشى كأنما ينحط في صبوب، لفظ أبي داود.

وقال الإمام أحمد [٤٥٤/٥]: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريري، قال: فكت أطوف مع أبي الطفيل فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله ﷺ غيري. قلت: ورايته؟ قال: نعم، قال: قلت: كيف كانت صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصداً.

وقد رواه الترمذي [الشمال ١٣] عن بندار وسفيان بن وكيع كلاهما عن يزيد بن هارون به.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٥١/١]: أنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا عبد الله بن جعفر أو أبو الفضل محمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا واصل بن عبد الأعلى الأسدي، حدثنا محمد بن فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض قد شاب، وكان الحسن بن علي يشبهه، ثم قال: رواه مسلم عن واصل بن عبد الأعلى، ورواه البخاري عن عمرو بن علي عن محمد بن فضيل، وأصل الحديث كما ذكر في الصحيحين، ولكن باللفظ آخر كما سيأتي.

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، عن أبيه أن سراقه بن مالك قال: أثبت رسول الله ﷺ فلما دنوت منه وهو على ناقته، جعلت أنظر إلى ساقه كأنها جُمُارَةٌ، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزة كأنها جمارة. [الدلائل: ٢٥٧/١، من طريق ابن إسحاق به]

قلت: يعني من شدة بياضها كأنها جمارة طلع النخل. وقال الإمام أحمد [٤٢٦/٣، ٢٩/٤، ٣٨٠/٥]: حدثنا سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أمية، عن مولى لهم - مزاحم بن أبي مزاحم - عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، عن رجل من خزاعة يقال له: محرش أو محرش، لم يكن سفيان يقف على اسمه، وربما قال: محرش ولم أسمع أنه، أن النبي ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً فاعتمر ثم رجع فأصبح بها كبائت فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

تفرد به أحمد [وإبعده س (٢٨٦٤) من طريق سفيان].

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن الحميدي عن سفيان بن عيينة. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء، حدثني عمرو بن الحارث، حدثني عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، أخبرني محمد بن مسلم، عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال: كان شديد البياض.

وهذا إسناد جيد، ولم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد [٣٥٠/٢]: حدثنا حسن، حدثنا عبد الله بن لبيعة، حدثنا أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كان كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إننا لنَجِدُه أنفسنا وإنه لغير مكثرت.

ورواه الترمذي [٣٦٤٨] عن قتبية عن ابن لبيعة به وقال: كان الشمس تجري في وجهه ﷺ، وقال: غريب.

ورواه البيهقي [الدلائل: ٢٥٨/١، ٢٥٩] من حديث عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد المصري، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، وقال: كأن الشمس تجري في وجهه.

وكذلك رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٦٧/٣] من حديث حرملة عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة فذكره وقال: كأنما الشمس تجري في وجهه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٥٦/١]: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي - يعني ابن الحنفية - عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند: ١٧١]: حدثنا المسعودي، عن عثمان بن عبد الله بن هرمز، عن نافع بن جبير، عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ مشرباً وجهه حمرة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا ابن الأصماني، حدثنا شريك، عن عبد الملك بن عمير، عن نافع بن جبير، قال: وصف لنا علي النبي ﷺ فقال: كان أبيض مشرب الحمرة.

وقد رواه الترمذي [٣٦٣٧] بنحوه من حديث المسعودي عن عثمان بن مسلم عن هرمز، وقال: هذا حديث صحيح.

قال البيهقي [الدلائل: ٢٥٦/١]: وقد روي هكذا عن علي من وجه آخر.

قلت: رواه ابن جريج عن صالح بن سئد عن نافع بن جبير، عن علي، قال البيهقي: ويقال: إن المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر.

١١- صفة وجه رسول الله ﷺ

وذكر محاسنه من فرقه وجبه وحاجبه وعينه وأنفه وفمه وثناياه وما جرى مجرى ذلك من محاسن طلعه وعياه

قد تقدم قول أبي الطفيل: كان أبيض مليح الوجه، وقول أنس: كان أزهر اللون، وقول البراء وقد قيل له: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ - يعني في صقاله - فقال: لا بل مثل القمر، وقول جابر بن سمرة وقد قيل له مثل ذلك، فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديرًا، وقول الربيع بنت معوذ: لو رأيت لقلت الشمس طالعة. وفي رواية: لرأيت الشمس طالعة.

وقال أبو إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان حجت مع رسول الله ﷺ فسألها عنه فقالت: كان كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال أبو هريرة: كان الشمس تجري في وجهه، وفي رواية: في جبهته.

وقال الإمام أحمد [١٠١/١]: حدثنا عفان وحسن بن موسى قالوا: حدثنا حماد وهو ابن سلمة، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين أهدب الأشعار مشرب العينين بحمرة كث اللحية أزهر اللون شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما يمشي في صعد، وإذا التفت التفت جميعاً» تفرد به أحمد.

وقال أبو يعلى [مسند: ٣٧٠]: حدثنا زكريا بن يحيى الواسطي؛ حدثنا عباد بن العوام، حدثنا الحجاج، عن سالم المكي، عن ابن الحنفية، عن

الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال: «وما يقول أبو كبير؟» قلت يقول:

وُسْيراً من كل غيرة حيفة وفساد مرضعة وداء مُغِيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المنهل
قالت: فوضع رسول الله ﷺ ما كان في يده وقام إلي وقبل بين عيني، وقال: «يا عائشة ما سررت مني كسروري منك».

أبو عبيدة معمر بن المثنى مولا هم البصري أحد أئمة اللغة والأدب وإيام الناس.

قال الجاحظ: كان عالماً بجميع العلوم.

وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني يشي عليه ويصحح روايته.

وقال النراقطي: لا بأس به ولكنه كان متهماً برأي الخوارج وبالإحداث.

وتوفي سنة عشر ومائتين وقد قارب المائة أو أكملها فوالله أعلم وشيخ البخاري لا يُعرف، وإسناد الغزاة إليه أولى من إسنادها إلى أبي عبيدة.

وقال أبو داود الطيالسي [مسنده (٧٦٥)]: حدثنا شعبة، أخبرني سماك، سمعت جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ أشهل العينين منهوس العقب ضليح النعم.

هكذا وقع في رواية أبي داود عن شعبة أشهل العينين، قال أبو عبيد: والشهلة حمرة في سواد العين، والشكلة حمرة في بياض العين.

قلت: وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه (٢٣٣٩) عن أبي موسى ويندر كلاهما عن غندر عن شعبة به. وقال: أشكل العينين، وهذا هو الصواب، ورواه الترمذي (٣٦٤٦) عن أحمد بن منيع عن أبي قلن عن شعبة به، وقال: أشكل العينين، وقال: حسن صحيح.

ووقع في صحيح مسلم تفسير الشكلة بطول أشفار العينين، وهو من بعض الرواة.

وقول أبي عبيد: «إنها حمرة في بياض العين» أشهر وأصح وذلك يدل على القوة والشجاعة والله تعالى أعلم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم عن الزبيدي حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال: كان مفاض الجبين أهدب الأشفار.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو غسان حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن المعجلي حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة التميمي عن الحسن بن علي عن خاله قال: كان رسول الله ﷺ واسع الجبين أرفع الحاجب سوابغ في غير قرْن بينهما عرق يُدعى الغضب، أقى العينين، له نور يعلموه يحبه من لم يتأمله أشم سهل الحندين ضليح النعم أشنب مفلج الأسنان.

وقال يعقوب: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت الزهري، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة عن عمه موسى بن عتبة عن كريب عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أفلج التبتين وكان إذا تكلم رثي كالنور بين ثيابه.

ورواه الترمذي (الشمال ١٤) عن عبد الله بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن المنذر به.

علي كرم الله وجهه أنه سئل عن صفة النبي ﷺ فقال: كان لا قصيراً ولا طويلاً، حسن الشعر رَجُلُهُ مشرباً وجهه حمرة، ضخم الكراديس، شثن الكعنين والقدمين، عظيم الرأس، طويل المسربة، لم أر قبله ولا بعده مثله، إذا مشى تكفأ كأنما يتزل من صيب.

وقال محمد بن سعد [الطبقات ٤١٢/١، ٤١٣] عن الواقدي: حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه، عن جده، عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأتني لأخطب يوماً على الناس وجر من أجبار يهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فلما رأيته قال: صف لنا أبا القاسم، فقال علي: رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل البائن، وليس بالجعد القلط ولا بالبسط، هو رجل الشعر أسوده، ضخم الرأس مشرباً لونه حمرة، عظيم الكراديس، شثن الكعنين والقدمين، طويل المسربة، وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة، أهدب الأشفار، مقرون الحاجبين، صلت الجبين، بعيد ما بين المكيكين إذا مشى تكفأ كأنما يتزل من صيب، لم أر قبله مثله، ولا بعده مثله.

قال علي: ثم سكنت فقال لي الخبر: وماذا؟ وقال علي: هذا ما يحضرن، قال الخبر في عينية حمرة، حسن اللحية، حسن النعم تام الأكتفين، يقبل جيماً ويدبر جيماً، فقال علي: هذه والله صفته، قال الخبر: وماذا؟ قال علي: وما هو؟ قال الخبر: وفيه جَنَأٌ، قال علي: هو الذي قلت لك كأنما يتزل من صيب قال الخبر: فإني أجده هذه الصفة في سفر آبائي ونجدته يعث في حرم الله وأمنه وموضع بيته ثم يهاجر إلى حرم بجرمه هو ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله، ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل غنخل وأهل الأرض قبلهم يهود، قال علي: هو هو، وهو رسول الله ﷺ، قال الخبر: فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله ﷺ إلى الناس كافة فعلى ذلك أحيأ وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله.

قال: فكان يأتي علياً فيعلمه القرآن ويغيره بشرائع الإسلام، ثم خرج علي والخبر من منالك حتى مات في خلافة أبي بكر وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصلق به.

وهذه الصفة قد وردت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من طرق متعددة سيأتي ذكرها.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده قال: سئل أو قيل لعلي: أنعت لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مشرباً بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أهدب الأشفار.

قال يعقوب: وحدثنا عبد الله بن مسلمة وسعيد بن منصور قالوا: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفيرة، عن إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال: كان في الوجه تدوير أبيض أدمع العينين أهدب الأشفار.

قال الجوهري: الدمع شدة سواد العين مع ستمها.

حديث آخر: روى الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى في كتابه «مسانيد الشعر» من طريق البخاري في التاريخ أنه قال: «حدثنا عمرو بن محمد الربيعي حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى، حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت قاعدة أغزل، وكان رسول الله ﷺ يخصف نعله قالت: فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً. قالت: فبهت. قالت: فنظر إلي فقال: «ما لك يا عائشة؟» قالت: قلت: يا رسول

إلى زمزم، فجلسنا إليه فينا نحن عنده إذا أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وفرة جملة إلى أنصاف أذنيه أقى الأنف براق الثنايا أدهج العينين كثر اللحية دقيق المسرة شثن الكفين والقدمين عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر.

وذكر تمام الحديث بطوافه عليه الصلاة والسلام باليت وصلاته عنده هو وخديجة وعلي بن أبي طالب، وأنهم سألو العباس عنه فقال: هذا هو ابن أخي محمد بن عبد الله وهو يزعم أن الله أرسله إلى الناس.

وقد ثبت في الصحيحين [ج (٤١٩)، م (٤٢٥)، (١١٠)، (١١١)] عن أنس قال: «إني أراكم من وراء ظهري». فقال بعض العلماء: يعني يعني قلبه. حتى فسر بعضهم قوله تعالى: «وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ» [الشعراء: ٢١٩] بذلك وهذا التفسير ضعيف.

وقال آخرون: بل كان هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه كان ينظر من ورائه كما ينظر أمامه. وقد نص على ذلك الحافظ أبو زرعة الرازي في كتابه [دلائل النبوة] فرب به عليه وأورد الأحاديث الواردة في ذلك من طريق ثابت وحيد وعبد العزيز بن صهيب وقادة كلهم عن أنس فذكره.

قال: وحديثنا علي بن الجعد حديثنا ابن أبي ذئب عن عجلان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأنظر إلى ما ورائي كما أنظر إلى ما بين يدي فأتقيوا صفوكم وأحسنوا ركوعكم وسجودكم».

وحلفنا سعيد بن سليمان حديثنا أبو أسامة، حديثنا الوليد بن كثير عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكر حديثنا فيه أن رسول الله ﷺ قال: «إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي» [م (٤٢٣)].

ورواه من طريق محمد بن إسحاق عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة بمثله.

وهو في الصحيحين [ج (٤١٨)، م (٤٢٤)] من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قلبي ههنا، فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم ولا سجودكم إني أراكم من وراء ظهري».

ثم روى الحميدي [مسنده (٩٦٢)] عن سفيان عن داود بن سابور وحيد الأعرج وابن أبي نجيح عن مجاهد «وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ» قال: كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه في الصلاة كما يرى من بين يديه.

ثم روى عن عمرو بن عثمان الحمصي وغيره عن بقة، حديثنا حبيب بن أبي موسى وهو ابن صالح قال: كان لرسول الله ﷺ عيشان في قفاه يصر بهما من ورائه.

وهذا غريب جداً.

وقال الإمام أحمد (٣١١/١، ٣١٢): حديثنا محمد بن جعفر، حديثنا عوف بن أبي جيلة، عن يزيد الفارسي قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم في زمن ابن عباس قال: وكان يزيد يكتب المصاحف، قال: فقلت لابن عباس: إني رأيت رسول الله ﷺ في النوم، قال ابن عباس: فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي؛ فمن رأي في النوم فقد رأي» فهل تستطيع أن تمت لنا هذا الرجل الذي رأيته؟ قال: قلت: نعم، رأيته رجلاً بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، حسن المصحك، أكحل العينين، جميل دائرة الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه، حتى كادت تملأ نحره. قال عوف: لا أدري ما كان مع هذا من النعت، قال: فقال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت

وقال يعقوب بن سفيان: حديثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حديثنا عباد بن حجاج عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كنت إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ قلت: أكحل العينين وليس بأكحل، وكان في ساقَي رسول الله ﷺ حوشة وكان لا يضحك إلا تبسماً.

وقال الإمام أحمد (١٢٧/١): حديثنا وكيع، حديثنا جمع بن يحيى عن عبد الله بن عمران الأنصاري عن علي والمعوذ بن عثمان بن عبد الله بن هرمز عن نافع بن جبير عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل ضخم الرأس واللحية شثن الكفين والقدمين والكرايس مشرباً وجهه حمرة طويلة المسرة إذا مشى تكفأ تكفأ يتقلع من صخر لم أر قبله ولا بعده مثله.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٥٩/٣، ٢٦٠]: وقد رواه عبد الله بن داود الحريزي عن مجمع فادخل بين ابن عمران وبين علي رجلاً غير مسمى.

ثم أسند من طريق عمرو بن علي الفلاس عن عبد الله بن داود حديثنا مجمع بن يحيى الأنصاري عن عبد الله بن عمران عن رجل من الأنصار قال: سألت علي بن أبي طالب وهو محتب بحمالة سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض اللون مشرباً حمرة أدهج العينين سبط الشعر دقيق المسرة سهل الخد كثر اللحية ذا وفرة كان عقه إيريق فضة له شعر يجري من لثته إلى سترته كالغصيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره شثن الكفين والقدمين إذا مشى تكفأ يتقلع من صخر وإذا التفت التفت جميعاً ليس بالطويل ولا بالقصير ولا العاجز ولا اللام كان عرقه في وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر لم أر مثله قبله ولا بعده.

وقال يعقوب بن سفيان، حديثنا سعيد بن منصور: حديثنا نوح بن قيس الحنظلي، حديثنا خالد بن خالد التميمي عن يوسف بن مازن المازني أن رجلاً قال لعلي: يا أمير المؤمنين اتعت لنا رسول الله ﷺ، قال: كان أبيض مشرباً حمرة ضخمة الهامة أغر أبلج أهدب الأشفا.

وقال الإمام أحمد (١٣٤/١): حديثنا أسود بن عامر، حديثنا شريك، عن ابن عمير قال شريك: قلت له: عنن يا أبا عمير عن حديثه قال: عن نافع بن جبير عن أبيه عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ضخمة الهامة مشرباً حمرة شثن الكفين والقدمين ضخمة اللحية طويلة المسرة ضخمة الكرايس يمشي في صلب تكفأ في المشية. لا قصير ولا طويل لم أر قبله مثله ولا بعده.

وقد روي لهذا شواهد كثيرة عن علي، وروي عن عمر نحوه. وقال الواقدي: حديثنا بكير بن سمارة عن زياد مولى سعد قال: سألت سعد بن أبي وقاص: هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: لا ولا هم به، كان شيبه في عُنُقته وناصيته لو أشاء أن أعدوا لعدتها. قلت: فما صفته؟ قال: كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالأدم ولا بالبسط ولا بالقطط، وكانت لحيته حسنة، وجهه صلتاً مشرباً بحمرة، شثن الأصابع، شليد سواد الرأس واللحية.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حديثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حديثنا يحيى بن حاتم العسكري، حديثنا بشر بن مهران، حديثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: إن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ قنعت مكة في عمومة في فارشلونا إلى العباس بن عبد المطلب فاتبتها إليه، وهو جالس

أن تتمتع فوق هذا.

وقال أبو زرعة الرازي في كتاب «دلائل النبوة» باب من ذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلم رثي النور من بين ثناياه حدثنا إبراهيم بن المنذر بن عبد الله الحزامي حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم ابن أخي موسى بن عقبة عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا تكلم رثي النور من ثناياه.

إسناد جيد.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري قال: سئل أبو هريرة عن صفة رسول الله ﷺ فقال: أحسن الصفة وأجملها كان رمة إلى الطول أقرب ما هو بعد ما بين المتكئين أسيل الخدين، شلبد سواد الشعر، أكحل العين، أهدب الأشفار، إذا وطئ قدمه وطئ بكلها، ليس لها أخص إذا وضع رءاه على منكبيه فكانه سيكة فضة، وإذا ضحك كاد يتلألأ في الجفد، لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقد رواه محمد بن يحيى من وجه آخر متصل قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم - يعني الزبيدي - حدثني عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة فذكر نحوه ما تقدم.

ورواه الذهلي عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل عن صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر، مفاض البطن، عظيم مناش المتكئين، يطأ قدمه جيماً، إذا أقبل أقبل جيماً، وإذا أدبر أدبر جيماً. ورواه الواقدي: حدثنا عبد الملك عن سعيد بن عبيد بن السباق عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ شثن القدمين والكفين ضخم الساقين عظيم الساعدين ضخم العضدين والمتكئين بعيد ما بينهما، رحب الصدر، رجل الرأس، أهدب العينين، حسن الفم، حسن اللحية، تام الأذنين، ربة من القوم، لا طويلاً ولا قصيراً، أحسن الناس لوناً، يقبل معاً ويدبر معاً، لم أر مثله ولم أسمع بمثله.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٢٤٨/١): أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثنا أبو الحسن المحمودي المروزي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي الحافظ، حدثنا محمد بن المنثري، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا حرب بن سريج، صاحب الخفافان، حدثني رجل من بلعونة حدثني جدي قال: انطلقت إلى المدينة... فذكر الحديث في رؤية رسول الله ﷺ قال: فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجفم، دقيق الأنف دقيق الحاجبين وإذا من لدن غمره إلى سرتة كالخط المملود شعره ورائته بين طمرين فدنا مني وقال: «السلام عليك».

١٢- ذكر شعره

قد ثبت في الصحيحين [ج (٣٥٥٨)، م (٢٣٣٦)] من حديث الزهري عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه شيء» وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فسئل رسول الله ﷺ ثم فرق بعد.

وقال الإمام أحمد (٢١٥/٣): حدثنا حماد بن خالد، حدثنا مالك، حدثنا زياد بن سعد، عن الزهري، عن أنس: (أن رسول الله ﷺ سدل

ناصيته ماشاً أن يسدل ثم فرق بعد.

تفرد به من هذا الوجه.

وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت: أنا فرقت لرسول الله ﷺ رأسه صعدت فرقه عن يافوخه وأرسلت ناصيته بين عينيه [ج (٤١٨٩) من طريق ابن إسحاق، ٥].

قال ابن إسحاق: وقد قال لي محمد بن جعفر بن الزبير وكان فقيهاً مسلماً: ما هي إلا سيما من سيما الأنبياء، تمسكت بها النصارى من بين الناس.

وثبت في الصحيحين [ج (٥٩٠١)، م (٢٣٣٧) (٩٢)] عن البراء. أن رسول الله ﷺ كان يضرب شعره إلى منكبيه.

وجاء في الصحيح عنه [ج (٣٥٥١)، م (٢٣٣٧) (٩١)] وعن غيره [ج (٢٣٣٨) (٩٦)] من حديث أنس إلى أنصاف أذنيه.

ولا منافاة بين الحالين، فإن الشعر تارة يطول وتارة يقصر منه فكل حكي بحسب ما رأى.

وقال أبو داود (٤١٨٧): حدثنا ابن نفل، حدثنا ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجملة».

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام خلق رأسه في حجة الوداع. وقد مات بعد ذلك بأحد وثمانين يوماً صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن مسلمة ويحيى بن عبد الحميد قالوا: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قالت أم هانئ: «قدم النبي ﷺ مكة قلعة وله أربع غلائر - تعني ضفائر - ورواه الترمذي [١٧٨١] من حديث سفيان بن عيينة».

وثبت في الصحيحين [ج (٣٥٤٧)، م (٢٣٤٧)] من حديث ربيعة عن أنس قال بعد ذكره شعر رسول الله ﷺ: «إنه ليس بالسيط ولا بالفظط» قال: «فوتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء».

وفي صحيح البخاري (٥٨٩٤) من حديث أيوب عن ابن سيرين أنه قال: «قلت لأنس أخضب رسول الله ﷺ؟ قال: إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً».

وكذا روى هو (٥٨٩٥) ومسلم (٢٣٤١) (١٠٢) من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت: «قيل لأنس: هل كان شاب رسول الله ﷺ؟ فقال: ما شأنه الله بالشيب ما كان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة».

وعند مسلم (٢٣٤١) (١٠٤) من طريق المنثري بن سعيد عن قتادة عن أنس: (أن رسول الله ﷺ لم يختضب إنما كان شمس عند العتقة يسيراً، وفي الصدغين يسيراً، وفي الرأس يسيراً).

وقال البخاري (٣٥٥٠): حدثنا أبو نعيم، حدثنا همام عن قتادة قال: سألت أنساً: هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: لا إنما كان شيء في صدغيه.

وروى البخاري (٣٥٤٦) عن عصام بن خالد عن حريز بن عثمان قال: قلت لعبد الله بن بسر السلمي: رأيت رسول الله ﷺ أكان شيخاً؟ قال: كان في عفتة شعرات بيض.

وتقدم عن جابر بن سمرة مثله، وفي الصحيحين [ج (٣٥٤٥)، م

وفي رواية إسحاق رأيت شبيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شجرة بيضاء في مقلعه.

قال البيهقي [الدلائل: ٢٣٩/١]: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن سلمان الفقيه، حدثنا هلال بن العلاء الرقي، حدثنا حسين بن عياش الرقي، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل قال: قدم أنس بن مالك المدينة وعمر بن عبد العزيز وال عليها، فبعث إليه عمر وقال للرسول: سله هل غضب رسول الله ﷺ؟ فلاني رأيت شعراً من شعره قد لَوْن؟ فقال أنس: إن رسول الله ﷺ قد شُع بالسواد ولو عدت ما أقبل علي من شية في رأسه ولحيته ما كنت لأزيدهن على إحدى عشرة شية وإنما هو الذي لون من الطيب الذي كان يطيب به شعر رسول الله ﷺ هو الذي غير لونه.

قلت: ونفي أنس للغضب معارض بما تقدم عن غيره من إثباته، والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي لأن المبت مع زيادة علم ليست عند الثاني. وهكذا إثبات غيره لأزيد مما ذكر من الشيب مقدم لا سيما عن ابن عمر الذي المظنون أنه تلقى ذلك عن أخته أم المؤمنين حفصة، فإن اطلاعها أتم من اطلاع أنس لأنها ربما فلتت رأسه الكريم عليه الصلاة والسلام.

١٣- ما ورد في منكبته وساعديه

إبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ

قد تقدم ما أخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيداً ما بين المنكبين.

وقال الزبيدي عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ بعيداً ما بين المنكبين.

وروي البخاري (٥٩٠٧) وفيه عنده «ضخم البدين» و«بسط الكفين»

عن أبي النعمان عن جرير عن قتادة عن أنس قال: كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين سبط الكفين؛ وتقدم من غير وجه أنه عليه الصلاة والسلام كان شثن الكفين والقدمين.

وفي رواية، ضخم الكفين والقدمين.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا آدم وعاصم بن علي قالوا: حدثنا ابن أبي ذئب؛ حدثنا صالح مولى التوأمة قال: كان أبو هريرة ينعت رسول الله ﷺ قال: كان شثن الذراعين بعيداً ما بين المنكبين، أهدب أشفار العينين.

وفي حديث نافع بن جبير عن علي قال: كان رسول الله ﷺ شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس طويل المسرة.

وتقدم في حديث حجاج عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كان في ساق رسول الله ﷺ حوشة أي لم يكونا ضخمين.

وقال سراقه بن جعشم: فنظرت إلى ساقه، وفي رواية قدميه في الفُرَز - يعني الركاب - كأنهما جُمارة أي جمارة النخل من بياضهما.

وفي صحيح مسلم [٢٣٩٩] عن جابر بن سمرة: كان ضليح القدم - وفسره بأنه عظيم القدم - أشكل العينين - وفسره بأنه طويل شق العينين - منهوس العقب، وفسره بأنه قليل لحم العقب. وهذا أنسب وأحسن في حق الرجال.

(٢٣٤٢) (١٠٦) من حديث أبي إسحاق عن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ هذه مته بيضاء - يعني عفتته -.

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن عثمان عن أبي حمزة السكري، عن عثمان بن عبد الله بن موهب القرشي قال: دخلنا على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر رسول الله ﷺ وإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكتم.

رواه البخاري [٥٨٩٧] عن موسى بن إسماعيل عن سلام بن أبي مطيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن أم سلمة به.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٣٩/١]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصفاني، حدثنا يحيى بن أبي بكر، حدثنا إسرائيل عن عثمان بن موهب قال: كان عند أم سلمة جلجل من فضة ضخم فيه من شعر رسول الله ﷺ فكان إذا أصاب إنساناً الحمى بعث إليها فحوضضته فيه ثم يضحى الرجل على وجهه، قال: فبعثني أهلي إليها فأخرجته، فإذا هو هكذا - وأشار لإسرائيل بثلاث أصابع - وكان فيه خمس شعرات حمراء.

رواه البخاري [٥٨٩٦] عن مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن عثمان، به.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو نعيم حدثنا عبيد الله بن زياد، حدثني زياد عن أبي رمة قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ فلما رأيته قال: هل تدري من هذا؟ قلت: لا قال: «إن هذا رسول الله ﷺ، فاقشعرت حين قال ذلك، وكنت أظن أن رسول الله ﷺ شيء لا يشبه الناس، فإذا هو بشر ذو وفرة بها ردة من حناه، وعليه بردان أخضران.

ورواه أبو داود [٤٠٦٥، ٤٢٠٦] والترمذي [٢٨١٢] والنسائي [١٥٧١] من حديث عبيد الله بن زياد بن لقيط عن أبيه عن أبي رمة واسمه حبيب بن حيان، ويقال رفاعة بن يثري، وقال الترمذي: غريب لا تعرفه إلا من حديث ابن زياد. كذا قال!

وقد رواه النسائي [٤٨٤٧، ٥٠٩٩] أيضاً من حديث سفيان الثوري وعبد الملك بن عمير كلاهما عن زياد بن لقيط به ببعضه.

ورواه يعقوب بن سفيان أيضاً عن محمد بن عبد الله المخرمي عن أبي سفيان الحميري عن الضحاك بن حمزة عن غيلان بن جامع عن زياد بن لقيط عن أبي رمة قال: كان رسول الله ﷺ يخضب بالحناء والكتم، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبته.

وقال أبو داود [٤٢١٠]: حدثنا عبد الرحيم بن مطرف أبو سفيان، حدثنا عمرو بن محمد، أخبرنا ابن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبس الثعالب السبية ويصفر لحيته بالورس والزعفران، وكان ابن عمر يفعل ذلك.

ورواه النسائي [٥٢٥٩] عن عتبة بن عبد الرحيم المروزي عن عمرو بن محمد العتري، به.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٢٣٨/١، ٢٣٩]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ: حدثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم، حدثنا يحيى بن آدم، (ح) وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا يعقوب بن سفيان، حدثني أبو جعفر محمد بن عمر بن الوليد الكندي الكوفي، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا شريك عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: كان شبيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شجرة.

وقال الزبيدي عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ ربعة وهو إلى الطول أقرب، وكان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، لم أر قبله ولا بعده مثله.

وثبت في البخاري (٣٥٦١) من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: ما مست يدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً البين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ورواه مسلم (٢٣٣٠) (٨١) من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس به.

ورواه مسلم (٢٣٣٠) (٨٢) أيضاً من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كان عرق اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مست حريراً ولا ديباجاً البين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ.

وقال أحمد (١٠٧٣) حديث ابن أبي عدي، حدثنا حميد عن أنس قال: ما مست شيئاً قط خراً ولا حريراً البين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال يعقوب بن سفيان: أخبرنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد - وأخرجه البيهقي (الدلائل: ٢٥١/١) من حديث أحمد بن حازم بن أبي غرزة عنه، قال: حدثنا أسباط بن نصر عن سماك عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولداً فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي فوجدت فيه برأ وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار.

ورواه مسلم (٢٣٢٩) عن عمرو بن حماد به نحوه.

وقال أبو زهرة الرازي: حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو ثميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال: كنت أصابح النبي ﷺ أو أمس جلدي جلده فأتعرفه في يدي بعدما نأثت أطيب رائحة من المسك.

وقال الإمام أحمد (٣٠٩/٤): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة وحجاج، أخبرني شعبة عن الحكم سمعت أبا جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهجرة إلى البطحاء فتوضأ وصلى الظهر وكعنتين وبين يديه عترة، زاد فيه عون عن أبيه: يمر من ورائها الحمار والمرأة.

قال حجاج في الحديث: ثم قام الناس فجعلوا يأخذون يده فيمسحون بها وجوههم، قال: فأتخذت يده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك.

وهكذا رواه البخاري (٣٥٥٣)، دون ذكر «الحمارة» عن الحسن بن منصور عن حجاج بن محمد الأور عن شعبة فذكر مثله سواء. وأصل الحديث في الصحيحين [ج (١٨٧)، ٣٧٦]، م (٥٠٣) أيضاً.

وقال الإمام أحمد (١٦١/٤): حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام بن حسان وشعبة وشريك وشعبة عن يعلى بن عطاء، عن جابر بن يزيد، عن أبيه - يعني يزيد بن الأسود - قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر بمنى، فأعترف فرأى رجلين من وراء الناس، فدعا بهما فجاء بهما ترعدا فرائصهما، فقال: «فامنعكما أن تصليا مع الناس؟» قالا: يا رسول الله إنا كنا قد صلبنا في الرجال، قال: «فلا تفعلوا إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه فإنها له نافلة» قال: فقال أحدهما:

وقال الحارث بن أبي أسامة: حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنا حميد، عن أنس قال: أخذت أم سلمة يدي مقدم رسول الله ﷺ المدينة فقالت: يا رسول الله هذا أنس غلام كاتب يملكك، قال: فخلعته تسع سنين فما قال شيء صنعت: أسأت، ولا بش ما صنعت؛ ولا مسيت شيئاً قط خراً ولا حريراً البين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ.

وهكذا رواه معتمر بن سليمان وعلي بن عاصم وسروان بن معاوية الفزاري وإبراهيم بن طهمان، كلهم عن حميد، عن أنس في لين كفه عليه الصلاة والسلام، وطيب رائحته صلاة الله وسلامه عليه.

وفي حديث الزبيدي عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يطا بقدمه كلها ليس لها إخص. وقد جاء خلاف هذا كما سيأتي. وقال يزيد بن هارون: حدثني عبد الله بن يزيد بن مقسم قال: حدثني عمي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قال: رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقته وأنا مع أبي ويبد رسول الله ﷺ درة كسرة الكتاب فلما منه أبي فأخذ بقدمه فأقر له رسول الله ﷺ قالت: فما نسيت طول أصبح قدمه السبابة على سائر أصابعه.

ورواه الإمام أحمد (٣٦٦/٦) عن يزيد بن هارون مطولاً.

ورواه أبو داود (٢١٠٣)، (٣٣١٤) من حديث يزيد بن هارون ببعضه. وعن أحمد بن صالح عن عبد الرزاق عن ابن جريح عن إبراهيم بن ميسرة عن خثلة عنها بنحوه.

ورواه ابن ماجه (٢١٣١) من وجه آخر عنها والله أعلم.

وقال البيهقي (الدلائل: ٢٤٨/١): أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا محمد بن إسحاق أبو بكر، حدثنا سلمة بن حفص السعدي، حدثنا يحيى بن الإيمان، حدثنا إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كانت إصبع لرسول الله ﷺ تختصره من رجله متظاهرة.

وهذا حديث غريب

١٤ - صفة قوامه ﷺ وطيب رائحته

في صحيح البخاري (٣٥٤٧) من حديث ربيعة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير.

وقال أبو إسحاق عن البراء: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير.

أخرجاه في الصحيحين [ج (٣٥٤٩)، م (٢٣٣٧)] (٩٣).

وقال نافع بن جبير عن علي: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال سعيد بن منصور عن خالد بن عبد الله عن عبيد الله، بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى الطول أقرب، وكان عرقه كاللؤلؤ، الحديث.

وقال سعيد عن نوح بن قيس عن خالد بن خالد التميمي عن يوسف بن مازن الراسبي عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالناهب طولاً وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم وكان عرقه في وجهه كاللؤلؤ، الحديث.

استغفر لي يا رسول الله، فاستغفر له. قال: ونهض الناس إلى رسول الله ﷺ ونهضت معهم، وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلده، قال: فما زلت أرحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بيده فوضعتها إما على وجهي أو صدري، قال: فما وجدت شيئاً طيباً ولا أبرد من يد رسول الله ﷺ، قال: وهو يومئذ في مسجد الحيف.

ثم رواه أيضاً [المسند: ١٦١/٤] عن أسود بن عامر وأبي النضر عن شعبة عن يعلى بن عطاء سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه أنه صلى مع رسول الله ﷺ الصبح... فذكر الحديث قال: ثم ثار الناس يأخذون بيده مسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فمسحت بها وجهي، فوجدتها أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك.

وقد رواه أبو داود [٥٧٥، ٥٧٦] من حديث شعبة والترمذي [٢١٩] والنسائي [٨٥٧] من حديث هشيم عن يعلى به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٣١٥/٤]: حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن عبد الجبار بن وائل بن حجر قال: حدثني أهلي عن أبي قال: أتى رسول الله ﷺ ببلو من ماء فشرب منه ثم مع في الدلو ثم صب في البئر، أو شرب من الدلو ثم مع في البئر، ففاح منها ريح المسك.

وهكذا رواه البيهقي [الدلائل: ٢٥٧/١] من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي نعيم وهو الفضل بن دكين به.

وقال الإمام أحمد [١٣٧/٣]: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم أهل المدينة بآبئتهم فيها الماء فما يؤتى يئانه إلا غمس يده فيها فرمما جازوه في الغداة الباردة فيمس يده فيها.

ورواه مسلم [٢٣٤/٤] (٧٤) من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم به.

وقال الإمام أحمد [٢٢١/٣]: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي سلمة الماشجور - عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأثبت قفيل لها: هذا رسول الله نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيكتها فجعلت تشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال: «ما تصنعين يا أم سليم؟» فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياتنا، قال: «أصب». ورواه مسلم [٢٣٣/١] (٨٤) عن محمد بن رافع عن حجين به.

وقال أحمد [١٣١/٣]: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس قال: أدخل علينا رسول الله ﷺ، فقال علينا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلك العرق فيها، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك لجعله في طيننا وهو من أطيب الطيب.

ورواه مسلم [٢٣٣/١] (٨٣) عن زهير بن حرب عن أبي النضر هاشم بن القاسم به.

وقال أحمد [٢٣١/٣]: حدثنا إسحاق بن منصور - يعني السلولي - حدثنا عمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال: (كان رسول الله ﷺ يقيظ عند أم سليم، وكان من أكثر الناس عرقاً فاتخذت له نطعاً وكان يقيظ عليه وخطت بين رجله خطاً وكانت تشف العرق فتأخذ به فقال: «ما

هذا يا أم سليم؟» قالت: عرقك يا رسول الله أجعله في طيبي، قال: فدعا لها بدعاء حسن.

تفرد به أحد من هذا الوجه.

وقال أحمد [٢٣٠/٣]: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا حميد عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي بيت أم سليم فينام على فراشها وليست أم سليم في بيتها فتأتي فتجده نائماً وكان رسول الله ﷺ إذا نام ذف عرقاً، فتأخذ عرقه بقطنة في قارورة، فتجعله في مسكها، وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أحد منهما.

وقال البيهقي [الدلائل: ٢٥٨/١]: أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عمرو المقرئ، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وقال مسلم [٢٣٣/٢] (٨٥): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدثنا عفان، ثنا وهيب حدثنا أيوب عن أبي أيوب عن أنس عن أم سليم أن رسول الله ﷺ كان يأتيها فيقبل عندها فيقبض له نطعاً فيقبل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقراري فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم ما هذا؟» فقالت: عرقك أثوف به طيبي.

لفظ مسلم.

وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده [٦٢٩٥]: حدثنا بشر، حدثنا حليس بن غالب، حدثنا سفيان الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنني زوجت ابنتي، وأنا أحب أن تعتني بشيء، قال: «ما عندي شيء ولكن إذا كان غد فتأتي بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية بيني وبينك أن تدق ناحية الباب»، قال فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة. قال: فجعل يسلك العرق من فرائجه حتى امتلأت القارورة، قال: «فخذها، ومر ابنتك أن تنمس هذا العود في القارورة وتطيب به»، قال: فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيوت المطيين.

هذا حديث غريب جداً.

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار (كشف الاستار [٢٤٧٨]): حدثنا محمد بن هشام، حدثنا موسى بن عبد الله، حدثنا عمر بن سعيد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله ﷺ في هذا الطريق.

وقد رواه أبو زرعة الرازي في دلائل النبوة من حديث عمر بن سعيد الأديع عن سعيد عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر في طريق من طرق المدينة وجد من ذلك الطريق رائحة المسك فيقولون: مر رسول الله ﷺ اليوم من هذا الطريق.

ثم قال: وهذا الحديث رواه أيضاً معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يعرف بريح الطيب.

قلت: كان رسول الله ﷺ طيباً وريحه طيب و كان مع ذلك يحب الطيب أيضاً.

قال الإمام أحمد [١٩٩/٣]: حدثنا أبو عبيدة عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال: «حب إلي النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة».

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا سلام أبو المنذر القارئ عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «إني أحب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة» [المسند: ١٢٨/٣].

وهكذا رواه النسائي [٣٩٤٩] بهذا اللفظ عن الحسين بن عيسى

اليمنى أو اليسرى.

وقد رواه مسلم (٢٣٤٦) (١١٢) من حديث حماد بن زيد وعلي بن مسهر وعبد الواحد بن زياد ثلاثهم عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً أو قال: ثريداً، فقلت: يا رسول الله غفر الله لك، قال: «فولك»، فقلت له: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ قال نعم ولكم؛ ثم تلا هذه الآية «وَأَسْتَغْفِرُ لَنْفْسِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [محمد: ١٩] قال: ثم دوت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كفيه عند نفخ كفه اليسرى جُمعاً عليه خيلان كأمثال التاكيل.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند: (١٠٧١)]: حدثنا قرة بن خالد، حدثنا معاوية بن قرة، عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرني الخاتم، فقال: «ادخل بذلك»، فادخلت يدي في جُربانه فجعلت ألس أنظر إلى الخاتم فإذا هو على نفخ كفه مثل البيضة فما منعه ذلك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جُربانه.

ورواه النسائي (٨٣٠٧) وكروى عن أحمد بن سعيد عن وهب بن جرير عن قرة بن خالد به.

وقال الإمام أحمد (٢٦٣/٤، ٢٢٦/٢): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن إباد بن لقيط السدوسي عن أبي رمة التيمي قال: خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله ﷺ فرايت برأسه رُفْعُ حناء ورايت على كفه مثل التفاحة فقال لي: إني طيب أفلا أبطلها لك، قال: «طيبها الذي خلقها»، قال: وقال لأبي: «هذا ابتك؟» قال: نعم قال: «أما إنه لا ينجي عليك ولا نجني عليه».

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبيد الله بن إباد حدثني أبي ربيعة أرومة، قال: (انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ، فنظر إلى مثل السلعة بين كفيه فقال: يا رسول الله إني كاطب الرجال أفأعالجها لك؟ قال: «لا، طيبها الذي خلقها».

قال البيهقي (الذلال: ٢٦٥/١): وقال الثوري عن إباد بن لقيط في هذا الحديث: فإذا كفه مثل التفاحة، وقال عاصم بن بهذلة عن أبي رمة: فإذا في نفخ كفه مثل برة البعير أو بيضة الحمامة.

ثم روى البيهقي (الذلال: ٢٦٦/١) من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي، عن سلمان الفارسي، قال: أتيت رسول الله ﷺ فالتقى رداءه وقال: يا سلمان انظر إلى ما أمرت به، قال: فرأيت الخاتم بين كفيه مثل بيضة الحمامة.

وروى يعقوب بن سفيان، عن الحميدي، عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن سعيد بن أبي راشد، عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتيوك، فذكر الحديث كما قدمناه في غزوة تيوك إلى أن قال: فحل حبوته عن ظهره ثم قال: ههنا امض لما أمرت به، قال: فجعلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحمضة الضخمة.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن ميسرة، حدثنا عتاب سمعت أبا سعيد يقول: الخاتم الذي بين كفي النبي ﷺ لحمة ناتئة.

وقال الإمام أحمد (٦٩/٣): حدثنا سريج، حدثنا أبو ليلى عبد الله بن ميسرة الخراساني عن غياث البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الحنفي بالمدينة فسأته عن خاتم رسول الله ﷺ الذي كان بين كفيه، فقال بإصبعه السبابة هكذا لحم ناشئ بين كفيه ﷺ.

تفرد به أحمد من هذا الوجه. حديث غريب جداً رواه أبو حاتم محمد

القومسي عن عفان بن مسلم عن سلام بن سليمان أبي المنذر القاري البصري عن ثابت عن أنس فذكره.

وقد روي من وجه آخر بلفظ: «حب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة».

وليس بمحفوظ بهذا فإن الصلاة ليست من أمور الدنيا وإنما هي من أهم شؤون الآخرة والله أعلم.

١٥- صفة خاتم النبوة الذي بين كفيه

صلوات الله وسلامه عليه

قال البخاري (٣٥٤١): حدثنا محمد بن عبيد الله، حدثنا حاتم عن الجعيد قال: سمعت السائب بن يزيد يقول: «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن اختي وقَّعَ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كفيه مثل زر الحجلة».

وهكذا رواه مسلم (٢٣٤٥) (١١١) عن قتيبة وعمد بن عباد كلاهما عن حاتم بن إسمايل به.

ثم قال البخاري (٣٥٤١) [الرح: (٣٥٤١)]: الحجلة من حُجَل الفرس الذي بين عينيه.

وقال إبراهيم بن حمزة: مثل زر الحجلة قال أبو عبد الله: الرُّزُّ الرءاء قبل الزاي.

وقال مسلم (٢٣٤٤) (١٠٩): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول الله ﷺ قد شطط مقدم رأسه وحيته، وكان إذا ادمن لم يتبين وإذا شمت رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستلياً، ورايت الخاتم عند كفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده.

حدثنا محمد بن الحنفى حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سماك سمعت جابر بن سمرة قال: رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام (٢٣٤٤) (١١٠).

وحدثنا ابن غير، حدثنا عبد الله بن موسى، حدثنا حسن بن صالح عن سماك بهذا الإسناد مثله (٢٣٤٤) (١٠٠). وقال الإمام أحمد (٨٢/٥): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن عبد الله بن سرجس قال: ترون هذا الشيخ - يعني نفسه - كلمت نبي الله ﷺ وأكلت معه ورايت العلامة التي بين كفيه وهي في طرف نفخ كفه اليسرى كأنه جمع يعني الكف المجتمع، وقال بيده قبضها) عليه خيلان كهيئة التاكيل.

وقال أحمد (٨٢/٥): حدثنا هاشم بن القاسم وأسود بن عامر قالوا: حدثنا شريك عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت رسول الله ﷺ وسلمت عليه وأكلت من طعامه وشربت من شرابه ورايت خاتم النبوة، قال هاشم: في نفخ كفه اليسرى كأنه جمع فيه خيلان سود كأنها التاكيل.

ورواه [المسند: ٨٢/٥ مطوَّلاً] عن غندر عن شعبة عن عاصم عن عبد الله بن سرجس فذكر الحديث وشك شعبة في أنه هو في نفخ الكتف

خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقد روى هذا الحديث الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الغريب (غريب الحديث: ٣٠٩/٢).

ثم روى عن الكسائي والأصمعي وأبي عمرو تفسير غريبه، وحاصل ما ذكره عما فيه غرابة:

أن المظهر هو المثلَى الجسم، والمكثم شديداً لتدوير الوجه، يعني لم يكن بالسمين الناعم.

ولم يكن ضيفاً بل كان بين ذلك، ولم يكن وجهه في غاية التدوير بل فيه سهولة، وهي أحلى عند العرب ومن يعرف.

وكان أبيض مشرباً حمرة وهي أحسن اللون، ولهذا لم يكن أمهق اللون. والأدمع هو شديد سواد الحدقة.

وجليل المشاش: هو عظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والكتفين، والكند الكاهل وما يليه من الجسد.

وقوله: شثن الكفين أي: غليظهما.

وتقلع في مثنيته، أي شديد المشية، وتقدم الكلام على الشكلة والشهولة والفرق بينهما، والأهدب طويل أشفار العين.

وجاء في حديث أنه كان شيخ النواصب، يعني غليظهما والله تعالى أعلم.

حديث أم معبد في ذلك:

قد تقدم الحديث بشامه في الهجرة من مكة إلى المدينة حين ورد عليها رسول الله ﷺ معه أبو بكر ومولا عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلي، فسألوا: هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً، وقالت: لو كان عندها شيء ما أعوزكم القرى وكانوا محملين فنظر إلى شاة في كسر خيمتها فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» فقالت: خلفها الجهد، فقال: «أتأذنين أن أحلبها؟» فقالت: إن كان بها حلب فاحلبها، فدعا بالشاة فمسحها وذكر اسم الله؛ فذكر الحديث في حلبه منها ما كناهم أجمعين ثم حلبها وترك عندها أنماها ملأى وكان يُرضى الرهط، فلما جاء بهلها استنكر اللبن وقال: من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة في البيت والشاة عازب؟ فقالت: لا والله إلا إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، فقال: صفه في فوالله إنني لأراه صاحب قریش الذي تطلب فقالت: رأيت رجلاً طاهر الوضوء حسن الخلق، مليح الوجه، لم تعبه ثُجْلة، ولم تُزِرْ به صملة، قسيم وسيم، في عينيه دُخْج، وفي أشفاره وَطَق، وفي صوته صَحْل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، في عنقه سَطَع، وفي لحته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فَضْل لا نزر ولا مَنَزْر، كان منطق خريزات نظم ينحدرون، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشتهو عين من طول، ولا تقنحمة عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدًا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وأن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود، لا عابس ولا مفند. فقال بهلها: هذا والله صاحب قریش الذي تطلب، ولو صادفته لالتصمت أن أصحبه، ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا. قال:

وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعون ولا يرون من يقوله وهو يقول:

بن حاتم بن حبان البستي في صحيحه (الإحسان: ٦٣٠٢) قائلًا: أخبرنا نصر بن الفتح بن سالم المريعي العابد بسمرقند، حدثنا رجاء بن مرجا الحافظ حدثنا إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر قال: كان خاتم النبوة في ظهر رسول الله ﷺ مثل البندقة من لحم عليه مكتوب: محمد رسول الله.

وهذا حديث سكت عليه ابن حبان وقد دخل على راويه عن ابن جريج الوهم فإن المكتوب عليه محمد ﷺ هو خاتمه الذي كان يلبسه في خصره من الفضة فأما خاتم النبوة الذي بين كفيه فلم يرد فيه شيء من الأحاديث وبمثل هذا التفرد لا يقبل من رواية ذلك حتى يرويه الثقات إذ نقل هذا مما تتوفر الدواعي على نقل مثله فلا يقبل فيه تفرد الرواي والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية المصري في كتابه - التتوير في مولد البشير النذير - عن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشر المعروف بالحكيم الترمذي أنه قال: كان الخاتم الذي بين كفي رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمامة مكتوب في باطنها الله وحده، وفي ظهرها توجه حيث شئت فقلك منصور.

ثم قال: وهذا غريب، واستنكره.

قال: وقيل كان من نور، ذكره الإمام أبو زكريا يحيى بن مالك بن عاذل في كتابه «تفصيل الأنوار»، وحكى أقوالاً غريبة غير ذلك.

ومن أحسن ما ذكره ابن دحية رحمه الله وغيره من العلماء قبله في الحكمة في كون الخاتم كان بين كفي رسول الله ﷺ إشارة إلى أنه لا نبي بعدك يأتي من ورائك، قال: وقيل: كان على نقض كفه لأنه يقال: هو الموضع الذي يدخل الشيطان منه إلى بطن الإنسان، فكان هذا عصمة له عليه الصلاة والسلام من الشيطان.

قلت: وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على أنه لا نبي بعده عليه الصلاة والسلام ولا رسول، عند تفسير قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

١٦- باب جامع لأحاديث متفرقة وردت

في صفة رسول الله ﷺ

قد تقدم في رواية نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب، أنه قال: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد الله بن مسلمة القعني وسعيد بن منصور، حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة، حدثني إبراهيم بن محمد بن ولد علي، قال: كان علي إذا نمت رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل المنقط ولا القصير المتردد، وكان ربعة من القرم، ولم يكن بالجمد القطط، ولا بالسط، كان جسدًا رجلاً ولم يكن بالمظهر ولا المكثم، وكان في الوجه تدوير أبيض مشرباً أدمع العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكند، أجرد ذا مسربة، شثن الكفين والقنمين إذا مشى تقلع كأنها يمشي في صلب وإذا التفت التفت ممًا، بين كفيه خاتم النبوة أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوف الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأزهمهم عشرة، من رآه بلبه هابه، ومن

هذا في صفة النبي ﷺ إلا في هذا الحديث.

قال: والمعروف في صفة عليه الصلاة والسلام أنه أبلغ الحاجين، في عفة سطح: قال أبو عبيد: أي طول، وقال غيره: نور.

قلت: والجمع ممكن بل متعين.

وقولها: إذا صمت فعليه الوقار، أي المية عليه في حال صمته وسكوته.

وإذا تكلم سما أي: علا على الناس. وعلاه البهاء أي في حال كلامه.

حلو المنطق فصل أي فصيح بليغ يفصل الكلام ويبيته.

لا تَزُر ولا تَحْزُر، أي لا قليل ولا كثير.

كان منطق خريزات نظم، يعني اللز من حسنة وبلاغته وفصاحته وبيانه وحلاوة لسانه.

أبهى الناس وأجله من بعيد وأحلاه وأحسته من قريب، أي: هو مليح من بعيد ومن قريب، وذكر أنه لا طويل ولا قصير بل هو أحسن من هذا ومن هذا، وذكرت أن أصحابه يعظمونه ويكرمونه ويحلمونه ويبادرون إلى طاعته وما ذلك إلا لجلالته عندهم وعظمتهم في نفوسهم ومحبتهم له.

وأنه ليس بعابس أي: ليس بعيس.

ولا يَفْتَد أحداً أي: يهجنه ويستقل عقله بل جميل المعاشرة حسن

الصحة صاحبه كريم عليه وهو حبيب إليه ﷺ.

قال أبو زرعة في «الدلائل»: ثنا أبو نعيم، ثنا يوسف - يعني ابن صهيب - عن عبد الله بن بريدة، أن رسول الله ﷺ، كان أحسن البشر قدماً. وهذا مرسل.

وقال أبو زرعة أيضاً: ثنا إسماعيل بن إبان الأزدي الوراق، ثنا غُثَيْبَة بن عبد الرحمن، عن محمد بن زاذان، عن أم سعد، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، تأتي الحفلة فلا تَرَى منك شيئاً من الأذى؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ مَا عَلِمْتُ يَا عَائِشَةُ أَنَّ الْأَرْضَ تَبْلُعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَا يَرَى مِنْهُ شَيْءٌ؟» هذا الحديث يُعَدُّ من المنكرات. والله أعلم.

حديث هند بن أبي هالة في ذلك:

وهند هذا هو ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد وأبوه أبو

هالة كما قلنا بيانه والله أعلم.

قال يعقوب بن سفيان القسوي الحافظ رحمه الله: حدثنا سعيد بن حماد الأنصاري المصري وأبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي قالوا: حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي، قال: حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصافاً - عن حلية رسول الله ﷺ - وأتينا أشتهم أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به - فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلأأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر أطول من المربع وأقصر من المشنب عظيم الهامة رجل الشعر إذا تفرقت عقيقته فَرَّقَ ولا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفَّرَ أزهَر اللون وأوسع الجبين أزج الحواجب سوايح في غير قرن بينهما عرق بدر الغضب أفتى العينين له نور يملوه يحسبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية أدمع سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفليح الأسنان دقيقت المسيرة كان عقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء

جزى الله رب الناس خير جزائه رَفِيقِينَ خَلَا خَيْسَتِي أَمْ تَتَّبِعِدْ هَذَا نَزْلاً بِالْبِرِّ وَأَرْتَحِلَا بِهِ فَأَقْلَعُ مِنْ أَمْسَى رَفِيقٍ مُحَمَّدٌ فَإِنَّ قُصَصِي مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ سَلُوا أَعْتَكُم عَنْ شَتَائِهَا وَإِنَّا بِهَا دَعَاهَا بِشَاوِ خَالٍ فَتَحَلَّيْتُ لَمْ يَصْرِحْ ضَرَّةُ الشَاوِ مُزِيدٌ فَتَنَادَرَهُ زُفْنًا لَدَيْهَا لِخَالٍ يَدْرُ لَهَا فِي مَضْنَرِ نَسْمَ مُزِيدٌ وقد قلنا جواب حسان بن ثابت لهذا الشعر المبارك بمثله في الحسن.

والمقصود أن الحافظ البيهقي روى هذا الحديث [الدلائل: ٤٩٢/٢] من طريق عبد الملك بن وهب المذحجي قال: حدثنا الحسن بن الصباح عن أبي معبد الخزاعي فذكر الحديث بطوله كما قلناه بالفاضة.

وقد رواه الحافظ يعقوب بن سفيان القسوي والحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة [٢٣٨]، قال عبد الملك: فبلغني أن أبا معبد أسلم بعد ذلك، وأن أم معبد هاجرت وأسلمت، ثم إن الحافظ البيهقي أتبع هذا الحديث بذكر غيره وقد ذكرناه في الحواشي فيما سبق ونحن نذكره هنا نكثاً من ذلك.

فقولها: ظاهر الرضاء، أي ظاهر الجمال.

أبلغ الوجه، أي مشرق الوجه مضيته.

لم تَعِ نَجْلة: قال أبو عبيد: هو كبر البطن وقال غيره: كبر الرأس، ورد أبو عبيدة رواية من روى لم تَعِ نَجْلة يعني من التحول وهو الضعف. قلت: وهذا هو الذي فسر به البيهقي الحديث والصحيح قول أبي عبيد، ولو قيل: إنه كبر الرأس لكان قريبا؛ وذلك لقولها بعده: ولم تَزُر به صلعة وهو صغر الرأس بلا خلاف ومنه يقال لولد النعامة: صَحْلٌ، لصغر راسه، ويقال له: الظليم.

وأما البيهقي فرواه: لم تَعِ نَجْلة يعني من الضعف كما فسرته، ولم تَزُر به صَحْلَة قال: وهو الخاصرة، يريد أنه ضرب من الرجال ليس بممتنع ولا ناحل. قال: ويروى لم تَعِ نَجْلة وهو كبر البطن.

ولم تَزُر به صَحْلَة وهو صغر الرأس.

وأما الوسيم فهو حسن الخلق وكذلك التقسيم أيضاً.

والدَّمَج شدة سواد الحدة.

والوُظف طول أشعار العينين، ورواه القتيبي في أشعاره عطف وتبعه البيهقي في ذلك.

قال: ابن قتيبة [غريب الحديث: ٤٧١/١، ٤٧٢]: ولا أعرف ما هذا وهو معذور لأنه وقع في روايته غلط فحار في تفسيره والصواب ما ذكرناه والله أعلم. وفي صوته صَحْل: وهو بحة سيرة وهي أعلى في الصوت من أن يكون حاداً.

قال أبو عبيد: وبالصَحْل توصف الظباء، قال: ومن روى: في صوته سهل فقد غلط فإن ذلك لا يكون إلا في الخيل ولا يكون في الإنسان.

قلت: وهو الذي أورده البيهقي. قال: ويروى صَحْل، والصواب قول أبي عبيد والله أعلم.

وأما قولها: أحور. فمستغرب في صفة النبي ﷺ وهو قَبْل يسير في العين يزيها لا يشينها كلحول.

وقولها: أكحل، قد تقدم له شاهد.

وقولها: أزج، قال أبو عبيد هو المنقوس الحاجبين.

قال: وأما قولها: قرن فهو التقاء الحاجبين بين العينين قال: ولا يعرف

إلا بها أو بميسر من القول، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حكم وحياه وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤين فيه الحرّم، ولا تشي فلتاته، متعادلين يتفاضلون فيه بالقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير يؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال: فسأته عن سيرته في جلساته فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتناقل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه ولا يجيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعير، ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكث تكلموا ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته ومساكنه حتى إن كان أصحابه يستحلونه في المنطق ويقولون: وإذا رأيتم طالب حاجة فارفوه، ولا يقلل الشاء إلا من مكافئه ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاه أو قيام.

قال: فسأته كيف كان سكوته؟ قال: كان سكوته على أربع: الخلم والحذر والتقدير والتفكير. فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس. وأما تذكره أو قال: تفكره فقيما يقي ويفنى، وجمع له ﷺ الخلم والصبر فكان لا يقضيه شيء ولا يستغفره، وجمع له الخلم في أربع: أخذته بالحسن، والقيام لم فيما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة ﷺ.

وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله في كتاب شمائل رسول الله ﷺ (٧، ١٧، ٢١٧، ٣٢١) عن سفيان بن وكيع بن الجراح عن جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي حدثني رجل من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله سماه غيره يزيد بن عمر عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي قال: سألت خالي، فذكره وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل (١/ ٢٨٥ - ٢٩٢) عن أبي عبد الله الحاكم النيسابوري لفظاً وقراءة عليه: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العقيلي صاحب كتاب النسب ببغداد، حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ثلاث وستين ومائتين، حدثني علي بن جعفر بن محمد عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي محمد بن علي بن الحسين قال: قال الحسن: سألت خالي هند بن أبي هالة فذكره.

ورواه الطبراني (الكبير ١٥٥/٢٢) عن علي بن عبد العزيز عن أبي غسان مالك بن إسماعيل فذكره بإسناده مطولاً ثم أورد غريبه. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله في كتابه الأظرف (تحفة الأشراف: ٧٤/٩) بعد ذكره ما تقدم من هاتين الطريقتين:

وروى إسماعيل بن مسلمة بن قنبل القنعني عن إسحاق بن صالح المخزومي عن يعقوب التيمي عن عبد الله بن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة - وكان وصافاً لرسول الله ﷺ -: صف لنا رسول الله ﷺ فذكر بعض هذا الحديث.

وقد روى الحافظ البيهقي (الدلائل: ١/ ٢٩٨ - ٣٠٦) من طريق

البطن والصدر عرض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخمة الكراديس أنور المتجرّد، موصول ما بين اللبة والرسة بشعر يجري كخالط عاري التدين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رجب الراحة سبط القصب شثن الكفين والقدمين سابل الأطراف خمسان الأخصمين مسيح القدمين ينو عنهما الماء إذا زال زال قلماً يخطو تكبياً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبيب وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جُلُّ نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلاط. قلت: صف لي منطقته، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحران دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويغتمه بأشداقه ويتكلم بجموع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير دم ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه إذا تعرض للحق شيء حتى يتصر له - وفي رواية: لا تغضبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصر له لا يغضب لنفسه ولا يتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلها، وإذا تحدث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أمرض وأشاح، وإذا فرح غرض طرفه، جلُّ ضحكته التيسم ويفتر عن مثل حب الغمام. قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقي إليه فسأله عما سأله عنه ووجدته قد سأل آياه عن مدخله وخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه مأثور له في ذلك وكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك على العامة والخاصة لا يدخر عنهم شيئاً، وكان من سيرته في جزء الأمة يثار أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الخواص فيشتاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسأله عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي ويقول: «يليل الشاهد الغائب، والمبلغون حاجة من لا يستطيع إبلاغها حاجة» فإنه من بلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إباه ثبت الله قديمه يوم القيامة. لا يذكر عنه إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون عليه زواراً. ويروى: «رؤاداً» أي طالين ما عنده ولا يفترون إلا عن ذواق. وفي رواية: ولا يفترون إلا عن ذوق، ويخرجون أدلة يعني فقهاء.

قال: وسأله عن خرجه: كيف كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ يترن لسأله إلا بما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحتر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشراً ولا خلقاً، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغل غفلة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوز، الذين يولونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة.

قال: فسأته عن مجلسه كيف كان؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كل جلساته نصيبه، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم يرده

وروى الإمام أحمد [١٨٨/٦] عن عبد الرحمن بن مهدي، والنسائي [كبرى (١١١٣٨)] من حديثه، وابن جرير [تفسيره: ١٩/٢٩] من حديث ابن وهب كلاهما عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جابر بن عبد الله قال: حججت فدخلت على عائشة فسألته عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام، مهما أمره به القرآن امتثلته، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جله الله عليه من الأخلاق الجلية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أكمل منها، وشرع له الدين العظيم الذي لم يشعه لأحد قبله، وهو مع ذلك خاتم النبيين فلا رسول بعده ولا نبي، فكان فيه من الحياة والكرم والشجاعة والحلم والصنع والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يحصى ولا يمكن وصفه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٠٩/١]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أحمد بن سهل الفقيه ببخارى، أخبرنا قيس بن أبيف، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ثم قالت اقرأ سورة «المؤمنين» اقرأ: «فَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» [المؤمنون: ١] إلى العشر قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

وهكذا رواه النسائي [كبرى (١١٣٥٠)] عن قتيبة.

وروى البخاري [٤٦٤٣، ٤٦٤٤] من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» [الأعراف: ١٩٩]. قال: أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقال الإمام أحمد [٣٨١/٢]: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

تفرد به أحمد.

ورواه الحافظ أبو بكر الخراشي في كتابه [النفوس من مكارم الأفعال ص ٢٩، بلطف: «صالح الأخلاق»] قال: «وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وتقدم ما رواه البخاري من حديث أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً.

وقال مالك بن أنس في الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها [الوطأ: ٩٠٢/٢].

ورواه البخاري [٣٥٦٠] ومسلم [٢٣٢٧] (٧٧) من حديث مالك.

وروى مسلم [٢٣٢٨] (٧٩) بنحوه عن أبي كريب عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ يده شيئاً قط لا عبداً ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل

صحيح بن عبد الله الفرغاني وهو ضعيف عن عبد العزيز بن عبد الصمد عن جعفر بن محمد عن أبيه، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة حديثاً مطولاً في صفة النبي ﷺ قريباً من حديث هند بن أبي هالة. وسرده البيهقي بتمامه وفي أثنائه تفسير ما فيه من الغريب وفيما ذكرناه غنية عنه والله تعالى أعلم.

وروى البخاري [٣٥٤٢] عن أبي عاصم الضحاك عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة عن عتبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر العصر بعد موت النبي ﷺ لبالي فخرج هو وعلي ميثان، فإذا الحسن بن علي يلعب مع الغلمان، قال: فاحتلمه أبو بكر على كاهله وجعل يقول: بأبي شبه النبي ليس شيئاً بعلي. وعلي يضحك منهما رضي الله عنهما.

وقال البخاري [٣٥٤٣]: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا إسماعيل بن أبي جحيفة قال: رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه.

وروى البيهقي [الدلائل: ٣٠٧/١] عن أبي علي الروضباري عن عبد الله بن جعفر بن شاذب الواسطي عن شبيب بن أيوب الصريفي عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانيء عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك.

١٧- ذكر أخلاقه وشأنه الطاهرة ﷺ

قد قلنا طيب أصله ومحبته، وطهارة نسبه ومولده، وقد قال الله تعالى: «اللَّهُ أَكْثَمُ حَيْثُ يُجْمَلُ رِسَالَتُهُ» [الأنعام: ١٢٤].

وقال البخاري [٣٥٥٧]: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً قرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه».

وفي صحيح مسلم [٢٢٧٦] عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى قريناً من بني إسماعيل، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم».

وقال الله تعالى: «إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِمُنْجَىٰ مِمَّنْ يَنْجُونَ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ» [القلم: ١-٤] قال العوفي عن ابن عباس: في قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ» يعني - وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام.

وهكذا قال مجاهد وأبو مالك والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [هسوطي: ١٨/٢٩].

وقال عطية: لعلى أدب عظيم.

وقد ثبت في صحيح مسلم [٢٦٩] (١٣٩) من حديث قتادة عن زرار بن أوفى عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، فقالت: كان خلقه القرآن.

وقد روى الإمام أحمد [٢١٦/٦] عن إسماعيل بن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن.

يقول: «لم ترعوا لم ترعوا»، قال: «وجدناه بحراً»، أو «إنه لبحر»، قال: وكان فرساً يبطاً.

ثم قال مسلم (٢٣٠٧) (٤٩): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: كان فرج بالمدينة فاستعار رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة يقال له منسوب فركبه فقال: «ما رأينا من فرج وإن وجدناه لبحراً»، وقال علي رضي الله عنه: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ.

وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب قال: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله ﷺ وكان أشد الناس بأساً. رواه أحمد (٨٦/١)، (١٢٦)، (١٥٦) والبيهقي (١٩٩/٣). وتقدم في غزوة هوازن أنه عليه الصلاة والسلام لما فر جمهور أصحابه يومئذ ثبت وهو راكب بغلته وهو ينوه باسمه الشريف يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

وهو مع ذلك يركضها إلى غور الأعداء، وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام صلوات الله وسلامه عليه.

وفي صحيح مسلم (٢٣٠٩) (٥٢): من حديث إسماعيل بن عليه عن عبد العزيز عن أنس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فاطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخلكم قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي شيء صنعت: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا شيء لم أصنع: لم لم تصنع هذا هكذا؟

وله [م] (٢٣٠٩) (٥٣): من حديث سعيد بن أبي بردة عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب علي شيئاً قط.

وله [م] (٢٣١٠) (٥٤): من حديث عكرمة بن عمار عن إسحاق قال: أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً فارسلي يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب - وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ - فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي قال: فظننت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنيس ذهبت حيث أمرتك؟» فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال شيء صنعت: لم صنعت كذا وكذا؟ أو شيء تركته هلا فعلت كذا وكذا؟

وقال الإمام أحمد (٢٣١/٣): حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر، حدثنا عمران القصير عن أنس بن مالك قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتأيت عنه أو ضيعته فلامني، وإن لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه فلو قُتل» - أو قال: قضي - أن يكون كان».

ثم رواه أحمد (٢٣١/٣) عن علي بن ثابت عن جعفر هو ابن برقان عن عمران البصري وهو القصير عن أنس فذكره.

فرد به الإمام أحمد (٢١٢/٣): حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو التياح، حدثنا أنس قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحبه قال: فطيماً، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرأه قال: «أبا عمير ما فعل النخير؟» قال: نَغَرَّ كان يلعب به، قال: فرمما تحضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكس ثم ينضج ثم

الله، ولا نيل منه شيء قط فينضم من صاحبه إلا أن يتهك شيء من عارم الله فينضم لله عز وجل.

وقال الإمام أحمد (٢٣٢/٦): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين امرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما، حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنهك حرمان الله فيكون هو يتقم لله عز وجل».

وقال أبو داود الطيالسي (١٥٢٠): حدثنا شعبة عن أبي إسحاق، سمعت أبا عبد الله الجذلي يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أو قالت: يعفو ويغفر. شك أبو داود.

ورواه الترمذي (٢٠١٦) من حديث شعبة وقال: حسن صحيح.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا آدم وعاصم بن علي قالوا: حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا صالح مولى التوأمة قال: كان أبو هريرة ينعث رسول الله ﷺ قال: كان يقبل جبعاً ويلبس جبعاً بأبي وأمي لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق. زاد آدم: ولم أر مثله قبله ولن أر بعده.

وقال البخاري (٣٥٥٩): حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي واثل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً». ورواه مسلم (٢٣٢١) (٦٨) من حديث الأعمش به.

وقد روى البخاري (٢١٢٥) من حديث فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن رسول الله ﷺ موصوف في التزاة بما هو موصوف في القرآن، «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبيدي ورسولي سميتك التوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقبم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً».

وقد روي عن عبد الله بن سلام وكعب الأبحار.

وقال البخاري (٣٥٦٢): حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال: «كان النبي ﷺ أشد حياة من العنقاء في خلدتها».

حدثنا ابن بشار، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالوا: حدثنا شعبة مثله: وإذا كره شيئاً عرف ذلك في وجهه [خ عقب ح] (٣٥٦٢)، ورواه مسلم (٢٣٢٠) (٦٧) من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد (١٢٦/٣): حدثنا أبو عامر، حدثنا فليح عن هلال بن علي عن أنس بن مالك قال: لم يكن رسول الله ﷺ سباباً ولا لعناً ولا فاحشاً، كان يقول لأحدثنا عند العتابية: «ما له تربت جبينه». ورواه البخاري (٦٠٤٦) عن محمد بن سنان عن فليح.

وفي الصحيحين [خ] (٢٨٢٠)، م (٢٣٠٧) (٤٨) واللفظ لمسلم من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فرح أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف وهو

يقوم رسول الله ﷺ وتقوم خلفه يصلي بنا، قال: وكان بساطهم من جريد النخل.

وله رواه الجماعة [خ (١٢٢٩، ١٢٠٣)، م (٦٥٩)، د (٢١٥٠)، ت (٣٣٣، ٩٨٩)، س (كسرى ١٠١٦٥ - ١٠١٦٨)، ج (٣٧٢٠، ٣٧٤٠)] إلا أبا داود من طرق عن أبي التياح يزيد بن حميد عن أنس بنحوه.

وثبت في الصحيحين [خ (٦)، م (٢٣٠٨) (٥٠)] من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير في الريح المرسلة.

وقال الإمام أحمد [١٣٣/٣، ١٦٠]: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا سلمة العلوي، سمعت أنس بن مالك قال: «إن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة أو قال: أثر صفرة، فكرهها قال: فلما قام قال: «لو أمرتم هنا أن ينسل عنه هذه الصفرة. قال: وكان لا يكاد يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه».

وله رواه أبو داود [٤١٨٢، ٤٧٨٩] والترمذي في الشمائل [٣٣٩]، والنسائي في اليوم والليلة [كسرى (١٠٠٦٥)] من حديث حماد بن زيد عن سلم بن قيس العلوي البصري. قال أبو داود: وليس من ولد علي بن أبي طالب، وكان يصير في النجوم، وقد شهد عند علي بن أروطة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته.

وقال أبو داود [٤٧٨٨]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد الحماني، حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا».

وثبت في الصحيح [د (٤٨٦٠)، ت (٣٨٩٦) (٣٨٩٧)] أن رسول الله ﷺ قال: «لا يبليني أحد من أحد شيئاً، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وقال مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد لحراني غليظ الحاشية فادركه أعرابي فجبذ برأيه جبناً شليداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ فإذا قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جيبته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، قال: فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعباءة. أخرجاه [خ (٣١٤٩)، م (١٠٥٧) (١٢٨)] من حديث مالك.

وقال الإمام أحمد [٢٨٨/٢]: حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني محمد بن هلال القرشي عن أبيه أنه سمع أبا هريرة يقول: «كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد فلما قام قمنا معه فجاءه أعرابي فقال: أعطني يا محمد، فقال: «لا واستغفر الله»، فجلبه بحجزته فخلشه، قال: فهموا به فقال: «دعوه» قال: ثم أعطاه، قال: وكانت يمينه: «لا واستغفر الله»، وقد روى أصل هذا الحديث أبو داود [٣٢١٥، ٤٧٧٥] والنسائي [٤٧٧٦] وابن ماجه [٢٠٩٣] من طرق عن محمد بن هلال بن أبي هلال مولى بني كعب عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن الأعمش عن ثمامة بن عتبة عن زيد بن أرقم قال: كان رجل من الأنصار يدخل على رسول الله ﷺ ويأتمه وأمه عقد له عقداً وألقاه في بئر فصرع ذلك رسول الله ﷺ فأنام ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عقد له عقداً

وهي في بئر بني فلان، ولقد اصفر الماء من شدة عقده، فأرسل النبي ﷺ فاستخرج العقد، فوجد الماء قد اصفر فحل العقد ونام النبي ﷺ، فلقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ فما رأيته في وجه النبي ﷺ حتى مات.

رواه الطبراني [الكبير (٢٠١/٥)] من طريق علي بن المديني عن جرير عن الأعمش به وقال: لم يعاتبه.

قلت: والمشهور في الصحيح [خ (٣١٧٥)، م (٢١٨٩)]: أن لبيد بن الأعمس اليهودي هو الذي سحر النبي ﷺ في شط ومشاطة في جفّ طلعةً ذكر تحت زعوفة بئر أروان. وإن الحال استمر نحواً من ستة أشهر حتى أنزل الله سورتي المعوذتين ويقال: إن آياتهما إحدى عشرة آية وإن عقد ذلك الذي سحر فيه كان إحدى عشرة عقدة، وقد بسطنا ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله أعلم.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمران بن زيد أبو يحيى الملائي، حدثنا زيد العمي عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا يتزعج يده من يده حتى يكون الرجل يتزعج يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يرى مقعداً ركبته بين يدي جليس له».

ورواه الترمذي [٤٢٩٠] وابن ماجه [٣٧١٦] من حديث عمران بن زيد التغلبي أبي يحيى الطويل الكوفي عن زيد بن الحواري العمي عن أنس به.

وقال أبو داود [٤٧٩٤]: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو قطن حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: ما رأيت رجلاً قط اتقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده.

تفرد به أبو داود. قال الإمام أحمد [١٧٤/٣]: وحدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا: حدثنا شعبة - قال ابن جعفر في حديثه قال -: سمعت علي بن زيد قال: قال: أنس بن مالك: إن كانت الوليدة من ولاد أهل المدينة لتنجي فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما يتزعج يده من يدها حتى تلعب به حيث شامت. ورواه ابن ماجه [٤١٧٧] من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد [٩٨/٣]: حدثنا هشيم، حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال: إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتقل به في حاجتها.

وقد رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه [٦٠٧٢] معلقاً فقال: وقال محمد بن عيسى هو ابن الطباع: حدثنا هشيم. فذكره.

وقال الطبراني [الكبير: ٤٤١/١٢]: حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا يحيى بن عبد الله الباقلي، حدثنا أيوب بن نهيك، سمعت عطاء بن أبي رباح، سمعت ابن عمر، سمعت رسول الله ﷺ وأتى صاحب بئر فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم فخرج وهو عليه فإذا رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله اكسني قميصاً كسك الله من ثياب الجنة فتزع القميص فكساه إياه ثم رجع إلى صاحب الحائض فاشترى منه قميصاً بأربعة دراهم وبقي معه درهمان، فإذا هو بجارية في الطريق تبكي فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: يا رسول الله دفع إليّ أهلي درهمين اشتري بهما دقيقاً فهلكت، فدفع إليهما رسول الله ﷺ الدرهمين الباقيين ثم اتقبلت وهي تبكي فدعاهما فقال

أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: ألا أعجبك أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله ﷺ يعني ذلك وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحي، ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم.

وقد رواه أحمد [١١٨/٦] عن علي بن إسحاق، ومسلم [٢٤٩٣] (١٦٠) عن حملة، وأبو داود [٣١٥٥] عن سليمان بن داود كلهم عن ابن وهب عن يونس بن يزيد به، وفي روايتهم: ألا أعجبك من أبي هريرة. فذكر نحوه.

وقال الإمام أحمد [١٣٨/٦]: حدثنا وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان كلام النبي ﷺ فصلا يفهمه كل أحد لم يكن يسرد سرداً.

وقد رواه أبو داود [٤٨٣٩] عن ابن أبي شيبة عن وكيع. وقال أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا عبد الله بن مسعر، حدثني شيخ أنه سمع جابر بن عبد الله - أو ابن عمر - يقول: كان في كلام النبي ﷺ ترتيل أو ترسل.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الله بن المنثي عن ثمامة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة رددعا ثلاثاً وإذا أتى قوماً يسلم عليهم سلم ثلاثاً.

وقال أحمد [٢١٣/٣]: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عبد الله بن المنثي، سمعت ثمامة بن أنس يذكر أن أنسا كان إذا تكلم بكلمة ثلاثاً ويذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثاً.

وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي [٣٦٤٠] عن محمد بن عمر عن مسلم بن قتيبة عن عبد الله بن المنثي عن ثمامة عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة ثلاثاً لتعقل عنه. ثم قال الترمذي حسن صحيح غريب.

وفي الصحيح [٥٢٣] (٧، ٨) بشره الأول أنه قال: «أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكم اختصاراً».

قال الإمام أحمد [٤٥٥/٢]: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالرعب وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فُوضت في يدي».

وهكذا رواه البخاري [٢٩٧٧] من حديث الليث.

وقال أحمد [٣٩٦، ٣٩٥/٢]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فُوضت في يدي».

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد [٥٠٢، ٥٠١/٢]: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فُقلت في يدي».

تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم.

وثبت في الصحيحين [خ] (٤٨٢٨)، م (٨٩٩) (١٦) من حديث ابن وهب عن عمرو بن الحارث، حدثني أبو النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً صاحكاً حتى أرى منه

«مايكيك وقد أخذت الدرهمين؟» قالت: أخاف أن يضر يوتي، فمضى معها إلى أهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فسلم ثم عاد فسلم ففروا، فقال: «أسمعت أول السلام؟» قالوا: نعم ولكن أحيينا أن نزيدنا من السلام فما اشخصك بابينا وأمانا؟ فقال: «أشفت هذه الجارية أن تضربوها؟» فقال صاحبها: هي حرة لوجه الله لمشاك معها، فبشرهم رسول الله ﷺ بالخبر والجنة. ثم قال: «لقد بارك الله في العشرة: كسا الله نبيه قميصاً ورجلاً من الأنصار قميصاً واعتق الله منها رقبة وأحمد الله هو الذي رزقنا هذا بقلوته».

هكذا أورده الطبراني وفي إسناده أيوب بن نهيك الحلبي وقد ضعفه أبو حاتم، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال الأزدي: متروك.

وقال الإمام أحمد [٢٨٥/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس: أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي حاجة، فقال: «يا أم فلان انظري أي الطرق شئت» فقام معها يناجيا حتى قضت حاجتها.

وهكذا رواه مسلم [٢٣٢٦] (٧٦) من حديث حماد بن سلمة. وثبت في الصحيحين [خ] (٣٥٦٣)، م (٢٠٦٤) (١٨٧، ١٨٨) من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله ولا تركه.

وقال الثوري عن الأسود بن قيس عن نبيح العسري عن جابر قال: أتانا رسول الله ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: «كأنهم علموا أنا نجس اللحم» [الشمائل للدمدي] (١٧٢) وذكر الحديث.

وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عمر بن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء [الدلائل للبهقي] (٣٢١/١).

وهكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من سننه [٤٨٣٧] من حديث محمد بن إسحاق به.

وقال أبو داود [٤٨٤٦]: حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن محمد الأنصاري عن ربيع بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس احتجى بيده. ورواه الزبيري في مسنده [كشف الأسفار] (٢٠٢١) ولفظه: كان إذا جلس نصب ركبته واحتجى بيده.

ثم قال أبو داود [٤٨٤٧]: حدثنا حفص بن عمر وموسى بن إسماعيل قالوا: حدثنا عبد الله بن حسان العنبري، حدثني جندب بن صفية ودحية ابنة عليّة قال موسى ابنة حملة وكانت ربيبة فبنت غرمة وكانت جدّة أبيهما أنها أخبرتهما أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء قالت: فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أوعدت من الفرق.

ورواه الترمذي في الشمائل [١٢٢] وفي الجامع [٤٨١٤] عن عبد بن حيد عن عفان بن مسلم بن عبد الله بن حسان به.

وهو قطعة من حديث طویل قد ساقه الطبراني بتمامه في معجمه الكبير [٧/٥ - ١٠].

وقال البخاري [٣٥٦٧]: حدثنا الحسن بن الصباح البزاز، حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يحدث حديثاً لو عث العاد لأحصاه.

قال البخاري [٣٥٦٨]: وقال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب

لهواة إما كان يتيسم.

وقال الترمذي [٣٦٤١]: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

ثم رواه [٣٦٢٢] من حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبيد الله بن الحارث بن جزء قال: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً. ثم قال: صحيح.

وقال مسلم [٢٣٢٢]: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً كان لا يقرم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتيسم رسول الله ﷺ.

وقال أبو داود الطيالسي [٧٧١]: حدثنا شريك وقيس بن الربيع عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم كان كثير الضمت، قليل الضحك فكان أصحابه ربما يتناشون الشعر عنده وربما قال الشيء من أمورهم فيضحكون وربما تبسم. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [٣٢٤/١]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد - يعني ابن ثابت - أن نراً دخلوا على أبيه فقالوا: حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ، فقال: كنت جاره فكان إذا نزل الوحي بعث إلي فأتية فاكب الرحي وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا فكل هذا تحدثكم عنه.

ورواه الترمذي في الشمائل [٣٢٨] عن عباس الدوري عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد المقرئ به نحوه.

١٨- ذكر كرمه

تقدم ما أخرجه في الصحيحين [٢٣٠٨] م (٦)، من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيلارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. وهذا التشبيه في غاية ما يكون من البلاغة في تشبيه الكرم بالريح المرسلة في عمومها وتواترها وعدم انقطاعها.

وفي الصحيحين [٦٠٣٤] م (٢٣١١) من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا.

وقال الإمام أحمد [١٠٧/٣]، [١٠٨]: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن موسى بن أنس عن أنس أن رسول الله ﷺ لم يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه، قال: فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاه ما يخشى الفاقة.

ورواه مسلم [٢٣١٢] (٥٧) عن عاصم بن النضر عن خالد بن الحارث عن حميد به.

وقال أحمد [٢٨٤/٣]: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا ثابت عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا؛ فوالله إن محمداً يعطي عطاه من لا يخاف الفاقة، فإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا، فما يسبي حتى يكون دينه أحب إليه أو أعز عليه من الدنيا وما فيها.

ورواه مسلم [٢٣١٢] (٥٨) من حديث حماد بن سلمة به.

وهذا العطاء ليؤلف به قلوب ضعيفي القلوب في الإسلام، ويتألف آخرون ليدخلوا في الإسلام كما فعل يوم حنين حين قسم تلك الأموال الجزيلة من الإبل والشاة والذهب والفضة في المولفة، ومع هذا لم يعط الأنصار وجهور المهاجرين شيئاً، بل اتفق فيمن كان يحب أن يتألفه على الإسلام، وترك أولئك لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، وقال مسلماً لن سأل عن وجه الحكمة في هذه القسمة لمن عتب من جماعة الأنصار: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى رحالكم؟» قالوا: رضىنا يا رسول الله.

وهكذا أعطى عمه العباس بعدما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين فوضع بين يديه في المسجد وجاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني فقد فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلاً، فقال: «خذ»، فستر ثوبه عنه وجعل يضع فيه من ذلك المال ثم قام ليقله فلم يقدر فقال لرسول الله ﷺ: أرفعه علي، قال: «لا أقبل»، فقال: مر بعضهم ليرفعه علي، فقال: «لا»، فوضع منه شيئاً ثم عاد فلم يقدر فسأله أن يرفعه أو أن يأمر بعضهم يرفعه فلم يفعل فوضع منه ثم احتمل الباقي وخرج به من المسجد ورسول الله ﷺ يتبعه بصرة عجبا من حرصه.

قلت: وقد كان العباس رضي الله عنه رجلاً شديداً طويلاً نبلاً، فأقل ما احتمل شيء يقارب أربعين ألفاً والله أعلم.

وقد ذكره البخاري في صحيحه في مواضع [٤٢١]، [٣٠٤٩]، [٤٠١٨] معلقاً بصيغة الجزم وهذا يورد في مناقب العباس لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي آيَاتِكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَغْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقد تقدم عن أنس بن مالك خادمه عليه الصلاة والسلام أنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وأشجع الناس [٢٨٢٠] م (٢٣٠٧) الحديث. وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ والمجبول على أكمل الصفات؛ الرائق بما في يدي الله عز وجل، الذي أنزل الله عليه في حكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُفْقَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٠] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَوْقَ يُخْلَعُهُ وَهُوَ ذَخِيرَةُ الرَّازِقِينَ﴾ [ص: ٧٩] وهو عليه الصلاة والسلام القائل لمؤذنه بلال وهو الصادق المصدوق في الوعد والمقال: «أنتق يا بلال ولا تحش من ذي العرش إقللاً» [الكبير للطبراني (١/٣٢٣ - ٣٢٥)].

وهو القائل عليه الصلاة والسلام «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان بقول أحدهما: اللهم أعط متقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [خ (١٤٤٢)]، م (١٠١٠) (٥٧) وفي الحديث الآخر أنه قال لعائشة: «لا توحي فيوعي الله عليك، ولا توحي فيوكي الله عليك». [د (١٠٠٧)].

وفي الصحيح [خ (٤٦٨٤)]، م (٩٩٣) أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يقول الله تعالى: ابن آدم أنتق أنتق عليك» فكيف لا يكون أكرم

الناس وأشجع الناس، وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله، الوائق برزق الله ونصره، المستعين بربه في جميع أمره؟ ثم قد كان قبل بعثته ومعداه وقبل هجرته، ملجأ الفقراء والأرامل، والأيتام والضعفاء والمساكين، كما قال عنه أبو طالب فيما قدامته من القصيدة المشهورة.

وَمَا نَزَلَكَ قَوْمٌ لَا أَيْلَافَ سَيِّئًا يَحْشَوْنَ النَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مَوَاجِلٍ وَأَيْضًا يُشْنِقُونَ النَّفَامَ بِوَجْهِهِ يُسَالِّ التَّنَامِ عَصَّةً لِلْأَرَابِلِ يَلْسُوهُ بِهَ الْمَلَأَكُ مِنْ آلِ هَانِئِمٍ فَهُمْ جَنَّةٌ فِي نَفْسَةٍ وَقَوَاضِلٍ ومن تواضعه ما روى الإمام أحمد (١٥٣/٣، ٢٤٩) من حديث حماد بن سلمة عن ثابت زاد النسائي - وحيد - عن أنس أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهزئكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله».

وفي صحيح مسلم [هو لي البخاري (٦٨٣٠)] مؤلاً ولم يروه مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقال الإمام أحمد (٤٩/٦): حدثنا يحيى عن شعبة، حدثني الحكم عن إبراهيم عن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

وحدثنا وكيع ومحمد بن جعفر قالوا: حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلّى. [المسند: ٢٠٩/٦]

ورواه البخاري (٦٧٦) عن آدم عن شعبة.

وقال الإمام أحمد (٢٤١/٦، ٢٤٢): حدثنا عبدة، حدثنا هشام بن عروة عن رجل قال: سئلت عائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يرقع الثوب ويخفف التعل أو نحو هذا.

وهنا منقطع من هذا الوجه.

وقله قال عبد الرزاق [المصنف (٢٠٤٩٢)]: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة وهشام بن عروة عن أبيه قال: سأل رجل عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته.

رواه البيهقي [الدلائل: ٣٢٨/١، ٣٢٩] فاقصص الإسناد.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٢٨/١]: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن البخري - إملاء - حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي. حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قلت لعائشة: ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر، يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

ورواه الترمذي في الشمائل (٣٢٧) عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت: قيل لعائشة: ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ الحديث.

وروى ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٣٨٣/٣، ٣٨٤] من طريق أبي أسامة عن حارثة بن محمد الأنصاري عن عمرة قالت: قلت لعائشة: كيف كان رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان

ضحكاً باماً.

وقال أبو داود الطيالسي [مسنده (٢١٤٨)]: حدثنا شعبة، حدثني مسلم أبو عبد الله الأورعي، سمع أنساً يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو، ويركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولو رآته يوم خير على حمار خطاه من ليف.

وفي الترمذي (١٠١٧) وابن ماجه (٢٢٩٦، ٤١٧٨) من حديث مسلم بن كيسان الملائي عن أنس بعض ذلك.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٢٩/١]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الأحمي القاري ببغداد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الحزاعي، حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال: سمعت يحيى بن عقیل يقول: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطلب الصلاة، ويقتصر الحظية، ولا يستكف أن يمشي مع العبد، ولا مع الأرملة، حتى يفرغ لهم من حاجاتهم.

ورواه النسائي (١٤١٣) عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة عن الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن يحيى بن عقیل الحزاعي البصري عن ابن أبي أوفى بنحوه.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٢٩/١، ٣٣٠]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الفقيه بالري، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا شيبان أبو معاوية عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبي بردة عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف.

وهذا غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه وإسناده جيد.

وروى محمد بن سعد [الطبقات: ٣٦٣/١]: عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب الزمعي عن سهل مولى غنيمه، أنه كان نصرانياً من أهل مريس، وأنه كان في حجره، أو أمه قال: قرأت يوماً في مصحف لمعي، فإذا فيه ورقة بغير الخط وإذا فيها نعت محمد ﷺ: لا قصير ولا طويل أبيض ذو ضفرتين، بين كتفيه خاتم، يكثر الاحتباء، ولا يقل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحلب الشاة، ويلبس قميصاً مرقوعاً، ومن فعل ذلك فقد برىء من الكبر، وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد. قال: فلما جاء عمي ورأيت قد قرأتها ضربي وقال: ما لك وفتح هذه؟ فقلت: إن فيها نعت أحمد، فقال: إنه لم يأت بعد.

وقال الإمام أحمد (١١٢/٣): حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ. وذكر الحديث.

ورواه مسلم (٢٣١٦) عن زهير بن حرب عن إسماعيل بن علية به. وقال الترمذي في الشمائل (١١٥): حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود عن شعبة عن الأشعث بن سليم، قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال: بينا أنا أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: «أوقع إزارك فإنه أثقى وأبقى»، فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ﷺ ما هي بردة ملحا، فقال: «أما لك في أسوة؟ فظفرت فإذا إزاره إلى نصف ساقه».

ثم قال [الشمائل (١١٥)]: حدثنا سويد بن نصر، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن موسى بن عبيدة عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: كان عثمان بن عفان متزواً إلى أنصاف ساقه قال: هكذا كانت إزرة صاحبي ﷺ.

اسمه زاهراً وكان يهدي النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إن زاهراً بأديتنا ونحن حاضروه»، وكان رسول الله ﷺ يحبه وكان رجلاً دميماً فأتاه رسول الله ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت ففرق النبي ﷺ فجعل لا يالو ما الصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله إذن والله تجنني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسو - أو قال: - لكن عند الله أنت غال».

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين ولم يروه إلا الترمذي في الشمائل (٢٣١) عن إسحاق بن منصور عن عبد الرزاق. ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٩٠).

ومن هذا القبيل ما رواه البخاري من صحيحه (٦٨٠) أن رجلاً كان يقال له عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك النبي ﷺ، وكان يؤتى به في الشراب، فجاء به يوماً فقال رجل: لعنة الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعن فإني أحب الله ورسوله».

ومن هذا ما قال الإمام أحمد (١٨٧/٣): حدثنا حجاج، حدثني شعبة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ كان في مسير وكان حادو يحدو بنسائه أو سائق، قال: فكان نسائه يتقمن بين يديه، فقال: «يا أنجشة ويحك، ارفق بالقوارير».

وهذا الحديث في الصحيحين (٦١٤٩)، م (٢٣٢٣) عن أنس، قال: كان للنبي ﷺ حاد يحدو بنسائه يقال له أنجشة، فحدثنا فاعتقت الإبل، فقال رسول الله ﷺ: «ويحك يا أنجشة ارفق بالقوارير».

ومعنى القوارير: النساء وهي كلمة دعابة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين. ومن مكارم أخلاقه ودعابته وحسن خلقه: استماعه عليه الصلاة والسلام حديث أم زرع من عائشة بطوله (٥١٨٩)، م (٢٤٤٨)، ووقع في بعض الروايات (س كوى ٩١٣٧، ٩١٣٨) أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي قصه على عائشة.

ومن هذا ما رواه الإمام أحمد (١٥٧/٦): حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل - يعني عبد الله بن عقيل الثقفي - ثقة، حدثنا مجاهد بن سعيد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت: «حدث رسول الله ﷺ نسائه ذات ليلة حديثاً، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدريين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عنزة أسرته الجن في الجاهلية، فمكث فيهم دهنراً طويلاً، ثم رده إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب، فقال الناس: حديث خرافة».

وقد رواه الترمذي في الشمائل (٢٤٢) عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي النضر هاشم بن القاسم به. قلت: وهو من غرائب الأحاديث وفيه نكارة ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه قاله أعلم.

وقال الترمذي في باب مزاح النبي ﷺ من كتابه الشمائل (٢٣٢): حدثنا عبد بن حميد، حدثنا مصعب بن المقدم، حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع لي أن يدخلني الله الجنة، قال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، فقلت: العجوز تبكي، فقال «وأخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز فإن الله تعالى

وقال أيضاً (الشمائل ٣٢): حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا وكيع، حدثنا الربيع بن صبيح، حدثنا يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يكثر القناع، كان ثوبه ثوب زيات. وهذا فيه غرابة ونكارة والله أعلم.

وروى البخاري (٦٢٤٧) عن علي بن الجعد عن شعبة عن سيار أبي الحكم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ مر على صبيان يلعبون فسلم عليهم. ورواه مسلم (٢١٨٦) (١٥) من وجه آخر عن شعبة.

١٩- ذكر مزاحه

وقال ابن لبيعة: حدثني عمارة بن غزية عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ من أفكاه الناس مع صبي [دلائل البهائي: ٢٣٩/١، من طريق ابن لبيعة، ٤].

وقد تقدم حديثه في ملاعبته أخاه أبا عمير، وقوله: «أبا عمير ما فعل النغير»، يذكره يموت تفر كان يلعب به ليخرجه بذلك كما جرت به عادة الناس من الملاعبة مع الأطفال الصغار.

وقال الإمام أحمد (٢٦٧/٣): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا خالد بن عبد الله، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحملة فقال رسول الله ﷺ: «إنا حاملوك على ولد ناقية»، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد ناقية؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق».

ورواه أبو داود (٤٩٩٨) عن وهب بن بقية، والترمذي (١٩٩١) عن قتية كلاهما عن خالد بن عبد الله الواسطي الطحان به، وقال الترمذي: صحيح غريب.

وقال أبو داود في هذا الباب (٤٩٩٩): حدثنا يحيى بن معين، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن العيزار بن خريث، عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً على رسول الله ﷺ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: «لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ! فجعل النبي ﷺ يحجزه وخرج أبو بكر مضطرباً، فقال رسول الله ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتك من الرجل؟» فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدتهما قد اصطلحا فقال لهما: ادخلاني في سلمكما كما ادخلتماني في حربكما، فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلنا قد فعلنا».

وقال أبو داود (٥٠٠٠): حدثنا مؤمل بن الفضل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الله بن العلاء عن يسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فسلمت فرد وقال: «ادخل»، فقلت: أكلني يا رسول الله؟ قال: «كلك»، فدخلت.

وحدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد، ثنا عثمان بن أبي العاتكة إنما قال: أدخل كلي من صفر القبة (٥٠٠١).

ثم قال أبو داود (٥٠٠٢): حدثنا إبراهيم بن مهدي، حدثنا شريك عن عاصم عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ذا الأذن».

قلت: ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد (١٦١/٣): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن ثابت عن أنس: أن رجلاً من أهل البادية كان

يقول ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الرافة: ٧٥]. وهذا مرسل من هذا الوجه.

وقال الترمذي [٢٢٩]: حدثنا عباس بن محمد الدوري، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقاً».

تداعبنا - يعني تمناحنا - وهكذا رواه الترمذي في جامعه [١٩٩٠] في باب البر بهذا الإسناد ثم قال: وهذا حديث حسن صحيح.

٢٠- باب زهده ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيمَا وَرَقَ بِذَلِكَ خَيْرٌ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِمَا نَكَلُكَ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ دِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْغَضٌ إِلَىٰ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠، ٢٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُنَافِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ. لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] والآيات في هذا كثيرة.

وأما الأحاديث:

فقال يعقوب بن سفيان: حدثني أبو العباس حية بن شريح، أخبرنا بقية عن الزبيلي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال: كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ﷺ ملكاً من الملائكة معه جبريل، فقال الملك لرسوله: «إن الله يخبرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكاً نبياً» فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له، فأنشأ جبريل إلى رسول الله ﷺ أن تواضع، فقال رسول الله ﷺ: «بل أكون عبداً نبياً»، قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً مكتناً حتى لقي الله عز وجل.

وهكذا رواه البخاري في التاريخ [التاريخ الكبير: ١٢٤/١] عن حية بن شريح، وأخرجه النسائي [كمي: ١٧٤٣] عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ.

وقال الإمام أحمد [٢٣١/١]: حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة - ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة - قال: جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك يترل، فقال جبريل: «إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك: أفعلكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً».

هكذا وجدته بالنسخة التي عندي بالسند مقتصرأ وهو من إفراده من هذا الوجه.

وثبت في الصحيحين [خ: (٤٩١٣)، م: (١٤٧٩)] من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب في حديث إيلام رسول الله ﷺ من أزواجه أن لا يدخل عليهن شهراً واحداً عنهن في غلب، فلما دخل عليه عمر في تلك الغلبة فإذا ليس فيها سوى صبرة من قرظ، وأهبة معلقة، وصبرة من

شعير، وإذا هو ﷺ مضطجع على رمال حصيد أثر في جنبه، فجملت عينا عمر، قال: ما لك؟ فقلت: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه، فجلس عسماً وجهه فقال: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا».

وفي رواية لمسلم [١٤٧٩] (٣١): «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «فاحمد الله عز وجل» ثم لما انقضى الشهر أمره الله عز وجل أن يخبر أزواجه وأنزل عليه قوله: ﴿وَبَايَعْنَا النَّبِيَّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكُ إِن كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا قَتَالَيْنِ أُنْمِتْكُمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ أَغْدِ لِلْمُخْنِبَاتِ نِكَاحًا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحراب: ٢٨].

وقد ذكرنا هذا مبسوطاً في كتابنا التفسير وأنه بدأ بعائشة، فقال لها: «إني ذاك لك امرأة فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك»، وتلا عليها هذه الآية، قالت: فقلت: أفي هذا استأمر أبوي؟! فبأي اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكذلك قال سائر أزواجه عليه الصلاة والسلام ورضي عنهن.

وقال المبارك بن فضالة عن الحسن بن أسد قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مزمل بالشريط، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف، ودخل عليه عمر وناس من الصحابة فاحرق رسول الله ﷺ الخرافة، فرأى عمر أثر الشريط في جنبه فبكى، فقال له: «ما يبكيك يا عمر؟» قال: وما لي يا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت على الحال الذي أرى؟ فقال: «يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» قال: بلى، قال: «فهو كذلك» هكذا رواه البيهقي [الذليل: ٣٣٧/١].

وقال الإمام أحمد [١٣٩/٣] (١٤٠): حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك عن الحسن بن أسد بن مالك قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مزمل بشرط وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عمر فاحرق رسول الله ﷺ الخرافة فلم ير عمر بين جنبه وبين الشريط ثوباً وقد أثر الشريط بمجنب رسول الله ﷺ، فبكى عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا عمر؟» قال: والله ما أبكي إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله من كسرى وقيصر وهما يعيشان في الدنيا فيما يعيشان فيه وأنت يا رسول الله في المكان الذي أرى! فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» قال: بلى، قال: «فإنه كذلك».

وقال أبو داود الطيالسي [مسند: (٢٧٧)]: حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده، فجملت أسحمه وأقول: بأي أتيت وأمي يا رسول الله، ألا أتناك فنبسط لك شيئاً يقيك منه تمام عليه؟ فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

ورواه ابن ماجه [٤١٠٩] عن يحيى بن حكيم عن أبي داود الطيالسي به.

وأخرجه الترمذي [٢٣٧٧] عن موسى بن عبد الرحمن الكندي عن زيد بن الحباب كلاهما عن المسعودي به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٠١/١] من حديث ابن عباس، فقال: حدثنا

حطة حتى فارق الدنيا.

ورواه مسلم [٢٩٧٦] (٣٢، ٣٣) والترمذي [٢٣٥٨] وابن ماجه [٣٤٤٣] من حديث يزيد بن كيسان.

وفي الصحيحين [خ] (٦٤٥٤)، م (٢٧٩٠) (٢٠) من حديث جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قال: ما شيع آل محمد ﷺ منذ قلعوا المدينة ثلاثة أيام تباعاً من خبز ير حتى مضى لسيله.

وقال الإمام أحمد [١٥٦/٦]: حدثنا هشام، حدثنا محمد بن طلحة عن أبي حمزة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: ما شيع آل محمد ثلاثاً من خبز ير حتى قبض وما رفع من مائته كسرة قط حتى قبض.

وقال أحمد [٢٥٠/٦]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مطيع الغزال عن كردوس عن عائشة قالت: قد مضى رسول الله ﷺ لسيله وما شيع أهله ثلاثة أيام من طعام ير.

وقال الإمام أحمد [٧١/٦]: حدثنا حسين، حدثنا دويد عن أبي سهل عن سليمان بن رومان - مولى عروة - عن عائشة أنها قالت: والذي بعث محمداً بالحق ما رأى مثلاً ولا أكل خبزاً مثلاً منذ بعثه الله إلى أن قبض. قلت: كيف كنتم تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نقول أف.

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وروى البخاري [٥٤٢٣] عن محمد بن كثير عن الثوري عن عبيد الرحمن بن عباس بن ربيعة عن أبيه عن عائشة قالت: إن كنا لنخرج الكراع بعد خمسة عشر يوماً فنأكله، قلت: ولم تفعلوا ذلك؟ فضحكت وقالت: ما شيع آل محمد ﷺ من خبز ير مادوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل. وقال أحمد [٥٠/٦]: حدثنا يحيى، حدثنا هشام، أخبرني أبي عن عائشة قالت: كان يأتي على آل محمد الشهر ما يوقدون فيه ناراً ليس إلا التمر والماء إلا أن نؤتي باللحم.

وفي الصحيحين [خ] (٦٤٥٨)، م (٢٩٧٢) (٦٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: (إن كنا آل محمد لير بنا الهلال ما نوقد ناراً إنما هو الأسودان: التمر والماء إلا أنه كان حولنا أهل دور من الأنصار يبعثون إلى رسول الله ﷺ بلبين منافعهم فيشرب ويسقينا من ذلك اللبن).

ورواه أحمد عن يزيد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنها بنحوه. وقال الإمام أحمد [٧١/٦] (٨٦): حدثنا علي بن عياش وحسين بن محمد قالا: حدثنا محمد بن مطرف، حدثنا أبو حازم قال حسين: عن عروة عن عائشة قالت: كان ير رسول الله ﷺ هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوت ناز: يا خالة على أي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: على الأسودين التمر والماء.

تفرد به أحمد.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند] (١٢٨٩) عن شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن الأسود عن عائشة قالت: ما شيع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض.

وقد رواه مسلم [٢٩٧٠] (٢٢) من حديث شعبة.

وقال الإمام أحمد [٢١٧/٦]: حدثنا إسماعيل حدثني سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: قالت عائشة: بعث إلينا آل أبي بكر بقاءمة شاة ليلاً فأمسك رسول الله ﷺ وقطعت، أو أمسكت وقطع. فقال النبي ﷺ: على غير مصباح؟ فقالت: لو كان عندنا مصباح لأتدنا به إن كان

عبد الصمد وأبو سعيد وعفان قالوا: حدثنا ثابت، حدثنا هلال عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوتر من هذا، فقال: أما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها. تفرد به أحمد.

وفي صحيح البخاري [٦٤٤٥] من حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن لي مثل أحد ذهباً ما سررتي أن تأتي علي ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أروده لغيري».

وفي الصحيحين [خ] (٦٤٦٠)، م (١٠٥٥) (١٢٦) من حديث عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً».

فأما الحديث الذي رواه ابن ماجه [٤١٢٦] من حديث يزيد بن سنان عن أبي المبارك عن عطاء عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأميتي مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين»، فإنه حديث ضعيف لا يثبت من جهة إسناده لأن فيه يزيد بن سنان أباً لفروة الرهاوي وهو ضعيف جداً والله أعلم.

وقد رواه الترمذي [٢٣٥٢] من وجه آخر فقال: حدثنا عبد الأعلى بن واصل الكوفي، حدثنا ثابت بن محمد العابد الكوفي، حدثنا الحارث بن النعمان الليثي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأميتي مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين يوم القيامة»، فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ما عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمر». يا عائشة حيي المساكين وقربهم فإن الله يقرئك يوم القيامة. ثم قال هذا حديث غريب. قلت: وفي إسناده ضعف وفي متنه تكرار والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٣٣٢/٥]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو عبد الرحمن - يعني - عبد الله بن دينار عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه قيل له: هل رأى رسول الله ﷺ النبي بعينه - يعني الحواري - فقال له: ما رأى رسول الله ﷺ بعينه حتى لقي الله عز وجل، فقيل له: هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كانت لنا مناخل، فقيل له: فكيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قال: ننفضه فيطير ما طار.

وهكلاً رواه الترمذي [٢٣٦٤] من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار به. وزاد: ثم نثره ونعجت، ثم قال: حسن صحيح. وقد رواه مالك عن أبي حازم.

قلت: وقد رواه البخاري [٥٤١٠] عن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن مطرف أبي غسان اللثني عن أبي حازم عن سهل بن سعد به.

ورواه البخاري [٥٤١٣] أيضاً والنسائي عن شعبة عن يعقوب بن عبد الرحمن الفلاري عن أبي حازم عن سهل به.

وقال الترمذي [٢٣٥٩]: حدثنا عباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا جرير بن عثمان عن سليم بن عامر سمعت أبا أمامة يقول: ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير. ثم قال: حسن صحيح غريب.

وقال الإمام أحمد [٤٣٤/٢]: حدثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم قال: رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مراراً والذي نفس أبي هريرة بيده ما شيع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز

رسول الله ﷺ يجز شعر وإهالة سنخة ولقد رهن درعه عند يهودي فأخذ لأهله شعيراً، ولقد سمعته ذات يوم يقول: ما أمسى عند آل محمد صاع تمر ولا صاع حب.

وقال الإمام أحمد [٢٧٠/٣]: حدثنا عفان، حدثنا إبان بن يزيد، حدثنا قتادة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ لم يجتمع له غنله ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضئف.

ورواه الترمذي في الشمائل [٣٦٠] عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عفان، وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

وقال أبو داود الطيالسي [٥٨]: حدثنا شعبة عن سماك بن حرب، سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت عمر بن الخطاب يخطب. فذكر ما فتح الله على الناس، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتري من الجوع ما يجد من الذل ما يلا بطنه.

وأخرجه مسلم [٢٩٧٨] (٣٦١) من حديث شعبة.

وفي الصحيح [٣٥٧٨] أن أبا طلحة قال: يا أم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع. وسياي الحديث في دلائل النبوة.

وفي قصة أبي الهيثم بن التيهان: أن أبا بكر وعمر خرجا من الجوع فبينما هما كذلك إذ خرج رسول الله ﷺ، فقال: «ما أخرجكما؟» فقالا: الجوع، فقال: «والذي نفسي بيده لقد أخرجني الذي أخرجكما، فذهبوا إلى حنيفة أبي الهيثم بن التيهان فأطعمهم رطباً وذهب لهم شاة فأكلوا وشربوا الماء البارد، وقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه» (الدلائل للهيتمي: ٣٥٩/١ - ٣٦٢ من طرق، ورواه [٢٣٦٩] (٢٣٧٠) وأخرجه مسلم [٢٠٣٨] نحوه ولم يذكر أبا الهيثم بن التيهان).

وقال الترمذي [٢٣٧١]: حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا يزيد بن سهل بن أسلم، عن يزيد بن أبي منصور عن أنس عن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطونا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين، ثم قال: غريب.

وثبت في الصحيحين [١٤٥٦] م (٢٠٨٢) (٣٨) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سلت عن فراش رسول الله ﷺ فقالت: كان من آدم حشوة ليف.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا عباد بن عبد المهلب عن جبال بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فانتظلت فبعثت إلي بفراش حشوة الصوف، فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: قلت: يا رسول الله: فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت إلي بهذا، فقال «رديه» قالت: فلم أره وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات قالت: فقال: «رديه يا عائشة فو الله لو شئت لأجرى الله معي جبال من الذهب والفضة».

وقال الترمذي في الشمائل [٣١٤]: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى البصري، حدثنا عبد الله بن ميمون، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال: سلت عائشة: ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: من آدم حشوة ليف، وملت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ؟ قالت: مسح نثية نبتين فينام عليهما، فلما كان ذات ليلة قلت: لو نثيت بأربع نثيات كان أوطأ له، فثنيته له بأربع نثيات، فلما أصبح قال: «ما فرشتوني الليلة؟» قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا نثيته بأربع نثيات قلنا: هو أوطأ لك. قال:

ليأتي على آل محمد الشهر ما يجزون خبزاً ولا يطبخون قندراً. وقد رواه أيضاً عن بهز بن أسد عن سليمان بن المغيرة، وفي رواية [المسند ٩٤/٦]: شهرين.

تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد [٤٠٥/٢]: حدثنا خلف، حدثنا أبو معشر عن سعيد - هو ابن أبي سعيد - عن أبي هريرة قال: كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقدون في بيوتهم النار لا لحبز ولا لطبخ، قالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: الأسودان، التمر والماء، وكان لهم جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً لهم منائع يرسلون إليهم شيئاً من لبن.

تفرد به أحمد.

وفي صحيح مسلم [٢٩٧٥] (٣٠) من حديث منصور بن عبد الرحمن الحنظلي عن أمه عن عائشة قالت: توفي رسول الله ﷺ وقد شجع الناس من الأسودين: التمر والماء.

وقال ابن ماجه [٤١٥٠]: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: «أُتِيَ رسول الله ﷺ يوماً بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال: «الحمد لله» ما دخل بطني طعام سخن منذ كنا وكذا».

وقال الإمام أحمد [٢١٣/٣]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمار أبو هاشم صاحب الزعفراني عن أنس بن مالك «أن فاطمة تناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز شعير فقال: «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام».

تفرد به أحمد.

وروى الإمام أحمد [٢٥٥/١] عن عفان والترمذي [٢٣٦٠] وابن ماجه [٣٣٤٧] جميعاً عن عبد الله بن معاوية كلاهما عن ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب العبدي الكوفي عن عكرمة عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طأوياً وأهله لا يهدون عشاء، وكان عامة خبزهم خبز الشعير».

وهذا لفظ أحمد.

وقال الترمذي في الشمائل [١٧٦]: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن يزيد بن أبي أمية الأحمري عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: «رأيت رسول الله ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمر، وقال: «هذه إمام هذه» وأكل».

وفي الصحيح [مسند أحمد: ٣٨/٦، ت (١٨٩٥)] من حديث الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الخلو البارد».

وقال أبو عصام من حديث قتادة، عن أنس قال: ما أعلم رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول: «هو أدوى وأبرأ وأمرى» (٢٠٢٨) (١٢٣).

وروى البخاري [٦٤٥٧] من حديث قتادة عن أنس قال: ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغباً مرققاً حتى لحق باله، ولا شاة سميماً بعينه قط. وفي رواية له [٥٤١٥] عنه أيضاً: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق، فقلت لأنس: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على الشُر.

وله [٢٠٦٩] من حديث قتادة أيضاً عن أنس: أنه مشى إلى

أخبرنا عنه حالته الأولى، فإنه منعتني وطأته صلاتي الليلة.

وقال الطبراني (المعجم الكبير (٢١٦/٣)): حدثنا محمد بن أبان الأصبهاني، حدثنا محمد بن عبادة الواسطي، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن حكيم بن حزام قال: خرجت إلى اليمن فابتعت حلة ذي يزن فأهديتها إلى النبي ﷺ في المدة التي كانت بينه وبين قريش فقال: «لا أقبل هدية منك» فردها، فبعتها فاشتراها فلبسها ثم خرج على أصحابه وهي عليه فما رأيت شيئاً في شيء أحسن منه فيها، فما ملكت نفسي أن قلت:

مَا يُنْظَرُ الْحُكَّامُ بِالْفَضْلِ يُنْتَقَا بَدَنًا وَاضِحٌ مِنْ غُرُورٍ وَخُبُورٍ
إِنَّا قَائِمُونَ الْجَدَّ أَرَسَى عَلَيْهِمْ كُمُتُغْرُغُ مَاءِ النَّسَابِ سَجِيلٍ

فسمعها النبي ﷺ فالتفت إلي يتبسّم ثم دخل فكساها أسامة بن زيد.

وقال الإمام أحمد (٣١٤/٦): حدثني حسين بن علي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: حدثني عن ريمي بن خراش عن أم سلمة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه، قالت: فحسبت ذلك من وجع، قلت: يا رسول الله أراك ساهم الوجه، أفمن وجع؟ فقال: «لا، ولكن الدنابر السبعة التي أتينا بها أمس أسينا ولم ننفقها نسيتها في خضم الفرائش».

تفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد (١٠٤/٦): حدثنا أبو سلمة، قال: أخبرنا بكر بن مضر، حدثنا موسى بن جبير عن أبي أمامة بن سهل قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير يوماً على عائشة فقالت: لو رأيتماني الله ﷺ ذات يوم في مرض مريضه؟ قالت: وكان له عندي ستة دنابر، قال موسى: أو سبعة، قالت: فأمرني رسول الله ﷺ أن أفرقها، قالت: فشغلني وجع نبي الله ﷺ حتى عافاه الله عز وجل، قالت: ثم سألتني عنها فقال: «ما فعلت الستة؟» قال: «أو البعثة» قلت: لا والله لقد شغلني عنها وجعك، قالت: فدعا بها ثم ضمها في كفه، فقال: «ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده».

تفرد به أحمد.

وقال تقيّة: حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لنفسه. وهذا الحديث في الصحيح (هو في الموطأ (٢٣٦٢) من قبة، ٤).

والمراد أنه كان لا يدخر شيئاً لنفسه مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها لما ثبت في الصحيحين [ج (٢٩٠٤)، م (١٧٥٧) (٤٨)] عن عمر أنه قال: كانت أموال بني النضير ما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عتّة في سبيل الله عز وجل. وما يؤيد ما ذكرناه ما:

رواه الإمام أحمد (١٩٨/٣): حدثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرني هلال بن سويد أبو يعلى قال: سمعت أنس بن مالك وهو يقول: أهديت للنبي ﷺ ثلاثة طوائف فأطعم خادماً طافراً فلما كان من الداء أتته به، فقال لها رسول الله ﷺ: «الم إنك أن ترمي شيئاً لنفسي فإن الله عز وجل يأتي برزق كل غدي»

حديث بلال في ذلك:

قال البيهقي: حدثنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو محمد جعفر بن

نصير، حدثنا إبراهيم بن عبد الله البصري، حدثنا بكار بن محمد، أخبرنا عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ دخل على بلال فوجد عنده صبراً من قمر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: قمر أدخره، قال: «ويحك يا بلال! أو ما تخاف أن تكون له بخار في النار! أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً».

قال البيهقي (الذليل: ٣٤٧/١) بسنده عن أبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي كلاهما عن أبي توبة الربيع بن نافع، حدثني معاوية بن سلام عن زيد بن سلام، حدثني عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ فقال: ما كان له شيء من ذلك إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله لي أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فراه عارياً، فأمرني فانطلق فاستقرض فاشترى البردة والشيء فأكسوه وأطعمه، حتى اعترضني رجل من المشركين فقال: يا بلال، إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني، ففعلت، فلما كان ذات يوم تروأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة فإذا المشرك في عصابة من التجار، فلما رأيته قال: يا حيي، قال: قلت يا ليه، فتجهمني، وقال قولاً عظيماً أو غليظاً، وقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع ليال فأحكك بالذي لي عليك، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، وإما أعطيتك لتجيب لي عبداً فأفرك ترحي في الغنم كما كنت قبل ذلك، قال: فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، فانطلقت فناديت بالصلاة حتى إذا صليت العتمة ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فاستاذنت عليه فأذن لي، قلت: يا رسول الله بأي أنت وأمي إن المشرك الذي ذكرت لك أمي كنت أتدبين منه قد قال كذا وكذا، وليس عندك ما يقضي عني، ولا عندني، وهو فاضحي، فأذن لي أن آتي إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني، فخرجت حتى أتيت منزلي ففعلت سفي وجري ودمي ونعلي عند رأسي، فاستجلبت بوجهي الأثني فكلما نمت انتهيت فإذا رأيت عليّ ليلاً نمت حتى انشق عمود الصباح الأول فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يسمى يدهو: يا بلال أجب رسول الله ﷺ، فانطلقت حتى أتته، فإذا أربع ركائب عليهم أحامهن فأتيت رسول الله ﷺ فاستاذنت، فقال لي رسول الله ﷺ: «أبشر فقد جاءك الله بقضاء دينك»، فحمدت الله وقال: «الم عمر على الركائب المنلخات الأربع؟» قال: قلت: بلى، قال: «فإن لك رقابهن وما عليهن» - فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فذلك «فأقبضهن إليك ثم اقض دينك»، قال: ففعلت فحططت عنهن أحامهن ثم عقلتن ثم عدت إلى تأذين صلاة الصبح حتى إذا صلى رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع، ففعلت أصبغني في أنفي فناديت قلت: من كان يطلب من رسول الله ﷺ ديناً فليحضر، فما زلت أبيع وأقضي وأعرض وأقضي حتى لم يبق على رسول الله ﷺ دين في الأرض حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف، ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار، فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده، فسلمت عليه، فقال لي: «ما فعل ما يئلك؟» قلت: قضى الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبق شيء، قال: «أفضل شيء؟» قلت: نعم ديناران، قال: «انظر أن ترجيني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى ترجيني منهما».

قال: فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكباً فانطلقت بهما

وغيره في ناحية، فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ أَفَطَرْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيُكُونُوا أَعْدَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ تَبِعَا آيِسَ اللَّهِ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] قال: فلدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالس الأشراف ﴿تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمُ مَنْ أَفْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني عيينة والأقرع ﴿وَأَشْبَعُ مَرْوَةَ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَا﴾ [الحج: ٢٨] قال: هلاكاً، قال: أَمُرُّ عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا.

قال خباب: فكانت تقعد مع رسول الله ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم قمنا وتركناها حتى يقوم.

ثم قال ابن ماجه [٤١٢٨]: حدثنا يحيى بن حكيم حدثنا أبو داود، حدثنا قيس بن الربيع عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة، في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال. قال: قالت قریش: يا رسول الله إنا لارضى أن نكون أتباعاً لهم فاطرهم عنك، قال: فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية.

وقال الحافظ البيهقي [الذليل: ٣٥١/١]: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا أبو الحسين خلف بن محمد الواسطي كردوس، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي، حدثنا الملعلي بن زياد - يعني عن العلاء بن بشير المازني - عن أبي الصديق التاجي عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم وإن بعضهم ليستر ببعض من العري، وقارئاً لنا يقرأ علينا، فكانت نسمع إلى كتاب الله فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت أن أصبر معهم نفسي، قال: ثم جلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بيتنا نفسه فينا ثم قال بيده هكذا. قال: فاستنارت الحلقة وبرزت وجوههم، قال: فما عرف رسول الله ﷺ أحداً منهم غيري، فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام».

وقد روى الإمام أحمد [١٣٢/٣، ١٥١] وأبو داود [مخرجه] والترمذي [٢٧٥٤] من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، قال: وكانوا إذا رآوه لم يقوموا لما يعملون من كراهيته لذلك.

٢٢- عبادته ﷺ واجتهاده في ذلك

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى تقول: لا يفطر، ويفطر حتى تقول: لا يصوم [خ (١٩٦٩)، م (١١٥٩)].

فكسوتهما وأطعمتهما، حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: «ما فعل الذي يترك؟» قلت: قد أراحك الله منه، فبكى وحمد الله شفقاً من أن يتركه الموت وعنده ذلك، ثم أتبعته حتى جاء أرواحه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى ميتته، فهذا الذي سألني عنه.

وقال الترمذي في الشمائل [٣٤٠]: حدثنا هارون بن موسى بن أبي علقمة المديني، حدثني أبي عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال: «ما عندي ما أعطيك، ولكن ابتع عليّ، فإذا جاني شيء قضيت»، فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيت، فما لك لك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقللاً، فتبسم رسول الله ﷺ، وعُرف التبسم في وجهه لقول الأنصاري وقال: «بهذا أمرت».

وفي الحديث «ألا إنيهم ليسألوني ويأبى الله لي البخل» [مسند أحمد: ١٦/٣، بخره].

وقال يوم حنين حين سأله قسم الغنائم: «والله لو أن عندي عدد هذه المضاه نعماً لقسمتها فيكم ثم لا تجلوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً» [خ (٢٨٢١)، ٣١٤٨].

وقال الترمذي [٣٤١]: حدثنا علي بن حجر، حدثنا شريك عن عبيد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: أتيت رسول الله ﷺ بقناع من رطب وأجرز رُغِبَ فأعطاني ملء كفه حلياً أو ذهباً. وقال الإمام أحمد [٧/٣]: حدثنا سفيان عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «كيف أتمم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحتى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر» قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله تولكنا».

ورواه الترمذي [٢٤٣١، ٣٢٤٣] عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن مطرف. ومن حديث خالد بن طهمان كلاهما عن عطية وهو ابن سعيد العوفي الجعفي، وأبو الحسن الكوفي عن أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي حسن.

قلت. وقد روي من وجه آخر عنه من حديث ابن عباس كما سيأتي في موضعه.

٢١- ومن تواضعه ﷺ

قال أبو عبد الله بن ماجه [٤١٢٧]: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عمرو بن محمد العتري، حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن أبي سعد الأزدي - وكان قارئ الأزد - عن أبي الكتود عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول رسول الله ﷺ حقروهم، فأتوا فخلوا به فقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فتستحي أن تراءنا العرب مع هذه الأعباء، فإذا نحن جئناك فاتمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: «نعم»، قالوا: فاكب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب

وكان لا تشاء تراه من الليل قائماً إلا رأيته، ولا تشاء تراه نائماً إلا رأيته (ج (١١٤١)).

قالت: وما زاد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يوتر بثلاث (ج (١١٤٧)، م (٧٣٨)).

قالت: وكان رسول الله ﷺ يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها (م (٧٣٣)، ت (٣٧٣)، م (١٦٥٧)).

قالت: ولقد كان يقوم حتى أرثي له من شدة قيامه. وذكر ابن مسعود أنه صلى معه ليلة فقرأ في الركعة الأولى بالبقرة والنساء وآل عمران ثم ركع قريباً من ذلك، ووقف نحوه وسجد نحوه (م (٧٧٢)، من حديث حليمة).

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قام ليلة حتى أصبح يقرأ هذه الآية: ﴿إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٩٨) رواه أحمد (١٤٩/٥)، ١٥٦، ١٧٠، مطروح.

وكل هذا في الصحيحين (ج (٤٨٣٦)، م (٢٨١٩)) وغيرهما من الصحاح، وموضع بسط هذه الأشياء في كتاب الأحكام الكبير.

وقد ثبت في الصحيحين (ج (٤٨٣٦)، م (٢٨١٩)) من حديث سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة: أن رسول الله ﷺ قام حتى تطرفت قدماه، فقيل له: ليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وتقدم في حديث سلام بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «حبيب لي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة». رواه أحمد (١٩٩/٣) والنسائي (٣٩٤٩).

وقال الإمام أحمد (٢٥٥/١): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة. أخبرني علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن جبريل قال لرسول الله ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ حَبِبَ إِلَيْكَ الصَّلَاةُ فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ».

وثبت في الصحيحين (ج (١٩٤٥)، م (١١٢٢)) عن أبي السرداء قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ، وعبد الله بن رواحة».

وفي الصحيحين (ج (١٩٨٧)، م (٧٨٣)) من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله دعة. وإيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع؟

وثبت في الصحيحين (ج (١٩٦١)، م (١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٥)) من حديث أنس وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم: «أن رسول الله ﷺ كان يواصل ونهى أصحابه عن الوصال وقال: «إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقي».

والصحيح أن هذا الإطعام والسقي معنيان كما ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجه (٣٤٤٤) أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَكْرَهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَطْعَمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ».

وما أحسن ما قال بعضهم:

لَهَا أَصَابَتْ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْفَاهَا عَنْ الشَّرَابِ وَتُلْهِئُهَا عَنِ الزَّادِ
وقال النضر بن شميل، عن حماد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم

مائة مرة».

وروى البخاري، عن الفريابي، عن الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي». قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري». قال: فقرأ سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ بِشَيْءٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١). قال: «حَسْبُكَ». فالتفت فإذا عيناه تذرفان.

وثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام، كان يجذ الثمرة على فراشه فيقول: «هولاً أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها».

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ثنا أسامة بن زيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه ثمرة من الليل، فأكلمها، فلم يَمُزْ تلك الليلة، فقال بعض نساءه: يا رسول الله، لو كنت الليلة. قال: «إني وجدت تحت جني ثمرة فأكلمها، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة، فخشيت أن تكون منه». فنرد به أحمد. وأسامة بن زيد هذا هو الليثي؛ من رجال مسلم. والذي نعتقد: أن هذه الثمرة لم تكن من تمر الصدقة؛ لعصته، عليه الصلاة والسلام، ولكن من كمال ووعه، عليه الصلاة والسلام، أرق تلك الليلة.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «والله إني لأتقاكم لله وأعلمكم بما أتى». وفي الحديث الآخر أنه قال: «دع ما يريك إلى ما لا يريك».

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل. وفي رواية: وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

وروى البيهقي من طريق أبي كريب محمد بن العلاء المملاني، ثنا معاوية بن هشام، عن شيان، عن أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله أراك شيت. فقال: «فشيئتني هو والواقعة والمرسلات، وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت».

وفي رواية له، عن أبي كريب، عن معاوية بن هشام، عن شيان، عن فراس، عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، أسرع إليك الشيب. فقال: «فشيئتني هو وأخواتها؛ الواقعة، وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت».

٢٣ - شجاعته ﷺ

ذكرنا في التفسير عن بعض من السلف أنه استنبط من قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَخَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ٨٤) أن رسول الله ﷺ كان مأموراً أن لا يفر من المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده من قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ﴾.

وقد كان صلوات الله وصلاحه عليه وسلم من أشجع الناس وأصبر الناس وأجلهم، ما فر قط من مصاف ولو تولى عنه أصحابه.

قال بعض الصحابة: كنا إذا اشتدت الحرب وحمي البأس، تنقي برسول الله ﷺ. فقي يوم بدر رمى ألف مشرك ببضة من حصاة فثألهم أجمعين حين قال: «شأنت الوجوه». وكذلك يوم خيبر كما تقدم، وفر أكثر أصحابه في ثاني الحال يوم أحد وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه ولم يبق معه إلا اثنا عشر قتل منهم سبعة وبقي الخمسة. وفي هذا الوقت قتل أبي بن خلف لعنه الله فعجله الله إلى النار.

وقد روي عن عبد الله بن سلام من وجه آخر فقال الترمذي [٣٦١٧]: حدثنا زيد بن أحمز الطائي البصري، حدثنا أبو قتيبة - سلم بن قتيبة - حدثني أبو مودود المدني، حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: «مكتوب في التوراة: صفة محمد وعيسى ابن مريم بلغن معه. فقال أبو سُرُود: وقد بقي في البيت موضع قبر.

ثم قال الترمذي: هنا حديث حسن.

هكذا قال: عثمان بن الضحاك. والمعروف الضحاك بن عثمان المدني، وهكذا حكى شيخنا الحافظ المزي في كتابه الأطراف [٣٥٦/٤] عن ابن عساكر أنه قال مثل قول الترمذي، ثم قال: وهو شيخ آخر أقدم من الضحاك بن عثمان ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه فيمن اسمه عثمان، فقد روي هذا عن عبد الله بن سلام، وهو من أئمة أهل الكتاب عن آمن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد كان له اطلاع على ذلك من جهه زاملتين كان أصابهما يوم اليرموك، فكان يحدث منهما عن أهل الكتاب، وعن كعب بن مافع الخبر. وكان بصيراً بأقوال المتقدمين على ما فيها من خلط وغلط، وتحريف وتبديل، فكان يقول بما فيها من غير نقد، وربما أحسن بعض السلف بها الظن فقلها عنه مسلمة، وفي ذلك من المخالفة لبعض ما يبايننا من الحق جملة كثيرة، ولكن لا يظن لها كثير من الناس.

ثم ليعلم أن كثيراً من السلف يظنون التوراة على كتب أهل الكتاب سواء كانت هذا الكتاب المتلو عندهم، أو أصح من ذلك، كما أن لفظ القرآن يطلق على كتابنا خصوصاً وقد يستعمل ويراد به غيره، كما في الصحيح [ج (٤٧١٣)]: «خُفَّ على داود القرآن فكان يأمر بدوايه فسرجه فيقرأ القرآن مقدار ما يفرغ» وقد بسط هنا في غير هذا الموضع والله أعلم.

وقال البيهقي [الدلائل: ٣٧٦/١، ٣٧٧] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدثني محمد بن ثابت بن سرحيل عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الخبر: كيف تمجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: لمجد محمد رسول الله، اسمه المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، وأعطى المصاحف ليصير الله به أعياناً حوراً، ويسمع به آذاناً وقرأ، ويقم به ألسناً معوجة حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعين المظلوم ويمنع.

وه عن يونس بن بكير عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة: أن رسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل لا فظ، ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلاً. بسل يعفو ويصفح [الدلائل: ٣٧٨، ٣٧٧/١].

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا قيس الجبلي، حدثنا سلام بن مسكين عن مقاتل بن حيان قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم. جد في أمري ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فلأياي فاعبد، وعليّ فتوكل، فبين لأهل سوران بالسريانية، بلغ من بين يديك أنني أنا الحق القائم الذي لا أزل، صدقوا بالنبي العربي، صاحب الجمل والمدرة والعمامة والتعلين والمراوة، الحمد الرأس، الصلت الجين، المقرون الحاجبين، الأنجل العينين، الأتني الأنف الواضح الجبين الكت اللحية، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، ريمه المسك ينفع منه، كان عتقه إيريق فضة، وكان الذئب يجري في تراقيه، له شمرات من لبتة إلى سرتة تجري كالقضب ليس على صدره ولا بطنه شعر

ويوم حنين ولي الناس كلهم وكانوا يومئذ اثني عشر ألفاً وثبت هو في نحو من مائة من أصحابه وهو راكب يومئذ بغلته وهو يركض بها إلى نحو العدو، وهو ينوه باسمه الكريم ويعلم بذلك قاتلاً: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب». حتى جعل العباس وعلي وأبو سفيان بن الحارث يتعلقون في تلك البغلة ليطلقوا سيرها خوفاً عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه. وما زال كذلك حتى نصره الله وأبدله في مقامه ذلك وما تراجع الناس إلا والأسارى مكبلة بين يده صلوات الله عليه وسلامه.

وقال أبو زرعة: حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقي، حدثنا مروان - يعني ابن محمد - حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الناس بشدة البطش». [الربيع بعدد للعطب (٧٠، ٦٩/٨) و[الربيع دمشق (٢٢/٤)، بنحو]

٢٤- ما يذكر من صفاته ﷺ في الكتب

المأثورة عن الأنبياء الأقدمين

قد أسلفنا طرفاً صالحاً من ذلك في البشارات قبل مولده، ونحن نذكر ههنا غرراً من ذلك:

فقد روى البخاري [٢١٢٥] والبيهقي [الدلائل: ٣٧٤/١] واللفظ له من حديث فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدني ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقسم به الملة العوجاء أن يقولوا: لا إله إلا الله وأفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

قال عطاء بن يسار: ثم لقيت كعبا الخبر فسألته فما اختلفا في حرف إلا أن كعباً قال: أعينا غُومِي وقلوباً غُولِي وآذاناً صُومِي. ورواه البخاري [٤٨٣٨] أيضاً عن عبد الله غير منسوب، قيل: هو ابن رجاء، وقيل: عبد الله بن صالح، وهو الأرجح، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن هلال بن علي به.

قال البخاري [٣١٢٥]: وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام. كنا حلقه البخاري.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ٣٧٦/١] من طريق يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح - هو عبد الله بن صالح كاتب الليث - حدثني الليث، حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام أنه كان يقول: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ: (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين. أنت عبدني ورسولي سميت المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلاً، ولكن يعفو ويتجاوز، ولن أقبضه حتى يقسم به الملة العوجاء: بأن يشهد أن لا إله إلا الله نتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً).

قال عطاء بن يسار: وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال ابن سلام.

ريعة قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدق به وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيت فآقرته مني السلام، وسأخبرك ما نعتني حتى لا يخفى عليك، قلت: هلم، قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرج به قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تُخذع عنه فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين ورامك، وينتونه مثل ما نعتك لك، ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر بن ريعة: فلما أسلمت أخبرت النبي ﷺ، قول زيد بن عمرو بن نفيل وأقرأته منه السلام، فرد عليه السلام وترحم عليه، وقال: «قد رأيت في الجنة يسحب ذبلاً».

٨- كتاب دلائل النبوة

١- القرآن العظيم

وهي معنوية وحسية:

فمن المعنوية: إزال القرآن العظيم عليه، وهو أعظم المعجزات، وأبهر الآيات، وأبين الحجج الواضحات، لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعدائه على معارضته. وفصاحتهم وبلاغتهم، ثم تحداهم بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تنازل إلى التحدي بسورة من مثله، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك، وأن هذا ما لا سبيل لأحد إليه أبداً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّمَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] وهذه الآية مبكية.

وقال في سورة الطور وهي مبكية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ قَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحُجَّتٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٢٣]. أي أي كنتم صادقين في أنه قاله من عنده فهو بشر مثلكم فأتوا بمثل ما جاء به فأنكم بشر مثله.

وقال تعالى في سورة البقرة وهي مبنية - معبداً للتحدي - ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلنَّاسِ وَالْجَنَّةَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآنَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤، ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افترأه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَنَقَّضْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٧-٣٩].

فبين تعالى أن الحلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه، وأنهم لا يستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحد ثان وهو أنه لا يمكن معارضته لهم لا في الحال ولا في المال ومثل هذا التحدي إما يصدر عن واقع بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان من مقول من عند نفسه لحاف أن يعارض، فيفتضح ويعود عليه بقبض ما قصد من متابعة الناس له، ومعلوم لكل ذي لب أن عمداً مثله من اعقل خلق الله بل اعقلهم واكملمهم على الإطلاق في نفس الأمر، فما كان ليقدم على هذا الأمر إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته، وهكذا وقع، فإنه من لدن رسول الله ﷺ وإلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير سورة منه وهذا لا سبيل إليه أبداً، فإنه كلام رب العالمين الذي لا يشبهه شيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فأي شبه كلام

المخلوقين كلام الخالق؟ وقول كفار قريش الذي حكاه تعالى عنهم في قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الأنعام: ٢٥]. كذب منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان، ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه، بل هم يعلمون كذب أنفسهم، كما يعلمون كذب أنفسهم في قولهم ﴿أَنْبِيَاءُ الْأَوَّلِينَ كَتَبْنَاهَا فِيهِ تَمَلُّ عَلَىٰ بَكْرَةَ وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: ٢٦] أي أنزله عالم الخفيات، رب الأرض والسماوات، الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فإنه تعالى أوحى إلى عبده ورسوله النبي الأمي الذي كان لا يحسن الكتابة ولا يدبرها بالكتابة، ولا يعلم شيئاً من علم الأوائل وأخبار الماضين، نقص الله عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء، وهو في ذلك يفصل بين الحق والباطل الذي اختلفت في إيراد جملة الكتب المتقدمة، كما قال تعالى:

﴿يُنَزِّلُ مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نَوْحاً إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً. مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً. خَالٍ لَيْنَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئاً عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ يَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُكُورِ الَّذِينَ أَوْسُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨-٥٢].

فبين الله تعالى أن إزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحكم ما هو كائن بين الناس على مثل هذا النبي الأمي وحده، كاف في الدلالة على صدقه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ يَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُكُورِ الَّذِينَ أَوْسُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [يونس: ١٥ - ٢٧] يقول لهم: إنني لا أطيق تبديل هنا من تلقاء نفسي، وإلما الله عز وجل هو الذي يحو ما يشاء ويثبت وأنا مبلغ عنه وأنتم تعلمون صدقي فيما جتكم به، لأنني نشأت بين أظهركم وأنتم تعلمون نسي وصدقي وأمانتي، وأنني لم أكذب على أحد منكم يوماً من الدهر، فكيف يسعني أن أكذب على الله عز وجل، مالك الضر والنفع، الذي هو على كل شيء قدير، ويكل شيء عليهم؟ وأي ذنب عنده أعظم من الكذب عليه، ونسبة ما ليس منه إليه، كما:

شَيْءٍ وَهَلَكَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [يوسف: ١١١].
وقال تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا يُبْدِيهِ لَنَا مِنْ رَبِّهِ أَوْلَسَمَ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» [طه: ١٣٣].

وقال تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُمُ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنْتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» [صافات: ١٥٣].
وعَدَّ تعالى أنه سيظهر آيات: القرآن وصدقه وصدق من جاء به بما يخلق في الأفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب وفي نفس المكذبن له المكذبن ما فيه حجة عليهم وبرهان قاطع لشبههم، حتى يستبينوا أنه منزل من عند الله على لسان الصادق، ثم أرشد إلى دليل مستقل بقوله: «أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنْتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» [صافات: ١٥٣] أي في العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر كفاية في صدق هذا الخبر عنه؛ إذ لو كان مفترياً عليه لمعالجة بالمعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك.

وفي هذا القرآن إخبار عما وقع في المستقبل طبق ما وقع سواء بسواء، وكذلك في الأحاديث حسب ما قررناه في كتابنا التفسير، وما سنذكره من الملحاح والفتن كقوله تعالى: «وَعَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَقْرِضُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَالُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [الزمر: ٢٠] وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة.

وكذلك قوله تعالى في سورة اقتربت وهي مكة بلا خلاف: «سَيَقْرَأُ الْجَعْبُ وَيُؤْتُونَ النَّبِيَّ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَقْسَمُ وَأَمْرًا» [القصص: ٤٥-٤٦].
وقع مصداق هذه المزمعة يوم بدر بعد ذلك. إلى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة، وسيأتي فصل فيما أخبر به من الأمور التي وقعت بعد عليه الصلاة والسلام طبق ما أخبر به.

وفي القرآن الأحكام العادلة أمراً ونهيًا، المشتلة على الحكم البالغة التي إذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام إنما أنزلها العالم بالخفيات، الرحيم بعباده، الذي يعاملهم بلطفه ورحمته، وإحسانه، قال تعالى: «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا» [الأنعام: ١١٥] أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي.

وقال تعالى: «أَلَمْ يَكُنْ أَكْثَرُ حِكْمَةً يَا أَيُّهَا ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» [هود: ١] أي أحكمت ألفاظه وفصلت معانيه.

وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ» [البقرة: ١٣٣] أي: العلم النافع والعمل الصالح.

وهكذا روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال لكعبيل بن زياد: هو كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، وحكم ما بينكم، ونبأ ما بعدكم [٢٩٠٦] وفيه انه وصي الخوارج الاطهر، لا تكمل بن زاذ. وقد بسطنا هذا كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية ولله الحمد والمآلة.

فالقرآن العظيم معجز من وجوه كثيرة: من فصاحته، وبلغته، ونظمه، وتركيبه، وأساليبه، وما تضمنته من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية، والتحدي ببلغة الفاظه ينص فصحاء العرب، والتحدي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة - وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء - يعم جميع أهل الأرض من الملثين أهل الكنايين وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأعصار.

وأما من زعم من المتكلمين أن الإعجاز إنما هو من صرف دواعي الكثرة عن معارضته مع إمكان ذلك، أو هو سلب قوتهم على ذلك،

قال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْخِزْيَ. فَمَا يَنْبَغُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزِينَ» [الحاقة: ٤٤ - ٤٧] أي لو كذب علينا لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما استطاع أحد من أهل الأرض أن يمجيزنا عنه ويمتنعنا منه.

وقال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ. وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِنْ مِثْلِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ مِنْ هَٰهُنَا هُنَّ يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» [الأنعام: ١٩].

وهذا الكلام فيه الإخبار بأن الله شهيد على كل شيء، وأنه تعالى أعظم الشهود، وهو مطلع على عليكم فيما جتكم به عنه، وتضمن قوة الكلام قسماً به أنه قد أرسلني إلى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن، فمن بلغه منهم فهو نذير له كما قال تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» [هود: ١٧].

ففي هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملأه وعرضه وغلوقاته العلوية والسفلية كالسموات والأرضين وما بينهما وما فيهن أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة إلى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَلَّىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» [الاسراء: ٨٩].

وقال تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَ لَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْقَالِمُونَ» [الشعور: ٤٣].

وقال تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قَرَأْنَا عَرَبِيًّا وَغَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وفي القرآن العظيم الإخبار عما مضى على الوجه الحق وبرهانه ما في كتب أهل الكتاب من ذلك شاهداً لا مع كونه نزل على رجل أمي لا يعرف الكتابة ولم يعان يوماً من الدهر شيئاً من علوم الأوائل ولا أخبار الماضين، فلم يفجأ الناس إلا بوحى إليه عما كان من الأخبار النافعة، التي ينبغي أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء، وما كان من أمورهم معهم، وكيف نعى الله المؤمنين وأهلك الكافرين، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتي بمثلاً أبد الأبدن، ودهر الداهرين، ففي مكان تقص القصص موجزة في غاية البيان والفصاحة، وتارة تبسط، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق حتى كأن التالين والسامع مشاهد لما كان، حاضر له، معانٍ للخبر بنفسه كما قال تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَنَابِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [القصص: ٤٦].

وقال تعالى: «وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرَمًا وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» [آل عمران: ٤٤].

وقال تعالى في سورة يوسف: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ. وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ. وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» [يوسف: ١٠١-١٠٤] إلى أن قال في آخرها: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ خَلِيفًا يَفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْلِيحٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ كُلِّ

حسنة صحيحة متخبة بكلام بليغ يخضع له كل من تأمله وفهمه. قال في آخر هذا الكتاب المذكور [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٨٠/٤ - ٨٧]:

وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته - أي من دلائل نبوته - قال: وشريعته من آياته، وأمنه من آياته، وعلمه أنبيئه من آياته، ودينهم من آياته، وكرامات صالحى أمته من آياته، وذلك يظهر بتبليغ سيرته من حين ولد إلى أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتبليغ نبيه وبلده وأصله وفصله، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من ذريته، وجعل الله له ابنين: إسماعيل وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، ويشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره، ودعا إبراهيم للزينة إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسلاً منهم. ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى وولد البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محمداً من عهد إبراهيم، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

وكان رسول الله ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفاً بالصدق والبر ومكارم الاخلاق والعدل وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذكور، مشهوراً له بذلك عند جميع من عرفه قبل النبوة. ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة، ولا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه، ولا جرت عليه كذبة قط، ولا ظلم ولا فاحشة.

وقد كان ﷺ خلقه وصورته من أحسن الصور وأجملها وأجملها للمحاسن الدالة على كماله، وكان أميناً من قوم أمين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب؛ التزرة والإنجيل، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بتظيره، وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله.

ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس، وكتبه أهل الرياسة وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرغبة فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والجاء والمال مع أعدائه وقد أدوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم، لما خالط قلوبهم من حلالة الإيمان والمعرفة.

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فيجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يلغفهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقيه من تكذيب المكذب، وجفاء الجاني، وإعراض المعرض، إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي ينجزهم به اليهود، وكانوا سمعوا من أخباره أيضاً ما عرفوا به مكانته فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة، فأتوا به ويأبونه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدتهم، وعلى الجهاد معه، فهاجروا هو ومن اتبعه إلى المدينة، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنوية، ولا برغبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم.

ثم أذن له في الجهاد، ثم أمر به، ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل

نقل باطل وهو مرفوع على اعتقادهم أن القرآن مخلوق، خلقه الله في بعض الأجرام، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق، وقولهم: هذا كفر وباطل وليس مطابق لما في نفس الأمر، بل القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتزه عما يقولون علواً كبيراً، فالخلق كلهم عاجزون حقيقة وفي نفس الأمر عن الإيمان بمثله ولنوا تعاضدوا وتظاهروا على ذلك، بل لا تقدر الرسل الذين هم أنفص الخلق وأعلم الخلق وأكملهم، أن يتكلموا بمثل كلام الله.

وهذا القرآن الذي يبلغه الرسول ﷺ عن الله، كلام له أسلوب لا يشبه أسلوب كلام رسول الله ﷺ، وأساليب كلامه عليه الصلاة والسلام المخطوطة عنه بالسند الصحيح إليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه في فصاحته وبلاغته، فيما يرومه من المعاني بالفاظه الشريفة، بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أسلوب كلام التابعين، وهلم جرا إلى زماننا، وعلماء السلف أنصح وأعلم، وأقل تكلفاً، في أداء ما يريدونه من المعاني بالفاظهم من علماء الخلف وهذا يشهد من له ذوق بكلام الناس كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب في زمن الجاهلية، وبين أشعار المولدين الذين كتفوا بعد ذلك.

ولمنا جاء الحديث الثابت في هذا المعنى وهو فيما رواه الامام أحمد (٣٤١/٢، ٤٥١) قالوا: حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

وقد أخرجه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢) من حديث الليث بن سعد به.

ومعنى هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كل منهم قد أوتي من الحجة والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم سواء آمنوا به فصاروا بشواب إيمانهم أو لم يحسدوا فاستحقوا العقوبة.

وقوله: «وإنما كان الذي أوتيت»، أي جلله وأعظمه، الوحي الذي أوحاه إليه. وهو القرآن، الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده، فإن البراهين التي كانت للأنبياء انقضى زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها، وأما القرآن فهو حجة قائمة كلما يسمعه السامع من فلق رسول الله ﷺ، فحجة الله قائمة به في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته، ولهذا قال: «فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»، أي لاستمرار ما أتاني الله من الحجة البالغة والبراهين الدائمة، فلها يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعاً.

٢- أخلاقه الطاهرة

ومن الدلائل المعوية: أخلاقه عليه الصلاة والسلام الطاهرة، وخلقه الكامل، وشجاعته وحلمه وكرمه وزهده وقناعتة وإيشاره وجميل صحبته، وصدقه وأمانته وتقواه وعبادته وكرمه وأصله وطيب مولده ومنشأه ومرباه كما قلناه مبسوطاً في مواضعه.

وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تينية رحمه الله في كتابه الذي رد فيه على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم، فإنه ذكر في آخره دلائل النبوة، وسلك فيها مسالك

أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، وقرأوا بجميع الكتب المنزلة من عند الله، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل، فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَمَا أَوْفَىٰ أَوْفَىٰ نَبِيِّنَا وَمِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِن بَيْنِ يَدَيْهِ لَا تَفَرَّقْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِنَّهُنَّ يَوْمًا لَّفِي شِقَاقٍ مُّبِينٍ﴾ (البقرة: ١٣٦-١٣٧).

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦).

وأما عليه الصلاة والسلام أن يستحلون أن يأخذوا شيئاً من الدين غير ما جاء به، ولا يتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يشرعون الدين ما لم يأذن به الله، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأعمالهم، اعتبروا به، وما حدثهم أهل الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه، وما عرفوا بأنه باطل كذبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع.

وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج من ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة، وهو مذنب أهل السنة والجماعة، الظاهرين إلى قيام الساعة، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» (بخ (٣٦٤٠)، ١٧٤، ١٧٥).

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً، ودين محمد ﷺ خصوصاً، ومن خالف في هذا الأصل كان عندهم ملحقاً مذموماً، ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقتلوا عليه ملوكهم، ودان به جمهورهم، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء، والله سبحانه أرسَلَ رسله بالعلم النافع، والعمل الصالح، فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة، وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علماً وعملاً. ولما بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، تلقى لذلك عنه المسلمون أمته، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ، أخذوه عن نبيهم مع ما يظهر لكل عاقل أن أمة أكمل الأمم في جميع الفضائل، العملية والعلمية، ومعلوم أن كل كمال في الفرع التعلُّم هو في الأصل المعلم، وهذا يقتضي أنه ﷺ كان أكمل الناس علماً وديناً. وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ﴾ (١٥٨) لم يكن كاذباً مقترئاً، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم، إن كان صادقاً، أو من هو من أشرف الناس وأخبرهم إن كان كاذباً، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجحول؛ فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ (١٥٨) لأن الذي لم يكن صادقاً إما أن يكون متعمداً للكذب أو غلطاً والأول يوجب أنه كان ظالماً غاوياً، والثاني يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً، ومحمد ﷺ كان عليه ينافي جهله، وكمال

طريقه وأخلاقه، من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالمعهد مع اختلاف الأحوال عليه، من حرب وسلم، وأمن وخوف، وغنى وفق، وقدره وعجز، وتمكن وضعف، وقلة وكثرة، وظهور على العدو تارة، وظهور العدو تارة.

وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون أخرى ولا معاد، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدبهم وأعدلهم وأفضلهم، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء. وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم تعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ﷺ مع ظهور أمره، وطاعة الخلق له، وتقديهم له على الأنفس والأموال، مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً، ولا شاة ولا بعيراً، إلا بغلته وسلاحه ودعوه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً من شعير ابتاعها لأهله، وكان يده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه، ويخبرهم بما كان وما يكون، ويسألهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء، حتى أكمل الله دينه الذي بعث به، وجاءت شريعته أكمل شريعة، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه، لم يأمر بشيء قبيح: لئله لم يلمر به، ولا نهى عن شيء قبيح: لئله لم ينه عنه، وأحل لهم الطيبات لم يحرم منها شيئاً كما حرم في شرع غيره، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئاً كما استحلَّه غيره، وجمع محاسن ما عليه الأمم، فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزيور نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه، وأخبر بأشياء ليست في الكتب، فليس في الكتب إثبات لعدل وقضاء بفضل وتذب إلى الفضائل وترغب في الحسنات إلا وقد جاء به وما هو أحسن منه، وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها ووجعائها. وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع.

وأما أكمل الأمم في كل فضيلة، وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم آخرون من غيرهم، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله، ظهر أنهم أعظم جهاداً وأشجع قلوباً، وإذا قيس سخاوتهم وتواضعهم وسماحتهم بغيرهم، ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم. وهذه الفضائل به نالوها، ومنه تعلموها، وهو الذي أمرهم بها، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكليفه، كما جاء المسيح، عليه السلام، بتكميل شريعة التوراة، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزيور وبعضها من البريات وبعضها من المسيح وبعضها من بعده كالخواريين ومن بعد الخواريين، وقد استعاروا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا - لما غيروا دين المسيح - في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح.

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرؤون كتاباً، بل عاصمهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزيور إلا من جهته، وهو الذي

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

ورواه مسلم [٢٨٠٢] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.
وقال البخاري [٣٨٦٨]: حدثني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن الفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فإراهم القمر شقيتين، حتى رأوا حراء بينهما.
وأخرجه في الصحيحين [ج (٣٦٣٧)، م (٢٨٠٢)] من حديث شيبان عن قتادة، ومسلم [٢٨٠٢] من حديث شعبة عن قتادة.

رواية جبير بن مطعم:

قال أحمد [٨١/٤، ٨٢]: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

تقدم به أحمد. ورواية ابن جرير [مفسره: ٨٦/٢٧] والبيهقي [الدلائل: ٢٦٨/٢] من طرق عن حصين بن عبد الرحمن به.

رواية حذيفة بن اليمان:

قال أبو جعفر بن جرير [مفسره: ٨٦/٢٧]: حدثني يعقوب، حدثني ابن علية، أنا عطية بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكانت منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضر معي، فخطبنا حذيفة فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المصمار وغداً السباق. فقلت لأبي: أتستيق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إما هو السابق بالأعمال.

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرها فخطب حذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المصمار، وإن غداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة.

ورواه أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة من غير وجه عن عطية بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن حذيفة فذكر نحوه، وقال: ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ.

رواية عبد الله بن عباس:

قال البخاري [٤٨٦٦]: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر بن جعفر عن عراك بن مالك، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

ورواه البخاري [٣٦٣٨] أيضاً ومسلم [٢٨٠٣] من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة به.
طريق أخرى عنه:

فيه ينافي تعدد الكذب، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن معصوماً للكذب ولم يكن جاهلاً يكذب بلا علم، وإذا انشأ هذا وثاك تعين أنه كان صادقاً علماً بأنه صادق؛ ولهذا نزهه الله عن هنتين الأمرين بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الضحى: ٤-١].

وقال تعالى عن الملك الذي جاء به ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ [الهمزة: ٢١-١٩].

ثم قال عنه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَأَىٰ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [الهمزة: ٢٢-٢٤] أي منهم أو مجمل كالذي لا يعلم إلا بجمل أو لم يحكمه. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيسٍ فَكَيْنَ تَلْفَحُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الهمزة: ٢٥-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَرَبِّهِ تَسْتَبِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ إلى قول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهم كَاذِبُونَ﴾ [الشعر: ١٩٢-٢٢٣].

بين سبحانه أن الشيطان إما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر، وهو الكذب والقصور، ولا يقصد الصدق والعدل، فلا يقرن إلا بمن فيه كذب - إما عمداً وإما خطأ - وفجوراً أيضاً فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضاً كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة: أقول فيها برأي فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه [٢١١٦].

فإن رسول الله بريء من تنزل الشياطين عليه في العمد والخطأ، بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطئ ويكون خطؤه من الشيطان، وإن كان خطؤه مغفوراً له، فإنه لم يعرف له خبر أصح به كان فيه خطأ، ولا أمر أمر به كان فيه فاجراً علم أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَائِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَالَّذِينَ مَا تَذْكُرُونَ تَسْتَزِيلُ مَن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الهمزة: ٤٠-٤٣]. انتهى ما ذكره، رحمه الله، وهذا عين ما أورده بحروفه.

٣- انشقاق القمر

باب وأما دلائل النبوة الحسية - أعني المشاهدة بالابصار - فسموية وأرضية

ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين، قال الله تعالى: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِيرٌ. وَكَلْبُوا وَابْتِهُوا أَعْيُنُهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَعِيرٌ. وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْآبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾.

ولقد اتفق العلماء مع بقية الأمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تزيد القطع عند الأمة.

رواية أنس بن مالك:

قال الإمام أحمد [١٦٥/٣]: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال:

قال ابن جرير (تفسيره: ٨٦/٢٧): حدثنا ابن منثي، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُشْتَبِهٌ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى راوا شقبة.

وروى العوفي عن ابن عباس نحوه من هذا (تفسير الطبري: ٨٦/٢٧، ٨٧). وقد روي من وجه آخر عن ابن عباس فقال أبو القاسم الطبراني (المعجم الكبير: ١١٦٤٢): حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القطعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: كشف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُشْتَبِهٌ﴾.

وهذا سياق غريب. وقد يكون حصل للقمر مع انشقاقه كسوف فيدل على أن انشقاقه إنما كان في ليالي إيلاده والله أعلم.

رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٢٦٧/٢): أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدوري: حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب في قوله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلتقت؛ فلقه من دون الجبل وفلقه من خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد».

وهكذا رواه مسلم [٢٨٠٦] والترمذي [٣٢٨٨] من طرق عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود [٢٨٠٠] وقال الترمذي: حسن صحيح.

رواية عبد الله بن مسعود:

قال الإمام أحمد [٣٧٧/١]: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا».

ورواه البخاري [٣٦٣٦] ومسلم [٢٨٠٠] بن حديث سفيان بن عيينة.

وأخرجه [ع] [٣٨٦٩] م [٢٥٠٠] من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عبد الله بن سحيرة عن ابن مسعود به.

قال البخاري [٣٨٦٩] معلقاً: وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة.

وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده أبو داود الطيالسي في مسنده [٢٩٥]، فقال: حدثنا أبو عروبة عن المنيرة عن أبي الضحى عن مسروق بن عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفار فإن عمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاه السفار فقالوا ذلك.

وروى البيهقي (الدلائل: ٢٦٦/٢) عن الحاكم عن الأصم عن عباس الدوري عن سعيد بن سليمان عن هشيم عن مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كبار قريش أهل مكة: هذا سحر سحرهم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فإن كانوا راوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحرهم به، قال: فسنل السفار -وقدموا من كل وجهة- فقالوا: رأينا.

ورواه ابن جرير (تفسيره: ٨٥/٢٧) من حديث المنيرة وزاد: فأنزل الله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

وقال الإمام أحمد [٤١٣/١]: حدثنا مؤمل عن إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر.

وروى ابن جرير (تفسيره: ٦٨/٢٧) عن يعقوب الدوري عن ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال: ثبت أن ابن مسعود كان يقول: لقد انشق القمر.

ففي صحيح البخاري [٤٨٢٠] من حديث الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه كان يقول: خمس قد مضين: الروم، والزام، والبطشة، والدخان، والقمر. في حديث طويل عنه مذكور في تفسير سورة الدخان.

وقال أبو زرعة في الدلائل: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم النمشقي حدثنا الوليد، عن الأوزاعي عن ابن أبي كير قال: انشق القمر بمكة والنبي ﷺ بها قبل الهجرة فخر شقين فقال المشركون: سحره ابن أبي كبشة. وهذا مرسل من هذا الوجه.

فهذه طرق عن هؤلاء الجماعة من الصحابة، وشهرة هذا الأمر تفني عن إنساده مع وروده في الكتاب العزيز. وما ذكره بعض القصاص من أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كفه، ونحو هذا الكلام فليس له أصل يعتمد عليه، والقمر في حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرد باتنين وسارت إحلالهما حتى صارت وراء جبل حراء، والأخرى من الناحية الأخرى، وصار الجبل بينهما، وكلتا الفرقتين في السماء وأهل مكة ينظرون إلى ذلك، وظن كثير من جهلهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم، فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظر ما شاهدوه، فعلموا صحة ذلك ويتقوه.

فإن قيل: فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض؟ فالجواب ومن يعني ذلك؟ ولكن تطلو المهد والكثرة يجحدون بآيات الله، ولعلمهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي اليموث، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمان وتنايه، على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا ميكلًا بالمند مكتوباً عليه: إنه نبي في الليلة التي انشق القمر فيها. ثم لما كان انشقاق القمر ليلاً قد يفتي أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته في تلك الساعة، من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم، ولنوم كثير منهم، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور والله أعلم. وقد حررنا هذا فيما تقدم في كتابنا التفسير.

٤- رد الشمس بعد مغيبها

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها: فقد أثبتني شيخنا المسند الرحلة

روى ابن شامين هذا الحديث عن ابن عقدة، فذكره، ثم قال: وهذا باطل، والتمهم به ابن عقدة، فإنه كان رافضياً يحدث بمثالب الصحابة.

قال الخطيب: حدثنا علي بن محمد بن نصر، سمعت حمزة بن يوسف يقول: كان ابن عقدة يجامع برائناً يملئ مثالب الصحابة - لو قال: الشيخين - فتركته [والمؤرخ بغداد: ٢٢/٥].

وقال الدارقطني: كان ابن عقدة رجلاً سوء.

وقال ابن عدي: سمعت أبا بكر بن أبي غالب يقول: ابن عقدة لا يتبين بالحديث لأنه كان يحمل شيخاً بالكوفة على الكذب فيروي لهم نسخاً ويأمرهم أن يرووها، وقد بينا ذلك منه في غير شيخ بالكوفة.

وقال الحافظ أبو بشر الدوابي في كتابه «الذرية الطاهرة»: حدثنا إسحاق بن يونس، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حنّان عن عبد الله بن حسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي وهو يوحى إليه. فذكر الحديث نحوه ما تقدم. إبراهيم بن حنّان هذا تركه الدارقطني وغيره.

وقال محمد بن ناصر البغدادي الحافظ: هذا الحديث موضوع.

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وصدق ابن ناصر.

وقال ابن الجوزي: وقد رواه ابن مردويه عن طريق حديث داود بن فرماج عن أبي هريرة قال: نام رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فلما قام رسول الله ﷺ دعا له فرددت عليه الشمس حتى صلى ثم غابت ثانية. ثم قال: وداود ضعفه شعبة [الموضوعات: ٣٥٧/١].

ثم قال ابن الجوزي: ومن تغفيل واضح هذا الحديث أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم تلمح عدم الفائدة فإن صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء فرجع الشمس لا يعيدها أداء، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تجس على أحد إلا ليوشع» [مسند أحمد: ٣٢٢/٢].

قلت: هذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه فلا تخلو واحدة منها عن شيعة ويجهول الحال وشيعة ومتروك ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد إذا اتصل بسنده لأنه من باب ما تترفع الدواعي على نقله فلا بد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك، ونحن لا نذكر هذا في قدرة الله تعالى وبالنسبة إلى جناب رسول الله ﷺ، فقد ثبت في «الصحيح» [ج (٣١٢٤)، م (١٧٤٧)] دون ذكر يوشع بن نون أو غيره أنها ردت ليوشع بن نون، وذلك يوم حاصر بيت المقدس، واتفق ذلك في آخر يوم الجمعة وكانوا لا يقاتلون يوم السبت فنظر إلى الشمس وقد تضيئت للغروب فقال: إنك سامورة، وأنا سامور، اللهم اجسها علي. فجسها الله عليه حتى فتحوها. ورسول الله ﷺ أعظم جاهاً وأجل منصباً وأعلى قدراً من يوشع بن نون، بل من سائر الأنبياء على الإطلاق ولكن لا نقول إلا ما صح عننا عنه ولا نسنده إليه ما ليس بصحيح، ولو صح لكان من أول القائلين به، والمعتقدين له وبالله المستعان.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخاري في كتابه «إثبات إمامة أبي بكر الصديق» فإن قال قائل من الروافض: إن أفضل فضيلة لأبي الحسن وأدل دليل على إمامته ما روي عن أسماء بنت عيسى قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «صليت؟» قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في

بهاء الدين القاسم بن مظفر بن تاج الأعماء بن عساكر إذناً قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عساكر المشهور بالنسابة، كتابة قال: أثبتنا الحافظ الكبير أبو القاسم علي بن الحسين بن جبة الله بن عساكر في كتابه، قال: أخبرنا أبو مظفر بن القشيري وأبو القاسم المستطلي قالوا: حدثنا أبو عثمان الخيري أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الثعالبي، أنا محمد بن أحمد بن محبوب. وفي حديث ابن القشيري: حدثنا أبو العباس المحمدي، حدثنا سعيد بن مسعود (ج)، قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: وأخبرنا أبو الفتح الماهاني، أخبرنا شجاع بن علي، أخبرنا أبو عبد الله بن منته، أخبرنا عثمان بن أحمد التبيسي، أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، حدثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن - زاد أبو أمية: بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عيسى قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صليت العصر؟» وقال أبو أمية: «صليت يا علي؟» قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «وقال أبو أمية: فقال النبي ﷺ: - «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك» - وقال أبو أمية: «فرسولك» - فأرد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.

وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات» [٣٥٥/١] من طريق أبي عبد الله بن منته كما تقدم ومن طريق أبي جعفر العقيلي: حدثنا أحمد بن داود، حدثنا عمران بن مطر، حدثنا فضيل بن مرزوق؛ فذكره.

ثم قال: وهذا حديث موضوع، وقد اضطرب الرواة فيه فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء. وهذا تخليط في الرواية [الموضوعات: ٣٥٦/١].

قال: وأحمد بن داود ليس بشيء، قال الدارقطني: متروك كذاب، وقال ابن حبان كان يضع الحديث. وعمل بن مطر قال فيه العقيلي: كان يحدث عن الثقات بالأكاذيب، وقال ابن عدي: متروك الحديث. قال: وفضيل بن مرزوق قد ضعفه يحيى، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات ويخطئ على الثقات [الموضوعات: ٣٥٦/١].

وه قال الحافظ ابن عساكر. قال: وأخبرنا أبو محمد بن طائوس، أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو عمر بن مهدي، أنا أبو العباس بن عقدة، حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، حدثنا عبد الرحمن بن شريك، حدثني أبي عن عروة بن عبد الله بن قشير قال: دخلت على فاطمة بنت علي فرأيت في عنقها خرزة، ورأيت في يديها سكتين غليظتين - وهي عجوز كبيرة - فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: إنه يكره للمرأة أن تشبه بالرجال، ثم حدثني أن أسماء بنت عيسى حدثتني أن علي بن أبي طالب دفع إلى النبي ﷺ وقد أوحى إليه فجعله بشوه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول: غابت أو كادت أن تغيب، ثم إن النبي ﷺ سُرّي عنه فقال: «أصليت يا علي؟» قال: لا، فقال النبي ﷺ: «اللهم ردّ علي علي الشمس»، فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد، قال عبد الرحمن: وقال أبي: حدثني موسى الجهني نحوه.

ثم قال الحافظ ابن عساكر: هذا حديث منكر، وفيه غير واحد من المجاهيل.

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في «الموضوعات» [٣٥٦/١] وقد

الحديث.

قال: وقد رواه عن فضيل بن مرزوق جماعة، منهم عبيد الله بن موسى [المجم الكبير ١٤٧/٢].

ثم أورده من طريق أبي جعفر الطحاوي من طريق عبيد الله. وقد قلنا روايته له من حديث سعيد بن مسعود وأبي أمية الطرسوسي عن عبيد الله بن موسى العنسي، وهو من الشيعة [مشكل الآثار ٨/٢].

ثم أورده هذا المصنف من طريق أبي جعفر العقيلي [الضعفاء الكبير ٣٢٧/٣] عن أحمد بن داود عن حماد بن مطر عن فضيل بن مرزوق والأغر الرقاشي - ويقال: الرزاسي أبو عبد الرحمن الكوفي مولى بني هزرة - .

وتقه الثوري وابن حينة. وقال أحمد: لا أعلم إلا خيراً وقال ابن معين: ثقة، وقال مرة: صالح ولكنه شديد الشيع، وقال مرة: لا بأس به، وقال أبو حاتم: صدوق صالح الحديث بهم كثيراً يكتب حديثه ولا يمتنع به. وقال عثمان بن سعيد الدارمي: يقال: إنه ضعيف، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن علي: أرجو أنه لا بأس به. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً كان يخطئه على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات.

وقد روى له مسلم وأهل السنن الأربعة. فمن هذه ترجمته لا يتهم بتعمد الكذب ولكنه قد يتساهل ولا سيما فيما يوافق مذهبه فيروى عن لا يعرفه أو يحسن به الظن فيلكن حديثه يسقطه ويذكر شيخه ولهذا قال في هذا الحديث الذي يجب الاحتراز فيه وتوفي الكذب فيه «عن» بصيغة التثنية، ولم يأت بصيغة التحليل فلم يلزم بينهما من يجهل أمره، على أن شيخه هذا - إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - ليس بذلك المشهور في حاله ولم يرو له أحد من أصحاب الكتب المعتمدة، ولا روى عنه غير الفضيل بن مرزوق هذا ويحيى بن التوكل، قاله أبو حاتم وأبو زرعة الرزيان ولم يتعرضا لجرح ولا تعديل، وأما أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - وهي أخت زين العابدين - فعليتها مشهور روى لها أهل السنن الأربعة، وكانت فيمن قدم بها مع أهل البيت بعد مقتل أبيها إلى دمشق، وهي من الثقات ولكن لا يدري أسمعت هذا الحديث من أسماء أم لا؟ فإله أعلم.

ثم قد رواه هذا المصنف من حديث أبي حفص الكتاني: حدثنا محمد بن عمر القاضي هو الجعابي. حدثني محمد بن القاسم بن جعفر العسكري من أصل كتابه، حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم، حدثنا خلف بن سالم، حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أمه عن فاطمة - يعني بنت الحسين - عن أسماء أن رسول الله ﷺ دعا لعلي حتى ردت عليه الشمس.

وهذا إسناد غريب جداً وحديث عبد الرزاق وشيخه الثوري محفوظ عند الأئمة لا يكاد يترك منه شيء من المهمات فكيف لم يرو عن عبد الرزاق مثل هذا الحديث العظيم إلا خلف بن سالم بما قبله من الرجال الذين لا يعرف حالهم في القبط والمعالجة كغيرهم؟ ثم إن أم أشعث بمجولة فإله أعلم.

ثم ساقه هذا المصنف من طريق محمد بن مرزوق: حدثنا حسين الأشقر - وهو شيعي وضعيف كما تقدم - عن علي بن هاشم بن السريد - وقد قال فيه ابن حبان: كان غالياً في التشيع يروي المتأخر عن المشاهير - عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسين بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أنتماء بنت عيسى فذكره.

طاعتك وطاعة رسولك فارد عليه الشمس»، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

قيل له: كيف لنا بصحة هذا الحديث لتحتج على مخالفتنا من اليهود والنصارى؟ ولكن الحديث ضعيف جداً لا أصل له، وهذا مما كسبت أيدي الروافض، ولو ردت الشمس بعد ما غربت لرأها المؤمن والكافر وتقلوا إليها أن في يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا ردت الشمس بعد ما غربت. ثم يقال للروافض: يجوز أن ترد الشمس لأبي الحسن حين فاتته صلاة العصر، ولا ترد لرسول الله ﷺ ولجميع المهاجرين والأنصار وعلي فيهم حين فاتتهم صلاة الظهر والعصر والمغرب يوم الخندق؟!

قال: وأيضاً مرة أخرى عرض رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قتل من غزوة خيبر - فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس - قال: فلم يرد الليل على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، قال: ولو كان هنا فضلاً أعطيه رسول الله ﷺ وما كان الله ليمنع رسوله شرفاً وفضلاً - يعني أعطيه علي بن أبي طالب - .

ثم قال: وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: قلت لعمد بن عبيد الطنافسي: ما تقول فيمن يقول: رجعت الشمس على علي بن أبي طالب حتى صلى العصر؟ فقال: من قال هذا فقد كذب.

وقال إبراهيم بن يعقوب: سألت يعلى بن عبيد الطنافسي قلت: إن ناساً عندنا يقولون: إن علياً وصي رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشمس. فقال: كذب هذا كله.

فصل في إيراد طرق هذا الحديث من أماكن متفرقة:

وقد جمع فيه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن أحمد الحسكاني جزءاً وصماه «مسألة» في تصحيح رد الشمس وترغيم النواصب الشمس، وقال: قد روي ذلك من طريق أسماء بنت عيسى وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري. ثم رواه من طريق أحمد بن صالح المصري، وأحمد بن الوليد الأنطاكي، والحسن بن داود ثلاثهم عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وهو ثقة أخيرني محمد بن موسى الفطري المدني وهو ثقة أيضاً عن عون بن محمد. قال: وهو ابن محمد بن الحنفية عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عيسى أن رسول الله ﷺ صلى الظهر بالمصحاء من أرض خيبر ثم أرسل علياً في حاجة فجاء وقد صلى رسول الله ﷺ العصر فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن عليك علياً احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها»، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام علي فترضا وصلى العصر ثم غابت الشمس [المجم الكبير: ١٤٤/٢، ١٤٥ من طريق أحمد بن صالح، ٢٤].

وهذا الإسناد فيه من يجهل حاله فإن عرفنا هذا وأمه لا يعرف أمرهما بدلالة وضبط يقلل بسببهما خبرهما فيما هو دون هذا المقام، فكيف يشيت بخبرهما هذا الأمر العظيم الذي لم يروه أحد من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة فإله أعلم. ولا يدري أسمعت أم هذا من جدتها أسماء بنت عيسى أم لا.

ثم أورده هذا المصنف من طريق حسين بن الحسن الأشقر وهو شيعي جلد وضعفه غير واحد عن الفضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين الشهيد عن أسماء بنت عيسى فذكر

وهذا إسناد لا يثبت.

ثم أصله من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن عروة بن عبد الله عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عيسى. فذكر الحديث كما قلنا ليراه من طريق ابن عقدة عن أحمد بن يحيى الصوفي عن عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي.

وقد روى عنه البخاري في كتاب الأدب [الأدب المفرد: (٧٩٧)] وحدث عنه جماعة من الأئمة وقال فيه أبو حاتم الرازي: كان واهي الحديث. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات [٣٧٥/٨] وقال: ربما أخطأ، وأرخ ابن عقدة وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين وقد قلنا أن الشيخ أبا الفرج بن الجوزي قال: إنما اتهم بوضع أبا العباس بن عقدة، ثم أورد كلام الأئمة فيه بالطنين والجرح وأنه كان يسوي النسخ للمشايع فيرويه إياها فآله أعلم.

قلت: في سياق هذا الإسناد عن أسماء أن الشمس رجعت حتى بلغت نصف المسجد. وهذا يناقض ما تقدم من أن ذلك كان بالصهية من أرض خيبر، ومثل هذا يوجب توهين الحديث وضعفه والقبح فيه، ثم سره من حديث محمد بن عمر القاضي الجمالي:

حدثنا علي بن العباس بن الوليد حدثنا عباد بن يعقوب الرواسي، حدثنا علي بن هاشم عن صباح عن عبد الله بن الحسن - أبي جعفر - عن حسين المقتول عن فاطمة عن أسماء بنت عيسى قالت: لما كان يوم شغل علي لكانه من قسم المغنم حتى غربت الشمس أو كادت، فقال رسول الله ﷺ: «أما صليت؟» قال: لا، فدعا الله فارفعت حتى توسط السماء فصلى علي، فلما غربت الشمس سمعت لها صريراً كصيرير المنابر في الحدييد.

وهذا أيضاً سياق غالف لما تقدم من وجوه كثيرة مع أن إسناده مظلم جداً فإن صاحباً هذا لا يعرف وكيف يروي الحسين بن علي المقتول شهيداً عن واحد عن أسماء بنت عيسى؟! هذا تحييط إسناداً ومثلاً، ففي هذا أن علياً شغل بمجرد قسم الغنمية، وهذا لم يقله أحد ولا ذهب إلى جواز ترك الصلاة لذلك ذاهب، وإن كان قد جوز بعض العلماء تأخير الصلاة عن وقتها لعذر القتال كما حكاه البخاري [باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو - تحت حديث (٩٤٤)] عن مكحول والأوزاعي وأنس بن مالك في جماعة من أصحابه بستر، واحتج له البخاري بقصة تأخير الصلاة يوم الخندق وأمره عليه الصلاة والسلام أصحابه أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة (٩٤٦)، وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذا نسخ بصلاة الخوف.

والقصود أنه لا يقل أحد من العلماء إنه يجوز تأخير الصلاة بعذر قسم الغنمية حتى يستند هذا إلى صنع علي رضي الله عنه، وهو الراوي عن رسول الله ﷺ أن الوسيط هي العصر، فإن كان هذا ثبوتاً على ما رواه هؤلاء الجهلة وكان علي متعمداً لتأخير الصلاة لعذر قسم الغنمية وأقره عليه الشارع صار هذا وحده دليلاً على جواز ذلك ويكون أقطع في الحجة مما ذكره البخاري، لأن هذا بعد مشروعية صلاة الخوف قطعاً لأنه كان بخير سنة سبع، وصلاة الخوف شرعت قبل ذلك، وإن كان علي نسباً حتى ترك الصلاة إلى الغروب فهو معذور فلا يحتاج إلى رد الشمس بل وقتها بعد الغروب والحالة هذه إذن كما ورد به الحديث وآله أعلم.

وهذا كله ما يدل على ضعف هذا الحديث، ثم إن جملته قضية أخرى وواقعة غير ما تقدم، فقد تعدد رد الشمس غير مرة ومع هذا لم

ينقله أحد من أئمة العلماء ولا رواه أهل الكتب المشهورة، وتقر بهذه القائلة هؤلاء الرواة الذين لا يخلو إسناد منها عن مجهول ومتروك ومنهم والله أعلم.

ثم أورد هذا المصنف من طريق أبي العباس بن عقدة: حدثنا يحيى بن زكريا، حدثنا يعقوب بن معبد، حدثنا عمرو بن ثابت قال: سألت عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عن حديث رد الشمس على علي بن أبي طالب: هل ثبت عندكم؟ فقال لي: ما أنزل الله في كتابه أعظم من رد الشمس، قلت: صدقت جعلني الله فداك ولكي أحب أن اسمع منك، فقال: حدثني أبي - الحسن - عن أسماء بنت عيسى أنها قالت: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم وهو يريد أن يصلي العصر مع رسول الله ﷺ فوافق رسول الله ﷺ قد انصرف ونزل عليه الوحي فاستند إلى صدره فلم ينزل مستند إلى صدره حتى أفاق رسول الله ﷺ فقال: «أصليت العصر يا علي؟» قال: جئت والوحي يتزل عليك فلم أزل مستندك إلى صدري حتى الساعة، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة - وقد غربت الشمس - فقال: «اللهم إن علياً كان في طاعتك فاردعها عليه»، قالت أسماء: فاقبلت الشمس ولها صيرير كصيرير الرحي حتى كانت في موضعها وقت العصر، فقام علي متمكناً فصلى، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صيرير كصيرير الرحي، فلما غابت الشمس اختلط الظلام وبدت النجوم.

وهذا منكر أيضاً إسناداً ومثلاً وهو مناقض لما قبله من السياقات، وعمرو بن ثابت هذا هو المتهم بوضع هذا الحديث أو سرقة من غيره، وهو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري الكوفي مولى بكر بن وائل، ويعرف بعمرو بن أبي المقدام الحنابلة، روى عن غير واحد من التابعين وحدث عنه جماعة منهم سعيد بن منصور وأبو داود وأبو الوليد الطيالسي، تركه عبد الله بن المبارك وقال: لا نحدثنا عنه فإنه كان يسب السلف، ولما مرت به جنازته توارى عنها، وكذلك تركه عبد الرحمن بن مهدي، وقال ابن معين والنسائي: ليس بثقة ولا مأمون ولا يكتب حديثه. وقال مرة أخرى هو وأبو زرعة وأبو حاتم: كان ضعيفاً، زاد أبو حاتم: وكان رجلاً شديداً الشيع لا يكتب حديثه، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم، وقال أبو داود: كان من شرار الناس كان رافضياً خبيثاً رجل سوء قال هناد: ولما مات لم أصل عليه لأنه قال لما مات رسول الله ﷺ: كفر الناس إلا خمسة، وجعل أبو داود يذمه.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. وقال ابن عدي: والضعف على حديثه بين. وأروها وفاته في سنة سبع وعشرين ومائة.

ولهذا قال شيخنا أبو العباس بن تيمية: وكان عبد الله بن حسن وأبوه أجل قدراً من أن يحدثا بهذا الكذب [مهاج السنة: ١٨٩/٨].

قال هذا المصنف لا المصنف: وأما حديث أبي هريرة فأخبرنا عقيل بن الحسن العسكري، أخبرنا أبو محمد صالح بن الفتح الشاشي، حدثنا أحمد بن عمير بن جوصاء، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه، حدثنا داود بن فراهيج، وعن عمارة بن برد عن أبي هريرة فذكره. وقال: اختصرته من حديث طويل.

وهذا إسناد مظلم ويحيى بن يزيد وأبوه وشيخه داود بن فراهيج كلهم مضطربون، وهذا هو الذي أشار ابن الجوزي إلى أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج عن أبي هريرة وضعف داود هذا شعبة والنسائي وغيرهما. والذي يظهر أن هذا مفتعل من بعض الرواة، أو قد أدخل على

مروضة وأجود ما فيها ما قدمناه من طريق أحمد بن صالح المصري عن ابن أبي فديك عن محمد بن موسى الفطري عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن أسماء على ما فيها من التعليل الذي أشرنا إليه فيما سلف. وقد اغتر بذلك أحمد بن صالح رحمه الله ومال إلى صحته، ورجح ثبوته.

قال الطحاوي في كتابه «مشكل الحديث» [مشكل الآثار: ١١٧/٢]: عن علي بن عبد الرحمن عن أحمد بن صالح المصري أنه كان يقول: لا ينبغي لمن كان سيّله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء في رد الشمس، لأنه من علامات النبوة. وهكذا مال إليه أبو جعفر الطحاوي أيضاً فيما قيل [أظفر «الشفا» للقاضي عياض ٤٤٠/١].

ونقل أبو القاسم الحسكاني هذا عن أبي عبد الله البصري المتكلمي المعتزلي أنه قال: عود الشمس بعد مفيتها أكد حالاً فيما يقتضي نقله، لأنه وإن كان فضيلة لأمر المؤمنين فإنه من أعلام النبوة وهو مفارق لغيره في فضائله في كثير من أعلام النبوة.

وحاصل هذا الكلام يقتضي أنه كان ينبغي أن ينقل هذا نقلاً متواتراً، وهذا حق لو كان الحديث صحيحاً، ولكنه لم ينقل كذلك فدل على أنه ليس بصحيح في نفس الأمر والله أعلم.

قلت: والأئمة في كل عصر يتكفرون صحة هذا الحديث ويردونه ويبالغون في التشيع على رواته كما قلنا عن غير واحد من الحفاظ، كمحمد ويعلى ابني عبد الطنافسين، وكثيرايم بن يعقوب الجوزجاني خطيب دمشق وكلمي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زغويه، وكالحافظ أبي القاسم بن عساكر والشيخ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، وعن صرح بأنه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي والعلامة أبو العباس بن تيمية [مهاج السنة: ١٦٥/٨].

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: قرأت على قاضي القضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي: حدثنا عبد الله بن الحسين بن موسى، حدثنا عبد الله بن علي بن المثنى قال: سمعت أبي يقول: خمسة أحاديث يروونها ولا أصل لها عن رسول الله ﷺ:

حديث: «لو صدق السائل ما أفلح من رده».

وحديث «لا وجع إلا وجع العين ولا غم إلا غم الدين».

وحديث «إن الشمس ردت على علي بن أبي طالب».

وحديث: «أنا أكرم على الله من أن يدعي تحت الأرض مائتي عام».

وحديث «أظفر الحاجم والحجورم إنهما كانا يفتانان».

والطحاوي رحمه الله وإن كان قد أشبه عليه أمره فقد روي عن أبي حنيفة رحمه الله إنكاره والتكلم بمن رواه.

قال أبو العباس بن عقدة: حدثنا جعفر بن محمد بن عمر، حدثنا سليمان بن عباد سمعت بشار بن دواع قال: لقي أبو حنيفة محمد بن النعمان فقال: عن رويت حديث رد الشمس؟ فقال: عن غير الذي رويت عنه: «يا سارية الجبل».

فهذا أبو حنيفة رحمه الله وهو من الأئمة المعترين وهو كوفي لا يهتم على حب علي بن أبي طالب وتفضيله بما فضله الله به ورسوله وهو مع هذا ينكر هذا على روايه، وقول محمد بن النعمان له ليس بجواب بل مجرد معارضة لا لمجدي، أي أنا رويت في فضل علي هذا الحديث وهو وإن كان مستغرباً فهو في الغرابة نظير ما رويته أنت في فضل عمر بن الخطاب في قوله: «يا سارية الجبل».

وهذا ليس بصحيح من محمد بن النعمان، فإن هذا ليس كهذا لا

أحدهم وهو لا يشعر والله أعلم.

قال: وأما حديث أبي سعيد فاخبرنا محمد بن إسماعيل الجرجاني كتاباً أن أبا طاهر محمد بن علي الواعظ أخبرهم: أخبرنا محمد بن أحمد بن ميثم، أخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: حدثني أبي عن أبيه محمد عن أبيه محمد، عن أبيه عبد الله عن أبيه عمر قال: قال الحسين بن علي: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا راسه في حجر علي وقد غابت الشمس فأتته النبي ﷺ وقال: «يا علي صليت العصر؟» قال: لا يا رسول الله ما صليت كرهت أن أضيع رأسك من حجري وأنت وجع، فقال رسول الله ﷺ: «ادع يا علي أن ترد عليك الشمس»، فقال علي: يا رسول الله ادع أنت وأمن، فقال: «يا رب إن علياً في طاعتك وطاعة نيك فأردد عليه الشمس»، قال أبو سعيد: فوالله لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية.

وهذا إسناده مظلم أيضاً مبتكر منكر، وخالف لما تقدمه من السياقات، وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتعل يسرقه بعض هؤلاء الرافضة من بعض، ولو كان له أصل من رواية أبي سعيد لثقاه عنه كبار أصحابه كما أخرجوا في الصحيحين [ج: (٢٣٤٤)، م: (١٠٦٤)، (١٠٦٥)] من طريقه حديث قتال الخوارزمي، وقصة المخلد [ج: (١٠٦٦)، (١٠٥٥)] من حديث علي وغير ذلك من فضائل علي.

قال: وأما حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام فاخبرنا أبو العباس الفرافغي، أخبرنا أبو الفضل الشيباني، حدثنا رجاء بن يحيى الساماني، حدثنا هارون بن مسلم بن سلمان بإسناد سنة أربعين ومائتين، حدثنا عبد الله بن عمرو بن الأشعث عن داود بن الكيث عن عمه المستهل بن زيد بن سهل عن جويرية بنت شهر قالت: خرجت مع علي بن أبي طالب فقال: يا جويرية إن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجري. فذكر الحديث.

وهذا الإسناده مظلم وأكثر رجاله لا يعرفون والذي يظهر والله أعلم أنه مركب مصنوع مما علمته أيدي الروافض قبحهم الله ولعن من كذب على رسول الله ﷺ وعجل عليه ما تورعده الشارع من العذاب والنكال حيث قال وهو الصادق في المقال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» [ج: (١١٠)، م: (٣)، (٤)].

وكيف يدخل في عقل أحد من أهل العلم أن يكون هذا الحديث يرويه علي بن أبي طالب وفيه متعة عظيمة له ودلالة معجزة باهرة لرسول الله ﷺ، ثم لا يروى عنه إلا بهذا الإسناده المظلم المركب على رجال لا يعرفون؟! ولم لهم وجود في الخارج أم لا؟ الظاهر والله أعلم لا. ثم هو عن امرأة مجهولة العين والخال فإين أصحاب علي الثقات كميئة السلماني وشريح القاضي وعامر الشعبي وأضرابهم، ثم في ترك الأئمة كمالك وأصحاب الكتب الستة وأصحاب المسانيد والسنن والصحاح والحسان رواية هذا الحديث وإيداعه في كتبهم أكبر دليل على أنه لا أصل له عندهم وهو مفتعل مأفوك بعندهم.

وهذا أبو عبد الرحمن النسائي قد جمع كتاباً في خصائص علي بن أبي طالب ولم يذكره، وكذلك لم يروه الحاكم في «مستدرکه» وكلاهما ينسب إلى شيء من التشيع ولا رواه من رواه من الناس المعترين إلا على سبيل الاستغراب والتعجب، وكيف يقع مثل هذا نهراً جهرة وهو مما تتوفر الدواعي على نقله، ثم لا يروى إلا من طرق ضعيفة منكرة وأكثرها مركبة

بعد ارتفاع النهار ولم يرد لهم الليل، فما كان الله عز وجل يعطي علياً وأصحابه شيئاً من الفضائل لم يعطها رسول الله ﷺ وأصحابه.

وأما نظم الحميري فليس فيه حجة بل هو كهنيان ابن المطهر هذا لا يعلم ما يقول من الشر وهذا لا يدري صحة ما ينظم بل كلاهما كما قال الشاعر:

إِنْ كُنْتُ أَدْرِي فَقَلْسِي بِتَسْتَهْ مِنْ كَثْرَةِ التَّخْلِيصِ أَنِّي مَنْ أَنَا
والمشهور عن علي في أرض بابل ما رواه أبو داود رحمه الله في سننه [٤٩٠] عن علي أنه مر بأرض بابل وقد حانت صلاة العصر فلم يصل حتى جاوزها، وقال: نهاني خليلي ﷺ أن أصلي بأرض بابل فإنها ملعونة.

وقد قال أبو محمد بن حزم في كتابه «الملل والنحل» [٤/٣/٥] ميطلا لرد الشمس على علي بعد كلام ذكره راداً على من ادعى باطلاً من الأمر فقال: ولا فرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على علي بن أبي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم أن حبيب بن أوس قال:

فَرُوتُ عَلَيْنَا الشَّمْسَ وَالْبَلْبَلُ زَاغِمُ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَنَابِ الْحَبْرِ تَطْلُعُ
نَضًّا عَرَوْنَهَا صَبِيحَ الدُّجْنَةِ وَانْطَوَى هَجْبُهَا نَسْرُ السَّمَاءِ الْمَرْجَعُ
فَرَأَيْتُ مَا أَدْرِي عَلِيٌّ مَا بَدَأْنَا فَرُوتُ لَهُ أَمْ كَانَ فِي الْقَوْمِ يُوشَعُ
هكذا أورده ابن حزم في كتابه، وهذا الشعر تظهر عليه الرقعة والتركيب وأنه مصنوع والله أعلم.

وما يتعلق بالآيات السماوية في باب دلائل النبوة:

٥- استسقاؤه لأتمه واستصحاه

قال البخاري [١٠٠٨]: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا أبو قتية، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

وَأَيْضُ يُشْفَى الْقَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَسَامِ عَصَمَةَ لِلْأَرَامِلِ

قال البخاري [١٠٠٩] تعليقا: وقال أبو عبيد الله الثقفي عن عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستشفي، فما ينزل حتى يمشي كل ميزاب.

وَأَيْضُ يُشْفَى الْقَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَسَامِ عَصَمَةَ لِلْأَرَامِلِ

وهو قول أبي طالب.

تفرد به البخاري وهذا الذي حلقه قد أسنده ابن ماجه في سننه [١٢٧٢] فرواه عن أحمد بن الأزهر عن أبي النضر عن أبي عتيل عن عمر بن حمزة عن سالم عن أبيه.

وقال البخاري [١٠١٣]: حدثنا محمد - هو ابن سلام - حدثنا أبو حمزة، حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان وجاء المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وتقطعت السبل، فادع الله لنا يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»، قال أنس: ولا والله ما نرى في

إسناداً ولا متناً، وأين مكاشفة إمام قد شهد الشارع له بأنه حدث بأمر جزء من رد الشمس طالعة بعد مغيبها الذي هو أكبر علامات الساعة؟! والذي وقع ليوشع بن نون ليس رداً للشمس عليه. بل حيث ساعة قبل غروبها بمعنى أنها تباطأت في سيرها حتى أمكنهم الفتح والله تعالى أعلم.

وتقدم ما أورده هذا المصنف من طرق هذا الحديث عن علي وأبي هريرة وأبي سعيد وأسماء بنت عيسى، وقد وقع في كتاب أبي بشر الدولابي في «الذرية الطاهرة» من حديث الحسين بن علي، والظاهر أنه عنه عن أبي سعيد الخدري كما تقدم والله أعلم.

وقد قال شيخ الرافضة جمال الدين يوسف بن الحسن الملقب بابن المطهر الحلي في كتابه في الإمامة الذي رد عليه فيه شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية [منهاج السنة: ١٦٤/٨]. قال ابن المطهر: التاسع رجوع الشمس له مرتين إحداها في زمن النبي ﷺ والثانية بعده، أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد: أن رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل يوماً يتناجيه من عند الله، فلما تشابه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فعلى علي العصر بالإيماء فلما استيقظ رسول الله ﷺ قال له: «سل الله أن يرد عليك الشمس فتصلي قائماً». فدعا فردت الشمس فصلى العصر قائماً. وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بتعبير بدوهم وصلى لنفسه في طائفة من أصحابه العصر وفات كثير منهم فتكلموا في ذلك فقال الله رد الشمس فردت، قال وقد نظمه الحميري فقال:

رُوتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَمَّا قَاتَهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَقَدْ فَنَتْ لِلْمَغْرِبِ
حَتَّى تُلْجَ نَوْرُهَا فِي وَجْهِهَا لِلْعَصْرِ ثُمَّ هَوَتْ هَوَى الْكَوْكَبِ
وَعَلَيْهِ قَدْ رُوتَ بِبَابِلَ مَرَّةً أُخْرَى وَمَا رُوتَ لَخْلَجَ مَغْرِبِ

قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: فضل علي وولايته وعلو منزلته عند الله معلوم والله الحمد بطرق ثابتة أفادت العلم اليقيني لا يحتاج معها إلى ما لا يعلم صدقه أو يعلم أنه كذب، وحديث رد الشمس قد ذكره طائفة كاهي جعفر الطحاوي والقاضي عياض وغيرهما وعدوا ذلك من معجزات رسول الله ﷺ، لكن المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع [منهاج السنة: ١٦٥/٨].

ثم أورد طرقه واحدة واحدة كما قدمنا وناقش أبا القاسم الحسكاني فيما تقدم، وقد أوردنا كل ذلك وزدنا عليه وتقصنا منه والله الموفق، واعتذر عن أحمد بن صالح المصري في تصحيحه هذا الحديث بأنه اغتر بسنده، وعن الطحاوي بأنه لم يكن عنده نقدٌ جيد للأسانيد كجهالة الحفاظ، وقال في غصون كلامه:

والذي يُقَطِّعُ بِهِ أَنَّهُ كَذِبٌ مُفْتَل.

قلت: وليراد ابن المطهر لهذا الحديث من طريق جابر غريب ولكن لم يسنده وفي سياقه ما يقتضي أن علياً هو الذي دعا ببرد الشمس في الأولى والثانية، وأما إirاده لقصة بابل فليس لها إسناد وأظنه والله أعلم من وضع الزنادقة من الشيعة ونحوهم؛ فإن رسول الله ﷺ وأصحابه يوم الحندق قد غرت عليهم الشمس ولم يكونوا صلوا العصر بل قاموا إلى بطحان وهو واد هناك فتوضؤوا وصلوا العصر بعدما غرت الشمس، وكان علي أيضاً فيهم ولم ترد لهم. وكذلك كثير من الصحابة الذين ساروا إلى بني قريظة فاتهم العصر يومئذ حتى غربت الشمس ولم ترد لهم، وكذلك لما نام رسول الله ﷺ وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس صلوا

يدعون قال: فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا فما زلنا نطر حتى كانت الجمعة الأخرى، فأتى الرجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله بَشَقَ المسافر ومُنِعَ الطريق

قال البخاري [١٠٣٠ تعليقاً]: وقال الأوسي - يعني عبد العزيز بن عبد الله -: حدثني محمد بن جعفر - هو ابن أبي كثير - عن يحيى بن سعيد وشريك، سمعا أنساً عن النبي ﷺ رفع يديه حتى رايت يياض إبطيه.

مكنا علق هذين الحديثين ولم يستلهما أحد من أصحاب الكتب الستة بالكلية.

وقال البخاري [١٠٢١]: حدثنا محمد بن أبي بكر قال: حدثنا معتمر عن عبد الله بن ثابت عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يحطب يوم جمعة فقام الناس فصاحوا فقالوا: يا رسول الله قحط المطر، واحمرت الشجر، وهلك البهائم، فادع الله أن يسقينا، فقال: «اللهم اسقنا مرتين، وإيم الله ما نرى في السماء قزعة من سحب، فنشأت سحابة وامطرت ونزل عن المنبر فصلى فلما انصرف لم تزل تمطر إلى الجمعة التي تليها، فلما قام النبي ﷺ يحطب صاحوا إليه: تهلمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يمسحها عنا، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فتكثرت المدينة فجعلت تمطر حولها وما تمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل.

وقد رواه مسلم [٨٩٧] (١٠) من حديث معتمر بن سليمان عن عبد الله وهو ابن عمر العمري به.

وقد رواه الإمام أحمد [١٠٤/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد قال: سئل أنس: هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه؟ فقال: قيل له يوم جمعة: يا رسول الله قحط المطر، وأجذبت الأرض، وهلك المال، قال: فرفع يديه حتى رايت يياض إبطيه فاستسقى، ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابة فما قضيت الصلاة حتى أن قارب الدار الشاب ليهمه الرجوع إلى أهله، قال: فلما كانت الجمعة التي تليها قالوا: يا رسول الله تهلمت البيوت وأجسب الركبان، فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملاحة ابن آدم وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، قال: فتكثرت عن المدينة.

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الشيخين ولم يخرجه.

وقال البخاري [٣٥٨٢] وأبو داود [١١٧٤] واللفظ له: حدثنا مسدد، حدثنا حماد بن زيد عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك، وعن يونس بن عبيد عن ثابت عن أنس ﷺ قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ، فبينا هو يحطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلك الكراع، هلك النشاء، فادع الله أن يسقينا، فمد يديه ودعا. قال أنس: وإن السماء لثلل الزجاجة، فهاجت ريح، ثم أنشأت سحابة، ثم اجتمعت، ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا غفوس الماء حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهلمت البيوت فادع الله أن يمسحها. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «حوالينا ولا علينا» فنظرت إلى السماء والسحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل.

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك وإنها تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن.

وقال البيهقي [دلائل: ١٤٠/٦ - ١٤٢] بإسناده من غير وجه إلى أبي معمر سعيد بن خثيم الهلالي عن مسلم الملاشي عن أنس بن مالك

السماء من سحب ولا قزعة ولا شيتا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت، قال: والله ما رأينا الشمس سبتاً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يحطب، فاستقبله قائماً، وقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله أن يمسحها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والطراب والأودية ومنابت الشجر». قال: فانتظمت وخرجنا نغمشي في الشمس، قال شريك: فسألت أنساً أهو الرجل الذي سأل أولاً؟ قال: لا أدري.

وهكذا رواه البخاري [١٠١٤] أيضاً ومسلم [٨٩٧] (٨) من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك به.

وقال البخاري [١٠١٥]: حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس قال: بينما رسول الله ﷺ يحطب يوم جمعة إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله قحط المطر، فادع الله أن يسقينا، فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا فما زلنا نطر إلى الجمعة المقبلة، قال: فقام ذلك الرجل أو غيره، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يصرف عنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا»، قال: فلقد رايت السحاب يتقطع يمينا وشمالا يمتطرون ولا يمتطر أهل المدينة.

تفرد به البخاري من هذا الوجه.

وقال البخاري [١٠١٦]: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: هلك المواشي وتقطعت السبل، فادع الله، فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة ثم جاء فقال: تهلمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي فادع الله أن يمسحها فقال: «اللهم على الآكام والطراب والأودية ومنابت الشجر» فهاجت عن المدينة انحباب الثوب.

وقال البخاري [١٠٣٣]: حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا عبد الله، حدثنا الأوزاعي، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، حدثني أنس بن مالك قال: أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يحطب على المنبر يوم الجمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة، فثار سحب أمثال الجبال ثم لم يزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحية قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره، فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، قال: فما جعل رسول الله ﷺ يشير يده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجفرة حتى سال الوادي وادي قناة شهراً، ولم يمسح أحد من ناحية إلا حدث بالحدود.

ورواه البخاري [٩٣٣] أيضاً في الجمعة ومسلم [٨٩٧] (٩) من حديث الوليد عن الأوزاعي.

وقال البخاري [١٠٢٩] تعليقاً: وقال أيوب بن سليمان: حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال قال: قال يحيى بن سعيد: سمعت أنس بن مالك قال: أتى رجل أعرابي من أهل البسل إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: يا رسول الله هلكت الماشية، هلك العيال، هلك الناس، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو ورفع الناس أيديهم مع رسول الله ﷺ

الله، استت بلادنا، وأجذب جثثنا، وعزيت عيالنا، وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يفتنا، وتنفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك، فقال رسول الله

ﷺ: «سبحان الله! إليك هذا أنا شفعت إلى ربي، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟! لا إله إلا الله وسع كرسيه السماوات والأرض وهو يسط من عظمته وجلاله كما يسط الرجل الجديد». قال رسول الله ﷺ: «إن الله يضحك من شفقتكم وإزلكم وقرب غيبتكم»، فقال الأعرابي: ويضحك ربنا يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فقال الأعرابي: لن نعلم يا رسول الله من رب يضحك خيراً، فضحك رسول الله ﷺ من قوله، فقام رسول الله ﷺ فصعد المنبر وتكلم بكلام ورفع يديه - وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء - رفع يديه حتى رشي بإصبعه، وكان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلدك وبلدك وبهاضك، وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغنياً مريئاً مريعاً طيباً واسعاً عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار، اللهم سقنا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء»، فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال: يا رسول الله إن التمر في المربد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقنا»، فقام أبو لبابة التمر في المربد، ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مريده بإزاره»، قال: فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحب وما بين المسجد ولسع من بناء ولا دار، فطلعت من وراء لسع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت، فو الله ما أروا الشمس شيئاً، وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مريده بإزاره لتسأل يخرج منه التمر، فقال الرجل: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فصعد النبي ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رشي بإصبعه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الأكام والظراب ويطون الأودية، ومنابت الشجر»، فانجابت السحابة عن المدينة كأنها ثوب.

وهذا السياق يشبه سياق مسلم الملاقي عن أنس، وبعضه شاهد في سنن أبي داود [١١٦٩] وفي حديث أبي زرين العجلي شاهد لبعضه أيضاً [مسند أحمد ١١/٤، ١٢، ج (١٨١) من حديث أبي زرين]، والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [١٤٤/٦، ١٤٥]: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن علي بن المزمّل، أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثنا محمد بن حماد الظهري، أخبرنا سهل بن عبد الرحمن المعروف بالسدي بن عبد الله بن عبد الله أبي أويس المدني عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري قال: استسقى رسول الله ﷺ يوماً جمعة وقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»، فقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله إن التمر في المربد، وما في السماء من سحب نراه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقنا»، فقام أبو لبابة فقال: يا رسول الله إن التمر في المربد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقنا، حتى يقوم أبو لبابة يسد ثعلب مريده بإزاره»، فاستهلكت السماء ومطرت وعلی بنا رسول الله ﷺ ثم أطاف الأنصار بأبي لبابة يقولون له: يا أبا لبابة إن السماء والله لن تقلع حتى تقوم عرياناً تسد ثعلب مريده بإزاره كما قال رسول الله ﷺ، قال: فقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مريده بإزاره فأقبلت السماء.

وهذا إسناد حسن ولم يروه أحمد ولا أهل الكتب والله أعلم. وقد وقع مثل هذا الاستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق كما قال عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن

قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله والله لقد أثبتك، وما لنا بغير بطن ولا صبي يصيح، وأشد:

أَتَيْتَكَ وَالْمَنْزِلَةَ يَنْمِي لِبَاطِنِهَا وَقَدْ شَغَلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ وَالْقِسَى بِكَيْفِهِ الْقَتَى لَأَسْتَكَاثَةٍ مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا مَا يُجِرُّ وَلَا يَحْلِي وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى الْخَنْظَلِ النَّاصِي وَالْبِلَهْرِ الْقَسْلِ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَوانَا وَابْنَ فِرَارِ النَّاسِ إِلَّا لِي الرُّسُلِ

قال: فقام رسول الله ﷺ وهو يجير رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه نحو السماء وقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغنياً مريئاً مريعاً سريعاً غداً طيباً عاجلاً غير راث، نافعاً غير ضار غلباً به الضرر، وتنت به الزرع، وتحمي به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون». قال: فوالله ما رد يديه إلى محرمه حتى ألفت السماء بأرواقها، وجاء أهل البطانة يفيضون: يا رسول الله الفرق الغرق، فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانجابت السحاب عن المدينة حتى أحرق بها كالإكليل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «لله در أبي طالب لو كان حياً قرأنا عينه من يشد قوله؟» فقام علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وَأَيْضَ يُسْقَى النَّعَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ النَّسَائِ عَصَاً لِلرَّاسِلِ يَلُودُ بِهِ الْمَلَأُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهَمْ عِنْدَ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ كَذِبْتُمْ وَيَسِّرَ اللَّهُ نَبْرَى عَمْدًا وَلَمَّا تَسَائِلُ ذُونَهُ وَنَسَائِلِ وَنَعْلُ عَنْ أَبْنَائِهِ وَالْخَلَائِلِ قَالَ: وقام رجل من كثانة فقال:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمُنْزَرِ دَعَا إِلَهُ خَالَقَهُ دَعْوَةً إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ بِنُورِ الْبَصَرِ فَلَمْ يَكْ إِلَّا كَلَفَ الرِّدَاءِ وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا السُّدُورَ تَفَاقَ التَّرَالِي عَمَّ الْبَقَاعِ أَغَاتَ بِهِ اللَّهُ عَلَيْنَا فَضَرَّ وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عُدَّةُ أَبُو طَالِبٍ أَيْضَ ذُو عُرُودِ بِهِ اللَّهُ يَسْقَى صَوْبَ النَّعَامِ وَهَذَا الْعِيَالُ لِنَاكَ الْخَبَرِ فَمَنْ يَشْكُرُ إِلَهُ يَلْقَى الزَيْدَ وَمَنْ يَكْفِرُ إِلَهُ يَلْقَى الْغَيْبَ

قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن يك شاعر يحسن فقد أحسن». وهذا السياق فيه غرابة ولا يشبه ما قلنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس فإن كان هذا هكذا محفوظاً فهو قصة أخرى غير ما تقدم والله أعلم.

وقال الحافظ البيهقي [الدلائل: ١٤٤/٦، ١٤٥]: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني، حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الله بن مصعب، حدثنا عبد الجبار، حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا محمد بن أبي ذئب المدني عن عبد الله بن محمد بن عمر بن حاطب الجمعي عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السدي قال: لما قتل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أثناء وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن، والحسر بن قيس - وهو أصغرهم - ابن أخي حينة بن حصن، فزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار، وقنعوا على إيل ضعاف عجاف وهم مسترون، فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالإسلام، فسلمهم رسول الله ﷺ عن بلادهم فقالوا: يا رسول

طريق أخرى عن أنس:

قال الإمام أحمد [٢١٦/٣]: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حمز، سمعت الحسن يقول: حدثنا أنس بن مالك قال: «أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض غماره معه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ما يتوضؤون به فقالوا: يا رسول الله والله ما نجد ما نتوضأ به، ورأى في وجوه أصحابه كراهية ذلك، فانطلق رجل من القوم فجاء بقلح من ماء يسير، فاخذ نبي الله ﷺ قنطرة من القوم، فرفع القنطرة ثم قال: «فعلعوا قنطرة»، فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء، قال الحسن: سئل أنس: كم بلغوا؟ قال: سبعين أو نحو ذلك.

وهكذا رواه البخاري [٣٥٧٤] عن عبد الرحمن بن المبارك النسي عن حمز بن مهران القطيبي به.

طريق أخرى عن أنس:

قال الإمام أحمد [١٠٦/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد بن زيد قال: أخبرنا حميد بن المنصور عن أنس بن مالك قال: نودي بالصلاة فقام كل قريب الدار من المسجد وبقي من كان أهله نائي الدار فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فصغر أن يسط كفه فيه قال: فضم أصابعه قال: توضأ بيمينهم، قال حميد: وسئل أنس: كم كانوا؟ قال: ثمانين أو زيادة.

وقد رواه البخاري [٣٥٧٥] عن عبد الله بن منير عن يزيد بن هارون عن حميد بن أنس بن مالك قال: حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد يتوضأ وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء فوضع كفه فصغر المخضب أن يسط فيه كفه فضم أصابعه فوضعا في المخضب فتوضأ القوم كلهم جميعا قلت: كم كانوا؟ قال: كانوا ثمانين رجلاً.

طريق أخرى عنه:

قال الإمام أحمد [١٧٠/٣]: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا سعيد إملاء عن قتادة عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء فأتى بإناء فيه ماء لا يغير أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضؤوا فوضع كفه في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم، قال: فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.

وهكذا رواه البخاري [٣٥٧٢] عن بندار بن أبي عدي ومسلم [٢٢٧٩] (٧) عن أبي موسى عن غندر كلاهما عن سعيد بن أبي عروبة، وبعضهم يقول: عن شعبة، والصحيح سعيد عن قتادة عن أنس قال: «أتى رسول الله ﷺ بإناء وهو في الزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: فقلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة.

لفظ البخاري.

عنه بن أبي عتبة عن نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبرك في قبط شديد فزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان أحدنا ليحلب فيلتصم الرُّخْل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع حتى إن الرجل لينحر بعيره فيمتص فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كعبه، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا، فقال: «أو تحب ذلك؟» قال: نعم، قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السمعة فاطلة ثم سكبت فلمؤا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت المسكر والدلائل للبيهي: [٢٣١/٥] من طريق ابن وهب، [٤].

وهذا إسناد جيد قوي ولم يخرجوه.

وقد قال الواقدي والمازني: [١٠٠٢/٣] باختلاف في عدد الخيل وروى ذكر عدد البعير: كان مع المسلمين في هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ومثلها من الخيل، وكانوا ثلاثين ألفاً من المقاتلة، قال: ونزل من المطر ماء أغدق الأرض حتى صارت الغدران تسكب بعضها في بعض وذلك في حارة القبط. أي شدة الحر البالغ، فصلوات الله وسلامه عليه. وكم له عليه الصلاة والسلام من مثل هذا في غير ما حديث صحيح والله الحمد. وقد تقدم أنه لما دعا على قريش حين استعصت أن يسلط الله عليها سبأ كسيع يوسف فأصابهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والكلاب والعاهز، ثم أتى أبو سفيان يشفع عنده في أن يدعوا الله لهم، فدعا لهم فرفع ذلك عنهم.

وقد قال البخاري [١٠١٠]: حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا أبي عبد الله بن المنصور عن جماعة عن عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال: اللهم أنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقى، ولنا نتوسل إليك بعم نبينا فاستقنا، قال: فيسقون.

تفرد به البخاري.

فصل: وأما المعجزات الأرضية:

٦- نبع الماء من تحت أصابعه

فمنها ما هو متعلق بالجمادات، ومنها ما هو متعلق بالحیوانات فمن المتعلق بالجمادات تكثيره الماء في غير ما موطن على صفات متنوعة سنوردها بأماكنها إن شاء الله، وبداناً بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقاؤه وأجابه الله له.

قال البخاري [٣٥٧٣]: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والشمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فأتيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم.

وقد رواه مسلم [٢٢٧٩] (٥) والترمذي [٣٩٣١] والنسائي [٧٦] من طرق عن مالك به وقال الترمذي: حسن صحيح

حديث البراء بن عازب في ذلك:

قال البخاري [٣٥٧٧]: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر ففتحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فعضض ومج في البئر فمكنا غير بعيد ثم استقينا حتى رويت أو صلدت ركبتنا». تفرد به البخاري إسناده ومتناً.

حديث آخر عن البراء بن عازب:

قال الإمام أحمد [٢٩٢/٤، ٢٩٧]: حدثنا عفان وهاشم، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا يونس - هو ابن هبيلة مولى محمد بن القاسم - عن البراء قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأتينا على ركي ذمة - يعني قليلة الماء - قال: فنزل فيها ستة أنا سادسهم مائة فأدليت إلينا دلو قال: ورسول الله ﷺ على شفة الركي فجعلنا فيها نصفها أو قرب ثلثها فرفعت إلى رسول الله ﷺ. قال البراء: فكنت يأناني هل أجد شيئاً أجعله في حلقي؟ فما وجدت فرفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ فممس يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول، وأهديت إلينا الدلو بما فيها، قال: فلقد رأيت أحداً يخرج ثوب خشية الفرق قال: ثم ساحت - يعني جرت نهراً».

تفرد به الإمام أحمد، وإسناده جيد قوي، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم.

حديث آخر عن جابر في ذلك:

قال الإمام أحمد [٣٤٣/٣]: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر - يعني ابن سليمان - حدثنا الجعد أبو عثمان، حدثنا أنس بن مالك عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش قال: فدعا بشئ فصب فيه شيء من الماء ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال: «اسقوا»، فاستقى الناس قال: فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ.

تفرد به أحد من هذا الوجه.

وفي أفراد مسلم [٣٠١٢ - ٣٠١٤] من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبي هريرة يعقوب بن مجاهد عن عباد بن الوليد بن عباد عن جابر بن عبد الله في حديث طويل قال فيه: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفصح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فأتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، وإذا بشجرتين بشاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحدهما فأخذ بفض من أغصانها، فقال: «اتقادي عليّ بإذن الله»، فانقلبت معه كالبحير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الأخرى فأخذ بفض من أغصانها فقال: «اتقادي عليّ بإذن الله»، فانقلبت معه كذلك حتى إذا كان بالأنصف مما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - فقال: «التمسا عليّ بإذن الله»، فالتفتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحبس رسول الله ﷺ بقربي فيتعمد فجعلت أحدث نفسي فحانت مني لفظة، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً وإذا بالشجرتين

قد افتترقا فقامت كل واحدة منهما على ساق فأريت رسول الله ﷺ وقف وقفاً فقال براهه هكذا: مينا وشمالاً، ثم أقبل فلما انتهى إلى قال: «يا جابر هل رأيت مقامي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فاقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك»، قال جابر: فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحترته فانذلق لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرحهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقت فقلت: قد فعلت يا رسول الله، قال: فقلت: فلم ذاك؟ قال: «إني مررت بقبرين يعذبان فأحييت بشفاهي أن يرفقه عنهما ما دام الغصنان رطيين»، قال: فأتينا الصكر فقال رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد بوضوء»، فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يريد لرسول الله ﷺ الماء في أشجابه له على حماره من جريد قال: فقال لي: «انطلق إلى فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء؟» قال: فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها - لو أتني أفرغته لشربه يابسه، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة عزلاء شجب منها لو أتني أفرغته لشربه يابسه قال: «اذبح فإني به»، فأتيت به فأخذته بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويخمره بيديه ثم أعطانيه فقال: «يا جابر ناد بجفنة»، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا فسطها ورفق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: «خذ يا جابر فصب عليّ» قل: بسم الله، فصببت عليه وقلت: بسم الله، فأريت الماء يفر من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال: «يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء»، قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رروا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى. قال: وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر فزجر زجرة فالتقى دابة فأورينا على شقها النار فطبختنا واشترينا واكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان - حتى عد خمسة - في حجاج عينا ما يروا أحد، حتى خرجنا وأخذنا ضلعاً من أضلاع قفوسه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جل في الركب وأعظم كفل في الركب لدخل تحتها ما يطأه راسه.

وقال البخاري [٣٥٧٦]: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: «عطش الناس يوم الحديبية وأتني ﷺ بين يديه ركوة يترصاً فجهش الناس نحوه قال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفر من بين أصابعه كأنما الميون فشرينا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفنا، كنا خمس عشرة مائة».

وهكذا رواه مسلم [١٨٥٦] (٧٣) من حديث حصين وأخرجه [٥٦٣٩] (٧٤، ٧٥) من حديث الأعمش. زاد مسلم وشعبة تلاطمهم عن سالم، عن جابر، وفي رواية الأعمش «كنا أربع عشرة مائة».

وقال الإمام أحمد [٢٩٢/٣]: حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح المزني أن جابر بن عبد الله قال: غزونا أو

ورواه الترمذي (٣٦٣٣) عن يندار عن أبي أحمد وقال: حسن صحيح.

حديث عن عمران بن حصين في ذلك:

قال البخاري (٣٥٧١): حدثنا أبو الوليد، حدثنا سلم بن زرير، سمعت أبا رجاء قال: حدثنا عمران بن حصين أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سير فادخلوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا فغلبهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ، فاستيقظ عمر فقام أبو بكر عند رأسه فجعل يكر ويضع صوته حتى استيقظ النبي ﷺ فبذل وصلى بنا الغداة فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا، فلما انصرف قال: «يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا؟» قال: أصابني جنابة، فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى، وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه، وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ نحن بامراء سادلة رجلها بين مزادتين فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: إنه لا ماء، قلنا: كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة، قلنا: انتقلقي إلى رسول الله ﷺ، قالت: وما رسول الله؟ فلم يملكها من أمرها حتى استقبلنا بها النبي ﷺ، فحدثته بمثل الذي حدثنا غير أنها حدثت أنها مؤمنة فأمر بمزادتها فمسخ في العزلايين فشرنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى رويوا وملأنا كل قرية معنا وإداوة، غير أنه لم نسق ببعراً وهي تكاد تنف من الماء، ثم قال: «هاتوا ما عندكم»، فجمع له من الكسر والتمر حتى أتت أهلها، فقالت: لقيت أسحر الناس أو هو نبي كما زعموا، فهدي إلى الله ذلك الصرم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا.

وكذلك رواه مسلم (٦٨٢) (٣١٢) من حديث سلم بن زرير، وأخرجه إ (٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩) م (٦٨٢) (٣١٢) من حديث عوف الأعرابي، كلاهما عن أبي رجاء الطاردي - واسمه عمران بن تيم - من عمران بن حصين به. وفي رواية لما إ (٣٤٤) م (٦٨٢) (٣١٢) فقال لها: اخفي بهنا معك لعيالك واعلمي أننا لم نزلك من مائك شيئاً غير أن الله سقانا. وفيه أنه لما فتح العزلايين سمى الله عز وجل.

حديث عن أبي قتادة في ذلك:

قال الإمام أحمد (٢٩٨/٥): حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: «إنكم إن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا»، وانطلق سرعان الناس يريدون الماء، ولزمت رسول الله ﷺ فمالت يرسول الله ﷺ راحته ففحص رسول الله ﷺ فدمعته فاذم ثم مال فدمعته فادعم، ثم مال حتى كاد أن يتجفل عن راحته فدمعته فأنبه فقال: «من الرجل؟» فقلت: أبو قتادة، قال: «فمنذ كم كان مسيرك؟» قلت: منذ الليلة، قال: «حفظك الله كما حفظت رسوله» ثم قال: «لو عرشنا»، فمال إلى شجرة فزول فقال: «انظر هل ترى أحداً؟» قلت: هنا راكب، هناك راكب، حتى بلغ سبعة. فقال: «احفظوا علينا صلاتنا»، فمنا فما أيقظنا إلا حر الشمس فأنهت فركب رسول الله ﷺ فسر وسرنا هتية، ثم نزل فقال: «أمعكم

سافرنا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشر ومائتان فحضرت الصلاة فقال رسول الله ﷺ: «هل في القوم من ماء؟» فجاءه رجل يسعى بإداوة فيها شيء من ماء، قال: فيه رسول الله ﷺ في قدح، قال: فتروا رسول الله ﷺ فأجسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح فركب الناس القدح: غشحوه غشحوه، فقال رسول الله ﷺ: «على رسلكم» حين سمعهم يقولون ذلك، قال: فوضع رسول الله ﷺ كفه في الماء ثم قال رسول الله ﷺ: «بسم الله»، ثم قال: «أسفوا الوضوء» قال جابر: فوالذي ابتلاني بصري لقد رأيت العيون عيون الله يومئذ تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ فما رفعها حتى تروضوا أجمعون.

وهذا إسناده جيد تفرد به أحمد، وظاهره كانه قصة أخرى غير ما تقدم. وفي صحيح مسلم (١٨٠٧) مطولاً عن سلمة بن الأكوع قال: «قلنا الحنيفة مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة أو أكثر من ذلك وعليها خسون رأساً لا يرونها فقد رسول الله ﷺ على جبا الركبة فإما دعا وإما بصق فيها قال: فجاشت فنيقنا واستقنا».

وفي صحيح البخاري [١] من حديث الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم في حديث صلح الحنيفة الطويل فعدل عنهم رسول الله ﷺ حتى نزل بأقصى الحنيفة على ثمد قليل الماء يترضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى تزحوا وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فاستترع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يميلوه فيه فوالله ما زال يمشي لهم بالري حتى صلروا عنه. وقد تقدم الحديث بتمامه في صلح الحنيفة، فاضفى عن إعادته.

وروى ابن إسحاق عن بعضهم أن الذي نزل بالسهم ناجية بن جندب سائق البذن، قال وقيل: البراء بن عازب. ثم رجع ابن إسحاق الأول.

حديث آخر عن ابن عباس في ذلك:

قال الإمام أحمد (٢٥١/١، ٣٢٤): حدثنا حسين الأشقر، حدثنا أبو كلبية عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس، قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم وليس في العسكر ماء فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ليس في العسكر ماء، قال: «هل عندك شيء؟» قال: نعم، قال: «فأني به»، قال: فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل، قال: فجعل رسول الله ﷺ أصابعه في ثم الإناء وفتح أصابعه، قال: فالتفتت من بين أصابعه عيون وأمر بلالا فقال: «ناد في الناس: الوضوء المبارك».

تفرد به أحمد، ورواه الطبراني (المعجم الكبير: ٨٧/١٧) من حديث عامر الشعبي عن ابن عباس بنحوه.

حديث عن عبد الله بن مسعود في ذلك:

قال البخاري (٣٥٧٩): حدثنا محمد بن المنشي، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تحرقاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء»، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فادخل يده في الإناء ثم قال: «هي على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل»، قال: فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع نسيح الطعام وهو يؤكل.

قال لهم: «هل مع أحدكم ماء؟» قال رجل منهم: يا رسول الله معي مِضْءٌ فيها شيء من ماء، قال: «فجئ به» فجاء بها فأخذها نبي الله ﷺ فمسحها بكنهه ودعا بالبركة فيها وقال لأصحابه: «تعالوا فتوضؤوا»، فجاؤوا وجعل يصب عليهم رسول الله ﷺ حتى توضؤوا كلهم، فاذن رجل منهم وأقام فصلى رسول الله ﷺ بهم وقال لصاحب المِضْء: «ازدهر بمِضْءاتك فسيكون لها نساء»، وركب رسول الله ﷺ قبل الناس وقال لأصحابه: «ما ترون الناس فعلوا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال لهم: «فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس»، فقدم الناس وقد سبق المشركون إلى ذلك الماء فشق ذلك على الناس وعطشوا عطشاً شديداً ركباهم ودوابهم، فقال رسول الله ﷺ: «أين صاحب المِضْء؟» قالوا: هو ذا يا رسول الله، قال: «جئني بمِضْءاتك»، فجاء بها وفيها شيء من ماء، فقال لهم: «تعالوا فاشربوا»، فجعل يصب لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم وسقوا دوابهم وركباهم وملؤوا ماكان معهم من إداوة وقرية ومزادة، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المشركين، فبعث الله رجلاً فضرب وجهه المشركين وأنزل الله نصره وأمكن من أديارهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا أسارى كثيرة، واستأثروا غنائم كثيرة، ورجع رسول الله ﷺ والناس وأقرين صالحين.

وقد تقدم قريباً عن جابر ما يشبه هذا وهو في صحيح مسلم.

وقدعنا في غزوة تبوك ما رواه مسلم [٧٠٩] (١٠) من طريق مالك عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل. ففكر حديث جمع الصلاة في غزوة تبوك إلى أن قال: وقال - يعني رسول الله ﷺ -: «إنكم ستأثرون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأثروا حتى يضحى ضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»، قال: فجتناها وقد سبق إليها رجلان والذين مثل الشراك تفيض بشيء من ماء، فسلمها رسول الله ﷺ: «هل مستسما من مائها شيئاً؟» قالوا: نعم، فسيهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غفروا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه وبليته ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «فيا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ عجاناً».

وقال الإمام أحمد [١٦٨، ١٦٩]: حدثنا حسن حدثنا ابن ليعه حدثنا بكر بن سواد عن زياد بن نعيم عن حبان بن بُع الصلاني صاحب رسول الله ﷺ قال: إن قومي أسلموا فأخبرت أن رسول الله ﷺ جهز إليهم جيشاً، فأتته فقلت: إن قومي على الإسلام فقال: «أكنلك؟» فقلت: نعم قال: فأتته ليلي إلى الصباح فاذنت بالصلاة لما أصبحت وأعطاني إياه توضأت منه، وجعل رسول الله ﷺ أصابعه في الإثاء فالتفت عيوننا فقال: «من أراد منكم أن يتوضأ فليتوضأ»، فتوضأت وصليت، وأمرني عليهم وأعطاني صدقاتهم فقام رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله فلان ظلمي فقال النبي ﷺ: «لا خير في الإمرة لمسلم»، ثم جاء آخر فسأل صدقة فقال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة صنائع في الرأس وحريق في البطن، أو داء»، قال: فأعطيت صحيفتي أو قال: صحيفة إمرتي وصدقتي فقال: «ما شئت؟» فقلت: كيف أتيتها وقد سمعت منك ما سمعت؟! فقال: «هو ما سمعت».

ودكرنا في باب الوفود من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن زياد بن نعيم الحضرمي عن زياد بن الحارث الصلاني في قصة وفادته فذكر حديثاً طويلاً فيه، ثم قلنا: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا

ماء؟ قال: قلت: نعم معي مِضْءٌ فيها شيء من ماء، قال: «أئت بها»، قال: فأتته بها فقال: «مُسُوا منها مسوا منها»، فتوضأ القوم وبقيت جرعة فقال: «ازدهر بها يا أبا قتادة فإنه سيكون لها نساء»، ثم أذن بلال وصلوا الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر، ثم ركب وركبنا فقال بعضهم لبعض: فرطنا في صلاتنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقولون؟ إن كان أمر دنياكم فشأنكم، وإن كان أمر دينكم فلا»، قلنا: يا رسول الله فرطنا في صلاتنا، فقال: «لا تغرط في النوم، إنما الغرط في اليقظة، فإذا كان ذلك فصلوها ومن الغد وقتها»، ثم قال: «ظنوا بالقوم»، قالوا: إنك قلت بالأمس: «إن لا تتركوا الماء غداً تعطشوا»، فالتاس بالماء، فقال: «أصبح الناس وقد قتلوا نبيهم»، فقال بعضهم لبعض: إن رسول الله ﷺ بالماء. وفي القوم أبو بكر وعمر، فقالا: أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم إلى الماء ويخلفكم، وإن يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا، قالما ثلاثاً، فلما استندت الظهيرة رفع لهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هلكتنا عطشاً، تقطعت الأعناق، فقال: «لا مَلُكٌ عليكم»، ثم قال: «يا أبا قتادة أنت بالمِضْءة»، فأتته بها، فقال: «احلل لي غُصْرِي» - يعني قدحه - فحلته فأتته به، فجعل يصب فيه ويسقي الناس فازدحم الناس عليه فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أحسنوا المَلَأَ نكلكم سيصدر عن ري»، فشرب القوم حتى لم يبق غري وغير. رسول الله ﷺ، فصب لي فقال: «اشرب يا أبا قتادة»، قال: قلت: اشرب أنت يا رسول الله، قال: «إن ساقى القوم آخرهم»، فشربت وشرب بعدي وبقي في المِضْءة نحو مما كان فيها، وهم يومئذ ثلاثمائة، قال عبد الله: «سمعني عمران بن حصين وأنا أحدث هذا الحديث في المسجد الجامع فقال: من الرجل؟ قلت: أنا عبد الله بن رباح الأنصاري، قال: القوم أعلم بحديثهم، انظر كيف تحدث فيأتي أحد السبعة تلك الليلة، فلما فرغت، قال: ما كنت أحسب أحداً يحفظ هذا الحديث غري».

قال حماد بن سلمة: وحدثنا حميد الطويل عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة عن النبي ﷺ بمثله وزاد قال: كان رسول الله ﷺ إذا عرس وعليه ليل تودع عينه، وإذا عرس الصبح وضع رأسه على كتفه اليمنى وأقام ساعده ومسد أحد: [٢٩٨/٦].

وقد رواه مسلم [٢٨١] عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة الحارث بن ربيعة الأنصاري بطوله وأخرجه [٦٨٣] مختصراً من حديث حماد بن سلمة بسنده الأخير أيضاً.

حديث آخر عن أنس يشبه هذا:

روى البيهقي [الدلائل: ١٣٤/٦، ١٣٥] من حديث المحافظ أبي يعلى الموصلي: حدثنا شيبان، حدثنا سعيد بن سليمان الضبعي، حدثنا أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ جهز جيشاً إلى المشركين فيهم أبو بكر وعمر فقال لهم: «اجلؤا السير فإن بينكم وبين المشركين ماءً إن سبق المشركون إلى ذلك الماء شق على الناس وعطشتم عطشاً شديداً أنتم ودوابكم»، قال: وتخلف رسول الله ﷺ في ثمانية أنا نالهم، وقال لأصحابه: «هل لكم أن نعرس قليلاً ثم نلحق بالناس؟» قالوا: نعم يا رسول الله، فعرسوا فما أبقتهم إلا حر الشمس، فاستيقظ رسول الله ﷺ واستيقظ أصحابه، فقال لهم: «تقدموا واقضوا حاجاتكم»، ففعلوا ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ،

فاستأذنوا فأنزلهم فآخذوا عجالهم من البيت ثم قال: «أبأ هرخذ فاعطهم»، فأخذت القدر فجعلت أعطيهم فآخذ الرجل القدر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدر حتى أتيت على آخرهم، ودفعت إلى رسول الله ﷺ فآخذ القدر فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ثم رفع رأسه ونظر إلى وتيسم وقال: «أبأ هر؟» فقلت: لبيك رسول الله ﷺ قال: «بقيت أنا وأنت» فقلت: صدقت يا رسول الله ﷺ قال: «أقعد فأشرب» قال: فقمعدت فشربت ثم قال لي: «أشرب» فشربت، فما زال يقول لي: «أشرب» فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له في مسلكتي، قال: «فإنولي القدر» فرددت إليه القدر فشرب من الفضلة.

ورواه البخاري (٦٤٤٦، ٦٤٥٢) عن أبي نعيم وعن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك.

وأخرجه الترمذي (٢٤٧٧) عن هناد عن يونس بن بكير ثلاثهم عن عمر بن ذر وقال الترمذي: صحيح.

وقال الإمام أحمد (٢٧٩/١): حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثني عاصم عن زرّ عن ابن مسعود قال: كنت أروي غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: «يا غلام هل من لبن؟» قال: قلت: نعم ولكني مؤتمن. قال: «هل من شاة لم يتر عليها الفحل؟» فأتيت بشاة فمسح ضرعها فترّل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «أقلص» فقلص، قال: ثم أتيت بهدنا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله، فإنك غليم معلّم».

ورواه البيهقي (الدلائل: ٨٤/٦) من حديث أبي عوانة عن عاصم بن أبي النجود عن زرّ عن ابن مسعود، وقال فيه: فأتيت بعناق جذعة فاعتقلها ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو، وأتاه أبو بكر بحجفة فحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب، ثم قال للضرع: «أقلص» فقلص فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «إنك غلام معلّم» فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر.

وتقدم في الهجرة حديث أم معبد وحلبه عليه الصلاة والسلام شاتها، وكانت عجفاء لا لبن لها فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها، وتقدم في ذكر من كان يخدمه من غير مواليه عليه الصلاة والسلام حديث المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذي كان قد جاء لرسول الله ﷺ، ثم قام في الليل لينبج له شاة فوجد لبناً كثيراً فحلب ما ملا منه إناء كبيراً جداً، الحديث.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا زهير عن أبي إسحاق عن ابنة خباب أنها أتت رسول الله ﷺ بشاة فاعتقلها وحلبها، فقال: «أتتني بأعظم إناء لكم» فأتيت بحجفة العجين، فحلب فيها حتى ملأها، ثم قال: «أشربوا أنتم وجيرانكم».

وقال البيهقي (الدلائل: ١٣٧/٦): أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغداد، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا محمد بن الفرج الأزرق، حدثنا عصمة بن سليمان الخزاز، حدثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن نافع - وكانت له صبة - قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وكنا زهاء أربعمئة فترّلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه وقالوا: رسول الله ﷺ أعلم، قال: فجنّات شويبة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله ﷺ فحلبها فشرب حتى روى وسقى أصحابه حتى رواء، ثم قال: «يا نافع املكها الليلة وما أراك تملكها» قال: فأخذتها فوددت لها وتدا ثم ربطتها بمجل ثم قممت في بعض الليل فلم أر الشاة،

مالها واجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف قل مالها فترقنا على مياه جزلنا وقد أسلمنا، وكل من حولنا عدو، فادع الله لنا في ثرنا فيسعدنا مالها فنجتمع عليه ولا تنفرك، فدعا بسبع حصيات فحكهن بيده ودعا فيهن ثم قال: «أذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فآلقوا واحدة واحدة واذكروا الله عز وجل»، قال الصنادي: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قمرها - يعني البئر -.

وأصل هذا الحديث في المسند (١٦٩/٤) مختصراً وسنن أبي داود (٥١٤٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧).

وأما الحديث بطوله ففي دلائل النبوة للبيهقي رحمه الله وقال البيهقي (الدلائل: ١٣٦/٦): باب ما ظهر في البئر التي كانت بقاءه من بركة

أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، حدثنا أبو حامد بن السري، أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله، أخبرنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك أتاهم بقياء فسأله عن بئر هناك، قال: فدلّكه عليها، فقال: لقد كانت هذه وإن الرجل لينضح على حملاه فيترج فتنسجها فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذنوب فسقي فلما أن يكون ترويضاً منه، وإما أن يكون تفل فيه ثم أمر به فاعيد في البئر، قال: ففنا تزحمت بعد، قال: فرأيت به بال ثم جاء فترويضاً ومسح على خفيه ثم صلى.

وقال أبو بكر البزار: حدثنا الوليد بن عمرو بن السكين، حدثنا محمد بن عبد الله بن مني عن أبيه عن ثمامة عن أنس قال: أتني رسول الله ﷺ فترّلنا فسقيته من بئر لنا في دارنا كانت تسمى الزور في الجاهلية ففل فيها فكانت لا تترج بعد. ثم قال: لا نعلم هذا يروى إلا من هذا الوجه.

باب تكثيره عليه الصلاة والسلام الأطعمة للحاجة إليها في

غير ما موطن كما سنورده مبسوطاً:

٧- تكثيره اللبن في موطن أيضاً

قال الإمام أحمد (٥١٥/٢): حدثنا روح، حدثنا عمر بن ذر عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قمعدت يوماً على طريقتهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله عز وجل ما سأله إلا ليستبني فلم يفعل، فمر عمر رضي الله عنه فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليستبني فلم يفعل، فمر أبو القاسم عيسى بن معروف ما في وجهي وما في نفسي فقال: «أبأ هريرة؟» قلت له: لبيك يا رسول الله، فقال: «الحق» واستأذنت فأذن لي فوجدت لبناً في قنح فقال: «من أين لكم هذا اللبن؟» فقالوا: أهدها لنا فلان أو آل فلان، قال: «أبأ هر؟» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال: وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا يأتون إلى أهل ولا مال إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها وإذا جاءت الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها - قال: وأحزني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شرية أتقوى بها بقية يومي وليلتي، وقلت: أنا المرسل، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا

ولاية عثمان حتى كان من أمر علي ومعاوية ما كان.

حديث آخر:

روى البيهقي [الدلائل: ١٢٣/٦، ١٢٤] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الأعلى بن أبي المساور القرشي عن محمد بن عمرو بن عطاء عن أبي هريرة قال: «كانت امرأة من دوس يقال لها: أم شريك، أسلمت في رمضان، فذكر الحديث في هجرتها وصحة ذلك اليهودي لها، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تهو، فأتت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي رباته، فلما جاءت رسول الله ﷺ قصت عليه القصة، فخطبها إلى نفسها فرأت نفسها أكل من ذلك وقالت: بل زوجي من شئت، فزوجها زيداً وأمر لها بثلاثين صاعاً، وقال: «كلوا ولا تكلوا» وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ﷺ، ففرغت وأمرهم رسول الله ﷺ إذا ردتها أن تعلقها ولا توكتها، فدخلت أم شريك فوجدتها ملأى، فقالت للجارية: ألم أسرك أن تدعي بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: قد فعلت، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يوكتها فلم تزل حتى أوكتها أم شريك ثم كالوا الشعر فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء.

حديث آخر:

قال الطبراني [المعجم الكبير: ١٧٦/٣]: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا يزيد بن يحيى بن يزيد الخزاعي أبو خالد حدثنا أبو بكر بن محمد بن حمزة عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك وكنت على خدمته ذلك السفر فظفرت إلى بخي السمن وقد قل ما فيه وحيات للنبي ﷺ طعاماً ووضعته الحي في الشمس وغث فأنشيت بخرير النحي فقممت فأخذت برأسه بيدي فقال رسول الله ﷺ: «لو تركته لسال وأدباً سمناً».

حديث آخر في ذلك:

قال الإمام أحمد [٣٤٧/٣]: حدثنا موسى حدثنا ابن لبيعة حدثنا أبو الزبير عن جابر أن أم مالك البهزية كانت تهدي في عكة لها سمناً للنبي ﷺ فينما بنوها يسألونها الإمام وليس عندها شيء فعمدت إلى ينحيتها التي كانت تهدي فيه إلى النبي ﷺ فوجدت فيه سمناً، فما زال يقيم لها إدام بينها حتى عصرته وأنت النبي ﷺ فقال: «أعصرته؟» فقلت: نعم قال: «لو تركته ما زال ذلك مقيماً».

ثم روى الإمام أحمد [٣٤٧/٣] بهذا الإسناد عن جابر عن النبي ﷺ أنه أتاه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته وضيع لم حتى كالوه، فقال رسول الله ﷺ: «لو لم تكلوه لأكلتم منه ولقام لكم» وقد روى هذين الحديثين مسلم [٢٢٨٠] (٢٢٨١) من وجه آخر عن أبي الزبير عن جابر.

٩- تكثير الطعام في ضيافة أبي طلحة

ذكر ضيافة أبي طلحة الأنصاري رسول الله ﷺ وما ظهر في ذلك

ورأيت الحليل مطروحاً، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته من قبل أن يسألني فقال: «يا نافع ذهب بها الذي جاء بها».

قال البيهقي: ورواه محمد بن سعد عن خلف بن الوليد - أبي الوليد الأزدي - عن خلف بن خليفة عن أبان بن بشير، عن شيخ بن أهل البصرة، عن نافع، فذكره. وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتناً. ثم قال البيهقي [الدلائل: ١٣٨/٦]: أخبرنا أبو سعيد الماليني، أخبرنا أبو أحمد بن عدي، أخبرنا العباس بن محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو حفص الرياحي، حدثنا عامر بن أبي عامر الخزاز عن أبيه عن الحسن بن سعد - يعني مولى أبي بكر - قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلب لي تلك العنز» قال: وعهدي بذلك الموضع لا عز فيه، قال: فأتيت فإذا بعنز حافل، قال: فأحلبتها واحتفظت بالعنز وأوصيت بها، قال: فاشتغلنا بالرحلة ففقدت العنز فقلت: يا رسول الله قد فقدت العنز، فقال: «إن لها رباً».

وهذا أيضاً حديث غريب جداً إسناداً ومتناً وفي إسناده من لا يعرف حاله، وسياحي حديث الغزاة في قسم ما يتعلق من المعجزات بالحيرانات.

٨- تكثيره ﷺ السمن لأم سليم

قال الحافظ أبو يعلى [مسند: ٤١٣]: حدثنا شيان، حدثنا محمد بن زيد البرجي عن أبي الظلال عن أنس عن أمه قال: كانت لها شاة فجمعت من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت: يا ربيبة أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدب بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم، قال: «فرغوا لها عكها» ففرغت العكة فدفعته إليها فانطلقت بها وجاءت وأم سليم ليست في البيت فعلق العكة على وتد، فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر، فقالت أم سليم: يا ربيبة أليس أمرتك أن تتلطي بها إلى رسول الله؟ فقالت: قد فعلت، فإن لم تصدقني فانطلقت فسلمي رسول الله ﷺ فانطلقت أم سليم ومعها ربيبة فقالت: يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن، قال: «قد فعلت، قد جاءت بها» قالت: والذي بكك بالحق ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبي؟ كلي وأطعمي» قالت: فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا وكنا وكنا وتركت فيها ما اتدمننا به شهراً أو شهرين.

حديث آخر في ذلك:

قال البيهقي [الدلائل: ١١٥/٦]: أخبرنا الحاكم، أخبرنا الأصم، حدثنا عباس الدوري، حدثنا علي بن بحر القطان، حدثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن يوسف بن خالد عن أوس بن خالد عن أم أوس البهزية قالت: سليت سمناً لي فجعلته في عكة فأعديته لرسول الله ﷺ فقبله وترك في العكة قليلاً ونفخ فيه ودعا بالبركة ثم قال: «ردوا عليها عكها» فردوها عليها وهي مملوءة سمناً، قالت: فظننت أن رسول الله ﷺ لم يقبلها فجاءت ولها صراخ، فقالت: يا رسول الله إنما سليت لك لتأكله، فلم أنه قد استجب له، فقال: «اذبحوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعو بالبركة» فأكلت بقية عمر النبي ﷺ وولاية أبي بكر وولاية عمرو

شعباً، ثم قال: «ادع لي عشرة آخرين» فدعوت له عشرة أخرى، فقال: «كلوا بسم الله» فاكلوا من حوالي القرص حتى شعبوا، فلم يزل يدعو عشرة عشرة ياكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالي القرص حتى شعبوا وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو.

وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه فإله أعلم.

طريق أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد (٢/٢١٨): حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا سعد - يعني ابن سعيد بن قيس - أخبرني أنس بن مالك قال: بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه وقد جعل له طعاماً، فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس، قال: فنظر إلي فاستحييت فقلت: أجب أبا طلحة، فقال للناس: «قوموا» فقال أبو طلحة: يا رسول الله إنما صنعت شيئاً لك قال: فمسيها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة، ثم قال: «ادخل نقرأ من أصحابي عشرة» فقال: «كلوا» فاكلوا حتى شعبوا وخرجوا، وقال: «ادخل عشرة» فقال: «كلوا» فاكلوا حتى شعبوا فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فاكل حتى شبع ثم هياها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها.

وقد رواه مسلم (٢٠٤٠) (١٤٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه كلاهما عن سعد بن سعيد بن قيس الأنصاري.

طريق أخرى:

رواه مسلم في الأطعمة (٢٠٤٠) (١٤٣) عن عبد بن حميد عن خالد بن مخلد عن محمد بن موسى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. فذكر نحو ما تقدم.

وقد رواه أبو يعلى الموصلي [مسنده (١٤٢٦)] عن محمد بن عباد المكي عن حاتم عن معاوية بن أبي مزرعة عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن أبي طلحة؛ فذكره والله أعلم.

طريق أخرى عن أنس:

قال الإمام أحمد (٢/٢١٢): حدثنا علي بن عاصم، حدثنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس بن مالك قال: أتى أبو طلحة بمئتين من شعر فامر به فصنع طعاماً ثم قال لي: يا أنس انطلق أنت رسول الله ﷺ فادعه وقد تعلم ما عندنا، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده فقلت: إن أبا طلحة يدعوك إلى طعام، فقام وقال للناس: «قوموا» قال: فبعت أمشي بين يديه حتى دخلت على أبي طلحة فأخبرته، قال: فضحكتا، قلت: إني لم أستطع أن أورد على رسول الله ﷺ أمره، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الباب قال لهم: «فأقبلوا»، ودخل عاشر عشرة فلما دخل أتى بالطعام تناول فاكل وأكل معه القوم حتى شعبوا، ثم قال لهم: «قوموا وليدخل عشرة مكانكم» حتى دخل القوم كلهم واكلوا، قال: قلت: كم كانوا؟ قال: كانوا ثمانين، قال: وفضل لأهل البيت ما

اليوم من دلائل النبوة في تكثره الطعام التزّر حتى عمّ هنالك من الضيفان وأهل المنزل والجيران.

قال البخاري (٣٠٧٨): حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: «قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقرصاً من شعر ثم أخرجت حماراً لها فلفّت الحزب ببعضه ثم دنته تحت يدي ولاشني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فمقت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلتك أبو طلحة؟» فقلت: نعم، قال: «بطعام؟» قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا» فانتقلوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانتقل أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأتيت رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هلني يا أم سليم، ما عندك؟» فأتيت بذلك الحزب، فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ وعصرت أم سليم عكة فأدنته، ثم قال رسول الله ﷺ: «فإن شاء الله أن يقول، ثم قال: «إني لعشرة» فاذن لهم فاكلوا حتى شعبوا ثم خرجوا ثم قال: «إني لعشرة» فاذن لهم فاكلوا حتى شعبوا ثم خرجوا ثم قال: «إني لعشرة» فاكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

وقد رواه البخاري في مواضع آخر من صحيحه (٤٢٢)، (٣٥٨١)، (٦٦٨٨) ومسلم (٢٠٤٠) (١٤٢) من غير وجه عن مالك، به.

طريق آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال أبو يعلى [مسنده (٤١٥١)]: حدثنا هدية بن خالد، حدثنا مبارك بن فضالة، حدثنا بكر وثابت البجلي عن أنس أن أبا طلحة رأى رسول الله ﷺ طارياً فجاء إلى أم سليم فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ طارياً فهل عندك من شيء؟ قالت: ما عندنا إلا نحو من مد دقيق شعر قال: فأصحبته وأصلحني عسى أن ندعو رسول الله ﷺ فيأكل عندنا، قال: فعجته وخبزته فجاء قرصاً فقال لي: يا أنس ادع رسول الله ﷺ، فأتيت رسول الله ﷺ ومعه أناس، قال مبارك: أحسبه قال: بضعة وثمانون قال: فقلت: يا رسول الله أبو طلحة يدعوك، فقال لأصحابه: «أجيئوا أبا طلحة» فبغت جرعاً حتى أخبرته أنه قد جاء بأصحابه قال بكر: فقلّني قنّة. وقال ثابت: قال أبو طلحة: رسول الله ﷺ أعلم بما في بيتي مني، وقالاً جميعاً عن أنس: فاستقبله أبو طلحة فقال: يا رسول الله ما عندنا شيء إلا قرص، وأينك طارياً فأمرت أم سليم فجعلت لك قرصاً، قال: فدعا بالقرص ودعا بمئة فوضعه فيها وقال: «هل من سمن؟» قال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء، قال: فجاء بها، قال: فجعل رسول الله ﷺ وأبو طلحة يصمرانها حتى خرج شيء مسح رسول الله ﷺ به سبابته ثم مسح القرص فانتفع فقال: «بسم الله» فانتفع القرص فلم يزل يصنع كذلك والقرص يتنفع حتى رأيت القرص في الجفنة يتنفع، فقال: «ادع عشرة من أصحابي» فدعوت له عشرة، قال: فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص وقال: «كلوا بسم الله» فاكلوا من حوالي القرص حتى

شعر جشته وجعلت منه خطيئة وعمدت إلى عكة فيها شيء من سمن فصرته ثم بعثني إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه. الحديث بطوله.
ورواه أبو يعلى الموصلي [مسنده (٢٨٣٠)]: حدثنا عمرو بن الضحاك، حدثنا أبي، سمعت أشعث الحارثي قال: قال محمد بن سيرين: حدثني أنس بن مالك أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله ﷺ طعام، فذهب فأجر نفسه بصاع من شعر فعمل يومه ذلك فجاء به وأمر أم سليم أن تعمل خطيئة، وذكر الحديث.

طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه:

قال الإمام أحمد [٢٤٢/٣]: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس بن مالك قال: قالت أم سليم: اذهب إلى نبي الله ﷺ قل: إن رأيت أن تغدئ عتتنا فافعل، فيجت فليته، فقال: «ومن عندي؟» قلت: نعم، قال: «انهضوا» قال: فيجت فدخلت على أم سليم وأنا للنضار لمن أقبل مع رسول الله ﷺ، قال: فقالت أم سليم: ما صنعت يا أنس؟ فدخل رسول الله ﷺ على إثر ذلك فقال: «هل عندك سمن؟» قالت: نعم، قد كان من عندي عكة فيها شيء من سمن، قال: «فأنتينها» قالت: فيجت بها ففتح رباطها ثم قال: «بسم الله اللهم أعظم فيها البركة» قال: فقال: «أقلبيها فقلبيها فعصرها نبي الله ﷺ وهو يسمي، قال: فأخذت تقع فترا فاكل منها بضع وثمانون رجلاً وفضل فضلة فدفعها إلى أم سليم فقال: «كلي وأطعمي جيرانك».

وقد رواه مسلم في الأطعمة [٢٠٤٠] عن حجاج بن الشاعر عن يونس بن محمد المؤدب به.

طريق أخرى:

قال أبو القاسم البجلي: حدثنا علي بن المديني، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن يحيى بن عمارة المازني عن أبيه عن أنس بن مالك أن أمه أم سليم صنعت خبزاً فقال أبو طلحة: اذهب يا بني فادع رسول الله ﷺ قال: فجيته وهو بين ظهراي الناس، فقلت: إن أبي يدعوك، قال: فقام رسول الله ﷺ وقال للناس: «انطلقوا» قال: فلما رأيته قام بالناس تقدمت بين أيديهم فيجت أبا طلحة فقلت: يا أبت قد جاءك رسول الله ﷺ بالناس، قال: فقام أبو طلحة على الباب وقال: يا رسول الله إنما كان شيئاً يسيراً، فقال: «هلم»، وإن الله سيجعل فيه البركة فجاء به فجعل رسول الله ﷺ يده فيه، ودعا الله بما شاء الله أن يدعو، ثم قال: «أدخل عشرة عشرة فجاء منهم ثمانون فاكلوا وشبعوا».

ورواه مسلم في الأطعمة [٢٠٤٠] عن عبد بن حميد عن الفعفي عن الدراوردي عن عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري المازني عن أبيه عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم.

طريق أخرى: ورواه مسلم في الأطعمة [٢٠٤٠] أيضاً عن حرملة عن ابن وهب عن أسامة بن زيد الليثي عن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك بنحو ما تقدم.

قال البيهقي [الدلائل: ٩١/٦]: وفي بعض حديث هؤلاء: ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت وأفضلوا ما بلغ جيرانهم.

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه شاهد ذلك على ما فيه من اختلاف عنه في بعض حروفه، ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما ترى، والله الحمد والمنة. فقد رواه عن أنس بن مالك إسحاق

أشبههم.

وقد رواه مسلم في الأطعمة [٢٠٤٠] (٢٠٠٠) عن عمرو الناقد عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس قال: أمر أبو طلحة أم سليم قال: اصنعي للذي ﷺ لنفسه خاصة طعاماً يأكل منه. فذكر نحو ما تقدم.

طريق أخرى عن أنس:

قال أبو يعلى: حدثنا شجاع بن مخلد، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت جرير بن زيد يحدث عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: رأى أبو طلحة رسول الله ﷺ في المسجد مضطجماً يتقلب ظهره لأبطن، فأتى أم سليم فقال: رأيت رسول الله ﷺ مضطجماً في المسجد يتقلب ظهره لأبطن، ولا أراه إلا جائناً فخبزت أم سليم قرصاً، ثم قال لي أبو طلحة: اذهب فادع رسول الله ﷺ، فأتيته وعنده أصحابه فقلت: يا رسول الله يدعوك أبو طلحة، فقام وقال: «قوموا» قال: فيجت أسمى إلى أبي طلحة فأخبرته أن رسول الله ﷺ قد جاء ومعه أصحابه، فلقاه أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إنما هو قرص، فقال: «إن الله سيارك فيه» فدخل رسول الله ﷺ وجيء بالقرص في قصعة، فقال: «هل من سمن؟» فجيء بشيء من سمن فموز القرص بأصبه هكنا، ورفعها، ثم صب وقال: «كلوا من بين أصابعي» فاكل القرم حتى شبعوا، ثم قال: «أدخل علي عشرة» فاكلوا حتى شبعوا، حتى أكل القرم شبعوا وأكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنا حتى شبعنا وفضلت فضلة أهلينا لجيران لنا.

ورواه مسلم في الأطعمة من صحيحه [٢٠٤٠] (٢٠٠٠) عن حسن الحلواني عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه، عن عمه جرير بن زيد عن عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك. فذكر نحو ما تقدم.

طريق أخرى عن أنس:

قال الامام أحمد [٢٤٧/٣]: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا حماد - يعني ابن زيد، عن هشام عن محمد - يعني ابن سيرين - عن أنس - قال حماد: والجمع قد ذكره - قال: عملت أم سليم إلى نصف مد شعر فطحتته ثم عمدت إلى عكة كان فيها شيء من سمن فالتفت منه خطيئة قال: ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فأتيته وهو في أصحابه فقلت: إن أم سليم أرسلتني إليك تدعوك، فقال: «هنا ومن معي» قال: فجاء هو ومن معه، قال: فدخلت فقلت لأبي طلحة: قد جاء رسول الله ﷺ ومن معه، قال: فخرج أبو طلحة فمشى إلى جنب النبي ﷺ، قال: يا رسول الله إنما هي خطيئة اتخذتها أم سليم من نصف مد شعر، قال: فدخل فأتي به، قال: فوضع يده فيها ثم قال: «أدخل عشرة» قال: فدخل عشرة فاكلوا حتى شبعوا، ثم دخل عشرة فاكلوا ثم عشرة فاكلوا حتى أكل منها أربعون كلهم أكلوا حتى شبعوا، قال: وقيت كما هي، قال: فأكلنا.

وقد رواه البخاري في الأطعمة [٥٤٥٠] عن الصلت بن محمد عن حماد بن زيد عن الجعد أبي عثمان عن أنس. وعن هشام بن محمد عن أنس. وعن سنان أبي ربيعة عن أنس: أن أم سليم عمدت إلى مد من

فجعلوا يتخلّون ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون وبقي في الثور نحو ما جثت به، فقال: «ضعه قدام زينب» فخرجت وأسفقت عليهم باباً من جريد، قال ثابت: قلنا: يا أبا حمزة كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك الثور؟ فقال: أحسب واحداً وسبعين أو اثنين وسبعين.

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه.

حديث آخر عن أبي هريرة في ذلك:

قال جعفر بن محمد الغريابي [دلائل النبوة له (١٣)]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن أنس بن أبي يحيى عن إسحاق بن سالم عن أبي هريرة قال خرج عليّ رسول الله ﷺ فقال: «ادع لي أصحابك من أصحاب الصفة» فجعلت أتبعهم رجلاً رجلاً فجعلتهم فنجنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة: فوضعت بين أيدينا صحيفة أظن أن فيها قدر مد من شعير، قال: فوضع رسول الله ﷺ عليها يده وقال: «خنوا بسم الله» قال: فاكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحيفة: «والذي نفسي بيده ما أسى في آل محمد طعام ليس ترونه» قيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

وهذه قصة غير قصة أهل الصفة المتقدمة في شهرهم الذين كما قدمنا.

حديث آخر عن أبي أيوب في ذلك:

قال جعفر الغريابي [دلائل النبوة له (١٢)]: حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف، حدثنا عبد الأعلى عن سعيد الجريري عن أبي الورد عن أبي محمد الحضرمي عن أبي أيوب الأنصاري قال: صنعت لرسول الله ﷺ ولأبي بكر طعاماً قدر ما يكتفيهما فأتيتهما به، فقال رسول الله ﷺ «اذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الأنصار» قال: فشق ذلك عليّ، ما عندي شيء أزيد، قال: فكأنني شاققت، فقال: «اذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الأنصار» فدعوتهم فجاءوا فقال: «اطعموا» فاكلوا حتى صلوا ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ ثم يابعوه قبل أن يخرجوا ثم قال: «اذهب فادع لي ستين من أشرف الأنصار» قال أبو أيوب: فوالله لأنا بالستين أجود مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم، فقال رسول الله ﷺ: «ترىعوا» فاكلوا حتى صلوا ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ وبابيعوه قبل أن يخرجوا، قال: «اذهب فادع لي ثمانين من الأنصار» قال: فأتيتهم فاكلوا حتى صلوا ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ وبابيعوه قبل أن يخرجوا، قال: فاكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً كلهم من الأنصار.

وهذا حديث غريب جداً إسناداً ومتناً. وقد رواه البيهقي [الدلائل: ٩٤/١] من حديث محمد بن أبي بكر المقدمي عن عبد الأعلى به.

١٠ - قصة أخرى في تكثير الطعام في بيت فاطمة .

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سهل بن زغلة، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني ابن ربيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه

بن عبد الله بن أبي طلحة ويكر بن عبد الله المزني وثابت بن أسلم البتاني والجد بن عثمان وسعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصاري ومستان بن ربيعة وعبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الرحمن ابن أبي ليلى وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ومحمد بن سيرين والنضر بن أنس ويحيى بن عمار بن أبي حسن ويعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة.

وقد تقدم في غزوة الخندق حديث جابر في إضافته ﷺ على صاع من شعير وعناق، فعزم عليه الصلاة والسلام على أهل الخندق يكملهم، وكانوا ألفاً أو قريباً من ألف، فاكلوا كلهم من تلك العناق وذلك الصاع حتى شبعوا وتركوه كما كان، وقد أسلفناه بسنده ومته وطرقه والله الحمد والمنة.

ومن المعجب الغريب ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بـ «شكرك» في كتاب «المعاجيب الغريبة»، في هذا الحديث فإنه أسنده وساقه بطوله وذكر في آخره شيئاً غريباً فقال:

حدثنا محمد بن علي بن طرخان، حدثنا محمد بن مسرور، أخبرنا هاشم بن هاشم ويكنى بأبي برزة بمكة في المسجد الحرام، حدثنا أبو كعب البلاح بن سهل الأنصاري من أهل المدينة من الناقلة الذين نقلهم هارون إلى بغداد، سمعت منه بالمصيبة عن أبيه سهل بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال: أتى جابر بن عبد الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فعرّف في وجهه الجرح. فذكر أنه رجع إلى منزله فذبح داجناً كانت عندهم وطبخها وثرّد تحتها في جفّة وحملها إلى رسول الله ﷺ فأمره أن يدعو له الأنصار فأدخلهم عليه أرسالا فاكلوا كلهم وبقي مثل ما كان، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن ياكلوا ولا يكرسوا عظما، ثم إنه جمع العظام في وسط الجفّة فوضع عليها يده ثم تكلم بكلام لا أسمع إلا أني أرى شفّته تتحرك، فإذا الشاة قد قامت تنفض أظفئها فقال: «خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها»، قال: فاكلتها ومضيت، وإنها لتنزعني أظفئها حتى أتيت بها البيت، فقالت لي المرأة: ما هذا يا جابر؟ فقلت: هذه والله شاتنا التي ذبحتها لرسول الله ﷺ، دعا لها فأحياها لنا، فقالت: أنا أشهد أنه رسول الله، أشهد أنه رسول الله، أشهد أنه رسول الله.

حديث آخر عن أنس في معنى ما تقدم:

قال أبو يعلى الموصلي [مسنده (٣٤٩)]: والباغندي: حدثنا شيان، حدثنا محمد بن عيسى بصري - وهو صاحب الطعام - حدثنا ثابت البتاني قلت لأنس بن مالك: يا أنس أخبرني بأعجب شيء رأيته، قال: نعم يا ثابت خلعت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يمتّر عليّ شيئاً أسأت فيه وإن نبي الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش قالت لي أمي: يا أنس إن رسول الله ﷺ أصبح عروساً ولا أدري أصبح له غداء فهل تلك العكة، فأتيتها بالعكة ويتمر فجعلت له حيساً فقالت: يا أنس اذهب بهنّا إلى نبي الله ﷺ وامرته، فلما أتيت رسول الله ﷺ بترو من حجارة فيه ذلك الحيس قال: «ضعه في ناحية البيت وادع لي أبا بكر وعمر وعلياً وثماناً ونفراً من أصحابي»، ثم ادع لي أهل المسجد ومن رأيت في الطريق» قال: فجعلت أتمجج من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمري أن ادعوا الناس وكرهت أن أعصيه حتى امتلأ البيت والحجرة، فقال: «يا أنس هل ترى من أحد؟» فقلت: لا يا رسول الله، قال: «هات ذلك الثور» فجئت بذلك الثور فوضعت قدماه، فتمسّس ثلاث أصابع في الثور فجعل التمر يريو

أبيه، حدثنا أبو عثمان أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً قراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: فمن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، أو كما قال، وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر بثلاثة قال: فهو أنا وأبي وأمي. ولا أدري هل قال: امرأتي وخادم بين بيتنا وبين أبي بكر، وإن أبا بكر تعمس عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء ثم رجع فلبث حتى تعمس رسول الله ﷺ فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك؟ قال: أو ما شئيتهم؟ قالت: أبوا حتى نغمي. قد عرضوا عليهم فقبلوهم فذهب فاجتات فقال يا فخر فجدع وسب وقال: كلوا - في رواية أخرى: لا هيتا - وقال: لا أطعمه أبداً، والله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رأنا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل. فنظر أبو بكر فإذا هي أكثر فقال لامرأته: يا أخت بني فراس؟ قالت: لا ورة عيني هي الآن أكثر عما قبل بثلاث مرار. فاكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فاصبحت عنده وكان بيتنا وبين قوم عهد فمضى الأجل ففرقنا النبي ﷺ عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس الله اعلم كم مع كل رجل غير أنه بعث معهم، قال: فاكلوا منها أجمعون أو كما قال. وغيره يقول: ففرقنا من البرافة.

هذا لفظه وقد رواه في مواضع آخر من صحيحه (٦٠٢، ٦١٤٠، ٦١٤١) ومسلم (٢٠٥٧) من غير وجه عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا المعنى:

قال الإمام أحمد (١٩٧/١): حدثنا عادم، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان عن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ: «هل مع أحد منكم طعام؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فجعن ثم جاء رجل مشترك مشعاً طويلاً بنغم يسوقها، فقال النبي ﷺ: «أبيأ أم عطية؟» أو قال: «أم هنية؟» قال: لا، بل بيع، فاشتري منه شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى، قال: وأيم الله ما من الثلاثين والمائة إلا قد حزل له رسول الله ﷺ حزة من سواد بطنها، إن كان شاهداً أعطاه إياه، وإن كان غائباً خبأ له، قال: وجعل منها فصعين، قال: فاكلنا منهما أجمعون وشبعنا وفضل في الفصعين فجعلناه على البعير، أو كما قال.

وقد أخرجه البخاري (٥٣٨٢) ومسلم (٢٠٥٦) من حديث معتمر بن سليمان.

١٣- حديث آخر في تكثر الطعام في السفر

قال الإمام أحمد (٤٢١/٢، ٤٢٢): حدثنا فزارة بن عمرو، أخبرنا فليح عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ في غزوة غزاها فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في غر الإبل فأذن لهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فجاء فقال: يا رسول الله إليهم تحملهم

فلم يصب عند واحدة منهن شيئاً، فأنى فاطمة فقال: «يا بنية عندك شيء أكله فإني جائع؟» فقالت: لا والله بأبي أنت وأمي، فلما خرج من عندها رسول الله ﷺ بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعت في جفنة لها وغطت عليها وقالت: والله لأؤثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شئعة طعام، فبعثت حسناً أو حسناً إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت له: بأبي أنت وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك، قال: «علمي يا بنية» فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله فعمدت الله وصلت على نبيه ﷺ وقدمته إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه حمد الله وقال: «من أين لك هذا يا بنية؟» قالت: يا أبة هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحمد الله وقال: «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً فسلطت عنه قالت: هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فبعث رسول الله ﷺ إلى علي ثم أكل رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين، وجمع أزواج رسول الله ﷺ وأهل بيته جميعاً حتى شبعوا، قالت: وقيت الجفنة كما هي، فأوسعت بغيرها على جميع جيرانها، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً.

وهذا حديث غريب أيضاً إسناداً ومتاً، وقد قلنا في أول البعثة حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزِلْ غَيْرَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] حديث ربيعة بن ناجذ عن علي في دعوته عليه الصلاة والسلام بني هاشم - وكانوا نحواً من أربعين - قدم إليهم طعاماً من مد فاكلوا حتى شبعوا وتركوه كما هو، وسقاهم من عس شرباً حتى رروا وتركوه كما هو ثلاثة أيام متتابعة، ثم دعاهم إلى الله تعالى كما تقدم.

١١- قصة أخرى في بيت رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد (١٢/٥): حدثنا علي بن عاصم، حدثنا سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أتني بقصة فيها ثريد، قال: فاكل وأكل القوم فلم يزالوا يتناولونها إلى قريب من الظهر، ياكل قوم ثم يقومون ويحيي قوم فيتعاقبونه، قال: فقال له رجل: هل كانت تمد بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمدد من السماء.

ثم رواه أحمد (١٨/٥) عن يزيد بن هارون عن سليمان عن أبي العلاء عن سمرة أن رسول الله ﷺ أتني بقصة فيها ثريد فتعاقبوا إلى الظهر من غدوة، يقوم ناس ويقعد آخرون، قال له رجل: هل كانت تمد؟ فقال له: فمن أي شيء تعجب؟ ما كانت تمد إلا من ههنا، وأشار إلى السماء.

وقد رواه الترمذي (٣٦٢٥) والنسائي (٦٧٤٠) عن بندار

عن يزيد بن هارون وقال الترمذي: حسن صحيح.

ورواه النسائي أيضاً من حديث معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي العلاء واسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير عن سمرة بن جندب به.

١٢- قصة قصة بيت الصديق

ولعلها هي القصة المذكورة في حديث سمرة بن جندب والله اعلم

قال البخاري (٣٥٨١): حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر عن

وقله رواه النسائي (٨٧٩٣) من حديث عبد الله بن المبارك
يأسانه نحو ما تقدم.

حديث آخر في هذه القصة:

قال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الاستار (٢٤١٩)]: حدثنا أحمد بن
المعلّى الأديمي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثني أبو
بكر - أظنه من ولد عمر بن الخطاب - عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي
ربيعة أنه سمع أبا خنيس الغفاري أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة
تهامة حتى إذا كنا بعسفان جاءه أصحابه فقالوا: يا رسول الله جهدنا
الجرع فاذن لنا في الظهر أن نأكله، قال: «نعم»، فأخبر بذلك عمر بن
الخطاب فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله ما صنعت؟ أمرت الناس
أن ينحروا الظهر فعلى ما يركبون؟! قال: «فما ترى يا ابن الخطاب؟» قال:
أرى أن تأمرهم أن يأثروا بفضل أزوادهم فتجمعهم في ثوب ثم تدعوهم له،
فأمرهم فجعلوا فضل أزوادهم في ثوب ثم دعا لهم ثم قال: «اتسوا
بأوعيتكم». فلما كل إنسان وعاءه، ثم أذن بالرحيل، فلما جاوز مطروا
فتزلوا ونزلوا معه وشربوا من ماء السماء فجاء ثلاثة نفر فجلس اثنتان مع
رسول الله ﷺ وذهب الآخر معرضاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا
أخبركم عن النثر الثلاثة، أما واحد فاستحى من الله فاستحى الله منه،
وأما الآخر فأقبل ثاباً فتاب الله عليه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله
عنه»

ثم قال البزار: لا نعلم روى أبو خنيس إلا هذا الحديث بهذا الإسناد.
وقد رواه البيهقي (الدلائل: ١٢٢/٦) عن أبي الحسين بن بشران عن
أبي بكر الشافعي: حدثنا إسحاق بن الحسن الحرسي، أخبرنا ابن رجاء،
حدثنا سعيد بن سلمة، حدثني أبو بكر بن عمرو بن عبد الرحمن بن عبد
الله بن عمر بن الخطاب عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي
ربيعة أنه سمع أبا خنيس الغفاري. فذكره.

حديث آخر عن عمر بن الخطاب في هذه القصة:

قال الحافظ أبو يعلى [مسند (٢٣٠)]: حدثنا ابن هشام - محمد بن
يزيد الرفاعي - حدثنا ابن فضيل، حدثنا يزيد - وهو ابن أبي زياد - عن
عاصم بن عبيد الله بن عاصم عن أبيه عن جده عمر قال: كنا مع رسول
الله ﷺ في غزاة قتلنا: يا رسول الله إن العدو قد حضر وهم شيع
والناس جيع، فقالت الأنصار: ألا ننحر نواضحنا فطعمها الناس؟ فقال
رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل طعام فليجي به» فجعل الرجل يجيء
بالد والصاع وأقل وأكثر، فكان جميع ما في الجيش بضعا وعشرين صاعاً،
فجلس النبي ﷺ إلى جنبه فدعا بالبركة، فقال النبي ﷺ: «فخذوا ولا
تنهبوا» فجعل الرجل يأخذ في جرابه وفي غرابته، وأخذوا في أوعيتهم
حتى إن الرجل ليربط كم قميصه فيملؤه، ففرغوا والطعام كما هو، ثم قال
النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، لا يأتي بهما عبد
حق إلا وقاه الله حر النار.

ورواه أبو يعلى أيضاً عن إسحاق بن إسماعيل الطالقاني عن جرير
عن يزيد بن أبي زياد فذكره. وما قبله شاهد له بالصحة كما أنه متابع لما
قبله والله أعلم.

وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟ بل ادع يا رسول الله بغيرات الزاد فادع الله
عز وجل فيها بالبركة، قال: «أجل»، فدعا بغيرات الزاد فجاء الناس بما
بقي معهم، فجمعهم ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ودعاهم بأوعيتهم
فملأوا وفضل فضل كثير، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «أشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أني عبد الله ورسوله ومن لقي الله عز وجل بهما غير
شاك دخل الجنة».

وكذلك رواه جعفر الرياني عن أبي مصعب الزهري عن عبد العزيز
بن أبي حازم عن سهيل به.

ورواه مسلم (٢٧) (٤٤) والنسائي (٨٧٩٤) جميعاً عن أبي
بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبيد الله الأشجعي عن مالك بن مغول
عن طلحة بن مصرف عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي [مسند (١١٩٩)]: حدثنا زهير،
حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد، أو عن
أبي هريرة - شك الأعمش - قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس
جاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فتحرنا نواضحنا فاكلنا وادعنا؟
فقال: «افعلوا» فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنهم إن فعلوا قلّ الظهر،
ولكن اذهبهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل
في ذلك البركة، فدعا رسول الله ﷺ بنطع فبسط ودعا بفضل أزوادهم،
قال: فجعل الرجل يجيء بكف النرة والآخر بكف التمر والآخر بالكسرة
حتى اجتمع على النطع شيء من ذلك يسير، فدعا عليهم بالبركة ثم قال:
«خذوا في أوعيتكم»، فآخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في المسكر وعاء
إلا ملؤه، واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة. فقال رسول الله ﷺ:
«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». لا يلقى الله بها عبد غير شاك
فيحجب عن الجنة.

وهكذا رواه مسلم (٢٧) (٤٥) أيضاً عن سهل بن عثمان وأبي
كريب كلاهما عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد
وأبي هريرة فذكر مثله.

حديث آخر في هذه القصة:

قال الإمام أحمد (٤١٧/٣) (٤١٨): حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا
عبد الله - هو ابن المبارك - أخبرنا الأوزاعي، أخبرنا المطلب بن حنطب
المخزومي، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي قال:
كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فإصاب الناس غمصة فاستأذن الناس
رسول الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم وقالوا: يلبسنا الله به، فلما رأى
عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد هم أن ياذن لهم في نحر بعض
ظهورهم، قال: يا رسول الله كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جيعاً
رجالاً؟ ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدع لنا ببقايا أزوادهم وتجمعها
ثم تدع الله فيها بالبركة فإن الله سيلبنا بدعوتك، أو سيارك لنا في
دعوتك، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم فجعل الناس يجشون بالحنية من
الطعام وقرق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فجمعها رسول
الله ﷺ ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ثم دعا الجيش بأوعيتهم وأمرهم
أن يجشوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤه، وبقي مثله، فضحك رسول
الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني
رسول الله»، لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا حجبته عنه النار يوم القيامة.

حديث آخر عن سلمة بن الأكوع في ذلك:

١٥- قصة سلمان في تكثيره ﷺ تلك القطعة من

الذهب لوفاء دينه في مكاتبه

قال الإمام أحمد (٤٤٤/٥): حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثني رجل من عبد القيس، عن سلمان قال: لما قلت: وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلها على لسانه ثم قال: «خذوها فأوفهم منها» فأخذنها فأوفيتهم منها فقههم أربعين أوقية.

١٦- تكثير التمر والشعير ونحوهما عند

أبي هريرة وغيره

قال الإمام أحمد (٣٥٢/٢): حدثنا يونس، حدثنا حماد - يعني ابن زيد - عن المهاجر عن أبي العالية عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ يوماً بتمرات فقلت: ادع الله لي فيهن بالبركة قال: فصُفِّين بين يديه ثم دعا فقال لي: «اجعلين في مزود وأدخل يدك ولا تشره» قال: فحملت منه كذا كذا وسقاً في سبيل الله وناكل ونطعم وكان لا يبارق حقوي. فلما قتل عثمان رضي الله عنه انقطع عن حقوي فسقط.

ورواه الترمذي (٣٨٣٩) عن عمران بن موسى القزاز البصري عن حماد بن زيد عن المهاجر أبي غلدة عن ربيع أبي العالية عنه وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

طريق أخرى عنه:

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ١٠٩/٦، ١١٠): أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفاري، أخبرنا الحسين بن يحيى بن عبيد الله القطن، حدثنا حفص بن عمرو، حدثنا سهل بن زياد، أبو زياد، حدثنا أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ في غزاة فأصابهم غز من الطعام فقال: «يا أبا هريرة عندك شيء؟» قال: قلت: شيء من تمر في مزود لي، قال: «جئ به»، قال: فجئت بالمزود، قال: «هات نطعاً»، فجئت بالنطع فبسطته، فأدخل يده فقبض على التمر فإذا هو واحد وعشرون تمر، ثم قال: «بسم الله». فجعل يضع كل تمر ويسمي حتى أتى على التمر فقال به هكذا فجعله، فقال: «ادع فلاناً وأصحابه»، فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا، ثم قال: «ادع فلاناً وأصحابه»، فأكلوا وشبعوا وخرجوا، ثم قال لي: «أقعد فقعدي فأكُل وأكَلْت»، قال: وفضل تمر فأدخلته في المزود وقال لي: «يا أبا هريرة إذا أردت شيئاً فأدخل يدك وخذ ولا تكف بكفك عليك»، قال: فما كنت أريد تمر إلا أدخلت يدي فأخذت منه خمسين وسقاً في سبيل الله، قال: وكان معلقاً خلف رحلي فوقع في زمن عثمان فذهب.

طريق أخرى عن أبي هريرة في ذلك:

روى البيهقي (الدلائل: ١١٠/٦) من طريقين عن سهل بن مسلم العلوي عن يزيد بن أبي منصور عن أبيه عن أبي هريرة قال: أصبت

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي القاري، حدثنا عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خير فأمرنا أن نجتمع ما في أزوادنا - يعني من التمر - فبسط نطعاً نشرنا عليه أزوادنا قال: فتمطيت فطاولت فنظرت فحزرته كرمضة شاة ونحن أربع عشرة مائة قال: فاكلنا ثم تطاولت فنظرت فحزرته كرمضة شاة، وقال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء؟» قال: فجاه رجل بنطقة في إداوة. قال: فقبضها فجعلها في قدح، قال: فترضاًنا كلنا ندخفها دخفة ونحن أربع عشرة مائة أي: نسيخ ولا نبقي من الماء. قال: فجاه أناس فقالوا: يا رسول الله ألا وضوء؟ فقال: «قد فرغ الوضوء»

وقد رواه مسلم (١٧٢٩) عن أحمد بن يوسف السلمي عن النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار عن إياس عن أبيه سلمة وقال: فاكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا.

وتقدم ما ذكره ابن إسحاق في حفر الخندق حيث قال: حدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة بشر بن سعد - أخت النعمان بن بشر - قالت: دعيت أمي عمرة بنت ربيعة فاعتطيت حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنة، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بفدانها قالت: فأخذتها فأنطقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا أتمس أبي وخالتي، فقال: «تعاليني بنة، ما هذا معك؟» قالت: قلت: يا رسول الله هذا تمر بعثني به أمي إلى أبي بشر بن سعد وخالتي عبد الله بن ربيعة فتذليته فقال: «هاتيه» قالت: فصبيت في كفي رسول الله ﷺ فما ملاهما ثم أمر بشوب فبسط له ثم دعا بالتمر فتبذ فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق أن لهم إلى الغداء» فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

١٤- قصة جابر ودين أبيه وتكثيره ﷺ التمر

قال البخاري في دلائل النبوة (٣٥٨٠): حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا، حدثني عامر، حدثني جابر أن أباه توفي وعليه دين فأتيت النبي ﷺ فقلت: «إن أبي ترك علي ديناً وليس عندي إلا ما يخرج غله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فأنطلق معي لكيلا يفتش علي الغرماء، فمضى حول بيتر من يبادر التمر فلما تم آخر ثم جلس علي فقال: «انزعوه» فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم.

هكذا رواه هنا مختصراً، وقد أسنده من طريق (٢١٢٧، ٢٤٠٥،

٢٧٨١، ٤٠٥٣) عن عامر بن شراحيل الشعبي عن جابر به.

وهذا الحديث قد روي من طرق متصلة عن جابر بألفاظ كثيرة، وحاصلها أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه له ومشيته في حائطه وجلوسته على تمره وفي الله دين أبيه، وكان قد قتل بأحد، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده، ومع هذا فضل له من التمر أكثره فوق ما كان يؤمله ويرجوؤه والله الحمد والمنة.

وضيفهما حتى كاله فأتى النبي ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم».

وهذا الإسناد عن جابر (٢٢٨٠) أن أم مالك كانت تهدي إلى رسول الله ﷺ في عكها سناً فيأتيها بنوها فيسألون آدم وليس عندها شيء فتعتمد إلى الذي كانت تهدي فيه إلى رسول الله ﷺ فتجد فيه سناً فما زال يقيم لها آدم بيتها حتى عاصرتها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «عصرتها؟» قالت: نعم، فقال: «لو تركتها ما زال قائماً».

وقد رواه الإمام أحمد (٣٤٧/٣) عن موسى عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر.

حديث آخر:

قال البيهقي [الدلائل: ١١٤/٦]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، حدثنا حسان بن عبد الله، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يونس بن يزيد، حدثنا أبو إسحاق عن سعيد بن الحارث عن جده نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أنه استعان رسول الله ﷺ في التزويج فأنكحه امرأة فالتمس شيئاً فلم يجده فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب يدعه ففرها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعاً من شعر، فدفعه رسول الله ﷺ إليه، قال: قطعنا منه نصف سنة ثم كناه فوجدناه كما أدخلناه، قال نوفل: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلت منه ما عشت».

حديث آخر:

قال الحافظ البيهقي في الدلائل (١٠٥/٦): أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا عيسى بن محمد الدوري، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، أخبرنا أبو بكر بن عياش عن هشام - يعني ابن حسان - عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: أتى رجل أمله فرأى ما بهم من الحاجة، فخرج إلى البرية فقالت امرأته: اللهم ارزقنا ما نعتج ونختبز، قال: فإذا الجنة ملأى خبئراً والرحا تطحن والتور ملأى خبزاً وشواء، قال: فجاء زوجها فقال: عندكم شيء؟ قالت: نعم رزق الله، فرفع الرحا فكس ما حوله، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو تركها لدارت إلى يوم القيامة».

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح. حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة: أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة فخرج وليس عند أهله شيء، فقالت امرأته: لو حركت رحاي وجعلت في ثوري سققات فسمع جيراني صوت الرحا ورواوا الدخان فظنوا أن عندنا طعاماً وليس بنا خصاصة. فقامت إلى ثورها فأوقدته وقعدت تحرك الرحا، قال: فأقبل زوجها وسبع الرحا فقامت إليه لتفتح له الباب، فقال: ماذا كنت تطحنين؟ فأخبرته، فدخلوا وإن راحهما لتدور وتصب دقيقا، فلم يبق في البيت وعاء إلا ملأ، ثم خرجت إلى ثورها فوجدته مملوءاً خبزاً، فأقبل زوجها فذكر ذلك للنبي ﷺ، قال: «فما فعلت الرحا؟» قال: رفعتها ونقضتها، فقال رسول الله ﷺ: «لو تركتموها ما زالت لكم حياتي»، أو قال: «حياتكم» [الدلائل: ١٠٥/٦، ١٠٦].

وهذا الحديث غريب سنناً ومتأ.

حديث آخر:

وقال: مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة: أن

ثلاث مصيات في الإسلام لم أصب بمثلهن: موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه، وقتل عثمان، والمزود، قالوا: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال: «يا أبا هريرة أملك شيء؟» قال: قلت: نمر في مزود، قال: «جئ به»، فأخرجت نمرأ فأتيته به، قال: فمسه ودعا فيه ثم قال: «ادع عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كنلك حتى أكل الجيش كله وبقي من نمر معي في المزود، فقال: «يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكبه» قال: فأكلت منه حياة النبي ﷺ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المزود، ألا أخبركم كم أكلت منه؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق.

طريق أخرى:

قال الإمام أحمد (٣٢٤/٢): حدثنا أبو عامر، حدثنا إسماعيل - يعني ابن مسلم - عن أبي التوكل عن أبي هريرة قال: أعطاني رسول الله ﷺ شيئاً من نمر فجعلته في مكل فعلقته في سقف البيت فلم ينزل ناكل منه حتى كان آخره أصابه أهل الشام حيث أغاروا على المدينة. تفرد به أحمد.

حديث عن العرياض بن صارية في ذلك:

رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمته من طريق محمد بن عمر الرازي [المغازي: ١٠٣٧، ١٠٣٦/٣].

حدثني ابن أبي سيرة عن موسى بن سعد عن العرياض قال: كنت أزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر، فرأيت ليلة ونحن بتيوك وذهبتا لحاجة فرجعنا إلى رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده، فقال: «لئن كنت منذ الليلة؟» فأخبرته، وطلع جمال بن سراقه وعبد الله بن مغفل المزني، فكانا ثلاثة كلنا جائع، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فطلب شيئاً نأكله فلم يجده، فنادى بلالاً: «هل من شيء؟» فأخذ الجرب ينقشها، فاجتمع سبع غمرات فوضها في صفحة ووضع عليهن يده وسمى الله وقال: «كلوا بسم الله» فأكلنا، فأحسيت أربعا وخسين ثمرة أكلتها، كلها أعددتها ونواها في يدي الأخرى وصاحباني يصنعان ما أصنع، فأكل كل منهما خمسين ثمرة، ورفعنا ألبينا فإذا الثمرات السبع كما هن، فقال: «يا بلال، ارفعهن في جرابك»، فلما كان الغد وضعهن في الصفحة وقال: «كلوا بسم الله» فأكلنا حتى شبعنا وأنا لعشرة ثم رفعنا ألبينا وإنهن كما هن سبع، فقال: «لولا أنني استحي من ربي عز وجل لأكلنا من هذه الثمرات حتى نرد المدينة عن آخرنا» فلما رجع إلى المدينة طلع غلیم من أهل المدينة فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يأكلهن.

حديث آخر:

روى البخاري (٣٠٩٧، ٦٤٥١) ومسلم (٢٩٧٣) من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت له: لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني.

حديث آخر روى مسلم في صحيحه (٢٢٨١)، عن سلمة بن شبيب عن الحسن بن أعين عن مقل عن أبي الزبير عن جابر: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته

ذخر لنا عنه رحمه

١٧- حديث النزاع

قال الإمام أحمد (٤٨٢): حدثنا إسماعيل، حدثنا يحيى بن أبي إسحاق، حدثني رجل من بني غفار في مجلس سالم بن عبد الله. قال: حدثني فلان أن رسول الله ﷺ أتني بطعام من خبز ولحم فقال: «ناولني النزاع» فنول نزاعاً. قال يحيى: لا أعلمه إلا هكذا. ثم قال: «ناولني النزاع» فنول نزاعاً فأكلها ثم قال: «ناولني النزاع» فقال: يا رسول الله إنما هما ذراعان، فقال: «فوايك لو سكت ما زلت أتناول منها ذراعاً ما دعوت به» فقال سالم: أما هذا فلا، سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تغفلوا بأبائكم». فكان وقع إسناد هذا الحديث وهو عن مبهم عن مثله، وقد روي من طرق أخرى.

قال الإمام أحمد (٣٩٢/٦): حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا أبو جعفر - يعني الرازي - عن شريح بن أبي رافع مولى النبي ﷺ، قال: أهديت له شاة فجعلها في القدر فدخل رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا أبا رافع؟» قال: شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر، فقال: «ناولني النزاع يا أبا رافع»، فناولته النزاع، ثم قال: «ناولني النزاع الآخر» فناولته النزاع الآخر، ثم قال: «ناولني النزاع الآخر» فقال: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو سكت لناولني ذراعاً فذراعاً ما سكت» ثم دعا بماء فمضض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فغسل يده ثم عاد إليهم فوجد عندهم لحماً بارداً فأكل ثم دخل المسجد فغسل يده ولم يمس ماءً.

طريق أخرى عن أبي رافع:

قال الإمام أحمد (٨/٦): حدثنا مؤمل، حدثنا حماد، حدثني عبد الرحمن بن أبي رافع عن عمته عن أبي رافع قال: صنع لرسول الله ﷺ شاة مصلية فأتي بها فقال لي: «يا أبا رافع ناولني النزاع» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولني النزاع» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولني النزاع» فقلت: يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان؟ فقال: «لو سكت لناولتي منها ما دعوت به» قال: وكان رسول الله ﷺ يمجبه النزاع.

قلت: ولهذا لما علمت اليهود عليهم لعائن الله بخبر سموه في النزاع في تلك الشاة التي أحضرها زينب اليهودية فأخبره النزاع بما فيه من السم، لما نهس منه نوسة، كما قلنا ذلك في غزوة خيبر مبسوطاً.

طريق أخرى:

قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن أنجباب، حدثني فائد مولى عبد الله بن أبي رافع، عن أبي رافع قال: أتيت رسول الله ﷺ يوم الحندق بشاة في مكل فقال: «يا أبا رافع ناولني النزاع» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولني النزاع» فقلت: يا رسول الله للشاة إلا ذراعان؟ فقال: «لو سكت ساعة ناولتني ما سألوك».

فيه انتقاع من هذا الوجه.

وقال أبو يعلى أيضاً: حدثنا محمد بن أبي بكر المديني، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا فائد مولى عبد الله، حدثني عبد الله أن جدته سلمى

رسول الله ﷺ ضافه ضيف كافر فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها، ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم فأتى رسول الله ﷺ فأمر له بشاة فحلبت فشرب حلابها، ثم أمر له بأخرى فلم يستمها، فقال رسول الله ﷺ: «إن المسلم يشرب في معنى واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء».

ورواه مسلم (٢٠٦٣) من حديث مالك.

حديث آخر:

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ١١٧/٦): أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبد الصفار، حدثني محمد بن الفضل بن جابر، حدثنا الحسين بن عبد الأول، حدثنا حفص بن غياث، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: ضاف النبي ﷺ أعراقي، قال: فطلب له شيئاً فلم يجد إلا كسرة في كوة قال: فجزأها رسول الله ﷺ أجزاءً ودعا عليها وقال: «كل» قال: فاكل فأفضل. قال: فقال: يا محمد إنك لرجل صالح، فقال له النبي ﷺ: «أسلم» فقال: إنك لرجل صالح.

ثم رواه البيهقي (الدلائل: ١١٧/٦، ١١٨) من حديث سهل بن عثمان عن حفص بن غياث بإسناده نحوه.

حديث آخر:

قال الحافظ البيهقي (الدلائل: ١٢٨/٦): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، قال: وفيما ذكر عبدان الأهوازي، حدثنا محمد بن زياد البرهمي، حدثنا عبيد الله بن موسى عن مسعر عن زيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً، فأرسل إلى أزواجه ينتهي عندهن طعاماً فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فقال: «اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنه لا يملكها إلا أنت»، قال: فأهديت له شاة مصلية فقال: «هذا من فضل الله ونحن نتظر الرحمة».

قال أبو علي: حدثني محمد بن عبدان الأهوازي عنه. قال إمام البيهقي في الدلائل: ١٢٨/٦، ١٢٩: والصحيح عن زيد مرسل، حدثنا محمد بن عبدان حدثنا أبي، حدثنا الحسن بن الحارث الأهوازي، أخبرنا عبيد الله بن موسى عن مسعر عن زيد. فذكره مرسل.

حديث آخر:

قال البيهقي (الدلائل: ١٢٩/٦ بنحوه): أخبرنا عبد الرحمن السلمي، حدثنا أبو عمرو بن حمدان، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا عمرو بن بشر بن السرح، حدثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب، حدثنا واثلة بن الخطاب عن أبيه عن جده واثلة بن الأسقع قال: حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصننا فكتاً إذا أفطرناتى كل رجل منا رجل من أهل البيعة فأنطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحتنا صياماً، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فأنطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسأله هل عندها شيء، فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد، فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا فدعا وقال: «اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما يبيدك لا يملكهما أحد غيرك»، فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن فإذا بشاة مصلية ورغف فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «إننا سألنا الله من فضله ورحمته فهذا فضله وقد

١٩- باب اقياد الشجر لرسول الله ﷺ

قد تقدم الحديث الذي رواه مسلم (٣٠١٢ - ٣٠١٤) من حديث حاتم بن إسماعيل عن أبي هريرة يعقوب بن مجاهد عن عباد بن الوليد بن عباد عن جابر بن عبد الله قال: سرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا وادياً أبيض فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته يداوة من ماء. فنظر فلم ير شيئاً يستر به، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحدهما فأخذ بنصن من أغصانها، وقال: «اتقادي علي يا ذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بنصن من أغصانها وقال: «اتقادي علي يا ذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى إذا كان بالمتصف فيما بينهما لأَمْ بينهما - يعني جمعهما - وقال: «التما علي يا ذن الله»، فالتامتا، قال جابر: فخرجت أحضر خفاة أن يحس بغيري فيتعذر، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفظة فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبل وإذا الشجرتان قد افرقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق، فرايت رسول الله ﷺ وقف وقفة وقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً. وذكر تمام الحديث في قصة الماء وقصة الحوت الذي دسره البحر كما تقدم والله الحمد والمنة.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد (١١٣/٣): حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان - وهو طلحة بن نافع - عن أنس قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء؛ ضربة بعض أهل مكة، قال: فقال له: ما لك؟ فقال: «فعل بي هؤلاء وفعلوا»، قال: فقال له جبريل: «أحب أن أريك آية؟ قال: فقال: «نعم»، قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة، فدعاها قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «حسي».

وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه [٤٠٢٨] عن محمد بن طريف عن أبي معاوية.

حديث آخر:

روى البيهقي (الدلائل: ١٣/٦) من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كثيراً لما آذاه المشركون، فقال: «اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبي بعدها»، قال: فأمر فنادى شجرة من قِبَل عَبَةِ أهل المنينة، فأقبلت تَحْدُ الأرض حتى انتهت إليه، قال: ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، قال: فقال: «ما أبالي من كذبي بعدها من قومي».

ثم قال البيهقي (الدلائل: ١٤/٦): أخبرنا الحاكم وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالوا: حدثنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه إياه، فقال: «يا رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم» فأوحى الله إليه: ادع إليك أي أغصان هذه الشجرة شئت، قال: فدعا فصنأ فانتزع من مكانه ثم خذ في الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكانك»، فرجع القصب فخذ في الأرض حتى استوى كما كان، فحمد الله رسول الله ﷺ وطابت نفسه ورجع، وكان قد قال

أخبرته: أن النبي ﷺ بعث إلى أبي رافع بشاة، وذلك يوم الخندق فيما أعلم، فصلاًها أبو رافع ليس معها خبز ثم انطلق بها، فلقبه النبي ﷺ راجعاً من الخندق فقال: «يا أبا رافع ضع الذي معك» فوضعه ثم قال: «يا أبا رافع ناولني الذراع» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولني الذراع» فناولته، ثم قال: «يا أبا رافع ناولني الذراع»، فقلت: يا رسول الله هل للشاة غير ذراعين؟! فقال: «لو سكت لناولتي ما سألتك».

وقد روي من طريق أخرى عن أبي هريرة:

قال الإمام أحمد (٥١٧/٢): حدثنا الضحاك، حدثنا ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة: أن شاة طبخت فقال رسول الله ﷺ: «اعطني الذراع»، فناولته إياه، فقال: «اعطني الذراع» فناولته إياه، ثم قال: «اعطني الذراع»، فقال: يا رسول الله إنما للشاة ذراعان، قال: «أما إنك لو التمسها لوجدتها».

١٨- تكثر التمر

قال الإمام أحمد (١٧٤/٤): حدثنا وكيع عن إسماعيل، عن قيس، عن دكين بن سعيد الخثعمي، قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعمائة وأربعمائة نسالة الطعام، فقال النبي ﷺ لعمر: «قم فأعطهم»، فقال: يا رسول الله ما عندي إلا ما يقطنني والصيبة - قال وكيع: القيط في كلام العرب أربعة أشهر - قال: «قم فأعطهم»، قال: يا رسول الله سمعنا وطاعة، قال: فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حجرته ففتح الباب، قال دكين: فإذا في الغرفة من التمر شبهة بالفصل الرابض، قال: شاكم، قال: فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء ثم التفت وإني لمن آخرهم فكانا لم نرأ منه ثمرة.

ثم رآه أحمد (١٧٤/٤) عن محمد ويعلى ابني عبيد عن إسماعيل - وهو ابن أبي خالد - عن قيس - وهو ابن أبي حازم - عن دكين به.

ورواه أبو داود (٥٢٣٨) عن عبد الرحيم بن مطرف الرواسي عن عيسى بن يونس عن إسماعيل به.

حديث آخر:

قال يعلى بن عبد العزيز: حدثنا أبو نعيم، حدثنا حشر بن نباتة، حدثنا أبو نضرة، حدثني أبو رجاء قال: خرج رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لينضج الأنصار فإذا هو برسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما تجعل لي إن أرويت حائطك هنا؟» قال: إنسي أجهد أن أرويه فما أطيق ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «فجعل لي مائة ثمرة أختارها من تمرك؟» قال: نعم، فأخذ رسول الله ﷺ التمر، فما لبث أن أرواه حتى قال الرجل: «فرقت حائطي»، فاختار رسول الله ﷺ من تمره مائة ثمرة، قال: فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ثم رد عليه مائة ثمرة، كما أخذها.

هذا حديث غريب أورده الحافظ ابن عساكر في دلائل النبوة من أول تاريخه (مختصر تاريخ دمشق: ١٥٣/٢، ١٥٤) يستند عن علي بن عبد العزيز البغدادي، كما أوردها.

وقد تقدم في ذكر إسلام سلمان الفارسي ما كان من أمر النخيل التي غرسها رسول الله ﷺ بيده الكريمة لسلمان فلم يهلك منه من واحدة، بل انجب الجميع وكن ثلاثمائة، وما كان من تكثيره الذهب حين قلبه على لسانه الشريف حتى قضى منه سلمان ما كان عليه من نجوم الكتابة وعقَّت رضي الله عنه وأرضاه.

المشركون: انضلت أبلك واجداك يا محمد، فانزل الله: ﴿قُلْ أَفْتَرَى الْوَدَّ تَأْتِرُونِي أَتَعِدُّ بِهَا الْغَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٤].
قال البيهقي: وهذا المرسل يشهد له ما قبله.
حديث آخر:

حديث آخر عن ابن عمر في ذلك:

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الوراق، أخبرنا الحسن بن سفيان أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي، حدثنا محمد بن فضيل عن أبي حيان عن عطية عن ابن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فاقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أملي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: ما هو؟ قال: فتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؟ قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة» فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تحذ الأرض خدلاً، فقامت بين يديه، فاستشهدا ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه، فقال: إن يتبعوني أتيتك بهم ولا رجعت إليك وكنت معك.

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه ولا رواه الإمام أحمد والله أعلم. وقد ورد عن مكانه بن عبد يزيد قصة شبيهة والله أعلم.

٢٠- حين الجذع شوقاً إلى رسول الله

ﷺ وشققاً من فراقه

وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وقرسان هذا الميدان.
قال القاضي عياض في كتابه «الشفا» [٤٢٧/١]: وهو حديث مشهور مبثوث متواتر أخره أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم أبي وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي داعة رضي الله عنهم

الحديث الأول عن أبي بن كعب رضي الله عنه:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله [توسيع مسند الشافعي (٤١٧)]: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: أخبرني عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يصلي إلى جذع إذا كان المسجد عريشاً، وكان يحطّ إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن نجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة تسمع الناس يوم الجمعة خطبتك؟ قال: «نعم»، فصنع له ثلاث درجات من اللات على المنبر، فلما صنع المنبر ووضع موضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، بدا للنبي ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه، فمر إليه، فلما جاوز ذلك الجذع الذي كان يحطّ إليه خار حتى تصدع واتشق، فنزل النبي ﷺ لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع إلى المنبر، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، فكان عنده حتى بلي وأكلته الأرض وعاد رفاتاً.

وهذا السياق يقتضي أنه سلم الأمر ولم يجب من كل وجه.

وقد قال البيهقي [الدلائل: ١٦/٦، ١٧]: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبد الصغار، حدثنا ابن أبي قماش، حدثنا ابن عائشة عن عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الذي يقول أصحابك؟ قال: وحول رسول الله ﷺ أعناق وشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هل لك أن أريك آية؟» قال: نعم، قال: فدعا عذقاً منها فاقبل بخذ الأرض ويسجد ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه ثم أمره فرجع، قال: فخرج العامري وهو يقول: يا أبا عامر بن صعصعة والله لا أكتبه بشيء بقوله أبداً.

طريق أخرى فيها أن العامري أسلم:

قال البيهقي [الدلائل: ١٥/٦]: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو علي حامد بن محمد بن الرقاة، أخبرنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن سعيد بن الأصهباني، أخبرنا شريك عن سمك عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال: بم أعرف أنك رسول الله؟ قال: «أرايت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنني رسول الله؟» قال: نعم. قال: فدعا العذق فجعل العذق يستزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ، ثم قال له: «ارجع»، فرجع حتى عاد إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وأمن.

قال البيهقي: رواه البخاري في التاريخ [التاريخ الكبير: ٣/٣] عن محمد بن سعيد ابن الأصهباني.

قلت: وقد رواه الترمذي في جامعه [٣١٢٨] عن محمد بن إسماعيل - وهو البخاري إن شاء الله - عن محمد بن سعيد به. وقال: حسن

عبد الله الحياض عن الحسن، عن أنس بن مالك. فذكره.

طريق أخرى عن أنس:

قال أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، حدثنا يعلى بن عباد، حدثنا عبد الحكم عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع فحن الجذع فاحتضنه وقال: «لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة».

الحديث الثاني عن أنس بن مالك ﷺ:

الحديث الثالث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:

قال الإمام أحمد (٣/٣٠٠): حدثنا وكيع، حدثنا عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع غلة قال: فقالت امرأة من الأنصار - وكان لها غلام نجار - يا رسول الله إن لي غلاماً نجاراً أأقره أن يتخذ لك منبراً فخطب عليه؟ قال: «بلى»، قال: فأتخذ له منبراً، قال: فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر، قال: فإن الجذع الذي كان يقوم عليه كما يتن الصبي، فقال النبي ﷺ: «إن هذا بكى لما فقد من الذكر». فكان رواه أحمد.

وقد قال البخاري (٣٥٨٤): حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الواحد بن أيمن، قال: سمعت أبي عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو غلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم» فجمعوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تنن ابن الصبي، الذي يسكن. قال: فكانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عنهما.

وقد ذكره البخاري في غير ما موضع من صحيحه (٤٤٩) مختصراً، (٢٠٩٥) مطولاً من حديث عبد الواحد بن أيمن عن أبيه وهو أيمن الجبشي الكوفي مولى ابن أبي عمرة المخزومي عن جابر به.

طريق أخرى عن جابر:

قال البخاري (٣٥٨٥): حدثنا إسماعيل، حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، حدثني حفص بن عبد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعت لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكت.

نقده به البخاري.

طريق أخرى عنه:

قال الحافظ أبو بكر البزار، حدثنا محمد بن المنى، حدثنا أبو المساور، حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي صالح - وهو ذكران - عن جابر بن عبد الله وعن أبي إسحاق عن كرب عن جابر قال: كانت خشبة في المسجد يخطب إليها النبي ﷺ فقالوا: لو أثللنا لك مثل الكرسي تقوم عليه؟ ففعل فحنّت الخشبة كما نحن الناقة الحلوج، فأنابها فاحتضنها فوضع يده عليها فسكت.

قال أبو بكر البزار: وأحسب أننا كل قد حدثناه عن أبي عوانة عن

وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل (١٣٧/٥) عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو الرقي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل عن أبي بن كعب فذكره. وعنده: فمسحه يده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه. وبالقبي مثله.

وقد رواه ابن ماجه (٤١٤) عن إسماعيل بن عبيد الله الرقي عن عبد الله بن عمرو الرقي به.

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو خزيمة، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، حدثنا أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقدم عليه كائناً؟ فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قدم النبي ﷺ على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج لحواره حزناً على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال مكاننا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ» فلما به رسول الله ﷺ فنفخ.

وقد رواه الترمذي (٣٦٢٧) عن محمود بن غيلان عن عمر بن يونس به وقال: صحيح غريب من هذا الوجه.

طريق أخرى عن أنس:

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا هبة، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ. وعمار بن أبي عمار، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ. وحبيب بن الشهيد عن الحسن عن النبي ﷺ: أنه كان يخطب إلى جذع غلة، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه فسكن، وقال: «لو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة».

وهكذا رواه ابن ماجه (١٤٩٥) عن أبي بكر بن خلاد عن بهز بن أمية عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس. وعن حماد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس به، وهذا إسناد على شرط مسلم.

طريق أخرى عن أنس:

قال الإمام أحمد (٢٢٦/٣): حدثنا هاشم، حدثنا المبارك عن الحسن عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبراً» - أراد أن يسمعهم - فبنوا له عتبتين، فتحول من الخشبة إلى المنبر، قال: فأخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة نحن حين الواله، قال: فما زالت نحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فمشى إليها فاحتضنها فسكت.

نقده به أحمد.

وقد رواه أبو القاسم البغوي (الجمعيات له (٣٢٥٥)) عن شيبان بن فروخ عن مبرك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره وزاد: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة نحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم عن سالم بن

وهذا إسناده على شرط مسلم ولم يخرجه (ل) أخرجه م (١٣٩٥).

طريق أخرى عن جابر:

قال الإمام أحمد (٣٠٦/٣): حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نصره عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقوم في أصل شجرة، أو قال: إلى جذع، ثم اتخذ منبراً قال: فحن الجذع، قال جابر: حتى سمعه أهل المسجد حتى أتاه رسول الله ﷺ فمسحه فسكن، فقال بعضهم: لو لم يأتهم لحن إلى يوم القيامة.

وهذا على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه (١٤١٧) عن بكر بن خلف عن ابن أبي عدي عن سليمان التيمي عن أبي نصره المنذر بن مالك بن قطعة العبدي البصري عن جابر به.

الحديث الرابع عن سهل بن سعد:

قال أبو بكر بن أبي شيبة (المصنف ١١٧٩٦): حدثنا سفيان بن عينة عن أبي حازم قال: أتوا سهل بن سعد فقالوا: من أي شيء منبر رسول الله ﷺ؟ فقال: كان رسول الله ﷺ يستند إلى جذع في المسجد يصلي إليه إذا خطب، فلما اتخذ المنبر فصعد عليه حن الجذع حتى أتاه رسول الله ﷺ فوطئه حتى سكن.

وأصل هذا الحديث في الصحيحين (خ (٣٧٧)، م (٥٤٤)) وإسناده على شرطهما.

وقد رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي فليك عن عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده، ورواه عبد الله بن نافع وابن وهب عن عبد الله بن عمر عن عباس بن سهل عن أبيه فذكره. ورواه ابن لهيعة عن عماره بن غزيرة عن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه بنحوه.

الحديث الخامس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قال الإمام أحمد (٢٤٩/٩): حدثنا حبان، حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حن عليه فاتاه فاحتضنه فسكن، قال: «ولو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة».

وهذا الإسناد على شرط مسلم ولم يروه إلا ابن ماجه (١٤١٥) من حديث حماد بن سلمة.

الحديث السادس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قال البخاري (٣٥٨٣): حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان، حدثنا أبو حفص واسمه عمرو بن العلاء - آخر أبي عمرو بن العلاء - قال: سمعت نافعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه. وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا. ورواه أبو عاصم عن ابن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

الأعمش عن أبي صالح عن جابر، وعن أبي إسحاق عن كريب عن جابر بهذه القصة التي رواها أبو المساور عن أبي عوانة، وحدثناه محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر عن النبي ﷺ بنحوه، والصواب إنما هو سعيد بن أبي كريب، وكريب خطأ ولا يعلم يروي عن سعيد بن أبي كريب إلا أبا إسحاق.

قلت: ولم يخرجه من هذا الوجه وهو جيد.

طريق أخرى عن جابر:

قال الإمام أحمد (٢٩٣/٣): حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن أبي كريب عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى خشبة فلما جعل منبر حنت حين الناقه فاتاها فوضع يده عليها فسكنت. تفرد به أحمد.

طريق أخرى عن جابر:

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يقوم إلى جذع قبل أن يجعل له المنبر فلما جعل له المنبر حن الجذع حتى سمعنا حننه، فمسح رسول الله ﷺ يده عليه فسكن.

قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهري إلا سليمان بن كثير.

قلت: وهذا إسناده جيد رجاله على شرط الصحيح، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة.

وقال الحافظ أبو نعيم في الدلائل: ورواه عبد الرزاق (المصنف ٥٢٥٣) عن معمر عن الزهري عن رجل سمع عن جابر. ثم أوردته من طريق عاصم بن علي عن سليمان بن كثير عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن جابر مثله، ثم قال:

حدثنا أبو بكر بن خلائف، حدثنا أحمد بن علي الحفرا، حدثنا عيسى بن المسور، حدثنا الوليد بن مسلم عن الأزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فلما بني المنبر حن الجذع فاحتضنه رسول الله ﷺ فسكن، وقال: «ولو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة» (دلائل النبوة لابي نعيم ٣٠٢).

ثم رواه من حديث أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر، وعن أبي إسحاق عن كريب عن جابر مثله (دلائل النبوة ٣٠٤).

طريق أخرى عن جابر عليه السلام:

قال الإمام أحمد (٢٩٥/٣): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج. وروح قال: حدثنا ابن جريج. أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كان النبي ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد. فلما صنع له منبره استوى عليه اضطربت تلك السارية كحنتين الناقه حتى سمعنا أهل المسجد حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت. وقال روح: فسكنت.

حتى أسمعني وأنا في آخر المسجد، قال: فتزل رسول الله ﷺ عن المنبر فاعتقها، فلم يزل حتى سكنت ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن هذه النخلة إنما حنت شوقاً إلى رسول الله، لا فارقتها فوالله لو لم أنزل إليها فاعتقها لما سكنت إلى يوم القيامة».

وهذا إسناد على شرط مسلم، ولكن في السياق غرابة والله تعالى أعلم.

طريق أخرى عن أبي سعيد:

قال الحافظ أبو يعلى (مسند ١٠٦٧): حدثنا مسروق بن الرزبان، حدثنا يحيى بن زكريا عن مجالد عن أبي الوالد - وهو جبر بن نوف - عن أبي سعيد قال: كان النبي ﷺ يقوم إلى خشية يتوكأ عليها فيخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال: إن شئت جعلت لك شيئاً إذا قعدت عليه كنت كائنك قائم، قال: «نعم»، قال: فجعل له المنبر، فلما جلس عليه حنت الخشبة حين الناقة على ولدها، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها، فلما كان الغد رأيتها قد حولت، فقلنا: ما هذا؟ قالوا: جاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر البارحة فحولوها.

وهذا غريب أيضاً.

الحديث الثامن عن عائشة رضي الله عنها:

رواه الحافظ البيهقي من حديث علي بن أحمد الجوارسي عن قبيصة عن حيان بن علي عن صالح بن حيان عن عبد الله بن بريقة عن عائشة فذكر الحديث بطوله وفيه أنه خير بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف.

هذا حديث غريب إسناداً ومتناً.

الحديث التاسع عن أم سلمة رضي الله عنها:

روى أبو نعيم من طريق شريك القاضي وعمرو بن أبي قيس ومعلّى بن هلال ثلاثهم عن عمار الدُّعَين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة قالت: كان لرسول الله ﷺ خشبة يستند إليها إذا خطب، فصنع له كرسي أو منبر فلما فقدته خارت كما يخور الشور، حتى سمعها أهل المسجد، فأتانا رسول الله ﷺ فسكنت.

هذا لفظ شريك، وفي رواية معلّى بن هلال: أنها كانت من ذرم.

وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه.

وقد روى الإمام أحمد (٢٨٩/٦، ٢٩٢، ٣١٨) والنسائي (٦٩٥) من حديث عمار الدُّعَين عن أبي سلمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قوائم منبري رواتب في الجنة».

وروى النسائي (٤٢٩٠) أيضاً بهذا الإسناد: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

فهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن، وكذا من تأملها وأنعم فيها النظر والتأمل مع معرفة بأحوال الرجال وبالله المستعان.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٦٨/٦): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي قال: قال أبي - يعني أبا حاتم الرازي - قال عمرو بن

مكنا ذكره البخاري.

وقد رواه الترمذي [٥٠٥] عن عمرو بن علي الفلاس عن عثمان بن عمر ويحيى بن كثير أبي غسان العنبري كلاهما عن معاذ بن العلاء به وقال: حسن صحيح غريب.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في «أطرافه» [٢٣٣/٦] ورواه علي بن نصر بن علي الجهضمي وأحمد بن خالد الحلال وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في آخرين عن عثمان بن عمر عن معاذ بن العلاء قال: وعبد الحميد هذا - يعني الذي ذكره البخاري - يقال: إنه عبد بن حميد والله أعلم.

قال شيخنا (مغلة الأشراف: ٢٣٣/٦): وقد قيل: إن قول البخاري: عن أبي حفص واسمه عمر بن العلاء، وهم، والصواب معاذ بن العلاء كما وقع في رواية الترمذي.

قلت: وليس هذا ثابتاً في جميع النسخ، ولم أر في النسخة التي كتبت منها تسميته بالكليّة والله أعلم.

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن رجاء، عن عبيد الله بن عمر، ومن حديث أبي عاصم عن ابن أبي رواد كلاهما عن نافع عن ابن عمر قال: قال تميم الداري: ألا تتخذ لك منبراً؟ فذكر الحديث.

طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قال الإمام أحمد بن حنبل (١٠٩/٢): حدثنا حسين، حدثنا خلف عن أبي خباب - وهو يحيى بن أبي حبة - عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم جمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس، فقالوا: ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك؟ قال: «لا عليكم أن تعملوا فصنعوا له منبراً ثلاث مرات، قال: فجلس عليه، قال: فغار الجذع كما تحور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمت ومسحه حتى سكن.

فرد به أحمد.

الحديث السابع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

قال عبد بن حميد الكشي: حدثنا علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة العبدلي، حدثني أبو سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة، فقال له الناس: يا رسول الله إنه قد كثر الناس - يعني المسلمين - وإنهم ليحبون أن يروك، فلو اتخذت منبراً تقوم عليه ليراك الناس؟ قال: «نعم، من يجعل لنا هذا المنبر؟» فقام إليه رجل فقال: «فجعله؟» قال: نعم، ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟» قال: فلان، قال: «أقعد فقعده، ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا المنبر؟» فقام إليه رجل فقال: «أقعد فقعده، ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا المنبر؟» فقام إليه رجل فقال: «فجعله؟» قال: نعم، ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟» قال: فلان، قال: «أقعد فقعده، ثم عاد فقال: «من يجعل لنا هذا المنبر؟» فقام إليه رجل فقال: «أقعد فقعده، ثم عاد فقال: «فجعله؟» قال: نعم، ولم يقل: إن شاء الله، قال: «ما اسمك؟» قال: إبراهيم، قال: «فجعله؟».

فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبي ﷺ في آخر المسجد فلما صعد رسول الله ﷺ المنبر فاستوى عليه استقبل الناس وحنت النخلة

سواد، قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمداً الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى همى له المنبر، فلما همى له المنبر من الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

٢١- باب تسبيح الحصى في كفة

قال الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ١٦٤/٦، ٢٦٥): أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا الكديمي، حدثنا قريش بن أنس، حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي، قال: سمعت أبا ذر يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيت، كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله ﷺ فرأيت يوماً جالساً وحده فاغتمت خلوته فجت حتى جلست إليه فجاء أبو بكر فسلم، ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال: تسع حصيات، فاخذن في كفه فسبحن حتى سمعت من حينئذ كحنتين النحل، ثم وضعن فخرسن ثم أخذن فوضعن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت من حينئذ كحنتين النحل، ثم وضعن فخرسن، ثم تناولن فوضعن في يد عمر فسبحن حتى سمعت من حينئذ كحنتين النحل، ثم وضعن فخرسن، ثم تناولن فوضعن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت من حينئذ كحنتين النحل، ثم وضعن فخرسن، فقال النبي ﷺ: «هذه خلافة النبوة».

قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن بشر عن قريش بن أنس عن صالح بن أبي الأخضر، وصالح لم يكن حافظاً، والمفوظ رواية شيب بن أبي حمزة عن الزهري، قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالريثة ذكر له هذا الحديث عن أبي ذر هكذا.

قال البيهقي: وقد قال محمد بن يحيى الذعلي في «الزهريات» التي جمع فيها أحاديث الزهري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شيب عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالريثة ذكر أنه بينما هو قاعد يوماً في ذلك المجلس وأبو ذر في المجلس إذ ذكر عثمان بن عفان، يقول السلمي: فأننا أظن أن في نفس أبي ذر على عثمان معبة لإزاله إياه بالريثة، فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك، وهو يظن أن في نفسه عليه معبة، فلما ذكره قال: لا تقل في عثمان إلا خيراً فإنني أشهد لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا أنساه حتى أموت، كنت رجلاً اتمس خلوات النبي ﷺ لأسمع منه أو لأخذ عنه، فتهجرت يوماً من الأيام، فلما النبي ﷺ قد خرج من بيته فسالت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيت، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: «ما جاء بك؟» فقلت: جاء بي الله ورسوله. فأمرني أن أجلس، فجلست إلى جنبه، لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي، فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر يمشي مسرعاً فسلم عليه فرد السلام ثم قال: «ما جاء بك؟» قال: جاء بي الله ورسوله. فأشار بيده أن أجلس، فجلس إلى ربة مقابل النبي ﷺ بينه وبينها الطريق، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً فأشار بيده فجلس إلى جنبي

عن يحيى ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربة، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال: «ما جاء بك؟» قال: جاء بي الله ورسوله. فأشار إليه بيده ففعل إلى الربة ثم أشار بيده ففعل إلى جنب عمر، فتكلم النبي ﷺ بكلمة لم أفقه أولها غير أنه قال: «قليل ما يقين» ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبحن في بيده حتى سمع من حينئذ كحنتين النخل في كف النبي ﷺ، ثم تناولن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر كما سبحن في كف النبي ﷺ ثم أخذن منه فوضعن في الأرض فخرسن فصرن حصاً، ثم تناولن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذن فوضعن في الأرض فخرسن، ثم تناولن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذن فوضعن في الأرض فخرسن.

قال الحافظ ابن عساکر: رواه صالح بن أبي الأخضر عن الزهري، فقال: عن رجل يقال له سويد بن يزيد السلمي. وقول شيب أصح. وقال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة (٢٣٨): وقد روى داود بن أبي هند عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن أبي ذر مثله. ورواه شهر بن حوشب وسعيد بن المسيب عن أبي سعيد، قال: وفيه عن أبي هريرة. وقد تقدم ما رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

حديث آخر في ذلك:

روى الحافظ البيهقي (دلائل النبوة: ٧١/٦، ٧٢) من حديث عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، قال: حدثني أبو أمي مالك بن حمزة عن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده أبي أسيد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «يا أبا الفضل لا تبرم متلك غدا أتت وينوك حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة» فانتظروه حتى جاء بعدما أضحي، فدخل عليهم فقال: «السلام عليكم» فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: «كيف أصبحتم؟» قالوا: أصبحنا بخير محمد الله، فكيف أصبحت بابينا وأما أنت يا رسول الله؟ قال: «أصبحت بخير أحمد الله» فقال لهم: «تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض»، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملايته وقال: «يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترحمهم من النار كسرتي إياهم بملايتي هذه» وقال: فأنشئت أسكفة الباب وحواظ البيت فقالت: آمين آمين آمين.

وقد رواه أبو عبد الله بن ماجه في سننه (٣٧١١) مختصراً عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي عن عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص الواقسي الزهري روى عنه جماعة. وقد قال ابن معين: لا أعرفه، وقال أبو حاتم: يروي أحاديث مثبته.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد (٨١/٥، ٩٥): حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا إبراهيم بن طهمان، حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

رواه مسلم (٢٢٧٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكير

به. ورواه أبو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سمك به.

حديث آخر:

قال الترمذي [٣٩٢٦]: حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي، حدثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فمنا استقباله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله.

ثم قال: وهذا حديث حسن غريب، وقد رواه غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، وقالوا: عن عباد بن أبي يزيد منهم فروة بن أبي المغراء. ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث زياد بن خيثمة عن السدي عن أبي عمارة الخيواني عن علي قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه.

وقدنا في المبعث أنه عليه الصلاة والسلام لما رجع وقد أوحى إليه جمل لا يمر بحجر ولا شجر ولا ملء ولا شيء إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله، وذكرنا في وقعة بدر ووقعة حنين رمية عليه الصلاة والسلام بتلك القبضة من التراب وأمره أصحابه أن يتبعوها بالحملعة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً، أما في وقعة بدر فقد قال الله تعالى في سياقها في سورة الأنفال: ﴿وَمَا زَيَّيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ الآية [الأنفال: ١٧] وأما في غزوة حنين فقد ذكرناه في الحديث بأسانيد وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة.

حديث آخر:

وذكرنا في غزوة الفتح أن رسول الله ﷺ لما دخل المسجد الحرام فوجد الأصنام حول الكعبة فجعل يطعنها بشيء في يده ويقول: فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيده وفي رواية: أنه جعل لا يشير إلى صنم منها إلا خر لقلعه، وفي رواية: إلا سقط.

وقال البيهقي [دلائل النبوة: ٨١/٦]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا عمر بن نصر وأحمد بن عيسى اللخمي، قالا: حدثنا بشر بن بكر، أخبرنا الأزاعي عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مسترة بقرام فيه صورة فهتكه ثم قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله» قال الأزاعي: وقالت عائشة: «أني رسول الله ﷺ تبرس فيه تمثال عقاب فوضع عليه يده فاذبحه الله عز وجل.

باب ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة:

٢٢- قصة البعير النادر وسجوده له وشكواه إليه صلوات

الله وسلامه عليه

قال الإمام أحمد [١٥٨/٣، ١٥٩]: حدثنا حسين، حدثنا خلف بن خليفة عن حفص هو ابن عمر عن عمه أنس بن مالك قال: «كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فممنهم ظهره وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسي عليه وإنه استصعب علينا ومنعتنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله

ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكلب الكليل وإنا نخاف عليك صوته، فقال رسول الله ﷺ: «ليس عليّ منه بأس» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فاخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنجس بالقيح والصلد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه».

وهذا إسناده جيد.

وقد روى النسائي [كبرى (٩١٤٧)] بعضه من حديث خلف بن خليفة به:

رواية جابر في ذلك:

قال الإمام أحمد [٣٩٠/٣]: حدثنا مصعب بن سلام، حدثنا الأجلح عن النزال بن حرمة عن جابر بن عبد الله قال: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار، إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه قال: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاه واضعاً مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه ﷺ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا خطاماً» فخطمه ودفعه إلى صاحبه، قال: ثم التفت إلى الناس فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله ﷺ إلا عاصي الجن والإنس».

تفرد به الإمام أحمد، وسيأتي عن جابر من وجه آخر بسياق آخر إن شاء الله وبه الثقة.

رواية ابن عباس في ذلك:

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني المعجم الكبير [١٥٥/١٢]: حدثنا بشر بن موسى، حدثنا يزيد بن مهران أبو خالد الحليزي، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأجلح عن النزال بن حرمة عن ابن عباس قال: جاء قوم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن لنا بعيراً قد نذ في حائط، فجاء إليه رسول الله ﷺ فقال: «تعال» فجاء مطاطشاً رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه، فقال له أبو بكر الصديق: يا رسول الله.. كأنه علم أنك نبي، فقال رسول الله ﷺ: «ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي الله ﷺ إلا كفره الجن والإنس».

وهذا من هذا الوجه عن ابن عباس غريب جداً، والأشبه روايه الإمام أحمد عن جابر، اللهم إلا أن يكون الأجلح قد رواه عن النزال عن جابر وعن ابن عباس والله أعلم.

طريق أخرى عن ابن عباس:

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني المعجم الكبير [٣٥٦/١١، ٣٥٧]: حدثنا العباس بن الفضل الأسطاطي، حدثنا أبو عون الزياتي، حدثنا أبو عزة الدباغ عن أبي يزيد المديني عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما حائطاً ففسد عليهما الباب، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فأراد أن يدعوه له، والنبي ﷺ قاعد ومعه نفر من الأنصار، فقال: يا نبي الله ﷺ إني جئت في حاجة فإن فحلين لي اغتلما، وإني

فقال أصحابه: يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك. فقال: «اعبدوا ربكم واكمروا أحكامكم، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن تفعله».

وهذا الإسناد على شرط السنن، وإثنا روى ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان عن حماد به: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» إلى آخره.

رواية يعلى بن مرة الضفي في ذلك، أو هي قصة أخرى:

قال الإمام أحمد [١٧٢/٤]: حدثنا أبو سلمة الخزاعي، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهللة عن حبيب عن أبي جيرة عن يعلى بن سبياه قال: كنت مع النبي ﷺ في مسير له فإراد أن يقضي حاجته فأمر ويؤتين فانضمت إحداهما إلى الأخرى، ثم أمرهما فرجعتا إلى منابتهما، وجاء بعير ففرض بجرانه إلى الأرض ثم جرجر حتى ابتل ما حوله فقال رسول الله ﷺ: «أندرون ما يقول البعير؟ إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره» فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «أواجه أنت لي؟» فقال: يا رسول الله مالي مال أحب إلي مني، فقال: «استوص به معروفاً» فقال: لا جرم لا أكرم مالا لي كرامته يا رسول الله. قال وأتى على قبر يعذب صاحبه فقال: «إنه يعذب في غير كبير» فأمر بجمرة فوضعت على قبره، وقال: «عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة».

طريق أخرى:

عنه قال الإمام أحمد [٦٨٧/٦، ٦٨٧/٦]: حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الضفي قال: ثلاثة أشياء رأيتهم من رسول الله ﷺ: بينا نحن نسير معه إذ مرنا ببعير يُسنى عليه، فلما رآه البعير جرجر ووضع جراحه، فوقف عليه النبي ﷺ فقال «أين صاحب هذا البعير؟» فجاء، فقال: «بعينه»، فقال: لا بل أمه لك، فقال: «لا بل بعينه»، قال: لا بل نهبه لك إنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، قال: «أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه» قال: ثم سرنا فنزلنا منزلاً فنام رسول الله ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيت ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له، فقال: «هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها» قال: ثم سرنا فمرنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال: «أخرج إني محمد رسول الله» قال ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مرنا بذلك الماء فأتته امرأة بجزر ولين فأمرها أن ترد الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن، فسأله عن الصبي فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريباً بعذك.

طريق أخرى عنه:

قال الإمام أحمد [١٧٠/٤، ١٧١/٦]: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عثمان بن حكيم، أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً ما رأها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مرنا بأمارة جالسة معها صبي لها فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابته منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة، قال: «تأولينيه» فرفعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرجل، ثم ففر فاه ففث فيه ثلاثاً وقال: «بسم الله أنا عبد

أدخلتهما حافظاً وسددت عليهما الباب، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله لي، فقال لأصحابه: «قوموا معنا»، فذهب حتى أتى الباب فقال: «افتح» فاشتق الرجل على النبي ﷺ، فقال: «افتح»، ففتح الباب فإذا أحد الفحلين قريب من الباب، فلما رأى رسول الله ﷺ سجد له، فقال رسول الله ﷺ: «أنتي بشيء أشد رأسه وأمكنك منه»، فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه، ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الآخر، فلما رآه وقع له ساجداً، فقال للرجل: «أنتي بشيء أشد رأسه»، فشد رأسه وأمكنه منه، فقال: «أذهب فإنهما لا يعصيانك»، فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ ذلك قالوا: يا رسول الله هذان فحلان لا يعقلان سجدنا لك أفلا نسجد لك؟ قال: «لا أمر أحداً أن يسجد لأحد ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وهذا إسناد غريب ومتن غريب.

ورواه الفقيه أبو محمد عبد الله بن حماد في كتابه «دلائل النبوة» عن أحمد بن حمدان السجزي عن عمر بن محمد بن بجير البجلي عن بشر بن آدم عن محمد بن عوف أبي عون الزبدي به. وقد رواه أيضاً من طريق مكِّي بن إبراهيم عن فائد أبي الوراق عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ بنحو ما تقدم عن ابن عباس.

رواية أبي هريرة في ذلك

قال أبو محمد عبد الله بن حماد الفقيه: أخبرنا أحمد بن حمدان، أنا عمر بن محمد بن بجير، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: انطلقنا مع رسول الله ﷺ إلى قباء فأشرطنا على حافظ فإذا نحن بتناضح، فلما أقبل التناضح رفع رأسه فيصير برسول الله ﷺ فوضع جراحه على الأرض، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة، فقال: «سبحان الله، أدون الله؟ ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد دون الله، ولو أمرت أحداً أن يسجد لشيء من دون الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

رواية عبد الله بن جعفر في ذلك:

قال الإمام أحمد [٢٠٤/١]: حدثنا يزيد، حدثنا مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر عن وحدثنا بهز وعفان قالوا: حدثنا مهدي، حدثنا محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد - مولى الحسن بن علي - عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر لي حديثاً لا أخبر به أحداً أبداً، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حافظاً من حيطان الأنصار فإذا جل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، وقال بهز وعفان: فلما رأى رسول الله ﷺ حن وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفره فسكن، فقال: «من صاحب الجميل؟» فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله، فقال: «أما تنقي الله في هذه البهيمة التي ملكها الله لك؟ إنه شكاً لي أنك تحببه وتدبه».

وقد رواه مسلم من حديث مهدي بن ميمون به.

رواية عائشة أم المؤمنين في ذلك:

قال الإمام أحمد [٧٦/٦]: حدثنا عبد الصمد وعفان قالوا: حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له

حديث آخر غريب في قصة البعير:

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه «دلائل النبوة» وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد: أخبرني أبو علي الفارسي، حدثنا أبو سعيد عن عبد العزيز بن شهلان القواس، حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن خالد الراسي، حدثنا عبد الرحمن بن علي البصري، حدثنا سلامة بن سعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبي هند الكاري، حدثني أبي عن أبيه عن جده، حدثنا ثميم بن أوس - يعني الداري - قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله ﷺ فرأى فقال رسول الله ﷺ: «أيها البعير اسكن، فإنك صادقاً فلك صدقك، وإنك كاذباً فعليك كذبك، مع أن الله تعالى قد آمن عائلتنا، ولا يخاف لائلتنا» قلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: «هذا بعير هم أمه بنحره فهرب منهم فاستغاث ببيكم» فينا نحن كذلك إذا أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك، فقال رسول الله ﷺ: «يشكو مرُّ الشكاية» فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: «يقول إنه ربي في يلكم خوراً وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتكم إلى موضع الذئب» فقالوا: قد كان ذلك يا رسول الله، فقال: «ما جزاء العبد الصالح من مواليه؟» قالوا: يا رسول الله فإننا لا نبيعه ولا ننحره، قال فقد استغاث فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين» فاشترأه النبي ﷺ بمائة درهم، ثم قال: «أيها البعير اطلق فانت حر لوجه الله»، فرغا على هامة رسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ: «آمين» ثم رغا الثانية فقال «آمين» ثم رغا الثالثة فقال: «آمين» ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: يقول: «جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً، قلت آمين، قال: سكرن الله رعب امتك يوم القيامة كما سكت رعي قلت: آمين قال: حسن الله دماء امتك من أعدائها كما حققت دمي، قلت: آمين، قال: لا جعل الله بأسها بيننا، فبكيت وقلت: هذه خصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة وأخبرني جبريل عن الله أن فناء امتك بالسيف فجرى القلم بما هو كائن».

قلت: هذا الحديث غريب جداً لم أر أحداً من هؤلاء المصنفين في الدلائل أوردوه سوى هذا بالمصنف، وفيه غرابة وتكرار في إسناده ومنته أيضاً والله أعلم.

٢٣- حديث في سجود الغنم له ﷺ

قال أبو محمد عبد الله بن حامد أيضاً: قال يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، حدثنا عباد بن يوسف الكندي أبو عثمان، حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: دخل النبي ﷺ حائطاً للأصبار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأصبار، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم، فقال: «إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» غريب وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم

ثم قال البيهقي [دلائل: ٢٠/٦]: وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أنا الحسين بن علي بن زياد، حدثنا أبو حنيفة، حدثنا أبو قرة عن زعمة عن زياد - هو ابن سعد - عن أبي الزبير أنه سمع يونس بن خباب الكوفي يحدث أنه سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان في سفر إلى مكة فذهب إلى الغائط وكان يبعد حتى لا يراه أحد، قال: فلم يجد شيئاً يتواري به، فبصر بشجرتين. فذكر قصة الشجرتين وقصة الجمل بنحو من حديث جابر.

قال البيهقي: وحديث جابر أصح. قال: وهذه الرواية ينفرد بها زعمة بن صالح عن زياد - أظنه ابن سعد - عن أبي الزبير.

قلت: وقد تكون هذه أيضاً محفوفة، ولا ينافي حديث جابر ويعلى بن مرة، بل يشهد لهما ويكون هذا الحديث عند أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر. وعن يونس بن خباب عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه والله أعلم.

وروى البيهقي [دلائل: ٢٤/٦ - ٢٦] من حديث معاوية بن يحيى الصدي - وهو ضعيف - عن الزهري عن خارجة بن زيد عن أسامة بن زيد حديثاً طويلاً نحو سياق حديث يعلى بن مرة وجابر بن عبد الله، وفيه قصة الصبي الذي كان يصرع ويحيه أمه بشاة مشوية فقال: «تأولني الذراع» فتأولته، ثم قال، «تأولني الذراع» فتأولته، ثم قال: «تأولني الذراع» فقلت كم للشاة من ذراع؟ فقال: «والذي نفسي بيده لو سكنت لناولتي ما دعوت» ثم ذكر قصة النخلات واجتماعهما وانتقال الحجارة معهم حتى صارت الحجارة رجماً خلف النخلات وليس في سياقه قصة البعير فلهذا لم يورده بلفظه وإسناده وبالله المستعان

وله روى الحافظ ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٥٧/١٤، ١٥٨] ترجمة غيلان بن سلمة التقي بسنده إلى مَعْلَى بن منصور الرازي عن شبيب بن شيبه عن بشر بن عاصم عن غيلان بن سلمة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فربنا منه عجباً فذكر قصة الأشباثين واستتره بهما عند الخلاء، وقصة الصبي الذي كان يصرع، وقوله: «بسم الله أنا رسول الله، اخرج عدو الله» فعرفني.

ثم ذكر قصة البعيرين التاديين وأنهما سجدا له بنحو ما تقدم في البعير الواحد، فلعل هذه قصة أخرى، والله أعلم قد ذكرنا فيما سلف حديث جابر وقصة جملة الذي كان قد أغيا، وذلك مرجعهم من تبوك وتأخره في أخريات القوم، فلحقه النبي ﷺ فدعا له وضربه فسار سيراً لم يسر مثله حتى جعل يتقدم أمام الناس، وذكرنا شراءه عليه السلام منه وفي ثمنه اختلاف كثير وقع من الرواة لا يضر أصل القصة كما بيناه.

وتقدم حديث أنس في ركوبه عليه السلام على فرس أبي طلحة حين سمع الناس صوتاً بالمدينة فركب ذلك الفرس، وكان يطيء، وركب الفرسان نحو ذلك الصوت، فوجدوا رسول الله ﷺ قد رجع بعدما كشف ذلك الأمر، فلم يجد له حقيقة، وكان قد ركب غريباً لا شيء على الفرس وهو متقلد سيفاً، فرجع وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا، ما وجدنا من شيء، وإن وجدناه لبحراً». أي لسابقاً، وكان ذلك الفرس يبطأ قبل تلك الليلة فكان بعد ذلك لا يجارى ولا يكشف له غبار وذلك كله ببركته عليه الصلاة والسلام.

٢٤- قصة الذئب وشهادته بالرسالة

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فالتزعا منها، فأقمى الذئب على ذنبه فقال: ألا تتقي الله تتزع مني رزقاً ساقه الله إلي؟ فقال: يا عجباً ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ يثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره. فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عبده سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخله بما أخذت أهله بعده»، وهذا إسناد على شرط الصحيح وقد صححه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس» إلى آخره، عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن القاسم بن الفضل، ثم قال: وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى وابن مهدي.

طريق أخرى عن أبي سعيد الخدري رحمته الله:

قال الإمام أحمد (٨٨/٣، ٨٩): حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شبيب، حدثني عبد الله بن أبي حسين، حدثني شهر أن أبا سعيد الخدري حدثه عن النبي ﷺ قال: بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقضا منه ومجهجه فعانده الذئب يمشي ثم أقمى مستندراً بذنبه يحاطبه فقال: أخذت رزقاً رزقته الله، قال: وأعجباً من ذئب مقع مستندر بذنبه يحاطبني! فقال: والله إنك لتترك النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن أنباء ما قد سبق وما يكون بعد ذلك، قال: ففزع الأعرابي بغمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه، فلما صلى النبي ﷺ قال: «أين الأعرابي صاحب الغنم؟» فقام الأعرابي، فقال له النبي ﷺ: «حدث الناس بما سمعت وما رأيت» فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «صدق، آيات تكون قبل الساعة، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أخذت أهله بعده» وهذا على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

وقد رواه البيهقي [دلائل: ٤٢/٦، ٤٣] من حديث الثفيلي قال: قرأت على معقل بن عبيد الله بن شهر بن حوشب عن أبي سعيد فذكره، ثم رواه الحاكم وأبو سعيد بن عمرو عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أبي سعيد فذكره.

ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جسيم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد فذكره.

حديث أبي هريرة في ذلك

قال الإمام أحمد (٣٠٦/٢): حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن أشعث بن عبد الملك عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تل فأقمى فاستنفر وقال: عمدت إلى رزق رزقته الله عز وجل انتزعتني، فقال الرجل: لله إن رأيت كالיום ذئباً يتكلم، فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهودياً، فجاء إلى النبي ﷺ فأسلم وخبره فصده النبي ﷺ، ثم قال رسول الله: «إنها أمانة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أخذت أهله بعده».

تفرد به أحمد وهو على شرط السنن ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضاً والله أعلم.

حديث أنس في ذلك:

قال أبو نعيم في «دلائل النبوة»: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن يحيى بن منته، حدثنا علي بن الحسن بن سالم، حدثنا الحسين الرقاة عن عبد الملك بن عمير عن أنس (ج)، وحدثنا سليمان - هو الطبراني - : حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، حدثنا هشام بن يونس اللؤلؤي، حدثنا حسين بن سليمان الرقاة عن عبد الملك بن عمير، عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فشددت عليّ غنمي، فجاء الذئب فأخذ منها شاة، فاشتد الرعاء خلفه، فقال: طعمة اطعمنيها الله تترعونها مني؟ قال: فبهت القوم، فقال: ما تعجبون من كلام الذئب وقد نزل الوحي على محمد فمن مصدق ومكذب.

ثم قال أبو نعيم: تفرد به حسين بن سليمان عن عبد الملك. قلت: الحسين بن سليمان الرقاة هذا يقال له: الطلخي كوفي أورد له ابن عدي عن عبد الملك بن عمير أحاديث ثم قال: لا يتابع عليها.

حديث ابن عمر في ذلك:

قال البيهقي [دلائل: ٤٤/٦]: أخبرنا أبو سعد المالبي، أخبرنا أبو أحمد بن عدي، حدثنا عبد الله بن أبي داود السجستاني، حدثنا يعقوب بن يوسف بن أبي عيسى، حدثنا جعفر بن جسر، أخبرني أبو جسر، حدثنا عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب قال: قال ابن عمر: كان راع على عهد رسول الله ﷺ في غنم له إذ جاء الذئب فأخذ شاة ووثب الراعي حتى انتزعها من فيه، فقال له الذئب: أما تتقي الله أن تمنعني طعمة اطعمنيها الله تترعها مني؟ فقال له الراعي: العجب من ذئب يتكلم، فقال الذئب: أفلا أدلك على ما هو أعجب من كلامي؟ ذلك الرجل في النخل يخبر الناس بمليت الأولين والآخرين أعجب من كلامي، فإناطلق الراعي حتى جاء رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «حدث به الناس».

قال الحافظ ابن عدي: قال لنا أبو بكر بن أبي داود: ولد هذا الراعي يقال له: بنو مكلم الذئب، ولهم أموال ونعم، وهم من خزاعة، واسم مكلم الذئب أمبان، قال: ومحمد بن أشعث الخزاعي من ولده، قال البيهقي [دلائل: ٤٤/٦]: فدل على اشتهار ذلك، وهذا مما يقرى الحديث.

جئتمكم يسألتمكم لتفرضوا لمن من قوت طعامكم وتأمنا على ما سواه فشكروا إليه الحاجة، قال: «فأدبروهم» قال: فخرجن ولهن عواء.

وقد تكلم القاضي عياض على حديث الذئب [٤٣٩/١] - [٤٣٨] فذكر عن أبي هريرة وأبي سعيد وعن أميان بن أوس وأنه كان يقال له: مكلم الذئب، قال: وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، مع ذئب وجداه أخذ طلياً فدخل الطلي الحرم فانصرف الذئب فعمجا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار، فقال أبو سفيان: واللوات والعزى لأن ذكرت هذا بمكة لتتركها خلواً.

٢٥- قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ وكان

يحترمه عليه السلام ويوقره ويحمله

قال الإمام أحمد [١١٢/٦، ١١٣]: حدثنا أبو نعيم، حدثنا يونس عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد، وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل رضى فلم يترمم ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه».

ورواه أحمد أيضاً عن وكيع وعن قطن كلاهما عن يونس - وهو ابن أبي إسحاق السبيعي - وهذا الإسناد على شرط الصحيح، ولم يخرجه وهو حديث مشهور والله أعلم.

٢٦- قصة الأسد

وقد ذكرنا في ترجمة سفينة مولى رسول الله ﷺ حديثه حين انكسرت بهم السفينة فركب لواحاً منها حتى دخل جزيرة في البحر فوجد فيها الأسد، فقال له سفينة: يا أبا الحارث إني سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: فغضب منكبي وجعل يحاذيني حتى أقامني على الطريق، ثم مهمهم ساعة فرأيت أنه يؤذني.

وقال عبد الرزاق [المصنف ٢٠٥٤٤]: حدثنا معمر عن الحجبي عن محمد بن التكلد أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أسر في أرض الروم، فانطلق هارباً يلتبس الجيش، فإذا هو بالأسد، فقال: يا أبا الحارث إني مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد يبصحه حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أهرى إليه، ثم أقبل يمضي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش، ثم رجع الأسد عنه، رواه البيهقي [دلائل: ٤٦/٦].

٢٧- حديث الغزاة

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في كتابه «دلائل النبوة»: حدثنا سليمان بن أحمد - إملاء - حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يميون، حدثنا عبد الكريم بن هلال الجعفي عن صالح المري، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: مر رسول الله ﷺ على قوم قد اصطادوا طية فشلوها على عمود فسطاط، فقالت: يا

وقد روي عن حديث محمد بن إسماعيل البخاري في «التاريخ»، حديث أبو طلحة، حدثني سفيان بن حمزة الأسلمي، سمع عبد الله بن عامر الأسلمي، عن ربيعة بن أوس، عن أنس بن عمرو عن أميان بن أوس قال: كنت في غنم لي فكله الذئب فأتى النبي فأسلم.

قال البخاري: إسناده ليس بالقوي.

ثم روى البيهقي [دلائل: ٤٤/٦] عن أبي عبد الرحمن السلمي، سمعت الحسين بن أحمد الرازي، سمعت أبا سليمان المقرئ يقول: خرجت في بعض البلدان على حمار فجعل الحمار يجيد بي عن الطريق فضربت رأسه ضربات فرفع رأسه إلي وقال لي: اضرب يا أبا سليمان فإنما على دماغك هو ذا تضرب، قال: قلت له: كلمك كلاماً يفهم؟ قال: كما تكلمني وأكلك.

حديث آخر عن أبي هريرة في الذئب على وجه آخر:

وقد قال سعيد بن منصور: حدثنا حبان بن علي، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن أبي الأوير الحارثي عن أبي هريرة قال: جاء الذئب فسأقني بين يدي النبي ﷺ وجعل يصبص بنيه، فقال رسول الله ﷺ: «هنا وفند الذئب، جاء ليسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً» قالوا: والله لا نفعل، وأخذ رجل من القوم حجراً فزماه فادبر الذئب وله عواء. فقال رسول الله ﷺ: «الذئب، وما الذئب؟»

وقد رواه البيهقي [دلائل: ٣٩/٦] عن الحاكم عن أبي عبد الله الأصبهاني عن محمد بن مسلمة عن يزيد بن هارون عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن رجل به.

ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن محمد بن المنصور عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن رجل عن مكحول عن أبي هريرة فذكره، وعن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك بن عمير، عن أبي الأوير، عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ يوماً صلاة الغداة ثم قال: «هذا الذئب وما الذئب؟ جاءكم يسألكم أن تعطوه أو تشركوه في أموالكم» فزماه رجل بمجر فمز أو ولّى وله عواء.

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار بالبيع فإذا الذئب مفترساً فزاعه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جاء يستفرض فأفرضوا له» قالوا: نرى رايك يا رسول الله، قال: فمن كل سائمة شاة في كل عام» قالوا: كثير، قال: فأشار إلى الذئب أن خالسه، فانطلق الذئب، رواه البيهقي.

وروى الرازي عن رجل سمع عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: بينا رسول الله ﷺ في المدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا واند السباع إليكم فإن أحببتهم أن تفرضوا له شيئاً لا يبعده إلى غيره، وإن أحببتهم تركتموه واحترزتم منه فما أخذ فهو رزقه» فقالوا: يا رسول الله ما تطيب أنفسنا له بشيء، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسه، قال: فولى وله عسلان.

وقال أبو نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا معاذ بن المنصور، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن شمر بن عطية عن رجل من مزينة أو جهينة قال: أتت وفود الذئب قريب من مائة ذئب حين صلى رسول الله ﷺ فاتقن، فقال رسول الله ﷺ: «هذه وفود الذئب،

ظنية مشدودة إلى الخباء فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي اصطادني، وإن لي خشفين في البرية، وقد تعقد اللين في أحلائي، فلا هو يذبحني فاستريح، ولا هو يدعي فأرجع إلى خشفي في البرية. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتك ترجعين؟» قالت: نعم ولا عذبي الله عذاب العشار، قال: فأطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تليظ، فشدّها رسول الله ﷺ إلى الخباء، وأقبل الأعرابي ومعه قرية فقال له رسول الله ﷺ: «أبيئنيها؟» قال: هي لك يا رسول الله، فأطلقها رسول الله ﷺ، قال زيد بن أرقم: فأتانا والله رأيتها تسبح في البرية. وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ورواه أبو نعيم [دلائل: ٢٧٣]: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن من لفظه، حدثنا بشر بن موسى فذكره.

قلت: وفي بعضه نكارة والله أعلم، وقد ذكرنا في باب تكثيره عليه السلام اللين حديث تلك الشاة التي جاءت وهي في البرية، فأمر رسول الله ﷺ الحسن بن سعد مولى أبي بكر أن يجلبها، وأمره أن يحفظها فذعبت وهو لا يشعر، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب بها الذي جاء بها» وهو مروي من طريقين عن صحابين كما تقدم والله أعلم.

٢٨- حديث الضب علي ما فيه من النكارة والغرابة

قال البيهقي [دلائل: ٣٦١/٦]: أتانا أبو منصور أحمد بن علي الدامغاني من ساكني قرية نائين من ناحية بيق - قراءة عليه من أصل كتابه - حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ - في شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة - حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي، حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا مئتمر بن سليمان، حدثنا كهس، عن داود بن أبي هند، عن عامر عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ كان في حفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً وجعله في كفه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: ما هذا؟ قالوا: هذا الذي يذكر أنه نبي، فجاء فشق الناس فقال: واللوات والعزى ما اشتملت النساء على ذي لجة أبغض إلي منك، ولا أمقت منك، ولو لا أن يسمى قومي عجولاً لمجئلت عليك فقتلتك فسروا بقتلك الأسود والأحمر والأبيض وغيرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فأقوم فأقتله. قال: «يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً؟» ثم أقبل على الأعرابي وقال: «ما حملك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم تكرمني في مجلسي؟» فقال: وتكلمني أيضاً؟ - استخفافاً برسول الله ﷺ - واللوات والعزى لا أمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب - وأخرج الضب من كفه وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ - فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب فاجابه الضب بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: لييك وسعديك يا زين من وافي القيامة قال: «من تعبد يا ضب؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمة، وفي النار عقابه، قال: فممن أنا يا ضب؟» فقال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقتك، وقد خاب من كذبتك، فقال الأعرابي: والله لا أتبع أثراً بعد عين، والله لقد جئتكم وما على ظهر الأرض أبغض إلي منك، وإنك اليوم أحب إلي من والدي ومن عيني ومني، وإنني لأحبك بداخلي وخارجي، وسري وعلايتي، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهت عن من هذا الدين

رسول الله، إني أخشيت ولي خشفان، فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم، فقال: «أين صاحب هذه؟» فقال القوم: نحن يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «دخلوا عنها حتى تأتي خشفها ترضعهما وترجع إليكم» فقالوا: من لنا بذلك؟ قال «أنا» فأطلقوها فذعبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوقفوها، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال: «أين صاحب هذه؟» فقالوا: هو ذا نحن يا رسول الله، فقال: «تبيعنهما؟» فقالوا: هي لك يا رسول الله، فقال: «دخلوا عنها» فأطلقوها فلذعت.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد النيطري - من أصله حدثنا أحمد بن موسى بن أسد بن نصر بن عبيد الله بن محمد بن سيرين بالبصرة، حدثنا زكريا بن يحيى بن خلاد، حدثنا حبان بن أغلب بن تميم، حدثنا أبي عن هشام بن حسان عن الحسن، عن ضبة بن حصن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: بينا رسول الله ﷺ في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف: يا رسول الله. يا رسول الله، قال: «فالتفت فلم أر أحداً»، قال: «فمشيت غير بعيد فإذا الهاتف: يا رسول الله، يا رسول الله، قال: «فالتفت فلم أر أحداً، وإذا الهاتف يهتف بي، فاتبعت الصوت وهجمت على ظنية مشدودة في وثاق، وإذا أعرابي منجلد في شملة نائم في الشمس، فقالت الظنية: يا رسول الله. إن هذا الأعرابي صادني قَبِيلٌ، ولي خشفان في هذا الجبل، فإن رأيت أن تطلقني حتى أرضعهما ثم أعود إلى وثاقي؟» قال: «وتعلمين؟» قالت: عذبي الله عذاب العشار إن لم أفل، فينا فأطلقها رسول الله ﷺ. فمضت فأرضعت الخشفين وجاءت، قال: فينا رسول الله ﷺ يوقتها إذا أتته الأعرابي فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أصبتها قبلاً، فك فيها من حاجة؟ قال: قلت: «نعم»، قال: هي لك، فأطلقها فخرجت تملو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجلها في الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله.

قال أبو نعيم: وقد رواه آدم بن أبي إياس فقال: حدثني خشي الصدوق، نوح بن الهيثم، عن حبان بن أغلب، عن أبيه، عن هشام بن حبان ولم يجاوز به.

وقد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه «دلائل النبوة» من حديث إبراهيم بن مهدي عن ابن أغلب بن تميم عن أبيه عن هشام بن حبان عن الحسن عن ضبة عن أم سلمة به.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [دلائل: ٣٤٥/٦]: أثباتي أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني: حدثنا أحمد بن حازم بن أبي عروة الغفاري، حدثنا علي بن قادم، حدثنا أبو العلاء خالد بن طهمان، عن عطية عن أبي سعيد قال: مر النبي ﷺ بظبية مربوطة إلى خياه فقالت: يا رسول الله خلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع قريظتي، فقال رسول الله ﷺ: «صيد قوم وريضة قوم» قال: فأخذ عليها فلحفت له، قال: فلحها، فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفقت ما في ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ ثم أتى خياه أصحابها، فاسترهبها منهم فوهبها له فلحها، ثم قال رسول الله ﷺ: «لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون، ما أكلتم منها سمياً أبداً»

قال البيهقي [دلائل: ٣٥٠/٦]: وروي من وجه آخر ضعيف: أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، أخبرنا أبو علي حامد بن محمد المروزي، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو حفص عمر بن علي، حدثنا يعلی بن إبراهيم الغزالي، حدثنا الهيثم بن جاز عن أبي كبير عن يزيد بن أرقم قال: كنت مع النبي ﷺ في بعض سكك المدينة، قال: فمرونا بجاه أعرابي فإذا

جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أتوقعك أن تركبني، قد كنت قبلك لرجل يهودي، وكنت أعره به عمداً، وكان يجمع بطني ويضرب ظهري، فقال النبي ﷺ: «قد سميتك بعفورا، يا عفورة»، قال: لييك، قال «أنتهني الإناث؟» قال: لا، فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أوما إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بشر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتدري فيها فصاروا قبره جزءاً منه على رسول الله ﷺ.

٣٠- حديث الحمرة وهي طائر مشهور

قال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود: ٣٣٦]: حدثنا المسعودي عن الحسن بن سعد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدخل رجل غيضة فأخرج بيضة حمرة فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال: «أيكم فجع هذه؟» فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضتها، فقال: فردها ردها رحمة بها.

وروي البيهقي [دلائل: ٣٢/٦، ٣٣] عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار: حدثنا أبو معاوية عن أبي إسحاق الشيباني عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمرنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما، قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تعرض فقال: «من فجع هذه بفرخها؟» قال: فقلنا: نحن، قال «فردوهما» فرددناهما إلى موضعهما فلم ترجع.

حديث آخر في ذلك وفيه غرابة:

قال البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ وعبد بن الحسين بن داود العلوي قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي، حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا حبان، حدثنا أبو سعيد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد، قال: فذهب يوماً فقع تحت سمرة ونزع خفيه، قال: وليس أحدهما، فجاء طير فأخذ الخف الآخر فحلّقه به في السماء، فالتسّلت منه أسود سالح، فقال رسول الله ﷺ: «هذه كرامة أكرمني الله بها، اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على رجلبيه، ومن شر من يمشي على بطنه».

حديث آخر:

قال البخاري [٤٦٥، ٣٦٩]: حدثنا محمد بن المنثري، حدثنا معاذ، حدثني أبي عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما اختلفا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله.

وقال عبد الرزاق [المصنف: ٢٥٤١]: أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ يمشيان، ويبيد كل واحد منهما عصية

يعلو ولا يعلى ولا يقبل إلا بصلاة، ولا تقبل الصلاة إلا بقرآن» قال: فعلمني، فعلمه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: زدني فما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا، قال: «يا أعرابي إن هذا كلام الله، ليس بشعر، إنك إن قرأت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة كان لك كاجر من قرأ ثلث القرآن، وإن قرأتها مرتين كان لك كاجر من قرأ ثلثي القرآن، وإن قرأتها ثلاث مرات كان لك كاجر من قرأ القرآن كله» قال الأعرابي: نعم الإله إلها. يقبل السير ويعطي الخزيل. فقال رسول الله ﷺ: «ألك مال؟» فقال: ما في بني سليم قاطبة رجل هو اقتر مني، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «اعطوه» فأعطوه حتى أبطروه، قال: فقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله، إن له عندي ناقة عشراء، دون البخينة وفوق الأعرى، تلحق ولا تلحق أهليت لي يوم تبرك، أتقرب بها إلى الله عز وجل فأدفعها إلى الأعرابي؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد وصفت ناقتك، فأصاف مالك عند الله يوم القيامة؟» قال: نعم، قال: «لك ناقة من درة جوفاء قوائمه من زيرجد أخضر وعقها من زيرجد أصفر عليها هودج، وعلى الهودج الستمس والاستبوق، ونمر بك على الصراط كالبرق الخاطف، يخطك بها كل من ورك يوم القيامة» فقال عبد الرحمن: قد رضيت.

فخرج الأعرابي فلقية ألف أعرابي من بني سليم على ألف دابة، معهم ألف سيف وألف رمح، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا نذهب إلى هذا الذي سفه ألفتنا فقتله. قال: لا تفعلوا، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وحدثهم الحديث، فقالوا بأجمعهم: لا إله إلا الله ومحمداً رسول الله، ثم دخلوا، فقبل لرسول الله، فلقاهم بلا رداء، ونزلوا عن ركبهم يقبلون حتى دنوا منه وهم يقولون لا إله إلا الله حمد رسول الله، ثم قالوا: يا رسول الله: ثرنا بأمرك، قال: «كونوا تحت راية خالد بن الوليد»، فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم.

قال البيهقي [دلائل: ٣٨/٦]: قد أخرجه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في المعجزات بالإجازة عن أبي أحمد بن عدي الحافظ.

قلت، ورواه الحافظ أبو نعيم في [الدلائل: ٢٧٥] عن أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - إملاء وقراءة -: حدثنا محمد بن علي بن الوليد السلمي البصري قال: ثنا أبو بكر من كتابه فذكر مثله. ورواه أبو بكر الأسماعيلي عن محمد بن علي بن الوليد السلمي به.

قال البيهقي [دلائل: ٣٨/٦]: وروي في ذلك عن عائشة وأبي هريرة، وما ذكرناه هو أمثل الأسانيد فيه وهو أيضاً ضعيف، والحمل فيه على هذا السلمي، والله أعلم.

٢٩- حديث الحمار

وقد أنكره غير واحد من أئمة الحفاظ الكبار فقال أبو محمد عبد الله بن حامد: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن حمدان السجزي، حدثنا عمر بن محمد بن بجير، حدثنا أبو جعفر محمد بن مزيد - إملاء - أنا أبو عبد الله محمد بن عتبة بن أبي الصهباء، حدثنا أبو حنيفة عن عبد الله بن حبيب الهنلي عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خير أصابه من سهمه أربعة أزواج نعال وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهب وفضة، وحمار أسود، ومكمل، قال: فكلم النبي ﷺ الحمار فكلمه الحمار، فقال له: «ما اسمك؟» قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، ولم يبق من نسل

فحوكه الله إلى طرف سوطه حتى جعلوا يرونه مثل القنديل.

٣٩- حديث آخر فيه كرامة لتميم الداري

روى الحافظ البيهقي (الدلائل: ٨٠/٦) من حديث عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي العلاء عن معاوية بن حرمة قال: خرجت نازاً بالحرّة فجاء عمر إلى تميم الداري فقال: قم إلى هذه النار قال: يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا؟ قال: فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها، قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يَر، قالها ثلاثاً.

٣٢- حديث فيه كرامة لولي من هذه الأمة

وهي معدودة من المعجزات لأن كل ما ثبت لولي فهو معجزة لنيه. قال الحسن بن عرفة: حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي، قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق، نفق حمارة فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت من الدنيا مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليّ اليوم منة، اطلب إليك اليوم أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة، قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره من محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل عنهما والله أعلم.

طريق أخرى:

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) (٢٩): حدثنا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بدير وغيرهما قالوا: حدثنا محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن قوماً أقبلوا من اليمن متطوعين في سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلى ثم قال: اللهم إني جئت من الدنيا مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، فلا تجعل لأحد عليّ منة، فإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري ثم قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأمرجه وأجمه، ثم ركبته وأجراه فلحق بأصحابه، فقالوا له: ما شألك؟ قال: شأني أن الله بعث حماري، قال الشعبي: فأتا رأيت الحمار بيع أو يباع في الكناسة - يعني بالكوفة - قال ابن أبي الدنيا: وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن جده عن مسلم بن عبد الله بن شريك النخعي، أن صاحب الحمار رجل من النخع، يقال له نباتة بن يزيد، خرج في زمن عمر غازياً، حتى إذا كان بشن عميرة نفق حماره فذكر القصة، غير أنه قال: فباعه بعد بالكناسة فقبل له: تبع حمارك وقد أحياء الله لك؟ قال: فكيف أصنع؟ وقد قال رجل من رطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت:

ومنا الذي أحياء الإله جماره و قد مات منه كل غنير ومفصل

فأضادت عصي أحدهما لهما حتى مثيا في ضرتهما، حتى إذا افتقرت بهما الطريق أضادت للأخر عصاه فصار كل واحد منهما في ضره عصاه حتى بلغ أهله.

وقد علقه البخاري. فقال: وقال معمر فذكره، وعلقه البخاري أيضاً عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس: أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ، فذكر مثله. وقد رواه النسائي (الكبرى ٨٢٤٥): عن أبي بكر بن نافع عن بهز بن أسد، وأسنده البيهقي من طريق يزيد بن هارون كلاهما عن حماد بن سلمة به.

حديث آخر:

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، حدثنا أحمد بن مهران، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا كامل بن العلاء، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء وكان يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعاً رقيقاً، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحداً ههنا وواحداً ههنا، فجثته فقلت: يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ قال: «لا» فبرقت برقة فقال: «الحقا بأمكما»، فما زالا يمشيان في ضوئها حتى دخلا.

حديث آخر:

قال البخاري في «التاريخ» (٤٦/٣): حدثني أحمد بن الحجاج، حدثنا سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد، عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنفرنا في ليلة ظلماء دُخْنة، فأضادت أصابعي حتى جمعا عليها ظهرهم وما هلك منهم، وإن أصابعي لتثير.

ورواه البيهقي (الدلائل: ٧٩/٦) من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي. عن سفيان بن حمزة، به.

ورواه الطبراني (المعجم الكبير ١٧٥/٣) (٢٩٩٠) من حديث إبراهيم بن حمزة الزبيري عن سفيان بن حمزة به.

حديث آخر:

قال البيهقي (الدلائل: ٧٨/٦، ٧٩): حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو كريب، حدثنا زيد بن الجباب، حدثنا عبد الحميد بن أبي عيسى الأنصاري من بني حارثة. أخبرني ميمون بن زيد بن أبي عيسى، أخبرني أبي أن أبا عيسى، كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم يرجع إلى بني حارثة، فخرج في ليلة مظلمة مطيرة، فتور له في عصاه حتى دخل دار بني حارثة، قال البيهقي: أبو عيسى عن شهد بدار.

قلت: وروينا عن يزيد بن الأسود وهو من التابعين أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جشرين فرميا أضادت له إيهام قدمه في الليلة المظلمة، وقد قدما في قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي بمكة قبل الهجرة، أنه سأل رسول الله ﷺ آية يدعو قومه بها، فلما ذهب إليهم وانهمط من الشية أضاد له نور بين عينيه. فقال: اللهم لا تقولوا: هو مثله.

وقد ذكرنا في باب رضاعه عليه الصلاة والسلام، ما كان من حارة حليلة السعلبية وكيف كانت تسبق الركب في رجوعها لما ركب معها عليها رسول الله ﷺ وهو رضيع، وقد كانت أمنت بالركب في مسيرهم إلى مكة. وكذلك ظهرت بركة عليهم في شأرفهم - وهي الناقة التي كانوا يجلبونها - وشياعهم وسمنوا وكثرة البناها، صلوات الله وسلامه عليه.

٣٣ - قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمي

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني خالد بن خديش بن عجلان المهلبني وإسماعيل بن إبراهيم بن بسام قال: حدثنا صالح المري عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: عدنا شاباً من الأنصار، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددناه ومددنا عليه الثوب، وقال بعضنا لأمه: احتسبه، قالت: وقد مات؟ قلنا: نعم، قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم فعدلت يديها إلى السماء وقالت: اللهم إني أمنت بك، وهاجرت إلى رسولك ﷺ، فإذا نزلت بي شدة دعوتك ففرجتها، فإسالك اللهم ألا تعمل علي هذه المصيبة. قال: فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا.

وله رواه البيهقي [الدلائل: ٥٠/٦] عن أبي سعد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن طاهر بن أبي الدميك عن عبيد الله ابن عائشة عن صالح بن بشير المري - أحد زهاد البصرة - وعيادها - مع لين في حديثه عن ثابت عن أنس فذكر القصة وفيه أم السائب كانت عجوزاً عمياء.

قال البيهقي [الدلائل: ٥١/٦ - ٥٢]: وقد روي من وجه آخر مرسل - يعني فيه انقطاع - بين ابن عرون وأنس بن مالك، ثم ساقه من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عرون عن أنس قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم، قلنا: ما هي يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصفّة عند رسول الله ﷺ فأنته امرأة مهاجرة ومعه ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلىنا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض، فتمنّضه النبي ﷺ وأمر بجهازته، فلما أردنا أن نغسله قال: يا أنس أئت أمه فأغسلها، فأعلمتها، قال: فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعاً، وخلفت الأوثان زهداً، وهاجرت لك رغبة، اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان، ولا تحمّلني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلكت أمه، قال: ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس: وكنت في غزاته فاتينا مغازينا فوجدنا القوم قد نزلوا بنا ففقدوا آثار الماء، والحز شديد، فجهننا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغريها صلى بنا ركعتين ثم مَدَّ يده إلى السماء، وما نرى في السماء شيئاً. قال: فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحباً وأفرغت حتى ملأت الغر والشعاب، فشرينا وسقينا ركابنا واستقينا، ثم أتينا علونا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيئوا بسم الله، قال: فأجزنا ما ييل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العلو غيلةً فقتلنا وأسروا وسيينا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما ييل الماء حوافر دوابنا، قال: فلم نلبث إلا يسيراً حتى رمي في جنازته، قال: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل

قال البيهقي رحمه الله: وقد روي عن أبي هريرة في قصة العلاء بن الحضرمي في استشفائه ومشيهم على الماء دون قصة الموت بنحو من هذا، وذكر البخاري في «التاريخ» هذه القصة إسناداً آخر، وقد استند ابن أبي الدنيا عن أبي كريب عن محمد بن فضيل عن الصلت بن مطر العجلي عن عبد الملك ابن أخت سهم عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي، فذكره. وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك وفي سيلك نقاتل عدوك، اسقنا غيثاً نشرب منه وتروضاً، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، وقال في البحر: أجعل لنا سبيلاً إلى عدوك، وقال في الموت: اخف جثتي ولا تطلع على عورتني أحداً فلم يُقدَّر عليه، والله أعلم.

٣٤ - قصة أخرى

قال البيهقي [الدلائل: ٥٣/٦، ٥٤]: أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل الصفار، حدثنا الحسن بن علي بن عثمان، حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه قال: انتهينا إلى دجلة وهي مائة والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم اتحم بفرسه فارفع على الماء، فقال الناس: بسم الله ثم اتحموا فارتفعوا على الماء فنظر إليهم الأعاجم وقالوا: ديوان ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم، قال: فما فقد الناس إلا قدحاً كان معلقاً بمنزلة سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقسموها فجعل الرجل يقول: من يبادل صفراء بيضاء؟

٣٥ - قصة أخرى

قال البيهقي [الدلائل: ٥٤/٦]: أنا أبو عبد الرحمن السلمي، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمدي، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا الفضل بن سهل وهارون بن عبد الله قال: حدثنا أبو النضر، حدثنا سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى الدجلة وهي ترمي الخشب من مدنها، فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال: هل تقولون من متاعكم شيئاً فندع الله عز وجل؟ قال البيهقي: هنا إسناد صحيح.

قلت: وستأتي قصة أبي مسلم الخولاني - واسمه عبد الله بن ثوب - مع الأسود العنسي حين ألقاه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

٣٦- قصة زيد بن خزيمة وكلامه بعد الموت وشهادته

بالرسالة محمد ﷺ وبالحلابة لأبي بكر الصديق ثم لعمر

ثم لعثمان رضي الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر البيهقي [الدلائل: ٥٥/٦]: أنا أبو صالح بن أبي طاهر العبدي، أنا جدي يحيى بن منصور القاضي، حدثنا أبو علي محمد بن عمرو بن كثر، أنا القعني، أنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خزيمة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسُجِّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال: أحد أحد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله، في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على مناجهم مضت أربع وقيت ثنتان أتت الفتن، وأكل الشليل الضيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم، خبر بئر أريس، وما بئر أريس؟.

قال يحيى: قال سعيد: ثم هلك رجل من بني خزيمة فسُجِّي بثوبه، فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.

ثم رواه البيهقي [الدلائل: ٥٥/٦، ٥٦] عن الحاكم عن أبي بكر بن إسحاق عن موسى بن الحسن عن القعني فذكره وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد.

ثم ساقه من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي الدنيا في كتاب «من عاش بعد الموت» [الدلائل: ٥٥/٦، ٥٧]: حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أسماعيل بن أبي خالد. قال: جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير - يعني إلى أمه - بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم، سلام عليك فإني أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو فإني كتبت إلي لأكتب إليك بشان زيد بن خزيمة، وإنه كان من شأنه أنه أخذ رجوع في حلقة - وهو يومئذ من أصحاب الناس أو أهل المدينة - فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر فأصبحناه لظهره وغشيته ببردين وكساء، فأتاني أنت في مقامي، وأنا أصبح بعد المغرب فقال: إن زيدا قد تكلم بعد وفاته، فأنصرفت إليه مسرعا، وقد حضره قوم من الأنصار، وهو يقول أو يقال على لسانه: الأوسط أجمل الثلاثة الذي كان لا يسالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قوتهم ضعيفهم، عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو يعاني الناس من ذنوب كثيرة، خلعت اثنتان وبقي أربع، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً فلا نظام وأبيحت الأماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا: كتاب الله وقدره، إياها الناس: أقبلا على أميركم واسمعوا وأطيعوا، فمن تولى فلا يهدى دما وكان أمر الله قدراً مقدورا، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار، ويقول النبيون والصديقون: سلام عليكم: يا عبد الله بن رواحة هل أحسست لي خارجة - لا يه - وسعدنا اللذين قتلا يرم أمد؟ «كَلَّا إِنَّهَا لَنَفْسٍ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوْىِ. تَذْهَبُ مِّنْ أَثَرٍ وَتَوَلَّى. وَجَمَعَ فَأَرْوَى» [المعارج: ١٥ - ١٨] ثم خُفَّتْ صوته، فسألت الرهط عما سبقي

من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصرتا أنصتوا، فنظر بعضنا إلى بعض فإذا الصوت من تحت الثياب، قال: فكشفنا عن وجهه فقال: هذا أحد رسول الله، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم قال: أبو بكر الصديق الأمين خليفة رسول الله ﷺ كان ضعيفا في جسمه، قويا في أمر الله صدق صدق وكان في الكتاب الأول.

ثم رواه الحافظ البيهقي [الدلائل: ٥٧/٦] عن أبي نصر بن قتادة عن أبي عمرو بن نجيد عن علي بن الحسين بن الجندب عن المعافى بن سليمان عن زهير بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد فذكره وقال: هذا إسناد صحيح.

قال البيهقي: وروي ذلك عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير وذكر بئر أريس، كما ذكرنا في رواية ابن المسيب.

قال البيهقي: والأمر فيها أن النبي ﷺ اتخذ خالفاً فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر من بعده، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس بعدما مضى من خلافته ست سنين فعند ذلك تغيرت عُمَلُهُ، وظهرت أسباب الفتن كما قيل على لسان زيد بن خزيمة.

قلت: وهي المرافة من قوله: مضت اثنتان وبقي أربع أو: مضت أربع وبقي اثنتان، على اختلاف الرواية والله أعلم.

وقد قال البخاري في «التاريخ» [الطبري: ٣٨٣/٣]: زيد بن خزيمة الحزرجي الأنصاري شهد بدرًا، توفي زمن عثمان وهو الذي تكلم بعد الموت.

قال البيهقي [الدلائل: ٥٨/٦]: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا خلف بن هشام البزار، حدثنا خالد الطحان عن حصين عن عبد الله بن عبيد الأنصاري أن رجلاً من قتلى مسيلمة تكلم فقال: محمد رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق، عثمان اللين الرحيم، قال: ولا أدري إيش قال في عمر، كذا رواه ابن أبي الدنيا في كتابه.

وقد قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ٥٨/٦]: أنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا يحيى بن أبي طالب، أنا علي بن عاصم، أنا حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال: بينما هم يُؤرِّون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان الرحيم ثم سكت.

وقال هشام بن عمار في كتاب «المبعث» [الدلائل: ٥٨/٦، ٥٩]: باب في كلام الأموات وعجايبهم

حدثنا الحكم بن هشام الثقفي، حدثنا عبد الملك بن عمير عن رعي بن حراش العبسي قال: مرض أخوي الربيع بن حراش فرمضناه ثم مات فذهبنا لنجهزه، فلما جثنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال: السلام عليكم، قلنا: وعليك السلام، ألسنت قُتِيت؟ قال: بلى ولكن لقيت بعدكم ربي ولقيت بَرِّحَ وريحان ووب غير غضبان. ثم كساني ثياباً من ستس خضرا، وإني سألت أن يأذن لي فأبشركم فأذن لي، وإن الأمر أيسر مما نذهبون إليه، فسلدوا وقاربوا، فبشروا ولا تغفروا، فلما قالها كانت كحصة وقعت في ماء، ثم أورد أشياء كثيرة في هذا الباب وهي آخر كتابه

٣٧- غلامٌ في المهدي يشهد للنبي ﷺ النبوة

٣٨- قصة الصبي الذي كان يصرع فدعا له ﷺ فبرا

حديث غريب جداً:

قد تقدم ذلك من رواية أسامة بن زيد وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة الثقفى مع قصة الجمل الحديث بطوله.

وقال الإمام أحمد [٢٣٩/١]: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لماً وإنه يأخذني عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فثب ثبته فخرج منه مثل الجرؤ الأسود يسمى، فترد به أحمد. وفرقد السبخي رجل صالح ولكنه سئ الحفظ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد واحتل حديثه ولما رواه هنا شاهد بما قدمناه والله أعلم، وقد تكون هذه القصة هي ما سبق إيراده ويحتمل أن تكون أخرى غيرها والله أعلم.

حديث آخر في ذلك:

قال أبو بكر البزار [كشف الأسرار (٧٧٣)]: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا صدقة - يعني ابن موسى - حدثنا فرقد وهو السبخي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة فجمعت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال لها: إن تصبري على ما أنت عليه تجيبي يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب، قالت: والذي بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله، قالت: إني أخاف الخبيث أن يجركني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستاذ الكعبة فتعلق بها وتقول له: اخصأ، فيذهب عنها. قال البزار: لا نعلم يروى بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وصدقة ليس به بأس، وفرقد حدث عنه جماعة من أهل العلم، منهم شعبة وغيره واحتل حديثه على سوء حفظه.

طريق أخرى عن ابن عباس:

قال الإمام أحمد [٣٤٦/١، ٣٤٧]: حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر شفا عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء أنت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وأكتشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك، قالت: لا بل أصبر فادع الله أن لا أكتشف أو لا يكتشف عني، قال: فدعا لها.

وهكذا رواه البخاري عن مسدد عن يحيى - وهو ابن سعيد القطان - وأخرجه مسلم عن القواريري عن يحيى القطان ويشر بن الفضل كلاهما عن عمران بن مسلم أبي بكر القصور البصري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس فذكر مثله، ثم قال البخاري: حدثنا محمد، حدثنا خالد بن ابن جريح قال: أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر تلك امرأة سوداء على ستر الكعبة.

ولقد ذكر الحافظ ابن الأثير في «الغابة» أن أم زفر هذه كانت مشاطة خديجة بنت خويلد قديماً، وأنها عمرت حتى أدرکها عطاء بن أبي رباح فآله أعلم.

قال البيهقي [الدلائل: ٩٦/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد الصغار، حدثنا محمد بن يونس الكندي، حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامي - وانصرفنا من عدن بقرية يقال لها الحردة - حدثني معرض بن عبد الله بن معرض بن معيقب اليماني عن أبيه عن جده قال: حجبت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرايت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دارة القمر، وسمعت منه عجباً، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله، قال: «فصدقت، بارك الله فيك»، ثم قال: إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، قال أبي: فكان نسميه مبارك اليمامة، قال شاصونة: وقد كنت أمر على معمر فلا أسمع منه.

قلت: هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس الكندي بسببه وأنكروه عليه واستغفروا شيخه هذا، وليس هذا مما ينكر عقلاً بل ولا شرعاً، فقد ثبت في «الصحیح» في قصة جريح العابد ابن استنطق ابن تلك البني، فقال له: «يا بوس، ابن من أنت؟» قال: ابن الراعي، فلم ينو إسرائيل براة عرض جريح مما كان نسب إليه، وقد تقدم ذلك.

على أنه قد روي هذا الحديث من غير طريق الكندي إلا أنه بإسناد غريب أيضاً. فقال البيهقي [الدلائل: ٥٩/٦، ٩٠]: أنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزهد، أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع النساني - بنصر صيدا - حدثنا العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد أبو الفضل، حدثنا أبي، حدثنا جدي شاصونة بن عبيد، حدثني معرض بن عبد الله بن معيقب عن أبيه عن جده قال: حجبت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة فرايت فيها رسول الله ﷺ ووجهه كدارة القمر، فسمعت منه عجباً أثناء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لته في خرقة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام من أنا؟» قال: أنت رسول الله، فقال له: «بارك الله فيك» ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها.

قال البيهقي [الدلائل: ٦٠/٦]: وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الحافظ عن أبي الحسن علي بن العباس الوراق عن أبي الفضل أحمد بن خلف بن محمد المقرئ القزويني عن أبي الفضل العباس بن محمد بن شاصونة به.

قال الحاكم: وقد أخبرني الثقة عن أصحابنا عن أبي عمر الزاهد قال: لما دخلت اليمن، دخلت حرمة، فسألت عن هذا الحديث فوجدت فيها لشاصونة عقباً، وحولت إلى قبره فزرت.

قال البيهقي [الدلائل: ٦٠/٦، ٦١]: ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه في وقت الكلام. ثم أورد من حديث وكيع عن الأعمش عن شمر بن عطية، عن بعض أشياخه أن النبي ﷺ أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط، قال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله. ثم روى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن الأعمش عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه قال: جاءت امرأة بابن لها قد تحركت فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال رسول الله ﷺ: «أذنبي منه» فاذنته مني، فقال: «من أنا؟» قال: أنت رسول الله.

حديث آخر:

مؤمل عن حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف فذكر الحديث، وهكذا رواه السنائي [الكبرى (١٠٤٩٤)] عن محمد بن معمر عن حبان عن حماد بن سلمة به.

ثم رواه السنائي عن زكريا بن يحيى عن محمد بن المنى عن معاذ بن هشام عن أبيه عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف به [الكبرى (١٠٤٩٦)]، وهذه الرواية تخالف ما تقدم، ولعله عند أبي جعفر الخطمي من الوجهين والله أعلم.

وقد روى البيهقي [الدلائل: ١٦٨/٦] والحاكم [المستدرک: ٥٢٦/١] من حديث يعقوب بن سفيان عن أحمد بن شبيب بن سعيد الخطمي عن أبيه عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال: سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال رسول الله ﷺ «أنت المضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتجلبى بصري، اللهم شفّعه في وشعني في نفسي» قال عثمان: فوالله ما تفرقتا، ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل وكان له يكن به ضر قط. قال البيهقي: ورواه أيضاً هشام الدستوائي عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل عن عمه عثمان بن حنيف.

حديث آخر:

قال أبو بكر بن أبي شيبة [المصنف: ٣٦١٤]: ثنا محمد بن بشر، حدثنا عبد العزيز بن عمر. حدثني رجل من بني سلمان بن سعد عن أمه أن خالها حبيب بن فزكاً حدثها: أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضان لا يبصر بهما شيئاً أصلاً، فسأله: «ما أصابك؟» فقال: كنت أمري جملأني فوقعرت رجلي على يبيض حية فاصيب بصري، قال: فنفت رسول الله ﷺ في عينيه فابصر، فرأته وإنه ليدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضان.

قال البيهقي: كذا في كتابه، وغيره يقول: حبيب بن مدرك، قال [الدلائل: ١٧٣/٦]: وقد مضى في هذا المعنى حديث قتادة بن النعمان: أنه أصيبت عينه فسالت حدقته على وجنته فردّها رسول الله ﷺ إلى موضعها، فكان لا يدري أيهما أصيبت.

قلت: وقد تقدم ذلك في غزوة أحد، وقد ذكرنا في مقتل أبي رافع مسحه بيده الكريمة على رجل عبد الله بن عتيك - وقد انكسر ساقه - فبرأ من ساعته.

وذكر البيهقي بإسناده [الدلائل: ١٧٤/٦]: أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب - وقد احترقت يده بالنار - فبرأ من ساعته، وأنه عليه الصلاة والسلام نفت في كف شرحيل الجعفي فذهب من كفه سلعة كانت به.

قلت: وتقدم في غزوة خيبر نقله في عيني علي وهو أرمد فبرأ. وروى الوهمي [٣٥٧٠] عن علي حديثه في تعليمه عليه الصلاة والسلام ذلك الدعاء لحفظ القرآن حفظه.

وفي «الصحيح» [ج (٢٠٤٥)، م (٢٤٩٢) (١٥٩)] أنه قال لأبي هريرة وجماعة: «من يسطر رده اليوم فإنه لا ينسى شيئاً من مقالي» قال: فبسطه فلم أنس شيئاً من مقالته تلك، فقيل: كان ذلك حفظاً من أبي هريرة لكل ما سمعه منه في ذلك اليوم قيل: وفي غيره فوالله أعلم، ودعا

قال البيهقي [الدلائل: ١٦٠/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا قرة بن حبيب القزني، حدثنا إلياس بن أبي حمزة عن عطاء عن أبي هريرة قال: جاءته الحمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ابعتني إلى أحب قومك إليك أو أحب أصحابك إليك، شك قرة - فقال: «اذهي إلى الأنصار» فذهبت إليهم فصرعتهم، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله قد أتت الحمى علينا فادع الله لنا بالشفاء فدعا لهم، فكشفت عنهم، قال: فاتبعته امرأة فقالت: يا رسول الله ادع الله لي، فإني لمن الأنصار فدفع الله لي كما دعوت لهم، فقال: «أيها أحب إليك أن ادعوك فيكشف عنك، أو تصبرين وتجب لك الجنة؟» فقالت: لا والله يا رسول الله بل أصبر - ثلاثاً - ولا أجعل والله لجنته خطراً، محمد بن يونس الكندي ضعيف.

وقد قال البيهقي [الدلائل: ١٥٩/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصغار، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا هشام بن لاحق - ستة وخمسين ومائة - حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال: استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ، فقال: «من أنت؟» قالت: أنا الحمى. أبري اللحم، وأمس اللحم، قال: «اذهي إلى أهل قباء» فاتتهم فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقد اصفرّت وجوههم، فنكروا إليه الحمى فقال لهم: «ما شتم؟ إن شتم دعوت الله فيكشفها عنكم، وإن شتم تركموها فأسقط ذنوبكم» قالوا: بل ندعها يا رسول الله. وهذا الحديث ليس هو في «مسند الإمام أحمد» ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة. وقد ذكرنا في أول الهجرة دعاءه عليه الصلاة والسلام لأهل المدينة أن يذهب حُمَاهُمَا إلى الجنة، فاستجاب الله له ذلك فإن المدينة كانت من أربأ أرض الله فصحبها الله ببركة حلوه بها، ودعائه لأهلها صلوات الله وسلامه عليه.

٣٩- قصة الضير الذي برأ

قال الإمام أحمد [١٣٨/٤]: حدثنا روح، حدثنا شعبة عن أبي جعفر المدني سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف: «إن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يعافيني، فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لأخرك، وإن شئت دعوت لك» قال: لا، بل ادع الله لي، قال: فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى وتشفعني فيه وتشفعني في. قال: فكان يقول هذا مراراً، ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، قال: فضل الرجل فبرأ.

وقد رواه أحمد أيضاً [١٣٨/٤] عن عثمان بن عمر عن شعبة به. وقال: اللهم شفّعه فيّ وأقم يمل الأخرى، وكانها غلط من الراوي والله أعلم.

وهكذا رواه الترمذي [٣٥٧٨] والسنائي [١٠٤٩٥] عن عمود بن غيلان، وابن ماجه [١٣٨٥] عن أحمد بن منصور بن سيار، كلاهما عن عثمان بن عمر، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخطمي، ثم رواه أحمد أيضاً [١٣٨/٤] عن

بن الجعد بن أبي الجعد: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي الجعد أخي سالم عن جعيل فذكره.

حديث آخر:

قال البيهقي [الدلائل: ١٥٤/٦]: أنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنا أبو سهل بن زياد القطان، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري.. حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا مروان بن معاوية عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة، فقال: «هل نظرت إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً؟» قال: قد نظرتُ إليها، قال: «على كم تزوجتها؟» فذكر شيئاً، قال: «كانهم ينحتون الذهب والفضة عن غرض هذه الجبال! ما عشنا اليوم شيء نعطيكه، ولكن سابعك في وجه تصيب فيه»، فبعث بعثاً إلى بني عيس وبعث الرجل فيهم، فأتاه فقال: يا رسول الله أعيتني ناقي أن تتبع، قال: فتأوله رسول الله ﷺ يده كالمعتد عليه للقيام، فأتاه فضر بها برجله، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق به القائد، رواه مسلم في «الصحيح» [١٤٢٤ (٧٥)] عن يحيى بن معين عن مروان.

حديث آخر

قال البيهقي [الدلائل: ١٥٤/٦، ١٥٥]: أنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي، أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أنا الأعمش عن مجاهد أن رجلاً اشترى بعيراً فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني اشتريت بعيراً فادعُ الله أن يبارك لي فيه، فقال: «اللهم بارك له فيه»، فلم يلبث إلا يسيراً أن نفق، ثم اشترى بعيراً آخر فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني اشتريت بعيراً فادعُ الله أن يبارك لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك له فيه»، فلم يلبث حتى نفق، ثم اشترى بعيراً آخر فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد اشتريت بعيرين فدعوتُ الله أن يبارك لي فيهما فادعُ الله أن يجعلني عليه، فقال: «اللهم احمله عليه»، فمكث عنده عشرين سنة، قال البيهقي: وهذا مرسل ودعاؤه عليه الصلاة والسلام صار إلى أمر الآخرة في المرتين الأولين.

٤١- قصة الرجل الذي برأ من ضربه

قال الحافظ البيهقي [الدلائل: ١٧٨/٦]: أنا أبو عبد الرحمن السلمي، أنا إسماعيل بن عبد الله الميكالي، حدثنا علي بن سعيد العسكري، أنا أبو أمية عبد الله بن محمد بن خلاد الواسطي، ثنا يزيد بن هارون، أنا المستلم بن سعيد، حدثنا خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن أساف عن أبيه عن جده خبيب بن أساف قال: أثبت رسول الله ﷺ، أنا ورجل من قومي في بعض مغازية قتلنا، إنا نشتبه أن نشهد معك مشهوداً، قال: «أسألتكم؟» قلنا: لا، قال: «فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين» قال: فأسلمنا، وشهدت مع رسول الله ﷺ فاصباني ضربة على عاتقي فجائتي، فتعلقت بيدي، فأتيت رسول الله ﷺ فظل فيها والزقها فالتصمت وبرت وتلفت الذي ضربني، ثم تزوجت ابنة الذي قتلته وضربني، فكانت تقول: لا

لسمع بن أبي وقاص فبرأ [٢٧٤٤، ٢٧٥٩]:

وروى البيهقي [الدلائل: ١٨٤/٦] أنه دعا لعمه أبي طالب في مرضه مرضها وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته، والأحاديث في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها. وقد أورد البيهقي من هذا النوع كثيراً طيباً أشرنا إلى أطراف منه وتركنا أحاديث ضعيفة الإسناد واكتفينا بما أوردنا عما تركنا وبالله المستعان.

٤٠- اشتداد الجمل أو القرمس بعد إعياء

ثبت في الصحيحين [ج (٢٧١٨)، م ٧١٥ (١٠٩)، ١١٠] من حديث زكريا بن أبي زائدة، زاد مسلم والمنيرة كلاهما عن عامر بن شراحيل الشعبي عن جابر بن عبد الله أنه كان يسير على جمل له قد أعيا، فأراد أن يسيه، قال: فلحقني رسول الله ﷺ فضره ودعا لي؛ فسار سيراً لم يسر مثله، وفي رواية: [م ٧١٥ (١١٣)] فما زال بين يدي الإبل فقامها حتى كنت أجس خيطامه فلا أقدر عليه، فقال: «كيف ترى جملك؟» فقلت: قد أصابته بركتك يا رسول الله، ثم ذكر أن رسول الله ﷺ اشتراه منه، واختلف الرواة في مقدار ثمنه على روايات كثيرة، وأنه استنى حمله إلى المدينة، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فقلعه ثمنه وزاده ثم أطلق له الجمل أيضاً، الحديث بطوله.

حديث آخر:

روى البيهقي [الدلائل: ١٥٢/٦، ١٥٣] واللفظ له، وهو في «صحيح البخاري» [٢٩٦٩] من حديث حسن بن محمد المروزي عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك، قال: فرز الناس فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة بطيئاً ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ﷺ، فقال: «لن تراعوا إنه لبحر» قال: فوالله ما سبق بعد ذلك اليوم.

حديث آخر:

قال البيهقي [الدلائل: ١٥٢/٦، ١٥٣]: أنا أبو بكر القاضي، أنا حامد بن محمد الهروي، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، حدثنا رافع بن سلمة بن زياد، حدثني عبد الله بن أبي الجعد عن جعيل الأشجعي، قال: غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله ﷺ. وقال: «سر يا صاحب القرمس» فقلت: يا رسول الله عجفاء ضعيفة، قال: فرفع رسول الله ﷺ خفقة معه فضر بها بها وقال: «اللهم بارك له فيها» قال: فلقد رأيتني وأنا أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعث من بطنها باني عشر ألفاً.

ورواه النسائي [الكبرى (٨٨١٨)] عن محمد بن رافع عن محمد بن عبد الله الرقاشي فذكره.

وهكذا رواه أبو بكر بن أبي خيثمة [الدلائل: ١٥٤/٦] عن عبيد بن بعيش عن زيد بن الحباب عن رافع بن سلمة الأشجعي فذكره.

وقال البخاري في «التاريخ» [الفتح الكبير: ٢٤٨/٢] وقال رافع بن زياد

فيهديها الله فدعا لها، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تحتسل خلف الباب فلما فرغت قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ﷺ، وسأل منه أن يدعو لها أن يجيئها الله إلى عبادته المؤمنين فدعا لها، فحصل ذلك. قال أبو هريرة: فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يجيئنا، وقد صدق أبو هريرة في ذلك رضي الله عنه وأرضاه، ومن تمام هذه الدعوة أن الله ﷻ ذكره في أيام الجمع حيث يذكره الناس بين يدي خطبة الجمعة، وهذا من التقيض القدرى والتقدير المعنوي.

٤٥- الدعاء لسعد بن أبي وقاص

بالإجابة والتسديد

وثبت في «الصحيح» [ج (٥٦٥٩)، م ١٦٢٨ (١٠٨)] أنه عليه الصلاة والسلام، دعا لسعد بن أبي وقاص وهو مريض فعرفني، ودعا له أن يكون حجاب الدعوة، فقال: «اللهم أجب دعوته، وسدد رميته»، فكان كذلك، فنعيم أمير السرايا والجيش كان، وقد دعا على أبي سعنة أسامة بن قتادة حين شهد فيه بالزور بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن، فكان ذلك، فكان إذا سئل ذلك الرجل يقول: شيخ كبير مفتون أصابني دعوة سعد.

٤٦- الدعاء للسائب بن يزيد

وثبت في «صحيح البخاري» [٣٥٤٠] وغيره [الطبراني الكبير ١٩٠/٧ (١٩٩٣) الأوسط ٤٨٣٨] أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ومُسَّحَ بمواسه وقواه، وقال أحمد [٧٧/٤]: حدثنا حرمي بن عماره عمير، حدثنا عزة بن ثابت، حدثنا علباء بن أحر، حدثني أبو زيد الأنصاري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أدن مني»، فمسح بيده على رأسي ثم قال: «اللهم جمِّله وأدمِّ جماله» قال: فبلغ بضماً ومائة - يعني سنة - وما في لحيتي بياض إلا بُدِّ يسيرة، ولقد كان منبسط الوجه لم يتقيض وجهه حتى مات.

قال البيهقي: إسناده صحيح موصل، ولقد أورد البيهقي لهذا نظائر كثيرة وأسنده روايات كثيرة في هذا المعنى، تشفي القلوب، وتغسل المطلوب.

٤٧- مسح وجه قتادة

وقد قال الإمام أحمد [٢٧/٥، ٢٨، ٨١] حدثنا عارم، حدثنا معتمر، وقال يحيى بن معين: وابن عبد الأعلى: حدثنا معتمر - هو ابن سليمان - قال: سمعت أبي يحدث عن أبي العلاء قال: كنت عند قتادة بن ملحان في مرضه الذي مات فيه، قال: فمر رجل في مؤخر الدار، قال: فرائته في وجه قتادة، قال: وكان رسول الله ﷺ قد مسح وجهه، قال: وكنت قلّ ما رأيته إلا ورأيت كان على وجهه الدخان.

عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح، فأقول: لا عدمت رجلاً أعجل أباك إلى النار» وقد روى الإمام أحمد [٤٥٤/٣] هذا الحديث عن يزيد بن هارون بإسناده مثله ولم يذكر: فتسل فيها فبرات.

٤٢- الدعاء لابن عباس بالفقيه

ثبت في «الصحيحين» [ج (١٤٣)، م (٢٤٧٧)] من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم عن ورقاء بن عمر الشكري عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ الحلاء فوضعت له وضوءاً فلما خرج قال: «من وضع هذا؟» قالوا: ابن عباس، قال: «اللهم فقهِه في الدين».

وروى البيهقي [الدلائل: ١٩٢/٦، ١٩٣] عن الحاكم وغيره عن الأصم عن عباس الدوري عن الحسن بن موسى الأشيب عن زهير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وضع يده على كفي - أو قال: منكبي، شك سعيد - ثم قال: «اللهم فقهِه في الدين وعلمه التأويل»، وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة في ابن عمه فكان إماماً يُهتدى بهداه ويُقتدى بسنائه في علوم الشريعة ولا سيما في علوم التأويل وهو علم التفسير، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ، وقد قال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أن ابن عباس أدرك أسناتنا ما عاشره أحد منا، وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود بضع وثلاثين سنة، فما ظنك بما حصله بعده في هذه المدة؟ وقد روي عن بعض أصحابه أنه قال: خطب الناس ابن عباس في عشية هرفة ففسر لهم سورة «البقرة»، أو قال سورة، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا، رضي الله عنه وأرضاه.

٤٣- طول عمر أنس بن مالك

ثبت في «الصحيح» [ج (٦٣٤٤)] أنه عليه الصلاة والسلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد، فكان كذلك حتى روى الترمذي [٣٨٣٣] عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن أبي خلد، قال: قلت لأبي العالية: سمع أنس من النبي ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان يجي منه ريح المسك، وقد روي في «الصحيح» [ج (١٩٨٢)، م ٢٤٨١ (١٤٣)] أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما ينيف عليها، وفي رواية: أنه ﷺ قال: «اللهم أطل عمره»، فمُتَّع مائة، وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبي طلحة في غابر ليلتهما، فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ عبد الله، فجاء من صلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن، ثبت ذلك في «الصحيح» [ج (١٣٠١)].

٤٤- إسلام أم أبي هريرة بدعاء النبي ﷺ

وثبت في «صحيح مسلم» [٢٤٩١] من حديث عكرمة بن عمار عن أبي كثير العبدي عن أبي هريرة أنه سأل من رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه

٤٨ - الدعاء لعبد الرحمن بن عوف بالبركة

وثبت في «الصحاحين» ج (٥١٥٥)، م (١٤٢٧) (٧٩) أنه عليه الصلاة والسلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الرُعد من الزعفران لأجل العرس، فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففتح له في التجر والمغانم حتى حصل له مالٌ جزيل بحيث إنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً.

٤٩ - الدعاء لعروة البارقي بالبركة في البيع

وثبت في الحديث ج (٣٦٤٢)، د (٣٣٨٤)، المسند ٤/٣٧٥ من طريق شبيب بن غرقدة أنه سمع الحنفي يخرجون عن عروة بن أبي الجعد البارقي، أن رسول الله ﷺ أعطاه ديناراً ليشتري به شاة فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار وإثاء بشاة ودينار، فدعا له بالبركة في البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه. وفي رواية (المسند ٤/٣٧٥، ٣٧٦، ت (١٢٥٨)، ق (٢٤٠٢): فقال له: «بارك الله لك في صفقة عيمك».

٥٠ - الدعاء لعبد الله بن هشام بالبركة

وقال البخاري [٦٣٥٣]: حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا ابن وهب، حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن أبي عجيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشتري الطعام فيلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان: أشركنا في بيعك فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم، فرمى أصاب الراحلة كما هي فيعت بها إلى المنزل.

٥١ - الدعاء بإذهاب البرد

وقال البيهقي (الدلائل: ٢٢٤/٦): أخبرنا أبو سعد الماليني، أنا ابن عدي حدثنا علي بن محمد بن سليمان الحلبي، حدثنا محمد بن يزيد المستملي، حدثنا شبابة بن عبد الله، حدثنا أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر عن أبي بكر عن بلال قال: أفنت في غداة باردة فخرج النبي ﷺ فلم ير في المسجد أحداً، فقال: «أين الناس يا بلال؟» فقلت: متهمم البرد، فقال: «اللهم أذهب عنهم البرد» فرأيهم يتروحون، ثم قال البيهقي: تفرّد به أيوب بن سيار، ونظيره قد مضى في الحديث المشهور عن حنيفة في قصة الخنلق.

٥٢ - الدعاء لزوجين

قال البيهقي (الدلائل: ٢٢٨/٦، ٢٢٩): أنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني - إملاء - أنا أبو إسماعيل الترمذي محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي، حدثنا علي بن أبي علي اللّهمي عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج وعمر بن الخطاب معه، فعرضت له امرأة، فقالت: يا رسول الله، إني امرأة سلمة مُحَرمة ومعني زوج في بي بي مثل المرأة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أدعي لي زوجك» فدعته وكان خركازاً، فقال له: «ما تقول

في امرأتك يا عبد الله؟» فقال الرجل: والذي أكرمك ما جفّ رأسي منها، فقالت امرأته: ما مرة واحدة في الشهر؟! فقال لها رسول الله ﷺ: «أبَيضيه؟» قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «أدنيا رؤوسكما» فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال: «اللهم ألف بينهما وحَبِّبْ أحدهما إلى صاحبه» ثم مرّ رسول الله ﷺ بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب فطلعت المرأة تحمل أحماً على رأسها، فلما رأت رسول الله ﷺ طرحت وأقبلت فقَبِلَتْ رجله، فقال لها رسول الله ﷺ: «كيف أنت وزوجك؟» فقالت: والذي أكرمك ما طارفت ولا تالذ ولا والد أحبّ إليّ منه، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أني رسول الله» فقال عمر: وأنا أشهد أنك رسول الله، قال أبو عبد الله: تفرد به علي بن أبي علي اللّهمي وهو كثير الرواية للمناكير.

قال البيهقي (الدلائل: ٢٢٩/٦): وقد روى يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله - معنى هذه القصة - إلا أنه لم يذكر عمر بن الخطاب.

٥٣ - بركة النبي في غلام عليه شعرة في جبهته

قال أبو القاسم البغوي: حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن زيد بن جدعان عن أبي الطفيل أن رجلاً وُلد له غلام فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا له بالبركة وأخذ بجبهته فنبتت شعرة في جبهته كأنها هلبة فرس، فشب الغلام، فلما كان زمن الخوارج أجهلهم فسقطت الشعرة عن جبهته، فأخذله أبوه فقيده وحسبه غفلة أن يلحق بهم، قال: فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له: ألم تر إلى بركة رسول الله ﷺ وقعت؟ فلم نزل به حتى رجع عن رأيهم، قال: فردّ الله تلك الشعرة إلى جبهته إذ تاب.

وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي (الدلائل: ٢٣١/٦، ٢٣٢) عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أبي أسامة الكلبي عن شريح بن مسلمة عن أبي يحيى إسماعيل بن إبراهيم التيمي، حدثني سيف بن وهب عن أبي الطفيل أن رجلاً من بني ليث يقال له: فراس بن عمرو أصابه صُداع شديد فذهب به أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه، وأخذ بمجلة بين عينيه فجذبها حتى تنقصت فنبتت في موضع أصابع رسول الله ﷺ شعرة، وذهب عنه الصُداع فلم يُصَلِّح. وذكر بقية القصة في الشعرة كنحو ما تقدم.

٥٤ - دعاء النبي في نابغة بني جعدة

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا هاشم بن القاسم الحراني، حدثنا يعلى بن الأشواق، سمعت عبد الله بن جَسْراد العقيلي، حدثني النابغة - يعني الجعدي - قال: أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته من قولي:

عَلَّزْنَا اليبَادَ عَفَاً وَتَكَرَّأْنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَرْقَ ذَلِكَ نَظْهَرَا

قال: «أين المظهر يا أبا ليلى؟» قال: قلت: إلى الجنة، قال: «أجل إن شاء الله»، ثم قال: «أُنشدني»، فأنشدته من قولي:

ولا خير في حلمٍ إذا لم يكن له - بوادٍ تحمسي صفوه أن يكفراً

عن عكرمة بن عمار: حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: «كل يمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه. وقد رواه أبو الوليد الطيالسي عن عكرمة عن إياس عن أبيه قال: أبصر رسول الله ﷺ بشر ابن راعي العير وهو يأكل بشماله فقال: «كل يمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت»، قال: فما وصلت يده إلى فيه بعد.

٥٧- لا أشبع الله بطنه

وثبت في «صحيح مسلم» [٢٦٠٤/٩٧] من حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الغلمان فجاء رسول الله ﷺ فاخترت منه، فجاءني فحطاني حطاً أو حطائين وأرسلني إلى معاوية في حاجة، فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيتك وهو يأكل، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيتك وهو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه». وقد روى البيهقي [الدلائل ٢٤٣/٦] عن الحاكم عن علي بن حماد عن هشام بن علي عن موسى بن إسماعيل: حدثني أبو عوانة عن أبي حمزة: سمعت ابن عباس قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت: ما جاء إلا إلي، فذهبت فاخترت على باب، فجاء فحطاني حطاً وقال: «اذبح فادع لي معاوية» - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوت له فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنه يأكل، فقال: «اذبح فادعه لي»، فأتيت الثانية، فقيل إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال في الثانية: «لا أشبع الله بطنه»، قال: فما شبع بعدها.

قلت: وقد كان معاوية رضي الله عنه لا يشبع بعدها، ووافقت هذه الدعوة في أيام إمارته، فيقال: إنه كان يأكل في اليوم سبع مرات طعاماً بلحم، وكان يقول: والله لا أشبع وإلّا أعمى. وقدعنا في غزوة تبوك أنه مر بين أيديهم وهم يصلون غلام فدعا عليه فاقعد فلم يقم بعدها. وجاء من طرق أوردها البيهقي [الدلائل ٢٤٠٠/٢٣٩/٦] أن رجلاً حاكى النبي صلى الله عليه وسلم في كلام واختلج بوجهه، فقال رسول الله ﷺ: «كن كذلك»، فلم يزل يبتلع ويرتعش مدة عمره حتى مات.

٥٨- كن كذلك

وقد ورد في بعض الروايات أنه الحكم بن أبي العاص، أبو مروان بن الحكم فآله أعلم.

٥٩- مقتل رجل دعا عليه

وقال مالك [الموطأ ٩١١/٢]: عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني النضير، فذكر الحديث في الرجل الذي عليه ثوبان قد خلقا، وله ثوبان في العيبة، فأمره رسول الله ﷺ فلبسهما ثم ولي، فقال رسول الله ﷺ: «ماله؟» ضرب الله عقبه، فقال الرجل: في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «في سبيل الله»، فقتل.

ولا خير في جهل إذا لم يكن له - حليم إذا ما أورد الأمر أصحوا قال: «أحسن لا يفضض الله فاك». هكذا رواه الزوار إسناداً ومتاً. وقد رواه الحافظ البيهقي من طريق أخرى فقال [الدلائل ٢٣٣/٢٣٢/٦]: أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن عبدان، أنا أبو بكر محمد بن المؤمل، حدثنا جعفر بن محمد بن سوار، حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن خالد السمرقي الرقي، حدثني يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة - نابغة بني جعدة - يقول: أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر، فأعجبه:

بلغنا السماء جندنا وثرأؤنا وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرنا
فقال: «أين المظهر يا أبا ليلى؟» قلت: إلى الجنة. قال: «كذلك إن شاء الله»:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له - بواطن محسي صفوه أن يكسروا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له - حليم إذا ما أورد الأمر أصحوا
فقال النبي ﷺ: «أجذت لا يفضض فوك»، قال يعلى: فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن. قال البيهقي: ورؤي ذلك عن مجاهد بن سليم عن عبد الله بن جراد سمعت نابغة يقول: سمعت رسول الله ﷺ وأنا أتشد من قولي:

بلغنا السماء عفء وتكرمنا وإننا لنرجو فوق ذلك مظهرنا
ثم ذكر الباقي بمعناه، قال: فلقد رأيت سيئة كأنها البرد المنهل ماسقط له سن ولا انقل.

٥٥- الدعاء لأهل اليمن

قال الحافظ البيهقي [الدلائل ٢٣٦/٦]: أنا أبو بكر القاضي وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالوا: حدثنا الأصم، حدثنا عباس الدوري، حدثنا علي بن بحر القطان، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا معمر، حدثنا ثابت وسليمان التيمي عن أنس أن رسول الله ﷺ، نظر قبيل العراق والشام واليمن - لا أدري بأيتهن بدأ - ثم قال: «اللهم أقبل بقلوبهم إلى طاعتك وحط من ورائهم».

ثم رواه [الدلائل ٢٣٦/٦] عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصاعاني عن علي بن بحر بن بري فذكره بمعناه.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ٣٤٥]: حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت قال: نظر رسول الله ﷺ قبيل اليمن فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم»، ثم نظر قبيل الشام فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم»، ثم نظر قبيل العراق فقال: «اللهم أقبل بقلوبهم، ويسارك لنا في صاعنا ومثنا». وهكذا وقع الأمر، وأسلم أهل اليمن قبل أهل الشام، ثم كان الخير والبركة قبيل العراق، ووعد أهل الشام بالدوام على الهداية والقيام بنصرة الدين إلى آخر الأمر.

وروي أحمد في «مسنده» [٢٤٩/٥]: «لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق».

٥٦- من لم يستطع أن يأكل يمينه

وروي مسلم [٢٠٢١] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب

الرجل في سبيل الله.

وقد ورد من هذا النوع كثير. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة بطرق متعددة عن جماعة من الصحابة تفيد القطع كما سنورد قريبا في باب فضائله عليه السلام أنه قال (٢٦٠٠-٢٦٠٢): «اللهم من سبته أو جلدته أو لعته وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك قرية له تقربه بها عنك يوم القيامة».

٦٠- دعاؤه على أبي جهل وآخرين

وقد قلنا في أول البعثة حديث ابن مسعود في دعائه عليه السلام على أولئك النفر السبعة، الذين أحلهم أبو جهل بن هشام وأصحابه، حين طرحوا على ظهره عليه الصلاة والسلام سلا الجزور، وألقته عنه ابنته فاطمة، فلما انصرف قال: «اللهم عليك بقرش، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»، ثم سعى بقية السبعة، قال ابن مسعود: فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى في القليب قليب بدر، الحديث. وهو متفق عليه.

٦١- رجل يدفن ثم تبذره الأرض

قال الإمام أحمد (٢٢٢/٣): ثنا هاشم، حدثنا سليمان - يعني ابن المغيرة - عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ «البقرة» و«آل عمران»، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فانتقل هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرغموه وقالوا: هذا كان يكتب لحمد، وأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عقه فيهم، فحفروا له فواروه، فاصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا نحفروا له وواروه، فاصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له وواروه فاصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه متبذرا. ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن أبي النضر هاشم بن القاسم به (٢٧٨) (٢٧٨).

طريق أخرى عن أنس:

قال الإمام أحمد (٢٢٢/٣): حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حميد عن أنس أن رجلا كان يكتب للنبي ﷺ وكان قد قرأ «البقرة» و«آل عمران»، وكان الرجل إذا قرأ «البقرة» و«آل عمران» عز فينا - يعني عظم - فكان رسول الله ﷺ يملئ عليه: غفورا رحيمًا، فيكتب: عليا حكيما، فيقول له النبي ﷺ: «اكتب كذا وكذا اكتب كيف شئت»، ويملئ عليه: عليا حكيما، فيقول أكتب سمعيا بصيرا؟ فيقول: «اكتب كيف شئت»، قال: فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين، وقال: أنا أعلمكم بمحمد، وإن كنت لأكتب ما شئت، فمات ذلك الرجل، فقال النبي ﷺ: «إن الأرض لا تقبله»، قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده متبذرا، فقال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: قد دفناه مرارا فلم تقبله الأرض. وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجه.

طريق أخرى عن أنس:

قال البخاري (٣٦١٧): حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز، عن أنس بن مالك قال: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ «البقرة» و«آل عمران»، وكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا، وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه - لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فآلقوه - فحفروا له وأعمقوا فاصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فآلقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الأرض، فعملوا أنه ليس من الناس فآلقوه.

٦٢- باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ

فاجاب فيها بما يطابق الحق الموافق لما تشهد به الكتب

المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله

قد ذكرنا في أول البعثة ما تعنتت به قریش وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله ﷺ، فقالوا: سلوه عن الروح، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا، وعن رجل طواف في الأرض بلغ المشرق والمغرب، فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقرأ الأعشى: (وما أوتوا من العلم إلا قليلا) وأنزل سورة «الكهف» يشرح فيها خبر الفتية اللذين فارقوا دين قومهم وآمنوا بالله العزيز الحميد، وأفروا بالعباد، واعتزلوا قومهم، ونزلوا غارا وهو الكهف، فناموا فيه، ثم أيقظهم الله بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وكان من أمرهم ما قص الله علينا في كتابه العزيز، ثم قص خبر الرجلين المؤمن والكافر، وما كان من أمرهما، ثم ذكر خبر موسى والخضر وما جرى لهما من الحكم والمواعظ، ثم قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، ثم شرح، خبره وما وصل إليه من المشرق والمغرب، وما عمل من المصالح في العالم، وهذا الإخبار هو الواقع في الواقع، وإنما يوافق من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب، ما كان منها حقا، وأما ما كان محرفا مبذرا فذاك مردود، فإن الله بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام، قال الله تعالى بعد ذكره التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وذكرنا في أول الهجرة قصة إسلام عبد الله بن سلام، وأنه قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة: انخبل الناس إليه فكنتم فيمن اغفل، فلما رأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته يقول: «أيها الناس، افشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

وثبت في «صحيح البخاري» وغيره من حديث إسماعيل بن علية وغيره عن حميد عن أنس قصة سؤاله رسول الله ﷺ عن ثلاث لا

بهرام عن شهر بن حوشب، حدثني بن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود يوما عند النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله حدثنا عن خلخال نسائك عنها لا يعلمها إلا نبي، قال: «سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على نبيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقاً لتبانيهي على الإسلام»، قالوا: لك ذلك، قال: «سلوا عما شئتم»، قالوا: أخبرنا عن أربع خلخال نسائك، أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً، وكيف تكون أنثى حتى تكون أنثى، وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم، ومن وليك من الملائكة، قال: «فعليكم عهد الله لئن أنا حدثتكم لتبانيهي»، فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: «أشددكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مريض مرضاً شديداً وطال سقمه فيه، فنزل الله نلماً لئن شفاه الله من سقمه لبحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل، وأحب الطعام إليه لحمان الإبل؟» قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله: «اللهم اشهد عليهم»، قال: «فأشددكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض، وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فألهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟» قالوا: اللهم نعم، قال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد عليهم»، قال: «وأشددكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبي تمام عينه ولا ينام قلبه؟» قالوا: اللهم نعم، قال: «اللهم اشهد عليهم»، قالوا: أنت الآن حدثنا عن وليك من الملائكة فعندنا لمجامعك أو تفارقك، قال: «ولي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه»، قالوا: فعندنا تفارقك، لو كان وليك غيره من الملائكة لباينناك وصدقناك، قال: «فما يمنعكم أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا من الملائكة، فانزل الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] الآية، فنزل: ﴿فَبَايَضُوا وَغَضِبُوا عَلَى غَضَبِهِ﴾ [البقرة: ٩٨] الآية.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد (٢٣٩/٤): حدثنا يزيد، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الاسراء: ١٠١] فقال: لا تقل له نبي، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين، فسأله: فقال النبي ﷺ: «لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقنطروا محصنة، أو قال: لا تفروا من الزحف» - شعبة الشاك - «وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة أن لا تعبدوا في السبت»، قال: فقبلاً بيديه ورجليه وقالوا: تشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكم أن تتبعاني؟» قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذرية نبي، وإنما نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود. وقد رواه الترمذي (٣١٤٤، ٢٧٣٣) والنسائي (٤٠٨٩) وابن ماجه (٣٧٠٥) وابن جرير (الطبري ١٥/١٧٢) والحاكم (المستدرک ٩/١) والبيهقي (الدلائل ٦/٢٦٨) من طرق عن شعبة به، وقال الترمذي: حسن

يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما يتزوج الولد إلى أبيه وإلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن جبريل أتفاً، ثم قال: «أما أول أشراف الساعة فنار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزبداء كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزح الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزح الولد إلى أمه».

وقد رواه البيهقي (الدلائل ٦/٢٦١، ٢٦٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن أبي معشر عن سعيد المقبري، فذكر مسامعة عبد الله بن سلام إلا أنه قال: فسأله عن السواد الذي في القمر، بدل أشراف الساعة، فذكر الحديث إلى أن قال: «وأما السواد الذي في القمر فإنهما كانا شمسين» فقال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ [الاسراء: ١٢] «فالسواد الذي رأيت هو الخو»، فقال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

حديث آخر في معناه:

قال الحافظ البيهقي (الدلائل ٦/٢٦٤، ٢٦٥): أنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم المزكي، أنا أبو الحسن - أحمد بن محمد بن عبدوس - حدثنا عثمان بن سعيد، أنا الربيع بن نافع، أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: أخبرني أبو أسماء الرحبي أن ثوباناً حدثه قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حير من أجبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، قال: لم تدفعني؟ قال: قلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ قال: إنما سميت باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «يفتدك شيء إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، فنكت بعروء معه، فقال له: «سل»، فقال له اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقرء المهاجرين»، قال اليهودي: فما تحفهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد نون»، قال: وما غلاؤهم على إثره؟ قال: فينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرايهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسيلاً»، قال: صدقت، قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «يفتدك إن حدثتك؟» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله»، فقال اليهودي: صدقت وإليك نبي، ثم انصرف، فقال النبي ﷺ: «إنه سألني هو الذي سألني عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به».

وهكذا رواه مسلم (٣١٥، ٣٣٤) عن الحسن بن علي الحلواني عن أبي توبة الربيع بن نافع به، وهذا الرجل يحتمل أن يكون عبد الله بن سلام، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم.

حديث آخر:

قال أبو داود الطيالسي (مسند أبي داود ٢٧٣١): حدثنا عبد الحميد بن

عصيانه فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم في التوراة، فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم ما تري في رجل منا زنى بعدما أحصن؟ فقام رسول الله ﷺ ولم يرجع إليهم شيئاً، وقام معه رجال من المسلمين، حتى أتوا بيت مدارس اليهود فوجدوهم يتلوا التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود، أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة من العقوبة على من زنى إذا أحصن؟» قالوا: نجيبه، والتجيبه أن يحملوا اثنين على حمار فيولوا ظهر أحدهما ظهر الآخر، فقال: وسكت حبرهم، وهو نفي شاب، فلما رآه رسول الله ﷺ صامتاً أظ به النشدة، فقال حبرهم: أما إذ نشدتمهم فإنا نجد في التوراة الرجم على من أحصن، قال النبي ﷺ: «فما أول ما ترخصتم أمر الله عز وجل؟» فقال: زنى رجل منا ذو قرابة بملك من ملوكنا، فأخبر عنه الرجم، فزنا بعده آخر في أسرة من الناس فأراد ذلك الملك أن يرجمه فقام قومه دونه، فقالوا: لا والله لا نرجمه حتى يرجم فلان ابن عمه، فاصطلحوا بينهم على هذه العقوبة، فقال رسول الله ﷺ: «فإني أحكم بما في التوراة»، فأمر رسول الله ﷺ بهما فرجما.

قال الزهري: يدلنا أن هذه الآية نزلت فيهم «الفسر ١٠٩/٣» «وإنما أنزلنا التوراة فيها شأني ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا» «الامة: ٤٤» وله شاهد في الصحيح [ع(٦٨٤)] [م(١٦٩٩)] عن ابن عمر.

قلت: وقد ذكرنا ما ورد في هذا السياق من الأحاديث عند قوله تعالى «الفسر ١٠٩/٣-١٠٩/٤»: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُنْسَارُونَ فِيهِ الْكَثَرُ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ هَادُوا سُبُغُورٌ لِلْكَذِبِ سُبُغُورٌ يَقُومُ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُورَةٍ يُخَرِّقُونَ الْكَلِمَ بِسَبْعٍ مَوَاضِيهِ يَقُولُونَ إِنْ أُرْسِنْتَ هَذَا فَخَنُودُ» «الامة: ٤١» يعني الجلد والتحميم الذي اصطلحوا عليه وابتدعوه من عند أنفسهم، يعني إن حكم لكم محمد بهذا فخلوه، «وإن لم تؤتوه فاحذروا»، يعني وإن لم يحكم لكم بذلك فاحذروا قبوله، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَرِدِ الْيَتَمَ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» إلى أن قال «وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» فمهم الله تعالى على سوء ظنهم وقصدهم بالنسبة إلى اعتقادهم في كتابهم، وأن فيه حكم الله بالرجم، وهم مع ذلك يعلمون صحته، ثم يعدلون عنه إلى ما ابتدعوه من الجلد والتحميم والتجيبه.

وقد روى هذا الحديث محمد بن إسحاق عن الزهري قال: سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم فذكره، وعنده فقال رسول الله ﷺ لابن صوريا: «أشكك بالله وأذكرك أيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟» فقال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنيم بن مالك بن النجار، قال: ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، فأنزل الله «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُنْسَارُونَ فِي الْكَثَرِ» «الآيات: ٤١» وقد ورد ذكر عبد الله بن صوريا الأعور في حديث ابن عمر وغيره بروايات صحيحة قد بيناها في «التفسير» «الفسر ١٠٩/٣».

صحيح، قلت: وفي رجاله من تكلم فيه، وكأنه اشتبه على الراوي التسع الآيات بال عشر الكلمات، وذلك أن الرصايا التي أوصاها الله إلى موسى وكلمه بها لينة القدر بعدما خرجوا من ديار مصر وشعب بني إسرائيل حول الطور حضور، وهارون ومن معه من العلماء وقوف على الطور أيضاً، وحيتن تكلم الله موسى تكليماً أمراً له بهذه العشر كلمات، وقد فسرت في هذا الحديث، وأما التسع الآيات فتلك دلائل وخوارق عادات أيد بها موسى عليه السلام، وأظهرها الله على يديه بليار مصر، وهي العصا واليد والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والجذب ونقص الثمرات، وقد بسطنا القول على ذلك في «التفسير» «الفسر ١٢٢/٥» بما فيه الكفاية والله أعلم.

فصل:

وقد ذكرنا في «التفسير» «الفسر ١٨٢/١، ١٨٣» عن قوله تعالى في سورة البقرة: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْصِيَاءَ اللَّهِ حَالِحِينَ مَنْ دُونَ النَّاسِ قَتَلُوا الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَهْدًا بِمَا قَتَلْتُمْ أَيْلَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» «البقرة: ٩٥، ٩٦» ومثلها في سورة الجمعة «الفسر ١٤٤/٨» وهي قوله: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَهْدًا بِمَا قَتَلْتُمْ أَيْلَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» «الجمعة: ٦-٧»

وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك وأن الصواب أنه دعاهم إلى المباحلة وأن يدعو بالموت على المبطل منهم أو المسلمين، فكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم، وأن الدعوة تقبل عليهم، ويعود وبالها إليهم، وهكذا دعا النصراني من أهل حيران حين حاجوه في عيسى ابن مريم، فأمره الله أن يدعوهم إلى المباحلة في قوله «الفسر ٤٠/٢-٤٠/٣»: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْيٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْيَلْمِ فَقُلْ تَمَازَلْنَا نَدْمَ أَنْهَانَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ بَتَّيْهِمْ فَتَجْعَلُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» «آل عمران: ٦١» وهكذا دعا على المشركين على وجه المباحلة في قوله «الفسر ٢٥٣/٥-٢٥٤/٥»: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَنْتَهِ لَهِ الرُّحْمَنُ مَذَابٌ» «مرم: ٧٥» وقد بسطنا القول في ذلك عند هذه الآيات في كتابنا «التفسير» بما فيه كفاية، ولله الحمد والمنة.

حديث آخر يتضمن اغتراف اليهود بأنه رسول الله ﷺ:

ويتضمن تحاكمهم إليه ورجوعهم إلى ما يحكم به ولكن بقصد منهم منموم:

وذلك أنهم اتصروا بينهم أنه إن حكم بما يوافق هواهم تبعوه، وإلا فاحذروا ذلك، وقد ذمهم الله في كتابه العزيز على هذا القصد.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا معمر عن الزهري قال: كنت جالساً عند سعيد بن المسيب وعند سعيد رجل وهو يوقره، وإذا هو رجل من مزينة، كان أبوه شهد الحديبية وكان من أصحاب أبي هريرة، قال: قال أبو هريرة: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه نفر من اليهود - وقد زنى رجل منهم وامراً - فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بعث بالتخفيف، فإن أفتانا حداً دون الرجم فلعنناه واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبي من أنبيائه، قال مرة عن الزهري، وإن أمرنا بالرجم

حديث آخر:

١٤٦ [وقال تعالى: {الفسر ٢٠/٢} «وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ احْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ» قال عمران: ٢٠] وقال تعالى: {الفسر ٤٤/٤} «هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ» وقال تعالى: {الأنزول ١٩} «وَمَنْ يَبْلُغْ» [الأنزول: ١٩] وقال تعالى {الفسر ٢٤٦/٤}: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ» [هود: ١٧] وقال تعالى {الفسر ٥٧٨/٦}: «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ خَيَّاً وَتَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ» [يس: ٧٠].

فذكر تعالى عموم بعثته إلى الأمين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار»، رواه مسلم [١٥٣].

وفي الصحيحين [ج ٣٣٥، ٥٢١]: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس عامة». وفيهما [٥٢١/٣]: «بعثت إلى الأسود والأحمر»، قيل: إلى العرب والعجم، وقيل: إلى الإنس والجن، والصحيح أعم من ذلك.

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله، حتى تاهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل، وهو عيسى ابن مريم، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى: {الفسر ١٣٥/٨-١٣٧} «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» [الصف: ٦] فأخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذكره موجود في الكتب المتقدمة، فيما جاء به من القرآن، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمعارض، يدل على صدقه في ذلك قطعاً، وذلك لأنه لو لم يكن واقعاً بما أخبر به من ذلك، لكان من أشد المنفرات عنه، ولا يقدم على ذلك عاقل، والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه، بل هو أعقلهم في نفس الأمر. ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغرب، وعمت دولة أمته في أقطار الأفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها، فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً، لكان ضرره أعظم من كل أحد، ولو كان كذلك لحفر عنه الأنبياء أشد التحذير، ولنغفروا عنهم منه أشد التنفير، فإنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم، ونهوا عنهم عن اتباعهم والافتداء بهم، ونصروا على المسيح الدجال، الأعور الكذاب، حتى قد أئذ نوح ﷺ - وهو أول الرسل - وقومه، ومعلوم أنه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد، ولا التنفير عنه، ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه، والثناء عليه، والبشارة بوجوده، والأمر باتباعه، والنهي عن مخالفته، والخروج من طاعته، قال الله تعالى: {الفسر ٥٥/٢-٥٧} «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَتَّبِعُوهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَعْلَفْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [آل عمران: ٨١، ٨٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي يؤمن به وليصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء يؤمنون به وليبتعنه، رواه البخاري، وقد وجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة، وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من

قال حماد بن سلمة: حدثنا ثابت عن أنس أن غلاماً يهودياً كان يجرد النبي ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودي، أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون في التوراة نعتي وصفي وخبرجي؟» فقال: لا، فقال الغنى: بلى والله يا رسول الله، إنا نجدك في التوراة نعتك وصفك وخبرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال النبي لأصحابه: «أقيموا هذا من عند رأسه، ولوا أخاكم». رواه البيهقي من هذا الوجه بهذا اللفظ.

حديث آخر:

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب، عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال: إن الله ابتعث نبيه ﷺ لإدخال رجل الجنة، فدخل النبي ﷺ كنيسة فإذا هو بيهود وإذا يهودي يقرأ التوراة، فلما أتى على صفته أمسك، قال: وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي ﷺ: «ما لكم أمسكتم؟» فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يجبو حتى أخذ التوراة وقال: ارفع يدك، فقرأ حتى أتى على صفته، فقال: هذه صفتك وصفة أمك، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمدًا رسول الله، ثم مات، فقال النبي ﷺ: «لوا أخاكم».

حديث آخر:

إن النبي ﷺ: وقف على ملtras اليهود فقال: «يا معشر يهود أسلموا، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله إليكم» فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: [ج ٤٨، ٧٣٤، ١٧٦٥م (٦١)]

فصل:

فالذي يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن حيث المعنى، أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك، ولكن أكثرهم يكتفون ذلك ويغفونه، قال الله تعالى: {الفسر ٤٨/٣-٤٩٠} «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِئُهُمْ مَكْتُوباً مِنْ رَبِّهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْتِيهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِيزُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِئْتُكُمْ بِالْحَقِّ لَكُمْ شُكُوكٌ مِنَ اللَّهِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُخَبِّرُ وَيُخَيِّبُ فَايْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ» [الأعراف: ١٥٧-١٥٨] - وقال تعالى: {الفسر ٣١٥/٣} «وَالَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» [الأنعام: ١١٤] وقال تعالى: {الفسر ٢٨١/١، ٢٨٠/١} «الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ يَغْفِرُونَ كَمَا يُغْفَرُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنْ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [البقرة:

﴿وَطُورِ سَيْنٍ﴾ [الين: ٢] وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَمِنَّا الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾ [الين: ٣] وهو البلد الذي ابتعث منه محمداً ﷺ، قاله غير واحد من المفسرين في تفسيره هذه الآيات الكريمات.

وفي زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة، وفيه مثل ضربه محمد ﷺ، بأنه ختام القبة البنية، كما ورد به الحديث في الصحيحين (ج: ٣٥٣، ٢٢٨٧): «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطيفون بها ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟» ومصدق ذلك أيضاً في قوله تعالى: [التفسر ٤٢٣/٦، ٤٢٥] ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي الزبور صفة محمد ﷺ بأنه مستبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر، وتأتيه الملوك من سائر الأنظار طائفتين بالقرابين والهدايا، وأنه يخلص المضطر، ويكشف الضر عن الأمم، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويصلي عليه في كل وقت، ويبارك الله عليه في كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد. وهذا إنما يتحقق ذكره على محمد ﷺ.

وفي صحف شعيا في كلام طويل فيه معاتبة لبني إسرائيل، وفيه إفاي أبعت إليكم وإلى الأمم نبياً آمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الأسواق، أسدده لكل جيل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى في ضميره، والحكمة معقوله، والوفاء طبيعته، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى ملته، والإسلام دينه، والقرآن كتابه، أحد اسمه، أهدي به من الضلالة، وأرفع به بعد الجمالة، وأجمع به بعد الفقرة، وأولف به بين القلوب المختلفة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، قرايهم دماؤهم، أتاجلهم في صدورهم، رهباناً بالليل، ليوتاً بالنهار ﴿فَقُلْ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحج: ٢٩] وفي الفصل العاشر من كلام شعيا: يلبس الأمم كدوس اليبادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون قدامه.

وفي الفصل السادس والعشرين منه: ليفرح أرض البادية العطشى، ويعطى أحد غاسن لبنان، ويرون جلال الله بمجته.

وفي صحف إلياس عليه السلام: أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً، فلما رأى العرب بارض الحجاز قال لمن معه: انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة، فقالوا: يا نبي الله فما الذي يكون معبودهم؟ فقال: يعظمون رب العزة فوق كل راية عالية.

ومن صحف حزقيل: إن عبيدي خيرتي أنزل عليه وحبي، يظهر في الأمم عدلي، اخترته واصطفيته لنفسي، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة.

ومن كتاب النبوات: أن نبياً من الأنبياء مرّ بالمدينة فأضافه بنو قريظة والضير، فلما رأهم بكى، فقالوا له: ما الذي يبكيك يا نبي الله؟ فقال: نبي يبعثه الله من الحرة، يجرب دياركم ويسبي حريمكم، قال: فأراد اليهود قتله فهرب منهم.

ومن كلام حزقيل عليه السلام: يقول الله: من قبل أن صورتك في الأحشاء قلمتكم وجعلتكم نبياً، وأرسلتكم إلى سائر الأمم.

وفي صحف شعيا أيضاً: مثل مضروب لمكة شرفها الله: أفرحي يا عاتر بهذا الولد الذي يهب لك ركب، فإن بركته تسع لك الأماكن، وتثبت أوتادك في الأرض وتعلو أبواب مساكلك، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقديم، ولذلك هذا يرث جميع الأمم، وملك سائر المدن والأقاليم، ولا تخافي ولا تحزني فما بقي يخلقك ضيم من عدو أبداً، وجميع أيام تملكك تنسيها.

أن تحصر، وقد قلنا قبل مولده عليه السلام طرفاً صالحاً من ذلك، وقرنا في كتاب «الضير» عند الآيات مقتضية لذلك آثاراً كثيرة، ونحن نورد ههنا شيئاً مما وجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها، ويتدينون بتلاوتها، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً عن أمن منهم، وأطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم، ففي السفر الأول من التوراة التي بأيديهم في قصة إبراهيم عليه السلام ما مضمونه وتغريه: إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام، بعدما سلمه من نار التمرود: أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولئك، فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه، وحرصت على إبعاد هاجر ولدها، حتى ذهب بهما الخليل إلى بركة الحجاز وجبال فاران، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق، حتى أوحى الله إليه ما مضمونه: أما ولذلك إسحاق فإنه يرزق ذرية عظيمة، وأما ولذلك إسماعيل فإنه يباركه وعظمته، وكثرت ذريته، وجعلت من ذريته ماذ، يعني محمداً ﷺ، وجعلت في ذريته اثنا عشر إماماً، وتكون له أمة عظيمة، وكذلك بُشِّرَتْ هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فطمشت وحزنت على ولدها، وجاء الملك فاتبع زمزم، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد، فإنه سيولد له منه عظيم، له ذرية عدد نجوم السماء.

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل، بل من ذرية آدم، أعظم قدرأ ولا أوسع جاهاً، ولا أعلى منزلة، ولا أجل منصباً، من محمد ﷺ، وهو الذي استولت دولة أمته على المشارق والمغارب، وحكموا على سائر الأمم.

وهكذا في قصة إسماعيل من السفر الأول: أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن، وهذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا أحمد ﷺ.

وأيضاً في السفر الرابع في قصة موسى، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: أن قل لبني إسرائيل: سأتيم لهم نبياً من أقاربهم مثلك يا موسى، وأجعل وحياً فيه وإياه يسمعون.

وفي السفر الخامس - وهو سفر الميعاد - أن موسى عليه السلام خطب بني إسرائيل في آخر عمره - وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سني النبي - وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم، وإحسانه إليهم، وقال لهم فيما قال: واعلموا أن الله سيبت لكم نبياً من أقاربكم مثل ما أرسلني إليكم، بأمركم بالمعروف، وينهاكم عن المنكر، ويحل لكم الطيبات، ويحرم عليكم الخبائث، فمن عصاه فله الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وأيضاً في آخر السفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم: جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران وظهر من ربوات قمه، عن يمينه نور، وعن شماله نار، عليه تجتمع الأمم وعليه تجتمع الشعوب. أي جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء - وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده - وأشرق من ساعير وهي جبال بيت المقدس - المحلة التي كان بها عيسى ابن مريم عليه السلام - واستعلن: أي ظهر وعلا أمره من جبال فاران، وهي جبال الحجاز بلا خلاف، ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ، فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي، ذكر محلة موسى، ثم عيسى، ثم بلد محمد ﷺ، ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولاً، ثم الأفضل منه، ثم الأفضل منه، على قاعدة القسم فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾ [الين: ١] والمراد بها محلة بيت المقدس حيث كان عيسى عليه السلام

صدري ويقول: «يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما أطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك».

٦٤- باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلية في

حياته وبعده فوفقت طبق ما أخبر به سواء بسواء

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها، ولكن نحن نشير إلى طرف منها وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وذلك مترع من القرآن ومن الأحاديث.

أما القرآن فقال تعالى في سورة «الزمل»: - وهي من أوائل ما نزل بمكة - «وَلَعَلَّكَ سَيَكُونُ بِكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفِرُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (الزمل: ٢٠) ولملعم أن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة بعد الهجرة.

وقال تعالى في سورة «اقترب»: - وهي مكية - «وَأَمَّا يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ سَيُجْزَىٰ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدِّينَ» (همز: ٤٤، ٤٥) ووقع هنا يوم بدر، وقد تلاها رسول الله ﷺ وهو خارج من العريش ورماهم بقبضة من الحصاة فكان النصر والظفر، وهذا مصداق ذلك.

وقال تعالى: «بَيِّنْتَ يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَىٰ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ تَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّثَرٍ» (الد: ١-٥) فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب الملقب بأبي لهب سيدخل النار هو وامراته، فقدر الله عز وجل أنهما ماتا على شركهما لم يسلمتا، حتى ولا ظاهراً، وهذا من دلائل النبوة الباهرة.

وقال تعالى: «قُلْ لَّيْسَ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَ بِضَعْفٍ لَّيُخْضَ ظَهْرًا» (الإسراء: ٨٨) وقال تعالى في سورة البقرة: «وَأَنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَكَّيْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَقْعَلُوا وَلَنْ تَقْعَلُوا» (البقرة: ٢٣، ٢٤) الآية، فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاقدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلغته، وحلاوته وإحكام أحكامه، وبيان حلاله وحرامه، وغير ذلك من وجوه إعجازه، لما استطاعوا ذلك، ولما قدروا عليه، ولا على عشر سور منه، بل ولا سورة، وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً، «ولن» لفظي التأييد في المستقبل، ومثل هذا التحدي، وهذا القطع، وهذا الإخبار الجازم، لا يصدر إلا عن واثق بما يخبر به، عالم بما يقوله، قاطع بأن أحداً لا يمكنه أن يعارضه، ولا يأتي بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل.

وقال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَدْعٍ خُوفَهُمْ أَمْنًا» (الآية: ٥٥)، وهكذا وقع سواء بسواء، مكن الله هذا الدين وأظهره، وأعلاه ونشره في سائر الأفاق، وأنفذه وأمضاه، وقد فر كثير من السلف هذه الآية بخلافه الصديق، ولا شك في دخوله فيها، ولكن لا يخص به، بل نعمه كما نعم غيره، كما ثبت في الصحيح (ج ٣١٢٠) «إنا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإنا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله»، وقد كان ذلك في زمان الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان

وهذا كله إنما حصل على يدي محمد ﷺ. وإنما المراد بهذه العاقر مكة، ثم صارت كما ذكر في هذا الكلام لا عمالة، ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتاوله على بيت المقدس وهذا لا يناسبه من كل وجه والله أعلم.

وفي صفح أرميا: كركب ظهر من الجنوب، أشعته صواعق، سهامه خوارق، دكت له الجبال، وهذا المراد به محمد ﷺ.

وفي الإنجيل يقول عيسى عليه السلام: إني مرتق إلى جنات العلى، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شيء، ولم يقل شيئاً من تلقاء نفسه. والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال: «وَتَبَشِّرُوا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (الصف: ٦)، وهذا باب متسع، ولو تفصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً، وقد أشرنا إلى نبد من ذلك يهتدي بها من نور الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم، وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأخبارهم، وهم مع ذلك يتكلمونها ويخفونها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي (٢٧٣/٦) أنا أبو عبد الله الحافظ وعبد بن موسى بن الطفيل قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن عبيد الله بن أبي داود المنادي، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا صالح بن عمر، حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن الفلتان بن عاصم قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، إذ شخص بصره إلى رجل فدعاه فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسرويل ونعلان، فجعل يقول: يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «أتشهد أنني رسول الله؟» فجعل لا يقول شيئاً إلا قال: يا رسول الله، فيقول: «أتشهد أنني رسول الله؟» فيأبى، فقال رسول الله ﷺ: «أنتما التوراة؟» قال: نعم، قال: «والإنجيل؟» قال: نعم، والفرقان: روب محمد لو شئت لقرآنه، قال: «فأتشك بالذي أنزل التوراة والإنجيل وأشياه حلفه بها، فنجدين فيهما؟» قال: نعم مثل نعتك، يخرج من خرجك، كنا نرجو أن يكون فينا، فلما خرجت رأيت أنك هو، فلما نظرنا إذا أنت لست به، قال: «من أين؟» قال: نجد من أمك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وإنما أنتم قليل، قال: فهلل رسول الله ﷺ وكبر، وهلل وكبر، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده إني لأنا هو، وإن من أمي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين وسبعين».

٦٣- حديث في جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل قبل أن

يسأله عن شيء منه

قال الإمام أحمد (٢٧٨/٤): حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أنا الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز - ولم يسمعه منه - قال: حدثني جلساؤه وقد رأيت عن وابصة الأسدي، وقال عفان: حدثنا غير مرة ولم يقل: حدثني جلساؤه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أخطاهم، فقالوا: إليك وابصة عن رسول الله، فقلت: دعوني فأدنو منه، فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه، قال: «دعوا وابصة ادن يا وابصة، مرتين أو ثلاثاً، قال: فدنوت منه حتى قصدت بين يديه، فقال: «يا وابصة أخبرك أم تسألني؟» فقلت: لا، بل أخبرني، فقال: «جئت تسأل عن البر والإثم»، فقلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في

رضي الله عنهم ولرضاهم. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِالنُّورِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وهكذا وقع وعه هذا الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في زمن الصحابة ومن بعدهم، وفلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها، على اختلاف أصنافهم، وصار الناس إما مؤمنين داخلين في الدين، وإما مهانين بأذل الطاعة والمال، وإما محاربين خائفين وجل من سطوة الإسلام وأهله.

وقد ثبت في الحديث (٢٨٨٩): «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَسَيْلَ مَلِكٍ آمَنِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا».

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْفَعُونَ إِلَيَّ قَوْمًا أَوْلَى بِأَنْسٍ شَدِيدٍ فَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا﴾ [الآية: ١٦٦] وسواء كان هؤلاء القوم هم هوازن أو أصحاب مسيلة، أو الروم، فقد وقع ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ تَبْلَغًا كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجِلَ لَكُمْ هَذِهِ وَقْتُ الْيَدِ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَأُخْرَى لَمْ تَقْبَلُوا عَلَيْهَا قَدْ أَخْلَا اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [البقرة: ٢١٠، ٢١١] وسواء كانت هذه الأخرى خير أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْوَعْدِ بِالنَّارِ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الضَّرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آتِينَ مُقْلِقِينَ وَرُؤُوسَكُمْ وَمُضْمِرِينَ لَا تَخَافُونَ قَوْلَ مَا لَمْ تَعْمَلُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ [البقرة: ٢٧] وكان هذا الوعد في سنة الحديبية عام ست، ووقع إنجازه في سنة سبع عام عمرة القضاء كما تقدم.

ودكرنا هناك الحديث بطوله، وفيه أن عمر قال: يا رسول الله ألم تكن تخبرنا أننا ستأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، قال: «فإنك تأتيه مطوف به».

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِيكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّرْكَ تَكُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ١٧] وهذا الوعد كان في وقعة بدر لما خرج رسول الله ﷺ من المدينة ليأخذ عير قريش، فبلغ قريشاً خروجهم إلى عيرهم، فغفروا في قريب من ألف مقاتل، فلما تحقق رسول الله ﷺ وأصحابه قدومهم وعده الله إحدى الطائفتين أن يسيظفروا بها، إما العير وإما الغير، فود كثير من الصحابة - ممن كان معه - أن يكون الوعد للعير، لما فيه من الأموال وقلة الرجال، وكرهوا لقاء الغير لما فيه من العند والعُدَّة، فخار الله لهم وأنجز لهم وعده في الغير، فوقع بهم بأسه الذي لا يرد، فقتل من سراتهم سبعون، وأسر سبعون وفادوا أنفسهم بأموال جزيلة، فجمع لهم بين خيرَي الدنيا والأخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُزِيدُ اللَّهُ أُنَاسًا مِّنَ الْخَيْرِ يَكُونُونَ قَبِيلًا وَيَقَطُّ ذَاكِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] وقد تقدم بيان هذا في غزوة بدر.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَتَغْيِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠] وهكذا وقع فإن الله عوض من أسلم منهم بخير الدنيا والآخرة.

ومن ذلك ما ذكره البخاري [أن العباس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فليت نفسي، وفاديت عقيلاً، فقال له: «خذ»، فأخذ في ثوب مقداراً لم يمكنه أن يقله، ثم وضع منه مرة بعد مرة

حتى أمكنه أن يحتمله على كامله، وانطلق به كما ذكرناه في موضعه مبسوطاً، وهذا من تصديق هذه الآية الكريمة.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الآية: ٢٨] وهكذا وقع عروضهم الله عما كان يعد إليهم مع حجاج المشركين، بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وسلب أموال من قتل منهم على كفره، كما وقع بكفار أهل الشام من الروم وبجوس الفرس، بالعراق وغيرها من البلدان التي انتشر الإسلام على أرجائها، وحكم على مدائنها وبيقاتها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِالنُّورِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَيُخْلِفُونَ بِاللَّهُ لَكُمْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُقْلِبُوهُمْ إِلَيْهِمْ يُنْفِرُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ [الآية: ١٩٥] وهكذا وقع، لما رجع ﷺ من غزوة تبوك كان قد تحلف عنه طائفة من المنافقين، فجعلا يغفلون بالله لقد كانوا معنوين في غفلتهم، وهم في ذلك كاذبون، فأمر الله رسوله أن يجري أحوالهم على ظاهرها، ولا يفضحهم عند الناس، وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلاً كما قلناه لك في غزوة تبوك، فكان حليفه بن اليمان ممن يعرفهم بتعرفه ﷺ إياه.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُوا بِالنَّارِ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الضَّرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آتِينَ مُقْلِقِينَ وَرُؤُوسَكُمْ وَمُضْمِرِينَ لَا تَخَافُونَ قَوْلَ مَا لَمْ تَعْمَلُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ [البقرة: ٢٧] وهكذا وقع، لما اشتروا عليه ليشوته، أو يقتلوه أو يخرجوه من بين أظهرهم، ثم وقع الرأي على القتل، فعند ذلك أمر الله رسوله بالخروج من بين أظهرهم، فخرج هو وصديقه أبو بكر رضي الله عنه، فكما في غار ثور ثلاثاً، ثم ارتحلا بعدما كما قلنا، وهذا هو المراد بقوله: ﴿إِلَّا تَصْبرُوهُ فَقَدْ صَبْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ النَّبِيِّنَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّهُمْ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَمُوتَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَآيَاتِهِ يَجْعَلُونَ لِمَا قُرْآنًا وَجَعَلَ الْكَلِمَةَ الَّتِي كَفَرُوا السُّلْطَانُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٠] وهو المراد من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ولهذا قال: ﴿وَإِنْ لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٧٦] وقد وقع كما أخبر، فإن الملا الذين اشتروا على ذلك لم يلبثوا بمكة بعد هجرته ﷺ إلا ريثما استقر ركابه الشريف بالمدينة وتابعه المهاجرون والأنصار، ثم كانت وقعة بدر فقتلت تلك الفروس، وكسرت تلك الرؤوس، وقد كان ﷺ يعلم ذلك قبل كونه من إخبار الله له بذلك، ولهذا قال سعد بن معاذ لأمية بن خلف: أما إني سمعت محمداً ﷺ يذكر أنه قاتلك، فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم، قال: فإنه والله لا يكذب، وسياهي الحديث في بابه.

وقد قلنا أنه عليه الصلاة والسلام جعل يشير لأصحابه قبل الوقعة إلى مصارع القتلى، فما تعلم أحد منهم موضعه الذي أشار إليه، صلوات الله وسلامه عليه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا غَلَبْتُمُ الْأَرْضَ بِمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢٦-٢٨] وهذا الوعد وقع كما أخبر به، وذلك أنه لما غلبت فارس الروم فرح المشركون، واغتم بذلك المؤمنون، لأن النصرى أقرب إلى الإسلام من المجوس، فأخبر الله رسوله ﷺ بأن الروم ستغلب الفرس بعد هذه المدة بسبع سنين، وكان من

كان قبلكم كان أحدهم يشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون».

ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا حماد بن أسامة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة. عنه عن جده أبي بردة عن أبي موسى، أراه عن النبي ﷺ قال: «ورأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤيائي هذه التي هزرت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرت أخرى فصاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقرأ والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أنا بعد يوم بدر».

ومن ذلك قصة سعد بن معاذ مع أمية بن خلف حين قدم عليه مكة.

قال البخاري: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغسل الناس انطلقت فطفت، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أخبرنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أنت وأنتم محمداً وأصحابه؟ فقال: نعم، فلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله لئن منعني أن أطوف بالبيت لأطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي الشامي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته: ما ذكرت ما قال لك أخوك الشامي؟ قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يوماً أو يومين، فسار معهم فقتله الله. وهذا الحديث من أفراد البخاري، وقد تقدم بأبسط من هذا السياق.

ومن ذلك قصة أبي بن خلف [الذي كان يحلف حصاناً له فإذا مر برسول الله ﷺ يقول: إني سأقتلك عليه فيقول له رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك أن شاء الله» فقتله يوم أحد كما قدما بسطه.

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتل يوم بدر كما تقدم الحديث في الصحيح [أنه جعل يشير قبل الرقعة إلى عليها ويقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان، قال: فوالذي بعث بالحق ما رام أحد منهم عن مكانه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ.

ومن ذلك قوله لذلك الرجل الذي كان لا يترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها ففراها سيفه، وذلك يوم أحد، وقيل: خير وهو الصحيح، وقيل: في حين، فقال الناس: ما أغنى أحد اليوم ما أغنى فلان، يقال: إنه قرمان، فقال: «إنه من أهل النار» فقال بعض الناس: أنا صاحبه، فاتبعه ففرح فاستعجل الموت فوضع ذهاب سيفه في صدره ثم نحامل عليه حتى أثلته، فرجع ذلك الرجل فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله، فقال: «وما ذاك؟» فقال: إن الرجل الذي ذكرت أنفاً

أمر مراعاة الصديق رؤوس المشركين على أن ذلك سيقع في هذه المدة، ما هو مشهور كما قرنا في كتابنا «التفسير» (المفسر ٣٠٣/٦-٣١١)، فوقع الأمر كما أخبر به القرآن، غلبت الروم فارس بعد غلبهم غلباً عظيماً جداً، وقصتهم في ذلك يطول بسطها، وقد شرحناها في «التفسير» بما فيه الكفاية والله الحمد والمدة، وقال تعالى: «وَسَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [هزلت: ٥١] وكذلك وقع، أظهر الله من آياته ودلائله في أنفس البشر في الأفاق بما أوقعه من الناس بأعداء النبوة، وغالبي الشرع من كذب به من أهل الكنائس، والجحوس والمشركين، ما دل ذوي البصائر والنهس على أن محمداً رسول الله حقاً، وأن ما جاء به من الرحي عن الله صدق، وقد أوقع الله له في صدور أعدائه وقلوبهم رعباً ومهابة وخوفاً، كما ثبت عنه في الصحيحين [خ: (٤٣٨، ٢٣٥) م: (٢٥١) أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، وهذا من التأييد والنصر الذي آتاه الله عز وجل، وكان عدوه يخافه ويته ويته مسيرة شهر، وقيل: كان إذا عزم على غزو قوم أوعوا قبل مجيئه إليهم، ووروده عليهم بشهر، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

فصل:

وأما الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما أخبر.

فمن ذلك ما أسلفناه في قصة الصحيفة التي تماثدت فيها بطون قريش، وغالوا على بني هاشم وبني المطلب أن لا يوروههم ولا يتكوههم، ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، فدخلت بنو هاشم وبني المطلب بمسلمهم وكافهم شعب أبي طالب أتفين لذلك تمتعن منه أبداً، ما بقوا ودائماً، ما تباصلوا وتعاقبوا، وفي ذلك عمل أبو طالب قصيدته الالامية التي يقول فيها:

كلبتم وبيت الله نيزى محمداً ولما قاتل دونه وتناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله وتلعثل عن أبنائنا والخلائل
وما ترك قوم لا أباً لك سيناً يحوط الذمار غير ذرب مواكـل
وأبيض ينسقى الغمام بوجهه إمال الشامي عصمة للأرامـل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وكانت قريش قد حلفت صحيفة التعاقد في سقف الكعبة، فسلط الله عليها الأرض فأكلت ما فيها من أسماء الله لثلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور، وقيل: إنها أكلت ما فيها إلا أسماء الله عز وجل، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عنه أباً طالب، فجاء أبو طالب إلى قريش فقال: إن ابن أخي قد أخبرني بخبر عن صحيفتكم، بين الله قد سلط عليها الأرض فأكلتها إلا ما فيها من أسماء الله، أو كما قال: فأحضرهموا، فإن كان كما قال وإلا أسلمت إليكم، فأنزلوهم ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم وبني المطلب مكة، ورجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك، كما أسلفنا ذكره والله الحمد.

ومن ذلك حديث خباب بن الارت، حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين يستنصرون النبي ﷺ، وهو متوسد رداءه في ظل الكعبة فيدهو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة، فجلس محمراً وجهه وقال: «إن من

كان من أمره كيت وكيت، وذكر الحديث كما تقدم.

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق، لما ضرب بيده الكرمة تلك الصخرة فبرقت من ضربه، ثم أخرى، ثم أخرى كما قلنا.

ومن ذلك إخباره ﷺ عن ذلك الذراع أنه مسموم، فكان كما أخبر به، اعترف اليهود بذلك، ومات من أكله معه - بشر بن البراء ابن معمر -.

ومن ذلك ما ذكره عبد الوزاق (المصف: ١٩٨٩) عن معمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: اللهم أنج أصحاب السفينة، ثم مكث ساعة، ثم قال: قد استمرت، والحديث بتمامه في «دلائل النبوة» لليهقي [١٧٨/٦٩٨]، وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخير.

ومن ذلك إخباره عن قبر أبي رغال، حين مرّ عليه وهو ذاهب إلى الطائف وإن معه غصناً من ذهب، فحفره فوجدوه كما أخبر، صلوات الله وسلامه عليه.

رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن بحر بن أبي بحر عن عبد الله بن عمرو به.

ومن ذلك قوله عليه السلام للأَنْصار، لما خطبهم تلك الخطبة مسلماً لهم عما كان وقع في نفوس بعضهم من الإثارة عليهم في القسمة لما تألف قلوب من تألف من سادات العرب، ورؤوس قريش، وغيرهم، فقال: «أما ترضون أن يذهب الناس بالثاة والبعر، وتذهبون برسول الله محموزونه إلى رحالك؟» (ج: ٤٣٣٣، ٤٣٣٧). وقال: «إنكم ستجدون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» (ج: ٣١٤٧). وقال: «إن الناس يكترون وتقل الأنصار» (ج: ٣٦٧٨). وقال لهم في الخطبة قبل هذه على الصفا: «بل أغنيا محياكم، والمات ماتكم» (ج: ١٧٨٠/٨٦). وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء.

وقال البخاري: (ج: ٣١٨٨) حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: وأخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتفتن كنزهما في سبيل الله».

ورواه مسلم عن حرملة عن أبي وهب عن يونس به.

ثم قال البخاري (٣٦١٩): حدثنا قيسة حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة رفعه: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وقال: لتفتن كنزهما في سبيل الله».

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم (ج: ٣١٢١) (ج: ٧٧/٢٩١٩) من حديث جرير، وزاد البخاري (٦٦٢٩) وابن عوادة ثلاثهم عن عبد الملك بن عمير به، وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر، وعمر، وعثمان، استوفت هذه الممالك فتحاً على أيدي المسلمين، وأنفقت أموال كنوز قيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس في سبيل الله، على ما سنذكره بعد إن شاء الله.

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين، وهي أن ملك فارس قد انقطع فلا عودة له، وملك الروم للشام قد زال عنها، فلا يملكونه بعد ذلك، والله الحمد والمئة، وفيه دلالة على صحة خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، والشهادة لهم بالعدل، حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي المذوح.

وقال البخاري (٣٥٩٥): حدثنا محمد بن الحكم، حدثنا النضر، حدثنا

إسرائيل، حدثنا سعد الطائي، أخبرنا محل بن خليفة عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه العاقبة، ثم أتاه آخر فشكى إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحبيزة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحبيزة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحداً إلا الله عز وجل: قلت فيما بيني وبين نفسي: - فإين دعار طيع الذين قد سعروا البلاد؟ - ولئن طالت بك حياة

لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليقين الله أحكمكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولاً ليلفك؟ فيقول: ألم أعطك مالاً ولولداً وأفضلت عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»، قال عدي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحبيزة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه، ثم رواه البخاري (١٤١٣) عن عبد الله بن محمد - هو أبو بكر بن أبي شيبة - عن أبي عاصم النبيل عن سعدان بن بشر عن أبي مجاهد - سعد الطائي - عن محل بن عتبه، وقد تفرد به البخاري من هذين الوجهين، ورواه السنائي (٢٥٥١) من حديث شعبة عن محل بن عتبه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وقد رواه البخاري (١٤١٧) من حديث شعبة، ومسلم (١١٦٩/٦٦٦) من حديث زهير، كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الله بن مغفل عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وكذلك أخرجه في الصحيحين (ج: ١٥٣٩) (ج: ٦٧/١٠١٦/٦٨) من حديث الأعمش عن خثيمة عن عبد الرحمن عن عدي، وفيهما من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن خثيمة عن عدي به، وهذه كلها شواهد لأصل هذا الحديث الذي أوردناه، وقد تقدم في غزوة الخندق الأخبار بفتح مدائن كسرى وقصوره وقصور الشام وغير ذلك من البلاد.

وقال الإمام أحمد (مسند: ١٠٩/٥): حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل عن قيس عن خباب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسداً برءة له، قلنا: يا رسول الله، ادع الله لنا واستصره، قال: فاحمر لونه أو تغير، فقال: «لقد كان من قبلكم يخفر له الحفرة ويحيا بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق ما يصرفه عن دينه، ويحشط بأمشاط الحديد مادون عظم أو لحم أو عصب ما يصرفه عن دينه، ويؤمن الله هنا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت ما يخشى إلا الله والنذبة على غنمه ولكنكم تمجلون».

وهكذا رواه البخاري (٦٩٤٣، ٣٦١٢) عن مسدد، ومحمد بن المنسي عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد به، ثم قال البخاري في كتاب علامات النبوة (٣٥٩٦): حدثنا سعيد بن شريح، حدثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عتبة عن النبي ﷺ أنه خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «أنا فرطكم، وأنا شهيد عليكم، إني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف بعدي أن تتركوا، ولكي أخاف أن تنافسوا فيها».

لا أعود، قال فيابيعي، ورواه النسائي (٧٢٢٩) عن محمد بن عبد الرحمن المخرمي عن أسود بن عامر به، ثم رواه أحمد (٢٩٤/٥) عن سريج عن يزيد بن عطاء عن بيان بن بشر، عن قيس بن أبي شهم فذكره.

وفي صحيح البخاري (٥١٨٧): عن أبي نعيم عن سفيان عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال: كنا نقي الكلام والانسباط إلى نساتنا في عهد رسول الله ﷺ خشية أن ينزل فينا شيء، فلما توفي تكلمنا وانبسطنا.

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنه قال: والله لقد كان أحلنا يكف عن الشيء مع امرأته وهو ولياها في ثوب واحد تخوفاً أن ينزل فيه شيء من القرآن.

وقال أبو داود: (٣٣٣٢) حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن إدريس، حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فرايت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر: «أوسع من قبل رجلي، أوسع من قبل رأسه، فلما رجع استقبله داعي امرأة، فجاء وجيء بالطعام فوضع يده فيه ثم وضع القوم أيديهم فأكلوا فنظر أبونا رسول الله ﷺ يلوك لقمعة في فيه، ثم قال: «أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها»، قال فأرسلت المرأة: يا رسول الله إني أرسلت إلى البقيع يشتري لي شاة فلم توجد، فأرسلت إلى جبار لي قد اشتري شاة: أن أرسل بها إليّ بشمتها فلم يوجد، فأرسلت إليّ امرأته فأرسلت إلي بها، فقال رسول الله ﷺ «طعمي الأسارى».

٦٦- فصل في ترتيب الإخبار بالغيوب

المستقبلية بعده ﷺ

ثبت في صحيح البخاري ومسلم (خ: ٦٦٠٤) (٢٨٩١/٢٣) من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان: قال: قام رسول الله ﷺ فينا مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، وقد كنت أرى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرأه فعره.

وقال البخاري (٣٦٠٦): حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا الوليد، حدثني ابن جابر، حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي، حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر خافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءه الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ فقال: «قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم تنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وقد رواه البخاري (٧٠٨٤) أيضاً ومسلم (٥١٧١٨٤٧) عن محمد بن

وقد رواه البخاري أيضاً من حديث حيوة بن شريح، ومسلم من حديث يحيى بن أيوب، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب كرواية الليث عنه. ففي هذا الحديث مما نحن بصدده أشياء، منها أنه أخبر الحاضرين أنه فرطهم، أي المتقدم عليهم في الموت، وهكذا وقع، فإن هذا كان في مرض موته عليه السلام، ثم أخبر أنه شهيد عليهم، وإن تقدم وفاته عليهم، وأخبر أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض، أي فتحت له البلاد كما جاء في حديث أبي هريرة المتقدم، قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تفتنونها كفراً كفراً، أي بلداً بلداً، وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده.

وهكذا وقع ولله الحمد والمئة، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا في الدنيا، وقد وقع هنا في زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم من بعدهما، وهلم جرا إلى زماننا هذا.

ثم قال البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦): حدثنا علي بن عبد الله، أنا أزهري بن سعد، أنا ابن عون أنبأني موسى بن أسد بن مالك عن أسد أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أعلم لك علمه؟ فأتاه فوجده جالساً في بيته متكئاً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرّ كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا، قال موسى: فرجع المرة الأخيرة بشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة»، ففرد به البخاري، وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيداً يوم اليمامة كما سيأتي تفصيله.

وهكذا ثبت في الحديث الصحيح (خ: ٣٨١٣، ٧٠١٠، ٧٠١٤) (١٤٧/٢٤٨٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٢٤٨٤) البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الإسلام، ويكون من أهل الجنة، وقد مات رضي الله عنه على أكمل أحواله وأجلها، وكان الناس يشهدون له بالجنة في حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام، وكذلك وقع.

وقد ثبت في الصحيح (خ: ٣٧٠٢) (٢٤١٩، ٢٤١٧، ٢٤١٥، ٢٤٠٥) (١٦٣/٢٤٩٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦) من الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة، بل ثبت أيضاً الإخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة (م: ١٦٣/٢٤٩٦)، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل: وخمسائة، ولم يتقل أن أحداً من هؤلاء رضي الله عنه عاش إلا حميداً، ولا مات إلا على السناد والاستقامة والتوفيق، ولله الحمد والمئة، وهذا من أعلام النبوة، ودلالات الرسالة.

٦٥- فصل في الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلية

روى البيهقي (٣٠٢/٦) من حديث إسرائيل عن سماك عن جابر بن سمرة قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله إن فلاناً مات، فقال: «لم يموت»، فعاد الثانية فقال: إن فلاناً مات، فقال: «لم يموت»، فعاد الثالثة فقال: إن فلاناً مات، فقال: «لم يموت»، ثم قال البيهقي تابعه زهير عن سماك، ومن ذلك الوجه رواه مسلم مختصراً في الصلاة (م: ١٠٧/٢٩٧٨).

وقال أحمد (٢٩٤/٥): حدثنا أسود بن عامر، حدثنا هريم بن سفيان عن بيان بن بشر عن قيس بن أبي حازم، عن أبي شهم قال: مرت بي جارية بالمدينة فأخذت بشكحمها، قال: وأصبح الرسول ﷺ يبائع الناس، قال: فأتيت فلم يبايعني، فقال: «صاحب الجينة؟» قال: قلت: والله

الثنى عن الوليد عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.
ثم قال البخاري (٣٦٠٧)، حدثنا محمد بن مثنى، حدثنا يحيى بن سعيد

عن إسماعيل عن قيس عن حذيفة قال: تعلم أصحابي الخير: وتعلمت الشر، تفرد به البخاري.

وفي صحيح مسلم (٢٨٩١/٢٤) من حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة قال: لقد حدثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أنني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها.

وفي صحيح مسلم (٢٨٩١/٢٤) من حديث شعبة عن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة قال: لقد حدثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة، غير أنني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها.
- عمرو بن الخطب - قال: أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فأعلمنا أحفظنا، وفي الحديث الآخر (ج: ٣١٩٢): حتى دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار. وقد تقدم [حديث خباب بن الأرت: «والله ليؤمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون» وكذا حديث عدي بن حاتم في ذلك، وقال الله تعالى (الفسر: ٧٨/٤): «يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» (البرق: ٣٣) وقال تعالى (الفسر: ٨٣-٨٧): «وَعَذَابُ الَّذِينَ آمَنُوا يُكَفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِي الْأَرْضِ» الآية (البرق: ٩٥) وفي صحيح مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فأنظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» وفي حديث آخر (ج: ٢٧٤٠، ٢٧٤١): «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء».

وفي الصحيحين (ج: ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥) (ج: ٢٩٦١/٦) من حديث الزهري عن عروة عن المسور عن عمرو بن عوف، فذكر قصة بعث أبي عبيدة إلى البحرين قال: وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا وأملوا ما يسمركم، فوالله ما أفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم». وفي الصحيحين (ج: ٣٩٣١، ٥١٦١) (ج: ٢٠٨٣) من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هل لكم من أنماط؟» قال: قلنا يا رسول الله: وإنى يكون لنا أنماط؟ فقال: «أما إنها ستكون لكم أنماط». قال: فأنا أقول لأمرأتي: غي عني أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله: «إنها ستكون لكم أنماط؟» فأتركها.

وفي الصحيحين (ج: ١٨٧٥) (ج: ١٢٨٨) (المسانيد: مسند الحميري: ٨٦٥) (السنن: الكبرى: ٤٢٦٢، ٤٢٦٤) وغيرها من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان بن أبي زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «فتح اليمن فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وفتح الشام فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وفتح العراق فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»

كذلك رواه عن هشام بن عروة جماعة كثيرون وقد أسنده الحفاظ بن عساكر (البرق دمشق ١/ ٣٨٠-٣٨٤) من حديث مالك وسفيان بن عيينة وابن جريج وأبو معاوية ومالك بن سعيد بن الخمس وأبو ضمرة أنس بن عياض وعبد العزيز بن أبي حازم وسلمة بن دينار وجبر بن عبد الحميد.
ورواه أحمد (المسند ٥/ ٢٠٠) عن يونس عن حماد بن زيد عن هشام بن عروة (المسند ٥/ ٢٠٠). وعبد الرزاق عن ابن جريج عن هشام (المسند ٥/ ٢٠٠)

ثم روى أحمد (٢٢٠٠، ٢١٩/٥) عن سليمان بن داود الهاشمي عن إسماعيل بن جعفر: أخبرني يزيد بن خصيفة أن بسر بن سعيد أخبره أنه سمع في مجلس الليثيين يذكر أن سفيان أخبرهم، فذكر قصة فيها: أن رسول الله ﷺ قال له: «ويوشك الشام أن يفتح فيأتيه رجال من هذا البلد - يعني المدينة - فيعجبهم دينه ورحلته والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» ثم يفتح العراق فيأتي قوم يسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وأخرجه ابن خزيمة من طريق إسماعيل.

ورواه الحافظ بن عساكر (البرق دمشق: ٣٨٨/١) من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ بنحوه، وكذا حديث ابن حوالة (البرق دمشق: ٣٨٨/١، ٣٩٠) ويشهد لذلك: «منعت الشام ملهيا ودينارها، ومنعت العراق درهمها وقنيزها، ومنعت مصر إردنها ودينارها، وعدتم من حيث بدأت». وهو في الصحيح (٢٨٩٦)، وكذلك حديث: المواقيت لأهل الشام واليمن، وهو في الصحيحين (ج: ١٥٢٦-١٥٣١) (ج: ١١٨١، ١١٨٢) وعند مسلم (١١٨٣/١٨): «مقات أهل العراق، ويشهد لذلك أيضاً حديث: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده. وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله عز وجل».

وفي صحيح البخاري (٣١٧٦) من حديث أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: «أعدت سناً بين يدي الساعة» فذكر موته عليه السلام، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتاً - وهو الوفاء - ثم كفرة المال، ثم فتنة، ثم هدنة بين المسلمين والروم، وسيأتي الحديث فيما بعد.

وفي صحيح مسلم (ج: ٢٢٩٦، ٢٥٤٣) من حديث عبد الرحمن بن شماس عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القبراط فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورجماً، فإذا رأيت رجلاً يتختصم في موضع لبنة فإخرج منها». قال: فمر بريئة وعبد الرحمن ابني شرحبيل ابن حسنة يتختصم في موضع لبنة فخرج منها - يعني ديار مصر على يدي عمرو بن العاص في سنة عشرين كما سيأتي.

وروى ابن وهب عن مالك والليث عن الزهري عن ابن لكعب بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورجماً».

ورواه البيهقي (دلائل ٦/ ٣٢٢) من حديث إسحاق بن راشد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.

وحكى أحمد بن حنبل عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن قوله: «ذمة ورجماً»، فقال: من الناس من قال: إن أم إسماعيل - هاجر - كانت قبضية، ومن الناس من قال: أم إبراهيم.

قلت: الصحيح الذي لا شك فيه أنهما قبضتان كما قدمنا ذكر ذلك. ومعنى قوله: «ذمة»، يعني بذلك هدية المقوقس إليه وقبوله ذلك منه، وذلك نوع «ذمام» ومهانة، والله تعالى أعلم.

وتقدم ما رواه البخاري من حديث مجل بن خليفة عن علي بن حاتم في فتح كنوز كسرى وانتشار الأمن، وفيضان المال حتى لا يتقبله أحد، وفي الحديث أن علياً شهد الفتح وروى الطبراني في المعجم عن الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، قال: ولئن طالت بكم حياة لتروا ما قال أبو

القاسم ﷺ، من كثرة المال حتى لا يقبله أحد.

قال البيهقي [دلائل/٩/٣٣٣]: وقد كان ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز. قلت: ويحتمل أن يكون ذلك متأخراً إلى زمن المهدي كما جاء في صفته، أو إلى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال، فإنه قد ورد في «الصحيح» ج: [٢٢٢٢] م: [١٥٥] أنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويفض المال حتى لا يقبله أحد والله تعالى أعلم.

وفي «صحيح مسلم» م: [١٨٢٢]... من حديث ابن أبي ذئب عن مهاجر بن سمار عن عامر بن سعد عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يخرج كذابون بين يدي الساعة، وليفتن عصابة من المسلمين كنز القصر الأبيض، قصر كسرى، وأنا فرطكم على الحوض». الحديث بمعناه.

وتقدم حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتفتن كنوزهما في سبيل الله عز وجل». أخرجه. وقال البيهقي [دلائل/٩/٣٢٥]: المراد زوال ملك قيصر عن الشام، ولا يبقى بقاء ملكه على الروم، لقوله عليه السلام، لما عظم كتابه: «ثبت ملكه، وأما ملك فارس فزال بالكلية، لقوله له: «مزق الله ملكه».

وقد روى أبو داود، عن محمد بن عبيد عن حماد عن يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب، وروينا في طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لا ج - بفروه كسرى وسيفه ويظفته وتاجه وسواربه، البس ذلك كله لسراقة بن مالك بن جُعشم، وقال: قل الحمد لله الذي البس ثياب كسرى لرجل أعرابي من البادية. قال الشافعي: إنما البسه ذلك لأن النبي ﷺ قال لسراقة - ونظر إلى ذراعيه -: «كأني بك وقد لبست سيوري كسرى»، والله أعلم.

وقال سفيان بن عيينة: عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «تُثَلَّت لي الحبرة كاتيب الكلاب وإنكم ستخونونها» فقام رجل فقال: يا رسول الله هب لي ابنة بَيْكَلَة، قال: «هي لك»، فأعطوه إياها، فجاء أبوها فقال: «أبيها؟» قال: نعم، قال: فيكم؟ أحكم ما شئت، قال: ألف درهم، قال: قد أخلفتها، فقالوا له: لو قلت ثلاثين ألفاً لأخذها، فقال: وهل عدد أكثر من ألف؟

وقال الإمام أحمد [مسند/٢٨٨/٥]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية عن ضمرة بن حبيب أن ابن رُغَب الإيادي حدثه قال: نزل عليّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال لي: بعثنا رسول الله ﷺ حول المدينة على أقدامنا لننعم، فرجعنا ولم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: «اللهم لا تكلمهم إليّ؛ فأصعق، ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلمهم إلى الناس فيستأثروا عليهم»، ثم قال: «لَتَنَحَّنَ لكم الشام والروم وفارس - أو: الروم وفارس - وحتى يكون لأحدكم من الإبل كذا وكذا، ومن البقر كذا وكذا، ومن الغنم كذا وكذا، وحتى يعطى أحدكم مائة دينار فيسخطها»، ثم وضع يده على رأسي أو على هامتي فقال: «يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يرمئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك». ورواه أبو داود [٢٥٣٥] م: من حديث معاوية بن صالح.

وقال أحمد [السند/١١٠/٤]: حدثنا حيوة بن شريح، وزيد بن عبد ربه قالاً: حدثنا بقة، حدثني مجير بن سعد عن خالد بن معدان عن أبي قتيلة

عن ابن حوالة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيصير الأمر إلى أن تكون جنود مجنلة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق»، فقال ابن حوالة: خيّر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال: «عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرض يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيت فليكن بيمينكم واسقوا من غدره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله». وهكذا رواه أبو داود [٢٤٨٣] عن حيوة بن شريح به.

وقد رواه أحمد [السند/٢٨٨/٥] أيضاً عن عصام بن خالد وعلي بن عياش كلاهما عن حريز بن عثمان عن سليمان بن شعيب عن عبد الله بن حوالة فذكر نحوه، ورواه الوليد بن مسلم اللشقي عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول، وريضة بن يزيد عن أبي إدريس عن عبد الله بن حوالة به.

وقال البيهقي [دلائل/٩/٣٢٧، ٣٢٨]: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني أبو علقمة - نصر بن علقمة - يرد الحديث إلى جبر بن نفي. قال: قال عبد الله بن حوالة: كنا عند رسول الله ﷺ فشكرنا إليه العُرَى والفقر، وقلنا الشيء، فقال: «أبشروا فوالله لأنا بكثره الشيء أخوفني عليكم من قلته، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله عليكم أرض الشام، - أو قال: أرض فارس - وأرض الروم وأرض حير، وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن، وحتى يُعطى الرجل المائة فيسخطها»، قال ابن حوالة: قلت: يا رسول الله ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون؟ قال: «والله ليفتحها الله عليكم، وليستخلفنكم فيها حتى تظل العصابة البيض منهم، قمصهم المُلحمة أفتأؤم قياماً على الروم، الأسود منكم المخلوق ما أمرهم من شيء فعلوه». وذكر الحديث، قال أبو علقمة: فسمعت عبد الرحمن بن جبر يقول: فعرف أصحاب رسول الله ﷺ نمت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي، وكان على الأعاجم في ذلك الزمان، فكانوا إذا راحوا إلى المسجد نظروا إليه واليهم قياماً حوله فيتحجبون لنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم.

وقال أحمد [السند/٢٨٨]: حدثنا حجاج، حدثنا الليث بن سعد حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط التجيبي عن عبد الله بن حوالة الأزدي: أن رسول الله ﷺ قال: «من لحا من ثلاث فقد غلبا»، قالوا: يُعطيه ماذا يا رسول الله؟ قال: «موتني»، ومن قتال خليفة مصطبر بالحق يُعطيه، والدجال.

وقال أحمد [السند/١٠٩/٤، ١١٠]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا الجريدي عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة قال: أثبت على رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل دُومة، وعنده كاتب له يملئ عليه، فقال: «لا تكتب يا ابن حوالة؟» قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله فأعرض عني - وقال إسماعيل مرة في الأول: «لا تكتب يا ابن حوالة؟» قلت: فيم يا رسول الله؟ فأعرض عني وأكب على كتفه يملئ عليه، ثم قال: «لا تكتب يا ابن حوالة؟» قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، فأعرض عني وأكب على كتفه يملئ عليه، قال: فظفرت فإذا في الكتاب عمر، فقلت: إن عمر لا يكتب إلا في خير، ثم قال: «انكتب يا ابن حوالة؟» قلت: نعم، فقال: «يا ابن حوالة، كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنها صياصي بقر؟» قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، قال: «فكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كان الأولى منها انتفاجة أرنب؟» قلت: لا أدري ما خار الله لي ورسوله، قال: «اتبعوا هذا»، قال:

ورجلٌ مُقَفٌّ حَيْتَلُو، قال: فانطلقتُ فسمعتُ وأخذتُ منكبه فأقبلتُ بوجهه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: نعم، قال: فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وثبت في «صحيح مسلم» [٢٨٩٦] من حديث يحيى بن آدم عن زهير بن معاوية عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «منعت العراق درهمها وقنيزها، ومنعت الشام مئيتها ودينارها، ومنعت مصر إردنها ودينارها، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه. وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم: هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضربه عمر على أرض العراق من الدراهم والقنيزان، وعما ضرب من الخراج بالشام ومصر قبل وجود ذلك، صلوات الله وسلامه عليه، وقد اختلف الناس في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «منعت العراق» إلخ، فقيل: معناه أنهم يُسلمون فيسقط عنهم الخراج، ورجحه البيهقي [دلائل ٣٣٠/٦]، وقيل: معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤثرون الخراج المضروب عليهم، ولهذا قال: «وعدتم من حيث بدأت»، أي رجعتهم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك، كما ثبت في «صحيح مسلم» [١٤٥، ١٤٦]: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء».

وروى الإمام أحمد [٣٥٧/٥] والبيهقي [دلائل ٣٣٣، ٣٣٤/٦] وابن عدي [الكامل ٤٠٢، ٤٠١/١] وغير واحد والطبراني الكبير [١١٥١] ٣/٢ [الطبراني الأوسط (٨٢١١)] من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن أبيه عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة بن الحبيب مرفوعاً: «سببت بعوث فكن في بعث خراسان، ثم أسكن مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة، وقال: لا يصيب أهلها سوء».

وروى الإمام أحمد [٣٥٧/٥] والبيهقي [دلائل ٣٣٣، ٣٣٤/٦] وابن عدي [الكامل ٤٠٢، ٤٠١/١] وغير واحد والطبراني الكبير [١١٥١] ٣/٢ [الطبراني الأوسط (٨٢١١)] من حديث أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن أبيه عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة بن الحبيب مرفوعاً: «سببت بعوث فكن في بعث خراسان، ثم أسكن مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة، وقال: لا يصيب أهلها سوء».

وهذا الحديث يعد من غرائب «المسند»، [٦٢٢، ٦٢١/١] ومنهم من يجعله موضوعاً، فالله أعلم.

وقد تقدم حديث أبي هريرة، من جميع طرقه في قتال الترك، وقد وقع ذلك كما أخبر به سواء بسواء، وسبق أيضاً.

وفي «صحيح البخاري» [٣٤٥٥] من حديث شعبة عن فرات القزاز عن أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وإنه سيكون خلفاء فيكثرون»، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «فأوبى بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

وفي «صحيح مسلم» [٥٠] من حديث أبي رافع عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان نبي إلا كان له حواريون يهلون بهديه، ويستنون بسته، ثم يكون من بعدهم خولف يقولون ما لا يفعلون، ويعملون ما ينكرون».

وروى الحافظ البيهقي [دلائل ٣٣٩/٦، ٣٤٠] من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله، ويعملون في عباد الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثار، ويقتلون الرجال، ويصطفون الأموال، فمغير بيده. ومغير لسانه ومغير بقلبه، وليس وراء ذلك من الإيمان شيء».

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ٢٢٨]: حدثنا جرير بن حازم، عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخشني، عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكانت خلافة ورحمة، وكانت ملكاً عضوضاً، وكانت عزة وجبرية وفساداً في الأمة، يستحلون الفروج والخمر والحريم، ويُصرون على ذلك، ويُزوّنون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل»، وهذا كله واقع.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد [مسند: ٢٢١، ٢٢٠/٥] وأبو داود [٤٦٤٦] [الترمذي رت (٢٢٢٦)] - وحسنه - والنسائي [الكبرى (٨١٥٥)] من حديث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً»، وفي رواية: «ثم يأتي الله ملكه من يشاء»، وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته ستين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر

ورجلٌ مُقَفٌّ حَيْتَلُو، قال: فانطلقتُ فسمعتُ وأخذتُ منكبه فأقبلتُ بوجهه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: نعم، قال: فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وثبت في «صحيح مسلم» [٢٨٩٦] من حديث يحيى بن آدم عن زهير بن معاوية عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «منعت العراق درهمها وقنيزها، ومنعت الشام مئيتها ودينارها، ومنعت مصر إردنها ودينارها، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، وعدتم من حيث بدأت، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه. وقال يحيى بن آدم وغيره من أهل العلم: هذا من دلائل النبوة حيث أخبر عما ضربه عمر على أرض العراق من الدراهم والقنيزان، وعما ضرب من الخراج بالشام ومصر قبل وجود ذلك، صلوات الله وسلامه عليه، وقد اختلف الناس في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «منعت العراق» إلخ، فقيل: معناه أنهم يُسلمون فيسقط عنهم الخراج، ورجحه البيهقي [دلائل ٣٣٠/٦]، وقيل: معناه أنهم يرجعون عن الطاعة ولا يؤثرون الخراج المضروب عليهم، ولهذا قال: «وعدتم من حيث بدأت»، أي رجعتهم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك، كما ثبت في «صحيح مسلم» [١٤٥، ١٤٦]: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء».

ويؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد [مسند: ٣١٧/٣] حدثنا إسماعيل عن الحريري عن أبي نصره قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يحيي إليهم قنيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يحيي إليهم دينار ولا مُدُنِي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، يمنعون ذاك، قال: ثم سكت عنهم، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أممي خليفة يحيي المال حياً، لا يُلْدَغُ عدلاً»، قال الجريري: فقلت لأبي نصره وأبي العلاء: أترى أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا.

وقد رواه مسلم [٢٩١٣] من حديث إسماعيل ابن إبراهيم بن علي وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن سعيد بن إلياس الجريري عن أبي نصره التمر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر كما تقدم، والعجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي احتج به على ما رجحه من أحد القولين المتقدمين، وفيما سلكه نظر، والظاهر خلافه.

وثبت في «الصحيحين» [من غير وجه أن رسول الله ﷺ وقَّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الحففة، ولأهل اليمن يَلْمَلَمُ].

وفي «صحيح مسلم» [عن جابر: ولأهل العراق ذات عرق، فهذا من دلائل النبوة، حيث أخبر عما وقع من حج أهل الشام واليمن والعراق، صلوات الله وسلامه عليه].

وفي «الصحيحين» [خ (٢٨٩٧)] [م (٢٥٣٧)] من حديث سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يزفون فيه فنام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقال: نعم، فيُتَّح لهم، ثم يأتي على الناس زمان يزفون فيه فنام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من صحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقال: نعم، فيُتَّح لهم، ثم يأتي على الناس زمان يزفون فيه فنام من الناس، فيقال: هل فيكم من صحب من صاحبهم؟ فيقال: نعم، فيُتَّح لهم».

وثبت في «الصحيحين» [خ (٤٨٩٧)] [م (٢٥٤٦) (٢٣١)] من حديث ثور بن زيد، عن أبي الفيث، عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند رسول

ستين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثني عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين.

قلت: وتكمل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحواً من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة، كما سيأتي بيانه وتفصيله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن فضيل، حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلافة نوبة ثلاثون عاماً ثم يؤتي الله الملك من يشاء»، فقال معاوية: رضيئنا بالملك.

وهذا الحديث فيه رد صريح على الروافض المتكرين لخلافة الثلاثة، وعلى النواصب من بني أمية ومن تبعهم من أهل الشام، في إنكار خلافة علي بن أبي طالب، فإن قيل: فما وجه الجمع بين حديث سفيان وبين حديث جابر بن سمرة المتقدم في «صحيح مسلم»: «لا يزال هذا الدين قائماً ما كان في الناس اثنا عشر خليفة كلهم من قریش؟» فالجواب: إن من الناس من قال: إن الدين لم يزل قائماً حتى ولي اثنا عشر خليفة، ثم وقع تخييط بعدهم في زمان بني أمية، وقال آخرون: بل هذا الحديث فيه بشارة بوجود اثني عشر خليفة عادلاً من قریش. وإن لم يوجدوا على الولاء، وإنما اتفق وقوع الخلافة المتابعة بعد النبوة في ثلاثين سنة، ثم قد كان بعد ذلك خلفاء راشدون، فمنهم عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي رضي الله عنه، وقد نص على خلافته وعده وكونه من الخلفاء الراشدين. غير واحد من الأئمة، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ليس قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، ومنهم من ذكر من هؤلاء المهدي بامر الله العباسي، والمهدي المبشر بوجوده في آخر الزمان منهم أيضاً بالنص على كونه من أهل البيت، واسمه محمد بن عبد الله، وليس بالمتنظر في سرداب سمره فإن ذلك ليس بموجود بالكلية، وإنما يتنظره الجهلة من الروافض.

وقد تقدم في «الصحيحين» من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد هممت أن ادعو أبائكم وأخلكم وأكتب كتاباً لتلا يقول قائل، أو يتمنى متمن»، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أي الله والمؤمنون إلا أبا بكر». وهكذا وقع، فإن الله ولأه وبإيمه المؤمنون قاطبة كما تقدم.

وفي «صحيح البخاري»: أن امرأة قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجذك؟ - كأنها تعرض بالموت - فقال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر».

وثبت في «الصحيحين» (ج ٣٩٣) (ج ٢٢٩٣) من حديث ابن عمر وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيتني على قليب، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي حنيفة فترع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غزياً، فلم أر عبقرياً من الناس يفري قرينه، حتى ضرب الناس بعطن»، قال الشافعي رحمه الله: رؤيا الأنبياء وحى، وقوله: «وفي نزعه ضعف»، قصر مدته، وعجله موته، واشتغاله بحرب أهل الردة عن الفتوح الذي ناله عمر بن الخطاب في طول مدته.

قلت: وهذا فيه البشارة بولايتهما على الناس، فوقع كما أخبر سواء، ولهذا جاء في الحديث الآخر الذي رواه أحمد (ج ٣٩٩/٥) والترمذي (ج ٣٩٦٣/٣٩٦٢) وابن ماجه (ج ٩٧) وابن حبان (الإحسان ٦٩٠٢) من حديث ربيعة بن حراش، عن حليفة بن اليمان، عن النبي ﷺ أنه قال:

«اقتدوا بالثخين من بعدي، أبي بكر وعمر» رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حسن، وأخرجه الترمذي (ج ٣٨٠) من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ، وتقدم من طريق الزهري عن رجل عن أبي ذر حديث تسيح الحصى في يد رسول الله ﷺ، ثم يد أبي بكر، ثم يد عمر، ثم عثمان، وقوله عليه الصلاة والسلام: «هذه خلافة النبوة».

وفي «الصحيح» (ج ٣٩٣) (ج ٢٤٠٣) من أبي موسى قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً فلقى رجليه في القف فقلت: لأكونن اليوم بواب رسول الله ﷺ، فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال: افتح، فقلت: من أنت؟ قال: أبو بكر، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «افتح له ويشره بالجنة»، ثم جاء عمر فقال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: «أئذن له ويشره بالجنة على بلوى نصيه»، فدخل وهو يقول: الله المستعان.

وثبت في «صحيح البخاري» (ج ٣٩٧) من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: صد رسول الله ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل، فضره رسول الله ﷺ برجله وقال: «أثبت أحد، فلما عليك نبي وصديق وشهيدان».

وقال عبد الرزاق (ج ٢٤١) أخبرنا معمر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أن حراء أرتج وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «أثبت ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» قال معمر: قد سمعت قتادة يحدث عن النبي ﷺ مثله.

وقد روى مسلم (ج ٢٤١٧) (ج ٥٠) عن قتية عن الدوادري، عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: «أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

وهذا من دلائل النبوة، فإن هؤلاء كلهم أصابوا الشهادة، واختص رسول الله ﷺ بأعلى مراتب الرسالة والنبوة، واختص أبو بكر بأعلى مقامات الصديقية.

وقد ثبت في «الصحيح» الشهادة لل عشرة بالجنة بل لجميع من شهد بيعة الرضوان عام الحديبية، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل: وثلاثمائة، وقيل: وخمسمائة، فكلهم استمر على السداد والاستقامة حتى مات رضي الله عنهم أجمعين.

وثبت في «صحيح البخاري» (ج ٦٥٤١) البشارة لمكاشاة بأنه من أهل الجنة فقتل شهيداً يوم البعثة.

وفي «الصحيحين» (ج ٦٥٤٢) (ج ٢٠١٦) (ج ٣٩٩) من حديث يونس عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بغير حساب، نصي وجوهمهم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقام عكاشة بن عصن الأسدي يبر غمرة عليه، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال النبي ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقت بها عكاشة».

وهذا الحديث قد روي من طرق متعدة تفيد القطع، وسورده في باب صفة الجنة، وسنذكر في قتال أهل الردة أن طليحة الأسدي قتل عكاشة بن عصن شهيداً رضي الله عنه، ثم رجع طليحة الأسدي عما كان يدعيه من النبوة وتاب إلى الله، وقدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه واعتمر وحسن إسلامه.

وقد ثبت في «الصحيحين» (ج ٣٩٢١) (ج ٢٢٧٤) من حديث أبي

هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم رأيت كأنه وُضع في يدي سوران فلفظتهما، فأوحى إليّ في المنام: أن اتخهما، فنخضهما فطارا، فأولتهما كذاين يخرجان، صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة».

وقد تقدم في الرؤود عليه الصلاة والسلام أنه قال لمسيلة حين قدم مع قومه وجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فوقف عليه رسول الله ﷺ وقال له: «والله لو سألتني هذا السبب ما أعطيتك، ولكن أدبرت ليقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت». وهكذا وقع، عقره الله وأهانته وكسره وغلبه يوم اليمامة، كما قُتل الأسود العنسي بصنعاء، على ما سنورده إن شاء الله تعالى.

وروى البيهقي [٣٥٩/٦] من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس قال: لقي رسول الله ﷺ مسيلة فقال له: مسيلة: أتشهد أنني رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «أمنت بالله وزسله»، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا رجل أخر لهلكة قومه».

وقد ثبت في الحديث الآخر أن مسيلة كتب بعد ذلك إلى النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، من مسيلة رسول الله، إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد فإني قد اشركت في الأمر بعنك، فلك المرد ولي الوير ولكن قريشاً قوم يعتنون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

وقد جعل الله العاقبة لحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، لأنهم هم المتقون وهم العادلون المؤمنون، لا من عداهم، وقد وردت الأحاديث المروية من طرق عنه ﷺ في الإخبار عن الردة التي وقعت في زمن الصديق فقاتلهم الصديق بالجنود الحمدية حتى رجعوا إلى دين الله أفواجاً، وعذّب مائة الإيمان كما كان يعلم صارا أجاجاً، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِعَذَابٍ عَظِيمٍ وَيُحْيِيَهُمْ وَيُجِيبُونَهُ أَجَلًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٩]. قال المفسرون [الطبري ٨٢/٦، ٨٣]: هم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم.

وثبت في [الصحيحين] ج (٣٦٢/٣) م (٢٤٥٠، ٩٨، ٩٩) من حديث عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة في قصة مسارة النبي ﷺ ابنة فاطمة وإخباره إياها بأن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، فوائه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، فبكت، ثم سارها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقاً به، فكان كما أخبر.

قال البيهقي [٣٦٥/٦] واختلفوا في مكث فاطمة بعد رسول الله ﷺ قليل: شهران، وقيل: ثلاثة، وقيل: ستة، وقيل: ثمانية، قال: وأصح الروايات رواية الزهري عن عروة عن عائشة قالت: مكثت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر. أخرجه في [الصحيحين] ج (٣٠٩/٣) م (١٧٥٩).

ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلية:

فمن ذلك ما ثبت في [الصحيحين] ج (٣٤٦٩) م (٢٣٩٨) من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: قال

رسول الله ﷺ: «إنه قد كان في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب».

وقد قال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبو إسرائيل، كوفي، عن الوليد بن الغزير عن عمرو بن ميمون عن علي رضي الله عنه، قال: ما كنا تنكر ونحن متوافرون - أصحاب محمد ﷺ - أن السكنية تنطق على لسان عمر. قال البيهقي: تابعه زُر بن حبيش والشعبي عن علي.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنا نحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك.

وقد ذكرنا في «سيرة عمر بن الخطاب» رضي الله عنه أشياء كثيرة، من مكاشفاته وما كان يُخبر به عن الغيبات كقصّة سارية بن زُئيم، وما شاكلها ولله الحمد والمنة.

ومن ذلك ما رواه البخاري ج (١٤٢٠) من حديث فراس، عن الشعبي، عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: أن نساء النبي ﷺ اجتمعن عنده فقلن يوماً: يا رسول الله أئنا أسرع بك لحوقاً؟ فقال: «أطولكن يداً» وكانت سودة أطولنا ذراعاً، فكانت أسرعنا به لحوقاً. هكذا وقع في [الصحيح] عند البخاري أنها سودة، وقد رواه يونس بن بكير عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي فذكر الحديث مرسلًا، وقال: فلما توفيت زينب عَلِمْنَ أنها كانت أطولهن يداً في الخير والصدقة.

والذي رواه مسلم ج (٢٤٥٢) م (٢٤٥٢) عن محمود بن غيلان عن الفضل بن موسى عن طلحة بن يحيى بن طلحة، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فذكرت الحديث وفيه: فكانت زينب أطولنا يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتصق. وهذا هو المشهور عن علماء التاريخ أن زينب بنت جحش كانت أول أزواج النبي ﷺ وفاة.

قال الواقدي: توفيت ستة عشر، وصلى عليها عمر بن الخطاب. قلت: وأما سودة فإنها توفيت في آخر إمارة عمر بن الخطاب أيضاً، قاله ابن أبي خيثمة، ومن ذلك ما رواه مسلم ج (٢٤٤٢) م (٢٤٤٢) من حديث أسير بن جابر عن عمر بن الخطاب في قصة أوس القرني، وإخباره عليه الصلاة والسلام عنه بأنه خير التابعين وأنه كان به بَرَص فدعا الله فذهب عنه، إلا موضعاً قدر الدرهم من جسده، وأنه بارأ يامه، وأمره لعمر بن الخطاب أن يستغفر له، وقد وجد هذا الرجل في زمان عمر بن الخطاب على الصفة والنعت الذي ذكره في الحديث سواء. وقد ذكرت طرق هذا الحديث والآفاظه والكلام عليه مطولاً في الذي جمعته من «مسند عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ولله الحمد والمنة.

ومن ذلك ما رواه أبو داود ج (٥٩١) م (٥٩١): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، حدثني جنتي وعبيد الرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم ورقة بنت نوفل: أن رسول الله ﷺ لما غزا بدرًا قالت: يا رسول الله أئذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم، لعل الله يرزقني الشهادة، فقال لها: «قبري في يشك فإن الله يرزقك الشهادة»، فكانت تسمى الشهيدة، وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في بيتها فأذن يؤذن لها، وكانت دبّرت غلاماً لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغمّاهما في قطيفة لها حتى ماتت ودعاها، فأصبح عمر فقام في الناس وقال: من عنده من هذين علم أو من رأهما فليجي بهما - يعني فجئ بهما - فأمر بهما فصُلِّيا، وكانا أول مصلوتين بالمدينة.

وقع من بعد مقتل عمر، وقست الفتن في الناس، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

وقد قال يعلى بن عبيد عن الأعمش، عن شقيق عن عذرة بن قيس قال: خطبنا خالد بن الوليد فقال: إن أمير المؤمنين عمر بعثني إلى الشام فحين ألقى بوائبه بئيتي وعسلأ أراد أن يؤثر بها غيري ويبعثني إلى الهند، فقال رجل من تحت: أصبر أيها الأمير، فإن الفتن قد ظهرت، فقال خالد: أما وابن الخطاب حي فلا، وإلما ذاك بعده.

وقد روى الإمام أحمد (٨٨/٢) حديثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: أبصر رسول الله ﷺ على عمر ثوباً فقال: «الجديد ثوبك أم غسيل؟» قال: بل غسيل، قال: «ليس جديداً، وعيش حيداً، ومث شهيداً»، وأظنه قال: «ويرزقك الله قرّة عين في الدنيا والآخرة». وهكذا رواه النسائي والكوي (١٠١٤٣) وابن ماجه (٢٥٥٨) من حديث عبد الرزاق به، ثم قال النسائي: هذا حديث منكرو، أنكره يحيى القطان على عبد الرزاق، وقد روي عن الزهري من وجه آخر مرسلأ. قال حمزة بن محمد الكتاني الحافظ: لا أعلم أحداً رواه عن الزهري غير معمر، وما أحسبه بالصحيح، والله أعلم.

قلت: رجال إسناده واتصاله على شرط «الصحيحين» وقد قيل الشيخان، تفرد معمر عن الزهري في غير ما حديث.

ثم قد روى الزبارة (كشف الاستار ٢٥٠٣) هذا الحديث من طريق جابر الجعفي - وهو ضعيف - عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله مرفوعاً مثله سواء: وقد وقع ما أخبر به في هذا الحديث، فإنه رضي الله عنه قتل شهيداً وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وقد تقدم حديث أبي ذر في تسييح الحصا في يد أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وقوله عليه الصلاة والسلام: «هذه خلافة النبوة».

وقال نعيم بن حماد (٢٥٨): حديثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا حشر بن نباتة، عن سعيد بن جهمان عن سفيان قال: لما بنى رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء أبو بكر بمحجر فوضعه، ثم جاء عمر بمحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بمحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء يكونون الخلفاء بعدي». وقد تقدم في حديث عبد الله بن حوالة لوجه ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا: موتي، وقتل خليفة مصطبر، والدجال»، وفي حديثه الآخر. الأمر باتباع عثمان عند وقوع الفتنة.

وثبت في «الصحيحين» (ع ٣٦٧٤) (م ٢٤٠٣ ٢٤٠٤) من حديث سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر عن سعيد بن المسيب عن أبي موسى قال: توفيات في بيعي، ثم خرجت فقلت: لأكونن اليوم مع رسول الله ﷺ، فبحثت المسجد فسألت عنه فقالوا: خرج وتوجه ههنا، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس - بابها من جريد - فمكثت عند بابها حتى ظننت أن النبي ﷺ قد قضى حاجته وجلس، فبحثت فسلمت عليه وإذا هو قد جلس على قفأ بئر أريس فترسطه ثم دلى رجله في البئر وكشف عن ساقه، فرجعت إلى الباب وقلت: لأكونن برباب رسول الله ﷺ، فلم انشب أن دق الباب فقلت: من هنا؟ قال: أبو بكر، قلت: على رسلك، وذهبت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن فقال: «إذن له ويشرو بالجنة»، قال: فخرجت مسرعاً حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس إلى جنب النبي ﷺ في القف على يمينه ودلى رجله وكشف عن ساقه كما صنع النبي

وقد رواه البيهقي (دلائل ٣٨١/٦) من حديث أبي نعيم: حديثنا الوليد بن جنيح، حديثي جدتي، عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسمها الشهيدة، فذكر الحديث وفي آخره: فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

ومن ذلك ما رواه البخاري (ع ٣١٧٦) من حديث أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك في حديثه عنه في الآيات الست بعد موته وفيه: «ثم موتان يأخذكم كقصاص الغنم»، وهذا قد وقع في أيام عمر، وهو طاعون عمواس ستة ثمانين عشرة، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة، منهم معاذ بن جبل، وأبو عبيدة، وزيد بن أبي سفيان، وشرحيل ابن حسنة، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو وأبوه، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال الإمام أحمد (٢٢٨/٥) حديثنا وكيع، حديثنا النهاس بن قهم، حديثنا شداد أبو عمار، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «ست من أشراف الساعة، موتي، وتفتح بيت المقدس، وموت يأخذ في الناس كقصاص الغنم، وفتنة يدخل خرثها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيسخطها، وأن يغتفر الروم فيسيرون إليكم بثمانين دناراً تحت كل بنسار اثنا عشر ألفاً».

وقد قال الحافظ البيهقي (دلائل ٣٨٥/٦): أنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، حديثنا أبو العباس عماد بن يعقوب، حديثنا بحر بن نصر، حديثنا ابن وهب، أخبرني ابن لبيعة، عن عبد الله بن حيان أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر عمومة، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أيها الناس، إنما هذا الوبع رجس فتخروا عنه، فقام شرحبيل ابن حسنة فقال: يا أيها الناس، إني قد سمعت قول صاحبكم، وإني والله لقد أسلمت وصليت، وإن غمراً لأضل من بعير أهله، وإلما هو بلاد أنزله الله عز وجل، فاصبروا، فقام معاذ بن جبل فقال: يا أيها الناس، إني قد سمعت قول صاحبكم فحين، وإن هذا الطاعون رحمة بكم ودعوة نبيكم ﷺ، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم ستعلمون الشام فتزلون أرضاً يقال لها: أرض عمومة، فيخرج بكم فيها خرثجان له ذباب كذباب العمل، يستشهد الله به أنفسكم وذرايكم ويذكرى به أموالكم»، اللهم إن كنت تعلم أي قد سمعت هذا من رسول الله ﷺ فارزق مسافداً وأكل معاذ منه الحظ الأوفى ولا تماته منه، قال: فطمعن في السبابة فجعل ينظر إليها ويقول: اللهم بارك فيها، فإنك إذا باركت في الصغير كان كبيراً، ثم طمعن ابنه فدخل عليه فقال: «الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» (يونس ٩٤) فقال: «ستجئني إن شاء الله من الصابرين» (الصالحات ١٠٢).

وثبت في «الصحيحين» (ع ٧٠٩٦) (م ١٤٤ ١٤٦، ١٤٧، ...) من حديث الأعمش وجامع بن أبي راشد، عن شقيق بن سلمة، عن حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، قال: هات، إنك لجري، فقلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ليس هذا أعني، إنما أعني التي تموج موج البحر، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: ويحك، أفتفتح الباب أم يكسر؟ قلت: بل يكسر، قال: إذا لا يعلق أبداً، قلت: أجل، فقلنا لحذيفة: فكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فهنا إن نسل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق فسأله، فقال عمر. وهكذا

عائشة فذكر مثله، وأخرجه ابن ماجه [١١٣] من حديث وكيع.
وقال نعيم بن حماد في كتابه «الفن والملاحم»: [الفن ٢٠٢] حدثنا عتاب بن بشير عن خفيف عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ وعثمان بين يديه يناجيه، فلم أدرك من مقاله شيئاً إلا قول عثمان: ظلماً وعدواناً يا رسول الله؟ فما دريت ما هو حتى قتل عثمان، فعلمت أن رسول الله ﷺ إنما عني قتله، قالت عائشة: وما أحبيت أن يصل إلى عثمان شيء إلا وصل إليّ مثله غيره أن الله علم أنني لم أحب قتله، ولو أحبيت قتله لقتلت، وذلك لما رمى هودجها من النبل حتى صار مثل التفند.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ٤٣٩]: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن المطلب عن حنيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتختلصوا بأسيا فكم، ويرث دنياكم شراركم».

وقال البيهقي [دلائل ٣٩٢، ٣٩٣]: أنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا علي بن محمد المصري، حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا عبد الله بن صالح. حدثني الليث، حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف أنه حدثه أنه جلس يوماً مع شفي الأصبحي فقال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون فيكم اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق، لا يلبث خلفي إلا قليلاً، وصاحب رحي العرب يعيش حيداً ويموت شهيداً» فقال رجل: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «عمر بن الخطاب»، ثم التفت إلى عثمان فقال: «وأنت يسألك الناس أن تخلع قميصاً كساه الله، والذي بعثي بالحق لئن خلعتك لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

ثم روى البيهقي [دلائل ٣٩٣/١] من حديث موسى بن عقبة: حدثني جدي أبو أمي، أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافاً»، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ أو ما تأمرنا؟ فقال: «عليكم بالأئمين وأصحابه»، وهو يشير إلى عثمان بذلك.

وقد رواه الإمام أحمد [٣٤٤/٢، ٣٤٥] عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة به، وقد تقدم في حديث عبد الله بن حوالة شامدان له بالصحة والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٣٩٣/١]: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية عن عبد الله - هو ابن مسعود - عن النبي ﷺ قال: «تدور رحي الإسلام لحسن وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسييل من قد هلك، وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً». قال: قلت: أما مضى أو عما بقي؟ قال: «عما بقي».

ورواه أبو داود [٤٢٥٤/د] عن محمد بن سليمان الأنباري عن عبد الرحمن بن مهدي به.

ثم رواه أحمد [٣٩٣/١] عن إسحاق، وحجاج عن سفيان عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية الكاهلي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «إن رحي الإسلام ستزول لحسن وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلك فسييل من هلك، وأن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً». قال: قال: عمر: يا رسول الله أما مضى أو عما بقي؟ قال: «بل بما بقي».

ثم رجعت وقد كنت تركت أخي يتوضأ وقد كان قال لي: أنا على إثرك، فقلت: إن يُرد الله بفلان خيراً يأتي به، قال: فسمعت تحريك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عمر، قلت: على رسلك، قال: وجئت النبي ﷺ، فسلمت عليه وأخبرته، فقال: «أذن له ويشره بالجنة»، قال: فجلست وأذنت له وقلت له: رسول الله ﷺ يشرك بالجنة، قال: فدخل حتى جلس مع رسول الله ﷺ على يساره وكشف عن ساقه ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وأبو بكر، قال: ثم رجعت فقلت: إن يُرد الله بفلان خيراً يأتي به - حريد أخاه - فإذا تحريك الباب، فقلت: من هذا؟ قال: عثمان بن عفان، قلت: على رسلك، ودجبت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا عثمان يستأذن، فقال: «أذن له ويشره بالجنة مع بلوى أو بلاء يصيبه، قال: فجلست فقلت: رسول الله ﷺ يأذن لك ويشرك بالجنة مع بلوى أو بلاء يصيبك، فدخل وهو يقول: الله المستعان، فلم يجد في القف مجلساً فجلس وجأههم من شق البئر، وكشف عن ساقه ودلأهما في البئر، كما صنع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبرهم، اجتمعت وانفرد عثمان.

وقد روى البيهقي [دلائل النبوة ٢٨٩/٦، ٣٩٠] من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن إبراهيم بن محمد بن حاطب عن عبد الرحمن بن مَعْرُز عن زيد بن أرقم قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: «انطلق حتى تأتي أبا بكر فتجده في داره جالساً حثيياً فقل: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة»، ثم انطلق حتى تأتي النثية فتلقى عمر راجباً على حمار تلوح صلته، فقل: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة، ثم انصرف حتى تأتي عثمان فتجده في السوق يبيع ويتاع، فقل: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام. ويقول: أبشر بالجنة بعد بلاء شديد، فذكر الحديث في ذهابه إليهم فوجد كلاً منهم كما ذكر رسول الله ﷺ، وكلاً منهم يقول: أين رسول الله؟ فيقول: في مكان كذا وكذا، فيذهب إليه، وأن عثمان لما رجع قال: يا رسول الله وأبي بلاء يصيبني؟ والذي بعثك بالحق ما تنيت ولا غيت ولا مست ذكري يميني منذ يابعتك فأي بلاء يصيبني؟ فقال: «هو ذاك».

ثم قال البيهقي: عبد الأعلى ضعيف، فإن كان حفظ هذا الحديث فيحتمل أن رسول الله ﷺ بعث إليهم زيد بن أرقم فجاءوا وأبو موسى جالس على الباب كما تقدم، وهذا البلاء الذي أصابه هو ما اتفق وقوعه له على يدي من أنكر عليه من رعا أهل الأمصار بلا علم، فوقع ما سنذكره في دولته إن شاء الله من حصرهم إياه في داره حتى أكل الحال بعد ذلك كله إلى اضطهاده وقلته وإلقائه على الطريق أياماً، لا يصلى عليه ولا يلتفت إليه، حتى غُسل بعد ذلك وصلى عليه ودفن بمش كركب - بستان في طريق البقيع - رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنات الفردوس مثقله ومثواه.

كما قال الإمام أحمد [٥١/٦، ٥٢]، حدثنا يحيى عن إسماعيل بن قيس عن أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي». قلت: أبو بكر؟ قال: «لا» قلت: عمر؟ قال: «لا»، قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا قلت: عثمان؟ قال: «نعم»، فلما جاء عثمان قال: «تحي»، فجعل يسأله ولون عثمان يتغير، قال أبو سهلة: فلما كان يوم الدار وحضر فيها، قلنا يا أمير المؤمنين ألا تقتال؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإني صابر نفسي عليه.

تفرد به أحمد، ثم قد رواه أحمد عن وكيع عن إسماعيل عن قيس عن

واحد: توفي سنة ثنتين وثلاثين، رضي الله عنه.

٦٧- ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام

عثمان بن عفان وفي خلافة علي رضي الله عنهما

ثبت في «الصحاحين» [ج: ١٨٧٨] [م: ٢٨٨٥] من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد «أن رسول الله ﷺ أشرف على أطم من أطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟ إنني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر».

وروى الإمام أحمد [٣٨٨/٥، ٤٠٧] ومسلم [٢٨٩١] من حديث الزهري عن أبي إدريس الخولاني: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما ذاك أن يكون رسول الله ﷺ حدثني من ذلك شيئاً أسره إلي لم يكن حدث به غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال: - وهو يحدث مجلساً أنا فيه - سئل عن الفتن وهو يعد الفتن: «فيهن ثلاث لا يذرن شيئاً منهن كريح الصيف منها صغار ومنها كبار» قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري، وهذا لفظ أحمد.

قال البيهقي [دلائل ٤٠٦/٦]: مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان، وقبل الفتنتين الأخريتين في أيام علي.

قلت: قال المعجلي وغير واحد من علماء التاريخ [تاريخ الفقات: ١١١]: كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً، وهو الذي قال: لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً، وقال: لو أن أحداً ارتقص لما صنعتهم بعثمان لكان جليلاً أن يرقص، وقال الإمام أحمد [٤٢٨/٦]: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان أربع نسوة - قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو يحمر الوجه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» - وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها - قلت: يا رسول الله أنهلك وفيها الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثرت الخبث».

هكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة به، وكذلك رواه مسلم [٢٨٨٠] (...) عن أبي بكر بن أبي شيبة وسعيد بن عمرو الأشعري وزهير بن حرب وابن أبي عمر كلهم عن سفيان بن عيينة به سواء.

ورواه الترمذي [٢١٨٧] عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي وغير واحد: كلهم عن سفيان بن عيينة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الترمذي: قال الحميدي عن سفيان: حفظت من الزهري في هذا الإسناد أربع نسوة.

قلت: وقد أخرجه البخاري [٧٠٥٩] عن مالك بن إسماعيل ومسلم [٢٨٨٠] (٢١) عن عمرو الناقد عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن زينب عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش فلم يذكرها حبيبة في الإسناد، وكذلك رواه عن الزهري شعيب ومالك بن كيسان وعقيل ومحمد بن إسحاق ومحمد بن أبي عتيق ويونس بن يزيد فلم يذكرها عنه في الإسناد حبيبة والله أعلم، فعلى ما رواه أحمد ومن تابعه عن سفيان بن عيينة، يكون قد اجتمع في هذا الإسناد تابعيان، وهما الزهري وعروة بن

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور به، فقال له عمر فذكره.

قال البيهقي: وقد تابع إسرائيل الأعمش وسفيان الثوري عن منصور، قال: وبلغني أن في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام علي، وأراد بالسجين ملك بني أمية، فإنه بقي ما بين أن استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعوة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه، نحواً من سبعين سنة.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [١٥٥/٥]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه عن أم زر قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاء بكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يد لي بدفنك، وليس عندي ثوب يسعك فأفكنتك فيه، قال فلا تبكي وأبشري، فلما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك نفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة، وإني أنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كذب ولا كذبت. فنرد به أحمد رحمه الله.

وقد رواه البيهقي [دلائل ٤٠٦/٦، ٤٠٧] من حديث علي بن المديني عن يحيى بن سليم الطائفي به مطولاً، والحديث مشهور في موته رضي الله عنه بالريضة سنة ثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان بن عفان، وكان في نفر الذين قدموا عليه وهو في السياق عبد الله بن مسعود، وهو الذي صلى عليه ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليالٍ ومات رضي الله عنه.

حديث آخر:

قال البيهقي [دلائل ٤٠٣/٦]: أنا الحاكم، أنا الأصم، حدثنا محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا عمر بن سعيد المشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي عبد الله الأشعري عن أبي الدرداء. قال: قلت: يا رسول الله بلغني أنك تقول: «ليرتدن أقدام بعد إيمانهم، قال: أجل، ولست منهم». قال: فتوفي أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا صفوان حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله أو عبد الغفار بن إسماعيل بن عبيد الله عن أبيه أنه حدثه عن شيخ من السلف قال: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، أنتظرون من يرد علي منكم، فلا ألقين أنازع أحدكم، فأقول: إنه من أمي، فيقال: هل تدري ما أحدثوا بعدك؟» قال أبو الدرداء: فتخوفت أن أكون منهم، فأثيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنك لست منهم». قال فتوفي أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان، وقيل أن تقع الفتن.

قال البيهقي: تابعه يزيد بن أبي مریم عن أبي عبيد الله مسلم بن مشكم عن أبي الدرداء إلى قوله: «لست منهم».

قلت: قال سعيد بن عبد العزيز: [تاريخ أبي ذرعة المشقي ٢٢٠] توفي أبو الدرداء لستين بيتاً من خلافة عثمان، وقال الواقدي وأبو عبيد وغير

كان ذلك ذات سيفك أحداً فاضرب به عُرْضَهُ، وكُسر بُلْك، واقطع وَتَرَكَ واجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو يعافيك الله. فقد كان ما قال رسول الله ﷺ، وفعلت ما أمرني به، ثم استترَل سيفاً كان معلقاً بعمود الفسطاط واختطفه فإذا سيف من خشب فقال: قد فعلتُ ما أمرني به واتخذت هذا أُرْهَب به الناس. تفرد به أحمد.

وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، حدثنا علي بن عيسى الحيري، أخبرنا أحمد بن نجة القرشي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثنا سالم بن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة أنه قال: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلون؟ قال: «أخرج سيفك إلى الحفرة فتصيرُها به ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة».

وقال الإمام أحمد [٢٧٦/٤]: حدثنا عبد الصمد، حدثنا زياد بن مسلم أبو عمر، حدثنا أبو الأشعث الصنعاني قال: بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير، فلما قلمت المدينة دخلت على فلان - نسي زياد اسمه - فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى؟ قال: أوصاني خليلي أبو القاسم: «إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاصعد إلى أحد فأكسر به حدَّ سيفك ثم اقعِد في بيتك، فإن دخل عليك أحد البيت فقم إلى المخدع، فإن دخل عليك المخدع فاجث على ركبتيك وقل: بُوْ بِلْئِمِي وإني فكنون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين»، فقد كسرت سيفي وقصدت في بيتي. هكذا وقع إيراد هذا الحديث في مسند محمد بن مسلمة عند الإمام أحمد، ولكن وقع إيهام اسمه، وليس هو محمد بن مسلمة بل صحابي آخر، فإن محمد بن مسلمة رضي الله عنه لا خلاف عند أهل التاريخ أنه توفي فيما بين الأربعين إلى الخمسين، فقبل سنة تسين وقيل: ثلاث، وقيل: سبع وأربعين، ولم يدرك أيام يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير بلا خلاف، فتعين أنه صحابي آخر خبره كخبر محمد بن مسلمة.

وقال نعيم بن حماد في «الفتن والملاحم» [٢٧١/١]: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة حدثنا أبو عمرو القسطلي عن بنت أهبان الغفاري أن علياً أتى أهبان فقال: ما يمتك أن تتبعنا؟ فقال: أوصاني خليلي وابن عمك ﷺ: أن: «مستكون فرقة وفتنة واختلاف، فإذا كان ذلك فأكسر سيفك واقعد في بيتك واتخذ سيفاً من خشب»، وقد رواه أحمد [٦٩/٥] عن عفان وأسد بن عامر ومُؤمل ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به، وزاد مؤمل في روايته بعد قوله: «واتخذ سيفاً من خشب:» «واقعد في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية».

ورواه الإمام أحمد [٣٩٣/٦] أيضاً والترمذي [٣٢٠/٣] وابن ماجه [٣٩٦٠] من حديث عبد الله بن عبيد الليلي عن عُدَيْسَة بنت أهبان بن صيفي عن أبيها به، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عُبَيْد، كذا قال، وقد تقدم من غير طريقه.

وقال البخاري [٣٦٠/١]: حدثنا عبد العزيز الأديسي، حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مستكون فن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تستشرفه، وَمَنْ وَجَدَ ملجأ أو معاذاً فَلْيَعِدْ به».

وعن ابن شهاب [٣٦٠/٢] ع: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن عبد الرحمن بن مطيع بن الأسود عن نوفل بن معاوية مثل

الزبير، وأربع صحابيات وبيتان وزوجتان وهذا عزيز جداً. ثم قال البخاري [٣٥٩٩] بعد رواية الحديث المتقدم: عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري فذكره إلى آخره، ثم قال: وعن الزهري حدثني هند بنت الحارث أن أم سلمة قالت: استيقظ رسول الله ﷺ فقال: «سبحان الله ماذا أنزل من الخزان؟! وماذا أنزل من الفتن؟!». وقد أسنده البخاري في مواضع أخر من طرق عن الزهري به [١١٥]. ورواه الترمذي [٢١٩٦] من حديث معمر عن الزهري، وقال: حسن صحيح.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود (١٩٢)]: حدثنا الصلت بن دينار، حدثنا عقبة بن صهبان وأبو رجاء العطاردي قالوا: سمعنا الزبير وهو يتلو هذه الآية «وَأَقْرَأُ فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» [الأهل: ٢٥] قال: لقد تلوت هذه الآية زماناً وما أُراني من أهلها، فأصبحنا من أهلها، وهذا الإسناد ضعيف، ولكن روي من وجه آخر، فقال الإمام أحمد [١٦٧/١]: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا جرير قال: سمعت الحسن قال: قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع النبي ﷺ: «وَأَقْرَأُ فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» فجعلنا نقول: ما هذه الفتنة؟ وما نشر أنها تقع حيث وقعت.

ورواه النسائي [السنن الكبرى (١٢٠٦)] عن إسحاق بن إبراهيم عن ابن مهدي عن جرير بن حازم به. وقد قُتل الزبير بسوادي السباع مرجعه من قتال يوم الجمل على ما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال أبو داود السجستاني في «مسند» [٤٢٧٧]: حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص - سلام بن سليم - عن منصور عن هلال بن يساف عن سعيد بن زيد، قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة وعظم أمرها، فقلنا: يا رسول الله لن أدركتنا هذه لئلا نلحقها فقال: «كَلَّا إِنَّ بِمَجْهَمِكُمُ الْقَتْلَ»، قال سعيد: فزابت إخواني قتلوا. تفرد به أبو داود.

وقال أبو داود السجستاني [٤٦٦٣]: حدثنا الحسن بن علي، حدثنا يزيد، أنا هشام عن محمد قال: قال حنيفة: ما أحد من الناس تركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرك الفتنة»، وهذا منقطع.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أشعث بن أبي الشعثاء سمعت أبا بردة يحدث عن ثعلبة بن ضبيعة سمعت حنيفة يقول: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة، فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب، وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري، فسألته فقال: لا استقرَّ بحضري من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين.

قال البيهقي [دلائل (٤٠٨/٦)]: ورواه أبو داود [٤٦٦٤] - يعني السجستاني - عن عمرو بن مَرْزُوق عن شعبة به.

وقال أبو داود [٤٦٦٥]: حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوادة عن أشعث بن سليم عن أبي بردة عن ضبيعة بن حصين الثغلي عن حنيفة بمناه. قال البخاري في «التاريخ» [٣٤٣/٤، ٣٤٤]: هنا عندي أولي.

وقال الإمام أحمد [٤٩٣/٣]: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي بردة قال: مررت بالربذة فإذا فسطاط، فقلت: لمن هذا؟ فقلت: لمحمد بن مسلمة، فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت: رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكان، فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة وفُرقة واختلاف، فإذا

حدث أبي هريرة هذا.

وقد روى مسلم (٢٨٨٦/١٠) حديث أبي هريرة من طريق إبراهيم بن سعد كما رواه البخاري، وكذلك حديث نوفل بن معاوية بإسناد البخاري ولفظه [م ٢٨٨٦/١١]، ثم قال البخاري (٣٦٠٣): حدثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ستكون أثرة وأمرؤ تنكرونها»، فقالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم».

ورواه مسلم [١٨٤٣] من حديث الأعمش به.

وقال الإمام أحمد [٤٨/٥]: حدثنا روح، حدثنا عثمان الشحام، حدثنا مسلم بن أبي بكر عن أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنها ستكون فتن ثم تكون فتن، ألا فالأشقي فيها خير من الساعي إليها، والقاعد فيها خير من القائم فيها، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد، ألا فإذا نزلت فمن كان له غنم فليلحق بغمه، ألا ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، ألا ومن كانت له إبل فليلحق بإبله» فقال رجل من القوم: يا نبي الله جعلني الله فداك، أرايت من ليست له غنم ولا أرض ولا إبل كيف يصنع؟ قال: «ليأخذ سيفه ثم ليمجد به إلى صحرة، ثم ليقف على حذو بحر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت»، فقال رجل: يا رسول الله جعلني الله فداك، أرايت إن أخذ يدي مكرها حتى يطلق بي إلى أحد الصفيين أو إحدى الفتيين؟ - شك عثمان - فيحذني رجل سيفه فيقتلني، ماذا يكون من شائي؟ قال: «يؤمك يائمه ويؤمك من أصحاب النار». وهكذا رواه مسلم (٢٨٨٧) من حديث عثمان الشحام بنحوه، وهذا إخبار عن إقبال الفتن، وقد وردت أحاديث كثيرة في معنى هذا.

وقال الإمام أحمد (٥٢/٦): حدثنا يحيى عن إسماعيل، حدثنا قيس قال: لما أقبلت عائشة - يعني في سيرها إلى وقعة الجمل - وبلغت مياه بني عامر ليلاً، نبعت الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوаб، فقالت: ما أظني إلا راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «كيف يهلكن تنبئ عليها كلاب الحوаб».

ورواه نعيم بن حماد في «الملاحم» (الفتن ١٨٨) عن يزيد بن هارون عن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به.

ثم رواه أحمد (٩٧/٦) عن غندر عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوаб فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إن يكن ينبئ عليها كلاب الحوаб»، فقال لها الزبير: ترجعين؟ عسى الله أن يصلح بك بين الناس. وهذا إسناد على شرط «الصحيحين» ولم يخرجوه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار [كشف الأسرار (٣٧٧٤)]: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى عن عصام بن قدامة البجلي عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري أينكن صاحبة الجمل الأديب» تسير حتى تنبئها كلاب الحوаб، يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم قال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

وقال الطبراني المعجم الكبير ٣٧١، ٣٧٠/١٠ (١٠٧٣٨): حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، حدثنا نوح بن دراج عن الأجلح بن عبد الله عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن ابن عباس قال: لما بلغ أصحاب علي، حين ساروا إلى البصرة، أن أهل

البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير، شق عليهم، ووقع في قلوبهم، فقال علي: والذي لا إله غيره ليظهرن على أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير وليخزجن إليكم من الكوفة ستة آلاف وخمسة وخمسون رجلاً، أو خمسة آلاف وخمسة وخمسون رجلاً - شك الأجلح - قال ابن عباس: فوقع ذلك في نفسي، فلما أتى الكوفة خرجت فقلت: لأنظرون، فإن كان كما يقول فهو أمر سمعه، وإلا فهو خديعة الحرب، فلبت رجلاً من الجيش فسألته، فوالله ما عثم أن قال ما قال علي، قال ابن عباس: وهو ما كان رسول الله ﷺ يخبره.

وقال البيهقي [دلائل (٤١١/٦)]: أنا عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا أبو نعيم الفضل، حدثنا عبد الجبار بن الرزدي عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن أم سلمة قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال لها: «انظري يا حمراء أن لا تكوني أنت»، ثم التفت إلى علي وقال: «ها علي إن وليت بين أمرها شيئاً فافرق بها»، وهذا حديث غريب جداً.

وأغرب منه ما رواه البيهقي [دلائل (٤١٢/٦)، (٤١٣)]: أيضاً عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي نعيم عن عبد الجبار بن العباس الشامي عن عطاء بن السائب عن عمر بن المجنج عن أبي بكر قال: قيل له: ما يمنعك أن لا تكون قاتلت علي بصيرتك يوم الجمل؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم هلكى لا يفلحون، قاتلهم امرأة، قاتلهم في الجنة»، وهذا منكر جداً.

والحفظ ما رواه البخاري (٤٤٢٥) من حديث الحسن البصري عن أبي بكر قال: نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ - وبلنه أن فارس ملكوا عليهم امرأة كسرى - فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

وقال الإمام أحمد (٢٦٥/٤): حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم، سمعت أبا وائل قال: لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة يستغفرهم، خطب عمار فقال: «إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، لكن الله ابتلاكم لاتبوه أو لاها».

ورواه البخاري (٣٧٧٢) عن بنابر عن غندر، وهذا كله وقع في أيام الجمل، وقد نمت عائشة رضي الله عنها على ما كان من خروجها، على ما سنورده في موضعه، وكذلك الزبير بن العوام أيضاً، تذكر وهو واقف في المعركة أن قتاله في هذا الوطن ليس بصواب. فخرج عن ذلك.

قال عبد الرزاق: أنا معمر عن قتادة قال: لما ولي الزبير يوم الجمل بلغ علياً، فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه علي حتى ما رأى، وذلك أن النبي ﷺ لقبهما في سفيقة بني ساعدة فقال: «أحبني يا زبير؟» فقال: وما بمعني؟ قال: «تكفي بك إذا قاتلت وأنت ظالم له؟» قال: فيرون أنه إنما ولي لذلك، وهذا مرسل من هذا الوجه، وقد أسنده الحافظ البيهقي من وجه آخر فقال [دلائل (٤١٤/٦)، (٤١٥)]: أنا أبو بكر - أحمد بن الحسن القاضي - حدثنا أبو عمرو بن مطر، أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي، حدثنا سنجاب بن الحارث، حدثنا عبد الله بن الأجلح، حدثنا أبي عن يزيد الفقيير عن أبيه قال: وسمعت فضل بن فضالة يحدث أبي عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي عن أبيه، دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه، قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ، فتأدى: أصدوا لي الزبير بن العوام، فإني علي، فدعني له الزبير فاقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما،

القيام، فليس له أصل يعتمد عليه، بل هو من اختلاق الروافض قبحهم الله.

وقد روى البيهقي [دلائل ٤٢١/٦] من حديث أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاه لعمار قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها، فغشي عليه فافاق ونحن نكي حوله، فقال: ما تكون؟ اتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حيبي عليه السلام أنه تقتلني الفتن الباغية وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن.

وقال الإمام أحمد [٣١٩/٤]: حدثني وكيع، حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: قال عمار يوم صفين: اتوني بشربة لبن، فإن رسول الله عليه السلام قال: «آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»، فشرها ثم تقدم فقتل، وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري، أن عمار بن ياسر أتني بشربة لبن فضحك وقال: إن رسول الله عليه السلام قال لي: آخر شرابي أشربه لبن حين أموت.

وروى البيهقي [دلائل ٤٢٢/٦] من حديث عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن شمية مع الحق» ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله رجلاً يقال له أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي، وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب ١٧٢٥/٤] وغيره في أسماء الصحابة وهو أبو الغادية وسلم وقيل: يasar بن أنهر الجهمي من قضاة، وقيل: مزني، وقيل: هما اثنان، سكن الشام ثم صار إلى واسط، روى له أحمد حديثاً وله عند غيره آخر، قالوا: وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يذكر صفته قتله لعمار لا يتحاشى من ذلك، وسنذكر ترجمته عند قتله لعمار أيام معاوية في وقعة صفين، وأخطأ من قال: كان بديراً.

وقال الإمام أحمد [١٦٤/٢، ٢٠٦، ٢٠٧]: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا العوام، حدثني ابن مسعود عن حنظلة بن خويلد العنزي قال: بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يخنصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتله، فقال عبد الله بن عمرو: ليطلب به أحدهما نفساً لصاحبه فإني سمعت النبي يقول: «تقتله الفتن الباغية»، فقال معاوية: ألا تخشي عنا مجنونك يا عمرو؟ فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله عليه السلام فقال: «أطع أباك ما دام حياً ولا تمصه»، فأتانا معكم ولست أقاتل.

وقال الإمام أحمد [١٦١/٢، ٢٠٦]: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: إني لأسير مع معاوية مُنْصَرَف من صفين، بينه وبين عمرو بن العاص، فقال عبد الله بن عمرو: يا أبت، أما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لعمار: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفتن الباغية؟» قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا يزال يأتينا بهنّاً، وأَوْ غنّ قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به.

ثم رواه أحمد [١٦١/٢، ٢٠٦] عن أبي نعيم عن الثوري عن الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد فذكر مثله. فقال معاوية: إنما قتله من قَتَلَهُ إلى سيفونا، تأويلٌ بعيد جداً، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون في سبيل الله، حيث قَتَلَهُم إلى سيف الأعداء، وقال عبد الرزاق: أنا ابن عيينة، أخبرني عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن غزوة قال: قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أننا كنا نقرأ: ﴿وَجَاهِلُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهْلِهِمْ﴾ [الحج: ٧٨] في آخر الزمان، كما جاهدتم

فقال علي: يا زبير ناشدتك بالله أتذكر يوم مرّ بك رسول الله عليه السلام مكان كذا وكذا فقال: «يا زبير تحب علياً؟» فقلت: «ألا أحب ابن خالي وإبن عمي وعلى ديني؟» فقال: «يا علي أحبه؟» فقلت: «يا رسول الله إلا أحب ابن عمي وعلى ديني؟» فقال: «يا زبير، أما والله لتقاتلته وأنت ظالم له»، فقال الزبير: بلى، والله لقد نُسِيت منذ سمعته من رسول الله عليه السلام ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال: ما لك؟ فقال: ذكّرني عليٌ حديثاً سمعته من رسول الله عليه السلام سمعته وهو يقول: «لنقاتلته وأنت ظالم له»، فلا أقاتله، فقال: وللفاتل جنت؟ إنما جنت تصلح بين الناس، ويصلح الله هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله. قال: فاعتق غلامك خبر وقفت حتى تصلح بين الناس، فاعتق غلامه ووقف، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه.

قال البيهقي [دلائل ٤١٥/٦]: وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا الإمام أبو الوليد، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا قطن بن نسير، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عبد الله بن محمد الرقاشي، حدثنا جدي - وهو عبد الملك بن مسلم - عن أبي جرّوة المازني، قال: سمعت علياً والزبير وعلياً يقول له: ناشدتك الله يا زبير، أما سمعت رسول الله عليه السلام يقول إنك تقتاتني وأنت في ظالم؟ قال: بلى ولكي نُسيت. وهذا غريب كالسياق الذي قبله.

وقد روى البيهقي [دلائل ٤١٦/٦] من طريق المنذيل بن بلال - وفيه ضعف - عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي، عن علي قال: قال رسول الله عليه السلام: «من سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فليُنظر إلى زيد بن صوحان».

قلت: حُذِل زيدٌ هنا في وقعة الجمل من ناحية علي.

وثبت في [الصحيحين] [٣٦٠٩] [ج ١] ١٥٧ (١٧) من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى تقتل فتنان عظيمتان دعواهما واحدة».

ورواه البخاري [٧١٢١] أيضاً عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأخرج عن أبي هريرة مثله.

ورواه البخاري [٣٦٠٨] أيضاً عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وهاتان الفتنان هما أصحاب الجمل، وأصحاب صفين، فإنهما جميعاً يهدون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعابا، وكان ترك القتال أولى من فعله، كما هو مذهب جمهور الصحابة كما سنذكره.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو اليمان، حدثنا صفوان بن عمرو قال: كان أهل الشام ستين ألفاً، فقتل منهم عشرون ألفاً وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً، فقتل منهم أربعون ألفاً، ولكن كان علياً وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في [صحيح مسلم] [٢٩١٥] [٧١، ٧٠] من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هرير بن خيبر - يعني أبا قتادة - أن رسول الله عليه السلام قال لعمار: «تقتلك الفتن الباغية»، ورواه أيضاً من حديث ابن عليه [٢٩١٦] [٧٣] عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قال رسول الله عليه السلام: «تقتل عماراً الفتن الباغية»، وفي رواية [دلائل ٤٢٠/٦]: «وقتلته في النار» وقد تقدم الحديث بطرقه عند بناء المسجد النبوي في أول الهجرة النبوية، وما يزيده بعض الرافضة في هذا الحديث من قولهم بعد ذلك: لا أنالها الله شفاعتي يوم

أبي سلمة والضحاك المشرقي عن أبي سعيد.
وأخبره البخاري (٣٣٤٤) أيضاً من حديث سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه.

ومسلم (١٦٠٤) (١٤٣) عن هناد عن أبي الأحوص سلام بن سليم عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري به. وقد روى مسلم في «صحيحه» (١٠٦٥) (١٥٠-١٥٢) من حديث داود بن أبي هند والقاسم بن الفضل وقائدة عن أبي نصره عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «فَسَرُّ مَارَقَةٍ عِنْدَ فِرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوَّلُ الطَّاغُوتَيْنِ بِالْحَقِّ». ورواه (١٠٦٥) (١٥٣) أيضاً من حديث أبي إسحاق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد مرفوعاً.

وروى مسلم (١٠٦٨) (١٥٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن مسهر عن الشيباني عن يَسْتَرِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ حَنِيفٍ. هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - وَفِي رِوَايَةٍ: نَحْوَ الْعِرَاقِ - فَيُفْرَجُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِالسَّيِّمِ لَا يَجَاوِزُ تَرَاتُيْعَهُمْ، يَفْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَفْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّيشَةِ، حَلْقَةً رُؤُوسِهِمْ.

وروى مسلم (١٠٦٧) (١٥٨) من حديث حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر غوه وقال: «شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وكذلك رواه محمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي عن قتادة عن أس بن مالك مرفوعاً (١٠٦٧) (١٥٨)، وقال: «سِيَمَاهُمُ التَّحْلِيْقُ، شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ».

وفي «الصحيحين» (٣٦١١) (١٠٦٦) (١٥٤) من حديث الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة عن علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُفْرَجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حُدُثَاءُ الْأَسْنَانِ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يَجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ خَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتَهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد روى مسلم (١٠٦٦) (١٥٥) عن قتبية عن حماد عن أيوب عن محمد بن عبيدة عن علي في خبر مؤدّن اليد وهو ذو الثنية.

وأسنده (١٠٦٦) (...) من وجه آخر عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي، وفيه: «أَنَّهُ حَلَفَ عَلِيًّا عَلَى ذَلِكَ فَحَلَفَ لَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

ورواه مسلم (١٠٦٦) (١٥٦) عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة عن زيد بن وهب عن علي بالقصة مطولة وفيه قصة ذي الثنية.

ورواه (١٠٦٦) (١٥٧) من حديث عبيد الله بن أبي رافع عن علي.
ورواه أبو داود الطيالسي (مسند أبي داود) (١١٩٦) عن حماد بن زيد عن جميل بن مرة عن أبي الوضئ السُّخْتِي والسَّحْمِي عن علي في قصة ذي الثنية، ورواه الثوري عن محمد بن قيس عن أبي موسى - رجل من قومه - عن علي بالقصة.

وقال يعقوب بن سفيان [الفرقة والطريق] (٤٠٧/٣، ٤٠٧): حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان حدثني الملا عن أبي العباس أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال: ذكر رسول الله ﷺ ذا الثنية فقال: «شَيْطَانُ الرَّدْمَةِ كِرَامِي الْخَيْلِ يَحْتَكِرُهُ رَجُلٌ مِنْ بَجَلَةَ يُقَالُ لَهُ: الْأَشْهَبُ، أَوْ ابْنُ الْأَشْهَبِ عَلَامَةٌ فِي قَوْمٍ ظَلَمَةٌ» قال سفيان: فآخبرني عمار الدعي أنه جاء به رجل منهم يقال له: الأشهب، أو ابن الأشهب.

في أوله؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وينو المغيرة الوزراء، ذكره البيهقي هنا، وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر الحكمين وما كان من أمرهما، فقال: باب ما جاء في إخباره عن الحكمين اللذين بُعثا في زمن علي رضي الله عنه.

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار، حدثنا إسماعيل بن الفضل، حدثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال: إني لأمشي مع علي بن شبط الغفاتي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَزَلْ اخْتِلَافُهُمْ يَنْتَهِي حَتَّى يَبْتَئُوا حَكَمَيْنِ فَضْلاً وَاضْلاً، وَإِنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ اسْتَخْلَفَتْ فَلَا يَزَالُ اخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَبْتَئُوا حَكَمَيْنِ ضِلاًّ وَاضْلاً مِنْ أَتْبَعِيهِمَا». هكذا أورده ولم يبين شيئاً من أمره. وهو حديث منكر جداً، وأقته من زكريا بن يحيى هذا - وهو الكندي الحميري الأعمى - قال يحيى بن معين [المرج والاصل] (١٠١٣): ليس بشيء. والحكمان كانا من خيار الصحابة، وهما عمرو بن العاص السهمي من جهة أهل الشام، والثاني أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، من جهة أهل العراق، وإنما نصّبوا ليُصلِحَا بَيْنَ النَّاسِ وَيُثَقِّقَا عَلَى أَمْرِ فِيهِ رَفَقَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَحَقَّنَ لِمَعَانِهِمْ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ وَلَمْ يُفَيْلْ بِسَبِيحِمَا إِلَّا فِرْقَةَ الْخَوَارِجِ حَيْثُ أَتَكَرَّوْا عَلَى الْأَمِيرَيْنِ التَّحْكِيمِ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِمَا وَكَفَرُوهُمَا، حَتَّى قَاتَلَهُمَا عَلِيٌّ بِسَبَبِ أَبِي طَالِبٍ، وَنَازَلَهُمَا ابْنُ عَبَّاسٍ، فَجَرَعَ مِنْهُمْ شِرْذِمَةً إِلَى الْحَقِّ، وَاسْتَمَرَّ بَقِيَّتُهُمْ حَتَّى قُتِلَ أَكْثَرُهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمَرْفُودَةِ عَلَيْهِمْ كَمَا سَتَذْكُرُهُ.

٦٨- ذكر إخباره ﷺ عن خروج

الخوارج وقتلهم وعلاماتهم

بالرجل المخدج ذي الثنية فوجد ذلك في خلافة علي بن أبي طالب قال البخاري (٣٦١٠): حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري قال: بينما نحن عن رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الحنظرة - وهو رجل من بني نعيم - فقال: يا رسول الله اغلظ، فقال: «وَلَيْكَ، وَمَنْ يَمْدُلُ؟ إِنْ أَلَمْ أَغْلِظْ قَدْ خَبْتُ وَخَسَرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدَلُ»، فقال عمر: يا رسول الله اتلن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دَعْنِي فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْكُمُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاتُيْعَهُمْ، يَفْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَفْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّيشَةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يَجِدُ فِيهِ شَيْءَ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يَجِدُ فِيهِ شَيْءَ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ قَدْ حَفَا فَلَا يَجِدُ فِيهِ شَيْءَ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى قَدْحِهِ فَلَا يَجِدُ فِيهِ شَيْءَ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالِدَمُ، أَتَيْتُمْ رَجُلًا أَسْوَدَ، إِحْدَى عَشْرَةَ مِثْلَ ثُنْيِ الْمَرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْبَضْعَةِ تَنْكَرُوتُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»، قال أبو سعيد: فآشَهْدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتَّوَسَّعَ فَأَتَيْتُ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعْتُهُ.

وهكذا رواه مسلم (١٠٦٤) (١٤٨) من حديث أبي سعيد.
ورواه البخاري (٦١٦٣) أيضاً من حديث الأوزاعي عن الزهري عن

مقول من ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحته - عهد معهود، وقضاء مقضي، وقد خاب من اقترى.

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله.

وروى [دلائل ٤٤٠/٦] من حديث هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي قال: إن مما عهد إلي رسول الله ﷺ: «إن الأمة ستغلدر بك بعدي» ثم ساقه من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الجماني قال: سمعت علياً يقول: إنه لمهد النبي ﷺ الأمي لي «إن الأمة ستغلدر بك بعدي».

قال البخاري [الفتح الكبير ١٧٤/٢]: ثعلبة هذا فيه نظر ولا يتابع على حديثه هذا.

وروى البيهقي [دلائل ٤٣٩/٦] عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصفاني عن أبي الجواب الأحوص بن جواب عن عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال: قال علي: والذي قلن الحبة وبرا النسمة لتخضبن هذه من هذه - للحية من رأسه - فما يجسر أشقاها؟ فقال عبد الله بن سبيح: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبزنا عشيرته. فقال: أنشدك بالله أن لا تقتل بني غير قبلي، قالوا: يا أمير المؤمنين ألا تستخلف؟ قال: لا ولكني أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ. قالوا: فما تقول لربك إذا تركتنا ههنا؟ قال: أقول: اللهم استخلفني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتي وتركك فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.

وهكلا روى البيهقي هذا، وهو موقوف وفيه غرابة من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، ثم المشهور عن علي أنه لما طعنه عبد الرحمن بن ملجم الحارثي وهو خارج لصلاة الصبح عند السدة، فبقي علي يومين من طعته، وحبس ابن ملجم، وأوصى علي إلى ابنه الحسن بن علي كما سيأتي بيانه وأمره أن يركب في الجنود، وقال له: لا تحر علي كما تحر الجارية. فلما مات قتل عبد الرحمن بن ملجم قوفاً، وقيل: خدأ، والله أعلم، ثم ركب الحسن بن علي في الجنود وسار إلى معاوية كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٧٠- إخباره عن الحسن بأنه يصلح بين فتين

ذكر إخباره ﷺ بذلك وسيادة ولده الحسن بن علي في تركه الأمر من بعده وإعطائه ذلك الأمر معاوية وتقليده إياه ما كان يتولاه ويقوم بأعبائه قال البخاري في دلائل النبوة [٣٦٢٩ع]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا حسين الجعفي عن أبي موسى عن الحسن بن علي بكرة قال: أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن علي فصعد به على المنبر فقال: «إن ابني هذا سيد» ولعل الله أن يصلح به بين فتين من المسلمين.

وقال في كتاب الصلح [٢٧٠٤ع]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتاب لا تؤلّي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية، وكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمر الناس؟ من لي بنسأهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من

قال يعقوب بن سفيان: وحدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد المملاني سمعت سعد بن مالك يقول: قتل علي بن أبي طالب شيطان الرقة - يعني المختج - يريد والله أعلم قتله أصحاب علي.

وقال علي بن عياش: عن حبيب عن سلمة قال: قال علي لقد علمت عائشة أن جيش المروة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ، قال ابن عياش: جيش المروة قتلة عثمان، رواه البيهقي.

ثم قال البيهقي [دلائل ٤٢٥/٦]: أنا الحاكم، أنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن منكم من يُقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا»، ولكن خاصصت النعل - يعني علياً.

وقال يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن خلنيز عن لاحق قال: كان الذين خرجوا على علي بالنهروان أربعة آلان في الخليل، فركبهم المسلمون فقتلوه ولم يقتلوا من المسلمين إلا نسمة وهبط، وإن شئت فاذهب إلى أبي بزة فإنه قد شهد ذلك.

قلت: الأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن، ووقوع ذلك في زمان علي معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة، وأما كيفية خروجهم وسيه ومناظرة ابن عباس لهم في ذلك ورجوع كثير منهم إليه، فسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

٦٩- إخباره ﷺ بمقتل علي بن أبي طالب

فكان كما أخبر سواء بسواء

قال الإمام أحمد [٢٦٣/٤]: حدثنا علي بن بحر، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم الحارثي عن محمد بن كعب عن محمد بن خثيم عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي - حين ولي غزوة العشرة - «يا أبا تراب - لا يري عليه من التراب - إلا أحذرك بأشقى الناس رجلين؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «أخير ثمرة الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنته - حتى يبل هذه» يعني لحته.

وروى البيهقي [دلائل ٤٣٨/٦] عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر عن محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان أبوه من أهل بصر - قال: خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب في مرض أصابه قتل منه، قال: فقال لي: ما يقيمك بمنزلك هذا؟ فلو أصابك أجلك لم يلك إلا أصراب جهينة، تحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك. فقال علي: إن رسول الله ﷺ عهد لي أن لا أصوات حتى أؤمر ثم تخضب هذه - يعني لحته - من دم هذه، يعني هامته، فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ١٥٧ع]: حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب قال: جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له: اتق الله فإنك ميت، فقال: لا والذي قلن الحبة وبرا النسمة، ولكن

الإدابة فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال: «يا معاوية إن وكَّيتَ امرأً فاتتكَ الله وأعدله». فقال معاوية: فما زلت أظن أني مُبْتَلَى بِعَمَلٍ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ومنها حديث الثوري عن ثور بن يزيد عن راشد بن سعد الناري عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفستهم، أو كدت أن تفسدكم». ثم يقول أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ، ففزع الله بها. رواه أبو داود [٤٨٨٨].

وروى البيهقي [دلائل ٤٤٧/٦] من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بالمدينة والمُلْكُ بالشام».

وقال الإمام أحمد [١٩٨/٥، ١٩٩]: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا يحيى بن حمزة عن زيد بن واقد، حدثني بسر بن عبيد الله، حدثني أبو إدريس الخولاني عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب أحتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهب به، فأتبته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان - حين تقع الفتن - بالشام».

رواه البيهقي [دلائل ٤٤٧/٦] من طريق يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن يوسف عن يحيى بن حمزة التَّيَاهِيَّيْ.

قال البيهقي: وهذا إسناد صحيح، وروي من وجه آخر، ثم ساقه [دلائل ٤٤٨/٦] من طريق عقبة بن علقمة عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقي عن عطية بن قيس عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت أن عمود الكتاب التزعزع من تحت وصادني فظننت فإذا هو نور ساطع عمده به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام».

ثم أورده البيهقي [دلائل ٤٤٨/٦] من طريق الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ فذكر نحوه، ألا إنه قال: «فأتبته بصري حتى ظننت أنه مذهب به». قال: «وإني أولئك أن الفتن إذا وقعت أن الإيمان بالشام».

قال الوليد: وحدثني عمير بن معدان أنه سمع سليم بن عامر يحدث عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك.

وقال يعقوب بن سفيان [العرفه والبراه ٣١١/٢]: حدثني نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي أبو ضمرة - محمد بن سليمان السلمي - حدثني عبد الله بن أبي قيس، سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام».

وقال عبد الرزاق [المصنف ٢٠٤٥٥]: أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهم أنقِ أهل الشام. فقال له علي: لا تشب أهل الشام جأ غيراً، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال.

وقد روي من وجه آخر عن علي.

قال الإمام أحمد [١١٧/١]: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان، حدثني شريح - يعني ابن عبيد الحمصري - قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا: ألغَنَهُمْ يا أمير المؤمنين. قال: لا؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسْقَى بهم الغيث، ويتصرف بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب».

قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سُمَرة، وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز، فقال: ادعوا إلى هذا الرجل فاعرضوا عليه وقولوا له واطلبوا إليه. فأتياه فدخلوا عليه فتكلموا وقالوا له، وطلبوا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هنا المال، وإن هذه الأمة قد عانت في دمائها. قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به. فما سألهم شيئاً إلا قالوا: نحن لك به. فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتنين عظيمتين من المسلمين».

وقال البخاري: قال لي علي بن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن بن أبي بكره بهذا الحديث.

وقد رواه البخاري [٣٧٤٦] أيضاً في فضل الحسن وفي كتاب الفتن عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن أبي موسى وهو إسرائيل بن موسى -

ورواه أبو داود [٤٦٦٢] والترمذي [٣٧٧٣] من حديث أشعث، وأبو داود أيضاً والنسائي [الكبرى ١٠٠٨٠] من حديث علي بن زيد بن جدعان كلهم عن الحسن البصري عن أبي بكره به. وقال الترمذي: صحيح، وله طرق عن الحسن مرسلاً والنسائي [الكبرى ١٠٠٨٣ - ١٠٠٨٥]، وعن الحسن وعن أم سلمة به، وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ سواء، فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق، وسار إليه معاوية، قصصاً بصفتين على ما ذكره الحسن البصري، فمال الحسن بن علي إلى الصلح، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين، فبايعه الأمراء من الجيشين، واستقل بأعياء الأمة، فسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد، وستورد ذلك مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى، وقد شهد الصادق المصدوق ﷺ للفرقتين بالإسلام، فمن كثرهم أو واحداً منهم مجرد ما وقع فقد أخطأ وخالف النص النبوي المحمدي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وقد تكمل بهذه السنة المدة التي أشار إليها رسول الله ﷺ أنها مدة الخلافة المتابعة بعده، كما تقدم [في حديث سفينة مولا أنه قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً». وفي رواية «معضراً»، وفي رواية عن معاوية أنه قال: رضينا بها ملكاً].

وقد قال نعيم بن حماد في كتابه «الفتن والملاحم والفتن [٤٢٢]: سمعت محمد بن فضيل عن السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي عن سفيان بن الليل قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع الشرم، ضخم البُثم، ياكل ولا يشبع وهو معاوية». هكذا وقع في هذه الرواية، وفي رواية بهذا الإسناد: «لا تذهب الأيام والليالي حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية».

وروى البيهقي [دلائل ٤٤٦/٦] من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر - وهو ضعيف - عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي: «يا معاوية إن ملكتك فأجس».

ثم قال البيهقي [دلائل ٤٤٦/٦، ٤٤٧]: وله شواهد، من ذلك حديث عمرو بن يحيى عن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ

أمي يَزُون مدينة قيصر مغفور لهم؟ قلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا» ترد به البخاري دون أصحاب الكتب الستة.
وقد رواه البيهقي في «الدلائل» [٤٥٢/٦٦] عن الحاكم عن أبي عمرو بن أبي جعفر عن الحسن بن سفيان عن هشام بن عمار الخطيب عن يحيى بن حمزة القاضي به وهو يشبه معنى الحديث الأول.

وفيه من دلائل النبوة ثلاث إحداها الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان، وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت، أحد الثقباء ليلة العقبة، فتوفيت مرجعهم من الغزو قبل بالشام كما تقدم في الرواية عند البخاري، وقال ابن زُرَّيْر: توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين، والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها، وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وذلك في سنة ثنتين وخمسين، وكان معهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فمات هنالك. رضي الله عنه وأرضاه، ولم تكن هذه المرأة معهم، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى.
فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة: الإخبار عن الغزوتين، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين، وكذلك وقع كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه.

٧٣- الإخبار عن غزوة الهند

قال الإمام أحمد [٢٢٨/٧، ٢٢٩]: حدثنا هشيم عن سيار بن جُبَيْر بن عبيدة عن أبي هريرة قال: وعلمنا رسول الله ﷺ غزوة الهند فإنا استشهدت كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فإنا أبو هريرة المحرر.
ورواه النسائي [٣١٧٣] من حديث هشيم وزيد بن أبي أنيسة عن سيار بن جبر -ويقال: جبر- عن أبي هريرة قال: وعلمنا رسول الله ﷺ غزوة الهند وذكره.

وقال أحمد [٣٩٩/٢]: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا البراء عن الحسن عن أبي هريرة قال: حدثني خليلي الصادق، رسول الله ﷺ أنه قال: «يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند، فإن أنا أدركته فاستشهدت فذاك، وإن أنا فذكر كلمة رجعت فإنا أبو هريرة المحرر قد اعتقتي من النار.
تفرد به أحمد، وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع ولربعين، وكانت هنالك أمور سيّئة بسطها في موضعها، وقد غزا الملك الكبير الجليل محمود بن سُبُكْتِكِين، صاحب غزنة، في حدود سنة أربعمائة، بلاد الهند فوغل فيها وقتل وأسر ومسى وغنم حتى دخل السومناث وكسر البُذ الأعظم الذي يعبدونه، واستلب شُرفه وقلائده، ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً كما سيأتي.

تفرد به أحمد وفيه انقطاع؛ فقد نص أبو حاتم الرازي (الراصيل ص ٦٠، ٦١) على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبي أمامة ولا من أبي مالك الأشعري وإن روايته عنهما مرسلة، فما ظنك بروايته عن علي بن أبي طالب، وهو أقدم وفاة منهما.

٧١- إخباره عليه السلام عن غزاة

البحر إلى قبرص التي كانت في أيام أمير

المؤمنين معاوية بن أبي سفيان

قال مالك [الموطأ ٤٦٤/٢، ٤٦٥] عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فطمعه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فاطمعت ثم جلست تغلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: فأناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون نَجَجَ هذا البحر، ملوكاً على الأسرّة، أو مثل الملوك على الأسرّة، شك إسحاق، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: قلت ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: فأناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: قلت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت من الأولين»، قال: فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلك.

رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به [خ: ٢٧٧٨ م] [١٩١٦/١٠]، وأخرجه في «الصحيحين» من حديث الليث وحماد بن زيد كلاهما عن يحيى بن سعيد [خ: ٢٨٩٤ م] [١٩١٢/١٦١]. وعن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان، فذكر الحديث إلى أن قال: فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غزاة أول ما ركبا مع معاوية، أو أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبي سفيان، فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين فقتلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها فصنعها فمات.

ورواه البخاري من حديث أبي إسحاق الفزاري عن زائدة عن أبي طالة عبد الله بن عبد الرحمن عن أنس به [خ: ٢٨٧٧]، وأخرجه أبو داود من حديث معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أخت أم سليم. وقال البخاري [٢٩٢٤]: الرُثِيصاء وهي أم حرام، فذكر نحو ما تقدم.

٧٢- باب ما قيل في قتال الروم

حدثنا إسحاق بن يزيد الدمشقي، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حصص، وهو في فناء له، ومعه أم حرام، قال عمير: فحدثنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول جيش من أمي يَزُون البحر قد أُوجِبُوا». قالت أم حرام: فقلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم». قالت: ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من

٧٤- الإخبار عن قتال الترك

كما سنبيه إن شاء الله تعالى وفيه الثقة
قال البخاري [٣٥٨٧]: حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقتاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كسان وجوههم الجحان المطرقة، وتجدلون من خير الناس

فدخلت معه فحدثته، فلما استأنس قلت له: إن القوم لما دخلت قبل المسجد قالوا كلنا وكذا قال: سبحانه الله، والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك إنني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه، رأيت كأنني في روضة خضراء - قال ابن عرون: فذكر من خضرتهما وسعتها - وسطها عمود حديد أسفل في الأرض وأصلها في السماء، في أعلاه عروة، فقليل لي: أصعد عليه، فقلت: لا أستطيع، فجاء ينصف - قال ابن عرون: وهو الوصيف - فرفع ثيابه من خلفي فقال: أصعد عليه، فصعدت حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك بالعروة، فاستيقظت وإنها لمني يدي. قال: فأتيت النبي ﷺ، فقصصتها عليه فقال: «أما الروضة فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام تموت». قال: وهو عبد الله بن سلام.

ورواه البخاري من حديث عرون (٣٨١٣).

ثم قد رواه الإمام أحمد (٤٥٧/٥، ٤٥٣) من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن المسيب بن رافع عن حرشة بن الحر عن عبد الله بن سلام، فذكره مطولاً، وفيه قال: حتى انتهيت إلى جبل زلق فأخذ يدي فلدحاني، فإذا أنا على ذروته، فلم أفتار ولم أتناكس، وإذا عمود حديد في ذروته حلقة ذهب، فأخذ يدي فلدحاني حتى أخذت بالعروة. وذكر تمام الحديث.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٤/٢، ١٥٠) من حديث الأعمش عن سليمان بن مسهر عن حرشة بن الحر عن عبد الله بن سلام فذكره وقال: حتى أتى بي جبلاً فقال لي: أصعد، فجعلت إذا أردت أن أصعد خرورت على أسي، حتى فعلت ذلك مراراً، وأن رسول الله قال له حين ذكر رؤياه: وأما الجبل فهو منزل الشهداء، ولن تناله. قال البيهقي (٤٦٧/٦، ٥٧٧): وهذه معجزة ثانية، حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة، وهكذا وقع، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره.

٧٦- الإخبار عن بيت ميمونة بنت الحارث بسرف

قال البخاري في «التاريخ» (الطبع الكبير ١٢٧/٥، ١٢٨): أنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن الأصم، حدثنا يزيد بن الأصم قال: نقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أخيها أحد، فقالت: أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها، إن رسول الله ﷺ أخبرني أنني لا أموت بمكة. فحملوها حتى أتوا بها سرف، إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة، فماتت رضي الله عنها.

قلت: وكان موتها سنة إحدى وخمسين على الصحيح.

٧٧- ما روي في إخباره عن مقتل حجر

بن عدي وأصحابه

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا ابن بكير، حدثنا ابن لميعة، حدثني الحارث بن يزيد عن عبد الله بن زهير النافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: يا أهل العراق، سيقتل منكم سبعة نفر بعزراء، مثلهم كمث

أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه، والناس معادن: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله. تفرد به من هذا الوجه.

ثم قال البخاري (٣٥٩٠): حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا خوزاً وكرمان الأعاجم، حر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين كان وجوههم الجان المطرقة، ناعلم الشعر». تابعه غيره عن عبد الرزاق، وقد ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: أخطأ عبد الرزاق في قوله: خوزاً، بالحاء وإلغاه هو بالجيم.

قلت: خوز وكرمان، بلدان معروفان بالشرق، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد (٢٣٩/٢): حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً كان وجوههم الجان المطرقة، ناعلم الشعر».

وقد رواه الجماعة إلا النسائي من حديث سفيان بن عيينة به (ج: ١٩٢٩ رقم ٢٩١٢) (٦٢٢) (٤٣٠٤) (ت ٢٢١٥) (ق ٤٠٩٦).

وقال البخاري (٣٥٩١): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: قال إسماعيل: أخبرني قيس قال: أتينا أبا هريرة رضي الله عنه فقال: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم أكن في شيء أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن، سمعت يقول: وقال هكذا بيده: «بين يدي الساعة تقتلون قوماً ناعلم الشعر».

وهو هذا البارز، وقال سفيان مرة: وهم أهل البارز.

وقد رواه مسلم (٢٩١٢) (٦٦) عن أبي كريب عن أبي أسامة ووكيع كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً ناعلم الشعر كان وجوههم الجان المطرقة، حر الوجوه، صغار الأعين».

قلت: وأما قول سفيان بن عيينة: هم أهل البارز فالشهور في الرواية تقديم الرأ على الزاي، ولعله تصحيف اشتبه على القائل من البارز وهو السوق بلنتهم، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد (٧٠/٥): حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن قال: حدثنا عمرو بن تغلب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن تقتلوا قوماً ناعلم الشعر، أو يتعلمون الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقتلوا قوماً عراض الوجوه كان وجوههم الجان المطرقة».

ورواه البخاري عن سليمان بن حرب وأبي النعمان عن جرير بن حازم به (ج: ٢٩٢٧).

والمقصود أن قتال الترك وقع في آخر أيام الصحابة، قاتلوا القان الأعظم، فكسروه كسرة عظيمة على ما سنوده في موضعه إذا انتهينا إليه بحول الله وقوته وحسن ترفيقه.

٧٥- خبر آخر عن عبد الله بن سلام

قال الإمام أحمد (٤٢/٥): حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، حدثنا ابن عون عن عمه هو ابن سبرين عن قيس بن عباد قال: كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر خشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيهما. فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فلما خرج أتبعته حتى دخل منزله

التي عليه السلام لأبي هريرة وسمرة بن جندب وللرجل آخر: «آخركم موتاً في النار»، فمات الرجل قبلهما وبقي أبو هريرة وسمرة، فكان الرجل إذا أراد أن يخطب أبا هريرة يقول: مات سمره، فإذا سمعه غشي عليه وصعق، ثم مات أبو هريرة قبل سمره قتل سمره بشراً كثيراً. وقد ضعف البيهقي عامة هذه الروايات لانتقطاع بعضها وإرساله، ثم قال [دلائل ٦٠/١]: «وقد قال بعض أهل العلم: إن سمره مات في الحريق، ثم قال: ويحتمل أن يورد النار بذنوبه ثم ينجو منها بإيمانه فيخرج منها بشفاقة الشافعين، والله أعلم. ثم أورد من طريق هلال بن العلاء الرقي أن عبد الله بن معاوية حدثهم عن رجل قد سمّاه أن سمره استجمر فقتل عن نفسه وغفل أهله عنه حتى أخذته النار، قلت: وذكر غيره أن سمره بن جندب رضي الله عنه أصابه كزازٌ شديد، فكان يوقد له على قدر مملوءة ماء حاراً فيجلس فوقها ليتدفأ بيخارها فنسقط يوماً فيها فمات رضي الله عنه، وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبي هريرة بسنة، وقد كان يتوب عن زياد ابن سمية في البصرة إذا سار إلى الكوفة، وفي الكوفة إذا سار إلى البصرة، فكان يقيم في كل منهما ستة أشهر من السنة، وكان شديداً على الخوارج، يكثر القتل فيهم، ويقول: هم شر قتلى تحت أديم السماء. وقد كان الحسن البصري وعبد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يشنون عليه رضي الله عنه.

٧٩- خبر رافع بن خديج حين وقع عليه السهم

روى البيهقي [٤٦٣/٦] من حديث مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن مرزوق الواسطي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد بن رافع عن جدته: أن رافع بن خديج رمي - قال عمرو: لا أدري لهما قال يوم أحد أو يوم خيبر- بسهم في ثلوثه، فأتى رسول الله عليه السلام فقال: يا رسول الله انزع لي السهم. فقال له: «يا رافع إن شئت نزع السهم والقطعة جميعاً، وإن شئت نزع السهم وتركت القطعة وشهدت لك يوم القيامة أنك شهيد». فقال: يا رسول الله، انزع السهم وارك القطعة واشهد لي يوم القيامة أنني شهيد، قال: فماش حتى إذا كان خلافة معاوية انتقض الجرح فمات بعد العصر. هكذا وقع في هذه الرواية أنه مات في إمارة معاوية، والذي ذكره الراقي وغير واحد أنه مات سنة ثلاث - وقيل: أربع - وسبعين، ومعاوية رضي الله عنه كانت وفاته في سنة ستين بلا خلاف، والله أعلم.

٨٠- ذكر إخباره عليه السلام بما وقع من الفتن بعد معاوية من

أخيملة بني هاشم وغير ذلك

قال البخاري [٣٦٠/٣]: حدثنا محمد بن كثير، أخبرني سفيان عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام قال: «ستكون أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله: فما تأمرنا؟ قال: «تؤذون الحق الذي عليكم، وتساؤون الله الذي لكم». وقال البخاري [٣٦٠/٤]: حدثنا محمد بن عبد الرحيم أنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أبو أسامة، حدثنا شعبة عن أبي التياح عن أبي زرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: «يهلك الناس هذا الحي من قريش» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم». ورواه مسلم [٢٩١٧/٢] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة.

أصحاب الأخلد، فقتل حجر بن عدي وأصحابه، وقال يعقوب بن سفيان: قال أبو نعيم: ذكر زياد بن سمية علي بن أبي طالب على المنبر فقبض حجر على الحصباء، ثم أرسلها وحصب من حوله زياداً فكتب إلى معاوية يقول: إن حجراً حصيني وأنا على المنبر، فكتب إليه معاوية أن يحمل إليه حجراً، فلما قرب من دمشق بعث من يتلقاهم، فالتقى معهم بعذراء فقتلهم.

قال البيهقي: لا يقول على مثل هذا إلا أنه يكون سمعه من رسول الله عليه السلام.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا حملة حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن لبيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إنني رأيت قتلهم صلاحاً للأمة، وأن بقاءهم فساداً. فقالت: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء».

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت؛ أما خشيت أن أخشى لك رجلاً فيقتلك؟ قال: لا، إنني في بيت أسان؛ سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن» يا أم المؤمنين، كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك؟ قالت: صالح، قال: فدعني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل.

٧٨- آخركم موتاً في النار

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة أن رسول الله عليه السلام قال لعشرة من أصحابه: «آخركم موتاً في النار». فيهم سمره بن جندب. قال أبو نضرة: فكان سمره آخرهم موتاً.

قال البيهقي: رواه ثقات إلا أن أبا نضرة العبدلي لم يثبت له من أبي هريرة سماع والله أعلم.

ثم روى [دلائل ٥٨٨/٦، ٤٥٩] من طريق إسماعيل بن حكيم عن يونس بن عبيد عن الحسن بن أسد بن حكيم قال: كنت أمر بالمدينة فالتقى أبا هريرة فلا يلبأ بشيء حتى يسألني عن سمره، فلو أخبرته بجائته وصحبه فرح وقال: إنا كنا عشرة في بيت، وإن رسول الله عليه السلام قام علينا ونظر في وجوهنا وأخذ بعضادتي الباب وقال: «آخركم موتاً في النار». فقد مات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره، فليس شيء أحب إلي من أن أكون قد دقت الموت.

وله شاهد من وجه آخر، قال يعقوب بن سفيان: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أسد بن خالد قال: كنت إذا قمعت على أبي مخنف سألني عن سمره، وإذا قمعت على سمره سألني عن أبي مخنف، فقلت لأبي مخنف: ما لك إذا قمعت عليك سألني عن سمره، وإذا قمعت على سمره سألني عنك؟ فقال: إنني كنت أنا وسمره وأبو هريرة في بيت فجاء النبي عليه السلام فقال: «آخركم موتاً في النار» قال: فمات أبو هريرة ثم مات أبو مخنف ثم مات سمره. وقال عبد الرزاق: أنا معمر، سمعت ابن طلوس وغيره يقولون: قال

رجل من بني أمية.

وروى البيهقي [دلائل ٤٦٦/١، ٤٦٧] من طريق عوف الأعرابي عن أبي خلد عن أبي العالية عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول من يبذل سني رجل من بني أمية».

وهذا مقطع بين أبي العالية وأبي ذر وقد رجحه البيهقي بحديث أبي عبيدة المتقدم، قال: ويشبه أن يكون هذا الرجل هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والله أعلم.

قلت: الناس في يزيد بن معاوية أقسام فمنهم من يحبه ويتولاه، وهم طائفة من أهل الشام، من النواصب، وأما الروافض فيشغبون عليه ويشتمون ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيه ويتهمه كثير منهم أو أكثرهم بالزندقة، ولم يكن كذلك، وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبون لما يعلمون من أنه لم يكن زنديقاً كما تقوله الرافضة، ولما وقع في زمانه من الحوادث الفظيعة، والأمور المستكرهة الشنيعة، فمن أنكرها قتل الحسين بن علي بكريلاء، ولكن لم يكن ذلك من علم منه، ولعله لم يرض به ولم يسؤه، وكذلك من الأمور المنكرة جداً، ووقعة الحرة وما كان من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية على ما سنوده إذا انتهيا إليه في التاريخ إن شاء الله تعالى.

٨١- الإخبار بمقتل الحسين بن علي

رضي الله عنهما

وقد ورد في الحديث بمقتل الحسين فقال الإمام أحمد [٣٦٥/٣]: حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا عمارة - يعني ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال: «استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ، فأذن له، فقال لأم سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد، فجاء الحسين بن علي، فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ، فقال له الملك: أتعبه؟ فقال النبي ﷺ: «نعم»، قال: فإن أمتك تقتله، وإن شئت أرتك المكان الذي يقتل فيه، قال: ففرض بيده فاره تراباً أحمر، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصترته في طرف ثوبها، قال: فكانا نسمع بقتل بكريلاء».

ورواه البيهقي [٤٦٧/١] من حديث بشر بن موسى عن عبد الصمد عن عمارة، فذكره، ثم قال: وكذلك رواه سفيان بن فروخ عن عمارة، وعمار بن زاذان هذا هو الصيدلاني أبو سلمة البصري اختلوا فيه، وقد قال فيه أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمثين، وضعفه أحمد مرة ووثقه أخرى. وحديثه هنا قد روي عن غيره من وجه آخر.

فرواه الحافظ البيهقي [٤٧٠/١] من طريق عمارة بن عرفة عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها نحو هذا.

وقد قال البيهقي [٤٦٨/١]: أنا الحاكم في آخرين، قالوا: أنا الأصم، أنا عباس الدوري، حدثنا محمد بن خالد بن مخلد، حدثنا موسى بن يعقوب عن هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زعمة، أخبرني أم سلمة أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو خائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو خائر دون ما رأيت منه في المرة الأولى، ثم اضطجع واستيقظ وفي يده تربة حراء وهو يقلبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق - للحسين - قلت له: «يا جبريل لوني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه تربتها».

وقال البخاري [عقب ٣٦٠٤]: وقال محمود: حدثنا أبو داود، أخبرنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت أبا زرعة، وحدثنا [ع ٣٦٠٥] أحمد بن محمد المكي، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده قال: كنت مع مروان وأبي هريرة فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هلاك أمتي على يدي غلعة من قريش»، فقال مروان: غلعة؟ قال أبو هريرة: إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان. تفرد به البخاري.

وقال أحمد [٣٢٤/٢]: حدثنا روح، حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، أخبرني جدي سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هلكة أمتي على يدي غلعة» قال مروان: وهو معنا في الحلقة قبل أن يلي شيئاً، فلعنة الله عليهم غلعة، قال: أما والله لو أشاء أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت. قال: فكنت أخرج مع أبي وجدي إلى بني مروان - بعدما ملكوا - فإذا هم يبايعون الصبيان، ومنهم من يبايع له وهو في خرقه، قال لنا: هل عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذي سمعت أبا هريرة يذكر إن هذه الملوك يشبه بعضها بعضاً.

وقال أحمد [٣٠٤/٢، ٤٨٥]: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن سمك، حدثني عبد الله بن ظالم قال: سمعت أبا هريرة قال: سمعت جيباً أبا القاسم ﷺ يقول: «إن فساد أمتي على يدي غلعة سفهاء من قريش» ثم رواه أحمد [٢٨٨/٢] عن زيد بن الحباب عن سفيان وهو الثوري عن سمك عن مالك بن ظالم عن أبي هريرة فذكره، ثم روى [المسند ٢٩٩/٢، ٣٢٨] غندر وروح بن عباد عن شعبة، عن سمك بن حرب عن مالك بن ظالم قال: سمعت أبا هريرة - زاد روح: يحدث مروان بن الحكم - قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: «هلاك أمتي على رؤوس غلعة أمراء سفهاء من قريش».

وقال الإمام أحمد [٣٨٨/٣، ٣٩٠]: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة حدثني بشر بن أبي عمرو الخولاني: أن الوليد بن قيس التميمي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد الستين سنة أصحاباً الصلابة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا» [مرم: ٥٩] ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يندو تراقيمهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن، ومنافق، وفاجر، وقال بشر: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتاكل به، والمؤمن يؤمن به. تفرد به أحمد، وإسناده جيد قوي على شرط السنن.

وقد روى البيهقي [دلائل ٤٦٦/١] عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن علي بن عفان عن أبي أسامة عن مجاهد عن الشعبي قال: لما رجع علي من صفين قال: أيها الناس، لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنه لو فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تنزو من كواهلها كالخنظل.

ثم روى عن الحاكم وغيره عن الأصم عن العباس بن الوليد بن مزبد عن أبيه عن ابن جابر عن عمير بن هاتم أنه حدثه أنه قال: كان أبو هريرة يمشي في سوق المدينة وهو يقول: اللهم لا تتركني سنة الستين، ويحكم تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تتركني إمارة الصبيان. قال البيهقي: وعلي وأبو هريرة إنما يقولان هذا الشيء سمعاه من رسول الله ﷺ. وقال يعقوب بن سفيان: [الطرفة والطريق ٢٩٤/١، ٢٩٥] أنا عبد الرحمن بن عمرو الخزامي، حدثنا محمد بن سليمان عن أبي عتيبة البلعكي عن هشام بن الغاز عن ابن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتى يثلمه

وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر، وهكذا قال الليث وأبو بكر بن عياش الواقدي والخليفة بن خياط وأبو معشر وغير واحد: أنه قتل يوم عاشوراء عام إحدى وستين، وزعم بعضهم أنه قتل يوم السبت، والأول أصح.

وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ - وهو ضعيف - وتغير آفاق السماء، ولم يتقلب حجر إلا وجد تحته دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحالت رماداً، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار إلى غير ذلك مما في بعضها تكارة، وفي بعضها احتمال، والله أعلم.

وقد مات رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، ولم يقع شيء من هذه الأشياء، وكذلك الصديق بعده، مات ولم يكن شيء من هذا، وكذا عمر بن الخطاب قتل شهيداً وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر، وحصر عثمان في داره وقتل بعد ذلك شهيداً، وقتل علي بن أبي طالب شهيداً يوم الجمعة قبل صلاة الفجر، ولم يكن شيء من هذه الأشياء، والله أعلم.

وقد روى حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن أم سلمة أنها سمعت الجن تنوح على الحسين بن علي، وهذا صحيح الطبراني الكبير ١٣٣/٣ (٢٨٦٧) وقال شهر بن حوشب (الشيخ دمشق ٢٣٨/١٤) كنا عند أم سلمة فجاءها الخبر بمقتل الحسين فخرت متشياً عليها.

وكان سبب قتل الحسين أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم عليهم ليأبىهم بالخلافة، وكثر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مسلم بن عقيل، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية، فبث إلى مسلم بن عقيل فضرب عنقه ورماه من القصر إلى العامة، ففرق ملوهم وتبددت كلماتهم، هذا وقد تمجيز الحسين من الحجاز إلى العراق، ولم يشعر بما وقع، فتحمل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريباً من ثلاثمائة، وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة، منهم أبو سعيد، وجابر، وابن عباس، وابن عمر، فلم يطعمهم.

وما أحسن ما نهاه ابن عمر عن ذلك، واستدل له على أنه لا يقع ما يريد فلم يقبل، فروى الحافظ البيهقي (دلائل ٤٧٠/٦) عن حديث يحيى بن سالم الأسدي، ورواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» عنه، قال: سمعت الشعبي يقول: كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ليلتين أو ثلاث من المدينة، قال: أين تريد؟ قال العراق ومعه طوامير وكتب، فقال: لا تأتهم، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: إن الله خير نبيه صلى الله عليه وآله بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله ﷺ، والله لا يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم، فارجعوا، فأبى وقال: هذه كتبهم وبيعتهم، قال: فاحتقت ابن عمر وقال: استردك الله من قبيل، وقد وقع ما فهمه عبد الله بن عمر من ذلك سواء، من أنه لم يل أحد من أهل البيت الخلافة على سبيل الاستقلال ويتم له الأمر، وقد قال ذلك عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب أنه لا يلي أحد من أهل البيت أبداً، ورواه عنهما أبو صالح الخليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ في كتابه «الفتن والملاحم».

قلت: وأما الخلفاء الفاطميون الذين كانوا بالنصار المصرية، فإن أكثر العلماء على أنهم أديعاه وعلي بن أبي طالب من أهل البيت، ومع هذا لم يتم له الأمر كما كان للخلفاء الثلاثة قبله، ولا اتسعت يده في البلاد كلها،

ثم قال البيهقي: تابعه موسى الجهنبي عن صالح بن أريد النخعي عن أم سلمة، وأبان عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.

وقال الحافظ أبو بكر البزار في «مسنده» [كشف الأسرار ٢٦٤٠] حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، حدثنا الحسين بن عيسى، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان الحسين جالساً في حجر النبي ﷺ فقال جبريل: اتبعه؟ فقال: وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي؟» فقال: أما إن أمتك ستقتله، ألا أريك من موضع قبره؟ فقبض قبضة فإذا تربة حمراء ثم قال البزار: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد، والحسين بن عيسى قد حدث عن الحكم بن أبان بأحاديث لا نعلمها عند غيره.

قلت: هو الحسين بن عيسى بن مسلم الخنفي أبو عبد الرحمن الكوفي أخو سليم القاري، قال فيه البخاري: مجهول - يعني مجهول الحال - ولا فقد روى عنه تسعة نفر، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وروى عن الحكم بن أبان أحاديث منكرة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن عدي: قليل الحديث، وعامة حديثه غرائب، وفي بعض أحاديثه المنكرات.

وروى البيهقي (دلائل ٤٦٨/٦، ٤٦٩) عن الحكم وغيره عن أبي الأحوص عن محمد بن الجهم القاضي: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد بن عبد الله عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: «وما هو؟» قالت: إنه شديد. قال: «وما هو؟» قالت: رأيت كأن قطعة من جسدي قطعت ووضعت في حجري. قال: «رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجره»، فولدت فاطمة الحسين، فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً على رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ثم حانت مني الفتاة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع، قالت: قلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي، مالك؟ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا»، فقلت: هذا؟ قال: «نعم، وأتاني بكرة من تربته حمراء».

وقد روى الإمام أحمد (٣٣٩/٦، ٣٤٠) عن عفان عن وهيب عن أيوب عن صالح أبي الخليل عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني رأيت في منامي أن في بيتي أو حجري عضواً من أعضائك، قال: «تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فتكفلينه»، فولدت له فاطمة حسينا، فدفعته إليها فأرضعته بلبن قم، فأتيت به رسول الله ﷺ يوماً أزوره، فأخذه فوضعه على صدره فبال فأصاب البول إزاره، فزخخت بيدي على كتفيه، فقال: «أوجعت ابني أصلحك الله»، أو قال: «رحمك الله»، فقلت: اعطني إزارك أغسله، فقال: «إنما ينسل بول الجارية» ويصب على بول الغلام، ورواه أحمد أيضاً (٣٣٩/٦) عن يحيى بن بكير عن إسرائيل عن سماك عن قابوس بن خرق عن أم الفضل فذكر مثله سواء، وليس فيه الإخبار بمقتله والله أعلم.

وقال الإمام أحمد (٣٨٣/١) حدثنا عفان، حدثنا حماد، أنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس. قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم: أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل أنقطه منذ اليوم»، قال: فأحسيت ذلك اليوم فوجدته قتل في ذلك اليوم رضي الله عنه.

قال قتادة: قتل الحسين يوم الجمعة، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين،

سفركم هنا، قالوا: فما هو يا رسول الله؟ قال: «يقتل بهذه الحرة خيار أمي بعد أصحابي»، هذا مرسل، وقد قال يعقوب بن سفيان: قال وهب بن جبير: قالت جويرية: حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة «وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْرَافِهِمْ ثُمَّ سَيِلُوا أَوْتِنَهُمْ لَمْ يُزَيِّهِمْ» [الأحزاب: ١٤] قال: لأعطوها، يعني إدخال بني حارة أهل الشام على أهل المدينة، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، وتفسير الصحابي في حكم المرفوع عند كثير من العلماء.

وقال نعم بن حماد في كتاب «الفن والملاحم» [٤٣٥]: حدثنا أبو عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر أرايت إن الناس قتلوا حتى تفرق حجارة الزيت من الدماء، كيف أنت صائم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «تدخل بيتك»، قال: قلت: فإن أتى علي؟ قال: «تأتي من أنت منه»، قال: قلت: وأحمل السلاح؟ قال: «إذا تشرك معهم»، قال: قلت: فكيف اصنع يا رسول الله؟ قال: «إن خفت أن يهوك شعاع السيف فألق طائفة من رداك على وجهك يوهك يوهك يوهك وإني»، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» [١٤٩/٥] عن مرحوم - هو ابن عبد العزيز - عن أبي عمران الجوني، فذكره مطولاً.

قلت: وكان سبب وقعة الحرة أن وفدًا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فآكرمهم وأحسن جازيتهم، وأطلق لأمرهم - وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - قريباً من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهلهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبايع في شره الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها، بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية، يقتلهم رجل يقال له: مسلم بن عقبة، وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غيوب هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غيوب ذلك ألف بكر فإله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب عن الإمام مالك: قتل يوم الحرة سبعةائة رجل من حلة القرآن، حسب أنه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك في خلافة يزيد.

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري يقول: قتل يوم الحرة عبد الله بن يزيد المازني ومفضل بن سليمان الأشجعي، ومعاذ بن الحارث الثقفي، وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر.

قال يعقوب: وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء ثلاث بقين من الحجة سنة ثلاث وستين، ثم اتبع مسرف بن عقبة إلى مكة فاصداً عبد الله بن الزبير ليقته بها؛ لأنه فر من بيعة يزيد، فمات يزيد بن معاوية في غيوب ذلك، واستفحل أمر عبد الله بن الزبير في الخلافة بالحجاز، ثم أخذ العراق ومصر، وروى بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد، وكان رجلاً صالحاً، فلم تطل مدته، مكث أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، ثم مات رحمه الله، فوثب مروان بن الحكم على الشام فاختلعا، بقي تسعة أشهر ثم مات، وقام بعده ابنه عبد الملك بن مروان، فنازعه فيها عمرو بن سعيد بن الأشدق وكان نائباً على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان، فلما هلك مروان زعم أنه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك، فضاق به ذرعاً، ولم يزل به حتى

ثم تنكث عليه الأمور، وأما ابنه الحسن رضي الله عنه فإنه لما جاء في جيوشه وتصانفي هو وأهل الشام، ورأى أن المصلحة في ترك الخلافة، تركها لله عز وجل، وصيانة لدماء المسلمين، أثابه الله ورضي عنه، وأما الحسين رضي الله عنه فإن ابن عمر لما أشار عليه بترك الذهاب إلى العراق وخالفه، اعتقه مودعاً له وقال: استردك الله من قتل، وقد وقع ما تفرسه ابن عمر، فإنه لما استقل ذاهباً بعث إليه عبيد الله بن زياد بكثيرة فيها أربعة آلاف يقتلهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وذلك بعدما استغفاه فلم يعمه، فالتقوا بمكان يقال له كربلاء بالطيف، فالتجأ الحسين بن علي وأصحابه إلى مقصبة هنالك، وجعلوا منهم بظهر، وواجهوا أولئك، وطلب منهم الحسين إحدى ثلاث: إما أن يدعو يرجع من حيث جاء، وإما أن يذهب إلى ثغر من الثغور فيقاتل فيه، أو يتركه حتى يذهب إلى يزيد بن معاوية فيضع يده في يده. فيحكم فيه بما شاء، فأبوا عليه واحدة منهم، وقالوا: لا بد من قدمك على عبيد الله بن زياد فيرى فيك رأيه، فأبى أن يقدم عليه أبداً، وقتلهم دون ذلك، فقتلوه رحمه الله، وذهبوا برأسه إلى عبيد الله بن زياد فوضعوه بين يديه، فجعل يكت بكضيب في يده على ثناياه، وعنده أنس بن مالك جالس، فقال له: يا هذا، أرفع كضيبك، قد طال ما رأيت رسول الله يقبل هذه الثنايا، ثم أمر عبيد الله بن زياد أن يسار بأهله ومن كان معه إلى الشام، إلى يزيد بن معاوية، ويقال: إنه بعث معهم بالرأس حتى وضع بين يدي يزيد فأنشد حيث ذكروا بعضهم:

فلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعتقوا وظلما
ثم أمر بجهيزهم إلى المدينة النبوية، فلما دخلوها تلقتهم امرأة من بنات عبد المطلب ناشرة شعرها، واضعة كفها على رأسها تبكي وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأسم
بعثني وبأهلي بعد مفقدي منهم أسارى وقتلى خرجوا بدم
ما كان هنا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي
وسنورد هنا مفصلاً في موضعه إذا انتهينا إليه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان، وقد رآه الناس بمرات كثيرة ومن أحسن ذلك ما أورده الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وكان فيه تشيع:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد مـ متراً بدمائه ترميلاً
فكأن بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عاملين رسولاً
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلوك التنزيل والتأويل
ويكبرون بأن قتلنا وإنا قتلوا بك التكبير والتلهيلاً

٨٢- ذكر الأخبار عن وقعة الحرة التي

كانت في زمن يزيد أيضاً

قال يعقوب بن سفيان: حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثني ابن فليح عن أبيه عن أيوب بن عبد الرحمن عن أيوب بن بشير المعاصي أن رسول الله ﷺ خرج في سفر من أسفاره، فلما مر بجرة زهرة وقف فاسترجع، فسأه ذلك من معه، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما الذي رأيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما إن ذلك ليس من

٨٣ - التيقُّ بذهاب بصره في آخر عمره

روى البيهقي [دلائل/٤٦٨] من طريق الدراودي عن ثور بن زيد عن موسى بن مسيرة: أن بعض بني عبد الله سائره في بعض طريق مكة، فقال: حدثني العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان الرجل، فلقي العباس رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال: «وَرَأَيْتُ؟» قال: نعم، قال: «أَتَدْرِي مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ؟» ذاك جبريل، ولئن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماء، وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمي رضي الله عنه.

وروى البيهقي [دلائل/٤٧٩] من حديث المعتمر بن سليمان، حدثنا نباتة بنت بريد عن حمادة عن أنيسة بنت زيد بن أرقم عن أبيها، أن رسول الله ﷺ دخل على زيد يعوده في مرض كان به، قال: «ليس عليك من مرضك بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي فعميت؟» قال: إذا احتسب وأصبر، قال: «إذا تدخل الجنة بنير حساب»، قال: فعمي بعد ما مات رسول الله ﷺ، ثم رد الله عليه بصره ثم مات.

٨٤ - الإخبار عن الكذابين بين يدي الساعة

وثبت في «الصحاحين» (ج: ٣٦٠٩) [م ١٥٧] (٨٤) عن أبي هريرة، وعند مسلم [٢٩٢٣] (٨٣) عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَابًا دَجَلًا، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ».

وقال البيهقي [دلائل/٤٨٠، ٤٨١] عن الماليني عن بن عدي عن أبي يعلى الموصلي: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْرِجَ ثَلَاثُونَ كَذَابًا، مِنْهُمْ مُسْلِمَةٌ، وَالْمُنْصَرَفُ، وَالْمُخْتَارُ. وَشَرُّ قِبَائِلِ الْعَرَبِ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو حَنْظَلَةَ وَثِقِيفٌ، قَالَ ابْنُ عَدِي: مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَسَنِ لَهُ إِفْرَادَاتٌ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ الثَّقَالَةُ، وَلَمْ أَرِ مُحَدِّثَهُ بَلَاءً، وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: لَحْدِيخٌ فِي الْمَخْتَارِ شَوَاهِدٌ صَحِيحَةٌ، ثُمَّ أورد من طريق أبي داود الطيالسي [دلائل/٤٨١] [مسند أبي داود: ١٦٤١]، حدثنا الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت للحجاج بن يوسف: أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً وميراً، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المير فلا إخال لك إلا إياه، قال: ورواه مسلم [٢٥٤٥] من حديث الأسود بن شيبان، وله طرق عن أسماء والفاظ سيأتي إيرادها في موضعه.

وقال البيهقي [دلائل/٤٨١، ٤٨٢] «أَنَا الْحَاكِمُ وَأَبُو سَعِيدٍ عَنِ الْأَصَمِ عَنْ عَبَّاسِ النَّوْدِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبَرِ الْحَمِيلِيِّ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ أَبِي الْحَيَاةِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا قُتِلَ الْحَجَّاجُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبَرِ دَخَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أُمُّهُ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْصَانِي بِكَ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ فَقَالَتْ: لَسْتُ لَكَ بِأُمٍّ، وَلَكِنِّي أُمُّ الْمَصْلُوبِ عَلَى رَأْسِ الثَّيْبَةِ، وَمَا لِي مِنْ حَاجَةٍ، وَلَكِنْ أَنْتَظِرُ حَتَّى أَحْدِثَكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يُخْرِجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَابًا وَمِيراً»، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمِيرُ فَأَنْتَ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ: مِيرُ الْمُنَافِقِينَ.

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود: ١٦٢٥] (ج: ١) حدثنا شريك عن أبي علوان - عبد الله بن عصمة - عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ

أخذه بعلماء استفحل أمره بلمشق فقتله في سنة تسع وستين، ويقال: في سنة سبعين، واستمرت أيام عبد الملك حتى ظفر بآبِ الزبير سنة ثلاث وسبعين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عن أمره بمكة، بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ إلى الحرم، فلم يزل به حتى قتله، ثم عهد في الأمر إلى بنه الأربعة بعده الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام بن عبد الملك.

وقد قال الإمام أحمد [٣٢٦/٦]: حدثنا أسود ويعيسى بن أبي بكير، حدثنا كامل أبو العلاء، سمعت أبا صالح - وهو مولى غيبة - المؤذن واسمه مينا - قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «تَعْرِضُوا بِاللَّهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ، وَإِمَارَةِ الصَّيَّانِ»، وقال: «لَا تَذْهَبِ الدُّنْيَا حَتَّى تُصِيرَ الْكَلْبُ ابْنَ لَكْعَ، وَقَالَ الْأَسَدُ: يَعْنِي اللَّيْسَ ابْنَ اللَّيْسِ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ [٢٣٣١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَصَرُ أُمِّي مِنْ سِتِينَ سَنَةً إِلَى سَبْعِينَ سَنَةً»، ثُمَّ قَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وقد روى الإمام أحمد [٣٨٥/٢] عن عفان وعبد الصمد عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد: حدثني من سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لِثِقَتَيْنِ وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ فِي رَوَاتِهِ: «لِثِقَتَيْنِ جَبَّارٍ مِنْ جَبَابَةِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مَنْبَرِي هَذَا زَادَ عَبْدُ الصَّمَدِ «يَسِيلُ رَعَاةً»، قَالَ: فَحَدَّثَنِي مَنْ رَأَى عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ: يَعْرِفُ عَلَى مَنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى سَالَ رَعَاةً.

قلت: علي بن زيد بن جدعان في روايته غرابة ونكارة وفيه تشيع، وعمر بن سعيد هذا، يقال له: الأشعق، كان من سادات المسلمين وأشرافهم، رأى النبي ﷺ وروى عن جماعة من الصحابة، منهم في «صحيح مسلم» [٢٨٨] عن عثمان في فصل الطهور، وكان نائباً على المدينة لمعاوية ولابنه يزيد بعده، ثم استفحل أمره حتى كاد يصول عبد الملك بن مروان، ثم خدعه عبد الملك حتى ظفر به فقتله في سنة تسع وستين، أو سنة سبعين، قاله أعلم، وقد روى عنه من المكارم أشياء كثيرة من أحسنها أنه لما حضرت الوفاة قال لبيته، وكانوا ثلاثة، عمرو هذا، وأميه، وموسى، فقال لهم: من يتحمل ما علي؟ فبدر ابنه عمرو هذا وقال: أنا يا أبا، وما عليك؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: نعم، قال: وأخواتك لا تزوجهن إلا بالكفاه ولو أكلن خبز الشعير، قال: نعم، قال: وأصحابي ممن بعدي، إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي، قال: نعم، قال: أما لئن، قلت ذلك، فلقد كنت أعرفه من حاليك وجهك وأنت في مهلك.

وقد ذكر البيهقي [دلائل/٤٧٦، ٤٧٧] (ج: ١) من طريق عبد الله بن صالح - كاتب الليث - عن حملة بن عمران عن أبيه عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث عن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي، قال: اصطحب قيس بن خشره وكعب حتى إذا بلغا صفين، وقف كعب الأحبار فذكر كلامه فيما يقع هناك من سفك دماء المسلمين، وأنه يجد ذلك في التوراة، وذكر عن قيس بن خشره أنه بايع رسول الله ﷺ على أن يقول الحق، وقال: فإيا قيس عسى أن يجد بك الدهر حتى يليك بعدي من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم، فقال: والله لا أبايك على شيء إلا وفيت لك به، فقال له رسول الله ﷺ: «إِذَا لَا يَضُرُّكَ بَشَرٌ»، فبلغ قيس إلى أيام عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، فنقم عليه عبيد الله في شيء فأحضره فقال: أنت الذي تزعم أنه لا يضرك بشر؟ قال: نعم، قال: لتعلمن اليوم أنك قد كذبت، اتوني بصاحب العذاب، قال: فمال قيس عند ذلك فمات.

عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحنثان عن علي بن أبي طالب أنه قال: الشاب الذيال أمير المصريين، يلبس فروتها، ويأكل خضرتها، ويقتل أشراف أهلها، يشد منه الفرق، ويكثر منه الأرق، ويسلطه الله على شيعته، وله [دلائل ٤٨٩/٦] من حديث يزيد بن هارون: أنا العوام بن حوشب، حدثني حبيب بن أبي ثابت قال: قال علي لرجل: لا ميت حتى تترك قسي تقيف، فقيل: يا أمير المؤمنين وما في تقيف؟ فقال: ليقال له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين سنة أو بضعا وعشرين سنة، لا يدع لله معصية إلا ارتكبتها، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكها، يقتل بمن أطاعه من عصاه. وهذا معضل، وفي صحته عن علي نظر والله أعلم.

وقال البيهقي [دلائل ٤٨٩/٦] عن الحاكم عن الحسين بن الحسن بن أيوب عن أبي حاتم الرازي عن عبد الله بن يوسف التميمي، حدثنا هشام بن يحيى الغساني قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بتجنيها، وجنتاهم بالحجاج لغلبناهم.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم عن بن أبي النجود: ما بقيت لله حرمة إلا وقد ارتكبتها الحجاج.

وقال عبد الرزاق: عن معمر عن ابن طائوس أن إيساء لما تحقق موت الحجاج تلا قوله تعالى ﴿فَقَطِّعْ ذَايَرُ الْقَوْمِ الْبَئِيسَ ظَلَمُوا وَآخَذُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

قلت: وقد توفي الحجاج سنة خمس وتسعين.

٨٥- ذكر الإشارة النبوية إلى دولة

عمر بن عبد العزيز تاج بني أمية

قد تقدم حديث أبي إدريس الخولاني عن حذيفة قال: وتكرر سألت رسول الله ﷺ هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستترون بغير ستي، ويهلون بغير هدي، تعرف منهم وتكره». الحديث. فحمل البيهقي وغيره هذا الخير الثاني على أيام عمر بن عبد العزيز.

وروي [دلائل ٤٩١/٦] عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه قال: سئل الأوزاعي عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله ﷺ عن الشر الذي يكون بعد ذلك الخير فقال الأوزاعي: هي الردة التي كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال الأوزاعي: وفي مسألة حذيفة: «هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قال الأوزاعي: فالخير الجماعة، وفي ولائهم من تعرف سيرته، وفيهم من تكرر سيرته. قال: فلم ياذن رسول الله ﷺ في قتالهم ما صلوا الصلاة.

وروي أبو داود الطيالسي عن داود الواسطي، وكان ثقة، عن حبيب بن سالم عن الثعالب بن بشير بن سعد عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون جبرية ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، قال: فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان، فكُتبت إليه أذكره الحديث وكُتبت إليه أقول: إني أوجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الجبرية، قال: فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر فسر به

يقول: «إن في تقيف كذاباً وميراً»، وقد تواتر خبر المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي كان نائباً على العراق وكان يزعم أنه نبي، وأن جبريل يأتيه بالوحي، وقد قيل لابن عمر وكان زوج اخت المختار صفية: إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه. قال: صدق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَايُومُونَ إِلَى أُوتِيَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ١٢٨٩]: حدثنا قرة بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد، قال: كنت أبطن شيء بالمختار الكذاب، قال: فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي، قال: فأهويت إلى قائم السيف -يعني لأضربه- حتى ذكرت حديثاً حدثني عمرو بن الحکم الخزاعي، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الفخر يوم القيامة» فكففت عنه، وقد رواه أسباط بن نصر وزائدة والثوري عن إسماعيل السدي عن رفاعة بن شداد الفتياني فذكره نحوه [دلائل ٤٨٣/٦].

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة عن مجاهد عن الشعبي، قال: فاخرت أهل البصرة فغلبتهم بأهل الكوفة، والأحنف ساكت لا يتكلم، فلما رأيته غلبتهم أرسل غلاماً له فجاء بكتاب فقال: هاك اقرأ، فقرأه فإذا فيه: من المختار إليه يذكر أنه نبي، قال: يقول الأحنف: أتى فينا مثل هذا؟!

وأما الحجاج بن يوسف فقد تقدم الحديث أنه الغلام المبير الثقفي، وسنذكر ترجمته إذا انتهينا إلى أيامه، فإنه كان نائباً على العراق لعبد الملك بن مروان، ثم لابنه الوليد بن عبد الملك، وكان من جبابرة الملوك، على ما كان فيه من الكرم والفضاحة على ما سنذكره.

وقد قال البيهقي [دلائل ٤٨٧/٦، ٤٨٨]: حدثنا الحاكم عن أبي النضر الفقيه، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، قال عبد الله بن صالح المصري أن معاوية بن صالح حدثه عن شريح بن عبيد عن أبي عذبة قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فأخبره أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان ففصل لنا الصلاة فسبها فيها حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فلما سلم أقبل على الناس فقال: من ههنا من أهل الشام؟ فقام رجل ثم قام آخر، ثم قمنا أنا ثالثاً أو رابعاً، فقال: يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، اللهم إنيهم قد لبسوا علي فأكبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم أهل الجاهلية، لا يقبل عمنهم، ولا من يتجاوز عن سبهم.

قال عبد الله: وحدثني ابن لهيعة بمثله، قال: وما ولد الحجاج يومئذ، ورواه الدارمي أيضاً عن أبي اليمان عن جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي عذبة الحمصي عن عمر فذكر مثله، قال أبو اليمان: علم عمر أن الحجاج خارج لا محالة، فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة. قلت: فإن كان هذا نقله عمر عن رسول الله ﷺ فقد تقدم له شاهد عن غيره، وإن كان عن تحديث، فكرامة الولي معجزة لبيه.

وقال عبد الرزاق: أنا جعفر -يعني ابن سليمان- عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال علي لأهل الكوفة: اللهم كما اتهمتهم فخانوني، ونصحت لهم ففشوني، فسلط عليهم قسي ثقيف الذيال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية، قال: يقول الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ، وهذا منقطع.

وقد رواه البيهقي [دلائل ٤٨٧/٦] أيضاً من حديث معتمر بن سليمان

واعجبه.

وقال نعيم بن حماد (اللق ٢٩١): حدثنا روح بن عبادة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قال عمر بن عبد العزيز: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فقال لي: «أدنه» فلتوت حتى قمت بين يديه، فرفع بصره لي وقال: «أما إنك ستلي أمر هذه الأمة وتستعدل عليهم» وسأني في الحديث الآخر إن شاء الله أن الله يعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. وقد قال كثير من الأئمة: إنه عمر بن عبد العزيز، فإنه توفي سنة إحدى ومائة.

وقال البيهقي (دلائل ٤٩٢/٦): أنا الحاكم، أنا أبو حامد أحمد بن علي المقرئ، حدثنا أبو عيسى، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية ابن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: إن من ولدي رجلاً بوجه شين يلي فيملاً الأرض عدلاً، قال نافع من قبله: ولا أحبه إلا عمر بن عبد العزيز، وقد رواه نعيم بن حماد عن عثمان ابن عبد الحميد (اللق ٢٩٠)، ولهذا طرق عن ابن عمر أنه كان يقول: ليت شعري، من هذا الذي من ولد عمر بن الخطاب في وجهه علامة ملاً الأرض عدلاً؟ وقد روي ذلك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب نحواً من هذا (دلائل ٤٩٣/٦)، وقد كان هذا الأمر مشهوراً قبل ولايته وميلاده بالكلية أنه يلي رجل من بني أمية يقال له: أشج بني مروان.

وكانت أمه أروى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وكان أبوه عبد العزيز بن مروان نائياً لأخيه عبد الملك على مصر، وكان يكرم عبد الله بن عمر، ويبحث إليه بالتحف والهدايا والجواهر فيقبلها، ويبحث إليه مرة بالث دينار فأخذها، وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوماً إلى اصطبل أبيه وهو صغير، فرمعه فرس فشجه في جبينه، فجعل أبوه يسلك عنه الدم ويقول: أما لئن كنت أشج بني مروان، إنك إنذا لسعيد. وكان الناس يقولون: الأشج والناقص أعدل بني مروان، فالأشج هو عمر بن عبد العزيز، والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي يقول فيه الشاعر:

رأيت يزيد بن الوليد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كامله قلت: وقد ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك ستين ونصفاً، فعلاً الأرض عدلاً، وفاض المال حتى كان الرجل يهيم لمن يعطي صدقته، وقد حل البيهقي الدلائل ٤٩٣/٦ الحديث المتقدم عن عدي بن حاتم، على أيام عمر بن عبد العزيز، وعندي في ذلك نظر، والله أعلم.

وقد روى البيهقي (دلائل ٤٩٣/٦، ٤٩٤) من حديث إسماعيل بن أبي أويس: حدثني أبو ممن الأنصاري، ما أسنده قال: بينما عمر بن عبد العزيز يمشي إلى مكة بفلاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال: علي بمخفار فقالوا: نخفيك أصلحك الله، قال: لا، ثم أخذه فحفر له ثم لقه في خرقه ودفنه، فإذا هاتف يهتف لا يرويه: رحمة الله عليك يا سرق، فقال له عمر بن عبد العزيز: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رجل ابن الجن وهذا سرق، ولم يبق عن بايع رسول الله ﷺ غيري وغيره، وأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «فوت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفئك خير أمي»، وقد روى (دلائل ٤٩٤/٦، ٤٩٥) هذا من وجه آخر وفيه: أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ﷺ، وفيه أن عمر بن عبد العزيز حلفه، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز، وقد رجحه البيهقي وحسنه، فאלله أعلم.

٨٦- حديث آخر - في صحته نظر - في ذكر وهب بن

منبه بالمدح، وذكر غيلان بالنم

وروى البيهقي (دلائل ٤٩٦/٦) من حديث هشام بن عمار وغيره عن الوليد بن مسلم عن مروان بن سالم القرطبي عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمي رجل يقال له: وهب، يهب الله له الحكمة، ورجل يقال له: غيلان، هو أخير على أمي من إبليس»، وهذا لا يصح لأن مروان بن سالم هذا متروك.

وبه إلى الوليد: حدثنا ابن لبيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «يضع الشيطان بالشام نقة يكذب ثلثام بالقدر»، قال البيهقي: وفي هذا إن صح إشارة إلى غيلان وما ظهر بالشام بسببه من التكنيب بالقدر حتى قتل.

٨٧- الإشارة إلى محمد بن كعب القرظي وعلمه بتفسير

القرآن وحفظه

قال حرملة عن ابن وهب: أخبرني أبو صخر عن عبد الله بن مغيث عن أبي بردة الطفري عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده».

وروى البيهقي (دلائل ٤٩٨/٦) عن الحاكم عن الأصم عن إسماعيل القاضي، حدثنا أبو ثابت، حدثنا ابن وهب، حدثني عبد الجبار بن عمر عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره» قال: فكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظي، قال أبو ثابت: الكاهنان، قريظة والنضير. وقد روى (دلائل ٤٩٨/٦، ٤٩٩) من وجه آخر مرسل: «يخرج من الكاهنين رجل أعلم الناس بكتاب الله»، وقد قال عون بن عبد الله: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب القرظي.

٨٨- ذكر الإخبار بانخرام قرنه بعد مائة سنة من

ليلة إخباره فكان كما أخبر

ثبت في «الصحيحين» (ج ١١٦) [٢٥٣٧، ٢٥٣٨] من حديث الزهري عن سالم وأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء ليلة في آخر عمره، فلما سلم قام فقال: «أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة سنة من هنا لا يبق من هو اليوم على ظهر الأرض أحد». قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ إلى ما تحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما يريد بذلك أنها تحرق ذلك القرن، وفي رواية: إنما أراد رسول الله ﷺ انخرام قرنه.

وفي «صحيح مسلم» (٢٥٣٨، ٢٥٣٩) من حديث ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر: «يسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله، فأقسم بالله ما

على ظهر الأرض من نفس مفوضة اليوم، يأتي عليها مائة سنة.

وهذا الحديث وأمثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة إلى أن الخضر ليس بموجود الآن، كما قلنا ذلك في ترجمته في قصص الأنبياء عليهم السلام، وهو نص على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إختياره عليه السلام، وهكذا وقع سواء فإنه لم يتأخر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة، وكذلك جميع الناس، ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم في كل مائة سنة، وليس في الحديث تعرض لهذا، والله أعلم.

حديث آخر:

قال محمد بن عمر الواقدي [دلائل ٥٠٣/٦]: حدثني شريح بن يزيد عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني عن أبيه عن عبد الله بن بسر، قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي وقال: «هذا الغلام يعيش قرناً» قال: فعاش مائة سنة، وقد رواه البخاري [المصنف]

في «الدرر» [الفتح الكبير ٣٢٣/١] عن أبي حنيفة شريح بن يزيد به فذكره، قال: وزاد غيره: وكان في وجهه ثالول، فقال: «ولا يموت حتى يذهب الثالول من وجهه»، فلم يمض حتى ذهب الثالول من وجهه، وهذا إسناد على شرط السنن، ولم يخرجوه، ورواه البيهقي عن الحاكم عن محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى عن الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا حيوة بن شريح عن إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني عن أبيه عن عبد الله بن بسر، أن رسول الله ﷺ قال له: «يعيش هذا الغلام قرناً»، فعاش مائة سنة. قال الواقدي وغير واحد: توفي عبد الله بن بسر بمصر سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين، وهو آخر من بقي من الصحابة بالشام.

٨٩- ذكر الأخبار عن الوليد بما فيه له

من الوعيد الشديد

وإن صح فهو الوليد بن يزيد لا الوليد بن عبد الملك بناني الجامع السعيد

قال يعقوب بن سفيان [دلائل ٥٠٥/٦، ٥٠٦]: حدثني محمد بن خالد بن العباس السكسكي، حدثني الوليد بن مسلم، حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب قال: ولد لأخي أم سلمة غلام فسماه الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «قد جعلتم تسمون بأسماء فراعتمكم، إنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له: الوليد، هو أضر على أمي من فرعون على قومه».

قال أبو عمر والأوزاعي: فكان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد لفتنة الناس به، حين خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحت الفتنة على الأمة والمخرج.

وقد رواه البيهقي عن الحاكم، وغيره عن الأصم عن سعيد بن عثمان التوخي عن بشر بن بكر عن الأوزاعي عن الزهري عن سعيد [دلائل ٥٠٥/٦]، فذكره ولم يذكر قول الأوزاعي، ثم قال: وهذا مرسل حسن.

وقد رواه نعيم بن حماد [الفتح ٣٢٨] عن الوليد بن مسلم به، وعنده قال الزهري: إن استخلف الوليد بن يزيد، فهو هو، وإلا فهو الوليد بن عبد

الملك.

وقال نعيم بن حماد [الفتح ٣٢٢]: حدثنا هشيم عن أبي حمزة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون رجل اسمه الوليد، يد به وكن من أركان جهنم وزاوية من زواياها» وهذا مرسل أيضاً.

حديث آخر:

قال سليمان بن بلال [دلائل ٥٠٧/٦] عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً، اتخولوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً» رواه البيهقي من حديثه.

وقال أبو نعيم بن حماد [الفتح ٣١٤]: حدثنا بقية بن الوليد وعبد القدوس عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغت بنو أمية أربعين، اتخولوا عباد الله خولاً، ومال الله غلاً، وكتاب الله دغلاً» وهذا منقطع بين راشد بن سعد وبين أبي ذر.

وقال إسحاق بن راهويه [دلائل ٥٠٧/٦]: أنا جرير عن الأعشى عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخولوا دين الله دغلاً ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً» ورواه أحمد عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير به.

وقال البيهقي [دلائل ٥٠٧/٦، ٥٠٨]: أنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا تمام - وهو محمد بن غالب - حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قيل أن ابن وهب أخبره أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان فدخل عليه مروان فكلمه في حاجته فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله إن مؤنني لمظيمة، وإنني لأبوء عشرة، وعم عشرة، وأخو عشرة. فلما أدير مروان - وابن عباس جالس مع معاوية على السرير - قال معاوية: أشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخولوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله دغلاً» فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة، كان هلاكهم أسرع من لو كثرتم؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم. قال: وذكر مروان حاجة له فرد مروان عبد الملك إلى معاوية فكلمه فيها، فلما أدير عبد الملك قال معاوية: أشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: «أبو الجبارة الأربعة؟» فقال ابن عباس: اللهم نعم، وهذا الحديث فيه غرابة وتكاثر شديد، وابن لهيعة ضعيف.

وقد قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي [دلائل ٥١٢/٦]: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا سعد بن زيد، أخو حماد بن زيد، عن علي بن الحكم البتاني عن أبي الحسن عن عمرو بن مرة، وكانت له صحبة، قال: جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن علي النبي ﷺ، فعرف كلامه فقال: «انظروا له، حية، أو ولد حية، عليه لعنة الله، وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين، وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذؤون مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

قال الدارمي: أبو الحسن هذا حمصي.

وقال نعيم بن حماد في «الفتح والملاحم» [الفتح ٣١٠]: حدثنا عبد الله بن مروان المرواني عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أن مروان بن الحكم لما ولد دفع إلى النبي ﷺ ليدعو له، فأبى أن يفعل ثم قال: «ابن

الزرقاء، هلاك أمي على يديه وبني ذريته وهذا حديث مرسل.

٩٠- ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من

جملة والإشارة إلى مدة دولتهم

قال يعقوب بن سفيان [دلائل ٥١١/١]: حدثنا أحمد بن محمد أبو محمد الزرقى، حدثنا الزحجي - يعني مسلم بن خالد - عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «وايت في المنام بني الحكم - أو بني أبي العاص - يترزون على منبري كما تنزرو القردة» قال: فما رأي رسول الله مستجعماً ضاحكاً حتى توفي.

وقال الثوري [دلائل ٥٠٩/٦]: عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك، فأوحى إليه: إنما هي دنيا أعطوها، ففرت به عنه وهي قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَنْزَلْنَاكَ إِلَّا آيَةً لِلنَّاسِ» [الاسراء: ٩٠] يعني بلاء للناس. علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحديث مرسل أيضاً.

وقال أبو داود الطيالسي [لم يجبه في المسند]: حدثنا القاسم بن الفضل - هو الحذلي - حدثنا يوسف بن مازن الراصي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية، فقال يا مسود وجوه المؤمنين. فقال الحسن: لا تؤنبي رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يتخلبون على منبره رجلاً رجلاً، فساءه ذلك فنزلت «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» [الكوثر: ١] - يعني نهراً في الجنة - ونزلت: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا الْقَدْرَ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر: ٣-١] فملكه بنو أمية. قال القاسم: فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد يوماً ولا ينقص يوماً.

وقد رواه الترمذي [٣٣٥٠] وابن جرير الطبري [٢٦٠/٣٠]، والحاكم في مستدركه [١٧١/١٧٠/٣]، والبيهقي في دلائل النبوة [٥٠٩/٦]، [٥١٠]. كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحذلي، وقد وثقه يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، عن يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن الراصي، وفي رواية ابن جرير عيسى بن مازن، قال الترمذي: وهو رجل مجهول، وهذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. فقول: إن يوسف هذا مجهول، مشكل، والظاهر أنه أراد أنه مجهول الحال، فإنه قد روى عنه جماعة، منهم حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال يحيى بن معين: هو مشهور، وفي رواية عنه قال: هو ثقة، فارتفعت الجاهالة عنه مطلقاً.

قلت: ولكن في شهره قضية الحسن ومعاوية نظر، وقد يكون أرسلها عن لا يعتمد عليه، والله أعلم، وقد سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني رحمه الله عن هذا الحديث فقال: هو حديث متكرر.

وأما قول القاسم بن الفضل رحمه الله: إنه حسب دولة بني أمية فوجدنا ألف شهر، لا تزيد يوماً ولا تنقصه، فهو غريب جداً، وفيه نظر، وذلك لأنه لا يمكن إدخال دولة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت ثنتي عشرة سنة، في هذه المئة، لا من حيث الصورة ولا من حيث المعنى، وذلك أنها ممدوحة؛ لأنه أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهذا الحديث إنما سبق لدم دولتهم، وفي دلالة الحديث على الذم نظر، وذلك أنه دل على أن ليلة القدر خير من ألف شهر التي هي دولتهم، وليلة القدر ليلة خيرة، عظيمة القدر والبركة،

كما وصفها الله تعالى به، فما يلزم من تفضيلها على دولتهم ذم دولتهم، فليتأمل هذا فإنه دقيق يدل على أن الحديث في صحته نظر؛ لأنه إنما سبق لدم أيامهم والله تعالى أعلم، وأما إذا أراد أن ابتداء دولتهم منذ ولي معاوية حين تسلمها من الحسن بن علي، فقد كان ذلك سنة أربعين، أو إحدى وأربعين، وكان يقال له: عام الجماعة؛ لأن الناس كلهم اجتمعوا على إمام واحد.

وقد تقدم الحديث في «صحيح البخاري» [عن أبي بكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين». فكان هذا في هذا العام، والله الحمد والمنة. واستمر الأمر في أيدي بني أمية من هذه السنة إلى سنة ثنتين وثلاثين ومائة، حتى انتقل إلى بني العباس كما سنذكره، وجمعوا ذلك ثثان وتسعون سنة، وهذا لا يطابق ألف شهر، لأن معدل ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فإن قال: أنا أخرج منها ولاية ابن الزبير وكانت تسع سنين، فحينئذ يبقى ثلاث وثمانون سنة.

فالجواب أنه وإن خرجت ولاية ابن الزبير، فإنه لا يكون ما بقي مطابقاً لألف شهر تحليداً، بحيث لا ينقص يوماً ولا يزيد، كما قاله، بل يكون ذلك تقريباً، هذا وجه. الثاني: أن ولاية ابن الزبير كانت بالمجاز والأهواز والعراق في بعض أيامه، وفي مصر في قول، ولم تسلب يد بني أمية من الشام أصلاً، ولا زالت دولتهم بالكلية في ذلك الحين، الثالث: أن هذا يقتضي دخول دولة عمر بن عبد العزيز في حساب بني أمية، ومقتضى ما ذكره أن تكون دولته مضمومة، وهذا لا يقوله أحد من أئمة الإسلام، وإنهم مصرحون بأنه أحد الخلفاء الراشدين، حتى قرئوا أيامه تابعة لأيام الأربعة، وحتى اختلفوا في أيهما أفضل؟ هو أو معاوية بن أبي سفيان أحد الصحابة، وقد قال أحمد بن حنبل: لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز، فإذا علم هذا، فإن أخرج أيامه من حسابته انقضى حسابها، وإن أدخلها فيه مضمومة، خالف الأئمة، وهذا ما لا عجد عنه، وكل هذا مما يدل على نكارة هذا الحديث والله أعلم.

وقال نعيم بن حماد [الفتح ٥٢٠]: حدثنا سفيان عن العلاء بن أبي العباس، سمع أبا الطفيل، سمع علياً يقول: لا يزال هذا الأمر في بني أمية ما لم يختلفوا بينهم. حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن سعيد بن سالم عن أبي سالم الجيشاني سمع علياً يقول: الأمر لهم حتى يقتلوا قتلهم، ويتناسوا بينهم، فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواماً من المشرق يقتلهم بدءاً ويحصرهم عدداً، والله لا يملكون سنة إلا ملكنا ستين، ولا يملكون ستين إلا ملكنا أربعاً.

وقال نعيم بن حماد [الفتح ٥٣٠]: حدثنا الوليد بن مسلم عن حصين بن الوليد عن الأزهري بن الوليد سمعت أم الدرداء سمعت أبا الدرداء يقول: إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً، ما لم تنزل طاعة يستخف بها، ودم مسفوك بغير حق - يعني الوليد بن يزيد - ومثل هذه الأشياء إنما قال عن توقيف.

٩١- ذكر الإخبار عن دولة بني العباس

وكان أول ظهورهم من خراسان بالرايات السود في سنة ثنتين وثلاثين ومائة

قال يعقوب بن سفيان [العرفه والطريق ٥٢٥/١]: حدثني محمد بن خالد

قال البيهقي [دلائل ٥١٥/٦]: ورواه عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أسماء موقوفاً، ثم قال البيهقي [دلائل ٥١٥/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا كثير بن يحيى، حدثنا شريك عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبلت الرايات السود من عقب خراسان فأتوها ولو حبراً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي».

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا عبد الله بن داهر الرازي، حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ ذكر فتية من بني هاشم، فاغزو زقت عيناه، وذكر الرايات، قال: فمن أدركها فليأتها ولو حبراً على الثلج، ثم قال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الحكم إلا ابن أبي ليلى، ولا نعلم يروى إلا من حديث داهر بن يحيى، وهو من أهل الرأي صالح الحديث، وإنما يعرف من حديث يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم.

وقال الحافظ أبو يعلى (مسند أبي يعلى ٥٠٨٤): حدثنا أبو هشام بن محمد يزيد بن رفاعه، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: قال رسول الله ﷺ: «فهي رايات سود من قبل المشرق، تخوض الخيل الدم إلى أن تنثها، يظهرون العدل ويطلبون العدل فلا يعطونه، فيظهرون فيطلب منهم العدل فلا يعطونه». وهذا إسناد حسن.

وقال الإمام أحمد [٣٦٥/٢]: حدثنا يحيى بن غيلان، وقتيبة بن سعيد، قالوا: حدثنا رشدين بن سعد، قال يحيى بن غيلان في حديثه قال: حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قيصة - هو ابن ذؤيب الخزاعي - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يخرج من خراسان رايات سود لا يردعها شيء حتى تصعب بإيلياء».

وقد رواه الترمذي [٢٢٦٩] عن قتيبة به وقال: غريب. ورواه البيهقي [دلائل ٥١٦/٦] والحاكم من حديث عبد الله بن يوسف عن رشدين بن سعد، وقال البيهقي: تفرد به رشدين بن سعد، وقد روى قريب من هذا عن كعب الأحبار ولعله أشبه والله أعلم.

ثم روى [دلائل ٥١٧/٦] من طريق يعقوب بن سفيان: حدثنا محدث عن أبي المغيرة عبد القدوس عن إسماعيل بن عياش عمن حدثه عن كعب الأحبار قال: تظهر رايات سود لبني العباس حتى يزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وكل عدو لهم.

وقال الإمام أحمد [٨٠/٣]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عند انقطاع من الزمان، ويظهر من الفتن، رجل يقال له السفاح، فيكون إعطاه المال خيلاً».

ورواه البيهقي [دلائل ٥١٤/٦] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار، عن أبي معاوية، عن الأعمش به، وقال فيه: «يخرج رجل من أهل بيتي يقال له: السفاح»، فذكره، وهذا الإسناد على شرط أهل السنن ولم يخرجوه.

فهذه الأخبار في خروج الرايات السود من خراسان وفي ولاية السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقد وقعت ولايته في حدود سنة ثلاثين ومائة، ثم ظهر بأعوانه ومعهم الرايات السود، وشعارهم السوداء، كما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المغفر وفوقه عمامة سوداء، ثم بعث عمه عبد الله

بن العباس، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام المعيطي عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال: قدم عبد الله بن عباس على معاوية وأنا حاضر، فأجازه فأحسن جائزته، ثم قال: يا أبا العباس هل لكم دولة؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني. قال: نعم. فأخبره، قال: فمن أنصاركم؟ قال: أهل خراسان، ولبي أمية من بني هاشم تطحات. رواه البيهقي، وقال ابن عدي: أنا محمد بن عبد بن حرب، حدثنا سويد بن سعيد، أنا حجاج بن نعيم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: مرت بالنبي ﷺ وأنا معه جبريل، وأنا أظنه دحية الكلبي، فقال جبريل للنبي ﷺ: «إنه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده السوداء». وذكر تمام الحديث في ذهاب بصره، ثم عوده إليه قبل موته، قال البيهقي: تفرد به حجاج بن نعيم وليس بالقوي.

وقال البيهقي [دلائل ٥١٨/٦]: أخبرنا الحاكم، ثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر محمد بن أحمد بن بابويه في آخرين قالوا: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا عبد الله أحمد بن أبي قرة، حدثنا الليث بن سعيد عن أبي فضيل عن أبي مسيرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «انظر هل ترى في السماء من شيء؟» قلت: نعم، قال: «ما ترى؟» قلت: الثريا، قال: «أما إنه سيملك هذه الأمة بعدنهما من صلبك». قال البخاري [التاريخ الكبير ٢/٦]: عبيد بن أبي قرة بشنادي سمع الليث، لا يتابع على حديثه في قصة العباس.

وروى البيهقي [دلائل ٥١٧/٦] من حديث محمد بن عبد الرحمن العامري - وهو ضعيف - عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «فيكم النبوة وفيكم الملك».

وقال أبو بكر بن خيثمة [دلائل ٥١٧/٦]: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي معبد قال: قال ابن عباس: كما فتح الله بأولنا فارجو أن يفتحنا بنا. هذا إسناد جيد، وهو موقوف على ابن عباس من كلامه.

وقال يعقوب بن سفيان [العرفة والتاريخ ٥٣٥/١]: حدثني إبراهيم بن أيوب، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الملك بن حديد عن أبي غنّة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: سمعت ابن عباس ونحن نقول: اثنتي عشر أميراً واثنتي عشر أميراً، ثم هي الساعة، فقال ابن عباس: ما أحقكم؟! إن منا أهل البيت بعد ذلك، المنصور، والسفاح، والمهدي، يدفعها إلى عيسى ابن مريم. وهذا أيضاً موقوف.

وقد رواه البيهقي [دلائل ٥١٤/٦] من طريق الأعمش عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً: منا السفاح، والمنصور، والمهدي. وهذا إسناد ضعيف، والضحاک لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح، فهو منقطع والله أعلم.

وقد قال عبد الرزاق عن الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كتركم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة، لا يصير إلى واحد منهم، ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تزوا مثلها، ثم يحيي خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم فأتوه فبأيهم ولو حبراً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي». أخرجه ابن ماجه [٤٠٨٤] عن أحمد بن يوسف السلمى، ومحمد بن يحيى الذهلي، كلاهما عن عبد الرزاق به، ورواه البيهقي [دلائل ٥١٥/٦] من طرق عن عبد الرزاق، ثم قال: تفرد به عبد الرزاق.

الحديث، الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة على كلا القولين لأهل السنة في تفسير الاثني عشر كما سنذكره بعد إيراد الحديث.

ثبت في «صحيح البخاري» (ج: ٢٢٢٢) من حديث شعبة، «ومسلم» (ج: ١٨٢) من حديث سفيان بن عيينة، كلاهما عن عبد الملك بن عمر عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: «كلهم من قريش».

وقال أبو نعيم بن حماد في كتاب «الفتن والملاحم» (الكتاب ٢٢٤): حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا مجاهد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى». وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر وحذيفة وابن عباس وكعب الأحمري من قولهم [الكتاب ٢٢٧-٢٢٩، ٢٣١].

وقال أبو داود (٤٢٧٩): حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا مروان بن معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة» - أو أميراً - كلهم يجتمع عليهم الأمة. وسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه، فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: يقول: «كلهم من قريش».

وقال أبو داود أيضاً (٤٢٨١): حدثنا ابن نفي، حدثنا زهير بن معاوية، حدثنا زياد بن خثيمة، حدثنا الأسود بن سعيد الهملاني عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها، ظاهراً على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»، قال: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «ثم يكون المخرج»، قال البيهقي: ففي الرواية الأولى بيان العدد، وفي الثانية بيان المبدأ بالعدد، وفي الثالثة بيان وقوع المخرج وهو القتل بعدهم، وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع المخرج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية، ثم ظهر ملك العباسية، كما أشار إليه في الباب قبله، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد منهم من كان بعد المخرج المذكور فيه، وقد قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان». ثم ساقه [دلائل ٥٢١/٦] من حديث عاصم بن محمد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ فذكره.

وفي «صحيح البخاري» (٧١٣٩) من طريق الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديه أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»، قال البيهقي [دلائل ٥٢١/٦]: أي أقاموا معاملة وإن قصروا هم في أعمال أنفسهم، ثم ساق أحاديث تقتضي ما ذكره في هذا [دلائل ٥٢١/٦-٥٢٢] والله أعلم، فهذا الذي سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعة، من أن المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قلنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلک فيه نظر، وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير نقرضه، ويرهانه أن الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، خلافتهم محققة بنص حديث سفيان: «الخليفة بعدي ثلاثون سنة»، ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع، لأن علياً أوصى إليه، وابعه أهل العراق، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلع هو

لقتال بني أمية، فكسرهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهرب من المعركة آخر خلفائهم، وهو مروان بن محمد بن مروان ولبق بمروان الحمارة، ويقال له مروان الجعدي، لاشتغاله على الجعد بن درهم فيما قبل، ودخل معه دمشق واستحوذ على ما كان لبني أمية من الملك والأملاك والأموال، وجرت خطوب كثيرة سنورها مفصلة في موضعها إن شاء الله تعالى.

وقد ورد عن جماعة من السلف في ذكر الرايات السود التي تخرج من خراسان بما يطول ذكره، وقد استقصى ذلك نعيم بن حماد في كتابه [الكتاب ٣١٠/١-٣٢٢]، وفي بعض الروايات ما يدل على أنه لم يقع أمرها بعد، وأن ذلك يكون في آخر الزمان، كما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تكون الدنيا للكنع بن كنع»، قال أبو معمر: هو أبو مسلم الخراساني - يعني الذي أقام دولة بني العباس - والمقصود أنه تحولت الدولة من بني أمية إلى بني العباس في هذه السنة، وكان أول قائم منهم أبو العباس السفاح، ثم أخوه أبو جعفر عبد الله المنصور - ياتي مدينة السلام بغداد، ثم ابنه المهدي محمد بن عبد الله، ثم من بعده ابنه الهادي، ثم ابنه الآخر هارون الرشيد، ثم انتشرت الخلافة في ذريته على ما سنفصله إذا وصلنا إلى تلك الأيام، وقد نطقت هذه الأحاديث التي أوردناها آنفاً بالسفاح والمنصور والمهدي، ولا شك أن المهدي الذي هو ابن المنصور ثالث خلفاء بني العباس، ليس هو المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره، وأنه يكون في آخر الزمان، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وقد أوردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حدة، كما أورد له أبو داود كتاباً في «سننه» (د ٤٢٢٩-٤٢٩٠)، وقد تقدم في بعض هذه الأحاديث آنفاً أنه يسلم الخلافة إلى عيسى ابن مريم إذا نزل إلى الأرض، والله أعلم.

وأما السفاح فقد تقدم أنه يكون في آخر الزمان، فيبعد أن يكون هو الذي بويع أول خلفاء بني العباس فقد يكون خليفة آخر، وهذا هو الظاهر، فإنه قد روى نعيم بن حماد [الكتاب ٢٢٧] عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن ثمود الحميري سمع ثبيب بن عامر يقول: يعيش السفاح أربعين سنة اسمه في التوراة طائر السماء.

قلت: وقد تكون صفة للمهدي الذي يظهر في آخر الزمان لكثرة ما يسفح أي يريق من الدماء لإقامة العدل، ونشر القسط، وتكون الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث إن صحت هي التي تكون مع المهدي، ويكون أول ظهور بيعته بمكة، ثم تكون أنصاره من خراسان، كما وقع قديماً للسفاح، والله تعالى أعلم، هذا كله تبرع على صحة هذه الأحاديث، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

٩٢- ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني

عشر الذين كلهم من قريش

وليوسا بالاثني عشر الذين يدعون إمامتهم الرافضة، فإن هؤلاء الذين يزعمون لم يل أمور الناس منهم إلا علي بن أبي طالب وابنه الحسن، وآخرهم في زعمهم المهدي المنتظر في زعمهم بسرخاب سامراء وليس له وجود، ولا عين، ولا أثر، بل هؤلاء من الأئمة الاثني عشر المخبر عنهم في

ومعاوية وسلمها إليه، كما دل عليه حديث أبي بكر في «صحيح البخاري» [٢٧٠٤]، ثم معاوية، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، فهذا الذي سلكه على هذا التقدير يدخل في الثاني عشر يزيد بن معاوية، ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه، وعدوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عله، وأن إيامه كانت من أحسن الأيام حتى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا اعتبر في هذا إلا من اجتمعت الأمة عليه، لزمه على هذا القول أن لا يعد علي بن أبي طالب ولا ابنه، لأن الناس لم يجتمعوا عليهما وذلك أن أهل الشام بكاملهم لم يبايعوهما، وعد حبيز معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد ولم يعتد بأهم مروان ولا ابن الزبير، لأن الأمة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم معاوية ثم يزيد ثم معاوية ثم عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام فهؤلاء اثنا عشر، ثم من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ولكن هذا لا يمكن أن يسلك؛ لأنه يلزم منه إخراج علي وابنه الحسن من هؤلاء الثاني عشر وهو خلاف ما نص عليه أئمة السنة بل والشيع، ثم هو خلاف ما دل عليه نصاً حديث سفينة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخليفة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً عضواً»، وقد ذكر سفينة تفصيل هذه الثلاثين سنة فجمعها من خلافة الأربعة، وقد بينا دخول خلافة الحسن - وكانت نحواً من ستة أشهر - فيها أيضاً، ثم صار الملك إلى معاوية لما سلم الأمر إليه الحسن بن علي، وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة لا مطلقاً، بل انقطع تابعها، ولا ينفي وجود خلفاء راشدين بعد ذلك، كما دل عليه حديث جابر بن سمرة.

٩٣- ذكر الإخبار عن أمور وقعت في

دولة بني العباس إلى زماننا هذا

فمن ذلك بناء أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الخليفة بعد أخيه الخليفة السفاح وهو المنصور لمدينة بغداد، في سنة خمس وأربعين ومائة.

قال نعم بن حماد في كتابه [المعجم الكبير ٣٤٩/١٠] عن أبي المغيرة عن أوطاة بن المنذر عن حدثه عن ابن عباس أنه أتاه رجل وعنده حذيفة فقال: يا ابن عباس قوله تعالى: ﴿حَمِ عَسَق﴾ [الشورى: ٢٠١]، فأطرق ساعة وأعرض عنه، ثم كررها فلم يجبه بشيء، فقال له حذيفة: أنا أنثيك، قد عرفت لم كرهها، إنما نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله، أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، بيني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً، يجتمع فيهما كل جبار عتيد.

وقال أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير ٣٤٩/١٠] حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نعمة الحوطي، حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الله بن السبط، حدثنا صالح بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لأن يرمي أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو كلب، خير له من أن يرمي ولداً لصلبه»، قال شيخنا الذهبي [مؤلف الإصحاح ٤٣٩/٢] هذا الحديث موضوع، واتهم به عبد الله بن السبط هذا.

وقال نعم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، في كتابه «الفن والملاحم» [١٣١] حدثنا أبو عمرو البصري عن أبي بيان المعافري عن تيسع عن كعب قال: إذا كانت ستة ستين ومائة انتقص فيها حلم ذوي الأحلام، ورأي ذوي الرأي.

٩٤- حديث آخر: فيه إشارة إلى مالك

بن أنس الإمام رحمه الله

روى الترمذي [٢٦٨٠] من حديث ابن عينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رواية: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة»، ثم قال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عينة، وقد روي عنه أنه قال: هو مالك بن أنس، وكذا قال عبد الرزاق.

قلت: وقد توفي مالك رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائة.

وقال نعم بن حماد [٢٢٩] حدثنا رشتين بن سعد عن ابن لميعة عن خالد بن أبي عمران عن حذيفة بن اليمان قال: يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكاً من بني أمية، قيل له: خلفاء؟ قال: لا بل ملوك.

وقد روى البيهقي [٥٢٣/١٧٥] من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن أبي بحر قال: كان أبو الجلد جارا لي، فسمعت يقول يحلف عليه: إن هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل البيت، أحدهما يعيش أربعين سنة، والآخر ثلاثين سنة، ثم شرع البيهقي في رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به الرد وهذا عجيب منه وقد وافق أبا الجلد طائفة من العلماء. ولعل قوله أرجح لما ذكرنا وقد كان ينظر في شيء من الكتب المتقدمة.

ولي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: إن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل، وإنه ينميه ويكثره ويحصل من ذريته اثني عشر عظيماً، قال شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية: وهؤلاء البشر بهم في حديث جابر بن سمرة، وقرر أنهم يكونون مفترقين في الأمة، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا، قال: وغلط كثير ممن تشرف بالإسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم.

وقد قال نعم بن حماد [٢٣١] حدثنا ضمرة عن ابن شاذب عن

يستشهدون، ويخونون ولا يؤمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فهم السنن، لفظ البخاري.

وقال البخاري [٢٥٢]: حدثنا محمد بن كثير، أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، ثم تجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، قال إبراهيم: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار وقد رواه بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق متعددة عن منصور به [٢٥٣ (٢١٠، ٢١١)....] [السنن الكبرى ١٠٣١] [ق ٣٦٢] [٣٥٨٩].

٩٨- السابع من مولد العباس

قال نعيم بن حماد [٥٩٤]: حدثنا أبو عمرو البصري عن ابن لميعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن الحارث الحملي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «السابع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا يجيبونه، فيقول له أهل بيته: تريد أن تخرجنا من معايشنا؟ فيقول: إني أسير فيكم بسيرة أبي بكر وعمر، فيأبون عليه فيقتله عدو له من أهل بيته من بني هاشم، فإذا وثب عليه اختلفوا فيما بينهم» فذكر اختلافاً طويلاً إلى خروج السفياني، وهذا الحديث ينطبق على عبد الله المأمون الذي دعا الناس إلى القول بخلق القرآن، ووقى الله شره، كما سنورد ذلك في موضعه، والسفياني رجل يكون آخر الزمان منسوب إلى أبي سفيان يكون من سلالة، وسيأتي في آخر كتاب الملاحم.

٩٩- فتح القسطنطينية

قال الإمام أحمد [١٩٣/٤]: حدثنا هاشم، حدثنا ليث عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه سمعت أبا ثعلبة الخشني صاحب رسول الله ﷺ أنه سمعه يقول وهو بالفسطاط في خلافة معاوية وكان معاوية أغزى الناس القسطنطينية فقال: والله لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم إذا رايت الشام مائلة رجل واحد وأهل بيته فعند ذلك فتح القسطنطينية، فكان رواه أحمد موقوفاً على أبي ثعلبة.

وقد أخرجه أبو داود في «سننه» [٤٣٤٩] من حديث ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم»، تفرد به أبو داود.

ثم قال أبو داود [٤٣٥٠]: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن سريج بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأرجو أن لا تعجز أمي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم»، قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة.

تفرد به أبو داود وإسناده جيد، وهذا من دلائل النبوة، فإن هذا يقتضي وقوع تأخير الأمة نصف يوم وهو خمسمائة سنة كما فسره الصحابي، وهو مأخوذ من قوله تعالى [القصص ٤٣/٥]: «وَإِنْ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَنَّكَ سَتَرْتَهُمْ تَنْتَهُنُّونَ» [المع: ٤٧] ثم هذا الإخبار يوقوع هذه المدة لا ينفي وقوع ما زاد عليها، فاما ما يذكره كثير من الناس من أنه عليه السلام لا يؤلف في قبره، بمعنى لا يمضي عليه ألف سنة من يوم مات إلى حين قيام

٩٥- حديث آخر: فيه إشارة إلى محمد

بن إدريس الشافعي

قال أبو داود الطيالسي [مسند أبي داود ٣٠٩]: حدثنا جعفر بن سليمان عن النضر بن حميد الكندي أو العبدلي عن أبي الجارود عن أبي الأحرص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا قرشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً، اللهم إني أدققت أولها وبالأ، فأدققت آخرها نسواً» [مصنف الشافعي ٢٧/١]، وقد رواه الحاكم من طريق أبي هريرة، قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني [مصنف الشافعي ٢٩/١]: هو الشافعي.

قلت: وقد توفي الشافعي رحمه الله في سنة أربع ومائتين وقد أفرزنا ترجمته في مجلد وذكرنا معه تراجم أصحابه من بعده.

٩٦- خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ

روى رواد ابن الجراح [الكامل ١٠٣٧/٣] عن سفيان الثوري عن منصور عن رمعي عن حنيفة مرفوعاً: «خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ» قالوا: وما خفيف الحاذ يا رسول الله؟ قال: «من لا أهل له ولا مال ولا ولد»

٩٧- خير الناس قرني ثم الذين يلونهم

قال ابن ماجه [٤٠٥٧]: حدثنا الحسن بن علي الخلال، حدثنا عون بن عمارة، حدثني عبد الله بن المثنى، حدثنا ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه عن جده أنس بن مالك عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات بعد المائتين».

وحدثنا [٤٠٥٨] نصر بن علي الجهضمي، حدثنا نوح بن قيس، حدثنا عبد الله بن معقل عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «أمي على خمس طبقات، فأربعون سنة أهل بر وتقوى، ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل، ثم الذين يلونهم إلى مئتين ومائة، أهل تباين وتقاطع ثم المخرج المخرج النجا النجا».

وحدثنا نصر بن علي، حدثنا حازم أبو محمد العتري، حدثنا المسور بن الحسن عن أبي معن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أمي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً، فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين، فأهل بر وتقوى، ثم ذكره نحوه. هنا لفظه وهو حديث غريب من مئتين الوجهين، ولا يخلو عن نكارة والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد [٤٢٧/٤]: حدثنا وكيع عن الأعمش، حدثنا هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يبعي قوم يتسمنون يجبون السنن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها»، ورواه الترمذي من طريق الأعمش [٢٢٢١، ٢٣٠٢]، وقد رواه البخاري [خ: ٢٦٥١] [م ٢٥٣٥] [٢١٤] [مسلم [خ: ٢٦٥١] [م ٢٥٣٥] [٢١٤]] من حديث شعبة عن أبي جرة عن مزهد بن مضرب سمعت عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرني أو ثلاثة - ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا

الساعة، فإنه حديث لا أصل له في شيء من كتب الإسلام والله أعلم.

١٠٠- ظهور نار بأرض الحجاز

فيه الإخبار عن ظهور النار التي كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، وقد وقع هذا في سنة أربع وخمسين وستمئة. قال البخاري في «صحيحه» [٧١٨]: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري قال: قال سعيد بن المسيب: أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» تفرد به البخاري، وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمئة.

قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بابي شامة في «تاريخه» [١٩٢-١٩٣]: «في سنة أربع وخمسين وستمئة، وإنها استمرت شهراً وأزيد منه، وذكر كثيراً متواترة عن أهل المدينة، في كيفية ظهورها شرق المدينة من ناحية وادي شظا، لتقاء أحد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها، وأنهم سمعوا أصواتاً مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أول ذلك مشتهل الشهر يوم الاثنين، فلم تنزل ليلاً ونهاراً حتى ظهرت يوم الجمعة خامسة فانبجست تلك الأرض عند وادي شظا عن نار عظيمة جداً صارت مثل الوادي طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمقه قامة ونصف، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الأك، ثم يصير كالضمح الأسود، وذكر أن ضوءها يمتد إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوءها في الليل، وكان في بيت كل منهم مصباحاً، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله.

قلت: وأما بصرى فاخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي قاسم التميمي الحنفي قال: أخبرني والدي، وهو الشيخ صفى الدين مدرس بصرى، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بمحاضرة بلد بصرى، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز.

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين [في الروضين ١٩٠-١٩٣] أن أهل المدينة لجؤوا في هذه الأيام إلى المسجد النبوي، وتابوا إلى الله من ذنوب كانوا عليها، واستغفروا عند قبر رسول الله ﷺ عما سلف منهم واعتقوا الغلمان، وتصدفوا على قفرائهم ومحاوهم وقد قال قائلهم في ذلك:

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا تطيق لها حلا ونغس بها حقاً أحقاء
زلازل تخشع الصم الصلاد لها وكيف تقوى على الزلزال صماء
أقام سبباً يرج الأرض فاصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن من المضاب لها في الأرض إرساء
يرى لها شرر كالقصر طائشة كأنها دمة تنصب هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت رعباً وترعد مثل الشهب أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى أن عادت الشمس منه وهي دماء
قد أثرت سفة في البدر لفحتها فليلة التمس بعد النور ليلاء

فيالها آية من معجزات رسول الله ﷺ يعقلها القوم الألباء إلى آخرها.

وبما قيل في هذه النار مع غرق بغداد في هذه السنة:

سبحان من أصبحت مشيته جارية في السورى بمقدار
أغرق ببغداد بالمياه كما أحرق أرض الحجاز بالنار

١٠١- صنفان من أهل النار

قال الإمام أحمد [٣٠٨/٢]: حدثنا أبو عاصمنا أفلح بن سعيد الأنصاري، شيخ من أهل قبا من الأنصار، حدثني عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طالت بك مدة أو شك أن تروا قوماً يندون في سخط الله ويروحون في لعته، في إيلهم مثل أذناب البقر»

ورواه مسلم [٢٨٥٧/٢] عن محمد بن عبد الله بن غير عن زيد بن الخطاب عن أفلح بن سعيد به، وروى مسلم أيضاً [٢١٢٨] عن زهير بن حرب عن جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات ملات ملات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا، وهذان الصنفان وهما الجلادون الذين يسمون بالرجال، والجاننارية، كثيرون في زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر، والنساء الكاسيات العاريات أي عليهن لبس لا يوارى سواتهن، بل هو زيادة في العودة، وإبداء للزينة. مثالات في مشيهن ميلات غيرهن إليهن، وقد عم البلاء بهن في زماننا هذا، ومن قبله أيضاً، وهذا من أكبر دلالات النبوة إذ وقع الأمر في الخارج طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وقد تقدم [حديث جابر: «أما إنها ستكون لكم أممات»، وذكر تمام الحديث في وقوع ذلك واحتجاج امرأته عليه بهنا.

١٠٢- تسليط بعضهم على بعض

روى الإمام أحمد [٤٨٧/٣] عن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي عن داود بن أبي هند، وأخرجه البيهقي من حديثه [٥٢٤/٦] عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن طلحة بن عمرو البصري أنه قدم المدينة على رسول الله ﷺ فيمنه ما يصلي إذ أتاه رجل فقال: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتحرقنا عنا الخنف، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «لقد رأيتني وصاحبي مكثنا بضع عشرة ليلة وما لنا طعام غير البرير حتى أتينا إخواننا من الأنصار فأسونا من طعامهم وكان طعامهم التمر، والذي لا إله إلا هو لو قدرتم لكم على الخبز واللحم لأطعمتكموه، وسيأتي عليكم زمان أو من أدركه منكم يلبسون مثل أمتار الكعبة، ويغدي ويروح عليكم بالجفان»، قالوا: يا رسول الله أئمن يومئذ خير أم اليوم؟ قال: «بل أئمن اليوم خير، أئمن اليوم إخوان، وأئمن يومئذ يضرب بعضهم رقاب بعض».

وقد روى سفيان الثوري [٥٢٥/٦] عن يحيى بن سعيد عن أبي

ومن خطه نقلت: ويان أن كل معجزة لنبي فلنينا عليه السلام مثلها، أو أتم يستدعي كلاماً طويلاً، وتفصيلاً لا يسعه مجلدات عديدة، ولكن نبيه بالبعض على البعض، فلنذكر جلال معجزات الأنبياء عليهم السلام. فمنها نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين، ولا شك أن حل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة، وقد مضى كثير من الأولياء على متن الماء.

وفي قصة العلاء بن الحضرمي، صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك، روى سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين، فدعا بثلاث دعوات فاستجبت له، نزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده، فقام وصلى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك وفي سبيك، تقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثاً تروى به ونشرب، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه، فوضأنا منه وتزودنا، ومالت إداوتي وتركها مكانها حتى أنظر هل استجب له أم لا، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال: عليم يا حكيم يا علي يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيك، تقاتل عدوك، فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء، وذكر بقية القصة، قال: فهذا أبلى من ركوب السفينة، فإن حمل الماء للسفينة معناه، وأبلغ من فلق البحر لموسى، فإن هناك انحسر الماء حتى مشوا على الأرض، فاعلج انحسار الماء، وههنا صار الماء جسداً يمشون عليه كالأرض، وإنما هذا منسوب إلى النبي ﷺ ويركبه، انتهى ما ذكره بحرفه فيما يتعلق بنوح عليه السلام.

وهذه القصة التي ساقها شيخنا ذكرها الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه «الدلائل» [دلائل] ٥٣/٦ من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا عن أبي كريب عن محمد بن فضيل عن الصلت بن مطر العجلي عن عبد الملك ابن أخت سهم عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي فذكره. ولقد ذكرها البخاري في «التاريخ الكبير» من وجه آخر، ورواه الهيثمي [دلائل] ٥٣/٦ من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان مع العلاء وشاهد ذلك.

وساقها البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس بن مالك قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم، قلنا: ما هن يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصفه عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء، وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض، فمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله قال: «يا أنس انت أمه، فأعلمها» فأعلمتها، قال: فجات حتى جلست عند قدميه، فأخذت بهما ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان زهداً، وهاجرت إليك رغبة، اللهم لا تثمت بي عبدة الأوثان، ولا تحملني من هذه المسية ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلك أمه، قال أنس: ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس: وكنت في غزاته، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد تآثروا بنا فغفوا آثار الماء، والحر شديد، فجهزنا العطش ودوابنا، وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغربها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء وما نرى في السماء شيئاً، قال: فوالله ما حظ يدك حتى بعث الله

مولد أخصره من «سيرة» الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيرهما شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام كمال الدين أبو المعالي محمد بن علي الأنصاري السماكي، نسبه إلى أبي دجانة سمك بن حرب بن خرشة الأرسى، رضي الله عنه، شيخ الشافعية في زمانه بلا منافعة، المعروف بابن الزملاكاني رحمه الله وبل بالرحمة تراه، وقد ذكر في أواخره شيئاً من فضائل رسول الله ﷺ وعقد فصلاً في هذا الباب فأورد فيه أشياء حسنة، ونبه على فوائد جمة، وفرائد مهمة، وترك أشياء أخرى حسنة، ذكرها غيره من الأئمة المثقلمين، ولم أره استوعب الكلام إلى آخره، فلما أنه قد سقط من خطه، أو أنه لم يكمل تصنيفه، فسألني بعض أهله من أصحابنا عن تأكيد إجابته، وتكرر ذلك منه، في تكميله وتثليته وترتيبه، وتهذيبه، والزيادة عليه والإضافة إليه، فاستخرت الله حيناً من الدهر، ثم نشطت لذلك ابتغاء الثواب والأجر، وقد كنت سمعت من شيخنا الإمام العلامة الحافظ الطهفي، أبي الحجاج المزي تغمد الله برحمته، أن أول من تكلم في هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي.

وقد روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه «دلائل النبوة» [٦٨/٦]، عن شيخه الحاكم أبي عبد الله، أخبرني أبو أحمد بن أبي الحسن، أنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عن أبيه، قال عمرو بن سواد: قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ.

فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمداً ﷺ الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حين حُمي له التبر حن الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك، هذا لفظه رضي الله عنه، والمراد من إيراد ما ذكره في هذا الباب، التنبيه على شرف ما أعطى الله أنبياءه عليهم السلام من الآيات البينات، والخوارق القاطعات، والحجج الواضحات، وأن الله تعالى جمع لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم من جميع أنواع الخمسة والآيات، مع ما اختصه الله به مما لم يوت أحداً قبله، كما ذكرنا في خصائصه وشماله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، ووقفت على فصل مليح في هذا المعنى، في كتاب «دلائل النبوة» للحافظ أبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وهو كتاب حافل في ثلاث من مجلدات، عقد فيه فصلاً في هذا المعنى، وكنا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد، في كتابه «دلائل النبوة» وهو كتاب كبير جليل حافل، مشتمل على فوائد نفيسة، وكذلك الصرصري الشاعر يورد في بعض قصائده أشياء من ذلك أيضاً كما سيأتي، وها أنا أذكر لك بعون الله جامع ما ذكر من هذه الأماكن المتفرقة بلوجز عبارة، وأقصر إشارة، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم.

١٠٦- القول فيما أوتي نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَدَعَا رَبُّهُ إِلَى الْغَيْرِ فَقَبِلَ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُثَمَّرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ فَاصْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ. وَخَبَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْبَاقِ وَدَسَّرْنَا بِهِ أَبْعَيْنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كَفِيرًا. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [الحجر: ١٠-١٥] وقد ذكرت القصة مبسولة في أول هذا الكتاب، وكيف دعا على قومه فنجاه الله ومن اتبعه من المؤمنين فلم يهلك منهم أحد، وأغرق من خالفه من الكافرين فلم يسلم منهم أحد حتى ولا ولده يام.

قال شيخنا العلامة أبو المعالي محمد بن علي الأنصاري ابن الزملاكاني،

النهر، قال له: اتبعني، فإذا المخلاة قد تعلقت ببعض أعراد النهر، فقال: خذها.

وقد رواه أبو داود من طريق ابن الأعرابي عنه عن عمرو بن عثمان عن بقة به، ثم قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن أبي مسلم الخولاني أني على دجلة وهي ترمي بالخشب من مدحا فوقف عليها ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر مسير بني إسرائيل في البحر، ثم لمز دابته فحاضت الماء وتبعه الناس حتى قطعوا، ثم قال: هل تقدمت شيئا من متاعكم فادعوا الله أن يرد علي؟.

وقد رواه ابن عساکر [تاريخ دمشق ٢٧/٢١١] من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدوي: حدثني ابن عمي أخني أبي قال: خرجت مع أبي مسلم في جيش فأتينا على نهر عجاج منكرو، فقلنا لأهل القرية: أين المخاضة؟ فقالوا: ما كانت ههنا غضاة قط ولكن المخاضة أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت ببني إسرائيل البحر، وإن عبادك وفي سيلك، فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا بسم الله، قال ابن عمي: فأتنا على فرس فقلت: لأقذفه أول الناس خلف فرسه وكنت أول الناس قذف فرسه خلف أبي مسلم، فوالله ما بلغ الماء بطون الحيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف فقال: يا معشر المسلمين، هل ذهب لأحد منكم شيء فادعوا الله تعالى يرد؟.

فهذه الكرامات لحولاء الأولياء، هي من معجزات رسول الله ﷺ كما تقدم تقريره؛ لأنهم إنما تألوا ذلك ببركة متابعتهم، وعن سفارتهم، إذ فيها حجة في الدين، وحاجة أكيدة للمسلمين، وهي مشابهة لمعجزة نوح عليه السلام في سيره فوق الماء بالسفينة التي أمره الله تعالى بعملها، ومعجزة موسى عليه السلام في فلق البحر، وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة سيرهم على متن الماء من غير حائل حامل، ومن جهة أنه ماء جار والسير عليه أعجب من السير على الماء القار الذي يجاز، وإن كان ماء الطوفان أطم وأعظم، فهذه خارق، والخارق لا فرق بين قليله وكثيره، فإن من سلك على وجه الماء الخضم الجاري العجاج فلم يتبل منه نعال خيولهم، أو لم يصل إلى بطونهم، فلا فرق في الخارق بين أن يكون قامة أو ألف قامة، أو أن يكون نهراً أو بحراً، بل كونه نهراً عجاجاً كالبرق المحافظ والسيل الجارف، أعظم وأغرب، وكذلك بالنسبة إلى فرق البحر، وهو جانب بحر القلزم، حتى صار كل فرق كالطود العظيم، أي الجبل الكبير، فالغاز الماء ميناً وشمالاً حتى بدت أرض البحر، وأرسل الله عليها الريح حتى أيسنها، ومشت الخيول عليها بلا انزعاج، حتى جاوزوا عن آخرهم، وأقبل فرعون بجنوده: ﴿فَفُتِحَتْ مَنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَصْلُ فَرْغُونَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٨-٧٩] وذلك أنهم لما توسطوه وهم أولهم بالخروج منه، أمر الله البحر فارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم، فلم يفلت منهم أحد، كما لم يفقد من بني إسرائيل واحد، ففي ذلك آية عظيمة بل آيات متتدات، كما بسطنا ذلك في «التفسير» والله الحمد والمنة.

والمقصود أن ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمي، وأبي عبيد الثقفي، وأبي مسلم الخولاني، من سيرهم على تيار الله الجاري، فلم يفقد منهم أحد، ولم يفقدوا شيئاً من أمتعتهم، هذا وهم أولياءه، منهم صحابي وتابعان فما الظن أن لو احتجج إلى ذلك بحضرة رسول الله ﷺ سيد الأنبياء وخاتمهم، وأعلامهم منزلة ليلة الإسراء، وإمامهم ليلتد بيت المقدس الذي هو محل ولايتهم، ودار بليتهم، وخطيبهم يوم القيامة، وأعلامهم منزلة في الجنة، وأول شافع في المحشر. وفي الخروج من النار، وفي دخول

ريحاً وأنشأ سبحانه وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب فسرنا وسقينا ركابنا واستقينا، قال: ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي يا عظيم، يا حليم يا كريم، ثم قال: أجزوا بسم الله، قال: فأجزنا ما ييل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو غلبة، فقتلنا وأسروا وسبنا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما ييل الماء حوافر دوابنا فلم نلبث إلا يسيراً ثم ذكر موت العلاء ودفنهم إياه في أرض لا تقبل الموتى، ثم إنهم حفروا عليه ليقبلوه منها إلى غيرها فلم يجدوه، ثم وإذا للحد يتلألاً نوراً، فأعادوا التراب عليه ثم ارتحلوا، فهذا السياق أتم، وفيه قصة المرأة التي أحيا لها ولدها بعداعها، ويستبه على ذلك فيما يتعلق بمعجزات المسيح عيسى ابن مريم مع ما يشابهها إن شاء الله تعالى، كما سنشير إلى قصة العلاء هذه مع ما سنورده معها ههنا، فيما يتعلق بمعجزات موسى عليه السلام، في قصة فلق البحر لبني إسرائيل، وقد أرشد إلى ذلك شيخنا في عيون كلامه.

١٠٧ - قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمي

وروي البيهقي في «الدلائل» - وقد تقدم ذلك أيضاً - من طريق سليمان بن مهران الأعشى عن بعض أصحابه، قال: انتهيت إلى دجلة وهي مادة والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: بسم الله، ثم اتحتم بفرسه فارتفع على الماء، فقال الناس: بسم الله، ثم اتحموا فارتفعوا على الماء، فنظر إليهم الأعاجم، وقالوا: ديوان، ديوان، أي مجانين، ثم ذهبوا على وجوههم، قال فما فقد الناس إلا قديحاً كان معلقاً بعنقه سرج، فلما خرجوا أصابوا الغنائم واتحموا، فجعل الرجل يقول: من يبادل صفراء ببيضاء؟ وقد ذكرنا في «السيرة العمريّة» وإياها، وفي «التفسير» والتفسير ١١٠/٢ أيضاً: أن أول من اتحم دجلة يومئذ أبو عبيدة الثقفي أمير الجيوش في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه نظر إلى دجلة فتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم سمي الله تعالى واتحم بفرسه الماء واتحم الجيش ورائه، ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون: ديوان ديوان، أي مجانين مجانين، ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغنم كثيرة.

١٠٨ - قصة أخرى شبيهة بذلك

وروي البيهقي من طريق أبي النضر عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من مدحا فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله تعالى؟ ثم قال: هذا إسناد صحيح.

قلت: وقد ذكر الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساکر [تاريخ دمشق ٢٧/٢١٠] في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن ثوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بقة بن الوليد: حدثني محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال: أجزوا بسم الله، قال: وعمر بين أيديهم قال: فيمرون بالنهر الغمر فرما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب، أو بعض ذلك، أو قريباً من ذلك، قال: وإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأتنا له ضامن، قال: فأتني بعضهم غلاة عمداً، فإذا جازوا قال الرجل: غلاتي وقعت في

الجبل وأمره بطاعته فيما يأمره به من إهلاك قومه، فاختار الصبر على أذيتهم، والابتهال في الدعاء لهم بالمهداية.

قلت: وهذا حسن، وقد تقدم الحديث بذلك عن عائشة عن رسول الله ﷺ، في قصة ذهابه إلى الطائف، فدعاهم فأذوه فرجع وهو مهموم، فلما كان عند قرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال: يا محمد إن ريك قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد أرسلي إليك لأفعل ما تأمرني به، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشيش - يعني جبلي مكة اللذين يكتفانها جنوباً وشاماً، وهما أبو قيس وورزور، فقال: بل استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئاً، وقد ذكر الحافظ أبو نعيم [٤٨٧/٢-٥٠] في مقابلة قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِنَاءَ مُنْهَرٍ. وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿[الفر: ١٠-١٢] أحاديث الاستسقاء عن أس وغيره، كما تقدم ذكرنا لذلك في دلائل النبوة قريباً أنه ﷺ سأل ذلك الأعرابي أن يدعو الله لهم، لما بهم من الجذب والجوع، فرفع يديه فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، فما نزل عن المنبر حتى روي المطر يتحادر على لحيته الكريمة صلوات الله وسلامه عليه، فاستحضر من استحضر من الصحابة رضي الله عنهم قول عمه أبي طالب فيه:

وأيضاً يُسْتَقَى الغمامُ بوجهه يُمالُ النمامُ عصمةً للآرامِلِ يلبو به الملاكُ بين آلِ هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وكذلك استسقى في غير ما موضع للجذب والعطش فيجاء كما يريد على قدر الحاجة المائية، ولا أزيد ولا أنقص، وهذا أبلغ في المعجزة، وأيضاً فإن هذا ماء رحمة ونعمة، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يستسقى بالعباس عم النبي ﷺ فيُسْقَوْنَ [وكذلك ما زال المسلمون في غالب الأزمان والبلدان، يستسقون فيجاءون فيُسْقَوْنَ، ولا يخيبون غالباً ولا يُشْقَوْنَ ولله الحمد.

قال أبو نعيم: ولبت نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فبلغ جميع من آمن به رجالاً ونساء، الذين ركبوا معه سفينة، دون مائة نفس، وآمن بنياناً ﷺ - في مدة عشرين سنة - الناس شرقاً وغرباً، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها، وخافت زوال ملكهم، ككسرى وقصر، وأسلم النجاشي والأقبال رغبة في دين الله، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض الجزية، والإنابة عن صفار، أهل نجران، وهجر، وأيلة وأكيدر دومة، فذلوا له متقادين، لما أبده الله به من الرعب الذي يسير بين يديه شهراً، وفتح الفتوح، ودخل الناس في دين الله أفواجا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾ [الصر: ٢١-٢٢].

قلت: مات رسول الله ﷺ وقد فتح الله له المدينة وخير ومكة وأكثر اليمن وحضرموت، وتوفي عن مائة ألف صحابي أو يزيدون، وقد كتب في آخر حياته الكريمة إلى سائر ملوك الأرض يدعوهم إلى الله تعالى، ففهمهم من أجاب ومنهم من توقف ومنهم من صانع ودارى عن نفسه، ومنهم من تكبر فخاب وخسر، كما فعل كسرى بن هرمز حين عتا وبغى وتكبر، فمزق ملكه، وتفرق جنده شذر منذر، ثم فتح خلفاؤه من بعده، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان التالي على الأثر مشارق الأرض ومغاربها، من البحر الغربي إلى البحر الشرقي، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَبِيلَ مَلِكٍ أَسْمَى مَا زَوَى لِي مِنْهَا»

الجنة، وفي رفع الدرجات بها، كما بسطنا أقسام الشفاعة وأثوارها، في آخر الكتاب في أحوال يوم القيامة، وبالله المستعان، وسندكر في المعجزات الموسومة ما ورد من المعجزات الخمدية، ما هو أظهر وأبرها منها ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح عليه السلام، ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم.

وأما الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، فإنه قال في آخر كتابه في «دلائل النبوة» [دلائل: ٥٨٧/٢-٦٢٥]، وهو في مجلدات ثلاث: الفصل الثالث والثلاثون في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم، بفضائل نبينا، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي، إذ أوتي ما أوتوا وشبهه ونظيره، فكان أول الرسل نوح عليه السلام، وآيته التي أوتي شفاء غيظه، وإجابة دعوته في تعجيل نقمة الله لكنبيه، حتى هلك من على بسط الأرض من صامت وناطق، إلا من آمن به ودخل معه سفينة، ولعمري إنها آية جليلة، وافقت سابق قدر الله وما قد علمه في هلاكهم، وكذلك نبينا ﷺ لما كذبه قومه وبالفرا في أذيتهم، والاستهانة بمنزلة من الله عز وجل، حتى ألقى الشقي عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، فقال: «اللهم عليك بالملأ من قريش»، ثم ساق الحديث عن ابن مسعود كما تقدم، ذكرنا له في «صحيح البخاري» وغيره في وضع الملأ من قريش على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة سلا تلك الجزور، واستضعفهم من ذلك، حتى جعل بعضهم يميل على بعض من شلته الضحك، ولم يزل على ظهره حتى جاءت فاطمة ابنته عليها السلام فطرحته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم فسبهم، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال: «اللهم عليك بالملأ من قريش»، ثم سمي فقال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد»، قال عبد الله بن مسعود: فولدني بعته بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر.

وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر في حدها وحديدها، فحين عابهم رسول الله ﷺ قال واقعاً يديه: «اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخيلائها، تحاذل وتكذب رسولك، اللهم اجنهم الفعلة»، فقتل من سرائهم سبعون وأسر من أشرفهم سبعون، ولو شاء الله لاستاصلهم عن آخرهم، ولكن من حلمه وشرف نبيه أبقى منهم من سبق في قله أن سيؤمن به ويرسله صلوات الله وسلامه عليه وقد دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلب عليه كلبه بالشام، فقتله الأسد عند وادي الزرقاء قبل مدينة بصرى، وكم له من مثلها ونظيرها ما سلف ذكرنا له وما لم نذكره، وكذلك دعا على قريش بسيم، كسيع يوسف فحقطوا حتى أكلوا الجلهز، وهو الدم بالور، وأكلوا العظام وكل شيء، ثم توسلوا إلى تراحه وشفقته وراقت، فدعا لهم، ففرج الله عنهم وسقوا الغيث بركة دعائه.

وقال الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد في كتابه «دلائل النبوة» - وهو كتاب حافل -: ذكر ما أوتي نوح عليه السلام من الفضائل، وبيان ما أوتي محمد ﷺ مما يضاهي فضائله ويزيد عليها، قالوا: إن قوم نوح لما بلغوا من أذيتهم والاستخفاف به، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله دعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ قَبَرًا﴾ [نوح: ٢٦] فاستجاب الله دعوته، وغرق قومه، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة، فكان ذلك فضيلة أوتيتها، إذ أجيب دعوته، وشفي صدره بإهلاك قومه، قلنا: وقد أوتي محمد ﷺ مثله حين ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف، فانزل الله إليه ملك

﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ مِنْكَ بَمَجْنُونٍ. وَإِنْ لَكَ لِأَجْرٍ غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ [الهم: ١، ٤] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُخْبِتُوا إِلَيْهِ أُغْنِيْهِمْ وَفَسَدًا لِّئَلَّا يَعْرِبُوا عَيْنٌ﴾ [الهم: ١٠٣]

١٠٩- القول فيما أوتي هود عليه السلام

قال أبو نعيم ما معناه: إن الله تعالى أهلك قومه بالريح العقيم، وقد كانت ريح غضب، ونصر الله تعالى محمداً ﷺ بالصبا يوم الأحزاب، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

ثم قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة (ح) وحدثنا عثمان بن محمد العثماني، أنا زكريا بن يحيى الساجي، قالوا: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص بن غياث، عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان يوم الأحزاب انطلقت الجنود إلى الشمال فقالت: انطلقينا بنا لننصر محمداً رسول الله ﷺ، فقالت الشمال للجنوب: إن الحرة لا تترى بالليل، فإرسل الله عليهم الصبا، فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] ويشهد له الحديث المتقدم [عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالديور» وسبأ التيبي على ذلك في معجزة سليمان بتسخير الريح.

١١٠- القول فيما أوتي صالح عليه السلام

قال أبو نعيم [اللائل: ٥٩٢]: فإن قيل: فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصخرة جعلها الله له آية وشجعة على قومه وجعل لها شرب يوم، ولم شرب يوم معلوم، قلنا: وقد أعطى الله محمداً ﷺ مثل ذلك، بل أبلغ لأن ناقة صالح لم تكلمه ولم تشهد له بالنبوة والرسالة، ومحمد ﷺ شهد له البعير الناد بالرسالة، وشكى إليه ما يلقى من أهله، من أنهم يجيعونه ويؤذيونه، ثم ساق الحديث بذلك كما قدمنا في دلائل النبوة بطرقه والفاظه وعزوه بما أغنى عن إعادته ههنا، وهو في الصحاح والحسان والمسانيد، وقد ذكرنا مع ذلك حديث الغزالية، وحديث الضب وشهادتهما له ﷺ بالرسالة، كما تقدم التنبيه على ذلك والكلام فيه، وثبت الحديث في الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يبعث، وكذلك سلام الأشجار والأحجار والمدر عليه حين بعث صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

١١١- القول فيما أوتي إبراهيم الخليل عليه السلام

قال شيخنا العلامة أبو المعالي بن الزمكاني رحمه الله ويل بالرحمة تراه: وأما خود النار لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقد خدمت لنبينا ﷺ نار فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف عام وكان خود نار فارس لمولده ﷺ، وبينه وبين بعثته أربعون سنة، وخدمت نار إبراهيم لمباشرته لها، وخدمت نار فارس لنبينا ﷺ وبينها مسافة أشهر كذا، وهذا الذي أشار إليه من خود نار فارس ليلة مولده الكريم، قد ذكرناه بأسانيد وطرقه في أول

وقال ﷺ: «إذا هلك قيسر فلا قيسر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتقتل كنوزهما في سبيل الله»، وكذلك وقع سواء بسواء فقد استولت الممالك الإسلامية على ملك قيسر وحواسله، إلا القسطنطينية، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق، وإلى أقصى بلاد المغرب، إلى أن قتل عثمان في سنة ستة وثلاثين رضي الله عنه، وفتح قاتليه فكما عمت جميع أهل الأرض النعمة بدعوة نوح عليه السلام، لما رأى ما هم عليه من التمادي في الضلال والكفر والفجور، فدعا عليهم غضبا لله ولدينه ورسالته، فاستجاب الله له، وغضب لنفسه، وانتقم منهم بسببه، كذلك عمت جميع أهل الأرض النعمة ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته، فلمن من آمن من الناس، وقامت الحجة على من كفر منهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الهم: ١٠٧] وكما قال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة» [طهات ابن سعد ١/١٩٢].

وقال هشام بن عمار في كتاب «المبعث»: حدثني عيسى بن عبد الله النعماني، حدثنا السعدي عن سعيد بن أبي سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الهم: ١٠٧] قال: من آمن بالله ورسله تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسله عوفي من تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال ابن عباس: النعمة محمد، والذين بدلوا نعمة الله كفرة هم كفار قريش، يعني: وكذلك كل من كذب به من سائر الناس - كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِوَاسِنِ الْأَخْرَابِ فَإِنَّهُ فَوْقَ عِلَّةٍ﴾ [هود: ١٧].

قال أبو نعيم: فإن قيل: فقد سمي الله نوحاً عليه السلام باسم من أسمائه الحسنی، فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] قلنا: وقد سمي الله محمداً ﷺ باسمين من أسمائه فقال: ﴿بِاسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ﴾ [هـ: ١٢٨] قال: وقد خاطب الله الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا داود، يا يحيى، يا عيسى ابن مريم، وقال مخاطباً لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾، وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف، ولما نسب المشركون أنبياءهم إلى السفه والجنون، كل أجاب عن نفسه قال نوح: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١] وكذا قال هود عليه السلام، ولما قال فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١] قال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] إلى أمثال ذلك وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذي يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة، كما قال: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْ مَا تَأْتِيْنَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٦] قال الله تعالى: ﴿يَا نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذْ تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُمْ مِنَ الذِّكْرِ إِلَّا يَسْتَعْزِزُهَا وَأَنزَلَ الْوَحْيَ فِي السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَوْرًا رَّحِيمًا﴾ [الهم: ٦٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرْتِصُّ بِوَرَبِّ الْقَنُونَ. قُلْ تَرْتَضَوْنَ فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ﴾ [الطور: ٣٠-٣١] وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ. نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٣]. ﴿وَأَن يَكْذِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِكَيْ يُقْلِقُوا بِأَهْوَاءِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُوا إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [الهم: ٥١] قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الهم: ٥٢] وقال تعالى:

والكان يغازي ببلاد الروم، وله أحوال وكرامات كثيرة جداً، وقبره مشهور بداريا، والظاهر أنه مقامه الذي كان يكون فيه، فإن الحافظ ابن عساکر رجح أنه مات ببلاد الروم، في خلافة معاوية (توفي دمشق ٢٣٠/٢٣٢)، وقيل: في أيام ابنه يزيد، بعد الستين والله أعلم.

وقد وقع لأحمد بن أبي الخواريز مع شيخه أبي سليمان الداراني قصة تشبه هنا كما رواه الحافظ أبو القاسم بن عساکر في «تاريخه» في ترجمة أحمد بن أبي الخواريز من غير وجه: أنه جاء إلى أستاذه أبي سليمان يعلمه بأن التور قد سحره وأهله يتظنون ما يأمرهم به، فوجهه يكلم الناس وهم حوله فاعلمه بذلك فاشتغل عنه الناس، ثم أعلمه فلم يلتفت إليه، ثم أعلمه مع أولئك الذين حوله، فقال له وهو مُغضب: اذهب فاجلس فيه ثم تشاغل بالحديث مع أولئك الذين حوله، وذهب أحمد بن أبي الخواريز إلى التور فجلس فيه وهو يتضرع نازلاً فكان عليه برداً وسلاماً، وما زال فيه حتى استيقظ أبو سليمان من كلامه فقال لمن حوله: قوموا بنا إلى أحمد بن أبي الخواريز فإني أظنه قد ذهب إلى التور فجلس فيه امتثالاً لما أمرته، فذهبوا فوجدوه جالساً فيه، فأخذ يديه الشيخ أبو سليمان وأخرجه منه، رحمة الله عليهما ورضي الله عنهما.

وقال شيخنا أبو المعالي: وأما إلقاؤه -يعني إبراهيم عليه السلام- من المنجنيق فقد وقع في حديث البراء بن مالك في وقعة مسيلمة الكذاب، وأن أصحاب مسيلمة انتهزوا إلى حائط خفير فتحصنوا به وأغلقت الباب، فقال البراء بن مالك: ضعوني على ترس واحملوني على رؤوس الرماح ثم القوني من أعلاها داخل الباب فقتلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقتل المشركين حتى قتل عشرة أو أكثر وفتح الباب للمسلمين فكان سبب هلاك المشركين وقتل مسيلمة.

قلت: وقد ذكرت ذلك مستقصى في أيام الصديق حين بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيقة، وكانوا في قريب من مائة ألف أو يزيدون، وكان المسلمون بضعة عشر ألفاً، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون، فقال المهاجرون والأنصار: أخلصنا يا خالد، فميزهم عنهم، وكان المهاجرون والأنصار قريباً من ألفين وخمسمائة، فصمموا الحملة وجعلوا يتنازعون ويقولون: يا أصحاب سورة «البقرة» بطل السحر اليوم، فهزمهم بإذن الله والجوهر إلى حديقة هناك -وتسمى حديقة الموت- فتحصنوا بها، فحصرهم فيها، ففعل البراء بن مالك -أخو أنس بن مالك وكان الأكبر- ما ذكر من رفعه على ترسه فوق الرماح حتى تمكن من أعلى سورها، ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سرياً إليهم ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاثلونه حتى تمكن من فتح باب الحديقة ودخل المسلمون يكبرون وانتهوا إلى قصر مسيلمة وهو واقف خارجه عند ثلثة جدار كانه جل أورك -أي من سمرة- فابتدره وحشي بن حرب الأسود -قاتل حزة- بجرته، وأبو دجاة سمك بن خرشة الأنصاري -وهو الذي ينسب إليه شيخنا هذا أبو المعالي بن الزمكاني- فسبوه وحشي فأرسل الحربة عليه من بعد فأغلغها منه، وجاء إليه أبو دجاة فعلاه بسيفه فقتله، لكن صرخت جارية من فوق القصر تندب مسيلمة فقالت: وا أمير المؤمنين، قتله العبد الأسود، ويقال: إن عمر مسيلمة -لعنه الله- يوم قُتل مائة وأربعون سنة، فهو ممن طال عمره وساء عمله بقبحة الله. هذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بإبراهيم الخليل عليه السلام.

وأما الحافظ أبو نعيم فإنه قال (دلائل ٥٨٧/٢): فإن قيل: فإن إبراهيم خُصَّ بالخلة مع النبوة، قيل: فقد اتخذ الله محمداً خليلاً وحبيباً، والحبيب

السيرة، عند ذكر المولد المظهر المُشْرِف المُكْرَم، بما فيه كفاية ومقتنعاً. ثم قال شيخنا: مع أنه قد أُلقيَ بعض هذه الأمة في النار فلم تؤثر فيه بركة نبينا ﷺ، منهم أبو مسلم الخولاني، قال: تنبأ الأسود بن قيس العنسي باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، فأعاد عليه، فقال: ما أسمع، فأمر بنار عظيمة فأججَتْ وطُرِحَ فيها أبو مسلم فلم تضره، فقيل له: لئن تركت هذا في بلادك أفسدنا عليك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر، فقام إلى سارية من سوارى المسجد يصلي، فيصر به عمر فقال من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: ما فعل الله عدو أصحابنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: نشنك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، قال: فاعتقه ثم بكى ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق وقال: الحمد لله الذي لم يميتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. وهذا السياق الذي أوردته شيخنا بهذه الصفة، قد رواه الحافظ الكبير، أبو القاسم بن عساکر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم عبد الله بن ثوب في «تاريخه» من غير وجه (توفي دمشق ٢٣٠/٢٣٢)، عن عبد الوهاب بن نجدة عن إسماعيل بن عياش الحمصي: حدثني شرحبيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس بن ذي الحمار العنسي تنبأ باليمن، فأرسل إلى أبي مسلم الخولاني فأتى به فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: فردد عليه ذلك مراراً ثم أمر بنار عظيمة فأججَتْ فالتقي أبا مسلم فيها فلم تضره، فقيل للأسود: انفوا عنك ولا أفسد عليك من أتبعك، فأمره فارحل أبو مسلم، فأتى المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، فأتاه أبو مسلم وراحته بباب المسجد، ثم دخل المسجد وقام يصلي إلى سارية، وتضرع به عمر بن الخطاب، فأتاه فقال: من الرجل؟ فقال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الرجل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب، قال: فأتشكك بالله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، قال: فاعتقه وبكى ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق، فقال: الحمد لله الذي لم يميتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن، قال إسماعيل بن عياش: فأتانا أدركت رجلاً من الأمم الذين يمدون إلينا من اليمن من خولان، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين: صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار فلم تضره. وروى الحافظ ابن عساکر أيضاً من غير وجه عن إبراهيم بن دحيم: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد، أخبرني سعيد بن بشير عن أبي بشر -جعفر بن أبي وحشية- أن رجلاً من خولان أسلم فأراه قومه على الكفر فآلقوه في نار فلم يترق منه إلا ثلثة لم يكن فيما مضى يصيبها الضوء، فقدم على أبي بكر فقال: استغفر لي، قال: أنت أحق قال أبو بكر: أنت ألقى في النار فلم تحترق، فاستغفر له ثم خرج إلى الشام، فكانوا يشبهونه بإبراهيم عليه السلام، وهذا الرجل هو أبو مسلم الخولاني.

وهذه الرواية بهذه الزيادة تحقق إن إنا نال ذلك بركة متابته الشرعية المحمية المطهرة المقدسة، كما جاء في حديث الشفاعة: «وحرّم الله على النار أن تأكل مواضع السجود» (خ: ٨٠٦)، وقد نزل أبو مسلم بداريا من غربي دمشق وكان لا يسبقه أحد إلى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح،

الله عليكم من ثلاث: أن لا يهلككم بسنة، وأن لا يستيحكم عدو، وأن لا تجتمعوا على ضلالة.

وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخلقة بكلام طويل إلى أن قال: ويقال: الخليل الذي يعبد ربه على الرغبة والرهبة، من قوله: ﴿إِنِ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ خَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤] من كثرة ما يقول: أَوْه، والحيب الذي يعبد ربه على الرؤية والحب، ويقال: الخليل الذي يكون معه انتظار العطاء، والحيب الذي يكون معه انتظار اللقاء، ويقال: الخليل الذي يصل بالواسطة من قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١١٥] والحيب الذي يصل به إليه، من قوله: ﴿فَكَانَ قَاتٍ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [الجم: ٩] وقال الخليل: ﴿وَالَّذِي أُطْمِعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَلِيقَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] وقال الله للحيب محمد ﷺ: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقال الخليل: ﴿وَلَا تَخْزِيَنِي سَوْمَ يَتَشَوُّنَ﴾ [الشعراء: ٨٧] وقال الله للنبي ﷺ: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الحجرات: ٨] وقال الخليل حين أتى في النار: حسي الله ونعم الركيل وقال الله لحمد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٦٤] وقال الخليل: ﴿إِنِّي ذَائِبٌ إِلَى رَبِّي سِتِينَ لَيْلٍ﴾ [الصافات: ٩٩] وقال الله لحمد: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] وقال الخليل: ﴿وَرَجَعْتُ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال الله لحمد: ﴿وَوَقَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] وقال الخليل: ﴿وَأَجِئْتُ رَبِّي أَنْ تَبْدَأَ الْاِصْنَاءَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقال الله للحيب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكَ الرُّجُسَ أَفْضَلُ الْيُسْرِ وَيَطْهَرَكَمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال الخليل: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ زُرْقَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥] وقال الله لحمد: ﴿وَأَنَا أَطْعَمَتِكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] وذكر أشياء أخرى، وسأني الحديث في «صحيح مسلم» عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إني سأقوم مقاماً يوم القيامة يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم الخليل، فدل على أنه أفضل منه إذ هو محتاج إليه في ذلك المقام، ودل على أن إبراهيم أفضل الخلق بعده، ولو كان أحد أفضل من إبراهيم بعده لذكره.

ثم قال أبو نعيم [دلائل ٥٨٧/٢]: فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام حجب عن عمروذ بحجب ثلاثة، قيل: فقد كان كذلك وحجب محمد ﷺ عن إرادوا قتله بخمسة حجب، قال الله تعالى في امره: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَبًا فَأَعْيَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [يس: ٩] فهذه ثلاث، ثم قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الأنعام: ٤٥] ثم قال: ﴿فَهَبْنِي إِلَى الْأَقْدَانِ فَهُم مُّقْتَحُونَ﴾ [يس: ٨] فهذه خمسة حجب. وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد، وما أدري أيهما أخذ من الآخر والله أعلم. وهذا الذي قاله غريب، والحجب التي ذكرها لإبراهيم عليه السلام لا أدري ما هي، كيف وقد ألقاه في النار التي نجاه الله منها، وأما ما ذكره من الحجب المستدل عليها بهذه الآيات، فقد قيل: إنها جميعها معترضة لا حسيية، بمعنى أنهم مصرفون عن الحق، لا يصل إليهم، ولا يخلص إلى قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي كِبَرٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ [صافات: ٥] وقد حررنا ذلك في «التفسير»، وقد ذكرنا في السيرة وفي التفسير أن أم جيل امرأة أبي لهب، لما نزلت السورة في ذمها وقدم زوجها، ودخولها النار، وخسارهما، جاءت بفهر وهو الحجر المستطيل لترجم النبي ﷺ. فانتهت إلى أبي بكر وهو جالس عند النبي ﷺ

الطيف من الخليل.

ثم ساق من حديث شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مَتَخَنًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ».

وقد رواه مسلم [٢٣٨٣ (٤، ٣)] من طريق شعبة والثوري عن أبي إسحاق، ومن طريق عبد الله بن مرة، وعبد الله بن أبي الهذيل، كلهم عن أبي الأحوص، عوف بن مالك الجشمي، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ مَتَخَنًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا» هذا لفظ مسلم.

ورواه مسلم أيضاً مفرداً به عن جندب بن عبد الله الجبلي كما ساذكره، وأصل الحديث في «الصحيحين» (ج: ٤٦٦) [٢٣٨٢ (٢)] عن أبي سعيد، وفي أفراد البخاري [٤٦٧] عن ابن عباس وابن الزبير كما سقت ذلك في فضائل الصديق ﷺ، وقد أوردناه هناك من رواية أنس والبراء وجابر وكعب بن مالك وأبي سعيد بن المعلى وأبي هريرة وأبي واقد الليثي وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

ثم إننا رواه أبو نعيم من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن كعب بن مالك أنه قال: عهدني بنبيكم ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام فسمعت يقول: «لَمْ يَكُنْ بَيْنِي إِلَّا لَهُ خَلِيلٌ مِنْ أُمَّةٍ، وَإِنْ خَلِيلِي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»، وهذا الإسناد ضعيف.

ومن حديث محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي خليل، وخليلي أبو بكر بن أبي قحافة، وخليلي صاحبكم الرحمن، وهو غريب من هذا الوجه.

ومن حديث عبد الوهاب بن الضحاك [الضعفاء ٧٨/٣] عن إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ اللَّهُ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَمَتَزَلِي وَمَتَزَلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْجَنَّةِ تَجَاهَتَيْنِ وَالْعَبَّاسُ بَيْنَا مَوْمَنَ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ» غريب وفي إسناده نظر، انتهى ما أورد أبو نعيم رحمه الله.

وقال مسلم بن الحجاج في «صحيحه» [٥٣٢ (٢٣)]: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم، قالا: حدثنا زكريا بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث، حدثني جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت يخمس وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مَتَخَنًا مِنْ أُمَّةٍ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنْ مَنَ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَخَنُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَخَنُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنُهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، وأما اتخاذه حبيباً، فلم يتعرض لإسناده أبو نعيم.

وقد قال هشام بن عمار في كتابه «المبعث»: حدثنا يحيى بن حمزة الحضرمي وعثمان بن علقم القرشي، قالا: حدثنا عمرو بن رويم اللخمي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَدْرَكَ بِي الْأَجَلَ الْمُرُومَ وَاتَّخَذَنِي الْقُرْبَةَ، وَاتَّخَذَنِي احْتِضَارًا، فَتَحَنُّنَ الْآخَرُونَ، وَتَحَنُّنَ السَّالِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا قَاتِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فُخْرٍ: إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ، وَمُوسَى صَفِيَّ اللَّهِ، وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ مَعِيَ لَوَاءُ الْحَمْدِ تَحْتَهُ كُلُّ نَبِيٍّ وَصَلِّيقٍ وَشَهِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَجَارَنِي

فلم تر رسول الله ﷺ وقالت لأمي بكر: أين صاحبك؟ فقال: وما له؟ فقالت: إنه هجاني، فقال: وما هجاك؟ فقالت: والله لئن رأيته لأضربه بهذا الفهر، ثم رجعت وهي تقول: مذعأ أيننا. ودينه قلينا. وكذلك حجب ونُصِح من أبي جهل حين هم أن يطأ برجله رأس النبي ﷺ وهو ساجد، فرأى خندقاً من نار وقولاً عظيماً وأجنحة الملائكة دونه، فرجع القهقري وهو يثقي يديه، فقالت له قريش: ما لك، وبمك؟ فأخبرهم بما رأى، وقال النبي ﷺ: «لو أقدم لاخطفته الملائكة عضواً عضواً». وكذلك لما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وقد أرسلوا على مدرجته وطريقه، وحوالي بيته رجالاً يجرسونه لنيل الخرج، ومتى عابروه قتلوه، فأمر علياً فنام على فراشه، ثم خرج عليهم وهم جلوس، فجعل يرش على رأس كل إنسان منهم تراباً ويقول: «شاهت الوجوه»، ثم خرج ولم يروه حتى صار هو وأبو بكر الصديق إلى غار ثور، كما بسطنا ذلك في السيرة، وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سد على باب الغار ليعمي الله عليهم مكانه.

ولي «الصحيح» أن أبا بكر قال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

نشج داود ما حسى صاحب الفئار وكان الفخار للعنكبوت
وكذلك حُجِب ومنع من سراقه بن مالك بن جعشم حين اتبعهم، بسقوط قوائم فرسه في الأرض حتى أخذ منه أماناً كما تقدم بسطه في الهجرة.

وذكر ابن حامد في كتابه في مقابلة إضجاع إبراهيم عليه السلام ولده للنبي مستسلماً لأمر الله تعالى، بذل رسول الله ﷺ نفسه للقتل يوم أحد وغيره حتى نال منه العدو ما نالوا، من هشم رأسه، وكسر ثنيته اليمنى السفلى، كما تقدم بسط ذلك في السيرة.

ثم قال: قالوا: كان إبراهيم عليه السلام ألقاه قومه في النار فجعلها الله برداً وسلاماً، قلنا: وقد أوتي رسول الله ﷺ مثله، وذلك أنه لما نزل تخيَّب سُمَّه الحبيرية، فصر ذلك السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله، والسم يحرق إذ لا يستقر في الجوف كما تحرق النار.

قلت: وقد تقدم [الخليط بذلك في فتح خير، ويؤيد ما قاله أن بشر بن البراء بن معرور مات سريعاً من تلك الشاة المسمومة، وأخبر ذواعها رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم، وكان قد نهش من نهشة، وكان السم فيه أكثر، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يحب النزاع، فلم يضره السم الذي حصل في باطنه بإذن الله عز وجل، حتى انقضى أجله ﷺ، فذكر أنه وجد حيثن من ألم ذلك السم الذي كان في تلك الأكلة صلوات الله عليه وسلامه عليه، وقد ذكرنا في ترجمة خالد بن الوليد المخزومي، فاتح بلاد الشام، أنه أتى بِسَم فتحناه بحضرة الأعداء ليرهبهم بذلك، فلم ير بأساً، رضي الله عنه.

ثم قال أبو نعيم: فإن قيل: فإن إبراهيم خصم محروذ برهان نبوته فيه، قال الله تعالى: «كَيْفَ الَّذِي كَفَرُ» [البقرة: ٢٥٨] قيل: محمد ﷺ أتاه الكذِّب بالبعث، أبي بن خلف، بعظم بال ففرقه وقال: «مَنْ يُخَيِّمُ الْوَيْطَامَ وَهِيَ رَيْمٌ» [يس: ٧٨] فأنزل الله تعالى البرهان الساطع: «قُلْ يُخَيِّمُ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» [يس: ٧٩] فانصرف مبهوتاً برهان نبوته.

قلت: وهذا أقطع للحجة، وهو استدلاله على المعاد بالدعاء، فالذي

خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، قادرٌ على إعادتهم كما قال: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ» [يس: ٨١] أي يعيدهم كما بداهم كما قال في الآية الأخرى: «بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّمَ الْمَوْتَى» [البقرة: ٤٠] وقال: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» [الروم: ٢٧] هنا وأمر المعاد نظري لا فطري ضروري في قول الأكثرين، فاما الذي حاج إبراهيم في ربه فإنه معاند مكابر فإن وجود الصانع مذكور في الفطر، وكل واحد مفطور على ذلك، إلا من تغير فطرته، فيصير نظرياً عنده، وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات، وعلى كل تقدير فدفءه أنه هو الذي يحيي ويميت، لا يقبله عقل ولا سمع، وكل واحد يكذبه بعقله في ذلك، ولهذا ألزمه إبراهيم بالإتيان بالشمس من المغرب إن كان كما ادعى «كَيْفَ الَّذِي كَفَرُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [البقرة: ٢٥٨] وكان ينبغي أن يذكر مع هذا أن الله تعالى سلط محمداً ﷺ على هذا المعاند لما بارز النبي ﷺ يوم أحد، فقتله بيده الكريمة، طعنه بحربة فأصاب رقبة فتدأ عن فرسه مراراً، فقالوا له: وبمك ما لك؟ فقال: والله إن بي لما لو كان بأهل ذي الجواز لماروا أجمعين. ألم يقل: «بل أنا أقتله؟» والله لو بصق عليّ لقتلني - وكان أبي هذا لعنه الله قد أهد فرساً وحربة ليقول بها عليها رسول الله ﷺ، فقال: «بل أنا أقتله إن شاء الله» - فكان كذلك يوم أحد.

ثم قال أبو نعيم [دلائل ٥٨٨/٢]: فإن قيل: فإن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله، قيل: فإن محمداً ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنماً، نصبت حول الكعبة فأشار إليهن فتساقطن ثم روى من طريق عبد الله العمري عن نافع عن ابن عمر قال: وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، قد أرقها الشيطان بالرصاص والنحاس، فكان كلما دنا منها بمخصرته تهري من غير أن يمسه، ويقول: «جَاءَ الْخَوَّ وَزَعَمَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُحُوفًا» [الإسراء: ٨١] تساقط لوجوهها، ثم أمر بهن فأخرجن إلى المسيل، وهذا أظهر وأجلى من الذي قبله، وقد ذكرنا هذا في أول دخول النبي ﷺ مكة عام الفتح بأساتيد وطرقه من الصحاح وغيرها، بما فيه كفاية، وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً ليلة مولده الكريم، وهذا بلغ وأقوى في المعجز من مباشرة كسرها، وقد تقدم أن نار فارس التي كانوا يعبدونها خمدت أيضاً ليلته، ولم تحمد قبل ذلك بألف عام، وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشرة شرفة، مؤذنة بيزوال دولتهم الكافرة بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم في أقصر مدة، وكان لهم في الملك قريب من ثلاثة آلاف سنة.

وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام، فلم يذكره أبو نعيم ولا ابن حامد، وسيأتي في إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ما وقع من المعجزات المحمّلة من هذا النمط ما هو مثل ذلك وأعلى من ذلك كما سيأتي التنية عليه إذا تئمتنا إليه، من إحياء أموات بدعوات من أمته، وحين الجفجف، وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه، وتكليم النراع له وغير ذلك.

وأما قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» [الأنعام: ٧٥] والآيات بعدها، فقد قال الله تعالى: «سَبِّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا خَلْقَهُ لِرَبِّهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الإسراء: ١]

صحيح، وهذا الحديث مشهور عن الزهري عن رجل عن أبي ذر، وقد قلنا ذلك مبسوطاً في دلائل النبوة بما أغنى عن إعادته وفيه: أنهن سبحن في كف أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، كما سبحن في كف رسول الله ﷺ، فقال: «هذه خلافة النبوة».

وقد روى الحافظ ابن حساكر بسنده إلى بكر بن خنيس عن رجل سماه قال: كان بيد أبي مسلم الخولاني سُبحة يسبح بها، قال: فنام والسبحة في يده قال: فاستنارت السبحة فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول: سبحانك يا منبت النبات، ويا دائم الثبات، فقال: عَلَّمَنِي يَا مَسْلَمُ وانظري إلى أعجب الأعاجيب، قال: فجاءت أم مسلم والسبحة تدور وتسبح فلما جلست سكنت.

وأصح من هنا كله وأصح حديث البخاري عن ابن مسعود قال: كنا نسبح تسبيح الطعام وهو يؤكل، قال شيخنا: وكذلك قد سلمت عليه الأحجار.

قلت: وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف حجراً كان يسلم علي بمكة قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»، قال بعضهم: هو الحجر الأسود.

وقال الترمذي: حدثنا عباد بن يعقوب الكوفي، حدثنا الوليد بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، ثم قال: غريب.

ورواه أبو نعيم في «الدلائل» [٢٨٩] من حديث السدي عن أبي عمارة الخيواني عن علي قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على حجر ولا شجر إلا سلم عليه وقلنا في أول المبعث أنه لما أوحى إليه جبريل أول ما أوحى إليه فرجع لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدر ولا شيء إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وأقبلت الشجرة إليه بدعائه، وذكر اجتماع تينك الشجرتين لقضاء حاجته من ورائهما ثم رجوعهما إلى منابتهما، وكلا الحديثين في «الصحيح»، ولكن لا يلزم من ذلك حلول حياة فيهما، إذ قد تكونان ساقهما سائق، ولكن في قوله: اتقادا علي بإذن الله، ما يدل على حصول شعور منهما لمخاطبته، ولا سيما مع امتثالهما ما أمرهما به، قال: وأمر عذقاً من نخلة أن يسزل فتزل إليه ينقر في الأرض حتى وقف بين يديه فقال: «أشهد أني رسول الله؟» فشهد بذلك ثلاثاً ثم عاد إلى مكانه، وهذا البقي وأظهر في المطابقة من الذي قبله، ولكن هذا السياق فيه غرابة.

والذي رواه الإمام أحمد وصححه الترمذي (٣٦٢٨)، ورواه البيهقي والبخاري في «التاريخ» [التاريخ الكبر ٣/٣] من رواية أبي ظبيان حصين بن جندب عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: سمعنا أنك رسول الله؟ قال: «أرأيت إن دعوت هذا العنق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟» قال: نعم، قال: فدعا العنق فجعل العنق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له: «ارجع» فرجع حتى عاد إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وآمن به، هذا لفظ البيهقي، وهو ظاهر في أن الذي شهد بالرسالة هو الأعرابي، وكان رجلاً من بني عامر.

ولكن في رواية البيهقي من طريق الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ما هذا الذي يقول أصحابك؟ قال وحول رسول الله ﷺ أعناقاً وشجر، فقال: «هل لك أن

١] وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد، وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء من كتابنا هذا، ومن «التفسير» [الفسر ٣/٤٢] ما شاهده رسول الله ﷺ ليلة أسري به من الآيات فيما بين مكة إلى بيت المقدس وفيما بين ذلك إلى سماء الدنيا، ثم ما عاين من الآيات في السموات السبع وما فوق ذلك، وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، والنار التي هي بئس المصير والمشوى، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام في حديث المنام - وقد رواه أحمد [٢٤٣/٥] والترمذي [٣٢٣٣، ٣٢٣٤] وصححه، وغيرهما: - «فتجلى لي كل شيء وعرفت».

وذكر ابن حامد في مقابلة ابتلاء الله يعقوب عليه السلام بقلبه ولده يوسف عليه السلام وصبره واستقامته ربه عز وجل، موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وصبره عليه، وقوله: «تدمع العين ويمحزن القلب، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لخزونون».

قلت: وقد ماتت بناته الثلاثة: رقية، وأم كلثوم، وزينب، وقُتل عمه حمزة، أسد الله وأسد رسوله يوم أحد، فصر وأحسب، وذكر في مقابلة حسن يوسف عليه السلام ما ذكر من جمال رسول الله ﷺ، ومهابته وحلارته شكلاً ونطقاً وهدياً، ودلاً، وسيناً، كما تقدم في شمائله من الأحاديث الدالة على ذلك، كما قالت الربيع بنت مسعود: لو رأيته لرايت الشمس طالعة.

وذكر في مقابلة ما ابتلى به يوسف عليه السلام من الفُرقة والغربة، هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ومفارقتة وطنه وأمله وأصحابه الذين كانوا بها.

١١٢- القول فيما أوتي موسى عليه

السلام من الآيات البيئات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى [الفسر ١٢٢/٥-١٢٤]: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» [الإسراء: ١٠١] وقد شرحناها في «التفسير» [الفسر ٣/٤٥٨-٤٦٣]، وحكيما قول السلف فيها، واختلافهم فيها، وأن الجمهور على أنها هي العصا في انقلابها حية تسعى، واليد، إذا أدخل يده في جيبه درعه أخرجهما تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، آيات مفصلات، كما بسطنا ذلك في التفسير، وكذلك أخذهم الله بالسنين وهي نقص الحبوب، وبالجدب وهو نقص الثمار، وبالوت الذريع وهو نقص الأنفس، وهو الطوفان في قول: ومنها فلق البحر لإنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون، ومنها: تظليل بني إسرائيل في التيه بالغمام، وإزالة المن والسوى عليهم واستسقاؤه لهم، فجعل الله ماءهم يخرج من خنجر يحمل معهم على دابة، له أربعة وجوه، إذا ضرب موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين، ثم يضربه يُفْقِع، ويُقْتَل كل من عبد العجل منهم، ثم أحياهم الله تعالى، وقصة البقرة، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات، كما بسطنا ذلك في «التفسير» [الفسر ١٤٣/١، ١٤٣/٣، ١٧٤]، وفي قصة موسى عليه السلام من كتابنا هذا في قصص الأنبياء منه، ولله الحمد والمنة.

أما العصا فقال شيخنا العلامة ابن الزملكاني: وأما حياة عصا موسى، فقد سيج الحصى في كف رسول الله ﷺ وهو جمد، والحديث في ذلك

سواد قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ، قلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمداً الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هُيئَ له المنبر، فلما هُيئَ له من الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك، وهذا إسناده صحيح إلى الشافعي رحمه الله، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني رحمه الله يذكره عن الشافعي رحمه الله وأكرم مثواه، وإنا قال: فهذا أكبر من ذلك لأن الجذع ليس محلاً للحياة ومع هذا حصل له شعور ووجد لما تحول عنه إلى المنبر فأُوحِنَ حينئذ العشار حتى نزل رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكنه حتى سكن، قال الحسن البصري [دلائل ٢/٥٥٩]: فهذا الجذع حُرٌّ إليه، فإنهم أحق إن يَحْتَوُوا إليه، وأما عود الحياة إلى جسد كانت فيه بإذن الله تعالى فعظيم، وهذا أعجب وأعظم منه إيجاد حياة وشعور في حل ليس مالوكاً لذلك لم تكن فيه قبل بالكيفية فسيحان الله رب العالمين.

تنبيه: وقد كان لرسول الله ﷺ لواء يحمل معه في الحرب يخفق في قلوب أعدائه مسيرة شهر بين يديه، وكانت له عترة تحمل بين يديه فإذا أراد الصلاة إلى غير جدار ولا حائل ركزت بين يديه، وكان له قضيب يتركب عليه إذا مشى، وهو الذي عبر عنه سطيف في قوله لابن أخيه عبد المسيح بن بقلعة: يا عبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب المراءو، وغاضت بحيرة ساوه، فليست الشام لسطيف شاماً، ولهذا كان ذكر هذه الأشياء عند إحياء عصا موسى وجعلها حية التي، إذ هي مساوية لذلك، وهذه متعددة كثيرة في محال متفرقة بخلاف عصا موسى فإنها وإن تعدد جعلها حية، فهي ذات واحدة والله أعلم. ثم نبه على ذلك عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى لأن هذه أعجب وأكبر وأظهر والله أعلم.

قال شيخنا: وأما أن الله كلم موسى تكليماً، فقد تقدم حصول الكلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء فيشهد له: «فرويت»: أن يا محمد قد كملت فريضتي وخفت عن عبادي، وسياق بقية القصة يرشد إلى ذلك، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على ذلك، لكن رأيت في كلام القاضي عياض نقل خلاف فيه والله أعلم.

وأما الرؤية فيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور بإمام الأئمة، واختار ذلك القاضي عياض والشيخ محيي الدين النووي، وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية، وجاء عنه تقليدهما بالفؤاد، وكلاهما في «صحيح مسلم»، وفي «الصحيحين» عن عائشة إنكار ذلك، وقد ذكرنا في الإسراء عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر وعائشة رضي الله عنهم أن المرثي في المرتين المذكورتين في أول سورة «النجم»، إنما هو جبريل عليه السلام، وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: نوره أنى لي أراه؟، وفي رواية: «رأيت نوره»، وقد تقدم بسط ذلك في الإسراء في السيرة وفي «التفسير» في أول سورة «بني إسرائيل»، وتفسير ٣/٤٢٠-٤٢١ وهذا الذي ذكره شيخنا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية عليه أفضل الصلاة والسلام. وأيضاً فإن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سنياء، وسأل الرؤية فمنعها، وكلم محمداً ﷺ ليلة الإسراء وهو بالبالا الأعلى حين رُفِعَ لمستوى يسع فيه صريف الأقلام، وحصلت له الرؤية في قول طائفة كثيرة من علماء السلف والخلف والله أعلم، ثم رأيت ابن حامد قد طرق هذا في كتابه فاجاد وأفاد.

وقال ابن حامد: قال الله تعالى لموسى: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» [طه: ٣٩] وقال محمد: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

أريك آية؟ قال: نعم، فدعا غصناً منها فأقبل يَحْدُ الأرض حتى وقف بين يديه وجعل يسجد ويرفع رأسه، ثم أمره فرجع، قال: فرجع العامري وهو يقول: يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذب بشئ يقوله أبداً.

وتقدم فيما رواه الحاكم في «مستدرکه» متفرداً به عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ دعا رجلاً إلى الإسلام فقال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة» فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تحْدُ الأرض خدّاً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني أتيتكم بهم ولا رجعت إليك وكنت معك.

قال: وأما حين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي ﷺ، فعمل له المنبر، فلما رقى عليه وخطب حن الجذع إليه حينئذ العشار والناس يسمعون صوته بمشهد الخلق يوم الجمعة، ولم يزل يئن ويئن حتى نزل إليه النبي ﷺ فاعتقه وسكنه وخبره بين أن يرجع غصناً طرياً أو يفرس في الجنة يأكل منه أولياءه الله، فاختار الفرس في الجنة وسكن عند ذلك، فهو حديث مشهور معروف، قد رواه من الصحابة عدد كثير متواتر، وكان بحضور الخلائق، وهذا الذي ذكره من تواتر حديث الجذع هو كما قال، فإنه قد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة، وعنه أعداد من التابعين، ثم من بعدهم آخرون منهم لا يمكن توافؤهم على الكذب فهو مقطوع به في الجملة، وأما تخيير الجذع كما ذكره شيخنا فليس بمتواتر، بل ولا يصح إسناده، وقد أوردته في الدلائل عن أبي بن كعب، وذكر في «مسند أحمد»، «وسنن ابن ماجه»، وعن أنس من خمس طرق إليه، صحيح الترمذي إحداهما، وروى ابن ماجه أخرى، وأحمد ثالثة، والبخاري رابعة، وأبو نعيم خاصة، وعن جابر بن عبد الله في «صحيح البخاري» من طريقين عنه، والبخاري ثالثة ورابعة، وأحمد من خاصة وسادة، وهذه على شرط مسلم، وعن سهل بن سعد في «مصنف ابن أبي شيبة» على شرط «الصحيحين»، وعن ابن عباس في «مسند أحمد» «وسنن ابن ماجه» بإسناد على شرط مسلم، وعن ابن عمر في «صحيح البخاري»، ورواه أحمد من وجه آخر عن ابن عمر، وعن أبي سعيد في «مسند عبد بن حميد» بإسناد على شرط مسلم، وقد رواه أبو يعلى الموصلي من وجه آخر عنه، وعن عائشة رواه الحافظ أبو نعيم من طريق علي بن أحمد الجواربي عن قبيصة عن حبان بن علي عن صالح بن حيّان عن عبد الله بن بريدة عن عائشة، فذكر الحديث بطوله، وفيه أنه خبره بين الدنيا والآخرة فاختار الجذع الآخرة وغار حتى ذهب فلم يعرف، وهذا غريب إسناداً ومتناً.

وعن أم سلمة رواه أبو نعيم بإسناد جيد، وقدمت الأحاديث ببسط أسانيدها وتحريروها ألفاظها وعزوها بما فيه كفاية عن إعادتها هاهنا، ومن تدبرها حصل له القطع بذلك والله الحمد والمثنة.

قال القاضي عياض بن موسى السبي المالكي في كتابه «الشفاء» [٢٧١/٤٢٧]: وهو حديث مشهور منتشر متواتر أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر، منهم أبي وجابر وأنس وبريدة وجابر وسهل بن سعد، وابن عباس، وابن عمر والمطلب بن أبي وداعة وأبو سعيد وأم سلمة رضي الله عنهم أجمعين، قال شيخنا: فهذه جمادات ونباتات وقد حنت وتكلمت، وفي ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية.

قلت: وسنشير إلى هنا عند ذكر معجزات عيسى عليه السلام في إحيائه الموتى بإذن الله تعالى في ذلك كما رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي أحمد بن أبي الحسن عن عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن

وَتَعْلَمُ لَكُمْ تَنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

صالح.

وأما دعاءه عليه السلام عليهم بالطوفان، وهو الموت النريع في قول، وما يعلم من الآيات والقسط والجذب، فلما كان ذلك لعلمهم يرجعون إلى متابعتهم ويقبلون عن مخالفتهم، فما زادهم إلا طغياناً كبيراً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعُنَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (الشعراء: ٤٨-٤٩) ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّا بِهَا فَمَا نَخَرُ لَكَ بِمُؤَيِّنِينَ. فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ. وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُفْوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَةٍ كَذِبُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٢-١٣٦) وقد دعا رسول الله ﷺ على قريش

حين تمادوا على مخالفتهم ببيع كسيع يوسف فقصطوا حتى أكلوا كل شيء، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع، وقد فرس ابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَارْتَبِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠) بذلك كما رواه البخاري عنه في غير ما موضع من «صحيحه»، ثم توسلوا إليه، صلوات الله وسلامه عليه، بقرابته من مع أنه بعث بالرحمة والرفقة، فدعا لهم فاقطع عنهم ورفق عنهم، وأحيوا بعدما كانوا أشرفوا على الملكة.

وأما فلق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله تعالى - حين تراءى الجمعان - أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، فإنه معجزة عظيمة باهرة، وحجة قاطعة قاهرة، وقد بسطنا ذلك في «التفسير» وفي قصص الأنبياء من كتابنا هذا، وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشققتين وفق ما سألته قريش، وهم معه جلوس في ليلة البدر، أعظم آية، وإيم دالة وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته ووجاهته عند الله تعالى، ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا، كما قررنا ذلك بأدلته من الكتاب والسنة، في «التفسير» وفي أول البعثة، وهذا أعظم من حبس الشمس قليلاً ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت، كما سيأتي في تقرير ذلك مع ما يناسب ذكره عنده، وقد تقدم من مسير العلاء بن الحضرمي، وأبي عبيد الثقفي وأبي مسلم الخولاني، وسائر الجيوش التي كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهي جارية عجاجة تقذف بالخشب من شدة جريها، وتقدم تقرير أن هذا أعجب من فلق البحر لموسى من هذه الوجوه والله أعلم.

وقال ابن حامد: قالوا: فإن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر فانفلق فكان ذلك آية لموسى عليه السلام، قلنا: فقد أوتي رسول الله ﷺ مثلها، قال علي رضي الله عنه: لما خرجنا إلى خير فبدأنا نحن بواد ينشعب وقدرناه فإذا هو أربع عشرة قامة، فقالوا: يا رسول الله العدو من ورائنا والوادي من أمامنا، كما قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُتْرَكُونَ﴾ (الشعراء: ٦١). فنزل رسول الله ﷺ ثم قال: «اللهم إنك جعلت لكل مرسل دلالة فارني قدرتك» فركب رسول الله ﷺ فمبرت الخيل لا تبدي حوافرها والإبل لا تبدي أخفافها، فكان ذلك فتحاً، وهذا الذي ذكره بلا إسناد لا أعرفه في شيء من الكتب المعتمدة بإسناد صحيح ولا حسن بل ولا ضعيف فإله أعلم.

وأما تظليله بالنعام في التيه، فقد تقدم ذكر حديث الغمامة التي رآها مجبراً تظله من بين أصحابه، وهو ابن اثني عشرة سنة، صحبة عمه أبي

وأما اليد التي جعلها الله برهاناً وحجة لموسى على فرعون وقومه كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية: ﴿إِنَّكَ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ. فَذَلَّلْنَا بِرْهَانِنَا مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ (القصص: ٣٢) وقال في سورة «طه»: ﴿آيَةً أُخْرَى. لَنُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه: ٢٣، ٢٤) فقد أعطى الله عمداً انشقاق القمر بإشارته إليه فرقتين، فرقة من وراء جبل حراء، وأخرى أمامه، كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى: ﴿افْتَرَسَتْ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ﴾ (القمر: ٢-١) ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر في المعجزات وأشهر وأعظم وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك، وقد قال كعب بن مالك في حديث الطويل في قصة توبته: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه فلقه قمر، وذلك في «صحيح البخاري».

وقال ابن حامد: قالوا: فإن موسى أعطي اليد البيضاء، قلنا لهم: فقد أعطي محمد ﷺ ما هو أفضل من ذلك نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره حيث ما جلس وقام، يراه الناس كلهم، وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة، ألا ترى أنه يرى النور الساطع من قبره ﷺ من مسيرة يوم وليلة؟ هذا لفظه، وهذا الذي ذكره من هذا النور غريب جداً، وقد ذكرنا في السيرة عند إسلام الطفل بن عمرو النوسي أنه طلب من النبي ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه فدعا له وذهب إلى قومه فلما أشرف على قومه من ثنية هناك، فسطع نور بين عينيه كالصباح، فقال: اللهم في غير هذا الموضع فإنهم يظنونني مثله، فتحول النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالصباح فهدهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ ويدعاهم لهم في قوله: «اللهم اهد دوساً، وأنت بهم»، وكان يقال للطفيل: ذو النور لذلك. وذكرنا أيضاً حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر في خروجهما من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه، وذلك في «صحيح البخاري» وغيره.

وقال أبو زرعة الرازي في كتاب «دلائل النبوة»: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء فاضاءت عصا أحدهما مثل السراج وجعلا يمسيان بضوئها، فلما تفرقا إلى منازلهما أضاءت عصا ذا وعصا ذا.

ثم روى عن إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام، وعن يعقوب بن حميد المدني، كلاهما عن سفيان بن حمزة بن يزيد الأسلمي عن كثير بن زيد عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه قال: سرنا في سفر مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء دحمة فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهورهم وما هلك منهم، وإن أصابعي لتنبئ.

وروى هشام بن عمار في «المبعث» (الزهد: ٢٤٦): حدثنا عبد الأعلى بن محمد البكري، حدثنا جعفر بن سليمان البصري، حدثنا أبو التياح الضبعي قال: كان مطرف بن عبد الله يبدو فيلخل كل جمعة فرما نور له في سوطه، فادلج ذات ليلة وهو على فرسه حتى إذا كان عند المقابر هوم به، قال: فرأيت صاحب كل قبر جالساً على قبره، قالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، فقلت لهم: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير، قلت: وما يقول فيه الطير؟ قالوا: يقول: سلام سلام من يوم

والخيل والإبل.

ثم روى من طريق المطلب بن عبد الله بن أبي حنطب: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، حدثني أبي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاه، فأصاب الناس مخصصة فدعا بركوة فوضعت بين يديه، ثم دعا بماء فصب فيها، ثم مَجَّ فيها وتكلم بما شاء الله أن يتكلم، ثم أدخل أصبعه فيها، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تنفجر منها ينابيع الماء، ثم أمر الناس فسقروا وشربوا وملؤوا قريهم وإداواتهم.

وأما قصة إحياء اللذين قتلوا بسبب عبادة العجل وقصة البقرة، فسيأتي ما يشابههما من إحياء حيوانات وأناس، عند ذكر إحياء الموتى على يد عيسى ابن مريم عليه السلام والله أعلم، وقد ذكر أبو نعيم ههنا أشياء آخر تركناها اختصاراً واقتصاداً.

وقال هشام بن عمار في كتابه «المبعث»: باب فيما أعطي رسول الله ﷺ وما أعطي الأنبياء قبله

حدثنا محمد بن شعيب القرشي، حدثنا روح بن مترك، أخبرني عمر بن حسان التميمي أن موسى عليه السلام أعطي آية من كنوز العرش، ربَّ لا تولج الشيطان في قلبي وأعطني منه ومن كل سوء، فإن لك الأيَّ والسلطان والملك والملكوت، دهر الداهرين وأبد الأبدين آمين آمين، قال: وأعطي محمد ﷺ آيتين من كنوز العرش، آخر «سورة البقرة»: ﴿أَمَرَ الرُّسُلَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخرها «البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦».

١١٣- قصة حبس الشمس على يوشع بن نون بن

أفرام بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

خليل الرحمن عليهم السلام

وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من ألبنة ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة، وكان الفتح قد يُنَجَّرُ بعد العصر يوم الجمعة وكادت الشمس تقرب ويدخل عليهم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فظفر إلى الشمس فقال: إنك مأمورة وأنا مأمور، ثم قال: اللهم أحبسها علي، فحبسها الله تعالى عليه حتى فتح البلد ثم غربت.

وقد قلنا في قصة من قصص الأنبياء الحديث الوارد في «صحيح مسلم» من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فلنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم أحبسها علي شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه، الحديث بطوله.

وهذا النبي هو يوشع بن نون، بدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا أسد بن عامر، حدثنا أبو بكر عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع عليه السلام ليالي سار إلى بيت المقدس». تفرد به أحمد وإسناده على شرط البخاري، إذا علم هذا فانشقاق القمر فلقنتين حتى صارت مرقعة من وراء الجبل - أعني حراء - وأخرى من دونه، أعظم في المعجزة من حبس الشمس قليلاً. وقد قلنا في الدلائل حديث رد الشمس بعد غروبها، وذكرنا ما قيل

طالب وهو قاصد الشام في تجارة، وهذا أبهر من جبه أنه كان وهو قبل أن يوحى إليه، وكانت الغمامة تظله وحده من بين أصحابه، فهذا أشد في الاعتناء، وأظهر من غمام يظل بني إسرائيل وغيرهم. وأيضاً فإن المقصود من تظليل الغمام إنما كان لاحتياجهم إليه من شدة الحر، وقد ذكرنا في الدلائل حين سئل النبي ﷺ أن يدعوا لهم ليسقوا لما هم عليه من الجوع والجهد والقطط، فرجع إليه وقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة، وما بيننا وبين سلم من بيت ولا دار، فأُنشِئت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال أنس: فلا والله ما رأينا الشمس مبتأ، ولما سأله أن يستصحي لهم رفع يده وقال: «اللهم حولنا ولا علينا»، فما جعل يشير بيده إلى ناحية إلا انجذب السحاب حتى صارت المدينة مثل الإكليل يطر ما حولها ولا غطر، فهذا تظليل غمام محتاج إليه، أكد من الحاجة إلى ذلك، وهو أنفع منه والتصرف فيه وهو يشير بأبلغ في المعجز وأظهر في الاعتناء والله أعلم.

وأما إنزال المن والسلاوي عليهم فقد كثر رسول الله ﷺ الطعام والشراب في غير ما موطن كما تقدم بيانه في دلائل النبوة من إطعام الجمل الغفير من الشيء اليسير، كما أطعم يوم الخندق من شربة جابر بن عبد الله وصاعه الشعير، أزيد من ألف نفس جائعة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وأطعم من جفنة فتأماً من الناس وكانت قد من السماء إلى غير ذلك من هذا القبيل ما يطول ذكره، وقد ذكر أبو نعيم وابن حامد أيضاً ههنا أن المراد بالمن والسلاوي إنما هو رزق رزقه من غير كد منهم ولا تعب، ثم أورد في مقابلته حديث تحليل المغامم ولم تحل لأحد قبلنا، وحديث جابر في سيرة أبي عبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخيط فحسر البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عُنُكُ بطونهم، والحديث في «الصحيح» كما تقدم.

وسياتي عند ذكر المائدة في معجزات المسيح ابن مريم قصة أبي مسلم الخولاني أنه خرج هو وجماعة كثيرة من أصحابه إلى الحج وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مزاداً فكانوا إذا نزلوا مستزلاً صلى ركعتين فيؤتون بطعام وشراب وعلف يكفهم ويكفي دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم. وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا سُلَاطِينَ مِنْ مَوْسَىٰ لِيُضِلَّ أَعْيُنَ النَّاسِ عَنْ عَدُوِّهِمْ أَفَنَتَجَنَّبُ عَنْهُ أَخْمَرَهُمْ﴾ الآية «البقرة: ٦٠» فقد ذكرنا بسط ذلك في قصة موسى عليه السلام وفي «التفسير» [الفسو ١/١٤٣، ١٤٤]. وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في وضع النبي ﷺ يده في ذلك الإناء الصغير الذي لم يتسع لبسطها فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون، وكذلك كثر الماء في غير ما موطن، كمزادتي تلك المرأة، ويوم الحديبية، وغير ذلك، وقد استقى الله لأصحابه في المدينة وغيرها فأجيب طبق السؤال ووفق الحاجة لا أزيد ولا أنقص وهذا أبلغ في المعجز، ونبع الماء من بين أصابعه من نفس يده، على قول طائفة من العلماء، أعظم من نبع الماء من الحجر، فإنه عمل للذلل.

قال أبو نعيم الحافظ [دلائل ٢/٥٨٨]: فإن قيل: إن موسى كان يضرب بعصاه الحجر فيفجر منه اثنا عشرة عيناً في التيه، قد علم كل أناس مشربهم. قيل: كان محمد ﷺ مثله وأعجب، فإن نبع الماء من الحجر مشهور في العلوم والمعارف، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والعظم والدم، فكان يخرج بين أصابعه في مخضب فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويسقون ماء جارياً عذبا، يروي العدد الكثير من الناس

فيه من المقالات فآله أعلم.

قال شيخنا العلامة أبو المعالي بن الزمكاني: وأما حبس الشمس ليوشع في قتال الجبارين، فقد انشق القمر لنبينا ﷺ وانشق القمر مزقتين أبلغ من حبس الشمس عن مسيرها، وصحت الأحاديث وتواترت بانشقاق القمر، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه وأن رسول الله ﷺ قال: «شهدوا»، وأن قريشاً قالوا: هذا سحر أبصارنا، فوردت المسافرون وأخبروا أنهم راوه مفترقاً، قال الله تعالى: «إِن تَرَىٰ أَثَرَةَ النَّفْثَةِ وَالنَّفْثَةِ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُغْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعَرَّبٌ» [النمر: ٢١] قال: وقد حبست الشمس لرسول الله ﷺ مرتين، إحداهما ما رواه الطحاوي وقال: رواه ثقات، وسماهم وعثم واحداً واحداً، وهو أن النبي ﷺ كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس، ولم يكن علي صلى العصر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك، فأردد عليه الشمس»، فرد الله عليه الشمس حتى رثيت، فقام علي فصلى العصر، ثم غربت، والثانية صيحة الإسراء فإنه ﷺ أخبر قريشاً عن مسراه من مكة إلى بيت المقدس، فسألوه عن أشياء من بيت المقدس فجاءه الله له حتى نظر إليه ووصفه لهم، وسألوه عن غير كانت لهم في الطريق فقال: «إنها تصل إليكم مع شروق الشمس»، فتأخرت فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى جاءت العبد، روى ذلك يونس بن بكير في زيادته على «السيرة»، أما حديث رد الشمس بسبب علي رضي الله عنه، فقد تقدم ذكرنا له من طريق أسماء بنت عميس، وهو أشهرها، وأبي سعيد وأبي هريرة وعلي نفسه، وهو مشترك من جميع الوجوه، وقد مال إلى القول بتوقيته أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأبو جعفر الطحاوي، والقاضي عياض، وكذا صححه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطهر وفقيه، ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم، كعلي بن الحسين، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وحكاة عن شيخه محمد وعلي بن أبي عبيد الطنافسين، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ، والحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب «الموضوعات»، وكذلك صرح بوضعه شيخاي الحفاظان الكبيران أبو الحجاج المزي، وأبو عبد الله الذهبي، وأما ما ذكره يونس بن بكير في زيادته على «السيرة» من تأخر طلوع الشمس عن إسان طلوعها، فلم ير لغيره من علماء السير، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة، وأكثر ما في الباب أن الراوي رأى تأخير طلوعها ولم يشاهد حبسها عن وقتها.

وأغرب من هذا ما ذكره ابن المطهر في كتابه «المنهاج»، أنها ردت لعل مرتين، فذكر الحديث المتقدم، كما ذكر. ثم قال: وأما الثانية فلما أراد أن يعبر الفرات بابل، اشتغل كثير من أصحابه بسبب دوابهم، وصلّى نفسه في طائفة من أصحابه العصر، وفات كثير منهم فتكلموا في ذلك، فسأل الله رد الشمس فردّت، قال: وقد نظمه الحميري فقال:

رُدَّتْ عليه الشمس لما فاتته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب حتى تبلّج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هوي الكوكب وعليه قد رُدَّتْ يبابل مرة أخرى وما ردت لخلق مُنْزَرَب وذكر أبو نعيم يعد موسى إدريس عليه السلام وهو عند كثير من

المفسرين من أنبياء بني إسرائيل، وعند محمد بن إسحاق بن يسار وآخرين من علماء النسب قبل نوح عليه السلام، في عمود نسبه إلى آدم عليه السلام، كما تقدم التنبيه على ذلك فقال:

١١٤ - القول فيما أعطي إدريس عليه السلام من الرفعة

التي نوه الله بذكرها فقال: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]

[٥٧]

قال: والقول فيه أن نبينا محمداً ﷺ أعطي أفضل وأكمل من ذلك، لأن الله تعالى رفع ذكره في الدنيا والآخرة فقال ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] فليس خطيب ولا متشفع ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقرن الله اسمه باسمه، في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك مفتاحاً للصلاة المفروضة، ثم أورد حديث ابن لهيعة عن دواج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ قال: «قال جبريل: قال الله: إذا ذكرتُ ذُكرت»، ورواه ابن جرير [تفسير: ٢٣٥/٣٠] وابن أبي حاتم من طريق دواج. ثم قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، حدثنا موسى بن سهل الجوزي، حدثنا أحمد بن القاسم بن بهرام الهيثمي، حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما فرغت مما أمرني الله تعالى به من أمر السموات والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد كرمته، جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت ليعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أن لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة، وأزلت عليك كلمة من كنوز عرشني: لا حول ولا قوة إلا بالله». وهذا إسناد فيه غرابة ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم ابن بنت منيع البخوي عن سليمان بن داود الزهراني، عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه.

وقد رواه أبو زرعة الرازي في كتاب «دلائل النبوة» بسياق آخر، وفيه انقطاع، فقال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن رزيق أنه سمع عطاء الخراساني يحدث عن أبي هريرة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ من حديث ليلة أسري به. قال: فأراني الله من آياته فوجدنا رجلاً طيبة فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجنة، قلت: يا رب اتني بأهلها. قال الله تعالى: أنا الله لا إله إلا أنا، لك ما وعدتك، كل مؤمن ومؤمنة يتخذ من دوني أنبأداً، ومن أقرضني جزية، ومن توكل علي كفيته، ومن سألني أعطيته، ولا ينقص نفقي، ولا ينقص ما يتمني، لك ما وعدتك، فنعم دار المتقين أنت، قالت: رضيت، فلما انتهينا إلى سدة المني خرجت ساجداً فرفعت رأسي فقلت: يا رب اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وآتيت داود زبوراً، وآتيت سليمان ملكاً عظيماً، قال: فإني قد رفعت لك ذكرك تذكرك معي إذا ذكرتُ، ولا تجوز لأمتك خطبة حتى يشهدوا أنك رسولي، وجعلتُ قلوب أمتك أناجيل، وآتيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشني.

المتهى ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى، وصلى بالأنبياء، وشيعه من كل سماء مقربوا، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ومالك خازن النار، فهنا هو الشرف، وهذه هي الرفعة وهذا التكريم والتتويج والإشهار والتقديم والعلو والعظمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين.

وأما رفع ذكره في الآخرين، فإن دينه باقٍ ناسخ لكل دين، ولا ينسخ هو أبد الأبدن ودهر الداهرين إلى يوم الدين، ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خلفهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة، والثناء بالأذان في كل يوم خمس مرات على كل مكان مرتفع من الأرض: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وهكذا كل خطيب يخطب لا بد أن يذكره في خطبته، وما أحسن قول حسان:

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنَّبَاةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مُشْهُودٌ يُلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ إِلَهُهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمَوْذُونِ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَحْلُهُ فَلَوْ الْعَرْشُ مَحْمُودٌ وَهَذَا عَمِدُ
وَقَالَ الصُّرْصَرِيُّ وَهُوَ حَسَنٌ وَقَتُهُ: لَا يَصُحُّ الْأَذَانُ فِي الْغُرُضِ إِلَّا
بِاسْمِهِ الْعَذْبِ فِي الْفَمِ الرَّمَضِيِّ وَقَالَ أَيْضاً:

أَلَمْ تَرَ أَنَا لَا يَصُحُّ أَنَاثَنَا وَلَا فَرْضَنَا إِنْ لَمْ نَكْرِهْ فِيهِمَا

١١٥- القول فيما أوتي داود عليه السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عِبْدَنَا دَاوُودَ إِذْ أَنَا الْإِنْسُ إِذْهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْغَمْسِ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطُّيُورَ مَخَشَّوَةً كُلُّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧- ١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطُّيُورَ وَلَئِنَّا لَهُ الْخَبِيرُ. أَنْ أَشْمَلَ سَابِقَاتٍ وَقَفَرٌ فِي السَّرِّ وَاشْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَصْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [ص: ١٠- ١١] وقد ذكرنا في قصته عليه السلام وفي «التفسير» [٤٨٥/٦]، وطيب صوته عليه السلام، وأن الله تعالى كان قد سخر له الطير تسبح معه، وكانت الجبال أيضاً تحميه وتسبح معه، وكان سريع القراءة، كان يأمر بدوابه فتسبح فيقرأ الزبور مقلداً ما يفرغ من شأنها ثم يركب، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، صلوات الله وسلامه عليه، وقد كان نبياً عليه السلام حسن الصوت طيبه بتلاوة القرآن، قال جبير بن مطعم: قرأ رسول الله ﷺ في المغرب بالتين والزيوت، فما سمعت صوتاً أطيبت من صوته ﷺ، وكان يقرأ ترتيلاً كما أمره الله عز وجل، وأما تسبيح الطير مع داود، فتسبيح الجبال الصم الجماد أعجب من ذلك، وقد تقدم في الحديث أن الحصا سبح في كف رسول الله ﷺ. قال ابن حامد: وهذا حديث معروف مشهور، وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ﷺ.

وفي «صحيح البخاري» [٣٥٧٩] عن ابن مسعود قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل - يعني بين يدي النبي ﷺ - وكلمه ذراع الشاة المسمومة، وأعلمه بما فيه من السم، وشهدت نبوته الحيوانات الإنسية والوحشية، والجمادات أيضاً، كما تقدم بسط ذلك كله، ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصم التي لا تتجاوب فيه، أعجب من صدور ذلك من الجبال، لا فيها من التجاوب والكهوف، فإنها وما شاكلها تردد صدَى الأصوات العالية غالباً، كما كان عبد الله بن الزبير: إذا خطب

ثم روى عن طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة، حديث الإسراء بطوله، كما سقناه من طريق ابن جرير في «التفسير» [الضمير ٣١/٥- ٣٩]، وقال أبو زرعة في سيقا: ثم لقي أرواح الأنبياء عليهم السلام فأتوا على ربه عز وجل، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلًا، وأعطاني ملكاً عظيماً، وجعلني أمة قاتلاً لله يؤتم بي، وأتقني من النار، وجعلها علي برداً وسلاماً، ثم إن موسى أتني على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليماً، وأصطفاني برسالة وبكلامه، وقريني نبياً، وأنزل علي التوراة، وجعل هلاك فرعون على يدي، ونجاة بين إسرائيل على يدي ثم إن داود أتني على ربه فقال: الحمد لله الذي جعلني ملكاً وأنزل علي الزبور، والآن في الحديد، وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب، ثم إن سليمان أتني على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس، وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محارب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، وعلمي منطق الطير، وأسأل لي عين القطر، وأعطاني ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، ثم إن عيسى عليه السلام أتني على ربه عز وجل فقال: الحمد لله الذي علمني التوراة والإنجيل، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، ورفعتني وطهرتني من الذين كفروا، وأعادني من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل، ثم إن محمداً ﷺ أتني على ربه فقال: «كلكم أتني على ربه، وأنا مثن على ربي، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل علي الفرقان فيه بيان كل شيء، وجعل أثمي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمي أمة وسطاً، وجعل أمي هم الأولين وهم الآخرين، وشرح لي صدري، ووضعت عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحاً وخاتماً». فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد ﷺ.

ثم أورد أبو نعيم الحديث المتقدم فيما رواه الحاكم والبيهقي عن طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب مرفوعاً في قول آدم: «يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: وما أدراك ولم أخلقه بعد؟ فقال: لأنني رأيت مكتوباً مع اسمك على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فغفرت أنك لم تكن تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، ولولا محمد ما خلقتك». وقال بعض الأئمة: رفع الله ذكره، ونوه باسمه في الأولين والآخرين، وكذلك يرفع قدره وقيمه مقاماً محموداً يوم القيامة، يغبطه به الأولون والآخرين، ويرغب إليه الخلق كله حتى إبراهيم الخليل، كما ورد في صحيح مسلم فيما سلف وسيأتي أيضاً.

فأما التتويج بذكره في الأمم الخالية، والقرون السابقة ففي «صحيح البخاري» وغيره [بس في صحيح البخاري] عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينبتهن وليصرنه وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينبتهن، وقد بشرت بوجود الأنبياء حتى كان آخر من بشر به عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بني إسرائيل، وكذلك بشرت به الأحبار والرهبان والكهنة، كما تقدمنا ذلك مبسوطاً، ولما كانت ليلة الإسراء رفع من سماء إلى سماء حتى سلم على إدريس عليه السلام، وهو في السماء الرابعة، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلم على موسى بها، ثم جاوزه إلى السابعة فسلم على إبراهيم الخليل بها عند البيت المعمور، ثم جاوز ذلك المقام، فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام وجاء سكرة

مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فلين الله الجبل له حتى ادخل رأسه فيه، وهذا أصعب لأن الحديد ثلثه النار، ولم نر النار تلتج الحجر، قال: وذلك بعد ظاهر باقي يراه الناس. قال: وكذلك في بعض شعاب مكة حجر من جبل أصم استروح في صلته إليه فلان له الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويرونه. وعادت الصخرة ليلة أسري به كهية المعجين، فربط بها دابته البراق يلصقه الناس إلى يومنا هذا باق.

وهذا الذي أشار إليه، من يوم أحد وبعض شعاب مكة غريب جداً، ولعله قد استند هو فيما سلف، وليس ذلك بمعروف في السير المشهورة. وأما ربط الدابة في الحجر فصحيح، والذي ربطها جبريل كما هو في «صحيح مسلم» [١٦٢ (٢٥٩)] رحمه الله.

وأما قوله: «وَأَيَّانَا الْحِكْمَةَ وَفَضْلَ الْخِطَابِ» [ص ٢٠]، فقد كانت الحكمة التي أوتيتها محمد ﷺ والشرعة التي شرعت له، أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فإن الله جمع له عاسن من كان قبله، وفضله، وأكمله له وآتاه ما لم يوت أحداً قبله، وقد قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم، واختصرت لي الحكمة اختصاراً»، ولا شك أن العرب أفصح الأمم، وكان النبي ﷺ أفصحهم نطقاً، وأجمع لكل خلق جميل مطلقاً.

١١٦- القول فيما أوتي سليمان بن

داود عليه السلام

قال الله تعالى: «فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَأَخْرَيْنَ مَقَرِّينَ فِي الْأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ» [ص: ٣٦-٤٠]. وقال تعالى: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا رَبَّنَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَّامِينَ. وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ» [الأنعام: ٨١-٨٢]. وقال تعالى: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُلُوبًا شَهْرًا وَزَوَّاجَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَبَيْنَ الْجَنِّ مَنْ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا ذُكِرُوا بِكُمْ لَبِثًا وَمِنْ نَحْوِ جَنَّتِهِمْ مَنْ آمَنَّا بَرَاءَةً مِنْ عَذَابِ الشَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَسَمَائِلَ وَجَفَانٍ كَالْجِرَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» [سج: ١٢-١٣]. وقد بسطنا ذلك في قصته، وفي «التفسير» [٤٨٧/٦-٤٨٩] أيضاً.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في «مستدرکه» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً، سأل الله حكماً يوافق حكمه، وم ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأنه لا يأتي هذا المسجد أحد إلا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

أما تسخير الريح لسليمان فقد قال الله تعالى في شأن الأحزاب: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» [الأحزاب: ٩].

وقد تقدم [في الحديث الذي رواه مسلم من طريق شعبة عن الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فصرت بالصبا وأهلك عاد بالابور»، ورواه مسلم (٩٠٠) ...] من طريق الأعمش عن

- وهو أمير المؤمنين بالحرم الشريف - مجاوره الجبال، أبو قيس وزرّ، ولكن من غير تسبيح، فإن ذلك من معجزات داود عليه السلام. ومع هذا فتسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أعجب.

وأما أكل داود من كسب يده، فقد كان رسول الله ﷺ يأكل من كسبه أيضاً، كما كان يرى غنماً لأهل مكة على قراريط. وقال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم». وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة مضاربة، وقال الله تعالى: «وَقَالُوا نَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا. أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَزْكَرُ لَوْ كُنَّا لَهُ بِهِ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا يُشَوِّرُ. انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَظْهِرُونَ سَبِيلًا» [الفرقان: ٢٠-٢٧]. إلى قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» [الفرقان: ٢٠] أي للتكسب والتجارة طلباً للربح الحلال، ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة، كان يأكل مما أباح له من الغنائم التي لم تبغ لنبي قبله، وما أفاء الله عليه من أموال الكفار التي أبيحت له دون غيره، كما جاء في المسند والترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «فبعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

وأما إلاتة الحديد لداود عليه السلام فقد كان من المعجزات الباهرات. كان الحديد يلين بين يديه من غير نار كما يلين المعجن في يده، فكان يصنع منه هذه الدروع النلوية، وهي الزرديات السابغات، وأمره الله تعالى بكيفية عملها، «وَقَدْزَلْنَا فِي السُّورَةِ» [سج: ٢١]، أي ألا تترك المسار فيفلت، ولا تغفل فينقص، كما جاء في البخاري [صح: ٤٥٣/٦]، وقال تعالى: «وَعَلَّمَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيَنْحَصِرَ عَنْكُمْ رَبُّكُمْ فَأَقْبَرْنَاكُمْ شَاكِرِينَ» [الأنعام: ٨٠]. وقد قال بعض الشعراء في معجزات النبوة:

تسبيح داود ما حى صاحب الفنا ر وكان الفخار للعنكبوت والمقصود المعجز في إلاتة الحديد، وقد تقدم في السيرة عند ذكر حضر الخندق عام الأحزاب في سنة أربع، وقيل: خمس، أنهم عرضت لهم كيفية - وهي الصخرة في الأرض - فلم يقدروا على كسرها ولا شيء منها، فقام إليها رسول الله ﷺ - وقد ربط حجراً على بطنه من شدة الجوع - فضرها ثلاث ضربات، لمت الأولى حتى أضادت له منها قصور الشام، وبالثانية قصور فارس، وبالثالثة قصور ضعاء، ثم انشالت الصخرة كأنها كتيب أهيل من الرمل، ولا شك أن لين الصخور التي لا تفعل ولا بالنار، أعجب من لين الحديد الذي إن حي لآن كما قال بعضهم:

فلو أن ما عاجل لين فؤادها بنفسي... للان الجندل والجندل

فلو أن شيئاً أشد قوة من الصخر لذكره هذا الشاعر المبالغ، قال الله تعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَدْلِ ذَلِكَ فَبُذِيَ كَالْجِبَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْرَةً» [الفرقة: ٧٤] الآية، وأما قوله تعالى: «قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ خَلْقًا مِّثْلًا يَكْبُرُ فِي صُلُوبِكُمْ» [الإسراء: ٥٠-٥١] الآية، فذلك الترفي لمعنى آخر ذكر في «التفسير»، وحاصله أن الحديد أشد امتناعاً في الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج فإذا عولج انفع الحديد ولا يفعل الحجر والله أعلم.

وقال أبو نعيم [دلائل ٥٩٤/٢، ٥٩٥]: فإن قيل: فقد لين الله لداود عليه السلام الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ، قيل: لينت لحمد ﷺ الحجارة وصم الصخور، فعادت له غارا استتر به من المشركين، يوم أحد،

كما ذكرنا، ووفدت إليه منهم وفود كثيرة وقرأ عليهم سورة «الرحمن»، وخبرهم بما لم آمن منهم من الجنان، وما لم كفر من النيران، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم، فدل على أنه يلم ما هو أهم من ذلك وأكبر.

وقد ذكر أبو نعيم [دلائل: ٥٤٥] هاهنا حديث الغول التي كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه عليه السلام ويريدون إحضارها إليه فتمتنع كل الامتناع خوفاً من الموت بين يديه، ثم اقتلعت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها الشيطان، وقد سقنا ذلك بطرقه والفاظه عند تفسير آية الكرسي من كتابنا «التفسير» [٤٥٩-٤٥٠/١] والله الحمد، والغول هي الجن المتبدية بالليل في صورة مربية.

وذكر أبو نعيم [دلائل: ٦٠٣/٢، ٦٠٤] هاهنا حياية جبريل له عليه السلام غير ما مرة من أبي جهل كما ذكرنا في السيرة، وذكر مقاتلة جبريل وميكائيل عن يمينه وشماله يوم أحد.

وأما ما جمع الله تعالى لسليمان من النبوة والملوك كما كان أبوه من قبله، فقد خير الله عبده محمداً عليه السلام بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً، فاستشار جبريل في ذلك فأشار إليه وعليه أن يتواضع، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، وقد روى ذلك من حديث عائشة وإسن عباس، ولا شك أن منصب الرسالة أعلى، وقد عرضت على نبي الله صلى الله عليه وآله كوز الأرض فأبى، قال: «ولو شئت لأجرى الله معي جبال الأرض فدعاً، ولكن أجمع يوماً وأشيع يوماً» [دلائل: ٥٤٠]، وقد ذكرنا ذلك كله بأثره وأسانيده في «التفسير» وفي السيرة أيضاً والله الحمد والملة.

وقد أورد الحافظ أبو نعيم هاهنا طرفاً منها من حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بيننا أنا نأثم جسي بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت في يدي»، ومن حديث الحسين بن واقد عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً: «أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق جاسني به جبريل عليه قطيفة من سندس»، ومن حديث القاسم عن أبي لبابة مرفوعاً [دلائل: ٥٤٠]: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذبياً فقلت: لا يا رب، ولكن أشيع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك، وإذا شبعت حمدتك وشكرك». قال أبو نعيم [دلائل: ٦٠٥/٢]: «فإن قيل: سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنمل كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِيقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] الآية وقال: ﴿حُتَّى إِذَا تَوَّأْنَا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَبَيَّنَّ ضَاحِكاً مِّنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٨-١٩] الآية. قيل: قد أعطى محمد عليه السلام مثل ذلك وأكثر منه، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم والسباع وحين الجذع ورواه البعير وكلام الشجر وتيسيح الحصا والحجر، ودعائه إياه واستجابته لأمره، وإقرار الذئب بنبوته، وتيسيح الطير لطاعته، وكلام الظبية وشكواها إليه، وكلام الضب وإقراره بنبوته وما في معناه، كل ذلك قد تقدم في الفصول بما يعني عن إعادته، انتهى كلامه.

قلت: وكذلك أخبره ذراع الشاة بما فيه من السم وكان ذلك بإقرار من وضعه فيه من اليهود، وقال: إن هذه السحابة تستهبل بنصرنا يا عمرو بن سالم - يعني الخزامي - حين أتشده تلك القصيدة يستعليه فيها على بني بكر الذين نقضوا صلح الحليية، وكان ذلك سبب فتح مكة كما تقدم.

وقال عليه السلام: «إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ بمكة قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»، فهذا إن كان كلاماً عما يليق بحاله ففهم عنه الرسول عليه السلام

مسعود بن مالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله. وثبت في «الصحاحين»: «فصرت بالربع مسيرة شهر». ومعنى ذلك أنه عليه السلام إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الربع في قلوبهم منه قبل وصوله إليهم بشهر. ولو كان مسيره شهراً، فهذا في مقابلة: ﴿غُلُوقًا شَهْرٌ وَزَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾، بل هذا أبلغ في التمكن والنصر والتأييد والظفر، وسخرت له الرياح تسوق السحاب لإنزال المطر الذي امتن الله به حين استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه في غير ما موطن كما تقدم.

وقال أبو نعيم [دلائل: ٥٩٦/٢]: «فإن قيل: فإن سليمان سخرت له الريح فسارت به في بلاد الله وكان غلوقها شهراً ورواحها شهراً. قيل: ما أعطى محمد عليه السلام وأكبر، لأنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة، في أقل من تلك الليلة، فدخل السموات سماءً سماءً، ورأى عجائبها، ووقف على الجنة والنار، وعرض عليه أعمال أمته، وصلى بالأنبياء وملائكة السموات، واخترق الحجب. وهذا كله في ليلة قاتمة، أكبر وأعجب.

وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل ما يشاء من محارِب وتماثيل وجفان كالجواب وقصور وآسيات، فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده رسول الله صلى الله عليه وآله في غير ما موطن، يوم بدر واحد، ويوم الأحزاب ويوم حنين، كما تقدم ذكرناه ذلك مفصلاً في مواضعه. وذلك اعظم وأبهر وأجل وأعلا من تسخير الشياطين. وقد ذكر ذلك ابن حامد في كتابه.

وفي «الصحاحين» [ج: ٤٦١] من حديث شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة، أو كلمة نحوها، ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارِي المسجد حتى تصبحوا وتتظنر من إليه، فذكرت دعوة أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»، قال روح: فرده الله خاسئاً، لفظ البخاري.

ولسلم عن أبي الدرداء نحوه، قال: «ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أختينا سليمان لأصبح مؤثماً يلعب به ولدان أهل المدينة».

وقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: «لو رأيتوني وإبليس فأهويت يدي فما زلت أختقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين، الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوارِي المسجد يتلاعب به صبيان المدينة».

وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد [ج: ١٨٩٩] [ج: ١٠٧٩] [ن: ٢٠٩٦-٢١٠١] [ابن عسك: ١٨٨٢] [ابن حبان: (الإحسان: ٣٣٤) [المسند: ٢٨١/٢، ٣٥٧] [مصنف عبد الرزاق: ٧٣٨٤] [السنن الكبرى للبيهقي: ٢٠٢/٤، ٣٠٣] أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفلت الشياطين»، وفي رواية: [مصنف عبد الرزاق (٧٣٨٥)] «مرة الجن»، فهذا من بركة ما شرعه الله له من صيام شهر رمضان وقيامه، وسيأتي عند إيراد الأكمة والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله لغير ما واحد من به لمستم من الجن فشفي، وفارقهم خوفاً منه وهابة له، وامتثالاً لأمره. صلوات الله وسلامه عليهم، وقد بعث الله نقرأ من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوههم إلى دين محمد صلى الله عليه وآله وحذروهم مخالفته؛ لأنه كان مبعوثاً إلى الإنس والجن، فأمنت طوائف من الجن كثيرة

قلت: وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه، كما روي في «صحيح مسلم»، من المعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان في الجملة؛ لأنه كان عملاً للحياة في وقت، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكيفية قبل ذلك، وكذلك تسليم الأحجار والمدر عليه، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة، وحنين الجذع إليه صلوات الله وسلامه عليه. قال شيخنا رحمه الله تعالى: وقد جمع ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعد الموت، وذكر منها كثيراً، وقد ثبت عن أنس (دلائل: ٥٦١) رضي الله عنه أنه قال: دخلنا على رجل من الأنصار وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قضى، فبسطنا عليه ثوبه وسجنيته، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه، فالتفت إليها بعضنا وقال: يا هذه احتسبي مصيبتك عند الله فقالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم، فمدت يديها إلى الله تعالى فقالت: اللهم إنك تعلم أنني أسلمت وهاجرت إلى رسولك رجاء أن تغنيني عند كل شدة ورخاء، فلا تحملي هذه المصيبة اليوم. قال: فكشف الرجل عن وجهه وقعد، وما برحنا حتى أكلنا معه.

وهذه القصة قد تقدم التنبؤ عليها في دلائل النبوة. وفي ذكر معجز الطوفان مع قصة العلاء بن الحضرمي، وهذا السياق الذي أورده شيخنا ذكر بعضه بالمعنى، وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا، والمخالف أبو بكر البيهقي من غير وجه عن صالح بن بشير المري - أحد زهاد البصرة وعقابه وفي حديثه لين - عن ثابت عن أنس فذكره. وفي رواية البيهقي: أن أمه كانت عجوزاً عمية ثم ساقه البيهقي من طريق عيسى بن يونس عن عبد الله بن عون عن أنس كما تقدم، وسياقه أم، وفيه أن ذلك كان بحضرة رسول الله ﷺ، وهذا بإسناد رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس والله أعلم.

١١٨ - قصة أخرى

قال الحسن بن عرفة: حدثنا عبد الله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سبرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان في بعض الطريق نفق حمارة فقام وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني جئت من الدنيا مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليّ اليوم مئة، أطلب اليك اليوم أن تبعث حماري، فقام الحمارة ينفض أذنيه، قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، ومثل هذا يكون كرامة لصاحب الشريعة.

قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي وغيره عن محمد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي وكأنه عند إسماعيل من الوجهين. والله أعلم.

قلت: كذلك رواه ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل عن الشعبي فذكره قال الشعبي: فأتا رأيت الحمارة بيع أو يباع في الكناس - يعني بالكوفة - وقد أوردها ابن أبي الدنيا من وجه آخر، وأن ذلك كان في زمن عمر بن الخطاب، وقد قال بعض قومه في ذلك:

ومنا الذي أحيا الإله حمارة وقد مات منه كل عضو ومنفصل
وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة.

ذلك، فهو من هذا القبيل وأبلغ، لأنه جاد بالنسبة إلى الطير والنمل، لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح، وإن كان سلاماً نطقياً وهو الأظهر، فهو أعجب من هذا الوجه أيضاً، كما قال علي: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فما مر بمجر ولا شجر ولا مسد إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فهذا النطق سمعه رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه.

ثم قال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى العنبري، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا إبراهيم بن سويد الجوزي، حدثنا عبد الله بن أذينة الطائي عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: أتني النبي ﷺ - وهو بخير - حمراً أسود فوقف بين يديه فقال: مَنْ أنت؟ فقال: أنا عمرو بن فلان، كنا سبعة إخوة كلنا ركبنا الأنبياء وأنا أصغرهم، وكنت لك فملكتني رجل من اليهود، وكنت إذا ذكرتك كبوت به فيوجعني ضرباً، فقال النبي ﷺ «فأنت يغفور»، وهذا الحديث فيه تكرار شديدة ولا يحتاج إلى ذكره مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة التي فيها غنية عنه، وقد روي على غير هذه الصيغة، وقد نص على تكراره ابن أبي حاتم عن أبيه، والله أعلم.

١١٧ - القول فيما أوتي عيسى ابن مريم

عليه السلام

ويُسَمَّى المسيح، فقيل: لمسحه الأرض، وقيل: لمسح قدمه، وقيل: لخروجه من بطن أمه مسحاً بالدمعان، وقيل: لمسح جبريل له بالبركة، وقيل: لمسح الله الذنوب عنه، وقيل: لأنه كان لا يمسح أحداً إلا برئ، حكاهما كلها المخالف أبو نعيم رحمه الله.

ومن خصائصه أنه عليه السلام خلوق بالكلمة من أمشي بلا ذكر، كما خلقت حواء من ذكر بلا أمشي، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أمشي، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له: كن فيكون. وكذلك يكون عيسى بالكلمة وينفخ جبريل في فرج مريم فخلق الله منها عيسى.

ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين ولد ذهب يطعن فطعن في الحجاب كما جاء في «الصبح» ج: ٣٢٨٦، ومن خصائصه أنه لم يمّت، وهو حي الآن يجسده في السماء الدنيا، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشريفة بدمشق، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية، كما رواه الترمذي وقد بسطنا ذلك في قصته من كتابنا هذا.

وقال شيخنا العلامة ابن الزمكاني رحمه الله تعالى: وأما معجزات عيسى عليه السلام، فمنها إحياء الموتى، وللنبي ﷺ من ذلك كثير، وإحياء الجمد أبلغ من إحياء الميت، وقد كلف النبي ﷺ اللزاع المسعومة، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت من وجوه، أحدها: أنه إحياء جزء من الحيوان دون بقية بدنه، وهذا معجز لو كان متصلاً بالبدن، الثاني: أنه إحياء وحده منفصلاً عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية، الثالث: أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل، ولم يكن هذا الحيوان يعقل في حياته فصار جزءه حياً يعقل الرابع: أنه أقره الله على النطق والكلام ولم يكن الحيوان الذي هو جزءه مما يتكلم، وفي هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التي أحيها الله لإبراهيم ﷺ.

وهذا دليل على أن فرقناً قد حفظه، فإن هذا له شاهد في «صحيح البخاري» ومسلم من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وأنكثف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، قالت: لا بل أصبر فادع الله أن لا أنكثف، قال: فدعا لها فكانت لا تنكثف.

ثم قال البخاري: حدثنا محمد، حدثنا غلغل عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر تلك - امرأة طويلة سوداء - على ستر الكعبة. وذكر الحافظ ابن الأثير في كتاب «أسد الغابة في أسماء الصحابة»، أن أم زفر هذه كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد، وأنها عمرت حتى رآها عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى.

وأما إبراهيم عيسى الأكمه وهو الذي يولد أعمى، وقيل: هو الذي لا يُبصر في النهار ويُبصر في الليل. وقيل: غير ذلك كما بسطنا ذلك في «التفسير» (٣٦/٢)، والأبرص الذي به يَهَقُّ، فقد ردَّ رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعدما سألت على خده، فأخذها في يده الكرمية وأعادها إلى مقرها فاستمرت بجمالها وبصرها، وكانت أحسن عينه رضي الله عنه وﷺ، كما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في «السيرة» وغيره، وكذلك بسطناه ثم ولله الحمد والمثني، وقد دخل بعض ولده وهو عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول:

أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فرُوت بكف المصطفى أحسن الرد
فصادت كما كانت لأول أمرها فيا حُسن ما عين ويا حُسن ما خُدَّ
فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لا قُبان من لبنٍ شبيهاً بماء فسادا بعد أبوالا
ثم أجازها فأحسن جازته، وقد روى الدارقطني أن عينه أصيبتاً معاً حتى سالتا على خديته، فرددنا رسول الله ﷺ إلى مكانهما. والمشهور الأول كما ذكر ابن إسحاق وغيره.

١١٩- قصة الأعمى الذي رد الله عليه بصره

بدعاء رسول الله ﷺ

قال الإمام أحمد: حدثنا روح وعثمان بن عمر قالوا: حدثنا شعبة عن أبي جعفر المدني سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضروباً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يعافيني، فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لأخرك»، وإن شئت دعوت لك: قال: لا، بل ادع الله لي، قال: فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلي ركعتين وأن يدعُو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتفضلي، وقال في رواية عثمان بن عمر: اللهم فشغفه في، قال: ففعل الرجل فبراً ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي جعفر الخطمي. وقد رواه البيهقي عن الحاكم بسند إلى أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف فذكر غصوه، قال

قيل البخاري في «التاريخ الكبير»: زيد بن خزيمة الخزرجي الأنصاري شهد بدرًا وتوفي في زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت.

وروى الحاكم في «مستدرکه» والبيهقي في «دلائله» وصححه كما تقدم من طريق القعني عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خزيمة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفي في زمن عثمان بن عفان فسُجِّي في ثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأول صدق صدق، أبو بكر الضعيف في نفسه القوي في أمر الله، في الكتاب الأول صدق صدق، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وقيت ثنتان، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس، قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خزيمة فسُجِّي ثوبه فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني حارث بن الخزرج صدق صدق، ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول، وصححه البيهقي. قال (٥٨/٦): وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم.

قلت: قد ذكرت في قصة شاة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها ومن قليل شعير ما تقدم. وقد أورد الحافظ محمد بن المنذر المعروف بـ «شكر» في كتابه «الغرائب والمعجائب» بسنده، كما سبق أن رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها في منزلهم والله أعلم.

قال شيخنا: ومن معجزات عيسى الإبراهيم من الجنون، وقد أبرأ النبي ﷺ - يعني من ذلك - هذا آخر ما وجدته مما حكيتاه عنه. فأما إبراهيم عيسى من الجنون، فما أعرف فيه نقلاً خاصاً، وإنما كان يبرئ الأكمه والأبرص والظاهر: ومن جميع المعاهات والأمراض المزمنة.

وأما إبراهيم النبي ﷺ من الجنون، فقد روى الإمام أحمد والحافظ البيهقي إسنين غير وجه عن يعلى بن مرة أن امرأة أتت يابن لما صغير به لم ما رأيت لما أشد منه، فقالت: يا رسول الله إني هنا كما ترى أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة، فقال رسول الله ﷺ: «ناوليني»، فجعله بينه وبين واسطة الرحل، ثم فَرَّ فاه ونفث فيه ثلاثاً وقال: «بسم الله، أنا عبد الله، أخسأ عدو الله»، ثم ناوإها فذكرت أنه برأ من ساعته وما رابهم منه شيء بعد ذلك.

وقال أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن به لمأ، وإنه يأخذني عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا، قال: فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فَنَفَعَ ثَمَّة فخرج منه مثل الجرو الأسود يسمى، غريب من هذا الوجه، وفرقد فيه كلام وإن كان من زُهاد البصرة، لكن ما تقدم له شاهد وإن كانت القصة واحدة والله أعلم.

وروى الزوار من طريق فرقد أيضاً عن سعيد، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال لها: «إن تصبري على ما أتت عليه نجيبي يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب» فقالت: والذي بعثك بالحق لأصبرن حتى ألقى الله، ثم قالت: إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها، وكانت إذا خشيت أن يأتها تأتي أستار الكعبة فتعلن بها وتقول له: أخسأ، فيذهب عنها.

عثمان: فوالله ما تفرقتا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كان لم يكن به ضرر قط.

١٢٠- قصة أخرى

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا عبد العزيز بن عمر، حدثني رجل من بني سلمان بن سعد عن أمه أن خالها، حبيب بن فريك حدثنا أن أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعينه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً أصلاً، فقال له: «ما أصابك؟» قال: كنت أرى جملًا في فوقعت رجلي على يضي حية فأصيب بصري، فنفت رسول الله ﷺ في عييه فأبصر، فرايته وإنه ليدخل الحيط في الإبرة، وإنه لابين ثمانين سنة، وإن عييه ليبيضتان، قال البيهقي كذا في كتابه: وغيره يقول حبيب بن مدرك.

وثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ نث في عيني علي يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته، ثم لم ترحد بعدها أبداً، ومسح رجل جند الله بن عتيك وقد انكسرت رجله ليلة قتل أباه رافع - تاجر أهل الحجاز الخيبري - فبرأ من ساعته أيضاً، وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالثار فبرأ من ساعته، ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعته، ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يشفي من مرضه فشفي.

وروى البيهقي أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ﷺ أن يدهو له ربه أن يعالجه فدهاه فشفاه من مرضه ذلك وكم له من مثلها وعلى مسلكتها، من إبراء آلام، وإزالة أسقام، مما يطول شرحه وبسطه.

وقد وقع في كرامات الأولياء إبراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضاً، كما رواه الحافظ ابن عساكر «تاريخ دمشق» ٢٧/٢١٣ من طريق أبي سعيد بن الأعرابي عن أبي داود: حدثنا عمر بن عثمان، حدثنا بقة عن محمد بن زياد عن أبي مسلم أن امرأة خبثت عليه امرأته، فدعا عليها فذهب بصورها فأنته فقالت: يا أبا مسلم، إني كنت فعلت وفعلت، وإني لا أعوذ لثلاثي، فقال: اللهم إن كانت صادقة فاردد عليها بصورها، فأبصرت.

ورواه أيضاً من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا «تاريخ دمشق» ٢٧/٢١٤: حدثنا عبد الرحمن بن واقد، حدثنا ضمرة، حدثنا عثمان بن عطاء قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم فإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته فإذا بلغ البيت كبر وكبرت امرأته قال: فيدخل فيستريح ودهاءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم جاء إلى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه، وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة يدها عود في الأرض تنكت به، فقال لها: ما لك؟ فقالت: الناس بخير، وأنت أبو مسلم لو أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم يعطيك شيئاً تعيش به، فقال: اللهم من أفسد علي أهلي فأقم بصري، قال: وكانت أمها امرأة فقالت أنت امرأة أبي مسلم: فلو كلمت زوجك ليكلم معاوية فيخدمكم ويعطيك؟ قال: فبينما هذه المرأة في منزلها والسراج يزهو، إذ انكثرت بصورها، فقالت: سراجكم طفيء؟ قالوا: لا، قالت: إنا لله أذهب بصري، فاقبلت كما هي إلى أبي مسلم فلم تزل تنأيه الله وتطلب إليه، فدعا الله فرد بصورها، ورجعت امرأته إلى حالها التي كانت عليها.

وأما قصة المائدة التي قال الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْرَأُونَ إِنِ

كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ مَدَدْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْكَلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَخْفَرُ بَعْدَ مَبْنَعِكُمْ فَأَيُّ آعَذِبُهُ عَذَاباً لَا آعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ» (البقرة: ١١٢ - ١١٥) وقد ذكرنا في «التفسير» (الفسر: ٢٢٠/٢٢٦) بسط ذلك واختلاف المفسرين فيها هل نزلت أم لا على قولين، والمشهور عن الجمهور أنها نزلت، واختلف فيما كان عليها من الطعام على أقوال، وذكر أهل التاريخ أن موسى بن نصير، الذي فتح البلاد المغربية أيام بني أمية وجد المائدة، ولكن قيل: إنها مائدة سليمان بن داود مرصعة بالجوهر وهي من ذهب فارسل به إلى الوليد بن عبد الملك فلم تصل حتى مات، فتسلها أخوه سليمان، وقيل: إنها مائدة عيسى، لكن يبعد هنا أن النصاري لا يعرفون المائدة كما قاله غير واحد من العلماء والله أعلم.

والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل فقد كانت موائد رسول الله ﷺ تُعد من السماء وكانوا يسمعون تسيح الطعام وهو يؤكل بين يديه، وكما قد أنشع من طعام يسير الوفا ومئات وعشرات بعد عشرات صلوات الله وسلامه عليه ما تعاقبت الأوقات، وما دامت الأرض والسموات، هذا وأبو مسلم الخولاني، قد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمته من «تاريخه» (تاريخ دمشق ٢٧/٢١٧) أمراً عجيباً وشأناً غريباً، حيث روى من طريق إسحاق بن نجيح اللطفي عن الأزاعي قال: أتى أبا مسلم الخولاني نفر من قومه فقالوا: يا أبا مسلم أما تشفق إلى الحج؟ قال: بلى لو أصبت لي أصحاباً، قال: فقالوا: نحن أصحابك قال: لستم لي بأصحاب، إنما أصحابي قوم لا يريدون الزاد ولا المزداد. فقالوا: سبحان الله، وكيف يسافر قوم بلا زاد ولا مزداد؟ قال لهم: ألا ترون إلى الطير تلتو وتروح بلا زاد ولا مزداد والله يرزقها؟ وهي لا تبيع ولا تشتري، ولا تحرث ولا تزرع والله يرزقها؟ قال: فقالوا: إنا نساfer معك، قال: تهشوا على بركة الله تعالى، قال: ففعلوا حين غوطة دمشق ليس معهم زاد ولا مزداد، فلما انتهوا إلى المنزل قالوا: يا أبا مسلم طعام لنا وعلف لدوابنا، قال: فقال لهم: نعم، فتشقى غير بعيد فتستم مسجد أحجار فصلى فيه ركعتين، ثم جثا على ركبتيه فقال: إلهي قد تعلم ما أخرجني من منزلي. وإنما خرجت زائراً لك، وقد رأيت البخیل من ولد آدم تنزل به العصابة من الناس فيوسمهم قرى وإنما أضيافك وزوارك، فاطمئنا، واستقنا، واعلف دوابنا، قال: فأتى بسفرة فمدت بين أيديهم، وجيء بمجفة من ثريد تبخر، وجيء بقلتين من ماء، وجيء بالعلف لا يدرون من يأتي به، فلم تزل تلك حالمهم منذ خرجوا من عند أمهاتهم حتى رجعوا، لا يتكلفون زاداً ولا مزاداً.

فهذه حال ولي من هذه الأمة، نزل عليه وعلى أصحابه كل يوم مائدة مرتين مع ما يضاف إليها من الماء والعلوفة لدواب أصحابه، وهذا اعتناء عظيم، وإنما نال ذلك ببركة متابعتها لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وأما قوله تعالى (البقرة: ٣٦/١) عن عيسى ابن مريم عليه السلام: أنه قال لبني إسرائيل: «وَأَتَيْنَكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ فَيُؤَيِّنُكُمْ» الآية (آل عمران: ٤٩)، فهذا شيء يسير على الأنبياء، بل وعلى كثير من الأولياء، وقد قال يوسف نبي الله الصديق للذينك القتيين الجوسين معه (البقرة: ٣١٤/٣١٥) «لَا يَأْتِيَكُمُ طَعَامٌ تَرْزُقَانِي إِلَّا بَأْتِيَكُمَا بِتِلْكَ الْبَلْبَلَةِ»

الحمد، فقال [الدلائل ٥٥٥]: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا حفص بن عمر بن الصباح، حدثنا يحيى بن عبد الله البجلي، أنا أبو بكر بن أبي مریم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه، قال: قال ابن عباس: فكان من ذلالات حُلِّ محمد ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطق تلك الليلة: وقالت: حُلِّ برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حُجِّبَتْ عن صاحبها، وانتزع علم الكهنة منها، ولم يبق سرير مُلِك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والمُلِك مُخْرُساً لا ينطق يومه لذلك، ومُزَّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارت، وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضاً به، في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات: أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً قال: ويقضي في بطن أمه تسعة أشهر وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا، بقي نبيك هذا يتيمًا، فقال الله تعالى للملائكة: أنا له ولي وحافظ ونصير، فتركوا مولده فمولده ميمون مبارك.

وفتح الله لولده أبواب السماء وجناته، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مرُّي من حمله ستة أشهر فوكرني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طُراً، فإذا ولدته فسميه عمداً واكتمى شأنك. قال: وكانت تحدث عن نفسها وتقول: لقد أخذنني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى، وإنني لو جئته في المنزل وعبدُ المطلب في طوافه، قالت: سمعت وجبة شديدة، وأمرأ عظيمًا، فهلاني ذلك، وذلك يوم الاثنين، فرأيتُ كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظلتها لبنًا، وكنت عطشى، فتناولتها فشرتها فضاءه مني نورٌ عال، ثم رأيتُ نسوةً كالنخل الطوال، كأنهن من بنات عبد المطلب يُخْفِقْنَ بي، فبينما أنا أعجب وأقول: واغواها من أين علمن بي؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول، وإذا أنا ببنيان أبيض قد مَدَّ بين السماء والأرض، وإذا قاتل يقول: خذوه عن أعين الناس، قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يُرْسَع مني عرق كالجمان، أطيّب ريحاً من المسك الأذخر، وأنا أقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ، وعبد المطلب عني ناء قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حَجْرَتِي، مناقبها من الزمرد، واجتاحتها من البواقيت، فكشف الله لي عن بصري، فأبصرت من ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات، علم بالمشرق، وعلم بالمغرب، وعلم على ظهر الكعبة، فأخطني المخاض واشتد بي الطلق جداً، فكتكت كائني مستتة إلى أركان النساء، وكثرت عليّ حتى كان الأيدي معي في البيت وأنا لا أرى شيئاً، فولدتُ عمداً، فلما خرج من بطني فُرْتُ فنظرت إليه فإذا أنا به ساجداً وقد رفع أصبعيه كالتمصرع المتهل، ثم رأيتُ سحابةً بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيتُ، فغُيِبَ عن عيني، فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها، وأدخلوه البحار كلها، ليعرفوه باسمه ونمته وصورته، ويعلموا أنه سَمِيَّ الماحي، لا يبقى شيء من الشرك إلا عحي به في زمنه، قالت: ثم تهلَّت عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرجاً في ثوب صوف أبيض، أشدَّ بياضاً من اللبن، ونحته حريرة خضراء، وقد قبض محمد على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قاتل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر، ومفاتيح الريح، ومفاتيح النبوة، هكذا أوردته وسكت عليه وهو غريب جداً.

أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴿ الآية [يوسف: ٣٧] وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء كما أخبر عن أكل الأرض لتلك الصحيفة الظالة التي كانت قريش قد ثملأت على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فأرسل الله الأرض فاكلتها إلا مواضع اسم الله تعالى، وفي رواية: فاكلت اسم الله منها تنزيهاً لها أن تكون مع الذي فيها من الظلم والعدوان، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عما أبا طالب وهم بالشغب، فخرج إليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبرهم به، فقالوا: إن كان كما قال وإلا فسلموه إلينا، فقالوا: نعم، فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ سواء بسواء، فاقلمت بطون قريش عما كانوا يغالوا عليه لبني هاشم وبني المطلب، وهدى الله بذلك خلقاً كثيراً، وكم له مثلاً كما تقدم بسطه وبيانه في مواضع من السيرة وغيرها والله الحمد والمنة.

ولي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداءً ادَّعى أنه لا مال له، فقال له: فإني المال الذي دفعتُ أنتَ وأم الفضل تحت أسكفة الباب، وقلت لها: إن قتلتُ فهو للصبي؟ فقال: والله يا رسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغيرُ أم الفضل إلا الله عز وجل، وأخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بالحشة، وصلى عليه، وأخبر عن قتل الأمراء يوم مؤتة واحداً بعد واحد وهو على المنبر وعيناه تترقان، وأخبر عن الكتاب الذي أرسل به حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة بني عبد المطلب، وأرسل في طلبها علياً والزبير والقناداد، فوجدوها قد جعلته في عقاصها، وفي رواية: في حَجْرَتِهَا، وقد تقدم ذلك في غزوة الفتح، وقال لأبي بكرٍ كسرى اللذين بعت بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ﷺ: إن ربي قد قَتَلَ الليلةَ وركبهما، فأرَّخا تلك الليلة، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله، فأسلموا وأسلم بإذام نائب اليمن، وكان سبب مُلِك اليمن لرسول الله ﷺ.

وأما إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلية فكثيرة جداً - كما تقدم بسط ذلك، وسيأتي في أثناء التواريخ - فيقع ذلك طبق ما قال سواء بسواء. وذكر ابن حامد في مقابلة سياحة عيسى عليه الصلاة والسلام كثرة جهاد رسول الله ﷺ، وفي مقابلة زهد عيسى عليه الصلاة والسلام، زهادة رسول الله ﷺ عن تَكْوَن الأرض حين عُرضت عليه فأبها، وقال: أجوع يوماً وأشبع يوماً، وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضي عليهن الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح إنما هو الأسودان: التمر والماء، وربما ربط على يديه الحجر من الجوع، وما شبعوا من خبز بُرُّ ثلاث ليال تباعاً، وكان فراشه من آدم حشوه ليف، وربما اعتزل الشاة ليحبسها، ووقع ثوبه، وخصف نعله بيده الكريمة، صلوات الله وسلامه عليه، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام اشتراه لأهله، هذا وكسب أثر بآلاف مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والمدايا، على نفسه وأهله للفقراء والمجاويع والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين.

وذكر أبو نعيم [الدلائل ٦٠٩/٢، ٦١٠] في مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصليبة بمولد عيسى ما بُشِّرَتْ به أم رسول الله ﷺ حين خلقت به في منامها، وما قيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسُمِّيَ عمداً. وقد بسطنا ذلك في المولد كما تقدم.

وقد أورد الحافظ أبو نعيم ههنا حديثاً غريباً مطولاً بالمولد أحببنا أن نسوقه ليكون اختتام نظير الافتتاح، وبالله المستعان، وعليه التكلان والله

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا، يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر الأنصاري الصرصري المادح، الماهر الحافظ للأحاديث واللغة. ذو الحجة الصادقة لرسول الله ﷺ، فلذلك يُشَبَّه في عصره بحسان بن ثابت رضي الله عنه، في ديوانه المكتوب عنه في منيخ رسول الله ﷺ، وقد كان ضريح البصر، بصير البصرة، وكانت وفاته ببغداد في سنة ست وخمسين وستمئة، قتله النار في كائنة ببغداد كما سيأتي ذلك في موضعه، في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى، وبه الثقة، وعليه التكلان، قال في قصيدته من حرف الحاء المهملة من ديوانه:

عُمد المبعوث للناس رحمة يشيد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبحت صم الجبال بحميدة لنداود أو لان الحديسد المصنح
فلإن الصخور الصم لانت بكفه وإن الحصا في كفه ليسح
وإن كان موسى أتبع الماء بالعصا فمن كفه قد أصبح الماء يطفح
وإن كانت الريح الرخاء مطيعة سليمان لا تأكو تروح وترح
فلإن الصبا كانت لنصر نينا ورعب على شهر به الخصم يكلع
وإن أوتي الملك العظيم وسُخوت له الجن تسمى في رضاء وتكدح
فلإن مفاتيح الكنوز بأسرها اتته فرقة الزاهد المسترجع
وإن كان إبراهيم أعطي خلة وموسى بتكليم على الطور ينح
فهذا حبيب بل خليل مكلم وخصص بالرؤيا وبالحن أشرح
وخصص بالحوض الرؤاء وبالألوا ويشفع للماصين والنار تلفح
وبالمقعد الأعلى المقرب ناله عطاء لعينة أقر وأفرح
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها مراتب أرباب الموابب تلمح
وتَهْوَى إلى الجنات أول داخل له بابها قبل الخلائق تفتح

وهذا آخر ما يسر الله جمعه من الإخبار بالمغيبات التي وقعت إلى زماننا مما يدخل في دلائل النبوة والله الهادي، وإذا فرغنا إن شاء الله من إيراد الحادثات من بعد موته عليه الصلاة والسلام إلى زماننا، تبين ذلك بذكر الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان ثم نسوق بعد ذلك أشراف الساعة ثم نذكر البيوت والشور، ثم ما يقع يوم القيامة من الأهوال وما فيه من العظيمة ونذكر الحوض والميزان والصراط ثم نذكر صفة النار ثم صفة الجنة

كتاب تاريخ الإسلام الأول

من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات

المشاهير والأعيان

سنة إحدى عشرة من الهجرة

تقدم ما كان في ربيع الأول منها من وفاة رسول الله ﷺ في يوم الاثنين وذلك الثاني عشر منه على المشهور وقد بسطنا الكلام في ذلك بما فيه كفاية وبالله المستعان.

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما

كان في أيامه من الحوادث والأمر

قد تقدم أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين وذلك ضحى فاشتغل الناس ببيعة أبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة ثم في المسجد البيعة العامة في بقية يوم الاثنين وصبيحة الثلاثاء كما تقدم ذلك بطوله ثم أخذوا في غسل رسول الله ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ﷺ تسليماً ببقية يوم الثلاثاء ودفنوه ليلة الأربعاء كما تقدم ذلك مرهناً في موضعه.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك قال: لما يبيع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهدته لي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى رسول الله ﷺ سبيلاً أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لا كان هداه الله، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصديق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوتي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يحرمكم الله. وهذا إسناد صحيح.

وقله اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت، حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وأرضاهما، والدليل على ذلك ما رواه البيهقي حيث قال: أنبأنا أبو الحسين علي بن محمد بن علي الحافظ الإسفراييني، ثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، ثنا أبو بكر بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب قالوا: حدثنا بندار بن بشر، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو

نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عباد، وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أئمتلون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفة من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم ولو قتلتم غير هذا لم تابِعكم فأخذ بيد أبي بكر قال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار، وقال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا الزبير فجاءه قال: قلت: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاءه قال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه علي ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين، قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه، هذا أو معناه قال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبت له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، فقلت: يسرى بدنة، بل هذا يسرى بدنة. وقد رواه الإمام أحمد عن الثقة عن وهيب مختصراً.

وأخرجه الحاكم في مستدركه [٧٦/٣] من طريق عفان بن مسلم عن وهيب مطولاً كنحو ما تقدم، وروينا من طريق المحاملي عن القاسم بن سعيد بن المسيب عن علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكره مثله في مبايعة علي والزبير رضي الله عنهما يومئذ.

وقال موسى بن عتبة في «مغازيه» عن سعد بن إبراهيم: حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر واعتزل إلى الناس وقال: والله ما كنت حرباً على الإمامة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير ما غضبنا إلا لأننا اخترنا عن المشورة، وإننا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإننا لنعرف شرفه وخبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي، وهذا اللائق بعلي رضي الله عنه والذي يدل عليه الآثار من شهوده معه الصلوات، وخروجه معه إلى ذي القصة بعد موت رسول الله ﷺ، كما سنورده، وبذله له النصيحة والمشورة، بين يديه، وأما ما يأتي من مبايعة إياه بعد موت فاطمة، وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزيلت ما كان قد وقع في وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله ﷺ في قوله: «لا تورثوا ما تركنا فهو صدقة»، كما تقدم لإيراد أساتيده والفاظه ولله الحمد.

وقد كتبنا هذه الطرق مستقصاة في الكتاب الذي أفردناه في سيرة الصديق رضي الله عنه وما استند من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وما روى عنه من الأحكام مبنية على أبواب العلم ولله الحمد والمنة.

وقال سيف بن عمر التميمي [تاريخ الطبري ٢٢٣/٣] عن أبي ضمرة عن أبيه عن عاصم بن عدي، قال نادى منادي أبي بكر من الغد من مترقى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة: ألا لا ييقن بالبدنية أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لملكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيني، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت

أن لا يتخذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، الآن بما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن يتخذ جيش أسامة، والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تحطفتنا، والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة فجهزه وأمر الحرس يكونون حول المدينة فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرزون يحي من أحياء العرب إلا أربعا منهم، وقالوا: ماخرج هؤلاء من قوم إلا ويهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال: سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غنائم، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة وماتى الزكاة على ما سيأتي تفصيله، قال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٢٢٥/٣]: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما بويج أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افرقوا فيه، قال: ليمت بحث أسامة وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة، في كل قبيلة، ونجم التفاق واشترأت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشائبة، لقدغنيهم ﷺ، وقتلهم وكثرة عدوهم، فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين والعرب على ما ترى قد انتفضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين، فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تحطفي لأنتفضت بحث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنتفضت.

وقد روي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة [تابع دمشق ٣١١/٣]، ومن حديث القاسم وعمره عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشترأت التفاق، والله لقد نزل بأسى ما لو نزل بالجلال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حفش في ليلة مطيرة بأرض سبعة، فوالله ما اختلصوا في نقطة إلا طار أبي بخظها وعنائها وفصلها، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خلق عناية للإسلام، كان والله أحوزاً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي [تابع دمشق ٣١٥/٣]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن علي الميموني، ثنا الفريابي، ثنا عباد بن كثير عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بلذي خشب قبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله، ولا حلت لواء عقده رسول الله. فوجه أسامة، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن هؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوه، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام - عباد بن كثير هذا أظنه الرملي - لرواية الفريابي عنه، وهو متقارب الحديث، فلما البصري التقى فمتروك الحديث والله أعلم.

وروي سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٢٢٥/٣، ٢٢٦] عن أبي ضمرة وأبي عمرو وغيرهما عن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمر علينا غير أسامة،

فيايعوني، وإن زغت ققوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه مظلمة ضربة سوط فما دونها، وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أثناني فاجتنبوني لا ألوث في أشعاركم وأبشاركم، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، وإن استطعتم أن لا يمغسي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم أجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فليأكم أن تكونوا أمثالهم، الحمد الجدد، النجاة النجاة، الرضا الرضا فإن وراءكم طالباً حثيثاً، وأجلاً أمره سريع، احفزوا الموت، واعتبروا بالأباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطوا به الأموات، قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، فأما ما اخلصتم لله من الأعمال فطاعة أيتيموها وحفظاً ظفرتم به وضرائب أيتيموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس، وأين هم اليوم، أين الجبارون أين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب، قد تضعض بهم الدهر، وصاروا وميضاً، قد نزلت عليهم القالات، الحثيثات للحيثيين، والحيثيون للحيثيات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بدلوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء، ألا إن الله عز وجل قد أبقى عليهم التجعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغترونا كنا مثلهم، أين الرضاعة الحسنة وجوهمهم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المداخن وحصنوها بالخرائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فذلك مساكنهم خالية وهم في ظلمات القبور، ﴿هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ أَخْبَرُ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾: [مريم: ٩٨] أين من تعرفون من آياتكم وإخوانكم، قد انتهت بهم آجالهم، فرودوا على ماقدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقرة أو للسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بيه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدنيون، وإن ما عندنا لا يدرك إلا بطاعته أما إنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة.

فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد

الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى نخوم البلقاء من الشام، حيث قتل زيد بن حارثة، وجعفر وابن رواحة: فينجروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف فخيما به، وكان فيهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق فاستننه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم التفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق الجمعة تقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جواتنا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في «صحيح البخاري» (٨٩٢) عن ابن عباس كما سيأتي، وقد كانت تنيف بالطائف ثبوتاً على الإسلام، لم يفروا ولا ارتدوا. والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد فاسلم تسلم» إلى آخره، فلما جاءه الكتاب قال: ماهذا؟ قالوا: هذا كتاب جاء من عند رجل بجزيرة العرب يزعم أنه نبي، فلما فتح الكتاب فوجده قد بدأ باسمه قبل اسم كسرى، غضب كسرى عند ذلك غضباً شديداً، وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يقرأه، وكتب إلى عامله على اليمن - وكان اسمه بإذام: أما بعد فإذا جاءك كتابي هذا فابعث من قبلك أميرين إلى هذا الرجل الذي بجزيرة العرب، الذي يزعم أنه نبي، فابعثه إليّ في جامعة، فلما جاء الكتاب إلى بإذام، بعث من عنده أميرين عاقلين، وقال: اذهبوا إلى هذا الرجل، فانظروا ما هو، فإن كان كاذباً فخذوا في جامعة حتى تذهب به إلى كسرى، وإن كان غير ذلك فاراجوا إليّ فأخبراني ماهو، حتى أنظر في أمره، فقلما على رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوجده على أسد الأحوال وأرشداه، ورأيا منه أموراً عجيبية، يطول ذكرها، ومكثا عنده شهراً بعدما أبلغاه ما جاء له، ثم تقاضاه الجراب بعد ذلك، فقال لهما: «ارجعا إلى صاحبيكما فأخبراه أن ربي قد قتل الليلة ربه»، فأرخا ذلك عندهما ثم رجعا سريعاً إلى اليمن، فأخبرا بإذام بما قال لهما فقال: أحصوا تلك الليلة، فإن ظهر الأمر كما قال فهو نبي، فجاءت الكتب من عند ملكهم أنه قد قتل كسرى في ليلة كذا وكذا، لتلك الليلة، وكان قد قتله بنوه ولهذا قال بعض الشعراء:

وكسرى إذ تقاسمه بنوه بأسيافه كما اقتسم اللحم
تخضعت للنسوة لئومئى ولكل حاملية غمام

وقام بالملك بعده ولده يزدجرد وكتب إلى بإذام أن خذ لي البيعة من قبلك، وأعد إلى ذلك الرجل فلا تهجنه وأكرمه، فدخل الإسلام في قلب بإذام وذويه من أبناء فارس ممن باليمن، وبعث إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، فبعث إليه رسول الله ﷺ بنبأه اليمن بكاملها، فلم يعزله عنها حتى مات، فلما مات استتاب ابنه شهر بن بإذام على صنعاء وبعض المخاليف، وبعث طائفة من أصحابه نواباً على غاليين آخر، فبعث أولاً في سنة عشر، علياً وخالداً، ثم أرسل معاذاً وأباً موسى الأشعري وفرق عوالة اليمن بين جماعة من الصحابة، فمنهم شهر بن بإذام، وعامر بن شهر الهمداني، على همدان، وأبى موسى على مأرب، وخالداً بن سعيد بن العاص على ما بين بخران ورمع وزيد، ويعلى بن أمية على الجند، والطاهر بن أبي هالة على عك والأشعريين، وعمر بن خزام على نجران، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد، وعلى السكاسك عكاشة بن ثور بن أصغر وعلى السكون معاوية بن كندة وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البليدين - اليمن وحضرموت - يتنقل من بلد إلى بلد، ذكره سيف ابن عمر، وذلك كله في سنة عشر، في آخر حياة رسول الله ﷺ فينما هم على ذلك إذ نجم هذا اللعين الأسود العنسي.

خروج الأسود العنسي

واسمه عهله بن كعب بن غوث - من بلد يقال لها: كهف خُبان - في سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عمال النبي ﷺ: أيها المورودون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ماأنتم عليه، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليال من خروجه ثم قصد إلى صنعاء، فخرج إليه شهر بن بإذام فتقاتلا، فغلبه الأسود

فذكر له عمر ذلك، فقال: إنه أخذ بلحيته وقال: تكلتك أمك يا ابن الخطاب، لأومر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشياً، وأسامة راكباً، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: ياخليفة رسول الله! إما أن تركب وإما أن انزل، فقال: والله لست بتأول ولست براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب - وكان مكتباً في جيشه - فأطلقه له، فلها كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير.

مقتل الأسود العنسي المتبني

الكذاب لعنه الله وأخزاه

قال أبو جعفر بن جرير: ربيع الطوي ٢٤٠/٣: حدثني عمر بن شبة النميري، ثنا علي بن محمد - يعني المدائني - عن أبي معشر وزيد بن عياض بن جُعْبَةَ، وغان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء عن مشيختهم قالوا: أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل الأسود في آخر ربيع الأول بعد خروجه أسامة، فكان ذلك أول فتح أتى أباً بكر وهو بالمدينة.

صفة خروجه وتملكه ومقتله

قد أسلفنا فيما تقدم أن اليمن كانت قدماً لحميز، وكانت ملوكهم يسمون التباينة، وتكلمنا في أيام الحاملية على طرف صالح من هذا، ثم إن ملك الحبشة بعث أميرين من قواده، وهما أبرهة الأشرم، وأرياط، فتملكا له اليمن من حمير، وصار مملكها للحبشة، ثم اختلف هذان الأميران، فقتل أرياط واستقل أبرهة بالتيبة، وبني كنيسة سماها القليس، لارتفاعها، وأراد أن يصرف حج العرب إليها دون الكعبة، فجاء بعض قريش فأحدث في هذه الكنيسة، فلما بلغه ذلك حلف ليخربن بيت مكة، فسار إليه ومعهم الجنود والليل محمود، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه. وقد تقدم بسط ذلك في موضعه، فرجع أبرهة ببعض من بقي من جيشه في أسوأ حال وشر خيبة، ومازال تسقط أعضاؤه أغلة أغلة، فلما وصل إلى صنعاء انصدع صدره فمات، فقام بالملك بعده ولده يكسوم بن أبرهة ثم أخوه مسروق بن أبرهة، فيقال: إنه استمر ملك اليمن بأيدي الحبشة سبعين سنة، ثم ثار سيف بن ذي يزن الحميري، فذهب إلى قبصر ملك الروم يستنصره عليهم، فأبى ذلك عليه - لما بينه وبينهم من الاجتماع في دين النصرانية - فسار إلى كسرى ملك الفرس فاستنصته به، وله معه مواقف ومقامات في الكلام تقدم بسط بعضها، ثم اتفق الحال على أن بعث معه من بالسجون طائفة تقتلهم رجل منهم يقال له: وهز، فاستنقذ ملك اليمن من الحبشة، وكسر مسروق بن أبرهة وقتله، ودخلوا إلى صنعاء وقرروا سيف بن ذي يزن في الملك على عادة آبائه، وجاءت العرب تهته من كل جانب، غير أن كسرى نواباً على البلاد، فاستمر الحال على ذلك حتى بعث الله رسوله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، ثم هاجر إلى المدينة فلما كتب كُتِبَ إلى ملوك الأفاق يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكتب في جملة ذلك إلى كسرى ملك الفرس:

قالت: أو قتله، قلت: أو قتله؟ قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله علي حق ولا يتبي له عن حرمة، فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بما في هذا الأمر، قال فأخرج فإذا فيروز ودافويه، يتظراني يريدون أن يناهضوه، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليهم الأسود فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقول: يا سواه يا سواه، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتي العليا، حتى ظن قيس أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق، أن أهلك وأنت رسول الله، فقتلي أحب إليّ من موتات أموتها كل يوم، فرق له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه وقال: اخمّلوا عملكم، فينسا هم وقوف بالباب يشترون، إذ خرج الأسود عليهم وقد جمع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطاً وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فحرها، غير محبة ولا معلقة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن ذهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيت أمراً كان أنقطع منه، ولا يوماً أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممت أن أتحرك فأتبعك هذه البهيمة، وبوا له الحرية، فقال له فيروز: اخترت لنا لصورك، وفصلتنا على الأبناء، فلم لم تكن نبياً ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والنداء؟ فلا تقبل علينا أمثال ما يبلنك، فلنا بحيث نحب، فرضي عنه وأمره بقسم لحرم تلك الأنعام ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فإذا رجل يحرقه على فيروز ويسعى إليه فيه، فاستمع له فيروز، فإذا الأسود يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه، فاغداً عليّ به، ثم التفت فإذا فيروز، فقال: مه، فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم، فدخل الأسود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سيع وما قال وقيل له، فاجتمع رأيهم على أن يعادوا المرأة في أمره، فدخل أحدكم - وهو فيروز - إليها فقالت: إنه ليس من الدار بيت إلا والحرس يحيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أصيبت فأتقوا عليه من دون الحرس وليس من دون قتله شيء، وإني سأصع في البيت سراجاً وسلاحاً، فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شليداً، فصاحت المرأة فادعشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائراً، فقال: اسكني لا أبا لك، قد وهبته لك، فخرج على أصحابه فقال: النجاة النجاة، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تنتهوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فاستبث منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فقبوا من داخله بطان تيهون عليهم النقب بين خارج، ثم جلس عندها جهره كالزائر، فدخل الأسود فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهرو وأخرجوه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل تقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجاً تحت جفنة فقدم إليه فيروز الديلمي والأسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسه في جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز على الباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه - وهو نائم مع ذلك يغط - فقال: ما لي وما لك يا فيروز؟ فخشني إن رجعت أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجلة وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ رأسه فدق عقه ووضع ركبته في ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم، فاخذت المرأة بذيله وقالت: أين تلعب عن حرمتكم؟ فظننت أنه لم يقتله، فقال: أخرج لأعلمهم بقتله، فدخلوا عليه ليحترقوا رأسه، فحركه شيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره، وأخذت المرأة

وقتله، وكسر جيشه من الأبناء واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من خروجه ففر معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري، فذهب إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر، ورجع عمر بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، واستوثقت اليمن بكاملها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استطرارة الشراة، وكان جيشه يوم لقي شهراً سبعةائة فارس، وأمرؤه قيس بن عبد يثوث المرادي ومعاوية بن قيس ويزيد بن غزيم، ويزيد بن الأكل الأزد، واشتد ملكه، واستغلظ أمره، وارتد خلق من أهل اليمن وعامله المسلمون الذين هناك بالثقة، وكان خليفته على مذبح عمرو بن معديكرب وأسند أمر الجند إلى قيس بن عبد يثوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي ودافويه وتزوج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنة عم فيروز الديلمي، واسمها آزاد، وكانت امرأة حسنة جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ، ومن الصالحات.

قال سيف بن عمر التميمي [الربيع الطري] ٢٣١/٣: وبعث رسول الله ﷺ كتابه، حين بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له: وير بن يحنس الديلمي، يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصلوته، وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أمم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها: رملة، فحلفت عليه السكون لصوره فيهم، وقاموا معه في ذلك، ويلفوا هذا الكتاب إلى عمال النبي ﷺ، ومن قدروا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يثوث أمير الجند - وكان قد غضب على الأسود، واستخف به، وهم يقتله - وكذلك كان أمر فيروز الديلمي، قد ضعف عنده أيضاً، وكنا دافويه، فلما أعلم وير بن يحنس والمسلمون قيس بن عبد يثوث، وهو قيس بن مكشوح، كان كأنما نزلوا عليه من السماء، ووافقهم على الفتك بالأسود وتوافق المسلمون على ذلك، وتماقداً عليه، فلما أيقن ذلك في الباطن اطلع شيطان الأسود للأسود على شيء من ذلك، فدعا قيس بن مكشوح، فقال له: يا قيس ما يقول هذا؟ وما يقول؟ قال يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار في العز ملكك، مال ميل عدوك، وحاول ملكك، وأضر على الغدر، إنه يقول يا أسود يا أسود يا سواه، قُطِفَ قَتْنُهُ وخذ من قيس أعلاه وإلا سلبك وقطفت قَتْنُكَ فقال قيس وحلف له فكذب: وفي الحمار لأنت أعظم في نفسي وأجل عندي من أن أحدث بك نفسي، فقال له الأسود: ما إخالك تكذب الملك، فقد صدق الملك وعرف الآن أنك تائب لما أطلع عليه منك، ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه: فيروز ودافويه، وأخبرهم ما قال له ورد عليه، فقالوا: إنا كننا على حذر، فما الرأي، فينسا هم يشترون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرنكم على قومكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يلغني عنكم؟ فقالوا: ألقنا مرتنا هذه، فقال: لا يلغني عنكم فاقبلتم، قال: فخرجنا من عنده ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر، فينسا نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر، أمير همدان، وذو ظليم، وذو كلاع، وغيرهم من أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر، على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصالاة الأسود العنسي، فكتبنا إليهم أن لا يمدحوا شيئاً حتى نرم الأمر، قال قيس: فدخلت على امرأته آزاد، فقلت: يا ابنة عمي قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطافاً في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك مبالاة عليه؟ قالت على أي أمر، قلت إخراجهم،

إلى الصديق، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] قالوا: فلما نفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم البحر الطويل:

أطعنا رسول الله إذ كان يبتسأ فواجباً ما بالاً مُلك أبي بكر
وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم ومسامحهم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم: ثم هم بعد ذلك يُزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة (ج) (١٣٩٩)، م (٢٠)، د (١٥٥٠)، ت (٢٦٠٧)، م (٢٤٤٢)، ٣٠٩١ - ٣٠٩٣. وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهروا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بجنتهم» فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً - وفي رواية: عقلاً - كانوا يؤذونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلتهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.

قلت: وقد قال الله تعالى: [الفسر: ٥٣/٥٥] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبت في «الصحیح» (ج) (٢٥)، م (٢٧)، د (٢٧٢): «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وفي «الصحیحين» (ج) (٨٢)، م (١٦٠-١٦٩): «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق [تاريخ دمشق ٣٠/٣١٧، ٣١٨] عن شبابة بن سوار: حدثنا عيسى بن يزيد اللبني، حدثني صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ، والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وغلبت عنده، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لحبر عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه مالم يس من، والعرب الأميون صفرق من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، فاجهدهم عيشاً، وأصلههم ديناً، في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب فجمعهم الله بمحمد ﷺ، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] إن من حولكم من العرب منعوا شاتمهم ويعبرهم، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهدهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد قدتم من بركة نبيكم ﷺ ولقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجده ضالاً فهداه، وعانلاً فأنشاه ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠١]، والله لا أدع أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا وعده، ويُقتل من قُبل

بشعره، وجعل يرير بلسانه فاحت أآخر رقبته، فخر كاشد خوار شور سُمع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا ما هذا؟ فقالت المرأة: التي يوحى إليه، فرجعوا، وجلس قيس ودأبونه وفيروز ياتمرون كيف يعملون أشياهم، فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح يتأدون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم، وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس - ويقال: وير بن يحنس - بالأذان: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن شبهة كذاب، وألقى إليهم رأسه فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخونهم ويرصدونهم في كل طريق يأسرونهم، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازع أولئك الثلاثة في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلي بالناس، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلعه الله على الخبر من ليلته.

كما قال سيف بن عمر التميمي [تاريخ الطبري ٣/٢٣٦] عن أبي القاسم الشنوي عن البلاد بن زيد عن ابن عمر: أثنى الخبر إلى النبي ﷺ من السماء الليلة التي قُتل فيها العنسي ليشربنا، فقال: «قُتل العنسي البارحة قتله رجلٌ مبارك من أهل بيت مباركين»، قيل: ومن؟ قال: «فيروز فاز فيروز»، وقد قيل: إن مدة ملكه منذ ظهر إلى أن قُتل ثلاثة أشهر، ويقال: أربعة أشهر، فإله أعلم.

وقال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٣/٢٣٦] عن المستير عن عروة عن الضحاک عن فيروز: قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا كما كان إلا أننا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فراضينا عليه، فكان يصلي بنا في صنعاء، فوالله ما صلي بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا الخبر ب وفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور، وأكثروا كثيراً عما كنا نعرف، واضطربت الأرض.

وقد قلنا أن خبر العنسي جاء إلى الصديق في أواخر ربيع الأول بعدما جهز جيش أسامة، وقيل: بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ والأول أشهر والله أعلم. والمقصود أنه لم يجهز فيما يتعلق بمصالحهم واجتماع كلمتهم وتأليف ما بينهم والتمسك بدين الإسلام إلا الصديق رضي الله عنه، وسيأتي إرساله إليهم من بعد الأمور التي اضطربت في بلادهم ويقوي أيدي المسلمين، ويثبت أركان دعائم الإسلام فيهم، رضي الله عنهم.

فصل في تصدي الصديق لقتال أهل الردة

ومانعي الزكاة

قد تقدم أن رسول الله ﷺ لما توفي ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، ونجم النفاق بالمدينة وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة، والتفت على طليحة الأسدي بنو أسد وطيس، وبشر كثير أيضاً وادعى النبوة أيضاً كما ادعاه مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتد الحال، وتقد الصديق جيش أسامة، فقل الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا عليها، فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيش حولها، فبين أمراء الحرس علي بن أبي طالب، والوزير بن العوام، وطليحة بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة. يُقرّون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها

ولكن يُعبد بالرجال فهبته إلى قدما أن تقيم ولا تسري
ولله أجناد تنافق مذاقه لتحب فيما عد من عجب اللعبر
أطنا رسول الله ما كان بيتنا فيالعباد الله ما لأبي بكر

فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، ويعتوا إلى عشائهم من
نواحي آخر، فاجتمعوا، ويات أبو بكر رضي الله عنه قائماً إليه يعيي
الناس، ثم خرج على تبعته من آخر الليل، وعلى ميته النعمان بن مقرن،
وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن
مقرن، فماتلح الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا
للمسلمين حساً ولا همساً، حتى وضعوا فيهم السيف، فما طلعت
الشمس حتى ولوهم الأديار، وغلبوهم على عامة ظهورهم، وقتل حبال،
وأتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة، وكان أول الفتح، وذو بها
المشركون، وعز بها المسلمون، وثوب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من
المسلمين فقتلهم، وفعل من وراءهم كقتلهم، فحلف أبو بكر ليقتلن في
كل قبيلة ممن قتلوا من المسلمين وزيادة، ففي ذلك يقول زياد بن حنظلة
التميمي:

غداة سعى أبو بكر إليهم كما يسمى لموتيه جلال
أراح على نواهجها علياً ومسح لمن مهجته جلال
وقال أيضاً:

أقمتا لم عرض الشمال فككبوا ككبكة الغزى أنأخوا على الوفر
فما صبروا للحرب عند قيامها صيحة يسمو بالرجال أبو بكر
طرقنا بني عيس يادني ينجها وفيان نهنأ بقاصمة الظهر
فكانت هذه الواقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهلها، وذلك
أنه عز المسلمون في كل قبيلة، وذو الكفار في كل قبيلة، ورجع أبو بكر إلى
المدينة مؤيداً منصوراً، سالماً غانماً، وطرت المدينة في الليل صدقات عدي
بن حاتم، وصفوان والزبيرقان، إحداهما في أول الليل، والثانية في أوسطه
والثالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشر من أمراء الأنقاب، فكان
الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص، والذي بشر بالزبيرقان عبد الرحمن
بن عوف، والذي بشر بعدي بن حاتم عبد الله بن مسعود، ويقال: أبو قتادة
الأنصاري رضي الله عنه. وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول
الله ﷺ.

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليل، فاستخلفه أبو بكر على المدينة،
وأمرهم أن يريحوا ظهرهم، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه، في الواقعة
المتقدمة، إلى ذي القصة، فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت
رجلاً، فقال: والله لا أفعل، ولأواسيتكم بنفسي، فخرج في تبعته إلى ذي
حسى وذو القصة، والنعمان وعبد الله وسويد بنو مقرن على ما كانوا
عليه، حتى نزل على أهل الرينة بالأبرق وهناك جماعة من عيس وفيان،
وطائفة من بني كنانة، فالتقوا فهزم الله الحارث وعوفا وأخذ الحظية أسيراً
فطارت بنو عيس وبنو بكر، وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلب بني
ذبيان على البلاد فقال: حرام على بني ذبيان أن يملكوا هذه البلاد، إذ
غضناها الله وحى الأبرق بخير المسلمين، وأرضى سائر بلاد الرينة. ولما
فرت عيس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طليحة وهو نازل على بزاخة، وقد
قال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وورثته في أرضه،
قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية، ثم نزل
رحم الله.

وقال الحسن وقائدة وغيرهما في قوله تعالى {هَـوَ الطَّيْرُ ٦/٢٨٣}:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [التوبة: ٥٤]. قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه، في قتالهم
المرتدين، وما نعي الزكاة.

وقال محمد بن إسحاق: وارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ
ماخلا أهل المسجلين، مكة، والمدينة، وارتدت أسد وغطفان وعليهم
طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم
الأشعث بن قيس الكندي، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود بن
كعب الغساني الكاهن، وارتدت ربيعة مع المرور بن النعمان بن المنذر،
وكانت بنو حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلة بن حبيب الكذاب.
وارتدت سليم مع الفجاءة، واسمه أنس بن عبد الجليل، وارتدت بنو عجم
مع سجاح الكاهنة.

وقال القاسم بن محمد [تاريخ الطبري ٣/٢٤٤-٢٤٨]: اجتمعت أسد
وغطفان وطيء على طليحة الأسدي، ويعتوا وفوداً إلى المدينة، فتلوا على
وجه الناس فآثروهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر، على أن
يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو
منعوني عقلاً لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائهم، فأخبروهم بقله
أهل المدينة، وطعموهم فيها، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة،
والزرم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى
وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون ليلاً تكون أم نهاراً، وأدناهم منكم على
بريد، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم،
فاستعدوا وأعدوا فما لبسوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة، وخلفوا
نصفهم بنو حسى ليكونوا رداء لهم، وأرسل الحرس إلى أبي بكر يخبرونه
بالغارة، فبعث إليهم: أن الزموا مكاتكم. وخرج أبو بكر في أهل المسجد
على النواضع إليهم، فالتشع العدو واتبعتهم المسلمون على إليهم، حتى
بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردة فالتقوا مع الجميع فكان الفتح وقد قال
الحظيل بن أوس، ويقال: الحظية في ذلك:

أطنا رسول الله ما كان وسطنا فيالعباد الله ما لأبي بكر
أيورثنا بكراً إذا كان بعدنا وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددت وفدنا بزمانه؟ وهلا خشيت حسن راعية البكر؟
وان الذي سالوكم فمتمتمو لكاتمر أو أحلى لي من التمر

وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى
من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه
من بني عيس، وبني مرة، وفيان، ومن ناصب معهم من بني كنانة، وأمدتهم
طليحة بانه حبال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي: أنهم
عملوا إلى الحاء فتخفروها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إيل
أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل ملذب، فلم يملكوا من أمرها شيئاً
إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة، فقال في ذلك الحظيل بن أوس:

فدى لبني ذبيان رحلي ونأقت عشية يحمدي بالرماح أبو بكر

إلى الرينة وهذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا، من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهرى، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبي ذلك ونجاهمه أما بعد فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده، إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدي الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدير عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكراهاً، ثم توفى الله رسوله، وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمرته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الرعر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَرَأَنَ مَنْ فَهِمَ الْخَالِدُونَ﴾ [النساء: ٣٤] وقال للمؤمنين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَرَأَنَ مَا أَزْ قِيلَ أَتَقْتَلِمُونَ عَلَى أَغْفَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه. وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم ويحل مسن لم يعافه مبتلا يهتد الله غفول، ومن هده غير الله كان ضالاً، قال الله تعالى ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنَ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧] ولن يقبل منه في الدنيا عمل عبد حتى يقر به، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام، عمل به، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَآئِكَ مِنْ دُونِي وَمَنْ كَفَرَ عَنِّي بَشَرٌ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥] وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [البقر: ٦] وإني بمشت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه وإن أبى حلوه عليه حتى ينيء إلى أمر الله، ثم لا يقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كل قتلة، وأن يسي النساء والنزاري ولا يقبل من أحد غير الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل جمع لكم، والداعية الأذان فإذا أذن المسلمون فكفروا عنهم، وإن لم يؤذوا عاجلوهم وإن أذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينهني لهم، رواء سيف ابن عمر عن عبد الله بن سعيد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك [تاريخ الطبري ٢٤٩/٣-٢٥١].

ويوم بالأبصار قد شهدنا على نبيان يلتهب التهايا أتيناهم بدهامة نسوف مع الصديق إذ ترك العتايا ثم رجع الصديق إلى المدينة مؤيداً منصوراً سالماً غانماً ﷺ وأرضاه.

ذكر خروجه إلى ذي القصة حين عقد الولاية للأمراء

الأحد عشر على ما سيأتي

وذلك بعد ما جم جيش أسامة واستأجروا، وكتب الصديق أيضاً في الجيوش الإسلامية شأراً سيفه مسلواً، من المدينة إلى ذي القصة، وهي من المدينة على مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما، كما سيأتي، فسأله الصحابة، منهم علي وغيره، والخوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقد لهم الألوية الأحد عشر لأحد عشر أميراً، على ما سنفصله قريباً إن شاء الله.

وقد روى النارقطي من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر إلى القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «فهم؟ سيفك ولا تفجعنا بنفسك»، وأرجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً، فرجع. هذا حديث غريب من طريق مالك.

وقد رواء ذكرنا الساجي [تاريخ دمشق ٣٠/٣١٦] من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عرف الزهري أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شأراً سيفه ركباً على راحلته إلى وادي القصة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد: «فهم سيفك ولا تفجعنا بنفسك» فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بندق نظام أبداً، فرجع وأمضى الجيش.

وقال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٢٤٩/٣] عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد: لما استراح أسامة وجنده، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم، قطع أبو بكر البعوث، وعقد الألوية: فعقد أحد عشر لواء، عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له. ولعمركم به أبي جهل، وأمره بمسيلمة، وبعث شرحبيل إسن حسنة في أثره إلى مسيلمة الكذاب، ثم إلى بني قضاة. وللمهاجر بن أبي أمية، وأمره بجند العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح.

- قلت: وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة، على ما سيأتي... قال: وخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام ولعمرو بن العاص إلى جاع قضاة ووديعة والحارث. ولخليفة بن حصن الغطفاني وأمره بأهل دبا والعرفجة بن هرثة وأمره بمجرة. ولطرفة بن حازم وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن. ولسويد بن مقرن، وأمره بنهامة اليمن. وللعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين رضي الله عنهم.

وقد كتب لكل أمير كتاب عهدته على حدة، ففضل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتاباً

فصل في مسيرة الامراء من ذي القصة

على ما عوهدوا عليه

وكان سيد الأمراء ورأس الشجعان الصناديد أبو سليمان خالد بن الوليد.

روى الإمام أحمد (٨/١) من طريق وحشي بن حرب، أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نعم عبد الله وأخو العشيرة، خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سلّه الله عز وجل على الكفر والمنافقين، ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق، وأعلمه أنه سيلقاه من ناحية خير من معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عيسى وذويان، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطىء يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم، ليحقرهم على أثرهم سريعاً، وكان عدي بن حاتم والزرقان بن بدر قد قدما على أبي بكر بصدقات قومهما بعد وفاة النبي ﷺ ليقوى بها أبو بكر على قتال أهل الردة ولم يزل لعدي والزرقان بذلك الشرف على قومهما ومن سواهما. وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قريش لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني طي فأمروهم أن يأييوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نطيع أبا الفضل أبداً - يعنون أبا بكر رضي الله عنه - فقال: والله ليايتنكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفضل الأكبر، ولم يزل عدي يقتل له في الذروة والغارب حتى لاقوا، وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محسن طليحة، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتاً وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة جبال بن طليحة، وقيل: بل كان قتل جبالاً قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة، ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريحين، فشق ذلك على المسلمين ثم أمر بهما فدفنا بدمائهما في ثيابهما وقد قال طليحة في ذلك:

عشية غادر ابن أقرم ثاويًا وعكاشة المسمي تحت جبال
أمنت له صدر الجمالة إنها معودة قبل الكماة نزال
فيوم تراه في الجلال مصونة ويسوم تراه في ظلال عورلي
وان تك أنواد أصمين ونسوة فلم يلعبوا فرغاً يقتل جبال

ومال خالد إلى بني طي، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استظروني حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل من راجع الحق، فانضافوا إلى جيش خالد وقصد خالد بني جديلة فقال له عدي: أجلي أياًماً حتى آتيهم فلعل الله أن يقتلهم كما أنقذ طيها، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى يابعوه، فجاء خالداً بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه، رضي الله عنه، قالوا: ثم سار خالد حتى نزل بأجاً وسلّى،

وعبا جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له: بزاخة، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن ألف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عينة بن حصن في سبعمائة من قومه بني قنطرة واصطف الناس، وجلس طليحة ملتغياً في كسائه له يتبأ لهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عينة يقاتل ما يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال بجي إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحاً كرحاء، وحديثاً لا تنسأه، قال: يقول عينة: أظن أن قد علم الله أن سيكون لك حديث لا تنسأه، ثم قال: يابني قنطرة انصرفوا وانهرزم وانهرزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعداه له، وأركب امرأته النوار على بعير له، ثم انهرزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة من كان معه، فلما أوقع الله بطليحة وقنطرة ما أوقع، قالت بنو عامر وسليم وهوازن: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا.

قلت: وقد كان طليحة الأسدي ارتد في حياة النبي ﷺ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عينة بن حصن من بدر، وارتد عن الإسلام، وقال لقومه: والله لنبي من بني أسد أحب إلى من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهنا طليحة فاتبعوه، فوافقه قومه بنو قنطرة على ذلك، فلما كثرهما خالد حرب طليحة بامرأته إلى الشام، فقتل على بني كلب، وأسر خالد عينة بن حصن، وبعث به إلى المدينة بمجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك فجعل اللولان والغلمان يطعنونه بأيديهم، ويقولون: أي عدو الله، ارتددت عن الإسلام؟ فيقول: والله ما كنت آمنت قط، فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقق معه، ثم حُسن إسلامه بعد ذلك، وكذلك من على قرة بن هبيرة، وكان أحد الأمراء مع طليحة، فأسره مع عينة، وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضاً، وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستنحيا أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمره - يعني معاملته له بتقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطل - وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الرّخي، فقال: إنه كان يقول: والحمام واليمام والصرد الصوّام، قد صُننَ قبلكم بأعوام ليُفشنَ ملكنا العراق والشام، إلى غير ذلك من الحرفات والمليان السجدة.

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيراً وأتى الله في أرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جد في أرك ولا تتيئ ولا تنظر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به ومن أخذت من حاد الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله، فأقام خالد بيزاخة شهراً يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين وصّاه بسببهم الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهراً يأخذهم بشار من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرّقه بالنار، ومنهم من رصّخه بالحجارة ومنهم من رمى به من شواطئ الجبال، كل هذا ليشرّد بهم من يسمع بخبرهم من مرتلة العرب، رضي الله عنه.

وقالوا: من نبدا؟ فقالت لهم فيما تسجعه: اعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم اغيروا على الريباب، فليس دونهم حجاب. ثم إنهم تعاهدوا على نصرها، فقال قاتل منهم:

اتينا اخت تغلب في رجال جلائب من سرة بني أيننا
وأرست دعورة فينا سفاها وكات من عمار آخرينا
فما كنا لنزفهم زبالاً وما كانت لتسلم إذ أتينا
الا سفنت حلومكم وضلست عشية تحشدون لها أيننا
وقال عطارد بن حاجب في ذلك:

أمت نيتا اثني نظيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكراننا

ثم إن سجاح قصدت بجندوها اليمامة، لتأخذها من مسيلة بن حبيب الكذاب، فهاب قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقول: عليكم باليمامة، ذفوا ديف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا تلحقكم بعدها ملامة، قال: فقصدا نحو مسيلة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجند المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد كما سيأتي، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فجباك به، وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه وقومها، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلة: سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره في كل ما سر نفسه مجتمع، وأكرم ريكم فحياكم، ومن وحشت أخلاكم، ويوم دينه المحاكم فأحياكم، علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجار، يقومون الليل يصومون النهار لريكم الكبار، رب النيوم والأمطار، وقال أيضاً: لما رأيت وجوههم حسنت، وأبشارهم صفت وأبدانهم طقلت، قلت لهم: لا النساء تاترون، ولا الحمر تشربون، ولكنكم معشر أبرار تصرمون، فسيحان الله إذا جاءت الحياة كيف تحيون، وإلى ملك السماء كيف ترقون، فلو أنها حبة خردلة لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور وأكثر الناس فيها الثبور.

وقد كان مسيلة لعنه الله شرع لمن اتبعه أن العزب يتزوج فإذا ولد له ذكر فيحرم عليه النساء حيثن، إلا أن يموت ذلك الولد الذكر، فتحل له النساء حتى يولد له ذكر، هذا ما اقترحه لعنه الله، من تلقاء نفسه، ويقال: إنه لما خلا بسجاح سالها ماذا يوحى إليها؟ فقالت: وهل يكون النساء يبتنن؟ بل أنت ماذا أوحى اليك؟ فقال: ألم تر إلى ريك كيف فعل بالحلي؟ أخرج منها نسمة تسمى، من بين صفاق وحشا. قالت: وماذا؟ فقال: إن الله خلق للنساء أفراجا، وجعل الرجال لمن أزواجه، فنزل فيهن قُسمًا إيلاجا، ثم نخرجها إذا نشأ إخراجا، فيبتنن لنا سخالا إنتاجا. فقالت: أشهد أنك نبي، فقال لها: هل لك أن أتزوجك وأكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، فقال:

الا قومي لي اليك قد هي لك المضجع
فإن شئت فقي البيت وإن شئت فقي المخدع
وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم وفد بزاعة - أسد وغطفان - على أبي بكر يسألونه الصلح، خيرهم أبو بكر بين حرب مُجلية أو حطة مُخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقواماً يبيعون أذناب الإبل حتى يبري الله خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتؤذون ما أصبتم منها، ولا تؤذي ما أصبا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتكون قتلانا ولا نذري قتلاكم، فقال عمر: أما قولك: تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا حيات لهم فاتبع عمر وقال عمر في الثاني: نعم ما رأيت.
ورواه البخاري [٧٢٢١] من حديث الثوري بسنده مختصراً.

وقعة أخرى

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الغلال يوم بزاعة من أصحاب طليحة، من بني غطفان فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زحل - سلمى بنت مالك بن حذيفة - وكانت من سيدات العرب، كانها أم قرفة، وكان يُضرب بأمرها المثل في الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها وبينها، فلما اجتمعوا إليها ذمهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وتأنب إليهم آخرون من بني سليم وطى وهوازن وأسد، فصاروا جيشاً كبيراً وتفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتلوا قتلاً شديداً وهي راكبة على جل أمها الذي كان يقال: من نخس جملها فله مائة من الإبل وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبث بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه.

قصة الفجاءة

واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُصاف من بني سليم، قاله ابن إسحاق، وقد كان الصديق حرّق الفجاءة بالبقع في المدينة، وكان سببه أنه قدم عليه فرغم أنه مسلم، وسأل منه أن يمهز معه جيشاً يقاتل به أهل الردة، فجهّز معه جيشاً فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بعث وراءه جيشاً فرّده، فلما أمكنه بعث به إلى البقيع، فجمّعت يده إلى قفاه وألقى في النار فحرّقه وهو مقموط.

قصة سجاح وبني تميم

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر في أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عَفْفَانَ التغلبيّة من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التّف بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بني تميم دعّتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلّف آخرون منهم عنها، ثم اصطلموا على أن لا حرب بينهم، إلا أن مالك بن نويرة لما وادعها ثامها عن غزوها، وحرصها على بني يربوع، ثم اتفق الجميع على قتال الناس،

وَكُنَّا كَتَمَانِي جَذَمَةَ بَرَهَةَ
وَعَشْنَا بَخِيرَ مَا حِينَا وَقَبَلْنَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَانِي وَمَالِكَا
تَرَاهُ كَتَصِلُ السَّيْفَ يَهْتَرُ لِلنَّدَى
وَمَا كَانَ وَقَالًا إِذَا الْحَرْبُ أَحْجَمَتْ
وَلَا بِكَهْمَا سَيْفُهُ عَن عُدُوَّةٍ
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَمْ يَجِبْ
وَمَا شَارَفَ حُنْتُ حِينًا وَرَجَعْتُ
بِأَوْدَعِ مَتَى يَوْمَ قَامَ مَالِكُ
نَحِيئَهُ مَتَى وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَطَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
فِي أَيَّامٍ أُخَرِ اخْتَصَرْنَا هَا، وَقِيلَ: إِنَّ مَتَمًّا حَزَنَ عَلَى أَخِيهِ مَالِكِ
حَزَنًا شَدِيدًا مَكَثَ سَنَةً كَامِلَةً لَمْ يَزَلْ حَزِينًا عَلَيْهِ يَنْشُدُ فِيهِ
الْأَشْعَارَ حَتَّى مَاتَ وَكَانَ أَعْرُورًا، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِيهِ حَتَّى سَالَتْ عَيْنُهُ الْعُورَاءَ
بِالْبُعُودِ وَهَذَا ابْلُغْ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَزَنِ.

وَقَالَ أَيْضًا:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكََا
وَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى
فَدَعَنِي فَهَلَا كُلَّهُ قَبْرُ مَالِكِ
وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْضُرُ الصَّدِيقَ
وَيُزِمُهُ عَلَى عَزْلِ خَالِدٍ عَنِ الْإِمْرَةِ وَيَقُولُ: إِنَّ فِي سَيْفِهِ لَرَهْقًا قَتَلَ مَالِكًا
وَزَيَّ عَلَى أَمْرَاتِهِ، حَتَّى بَعَثَ الصَّدِيقُ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ
لِلْمَدِينَةِ، وَقَدْ لَبَسَ دَرْعَهُ الْيَمَانِيَّ مِنْ حَلِيدٍ، وَقَدْ صَدَّقَ مِنْ كَرَةِ الدَّمَاءِ، وَغَرَزَ
فِي عِمَامَتِهِ النَّشَابَ الْمُضْمَخَ بِالدَّمَاءِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عَمْرُ بْنُ
الْخَطَّابِ فَاتَّزَعَ الْأَسْهُمَ مِنْ عِمَامَةِ خَالِدٍ فَحَطَّمَهَا، وَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَتَلْتَ أَمْرًا
مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَوْتَ عَلَى أَمْرَاتِهِ، وَاللَّهِ لَأَرْجُنُكَ بِأَحْبَارِكَ، وَخَالِدٌ لَا يَكْلِمُهُ،
وَلَا يَظُنُّ إِلَّا أَنْ رَأَى الصَّدِيقَ فِيهِ كَرَاهِي عَمْرٍ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ
فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَعُذِرَهُ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ وَوَدَى مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ،
فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَعَمْرُ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ خَالِدٌ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ أُمِّ
شَمْلَةَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ وَعَرَفَ أَنَّ الصَّدِيقَ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ، وَاسْتَمَرَ أَبُو بَكْرٍ
بِمُخَالَدَةِ الْأَمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ اجْتَنَدَ فِي قَتْلِ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ وَخَطَأًا فِي
قَتْلِهِ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيَّ أَبِي جَذَمَةَ فَقَتَلَ أَوْلَئِكَ الْأَسَارَى
الَّذِينَ قَالُوا: صَبَاتَا، وَلَمْ يَحْسَبُوا أَنْ يَقُولُوا: اسْلَمْنَا، فَوَدَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ حَتَّى رَدَّ إِلَيْهِمْ مِيعَةَ الْكَلْبِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ
عَمَّا صَنَعَ خَالِدٌ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَعْزِلْ خَالِدًا عَنِ الْإِمْرَةِ.

مقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وأخزاه

لما رضي الصديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى
قتال بني حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن
قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز
بجول لأصحاب سجاح فشردهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب،

فَقَالَتْ: بَلْ بِهِ أَجْمَعُ، فَقَالَ: بَلْكَ أَوْحِي إِلَيَّ، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،
ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى قَوْمِهَا فَقَالُوا: مَا أَصْدَقُكَ؟ فَقَالَتْ: لَمْ يَصْدَقْنِي شَيْئًا، فَقَالُوا:
إِنَّهُ يَتَّبِعُ عَلَى مِثْلِكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِغَيْرِ صَدَاقٍ فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ تَسَالَةً صَدَاقِهَا،
فَقَالَ: أَرْسَلِي إِلَيَّ مَوْفَقَكَ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ - وَهُوَ شَبِيحُ بْنُ رَيْمِي - فَقَالَ: نَادِ
فِي قَوْمِكَ: إِنَّ مَسِيلَمَةَ بْنَ حَبِيبٍ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ صَلَاتَيْنِ عَمَّا
أَتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ - يَعْنِي صَلَاةَ الْفَجْرِ وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةَ - وَقِيلَ: بَلْ قَالَ
لَهُمْ إِنِّي وَضَعْتُ عَنْكُمْ مَا أَتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَابْتِغَتْ فُرُوجُ
الْمُؤْمِنَاتِ وَشَرِبَ الْخَمْرَ فِي الْكَاسَاتِ - فَكَانَ هَذَا صَدَاقِهَا عَلَيْهِ لَعْنُهُمَا اللَّهُ،
ثُمَّ انْتَشَرَتْ سَجَاحُ رَاجِعَةٍ إِلَى بِلَادِهَا وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهَا دَنُو خَالِدٍ مِنَ
أَرْضِ الْيَمَامَةِ فَفَكَّرَتْ رَاجِعَةً إِلَى الْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا قَبِضَتْ مِنْ مَسِيلَمَةَ نَصْفَ
خَرَاكِ أَرْضِهِ، فَأَقَامَتْ فِي قَوْمِهَا بَنِي تَغْلِبَ، إِلَى زَمَانٍ مَعَاوِيَةَ فَاجْلَاهُمْ مِنْهَا
عَلَى الْجَمَاعَةِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ.

فصل في خبر مالك بن نويرة اليربوعي الحميري

كَانَ قَدْ صَانَعَ سَجَاحَ حِينَ قَدِمَتْ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ، فَلَمَّا اتَّصَلَتْ
بِمَسِيلَمَةَ لَعْنُهُمَا اللَّهُ، ثُمَّ تَرَحَّلَتْ إِلَى بِلَادِهَا فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ نَدِمَ مَالِكُ بْنُ
نُوَيْرَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَتَلَوَّمَ فِي شَأْنِهِ، وَهُوَ نَازِلٌ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ:
الْبَطَاحُ، فَقَصَّدَهَا خَالِدُ بْنُ نُوَيْرَةَ وَتَأَخَّرَتْ عَنْهُ الْأَنْصَارُ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ قَضَيْنَا
مَا أَمَرْنَا بِهِ الصَّدِيقَ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَدُ مِنْ فَعْلِهِ، وَغُرُوبُ
لَا يَدُ مِنْ انْتِهَازِهَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي فِيهَا كِتَابٌ، وَأَنَا الْأَمِيرُ وَإِلَى تَرَدُّدِ الْأَخْبَارِ،
وَلَسْتُ بِالَّذِي أَجْبِرُكُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، وَأَنَا قَاصِدُ الْبَطَاحِ. فَسَارَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ لَحِقَهُ
رَسُولُ الْأَنْصَارِ يَطْلُبُونَهُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ، فَلَمَحُوا بِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْبَطَاحَ وَعَلَيْهَا
مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، فَبَثَّ خَالِدُ السَّرَايَا فِي الْبَطَاحِ يَدْعُونَ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَمْرَاءُ
بَنِي تَجِيمَ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالطَّاعَةِ، وَبَلَّوْا الزُّكُوتَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ
فَإِنَّهُ مُتَحِيرٌ فِي أَمْرِهِ، مُتَنَحٍّ عَنِ النَّاسِ، فَجَاءَهُ السَّرَايَا فَأَسْرَوْهُ وَأَسْرَوْا مَعَهُ
أَصْحَابَهُ، وَاخْتَلَفَتْ السَّرِيَّةُ فِيهِمْ، فَشَهِدَ أَبُو قَتَادَةَ - الْحَارِثُ بْنُ رَيْمِي
الْأَنْصَارِيُّ - أَنَّهُمْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُمْ لَمْ يُوْذِنُوا وَلَا صَلُّوا،
فَيَقَالُ: إِنَّ الْأَسَارَى بَاتُوا فِي كِبْرِهِمْ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَنَادَى
مُنَادِي خَالِدًا: أَنْ دَافِقُوا أَسْرَاكُمْ، فَظَنُّ الْقَوْمُ أَنَّهُ أَرَادَ الْقَتْلَ، فَقَتَلُوهُمْ، وَقَتَلَ
ضُرَارُ بْنُ الْأَزْوَريِّ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، فَلَمَّا سَمِعَ خَالِدُ الْوَاعِيَةَ خَرَجَ وَقَدْ
فَرَّغُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا أَصَابَهُ، وَاصْطَفَى خَالِدُ امْرَأَةً مَالِكُ بْنُ
نُوَيْرَةَ، وَهِيَ أُمُّ تَجِيمَ ابْنَةُ الْمُنْهَالِ، وَكَانَتْ جَبِيلَةً، فَلَمَّا حَلَّتْ بِنِي بَهَا، وَيُقَالُ:
بَلْ اسْتَدْعَى خَالِدُ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ فَاتَّبَعَهُ عَلَى مَا صَدَّرَ مِنْهُ مِنْ مَتَابَعَةٍ
سَجَاحَ، وَعَلَى مَنَعَةِ الزَّكَاةِ، وَقَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهَا قَرِينَةُ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ مَالِكُ:
إِنْ صَاحِبُكُمْ كَانَ يَزْعُمُ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَمْرٌ صَاحِبَانَا وَلَيْسَ بِصَاحِبِكُمْ؟ يَا
ضُرَارُ أَضْرِبْ عَقْبَهُ، فَضَرَبَتْ عَقْبَهُ، وَأَمَرَ بِرَأْسِهِ فَجَعَلَ مَعَ حَجَرَيْنِ وَطَبِخَ
عَلَى الثَّلَاثَةِ قَدْرًا، فَأَكَلَ مِنْهَا خَالِدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِيَرْهَبَ بِذَلِكَ الْأَعْرَابَ، مِنَ
الْمُرْتَدَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَيُقَالُ: إِنَّ شَعْرَ مَالِكٍ جَعَلَتْ النَّارُ تَعْمَلُ فِيهِ إِلَى أَنْ نَضِجَ
لَحْمُ الْقَدْرِ وَلَمْ يَفْرِغْ الشَّعْرَ لِكَثْرَتِهِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ أَبُو قَتَادَةَ مَعَ خَالِدٍ فِيمَا صَنَعَ
وَتَقَالُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى ذَهَبَ أَبُو قَتَادَةَ فَشَكَاهُ إِلَى الصَّدِيقِ، وَتَكَلَّمَ عَمْرُ مَعَ
أَبِي قَتَادَةَ فِي خَالِدٍ، وَقَالَ لِلصَّدِيقِ: اعْزِلْهُ فَإِنَّ فِي سَيْفِهِ رَهْقًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:
لَا أَشْبِهُ سَيْفًا سَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفْرَانِ، وَجَاءَ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ فَجَعَلَ يَشْكُرُ إِلَى
الصَّدِيقِ خَالِدًا، وَعَمْرُ يُسَاعِدُهُ وَيُنْشِدُ الصَّدِيقَ مَا قَالَ فِي أَخِيهِ مِنَ الْمَرَاتِي،
فَوَدَاهُ الصَّدِيقُ مِنْ عِنْدِهِ، وَمَنْ قَوْلُ مَتَمِّ فِي ذَلِكَ:

حامل لواء الأنصار بعدما تحط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: اتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قُدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقتل شهيداً رضي الله عنه، وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار بحمال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وثب بين الصفين ودعا إلى البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ يا محمداه - وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين ثم اقترب من مسيلمة فعرض عليه النصف الرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئاً، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانسرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بيتي أب على رايته، يقتاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصحابة في هذا الوطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى محور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقتانهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا، حتى الجؤوهم إلى حذيفة الموت، وقد أشار عليهم بحكم اليمامة - وهو مُحْكَمُ بن الطفيل لعنه الله - بدخلوها، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بهم في عنقه وهو يحيط بقتله، وأغلقت بنو حذيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتلموه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقتاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأوابها يقتلون فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلاصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلثة دنانير كأنه جلل أروق، وهو مُرَبَّدٌ متساند، ولا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزيد حتى يخرج الزيد من شديقه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة - فرماه بحجرته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سمك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وا أمير المؤمنيناه، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفاً، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، والله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد ومعه جماعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه القتل ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجال بن عتوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجال بن عتوة.

قال سيف بن عمر [الطبري في تاريخه ٢٩٥/٣]: ثم مروا برجل أصيفر أحنس، فقال هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا، ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخذعه جماعة فقال: إنها ملأى رجالاً ومقاتلة فلمهم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على

وأردف الصليق خالداً بصرية لتكون ردة له من ورائه وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل، وشرحيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حذيفة، لأنهم في نحو أربعين ألفاً من المقاتلة، فجعل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحيل، ففأجزمه فنبك، فانتظر خالداً، فلما سمع مسيلمة يقدم خالداً عسكر بمكان يقال له: عقربا في طرف اليمامة والريث وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل علي مجتبي جيشه المحكم بن الطفيل، والرجال من عتوة بن نهشل، وكان الرجال هذا صديقه الذي شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، فكان هذا الملعون من أكبر ما أضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، لعنه الله، وقد كان الدجال هذا قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ «البقرة»، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدهوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة. قال سيف بن عمر [الطبري في تاريخه ٢٨٧/٣]: عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عتوة، فقال: «إن فيكم لرجلاً ضرره في النار أعظم من أحده»، فهلك القوم وبقيت أنا والرجال وكنت متخوفاً لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الدجال أعظم من فتنة مسيلمة.

ورواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة [البايع الطبري ٢٨٩/٣]، واقترب خالد وقد جعل على المقدمة شرحيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيدا وأباً حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارساً، عليهم جماعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثار له في بني غنيم وبني عامر وهو راجع إلى قومه فأخلوهم فلما جيء بهم إلى خالد سلّاهم عن خيرهم فاعتلروا إليه فلم يصدهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوى جماعة فإنه استبقاه مقيداً عنده - لعلمه بالحرب والمكيدة - وكان سيداً في قومه، شريفاً مطاعاً، ويقال: إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حذيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية، فقال له: أيها الرجل إن كنت تريد غداً بعلول هؤلاء خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل - يعني جماعة بن مرارة - فاستبقاه خالد مقيداً، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصى به خيراً، فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمت تُستردف النساء سيات، وينكهن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كتيب يشرق على اليمامة، فضر به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على رايتهما، وجماعة بن مرارة مفيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت للمسلمين جولة وانهمزت الأعراب حتى دخلت بنو حذيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها جماعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قُتل الرجال بن عتوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تلازم الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، وتادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد، فخلصت ثلثة من المهاجرين والأنصار وهم البراء بن مالك - وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء فيجلس على ظهر الرجال وينتفض حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، وقالت بنو حذيفة قتالاً لم يعهد مثله، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة «البقرة»، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقلعته في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو

إلى مسيلة في أيام جاهليته، فقال له مسيلة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة، فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه ﴿وَالْقَصْرُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالنَّحْتِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [الصبر: ١ - ٣] قال: ففكر مسيلة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل علي مثلها، فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلة: يا وير يا وير، إنما أنت أذننا وصدر، وسائرنا حقر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أنني أعلم إنك لتكذب، وذكر علماء التاريخ [تاريخ الطبري ٢/٢٨٥، ٢٨٥] [الكامل ٢/٣٩٢] أنه كان ينسب بالنبي ﷺ بلفه أن رسول الله ﷺ بصر في بئر فغزو ماؤه، فبصر في بئر ففاض ماؤه بالكليّة: وفي أخرى فصار ماؤه أجاجاً، وتوضاً وسقي بوضوه غللاً فيست وهلك، وأني بولدان يرك عليهم فجعل يسمح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحهما فعمى.

وقال سيف بن عمر [الطبري ٣/٢٨٦] عن خلود بن قنبر النعمري، عن عمير بن طلحة عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة فقال: أي مسيلة؟ قالوا: مه رسول الله، فقال: لا حتى أراه، فلما جاءه قال: أنت مسيلة؟ فقال: نعم. قال: من يأتيك؟ قال: رحمن، قال: أي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وإن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، واتبعه هذا الأعرجي الجلف لعنه الله حتى قتل معه عقياء، لا رحمه الله.

ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام

كان من خبرهم أن رسول الله ﷺ كان قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى ملكها، المنذر بن سواي العبدى، فأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل، فلما توفي رسول الله ﷺ، توفي المنذر بعده بقليل، وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو هل كان رسول الله ﷺ يعمل للمريض شيئاً من ماله؟ قال: نعم، الثلث، قال: ماذا أصنع به؟ قال: إن شئت تصدقت به على أقربائك، وإن شئت على المحلوج، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبساً عرماً، فقال: إنني أكره أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ولكني أتصدق به، ففعل، ومات فكان عمرو بن العاص يتعجب منه، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين وملكو عليهم الغرور، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر. وقال قتالهم: لو كان محمد نبياً ما مات، ولم يبق بها بللة على الثبات سوى قرية يقال لها: جوائى، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في «البخاري» عن ابن عباس، وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، حتى منعوا من الأقوات وجاعوا جوعاً شديداً حتى فرج الله، وقد قال رجل منهم يقال له عبد الله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً
وفتيان المدينة أجمعين
فهمل لكم إلى قوم كرام
فمرد في جوائى عصرينا
كان دماهم في كل فج
شعاع الشمس يشي الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا
وجندنا الصبر للمتوكلينا
وقد قام فيهم رجل من أشرفهم، وهو الجارود بن الملى - وكان ممن

الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم جماعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فظفر خالد فإذا الشرفات ممثلة من رؤوس الناس فظنهم كما قال جماعة فانتظر الصلح، فصالحهم على البيضاء والصفراء والحلقة والكراع ونصف الرقيق وقيل لخالد: إن فجاعة قد خدعك فقال له: يا جماعة خدعتني فقال: إنهم قومي وقد أفنتهم فلا تلمي على ذلك. ولما فرغ من قتال بني حنيفة خطب إلى جماعة ابنته وألح عليه فزوجه إياها. ولما بلغ أبو بكر ذلك كتب إليه إنك لفارغ القلب تتزوج النساء وحول خبائنك ألف ومائتين من المسلمين لم تحف دماؤهم بعد فإذا جاءك كتابي هذا فالحق بمن معك من جميع المسلمين إلى العراق وبعث بالكتاب مع أبي سعيد الخدري وقال: لا تفارقه حتى تشخصه. فلما قرأ خالد الكتاب قال: هذا من عمل الأتيسر عمر بن الخطاب ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السي، وساق الباقي إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنة محمد الذي يقال له: محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، وقد قال ضرار بن الأزور في غزوة اليمامة هذه:

فلو شئت عنا جنوباً لأخبرت
عشية سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع السواد حتى تفرقت
حجارتها فيه من القوم بآدم
عشية لا تنفي الرماح مكانها
ولا النبيل إلا المشرفي المصمم
فلان تنفي الكفار غير مليكة
جنوب فلاني تابع الدين مسلم
أجماهد إذ كان الجهاد غيمه
ولنسه بالمرء المجاهد أعلم

وقد قال خليفة بن خياط [تاريخ خليفة ٨٩/٨٩]، وعمر بن جرير [تاريخ الطبري ٣/٢٨١]، وخلق من السلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، وقال ابن نافع: في آخرها، وقال الواقدي وآخرون: كانت في سنة ثني عشرة، والجمع بينها أن ابتدأها في سنة إحدى عشرة، والفرار منها في سنة ثني عشرة والله أعلم.

ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق [تاريخ الطبري ٣/٢٨٤، ٣٠٠] قال لهم: أسمعوننا شيئاً من قرآن مسيلة، فقالوا: أو تعيننا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقي كما تنقي، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، وأسك في الماء، وذنبك في الطين، وكان يقول: والميزرات زرعاً، والمحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطلاحات طحناً، والحازبات خبزاً، والشاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، وإهالة وسماً، لقد فضلت على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمتر فأووه والباغي فساووه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأتى من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل، وكان يقول: والليل وما أدراك ما الليل، له زلوم طويل، وكان يقول: والليل الدامس، والذنب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس، وتقدم قوله: لقد أنعم الله على الحلي، أخرج منها نسمة تسعي، من بين صفاق وخشاً، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السمج، وقد أورد أبو بكر بن الباقلاني رحمه الله في كتابه «إعجاز القرآن» ص ١٥٦-١٥٧ أشياء من كلام هؤلاء الجهلة المتبينين كمسيلة وطلحة والأسود وسجاح وغيرهم، مما يدل على ضعف عقولهم وعقول من اتبهم على ضلالهم وعالمهم.

وقد روينا [الفسو ٤/١٩٢، ٤٩٩/٨] عن عمرو بن العاص أنه وفد

أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الثقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاستحتم البحر بفروسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حليم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا يحيى الموتى، يا حيّ يا قيوم لا إله إلا أنت يا ريتنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله مشون على مثل رملة دثت فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم ثم رجع قطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبراً، واستاق الذراري والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئاً سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين ومع هذا رجع العلاء فجاء بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم، فأصاب الفارس ألفين والراجل ألفاً، مع كثرة الجيش، وكسب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر، وهو غفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذلّل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل
وقد ذكر سيف بن عمر التميمي أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رأوها من أمر العلاء، وما أجرى الله على يديه من الكرامات، رجل من أهل حجر راهب فأسلم حيثذ، قيل له: ما دعاك إلى الإسلام؟ قال: خشيت إن لم أفعل أن يسخني الله، لما شاهدت من الآيات، قال: وقد سمعت في الهواء وقت السحر دعاء، قالوا: وما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء، والنام غير الغافل، والحي الذي لا يموت، وخالق ما يُرى وما لا يُرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء. علماً، قال: ففعلت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، قال: فحسن إسلامه وكان الصحابة يسمعون منه.

ذكر ردة أهل عُمان ومهرة واليمن

أما أهل عمان فتنبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لقيط بن مالك الأزدي، وكان تساقى في الجاهلية الجَلْنَدَى، فداعى النبوة أيضاً، وتابعه الجُهلة من أهل عمان، فتغلب عليها وقهر جيفراً وعبّاداً والجاهما إلى أطرافها، من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه فبعث إليه الصديق بأمرين وهما حذيفة بن محسن الحميري، وعرفجة البارقي من الأزدي، حذيفة إلى عُمان، وعرفجة إلى مهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويتبذرا بعمان، وحذيفة هو الأمير، فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير.

وقد قلنا أن عكرمة بن أبي جهل لما بعثه الصديق إلى مسيلة وأتبعه بشرجيل ابن حسنة، عجل عكرمة وناهض مسيلة قبل مجيئهم شرحيل ليفوز بالظفر وحده، فانهل من مسيلة قرحاً والذين معه، فتقهقر حتى جاء خالد بن الوليد، فقهر مسيلة كما تقدم، وكتب إليه الصديق يلومه على تسرعه، قال: لا أربك ولا أسمعن بك إلا بعد بلاء، وأمره أن يلحق بحذيفة وعرفجة إلى عُمان، وكل منكم أمير على خيله وحذيفة ما دتم بعمان فهو أمير الناس، فإذا فرغتم فاذهبوا إلى مهرة، فإذا فرغتم منها

هاجر إلى رسول الله ﷺ - خطيباً وقد جمعهم فقال: يامعشر عبد القيس، إني سألكم عن أمر فاختبروني إن علمتوه ولا تحيرونني إن لم تعلموه، فقالوا: سل، قال: أتملّون أنه كان لله أنبياء قبل عمد؟ قالوا نعم، قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه، قال: فما فعلوا؟ قالوا سألوا، قال: فإن عمداً مات كما ماتوا وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن عمداً رسول الله، ونحن أيضاً نشهد أن لا إله إلا الله وأن عمداً رسول الله، وأنت أفضلنا وسيناً، وثبنا على إسلامهم، وتركوا بقية الناس فيما هم فيه، وبعث الصديق رضي الله عنه كما قلنا إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين جاء إليه ثمانية بن أثال في حفضل كثير، وجاء كل أمرأ تلك النواحي فأتصافوا إلى جيش العلاء بن الحضرمي، فأكرمهم العلاء وترحب بهم وأحسن إليهم، وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة، اتفق له في هذه الفزوة أنه نزل منزلاً فلم يستقر الناس على الأرض حتى نشرت الإبل عما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشراهم، ويقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم - وذلك ليلاً - ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من المم والغنم ما لا يُحْد ولا يوصف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى منادي العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس أستم المسلمين؟ أستم في سبيل الله؟ أستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم، ونودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبته وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلعب مرة بعد أخرى وهو يجتهد في الدعاء فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديرًا عظيمًا من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشريوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فجح بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سلكاً، فسقوا الإبل عللاً بعد نهل.

فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية، ثم لما اقترب من جيوش المرتلة - وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً - نزل ونزلوا، وياتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتاً عالية في جيش المرتلين، فقال: من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذاف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فورده والجيش معه فكسروا أولئك فقتلهم قتلاً عظيماً، وقُلّ من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة، وكان الحطيم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم ثلثاً، فقام دحشا حين اقتحم المسلمون عليهم فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، أرفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز علي، فقال: لا أفضل، فوقع صريعاً كلما مرّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مرّ به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحطيم فاقتلني فقتله، فلما رأى رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: وا سوائاً، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون في آثار المهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، وذهب من فر منهم أو أكثرهم في البحر إلى دارين ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونفل الأثقال وفرغ من ذلك وقال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى

إلى دافوه أولاً، فلما جاءه عجل عليه، فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى: وهذا أيضاً والله مقتول كما قُتل صاحبه، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل دافوه، وخرج إلى أخواله خولان فتحصن عندهم وساعدته عقيل، وعكّ وخلق، وعمد قيس إلى ذراوي فيروز ودافوه والأبناء فأجلاهم عن اليمن، وأرسل طائفة في البر، وطائفة في البحر فاحتد فيروز فخرج في خلق كثير، فتصادف هو وقيس فاقتلوا قتالاً شديداً فهربوا قيساً وجنّته من العوام، وبقيّة جند الأسود العنسي، فهربوا في كل وجه وأمير قيس وعمر بن عبدكرب، وكان عمرو قد ارتد أيضاً، وتابع الأسود العنسي، وبعث بهما المهاجر بن أبي أمية إلى أبي بكر أسيرين، فغفّهما وأثبهما، فاعتذرا إليه فقبل منهما علاتيتهما، وكل سرائرهما إلى الله عز وجل، وأطلق سراحهما وردّهما إلى قومه، ورجعت عمال رسول الله ﷺ الذين كانوا باليمن إلى أماتهم التي كانوا عليها في حياته عليه الصلاة والسلام بعد حروب طويلة، لو استقصينا إيرادها لطال ذكرها، وملخصها أنه ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردة لبعض الناس، فبعث الصليق إليهم جيوشاً وأمرهم يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصليق لمن هنالك من المرتلين، ولله الحمد والمنّة، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مقام كثيرة، فيقرّون بذلك على من هنالك، ويعثون بأخاس ما ينعمون إلى الصليق فينقذه في الناس فيحصل لهم قوة أيضاً ويستعدّون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، على ما سيأتي تفصيله، ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبقَ بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ولرسوله، أو أهل ذمة من الصليق، كأهل نجران وما جرى مجراهم، ولله الحمد.

وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثني عشرة، ولنذكر بعد إيراد هذه الحوادث من توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير وبالله المستعان، وفيها رجع معاذ بن جبل من اليمن، وفيها استغضى أبو بكر الصليق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

ذكر من توفي في هذه السنة

أعني سنة إحدى عشرة من الأعيان والمشاهير وذكرنا معهم من قُتل باليمامة؛ لأنها كانت في سنة إحدى عشرة على قول بعضهم، وإن كان المشهور أنها في ربيع سنة ثني عشرة.

توفي فيها رسول الله ﷺ

■ محمد بن عبد الله سيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وذلك في ربيعها الأول يوم الاثنين ثاني عشرة - على المشهور - كما قلنا بيانه، وبعده بسنة أشهر على الأشهر، توفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها، وتكنى بأم أيها، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه عهد إليها أنها أول أهله لحوقاً به، وقال لها مع ذلك: «أما ترَضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة؟» وكانت أصغر بنات النبي ﷺ على المشهور ولم يبقَ بعده سواها، فلها عظم أجراها لأنها أصيبت به عليه الصلاة والسلام ويقال: إنها كانت توأماً لعبد الله ابن رسول الله ﷺ وليس له عليه الصلاة والسلام نسل إلا من جهتها، قاله الزبير بن بكار. وقد ورد أنه عليه الصلاة

فانذهب إلى اليمن وحضر موت فكن مع المهاجر بن أبي أمية، ومن لقّيته من المرتبة بين عُمان إلى حضرموت واليمن فنكّل به، فسار عكرمة لما أمره به الصديق، فلحق حليفه وعرفجة قبل أن يصلأ إلى عُمان، وقد كتب إليهما الصديق أن يهتبا إلى رأي عكرمة بعد الفراغ من السير من عُمان أو المقام بها، فساروا فلما اقتربوا من عُمان راسلوا جيفراً وعبداداً، وبلغ لقيط بن مالك مجي الجيش، فخرج في جموعه فمسكو بمكان يقال له: قبا، وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل السدّاري والأمسوال وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعبداد بمكان يقال له صُحار، فمسكروا به وبعثا إلى أمراء الصليق فقدموا على المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وقتلوا قتالاً شديداً، وابتلي المسلمون وكادوا أن يُولّوا، فمنّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم ملداً، في الساعة الراحة من بني ناحية وحيد القيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون ثلثين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري وأخذوا الأموال والسوق بمخازيرها، وبعثوا بالخمسة إلى الصليق رضي الله عنه مع أحد الأمراء، وهو عرفجة، ثم رجع إلى أصحابه.

وأما مهرة فإنهم لما فرغوا من عُمان كما ذكرنا، سار عكرمة بالناس إلى بلاد مهرة، بمن معه من الجيوش ومن أضيف إليها، حتى اقتحم على مهرة بلاعها، فوجدهم جنتين على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصّبح، أحد بني عارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شخريت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين فراسل عكرمة شخريت فأجابته وانضاف إلى عكرمة قروي بذلك المسلمون، وضعف جاش المصّبح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغترّ بكثرة من معه وغافلة لشخريت، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمة بمن معه من الجند فاقتلوا مع المصّبح أشد من قتال دبا المتقدم، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففر المشركون وقتل المصّبح، وقتل خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفاً نحيفة فخمسة عكرمة ذلك كله وبعث بمنّسه إلى الصليق مع شخريت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب، من بني عابد من غزوم، وقد قال في ذلك رجل يقال له عُلجوم:

جزى الله شخريتنا وأفساه هاشم وفزعهم إذ سارت إلينا الحلائب
جزاء مئسي لم يراقب للنمة ولم يزعجها فيما يوجسى الاقارب
أعجزكم لولا جمع قوسي وفعلهم لضافت عليكم بالفضاء المناهب
وكنّا كمن اقتاد كفا باختها وحلت علينا في الدعور النائب

وأما أهل اليمن فقد قلنا أن الأسود العنسي لعنه الله لما نبغ باليمن، أضل خلقاً كثيراً من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، وأنه لا قتله الأمراء الثلاثة: قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي، ودافوّه، وكان ما قلنا ذكره، ولا بلغهم موت رسول الله ﷺ لزيداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك، أجارنا الله من ذلك، وطمع قيس بن مكشوح في الإمرة باليمن، فعمل لذلك، وارْتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصليق إلى الأمراء والرؤساء، من أهل اليمن أن يكونوا عوناً لفيروز والأبناء على قيس بن مكشوح حتى تأتاهم جنوده سريعاً، وحرص قيس على قتل الأميرين الآخرين، فلم يقدر إلا على دافوّه، واحتز منه فيروز الديلمي، وذلك أنه عمل طعاماً وأرسل

رواه البيهقي [السنن الكبرى ٣٠١/٦] من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، ثم قال: وهذا مرسل حسن بإسناد صحيح. ولا حضرتها الوفاة أوصت إلى أسماء بنت عميس - امرأة الصديق - أن تغسلها فغسلتها هي وعلي بن أبي طالب وسليمان أم رافع [السنن الكبرى ٣٩٦/٣]، قيل: والعباس بن عبد المطلب، وما روي من أنها اغتسلت قبل وفاتها وأوصت أن لا تغسل بعد ذلك فضعيف لا يعول عليه والله أعلم. وكان الذي صلى عليها زوجها علي، وقيل: عمها العباس، وقيل: أبو بكر الصديق [طبقات ابن سعد ٢٩/٨] قاله أعلم، ودُفنت ليلاً وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة وقيل: إنها توفيت بعده عليه الصلاة والسلام بشهرين، وقيل: بسبعين يوماً، وقيل: بخمسة وسبعين يوماً، وقيل: بثلاثة أشهر، وقيل: بشأية أشهر.

والصحيح ما ثبت في [الصحيح] (خ ٤٢٤٠) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة أن فاطمة عاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، ودُفنت ليلاً، ويقال: إنها لم تضعك في مدة بقائها بعده عليه الصلاة والسلام، وأنها كادت تذوب من حزنها عليه، وشوقها إليه، واختلّف في مقدار سنّها يومئذ فقيل: سبع وقيل: ثمان وقيل: تسع وعشرون، وقيل: ثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون سنة، وهذا بعيد وما قبله أقرب منه والله أعلم، ودُفنت بالبيع وهي أول من ستر سرها.

وقد ثبت في [الصحيح] (خ ٤٢٤٠) أن علياً كان له وجه من الناس حياة فاطمة، فلما ماتت التمس مباينة الصديق فابعه كما هو مروي في [البخاري]، وهذه البيعة لإزالة ما كان وقع بين وحشة حصلت بسبب الميراث ولا ينبغي ما ثبت من البيعة المتقدمة عليها كما قررنا والله أعلم.

ومن توفي في هذه السنة

■ أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان [الاستيعاب ١٧٩٣/٤] مولاة رسول الله ﷺ وزوجها زين أبيه، وقيل: من أمه، وحضته وهو صغير، وكذلك بعد ذلك وقد شربت بوله فقال لها: [لقد احتظرت بحظار من النار]، وقد اعتقها وزوجها عبيداً فولدت منه ابنها أيمن ففُرت به، ثم تزوجها زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، فولدت أسامة بن زيد، وقد هاجرت المجرّتين إلى الحبشة والمدينة وكانت من الصالحات، وكان عليه الصلاة والسلام يزورها في بيتها ويقول: «هي أمي بعد أمي»، وكذلك كان أبو بكر وعمر يزورانها في بيتها، كما تقدم [ذلك في الموالى] وقد توفيت بعده عليه الصلاة والسلام بخمسة أشهر وقيل: بستة أشهر.

ومنهم:

■ ثابت بن أقرم بن ثعلبة ابن عدي بن العجلان البلوي [الاستيعاب ١٩٩/١] حليف الأنصار شهد بدرًا وما بعده، وكان ممن حضر مؤتة، فلما قُتل عبد الله بن رواحة دفعت الراية إليه فسلمها لخالد بن الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال مني، وقد تقدم أن طلحة الأسدي قتله وقتل معه عكاشة بن محصن وذلك حين يقول طلحة:

عشبة غادرت ابن أقرم ناريًا وعكاشة الغنمي تحت جبال
وذلك في سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ثني عشرة، وعن عروة أنه قُتل في حياة النبي ﷺ [الطبري الكبير ٧٠/٢ (١٣٤٧)] وهذا غريب،

والسلام ليلة زفاف علي على فاطمة ترضاً وصَبَّ عليه وعلى فاطمة ودعا لهما أن يبارك في تسليهما، وقد تزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب بعد الهجرة، وذلك بعد بدر وقيل: بعد أحد، وقيل: بعد تزويج رسول الله ﷺ عائشة بأربعة أشهر ونصف، وبني بها بعد ذلك بسبعة أشهر ونصف، فأصدقها بزرعة الحنظلية وقيمته أربع مائة درهم، وكان عمرها إذ ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان علي أسن منها بست سنين. وقد وردت أحاديث موضوعة في تزويج علي بفاطمة لم نذكرها رغبة عنها، فولدت له حسنًا وحسينًا ومحسنًا وأم كلثوم، التي تزوج بها عمر بن الخطاب بعد ذلك.

وقد قال الإمام أحمد (١٠٧، ١٠٦/١): حدثنا عفان، حدثنا حماد أنا عطاء بن السائب عن أبيه عن علي أن رسول الله ﷺ لما تزوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة من آدم حشوها ليف، ورحلين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سنوتُ حتى لقد اشتكيتُ صدري، وقد جاء الله إياك بسي فاذبي فاستخدي، فقالت: وأنا والله لقد طحنتُ حتى مجّلتُ يدي، فأنت النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك أي بنية؟» قالت: جئت لأسلم عليك - واستحييت أن تسأله - ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتياه فجاء فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوتُ حتى اشتكيتُ صدري، وقالت فاطمة: لقد طحنتُ حتى مجّلتُ يدي، وقد جاءك الله بسي وسقاة فأخذنا، فقال: «والله لا أعطيكمَا وادعِ أهل الصفة تطوؤ بطونهم لا أجد ما أنقذ عليهم ولكي أبيعهم وأنفق عليهم ثمانهم»، فرجعا فأتاهما رسول الله ﷺ وقد دخلا في قطيعتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فشارا، فقال: «مكانكما»، ثم قال: «ألا أخبركما بخبر مما سألتما؟» قال: بلى، قال: «كلمات علمنهن جبريل تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أوتيتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحداً ثلاثاً وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين» قال: فوالله ما تركنهن منذ علمنهن رسول الله ﷺ، قال: فقال له ابن الكواكب: ولا ليلة صيفين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم ولا ليلة صيفين، وآخر هذا الحديث ثابت في [الصحيحين] (خ ٣١١٣) [٢٧٢٧، ٢٧٢٨] من غير هذا الوجه، فقد كانت فاطمة صابرة مع علي عسى جهد العيش وضيقه، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ولكنه أراد أن يتزوج في وقتٍ بكرة بنت أبي جهل، فانف رسول الله ﷺ من ذلك وخطب الناس فقال: «لا أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، وإن فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها، ويؤذي ما آذاها، وإني أخشى أن تقعن عن دينها، ولكن إن أحب ابن أبي طالب أن يطلقها ويتزوج بنت أبي جهل فإنه والله لا تجتمع بنت نبي الله وينت عدو الله تحت رجل واحد أبداً» (خ ٥٢٣٠، ٢٤٤٩٠، ٢٠٩٩٥، ٣٨٦٧، ١٩٩٨)، قال: فترك علي الحنظلية، ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، فسألت أن يكون زوجها ناظرًا على هذه الصدقة فأبى ذلك وقال: إني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وإني أخشى إن تركت شيئاً مما كان رسول الله ﷺ يفعلُه أن أضل، والله لقربة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرباني، فكانها وجدّت في نفسها من ذلك، فلم تزل مُنْغِصَةً مدة حياتها، فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها وقال: والله ما تركتُ البذر والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت، فرضيت رضي الله عنهما.

والصحيح الأول والله أعلم.

ومنهم:

■ ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبو محمد خطيب الأنصار ويقال له أيضاً: خطيب النبي ﷺ. وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه بشره بالجنة وأنه بشره بالشهادة - وقد تقدم الحديث في دلائل النبوة - فقتل يوم اليمامة شهيداً، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده.

وروى الترمذي بإسناد على شرط مسلم [٣٧٩٥] عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «نظم الرجل ثابت بن قيس بن شماس» وقال أبو القاسم الطبراني [المعجم الكبير ١/٢: ١٣٢٠]: حدثنا أحمد بن المولى العثقي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فسألت عمن يحميني بمحدث ثابت بن قيس بن شماس، فأرشدوني إلى ابنته، فسألته فقالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل على رسول الله ﷺ [الفسر ٣٤٢/١: ٣٤٢] «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [١٨] اشتدَّت على ثابت بن قيس وغلقت عليه بابه، وطُوقَ يميني فأخبر رسول الله ﷺ فسأله فأخبره بما كُبر عليه منها، وقال: أنا رجل أحبُّ الجمال، وأنا أسودُّ قومي، فقال: «إناك لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير، ويُدخلك الله الجنة»، فلما أنزل على رسول الله ﷺ [الفسر ٣٤٨-٣٤٥/٧: ٣٤٨] «وَمَا يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» [الحجرات: ٢] فعل مثل ذلك فأخبر النبي ﷺ فأرسل إليه فأخبره بما كُبر عليه منها، وأنه جهير الصوت، وأنه يتخوف أن يكون عن حيط عمله، فقال: «إناك لست منهم، بل تعيش حياً وتقتل شهيداً ويُدخلك الله الجنة»، فلما استفر أبو بكر المسلمين إلى أهل الردة واليمامة ومسيمة الكذاب، سار ثابت فيمن سار، فلما لقوا مسيمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ثلاث مرات، فقال ثابت وسالم مولى أبي حنيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ فجعلوا لأنفسهما حفرة فدخلوا فيها فقاتلا حتى قُتلا، قالت: وأرى رجلاً من المسلمين ثابت بن قيس في منامه فقال: إني لما قُلتُ بالأمس مرَّ بي رجل من المسلمين فالتفت مني درعاً نفيسة ومزلة في أقصى المعسكر وعند منزله فرس يستقي في طوله، وقد أكفأ على الدرع برمة، وجعل فوق البرمة رَحْلاً، واثت خالد بن الوليد فليعبث إلى درعي فليأخذها، فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأعلمه أن علي بن الحسن كنا ولي من المال كنا وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال: فأتى خالداً فوجهه إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبي بكر فأخبره فأنفذ أبو بكر وصيته بعد موته فلا تعلم أحداً جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس، ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد أخرى، والحديث المتعلق بقوله: «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ»، في «صحيح مسلم» عن أنس [١١٩].

وقال حماد بن سلمة [المعجم الكبير ١/٢: ١٣٠٧]: عن ثابت عن أنس أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوم اليمامة وقد تحمط ونشر أكفانه وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأ إِلَيْكَ مَا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءُ وَاعْتَرَلَ إِلَيْكَ مَا صَنَعَ هَؤُلَاءُ، فَقَبِلَ وَكَانَتْ لَهُ دَرْعٌ فَسَرَقَتْ فَرَأَاهُ رَجُلٌ فِيمَا يَرَى النَّاسُ فَقَالَ: إِنَّ دَرْعِي فِي قَدْرِ نَحْتِ الْكَانُونِ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا وَأَوْصَاهُ بِوَصَالِي، فَطَلَبُوا الدَّرْعَ فَوَجَدُوها وَأَتَفَقُوا الرِّصَايَا، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضاً.

ومنهم:

■ حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران المخزومي، [الاستيعاب ١/١: ٤٠١] له هجرة ويقال: أسلم عام الفتح، وهو جد سعيد بن المسيب أراد رسول الله ﷺ أن يسميه سهلاً فامتنع وقال: لا أغبر اسماً سَمَانِيَهُ أبواي، قال سعيد: فلم تزل الحزونة فبينا استشهد يوم اليمامة وقُتل معه أيضاً ابنه عبد الرحمن وهوب، وابن ابنه حكيم بن وهب بن حزن. ومن استشهد في هذه السنة:

■ دافويه القارسي [الاستيعاب ١/٢: ٤٦١] أحد أمراء اليمن الذين قتلوا الأسود العنسي، قُتل غيلةً قيس بن مكشوح حين ارتدَّ قبل أن يرجع قيس إلى الإسلام فلما عَفَّ الصَّليق على قتله أنكروا ذلك فقيل علاقته وإسلامه. ومنهم:

■ زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو محمد، وهو أخو عمر بن الخطاب لأبيه، وكان زيد أكبر من عمر، أسلم قديماً، وشهد بدرًا، وما بعدها وقد أتى رسول الله ﷺ بيته وبين معن بن عدي الأنصاري وقد قُتل جميعاً باليمامة، وقد كانت راية المهاجرين يومئذ بيده، فلم يزل يتقدم بها حتى قُتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبي حنيفة، وقد قتل زيد يومئذ الرجلان بن عتقة، واسمه نهار، وكان الرجلان هذا قد أسلم وقرأ «البقرة» ثم ارتد ورجع فصلت مسيمة وشهد له بالرسالة، فحصل به فتنة عظيمة، فكانت وفاته على يد زيد رضي الله عن زيد ثم قتل زيداً رجل يقال له: أبو مريم الحنفي، وقد أسلم بعد ذلك وقال لعمر: يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيداً بيدي ولم يُعني على يده، وقيل: إنما قتله سلمة بن صبيح ابن عم أبي مريم هذا، ورجَّحه أبو عمر وقال [الاستيعاب ٢/٢: ٥٥٢]: لأن عمر استقضى أبا مريم، وهذا لا يدل على نفي ما تقدم والله أعلم. وقد قال عمر لما بلغه مقتل زيد بن الخطاب: سبقتي إلى الحسين: أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وقال لثمن بن نيرة حين جعل يرثي أخاه مالكا بتلك الأبيات المتقدم ذكرها: لو كنتُ أحياناً الشعر لقلتُ كما قلت، فقال له متمم: لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنْتَ عليه، فقال له عمر: ما عزاني أحد بمثل ما عزيتي به، ومع هذا كان عمر يقول: ما هبَّت الصُّبَا إلا ذكرتني زيد بن الخطاب، رضي الله عنه. وكان له من الولد عبد الرحمن، وأسماء تزوجها عبد الله بن عمر. ومنهم:

■ سالم بن عبيد ويقال: ابن معقل مولى أبي حنيفة بن عتبة بن ربيعة، وإنما كان مُعْتَقاً لزوجه ثبثة بنت يعار وقد تبناه أبو حنيفة وزوجه بابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، فلما أنزل الله: «ادْعُوهُمْ لِأَكْبَانِهِمْ» [الأحزاب: ٥] جاءت امرأة أبي حنيفة سهلة بنت سهيل بن عمرو فقالت: يا رسول الله إن سالماً يدخل عليّ وأنا فُضِّلُ، فأمرها أن تُرضعه فأرضعته فكان يدخل عليها بتلك الرضاعة، وكان من سادات المسلمين، أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة قبل رسول الله ﷺ، فكان يصلي بمن بها من المهاجرين، وفهم عمر بن الخطاب لكثرة حفظه القرآن، وشهد بدرًا وما بعدها وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «استقرتوا القرآن من أروعة» [بخ: ٣٦٥٨]، فذكر منهم سالماً مولى أبي حنيفة.

وروي عن عمر أنه قال لما احتضر: لو كان سالم حياً لما جعلتها شورى [الاستيعاب ٢/٢: ٥٦٨] قال أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب ٢/٢: ٥٦٨]: معناه أنه كان يصُتُّر عن رأيه فيمن يوليهِ الخلافة.

ولما أخذ الراية يوم اليمامة بعد مقتل زيد بن الخطاب قال له المهاجرون: اتخشي أن نُؤتَى مِن قِبَلِك؟ فقال: بنس حامل القرآن أنا إذا.

انقطعت يده اليمنى فأخذها بيساره، فقطعت فاحضنها وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿وَكَايْنِ مَنْ نَبِيٍّ قَاتِلٌ مِثْلَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] فلما صرح قال لأصحابه: ما فعل أبو حليفة؟ قالوا: قُتل، قال: فما فعل فلان؟ قالوا: قُتل، قال: فاضجموني بينهما.

وقد بعث عمر بميرائه إلى مولاته التي اعتقه ثيبته فردته وقالت: إنما اعتقه سائبة، فجعله عمر في بيت المال [إسـد الغابة ٣٠٨/٢].

ومهم:

■ أبو دجانة ميمك بن حُرْثَة - ويقال: ميمك بن أوس بن حُرْثَة - ابن لؤذان بن عبد وَدَّ بن زيد بن ثعلبة بن الحُزْرج بن ساعدة بن كعب بن الحُزْرج الأنصاري الحُزْرجي: شهد بدرًا وأبلى يوم أحد، وقتل قتالًا شديداً وأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ سيفاً فأعطاه حقه وكان يتبختر عند الحرب، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن هذه لمشيئة ينفذها الله»، إلا في هذا الموطن [الدلائل ٢٢٤، ٢٢٣/٢] وكان يعصب رأسه بعصابة حمراء، شعرا له بالشجاعة. وشهد اليمامة ويقال: إنه عن اقتحم على بني حنيفة يومئذ الحليفة فانكسرت رجله، فلم يزل يُقاتل حتى قُتل يومئذ.

وقد قتل مسيلة مع وحشي بن حرب رماه وحشي بالحربة وعلاه أبو دجانة بالسيف، قال وحشي: فَرُكْتُ أعلم أبنا قَتَلَهُ. وقد قيل: إنه عاش حتى شهد صفين مع علي، والأول أصح. وأما ما يُروى عنه من ذكر الحِرْزِ النسوب إلى أبي دجانة فإسناده ضعيف ولا يلتفت إليه والله أعلم.

ومهم:

■ شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي: حليف بني عبد شمس [الاستيعاب: ٧٠٧/٢]، أسلم قديماً وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها. وكان رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني فلم يسلم، وأسلم حاجبه بَرَى. واستشهد شجاع بن وهب يوم اليمامة عن بضع وأربعين سنة، وكان رجلاً طويلاً نحيفاً أجناً.

ومهم:

■ الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اللوسى: أسلم قديماً قبل الهجرة ودُعي إلى قومه فدعاهم إلى الله فهداهم الله على يديه، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة جاءه بتسعين أهل بيت من قُوس مسلمين، وقد خرج عام اليمامة مع المسلمين ومعه ابنه عمرو، فرأى الطفيل في المنام كأن رأسه قد حُلِقَ، وكان امرأة أدخلته في فرجها، وكان ابنه يجهد أن يلحقه فلم يصل. فأولها بأنه سيقتل ويدفن، وأن ابنه يحرص على الشهادة فلا ينالها عامه ذلك. وقد وقع الأمر كما أولها، ثم قُتل ابنه شهيداً يوم اليرموك كما سيأتي.

ومهم:

■ عباد بن بشر بن وقش الأنصاري [الاستيعاب: ٨٠١/٢] أسلم على يدي مصعب بن عمير قبل الهجرة قبل إسلام معاذ، وأسيد بن الحضير، وشهد بدرًا وما بعدها. وكان عن قتل كعب بن الأشرف، وكانت عصاه تُضيء له إذا خرج من عند رسول الله ﷺ في ظلمة. قال موسى بن عقبة عن الزهري: قُتل يوم اليمامة شهيداً عن خمس وأربعين سنة، وكان له بلاء وغناء. وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة (ر.خ ٢٦٥٥) قالت: تهجد ﷺ رسول الله فسمع صوت عباد فقال: «اللهم اغفر له».

ومهم:

■ السائب بن عثمان بن مظعون [الاستيعاب: ٥٧٥/٢] بدرى من الرماة، أصابه يوم اليمامة سهم قتلته وهو شاب، رحمه الله.

ومهم:

■ السائب بن العوام [الاستيعاب: ٥٧٢/٢] أخو الزبير بن العوام استشهد يومئذ رحمه الله.

ومهم:

■ عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدَّ القرظي العامري [الاستيعاب: ٩٢٥/٣]، أسلم قديماً وهاجر ثم استضعف بمكة، فلما كان يوم بدر خرج معهم فلما توجهوا فرَّ إلى المسلمين فشهدا معهم، وما بعدها وقتل يوم اليمامة فلما حج أبو بكر عزى أباه فيه، فقال سهيل: يلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشهيد يشفع لسبعين من أهله»، فأرجوا أن يبدأ بي.

ومهم:

■ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري الحُزْرجي [الاستيعاب: ٩٤٠/٣]، كان من سادات الصحابة وفضلائهم، شهد بدرًا وما بعدها وكان أبوه رأس المنافقين، وكان أشد الناس على أبيه، ولو أذن له رسول الله ﷺ فيه لضرب عنقه، وكان اسمه الحُباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقد استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه.

ومهم:

■ عبد الله بن أبي بكر الصديق [الاستيعاب: ٨٧٤/٣] أسلم قديماً، ويقال: إنه الذي كان يأتي بالطعام والشراب والأخبار إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيه أبي بكر وهما بغار نُزُر، وببيت عندهما ويصبح بمكة كباث، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا أخبرهما به. وقد شهد الطائف فرماه رجل يقال له: أبا عجن الثقفي بسهم فلُوثِي منها فاندملت ولكن لم يزل منها ضئيلاً حتى مات في شوال سنة إحدى عشرة.

ومهم:

■ عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزاعة الأسدي حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن، وكان من سادات الصحابة وفضلائهم، هاجر وشهد بدرًا وأبلى يومئذ بلاءً حسناً وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ عُرجونا فعدا في يده سيفاً أبيض الحديد شديد المتن. وكان ذلك السيف يسمى العَوْن. وشهد أحداً والخندق وما بعدها.

ولما ذكر رسول الله ﷺ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب قال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة». والحديث مروى من طرق تفيد القطع.

وقد خرج عكاشة مع خالد يوم إمرة الصديق بذى القصة فبعثه وثابت بن أرقم بين يديه طليعة، فتلقاهما طليعة الأسدي وأخوه سلمة فقتلاههما، وقد قُتل عكاشة قبل مقتله حيال بن طليعة، ثم أسلم طليعة بعد ذلك كما ذكرنا، وكان عُمر عكاشة يومئذ أربعاً وأربعين سنة وكان من أجل الناس رضي الله عنه.

ومهم:

■ معن بن عدي بن الجند بن عجلان بن ضبيعة البلوي [الاستيعاب: ١٤٤١/٤]، حليف بني عمرو بن عوف. وهو أخو عاصم بن عدي شهيد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد، وكان قد آخى رسول

الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب قتلًا جميعاً يوم اليمامة رضي الله عنهم.

وقال مالك [الاستيعاب/٤/١٤٤١] عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال: بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا: والله وَدَدْنَا أَنَّا مُتْنَا قَبْلَهُ نَحْنُ أَنْ تَفْتَنَ بَعْدَهُ، فقال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقته ميتاً كما صدقته حياً.

ومنهم

■ الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد بن المغيرة، قُتِلَا مع عمهما خالد بن الوليد بالبطاح وأبوهما عمارة بن الوليد هو صاحب عمرو بن العاص إلى النجاشي، وقصته مشهورة.

ومنهم:

■ أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العيشي [الاستيعاب/٤/١٦٣١] أسلم قديماً قبل دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر وقد قُتِلَا شهيدين يوم اليمامة وكان عمر أبي حذيفة يومئذ ثلاثاً أو أربعاً وخمسين سنة، وكان طويلاً حسن الوجه أحول أثقل، وهو الذي له سرٌّ زائلة وكان اسمه هُشَيْمًا وقيل مهشم وقيل: هاشم.

وبالجملية فقد قُتِلَ من المسلمين يوم اليمامة أربعمئة وخمسون من حملة القرآن ومن الصحابة وغيرهم. وإنما أوردنا هؤلاء لشهرتهم وبالله المستعان. قلت: ومن استشهد يومئذ من المهاجرين: مالك بن عمرو حليف بني غنم مهاجري بدري، ويزيد بن رقيش بن رثاب الأسدي بدري، والحكم بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، وجبير بن مالك ابن نجبة أخو عبد الله بن مالك الأزدي، حليف بني المطلب بن عبد مناف. وعامر بن الكبير الليثي حليف بني عدي بدري، ومالك بن ربيعة حليف بني عبد شمس، وأبو أمية صفوان بن أمية بن عمرو. ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار، وحبي ويقال: مُعَلَّى بن حارثة الثقفي. وحبيب بن أسيد بن جارية الثقفي، والوليد بن عبد شمس المخرومي، وعبد الله بن عمرو بن بكرة العدوي، وأبو قيس بن الحارث بن قيس السهمي، وهو من مهاجرة الحبشة، وعبد الله بن الحارث بن قيس، وعبد الله بن غرمة بن عبد العزي بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر العامري، من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها، وقتل يومئذ. وعمرو بن أوس بن سعد بن أبي سرح العامري، وسليط بن عمرو العامري، وربيعة بن أبي خرشة العامري، وعبد الله بن الحارث بن رخصة من بني عامر.

ومن الأنصار غير من ذكرنا تراجمهم:

■ عمارة بن حزم بن زيد بن لؤذان التجاري، وهو آخر عمرو بن حزم، كانت معه راية قومه يوم الفتح، وقد شهد بدرًا وقُتِلَ يومئذ. وعقبة بن عامر بن ناهي بن زيد بن حرام السلمي، شهد العقبة الأولى وشهد بدرًا وما بعدها. وثابت بن هزأل من بني سالم بن عوف بدري. في قول. وأبو عقيل عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة من بني جحجج، شهد بدرًا وما بعدها، فلما كان يوم اليمامة أصابه سهم فترعه ثم تحزّم وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ، وقد أصابته جراحات كثيرة.

و■ عبد الله بن عتيك.

و■ رافع بن سهل.

و■ حاجب بن يزيد الأشهلي.

و■ سهل بن عدي.

و■ مالك بن أوس.

و■ عمرو بن أوس.

و■ طلحة بن عتبة من بني جحجج.

و■ رباح مولى الحارث.

و■ معن بن عدي.

و■ جزء بن مالك بن عامر من بني جحجج.

و■ ذقة بن إلياس بن عمرو الخزرجي بدري.

و■ جرويل بن العباس.

و■ عامر بن ثابت.

و■ بشر بن عبد الله الخزرجي.

و■ كليب بن تميم.

و■ عبد الله بن عتبان.

و■ إلياس بن ذقة.

و■ أسيد بن يربوعز.

و■ سعد بن حارثة.

و■ سهل بن جفان.

و■ عفاش بن حمير.

و■ سلمة بن مسعود، وقيل: مسعود بن سنان.

و■ ضمرة بن عياض.

و■ عبد الله بن أنيس، وأبو حبة بن غزية المزني.

و■ حبيب بن زيد.

و■ حبيب بن عمرو بن محسن.

و■ ثابت بن خالد.

و■ فروة بن العمان.

و■ عائذ بن معاص.

و■ يزيد بن ثابت بن الضحاك، أخو زيد بن ثابت.

قال خليفة بن خياط [تاريخ خليفة/١/٩٧]: فجميع من استشهد من المهاجرين والأنصار يوم اليمامة ثمانية وخمسون رجلاً، يعني وبيعة الأربعمئة والخمسين من غيرهم والله أعلم.

وقد قُتِلَ من الكفار فيما سقنا من المراتن التي التقى فيها المسلمون والمشركون في هذه وأوائل التي قبلها، ما ينيف على خمسين ألفاً والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.

فمن مشاهيرهم:

■ الأسود الغنسي لعنه الله واسمه عُبَيْلَةُ بن كعب بن غوث، خرج أول غزاه من بلدة باليمن يقال لها: كهف حُبَانٍ ومعه سبعمئة مقاتل، فما مضى شهر حتى ملك صنعاء ثم استوسقت له اليمن بخذافيرها في أقصر مدة. وكان معه شيطان يُمَخَّرِقُ له ولكن خاتنه أحوَجَ ما كان إليه. ثم لم تمض له ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر حتى قتله الله على يدي إخوان صدق، وأمرأه حق، كما قدمنا ذكره وهم ذائقوه الفارسي، وفريوز الديلمي، وقيس بن مكشوح المرادي، وذلك في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة، قبل وفاة رسول الله ﷺ بليال، وقيل: ببليلة فالله أعلم، وقد أطلع الله رسوله ليلة قتله على ذلك كما أسلفناه.

ومتهم:

■ مسيلة بن حبيب الحنفي البعاسي الكلاب لعنه الله:

قدم المدينة وانفذ إلى رسول الله ﷺ مع قومه بني حنيفة، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ فسمعه وهو يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فقال له: «لو سألتني هذا العود - لمرجون في يده - ما أعطيتك، ولئن أدبرت ليحقرنك الله، وإنني لأراك الذي أريت فيه ما أريت»، وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام كان في يده سيورين من ذهب فأهمه شأنهما، فأوحى الله إليه في المنام أن اتخهما، ففخهما فطارا، فأولهما بكذاين يخرجان، وهما صاحب صنعا، وصاحب البعاسة. وهكذا وقع، فأتتهما ذهابا وذهب أمرهما. أما الأسود فنبذ في داره، وأما مسيلة ففقره الله على يدي وحشي بن حرب رماه بالحربة فأنفذه كما تقرر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه وذلك بمقر داره في الحديقة التي يقال لها: حديقة الموت. وقد وقف عليه خالد بن الوليد وهو طريح، أراه إياه من بين القتلى بجاعة بن مرارة، ويقال: كان أصغر أخنسن وقيل: كان ضخماً أسمر اللون كأنه جل أروق، ويقال: إنه مات وعمره مائة وأربعون سنة قاله أعلم.

وقد قُتل قبله وزيراه ومستشاراه لعنهما الله، وهما مُحكم بن الطفيل الذي يقال له: محكم البعاسة، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر، رماه بسهم وهو يغضب قومه يأمرهم بمصالح حربهم فقتله، والآخر نهار بن عنوة الذي يقال له: الرجال بن عنوة، وكان ممن أسلم ثم ارتد وصديق مسيلة لعنهما الله وشهد له أنه سمع النبي ﷺ يذكر له أنه قد أشرك في الأمر معه وقد كذب الرجال لعنه الله في هذه الشهادة، وقد رزق الله زيد بن الخطاب قتله قبل أن يقتل زيد رضي الله عنه، وما يدل على كذب الرجال في هذه الشهادة الضرورية في دين الإسلام، وما رواه البخاري وغيره أن مسيلة، لعنه الله، كتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك: أما بعد فإني قد أشركت معك في الأمر، فلك المدر ولي الوير، ويروى: فلكم نصف الأرض ولنا نصفها، ولكن قريشاً قوم يعتنون، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين». وقد قلتما ما كان يتعاطاه مسيلة ويتعانه لعنه الله من الكلام الذي هو أسخف من الهذيان، عما كان يزعم أنه وحي من الرحمن تعالى الله عما يقوله وأمثاله علواً كبيراً.

ولما مات رسول الله ﷺ زعم أنه استغل بالأمر من بعده واستخف قومه فاطاعوه وكان يقول:

خُذْنِي السِّلَفَ يَا هَذِهِ النَّبِيَّ وَيُتْسِي عَمَائِيْنَ هَذَا النَّبِيَّ
تَسُوْلُ نَبِيَّ بِنَبِيٍّ فَاتَّبِعْ وَقَامَ نَبِيٌّ بِنَبِيٍّ يَتَرَبُّبُ

فلم يمهله الله بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا قليلاً حتى سلط الله عليه سيفاً من سيوفه، وحقاً من حنوفه فبجع بطنه، وقلق رأسه وجعل الله بروحه إلى النار فبئس القرار، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ بِمِثْلِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ» [الأنعام: ٩٣] فمسيلة والأسود وأمثالهما لعنهم الله أحق الناس دخولاً في الآيه الكريمة، وأولاهم بهذه العقوبة العظيمة

سنة ثنتي عشرة من الهجرة النبوية

استهلت هذه السنة وجيوش الصنّيق وأمراؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة جوارلون في البلاد ميمناً وشمالاً، لتمهيد قواعد الإسلام وقتال الطغاة من الأنام، حتى ردّ شارد الدين بعد ذهابه، وترجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

وقد قال جماعة من علماء السير والتواريخ: إن وقعة البعاسة كانت في ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: إنها كانت في أواخر السنة التي قبلها، والجمع بين القولين أن ابتلاءها كان في السنة الماضية، وانتهاءها وقع في هذه السنة الآتية، فعلى قول الأولين ينبغي أن تنقل تراجم من ذكرنا أنه قُتل في البعاسة إلى هذه السنة، وعلى القول الآخر ينبغي أن يُذكر في السنة الماضية كما ذكرنا لاحتمال أنهم قُتلوا في الماضية، ومبادرة إلى استيفاء تراجمهم قبل أن يُذكروا مع من قتل بالشام والعراق في هذه السنة على ما سنذكر إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قيل: إن وقعة جوثا وثمان ومهرة وما كان من الوقائع التي أشرنا إليها إنما كانت في سنة ثنتي عشرة.

وفيها كان قتل الملوك الأربعة: جُند وخرس وأبضعة ومشرخ، واختتم العمرة الذين ورد الحديث في «مسند أحمد» لعنهم. وكان الذي قتلهم زياد بن لبيد الأنصاري.

بعث خالد بن الوليد إلى العراق

لما فرغ خالد بن الوليد من البعاسة، بعث إليه الصنّيق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأبله، ويأتي العراق من أعالها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا من ذلك كله قاتلهم في الله، وأمره أن لا يكره أحداً على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان قد عاد إليه. وأمره أن يستصحب كل امرئ مر به من المسلمين. وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه.

قال الواقدي [تاريخ الطبري ٣/٣٤٣]: اختلف في خالد، فقائل يقول: قضى من وجهه ذلك من البعاسة إلى العراق، وقائل يقول: رجع من البعاسة إلى المدينة ثم سار إلى العراق من المدينة فمر على طريق الكوفة حتى انتهى إلى الحيرة.

قلت: والمشهور الأول.

وقد ذكر المصنف بإسناده [تاريخ الطبري ٣/٣٤٣] أن خالداً توجه إلى العراق في الحرم سنة اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة، وفيها قطبة بن قتادة، وعلى نواحي الكوفة المثنى بن حارثة الشيباني.

وقال محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان [تاريخ الطبري ٣/٣٤٣]: إن أبا بكر كتب إلى خالد أن يسير إلى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقرنات من السواد يقال لها بانقيا وباروسا وأليس، وصاحبها جابان، فصالحه أهلها.

قلت: وقد قُتل منهم المسلمون قبل الصلح خلقاً كثيراً. وكان الصلح على ألف درهم، وقيل: دينار، في رجب، وكان الذي صاحبه بُصَيْهَرِي بن صلوا، ويقال: صلوا بن بُصَيْهَرِي، فقبل منهم خالد وكتب لهم كتاباً، ثم أقبل حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبضة بن إلياس بن حبة الطائي وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال لهم خالد: ادعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن اجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما هم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهلناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبضة: مالنا بمهلك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية. فقال لهم خالد: تباً لكم إن الكفر فلاة مُضلة، فأتى العرب من سلكها فلقية منهم رجلان أحدهما عربي والآخر أعجمي فتركه واستدل بالتمجي، ثم صالحهم على تسعين ألفاً، وفي رواية: مائتي ألف درهم فكانت أول جزية أخذت من العراق وحُمِلت إلى المدينة هي والقرآن قبلها الي صالح عليها ابن صلوا.

قلت: وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممن وقَد إلى خالد عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن ثقيفة، وكان من نصارى العرب، فقال له خالد: من أين أتيتك؟ قال: من ظهر أبي، قال: ومن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك! على أي شيء أنت؟ قال: على الأرض، قال: ويحك! وفي أي شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك! تعقل؟ قال: نعم وأقيد، قال: إنما أسألك قال: وأنا أجيبك، قال: أيلم أنت أم خرب؟ قال: بل سيلم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بيننا للسيف نجسه حتى يميء الحليم فيها، ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، فأجابوا إلى الجزية تسعين أو مائتي ألف كما تقدم.

ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمداخن ومرازته ووزرائه، كما قال هشام بن الكلبي [تاريخ الطبري ٣/٣٤٦] عن أبي مخنف عن مجاهد عن الشعبي قال: أقرأني بنو ثقيفة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المداخن: من خالد بن الوليد إلى مرزاة أهل فارس، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد فالحمد لله الذي فضى خدتككم وسلب ملككم ووطن كيدكم، وإنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرهن واعتقدوا مني الذمة، وإلا فالذي لا إله غيره لأبعث إليكم قوماً يميئون الموت كما تحبون أنتم الحياة. فلما قرؤوا الكتاب أخذوا يتعجبون.

وقال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٣/٣٤٨-٣٥٠] عن طليحة الأعمى عن المغيرة بن عثية - وكان قاضي أهل الكوفة - قال: فرق خالد خروجه من اليمامة إلى العراق جندته ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرع المثنى قبله يبريم ودليله ظفر، وسرع عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو، ودليهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه يبرم، وخرج خالد - يعني في آخرهم - ودليله رافع فواعدهم جميعاً الحفير ليجمعوا به، ويصادموا عدوهم، وكان فرج الهندي ويسمى فرج الذهب أعظم فروج فارس بأساً وأشدّها شوكة، وكان صاحبه بجارب في البر والهند في البحر وهو هرمز، فكتب إليه خالد فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شيري بن كسرى، وأردشير بن شيري، وجسع هرمز، وهو نائب كسرى جموعاً كثيرة وسار بهم إلى كاظمة، وعلى عجبته قباذ وأبو شحان - وهما من بيت الملك - وقد تفرق الجيش في السلاسل لثلاثا فسروا، ومنعهم السلاسل من الهزيمة، وقتل منهم ثلاثون ألفاً سوى من غرق وبيت

السلاسل إلى الصديق وكان هرمز هنا من أخيت الناس طوية وأشدهم كفراً، وكان شريفاً في الفرس وكان الرجل كلما ازداد شرفاً زاد في حيلته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركباً على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء. فقوى المسلمون بذلك، وفرحوا فرحاً شديداً، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلف ضربتين واحتضنه خالداً، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكثافهم إلى الليل واستحذو المسلمون خالد على امتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وسيت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس، وأفلت قباذ وأورشجان، ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأتقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع رزين بن كليص، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقرن أمناً خلق الله هذا أم شئ مصنوع؟ فرد الصديق مع رزين، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنقله سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجواهر وبعث خالد الأمراء مينا وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك ففتحوها عنوة وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمّة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين - من لم يقاتل منهم - ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس ثم كانت وقعة المذار في صفر من هذه السنة. ويقال لها: وقعة الثني، وهو النهر، قال ابن جرير ويومئذ قال الناس، صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار. وكان سببها أن هرمزاً كان قد كتب إلى أردشير وشيري، يقدم خالد نغره من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد مع أمير يقال له: قارن بن قريانس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفر من فر من الفرس، فتلقاهم قارن، فالتقوا عليه فتنازروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى عجبته قارن قباذ وأورشجان، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة يوم ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بنغره مع الوليد بن عتبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على نبتته، فاقبلوا قتال حتى وحفيظة، وخرج قارن يدهو إلى السرايز فبرز إليه خالد وأبندره الشجعان من الأمراء قاتل معقل بين الأعشى بن النباش قارناً، وقتل عدي بن حاتم قباذ، وقتل عاصم أورشجان، وفرت الفرس وركبهم المسلمون في ظهورهم فقتلوا منهم يومئذ ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمذار وسلم الأسلاب إلى من قتل، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس، وجمع بقية الغنيمة وخمسها، وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق، مع سعيد بن النعمان، أخي بني عدي بن كعب وأقام خالد هناك حتى قسم أربعة الأخماس وسعى فراري من حصره من المقاتلة، دون الفلاحين فإنه أقرهم بالجزية وكان في هذا السبي حبيب أبو الحسن البصري وكان نصرانياً ومافته مولى عثمان وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبه، ثم أمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن، وأمره أن ينزل الحفير ليجي إليه الأموال وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء ثم كان أمر الرجعة في صفر أيضاً من هذه السنة، فيما

وخين الفأ، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فأنزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوا عشاء. وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققا كثيرا فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقولون: ما هذه الرقع؟ يجسبنها ثيابا، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم بريق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رققا، ولما كانت العرب تسميه العود، وقد قال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي عن حدث عن خالد أن رسول الله ﷺ نفل الناس يوم خيبر الخبز والبطيخ والشواء وما أكلوا غير ذلك غير مثاليه، وكان جل من قتل بهذه الوقعة يوم اليس من بلدة يقال لها أمغيشا، فعدل إليها خالد وأمر بخربها واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنما عظيما، فقسم بين الغنائم فاصاب الفارس بعد النفل ألفا وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله. ويعد خالد إلى الصديق بالشارة والفتح والحسن من الأموال والسي مع رجل يقال له جندل من بني عجل، وكان دليلا صارما، فلما بلغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية من السي، وقال الصديق: يا معشر قريش إن اسدكم قد عنا على الأسد فقلبه على خراذيله، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد. وقد صدق الصديق ﷺ ثم جرت أمور طويلة لخالد في أماكن متعددة على سماعها، وهو مع ذلك لا يكل ولا يمل ولا يهن ولا يحزن، بل كلما له في قوة وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله، وذلاً للكفر وشتات شمله.

فصل

ثم سار خالد فنزل الحورنق والسدير وبالنخف وبث سراياه هاهنا وهاهنا، يحاصرون الحصون من الحيرة يستزلون أهلها قسراً وقهراً، وصلحاً ورساً، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم المتقدم ذكره، وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان، وكان الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن ثقبلة ووجد خالد معه كيساً فقال: ما في هذا؟ وفتح خالد فوجد فيه سماً - فقال ابن ثقبلة: هو سم ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟ فقال حتى إذا رايت مكروها في قومي أكلته فالوت أحب إلي من ذلك، فأخذ خالد في يده وقال: إنه لم تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء الذي ليس بضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم، قال: وأمرى إليه الأمراء ليمنعوه منه فيأدرهم فابتلع، فلما رأى ذلك ابن ثقبلة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أوتيت مادام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كالיום أوضح إقبالا من هذا، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلح فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له شريك، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كان شرفها أبواب الكلاب فقال له: يا رسول الله هب لي ابنة ثقبلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاهما شريك وشهد له اثنتان من الصحابة، فامتنعا من تسليمها إليه وقالوا: ما تريد إلى امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت لقرمها: ادفعوني إليه فإني سأقتدي منه، وإنه قد رأيته وأنا شابة، فسلمت إليه فلما خلا بها قالت: ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منك فاحكم بما أردت، فقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة فاستكرتها خديعة منها، ثم أتت قومها

ذكره ابن جرير وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمدار من قبل قارن وأصحابه إلى أردشير وهو ملك الفرس يومئذ وبعت أميرا شجاعاً يقال له الأندز زغر، وكان من أبناء السواد ولد بالمدائن ونشأ بها وأمه بجيش آخر مع أمير يقال له بهمن جاذوي، فساروا حتى بلغوا مكانا يقال له: الوجلة، وهي بما يلي كسكر من ناحية اليم فسمع بهم خالد فسار بمن معه من الجنود ووصى من استخلفه هناك بالخطر وقلة الغفلة، فأنزل أندز زغر ومن ناشب معه، واجتمع عنده بالوجلة، فاقتلوا قتالا شديدا هو أشد مما قبله، حتى ظن الفرقيان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ كمينه الذي كان قد أرصدهم وراءه في موضعين، فما كان إلا يسيرا حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا، فقتل صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندز زغر من الوجلة فمات عطشا، وقتل منهم سبعون ألفا وقام خالد في الناس خطيبا فغرضهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون ما هاهنا من الأطعمة؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه عن أناقل عما أتم عليه. ثم خس الغنيمة، وقسم أربعة أخماسها بين الغنائم، وبعت الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية، وقال سيف بن عمر عن عمرو عن الشعبي، قال: بارز خالد يوم الوجلة رجلا من الأعاجم يعدل بألف رجل فقتله، ثم اتكا عليه وأتى بغناحه فأكله وهو متكئ عليه بين الصفيين.

ثم كانت وقعة اليس في صفر أيضا وذلك أن خالداً كان قد قتل يوم الوجلة طائفة من بكر بن وائل، من نصارى العرب ممن كان مع الفرس، فاجتمع عشائهم وأشدهم حقا عبد الأسود العجلي، وكان قد قتل له ابن بالأسر، فكتبوا الأعاجم فأرسل إليهم أردشير جيشاً، فاجتمعوا بمكان يقال له: آيس، فبينما هم قد نصبوا لهم سباطا فيه طعام يريدون أكله، إذ غلظهم خالد بجيشه، فلما راوه أشار من أشار منهم بإكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسرى واسمه جبابان بل نهض إليه، فلم يسمعوا منه. فلما نزل خالد تقدم بين يدي جيشه ونادى بأعلى صوته يا شجعان من كان هنالك من الأعراب: أين فلان، أين فلان؟ فكلهم تذكروا عنه إلا رجلا يقال له مالك بن قيس، من بني جلدرة، فإنه برز إليه، فقال له خالد: يا ابن الخبيثة ما جراك على من بينهم وليس فيك وفاء؟ فضربه فقتله. فغرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتلوا قتالا شديدا جدا، والمشركون يرقبون قدم بهمن مدداً من جهة الملك إليهم، فهم في قوة وشدة وكلب في القتال. وصبر المسلمون صبرا بليفاً، وقال خالد: اللهم لك عليّ إن متحتا أكتافهم أن لا استبقي منهم أحداً أقدر عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم. ثم إن الله عز وجل منح المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيل بهم أفواجا يساقون سوقا، وقد وكل بهم رجلا يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة وظلهم في الغد، ومن بعد الغد وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه في النهر، وقد صرف ماء النهر إلى موضع آخر فقال له بعض الأمراء: إن النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء على الدم فيجري معه فتر يمينك، فأرسله فسال النهر دماً عيطاً، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم، فدارت الطواحين بذلك الماء المختلط بالدم العييط ما كفى العسكر يكماله ثلاثة أيام، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً وقيل مائة

وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخندق فضرب معهم رأساً، ولما تواجبه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى قتلوا منهم ألف عينا، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، فسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاد خالداً في الصلح، فاشتراط خالد أموراً امتنع شيرزاد من قبولها فقدم خالد إلى الخندق فاستدعى يرزئ الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها وجزأ هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاد ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمته فوفى له خالد بذلك، وخرج شيرزاد من الأنبار وتسلمها خالد، فترها وأطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إيراد، كانوا بها من زمان بُحْتُ بُحْتُ نَصْرَ حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالداً قول بعض إيراد يمتدح قومه:

قَوْمِي إِيَادُ نَصْرُ أَهْلُهُمْ أَتَمُّ أَوْ لَسَوْا قَامُوا فَتَهَزَّلَ النِّتَمُ
قَرَوْمٌ لَهُمْ بَاخَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَبِيعاً وَاللُّسُوحُ وَالْقَلَمُ
ثم صالح خالد أهل البوايزج وكلوذاي، قال: ثم تقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطرت بعض الأحوال، ولم يبق على عهده سوى البوايزج وباقيها.

قال سيف بن عمر [تاريخ الطولي ٣/٣٧٥] عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال: ليس لأحد من أهل السواد عقد قبل الواقعة، إلا بني صلوياء وهم أهل الحيرة وكلوذاي وقرى بين قرى الفرات، حتى غدروا حتى دعوا إلى الذمة بعلما غدروا.

وقال سيف [تاريخ الطولي ٣/٣٧٥] عن محمد بن قيس: قلت للشعي: أئخذ السواد عنزة؟ قال: نعم، وكل أرض إلا بعض القلاع والحصون قال: بعض صالح وبعض غالب. قلت: فهل لأهل السواد ذمة اعتقلوها قبل الحرب؟ قال: لا، ولكنهم لا دُعوا ورضوا بالخراج وأئخذ منهم صاروا ذمة.

وقعة عين التمر

لما استقل خالد بالأنبار استتاب عليها الزريقان بن بذر، وقصد عين التمر وبها يومئذ مهرا بن بهرام جوين في جمع عظيم من العجم، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتقلب وإياد ومن لا قاهم وعليهم عفة بن أبي عفة، فلما دنا خالد قال عفة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوىاء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد وتلقاه عفة فلما تواجها قال خالد لجنبيه: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حُثَمَاءُ أن يكونوا من ورائه، وحمل على عفة وهو يسري الصفوف فاحتضته وأسره وانهزم جيش عفة من غير قتال فأكتروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهرا بن هزيمة عفة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلان نصاري الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتسروا به، فجاء خالد فأحاط بهم، وحاصرهم أشد الحصار، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن يتزلوا على حكمه، فنزلوا على حكم خالد ففعلوا في السلاسل

فأحضروا له ألف درهم، ولأمة الناس وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة؟ وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره، وإنما تحكم بظاهر قولك، ونيك عند الله، كاذبا أنت أم صادقا.

وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي: لما افتتح خالد الحيرة صلى ثمانين ركعات بتسليمة واحدة، وقد قال عمرو بن القعقاع في هذه الأيام ومن قتل من المسلمين بها وأيام الردة:

سَقَى اللَّهُ قَتْلَى بِالْفَرَاتِ مَقْبِيسَةً وَآخَرَى بِأَلْبِاحِ النَّجَافِ الْكَوَاتِسِفِ
وَنَحْنُ وَطَبَا بِالْكَوَاظِمِ هُرُوسًا وَبِالْثَّنِيِّ قَرْسِي قَارِنِ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحَطْنَا بِالْقُصُورِ تَنَابَتْ عَلَى الْحِيرَةِ الرُّوحَاءُ إِحْدَى الْمَصَارِفِ
خَطَطْنَاهُمْ فِيهَا وَقَدْ كَانَ عَرَشُهُمْ يَمِيلُ بِهِمْ فَعَلَّ الْجَبَانِ الْمُخَالَفِ
زَمِينًا عَلَيْهِم بِالْقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا غِبُوقَ النَّبَاِ حَوْلَ تِلْكَ الْحَارِفِ
صَنِيعَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ نَسْزِلُوا إِلَى الرِّيفِ مِنْ أَرْضِ الرُّمَيْبِ الْمَقَاتِفِ

وقد قديم جرير بن عبد الله البجلي على خالد بن الوليد وهو بالحيرة بعد الوقعات المتعددة، والغنائم المتقدم ذكرها، ولم يحضر شيئاً منها، وذلك لأنه كان قد بعث الصديق مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام فاستأذن خالد بن سعيد في الرجوع إلى الصديق ليجمع له قومه من بجيلة فيكونوا معه، فلما قديم على الصديق فسأله ذلك غضب الصديق وقال: أتيتني لتشتغلني عما هو أرضي لله من الذي تدعوني إليه، ثم سيره الصديق إلى خالد بن الوليد بالعراق [تاريخ الطولي ٣/٣٦٥].

قال سيف بأسانيده [تاريخ الطولي ٣/٣٦٧-٣٦٨]: ثم جاء ابن صلوياء فصالح خالداً على بائقيا وباروسما وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار، وجاءه دعاة من تلك البلاد فصالحوه على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة على الحيرة، واتفق في تلك الأيام التي كان خالد قد تمكن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك البلدان وأوقع بأهل أليس والثني وما بعدها بفارس ومن تأشب معهم ما أوقع من القتل الفظيع في فرسانهم - أن عدت فارس على ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيري قتلوهما وقتلوا كل من يتسبب إليهما، وقيت الفرس حائرين لمن يولونه أمرهم، واختلفوا فيما بينهم، غير أنهم قد جهزوا جيوشاً تكون حائلة بين خالد وبين الملائن التي فيها إيوان كسرى وسير علكته، فحيتذ كعب خالد إلى من هنالك من المرازية والأمراء والوزراء والدولة، يدعومهم إلى الله وإلى الدخول إلى دين الإسلام ليثبت ملكهم عليهم، وإلا فليذهبوا الجزية وإلا فليعلموا وليستعدوا لقلوبهم عليهم بقوم يحبون الموت كما يحبون هم الحياة، فجمعهم معجبون من جرأة خالد وشجاعته، ويسخرون من ذلك لحماقتهم وزعزعتهم في أنفسهم، وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة ستة يتردد في بلاد فارس وهنا وهناك، ويوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة، ما يبهز الأبصار لمن شاهد ذلك، ويشف أسماخ من بلغه ذلك ويمير العقول لمن تثيره.

فتح خالد للأنبار، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون

ركب خالد في جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له: شيرزاد، فأحاط بها خالد

خير وقعتي الحصيد والمصيح

قال سيف [تاريخ الطبري ٣/٣٧٩-٣٨١] عن محمد وطلحة والمهلب قالوا: وقد كان خالد أقام بدومة الجندل فظن الأعاجم به وكتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان، وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فذكي السعدي وأمره بالحصيد وبعث عروة بن أبي الجعد البارقي وأمره بالخنافس، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن حلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس، فالتقوا بمكان يقال له: الحصيد، وعلى المعجم رجل منهم يقال له: روزبه، وأمه أمير آخر يقال له: زرمهر، فاقترلوا قتالاً شديداً، وهزم المشركون قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً، وقتل القعقاع بيده زرمهر، وقتل رجل يقال له: عصمة بن عبد الله الضبي روزبه. وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، وهرب من هرب من المعجم، فلدجأوا إلى مكان يقال له: خنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فذكي السعدي، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المصيح، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعراب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنهمهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شهبوا إلا بنغم مصرعة.

وقد روى ابن جرير [تاريخ الطبري ٣/٣٨٢] عن عدي بن حاتم قال: انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال له: حرقوص بن النعمان النمرى، وحوله بنوه وبناته وأمراته، وقد وضع لهم جفنة من خر وهم يقولون: أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت؟ فقال لهم: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها، فشربوا وجعل يقول:

ألا فاستقباني قبل شائيرة الفجر
فصل تنابنا قريب ولا نندري
القصيد إلى آخرها، قال: فهجم الناس عليه فضرب رجل رأسه فافا هو في جفته، وأخذت بنوه وبناته وأمراته.

وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون، وهما عبد العزيز بن أبي رهم بن قرواش، قتله جرير بن عبد الله البجلي، والآخر ليث بن جرير، قتله بعض المسلمين، فلما بلغ خبرهما الصديق وداعهما، وبعث بالوصاة بأولادهما، وتكلم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما، كما تكلم فيه بسبب مالك بن نويرة، فقال له الصديق: كذلك يلقي من يساكن أهل الحرب في ديارهم، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين، وهذا كما في الحديث «أنا بريء من كل من ساكن المشرك في داره» [٢٩٤٥] [١٦٠٤] [٤٧٩٤] وفي الحديث الآخر «لا تراءى نراهما» أي لا يجتمع المسلمون والمشركون في حلة واحدة، ثم كانت وقعة التسي والزميل [تاريخ الطبري ٣/٣٨٢، ٣٨٣] وقد بيترهم فقتلوا من كان هنالك من الأعراب والأعاجم فلم يفلت منهم أحد ولا اتبعث مخبر، ثم بعث خالد بالخنافس من الأموال والسي إلى الصديق، وقد اشترى علي بن أبي طالب من هذا السي جارية من العرب وهي ابنة ربيعة بن بجير التغلي، فاستولدها عمر ورقية رضي الله عنهم أجمعين.

وتسلم الحصن ثم أمر فضربت عتق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وفرقهم في الأمراء وأهل الفناء، وكان حمران صار إلى عثمان بن عفان من الحصن، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك. وجماعة آخرون من الموالى المشاهير أراد بهم وينزلهم خيراً.

ولما قدم الوليد بن عتبة على الصديق بالخنافس رده الصديق إلى عياض بن غنم مدحاً له وهو محاصر دومة الجندل فلما قدم عليه وجده في ناحية من العراق يحاصر قوماً، وهم قد أخذوا عليه الطريق فهو محصور أيضاً، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يملك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد غيب وقمة عين التمر وهو يستنثب به، فكتب إليه: من خالد بن الوليد إلى عياض، إياك أريد:

بِئْسَ قَلْبًا لَكَ يَا خَالِدُ
كَتَابُ تَبَهُمَا كَتَابُ

خير دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر قصد إلى دومة الجندل، واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم، يبعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب وغسان والضجاعم، فاقبلوا إليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم، وعلى الضجاعم بن الجوزجان، وجماع الناس بدومة إلى رجلين أكيدر بن عبد الملك، والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بمخالد، لا أحد آمن طائر منه في حرب ولا أحد منه ولا يرى وجه خالداً قوم أبداً، قلوا أم كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحو القوم، فلبوا عليه، فقال: لن أمانكم على حرب خالد وفارقهم، فبعث إليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فأخذه، فلما أتى به خالداً أمر فضربت عتقه وأخذ ما كان معه، ثم تراجعه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب، وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب فرقتين: فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على مَنْ قِبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالد الجودي، وأسر الأقرع بن حابس ودبيعة، وفرت الأعراب إلى الحصن فملأوه وبقي منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو غنم على مَنْ هو خارج الحصن فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد فضرب أعناق مَنْ وجده خارج الحصن، وأمر بضرب عتق الجودي وَمَنْ كان معه من الأسارى، إلا أسارى بني كلب؛ فإن عاصم بن عمرو والأقرع بن حابس وبني غنم أجاروهم، فقال لهم خالد: ما لي ولكم؟ أتتفنون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: اتخسرونها العافية، وتحزونها إلى الشيطان، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتله، واقتحموا الحصن فقتلوا مَنْ فيه من القتالة، وسبوا الدراري فتبايعوهم بينهم فيمن يزيد، واشترى خالد يومئذ ابنة الجودي، وكانت موصوفة بالجمال، وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الأنبار، ثم رجع خالد إلى الحيرة، فتلقاء أهلها من أهل الأرض بالتقليس، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه: مر بنا فهذا يوم فرح الشر.

على هذا الأمر أولى منكم فقال له عمر بن الخطاب: اسكت فض الله فاك، والله لا تزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تضر إلا نفسك. وأبلغها عمر أبا بكر فلم يثأر لها أبو بكر. ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً قائماً على الله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد فقال: ألا لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد فإن القصد يبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا حسبه له، ولا عمل لمن لا نية له ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، إذ نحى بها من الخزي، فألحق بها الكرامة.

ثم شرع الصديق في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات، فيقال: إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص، فجاء عمر بن الخطاب فتناه عنه وذكره بما قال. فلم يثأر به الصديق كما تأثر به عمر، بل عزله عن الشام وولاه أرض تيماء يكون بها فيمن معه من المسلمين حتى يأتيه أمره. ثم عقد لواء يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس، ومعه سهيل بن عمرو، وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين، وجعل له دمشق. وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر، وخرج معه ماشياً يوصيه، وجعل له نياحة حمص. وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين. وأمر كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، لما لحظ في ذلك من المصالح. وكان الصديق اقتدى في ذلك بني الله يعقوب حين قال لبنيه ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكفل المتوكلون. (يوسف: ٦٧) فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك. قال المدائني بإسناده عن شيوخه قالوا: وكان بعث أبو بكر هذه الجيوش في أول سنة ثلاث عشرة.

قال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري ٤٠٥/٣] عن صالح بن كيسان: خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً فجعل يوصيه، فلما فرغ قال: أقرئك السلام واستودعك الله، ثم انصرف ومضى يزيد فاخذ التوكية ثم تبعه شرحبيل بن حسنة، ثم أبو عبيدة مدحا لهما، فسلكوا ذلك الطريق. وخرج عمرو بن العاص حتى نزل العربات من أرض الشام. ويقال إن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء أولاً ونزل شرحبيل بالأردن ويقال: بصرى. ونزل أبو عبيدة بالجابية. وجعل الصديق يمدحهم بالجيوش، وأمر كل واحد منهم أن يضاف إلى من أحب من الأمراء. ويقال: إن أبا عبيدة لما مر يعبأ من أرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام.

ويقال: إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له: العربية من أرض فلسطين، فوجه إليهم يزيد أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقاً عظيماً. ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفر استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين. ويقال إن الذي استشهد في مرج الصفر ابن خالد بن سعيد بن العاص، وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز فآلله أعلم، حكاه ابن جرير [تاريخ الطبري ٤٠٦/٣].

قال ابن جرير [تاريخ الطبري ٣/٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١]: ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب، من بهراء، وتوخ، وبني كلب، وسليح، ولخم وجذام، وغسان،

اسمه قبيل: لقيط، وهو الأشهر، وقيل: مهشم وقيل: هشيم، وقد شهد بدرًا من ناحية الكفار فأسر، فجاء أخوه عمرو بن الربيع ليقاديه، واحضر معه في الغداة قلادة كانت خديجة أخرجتها مع ابنتها زينب حين تزوج أسو العاص بها، فلما رآها رسول الله رقى لها رقة شديدة وأطلقه بسبيها، واشترط عليه أن يبعث له زينب إلى المدينة فوفى له بذلك، واستمر أهر العاص على كفره بمكة إلى قبيل الفتح بقليل، فخرج في تجارة لغريش فاعترضه زيد بن حارثة في سرية فقتلوا جماعة من أصحابه وغنموا العير، وفر أبو العاص هارباً إلى المدينة فاستجار بأمرائه زينب فأجارته، فأجاز رسول الله جوارها، ورد عليه ما كان معه من أموال قريش، فرجع بها أسو العاص إليهم، ورد كل مال إلى صاحبه، ثم تشهد شهادة الحق وهاجر إلى المدينة، ورد عليه رسول الله ﷺ زينب بالتكاك الأول وكان بين فراقها له وبين اجتماعها ست سنين وذلك بعد ستين من وقت تحريم المسلمين على المشركين في عمرة الحديبية، وقيل: إنما ردها عليه بنكاح جليله فآله أعلم، وقد ولد له من زينب علي بن أبي العاص وأمامة بنت أبي العاص، وخرج مع علي إلى اليمن حين بعث إليها رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يتي عليه خيراً في صهارته، ويقول: حدثني صدقي ووعدني فوفى لي [خ: ٣١١، ٢٤٤، ٩٥]، وقد توفي في أيام الصديق سنة ثلثي عشرة. وفي هذه السنة تزوج علي بن أبي طالب بابنته أمامة بنت أبي العاص، بعد وفاة خالتها فاطمة، وما أدري هل كان ذلك قبل وفاة أبيها أم بعد العاص أو بعده فآله أعلم.

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والصديق عازم على جمع الجنود ليجمعهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَجَاهِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. [هجرة: ١٢٣] ويقول تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية [هجرة: ٢٩]. واقتداء برسول الله ﷺ فإنه جمع للمسلمين لغزو الشام - وذلك عام تبوك - حتى وصلها في حر شديد وجهد، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو غنم الشام كما تقدم ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق، فبعث إليها خالد بن الوليد ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق، فشرع في جمع الأمراء في أماكن متفرقة من جزيرة العرب. وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاة ومعه الوليد بن عتبة فيهم، فكتب إليه يستغفره إلى الشام: إني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاه رسول الله ﷺ مرة، وسماء لك أخرى، وقد أحبيت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشعلها وأخشاها فارم بي فيها. وكتب إلى الوليد بن عتبة بمثل ذلك ورد عليه مثله، وأقبل - بعد ما استخلفا في عملهما - إلى المدينة.

وقدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن فدخل المدينة وعليه جبة ديباج، فلما رآها عمر عليه أمر من هناك من الناس بتمزيقها عنه، ففضب خالد بن سعيد وقال لعلي بن أبي طالب: يا أبا الحسن! أغلظت ياباني عبد مناف عن الإمرة؟ فقال له علي: أمغالبه تراها أو خلافة؟ فقال لا يخالف

وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل. وكان واقفاً في طرف الشام رداً للناس - في ستة آلاف - فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم أن يجتمعوا ويكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين، فأتهم أعوان الله والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحتسروا منها، وليصل كل رجل منكم بأصحابه. وقال الصديق: والله لأشغلن النصارى عن وسوس الشيطان بخالد بن الوليد. وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق، فكان ما سذكروه. ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع، بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن يتزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس أخوه تذاقرو، وعلى المقدمة جرحه، وعلى الخيبتين باهان والدراقص، وعلى البحر القيقلان.

وقال محمد بن عائذ عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً، وعليهم أبو عبيدة، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم باهان وسلاب يوم اليرموك.

وكذا ذكر ابن إسحاق [تاريخ دمشق ١٤٤/٣، ١٤٥] أن سقلاّب الحصي كان على الروم يومئذ في مائة ألف، وعلى المقدمة جرحه - من أرمينية - في اثني عشر ألفاً، ومن المستعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم: والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال.

وقال الوليد [تاريخ دمشق ١٤٥/٣] عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير: قال: بعث هرقل مائتي ألف عليهم باهان الأرمي.

قال سيف: فسارت الروم فزلزلوا الواقعة قريباً من اليرموك، وصار الوادي خندقاً عليهم. وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستتيب على العراق وأن يقتل بمن معه إلى الشام، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم. فاستتاب الثني بن حارثة على العراق فسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف ويقال: ثمانمائة أو وخسمائة، ودليبه رافع بن عميرة الطائي، فأخذ به علي السماوة حتى انتهى إلى قراقير، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد، فاجتأب البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصعد على الجبال وسار في غير مهيع وجعل رافع يلهم في مسيرهم على الطريق وهو أزمّد، وعطش النوق وسقاها الماء عللاً بعد نهل، وقطع مشافرها وكعما حتى لا يجترّ خلّ أديارها، واستاقها معه، فلما فقدوا الماء غمرها فشرّبوا مائي أجوافها من الماء، ويقال: بل سقاها الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها. ووصل والله الحمد والمنة في خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تدمر فزال أهل تدمر وأزك، ولما مر بعذراء أباحها وغنم لفسان أموالاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة محاصريها فصالها صاحبها وسلمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام والله الحمد.

وبعث خالد بأهلس ما غنم من غسان مع بلال بن الحارث المري إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ويزيد وشرحيل إلى عمرو بن العاص - وقد قصده الروم بلرض العربات من الغور - فكانت واقعة أجنادين. وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد:

لله عينا رافع انسي اهتدى فوز من قراقير إلى سؤوى

فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمر الصديق أن يتقدم ولا يجتمع، وأمد بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل وجماعة، فسار إلى قريب من أبل فالتقى هو وأمير من الروم يقال له: باهان فكسره، ولجأ باهان إلى دمشق، فلحقه خالد بن سعيد، ويادر الجيوش إلى نحو دمشق وطلب الحظوة، فوصلوا إلى مرج الصفر فانطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق، وزحف باهان قفر خالد بن سعيد، فلم يرذ إلى ذي المروة. واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخيل، وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تفهق عن الشام قريباً وبقي رداً لمن نذر إليه، وأقبل شرحبيل ابن حسنة من العراق مع عند خالد بن الوليد إلى الصديق، فأمره على جيش وبعث إلى الشام، فلما مر بخالد بن سعيد بذئ المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة، ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان. ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بذئ المروة إلى الشام. ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال: كان عمر أعلم بخالد.

وقعة اليرموك

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله [تاريخ الطبري ٤٣٧/٤، ٤٤١]. وأما الحفاظ بن عسكار رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق. وقال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري ٤٤١/٣]: كانت في رجب سنة خمس عشرة.

وقال خليفة بن خياط [تاريخ خليفة ١١٨]: قال ابن الكلبي: كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضي من رجب سنة خمس عشرة. قال ابن عسكار [تاريخ دمشق ١٤٢/٢]، وهذا هو المحفوظ وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه.

قلت وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره. قالوا: ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفرغ ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر. فيقال: إنه كان يومئذ بمحصر، ويقال: كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر. قال لهم: ويحكم إن هؤلاء أهل دين جليل، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحوهم على نصف خراج الشام وبقى لكم جبال الروم، وإن أتم أيتم ذلك أخذوا منكم الشام وضيّقوا عليكم جبال الروم. فنخروا من ذلك نخرة حر الوحش كما هي عاداتهم في قلة المعرفة والرأي بالحرب والنصرة في الدين والدنيا. فعند ذلك سار إلى محصر، وأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحة الأمراء، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبيه «تتاروق» في تسعين ألفاً من المقاتلة. وبعث جرحه بن يوفيه إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه. وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة. وبعث القيقار ويقال القيقلان - قال ابن إسحاق وهو حصي هرقل ابن نسطورس - في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح. وقالت الروم: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين أحد

الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده إن ردناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح أبعدنا أبداً، فتعالوا فلتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، ودعوني اليوم إليكم، فأمرهم عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم في تعبته لم يُز مثلاً قبلها قط وخرج خالد في تعبته لم تُبها العرب قبل ذلك. فخرج في سنة وثلاثين كردوساً إلى الأرميين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير، وجعل أبا عبيدة في القلب، وعلى المينة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل ابن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان. وأمر على كل كردوس أميراً، وعلى الطلائع قباث بن أشيم، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والقاضي يومئذ أبو السدراء وقاضهم الذي يعظمهم ويثمنهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارنهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة «الأنفال» وآيات الجهاد المقداد بن الأسود.

وذكر إسحاق بن بشر [تاريخ بغداد ١٤٨/١-١٥٩] بإسناده: أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة: أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان، وخرج الناس على راياتهم وعلى المينة معاذ بن جبل وعلى الميسرة قباث بن أشيم الكناني، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى الحيلة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه.

ولما أقبلت الروم في خيلاتها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصبحون بأصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويخونهم على القتال، وكان خالد في الحيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أراك الله أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لا بُدَّ لهم من حملة عظيمة لا يحيد لهم عنها، وإني أخشى على المينة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الحيل فرقتين وأجعلها بين وراء المينة والميسرة حتى إذا صلحهم رأوا أنفسهم من ردة أروايتهم. فقال له: نيسم ما رأيت. فكان خالد في أحد الحيلين من وراء المينة وجعل قيس بن هيرة في الحيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكي إذا رآه المنهزم استمحي منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد العدوي أحد العشرة رضي الله عنهم، وساق خالد إلى النساء بين وراء الجيش ومعهم عدد من السيوف وغيرها، فقال لمن: مَنْ رَأَيْتُمُوهُ مُوَلِّياً فاقلته، ثم رجع إلى موقعه. ﷺ

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال: عباد الله اتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للربِّ ومحبضة للعار، ولا تبهروا مصاعكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولا تبدلوههم بالقتال وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزمو الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى أمركم إن شاء الله تعالى.

قالوا: وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكركم ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تتأل وجهته لا تدخل بالأمان، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصطفى ألم تسموا لقول الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية [النور: ٥٥]. فاستحيوا رحمكم الله من ريكهم أن يراكم فراراً بين عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم مُلتحد من دونه ولا عز بغيره.

خساً إذا ماسارها الجيش بكسى ما سارها قبلك إنسي أرى وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير: إن أنت أصبحت عند الشجرة الغلانية غيوت أنت ومن معك، وإن لم تدركها هلكت أنت ومن معك، فسار خالد بمن معه وسرّوا سرورة عظيمة فاصبحوا عندها، فقال خالد: عند الصباح يحمد القوم السرى. فأرسلها مثلاً، وهو أول من قالها. ﷺ

قال غير ابن إسحاق كسيف بن عمر وأبي غنم وغيرهما في تكميل السياق الأول: حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقصة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه قريبا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره، فقال عمرو بن العاص: أبشروا أيها الناس، فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير. ويقال [تاريخ دمشق ١٤٥/٢-١٤٧] إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، جلس الأمراء لذلك فجاه أبو سفيان فقال: ما كنت أظن أنني أعصر حتى أدرك قوما يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فيزلون تجاه الروم، ثم تسير الأتقال والذراري في الثلث الآخر ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأتقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والممد. فامتثلوا ما أشار به ونعم الرأي هو.

وذكر الوليد [تاريخ الطبري ٣/٣٩٣-٣٩٤] عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين حير أيوب واليرموك، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر، وأفرعات خلفهم ليصل إليهم الممد من المدينة. ويقال [تاريخ الطبري ٣/٣٩٣-٣٩٤] إن خالدًا إذا قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعدما صابروهم وحاصروهم شهري ربيع الأول والآخر بكملاه، فلما انسلك وأمكن القتال لقلّة الماء بعثوا إلى الصديق يستملونه فقال: خالدًا لها، فيبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر، فعند وصول خالد إليهم أقبل باهان مدداً للروم ومعه القساقسة، والشمامسة والرهبان يخونهم ويخوضونهم على القتال لنصر دين النصرانية، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفا مسلسل بالحديد والحبال وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل. وقيل: بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة في سلسلة ثلاثا يقرأوا ثلاثين ألفا، فאלله أعلم.

قال سيف [تاريخ الطبري: ٣/٣٩٦] وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة سنة وثلاثين ألفا إلى الأرميين ألفا.

وعند ابن إسحاق [تاريخ الطبري ٣/٤١٧-٤١٩] والمدايني أيضا أن وقعة أجنادين قبل وقعة اليرموك وكانت وقعة أجنادين للثلاثين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وقتل بها بشر كثير من الصحابة، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقان. وكان قد بعث رجلاً من نصارى العرب يحس له أمر الصحابة، فلما رجع إليه قال: وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه، أو زنى لرجوه. فقال له القيقان: والله لئن كنت صادقاً ليطن الأرض خير من ظهرها.

وقال سيف بن عمر في سياحه [تاريخ الطبري ٣/٣٩٦-٣٩٧]: ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية. فقام خالد في الناس خطيباً. فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف. فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوهم في أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أحلصوا جهادكم وأريدوا

قالوا [تاريخ الطبري ٣/٣٩٧-٤٠٠]: ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبي القلب - أن يُثبِتَا القتال، فبدوا يرتجزان، ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتهاوتوا وهي الحرب وقامت على ساق. هنا وخالد معه كرويس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبحث إلى كل قوم من أصحابه بما يتمنونونه من الأفاعيل، ويُبدِرُ أمر الحرب أتم تدبير.

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن عبد العزيز عن قدامة مشايخ دمشق، قالوا: ثم زحف باهان فخرج أبو عبيدة، وقد جعل على المينة معاذ بن جبل، وعلى المسيرة قباث بن أشيم الكناشي، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى الخيل خالد بن الوليد، وخرج الناس على راياتهم، وسار أبو عبيدة بالمسلمين، وهو يقول: عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تحروا مصافكم، ولا تخطروا إليهم خطوة، ولا تبدلوههم بالقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزمو الصمت إلا من ذكر الله.

وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكرهم، ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تآل، وجته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى آخر الآية؟ والبر: ٥٥ فاستحيوا رحمكم الله من ريكم أن يراكم فراراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحذ من دونه.

وسار عمرو بن العاص في الناس وهو يقول: أيها المسلمون غضوا الأبصار واجشوا على الراكب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فامهلهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسته فيروا ثبة الأسد، فوالذي يرضى الصنق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويميزي الإحسان إحساناً. لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفَرًا كَفَرًا وقصراً قصراً، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد لتطيروا أولاد الحجل.

ثم تكلم أبو سفيان فآحسن وحث على القتال فأبلغ في كلام طويل. ثم قال حين توجه الناس: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون، فهنا رسول الله ﷺ وألجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم، وحرض أبو سفيان النساء فقال: من رأته فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصي حتى يرجع.

وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد التهمز. وقسم خالد الخيل قسمين: فجعل فرقة وراء المينة، وفرقة وراء المسيرة، لئلا يفر الناس وليكونوا ردةً لهم من وراءهم. فقال له أصحابه: افعل ما أراك الله، وامتثلوا ما أشار به خالد ﷺ. وأقبلت الروم رافعة صلباتها ولحم أصوات مزعجة كالرعد، والقساوسة والبطارقة تخرضهم على القتال وهم في عدد وعُدَد لم يُرْمَلْ، فالله المستعان وعليه التكلان.

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمّل فتحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى! فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو

وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون غَضُوا الأبصار، واجشوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فامهلهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسته فيروا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضى الصنق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويميزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كَفَرًا كَفَرًا وقصراً قصراً، فلا يهولكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطيروا أولاد الحجل.

وقال أبو سفيان: يا معشر المسلمين أتم العرب وقد أصبحتم في دار المعجم مقطعين عن أهل نائين عن أمير المؤمنين وأمدار المسلمين، وقد والله أصبحتم يذاهو عدو كبير عدته، شليد عليكم حقّه، وقد تَزَقَمَوه في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صَحَارَى وبراري، ليس لأحد فيها معقل ولا مُعْلِل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير مُعَوَّل، فامتنعوا بسيوكم وتعاونوا، ولكن هي الحصون. ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهنا رسول الله ﷺ وألجنة أمامكم، والشيطان والنار خلفكم. ثم سار إلى موقفه رحمه الله.

ولقد وعظ الناس أبو هريرة [تاريخ دمشق ١٥١/٢-١٥٣] أيضاً فجعل يقول: سارعوا إلى المحور العين وجوار ريكم عز وجل في جنات النعيم. ما أنتم إلى ريكم في موطن أحب إليهم منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصائرين فضلهم.

قال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٣/٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣] بإسناده عن شيوخه: إنهم قالوا: كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر. وجعل أبو سفيان يقف على كل كُردوس ويقول: الله الله إنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم بين إيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك. قالوا: ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: وملك، اتقوني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيّه، وأنهم أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حفا واشتكى في جيته من العراق - ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبر جندل بن سهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تذاوق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير. فقال الصحابة: لا نستجل دخولها، فأمر لهم بفرش يسبط من حرير، فقالوا: ولا لمجلس على هذه. فجلس معهم حيث أحبوا وتراضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوه إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك.

وذكر الوليد بن مسلم [تاريخ دمشق ١٤٦/٢-١٤٧] أن باهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصغين فيجتمعاً في مصلحة لهم فقال باهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجور، فهلما إلى أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنائير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها. فقال خالد: إنه لم يخرجننا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجننا لذلك. فقال أصحاب باهان: هنا والله ما كنا نُحَدِّثُ به عن العرب.

فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له - فيما بينه وبينه -: إن الصديق عليه السلام قد توفي واستخلف عمر فاستتاب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح. فأمرنا خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، وقال له والناس يسمعون: أحسنت وأخذ منه الكتاب فوضعه في كتانته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكاتب - وهو محببة بن زعيم - إلى جانبه. كنا ذكره ابن جرير بأسانيد.

قالوا [تابع الطبري ٣/٣٩٨-٤٠٠]: وخرج جرجة أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعتاق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد أخبرني فاصدقي ولا تكلفني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعي فإن الكريم لا يمدح المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم شيئاً من السماء فأعطاكم فلا تسلم على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه عليه السلام فدعانا ففرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وبعده، فكنت فيمن كذبه وبعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وابعده، فقال لي: فأتيت سيف من سيوف الله سلمه الله على المشركين. ودعا لي بالنصر، فسُميت سيف الله بذلك فانا من أشد المسلمين على المشركين، فقال جرجة: يا خالد إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يبيكم؟ قال: فالجزية ونمطهم. قال: فإن لم يُعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يبيكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيئنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلَمَ دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والآخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا دخلنا في هذا الأمر وابعانا نبينا عليه السلام وهو حي بين أظهرنا تأتينا أخبار السماء ويخبرنا بالكذب ويؤتينا الآيات، ونحن لم نر ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يُسلم وبيع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ويؤمن كان أفضل منا فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعي؟ قال: بالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعد ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قرية من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فآذوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام. فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتأذى الناس وثابروا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيف فضرب فيهم خالد وجرجة من لَدُن ارتضاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب. وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماناً، وأصيب جرجة رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما. وتضعفت الروم عند ذلك. ثم نهذ خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالاتهم، واشتدت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا. وآخر الناس صلاتي العشاء حتى استقر الفتح، وعمد خالد إلى زجل الروم - وهم الرجالة - ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هُدم ثم تبعوا من فر من الحياة واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى

فأحترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية: جرح. وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في «صحيحه» [خ ٣٧١].

وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القيسيين والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم: وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحُبب إلينا اللقاء، ورضنا بالقضاء. وخرج باهان فأمر صاحب البصرة وهو الزريجان، وكان عدو الله متسكاً فيهم، فحمل على المينة وفيها الأزد ومنذج وحضرموت وخولان، فقتلوا حتى صدقوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال. فزال المسلمون من المينة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى السكرو، وثبت صدر من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، وانكشف زبيد. ثم تناذروا فتراجعوا وحملوا حتى نهضوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالحشب والحجارة وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول:

يا هاربا عن نسوة تقيات فعن قليل ما نرى سيئت
ولا حظيات ولا رضىات

قال: فتراجع الناس إلى مواقعهم.

وقال سيف بن عمر [تابع الطبري ٤/١٣٠]: عن أبي عثمان النسائي عن أبيه قال: قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله عليه السلام في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبيع على الموت؟ فبايعه معه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا فقاطط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنهم.

وقد ذكر الواقدي وغيره [تابع دمشق ٤/١٠٤]: أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتنازعوها بينهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين.

ويقال [تابع دمشق ٤/١٠٤]: إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجلاً جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله عليه السلام؟ قال: نعم، تفره عني السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله.

قالوا [تابع دمشق ٤/١٠٤]: وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرسى. فلم يُر يوم اليرموك أكثر يقيناً ساقطاً، ومعصماً نادراً، وكذا طائفة من ذلك الموطن ثم حمل خالد بمن معه من الخيالة على البصرة التي حملت على مينة المسلمين فآزالوهم إلى القلب فقتل في في حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير مارائيت، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم. ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجلى واحد، فأنكشوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم.

قالوا [تابع الطبري ٣/٣٩٨-٤٠٠]: وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز

ويغنمون. فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حمص وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقال هرقل: أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشؤوم.

وبما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القمعاق بن عمرو [رباع] دمشق ١٦٦/٢:

ألم ترنا على اليرموك فرنا كما فرنا بأيام المراق
فتحنا قبلها بصري وكانت حرمة الجنداب لدى الباق
وعذراء اللاتين قد تحنا ومرج الصقرين على التناق
قتلنا من أقام لنا وفيها نهابهم بأسيايف رفاق
قتلنا الروم حتى ما تساوي على اليرموك قُفُروق السوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقص بالبر الرقاق
غداة تهاوتوا فيها فصاروا إلى أمر يعضل بالذواق
وقال الأسود أبو مَرْزُوق التميمي:

وكم قد أغرنا غارة بعد غارة يوماً ويوماً قد كشفنا أهولة
ولولا رجال كان حشو غنيمة لدى ساقط رجّت علينا أوائله
لقتناهم اليرموك لما تضايقت بمن حلّ باليرموك منه حامله
فلا يعدن من هرقل كتاباً إذا رامها رام الذي لا يحاوله
وقال عمرو بن العاص:

القوم حُسم وجُذلم في الحرب ونحن والروم بمرج نضطرب
فإن يسودوا بعدنا لا نصطحب بل نعصب الفرار بالضرب الكلْب

وروى أحمد بن مروان المالكي في «الجمالية» [رباع دمشق ١٧/٢]: ثنا أبو إسماعيل الترمذي ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يبيت لهم العدو فوق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قمت منهزمة الروم: وليكم! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم اليسوا بشرأ مثلكم؟ قالوا: بلى. قال فانتهم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأفرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتصافون بينهم، ومن أجل أننا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم ونأمر بما يسخط الله ونهي عما يرضي الله ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتي.

وقال الوليد بن مسلم [رباع دمشق ٩٦/٢، ٩٧]: أخبرني من سمع يحيى بن يحيى النسائي يحدث عن رجلين من قومه قال: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بينما أن دمشق ستحاصر فذهبنا تنسوق منها قبل ذلك، فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها ففتحها فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكم فليجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدهما، فلبث ملياً ثم جاءه، فقال: جئتكم من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عناق أما الليل فريهان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويرونها، ويُغفون القنا، لو حدثت جليصك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: اتاكم منهم ما لا طاقة لكم به.

الواقصة، فجعل الذين تسلسلوا وقيلوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه. قال ابن جرير وغيره [رباع الطبري ٤٠٠/٣]: فسقط فيها وقُتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قُتل في المعركة. وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم وكان يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال: وتُجمل القيقلان وأشرف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا: إذا لم تقدر على نصر دين النصرانية فلننست على دينهم. فجاء المسلمين فقتلهم عن آخرهم.

قالوا [رباع الطبري ٤٠٧/٣]: وقُتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد - وأثبت خالد بن سعيد فلا يُلْزَمُ أين ذهب - وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة.

وقد انكشف في هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو بن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء، وانكشف شرحبيل ابن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ الآية [الروية: ١١١].

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتلاً شديداً، وذلك أن أباه مر به فقال له: يا بُني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوقاً بالقتال، فكيف بك وبأصحابك الذين ولّوا أمور المسلمين؟! أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة، فائق الله يا بُني ولا يكونن أحد من أصحابك بارغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالاً شديداً وكان من ناحية القلب. ﷺ

وقال سعيد بن المسيب [رباع دمشق ١٥٧/٢] عن أبيه قال: هذات الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يلا العسكر يقول: يا نصر الله اقترِب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين، قال: فظننا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد. وأكمل خالد ليلته في خيمة تدارق أخي هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - حرب فيمن حرب، وباتت الحيلول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا وقُتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقاً وثلاثون رواقاً من فيجاج بما فيها من الفرش والحري، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم. وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصلبيتين حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق. ﷺ

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصلبيتين الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولّى عمر وكان أبغض إليّ من أبي بكر والزمني حُب.

وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا: نحن على عهدنا وصلحنا؟ قال: نعم. ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراهم إلى حمص فخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق. وبعت أبو عبيدة عياض بن غنم وراهم أيضاً فساق حتى وصل مَلْطِيَةَ فصالحها أهلها ورجع. فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر بملطية فحُرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو محمص والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون

انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة في الدولة العمرية وذلك بعد وقعة اليرموك وضرورة الإمارة بالشام إلى أبي عبيدة، فكان أبو عبيدة أول من سمي أمير الأمراء

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافرو الروم يوم اليرموك، وأن خالدًا كتم ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن، فلما أصبحوا أجلى لهم الأمر وقال ما قال، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميمها، وبعت بالفتح والخمس مع قيات بن أشيم إلى الحجاز، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر، وبعت أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمارة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه. قال أبو أمارة: فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الواحد فكمّن هناك وسرت أنا والآخر، فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر فكمّن هناك، ثم سرت أنا وحدي حتى جئت باب البلد، وهو مغلق في الليل وليس هناك أحد، فزلت وغرزت رمي بالأرض ونزعت لجام فرسي، وعلقت عليه غيلايته وغطت، فلما أصبح الصباح قمّت فوضأت وصليت الفجر، فإذا باب المدينة يقمع فلما فتح حملت على البواب فطلعت بالرمح فقتلته، ثم رجعت والطلب ورائي فلما انتهيت إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجموا عني، ثم سرنا حتى أخذنا صاحبنا الآخر وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رايت، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يعتصمه من أمر دمشق فجاءه الكتاب بأمره بالمسير إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها. واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب في خيل هناك.

وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على قتل شيراز بن أردشير بن شيراز واستغنوا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشاً كثيراً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن جاذويه، وكتب شيراز إلى المثنى: إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم. فكتب إليه المثنى: من المثنى إلى شيراز إنما أنت أحد رجلين إما باغ فللك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدُلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطربتم إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيذكهم إلى رعاة الدجاج والخنازير. قال: فجزع أهل فارس من هذا الكتاب، ولاوما شيراز على كتابه إليه واستهجنوا رأيه. وسار المثنى من الحرة إلى بابل، ولما التقى المثنى وجيشهم بمكان عند عدوة الصرة الأولى، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا مزيمة الفرس فقتلهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مائلاً عظيماً، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى الملائن في شر حالة، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى بوران بنت أبريز نأقامت العدل، وأحسنّت السيرة، فأقامت سنة وسبعة شهور، ثم ماتت، فملكوا عليهم اختها آزرميخت زنّان فلم ينظم لهم أمر، فملكوا عليهم

سابور بن شيراز وجعلوا أمره إلى الفرخزاذ بن البندوان فزوجوه سابور بابتة كسرى آزرميخت فكرهت ذلك وقالت: إنما هذا عبد من عبيدنا. فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً، وملكوا عليهم هذه المرأة وهي آزرميخت ابنة كسرى. ولميت فارس يملكها لعباً كثيراً، وآخر ما استقر أمرهم عليه في هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». وفي هذه الوقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطيب السعدي، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل هذه، فلما آيسه رجع إلى البادية وقال:

هل جَلَّ خولة بعد البين موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
وللأحبة أيام تذكروها وللنوى قبل يوم البين تساول
حلّت خولة في حسي عهدتهم دون المدينة فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فرارس لا عزل ولا ميل
وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثنى ذلك الفيل:

ويُسِّت المثنى قاتل الفيل عسوةً بابل إذ في فارس مُلك بابل
ثم إن المثنى بن حارثة استبأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام، وما فيه من حرب اليرموك المتقدم ذكره، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق، واستأب على العراق بشير ابن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة العجلي، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت. وقد عهد إلى عمر بن الخطاب، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر: إذا أنا مُت فلا تخشع حتى تدب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى، إذا فتح الله على امرأتنا بالشام فأردّ أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه. فلما مات الصديق ندب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلّة من بقي فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد، فانتدب خلق وأمر عليهم أبا عبيد بن مسعود، وكان شاباً شجاعاً، خبيراً بالحرب والمكيدة. وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق.

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه

كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية، وقيل: بعد المغرب ودُفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشرة يوماً، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرئ على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا له وأطاعوا، فكانت خلافة الصديق ستين وثلاث أشهر وخمسة أيام، وقيل: وعشرين يوماً، وقيل: ستين وأربعة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة، للسنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ وقد جمع الله بينهما في التربة، كما جمع بينهما في الحياة، فرضي الله عنه وأرضاه.

قال محمد بن سعد [تاريخ الطبري ٤٢٧/٤] عن أبي قطن عمرو بن الميثم عن الربيع عن جبان الصائغ. قال: كان نقش خاتم أبي بكر نعم القادر لله. وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضي الله عنه وأرضاه وما روى من الأحاديث، وما روي عنه من الأحكام في جلد ولله الحمد والمنة. فقام بالأمر من بعده أم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فُتحت دمشق قبلها فبِرْ أنتَ ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فخلُّوا فبِرْ أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحيل على الأردن وفلسطين.

قال: فسرح أبو عبيدة إلى فُخَل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عُمارة بن غشي صحابي، فساروا من مرج صفر إلى فُخَل فوجدوا هنالك قرياً من ثمانين ألفاً، وقد أرسَلوا المياه حولهم حتى أوردت الأرض فسموا ذلك الموضع الرذغة، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فُتِح قبل دمشق على ماسياني تفضيله والله الحمد.

وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص، ليردَّ من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل. ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق، وقد جعل خالد بن الوليد في القلب وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في الجنبين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرُجالة شرحيل ابن حسنة، فقدموا دمشق وعليها سسطاس بن سُستُورس، فزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير، ونزل عمرو بن العاص وشرحيل ابن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا المجانيق والديابات، وقد أُرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش يبرِّز يكونون رداً له، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شليداً سبعين ليلة، وقيل: أربعة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: أربعة عشر شهراً فآله أعلم.

وأهل دمشق محتَمون منهم غاية الامتناع، ويُرسَلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بـحمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكلاع، الذي قد أُرصد أبو عبيدة عليه السلام بين دمشق وبين حمص - عن دمشق ليلة - فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد ألبسوا وفشلوا وضَعُفُوا، وقوي المسلمون واشتدَّ حصارهم، وجاء فصل الشتاء واشتدَّ البرد وعُسِّر الحال وعُسِّر القتال، فقنَّ الله الكبير المتعالي، ذو العزة والجلال، أن وُلِدَ ليطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شرباً. وباتوا عنده في وليته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقعهم، واشتغلوا عن أماكنهم، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فإنه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام، بل مُرَّصِد لهم ليلاً ونهاراً، وله عيون وقَصَاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً، فلما رأى حمدة تلك الليلة، وأنه لا يُقاتل على السور أحد كان قد أعدَّ سلايلم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال، مثل القعقاع بن عمرو ومنصور بن عدي وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا من فوق السور فارتزوا إليها. ثم نهَّد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرَّب في أعناقهم، فنصبوا تلك السلام وأثبَّتوا أعاليها بالشرفات، وأكَلُوا أسافلها خارج الخندق، وصعدوا فيها، فلما استنَّروا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلام والمجدد خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى التَّوَابِين فقتلوه، وقطع خالد وأصحابه أَعْيَالِيكَ الباب بالسيف وفتحوا الباب، فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي. ولا سمح أهل البلد التكبير ثاروا وذعب كل فريق إلى أماكنهم من السور، لا يدرون ما الخبر، فجعل كلما قديم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد، ودخل البلدة عنة قتل من وجده. وذعب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دَعَوُهُم إلى المشاطرة فيأتون عليهم - فلما دعوههم إلى ذلك

عليه السلام وهو أول من سُمي بأمر المؤمنين. وكان أول من حيَّاه بها المغيرة بن شعبه، وقيل: غيره كما بسطنا ذلك في ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التي أفرزناها في مجلد، ومُسْتَدَه والآثار المروية مرتباً على الأبواب في مجلد آخر والله الحمد.

وقد كتب بوفاء الصديق إلى أمراء الشام مع شَدَاد بن أوس، وعمية بن جزء، وفصلاً والناس مُصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قلنا. وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاء وعزل خالد بن الوليد.

وذكر سلمة [تاريخ الطبري ٤٣٦/٣، ٤٣٧] عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالدًا لكلام بلغه عنه، ولما كان من أمر مالك بن نويرة، وما كان يطمئنه في حربه. فلما وُلِّي عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالدًا، وقال: لا تلي لي عملاً أبداً. وكتب عمر إلى أبي عبيدة: إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول، فأنزع عماه عن رأسه وقاسمه ماله يفتين. فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد: أمهلني حتى أستشير أخي فذهب إلى اخته فاطمة - وكانت تحت الحارث بن هشام - فاستشارها في ذلك، فقالت له: إن عمر لا يُحبك أبداً، وإنه سيعزلك وإن أكذب نفسك. فقال لها: صدقت والله. فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ أحد نعليه وترك له الآخر، وخالد يقول: سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين.

وقد روى ابن جرير [تاريخ الطبري ٤٣٤/٣] عن صالح بن كيسان أنه قال: أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاء وعزل خالدًا أن قال: وأوصيك بتقوى الله الذي يبقى وفضي ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تقدِّم المسلمين إلى هلكة رجاء غنية، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريدهم وتعلم كيف ماتوا، ولا تبعث سرية إلا في كنف من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أهلك الله بني وأبلائي بك، ففُضِّصَ بصرُك عن الدنيا، وآلِه قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكك من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم. وأمرهم بالمسير إلى دمشق وكان بعدما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة، وحُمِلَ الخمس إليه.

وقد ذكر ابن إسحاق [تاريخ الطبري ٤٣٤/٣، ٤٣٥] أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك بأجنادين ثم يفُخَل من أرض الشَّوَر قريبا من يسان بمكان يقال له: الرذغة. سمي بذلك لكثرة ما لَقُوا من الأوحال فيها ثم لما فَرَّت الروم من هذه الوقعة أجتوهم إلى دمشق فقصصوهم فيها، فأغلَقوها عليهم، وأحاط بها الصحابة. قال: وحينئذ جاءت الإمارة لأبي عبيدة من جهة عمر وعزل خالد. وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من مجي الإمارة لأبي عبيدة في حصار دمشق هو المشهور.

ذكر فتح دمشق

قال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٤٣٦/٣-٤٤١]: لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أتاه الخبر بقُدوم مدد لهم من حمص، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كثيرة من الروم بفُخَل من أرض فلسطين، فهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ. فكتب إلى عمر في ذلك، فجاء الجواب أن ابدا بدمشق فلها حصن الشام وبيت ملكهم، فأنهذها واشتغلوا عنكم أهل فُخَل بخيول تكون تلقاءهم،

بن أسيد بن أبي العيص - وبين درب طلحة بن عمرو بن مرة الجهني، وهي الكنيسة الثامنة

وكانت للبعقلين كنيسة أخرى فيما بين درب السوسي وسوق علي. قال ابن عساكر: قد بقي من بنائها بعضه، وقد خربت منذ دهر. وهي الكنيسة التاسعة.

وأما العاشرة فهي الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر: وهي باقية إلى اليوم بين الباب الشرقي وباب ثوما بقرب النبطين عند السور. والناس اليوم يقولون: النبطون. قال ابن عساكر: وقد خرب أكثرها هكنا قال. وقد خربت هذه الكنيسة وهُدمت في أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله. الحادية عشرة: كنيسة مريم داخل الباب الشرقي. قال ابن عساكر: وهي من أكبر ما بقي بأيديهم.

قلت: ثم خربت بعد موته بدهر في أيام الملك الظاهر ركن الدين ببرس البندقداري على ما سيأتي بيانه.

الثانية عشرة: كنيسة اليهود التي بأيديهم اليوم في حارتهم، وعلمها معروف بالقرب من الحير وتسميه الناس اليوم بُستان القط وكانت لهم كنيسة في درب البلاغة لم تكن داخلية في العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن الشهرزوري، والناس اليوم يقولون: درب الشاذوري.

قلت: وقد أخربت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكرها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره، وكان إخراجها في حدود سنة سبع عشرة وسبعمائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرة. ثم قال ابن عساكر: وما أحدث - يعني النصارى - كنيسة بناها أبو جعفر المنصور لبني قبطيا في الفورنق عند قناة صالح قريبا من دار تهاذر آص وأرمن اليوم وقد أخربت فيما بعد وجعلت مسجدا يعرف بمسجد الجينيقي وهو مسجد أبي اليمن. قال: وما أحدث كنيسة البُعاد إحداها عند دار ابن الماشكي وقد جعلت مسجداً. والأخرى التي في رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً. انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله.

قلت: وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة [تاريخ دمشق ١١١/٢]. وكذا حكاه الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق ١١٠/١٩] من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علاق عن يزيد بن عبيدة قال: فتحت دمشق سنة أربع عشرة، ورواه دحيم عن الوليد. قال [تاريخ دمشق ١١٠/٢]: سمعت أشياخنا يقولون: إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة. وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو مَعَشَر ومحمد بن إسحاق ومعمر والأُموي - وحكاها عن مشايخه - وابن الكلبي وخليفة بن خياط وأبو عبيدة القاسم بن سلام إن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة [تاريخ دمشق ١١٢-١٠٩/٢]. وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأُموي: وكانت اليرموك بعدها بسنة. وقال بعضهم: بل كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة. وقال خليفة [تاريخ خليفة ١١٣/١]: حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة. وقال الأُموي في «مغازيه» [تاريخ دمشق ١١٤/٢]: كانت وقعة اجنادين في جمادى الأولى، ووقعة

اجبابهم. ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد. ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده فقالوا له: إنا قد أنشأهم، فقال: إني فتحته عنة. والتقت الأُمراء في وسط البلد عند كنيسة القسلاط بالقرب من درب الرمان اليوم. هكنا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً.

وقال آخرون: بل الذي فتحها عنة أبو عبيدة وقيل: يزيد بن أبي سفيان، وخالداً صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف. والله أعلم. ولقد اختلف الصحابة فقال قائلون: هي صلح - يعني على ما صالحهم الأمير في نفس الأمر وهو أبو عبيدة - وقال آخرون: بل هي عنة لأن خالداً انتحها بالسيف أولاً كما ذكرنا، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأُمراء ومنهم أبو عبيدة فصالحوهم، فاتفقوا فيما بينهم على أن يجعلوا نصفها صلحاً ونصفها عنة، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه، واستقرت يد الصحابة على النصف. ويقوي هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصلحوهم على المشاورة فيأبؤن، فلما أحسوا باليأس أثابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم. ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم.

ولمَّا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف بكنيسة يوحنا فالتفتوا الجانب الشرقي منها مسجداً، وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة بيوحنا والتي هي جامع دمشق اليوم. وقد كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد وشرحيل:

إحداها كنيسة القسلاط التي اجتمع عندها أمراء الصحابة، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير، وهذه القنطرة المشاهدة في سوق الصابونيين من بقية القنطرة التي كانت تحته، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارته في العمارات.

الثانية: كنيسة كانت في رأس درب القُرُشيين وكانت صغيرة، قال الحافظ ابن عساكر: وبعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت.

الثالثة: كانت بدار الطيخ العتيقة.

قلت: وهي داخل البلد بالقرب الكوثك. وأظنها هي المسجد الذي قيل هذا المكان المذكور، فإنها خربت من دهر والله أعلم.

الرابعة: كانت ببلد بني نصر بين درب الحبالين ودرب التيممي.

قال الحافظ ابن عساكر: وقد أدركت بعض بنائها، وقد خرب أكثرها.

الخامسة: كنيسة بولص، قال ابن عساكر: وكانت غربي القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنائها بعض أساس الحنية.

السادسة: كانت في موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلاسيين.

قلت: والقلاسيين هي الخواصين اليوم.

السابعة: التي ببلد السقييل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن ثرة سابقاً، لأن هذا الدرب كان إقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشي العامري، ودره أمه وهي درة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، فأبواها خال معاوية، وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه، وكان مسلماً، ولم يبق لهم اليوم سواها، وقد خرب أكثرها.

وللبقية منهم كنيسة داخل باب ثوما بين رجة خالد - وهو خالد

بعثاه يريداً فقدم علينا أميراً.

وقد روى الليث وابن طيبة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد [تابع دمشق ١٣٥/٢-١٣٧] عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة يريداً بفتح دمشق، قال: فقلت على عمر يوم الجمعة فقال لي: منذ كم لم تنزع خفيك؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة. فقال: أصبت السنة.

قال الليث: وبه نأخذ، يعني أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت، بل له أن يمسح عليهما ما شاء، وإليه ذهب الشافعي في القديم. وقد روى أحمد وأبو داود عن أبي بن عمار مرفوعاً مثل هذا [تابع دمشق ١٥٨/١] و[تابع دمشق ٥٥٧/١]، والجمهور على ما رواه مسلم عن علي بن ثابت المسح للمسافر ثلاثة أيام وليلتين، وللمقيم يوم وليلة [تابع دمشق ٢٧٦/١]. ومن الناس من فصل بين البريد ومن في معناه وغيره، فقال في الأول: لا يتأقت، وفيما عداه: يتأقت لحديث عقبة وحديث علي. والله أعلم.

فصل

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحته بالسيف. وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسون، وعلى الروم رجل يقال له: سنان تحمّر على المسلمين من عقبة يبروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يُسمون عين ميسون عين الشهداء. واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق. وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهلوا أمرها. وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثية وحروران فصالح أهلها.

قال أبو عبد القاسم بن سلام [تابع دمشق ١٣٣/٢] رحمه الله: افتتح خالد دمشق صلحاً، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضها. فعلى يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحيل ابن حسنة وأبي عبيدة. وقال الوليد بن مسلم [تابع دمشق ١٣٤/٢]: أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق أن المسلمين بينما هم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من عقبة السلميّة مُخَمَّرَةٌ بالحرير فثار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لُهمّا والعقبة التي أقبلوا منها، فهزموهم وطردوهم إلى أبواب حمص، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحوا دمشق فقال لهم أهل حمص: إنا نصالحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا.

وقال خليفة بن خياط [تابع خليفة ١١٧/١]: حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال: افتتح شرحيل ابن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه. وهكذا قال ابن الكلبي. وقالوا: بعث أبو عبيدة خالدًا فقلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً. وقال ابن المغيرة [تابع دمشق ١٣٩/٢] عن أبيه: وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم، ووضع الخراج. وقال ابن إسحاق وغيره [تابع دمشق ١٣٩/٢]: وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص وبلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة. قال خليفة [تابع خليفة ١١٧/١]: ويقال: في سنة خمس عشرة.

وقعة فحل بكسر الفاء قيل: والحاء والصحيح تسكينها:

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الإمام

فحل في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة - يعني وقعة دمشق سنة أربع عشرة. وقال دحيم عن الوليد [تابع دمشق ١١٥/٢]: حدثني الأموي أن وقعة فحل واجتادين كانت في خلافة أبي بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فنزلوا عليها في رجب سنة ثلاث عشرة يعني فتحوها في سنة أربع عشرة. وكانت اليرموك سنة خمس عشرة، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة.

فصل

واختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً، أو عنوة؟ فآثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكروا في المتقدم على الآخر أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة أو فتحت صلحاً وانفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً؟ فلما شكروا في ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً. وقيل: بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة، وهذا القول قد يظهر من صنيع الصحابة في الكتيبة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم.

ثم قيل: إن أبا عبيدة هو الذي كتب لهم كتاب الصلح، وهذا هو الأنسب والأشهر، فإن خالدًا كان قد عزل عن الإمرة، وقيل: بل الذي كتب لهم الصلح خالد بن الوليد، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فآله أعلم.

وذكر أبو حنيفة إسحاق بن بشر [تابع دمشق ١٢٣/٢-١٢٥/١] أن الصديق توفي قبل فتح دمشق، وأن عمر كتب إلى أبي عبيدة يُعزّيه والمسلمين في الصديق، وأنه قد استتابه على من بالشام، وأمره أن يستشير خالدًا في الحرب، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتبه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالد: يرحمك الله، ما تمك أن تعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكرس عليك خربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للنيا أصمل، وما ترى سيعير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وما يضر الرجل أن يتله أخوه في دينه ولا دنياه.

ومن أعجب ما يذكر هنا ما رواه يعقوب بن سفيان القسوي [تابع دمشق ٣١٥/٢-٣١٦/٢]: حدثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك بن محمد ثنا راشد بن داود الصنعاني حدثني أبو عثمان الصنعاني شرحبيل بن مرثد، قال: بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام، فذكر الراوي قتال خالد لأهل اليمامة إلى أن قال: ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبي عبيدة بالشام، فذكر مسير خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فإن الذي لا يُشكّ فيه أن الصديق هو الذي بعث أبا عبيدة من الأمراء إلى الشام، وهو الذي كتب إلى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدناً لمن به وأميراً عليهم، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وقال محمد بن عائد [تابع دمشق ١٣٤/٢]: قال الوليد بن مسلم: أخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافتدوا إلى أبي بكر بشيراً بالفتح فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفي واستخلف عمر بن الخطاب فاعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا: مرحباً بمن

فقيل لعمر: هلاً أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أوامر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتهم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وتوكل معه بين المسلمين خيراً، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يستشير سليل بن قيس فإنه رجل باشر الحروب فصار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجلاً وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق من قدم مع خالد إلى العراق فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فزاعق هرقراً المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها أزمريذخت وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له: رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم يصير الملك إلى آل كسرى قبيل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً، فقيل له: ما حملك على هذا؟ فيقول: وأنت تعلم أن هنا لا يتم لك فقال: الطمع وحُب الشرف.

وقعة النمارق

بعث رستم أميراً يقال له: جابان وعلى مُجنبيه رجلاً يقال لأحدهما: خشنس ماه ويقال للآخر: مَرْدَان شاه وهو حصي أمير حاجب الفرس، فالتقوا مع أبي عبيد بمكان يقال له: النمارق - بين الحيرة والقادسية - وعلى الخيل المثنى بن حارثة، وعلى الميرة عمرو بن الهيثم فاقترلوا هناك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسير جابان مَرْدَان شاه. فاما مَرْدَان شاه. فإنه قتله الذي أسره، وأما جابان فإنه خذع الذي أسره حتى أطلقه فامسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه، وقالوا: إن هذا هو الأمير وجاؤوا به إلى أبي عبيد فقالوا: اقله فإنه الأمير فقال: وإن كان الأمير فإني لا أقتله وقد أمته رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجؤوا إلى مدينة كسكر التي لابن خالة كسرى واسمه نَرْسي فوازهم نَرْسي على قتال أبي عبيد فقهروهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمات كثيرة جداً ولله الحمد. وبعث بخمس ما غنم من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين:

لنمري وما عُمري عليّ بهيئاً لقد صَبَحْتُ بالخزري أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهيم بجوسونهم ما بين دُرْنا وبارق
قتلناهم ما بين مرج مُسْلَح وبين الهواري من طريق البلدارق

فالتقوا بمكان بين كسكر والسقاية وعلى ميمنة نرسي وميسرة ابنا خاله بنتونه وتبرونه أولاد بسطام وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالوس فلما بلغ أبي عبيد ذلك أغضب نرسي بالقتال قبل وصولهم فاقترلوا قتالاً شديداً فانهمزت الفرس وهرب نرسي والجالوس إلى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالوس بمكان يقال له: باروسما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا أخر إلى ما تاتخم تلك الناحية كنهز جوير ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية والحراج وغنموا الأموال الجزية ولله الحمد والمئة وكسروا الجالوس الذي جاء لنصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكرهأرباً إلى قومه حقيراً ذليلاً.

أو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق [تاريخ الطبري: ٤٤٢/٣] وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة العنسي قالوا: خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وساروا نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل ابن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد وأبو عبيدة على الميمنة وعمر بن العاص على الميسرة، وعلى الخيل ضراب بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهي بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى نيساب، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على ما هنالك من الأراضي فحال بينهم وبين المسلمين، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ومدد كثير، وهم على أوبة من أمرهم. وأمير هذا الحرب شرحبيل ابن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبته. وظن الروم أن المسلمين على غرة، فركبوا في بعض الليالي ليبتؤهم، وعلى الروم سقلاب بن خرق، فهجموا على المسلمين فهضوا إليهم نهضة رجل واحد لأنهم على أوبة دائماً، فقاتلوه حتى الصباح وذلك اليوم يكماله إلى الليل. فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون اكتشافهم وأسلبتهم هزعتهم إلى ذلك الزحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين ففرقتهم الله فيه، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً، لم ينج منهم إلا الشريد، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً. وانصرف أبو عبيدة وخالد بن معهما من الجيوش نحو حصص كما أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل ابن حسنة، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر نيساب فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق، وضرب عليهم الجزية والحراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية سواء

فصل فيما ما وقع بأرض العراق في هذه

المدة من القتال

وقد قدمنا أن المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام - وقد قيل: إنه سار بتسعة آلاف، وقيل: بثلاثة آلاف، وقيل: بسبعائة وقيل: بأقل، إلا أنهم صناديد جيش العراق - فأقام المثنى بمن بقي فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وميلاتهم، واستطاع المثنى خبر الصليق فسار إلى المدينة فوجد الصليق في السباق، فآخيره بأمر العراق، فأوصى الصليق عمر أن يتدب الناس لقتال أهل العراق. فلما مات الصليق ودفن ليلة الثلاثاء أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العراق، وحرّضهم وروّغهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتلهم. ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، ومالهم هنالك من الأموال والأملوك والأمنعة والزيادة، فلم يبق أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تابع الناس في الإجابة، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أباً عبيد هذا ولم يكن صحابياً،

وقعة جسر أبي عبيد التي قُتل فيها أمير المسلمين

وخلق كثير منهم فإننا لله وإنا إليه راجعون

لما رجع الجالينوس هارباً عما لقي من المسلمين تلامت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فارساً جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحجاب بهنّ جافّته وأعطاه راية أفريدون وتسمى درفش كلبان وكانت الفرس تيمن بها. وحلوا معهم راية كسرى وكانت من جلود النور عرضها ثمانية أذرع. فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فارسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبأ إليكم. فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا هم إلينا. فقال: ما هم بأجراً على الموت منا ثم اتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق فالتقوا هنالك فالتقوا قتالاً شديداً لم يعبده مثله والمسلمون في نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلالج والخنل قائمة لتذعّر خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة وما تسمع من الجلالج التي عليها ولا يثبت منها إلا القليل على قسّر. وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيلهم على الفيلة ورشقتهم الفرس بالنبل، فثألوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف. وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً، فاحتوشوها فقتلوا عن آخرها، وقد قُتلت الفرس بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف قطع زلوفه فجسي الفيل، وصاح صيحة هائلة وحمل عليه فتخطه برجله فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من قتيب كان قد نصّ أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد، ثم صارت إلى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً. وقد كانت قومة امرأة أبي عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء. فلما رأى المسلمون ذلك وهتوا عند ذلك ولم يكن بقي إلا الظفر بالفرس، وضعف أمرهم، وذهبت ريمهم، وولّوا مليرين، وسأقت الفرس خلفهم يقتلون بشراً كثيراً وانكشف الناس فكان أمراً بليغاً وجاؤوا إلى الجسر فمرّ بعض الناس. ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحو من أربعة آلاف. فإننا لله وإنا إليه راجعون. وسار المثنى بن حارثة فوق عند الجسر الذي جاؤوا منه، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق، فنادى المثنى: أيها الناس على فيّكم فإني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا، فلما عدّى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فزل بهم أول منزل، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين، وقد جرح أكثرهم وأنخنوا. ومن الناس من ذهب في البرية لا يلقى ابن ذهب، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعوراً، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر، فقال له عمر: ما وراءك يا عبد الله بن زيد؟ فقال: أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سرّاً، ويقال: كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الخطمي قاله أعلم - قال سيف بن عمر: وكانت هذه الوقعة في شعبان من سنة ثلاث عشرة بعد اليرموك بأربعين يوماً قاله أعلم - وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فرّ إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال: أنا فئتكم وأشغل الله الجيوش بأمر ملكيكم. وذلك أن أهل المدائن عدّوا على رستم فخلعوه ثم ولّوه وأضافوا إليه الفيرزان، واختلفوا

وقعة البويب التي اقتص فيها المسلمون من الفرس

فلما سمع أمراء الفرس بكرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجل يقال له: مهرا توافواهم ولهاهم مكان يقال له: البويب قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات. فقالوا: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبأ إليكم. فقال المسلمون: بل اعبروا إلينا. فعبرت الفرس إليهم فتوافوا، وذلك في شهر رمضان، فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فافطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وعبى الجيش، وجعل يمرّ على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظّمهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت والبات، وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين. وقال المثنى لهم: إني مكرّر ثلاث تكبيرات فهتئوا، فإذا كثرت الرابعة فاحلوا. فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر أول تكبيرة عاجلّتهم الفرس فحملوا حتى غالقروهم واقتتلوا قتالاً شديداً، وركدت الحرب ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً، فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم فاعتلوا. فلما رأى ذلك منهم - وهو بنو عجل - أعجبه وضحك. وبعث إليهم يقول: يا معشر المسلمين عاذتكم، انصروا الله ينصركم. وجعل المثنى والمسلمون يذعنون الله بالظفر والنصر. فلما طالت مدة الحرب جتمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهرا وركب فرسه، كما ذكره سيف بن عمر [تاريخ الطبري] ٤٦١، ٤٦٠، ٤٦٩.

وقال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري] ٤٧٢/٣ [بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعته واحترّ رأسه جرير بن عبد الله البجلي، واختصما في سلبه، فآخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقتة. وهربت الجيوش وركب المسلمون أكتافهم يوصلونهم فضلاً. وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليمكن منهم المسلمون. فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، ومن الغد إلى الليل فيقال: إنه قُتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف ولله الحمد والمنة. وغنم المسلمون مالا جزيلاً وطعاماً كثيراً، ويعشوا بالبخارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه. وقد قُتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشراً كثيراً أيضاً ودلّت لهذه الوقعة رقاب الفرس وتمكّن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره. وجرت أمور بطول ذكرها بعد يوم البويب وكانت هذه الوقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام. وقد قال الأعور الشّبيّ العبدي في ذلك:

هاجت لأعور دار الحسي أخراناً واستبيلت بعد عبد القيس خفاناً
وقد أراننا بها والشملّ مجتمعٌ إذ بالخنيلة قلبي جند مهزاناً

إذ كان سار المثنى بالثيول لهم فقتل الزحف من فُرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه حتى أباهم مثنى ووحدنا

ذكر ما وقع في هذه السنة، أعني سنة ثلاث عشرة من
الحوادث إجمالاً ومَن توفي فيها من الأعيان

فصل

كانت فيها وقائع تقدّم تفصيلها ببلاد العراق على يديّ خالد بن الوليد
ﷺ، فتحت فيها الحيرة والأنبار وغيرها من الأمصار.
وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور.
وفيها كانت وقعة اليرموك في قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير،
وقتل بها من قتل من الأعيان عن بطول ذكرهم وتراجهم رضي الله عنهم
أجمعين.
وفيها توفي أبو بكر الصديق ﷺ. وقد أفردنا سيرته في مجلد ولله
الحمد.

وفيها وتي عمر بن الخطاب ﷺ يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى
الآخرة منها فولّى قضاء المدينة علي بن أبي طالب ﷺ واستتاب على
الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وعزل عنها خالد بن
الوليد المخزومي، وأبقاه على شوري الحرب.
وفيما فتحت بصرى صلحاً وهي أول ملية فتحت من الشام.

وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره كما قلنا واستتب فيها يزيد
بن أبي سفيان وهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضي الله عنهم.
وفيها كانت وقعة يخل من أرض الفُور وقد قُتل بها جماعة من
الصحابة وغيرهم.

وفيها كانت وقعة جسر أبي عبيد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين
منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وهو والد صفية امرأة عبدالله بن
عمر وكانت امرأة صالحة رجحها الله. ووالد المختار بن أبي عبيد كذاب
ثقيف وقد كان نائباً على العراق في بعض وقعات العراق كما سيأتي.
وفيها توفي:

■ المثنى بن حوثة في قول ابن إسحاق، وقد كان نائباً على العراق
استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام، وقد شهد مواقف مشهورة
وله أيام مذكورة ولا سيما يوم البويب بعد جسر أبي عبيد قُتل فيه من
الفرس وغرق بالفرات قريب من مائة ألف والذي عليه الجمهور أنه بقي
إلى سنة أربع عشرة كما سيأتي بيانه.

وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب في قول بعضهم وقيل: بل حج
عبد الرحمن بن عوف.

وفيها استفر عمر قبائل العرب لغزو العراق والشام فأقبلوا من كل
النواحي فرمى بهم الشام والعراق.

وفيها كانت وقعة أجنادين في قول ابن إسحاق يوم السبت ثلاث
بقين من جمادى الأولى منها. وكذا عند الواقدي فيما بين الرملة وثبت
جبرين وعلى الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص، وهو في
عشرين ألفاً في قول فقتل القيقلان وانهزمت الروم وقُتل منهم خلق كثير.
واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة منهم هشام بن العاص والفضل بن
العباس، وأبان بن سعيد وأخوه خالد وعمرو، ونعيم بن عبد الله بن
النخام، والظفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدؤسيان، وضرار بن
الأزور، وعكرمة بن أبي جهل، وعمه سلمة بن هشام، وهبار بن سفيان،
وصخر بن نصر، ونعيم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضي الله عنهم.
وقال محمد بن سعد (الطبقات الكبرى ١٢٤/٣): قتل يومئذ طليب بن عمير

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الزهري
أحد العشرة في ستة آلاف أميراً على العراق، وكتب إلى جرير بن عبد الله
والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسعما له ويعطيا، فلما وصل إلى
العراق كانا معه، وكانا قد تنازعا الإمرة، فالتفتي يقول لجرير: إنما بعثك أمير
المؤمنين مدحاً لي، ويقول جرير: إنما بعثني أميراً عليك: فلما قدم سعد على
إمرة العراق انقطع نزاعهما. قال ابن إسحاق (الترغيع الطري: ٤٧٢/٣). وتوفي
المثنى بن حارثة في هذه السنة. كما قال ابن إسحاق: والصحيح أن بعث
عمر سعداً إنما كان في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي.

ذكر اجتماع الفرس على يؤذجرد بعد اختلافهم

واضطرابهم ثم اجتمعت كلمتهم

كان شيرين قد جمع آل كسرى في القصر الأبيض وأمر بقتل دكرانهم
كلهم وكانت أم يزدجرد فيهم ومعهما ابنتها وهو صغير، فواعدت أخواله
فجازوا فأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ما وقع يوم البويب
وقتل من قُتل منهم كما ذكرنا، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم
وعلى أخذ بلدانهم وعائلاتهم وأقاليهم. ثم سمعوا بقدوم سعد بن أبي
وقاص من جهة عمر، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرتين الكبيرتين
فيهم وهما: رستم والفيزان فتلأمروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهما: لئن
لم تقوموا بالحرب كما ينبغي لثقتلكنما ونشتفي بكما. ثم راوا فيما بينهم أن
يعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة، فمن كان لها ولد من
آل كسرى ملكوه عليهم. فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها: هل لها ولد وهي
تنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد فلم يزلوا حتى دُكوا على أم
يزدجرد فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى
وعشرين سنة، وهو من ولد شهریار بن كسرى وعزلوا بوران واستوسقت
الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصرة أتم قيام،
واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به، ويعثوا إلى الأقاليم والرياسات
فدخلوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذهبهم وبعث الصحابة إلى عمر
بالخبر، فأمرهم عمر أن يثربوا من بين ظهرانيهم وليكونوا على أطراف
البلاد حولهم على المياه، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا
حدثت حدثت على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم. وتقام الحال جداً،
وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة، وقد حج بالناس عمر في هذه
السنة وقيل: بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة
والله أعلم.

الكبير ٤٤/٤] [الإكمال ١٤٠/٣].

وروي ابن حساكر [تاريخ دمشق ٢٠/٢٤٩] من طريق حجاج بن أرتاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن راية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي وراية الأنصار مع سعد بن عباد رضي الله عنهما.

قلت: والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم.

وقال الواقدي: لم يشهدوا لأنه نهسته حبة شغلته عنها بعد أن تجهز لها، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، وشهد أهدأ وما بعدها. وكذا قال خليفة بن خياط [طبقات خليفة ١/٢١٦]. وكانت له جنة تدور مع النبي ﷺ حيث دار من بيوت نسائه بلحم وثريد، أو لبن وخبز، أو خبز وسمن أو بخل وزيت، وكان يتأدي عند أطعمه كل ليلة لمن أراد القيرى. وكان يُحسِن الكتابة بالعربي، والرمي والسباحة، وكان يُسمَّى من أحسن ذلك كاملاً. وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج إلى الشام فسات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق. قاله ابن إسحاق والمدايني وخليفة [الاستيعاب ١/٥٩٩]. قال: وقيل: في أول خلافة عمر. وقيل: سنة أربع عشرة وقيل: سنة خمس عشرة. وقال الفلاس وابن بكير [تاريخ دمشق ٢٠/٢٦٩، ٢٧٠] سنة ست عشرة.

قلت: أما بيعة الصديق فقد رويتا في [مسند الإمام أحمد] أنه سلم للصديق ما قاله من أن الخلفاء من قريش. وأما موته بأرض الشام فمحقق والمشهور أنه بحوران.

قال محمد بن عائد الدمشقي [تاريخ دمشق ٢٠/٢٦٩] عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال: أول مدينة فُتحت من الشام بصرى، وبها توفي سعد بن عباد. وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق، يقال لها: النيحة وبها قبر مشهور به. ولم أزل الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكافة [تاريخ دمشق ٢٠/٢٣٧]. قاله أعلم.

قال ابن عبد البر [الاستيعاب ١/٥٩٩]: ولم يُخلفوا أنه وجد ميتاً في مُغْتَله، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قاتلاً يقول:

قلنا سيد الحزير ج سعد بن عباد

رميناه بسهمين فلم نُخط فؤاده

قال ابن جرير: سمعت عطاء يقول: سمعت أن الجبن قالوا في سعد بن عباد هذين البيتين.

له عن النبي ﷺ أحاديث، وكان ﷺ من أشد الناس غيرة، ما تزوج امرأة إلا بكراً، ولا طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعثه. وقد روي أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنييه، فلما توفي وُلد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد فأمره أن يُدخل هذا معهم، فقال: إني لا أغير ما صنع سعد ولكن نصبي لهذا الولد.

■ سلمة بن هشام بن المغيرة: أخو أبي جهل بن هشام [الاستيعاب ٢/٦٤٣]، أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجابه فكان رسول الله ﷺ يدعو له في الفئوت والجماعة معه من المستضعفين. ثم أنسل فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة بعد الخندق، وكان معه بها. وقد شهد أجنادين وقُتل بها ﷺ.

■ حنرا بن الأزور الأسدي [الاستيعاب ١/٢٤٩]: كان من الفرسان المشهورين، والأبطال المذكورين، له مواقف مشهورة، وأحوال حمودة. ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قُتل بأجنادين [تاريخ دمشق ٢٤/٣٩٠، ٣٩١]. له

وأما أروى بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ وممن قُتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي قال: ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حُنين. قال ابن جرير: وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضي الله عنهم.

وفيها كانت وقعة مرج الصفر في قول خليفة بن خياط [تاريخ خليفة ١/١٠٤] وذلك لثني عشرة بقيت من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص قُتل يومئذ وقيل: إما قُتل أخوه عمرو وقيل: ابنه قاله أعلم.

قال ابن إسحاق [تاريخ خليفة ١/١٠٤]: وكان أمير الروم قُتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دماهم. والصحيح أن وقعة مرج الصفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي.

ذكر المتوفين في هذه السنة مُرتبين على الحروف كما

ذكرهم شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه

■ أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي [الاستيعاب ١/٦٢]: أبو الوليد المكي صحابي جليل: وهو الذي أجاز عثمان بن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله ﷺ. أسلم بعد مُرجع أخويه من الحبشة. خالد وعمرو، فندواهم إلى الإسلام فأجابهما. وساروا فوجدوا رسول الله ﷺ قد فتح خيبر. وقد استعمله رسول الله ﷺ سنة تسع على البحرين وقُتل بأجنادين.

■ أنسة مولى رسول الله ﷺ: المشهور أنه قُتل بيدر فيما ذكره البخاري وغيره، وزعم الواقدي [طبقات ابن سعد ٤/٤٨، ٤٩] فيما قتله عن أهل العلم أنه شهد أهدأ وأنه بقي بعد ذلك زماناً، قال: وحديثي ابن أبي الزناد، عن محمد بن يوسف أن أنسة ماتت في خلافة أبي بكر الصديق، وكان يكنى أبا مسروح. وقال الزهري [طبقات ابن سعد ٤/٤٩]: كان يُأذن للناس على النبي ﷺ.

■ نجيم بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه سعيد: صحابيان جليلان، هاجرا إلى الحبشة وقُتلا بأجنادين.

■ الحارث بن أوس بن عتيك [الاستيعاب ١/٢٨١]: من مهاجرة الحبشة، قتل بأجنادين.

■ خالد بن سعيد بن العاص الأموي [الاستيعاب ٢/٤٢٠]: من السابقين الأولين، ممن هاجر إلى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال: إنه كان على صنعه من جهة رسول الله ﷺ وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قُتل يوم مرج الصفر في قول، وقيل: بل هرب فلم يكتفه الصديق من دخول المدينة تمزيماً له، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أُذن له، ويقال: إن الذي قتله أسلم، وقال: رأيت له حين قتلته نوراً ساطعاً إلى السماء ﷺ.

■ سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة: ويقال حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الحزرج بن ساعدة بن كعب بن الحزرج الأنصاري الحزرجي: سيدهم، أبو ثابت ويقال: أبو قيس صحابي جليل كان أحد الثقات ليلة العقبة، وشهد بدر في قول عروة وموسى بن عقبة والبخاري وابن مأكولا [تاريخ دمشق ٢٠/٢٣٨، ٢٣٩] [الصارم

حليث في استحباب إيقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب [المسند ٣١١/٤، ٣٣٩].

■ **طلب بن عمرو بن وهب بن كثير بن عبد بن قصي القرشي العبدي:** أمه أروى بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ. أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بداراً. قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار [تاريخ دمشق ١٤٢/٢٥، ١٤٦]. ويقال: إنه أول من ضرب مُشركاً، وذلك أن أبا جهل سب النبي ﷺ فضربه طليب بلخي جلي فشجّه. استشهد طليب بأجنادين وقد شاخ ﷺ.

■ **عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي [الاستيعاب ٩٠٤/٣]:** ابن عم النبي ﷺ كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين، قُتل يوم أجنادين بعدما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال. وله من العمر يومئذ بضعة وثلاثون سنة.

■ **عبد الله بن عمرو الدوسي [الاستيعاب ٩٥٦/٣]:** قتل بأجنادين. وليس هذا الرجل معروفاً.

■ **عثمان بن طلحة العبدري الحنفي [الاستيعاب ١٠٣٤/٣]:** قيل: إنه قُتل بأجنادين، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الأربعين.

■ **عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي:** أبر عبد الرحمن [الاستيعاب ١٠٢٥/٣] أمير مكة نيابة عن رسول الله ﷺ استعمله عليها عام الفتح، وله من العمر عشرون سنة، فحج بالناس عامئذ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه الصلاة والسلام. وكانت وفاته بمكة، قيل يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما. له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة [١٦٠٤، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٣] [ت ٦٤٤٠] [٢٦١٧] [٢٦١٩، ١٨١٩، ١٨١٩].

■ **عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي [الاستيعاب ١٠٨٢/٣]:** كان من سادات الجاهلية كاتبه، ثم أسلم عام الفتح بعدما قرأ، ثم رجع إلى الحق. واستعمله الصديق على عُمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم. ثم قُدم الشام وكان أميراً على بعض الكرايس، ويقال: إنه لا يُعرف له ذنب بعدما أسلم. وكان يُقبل المصحف ويكي ويقول: كلام ربي كلام ربي [المعجم الكبير ٣٧١/١٧، ٣٧٢ (١٠١٨)] [المسلك ٢٤٣/٣]. احتج بهذا الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته. وقال الشافعي: كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام. قال عروة: قُتل بأجنادين. وقال غيره: بالرموك بعد ما وُجد به بضعة وسبعون ما بين ضربة وطمعة ﷺ.

■ **القضيل بن العباس بن عبد المطلب [الاستيعاب ١٠٩٩/٣]:** قيل: إنه توفي في هذه السنة، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثمانى عشرة.

■ **نعيم بن عبد الله بن الحزام [الاستيعاب ١٥٠٧/٤]:** أحد بني عدي: أسلم قديماً قبل عُمر ولم يتبها له هجرة إلى ما بعد الحديبية؛ وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه، فقالت له قرشي: أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرضك أحد إلا ذهبنا أنفسنا دونك. استشهد يوم أجنادين وقيل: يوم اليرموك ﷺ.

■ **هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الأسدي [الاستيعاب ١٥٣٦/٤]:** هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي ﷺ يوم خرجت من مكة حتى أسقطت، ثم أسلم بعد فحسّن إسلامه، وقُتل بأجنادين ﷺ.

■ **هبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي [الاستيعاب ١٥٣٦/٤]:** ابن أخي أبي سلمة: أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على

الصحيح، وقيل: قُتل يوم مؤتة والله أعلم.

■ **هشام بن العاص بن وائل السهمي [الاستيعاب ١٥٣٩/٤]:** أخو عمرو بن العاص: روى الترمذي [الكبرى (٨٣٠)] [المسند ٣٠٤/٢، ٣٢٧، ٣٥٣، ٣٥٤] أن رسول الله ﷺ قال: «ابنا العاص مؤمنان» وقد أسلم هشام قبل عمرو، وهاجر إلى الحبشة، فلما رجع منها أحسب بمكة. ثم هاجر بعد الحنق، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم. وكان من الفرسان وقُتل بأجنادين، وقيل: بالرموك، والأول أصح والله أعلم.

■ **أبو بكر الصديق [الاستيعاب ٩٦٣]:** تقدم وله ترجمة مفردة ولله الحمد.

سنة أربع عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق. وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس واجتماع أمرهم على يزجر الذي أقاموه بين بيت الملك، وتقضى أهل النعمة بالعراق عهودهم، وتبلغهم الموائيق التي كانت عليهم، وأدوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم. وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرؤا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد.

قال ابن جرير [تاريخ الطبري ٤٨٠/٣، ٤٨٧] رحمه الله: وركب عمر ﷺ في أول يوم من المحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فتزل على ماء يقال له: حيرار، فسكرو به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودي: أن الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى عليّ فقدم من المدينة، ثم استأمرهم فكلمهم وافقه على الذهاب إلى العراق، إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كثرت أن تُضعف المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن تبع رجلاً وترجع أنت إلى المدينة. فأرأى عمر والناس عند ذلك واستصبروا رأي ابن عوف. فقال عمر: فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟ فقال: قد وجدته. قال: ومن هو؟ قال الأسد في برأئته سعد بن مالك الزهري. فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال: يا سعد بني وهيب لا يفرئك من الله أن قيل: خال رسول ﷺ وصاحب، فإن الله لا يحو السيء بالسيء، ولكن يحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله بهم وهم عبياده، يتفاضلون بالعافية ويندكون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ عليه منذ بعث إلى أن فارقتا فالزيم، فإنه الأمر. هذه عظمي إياك، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين. ولما أراد فراقه قال له: إنك ستقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على أصابك ونابك، تجمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين، في طاعته واجتناب معصيته، وإلما طاعة من أطاعه يبيض الدنيا وحب الآخرة، وإلما عصيان من عصاه يحجب الدنيا ويغضب الآخرة. وللقلوب حقائق يُشبهها الله إنشاء، منها السر ومنها العلانية، فاما العلانية فإن يكون حامله وادماً في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحنة الناس فلا ترهق في التحجب فإن النبيين قد سألوا عبتهم، وإن الله إذا أحسب عبداً حبيبه وإذا أبغض عبداً بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس. قالوا:

فسار سعد نحو العراق في أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن، وألف من سائر الناس، وقيل: في ستة آلاف.

وشيعهم عمر بن صرار إلى الأعوص وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول ليحيي به القلوب فإن القلوب ميتة في صدورهم حتى يحييها الله، من علم شيئاً فليتبع به، فإن للعدل أمارات وتبشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهيئ واللين. وأما التبشير فالرحمة. وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسر لكل باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأعمال. والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتماء بما يكفي من الكفاف، فإن من لم يكف الكفاف لم يغنو شيء. إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد الزمني دفع الدعاء عنه، فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فلان من يئلفنا نأخذ له الحق غير متمتع. ثم سار سعد إلى العراق، ورجع عمر بن معمر بن المسلمين إلى المدينة. ولما انتهى سعد إلى نهر زرد، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالثني بن حارثة إلا السير، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه، انتفض جرح المثنى بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ﷺ، واستخلف على الجيش بشير ابن الخصاصية. ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى. ولما وصل سعد إلى غلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره وأمه عمر بامداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً، وقيل: ستة وثلاثون. وقال عمر: والله لأرعين ملوك العجم بملوك العرب. وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل، والعرفاء على كل عشيرة عريقاً على الجيوش، وأن يواعيهم إلى القادسية، ففعل ذلك سعد، عرف العرفاء، وأمر على القبائل، وولى على الطلائع، والمقلعات، والمجنبات، والساقات، والرجالة، والركبان، كما أمر أمير المؤمنين عمر.

قال سيف بن سواده عن شياخه قالوا (الطبري ٤/٤٨٩، ٤٩٠): وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور، وجعل عليه الأقباض وقسمة الفيء، وجعل داية الناس وقاصتهم سلمان الفارسي. وجعل الكاتب زياد بن أبي سفيان. قالوا: وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلاثمائة وخمسة عشر صحابياً، منهم بضعة وسبعون بدرياً، وكان فيه سبعائة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم.

وبعث عمر كتاباً إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية، وأن يكون بين الحجر والمدر، وأن يأخذ الطريق والمساك على فارس، وأن يثروهم بالضرب والشدة، ولا يهولك كثرة عددهم وعُدتهم، فإنهم قوم خدعة مكررة، وإن أنتم صرتم لعدوكم واحتسبتم لقتالهم ونوئتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا، وليست معهم قلوبهم. وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فإنكم عليه أجراً، وإنهم عنه أجبن وبه أجهل، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكربة. وأمره بحاسبة نفسه وموعظة جيشه، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإن النصر يأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسنة، وسلوا الله العافية، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، واكتب إلي بجميع أحوالكم وتفاصيلها، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم، واجعلني بكتبك إلي كائي أنظر إليكم، واجعلني من أمركم على الجلية، وخف الله وارجعه ولا تدل بشيء، وأعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له، فاحذر أن

يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم.

فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والأراضي بحيث كأنه يشاهدها، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لحربه رستم وأمثاله، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم، وأمر الله بعد ماضي وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية، وكتب إليه عمر: قد جاءني كتابك وفهمته، فإذا لقيت عدوك ومنحك الله أدبارهم، فإنه قد ألقى في روعي أنكم ستهزمونهم فلا تشكن في ذلك، فإذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله، وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة.

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيراز بن أرافويه، فقتلوا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقماً كبيراً، ففخسها سعد وقسم أربعة أخماسها في الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا، وتضاءلوا، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحرير، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي.

غزوة القادسية

ثم سار سعد فزل القادسية، وبث سراياه، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس، فكتب إلى عمر بذلك، والسرايا تأتي بالبرية من كل مكان. فبعث رجلاً فارساً من أطراف بلادهم إلى يزيد جرد من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي. وقالوا: إن لم تنجدونا ولا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون. واجتمع رأي الفرس على إرسال رستم إليهم، فبعث إليه يزيد جرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك، وقال: إن هذا ليس برأي في الحرب، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيراً مرة واحدة. فأبى الملك إلا ذلك، فتجهز رستم للخروج. ثم بعث سعد كاشفاً إلى الحيرة وإلى صلبا، فأثاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخساذ الأزمني، وأمه بالعساكر. فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر: لا يكرنك مايتيك عنهم، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله وتوكل عليه، وأبعث إليه رجلاً من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم، واكتب لي في كل يوم.

ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بسباط، كتب سعد إلى عمر يقول: إن رستم قد عسكر بسباط وحجر الخيول والخيول وزحف عليها بها، وليس شيء أهم عندي، ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل. وعياً رستم فجعل على المقدمة وهي أربعون ألفاً الجالوس، وعلى اليمين الهرمزان، وعلى اليسرة مهران بن بهرام وذلك سترن ألفاً، وعلى الساقة البندران في عشرين ألفاً، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف وغيره. وفي رواية: كان رستم في مائة ألف وعشرين ألفاً، يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلًا منها فيل أبيض كان لسابور، فهو أعظمها وأقدمها، وكانت الفيلة ثالثة، ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن، وفرات بن حبان، وحظلة بن الربيع التميمي، وعطار بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعب، وعمر بن معديكرب، يدعون رستم إلى الله عز وجل. فقال لهم رستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا، أخذ بلادكم وسي نساءكم وأبنائكم وأخذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك، وقد رأى رستم في

مقاتلكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ونظفروا؟ قال نعم! كم أحب إليكم؟ يوما أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال ماسن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرهم وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال لا! ولكن المسلمون كالجسد الواحد يغير أعضاؤه على أعضائه. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نغفل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة. إن العرب يستخفون بالثياب والمال، ويصنون الأحساب. ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلا فبعث إليهم حذيفة بن عاصم فتكلم نحو ما قال رعي. وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبه فتكلم بكلام حسن طويل. قال فيه رستم للمغيرة: إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل. فقال من يوصلني إليه وله درهمان؟ فلما سقط عليه غرق فيه، فجعل يطلب التخلص فلا يجده، وجعل يقول من يوصلني وله أربعة دراهم؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضيف دخل جحرا في كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفا رحمه فتركه، فلما سمن أقصد شيئا كثيرا فجاء بجيشه، واستعان عليه بقلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمته فضره حتى قتله، فهكذا تخرجون من بلادنا. ثم استشاط غضبا وأقسم بالشمس لأقتلنكم غدا فقال المغيرة: ستعلم. ثم قال رستم للمغيرة: قد أمرت لكم بكسوة. ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتصرفون عنا. فقال المغيرة: أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم، ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأتسم صاغرون وتسيرون لنا عبيدا على رءوسكم؟ فلما قال ذلك استشاط غضبا.

وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي حدثنا أمية بن خالد حدثنا أبو عروبة عن حصين بن عبد الرحمن. قال: قال أبو وائل: جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك، والمشركون ثلاثون ألفا ونحو ذلك، فقالوا لا يد لك ولا قوة ولا سلاح، ما جاء بكم؟ أرجعوا. قال: قلنا ما نحن براجعين، فكأنوا يضحكون من قلنا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل. فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا: ابعدوا إلينا رجلا من غلاتكم يبين لنا ما جاء بكم. فقال المغيرة بن شعبه: أنا، فغير إليهم فقعد مع رستم على السرير فتخفروا وصاحوا، فقال: إن هنا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبيكم. فقال رستم: صدق، ما جاء بكم؟ فقال: إنا كنا قوما في شر وضلالة، فبعث الله إلينا نبيا فهناك الله به ورزقنا على يديه، فكان فيما رزقنا حبة تبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلبنا قالوا: لا صبر لنا عنها، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة. فقال رستم إذا تقتلكم. قال إن تقتلوننا دخلنا الجنة، وإن قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية. قال: فلما قال وأديتم الجزية تخفروا وصاحوا وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم. فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعب إليكم؟ فقال رستم: بل نعب إليكم. فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزمهم.

وذكر سيف أن سعدا كان به عرق النسا يومئذ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَقَاةِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحلوا بعد أن أمرهم أن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، في طردهم إياهم، وقتلهمهم. وقومهم لهم كل مرصد، وحصرهم لبعضهم في بعض

منامه كان ملكا نزل من السماء فحتم على الفرس كله ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر. وذكر سيف بن عمر أن رستم طاول سعدا في اللقاء حتى كان بين خروجيه من المدائن وملتقاه سعدا بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعدا ومن معه ليرجعوا، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم، ولما رأى في منامه، ولما يتوسمه، ولما سمع منهم، ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن. ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطلع على أخبارهم على الجلبة، فبعث رجلا سرية لثانيه برجل من الفرس وكان في السرية طليحة الأسدي الذي كان ادعى النبوة ثم تاب. وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا. فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجبوش والصفوف، وتخطى الألوف، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئا، فسأله سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم، فقال: هو في مائة ألف وعشرين ألفا، ويتبعها مئذنها، وأسلم الرجل من فوره رحمه الله.

قال سيف عن شيوخه. ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه. فبعث إليه المغيرة بن شعبه رضي الله عنه. فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا: فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الأخرى وقد بعث الله إلينا رسولا قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يكن يدينني فأنا متقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ماداموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يتعصم به إلا عز. فقال له رستم: فما هو؟ فقال أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال ما أحسن هذا؟ وأي شيء أيضا؟ قال وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضا وأي شيء أيضا: والناس بنو آدم، فهم أخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضا. ثم قال رستم: لأرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضا. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه فبحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

قالوا: ثم بعث إليه سعد رسولا آخر يطلبه وهو رعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر البوابات والألواح الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة. وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل رعي بتياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبا حتى داس بها طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه ويضع على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتوني فإن تركتموني هكذا ولا رجعت. فقال رستم: اثنوا له فأقبل يتوكأ على رءوسه فوق التمارق فخرق عاتقها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنُدعُوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نقضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي، فقال رستم: قد سمعت

فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا: إن ريكتم يقول: أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كل شيء، ولبيّ يصير كل شيء وإن رحمتي أدركنكم فيبعث إليكم هذا الرجل لأدلّكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحكم لديّ دار السلام. فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق، وقال: من تأيكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى قاتلوه فانا الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه. فاختار إن شئت الجزية وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلّم فتتجّب نفسك. فقال يزدجرد: استجبني مثل هذا؟ فقال ما استجبّ إلا من كلمني، ولو كلمني غيرك لم استجبّك به. فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلكم، لا شيء لكم عندي. وقال: اتوني بوفر من تراب فأحلوه على أشرف هؤلاء ثم سقوه حتى يخرج بين أبيات المدائن، أرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّي مرسلٌ إليه رستم حتى يدينه ويخّنه في خندق القادسية ويكبل به ويكمن من بعد، ثم أوردوه بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور. ثم قال: من أشرككم؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وأتات ليأخذ التراب: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء، فحملني، فقال: أكنّا؟ قالوا: نعم. فحملة على خقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحته فحملة عليها ثم انخذب في السير فأثا به سعداً وسبقهم عاصم فمر بباب قنيس فطواه فقال: بشروا الأمير بالظفر، فظفرنا إن شاء الله تعالى. ثم مضى حتى جعل التراب في الحيز ثم رجع فدخل على سعدٍ فأخبره الخبر. فقال: أبشروا فقد والله أعطانا الله آتاليداً مُلككم، وتقاتلوا بذلك أخذ بلادهم. ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد في كل يوم علواً وشرافاً ورفعة، ويخطّ أمر الفرس سفلاً وذلاً ووهناً.

ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حال من رأى من المسلمين فذكر له عقلمهم وفصاحتهم وجيّد جوابهم، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يُدركوه. وذكر ما أمر به أشرفهم من حل التراب وأنه استحمق أشرفهم في حمل التراب على رأسه، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر. فقال له رستم: إنه ليس بالحق، وليس هو بأشرفهم، إنما أراد أن يفتدي قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بمقتيح أرضنا وكان رستم منجماً، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال: إن أدرك التراب فرقه تذلوكنا أمرنا، وإن ذهبوا به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا. قال: فساق وراءهم فلم يُدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب. وساء ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستهجنوا رأي الملك.

فصل

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها، وذلك أنه لما تواجه الصفان كان سعد عليه السلام قد أصابه جرحٌ النساء، ودمايل في جسده، فهو لا يستطيع الركوب، وإنما هو في قصر مُتكنٍ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويلبّز أمره، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن عرفة، وجعل على اليمنة جرير بن عبد الله البجلي، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح، وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قَلِما على سعد مدناً من عند أبي عبيدة من الشام بعدما شهدا وقعة اليرموك.

وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف [وذكر خلفه ١١٩/١]، وأن رستم كان في ستين ألفاً، فصلّى سعد

الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنائير. ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند، ولما أكثرهم إلى المدائن، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها. وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكاهم وأرديتهم على عواقبهم وسياطهم بأبليهم، والتمال في أرجلهم، وخيوهم الضعيفة، وخطها الأرض بأرجلها. وجعلوا يجمعون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددهما. وعددهما. ولما استأذنا على الملك يزدجرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه، وكان متكبراً قليل الأدب، ثم جعل يسأله عن ملابسهم هذه ما سألها عن الأريّة، والتمال، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تغافل فرد الله فاه على رأسه. ثم قال لهم: ما الذي أقمتكم هذه البلاد؟ أظنتم أنا لما نناغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟ فقال له النعمان بن مقرن: إن الله رحماً فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينها عنهُ، وودعنا على إيجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط، وطاع إياه فازداد. ففرغوا جميعاً ففضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والفيق، وأمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فندعهم إلى إلا نصاب، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله، فإن أبيتتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء، فإن أبيتتم فاللأجزة. وإن أجبتكم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه وترجع عنكم، وشأنكم ويلاذكم، وإن أقمتمونا بالجزيرة قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم. قال: فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذاتاً بين منكم، قد كنا نؤكل بكم قرى الضواحي فيكفونكم، لا تغزوكم فارس ولا تطعمون أن ترقموا لهم. فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكتنا عليكم مُلكاً يرق بكم. فأسكت القوم فقام المغيرة بن زرارَةَ فقال: أيها الملك إن هؤلاء رؤوس العرب وجوهمهم، وهم أشرف يستحيون من الأشراف، وإنما يُكرم الأشراف الأشراف، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، وليس كل ما أرسلوا له جموع لك ولا كل ما تكلمت به أجابوك عنه، وقد أحسنوا ولا يحسن بملهم إلا ذلك فجاءني فأكون أنا الذي أبلغك ويشهدون على ذلك. إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً، فاما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يُشبه الجوع، كنا نأكل الخنايس والجفلان والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا، وإنما المنازل، وإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوسار الإبل وأشعار الغنم. ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يُغير بعضنا على بعض وإن كان أحداً ليدفن أبته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه فكانت حالنا قبل اليوم ما ذكرت لك فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده. فأرّضه خير لرضنا، وحسبه خير أحسابنا، ويته خير بيوتنا، وقيلته خير قبائلنا، وهو نفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأسلمنا، فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد أول من يرب كان له وكان الخليفة من بعده، فقال وقلنا، وصلى وكذبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فثقف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال لنا

كفى حزناً أن تُدَحِمَ الخيل بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقها
إذا قمت غشائي الحديد وأغلقت مصاريعي من دوني تصمم المنايا
وقد كنت ذا مال كبير وإخوة وقد تركوني مفرداً لا أحداً لي
ثم سأل من ذُرَّاء أم ولد سعد أن تُطْلِقَهُ وتُعيِّره فرس سعد، وحلف
لها أنه يرجع آخر النهار فيضع رجله في القيد فأطلقت، وركب فرس سعد
وخرج فقاتل قتالاً شديداً، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها
ويُسَبِّحُ بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موتى، فلما كان آخر
النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرف فقال: ما
هذا؟ فذكروا له قصة أبي محجن فرضي عنه وأطلقه رضي الله عنهما.
وقد قال رجل من المسلمين في سعد عليه السلام:

نُقاتِلُ حتى أنزل الله نصره وسعدُ يباب القادسية مُعصِمْ
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن إيمُ
يقال: إن سعداً نزل إلى الناس فاعتزل إليهم عما فيه من القروح في
فخذيه وإليته، فعذره الناس. ويذكر أنه دعا على قاتل هذين البيتين وقال:
اللهم إن كان كاذباً، أو قال الذي قال رياءً وسعماً وكذباً فأقطع لسانه
ويده. فجاءه سهمٌ وهو واقفٌ بين الصقيين، فوقع في لسانه فبطل شيقه فلم
يتكلم حتى مات رواء سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر
فذكره [تاريخ الطبري ٣/٣٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠].

وقال سيف عن المقدام بن شريح الحارثي عن أبيه قال: قال جرير بن
عبد الله البجلي [الطبري ٣/٥٨٠]:
إن جريراً كُنيتي أبو عمرو قد فتح الله وسعد في القصر
فاشرف سعد من قصره وقال:

وما أرجو بجيلة غير أنسي أوئمل أجزمها يوم الحساب
وقد لقيت خيولهم خيولاً وقد وقع القوارس في الضراب
وقد دلفت يعضهم فيول كان رُهاهما إسل الجراب
فلولا جَمْعُ قنقاع بن عمرو وحال للجُورا في الركاب
ولولا ذاك الفَيْئِم زعاعاً تيل جوعكم مثل الذباب

وقد روى محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري ٣/٥٧٦، ٥٧٧] عن
إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم البجلي - وكان ممن شهد
القادسية - قال: كان معنا رجلٌ من قتيب فلفح بالفرس مرتداً، فأخبرهم
أن بأس الناس في الجانب الذي فيه بجيلة. قال: وكنا رُبع الناس، قال:
فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك
الحديد، ويرشوننا بالنشاب، فلكانه المطر، وقزوا خيولهم بعضها إلى بعض
لتلا يفرؤا. قال: وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدي يمر بنا فيقول: يا
معشر المهاجرين، كونوا أسوداً فإنما الفارسي تيس. قال: وكان فيهم أسوار
لا تكاد تسقط له نشابة، فقلنا له: يا أبا ثور أتى ذاك الفارسي فإنه لا تسقط
له نشابة، فتوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة فأصاب رأسه وحمل عليه عمرو
فاعتقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب، وبطة من ذهب، وتلمعاً من
دياج. قال: وكان المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف، فقتل الله رستم
وكان الذي قتله رجلٌ يقال له: هلال بن عُلفة النخعي، رماه رستم بنشابة
فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحترأ رأسه وولت الفرس فاتبعهم
المسلمون يقتلونهم فأدركهم في مكانٍ قد نزلوا فيه واطمانوا، فبينما هم

بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وقرأ القرآن آيات الجهاد وسورة. ثم كثُر سعد أربعاً ثم حملوا بعد
الرابعة فاقتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا، وقد قُتل من الفريقين بشر كثير،
ثم أصبحوا إلى مواقيهم فاقتلوا يومهم، ذلك وعامة ليلتهم، ثم أصبحوا
كما أمسوا على مواقيهم، فاقتلوا حتى أمسوا ثم اقبلوا في اليوم الثالث
كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الحرير، فلما أصبح اليوم الرابع اقبلوا
قتالاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها
منها أمراً بليغاً، وقد أباد الصحابة القيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأبلى
جماعة من الشجعان في هذه الأيام مثل طليحة الأسدي، وعمرو بن
مغليكب، والقنقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله البجلي، وضرار بن
الخطاب، وخالد بن عرفطة، وأشكالهم واضرابهم. فلما كان وقت الزوال
من هذا اليوم - ويسمى يوم القادسية، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع
عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمي - هبَّت ريح شديدة فرفعت خيام
الفرس عن أماكنها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له، فبادر فركب
بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مُقدِّمَ الطلائع
الفارسية، وانهزمت الفرس - والله الحمد والمثلة - عن بكرة أبيهم، ولحقهم
المسلمون في اتقائهم فقتل يومئذ المسلمون بكاملهم وكانوا ثلاثين ألفاً،
وقُتل في المعركة عشرة آلاف، وقتلوا قبل ذلك قريبا من ذلك. وقُتل من
المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله.

وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراهم مدينة الملك وهي
المدائن التي فيها الإيران الكسروي، وقد أذن لمن ذكرنا عليه، فكان منهم
إليه ما قنعنا. وقد غنم المسلمون بين وقعة القادسية هذه من الأموال
والسلاح ما لا يحصى ولا يوصف كثرة، فحصلت الغنائم بعد صرف
الأسلاب وخمست ويئت بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب عليه السلام.

وقد كان عمر عليه السلام يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان،
ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يشتشق الخبر، فبينما هو ذات يوم من
الأيام إذا هو براكب يلوح من بُعد، فاستقبله عمر فاستخبره، فقال له: فتح
الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يمدحه وهو لا
يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته، فلما اقتريا من المدينة جعل الناس
يحيون عمر بالإشارة ففرق الرجل عمر فقال: يرحمك الله يا أمير المؤمنين
هلا أعلمتني أنك الخليفة؟ فقال: لا حرج عليك يا أخي.

وقد تقدم أن سعداً عليه السلام كان به فروح وجرحٌ نسا، فمعه من شهود
القتال لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش، وكان مع ذلك
لا يعلق عليه باب القصر لشجاعته ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً
باليد، لا يمتنع منهم، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التي كانت قبله عند
المنى بن حارثة، فلما فر بعض الخيل يومئذ فرغت وقالت: وأمئتيه ولا
مثنى لي اليوم. فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها، فقالت: أخيرة وجبت؟
يعني أنها تعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب، وهذا عناد منها فإنها أعلم
الناس بمقدوره وما هو فيه من المرض الماتع من ذلك.

وكان عنده في القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه
مرات متعددة، يقال: سبع مرات، فأمر به سعد فقيد وأودع القصر فلما
رأى الخيول تجول حول جمل القصر وكان من الشجعان الأبطال قال:

قالوا: وسمع أهل اليمامة مجتازاً يخفي بهذه الآيات:

وجدنا الأكثرين بني تميم غداة السروع أكثرهم رجلا
هم ساروا بأرعن مكفهر إلى لجسب فزرتهم رجلا
بحور للأكاسر من رجال كاسد الفبا تحسبهم جبلا
تركن لهم بقاصم جز فخر وسالحفين إياماً طولا
مقطعة أكفهم وسوق مبرو حيث قابلت الرجالا

قالوا: وسمع ذلك في سائر بلاد العرب.

وقد كانت بلاد العراق بكاملها التي فتحها خالد نقضت العهد والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالداً، سوى أهل باثيا وباروسما، وأهل أليس الآخرة ثم عاد الجميع بعد هذه الواقعة التي أوردناها، وأدعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهد، وأخذوا منهم الخراج وغير ذلك. فصلتوهم في ذلك تألفاً لقلوبهم وسنذكر حكم أهل السواد في كتابنا الأحكام الكبير، إن شاء الله تعالى.

وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة. وزعم الواقدي أنها كانت في سنة ست عشرة. وأما سيف بن عمر وجماعة فذكروها في سنة أربع عشرة، وفيها ذكرها ابن جرير فآله أعلم.

قال ابن جرير والواقدي [الربيع الطبري ٢/٣٩٠]: وفي سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي بن كعب في التراويح وذلك في شهر رمضان منها، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان.

قال ابن جرير [الربيع الطبري ٢/٣٩٠، ٥٩١]: وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن يتزل بها وقرن معه من المسلمين، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المناقب، وروايته. قال [الربيع الطبري ٢/٣٩٠]: وزعم سيف أن البصرة إنما صُفرت في ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد بن جلولاء وتكرت، وجَّه إليها سعد بامر عمر رضي الله عنهم.

وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي: إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة، فنزلها في ربيع الأول سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة، وجعل يرتاد لهم منزلاً حتى جاؤوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه خلف وقصب نابت، فنزلوا. فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف أسوار، فالتقاء عتبة بعدما زالت الشمس، وأمر أصحابه فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم، وأسروا صاحب الفرات، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته: إن الدنيا قد أذنت بضرهم، وولت خذاه، ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء، وإنكم متقلبون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فقد ذكر لي لو أن صخرة أقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتملأته، أو عجبتم؟ ولقد ذكر لي أن ما بين بصرعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة، وأنا مع رسول الله ﷺ ماناً طعام إلا ورق الشمر، حتى تفرحت أشداقنا، والتقطت بردة فتققتنا بيني وبين سعد، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار، وستجزيون الناس بعدنا. وهذا الحديث في

سكاري قد شربوا وأعموا إذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقتل هناك الجاثليق، قتله زهرة بن حوية التميمي. ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن، وخذل حزب الشيطان وعبد التيران واحتاز المسلمون بين الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان، حتى أن منهم من يقول: من يقايض بياض بصفراء لكثرة ما غيموا بين الفُرسان. ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم وفتحوا المدائن وجلولاء على ما سياتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وقال سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٢/٣٨١]: سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت: شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس، شدنا علينا ثيابنا وأخذنا المراوى ثم أتينا القتلى، فمن كان من المسلمين مسقيته ورفعناه، ومن كان من المشركين أجهرنا عليه، ومعنا الصبيان فتولاهم ذلك - تعني استلابهم - لنلا يكشِف عن عورات الرجال.

وقال سيف بأسانيد عن شيوخه قالوا [تاريخ الطبري ٢/٥٨٢]: وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح ويعثه من قتلوا من المشركين. ويعثه من قتل من المسلمين، ويث بالكتاب مع سعد بن عبيدة الفزاري وصورته: أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحتهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بسلعة لم ير الرايون مثل دمانها، فلم ينفعهم الله بذلك، بل سلبوه وقلبه عنهم إلى المسلمين، وأتبعهم المسلمون على الأنهار، وصفوف الأجسام، وفي الفجاج. وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم كانوا يتوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم.

فيقال: إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضي الله عنهم. ثم قال عمر للناس: إني حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك هنا تأسيتنا في عيشتنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست مُمْلِككم إلا بالعمل، إني والله لست بمُلك فاستبدكم، ولكني عبد الله عرض علي الأمانة فإن آيبتها ورددتها عليكم وأتبعكم حتى تشبعوا في بيوتكم وتزووا سعدت بكم، وإن أنا حملتها واستبعتها إلى بيتي شقيت بكم، ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً، فبقيت لا أقال ولا أرد فاستغثت.

وقال سيف عن شيوخه قالوا [الربيع الطبري ٢/٥٨٢، ٥٨٣]: وكانت العرب بين المُنْذِب إلى عَدَن آيين، يتَرَصَّون وقعة القادسية هذه، يرون أن ثبات مُلكهم وزواله بها، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خبرهم، فلما كان ما كان بين الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل الإنس فسُئِلت امرأة ليلاً بصنءاء على رأس جبل وهي تقول:

فحييت عنا عكرم ابنة خالد وما خسر زأو بالقليل المصرد
وحيثكو عني الشمس عند طلوعها وحيثكو عني كل تاج مفرد
وحيثكو عني غصبة نغصبة جنان الوجره آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده بكل رقيق الشفرتين مهتد
إذا شرب الداهي أساخوا بكل كسل من الموت مسود الغياطل أجرد

«صحيح مسلم» بنحو من هذا السياق [٢٩٦٧].

وروى علي بن محمد الدائني [تاريخ الطبري ٥٩٣/٣، ٥٩٤، ٥٩٧] أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو، وأرجوا أن يكتيك الله ما حولها، وأن يمينك عليها، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي بذلك بعرفجة بن هرثمة. فإذا قدم عليك فاستشره وقرنيه، وأدع إلى الله، فمن أجابك فأقبل منه. ومن أبي فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هودة، وأتى الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك، وقد صحبت رسول الله ﷺ فمزرت بعد الذلة، وقويت بعد الضعف، حتى صيرت أميرا مسلطا، وملكا مطاعا، تقول فيسمع منك. وتامر فيطاع أمرك، فإلهام من نعمة إن لم ترق فوق قدرك، وتبطر على من دونك، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، وألهي آخرهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطه فتصير بها إلى جهنم، أعينك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأردوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، وأتى مصارع الظالمين. ولقد فتح عتبة الأبله في رجب أو شعبان من هذه السنة. ولما مات عتبة بن غزوان في هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة ستين، فلما رمي بما رمي به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم.

وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه.

وفيها ضرب أبا عجين الثقفي في الشراب أيضاً سبع مرات، وضرب معه أربعة بن أمية بن خلف.

وفيها نزل سعد بن أبي وقاص بالكوفة.

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب. قال: وكان بمكة عتاب بن أسيد، وبالشام أبو عبيدة، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل: العلاء بن الحضرمي، وعلى العراق سعد، وعلى عُمان حليقة بن حصن.

ذكر من توفي في هذا العام من المشاهير والأعيان

ففيها توفي:

■ سعد بن عباد في قول والصحيح في التي قبلها والله أعلم.

وفيها توفي:

■ عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب المازني [الاستيعاب ١٠٢٦/٣، حليف بني عبد شمس صحابي بلدي، وأسلم قديماً بعد سنة وهاجر إلى أرض الحبشة وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر وامرته له على ذلك كما تقدم، وله فضائل ومآثر، وتوفي سنة أربع عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل سنة عشرين قاله أعلم. وقد جاوز الخمسين، وقيل: بلغ ستين سنة ﷺ]

و■ عمرو بن أم مكتوم الأعمى [الاستيعاب ١١٩٨/٣، ويقال: اسمه عبد الله، صحابي مهاجري، هاجر بعد مصعب بن عمير قبل النبي ﷺ فكان يُقَرَّبُ الناس القرآن، وقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة غير مرة، فيقال: ثلاث عشرة مرة، وشهد القادسية مع سعد زمن عمر فيقال: إنه قُتل بها شهيداً ويقال: إنه رجع إلى المدينة وتوفي بها والله أعلم. ■ المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن

شيبان الشيباني [الاستيعاب ١٤٥٦/٤]: نائب خالد على العراق، وهو الذي صارت إليه الإرساء بعد أبي عبيد يوم الجسر، فصارى بالمسلمين حتى خلصهم من الفرس يومئذ، وكان أحد الفرسان الأبطال، وهو الذي ركب إلى الصديق فحضره على غزو العراق، ولما توفي تزوج سعد بن أبي وقاص بامرأته سلمى بنت حصن رضي الله عنهما وأرضاهما وقد ذكره ابن الأثير في كتابه «الغنية في أسماء الصحابة».

■ أبو زيد الأنصاري التجاري [الاستيعاب: ١٦٦٥/٤] أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك [خ ٣٨١٠٢، ٢٤٦٥٣]، وهم معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال أنس: أحد غمومي. قال ابن الكلبي: واسم أبي زيد هنا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن غنم بن عدي بن النجار شهيداً بدماء. قال موسى بن عقبة: واستشهد يوم جسر أبي عبيد وهي عنه في سنة أربع عشرة، وقال بعض الناس: أبو زيد الذي جمع القرآن سعد بن عبيد، وروفاً هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال [كشف الاستيعاب ٢٨٠٢] [مسند أبي يعلى ٩٥٣]: افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حتمه الذئب عاصم بن ثابت بن أبي الأتلع، ومنا الذي اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ، ومنا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمه بن ثابت. فقالت الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي، وزيد بن ثابت، ومعاذ، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين.

■ أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي [الاستيعاب ١٧٠٩/٤] والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق، والد صفية امرأة عبد الله بن عمر. أسلم أبو عبيدة في حياة النبي ﷺ وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة.

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي [تاريخ الإسلام ١٣٧٧]: ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم.

■ أبو قحافة والد الصديق [الاستيعاب ١٧٣٢/٤] واسم أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن صخر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق يقرؤه إلى النبي ﷺ فقال: «هلا أقررتك الشيخ في بيته حتى كنا نحن نأثبه تكرة لأبي بكر ﷺ فقال: بل هو أحق بالسمي إليك يا رسول الله ﷺ [١٦٠/٣، ٣٤٩/٦، ٣٥٠] فاجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ورأسه كالنخامة بيضاء ودعا له، وقال: «غَيِّرُوا هذا الشيب بشيء وجنِّبه السواد» [٢١٠/٢]. ولما توفي رسول الله ﷺ وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة، فقال: وأقرت بذلك بنو هاشم وبنو غزوم؟ قالوا: نعم! قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم أصيب بآبنة الصديق ﷺ. ثم توفي أبو قحافة في محرم وقيل: في رجب سنة أربع عشرة بمكة، عن أربع وتسعين سنة رحمه الله وأكرم مثواه.

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي من المستشهدين في هذه السنة مرتين على الحروف [تاريخ الإسلام ١٣١-١٣٨]:

■ أوس بن أوس بن عتيك قُتل يوم الجسر.

■ بشير بن عيسى بن يزيد الظفري أحدي، وهو ابن عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحوَّاء اسم فرسه.

■ ثابت بن عتيك، من بني عمرو بن مبلول، صحابي قُتل يوم الجسر.

زوجها بليلة. ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله ﷺ لتباعه استأذنت أبا سفيان فقال لها: قد كنت بالأمس مكذبة بهذا الأمر، فقالت: والله ما رأيت الله عُد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة، والله لقد باتوا لي لهم كلهم يصلون فيه. فقال لها: إنك قد فعلت ما فعلت فلا تذهبي وحدك. فذهبت إلى عثمان بن عفان - ويقال: إلى أخيهما أبي حنيفة بن عتبة - فلعب معها، فدخلت وهي مُتَغَبِّية، فلما يابها رسول الله ﷺ مع غيرها من النساء قال: «على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين» فقالت: لو تزني الحرة؟ «ولا تقتلن أولادهن» قالت: قد ربيتهم صغاراً فقتلتهم كباراً؟ فتبسم رسول الله ﷺ، «ولا تأتين بهتاناً بغيره تين أبيضهن وأرجلهن ولا يفتصنكن» فبادرت وقالت: في معروف. فقال: «في معروف»، وهذا من فصاحتها وحزمها، وقد قالت لرسول الله ﷺ: والله يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحسب إلي من أن يلجوا من أهل خيائك، فقد والله أصبح اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحسب إلي من أن يجزوا من أهل خيائك. فقال: «وكذلك والذي نفسي بيده». وشكت من شح أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي بنيتها بالمعروف، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات أبو حنيفة في سنة أربع عشرة.

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير [تاريخ الطبري ٣/٥٩٨]: قال بعضهم: فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة ألهم عليها ابنن بقليلة قال لسعد: أهلك على أرض ارتفعت عن البق والحذرت عن الفلاة؟ فدلهم على موضع الكوفة اليوم، قال: وفيها كانت وقعة مرج الروم، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد بن وقعة فحل قاصدين إلى حمص حسب ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر، فساروا حتى نزلوا على ذي الكلاع، فبعث هرقل بطريقاً يقال له: توفرا في جيش معه فزل بمرج دمشق وغربها، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم، وجاء أمير آخر من الروم يقال له: شنس وعسكر معه كثير، فنزله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توفرا فسار توفرا نحو دمشق لينازلها ويتزعمها من يد يزيد بن أبي سفيان، فأتبعه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق، فاقتلوا وجاء خالد وهم في المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يقصّل فيهم من أمامهم، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد، وقتل خالد توفرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقسموها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة فوجده قد واقع شنس بمرج الروم فقتلهم فيه مقتلة عظيمة حتى انتنت الأرض من رُحْمهم، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها.

وقعة حمص الأولى

لما وصل أبو عبيدة [تاريخ الطبري ٣/٥٩٩-٦٠١] في اتباعه الروم المنهزمين إلى حمص، نزل حولها يحاصرها، ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصاراً شديداً، وذلك في زمن البرد الشديد، وصار أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد، وصبر الصحابة صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع وقد سقطت رجله وهي في

■ لعلة بن عمرو بن محسن التجاري يدري قتل يومئذ.
■ الحارث بن عتيك بن النعمان التجاري شهد أحداً قتل يومئذ.
■ الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ.
■ الحارث بن عدي بن مالك أنصاري إحنى قتل يومئذ.
■ خالد بن سعيد بن العاص، قيل: إنه استشهد يوم مرج الصفر، وكان في سنة أربع عشرة في قول.
■ خزيمه بن أوس الأشهلي قتل يوم الجسر.
■ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أرح وفاته في هذه السنة ابن قنق.
■ زيد بن سُرَّة يوم الجسر.
■ سعد بن سلامة بن وقش الأشهلي.
■ سعد بن عبادة في قول.
■ سلمة بن أسلم بن خريش يوم الجسر.
■ سلمة بن هشام، يوم مرج الصفر، وقد كان في سنة أربع عشرة في قول.

■ سابط بن قيس بن عمرو الأنصاري، يوم الجسر.
■ ضمرة بن غزية يوم الجسر.
■ عباد وعبد الله وعبد الرحمن بن مريخ بن قبيظي قتلوا يومئذ.
■ عبد الله بن حصصة بن وهب الأنصاري البخاري، شهد أحداً وما بعدهما. قال ابن الأثير في «أسد الغابة» [٢٧٩/٣٧٩]: وقُتل يوم الجسر.
■ عتبة بن غزوان تقدم.
■ عتبة بن قيسي بن قيس.
■ (عبد الله بن قيسي بن قيس)
■ عتبة وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قبيظي بن قيس وقُتل يومئذ.

■ العلاء بن الحضرمي توفي في هذه السنة في قول وقيل: بعدها وسياقي.
■ عمر بن أبي اليسر قتل يوم الجسر.
■ قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم.
■ الحسي بن حارثة الشيباني، توفي في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم.
■ نافع بن غيلان قتل يومئذ.
■ نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان أسن من عمه العباس، قيل: إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم.
■ والده بن عبد الله قتل يوم.

■ أبو عبيد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر وبه عُرف لقتله عنده، تحبّطه القيل حتى قتله رضي الله عنه بعدما قطع بسيفه خُرطومَه كما تقدم.
■ أبو حنيفة التيمي والد أبي بكر الصديق، توفي في هذه السنة رضي الله عنه.
■ هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية الأموية [الاستيعاب ٤/١٩٢٢]، والدة معاوية بن أبي سفيان، وكانت من سيدات نساء قريش ذات رأي ودعاء ورياسة في قومها، وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل المسلمين يومئذ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلاكتها فلم تستطيع إساغتها، لأنه كان قد قتل أباهما وأخاها يوم بدر، ثم بعد ذلك كله أسلمت - وحسن إسلامها - عام الفتح بعد

وذلك قبل خروج الدجال ليل على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في «صحيح مسلم» وغيره من الأئمة [٢٨٩٧م] [٢٧٧٩ق] [السنن ٤/٤٨٢] والله الحمد والمنة.

وقد حرّم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر، كما ثبت به الحديث في «الصحيحين» [عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله عز وجل» وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت، وسيكون ما أخبر به جزءاً لا يعود مُلك القيصرية إلى الشام أبداً، لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم. فهذا لا يعود لهم أبداً.

وقعة قيسارية

قال ابن جرير [الدرر ٤/٦٠٤]: وفي هذه السنة أقر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه: أما بعد فقد وليتُك قيسارية فير إليها واستصر الله عليهم، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير. فسار إليها فحاصرها، وزاحه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتلاً عظيماً، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه، فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً، وكمل المائة الألف من الذين انتهزوا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

قال ابن جرير [الدرر ٥/٦٠٥-٦٠٦]: وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيلياء، ومناجزة صاحبها فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت:

وقعة أجنادين

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميته ابنه عبد الله بن عمرو، وعلى مسيرة جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل ابن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرمطيون، وكان آدمى الروم وأبعدوا غوراً، وانكاهوا فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً ويؤلياءه جنداً عظيماً، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر. فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رُمينا أرمطيون الروم بأرمطيون العرب، فانظروا عما تفرج. وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي، ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء. وأبى أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذارق، فكانوا بإزائهم ليشغلهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قديم عليه أمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء. وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرمطيون على سقطة ولا تشفيه الرسل فولية نفسه، فدخل عليه كانه رسول، فأبلغه ما يريد وسيع كلامه وتأمل حُصْرَهُ حتى عَرَف ما أراد، وقال الأرمطيون في نفسه: والله إن هنا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله. فدعا حُرَيْباً فسأره فأمره بقتله فقال: اذهب قم في مكان كنا وكذا، فإذا مر بك فاقته، ففطن عمرو بن العاص فقال للأرمطيون: أيها الأمير إنني

الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى الثعال، ومع هذا لم يُصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً، ولم يزالوا كذلك حتى استلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حصص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا: أنصالح والمليك منا قريب؟ فقال: إن الصحابة كثيروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفتطرت منها بعض الجدران، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عاشتهم إلى خاصتهم فقالوا: ألا تنظرون إلى ما نزل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تصالحون القوم عنا؟ قال: فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر. وبعث أبو عبيدة بالأخماس واليشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود وأنزل أبو عبيدة بمحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء، منهم بلال والمقداد وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر تارة ويختفي أخرى. فبعث إليه عمر يأمره بالقيام ببلده.

وقعة قنسرين

لما فتح أبو عبيدة محص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب، فقاتلهم خالد فيها قتلاً شديداً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فأما من هناك من الروم فأبدهم وقتل أميرهم ميتاس. وأما الأعراب فأنهم اعتنقوا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا فقبل منهم خالد وكف عنهم ثم خلع إلى البلد فتحصنوا فيه، فقال لهم خالد: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه والله الحمد.

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الوقعة قال: يرحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مِنِّي والله إني لم أهزله عن رية ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه. وفي هذه السنة تقهر هرقل بجنوده، وأدخل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم.

هكذا حكاه ابن جرير عن محمد بن إسحاق قال: وقال سيف [الدرر ٤/٦٠٢-٦٠٣]: كان ذلك في سنة ست عشرة، قالوا [الدرر ٤/٦٠٢-٦٠٣]: وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية، تسليم مُودع لم يقض منك وطَره وهو عائد فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرءاء، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم، فقالوا: إن بقاءنا هنا نافع لك من رحيلنا معك، فتركهم. فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرفه هناك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المُفَارِق، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المرلود المشؤوم، وباليته لم يولد. ما أحلى فعله وأمر عاقبه على الروم!! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها مُلكه، وقد سأل رجلاً عن أتبعه كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كائنك تنظر إليهم، هم فرسان بالهزار، رهبان بالليل، لا يأكولون في ذمتهم إلا بشمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه. فقال: لئن كنت صدقتي ليمكنن موضع قدمي هاتين.

قلت: وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنينه في كتاب الملاحم،

دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلّى فيه تحية المسجد بمحارب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية بسورة «بني إسرائيل» ثم جاء إلى الصخرة فاستدلّ على مكانها من كعب الأحيار وأرشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمريّ اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردهاته وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقبائه، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك.

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو يلقيه وعظ النصراني فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى حراب داود قال لهم: إنكم خلقي أن تقتلوا على هذه الكناسة مما اهتمتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فلزأها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيده ومتونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى».

وذكر سيف في سياقه: أن عمر رضي الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها: أيها الناس اصلحوا سرائركم تصلح علائبتكم، واعملوا لأخركم نكحوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌ ولا بينه وبين الله قُرابة، فمن أراد تحبّ وجه الجنة فليرم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلو أحدكم بإمرة فلان الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن. وهي خطبة طويلة اختصرناها. ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس.

وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم الغلاني إلى الجابية فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليخفيهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم. فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم، سوى عمرو بن العاص وشريحيل فإنهما موافقان الأربطون بأجنادين، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس بن السروم بأبيدهم سيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون. فساروا محروم فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضي الله عنه إلى ما سألوا، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحه، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمسة عشر.

ثم كتب لأهل لُد ومن هناك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم

قد سمعتُ كلامك وسمعتُ كلامي، وإني واحدٌ من عشرةٍ بعثنا عمر بن الخطاب لتكون مع هذا الرائي لشهد أمره. وقد أحسبتُ أن أتيتك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيتُ. فقال الأربطون: نعم! فاذبح فأتيت بهم ودعا رجلاً فساهه فقال: اذهب إلى فلان فردد. وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقّق الأربطون أنه عمرو بن العاص، فقال: خذني الرجل، هذا والله أدهى العرب. وبلغت عمر بن الخطاب فقال: غلبه عمرو، لله درّ عمرو. ثم ناهضه عمرو فاقتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً. قتل اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص، وذلك حين أعياهم صاحب إيلياء وتحصّن منهم بالبلد، وكثر جيشه، فكتب الأربطون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين فارّج ولا تفرّ تلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعث إلى أربطون وقال: اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني. وكتب إليه معه: جامني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيقتي وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد، وأقرأ كتابي هذا بمحضّر من أصحابك ووزرائك. فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأربطون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد؟ فقال: صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمّله ويقول له: إني أعالج حرباً كورداً صليماً، وبلاداً أثيرت لك، فراكب. فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمر لم يقل ذلك إلا لأمر علمه. فغزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سنذكر تفصيلاً.

قال سيف بن عمر عن شيوخه [الفتح الطبري ٦٠٧/٣]: وقد دخل عمر الشام أربع مرات، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس، والثانية على بعير، والثالثة وصل إلى سرع ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الرواء. والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه.

فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر [الفتح الطبري ٦٠٧/٣-٦١٣] وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يذلّون الجزية أو يؤثّنون بحرب. فأبوا أن يهيموا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم ولرغم لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوي ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان. وسار بالجيوش محروم واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقلّعه، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورووس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر. ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي

بسطنا ذلك في «سيرة».

وقد رُوِيَنا [تاريخ دمشق ١٧٠/٢، ١٧١] أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأجار عن مكان الصخرة فقال: يا أمير المؤمنين أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً فهي تُم. فنزعوا فرجدها وقد اتخذها النصارى منزلة، كما فعلت اليهود بمكان القمامة، وهو المكان الذي صُلب فيه المصلوب الذي شُبّه بعيسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح. وقد كثروا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم في ذلك.

والمقصود أن النصارى لما حُكِّموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلاثمائة سنة، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بها أم المليك قسطنطين باي المدينة المنسوبة إليه، واسم أمه هيلانة الحرثانية الفندقيّة. وأمرت ابنتها فبني للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد، وبنت هي علي موضع القبر فيما يزعمون. والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود منزلة أيضاً في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه. فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة حتى قيل: إنه كنسها بردائه، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة، ففُرب في صدره وقال: يا ابن أم كعب ضارعت اليهودية: وأمر ببنائه في مُقدِّم بيت المقدس.

قال الإمام أحمد [٣٨١/١]: حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي ستان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجالية فذكر فتح بيت المقدس، قال: قال ابن سلمة: فحدثني أبو ستان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر ضاميت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فنقدم إلى القبة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه وكس الكناسة في رداءه وكس الناس. وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «المستخرج»، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روي عنه من الآثار الموقوفة شوباً على أبواب الفقه ولله الحمد والمئة.

وقد روى سيف بن عمر [تاريخ الطبري ٦٠٨/٣] عن شيوخي عن سالم قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيلياء؟ لا يا الله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء.

وقد روى أحمد بن مروان الدينوري عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن علي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر، عن عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق في تجار من قريش، فلما خرجوا تخلف عمر لبعض حاجته، فبينما هو في البلد إذا بطريق يأخذ بعقه، فلعب ينازعه فلم يقبل، فادخله داراً فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل، وقال له: حول هذا من ههنا إلى ههنا، وغلّق عليه الباب وانصرف فلم يبق إلى نصف النهار. قال: وجلست مفكراً ولم أفعل بما قال لي شيئاً. فلما جاء قال: ما لك لم تفعل؟ ولكني في رأيي بيده قال: فأخذت الفأس فضربت بها قتلته وخرجت على وجهي فبحثت كثيراً لراهب فجلست عنده من المشي، فأشرف عليّ فنزل وادخلني الدبر فأطعمني وسقاني، وتحفني، وجعل يحقق النظر فيّ، وسألني عن أمري فقلت: إني أضللت عن أصحابي. فقال: إنك لتنظر بعين خائف، وجعل يتوسمّي ثم قال: لقد علّم

الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفرّ الأربطون إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص، ثم فرّ إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين ففكر به رجل من قيس فقطع يد القيسي وقتله القيسي وقال في ذلك.

فإن يكن أربطون الروم أفسداً فإن فيها محمد الله مُتضعاً وإن يكن أربطون الروم قَطْمها فقد تركتُ بها أوصالها قَطْمها

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد، أقبل عمرو بن العاص وشرحيل ابن حسنة حتى قدما الجالية فوجدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً، فلما اقتربا منه أكبا على ركبتيه فقبلهما واعتقتهما عمر معاً رضي الله عنهم.

قال سيف: ثم سار عمر إلى بيت المقدس بين الجالية وقد توجّس فرسه فأثرو بيرفون فركبه فجعل يُملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علم الله من علمك، هذا بين الخيلاء، ثم لم يركب بيرفوناً قبله ولا بعده، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا اجتادين فعلى يدي عمرو. وقيصرية فعلى يدي معاوية. هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة.

قال محمد بن عائذ [تاريخ دمشق ١٦٧/٢] عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علاّق قال: قال يزيد بن عبيدة: فُتحت بيت القدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجالية.

وقال أبو زرعة الدمشقي [تاريخ دمشق ١٦٧/٢] عن دحييم عن الوليد بن مسلم قال: ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سُرْع ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسمها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة.

وقال يعقوب بن سفيان [تاريخ دمشق ١٦٧/٢]: ثم كان فتح الجالية وبيت المقدس سنة ست عشرة. وقال أبو معشر [تاريخ دمشق ١٦٨/٢، ١٦٩]: ثم كان عمواس والجالية في سنة ست عشرة. ثم كانت سُرْع في سبع عشرة، ثم كان عام الرمادة في سنة ثمانى عشرة قال: وكان فيها طاعون عمواس - يعني فتح البلدة المعروفة بعمواس - فأما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

قال أبو غنم: لما قدم عمر الشام فرأى غرطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى [الفجر ٢٣٨/٧، ٢٣٩]: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْبَهُنَّ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ» [الدخان: ٢٥-٢٨] ثم أنشد قول النابغة:

هما قتا دهر بكرّ عليهما نهار وليل يلحقان التواليا
إذا ما هما سرا بحس بنظرة أتاخا بهم حتى يلاقوا الدوايا

وهذا يقتضي بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك، فإنه لم ينقل أحد أنه دخلها في شيء من قَدماته الثلاث إلى الشام، أما الأولى وهي هذه فإنه سار من الجالية إلى بيت المقدس، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم.

وقال الواقدي: أما رواية أهل الشام أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سُرْع فليس بمعروف، وإنما قديم مرة واحدة عام الجالية حين صالح أهل بيت المقدس سنة ست عشرة، ورجع من سُرْع سنة سبع عشرة وهم يقولون: دخل في الثالثة دمشق ومحض وأكرر الواقدي ذلك.

قلت: ولا يُعرف أنه دخل دمشق إلا في الجالية قبل إسلامه كما

هذا على الساقة، فساروا في خيول عظيمة، وصلاح كثير، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة، فستزلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن، فلقى بها بَصْبَرَى في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هزيمتهم إلى بابل وبها جمع كثير من الهزم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيززان، فبعت زهرة إلى سعد فاعلمه باجتماع المنهزمين ببابل، فسار سعد بالجيش إلى بابل فتقابل هو والفيززان عند بابل فهزمهم كاسرع من لفة الرداء، وانهزموا بين يديه فِرْقَتَيْن؛ ففرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أياماً ثم سار منها نحو المدائن فلحقوا جمعاً آخر من الفرس فقاتلوا قتالاً شديداً وبارزوا أمير الفرس، وهو شهریار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له: نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعان بني قيس، فتجاولا ساعة بالرماح ثم ألقياها فانفضيا سفيهما وتصالوا بهما، ثم تماقوا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شهریار على صدر أبي نباتة، وأخرج خنجرأ ليذبحه بها، فوقعت أصبعه في فم أبي نباتة فقضتْها حتى شغله عن نفسه، وأخذ الخنجر فذبح شهریار بها وأخذ فرسه وسواريه وسلّبه، واكتشف أصحابه فهزموه، فأقسم سعد على نائل لَيَبْسُ سوارِي شهریار وصلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك. قالوا: وكان أول من تسوّر بالعراق. وذلك بمكان يقال له: كوثى. وزار المكان الذي حُسِبَ فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء وقرأ: ﴿وَبَرَكْتَ الْإِيمَانُ تَنَالُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٠].

وقعة بهرسير

قالوا [تاريخ الطبري ٣/٢٢٢، ٢٢٣]: ثم قدّم سعد زهرة بين يديه من كوثى إلى بهرسير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيراز إلى ساباط بالصلح والجزية فبعث إلى سعد فأماضه، ووصل سعد بالجند إلى مكان يقال له: مَظْلِم ساباط، فوجدوا هنالك كتاب كثيرة لكسرى يسمونها بوران، وهم يُسمونها كل يوم: لا يزول مُلْكُ فارس ما عشنا، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له: المقرط، قد أصدوه في طريق المسلمين فتقدّم إليه ابن أخي سعد، وهو هاشم بن عتبة، فقتل الأسد والناس ينظرون وسُمّي يومئذ سيفه المئين وقبّل سعد يومئذ رأس هاشم وقبّل هاشم قدم سعد. وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مَن قَبْلَ مَا لَكُمْ مِّنْ رُّؤَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فلما كان الليل ارتحل المسلمون ونزلوا بهرسير فجعلوا كلما وقفوا كثيراً وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة.

قال ابن جرير [تاريخ الطبري ٣/٢٢٣]: وفيها حج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى الكوفة والعراق سعد، وعلى الطائف يعلى بن أمية وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص، وعلى عُمان حذيفة بن محسن.

قلت: وكانت وقعة عساكر في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لهيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلبي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ. وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة. وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير، وهكذا وقعة القادسية عنه بعض الحفاظ أنها كانت في أواخر هذه السنة - سنة خمس عشرة - وبعثهم في ذلك شيخنا الحافظ الذهبي. والمشهور أنها كانت في سنة أربع عشرة كما تقدم.

أهل دين النصرانية أتوا أعلمهم بكتابهم، وإنني لأراك الذي تُخرجنا من بلادنا هذه، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان على تيرى هذا؟ فقلت: يا هذا لقد ذهبت غير مذهب. فلم يزل يبي حتى كتبت له صحيفة بما طلب مني، فلما كان وقت الانصراف أعطاني أماناً فقال لي: اركبها، فإنا وصلت إلى أصحابك فابعت إلي بها وحدها فإنها لا تمر بتيرى إلا أكرموا. ففعلت ما أمرني به، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بثلث الصحيفة فأماضها له واشترط عليه ضيافةً مَن يمر به من المسلمين، وأن يُرشداهم إلى الطريق. رواه ابن عساكر وغيره. وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي عن زيد بن أسلم عن أبيه [تاريخ دمشق ١٨/١٤٣-١٤٤] فذكر حديثاً طويلاً عجيباً هنا بعضه. وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولاً في كتابنا «الأحكام»، وأفرنا له مصنفاً على حدة والله الحمد والمنة. وقد ذكرنا خطبته في الجابية بالفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أوردناه لسند عمر، وذكرنا تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أفرناها له.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني الربيع بن ثعلب حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكسي عن أبي العالية الشامي قال: قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إلباء على جبل أُرْزَق، تلوح صلّته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعتي الرجل بلا ركاب، وطاؤه كساء أجنبيّ ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيته نيرة أو شملة محشوة ليفاً، هي حقيته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرايس قد ذميم وتفرق جيئه. فقال: أذعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخططوه وأعبروني قميصاً أو ثوباً. فأتني بقميص كان فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان. قال: وما الكتان؟ فأخبروه فترع قميصه فغسل ورتّع وأتني به فترع قميصهم ولبس قميصه. فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل. فأتني بيزردن فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا زحل فركبه فقال: احبسوا احبسوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشيطان قبل هذا هاتوا جملي فأتني بجمله فركبه.

وقال إسماعيل بن محمد الصفار: حدثنا سعدان بن نصر حدثنا سفيان عن أيوب الطائي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له خاضة فنزل عن بعيره ونزع موئيه فأمسكها بيده، وخاض الماء ومعه بعيره: فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فسلك في صَنْدَره وقال: أَوْو، لو غيرك يقرها يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذلّ الناس وأحقّر الناس وأقلّ الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا الجز بغيره يُبْذَلْكم الله.

قال ابن جرير [تاريخ الطبري ٣/٦١٨]: وفي هذه السنة - أعني سنة خمس عشرة - كانت بين المسلمين وفارس وقعات في قول سيف بن عمر.

وقال ابن إسحاق والواقدي [تاريخ الطبري ٣/٦١٨]: إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بينهم، وذلك حين بعث [تاريخ الطبري ٣/٦١٨-٦٢٢] عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالسير إلى المدائن، وأن يُخلّف النساء والعيال بالمعيق في خيل كثيرة كثيفة. فلما تفرغ سعد من أمر القادسية بعث على المقدمة زهرة بن خويّبة ثم تبعه بالأمراء واحداً بعد واحد، ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافة مكان خالد بن عُرْفطة، وجعل خالداً

بن قسي القرشي العبدري: أسلم عام الفتح، وكان من علماء قريش، وأعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة من الأبل، فتوقف في أخذها وقال: لا أرثي على الإسلام، ثم قال: والله ما طلبتها ولا سألتها، وهي عطية من رسول الله ﷺ، فأخذها وحسن إسلامه، واستشهد يوم اليرموك.

■ نوافل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب، وكان عن أسر يوم بدر ففداه العباس، ويقال: إنه هاجر أيام الخنلق وشهد الحديبية والفتح، وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح، وثبت يومئذ سنة خمس عشرة، وقيل: سنة عشرين والله أعلم، توفي بالمدينة وصلى عليه عمر ومشي في جنازته ودفن بالبقيع وخلف عدة أولاد فضلاء وأكابر.

■ هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم، وقال ابن سعد: قتل يوم اليرموك والطقات: ١٢٢/٤.

ثم دخلت سنة ست عشرة

استهلت هذه السنة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة بَهْرَسِير، وهي إحدى مدينتي كسرى بما يلي دجلة من الغرب، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها. وقد بعث السرايا والخيل في كل وجه فلم يجدوا واحداً من الجند، بل جمعا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم، فكتب إليه عمر: إن من كان من الفلاحين لم يمن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانة، ومن هرب فأدركتموه فثانكم به. فاطلقهم سعد بعدما دعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية. ولم يبق من غربي دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج.

وامتعت بَهْرَسِير من سعد أشد الامتناع، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة فأبوا إلا المقاتلة والعصيان، ونصروا المجانيق والدبابات، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون متجنيقا، ونصبت على بَهْرَسِير، واشتد الحصار وكان أهل بَهْرَسِير يخرجون فيقاتلون قتالا شديداً ويحلفون أن لا يفرؤا أبداً، فكذبهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعدما أصابه سهم وقتل بعد مصابه به كثيرا من الفرس وفروا بين يديه ولجؤوا إلى بلدهم، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنائير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال: يقول لكم الملك: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم، من دجلة إلى جبلكم؟ أما شيعتم؟ لا أشيع الله بطونكم.

قال: فبدر الناس رجل يقال له أبو مَفْرُز الأسود بن قطة فأنطقه الله بكلام لم يدر ما قال لهم، قال: فرجع الرجل ورأيتهم يقطعون من بهرسير إلى المدائن. فقال الناس لأبي مَفْرُز: ما قلت لهم؟ فقال: والذي بعث محمدا بالحق ما أدري ما قلت لهم إلا أن علي سكية وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير، وجعل الناس يتباونه يسألونه عن ذلك، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص، وجاءه سعد إلى منزله فقال: يا أبا مَفْرُز: ما قلت؟ فوالله إنهم هُرَّاب. فحلف له أنه لا يدري ما قال.

فنادى سعد في الناس ونهذ بهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمناء، فقال: والله ما بالبلد أحد، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحدا إلا قد هربوا إلى المدائن. وذلك في شهر

ثم ذكر شيخنا الذهبي [تاريخ الإسلام: ١٤٦-١٥٦] من توفي في هذه السنة مرتين على الحروف

■ سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، وهو أحد أقوال المؤرخين. وقد تقدم.

■ سعد بن عبيد بن النعمان أبو زيد الأنصاري الأوسي [الإسعاب: ٢/٦٠٠]: قُتل بالقادسية، ويقال: إنه أبو زيد القاري أحد الأريمة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأنكر آخرون ذلك، ويقال: إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص. وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال [طبقات ابن سعد: ٤٥٨/٣]: كانت في سنة ست عشرة والله أعلم.

■ سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أبو يزيد العامري [الإسعاب: ٢/٦٩٩]: أحد خطباء قريش وأشرفهم، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء. ويقال: إنه قام وصام حتى شُخِبَ لونه. وله سمي مشكور في صلح الحديبية. ولما مات رسول الله ﷺ خطب الناس بمكة خطبة عظيمة ثبَّتت الناس على الإسلام، وكانت خطبته بمكة قريبا من خطبة الصديق بالمدينة، ثم خرج في جمعة إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً على بعض الكراديس، ويقال: إنه استشهد يومئذ. وقال الواقدي والشافعي: توفي بطاسعون عمواس.

■ عامر بن مالك بن أهيب الزهري أخو سعد بن أبي وقاص [الإسعاب: ٢/٧٩٩]: هاجر إلى الحبشة، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولايته على الشام وعزل خالد عنها، استشهد يوم اليرموك.

■ عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي [الإسعاب: ٣/٩٢١]: صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد. روى عنه عمرو بن دينار متقطعا لأنه قتل يوم اليرموك.

■ عبد الرحمن بن العوام، أخو الزبير بن العوام، حضر بدرًا مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول.

■ عتبة بن غزوان، توفي فيها في قول.

■ عكرمة بن أبي جهل: استشهد باليرموك في قول.

■ عمرو بن أم مكتوم: استشهد يوم القادسية وقد تقدم، ويقال: بل رجع إلى المدينة.

■ عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم.

■ عياض بن أبي ربيعة تقدم.

■ فراس بن النصر بن الحارث [الإسعاب: ٤/١٢٦٨] يقال: استشهد يوم اليرموك.

■ قيس بن عدي بن سعد بن سهم: من مهاجرة الحبشة قُتل باليرموك.

■ قيس بن أبي صعصعة، عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني: شهد العقبة وبدرا، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك وقتل يومئذ، وله حديث قال: قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: «في خمس عشرة» الحديث.

قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: ففيه دليل على أنه من جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ

■ نضير بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار

الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو.

وهذا كله وسعد المسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس، وسعد واقف على شاطئ دجلة. ثم نزل سعد ببقية الجيش، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا: نستعين بالله وتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، ودعا له. فقال: «اللهم أجب دعوته، وسدد رميته» [ج ٥٦٥٩، ١٦٢٨٨].

والقطع به أن سعداً دعا لجيشه هنا في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمى بهم في هذا اليوم فسددهم الله وسلمهم، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلاً واحداً يقال له غرقلة البارقي، زل عن فرس له شقراء، فأخذ القعقاع بن عمرو بلجامها، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه، وكان من الشجعان، فقال: عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو. ولم يعلم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قرح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر، كانت علاقته رقة فأخذها الموج، فدعا صاحبه الله عز وجل، وقال: اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعني. فردده الموج إلى الجانب الذي يقصونه فأخذته الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه. وكان الفرس إذا أعيا وهو في الماء يقبض الله له مثل التنشز المرتقع فيقف عليه فيستريح، وحتى إن بعض الخيل ليسر وما يصل الماء إلى حزامها، وكان يوماً عظيماً وأمراً هائلاً، وخطباً جليلاً، وخارقاً باهرًا، ومعجزة لرسول الله ﷺ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلاً في تلك البلاد، ولا في بقعة من البقاع، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة، بل هذا أجل وأعظم، فإن هذا الجيش كان أضعاف ذلك.

قالوا: وكان الذي يسير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي، فجعل سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. والله لينصرن الله وليه ويظهرن الله دينه، وليهزم الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بقي أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: إن الإسلام جديد. ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفرق منهم أحد، ولم يفقدوا شيئاً.

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن، فلم يجدا بها أحداً، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع، والآنية والألطاف والأدهان ما لا يدرى قيمته. وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه.

صفر من هذه السنة فسلطنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأي شيء هربوا؟ قالوا: بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فاجابه ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينهم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفرنديين بآثر كوثي. فقال الملك: يا ويلاه إن الملائكة لتكلم على ألسنتهم، ترد علينا ونحينا عن العرب. ثم أمر الناس بالرجل من هناك إلى المدائن فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة، وهي قرية منها جذاً.

ولما دخل المسلمون بهرسير في الليل لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذي ذكره رسول الله ﷺ أنه سيفتحه الله على أمته، وذلك قريب الصباح، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب، فقال: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله. ونظر الناس إليه فتابعوا التكبير إلى الصبح.

ذكر فتح المدائن التي هي مستقر ملك كسرى

لما فتح سعد بهرسير واستقر بها، وذلك في صفر لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يفنم، بل قد تحولوا بكاملهم إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم، ولم يجد سعد ﷺ شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها، وروست بالزبد من كثرة الماء بها، وأخير سعد بأن كسرى يزجدر عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وأتاك إن لم تذكره قبل ثلاث فأت عليك وتغارط الأمر. فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شأوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل. فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول: من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين، فانتدب عاصم بن عمرو وقؤو البأس من الناس قريب من ستمائة، فأثّر سعد عليهم عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم: من يتدب معي لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر فتحمي الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر - فقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة، فقال: اتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس، وقد افرق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور وأصحاب الخيل الإناث. فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: ديوانا ديوانا. يقولون: مجانين مجانين. ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جناً. ثم أرسلوا فرساتهم في الماء يلتصقون أول المسلمين ليمتعهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشروا لهم الرماح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء. واتبهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من

إلى الأقباض وإذا عليه سَفَطَان فيهما ثياب كسرى وحليه، ولبسه الذي كان يلبسه على السرير كما ذكرنا، ويقل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفطين أيضا رُداً من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا.

وكان فيما رُدَّت السرايا أموال عظيمة فيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم. ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم، ولا حمل الأموال لكثرتها. فإنه كان المسلمون يبيتون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملائناً إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة، ويمجدون من الكافور شيئاً كثيراً، فيحبسونه ملحاً، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مرأً حتى تبنوا أمره.

فحصل الفتي على أمر عظيم من الأموال، وشرع سعد فخمسه وأمر سلمان بن ربيعة الباهلي فقسم الأربعة الأخماس بين الغانمين، فحصل لكل واحد من الفرسان اثنا عشر ألفاً، وكانوا كلهم فرساناً، ومع بعضهم جنائب، واسترهب سعد أربعة أحماس البساط وأُلبس كسرى من المسلمين، ليبتغى إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه فظيوا له ذلك وأذنوا فيه، فبعث سعد إلى عمر مع الخمس مع بشر بن الحصاصية، وكان الذي بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدي، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء، فقال له علي بن أبي طالب: إنك عفت فعتت ريعتك، ولو رعت لرعت. ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فاصاب علياً قطعة من البساط باعها بعشرين ألفاً.

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبة ونصها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب، وماعليها من زهرة الحياة الدنيا القانية [تاريخ الطبري: ٢٣، ٢٢٧/٤].

وقد روي أن عمر ألبس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بني مدلج رحمته الله.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة [٣٢٥/٦]: أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي. قال: وجدت في كتابي بخط يدي عن أبي داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد حدثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم، قال: فالتقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يديه فبلغا منكيه فلما رأهما في يدي سراقة قال: الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج. وذكر الحديث.

هكذا ساقه البيهقي. ثم حكى عن الشافعي أنه قال: وإنما البسهما سراقة لأن رسول الله ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: «كأنني بك وقد لبست سوارى كسرى» قال الشافعي: وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سوارى كسرى: قل: الله أكبر. فقال: الله أكبر. ثم قال: قل: الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج [دلائل النبوة: ٣٢٥/٦].

وقال الميثم بن عدي: أخبرنا أسامة بن زيد اللثبي حدثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقاء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه وخفيه، قال: فنظر عمر في وجوه القوم. وكان أجسمهم وأبينهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا سراق قم فالبس، قال سراقة: فطمعت فيه فقمتم فلبست فقال: ادبر فادبرت، ثم قال: أقبل فأقبلت، ثم قال: بئح،

فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأموال ثم الكتيبة الحرساء، فأخذوا في سككها لا يلقون أحداً ولا يمشون غير القصر الأبيض فيه مقاتلة وهو محصن.

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الإيوان مصلى، وحين دخله تلا قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَزُرُوعٍ وَنَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاعْبِهِنَّ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمه واحدة وأنه جمع بالإيوان في صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق، وذلك لأن سعداً نوى الإقامة بها، ويعتد إلى العيالات فاتزلهم دور المدائن واستوطنوها، حتى ضحوا جلولا وتكرت والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنذكره.

ثم أرسل السرايا في إثر كسرى يزدجرد فلحق بهم طائفة فقتلوههم وشردوهم واستلبوا منهم أموالاً عظيمة. وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه. وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواسل والتحف، مما لا يقوم ولا يحُد ولا يوصف كثرة وعظمة. وقد روي أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو بشر بأصبعه إلى مكان، فقال سعد: إن هذا لم يوضع هكذا سدى، فأخذوا ما يسامت أصبحه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكاسرة الأوائل، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة وحواسل باهرة، وتحفاً فائخة. واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه. وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقبازه وبساط إيوانه، وكان مربعا ستون فزاعاً في مثله، من كل جانب، والبساط مثله سواء، وهو منسوج بالذهب واللاكن والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، ببلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكورها، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده. فكان إذا جلس على كرسي ملكته ودخل تحت تاجه، وتاجه معلق بسلاسل الذهب، لأنه كان لا يستطيع أن يقله على رأسه لثقله، بل كان يحني فيجلس تحت ثم يدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه، وهو يستريح حال لبسه فإذا رفع الحجاب عنه خرت له الأمراء سجوداً. وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة، فيسأل عنها ومن فيها من التواب، وهل حدث فيها شيء من الأحداث؟ فيخبره بذلك ولاة الأمور بين يديه. ثم يتقل إلى الأخرى، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكراً له بشأن الممالك، وهو اصطلاح جيد منهم في أمر السياسة.

فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والأراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسراً، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية صافية، ولله الحمد والمنة.

وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى، وسائر دور المدائن وما كان بالإيوان مما ذكرنا وما يقد من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أكرهه وغصبه من الفرس وكانت تحوطه بالسيوف فاستقله منهم وقال: إن لهذا لشأناً. فردّه

المجوس وجاءت مكانها أخرى، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال: أهالكُم ما رأيتمُ أيها المسلمون؟ قالوا: نعم إنا كألُون وهم مريحون، فقال: بل إنا حاملون عليهم ومجدون في طلبهم، حتى يحكم الله بيننا، فاحلوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخلطهم، فحمل وحمل الناس، فأما القعقاع فإنه صمم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان، حتى انتهى إلى باب الخندق، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحاجز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال يومئذ طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب، وقيس بن مكشوح، وحجر بن عدي. ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل، ولم يشعروا بذلك، لولا مناديه ينادي: أين أيها المسلمون، هذا أميركم على باب خندقهم. فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فإذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم، وهربت الفرسان كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهم كل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جلاوا وجه الأرض بالقتل، فلذلك سميت جلولا. وغنموا من الأموال والسلاح واللحَب والنضة قريبا مما غنموا من الملائن قبلها.

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزم منهم وراء كسرى، فساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزماً، فقتله القعقاع بن عمرو، وأفلتهم الفيزان فاستمر منهزماً، وأمر سبأ كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة، وغنموا دواب كثيرة جداً. ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص ففل سعد ذوي النجدة ثم أمر يقسم ذلك على الغنائم.

قال الشعبي: كان المال المتحصل من وقعة جلولا ثلاثين ألف ألف، فكان خمسة ستة آلاف ألف ربيع الطبري: ٢٩/٤.

وقال غيره: كان الذي أصاب كل فارس يوم جلولا نظير ما حصل له يوم الملائن - يعني اثني عشر ألفاً لكل فارس ربيع الطبري: ٢٩/٤. وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع دواب ربيع الطبري: ٢٩/٤. وكان الذي ولي قسم ذلك بين المسلمين وتحصيله، سلمان بن ربيعة رضي الله عنه. ثم بعث سعد بالأخماس من المال والريق والدواب مع زياد بن أبي سفيان، وقضاي بن عمرو، وأبي مفرز الأسود.

فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة فذكرها له، وكان زياد فصيحاً، فأصعب لإرادته لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأجاب أن يسمع المسلمون منه ذلك، فقال له: أستطيع أن أخطب الناس بما أخبرني به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إنه ليس أحد على وجه الأرض أهدى عندي منك، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك؟ فقام في الناس فقص عليهم خبر الوقعة، وكُم قتلوا، وكُم غنموا، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر: إن هذا هو الخطيب المصنّف - يعني الفصيح - فقال زياد: إن جنينا أطلقوا بالفتل لساننا. ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يُجنّ هذا المال الذي جاؤوا به سقف حتى يقسمه، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد، فلما أصبح جاء عمر في الناس، بعد ما صلى الغداة وطلعت الشمس، فأمر فكشف عنه جلاليته، فلما نظر إلى ياقوته وزيرجله وذعبه الأصفر وفضته البيضاء، بكى عمر، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا لمرطن شكر، فقال عمر: والله ما ذاك يبكي، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم. ثم قسمه كما قسم أموال القادسية

أعيراني من بني مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه. رب يوم يا سراق بن مالك، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى، كان شرفاً لك ولقومك، انزع. فترعت. فقال: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك، وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني. ومنعت أبا بكر وكان أحب إليك مني، وأكرم عليك مني، وأعطيتني فاعوذ بك أن تكون أعطيتني لتكرهني. ثم بكى حتى رجمه من كان عنده. ثم قال لعبد الرحمن بن عوف: أقسمت عليك لما بعثت ثم قسمته قبل أن تمسي. وذكر سيف بن عمر التميمي: أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جيء بسيف كسرى ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الحيرة وأن عمر قال: الحمد لله الذي جعل سيف كسرى فيما بضره ولا ينفعه. ثم قال: إن قوماً أدوا هذا لنحو أمانة. ثم قال: إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتي عن آخرته فجمع لزوج امرأته، أو زوج ابنته، ولم يقدم لنفسه، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصل له ربيع الطبري: ٢٩/٤.

وقد قال بعض المسلمين وهو أبو بجيد نافع بن الأسود في ذلك:

وأمانا على الملائن خيلاً بجرها مثل برّمن أريضا
فانتلنا خزائن المرء كسرى يوم ولّوا وحاص منا جريضا

وقعة جلولا

لما سار كسرى وهو يزجرجد بن شهرار من الملائن هاربا إلى حلوان شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعداء وجنود من البلدان التي هناك، فاجتمع إليه خلق كثير، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران، وسار كسرى إلى حلوان وأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولا، واحضروا خندقاً عظيماً حولها، وأقاموا بها في التمدد والشد وألات الحصار، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك. فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالملائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذي يعينه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو، وعلى المينة سحر بن مالك وعلى المسيرة أخوه عمر بن مالك، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجهني.

ف فعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيراً يقارب اثني عشر ألفاً، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار، وروؤوس العرب. وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر الملائن، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولا قد خندقوا عليهم، فحاصروهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من بلدنهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يسمع بمثله. وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه، مرة بعد أخرى.

وحمل القتال، واشتد التزال، واضطربت نار الحرب، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة، فحرضهم على القتال والتزكل على الله. وقد تعادلت الفرس وتعاهدت، وحلفوا بالنار أن لا يفرّوا أبداً حتى يفنوا العرب. فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفصيل والفرقان، توافقوا من أول النهار، فاقتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله حتى فني الشباب من الطرفين، وتقصفت الرواح من هؤلاء ومن هؤلاء، وصاروا إلى السيوف والطبرينات، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إمساءً، ودعبت فرقة

[الربيع الطبري: ٣٠٠، ٢٩/٤]

وروي سيف بن عمر عن شيوخه أنهم قالوا: وكان فتح جلولا في ذي القعدة من سنة ست عشرة، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر وقد تكلم ابن جرير [الربيع: ٣٠٠-٣٠/٤] هنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلق بأرض السواد وخارجها، وموضع تحريم ذلك كتاب الأحكام. وقد قال هاشم بن عتبة في يوم جلولا:

يومُ جلولاَ ويوم رستم

ويوم زحف الكوفة المقدّم

ويومُ عرضِ النهر المحرّم

وأيامُ خلت من شهر صرم

شئنا صدغي فمن هرم

مثلُ نعام البلد المحرّم

وقال أبو بجيد في ذلك:

ويومُ جلولاَ الوقعة أصبحت كتابنا تردّي بأسد عوايس
فضضتُ جمعَ الفرس ثم اتتهم ثباً لأجساد المجوس النجاس
وأفلتتُ الفيرزانَ بجرعةٍ ومهران أردت يومَ حرّ القوائس
أقاموا ببلادٍ للمنية موعداً وللرب تحوها خجوج الرواسيس

ذكر فتح حلوان

ولما انقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولا عن أمر عمر بن الخطاب - في كتابه إلى سعد - وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان، عن أمر عمر أيضاً ليكون ردها للمسلمين هنالك ومرابطاً لكسرى حيث هرب. فسار كما قلنا، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرزقي، فقتله وهرب منه الفيرزان، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولا، وما جرى على الفرس بعده، وكيف قتل منهم مائة ألف، وأدرك مهران فقتل، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري، واستتاب على حلوان أميراً يقال له: خسرّو شوم، فقدم إليه القعقاع بن عمرو، وبرز إليه خسرّو شوم إلى مكان خارج من حلوان، فاقتلوا هنالك قتالا شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهمز خسرّو شوم، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا، وأقاموا بها، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم بلعنا دعوا إلى الدخول في الإسلام فأبوا إلا الجزية. فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة، فسار إليه كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

فتح تكريت والموصل

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق، فكتب إلى عمر بأسر جلولا واجتماع الفرس بها، ويأمر أهل الموصل، فقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في أهل جلولا، وما كان من أمرها. وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الأنطاق، أن يمين جيشاً لحربهم، ويؤمر عليه عبد الله بن الميثم، وأن يجعل على مقدمته ربيعة بن الأكل العتري، وعلى

اليمينه الحارث بن حسان الذهلي، وعلى المسيرة فرات بن حيان العجلي، وعلى الساقة هاني بن قيس، وعلى الخيل عرفة بن هرثة.

ففصل عبد الله بن الميثم في خمسة آلاف من المدائن، فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق، وقد اجتمع إليه جماعة من الروم، ومن الشهباجة، ومن نصارى العرب، ومن زياد وتغلب والنمر. وقد أحلقوا بتكريت، فحاصروهم عبد الله بن الميثم أربعين يوماً. وزاحفوه في هذه المدة أربعاً وعشرين مرة، ما من مرة إلا ويتصر عليهم ويقل جموعهم، فضعف جأشهم، وعزمت الروم على الذهاب في السفن بأموالهم، وراسل عبد الله بن الميثم إلى من هنالك من الأعراب، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة على أهل البلد، فجاءت القصاد إليه عنهم بالإجابة إلى ذلك، فأرسل إليهم:

إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقروا بما جاء من عند الله. فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم: إن كنتم صادقين فإذا كثرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن، وامنعوهم أن يركبوا فيها، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله.

ثم شد عبدالله وأصحابه، وكثروا تكبيرة رجل واحد، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى، فحار أهل البلد، وأخذوا في الخروج من الأبواب التي تلي دجلة، فتلقتهم زياد والنمر وتغلب، وقتلواهم قتلاً ذريعاً، وجاء عبد الله بن الميثم بأصحابه من الأبواب الأخرى فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من زياد وتغلب والنمر، وقد كان عمر عهد في كتابه أن إذا نصرنا على تكريت أن يعينوا ربيعة بن الأكل إلى الحصين وهي الموصل سريعاً، فسار إليها كما أمر عمر، ومعه سرية كثيرة، وجماعة من الأبطال، فسار إليها حتى فجأها قبل وصول الأخبار إليها، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى المصالحة فضررت عليهم المنة عن يد وهم صاغرون.

ثم أقتسمت الأموال التي تحصلت من تكريت، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألف درهم. ويعشوا بالأخماس مع فرات بن حيان، وبالفتح مع الحارث بن حسان، وولي امرأة الموصل ربيعة بن الأكل، وولي الخراج بها عرفة بن هرثة.

فتح ماسبذان من أرض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولا إلى المدائن، بلغ سعداً أن آذنين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس، فكتب إلى عمر في ذلك، فكتب إليه أن ابعت جيشاً وأمر عليهم ضرار بن الخطاب. فخرج ضرار في جيش من المدائن، وعلى مقدمته ابن الهذيل الأسدي، فتقدم ابن الهذيل بين يدي الجيش، فالتقى مع آذنين بن الهذيل، ووصل ضرار إليه، فكسر ابن الهذيل طائفة الفرس، وأسر آذنين بن الهرمزان، وفر عنه أصحابه، وأمر ابن الهذيل فضرب عتق آذنين بين يديه، وساق وراء المهزمين حتى انتهى إلى ماسبذان - وهي منية كبيرة - فاخذها عنوة، وهرب أهلها في رؤوس الجبال والشعاب، فدعاهم فاستجابوا له، وضرب على من لم يسلم الجزية، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة كما سيأتي.

فتح قريسياء وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير [تاريخه: ٣٧/٤، ٣٨] وغيره [الكامل: ٥٢٥/٢، ٥٢٦]: لما رجع هاشم من جلولا إلى المدائن وكان أهل الجزيرة قد آمدوا أهل حصص على قتال أبي عبيدة وخالد - لما كان هرقل بقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت، كتب سعد إلى عمر في ذلك، فكتب إليه أن يعث إليهم جيشاً، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، فسار في من معه من المسلمين إلى هيت فوجدهم قد خندقوا عليهم، فحاصروهم حيناً فلم يظفر بهم، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد، فراغ عمر بن مالك إلى قريسياء فأتوها عنوة، واتبأوا إلى بذل الجزيرة، وكتب إلى نائبه على هيت: إن لم يصلحوا أن يخبر من وراء خندقهم خندقاً، ويجعل له أبواباً من ناحيته. فلما بلغهم ذلك أتأبأوا إلى المصالحة.

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي [تاريخ الإسلام: ١٦٢، ١٦٣]: وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب، ومنبج، وأنطاكية، على الجزيرة. وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة.

قال: وفيها افتتحت سروج والرها على يدي عياض بن غنم. قال: وفيها فيما ذكر ابن الكلبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فحاصر إيلياء فسألوا الصلح على أن يقدم عمر فيصلحهم على ذلك، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم حتى صلحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة.

قلت: قد تقدم هنا فيما قبل هذه السنة والله أعلم.

قال الواقدي: وفي هذه السنة حمى عمر الرينة لحيل المسلمين، وفيها غرّب عمر أبا عجم الثقفي إلى باضع، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد.

قلت: الذي قُتل يوم الجسر، وكان أمير السرية، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد، وكانت امرأة سالحة، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً.

قال الواقدي: وفيها حج عمر بالناس، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت.

قال: وكان نائبه على مكة عتاب، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى العراق سعد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى بن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عُمان حذيفة بن محسن، وعلى البصرة المنيرة بن شعبة، وعلى الموصل ربعي بن الأنكل، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعري [تاريخ الطبري: ٣٩].

قال الواقدي: وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ، وهو أول من كتبه.

قلت: قد ذكرنا سببه في سيرة عمر، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بلدين يحمل عليه في شعبان، فقال: أي شعبان؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها، أم التي بعدها؟ ثم جمع الناس فقال: ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم. فيقال: إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ الذي بعده، فكرهوا ذلك. ومنهم من قال: أرخوا بتاريخ الروم من زمان إسكندر فكرهوا ذلك، ولطلوه أيضاً. وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله

ﷺ. وقال آخرون: من مبعث ﷺ. وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث. فاستحسن ذلك عمر والصحابة، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها.

وعند مالك رحمه الله فيما حكاه عن السهيلي وغيره أن أول السنة من ربيع الأول لقنومه ﷺ فيه. إلى المدينة.

والجمهور على أن أول السنة من المحرم، لأنه أصبغ لثلاً تختلف الشهور، فإن المحرم أول السنة الهلالية العربية.

وفي هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وذلك في المحرم فيما ذكره الواقدي وابن جرير [تاريخ الطبري: ٣٨/٤] وغير واحد، وصلى عليها عمر بن الخطاب، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها، وفدت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها، وهي مارية القبطية، أمها صاحب إسكندرية - وهو جريج بن مينا - في جملة تحف وهذا لرسول الله ﷺ، فقيل ذلك منه، وكان معها اختها سيرين التي وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبد الرحمن بن حسان.

ويقال: أهدى المقوقس معها جارتين أخريين، فيحتمل أنها كانتا خادمتين لمارية وسيرين. وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه مأبور، وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدليل، وأهدى حلة حرير من عمل الإسكندرية. وكان قد قدم هذه الهدية في سنة ثمان. فحملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام، فعاشر عشرين شهراً، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ بسنة سواء. وقد حزن عليه رسول الله ﷺ وبكى عليه وقال: اتلّع العين، ويحزن القلب، ولا تقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون [تاريخ دمشق: ١٣٩/٣]. وقد تقدم ذلك في سنة عشر.

وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان. وقد حظيت عند رسول الله ﷺ وأعجب بها، وكانت جميلة مثلاً، أي حلوة، وهي تشابه هاجر سيرة الخليل، فإن كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم، وخليل جليل، عليهما السلام.

ثم دخلت سنة سبع عشرة

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة، وذلك أن الصحابة استوخوا المدائن، وتغيرت ألوانهم، وضغفت أبدانهم، لكثرة ذبائحها وغبارها، فكتب سعد إلى عمر في ذلك، فكتب عمر: إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إيلها.

فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لإقامتهم. فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملية حمراء، فأعجبتهما ووجدتا هناك ثلاث ديرات دير حرقة بنت النعمان، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وبين ذلك خصاص خلال هذه الكوفة، فتزلا فصليا هناك وقال كل واحد منهما: اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، والريح وما ذوت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت، والخصاص وما أجت، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات. ثم كتب إلى سعد بالخبر فأمر سعد باختطاط الكوفة، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها، فكان أول بناء وضع فيها المسجد. وأمر سعد رجلاً راعياً شليد الرمي، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات

فتح الجزيرة

قال ابن جرير [تاريخه: ٥٣/٤، ١٠٢]: وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر.

قال ابن جرير: في ذي الحجة من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة.

وقال ابن إسحاق: كان ذلك في سنة تسع عشرة [تاريخ الطبري: ٥٣/٤].

سار إليها عياض بن غنم. وفي صحبة أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيء، وعثمان بن أبي العاص. فتزلزله فصاله أهلها على الجزيرة، وصالحت حوران على ذلك. ثم بعث أبو موسى الأشعري إلى نصيبين، وعمر بن سعد إلى رأس العين، وسار بنفسه إلى دارا، فالتفتحت هذه البلدان، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى إرمينية، فكان عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً. ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزيرة، على كل أهل بيت دينار.

وقال سيف بن رويته [تاريخ الطبري: ٥٣، ٥٤]: جاء عبد الله بن عبد الله بن عتبان فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل فبعث إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة. وبعث إلى عمر برووس النصارى من عرب أهل الجزيرة، فقال لهم عمر: أدوا الجزيرة. فقالوا: أبلغنا ماأنتا فوالله لئن وضعت علينا الجزيرة لنندخلن أرض الروم، والله لتفرضنا من بين العرب. فقال لهم: أتم فضحت أنفسكم، وخالفتم أمتكم، ووالله لتؤذن الجزيرة وأنتم صغرة قماء، ولئن هربت إلى الروم لأكتن فيكم، ثم لأسيبكم. قالوا: فخذ منا شيئاً ولا تسميه جزيرة. فقال: أما نحن فنسميه جزيرة، وأما أنتم فسموه ما شئتم. فقال له علي بن أبي طالب: ألم يُضَيَّفْ عليهم سعد الصدقة؟ قال: بلى. وأصنى إليه ورضي به منهم.

قال ابن جرير [تاريخه: ٥٧/٤]: وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرق في قول محمد بن إسحاق.

وقال سيف: وصل إلى الجالية [تاريخ الطبري: ٥٥/٤].

قلت: والأشهر أنه وصل سرق.

وقد تلقاه أمراء الأجناد، أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وخالد بن الوليد، إلى سرق فأخبروه أن الوفاء قد وقع بالشام، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاحتلفوا عليه، فمن قائل يقول: أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه. ومن قائل يقول: لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوفاء. فيقال: إن عمر أمر الناس بالرجوع من الفد. فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ قال: نعم! نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرايت لو هبطت وأنيأ ذات عدوتين إحداهما مخبئة والأخرى مجبهة، فإن رعبت الخبئة رعبتها بقدر الله، وإن أنت رعبت الجبهة رعبتها بقدر الله؟ ثم قال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة!

قال ابن إسحاق في رويته [تاريخ الطبري: ٥٨/٤] وهو في صحيح البخاري [٧٢٩]: وكان عبد الرحمن بن عوف متغيياً في بعض شأنه، فلما قدم قال: إن عندي من ذلك علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقلدوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه». فحمد الله عسى - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس.

وقال الإمام أحمد [١٨٢/١]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حبيب بن

فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم، وعمر قصرأ لتقاء محراب المسجد للإمامة وبيت المال، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب، فاحتترقت في أثناء السنة، فبنوها باللين من عمر، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد. وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه، فأنزلهم الكوفة، وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمسروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعاً. ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً، وللأزقة سبعة أذرع. وبني لسعد قصر قريب من السوق، فكانت غوغاء الناس تمنع سعداً من الخليل، فكان يغلق بابه ويقول: سَكَنَ الصُّرُت. فلما بلغت هذه الكلمة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدح زناده ويجمع حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فوره فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر، وأمر سعداً أن لا يغلّق بابه عن الناس، ولا يجعل على بابه أحداً يمنع الناس عنه، فامتثل ذلك سعد وعرض على محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله، ورجع إلى المدينة، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصفاً، حتى عزله عنها عمر، من غير عجز ولا خيانة.

قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بمحض وقدم عمر إلى الشام أيضاً لينصره

وذلك أن جماعاً من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بمحض، واستجاشوا بأهل الجزيرة وخلق من هنالك، وقصلوا أبا عبيدة، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قسرين، وكتب إلى عمر بذلك، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر؟ فكلمهم أشار بالتحصن، إلا خالداً فإنه أشار بمناجزتهم، فعصاه وأطاعهم. وتحصن بمحض وأحاط به الروم، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عه بأمرهم، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى محص لاغرم النظام في الشام كله. وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو، ويسيرهم إلى محص من يوم يقدم عليه الكتاب، فنجدة لأبي عبيدة فإنه محصور، وكتب إليه أن يجهز جيشاً إلى أهل الجزيرة الذين مالوا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم. فخرج الجيشان معاً من الكوفة، القعقاع في أربعة آلاف نحو محص لنجدة أبي عبيدة وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة، فبلغ الجالية وقيل: إنما بلغ سرق. قاله ابن إسحاق [تاريخ الطبري: ٥٧/٤]، وهو أشبه والله أعلم. فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على محص أن الجيش قد طرق بلادهم اتشعروا إلى بلادهم، وفارقوا الروم، وسمعت الروم يقدم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً. وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يرز إليهم ليقاتلهم، ففعل ذلك أبو عبيدة، ففتح الله عليه ونصره، وهزمت الروم هزيمة قلبية. وذلك قبل ورود عمر عليهم وقبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليال. فكذب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجالية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم بما آفاه الله عليهم؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة، فإن العدو إنما ضعف وإنما اتشعر عنه المدد من خوفهم منهم، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة. وقال عمر: جزى الله أهل الكوفة خيراً بحموتهم حوزتهم وعلوهم أهل الأمصار.

قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك بها، فعمزت عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلي. قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوفاء فقال: يغفر الله لأمر المؤمنين.

ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك لي، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فليست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاه، فخلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني وجندي.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أير عبيدة؟ قال: لا، وكان قد.

قال: ثم كتب إليه: سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضاً غريبة فارعهم إلى أرض مرتفعة نزهة.

قال أبو موسى: فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فأخرج فارتد للناس متزلاً حتى أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرحل فوجدت صاحبي قد أصيبت، فرجعت إليه فقلت: والله لقد كان في أهلي حدث. فقال: لعل صاحبك قد أصيبت؟ قلت: نعم، فأمر بيعة فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال: والله لقد أصيبت. ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوفاء.

وقال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري: ٦١/٤، ٦٢] عن إبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن راية - رجل من قومه - وكان قد خلف على أمه بعد أبيه، وكان قد شهد طاعون عمواس. قال: لما اشتعل الرجوع قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن هذا الرجوع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظ، فطعن، فمات.

واستخلف على الناس معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده. فقال: أيها الناس، إن هذا الرجوع رحمة بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظهم، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا نفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلب ظهر كفه ثم يقول: ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا.

فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال: أيها الناس، إن هذا الرجوع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال. فقال أبو وائلة الهذلي: كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا. فقال: والله ما أرد عليك ما تقول، وإهم الله لا نقيم عليه. قال: ثم خرج وخرج الناس فترقوا ودفعه الله عنهم. قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه.

قال ابن إسحاق: ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة وزيد بن أبي سفيان، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها.

وقال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا: لما كان طاعون عمواس ووقع مرتين لم ير ملهما وطال مكته، وفي خلق كثير من الناس، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك [تاريخ الطبري: ٦٣/٤].

قلت: ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم موارث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء، وطابت قلوب الناس بقدمه، وانقمت الأعداء من كل جانب لحيته إلى الشام ولله الحمد والمنة.

قال سيف: وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر

أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وأسماء بن زيد قالوا: قال رسول الله ﷺ: [إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم، فإذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه].

ورواه الإمام أحمد [١٧٣/١، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٦] أيضاً من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص به.

قال سيف بن عمر [تاريخ الطبري: ٥٨/٤]: كان الوفاء قد وقع بالشام في الحزم من هذه السنة وصغر ثم ارتفع.

وكان سيفاً يعتقد أن هذا الوفاء هو طاعون عمواس، الذي هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين، وليس الأمر كما زعم، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلية بعد هذه، كما سنبيته إن شاء الله تعالى.

وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان، ويوزر الأمراء، وينظر فيما اعتصموا وما آثروا من الخير، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول: أبداً بالعراق، ومن قائل يقول: بالشام. فزعم عمر على قدم الشام لأجل قسم. موارث من مات من المسلمين في طاعون عمواس، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فزعم على ذلك. وهذا يقتضي أن عمر عزم على قدم الشام بعد طاعون عمواس، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي، فهو قدم آخر غير قدم سرخ. والله أعلم.

قال سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا: قال عمر: ضاعت موارث الناس بالشام أبداً بها فاقسم الموارث وأقيم لهم ما في نفسي، ثم أرجع فأتقلب في البلاد وأبذل إليهم أمري.

قالوا: فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة، ومرتين في سنة سبع عشرة، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين [تاريخ الطبري: ٥٩/٤].

وهذا يقتضي ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة. وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد [تاريخ الطبري: ٦٠/٤]، فذهبوا إلى أن كان في سنة ثمانى عشرة.

وفيه توفي أبو عبيدة ومعاذ وزيد بن أبي سفيان، وغيرهم من الأعيان، على ما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

ذكر شيء من أخبار طاعون عمواس

الذي توفي فيه أبو عبيدة ومعاذ وزيد بن أبي سفيان وغيرهم من اشراف الصحابة وغيرهم. أورد ابن جرير في هذه السنة.

قال محمد بن إسحاق [تاريخ الطبري: ٦٠/٤، ٦١] عن محمد بن إسحاق [٤] عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي. قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده فلما جلسنا قال: لا تَجُفُوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تترها عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم وتزوها، حتى يرتفع هذا البلا، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى. من ذلك أن يُظَن من خرج أنه لو قام مات، ويظن من أقام فاصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتزوه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الرجوع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يستخرجه منه: أن سلام عليك أما بعد فإنه

ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حصن فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالفَّه صانع
ثم سأله: من أين هذا اليسار الذي تحيز منه بعشرة آلاف؟ فقال: من الأنفال والسهمان. قال: فما زاد على الستين ألفاً فلك. ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال: والله إنك عليّ لكريم، وإنك ليّ الحبيب. ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء.

وقال سيف عن عبد الله بن المستورد عن أبيه عن عدي بن سهيل. قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانه، ولكن الناس فتنوا به فأحييت أن يعلموا أن الله هو الصانع [صليخ الطوري: ١٦٨/٤].

ثم رواه سيف عن مبشر عن سالم قال: لما قدم خالد على عمر فذكر مثله.

قال الواقدي: وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها، وعمر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم، أمر بذلك لمخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد عوف، وحويطب بن عبد العزى، وسعيد بن يربوع.

قال الواقدي: وحديثي كثير بن عبد الله المري عن أبيه عن جده قال: قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة، فمر بالطريق فكلّمه أهل المياه أن يبنوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السيل أحق بالظل والماء.

قال الواقدي: وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة.

وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين ألفاً، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ «كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي» قال: وفي هذه السنة ولي عمر أبا موسى الأشعري البصرة، وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب: أبو بكر، وشبل بن معبد البجلي، ونافع بن عبيد، وزيد. ثم ذكر الواقدي وسيف هذه القصة وملخصها: أن امرأة كان يقال لها أم جليل بنت الأرقم، من نساء بني عامر بن صعصعة، ويقال من نساء بني هلال. وكان زوجها من ثقيف قد توفي عنها، وكانت تقضي نساء الأمراء والأشراف، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكر، وكان بينهما الطريق، وفي دار أبي بكر كوة تشرف على كوة في دار المغيرة، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكر شتان. فبينما أبو بكر في داره وعنده جماعة يتحدثون في العلية، إذ فتحت الريح باب الكوة، فقام أبو بكر ليملأها، فإذا كوة المغيرة مفتوحة، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجلها، وهو يجامعها، فقال أبو بكر لأصحابه: تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جليل. فقاموا فانظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة، فقالوا لأبي بكر: ومن أين قلت إنها أم جليل؟ - وكان رأسها من الجانب الآخر - فقال: انتظروا، فلما فرغا قامت المرأة فقال أبو بكر: هذه أم جليل. ففرورها فيما يظنون. فلما خرج المغيرة - وقد اغتسل - ليصلي بالناس منه أبو بكر أن يتقدم. وكتبوا إلى عمر في ذلك، فولى عمر أبا موسى الأشعري أميراً على البصرة. وعزل المغيرة، فسار إلى البصرة فزل البريد. فقال المغيرة:

كثير وجم غفير، وحهم الله ورضي الله عنهم أجمعين.
قالوا: وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة. فقال المهاجر بن خالد في ذلك.

من يسكن الشام يُعْرَس به والشام إن لم يُنتنأ كشارب
افنى بني ربطة فرسانهم عشرون لم يقصص لهم شارب
ومن بني أعمامهم مثلهم لخل هذا يعجب العاجب
طلعناً وطاعوناً مئاهم ذلك ما خط لنا الكاتب

وقال سيف - بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة - قال: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا وإني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجننا لكم الجنود، وهبنا لكم الفروج، وبوأننا لكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطعماتكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومناجئكم. فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله.

قال: وحضرت الصلاة فقال الناس: لو أمرت بلالا فأذن؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله ﷺ ويسلل يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته، وعمر أشدهم بكاء، ويكى من لم يدره ليكانهم ولذكروه ﷺ.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٢٦٩/٤] في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي الجبال أن عمر بن الخطاب بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام، وتلكه بعد التوبة بمصر معجون بخمر، فقال في كتابه: إن الله قد حرم ظاهر الحمر وباطنه، كما حرم ظاهر الإثم وباطنه، وقد حرم مس الحمر فلا تمسوها أجسامكم فأنها نجس، فإن فعلتم فلا تعودوا. فكتب إليه خالد: إنا قلناها فعدت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاف فلا أماتكم الله عليه. فأنتهى لذلك.

كاثنة غريبة فيها عزل خالد عن قنسرين أيضاً

قال ابن جرير [تاريخه: ٢٦٩/٤]: وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعباس بن غنم، أي سلكا درب الروم وأغاروا عليهم، فغنموا أموالاً عظيمة وسبياً كثيراً.

ثم روى [تاريخه: ٢٦٧/٤، ٢٦٨] من طريق سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والريبع وأبي الجبال. قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال جزیلة من الصائفة اتجعتهم الناس يتخون رفقته ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عماته ويتزعم عنه قنصوته ويقيده بعماته ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة ثم عزله عن عمله.

فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلال فقبل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريدي الذي قدم بالكاتب. هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد عما كان بغير اختياره وإرادته، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك.

ورلى الهرمزان على جوارى سريع الشو يخضع الجميع
وغلى سرّة الأموار كرهنا غداة الجسر إذ نجم الريح
وقال حرقوص بن زهير السعدي وكان صحابياً أيضاً:
غلبا الهرمزان على بلاد لها في كل ناحية ذخائر
سواء برهم والبحر فيها إذا صارت نواحيها براكر
لها بحر يحج بجانيه جصافر لا يزال لها زواجر

فتح تسر المرة الأولى صلحاً

قال ابن جرير: كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته. وقال غيره: في سنة ست عشرة وقال غيره: كانت في سنة تسع عشرة. ثم قال ابن جرير: ذكر الخبر عن فتحها، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا: ولا افتح حرقوص بن زهير سوق الأموار، وفر الهرمزان بين يديه، فبعث في إثره جزء بن معاوية - وذلك عن كتاب عمر بذلك - فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز ففتحن الهرمزان في بلادها، وأعجز جزءاً طلبه، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضي، فغضب الجزية على أهلها، وعمر عاصرها، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها: فصارت في غاية العمارة والجودة. ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه بمجاورة المسلمين، طلب من جزء بن معاوية المصالحة، فكتب إلى حرقوص فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك. فجاه الكتاب العمري بالمصالحة على رامهرمز، وتستر وجنديسابور، ومدان آخر مع ذلك. فوقع الصلح على ذلك كما أمر به عمر رضي الله عنه.

والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً. ثم قدم أبو موسى على الناس وناول المغيرة كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه أما بعد فانه بلغني نبا عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما في يديك والعجل وكتب إلى أهل البصرة: إني قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من قويمكم لضعيفكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن دينكم وليجي لكم فياكم ثم ليقسمه بينكم. وأهدى المغيرة لأبي موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال: إني رضىتها لك، وكانت فارغة. وأرسل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكر، ونافع بن كلثة، وزيد بن أمية، وشبل بن معبد البجلي. فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة. فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعداء كيف رأوني؟ مستقبلهم أو مستبهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم يستروا؟ أو مستبهمي فكيف استحلوا النظر في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت تشبهها. فبدأ عمر بلبي بكرة فشهد عليه أنه رأى بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة، قال: كيف رأيتهما؟ قال: مستبهمهما. قال: فكيف استبنت رأساها قال: تحاملت. ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك، فقال استقبلتهما أم استبهمتهما؟ قال: استقبلتهما وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر ولم يشهد زيد بمثل شهادتهم. قال: رأيته جالساً بين رجلي امرأة - فرايت قلعين خضرتين يخفقان وأستين مكشوفتين، وسمعت حفزاً شديداً. قال: هل رأيته كالليل في المكحلة؟ قال: لا. قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكن أشبهها. قال: فتتح وروى أن عمر رضي الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فجلدوا. الحد وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَلْحَظُوا بِاللَّهِ فَآوَلَيْكَ عَبْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فقال المغيرة: اشفي من الأعداء. قال: اسكت اسكت الله فاك، والله لو تمت الشهادة لرجعناك بأحجارك.

ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين

فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري

وذلك في هذه السنة فيما حكاه ابن جرير عن سيف [تاريخ الطبري]:
[٧٩-٨٣]

وذلك أن العلاء بن الحضرمي كان على البحرين في أيام الصديق، فلما كان عمر عزله عنها وولاهما لقدامة بن مظعون. ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها. وكان العلاء بن الحضرمي يباري سعد بن أبي وقاص. فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، واستعلى وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحرين. فلحق العلاء أن يفعل فعلاً في فارس نظير ما فعله سعد فيهم، فندب الناس إلى حربهم، فاستجاب له أهل بلاده، فجزأهم أجزاء، فعلى فرقة الجارود بن المعل، وعلى الأخرى السوار بن همام وعلى الأخرى خليل بن المنذر بن سائر، وخليل هو أمير الجماعة.

فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك - وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ﷺ ولا أباً بكر أغزيا فيه المسلمين - فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خليل بن المنذر فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم يصنعهم هنا محاربتكم، وأنتم إنما جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقتلواهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

قال ابن جرير: كان في هذه السنة، وقيل: في سنة ست عشرة. ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان من فر يوم القادسية من القرس، فجهز أبو موسى من البصرة، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله، فنصرهم الله عليه، وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل، وغنموا من جيشه ما أرادوا، وقتلوا من أرادوا، ثم صانهم وطلب مصالحهم عن بقية بلاده، فشاؤوا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر، وبعث وفدأ فيهم الأحنف بن قيس. فاعجب عمر به وحظي عنده. وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه. ثم نقض الهرمزان العهد والصلح، واستعان بطائفة من الأكراد، وغرته نفسه، وحسن له الشيطان عمله في ذلك. فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جماً غفيراً، وخلفاً كثيراً، وجمعاً عظيماً، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تسر، فتحصن بها، وبعثوا إلى عمر بذلك. وقد قال الأسود بن سريع في ذلك - وكان صحابياً رضي الله عنه -.

لعمرك ما أضاع بنو آيينا ولكن حافظوا فيمن يطيموا
أطاعوا ربههم وعصاه قوم أضاعوا أمره فيمن يضيع
بحسب لا يهتبهها كتاب فلاقوا كبة فيها قسوم

وبلغ الخبر إلى عمر، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بإزاء الهرمز، وسمي رجالاً من الشجعان الأحيان الأمراء يكونون في هذا الجيش، منهم جرير بن عبد الله البجلي، وجرير بن عبد الله الحميري، وسويد بن مقرن: وعبد الله بن ذي السهمين.

وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة: أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عدي، وليكن معه البراء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزة بن ثور، وكعب بن ثور، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن عحصن، وعبد الرحمن بن سهيل، والحصين بن معبد. وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم، وعلى كل من أتاه من المدد. قالوا: فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فاتهم إلى رامهرمز وبها الهرمز، فخرج إليه الهرمز في جنته ونقض العهد بينه وبين المسلمين، فبادره طمعاً أن يقطعته قبل مجي أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس، فالتقى مع النعمان بن مقرن بأربل، فاقتلا قتالاً شديداً، فهزم الهرمزان وفر إلى تسر، وترك رامهرمز فتسلمها النعمان غنوة وأخذ مافيها من الخواصل والذخائر والسلاح والعدد. فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمز وأنه فر فلجأ إلى تسر، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً، وعلى الجميع أبو سبرة فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً، وجأ غفيراً. وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدهم، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم. فسار إليهم - وكان أمير أهل البصرة واستمر أبو سبرة على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة، فحاصروهم أشهراً وكثر القتل من الفريقين، وقتل البراء بن مالك أخو أس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك، وكذلك فعل كعب بن ثور، ومجزة بن ثور، وأبو يمامة وغيرهم من أهل البصرة، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قرة، وربيعة بن عامر، وعامر بن عبد الأسد وقد تراحفوا أياماً متعددة، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة -: يا براء اقم على ربك ليهزمهم لنا. فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني قال: فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به، وقد ضاقت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فامته، فبعث يندل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد، وهو من مدخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجالاً من الشجعان والأبطال، وجاءوا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد، وذلك في الليل، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزني، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب، وكبر المسلمون فدخلوا البلد، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعال النهار، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس (كما حكاه البخاري عن أس بن مالك قال: شهدت فتح تسر، وذلك عند صلاة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس) فما أحب أن لي بتلك الصلاة. حر النعم. احتج بذلك البخاري لمحوه والأوزاعي في ذهابها إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال. وجنح إليه البخاري واستدل بقصة الخندق في قوله عليه السلام «شغلونا عن الصلاة الوسطى ملا الله قبورهم ويوتهم ناراً» ويقول يوم بني قريظة «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة» فأخبرها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس، ولم يعفهم، وقد تكلمنا على ذلك في غزوة الفتح.

فأجابوه إلى ذلك فصاروا الظهر ثم ناهدوهم فاقتلوا قتالاً شديداً في مكان من الأرض يدعى طلوس، ثم أمر خليل المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا فقتلوا فارس مقتله لم يقتلوا قبلها مثلاً. ثم خرجوا يريدون البصرة ففرقت بهم سفنهم، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ووجدوا شهرک في أهل إصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فمكسروا وامتدوا من العدو.

ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبه عليه، وبعث إليه فعزله وترعده، وأمره بالثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه إليه. فقال: الحق بسعد بن أبي وقاص في من قتل. فخرج العلاء إلى سعد بن أبي وقاص مضافاً إليه، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان: إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فآططهم أهل فارس وعصاتي، وأظنه لم يرد الله بذلك، فخشيت عليهم أن لا ينصروا، أن يغلبوا وينشروا، فاندب إليهم الناس وضمهم إليك من قبل أن يحتاجوا.

فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك، فانتدب جماعة من الأمراء الأبطال، منهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعاصم بن عمرو، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن عحصن، والأخنف بن قيس، وغيرهم، في اثني عشر ألفاً. وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رهم. فخرجوا على البغال يجتنبون الخيل سراعاً فساروا على الساحل لا يلقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطلوس، وإذا خليل بن السنان ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه، وقد تكاملت أمداد المشركين، ولم يبق إلا القتال. فقدم المسلمون إليهم في أحرج مامهم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأساً، فكسر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جنداً، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة، واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم، وأعر الله به الإسلام وأهله، ودمغ الشرك وذله ولله الحمد والملة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة.

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية، استأذن عمر في الحج فآذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم، واجتمع بعمر في الموسم، وسأله أن يقيه فلم يفعل، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله، فدعا عتبة الله عز وجل فمات بطن نخله، وهو منصرف من الحج، فتأسف عليه عمر وأثنى عليه خيراً، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبه، فوليا بقية تلك السنة والتي تليها، لم يقع في زمانه حدث، وكان مرزوق السلامة في عمله. ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكر فكان من أمره ما قلنا. ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري واليا عليها رضي الله عنهم.

ذكر فتح تسر ثانية غزوة السوس ورامهرمز وأسر

الهرمزان وبعثه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن جرير (٢٨٦/٤: ٨٢٧/٤): كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي. وكان سبب ذلك أن يزدجرد كان يحرض أهل فارس في كل وقت ويؤنهم بملك العرب بلادهم وقصدتهم لإيادهم في حصرتهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتماهدوا وتعاقبوا على حرب المسلمين، وأن يقصدوا البصرة.

استأنس به. فقال له عمر: إني قاتلك، فقال إنك أمتي. قال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ويحك يأنس أنا أومن من قتل مجزأة والبراء؟ لتأتيني بمخرج وإلا عاقبتك، قال: قلت: لا بأس عليك حتى تخبرني. وقلت لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له: من حوله مثل ذلك. فأقبل على الهرمزان فقال: خدعتني والله لا اتخذ إلا أن تسلم. فأسلم ففرض له في القين وأنزله المدينة. وفي رواية أن الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان المغيرة بن شعبة، فقال له عمر: قل له: من أي أرض أنت؟ قال مهرجاني. قال: تكلم بحجتك. فقال: أكلام حسي أم ميت؟ قال: بل كلام حسي. فقال: قد أميتي، فقال: خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم. فأسلم ففرض له في القين وأنزله المدينة. ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً. قلت: وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر فاتهمه بعض الناس بمالأة أبي لؤلؤة هو وجفينة، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله.

وقد روي أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال: لا إله إلا الله. وأما جفينة فصلب على وجهه.

والقصد أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسعهم في الفتوحات فإن الملك يزدجرد لا يزال يستحثهم على قتال المسلمين، وإن لم يتواصل شأوا العجم وإلا طعموا في الإسلام وأمله، فاستحسن عمر ذلك منه وصوبه. وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً، ولله الحمد. وأكثر ذلك وقع في سنة ثمان عشرة كما سيأتي بيانه فيها.

ثم تعود إلى فتح السوس وجنديسابور وفتح نهاوند في قول سيف. كان قد تقدم أن أبا سيرة سار بمن معه من عليه الأمراء من تستر إلى السوس، فتألفا حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا: يا معشر المسلمين لا تتعربوا في حصار هذا البلد فإن تأثر فيما نرويه عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتحه إلا الدجال أو قوم معهم الدجال، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صياد، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره، فجاء إلى الباب فرفسه برجله فتقطعت السلاسل، وتكسرت الأغلاق، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالامان ودعوا إلى الصلح فاجابوهم إلى ذلك، وكان على السوس شهريار أخو الهرمزان، فاستحوذ المسلمون على السوس، وهو بلد قديم العمارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم. وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضي أبي سيرة إلى جنديسابور، كتب إلى عمر في أمره فكُتب إليه أن يلفته وأن يثيب عن الناس موضع قبره، ففعل. وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر والله الحمد.

قال ابن جرير: وقال بعضهم إن فتح السوس ورامهر وتسير الهرمزان من تستر إلى عمر في سنة عشرين والله أعلم. وكان الكتاب العمري قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فصار إليها فمر بماء - بلدة كبيرة قبلها - فالتفتها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها والله الحمد.

قلت: المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك، وهي وقعة عظيمة وفتح كبير، وخير غريب ونبا عجيب، وفتح زر بن عبد الله النخعي مدينة جنديسابور فاستوتقت تلك البلاد للمسلمين. هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد، ومن ذلك البلد

والقصد أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال من ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا ثلاثة أو ثلاثة، قال لهم بعدما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور رحمهما الله: إن ممي جمعة فيها مائة سهم، وإنه لا يقدم لي أحد منكم إلا رميته بسهم قتلته، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم، فمأنا يتبعكم إن أسرموني بعد ما قتل منكم مائة رجل؟ قالوا: فمأنا تريد؟ قال: تؤمنوني حتى أسلمكم يدي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم في بما يشاء. فأجابوه إلى ذلك فالتقى قوسه ونشابه وأسروه فشدوه وثاقاً وأرصدوه ليعثوه إلى أمير المؤمنين عمر، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقسموا أربعة أخماسه فال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم.

فتح السوس

ثم ركب أبو سيرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنعمان بن مقرن، واستصحبوا معهم الهرمزان، وساروا في طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس، فحاصطوا بها. وكتب أبو سيرة إلى عمر ففجأ الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة، وأمر عمر زد بن عبيد الله كليب النخعي - وهو صحابي - أن يسير إلى جنديسابور، فسار. ثم بعث أبو سيرة بالخمسة والهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، فلما اقتربوا من المدينة هينوا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللاكي. ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فقيموا به منزل أمير المؤمنين فسألوا عنه فقالوا: إنه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة. فجاؤوا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا، فإذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا: إنه نائم في المسجد متوسد برنسا له فرجعوا إلى المسجد فإذا هو متوسد برنسا له كان قد لبسه للوفد، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس في المسجد غيره، والدرة معلقة في يده. فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا. وجعل الناس يخفزون أصواتهم لئلا ينبهوه، وجعل الهرمزان يقول: وأين حجابي؟ أين حرسه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا حرس، ولا كاتب ولا ديوان. فقال: ينبغي أن يكون نبياً. فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء. وكبر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال: أعوذ بالله من النار وأستعين بالله. ثم قال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشاعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واعتدوا بهدي نبيكم، ولا تطرنكم الدنيا فانها غدارة. فقال له الوفد: هذا ملك الأمواز نكلمه. فقال: لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء. ففعلوا ذلك والبسوه ثوباً صفيقاً، فقال عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر: إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلق بيننا وبينكم غلبيتكم، إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا. في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتا. ثم قال: ما عذرك وما حجتك في انقراضك مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك. فاستسقى الهرمزان ماء فأتى به في قدح غليظ، فقال: لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا. فأتى به في قدح آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد، وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه فأكفاه. فقال عمر: أعيته عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش. فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن

أماكنهم.

قال الشافعي: بلغني أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة: لقد أملت منك ولأنك لابن حرة. أي واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنت إليهم. وقد روي أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرماة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في مناهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاً لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاً لأمة محمد. فبعث إليه كل واحد منهما بقاتلة عظيمة تحمل البر وسائر الاطعمات، ووصلت مرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة. وهذا الأثر جيد الإسناد، لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرماة مشكلاً، فإن مصر لم تكن تفتح في سنة ثمانى عشرة، فاما أن يكون عام الرماة بعد سنة ثمانى عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرماة وهم والله أعلم.

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فسلح عليه عمر حتى قبلها.

وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي الجبال والريح وأبي عثمان وأبي حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي قالوا: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفرأ من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل، فسألناهم فقالوا: خيرنا فاخترنا قال فهل أئتم متهمون؟ ولم يعزم. فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم، وأن المعنى: فهل أئتم متهمون أي انتهوا. وأجمعوا على جلدتهم ثمانين ثمانين. وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم، وإن قالوا هي حرام فاجلدتهم. فاعتزف القوم بتحريمها، فجلدوا الحد ونلوا على ما كان منهم من اللجاجة فيما قالوه، حتى وسوس أبو جندل في نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك؟ وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكره، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك، من عمر إلى أبي جندل، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فب وأرفع رأسك وابرز ولا تقط فان الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وكتب عمر إلى الناس: إن عليكم أنفسكم ومن غير فغفروا عليه، ولا تعيروا أحداً فيفتشوا فيكم البلاء، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك:

ألم تر أن الدهر يعثر بعثر بالفتى وليس على صرف المنون بقادر صبرت ولم اجزغ وقد مات إخواتي ولست عن الصباه يوماً بصابر رماها أمير المؤمنين بحفها فغلانها يكون حول المقاصر

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كان عام الرماة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثمانى عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، فكان الناس بذلك وعمر كالحصير عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فستان على عمر فقال: أنا رسول رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ «لقد

إلى غيره حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان، وقد كان صرف طائفة من أشراف أصحابه قريبا من ثلثمائة من الغنم عليهم رجل يقال له سياه، فكانوا يقرن من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخر، فقال سياه لأصحابه: إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك الأتقيين، ولا يلقون جنأ إلا كسروه، والله ما هذا عن باطل. - ودخل في قلبه الإسلام وعظمته - فقالوا له: نحن تبع لك. وبعث عمر ابن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري بإسلامهم (وكتب فيهم إلى عمر في ذلك، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين، وفرض لسنة منهم في ألفين وخمسمائة، وحسن إسلامهم) وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم، ففتحوا إليه باب الحصن لياؤوه فتار إلى البواب فقتله، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن، وقتلوا من فيه من الجوس. إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأخفش بن قيس، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة في السنة المستقبلية بعدها كما سنينه ونبه عليه ولله الحمد والمنة.

قال: وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ثم ذكر نوابه على البلاد، وهم من ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فإن على البصرة يبدل أبو موسى الأشعري.

قلت: وقد توفي في هذه السنة أقوام قبل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم، وقيل فيما بعدها وسيأتي ذكرهم في أماكنهم والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة

المشهور الذي عليه الجمهور أن طاعون عمواس كان بها، وقد تبعا قول سيف بن عمر وابن جرير في إيراد ذلك في السنة التي قبلها، لكنها تذكر وفاة من مات في الطاعون في هذه السنة إن شاء الله تعالى، قال ابن إسحاق، وأبو معشر: كان في هذه السنة طاعون عمواس وعام الرماة، فتقانى فيهما الناس.

قلت: كان في عام الرماة جذب عم أرض الحجاز، وجاع الناس جوعاً شديداً. وقد بسطنا القول في ذلك في سيرة عمر.

وسميت عام الرماة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شيباً بالرماد. وقيل: لأنها تسفي الريح تراباً كالرماد. ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم. وقد أجلبت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فاجزوا إلى أمير المؤمنين فاتفق فيهم من حواصل بيت المال بما فيه من الأطعمة والأموال حتى اتفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يث له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرماة يث له بالزيت والحل، وكان يستمرئ الزيت. وكان لا يشيع مع ذلك، فاسود لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يمشى عليه من الضعف. واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة، وانتشر الناس عن المدينة إلى

صوتاً: أتاك الغوث أباً حفص، أتاك الغوث أباً حفص. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال: خرج عمر يستقي بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا يا أمير المؤمنين ما نراك استقيت. فقال: لقد طلبت المطر بمحاديث السماء التي يستزل بها المطر ثم قرأ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُمْطِرَاتٍ﴾ [نوح: ١١] ثم قرأ ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] الآية.

قال الواقدي وغيره: وفي هذه السنة في ذي الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقاً بجدار الكعبة - فاخره إلى حيث هو الآن لئلا يشوش المصلون عنده على الطائفتين. قلت: قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر ولله الحمد والملة، قال: وفيها استقصى عمر شريحاً على الكوفة، وكعب بن سور على البصرة قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم في السنة الماضية وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يدي عياض بن غنم قال: وفتحت رأس عين الرودة على يدي عمر بن سعد بن أبي وقاص. وقال غيره خلاف ذلك. وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه: وفيها - يعني هذه السنة - انتصح أبو موسى الأشعري الرهاوشمشاط عنوة، وفي أوائها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبو موسى فافتتحا حران ونصيبين واطاعة من الجزيرة عنوة، وقيل صلحاً. وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وما حولها عنوة. وفيها بنى سعد جامع الكوفة. وقال الواقدي: وفيها كان طاعون عمواس فمات فيه خمسة وعشرون ألفاً. قلت: هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس - وهي بين القلس والرملة - لأنها كان أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها، فإن الله وإنا إليه راجعون. قال الواقدي توفي: في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفاً. وقال غيره: ثلاثون ألفاً.

وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضي الله عنهم

■ الحارث بن هشام: أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح، وكان سيداً شريفاً في الإسلام كما كان في الجاهلية، استشهد بالشام في هذه السنة في قول، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة.

■ شرحبيل بن حسنة: أحد أمراء الأرباع، وهو أمير فلسطين، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندي حليف بني زهرة، وحسنة أمه، نسب إليها وغلب عليه ذلك. أسلم قديماً وهاجر إلى الحيرة وجهزه الصديق إلى الشام، فكان أميراً على ربع الجيش، وكذلك في الدولة العمرية، وطعن هو وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثمانى عشرة. له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الرضوخ وغيره.

■ عامر بن عبد الله بن الجراح: ابن هلال بن أميب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد، وهم عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح. أسلموا على يدي الصديق. ولما هاجروا أتى رسول الله ﷺ بيته وبين سعد بن معاذ وقيل: بين محمد بن مسلمة. وقد شهد بدرًا وما بعدها، وقال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» ثبت ذلك

عنه ذلك كياً، وما زلت على ذلك، فما شأنك؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البرحة. فخرج فنادي في الناس الصلاة جماعة، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذبة وفية. قالوا: صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين. فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف. ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء. وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغثوا أهل المدينة ومن حولها، فإنه قد بلغ جهدهم. وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج مع العباس بن عبد المطلب ماشياً، فخطب وأوجز وصى ثم جثى لركبته وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا. ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران.

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً من مزينة عام الرماة سأل أمله أن يبيع لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء. فالحوا عليه فبيع شاة فإذا عظامها حمر فقال يا محمداه. فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له: «أبشر بالحياة، أتت عمر فآقرته مني السلام وقل له إن عهدي بك وفي العهد شليد العقد، فالكيس الكيس يا عمر، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول الله ﷺ. فأتى عمر فآقره ففرج ثم سعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذي هلككم للإسلام هل رأيتم مني شيئاً تكروهنه؟ فقالوا: اللهم لا، وعم ذاك؟ فآخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - فظنوا ولم يظن. فقالوا: إنما استبطاك في الاستسقاء فلمستق بنا. فنادي في الناس فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال: اللهم عجرت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا وأحي العباد والبلاد.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالوا: حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي النحلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «إيت عمر فآقره مني السلام وآخبرهم أنهم مسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس». فأتى الرجل فآخبر عمر فقال: يا رب ما أكرأ إلا ما عجرت عنه. وهذا إسناد صحيح.

وقال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو محمد الأنصاري ثنا أبي عن ثمامة بن عبد الله ابن أنس، عن أنس أن عمر خرج يستقي وخرج بالعباس معه يستقي يقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنيينا، وإنا توسل إليك بعم نبينا ﷺ. وقد رواه البخاري عن الحسن ابن محمد عن محمد بن عبد الله به ولفظه عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستقي بالعباس ابن عبد المطلب فيقول: اللهم إنا كنا توسل إليك بنيينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاستقنا. قال: فيسقون. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا - في كتاب المطر وفي كتاب مجابي الدعوة - حدثنا أبو بكر التيسابوري حدثنا عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير قال: خرج عمر يستقي بهم فصلى ركعتين فقال: اللهم إنا نستغفرك ونستغفرك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب فقالوا: يا أمير المؤمنين يئنا نحن في واديها في ساعة كنا إذ اطلت غمامة فسمعنا منها

وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال له: «م تحكم؟» فقال: بكتاب الله. الحديث.

وكنك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن. ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعدما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده في هذه السنة. وقد قال عمر بن الخطاب: إن معاذاً يبعث أمام العلماء بَرْتوة.

ورواه محمد بن كعب مرسلًا.

وقال ابن مسعود: كنا ننشبه بإبراهيم الخليل [المشرك: ٢٧٢/٣].

وقال ابن مسعود: إن معاذاً كان قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين [المشرك: ٢٧١/٣-٢٧٢].

وكانت وفاته شرقي غور بيسان سنة ثمان عشرة. وقيل: سنة تسع عشرة وقيل: سبع عشرة، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور وقيل: غير ذلك والله أعلم.

■ يزيد بن أبي سفيان: أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أخو معاوية، وكان يزيد أكبر وأفضل. وكان يقال له يزيد الخير، أسلم عام الفتح، وحضر حنيناً وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل وأربعين أوقية، واستعمله الصديق على ريع الجيش إلى الشام، وهو أول أمير وصل إلى إليها، ومضى الصديق في ركابه يوصيه، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشريحيل بن حسنة فهؤلاء أمراء الأرياع. ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الحلبية الصغير عنوة كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوة وكان الصديق قد وعده بامرئها، فولها عن أمر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق، وكان أول من ولها من المسلمين.

المشهور أنه مات في طاعون عمواس كما تقدم. وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعدما فتح قيسارية. ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضي الله عنهم.

وليس له في الكتب [له عند ابن ماجه (٤٥٥)] شيء. وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذي لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لايفنيان عنه شيئاً» [الطبري الكبير للبخاري: ٢٠/٤].

■ أبو جندل بن سهيل بن عمرو: وقيل: اسمه العاص. أسلم قديماً وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلماً يرسف في قيوده لأنه كان قد استضعف فرده أبوه وأبى أن يصلح حتى يرد، ثم لحق أبو جندل بأبي بصير إلى سيف البحر، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام. وقد تقدم أنه تأول آية الحمر ثم رجع، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضي عنه.

■ أبو عبيدة بن الجراح: هو عامر بن عبد الله تقدم.

■ أبو مالك الأشعري: قيل: اسمه كعب بن عاصم. قدم مهاجراً سنة خير مع أصحاب السفينة، وشهد مابعدا، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين.

ثم دخلت سنة تسع عشرة

قال الواقدي وغيره: كان فتح المدائن وجولاء فيها. والمشهور خلاف ما قال كما تقدم.

في الصحيحين [ج ٣٧٤٤، ٢٤١٩].

وثبت في الصحيحين [ج ٦٨٣٠، ١٦٩١] أيضاً أن الصديق قال يوم السقيفة: وقد رزيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوه - يعني عمر بن الخطاب وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ريع الجيش إلى الشام، ثم لما انتدب خالداً من العراق كان أميراً على أبي عبيدة وغيره لعلمه بالخراب. فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالداً وولى أبا عبيدة بن الجراح، وأمره أن يستشير خالداً، فجمع للأمة بين أمارة أبي عبيدة وشجاعة خالد.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٤٧٧/٢٥]: وهو أول من سمي أمير الأمراء بالشام.

قالوا: وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أجناً معروق الوجه، خفيف اللحية، أحم، وذلك لأنه لما انتزع الحلقين من وجنتي رسول الله ﷺ يوم أحد خاف أن يولم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيته فسقطتا، فما رني أحسن همتاً منه.

توفي بالطاعون عام عمواس كما تقدم سيقاً في سنة سبع عشرة عن سيف بن عمر - والصحيح أن عمواس كانت في هذه السنة سنة ثمان عشرة - بقرية فحل، وقيل: بالحلب.

وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة عُميّاه بالغور ينسب إليه. والله أعلم.

وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة.

■ الفضل بن عباس بن عبد المطلب: كان حسناً وسيماً جليلاً، أرفقه رسول الله ﷺ ورواه يوم حجة الوداع، وهو شاب حسن، وقد شهد فتح الشام، واستشهد بطاعون عمواس، في قول محمد بن سعد [الطبقات: ٣٩٩/٧، ٥٥/٤] والزيبر بن بكار وأبي حاتم [المرجع والمصنل: ١٦٣/٧] وابن البرقي وهو الصحيح. وقيل يوم مرج الصفر، وقيل: بأجنادين. ويقال: بالبرموك، ويقال: سنة ثمان وعشرين.

■ معاذ بن جبل: بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أد بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني صحابي جليل كبير القدر.

قال الواقدي: كان طوالاً حسن الشعر والثغر براق الثنايا، لم يولد له. وقال غيره: بل ولد له ولد وهو عبد الرحمن. شهد معه البرموك. وقد شهد معاذ النقية. ولما هاجر الناس أخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود. حكى الواقدي الإجماع على ذلك.

وقد قال محمد بن إسحاق: أخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد بدرًا وما بعدها. وكان أحد الأربعة من الخزرج، الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد غم أنس بن مالك.

وصح في الحديث الذي رواه أبو داود [١٥٢٣] والنسائي [١٣٠٢] من حديث حيوة بن شريح عن عتبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الحنلي عن الصائهي. عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال له: «يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول في دير كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وفي المسند [٢٨١٠، ١٨٤/٣] والنسائي [كسرى: ٨٢٤٢، ٨٢٨٧] وابن ماجه [١٢٥] من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل.

له فإن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال: وسماي لك؟ قال: «نعم» فنذرت عيناه. وقد تكلمنا على ذلك في التفسير عند سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَكِنِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٢١]. قال الهيثم بن عدي: توفي أبي سنة تسع عشرة.

وقال يحيى بن معين: سنة تسع عشرة أو عشرين. وقال الواقدي عن غير واحد: توفي سنة اثنين وعشرين. وبه قال أبو عبيد وابن غير جماعة.

وقال الفلاس وخليفة (رحمته: ١٧٧/١): توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفيها مات

■ خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدرًا وما بعدها، وهو صحابي من السابقين وصلى عليه عمر. ومات فيها
■ صفوان بن المعطل في قول كما تقدم والله أعلم.

سنة عشرين من الهجرة

قال محمد بن إسحاق: فيها كان فتح مصر. وكذا قال الواقدي: إنها فتحت هي والإسكندرية في هذه السنة.

وقال أبو معشر: فتحت مصر سنة عشرين، والإسكندرية في سنة خمس وعشرين.

وقال سيف: فتحت مصر والإسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها.

ورجح ذلك أبو الحسن بن الأثير في الكامل (٥٦٤/٢) لقصة بعث عمرو بن العاص الميرة من مصر عام الرمادة، وهو معزور فيما رجحه والله أعلم.

وفيها كان فتح تستر في قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة ستين وقيل: سنة ونصف والله أعلم.

صفة فتح مصر مجموعاً من كلام ابن

إسحاق وسيف وغيرهما

قالوا (رحمهم الطوي: ١٠٤/٤) وما بعدها: لما استكمل المسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر - وزعم سيف أنه بعث بعد فتح بيت المقدس - وأرذفه بالزير بن العوام وفي صحبه بشر بن أرطاة، وخارجة بن حنيفة، وعمر بن وهب الجمحي. فاجتمعوا على باب مصر فلقبهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريم في أهل الثبات، بعثه المقوقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نغزى إليكم، ليبرز لي أبو مريم وأبو مريم راهبا هذه البلاد، فبرزوا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أتتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعتدال إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه ففتنناه، ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم، وأوصانا بكم

وقال محمد بن إسحاق: كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين في هذه السنة وقد خالفه غيره.

وقال أبو معشر وخليفة وابن الكلبي: كان فتح قيسارية في هذه السنة وأميرها معاوية.

وقال غيره: يزيد بن أبي سفيان. وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بستين.

وقال محمد بن إسحاق: كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين.

وقال سيف بن عمر: كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة.

قال ابن جرير (رحمته: ١٠٢/٤): فأما فتح قيسارية فقد تقدم، وأما فتح مصر فإني سأذكره في سنة عشرين إن شاء الله تعالى.

قال الواقدي: وفي هذه السنة ظهرت نار من حرّة ليلى فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفت والله الحمد.

ويقال: كان فيها وقعة إرمينية، وأميرها عثمان بن أبي العاص، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي ثم الذكواني، وكان أحد الأمراء يومئذ. وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «ما علمت عليه إلا

خيراً» (بخ: ٤٤٤١)، وهو الذي ذكره المناقبون في قصة الإفك فبرأ الله ساحته، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ ما قالوا. وقد كان

إلى حين قالوا ما قالوا لم يتزوج، ولهذا قال: «والله ما كشفت كنف انثى قط» (بخ: ١٢٦٩)، ثم تزوج بعد ذلك، وكان كثير النوم ربما غلبه

عن صلاة الصبح في وقتها، كما جاء في سنن أبي داود [٢٤٥٩] وغيره [مسند أحمد: ٨٠/٣]. وكان شاعراً ثم حصلت له شهادة في سبيل الله. قيل:

بهذا البلد، وقيل: بالجزيرة، وقيل: بسيساط. وقد تقدم بعض هذا فيما سلف.

وفيها تحت تكريت في قول والصحيح قبل ذلك.

وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حنيفة.

وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير الجيوش شهرك، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه.

قال ابن جرير (رحمته: ١٠٣/٤) وفيها حج بالناس عمر، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبي بن كعب: سيد القراء، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن

زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر وأبو الطفيل، الأنصاري النجاري سيد القراء شهد العقبة وبدرًا وما بعدهما، وكان سيداً

جليل القدر. وهو أحد القراء الأربعة الخزرجين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وقد قال لعمر يوماً: «إني تلقيت القرآن من تلقاء من

جبريل وهو رطب» [مسند أحمد: ١١٧/٥].

وفي المسند (١٨٤/٣)، والنسائي (كبرى: ٨٢٤٥) وابن ماجه (١٥٤، ١٥٥) من طريق أبي قلابه عن أنس مرفوعاً: «أقرأ أمي أبي بن

كعب».

وفي الصحيح (خ: ٤٩٥٩-٤٩٦١)، م (٧٩٩) أن رسول الله ﷺ قال

الإسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم - فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دوله وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقبض وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم، والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم. ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول: إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلي منكم - فارس والروم - ثم صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع القوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمر يُثَرِّمهم ويحثهم على الثبات: فقال له رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد فقال له عمرو: اسكت، فإنما أتت كلب. فقال له الرجل: فأتت إذا كبر الكلاب. فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله ﷺ فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو: تقدموا فيكم ينصر الله المسلمين. فنهضوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر.

قال سيف: ففتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الإسلام والله الحمد والمثله.

وقال غيره: فتحت مصر في سنة عشرين، وفتحت إسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة، وقيل: صلحا على اثني عشر ألف دينار.

وقد ذكر أن القوقس سأل من عمرو أن يُهادنه أولاً، فلم يقبل عمرو وقال له: قد علمت ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل. فقال القوقس لأصحابه: صدق فنحن أحق بالإذعان. ثم صالح على ما تقدم.

وذكر غيره أن عمرو والزبير سارا إلى عين شمس فحاصراها وأن عمرواً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فقال كل منهما لأهل بلده: إن نزلتم فلکم الأمان. فترصوا ماذا يكون من أهل عين شمس، فلما صالحوا صالح الباقون. وقد قال عوف بن مالك لأهل إسكندرية: ما أحسن بلدكم؟ فقالوا: إن إسكندر لما بناها قال: لأبنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس. فبقيت بهجتها. وقال أبرهة لأهل الفرما: ما أجعب مدنتكم؟ فقالوا: إن الفرما - وهو أخو الإسكندر - لما بناها قال: لأبنين مدينة غنية عن الله فقيرة إلى الناس. فهي لا يزال ساقطاً بناؤها فشوت بذلك.

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رؤوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة. وأقر ذلك عثمان بن عفان وولاء الأمور بعده، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضاً نظراً لهم، وإبقاء لعهدهم.

قلت: وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص، وذلك أنه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم، وبنى الناس حوله، وتزكت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم، ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامع وهو المشوب إليه اليوم.

وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة، وأصبحت أعين كثيرة، لجودة رمي النوبة قسموهم. جند الحلق. ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمثله.

وقد اختلف في بلاد مصر فقيل: تحت صلحا إلا الإسكندرية، وهو قول يزيد بن أبي حبيب. وقيل: كلها عنوة وهو قول ابن عمر وجماعة.

حفظاً لرحنا منكم، وأن لكم إن اجتمعونا بذلك ذمة إلى ذمة. وعما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقيطين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقيطين خيراً، لأن لهم رحماً وذمة. فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل شَفْ وملكهم فيهم فاديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغترفوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً. أشأ حتى نرجع إليك، فقال عمرو: إن مثلي لا ينجح ولكي أوجلكما ثلاثاً لتنظروا ولتناظرا قورمكما وإلا ناجزكم. قالوا: زدنا، فزادهم يوماً، فقالوا: زدنا. فزادهم يوماً. فرجعوا إلى القوقس فأبى الأرطون أن يبيحهما وأمر بمهادنتهم، فقال لأهل مصر: أما نحن فنجهت أن نمنع عنكم ولا نرجع إليهم. وقد بقيت أربعة أيام. وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين، فقال الملا منهم: ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقبض وغلبوهم على بلادهم؟! فالتح الأرطون أن أن يبيتوا للمسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطون.

وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع. وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فأمضوا الصلح.

وكتب لهم عمرو كتاب أمان: بسم الله الرحمن الرحيم: هنا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبجرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا يتنقص ولا يساكنهم النوبة، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم حسين ألف ألف عليهم ما جئى لُصُونُهم، فإن أبى أحد منهم أن يبيح رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وفمتا عن أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غائبه إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة، فله مثل ما لم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمته أو يخرج من سلطنتنا، عليهم بما عليهم ثلاثاً، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكنا وكنا رؤساء، وكنا وكنا فرساً على أن لا يُغزوا ولا يمتعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنه وكتب وردان وحضر.

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وغفروا الفسطاط، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة. فأبى عمرو أن يردها عليهما، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمتهو فيها أن يرد عليهم، وكل سبي أخذ عن من يقتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سبياه.

وقيل: إنه أمره أن يحمروا من في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله، فمن اختار الإسلام فلا يردوه إليهم، ومن اختارهم رده عليهم وأخذوا منه الجزية، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما، فإنه لا يقدر على ردهم ولا يبنين أن يصلحهم على ما يتعذر الوفاء به. ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانتقد الصلح بينهم.

ثم أرسل عمرو جيشاً إلى إسكندرية - وكان القوقس صاحب

وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال: ما قعدت مقعدي هذا ولاحد من القبط عندي عهد؛ إن شئت قتلْتُ، وإن شئت بعث وإن شئت خست إلا لأهل أنطاكس فإن لهم عهداً نفي به.

قصة نيل مصر

روينا من طريق ابن هبة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤنة من أشهر العجم - فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والنياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فاقاموا بؤنة وأبيب ويسرى والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت إني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي، فالتقها في النيل.

فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من يئلك فلا تخبر، وإن كان الله الواحد القهار، هو الذي يبريك ففسال الله تعالى أن يجريك قال: فالتقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم (صرح مصر لابن عبد الحكم ١٥٠، ١٥١، نظم لابن المجرى ٢٩٤/٤).

قال سيف بن عمر: وفي ذي القعدة من هذه السنة - وهي عنده سنة ست عشرة - جعل عمر المسالح على أرجاء مصر، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر.

قال ابن جرير (١١٢/٤): وفي هذه السنة غزا أرض الروم أبو بكرة عبد الله بن قيس الكندي - وهو أول من دخلها فيما قيل - فسلم وغنم وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي.

قال الواقدي: وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين، وحلته في الشراب. وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة النوسي رضي الله عنه. قال: وفيها شكاه أهل الكوفة سعداً في كل شيء، حتى قالوا: لا يحسن يصلي، فعزل عنها وولى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتيان - وكان نائب سعد - وقيل: بل ولاهما عمار بن ياسر.

وقال الإمام أحمد (١٧٩/١): حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة. قال: شكاه أهل الكوفة سعداً إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن يصلي، قال: الأعراب! والله ما أكو بهم عن صلاة رسول الله ﷺ في الظهر والعصر، أركد في الأوليين وأجلوف في الأخريتين. فسمعت عمر يقول: كذا الظن بك يا أبا إسحاق.

وفي صحيح مسلم (٤٥٣/٤) (١٥٨) مختصراً، وهو بطولية عند (٧٥٥) بنحوه أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأتوا خيراً إلا رجلاً يقال له: أبو سعدة أسامة بن قتادة قام فقال: أما إذ أتشدلتا فإن سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية، ولا يخرج في السرية. فقال سعد: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه للفن. فأصابته دعوة سعد - فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عييه، ويتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن، فيقال له في ذلك، فيقول: شيخ

كبير مفتون أصابته دعوة سعد.

وقد قال عمر في وصيته - وذكره في السنة - فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلا فليستن به أيكم ولي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة (ج ٣٧٠).

قال: وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أنذعات وغيرها، وفيها أجلى عمر يهود نجران منها أيضاً إلى الكوفة، وقسم خيبر، ووادي القرى، ونجران بين المسلمين.

قال: وفيها دون عمر الدواوين، وزعم غيره أنه دونها قبل ذلك فآله أعلم.

قال: وفيها بعث عمر حلقمة بن مجزئ المدلجي إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فأل عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعد.

وقد خالف الواقدي في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين - يعني في خلافة عثمان بن عفان - والله أعلم.

قال الواقدي: وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة. التي مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون. وهي أخت خالد بن الوليد.

قال: وفيها مات بلال بدمشق، وأسيد بن الحضير في شعبان، وزينب بنت جحش أم المؤمنين. وهي أول من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنها.

قال: وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم في النى قبلها. سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره.

ذكر المتوفين في هذه السنة من الأعيان

■ أسيد بن الحضير ابن سماك الأنصاري الأشهلي من الأوس، أبو يحيى أحد الثقباء ليلة العقبة، وكان أبوه رئيس الأوس يوم بعاث، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتاب، يقال: إنه أسلم على يدي مصعب بن عمير. ولا هاجر الناس أخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، ولم يشهد بدلاً.

وفي الحديث الذي صححه الترمذي (٣٧٩٥) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: فتنم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أسيد بن الحضير، وذكر جماعة.

وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة، وعلى سعد بن معاذ، وعباد بن بشر، رضي الله عنهم.

وذكر ابن بكير أنه توفي بالمدينة سنة عشرين، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفنه بالبقيع، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدي وأبو عبيد وجماعة.

■ أنيس بن مرلد بن أبي مرلد الفتوي: هو وأبوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا لرسول الله ﷺ يوم حنين، يقال إنه الذي قال له رسول الله ﷺ «أعد يا أنيس إلى امرأة هنا فان اعترفت فارجمها» (ج ٢٣٤)، (١٩٩٧) (١٩٩٨) والصحيح أنه غيره، فإن في الحديث: فقال لرجل من أسلم.

فقيل: إنه أنيس بن الضحاك الأسلمي.

وقد مال ابن الأثير (إسـد الباب: ١٥٧/١) إلى ترجيحه والله أعلم. له

لئن لم يَأْذَنْ لِي لَأَخْذَنْ يَدَ بَنِي هَذَا - لَوْلَدَ مَعَهُ صَغِيرٌ - فَلَاذْنَيْنِ فَلَا يَدْرِي أَيْنَ أَذْهَبَ. فَرَفَعَ حَيْثُ لَهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَذْنُ لَهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَيْنٍ وَكَانَ أَخَذًا بِلِجَامٍ بَعَثَهُ يَوْمَئِذٍ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبَهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ خَلْفًا مِنْ حِمْرَةٍ» وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْنَ تَوَفَّى بِقَصِيدَةٍ ذَكَرْنَاهَا فِيمَا سَلَفَ وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

أَوْقَسْتُ فَبَاتَ لِي لَيْسِي لَا يَسْزُولُ وَلَيْلٌ أُنْخِي الْمَصِيئَةَ فِيهِ طَوْلُ
وَأَسْمَعُنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا أَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
فَقَدْ عَظُمْتُ مَصِيبَتًا وَجَلْتُ عَشِيَّةً قَبِيلُ قَدْ قَبِضَ الرَّسُولُ
فَقَلْنَا الْوَحْيَ وَالتَّزْوِيلَ فِيمَا يَرْوَحُ بِهِ وَيَنْدُو جَبْرِيلُ
ذَكَرُوا أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ حَجَّ فَلَمَّا حَلَقَ رَأْسَهُ قَطَعَ الْحَالِقُ ثَوْلًا لَهُ فِي رَأْسِهِ فَمَرَضَ مِنْهُ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ مَرْجَعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَخَاهُ تَوْفَلَ تَوَفَّى قَبْلَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ: هُوَ مَالِكُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ زَعْرَوَانَ بْنِ جِشْمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ نَقِيًّا، وَشَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، وَمَاتَ سَنَةَ عَشْرِينَ، وَقِيلَ: [إِحْدَى وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ شَهِدَ صَفِينَ مَعَ عَلِيٍّ.

قال ابن الأثير (أسد الغابة: ٣٢٤/٦) وهو الأكثر. وقد ذكره شيخنا [تاريخ الإسلام: ٢٢١] هنا فإلله أعلم.

■ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ بْنِ رِيَابِ الْأَسَدِيَّةِ: مِنْ أَسَدِ خِزْمَةَ أَوَّلِ أَهْمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاتَتْ، أُمُّهَا أُمَيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَانَ اسْمُهَا بَرَّةً، فَسَمَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ، وَتَكَنَّى أُمَ الْحَكَمِ، وَهِيَ الَّتِي زَوَّجَهُ اللَّهُ بِهَا، وَكَانَتْ تَنْخَرُ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: زَوَّجَكَنِي اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَسَتْ رَيْدَتْ مِنْهَا وَلَطَرًا وَرَجَأَ كَهَا﴾ [الاحزاب: ٣٧]. وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، فَلَمَّا طَلَّقَهَا تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَقِيلَ: أَرْبَعٍ وَهُوَ الْأَشْهُرُ وَقِيلَ: سَنَةِ خَمْسٍ. وَفِي دُخُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا نَزَلَ الْحِجَابُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسَامِي عَائِشَةَ بِنْتَ الصَّدِيقِ فِي الْجَمَالَ وَالْحُظْرَةَ، وَكَانَتْ دِينَةً وَرَعَةً عَابِدَةً كَثِيرَةَ الصَّدَقَةِ. وَذَاكَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَسْرَعُكُمْ خَلْقًا بَنِي أَطُولُكُمْ يَدًا» أَيْ بِالصَّدَقَةِ. وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعًا تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَصَدَّقُ عَلَى الْفُقَرَاءِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً قَطَّ خَيْرًا فِي الدِّينِ وَأَمَنَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ أَمَانَةً وَصَدَقَةً مِنْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ. وَلَمْ تَحْجِ بَعْدَ حِجَةِ الْوَدَاعِ لَا هِيَ وَلَا سَوْدَةُ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَزْوَاجِهِ: «هَذِهِ ثُمَّ ظَهَرَ الْحَصْرُ» [١٧٢٢].

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَكُنْ يَخْرُجْنَ إِلَى الْحَجِّ وَقَالَتْ زَيْنَبُ وَسَوْدَةُ: وَاللَّهِ لَا تَحْرُكُنَا بَعْدَهُ دَابَّةٌ [مسند أحمد: ٣٢٤/٦].

قالوا: وَيَعْتَزُّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِهَا فَرَضَهَا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا فَتَصَدَّقَتْ بِهِ فِي أَقَارِبِهَا. ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا يَدْرِكُنِي عَطَاءُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا. فَمَاتَتْ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ. وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ صَنَعَ لَهَا النَعَشَ، وَدَفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

■ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ: عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ أُمُّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ، وَهِيَ شَقِيقَةُ حِزَّةِ وَالْمَقْرَمِ وَحَبْلُ، أَهْمُهَا هَالَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ

حَدِيثٍ فِي الْفَتَنَةِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذَرِ: تَوَفَّى فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرِينَ. ■ بِلَالُ بْنُ أَبِي رِيَاحٍ الْحِشْيِيُّ الْمُؤَذِّنُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ: وَيُقَالُ لَهُ بِلَالُ بْنُ حَمَامَةَ. وَهِيَ أُمُّهُ. أَسْلَمَ قَدِيمًا فَمَلَبَّزَ فِي اللَّهِ فَصَبَرَ فَاشْتَرَاهُ الصَّدِيقُ فَأَعْتَقَهُ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا. وَكَانَ عَمْرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدَنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [٣٧٥٤].

وَلَمَّا شَرَعَ الْأَذَانُ بِالْمَدِينَةِ كَانَ هُوَ الَّذِي يُؤَذِّنُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ يَتَاوَنَانِ. ثَارَةً هَذَا وَثَارَةً هَذَا، وَكَانَ بِلَالُ نَدَى الصَّوْتِ حَسَنَةً، فَصِيحًا وَمَا يَرَوِي «إِنَّ سَيِّدَ بِلَالٍ عِنْدَ اللَّهِ شَيْنٌ» فَلَيْسَ لَهُ أَصْل. وَقَدْ أَذِنَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى ظَهْرِ الْكُمَيْتِ. وَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ الْأَذَانَ، وَيُقَالُ: أَذِنَ لِلصَّدِيقِ أَيَّامَ خِلَاتِهِ وَلَا يَصُحُّ.

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ مُجَاهِدًا، وَلَمَّا قَدِمَ عَمْرٌ إِلَى الْجَلْيَةِ أَذِنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ الْخُطْبَةِ لَصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَاتَّحَبَّ النَّاسُ بِالْبُكَاءِ. وَقِيلَ إِنَّهُ زَارَ الْمَدِينَةَ فِي عُيُونِ ذَلِكَ؛ فَأَذِنَ فَبَكَى النَّاسُ بِكَاءٍ شَدِيدًا وَيَقِفُ لَهُمْ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَثَبِتَ فِي الصَّحِيحِ [١٤٩٠]، [٢٤٥٨] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «إِنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَ نَعْلَيْكَ أَسَامِي فَأَخْبَرَنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ» فَقَالَ: مَا تَوْضَعْتُ إِلَّا وَصَلِيَّتَ رَكْعَتَيْنِ. فَقَالَ «بِذَاكَ» وَفِي رِوَايَةٍ مِمَّا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوْضَعْتُ وَمَا تَوْضَعْتُ إِلَّا رَأَيْتُ أَنْ عَلَيَّ أَنْ أَصْلِي رَكْعَتَيْنِ [إخلاء: ١٥٠/١].

قالوا: وَكَانَ بِلَالُ أَدَمَ شَدِيدِ الْأَمَةِ طَوِيلًا نَحِيفًا أَجْنَأَ كَثِيرَ الشَّعْرِ خَفِيفَ الْعَارِضِينَ.

قال ابن بكير: تَوَفَّى بِدَمَشَقٍ فِي طَاعُونَ عُمَاسَ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: تَوَفَّى سَنَةَ عَشْرِينَ. قال الواقدي: وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّنِيرِ وَلَهُ بَضْعٌ وَسِتُونَ سَنَةً. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَاتَ بِبَدْرِيَا وَدُفِنَ بِبَابِ كَيْسَانَ. وَقِيلَ دُفِنَ بِبَدْرِيَا، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ بِحَلَبٍ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَلِيمٍ: مِنْ أَشْرَافِ بَنِي جُمُعٍ، شَهِدَ خَيْبَرَ وَكَانَ مِنَ الزُّهَادِ وَالْعِبَادِ، وَكَانَ أَمِيرًا لِعَمْرِ عَلَى حِمصَ بَعْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ، بَلَغَ عُمُرُ أَنَّهُ أَصَابَتْهُ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا جَمِيعًا، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ: «أَعْطَيْنَاهَا لِمَنْ يَتَجَرَّ لَنَا فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

قال خليفة: فَتَجَّ هُوَ وَمَعَاوِيَةُ قِيَّاسِيَةً كُلُّ مَنَهُمَا أَمِيرٌ عَلَى مَنَ مَعَهُ. ■ عِيَّاضُ بْنُ غَنَمٍ، أَبُو مَعْدٍ الْقَهْرِيُّ: مِنْ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا، وَكَانَ سَمَحًا جَوَادًا، شَجَاعًا، وَهُوَ الَّذِي انْتَحَبَ الْجَزِيرَةَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَازَ دَرَبَ الرُّومِ غَزَاوِيًا، وَاسْتَنْبَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بَعْدَهُ عَلَى الشَّامِ فَأَقْرَهُ عَمْرٌ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ عَشْرِينَ عَنْ سِتِينَ سَنَةً.

■ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِيلَ: اسْمُهُ الْغَفِيرَةُ. أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ جَدًّا وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى دِينِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ، وَكَانَ شَاعِرًا مَطِيقًا يَهْجُو الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَهُوَ الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ:

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفْيَانَ عَنِي مَغْلَظَةً قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجِزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفِّهِ فَسَرُّكُمَْا لَخِيرِكُمَا الْفُتَاءُ

وَلَمَّا جَاءَهُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةٍ لِيَسْلِمَا لَمْ يَأْذَنْ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى شَفَعَتْ أُمَّ سَلَمَةَ لِأَخِيهَا فَأَذِنَ لَهُ، وَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ هَذَا قَالَ: وَاللَّهِ

مناف بن زهرة. لا خلاف في إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجداً كثيراً، وقتلت يوم الخندق رجلاً من اليهود جاء فجعل يطيف بالخصن التي هي فيه وهو فارح حصن حسان فقالت لحسان: انزل فاقطعه، فأبى، فزلت إليه فقتلته ثم قالت: انزل فأسلبه فلولا أنه رجل لاستلبته. فقال: لا حاجة لي فيه. فكانت أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين.

وقد اختلف في إسلام من عدلها من عمات النبي ﷺ قليل: أسلمت أروى وعاتكة.

قال ابن الأثير (مجد العادة: ١٧٢/٧) وشيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ (تاريخ الإسلام ص ٢٢٠): والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرها. وقد تزوجت أولاً بالحرث بن حرب بن أمية. ثم خلف عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة. وقيل: تزوج بها العوام بكراً، والصحيح الأول توفيت بالمدينة سنة عشرين من ثلاث وسبعين سنة. ودفت بالبقيع رضي الله عنها وقد ذكر ابن إسحاق من توفي غير هؤلاء.

■ عويم بن ساعدة الأنصاري: شهد العتبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجد بالماء، وفيه نزل قوله تعالى ﴿فِيهِ رَجُلٌ يُحْيِيهِ أَنْ يَطَّهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (البقرة: ١٠٨) وله روايات توفي هذه السنة بالمدينة.

■ بشر بن عمرو بن حش: يلقب بالجارود، أسلم في السنة العاشرة، وكان شريفاً مطاعاً في عبد القيس، وهو الذي شهد على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر، فعزله عمر عن اليمن وحلّه قتل الجارود شهيداً.

■ أبو خراشة خويلد بن مرة الهذلي: كان شاعراً مجيداً غضرما أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبق الخيل. نهشته حية فمات بالمدينة.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين

لفيها كانت وقعة نهاوند وفتحها على المشهور، وهي عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبا عجيب، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح

قال ابن إسحاق والواقدي: كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين.

وقال سيف: كانت في سنة سبع عشرة. وقيل: في سنة تسع عشرة والله أعلم.

وإنما ساق أبو جعفر بن جرير (تاريخه: ١١٤/٤) قصتها في هذه السنة فتبعنا في ذلك وجعلنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سيقاً واحداً، حتى دخل سياق بعضهم في بعض.

قال سيف وغيره: وكان الذي حاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتحوا الأهواز ومنعوا جيش العلاء من أبلدهم واستولوا على دار الملك القديم من إصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثاً، وهي المادائن، وأخذوا تلك المادائن والأقاليم والكور والبلدان الكثيرة، فحموا عند ذلك واستجاشهم يزدجرد الذي تفهر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعداً طريداً، لكنه في أسرة من قومه وأهله وماله، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان، فتجمعوا وترأسوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك.

بعث سعد إلى عمر يعلمه بذلك، وثار أهل الكوفة على سعد في غيرون هذا الحال. فشكوه في كل شيء حتى قالوا: لا يحسن يصلي. وكان

الذي نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر: من الليل على شركم نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله وقد أجمعوا لكم، ومع هذا لا ينبغي أن أنظر في أمركم.

ثم بعث محمد بن مسلمة - وكان رسول العمال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثني على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فإنهم سكتوا فلم يلزموا ولم يشكروا، حتى انتهى إلى بني عيسى، فقام رجل يقال له أبو سعد أسامة بن قنادة، فقال: أما إذ ناشدتنا فإن سعداً لا يقسم بالسوية، ولا يمدل في الرعية، ولا يفزو بالسرية. فدعا عليه سعد فقال: اللهم إن كان قالها كذباً ورياءً وسمة فاعم بصره، وأكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتى. فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بالراء فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عثر عليه قال: دعوة سعد الرجل المبارك. ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته قارعة في جسده، ومصيبة في ماله بعد ذلك.

واستفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غيرون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب. ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاؤوا عمر فسأله عمر: كيف يصلي؟ فأخبره أنه يطول في الأولين ويخفف في الآخرين وما أكر ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ. فقال له عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. وقال سعد في هذه القضية: لقد أسلمت خامس خمسة، ولقد كنا وما لنا طعام إلا ورق الخلة حتى تفرحت أشداقنا، وإنني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه وما جمعهما لأحد قبلي، ثم أصبحت بنو أسد يقولون: لا يحسن يصلي. وفي رواية تبرزني على الإسلام، لقد خبت إذا وضل عملي (ع: ٣٧٢٨) (٢٩٦٦). ثم قال عمر لسعد: من استخلفت على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخاً كبيراً من أشراف الصحابة حليفاً لبني الحنظلي من الأنصار - واستمر سعد معزولاً من غير عجز ولا خيانة وتهدد أولئك النفر، وكاد يوقع بهم بأساً. ثم ترك ذلك خوفاً من أن لا يشكو أحد أميراً.

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند. حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفيرزان ويقال: بندار، ويقال ذو الحاجب. وتلامروا فيما بينهم، وقالوا: إن محمداً الذي جاء العرب لم يتعرض لبلادنا، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرض لنا في دار ملكنا، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا، وأخذ بيت الملكة وليس بمته حتى يخرجكم من بلادكم. فتعاهدوا وتعاقبوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده، وتواتقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتاباً. فلما كتب سعد بذلك إلى عمر - وكان عزل سعد في غيرون ذلك - شافه سعد عمر بما تمالؤوا عليه وقصدوا إليه، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفاً. وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله بن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدي بأنهم قد اجتمعوا وهم متحرقون متنامرون على الإسلام وأهله، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن تقصصهم فتعاجلهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا، فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمك؟ قال: قريب. قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر. فتفاهل عمر بذلك وقال: ظفر قريب. ثم أمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع

مائة ألف دينار، والسلام عليك. فسر في وجهك ذلك حتى تأتي ماء فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن يجتمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستصروا الله وأكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبد الله بن عبد الله - أن يعين جيشاً ويعينهم إلى نهاوند، ولكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن، فإن قتل النعمان فحذيفة، فإن قتل فنعيم بن مقرن. وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم.

فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان بن مقرن ليوافوه بماء، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق، وقد أرصد في كل كورة ما يكنيها من المقاتلة، وجعل الحرس في كل ناحية، واحتاطوا احتياطاً عظيماً، ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمد في هذه الوقعة، فأكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي (الرابع الطبري): ١٣٦/٤، فيهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلق كثير وجم غفير منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين، وجبر بن عبد الله البجلي، وحذيفة بن اليمان، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطلحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي.

فسار الناس نحو نهاوند وبعث النعمان بن مقرن الأمير بين يديه طليعة ثلاثة وهم طليحة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمى. ويقال له عمرو بن نبي أيضاً، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه. فسارت الطليعة يوماً وليلة فرجع عمرو بن نبي فقبل له: ما رجعت؟ فقال: كنت في أرض العجم وقتلت أرضاً جاهلياً وقتل أرضاً عالمياً. ثم رجع بعده عمرو بن معدي كرب وقال: لم نر أحداً وخفت أن يؤخذ علينا بالطريق، ونفذ طليحة ولم يخجل برجعهما فسار بعد ذلك نحواً من بقعة عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نهاوند ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحب، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه.

فسار النعمان على تعبته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة، وهو في مائة وخمسين ألفاً، فلما تراءى الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك رعباً شديداً، ثم أمر النعمان بحط الأتقال وهو واقف، فحط الناس أثقالهم، وتركوا رحالهم. وضربوا خيامهم وقبابهم. وضربت خيمة للنعمان عظيمة، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرف الجيش، وهم حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وشير بن الخصاصة، وحظلة الكاتب، وابن المؤبر، وريعي بن عامر وعامر بن مطر، وجبر بن عبد الله الحميري، وجبر بن عبد الله البجلي، والأقرع بن عبد الله الحميري، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حجر، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة، وحين حطوا الأتقال أمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال، فلما كان يوم الجمعة المحجوز في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا.

الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص، فتضامل عمر أيضاً بسعد، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإني قد هممت بأمر فاسمعوا وأطيعوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتشعلوا وتذهب ريعكم، إني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين فأستغفر الناس، ثم أكون لهم رداً حتى يفتح الله عليهم. فقام عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي، فتكلم كل منهم بانفراده فاحسن وأجاده واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة، ولكن يبعث البعوث ويحضرهم برأيه ودعائه.

وكان من كلام علي رضي الله عنه أن قال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يكن نصرة ولا خذلان بكرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعزه وأمدته بالملائكة حتى بلغ ما بلغ. فنحن على موعود من الله والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الحزب يجمعه ويمسكه، فإذا انحلت تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بمخافته أبداً. والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثير عزيز بالإسلام، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أصنام العرب وروساؤهم فليذهب منهم الثلاثين وقيم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضاً.

وكان عثمان قد أشار في كلامه بأن يمدهم في جيوش من أهل اليمن والشام.

ووافق عمر على النعاب بنفسه إلى ما بين البصرة والكوفة - فرد علي على عثمان في موافقته على النعاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم، ورد رأي عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفاً على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم. ومن أهل اليمن خوفاً على بلادهم من الحبشة. فأعجب عمر قول علي وسر به. وكان عمر إذا استشار أحداً لا يبرأ أمراً حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال: يا أمير المؤمنين خفض عليك، فإنما اجتمع هؤلاء الفرس لقمعة تنزل عليهم. ثم قال عمر: أشيروا عليّ من أوليه أمر الحرب وليكن عراقياً. فقالوا: أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين. فقال: ما والله لأولين رجلاً يكون أول الأسمه إذا لقيها غداً. قالوا: من يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مقرن فقالوا: هو لها - وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو نائب على كسكر وسأله أن يعزله عنها ويوليها قتال أهل نهاوند - فلهاذا أجابه إلى ذلك وعينه له.

ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجند منها، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجند البصرة، وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة أن يسير من هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن. فإذا قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجعبر بن عبد الله، فإن قتل فقيس بن مكشوح، فإن قتل فقيس ففلان ثم فلان، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم.

وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى النعمان بن مقرن سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإنه قد بلغني أن جوعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمعية نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله ويعون الله وينصر الله وبمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرأ تفرقهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غصه، فإن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من

قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتل ما طبق وجه الأرض دماً، بحيث إن الدواب كانت تطعم فيه، حتى قيل: إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد، وقيل نعيم، وقيل: غطاه بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة أخاه نعيماً مكانه، وأمر بكنم موته حتى يتفضل الحال لثلاثين يهزم الناس.

فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون، وكان الكفار قد قنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً، فلما انهزموا وقصروا في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون، سوى من قتل في المعركة. ولم يفلت منهم إلا الشريد. وكان الفيروزان أميرهم قد صرع في المعركة فاقتلت وانهزم وأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع بين يديه وقصد الفيروزان همدان فلهقه القعقاع وأدركه عند ثنية همدان، وقد أقبل منها بغال كثير وحرر تحمل عصلاً، فلم يستطع الفيروزان صعودها منهم، وذلك لحينه فترجل وترقى في الجبل فأتبعه القعقاع حتى قتله، وقال المسلمون يومئذ: إن لله جنوداً من عمل، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال وسميت تلك الثنية ثنية العسل.

ثم لحق القعقاع بقية المهزيمين منهم إلى همدان وحاصرها وحوى ما حولها، فنزل إليه صاحبها - وهو خسرو شرم - فصالها عليها. ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين، وقد دخلوا بعد الوقعة نهالون عنة، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى صاحب الأقباض وهو السائب بن الأقرع.

ولما سمع أهل ماه بنجر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان، وجاء رجل يقال له الجرند - وهو صاحب نارهم - فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم ودعة عنده لكسرى، ادخرها لنواب الزمان، فأمنه حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوئين جوهراً ثميناً لا يقوّم، غير أن المسلمين لم يعبوا به، واتفق رأيهم على بئس لعمر خاصة، وأرسلوه صحبة الأخماس والسبي صحبة السائب بن الأقرع، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغنائم، ورضخ ونفل لنوبي النجيدات، وقسم لمن كان قد أرصد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من وراءهم، ومن كان رداً لهم، ومتسواً إليهم.

وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو الله ليلاً ونهاراً لهم، دعاء الحوامل القريات، وابتهاك فوي الضرورات، وقد استبط الخبر عنهم فينا رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل؟ فقال: من نهالوند. فقال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله عليهم وقتل الأمير، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف، والراجل ألفان. ثم فاتته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عن أخبره، فقال: راكب. فقال: إنه لم يجئني، وإنما هو رجل من الجن وهو يريدكم واسمه عثيم ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام، وليس معه سوى الفتح، فسأله عمر عن قتل النعمان فلم يكن معه علم حتى قدم الذين معهم الأخماس فأخبروا بالأمر على جلته، فإذا ذلك قد الجني شهد الوقعة ورجع سريعاً إلى قومه نهالوناً. ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عن قتل من المسلمين فقال: فلان وفلان وفلان. لأعين الناس وأشرفهم، ثم قال: وآخرون من أفتاد الناس عن لا يعرفهم أمير المؤمنين، فجعل يبكي ويقول: وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير

وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلّمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبة، فذكر من عظمة ما رأى عليه من لبسه وجلسه، وفيما خاطبه به من الكلام في احتقار العرب واستهائته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً، وأقلهم داراً وقدرًا. وقال: ما يمنع هؤلاء الأساورة حولي أن يتظلموك بالشباب إلا تنسأ من جيفكم، فإن تنهبوا نخل عنكم، وإن تأبوا؟ نزركم مصارعكم. قال: فتشهدت وحدت الله وقلت: لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وما زلنا نعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم وإننا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى تغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو تقتل بأرضكم. فقال: أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه.

فلما طال على المسلمين هذا الحال واستمر، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش، واشتروا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد فتكلم عمرو بن أبي سلمى أولاً - وهو أسن من كان هناك - فقال: إن يقادهم على ما هم عليه أضمر عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين. فرد الجميع عليه وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا، وإنجاز موعود الله لنا. وتكلم عمرو بن معنئ كرب فقال: ناهدكم وكأثرهم ولا تخفهم. فردوا عليه وقالوا: إنما يناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا. وتكلم طليحة الأسدي فقال: إنهم لا يصيبنا، وإني أرى أن تبث سرية فتخلق بهم ويناشوهم بالقتال ويمشوهم فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرباً بين أيديهم فإذا استوردوا وراهم وانتهوا إلينا هزماً أيضاً على الفرار كلنا، فإنهم حيث لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي الله بيننا. فاستجد الناس هذا الرأي، وأمر النعمان على الجردة القعقاع بن عمرو، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم. ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا من حصونهم تكلم القعقاع بن معه ثم تكلم ثم تكلم فاعتصمها الأعاجم، ففعلوا ما ظن طليحة، وقالوا: هي هي، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا ما يحفظ لهم الأبواب، حتى انتهوا إلى الجيش، والنعمان بن مقرن على تبعته. وذلك في صدر نهار جمعة، فغزم الناس على مصادمتهم، فنهام النعمان وأمرهم أن لا يقتاتوا حتى تزول الشمس، وتهب الأرواح، ويتزل النصر كما كان رسول الله ﷺ يفعل. وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل - وكان رجلاً ثابتاً - فلما كان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برفوناً له أحوى قريباً من الأرض، فجعل يقف على كل راية ويختم على الصبر ويأمرهم بالثبات، ويقدم إلى المسلمين أنه يكرى الأولى فيتأهب الناس للحملة، ويكرى الثانية فلا يبقى لأحد أمة، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة. ثم رجع إلى موقفه. وتعبت الفرس تعبته عظيمة واصطفوا صفواً مائة. في عُدَّ وعُدَّ لم ير مثله، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمتكنهم الحرب ولا الفرار، ولا التحيز.

ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً، ثم كبر الثالثة وحمل وحل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض نحو الفرس كانهضاض العقاب على الفريسة، حتى تصافحوا بالسيف فانتلوا قتلاً لم يعد مثله في موقف من المواقف المتقدمة، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها،

الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال، فاشتكى أهل الكوفة من عمار فاستغنى عمار من عمر، فعزله وولى جبير بن مطعم، وأمره أن لا يعلم أحداً، وبعث المغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت: اذهبي فأنثني به، فذهب المغيرة إلى عمر فقال: بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة. فقال: وما ذاك؟ وبعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبة ثانية، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضي الله عنهم.

قال: وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة.

قال الواقدي: وفيها توفي خالد بن الوليد بمحضر وأوصى إلى عمر بن الخطاب. وقال غيره: توفي سنة ثلاث وعشرين، وقيل: بالمدينة. والأول أصح.

وقال غيره: وفيها توفي العلاء بن الحضرمي فولى عمر مكانه أبا هريرة. وقوله قيل: إن العلاء توفي قبل هذا كما تقدم والله أعلم.

وقال ابن جرير [تاريخه: ١٤٤/٤، ١٤٥] ابن إسحاق فيما حكاه عن الواقدي: وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعد، وهو أيضاً على حمص وحوران وقنسرين والجزيرة، وكان معاوية على البلقاء والأردن، وفلسطين، والسواحل وأنطاكية، وغير ذلك.

ذكر من توفي في هذه السنة

أعني سنة إحدى وعشرين

■ خالد بن الوليد: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم القرشي أبو سليمان المخزومي، سيف الله، أحد الشجعان المشهورين، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام. وأمّه عصماء بنت الحارث، أخت لبابة بنت الحارث، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين.

قال الواقدي: أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان، وشهد مؤتة وانتهت إليه الإمارة يومئذ عن غير امرأة، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله، اندقت في يده تسعة أسياف، ولم تثبت في يده إلا صفيحة ممانية. وقد قال رسول الله ﷺ «أخذ الراية زيد فاصيب، ثم أخذها جعفر فاصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه» [المستدرک: ٢٩٩/٣].

وقد روي أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحث في طلبها فموتب في ذلك، فقال: إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ﷺ، وإنها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها.

وقد روي في مسند أحمد (٨٠١) من طريق الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده وحشي بن حرب عن أبي بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم عبد الله وأخو العشرة خالد بن الوليد، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين».

وقال أحمد (٩٠/٤): حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد: يفت إليكم أمين هذه الأمة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح» فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله نعم فتي العشرة» وقد أورده

المؤمنين؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر. ثم أمر بقسمة الخمس على عاتده، وحملت فذلك السفطان إلى منزل عمر، ورجعت الرسل، فلما أصبح عمر طلبهم فلم يجدهم، فأرسل في إثرهم البرد فما لحقهم البريد إلا بالكوفة.

قال السائب بن الأقرع: فلما أغث بعيري بالكوفة، أناخ البريد بعيره على عروقوب بعيري، وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت: لماذا؟ فقال: لا أدري. فرجعنا على إثرنا، حتى انتهيت إليه. قال: مالي ولك يا ابن أم السائب، بل ما لابن أم السائب وما لي، قال: فقلت وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله إن هو إلا أن نمت في الليلة التي خرجت فيها فبات ملائكة الله تحسني إلى ذنك السفطين وهما يشتعلان ناراً، يقولون: لتكونك بهما. فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين. فاذهب بهما لا أبا لك فبعهما فاقسمهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم، فأنهم لا يدرون ما وهبوا ولم تدر أنت معهم.

قال السائب: فأخذتهما حتى جثت بهما مسجد الكوفة وغشيتي التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بالثمن ألف. ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف. فما زال أكثر أهل الكوفة مالاً بعد ذلك.

قال سيف: ثم قسم ثمنهما بين الغائبين فنال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين.

قال الشعبي: وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللمارجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً.

قال: واقتتحت نهاوند في أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر، رواه سيف عن عمرو بن محمد عنه [تاريخ الطبري: ١٣٦/٤].

ويه عن الشعبي قال: لما قدم سبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة - فيروز غلام المغيرة بن شعبة - لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه ويكسى وقال: أكل عمر كبدي - وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند فأسرته الروم أيام فارس وأسرته المسلمون بعد، فنسب إلى حيث سبي - قالوا: ولم قسم للأعاجم بعد هذه الوقعة قائمة، وأحف عمر الذين أبلوا فيها بالثمن تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم.

وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بعد نهاوند مدينة جني - وهي مدينة أصبهان - بعد قتال كثير وأمور طويلة، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله ابن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون قرأ إلى كرمان لم يصلحوا المسلمين.

وقيل: إن الذي فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها، ووقع أمير الجيوش وهو ذو الحجاجين عن فرسه فاشتق بطنه ومات وانهمز أصحابه. والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله عتبان - الذي كان نائب الكوفة.

وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان.

وذكر ابن جرير عن الواقدي [تاريخه: ١٤٤/٤]: أن عمرو بن العاص سار في جيش معه إلى أنطاكية قال: وهي برقة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار في كل سنة.

قال: وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع النهري إلى زويلة ففتحها بصلح، وصار ما بين برقة إلى زويلة سلماً للمسلمين.

قال: وفيها ولى عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة

ابن عساکر [طبع دمشق: ٢٤١/١٦-٢٤٤] من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، ومن طرق مرسلة يقوي بعضها بعضاً.

وفي الصحيح [ج (١٤٦٨)، ٢ (٩٨٣)] «وَأَمَّا خَالِدٌ فَلَمْ يَكُنْ تَحْتَ ظِلِّهِمْ» خالداً وقد احتبس أذراعاً واعتاده في سبيل الله.

وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزاً بني جندة أميراً في حياته عليه السلام. واختطف في شهوده خير، وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش، كما قلعنا ذلك مبسوطة في موضعه، والله الحمد والمنة.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى - وكانت هوازن - فكسر أمتها أولاً ثم دعتها وجعل يقول:

يَا أُعْرُ كُفْرَانُكَ لَا سَجَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ لَهَانَكَ ثُمَّ حرقها.

وقد استعمله الصديق بعد رسول الله ﷺ على قتال أهل الردة وماتني الزكاة، فشفي واشفى. ثم وجهه إلى العراق ثم إلى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقرر بها القلوب والعيون، وتشفى بها الأسماع. ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضي الله عنه.

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وما أنا أموت على فراشي خف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء.

وقال أبو يعلى [مسند (١٨٥٧)]: ثنا سريج بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس. قال: قال خالد بن الوليد: ما ليلة تهدي لي فيها عروس، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو.

وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيثمة قال: أتني خالد يرجل معه زق خر فقال: اللهم اجعله صلاً، فصار صلاً رجلاً النعمه لابن أبي الدنيا (٨٨).

وله طرق، وفي بعضها:

مر عليه رجل معه زق خر فقال له خالد: ما هذا؟ فقال: صلب فقال: اللهم اجعله صلاً، فلما رجس إلى أصحابه قال: جئكم بخمر لم يشرب العرب مثله، ثم فتحه فإذا هو خل، فقال: أصابته والله دعوة خالد رضي الله عنه.

وقال حماد بن سلمة عن ثمامة عن أنس. قال: التقى خالد عدواً له فولى عنه المسلمون متبرين وثبت هو وأخي البراء بن مالك، وكنت بينهما واقفاً، قال: فكسر خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال: وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا - ثم قال لأخي البراء: قم، فركبا، واختطف خالد من معه من المسلمين - وقال: ما هو إلا الجنة وما إلى المنية سبيل. ثم حل بهم فهزم المشركين.

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر: اكتب إلى خالد أن لا يعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمرك. فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعني وعملي، وإلا فشأنك بعملك. فأشار عليه عمر بعزله، فقال أبو بكر: من يجزي عني جزاء خالد؟ قال عمر: أنا. قال: فأتت فتجهز عمر حتى أتيت الظاهر في الدار، ثم جاء

الصحابه فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمنية وإبقاء خالد بالشام. فلما ولي عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله، وقال: ما كان الله ليراني أمر أباً بكر بشيء لا أنقله أنا.

وقد روى البخاري في التاريخ [التاريخ الصغير: ٨٢/١] وغيره [المسند: ٤٧٥/٣] من طريق علي بن رباح عن ناشرة بن سفيان الزنبي، قال: سمعت عمر يعتزل إلى الناس بالجالية من عزل خالد، فقال: أمرته أن يجلس هنا المال على ضعة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، وأثرت أبا عبيدة. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: ما اعتزلت يا عمر، لقد نزلت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، ووضعت لواءه رفعه رسول الله ﷺ، وأغدمت سيفاً سله الله، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم.

فقال عمر: إنك قريب القرابة، حديث السن مغضب في ابن عمك. قال الواقدي ومحمد بن سعد [الطبقات: ٣٩٧/٧] وغير واحد: مات سنة إحدى وعشرين بقرية على ميل من حصص، وأوصى إلى عمر بن الخطاب.

وقال دحيم وغيره: مات بالمنية. والصحيح الأول. وقلنا فيما سلف تعزير عمر له حين أعطى الأثمت بن قيس عشرة آلاف، وأخذ من ماله عشرين ألفاً أيضاً. وقلنا عتب عليه لدخوله الحمام وتذلكه بعد الثورة بدقيق عصفر معجون بخمر، واعتناز خالد إليه بأنه صار غسولاً.

وروي عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال: إنني لم أطلقها عن رية، ولكنها لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنّها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها.

وروى سيف وغيره: أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام والمتى بن حارة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا ينصرهما وإن القوة لله جيباً [طبع الطوي: ٦٨/٤].

وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ: إنك علي كريمة، وإنك عندي لعزير، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك [طبع الطوي: ٦٨/٤].

وقد قال الأصمعي عن سلمة بن بلال عن مجاهد عن الشعبي قال: اصطحر عمر وخالد وهما غلامان - وكان خالد ابن خال عمر - فكسر خالد ساق عمر، فموجت وجبرت، وكان ذلك سبب العداوة بينهما.

وقال الأصمعي عن ابن عرون عن محمد بن سيرين قال: دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر: ما هذا يا خالد؟ فقال: وما بأشبه يا أمير المؤمنين اليس قد لبس عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: وأنت مثل ابن عوف! ولك مثل ما لابن عوف؟ هزمت على من باليت إلا أخذ كل واحد منهم طائفة مما يليه. قال: فعزوه حتى لم يبق منه شيء.

وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهلثة عن أبي وائل - ثم شك حماد في أبي وائل - لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بها وأنا متروك والسماء تهللي تنتظر الصبح، حتى نغير على الكفار. ثم قال: إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله.

فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله: ما على نساء آل الوليد أن يفسخن على خالد من دموعهن ما لم يكن تقعا أو لقلقة. قال ابن المختار: التقع: التراب على الرأس، والقلقة: الصوت.

وقد علق البخاري في صحيحه [١٢٩١] بعض هذا فقال: وقال عمر: دعهن يبيكين على أبي سليمان ما لم يكن نفع أو لقلقة.

وقال محمد بن سعد حدثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن غير قالوا: حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: لما مات خالد بن الوليد اجتمع نسوة بني النخيلة في دار خالد يبيكين عليه فقيل لعمر: إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبيكين عليه، وهن خلقنا أن يسمعنك بعض ما تكبره. فأرسل إليهن فأنهين. فقال عمر: وما عليهن أن يرقن من دموعهن على أبي سليمان، ما لم يكن نفعاً أو لقلقة.

ورواه البخاري في التاريخ والطريق الصغير: ٧١/١ من حديث الأعمش بنحوه.

وقال إسحاق بن بشر وقال محمد: مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تلبه وتقول:

أنت خير من ألف ألف من القوم إذا ما كبّت وجوه الرجال
فقال عمر: صدقت، إن كان كذلك.

وقال سيف بن عمر عن مبشر عن سالم. قال: فاقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أن قد سكته ويصير الناس حجج، وقد عزم على توليته واشتكى خالد بعد وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها احدونسي إلى مهاجري، فقلت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظلم قدوم عمر لقيه لقيه لاقى على مسيرة ثلاث صنادع عن حجة فقال له عمر: مهيم؟ فقال: خالد بن الوليد ثقل لا به. فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فادركه حين قضى، فرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز، ويكسه البواكي، فقيل لعمر: ألا تسمع ألا تنهاه؟ فقال: وما على نساء قريش أن يبيكين أبا سليمان؟ ما لم يكن نفع ولا لقلقة. فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محترمة تبكيه وتقول:

أنت خير من ألف ألف من الناس إذا ما كبّت وجوه لرجال
اشجاعاً فانت أشجع من ليث عرب جهم أبي أشبال
أجواداً فانت أجود من سبل دباس يليل بين الجبال
فقال عمر: من هذه؟ فقيل: أمه فقال: أمه، والإله ثلاثاً. هل قامت النساء عن مثل خالد! قال: فكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه:

تبكي ما وصلت به النامى ولا تبكي فوارس كالجبال
أولئك إن بكيت أشد قبلاً من الأندلس والتكر الجلال
تمسى بعدهم قوم مداهم فلم يدنسوا لأسباب الكمال

وفي رواية: أن عمر قال لأم خالد: أخالداً وأجره ترزنين؟ عزم عليك أن لا تبني حتى تسود يدك من الحضاب.

وهذا كله يقتضي موته بالمدينة النبوية، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، ولكن المشهور عن الجمهور وهم الواقدي، وكتبه محمد بن سعد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وإبراهيم بن المنذر، ومحمد بن عبد الله بن غير، وأبو عمرو العصفري، وموسى بن أيوب، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم، أنه مات بمحصر سنة إحدى وعشرين. زاد الواقدي: وأوصى إلى عمر بن الخطاب.

وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وغيره قالوا: قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام،

فلم يزل بها حتى مات في سنة إحدى وعشرين.

وروى الواقدي أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال: أين نزلتم بالشام؟ قالوا: بمحصر، قال: فهل من مفرية خير؟ قالوا: نعم مات خالد بن الوليد. قال: فاسترجع عمر وقال: كان والله سداً لنحور العدو، ميمون النخيلة. فقال له علي: فلم عزله؟ قال: لبذله المال لنوحي الشرف والسنان.

وفي رواية: أن عمر قال لعلي: نذمت على ما كان مني.
وقال محمد بن سعد والطحاوي: ٣٩٧/٧: أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت قيس بن أبي حازم يقول: لما مات خالد بن الوليد قال عمر: رحم الله أبا سليمان، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت.

وقال جويرية عن نافع قال: لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلame وسلاح، فقال عمر: رحم الله أبا سليمان، إن كنا لنظنه على غير هذا.

وقال القاضي المعافى بن زكريا الجريدي: حدثنا أحمد بن العباس العسكري، حدثنا عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الرحمن بن حمزة اللخمي حدثنا أبو علي الحرمازي قال: دخل هشام بن البختري في ناس من بني غزوم على عمر بن الخطاب فقال له: يا هشام أتشدني شمر في خالد. فأنشده فقال: قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إنه كان يجب أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لقتل الله. ثم قال عمر: قاتل الله أخا بني نجيم ما أشعره:

وقل للذي يقى خلافاً الذي مضى تهماً لأخرى مثلها فكأن قد
فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي ولا موث من قد مات يوماً بمخلدي
ثم قال عمر: رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه.

ولقد مات فقيداً وعاش حيداً ولكن رأيت الدهر ليس بقابل.

■ طليحة بن خويلد: ابن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجون بن فقمس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزعة الأسدي الفقمسي.

كان من شهد الخندق من ناحية المشركين، ثم أسلم سنة تسع، ووفد على رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ في أيام الصديق، وأدعى التوبة كما تقدم.

وروى ابن عساکر [١٥٤/٢٥] أنه ادعى التوبة في حياة رسول الله ﷺ وأن ابنه حيوياً قدم على رسول الله ﷺ فسأله: «ما اسم الذي يأتي إلى أبيك؟» فقال: ذو النون الذي لا يكذب ولا يخون، ولا يكون كما يكون. فقال: «لقد سمى ملكاً عظيم الشأن» ثم قال لابنه: «قتل الله وحرمت الشهادة». ورده كما جاء. فقتل حيوياً في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن محصن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع. ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد، وتفرق جنده فهرب حتى دخل الشام فتر على آل جفنة، فاقام عندهم حتى مات الصديق حياً منه، ثم رجع إلى الإسلام واعتزم، ثم جاء يسلم على عمر فقال له: اغرب عني فإنك قاتل الرجلين الصالحين، عكاشة بن محصن، وثابت بن أرقم، فقال: يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم يبي بآلئيهما. فاعجب عمر كلامه ورضي عنه. وكتب له بالوصاة إلى الأمراء أن يشاور ولا يولي شيئاً من الأمر.

مقتل عمر بسة أشهر.
قال: ويقال: كان فتح الري قبل وفاة عمر بستين، إلا أن الواقدي وأبا معشر متفقان على أن أذربيجان في هذه السنة، وتبعهما ابن جرير [١٤٨/٤] وغيره.

وكان السبب في ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم، فتحوا حلوان وهملان بعد ذلك. ثم إن أهل هملان تقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى هملان، وأن يجعل على مقدمته أخاه سويد بن مقرن، وعلى مجنبيه ريمي بن عامر الطائي، ومهلل بن زيد اليمنى. فسار حتى نزل على ثنية العسل، ثم تحدر على هملان، واستولى على بلادها، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها، فبينما هو فيها معه اثنا عشر ألفاً من المسلمين إذ تكاتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا، وعلى أهل الري أبو الفُرخان، وعلى أهل أذربيجان إسفندياذ أخو رستم، فخرج إليهم نعيم بن مقرن بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج رُود، فاقتلوا قتالا شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً، وجاء، غفيراً لا يحصون كثرة، وقتل ملك الديلم موتا وتمزق شملهم، وانتهزوا بأجمعهم، بعد من قتل بالمرعة منهم، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين.

وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهمه ذلك واغتم له. فلم يفيجأه إلا البريد بالشارة فحمد الله وأثنى عليه، وأمر بالكتاب فقرأ على الناس، ففرحوا وحملوا الله عز وجل. ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سمالك بن خرشة - وليس بأبي دجاعة - وسمالك بن عبيد، وسمالك بن خرمة. فلما استسماهم عمر قال: اللهم اسمك بهم الإسلام، وأمد بهم الإسلام، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على هملان ويسير إلى الري فامتل نعيم. وقد قال نعيم في هذه الوقعة:

ولما أتاني أن موتا ورهطه بنى بأسل جبروا جنود الأعاجم
نهضت إليهم بالجنود مائياً لأنس منهم فمسي بالساقصم
فجتنا إليهم بالحديد كأننا جبال تراءى من فروع القلاصم
فلما لقيناهم بها مستغيضة وقد جعلوا يسمون فعل المسام
صدناهم في واج رُود بجمعنا غداة وميناهم بإحدى العظام
فما صبروا في حومة الموت ساعة لحد الرماح والسيوف الصوام
كانهم عند اتشاش جوعهم جدار تظلى لبنه للهوام
أصينا بها موتا ومن لف جمعه وفيها نهاب قمه غير عاتم
تبناهم حتى أوزوا في شعابهم فقتلهم قتل الكلاب الجواحم
كانهم في واج رُود وجوؤه ضشين أصابنها فروع المخارم

فتح الرّي

استخلف نعيم بن مقرن على هملان يزيد بن قيس الهمداني وسار بالجيش حتى لحق بالري فلقى هناك جمعاً من المشركين عظيماً فاقتلوا عند سفح جبل الري فصرخوا صيراً عظيماً ثم انتهزوا فقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث علّوا بالقصب فيها، وغنموا منهم غنيمة عظيمة

فتح قُومِس

ولما ورد البشير بفتح الري وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومس. فسار إليها سويد، فلم يبق له شيء حتى أخذها مسلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح.

فتح جرجان

لما عسكر سويد بقومس بعث إليه أهل بلدان شتى؛ منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح.
وحكى الهمداني أن جرجان فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان [١٤٧/٤] الطوسي: قاله أعلم.

وهذا فتح أذربيجان

لما افتتح نعيم بن مقرن هملان ثم الري، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من هملان إلى أذربيجان، وأردفه بسمالك بن خرشة، فلقى إسفندياذ بن الفُرخان بكيراً وأصحابه، قبل أن يقدم عليهم سمالك، فاقتلوا فهزم الله المشركين، وأسر بكير إسفندياذ، فقال له إسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ فقال: بل الصلح. قال: فامسكني عندك. فامسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر.

ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بكير إلى الباب وجعل سمالك موضعاً نائباً لعتبة بن فرقد، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد، وسلم إليه بكير إسفندياذ، وسار كما أمره عمر إلى الباب. قالوا: وقد كان اعتراض بهرام بن فُرخان لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام، فلما بلغ ذلك إسفندياذ وهو في الأسر عند بكير قال: الآن تم الصلح وطفقت الحرب. فصالحه فأجاب إلى ذلك كله. وعادت أذربيجان مسلماً، وكتب بذلك عتبة وبكير إلى عمر، وبعثوا بالأخماس إليه، وكتب عتبة - حين انتهت إليه إمرة أذربيجان - لأهلها كتاب أمان وصلح.

فتح الباب

قال ابن جرير [١٥٥/٤]: وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب بذئ النور - وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ويقال له - ذو النور أيضاً - وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي - وكان قد تقدمهم إلى الباب - وعلى المقاسم سلمان بن ربيعة، فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبته، فلما انتهى مقدم العساكر - وهو عبد الرحمن بن ربيعة - إلى الملك السدي هناك عند

قصة السد

ذكر ابن جرير (١٥٩/٤) بسنده أن شهربراز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلاً فقال شهربراز: إيه الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد، وزودته مالا جزيلاً وكبت له إلى الملوك الذين يولوني، ويعثت لهم هدايا، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى يتسهي إلى سد ذي القرنين، فينظر إليه ويتبينوا بغيره. فسار حتى انتهى إلى الملك الذي السد في أرضه، فبعثه إلى عامله مما يلي السد، فبعث معه بازياره ومعه عقابه، فلما انتهوا إلى السد إذا جبلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده، فنظر إلى ذلك كله وتقرس فيه، ثم لما هم بالانصراف قال له البازير: على رسلك، ثم شرح بضعة لحم معه فالتقاها في ذلك الوادي، وانقض عليها العقاب. فقال: إن أدركها في الهواء تقع فلا شيء، وإن لم يدركها حتى تقع فلنك شيء. قال: فلم يدركها حتى وقعت في أسفله وأتبعها العقاب فأخرجها فإذا فيها باقوتة وهي هذه. ثم ناولها الملك شهربراز لعبد الرحمن بن ربيعة، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردّها إليه، فلما ردّها إليه فرح وقال: والله لهذه خير من علكة هذه المدينة - يعني مدينة باب الأبواب التي هو فيها - ووالله لأتسم أحب إليّ تلكة من آل كسرى، ولو كنت في سلطانهم وبلغهم خبرها لاتزعوها مني. وإيم الله لا يقوم لكم شيء ما وقيتم ووفى ملككم الأمير.

ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذي ذهب إلى السد فقال: ما حال هذا الرءف؟ - يعني ما صفته - فأشار إلى ثوب في زرة وحمرة فقال: مثل هذا. فقال رجل لعبد الرحمن: صدق والله لقد نفذ رأيي. فقال: أجل وصف صفة الحديد والصخر. قال الله تعالى ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصُّلَّاتِ قَالَ انْمُخَّوْا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] وقد ذكرت صفة السد في التفسير (١٩٢/٥-١٩٣)، وفي أوائل هذا الكتاب.

وقد ذكر البخاري في صحيحة تعليفاً [لـ (٣٣٤٦)] أن رجلاً قال للنبي ﷺ رأيت السد. فقال: «كيف رأيته؟» قال: مثل البرد المحبر قال: «رأيت».

قالوا: ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهربراز: كم كانت هديتك؟ قال: قيمة مائة ألف في بلادي وثلاثة آلاف ألف في تلك البلدان.

بقية من خبر السد

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ [تاريخ الإسلام: ٢٤٦/٣-٢٤٨] في هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب «مسالك الممالك» [١٦٢-١٧٠] عما أملاه عليه سلام الترجان، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم - وكان قد رأى في النوم كان السد قد فتح - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاية به، وبعث معه ألفي بغل تحمل طعاماً فساروا من سامرا إلى إسحاق ببغليس، فكتب لهم إلى صاحب السري، وكتب لهم صاحب السري إلى ملك اللان، فكتب لهم إلى فيلانشاه، فكتب لهم إلى ملك الخزر، فوجه معه خمسة أدلاء فساروا ستة وعشرين يوماً فاستهوا إلى أرض سوداء متنتة حتى جعلوا يشمون الحقل، فساروا فيها عشرة أيام، فاستهوا إلى ملاثن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً، وهي التي كانت ياجرج وماجرج تطرقها

الباب وهو شهربراز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان، فكتب شهربراز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة، فقدم عليه الملك، فأثنى إليه أن صغفوه إلى المسلمين، وأنه مناصح للمسلمين. فقال له: إن فوقي رجلاً فإذهب إليه. فبعثه إلى سراقه بن عمرو أمير الجيش، فسأل من سراقه الأمان، فكتب إلى عمر فاجز ما أعطاه من الأمان، واستحسنه، فكتب له سراقه كتاباً بذلك. ثم بعث سراقه بكيراً، وحبيب بن مسلمة، وحنيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان وتغليس وموقان، فافتتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غبون ذلك أمير المسلمين هنالك، وهو سراقه بن عمرو، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك.

أول غزو الترك

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت في الصحيح عن أبي هريرة (٢٥٩٠، ٢٥٩١)، م (٢٩١٢)، ب (٢٩١٢)، ع (٢٩١٢)، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه، دلف الأنوف، حمر الوجوه، كان وجوههم الجان المطرقة»

وفي رواية: «يتعلون الشعر» (٢٩١٢، ٢٩١٣)، من حديث عمرو بن هلال لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر، فقال له شهربراز: أين تريد؟ قال: أريد ملك الترك بلنجر، فقال له شهربراز: إنا لنرضى منهم بالموادة، ونحن من وراء الباب. فقال له عبد الرحمن: إن الله بعث إلينا رسولا، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ونحن لا نزال منصورين، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ، وغزا مرات متعددة. ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما ستورده في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقال سيف بن عمر عن القاسم بن رجل عن سلمان بن ربيعة. قال: لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه، وقالوا: ما اجتأر علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت. فتحصنوا منه وهربوا بالغنم والظفر.

ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان فظفر بهم، كما كان يظفر بغيرهم، فلما ولي عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد، غزاهم فتنامرت الترك وقال بعضهم لبعض: إنهم لا يموتون، قال: انظروا وفعلوا فاختصوا لهم في الفياض. فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حين عرفوا أن المسلمين يموتون، فاقتلوا قتالا شديداً ونادى مناد من الجور: صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة، فقاتل عبد الرحمن حتى قتل واكتشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها، ونادى المناذي من الجور: صبراً آل سلمان بن ربيعة. فقال قتالا شديداً ثم تحيز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد الشديد على جيلان فقطعوها إلى جرجان، واجترأت الترك بعدها، ومع هذا أخذت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فلغزوه في بلادهم، فهم يشقون بقبه إلى اليوم. وسياقي تفصيل ذلك كله.

قصة يزدرجرد بن شهريار بن كسرى

الذي كان ملك لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه، ودار مقره، وإيران سلطانه، وبساط مشورته وحواسله، تحول من هناك إلى حلوان، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحول إلى الري، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الري، فتحول منها إلى أصبهان، فأخذت أصبهان، فسار إلى كرمان فقصده المسلمون كرمان فافتحوها فانتقل إلى خراسان فزها. هذا كله والنار التي يعيدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد، وبني لها في كل بلد بيت توقد فيه على عادتهم، وهو يحمل في الليل في مسيره إلى هذه البلدان على بعير عليه هودج ينام فيه.

فبينما هو ذات ليلة في هودجه وهو نائم فيه، إذ مروا به على غصاة فأرادوا أن ينبهوه قبلها لئلا يتزعج إذا استيقظ في المخاضة، فلما ايقظوه تنضب عليهم شديدا وشتمهم، وقال: حرمتوني أن أعلم مدة بقاء هؤلاء في هذه البلاد وغيرها، إني رأيت في منامي هذا أبي وعمدا تناجينا عند الله، فقال له: ملككم مائة سنة فقال: زدني. فقال: عشرا ومائة فقال: زدني. فقال: عشرين ومائة سنة. فقال: زدني فقال: لك. وأنبهتوني، فلو تركتموني لعلمت مدة هذه الأمة.

غزو المسلمين بلاد خراسان مع الأخنف بن قيس

وذلك أن الأخنف بن قيس هو الذي أشار على عمر بن أن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم، ويضيقوا على كسرى يزدرجرد، فإنه هو الذي يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين. فاذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رايه، وأمر الأخنف، وأمره بغزو بلاد خراسان. فركب الأخنف في جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزدرجرد، فدخل خراسان فافتتح هراة عترة واستخلف عليها صحرار بن فلان العبدى، ثم سار إلى مرو الشاهجان وفيها يزدرجرد، وبعت الأخنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور، والحارث بن حسان إلى سرخس. ولما اقترب الأخنف من مرو الشاهجان، ترحل منها يزدرجرد إلى مرو الروذ فافتتح الأخنف مرو الشاهجان فزها. وكتب يزدرجرد حين نزل مرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، وقصده الأخنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو الشاهجان حارث بن النعمان، وقد وفدت إلى الأخنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء، فلما بلغ مسيره إلى يزدرجرد ترحل إلى بلخ، وجاء الأخنف، فافتتح مرو الروذ، ثم سار وراء يزدرجرد، ففهمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقي معه من جيشه فعبر النهر واستوتق ملك خراسان على يدي الأخنف بن قيس، واستخلف في كل بلدة أسيراً، ورجع الأخنف فنزل مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها. فقال عمر: وددت أنه كان بيننا وبين خراسان بحر من نار فقال له علي: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن أهلها سيتقضون عندهم ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة، فقال: يا أمير المؤمنين، لأن يكون ذلك بأهلها، أحب إلي من أن يكون ذلك بالمسلمين.

وكتب عمر إلى الأخنف ينهاء عن العبور إلى ما وراء النهر. وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان. ولما وصل رسول يزدرجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يجفلا بأمره، فلما عبر يزدرجرد النهر ودخل في بلادهما

فخريت من ذلك الحين، وإلى الآن، ثم انتهوا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية والفارسية ويحفظون القرآن، ولهم مكاتب ومساجد، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواقع فلم يعرفوه بالكلية. ثم انتهوا إلى جبل أملس ليس عليه خضراء وإذا السد هناك من لبن حديد مئيب في نحاس، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصر يتهيأ إليه، وله شرفات من حديد وفي وسطه باب عظيم بمصراعين مثقلين، عرضهما مائة ذراع، في طول مائة ذراع، في ثمانية خمسة أذرع، وعليه قفل طولها سبعة أذرع في غلظ باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المكان حرس يضربون عند القفل في كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزعجاً، فيعلمون أن وراء هذا الباب حرماً وحفظاً، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة، وفي إحدهما بقايا العمارة من مغارات ولبن من حديد وغير ذلك، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله، في سمك شبر.

وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد: هل راوا أحداً من ياجرج وماجرج؟ فأخبروهم أنهم راوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات، فهبت الريح فالتفتهم إليهم، فإذا طول الرجل منهم شبر ونصف شبر والله أعلم. قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفة، من بلاد الروم، في عشرة آلاف من المسلمين، فسار وغنم ورجع سالماً.

وفيها ولد يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان. وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد، هم الذين كانوا في السنة قبلها.

وذكر أن عمر عزل عماراً في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا: لا يحسن السياسة، فعزله وولى أبا موسى الأشعري، فقال أهل الكوفة: لا نريده، وشكوا من غلامه فقال: دعوني حتى أنظر في أمري، وذهب إلى طائفة من المسجد ليفكر من يولي. فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرمه حتى استيقظ فقال له: إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين، الذي بلغ بك هذا. قال: وكيف لا وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير. ثم جمع الصحابة واستأشروهم، هل يولي عليهم قوماً مثلاً أو ضعيفاً مثلاً؟ فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين، إن القوي قوته لك وللمسلمين وتشديده لنفسه، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه. فقال عمر للمغيرة - واستحسن ما قال له - اذهب فقد وليت الكوفة. فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم حدهم بسبب قذفه، والعلم عند الله عز وجل.

وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة، فقبل لعمار: أساءك العزل؟ فقال: والله ما سرتني الولاية، ولقد سامني العزل. وفي رواية أن الذي سألته عن ذلك عمر رضي الله عنه.

ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبي وقاص على الكوفة بدل المغيرة فماجلته النية في سنة ثلاث وعشرين على ما سيأتي بيانه، ولهذا أوصى لسعد به.

قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا الأخنف بن قيس بلاد خراسان، وقصد البلد الذي فيه يزدرجرد ملك الفرس.

قال ابن جرير رحمه الله: ١٩٦/٤: وزعم سيف أن هذا كان في سنة ثمانى عشرة.

قلت: والأول هو المشهور والله أعلم.

إليه، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا، فهم خير لنا من غيرهم. فأبى عليهم كسرى ذلك. ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد، فجعل يخبره عن صفتهم، وكيف يركبون الخيل والإبل، وماذا يصنعون؟ وكيف يصلون. فكتب معه إلى يزيدجرد: إنه لم يمتني أن أبعث إليك جيش أوله بمرى وآخره بالصين الجاهلة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوا، ولو جثت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك، فسالمهم وأرض منهم بالمسألة. فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين. ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد ستين من إمارة عثمان كما سنوره في موضعه.

ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما آفاه الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وإتهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة، ثم ردهم الله بنظيهم لم يتألوا خيراً. فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ثم قال عمر: إن الله بعث محمداً بالهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فالحمد لله الذي أنجز وعده! ونصر جنده. ألا وإن الله قد أهلك ملك الجوسية وفرق شملهم فليسوا بملكون من بلادهم شيراً يضرب مسلم إلا وإن الله قد أوركهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون، فقوموا في أمره على وجل، يوف لكم بعهد، ويؤتكم وعده ولا تغيروا فيستبدل قوماً غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في تاريخ هذه السنة [تاريخ الإسلام: ٢٤١] - أعني سنة اثنتين وعشرين -:

وليفها فتحت أنريجان على يدي المغيرة بن شعبة. قاله ابن إسحاق: فيقال: إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم. وقال أبو عبيدة: فتحها حبيب بن مسلمة القهري بأهل الشام عنوة، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم.

وليفها افتتح حذيفة الدينور عنوة - بعد ما كان سعد انتحها فانتقضوا عهدهم.

وليفها افتتح حذيفة ماسبان عنوة - وكانوا تقضوا أيضاً عهد سعد - وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاقتضوا في الغنمة، فكتب عمر: إن الغنمة لمن شهد الوقعة.

قال أبو عبيدة: ثم غزا حذيفة هملان فافتتحها عنوة، ولم تكن فتحت قبل ذلك، وإليها انتهى فروع حذيفة.

قال: ويقال: افتتحها جرير بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال: افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين. وفيها افتتحت جرجان.

قال خليفة [تاريخ: ١٥٠/١] وفيها افتتح عمرو بن العاص أطرابلس المغرب، ويقال: في بالسبة التي بعدها.

قلت: وفي هذا كله غرابة بالنسبة إلى ما سلف والله أعلم.

قال شيخنا [تاريخ الإسلام: ٢٤٦/٣]:

وليفها توي

■ أبي بن كعب في قول الواقدي وابن مجر والذهلي والترمذي، وقد تقدم في سنة تسع عشرة.

■ معضد بن يزيد الشيباني: استشهد بأذربيجان ولا صحبة له.

تعين عليها لإنجاده في شرع الملوك، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك، ورجع يزيدجرد بمجنود عظيمة فيهم ملك التار خاقان، فوصل إلى بلخ واسترجعها، وفر عمال الأحنف إليه إلى مرو الروذ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ فبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لآخر: إن كان الأمير ذا رأي فإنه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة.

فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه، وكان إمارة النصر والرشد، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج، فقام الأحنف في الناس خطيباً فقال: إنكم قليل وعدوكم كثير، فلا يهولنكم، فذكرهم مَن يَفْقُ قَلِيلَهُ غَلَبَتْ يَفَّةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ٢٤٩] فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل. فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك وطليعة وعليه طوق وضرب بطله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعته الأحنف فقتله وهو يرتجز.

إن على كل رئيس حقاً أن يغضب الضعفة أو يندفأ إن لنا شيخاً بها ملقى سيف أبي حفص الذي تبقى

قال: ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه، فخرج آخر عليه طوق ومعه طيل فجعل يضرب بطله، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكيفية. وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من مبيتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطله، ثم الثاني ثم الثالث، ثم يخرجون بعد الثالث. فلما خرجت الترك ليلتد بعد الثالث، فأتوا على فرسانهم مقتلين،

نشام بذلك الملك خاقان وتطير، وقال لسكره: قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا. فخرجوا إلى بلادهم وانتظروهم المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحداً منهم، ثم بلغهم انصرافهم إلى بلادهم واجتمع عنهم. وقد كان يزيدجرد - وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته - ذهب إلى مرو الشاهجان فحاصر. حاروة بن النعمان بها واستخرج منها خزائنه التي كان دفنها بها، ثم رجع وانتظروه خاقان يبلغ حتى رجع إليه.

وقد قال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. وقد أصاب الأحنف في ذلك، فقد جاء في الحديث «تركوا الترك ما تركوكم» [٤٣٠/٢] وقد «وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْتِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا» [الأحزاب: ٥٢].

ورجع كسرى خاسراً الصفقة لم يشف له غليل، ولا حصل على خير، ولا انتصر كما كان في زعمه، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه، وتحنى عنه وتبرا منه أوحج ما كان إليه، وبقي مذبذباً «ولا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» وتَن يُضِلُّ اللَّهُ فَنَ تَجِدُ لَهُ سَبِيلًا [النساء: ٨٨] وتخبر في أمره ماذا يصنع؟ وإلى أين يذهب؟ وقد أشار عليه بعض أولي النهى من قومه حين قال: قد عرمت أن أنهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان في بلاده. فقالوا: إنا نرى أن نصلح هؤلاء القوم فإن لهم ذمةً وديناً يرجعون

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين

وفيه وفاة عمر بن الخطاب

قال الواقدي وأبو معشر [تاريخ الطبري: ١٧٤/٤]: فيها كان فتح اصطخر ومهمذان.

وقال سيف [تاريخ الطبري: ١٧٤/٤]: كان فتحها بعد فتح تَجُوج الأخيرة. ثم ذكر [تاريخ الطبري: ١٧٥/٤] أن الذي افتتح تروج مجاشع بن مسعود، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم جمة، ثم ضرب الجزية على أهلها، وعقد لهم الذمة، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح جور بعد قتال شديد كان عندها، ثم افتتح المسلمون اصطخر - وهذه المرة الثانية - وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر - من أرض البحرين - والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاروس، كما تقدم بسط ذلك في موضعه. ثم صالحه الهريذ على الجزية، وأن يضرب لهم الذمة. ثم بعث بالأخماس والبقية إلى عمر.

قال ابن جرير [تاريخه: ١٧٥/٤]: وكانت الرسل لها جواز، وتقضي لهم حوائج، كما كان رسول الله ﷺ يعاملهم بذلك. ثم إن شهرك خلع العهد، ونقض الذمة، ونشط الفرس، فنقضوا، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم، فاقتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين، وقتل الحكم بن أبي العاص شهرك، وقتل ابنه معه أيضاً.

وقال أبو معشر: كانت فارس الأولى واصطخر الأخيرة سنة ثمان وعشرين في إمارة عثمان، وكانت فارس الأخيرة ووقعة جور في سنة تسع وعشرين.

فتح فسا ودار الجرد وقصة سارية بن زئيم

ذكر سيف [تاريخ الطبري: ١٧٨/٤] عن مشايخه أن سارية بن زئيم قصد فسا ودار الجرد، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكرد - عظيمة، ودعم المسلمون منهم أمر عظيم وجمع كثير، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنهم في صحراء وهناك جبل إن استندوا إليه لم يأتوا إلا من وجه واحد، فنادى من الغد: الصلاة جامعة.

حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية الجبل الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يلقئهم. قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد.

وذكر سيف في رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال: يا سارية بن زئيم الجبل الجبل. فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقتل العدو عليهم إلا من جهة واحدة فأظفرهم الله بهم، وفتحوا البلد. وغنموا شيئاً كثيراً، فكان من جملة ذلك سبط من جوهر فاستوبه سارية من المسلمين لعمر، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماتهم، فلما رآه عمر قال له: اجلس - ولم يعرفه - فجلس الرجل فأكل مع الناس، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبه الرجل، فاستأذن

فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح، فقال: ادن فكل. قال: فجلست فجعل يقول لامرأته: ألا تخرجين يا هذه فتأكلين؟ فقالت: إني اسمع حس رجل عندك. فقال: أجل، فقالت: لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة. فقال: أو ما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر. فقالت: ما أقل غناء ذلك عني. ثم قال للرجل: ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى. فأكلا فلما فرغا قال: أنا رسول سارية بن زئيم يا أمير المؤمنين. فقال: مرحباً وأهلاً. ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته، ثم ساله عن المسلمين، ثم ساله عن سارية بن زئيم، فأخبره ثم ذكر له شأن السبط من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند. وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم، فسألوه: هل سمعوا صوتاً يوم الرقعة؟ قال: نعم، سمعنا قائلاً يقول: يا سارية الجبل، وقد كلفنا نهلك فلجأتنا إليه ففتح الله علينا [تاريخ الطبري: ١٧٨/٤، ١٧٩].

ثم رواه سيف عن مجاهد عن الشعبي بنحو هذا.

وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر: أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية، قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي: يا ساري الجبل! ثلاثاً. ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر: فقال: يا أمير المؤمنين هزمتنا بينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً: يا سارية الجبل! ثلاثاً فاستندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله. قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك (والله لا لي بميم ٥٢٦).

وهذا إسناد جيد حسن.

وقال الواقدي: حدثني نافع بن أبي نعيم عن نافع مولى ابن عمر: أن عمر قال على المنبر: يا سارية بن زئيم الجبل! فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زئيم المدينة على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين كنا محاصري العدو فكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد، نحن في خضف من الأرض وهم في حصن عال، فسمعت صائحاً ينادي بكذا وكذا يا سارية بن زئيم الجبل، فعلوت بأصحابي الجبل، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا.

وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه، وفي صحته من حديث مالك نظر.

وقال الواقدي: حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه. وأبو سليمان عن يعقوب بن زيد قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح: يا سارية بن زئيم الجبل! يا سارية بن زئيم الجبل! ظلم من استرعى الذئب الغنم. ثم خطب حتى فرغ، فجاء كتاب سارية إلى عمر: إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كنا وكنا - لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم على المنبر - قال سارية: فسمعت صوتاً يا سارية بن زئيم الجبل، يا سارية بن زئيم الجبل! ظلم من استرعى الذئب الغنم! فعلوت بأصحابي الجبل، ونحن قبل ذلك في بطن واد، ونحن محاصرو العدو ففتح الله علينا. فقيل لعمر بن الخطاب: ما ذلك الكلام؟ فقال: والله ما ألقيت له بالأ، شيء ألقى على لساني. فهذه طرق يشد بعضها بعضاً.

ثم ذكر ابن جرير [تاريخه: ١٨٠/٤] من طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدي سهيل بن عدي وأمه عبد الله بن عبد الله بن عتيان، وقيل: على يدي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وذكر فتح سجستان على يدي عاصم بن عمرو، بعد قتال شديد، وكانت ثغورها متسعة، ويلاها متباعدة، ما بين السند إلى نهر بلخ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك

عن أنخبار المهاجرين، وكيف طعامهم وأسماعهم، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم؟ وذكر عرضه عليه ذلك السفط من الجهر، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك، وأمره بأن يرده فيقسم بين الغائين.

وقد أورد ابن جرير [ترجمته: ١٨٦/٤، ١٨٧] مطولاً جداً.

وقال ابن جرير [ترجمته: ١٩٠/٤]: وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي ﷺ، وهي آخر حجة حجها رضي الله عنه.

قال: وفي هذه السنة كانت وفاته. ثم ذكر صفة مقتله مطولاً أيضاً، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر، فليكتب من هناك إلى هنا.

وهو

■ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن

قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي، أبو حفص العدوي، الملقب بالقاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب روي ذلك عن الزهري [تاريخ الطبري: ١٩٥/٤].

وأمه حثمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام.

أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة، وشهد بدرأً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وخرج في عدة سرايا، وكان أميراً على بعضها، وهو أول من دعي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ، وجمع الناس على الترويح، وأول من عس بالمدينة وحمل السلة وأدب بها، وجلد في الخمر ثمانين، وفتح الفتح، ومصر الأمصار، وجند الأجناد. ووضع الخراج، ودون الدواوين، وعرض الأعطية، واستقصى القضاء، وكور الكور، مثل السواد والأهواز والجيال وفارس وغيرها، وفتح الشام كله، والجزيرة والموصل، وميافارقين، وأمد، وأرمينية، ومصر وإسكندرية. ومات وعساكره على بلاد الري.

فتح من الشام اليرموك وبصرى ودمشق والأردن، ويسان، وطبرية، والجابية، وفلسطين والرملة، وعسقلان وغزة والسواحل والقدس. وفتح مصر وإسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة.

ومن مدن الشام بعلبك وحمص وقسرين وحلب وأنطاكية.

وفتح الجزيرة وحران والرها والرقعة ونصيبين ورأس عين وشمشاط وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد الموصل وأرمينية جميعها.

وبالعراق القادسية والحيرة وبهرسير وساباط، ومدائن كسرى وكورة الفرات وديلة والأبلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند وهمذان والري وقومس وخراسان وإصطخر وأصبهان والسوس ومرو ونيسابور وجرجان وأذربيجان وغير ذلك.

وقطعت جيوشه النهر مراراً، وكان متراعساً في الله، خشن العيش، خشن الطعام، شليداً في ذات الله، يرقع الثوب بالأديم، ويحمل القرية على كتفيه، مع عظم هيئته، ويركب الحمار عرباً، والبعر مخطوماً بالليف، وكان قليل الضحك لا يمزح أحداً وكان نقش خنائه كفى بالموت واعظاً يا عمر.

وقال النبي ﷺ: «أشد أمني في دين الله عمر» [طبقات ابن سعد: ٢٩١/٣]

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن لي وزيرين من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الأرض، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر، وإنهما السمع والبصر» [المستدرک: ٢٦٤/٢، وليس عند «إلهما السمع والبصر» وهي عند (٣٩٧) من حديث عبد الله بن حنطب]

من ثغورها وفروجها.

وذكر فتح مكران على يدي الحكم بن عمرو، وأمد شهاب بن المخارق بن شهاب، وسهيل بن عدي، وعبد الله بن عبد الله، واقتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح ويعث بالأخماس مع صحار العبدني، فلما قدم على عمر سأل عن أرض مكران فقال: يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل وماؤها وشل، وثمرها دَقَل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها. فقال عمر: أسجاع أنت أم غير؟ فقال: لا، بل غير، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا ينزو بعد ذلك مكران، وليقتصروا على ما دون النهر.

وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك:

لقد شيع الأراملُ غير فخرٍ بفسى جاءهم من مكران
أناهم بعد مسغبة وجهي وقد صَفِرَ الثَّناءُ من النُّحانِ
فإني لا يَئُذُ الجيشُ فُعلِي ولا سيفي يُئِذُ ولا ساني
غداة أدفع الأوباشَ دفْعاً إلى السندِ العريضةِ والمُداني
ومهرانُ لنا فيما أردنا مطيع غير مترخي العنانِ
فلولا ما نهى عنه أميري قطعناه إلى البلدِ الزواني

غزوة الأكراد

ثم ذكر ابن جرير [ترجمته: ١٨٣/٤] بسنده عن سيف عن شيوخه: أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيرى، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد، فتسلم الحرب وهو حنق عليهم، فهزم الله العدو وله الحمد والمئة، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة في عبادته للمؤمنين، وحزبه المقلعين، من أتباع سيد المرسلين.

ثم حُسمت الغنيمة ويعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه، وقد سار ضبة بن حصن العنزي فاشتكى أبا موسى إلى عمر، وذكر عنه أموراً لا يقيم عليه بسببها، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمها عمر وقبلها، ورده إلى عمله وعذر ضبة فيما تأوله، ومات عمر، وأبو موسى على صلاة البصرة.

خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد

بعث عمر أميراً على سرية ووصاه بوصايا كثيرة مضمون حديث بريدة في صحيح مسلم [١٧٣١] «اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله» الحديث إلى آخره، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعوههم إلى إحدى ثلاث خلال، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها، فقاتلهم فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا فرارهم، وغنموا أموالهم. ثم بعث سلمة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح وبالغنائم، فذكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس، ودعاه معه إلى منزله، كنحو ما تقدم من قصة أم كلثوم بنت علي، وطلبها الكسوة كما يكسي طلحة وغيره أزواجهم، فقال: ألا فكيف أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين؟ ثم ذكر طعامه الخشن، وشرابه من سلت، ثم شرع يستعلمه

وما مات حتى سرد الصوم، وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويقول: بشس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع.

وكان في وجهه خيطان أسودان من البكاء، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعاً إلى منزله فيعاده أياماً ليس به مرض إلا الخوف. وقال طلحة بن عبد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمية مقعدة فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيكي؟ فقالت: إنه يتماهمني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقلت لنفسي: تكلك أمك ياطلحة، أعثرت عمر تبع؟!

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فأتينا بحرساتهم ووصلان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله تعالى واحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاء فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كنا وكذا شهراً، فقال: ويحك لا تعجله عن الطعام. فلما صلى الصبح وهو لا يستين للناس قراءته من البكاء. قال: يؤسأ لعمر. كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر منابه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الطعام، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الأفاق.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدها فإذا فيه امرأة تمخض وتبكي، فسأها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة غريبة وليس عندي شيء. فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيفاً وشحمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاء، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرف - يتحدث، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر. فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بشفقة وما يصلحهم وانصرف.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: عليك السلام. قال: أدنؤ؟ قالت: ادن أو دع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعلمهم به حتى ينموا، الله بيننا وبين عمر. فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم أحله على ظهري، فقلت: أنا أحله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟!

فحملة على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فالتقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفع تحت القدر والدخان يتخلل لحية ساعة، ثم أترها عن النار وقال: آتني بصحفة. فأتى بها فنسرف فيها ثم جعلها بين يدي الصبيان وقال: كلوا، فاكلوا حتى شبعوا - والمرأة

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال «إن الشيطان يفرق من عمر» [دايع دمشق: ترجمة عمر ص ٧١]

وقال «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدعها في دين الله عمر» [مسند أحمد: ٢/١٨٤].

وقيل لعمر إنك فظ. فقال: الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رُحماً وملاً قلوبهم لي رعباً.

وقال عمر: لا يعمل لي من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغنام، نعم أنا رجل من المسلمين.

وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب يردونا، ولا يأكل ثقيفاً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلث بابه دون ذوي الحاجات. فإن فعل شيئاً من ذلك حُلَّت عليه العقوبة.

وقيل: إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر: أحبس هذه أحبس هذه، فيقول الرجل: والله كل ما حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبس.

وقال معاوية بن أبي سفيان: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم تردده، وأما عمر فأرادته فلم يرددها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن.

وعوتب عمر فقيل له: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق؟ فقال: إني تركت صاحبي على جادة، فإن تركت جادتهما فلم أدركهما في المنزل.

وكان يلبس وهو خليفة حبة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الحدة يؤدب بها الناس، وإذا مر بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منزل الناس يتنعمون به.

وقال أنس: كان بين كفتي عمر أربع رواق، ولزازه مرقوع بأدم، وخطب على المنبر وعليه إزار فيه اثني عشر رقعة، وأنفق في حجته ستة عشر ديناراً، وقال لابنه: قد أسرفنا، وكان لا يستظل بشيء غير أنه كان يلقي كساءه على الشجر ويستظل تحته، وليس له خيمة ولا نسطاط.

ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبخ رجليه بين شعبي الرجل بلا ركاب، ووطأوه كساء من صوف، وهو فراشه إذا نزل، وحقنيته محشوة ليفاً، وهي وسادته إذا نام، وعليه قميص من كرايس قد نسيم وتحرق جيبه، فلما نزل قال: ادعوا لي رأس القرية، فدعوه فقال: اغسلوا قميصي وخططوه وأعبروني قميصاً، فأتني بقميص كان، فقال: ما هذا؟ فقيل: كان فقال: فما الكتان؟ فآخبروه. فنزع قميصه ففسلوه وخططوه ثم لبسه، فقال له: أنت ملك العرب، وهله بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل. فأتني ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فلما سار جعل البرذون يهملج به فقال لمن معه: اجسبوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي. ثم نزل وركب الجمل.

وعن أنس قال: كنت مع عمر فدخل حائطاً لحاجته فسمعتة يقول - وبني وبني جدار الحائط - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، والله لتتقن الله بُني الخطاب أو ليعذبنك.

وقيل: إنه حمل قرية على عاتقه فقيل له في ذلك فقال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن أدنأ!

وكان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر.

يقين من ذي الحجة.

وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في سنة عن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم، لكونه من قبيلته، خشية أن يراعى في الإمارة بسببه، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين، بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال يقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر واحداً وعشرين يوماً، ويوم لعثمان يوم الاثنين ثلاث مضي من المحرم. قال: فذكرت ذلك لعثمان الأخسي فقال: ما أراك إلا وهلت. توفي عمر لأربع ليال يقين من ذي الحجة ويوم لعثمان ليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين.

وقال أبو معشر: قتل عمر لأربع يقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ويوم عثمان بن عفان.

وقال ابن جرير [إليه: ١٩٤/٤]: حدثت عن هشام بن محمد قال: قتل عمر ثلاث يقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام.

وقال سيف بن خليل بن ذفرة ومجالداً قالاً: استخلف عثمان ثلاث من المحرم فخرج فصلى بالناس صلاة العصر.

وقال علي بن محمد المدائني عن شريك عن الأعمش - أو جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد عن أشياخ من قومه، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال: طعن عمر يوم الأربعاء لسبع يقين من ذي الحجة.

قال: وقال غيرهم: لست بيقين من ذي الحجة. والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم.

صفته رضي الله عنه:

كان رجلاً طويلاً أصلع أعسر أيسر أحوز العينين، آدم اللون، وقيل: كان أبيض شديد البياض تملوه حمرة، أشبب الأسنان، وكان يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء.

واختلف في مقدار سنة يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها - عشرة:

فقال ابن جرير [إليه: ١٩٧/٤]: حدثنا زيد بن أخطم حدثنا أبو قتبية عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

ورواه الدوادري عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر [إليه: الطوري: ١٩٧/٤، من طريق البراءدي: ٤].

تدعوله وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.

وقيل: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له: إني يا أمير المؤمنين؟ فقال: قد نبت بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه. فقال: قد أثبت الخلفاء من بعدك.

وقيل: إنه رأى جارية تمايل من الجوع فقال: من هذه؟ فقالت ابنة عبد الله: هذه ابنتي. قال: فما بالها؟ فقالت: إنك تجلس عنا ما في يدك فيصينا ما ترى. فقال: يا عبد الله، بيني وبينكم كتاب الله، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم؟ فأعدو خائفاً؟!

وقال الواقدي: حدثنا أبو حزره يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال: قتل لعائشة؟ من سعى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ.

أمير المؤمنين وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة - وقيل: غيره فאלله أعلم.

وقال ابن جرير [إليه: ٢٠٨/٤]: حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري حدثني أم عمرو بنت حسان الكوفية - وكان قد أتى عليها مائة وثلاث وثلاثون سنة - عن أبيها قال: لما ولي عمر قالوا: يا خليفة خليفة رسول الله. فقال عمر: هذا أمر يطول، بل أنتم المؤمنين وأنا أميركم. فسمي أمير المؤمنين.

وملخص ذلك أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التصبر، وسأل الله أن يقبضه إليه، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ، كما ثبت عنه في الصحيح (ج: ١٨٩٠) بنحوه أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك.

فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً، ولكن الله لطيف لما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز الجومسي الأصل، الرومي الدار، وهو قائم يصلي في الحراب، صلاة الصبح من يوم الأربعاء، لأربع يقين من ذي الحجة من هذه السنة بمنجرت ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل: ست ضربات، إحداهن تحت سرته قطعت الصفاق فخر من قامته، واستخلف عبد الرحمن بن عوف، ورجع العليخ بمنجرتة لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة، فالتقى عليه عبد الله بن عوف برساً فاتحتر نفسه لعنه الله، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يقيق ثم يمتى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيقيق ويقول: نعم، ولاحظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمر قتله من هو؟ فقالوا له: أبر لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل مني على يدي رجل يدعي الإيمان ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجة فإنه تجار نقاش حداد فزاد في خراجة إلى مائة في كل شهر - وقال له: لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رحاً تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة: أما والله لأعملن لك رحاً يتحدث بها الناس في المشارق والمغارب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطلعت صبيحة الأربعاء

وقاله عبد الرازق [المصنف (٦٧٩١)] عن ابن جريج عن الزهري.
ورواه أحمد [تاريخ دمشق ص ٤٠٢ من طريق الإمام أحمد، به] عن هشيم
عن علي بن زيد عن سالم بن عبد الله بن عمر.
وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة وثلاثة وتسعون وخمسون.
قال ابن جرير [تاريخه: ١٩٧/٤]: وقال آخرون: كان عمره ثلاثاً وخمسين
سنة، حدثت بذلك عن هشام بن محمد.
ثم روى عن عمر الشعبي أنه توفي وله ثلاث وستون سنة.
قلت: وقد تقدم في عمر الصديق مثله. وروى عن قتادة أنه قال: توفي
عمر وهو ابن إحدى وستين سنة [تاريخ الطبري: ١٩٨/٤].
وعن ابن عمر والزهري خمس وستون. وعن ابن عباس ست وستون.
وروى ابن جرير [تاريخه: ١٩٨/٤] عن أسلم مولى عمر أنه قال: توفي
وهو ابن ستين سنة.
قال الرازقي: وهذا أثبت الأقاويل عندنا.
وقال المدائني: توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة.

ذكر زواجه وأبنائه وبناته:

قال الرازقي وابن الكلبي وغيرهما: تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت
مظعون أخت عثمان بن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر،
وحفصة رضي الله عنهم. وتزوج مليكة بنت جرول فولدت له عبيد الله
فطلقها في الهدنة، فخلع عليها أبو الجهم بن حذيفة، قاله المدائني [تاريخ
الطبري: ١٩٨/٤].

وقال الواقدي: هي أم كلثوم بنت جرول فولدت له عبيد الله وزيداً
الأصغر.

قال المدائني: وتزوج قرية بنت أبي أمية المخزومي ففارقتها في الهدنة،
فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر.

قالوا: وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها - حين قتل
في الشام - فولدت له فاطمة ثم طلقها.

قال المدائني: وقيل: لم يطلقها، قالوا: وتزوج جميلة بنت عاصم بن
ثابت بن أبي الأفلح من الأوس. وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن
نفيل، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر ولما قتل عمر تزوجها بعده
الزبير بن العوام رضي الله عنهم، ويقال: هي أم ابنه عياض فآله أعلم.

قال المدائني: وكان قد خطب أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وهي
صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم كلثوم: لا حاجة لي فيه، فقالت
عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش فأرسلت
عائشة إلى عمرو بن العاص فصله عنها ودله على أم كلثوم بنت علي بن
أبي طالب، ومن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقال: تعلق منها بسبب من
رسول الله ﷺ، فخطبها من علي فزوجه إياها، فأصدقها عمر رضي الله
عنه أربعين ألفاً، فولدت له زيداً ورقية.

قالوا: وتزوج لية - امرأة من اليمن - فولدت له عبد الرحمن
الأصغر، وقيل: الأوسط.

وقال الواقدي: هي أم ولد وليست بزوجة، قالوا: وكانت عنده فكيهة
أم ولد فولدت له زينب.

قال الواقدي وهي أصغر ولده.

قال الواقدي: وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت:

يغلن بابه ويمنع خيريه ويدخل عابساً ويخرج عابساً.
قلت: فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً وهم زيد
الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وعبد
الرحمن الأوسط.

قال الزبير بن بكار: وهو أبو شحمة، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد
الله، وعياض، وحفصة، ورقية، وزينب، وفاطمة، رضي الله عنهم.

وجمع نساؤه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو
مات عنهن سبع، ومن جملة أخت عاصم بن ثابت بن الأفلح، وزينب
بنت مظعون، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وقرية بنت أبي أمية،
ومليكة بنت جرول، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وأم كلثوم بنت
علي بن أبي طالب، وأم كلثوم أخرى وهي مليكة بنت جرول.

وكانت له أمانات له منها أولاد، وهما فكيهة ولية، وقد اختلف في
لية هذه فقال بعضهم: كانت أم ولد، وقال بعضهم: كان أصلها من اليمن
وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فآله أعلم.

ذكر بعض ما رثي به:

قال علي بن محمد المدائني: عن ابن داب وسعيد بن خالد، عن صالح
بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال: لما مات عمر بكته ابنة أبي حنيفة
فقال: وأعمراه، أقام الأود وأبدا العمد، أمات الفتن وأحيا السنن، خرج
تقي الثوب بريئاً من العيب.

قال: فقال علي بن أبي طالب: والله لقد صدقت، ذهب بخيرها، ونجا
من شرها أما والله ما قالت ولكن قُولت.

قال: وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في زوجها عمر.

فجعتني فـيـرـوز لا در دره بـايـض تـال لـلـكـتاب مـنـيب
رووف عـلى الأـنـى غـلـيظ عـلى العـدى أـحـسـى ثـقة فـي النـائـبات عـيـب
مـنى ما يـقل لا يـكـذب القـول فـعلـه سـريـع لـى الحـسـرات غـير قـطـوب
وقالت أيضاً:

عين جودي بـعـرة وغـيـب لا تـمـلى عـلى الإـمـام النـجـيب
فـجـعـتـني النـسـون بـالـفـسـار المـع لم يـوم الـمـيـاج والتـليـب
عصمة النـاس والمـعين عـلى النـهـد ر غـيـث المـتـنـاب والمـحـرـوب
قل لأهل السـراء والبـؤس مـوتـوا قـد سـقـتـه النـسـون كـأن شـعـوب
وقالت امرأة من المسلمين تبيكة:

سيـكـيك نـسـاء الحـ ي يـكـيـن شـجـيـات

ويـمـشـن وجـوهاً كـالـ دنـاسـير نـقـيـات

ويـلبـس ثـيـاب الحـ زن بـعد القـصـيـات

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ١٩٠/٤-٢٤١] ترجمة طويلة لعمر بن
الخطاب، وكذلك أطال ابن الجوزي: في سيرته وشيخنا الحافظ أبو عبد الله
الذهبي في تاريخه [عهد الحقاء ص ٢٥٣-٢٨٤]، وقد جمعنا متفرقات كلام
الناس في مجلد مفرد، وأفرنا لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر
كبيراً مرتباً على أبواب الفقه ولله الحمد.

[ومن أحداث هذه السنة]

وقال ابن جرير [٢٤١/٤]: وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان. وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت، وأبو أيوب وأبو ذر، وشداد بن أوس. وفيها فتح معاوية عسقلان صلحاً.

قال: فيها كان على قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة كعب بن سور.

قال: وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في تاريخه [جزء عهد الخلفاء ص ٢٤٩، ٢٥٠] في سنة ثلاث وعشرين:

فيها كانت قصة سارية بن زئيم. وفيها كان فتح كرمان وأميرها سهيل بن عدي.

وفيها فتحت سجستان، وأميرها عاصم بن عمرو. وفيها فتحت مكران، وأميرها الحكم بن أبي العاص، أخو عثمان، وهي من بلاد الجبل.

وفيها رجع أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها. وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية.

ثم ذكر وفاة من مات فيها. فمتمم:

قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي الظفري أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وقاتله أكبر منه، شهد بدراً وأصيب عينه في يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله ﷺ فصارت أحسن عينه، وكان من الرماة المذكورين وكان على مقدمة عمر حين قدم إلى الشام توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة، ونزل عمر في قبره، وقيل: إنه توفي في التي قبلها.

ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فاطال فيها وأكثر وأطنب وأطيب، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة، وفوائد جمة، وأشياء حسنة، فأنابه الله الجنة. ثم قال:

ذكر من توفي في خلافة عمر بن

الخطاب

■ الأقرع بن حابس ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم التميمي الجاشعي.

قال ابن دريد [الاشتقاق ص ٢٣٩]: واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه.

وكان أحد الرؤساء، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم، وهو الذي نادى من وراء الحجرات: يا محمد إن مدحي زين، وذمي شين [مسند أحمد: ٤٨٨/٣]. وهو القاتل - وقد رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن - أتقبله؟ والله إن في عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم. فقال «من لا يرحم لا يرحم» [بخ: ٥٩٩٧، م: ٢٣١٨].

وفي رواية: «ما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك» [مسند أحمد: ٥٩٦/٦]. وكان من تالقه رسول الله ﷺ فأعطاه يوم حنين مائة من الإبل،

وكذلك لعينة بن حصن الفزاري، وأعطى عباس بن مرداس خمسين من الإبل فقال:

أتمهل نهبي ونهب العيبد بين عيننة والأقرع فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في جمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

فقال له رسول الله ﷺ: أت القاتل:

أتمهل نهبي ونهب العيبد بين الأقرع وعيننة رواه البخاري (٣١٥٠)

قال السهيلي (الروض الأنف: ٢٨٧/٧): إنما قدم رسول الله ﷺ ذكر الأقرع قبل عيننة لأن الأقرع كان خيراً من عيننة، ولهذا لم يرتد بعد النبي ﷺ كما ارتد عيننة، فباع طليحة وصندقة ثم عاد.

والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً، وشهد مع خالد وقائمه بلرؤس المراق، وكان على مقدمته يوم الأنبار. ذكره شيخنا [تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٨٥] فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب.

والذي ذكره ابن الأثير في الغابة [١٣٠/١] أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

■ حباب بن المنذر: بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال: أبو عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن يتزل رسول الله ﷺ على أدنى ماء يكون إلى القوم، وأن يفور ما وراءهم من القلب فأصاب في هذا الرأي، ونزل الملك بتصليقه.

وأما قوله يوم السقيفة: أنا جليلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير [بخ: ٢٤٦٢، م: ١٦٩١]. فقد رده عليه الصديق والصحابة.

■ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ: عتبة بن مسعود الهذلي، هاجر مع أخيه لأبويه، عبد الله إلى الحبشة وشهد أحداً وما بعدها.

قال الزهري: ما كان عبيد الله بأفقه منه، ولكن مات عتبة قبله.

وتوفي زمن عمر على الصحيح، ويقال في زمن معاوية سنة أربع ولربيعين.

■ علقمة بن علاثة: ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي:

أسلم عام الفتح وشهد حنباً وأعطى يومئذ مائة من الإبل تأليفاً لقلبه، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً في قومه وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه، ووفد على عمر في خلافته وقدم دمشق في طلب ميراث له، ويقال: استعمله عمر على حوران فمات بها، وقد كان الخطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بليال فقال:

فما كان يبني لو قلتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قاتل

■ علقمة بن مجزز: بن الأعور بن جعنة بن معاذ بن عترة بن عمرو بن مدلج الكنانى المدلجي:

أحد أمراء رسول الله ﷺ على بعض السرايا وكانت فيه دعاية، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتدحوا، فقال النبي ﷺ: «لو دخلوا فيها ما خرجوا منها» وقال: «إنما الطاعة في المعروف» [بخ: ٤٣٤٠، م: ١٨٤٠]

كان في خلقها حنة، وقد كبرت فأراد رسول الله ﷺ أن يفارقها - ويقال بل فارقها - فقالت: يارسول الله لا تفارقي وأنا أجعل يومي لعائشة، فتركها رسول الله ﷺ وصالحها على ذلك. وفي ذلك أنزل الله عز وجل ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ الآية [النساء: ١٢٨]. قالت عائشة: نزلت في سودة بنت زمعة (ت: ٣٠٤)، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب. ■ هند بنت عتبة: يقال: ماتت في خلافة عمر وقيل: توفيت قبل ذلك كما تقدم فالله أعلم.

ثم استهلت سنة أربع وعشرين

ففي أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث أيام بوع لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعلمه شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم. وتخرج أن يجعلها إلى واحد من هؤلاء على التمين وقال: لا أحمل أمرهم حياً وميتاً وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ، ومن تمام ورعه لم يذكر في أهل الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشي أن يراعى فيولى لكونه ابن عمه، فلذلك تركه. وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناء من بينهم، وقال: لست أدخله فيهم، وقال لأهل الشورى: يحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء؛ بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولى شيئاً - وأوصى أن يصلي بالناس صهيبة بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى يترجم الأمر، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مستحناً أبا طلحة الأنصاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وقد قال عمر بن الخطاب: ما أظن الناس يعللون بشعثان وعلي أحداً، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ عما ينزل به جبريل عليه.

قالوا: فلما مات عمر رضي الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلي عليه، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف: لستما من هذا في شيء، إنما هذا إلى صهيبة الذي أمره عمر أن يصلي بالناس. فتقدم صهيبة وصلى عليه، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنه كان غائباً.

فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن غرمة، وقيل في حجره عائشة وقيل: في بيت المال، وقيل: في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحак بن قيس، والأول أشبه والله أعلم.

فجلسوا في البيت وقام أبو طلحة يمججهم، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا من وراء الباب فحصبهما سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال: جئتما لتقولوا: حضرنا أمر الشورى! رواه المدائني عن

وقد كان علقمة جواداً عدواً رثاء جواس العذري فقال:

إن السلام وحسن كل نجمة تغدو على ابن مجزز وتروح

■ عويم بن ساعدة: بن عائش أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسي.

أحد بني عمرو بن عوف شهد العقبة ويدرأ وما بعدها له حديث عند أحمد [٤٢٢/٣] وابن ماجه [١٨٦١]، وحديثه في النكاح في الاستئجار بالماء.

قال ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٦٤/٣]: توفي في حياة النبي ﷺ وقيل في خلافة عمر، وقال: وهو واقف على قبره: لا يستطيع أحد أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر ما نصبت راية للنبي ﷺ إلا وهو واقف تحتها. وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم [الأحاديث والمناهي (١٩٤٤)] كما أورده ابن الأثير [إسد الغابة: ٣١٦/٤] من طريقه.

■ غيلان بن سلمة الثقفي: أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً، وقد وفد قبل الإسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصرًا بالطائف، وقد سأله كسرى: أي ولدك أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يقدم، فقال له كسرى: أنى لك هذا؟ هذا كلام الحكماء! قال: فما غناؤك؟ قال: البر. قال نعم هذا من البر لا من التمر واللين.

■ معمر بن الحارث: بن معمر حبيب بن وهب بن حنيفة بن جمح القرشي الجمحي أخو حاطب وحطاب، مهم قتيبة بنت مطعون، أخت عثمان بن مطعون.

أسلم معمر قبل دخول دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن عفره.

■ ميسرة بن مسروق العبسي: شيخ صالح قيل: إنه صحابي شهد اليرموك ودخل الروم أميراً على جيش ستة آلاف وكانت له همة عالية فقتل وسى وغنم وذلك في ستة عشرين، وروى عن أبي عبيدة وعنه أسلم مولد عمر، لم يذكره ابن الأثير في الغابة.

■ واقد بن عبد الله: بن عبد مناف بن عرين الخطلي البريوي حليف بني عدي بن كعب.

أسلم قبل دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين بشر بن البراء بن معرور، وهو أول من قُتل في سبيل الله عز وجل بطن لخلعة، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمي، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه.

■ أبو خراش الهذلي الشاعر: واسمه خويلد بن مرة:

كان يسبق الخيل على قلمي، وكان فتاكاً في الجاهلية، ثم أسلم وحسن إسلامه، وتوفي في زمن عمر، أتاه حجاج فلذهب بآتيهم بماء فنهشته حية فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدرًا، ولم يعلمهم بما جرى له، فأصبح فمات فقتلوه.

ذكره ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٦٣٦/٤] وابن الأثير [إسد الغابة: ٨١/٦] في أسماء الصحابة، والظاهر أنه ليست له وفادة، وإنما أسلم في حياة النبي ﷺ فهو مخضرم والله أعلم.

■ أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب: بن عمرو الأنصاري: شهد أحدًا وما بعدها، إلا تبرك فإنه تخلف لعذر الفقر، وهو أحد البكائين المذكورين.

■ سودة بنت زمعة القرشية العامرية أم المؤمنين: أول من دخل بها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها، وكانت صوامع قوامه، ويقال

مشائخه والله أعلم بصحته.

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم، فكثر القول، وعلت الأصوات وقال أبو طلحة: إني كنت أظن أن تداوموها ولم أكن أظن أن تنافسوها، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان: أيكما يبرأ من هذا الأمر ففوض الأمر إليه والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن اجتهد فأولي أولاكم بالحق، فقالا: نعم! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعملن ولئن ولي عليه ليسمعن وليطين، فقال كل منهما: نعم! ثم تفرقا.

ويروي أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم فيولي، فيذكر أنه سأل كل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان، حتى أنه قال لعلي: أرايت إن لم أولئك بمن تشير به علي؟ قال: بعثمان. وقال لعثمان: أرايت إن لم أولئك فمن تشير به؟ قال: بعلي بن أبي طالب.

والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة وينتخب عبد الرحمن منها ليظهر الأفضل والله عليه والإسلام ليجتهدن في أفضل الرجلين فيولي.

ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع برؤوس الناس وأجنادهم جميعا وأشتاتا، مثنى وفردا، ومجتمعين، سرا وجهرا، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة، في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان بن عفان، إلا ما يقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب، ثم بايعا مع الناس على ما سذكرك. فسمي في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يقتض بكتير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة، وسؤالا من ذوي الرأي وغيرهم، فلم يجد أحدا يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه.

فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن غزمية فقال: أنائم يا مسورا والله لم اغتض بكتير نوم منذ ثلاث، اذهب فادع لي عليا وعثمان قال المسور: فقلت: بأيهما أبدا؟ فقال: بأيهما شئت، قال: فذهبت إلى علي فقلت: أجب خالي، فقال: أملك أن تدعو معي أحدا؟ قلت: نعم! قال: من؟ قلت: عثمان بن عفان، قال: بأيما بدأ؟ قلت: لم يأمري بذلك، بل قال: ادعوا لي أيهما شئت أولاً، فنجت إليك. قال: فخرج معي فلما مرونا بدار عثمان بن عفان جلس علي حتى دخلت فوجلت يوتر مع الفجر فدعوته، فقال لي كما قال لي علي سواء، ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي، فلما انتصرفت أقبل علي علي وعثمان فقال: إني قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا. ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعملن، ولئن ولي عليه ليسمعن وليطين، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عظمه رسول الله ﷺ، وتقلد سيفاً، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ونودي في الناس عامة: الصلاة جامعة، فامتلا المسجد حتى غص بالناس، وتراص

الناس وتراصوا حتى لم يسق لعثمان موضع يجلس فيه إلا في أخريات الناس - وكان رجلاً حياً رضي الله عنه - ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ، فقام على الدرجة التي كان يجلس عليها رسول الله ﷺ، فوقف وقوفاً طويلاً، ودعا دعاء طويلاً، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرا وجهرا، مثنى وفردا بأمانيكم فلم أجذكتم تعملون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبيعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقي، قال: فأرسل يده وقال: قم إلي يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبيعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم! قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقة عثمان. قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، قال: فبعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية، وجاء إليه الناس يبايعونه، ويابعه علي بن أبي طالب أولاً، ويقال: أخيراً (طقت ابن سعد: ١٦٢/٣).

وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير (تاريخه: ٢٣٣/٤، ٢٣٨) وغيره عن رجال لا يُقرّون أن علياً قال لعبد الرحمن: خلعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكا حتى قال له عبد الرحمن: «فَمَنْ كُنْتُ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَنْصُرُهُ أُخْرًا عَظِيمًا» (فتح: ١٠) في غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها ونافليها والله أعلم.

والظنون بالصحة خلاف ما يترجم كثير من الجهلة الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، وشاذها وقويمها، والله الموفق للصواب.

وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي يوسع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه، فروى الواقدي عن شيوخه أنه يوسع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين (طقت ابن سعد: ١٦٣/٤).

وهذا غريب جداً.

وقد روى الواقدي أيضاً عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال: يوسع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال.

وهذا أغرب من الذي قبله. وقال سيف عن خليل بن ذفرة ومجالد قالاً: استخلف عثمان ثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين، وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبي أنه قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان ثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بهم العصر، وزاد الناس - يعني في أعطيتهم - مائة، ووفد أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك.

قلت: ظاهر ما ذكرناه من سياق بيته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى على ما تقدم فيها من الخلاف، فبايعه بقية الناس، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر، كما ذكره

الشعبي وغيره.

وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن بلدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كابة فأتى منبر النبي ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا أجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، إلا وإن الدنيا طويت على الغرور ﴿فَلَا تُغْنِيَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [قصص: ٢٣] واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين اتأروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ أروا بالدنيا حيث روى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً، والذي هو خير فقال تعالى ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْوُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا. الْعَالِ وَالْبَاقُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَتْلًا﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦] قال: وأقبل الناس يبايعونه.

قلت: وهذه الخطبة إما بعد صلاة العصر يومئذ أو قبل الزوال وبعد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر وهو الأشبه والله أعلم. وما يذكره بعض الناس من أن عثمان لما خطب أول خطبة أرتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال: أيها الناس، إن أول مركب صعب، وإن أعشى فستأتيكم الخطبة على وجهها. فهو شيء يذكره صاحب العقد [العقد الفريد: ٦٦/٤] وغيره، ممن يذكر طرف القوائد، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه والله أعلم.

وأما قول الشعبي إنه زاد الناس مائة - يعني في عطاء كل واحد من جند المسلمين - زاده على ما فرض له عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفرط عليه، ولأمهات المؤمنين درهمن درهمن فلما ولي عثمان أثر ذلك وزاده، واتخذ سماًطاً في المسجد أيضاً للمتعبين، والمتكفين، وأبناء السبيل، والفقراء، والمساكين، رضي الله عنه.

وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها، فلما ولي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رضي الله عنهما، فلما ولي عثمان قال: إن هذا يطول فصعد إلى الدرجة إلى كان يخطب عليها رسول الله ﷺ وزاد الأذان الأول يوم الجمعة، قبل الأذان الذي كان يؤذن به بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر.

وأما أول حكومة حكم فيها قضية عبيد الله بن عمر، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تستر فقتله، وكان قد قيل: إنهما مالا أبا لؤلؤة على قتل عمر فإله أعلم.

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده، فلما ولي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحركم إليه في شأن عبيد الله، فقال علي: ما من العدل تركه، وأمر بقتله، وقال بعض المهاجرين: أبقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين قد سراك الله من ذلك، قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك، فودى عثمان رضي الله عنه أولئك القتل من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلي سبيل عبيد الله.

قالوا: فكان زياد بن ليث البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر يقول:

ألا يا عبيد الله ما لك مهرب ولا ملجأ من ابن أروى ولا خضر أصبت دماً والله في غير حله حراماً وقتل الهرمزان له خطر على غير شيء غير أن قال قاتل انتهمون الهرمزان على عمر فقال سفيه والحوادث جمة نعم أنهم قد أثار وقد أمر وكان سلاح العبد في جوف يثنه يقلبها والأمر بالأمر يعتبر قال: فشكا عبيد الله زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن ليث فأنشأ زياد يقول في عثمان:

أبا عمرو عبيد الله وهن فلا تشكك بقتل الهرمزان فإنيك إن غفرت الجرم عنه وأسباب الخطأ فرسا رهان أتمفر إذ غفرت بغير حق فما لك بالذي يغلى ببدان قال: فهنا عثمان عن ذلك وزيره فسكت زياد بن ليث عما يقول.

ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله، ويجرضهم على الاتباع وترك الابتداع.

قال ابن جرير [تاريخه: ٢٤٠/٤]: وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبي وقاص فكان أول عامل ولاء، لأن عمر قال: فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلا فليستن به أيكم وأني، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. فاستعمل سعداً عليها ستة وبعض أخرى.

ثم روى ابن جرير [تاريخه: ٢٤٤/٤] من طريق سيف عن مجالد عن الشعبي:

وقال الواقدي فيما ذكره عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة، فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط. قال ابن جرير: فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة ستة وخمس وعشرين.

قال ابن جرير [تاريخه: ٢٤٦/٤]: وفي هذه السنة - أعني سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صولحوا عليه في أيام عمر بن الخطاب.

وهذا في رواية أبي خنيفة، وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين.

ثم ذكر ابن جرير: ههنا هذه الوقعة وملخصها.

أن الوليد بن عقبة سار بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية، حين نقضوا العهد فوطىء ببلادهم وأغار بأراضي تلك الناحية فغنم وسى وأخذ أموالاً جزيلة فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم في كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة، فمر بالموصل وجاءه كتاب عثمان وهو بها يأمره أن يمد أهل الشام على حرب أهل الروم.

قال ابن جرير [تاريخه: ٢٤٧/٤]: وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستملونهم فكتب إلى الوليد بن عقبة: أن إذا جاءك كتابي هذا فابث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام.

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه.
وفيها في قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكانه، فكان هذا بما نقم على عثمان.
وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو بلاد المغرب، واستأنفه ابن أبي سرح في غزو إفريقية فآذنه له.
ويقال: فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
وقيل: بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي والله أعلم.
وفيها فتح معاوية الحصون.
وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية.

ثم دخلت سنة ست وعشرين

قال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم.
وفيها وسع المسجد الحرام.
وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة.
وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال، فلما تقاضاه به ابن مسعود لم يتيسر قضاؤه فقالوا، وجرت بينهما خصومة شديدة، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على حرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب، وكان فيه رفق برعيته.
قال الواقدي: وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه.
وقال غيره: وفيها افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين

قال الواقدي وأبو معشر: وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان لأمه - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهمل رسول الله ﷺ دمه وكان يكتب الوحي، ثم ارتد عن الإسلام، فأباح دمه يوم الفتح، وهذا أيضاً مما نقم على عثمان.

غزوة إفريقية

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا فتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نقلاً، فصار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلاً وجبلاً، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحسن إسلامهم، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار.
قال الواقدي: وصالحه بطريقها على ألفي ألف دينار وخمس مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار، فأطلقها كلها عثمان في يوم واحد لآل الحكم ويقال: لاك مروان.

فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس - وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام، وأثر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلمة الفهري، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا سبياً شتياً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة والله الحمد.

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بسة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فزم على أن يبيت جيش الروم فسمعت امرأته يقول للأمراء ذلك فقالت له: فإين موعدي معك - تعني أين اجتمع بك غداً - فقال لها: موعديك سراقق الموريان أو الجفة، ثم نهض إليهم في الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقت امرأته إلى سراقق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سراقق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك، فخلع عليها بعده الضحاك بن قيس الفهري، فهي أم ولده.

قال ابن جرير [٢٤٩/٤]: واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة.

فقال الواقدي وأبو معشر: حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان. وقال آخرون: حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه.
والأول هو الأشهر فإن عثمان لم يتمكن من الحج في هذه السنة لأجل رعايف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشى عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعايف.

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعدما تقضوا العهد الذي كان واتقهم عليه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وفيها تولى

■ سراقق بن مالك بن جشم المدلجي ويكنى بأبي سفيان، كان يتزل قديماً وهو الذي اتبع رسول الله ﷺ وأباً بكر وعمر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الديلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردهم على أهل مكة لما جعلوا في كل واحد من النبي ﷺ وأبي بكر مائة من الإبل، فطمع أن يفوز بهذا الجعل فلم يسلطه الله عليهم، بل لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ عليه وسلم ساخت قرائم فرسه في الأرض حتى نالهم بالأمان، فأعطوه الأمان، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله ﷺ، ثم قدم به بعد غزوة الطائف فسلمه وأكرمه النبي ﷺ وهو القائل: يارسول الله أمعرتنا هذه لعامتنا هذا ما للأبد؟ فقال له: «بل لأبد الأبد. دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة» [١٢١٨(١٤٧)].

ثم دخلت سنة خمس وعشرين

فيها نقض أهل إسكندرية العهد، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم مانويل الخصي في مراكب من البحر فطمعوا في البصرة وتقصوا ذمتهم، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول فيها، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً.

غزوة الأندلس

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد قيس من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر، وكعب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إن القسطنطينية إنما تنفتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحت الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام.

قال: فساروا إليها فافتتحوها ولله الحمد والمنة

وقعة جرجير والبربر مع المسلمين

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وفي جيشه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل: في مائتي ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، قال عبد الله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برفون، وجاريتان تظلاله بربيش الطواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان قال: فأمر بهم فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه - وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك - فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته فطعته برمح، وذهقت عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة، وسيياً عظيماً، وذلك بيلد يقال له سيطلة - على يومين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين.

قال الواقدي: وفي هذه السنة افتتحت إصطخر ثانية على يدي عثمان بن أبي العاص.

ولفيها غزا معاوية قنشرين.

ولفيها حج بالناس عثمان بن عفان.

قال ابن جرير [رواه: ٢٥٨/٤] قال بعضهم: وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص.

وقال الواقدي: كان ذلك في سنة ثمان وعشرين.

وقال أبو معشر: غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فإله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين

فتح قبرص ففيها ذكر ابن جرير [رواه: ٢٥٨/٤] فتح قبرص تبعاً للواقدي، وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر، غلصة وحدها، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل مما يلي دمشق، وغربها أعرضها، وفيها فواكه كثيرة، ومعادن، وهي بلد جيد وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التي تقدم حديثها في ذلك حين نام رسول

الله ﷺ في بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت: ما أضحكك يا رسول الله فقال: «أناس من أمي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة». فقالت: يا رسول ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «أنت منهم» ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت من الأولين» [بخ: ٢٧٧٨، ١٩١٢] فكانت في هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره.

والمقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب قصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يمكنه من حمل المسلمين على هذا الحلق العظيم الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم، فلما كان عثمان ألح معاوية عليه في ذلك فأذن له فركب في المراكب فاتتهى إليها، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة، وغنموا مالاً جزيلاً جيداً، ولما جئنا بالأمازيج جعل أبو الدرداء يكي، فقال له جبر بن نغير: أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك إن هذه كانت أمة فاهرة لهم ملك، فلما ضيموا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السباء، وإذا سلط على قوم السباء فليس لله فيهم حاجة، وقال: ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره؟! ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة وماذتهم، فلما أرادوا الخروج منها قمت لأمر حرام بغلة لتركها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هناك يعظمونه ويستسقون به ويقولون: قبر المرأة الصالحة.

قال الواقدي: وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم.

وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها.

ولفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء.

ولفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم دخلت سنة تسع وعشرين

فيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة، بعد عمالة ست سنين وقيل ثلاث، وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وهو ابن خال عثمان بن عفان، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة، فأقام بها ست سنين.

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وأبي معشر. وزعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فإله أعلم.

ولفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي ﷺ وبناء بالقصة - وهي الكلس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المقوشة وجعل عمده حجارة مرصصة، وسقفوه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب، ابتداءً ببناءه في ربيع الأول منها.

ولفيها حج بالناس عثمان بن عفان، وضرب له مبنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمبنى، وأتم الصلاة عامه هذا، فأنكر ذلك عليه

سعيد بن العاص

وفي هذه السنة سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في بئر أريس، وهي على ميلين من المدينة، وهي من أقل الأبار ماء، فلم يدرك خبره بعد بذلك مال جزيل، والاجتهاد في طلبه، حتى الساعة، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة، ونقش عليه محمد رسول الله، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدر من أخذه.

وقد روى ابن جرير [تاريخه: ٢٨١/٤-٢٨٣] ما هنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب، ثم من فضة، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى، ثم دحية إلى قيصر، وأن الخاتم الذي كان في يد النبي ﷺ ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان ست سنين، ثم إنه وقع في بئر أريس، وقد تقدم بعض هذا في الصحيح [٥٨٦٦] (٢٠١١) من حديث ابن عمر.

وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور، وكان ينكر على من يقتني مالا من الأغنياء ويمنع أن يذخر فوق القوت، ويوجب أن يتصدق بالفضل، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] فيها معاوية عن إشاعة ذلك فلا تمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة، فقلعها فلامه عثمان على بعض ما صدر منه، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالريثة - وهي شرقي المدينة - ويقال: إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إذا بلغ البناء سلماً فأخرج منها» وقد بلغ البناء سلماً بالمستوك [٣٤٤/٣]، فأذن له عثمان بالمقام بالريثة وأمره أن يتعاقد المدينة في بعض الأحيان حتى لا يرتد أعرابياً بعد هجرته، فعقل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سذكروه رضي الله عنه.

وفي هذه السنة زاد عثمان البناء الثالث يوم الجمعة على الزوراء.

من توفي في هذه السنة

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي [تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص ٢٣٣] أنه توفي في هذه السنة أعني سنة ثلاثين: أبي بن كعب فيما صححه الواقدي.

■ جبار بن صخر بن أمية بن خصاص، أبو عبد الله الأنصاري: عتي بلدي، وقد بعث رسول الله ﷺ إلى خير خارصاً، وقد توفي عن ستين سنة.

■ حاطب بن أبي بلعة بن عمرو بن عمرو اللخمي: حليف بني أسد بن عبد العزى، شهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي كان كتب إلى المشركين يعلمهم بزم رسول الله ﷺ على فتح مكة، فعنوه رسول الله ﷺ بما اعتز به ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الإسكندرية.

■ الطفيل بن الحارث ابن المطلب أخو عبيدة وحصين: شهد بدرًا.

قال سعيد بن قيس: توفي في هذه السنة.

■ عبد الله بن كعب بن عمرو المازني أبو الحارث: وقيل: أبو يحيى الأنصاري، شهد بدرًا وكان على الخمس يومئذ.

■ عبد الله بن مظعون أخو عثمان بن مظعون: هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا.

■ عياض بن زهير بن أبي شاذان بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشي القهري: شهد بدرًا وما بعدها.

غير واحد من الصحابة، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود. حتى قال ابن مسعود: لبت حظي من أربع ركعات ركعتان متبيلتان [١٠٨٤]، [٦٩٥].

وله ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله:

فروى ابن جرير [تاريخه: ٢٦٨/٤] أنه قال: تأملت بمكة، فقال له: ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أمهلك بالمدينة. قال: وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصكر، قال: إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث، فقال: وإن طائفة من أهل اليمن قالوا: إن الصلاة بالحضر ركعتان فرما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي، فقال له: قد كان رسول الله ﷺ يتزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل، وكان يصلي ههنا ركعتين، وكان أبو بكر يصلي ههنا ركعتين، وكذلك عمر بن الخطاب، وصليت أنت ركعتين صدراً من إمارتك، قال: فسكت عثمان ثم قال: إنما هو رأي رأيته.

سنة ثلاثين من الهجرة النبوية

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمثنائي، وقال: هو أول من غزاها [تاريخ الطبري: ٢٦٩/٤].

وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يفرزوا على مال بلذله له أصهبها [تاريخ الطبري: ٢٦٩/٤] فأنه أعلم.

فذكر المثنائي أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين، والعبادة الأربعة، وحنيقة بن البمان، في خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى فصالحوه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى بلد بمعاملة جرجان، تسمى طميسية على ساحل البحر فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف فسأل حنيقة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره فصلى كما أخبره، ثم سأل أهل ذلك الحصن الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً فقتلوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً، واحتوى على ما كان في الحصن، فأصاب رجل من بني نهد سقاً مقفولاً فاستدعي به سعيداً فقتلوه فإذا فيه خرقة سوداء ملدجة فنشروها، فإذا فيها خرقة حمراء فنشروها، فإذا داخلها خرقة صفراء، وفيها إيران كعبت وورد. فقال شاعر يهجو بهما بني نهد.

أب الكرام بالسبابا غنيمته وفاز بنو نهد بأيرين في سبط كعبت وورد وأفرسن كلاهما فظنهما غنماً فنابك من غلط

قالوا: ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص، وامتنعوا عن أداء المال الذي ضربه عليهم - وكان مائة ألف دينار وقيل: مائتي ألف دينار وقيل: ثلاثمائة ألف دينار - ثم ردة عليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سذكروه إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عتبة عن الكوفة، وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقال قائل: ما زلنا منك منذ اليوم في زيارة. ثم إنه تصدى له جماعة يقال: كان بينهم وبينه شتان، فشكوه إلى عثمان، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتأذىها، فأمر عثمان بإحضاره وأمر بجلده، فيقال: إن علياً نزح عنه جلته، وأن سعيد بن العاص جلده بين يدي عثمان بن عفان، وعزله وأمر مكانه على الكوفة

معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا، فقتل لهما في ذلك قتالا: كيف نقاتل مع رجل لا يتبني لنا أن نحكمه؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فهاهما أشد النهي وقال: والله لولا أنني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحسبكما [الريح الطوي: ٢٩٢/٤].

قال الواقدي: وفي هذه السنة فتحت إرمينية على يدي حبيب بن مسلمة.

وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس.

كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدرج

قال ابن إسحاق: هرب يزدرج من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالا فتمتعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى الترك يستصرونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزلا رجل يقر الأرحية على شط، فأوى إليه ليلا، فلما نام قتله [الريح الطوي: ٢٩٢/٤].

وقال اللطائي: لما هرب بعد قتل أصحابه انتلقت ماشيا وعليه تاجه ومنطقته وسيفه، فأتته إلى منزل هذا الرجل الذي يقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقلته وأخذ ما كان عليه، وجاءت الترك في طلبه فوجده قد قتله وأخذ حاصله، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى، ووضعوا كسرى في تابوت وحمله إلى إصطخر، وقد كان يزدرج وطى امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه ووضعت بعد قتله غلاما ذاهب الشق رسمي ذلك الغلام المخرج، وكان له نسل وعقب في خراسان، وقد سمي قتيبة بن سلم في بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله: فبعث بإحداهما إلى الحجاج، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنه يزيد بن الوليد الملقب بالناقص [الريح الطوي: ٢٩٣/٤].

وقال اللطائي في رواية عن بعض شيوخه: إن يزدرج لما انهزم عنه أصحابه عُقر جواده وذبح ماشيا حتى دخل رحي على شط نهر يقال له الرغاب فمكث فيه لياليتين والعدو في طلبه فلم يدر أين هو، ثم جاء صاحب الرحي فرأى كسرى وعليه إهنته، فقال له: ما أنت؟ إنسي أم جي؟ قال: إنسي، فهل عندك طعام؟ قال: نعم! فأثاه بطعام فقال: إنني مزرم فأتني بما أزمزم به، قال: فذهب الطحان إلى أسوار من الأساورة فطلب منه ما يزمزم به، قال: وما تصنع به؟ قال: عندي رجل لم أر مثله قط وقد طلب مني هذا، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد - مرو - واسمه ماهويه بن باباه، فأخبره خبره، فقال: هو يزدرج، اذهبوا فجيئوني برأسه، فذهبوا مع الطحان فلما دنوا من دار الرحي هابوا أن يقتلوه وتلافوا وقالوا للطحان: ادخل أنت فاقتله، فدخل فوجده نائما فأخذ حجرا فشده به رأسه ثم احتزه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله في تابوت وحمله إلى إصطخر فوضعه في ناووس [الريح الطوي: ٢٩٤/٤].

ويروي أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل حتى رق له وقال له: ويحك يا مسكين ألا تأكل؟ وأثاه بطعام فقال: إنني لا أستطيع أن أكل إلا بزمزمة، فقال له: كل وأنا أزمزم لك، فسأل أن يأتيه بزمزم، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساورة شموا رائحة المسك من ذلك الرجل، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال: إن عندي رجلا من

■ مسعود بن ربيعة وقيل: ابن الريح: أبو عمرو القاري شهد بدرًا وما بعدما، توفي عن نيف وستين سنة.

■ معمر بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال القرشي: أبو سعد الفهري، وقيل: اسمه عمرو، بدرى قديم الصحة.

■ أبو أسيد مالك بن ربيعة: قال الفلاس: مات في هذه السنة والأصح أنه مات سنة أربعين، وقيل: سنة ستين قاله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين

ففيها كانت غزوة الصواري، وغزوة الأساورة في البحر فيما ذكره الرازي [الريح الطوي: ٢٨٨/٤].

وقال أبو معشر: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين [الريح الطوي: ٢٨٨/٤].

وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمع نياحه لمعاوية بن أبي سفيان لستين مضا من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد أحرزه غاية الحفظ وحى حوزته ومع هذا له في كل سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف، - ولها يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقا، ويأسرون آخرين، ويفتحون حصونا وينعمون أموالا ويرغبون الأعداء.

فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرنج والبربر، ببلاد إفريقية والأندلس، حيث الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام، خرجوا في خمسمائة مركب، وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد الغرب.

فلما تراءى الجمعان بات الروم يفسقون ويصلبون، ومات المسلمون يقرؤون ويصلون، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفا في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن.

قال بعض من حضر ذلك: فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب، وتعداد صواريخها وكانت الريح لهم وعلينا، فأرسلنا ثم سكنت الريح عنا، فقلنا لهم: إن شتم خرجنا نحن وأنتم إلى البر فمات الأعجل منا ومنكم، قال: فتخروا غرة وجل واحد وقالوا: الماء الماء، قال: فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنتهم، ثم اجتمعنا إليهم بالسيف، شرب الرجال على الرجال بالسيف والخناجر، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم، وغلب الدم على لون الماء، وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط، وقتل منهم بشر كثير، ومن الروم أضعاف ذلك، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قلوا جدا - وبه جراحات شديدة كثيرة مكث حينا يداوى منها بعد ذلك، وأقام عبد الله بن سعد ببلاد الصواري أياما، ثم رجع مؤيدا منصورا مطفرا.

قال الواقدي: فحدثني معمر بن الزهري قال: كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حنيفة، ومحمد بن أبي بكر، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر، ويقولان: دمه حلال لأنه استعمل عبد الله بن سعد - وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله ﷺ دمه - وأخرج رسول الله ﷺ أقواما واستعملهم عثمان، ونزع الصحابة واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال: لا تركبا

رجل من أهل الكوفة وهو أوس:

فإن تضربوا سلمان تضرب حييكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل وإن تقسطوا فالنثر نثر أميرنا وهذا أمير في الكتاب مقلّ ونحن ولادة النثر كنا حاتم ليلي نرمي كل نثر وننكل

ولمها فتح ابن عامر مرو الروذ والطلقان والقارياب والجوزجان وطخارستان فأما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسره فاضطروهم إلى حصنهم، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراج، ويدع الأرض التي كان أقطعها كسرى لوالد الرزيان، صاحب مرو، حين قتل الحية التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم، فصالحهم الأحنف على ذلك، وكتب لهم كتاب صلح بذلك.

ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين، ثم نصرروا فقال في ذلك كثير النهشلي قصيدة طويلة فيها:

سقى مرن السحاب إذا استهت مصارع قتيبة بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوط أبادهم هناك الأقرعان
ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصره حتى صالحوه على أربعمائة ألف، واستأب ابن عمه أسيد بن المشمس على قبض المال، ثم ارتحل يريد الجهاد، ودامه الشتاء فقال لأصحابه: ما تشاؤون؟ فقالوا: قد قال عمرو بن معدني كرب:

إذا لم تسطع شيئا فدعه وجاؤه إلى ما تستطيع
فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء، ثم عاد إلى ابن عامر فقبل لابن عامر: ما فتح على أحد ما فتح عليك، فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان، فقال: لا جرم، لأجعلن شكري لله على ذلك أن أحرم بعمرة من موقفي هذا مشعراً فأحرم بعمرة من نيسابور، فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان.

ولمها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاء عبد الله بن خازم في أربعة آلاف، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل، وأمر كل واحد منهم أن يحمل على رأس رجه ناراً، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم المسلمين فأتقوا هم وإياهم، فولى المشركون مدبرين، وأبعمهم المسلمون يقتلون من شاؤوا كيف شاؤوا. وغنموا سبياً كثيراً وأموالاً جزيلة، ثم بعث عبد الله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر، ففرض عنه وأقره على خراسان - وكان قد عزله عنها - فاستمر بها عبد الله بن خازم إلى ما بعد ذلك.

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

■ العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله ﷺ، ووالد الخلفاء العباسيين، وكان أسن من رسول الله ﷺ بستين أو ثلاث، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمال، واتقضى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث. وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد في الوثاق وأمسى الناس، أرق رسول الله ﷺ عقيل يارسل الله ما لك؟ فقال: «إني أسمع ابن العباس في وثاقه فلا أنام» فقام رجل من

صفته كيت وكيت، فغرفوه وقصلوه مع الطحان وتقدم الطحان فدخل عليه وهم بالقبض عليه فغرف يزدجرد ذلك فقال له: ويحك خذ خاتمي وسواري ومنطقي ودعني أذهب من هنا، فقال: لا، اعطني أربعة دراهم وأنا أطلقك، فزاده إحدى قرطيه من أنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم، فهم في ذلك إذ دههم الجند فلما أحاطوا به أرادوا قتله قال: ويحك لا تقتلوني فإنما نجد في كتبنا أن من اجتراً على قتل الملوك عاقبه الله بالحرقي في الدنيا ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب، فإنهم يستحيون من قتل الملوك، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الخلي فجمعوه في جراب وخفوه بوتر والقره في النهر فتعلق بعود فأخذ أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه لما كان من أسلافه من الإحسان إلى النصارى الذين كانوا يبلادهم، فوضعه في تابوت ودفنه في ناووس، ثم حل ما كان عليه من الخلي إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأقرمه ذلك.

وكان ملك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دعة، وبقي ذلك هارياً من بلد إلى بلد، خوفاً من الإسلام وأهله، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق، لقول رسول الله ﷺ: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفق كنزهما في سبيل الله» رواه البخاري (٣٩١٨). وثبت في الحديث الصحيح [ع] (٦٤) أنه لما جاء كتاب النبي ﷺ مزقه، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق كل عزق. فوقع الأمر كذلك.

وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح، فمن ذلك ما فتح عنوة، ومن ذلك ما فتح صلحاً، فكان في جملة ما صالح عليه بعض الملائك - وهي مرو - على ألفي ألف ومائتي ألف، وقيل: على ستة آلاف ألف ومئتي ألف.

وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين

ولمها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المصيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ويقال فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. قاله أبو معشر والواقدي [الطبري: ٣٠٤/٤].

ولمها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته، فسار حتى بلغ بلنجر فحصرها ونصبت عليها الجانيق والعرادات. ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتلوا قتالاً شديداً - وكانت الترك تهاب قتال المسلمين، ويظنون أنهم لا يموتون - حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك، فلما كان هذا اليوم اتفروا معهم فاقتلوا، فقتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النور - وانهزم المسلمون فاقتروا فرقتين، ففرقة ذهبت على بلاد الخزر. وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي. وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستبقون عنده إلى اليوم. ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الجيش سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة، فتنازع حبيب وسلمان في الإمرة حتى اختلفا، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام، حتى قال في ذلك

ولزم رسول الله ﷺ حين أسلم، وكان يعمل نعليه وسواكه، وقال له: «إذنك علي أن تسمع سواذي» [م (٢١٦٩)، ج (١٣٩)] ولهذا كان يقال له صاحب السواك والسواد.

وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبتة ابنه عقره، وشهد بقية المشاهد.

وقال له رسول الله ﷺ يوماً: «اقرأ علي» فقلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ امْرِئٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» [٤١] فبكى رسول الله ﷺ وقال: «حسبك» [ج (٥٠٤٩)، م (٨٠٠)].

وقال أبو موسى: قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ، لكثرة دخولهم بيت النبي ﷺ. [ج (٣٧١٣)، م (٢٤٦٠)].

وقال حذيفة: ما رأيت أحداً أشبه برسول الله ﷺ في هديه وذله وسنته من ابن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى [ج (٣٧١٢)].

وفي الحديث: «ومسكوا بهد ابن أم عبد» [ب (٣٨٠)، ج (٥٠٥)].

وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد (١١٤/١) عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم موسى عن علي أن ابن مسعود صعد شجرة يجثي الكيات فجعل الناس يعجبون من دقة ساقه، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لما في الميزان أثقل من أحد».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد نظر إلى قصره وكان يوازي مقامه الجلوس - ففعل يتبعه بصره قم قال: هو كَيْفَ ملئ علماً [طبقات ابن سعد: ١٥٦/٣، الخلة لأبي نعيم: ١٢٩/١].

وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة، منها اليرموك وغيرها، وكان قد قدم من العراق حاجاً فمر بالريذة فشهد وفاة أبي ذر ودفعه، ثم قدم إلى المدينة فمرض بها فجاهه عثمان بن عفان عائداً، فيروى أنه قال له: ماتتكني؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ فقال: الطيب أمرضي، قال: ألا أمر لك بعبطانك؟ - وكان قد تركه ستين - فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: يكون لبنتك من بعدك، فقال: اتخشي علي بناتي الفقرا؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» [دعاب الإيمان (٢٤٩٧) ج (٥٠٥)].

وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام، فيقال: إنه هو السذي صلى عليه ليلاً، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك، وقيل: بل صلى عليه عثمان، وقيل: عمار، فالله أعلم. ودفن بالبقع عن بضع وستين سنة.

■ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو محمد القرشي الزهري، أسلم قديماً على يدي أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدرًا وما بعدها، وأمره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرأخى له غلبة بين كتيبه، لتكون إشارة عليه للإمارة وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم، كما ذكرنا.

ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه، وقد تقاول هو وخالده بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالده في الحال، فلما بلغ

المسلمين فحل من وثاق العباس حتى سكن أثنيه فنام رسول الله ﷺ [تاريخ الطبري: ٤٩٣/٢، الدلائل للبهقي: ١٤١/٣ عن ابن إسحاق، ج (٥٠٥)].

ثم أسلم عام الفتح، وتلقى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه، وشهد الفتح، ويقال: إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة ياذن النبي ﷺ له في ذلك، كما ورد به الحديث [الدلائل للبهقي: ١٤٢/٣، ١٤٣] قاله أعلم.

وقد كان رسول الله ﷺ يحبه ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد، ويقول: «هنا بقية آبائي» [الطبراني في «الأوسط» (٤٢٢١) و«الصغير» (٢٠٧/١)].

وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم، وكان ذا رأي وعقل تام واثق، وكان طويلاً جليلاً أبيض بصباً ذا ضفيرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث، وهم ثمام - وكان أصغرهم - والحارث، وعبد الله، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعمر، والفضل، وقثم، وكثير، ومعبد، وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانته.

وقال الإمام أحمد (١٨٥/١): حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثني محمد بن طلحة التيمي، من أهل المدينة حدثني أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: رسول الله ﷺ للعباس: «هنا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً وأوصلها».

فترد به.

وثبت في الصحيحين [ج (١٤٦٨)، م (٩٨٣)] أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالده بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما يتم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه وأما خالده فإنكم تظلمون خالداً وقد احتسب أدياره وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي علي ومثلها» ثم قال: «يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟»

وثبت في صحيح البخاري (١٠١٠) عن أنس أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي به، وقال: اللهم إنا كنا إذا لحظنا توسلنا إليك بيننا فتسقيناه، وإننا نوسل إليك بعم نبينا، قال: فيسقون.

ويقال: إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إذا مرا بالعباس وهما راكبان ترجلاً إكراماً له.

قال الواقدي وغير واحد: توفي العباس في يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، عن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان، ودفن بالبقع وقيل: توفي سنة ثلاث وثلاثين، وقيل: سنة أربع وثلاثين، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً.

■ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن غزوم بن صاملة بن كاهل بن الحارث بن نجيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة.

أسلم قديماً قبل عمر، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وهو يرمي غنماً فسأله لبناً فقال: إني مؤمن، قال: فأخذ رسول الله ﷺ عناقاً لم يتر عليها النحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضريح: «أقليس» فقلص، فقلت: علمني من هذا الدعاء فقال: «إِنَّكَ عَلِيمٌ مُلِمٌ» [الدلائل للبهقي: ٨٤/٦، ومسند أحمد: ٤٢٧/١]، بلفظ «غلام» الحديث.

وروى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه ابن مسعود: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي ﷺ عند البيت، وقرئ في أنديتها قرأ سورة «الرَّحْمَنُ» عَلَّمَ الْقُرْآنَ فقاموا إليه فضرروه.

الأسفار، أثنى، له جمة، ضخمة الكفين، غليظ الأصابع، لا يغير شيه رضي الله عنه.

■ أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة على المشهور، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة.

وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتبعية الإسلام، ثم رجع إلى بلاده وقومه، فكان هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله ﷺ حضراً وسفراً، وروى عنه أحاديث كثيرة. وجاء في فضله أحاديث كثيرة، من أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمر عن أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ما أظلت الحفصاء، ولا أقلت الغبراء أصلي حجة من أبي ذر» [ت (٣٨٠١)، ١٥٦٦] وفيه ضعف.

ثم لما مات رسول الله ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة، ثم نزل بالريّة فأقام بها حتى مات في ذي الحجة من هذه السنة، وليس عنده سوى امرأته وأولاده، فبينما هم كذلك لا يقدرون على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه، فحضروا موته، وأوصاهم كيف يفعلون به.

وقيل: قدموا بعد وفاته فوكلوا غسله ودفنه، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه ليأكلوها بعد الموت، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم إلى أهله.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين

فيها كان فتح قبرس في قول أبي معشر، وخالفه الجمهور فذكروها قبل ذلك كما تقدم.

وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية، حين نقض أهلها العهد.

وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد خرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم.

فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم وعظهم ونصحهم فيما يمتثلونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابهم متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة، فاحتلمهم معاوية لحلمه، وأخذ في مدح قریش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ، والثناء عليه، والصلاة والتسليم. واقتخر معاوية بالولده وشرفه في قومه، وقال فيما قال: وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً، فقال له صمصمة بن صوحان: كذبت، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله ﷻ بيده، ونفع فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر، والأحقى والكيس.

ثم بذل لهم الصبح مرة أخرى فإذا هم يتساقون في غيهم، ويستمترون على جهالتهم وحقائهم، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونقامهم عن الشام، لئلا يشوشوا عقول الطغاة، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على

ذلك رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وهو في الصحيح [خ (٣٦٧٣)، ٢٥٤١].

وقال معمر بن الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة والزهد لابن المار (٢٥٢٠).

فاما الحديث الذي قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر أتى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان فقال له: إن لي حاططين فاختر أيهما شئت، فقال: بارك الله لك في حاططيك، مالهذا أسلمت، دلي على السوق، قال: فدلته فكان يشتري السمنية والأقطة والإهاب، فجمع فتزوج فأتى النبي ﷺ فقال: «بارك الله لك أولم ولو بشاة» قال: فكثر ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام، قال: فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجّة، فقالت عائشة: ما هذه الرجّة؟ فليل لها: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام. فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حياً، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن قال: أشهدك يا أمه أنها بأحاملها وأحلاسها وأقنابها في سبيل الله.

وقال الإمام أحمد (١١٥/٦): حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا عمارة - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء. قال: وكانت سبعمائة بعير - قال: فارجمت المدينة من الصوت، فقالت: عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حياً» فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: لئن استطعت لأدخلنها قائماً، فجعلها بأقنابها وأحاملها في سبيل الله.

فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف.

وقوله في سياق عبد بن حميد: إنه أتى بينه وبين عثمان بن عفان، فغلط بعض مخالف لما في صحيح البخاري [٣٩٣٧] من أن الذي أخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما. وثبت في الصحيح [م (٢٧٤)، ٨١] أن رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار. وهذه مقبلة عظيمة لا تبارى.

ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل من بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار - وكانوا مائة - فأنزلوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: أذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها، وسبقت زفتها [طبقات ابن سعد: ١٣٥/٣، ١٣٦]. وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير حتى كانت عائشة تقول سقاء الله من السلسيل [مسند أحمد: ١٠٤/٦، ١٣٥].

وأعتق خلقاً من ماله ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلاً، من ذلك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير ومائة فرس، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكان نسائه أربعاً فصولحت إحداهن من ريع الثمن بثمانين ألفاً، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة. وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه، دقيق البشرة، أعين أهدب

القدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه، من نصرة الدين وقمع المفسدين. وإنما يريدون بهذا التقيص والعيب ورجم الغيب، وكانوا يشتون عثمان وسعيد بن العاص، وكانوا عشرة، وقيل: تسعة وهو الأشبه، منهم كميل بن زياد، والأشتر النخعي - واسمه مالك بن الحارث - وصمصمة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ومالك بن كعب الأرحبي والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس النخعي، وجندب بن زهير الغاملي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد وعمرو بن الحقيق الخزاعي.

فلما خرجوا من دمشق أوا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة. ثم ولي حصص بعد ذلك - فهددهم وتوعددهم، فاعتنوا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فدعا لهم وسير مالكا الأشتر النخعي إلى عثمان بن عفان لينتد إليه عن أصحابه بين يديه، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخبرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقدموا عليه حصص، فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرزق.

ويقال: بل لما مقته معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة، وأكثر شراً، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بمحصر، وأن يلزموا الدروب.

وفي هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام، وإلى مصر بأسباب مسوقة لما فعله رضي الله عنه، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمال الأعداء في الحط والكلام فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البار الراشد رضي الله عنه.

وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتقبل الله منه.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين

قال أبو معشر: فيها كانت غزوة الصواري، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم.

وفي هذه السنة تكاثب المنحرفون عن طاعة عثمان رضي الله عنه وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بمحصر متغيون عن الكوفة، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتآلبوا عليه ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عماله ويستبدل بهم غيرهم من السابقين ومن الصحابة، حتى شق ذلك عليه جداً، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب، وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر واقتراح الكلمة.

فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر، فلا يكون هم أحلهم إلا نفسه، وما هو فيه من تيرة دابته وقمل فروته فإن غوغاء الناس إذا تغرغوا وبطلوا اشتغلوا بما لا يفي وتكلموا بما لا يرضي وإذا تفرقوا شغوا أنفسهم وغيرهم.

وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم. وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر، فانهم أقل وأضعف جنداً.

وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيه منته ما يكف به شرهم. وبأن غائلتهم، ويعطف به قلوبهم إليه.

وأما عمرو بن العاص فقام فقال: أما بعد يا عثمان فإنك قد ركبت الناس ما يكرهون فلما أن تعزل عنهم ما يكرهون، وإما أن تقدم فتعزل عمالك عما هم عليه، وقال له كلاماً فيه غلظة، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليبلغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا.

فعد ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه، وتألف قلوب أولئك بالمال، وأمر بأن يبعثوا في الغزو إلى الثغور، فجمع بين المصالح كلها، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمتنعوا من الدخول عليهم حتى يعزل عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة، وقد قال يومئذ الأشتر النخعي: والله لا يدخلها علينا ما حلنا سيوفنا، وتواقف الناس بالجرعة وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو، فجعل أبو مسعود يقول: والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء. فجعل حذيفة يقول: والله ليرجعن ولا يكون فيها عجمجة من دم، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي.

والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة، فأعجب ذلك أهل الكوفة، وكثروا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري بذلك فأجابهم عثمان إلى ما سألوا لإزاحة لعنهم، وإزالة لشبههم، وقطعاً لعلهم.

وذكر سيف بن عمر أن سبب تأليب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر، فألحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى فيقول له: فرسل الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام؟

ثم يقول: وقد كان أوصى إلي علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له.

فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فافتت به بشر كثير من أهل مصر، وكثروا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فمالؤوا على ذلك، وتكاثروا فيه، وتواعبدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما يفتنون عليه من تولية أقربائه وذوي رحمة وعزله كبار الصحابة. فدخل هذا في قلوب كثير من الناس، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فآله أعلم.

وقال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال: لما كانت سنة أربع وثلاثين كثرت الناس على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، فكلم الناس علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان، فدخل عليه فقال له: إن الناس ورائي وقد كلموني فيك، وو الله ما أدري ما

والله حكمتا بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأتم كما قال الشاعر
فرشنا لكم أعراسنا فنبت بكم معاوسكم تبسون في دمن الشرى
فقال عثمان: اسكت لا سكت، دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا،
ألم أتقدم إليك أن لا تنطق. فسكت مروان ونزل عثمان رضي الله عنه
[الربيع الطوي: ٢٣٩/٤-٢٣٩/٤].

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودع عثمان حين عزم على
الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فإنهم قوم كثيرة
طاعتهم للأمراء. فقال: لا أختار بجوار رسول الله ﷺ سواء. فقال: أجهز
لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك؟ فقال: إني أخشى أن أضيق
بهم بلد رسول الله ﷺ على أصحابي من المهاجرين والأنصار. قال
معاوية: فوالله يا أمير المؤمنين لثقتان - أو قال: لتخزين - فقال عثمان:
حسبي الله ونعم الوكيل.

ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه في يده، فمر على
ملاً من المهاجرين والأنصار، فيهم علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير
فوقف عليهم واتكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتمل على الوصاية
بعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه، ثم
انصرف ذاهباً. فقال الزبير: ما رأيته أهيب في عيني من يومه هذا [الربيع
الطوي: ٣٤٥/٤، الكامل: ١٥٧/٣].

وذكر ابن جرير [الربيع: ٣٤٣/٤] أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من
قلعته هذه إلى المدينة، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا
العام وهو يقول:

قد علمت ضوامر المطسي وضمرات عروج القسي
ان الأمير بملده علي وفي الزبير خلف رضي
وطلحة الحناني لها ولي

فقال كعب الأحبار وهو يسير خلف عثمان: والله إن الأمير بعنه
صاحب البغلة الشهباء وأشار إلى معاوية.

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك في نفسه حتى كان ما كان على ما
سنذكره في موضعه إن شاء الله وبه الثقة.

قال ابن جرير [الربيع: ٣٣٩/٤]: وفي هذه السنة مات

■ أبو عيس بن جبر بالمدينة وهو بدري. ومات أيضاً

■ مسطح بن أثالة.

■ عاقل بن البكر.

وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

ففيها مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر
وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح. وكان سبب ذلك أن الخوارج
من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص، مهوورين معه لا
يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير، فما زالوا يعملون عليه
حتى شكوه إلى عثمان ليزعه عنهم ويولي عليهم من هو أئمن منه.
فلم يزل ذلك ذاهبهم حتى عزل عمرو عن الحرب وتركه على الصلاة،

أقول لك، وما أعرف شيئاً تحمله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم
ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فتخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلكه وما
خصصنا بأمر عنك، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ
ونلت صهره، وما ابن أبي حنيفة بأولى بعمل الحق منك، ولا ابن الخطاب
بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً، ولقد
نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينال، ولا سبقناك إلى شيء، فإله الله
في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمي، ولا تعلم من جهل وإن الطريق
لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله
عند الله إسماعيل عادل، هادي، فاقام سنة معلومة، وإمات بدعة
معلومة، فوالله إن كلاً لين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة
لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به فأما سنة
معلومة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فيؤتى
يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم فيدور
فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني أحذرك الله
وأحذرك سطوته ونقمته، فإن عذابه شديد أليم، واحذر أن تكون إمام هذه
الامة المقتولة، فإنه كان يقال: يقتل في هذه الامة إمام فيفتح عليها القتل
والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها، ويتركون شيئاً لا يصرون
الحق من الباطل، يمجرون فيها موجاً، ويخرجون فيها مَرَجاً.

فقال عثمان: قد والله علمت لتقولن الذي قلت، أما والله لو كنت
مكاني ما عفتك ولا أسلمتك، ولا عبت عليك ولا جئت منكراً، أن
وصلت رحماً، وسددت خلّة، وأريت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر
يولي، أتشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال:
نعم! قال: فتعلم أن عمر ولا؟ قال: نعم! قال: فلم تلومني أن وليت ابن
عمر في رحه وقرابته؟

فقال علي: سأخبرك: إن عمر كان كلما ولي أميراً فإنما يطأ على
صماخيه، إن بلغه عنه حرف جاء به، ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة
وأن لا تفعل ضعفت ووقفت على أقرانك.

فقال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً، فقال علي: لعمرى إن رحمهم مني
لقرية، ولكن الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولي
معاوية خلافة كلها، فقد وليته، فقال علي: أتشدك الله هل تعلم أن معاوية
كان أخوف من عمر من يرفاً غلام عمر منه؟ قال: نعم! قال علي: فإن
معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس: هذا أمر عثمان،
فيلتصق فلا تنكر ولا تنير على معاوية.

ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فخطب
الناس، فوعظ وحذر وأثر، وتهجد وتودع، وأبرق وأرعد، فكان فيما قال:
ألا قد والله عثم علي بما أقررتم به لابن الخطاب، ولكنه وطنكم ببرجله،
وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فلنتم له على ما أحيتم أو كرهتم، ولنت
لكم وأوطأت لكم كفتي، وكفت يدي ولساني عنكم، فاجترأت علي، أما
والله لأنا أهن نقرأ وأقرب نأصراً وأكثر عدداً وأقمن، إن قلت: هل من شيء
للي، ولقد أعددت لكم أترانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم
عن نائي، فأخرجت مني خلقالاً ما أكن أحسنه، ومنطقاً ما أنطق به، فكفوا
الاستكتم وطنكم وعيكم على ولائكم فإني قد كففت عنكم من لو كان
هو الذي يليكم لرؤيتهم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تنفقون من
حقكم؟ فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي. ثم اعتذر عما
كان يعطي أقاربه بأنه من فضل ماله. فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم

إمارته فقال: «إنه لخليق بالأمارة» وأما إشارته قومه بني أمية فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قریشا على الناس، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها.

ويقال: إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر، فذكر عثمان عذره في ذلك وأنه أقام فيها ما كان يجب عليهما. وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص، وقد نفاه رسول الله ﷺ إلى الطائف، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ثم نفاه إليها، قال: فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رده.

وروي أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحض من الصحابة، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له.

ويروي أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان هذه، فلما تمهدت الأعذار واتزاحت علمهم ولم يبق لهم شبهة، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم فصيح عنهم وتركهم، رضي الله عنه. وودعهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا، ولم يتألوا شيئا مما كانوا أملوا وراموا، ورجع علي إلى عثمان، فأخبره برجوعهم عنه، وسماهم منه، وأشار على عثمان أن يخاطب الناس خطبة يعتز بالإهم فيها عما كان وقع من الأثرة لبعض أقرابه، ويشهدهم عليه بأنه قد تاب من ذلك، وإثاب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله، وأنه لا يجيد عنها، كما كان الأمر أولا في مدة ست سنين الأولى، فاستمع عثمان هذه النصيحة، وقابلها بالسمع والطاعة.

ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس، رفع يديه في أثناء الخطبة، وقال: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، اللهم إني أول تائب عما كان مني، وأرسل عيته بالكاهن فيكي المسلمون أجمعون، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنه قد سئل بابه لمن أراد الدخول عليه، لا يمنع أحد من ذلك، ونزل فصلى بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال لا يمنع أحد من ذلك مدة.

قال الواقدي: فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال: ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإن البلاد قد تمخضت عليك، ولا آمن ركباً آخرين يقدلون من قبل الكوفة، فتقول: يا علي اركب إليهم. ويقدم آخرون من البصرة فتقول: يا علي اركب إليهم. فإن لم أفعل قطعت رحلك واستخففت بمحك.

قال: فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعلم الناس من نفسه التوبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فو الله ما عاب من عاب شيئاً أجهله، وما جنت شيئاً إلا وأنا أعرفه، ولكن ضل رشدي ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فليت، ومن أخطأ فليت ولا يتماذى في الهلكة، إن من تماذى في الجور كان أبعد عن الطريق» فانا أول من اتعظ، استغفر الله عما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأني أشرافكم، فوالله لأكونن كالمرقوق إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه.

قال: فرق الناس له ويكي من بكى، وقام إليه سعيد بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين! الله الله في نفسك! فاقم على ما قلت.

فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس، وجاءه

وولي على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح. ثم سعوا فيما بينهما بالنسيعة ففرق بينهما، حتى كان بينهما كلام قبيح.

فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر، خراجها وحريها وصلاتها، وبعث إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فأقدم إلي. فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم وشكر كبير فكلمه فيما كان من أمره بنفس، وتقاولا في ذلك، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على أبي عثمان، وأنه كان أعز منه. فقال له عثمان: دع هذا فإنه من أمر الجاهلية.

وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان. وكان بمصر جماعة يبنضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قمنا، ويقومون عليه في عزله جماعة من عليّة الصحابة وتوليته من دونهم، أو من لا يصلح عندهم للولاية. وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، بعد عمرو بن العاص، واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب، وفتح بلاد البربر والأندلس وإفريقية. ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مستنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حنيفة، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، لينكروا على عثمان فسلخوا إليها تحت أربع رفاق، وأمر الجميع إلى أبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعبد الرحمن بن عيسى البلوي، وكثانة بن بشر التجبي، وسودان بن حمران السكوني. وأقبل معهم محمد بن أبي بكر، وأقام بمصر محمد بن أبي حنيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء.

وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقسوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكبين عليه في صفة معتمرين فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان علي بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة. ويقال: بل نذب الناس إليهم، فاستندب علي رضي الله عنه لذلك فيبعث معه جماعة الأشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر. فقال علي لعمار فأبى عمار أن يخرج معه. فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع علي إليهم، فأبى عمار كل الإباء، وامتنع أشد الامتناع، وكان متغصباً على عثمان بسبب تأديبه له على أمر وضربه إياه في ذلك، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب، فأديهما عثمان، فتأمر عمار عليه لذلك، وجعل يحرض الناس عليه، فنهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه، فلم يقلع عنه ولم يرجع ولم يتزع.

فانطلق علي بن أبي طالب إليهم وهم بالحنفة، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره فردهم وأتهمهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم باللامّة، وقالوا: هنا الذي تحاربون الأمير بسببه، وتحجون عليهم به. ويقال: إنه ناظرهم في عثمان، وسألهم: ماذا يقومون عليه؟ فذكروا أشياء منها أنه حصى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة وأنه ولي الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر وأعطى بني أمية أكثر من الناس. فأجاب علي عن ذلك: أما الحمى فلما حاه لإبل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه وقد حاه عمر من قبله. وأما المصاحف فلما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العريضة الأخيرة، وأما إتمامه الصلاة بمكة، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأنها، وأما توليته الأحداث فلم يول إلا رجلاً سوياً عدلاً، وقد ولي رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة وولي أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في

عثمان، غيرهم أيضاً، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل لهم يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الشجبي، وعروة بن شَيْمٍ الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقبيرة السكوني وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكبي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً، ومهمهم ابن السوداء وكان أصله ذيباً فآظهر الإسلام وأحدث بدءاً قوية وفعلية - قبحه الله -.

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق أيضاً، وأمرؤهم: زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وزباد بن النضر بن الحارث، وعبد الله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأبيم.

وخرج أهل البصرة أيضاً في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبيدي، ويشر بن شريح بن ضبيعة القيسي، وذريح بن عباد العبيدي وابن محرّش الحنفي، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي.

وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب، وأهل الكوفة عازمون على تأييد الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة. لا تشك كل فرقة أن أمرها سيئهم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة، كما توافوا في كتبهم، في شهر شوال فتزل طائفة منهم يذني خشب، وطائفة بالأعوص، والجمهور يذني المروة، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم ليختبروا الناس ويخبروهم أنهم جاؤوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الولي من بعض عماله، ما جئنا إلا لذلك، واستأذنوا في الدخول، فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه فتجاسروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت، عليه حلة أصفاء، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلد السيف وليس عليه قميص، وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه فسلم عليه المصريون فصاح بهم وأطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذوي خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا يصحبكم الله، قالوا: نعم! وانصرفوا من عنده على ذلك، وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي - وقد أرسل ابنه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم وأطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر، وكذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة، فرجع كل فريق منهم إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياماً راجعين، ثم كروا عاتلين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن. فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أياماً. هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس، فيصلي وراء أهل المدينة وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم، حتى قال علي لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير. وقال أهل كل مصر: إما جئنا لننصر أصحابنا. فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليمترنا ونحن نمتزله - يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً -.

مروان بن الحكم فقال: أتكلّم يا أمير المؤمنين أم أصمت؟ فقالت امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة من وراء الحجاب: بل أصمت، فوالله إنهم لقاتلوه، ولقد قال مقالة لا ينبغي له النزوع عنها. فقال لها: وما أنت وذلك؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ. فقالت له: دع ذكر الآباء. ونالت من أبيه الحكم، فأعرض عنها مروان، وقال لعثمان: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت؟ فقال له عثمان: بل تكلم، فقال مروان: بأبي أنت وأمي، لوددت أن مقاتلك هذه كانت وتأت متبجح متبجح، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطّيين، وخلف السيل الزّبي، وحين أعطى الخطبة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها، خير من توبة تخوف عليها، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس. فقال عثمان: فأخرج إليهم فكلّمهم، فإني أستحي أن أكلّمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً. فقال: ما شأنكم كأنكم قد جتم لنهب، شأعت، الوجه كل إنسان آخذ بأذن صاحبه إلا من أريد جتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اخرجوا عنا، أما والله لئن رمئتمونا ليمرن عليكم أمر يسوؤكم ولا تحمدوا فيه، ارجعوا إلى منازلكم، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا.

قال: فرجع الناس، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر، فجاء علي مغضباً حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيبت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك؟! وإن واثقك مثل جل الطعنة سار حيث يسار به، والله ما مروان يذني رأي في دينه ولا نفسه، وإيم الله إني لأراه سيوروك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لماعتك، أذهبت شرقك، وغلبت على أمرك.

فلما خرج علي دخلت نائلة على عثمان فقالت: أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلمي، فقالت: سمعت قول علي أنه ليس يعاودك، وقد أظمت مروان حيث شاء قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبك من قبلك، فإنك متى أظمت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هبة ولا حجة، فأرسل إلى علي فاستصلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى.

قال: فأرسل عثمان إلى علي فأتى أن يأتيه، وقال: لقد أعلمته أنني لست بعائد. قال: وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان فقال: أتكلّم أو سكت؟ فقال: تكلم، فقال: إن نائلة بنت الفرافصة، فقال عثمان: لا تذكرها بحرف فأسوء لك وجهك، فهي والله أنصح لي منك. قال: فكف مروان.

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر

وغيرها في شوال من هذه السنة

وسبب ذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان، وغضب علي على عثمان بسببه، ووجدوا الأمر على ماكان عليه لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبه فكانت أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا، ووزرت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان علي وطلحة والزبير، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم. وقال سيف بن عمر التميمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي

نزل عثمان. قال أبو حبيبة: فكان آخر يوم رأيته فيه.

وقال الواقدي حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد. قال: كان أول من اجترأ على عثمان بالملق السيئ جيلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه، وفي يد جيلة جامعة، فلما مر عثمان سلم فرد القوم، فقال جيلة: لم تردون عليه؟ رجل قال كذا وكذا، ثم أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه، فقال عثمان: أي بطانة؟ فوالله إنني لأخبر الناس، فقال: مروان تخيرته! ومعاوية تخيرته! وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته! وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته! منهم من نزل القرآن بدعه، وأباح رسول الله ﷺ دمه، قال: فانصرف عثمان فما زال الناس يجترئين عليه إلى هذا اليوم.

قال الواقدي: وحدثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاعة عن عثمان بن الشريد. قال: مر عثمان على جيلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره، ومعه جامعة، فقال: ياتعطل! والله لأقتلنك ولأهملنك على قلوب جرياء، ولأخرجنك إلى حرة النار. ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه.

وذكر سيف بن عمر: أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته: يا هؤلاء العباد الله الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فاعموا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يحو السيئ إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأنخله حكيم بن جيلة فاقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: إنه في الكتاب. فنار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قحيرة فاقعده وقال فافطع، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه، فاحتمل وأدخل داره، وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر. وأقبل علي وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودهون ويشكون إليه بهم وما حلّ بالناس، ثم رجعوا إلى منازلهم، واستقبل جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة وابن عمر، وزيد بن ثابت في الحارثية عن عثمان، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضي الله ما يشاء.

صفة حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما وقع ما وقع يوم الجمعة، وشج أمير المؤمنين عثمان، وهو في رأس المنبر، وسقط مغشياً عليه، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخطا من الناس، والجوؤه إلى داره وضيقوا عليه، وأحاطوا بها محاصرين له، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين، وعبد الله بن الزبير - وكان أمير الدار - وعبد الله بن عمر، وصاروا، ويحاجفون عنه، ويضاطلون دونه أن يصل إليه أحد منهم، وأسلمه بعض الناس رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا، فأنهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، ولم يقع في خلد أحد أنه يقتل، إلا ما كان في نفس أولئك الخارجين عليه. وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إليه إلا قليلاً في أوائل الأمر، ثم انقطع بالكلية في آخره، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الخافقي بن حرب. وقد استمر الحصر أكثر من شهر. وقيل:

وكان المصريون فيما ذكر [تاريخ الطبري: ٣٥٥/٤]، لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بريداً يسير، فأتبعوه فقتلوه، فإذا معه في إدلوة كتاباً على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم، ويصلب آخرين، ويقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جملة، فلما رجعوا جازوا بالكتاب وفاروا به على الناس فكلم الناس أمير المؤمنين في ذلك، فقال: يئنه علي بذلك وإلا فوالله لا كتبت ولا أمليت، ولاديت بشيء من ذلك، والخاتم قد يزور على الخاتم، فصدقه الصادقون في ذلك، وكتبه الكاذبون.

ويقال: إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح، ويولي محمد بن أبي بكر، فأجابهم إلى ذلك، فلما رجعوا وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر وآخرين معه، فرجعوا، وقد حنقوا عليه حقاً شديداً، وطاروا بالكتاب على الناس، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس.

وروي ابن جرير [تاريخه: ٣١٧/٤] من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي على جبل لعثمان.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٣١٧/٤] من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الأفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاوتوه. وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، كما كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها، وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنه لم يامر به ولم يعلم به أيضاً.

واستمر عثمان يصلي بالناس في تلك الأيام كلها، وهم أحقر في عينه من التراب، فلما كان في بعض الجمعيات وقام على المنبر، وفي يده العصا التي كان يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته، وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من بعده، فقام إليه رجل من أولئك نسب ونال منه، وأنزله عن المنبر، فطعم الناس فيه من يومئذ.

كما قال الواقدي [تاريخ الطبري: ٣١٧/٤، ٣١٦/٤]، حدثني أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال: بينا أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي ﷺ إلى أن كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر، فقال له جهجاه: قم يا ثعلب فانزل عن هذا المنبر. وأخذ العصا فكسرهما على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فمقي الجرح حتى أصابته الأكلة فرائيتها تلود، فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها، فكانت مضية، فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرجة أو خرجتين حتى حصر فقتل.

قال ابن جرير [تاريخه: ٣١٧/٤]، حدثني أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن جهجاهم الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرهما على ركبته، فرمى في ذلك المكان بأكله.

وقال الواقدي: وحدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين: إنك ركبته نهاير وركبناها معك، فنب تنب معك. فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه، قال أبو حبيبة: فلم أروماً أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ.

ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح: يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عبادة وجامعة، فاستنزل فلننزلك في العبادة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان. فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم

من الأمر ما يستحق بسببه القتل، واعتذر عن الاقتصاص بما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن. وأما مسأله من خلعه نفسه فإنه لا يفعل ولا ينزع قميصا قصه الله إياه، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض، وقال لهم فيما قال: وأي شيء إلي من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميراً عزله، وكلما رضيتم عنه وليته؟ وقال لهم فيما قال: والله لئن قتلتموني لا تتحابوا بعدي أبداً ولا تتصلاوا جميعاً أبداً، ولا تقاتلوا بعدي عدواً جميعاً أبداً. وقد صدق رضي الله عنه فيما قال..

وقال الإمام أحمد [١٤٩/٦]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي قيس حدثني النعمان بن بشير قال: كتب معي معاوية إلى عائشة كتاباً فدفعته إليها كتابه فحدثتني أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان: «إن الله لعله يقتصك قميصاً. فإن أراك أحد على خلعه فلا تخلعه» ثلاث مرات. قال النعمان: فقلت: يأم المؤمنين! فأين كنت عن هذا الحديث؟ فقالت: يابني والله أسيت.

وقد رواه الترمذي [٣٧٠٥] من حديث الليث بن معاوية عن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن عائشة به. ثم قال: هذا حديث حسن غريب.

ورواه ابن ماجه [١١٢] من حديث الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان فأسقط عبد الله بن عامر.

قال الإمام أحمد [٥١/٦، ٥٢]: حدثنا يحيى، عن اسماعيل حدثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي» قلت أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر؟ قال: «لا» قلت: ابن عمك علي؟ قال: لا قالت: قلت: عثمان؟ قال: «نعم» فلما جاء قال: «تتحنى فجعل يساره ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا! إن رسول الله ﷺ عهد لي عهداً وإني صابر نفسي عليه.

تفرد به أحمد.

وقال محمد بن عائذ المصنف: حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن لبيعة عن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفهمي يقول: قلت على عثمان فبينما أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتم؟ فقلت: رأيته في وجوههم الشر، وعليهم ابن عيسى البلوي، فصعد ابن عيسى منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قام فيهم، فقال: كذب والله ابن عيسى، ولو لا ما ذكرتُ ذلك، إني لأربع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، والله لا زيت ولا سرق في جاهلية ولا إسلام، ولا تعيت ولا تميت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي يميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت علي جمعة إلا وأنا احتق فيها ربة منذ أسلمت، إلا أن لا أجعلها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية.

ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن لبيعة، قال: لقد اختبأت عند ربي عشرين عاماً. فذكرهن.

البلاء، قال: فدخل عثمان يوماً لحاجة فخرج إلينا متنعاً لونه، فقال: إنهم ليتعدوني بالقتل آنفاً. قال: قلنا: يكفيكم الله يا أمير المؤمنين، قال: فقال: ومَ يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصائه، أو قتل نفساً بغير نفس» فوالله ما زيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تميت بدلاً بليني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟

وقد رواه أهل السنن الأربعة [٤٥٠٢، ٤٥٠٨، ٤٥٠٩، ٤٥٠٣١]، ج [٢٥٢٣] من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أمامة - زاد النسائي: وعبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنا مع عثمان فذكره. وقال الترمذي: حسن وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه. طريق أخرى:

قال الإمام أحمد [٥٩/١]: حدثنا قطن ثنا يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أئشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأنا معه، فأتشد له رجال. قال: أئشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال: «هذه يدي وهذه يد عثمان». ووضع يديه إحداهما على الأخرى فباع لي؟ فأتشد له رجال. ثم قال: أئشد بالله من شهد رسول الله ﷺ قال: «من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بيتي في الجنة؟» فابتعته من مالي فوسعت به المسجد. فأتشد له رجال. ثم قال: وأئشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ يبق اليوم نفقة متبقة؟» فجهزت نصف الجيش من مالي، فأتشد له رجال. ثم قال: وأئشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السيل فابتعتها من مالي فأعتبتها ابن السيل؟ قال: فأتشد له رجال.

ورواه النسائي [٣٦١١] عن عمران بن بكر عن خطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن جده أبي إسحاق السبيعي به.

وقد ذكر ابن جرير [٢٨٩: ٤/٣٦٨] أن عثمان رضي الله عنه لما رأى ما فعله هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار من محاصرته في داره، ومنعه الخروج إلى المسجد، كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة، يستجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة، وانتدب يزيد بن أسد القسري في جيش، وبعث أهل الكوفة جيشاً، وأهل البصرة جيشاً، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموها في الحصار، فلما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضي الله عنه كما سنذكره.

وذكر ابن جرير [٢٨٩: ٤/٣٧٢] أن عثمان استدعى الأشتر النخعي ووضعت لعثمان وسافة في كوة من داره، فأشرف على الناس، فقال له عثمان: يا أشتر ماذا يريدون؟ فقال: إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الإمرة، وإما أن تُقيد من نفسك من قدر ضرته، أو جلدته، أو حبسته، وإما أن يقتلوك.

وفي رواية [٢٨٩: ٤/٣٧١] أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولي عليها من يريدون هم، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر، فخشي عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه فيكون سبياً في قتل امرئ مسلم وما فعل

حصارُ عثمان

كان الحصار مستمراً من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر

قلت: نعم! فأدلى ما فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنني لأجد برده بين يدي وبين كفي، وقال: «إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أظفرت عندنا فاخترت أن أظفر عنده». فقتل ذلك اليوم.

وقال محمد بن سعد والطهات: ٧٥/٣: حدثنا محمد بن عمر، أنا عفان بن مسلم حدثنا وهيب حدثنا داود عن زياد بن عبد الله عن أم هلال بنت كعب عن امرأة عثمان - قال: وأحسبها بنت الفرافصة - قالت: أغشى عثمان فلما استيقظ قال: إن القوم يقتلونني، قلت: كلا يا أمير المؤمنين. قال: إني رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر، فقالوا: أظفر عندنا الليلة، أو إنك نظفر عندنا الليلة.

وقال الهيثم بن كليب: حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا شبابة ثنا يحيى بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الجرشى. وعقبه بن أسيد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية - امرأة عثمان - قالت: لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان قبل قتله بيوم صائماً، فلما كان عند إفطاره سالم الماء العذب فأبوا عليه، وقالوا: دونك ذلك الركي. وركي في الدار الذي يلقي فيه النتن - قالت: فلم يظفر فأتيت جارات لنا على أحاجير متواصلة وذلك في السحر - فسأتهن الماء العذب، فاعطوني كوزاً من ماء فأتيته فقلت: هذا ماء عذب أتيتك به، قالت: فظفر فإذا الفجر قد طلع فقال: إني أصبحت صائماً، قالت: فقلت: ومن أين ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ أطلع علي من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال: لزدد فشربت حتى نهلت، ثم قال: أما إن القوم سيكربون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أظفرت عندنا، قالت: فدخلوا عليه من يومه فقتلوه.

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الإمام أحمد ٧٢/١: حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسراويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبا بكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك نظفر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه. قلت: إنما لبس السراويل ﷺ في هذا اليوم لثلاثين عورته إذا قتل فاته كان شديد الحياء، كانت تستحي منه الملائكة، كما نطق بذلك النبي ﷺ. ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم للقضاء الله عز وجل، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزمته عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: إن عثمان ﷺ أوصى إلى الزبير. وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه. قال: لما قتل عثمان فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقللاً ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها: هذه وصية عثمان. بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور، ليوم لا رب فيه إن شاء الله تعالى.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ص ٤٠٧] أن عثمان ﷺ قال يوم دخلوا عليه فقتلوه:

من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك يوم، قال عثمان للذين عنده في الدار من أبناء المهاجرين والأنصار - وكانوا قريباً من سبعائه، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعه فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن يتطلى إلى منزله، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حر فبرد القتال من داخل الدار، وحي من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء مواعده، وشوقاً إلى رسول الله ﷺ، وليكون خير أبي آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوَ يَأْتِيهِ وَإِنَّكَ تَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» [البقرة: ٢٩].

وروي أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار، بعد أن عزم عليهم في الخروج، الحسن بن علي وقد جرح، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم [تاريخ خليفة: ١٨٨/١].

وروي موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار ويوم نجدة الحاروري.

قال أبو جعفر الرازي عن أيوب السخيتي عن نافع عن ابن عمر: إن عثمان يرضي الله عنه أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «يا عثمان أظفر عندنا» فأصبح صائماً وقتل من يومه.

وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال: دخل عليه كثير بن الصلت فقال: يا أمير المؤمنين أخرج فاجلس بالفناء فإني وجهك فإنك إن فعلت ارتدعوا. فضحك وقال: يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله ﷺ وعنده أبو بكر وعمر، فقال: «ارجع فإنك مظهر عندي غداً» ثم قال عثمان: ولن تغيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة، قال: فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبلا حتى دخلا على عثمان.

وقال موسى بن عقبة: حدثني أبو علقمة - مولى لعبد الرحمن بن عوف حدثني ابن الصلت قال: أغشى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس: تمنى عثمان أمية لحدثكم. قال: قلنا: أصلحك الله، حدثنا فلاننا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال: إنك شاهد معنا الجمعة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، ثنا خلف بن عثيم حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي، حدثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال: دخلت على عثمان وهو محصور، فقال لي: يا كثير ما أراني إلا مقتولاً يومئذ. قال: قلت: ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين، قال: ثم أعاد علي فقلت: وقَّت لك في هذا اليوم شيء؟ أو قيل لك شيء؟ قال: لا! ولكني سهرت في ليلي هذه الماضية، فلما كان عند السحر أغفيت إغفاءة فرائت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ، وأبا بكر وعمر، ورسول الله ﷺ يقول لي: «يا عثمان الحقنا لا نجيبنا، فإننا نتظرك» قال: فقتل من يومه ذلك.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا يزيد بن هارون، عن فرج بن فضالة عن مسروق بن أبي أمية عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فدخلت عليه فقال: مرحباً بأخي رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة - قال: وخوخة في البيت - فقال: «يا عثمان حصروك؟» قلت: نعم قال: «عطشوك؟»

أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع لعماد ملاحاً في البلاد ومُرْتَقى وقال أيضاً:

بيت أهل الحصن والحصن مغلق وباتني الجبال في شماريها الملا

صفة قتله

وقال خليفة بن خياط [١٨٣/١]: حدثنا ابن علية حدثنا ابن عون عن الحسن قال أنبأني وثاب. قال: بعثي عثمان فدعوت له الأشتر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بد، قال: ما هن؟ قال: بخيرونك بين أن تخلع لهم أمهم فتقول: هذا أمركم فاختلوا من شتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك. فقال: أما أن أخلع لهم أمهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلية الله، وأما أن أقصر لهم من نفسي، فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كنا يعاقبان وما يقوم بئني بالقصاص وأما أن يقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تحابون بعدي أبداً، ولا تصلون بعدي جيمعاً أبداً، ولا تقاتلون بعدي جيمعاً أبداً. قال: وجاء رويحيل كانه ذئب فاطلع من باب ورجع، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً، فاخذ بلحيته وقال بها حتى سمعت وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنى عنك كتبك، قال: أرسل لحيتي يا ابن أخي، قال: فأنا رأيت استعدي رجلاً من القوم بعينه - يعني أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجأ به رأسه. قلت: ثم مه؟ قال: ثم تعاوروا عليه والله حتى قتله.

قال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن الفضل بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته وأهوى بمشاقص معه ليجأ بها في حلقه، فقال مهلاً يا ابن أخي، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيئاً نادماً فاستقبله القوم على باب الصفة فدهم طويلاً حتى غلبوه، فدخلوا وخروج محمد راجعاً. فأنه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه، ففطر دمه على المصحف حتى لطفه، ثم تعاوروا عليه فأنه رجل فضربه على الثدي بالسيف، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه، وقالت: يا بنت شيبه أقتل أمير المؤمنين! وأخذت السيف، فقطع الرجل يدها، وانتهبوا متاع الدار ومسر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونجاه عن المصحف وقال: ما رأيت كاليزم وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم. قال: والله ماتركوا في داره شيئاً حتى الأفئدة إلا ذهبوا به.

وروى الحافظ ابن عساكر [٢٠١٤/٤]، ترجمة عثمان، ص ٤٠٨، ٤١٢ أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أنبائهم، إلا محمد بن أبي بكر، وسبقه بعضهم، فضربوه حتى غشي عليه وصاح النسوة فاندفعوا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل، فلما رآه قد أفاق قال: على أي دين أنت يا نعثل؟ قال: على دين الإسلام، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين، فقال: غيرت كتاب الله، فقال: كتاب الله بيني وبينكم، فتقدم إليه وأخذ بلحيته وقال: إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول: «رُئِنا إنا أطفأنا سادتنا وكبرأنا فأضلونا

السيلة» [الأحزاب: ٦٧] وشططه بيده من البيت إلى باب الدار، وهو يقول: يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي. وجاء رجل من كندة من أهل مصر، يلقب حمراً، ويكنى بأبي رومان. وقال قتادة: اسمه رومان، وقال غيره: كان أزرق أشقر، وقيل: كان اسمه سودان بن رومان المرادي. وعن ابن عمر قال: كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة ويده السيف صلتاً، فقال: أفرجوا. ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه، ثم وضع ذباب السيف في بطنه وانكأ عليه وتحامل حتى قتله، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها [٢٠١٤/١].

ويروي أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه [طبقات ابن سعد: ٧٣٢/٤].

والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحي ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها. فتلطم من ذلك وغطى وجهه ورجع وجاحف دونه فلم يكد وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

وروى ابن عساكر [٢٠١٤/٤]، ترجمة عثمان، ص ٤١٤ عن ابن أبي عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه، وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجنبه فقتله، وأما عمرو بن الحوثن فوثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منهن فله، وست لما كان في صدره عليه.

وقال الطبراني [المعجم الكبير: ٣٩١/١]: حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، وإسحاق بن داود الصواف التستري قالوا: حدثنا محمد بن خالد بن خديش حدثنا سلم بن قتيبة حدثنا مبارك عن الحسن. قال: حدثني سيف عثمان أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال: أرجع يا ابن أخي فلست بقاتلي، قال: وكيف علمت ذلك؟ قال: لأنه أتى بك النبي ﷺ يوم سابك فحنكك ودعا لك بالبركة. ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء. ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال: أنت قاتلي. قال: وما يدريك يا نعثل؟ قال: لأنه أتى بك رسول الله ﷺ يوم سابك ليحنكك ويدعو لك بالبركة، فخرت على رسول الله ﷺ، قال: فوثب على صدره وقبض على لحيتي، ووجاه بمشاقص كانت في يده.

هذا حديث غريب جداً وفيه تكار.

وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: «فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٣٧].

ويروي أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه، وليس بعيد فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

وروى ابن عساكر [٢٠١٤/٤]، ترجمة عثمان، ص ٤١٨، ٤١٩ أنه لما طعن قال: بسم الله توكلت على الله، فلما قطر الدم قال: سبحان الله العظيم.

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه [٣٥٦/٤، ٣٥٧، ٣٧٣، ٣٧٧] بأسانيد أن المصريين لما وجلوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر، فيه الأمر بقتل بعضهم، وصلب بعضهم، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وكان قد كبه مروان بن الحكم على لسان عثمان، متولواً قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [الأنفال: ٣٣] وعنده أن

لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بلبائتها، ووقع أمر كبير جداً، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلاً، فلما لئلا وإنه راجعون.

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً، ولزم أكثر الناس بيوتهم، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة في هذه السنة إلى الحج، فقيل لها: إنك لو أقمت كان أصح، لعل هؤلاء القوم يهابونك، فقالت: إني أخشى أن أشير عليهم برأي فينالني منهم من الأذية ما نال أم حبيبة، فغزمت على الخروج. واستخلف عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس، فقال له عبد الله بن عباس: إن مقامي على بابك أجاحف عنك أفضل من الحج. فغزم عليه، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع البشير من الحج، فأخبر بسلامة الناس، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفركم عن أمير المؤمنين. ويلزمهم أيضاً أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن حديج، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو في جيش، وأن أهل البصرة بعثوا مجاشعاً في جيش فعند ذلك صمموا على أمرهم والتموا فيه، وانتهزوا الفرصة بقتل الناس وغيتهم في الحج، وأحاطوا بالدار، وجعلوا في الحصار، وأحرقوا الباب، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار، كئداً عمرو بن حزم وغيره، وجأف الناس عن عثمان أشد الجأفة، واقتتلوا على الباب قتالاً شديداً، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم، وجعل أبو هريرة يقول: هذا يوم طاب أمضاب. وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار، ورحم عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان بن الحكم فقطع إحدى علياويه فعاش أوقص حتى مات.

ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان، زياد بن نعيم القهري والمغيرة بن الأحنس بن شريق، ونبار بن عبد الله الأسلمي، في أثناء وقت المعركة. ويقال: إنه انتهزم أصحاب عثمان ثم تراجعوا. ولما رأى عثمان ذلك حزم على الناس ليصرفوا إلى بيوتهم، فاصرفوا كما تقدم، فلم يبق عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجدران وقرع عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه، وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه، وجعلت نفسه ترد في حلقة، فتركه وهو يظن أنه قد قتل، ثم دخل ابن أبي بكر فمسك بليحيته ثم ندم وخرج، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضره به فاقاه يده قطعها، فقيل: إنه أبانها. وقيل: بل قطعها ولم يبينها، إلا أن عثمان قال: والله إنها لأول يد كتبت المفضل، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية: ﴿فَسَيَحْيِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّيِّعُ الْغَالِي﴾ [البقرة: ١٣٧] ثم جاء آخر شامراً سيفه فاستبكته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فالتزعه منها فقطع أصابعها. ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه، رضي الله عن عثمان وأرضاه.

وفي رواية أن العائقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضره بمحلاة في يده، ورفس المصحف الذي بين يديه ببرجله فاستنار

هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض، ولا شك أنهم كذلك، لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه، ويؤر على خطه وخاتمه، ويعت غلامه على بعيره، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر، بخلاف ذلك كله، ولما لا وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه، وظنوا أنه من عثمان، أعظموا ذلك، مع ما هم مشتعلون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فظافوا به على رؤوس الصحابة، وأعانهم على ذلك قوم آخرون، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا من أمر عثمان رضي الله عنه، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بمحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين، حلف بالله العظيم، وهو الصادق البار الراشد، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه، ولا علم به، فقالوا له: فإن عليه خاتمك. فقال: إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا: فإنه مع غلامك وعلى جملك. فقال: والله لم أشعر بشيء من ذلك. فقالوا له: بعد كل مقالة - إن كنت قد كتبت فقد عجزت، وإن لم تكن قد كتبت بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت، ومثلك لا يصلح للخلافة، إما لخياتك، وإما لعجزك.

وهذا الذي قالوا باطل على كل تقدير فإنه لو فرض أنه كتب الكتاب، وهو لم يكتبه في نفس الأمر، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوك هؤلاء البغاة الخارجين على الإمام، وأما إذا لم يكن قد علم به فأي عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد أطلع عليه وزور على لسانه؟! وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جائزان عليه رضي الله عنه، وإثما هؤلاء الجبهة المتمتحن خونة، ظلمة مقترون، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتضييق عليه، حتى منعه الميرة والماء والخروج إلى المسجد، وتهددوه بالقتل، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه، ومن وقفه بثر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماله، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة» [د(٤٥٠٢)، ت(٢١٥٨)] وذكر أنه لم يقتل نفسه، ولا ارتد بعد إيمانه، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام، بل ولا مس فرجه يمينه بعد أن بايع بها رسول الله ﷺ.

وفي رواية [د(٣٧٧٨)، ج(٢٥٣٣)]: بعد أن كتب بها المفضل. ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منهم، فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغي والعدوان. ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده، حتى اشتد عليه الحال، وضاق المجال، وقد ما عنده من الماء، فاستنات بالمسلمين في ذلك فركب علي بنفسه وحمل معه قوماً من الماء فبالجهد حتى أوصلوا إليه بعدما ناله من جبهة أولئك كلام غليظ، وتنفير لبائته، وإخراق عظيم بليغ، وكان قد زجرهم أم الزجر، حتى قال لهم فيما قال: والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا فلما لهذا الرجل، والله إنهم لياسرون فيقطعون ويسقون. فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامة في وسط الدار. وجاءت أم حبيبة راجبة بغلة وحولها حشمها وخدنها، فقالوا: ما جاء بك؟ فقالت: إن عنده وصلياً بني أمية، لأيتام وأراميل، فأحببت أن أذكره بها، فكذبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة، وقطعوا حزام البغلة ونذت بها، وكادت أو سقطت عنها، وكادت تقتل

دخل رومان بن سودان رجل أزرق قصير مُخَدَّد عناده من مراد معه جُرْزُر من حديد فاستقبله فقال: على أي ملة أنت يا نعل؟ فقال عثمان: لست بنعل ولكي عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين فقال: كذبت، وضربه بالجرزُر على صدره الأيسر فقتله فخر فادخلته بنت القُرَاضَة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة ضليعة فالتقت نفسها عليه وألقت بنت شية نفسها على ما بقي من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلاً فقال: والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فنبذته فكشف عنها درعها من خلفها حتى نظر إلى منها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يا رباح - لغلّام عثمان أسود - يا غلام ادفع عني هذا الرجل، فمضى إليه الغلام فضره فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المخيرة بن الأخنس وجرح مروان. قال: فلما أسيأنا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوها بفاختلناه إلى بقيع الغرقد في جوف الليل وغشينا سود من خلفنا فهيناهم وكذا أن تنفر عنه فنادى مناديه: أن لا روح عليكم اثبتوا إنما جئنا لنشهدهم معكم وكان أبو خنيس يقول: هم ملائكة الله ففداه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بوارى القري عليهم حبيب بن مسلمة قد أتوا في نصره عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه.

وقت قتل عثمان

ولما وقع هذا الأمر العظيم، الفظيع الشنيع، أسقط في أيدي الناس، فأعظموه جلاء، وندم أكثر هؤلاء الجملة الخوارج على ما صنعوا، وأشبهوا من تقدمهم عن قصص الله علينا بحرمهم في كتابه العزيز، من الذين عبدوا العجل، في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَيطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَتَوَقَّرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩] ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم ترحم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال: يَا لِمَ، ثم تلا قوله تعالى ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ تَوَصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [س: ٤٩، ٥٠] وبلغ علياً قتله فترحم عليه. وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦] ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِرُونَ سَعَاءً﴾ [الكهف: ١٠٣] ثم قال سعد: اللهم أندمهم ثم خذهم. وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قلة عثمان إلا مقتولاً. رواه ابن جرير [تاريخه: ٣٩٧/٤].

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه:

منها دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح [المستدرک: ٥٠٠/٣].

وقال بعضهم: ما مات أحد منهم حتى جن [العجم الكبير للطبراني: ٤٥/١ من كلام يزيد بن حبيب].

وقال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال: الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التميمي. وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلاً يغني تحت الليل:

المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضي الله عنه. وسالت عليه الدماء، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فماتته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرِبَ عَجِيزَتُهَا يَدَهُ وَقَالَ: إِنِّهَا لَكَبِيرَةُ الْعَجِيزَةِ. وَضُرِبَ عُثْمَانُ فُقِتِلَهُ، فَجَاءَ غُلَامٌ عُثْمَانَ فَضُرِبَ سُدَانُ قُتِلَهُ، فَضُرِبَ الْغُلَامُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: قَتِيرَةُ قُتِلَتْهُ.

وروى ابن جرير [تاريخه: ٤١٤/٤] أنهم أرادوا حزن رأسه بعد قتله، فصاح النساء وضربن وجوههن، فبين امرأتان نائلة وأم البنين، ويثانه، فقال ابن عيسى: اتروكه، فتركوه. ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنبهوه، وذلك أنه نادى مناديه: إجل لنا دمه ولا يجل لنا ماله فاتهبوه ثم خرجوا فاعلقوا الباب على عثمان وقتلين معه، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قتيبة فقتله، وجعلوا لا يبرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التميمي، ملاءة نائلة، فضره غلام لعثمان فقتله، وقتل الغلام أيضاً، ثم نادى القوم: أن ادركوا بيت المال لا تستبقوا إليه، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا: يا قوم النجاة النجاة، فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله وكثيراً إنما قصدهم الدنيا، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال، وكان فيه شيء كثير جداً.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهم بن خنيس أبي خنيس، أو خنيس الأزدي وكان قد شهد الدار.

ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرُّحَبي عنه وكان قد استدعاه عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه: أن وفد الأنبياء، وهم وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فانصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة العشاء أو الظهر فحصبوه بالحصى والنبال والخفاف فانصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وطلحة ومروان والمغيرة بن الأخنس في أناس، وأطاف وفد مصر بداره فاستشار الناس فقال عبد الله بن الزبير: يا أمير المؤمنين إني أشير بإحدى ثلاث خصال إما أن نحرِمَ بعمره فتحرم عليهم دماؤنا وإما أن نركب معك إلى معاوية بالشام، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم، فإنا على الحق وهم على الباطل. فقال عثمان: أما ما ذكرت من الإحرام بعمره فتحرم دماؤنا فإنهم يروما حللاً الآن وحال الإحرام وبعد الإحرام وأما الذهاب إلى الشام فإني أستحي أن أخرج من بينهم خائفاً فإني أهل الشام وتسعم الأعداء من الكفار ذلك، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسبي محجمة دم.

قال: ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أثباتي الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فإنك تظفر عندنا، وإني أشهدكم أنني وقد أصبحت صائماً وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه. فقلنا: يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون في بيت من الدار نكون لنا فيه جماعة وممنة. ثم أمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأته بنت القرافضة الكلبيّة وابنة شية فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ ببلحيته فقال: دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يتلّهُف لها بأذى من هذا فاستحي فخرج فقال للقوم: قد أشعرت لكم، وأخذ عثمان ما امتنع من لحية فأعطاه إحدى امرأتيه. ثم

موضع قبر عثمان رضي الله عنه

وأما موضع قبره فلا خلاف أنه دفن بمش كركب - شرقي البقيع - وقد بني عليه في زمان بني أمية قبة عظيمة وهي باقية إلى اليوم. قال الإمام مالك رضي الله عنه: بلغني أن عثمان رضي الله عنه كان يمر بمكان قبره من حش كركب فيقول: إنه سيدفن هنا رجل صالح للمعم الكبر: [٣٤/١].

عثمان بعد قتيله وكيف دفن

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٤/١٢٤] أن عثمان رضي الله عنه بقي بعد أن قتل ثلاثة أيام لا يدفن. قلت: وكأنه اشتغل الناس عنه بمباهجة علي رضي الله عنه حتى تمت، وقيل: إنه مكث ليلتين، وقيل: بل دفن من ليلته، ثم كان دفنه ما بين المغرب والمساء خيفة من الخوارج، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم. فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة، منهم حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير بن مطعم، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، وطلحة والزبير، وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأته نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصن، وعصيان. - وهذا مجموع من كلام الواقدي وسيف بن عمر التميمي.

قال أحمد [٧٤/١]: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: صلى الزبير على عثمان ودفنه وكان أوصى إليه.

وروى عبد الله [المسند: ١/٧٣] من طريق إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه: شهدت عثمان دفن في ثيابه بدماته ولم يفسل. وحمله جماعة من خدمه حملوه على باب بعد ما غسلوه وتكفوه. وزعم بعضهم أنه لم يفسل ولم يكفن، والصحيح الأول. وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل الزبير بن العوام، وقيل حكيم بن حزام، وقيل مروان بن الحكم، وقيل المسور بن غرمة وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجحه، وإلقائه عن سريره. وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع، حتى بلغ علي رضي الله عنه إليهم من نهامهم عن ذلك وحمل جنازته حكيم بن حزام، وأبو جهم بن حذيفة ونيار بن مكرم، وجبير بن مطعم.

وذكر الواقدي أنه لما وضع ليصلى عليه - عند مصلى الجنائز - أراد بعض الأنصار أن يمنعهم من ذلك، فقال أبو جهم بن حذيفة: ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته ثم قالوا: لا يدفن في البقيع ولكن ادفنوه وراء الحائط، فدفنوه شرقي البقيع تحت غلات هناك.

وذكر الواقدي أن عمير بن ضامير نزا على سريره وهو موضوع للصلاة عليه فكرر ضلعاً من أضلاعه وقال: أحسبت ضاميراً حتى مات في السجن؟ وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضامير هذا.

وقال البخاري في التاريخ: حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن مهال حدثنا غالب عن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة وإذا رجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، فقلت: يا عبد الله ما سمعت أحداً يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت لله عهداً إن قدرت أن أطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قتل وضع على سريره في البيت والناس يجيئون فيصلون عليه، فلذلت كائي أصلي عليه، فوجدت خلوة فرفعت

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل التجبي الذي جاء من مصر ولا رجع الحجاج وجدوا عثمان رضي الله عنه قد قتل، وبائع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولا بلغ أمهات المؤمنين في أثناء الطريق أن عثمان قد قتل، ورجعن إلى مكة فاقمن بها نحواً من أربعة أشهر كما سيأتي.

فصل

كانت مدة حصر عثمان رضي الله عنه في داره أربعين يوماً على المشهور، وقيل: كانت بضعا وأربعين يوماً.

وقال الشعبي: كانت ثنتين وعشرين ليلة.

ثم كان قتل عثمان رضي الله عنه في يوم الجمعة بلا خلاف.

قال سيف بن عمر عن مشايخه: في آخر ساعة منها، ونص عليه مصعب الزبيري وآخرون. وقال آخرون ضحوة، وهذا أشبه، وكان ذلك لثمانية عشر ليلة خلت من ذي الحجة على المشهور، وقيل في أيام التشريق. رواه ابن جرير [تاريخه: ٤/١٢٤] حدثني أحمد بن زهير حدثنا أبو خيثمة ثنا وهب بن جرير قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد عن الزهري. قال: قتل عثمان فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق. ورواه عبد الله بن أحمد [المسند: ٢/٧٤] عن عبيد الله بن معاذ عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان قال: قتل عثمان في أواسط أيام التشريق.

وقال بعضهم: قتل يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة.

وقيل: قتل يوم النحر، حكاه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ترجمة عثمان] ص ٥٢٧ ويستشهد له بقول الشاعر:

ضحوا بأشبط عنوان السجوبو يقطع الليل تسيحاً وقرناً

قلت: والأول هو الأشهر، وهو أنه قتل يوم الجمعة لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ستة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور.

وقيل ستة ست وثلاثين، قال مصعب الزبيري وطائفة. وهو غريب. فكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، لأنه بويع له في مستهل الحرم ستة أربع وعشرين.

عمُر عثمان رضي الله عنه

وأما عمره رضي الله عنه فإنه جاوز الثمانين على المشهور. فقيل: إحدى وثمانية سنة.

قال الواقدي: وغير واحد: توفي عن ثنتين وثمانين سنة.

وقال أحمد عن حسن بن موسى حدثنا أبو هلال عن قتادة توفي عثمان عن ثمان وثمانين أو تسعين سنة، وفي رواية عنه: توفي ست وثمانين سنة.

وعن هشام بن الكلبي: توفي عن خمس وسبعين سنة، وهذا غريب جداً، وأقرب منه ما رواه سيف بن عمر عن مشايخه، وهم محمد وطلحة وأبو عثمان وأبو حارثة أنهم قالوا: قتل عثمان رضي الله عنه عن ثلاث وستين سنة.

الثوب عن وجهه ولحيته فلطمته وسجّيته وقد يست يميني. قال ابن سيرين: فرأيتها يابسة كأنها عود.
ثم خرجوا بهبدي عثمان اللثين قتلا في الدار، وهما صبيح ونجيب، رضي الله عنهما، فدفنوا إلى جانبهم بمش كوكب، وقيل: إن الخوارج لم يكتفوا من دفنهما، بل جروهما بأرجلهما حتى ألقيهما بالبلاط فاكنتهما الكلاب.
وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان، ورفع الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصلت بمقابر المسلمين.

ذكر صفته

كان رضي الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة، كبير اللحية، معتدل القامة، عظيم الكراخيس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، حسن الثغر، فيه سمرة، وقيل يبيض. وقيل: كان في وجهه شيء من آثار الجذري، رضي الله عنه.

وعن الزهري: كان حسن الوجه والشعر، مربوعاً، أضلع، أروح الرجلين.

وقال الإمام أحمد [٧٣/١، ٧٤]: حدثنا عبد الصمد حدثنا سالم أبو جميع حدثنا الحسن وذكر عثمان وشدة حياؤه فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلقة فما يضع عته الثوب ليفيض عليه الماء بمنه الحياة أن يقيم صلبه.

وقال عبد الله [المسند: ٧٣/١] حدثنا زياد بن أيوب حدثنا هشيم قال: زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن قال.

وقال الواقدي: حدثنا ابن أبي سيرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. قال: كان لعثمان عند خزائنه يوم قتل، ثلاثون ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، فأنتهت وذهبت، وترك ألف بعير بالريضة، وترك صدقات كان تصدق بها، بيتر أريس، وخير، ووادي القرى، قيمة مئتي ألف دينار.

وقال الإمام أحمد [٦٩/١]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا أوطاة بن المنذر حدثنا أبو عورن الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: هل أنت منه عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العلو، فقال عثمان: إني قد سمعت وحفظت وليس كما سمعت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيقتل أمير ويترى منتزاً» وإني أنا المقتول وليس عمر، إن عمر قتله واحد وإنه سيجمع علي.

وقال أحمد [٥٧/١، ٥٨، ٦٩] حدثنا وكيع عن إسماعيل عن قيس قال: حدثني أبو سهلة أن عثمان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد لي عهداً فأنا صابر عليه. قال قيس: فكثروا يرونه ذلك اليوم.

ورواه الترمذي [٣٧١١] من حديث وكيع ويحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد به.

ولي مسند أبي يعلى من طريق أبي سهلة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ستبلى بعدي فلا تقابل».

فتنة قتل عثمان

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حنيفة أنه قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن الدجال.

وروي الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٥٨، ٤٥٩] من طريق شابة عن حفص بن مروق الباهلي، عن حجاج بن أبي عثمان الصواف عن زيد بن وهب عن حنيفة. قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مقال حجة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه، آمن به في قبره.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره: أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا أبو الأشهب حدثني عوف عن محمد بن سيرين أن حنيفة بن اليمان قال: اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً. فليس لي فيه نصيب، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيراً لتحببته لبنا، ولئن كان قتله شراً لتمتصن به دماً. وقد ذكره البخاري في صحيحه.

طريق أخرى عنه

قال محمد بن عاف: ذكر يحيى بن حزة حدثني أبو عبد الله النجاشي أن حنيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يتاجي امرأته ففتح عينيه فسألها فقالا: خير، فقال: إن شئنا تسرانه دوني ماهو خير، قال: قتل الرجل - يعني عثمان - قال: فاسترجع ثم قال: اللهم إني كنت من هذا الأمر بمعزل، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء، اليوم تقرت القلوب بأنفارها، الحمد لله الذي سبق بي الفتن، قاذها ولعلوها الخطيئة، من تردى بعيره فشيح شحماً وقلّ عمله.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن علي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري. قال: لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبت به الأمة دماً. وهذا منقطع.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٨٠/٣]: أنا عازم بن الفضل أنا الصعق بن حزن ثنا قتادة عن زهد الجرمي. قال: خطب ابن عباس فقال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء.

وقد روي من غير هذا الوجه عنه.

وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري. قال: لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له: قتل عثمان، فقال: تبأ آخر الدهر. وفي رواية: خيبة لهم.

وقال أبو القاسم البغوي: أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى. قال: سمعت علياً وهو يباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعا صوته يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان.

وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن. قال: قتل عثمان وعلي غائب في أرض له، فلما بلغه قال: اللهم إني لم أرض ولم أمالي.

وروي الربيع بن بدو عن سيار بن سلامة عن أبي العالية: أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يكي حتى ظنوا أنه سيلحق به.

وقال الثوري وغيره عن ليث عن طاووس عن ابن عباس قال: قال علي يوم قتل عثمان: والله ما قتلت ولا أمرت ولكي غلبت.

ورواه غير ليث عن طاووس عن ابن عباس عن علي نحوه.

وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس. قال: قال علي: إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم ففصروني.

حتى جلست مجلسي هذا.
قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها تاريخ دمشق [رحمة
عنان ص ٤٩٦].

وهذا إسناد صحيح إليها.

وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله،
زوروا كتباً على لسان الصحابة إلى الأفاق يبرسونهم على قتال عثمان،
كما قلنا بيناه والله الحمد والمنة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا حزم القطعي ثنا أبو الأسود سودة
أخبرني طلق بن خثاف قال: قال قتل عثمان ففرقنا في أصحاب محمد
فلما سلمنا من قتله فسمعت عائشة تقول: قتل مظلوماً لمن الله قتله.

وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس. قال:
قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان: رحمه الله، أما إنهم لن يحتلبوا بعنه
إلا دماً.

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له، فمن
ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قنعوا من قتله: أما
مررت ببلاد ثمود؟ قالوا: نعم قال: فأشهد أنكم ملتهم، خليفة الله أكرم
عليه من ناقته.

وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن. قال: لو كان قتل
عثمان هدى لأحتلبت به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبت به الأمة
دماً.

وقال أبو جعفر الباقر: كان قتل عثمان على غير وجه الحق.

وهذا ذكر بعض ما رثي به عليه

قال مجاهد عن الشعبي: ماسمعت من مرثي عثمان أحسن من قول
كعب بن مالك:

كف يدي ثم أغلق بابي وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوه عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الحريق أدبر بعده عن الناس إبطار النعام الجوافل

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة بن الأخنس بن
شريق.

وقال سيف بن عمر: وقال حسان بن ثابت:

ماذا أودم من أخي الدين بارتك يد الله في ذاك الأديم المقدس
قتلتهم ولي الله في جوف داره وجسم بأمر جابر غير مهتر
فهلأ رعيتم نمة الله بينكم وأوفيتهم بالمهد عهد عمير
ألم يك فيكم ذا بلاء ومصديق وأوفاكم قنناً لدى كل مشهيد
فلا ظفرت أيمان قوم تباعوا على قتل عثمان الرشيد المسدود

وقال ابن جرير [٢١٥/٤]: وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:
من سره الموت صرفاً لا مزاج له فلبات مأسدة في دار عثمان
مستعري خلق الماذي قد شفعت قبل المخاطم يفض زان أهدانا
ضحوا بأشمت عنوان السجود به يقطع الليل نسيحاً وقرآنا

صبراً فدى لكم أمي وما ولدت قد ينفخ الصبر في المكروه أحيانا
فقد رضىنا بأرض الشام نافرةً وبالأسير وبالإخوان إخواننا
إنني لمنهم وإن غلبوا وإن شهدوا ما دمنا حياً وما شئنا حنانا
لنممن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثاروت عثماننا
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان شأن علي وابن عفانا
وقال راعي الإبل التميري في ذلك:

عشية يدخلون بنبر إن على متوكل أوفى وطبنا
خليل عمير ووزير صدق ورايح خير من وطن الترابنا

كيف وقع قتل عثمان

إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة وفيها جماعة
من كبار الصحابة رضي الله عنهم؟
فجوابه من وجوه:

أحدها: أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر
إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يجاولون قتله عينا، بل طلبوا منه
أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم، أو
يقتلوه، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان، أو أن يعزل نفسه
ويستريح من هذه الضائقة الشديدة. وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع،
ولا أن هؤلاء يمحرون عليه إلى ما هذا حده، حتى وقع ما وقع والله أعلم.
الثاني: أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع التضيق
الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم
ففعّلوا، فتصنك أولئك عما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل
بالكيلة.

الثالث: أن هؤلاء الخوارج لما اغتموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام
الحج، ولم تقدم الجيوش من الأفاق للنصرة، بل لما اقترب مجيئهم، انتهزوا
فرصتهم، قبحهم الله، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.
الرابع: أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من الفتي مقاتل من الأبطال،
وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة، لأن الناس كانوا في
الثغور وفي الأقاليم في كل جهة وفي الحج.

ومع هذا كان كثير من الصحابة احتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن
كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلا ومعه السيف، يضعه على حبوته إذا
احتج، والخوارج محقون بدار عثمان رضي الله عنه، وربما لو أرادوا
صرفهم عن الدار لما أمكن ذلك.

ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحافظون عن عثمان
رضي الله عنه، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته، فما فجأ الناس
إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى
قتلوه.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي
بقتله، فهنا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي
الله عنه، بل كلهم كرهه، ومقته، وسب من فعله، ولكن بعضهم كان يود
لو خلع نفسه من الأمر، كعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعمر بن
الحق وغيرهم.

مصبأه مصباحُ ودينه فلاحُ
وامره نجره ونوره نطره
ذلت له البطاح ما ينفع العياع
لو وقسح الذبائح وشئت الصعاع
ومئذت الرماح

قال عثمان: فانطلقت مفكراً فلقيني أبو بكر فأخبرته، فقال: ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي بعدلها قومنا؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع؟ قال: قلت: بلى والله إنها لكذلك، فقال: والله لقد صدقتك خالك، هذا رسول الله محمد بن عبد الله، قد بعثه الله إلى خلقه برسالة، هل لك أن تأتيه؟ فاجتمعنا برسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان أجب الله إلى جيته، فإني رسول الله إليك وإلى خلقه» قال: فوالله ما عمالكت حين سمعت رسول الله ﷺ قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ فكان يقال: أحسن زوج رآه إنسان رقية وزوجها عثمان فقالت في ذلك سعدى بنت كريض:

هدى الله عثماناً بقولي إلى الهدى وأرشدته والله يهدي إلى الحق
تتابع بالرائي السديد عمداً وكان برأي لا يصد عن الصديق
وانكحه المبعوث بالحق بشة فكانا كجدر مازج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن المشائيم مهجتي أنت أمين الله أرسلت للخلق

قال: ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون، وبأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون رجلاً.

ثم هاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منه وأجره فيها، فهو معلود فيمن شهد بها. فلما توفيت زوجته رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبتها، وقال رسول الله ﷺ: «لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان» [المعجم الكبير: ١٨٤/١٧ بخره].

وشهد أحداً وفر يومئذ فيمن تولى، وقد نص الله تعالى على العفو عنهم، وشهد الخندق والحديبية، وبيع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمره القضاء، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك، وجهر فيها جيش المعرة، فتقدم في رواية عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقنابها وأحلاسها [طواف المسند: ٢٥٧/٤].

وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين» [الدلائل للهيتمي: ٤١٢/٥].

وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض. ثم صحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض. ونص عليه في أهل الشورى الستة، فكان خيرهم كما سيأتي.

قال أبو عمر بن عبد البر [الاستيعاب: ١٠٤٨/٣]: دفنوا عثمان رضي الله عنه بحش كركب - وكان قد اشتراه وزاده في البيع. ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتل الفجرة، غنول من خذله، منصور من نصره. وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام: قلت: الذين قتلوه أو البوا عليه قتلوا إلى عمر الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنقص عيشهم، وكان الملك بعده في نائبه معاوية، وابنيه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير. وهذا لفظه بحروفه.

فضائل عثمان بن عفان

هو

■ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. أبوعمر وأبو عبد الله، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، وصاحب المجرتين، والمصلّي إلى القبلتين، وزوج الابتين. وأمه أروى بنت كريض بن ربيعة بن عبد شمس. وأما أم حكيم وهي البهاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور بتابعهم والاعتقاد بهم.

أسلم عثمان رضي الله عنه قديماً على يدي أبي بكر الصديق، وكان سبب إسلامه عجيباً فيما ذكره الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٠، ٢١]، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوّج ابنته رقية - وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها، فدخل على أهله مهموماً فوجد عندهم خالد بن سعيد بن كريض - وكانت كاهنة - فقالت له:

أبشر وحييت ثلاثاً تترأ ثم ثلاثاً وثلاثاً أخرى
ثم بأخرى كي تم عشراً أمك خير وو قيت شراً
انكحت والله حصاناً زهراً وأنت بكسر ولقيت بكسراً
وافتيها بنت عظيم قدراً بنيت أمراً قد أشاد ذكراً

قال عثمان: فعجبت من قولها حيث تبشرنني بأمارة قد تزوجت بغيري:

فقلت: ياخاله ما تقولين؟ فقالت: عثمان

لك الجمال، ولك اللسان هذا نبي ورسوله البرهان
أرسله بمقته الديان وجاءه التنزيل والفرقان
فاتبعه لا تقتلك الأوثان

قال: فقلت إنك لتذكرين أمراً ما وقع بيلدنا. فقالت: محمد بن عبد الله، رسول من عند الله، جاء بتزويل الله، يدعو به إلى الله ثم قال:

فقان: «أئذن له ويشره بالجنة على بلوى تصيبه» فدخل وهو يقول: اللهم صبراً. في رواية: الله المستعان.

رواه عنه قتادة [المسند: ٣٩٣/٤] وأيوب السخيتاني.

وقال البخاري [٣٦٩٥]: وقال حماد بن زيد: حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه، وزاد عاصم: أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في مكان، فيه ماء قد انكشف عن ركبتيه، أو ركبته، فلما دخل عثمان غطاهما.

وهو في الصحيحين [خ: ٣٦٧٤، م: ٢٤٠٣] أيضاً من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى، وفيه أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله في باب القف وهو في البئر، وجاء عثمان فلم يجد له موضعاً فجلس ناحية قال سعيد بن المسيب: فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان.

وقال الإمام أحمد [٤٠٨/٣]: حدثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة. قال: قال نافع بن الحارث: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً فقال: «أمسك عليّ الباب»، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجليه، فضرب الباب فقلت: من هنا؟ فقال: أبو بكر قلت: يا رسول الله هذا أبو بكر، قال: «أئذن له ويشره بالجنة»، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر، ثم ضرب الباب: فقلت: من هنا؟ قال: عمر، قلت: يا رسول الله هذا عمر، قال: «أئذن له ويشره بالجنة»، فدخلت، فجاء فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر، ثم ضرب الباب فقلت: من هنا؟ قال: عثمان، قلت: يا رسول الله هذا عثمان، قال: «أئذن له ويشره بالجنة معها بلاء»، فأذنت له ويشرته بالجنة، فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجليه في البئر.

هكذا وقع في هذه الرواية.

وقد أخرجه أبو داود [٥١٨٨] والنسائي [كبرى: ٨١٣٢] من حديث

أبي سلمة.

فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب، أو أنها قصة أخرى.

وقد رواه الإمام أحمد [٤٠٨/٣] عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة يحدث ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث: أن رسول الله ﷺ دخل حائطاً فجلس على قف البئر، فجاء أبو بكر فاستأذن فقال لأبي موسى: «أئذن له ويشره بالجنة». ثم جاء عمر فقال: «أئذن له ويشره بالجنة»، ثم جاء عثمان فقال: «أئذن له ويشره بالجنة وسيلقى بلاء».

وهذا السياق أشبه من الأول، على أنه قد رواه النسائي [كبرى: ٨١٣١] من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن عبد الحارث عن أبي موسى الأشعري قاله أعلم.

وقال الإمام أحمد [١٦٥/٢]: حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبد الله بن عمرو قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فاستأذن فقال: «أئذن له ويشره بالجنة»، ثم جاء عمر فاستأذن فقال: «أئذن له ويشره بالجنة»، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال: «أئذن له ويشره بالجنة». قال: قلت: فأيُّنا؟ قال: «أنت مع أبيك».

نفرده به أحمد.

وقد رواه الزبارة [كشف الأسفار: ١٥٧٢، ١٥٧٣] وأبو يعلى [مسنده: ٣٩٥٨] من حديث أنس بن مالك بنحو ما تقدم.

حديث آخر

فولي الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصا، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصادق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصافات: ٩].

وقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمي ما زوي لي منها» [٢٨٨٩] من حديث لohan.

وقوله ﷺ: «إذا ملك قيسر فلا قيسر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لنتقن كنوزهما في سبيل الله» [خ: ٣١٢٠] وهذا كله تحقق وقوعه وتأكده وتوطده في زمان عثمان رضي الله عنه.

قد كان رضي الله عنه حسن الشكل، مليح الوجه، كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، يؤثر أهله وأقاربه في الله، تاليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الغاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما ينفى، كما كان النبي ﷺ يعطي أقواماً ويدع آخرين، يعطي أقواماً خشية أن يكبههم الله على وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد عاتبه بسبب هذه المصلحة أقوام، كما عاب بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار. وقد قلنا ذلك في غزوة حنين حيث قسم غنائمها.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة، وهي تسمان:

الأول: فضائل عثمان مع غيره

فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه [٣٦٩٩]: حدثنا حسد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال: سعد النبي ﷺ أحداً معه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجع فقال: «اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» نفرد به دون مسلم.

وقال الترمذي [٣٦٩٦]: ثنا قتية ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبي ﷺ: «أهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». ثم قال: وفي الباب: عن عثمان وسعيد بن زيد وابن عباس، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك، وبريدة الأسلمي، وهذا حديث صحيح.

قلت: ورواه أبو داود [٤٦٥١]، ورواه الترمذي [٣٧٠٣] عن عثمان في خطبته يوم الدار، وقال: على ثبير.

حديث آخر: وهو ما ثبت في الصحيحين [خ: ٣٦٩٥] و[٧٢٦٢]،

م[٢٤٠٣] من حديث أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حائط، فأمرني بحفظ الباب، فجاء رجل يستأذن فقلت: من هنا؟ قال: أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أئذن له ويشره بالجنة». ثم جاء عمر فقال: «أئذن له ويشره بالجنة»، ثم جاء عثمان

بن عفان ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفاً عن ركبته، فمدّ ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان، وقال لامرأته: استأخري، فتحدثوا ساعة ثم خرجوا، فقالت عائشة: يا نبي الله! دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتيك ولم تؤخري عنك، فقال النبي ﷺ: «يا عائشة، ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة! والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج».

هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله، وفي إسناده ضعف.

قلت: وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن ثابت (الطبراني في الكبير: ١٧٨/٥).

وروى أبو مروان القرشي عن أبيه عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «عثمان حَيٌّ تستحي منه الملائكة».

حديث آخر

قال الإمام أحمد (١٨٤/٣، ٢٨١): حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالخلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي». وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

وهكذا رواه الترمذي (٣٧٩١) والنسائي (٨٢٤٢، ٨٢٨٧) وابن ماجه (١٥٤) من حديث خالد الحذاء، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي صحيح البخاري (٤٣٨٢) ومسلم (٢٤١٩) آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وقد روى هشيم عن كوشر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة عن أنس أو نحوه.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (٣٥٥/٣): حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثني الزبيري عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله. أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر». قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما ما ذكر رسول الله ﷺ عن نوط بعضهم لبعض، فهؤلاء ولاية هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ.

ورواه أبو داود (٤٦٣٦) عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب، ثم قال: ورواه يونس وشعيب فلم يذكر عمر.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (٧٦/٢): حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بلو بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبي عائشة عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال: «رايت قبل الفجر كائني أعطيت المقاليد والموازين، فأما المقاليد فهذه المقاتيح، وأما الموازين فهي التي توزنون بها، فوضعت في كفة ووضعت أمي في كفة فوزنت بهم فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعمر فوزن بهم فوزن، ثم جيء بعثمان فوزن بهم فوزن، ثم رفعت».

تفرد به أحمد

قال الإمام أحمد (٧١/١، ١٥٥/٦): حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لا يلبس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقبض إليه حاجته ثم انصرف، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقبض إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال: «اجعني عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله! ما لي لم أرك فرغت لأبي بكر وعمر كما فرغت لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيي، وإنني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلي حاجته» قال الليث: وقال جماعة الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة!»

رواه مسلم (٢٤٠٢) (٢٧) من حديث الليث بن سعد به (٢٧) (٢٤٠٢) ومن حديث صالح بن كيسان عن الزهري به (٢٧) (٢٤٠٢).

ورواه مسلم (٢٤٠١) من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة عن عائشة.

ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهل بن أبيه عن عائشة. ورواه جبير بن نفير وعائشة بنت طلحة عنها.

وقال الإمام أحمد (٦٢/٦): حدثنا مروان ثنا عبيد الله بن سيار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على حاله، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه، فلما قاموا قلت: يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك! فقال: «يا عائشة ألا استحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه!».

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى عن حفصة:

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل (٢٨٨/٦) عن روح بن عباد عن ابن جريج، أخبرني أبو خالد عثمان بن خالد عبد الله بن أبي سعيد المدني حدثني حفصة، فذكر مثل حديث عائشة، وفيه فقال: «ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة؟».

طريق أخرى عن ابن عباس:

قال الحافظ أبو بكر البزار (كشف الأبرار: ٢٥٠٧): حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر - هو ابن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز الكوفي - عن عكرمة عن ابن عباس. قال قال رسول الله ﷺ: «ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة؟ عثمان بن عفان! ثم قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد».

قلت: هو على شرط الترمذي ولم يخرجوه.

طريق أخرى عن ابن عمر:

قال الطبراني (الكبير: ٣٢٧/١٢): حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبي بكر القلمي ثنا أبو معشر حدثني إبراهيم بن عمر بن أبان حدثني أبي عمر بن أبان عن أبيه. قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: بينما رسول الله ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل، ثم استأذن عمر فدخل، ثم استأذن سعد بن مالك فدخل، ثم استأذن عثمان

اليزار: وهذا الحديث قد روي عن ابن عمر من وجوه وعمر بن محمد لم يكن بالحفاظ، وذلك في حديثه متين إذا روى عن غير سالم.
وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهري عن سالم عن أبيه به.
وقد احتسب الحفاظ ابن عساکر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ١٥٢ - ١٥٩] جميع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد.

فأما الحديث الذي رواه الطبراني [الكبير: ٧٦/١١]: حدثنا سعيد بن عبدويه الصفار البغدادي حدثنا علي بن جميل الرقي أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة - أو ما في الجنة شجرة - شك علي بن جميل، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»

فإنه حديث ضعيف في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة، والله أعلم.

الثاني: فضائل عثمان وحده

قال البخاري [٣٦٩٨]: حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن وهب. قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت، فرأى قوما جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم! قال: تعلم أنه تنيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم! قال: تعلم أنه تنيب عن بيعة الرضوان فلم يشهد؟ قال: نعم! قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أئین لك، أما فراره يوم أحد فأنشد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تنبيه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بداراً وسهمه»، وأما تنبيه عن بيعة الرضوان فلم كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعث مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ: بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

نفرد به دون مسلم.

طريق أخرى

وقال الإمام أحمد [٦٨/١]: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عاصم عن شقيق. قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عتبة، فقال له الوليد: مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أنني لم أفر يوم حنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم اتخلف عن يوم بدر، ولم أترك سنة عمر، قال: فاطلق فخير بذلك عثمان فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم حنين، فكيف يعبرني بذلك وقد عفا الله عني. فقال: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَوْمَئِذٍ النَّفْسَ الَّتِي حَبَسْنَا إِنَّمَا امْتَرْتُمُ الشَّيْطَانَ بِيُضٍّ مِمَّا كَسَبُوا وَتَقَدَّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» [آل عمران: ١٥٥] وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ وقد ضرب لي رسول الله ﷺ، بسهمي ومن ضرب له رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بسهمه فقد شهد، وأما قوله: ولم أترك سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فإنه فحشته بذلك.

حديث آخر

وقال يقوب بن سفيان: حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل. قال قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت أبي وضعت في كفة وأمي في كفة فعدلتها، ثم وضع أبو بكر في كفة وأمي في كفة فعدلتها، ثم وضع عمر في كفة وأمي في كفة فعدلتها، ثم وضع عثمان في كفة وأمي في كفة فعدلتها».

حديث آخر

قال أبو يعلى [مسند: ٤٨٨]: حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام، عن حدثه عن عائشة. قالت: لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بمجر فوضعه، وجاء أبو بكر بمجر فوضعه وجاء عمر بمجر فوضعه، وجاء عثمان بمجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «هذا أمر الخلافة من بعدي». وقد تقدم هذا الحديث في بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام، وكذلك تقدم في دلائل النبوة [الدلائل للبيهقي: ٦٤/٦، ٦٥] من حديث الزهري عن رجل عن أبي ذر في تسييح الحصا في يده عليه الصلاة والسلام ثم في كف أبي بكر، ثم في كف عمر، ثم في كف عثمان، رضي الله عنهم، وفي بعض الروايات: فقال رسول الله ﷺ: «هذه خلافة النبوة»

وسنأتي حديث سفيان أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»

فكانت ولاية عثمان مدتها اثنتي عشرة سنة، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديث آخر

وهو ما روي من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه شهد للعشرة بالجنة، وهو أحدهم بنص النبي ﷺ على ذلك.

حديث آخر

قال البخاري [٣٦٩٧]: حدثنا محمد بن حازم بن بزيع ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر. قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحد، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نفر أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز.

نفرد به البخاري.

ورواه إسماعيل بن عياش، والفرج بن فضالة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن نافع عن ابن عمر.

ورواه أبو يعلى [مسند: ٥٦٠٤] عن أبي معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عمر به.

طريق أخرى عن ابن عمر:

قال الإمام أحمد [١٤/٢]: حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر، قال: كنا نعد رسول الله ﷺ حيّاً وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت»

طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر

قال الحفاظ أبو بكر اليزار [كشف الاستار: ١٥٦٩]: حدثنا عمرو بن علي وعقبة بن مكرم قالوا: ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه. قال: كنا نقول في عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان - يعني في الخلافة.

وهذا إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، لكن قال

على رسول الله ﷺ إلا مرة، فإن عثمان جاءه في حجر الظهيرة فظننت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعتة يقول: «إن الله مليك قميصا تربك أمي على خلعك فلا تخلعه» فلما رأيت عثمان يبتذل لهم ما سألوه إلا خلعه علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه.

طريق أخرى

قال الطبراني [الأوسط (٨٧٤٧)]: حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف، قال: كنا عند شفي الأصبحي فقال: حدثنا عبد الله بن عمرو قال: التفت رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان إن البسك الله قميصا فأرداك الناس على خلعك فلا تخلعه، فوالله لئن خلعتك لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»

وقد رواه أبو يعلى [مسند (٧٠٤٥)] من طريق عبدالله بن عمر عن اخته حفصة أم المؤمنين. وفي سياق متته غرابة والله أعلم.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (٢٥٠/٦): حدثنا عبد الصمد حدثني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت: حدثني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها معها فقال: قولي إن أحد بنيك يتركك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فإن الناس قد شتموه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليحيي إليه القرآن، وإنه يقول له: «كتب يا عيشم»، قالت عائشة: فما كان الله ليتزل تلك الميزة إلا كريماً على الله ورسوله

ثم رواه الإمام أحمد (٢٦١/٦) عن يونس عن عمر بن إبراهيم الشكري عن أمه عن أمها: أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله.

حديث آخر

قال البزار [كشف الاستار (٣٧٦٤)]: حدثنا عمر بن الخطاب قال: ذكر أبو الغيرة عن صفوان بن عمرو عن مازع التميمي عن جابر «أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة فقال أبو بكر: أنا أدركها؟ فقال: «لا» فقال عمر: أنا يارسل الله أدركها؟ قال: «لا» فقال عثمان: يارسل الله فأنأ أدركها؟ قال: «بك يتلون» قال البزار: وهذا لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (١١٥/٢): حدثنا أسود بن عامر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن وائل عن ابن عمر. قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال «يقتل فيها هذا المقتع يومئذ مظلوماً فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان.

ورواه الترمذي (٣٧٠٨) عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال: حسن غريب.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (٣٤٤/٢، ٣٤٥): حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثني أبو أمي أبو حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأنذره، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً» - أو قال: «اختلافاً وفتنة» - فقال له قاتل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه» وهو يشير إلى عثمان بذلك.

قال البخاري (٣٩٩٦): حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب: أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الحيار أخبره أن المسود بن غمرة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد نفوذ قال: ما يمنع أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة. قلت: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك، فقال: يا أيها المرء منك قال أبو عبد الله: قال معمر: أراه قال: أعوذ بالله منك - فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان، ورضي الله عنه، فأتته فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله، فهاجرت المجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد. فقال: أدركت رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا! ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العنقاء في سترها، قال: أما بعد! فإن الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله وأمنت بما بعث به، وهاجرت المجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبياعته، فوالله ما عصيته ولا غشسته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى! قال: فما هذه الأحاديث التي تبغيني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا علياً فأمره أن يجلدَه فجلده ثمانين.

حديث آخر

قال الإمام أحمد (٨٦/٦، ٨٧): حدثنا أبو المشيرة حدثنا الوليد بن سليمان حدثني ربيعة بن يزيد عن عبدالله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يليك قميصاً فإن أرداك المنافقون على خلعك فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثاً فقلت لها: يا أم المؤمنين؟ فإن كان هذا عنك؟ قالت: نُسيته والله فمادركته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكسبي لي به، فكسبت إليه به كتاباً»

وقد رواه أبو عبد الله الجسري عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم.

ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سهلة عنها.

ورواه أبو سهلة عن عثمان: أن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنأ صابر نفسي عليه.

ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره.

قال الدارقطني: نقره به الفرغ بن فضالة ورواه أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد العثماني عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

ورواه ابن عساکر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٢٨١] من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

ورواه أبو أسامة الجريدي: حدثني أبو بكر العلوي قال: سألت عائشة، وذكر عنها نحو ما تقدم. ورواه خصيف عن مجاهد عن عائشة بنحوه.

قال الإمام أحمد (١١٤/٦): حدثنا محمد بن كناسة الأسدي أبو يعجب حدثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه. قال: بلغني أن عائشة قالت: ما استمعت

بها الناس من داره: والله ما تعيت ولا تخميت ولا زينت في جامعي ولا إسلام ولا مسست فرجي يميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ. وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتقاً فإن تعذر عليه أعنت في الجمعة الأخرى عتيقين.

وقال مولا: حران: كان عثمان يقتل كل يوم منذ أسلم. [مسند أحمد: ٦٧/١]

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٦٧/١]: حدثنا علي بن عياش حدثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعي عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على عثمان وهو مصور فقال: «إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى ولاني أعرض عليك خصلاً ثلاثاً اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عدا و قوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما إن تحرق باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلوني بها، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: فُلُتُخْد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، ولن أكون أنا، وأما أن ألتحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفرق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد [٦٧/١]: حدثنا أبو المغيرة حدثنا أروطة - يعني ابن النضر - حدثني أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: «هل أنت متع بما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: ويحك! إني قد سمعت وحفظت - وليس كما سمعت - أن رسول الله ﷺ قال «سَيَقْتُلُ أمير، وَيَتَزَيَّ قَتْرٌ» ولاني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وإنه يجمع عليّ.

وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه مات قبله بنحو ذلك.

حديث آخر

قال عبد الله بن أحمد [٧٤/١]: حدثنا عبد الله بن عمر القواريري: حدثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عباد الزرقعي الأنصاري - من أهل المدينة - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنات ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل، فقال: أيها الناس! أفئكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفئكم طلحة بن عبيد الله؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفئكم طلحة؟ فقال طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي آخر ثلاث مرات، ثم لا تحييني؟ أشنك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كنا وكنا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم! قال: فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته معه في الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا - يعني - رفيقي في الجنة؟» فقال طلحة: اللهم نعم! تفرد به.

حديث آخر عن طلحة

قال الترمذي [٣٦٩٨]: حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا يحيى بن اليمان عن شيخ من بني زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن

تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد [٣٣/٥]، وصححه: [٣٥/٥]: أبو أسامة - حماد بن أسامة - حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثني هرم بن الحارث وأسماء بن خريم - وكانا يغازيان - فحدثاني حديثاً ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حديثه عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من المدينة فقال: «كيف تصنعون في فتنة تشور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟» قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: «عليكم هذا وأصحابه» - قال: فأسرعت حتى عيت فأدرت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا»، فإذا هو عثمان بن عفان. فقال: «هذا وأصحابه» فذكره.

طريق أخرى

وقال الترمذي في جامعه [٣٧٠٤]: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الروهاب الثقفي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطيباً قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ، فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب، لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتنة فقربها فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى» فقصت إليه. فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهة فقلت: هذا؟ قال «نعم!» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة.

قلت: وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزي فذكر نحوه.

وقد رواه الإمام أحمد [٢٣٦/٤] عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزي. والصحيح مرة بن كعب كما تقدم.

وأما حديث ابن حوالة، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجبري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة. قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض؟» قلت: ما خار الله لي ورسوله، قال: «أتبع هذا الرجل، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق» قال: فأتبعته فأتخذت بمنكبه فلفته فقلت: هذا يا رسول الله؟ فقال: «نعم» فإذا هو عثمان بن عفان.

وقال حرمله عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة. قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا، موتي، وخروج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه»

وأما حديث كعب بن عجرة. فقال الإمام أحمد [٢٤٢/٤]: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي أخبرني معاوية بن مسلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقرأها وعظمها قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: «هذا يومئذ على الحق» فأتطلقت مسرعاً - أو قال عصبياً - وأخذت بشبعيه فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا» فإذا هو عثمان بن عفان.

ثم رواه أحمد [٢٤٣/٤] عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله.

ورواه أبو يعلى عن هلبة عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة. وكذا رواه أبو عون عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة. وقد تقدم حديث أبي ثور الفهمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب

يبالي عثمان ما فعل بعدها

حديث آخر

وقال ليث بن أبي سليم: أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنتي ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم سلمة، فلم يصادفه، فلما جاء وضعوه بين يديه، فقال: «من بعث هذا؟» قالوا: عثمان؛ قالت: فرفع يديه إلى السماء فقال: «اللهم إن عثمان يترضاك فأرض عنه»

حديث آخر

روى أبو يعلى [مسند (٢٠٥١)] عن شيان بن فروخ عن طلحة بن زيد عن عبيدة بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر أن رسول الله ﷺ اعتق عثمان وقال: «أنت ولي في الدنيا وولي في الآخرة»

حديث آخر

قال أبو داود الطيالسي [مسند (١٢٥٠)] حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة. قال: قال رسول الله ﷺ: «تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة، يبايع الناس» قال: فهجمنا على عثمان بن عفان فرأيناه معتجراً يبايع الناس.

شيء من سيرته

وهي دالة على فضيلته رضي الله عنه

قال ابن مسعود: لما توفي عمر بايعنا خيرنا ولم نال.

وفي رواية: بايعوا خيرهم ولم يألوا.

وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: كان نقش خاتم عثمان: آمئت بالذي خلق فسوى.

وقال محمد بن المبارك: بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمئن عثمان بالله العظيم.

وقال البخاري في التاريخ: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: أدركت عثمان على ما تقموا عليه، قلما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطيكم فيأخذونها وافر، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافر، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، الأعطيات جارية، والأرزاق دار، والعدو مقى، وذات الين حسن، والخير كثير، وما مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه، من كان من أئفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثره، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصبرها. فوالله ما زدوا وما سلخوا، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلواً إلى يوم الناس هذا، وإيم الله إني لأراه سيفاً مسلواً إلى يوم القيامة.

وقال غير واحد عن الحسن البصري قال: سمعت عثمان يأمُر في خطبته بنبذ الحمام وقتل الكلاب.

وروى سيف بن عمر أن أهل المدينة اتخذ بعضهم الحمام ورسى بعضهم بالجلاهاقات فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك، فيقص الحمام ويكسر الجلاهاقات - وهي قسي البندق -

وقال محمد بن سعد: أبانا القعني وخالد بن مخلد حدثنا محمد بن هلال عن جدته - وكانت تدخل على عثمان وهو محصور - فولدت

طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان؛ ثم قال: هنا حديث غريب وليس إسناده بالقوي، وإسناده منقطع.

ورواه أبو مروان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة.

وقال الترمذي [٣٧٠٩]: حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا: حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر قال: أتني امرأة بجنازة رجل ليصلي عليه فلم يصل عليه، فقتل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟ فقال: «إني كان يخض عثمان فأخضه الله عز وجل» ثم قال الترمذي: هنا حديث غريب، ومحمد بن زياد هنا صاحب ميمون بن مهران ضعيف الحديث جداً، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة، يكنى أبا الحارث، ومحمد بن زياد الألخاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أبا سفيان.

حديث آخر

روى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٥، ٣٤] من حديث أبي مروان العثماني حدثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ لقى عثمان بن عفان على باب المسجد فقال: يا عثمان! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صدق رقية، على مثل مصاحبها. وقد رواه ابن عساكر أيضاً [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٦، ٤١] من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن روية وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم. وهو غريب منكر من جميع طرقه. وروى [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٣٧] بإسناد ضعيف عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لي أربعون ابنة لزوجهن بعثمان واحدة بعد واحدة، حتى لا يبقى منهن واحدة»

وقال محمد بن سعيد الأموي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبي صفرة قال: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: لم قلتم في عثمان: أعلاها فوقاً؟ قالوا: لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتي نبي غيره. رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦].

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ رافعا يديه حتى يلدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان، إذا دعا له [تاريخ دمشق (ترجمة عثمان) ص ٤٦].

وقال مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعا يديه يدعو لعثمان يقول: «اللهم عثمان رضيت عنه فأرض عنه»

وفي روايه يقول لعثمان: «غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسرت وما أعلنت وما كان منك وما هو كانك إلى يوم القيامة»

ورواه الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي ﷺ مرسلًا.

وقال ابن عدي [الكامل: ٣٣٤/١] عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر المستطلي عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاهما، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فوضعها بين يديه، فجعل يقلبها بين يديه ويدعوله: «غفر الله لك يا عثمان ما أسرت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كانك إلى يوم القيامة، ما

الله بن أبي ربيعة المخزومي عن أبيه أن عثمان لما يبيع خرج إلى الناس فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن أول كل مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله.

وقال الحسن: خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لطلعة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيراً، وقد يكفي الحكيم جوامع الكلم، والأصم ينادي من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئاً، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟

وقال مجاهد: خطب عثمان فقال: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تحطى غيرك إليك، وقصدك، فخذ حذرَكَ، واستعد له، ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك، ولابد من لقاء الله فخذ لنفسك ولا تكلف إلى غيرك والسلام.

وقال سيف بن عمر بن بدر بن عثمان عن عمه. قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: «إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركوا إليها، إن الدنيا تمنى وإن الآخرة تبقى، لا تطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا مقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جنة من بابه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيّر، والزموا جماعتكم لاتصيروا أحزاباً ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ يَنْفَعُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَهْدَاءً فَآلَفَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ إلى آخر الآيتين (آل عمران: ١٠٣).

شيء من رعايته لرعيته

قال الإمام أحمد (٧٣/١): حدثنا هشيم حدثنا محمد بن قيس الأسدي عن موسى بن طلحة. قال: سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخير الناس يسألهم عن أخبارهم، وأسفارهم. وقال أحمد (٥٨/١): حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا يونس - يعني ابن عبيد - حدثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطلها عليه فلقه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبتني، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم! قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ «ادخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً ورائعاً وقاضياً ومقتضياً».

وروي ابن جرير (٤٠٥/٤) أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة: إن الحسنين ألفا التي لك عندي قد حصلت فإرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إننا قد وهبناها لمروءتك.

وقال الأصمعي: استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالي علي كرمات، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطن الفوت فقال: من جاز الوادي فله ألف درهم فحملوا أنفسهم على العظم، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن: أعطوه جائزته، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فإلى ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب عثمان: أن أحسبها له، فإنه إنما أعان المسلمين في سبيل الله ففني ذلك اليوم سميت

هلالاً، ففقدتها يوماً فقبل له: إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً، قالت: فأرسل إليّ بمخمسين درهماً وشقيقة سبلائية، وقال: هذا عطاء ابنك وكسوته فإذا مرت به سنة ورفعناه إلى مائة.

وروي الزبير بن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن داب قال: قال ابن سعيد بن يربوع بن عتكة المخزومي: انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعني طير أرسله في المسجد والمسجد يئني، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة فممت أنظر إليه أتعجب من جماله، ففتح عيني فقال: من أنت يا غلام؟ فأخبرته، فنادى غلاماً نائماً قريباً منه فلم يجبه، فقال لي: ادعه! فدعوته فأمره بشيء وقال لي: اتعد! فذهب الغلام فجاء بملة وجاء بألف درهم، ونزع ثوبي وألبسني الحلة؟ وجعل الألف درهم فيها، فرجعت إلى أبي فأخبرته؟ فقال: يا بني من فعل هذا بك؟ فقلت: لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قط أحسن منه، قال: ذاك أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

وقال عبد الرزاق (المصنف ٤١٥٣) عن ابن جريج: أخبرني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله قال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان قال: نعم! قال: قلت لأخبرني الليلة التي نزل على الحجر - يعني المقام - فلما قمت فإذا رجل يزحمني مقنعاً قال: فالتفت فإذا بعثمان فتأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن، حتى إذا قلت: هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها ثم انطلق.

وقد روي هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه ﷺ. ولما روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى ﴿أَمْسِرْهُ قَائِتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٩) قال: هو عثمان بن عفان (طبقات ابن سعد: ٧٦/٣).

وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿مَنْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الفصل: ٧٦) قال: هو عثمان بن عفان. وقال حسان: ضحكوا بأشمط عنوان السجود به - يقطع الليل تسيحاً وقرآناً وقال سفيان بن عيينة: حدثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول: قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإنني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى حرق مصحفه من كثرة ما يليم النظر فيه.

وقال أنس ومحمد بن سيرين: قالت امرأة عثمان يرم الدار: اقلوه أودعوه، فوالله لقد كان يحيي الليل بالقرآن في ركعة.

وقال غير واحد: إنه ﷺ كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يظنأن، وكان يصوم الدهر، وكان يعتاب فيقال له: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا! الليل لهم يستريحون فيه.

وكان إذا اغتسل لا يرفع المتر عنه، وهو في بيت مغلق عليه، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حياته ﷺ (المسند: ٧٣/١، ٧٤).

شيء من خطبه

قال الواقدي: حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد

الجوائز لإجازه الوادي، فقال الكتاني في ذلك:

فندى للأكرمين بني هلال على علائهم أهلي ومالي
هموا سنوا الجوائز في معد فمادت سنة أخرى الليالي
رماحهم تزيد على ثمان وعشر قبل تركيب النصال

من مناقبه الكبار

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرصة الأخيرة، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته، وكان سبب ذلك أن حليفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بسورغان القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خطا الآخر أو كثره، فادى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشار في الكلام السيئ بين الناس، فركب حليفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم. وذكر له مشاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنزعة، ودفع الاختلاف، فاستدعى بالمصنف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملئ عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلفظ قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفاً. ويقال لهذه المصاحف الأئمة، وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه، وإمارته، كما يقال: دينار هرقلي، أي ضرب في زمانه ودولته.

قال الواقدي: حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه غيره من وجه آخر عن أبي هريرة قال: لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال: أصبت ووقفت، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أشد أمي حبا لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، يعلمون بما في الورق المعلق» قلت: أي ورق؟ حتى رايت المصاحف، قال: فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف، وقال: والله ما علمت أنك لتجس علينا حديث نبينا ﷺ.

ثم عمد إلى بقية المصاحف إلى بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لتلا يقع بسببه اختلاف.

فقال أبو بكر بن أبي داود - في كتاب المصاحف (ص ١٢) - حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن قالوا: حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال: قال علي حين حرق

عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعه.

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمر بن مرزوق عن شعبة مثله. وقد رواه البيهقي [السنن الكبرى: ٤٢٧/٢] وغيره من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين - عن علقمة بن مرثد قال: سمعت العيزار بن جرجول سمعت سويد بن غفلة قال: قال علي: أيها الناس إليكم والغلو في عثمان يقولون: حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملا من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل.

وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقديم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يقرأوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا غَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فكتب إليه عثمان ﷺ يدعو إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأناب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال: كم صلى أمير المؤمنين الظهر؟ قالوا: أربعاً، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا: ألم تحدثنا أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين؟ فقال: نعم! وأنا أحدثكموه الآن، ولكن أكره الاختلاف.

وفي الصحيح (ج ١٠٨٤، م ٦٩٥) أن ابن مسعود قال: ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متباعدتان.

وقال الأعمش: حدثني معاوية بن قره - بواسط - عن أشياخه قالوا: صلى عثمان الظهر بمنى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فعاب عليه، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً، ف قيل له: عبت على عثمان وصليت أربعاً؟ فقال: إني أكره الخلاف.

وفي رواية [د ١٩٦١]: الخلاف شر.

فإذا كان هذا متابعاً من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمنابته إياه في أصل القرآن؟! والافتناء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرؤوا بها لا بغيرها؟

وقد حكى الزهري [د ١٩٦٥] وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض الصلاة ركعتان.

وقيل: بل قد تأمل بمكة، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمنى أربع ركعات، ثم أقبل عليهم فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله» وإني أتممت لأنني تزوجت بها منذ قلعتمها.

وهذا الحديث لا يصح، وقد تزوج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم في عمره القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة، وقد قيل: إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث كان وهكذا تأولت عائشة فأنتمت، وفي التأويل نظر، فإن رسول الله ﷺ هو رسول الله ﷺ حيث كان. ومع هذا ما أتم الصلاة في الأسفار. وما كان يعتمله عثمان بن عفان أنه كان يلزم عماله بحضور الموسم كل عام، ويكتب إلى الرعايا: من كانت له عند أحد منهم مظلمة فليواف إلى الموسم، فإني آخذ له حقه من عمله، وكان عثمان قد سمع لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاوروا من البلاد، وكان عمر يجبر عليهم في ذلك، حتى ولا في الغزو، ويقول: إني أخاف أن تروا الدنيا

الذهبي وغيره

■ أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري، ويقال له أنيس أيضاً، شهد المشاهد كلها رضي الله عنه.

■ أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت الأنصاري، شهد بدرًا، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُعَكُمْ إِذْ لَبِثَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وأمراته خولة بنت ثعلبة.

■ أوس بن خولي الأنصاري: من بني الحنظلي، شهد بدرًا، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي صلى الله عليه وسلم، والتزول مع أهله في قبره، عليه الصلاة والسلام.

■ الجذ بن قيس، كان سيدًا في الأنصار، ولكن كان بخيلاً ومتهمًا بالنفاق، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يلبس، واستر بغير له، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿زَيْنَهُمْ مَنِ يَقُولُ ادَّخُلْ لِي وَلَا تَقْتُلْنِي يَا رَبِّ فَتَنَنِي﴾ [سقطر: ٤٩] الآية. وقد قيل إنه تاب وأقنع فآله أعلم.

■ الخطبة الشاعر المشهور. قيل اسمه جرول ويكنى بلبي مليكة، من بني عيس، أدرك أيام الجاهلية، وأدرك صدرًا من الإسلام، وكان يطوف في الأفاق يتلحح الرؤساء من الناس، ويستجديهم، ويقال: كان بخيلاً مع ذلك، سافر مرة فودع امرأته فقال لها.

عَدِي السَّيْنُ إِذَا خَرَجْتُ لَغِيَةً ودعي الشهورَ فَنَاهِنُ قَصَارُ
وكان مداحاً مهجاء، وله شعر جيد، ومن شعره ما قاله بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فاستجاد منه قوله:

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْلَمْ جَوَازِيَهُ لَا يَهْبُ الْعَرُفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
■ غُيِّبَ بِنِيسَافَ بِنِ عُبَيْةِ الْأَنْصَارِيِّ، أَحَدُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا.

■ سلمان بن ربيعة الباهلي، يقال له صحبة، كان من الشجعان الأبطال المذكورين، والفرسان المشهورين، ولاء عمر قضاء الكوفة، ثم ولي في زمن عثمان إمرة على جهاد الترك، فقتل بيلنجر، فقبره هناك في تابوت يستقي به الترك إذا قطحوا.

■ عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة، وكان من سادات الصحابة، وهو القاتل: من أبي يا رسول الله؟ - وكان إذا لا حى الرجال دعى لخير أبيه - فقال: «أبوك حذافة»، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى كسرى، فدفع كتابه إلى عظيم بُصْرَى، فبعث معه من يوصله إلى هرقل كما تقدم، وقد أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في جملة ثمانين من المسلمين، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم، فقال له الملك: قُبِّلَ رَأْسِي وَأَنَا أَطْلُقُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فقبِلَ رَأْسَهُ فَأَطْلَقَهُمْ، فلما قدم على عمر قال له: حق على كل مسلم أن يقبل رأسك، ثم قام عمر فقبِلَ رَأْسَهُ ثُمَّ قُبِّلَ النَّاسُ رضي الله عنه.

■ عبد الله بن سراقلة بن المحضر، العلوي صحابي أحدي، وزعم الزهري أنه شهد بدرًا فآله أعلم.

■ عبد الله بن قيس بن خالة الأنصاري، شهد بدرًا.

■ عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي شهدنا أحدًا وما بعدنا.

وقال ابن عبد البر [الاستيعاب: ٨٣٩/٢] شهد بدرًا، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان، وقد نهشته حبة فرقاء عمارة بن حزم، وهو القاتل لأبي بكر - وقد جاءته جدتان فاعطى السدس أم الأم

أو يراكم أبناؤهما. فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس، وصار لكل واحد أصحاب، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الإمارة العامة بعد عثمان، فاستعملوا موته، واستطالوا حياته، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصار، كما تقدم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم

تزوج برقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولد له منها عبد الله، وبه كان يكنى، بعدما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو، ثم لما توفيت تزوج باختها أم كلثوم، ثم توفيت فتزوج بفاخنة بنت غزوان بن جابر، فولد له منها عبيد الله الأصغر.

وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي، فولدت له عمرًا، وخالدًا، وأبانا وعمر، ومريم.

وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية، فولدت له الوليد وسعيدا.

وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الغزالية، فولدت له عبد الملك، ويقال وعتبة.

وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان.

وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب، فولدت له مريم، ويقال وعنبسة. وقتل رضي الله عنه وعنده أربع نائلة، ورملة، وأم البنين، وفاخنة. وإنه طلق أم البنين وهو عصور.

رحى الإسلام تدور لخمسٍ وثلاثين

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٣٩٠/١) وأبو داود (٤٢٠٤) من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربيعة عن السراء بن ناجية الكاهلي، عن عبد الله بن مسعود، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رحى الإسلام ستدور لخمسٍ وثلاثين، أو ست وثلاثين أو سبعٍ وثلاثين، فإن تهلك فسبيل ما هلك وإن يبق لهم دينهم يبق لهم سبعين عاماً» قال: فقال عمر يا رسول الله أما مضى أم بما بقي؟ قال: بل بما بقي، وفي لفظ له [٣٩٣/١] وأبو داود (٤٢٠٤) «تدور رحى الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ست وثلاثين» الحديث.

وكان هذا الشك من الراوي، والمفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين، فإن فيها قتل أمير المؤمنين عثمان على الصحيح، وقيل: ستة ست وثلاثين، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة فظيمة، ولكن الله سلم ووقى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن يبيع الناس علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانتظم الأمر، واجتمع الشمل، ولكن جرت بعد ذلك أمور في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنينه إن شاء الله تعالى.

فصل في ذكر من توفي زمان دولة عثمان

من لا يعرف وقت وفاته على التعيين على ما ذكره شيخنا أبو علي

■ **معد بن العباس بن عبد المطلب** ابن عم رسول الله ﷺ، قتل شاباً بإفريقية من بلاد المغرب.

■ **معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي**، صاحب خاتم النبي ﷺ، قيل: توفي في أيام عثمان، وقيل قبل ذلك، وقيل سنة أربعين والله أعلم.

■ **منقذ بن عمرو الأنصاري**، أحد بني مازن بن النجار. كان قد أصابته أمه في رأسه فكسرت لسانه، وضعف عقله، وكان يكثر من البيع والشراء، وكان يُعَيَّن، فقال له النبي ﷺ: «من يابعت قنصل: لا خلافة، ثم أت بالخيار في كل ما تشتره ثلاثة أيام» [الطبري الكبير: ١٧/٨ بحرف]. قال الشافعي [الأم: ٢/٣٠٩]: كان مخصصاً بإثبات الخيار ثلاثة في كل بيع، سواء اشترط الخيار أم لا.

■ **نعيم بن مسعود**، أبو سلمة الغطفاني، وهو الذي خذَل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه فله بذلك اليد البيضاء والراية العليا. ■ **أبو ذؤيب خويلد بن خالد الغنلي**، الشاعر، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي ﷺ، وكان أشعر هذيل، وهذيل أشعر العرب وهو القائل:

وإذا النية أنشبت أظفارها ألقيت كل قيمة لا تنفع
وتجلبدي للشامتين أربهم أني لربب الدهر لا اتضعضع

توفي غازياً بإفريقية في خلافة عثمان

■ **أبو زهم سيرة بن عبد العزيز القرشي الشاعر**: ذكره في هذا الفصل محمد بن سعد وحده

■ **أبو زيد الطائي**، الشاعر، اسمه حرملة بن المنذر كان نصرانياً وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنسله شيئا من شعره فأنشده قصيدة له في الأسد بدعية، فقال له عثمان: تفننا تذكر الأسد ما حيت؟ إني لأحبك جناناً نصرانياً.

■ **أبو سيرة بن أبي زهم العامري**، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد، أمهما برة بنت عبد المطلب، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وما بعدها، قال الزبير بن بكار: لا نعلم بديراً سكن مكة بعد النبي ﷺ سواه، قال: وأهله يتكرون في ذلك.

■ **أبولهابة بن عبد المنذر** أحد نقباء ليلة العقبة، وقيل إنه توفي في خلافة علي والله أعلم.

■ **أبو هاشم بن عتبة** تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين، وقيل في خلافة عثمان والله أعلم.

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

ولنذكر شيئاً من ترجمته على سبيل الاختصار قبل ذلك هو أمير المؤمنين.

■ **علي بن أبي طالب** واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد بن كلاب بن مرة كعب بن لؤي غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين، ويكنى بأبي تراب، وأبي القضم الماشعي، ابن عم رسول الله ﷺ، وخته علي ابنة فاطمة الزهراء.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويقال: إنها

وترك الأخرى وهي أم الأب - فقال له: أعطيت التي لو ماتت لم يرثها، وتركت التي لو ماتت لورثها. فترك بينهما.

■ **عمرو بن سراقه بن المتمر العدوي** أخو عبد الله بن سراقه، وهو بدري كبير، روي أنه جاع مرة فربط حجراً على بطنه من شدة الجوع، ومضى يومه ذلك إلى الليل، فاضافته قوم من العرب ومن معه، فلما شبع قال لأصحابه: كنت أحسب الرجلين يميلان البطن، فإذا البطن يحمل الرجلين.

■ **عمرو بن سعد الأنصاري الأوسي**، صحابي جليل القدر، كبير المحل كان يقال له نسج وحده لكثرة زهادته وعبادته، شهد فتح الشام مع أبي عبيدة، وناب بمحصر ويلمش أيضاً في زمان عمر، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكماله، وله أخبار يطول ذكرها.

■ **عروة بن حزام أبو سعيد العدوي** كان شاعراً مغرمًا في ابنة عم له، وهي عفراء بنت مهاجر، يقول فيها الشعر واشتهر بمجها، فأرسل أهلها من الحجاز إلى الشام، فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره، وزوجها بابن عمها الآخر، فهلك عروة هذا في محبتها، وهو مذكور في كتاب معاصر العشاق، ومن شعره فيها قوله:

وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبتهت حتى ما أكاد أجيبُ
وأصرف عن رأيي الذي كنت أرئى وإنسى الذي أعددت حين تغيبُ

■ **قطيعة بن عامر أبو زيد الأنصاري**: عقي بدري.

■ **قيس بن قهْد بن قيس بن لعلبة الأنصاري التجاري**: له حديث في الركنين قبل الفجر، وزعم ابن ماکولا أنه شهد بدرًا.

قال مصعب الزبيري: هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري، وقال الآكثرون: بل هو جد أبي مريم عبد الغفار بن القاسم الكوفي فآله أعلم.

■ **ليد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور**. صرح أن رسول الله ﷺ قال: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة ليد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل». ونحو البيت:

وكل نعيم لا محالة زاتل

فقال عثمان بن مظعون: إلا نعيم الجنة، وقد قيل: إنه توفي سنة إحدى وأربعين فآله أعلم.

■ **المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي**، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين.

■ **معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري**: شهد بدرًا، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضره بالسيف فحل يده من كفه، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه، قال معاذ: فلما أذنتي وضعت قدمي عليها ثم تمطت عليها حتى طرحتها ﷺ. وعاش بعد ذلك إلى هذه السنة سنة خمس وثلاثين.

■ **محمد بن جعفر بن أبي طالب**، القرشي الهاشمي، ولد لأبيه وهو بالحبيشة، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر، وتوفي يوم مؤتة شهيداً، جاء رسول الله ﷺ إلى منزله فقال لأهم أسماء بنت عيسى: «أتني بيبي أخي؟» فجيء بهم كأنهم أفرخ، فجعل يقبلهم ويشمهم ويكي، فبكت أمهم فقال: «أتقافون عليهم العيلة وأنا ولهم في الدنيا والآخرة؟» ثم أمر الحلاق فحلق رؤوسهم [السند: ٢٠٥، ٢٠٤، ٤١٩٢]، [مكي: ٨٦٠].

وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا، وزعم ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٣٦٨/٣] أنه توفي في تسر فآله أعلم.

أول هاشمية ولدت هاشميا.

وكان له من الإخوة طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله اختان، أم هانئ وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت.

كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي ورسول الله ﷺ وهو راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلا آدم شليد الأدمة شكل العينين عظيمهما فيها خفش، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، وقد ملأت صدره ومنكبیه، أبيضها كثير، وكان كثير شعر الصدر والكفين، حسن الوجه، ضحوك السن، خفيف المشي على الأرض.

أسلم علي قديما، وهو ابن سبيع وقيل ابن ثمان، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: إحدى عشرة، وقبل اثني عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ابن خمس عشرة، أو ست عشرة أو ستة عشرة سنة قاله عبد الرازق (الصفحة ٢٠٣٩) عن معمر عن قتادة عن الحسن.

ويقال: إنه أول من أسلم والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار.

وكان سبب إسلام علي صغيرا أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ، لأنه كان قد أصابهم ستة جماعة، فأخذه من أبيه، فكان في كفالة، فلما بعث الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضي الله عنه. وقد ورد عن علي أنه قال: أنا أول من أسلم.

ولا يصح إسناده إليه، وقد روي في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساکر كثيرة منكورة لا يصح شيء منها والله أعلم.

وقد روي الإمام أحمد [٣٧١/٤] من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة - رجلا من موالى الأنصار - قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي.

وفي رواية [٣٦٨/٤]: أول من صلى. قال عمرو: فذكرت ذلك للنخعي فأنكره، وقال أبو بكر: أول من أسلم.

وقال محمد بن كعب القرظي: أول من آمن خديجة وأول رجلين آمنوا أبو بكر وعلي ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتم إيمانه.

قلت: يعني خوفا من أبيه.

ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته.

وهاجر علي بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة وكان قد أمره بقضاء دينه ورد ودائع، ثم يلحق به، فامتل ما أمره به، ثم هاجر، وأخى النبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف.

وذكر ابن إسحاق [سورة ابن هشام: ٥٠٤/١، ٥٠٥] وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه ولا يصح، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها وركبة بعض متونها، فإن في بعضها «أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أشر بعدي» وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحاح وغيرهما والله أعلم.

وقد شهد علي بدرأ وكانت له اليد البيضاء فيها، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة بن الحارث وخصومهم الثلاثة - عتبة وشيبة والوليد بن عتبة - نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَصَمَانِ

اخْتَصَمُوا فِي ذُنُوبِهِمُ﴾ الآية [الحج: ١٩].

وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال: دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

قال ابن عساکر وهذا مرسل وإنما تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك.

وقال يونس بن بكير عن مسمر عن أبي عون عن أبي صالح عن علي قال: قيل لي يوم بدر ولأبي بكر قيل لأحسنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال: وإسرائيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقتال ويكون في الصف.

وشهد علي أحمداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب بن عمير، وعلى الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري، وحمزة بن عبد المطلب، على القلب وعلى الرجلة الزبير بن العوام، وقيل المقداد بن الأسود، وقد قاتل علي يومئذ قتالا شديداً، وقتل خلقاً من المشركين، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم حين شج في رأسه وكسرت ريعيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير عمرو بن عبدود العامري، كما قدمنا ذلك في عزوة الخندق.

وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، منها أن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله» فبات الناس يلوكون ليتهايمهم أيهم يعطاهم، فدعا علياً - وكان أرمداً - فدعا له، وبصق في عينه فلم يرمد بعدها، فبأر وأعطاه الراية، ففتح الله على يديه، وقتل مرجأ اليهودي [ج: ٤٢٠٩].

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه، فتناول باباً عند الحصن فترس به، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يده ثم ألقاه من يده، قال أبو رافع: فلقد رأيته أنا وسبعة معي نجهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع.

وقال ليث عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوهما، فلم يحملوه إلا أربعون رجلاً.

ومنها أنه قتل مرجأ فارس يهود وشجاعهم.

وشهد علي عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: «أنت مني، وأنا منك» [ج: ٤٢٥٩].

وما يذكره كثير من القصص في مقاتلته الجهن في بئر ذات الجلم - وهو بئر قريب من الحففة - فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يقر به.

وشهد الفتح وحنينا والطائف، وقاتل في هذه المشاهد قتالا كثيراً، واعتبر من الجعرات مع رسول الله ﷺ.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة، قال: يارسول الله اتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» [ج: ٤٤١٦، ٤٤٠٤].

وبعث رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، إلى مكة وساق معه

معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاءه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

ذكر بيعة علي عليه السلام بالخلافة

فيقال: إن أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله ﷺ - فقال بعض القوم: والله إن هذا الأمر لا يتم. وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاء في يده، يتوكأ على قوسه، فبايعه عامة الناس، وذلك يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، ويقال إن طلحة والزبير وإمّا بايعاه بعد أن طلبهما وسألا أن يؤمرهما على البصرة والكوفة، فقال لهما: بل تكونان عندي استأنتن بكما. ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وسلمة بن خلدة، وأبو سعيد، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خليج، وفصالة بن عبيد، وكعب بن عجرة.

ذكره ابن جرير [تاريخه: ٤٢٩/٤، ٤٣٠] من طريق المدايني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن قال المدايني: حدثني من سمع الزهري يقول: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة.

قلت: وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام. وقال الرازي: بايع الناس علياً بالمدينة، وترى سبعة نفر لم يبايعوا، منهم ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا: بقيت المدينة خمسة أيام بعد قتل عثمان وأميرها العنقاقي بن حرب، يلتبسون من يبيهم إلى القيام بالأمر. والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجلبونه، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة، ففضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم، ثم جاؤوا إلى ابن عمر فأي عليهم، فحاروا في أمرهم، ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أنصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم، فرجعوا إلى علي فآلخوا عليه، وأخذ الأشرار النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس، وأهل الكوفة يقولون: أول من بايعه الأشرار النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك، وكلهم يقولون: لا يصلح لما إلا علي.

فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأسس، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء، فقال قائل: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم الزبير، ثم قال الزبير: إمّا بايعت علياً واللج على عقي، ثم راح إلى مكة فأقام بها أربعة أشهر، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمسة بقين من ذي الحجة، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، إن الله حرم حرماً مجعلاً، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلهما، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون

هدايا، وأهل كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هنيئه، واستمر على إحرامه، وغرا هنيئهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم.

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ في من الأمر بعده؟ فقال: والله لا أسأله فإنه إن متعتها لا يعطينا الناس بعده أبداً [٤٤٤٧هـ]، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوح بذكر الصديق، وأشار إشارة مفهومة ظاهرة جداً إليه، كما قلنا ذلك ولله الحمد.

وأما ما يفتره كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وإفراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من جُور الصحابة ومغاليتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة، ولله الحمد.

وما يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي بأداب وأخلاق في المأكول والمشرب والملبس، مثل ما يقولون: يا علي لا تغمض وأنت قاعد، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم، يا علي لا تمسك عضادتي الباب، ولا تجلس على اسكة الباب، ولا تحط ثوبك وهو عليك، ونحو ذلك. كل ذلك من الهلنات فلا أصل له، بل هو اختلاق وكذب وزور.

ثم لما مات رسول الله ﷺ كان علي في جملة من غسله وكفنه، وولي دفنه كما تقدم ذلك مفصلاً ولله الحمد والمنة. وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويجه بفاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قلنا، وقد وردت أحاديث في ذلك لا يصح كثير منها بل أكثرها من وضع الرافض والقصاص. ولما بوع الصديق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد كما قلنا.

وكان بين يدي الصديق كخبره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض التغضب على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة، فأبى ذلك عليها، فبقي في نفسها شيء. كما قلنا، واحتاج علي أن يدارها بعض المدايرة - فلما توفيت جدد علي البيعة مع الصديق رضي الله عنهما.

فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبو بكر إليه بذلك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه مشاوره في الأمور، ويقال إنه استغضاه في أيام خلافته، وقدم معه في جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام، وشهد خطبته بالجباية، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بثمان وعلي كما قلنا، فقدم عثمان على علي، فسمع وأطاع، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ستة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه، قبل أن يدفن عثمان، وقبل بعد دفنه كما تقدم، وقد امتنع علي من مبايعتهم وفر منهم إلى حائط بني عمرو بن مبلول، وأغلق بابه وامتنع ممن قبول الإصارة، حتى تكرر قولهم، فجاء الناس فطرقوا الباب ووجعوا عليه، وجاؤوا

لها: حتى أنظر في هذا الأمر.

ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له: إني أرى أن تقرر عمالك على البلاد، فإذا أتت طاعتهم استبليت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت، ثم جاءه من الغد فقال له: إني أرى أن تعزهم لتعلم من يطعك بمن يعصيك، فعرض ذلك علي علي ابن عباس فقال: لقد نصحك بالأمر وعشك اليوم، فبلغ ذلك المغيرة فقال: نعم نصحت فلما لم يقبل عشيته. ثم خرج المغيرة فلحق بمكة، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير بمكة، وكانوا قد استأذنوا عليا في الاعتزال فأذن لهم، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمراره بتوابعه في البلاد، إلى أن يتمكن الأمر، وأن يقر معاوية خصوصا على الشام وقال له: إني أخشى إن عزلته عنها أن يطالبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يكرها عليك بسبب ذلك، فقال علي: إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتها، فقال ابن عباس: إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثان، أو يجسني لقرابتي منك ولكن اكتب إلى معاوية فتمه وعده، فقال علي: والله إن هذا ما لا يكون أبدا، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إن الحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ، فوالله لئن أعطيتي لأوردنهم بعد صدمهم ونهى ابن عباس عليا فيما أشار عليه أن يقتل من هؤلاء الذين يحسبون له الدخول إلى العراق، ومفارقة المدينة، فأبى عليه ذلك كله، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار.

قال ابن جرير [ترجمه: ٤٤١/٤]: وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب، فأرسل الله عليه قاصفا من الريح ففرقه الله بحوله وقوته، ومن معه، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شردفة قليلة من قومه، فلما دخل صقلية عملوا له حماما فدخله فقتلوه فيه، وقالوا: أنت قتلت رجلا.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة

استهلت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة، وولى على الأمصار نوابا، فولى عبيد الله بن عباس على اليمن، وولى عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عباد على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار حتى بلغ تبوك فقلقته خيل معاوية، فقالوا: من أنت؟ فقال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان غيره بعثك فارجع، فقال: أو ما سمعتم الذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي.

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فابع له الجمهور، وقالت طائفة: لا يابع حتى تقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة. وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميرا على الكوفة فصده عنها طليحة بن خويلد غضبا لعثمان، فرجع إلى علي فأخبره وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلقت الكلمة، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم، ويحث علي إلى معاوية كتب كثيرة فلم يرد عليه لها جوابا، وتكرر ذلك مرارا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طومارا مع رجل فدخل به علي علي فقال له علي: ما وراءك؟ قال جئتكم من عند قوم لا يريدون إلا القرد كلهم موتور، تركت ستين ألف شيخ يكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق،

من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى مسلم إلا بما يجب، يادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإنما خلفكم الساعة تحذوكم فتخفوا تلحقوا، فإذا ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عبادته في عبادته وولاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبساتين، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذلوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَتَيْتُمْ قَلِيلًا مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأهال: ٢٦]، فلما فرغ من خطبته قال المصريون:

خُذْنَا إِلَيْكَ وَاحْذَرْنَا أبا الْحَسَنِ إِنَّا نُسِرُّ الْأَمْرَ إِسْرَارَ الرِّسَنِ
صَوْلَةَ أَكْثَامِ كَامِدَادِ السِّفَنِ بِمَشْرِفَاتِهِ كَفَسِدْرَانِ اللَّسَنِ
وَنَطْلَعُنَّ الْمَلِكُ بِلِسَانِ كَالشُّطَنِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى غَيْرِ عَنَنِ
فَقَالَ عَلِيٌّ بَحِيًّا لَهُمْ:

إِنْ عَجَزْتَ هِجْرَةً لَا أَهْتَلُو سَوْفَ أَكْبِرُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُّ
أَرْفَعُ مِنْ ذِلِّي مَا كُنْتُ أَجْرُو وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّيْءَ الْمَشْرُو
إِنْ لَمْ يَسْأَغِبْنِي التَّجَوُّلُ الْمُتَصَرُّ أَوْ يَسْتَرْكُونِي وَالسَّلَاحُ يَتَسَدُّ

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة وعلى الحرب القمقماق بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزني، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حنيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، ونوابه على حمص: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قسرين حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن أبو الأعور، وعلى فلسطين علقمة بن حكيم، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى قرتيباء جرير بن عبد الله الجلي، وعلى حلوان عتية بن النحاس، وعلى ماء مالك بن حبيب، وعلى همدان النسير.

هذا ما ذكره ابن جرير [ترجمه: ٤٤١/٤، ٤٤٢]: من نواب عثمان الذين تولى وهم نواب الأمصار، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت.

ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه، ومعه أصابع نائلة إلى أصيبت حين جاحفت عنه يدها، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص، وندب الناس إلى الأخذ بثأر هذا الدم وصاحبه، فبناكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله ستة، وحث بعضهم بعضا على الأخذ بثأره، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرصون الناس على المطالبة بدم عثمان، عن قتله من أولئك الخوارج: منهم عباد بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عبسة وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين: شريك بن جاشة، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن غنم، وغيرهم من التابعين.

ولما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم، وطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان. فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يولي إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود، وطلب منه طلحة أن يولي إمرة البصرة، ليأتيه منها بالجنود ليتقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه. فقال

قتله. فاتفق الرأي على ذلك وواقف بقية أمهات المؤمنين عائشة على المسير إلى المدينة، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعت عن ذلك وقُلن: لا نسير إلى غير المدينة، وجهر الناسُ بعلَى بن أمية فاتفقَ فيهم ست مئة ألف وستمئة بغير وجههم ابن عامر أيضاً بمال كثير.

وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة، وسار الناس صحبة عائشة في ألف، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة، وتلاحق بهم آخرون فصاروا في ثلاثة آلاف، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جل اسمها عسكراً، اشتراه بعلَى بن أمية من رجل من عربة بمائتي دينار، وقيل بثمانين ديناراً، وقيل غير ذلك، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقته هنالك وبكبن للوداع، وتباكى الناس، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب.

وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن اختها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بما يقال له الحوَّاب، فنيحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا الحوَّاب، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أظني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنساءه: «ليت شعري أينكن التي تتبعها كلاب الحوَّاب»، ثم ضربت عضد بعيرها فأناحتها، وقالت: ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوَّاب وكشف الأسرار (٣٢٧٤)، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة كما سبق، فأنشأ الناس حولها يوماً ولبيلة، وقال لها عبد الله بن الزبير: إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوَّاب قد كذب، ثم قال الناس: النجاء النجاء، هذا جيش علي بن أبي طالب قد أقبل، فارتحلوا نحو البصرة.

فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحف بن قيس وغيره من رؤوس الناس، أنها قد قنعت، فبعت عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلموا ما جاءت له، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلما منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان، لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام. وتلت قوله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوأَسْمٍ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء: ١١٤) فخرجوا من عندها فجاءوا إلى طلحة فقالوا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالوا: أما بايعت علياً؟ قال: بلى والسيف على عقي، ولا أستقبله إن هو لم يُخَلَّ بيننا وبين قتلة عثمان. فنحى إلى الزبير فقال مثل ذلك قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف، فقال أبو الأسود:

يا ابنَ الأحف قد أثبت فاتفق وطاعن القوم وجالذ واصبر
واخرج لهم مستلماً وشمر

فقال عثمان بن حنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون، طارت رحا الإسلام ورب الكعبة، فانظروا بأي زيفان تزييف، فقال عمران: إي والله لتعركنكم عركاً طويلاً، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً فتصور رحا الإسلام للحمس وثلاثين الحديث (مسند أحمد: ٣٩٠/١، د(٤٢٥٤)) كما تقدم، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين: أشرك علي، فقال اعتزل فإني قاعد في منزلي، أو قاعد على بعيري، فلذهب فقال عثمان: بلى أمتهم حتى يأتي أمير المؤمنين، فنادى في الناس يأمهم بلبس السلاح

فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الحوَّاب الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد.

وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستغفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة. وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك. وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عسائه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبا دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم. فلم يقل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام، حتى جاءه من شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده.

ابتداء وقعة الجمل

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق، كان أزواج النبي ﷺ قد خرجوا إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل، أقمن بمكة بعدما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتجهسون الأخبار فلما بويح لعلي وصار أحظى الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي، لا عن اختيار منه لذلك رؤوس أولئك الحوَّاب الذين قتلوا عثمان، مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم، ولكنه تريص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه علياً الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتصام، فآذنا لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلق كثير، وجم غفير، وكان علي لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه، وطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرصه على الخروج معه، فقال: إنما أنا رجل من أهل المدينة، فإن خرجوا خرجت على السمع والطاعة، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة، وقدم إلى مكة أيضاً في هذا العام بعلَى بن أمية من اليمن، - وكان عاملاً عليها لعثمان - ومعه ستمائة بعير وستمئة ألف درهم، وقدم إليها عبد الله بن عامر من البصرة، وكان نائبها لعثمان، فاجتمع بمكة خلق من سادات الصحابة، وأمهات المؤمنين، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تحظيهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما أفاضت به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام، ولم يوافقوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء، وأخلوا الأموال، فاستجاب الناس لها، وطاوعوها على ما تراه من الأمر، وقالوا لها: حيثما سرت سرنا معك، فقال قاتل: نذهب إلى الشام، فقال بعضهم: إن معاوية قد فكاهم أمرها ولو قدموها لغلبوا، واجتمع الأمر كله لهم، لأن أكابر الصحابة معهم. وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا، وقال آخرون: بلى نذهب إلى البصرة فتتروى من هنالك بالخيال والرجال، وتبدأ بمن هنالك من

بيت المال في الناس وفضلوا أهل الطاعة، وأكسب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم، وأخذوا الخرس، واستبدوا بالأمر بالبصرة، فحمي لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم، فركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدمهم حكيم بن جبلة، وهو أحد من باشر قتل عثمان، فإرزوا وقاتلوا، فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقتلها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربها فقتله ثم اتكا عليه وجعل يقول:

يا سائق لسن تراعي إن معي ذراعاً
أحمي بها كراعاً

وقال أيضاً:

ليس عليّ أن أموت عاراً والعار في الناس هو الفسار
والجسد لا يفضحه الدمار

فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل، فقال له: من قتلك؟ فقال: وسادتي. ثم مات حكيم قتلاً هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم، فضعف جاش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة، ويقال: إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير، ونسب الزبير ألف فارس يأخذها معه ويلقي عليها قبل أن يمي فلم يجه أحد، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يشرونهم بذلك، وقد كانت هذه الورقة لخمسة ليال يقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين.

وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صرحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإن لم يبع فليكنف يده وليزمن منزله، أي لا يكون عليها ولا لها، فقال: أنا في نصرتك ما دمت في منزلك، وأبى أن يطيعها في ذلك، وقال: رحم الله أم المؤمنين أمّرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحق بذلك منا، وكتبت عائشة إلى أهل البصرة والكوفة بمثل ذلك.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلاً عن مسيره إلى الشام

بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا، فلما بلغه قصد طلحة والوزير البصرة، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها، إن أمكن، أو يطردوهم عنها إن كانوا قد دخلوها، فتشاور عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم.

قال الشعبي: ما نهضت معي في هذا الأمر غير ستة نفر من البردتين، ليس لهم سابع.

وقال غيره أربعة. وذكر ابن جرير [تاريخه: ٤/٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥١] وغيره قال: كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن النّهان، وأبو قتادة الأنصاري، وزيد بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: وليس بأيّ الشهادتين، ذلك مات في زمن عثمان رضي الله عنه.

وسار علي من المدينة نحو البصرة على تبعته المتقدمة إلى الشام، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه علياً وهو بالريذة، فأخذ بلجام فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن

والاجتماع في المسجد، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال: أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤوا خاضعين فقد جاؤوا من بلد يأمن فيه الطير، وإن كانوا جاؤوا يطالبون بدم عثمان فما نحن بقتلته، فاطيعوني وردوهم من حيث جاؤوا، فقام الأسود بن سريع السعدي فقال: إنما جاؤوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا، فحصبه الناس، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتله عثمان بالبصرة أنصاراً فكسره ذلك.

وقلعت أم المؤمنين من معها من الناس، فنزلوا المرید من أعلاه قريبا من البصرة وخرج إليها من أراد من أهل البصرة فكان معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمرید، فتكلم طلحة - وكان على المينة - فندب إلى الأخذ بثار عثمان، والطلب بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليهما ناس من جيش عثمان بن حنيف، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على ذلك، فتناور طوائف من أطراف الجيشين فتراموا بالحجارة، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا وجاء جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين! والله لقتل عثمان أمراً من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح، إن كنت أنتيتا طائفة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك، وإن كنت أنتيتا مكرهة فاستعني بالناس في الرجوع.

وأقبل حكيم بن جبلة - وكان على خيل عثمان بن حنيف - فأنتسب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتلوا على فم السكة، وأمرت عائشة أصحابها فتياضوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني ملازم، وحجز الليل بينهم، فلما كان اليوم الثاني قصدوا القتال، فاقتلوا قتلاً شديداً، إلى أن زال النهار، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتاباً ويعتوا رسولاً إلى أهل المدينة يسأل أهلها، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاه لها، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخلوها لهم، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضي، فقدم المدينة يوم الجمعة، فقام في الناس، فسألهم: هل يبايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد فقال: بل كانا مكرهين، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه، فجاحف دونه صهيب، وأبو أيوب، وجماعة حتى خلصوه، وقالوا له: ما وسعك ما وسعنا من السكوت؟ فقال: لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا، وكتب علي إلى عثمان بن حنيف يقول: إنهما لم يكرها على فرقة، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرا، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب علي، فقال عثمان: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه.

وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فائياً، فجمعوا الرجال في ليلة مظلمة وشهد بهم صلاة العشاء في المسجد الجامع، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة فصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ووقع من رعا الناس من أهل البصرة كلام وضرب، فقتل منهم نحواً من أربعين رجلاً، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير، ولم يبق في وجهه شعرة إلا نفلوها، فاستعظما ذلك وبعثوا إلى عائشة فأعلمها الخبر، فأمرت أن تخلي سبيله، فاطلقوه ولولا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر، وقسم طلحة والزبير أموال

مطر الشيباني، فقال له علي: ما وراك؟ فأخبره الخبر، فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبى موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه، فقال علي: والله ما أريد إلا الصلح من محمد علينا. وسار فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة، وأخذهم أموال بيت المال، جعل يقول: اللهم عافني عما ابتليت به طلحة والزبير، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهشماً، وليس في وجهه شعرة فقال: يا أمير المؤمنين بعثني إلى البصرة وأنا ذو لحية، وقد جئتكم أمر، فقال: أصبت خيراً وأجراً. وقال عن طلحة والزبير: اللهم احلل ما عقداً، ولا تبرم ما أحكما في أنفسهما، وأرهما المساء فيما قد عملا - يعني في هذا الأمر - وأقام علي بذئ قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر وكانا قد كتبا بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء، فلما أمسا دخل أناس من ذوي الحجى على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلهم، فقال: كان هذا بالأس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً: فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفي عقي وعق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتال فلا نقاتل أحداً حتى نفرخ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا، فانتظروا إلى علي فأخبراه الخبر، وهو بذئ قار، فقال للأشتر: أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء، فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت، فخرجوا قدام الكوفة وكلموا أبا موسى واستمنا عليه نفر من أهل الكوفة فقام في الناس فقال: أيها الناس، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله عن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤد إليكم نصيحة، كان الرأي أن لا تسخفوا سلطان الله ولا لا تجتروا على أمره، وهذه فتنة الناس فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب، والراكب خير من الساعي فاضعدوا السيوف وأنصلوا الأسمدة، واقطعوا الأوتار، وأودوا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة، فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر، فأرسل الحسن وعمر بن ياسر، وقال لعمار: انتظروا فاصلح ما أفسدت، فانتظروا حتى دخلوا المسجد فكان أول من سلم عليهم مسروق بن الأجدع، فقال لعمار: علام قتلتم عثمان؟ فقال: على شتم أراضنا وضرب إشارتنا، فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين.

قال: وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه، وقال لعمار: يا أبا اليقظان أعدت على أمير المؤمنين عثمان قتلته؟ فقال: لم أفعل، ولم يسؤني ذلك، فقطع عليها الحسن بن علي فقال لأبي موسى: لم تبسط الناس عنا؟ قال: نعم، فما أريدنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. فقال: صدقت بأبي أنت وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت من النبي ﷺ يقول: «إنما ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من المشي، والمشاي خير من الراكب» وقد جعلنا الله إخواناً وحرماً علينا دعامنا وأموالنا، فغضب عمار وسبه، وقال: يا أيها الناس، إنما قال له رسول الله ﷺ وحده أنت فيها قاعداً خير منك قائماً، فغضب رجل من بني تميم لأبي موسى ونال من عمار، وثار آخرون، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، وكر اللغط، وارتفعت الأصوات، وقال أبو موسى: أيها الناس، أطيعوني وكونوا خير قوم من خير أمم العرب، يأوي إليهم المظلوم، ويأمن فيهم الخائف، وإن الفتنة إذا أقبلت شبيهت، وإذا أدبرت يئست، ثم أمر

خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً فبه بعض الناس، فقال علي: دعوه فنعلم الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وجاءه الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال: لقد نهيتك فمضيتي تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال له علي: إنك لا تزال تحن علي حين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فمضيتك؟ فقال: ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها، فيقول قاتل أو يتحدث متحدث؟ ألم أمرك أن لا تباع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر يعيهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذا الرجل أن تجلس في بيتك حتى يصلحوا فمضيتي في ذلك كله؟

فقال له علي: أما قولك أنني أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما ما يعني قبل عي بيعة الأمصار ففكرت أن يضع هذا الأمر وأما أن اجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه. فترديني أن أكون كالضلع التي يحاط بها، ويقال: ليست ها هنا، حتى يُخل عرقوها فتخرج، فإذا لم انتظر فيما يلزمي من هذا الأمر ويعتني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني.

ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم وفزعت لما حدث، فكونوا للدين الله أعواناً وأنصاراً، وانفضوا إلينا الإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب، وقام في الناس خطيباً فقال: إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ماشاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين أثلمهم الشيطان ليتزعج بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فتعوذ بالله من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة نجني ولا تعمل بعملها، وقد أدرستم ورائتم، فالزموا دينكم، واعتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم، حتى تمرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً.

قال: فلما عزم على المسير من الرينة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بغدورهم ونعطهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركوا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتننا منهم، قال: فنعزم إذاً. فقام إليه الحجاج بن غزاة الأنصاري فقال: لأرضيك بالفضل كما أرضيتني بالقول، والله ليصيرني الله كما سمنا أنصاراً.

قال: وأنت جماعة من طيوس وعلي بالريثة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاؤوا من طيوس منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك، فقال: جزى الله كلاً خيراً «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِلِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٥]

ثم فسار علي من الرينة على تبعته وهو راكب ناقه حمراء يقود فرساً كميثاً فلما كان بغير جاه جماعة من أسد وطيوس، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: فيمن معي كفاية - وجاءه رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن

الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم، فقام زيد بن صوحان فقال: أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، سيروا إليه أجمعين. فقام القعقاع بن عمرو فقال: إن الحق ما قاله الأمير، ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويعدى المظلوم، ويستمع به شمل الناس، وأمير المؤمنين علي مليء بما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يريد الإصلاح، فانفروا إليه. وقام عبد خير فقال: الناس أربع فرق، عليّ من معه في ظاهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة بالحجاز لا تقاتل ولا غناء بها، فقال أبو موسى: أولئك خير الفرق، وهذه فتنة، ثم ترأس الناس في الكلام.

ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى التغير إلى أمير المؤمنين، فإنه إنما يريد الإصلاح بين الناس، وسمع عمار رجلاً يسب عائشة فقال: اسكت مقبوحاً متبوحاً، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطيعونه أو لاها. رواه البخاري (٣٧٧٢)، ٧٠١١ بنحوه.

وقام حجر بن عدي فقال: أيها الناس، سيروا إلى أمير المؤمنين، ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦) وجعل الناس كلما قام رجل يعرض الناس على التغير يشبههم أبو موسى من فوق المنبر، وعمار والحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن علي: ويحك! اعتزلنا لا أم لك، ودع منبرنا، ويقال: إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الإمارة من تلك الليلة، واستجاب الناس للتغير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي دجلة، ويقال: سار معه اثنا عشر ألفاً ورجل واحد، فقدموا على عليّ بنّي قار فلقاهم إلى أثناء الطريق في جماعة، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال: يا أهل الكوفة! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشدهوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبو داودناهم بالرفق حتى يبدؤونا بالظلم، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا أترناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى.

فاجتمعوا عنده بنّي قار، وكان من المشهورين من رؤساء من انضماف إلى علي، القعقاع بن عمرو، وسيف بن مالك، وهند بن عمرو، والميثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والأشتر، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نجبة، وزيد بن قيس، وحجر بن عدي وأمثالهم، وكانت عبد القيس بكماها بين علي وبين البصرة ينظرونه وهم السوف، فبعث عليّ القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف.

فلهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أمه! ما أقدمك هذا البلدة؟ فقالت: أي بني! الإصلاح بين الناس، فسلما أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: الإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلطحن، ولئن أتركناه لا نصلطحن، قالوا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، فقال: قتلنا قتله من أهل البصرة، وأنما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوا بن زهير فمتعه ستة آلاف، فإن تركموهم وقمت فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فادبلوا عليكم كان الذي حفرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفرون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدون من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه

يرتّب عليه مفسدة هي أرى منها - وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بشار عثمان من حرقوا بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه عن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما آخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم بعد هذا، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة عليه، ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد أجمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم يابعتونا فعلامه خير وتباشر رحمة، ودرك بشار، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واتتافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فأثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفتاح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضوا للبلاء فتعرضوا له، فيصرنا الله ولياكم، وإيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس تقتل الرجل الرجل، ولا نفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة. فقالوا: قد أصبت وأحسن فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

قال: فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها جاءت للإصلاح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام علي في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها، وذكر الإسلام وسعادة أهلها بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد بينهم ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة، أقوام طلبوا هذه الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي من بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أديبارها، والله بالغ أمره. ثم قال: ألا إني مرتحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أهان على عثمان بشيء من أمور الناس.

فلما قال هذا اجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وعليه بن الميثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: ماهذا الرأي وعلي والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غداً يجمع عليكم الناس، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعدكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطالحوا على دعائنا، فإن كان الأمر هكذا الحقنا علياً بثمان، فرضي القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بش ما رأيت، لو قتلنا قتلنا، فإنما يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف ولا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال علياً بن الميثم دعوهم وارجعوا بنا حتى تتلحق ببعض البلاد فتمتع بها، فقال ابن السوداء: بش ما قلت، إذا والله كان ينخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن عزمكم في خلة الناس فإذا التقى الناس فأنشوا القتال ولا تفرغوه للنظر، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، وأصبح علي مرتحلاً ومر يعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزبوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهم للقاءه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد، ونزل الناس كل في ناحية. وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به،

الناس، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا المودج بالدروع، وجاءت فوفقت بحيث تنظر إلى الناس في معركتهم، فتصاولوا وتحاولوا، وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار، فجعل عمار يحوزه بالرمح والزبير كاف عنه، ويقول له: أمتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ: «تتلك الفئة الباغية» وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كف عنه، وقد كان من ستهم في هذا اليوم أنه لا ينلف على جريح، ولا يتبع مدبر، وقد قتل مع هذا بشر كثير جدا، حتى جعل علي يقول لابنه الحسن: يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة فقال له: يا أبا عبد الله قد كنت أنكأ عن هذا.

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن، يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة، فقال له: يا أبا عبد الله قد كنت أنكأ عن هذا، قال: يا بني إنني لم أر أن الأمر يبلغ هذا.

وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكر: لما اشتد القتال يوم الجمل، ورأى علي الرووس تنذر أخذ علي ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثم قال: إنا لله يا حسن! أي خير يرجي بعد هذا؟ فلما ركب الجيشان وترأى الجمعان طلب علي الزبير وطلحة ليكلمهما، فاجتمعا حتى التفت أعتاق خيولهم، فيقال: إنه قال لهما: إنني أراكما قد جتمتا خيلا ورجالا وعُددا، فهل أعددتما غلرا؟ يوم القيامة كذلك؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غلزا من بعد قوة أنكأ، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان كالتى دعي وأحرم دكمما فهل من حدث أحل لكما دمى؟ فقال طلحة: ألبت على عثمان. فقال علي «يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ» (النور: ٢٥)، ثم قال: لمن الله قلة عثمان، ثم قال: يا طلحة! أجبت بغير رسول الله ﷺ تقتل بها، وخبت عرسك في البيت؟ أما بايعتي؟ قال: بايعتك والسيف على عتي. وقال للزبير: ما أخرجك؟ قال: أنت، ولا أراك بهذا الأمر أولى به مني. فقال له علي: أتذكر يوم مرت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر لي وضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ليس بمزموءٍ لتقاتل وأنت ظالم له؟» فقال الزبير: اللهم نعم! ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك. وفي هذا السياق كله نظر، والمحفوظ منه الحديث.

كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عبد الملك عن أبي جبر المازني. قال: شهدت عليا والزبير حين تواقفا، - يعني يوم الجمل - فقال له علي: يا زبير! أئتدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟» قال: نعم! لم أذكره إلا في موقعي هذا، ثم انصرف.

وقد رواه البيهقي (الذليل: ٤١٥/٦) عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن سُرير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عن أبي جبر المازني عن علي والزبير به.

وقال عبد الرزاق (المصنف: ٢٠٤٣٠): أنا معمر عن قتادة قال: لما ولي الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولي، وذلك أن رسول الله ﷺ لقيهما في سفيقة بني ساعدة فقال: «أعجبه يا زبير؟» فقال: وما بمنعني؟ قال: «فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له؟» قال: فيرون أنه إنما ولي لذلك. قال البيهقي: هذا مرسل وقد روي موصولا

فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقد أشار بعض الناس على طلحة والزبير بالتهازل الفرصة، من قلة عثمان، فقالوا: إن علينا قد أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالصالحات على ذلك، وقام علي في الناس خطيبا، قام إليه الأعور بن بنان المقرئ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير، ولستم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يجمعونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم! وقام إليه أبو سلامة الدلائلي فقال: هل هؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا؟ قال: إنني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد تقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة وقال في خطبته: أيها الناس أسكروا عن هؤلاء القوم أهلككم وألستكم، ولياكم أن تسبقونا غدا، فإن المخصوم غدا من خصم اليوم. وجاء في غيرون ذلك الأحنف بن قيس في جماعة فاضاف إلى علي - وكان قد منع حرقوس بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير: إن قتل عثمان من أبايع؟ فقالوا: بايع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا قال: ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفظ، حتى قال الناس: هذه عائشة جاءت لتأخذ يده عثمان، فحرت في أمري لن أتبع، فضعني الله بحديث سمعته من أبي بكره قال: قال رسول الله ﷺ وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري (٤٢٢٥، ٧٠٩٩).

والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف، فقال لعلي: إن شئت قتلتك معك، وإن شئت كتفت عنك عشرة آلاف سيف، فقال: اكفف عنا عشرة آلاف سيف، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول: إن كتم علي ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فتكموا حتى تنزل فتنظر في هذا الأمر، فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على ما فارقتا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السجاد ويات الناس بخير ليلة، ويات قلة عثمان بشر ليلة، وياتوا يتشاورون واجمعا على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فجهجوا عليهم بالسيوف، ثار كل طائفة إلى قومهم ليمتعهم، وقام الناس من متابعهم إلى السلاح، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلا، وبيتونا وغدروا بنا، ونظروا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال: ما للناس؟ فقالوا: بيتنا أهل البصرة، ثار كل فريق إلى سلاحهم ولبسوا الأمانة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفا، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفا، وقامت الحرب على ساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسيئة أصحاب ابن السوداء قبحة الله لا يفترون عن القتل، ومنادي علي يتادي: ألا كفروا ألا كفروا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سور قاضي البصرة فقال: يأم المؤمنين أدركني الناس لعل الله أن يصلح بك بين

من وجه آخر [الذليل: ٤١٤/٦].

- وهو عبد الله بن سبا ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، لا يتوقفون في أحد، فلما رأوا كعب بن سور رافعاً المصحف رشقوه بناله من رشقة رجل واحد قتلوه، ووصلت النبأ إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجعلت تنادي: الله الله! يا بني اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضج الناس معها بالدعاء حتى وصلت الضجة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان، وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبأ حتى بقي مثل القنفذ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم، فحملت مضر حملة الحفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لا به محمد بن الحنفية: ويحك! تقدم بالراية، فلم يستطع، فأخذها علي من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتمطي، فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، حتى قتل خلق كثير، وجم غفير، ولم تر رقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الواقعة، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك النفر من قتلة عثمان، ونظرت عن يمينها فقالت: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: نحن بكر بن وائل، فقالت: لكم يقول القاتل:

وجاؤوا إلينا بلخديد كأنهم من العزة القساء بكر بن وائل
ثم جاء إليهما بنو ناجة ثم بنو ضبة فقتل عندها منهم خلق كثير، ويقال: إنه قطعت يد سيعين رجلاً وهي آخذة بخطام الجمل فلما أئخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً، ودفعوا رأس الجمل، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا: لا يزال الحرب قائماً سادام هذا الجمل واقفاً، ورأس الجمل في يد عميرة بن يثري، وقتل أخوه عمرو بن يثري وكان من الشجعان المذكورين والفرسان المشهورين فتقدم إليه هند بن عمرو الجملي، فقتله ابن يثري، ثم صمد إليه علباء بن الميثم، فقتله ابن يثري أيضاً، وقتل سيحان بن صوخان وأرثت صمصمة بن صوحان فدعا عمار إلى البراز فبرز له، فتجالوا بين الصفيين - وعمار يومئذ ابن تسعين سنة عليه فروة قد ربط وسطه بجمل ليف - فقال الناس: إنا لله وإننا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه، فضره ابن يثري بالسيف فأتاه عمار بدمه فعضت السيف ونشب فيها، فضره عمار فقطع يده وأخذه أسيراً إلى بين يدي علي فقال: استبقي بالأمير المؤمنين، فقال: أبعد ثلاثة تقتلهم؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بيد رجل بعده كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجالوا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رثي أشد منه وجعل يقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل نبارز القيرن إذا القيرن نزل
نمي ابن عفان باطرافه الأسفل الموت أحلى عندنا من العسل
ردها علينا شيخنا ثم يجمل

وقد قيل: إن هذه الأبيات لوسيم بن عمرو الضبي. وكلما قتل واحد من يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلاً قالت عائشة: ما زال جلبي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلاً من قریش وكل واحد يقتل بعد صاحبه، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد فقال لعائشة: مربي بأمرك يا أماء. فقالت: أملك أن تكون

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي أنا أبو عامر بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي أنا منجاب بن الحارث، حدثنا عبد الله بن الأجلح، حدثنا أبي عن يزيد الفقير عن أبيه. قال: وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن أبي، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام فإني علي، فدعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعتاق دوابهما، فقال علي: يا زبير! نشدتك بالله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا، فقال: يا زبير! ألا تحب علياً؟ قلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني؟ فقال: يا زبير! والله لتقاتلته وأنت ظالم له؟ فقال الزبير: بلى! والله لقد نسيت منذ سمعته من رسول الله ﷺ، ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك. فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير، فقال: ما لك؟ فقال: ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لتقاتلته وأنت ظالم له» فقال: وللقاتل جنت؟ إنما جنت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله، قال: اعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس. فاعتق غلامه ووقف، فلما اختلف أمر الناس ذهب على فرسه.

وروى الزبار [كشف الأسرار: ٢٥٢٨] عن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن عن رفاع بن إياس بن أبي إياس عن أبيه عن جده قال: سمعت علياً يقول لطلحة يوم الجمل، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: بلى وانصرف.

وقد استغربه الزبار، وهو جدير بذلك فرجع الزبير إلى عائشة فذكر لها أنه قد آلى أن لا يقاتل علياً، فقال له ابنه عبد الله: إنك جمعت الناس، فلما تراءى بعضهم لبعض خرجت من بينهم، كفر عن عييك واحضر. فأعتق غلاماً اسمه مكحول، وقيل غلامه سرجس. وقد قيل: إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عماراً مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» فخشي أن يقتل عمار في هذا اليوم.

وعندي أن الحديث الذي أورده إن كان صحيحاً عنه فما رجع به سواه، ويعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك ويقاتل علياً والله أعلم.

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار حتى نزل وادياً يقال له وادي السباع، فأتبعه عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سنذكره تفصيلاً.

وأما طلحة فجاهه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فآله أعلم، فانتظم رجله مع فرسه فجعلت به الفرس فجعل يقول: إني عبد الله، إني عبد الله، فأتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: ويحك! اعدل بي إلى البيوت، وامتلأ خفه دماً فقال لغلامه: انزعه واردفني، وذلك أنه نزفه الدم وضعف، فركب الغلام وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه، رضي الله عنه.

وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها، وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفاً وقالت: ادعهم إليه - وذلك حين اشتد الحرب وحمي القتال، ورجع الزبير، وقتل طلحة رضي الله عنهما - فلما تقدم كعب بن سور بالمصحف يدعو الناس إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين،

كخبر ابني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول: حم لا ينصرون، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار كل واحد منهم بعد ذلك يدعي قتله وقد طمته بعضهم بحجرة فأنقذه وقال:

وأشعث قوام بآيات ربي قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعاً للدين وللضم
يناشدني حم والرمح شاجر فهل تلا حم قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا خطمه بالسيف فأقبل إليه الحارث ابن زهير الأزدي وهو يقول:

يا أمنا يا خير أم نعلم أما ترين كم شجاع يكلم
وتختلي هاتمة والمعصم

فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه، وأحدق أهل النجيدات والمرومات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الراية والخطام إلا شجاع معروف، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك، وقد فقا بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فاخذ بخظام الجمل وهو لا يتكلم فقبل لعائشة: إنه ابنك ابن اختك فقالت: وإنكل أسماء! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتلوا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتقا وسقطا إلى الأرض يتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول:

اتلونني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فأرسلهما مثلاً، وجعل الناس لا يعرفون مالكا من هو وإنما هو معروف بالأشتر فحمل أصحاب علي وعائشة فخلصوهما وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سباً وثلاثين جراحة، وجرح مروان بن الحكم أيضاً، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فغمره وسقط إلى الأرض، فسمع له صيحج ما سمع أشد ولا أنفذ منه، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فغمر الجمل وهو في يده، ويقال: إنه اتفق هو وبجير بن دلجة على عقره، ويقال: إن الذي أشار بعقر الجمل على، وقيل: القعقاع بن عمرو لكلا تصاب أم المؤمنين، فأنها صارت غرضاً للرماة، ومن يمسك بالزمام برجاساً للرماح، وليفصل هذا الموقف الذي قد تضافى فيه الناس ولما سقط الجمل إلى الأرض انهزم من حوله من الناس، وحمل هودج عائشة وإنه لكالفتنذ من كثرة الشباب، ونادى منادي علي في الناس: إنه لا يتبع منبر ولا ينفذ على جريح، ولا يدخلوا الدور، وأمر علي نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعمراً أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألهما: هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: وما أنت ذاك يا ابن الخنمية. وسلم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أم؟ فقالت: لست لك بأمر. قال: بلئى وإن كرهت، وجاء إليها علي بن أبي طالب مسلماً فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. وجاء وجوه الناس إليها من الأمراء والأعيان يسلمون عليها، ويقال: إن أمين بن ضبيعة الجماشعي أطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حميراً، فقالت: هنك الله سترك وقطع يذك وأبدى عورتك. فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عرباتاً في خربة من خرابات الأزد.

فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة - ومعها أخوها محمد بن

أبي بكر - فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة - على صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار، وهي أم طلحة الطلحات عبد الله بن خلف، وتسلب الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة وأقام علي بظاهر البصرة ثلاث وقد طاف علي بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول: يعز علي أن أرى قريشاً صرعى. وقد مر علي فيما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال: لعني عليك يا أبا محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون والله لقد كنت كما قال الشاعر:

فنى كان يندبني الغنى من صليقو إذا ما هو استغنى ويعدله الفقر
ثم صلى على القتلى من الفريقين، وخص قريشاً بصلاة من بينهم، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئاً هو لأهلهم فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان.

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم. وقد سأل بعض أصحاب علي علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم فظعن فيه السبائية وقالوا: كيف يحل لنا مبالغهم ولا تحل لنا أموالهم؟ فبلغ ذلك علياً فقال: أيكم يجب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم، ولهذا لما دخل البصرة فرق في أصحابه أموال بيت المال فنال كل رجل منهم خمسمائة، وقال: لكم مثلها من الشام في أعطياتكم فتكلم فيه السبية أيضاً ونالوا منه من وراء وراء.

بعد الجمل

ولما فرغ علي من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه، فكان فيمن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد - وكانوا قد اعتزلوا القتال - فقال له علي: ترضيت - يعني بنا - فقال: ما كنت أراني إلا قد أحسنت، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين، فافرق فإن طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت إليّ غداً أخرج منك أسير، فأعرف إحسانى، واستبق موتى لغد، ولا تقل مثل هذا فإنني لم أزل لك ناصحاً.

قالوا: ثم دخل علي البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم، حتى الجرحى والمسانمة. وجاء عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مشركك لحريض. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتزل إليه أبو بكره فغمره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إلى الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد وكان زياد معتزلاً.

ثم جاء علي إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة فاستأذن ودخل فسلم عليها ورحب به، وإذا النساء في دار بني خلف يكيبن على من قتل منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فبعد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي، فلم يرد عليها علي شيئاً، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت، فقال له رجل: يا أمير

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل هو ابن علي حنثنا منصور بن عبد الرحمن قال: قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بالخماس فانا كذاب قلت: قد حضرها عائشة وابن الزبير والحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر وسهل بن حنيف وآخرون.

فمن قتل يومئذ في المعركة

■ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي.

ويعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض لكثرة برّه وكثرة جوده. أسلم قديماً على يدي أبي بكر الصديق، فكان نوفل بن خويلد بن العديلة يشدهما في جبل واحد، ولا تستطيع بنو تيم أن تمتعهما منه، ولذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر الثقيان، وقد هاجر وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ - فإنه كان بالشام في تجارة - وقيل: في رسالة، لهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يومئذ، لأنه وقى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات، وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد يقول: ذاك يوم كان كله لطلحة، وقد قال له رسول الله ﷺ يومئذ: «أوجب طلحة» (ت: ١٦٩٢) وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فطأها له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها، وقال: «أوجب طلحة».

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض، وكذلك أبو بكر وعمر، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فأنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه، فلها لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمع به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إني عباد الله. فأدركه سولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وأن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال: رحمة الله عليك أبا محمد، يمز علي أن أراك مجدلاً تحت نجم السماء، ثم قال: إني أشكو عجري وتجرى، والله لوددت أنني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبى بن عثمان: قد كفتك رجلاً من قتلة عثمان، وقد قيل: إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم، وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

ودفن طلحة إلى جانب الكلاء وكان عمره ستين سنة، وقيل بضعاً وستين سنة.

وكان آدم، وقيل أبيض، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جعدان عن أبيه أن رجلاً رأى طلحة في منامه وهو يقول: حولوني عن قبري فقد آتاني الماء، ثلاث لبال، فأتى ابن عباس - وكان نائباً على البصرة - فأخبره فاشتروا له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فحولوه من قبره إليها، فإذا هو قد اخضر من

المؤمن أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟ فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة فأمر علي القمقام بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما.

وقد سألت عائشة عن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر علي، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه ودعت له.

ولا أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن يجا من جاء في جيشها أن يرجع معها إلا أن يجب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات. وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر الناس معه، وخرجت من الدار في المودج فدعت الناس ودعت لهم، وقالت: يا بني لا يتعب بعضنا على بعض، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحباتها، وإنه على معتني لمن الأخيار. فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وسار علي معها مودعاً ومشيعاً أميالاً، وسرح بينه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين - وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضي الله عنها.

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فر استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه، ويقال: إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها، فلما سارت هسي إلى مكة سار هو إلى المدينة.

قالوا: وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الواقعة، وذلك لما كانت السور تحطفه من تحطف الأيدي والأقدام فيسقط منها هنالك، حتى إن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس، وذلك أن نسراً مر بهم ومعه شيء فسقط فإذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب.

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير (رحمته: ٥٠٦/٤، ٥٤٤) رحمه الله عن أئمة هذا الشأن، وليس فيما يذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعة إلى ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنقول لهم: «سلام عليكم لا نبغني الجاهلين» (القصص: ٥٥).

فصل في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل

من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضي الله عنهم أجمعين

وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف، وأما المجرى فلا يحصون كثرة. ولم يكن في الفريقين من الصحابة إلا قليل.

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن أيوب عن محمد بن سيرين قال: حاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الوف فلم يحضرها منهم مائة لم يبق ثلاثين.

جسده ما يلي الماء، وإذا هو كهيئة يوم أصيب.

وقد وردت له فضائل كثير، فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم: حدثنا الحسن بن علي بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: سماني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض. ويوم حنين طلحة الجود.

وقال أبو يعلى الموصلي [سنه: ٦٦٣] حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل عمن قضى نحبه فقالوا: سل رسول الله ﷺ فسأله في المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم أطلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر فقال رسول الله: «أين السائل؟» قال: «أنا ذا فقال: «هنا من قضى نحبه».

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن رشيد ثنا مكى بن إبراهيم حدثنا الصلت بن دينار عن أبي نصره عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى شهيد يمسي على رجله فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله».

وقال الترمذي [٣٧٤١]: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العتري - اسمه النصر - حدثنا عقبة بن علقمة الشكري سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاري في الجنة».

وقد روي من غير وجه عن علي رضاهما للصحابه للإمام أحمد ١٢٩١، ١٢٩٥ أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُُورِهِمْ مِنْ غُلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» [الحجر: ٤٧].

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهيه ويقول: لا تقع في إخواني فأبى فقال سعد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان هذا مسخاً لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة. فخرج الرجل فإذا هو يبخي يشق الناس فاخذته بالباطل فوضعه بين كركرته والباطل فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هتينا لك أبا إسحاق أجيت دعوتك.

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي.

وأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ أسلم الزبير قديماً وعمره خمس عشرة سنة، وقيل أقل وقيل أكثر. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فأثنى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال: أنا، ثم نذب الناس فانتدب الزبير، ثم نذبهم فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير» ثبت ذلك من رواية زر عن علي [٣٧٤٤]، مسند أحمد: ٨٩/١، ١٠٢، ١٠٣، وثبت عن الزبير أنه قال: «جمع لي رسول الله ﷺ أبوه يوم بني قريظة» [خ: ٣٧٢٠]، [٢٢١٦]».

وروي أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله قد قتل فجاء الزبير شاهراً سيفه حتى رأى رسول

الله ﷺ فقام سيفه وصنف عبد الرزاق [٢٠٤٢٩] وابن أبي شبة [١٢٢١٥].

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، واحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وصحب الصديق فاحسن صحبه، وكان ختنه على ابنة أسماء، وابنه عبد الله منها، أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العالية، اخترق جيوش الروم وصوفهم من بين الناس مرتين من أولهم إلى آخرهم، وكان من جملة من دافع عن عثمان وجاحف عنه، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به كما تقدم فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة، فمر بقوم الأحنف بن قيس - وكانوا قد اعتزلوا الفريقين - فقال قاتل منهم يقال هو الأحنف: ما بال هذا جمع بين الناس حتى إذا التقوا كر راجعاً إلى أهله؟ من رجل يكشف لنا خبره؟ فأتبه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس، وتبع في طائفة من غواة بني تميم فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال: بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن! فقال مولى الزبير، واسمه عطية - إني أرى معه سلاحاً فقال: وإن كان، فتقدم إليه فجعل يحنه وحن وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنهم عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القافلة ففجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها أيضاً وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثه بقصيدة جيدة الشعر، بحكمة المعنى فقالت:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرو
يسامرو لو نهته لوجنته لا طائناً رعث الجنان ولا اليد
تكتلك أمك أن ظفرت مثلي ممن بقي من يروح القرد
كمن غمرة قد خاضها لم يشو عنها طرادك يا ابن ققع ويتلدي
والسو ربي إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة التعمد

ولما قتله عمرو بن جرموز احتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: لا تأذنوا له وبشروه بالنار، وفي رواية [مسند أحمد: ٨٩/١، ١٠٢، ١٠٣] أن علياً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ فيقال: إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه، وقيل: بل عاش إلى أن تامر مصعب بن الزبير، على العراق فاخفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاتنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مرو فلظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير.

وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات دارة كثيرة جداً، ولما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومائتي ألف ففروها عنه، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي كان أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فاصاب كل واحدة من زوجاته وكن لوبعاً من ربع الثمن ألف ألف ومائتي ألف درهم، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به

لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيلا يتفرقوا، وزكاهم لكي يتطهروا، ووقفهم لكيلا يجوروا. فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين، عملاً بالكتاب وأحسن السيرة ولم يعدوا السنة ثم توافها الله فرجعها الله، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثاً، فوجدت الأمة عليه مقالاً فقالوا، ثم نقموا عليه فغفروا، ثم جلاؤني فبأيعوني فاستهدي الله بهده واستعني على التقوى، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عباد فوازروه وكافوه وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى عسنتكم والشدة على مريبكم والرفق بعراكم وخواصكم، وهو بمن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في صفر سنة ست وثلاثين.

قال (الشيخ الطبري: ٥٤٩/٤): ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة لعلي، فقام الناس فبايعوه، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربنا، فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس وجوهمهم وكانوا في نحو من عشرة آلاف منهم بسر بن أبي أرقط ومسلمة بن مخلد معاوية بن خنيج وجماعة من الأكابر وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث الملقب - وبعثوا إلى قيس بن سعد فودعهم، وكذلك سلمة بن غلذ الأنصاري تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووداعه، ثم كتب معاوية بن أبي سفيان بعد أن استوسق له أمر الشام بخلافه - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة قبرص أيضاً تحت حكمه يأتيه جملها وبعض بلاد الجزيرة كآلرها وحران وقرقيسياً وغيرها، وقد أتاه الذين هربوا يوم الجمل من العثمانية، وقد أورد الأشر اتزع هذه البلاد من نواب معاوية، فبعث إليه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقر منه الأشر وهرب، فاستقر أمر معاوية على تلك البلاد فلما استوسقت له البلاد كما ذكرنا كتب إلى قيس بن سعد يدعوهم إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصلده من القيام في ذلك، ووعده أن يكون نائبه على العراقيين إذا تم له الأمر مادام سلطاناً فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلاً حازماً - لم يخالفه ولم يوافق بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود، فسأل قيس وتاركة ولم يوافق على ما دعاه إليه ولا خالفه عليه: فكتب إليه معاوية: إنه لا يسعك معي تسوية بي وخديعتك لي فلا بد أن أعلم أنك سلم أو عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً - فكتب إليه قيس لما صمم عليه: إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك. فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يش منه ورجع عنه ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيساً يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق..

وروي ابن جرير (٥٥٣/٤): أنه جاءهم من جهته كتاب مزور بمبايعة قيس معاوية فآله أعلم بصحته.

فلما جاء الكتاب إلى علي اتهمه وكتب إليه أن يغزو أهل خربنا الذين تخلفوا عن البيعة، فبعث يمتد إلى بانهم عدد كثير، وهم وجوه الناس. وكتب إليه: إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأنك اتهمتني في طاعتك، فأبعث على عملك بمصر غيري، فبعث علي الأشر النخعي، فسار إليها فلما بلغ القلزم شرب شرية من عسل فكان فيها حقه فبلغ ذلك أهل

تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فالجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمئة ألف والذين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدين والرصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف، وإنما نبهنا على هذا لأنه وقع في صحيح البخاري (٣١٢٩) ما فيه نظر ينبغي أن ينبه له والله أعلم.

وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الوثيرة من الحلال مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس الخمس مما يختص به منه، ومن التجارة المبرورة. وقد قيل: إنه كان له ألف عموك يؤدون إليه الخراج، فرمى تصدق في بعض الأيام بخراجهم كله رضي الله عنه وأرضاه، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين سنة بست أو سبع وكان أسمر ربة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضي الله عنه.

وفي هذه السنة أعني سنة ست وثلاثين ولى علي بن أبي طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عباد، وكان على نيابتها في أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان ليقتلوه وكان الذي جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبي حليفة بن عتبة، وكان لما قتل أبوه باليمامة قد أوصى به إلى عثمان، فقتله ورواه في حجره ومزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في عبادة وزهادة، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له: متى ما صرت أهلاً لذلك وليتك، فتعبت في نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له، فقصده الديار المصرية وحضر مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزوة الصواري كما قلنا، وشرع يتنقص عثمان رضي الله عنه وساعده على ذلك محمد بن أبي بكر الصديق، فكتب بذلك ابن أبي سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبأ بهما عثمان شيئاً ولم يزل ذلك ذاب محمد بن أبي حليفة حتى استغفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح، وصلى بالناس فيها، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل عثمان فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وبلغه أن علياً قد بعث على امرأة مصر قيس بن سعد بن عباد، فثمت بمحمد بن أبي حليفة، إذ لم يتبع بمالك الديار المصرية سنة، وسار عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر، وأن محمد بن أبي حليفة قد استحوذ عليها، فسار معاوية وعمرو بن العاص إليه ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان، مع أنه كان قد رياه وكفله وأحسن إليه، فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا يتحذانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المتجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا، ذكره محمد بن جرير (٥٤٩/٤).

ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بولاية من علي، فدخل في سبعة نفر، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم! من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم كثيراً الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله يحسن صنيعة وتقديره وتبصيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة والقرآن والسنة،

إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويغيره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس.

فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورووس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبيعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبيعوا يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثني لم يعنى جواب معاوية ولأعجلته عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة، فقام جرير مغضباً فقام بقرقيشاء، وكتب إلى معاوية يغيره بما قال وما قيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه.

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فمسكرو بالنخيلة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو البلدي الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويمتد الجنود وأشار آخرون عليه بالخروج بنفسه، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج إليه بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له: أخرج إليه أنت أيضاً بنفسك، وقام عمرو بن العاص في الناس خطيباً فقال: إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تافوا يوم الجمل، ولم يبق مع علي إلا شذمة قليلة، عن قتل الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فإله الله في حكمهم أن تضيعوه، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تظلوهم، وكتب إلى أجناس الشام فحضروا، وعقدت الألوية والرايات للأمراء، ونهبا أهل الشام وتاهبوا، وخرجوا أيضاً إلى نحو القرات من ناحية صفين - حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه - بمن معه من النخيلة قاصداً أرض الشام. قال أبو إسرائيل عن الحكم بن عتيبة: وكان في جيش علي ثمانون بدرية ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة. رواه ابن ديزيل.

وقد اجتاز في طريقة براهم فكان من أمره ما ذكره إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه فيما رواه عن يحيى بن عبد الله الكرابيسي عن نصر بن مزاحم [كتاب وقعة صفين ص ١٤٧، ١٤٨] عن عمر بن سعد حدثني مسلم الأحمور عن حبة العرنى قال: لما أتى علي الرقة نزل بمكان يقال له البليخ على جانب القرات فترحل إليه راهب من صومعته فقال لعلي: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم عليهما السلام، أعرضه عليك؟ فقال علي: نعم! فقرأ الراهب:

بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجيزي بالسبيبة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف، وفي كل صعود وهبوط، تلك ألسنتهم بالتأليل والتكبير، وينصره الله على كل من نأوه فإذا توفاه الله اختلقت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ماشاء الله ثم اختلقت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا القرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يتكسر الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنتي، ومن أدرك ذلك

الشام فقالوا: إن لله جنداً من عسل، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر، وقد قيل وهو الأصح إنه إنما ولاه مصر بعد قيس بن سعد، فارتحل قيس إلى المدينة، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعذره علي، وشهدا معه صفين كما سنذكره، فلم يزل محمد بن أبي بكر قائم الأمر مهنياً بالديار المصرية، حتى كانت وقعة صفين، وبلغ أهل مصر صبر معاوية ومن معه من أهل الشام في قتال أهل العراق، وصاروا إلى التحكيم فعند ذلك طمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجتروا عليه وبارزوه بالندوة فكان من أمره ما سنذكره.

وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره ثلاثاً يشهد مهلكه، مع أنه كان متعباً على عثمان بسبب عزله له عن ديار مصر وهو الذي فتحها وتولته بدله عبد الله بن أبي سرح، فخرج من المدينة على تغضب وغيط فترحل قريباً من الأردن، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرناه من القيام بدم عثمان.

وقعة صفين بين أهل العراق من اصحاب علي وبين

أهل الشام من اصحاب معاوية

قد تقدم ما رواه الإمام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين. أنه قال: فهاجت الفتنة واصحاب رسول الله ﷺ عثرات الوب فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يلبغوا ثلاثين.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أمية بن خالد قال لشمسة: إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، فقال: كذب أبو شيبة، والله لقد ذكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت.

وقد قيل إنه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف، وكذا أبو أيوب الأنصاري قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في كتاب الرد على الرافضة. وروى ابن بطه بإسناده عن بكر بن الأشج أنه قال: أما إن رجلاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم.

وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة. قال ابن أبي الكنود عبيد الرحمن بن عبيد: فدخلها علي يوم الاثنين لثني عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقبل له: أنزل بالقصر الأبيض، فقال: لا! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأتانا أكرهه لذلك، فترحل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله - وكان على همدان من زمان عثمان - وإلى الأشعث بن قيس - وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان - يأمرهما أن يأخذا البيعة على من هنالك ثم يقبلا إليه، ففعلوا ذلك. فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعو إلى بيعته قال جرير بن عبد الله: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فإن يبيي وبينه وقاً، فأخذ لك من البيعة، فقال الأشتر: لا تبعه يا أمير المؤمنين فإنني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه، وبعته وكتب معه كتاباً

كانت، وقد قال رجل من أهل العراق - وهو عبد الله بن عوف بن الأحر الأزدي - وهو يقاتل.

خَلَوْ لَنَا مَاءُ الْفَرَاتِ الْجَارِي أَوْ اثْبَتُوا لِحَفْصِ جَرَارٍ
لِكُلِّ قَسْرَمٍ مُسْتَبِيتٍ شَارٍ مُطَاعِنٍ بِرَعْمٍ كَرَارٍ
ضَرَابِ هَامَاتِ الْعَدِيِّ مَسْوَارٍ

ثم ما زال أهل العراق يكشفون الشامين عن الماء حتى أراحوهم عنه وخلصوا بينهم وبينه، ثم اصطالحوا على الورود حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً، ولا يؤذي إنسان منهم إنساناً.

وفي رواية أن معاوية لما أمر أبا الأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة، وسيوف مسللة وسهام مفوقة، وقسي موترة، فجاء أصحاب علي علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صمصمة بن صوحان إلى معاوية يقول له: إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى تقيم عليكم الحجة، فبعث إلينا مقدمتك فقاتلتنا قبل أن نبدأكم بالقتال، ثم هذه أخرى قد منعتونا فقال معاوية للقوم: ماذا ترون؟ فقال عمرو بن العاص خلئ بينهم وبينه، فليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش، فقال الوليد بن عتبة: دعهم ينزفوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه في داره، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً، وقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: امنعهم الماء إلى الليل لمعلمهم يرجعون إلى بلادهم. فسكت معاوية فقال له صمصمة بن صوحان: ماذا جوابك؟ فقال: سيأتيكم رأيي بعد هذا، فلما رجع صمصمة فأخبر الخبر ركبت الخيل والرجال، فما زالوا حتى أراحوهم من الماء ووردوه قهراً، ثم اصطالحوا على وروده، وأن لا يمنع أحد أحداً منه وأقام علي يومين لا يكتب معاوية ولا يكتبه معاوية، ثم دعا علي بشير بن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس المهملاني وشبث بن ربعي التميمي فقال: ليتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو: يا معاوية! إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، والله محاسبك بعملك، وعجايزك بما قمت بك، وإني أنشك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها. فقال له معاوية: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال له: إن صاحبي أحسنى هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقتها وقرباته، وإنه يدعوك إلى مبايعته فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في آخرتك. فقال معاوية: ويطل دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً، ثم أراد سعيد بن قيس المهملاني أن يتكلم فبداه شبث بن ربعي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حق معاوية، فزجره معاوية وزبره في آفاته على من هو أكبر منه أشرف، وفي كلامه بما لا علم له به، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوماً، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم، وأمر علي بالطلائع والأمراء أن يتقدموا للحرب، وجعل علي يؤمر كل يوم كل يوم علي الحرب أميراً، فمن أمراته على الحرب الأشتر النخعي - وهو أكبر من كان يخرج للحرب - وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعمر وزيد بن النضر، وزيد بن خصفة، وسعيد بن قيس، ومعتل بن قيس، وقيس بن سعد، وكذلك فعل معاوية كان كل يوم يبعث على الحرب أميراً، فمن أمراته عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلم، وذو الكلاع الحميري، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وشرحيل بن السمط، وحزرة بن مالك المهملاني، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين،

العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة.

ثم قال لعلي: فأننا أصحابك فلا أفرقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى علي ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسباً منسياً، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار. فمضى الراهب معه وأسلم فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي: اطلبوا الراهب، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له.

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، ومعه شريح بن هانئ، في أربعة آلاف، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه، وجاء علي كرم الله وجهه فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقلتان، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلقي علياً فهموا بلباقه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه، فعملوا عن طريقهم وجاؤوا ليعبروا من عثات فمنعهم أهل عثات فساروا فعبروا من هيت ثم لحقوا علياً - وقد سبقهم - فقال علي: مقدمتي تأتي من ورائي؟ فاعتلوا إليه بما جرى لهم، فغدرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق إلى بيعة علي فلم يجيبوه بشيء فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم علي الأشتر النخعي أميراً، وعلى ميمته زياد بن النضر، وعلى مسيرته شريح، وأمره أن لا يتقدم إلى أهل الشام بقتال حتى يبدؤوه أولاً بالقتال، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب، ولا يعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال، ولكن صابروهم حتى آتيتك فأننا حيث السير ورامك إن شاء الله، وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به علي، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور فلم يزالوا متواقفين يومهم ذلك، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبوا له واضطربوا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر الترخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التميمي، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه، فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك، وكأنه رآه غير كفء له في ذلك والله أعلم.

ثم تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل علي رضي الله عنه في جيوشه، وجاء معاوية رضي الله عنه في جنوده، فتواجه الفريقان وتقابل الجمعان وبالله المستعان، فتواقفوا طويلاً. وذلك بمكان يقال له: صفين وذلك في أوائل ذي الحجة، ثم عدل علي رضي الله عنه فارتاد لجيشه منزلاً، وقد كان معاوية سبق بجيشه فتزاولوا على مشرعة الماء في سهل موضع وأقيمه، فلما نزل علي نزل بعيداً من الماء، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فمنعهم أهل الشام، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك، وقد كان معاوية قد وكل على الشريعة أبا الأعور السلمي، وليس هناك مشرعة سواها، فعضش أصحاب علي عضشاً شديداً فبعث علي الأشعث بن قيس الكندي في جماعة ليصلوا إلى الماء فمنعهم أولئك وقال: موتوا عطشاً كما منعت عثمان الماء، فتراموا بالنبل ساعة، ثم تطاعنوا بالرماح أخرى، ثم تقاتلوا بالسيف بعد ذلك كله، وأمد كل طائفة أصحابها، حتى جاء الأشتر من ناحية العراقيين وجاء عمرو بن العاص من ناحية الشامين، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما

إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم، فيولي الناس أمرهم من أجمعوا عليه رأيهم. فقال له علي: وما أنت لا أم لك، وهذا الأمر وهذا الزل، فاسكت فإني لست هناك ولا بأهل لذلك. فقال له حبيب: أما والله لتريني حيث تكروه، فقال له علي: وما أنت ولو أجلبت بجملتك ورجلك لا أبقي الله عليك إن أبقيت، اذهب فصعد وصرّب ما بدا لك.

ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما يتنص فيه معاوية وإياه، وإتهم إنما دخلوا في الإسلام كرهاً ولم يزالوا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غيبن ذلك: لا أقول: إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً. فقالوا: نحن نبرأ من لم يقل: إن عثمان قتل مظلوماً، وخرجوا من عنده، فقال علي: ﴿إِنَّكَ لَا تُسَبِّحُ الْمَوْتَى وَلَا تُسَبِّحُ الصُّمَّ الدُّعَاءُ إِنَّا وَتَرُوا مُذْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [٨١-٨٠] ثم قال لأصحابه: لا يكن هؤلاء أولى بالجد في ضلالتهم منكم بالجد في حكم وطاعة نبيكم. وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه.

وروي ابن ديزل من طريق عمر بن سعد بإسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس، وعامر بن عبد قيس وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وغيرهم جالوا إلى معاوية فقالوا له: ما تطلب؟ قال: أطلب يدم عثمان قالوا: لمن تطلب به؟ قال: عليا، قالوا: أهر قتله؟ قال: نعم وأوى قتله به. فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال: كذب! لم أقتله وأنتم تعلمون أنني لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر بقتله مالا. فرجعوا إلى علي فأخبروه فقال: والله لا قتلت ولا أمرت ولا مالات. فرجعوا فقال معاوية: فإن كان صادقاً فليقتلنا من قتلة عثمان، فإنهم في عسكره وجنده فرجعوا فقال علي: تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم سبيل. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال: إن كان الأمر على ما يقول فما له انتهب الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن هاهنا؟ فرجعوا إلى علي فقال: إنما الناس تبع المهاجرين والأنصار، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم، وقد رضوا وباعوني، ولست استحل أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاه، فرجعوا إلى معاوية فقال: ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟ فرجعوا إلى علي فقال: إنما هذا للبدنين دون غيرهم وليس على وجه الأرض بدوي إلا وهو معي، وقد تابعني وبإيعني ورضي، فلا يفرنكم من دينكم وأنفسكم.

قال: فالتقوا يتراسلون في ذلك مدة شهر ربيع الآخر وجماديين ويفزعون في غيبن ذلك الفرقة بعد الفرقة ويحزف بعضهم على بعض، ويحجز بينهم القراء، فلا يكون في ذلك قتال. قال: ففرعوا في ثلاثة أشهر حسة وثمانين فرقة.

قال: وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلوا على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه لأقدم منك ومن أهلك سلماً، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك. فقال: أقاتله على دم عثمان وإنه أرى قتله، فاذعبا إليه فقلوا له فليقتلنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يليه من أهل الشام، فذهبوا إلى علي فقالا له ذلك فقال: هؤلاء

وذلك في شهر ذي الحجة بكما له.

حج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عباس عن أمر علي له بذلك، فلما استلخ ذو الحجة ودخل الحرم تلاص الناس للمتاركة، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دماهم، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه متوافق هو ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كل منهما في جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها.

والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادة وموادة يؤول أمرا إلى الصلح بين الناس وحقن دماهم، فذكر ابن جرير [٥/٥] من طريق هشام عن أبي مخنف قال حدثني سعد أبو الجهم الطائي عن عمار بن خليفه أن علياً بعث عدي بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي، وشيث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية، فلما دخلوا عليه - وعمر بن العاص إلى جانبه - قال عدي بعد حمد الله والشاء عليه: أما بعد يا معاوية فإننا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ونحفظ به دماؤنا وتأمين به السبل، ويصلح ذات البين، إن ابن عمك سيد المسلمين أفضلها سابقاً، وأحسنها في الإسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أورشدهم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فاتته يا معاوية لا يصحك الله وأصحابك مثل ما أصاب يوم الجمل، فقال له معاوية: كائنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مسلحاً، هيأت بإعادي، كلا والله إني لأبى حرب، لا يقعق لي بالثنان، أما والله إنك لمن الجليلين على ابن عفان، وإنك لمن قتله، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به. وتكلم شيث بن ربعي وزياد بن خصفة فذكرا من فضل علي وقالوا: اتق الله يا معاوية ولا تخالنه فإننا والله مارينا رجلاً قط أعمل بالتقوى، ولا أزهدي في الدنيا، ولا أجمع لحاصل الخير كلها منه.

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم دعوتوني إلى الجماعة والطاعة، فأما الجماعة فنعماً هي، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهم به، ولكنه أوى قتله، فيدفعهم إلينا حتى تقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة. فقال له شيث بن ربعي: أئشك الله يا معاوية، لو نمكت من عمار أكت قتله بعثمان؟ قال معاوية: لو نمكت من ابن سمية ما قتله بعثمان، ولكني كنت قتله بغلام عثمان. فقال له شيث بن ربعي: وإله الأرض والسماء لا تصل إلى قتل عمار حتى تنذر الرؤوس عن كراهلها، ويضيق فضاء الأرض ورجبها عليك. فقال معاوية: لو قد كان ذلك كانت عليك أضيق.

وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه الخبر. وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وشرحيل بن السمط، وممن بن يزيد بن الأخنس إلى علي، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهلباً عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله، فاستقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع

حابس بن سعد الطائي، وعلى خيل دمشق الضحاك بن قيس وعلى رجالتهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي، وجعل على أهل حمص ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن غنم وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطيف، وقد تهيأتهم وسرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجاء العراق ولا أموالها، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرهما، مع أن للقوم أعدادهم، وليس بعدكم غيركم فإن غلبتموهم فليس تغلبوهم إلا من أناتكم وصبركم وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لا تروكم بكيد أهل العراق، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز، وقسوة أهل مصر، وإنما ينصر غداً من ينصر اليوم فاستعينوا بالله وأصبروا إن الله مع الصابرين؛ فلما بلغ علياً خطبة معاوية قام في أصحابه أيضاً وحضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام.

قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر وزيد بن الحسن وغيرهما قالوا: سار علي إلى الشام في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام.

وقال غيرهم: أقبل علي في مائة ألف أو يزيدون، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً - ذكر ذلك ابن ديزيل في كتابه - وقد تعاهد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا ففعلوا أنفسهم بالعمام، وكان هؤلاء خمسة صفوف ومعه ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفاً أيضاً فتوافقوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعي، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة، وأمير الشاميين يومئذ أبو الأعور السلمي فاقتتلوا قتالاً شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة يومئذ رجلاً فلما توافقا تعارفا فإذا هما أخوان من أم، فانتصر كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه، وتراجع الناس من المشي وقد صبر كل فريق لصاحبه، وخرج في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - محمد بن علي وهو ابن الحنفية - ومعه جمع عظيم فخرج إليه في جحش كثير من من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فيبرز إليه؟ فلما كادا أن يقتريا قال علي: من المبارز؟ قال: محمد ابنك وعبيد الله بن عمر، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم علي إلى عبيد الله فقال له: تقدم إلي فقال عبيد الله: لا حاجة لي في مبارزتك، فقال: بلي، فقال: لا! فرجع عنه علي وتجاوز الناس يومهم ذلك.

ثم خرج في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - في العراقيين عبد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن عتبة، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، وجعل الوليد ينال من ابن عباس، فيما ذكره أبو مخنف (تاريخ الطبري: ١٢/٥) ويقول:

الذين ترون فخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليرمنا وليكننا. قال: فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم قتالاً بل لزموا بيوتهما.

قال عمر بن سعد بإسناده: حتى إذا كان رجب وخشي معاوية أن يتابع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح: يامعشر أهل العراق! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليفرقكم فخذوا حذركم، ورمى به في جيش أهل العراق. فأخذ الناس ققرؤوه وتحدثوا به، وذكروه لعلي فقال: إن هذا مالا يكون ولا يقع. وشاع ذلك فيهم، وبعث معاوية مائتي فاضل ينفرون في جنب الفرات ويبلغ الناس ذلك فخاف أهل العراق من ذلك وفزعوا إلى علي فقال: ويحكم! إنه يريد أن يجذعكم ويوهن كيدكم ليزيلكم عن مكانكم هذا ويتزل فيه لأنه خشي من مكانه. فقالوا: لا بد من أن نخلي عن هذا الموضع فارتحلوا منه، وجاء معاوية فنزله بجيشة - وكان علي آخر ما ارتحل - فنزل بهم وهو يقول:

فلو أني اطعنت عصمت قومي إلى ركن اليمامة أو شمام ولكسي إذا أبرمت أميراً بخالفه الطغفام بنو الطغفام

قال: فأتاها إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في القتال فجعل عي يؤمر على الحرب كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكماله، وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين.

قال ابن جرير رحمه الله (تاريخه: ١٠/٥): ثم لم تنزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كافون عن القتال حتى انسلك الحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح، فأمر علي بن أبي طالب مرثد بن الحارث الجشمي فتأذى أهل الشام عند غروب الشمس إلا أن أمير المؤمنين يقول لكم: إنني قد استعنتكم لتراجعوا الحق، وأقمت عليكم الحجة فلم تغيثوا، وإنني قد عذرت إليكم ونذرت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ففرغ أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي يتأذى به فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فبعيا الجيش ميمنة وميسرة، وبات علي يعمي جيشه من ليلته، فجعل على خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالتهم قيس بن ياسر، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة، وعلى قرائهم مسعر بن فذكي التميمي، وتقدم علي إلى الناس أن لا يبدؤوا أحداً بالقتال حتى يبداهم ويمتدلي عليهم، وأنه لا ينصف على جريح ولا يبيع مدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاهم. وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رجالتهم الضحاك بن قيس. ذكره ابن جرير (تاريخه: ١١/٥)، [١٢].

وروي ابن ديزيل من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر وزيد بن الحسن بن علي وغيرهما، قالوا: لما بلغ معاوية مسير علي إليه سار معاوية نحو علي واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو أبا الأعور السلمي وعلى الساقة بسر بن أرطاة حتى توافوا جميعاً بقناصرين إلى جانب صفين. وزاد ابن الكلبي فقال: جعل على المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى الساقة بسراً، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة، وعلى رجالتها يزيد بن زحر العبسي، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى رجالتها

مهول وأمر عظيم، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة علي على مسيرة أهل الشام وعليها حبيب بن مسلمة، فاضطره حتى ألجأه إلى القلب، وفيه معاوية، وقام عبد الله بن بديل في الناس خطيباً فحرضهم على القتال وقام كل أمي في أصحابه يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والثبات والجهد والجلاد ويتلوا عليهم آيات القتال، وحرص أمير المؤمنين عليّ الناس على الصبر والثبات والجهد، وحثهم على قتال أهل الشام، وتلا عليهم آيات القتال من أماكن متفرقة من القرآن، فمن ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُورَةٌ﴾ [الصد: ٤] ثم قال: قدموا المدايع وأخروا الحاسر وعصروا على الأضرار، فإنه أنبى للسيف على الهام، والتروا في أطراف الرماح فإنه أصون للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجاش وأسكن للقلب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للنفث وأولى بالوقار، راياتكم لا يميلوها ولا تزلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم.

وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق مبارزة ثم وضعهم تحت قلعيه نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضربه علي فقتله ثم قال علي: هل من مبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله، ثم برز إليه رود بن الحارث الكلاعي فقتله، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القتيبي فقتله. ثم تلا علي قوله تعالى ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤] ثم نادى: ويحك يا معاوية ابرز لي وإلا تقي العرب بيتي وبيتك، فقال له عمرو: يا معاوية اغتتمه فإنه قد أثنى بقتل هؤلاء الأربعة، فقال له معاوية: والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط، وإنما أردت قلبي لتصيب الخلافة من بعدي، فذهب إليك فليس مثلي بخند.

وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضره بالرمح فآلقاه إلى الأرض فبذت سواده فرجع علي عنه، فقال له أصحابه: ما لك يا أمير المؤمنين رجعت عنه؟ فقال: أتدرون من هو؟ فقالوا: قال: هو عمرو بن العاص وإنه تلقاني بسواده فذكرني بالرحم فرجعت عنه، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له: أحمد الله وأحمد الله وأحمد الله.

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: حدثنا يحيى بن نصر حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن غير الأنصاري قال: والله لكانني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين: أما تخافون مقت الله حتى متى، ثم اقتتل إلى القبلة يدعو ثم قال: والله ما سمعنا برئيس أصاب يده من القتل ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجيء فيقول معذرة إلى الله وإليكُم والله لقد هممت أن أقتله ولكن يحجزني عنه أبي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» قال: فبأخذه فيصلحه ثم يرجع به.

وهذا إسناد ضعيف وحديث منكرو.

وحدثنا يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع علي ومعاوية. قال ابن وهب: وأخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال: شهننا صفين مع علي ومعاوية قال: فمطرت السماء علينا دماً عيطاً قال الليث في حديثه: حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآية قال ابن لهيعة: فتمتلئ ونهرها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة

قتلتم خليفتم ولم تاتلوا ما طلبتم، والله إن الله ناصرنا عليكم فقال له ابن عباس: فابرز لي فأبى عليه ويقال: إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالاً شديداً بنفسه رضي الله عنه.

ثم خرج في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - من جهة علي على العراقيين قيس بن سعد بن عباد، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا، ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء من جهة علي - وخرج إليه قرنه من جهة معاوية وهو حبيب بن مسلمة فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً ولم يغلِب أحد أحدًا في هذه الأيام كلها.

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجعفي عن زيد بن وهب أن علياً قال: حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعد العصر فقال: الحمد لله الذي لا يرم ما تقض وما أبرم لم ينقضه ناقصون، لو شاء الله ما اختلف اثنين من خلقه ولا تنازعت الأمة في شيء من أموره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد سالتنا هؤلاء القوم الأقطار فلفت بيتنا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى وسمع فلر شاء لعجل النعمة وكان منه التغير حتى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة عنده هي دار القرار [ليجزى الذين أسألوها بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن] [البقرة: ٣١] ألا وإنكم لآقوا القوم عدأ فاطلوا الليلة في القيام ن وأكثروا تلاوة القرآن، وأسألو الله النصر والصبر ولا تقو والقوهنم بالجد والحزم وكونوا صادقين: قال: فوثب الناس إلى سيوفهم ورمائحهم ونبأهم يصلحونها قال: ومر بالناس وهم كذلك كعب بن جعيل التغلبي فرأى ما يصنعون فجعل يقول:

أصبحت الأمة في أمر عجبٍ والمسلك بمجوع غداً لمن غلب
فقلتُ قولاً صادقاً غير كذبٍ إن غداً تهلك أعلام العرب

قال: ثم أصبح علي في جنوده قد عبأهم كما أراد، وركب معاوية في جيشة قد عبأهم كما أراد، وقد أمر علي كل قبيلة من أهل العراق أن تكفي أختها من أهل الشام، ثم زحف الناس بعضهم إلى بعض، فقاتلوا قتالاً عظيماً لا يفر أحد من أحد ولا يغلِب أحد أحدًا، ثم تجاوزوا عند العشي، وأصبح علي فضلى الفجر بفلس وبارك القتال، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم، فقال علي فيما رواه أبو مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب: اللهم رب السقف المحفوظ المكشوف الذي جعلته مفيضاً لليل والنها، وجعلته فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلته فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى وما لا يرى من خلقك العظيم، ورب الفلك التي تجري في البحر بما يقع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً، إن أظهرتنا على عدونا فجبتنا البني والفساد وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فازدوني الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة.

ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى ميمته يومئذ عبد الله بن بديل، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم، وأقبل معاوية - وقد يابعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس في موطن

قال: هذا الذي ثبتني في ذلك الموقف.

والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق حملوا حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو عليه، قال معاوية: فلما وضعت رجلي في آلة الركاب غطلت بأبيات عمرو بن الإطابة:

أبت لي عفتي وأبى بلاتسي وأخذني الحمدة بالثني الريح
واعطاني على المكروء مالي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جششت وجاشت مكانك تحندي أو تستريحي
قال: فثبت.

ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: اليوم صبر وغدا فخر، فقال له عمرو: صدقت قال معاوية: فأصبحت خيراً في الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة.

ورواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية:

ويث معاوية إلى خالد بن المعتمر وهو أمير الحيلة لعلي فقال له: اتبعني على ما أتت عليه ولك إمرة العراق، فطعم فيه، فلما ولي معاوية العراق لم يعطه شيئاً، ثم إن علياً لما رأى اليمنة قد اجتمعت رجع إلى الناس فأثب بعضهم وعذر بعضهم وحرص الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت رحى الحرب لهم وجالوا في الشاميين وصالوا، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين فإنا لله وإنا إليه راجعون. منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من الشاميين، واختلقوا في قتاله من أهل العراق من هو.

وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله لما خرج يومئذ أميراً على الحرب من جهة معاوية أحضر أمرأته أسماء بنت عطاردة بن حاجب التميمي وبحيرة بنت هانئ بن قبيصة الشيباني - فوقتا ورواه في راحلتين تنتظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته، فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن خصفة التميمي، فشدوا عليه شدة واحدة فقتلوه بعدما انهزم عنه أصحابه، ونزلت ربيعة ففرضوا لأميرهم خيمة بقي منها طنب منها لم يجدوا له وتناً فشدوه برجل عبيد الله بن عمر، وجاءت امرأته تولولان حتى وقتنا عليه ويكنا عنده، وشفعت امرأته بحرية إلى الأمير أن يطلقه لها، فأطلقه لها فاحتملته في هودجها وقتل معه أيضاً ذو الكلاع الحميري، قال الشعبي: فقي مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب يقول كعب بن جعبل التغلبي:

ألا إنما تبكي العيون لفارس بصفين ولست خيلة وهو واقف
تبذل من أسماء أسياف وأفلل وكان تنسى لو إخطائته الخائف
تركن عبيد الله بالقاع نارياً تسيل دماءه والمروق نوازف
ينوء وينشاء شأيب من دم كما لاح من جيب القميص الكشاف
وقد صبرت حول ابن عم محمد لدى الموت أرباب المناقب شارف
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحتى أليحت بالألأف المصاحف
وزاد غيره فيها

معاوي لا تنهض بغير وثيق فإنيك بعد اليوم بالذل عارف
وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها

حتى أدخلها في القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة ويث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل، فحمل حبيب بمن معه من الشجعان على يمينه أهل العراق فأزالوهم عن أماكنهم واكتشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلاثمائة والمجمل بقية أهل العراق، ولم يبق مع علي من تلك القبائل كلها إلا أهل المدينة وعليهم سهل بن حنيف، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت نبالهم تصل إليه، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلي فقتله الأمرى وأقبل يريد علياً وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، فلما وصل إلى علي أخذه علي بيده فرفعه ثم ألقاه على الأرض فكسر عضله ومنكبه وابتدره الحسين ومحمد بأسياهما فقتلاه فقال علي للحسن ابنه وهو واقف معه: ما متعك أن تصنع كما صنعا فقال: كفياني أمره بالأمير المؤمنين وأسرع إلى علي أهل الشام فجعل علي لا يزيد قريهم منه سرعة في مشيته، بل هو سائر على هيته، فقال له ابنه الحسن: يا أبا له سمعت أكثر من هذا فقال: يابني إن أليك يوماً أن يعلوه ولا يطع به عنه السعي ولا يعجل به إليه المشي إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت أو وقع عليه الموت.

ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي أن يلحق المهزمين فيردمهم فساق بأسرع سوق حتى استقبل المهزمين من العراقيين من بين أيديهم فجعل يؤنبهم ويؤنبهم ويحرض القبائل والشجعان منهم على الكرة فتابعه طائفة واستمر آخرون في هزيمتهم فلم يزل ذلك دأبه حتى اجتمع عليه منهم جمع عظيم فرجع بهم إلى أهل الشام فجعل لا يلقى قبيلة من الشاميين إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها حتى انتهى إلى أمير اليمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو من ثلاثمائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوه عن أمير المؤمنين فقال: حي صالح فالتفتوا عليه، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وفلك ما بين صلاة العصر إلى الغروب، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فإنه خير له فابى عليه ابن بديل، وحمل نحو معاوية، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده سيفان وحوله كآب أمثال الجبال، فلما اقترب ابن بديل حمل عليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى الأرض قتلاً، وفر أصحابه مهزمين واكثرهم مجروح فلما انهزموا قال معاوية لأصحابه انظروا من أميرهم، فجاءوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فإذا هو عبد الله بن بديل، فقال معاوية: هذا والله كما قال الشاعر، وهو حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عشت به الحرب عضتها وإن شمرت يوماً بو الحرب شمرها
ويعمي إذا ما الموت حان لقاؤه كللك ذو الأسياح يجمي إذا نرا
كليت هزير كان يجمي ذماره رتة اللبائبا صدما تفتطرا

ثم حل الأشتر النخعي بمن رجع معه من المهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة الذين تعادوا وتعاهدوا على الموت أن لا يفروا وهم حول معاوية، فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صف واحد، قال الأشتر: فرأيت هولا عظيماً، وكنت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الإطابة وهي أمه من بلقين وكان هو من الأنصار وهو جاهلي:

أبت لي عفتي وأبى بلاتسي وإقدامي على البطل المشيح
واعطاني على المكروء مالي وضربي هامة الرجل المشيح
وقولي كلما جششت وجاشت مكانك تحندي أو تستريحي

قصداً.

وهنا مقتل

■ عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله أهل الشام ويان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ويان بذلك أن علياً محق وأن معاوية باغ، ومافي ذلك من دلائل البرة.

ذكر ابن جرير (٣٩٠/٥) من طريق أبي مخنف حدثني مالك بن أعين الجهمي عن زيد بن وهب الجهمي أن عماراً قال يومئذ: أين من ينتهي رضوان ربه ولا يلوي إلى مال ولا ولد، قال: فأنته عصابة من الناس فقال: أيها الناس أقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبتغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ما قدمهم الأخذ بدمه ولا القيام بثأره، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها واستمروها، وعلموا أن الحق إذا لزهم حال بينهم وبين ما يترغون فيه من دنياهم وشهواتهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس لهم ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات، وتغلبه عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله، فخذعوا أتباعهم بقولهم إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، وتلك مكيمة بلغوا بها ما تزون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجالان ولكانوا أقل وأخس وأقل، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسماع الغافلين، فسيروا إلى الله سيراً جبلاً، وذكروهم ذكراً كثيراً ثم تقدم فلقبه عمرو بن العاص وعبيد الله بن عمر فلامها وأتبعها ووعظهما، وذكروا من كلامه لما ما فيه غلظة فآله أعلم.

وقال الإمام أحمد (٣٩١/٤): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طويلاً أخذ الحربة بيده ورده تردد، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شغفات حجر لعرفت أن مصليتنا على الحق، وأنهم على الضلالة.

وقال الإمام أحمد (٣٩١/٤، ٣٢٠): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبي نصره قال حجاج: سمعت أبا نصره عن قيس بن عباد قال: قلت لعمار: أرايت قتالك رايأ رأيتموه، فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهد عهد إليكم رسول الله ﷺ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهد إلى الناس كافة.

وقد رواه مسلم (٢٧٧٩) (١٠) من حديث شعبة وله تمام عن عمار عن حنيفة في المناقبين.

وهنا كما ثبت في الصحيحين (ج: ١١١)، (٣١٧٢) وغيرهما (٤٥٣٠) عن جماعة من التابعين، منهم الحارث بن سويد، وقيس بن عباد، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، وزيد بن شريك، وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء عهد إليكم رسول الله ﷺ لم يعهد إلى الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة ويرأ النسمة، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ فإذا فيها العقل وفكك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، وأن الملية حرم ما بين غير إلى نود.

وثبت في الصحيحين (ج: ٣١٨١)، (١٧٨٥) (٩٥) أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سهل بن حنيف أنه قال قال يرم صفين: بالها

الناس! اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر لرددت على رسول الله ﷺ أمره، ووالله ما حملنا سيفونا على عواقبتنا منذ أسلمنا لأمر يقطننا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه، غير أمرنا هذا، فإننا لا نسد منه خصماً إلا افتتح لنا غيره لا ندرى كيف نبالي له.

وقال أحمد (٣٩١/٤): حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البخري. قال: قال عمار يوم صفين: اتوني بشرة لين، فإن رسول الله ﷺ قال: «آخر شرية تشربها من الدنيا شرية لين».

وقال الإمام أحمد (٣٩١/٤): حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن أبي البخري أن عماراً أتني بشرة لين فضحك وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شراب أشربه لين حين أموت».

وقال إبراهيم بن الحسين بن فيزيل: حدثنا يحيى بن نصر حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال: سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس: قال: ثم حل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوي السكوني وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعته، وأما ابن جوي فاحتز رأسه. وقد كان ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرية تشربها صاع لين» فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ويحك ما هذا يا عمرو؟ فيقول له عمرو: إنه سيرجع إلينا. قال: فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية: ما أدري يقتل أيهما أنا أشد فرحاً، يقتل عمار أو ذي الكلاع والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة أهل الشام إلى علي ولافسد علينا جندنا.

قال: وكان لا يزال يحيى رجل فيقول لمعاوية وعمرو: أنا قتلت عماراً فيقول له عمرو: فما سمعت يقول فيخطون فيما يخبرون حتى جاء ابن جون فقال: أنا سمعت يقول:

اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه

فقال له عمرو: صدقت أنت إنك صاحبه، ثم قال له رويداً، أما والله ما ظفرت بذلك ولقد أسخطت ربك.

وقد روى ابن فيزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندي عن أبيه عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية».

ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وحبيب بن أبي ثابت وجة العرنى، وسأله من طريق أبان عن أنس مرفوعاً، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن حليفة مرفوعاً «ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما».

ويه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن الأوسط قال: اختصم رجلان في سب عمار وفي قتله فأثما عبد الله بن عمرو بن العاص فيتحكما إليه، فقال لهما: ويحكما أخرجنا عني، فإن رسول الله ﷺ قال - ولت قريش بعمار -: «ما لهم ولعمار؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسأله في النار» قال: فبلغني أن معاوية قال: إنما قتله من أخرجه يذبح بذلك أهل الشام.

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى حدثنا عيسى بن عمر حدثنا هشيم حدثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان يأتي من عند علي ومعاوية - قال: بينا هو عند معاوية إذ

قتل عمراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم.
قال الإمام أحمد [٢٢/٣]: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن خالد
عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «قتله
الفئة الباغية».

وقال أحمد [٢٨/٣]: حدثنا سليمان بن داود حدثنا شعبة حدثنا عمرو
بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال
لعمار: «قتلك الفئة الباغية».

وقال الإمام أحمد [١٦١/٣]: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد
الرحمن بن زياد عن عبد الله بن الحارث قال: إني لأسير مع معاوية
متصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو: يا
أبت! أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «ويحك يا ابن سمية تقتلك
الفئة الباغية» قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا فقال معاوية:
لا تزال يأتينا بهنة، نحن قتلناه؟ إنما قتله الذين جاؤوا به.

ثم رواه أحمد [١٦١/٢] عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن الأعمش
به نحوه.

تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه، وهذا التأويل الذي سلكه
معاوية رضي الله عنه بعيد، ثم لم يفرّد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل
قد روي من وجوه أخرى.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار
[٤٤٧] وعبد الوهاب الثقفي [٢٨١٢] عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي
سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «يا ويح عمار
يدعوهن إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن
وفي الفتن من صحيحه أيضاً يا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهن إلى
الجنة ويدعونه إلى النار.

وروى مسلم [٢٩١٥] من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد
قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال
لعمار: «قتلك الفئة الباغية». وروى مسلم [٢٩١٦] أيضاً من حديث شعبة
عن خالد الحذاء عن الحسن وسعد ابني أبي الحسن عن أهمها حرة عن أم
سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «قتلك الفئة الباغية».

ورواه [٢٩١٦] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن علية عن ابن عون
عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به.
وفي رواية «وقالته في النار».

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٢٧/٦] عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أبي
بكر محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن
عمار النهدي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق».

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - حدثنا يحيى بن
عبيد الله الكرابيسي حدثنا أبو كريب حدثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق
عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: جاء إلى عبد الله بن مسعود
فقال: إن الله قد أمنا أن يظلمنا ولم يؤمننا أن يفتننا، أرايت إذا نزلت فتنة
كيف أصنع؟ قال: عليك بكتاب الله، قلت: أرايت إن جاء قوم كلهم
يدعون إلى كتاب الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اختلف
الناس كان ابن سمية مع الحق». وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص
نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق. وإسناده غريب.

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٢٧/٦]: أنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد

جاءه رجلا نجتصمان في قتل عمار، فقال لهما عبد الله بن عمرو: ليطلب
كل واحد منكما نفساً لصاحبه يقتل عمار، فإني سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «قتله الفئة الباغية» فقال معاوية لعمرو: ألا تنهى عنا مجنونك هذا؟
ثم أئبل معاوية على عبد الله فقال له: فلم تقتل معنا؟ فقال له: إن رسول
الله ﷺ أمرني بطاعة والذي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل وأمسد
أحد: [١٦٤/٢].

وحدثنا يحيى حدثنا نصر حدثنا حفص بن عمران البرهمي قال:
حدثني نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال
لأبيه: لولا أن رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير،
أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار بن ياسر: «قتلك الفئة الباغية».

وحدثنا يحيى حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا هشيم عن مجالد عن
الشعبي قال: جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو بن العاص
فقال: ائذن له ويشره بالنار. فقال الرجل: أما تسمع مايقول عمرو. فقال
معاوية: صدق إنما قتله الذين جاؤوا به!

وقال ابن جرير [٤٠/٥، ٤١]: وحدثنا أحمد بن محمد حدثنا الوليد
بن صالح حدثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش قال: قال أبو عبد الرحمن
السلمي: قال كنا مع علي بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه
ويمنعانه أن يعمل، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب
سيفه، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انتهي سيفه، فألقاه إليهم وقال:
لولا أنه انتهى ما رجعت، قال: ورأيت عمراً لا يأخذ ودياً من أودية
صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، ورأيت جاء
إلى المرقاة هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال: يا هاشم تقدم!
الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب
السماء وتزينت الحور العين.

البرم ألقى الأجب عملاً وحزينة

ثم حملا هو وهاشم فقتلا رحمهما الله تعالى.

قال: وحمل حيثد علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد
كأنهما: كاتا - يعني عمراً وهاشماً - علماً لهم قال: فلما كان الليل قلت:
لأدخلن الليلة إلى عسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما
بلغ من؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال نحثوا علينا ونحدثنا إليهم - فركبت
فرسي وقد هدأت الرجل، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون،
معاوية، وأبو الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن عمرو
وهو خير الأربعة. فدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم
لبعض، فقال عبد الله لأبيه: يا أبت! قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد
قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، قال: وما قال؟ فقال: ألم تكن معنا ونحن
بنبي المسجد والناس يقتلون حجراً حجراً، ولينة لينة، وعمار يقتل حجراً
حجرين ولبتين لبتين؟ فأنه رسول الله ﷺ فجعلهم يمسح التراب عن
وجهه ويقول: «ويحك يا ابن سمية الناس يقتلون حجراً حجراً ولينة لينة
وأنت تقتل حجراً حجراً ولبتين لبتين رغبة منك في الأجر وأنت
ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» قال: فدفع عمرو صدر فرسه ثم
جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية أما تسمع مايقول عبد الله؟ قال: وما
يقول؟ فأخبره الخبر فقال معاوية: إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث
بالحديث وأنت تدهض في بولك، ونحن قتلنا عمراً! إنما قتل عماراً من
جاء به؟ قال: فخرج الناس من عند فساطيطهم وأخيبتهم وهم يقولون: إنما

النخعي صارت إليه إمرة المينة، وكان من الشجعان الأبطال الذين يعرفون الحروب ولا يهابون القتل فحمل بمن فيه علي أهل الشام وتبعه علي فانتفضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلا الهزيمة والكسرة والفرار.

ذكر رفع أهل الشام المصاحف مكرراً منهم بأهل العراق وخديعة

فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح: وقالوا: هذا بيتنا وبينكم قد فني الناس فمن للتفوق؟ ومن لجهد المشركين والكفار؟ وذكر ابن جرير [٤٨٥/٥، ٤٩٩] وغيره من أهل التاريخ أن الذي أثار بهذا هو عمرو بن العاص، وذلك لما رأى، أن أهل العراق قد ظهروا وانتصروا أحب أن يفضل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلا من الفريقين صابر للأخر، والناس يتقاتلون. فقال لمعاوية: إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيد أهل العراق إلا تفرقاً واختلافاً، أرى أن نرفع المصاحف ندعوهم إليها، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال هذه الساعة، وإن اختلفوا فيما بينهم بأن يقول بعضهم: نجيبهم، وبعضهم لا نجيبهم، فشلوا ونذبت ريجهم.

وقال الإمام أحمد [٤٨٥/٣، ٤٨٦] حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت. قال: أثبت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالتهرون فيما استجابوا له وفيما فارقوه، وفيما استحل قتالهم فقال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بشل فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأتي عليك فجاه به رجل فقال: بيتنا وبينكم كتاب الله ﴿لَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُزَوَّجُ فَرِيقٌ بَيْنَهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ قال عمران: [٢٣] فقال علي: نعم أنا أولى بذلك بيتنا وبينكم كتاب الله قال: فجاهته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تنتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاه عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أسألك على حق وهم على باطل؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه.

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق: نجيب إلى كتاب الله ونجيب إليه.

قال أبو غنم: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال: عباد الله امضوا إلى حاكمكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، وقد صحتهم أطفالاً، وصحبهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله إنهم ما رفعوها رفع من يقرأها ويعمل بما فيها، وإنما رفعوها خديعة ودعاه مكرراً وتخديلاً لكم وكسراً لعدنكم وقتالكم، ولم يبق إلا هزيمتهم وفرارهم ونصركم عليهم. فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب

بن عبيد الله الصغار ثنا الأسفاطي حدثنا أبو مصعب حدثنا يوسف الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها فنشئ عليه، فأفاق ونحن نبكي حوله، فقال: ما تكونون؟ انقضت أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلي الفتنة الباغية، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن.

وقال أحمد [٥/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فنترب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله ﷺ أنه جعل يفض رأسه ويقول: فويحك يا ابن سمية تقتلك الفتنة الباغية.

تفرد به أحمد، وما زاده بعض الرواة في هذا الحديث وهو قوله: «ولا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة» فهو كذب وبهت على رسول الله ﷺ فإنه قد ثبت الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه بتسمية الفريقين مسلمين، كما سنورده إن شاء الله.

قال ابن جرير [٤٨٥/٥، ٤٩٢] وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال علي لربيعة وهمدان: أتمم درعي وروعي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم على ببغلة فحملوا معه حلة رجل واحد، فلم يسق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقاتل ويقول:

أضرهمم ولا أرى معاوية الجاحظ العين عظيم الحارسة
قال: ثم دعى علي معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه إليه عمرو بن العاص أن يبرز إليه فقال له معاوية: إنك تعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعدي.

ثم قدم علي ابنه عمداً في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم أتبعه علي في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلقاً كثيراً أيضاً وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً، وطارت أكف ومعاصم ورووس عن كواهلها، رحمهم الله. ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إتمام صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين، وتسمى هذه الليلة ليلة الحرير وكانت ليلة الجمعة تقصفت فيها الرماح ونفذت النبال، وصار الناس إلى السيوف، وعلي رضي الله عنه يجرى القنابل، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش، وعلى المينة الأشتر النخعي، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة - وعلى الميسرة ابن عباس، والناس يقتلون من كل جانب وذلك لما قتل عمار عرف أهل العراق أن أهل الشام بغاة ليس معهم حق. وذكر غير واحد من علماء السير - أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت، وبالنبال حتى فنيست، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن قاتلوا بالأبدي والرمي بالحجارة والتراب يعفرونه في الوجوه، ثم تعاضوا بالأسنان فكان يقتل الرجلان حتى يسخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما يهزم على الآخر ويهرى عليه ثم يقرمان يقتلان كما كانا، لا يمكن أحدهما الفرار من الآخر فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك ذابهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إتماماً وهم في القتال حتى تضاعى النهار وأقبل النصر وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام، وذلك أن الأشتر

والمسألة مدة لملهم يتفقون على أمر يكون فيه مصلحة لحقن دماء المسلمين، فإن الناس قد تقاتلوا في هذه المدة ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي كان آخرها ليلة الجمعة وهي ليلة الهريز. وقد صبر كل من الجيشين للآخر صبراً لم يُر مثله لما كان فيهم من الشجعان والأبطال ما ليس يوجد مثله في الدنيا، ولما لم يفر أحد عن أحد، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً. خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق. قاله غير واحد منهم محمد بن سيرين وسيف وغيره. وزاد أبو الحسن بن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة وعشرون بديلاً، قال: وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلافاً في مدة المقام بصفين فقال سيف: سبعة أشهر أو تسعة أشهر. وقال أبو الحسن بن البراء مائة يوم وعشرة أيام.

قلت: ومقتضى كلام أبي خنف أنه كان في مستهل ذي الحجة إلى يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر وذلك ثلاثة وسبعون يوماً قاله أعلم، وقال الزهري: بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد لحسون نفساً. هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم (١٢٣/٥).

وقد روى البيهقي (٤٩٩/٦) من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو. قال: كان أهل الشام ستين ألفاً قتل منهم عشرون ألفاً، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً قتل منهم أربعون ألفاً. وحكى البيهقي هذه الواقعة على الحديث الذي أخرجه في الصحيحين (ج: ٣٦٠٩، ١٥٧٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة

ورواه البخاري من طريق أخرى عن أبي هريرة، ومن حديث شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة» (٧١٢١).

ورواه مجاهد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثوري عن ابن جده عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد عن ابن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود. قال قال رسول الله ﷺ: «إن رعى الإسلام ستزول خمس وثلاثين أو ست وثلاثين، فإن يهلكوا فسيبل من هلك، وإن يبق لهم دينهم يبق لهم سبعين عاماً»، فقال عمر: يا رسول الله أعمأ مضى أم عا بقي؟ قال: «بلى عا بقي».

وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي رواء عن إبراهيم، عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله.

وقال أيضاً: حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجاهد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله. قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن رعى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فإن يصلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً، وإن يقتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم».

وقال ابن ديزيل: حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش

اللّه فأنى أن نقبله. وغيب إليه. فقال لهم: إني إنما أقاتلهم ليدنوا بحكم الكتاب فأنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به، وتركوا عهده، ونبذوا كتابه. فقال له مسر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي ثم النسبي في عصابة معهم من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه ولا فدعناك برمك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بآبن عفان، إنه لما ترك العمل بكتاب الله قتلناه، والله لتفعلنها أو لتفعلنها بك. قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم واحفظوا مقالكم لي، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا، وإن تصوني فاصنعوا ما بدا لكم، قالوا: فابعت إلى الأشر فلياتك وكيف عن القتال، فبعث إليه علي ليكيف عن القتال.

وقد ذكر الميثم بن عدي في كتابه الذي صنفه في الخوارج فقال: قال ابن عباس: فحدثني محمد بن المنتشر المحدثي عن من شهد صفين وعن ناس من رؤوس الخوارج عن لا ينهم علي كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال في علي بعض ما كره ذكره، ثم قال عمار: من رانح إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكماً؟ فحمل فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. وكان ممن دعا إلى ذلك في ذلك اليوم من سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى المروعة والكف وترك القتال والالتزام بما في القرآن، وذلك عن أمر معاوية له بذلك رضي الله عنهما، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه.

فروى أبو خنف من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشعث قال: قل له: إن هذه ساعة ليس ينبغي أن لا تزيلي عن موقفتي فيها، إني قد رجوت أن يفتح الله علي، فلا تعجلني، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هانئ - إلى علي فأخبره بما قال الأشعث، وصمم الأشعث على القتال ليتجر الفرصة، فانزع المرح وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي: والله ما نراك إلا قد أمرته أن يقاتل، فقال: أرايتوني ساروت الرسول؟ أم أبعث إليه جبهة وأنتم تسمعون؟ فقالوا: فابعت إليه فلياتك ولا والله اعتزلتكم، فقال علي ليزيد بن هانئ: ويحك! قل له أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت، فلما رجع إليه يزيد بن هانئ وأبلغه ما قال علي أنه يقبل إليه، جعل الأشعث يتململ ويقول: ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل؟ فقلت: أيهما أحب إليك أن ترجع أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان؟ ثم ماذا تفني عنك نصرتك هانئاً؟ قال: فأقبل الأشعث إلى علي وترك القتال فقال الأشعث: يا أهل العراق يا أهل اللد والوهن أحيان علومت القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وسنة من أنزل عليه القرآن، فلا تحييهم، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا! قال: أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر، قالوا: إذا تدخل معك في خطيتك، ثم أخذ الأشعث بناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام بما حصله: إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه، وإن كان باطلاً فاشهدوا لقتلاكم بالنار، فقالوا: دعنا منك فإننا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله، وتركنا قتالهم لله فقال لهم الأشعث: خذتم والله فالتخدمت، ودعيت إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاحكم زهاداً في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، يا أشباه النبيب الجلالة ما أنتم بريئين بعدها. فابعدوا كما بعد القوم الظالمون. فسبهو وسبههم ففرضوا وجه دابته بسياطهم، وجرت بينهم أمور طويلة، ورغب أكثر الناس من العراقيين والشاميين بكماهم إلى المصالحة

قيل له: إن الناس قد اصطَلَحُوا قال: الحمد لله، قيل له: وقد جعلت حكماً، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أخذه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكبرا بينهم كتاباً هذا صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وليس بأمرنا، فقال الأحنف: لا تكتب إلا أمير المؤمنين، فقال علي: اكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الخديجة حين امتنع أهل مكة من قوله: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فكتب الكاتب: هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا نزل عند حكم الله وكتابه ونحجي ما أحسى الله، ونغيث ما أمات الله فما وجد الحكماء في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - عملاً به وما لم يجدنا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة.

ثم أخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجنين من اليهود والمواثيق على أنهما آمنان على أنفسهما وأهلها، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة، وأجلاً القضاء إلى رمضان وإن أحبنا أن يؤخرا ذلك على تراض منهما، وكتب في يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان، ومع كل واحد من الحكمين أربعمئة من أصحابه، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في العام المقبل بأفراح. وقد ذكر الميثاق في كتاب في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه: «هذا ما قاضى عبد الله أمير المؤمنين علي معاوية بن أبي سفيان» قال معاوية: لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمي لفصله وسابته. فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية.

وذكر الميثاق أن أهل الشام أبوا أن يبدؤوا باسم علي قبل معاوية، وباسم أهل العراق قبلهم، حتى كتب كتابان كتاب لهُوْلَاء وكتاب لهُوْلَاء بما أرادوا.

وهذه تسعة من شهد على هذا الكتاب والتحكيم من جيش علي: عبد الله بن عباس، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، وعبد الله بن الطفيل العامري، وحجر بن عدي الكندي، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد الله بن مُجَلِّج الجبلي، وعقبة بن زياد الحضرمي، ويزيد بن حُجِيَّة التيمي، ومالك بن كعب الهمداني. فهؤلاء عشرة.

وأما من الشاميين ف عشرة آخرون، وهم أبو الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وغارق بن الحارث الزبيدي، زمل بن عمرو العُزْري وعلقمة بن يزيد الحضرمي، وحُمرَة بن مالك الهمداني، وسبيع بن يزيد الحضرمي، وعبة بن أبي سفيان أخو معاوية، ويزيد بن الحر العبسي.

وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم من الطائفتين. ثم شرع الناس في دفن قتلاهم.

قال الزهري: بلغني أنه دفن في كل قبر خمسون نفساً، وكان علي قد

الشياني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي. قال: قال رسول الله ﷺ: «تدور رحى الإسلام عند قتل رجل من بني أمية» - يعني عثمان رضي الله عنه - وهذا مرسل.

وقال أيضاً: حدثنا الحكم بن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله ﷺ دعي إلى جنازة رجل من الأنصار فقال - وهو قاعد ينتظرها - كيف أنتم إذا رأيتم خليلين في الإسلام؟ قالوا: أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد؟ قال: نعم قال أبو بكر: أفادرك ذلك يا رسول الله؟ قال: «لا» قال عمر: أفادرك ذلك يا رسول الله؟ قال: «لا» قال عثمان: أفادرك ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم» بك ينشؤون الحرب وقال عمر بن الخطاب لابن عباس: كيف يختلفون وإلهم واحد وكتابه واحد ومثمتهم واحدة؟ فقال: «إنه سيجي قوم لا يفهمون القرآن كما تفهم، فيختلفون فيه فإذا اختلفوا اختلفوا». فآثر عمر بن الخطاب بذلك.

وقال أيضاً: حدثنا أبو نعيم حدثنا سعيد بن عبد الرحمن - أخو أبي حمزة - ثنا محمد بن سيرين قال: لما قتل عثمان قال عدي بن حاتم: لا يتطع في قتله عتزان. فلما كان يوم صيفين قُتِلَ عنه قتيلاً: لا يتطع في قتله عتزان، فقال: بلى وتفقاً عيون كثيرة.

وروي عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتهما فقال: لقد اقتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات، وإن العرب ستقتل فيها العاشرة، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا.

وقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «سألت ربي أن لا يهلك أمة بسنة عامة فأعطانيها، وسألت أن لا يسلط عليهم عدواً من سواهم فيستبيح بيضتهم فأعطانيها وسألت أن لا يسلط بعضهم على بعض فمَنَعْنِيهَا» ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ تَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله: «هذا أهون»

قصة التحكيم

ثم تراض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها علي التحكيم، وهو أن يحكم كل واحد من الأمرين - علي ومعاوية - رجلاً من جهته. ثم يتفق الحكماء على ما فيه مصلحة للمسلمين. فوكل معاوية عمرو بن العاص، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس - ولينه فعل - ولكنه منعه القراء الخوارج من ذكرنا وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري.

وذكر الميثاق بن عدي في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس، وتابعه أهل اليمن، ووصفوه بأنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز. قال علي: فإني أجعل الأشعث حكماً، فقالوا: وهل سحر الأرض إلا الأشعث؟ قال: فاصنعوا ما تشتم، فقال الأحنف لعلي: والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح لهُوْلَاء القدم إلا رجل، يلدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير في أكفهم، ويبعد عنهم حتى يصير بمنزلة النجم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حلتها، ولا يجل عقدة عقبتها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها. قال: فأبوا إلا أبا موسى الأشعري.

فلنعت الرسل إلى أبي موسى الأشعري - وكان قد اعتزل - فلما

قال الإمام أحمد [٣٧/٣ - ٩٧/٣]: حدثنا وكيع وعفان ثنا القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق».

ورواه مسلم [١٠٦٥] عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به. وقال أحمد [٥٣/١١]: حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «تكون أمي فرقتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما بالحق».

ورواه مسلم [١٠٦٥] من حديث قتادة وداود بن أبي هند عن أبي نضرة به.

وقال أحمد [٥/٣]: حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ «ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس، سيمامهم التحليق هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أئني الطائفتين من الحق» قال أبو سعيد: وأنتم تقتلهم ما يا أهل العراق. وقال أحمد [٧٩/٣]: حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرق أمي فرقتين تفرق بينهما مارقة يقتلها أولى الطائفتين بالحق».

ورواه [٢٥/٣] أيضاً عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابي به مثله.

فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدی، وهو أحد الثقات الرفعاء.

ورواه مسلم أيضاً [١٠٦٥] (١٠٣٣) من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد بنحوه.

فهذا الحديث من دلائل النبوة لأنه قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور، من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أئني الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً في قتاله وقد أخطأ، وهو ماجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري [٧٣٥٢] من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وسأني بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج، وصفة المخرج الذي أخبر به الرسول ﷺ فوجد كما أخبر ففرح بذلك علي رضي الله عنه وسجد شكراً لله عز وجل.

موقفُ الخوارج من عليٍّ

قد تقدم: أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين، ذهب إلى الكوفة، فلما دخلها اعتزله طائفة من جيشه، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثنا عشر ألفاً، وقيل أقل من ذلك، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا عليه أشياء، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه من الشبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلاله حتى كان منهم ما سنورده قريباً إن شاء الله، ويقال: إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما تقموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه، ودخلوا معه الكوفة، ثم إنهم عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه وتعاهدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف

أمر جماعة من أهل الشام، فلما أراد الانصراف عن صفين أطلقهم، وكان مثلهم أو قريب منهم في يد معاوية قد أسرهم أهل الشام وكان معاوية قد عزم على قتلهم لظنه أن علياً قد قتل أسراهم، فلما جاءه أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين في يده.

ويقال: إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال: امن علي فإنك خالي، فقال: ويحك! من أين أنا خالك؟ فقال: إن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالي. فأعجب ذلك معاوية وأطلقه.

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال: كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم بتلك الحمية نبهة الإسلام، فتصايروا واستحيوا من الفرار، وكثروا إذا تخاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدنونهم. قال الشعبي: هم أهل الجنة، لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد.

ذِكْرُ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على سلا من بني غنيم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أئيدٍ وهي أمه وهو عروة بن حُنَير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال مرداس بن حُنَير فقال: اتَّحَكَّمُونَ في دين الله الرجال؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث، فغضب الأشعث وقومه، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤساء بني غنيم يعتنقون إلى الأشعث من ذلك.

قال الهيثم بن عدي: والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسي. والصحيح الأول. وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا: إن الحكم إلا لله، فسموا المحكمية. وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين، فرجع علي إلى الكوفة على طريق هيت، ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه، فلما دخل علي إلى الكوفة سمع رجلاً يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء. فقال علي: للذين فارقتهم أنفاً خير من هؤلاء وأنشأ يقول:

أخوَلُ الذي إن أجرتك ملمة بينَ الدهرِ لم يبرح لبك وإحما
وليس أخوَلُ بالذي إن تشعبت عليك الأمور ظلُّ يلحاك لانما
ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الإمارة من الكوفة، ولما كان قد قرب من دخول الكوفة انزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفاً - وهم الخوارج، وأبوا أن يسكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، فقاتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله قريباً إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «تفرق مارقة على حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين، وفي رواية من أمي - فيقتلها أولى الطائفتين بالحق».

وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة.

فلان يصلي. ولم يأتوا فيه بشئ يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا قالت: أجل! صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً إنه كان لا يري شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكتبنون عليه ويكتبون عليه في الحديث.

نفرد به أحد وإسناده صحيح واختاره الضياء.

ففي هذا السياق ما يقتضي أن عدتهم كانت ثمانية آلاف لكن من القراء، وقد يكون إطاهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا اثني عشر ألفاً، أو ستة عشر ألفاً. ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه.

وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكم الرجال، وأنه عا اسمه من الإمرة، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام ولم يقسم الأموال والسي، فأجاب عن الأوكتين بما تقدم، وعن الثالثة بأن قال: قد كان في السي أم المؤمنين عائشة فإن قلت لم يست لكم بأم فقد كفرتم، وإن استحللتم سي أمكم فقد كفرتم. قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا.

وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما فرج إليهم، فناظروه في لبسه ليأباه، فاحتج عليهم بقوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢].

وذكر ابن جرير [إسناده: ٩١/٥] أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى - شك الراوي في ذلك - ثم جعلوا بعد ذلك يعرضون له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون تأويل في قوله.

قال الشافعي رحمه الله: قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر: ٦٥] فقرأ علي ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ [الروم: ٦٠].

وقد ذكر ابن جرير [إسناده: ٧٣/٥] أن هذا الكلام إنما قاله وعلي يخطب لا في الصلاة.

وذكر ابن جرير [إسناده: ٧٣/٥] أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله، فتنادوا من كل جانب: لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله فجعل علي يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل، ثم قال: إن لكم علينا أن لا تمنعكم فينا ما دامت أيديكم معنا، وأن لا تمنعكم مساجد الله، وأن لا نبداكم بالقتال حتى تبدؤونا به. ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة ونحيزوا إلى النهران على ما سنده بعد حكم الحكمين.

صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى وعمرو بن

العاص رضي الله عنهما بدومة الجندل

وكان ذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين. وقال الواقدي اجتمعوا في شعبان.

والنهي عن المنكر، والقيام على الناس في ذلك ثم تحيزوا ناحية إلى موضع يقال له النهران، وفيه قاتلهم علي كما سيأتي.

قال الإمام أحمد [٨٧/١]: حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو الغاري قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد هل أتت صادقي عما أسألك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، قال: ومالي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم، قال: فلما علي لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فترزوا بأرض يقال لها حرورواء من جانب الكوفة، وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص البسكة الله، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر فاذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل قد حل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف! حدث الناس فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويانا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا ببني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وإن خفيتم شقاق بينكما فابعدوا حكماً من أهله وحكماً من أهلهما إن يريداً إصلاحاً يوقر الله بينكما﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علياً أن كاتباً معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحدبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف نكتب؟ فقال: «أكتب باسمك اللهم» فقال رسول الله ﷺ: فأكتب محمد رسول الله فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا، يقول الله تعالى في كتابه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعت إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم فقام ابن الكواء فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فانا أعرفه، هذا من يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه، هذا من نزل فيه وفي قومه ﴿إِن هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٥٨] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقال بعضهم: والله لنواضعه فإن جاء بحق نعرفه لتبته وإن جاء بباطل لنبكته بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم نائب، فيهم إسن الكواء حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعت علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شتمت حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تظلموا سبيلاً أو تظلموا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] فقالت له عائشة: يا ابن شداد فقتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة، فقالت: ألك؟ قال: ألك الذي لا إله إلا هو قد كان ذلك. قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يقولون ذو الندي وذو الننية؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان، يصلي ويقرأ ورأيت في مسجد بني

وذلك أن علياً رضي الله عنه لما كان بجيـه رمضان بعث أربعمئة فارس مع شريح بن هانئ، ومعهم أبو موسى، وعبدالله بن عباس، وإليه الصلاة وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمئة فارس من أهل الشام معه عبد الله بن عمرو ابنه، فتوافوا بدومة الجندل بأفراح - وهي نصف بين الكوفة والشام، بينها وبين كل من البليدين تسع مراحل - وشهد ذلك معهم جماعة من رؤوس الناس، كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حنيفة.

وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضاً، وأنكر حضوره آخرون.

وقد ذكر ابن جرير (٢١٥: ٢١٧/٥) أن عمر بن سعد بن أبي وقاص خرج إلى أبيه وهو بماء لبني سليم معتزل بالبادية: فقال يا أبا: قد بلغك ما كان من الناس بصفين، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وقد شهدهم نفر من قريش، فاشهدهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة. فقال: لا أفعل! إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الحنفي التقي» والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً.

وقد قال الإمام أحمد (١٦٨/١): حدثنا أبو بكر الحنفي عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سمار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبا عريض أن تكون أعريباً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: استكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الحنفي».

وهكذا رواه مسلم في صحيحه (٢٩٦٥).

وقال أحمد أيضاً (١٧٧/١): حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمي قال: يأتيني أبا الفتنة تارمين أن أكون رأساً؟ والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً بنا عنه وإن ضربت به كافراً قتله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الغني الحنفي التقي».

وهذا السياق كان عكس الأول، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الإباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت في صحيح مسلم (١٠٥٤) أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» وكان عمر بن سعد هنا يجب الدنيا والإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو من السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه، ولو قنع بما كان عليه أبوه لم يكن شيء من ذلك والله أعلم.

والقصد أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به، وإنما حضره من ذكرنا.

فلما اجتمع الحكماء ترواوا على المصلحة للمسلمين، ونظر في تقدير أمور ثم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعل الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصالح لهم منهما أو من غيرهما وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: فوالله لا أشهد شيئاً يقاربه في العلم والعمل والزهد. فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في

الفتن والدنيا معك، وهو مع ذلك رجل صدق.

قال أبو خنيفة: فحدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له خسر يساكن ويقيم. وكان ابن عمر فيه غفلة، فقال له ابن الزبير: يا عبيد الله، افطن واتبه، فقال ابن عمر: لا والله لا أرش عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيف وتشاكت بالرمح، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها. ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر بن الخطاب، فامتنع عمرو أيضاً، ثم اصطاحا على أن يغلما معاوية وعلياً ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم، ثم جاما إلى المجمع الذي فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أجباً وإجلالاً - فقال له: يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه.

فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصالح لها ولا ألم لشعثنا من رأي قد اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أنا نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبه واختاروه، وإني قد خلعت علياً ومعاوية. ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا قد قال ما قد سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإنني قد خلعت أيضاً كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب بلمه، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو رأى من المصلحة أن ترك الناس بلا إمام - والحالة هذه - يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أعظم مما الناس فيه من الاختلاف، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، فاجتهد والاجتهاد يخطئ ويصيب. ويقال: إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله.

وذكر ابن جرير (٢١٥: ٧١/٥) أن شريح بن هانئ - مقدم جيش علي - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمره فضربه بالسوط، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة، وأما أبو موسى فاستحى من علي فذهب إلى مكة ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمراً.

فذكر أبو خنيفة عن أبي جناب الكلبي أن علياً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عتبة، فلما بلغ ذلك معاوية أيضاً كان يلعن في قوته علياً وحسناً وحسيناً وابن عباس والأشتر النخعي.

ولا يصح هذا عنهم، رضي الله عنهم، والله أعلم. فأما الحديث الذي قال البيهقي في الدلائل (٤٢٣/٦): أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا إسماعيل بن الفضل حدثنا قتية بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله بن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال: إني لأمشي مع علي بسط الفرات فقال:

والا تلتفتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، فقال سنان بن حزمة الأسدي: يا قوم أن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فقولوا أكرم رجلا منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وساند، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها، فبعشوا إلى زيد بن حصين الطائي - وكان من رؤوسهم - فعرضوا عليه الإمارة عليهم فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم عرضوها على حزمة بن سنان فأبى، ثم عرضوها على شريح بن أوفى العيصي فأبى ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدها فرقا من الموت.

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصين الطائي السنسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى ﴿يَا قَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٩) الآية. وقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النساء: ٥٤) والتي بعدها وبعدها ﴿الظَّالِمُونَ﴾ (الفساقون) ثم قال: فاشهد على أهل دعرتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى، ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، قال: فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرص أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباهم بالسيف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أتم ظفرهم وأطبع الله كما أردتم آتاكم الله ثواب المطيعين له العاملين بأمره - وإن قتلتم فإي شيء أفضل من الصبر والمصبر الله ورضوانه وجته؟.

قلت: وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يَقِمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَنْبًا﴾ (الكهف: ٢١٠).

والقصود أن هؤلاء الجبهة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على السير إلى المدائن ليملكوها ويحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم واضربهم - عن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها - فيوافوهم إليها. ويكون اجتماعهم عليها. فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدر أن عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعلوا إخوانكم إلى جسر نهر جوصي، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداً لئلا يشعروا بكم، فكتبوا كتاباً عاماً إلى من هو على مذهبهم وصلحهم من أهل البصرة وغيرها ويعشوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا بئنا واحدة على الناس، ثم خرجوا يسلكون وحداً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الأبناء والأمهات والأعمام والعلمات وفارقوا سائر القربات، يعتقدون بمجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموقفات، والعظام والمخبطات، وأنه مما يزيئهم لهم إليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات وقد تدرك جماعة من الناس بعض أولادهم وقرباتهم وإخوانهم فردوهم ووفوهم منهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فالحق بالخوارج فخر إلى يوم القيامة،

قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكيمين فضلاً وأضلاً، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزل اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكيمين فيضلان ويُضِلَّان من اتبهما». فإنه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم. إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكمين حتى لا يكون سبباً لإضلال الناس، كما في هذا الحديث. وآفة هذا الحديث هو ذكرها بن يحيى وهو الكندي الحميري الأعمى قال ابن معين: ليس بشيء.

ذكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً

عليه السلام بالعداوة والمخالفة وقتال علياً إياهم وما

ورد في ذلك من الأحاديث

لما بعث علي أباً موسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج والفاو في النكير على علي وصرخوا بكفره، فجاء إليه رجلان منهم، وهما زرة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي فقالا: لا حكم إلا لله، فقال علي: نعم، لا حكم إلا لله، فقال لهم حرقوص: تب إلى الله من خطيئتك وارجع عن قضيتك واذهب بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال علي: قد أردتكم على ذلك فأبيت، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وعهدوا وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (الآية [الحل: ٩١] فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينجي أن تسوب منه، فقال علي: ما هو بذنب ولكنه عجز من الرأي، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه، ونهيتكم عنه، فقال له زرة بن البرج: أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رجة الله ورضوانه، فقال علي: تب لك ما أشقاك! كأي بك قتيلا تسفي عليك الريح، فقال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له علي: إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا، ولكن الشيطان قد استهوأك. فخرجنا من عنده يحكمنا أمرهما ووشى فيهم ذلك، وجأهروا به الناس، وتعرضوا لعلي في خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فدعاه وعابه. فقام جماعة منهم كل يقول: لا حكم إلا لله. وقام رجل منهم وهو واضح إصبه في أذنيه يقول: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٢٥) فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر يقول: حكم الله تنتظر فيكم. ثم قال: إن لكم علينا أن لا تمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا، ولا تمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقتلونا.

وقال أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي حرة أن علياً لما بعث أباً موسى لإنفاذ الحكومة اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبتهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فائخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة. ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زيتها أو بهجتها إلى المقام بها،

بالتقتال أن يخلّفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم ويقبلوا هذا الصنع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على علي بأن يبدأ بهم، ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام والناس آمنون من شرهم فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً إذ لو قسّروا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ولا رجلاً ولا امرأة لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلا القتل جملة فأرسل علي إليهم الحارث بن مرة العبدي، وقال له: أخبر لي خبرهم، وأعلم لي أمرهم واكتب لي به على الجلية فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروهم، فلما بلغ ذلك علياً سار إليهم وترك أهل الشام.

ذكر مسير أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الحوارج

لما عزم علي ومن معه من الجيش على البعثة بالحوارج، نادى مناديه في الناس بالرحيل إليهم فغير الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك علي دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم على شاطئ الفرات، فلقبه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره، فإنه إن سار في غيره يمشى عليه فخالفه علي وسار على خلاف ما قال المنجم وقال نسير ثقة بالله وتركنا عليه وتكثيراً لقلوب المنجم فأنظره الله، وقال علي: إنما أردت أن أبين للناس خطاه وخشيته أن يقول الناس، إنما ظفر لكونه واقفه، فيما أشار به، فيشركوا بالله غيره وسلك علي ناحية الأتيار ويحث بين يديه قيس بن سعد، وأمره أن يأتي المدائن وأن يلقاه باتبها سعد بن مسعود، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي - في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي، ويحث إلى الحوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لقتلهم بهم ثم إننا تارككم وذاهبون عنكم إلى الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه. فبعثوا إليه يقولون: كلنا قتل إخوانكم ونحن مستحلون دماءهم دماكم، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما هم مرتكبوه من الأمر العظيم، والخطب الجسيم، فلم ينفع ذلك فيهم وكذلك فعل أبو أيوب الأنصاري أنهم ووعظهم فلم ينفع فيهم، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتهذبههم وتوعدهم وقال: إنكم أنكرتم علي أمراً أنتم تدعونني إليه وأبستم إلا إياه فنهيتكم عنه فلم تقبلوا وما أنا وأنتم فارجموا إلى ما خرجتم منه ولا تركبوا محارم الله فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله، فكيف بدماء المسلمين؟

فلم يكن لهم جواب إلا أن تسادوا فيما بينهم أن لا تخاطبهم ولا تكلمهم وتهيؤوا لقاء الرب عز وجل، والروح الروح إلى الجنة وتقدموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للستال فجعلوا على ميمتهم زيد بن حصين الطائي النسبي، وعلى الميرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي. ووقفوا مقاتلين لعلهم وأصحابه.

وجعل علي على ميمته حجر بن عدي، وعلى الميرة شعث بن رعي أو معقل بن قيس الرصاصي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة - وكانوا في سبعمئة - قيس بن سعد بن عبادة، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للحوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى

ونهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافي إليهم من كاتبه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وثبات وصبر وعندهم أنهم مقرسون بذلك إلى الله عز وجل. فهم قوم لا يصطلى لهم بنار، ولا يطمع أحد في أن يؤخذ منهم بثأر، وبالله المستعان.

وقال أبو خنief عن أبي روق عن الشعبي أن علياً لما خرجت الحوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة، ورد ابن عباس إلى البصرة، قام في الناس بالكوفة خطيباً فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفاسد، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله، أما بعد: فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى، ولعنكم وأبى، فأيتمم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن فاجاد:

بللتهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشداً إلا ضحى الغد

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما فيما حكما به وأنبهما، وبين ما في ذلك من هوى وزور ومحبة للدين وقلة نصح ونظر للأمة وحط عليهما، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى أهل الشام، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه، وكتب إلى ابن عباس وإلى البصرة يستغفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام، وكتب إلى الحوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما، وأنه قد عزم على الذهاب إلى أهل الشام، فعملوا حتى نجتمع على قتالهم. فكبروا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذك على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأفان: ٢٥٨].

فلما قرأ علي كتابهم يش منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم وخرج من الكوفة إلى النخيلة في عسكر كثيف - خمسة وستين ألفاً - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتي فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخسمائة، ومع أبي الأسود الدؤلي ألف وسبعمائة، فكمل جيشه في ثمانية وستين ألف فارس ومائتي فارس وقام علي في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند اللقاء، وهو عازم على غزو أهل الشام، فينبأهم عازم على غزو أهل الشام إذ بلغه أن الحوارج قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وأمرأته معه وهي حامل فقالوا: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وأنتم قد وعودتموني فقالوا: لا بأس عليك، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي فقادوه بيده فينبأهم هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خزيراً لبعض أهل الدمة فضره بعضهم بسيفه فشق جلده فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو للذي؟ فذهب إلى ذلك النمي فاستحله وأرضاه وبينما هو معهم إذ سقطت غمرة من غلظة فاختلها أحدكم فالتقاه في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا لمن؟ فالتقاه ذاك من فمه، ومع هذا تقدموا عبد الله بن خباب فذبحوه وجاؤوا إلى امرأته فقالت: إنني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عز وجل، فذبحوها وقرعوا بطنها عن ولدها، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا

الكوفة والملائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا في دمانكم إلا فيمن قتل إخواننا.

فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فزحفوا إلى علي فقدم علي بين يديه الخيل وقدم منهم الرماة وصف الرجال وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبذوكم، وأقبلت الخوارج وهم يقولون: لا حكم إلا لله، السرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة وأخرى إلى الميسرة، فاستبهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف فأتاها الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن شجرة السلمي، قبيهم الله.

قال أبو أيوب: وطعت رجلا من الخوارج بالرمح فأنفذته من ظهره وقتل له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أين أولى بها صلياً.

قالوا: ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر.

وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول: بؤساً لكم! لقد ضركم من غركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ومن غركم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أمارة، غرهم بالأمانتي وزنت لهم المعاصي، ونبأهم أنهم ظاهرون. ثم أمر بالجرس من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلمهم إلى قبائلهم ليأدوهم، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وقال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج: وحشدنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن حنبار عن عبد الملك بن ميسرة عن التزال بن سبرة أن علياً لم يجمع ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده إلى أهلهم كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده.

وقال أبو مخنف: حدثني عبد الملك بن أبي حرة أن علياً خرج في طلب ذي النثية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جيزة والريان بن صبرة بن هوزة فوجهه الريان في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً، قال: فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كشدي المرأة له حُلْمَة كحلْمَة الثدي عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تخاض يده الأخرى ثم تنزل فتعود إلى منكبه كشدي المرأة، فلما رآه علي قال: أما والله وما كذبت ولا كُذبت أما والله لولا أن تكلوا على غير العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق.

وقال الهيثم بن عدي في كتابه في الخوارج: وحدثني محمد بن ربيعة الأحمسي عن نافع بن مسلمة الأحمسي قال: كان ذو النثية رجلاً من غربة من بني بجيلة، وكان أسود شديد السواد، له ريع متنة معروف في العسكر، يرافقتنا على ذلك ويتازلنا وننازله.

وحدثني أبو إسماعيل الحنفي عن الريان بن صبرة الحنفي. قال: شهدنا النهروان مع علي، فلما وجد المخدج سجد سجدة طويلة شكراً لله.

وحدثني سفيان الثوري عن محمد بن قيس الحمدي عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد المخدج سجد.

وحدثني يونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل بن سعيد بن عسرة عن حبة العرنى. قال لا قتل علي أهل النهروان جعل الناس يقولون: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي دابرهم. فقال علي: كلا والله إنهم لنفي

أصلا ب الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا من بين الشرارين فقلما يقاتلون أحداً إلا ألفوا أن يظهرها عليه.

قال: وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة سجوده، وكان يقال له: ذو المنقبات.

وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال: ما كان عبد الله بن وهب من بغضه لعلي يسميه إلا الجاحد.

وقال الهيثم بن عدي: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: سئل علي عن أهل النهروان: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، قيل: أمتناقضون هم؟ قال إن المناقضين لا يذكرهم الله إلا قليلاً: فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بضوا علينا فقاتلناهم بغيهم علينا.

فهنا ما أورده ابن جرير (٢٨٦: ٢٨٧/٥) وغيره في هذا المقام.

ولنذكر الآن ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ

الحديث الأول عن علي عليه السلام

ورواه عنه زيد بن وهب، وسويد بن غفلة، وطارق بن زياد، وعبد الله بن شداد، وعبد الله بن أبي رافع، وعبد بن عمرو السلماني، وكنيب أبو عاصم، وأبو كثير وأبو مريم، وأبو موسى، وأبو وائل وأبو الوضي. فهذه اثنا عشر طريقاً إليه سترها بأسانيدنا وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر. الطريق الأولى:

قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل (٩١/١، ٩٢): حدثنا أبو يوسف، أنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنبة عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب قال: لما خرجت الخوارج بالنهروان قام علي في أصحابه فقال: إن هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرح الناس، وهم أقرب العدو إليكم، فإن تسبوا إلى عدوكم فإنا نخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فخرج خارجة من أمي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ولا قراءتكم إلى قراءتهم بشيء» يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس لها ذراع عليها مثل حلمة الثدي عليها شعرات بيض لو يعلم الجيش الذين يصيرونهم ما لهم على لسان نبيهم لا تكلوا على العمل فسيروا على اسم الله.

وذكر الحديث بطوله، هكذا رواه عبد الله بن أحمد إلى هنا.

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه (١٠٦٦): حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان حدثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز

طريق أخرى عن علي رضي الله عنه:

قال مسلم [١٠٦٦] حديثي أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى قالوا: حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بسر بن سعيد عن عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحروية لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون: «الحق بالكسهم لا يجوز هذا منهم» - وأشار إلى حلقة - من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طي شاة أو حلقة ندي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال: انظروا فظفروا فلم يجدوا شيئاً فقال: ارجعوا، فوالله ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثاً - ثم وجدوه في خربة فأتوا به علياً حتى وضعوه بين يديه، قال عبد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم. زاد يونس في روايته قال بكير: وحديثي رجل عن ابن حنبل أنه قال: رايت ذلك الأسود. تفرد به مسلم.

طريق أخرى قال أحمد [٨٣/١]: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن محمد بن عبيدة عن علي قال: ذكر الخوارج عند علي فقال: فيهم خدج اليد أو مثنون اليد؟ - أو قال: مودن اليد - ولولا أن تطروا لحدثكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ، قال قلت: أنت سمعته من محمد ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة.

وقال أحمد [٩٥/١]: حدثنا وكيع حدثنا جابر بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثنون اليد أو خدج اليد ولولا أن تطروا لأبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان نبيه ﷺ». قال عبيدة: قلت لعلي: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة.

وقال أحمد [٩٤/١]: حدثنا يزيد حدثنا هشام عن محمد بن عبيدة قال: قال علي لأهل النهروان: فيهم رجل مثنون اليد أو خدج اليد، ولولا أن تطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قتلهم. قال عبيدة: فقلت لعلي: أنت سمعته؟ قال: إي ورب الكعبة. يحلف عليها ثلاثاً.

وقال أحمد [١٥٥/١]: حدثنا ابن أبي عدي عن ابن عون عن محمد بن عبيدة قال: قال عبيدة: لا أحدثك إلا ما سمعت منه، قال محمد: فحلف لنا عبيدة ثلاث مرات، وحلف له علي قال: لولا أن تطروا لأبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال: قلت: أنت سمعته؟ قال: إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، إي ورب الكعبة، فيهم رجل خدج اليد أو مثنون اليد أحسبه قال: أو مودن اليد.

وقد ذكرناه من طرق متعددة تبيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين. وقد حلف أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من علي وحلف علي أنه سمعه من رسول الله ﷺ، وقد قال علي: لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب على رسول الله ﷺ.

طريق أخرى:

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل [١٦٠/١]: حديثي إسماعيل أبو

صلاتهم تراقيهم، يرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». لو يعلم الجيش الذين يصيرونهم ما قضى لهم على لسان نبيه ﷺ لا يتركوا على العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلقة الشدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتكون هؤلاء يخلعونكم في ذرايكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة: فتركتي زيد بن وهب منزلاً منزلاً حتى قال: مرزنا على قنطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي - فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشوكم كما يناشوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم. قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً، فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخذج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم علي بعض، فقال: أخروهم فوجدوهم مما يلي الأرض فكبر، قال: صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، فاستحلفه ثلاثاً وهو يحلف له. هذا لفظ مسلم.

وقد رواه أبو داود [٤٧٦٨] عن الحسن بن علي الخلال عن عبد الرزاق بن حنبل.

طريق أخرى عن علي

قال الإمام أحمد [١٣١/١]: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال علي: إذا حدثكم عن رسول الله ﷺ فلان آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم في آخر الزمان أحدث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» - قال عبد الرحمن: لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة.

وأخرجاه في الصحيحين [٣٦١١] [١٠٦٦] من طرق عن الأعمش به.

قال الإمام أحمد [١٤٧/١]: حدثنا أبو نعيم وحدثنا الوليد بن القاسم الحمدي حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال: سار علي إلى النهروان - قال الوليد في روايته: وخرجنا معه - فقتل الخوارج فقال: اطلبوا المخذج فإن رسول الله ﷺ قال: «سيجيء قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلقهم يرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود خدج اليد في يده شعرات سود». إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس. قال الوليد في روايته: فبكينا قال: ثم إنا وجدنا المخذج قال: فخررتنا سجوداً وخر علي ساجداً معنا.

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

طريق أخرى:

رواه عبد الله بن شداد عن علي كما تقدم قريباً بإسناده بطوله.

رجل مخدج اليد.

وقال أبو داود في سننه [٤٧٧٠]: حدثنا بشر بن خالد حدثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قال: إن كان ذاك المخدج لمنا يومئذ في المسجد فجلسه الليل والنهار، وكان فقيراً، ورأيت مع المساكين يشهد طعام علي مع الناس، وقد كسوته برنساً لي، قال أبو مريم: وكان المخدج يسمى نافعا ذا الثنية، وكان في يده مثل شدي المرأة، على رأسه حلمة مثل الشدي عليه شعرات مثل سبالة السنور.

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [٤٣٣/١]: أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن شاذب المقرئ الواسطي بها حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن سفيان - هو الثوري - عن محمد بن قيس عن أبي موسى رجل من قومه قال: كنت مع علي فجعل يقول: التمسوا المخدج. فالتمسوه فلم يجده، قال: فأخذ يعرق ويقول: والله ما كنت ولا كنت. فوجدوه في نهر أو دالية فسجد.

طريق أخرى

قال أبو بكر البزار: حدثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر حدثنا عبد الصمد حدثنا سويد بن عبيد العجلي حدثنا أبو مؤمن. قال: شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرة وأنا مع مولاي فقال: انظروا فإن فيهم رجلاً إحدى يديه مثل شدي المرأة، وأخبرني النبي ﷺ أنني صاحبه، فقلبوا القتلى فلم يجده، وقالوا: سبعة نفر تحت الخلعة لم نقلهم بعد، قال: ولكم انظروا، قال أبو مؤمن: فرأيت في رجله حبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر علي ساجداً وقال: أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. ثم قال البزار: لا تعلم روى أبو مؤمن عن علي غير هذا الحديث.

طريق أخرى

قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي سمعت أبا سنان عن حبيب بن أبي ثابت قال: قلت لشقيق بن سلمة - يعني أبا وائل - حدثني عن ذي الثنية، قال: لما قاتلناهم قال علي: اطلبوا رجلاً علامته كنا وكناه فطلبناه فلم نجده، فبكي علي وقال: اطلبوه، فوالله ما كنت ولا كنت، قال: فطلبناه فلم نجده فبكي وقال: اطلبوه فوالله ما كنت ولا كنت، قال: فطلبناه فلم نجده قال: وركب بغلته الشهباء فطلبناه فوجدناه تحت بزي فلما رآه سجد. ثم قال البزار: لا تعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث.

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد [١٣٩/١]: حدثني عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حماد بن زيد حدثنا جيل بن مرة عن أبي الوضي. قال: شهدت علياً حيث قتل أهل النهروان قال: التمسوا المخدج: فطلبوه في القتلى فقالوا: ليس نجده فقال: ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كنت ولا كنت، فرجعوا فطلبوه فرد ذلك مراراً، كل ذلك يخلف بالله ما كنت ولا كنت، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجيء به، قال أبو الوضي: فكانني أنظر إليه حبشي عليه ثدي قد طبق إحدى يديه مثل شدي المرأة عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب البروق.

وقد رواه أبو داود [٤٧٦٩] عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد حدثنا جيل بن مرة حدثنا أبو الوضي - واسمه عباد بن نسيب - ولكنه اختصره

معمر حدثنا عبد الله بن إدريس حدثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال: كنت جالساً عند علي إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن علي علي وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال علي: إني دخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة فقال لي: كيف أنت وقومكنا وكنا؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فقال: قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرمقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية، فيهم رجل مخدج اليد كان يده ثدي حبشية، أشدكم بالله هل أخبركم أنه فيهم؟ فذكر الحديث بطوله.

ثم رواه عبد الله بن أحمد [١٦٠/١] عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي. فذكر نحوه وإسناده جيد ولم يخرجوه.

طريق أخرى

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [١٩٩/١، ٢٠٠]: أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا علي بن عبد الرحمن البكائي أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أنا خالد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن مسيرة قال قال أبو جحيفة: قال علي حين فرغنا من الحرة إن فيهم رجلاً مخدجاً ليس في عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف، فالتمسوه فلم يجده، قال: فما رأيت علياً جزع جزعاً أشد من جزعه يومئذ، فقالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين. فقال: ولكم ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان، قال: كنتيم إنه لفهم، فنورنا القتلى فلم نجده فعندنا إليه قلنا: يا أمير المؤمنين ما وجدناه، قال: ما اسم هذا المكان؟ قلنا: النهروان، قال: صدق الله ورسوله، وكذبتم، إنه لفهم، فالتمسوه، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة شدي المرأة عليها شعرات طوال عقف.

طريق أخرى

قال الإمام أحمد [٨٨/١]: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا إسماعيل بن مسلم العدي حدثنا أبو كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي مع علي بن أبي طالب حيث قتل أهل النهروان، فكان الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال علي: يالها الناس إن رسول الله ﷺ قد حدثنا بأقوام يرمقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة شدي المرأة، حوله سبع هلبات فالتمسوه فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فبكر علي، فقال: الله أكبر! صدق الله ورسوله. وإنه لثقل قوساً له عربية فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مخدجته ويقول: صدق الله ورسوله. وكبر الناس حين رآوه واستبشروا وذهب عنهم ماكانوا يجلدون.

تفرد به أحمد.

طريق أخرى

قال عبد الله بن أحمد [١٥١/١]: حدثنا أبو خيثمة حدثنا شبابة بن سوار حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم حدثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «إن قوماً يرمقون من الإسلام كما يرمق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، طوى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم

وقال عبد الله بن أحمد (١٤٠/١، ١٤١) أيضاً: حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدثه أنه قال: كنا عائدتين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب فلما بلغنا مسيرة ليكتين أو ثلاثاً من حروراه شد منا ناس كثير، فذكرنا ذلك لملي فقال: لا يهلككم أمرهم فليتهم سيرجعون. فذكر الحديث بطوله قال: فحمد الله علي بن أبي طالب وقال: إن خليلي أخبرني أن قائداً هؤلاء رجل مخدج اليد على حلمة نديه شعرات كأنهن ذنب اليربوع، فالتمسوه فلم يجدوه فأتيناه فقلنا: إنا لم نجد، فقال: فالتمسوه، فوالله ما كذبت ولا كذبت - ثلاثاً، فقلنا: لم نجد، فجاء علي بنفسه فجعل يقول: اقبلوا ذا، اقبلوا ذا، حتى جاء وجعل من أهل الكوفة فقال: هو هذا؟ فقال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هنا مالك، هنا مالك، فقال علي: ابن من هو؟

وقال عبد الله بن أحمد أيضاً (١٤١/١): حدثني حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضيء عباداً حدثه أنه قال: كنا عاملين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث المخدج قال علي: «فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثاً، ثم قال علي: أما إن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف» وهذا السياق فيه غرابة شديدة جداً. وقد يمكن أن يكون ذو النونية من الجن؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الإنس أو شياطين الجن، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم.

والقصد أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تراطوهم على الكذب، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبره عن صفة الخوارج وصفة ذي النونية الذي هو علامة عليهم.

وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما سترها بأسانيدها والمآظها وبالله المستعان.

وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، ورافع بن عمرو الغفاري، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، وسهل بن حنيف، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قلنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، وصاحب القصة. ولنذكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج.

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال الإمام أحمد (٤٠٤/١): حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، أحدث - أو قال: حدثاء - الأسنان يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن بالسهم لا يعدو تراقيهم، يقرءون من الإسلام كما يقرء السهم من الرمية، فمن أدركهم فليقتلهم فإن

في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم».

وقد رواه الترمذي (٢١٨٨) عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه (١٦٨) عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن زرارة ثلاثهم عن أبي بكر بن عياش به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين فحديثه في ذلك من أقوى الأسانيد.

الحديث الثالث عن أنس بن مالك

قال الإمام أحمد (١٨٩/٣): حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي حدثنا أنس قال: ذكر لي أن نبي الله ﷺ قال - ولم أسمع منه - «إن فيكم قوماً يتعبون ويدأبون حتى يجيبوا الناس وتعبهم أنفسهم، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية» طريق أخرى

قال الإمام أحمد (٢٢٤/٣): حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأزاعي حدثنا قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد - قال أحمد: وقد حدثنا أبو المغيرة فقال: عن أنس عن أبي سعيد، ثم رجع أن النبي ﷺ قال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسبون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليفة، وطوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قتلهم كان أولى بالله منهم»، قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: «التحليق».

وقد رواه أبو داود في سننه (٤٧٩٥) عن نصر بن عاصم الأنطاكي عن الوليد بن مسلم ومبشر بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأزاعي عن قتادة عن سعيد وأنس به.

وأخرجه أبو داود (٤٧٩٦) وابن ماجه (١٧٥) من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وحده.

وقد روى الزبار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثاً في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال الإمام أحمد (٣٥٣/٣): حدثنا حسن بن موسى حدثنا أبو شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: كنت مع رسول الله ﷺ عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت إن لم أكن اعدل»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق، فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، أم تراقبهم، يرقون من الدين مروق السهم من الرمية»

وقال أحمد (٣٥٤/٣): حدثنا علي بن عياش حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابراً يقول: بصر عني وسمع أنني رسول الله ﷺ بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن

مالك بن سنان الأنصاري رضي الله عنه

وله طرق عنه الأولى منها

قال الإمام أحمد (١٥/٣): حدثنا بكر بن عيسى حدثنا جامع بن مطر الخطبي حدثنا أبو روية شدد بن عمران القيسي عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني مرتت بوادي كنا وكنا فإذا رجل متخضع حسن الهيئة يصلي، فقال له رسول الله ﷺ: «اذهب إليه فاقته» قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لعمر: «اذهب إليه فاقته» قال: فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال: يا رسول الله إني رأيته متخضعاً فكهرت أن أقتله. قال: فيا علي اذهب فاقته» فذهب علي فلم يره فرجع، فقال: يا رسول الله إني لم أره فقال رسول الله ﷺ: «هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الذين كما يرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يمود السهم في فرقه فاقتلوهم هم شر البرية».

نفرد به أحمد.

وقد روى الزبارة في مسنده [كشف الأسرار (١٨٥١)] من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك، وأبو يعلى [مسنده (٤١٢٧)] عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار عن يزيد الرقاشي عن أنس نحوه من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات أخرى.

الطريق الثاني

قال الإمام أحمد (٨٢/٣): حدثنا أبو أحمد، ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث ذكره «قوم يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق» أخرجه في الصحيحين كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد.

الطريق الثالث

قال الإمام أحمد (٣٣/٣): حدثنا وكيع حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا حلف فاجتهد في اليمين قال: «والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمسي تحقرن أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية» قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: فيهم رجل ذو يدية أو ثدية علفي رؤوسهم» قال أبو سعيد: فحدثني عثرون أو بضع وعشرون من أصحاب النبي ﷺ أن علياً ولي قتلهم قال: فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر وبيده ترتعش ويقول: قتلتهم أحل عندي من قتال عدتهم من الترك. وقد رواه أبو داود (٣٢١٤) عن أحمد بن حنبل به.

الطريق الرابع

قال الإمام أحمد (٦٨/٣)، ٧٢، ٧٣: حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي وهو باليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبية في تربتها فقسما رسول الله ﷺ بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخير الطائي، ثم

الله ﷺ يقبضها للناس يعطيهم، فقال رجل: أعدك فقال: «ويلك، ومن يعدك إذا لم أكن أعدك؟» فقال عمر بن الخطاب: دعني أقتل هذا المنافق الحديث، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يرقون من الذين كما يرق السهم من الرمية».

ثم رواه أحمد (٣٥٤/٣، ٣٥٥) عن أبي المغيرة عن معان بن رفاعه حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بالجرعانة قام رجل من بني نعيم فقال: أعدك يا محمد فقال: «ويلك ومن يعدك إن لم أعدك؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدك» قال: فقال عمر: يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق؟ قال: «معاذ الله أن تسمع الأمن أن محمداً يقتل أصحابه» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا وأصحابه لا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الذين كما يرق السهم من الرمية» قال معان: فقال لي أبو الزبير: فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني، إلا أنه قال النصي وقلت القدر قال: ألتست رجلاً عربياً؟!

وقد رواه مسلم (١٠٦٣) عن محمد بن ربيع عن الليث وعن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب الثقفي.

وأخرجه النسائي (٨٠٨٧، ٨٠٨٨) من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه.

حديث رافع بن عمرو الغفاري سيأتي مع حديث أبي ذر رضي الله عنهما.

الحديث الخامس عن سعد بن مالك بن أهيب الزهري

وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان - هو ابن عيينة - حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطيبيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال: ذكر رسول الله ﷺ ذا النلتة فقال: «شيطان الردة كراعي الخيل يحتلوه رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم ظلمة» قال سفيان: فأخبرني عمار الدُهَمي أنه جاء به رجل يقال له: الأشهب أو ابن الأشهب.

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد (١٧٩/١) عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه «شيطان الردة يحتلوه» يعني: رجلاً من بجيلة.

نفرد به أحمد وحكى البخاري (الدرر الكبر: ٢/٩٤) عن علي بن المديني قال: لم أسمع بذكر بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث.

وروى يعقوب بن سفيان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حماد الميماني قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: «قتل علي شيطان الردة»

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: يريد والله أعلم قتله أصحاب علي بأمره. وقال الميم بن عدي: حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال: بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل الحواري فقال: قتل علي بن أبي طالب شيطان الردة.

يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم، آيتهم رجل أسود في إحدى يديه - أو قال: إحدى يديتيه - مثل ثدي المرأة، أو مثل الضمة تدرج، يخرجون على حين فترة من الناس، فتزلت فيه «وَبِهِمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ» الآية [نحو: ٥٨] الآية قال أبو سعيد: فاشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على التعت الذي نعت رسول الله ﷺ.

ورواه البخاري (٦٩٣٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر، به.

ورواه البخاري أيضاً (٣١١٠) من حديث شعبة، ومسلم (١٠٦٤) من حديث يونس بن يزيد عن الزهري به، لكن في رواية مسلم عن حرملة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة، والضحاك الممداني عن أبي سعيد به.

ثم رواه أحمد (٦٥٠٣) عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك المشرقي عن أبي سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق، وفيه أن عمر هو الذي استأذن رسول الله ﷺ في قتله، وفيه «يخرجون على فرقتين من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله» قال أبو سعيد: فاشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأني شهدت علياً حين قتلهم، فالتمس في القتلى فوجد على التعت الذي نعت رسول الله ﷺ.

ورواه البخاري (٦١٦٣) عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي كذلك.

وقال أحمد (١٠٠٣): قرأت على عبد الرحمن عن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في القدح فلا يرى شيئاً، ثم ينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفوق» قال عبد الرحمن: حدثنا به مالك - يعني هذا الحديث -.

ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك به (٥٠٥٨).

ورواه البخاري (٦٩٣١) ومسلم (١٠٦٤) عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد به.

وقال الإمام أحمد (٣٤٠٣، ٣٤٠٣): حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى أبي سعيد فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الحزبية شيئاً؟ فقال: سمعته يذكر قوماً يتعمقون في الدين يحقر أحدهم صلاته عند صلاتهم، وصومه عند صومهم، يمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أخذ سهمه فنظر في نصله فلم ير شيئاً ثم فنظر في رصافة فلم ير شيئاً، ثم فنظر في القذ فتامرى هل يرى شيئاً أم لا.

ورواه ابن ماجه (١٦٩٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به.

الطريق الثامن

قال الإمام أحمد (٥٠٣): حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق، هم شر الخلق، أو من شر الخلق،

أحد بني نهان. قال: فنضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صنابير أهل نجد ويعدنا؟ قال: «إنما أتألفهم». قال: فأقبل رجل غائر العينين نائر الجبين كثر اللحية مشرف الوجنتين علقو الرأس فقال: يساعدهم أتق الله فقال: «من يطيع الله إذا عصيته؟ يأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني»، قال: فسأل الرجل من القوم قتله النبي ﷺ - أراه خالد بن الوليد - فتمتعه، فلما ولي قال: «إن من ضنضى هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمروا من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لمن أئادهم لأقتلهم قتل عاد».

رواه البخاري (٧٤٣٢) من حديث عبد الرازق به.

ثم رواه أحمد (٤٠٣، ٤٠٣) عن محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد وفيه الجزم بأن خالدًا سأل أن يقتل ذلك الرجل، ولا يثاني سؤال عمر بن الخطاب.

وهو في الصحيحين [خ: (٤٣٥١)، م: (١٠٦٤)] من حديث عمارة بن القعقاع بن شبرة: وقال فيه «إنه سيخرج من ضنضى هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم».

وليس المراد به أنه يخرج من صلبه ونسله لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما المراد: «من ضنضى هذا أي من شكله وعلى صفته فعلاً وقولاً فآلله أعلم». وهذا الشكل وهذه الصفة كثيرة في الناس جداً في كل زمان وكل مكان في قراء القرآن وغيرهم لمن تأملها، والله أعلم. وهذا الرجل المذكور هو ذو الخويصرة التيمي وسماه بعضهم حرقوصاً فآله أعلم.

الطريق الخامس

قال الإمام أحمد (٦٤٠٣): حدثنا عفان حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن معمر بن سيرين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه» قيل: ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق والتسييد.

ورواه البخاري (٧٥٦٢) عن أبي التعمان محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون به.

الطريق السادس

قال الإمام أحمد (٥٠٣): حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سويد بن نجيع عن يزيد الفقير قال: قلت لأبي سعيد: إن منا رجلاً هم أقرؤنا للقرآن، وأكثرنا صلاة وأوصلنا للرحم، وأكثرنا صوماً، خرجوا علينا بأسياهم. فقال أبو سعيد: سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

تفرد به أحمد ولم يجزوه في الكتب الستة ولا واحد منهم، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيع هذا مستور.

الطريق السابع

قال الإمام أحمد (٥٠٣): حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة التيمي فقال: أعدك يا رسول الله. فقال: «ويلك ومن يعدك إذا لم أعدك؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصبه فلا

الحديث العاشر عن ابن عباس

قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن أقوام من أمي يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية». ورواه ابن ماجه [١٧١] عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص بإسناده مثله.

الحديث الحادي عشر عن ابن عمر

قال الإمام أحمد [٨٤/٢]: حدثنا يزيد حدثنا أبو جناب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من أمي قوم يسئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: «يقبر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الإسلام فإذا خرجوا فاقتلوه، ثم إذا خرجوا فاقتلوه، ثم إذا خرجوا فاقتلوه، فطوى لمن قتلهم وطوى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطعه الله». فرد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع.

فرد به أحد من هذا الوجه.

وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» وأشار بيده نحو المشرق [خ: (٧٠٩٢، ٧٠٩٣، ٧٠٩٤، ٧٠٩٥)].

الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو

قال الإمام أحمد [١٩٨/٢، ١٩٩]: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي، فجتته فجاء رجل فاتتبه عن الناس عليه خيصة فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضهم، تقتلهم نفس الرحمن، تحشرهم النار مع القردة والحنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا، وتاكل من تخلف» قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج ناس من أمي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع، كلما خرج منهم قرن قطع - حتى عدوا زيادة على عشر مرات - كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم».

وقد روى أبو داود أوله في كتاب الجهاد من سنته [٢٤٨٢] عن القواريري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة، به. وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

الحديث الثالث عشر عن أبي ذر

قال مسلم بن الحجاج [١٠٦٧، ١٠٨٨]: حدثنا شيان بن فروخ حدثنا سليمان بن المغيرة ثنا حيد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر.

تقتلهم أدنى الطائفتين بالحق، قال: ف ضرب النبي ﷺ لهم مثلاً - أو قال قولا - الرجل يرمي الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضى فلا يرى بصيرة، وينظر في الفرق فلا يرى بصيرة» فقال أبو سعيد: وأنتم تقتلهم يا أهل العراق.

وقد رواه مسلم [١٠٦٥] عن محمد بن المتى عن محمد بن أبي عدي عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمي - عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطة عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

الحديث الثامن عن سلمان الفارسي

قال الهيثم بن عدي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: جاء رجل إلى قوم فقال: لمن هذه الخيابة؟ قالوا: لسلمان الفارسي، قال: أفلا تطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه؟ فانطلق معه بعض القوم فقال: يا أبا عبد الله لو أدنيت خيابة إلينا وكنت منا قريباً فحدثنا وسمعنا منك؟ فقال: ومن أنت؟ قال: فلان بن فلان. قال سلمان: قد بلغني عنك معروف، بلغني أنك تخف في سبيل الله، وتقاتل العدو، وتخدم أصحاب رسول الله ﷺ، فإن أخطأتك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ. قالوا: فوجد ذلك الرجل قتيلاً في أصحاب النهروان.

الحديث التاسع عن سهل بن حنيف الأنصاري

قال الإمام أحمد [٤٨٦/٣]: حدثنا أبو النضر حدثنا حزام بن إسماعيل العامري عن أبي إسحاق الشيباني عن أسير بن عمرو قال: دخلت على سهل بن حنيف فقلت: حدثني ما سمعت من النبي ﷺ لا أزيدك عليه شيئاً، سمعت رسول الله ﷺ يذكر قوماً يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية قال: قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه.

وقد أخرجه في الصحيحين [خ: (٦٩٣٤، ١٠٦٨)] من حديث عبد الواحد بن زياد ومسلم [١٠٦٨، ١٥٩، ١٦٠] من حديث علي بن مسهر والعوام بن حوشب والنسائي [كبرى (٨٠٩٠)] من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبي إسحاق الشيباني به.

وقد رواه مسلم [١٠٦٨، ١٥٩] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن أسير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف: سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته - وأشار بيده نحو المشرق - وقوم يقرؤون القرآن بالاستهم لا يعدو تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية». وحدثنا أبو كامل حدثنا عبد الواحد حدثنا سليمان الشيباني بهذا الإسناد [١٠٦٨، (١٠٠)] وقال: فيخرج منه أقوام».

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر: حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن أسير بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «يتيه قوم قبل المشرق حلقه رؤوسهم» [١٠٦٨، ١٦٠].

فلما سكنت عبرتها قالت: رحم الله عليا لقد كان على الحق، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأمانتها.

حديث آخر عن رجلين مُبهمين من الصحابة

قال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج: حدثني سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقبل لهما: ما أقدكما العراق؟ قالوا: رجونا أن نلذك هؤلاء القوم الذين ذكركم لنا رسول الله ﷺ، فوجدنا علي بن أبي طالب قد سبقنا إليهم - بعيننا أهل النهروان -

حديث آخر في مدح علي عليه السلام قتال الخوارج

قال الإمام أحمد [٨٧/٣]: حدثنا حسين بن محمد حدثنا فطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة اليربدي عن أبيه قال: سمعت أبا سعيد يقول: كنا جلوساً تنتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بيوت بعض نساءه قال: فقمنا معه، فانطلقت نغله فتخلف عليها علي يخضعها فمضى رسول الله ﷺ ومضيا معه ثم قام ينظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل علي تأويل القرآن كما قاتلت علي تزيلة فاستشرنا لها وفيها أبو بكر، وعمر فقال: «لا ولكنه خاضف النعل»، قال: فجننا بنشره قال: فكأنه قد سمعه. ورواه أحمد [٣٣/٣ و ٢٤٤/٦] عن وكيع وأبي أسامة عن فطر بن خليفة. فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو يعلى [مسند (٥١٩)]: حدثنا إسماعيل بن موسى حدثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال: سمعت علياً على منبركم هذا يقول: عهد لي النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والفاستين والمارقين.

وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن إسماعيل بن عبد البصري نا عباد بن يعقوب عن الربيع بن سهل الفزاري به، فإنه حديث غريب ومنكر، على أنه قد روي من طرق عن علي وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعني أهل الجمل والفاستين أهل الشام والفاست هو الجائر الظالم، والمارقين الخوارج، لأنهم مرقوا من الدين وأما الناكثون فهم أصحاب الجمل الذين عقدوا البيعة له ثم نكثوا، والله أعلم.

وقد روى هذا الحديث الحافظ أبو أحمد بن عدي في كامله عن أحمد بن جعفر البغدادي عن سليمان بن سيف عن عبيد الله بن موسى عن فطر عن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن علي قال: أمرت بقتال الناكثين والفاستين والمارقين.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٣٤٠/٨، ٣٤١]: أخبرني الأزهرى حدثنا محمد بن المظفر حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال: وجدت في كتاب جدي محمد بن ثابت حدثنا أشعث بن الحسن السلمي عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خليل المصري قال: سمعت علياً أمير المؤمنين يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والفاستين.

وقد رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجندسابوري أنا هارون بن إسحاق حدثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمي - أو سيكون بعدي من أمي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليفة» قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري أخا الحكم الغفاري ما حديث سمعته من أبي ذر كنا كذا؟ فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ. لم يروه البخاري.

الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة

قال الحافظ البيهقي [دلائل: ٦/ ٤٣٤]: أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا السري بن يحيى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا علي بن عياش عن حبيب عن سلمة. قال: قال لي علي: لقد علمت عائشة أن جيش المرواة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ قال ابن عياش: جيش المرواة قتلة عثمان رضي الله عنه.

وقال الهيثم بن عدي: حدثني إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل عن عائشة قال: بلغنا قتل علي الخوارج فقالت: قتل علي بن أبي طالب شيطان الردة - تعني المخدج.

وقال البزار: حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا سهل بن عامر البجلي حدثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: «شرار أمي يقتلهم خيار أمي».

قال: وحدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا حسين بن محمد حدثنا سليمان بن قرم حدثنا عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ فذكر غوه قال: فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان. ثم قال البزار: لا نعلم روى عطاء عن أبي الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم.

قلت: وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الإسناد الأول يشهد له كما أن هذا يشهد لذلك فهما متعاصلان، وهو غريب من حديث عائشة، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شداد عن علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولا سيما خبر ذي الثدية كما تقدم، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلائل النبوة، كما ذكره غير واحد من الأئمة في دلائل النبوة والله تعالى أعلم.

وقد سئلت: سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتبته من طرق متعددة.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل [٦/ ٤٣٥، ٤٣٥]: أنا أبو عبد الله الحافظ أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعة حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة الكاتب حدثني عمر بن عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح، قال: هذا كتاب جدي محمد بن أبان فقرأت فيه: حديث الحسن بن الحر، حديث الحكم بن عتيبة وعبد الله بن أبي السفر عن عامر الشعبي عن مسروق قال: قالت عائشة: عندك علم من ذي الثدية الذي أصابه علي في الخروية قال: قلت: لا قالت: فكتب لي بشهادة من شهدهم، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتب شهادة عشرة من كل سبط ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها، قالت: أكل هؤلاء عابثوه؟ قلت: لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عابثوه، فقالت: لعن الله فلانا فإنه كتب إلي أنه أصابهم ببئس مصر. ثم أرخت عينها فبكت

علي بن عبد الله المقرئ حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف حدثنا محمد بن جعفر المطيري حدثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى حدثنا الملعى بن عبد الرحمن ببغداد حدثنا شريك عن سليمان بن مهران الأعشى قال: حدثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالاً: أتينا أبا أيوب بن نصر بن منصوره من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب! إن الله أكرمك بتزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حين أساخت بيباك دون الناس ثم جث بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فاما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل، طلحة والزبير، واما القاسطون فهنا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمر - واما المارقون فهم أهل الطرافات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي فإنه لن يذليكي في ردي ولن يغربك من هدي، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار! فقلنا: يا هذا! حبسك رحمة الله! حبسك رحمة الله!

هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من جهة الملعى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث، والله أعلم.

قلت: هذا الحديث إن صح بعضه ففي بعضه زيادات موضوعة من وضع الرافضة، والملعى بن عبد الرحمن لا يلتفت إليه.

خطبة علي بعد النهروان

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال: وذكر عيسى بن داب قال: لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال بعد حمد الله والتناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ.

أما بعد: فإن الله قد أعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين نقد نبلنا وكلت سيوفنا ونصلت أسننتنا، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من فارقتنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا - وكان الذي تكلم بهذا الأشعث بن قيس الكندي فيأبهم وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا ممسكهم ويوطئوا أنفسهم على جهاد عدوهم ويقلروا زيارة نساءهم وإنسانهم، فقاموا معه أياماً متمسكين برأيه وقوله، ثم تسلاوا حتى لم يبق معه منهم أحد إلا رؤوس أصحابه، فقام علي فيهم خطيباً فقال: الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح وناشر الموتى وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد بالإيمان والجهاد في سبيله وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائضه، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه مناة للفقر مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مشاة في المال، مناة في الأجل، عجة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفير

الأحر - عن عبد الجبار الحمدي عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي قال: أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين.

وقال الحاكم أبو عبد الله: أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن نجيم الحنظلي بقطرة بردان حدثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي حدثني أبي حدثني عمي عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جندة عن علي رضي الله عنه قال: أمرت بقتال ثلاثة، القاسطين، والناكثين، والمارقين. فاما القاسطون فأهل الشام، واما الناكثون فذكرهم، واما المارقون فأهل النهروان - يعني الحرورية -

وقال الحافظ ابن عساكر: أنا أبو القسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين حدثنا محمد بن أحمد الصوفي حدثنا محمد بن عمرو الباهلي حدثنا كثير بن يحيى حدثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

حديث ابن مسعود في ذلك

قال الحاكم: حدثنا الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنا الحسن بن علي حدثنا زكريا بن يحيى الحراري المقرئ حدثنا إسماعيل بن عباد المقرئ حدثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاء علي فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي!

حديث أبي سعيد في ذلك

قال الحاكم: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني حدثنا الحسين بن الحكم الحبري حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدني عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر!

حديث أبي أيوب في ذلك

قال الحاكم: أنا أبو الحسن علي بن حماد العدل حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل حدثنا عبد العزيز بن الخطاب حدثنا محمد بن كثير عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن نخف بن سليم. قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جثت تقتاتل المسلمين؟ فقال: «أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين».

وقال الحاكم: وحدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه حدثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل حدثني أبو زيد الأحول عن عتاب بن ثعلبة حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب.

وقال الخطيب البغدادي (الربيع بعد ١٨٦/١٣، ٢١٨٧): حدثنا الحسن بن

عنه أعوز، وغائب عنه أعجز: ألا وإنكم قد أمرتم بالظن، ولتتم على الزاد فاعملوا على المراد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى، فطول الأمل يُسيئ الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكرونا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد روي لها شواهد من وجوه آخر متصلة ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله: ٩٠/٥، ٩١: أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب معه إلى الشام خطبهم فوجهم وأنهم وتوعدهم وتهدهم وتلا عليهم في الجهاد آيات من القرآن من سور متفرقة، وحثهم على المسير إلى عدوهم وتابوا على ذلك وخالفوه ولم يوافقوه، واستمروا في بلادهم، وانصرفوا عنه ها هنا وها هنا، قيل: إن ذلك بسبب قتله الخوارج لأنهم كانوا قراباتهم وإخوانهم، ويرونهم أفضلهم وأخبرهم لبائدهم وقراءتهم فتناقلوا عنه وهجروه فدخل على الكوفة في حالة الله بها أعلم.

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي عليه السلام بعد قتله أهل النهروان رجل يقال له: الحارث بن راشد الناجي، قدم مع أهل البصرة، فقال لعلي: إنك قد قتلت أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك قصة قضية التحكيم وتزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهدك وميثاقك، وإنك لست بانقضها، وهذان الحكماء قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا في ولاية معاوية فولاة عمرو وامتنع أبو موسى من ولايته، فأنت مخلوع باتفاقهما، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك، واتبع الحارث على مقاتله هذه بشر كثير من قومه - بني ناجية وغيرهم ونحيزوا ناحية، فبعث إليهم علي معقل بن قيس الرياحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسى من بني ناجية خمسمائة أهل بيت تقدم بهم علي عليه السلام فقتلهم رجل يقال له: مصقلة بن هبيرة أبو المنلس - وكان عاملاً لعلي عليه السلام على بعض الأقاليم - فنضّر السي إليه وشكوا ما هم فيه، فاشتراطهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف وأعقهم، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة، فكتب معقل إلى ابن عباس في ذلك فقال له مصقلة: إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب من ابن عباس إلى علي عليه السلام فطالبه علي بالثمن فدفع إليه من الثمن مائتي ألف ثم هرب فلحق بمعاوية بن أبي سفيان بالشام، فأمضى علي عتقهم وقال: ما بقي من المال في ذمة مصقلة؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت.

وقد روى الهيثم عن سفيان الثوري وإسرائيل عن عمار الدُّهني عن أبي الطفيل أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم معقل بن قيس فسباهم فاشتراطهم مصقلة من علي ثلاثمائة ألف فاعتقهم ثم هرب إلى معاوية. قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بهي من العرب ارتدوا عن الإسلام بعد الردة التي كانت في أيام الصديق.

للخطبة وتطقى غضب الرب وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد الله المتقين فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدي، واستأثروا بستره فإنه أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، واحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هدبتم لعلهم فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل يغير علم كالجاهل الخائر الذي لا يستقيم من جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم، والحسرة أدم على هذا العالم المنسلخ من علمه وضرره على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما حائر مضلل مثير، لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتنهلوا، ولا تنهلوا في الحق فتخسروا، ألا وإن من ألزم أن يتقوا، ومن الثقة أن لا تغتروا، وإن أنصحتكم لنفسي أطوعمكم لربي وإن أفشيتكم لنفسي أعصاكم لربي، من يطع الله يأمن ويستبشّر، ومن يعص الله يخف ويندم، سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن عمدتها شرها وكل عمدة بدعة وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث عدت بدعة إلا ترك بها سنة، المغبون من غبن دينه، والمفتون من خسر نفسه، وإن الرياء من الشرك، وإن الإخلاص من العلم والإيمان، ومجالس اللهو تنسي القرآن، ويغضرها الشيطان، وتدعو إلى كل غي، ومحادثة النساء تزيج القلوب وتطمح إليهن الأبصار، وهي مصائد الشيطان، فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب بجانب للإيمان ألا إن الصادق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكاذب على شرف ردى وهلكة، ألا وقولوا الحق ترفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تناقضوا بالأبواء، ولا تنازبوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغلوم وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٢: ١٩٣] وأكرموا الضيف، واحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنازة، وكونوا عباد الله إخواناً.

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأدنت بولع، وإن الآخرة قد اظلمت واشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة والغاية الجنة أو النار، ألا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل حيث عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله، وضره أمله، ألا فاعملوا في الرغبة والرهبة فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تآذن المسلمين بالحسن، ولمن شكر بالزيادة، وإنني لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكيس من مكتسب يكتب شيئاً اليوم يدخره ليوم تنفع فيه الدخائر، وتبلى فيه السرائر، يجمع فيه المؤمن والكافر، ألا، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فغايه

وقال الهيثم: حدثني عبيد الله بن عجم بن طرقة الطائي حدثني أبي أن عدي بن حاتم قال مرة لعلي بن أبي طالب وهو يغضب: قتلنا أهل

التهروان على إنكار الحكومة، وقتلت الخُرَيت بن راشد على مسالته إياك الحكومة، والله ما بينهما موضع قدم. فقال له علي: أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضيع بجبلي طمخ بالأمس. فقال له عدي: وأنت والله قد رأيتك بالأمس تأكل البلح بالمدينة. قال الهيثم: ثم خرج رجل على علي من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف الشيباني، فقتل هو وأصحابه، قال: ثم خرج عليه الأشهب بن بشر الجبلي ثم أخذ عرينة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه. قال: ثم خرج على علي سعيد بن بن قفل التيمي، تيم ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقتطرة درزيان فوق المدائن. قال الهيثم: أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن شيبخة.

فصل

ذكر ابن جرير (رحمته: ٩١/٥) عن أبي مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال علي للخوارج يوم النهروان، كان في هذه السنة - أهي سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير: وأكثر أهل السير على أن ذلك كان في سنة ثمان وثلاثين. وصححه ابن جرير.

قلت: وهو الأشبه كما سنبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير (رحمته: ٩٢/٥، ٩٣): وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب علي على اليمن وغاليها. وكان نائب مكة ثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل: سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى مصر محمد بن أبي بكر الصديق، وأمير المؤمنين علي مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام. قلت: ومن يشه أن يأخذ بلاد مصر من محمد بن أبي بكر الصديق.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ خباب بن الأرت بن جدلة بن معد بن خزاعة: كان قد أصابه سباه في الجاهلية فاشتريته أم آثار الخزاعية التي كانت تحب النساء، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد حالف خباب بني زهرة.

أسلم خباب قديماً قبل دار الأرقم، وكان ممن يؤذى في الله فيصير ويحتسب، وهاجر وشهد بدرأ وما بعدها من المشاهد.

قال الشعبي: دخل خباب يوماً على عمر فآكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال. فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من منعه، وإني كنت لا ناصر لي والله لقد سلفوني يوماً في نار أجبروا ووضع رجل منهم رجله على صدري فما اتبعت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص رضي الله عنه.

ولما مرض دخل عليه ناس من الصحابة يعودونه فقالوا: أبشر غداً تلقى الأحبة عمداً وحزبه فقال: والله إخواني مضوا ولم ياكلوا من أجرم شيئاً، ولنا قد أئمت لنا ثمرتها فنحن نهذبها، فهذا الذي يهمني.

قالوا: وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة.

■ خزاعة بن ثابت ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ذو

■ عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله ﷺ. وقد تقدم مع كتاب الوحي

■ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلي فأخذها بعده الأشتر.

■ عبد الله بن خباب بن الأرت. ولد في زمن النبي ﷺ وكان مرصوفاً بالخير، قتله الخوارج كما قدمنا بالتهروان في هذه السنة، فلما جاء علي قال لهم: أعطونا قتله ثم أنتم آمنون فقالوا: كلنا قتله فقتلهم.

■ عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أحد كتاب الوحي أيضاً، أسلم قديماً وكتب الوحي ثم ارتد عن الإسلام ثم عاد إلى الإسلام عام الفتح واستأمن له عثمان - وكان أخاه لأمه - وحسن إسلامه وقد ولاه عثمان

نيابة مصر بعد عمرو بن العاص، فغزا إفريقية وبلاد التوبة، وفتح الأندلس وغزا ذات الصواري مع الروم في البحر فقتل منهم ما صيغ وجه الماء من الدماء، ثم لما حصر عثمان تنلب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل علياً ومعاوية، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضي الله عنه.

■ عمار بن ياسر أبو اليقظان العبسي من عبس اليمن، وهو حليف بني خزوم، أسلم قديماً وكان ممن يعذب في الله هو وأبوه وأمه سمية، ويقال: إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته تبعده فيه، وقد شهد بدرأ وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وكان مع علي، وأخبر رسول الله ﷺ أنه يقتله الفتنة الباغية.

وروى الترمذي (٣٧٩٧) من حديث الحسن بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة، علي وعمار وسلمان»

وروى الثوري عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله ﷺ فقال: «مرحبا بالطيب المطيب».

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى حدثني نصر حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لقد ملئ عمار إيماناً من قدمه إلى مشائه».

وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فإنه حشي ما بين أخصر قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً.

وحدثنا يحيى حدثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال: أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثني قال: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشككتني إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا خالد! لا تؤذ عماراً فإنه من يئضض عماراً يئضض الله، ومن يعاد عماراً يعاده الله» قال: فرضت له بعد ذلك فسالت ما في نفسه.

وله أحاديث كثيرة في فضائله رضي الله عنه.

قتل بصفين عن إحدى وثلاث وثلاثين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتر رأسه، ثم اختصما إلى معاوية

النخعي.

ولما بلغ ذلك علياً تأسف على شجاعته وغناؤه، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر، ولكنه ضعف جاشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين يبلد خربنا وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف علي من صفين، وحين كان من أمر التحكيم ما كان، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام معه. وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بلومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوي أمرهم جداً، فعند ذلك جمع معاوية أمراء عمرو بن العاص وشرجيل بن السمط وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد والضحاك بن قيس، ويشر بن أبي أوطاة، وأبا الأعور السلمي، وحمزة بن سنان الحمداني وغيرهم، فاستشارهم في السير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا: سر حيث شئت فنحن معك. وعين معاوية نيايتها لعمر بن العاص إذا فتحها ففرح بذلك عمرو، ثم قال لمعاوية: أرى أن تبعث إليهم رجلاً معه جنوداً مأمون عارف بالحرب، فإن بها جماعة ممن يوالي عثمان فيساعده على حرب من خالفهم، فقال معاوية: لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا ممن هنالك كتاباً نعلمهم بقدمونا عليهم، ونبعث إلى مخالفتنا كتاباً ندعومهم فيه إلى الصلح. وقال معاوية لعمر بن العاص: إنك يا عمرو رجل يورك لك في المجلة وإني امرؤ يورك لي في التؤدة، فقال عمرو: افعل ما أراك الله، وما أرى أمرك وأمرهم إلا سيصير إلى الحرب العوان.

فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن غلدة الأنصاري، وإلى معاوية بن حديج السكوني - وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر - وكانا ممن لم يبيع علياً ولم ياتم بامر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف - يحزهم بقدوم الجيش إليهم سريعاً، ويبعث به مع مولى له يقال له سبيع. فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن حديج فرحوا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولم يبعثه من الجيش.

فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، وخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرق والمهل والتؤدة، وأن يقتل من قاتل ويعفو عن أدير، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك أثر الناس عنك.

فسار عمرو بن العاص، فلما دخل مصر، اجتمعت عليه العثمانية فقادهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أما بعد فتفتح عني بدمك، فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك، وندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان، فخرج منها فاني لك لمن الناصحين والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه: أما بعد فإن غيب البغي والظلم عظيم الويل، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم فاعله من النعمة في الدنيا والتبعة الموقفة في الآخرة وإننا لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاصك بين حشاشته وأوداجه، ثم أنت نظن أني عنك نادم أو لنفعلك ناس ذلك لك، حتى تأتي فتتأمر على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصارى وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام.

قال: فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدوم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية، فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلي بأموال ورجال والسلام.

فكتب إليه علي يأمره بالصبر ومجاهدة العدو، وأنه سيبعث إليه

إليهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص: أتدنا، فوالله إنكما لتختصمان في النار. فسمعها منه معاوية فلامه على تسجيحه إياهما ذلك، فقال له عمرو: والله إنك لتعلم ذلك، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

قال الواقدي: حدثني الحسن بن الحسين بن عمار عن أبي إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يفسله وصلى معه على هاشم بن عتبة، فكان عمار مما يلي علياً، وهاشم إلى نحو القبلة. قالوا: وقبر هنالك، وكان آدم اللون، طويلاً بعيداً ما بين المنكين: أشهل العينين، رجلاً لا يغير شبيهه رضي الله عنه.

■ **الربيع بن معوذ بن عفراء:** أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الغزوات فتدأري الجرحى، وتسقي الماء للكلمى وغيرهم، وروت أحاديث كثيرة.

وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلق كثير وجم غفير.

فقيل: قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً وقيل: قتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً. وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً - من مائة وعشرين ألفاً - وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً. وبالجملة فقد كان في قتلى الفريقين أعيان ومشاهير يطول استقصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستتاب معاوية عمراً عليها، وذلك كما سنبينه، وقد كان علي رضي الله عنه استتاب علياً قيس بن سعد بن عباد واتزعا من يد محمد بن أبي حذيفة وقد كان بن أبي سرح نائب عثمان عليها، وكان عثمان قد عزل عنها عمرو بن العاص وكان عمرو هو الذي افتتحها، كما تقدم ذلك. ثم إن علياً عزل قيس بن سعد وولى عليها محمد بن أبي بكر وكان قيس كفواً لمعاوية وعمرو، فلما ولي محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى علي بالعراق فكان معه، وكان معاوية يقول: والله لقيس بن سعد عند علي أبغض إلي من مائة ألف مقاتل تكون معه بدله.

فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاباً ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم علي على رد مصر إلى قيس بن سعد إليها، وكان علي قد جعله على شرطته وقيل: إنه استمر بقيس عنده، وولّى الأشتر النخعي مصر، وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين، فكتب إليه فاستقله عليه وولاه مصر.

فلما بلغ معاوية تولية علي للأشتر النخعي مصر بدل محمد بن أبي بكر، وعلم أن الأشتر سيجتمعها منه لجراته وشجاعته، سار الأشتر إليها فلما بلغ القلزم استقبله الجليبار وهو مقدم علي على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شرباً من عسل فمات منه، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا: إن لله جنوداً من عسل.

وقد ذكر ابن جرير في تاريخه (٩٥/٥) أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحث على الأشتر فيقتله ووعده على ذلك بأمر ففعل ذلك. وفي هذا نظر، ويتقدير صحته فإن معاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضي الله عنه.

والمقصود أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر

الرجال والأموال، وعمده بالجور.

وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية كتاباً في جواب مقال وفيه غلظة، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص فيه كلام غليظ. وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام.

وتقدم عمرو بن العاص إلى مصر في جيوشه، ومن لحق به من العثمانيّة، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً، وركب محمد بن أبي بكر في قريب من ألفي فارس وهم الذين انتلبوا معه من أهل مصر وقدم بين يديه جيشه كثانة بن بشر فجعل لا يلقى أحداً من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو بن العاص، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن حنظلة فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب، فزجل عند ذلك كثانة وهو يئس «وما كان لنس أن نموت إلا بإذن الله كتاباً موجلاً» (ال عمران: ١٤٥) ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع بمشي فرأى خربة فاوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر ودفع معاوية بن حنظلة في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعلوج في الطريق فقال لهم: هل من بكم أحد تستكرونها؟ قالوا: لا! فقال رجل منهم: إني رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة، فقال: هو هو ورب الكعبة. فدخلوا عليه فاستخرجوه منها - وقد كاد يموت عطشاً - فأنطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان قد قدم معه إلى مصر - فقال: أقتل أخي صبراً؟

فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن حنظلة أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله فقال معاوية: كلا والله، أقتلون كثانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر، وقد كان في من قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء، فلم يسقوه؟ وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية: لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً، إنكم منتم عثمان أن يشرب الماء حتى تقتلوه صائماً غمراً فتلقاه الله بالرحيق المختوم.

وقد ذكر ابن جرير (١٠٤/٥) أن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن حنظلة هذا وشتمه ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً، فعند ذلك غضب معاوية بن حنظلة فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص دير الصلوات.

وذكر الواقدي أن عمرو بن العاص قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمساة فاقبلوا قتالاً شديداً حتى قتل كثانة بن بشر بن غياث النخعي، فهرب عند ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جلبة بن مسروق، فدل عليه فجاء معاوية بن حنظلة وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل.

قال الواقدي: وكان ذلك في صفر من هذه السنة.

قال الواقدي: ولما قتل محمد بن أبي بكر بعث علي الأشتر النخعي إلى مصر فمات في الطريق فآله أعلم.

قال: وكانت أدوخ في شعبان في هذه السنة أيضاً، فلما قتل محمد بن أبي بكر، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة.

وقد زعم هشام بن محمد الكلبي أن محمد بن أبي حنيفة بن عتيك،

سبك في هذه السنة بعد مقتل محمد بن أبي بكر - وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن - وكان معاوية يحب غيابه فيما يرون - فلحقه رجل من خشم يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام وكان عثمانياً شجاعاً - بأرض البلقاء من بلاد حوران فاختفى محمد بن أبي حنيفة بفار فجاءه حر وحش لتأوى إلى ذلك الغار لما رآه فيه ففترتها فتعجب من نفرتها جماعة من الحصادين هنالك، فذهبوا إلى الغار محمد بن أبي حنيفة، فخشي عبد الله بن ظلام أن يردّه إلى معاوية فيعفو عنه، فضرب عنقه هنالك.

هكذا ذكر ذلك ابن الكلبي. وقد ذكر الواقدي وغيره أن محمد بن أبي حنيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قلنا فآله أعلم.

وقال إبراهيم بن الحسين بن ذريل في كتابه: حدثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لمية عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبلي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بضعا وخمسين إردبا دنائير، قال أبو صالح: والإردب ست وبيات والويزة مثل الفقيز واعتبرنا الويزة فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار.

قلت: فعلى هذا يكون مبلغ ما أخذ منه ثلاثة عشر ألف ألف دينار. قال أبو غنم بإسناده: ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان بمصر من الأمر، وتلك عمرو مصر، واجتماع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة، فلما كان الغد خرج بمشي إليها حتى نزها فلم يخرج إليه منهم أحد، فلما كان العشي بعث إلى أشرفهم فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاي بكم ونحن لا يطع إذا أمرت، ولا يجب إذا دعوت، أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفافة الطغاة فيبتغونه بغير عطاء ولا موعنة، ويحيونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء؟ وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس على المعونة والعطاء فتفترقون وتضرون عني وتعصوني وتختلون علي؟ فقام إليه مالك بن كعب الهذلي ثم الأرحبي فندب الناس إلى امتثال أمر علي والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خسا، ثم قدم على علي جماعة ممن كان محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو بها، فبعث إلى مالك بن كعب فردّه من الطريق - وذلك أنه خشي عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر.

واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، والخروج عليه وانتقاد أحكامه ورد وأقواله وحلّ إرامه، لجهلهم وقلة عقولهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم، ولما جاء علياً الخبر من مصر، وما حلّ بها، وقتل محمد بن أبي بكر حزن على محمد حزناً كثيراً، وترحم ورثي الحزن والكتابة عليه مع ما اجتمع عليه من مخالفة أهل العراق له، ثم قال للناس: إني والله مواضع الحرب لجدير بخير، وإنني لأعرف وجه الحزم، وأقوم فيكم بالرأي المصيب، فاستصرخكم معلناً وأناذيتكم نداء المستنثي، ولا أرى فيكم مغيثاً، ولا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة فأثم والله القوم لا يدرك بكم ثار، دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ خمسين كلية فتجر جرحتم جرجرة

وإبشروا في قتالهم بالأجر إنما تقتاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً كسروا الخراج، ولصوصاً وأكراداً، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد. ثم تقدم فحرك دابته فخرىكين ثم حمل عليهم في الثالثة وحملنا معه جميعاً، فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلاثمائة، وفر الخريز متهماً حتى لحق بأسياف - وبها جماعة من قومه كثيرة - فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر، قتله النعمان بن صهبان، وقتل معه في المعركة مائة وسبعون رجلاً. ثم ذكر ابن جرير (رحمته: ١٧٢/٥) وقعات كثيرة كانت فيها بين أصحاب علي والخوارج.

ثم قال: حدثني عمر بن شبة حدثنا أبو الحسن - يعني المدائني - علي بن محمد عن علي بن مجاهد قال: قال الشعبي: لما قتل علي أهل النهر خالفه قوم كثيرون، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة، وانتقض أهل الجبال، وطعم أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها لعلي - فأشار ابن عباس يزيد بن أبيه أن يوليها إياها فولاه إياها فصار إليها في السنة الآتية في جمع كثير، فوطئهم حتى أدوا الخراج.

قال بن جرير (رحمته: ١٧٢/٥) وغيره: وحج بالناس في هذه السنة قسم بن العباس، نائب علي على مكة، وكان أخوه عبيد الله بن عباس نائب اليمن، وأخوهما عبد الله بن عباس نائب البصرة، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة، وعلى خراسان خالد بن قرّة اليربوعي وقيل: ابن أزي، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستتاب عليها عمرو بن العاص والله أعلم.

ذَكَرَ مَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ

■ سهل بن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، وثبت يوم أُحُدٍ، وحضر بقیة المشاهيد، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب، وقد شهد معه مشاهدته كلها أيضاً غير الجمل، فإنه كان قد استخلفه على المدينة. ومات سهلاً بن حنيف في هذه السنة بالكوفة، وصلى عليه علي فكبّر عليه خساً، وقيل ستاً. وقال: إنه من أهل بدر. رضي الله عنه.

■ صفوان ابن يحيى أخو سهل ابن يحيى شهد المشاهيد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في هذه السنة في رمضان منها، وليس له عقب.

■ صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى الرومي، وأصله من اليمن، من قاسط، وكان أبو أو عنه معلماً لكثيري على الألب، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل - وقيل: على الفرات - فأغاروا على بلادهم الروم فأسرتوه وهو صغير، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بن كلب فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جُدعان فأعطاه وأقام بمكة حيناً، فلما بعث رسول الله ﷺ، آمن به قديماً هو وعمر بن ياسر في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين الذين يُعَذِّبون في الله عز وجل، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يَصْنُوه عن الهجرة، فلما أحس بهم تلى كتابته بين يديه وقال لهم: والله لقد علمتم أنني من أركانكم رجلاً، والله لا تصلون إلي حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم، ثم أقاتلكم بسيفي حتى أقتل، وإن كنتم تريدون المال فأتوا أذكلكم على مالي، هو مدفون في مكان كذا وكذا، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله، فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له: فزيع

الحمل الأشد، وتناقلتم إلى الأرض تناقل من ليست له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر. ثم خرج إلي منكم مرائب كأنها يساقون إلى الموت وهم ينظرون فأف لكم.

ثم كتب علي عند ذلك إلى ابن عباس وهو نائبه على البصرة يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة، ويقول:

إني دعوتهم إلى غوث إخوانهم فمنهم من أتى كارهاً، ومنهم المعتذر كاذباً. أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً ومخرجاً، وأن يريحي منهم عاجلاً. ولولا ما أحاول من الشهادة لأحببت أن لا أبقي مع هؤلاء يوماً واحداً. عزم الله لنا ولكم ذلك على تقواه وهذه إنه على كل شيء قدير والسلام. فرد عليه ابن عباس يسليه عن الناس، ويعزيه في محمد بن أبي بكر ويحثه على ملاحظة الناس والصبر على سيئتهم فإن ثواب الله خير وأبقى، وقال له: إن الناس ربما تناقلوا ثم نشطوا، فافرق بهم يا أمير المؤمنين. ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زبناً.

وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعهم إلى الإقرار بما حكم له به عمرو بن العاص، فلما قدما نزل علي بن عبيد بن جهم فاجاروه فنهب إليه زياد وبعث إليه علي بن أبي طالب أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فثاروا إليهم فاقتلوا فقتل أعين بن ضبيعة، أمير السرية التي بعثها علي فكتب نائب ابن عباس زياد إلى علي يعلم بما وقع بالبصرة من المخالفة بعد خروج ابن عباس منها، فبعث عند ذلك علي جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي فقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه، قيل: كان عددهم أربعين رجلاً، وقيل سبعين، فحرقهم بالنار بعد أن أعلن إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤوا له من جهة معاوية.

قتال أهل النهروان، وغير ذلك

وقد صحح ابن جرير (رحمته: ٩١/٥) أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة، وكذلك خروج الخريز بن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً، وكان مع الخريز ثلاثمائة رجل من قومه بني ناجية - وكان مع علي بالكوفة - فجاه إلى علي فقام بين يديه وقال: والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك، إني لك غدا لمفارق. فقال له علي: تكلتك أمك إذا تعصي ربك وتتقض عهدك ولا تضر إلا نفسك، ولم تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكمت في الكتاب وضعت عن قيام الحق إذ جد الجدل، وركنت إلى القوم الظالمين، فأتا عليك زار وعليك ناظم، وإننا لكم جميعاً ميانون. ثم رجع إلى أصحابه فصار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم علي معقل بن قيس ثم أوقفه بخالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً، ثم خرجوا في آثار الخريز وأصحابه فلحقهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز قال: فصفنا لهم ثم أقبلنا إليهم فجعل معقل على ميته يزيد بن معقل، وعلى مسيرته منجاب بن راشد الضبي، ووقف الخريز فيمن معه من العرب فكانوا مينة، وجعل من أتبعه من الأكراد والعلوج مسيرة، قال: وسار فبنا معقل بن قيس فقال: عباد الله لا تبدؤوا القوم وغضوا أبصاركم، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على الطمن والضرب،

ذلك، فقال في خطبته: يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمسئّر من مناسر أهل الشام قد أظلمكم، أنجز كل امرئ منكم في بيته، وغلّق عليه بابه، انجسار الضبّ في جحره، والضعب في وجاره، الغرور والله من غرغوره، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا مني بكم؟ غني لا تبصرون، وتكتم لا تنطقون، وصم لا تسمعون، إنا لله وإنا إليه راجعون. ودعمهم النعمان بن بشير في التي مقاتل وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسروا جفون سيوفهم واستقلوا أولئك، فاقتلوا قتالاً شديداً، فبينما هم كذلك إذ جاءهم غيلة من جهة يخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن غنم في خمسين رجلاً، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم، ففرّوا هرباً على وجوههم، فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس، وذهب الباقيون لا يلون على أحد حتى قدموا الشام ولم يتم لهم ما رجّوا من هذا الوجه. وفيها: بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف إلى هيت فيغيّر عليها، ثم يأتي الأنبار والمذائن. فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلّي نحو من خمسمائة ففرّقوا ولم يبق فيها إلا مائة رجل، فقاتلوا مع قلائهم وصبروا حتى قُتل أميرهم - وهو أشرس بن حسان البكري - في ثلاثين رجلاً من أصحابه، واحتمل الشاميون ما كان بالأنبار من الأموال وكروا راجعين إلى الشام، فلما بلغ علياً ما جرى لأهل الأنبار، ركب بنفسه فزل النخيلة، فقال له الناس: نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين. فقال: والله ما تكفوني ولا أنفسكم. وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم، فسار وراهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع.

وفيها: بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة إلى تيماء وأمره أن يصنّق أهل البوادي، ومن امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز. فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير، فلما بلغ علياً خبره بعث المسيّب بن نجبة الفزاري في ألفي رجل، فالتقوا بيماء فقاتلوا قتالاً شديداً عند زوال الشمس، وحمل المسيّب بن نجبة على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له: النجاء النجاء. فانحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به، وهرب بقيتهم إلى الشام، وانتهت الأعراب ما كان جمعه ابن مسعدة من إبل الصدقة، وحاصروهم المسيّب ثلاثة أيام، ثم ألقى الخطب على الباب والمب فيه النار، فلما أحسوا بالهلاك أشرّفوا من الحصن، ومثوا إليه بأنهم من قومه، فزقّ لهم وأطفا النار، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا منه هرباً إلى الشام، فقال عبد الرحمن بن شييب للمسيّب بن نجبة: سرّخي الحفهم. فقال: لا. فقال: غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم.

وفيها: وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره يغيّر على أطراف جيش علي، فبث إليه علي حُجْر بن عدي في أربعة آلاف وأثنى فيهم كل واحد خمسين درهماً وخمسين درهماً، فالتقوا بتمّر فقتل حُجْر من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حُجْر رجالان، وغشيهما الليل ففرّقوا، وانسمر الضحاك بأصحابه فأرأى إلى الشام.

وفيها: سار معاوية بنفسه في جيش كثير حتى بلغ دجلة ثم كرّ راجعاً. ذكره محمد بن سفيان، عن الواقدي بإسناده، وأبو معشر معه أيضاً. وفيها وثى علي بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة، وسبب ذلك ما تقدّم من قتل العلاء بن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة، كما تقدّم، فلما

البيع أبا يحيى. وأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207].

ورواه حماد بن سلمة، عن علي بن زياد، عن سعيد بن المسيّب قال: وشهد صهيّب بدرأ وما بعده، ولما طعن عمر، كان صهيّب هو الذي يصلي بالناس أيام الشورى حتى تغيّر عثمان، وهو الذي صلى على عمر، وكان له صاحباً وصديقاً.

وكان صهيّب أحرّ شديد الحرارة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أقرن الحاجبين كثير الشعر، وكان لسانه عجمة شديدة، وكان مع فضله ودينه فيه دُعابة وفكاهة وانتشاح، روي أن رسول الله ﷺ رآه يأكل بقرّاه رطباً وهو أرمد إحدى العينين، فقال: «فَأَتَاكَ رُطْباً وَأَنْتَ أَرْمَدٌ؟» فقال: «إِنَّمَا أَكَلُ مِنْ نَاحِيَةِ عَيْنِي الصَّحِيحَةِ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ.

وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين. وقد يُنَبّ على السبعين.

■ محمد بن أبي بكر الصديق ولد في حياة النبي ﷺ في حجة الوداع، تحت الشجرة عند الحرم، وأمه أسماء بنت عميس، ولما احتضر الصديق أوصى أن تشلّه فضلته، ثم لما انقضت عليها تزوجها علي فنشأ محمد في حجره، فلما صارت إليه الخلافة استأبى على مصر بعد قيس بن سعد بن عباد، كما تقدّم ذلك، فلما كانت هذه السنة قتل ببلاد مصر، وله من العمر دون الثلاثين سنة، رحمه الله ورضي عنه. وحزنت عليه عائشة وعلي وغيرهما.

■ أسماء بنت عميس بن مغلو بن الحارث، الخثعمية وهي أم محمد المذكور، أسلمت قديماً بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ووليت معه إلى خير، ولها منه عبد الله، ومحمد، وعزّز. ولما قتل جعفر بمؤتة، تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر أمير مصر. ثم لما مات الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعزّزاً، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأُمّها. وكذلك هي أخت أم الفضل امرأة العباس لأُمّها، وكان لها من الأخوات لأُمّها تسع أخوات، وهي أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس، التي له منها بنت اسمها عمارة.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

فيها فرّق معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة في أطراف معاملات علي بن أبي طالب، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولّاه عمرو بن العاص الخلافة بعد اتفاقه هو وأبو موسى علي خلع علي وعزله عن الأمر - أن ولايته صحيحة، وقد وقعت الموقعة، فهو الذي نجح طاعته فيما يتقدمه، ولأن أهل العراق قد خالفوا علياً فلا يطيعونه، ولا ياتمرون بأمره، فلا يحصل بمباشرة مقصود الولاية والإمارة، والحالة هذه، فأنا أولى منه؛ إذ كانت كلمة أهل الشام ومصر مجموعة علي، وهم طائفتان، ياتمرون بأمره، وكلّمتي نافذة فيهم. فعند ذلك جهّز الجيوش إلى أطراف ملكة علي، فكان ممن بعثه في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفي فارس إلى عين الثمر، وعليها مالك بن كعب في ألف فارس مسلحة لعلّي، فلما سجعوا بقدوم الشاميين أرفضوا عنه فلم يبق مع مالك إلا مائة رجل، فكتب عند ذلك إلى علي يغيّره بأمر النعمان، فندب علي الناس إلى إغاثة مالك بن كعب، فتأقّلوا عليه ونكّلوا، ولم يجيئوا إلى الخروج، فخطبهم علي عند

جيش، فساروا من الشام حتى قَدِمُوا المدينة وعاملُ عليٍّ عليها يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففرَّ منهم أبو أيوب فأتى عليًّا بالكوفة، ودخل بَسْرَ المدينة ولم يُقاتله أحدٌ، فصعد مِنبرها، فنادى على المنبر: يا دينارُ، وبالحجارِ، وبإزريقِ، شيخي شيخي! عهدي به ههنا بالأمس، فأين هو؟ يعني عثمان بن عفان، ثم قال: يا أهلَ المدينة، والله لولا ما عهد لي معاويةَ فيكم ما تركتُ بها مُحْتَلِمًا إِلَّا قَتَلْتُهُ. ثم بايع أهلَ المدينة، وأرسل إلى بني سُلَيْمَةَ، فقال: والله ما لكم عندي من أمان ولا مُبَايَعَةٍ حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، يعني حتى يبايعه، فانطلق جابرٌ إلى أم سُلَيْمَةَ فقال لها: ماذا تَرَيْنَ؟ إني خشيتُ أن أُقْتَلَ، وهذه بَيْعَةُ ضلالةٍ. فقالت: أرى أن تَبَايَعُ، فإني قد أَمَرْتُ ابني عمرَ، وختني عبدَ اللَّهِ بنَ رُمَيْثَةَ، وهو زوجُ ابنتي زينب، أن يبايعا. فأتاه جابرٌ قَبْلَتَهُ.

قال: وهذُمُ بَسْرَ دروا بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مَكَّةَ، فخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله، فقال له بَسْرٌ: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك. فخلى عنه، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أنْ خِلا مبعوثاً من عند معاويةَ تقتلُ من أبي أن يُقرَّ بالحكومة، ثم مضى بَسْرٌ إلى اليمن، وعليها عبيدُ اللَّهِ بن عباس ففرَّ إلى الكوفة حتى لحق بعليٍّ، واستخلف على اليمن عبدُ اللَّهِ بن عبد المطلب الحارثي. فلما دخل بَسْرٌ اليمن قتله، وقتل ابنه، ولقى بَسْرٌ قَتْلَ عبيدِ اللَّهِ بن عباس وفيه إيتان له صغيران فقتلهما، وهما: عبدُ الرحمن، وقَتَمَ، وقيل: إنه دَبَّحهما بين يدي أمهما فزاع عقلاً ووَسَّوَسَتْ ثَمَارَاتُ، فكانت بعد ذلك تَقْفُ في المواسم مبهوتة زائفة الغل، تندب ولديها. ويقال: إن بَسْرًا قتل في مسيره هذا خلقاً من شيعة عليٍّ. وهذا الخبرُ مشهورٌ عند أصحاب المغازي والسِّيَر، وفي صحته عندي نظرٌ. والله تعالى أعلم. ولما بلغ عليًّا خبرُ بَسْرٍ وجه جاريةٌ بن قُدَامَةَ في الفين، وهَبَّتْ بن مسعودٍ في الفين، فسار جارية حتى بلغ غمران فحرق بها، وقتل ناساً من شيعة عثمان، وهرب بَسْرٌ وأصحابه، فأتبهم حتى بلغ مَكَّةَ. فقال لهم جارية: بايعوا. فقالوا: لمن نَبَايَعُ وقد هلك أميرُ المؤمنين! فلمن نَبَايَعُ؟ فقال: بايعوا لمن بايع له أصحاب عليٍّ فتناقلوا، ثم بايعوا حين خافوا. ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يُصلي بهم، فهرب منه، فقال جارية: والله، لو أخذتُ أبا سَؤَرَ لضربتُ عُنُقَهُ. ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن عليٍّ. فبايعوا، وأقام عندهم يوماً، ثم خرج مُتَضَرِّفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة يُصلي بهم.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة جرت بين عليٍّ ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذِكْرُها، على وضع الحرب بينهما، وأن يكون مُلْكُ العراق لعليٍّ، ولمعاوية مُلْكُ الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة.

ثم ذكر عن زياد، عن ابن إسحاق ما هذا مَضْمُونُهُ، أن معاوية كتب إلى عليٍّ: أما بعد، فإن قد قتل بعضُها بعضاً بيني وبينك، فلك العراق ولي الشام. فآقره عليٌّ على ذلك. وأمسك كل منهما عن قتال الآخر، وبعث الجيوش إلى بلاده، واستقر الأمرُ على ذلك.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مَكَّةَ، وترك العمل، في قول عامة أهل السِّيَر، وقد أنكر ذلك بعضهم، وزعم أنه لم يَزَلْ عاملاً على البصرة حتى صالح الحسن بن عليٍّ معاوية، وأنه كان شاهداً الصلح، كما نصَّ على ذلك أبو عبيدة، وغيره.

ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة، وذلك أنه كلَّم أبا الأسود الدؤلي - وكان قاضياً عليها - بكلام فيه غَضٌّ من أبي الأسود، فكتب أبو الأسود إلى عليٍّ يُشْكُو إليه ابن عباس، ويتألَّ من عرضه، بأنه

اشتهر هذا الصنيع في البلاد شَرَّسَ قلوبَ كثير من الناس وأنكروه جثاً، واختلفوا على عليٍّ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي الخراج، ولا سيما أهل فارس فإنهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حَنْظَلٍ عنهم، فاستشار عليٌّ الناس في من يُوليه عليهم، فأشار ابنُ عباس وجاريةٌ بن قُدَامَةَ أن يُولى عليهم زياد بن أبيه، فإنه صلبُ الرأي، علمُ بالسياسة. فقال عليٌّ: هو لها. فولَّاه عليٍّ فارس وكرمان فجَهَّزَهُ إليها في أربعة آلاف فارس، فسار إليها في هذه السنة فلوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج، ورجعوا إلى السمع والطاعة، وسار فيهم بالعتلة والأمانة، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون: ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداورة والعلم بما ياتي وما يذر، وصنفت له تلك البلاد ببدله وعلمه وصرامته، واتخذ للمال قلعةً حصينة، فكانت تُعرفُ بقلعة زياد، ثم لما تحصن فيها منصورُ الشكري فيما بعد ذلك، عُرفت به، فكان يقال لها: قلعة منصور.

قال الواقدي: وفي هذه السنة بعث عليٌّ بن أبي طالب عبيدَ اللَّهِ بن عباس على الموسم، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهموي ليقيم للناس الحج، فلما اجتمعا بكَّةً تنازعا، وأبى كل واحدٍ منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيعة بن عثمان بن أبي طلحة الحنظلي فحجَّ بالناس، وصلى بهم في أيام الموسم.

قال أبو الحسن المدائني: لم يشهد عبدُ اللَّهِ بن عباس الموسم في أيام عليٍّ حتى قتل، والذي تنازع يزيد بن شجرة إنما هو قَتَمُ بنُ العباس، حتى اصطلحا على شيعة بن عثمان قال ابن جرير: وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو معشر.

قال ابن جرير: وأما عمَّالُ عليٍّ على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية، غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة، واستخلف على البصرة زياد بن أبيه، ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا.

ذِكْرُ مَنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

■ سعدُ القَرظُ مؤذنُ مسجدِ قباء في زمان رسول الله ﷺ، فلما ولي عمرُ الخلافة ولَّاهُ أذانَ المسجد النبوي، وكان أصله مولى لعُمار بن ياسر، وهو الذي كان يحملُ التَّزَنَةَ بين يدي أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ إلى المصلَّى يومَ العيد، ويقى الأذان في ذِيتِه مدةً طويلةً.

■ عَقِبَةُ بن عمرو بن لعلية، أبو مسعود البَغْدَازي سكن مائة بدر فَنُسِبَ إليه، ولم يَهْتَدِ الرُّقْعَةُ ببدر على الصحيح، وقد شهد العقبة، وهو من سادات الصحابة، وكان يتوبُ لعلِّي بالكوفة إذا خرج منها إلى القتال.

سنة أربعين من الهجرة النبوية

فيها كان مقتلُ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، على ما سنذكره مُفَصَّلاً إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير: فبعثاً كان في هذه السنة، من الأمور الجليلية، توجية معاوية بَسْرَ بن أبي أَرْطَاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فذكر عن زياد ابن عبد الله البَكَّائي، عن عروانة قال: أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بَسْرَ ابن أبي أَرْطَاة - وهو رجلٌ من بني عامر بن لؤي - في

لا علم لي يا رسول الله. قال: «الذي يُضْرَبُكَ على هذه». وأشار بيده على يافوخه، قال: فكان يقول: وددت أنه قد ابعث أشقاكم فيُضْطَبُّ هذه من هذه. يعني لحية من دم رأسه.

طريق أخرى عن علي، رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبيع قال: سمعتُ علياً يقول: لَنُخَضِّبَنَّ هذه من هذه فما ينتظر بي الأشقي؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا به نبيرُ عترته. قال: إذا تالَّه تقتلون بي غير قاتلي! ٥٩/٦٧ قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ. قالوا: فما تقول لربك إذا أتته؟ قال: أقول: اللهم تركني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا أبو بكر، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الله بن سبيع قال: خطبنا علياً فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لنُخَضِّبَنَّ هذه من هذه. قال: فقال الناس: فاعلمنا من هو، والله لنبيذنه أو لنبيذ عترته. قال: أشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي. قالوا: إن كنت قد علمت ذلك فاستخلف إذا. قال: لا، ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ. نفرد به أحمد.

طريق أخرى عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا محمد - يعني ابن راشد - عن عبد الله ابن محمد بن عقيل، عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان أبو فضالة من أهل بلر - قال: خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه فقل منه. قال: فقال له أبي: ما يقيمك بمزرك هذا؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة، تحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك. فقال علي: إن رسول الله ﷺ عهد إلي ألا الأموات حتى أؤمر ثم نخضب هذه - يعني لحية - من دم هذه. يعني هامته، قال: فقتل وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين. نفرد به أحمد أيضاً. وقد رواه البيهقي في «الدلائل» عن الحاكم، عن الأصم، عن الحسن بن مكرم، عن أبي النضر هاشم ابن القاسم به.

طريق أخرى عنه: قال الحافظ أبو بكر البرقاني في «مسنده»: حدثنا أحمد ابن أبي القُرشي، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا كوفي يقال له: عبد الملك بن أعين. عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه قال: سمعتُ علي بن أبي طالب يقول: قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غزر الركاب: لا تات العراق، فإنك إن أتيتها أصابك بها ذباب السيف. قال: وإيم الله لقد قالها، ولقد قالها النبي ﷺ لي قبله. قال أبو الأسود: فقلت: تالَّه ما رأيت رجلاً محارباً يحدث بهذا غيرك. ثم قال البرقاني: لا نعلم رواه إلا علي بن أبي طالب بهذا الإسناد، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين، عن أبي حرب، ولا رواه عنه إلا ابن عيينة. هكذا قال، وقد رأيت من الطرق المتعدة خلاف ذلك. وقال البيهقي بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق: وقد رويناه في كتاب «الشن» بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدؤلبي، عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله.

حديث آخر في ذلك: قال الخطيب البغدادي: أخبرني علي بن القاسم البصري، حدثنا علي بن إسحاق المادرائي، أنا محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا إسماعيل بن الزرق، حدثنا ناصح، أبو عبد الله المحلبي، عن ميمالك، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «من أشقى الأولين؟» قلت: عاقر الناقة. قال: «صدقت، فمن أشقى الآخرين؟» قلت:

تناول شيئاً من أموال الناس من بيت المال، فبعث علياً إلى ابن عباس، فعاتبه في ذلك، وحرر عليه القضية، فغضب ابن عباس من ذلك، وكتب إلى علي أن ابعث إلى عمالك من أحببت فإني طاعنٌ عنه. والسلام. ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال، وتبعهم قيسٌ كلها، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والفيء، ولما سار تبعه أقوامٌ آخر، فلحقهم بنو نجيم وأرادوا ردعهم ومنعهم من المسير، فكان بينهم بعض قتال، ثم تهاجروا، ودخل ابن عباس مكة.

ذِكْرُ مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ فِي فَضْلِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ دَلَالِلِ النَّبُوَّةِ وَآيَاتِ الْمِعْجَزَةِ

كان أمير المؤمنين، رضي الله عنه، قد انتفضت عليه الأمور، واضربت عليه الأحوال، وخالفه جيشه من أهل العراق وغيرهم، وتكلموا عن القيام معه، واستفحل أمر أهل الشام، وصلوا وجالوا ميناً وشمالاً زاعمين أن الأمر لمعاوية؛ بمقتضى حكم الحكيمين في خطبهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الإمرة عن أخيه، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يُسمون معاوية الأمير، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جاش أهل العراق ووهنوا، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، فهو أعبدُهم وإزهدُهم، وأعلمُهم وأحشاهم لله، عز وجل، ومع هذا كله خلَّوه وتخلَّوا عنه، وقد كان يطمعهم المطاع الكثير والمال الخليل، فلا زال هذا دأبهم معه حتى كره الحياة وتمنى الموت؛ وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، فكان يكثر أن يقول: ماذا يجبسُ أشقاها - أي ما ينتظر - ما لا لا يقتل؟ ثم يقول: والله لنُخَضِّبَنَّ هذه - ويشير إلى لحية - من هذه. ويشير إلى هامته.

كما قال البيهقي، عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، حدثنا أبو الجواب الأخوص بن جواب، حدثنا عمار بن رزيق، عن الأعمش، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لنُخَضِّبَنَّ هذه من هذه - للحية من رأسه - فما يجبسُ أشقاها؟ فقال عبد الله بن سبيع: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبرنا عترته. فقال: أنشدكم بالله أن يقتل بي غير قاتلي. فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكني أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ. قالوا: فما تقول لربك إذا لقته وقد تركنا هملًا؟ قال: أقول: اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركك فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم. فيه ضعف في بعض الفاظه.

طريق أخرى: قال أبو داود الطيالسي في «مسنده» حدثنا شريك، عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب قال: جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له: أتى الله فإنك ميت. فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ولكن مقتول من ضربة علي هذه نخضب هذه - وأشار بيده إلى لحية - عهدٌ مهوود، وقضاء مقضي، وقد خاب من أقرى.

طريق أخرى عنه: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا وشيد بن سعيد، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة، عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال علي: قال لي رسول الله ﷺ: «من أشقى الأولين؟» قلت: عاقر الناقة. قال: «صدقت، فمن أشقى الآخرين؟» قلت:

ورسوله أعلم. قال: «قاتلُك».

حديث آخر في معنى ذلك:

وروى البيهقي [الدلائل: ٤٣٩/٦، ٤٤٠] من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني قال سمعت علياً على المنبر وهو يقول: والله إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «إن الأمة ستغدر بك بعدي».

قال البخاري [التاريخ الكبير: ١٧٤/٢]: ثعلبة بن يزيد الحماني في حديثه هذا نظر.

قال البيهقي [الدلائل: ٤٤٠/٦]: وقد رويته بإسناد آخر عن علي إن كان محفوظاً. أخبرنا أبو علي الروضباري أنا أبو محمد بن شاذب الواسطي بها حدثنا شعيب بن أيوب حدثنا عمرو بن عون عن هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي. قال: «إن مما عهد لي رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بك بعدي» قال البيهقي: فإن صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في إمارته، ثم في قتله.

وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم. قال: خطبنا علي يوم الجمعة فقال نبش أن برأ قد طلع اليمن، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم، وخيانتكم وأمانتهم، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم في أرضهم، قد بعثت فلاناً فخان وغدر، وبعثت فلاناً فخان وغدر، وبعث المال إلى معاوية لو اتبعت أحدكم على قبح لأخذ علاقته، اللهم ستمهم وستموني، وكرهتهم وكرهوني، اللهم فارحهم مني وأرحني منهم قال: فما صلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه

صفة مقتله رضي الله عنه

ذكر ابن جرير [تاريخه: ١٤٣/٥-١٤٦] وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس: أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني جيلة من كندة المصري وكان أسمر حسن الوجه أبلج شعره مع شحمة أذنيه وفي جبهته أثر السجود. والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي أيضاً - اجتمعوا ففكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا من خير الناس وأكثرهم صلاة وكانوا دعاة الناس إلى ربهم، لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فارحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟ فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب. وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية. وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. فتعاهدوا وتوافقوا أن لا يتكسر رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا سيوفهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكنم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فينمى هو جالس في قوم من بني تميم الرياب وهم يتناكرون قتلاهم يوم النهروان إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام

بنت الشجرة، قد قتل علي يوم النهروان أباه وأخاه، وكانت فاتكة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تنمب فيه، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسي حاجته التي جاء لها، وخطبها إلى نفسها فاشتربت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادماً وقيّة. وأن يقتل لها علي بن أبي طالب. قال: فهو لك والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي، فتزوجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك ونذبت له رجلاً من قومها، من تميم الرياب يقال له وردان، ليكون معه ردها، واستمال ابن ملجم رجلاً آخر يقال له شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري قال له ابن ملجم: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ فقال: وما ذاك؟ قال: قتل علي، فقال: نكلك أمك، لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر عليه؟ قال: أكئن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شدنا عليه قتلنا، فإن نجونا شفيئنا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُلتنا فما عند الله خير من الدنيا. فقال: ويحك لو غير علي لكان أهون علي؟ قد عرفت سابقته في الإسلام وقواته من رسول الله ﷺ فما أجذني أنشر صدرأ لقتله. فقال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟ فقال: بلى قال: فقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لأي ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت. وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه. ثم جاؤوا إلى قطام وهي امرأة ابن ملجم فدعت لهم بعصب الحرير فقصبتهم بها، وكانت في المسجد، فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم، ووردان وشبيب - وهم مشتعلون على سيوفهم فدخلوا المسجد الجامع فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة. فنار إليه شبيب بالسيف فضربه فوق في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على خيته رضي الله عنه، ولما ضرب ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْبَاطِلِ» [البقرة: ٢٠٧] ونادى علي: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله، وذهب شبيب ففجأ بنفسه وفات الناس، ومسك ابن ملجم وقدم علي جمعة بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر، وحمل علي إلى منزله، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - قبحه الله - فقال له: أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قال: بلى. قال: فما حلك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال له علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه. ثم قال: إن مت فاقتلوه وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

وقال الإمام أحمد [٩٢/١، ٩٣]: حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال: لما ضرب ابن ملجم علياً قال لهم: افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال: «اقتلوه ثم احرقوه».

وقد روي أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف. ويحك! لم ضربت أمير المؤمنين؟ قال: إنما ضربت أباك فقالت: إنه لا بأس عليه، فقال: فلم تبكين؟ والله لقد ضربته ضربة لو أصابت أهل المصر لماتوا أجمعين، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف.

فقال جندب بن عبد الله: يا أمير المؤمنين إن مت نبايع الحسن؟ فقال

الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر: - قال ابن جرير (١٥٠/٥): هو ابن مياس المرادي.

فلم أر مهرباً ساقطاً ذو مساحية كهمر قطام ينأى غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بالخام المصمم
فلا مهرب أعلى من علي وإن غلا ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم
ولابن مياس في قتلهم علياً

وغنُ ضربنا يا لك الخبر حيدراً أبا حسن مأمومة فتغفراً
وغنُ خلعتنا ملكة من نظامو بضربة سيف إذا علا ونجماً
وغنُ كراماً في الهياج أعزّة إذا الموت بالموت ارتدى وتازراً
وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو
عمران بن حطان وكان أحد العباد عن يروي عن عائشة في صحيح
البخاري فقال فيه:

بأضربة من تقى ما أراها بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند اللئيم ميزانا
وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فإنه حمل عليه وهو خارج إلى
صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف، وقيل بخنجر مسموم فجمات
الضربة في وركه فخرجت إليه ومسك الخارجي قتل، وقد قال لمعاوية:
اتركني فإني أبشرك بشاره، فقال: وما هي؟ فقال: إن أخي قد قتل في هذه
الليلة علي بن أبي طالب، قال: فلعله لم يقدّر عليه، قال: بلى إنه لا حرس
معه، فأمر به فقتل، وجاء الطبيب إلى معاوية فقال: إن جرحك مسموم فإما
أن أكونك وإما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن يقطع نسلك فقال
معاوية: أما النار فلا طاقة لي بها، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به
عني. فسقاء شربة فبرأ من الله وجراحه وانقطع النسل وسلم من ذلك
رضي الله عنه. ومن حيث عملت المقصورة في المسجد الجامع بدمشق
وجعل الحرس حولها في حال السجود، فكان أول من اتخذها معاوية لأجل
هذه الحادثة.

وأما صاحب عمرو بن العاص - وهو عمرو بن بكر - فإنه كمن له
ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مضى شديد في تلك
الليلة فلم يخرج إلا نائبه إلى الصلاة - وهو خالجه بن أبي حبيبة من بني
عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي
فقتله وهو يعتقه عمرو بن العاص، فلما أخذ الخارجي قال: أردت عمراً
وأراد الله خارجه. فأرسلها مثلاً، ثم قتل قيحه الله، وقد قيل: إن الذي
قاله عمرو بن العاص، وذلك حين جيء بالخارجي فقال: ما هذا؟ قالوا:
قتل نائبك خارجه، فقال الخارجي: والله ما أردت إلا إياك. فقال عمرو:
أردتني وأراد الله خارجه. ثم أمر به فضررت عنقه.

والمقصود أن علياً رضي الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر
عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن
ينشوا عن جثته، هذا هو المشهور.

ومن قال: إنه حمل على راحلته فذعبت به فلا يدري أين ذهبت فقد
أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيغه عقل ولا شرع، وما يعتقه كثير
من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا
أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي

لا آمركم ولا أنهاركم، أتم أبصر. ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا
إله إلا الله، لا ينطق بغيرها. وقد قيل: إن آخر ما تكلم به ﴿فَقَسَنَ يَغْمَلُ
يُقَالُ ذَرْبٌ خَيْرٌ أَيْزَةً وَمَنْ يَغْمَلُ يَقَالُ ذَرْبٌ شَرٌّ أَيْزَةً﴾. (الفرقة: ٧) وقد
أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وغفر الذنب
وكظم الغيظ وصلة الرحم والجلل عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في
الأمر، والتعامل للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، واجتتاب الفواحش، وصاحبهما بأخيتهما محمد بن الحنفية ووصاهما
وصاهما به، وأن يعظهما ولا يقطع أمراً دونهما. وكتب ذلك كله في
كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه.

ومعجزة الوصية: بسم الله الرحمن الرحيم! هذا ما أوصى به علي بن
أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك
له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي
ومن بلغه كتابي بتقوى الله وركم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا
بجمل الله جميعاً ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: فإن صلاح
ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوي أرحامكم
فصلوهم يهون الله عليكم الحساب الله الله في الأيتام فلا تنفروا فوامهم
ولا يضيعن بمحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، مازال
يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى
العمل به غيركم، والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله في
بيت ركنكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في
شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، والله
الله في ذمة نبيكم لا تغفلن بين ظهريتيكم، والله الله في أصحاب نبيكم
فإن رسول الله عليه السلام أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم
في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول الله
عليه السلام أن قال: «أوصيكم بالضعيفن نسائكم وما ملكت أيمانكم» الصلاة
الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكتفون من أراذكهم ويغنى عليكم،
وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر، فيؤلى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم
بالتواصل والتباعد، ولياكم والتدابير والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد
العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أسودعكم الله
وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله. ثم لم ينطق إلا بلا إلا الله حتى قبض
في شهر رمضان.

وقد غسله إبنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه
الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات.

قال الميثم بن عدي: حدثني رجل من بجملة عن مشيخة قومه أن عبد
الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجل
النساء ترى رأي الخوارج، قد قتل علي قومه على هذا الرأي فلما أبصرها
عشقها فخطبها فقالت: لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة، وقُتل
علي بن أبي طالب فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له: يا هذا قد
فرغت من حاجتك فأفرغ من حاجتي. فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه
فضررت له قبة في المسجد وخرج علي يقول: الصلاة الصلاة، فاتبعه عبد

ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة والله أعلم. وروى ابن جرير [١٥٢/٥] قال: حدثني الحارث حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال: ضرب علي يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة، وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة.

قال الواقدي: وهو الميثب عندنا. والله أعلم بالصواب.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم أجمعين

قال الإمام أحمد [١١٨/١]: حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي قال: لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ماسميتموه؟» فقلت: سميتُه حرباً، فقال: «بل هو حسن»، فلما ولد الحسين قال: «أروني ابني، ماسميتموه؟» فقلت: سميتُه حرباً قال: «بل هو حسين»، فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» فقلت: حرباً فقال: «بل هو محسن»، ثم قال: «إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشبر».

وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى بن عيسى التيمي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي: كنت رجلاً أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث.

وقد ورد في بعض الأحاديث أن علياً سمى الحسن أولاً بحمزة وحسبنا بجعفر فغير اسميهما رسول الله ﷺ

فأول زوجه تزوجها علي رضي الله عنه

■ فاطمة بنت رسول الله ﷺ بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسبنا ويقال ومحباً ومات وهو صغير، فولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وهي وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم. ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة، منهن من توفيت في حياتها ومنهن من طلقها، وتوفي عن أربع كما سيأتي.

فمن زوجاته

■ أم البنين بنت حرام وهو الخلد بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب فولدت له العباس وجعفر وأبي عثمان. وقد قتل هؤلاء مع أخيهما الحسين بكربلاء ولا عقب لهم سوى العباس. ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر.

قال هشام بن الكلبي: وقد قتل بكربلاء أيضاً.

وزعم الواقدي أن عبيد الله قتل المختار بن أبي عبيد يوم المذار. ومنهن أسماء بنت عيسى المخزومية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي.

وقال الواقدي: ولدت له يحيى وعونا.

قال الواقدي: فأما محمد الأصغر فمن أم ولد.

ومنهن

■ أم حبيبة بنت زعفة بن بحر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد بن بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر - وقد عمر خمساً وثلاثين سنة - ورقية.

[تاريخ بغداد: ١/ ١٣٨] عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، هو مَطِينٌ أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر: كم كان سن علي يوم قتل؟ قال: ثلاثاً وستين سنة. قلت: أين دفن؟ قال: دفن بالكوفة ليلاً وقد عُي عني دفنه.

وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة.

وقد قيل: إن علياً دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة.

قاله الواقدي، والمشهور أنه دُفِن بدار الإمارة.

وقيل بمناط جامع الكوفة.

وقد حكى الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١/ ١٣٧] عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حوَّلا فتقلاهُ إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة أمهما.

وقيل إنهم لما حلوه على البعير ضل منهم فأخذته طيئ يظنونهم مالأ فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوا من هو دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره، حكاه الخطيب أيضاً [تاريخ بغداد: ١/ ١٣٨].

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن بن علي قال: دفنت علياً في حجرة من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمر قال: لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيئه وتركه مكانه. قالوا وذلك المكان بمذاة باب الوراقين بما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكافي يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: صلّي على علي ليلاً ودفن بالكوفة وعُني موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة.

وقال ابن الكلبي: شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم.

وحاصل الأمر أن علياً قتل ليلة الجمعة سحرأً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين.

وقيل: إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم.

ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدي وابن جرير [تاريخ: ١٥١/٥] وغير واحد، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وخمسين سنة رضي الله عنه. وكانت خلافة أربع سنين وتسعة أشهر.

فلما مات علي رضي الله عنه استدعى الحسن بن علي بابن ملجم فقال له ابن ملجم: إني أعرض عليك خصلة قال: وما هي؟ قال: إني كنت عاهدت الله عند الخطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أسوت دونهما، فإن خليتي ذهبت إلى معاوية على أي إن لم أقتله أو قتله وبقيت فله علي عهد الله أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يديك، فقال له الحسن: كلا والله حتى تعين النار، ثم قدمه فقتله ثم أخذه الناس فادرجوه في بوارير ثم أحرقوه بالنار.

وقد قيل: إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق» إلى آخرها ثم جأؤا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر علي ساعة لا أذكر الله فيها

ومنهن

■ أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى.

ومنهن

ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن كلب الكلبي فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها: من أخوالك؟ فتقول: وه وه تعني بني كلب.

ومنهن

■ أماعة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد المُرّي بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأما زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي التي كان رسول الله ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها فولدت له عمداً الأوسط.

وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الخفية وهي

■ خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يرسوع بن ثعلبة بن الدُّكَل بن حنيفة بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل سبأها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له عمداً هذا، ومن الشيعة من يدعي فيه الإمامة والعصمة، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا بواجبي العصمة، والله أعلم.

وقد كان لعلي أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فإنه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سوية رضي الله عنه فمن أولاده رضي الله عنهم من لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة ونفيسة.

قال ابن جرير: فجميع ولد على أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى.

قال الواقدي: وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الكلاية وعمر بن الثعلبية رضي الله عنهم أجمعين. وقد قال ابن جرير رحمه الله: حدثني ابن سنان القزاز حدثنا أبو عاصم حدثنا سكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثني أبي خالد بن جابر قال: سمعت الحسن لما قتل علي قام خطيباً فقال: لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، ووقع فيها عيسى ابن مريم، وفيها قتل يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله ﷺ ليبعث في السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا يبيض إلا ثمانمائة أو سبع مئة أُرصدوا لحامد.

وهنا غريب جداً وفيه تكرار والله أعلم.

وهكذا رواه أبو يعلى (مسند: ٦٧٥٨) عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به.

وقال الإمام أحمد (١٩٩/١): حدثنا وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن هيرة قال: خطبنا الحسن بن علي قال: «لقد فارقتكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون يعلم ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا يتصرف حتى يفتح الله له.

ورواه زيد العمى وشعيب بن خالد عن أبي إسحاق به وقال: ما ترك إلا سبعمائة كان أُرصدوا يشتري بها خداماً.

وقال الإمام أحمد (١٥٩/١): حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب القرظي أن علياً قال: لقد رأيته مع رسول الله ﷺ وأني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفاً.

ورواه عن أسود عن شريك به وقال: «إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار» (المسند: ١٥٩/١)

باب ذكر شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رضي الله عنه

فمن ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله ﷺ فإنه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله ﷺ أبوه أخو أبيه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

قال الزبير بن بكار: وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً. وقد أسلمت وهاجرت، وأبوه هو العم الشقيق الرقيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا نص عليه الإمام أحمد بن حنبل (فضائل الصحابة: ٩٢٩-٩٣١) هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس. وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وأنه المراد من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣) وقد اخطأوا في ذلك خطأ كبيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى، فإنه تعالى قد ذكر بعد هذه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَأْتِيكَ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (آل عمران: ٣٥) فذكر بعدها ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر والله الحمد.

وقد كان أبو طالب كثير الحمية لرسول الله ﷺ ولم يؤمن به إلى أن مات على الكفر كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٣٨٨٤) من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه في عرضه عليه الصلاة والسلام على عمه أبي طالب وهو في السياق أن يقول: لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «أما لاستغفرون لك ما لم أنه عنه» فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَا لَهُ فَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (هجرة: ١١٣)

ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (قصص: ٥٦) وقد تقدم هنا كله في أول البحث ونهنا على خطأ الرافضة في دعواهم أنه أسلم واقتراحهم ذلك بلا دليل على مخالفة النص الصريحة الصريحة.

وأما علي رضي الله عنه فإنه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور، ويقال: أنه أول من أسلم وقد روي في ذلك حديث عنه ولا

والسلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة مكان يقال له غدير خم خطب الناس هنالك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فقال في خطبته: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وفي بعض الروايات: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من أخذله» والمحفوظ الأول.

وإنما كان سبب هذه الخطبة والتبعية على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع علي فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعهما نائبه عليهم لما تعجل السير إلى رسول الله ﷺ، فلما تفرغ رسول الله ﷺ من حجة الوداع أحب أن يرى ساحة علي عما نسب إليه من القول فيه وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في أيام بني بويه في حدود الأربعمائة كما سنته عليه إذا انتهيا إليه إن شاء الله. ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح السود على أبواب الدكاكين وتلر التين والرمان، في الطرق والأسواق وتلور النساء في سكك البلد يُنْحَنُّ على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصراع المكنوب في قتل الحسين، وسنين ذلك كله إذا انتهيا إليه وكيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى.

وقد كان بعض بني أمية يعيب علياً في تسميته أبا تراب وهو اسم سماه به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين [ج: (٤٤١)، م: (٢٤٠٩)] عن سهل بن سعد أن علياً غاضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاء رسول الله ﷺ فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلده فجعل يفضض عنه التراب ويقول: «اجلس أبا تراب، اجلس أبا تراب».

حديث المؤاخاة:

قال الحاكم: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجفندي حدثنا الحسين بن جعفر القرشي حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي حدثنا أيوب بن صدوق عن مكحول عن أبي أمامة قال: لما أتى رسول الله ﷺ بين الناس أخى بينه وبين علي. ثم قال الحاكم: لم نكبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام.

قلت: وفي صحة هذا الحديث نظر، وورد من طريق أنس وابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومجلوب بن زيد الذهلي وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعلي نفسه نحو ذلك وأسانيد كلها ضعيفة لا يقوم بشيء منها حجة والله أعلم. وقد جاء من غير وجه أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ لا يقولها بعدي إلا كذاب» [فضائل الصحابة (٩٩٣)].

وقال الترمذي (٣٧٢٠): حدثنا يوسف بن موسى القطان البغدادى حدثنا علي بن صالح بن حي عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال: أتى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله أتيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» ثم قال: هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبي أوفى.

وقد شهد علي بدرًا. وقد قال رسول الله ﷺ لعمر: «وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

يصح، والصحيح أنه أول من أسلم من الغلمان، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى.

وقد روى الترمذي (٣٧٢٨) وأبو يعلى من حديث أنس بن مالك قال: «بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء».

ورواه بعضهم عن مسلم الملائي عن حبة بن جوين عن علي - وحبة لا يساوي حبة -

وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن علي قال: «عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبد أحد».

وهذا لا يصح أبناً وهو كذب.

وروى سفيان الثوري وشعبة عن سلمة عن حبة عن علي قال: «أنا أول من أسلم».

وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف.

وقال سويد بن سعيد حدثنا نوح بن قيس، ثنا سليمان بن عبد الله عن معاذة العلوية قالت: سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة يقول: «أنا الصديق الأكبر أمت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم».

وهذا لا يصح قاله البخاري [الطريق الكبر: (٢٣/٤)].

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة: «أيها الناس! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت».

قال الإمام أحمد (٣٧٣/١): حدثنا سليمان بن داود حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: «أول من صلى - وفي رواية من أسلم - مع رسول الله ﷺ بعد خديجة علي بن أبي طالب» ورواه الترمذي (٣٧٣٤) من حديث شعبة عن أبي بلج، به.

وقد روي عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصاري أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أي وجه كان. وقد روي في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء، وأجود ما في ذلك ما ذكرناه. على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بطريق هذه الروايات، فمن أراد كشف ذلك فعليه به والله الموفق للصواب.

وقد روى الترمذي (٣٧٣٥) والنسائي (٨١٣٧) من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن طلحة بن يزيد عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم علي» قال الترمذي: حسن صحيح.

وصحب علي رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة، وكان عنده في المنزل وفي كفالته في حياة أبيه أبي طالب إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، تتخلف علي بعده ليؤدي ما كان عند رسول الله ﷺ من ودائع الناس، فإنه كان يعرف في قومه بالأمين، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر علي بعد رسول الله ﷺ وصحب رسول الله ﷺ إلى أن توفي وهو راض عنه وحضر معه مشاهد كلها وجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب كما بينا ذلك في السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» [سيرة ابن هشام: ٥١٩/٢، ٥٢٠]. وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته. ولما رجع عليه الصلاة

[ج: (٣٩٨٣)، (٢٤٩٤)].

الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بغراره، قال سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد فقتل في عينية ثم قال: «خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك» قال سلمة: فخرج والله بها يهرول هرولة وأنا لحظه تتبع أثره حتى ركز رايته في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب، قال اليهودي: غلّيتُ ومن أنزل التوراة على موسى قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاه مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذي جاء به يقوده وهو أرمد حتى بصق رسول الله ﷺ في عينية فبرا.

رواية بريدة بن الحصيب:

وقال الإمام أحمد [٣٥٣/٥]: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني بريدة بن الحصيب قال: حاصرنا خير فآخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقتل رسول الله ﷺ: «إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويجب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له» قال: وتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً - قال: فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة، ثم قام قائماً فدعا بالواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فقتل في عينية ودفع إليه اللواء ففتح له، قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها.

ورواه النسائي [كبرى (٨٤٠٢)] من حديث الحسين بن واقد به أطول منه.

ثم رواه أحمد [٣٥٨/٥] عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به نحوه، وأخرجه النسائي [كبرى (٨٤٠٣)، (٨٦٠٠)] عن بندار عن غندر به وفيه الشعر.

رواية عبد الله بن عمر:

ورواه هشيم عن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة. ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه: «قال علي: فما رمدت بعد يومئذ» ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سيأتي.

رواية ابن عباس:

وقال أبو يعلى: حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويجب الله ورسوله، فقال: «أين علي؟» قالوا: يطحن، قال: وما أحد منهم يرضى أن يطحن، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حبي بن أخطب.

وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل.

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن

وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله ﷺ الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة. قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس. قال: وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقناة.

وقال خيثمة بن سليمان الأضرابسي الحافظ: حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبي غرزة حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا ناصح بن عبد الله الخلمي عن سمك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قالوا: يا رسول الله من يحمل رايك يوم القيامة؟ قال: «ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا علي بن أبي طالب».

وهذا إسناد ضعيف. ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الخططي عن أبي جعفر محمد بن علي قال: نادى مناد في السماء يوم بدر: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» قال الحافظ بن عساكر: وهذا مرسل وإنما تغفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وجهه لعلني بعد ذلك.

وقال الزبير بن بكار: حدثني علي بن المنيرة عن معمر بن المنسى قال: كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب فقي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي.

لله أي مذئب عن اعني ابن فاطمة المم المخلو
جاءت يدك له بعاجل طعن تركت طليحة للجبين مجذلاً
وشددت شدة بأسك فكشفتهم بالحق إذ يهرون أخول أخولا
وعملت سيفك بالدماء ولم تكن لثرتة حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار».

وقد ثبت في الصحاح [ج: (٢٩٧٥)، (٢٤٠٧)] وغيرها أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويجب الله ورسوله، ليس بغرار يفتح الله على يديه» فبات الناس يلوكون أيهم يعطاها حتى قال عمر: ما أحبيت الإمارة إلا يومئذ، فلما أصبح أعطاها علياً ففتح الله على يديه، ورواه جماعة منهم مالك ويحيى بن سعيد ويعقوب بن عبد الرحمن وجريز بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأخرجه مسلم [٢٤٠٥]. ورواه ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أخرجه في الصحيحين [ج: (٢٩٤٢)، (٢٤٠٦)] وقال في حديثه: فدعا به رسول الله ﷺ وهو أرمد فبصق في عينية فبرا. ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ويزيد بن أبي عبيد عن مولاة سلمة أيضاً، وحديثه عنه في الصحيحين [ج: (٤٢٠٩)، (٢٤٠٦)].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برأيه إلى بعض حصون خيبر، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويجب

عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه.

فقال الإمام أحمد (٣٣١، ٣٣٠/١) عن يحيى بن حماد: حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بلج حدثنا عمرو بن ميمون قال: إني جالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن يُخلونا هؤلاء؟ فقال: بل أقوم معكم - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - قال: وايتنؤوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفخ ثوبه ويقول: أف وثف، وقموا في رجل له عشر وقموا في رجل قال له النبي ﷺ: «لا بعثن رجلا لا يجزيه الله أبداً يحب الله ورسوله» قال: فاستشرف لها من استشرف قال: «لئن علي؟» قالوا: هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر فنفت في عينه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفيحة بنت حبي بن أخطب. قال: ثم بعث فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه، ثم قال: «لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه». قال: وقال ليني عمه: «ايكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا قال: وعلي مع جالس فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة. قال: فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال: «ايكم يوالي في الدنيا والآخرة؟» فأبوا فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال: «أنت ولي في الدنيا والآخرة».

قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضع على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» [الأحزاب: ٣٣] قال: وشري على نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه.

قال: وكان المشركون يرومون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال: يائي الله! فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانتقل أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل علي يُرمي بالحجارة كما كان يُرمي رسول الله ﷺ وهو يتصور وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك لقيم قد كان صاحبك نرميه فلا يتصور وأنت تتصور وقد استكرنا ذلك، قال: وخرج - يعني رسول الله ﷺ بالناس في غزوة تبوك - فقال له علي: أخرج معك؟ فقال له النبي ﷺ: «لا» فبكى علي فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» قال: وقال له رسول الله ﷺ: «أنت ولي كل مؤمن بعدي» قال وسد أبواب المسجد غير باب علي قال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإن مولاه علي».

قال: وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فهل حدثنا أنه سخط عليهم بعد؟

قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال: ائذن لي أن أضرب عنقه - يعني حاطب بن أبي بلتعة - قال: «وَكَيْتَ فاعلأ؟ وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

وقد روى الترمذي (٣٧٢٢) بعضه من طريق شعبة عن أبي بلج يحمي بن أبي سليم واستغفريه. وأخرج النسائي (٨٤٢٧، ٨٤٢٨) بعضه أيضاً عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد به.

رواية عمران وقال البخاري في التاريخ: حدثنا عمر بن عبد الوهاب الرياحي حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ريعي عن عمران بن حصين. قال: قال رسول الله ﷺ: «لأدفعن الراية إلى رجل

يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله» فبعث إلى علي وهو أرمد فتصل في عينه وأعطاه الراية فما رد وجهه حتى فتح الله عليه، وما اشتكاهما بعد.

ورواه أبو القاسم البغوي عن إسحاق بن إبراهيم عن أبي موسى الهروي عن علي بن هاشم عن محمد بن علي عن منصور عن ريعي عن عمران فذكره.

وأخرجه النسائي (٨١٥٠، ٨٤٠٧) [كبرى] عن عباس العنبري عن عمر بن عبد الوهاب به.

رواية أبي سعيد في ذلك:

قال الإمام أحمد (١٦/٣): حدثنا مصعب بن المقدام وحجين بن المثنى قالا: حدثنا إسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهبها ثم قال: «من يأخذها بحقها؟» فجاء بلال فقال: أنا فقال: «أيطه؟» ثم جاء رجل آخر فقال أنا فقال: «أيطه؟» ثم قال النبي ﷺ: «والذي أكرم وجه محمد لأعطيتها رجلاً لا يفر»، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خير وفلك وجاء بهجوتهمما وقديدهما.

ورواه أبو يعلى [مسند] (١٣٤٦) عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سيقاه: فجاء الزبير فقال: أنا فقال: «أيطه؟» ثم جاء آخر فقال: «أيطه؟» وذكره تفرد به أحمد.

رواية علي بن أبي طالب في ذلك:

وقال الإمام أحمد (٩٩/١، ١٣٣): حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان أبي يسمر مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له: لو سألته فسأله فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله إني أرمد العين فتصل في عيني وقال: «اللهم أذهب عنه الحر والبرد» فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ، وقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار» فشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيها. تفرد به أحمد.

وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال، زاد بعضهم: والحكم بن عتيبة، ورواه غير واحد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي به مطولاً.

وقال أبو يعلى [مسند] (٥٩٣): حدثنا زهير حدثنا جرير عن منيرة عن أم موسى قالت: سمعت علياً يقول: «ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتقل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية».

رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك:

ثبت في الصحيحين (خ: ٣٧٠٦، م: ٢٤٠٤) من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي».

قال أحمد (١٨٥/١) ومسلم (٢٤٠٤) والترمذي (٣٧٢٤): حدثنا قتبية بن سعيد حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بكر بن سمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له: أمر معاوية بسن أبي سفيان سعداً فقال: ما

علي نثنته؟! والله لأن يكون في إحدى خلا له الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزا تبركا «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» لأحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس يفرار» أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ما له أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم ثم نفذ رداءه ثم خرج.

وقال أحمد (١٨٢/١): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟» إسناده على شرطهما ولم يخرجاه.

وهكذا رواه أبو عروبة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب عن أبيه. ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه قاله أعلم. وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها.

قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وعلي وابن عباس وعبد الله بن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وجنبي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو القيل، وأم سلمة وأسما بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة.

وقد نقص الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فاجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والأنداد. رحمه رب العباد يوم التناد.

رواية عمر رضي الله عنه في ذلك:

قال أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال عمر: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حر النعم. قيل: وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكنه المسجد مع رسول الله ﷺ لا يجل لي فيه ما يجل له، والراية يوم خيبر.

وقد روي عن عمر من غير وجه.

رواية ابن عمر رضي الله عنهما:

وقد رواه الإمام أحمد (٢٦/٢) عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال: «كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ: رسول الله خير الناس، ثم خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حر النعم. فذكر هذه الثلاث.

وقد روى أحمد (٣٣٨/٣) والترمذي (٣٧٣٠) من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟»

ينمك أن تسب أبا تراب؟ فقال: «أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلا؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وخلعه في بعض مغازيه - فقال له علي: يا رسول الله اتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟» وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فطاولت لما قال «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمذ فصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ» [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي». ثم قال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رواه أحمد (١٧٩/١) مسلم (٢٤٠٤) والترمذي (٣٧٣١) والنسائي (٨٤٣٠، ٨٤٣٣) من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقال الترمذي: ويستقرب من رواية سعيد بن سعد.

وقال الإمام أحمد (١٤٨/١): حدثنا أحمد الزبيري حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعني عبد الله بن عمر - عن سعد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبرك خلف علياً فقال: اتخلفني؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟» وهذا إسناده جيد ولم يخرجوه.

وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، سمعت إبراهيم بن سعد يحدث عن سعد بن علي، عن النبي ﷺ (١٨٨/١) أنه قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» أخرجه من حديث محمد بن جعفر به.

وقال أحمد (١٧٠/١): حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعفي بن عبد الرحمن الجعفي عن عائشة بنت سعد عن أبيها: أن علياً خرج مع رسول الله ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وعلي يكي يقول: تخلفني مع الخوالف؟ فقال: «أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؟» وهذا إسناده صحيح أيضاً ولم يخرجوه.

وقال الحسن بن عرفة العبدي: حدثنا محمد بن خازم أبو معاوية الضريع عن موسى بن مسلم الشيباني عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فأتاه سعد بن أبي وقاص فذكروا علياً فقال سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها. سمعته يقول «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وسمعت يقول: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله»، وسمعت يقول: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» إسناده حسن ولم يخرجوه.

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا أحمد بن خالد الوهبي أبو سعيد حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن أبيه قال: لما حج معاوية أخذ يد سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد اجفأنا هذا الغزو عن الحج حتى كنا أن ننسى سنته فطف نطف بطوافك؟ قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في

رسول الله ﷺ أبواب شارة في المسجد قال: فقال يوماً: «سئلوا هذه الأبواب إلا باب علي» قال: فتكلم في ذلك أناس فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ، ولكن أمرت بشيء فأتبعته».

وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره.

وقد تقدم مارواه أحمد والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل وفيه: سد الأبواب غير باب علي.

وكذا رواه شعبة عن أبي بلج عن ابن عباس.

ورواه سعد بن أبي وقاص: قال أحمد: ثنا حجاج، ثنا يظفر، عن عبد الله بن شريك، عن عبد الله بن الأرقم الكناني قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارة في المسجد وترك باب علي. تفرّد به أحمد.

طريق أخرى عن سعد: قال أبو يعلى [سند] (٧٠٣) حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان حدثنا غسان بن بشر الكاهلي عن مسلم عن خثيمة عن سعد «أن رسول الله ﷺ سد أبواب الناس في المسجد وفتح باب علي فقال الناس في ذلك فقال: «أما أنا فتحت ولكن الله فتحه» وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري [٤٦٦] من أمره عليه الصلاة والسلام في مرضه الذي مات فيه بسد الأبواب الشارة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المرور من بيتها إلى بيت أبيها، فجعل هذا رقفاً بها، وأما بعد وفاته فزالَت هذه العلة فاحتجج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه الصلاة والسلام وفيه إشارة إلى خلافته.

وقال الترمذي [٣٧٧]: حدثنا علي بن المنذر حدثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا يجل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك» قال علي بن المنذر: قلت لضرار بن صرد: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يجل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك. ثم قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد سمع محمد بن إسماعيل مني هذا الحديث فاستغفريه.

وقد رواه ابن عساکر من طريق كثير التواء عن عطية عن أبي سعيد به.

ثم أوردته من طريق أبي نعيم: حدثنا عبد الملك بن أبي غنّة عن أبي الخطاب عمر المجبري عن عذوج عن جصرة بنت دجاجة أخبرني أم سلمة قالت: خرج النبي ﷺ في بيته حتى انتهى إلى صرحه المسجد فنادى بأعلى صوته: «إنه لا يجل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لحمد وأزواجه وعلي فاطمة بنت محمد ألا هل ينت لك الأسماء أن تضلوا».

وهذا إسناد غريب وفيه ضعف، ثم ساقه من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً.

حديث آخر: قال الحاكم [المستدرک] (١١٠/٣) وغير واحد [سند] أحمد: [٣٤٧/٥] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحصيب: قال غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة فقلت على رسول الله ﷺ

ورواه أحمد [٣٧٣] من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

ورواه الطبراني [الأوسط] (١٤٨٨) من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً.

ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟» قال سلمة: وسمعت مولى لبي موهبة يقول: سمعت ابن عباس يقول: قال النبي ﷺ: مثله.

تروجه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما:

قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه سمع رجلاً علياً على منبر الكوفة يقول: «أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائلته وصلته فخطبتها، فقال: «هل عندك شيء؟» قلت: لا قال: «فأين درعك الخطيمة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟» قلت عندي، قال: «فأعطها» فأعطيتها زوجتي فلما كان ليلة دخلت عليها قال: «لا تحدثا شيئاً حتى أتيناك»، قال: فأتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحششنا فقال: «مكانكما»، ثم دعا بقدر من ماء فدعا فيه ثم رشه علياً وعليها، فقلت: يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي؟ قال: «هي أحب إلي وأنت أعز علي منها».

وقد روى النسائي [مؤيد] (١٠٠٨٧، ١٠٠٨٨) من طريق عبد الكريم بن سليل عن ابن بريدة عن أبيه فذكره بأسط من هذا السياق، وفيه: أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وأصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار، وأنه دعا لها بعد ما صب عليها الماء، فقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شملهما» - يعني الجماع.

وقال محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: «أي بنية! إن ابن عمك علياً قد خطبك فماذا تقولين؟» فبكت ثم قالت: كأنك يا أبت إنما دخرتي لفقر قريش؟ فقال: «والذي بعثني بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السماء»، فقالت فاطمة: رضيت بما رضي الله لي ورسوله. فخرج من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال: «يا علي اخطب نفسك» فقال علي: الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله ﷺ زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمئة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا، قالوا: ما تقول يا رسول الله؟ قال: «أشهدكم إني قد زوجت».

رواه ابن عساکر وهو منكر.

وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكورة وموضوعة ضربنا عنها ثلاثاً بطول الكتاب بها. وقد أورد منها الحافظ ابن عساکر في «تاريخه» مع ضعفها ووضعها طرفاً جدياً.

وروى وكيع عن أبي خالد عن الشعبي قال قال علي: «ما كان لنا إلا إهاب كبش نام على ناحيته وتعجن فاطمة على ناحيته».

وفي رواية مجالدة عن الشعبي: وتعلف عليه الناضح بالنهار وما لي خادم عليها غيرها.

حديث آخر: قال أحمد [٣٦٩/٤] حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم قال: كان لفر من أصحاب

تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحبيب وهذا غريب.

وقد رواه الترمذي [١٧٠٤، ٣٧٢٥] عن عبد الله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحوص بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقال الإمام أحمد [٤٣٧/٤]: حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية وأمر عليها علي بن أبي طالب فأحدث شيئا في سفره فتعاهد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران: وكنا إذا قلنا من سفر بدأنا برسول الله ﷺ فسلمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكنا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكنا، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكنا، فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا، قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرابع وقد تغير وجهه وقال: «دعوا عليا، دعوا عليا، إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي».

وقد رواه الترمذي [٣٧١٢] والنسائي [٨١٤٦] عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسياق الترمذي مطول وفيه «أنه أصاب جارية من السي» ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان.

ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبيد الله بن عمر القوليري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعلل بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به. وقال خيشة بن سليمان: حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى، ثنا يوسف بن صهيب عن ركين عن وهب بن حمزة قال: سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة، فرأيت منه جفوة فقلت: لئن رجعت فقلت رسول الله ﷺ لأنا نال مني، قال: فرجعت فقلت رسول الله ﷺ فذكرت عليا فقلت منه، فقال لي رسول الله ﷺ: «لا تقول هذا لعلي فإن عليا وليكم بعدي».

وقال أبو داود الطيالسي [٢٧٥٢]: عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن بن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت ولي كل مؤمن بعدي».

وقال الإمام أحمد [٨٦/٣]: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد قالت: اشكى عليا الناس فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعت يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله». أو «في سبيل الله».

تفرد به أحمد.

وقال الحافظ البيهقي [٣٩٩، ٣٩٨/٥]: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا أبو سهل بن زياد القطان حدثنا أبو إسحاق القاضي حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكننت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن

فذكرت علياً فتقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: «يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقلت: بلى يا رسول الله. فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقال الإمام أحمد [٣٥٦/٥]: حدثنا ابن نمير، حدثنا الأجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: «بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الأخرى خالد بن الوليد وقال: «إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افرقتما فكل واحد منكما على جنده»، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلتنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبنا النورية فاصطفى علي امرأة من السي لنفسه، قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، فلما أتيت رسول الله ﷺ دفعت إليه الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائد بعثني مع رجل وامرئتي أن اطيعه فبلغت ما أرسلت به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي».

هذه اللفظة منكورة والأجلح شيعي ومثله لا يقل إذا تفرد بمثلها، وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم. والمحفوظ في هذا رواية أحمد [٣٥٨/٥، ٣٦١] عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت وليه فعلي وليه».

ورواه أحمد [٣٥٠/٥] أيضاً والحسن بن عرفة، عن أبي معاوية، عن الأعمش به.

ورواه النسائي [٨١٤٤، ٨٤٦٥] عن أبي كريب عن أبي معاوية به.

وقال أحمد [٣٥٩/٥]: حدثنا روح عن علي بن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر، فقال خالد لبريدة: ألا ترى ما يصنع هذا؟ قال: فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ أخبرته ما صنع علي، قال: - وكنت أبغض علياً - فقال: «يا بريدة أتبغض علياً؟» فقلت: نعم! قال: «لا تبغضه وأجبه فإن له في الخمس أكثر من ذلك». وقد رواه البخاري في الصحيح [٤٣٥٠] عن بندار عن روح به مطولاً.

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عبد الجليل قال: انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجاز وابن بريدة فقال عبد الله بن بريدة: حدثني أبي بريدة قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً، قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أجبه إلا على بغضه علياً، قال: فبعث ذلك الرجل على خيل قال: فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه علياً فأصبنا سيماً فكتب إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا من يخمس، فبعث إلينا علياً قال: وفي السي وصيفة هي من أفضل السي - خمسم وقسم فخرج ورأسه يقطر، قلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصفة التي كانت في السي؟ فإني سمعت وخمست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ، ثم صارت في آل علي فوقعت بها، قال: وكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت: ابعتني؟ فبعثني مصدقاً، قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب قال: «أتبغض علياً؟» قال: قلت: نعم! قال: «فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حياءً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة»، قال: فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي. قال عبد الله: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة.

حديث غدير خم:

قال الإمام أحمد (٣٧٠/٤): حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا: حدثنا فطر عن أبي الطفيل قال: جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس - قال أبو نعيم: فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: «اتعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلفقت زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعت علياً يقول كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له.

ورواه النسائي (٨٤٦٤) من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك.

وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم: أن علياً أنشد الناس: من سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم.

وقال أبو يعلى (سننه ٥٦٧) وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه (١١٩/١): حدثنا القزازيري حدثنا يونس بن أرقم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» لما قام فشهد قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بديراً كآني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: «أأستأوى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجهم أمهاتهم؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم رواه عبد الله بن أحمد (١١٩/١) عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عتبة بن نزار عن سماك بن عبيد بن الوليد العنسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره، قال: فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا: قد رأينا وسمعنا حين أخذ بيده يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من أخذه».

وهكذا رواه أبو داود الطهري - واسمه عيسى بن مسلم - عن عمرو بن عبد الله بن هند الجملي وعبد الأعلى بن عامر الثملي كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره بنحوه، قال الدارقطني: غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهري.

قال الطبراني (الأوسط ٢٢٧٥)، والصغير (٦٤/١): حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدني سنة تسعين ومائتين. حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت علياً على المنبر يناشد أصحاب رسول الله ﷺ من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم يقول ما قال؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأسن بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العامري عن عبد الله بن موسى عن فطر، عن أبي إسحاق، عن

نركب منها ونريح ليلنا - وكنا قد رأينا في إيلنا خلا - فأنى علينا وقال: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين، قال: فلما فرغ علي وانصق من اليمن راجعاً، أمر علينا إنساناً فأسرع هو فأدرك الحج، فلما قضى حجه قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم». قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي معنا إياه ففعل، فلما جاء علي عرف في إيل الصدقة أنها قد ركبت - رأى أثر المراكب - فلم الذي أمره ولأمه، فقلت: أما إن لله علي إن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق، قال: فلما قدمت المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلفقت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فلما رأيته وقف معي ورحب بي وسألني وسأله وقال: متى قدمت؟ قلت: قدمت الباردة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فدخل فقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد، قال: «أئذن له» فدخلت فحيث رسول الله ﷺ وحياتي وسلم علي وسألني عن نفسي وعن أهلي فأخفى المسألة فقلت: يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحة والتضييق، فابتدر رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي - وكنت منه قريباً - وقال: «سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه أخن في سبيل الله»، قال: فقلت في نفسي: تكلكت أمك سعد بن مالك إلا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري، لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سرا ولا علانية:

وقال يونس بن بكير. عن محمد بن إسحاق حدثني إبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن خاله عمرو بن شأس الأسلمي - وكان من أصحاب الحلبية - قال: كنت مع علي في خيله التي بعث فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن، فجفاني علي بعض الجفء فوجدت عليه في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكتني في مجالس المدينة وعند من لقيته فاقبلت يوماً ورسول الله ﷺ جالس في المسجد فلما رأيته أنظر إلى عيني نظر إلي حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال: أما إنه والله ياعمرو لقد آذيتني، فقلت: إنا لله وإننا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ فقال: «من آذى علياً فقد آذاني»

وقد رواه الإمام أحمد (٤٨٣/٣) عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن إبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شأس فذكره.

وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن إبان عن الفضل. وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن إبان بن صالح به ولفظه: «فقال رسول الله ﷺ: «من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».

وروى عباد بن يعقوب الرواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجدة بن هيرة عن عمرو بن شأس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني».

وقال أبو يعلى: حدثنا محمود بن خدش حدثنا مروان بن معاوية، حدثنا قنن بن عبد الله النهمي حدثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فلنا من علي فأقبل رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فتعذت بالله من غضبه فقال: «ما لكم وما لي؟ من آذى علياً فقد آذاني».

عمرو ذي ثمر وسعيد بن وهب وعن زيد بن يثيع قالوا: سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وبغض من أبغضه، وانصر من نصره واخذل من اخذله» قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث: يا أبا بكر أي أشياخ هم؟ وكذلك رواه عبد الله بن أحمد (١١٨/١) عن علي بن حكيم الأودي عن شريك عن أبي إسحاق فذكر نحوه.

وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالوا: سمعنا علياً بركة الكوفة يقول: أنشد الله سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقام عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك.

وقال الإمام أحمد (فضائل الصحابة (١٠٢١)): حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال: نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وقال أحمد (٤١٩/٥): حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حنش بن الحارث بن لقيط الأشجعي عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة (المنصف: ١٢٢٢): حدثنا شريك عن حنش عن رياح بن الحارث قال: بينما نحن جلوس في الرحبة مع علي إذ جاء رجل عليه أثر السفر فقال: السلام عليك يا مولاي فقال: من هذا؟ فقال أبو أيوب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وقال أحمد (٨٨/١): حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا الربيع - يعني ابن أبي صالح الأسلمي - حدثني زياد بن أبي زياد الأسلمي سمعت علي بن أبي طالب ينشد الناس فقال: أنشد الله رجلاً مسلماً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما قال، فقام اثنا عشر رجلاً بدواً فشهدوا.

وقال أحمد (٨٤/١): حدثنا ابن غير حدثنا عبد الملك عن أبي عبد الرحمن الكندي عن زاذان أبي عمر قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خم وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وقال عبد الله بن أحمد (١٥٢/١): حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا شبابة حدثنا نعيم بن حكيم حدثني أبو مرهم ورجل من جلساء علي عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» قال: فزاد الناس بعد: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وقد روي هنا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه، وله طرق متعددة عن زيد بن أرقم.

وقال غندر عن شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريجة أو زيد بن أرقم - شعبة الشاك - قال قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

قال سعيد بن جبير: وأنا قد سمعته قبل هذا من ابن عباس.

رواه الترمذي (٣٧١٣) عن بنابر عن غندر وقال: حسن غريب. وقال الإمام أحمد (٣٧٢/٤): حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة عن المغيرة، عن أبي عبيد عن ميمون بن أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له واد خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ شوب على شجرة ستر من الشمس فقال: «الستم تعلمون - أو أستم تشهدون - أتني أرى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى! قال: «فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه».

وكذا رواه أحمد (٣٧٢/٤، ٣٧٣) عن غندر عن شعبة عن ميمون بن أبي عبد الله عن زيد بن أرقم.

وقد رواه عن زيد بن أرقم جماعة منهم أبو إسحاق السبيعي وخبيب الإسكافي وعطية الموفى وأبو عبد الله الشامي وأبو الطفيل عامر بن واثلة. وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: لما قفل رسول الله ﷺ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن يتزلوا حولهن، ثم بعث إليهن فضلى تحتهن ثم قام فقال: «أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنني لأظن أن يوشك أن ادعى فأجيب، وإنني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا: تشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: «الستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث بعد الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟» قالوا: بلى تشهد بذلك، قال: «اللهم اشهد». ثم قال: «يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: «يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض حوضاً أعرض عما بين بصرى وصنعا فيه آتية عدد النجوم فذبحنا من فضة، وإنني سألتكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تفلتوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

رواه ابن عسكار بطوله من طريق معروف كما ذكرنا.

وقال عبد الرزاق: أنا معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا غدير خم فبعث متابعياً بنادي، فلما اجتمعنا قال: «أأست أولى بكم من أنفسكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «أأست أولى بكم من أمهاتكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «أأست أولى بكم من آبائكم؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «أأست؟ أأست؟ أأست؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فقال عمر بن الخطاب: هنيت لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن.

وكذا رواه ابن ماجه (١١٦) من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان.

ورواه أبو يعلى عن هبة بن خالد وإبراهيم بن الحجاج السامي عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وأبي هارون العبدى عن عدي بن ثابت

عن البراء به.

وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء به.

وقد روى هذا الحديث عن سعد وطلحة بن عبيد الله وجابر بن عبد الله وله طرق عنه وأبي سعيد الخدري وحشبي بن جندة وجرير بن عبد الله وعمر بن الخطاب وأبي هريرة، وله عنه طرق منها - وهي أغربها - الطريق الذي قال:

الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٢٩٠/٨]: حدثنا عبد الله بن علي بن محمد بن بشران أنا علي بن عمر الحافظ أنا أبو نصر حبشون بن موسى بن أيوب الحلال حدثنا علي بن سعيد الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة القرشي عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانين عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: «أبست ولي المؤمنين؟» قالوا بلى يا رسول الله! قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر بن الخطاب: يخ بغ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا دِينِهِمْ أَُولَٰئِكَ سَنَجْزِيكَمُ الْإِيمَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ لَئِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ٣٠﴾ ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو أول يوم نزل جبريل بالرسالة.

قال الخطيب: اشتهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال: إنه تفرد به، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن الثوري، عن علي بن سعيد الشامي.

قلت: وفيه نكارة من وجوه منها:

قوله نزل فيه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكَ مِمَّا دِينِهِمْ أَُولَٰئِكَ سَنَجْزِيكَمُ الْإِيمَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ لَئِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ٣٠﴾ وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ولا يصح أيضاً، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين [ج: (٤٥)، ٣٠١٧م] عن عمر بن الخطاب وقد تقدم. وقد روي عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه الصلاة والسلام «من كنت مولاه والأسانيد إليهم ضعيفة.

حديث الطبر:

وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك:

قال الترمذي (٣٧٢١): حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السدي، عن أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللهم انني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فجاء علي فأكل معه، ثم قال الترمذي: غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه، قال: وقد روي من غير وجه عن أنس.

وقد رواه أبو يعلى [مسند: (٤٠٥٢)] عن الحسن بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به.

وقال أبو يعلى: حدثنا قطن بن بشر حدثنا جعفر بن سليمان الضبي حدثنا عبد الله بن مثنى حدثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال: أهدى لرسول الله ﷺ حَجَلٌ مشوي بمزبه وصنابه فقال رسول الله ﷺ: «اللهم انني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام» فقالت عائشة: اللهم اجعله أبي، وقالت حفصة: اللهم اجعله أبي، وقال أنس: وقلت: اللهم اجعله سعد بن عباد، قال أنس: فسمعت حركة بالباب فخرجتُ

فإذا علي، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا علي بالباب، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم علي فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال: «انظر من هذا؟» فخرجت فإذا هو علي فجنبت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «أئنن له.» فدخل علي، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم وليي، اللهم وليي.»

ورواه الحاكم في مستدرقه (١٣٠/٣، ١٣١) عن أبي علي الحافظ عن محمد بن أحمد الصفار وحيد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي طيبة عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره.

وهذا إسناد غريب.

ثم قال الحاكم: هذا الحديث على شرط البخاري ومسلم. وهذا فيه نظر، فإن أبا علاقة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف لكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه، وعن رواه عنه أبو القاسم الطبراني (الأوسط: (٦٥٥٧)) ثم قال: تفرد به عن أبيه والله أعلم.

قال الحاكم: وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نقلاً.

قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي: وصلهم بثقة يصح الإسناد إليه. ثم قال الحاكم: وصحت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفيته.

قال شيخنا أبو عبد الله: لا والله ما صح شيء من ذلك.

ورواه الحاكم (١٣٠/٣، ١٣١) من طريق إبراهيم بن ثابت القصار - وهو مجهول - عن ثابت البناني عن أنس قال: دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس: اسكت عن سب علي. فذكر الحديث مطولاً وهو منكر سنناً ومثلاً، ثم لم يورد الحاكم في مستدرقه غير هذين الحديثين. وقد رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن خالد الواسطي عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس. وهذا أجود من إسناد الحاكم.

ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك. فقال: أهدني لرسول الله ﷺ طير مشوي فقال: «اللهم انني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير» فذكر نحوه.

ورواه محمد بن مضعي عن حفص بن عمر عن موسى بن مسعود عن الحسن عن أنس فذكره.

ورواه علي بن الحسن الشامي عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بنحوه.

ورواه أحمد بن يزيد الورتيسي عن زهير عن عثمان الطويل عن أنس فذكره.

ورواه عبيد الله بن موسى عن سكين بن عبد العزيز عن ميمون أبي خلف حدثني أنس بن مالك فذكره.

قال الدارقطني: هذا حديث غريب من حديث ميمون أبي خلف تفرد به سكين بن عبد العزيز.

ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس.

ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيزي حدثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة

بن طهمان وعطية العوفي وعبد بن عبد الصمد وعمار الذهبي وعباس بن علي وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكلثوم بن جبر ومحمد بن علي الباقر والزهري ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفي ومحمد بن جحادة وميمون بن مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمي ومنصور بن عبد الحميد ومعل بن أنس وميمون أبي خلف الحراني وقيل: أبو خالد ومطر أبي خالد معاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهني ونافع مولى ابن عمر والنضر بن أنس بن مالك ويوسف بن إبراهيم ويونس بن خباب وزيد بن سفيان وزيد بن أبي حبيب وأبي المليح وأبي الحكم وأبي داود السيعي وأبي حمزة الواسطي وأبي حذيفة العقبلي وإبراهيم بن هذيلة. ثم قال بعد أن ذكر الجميع: الجميع بضعة وتسعون نفساً أقربها غرائب ضعيفة وأرذلها طرق مختلفة مفتعلة وغالبها طرق واهية.

وقد روي من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ فقال أبو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالاً: حدثنا القواريري حدثنا يونس بن أرقم حدثنا مطير بن أبي خالد عن ثابت البجلي عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: أهدت امرأة من الأنصار طائرَيْن بين رَغِيْفَيْن إلى النبي ﷺ ولم يكن في البيت غيري وغير أنس - فجاء رسول الله ﷺ فدعاه بغدائه. فقلت: يا رسول الله قد أهدت لك امرأة من الأنصار هدية، فقدمت الطائرَيْن إليه فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك»، فجاء علي بن أبي طالب فضرب الباب ضرباً خفيفاً، فقلت: من هذا؟ قال: أبو الحسن، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قلت: علي بن أبي طالب قال: «افتح له»، ففتحت له فآكل معه رسول الله ﷺ من الطيرين حتى فتيا.

وروي عن ابن عباس فقال أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا حسين بن محمد حدثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ بطائر فقال: «اللهم اتني بأحب الله ورسوله» فجاء علي فقال: «اللهم ولي».

وروي عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب: حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال: أهدى لرسول الله ﷺ طير يقال له الحُبَارَى فوضعت بين يديه - وكان أنس بن مالك يحببه - فرفع النبي ﷺ يده إلى الله ثم قال: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير»، قال: فجاء علي فاستأذن فقال له أنس: إن رسول الله - يعني - على حاجته، فرجع ثم أعاد رسول الله ﷺ الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «اللهم ولي»، فآكل معه فلما أكل رسول الله ﷺ وخرج علي قال أنس أتبعته عالياً فقلت: يا أبا الحسن استغفر لي فإن لي إليك ذنباً وإن عندني بشارة، فأخبرته بما كان من النبي ﷺ فحمد الله واستغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه.

ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أورده ابن عساكر من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لمية عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله.

وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم (المستدرک: ١٣١/٣) ولكن إسناده مظلم وفيه ضعف.

وروي من حديث حشبي بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن حديث يعلى

فساله عن علي بن أبي طالب فقال: أهدى للنبي ﷺ طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال: «اللهم اتني بأحب الخلق إليك يأكل معي». فذكره.

وقال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٧١/٣]: أنا الحسن بن أبي بكر أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح حدثنا محمد بن القاسم التحوي أبو عبد الله حدثنا أبو عاصم عن أبي الهندي عن أنس فذكره.

ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره. وقال أبو يعلى [سننه: ٤٠٥٢]: حدثنا الحسن بن حماد الوراق، حدثنا مسهر بن عبد الملك بن سلح - ثقة -، حدثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدي أن رسول الله ﷺ كان عنده طائر فقال: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء أبو بكر فردّه، ثم جاء عمر فردّه ثم جاء عثمان فردّه ثم جاء علي فأذن له.

وقال أبو العباس بن عقدة حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا يوسف بن عدي، حدثنا حماد بن المختار الكوفي حدثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال: أهدى لرسول الله ﷺ طائر فوضع بين يديه فقال: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي» قال: فجاء علي فلق الباب فقلت: من ذا؟ فقال: أنا علي، فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. حتى فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي ﷺ: «ما حبّسك؟» فقال: قد جئت ثلاث مرات فيحبسني أنس، فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ذلك؟» قال قلت: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي» وقد رواه الحاكم النيسابوري عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين الكسائي عن أبي توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن أنس فذكره، ثم قال الحاكم: لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وساقه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٤٨/١٢] من حديث الحارث بن نهان عن إسماعيل - رجل من أهل الكوفة - عن أنس بن مالك فذكره.

ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني عن النجم بن بشير، عن إسماعيل أبي سليمان أخي إسحاق بن سليمان الرازي عن عبد الملك بن أبي سليمان عن أنس فذكره.

ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن علي السلمي عن أبي حذيفة العقبلي عن أنس فذكره.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو هشام حدثنا ابن فضال حدثنا مسلم الملائني عن أنس قال: أهدت أم إيمان إلى رسول الله ﷺ طيراً مشوياً فقال: «اللهم اتني بمن تحبه يأكل معي من هذا الطير»، قال أنس: فجاء علي فاستأذن فقلت: هو على حاجته، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت: هو على حاجته فرجع، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي ﷺ صوته فقال: «اتنن له» فدخل وهو موضوع بين يديه فآكل منه وحمد الله.

فهذه طرق متعددة عن أنس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال.

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي - في جزءه جمعه في هذا الحديث بعدما أورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا: ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عصام خالد بن عبيد ودينار أبي مكيّس وزيد بن محمد الثقفي وزيد العنسي وزيد بن المنذر وسعد بن مسيرة البكري وسليمان التيمي وسليمان بن علي الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن غارب وطلحة بن مصرف وأبي الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن أبي حفص الثقفي الضرير وعمر بن سليم البجلي وعمر بن يحيى الثقفي وعثمان الطويل وعلي بن أبي رافع وعيسى

بن مرة والإستاد إليه مظلم، ومن حديث أبي رافع نحوه وليس بصحيح بل طريقه مظلم.

وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر بن مردويه والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه والفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب «التاريخ»، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنناً ومناً للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم. وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم.

حديث آخر في فضل علي رضي الله عنه:

قال أبو بكر الشافعي: حدثنا بشر بن موسى الأسدي حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار في نخل لما يقال له الأسواف، فقرشت لرسول الله ﷺ تحت صُور لها مرشوش فقال رسول الله ﷺ: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة»، فجاءه أبو بكر، ثم قال: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة»، فجاء عمر، ثم قال: «الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة»، قال: فلقد رأيته مطاطناً رأسه تحت الصُور ثم يقول: «اللهم إن شئت جعلته علياً»، فجاء علي، ثم إن الأنصارية ذمجت لرسول الله ﷺ شاة وصنعتها فاكلوا وكانوا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ما توضع ولا توضعنا، فلما حضرت العصر صلى وما توضع ولا توضعنا.

حديث آخر:

قال أبو يعلى [سنه ٤٨٥٧]: حدثنا الحسن بن حماد الكوفي حدثنا ابن أبي غيث عن أبيه عن الشيباني عن جميع بن عيمر قال: دخلت مع أبي علي عائشة فسألته عن علي فقالت: ما رأيته رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته. وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عيمر به.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [٣٢٣/٦]: حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجندي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ فقلت: معاذ الله - أو سبحانه الله أو كلمة نحوها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني». وقد رواه أبو يعلى [سنه ٧٠١٣] عن أبي خيثمة عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بجلة من سليم عن السدي عن أبي عبد الله الجندي قال: قالت لي أم سلمة أيسب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فيكم على المنابر؟ قال: قلت وأنتي ذلك؟ قالت: ليس يسب علي ومن أحبه؟ فأنشد أن رسول الله ﷺ كان يحبه. وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة.

وقد ورد من حديثنا وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «كذب من زعم أنه يجيبي ويغضك». ولكن أساتيدنا كلها

ضعيفة لا يحتج بها.

حديث آخر:

قال عبد الرزاق: أنا الثوري عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبیش قال: سمعت علياً يقول: والذي قلن الحية، وبرأ النمة إنه لعهد النبي ﷺ لي: «إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يغضك إلا منافق».

ورواه أحمد [٨٤/١] عن ابن نمير ووكيع عن الأعمش وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الحاربي وعبيد الله بن موسى وحاضر بن المؤنذ ويحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش به.

وأخرجه مسلم في صحيحه [٧٨] عن وكيع وأبي معاوية، عن الأعمش به. ورواه حسان بن حسان عن شعبة عن عدي بن ثابت عن زر عن علي فذكره. وقد روي من غير وجه عن علي. وهذا الذي أورده هو الصحيح من ذلك والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢٩٢/٦]: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبي نصر حدثني مساور الحميري عن أمه قالت: سمعت أم سلمة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «لا يغضك مؤمن ولا يحبك منافق».

وقد روي من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح. وروى ابن عقدة عن الحسن بن علي بن بزيع حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى الجزار عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زعم أنه آمن بي وما جئت به وهو يغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن» وهذا بهذا الإسناد غثقل لا يثبت والله أعلم.

وقال الحسن بن عرفة: حدثني سعيد بن محمد الوراق عن علي بن الحزور سمعت أبا مريم الثقفي سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: «طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك».

وقد روي في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها. وقال غير واحد عن أبي الأزر أحمد بن الأزر: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى علي فقال: «أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني وحببك حبيب الله ومن أبغضك فقد أبغضني وبغضك بغض الله، والويل لمن أبغضك من بعدي» [فضائل الصحابة ١٠٩٢]، المستور: ١٢٨/٣.

وروي غير واحد أيضاً عن الحارث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك من عيسى ابن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به» قال علي: ألا وإنه يهلك في آثان محب مطر يُقَرَّطني بما ليس في. وبغض يحمله شتائي على أن يهتني، ألا وإنني لست بنبي ولا يوحى لي، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فتح عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم.

لفظ عبد الله بن أحمد [زوائد السنن: ١/١٦٠].

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا علي بن

عنه، فقال رسول الله ﷺ ما انتجته ولكن الله انتجته ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله: «ولكن الله انتجته» أن الله أمرني أن انتجي معه.

حديث آخر:

قال الترمذي [٣٧٣٧]: حدثنا محمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد حدثنا أبو عاصم عن أبي الجراح عن جابر بن صبح حدثني أمي أم شراحيل حدثني أم عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي قال: فسمعت رسول الله ﷺ رافعاً يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى تريني علياً» ثم قال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [١٨٩/١]: حدثنا علي بن عاصم قال: حصين أخبرنا عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال: لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المنيرة بن شعبة قال: فأقام خطباً يعقون في علي، قال: وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال: فنفض بقماء واحد بيدي وتبعته فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة، ولو شهدت على العاشر لم أتم، قال: قلت: وما ذلك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «أثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» قال: قلت: من هم؟ فقال: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك. قال: قلت: ومن العاشر؟ قال: قال أنا. وينبغي أن يكتب ها هنا حديث أم سلمة المتقدم أنها قالت لأبي عبد الله الجليلي: أيسب رسول الله ﷺ فيكم على المنابر؟ الحديث رواه أحمد أيضاً.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [١٦٤/٤]: حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكير قالوا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن جثني بن جنادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال: قال رسول الله ﷺ: «علي سني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي». ثم رواه أحمد [١٦٤/٤، ١٦٥] عن أبي أحمد الزبيري عن إسرائيل.

حديث آخر:

قال أحمد [٣/١]: حدثنا وكيع قال: قال إسرائيل: قال أبو إسحاق عن زيد بن يثيع عن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث بهيراءة إلى أهل مكة «لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله». قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي: «الحقه ورداً على أبا بكر ولتفنها أنت»، قال: فلما قدم أبو بكر على رسول الله ﷺ

سهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عبيدة عن علي قال: أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك وهذا لي.

قال يعقوب: وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله، وعبيدة أقل منه ليس حديثه بشيء. وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديثه بهذا الحديث فقال له الأعمش: إذا نسيت فذكروني. ويقال: إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتقيص لهم في تصديقهم ذلك. قلت: وما يتوهمه بعض العوام - بل هو مشهور بين كثير منهم - أن علياً هو الساقى على الخوض فليس له أصل ولم يحس من طريق مرضي يعتمد عليه، والذي ثبت أن رسول الله ﷺ هو الذي يسقي الناس. وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة راكباً إلا أربعة: رسول الله ﷺ على البراق، وصالح عن ناقته، وحمزة على المصباء، وعلي على ناقه من نوق الجنة رافعاً صوته بالتهليل، وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلي يقول أحدهم: خذ بعلي، أعطني بعلي، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزعات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شيء من هذه الوجوه، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الإيمان عند الموت، ومن حلف بغير الله فقد أشرك.

حديث آخر:

قال الإمام أحمد [٨٣/١، ٨٤]: حدثني يحيى عن شعبة حدثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا وجع وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان أجلاً فأرني، وإن كان بلاءً فصبرني. قال: «ما قلت؟» فأعدت عليه فضربي برجله وقال: «ما قلت؟» فأعدت عليه فقال: «اللهم عافه» أو «اشفه» فما اشتكيت ذلك الوجع بعد.

حديث آخر:

قال محمد بن مسلم بن وارة: حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا أبو عمر الأزدي عن أبي راشد الجبراني عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه فليتنظر إلى علي بن أبي طالب». وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده.

حديث رد الشمس له حتى صلى العصر:

ضعيف لا يصح، قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيد والثفاضة كما تقدم فأغنى عن إعادته.

حديث آخر:

قال أبو عيسى الترمذي [٣٧٢٦]: حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال: «دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فأتجاء فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن

وبعبدية من المؤمنين، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من الكافرين. وما روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي.

وفي رواية عنه أنه قال: نزل فيه ثلاثمائة آية. فلا يصح ذلك عنه لا هنا ولا هنا. ولا يصح أيضاً ما قالوا فيه أنه قال: ما نزلت آية فيها: «يا أيها الذين آمنوا» إلا وعلي بن أبي طالب رأسها. كل ذلك لا يصح، وإنما هذا من غلو الرافضة.

حديث آخر

قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا العباس بن يكار أبو الوليد حدثنا عبد الله بن المنثري الأنصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً بالمسجد وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل عليّ فسلم ثم وقف فظفر مكاناً يجلس فيه فظفر رسول الله ﷺ إلى وجهه أصحابه أيهم يوسع له - وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ جالساً - فترجح أبو بكر عن مجلسه وقال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ، ثم أقبل عليّ أبي بكر فقال: «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذرو الفضل».

فأما الحديث الوارد عن علي وحذيفة مرفوعاً «عليّ خير البشر، من أبي فقد كفر». فهو موضوع من الطريقين معاً قبح الله من وضعه واختلقه. حديث آخر قال أبو يعيسى الترمذي [٣٧٢٣]: حدثنا إسماعيل بن موسى بن عمر الرومي حدثنا شريك عن سلمة بن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصناجي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» ثم قال: هذا الحديث غريب قال: وروى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس.

قلت: رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة عن الصناجي عن علي مرفوعاً: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة».

وأما حديث ابن عباس فرواه ابن عدي [الكامل: ١٩٢/١، ١٩٣] من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو الجرجاني حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها» ثم قال ابن عدي: وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي عن أبي معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء. هكذا قال رحمه الله.

وقد روى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن ابن معين أنه قال: أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا الحديث قديماً ثم كف عنه. قال: وكان أبو الصلت رجلاً موسراً يكرم المشايخ ويحدثونه بهذه الأحاديث.

وساقه ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله فذكره مرفوعاً. ومن طريق أخرى عن جابر. قال ابن عدي [الكامل: ١٩٥/١]: وهو موضوع أيضاً. وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصح في هذا الباب شيء. حديث آخر: يقرب مما قبله:

قال ابن عدي [الكامل: ١٤٢/١]: حدثنا أحمد بن حملون النيسابوري حدثنا ابن بنت أبي أسامة - هو جعفر بن هذيل - حدثنا ضرار بن صرد حدثنا يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش عن عتبة عن ابن عباس عن

بكي وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتي».

وقال عبد الله بن أحمد [١٥١/١ مطولاً]: حدثني محمد بن سليمان لويس حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن جثني عن علي قال: لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي: «أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فأقراه عليهم»، فلحقته بالحقفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: «لا ولكن جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك».

وقله رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه. وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فإن الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون بـ«براءة»؟ وقد قرئنا ذلك في حجة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة.

حديث آخر:

روي من حديث أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه علي عبادة».

وفي حديث عن عائشة: «ذكر علي عبادة». ولكن لا يصح شيء منها فإنه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي. حديث الصدقة بالفتح وهو راجع:

قال الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم الرازي حدثنا محمد بن يحيى بن ضريس العبدي حدثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» [المائدة: ٥٥] فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد والناس يصلون بين راعٍ وقائم وإذا سائل فقال: «يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟» فقال: لا إلا هاذك الراكع - لملي - أعطاني خاتمه.

وقال الحافظ ابن عساكر: أنا خالي أبو المغالي القاضي أنا أبو الحسن الخلعي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الرملي حدثنا القاضي جُملة بن محمد حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال: تصدق علي بخاتمة وهو راجع فنزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ».

وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيد ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يوردونه في قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» [الرعد: ٧] وقوله: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسْرَارًا» [الإنسان: ٨] وقوله: «اجْتَلَيْتُمْ شَفَاةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [الجمعة: ١٩] وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها.

وأما قوله تعالى: «هَٰذَا خَصَمَانِ احْتَضَمَا فِي رَيْبٍ» [الحج: ١٩] فثبت في الصحيح (ج: ٤٧٤٣، ٤٧٤٤، ٤٧٤٥) أنه نزل في علي وحزرة

النبي ﷺ قال: «علي غيبة علمي»

حديث آخر في معنى ما تقدم

قال ابن عدي: حدثنا أبو يعلى حدثنا كامل بن طلحة حدثنا ابن لميعة حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحجلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ادعوا لي أخي» فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال: «ادعوا لي أخي» فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: «ادعوا لي أخي» فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب.

قال ابن عدي: هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لميعة فإنه شديد الإنطراف في التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف والله أعلم.

حديث آخر:

قال ابن عساکر: أنبأنا أبو علي المقرئ، أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريفي حدثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة حدثنا محمد بن علي الوهمي الكوفي حدثنا أحمد بن عمران بن سلمة - وكان ثقة عدلاً مرضياً - حدثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنت عند النبي ﷺ فستل عن علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطي علي تسعة والناس جزءاً واحداً» وسكت الحافظ ابن عساکر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على سفيان الثوري بإسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه.

حديث آخر:

قال أبو يعلى [مسند (٤٠١)]: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن علي. قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال: فضر في صدري وقال: «إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد.

وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول: علي أقتضانا وأبى أقرؤنا للقرآن. وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها ربطات سعد: [٣٣٩/٢].

حديث آخر

قال الإمام أحمد [٣٠٠/٦]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت: والذي أحلف به إن كان علي بن أبي طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: «جاء علي؟» مراراً - وأظنه كان بعثه في حاجة - قالت: فجاء بعد فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقلعنا عند الباب فكتت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه علي فجعل يسأره ويتابعه ثم قبض من يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً. وهكذا رواه عبد الله بن أحمد [٣٠٠/٦] وأبو يعلى [مسند (٦٩٣٤)] عن أبي بكر بن أبي شيبة به.

حديث آخر في معناه:

قال أبو يعلى [مسند (٤٨٦٥)]: حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا أبو بكر بن عياش عن صدقة بن سعيد عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا: يا أم المؤمنين أخبرينا عن علي، قالت: أي شيء تسألان؟

عن رجل وضع يده من رسول الله ﷺ موضعاً فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، واختلقوا في دفته فقال: إن أحب الأماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه ﷺ قالتا: فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قضي لوددت أنني أفنيه بما على الأرض وهذا منكر جداً وفي الصحيح [٣١٠٠]، [٢٤٤٣] ما يرد هذا والله أعلم.

حديث آخر قال الإمام أحمد [١٠٨/١، ١٠٩]: حدثنا أسود بن عامر حدثني عبد الحميد بن أبي جعفر - يعني الفراء - عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن علي قال: قيل: يا رسول الله من تؤمر بعدك؟ قال: «إن تؤمروا أبا بكر تجتهدوا أميناً زاهداً في الدنيا راضياً في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجتهدوا قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا علياً - ولا أراكم فاعلين - تجتهدوا هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم».

وقد روى هذا الحديث من طريق عبدالرزاق عن النعمان بن أبي شيبة وعن يحيى بن العلاء عن الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة عن النبي ﷺ بنحوه [المستدرک: ١٤٢/٣].

ورواه أبو الصلت الهروي عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثوري عن شريك عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن حذيفة به.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: أنا أبو عبد الله محمد بن علي الأدمي بمكة حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني أنا عبد الرزاق بن همام عن أبيه عن ابن مينا عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ ليلة وفد الجبل قال: فتنفس فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «نعت إلي نفسي» قلت: فاستخلف. قال: «من؟» قلت: أبا بكر قال: فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال «نعت إلي نفسي يا ابن مسعود» قلت: فاستخلف قال: «من؟» قلت: عمر قال: فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال: فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «نعت إلي نفسي يا ابن مسعود» قلت: فاستخلف قال: «من؟» قلت: علي بن أبي طالب قال: «أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتبن»

قال ابن عساکر: همام ومينا مجهولان.

حديث آخر:

قال أبو يعلى [مسند (٥٥٠)]: حدثنا أبو موسى - يعني محمد بن المنسى - حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب الدلال حدثنا مختار بن نافع التيمي حدثنا أبو حيان التيمي عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجي ابته وحملني إلى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراراً تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار».

وقد ورد عن أبي سعيد وأم سلمة أن الحق مع علي رضي الله عنه. وفي كل منهما نظر والله أعلم.

حديث آخر

قال أبو يعلى [مسند (١٠٨٦)]: حدثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: «لا» فقال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: «لا» ولكن خاصف النعل - وكان قد أعطى علياً نعله ينصفه. ورواه البيهقي [الدلائل: ٤٣٦/٦] عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن

هذا المال وأنت تعمل بنفسك هذا؟! فقال: إني والله لا أرى من مالكم شيئا، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي - أو قال: من المدينة. وقال أبو نعيم: سمعت سفيان الثوري يقول: ما بنى علي لبنةً على لبنة ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحجوبه من المدينة في جراب. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان أبو حيان عن مجمع بن سميان التيمي قال: خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها إزاراً ما بعته.

وقال الزبير بن بكار: حدثني سفيان عن جعفر - قال: أظنه عن أبيه - أن علياً كان إذا لبس قميصاً مد يده في كفه فما فضل من الكم عن الأصابع قطعه وقال: ليس لكم فضل عن الأصابع. وقال أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال: اشتري علي قميصاً بثلاثة دراهم وهو خليفة وقطع كفه من موضع الرسغين، وقال: الحمد لله الذي هذا من ريشه.

وروي الإمام أحمد في الزهد عن عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن مولى لأبي عصفير قال: رأيت علياً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرايس فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فاخرج إليه قميصاً فلبسه فإذا هو لي نصف ساقيه، فنظر عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدراً حسناً، بكم هو؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق.

وقال محمد بن سعد: أنا الفضل بن دكين أنا الحسن بن جرموز عن أبيه قال: رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قفطان؛ إزار لي نصف الساق ورداء مشمر قريب منه، ومعه درة له عشي بها في الأسواق ويامر الناس بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفروا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم.

وقال عبد الله بن المبارك في الزهد [٧٥٦]: أنا رجل حدثني صالح بن يثيم حدثنا يزيد بن وهب الجهني قال: خرج علينا علي بن أبي طالب ذات يوم وعليه بردان مترد بأحدهما مرتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانباً، قد رفع رداءه بمخرقة فمر به أعرابي فقال: أيها الإنسان البس من هذه الثياب فإنك ميت أو مقتول. فقال: أيها الأعرابي إنما البس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو، وخيراً لي في صلاتي، وستة للمؤمن.

وقال عبد بن حميد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا المختار بن نافع عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقي لثوبك وأتقى لك، وخذ عن رأسك إن كنت مسلماً. فمشيت خلفه وهو بين يدي مؤتزر بإزار مرتد برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بلوي فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد. فقلت: أجل أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. حتى انتهى إلى دار بني أبي معيط وهي سوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن البيعة تنفق السلعة وتمحق البركة.

ثم أتى أصحاب التمر فإذا خادم تكيي فقال: ما يبكيك؟ فقلت: باعني هذا الرجل تمرأ بدهم فزده موالي فأبى أن يقبله، فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمها، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتلدري من هذا؟ فقال: لا فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فصبت تمره وأعطاهما درهمها. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين، قال: ما أرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم. ثم مرّ بجزارة بأصحاب التمر

عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش به.

ورواه الإمام أحمد [٨٢/٣] عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به.

ورواه البيهقي [الدلائل: ٤٣٥/٦] أيضاً من حديث أبي نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد به.

ورواه فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد.

وروي من حديث علي نفسه [٣٧١٥]. وقد قدمنا هذا الحديث في موضعه في قتال علي أهل البغي والخنزورج والله الحمد. وقدمنا أيضاً حديث علي للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك: إنك تقتاتني وأنت ظالم. فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه في وادي السباع [الدلائل للبيهقي: ٤١٥/٦]. وقدمنا صبره وصرامته وشجاعته في يوم الجمل وصفين، ويسأله وفضله في يوم النهروان، وما ورد في فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن علي وأبي سعيد وأبي أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والتاكثين وفسروا التاكثين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف [مسند أبي يعلى (٥١٩)].

فصل: في ذكر شيء من سيرته العادلة وطريقته

الفاضلة ومواعظه وقضايها الفاضلة وخطبه الكاملة

وحكمه التي هي إلى القلوب واصله

قال عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء عن أبيه قال: خطب علي فقال: أيها الناس! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هله - وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب - . فقال: أهداها إلي الدهقان، ثم أتى بيت المال فقال: خذوا وأتوا يقول:

أفلس من كانت له قوصرة - ياكل منها كل يوم تمر -

وفي رواية: مره - وفي رواية:

طوبى لمن كانت له قوصرة.

وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن لبيعة عن ابن هيرة عن عبد الله بن زريق العافقي قال: دخلنا مع علي يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة فقلنا: أصلحك الله لو قدمت إلينا هذا البط والإوز، فإن الله قد أكثر الخير فقال: يا ابن زريق إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحمل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها الناس»

وقال الإمام أحمد [٧٨/١]: حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بني هاشم قال: حدثنا ابن لبيعة حدثنا عبد الله بن هيرة عن عبد الله بن زريق أنه قال: دخلت على علي بن أبي طالب - قال حسن: يوم الأضحى - : فقرب إلينا خزيرة فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الزر - فإن الله قد أكثر الخير، قال: يا ابن زريق إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحمل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس»

وقال أبو عبيد: حدثنا عباد بن العوام عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخوارج وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في

فقال: يا أصحاب التمر اطعموا المساكين يرب كسبكم.

ثم مر مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طافو. ثم أتى دار فرات - وهي سوق الكرايس - فأتى شيخاً فقال: يا شيخ أحسن بيبي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، ثم آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حديثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم. وكفه ما بين الرسغين إلى الكتفين. يقول في لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أحمل به في الناس، ولأوري به عروتي. فقيل له: يا أمير المؤمنين هذا شيء ترويه عن نفسك أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: لا بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقولوه عند الكسوة. فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل له: يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم، قال: أفلا أخذت منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة فقال: اسك هذا الدرهم. فقال: ما شأن هذا الدرهم؟ فقال: كان قميصاً ثُمُ درهمين، فقال: يا بني رضاي وأخذ رضاه.

وقال عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الشعبي قال: وجد علي بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني فاقبل به إلى شريح يخافه، قال: فجاء علي حتى جلس جنب شريح وقال: يا شريح لو كان خصمي مسلماً ما جلست إلا معه، ولكنه نصراني وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ولياهم في طريق فاضطروهم إلى مضايقه، وصغروا بهم كما صغر الله بهم من غير أن تطغوا» ثم قال: هذا الدرع درعي ولم أبع ولم أحب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، مالي بينة. ف قضى بها شريح للنصراني، قال: فأخذها النصراني ومشى خطى ثم رجع فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين قسني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين أتبع الجيش وأنت متطلق إلى صفين فخرجت من بعرك الأورق. فقال: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس. قال الشعبي: فأخبرتني من رآه يقاتل الخوارج مع علي يوم النهروان.

وقال سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة: جاء جمعة بن هيرة إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب إلي أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك للبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلهذه علي وقال: إن هذا شيء لو كان في فعلت، ولكن إما ذا شيء لله. وقال أبو القاسم البغوي: حدثني جدي حدثنا علي بن هاشم عن صالح يباع الأكسية عن جدته قالت: رأيت علياً اشترى ثوباً بدرهم فحمله في ملحفته فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا تحمله عنك؟ فقال: أبو العيال أحق بحمله.

وعن أبي هاشم عن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقول: «يُنَالِكُ النَّارَ الْآخِرَةَ نَجَّهْتُهَا لِلنَّاسِ لَئِي لَا يُرِيدُوا عُلُوقاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً» [قصص: ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية في أهل المنزل والتواضع من الولاء وأهل القدرة من سائر الناس. وعن عبادة بن زياد عن صالح بن أبي الأسود عن حدث أنه رأى

علياً قد ركب حملاً ودلى رجله إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي اهنت الدنيا.

وقال يحيى بن معين عن علي بن الجعد عن الحسن بن صالح قال: تذكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهّد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب. وقال هشام بن حسان: بينا نحن عند الحسن البصري إذ أقبل رجل من الأزارقة فقال: يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: فاحترت وجئت الحسن وقال: رحم الله علياً، إن علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلّ العلم أشرفها وأقربها من رسول الله ﷺ، وكان ربّاني هذه الأمة، لم يكن لحال الله بالسروقة، ولا في أمر الله بالتزوم، أعطى القرآن عزاقه وعمله وعلمه، فكان منه في رياض موفقة، وأعلام بينة، ذاك علي بن أبي طالب يا كنع.

وقال هشيم عن سيار عن عمار. قال: حدث رجل علي بن أبي طالب بحديث فكتبه فما قام حتى عمي.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني شريح بن يونس حدثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم عن عمار الحضرمي عن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث علياً بحديث فقال: ما أراك إلا قد كلبتني، قال: لم أفعل قال: ادعرو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع! فدعا فما برح حتى عمي.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا خلف بن سالم حدثنا محمد بن بشر عن أبي مكين قال: مررت أنا وخالي أبو أمية على دار في حل حي من مراد قال: ترى هذه الدار؟ قلت: نعم قال: فإن علياً مر عليها وهم بينونها فسقطت عليه قطعة فشحته فدعا الله أن لا يكمل بناؤها، قال: فما وضعت عليها لبنة، قال: فكتبت أثرُ عليها لا تشبه الدور.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الله بن يونس بن بكير الشيباني عن أبيه عن عبد النفران بن القاسم الأنصاري عن أبي بشير الشيباني. قال: شهدت الجمل مع مولاي فما رأيت يوماً قط أكثر ساعداً نادراً وقدماً نادراً من يومئذ، ولا مررت بدار الوليد قط إلا ذكرت يوم الجمل قال: فحدثني الحكم بن عتيبة أن علياً دعا يوم الجمل فقال: اللهم خذ ألبهم وأقدانهم. ومن كلامه الحسن رضي الله عنه:

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد أنا عمرو بن شمر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكة يقول: صليت مع علي صلاة الفجر فلما انتقل عن منبته مكث كان عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صغراً شعثاً غبراً بين أعينهم كأثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يتراوون بين جملهم وأقدانهم، فلما أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الربيع، وهملت أعينهم حتى يُبَلَّ لباسهم، والله لكان القوم باتوا غافلين. ثم نهض فما رني بعد ذلك مقفراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق.

وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دهم عن علي بن أبي طالب أنه قال: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه يأتي من بعدكم زمان ينكر فيه من الحق تسعة أعشاره، وإنه لا ينجو منه إلا كل نومة مُبْتَدِئُ الداء، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالمثل المذنبين البُزُر. ثم قال: ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد أتت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من

فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد أذنت ببيئها، ونادت بفراقها، وشهت بشروورها السرور، وبلاتها إليه ترغيباً وترهيباً، فبا أيها الزام للذينا الملعل نفسه متى خدعتك الدنيا أو متى استندت إليك؟ أمصارع آبائك في البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مرضت بيليك، وعللت بكفليك، تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء لا يعني عنك دواؤك، ولا ينفعل بكأوك.

وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري. قال: جاء رجل إلى علي فاطراه - وكان ييخنس علياً - فقال له: لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

وروي ابن عساكر أن رجلاً قال لعلي: ثبتك الله قال: على صدرك. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر قال: قال علي: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصاً في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره غفيرة فلا يكون ذلك له فتنة، فإن المسلم مالم يغش فذاه يظهر تخشعاً لها إذا ذكرت، وتغري به لئام الناس، كالياسر القالنج ينتظر أول فوزه من قلداه توجب له المنعم، وتدفغ عنه المنعم فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسينين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسيه ودينه، الحرت حزنان فحرت الدنيا المال والبنون وحررت الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام.

قال سفيان: ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي؟ وقال الثوري عن زيد اليامي عن مهاجر العامري قال: كتب علي بن أبي طالب عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه: أما بعد فلا تطولن حجابك على ريعتك، فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة الضيق. وقلة علم بالأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيضعف عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليس على القول سمات يعرف بها ضروب الصدق من الكذب، فتحصن من الإدخال في الحق بلين الحجاب، وإنما أنت أحد الرجلين، إما امرؤ سحنت نفسك بالبدل في الحق فقيم احتجابك من حق واجب أن تعطيه؟ أو خلق كريم تسد به؟ وإما مبتلى بالمنع والشح فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يسروا من خيرك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤنة فيه عليك من شكاية مظلمة أو طلب إنصاف، فانتفع بما وصفت لك واقتصر على حفظك ورشدك إن شاء الله.

وقال المدائني: كتب علي إلى بعض عماله: رويداً فكان قد بلغت المدى، وعرضت عليك أعمالك بالحل الذي يتاحي المغتر بالمسرة، ويتمنى المضيع التوبة، والقائم الرحمة.

وقال هشيم: أخبرنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة.

ورواه هشام بن عمار عن إبراهيم بن أعين عن عمر بن أبي زائدة عن عبد الله بن أبي السفر عن الشعبي ذكره.

وقال أبو بكر بن حريز قال: وأخبرنا عن دماذ عن أبي عبيدة قال: كتب معاوية إلى علي: يا أبا الحسن إن لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيداً في

أبناء الدنيا، ألا وإن الزامدين في الدنيا اتخفوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرّمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ألا إن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة خليلين، وأهل النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم عززوة، وأنفسهم عفيفة، وحوادثهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لمقى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقناعمهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، رثنا رثنا، يطلبون فكاً رقابهم. وأما النهار فعملهم حلماء بررة أقباء، كأنهم القلح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بالقوم من مرض، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم.

وعن الأصم بن نباتة قال: صعد علي ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذك، وإن فررتم منه أدرككم، فالتجاء النجاء، والحواء الوحاء، وراكم طالب حيث القبر فاحلروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت السوء، أنا بيت الوحشة، ألا وإن وراء ذلك يوماً شيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَهُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٢] ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقمرها بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، وخازنها ملك ليس لله فيه رحمة.

قال: ثم بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله ولياكم من المؤمنين، وأجارتنا ولياكم من العذاب الأليم.

ورواه ليث بن أبي سليم عن مجاهد حدثني من سمع علياً فذكر نحوه.

وقال وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفي بن دهم قال: خطب علي فقال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت برداء، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاح، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خيب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإنني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالتار نام هاربا، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حار به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظنن، وذلكم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم.

أيها الناس: أحسنوا في أعماركم تحفظوا في عقيكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه. إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا ينفك أسيرها، ولا يجبر كسبرها، حرها شديد، وقمرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

وفي رواية: فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.

وعن عاصم بن ضمرة قال: ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجا لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ومحوا

الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي. فقال علي: أبا الفضائل يفخر علي ابن أكلة الأكباد؟ ثم قال: اكتب يا غلام

عمد النبي أخني وصهري وخزنة سيد الشهداء عسي وجعفر السدي عسي ويضحني يطير مع الملائكة ابن أسي وبنيت عملي سكي وعروسي مسوط لحنها بدمي ولحمي وسبطا أحمد ولدي منها فليكن لهم سهم كسهمي سيقنكم لي الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان خلعتي قال: فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب.

وهذا مقطع بين أبي عبيدة وزمان علي ومعاوية.

وقال الزبير بن بكار وغيره: حدثني بكر بن حارثة عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله قال: سمعت علياً ينشد ورسول الله ﷺ يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسي معه ربيث وسبطه هما ولدي جدي وجد رسول الله مفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فديو صدقته وجميع الناس في بهم من الضلالة والإشراك والنكس فالحمد لله شكراً لا شريك له النبي بالمعبد والباقي بلا أمير قال: فبسم رسول الله ﷺ وقال: «صدقت يا علي».

وهذا بهذا الإسناد منكرو الشعر فيه ركائكة، ويكر هذا لا يقبل منه تفرده بهذا السند والمثن والله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي: حدثنا يزيد بن هارون عن نوح بن قيس عن سلامة الكندي عن الأصمعي بن نباتة عن علي أنه جاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك. فقال علي: اكتب على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة، فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تلبس محاسنها فوف أكوك من حسن الثنا حللا إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ولست أبغي بما قد قلته بدلا إن الشاة ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نساء السهل والجبل لا تزهد الدهر في خير تواقفه فكل عبس سحرى بالذي عملا

فقال علي: علي بالندائير. فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، قال الأصمعي: فقلت: يا أمير المؤمنين حلة ومائة دينار؟ قال: نعم! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم» وهذه منزلة هذا الرجل عندي.

وروى الخطيب البغدادي من طريق أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبط بن شريط حدثني أبي إسحاق بن إبراهيم بن نبط عن أبيه عن جده قال: قال علي بن أبي طالب:

إذا اشتملت على الناس القلوب وضاق بما به الصدر الرحيب وأوطنت الكسار وأطمأت وأرست في أماكنها الخطوب ولم تر لتكشاف الضر وجهاً ولا أغنى بيلته الأريب

أشاك على تنوط منك غوث يميء القريب المستجيب وكل الحاديات إذا تنامت فموصول بها الفرع القريب وما أنشده أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب: -

ألا فاصبر على الحدث الجليل وداو جواك بالصبر الجميل ولا تجزع فإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل ولا تظنن بريك ظن سوء فإن الله أول بالجميل فإن العسر يتبعه يسار وقول الله صدق كل قيل فلو أن العقول تجسر رزقاً لكان الرزق عند ذوي العقول فكم من مؤمن قد جاع يوماً سيوى من رحمة السليل

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يبيع المؤمن مع نفاسه، ويشيع الكلب مع خساسته، والكافر يأكل ويشرب، ويلبس ويتمتع، والمؤمن يبيع ويعري، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين.

وما أنشده علي بن جعفر الوراق لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب:

أجد الثياب إذا اكسيت فإنها زين الرجال بها تمز وتكرم ودع التواضع في الثياب تحوقاً فالله يعلم ما تحن وتكس فرثك ثوبك لا يزيدك زلفاً عند الإله وأنت عبد مجرم وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن تحشى الإله وتنقي ما يجرم

وهذا كما جاء في الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [م: (٢٥٦٤)(٣٣)(٣٤)]، مسند أحمد: ٢/٢٨٥، ٢٨٥/٢.

وقال الثوري: ليس الزهد في الدنيا بلبس العباء ولا بأكل الخشن، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد: كان مكتوباً على سيف علي:

للناس حرص على الدنيا وتبسر وصفوها لك عمزوج بتكبير وإن اتوا طاعة لله ربههم فالمل منهم عن الطاعة ملسور لم يرزفوها بعقل عند ما قمت لكنهم رزفوها بالقصاير كم من أدب ليسر لا تساعد وماق نال نية بتقصير لو كان عن قوة أو عن مغالب طار الكثرة بارزاق العصافير

وقال الأصمعي: حدثنا سلمة بن بلال عن مجاهد عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب لرجل كره له صحة رجل:

فلا يصحب أخا الجهل فل ولاك وإياه فكم من جاهل أورد حليماً حين أخاه يقاس المرأة بالر وإذا ما هو ماشاء وللشيء على الشيء مقاييس وأشياء وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وعن عمرو بن العلاء عن أبيه قال: وقف علي على قبر فاطمة فأنشأ يقول:

حدثنا إبراهيم بن سعيد عن شعبة عن أبي عون - محمد بن عبيد الله الثقفي - عن أبي صالح الحنفي قال: رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى أتى لأرى ورقة يتقنع قال: ثم قال: اللهم إنهم متعوني ما فيه فأعطني ما فيه، ثم قال: اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبعي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرفني، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم أمت قلوبهم حيث أمت الملح في الماء. قال إبراهيم: - يعني أهل الكوفة -.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الرحمن بن صالح حدثنا عمرو بن هاشم الجعفي عن أبي جباب عن أبي عون الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي. قال: قال لي الحسن بن علي: قال لي علي: إن رسول الله ﷺ سجن لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمك من الأود واللد؟ قال: ادع عليهم فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني. فخرج فضربه الرجل.

الأود: الموج، واللد: الخصرمة - وقد قدمنا الحديث الوارد بالأخبار بمقتله وأنه تحضب لحية من قرن رأسه، فوقع كما أخبر صلوات الله وسلامه على رسوله.

وروى أبو دارود في كتاب القدر أنه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب علي يجرسونه كل ليلة عشرة - يبيتون في المسجد بالسلاح - فراعهم علي فقال: ما يهلككم؟ فقالوا: نحرسك، فقال: من أهل السماء؟ ثم قال: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، وإن علي من الله جنة حصينة. وفي رواية: وإن الأجل جنة حصينة، وإنه ليس من الناس أحد إلا وقد وكل به ملك فلا تربه دابة ولا شيء إلا قال: اتقه اتقه، فإذا جاء القدر خلى عنه، وفي رواية: ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خلبا عنه، وإنه لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وكان علي يدخل المسجد كل ليلة فيصلي فيه، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قلن تلك الليلة وجمع أهله فلما خرج إلى المسجد صرخ الإوز في وجهه فسكتهن عنه فقال: ذروهن فإنهن نوائح. فلما خرج إلى المسجد ضربه ابن ملجم فكان ما ذكرنا قبل. فقال الناس: يا أمير المؤمنين ألا تقتل مراداً كلها؟ فقال: لا ولكن أحبسوه وأحسنوا إيساره، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص. وجعلت أم كلثوم بنت علي تقول: ما لي ولصلاة الغداة، قتل زوجي عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة، وقتل أبي أمير المؤمنين صلاة الغداة، رضي الله عنها.

وقيل لعلي: ألا تستخلف؟ فقال: لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.

فهنا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق.

وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته، فقال: أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت.

وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان.

ولما مات علي ولي غسله ودفنه أهله، وصلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه أربعاً، وقيل أكثر من ذلك. ودفن علي بدار الخلافة بالكوفة وقيل: تجاه الجامع من القبلة في حجرة من دور آل جملة بن مبررة، بمخاض باب الوراقين وقيل: بظاهر الكوفة، وقيل: بالكناسة، وقيل: دفن بالثورثة وقيل

ذكرت أبا أروى فثبت كافي برء المعلوم الماضيات وكيل لكل اجتماع من خيلين فرقة وكل الذي قبل الملمات قليل وإن انقضاء واحداً بعد واحد دليل على أن لا يلدوم خليل سيرض عن ذكره وتسى مودتي ويحدث بمدي للخليل خليل إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي فإن علة الباكيات قليل وأشد بعضهم لعلي رضي الله عنه:

حقيق بالتواضع من يموت ويكنى المرأة من دنياه قوت فما للمرء يصبح ذا موم وحرص ليس تدركه النعوت صنيع ملكنا حسن جميل وما أرزاقه عنا نفوت فيما هذا سترحل عن قليل إلى قوم كلامهم السكوت وهذا الفصل يطول استقصاؤه وقد ذكرنا منه ما فيه مقتنع لمن أرادته والله الحمد والله.

وقال حماد بن سلمة عن أيوب السخيتي أنه قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسن في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق.

غريبة من الغرائب وآبدة من الأوابد

قال ابن أبي خيثمة: حدثنا أحمد بن منصور بن سيار حدثنا عبد الرازق قال: قال معمر مرة وأنا مستقبله وتيسم وليس معنا أحد فقلت له: ما شأنك؟ قال: عجت من أهل الكوفة كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري، قال: فقلت لمعمر: ورأيت؟ - كفي أعظمك ذلك - فقال معمر: وما ذاك؟ لو أن رجلاً قال: علي أفضل عندي منهما ما عتته إذا ذكر فضلهما ولو أن رجلاً قال: عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عتته.

قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح ونحن خالين فاشتهاها أبو سفيان وضحك وقال: لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد، ولكنه أفضى إلى معمر بما لم يفض إلينا، وكنت أقول لسفيان: يا أبا عبد الله رأيت إن فضلنا علياً على أبي بكر وعمر ما تقول في ذلك؟ فيسكت ساعة ثم يقول: أخشى أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكنا نقف.

قال عبد الرزاق: وأخذنا ابن التيمي - يعني معمر - فقال: سمعت أبي يقول: فضل علي بن أبي طالب أصحاب رسول الله ﷺ بمائة متبعة وشاركهم في مناقبهم، وعثمان أحب إلي منه.

هكذا رواه ابن عساکر في تاريخه يستند عن ابن أبي خيثمة به. وهذا الكلام فيه تحييط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان فأما على الشيخين فلا، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلا على غيبي، فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة؟ بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب والدارقطني - من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأَنْصار. وهذا الكلام حق وصديق وصحيح ومليح.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأوسي

محافظ جامع الكوفة.

وقال شريك القاضي وأبو نعيم الفضل بن دكين: نقله الحسن بن علي بعد صلحه مع معاوية إلى المدينة، فدفنه بالبقيع إلى جانب فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وقال عيسى بن داب: بل لما أرادوا أن يحملوه إلى المدينة ليدفنوه بها حملوه في صندوق على بعير، فلما مروا به ببلاد طيس أضلوا البعير فاخذت طيس ذلك البعير بما عليه يحسونه سالماً، فلما وجدوا بالصندوق ميتاً دفنوه في بلادهم فلا يعرف قبره إلى الآن.

والشهور أن قبره إلى الآن بالكوفة كما ذكر عبد الملك بن عمران أن خالد بن عبد الله القسري - نائب بني أمية في زمان هشام بن عبد الملك لما كان أميراً على العراق هدم دوراً ليئيبها داراً وجد قبراً فيه شيخ أبيض الرأس واللحية فإذا هو علي بن أبي طالب، فأراد أن يحرقه بالنار فقبل له: أيها الأمير إن بني أمية لا يريدون منك هذا كله، فلفه في قباطي ودفنه هناك. قالوا: فلا يقدر أحد أن يسكن تلك الدار التي هو فيها إلا ارتحل منها. كما ذكره ابن عساکر.

ثم إن الحسن بن علي استحضر عبد الرحمن بن ملجم من السجن، فأحضر الناس النفط والبوارى ليرقوه، فقال لهم أولاد علي: دهونا نشفي منه، فقطعت يده ورجلاه فلم يجزع ولا قر عن الذكر، ثم كحلت عيناه وهو في ذلك يذكر الله وقرأ سورة «اقرأ باسم ربك» إلى آخرها، وإن عينيه لتسيلان على خدييه. ثم حاولوا لسانه ليقطعوه فجزع عند ذلك جزعاً شديداً، فقبل له في ذلك فقال: إني أخاف أن أمكث في الدنيا فوافا لا أذكر الله فيه. فقتل عند ذلك وحرق بالنار، قبّحه الله.

قال محمد بن سعد (الطبقات الكبرى: ٤٠/٣): كان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج، شعره مع شحمة أذنه، في جبهته أثر السجود.

قال العلماء: ولم ينتظر بقتله بلوغ العباس بن علي فإنه كان صغيراً يوم قتل أبوه، قالوا: لأنه كان قتل محاربة لا قصاصاً والله أعلم.

وكان طعن علي رضي الله عنه يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين بلا خلاف فقبل مات من يومه وقيل يوم الأحد التاسع عشر منه.

قال الفلاس: وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو سبع أو ثمان وخمسين سنة، وقيل: عن ثلاث وستين سنة وهو المشهور، قاله محمد بن الحنفية، وأبو جعفر الباقري، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بكر بن عياش.

وقال بعضهم: عن ثلاث أو أربع وستين سنة، وعن أبي جعفر الباقري خمس وستين سنة.

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام وقيل ستة أيام وقيل: وأربعة عشرة يوماً وقيل: أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، رضي الله عنه.

وقال جرير عن مغيرة قال: لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاخذه بنت قرظة في يوم صائف، جلس وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي فقالت له فاخذه: أنت بالأمس تطعن علي واليوم تبكي عليه، فقال: ويحك إنا أبكي لما فقدت الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره.

وذكر ابن أبي الدنيا - في كتاب مكائد الشيطان وكتب المروءات ١٧٦ - أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه

فأخرجته من منزله، فخرج الغلام لا يدري أين يذهب، فجلس وراء الباب من خارج فنام ساعة ثم استيقظ فإذا هو بهرأس أسود بري، وقد جاء إلى الباب الذي لهم فنادى: يا سويد، يا سويد، فخرج إليه امرؤ الذي في منزله فقال له البري: ويحك! افتح فقال: لا أستطيع، فقال: ويحك انتني بشيء أتبلغ به فإني جائع وتعبان، هذا أوان يجيئ من الكوفة، وقد حدث الليلة حدث عظيم، قتل علي بن أبي طالب قال: فقال له امرؤ الأهلبي: والله إنه ليس ها هنا شيء إلا وقد ذكروا اسم الله عليه، غير سفود كانوا يشيرون عليه اللحم، فقال: انتني به، فجاء به فجعل يلحسه حتى أخذ حاجته وانصرف، وذلك برأى من الغلام وسمع، فقال إلى الباب فطره فخرج إليه أبوه فقال: من؟ فقال له: افتح، فقال: ويحك ما لك؟ فقال: افتح، ففتح فقص عليه خبر ما رأى، فقال له: ويحك أمام هذا؟ قال: لا والله، قال: ويحك! أقاصبك جنون بعدى؟ قال: لا والله، ولكن الأمر كما وصفت لك، فاذهب إلى معاوية الآن فاتخذ عنه يدماً ما قلت لك. فذهب الرجل فاستأذن على معاوية فأخبره الخبر على ما ذكر له ولده. فأنزحوا ذلك عندهم قبل مجيئ البرد، ولما جاءت البرد وجدوا ما أخبروهم به مطابقاً لما كان أخبر به أبو الغلام. هذا ملخص ما ذكره.

وقال أبو القاسم البهري: حدثنا علي بن الجعد حدثنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله.

ورواه أسباط بن محمد عن مطرف عن أبي إسحاق عن عمرو بن الأصم عن الحسن بن علي بنحوه.

فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما نص عليه

المؤلف

[زيادة من الناسخ]

عن سلمة بن كهيل، عن مجاهد، قال: إنما شيعة علي العلماء الحكماء الذبل الشفاء الأبرار الأخيار الزهاد الذين يعرفون بأثر العبادة.

وقال علي بن الحسين: شيعةنا الذبل الشفاء، والإمام منا من دعا إلى طاعة الله.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العباس بن بكار الضبي، حدثنا عبد الواحد بن أبي عمر السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح قال:

دخل ضرار بن ضمرة الكتاني على معاوية فقال له: صف لي علياً قال: أو تعني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعنيك. قال: أما إذ لا بد من وصفي له، كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير العبرة طويل الفكر يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان والله كاحدنا، يديننا إذا أتينا، ويحبينا إذا سالنا. وكنا مع قربنا لا نكلمه هيبه له، فإن تيسم فمن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين. لا يطيع القوي في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله. فاشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت

طاهرة وأبصار خاشعة وأبد من الآثام نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة، يا نوف لا تكن شاعراً ولا عريضاً ولا شرطياً ولا جانياً ولا عشاراً فإن داود عليه السلام قام في ساعة من الليل فقال: يا لها ساعة لا يدعو فيها عبد ربه إلا استجاب له فيها إلا أن يكون عريضاً أو شرطياً أو جانياً أو عشاراً أو صاحب عريضة، وهو الطنبور، أو صاحب كوبة، وهو الطبل، أو صاحب الشاة، وهو الشطرنج.

وروي عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن علي قال: كونوا ينايع العلم، معادن الحكمة، مصايح الليل، خلجان الثياب، جدد القلوب، تعرفون في أهل السماء، وتحفون في أهل الأرض، وتذكرون عند ربكم. وروي نحو ذلك عن ابن مسعود.

وقال عاصم بن ضمرة عن علي قال: ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقطع الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ويرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

وقال أبو بكر بن خزيمة: حدثنا علي بن حجر، حدثنا يوسف بن زياد عن يوسف بن أبي المنيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي: كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يقبل.

وعن عبد خير عن علي قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات ويعمل في الدرجات. ولا يقبل عملاً مع التقوى وكيف يقل ما يقبل.

وروي نحو هذا عن أبي الدرداء.

وروي ثابت بن أبي صفية أبي الزعراء قال: قال علي: احفظوا عني خساً لو ركبتم الإبل في طلبهم لما أصبتموهن ولأنضيتم الإبل قبل أن تتركوهن. لا يرجو عبد إلا ربه، ولا ينف إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. ولا إيمان لمن لا صبر له.

خلافة الحسن بن علي عليه السلام

قد ذكرنا أن علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له: استخلف يا أمير المؤمنين فقال: لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.

فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن - لأنه أكبر بنه رضي الله عنهم - ودفن كما ذكرنا بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس، فلما فرغ من شأنه كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له: أبسط يدك لأبيك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان ذلك يوم مات علي، وكان موته يوم ضرب على قول وهو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وقيل: إنما مات بعد الطعنة يومين، وقيل: مات في العشر الأخير

نحوه يمثل في عرابه قابضاً على لحية يتململ تلملم السليم ويكي بكاء الحزين، فكانت أسمة الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت؟ أو لي تشوقت؟ هيهات هيهات غري غري، قد بتك ثلاثاً فعمرك قصير وعملك حقير وخطرك كبير. آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

قال: فوكفت دموع معاوية على لحية ما علمها، وجعل ينشها بكمه، وقد اختنق القوم بالكاء، فقال: كذلك كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجئت عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحداً في حجرها لا ترقأ دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج.

وقال علي: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال.

وقال علي: إن الله لم يرض من أهل القرآن بالادمان والسكوت والله يعصى.

وروي الثوري عن عمرو بن قيس قال: قيل لعلي أمير المؤمنين: لم ترفع قميصك؟ قال: يتشع القلب ويقتدي بي المؤمن.

وعن زياد بن مليح أن علياً أتى بشيء من خبيص، فوضعه بين أيديهم، فجعلوا يأكلون ولا يأكل، فقال: إن الإسلام ليس بكرة ضال ولكن قريشاً رأت هذا العيش فتناحرت عليه.

وقد كان لعلي عليه السلام غلية - أي جراب جلد غزال - يكون فيه سويق ليشربه بالماء وقت القائلة هو طعامه لا يزيد عليه، وكان يختم عليه لئلا يختلط بغيره.

وعاتبه رجل في لبوسه فقال له: ما لك وللبوسي؟ إن لبوسي أبعد من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وعن عبد الله بن شريك، عن جده، عن علي أنه أتى بالقالوذج فوضع بين يديه، فقال: إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تتدد.

وعن مجمع التيمي قال: كان علي يقسم مال بيت المال ويكنسه ويصلي فيه، يتخذ مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وقال الإمام: حدثنا وهب بن سعيد، حدثنا محمد بن قيس، عن علي بن ربيعة الوالي عن علي بن أبي طالب أنه جاءه ابن النباح، فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء ويضاء فقال: الله أكبر. فقام متوكئاً على ابن النباح حتى قام على بيت المال فقال:

هنا جنائي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح علي بأشيع الكوفة. فتودي في الناس، فأعظامهم جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنصفه وصلى فيه ركعتين.

وقال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدثنا سهل بن شعيب، عن أبي علي الصقلي، عن عبد الأعلى عن نوف البكالي قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج ليلة فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم راقم؟ قلت: بل راقم يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهنين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترا به فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً. فرضوا الدنيا على مناهج المسيح عليه السلام يا نوف إن الله عز وجل

أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب

من رمضان، ومن يرمز ولي الحسن ابنه.

وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا علياً علي الموت فلما مات عليّ الح قيس بن سعد على الحسن في الفير لقتال أهل الشام، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان، وولى عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيهم، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيش في إثره قاصداً بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام فلما اجتاز بالمدائن نزها وقدم المقدمة بين يديه فينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل. فثار الناس فاتهم بعضاً حتى انتهوا سراقق الحسن، حتى نازعوه باسطاً كان جالساً عليه، وطعته بعضهم حين ركب طعنة أشوته فكرههم الحسن كراهية شديدة، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فتره وهو جريح، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي - أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر - فلما استقر الحسن بالقصر قال المختار بن أبي عبيد قبحه الله لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: وما ذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي فتقيد وتبعث به إلى معاوية فقتال له عمه: فبحك الله وقبح ما جئت به، أغدر بباين بنت رسول الله ﷺ ١٢.

ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليه مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية - وكان قد ركب في أهل الشام فترل مسكن - يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدموا عليه الكوفة فبذل ما أراد من الأموال، فاشتراط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم، وأن يكون خراج دار الجرد له، وأن لا يسب علي وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية ويحقن الدماء بين المسلمين فاضطلعوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية على ما سيأتي بيانه وتفصيله، وقد لام الحسين أخاه الحسن على هذا الرأي فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن رضي الله عنه كما سنذكر دليلاً قريباً.

ثم بعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، لمعاوية فأبى قيس بن سعد من قبل ذلك، وخرج عن طاعتها جميعاً، واعتزل بمن أطاعه ثم راجع الأمر فبايع معاوية بعد قريبة كما سنذكره.

ثم المشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على معاوية، والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين كما سنذكره إن شاء الله. وحج بالناس في هذه السنة - أعني سنة أربعين - المغيرة بن شعبة.

وزعم ابن جرير [رواه: ١٦٠/٥، ١٦١] فيما رواه عن إسماعيل بن راشد أن المغيرة بن شعبة افتعل كتاباً على لسان معاوية أنه قد ولاه الحج عامته، ويأمر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الإمرة. وهذا الذي نقله ابن جرير لا يقبل، ولا يظن بالمغيرة رضي الله عنه ذلك، وإنما نبهنا على ذلك ليعلم أنه باطل، والله أعلم؛ فإن الصحابة أجل قدراً من هذا، ولكن هذه نزعة شيعية.

قال ابن جرير [رواه: ١٦١/٥]: وفي هذه السنة يربح لمعاوية بليلاء -

يعني لما مات علي - قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يكن له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن علي رضي الله عنه ليمايموا به أهل الشام فلم يتم لهم ما أرادوه وما حاولوه، وإنما كان خذلانهم من قبل تدبيرهم وآرائهم المختلفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله ﷺ، وسيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم.

والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أورده في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» [مسند أحمد: ٢٢٠/٥، ٢٢١، ٤٦٤/٤، ت: ٢٢٢٦]، وكفى (٨١٥٥) وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليمًا. وقد مدحه رسول الله ﷺ على صنيعه هذا وهو تركه الدنيا القانية، ورفقه في الآخرة الباقية، وحققه دماء هذه الأمة فترل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد. وهذا المدح قد ذكرناه فيما تقدمت وسنورده في حديث أبي بكره الثقفي أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً وجلس الحسن بن علي إلى جانبه، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإلى أخرى ثم قال: «يا أيها الناس إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري (٣٩٦٩).

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية

قال ابن جرير [رواه: ١٦٢/٥، ١٦٣]: فيها سلم الحسن بن علي الأمر لمعاوية بن أبي سفيان. ثم روى عن الزهري أنه قال: لما بايع أهل العراق الحسن بن علي طفق يشترط عليهم: إنكم سامعون مطيعون مسألون من سألت محاربون من حاربت. فارتأب به أهل العراق وقالوا: ما هذا لكم بصاحب. فما كان عن قريب حتى طعنوه فأشوهه فزاداهم بغضاً وزاد منهم ذعراً، فعند ذلك عرف تفرقهم واختلافهم عليه وكتب إلى معاوية يسأله ويرأسه في الصلح بينه وبينه على ما يختارون.

وقال البخاري في كتاب الصلح [٢٢٧٠٤]: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن أبي موسى: قال: سمعت الحسن يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتاب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية - وكان الله خير الرجلين -: إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمر الناس؟ من لي بضيعتهم؟ من لي بنسائهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر - قال: ذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له وأطلباً إليه، فأتيه فدخلنا عليه فتكلمنا وقالوا له وأطلباً إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائنا، قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالوا: نحن لك به، فصالحه. قال الحسن:

وقال: وعليك السلام يا سيدي، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيد».

وقال أبو الحسن علي بن المديني: كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية في الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقال غيره: في ربيع الآخر. ويقال في غرة جمادى الأولى فإلله أعلم.

قال: وحديث دخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها بعد البيعة. وذكر ابن جرير [رواه: ١٦٣/٥]: أن عمرو بن العاص أشار على معاوية أن يأمر الحسن بن علي أن يخاطب الناس ويعلمهم بتزوله عن الأمر لمعاوية، فأمر معاوية الحسن فقام في الناس خطيباً فقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ: أما بعد أيها الناس! فإن الله هداكم بأولنا وحقق دماءكم بأخرونا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه يَنْتَهِ لَكُمْ وَمَتَّاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

فلما قاما غضب معاوية وأمره بالجلوس، وعتب على عمرو بن العاص في إشارته بذلك، ولم يزل في نفسه لذلك والله أعلم.

فأما الحديث الذي قال أبو عيسى الترمذي في جامعه [٣٤٥]: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعلمنا بايع معاوية فقال: سوت وجوه المؤمنين - أو يا مسود وجوه المؤمنين - فقال: لا تؤنبي رحمك الله، فإن النبي ﷺ أرى بني أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت ﴿إِنَّا عَظَمْنَاكَ الْكَوْثَرُ﴾ يا محمد - يعني نهراً في الجنة - ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنَ الْفِئَةِ شَهْرٍ مَلَكُهَا بِعَدِكَ بَنُو أُمِيَّةَ يَا مُحَمَّد، قال القاسم: فعدنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص. ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل وهو ثقة ويحيى القطان وابن مهدي، قال: وشيخه يوسف بن سعد - ويقال يوسف بن مازن - رجل مجبول - قال: ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه. فإنه حديث غريب بل منكر جداً، وقد تكلمنا عليه في كتابنا التفسير بما فيه كفاية وبيننا وجه نكاته، وناقشنا القاسم بن الفضل فيما ذكره، فمن أراد ذلك فليراجع التفسير والله أعلم.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [رواه: ٣٥٥/١٠]: حدثنا إبراهيم بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي حدثنا عباس بن محمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا زهير بن معاوية حدثنا أبو روق المهداني حدثنا أبو الغريف قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً بمسكن مستيتين قطر أسياقنا من الجدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العثرطه فلما جأنا يصلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ، فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قال له رجل منا يقال له أبو عامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال: لا تقل هذا يا أبا عامر! لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك.

ولما تسلم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والأفاق، ورجع إليه قيس بن سعد أحد دعاة العرب - وقد كان عزم على الشقاق وحصل على بيعة معاوية عاشد الإجماع والاتفاق، ترحل الحسن بن علي ومعه أخوه الحسين وبقية إخوانهم وابن عمهم عبد الله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وجعل كلما مر بحي من شيعتهم

ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين». قال البخاري قال لي علي بن المديني: إنما ثبت عندنا سماع الحسن بن أبي بكره بهذا الحديث.

قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن عن علي بن عبد الله - وهو ابن المديني [٧١٠٩] - وفي فضائل الحسن عن صدقة بن الفضل ثلاثتهم عن سفيان [٣٧٤٦].

ورواه أحمد عن سفيان - وهو ابن عينة - عن إسرائيل بن موسى البصري به.

ورواه أيضاً في دلائل النبوة [٢٧٠٤] عن عبد الله بن محمد - وهو ابن أبي شبة - ويحيى بن آدم كلاهما عن حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسن وهو البصري به.

وأخرجه أحمد [٤٩/٥] وأبو داود [٤٦٦٢] والنسائي [كبرى (١٠٠٨٠)] من حديث حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن البصري به.

ورواه أبو داود [٤٦٦٢] أيضاً والترمذي [٣٧٧٣] من طريق أشعث عن الحسن به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رواه النسائي [كبرى (١٠٠٨٣-١٠٠٨٥)] من طريق عرف الأعرابي وغيره عن الحسن البصري مرسل.

وقال أحمد [٤٧/٥]: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني من سمع الحسن يحدث عن أبي بكره قال: «كان النبي ﷺ يجثوا يوماً والحسن بن علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: «إن ابني هذا سيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين» قال الحافظ ابن عساكر [رواه دمشق: ٢٣١/١٣-٢٣٨]: كنا رواه معمر ولم يسم الذي حدث به عن الحسن.

وقد رواه جماعة عن الحسن. منهم أبو موسى إسرائيل، ويونس بن عبيد، ومنصور بن زاذان، وعلي بن زيد، وهشام بن حسان، وأشعث بن سوار، والمبارك بن فضالة، وعمر بن عبيد القدري. ثم شرع ابن عساكر في تطريق هذه الروايات كلها فأفاد وأجاد.

قلت: والظاهر أن معمرًا رواه عن عمرو بن عبيد فلم يفسح باسمه. وقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار عنه وسماه، ورواه أحمد [٤٤/٥] عن هاشم عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكره فذكر الحديث قال الحسن: فوالله والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافة ملء عجمة من دم. قال شيخنا أبو الحجاج المزي في أطرافه [نسخة الأشراف: ٣٩/٩]: وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أم سلمة.

وقد روي هذا الحديث من طريق جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال يحيى بن معين: ثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ للحسن: «إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فتيين من المسلمين».

وكذا رواه عبد الرحمن بن مغراء عن الأعمش به.

وقد رواه غيره عن أبي هريرة فقال أبو يعلى [سننه (٦٥٦١)]: حدثنا أبو بكر حدثنا زيد بن الحباب حدثنا محمد بن صالح التمار المدني حدثنا مسلم بن أبي مريم عن سعيد بن أبي سعيد المدني قال: كنا مع أبي هريرة إذ جاءه الحسن بن علي فسلم فردنا عليه ولم يعلم به أبو هريرة ومضى فقلنا يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا قال: فتبه فلحقه

مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام.

وقد رواه سعيد بن عبد العزيز عن عطية بن قيس ويونس بن مسيرة عن عبد الله بن عمرو [الدلائل البيهقي: ٤٤٨/٦].

ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة.

وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحمصي عن أبيه عن عبد الله بن قيس، سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: فرأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام [الدلائل البيهقي: ٤٤٨/٦].

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهم المن أهل الشام، فقال له علي: لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال فإن بها الأبدال [المصنف: ٢٠٥٥].

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً [مسند احمد: ١١٢/١].

فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

هو

■ معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي، خال المؤمنين، وكتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم الفتح.

وقد روي عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم عمرة القضاء ولكن كتمت إسلامي من أبي وأمي إلى يوم الفتح.

وقد كان أبوه من سادات قريش في الجاهلية. وألت إليه رئاسة قريش بعد يوم بدر، فكان هو أمير الحروب من ذلك الجانب، وكان رئيساً مطاعاً ذا مال جزيل، ولما أسلم قال: يا رسول الله مرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: «نعم» قال: ومعاوية يجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» ثم سأل أن يزوجه رسول الله ﷺ بابته الأخرى، وهي عزة بنت أبي سفيان واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فلم يقع ذلك، وبين رسول الله ﷺ أن ذلك لا يجل له. وقد تكلمنا على هذا الحديث في غير موضع، وأفردنا له مصفاً على حدة ولله الحمد والمنة.

والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ مع غيره من كتاب الوحي رضي الله عنهم. ولما فتحت الشام ولاه عمر نياحة دمشق بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلالاً أخرى، وهو الذي بني القبة الخضراء بدمشق وسكنها أربعين سنة، قاله الحافظ ابن عساکر.

ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه من باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف فعزله فلم ينتظم له عزله والتفت عليه جماعة من أهل الشام ومنعوا علياً عنها وقد قال: لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه تسلم مظلوماً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٣٣].

وروى الطبراني [المعجم الكبير: ٣٢٠/١٠] عن ابن عباس أنه قال: ما زلت موقناً أن معاوية سيأتي الملك والسلطان من هذه الآية. أوردنا سننه ومثته عند تفسير هذه الآية.

يكونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، وهو في ذلك مصيب بار راشد مملوح، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا نعماً، بل هو راض بذلك مستبشر به، وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعته، ولا سيما بعد ذلك بمدد وهلم جراً إلى يومنا هذا. والحق في ذلك اتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ كما تقدم في الحديث الصحيح ولله الحمد والمنة. وسيأتي فضائل الحسن عند ذكر وفاته رضي الله عنه ولرضاه، وجعل جنات الفردوس مثقبه ومثواه، وقد فعل.

وقال محمد بن سعد: أنا أبو نعيم حدثنا شريك عن عاصم عن أبي رزين. قال: خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها.

وروى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٤٤/١٣] عن الحسن أنه كان يقرأ كل ليلة سورة «الكهف» في لوح مكتوب يدور معه حيث دار من بيوت أزواجه قبل أن ينাম وهو في الفراش ﷺ.

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وملكه

قد تقدم في الحديث أن الخلافة بعده عليه الصلاة والسلام ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً، وقد انقضت الثلاثون سنة بخلافة الحسن بن علي، فأيام معاوية أول الملك، فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم.

قال الطبراني [المعجم الكبير: ١١٩/١، ١٢٠/٢٠٣]: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أحمد بن يونس حدثنا الفضيل بن عياض عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة الحاشي عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر بدأ رحمة وثيرة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم كائن ملكاً عضوضاً، ثم كائن عتواً وجبرية وفساداً في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمر ويزرقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل» إسناده جيد.

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الوارد من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر - وفيه ضعف - عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي: «يا معاوية إن ملكت فأحسن». رواه البيهقي [الدلائل: ٤٤٦/٦] عن الحاكم عن الأصم عن العباس بن محمد عن محمد بن سابق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن إسماعيل، ثم قال البيهقي [الدلائل: ٤٤٦/٦، ٤٤٧]: وله شواهد من وجوه أخرى، منها حديث عمرو بن يحيى بن سعيد بن العاص عن جده سعيد أن معاوية أخذ الإداوة فتبع رسول الله ﷺ فنظر إليه فقال له: «يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله وأعدله» قال معاوية: فما زلت أظن أنني مبتلى بعمل لغول رسول الله ﷺ.

ومنها حديث راشد بن سعد عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك إن أتبعت عورات الناس أفستهم» قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فتضعه الله بها.

ثم روى البيهقي [الدلائل: ٤٤٦/٦] من طريق هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بالمدينة، والملك بالشام» غريب جداً.

وروى من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه

صالحاً فإنك قد تقلدت عظيماً، خلافة الله في خلقه، فاتق الله فإن لك غاية لا تعدوها، ومن ورائك طالب حيث وأوشك أن تبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسالك عما كنت فيه وهو أعلم به منك، وإنما هي محاسبة وتوقيف، فلا تؤثرن على رضا الله شيئاً.

ثم ولى معاوية في آخر هذه السنة البصرة لعبد الله بن عامر، وذلك أن معاوية أراد أن يوليها لعتبة بن أبي سفيان فقال له ابن عامر: إن لي بها أموالاً وودائع، وإن لم تولنيها هلكت، ففلا إياها وأجابه إلى سؤاله في ذلك.

قال أبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان. وقال الواقدي: إنما حج بهم عتبة بن أبي سفيان فإله أعلم.

ومن أعيان من توفي هذا العام:

■ رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان: شهد العقبة وندراً وما بعدها.
■ وكانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب القرشي، وهو الذي صارعه النبي ﷺ فصرعه، وكان مكانة من أشد الناس، وكان صرعه رسول الله ﷺ له من المعجزات كما قلنا في دلائل النبوة، أسلم عام الفتح، وقيل قبل ذلك بمكة فإله لا صرعه رسول الله ﷺ أعلم.

■ صفوان بن أمية ابن خلف بن وهب بن حذافة بن وهب القرشي: أحد الرؤساء تقدم أنه هرب يوم الفتح، ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه، وكان الذي استأمن له عمير بن وهب الجمحي. وكان صاحبه وصديقه في الجاهلية كما تقدم، وقدم به في وقت صلاة العصر فاستأمن له فأمنه رسول الله ﷺ أربعة أشهر، واستعار منه درعاً وسلاحاً ومالاً. وحضر صفوان حيناً مشركاً، ثم أسلم ودخل الإيمان قلبه، فكان من سادات المسلمين كما كان من سادات الجاهلية.

قال الواقدي: ثم لم يزل مقيماً بمكة حتى توفي بها في أول خلافة معاوية.

■ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدي الحنفي، أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص في أول سنة ثمان قبل الفتح.

وقد روى الواقدي حديثاً طويلاً عنه في صفة إسلامه، وهو الذي أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة عام الفتح ثم رده إليه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال له: «خذها يا عثمان خالدة تالدة لا يترعها منكم إلا ظالم». وكان علي قد طلبها من النبي ﷺ فممنعه من ذلك.

قال الواقدي: نزل المدينة حياة رسول الله ﷺ، فلما مات نزل بمكة فلم يزل بها حتى مات في أول خلافة معاوية.

■ عمرو بن الأسود الغنسي كان من العباد الزهاد، وكانت له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل، وكان إذا خرج إلى المسجد وضع يمينه على شماله خافة الخلاء، روى عن معاذ، وعبادة بن الصامت، والعرياض بن سارية وغيرهم.

وقال أحمد في الزهد للسند: ١٨١/١، ١٩١: حدثنا أبو اليمان حدثنا أبو بكر عن حكيم بن عمير وضمرة بن حبيب قال: قال عمر بن الخطاب: من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فليُنظر إلى هدي عمرو بن الأسود.

فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتل، كان من أمر صفين ما قلنا ذكره، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصورة الظاهرة، واستفحل أمر معاوية جنداً، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتل ابن ملجم كما تقدم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان، ثم ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام. فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح فأنتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة إحدى وأربعين - ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس - واستوسقت له المالكات شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وسُمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة، فولى معاوية قضاء الشام لقضالة بن عبيد، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني. وكان على شرطته قيس بن حمزة، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي، ويقال: إنه أول من اتخذ الحرس وأول من حزم الكتب وختمها، وكان أول الأحداث في دولته رضي الله عنه.

خروج طائفة من الخوارج عليه

وكان سبب ذلك أن معاوية لما دخل الكوفة وخرج الحسن وأهله منها قاصدين إلى الحجاز، قالت فرقة من الخوارج - نحو من خمسمائة - جاء ما لا يشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه. فساروا حتى قربوا من الكوفة وعليهم فروة بن نوفل، فبعث إليهم معاوية خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين، فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائتكم. فخرجوا إلى الخوارج فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون؟ أليس معاوية عدوكم وعدونا؟ فدعونا حتى نقاتله فإن أصبنا كنا قد كفيناكموه، وإن أصبنا كنتم قد كفيتمونا. فقالوا: لا والله حتى نقاتلكم، فقالت الخوارج: يرحم الله إخواننا من أهل النهر كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة. فاقبلوا فهاجمهم أهل الكوفة وطردوهم.

ثم إن معاوية أراد أن يستخلف على الكوفة عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له المغيرة بن شعبة: توليه الكوفة وأبوه بمصر وتبقى أنت بين لحبي الأسد؟ ففناه عن ذلك وولى عليها المغيرة بن شعبة، فاجتمع عمرو بن العاص بمعاوية فقال: أجمع للمغيرة على الخراج؟ هلا وليت الخراج رجلاً آخر؟ فغزله عن الخراج وولاه على الصلاة، فقال المغيرة لعمرو في ذلك، فقال له: أليس المشير على أمير المؤمنين في عبد الله بن عمرو؟ قال: بلى! قال: فهذه بتلك.

وفي هذه السنة وثب حمران بن أبان على البصرة فاخذها وتسلم عليها، فبعث معاوية جيشاً ليقطعه ومن معه، فجاء أبو بكر الثقفي إلى معاوية فسأله في الصفح عنهم والعرض، فعفى عنهم وأطلقهم وولى على البصرة بسر بن أبي أوطاة، فتسلط على أولاد زياد يريد قتلهم، وذلك أن معاوية كتب إلى أبيهم ليحضر إليه فتلبث، فكتب إليه بسر: لئن لم تسرع إلى أمير المؤمنين وإلا قتلت بنيك، فبعث أبو بكر إلى معاوية في ذلك. فأخذ له أماناً منه. وقد قال معاوية لأبي بكر: هل من عهد تمهله إلينا؟ قال: نعم أعهد إليك يا أمير المؤمنين أن تنظر لنفسك ورعييتك وتعمل

بين الخوارج وجند الكوفة، وذلك أنهم صمموا - كما قلنا - على الخروج على الناس في هذا الحين، فاجتمعوا في قريب من ثلاثمائة عليهم المستورد بن عُقْلة، فجهز عليهم المغيرة بن شعبة جندا عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، فصار إليهم وقدم بين يديه أبا الرواغ في طليعة هي ثلاثمائة على عدة الخوارج، فلقيهم أبو الرواغ بمكان يقال له المنار. فقاتلوا معهم فهزمتهم الخوارج ثم كروا عليهم فهزمتهم الخوارج، ولكن لم يقتل أحد منهم فلزموا مكانهم في مقابلتهم ينتظرون قدوم أمير الجيش معقل بن قيس عليهم، فما قدم عليهم إلا في آخر نهار غربت فيه الشمس فنزل وصلى بأصحابه، ثم شرع في مدح أبي الرواغ فقال له: أيها الأمير إن لهم شدات منكرو، فكن أنت ردة الناس، ومر الفرسان ليقاتلوا بين يديك، فقال معقل بن قيس: نعم ما وأيت.

فما كان إلا وشما قال له ذلك حتى حملت الخوارج على معقل وأصحابه، فانفحل عنه عامة أصحابه، فترجل عند ذلك معقل بن قيس وقال: يا معشر المسلمين الأرض الأرض. فترجل معه جماعة من الفرسان والشجعان قريب من مائتي فارس منهم أبو الرواغ الشاكري، فحمل عليهم المستورد بن عُقْلة بأصحابه فاستقبلهم بالرمح والسيوف، ولحق بقية الجيش بعض الفرسان فذفرهم وعبرهم وأنهبهم على الفرار فرجع الناس إلى معقل وهو يقاتل الخوارج بمن معه قتالا شديداً، والناس يتراجعون في أثناء الليل، فصفهم معقل بن قيس ميمنة وميسرة ورتبهم وقال: لا تبرحوا على مصافكم حتى نصبح فنحمل عليهم. فما أصبحوا حتى هزمت الخوارج فرجعوا من حيث أتوا، فسار معقل في طلبهم وقدم بين يديه أبا الرواغ في ستمائة فالتقوا بهم عند طلوع الشمس فثار إليهم الخوارج فتبارزوا ساعة، ثم حملوا حملة رجل واحد فنصر لهم أبو الرواغ بمن معه، وجعل يذفرهم وينهاهم عن الفرار ويحثهم على الصبر فصبروا وصدقوا في الثبات حتى ردوا الخوارج إلى أماكنهم، فلما رأت الخوارج ذلك خافوا من هجوم معقل عليهم فما يكون دون قتلهم شيء، فهربوا بين أيديهم حتى قطعوا دجلة ووقعوا في أرض بهرسير، وتبعهم أبو الرواغ ولحقه معقل بن قيس، ووصلت الخوارج إلى المدينة العتيقة فركب إليهم سماك بن عبيد - نائب المدائن - ولحقهم أبو الرواغ بمن معه من المقدمة.

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة.

ومن توفي بها عمرو بن العاص ومحمد بن سلمة رضي الله عنهما.

أما

■ عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي، أبوعبد الله، ويقال أبو محمد.

أحد رؤساء قريش في الجاهلية، وهو الذي أرسلوه إلى النجاشي ليرد عليهم من هاجر من المسلمين إلى بلاده فلم يجبهم إلى ذلك لعنله، ووعظ عمرو بن العاص في ذلك، فيقال إنه أسلم على يديه. والصحيح أنه إنما أسلم قبل الفتح بسنة أشهر هو وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدري.

وكان أحد أمراء الإسلام، وهو أمير غزوة ذات السلاسل، وأمه رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفاروق، واستعمله رسول الله ﷺ على عُمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ، وأقره عليها الصديق.

وقد قال الترمذي (٣٨٤٤): حدثنا قتيبة حدثنا ابن لؤي حدثنا مشرق

■ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، وهي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة، أسلمت وهاجرت وكانت من حسان النساء وعبادهن، تزوجها عبد الله بن أبي بكر فتييم بها، فلما قتل في غزوة الطائف ألت أن لا تزوج بعده، فبعث إليها عمر بن الخطاب - وهو ابن عمها - فتزوجها، فلما قتل عنها خلف بعده عليها الزبير بن العوام، فقتل عنها بوادي السباع، فبعث إليها علي بن أبي طالب يخطبها فقالت له: إني أخشى عليك أن تقتل، فأبت أن تزوجه ولو تزوجه لقتل عنها أيضاً، فإنها لم تزل بلا زوج حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة ورحمها الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين

فيها غزا المسلمون اللان والروم فقتلوا من أمراءهم وبطارقتهم خلقاً كثيراً، وغنموا وسلموا.

وليها ولي معاوية مروان بن الحكم نيابة المدينة، وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى قضائها شريح القاضي، وعلى البصرة عبد الله بن عامر، وعلى خراسان قيس بن الميثم من قبل عبد الله بن عامر.

وفي هذه السنة تحركت الخوارج الذين كانوا قد عفى عنهم علي يوم النهروان، وقد عوفي جراحهم وثابت إليهم قواهم، فلما بلغهم مقتل علي ترحموا على قاتله ابن ملجم وقال قائلهم: لا يقطع الله يدا علت قَدَال علي بالسيف. وجعلوا يحمدون الله على قتل علي، ثم عزموا على الخروج على الناس وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون. وفي هذه السنة قدم زياد بن أبيه على معاوية - وكان قد امتنع عليه قريباً من سنة في قلعة عرفت به يقال لها قلعة زياد. فكتب إليه معاوية: ما يملكك على أن تهلك نفسك؟ أقدم علي فأخبرني بما صار إليك من أموال فارس وما صرفت منها وما بقي عندك فأتني به وأنت آمن، فإن شئت أن تقيم عندنا فعلت وإلا ذهبت حيثما شئت من الأرض فأنت آمن. فعند ذلك أزمع زياد السير إلى معاوية، فبلغ المغيرة قومه فخشى أن يجتمع بمعاوية قبله، فسار نحو دمشق إلى معاوية فسبقة زياد إلى معاوية بشهر فقال معاوية للمغيرة: ما هنا وهو أبعد منك وأنت جئت بعده بشهر؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه ينتظر الزيادة وأنا أنتظر النقصان، فأكرم معاوية زياداً وقبض ما كان معه من الأموال وصدقه فيما صرفه وما بقي عنده.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

فيها غزا بسر بن أبي أوطاة بلاد الروم فتوغل فيها حتى بلغ مدينة قسطنطينية، وشتى بيلاهم فيما زعمه الواقدي، وأكر غيرهم ذلك وقالوا: لم يكن بها مشى لأحد قط فآله أعلم.

قال ابن جرير (٢١٨١/٥): وفيها مات عمرو بن العاص بمصر، ومحمد بن سلمة.

قلت: وسنذكر ترجمة كل منهما في آخرها.

فولى معاوية بعد عمرو بن العاص على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو، قال الواقدي: فعزل له عليها ستين.

وقد كانت في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وأربعين - وقعة عظيمة

وقد روى مسلم هذا الحديث في صحيحه [١٢١] من حديث يزيد بن أبي حبيب بإسناده نحوه وفيه زيادات على هذا السياق، فمعناها قوله: كي استأنس بكم لأنظر ماذا أراجع رسل ربي عز وجل.

وفي رواية أنه بعد هذا حول وجهه إلى الجدار وجعل يقول: اللهم أمرتنا فقصينا، ونهيتنا فما انتهينا، ولا يسعنا إلا عفوك وإسناد أحمد: ١٩٩/٤، ٢٠٠.

وفي رواية: أنه وضع يده على موضع الغل من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم لا قوتي فأنتصر، ولا بريء فأعتر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. فلم يزل يردد هذا حتى مات رضي الله عنه.

■ محمد بن مسلمة الأنصاري فإنه أسلم على يدي مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، شهد بدرًا وما بعدها إلا تبرك فإنه استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في قول، وقيل: استخلفه في قرقرة الكدر، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل إنه الذي قتل مرحبًا اليهودي يوم خيبر أيضًا. وقد أمره رسول الله ﷺ على نحو من خمس عشرة سرية، وكان ممن اعتر تلك الحروب بالجمل وصفين وغيرها، واتخذ سيفًا من خشب. وقد ورد في حديث قدمناه أنه أمره رسول الله ﷺ بذلك وخرج إلى الرينة [إسناد أحمد: ٤٩٣٧].

وكان من سادات الصحابة، وكان هو يريد عمر إلى عماله وهو الذي شاطرهم من أمره، وله وقائع عظيمة وصيانة وأمانة بليغة، رضي الله عنه، واستعمله على صدقات جهينة.

وقيل إنه توفي سنة ست أو سبع وأربعين، وقيل غير ذلك. وقد جاوز السبعين، وترك بعده عشرة ذكور وست بنات، وكان أسمر شلبيد السمرة طويلا أصلع رضي الله عنه.

ومن توفي فيها:

■ عبد الله بن سلام أبو يوسف الإسرائيلي: أحد أحيار اليهود، أسلم حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في نخل له، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل إليه، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب، فكان أول ما سمعته يقول: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». وقد ذكرنا صفة إسلامه أول الهجرة، وماذا سأل عنه رسول الله ﷺ من الأسئلة النافعة الحسنة، رضي الله عنه. وهو ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وهو ممن يقطع له بدخولها.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

فيها غزا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بلاد الروم ومعه المسلمون وشتوا هنالك.

وفيها غزا بسر بن أبي أرطاة في البحر.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عامر عن إمرة البصرة، وذلك أنه ظهر فيها الفساد بسبب لينه لأنه كان لين الرعيكة سهيلا كريما، وكان لا يأخذ على أيدي السفهاء ولا يقطع لصا ويريد أن يتألف الناس ففسدت البصرة بسبب ذلك.

قال ابن جرير [٢١٢/٥]: شكاه عبد الله بن عامر إلى زياد فساد

بن هاشم عن عتبة بن عامر. قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص».

وقال أيضا [٣٨٤٥]: حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا أبو أسامة عن نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة. قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحى قريش». وفي الحديث الآخر: «أبنا العاص مؤمنان» [إسناد أحمد: ٢٥٤/٢، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣].

وفي الحديث الآخر: «نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله» [إسناد أحمد: ١٩١/١].

رووه في فضائل عمرو بن العاص.

ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام فكان ممن شهد تلك الحروب، وكانت له الآراء السليمة، والمواقف الحميدة، والأحوال السعيدة.

ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستتابه عليها، وأقره فيها عثمان بن عفان أربع سنين ثم عزله كما قدمنا، وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فاعتزل عمرو بفلسطين وبقي في نفسه من عثمان رضي الله عنهما. فلما قتل عثمان سار إلى معاوية فشهد موافقه كلها بصفتين وغيرها، وكان هو أحد الحكمين.

ثم لما أن استرجع معاوية مصر وانتزعها من يد محمد بن أبي بكر، استعمل عمرو بن العاص عليها فلم يزل نائبا إلى أن مات في هذه السنة على المشهور، وقيل: إنه توفي سنة سبع وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين. وقيل سنة إحدى وخمسين رحمه الله.

وقد كان معدوداً من دعاة العرب وشجعانهم وذوي آرائهم. وله أمثال حسنة وأشعار جيدة. وقد روي عنه أنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل. ومن شعره:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبهُ ولم ينة قلباً غاوباً حيثُ يمّا
قضى وطراً منه وغادر سُبّةً إذا ذكرت أمثاله قتل القما

وقال الامام أحمد [١٩٩/٤]: حدثنا علي بن إسحاق حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك. أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي؟ أجزعاً من الموت؟ فقال: لا والله ولكن بما بعد الموت، فقال له: قد كنت على خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء كافراً، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حيث شئت وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه، فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياء منه، فلو مت يومئذ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة. ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشيء فلا أدري علي أم لي، فإذا مت فلا تكون علي باكية، ولا تبغيني مادحاً ولا ناراً، وشلوا علي إزارى فإني غاصم، وشتوا علي التراب شتاً، فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جانبي الأيسر، ولا تجملن في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا وريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها، استأنس بكم.

دعني أم حبيبة عند موتها فقالت: قد يكون بيتنا ما يكون بين الضرائر. فقلت: يغفر الله لي ولك، ما كان من ذلك كله وتجاوز وحللك، فقالت: سررتي سررك الله. وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

فيها ولى معاوية البصرة للحارث بن عبد الله الأزدي، ثم عزله بعد أربعة أشهر، وولى زياداً فقدم زياد الكوفة، وعليها المغيرة بن شعبة فأقام بها لئلا يهبط رسول معاوية بولاية البصرة، فظن المغيرة أنه قد جاء على إمرة الكوفة فبعث إليه وائل بن حجر ليعلم له خبره فاجتمع به فلم يقدر منه على شيء، فجهأ البريد إلى زياد أن يسير إلى البصرة، واستعمله على خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان.

ودخل زياد البصرة في مستهل جمادى الأولى فقام في أول خطبة خطبها - وقد وجد الفسق ظاهراً في البصرة فقال فيها: أيها الناس كأنكم لم تسمعوا ما أعد الله من الثواب لأهل الطاعة، والعذاب لأهل المعصية أنكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات، فاختار الغاية على الباقية.

ثم ما زال يقيم أمر السلطان ويجرد السيف حتى خافه الناس خوفاً عظيماً، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة، واستعان بجماعة من الصحابة، وولى عمران بن حصين القضاء بالبصرة، وولى الحكم بن عمرو الغفاري نيابة خراسان، وولى سمرة بن جندب وعبد الرحمن بن سمرة وأُس بن مالك، وكان زياد حازم الرأي ذاهية ذاهية، وكان مفوهاً فصيحاً بليفاً.

قال الشعبي: ما سمعت متكلماً قط تكلم فأحسن إلا أحبيت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً. وقد كانت له وجاهه عند عمر بن الخطاب.

وفي هذه السنة غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأشل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمة، فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبياض - يعني الذهب والفضة - يجمع كله من هذه الغنيمة ليست المال. فكتب الحكم بن عمرو إليه: إن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عبد فاتفق الله للجل له خرجاً، ثم نادى في الناس: أن اهدوا على قسم غنيمتكم، قسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية، وعزل الحسن كما أمر الله ورسوله ﷺ، ثم قال الحكم: اللهم إن كان في عندك خير فاقبضني إليك، فمات بمرور من خراسان رضي الله عنه.

قال ابن جرير رحمه الله: [٢٢٦/٥]: وجع بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم وكان نائب المدينة وكانت الولاة والعمال هم الذين كانوا في السنة الماضية.

وفي هذه السنة توفي:

■ زيد بن ثابت الأنصاري أحد كتاب الوحي، وقد ذكرنا ترجمته فيهم في أواخر السيرة، وهو الذي كتب هذا المصحف الإمام الذي بالشام عن أمر عثمان بن عفان، وهو خط جيد جداً فيما رأيته.

وقد كان زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاءً تعلم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً.

الناس فقال: جرد فيهم السيف، فقال ابن عامر: إني أكره أن أصلحهم بفساد نفسي. قال: فذهب عبد الله بن أبي أوفى المعروف بابن الكوا فشكاه إلى معاوية، فعزل معاوية ابن عامر عن البصرة، وبعث إليها الحارث بن عبد الله الأزدي، ويقال: إن معاوية استدعاه إليه ليزوره فقدم ابن عامر على معاوية دمشق فأكرمه وردّه على عمله، فلما ودعه قال له معاوية: ثلاث أسالكهن فقل: هن لك وأنا ابن أم حكيم، قال معاوية: ترد علي عملي ولا تنقض، قال ابن عامر: قد فعلت، قال معاوية: تهب لي مالك بقرعة، قال: قد فعلت. قال: وتهب لي دورك بمكة، قال: قد فعلت. فقال له معاوية: وصلتك رحم، فقال ابن عامر: يا أمير المؤمنين وإني أسألك ثلاثاً فقل هن لك. قال: هن لك وأنا ابن هند، قال: ترد علي مالي بقرعة، قال: قد فعلت قال: ولا تحاسب لي عاملاً ولا تبع لي أثراً، قال: قد فعلت، قال: وتكسحني ابتك هنذا، قال: قد فعلت: ويقال إن معاوية خيره بين هذه الثلاث وبين الولاية على البصرة فاختار هذه الثلاث وانعزل عن البصرة.

قال ابن جرير رحمه الله: [٢١٤/٥، ٢١٥]: وفي هذه السنة استلمت معاوية زياد ابن أبيه فالحقه بأبي سفيان، وذلك أن رجلاً شهد على إقرار أبي سفيان أنه عاهر بسمية أم زياد في الجاهلية، وإنها حملت بزياد هذا من أبي سفيان، فلما استلمه معاوية قيل له زياد بن أبي سفيان، وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستملاح، ويقول: قال رسول الله ﷺ: «الولد للفرش وللأعاهر الحجر» [٢٢١٨، ٢٢١٩م] (١٤٥٧هـ).

وقال أحمد [١٩٩/١، ٢٠٠/١]: حدثنا هشيم حدثنا خالد عن أبي عثمان قال: لما ادعى زياد لقيت أبا بكره فقلت: ما هذا الذي صنعت؟ إني سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعُ أذني من رسول الله ﷺ وهو يقول: «من ادعى أبا في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» فقال أبو بكر: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.

أخرجاه [٢٢٧، ٢٢٨]، من حديث أبي عثمان عنهما. قلت: أبو بكره اسمه نعيم واسم أمه سمية أيضاً. وجع بالناس في هذه السنة معاوية، وفيها عمل معاوية المقصورة بالشام، وعمل مروان مثلها بالمدينة. وفي هذه السنة توفي:

■ أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين، واسمها رملة أخت معاوية، أسلمت قديماً وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبيشة فتتصر هناك زوجها، وثبتت هي على دينها رضي الله عنها. وحبيبة هي أكبر أولادها منه، ولدتها بالحبيشة وقيل بمكة قبل الهجرة، ومات زوجها هنالك لمتة الله ورحمه ولما تأملت بعد زوجها بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجها منه، وولي العقد خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقها عتة النجاشي أربعمئة دينار وحملها إليه في ستة سبع، ولما جاء أبوها عام الفتح ليشد العقد دخل عليها فتنت عنه فراش رسول الله ﷺ فقال لها: والله يا بنية ما أدري أرغببت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك، فقال لها: والله يا بنية لقد لقيت بعدي شراً.

وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابדות الودعات رضي الله عنها.

قال محمد بن عمر الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة تقول:

ومن توفي في هذه السنة:

■ سالم بن عمرو أحد البكائين المذكورين في القرآن، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد كلها.

■ سراقلة بن كعب:

شهد بدرًا وما بعدها.

■ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد القرشي المخزومي: وكان من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين كأيته، وكان قد عظم ببلاد الشام لذلك حتى خاف منه معاوية، ومات وهو مسموم رحمه الله وأكرم مثواه.

قال ابن منه وأبو نعيم الأصبهاني: أدرك النبي ﷺ.

وقد روى ابن عساكر من طريق أبي عمر أن عمرو بن قيس روى عنه

عن النبي ﷺ في الحجامة بين الكتفين.

قال البخاري [التاريخ الكبير: ٢٧٧/٥]: وهو منقطع - يعني مرسلًا.

وقال الزبير بن بكار: كان عظيم القدر في أهل الشام، شهد صفين مع معاوية وكان كعب بن جعبل مداحًا له ولأخويه مهاجر وعبد الله.

وقال ابن سميع: كان يلي الصوائف زمن معاوية، وقد حفظ عن معاوية.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٢٧٧/٥] وغيره أن رجلاً يقال له ابن أثال -

وكان رئيس اللمعة بأرض حمص - سقاه شربة فيها سم فمات، وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح والله أعلم. وقد رثاه بعضهم فقال:

أبوك الذي قاذ الجيوش مغرباً إلى الروم لما أعطت الحرج فارسُ
وكُم من فئسٍ نهته بعد مجمة بقرع اللجام وهو اكع ناعسُ

وما يستوي الصفان صفاً خالداً وصفاً عليه من دمشق البرانسُ
وقد ذكروا أن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قدم المدينة

فقال له عروة بن الزبير: ما فعل ابن أثال؟ فسكت خالد بن عبد الرحمن ثم

رجع إلى حمص فثار على ابن أثال قتلته، فحبسه معاوية ثم أطلقه، ثم قدم المدينة، فقال له عروة: ما فعل أثال؟ فقال: قد قتلته إياه ولكن ما فعل ابن

جرموز؟ فسكت عروة.

وفيها توفي:

■ محمد بن مسلمة في قول، وقد تقدم.

■ هرم بن حيان العبدي: كان أحد عمال عمر بن الخطاب، ولقي

أويساً القرني وكان من عقلاء الناس وعلمائهم وعبادهم. ويقال: إنه لما

دفن جاءت سحابة فرشت قبره وحده، ونبت العشب عليه من وقته، قاله أعلم.

ومن توفي فيها:

قال أبو الحسن بن البراء: تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً، وتعلم الخيشية والرومية والقبطية من خدام رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وأول مشاهدته الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة. وفي الحديث الذي رواه أحمد [٢٨١/٣] والنسائي [كمي (٨٢٤٢)]: «وأعلمهم

بالفرائض زيد بن ثابت». وقد استعمله عمر بن الخطاب على القضاء.

وقال مسروق: كان زيد بن ثابت من الراسخين في العلم.

وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عباس: أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال له: تتع يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: لا هكذا

نفعل بعلماننا وكبرائنا.

وقال الأعمش عن ثابت بن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أئمة الناس في بيته ومن أزمته خرج إلى الرجال.

وقال محمد بن سيرين: خرج زيد بن ثابت إلى الصلاة فوجد الناس راجعين منها فتوارى عنهم، وقال: من لا يستحي من الناس لا يستحي

من الله.

مات في هذه السنة وقيل في سنة خمس وخمسين، والصحيح الأول، وقد قارب الستين وصلى عليه مروان بن الحكم نائب المدينة.

وقال ابن عباس: لقد مات اليوم علم كثير.

وقال أبو هريرة: مات خبر هذه الأمة.

وفيها مات:

■ سلمة بن سلامة بن وقش عن سبعين سنة، وقد شهد بدرًا وما

بعدها ولا عقب له.

■ عاصم بن عدي، وقد استخلفه رسول الله ﷺ حين خرج إلى بدر

على قباه وأهل العالية، وشهد أحداً وما بعدها، وتوفي عن خمس عشرة

ومائة، وقد بعثه رسول الله ﷺ هو ومالك بن الدخشم إلى مسجد الضرار

فحرقاه.

وفيها توفيت:

■ حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، وهاجرت معه إلى المدينة فتوفي عنها

بعد بدر، فلما انقضت عتدها عرضها أبوها على عثمان بعد وفاة زوجته

رقية بنت رسول الله ﷺ، فأبى أن يتزوجها فعرضها على أبي بكر فلم يرد

عليه شيئاً، فما كان عن قريب حتى خطبها رسول الله ﷺ فتزوجها، فعاتب عمر أبا بكر بعد ذلك في ذلك فقال له أبو بكر: إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان قد ذكرها فما كنت لأفتني سر رسول الله

ﷺ، ولو تركها لتزوجها [خ: (٤٠٠)].

وقد روي في الحديث أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وفي

رواية أن جبريل أمره بمراجعتها، وقال: إنها صوامه قوامه، وهي زوجتك في

الجنة [طقات ابن سعد: ٨٤/٨، ٨٥].

وقد أجمع الجمهور أنها توفيت في شعبان من هذه السنة عن ستين

سنة، وقيل: إنها توفيت أيام عثمان والأول أصح والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين

فيها شتى المسلمون ببلاد الروم مع أميرهم عبد الرحمن بن خالد بن

الوليد، وقيل كان أميرهم غيره والله أعلم. وحج بالناس فيها عتبة بن أبي

سفيان أخو معاوية، والعمال على البلاد هم المتقدم ذكرهم

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

فيها شتى المسلمون ببلاد الروم.

وفيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص عن ديار مصر وولى

عليها معاوية بن حُذَيج.

وحج بالناس عتبة بن أبي سفيان وقيل: أخوه عنبسة بن أبي سفيان

فأله أعلم.

ومن توفي فيها:

جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد.

وفيها توفي أبو أيوب

■ خالد بن زيد الأنصاري وقيل: لم يمّت في هذه الغزوة بل بعدها سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث وخمسين كما سيأتي.

وفيها عزل معاوية مروان عن المدينة وولى عليها سعيد بن العاص، واستقضى سعيد عليها أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

وفيها شتى مالك بن هبيرة الغزاري بأرض الروم.

وفيها كانت غزوة فضالة بن عبيد، وشتى هنالك، ففتح البلد وغنم شيئا كثيرا.

وفيها كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلي.

وفيها وقع الطاعون بالكوفة فخرج منها المتبرئة فاراً، فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصاب الطاعون فعات، والصحيح أنه مات سنة خمسين كما سيأتي.

فجمع معاوية لزياد الكوفة إلى البصرة، فكان أول من جمع له بينهما، فكان زياد يقيم في هذه سنة أشهر وهذه سنة أشهر، وكان يستخلف على البصرة سمرة بن جندب.

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

■ الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد القرشي الهاشمي:

سبط رسول الله ﷺ ابن ابته فاطمة الزهراء، وريحانته، وأشبه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فتحكه رسول الله ﷺ بريقه وسماه حسناً، وهو أكبر ولد أبويه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى كان يقول يُبَيِّتُهُ وهو صغير، وربما مص لسانه واعتقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة فيركب على ظهره فيقره على ذلك ويظل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر.

وقد ثبت في الحديث [مسند أحمد: ٣٥٤/٥، د: ١١٠٩]، ت: (٣٧٧٤)، ج: (٣٦٠٠)، م: (١٥٨٤)] أنه عليه الصلاة والسلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين فزلا إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا آمُواكُم وَأَوْلَادُكُمُ يُتَّقُونَ﴾» [العن: ١٥] إني رأيت هذين بمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما.

ثم قال: «إنكم لمن روح الله وإنكم تُبَيِّتُونَ وَتُحَبِّبُونَ» [مسند أحمد: ٤٠٩/٦].

وقد ثبت في صحيح البخاري (٣٥٤٢) عن أبي عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عتبة بن الحارث أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج هو وعلي بمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول: بأبي شبه النبي، ليس شبيهاً بعلي. قال: وعلي يضحك.

وروى سفيان وغير واحد قالوا: حدثنا وكيع حدثنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت أبا جحيفة يقول: «رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه».

■ قيس بن عاصم المقرئ، كان من سادات الناس في الجاهلية والإسلام، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وذلك أنه سكر يوماً فعبث بنات عزم منه فهربت منه فلما أصبح قيل له ذلك فحرمها، وأنشد في ذلك:

رأيت الخمر مصلحة وفيها مقايح تنفض الرجل الكرم
فلا والله أشربها حياتي ولا أشفي بها أبداً سقيماً
وكان إسلامه مع وفد بني تميم، وفي بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ قال: «هنا سيد أهل الوبر» [خ في الأدب المفرد (٩٥٣)] وكان جواباً ممدحاً كريماً وهو الذي يقول فيه الشاعر يوم مات:

فما كان قيسٌ هلكهُ هلكٌ واحد ولكنهُ بنبأٌ قُومٍ تهدموا

وقال الأصمعي: سمعت أبا عمرو بن العلاء وأبا سفيان بن العلاء يقولان: قيل للأخنف بن قيس من: تعلمت الخلم؟ قال: من قيس بن عاصم المقرئ، لقد اختلفنا إليه في الحكم كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه، فبينما نحن عنده يوماً وهو قاعد بفناءه محتب بكسائه إذ أتته جماعة فيهم مقتول ومكتوف فقالوا: هذا ابنك قتله ابن أخيك، قال: فوالله ما حل حيوته ولا قام مقامه حتى فرغ من كلامه، ثم التفت إلى ابن له في المجلس فقال: أطلق عن ابن عمك، ووار أخاك واحمل إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة، ثم نظر له فقال: نقصت عدوك، وقطعت رحلك، وعصيت ربك، وأطعت شيطانك.

ويقال: إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكراً - فقال لهم: يا بني سوّدوا عليكم أكبركم تخلفوا أباكم، ولا تسوّدوا أصغركم فيزدرى بكم أكثاؤكم، وعليكم بالمال واصطناعه فإنه مابهة للكرام ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها من أخس مكسبة الرجل، ولا تنوحوا علي فإن رسول الله ﷺ لم ينح عليه، ولا تدفوني حيث يشعر بكر بن وائل، فإنني كنت أعاديهم في الجاهلية. وفيه يقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحم
تحية من أوليته منك منة إذا ذكرت مثلتها تملأ الفما
فما كان قيسٌ هلكهُ هلكٌ واحد ولكنهُ بنبأٌ قُومٍ تهدموا

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

فيها شتى أبو عبد الرحمن القتيبي بالمسلمين ببلاد أنطاكية.

وفيها غزا عتبة بن عامر بأهل مصر البحر.

وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية وكان معه مائة من سادات الصحابة منهم ابن عمر، وابن عباس وإبراهيم الزبير وأبو وب الأنصاري.

وقد ثبت في صحيح البخاري (٢٩٢٤) أن رسول الله ﷺ قال: «أول

ورواه البخاري [٣٥٤٣] ومسلم [٢٣٤٣] من حديث إسماعيل بن أبي خالد.

قال وكيع: لم يسمع إسماعيل من أبي جحيفة إلا هذا الحديث [تاريخ دمشق: ١٨٣/١٣].

وقال أحمد [٢٨٣/٦]: حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن ابن أبي مليكة قال: كانت فاطمة تنفر الحسن بن علي وتقول:

يا بياي شيبه النبي ليس شيبها بعلي

وقال عبد الرزاق [الصف: ٢٠٩٨٤] وغيره عن معمر عن الزهري عن أنس قال: كان الحسن بن علي أشبههم وجها برسول الله ﷺ ورواه أحمد [١٦٤/٣] عن عبد الرزاق بنحوه.

وقال أحمد [٩٩/١]: حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ عن علي قال: «الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصلر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما أسفل من ذلك».

ورواه الترمذي [٣٧٧٩] من حديث إسرائيل وقال: حسن غريب.

وقال أبو داود الطيالسي [ص: ١٣٠]: حدثنا قيس عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي قال: كان الحسن بن علي أشبه الناس برسول الله ﷺ من وجهه إلى سترته، وكان الحسين أشبه الناس به ما أسفل من ذلك.

وقد روي عن ابن عباس وابن الزبير أن الحسن بن علي كان يشبه النبي ﷺ

وقال أحمد [٢٠٥/٥]: حدثنا عارم بن الفضل حدثنا معتمر عن أبيه قال: سمعت أبا تيممة يحدث عن أبي عثمان النهدي يحدثه أبو عثمان عن أسامة بن زيد قال: كان النبي ﷺ يأخذني فيعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما».

وكذا رواه البخاري [٦٠٠٣] عن النهدي عن محمد بن الفضل عارم به، وعن علي بن المنيني عن يحيى القطان عن سليمان التيمي عن أبي تيممة عن أبي عثمان عن أسامة.

وأخرجه أيضا عن موسى بن إسماعيل ومسلم عن معتمر عن أبيه عن أبي عثمان عن أسامة [٣٧٣٥، ٣٧٤٧] فلم يذكر أبا تيممة والله أعلم. وفي رواية: «اللهم إني أحبهما فأحبهما» [٣٧٤٧].

وقال شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». أخرجه [خ: ٣٧٤٩، ٢٤٢٢] من حديث شعبة.

ورواه علي بن الجعد [المجلدات: ٢٠٢٣] عن فضيل بن مرزوق عن عدي عن البراء، فزاد «وأحب من يُحبه» وقال الترمذي: حسن صحيح [عقب ح: ٣٧٨٢].

وقال أحمد [٢٤٩/٢]: حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال للحسن بن علي: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه».

ورواه مسلم عن أحمد [٥٦٧(٢٤٢١)]

وأخرجه [خ: ٣٧٤٩، ٢٤٢٢] من حديث شعبة.

وقال أحمد [٣٣١/٢]: حدثنا أبو النضر حدثنا ورواه عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ في

سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء فاطمة فتنادى الحسن فقال: «أي لك أي لك أي لك» فلم يجبه أحد، فانصرف وانصرفت معه فجاء إلى فناء عائشة فقعد، قال: فجاء الحسن بن علي - قال أبو هريرة: فلنا أن أمه حبسته لتجعل في عتقه السخاب - فلما دخل التزمه رسول الله ﷺ والتزم هو رسول الله ﷺ، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» ثلاث مرات.

وأخرجه [خ: ٢١٢٢، ٢٤٢١] من حديث سفيان بن عيينة عن عبد الله به.

وقال أحمد [٥٣٢/٢]: حدثنا حماد الحياطي حدثنا هشام بن سعد عن نعيم بن عبد الله المجر عن أبي هريرة. قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئا على يدي فطاف فيها، ثم رجع فاحتفى في المسجد وقال: «أين لكاح؟ ادعوا لي لكاح» فجاء الحسن فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فمه في فمه ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» ثلاثا، قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني، أو قال: دمعت عيني أو بكيت - وهنا على شرط مسلم ولم يخرجوه.

وقد رواه الثوري عن نعيم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة فذكر مثله أو نحوه.

ورواه معاوية بن أبي مزرعة عن أبيه عن أبي هريرة بنحوه وفيه زيادة. وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي نحواً من هذا السياق.

ورواه عثمان بن أبي التكتان عن ابن أبي مليكة عن عائشة بنحوه وفيه زيادة. وقال سفيان الثوري وغيره عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني». غريب من هذا الوجه.

وقال أحمد [٤٤٠/٢]: حدثنا ابن نمير حدثنا الحجاج - يعني ابن دينار - عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك لتحبهما، فقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني». تفرد به أحمد.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاء الحسن والحسين فجعلا يتوسلان على ظهره إذا سجدا، فأراد الناس زجرهما فلما سلم قال للناس: «هذان ابناي، من أحبهما فقد أحبني».

ورواه النسائي من حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عاصم به [تكمي: ٨١٧٠].

وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمي المؤمنين أن رسول الله ﷺ اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي حدثنا شريك عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله. قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلي نظر إلى الحسن بن علي».

وقد رواه وكيع عن الربيع بن سعد عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر فذكر مثله، وإسناده لا بأس به، ولم يخرجوه.

وجاء من حديث جابر وأبي سعيد وبريدة وحذيفة أن رسول الله ﷺ

أرقم فذكره.

وقال بقة عن يجر بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معدني كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن مهي والحسين من علي». فيه تكرار لفظاً ومعنى.

وقال أحمد [٢٥٥/٢]: حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عون عن عمير بن إسحاق. قال: كنت مع الحسن بن علي فلقينا أبو هريرة فقال: أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل، فقال بقميصه، قال: فقبل سرتي. فترد به أحمد. ثم رواه عن إسماعيل بن علية عن ابن عون [٤٢٧/٢].

وقال أحمد [٩٣/٤]: حدثنا هاشم بن القاسم عن حريز عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجريسي عن معاوية. قال: رأيت رسول الله ﷺ يصح لسانه - أو قال: شفته. يعني الحسن بن علي - وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ. فترد به أحمد.

وقد ثبت في الصحيح [٣٦٢/٩] عن أبي بكرة. ورواه أحمد [٤٧/٥] من حديث أبي بكر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين عظيمتين من المسلمين» وقد تقدم هذا الحديث في دلائل النبوة، وتقدم قريباً عند نزول الحسن لمعاوية عن الخلافة، ووقع ذلك تصديقاً لقوله ﷺ هذا، وكذلك ذكرناه في كتاب دلائل النبوة ولله الحمد والمنة.

وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفاداه، وكذلك عمر بن الخطاب، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه: أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بلر في خمسة آلاف، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما. وقد كان الحسن بن علي يوم النار - وعثمان بن عفان محصور - عنده ومعه السيف متقلداً به يحايف عن عثمان فخشي عثمان عليه فأقسم عليه ليرجمن إلى منزله تطيئاً قلب علي، وخوفاً عليه رضي الله عنهم. وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً، ويعظمه ويجله وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني استحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعلي يسمع، فأدى خطبة بليغة فصيحة فلما انصرف جعل علي يقول: «ذرية بعضنا من بعض والله سميع عليم» [١٤٤/٢].

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبوا، ويرى هنا من النعم عليه. وكان إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما عما يزدحمن عليهما للسلام عليهما، رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي. وقال غيره: كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن، وربما أخصه ثم ينصرف إلى منزله ﷺ.

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانة للءاء المسلمين، كان له على معاوية في كل عام جائزة، وكان ينفذ إليه، فرما أجزأه بأرعمائة ألف درهم، وراثته في كل سنة مائة ألف، فاقطع سنة عن الذهاب وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها - وكان من أكرم الناس - فأراد أن يكتب إلى معاوية ليعت بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: «يا بني أكتبك إلى مخلوق مجاحك؟» وعلمه دعاء يدعو به، فترك

قال: «الحسن والحسين سيلا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما».

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا داود بن عمرو حدثنا إسماعيل بن عياش حدثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة. قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في رقبته ثم ضمه إلى إبطه، ثم جاء الآخر فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه، ثم بكل هذا ثم قبل هذا ثم قال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، ثم قال: «أيها الناس إن الولد مبخله بجينة جهلة».

وقد رواه عبد الرزاق عن معمر بن ابن أبي خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه: أن رسول الله ﷺ أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مبخله بجينة».

وقال ابن خزيمة: حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي حدثنا يزيد بن الحباب (ح).

وقال أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة: حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر، ثم قال: صدق الله! ﴿يُنَادُواكَمُ وَوَلَدُكُمْ فَتَنَّهُ﴾ رأيت مدين الصبيان فلم أصبر عنهما». ثم أخذ في خطبته.

وقد رواه أبو داود [١١٠٩] والترمذي [٣٧٧٤] وابن ماجه [٣١٠٠] من حديث الحسن بن واقد به، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وقد رواه محمد الضمري عن زيد بن أرقم فذكر القصة للحسن وحده.

وفي حديث عبد الله بن شداد عن أبيه «أن رسول الله ﷺ صلى بهم إحدى صلاتي العشي فسجد سجدة أطال فيها السجود، فلما سلم قال الناس له في ذلك، قال: «إن ابني - يعني الحسن - ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وقال الثوري عن أبي الزبير عن جابر قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يشي بهما على أربع، فقلت: نعم الحمل جملكما فقال: «ونعم العبدان هما» على شرط مسلم ولم يخرجه.

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو هاشم حدثنا أبو عامر حدثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس. قال: خرج رسول الله ﷺ هو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبتي، فقال رسول الله ﷺ: «فونعم الراكب هو».

وقال أحمد [٤٤٢/٢]: حدثنا تليد بن سليمان حدثنا أبو الجحاف عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حارتم ومسلم لمن سالمتم».

وقد رواه النسائي [٨١٦٨] من حديث أبي نعيم، وابن ماجه [١٤٣] من حديث وكيع كلاهما عن سفيان الثوري عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف، قال وكيع: وكان مرضياً - عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن الحسن والحسين: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

وقد رواه أسباط عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن

الحسن. ما كان همّ به من الكتابة، فذكره معاوية وافقده، وقال: ابنتوا إليه بمائتي ألف ففعل له ضرورة في تركه القدم علينا. فحملت إليه من غير سؤال.

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: الحسن بن علي مدني ثقة. حكاه ابن عساكر في تاريخه (٢٤٢/١٣، ٢٤٣).

قالوا: وقاسم الله ماله ثلاث مرات، وخرج من ماله مرتين، وحج خسا وعشرين مرة ماشياً وإن والجناث لتقاد بين يديه.

وروى ذلك البيهقي (السنن الكبرى: ٣٣١/٤) من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس. وقاله علي بن زيد بن جدعان.

وقد علق البخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والنجاث تقاد بين يديه.

وروى داود بن رشيد عن حفص عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال: حج الحسن بن علي ماشياً والجناث تقاد بين يديه ونجاثه تقاد إلى جنبه.

وقال العباس بن الفضل عن القاسم عن محمد بن علي قال قال الحسن بن علي: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة إلى المدينة على رجليه.

قالوا: وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرأها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه، فيقرأه بعدما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضي الله عنه.

وقد كان من الكرم على جانب عظيم، قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف.

وقال: سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن بن علي رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه.

وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما يملكك على هذا؟ فقال: إني أستحي منه أن أكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك. فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعقده وملكه الحائط، فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتي له.

قالوا: وكان كثير الزواج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلقاً مصداقاً، يقال إنه أحسن سبعين امرأة.

وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم، واحدة من بني أسد وأخرى - فزارية، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف ويزقاق من عسل وقال للغلام: اسمع ما تقول كل واحدة منهما. فأما الفزارية فقالت: جزاه الله خيراً ودعت له، وأما الأسدية فقالت:

متاع قليل من حبيب مفارق

فرجع الغلام إليه بذلك، فارتجع الأسدية وترك الفزارية.

وقد قال علي لأهل الكوفة: لا تزوجوه فإنه مطلق، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزواجه منا من شاء؛ ابتغاء في صهر رسول الله ﷺ.

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزاري - وقيل هند بنت سهيل - فوق إجاز فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما حملك على هذا؟ فقالت: خشيت أن تقوم من ومن الزم فتسقط فأكون أشأم سخله على العرب. فأعجبه ذلك منها، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك.

وقال أبو جعفر الباقر: جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقضى حاجته، وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إلي من اعتكاف شهر.

وقال هشيم عن منصور عن ابن سيرين قال: كان الحسن بن علي لا يدعو إلى طعامه أحداً ويقول: إن الطعام أهون من أن يدعى إليه أحد.

وقال أبو جعفر: قال علي: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن بن علي فإنه مطلق، فقال رجل من همدان: والله لتزوجته، فما رضي أمسك وما كره طلق.

وقال أبو بكر الخراطي - في كتاب مكارم الأخلاق (المعنى من مكارم الأخلاق) (١٢٥٧): حدثنا إبراهيم بن الجند حدثنا القواريري حدثنا عبد الأعلى عن هشام عن محمد بن سيرين قال: تزوج الحسن بن علي امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم.

وقال عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن الحسن بن سعد عن أبيه قال: متع الحسن بن علي امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل، فقالت إحداهما - وأراها الحفيفة:

متاع قليل من حبيب مفارق

وقال الواقدي: حدثني علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين قال: كان الحسن بن علي مطلقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه.

وقال جويرية بن أسماء: لما مات الحسن بكى عليه مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبيكه وقد كنت تحميه ما تحميه؟ فقال: إني كنت أفضل ذلك إلى أخلّم من هذا. وأشار بيده إلى الجبل.

وقال محمد بن سعد: أنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحب إلي إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان خصومة فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه. فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط.

قال محمد بن سعد: وأنا الفضل بن دكين أنا مساور الجصاص عن رزق بن سوار. قال: كان بين الحسن ومروان خصومة فجعل مروان يغلظ للحسن وحسن ساكت فامتخط مروان يمينه، فقال له الحسن: ويحك! أما علمت أن اليمين للوجه، والشمال للفرج؟ أف لك. فسكت مروان.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له. وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء.

وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم: قال الحسن ذات يوم لأصحابه: إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيم ما عظمه في عيني صغير الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً من سلطان الجهلة فلا يمد يداً إلا على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسنه، وكان لا يسخط ولا يتبرم، كان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بَد القائلين، كان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا

يبتغى به من راعاه، وحفظه ووعاه، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته بالوقوف عنده. وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبي ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم وحذرو حكيم عن حفظه وتأمله، والسعود من هدي لتقبله، والمجدود من وفق لامتناله وتقبله.

قلت: ولكن إسناد هذا الأثر وما فيه من الحديث المرفوع ضعيف، ومثل هذه الألفاظ في عباراتها ما يدل ما في بعضها من النكارة على أنه ليس بمحفوظ والله أعلم.

وقد ذكر الأصمعي والعتي والمدايني وغيرهم: أن معاوية سأل الحسن عن أشياء تشبه هذا فأجابه بنحو ما تقدم، لكن هذا السياق أطول بكثير. فالله أعلم.

وقال علي بن العباس الطبراني: كان علي خاتم الحسن بن علي مكتوب:

قدم لنفسك ما استطعت من التقى إن النية نازلة بك يا قسى أصبحت ذا فرح كأنك لا تسرى أحباب قلبك في المقابر والبلدى

وقال الإمام أحمد: حدثنا مطلب بن زياد أبو محمد حدثنا محمد بن أبان قال: قال الحسن بن علي لبني وبني أخيه: تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب. رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه [تاريخ دمشق: ٢٥٩/١٣، من طريق البيهقي، ٢٩].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو علي سويد الطحان حدثنا علي بن عاصم حدثنا أبو ريمعة عن سفينة عن النبي ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» فقال رجل كان حاضراً في المجلس: قد دخلت من هذه الثلاثين سنة شهر في خلافة معاوية. فقال: من هنا أتيت تلك الشهور كانت البيعة للحسن بن علي، بإيعاز أربعين ألفاً أو اثنتين وأربعين ألفاً.

وقال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: بايع الحسن تسعون ألفاً فزعد في الخلافة وصالح معاوية ولم يسفك في أيامه محجمة من دم.

وقال ابن أبي خيثمة: وحدثنا أبي حدثنا وهب بن جرير قال: قال أبي: فلما قتل علي بايع أهل الكوفة الحسن بن علي وأطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة عن ابن شاذب. قال: لما قتل علي سار الحسن في أهل العراق وسار معاوية في أهل الشام فالتقوا ففكر الحسن القتال وبايع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده. قال: فكان أصحاب الحسن يقولون: يا عار المؤمنين، قال: فيقول لهم: العار خير من النار.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال: لما قتل علي بايع الناس الحسن بن علي فولياها سبعة أشهر وأحد عشر يوماً.

وقال غير ابن عباس: بايع الحسن أهل الكوفة، وبايع أهل الشام معاوية ليلا بعد قتل علي، وبيع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين، ثم لقي الحسن معاوية بمسكن - من سواد الكوفة - في سنة إحدى وأربعين فاصطلحا، وبايع الحسن معاوية.

وقال غيره: كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين.

وقد تكلمنا على تفصيل ذلك فيما تقدم بما أغنى عن إعادتها هنا. وحاصل ذلك أنه اصطاح مع معاوية على أن يأخذ ما في بيت المال

يلبي بحجة، حتى يرى قاضياً يقول ما يفعل، ويفعل ما لا يقول، تفضلاً وتكرماً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستنص بشيء دونهم. كان لا يكرم أحداً فيما يقع العذر بمثله كان إذا ابتداء أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالقه.

رواه ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٥٣/١٣، ٢٥٤] والخطيب [تاريخ بغداد: ٣٢٥/١٢].

وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريسي: حدثنا بدر بن الميثم الحضرمي حدثنا علي بن المنذر الطريقي حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن عبد الله أبو رجاء - من أهل تستر - حدثنا شعبة بن الحجاج الواسطي عن أبي إسحاق الحمداني عن الحارث الأصموري: أن علياً سأل ابنه - يعني الحسن - عن أشياء من المروءة فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبة السداد دفع المكر بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشرة وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال العفاف وإصلاح المسرة ماله. قال: فما الثقة؟ قال: النظر في السير ومنع الحقيق. قال: فما اللوم؟ قال: إحراز المروءة نفسه وبذله عزيمته. قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشج؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقتك تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجين؟ قال: الجرأة على الصديق والتكبر على العدو. قال: فما الغنمة؟ قال: الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا هي الغنمة الباردة. قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ فإنما الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء. قال: فما المنعة؟ قال: شدة لباس ومقارعة أشد الناس. قال: فما الذل؟ قال: الفرع عند المصدوفة؟ قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران. قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعينك. قال: فما الجِد؟ قال: أن تعطي في الغرم وأن تغفو عن الجرم. قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استرعيته. قال: فما الحرِّق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك. قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح. قال: فما الحرزم؟ قال: طول الأناة، والرفق بالولاة، والاحتباس من الناس بسوء الظن هو الحرزم. قال: فما الشرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران. قال: فما السفة؟ قال: اتباع الدناءة ومصاحبة الغرابة. قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المقدس. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك. قال: فمن السيد؟ قال: الأحمق في المال المتهاون بعرضه، يشتتم فلا يجيب المتحزن بأمر العشيرة هو السيد.

قال: ثم قال علي: يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعز من العقل ولا وحلة أوحش من العُجْب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتيدير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكف، ولا عبادة كالتيفر، ولا إيمان كالحياء، ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفتر، وآفة الظرف الضلف، وآفة الشجاعة البهي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الحيلة، وآفة الحب الفخر».

ثم قال علي: يا بني لا تستخفن برجل تراه أبداً، فإن كان أكبر منك فعد أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك.

فهنا ما سأل علي ابنه عن أشياء من المروءة. قال القاضي أبو الفرج: ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما

كانت هذه المرة الأخيرة التي مات فيها فإنه كان يختلف كبده، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً.

وقال الواقدي: وحدثنا عبيدة بن نابل عن عائشة قالت: حد نساء بني هاشم على الحسن بن علي سنة.

قال الواقدي: وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال: كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء، وكان قل ما يحطين عنده، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبه وصحبته به، فيقال: إنه كان سقي، ثم أفلت، ثم سقي فأفلت ثم كانت الأخيرة توفي فيها، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قطع السم أمعاه، فقال الحسين: يا أبا محمد أخبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟ قال: أقتله والله قبل أن أدفنه ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلف الشخصوص إليه. فقال: يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى التقي أنا وهو عند الله. وأبى أن يسميه. وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطفت لبعض خدمه أن يسقيه سماً.

قال محمد بن سعد: أنا يحيى بن حماد أنا أبو عوانة عن المغيرة عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه شكاة، قال: فكان يوضع تحته طست ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً. وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفرضاك لأنفسنا؟.

وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى، وقد قال كثير عزة في ذلك

يا جعدُ بكى ولا تسامي بكاء حقٍ ليس بالباطل
لن تنزي اليت على مثلو في الناس من حافو ولا ناعل
اعني الذي اسلمه أهله للزمن المستخرج الماحل
كان إذا شئت له ناره يرفهها بالنسب المسائل
كما يراها بائس مُزِيل أو فرد قوم ليس بالأهل
تقلي يسي اللحم حتى إذا أنضج لم يسل على أكمل

قال سفيان بن عيينة عن رقية بن مصقلة قال: لما حُضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصحن حتى أنظر في ملكوت السموات. فأخرجوا فراشه ورفع رأسه فنظر فقال: اللهم إني احتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي، قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لما اشتد بسفيان الثوري المرض جزع جزعا شديداً فدخل عليه مرحوم بن عبد العزيز فقال: ما هذا الجزع يا أبا عبد الله؟ تقدم على رب عبدة ستين سنة، صمت له، صليت له حججت له، قال: فسُرِّي عن الثوري.

قال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد ما هذا الجزع؟ ما هو إلا أن تضارق روحك جسداً فتقدم على أبويك علي وفاطمة، وعلى جدك النبي ﷺ وخديجة، وعلى أعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب ومطهر وإبراهيم، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب، قال: فسُرِّي عنه.

وفي رواية: أن القتال له ذلك الحسين، وأن الحسن قال له: يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر

الذي بالكوفة، فوفى له معاوية بذلك فإذا فيه خمسة آلاف ألف، وقيل سبعة آلاف ألف، وعلى أن يكون خراج البصرة. وقيل دارابجرد له في كل عام، فامتنع أهل تلك الناحية عن أداء الخراج إليه، فعوضه معاوية عن ذلك ستة آلاف ألف درهم في كل عام، فلم يزل يتناولها مع ما له في كل عام في وفادته من الجوائز والتحف والمدايا، إلى أن توفي في هذا العام.

وقال محمد بن سعد عن هوزة بن خليفة عن عوف عن محمد بن سيرين قال: لما دخل معاوية الكوفة وباعه الحسن بن علي قال أصحاب معاوية لمعاوية: مر الحسن بن علي أن يخطب، فإنه حديث السن عبي فلعله يتعلم فيضع في قلوب الناس. فأمره فقام فاخطب فقال في خطبته: أيها الناس والله لو ابتغيتم بين جابلج وجابرس رجلا جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه، وإنما قد أعطينا بيعتنا معاوية ورأينا أن حقن دماء المسلمين خير من إهراقها، والله ما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين - وأشار إلى معاوية - فغضب من ذلك وقال: ما أردت من هذه؟ قال: أردت منها ما أراد الله منها. فصعد معاوية وخطب بعده.

وقد رواه غير واحد وقدمنا أن معاوية عتب على أصحابه. وقال محمد بن سعد: حدثنا أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن يزيد بن غير قال: سمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي يحدث عن أبيه قال: قلت للحسن بن علي: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة؟ فقال: كانت جماجم العرب يبدى، يسألون من سألت ويعاريون من حاربت، فتركها ابتغاء وجه الله، ثم أثبها بآيات أهل الحجاز.

وقال محمد بن سعد: أنا علي بن محمد عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال: دخل رجل على الحسن بن علي المدينة وفي يده صحيفة فقال: ما هذه؟ فقال: ابن معاوية يبدى فيها وتوسع، قال: قد كنت على النصف منه، قال: أجل ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل، تنفض أوداجهم دماً، كلهم يستعدي الله فيما هُريق دمه؟.

وقال الأصمعي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله. قال: رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] فخرج بذلك فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا قتل ما بقي من أجله. قال: فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي وعبد بن عثمان الجعفي قالوا: حدثنا أبو أسامة عن ابن عون عن عمير بن إسحاق. قال: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي ألقها بهذا العمود، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيت مرة هي أشد من هذه. قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني، فقال: ما أسألك شيئاً يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده ثم علنا إليه من الغد. وقد أخذ في السوق فجاء حسين حتى قعد عند رأسه، فقال: أي أخي! من صاحبك؟ قال: تريد قتله، قال: نعم! قال: لئن كان صاحبي الذي أظن لله أشد نقمة. وفي رواية: فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن ما أحب أن تقتل بسي بريئا.

ورواه محمد بن سعد عن ابن علية عن ابن عون. وقال محمد بن عمر الواقدي: حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت السور. قالت: كان الحسن سقي مراراً السم كل ذلك فبقت منه، حتى

سنة خمسين من الهجرة

مثله قط قال: فبكى الحسين رضي الله عنهما.

ورواه عباس الدوري عن ابن معين به.

ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه فذكر غوهما.

وقال الواقدي: حدثنا إبراهيم بن الفضل عن أبي عتيق قال: سمعت

جابر بن عبد الله يقول: شهدنا حسن بن علي يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ، فإن خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالقيع، فأبى مروان أن يدعه - ومروان يومئذ معزول يريد أن يرخص معاوية بذلك - فلم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات، قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت: يا أبا عبد الله اتق الله فتنة فإن أحاك كان لا يجب ما ترى فادفنه بالقيع مع أمه ففعل.

ثم روى الواقدي: حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه عن عمر قال: حضرت موت الحسن بن علي فقلت للحسين بن علي: اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء، وادفن أحاك إلى جانب أمه، فإن أحاك قد عهد بذلك إليك، قال: ففعل الحسين. وقد روى الواقدي عن أبي هريرة نحواً من هذا.

وفي رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة في ذلك فأذنت له، فلما مات لبس الحسين السلاح وتسلىح بنو أمية وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله ﷺ أبداً فدفن عثمان بالقيع ودفن الحسن بن علي في الحجرة؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة أشار سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقتل فامتل ودفن أخاه قريباً من قبر أمه بالقيع، رضي الله عنه.

وقال سفيان الثوري عن سالم بن أبي حفصة عن أبي حازم قال: رأيت الحسين بن علي قفم يومئذ سعيد بن العاص فصلى على الحسن وقال: لولا أنها سنة ما قفتم.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني مساور مولى بني سعد بن بكر قال: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا.

وقد اجتمع الناس لجنائزته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام. وقد بكاه الرجال والنساء سبباً، واستمر نساء بني هاشم يُنخن عليه شهراً، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة.

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ومات لها حسن، وقتل لها الحسين رضي الله عنهم.

وقال شعبة عن أبي بكر بن حفص قال: توفي سعد والحسن بن علي في أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين.

وقال علي بن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين، وكنا قال غير واحد وهو أصح.

والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا.

وقال آخرون: مات سنة خمسين وقيل: سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين.

ففي هذه السنة توفي أبو موسى الأشعري في قول، والصحيح أنه مات سنة ثنتين وخمسين كما سيأتي.

وفيها حج بالناس معاوية، وقيل ابنه يزيد، وكان نائب المدينة في هذه السنة سعيد بن العاص، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق وسجستان وفارس والسند والمند زياد.

وفي هذه السنة اشتكى بنو نهشل على الفرزدق إلى زياداً فهرب منه إلى المدينة، وكان سبب ذلك أنه عرض بمعاوية في قصيدة له فطلبه زياد أشد الطلب ففر منه إلى المدينة، فاستجار بسعيد بن العاص، ومدحه بأشعار فأجاره، ولم يزل الفرزدق يتردد بين مكة والمدينة حتى توفي زياد فرجع إلى بلاده، وقد طرد ابن جرير (ج: ١٠، ص: ٢٤١-٢٥٠) هذه القصة.

وقد ذكر ابن جرير في هذه السنة من الحوادث ما رواه من طريق الواقدي (ج: ١٠، ص: ٢٣٩/٥): حدثني يحيى بن سعيد بن دينار عن أبيه أن معاوية كان قد عزم على تحويل المنبر النبوي من المدينة إلى دمشق وأن يأخذ العصا التي كان النبي ﷺ يمسكها في يده إذا خطب فيفت معاوية على المنبر وهو يمسكها، فقال له أبو هريرة وجابر بن عبد الله: يا أمير المؤمنين نذكرك الله أن تفعل هذا فإن هذا لا يصلح أن يخرج المنبر من موضع وضعه فيه رسول الله ﷺ، وأن يخرج عصاه من المدينة. فترك ذلك معاوية ولكن زاد في المنبر ست درجات واعتذر إلى الناس.

ثم روى الواقدي (ج: ١٠، ص: ٢٣٩/٥) أن عبد الملك بن مروان أيام خلافته هم بذلك وعزم عليه فقيل له: إن معاوية كان قد عزم على هذا ثم تركه، وإنه لما حرك المنبر وإراد قلعه كسفت الشمس فترك ذلك. ثم لما حج الوليد بن عبد الملك أراد ذلك أيضاً فقيل له: إن معاوية وأباك أرادا ذلك ثم تركاه، وكان السبب في تركه أن سعيد بن المسيب كلم عمر بن عبد العزيز أن يكلمه في ذلك ويعطه فترك. ثم لما حج سليمان أخبره عمر بن عبد العزيز بما كان عزم عليه الوليد، وأن سعيد بن المسيب نهاه عن ذلك، فقال: ما أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد، وما يكون لنا أن نفعل هذا، ما لنا ولهذا وقد أخذنا الدنيا فهي في أيدينا فنريد أن نعد إلى علم من اعلام الإسلام يوفد إليه الناس فتحمله إلى ما قبلنا. هذا ما لا يصلح رحمه الله.

وفي هذه السنة عزل معاوية عن مصر معاوية بن حُذَيج وولى عليها وإفريقية مسلمة بن مخلد.

وفيها افتتح عقبة بن نافع الفهري عن أمر معاوية بلاد إفريقية، واختط القبروان - وكان مكانها غيضة تناوي إليها السباع والوحوش والحيات العظام، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شيء من ذلك حتى إن السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها، والحيات يخرج من أجحارهن هوارب - فعند ذلك أسلم خلق كثير من البربر. وفي هذه السنة غزا بسر بن أبي أرتاة وسفيان بن عوف أرض الروم.

وفيها غزا فضالة بن عبيد البحر.

وفيها توفي مدلاج بن عمرو السلمي صحابي جليل شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولم أر له ذكراً في الصحابة.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المتلظم [٢٣٠/٥-٢٤٠] أن في هذه السنة توفي جبير بن مطعم وحسان بن ثابت، والحكم بن عمرو الفغاري، ودحية بن خليفة الكلبي، وعقيل بن أبي طالب، وعمرو بن أمية

حتى مات سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه.
وأما

■ عقيل بن أبي طالب أخو علي فكان أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من علي بعشر سنين كما أن طالباً أكبر من عقيل بعشر سنين، وكلهم أسلم إلا طالباً، أسلم عقيل قبل الحلبية وشهد مؤنة، وكان من انسب قريش، وكان قد ورث أقرباه الذين هاجروا وتركوا أموالهم بمكة، ومات في خلافة معاوية

وأما

■ عمرو بن أمية الضمري: فصحاوي جليل أسلم بعد أحد، وأول مشاهدته بثر معونة، وكان ساعياً رسول الله ﷺ بعثه إلى النجاشي في تزويج أم حبيبة وأن يأتي بمن بقي من المسلمين للمسلمين هناك، وله أفعال حسنة، وأثار حمودة، رضي الله عنه توفي في خلافة معاوية وكان لا يلحق ولا يسبق بالخليل.

وفيها كانت وفاة:

■ عمرو بن الحقيق بن الكاهن الخزاعي: أسلم قبل الفتح، وهاجر، وقيل: إنه إنما أسلم عام حجة الوداع، ورد في حديث أن رسول الله ﷺ دعا له أن يمتعه الله بشبابه، بقي ثمانين سنة لا يرى في لحته شعرة بيضاء، ومع هذا كان أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان، ثم صار بعد ذلك من شيعة علي، فشهد معه الجمل وصفين، وكان من جملة الذين قاموا مع حجر بن عدي فقتله زياد فهرب إلى الموصل، فبعث معاوية إلى نائبها فوجدوه قد اختفى في غار فنهضت حية فماتت ففقط رأسه فبعث به إلى معاوية، فطيف به في الشام وغيرها، فكان أول رأس طيف به. ثم بعث معاوية برأسه إلى زوجته أمته بنت الشريد - وكانت في سجته - فالتقي في حجرها، فوضعت كفها على جبينه ولثمت فمه وقالت: غيتموه عني طويلاً، ثم أهديتهمو إلي قتيلاً فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقلية.

وأما

■ كعب بن مالك الأنصاري السلمي: شاعر الإسلام فإنه أسلم قديماً وشهد العقبة ولم يشهد بدرأ، كما ثبت في الصحيحين [ج: (٤٤١٨)، ص (٧١٦)] و(٢٧٦٩) في سياق توبة الله عليه فإنه كان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم من تخلفهم عن غزوة تبوك كما ذكرنا ذلك مفصلاً في التفسير، وكما تقدم في غزوة تبوك.

وغلط ابن الكلبي في قوله: إنه شهد بدرأ، وفي قوله: إنه توفي قبل الأربعين، فإن الواقدي - وهو أعلم منه - قال: توفي سنة خمسين، وقال الهيثم بن عدي: سنة إحدى وخمسين رضي الله عنه.

وأما

■ المغيرة بن شعبة ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال: عبد الله الظفي، وعروة بن مسعود الثقفي عم أبيه.

كان المغيرة من دعاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق بعدما قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف، مرجعهم من عند المقدس وأخذ أموالهم ففرم دياتهم عروة بن مسعود، وشهد الحلبية، وكان واقفاً يوم الصلح على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف صلتاً، وبعث رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبا سفيان بن حرب فهذا اللات، وقد قدما كيفية ذلك.

وبعثه الصديق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك فأصبحت عينه يورم، وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضروء عينه، وشهد

الضمري، وكعب بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وجويرة بنت الحارث، وصفيّة بنت حيي، وأم شريك الأنصارية. رضي الله عنهم أجمعين.

أما

■ جبر بن مطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي أبو محمد وقيل أبو عدي المدني، فإنه قدم وهو مشرك في فداء أسارى بدر، فلما سمع قراءة رسول الله ﷺ في سورة الطور ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. دخل في قلبه الإسلام، ثم أسلم عام خيبر، وقبل زمن الفتح، والأول أصح، وكان من سادات قريش وأعلمها بالأنساب، أخذ ذلك عن الصديق والمشهور أنه توفي سنة ثمان وخمسين، وقيل سنة تسع وخمسين كما سيأتي.

وأما

■ حسان بن ثابت شاعر الإسلام فالصحيح أنه توفي سنة أربع وخمسين كما سيأتي.

وأما

■ الحكم بن عمرو بن مجد الفخاري أخو رافع بن عمرو، ويقال له الحكم بن الأقرع، فصحاوي جليل له عند البخاري [٥٥٢٩] حديث واحد في النهي عن لحوم الحرم الإنسية، وقد استنابه زياد بن أبيه على غزو جبل الأشل فغنم شيئاً كثيراً، فجاء كتاب زياد إليه عن أمر معاوية أن يصطفي الذهب والفضة من الغنيمة لبيت المال فرد عليه الحكم: إن كتاب الله أولى أن يتبع من كتاب معاوية، وقد سبق كتاب الله كتاب معاوية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فقسّمها في الناس ولم يترك إلا الخمس، فيقال: إنه حبس إلى أن مات بمرو في هذه السنة وقيل في سنة إحدى وخمسين رحمه الله.

وأما

■ دحية بن خليفة الكلبي فصحاوي جليل، كان جميل الصورة، فلهاذا كان جبريل يأتي على صورته كثيراً، وأرسله رسول الله ﷺ إلى قيصر. أسلم قديماً ولكن لم يشهد بدرأ، وشهد ما بعدهما، ثم شهد اليرموك وأقام بالزرة - غربي دمشق - إلى أن مات في خلافة معاوية.

وفيها توفي

■ عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد العنسي، أسلم يوم الفتح، وقيل شهد مؤنة، وغزا خراسان، وافتتح سجستان وكابل وغيرها، وكانت له دار بدمشق وأقام بالبصرة، وقيل: بمرو. قال محمد بن سعد وغير واحد: مات بالبصرة سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين، وصلى عليه زياد، وترك عدة من الذكور، وكان اسمه في الجاهلية عبد كلال، وقيل: عبد كلوب، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وكان أحد السفيرين بين معاوية والحسن رضي الله عنهما.

وقد قال له رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها» [مت: (١٥٢٩)].

وفيها توفي

■ عثمان بن أبي العاص الثقفي أبو عبد الله الطائفي، له وأخيه الحكم صحبة، قدم على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فاستعمله رسول الله ﷺ على الطائف، وأقره عليها أبو بكر وعمر، فكان أميرهم وإمامهم مدة طويلة

وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية. وكانت امرأة ذات ملاحه - أي حلوة الكلام - توفيت في هذا العام سنة خمسين كما ذكره ابن الجوزي [الطهم: ٢٣١/٥] وغيره عن خمس وستين سنة، وقال الواقدي: سنة ست وخمسين رضي الله عنها وأرضاها، والله أعلم.

وأما

■ صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الحارث بن أبي حبيب بن النضر بن النحام بن ينحوم، أم المؤمنين النظرية فمن سلالة هارون أخي موسى عليهما السلام، وكانت مع أبيها وعمها جئني أخطب بالمدنية، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضر ساروا إلى خيبر، وقتل أبوها حيي مع بني قريظة صبراً كما قلنا فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر كانت في جملة السبي فوقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي، فذكر لرسول الله ﷺ جمالها وأنها بنت ملكهم، فاصطافها لنفسه وعوض دحية عنها وأسلمت فأعتقها وتزوجها، فلما حلت بالصهباة بنى بها، وكانت ماشطها أم سليم، وقد كانت تحت ابن عمها لها، يقال له كنانة بن أبي الحقيق قتل في المعركة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدها لطمة فقال: ما هذه؟ فقالت: إني رأيت كأن القمر أقبل من يثرب فسقط في حجري فقصصت النمام على ابن عمي فلطمني وقال: تمنين أن يتزوجك ملك يثرب؟ فهذه من لطمة.

وكانت من سيدات النساء عبادة وورعاً وزهادة ورسلاً وصدقة، رضي الله عنها وأرضاها.

قال الواقدي: توفيت سنة خمسين، وقال غيره سنة ست وثلاثين، والأول أصح.

وأما

■ أم شريك الأنصارية: ويقال العامرية: فهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فقتل قبلها وقيل: لم يقبلها، ولم تتزوج حتى ماتت ترجو بذلك أن تكون من أزواجه، وهي التي سقيت بلال من السماء لما منعها المشركون الماء فأسلموا عند ذلك، واسمها غزية، وقيل غزيلة: بنت دودان بن عمرو بن عامر بن رواحة بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي أسلمت قديماً. ماتت في هذه السنة على الصحيح، قال ابن الجوزي [الطهم: ٢٢٧/٥، ٢٣٦]: ماتت سنة خمسين ولم أره لغيره.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

فيها كان مقتل حجر بن عدي وأصحابه: وهو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرثع بن كندى الكوفي، ويقال له حجر الخير، ويقال له حجر بن الأديب، لأن أباه علياً طعن مولياً فسمي الأديب، ويكنى حجر بابي عبد الرحمن وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة، قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٠٧/١٢، ٢٠٨]: وفد إلى النبي ﷺ وسمع علياً وعمراً وشراحيل بن مرة، ويقال شرحيل بن مرة. وروى عنه أبو ليلى مولاه، وعبد الرحمن بن عابس، وأبو البخري الطائي. وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين مع علي أميراً، وقتل بعثراء من قرا دمشق، ومسجد قبره بها معروف.

ثم ساق ابن عساکر بأسانيده إلى حجر فذكر طرفاً صالحاً من روايته عن علي وغيره، وقد ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة (٢١٧/٦) في الطبقة من تابعي أهل الكوفة وذكر له وفادة، ثم ذكره في الأولى من

القادية، وولاه عمر فتوحاً كثيرة، منها همدان وميسان، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم فكلمه بذلك الكلام البالغ فاستتابه عمر على البصرة، فلما شهد عليه بالزنى ولم يثبت عليه عزله عنها وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حيناً ثم عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين فلهن بمعاوية، فلما قتل علي وصالح الحسن معاوية ودخل الكوفة ولأه عليها فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور. قاله محمد بن سعد [الطبقات الكبرى: ٢٠/٦] وغيره.

وقال الخطيب [تاريخ بغداد: ١٩١/١]: أجمع الناس على ذلك، وذلك في رمضان منها عن سبعين سنة.

وقال أبو عبيد: مات سنة تسع وأربعين.

وقال ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٤٤٧/٤]: سنة إحدى وخمسين.

وقيل: سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وثلاثين وهو غلط.

قال محمد بن سعد: وكان المغيرة أصهب الشعر جدّاً، أكشف، مقلص الشفتين، أهتم ضخم الهامة، عبل النراعين، بعيد ما بين المنكبين، وكان يفرق رأسه أربعة قرون.

وقال الشعبي: القضاة أربعة أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وأبو موسى. والداه أربعة، معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزيد.

وقال الزهري: الدعاة في الفتنة خمسة، معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وكان معتزلاً، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن بديل بن ورقاء، وكانا مع علي.

قلت: والشيعية يقولون: الأشياخ خمسة. رسول الله ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأضداد خمسة أبو بكر، وعمر، ومعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة.

وقال الشعبي: سمعت المغيرة يقول: ما غلبني أحد إلا فتى مرة أردت أن أتزوج امرأة فاستشرته فيها فقال: أيها الأمير! لا أرى لك أن تتزوجها، فقلت له: لم؟ فقال: إني رأيت رجلاً يقبلها. ثم بلغني عنه أنه تزوجها، فقلت له: ألم تزعم أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ فقال: نعم! رأيت أباه يقبلها وهي صغيرة.

وقال أيضاً: سمعت قبيصة بن جابر يقول: صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: كان المغيرة بن شعبة يقول: صاحب المرأة الواحدة يحض معها ويمرض معها، وصاحب المراتين بين نارين تشتعلان، وكان يتزوج أربعة معاً ويطلقهن معاً.

وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحسن المغيرة ثلاثمائة امرأة.

وقال غيره: ألف امرأة، وقيل مائة امرأة وقيل ثمانين امرأة فآله أعلم.

وأما

■ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية أم المؤمنين وكان فسباها رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وكان أبوها ملكهم فأسلمت فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكانت فاتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها فقال: «أو خير من ذلك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أشريك وأعتقك وأتزوجك» فأعتقها فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فاعتقوا ما بأيديهم من سبي بني المصطلق وكانوا نحواً من مائة أهل بيت، فقالت عائشة: لا أعلم امرأة أعظم بركة على أهلها منها.

غيب البغي والغبي وخيم، وإن هولا القوم جُموا فأسروا وأمنوني فاجتروا علي، وإيم الله لنن لم تستقيموا لأدائيتكم بؤايتكم، ثم قال: ما أنا بشيء إن لم أمتع ساحة الكوفة من حجر وأدعه نكالا لن بعده، ويل أمك يا حجر، سقط بك العشاء على سرحان. ثم قال:

إبلغ نصيحة أن راعي إبليها سقط العشاء به على سرحان وجعل زياد يقول في خطبته: إن من حق أمير المؤمنين؛ إن من حق أمير المؤمنين، فقال حجر: كذبت. فسكت زياد ونظر إليه. ثم عاد زياد إن من حق أمير المؤمنين. إن من حق أمير المؤمنين - يعني كذا وكذا - فأخذ حجر كفا من حصي فحصبه وقال: كذبت عليك لعنة الله. فاعترض زياد فصلى، ثم دخل القصر، واستحضر حجراً، ويقال: إن زياداً لما خطب طول الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر: الصلاة فمضى في خطبته ثم قال له: الصلاة، فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة عمد إلى كف من حصي وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وكثر عليه، فكتب إليه معاوية: أن شدة في الحليد واحمله إلي، فبعث إليه زياد وإلى الشرطة - وهو شداد بن الهيثم - ومعه أعوانه فقال له: إن الأمير يطلبك، فامتنع من الحضور إلى زياد، وقام دونه أصحابه فرجع الولي إلى زياد فاعلمه، فاستهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الولي إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصي، فمجزوا عنه فندب عمد بن الأشعث وأمهله ثلاثاً وجهز معه جيشاً، فركبوا في طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد، وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن يتصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية، وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة، وأنه حارب الأمير، وأنه يقول: إن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل علي بن أبي طالب. وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبي موسى، ووائل بن حجر، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وإسحاق، وإسماعيل، وموسى بن طلحة بن عبيد الله، والمنذر بن الزبير، وكثير بن شهاب: وثابت بن ربيعي، في سبعين ويقال: إنه كتب شهادة شريح القاضي فيهم، وإنه أنكر ذلك وقال: إنما قلت لزياد: إنه كان صواماً قواماً، ثم بعث زياد حجراً وأصحابه مع وائل بن حجر، وكثير بن شهاب إلى الشام. وكان مع حجر بن عدي بن جبلة الكندي، من أصحابه جماعة، قبل عشرون وقيل أربعة عشر رجلاً منهم الأرقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل، وقيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي، وكريم بن عفيف الخثعمي، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي، وكدام بن حبان، وعبد الرحمن بن حسان العنزي - وعمرز بن شهاب التميمي، وعبيد الله بن حوية السعدي التميمي أيضاً. فهؤلاء أصحاب حجر الذين وصلوا معه، فساروا بهم إلى الشام. ثم إن زياداً أتبعهم برجلين آخرين، عتبة بن الأخنس من بني سعد، وسعد بن عمران الممداني، فكملا أربعة عشر رجلاً، فساروا بهم إلى الشام فيقال: إن حجراً لما دخل على معاوية قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فغضب معاوية غضباً شديداً وأمر بضرب عنقه هو ومن معه، ويقال إن معاوية ركب تلقاهم إلى مرج عذراء ويقال: بل بعث إليهم من تلقاهم إلى عذراء تحت الثنية - ثنية العقاب - فقتلوا هناك. وكان الذين بعث إليهم معاوية من دمشق ثلاثة وهم هلبة بن فياض القضاعي، وحضير بن عبد الله الكلابي، وأبو شريف البلوي، فجاءوا إليهم عشاء فبات حجر

تأبى أهل الكوفة. قال: وكان ثقة معروفاً، ولم يرو عن غير علي شيئاً. قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢١٠/١٢]: بل قد روى عن عساکر وشرأبل بن مرة.

وقال أبو أحمد العسكري: أكثر الحديثين لا يصححون له صحبة. شهد القادسية وافتتح بروج مرج، وشهد الجمل وصفين، وكان مع علي حجر الخير - وهو حجر بن عدي هذا - وحجر الشر - وهو حجر بن يزيد بن سلمة بن مرة.

وقال الرزياني: قد روى أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هاني بن عدي، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم، وكان باراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام.

وقال أبو معشر: ما أحدث قط إلا تروصاً، ولا تروصاً إلا صلى ركعتين. هكذا قال غير واحد من الناس.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد حدثني الأعمش عن أبي إسحاق. قال: قال سلمان لحجر: يا ابن أم حجر لو تقطعت أعضاء ما بلغت الإيمان، وكان إذا كان المغيرة بن شعبة على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته يتقصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حجر هذا ويظهر الإنكار عليه، ولكن كان المغيرة فيه حلم وأناة فكان يصنع عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويعلمه غيب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديدة وباهية، فلم يرجع حجر عن ذلك. فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوماً، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخير العطاء عن الناس، وقام معه فقام من الناس لقيامه، يصدقونه ويشتمون على المغيرة، فدخل المغيرة بعد الصلاة قصر الإمارة ودخل معه جمهور الناس من الأمراء وغيرهم، فأشاروا على المغيرة أن يرد حجراً عما تعاطاه من الجراءة على السلطان وشن العصي والقيام على الأمير، وضمروه وحثوه على التكيل به فصنع عنه وحلم.

وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد بمال يبعثه من بيت المال، فبعث عبراً تحمل مالا فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفى كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعل ذلك بحجر، فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زياداً، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات.

فلما توفي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها وقد التفت على حجر جماعات من شيعة علي يقوونه ويشدون أمره على يده، ويسبون معاوية ويتبرؤون منه، فلما كان أول خطبة خطبها زياد بالكوفة، ذكر في آخرها فضل عثمان وذم من قتله أو أعان على قتله. فقام حجر كما كان يقوم في أيام المغيرة، وتكلم بنحو مما قال للمغيرة، فلم يعرض له زياد، ثم ركب زياد إلى البصرة، وأراد أن يأخذ حجراً معه إلى البصرة لتلا يحدث حدثاً، فقال: إني مريض، فقال: والله إنك لمرضى الدين والقلب والعقل، والله لن أحدث شيئاً لأسعين في قتلك، ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجراً وأصحابه أنكروا على نائبة بالكوفة - وهو عمرو بن حريث - وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة، فركب زياد إلى الكوفة فترل القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سننيس، ومطرف خنز أحمر، قد فرق شعره، وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا يومئذ، وكان من لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف، وجلسوا حوله في المسجد في الحليد والسلاح فخطب زياد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن

وأصحابه يصلون طول الليل، فلما صلوا الصبح قتلهم، وهذا هو الأشهر والله أعلم. وذكر محمد بن سعد أنهم دخلوا عليه ثم ردهم فقتلوا بعذرهم، وكان معاوية قد استشار الناس فيهم حتى وصل بهم إلى برج عذراء فمن مشير بقتلهم، ومن مشير بتفريقهم في البلاد، فكتب معاوية إلى زياد كتاباً آخر في أمرهم، فأشار عليه بقتلهم إن كان له حاجة في ملك العراق، فعند ذلك أمر بقتلهم، فاستوبه منه الأمراء واحداً بعد واحد حتى استوبوا منه ستة، وقتل منهم ستة أولهم حجر بن عدي، ورجع آخر فعفا عنه معاوية، وبعث بأخيه نال من عثمان وزعم أنه أول من جاز في الكلم ومدح علياً، فبعث به معاوية إلى زياد وقال له: إنك لم تبعث إلي فيهم أرى من هذا. فلما وصل إلى زياد دفنه في الناطف حياً - وهو عبد الرحمن بن حسان العتري. وهذه تسمية الذين قتلوا بعذرهم: حجر بن عدي، وشريك بن شلاد، وصفي بن فسيل، وقبيصة بن ضبيعة العسبي، وعمر بن شهاب المنفري السعدي، وكدام بن حيان. [العتري وعبد الرحمن بن حسان العتري المبعوث إلى زياد المدفون في الناطف، فلما قتلوا صلي عليهم ودفنوا] ومن الناس من يزعم أنهم مدفونون بمسجد القصب في عرة، [ومنهم من يزعم أنهم مدفونون بمسجد السبعة خارج باب توما وإنما نسبت السبعة إليهم لأنهم سبعة في شرقية وقيل هم في غربي مسجد القصب] والصحيح بعذرهم، من غرقة دمشق ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال: دعوني حتى أتوضأ، فقالوا: توضأ، فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما، ثم قال: لولا أن يقولوا ما بي جزء من الموت لوطنتهما. ثم قال: قد تقدم لهما صلوات كثيرة. ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكفانهم، فلما تقدم إليه السيف ارتعدت فرائضه فقيل له: إنك قلت لست بجازع، فقال ومالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محضوراً وكفنّاً منشوراً وسيافاً مشهوراً. فأرسلها مثلاً. ثم تقدم إليه السيف، وهو أبو شريف البديوي، وقيل تقدم إليه رجل أعور فقال له: ارفع عنك واشدده، فقال: لا أعين على قتل نفسي، فأسأل عن ذلك يوم القيامة فضره فقتله، وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده، ففعل به ذلك، وقيل: بل صلوا عليه وغسلوه. وروى أن الحسن بن علي قال: لما بلغه قتل حجر وأصحابه قال: أصلوا عليهم وغسلوهم واستقبلوا بهم القبلة ودفنوهم في قيودهم؟ قالوا: نعم! قال: حجهم والله. والظاهر أن الحسين قاتل هذا، فإن حجراً قتل في سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم رضي الله عن الحسن ورحم حجر وأصحابه فقتلوه رحمه الله وسامحه. وروينا أن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب - وذلك بعد مقتله حجراً وأصحابه - قالت له: أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتل حجراً وأصحابه؟ فقال لها: فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أمه. ثم قال لها: فكيف برى بك يا أمه؟ فقالت: إنك بي لبار فقال: يكفيني هذا عند الله، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل وفي رواية أنه قال: إنما قتله الذين شهدوا عليه. وروى ابن جرير أن معاوية لما حضره الموت جعل يفرغ وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً فإله أعلم.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هاني بن عدي، وكان من أصحاب علي - فلما قدم زياد بن أبي سفيان وإلياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أبي أعرفك وقد كنت أنا وأباك على ما قد علمت - يعني من حب علي - وإني كنت وأشد حبا له وأنه قد جاء غير ذلك، وإني أتشدك الله

أن تقطر لي من دمك قطرة فاستفرغه كله، أملك عليك لسانك، وليسك مثلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوادثك مقضية لدي، فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك، فأشدك الله في نفسك، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك. فقال حجر: قد فهمت، ثم انصرف إلى منزله فأتاه الشيعة فقالوا: ما قال لك؟ قال قال لي كذا وكذا. وسار زياد إلى البصرة ثم جعلوا يترددون إليه يقولون له: أنت شيخنا، وإذا جاء المسجد مشوا معه فأرسل إليه عمرو بن حريث - نائب زياد على الكوفة - يقول: ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت؟ فقال للرسول: إنهم ينكرون ما أتمم عليه، إليك وراءك أوسع لك. فكتب عمرو بن حريث إلى زياد: إن كان لك حاجة بالكوفة فالجعل العجل، فأعجل زياد السير إلى الكوفة، فلما وصل بعث إليه عدي بن حاتم، وجرير بن عبد الله الجلي، وخالد بن عرفطة في جماعة من أشراف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة، فأثرو فاجعلوا بمجدونه ولا يرد عليهم شيئاً، إنما يقول: يا غلام أعلفت البكر؟ البكر مربوط في الدار - فقال له عدي بن حاتم: أجنون أنت؟ تكلمك وأنت تقول: أعلفت البكر، ثم قال عدي لأصحابه: ما كنت أظن هنا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى. ثم نهضوا فاتخبروا زياداً ببعض الخبر وكتموه بعضاً، وحسروا أمره وسألوه الرق بـ فلم يقبل، بل بعث إليه الشرط والحارية فأتى به وأصحابه، فقال له: مالك وليك؟ فقال حجر: إني على بيعتي لمعاوية، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه، ففعلوا، ثم أوفدهم إلى معاوية، وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد وشهد الشهود فقال معاوية: اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلهم هناك، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة، ثم جاء رسول معاوية بالتخيلة عنهم، وأن يطلقهم كلهم، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول، وكان قد سلم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه، فصلى ركعتين فطور فيهما، وقال لهما لأخف صلاة صليتها. وجاء رسول عائشة بعدما فرغ من شأنهم. فلما حج معاوية قالت له عائشة: أين عزب عنك عقلك وحلمك حين قتل حجراً؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي. ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية: أقتلت حجر بن الأديب الذي قتله أعظم من قتل مائة ألف؟ فقال معاوية: قتله أحب إلي من أن أقتل معه مائة ألف، وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا يثألون من عثمان ويقولون فيه مقالة الجور، ويتحدون على الأمراء، ويسارعون في الإنكار عليهم ويبالغون في ذلك، ويتولون شيعة علي، ويتشدون في الدين. ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهو في قيوده وهن يكيين، فمال نحوهن: فسكت ساعة فقال إن الذي يطعمكن ويكسكن هو الله وهو حي باق لكن بعدي، فعليكن بتقوى الله وعبادته، وإني إما أن أقتل في وجهي وهي شهادة، أو أن أرجع إليكن مكراً، والله خليفتي عليكم. ثم انصرف مع أصحابه في قيوده، ويقال إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به، ولكن صلوا عليهم ودفنوه مستقبل القبلة رحمهم الله وسامعهم. وقد قالت امرأة من المشجعات ترثي حجراً - وهي هند بنت زيد بن غزوة الأنصارية - ويقال إنها لهند أخت حجر فإله أعلم.

ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير

مسلم بعد ذلك كما سيأتي. وفيها غزا الربيع المذكور ما وراء النهر فغنم وسلم، وقد كان قطع ما وراء النهر قبله الحكم بن عمرو، وكان أول من شرب من ماء النهر غلام الحكم سقاء سيده، توشأ الحكم وصلى وراء النهر ركعتين، ثم رجع، فلما كان الربيع هذا غزا ما وراء النهر فغنم وسلم، وفيها حج بالناس يزيد بن معاوية فيما قاله أبو معشر والواقدي.

وذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه توفي في هذه السنة من الأكابر جرير بن عبد الله البجلي، وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث، وحارثة بن النعمان، وحجر بن عدي، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن أنيس، وأبو بكره نعيم بن الحارث الثقفي، ورضي الله عنهم.

فأما

■ جرير بن عبد الله بن جابر البجلي فأسلم بعد نزول المائدة، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر، وكان قدومه ورسول الله يخضب، وكان قد قال في خطبته: «إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، وإن على وجهه مسحة ملك»، فلما دخل جرير رماه الناس بأبصارهم ينظرون إليه فكان كما وصف رسول الله ﷺ، وأخبروه بما قال فحمد الله تعالى. ويروي أن رسول الله ﷺ لما جالسه بسط رداءه وقال: «إذ جاءكم كريم قوم فآكرومه» وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخليفة. وكان بيتا تعظمه دوس في الجاهلية. فذكر أنه لا يثبت على الخيل فضرب في صدره وقال «اللهم نبته واجعله هاديا مهديا» فذهب فهدمه.

وفي الصحيحين أنه قال: ما حجني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأيته إلا تبسم. وكان عمر بن الخطاب يقول: جرير يوسف هذه الأمة.

وقال عبد الملك بن عمير: رأيت جريراً كأن وجهه شقة قمر.

وقال الشعبي: كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت. فاشتم عمر من بعضهم ريحا، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوشأ، فقال جرير: أوتقوم كلنا فتوشأ يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام.

وقد كان عاملاً لعثمان على همدان، يقال إنه أصيب عينه هناك، فلما قتل عثمان اعتزل علياً ومعاوية، ولم يزل مقيماً بالجزيرة حتى تسوفي بالسرعة، سنة إحدى وخمسين، قاله الواقدي، وقيل سنة أربع، وقيل سنة ست وخمسين.

وأما

■ جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب فأسلم مع أبيه حين تلقياه بين مكة والمدينة عام الفتح، فلما ردهما قال أبو سفيان: والله لئن لم ياذن لي عليه لأخذن بيد هذا فاذنني في الأرض فلا يدري أين اذهب، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق له واذن له وقبل إسلامهما فأسلما إسلاماً حسناً، بعدما كان أبو سفيان يؤذي رسول الله ﷺ أذى كثيراً، وشهد حنيناً، وكان ممن ثبت يومئذ رضي الله عنهما.

وأما

■ حارثة بن النعمان الأنصاري التجاري فشهد بدرأً واحداً والخندق والمشاهد كلها، وكان من فضلاء الصحابة، وروى أنه رأى جبريل مع رسول الله ﷺ بالمقاعد يتحدثان بعد خير، وأنه رأى يوم بني قريظة في صورة دحية. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع قراءته في الجنة. قال محمد بن سعد: حدثنا عبد الرحمن بن يونس حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك حدثنا محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فاتخذ خيطاً من مصلاه إلى باب حجرته كان يضع عنده مكتلاً فيه تمر

ليقتله كما زعم الأمير
يرى قتل الخيار عليه حقاً
لا يا ليت حجراً مات يوماً
تجبرت الجبابرة بعد حجر
وأصبحت البلاد له عيولاً
الا يا حجر حجراً بن عدي
أخاف عليك ما أرى عدياً
فإن تهلك فكل زعيم قوم
فرضوان الإله عليك ميتاً
وذكر ابن عساکر له مرثية كثيرة. وقال يعقوب بن سفيان: حدثني حرمله أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء، حجراً وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين إني رأيت في قتلهم صلاحاً للأمة، وفي مقامهم فساداً للأمة، فقالت: سمعت رسول الله يقول: «سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم، وأهل السماء». وهنا إسناده ضعيف منقطع. وقد رواه عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن أبي الأسود أن عائشة قالت: بلغني أنه سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء.

وقال يعقوب بن سفيان، حدثني ابن بكير: حدثني ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد عن عبد الله بن رزين النافقي. قال: سمعت علياً يقول: يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كشل أصحاب الأخدود، قال: فقتل حجر وأصحابه. ابن لهيعة ضعيف.

وروى الإمام أحمد عن ابن علي عن ابن عون عن نافع قال: كان ابن عمر في السوق فمضى له حجر فاطلق حبوته وقام وغلب عليه التحيب. وروى أحمد عن عفان عن ابن علي عن أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة - أو غيره - قال لا قدم معاوية المدينة دخل على عائشة فقالت: أقتلت حجراً؟ فقال: يا أم المؤمنين إني وجدت قتل حجر فيه صلاح للأمة أو قال صلاح الناس وفي رواية إني وجدت قتل رجل في صلاح الناس خير من استحيائه في فسادهم. وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان. قال: دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة فقالت: يا معاوية تلت حجراً وأصحابه وفعلت الذي فعلت، أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً يقتلك بحجر؟ فقال: لا إني في بيت إيمان، سمعت رسول الله يقول: «الإيمان ضد الفتن لا يفتك مؤمن» يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك وأمرك؟ قالت: صالح. قال: فدعني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا عز وجل. وفي رواية أنها حجبتة وقالت: لا يدخل علي أبداً فلم يزل يتلطف حتى دخل فلامته في قتله حجراً، فلم يزل يعتذر حتى عذرت. وقيل لم تعذره بل قالت له عشم ما بدا لك فإن المرعد الله، تهمد بذلك وفي رواية: أنها كانت تتوعده وتقول: لولا يغلبن سفاوذاً لكان لي لمعاوية في قتله حجراً شأن، فلما اعتذر إليها عذرتة على إغماض والله أعلم

قال المؤلف: قال ابن جرير: وفي هذه السنة ولّى زياد على بلاد خراسان بعد موت الحكم بن عمرو والربيع بن زياد الحارث الذي افتتح بلغ صلحاء، وكانوا قد أغلقوها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس، وفتح قوهستان عنوة، وكان عندها أتراك فقتلهم ولم يبق منهم إلا ترك طرخان الذي قتله قتيبة بن

قال ابن عباس - وكان ابن اختها أم الفضل لبابة بنت الحارث - تزوجها رسول الله ﷺ وهو محرم، أخرجه (ج) (١١٤) (١٨٣٧)، (١٤١٠) وثبت في صحيح مسلم (١٤١١) عنها أنها كانت حلالين، وقولها مقدم عند الأكثرين على قول ابن عباس. وروى الترمذي (٨٤٥) عن أبي رافع - وكان السفير بينهما - أنها كانت حلالين.

ويقال كان اسمها برة فسمها رسول الله ﷺ ميمونة، وتوفيت بسرف بين مكة والمدينة حيث بنى بها رسول الله ﷺ في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ست وستين، والمشهور الأول، وصلى عليها ابن اختها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين

فيها غزا بلاد الروم وشى بها سفيان بن عوف الأزدي فمات هنالك، واستخلف على الجند بعده عبد الله بن مسعدة الفزاري. وقيل: إن الذي كان أمير الغزو ببلاد الروم هذه السنة بسر بن أبي أرطاة ومعه سفيان بن عوف. وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص نائب المدينة، قاله أبو معشر والواقدي وغيرهما. وغزا الصائفة محمد بن عبد الله الثقفي. وعمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة الماضية.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ خاله بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري الخزرجي شهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها، وشهد مع علي قتال الحورية، وفي داره كان نزول رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجرًا من مكة فأقام عنده شهرًا حتى بنى المسجد ومسكنه حوله، ثم تحول إليها، وقد كان أبو أيوب أنزل رسول الله ﷺ في سفل الدار، ثم خرج من أن يعلم فوقه، فسأل من رسول الله ﷺ أن يصعد إلى العلو ويكون هو وأم أيوب في السفلى فأجاب به إلى ذلك. وقد روينا عن ابن عباس أنه قدم عليه أبو أيوب البصرة وهو نائبها فخرج له عن داره وأتته بها، فلما أراد الانصراف خرج له عن كل شيء بها، وزاده تحفاً وخدمًا كثيرًا وأعطاه أربعين ألفًا وأربعين عبدًا إكرامًا له لما كان أنزل رسول الله ﷺ في داره، وقد كان من أكبر الشرف له. وهو القاتل لزوجته أم أيوب - حين قالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - ؟ قال لها: أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ فقالت: لا والله فقال: والله لي خير منك، فأثرت الله تعالى ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ الآية (النور: ١٢) والجمع الكبير: ١٢٨/٤، ٤٩ والمتكرد: ٤٦١/٣، ٤٦٢.

وكانت وفاته ببلاد الروم قريبًا من سور قسطنطينية من هذه السنة، وقيل: في التي قبلها، وقيل: في التي بعدها. وكان في جيش يزيد بن معاوية، وإليه أوصى، وهو الذي صلى عليه.

وقد قال الإمام أحمد [٤١٦/٥]: حدثنا عثمان حدثنا همام حدثنا عاصم عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزا فيه أبو أيوب، فدخل عليه عند الموت فقال له: إذا أنا مت

وغيره، فإذا جاءه المسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بمسك بذلك الخيط حتى يضع ذلك في يد المسكين، وكان أهله يقولون له: نحن نكتفيك ذلك، فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «معاولة المسكين تقي ميتة السوء». وأما حجر بن عدي فقد تقدمت قصته مبسطة. وأما

■ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي أبو الأعور العدوي فهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة زوجة عمر، وأخت عمر فاطمة زوجة سعيد، أسلم سعيد قبل عمر هو وزوجته فاطمة، وهاجرا، وكان من سادات الصحابة قال عروة والزهرري وموسى بن عقبة وعبد بن إسحاق والواقدي وغير واحد: لم يشهد بدرًا لأنه قد كان بعث رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش فلم يرجعا حتى فرغ من بدر، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما، ولم يذكره عمر في أهل الشورى لتلا محابى بسبب قرابته من عمر فيولي فتركه لذلك، وإلا فهو من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة في جملة العشرة، كما صحت بذلك الأحاديث المتعددة الصحيحة، ولم يتول بعد رسول الله ﷺ ولاية، وما زال كذلك حتى مات بالكوفة، وقيل بالمدينة وهو الأصح، قال الفلاس وغيره: سنة إحدى وخمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين والله أعلم. وكان رجلاً طويلاً أشعر، وقد غسله سعد بن أبي وقاص، وحمل من العقيق على رقاب الرجال إلى المدينة، وكان عمره يومئذ بضعا وسبعين سنة.

وأما

■ عبد الله أنيس بن الجهمي أبو يحيى المدني فصحابي جليل شهد العقبة ولم يشهد بدرًا. وشهد ما بعدها، وكان هو ومعاذ يكسران أصنام الأنصار، له في الصحيح حديث أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين، وهو الذي بعث رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهنلي فقتله بعزّة وأعطاه رسول الله ﷺ غصرة وقال: «هذه آية ما بيني وبينك يوم القيامة» فأمر بها فدفنت معه في أكفانه. وقد ذكر ابن الجوزي (النظم: ٢٤٧/٥) أنه توفي سنة إحدى وخمسين، وقال غيره: سنة أربع وخمسين وقيل: سنة ثمانين.

وأما

■ أبو بكر نفع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة الثقفي فصحابي جليل كبير القدر، ويقال: كان اسمه مسروح وإنما قيل له أبو بكر لأنه تنلى في بكرة يوم الطائف فأعتقه رسول الله ﷺ وكل من نزل من مواليتهم إليهم يومئذ.

وأما سمية هي أم زياد، وكان من شهد على المغيرة بالزنى هو وأخوه زياد ومعهما شبل بن معبد، ونافع بن الحارث فلما تلكأ زياد في الشهادة جلد عمر الثلاثة الباقين ثم استأبهم فتابوا إلا أبا بكر فإنه صمم على الشهادة، وقال المغيرة: يا أمير المؤمنين اشفني من هذا العبد، فنهزه عمر وقال له: اسكت! لو كلمت الشهادة لرجعتك بأحجارك، وكان أبو بكر خير هؤلاء الشهود وكان ممن اعتزل الفتى فلم يحضر شيئاً منها، ومات في هذه السنة، وقيل قبلها بسنة، وقيل بعدها بسنة وصلى عليه أبو برة الأسلمي، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ.

وفيها توفيت أم المؤمنين

■ ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها رسول الله ﷺ في عمرة القضاء سنة سبع.

البصرة، وفتح تستر، وشهد خطبة عمر بالجالية، وولاه عثمان الكوفة، وكان أحد الحكيمين بين علي ومعاوية، فلما اجتمعا خدع عمرو أبا موسى. وكان من قراء الصحابة وفقهائهم، وكان أحسن الصحابة صوتاً في زمانه.

قال أبو عثمان الهندي: ما سمعت صوت صنع ولا يَرْبُط ولا مزمار أطيب من صوت أبي موسى. وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» [مسند أحمد: ١٦٧/١].

وكان عمر يقول له ذكراً رينا يا أبا موسى، فقراً وهم يسمعون. وقال الشعبي: كتب عمر في وصيته أن لا يقر لي عامل أكثر من سنة إلا أبا موسى فليقر أربع سنين. وذكر ابن الجوزي في المنتظم [٢٥٢/٥] أنه توفي في هذه السنة، وهو قول بعضهم، وقيل إنه توفي قبلها بسنة، وقيل في سنة ثنتين وأربعين، وقيل غير ذلك والله أعلم.

وكانت وفاته بمكة لما اعتزل الناس بعد التحكيم، وقيل بمكان يقال له: الثوبة على ميلين من الكوفة. وكان قصيراً نحيف الجسم أَثْنُءُ أي لا لحية له، رضي الله عنه. وذكر ابن الجوزي [المنتظم: ٢٥٢/٥] أنه توفي في هذه السنة أيضاً من

الصحابة:

■ عبد الله بن المغفل المزني: صحابي جليل وكان أحد البكائين، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة ليفقهوا الناس، وهو أول من دخل تستر من المسلمين حين فتحها. لكن الصحيح ما حكاه البخاري [التاريخ الكبير: ٢٣/٥] عن سدد أنه توفي سنة سبع وخمسين.

وقال ابن عبد البر [الاستيعاب: ٩٩٦/٣]: توفي سنة ستين، وقال غيره: سنة إحدى وستين فإلله أعلم. ويروى عنه أنه رأى في منامه كأن القيامة قد قامت وكان هناك مكان من وصل إليه نجاة، فجعل يحاول الوصول إليه فقيل له: أتريد أن تصل إليه وعندك ما عندك من الدنيا؟ فاستيقظ فعمد إلى عيبة عنده فيها ذهب كثير فلم يصبح عليه الصباح إلا وقد فرقها في المساكين والمحاويج والأقارب رضي الله عنه [المنتظم: ٢٥٣/٥].

وفيها توفي

■ عمران بن حصين بن عبيد بن خلف أبو نجيح الخزاعي، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر وشهد غزوات، وكان من سادات الصحابة، استغفاه عبد الله بن عامر على البصرة فحكم له بها، ثم استغفاه فأغفاه، ولم يزل بها حتى مات في هذه السنة.

قال الحسن وابن سيرين: ما قدم البصرة راكب خير منه. وقد كانت الملائكة تسلم عليه فلما اكثروا انقطع عنه سلامهم ثم عادوا قبل موته بقليل فكانوا يسلمون عليه رضي الله عنه وعن أبيه أيضاً.

■ كعب بن عجرة الأنصاري أبو محمد المدني: صحابي جليل وهو الذي نزلت فيه آية المفدية في الحج. مات في هذه السنة، وقيل قبلها بسنة عن خمس أو سبع وسبعين سنة.

■ معاوية بن حُذَيْج ابن جفنة بن قسرة الكندي الحولاني المصري، صحابي على قول الأكثرين، وذكره ابن حبان في التابعين من الثقات [٤١٥/٥] والصحيح الأول.

شهد فتح مصر، وهو الذي وفد إلى عمر بفتح الإسكندرية، وشهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال البربر، وذبحت عينه يومئذ، وولي

فارقوا على الناس مني السلام وأخبروهم أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله في الجنة». وليطلقوا بي فليبعدوا بي في أرض الروم ما استطاعوا. قال: فحدث الناس لما مات أبو أيوب فاستلأم الناس وانطلقوا بجنائزته.

وقال الإمام أحمد [٤٢٢/٥]: حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي طليان قال: غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية. قال: فقال: إذا مت فادخلوني في أرض العدو فادفوني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو، قال: ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

ورواه أحمد [٤١٩/٥] عن ابن غير ويعلى بن عبيد عن الأعمش سمعت أبا طليان ذكره، وقال فيه: سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لولا حالنا هذا ما حدثكموه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

وقال الإمام أحمد [٤١٤/٥]: حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني عماد بن قيس - قاصٌ عمر بن عبد العزيز - عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تدفنون لخلق الله قومًا يذبون فيغفر لهم».

وعندي أن هذا الحديث والذي قبله هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الإرجاء، وركب بسببه أفعالا كثيرة أنكرت عليه كما سنذكره في ترجمته والله تعالى أعلم.

قال الواقدي: مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين ودفن عند القسطنطينية وقبره هنالك يستقي به الروم إذا فحطوا، وقيل: إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبرة مزار ومسجد وهم يعظمونه.

وقال أبو زرعة الدمشقي [تاريخ أبي زرعة: ١٨٨/١]: توفي سنة خمس وخمسين، والأول أثبت والله أعلم.

وقال أبو بكر بن خلاد: حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا داود بن المغيرة حدثنا مسيرة بن عبد ربه عن موسى بن عبيدة عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «إن الرجلين ليتوجها إلى المسجد فيصليان فيصرف أحدهما وصلاته وأوزن من أحد، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته يقال ذرة». فقال أبو حميد الساعدي: وكيف يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا كان أحسنهما عقلاً». قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: «إذا كان أروعهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير» وإن كان دونه في التطوع.

وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ لرجل سأل أن يعلمه ويوجز فقال له: «إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه، واجمع لباس ما في أيدي الناس» [ج: ١٧١/٤]، [مسند أحمد: ٤١٢/٥].

وفيها كانت وفاة أبي موسى

■ عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عذر بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن جهم بن الأشعر الأشعري البعاني، أسلم ببلاطه وقدم مع جعفر وأصحابه عام خيبر.

وذكر محمد بن إسحاق أنه هاجر أولاً إلى مكة ثم هاجر إلى الحبشة، وليس هذا بالمشهور.

وقد استعمله رسول الله ﷺ مع معاذ على اليمن، واستباه عمر على

بذلك. فصرفه عن ذلك.

فلما خرج شريح من عنده عاتبه بعض الناس وقالوا: هلا تركته فقطع يده؟! فقال: قال رسول الله ﷺ: «الاستشار مؤمن» [د(٥١٢٨)، ج(٣٧٤٥)].

ويقال إن زياداً جعل يقول: أأنا أم الطاعون في فراش واحد؟ فنزح على قطع يده، فلما جيء بالكلابي والحديد خاف من ذلك فترك ذلك، وذكر أنه جمع مائة وخمسين طبيباً ليناووه بما يجد من الحر في باطنه، منهم ثلاثة أطباء عن كان يطب كسرى بن هرمز، فعجزوا عن رد القدر المحترق والأمر المحموم، فمات في ثالث شهر رمضان في هذه السنة. وقد قام في إمرة العراق خمس سنين. ودفن بالثوية خارج الكوفة، وقد كان يبرز منها قاصداً إلى الحجاز أميراً عليها.

فلما بلغ خبر موته عبد الله بن عمر قال: اذهب إليك يا ابن سمية، فلا الدنيا بقيت لك، ولا الآخرة أدركت.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني أبي عن هشام بن محمد حدثني يحيى بن ثعلبة أبو القوم الأنصاري عن أمه عائشة عن أبيها عبد الرحمن بن السائب الأنصاري. قال: جمع زياد أهل الكوفة فعلا منهم المسجد والرحبة والقصر ليغرضهم على البراءة من علي بن أبي طالب، قال عبد الرحمن: فإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار، والناس في أمر عظيم من ذلك وفي حصر، قال: فهومت تهووت - أي نعتت نعتة - فرأيت شيئاً أقبل طويلاً المنق، له عتق مثل عتق البعير، أهدب أهدل فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر. فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيتم؟ قال: لا فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر فقال: إن الأمير يقول لكم: انصرفوا عني، فإني عنكم مشغول. وإذا الطاعون قد أصابه.

وروي ابن أبي الدنيا أن زياداً لما ولي الكوفة سأل عن أعبد أهلها فدل على رجل يقال له أبو المنيرة الحميري، فجاء به فقال له: الزم بيتك ولا تخرج منه وأنا أعطيك من المال ما شئت، فقال: لو أعطيتني ملك الأرض ما تركت خروجي لصلاة الجماعة. فقال: الزم الجماعة ولا تتكلم بشيء. فقال: لا أستطيع ترك الأمر بالعرف والنهي عن المنكر، فأمر به فضربت عنقه. وهنا غريب جداً.

ولما حضر قال له ابنه: يا أبة قد هيات لك ستين ثوباً أكفئك فيها، فقال: يا بني قد دنا من أبيك أمر إما لباس خير من لباسه وإما سلب

سريع.

و صمصمة بن ناجية بن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم الدارمي، كان سيداً في قومه في الجاهلية وفي الإسلام، يقال إنه أحيى في الجاهلية ثلاثمائة وستين مؤودة، وقيل أربعمائة. وقيل ستا وتسعين مؤودة، فلما أسلم قال له رسول الله ﷺ: «لَكَ أَجْرُ ذَلِكَ إِذْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالإِسْلَامِ» [العجم الكبر: ٢١/٨].

ويروي عنه أنه أول ما أحيى المؤودة أنه ذهب في طلب ناقتين شردتا له، قال: بينما أنا في الليل أسير إذ أنا بنار نضوي تارة وتخبو أخرى. فجعلت لا أعتدي إليها، فقلت: اللهم لك علي إن أوصلتني إليها إن أذعن عن أهلها ضيماً إن وجلته بهم، قال: فوصلت إليها وإذا شيخ كبير يوقد ناراً وعنده نسوة مجتمعات، فقلت: ما أنتن؟ فقلن: إن هذه امرأة قد حبستنا منذ ثلاث، تطلق ولم تخلص، فقال لي الشيخ صاحب المنزل: وما خبرك؟ فقلت: إني في طلب ناقتين شردتا لي، فقال: قد وجلتهما، إنهما لقي إبلنا،

حرواً كثيرة في بلاد المغرب، وكان عثمانياً في أيام علي ببلاد مصر، ولم يبايع علياً بالكلية، فلما أخذ معاوية بن أبي سفيان مصر أكرمه ثم استتابه بها بعد عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه ناب بها بعد أبيه ستين ثم عزله معاوية وولى بن خديج هذا، فلم يزل بمصر حتى مات بها في هذه السنة.

■ هاشم بن نيار أبو بردة البلوي: وهو خال البراء بن عازب المخصوص بنبخ العناق وإجرائها عن غيرها من الأصاحي، وشهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وكانت راية بني حارثة معه يوم الفتح رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

فيها غزا عبد الرحمن بن أم الحكم بلاد الروم وشتى بها.

وفيها انتخب المسلمون وعليهم جندة بن أبي أمية جزيرة رودس فأقام بها طائفة من المسلمين كانوا أشد شيء على الكفار، يعترضون لهم في البحر ويقطعون سيلهم، وكان معاوية يمد عليهم الأرزاق والأعطيات الجزيلة، وكانوا على حذر شديد من الفرنج، يبيتون في حصن عظيم عندهم فيه حوائجهم ودوابهم وحواصلهم، ولهم نواطير على البحر ينزرونهم إن قدم عدو أو كادهم أحد، وما زالوا كذلك حتى كانت إمارة إمارة يزيد بن معاوية، بعد أبيه، فأقبلهم من تلك الجزيرة، وقد كانت للمسلمين بها أموال كثيرة وزراعات غزيرة.

وحج بالناس في هذه السنة سعيد بن العاص والي المدينة، قاله أبو معشر والواقدي.

وفي هذه السنة توفي جيلة بن الأيهم النسائي كما ستأتي ترجمته في آخر هذه التراجم.

وفيها توفي

■ الربيع بن زياد الحارثي، مختلف في صحته، كان نائب زياد على خراسان، وكان قد ذكر حجر بن عدي فتأسف عليه، وقال: والله لو ثارت العرب له ما قتل صبراً ولكن أقرت العرب فذلت، ثم لما كان يوم الجمعة دعا الله على المنبر أن يقبضه إليه فمعا عاش إلى الجمعة الأخرى، واستخلف على عمله ابنه عبد الله بن الربيع فأقره زياد على ذلك، فمات بعد ذلك بشهرين واستخلف على عمله بخراسان خليل بن عبد الله الحنفي فأقره زياد.

و روي عن ثابت: صحابي جليل شهد فتح مصر، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب، ومات ببرقة واليا من جهة مسلمة بن مخلد نائب مصر.

وفيها توفي

■ زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد ابن أبيه وزيد بن سمية - وهي أمه - في رمضان من هذه السنة مطعوناً، أنه كتب إلى معاوية يقول له: إنني قد ضبطت لك العراق بشماله ويماني فأرغ. وهو يمرض له أن يستنيه على بلاد الحجاز أيضاً، فلما بلغ أهل الحجاز جاوروا إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب فشكروا إليه ذلك، وخافوا أن يلي عليهم زياد، فيعسفهم كما عسف أهل العراق، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون، فطعن زياد بالعراق في يده فضاقت ذراعاً بذلك، واستشار شريحاً القاضي في قطع يده، فقال له شريح: إنني لا أرى لك أن تفعل ذلك بنفسك، فإنه إن لم يكن في الأجل فسحة لقيت الله أجدم قد قطعت يديك جزعاً من لقائه، وإن كان لك أجل بقيت في الناس أجدم فيعير ولذك

فاستعدى عليه الغزاري عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة، فاستحضره عمر فاعترف جيلة فقال له عمر: أيقده. فقال جيلة: كيف وأنا ملك وهو سوقة؟ فقال: إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالقوى، فقال جيلة: قد كنت أظن أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية، فقال عمر: دع ذا عنك، فإنك إن لم ترخص الرجل أقدته منك، فقال: إذن أنتصر، فقال: إن تنصرت ضربت عتقك. فلما رأى الجيد: قال: سأنتظر في أمري هذه الليلة، فانصرف من عند عمر.

فلما اطمع الليل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأكرمه وأعطاه بلاداً كثيرة، وأجرى عليه أرزاقاً جزيلة، وأهدى إليه هدايا جيلة، وجعله من سكاره، فمكث عنده دهرًا.

ثم إن عمر كتب كتاباً إلى هرقل مع رجل يقال له جثامة بن مساحق الكناني، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل: هل لقيت ابن عمك جيلة؟ قال: لا قال: فآله، فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والخيور الديني، في لباسه وفرشه ومجلسه وطيبه وجواربه، حواله الحسان من الخدم والقيان، ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الإسلام، وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعهد إلى الشام فقال: أبعد ما كان مني من الارتداد؟ فقال: نعم! إن الأشعث بن قيس ارتد وقتلته بالسيف، ثم لما رجع إلى الحق قبلوه منه وزوجه الصديق باخته أم فروة، قال: فآلهي عه بالطعام والشراب، وعرض عليه الخمر فأبى عليه، وشرب جيلة من الخمر شيئاً كثيراً حتى سكر ثم أمر جواربه القيان فغتنى بالعيان من قول حسان يمدح بني عمه من غسان والشعر في والد جيلة هذا الحيوان.

لله در عصابة نادمهم يوماً يجلس في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البرص عليهم صهباً تصفئ بالرحي السلسل
يضيء الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول
ينشئون حتى ما تهر كلابهم لا يبالون عن السواد المقبل

قال: فأعجبه قولهن ذلك، ثم قال: هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري فينا وفي ملكنا، ثم قال لي: كيف حال حسان؟ قلت: تركته ضريباً شيخاً كبيراً، ثم قال لمن: اطرني. فاندفعن بغين بقول حسان أيضاً:

لن الديار أقفرت بمعان بين فرع اليرموك فالصناب
فالفرات من بلاس فدارت فاسكاه فالقصير الدواني
فحسى جاسم لي مرج ذي الصر فر مغنى قباطل وهجان
تلك دار العزيز بعد الوفاء وحلول عظيم الأركان
صلوات المسيح في ذلك الديار دعاء القسيس والرهبان
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر بر معاء تعاقب الأزمان
فلراني هناك حن مكين هنذ ذي التاج مجلي ومكاني
تكلت أمهم وقد تكلتهم يوم حلوا بحارث الجولان
قد دنا الفصح فالولائد ينظم من سراعاً أكلة المرحبان
ثم قال: هذا لابن الفرعة حسان بن ثابت فينا وفي ملكنا وفي منازلنا

قال فتزلت عنده. قال: فما هو إلا أن نزلت إذ قلن: وضعت، فقال الشيخ: إن كان ذكراً فلرغلوها، وإن كان أنثى فلا تسمعتني صوتها، فقلت: علام تقتل ولذك ورزقة على الله؟ فقال: لا حاجة لي بها، فقلت: أنا أفتديها منك وأتركها عندك حتى تبين عنك أو تموت. قال: يكس؟ قلت: بلأحدى ناقي، قال: لا قلت: فبهما، قال: لا إلا أن تردينني بعيرك هذا فإني أراه شاباً حسن اللون، قلت نعم على أن تردني إلى أهلي، قال: نعم. فلما خرجت من عندهم رأيت أن الذي صنعتُه نعمة من الله من بها علي هدايا إليها، فجعلت لله علي أن لا أجحد مروودة إلا أفتديها كما أفتديت هذه. قال فما جاء الإسلام حتى أحييت مائة مروودة إلا أربعاً، ونزل القرآن بتحريم ذلك على المسلمين.

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير المذكورين:

■ **جيلة بن الأيهم الغساني:** ملك نصارى العرب وهو جيلة بن الأيهم بن جيلة بن الحارث بن أبي شمر، واسمه المنذر بن الحارث، وهو ابن مارية ذات القرطين، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، واسمه كعب بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس، ومارية هي بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، ويقال غير ذلك في نسبه، وكنيته جيلة أبو المنذر الغساني الجفني، وكان ملك غسان، وهم نصارى العرب أيام هرقل، وغسان أولاد عم الأنصار أوسها وخزرجها، وكان جيلة آخر ملوك غسان، فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب يدعو إلى الإسلام فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ.

وقال ابن عساکر رحمه الله: ٣٩٨/٥ قيل: إنه لم يسلم قط، وهكذا صرح به الواقدي وسعيد بن عبد العزيز.

وقال الواقدي: شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر، فاتفق أنه وطئ رجلاً من مزينة بدمشق فطمعه ذلك المزني، فرفعه أصحاب جيلة إلى أبي عبيدة فقالوا: هذا طعم جيلة، قال أبو عبيدة: فطمعه جيلة فقالوا: أو ما يقتل؟ قال: لا قالوا: فما تقطع يده؟ قال لا، إنما أمر الله بالقدور، فقال جيلة: أترون أبي جاعل وجهي بدلاً لوجه مازني جاء من ناحية المدينة؟ بش الذين هذا، ثم ارتد نصرانيا وترحل بأهله حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان: إن صديقك جيلة ارتد عن الإسلام، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: ولم؟ قال: لطمه رجل من مزينة فقال: وحق له، فقام إليه عمر بالدرة فضربه بها.

ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيد إلى جماعة من الصحابة. وهذا القول هو أشهر الأقوال.

وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جيلة فرح بإسلامه، ثم بعث يستدعيه لإبراه بالمدينة، وقيل: بل استأذنه جيلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه، قيل مائة وخمسون راكباً، وقيل خمسمائة، وتلقته هدايا عمر ونزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة، ولبس تاجاً على رأسه مرصعاً بالأكاليج والجواهر، وفيه قرطاً مارية جنته، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساءهم ينظرون إليه، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه، وشهد الحج مع عمر في هذه السنة، فبينما هو يطوف بالكعبة إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة فأنجل، فرفع جيلة يده فهشم أنف ذلك الرجل، ومن الناس من يقول: إنه قلع عينه،

لتفعل ذلك، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي بذلك، ولو كتب إليك في داري لفعلته. فقام سعيد فأخرج إليه كتاب معاوية إليه حين ولأه المدينة أن يهدم دار مروان ويصطفي أهواله، وذكر أن سعيداً لم يزل يجاحد حوث حتى صرف ذلك عنه، فلما رأى مروان الكتب إلى سعيد بذلك، ثناء ذلك عن دار سعيد، ولم يزل يدافع عنه حتى تركه معاوية في داره وأقر عليه أهواله.

وفيها عزل معاوية سمرة بن جندب عن البصرة، وكان زياد قد استخلفه عليها فأقره معاوية ستة أشهر ثم عزله، وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان.

وروى ابن جرير وغيره [المنظم: ٢٦٧/٥] عن سمرة أنه قال: لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً. وهذا لا يصح عنه.

وأقر معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد على نيابة الكوفة، وكان زياد قد استخلفه عليها فأبقاه معاوية.

وقدم في هذه السنة عبيد الله بن زياد على معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم، ثم ولأه إمرة خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة، فصار إلى مقاطعته ونجده من فوره غاديا إليها، فقطع النهر إلى جبال بخارى، ففتح راميرن ونصف ييكند - وهما من معاملة بخارى - ولقي الترك هناك فقاتلهم قتالا شديداً وهزمهم هزيمة قاطعة بحيث إن المسلمين أصجلوا امرأة الملك أن تلبس خفيها، فلبست واحدة وتركوا أخرى، فأخذها المسلمون فقوموا جؤزئها بمائتي ألف درهم، وغنموا مع ذلك غنائم كثيرة، وأقام عبيد الله بخراسان سنتين.

وفي هذه السنة حج بالناس مروان بن الحكم نائب المدينة.

وكان على الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، وقيل: بل كان عليها الضحاك بن قيس، وكان على البصرة عبد الله بن غيلان.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي أبو محمد المدني: مولى رسول الله ﷺ وابن مولا، وحبه وابن حبه، وأمه بركة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضته، ولأه رسول الله ﷺ الإمرة بعد مقتل أبيه فظعن بعض الناس في إمرته، فقال رسول الله ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبله، وإيم الله إن كان خليفاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا خليق بالإمارة إن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعدة» [خ: (٦٦٢٧)، (٢٤٢٦)].

وثبت في صحيح البخاري [٣٧٣٥] عنه: أن رسول الله ﷺ كان يجلس الحسن على فخذه ويجلس أسامة على فخذه الأخرى ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما».

وفضائله كثيرة جداً. توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة، وكان عمر إذا لقيه يقول: السلام عليك أيها الأمير.

وصحح أبو عمر بن عبد البر أنه توفي في هذه السنة، وقال غيره: سنة ثمان أو تسع وخمسين، وقيل توفي بعد مقتل عثمان فالله أعلم.

■ نوبان بن مجاهد: مولى رسول الله ﷺ تقدمت ترجمته في الموالى ومن كان يتخذه عليه الصلاة والسلام، أصل نوبان من الحرب فأصابه سبأ فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، فلزم رسول الله ﷺ سفراً وحضراً، فلما مات أقام بالرألة ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً ولم يزل بها حتى مات

بأكتاف غوطة دمشق، قال: ثم سكت طويلاً، ثم قال لمن: بكتني، فوضعن عيلائهن ونكسن رؤوسهن وقلن:

تصرت الأشراف من عار لظمى وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفي فيها لجلاج ولغموة ويعت بها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويليتني أوعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويليتني في الشام أدنى مبيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما فاتوا به من شريعة وقد يصبر العمود الكبير على الذكر

قال: فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحية بلعومه وبكى معه، ثم استدعى بخصمائه دينار هرقلية فقال: خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت، وجاء بأخرى مثلهما فقال: خذ هذه لك، فقلت: لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئا وقد ارتددت عن الإسلام، فقال: إنه أضافها إلى التي لحسان، فبعث إليه بألف دينار هرقلية، ثم قال لي: أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال: ورايته يشرب الخمر؟ قلت: نعم! قال: أبعد الله، تعجل فانية بياقية فما رجحت تجارتك. ثم قال: وما الذي وجّه به لحسان؟ قلت: خمسمائة دينار هرقلية، فدعا حساناً فذهبها إليه، فأخذها وولّى وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقة مشرب لم يغلّم أباهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هو رهبا كلا ولا متصصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يبرأه عنده إلا كعص عطيّة الخروم
وانتبه يوماً فقرب مجلسي وسقى فزواني من الخرطوم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري رسولا إلى ملك الروم، فاجتمع بجيلة بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول، فقال له بجيلة: لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فأنها منازلنا، وعشرين قرية من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا، ويحسن جوارئنا، لرجعت إلى الشام. فأخبر عبد الله بن مسعدة معاوية بقوله، فقال معاوية: أنا أعطيه ذلك، وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك، فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة قبضه الله.

وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في المنظم [٢٥٦/٥-٢٦٠/٥] وأرخ وفاته في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وخمسين.

وقد ترجمه الحافظ ابن عسكار في تاريخه [مختصر تاريخه: ٢٥٦/٥-٢٦٠/٥] فأطال الترجمة وأفاد، ثم قال في آخرها: بلخي أن بجيلة توفي في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

وفيها كان شتى محمد بن مالك بأرض الروم.

وغزا الصائفة معن بن زائدة السلمي.

وفيها عزل معاوية سعيد بن العاص عن إمرة المدينة ورد إليها مروان بن الحكم، وكتب إليه أن يهدم دار سعيد بن العاص، ويصطفي أهواله التي بأرض الحجاز، فجاء مروان إلى دار سعيد ليهدمها فقال سعيد: ما كنت

عليه المسلمين، ومع هذا كان من أغنى الناس، مات الزبير يوم مات وحكيم عليه مائة ألف.

وقد كان بيده حين أسلم الرفادة ودار الندوة فباعها بمئدة من معاوية بمائة ألف، وفي رواية بأربعين ألف دينار، فقال له ابن الزبير: بعت مكربة قريش؟ فقال له حكيم: ابن أخي ذهبت للمكارم فلا كرم إلا التقوى، يا ابن أخي إنني اشتريتها في الجاهلية بزرق خمر، ولأشترين بها داراً في الجنة، أشهدك أنني قد جعلتها في سبيل الله.

وهذه الدار كانت لقريش بمنزلة دار العدل، وكان لا يدخلها أحد إلا وقد صار منه أربعين سنة، إلا حكيم بن حزام فإنه دخلها وهو ابن خمس عشرة سنة. ذكره الزبير بن بكار.

وذكر الزبير أن حكيماً حج عاماً فأهدى مائة بئدة جليلة، وألف شاة، وأوقف معه عرفات مائة وصيف في أعناقهم أطوقه الفضة، وقد نقش فيها: هؤلاء عتقاء الله عن حكيم بن حزام، فاعتقهم وأهدى جميع تلك الأنعام رضي الله عنه.

توفي حكيم في هذه السنة على الصحيح، وقيل غير ذلك وله مائة وعشرون سنة والله أعلم.

■ حويطب بن عبد العزى العامري: صحابي جليل، أسلم عام الفتح، وكان قد عثر دهرًا طويلاً، ولهذا جعله عمر في نفر الذين جلدوا أنصاب الحرم، وقد شهد بدرًا مع المشركين، ورأى الملائكة يومئذ بين السماء والأرض، وشهد الحلبية وسعى في الصلح، فلما كان عمرة القضاء كان هو وسهيل هما اللذان أمرا رسول الله ﷺ بالخروج من مكة، فأمر بلالا أن لا تنرب الشمس ومكة أحد من أصحابه.

قال: وفي كل هذه المواطن أئمتُ بالإسلام وبأبي الله إلا ما يريد، فلما كان زمن الفتح خفت خوفاً شديداً وهرت فلحقني أبو ذر - وكان لي خليلاً في الجاهلية - فقال: يا حويطب مالك؟ فقلت: خائف، فقال: لا تخف فإنه أبر الناس وأوصل الناس، وأنا جار لك فاقدم معي، فرجعت معه فوقف بي على رسول الله ﷺ وهو بالطحاه ومعه أبو بكر وعمر، وقد علمني أبو ذر أن أقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فلما قلت ذلك قال: «حويطب؟» قلت: نعم أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال: «الحمد لله الذي هدانا لهذا» وسر بذلك واستقرضني مالا فأقرضته أربعين ألفاً، وشهدت معه حيناً والطائف، وأعطاني من غنائم حنين مائة بعير.

ثم قدم حويطب بعد ذلك المدينة فترها وله بها دار، ولما ولي عليها مروان بن الحكم جاءه حويطب وحكيم بن حزام، وغرمة بن نوفل، فسلموا عليه وجلسوا يتحدثون عنده ثم تفرقوا، ثم اجتمع حويطب بمروان يوماً آخر فسأله مروان عن عمره فأخبره، فقال له: تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث. فقال حويطب: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غير مرة كل ذلك يعوقني أبوك يقول: تضع شرفك وتدع دين آبائك لدين محدث؟ وتصير تابعاً؟ قال: فأسكت مروان وندم على ما كان قال له، ثم قال حويطب: أما كان أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك حين أسلم؟ قال: فازداد مروان غماً. وكان حويطب ممن شهد دفن عثمان، واشترى منه معاوية دابة بمكة بأربعين ألف دينار فاستكثرها الناس، فقال حويطب: وما هي في رجل له خمسة من العيال؟

قال الشافعي: كان حويطب حميد الإسلام، وكان أكثر قريش بمكة رعباً جاهلياً.

في هذه السنة على الصحيح، وقيل سنة أربع وأربعين وهو غلط، ويقال إنه توفي بمصر، والصحيح بمصر.

■ جوير بن مطعم تقدم أنه توفي سنة خمسين.

■ الحارث بن ربيع أبو قتادة الأنصاري، وقال الواقدي: اسمه النعمان بن ربيع، وقال غيره: عمرو بن ربيع.

وهو أبو قتادة الأنصاري السلمي المدني فارس الإسلام، شهد أحداً وما بعدهما، وكان له يوم ذي قرد سعي مشكور كما قلنا ذلك. قال رسول الله ﷺ يومئذ: «خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع» (مسند أحمد: ٥١٤-٥١٥).

وزعم أبو أحمد الحاكم أنه شهد بدرًا وليس هذا معروف.

وقال أبو سعيد الخدري: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» (م: ٢٩١٥).

قال الواقدي وغير واحد: توفي في هذه السنة - يعني سنة أربع وخمسين - بالمدينة عن سبعين سنة، وزعم الميثم بن عدي وغيره أنه توفي بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصلى عليه علي بن أبي طالب. وهذا غريب.

■ حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو خالد المكي، وأمه فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وعمته خديجة بنت خويلد، وزوجة رسول الله ﷺ، وأم أولاده سوزى إبراهيم. ولدته أمه في جوف الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، وذلك أنها دخلت الكعبة تزور فضربها الطلق فوضعت على نطح.

وكان شديد المحبة لرسول الله ﷺ، ولما كان بنو هاشم وينو المطلب في الشعب لا يبيعون ولا يناكحون، كان حكيم يقبل بالبرير تقدم من الشام فيشترها مكانها، ثم يذهب بها فيضرب أديارها حتى تلج الشعب تحمل الطعام والكسوة تكربة لرسول الله ﷺ، ولعمته خديجة بنت خويلد. وهو الذي اشترى زيد بن حارثة فتابعت منه عمته خديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فاعتقه، وهو الذي اشترى حلة ذي يزن فأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها، قال: فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها. ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم.

قال البخاري (التاريخ الكبير: ١١/٣) وغيره: عاش ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، وكان من سادات قريش وكرمائهم وأعلمهم بالنسب، وكان كثير الصدقة والبر والعفافة، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «أسلمت على ما أسلفت من خير» (ع: ١٤٣٦)، (م: ١٢٣٣).

وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدرًا وتقدم إلى الحوض فكاد حمزة أن يقتله، فما سحب إلا سحبا بين يديه، فلعلها كان إذا اجتهد في اليمين يقول: لا والذي يجاني يوم بدر. ولما نزل رسول الله ﷺ يوم الفتح بمز الظهران ومعه جنود خرج حكيم وأبو سفيان يتجسسان الأخبار، فلحقهما العباس، فأخذ أبا سفيان فأجازه وأخذ له أماناً من رسول الله ﷺ، وأسلم أبو سفيان ليلئذ كرها، ومن صبيحة ذلك اليوم أسلم حكيم وشهد مع رسول الله ﷺ حينئذ، وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له: «يا حكيم إن هذه المال حلوة خضرة، وإنه من أخذته بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع». فقال حكيم: والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعنك أبداً، فلم يرزأ أحداً بعده، فكان أبو بكر يعرض عليه العطاء فيأبى، وكان عمر يعرض عليه العطاء فيأبى فكان عمر يشهد

عبد الله بن زياد، فولاه فاستخلف ابن زياد على خراسان أسلم بن زوعة، فلم يفر ولم يفتح شيئاً، وولّى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى ثم عزله وولى ابن أذينة العبدي، وولى شرطتها عبد الله بن حصن. وحج بالناس في هذه السنة مروان بن الحكم نائب المدينة. وفيها عزل معاوية عبد الله بن خالد بن أسيد عن الكوفة وولى الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه.

ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة

■ الأرقم بن أبي الأرقم: عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أسلم قديماً، يقال سابع سبعة، وكانت داره كهفاً للمسلمين يأوي إليها رسول الله ﷺ ومن أسلم من قريش، وكانت عند الصفا وقد صارت فيما بعد ذلك للمهدي فوهبها لامرأته الحيزران أم موسى الهادي وهارون الرشيد، فبنتها وجدتها عرفت بها، ثم صارت لغيرها، وقد شهد الأرقم بدرًا وما بعدها من المشاهد، ومات بالمدينة في هذه السنة، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص أوصى به رضي الله عنهما، وله بضع وثلاثون سنة.

■ سخيان بن زفر بن إياس ابن عبد شمس بن الأخب الباهلي الوائلي، الذي يضرب بفصاحته المثل، فيقال: أفصح من سخيان وائل. ووائل هو ابن من بن مالك بن عصم بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، وباعلة امرأة مالك بن عصم، ينسب إليها ولدها، وهي باهلة بنت صعب بن سعد العثيرة.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ١٤٣/٢٠]: سخبان المعروف بسحبان وائل، بلغني أنه وفد إلى معاوية فتكلم فقال معاوية: أنت الشيخ؟ فقال: إي والله وغير ذلك. ولم يزد ابن عساكر على هذا، وقد نسب ابن الجوزي في كتابه المنتظم [٢٨٣/٥] كما ذكرنا، ثم قال: وكان بليغاً يضرب المثل بفصاحته، دخل يوماً على معاوية وعنه خطباء القبائل، فلما رأوه خرجوا لعلهم بقصورهم عنه، فقال سحبان:

لقد علم الحسي اليمانون أنني إذا قلتُ أما بعدُ أني خطيها فقال له معاوية: اخطب! فقال: انظروا لي عصاً تقيم من أودي، فقالوا: وما تصنع بها وأنت محضرة أمير المؤمنين؟ فقال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه، فأخذها وتكلم من الظهر إلى أن قاربت العصر، ما تتحنن ولا سعل ولا توقف ولا ابتداء في معنى فخرج عنه وقد بقيت عليه بقية فيه، فقال معاوية: الصلاة! فقال: الصلاة أمامك، السنة في تحميد وتمجيد وعظة وتنبه، وتذكير ووعد ووعيد؟ فقال معاوية: أنت أخطب العرب، قال: العرب وحدها بل أخطب الجن والإنس. قال: كذلك أنت.

■ سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، أبو إسحاق القرشي الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، أسلم قديماً، قالوا: وكان يوم أسلم عمره سبع عشرة سنة.

وثبت عنه في الصحيح [ج: ٣٧٢٧] أنه قال: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلك الإسلام. وهو الذي كُوف الكوفة ونفى عنها الأعاجم، وكان مجاب الدعوة، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله،

وقال الواقدي: عاش حبيب في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، ومات حبيب في هذه السنة بالمدينة وله مائة وعشرون سنة.

وقال غيره: توفي بالشام. له حديث واحد رواه البخاري [٧١٦٣] ومسلم [١٠٤٥] والنسائي [٢٦٠٤-٢٦٠٦] من حديث السائب بن يزيد عنه عن عبد الله بن السمدي عن عمر في العمالة، وهو من عزيز الحديث لأنه اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضي الله عنهم.

■ سعيد بن يربوع بن عتكة ابن عامر بن مخزوم، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله ﷺ خمسين من الإبل وكان اسمه صرماء، وفي رواية أصرم، فسماه سعيداً، وكان في جملة النفر الذين أمرهم عمر بتجديد أصاب الحرم، وقد أصيب بصره بعد ذلك فأتاه عمر يعزيه فيه، رواه البخاري [التاريخ الكبير: ٤٥٣/٣].

وقال الواقدي وخليفة [تاريخه: ٢٦٦/١] وغير واحد: مات في هذه السنة بالمدينة، وقيل بمكة وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل أكثر من ذلك.

■ مرة بن شراحيل الميماني يقال له مرة الطيب، ومرة الخير: روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وغيرهم، كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما كبر صلى أربعمئة ركعة، ويقال إنه مسجد حتى أكمل التراب خبثته، فلما مات رثي في المنام - وقد صار ذلك المكان نوراً - فقيل له: أين منزلك؟ فقال: بدرا لا يظعن أهلها ولا يموتون.

■ النعمان بن عمرو ابن رفاعه بن الحر، شهد بدرًا وما بعدها، ويقال إنه الذي كان يؤتى به في الشراب فيجلبه النبي ﷺ، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: ولا تلعنّه فإنه يحب الله ورسوله.

■ سودة بن زمعة القرشية العامرية أم المؤمنين، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخى سهل بن عمرو، فلما كبرت هم رسول الله ﷺ بطلانها، ويقال: إنه طلقها، فسأته أن يقيها في نسائه وتهب يومها لعائشة، فقبل ذلك منها وأبقاها، فأنزل الله: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوراً أو أغراً﴾ [النساء: ١٢٨] الآية، وكانت ذات عبادة وورع وزهادة.

قالت عائشة: ما من امرأة أحب أن أكون في مسلأها إلا سودة، إلا أن فيها حلة تسرع منها الفتية فطره الأول عند [١٤٦٣] وموطأ في مسند أحمد: ١٥٠/١، ١٥١، وله أن كلام عائشة في زيب وليس في سودة.

ذكر ابن الجوزي وفاتها في هذه السنة، وقال ابن أبي خيثمة: توفيت في آخر خلافة عمر بن الخطاب فإله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

فيها عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان عن البصرة وولى عليها عبيد الله بن زياد، وكان سبب عزله عنها أنه كان يخاطب الناس فحسبه رجل من بني ضبة فأمر بقطع يده، فجاء قومه إليه فقالوا له: إنه متى بلغ أمير المؤمنين أنك قطعت يده في هذا الصنع فعل به ويقوم نظير ما فعل بحجر بن عدي، فآكتب لنا كتاباً أنك قطعت يده في شبهة، فكتب لهم فتركوه عندهم حيناً ثم جاؤوا معاوية فقالوا له: إن نالك قطع يد صاحبنا في شبهة فألقنا منه، فقال: لا سبيل إلى القرد من نوابي ولكن اللية، فأعطاهم اللية من بيت المال وعزل ابن غيلان، وقال لهم: اختاروا من تريدون أوليكم عليكم فذكروا رجلاً فقال: لا! ولكن أولي عليكم ابن أخني

وقال الأعمش عن أبي خالد عن جابر بن سمرة. قال: أول الناس رمى بسهم في سبيل الله سعد رضي الله عنه.

وقال أحمد [١٢٤/١]: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن شند سمعت علياً يقول: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك، وإني سمعته يقول له يوم أحد: «أرم سعد فذاك أمي وأبي»

ورواه البخاري [٤٠٥٨] عن أبي نعيم عن مسعر عن سعد بن إبراهيم به.

ورواه شعبة عن سعد بن إبراهيم [م (٢٤١١)] ورواه سفيان بن عيينة وغير واحد عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب فذكره [م (٢٨٢٩، ٢٧٥٣)].

وقال عبد الرزاق [المصنف (٢٠٤١٩)]: أنا معمر عن أيوب أنه سمع عائشة بنت سعد تقول: أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله ﷺ يوم أحد بالأبوين.

وقال الرازي [المصنف (٢٣٤/١)]: حدثني عبيدة بنت نابل عن عائشة بنت سعد عن أبيها. قال: لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فبرده علي رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه، حتى كان بعد، فظننت أنه ملك.

وقال أحمد [١٧١/١]: حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا إبراهيم عن سعد عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص. وقال: لقد رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد.

ورواه الواقدي [المصنف (٧٨/١)]: حدثني أبو إسحاق بن أبي عبد الله عن عبد الواحد بن أبي عون - عن زياد مولى سعد عن سعد. قال: «رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن رسول الله ﷺ أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وإني لأراه ينظر إلى ذا مرة وإلى ذا مرة سروراً بما ظفروه الله عز وجل».

وقال سفيان عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. قال: اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فيما أصابنا من الغنمة، فجاء سعد بأسيرين ولم أجري أنا وعمار بشيء.

وقال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. قال: لقد رأيت سعد بن أبي وقاص يوم بدر يقاتل قتال الفارس للراجل.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد أنه سمع عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول قالت عائشة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقاً ذات ليلة ثم قال: «ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة» قالت: إذ سمعنا صوت السلاح، فقال: «من هنا؟» قال: أنا سعد بن أبي وقاص، أنا أحركك يا رسول الله، قالت: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيظه.

أخرجه [م (٢٨٨٥)، م (٢٤١٠)] من حديث يحيى بن سعيد. وفي رواية: ففداه له رسول الله ﷺ ثم نام [م (٣٧٥٦)].

وقال أحمد [٢٢٢/٢]: حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن الحجاج بن شند عن أبي صالح الغفاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل سعد بن أبي وقاص.

وقال أبو يعلى: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الله بن قيس الرقاشي الخزرجي، حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر. قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: «يدخل عليكم من ذا الباب رجل من

وكان فارساً شجاعاً من أمراء رسول الله ﷺ، وكان في أيام الصديق معظماً جليل القدر، وكذلك في أيام عمر، وقد استأبى على الكوفة، وهو الذي فتح المدائن، وكانت بين يديه وقعة جلولا. وكان سيداً مطاعاً، وعزله عمر عن الكوفة عن غير عجز ولا خيانة، ولكن لصلحة ظهرت لعمر في ذلك. وقد ذكره في السنة أصحاب الشورى، ثم ولاه عثمان الكوفة بعدها ثم عزله عنها.

وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: شهد سعد بن أبي وقاص وابن عمر دومة الجندل يوم الحكمين.

وثبت في صحيح مسلم [٢٩٦٥] بحرف أن ابنه عمر جاء إليه وهو معتزل في إبله فقال: الناس يتنازعون الإمامة وأنت هاهنا؟ فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد الغني الخفي التقي».

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق (٢٨٧/٢)]: ذكر بعض أهل العلم أن ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص جاءه فقال له: يا عم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر فقال: أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع. وقال عبدالرزاق [المصنف (٤٣٥١)]: عن ابن جريج حدثني زكريا بن عمرو أن سعد بن أبي وقاص وقد على معاوية فأقام عنده شهر رمضان يقصر الصلاة ويفطر.

وقال غيره: فبايعه وما سأل سعد شيئاً إلا أعطاه إياه.

قال أبو يعلى: حدثنا زهير حدثنا إسماعيل بن علية عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم. قال: قال سعد: إنني لأول رجل رمى بسهم في المشركين، وما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي، ولقد سمعته يقول: «أرم فذاك أمي وأمي».

وقال أحمد [١٨٦/١]: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا إسماعيل بن قيس سمعت سعد بن مالك يقول: والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا ننزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام نأكله إلا ورق الخلبة وهذا السم، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط، ثم أصبحت بنو أسد تزورني على الدين، لقد خبت إذا وضعت عملي.

وقد رواه شعبة وكوكيع وغير واحد عن إسماعيل بن أبي خالد به [م (٣٧٢٨)، م (٢٩٦٦)].

وقال أحمد [١٨٠/١]: حدثنا ابن سعيد عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن سعد. قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد.

ورواه أحمد [١٧٤/١] أيضاً عن غندر عن شعبة عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

وقد رواه الليث وغير واحد عن يحيى بن سعيد الأنصاري [م (٤٠٥٧)، م (٢٤١٢)].

ورواه غير واحد عن سعيد بن المسيب عن سعد [م (٣٧٢٥)، م (٢٤١٢)].

ورواه الناس من حديث عامر بن سعد عن أبيه [م (٢٤١٢)]، م كرى [١٠٠٣٢، ١٠٠٣١].

وفي بعض الروايات «فذاك أبي وأمي» [م (٤٠٥٥)، م (٢٤١١)، م (٢٤١٢)].

وفي رواية: «فقال: أرم وأنت الغلام الخزوري» [م (٣٧٥٣، ٢٨٢٩)] قال سعيد: وكان سعد جيد الرمي.

أخذت.

وقد كان كذلك مجاب الدعوة لا يكاد يدعو بدعاء إلا استجيب له، فمن أشهر ذلك ما ثبت في الصحيحين (ج ٧٥٥، ص ٤٥٣) من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سُرّة أن أهل الكوفة شكروا سعداً إلى عمر في كل شيء حتى قالوا: لا يحسن يصلي، فقال سعد: أما إني لا أكو أن أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أطبل الأوليين وأحذف في الآخرين، فقال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحال الكوفة، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أنشأ خيراً، حتى مروا بمسجد لبني عيس فقام رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة فقال: إن سعداً كان لا يسير في السرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، فبلغ سعداً قوله فقال: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطبل عمره وادم فقره، وعرضه للفتن، قال: فأنأ رآيته بعد ذلك شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه يقف في الطريق فيغمر الجوارى فيقال له في ذلك، فيقول: شيخ مفترن أصابته دعوة سعد.

وفي رواية غريبة أنه أدرك فتنة المختار بن أبي عبيد فقتل فيها وتلويح دمشق: ٣٤٢/٢٠، ٣٤٣.

وقال الطبراني المعجم الكبير: ١٠٢/١، ١٠٣: حدثنا يوسف القاضي حدثنا عمرو بن مَرْزُوق حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن سعيد بن المسيب: قال: خرجت جارية لسعد يقال لها زهراء، وعليها قميص جليل فكشفها الريح فشد عليها عمر بالدرة، وجاء سعد ليمتنع فتناوله عمر بالدرة فذهب سعد يدعو على عمر، فتناوله الدرة وقال: اقتصر مني. فعفا عن عمر.

وروى المعجم الكبير: ١٠١/١ أيضاً أنه كان بين سعد وابن مسعود كلام فهم سعد أن يدعو عليه فخاف ابن مسعود وجعل يشتد في الحرب.

وقال سفيان بن عيينة: لما كان يوم القادسية كان سعد على الناس وقد أصابه جراح فلم يشهد يوم الفتح، يعني فتح القادسية، فقال رجل من بجيلة:

ألم تر أن الله أظهر دينه وسعد يسأب القادسية مغمصم فأبنا وقد آتت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن إيم

فقال سعد: اللهم اكفنا يده ولسانه. فجاءه سهم غرب فأصابه فخرس ويست يده جميعاً.

وقد أسند زياد البكائي وسيف بن عمر عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر عن ابن عمر فذكر مثله، وفيه: ثم خرج سعد فأرى الناس ما به من القروح في ظهره ليخبر إليهم.

وقال هشيم عن أبي بلج عن مصعب بن سعد أن رجلاً نال من علي فنهاه سعد فلم يته، فقال سعد: ادعوك عليك. فلم يته، فدعا الله عليه فما برح حتى جاء بعر ناد فتخطه.

وجاء من وجه آخر عن عامر بن سعد أن سعداً رأى جماعة عكوفاً على رجل فادخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب علياً وطلحة والزبير، فنهاه عن ذلك فلم يته، فقال: ادعوك عليك، فقال الرجل: تهديني كائنك نبياً فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فترضا وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبق لهم منك سابقة الحسن، وأنه قد أسخطك سبه إياهم، فاجعله اليوم آية وعبرة. قال: فخرجت بختة نادة من دار آل فلان لا يرد لها شيء حتى دخلت بين

أضفاف الناس، فافترق الناس فأخذته بين قوائمها، فلم تزل تتخبطه حتى مات. قال: فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعائك يا أبا إسحاق.

ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب فذكر غوه.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا (مجامع البصرة (٣٤): حدثني الحسن بن داود بن محمد بن المنكدر القرشي حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن امرأة كانت تطلع على سعد فنهاها فلم تته، فاطلعت يوماً وهو يترضا فقال: شاه وجهك، فعاد وجهها في قفاها.

وقال كثير الزكاة: عن عبد الله بن مكيال قال: دخل سعد على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل معنا؟ فقال: إني مرت بي ريح مظلمة فقلت: أخ. فأثقت راحتي حتى انجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت، فقال معاوية: ليس في كتاب الله: أخ. إخ. ولكن قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنْبِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٩) فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ: أنت مني بمزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي. فقال معاوية: من سمع هذا معك؟ فقال: فلان وفلان وأم سلمة. فقال معاوية: أما إني لو سمعته منه ﷺ لما قتلت علياً.

وفي رواية من وجه آخر: أن هذا الكلام كان بينهما وهما بالمدينة في حجة حجها معاوية، وأنهما قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتهما بما حدث به سعد، فقال معاوية: لو سمعت هذا قبل هذا اليوم لكنت خادماً لعلي حتى يموت أو أموت.

وفي إسناد هذا ضعف والله أعلم. وقد روي عن سعد أنه سمع رجلاً يتكلم في علي وفي خالد فقال: إنه لم يبلغ ما بيننا ديننا.

وقال محمد بن سيرين: طاف سعد على تسع جوار في ليلة فلما انتهى إلى العاشرة أخذه النوم فاستحي أن توقظ.

ومن كلامه الحسن أنه قال لابنه مصعب: يا بني إذا طلبت شيئاً فاطلبه بالقناعة، فانه من لا قناعة له لم يفته المال.

وقال حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد. قال: كان رأس أبي في حجرى وهو يقضي فبكيت، فقال: ما يكيك يا بني؟ والله إن الله لا يعطيني أبداً، وإنى من أهل الجنة. إن الله يدين للمؤمنين بحسنتهم فأعملوا لله، وأما الكفار فيخفف عنهم بحسنتهم، فإذا نفدت قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله عن عمل له.

وقال الزهري: لما حضرت سعداً الوفاة دعا بختل جبة فقال: كفتوني فيها فإني لقيت فيها المشركين يوم بدر، وإنما كنت أشبؤها لهذا اليوم.

وكانت وفاة سعد بالمعيق خارج المدينة، فحمل إلى المدينة على أعتاق الرجال فوصلى عليه مروان، وصلى بصلاته أمهات المؤمنين الباقيات الصالحات، ودفن بالبيق. وكان ذلك في هذه السنة - سنة خمس وخمسين - على المشهور الذي عليه الأكثرون، وقد جاوز الثمانين على الصحيح.

قال علي بن المديني: وهو آخر العشرة وفاة. وقال غيره: كان آخر المهاجرين وفاة رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وقال الهيثم بن عدي: سنة خمسين، وقال أبو معشر وأبو نعيم وقَتَّب بن الحر: توفي سعد سنة ثمان وخمسين، وقال قَتَّب: وفيها توفي الحسن

بن علي وعائشة وأم سلمة. والصحيح الأول - خمس وخمسين.
قالوا: وكان سعد قصيراً غليظاً شثن الأصابع انقطس أشعر الجسد،

يخضب بالسواد، وكان ميراثه مائتي ألف وخمسين ألفاً.
■ فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي أول مشاهده أحد وشهد بيعة

الرضوان، ودخل الشام، وتولى القضاء بدمشق في أيام معاوية بعد أبي

الدرداء.
قال أبو عبيد: مات سنة ثلاث وخمسين. وقال غيره: سنة سبع

وستين.
وقال ابن الجوزي في المنتظم [٢٨٣/٥]: توفي في هذه السنة والله أعلم.

■ قثم بن العباس بن عبد المطلب: كان أشبه الناس برسول الله ﷺ،

تولى نيابة المدينة في أيام علي، وشهد فتح سمرقند وما وراء النهر فاستشهد

بها.
■ كعب بن عمرو أبو اليسر الأنصاري السلمي، شهد العقبة ويدرأ،

وأمر يومئذ العباس بن عبد المطلب، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد كلها

مع رسول الله ﷺ
قال أبو حاتم وغيره: مات سنة خمس وخمسين. زاد غيره: وهو آخر من

مات من أهل بدر.

ثم دخلت سنة ست وخمسين

وذلك في أيام معاوية، ففيها شتى جنادة بن أبي أمية بآرض الروم،

وقيل عبد الرحمن بن مسعود.
وقيل فيها غزا في البحر يزيد بن شجرة، وفي البر عياض بن الحارث.

وفيها اعتمر معاوية في رجب، وحج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن

أبي سفيان.
وفيها ولي معاوية سعيد بن عثمان بلاد خراسان، وعزل عنها عبيد الله

بن زياد، فسار سعيد إلى خراسان والتقى مع الترك عند صُغد سمرقند،

فقتل منهم خلقاً كثيراً، واستشهد يومئذ جماعة منهم فيما قيل قثم بن

العباس بن عبد المطلب.
قال ابن جرير [٣٠٤/٥ - ٣٠٦]: سأل سعيد بن عثمان بن عفان

معاوية أن يولي خراسان فقال: إن بها عبيد الله بن زياد، فقال سعيد

لمعاوية: أما والله لقد اصطنعت أبي ورقاك حتى بلغت باصطناعه المدى

الذي لا يجارى إليه ولا يسامى فما شكرت بلاءه ولا جازيته بآلانه،

وقدعت عليّ هذا - يعني يزيد بن معاوية - وبايعت له، والله لأننا خير

منه أبا وأما ونفساً. فقال له معاوية: أما بلاء أبيك عندي فقد يحق علي

الجزاء به، وقد كان من شكركي لذلك أنني طلبت بدمه حتى تكشف

الأمر، ولست بلائم لنفسك في التثمير، وأما فضل أبيك على أبيه، فأبوك

والله خير مني وأقرب برسول الله ﷺ، وأما فضل أمك على أمه فما لا

ينكر، فإن امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وأما فضلك عليه

فوالله ما أحب أن الغوفة دحست ليزيد رجلاً مثلك - يعني أن الغوفة

لو ملئت رجلاً مثل سعيد بن عثمان كان يزيد خيراً وأحب إلي منهم.

فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين ابن عمك وأنت أحق من نظر في أمره، وقد

عتب عليك في فاعتيه.

قال: فولاه خراسان، فأتى سمرقند فخرج إليه أهل الصغد من الترك

فقاتلهم وهزمهم وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه وأعطوه رهنًا خمسين

وفيها دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده أن يكون ولي عهده من

بعده، - وكان قد عزم قبل ذلك على هذا في حياة المغيرة بن شعبة.

فروى ابن جرير [٣٠١/٥ - ٣٠٤]: من طريق الشعبي أن المغيرة كان

قد قدم على معاوية واستغفاه من إمرة الكوفة فأعفاه لكبره وضعفه، وعزم

على توليتها سعيد بن العاص، فلما بلغ ذلك المغيرة كآته ندم، فجهأ إلى

يزيد بن معاوية فأشار عليه بأن يسأل من أبيه أن يكون ولي العهد من بعده،

فسأل ذلك يزيد من أبيه فقال: من أمرك بهذا؟ قال: المغيرة، فاعجب ذلك

معاوية من المغيرة ورده إلى عمل الكوفة، وأمره أن يسعى في ذلك، فعند

ذلك سعى المغيرة في توطيد ذلك، وكتب معاوية إلى زياد يستشير في ذلك،

فكره زياد ذلك لما يعلم من لعب يزيد وإقباله على اللعب والصيد، فبعث

زياد إليه من يثني رايه عن ذلك، وهو عبيد بن كعب النميري. - وكان

صاحباً أكيداً لزياد - فسار إلى دمشق فاجتمع بيزيد أولاً، فكلمه عن زياد

وأشار عليه بأن لا يطلب ذلك، فلأن تركه خير له من السعي فيه، فأتزجر

يزيد عما يريد من ذلك، واجتمع بأبيه واتفقا على ترك ذلك في هذا

الوقت.

فلما مات زياد وكانت هذه السنة، شرع معاوية في نظم ذلك والدعاء

إليها، وعقد البيعة لولده يزيد، وكتب إلى الأفاق بذلك، فبايع له الناس في

سائر الأقاليم، إلا عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن

علي وعبد الله بن الزبير وابن عباس، فركب معاوية إلى مكة معتمراً، فلما

اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة

فأوعده وتهدهد بانفراده، فكان من أشدهم عليه ردا وأجلدهم في الكلام،

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان اليهم كلاماً عبد الله بن عمر بن

الخطاب، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره، وبايع الناس ليزيد

وهم قعود ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافاً، لما تهددهم وتوعدهم، فانسقت

البيعة ليزيد في سائر البلاد، وقدمت الوفود من سائر الأقاليم إلى يزيد،

فكان فيمن قدم الأحنف بن قيس، فأمره معاوية أن يحدث يزيد، فجلسا

ثم خرج الأحنف فقال له معاوية: ماذا رأيت من ابن أخيك؟ فقال: إنا

نخاف الله كذبنا ونخافكم إن صدقنا، وأنت أعلم به في ليله ونهاره، وسره

وعلاتيته، ومدخله ومخرجه، وأنت أعلم به بما أردت، وإنما علينا أن نسمع

ونطيع، عليك أن تنصح للأمة.

وقد كان معاوية لما صالح الحسن بن علي عهداً للحسن بالأمر من

بعده فلما مات الحسن قري أمر يزيد عند معاوية، ورأى أنه لذلك أهل،

وذاك من شدة محبة الرالد لولده، ولما كان يتوسم فيه من النجابة النبوية،

وسمياً أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأهله، وكان

يظن لا يرقم أحد من أبناء في الملك مقامه، ولهذا قال لعبد الله بن عمر

فيما خاطبه به: إني خفت أن أفر الرعية من بعدي كالغتم المطيرة ليس لها

راع، فقال له ابن عمر: إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً حبشياً

مجدع الأطراف.

وقد عاتب معاوية في ولايته يزيد، سعيد بن عثمان بن عفان وطلب

منه أن يولي مكانه فقال له: والله لو ملئت الغوفة رجلاً مثلك لكان يزيد

أحب إلي منكم كلكم.

وروي عن معاوية أنه قال يوماً في خطبته: اللهم إن كنت تعلم أنني

وليته لأنه فيما أراه أهل لذلك فاقم له ما وليته، وإن كنت تعلم أنني إنما

ذال حجة واجتمعت بك امرؤ، فتبسم علي رضي الله عنه وقال: لك أجر ذلك عند الله.

وله في المسند [١٣٨/٤] والسنن [٣٥٧٨]، م (كبرى) (١٠٤٩٥)، ج (١٣٨٥) حديث الأعمى الذي سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه ضربه بصره فرده الله عليه.

وله حديث آخر عند النسائي (كبرى) (٩٧٦٥) ولم أر أحداً أرخ وفاته بهذه السنة سوى ابن الجوزي والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

فيها غزا مالك بن عبد الله الحنظلي أرض الروم.

قال الواقدي: وفيها قُتل يزيد بن شجرة في البحر، وقيل: بل غزا البحر وبلاد الروم جنادة بن أبي أمية، وقيل: إنما شتى بأرض الروم عمرو بن يزيد الجهمي.

قال أبو معشر والواقدي: حجج بالناس فيها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وفيها ولي معاوية الكوفة لعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى، وهو ابن أم الحكم، وأم الحكم هي أخت معاوية، وعزل عنها الضحاك بن قيس، فولى ابن أم الحكم على شرطته زائدة بن قدامة، وخرجت الخوارج في أيام ابن أم الحكم، وكان رئيسهم في هذه الوقعة حيان بن ظبيان السلمي، فبعث إليهم جيشاً فقتلوا الخوارج جميعاً، ثم إن ابن أم الحكم أساء السيرة في أهل الكوفة فأخرجوه من بين أظهرهم طريداً، فرجع إلى خاله معاوية فذكر له ذلك، فقال: لأولئك مصراً هو خير لك. فولاه مصر، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن حُذَيْف على مرحلتين من مصر، فقال له: ارجع إلى خالك معاوية، فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا أهل الكوفة. فرجع ابن أم الحكم إلى معاوية ولحقه معاوية بن حُذَيْف وأقفاً على معاوية، فلما دخل عليه وجد عنده أخته أم الحكم، وهي أم عبد الرحمن الذي طرده أهل الكوفة وأهل مصر، فلما رآه معاوية بن حُذَيْف قال: يخ يخ، هذا معاوية بن حُذَيْف، فقالت أم الحكم: لا مرجاً به، تسمع بالمديني خير من أن تراه، فقال معاوية بن حُذَيْف: على رسلك يا أم الحكم، أما والله لقد تزوجت فما أكرمت، وولدت فما أنجبت، أردت أن يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة، فما كان الله ليبره ذلك، ولو فعل ذلك لضرينا ضرباً يبطأ من وإن كره ذلك المجالس - يعني معاوية - فالتفت إليها معاوية فقال: كُفِّي.

قصة غريبة

ذكرها ابن الجوزي في كتابه المنتظم [٢٩٥-٢٩٦/٥] بسنده، ومُلخصها أن معاوية بينما هو يوماً على السباط إذا شاب من بني عذرة قد قُتل بين يديه فأنشده شعراً مضموناً التشويق إلى زوجته سعاد، فاستناده معاوية واستحكاكه عن امره، فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت مزوجاً بابنة عم لي، وكان لي إبل وغنم، فالتفت ذلك عليها، فلما قل ما بيدي رغب عني أبوها وشكائي إلى عاملك بالكوفة، ابن أم الحكم، وبلغه جمالها فحبسني في الحديد وحلني على أن أطلقها، فلما انتقضت عندها أعطاهما عاملك عشرة آلاف درهم فزوجه إياها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غيأت المحروب، وسند

وليه لأنني أحبه فلا تتم له ما وليته.

وذكر الحافظ ابن عساکر أن معاوية كان قد سمر ليلة فتكلم أصحابه في المرأة التي يكون ولدها نجياً، فذكروا صفة المرأة التي يكون ولدها نجياً فقال معاوية: وددت لو عرفت بامرأة تكون بهذه المثابة؟ فقال أحد جلسائه: قد وجدت ذلك يا أمير المؤمنين. قال: ومن؟ قال: ابنتي يا أمير المؤمنين. فترجها معاوية فولدت له يزيد بن معاوية فجاء نجياً ذكياً حادقاً. ثم خطب امرأة أخرى فحظيت عنده وولدت له غلاماً آخر، وهجر أم يزيد فكانت عنده في جنب داره فينمى هو في النظارة ومعه امرأته الأخرى، إذ نظر إلى أم يزيد وهي تسرحه، فقالت امرأته: قبحها الله وقبح ما تسرح. فقال: ولم؟ فوالله إن ولدها لأحب من ولدك. وإن أحببت بينك لك ذلك. ثم استدعى ولدها فقال له: إن أمير المؤمنين قد عن له أن يطلق لك ما تمناه عليه فأطلب مني ما شئت. فقال: أسأل من أمير المؤمنين أن يطلق لي كلاباً للصيد وخيلاً، ورجلاً يكونون معي في الصيد. فقال: قد أمرنا لك بذلك، ثم استدعى يزيد فقال له كما قال لأخيه، فقال يزيد: أو يعنني أمير المؤمنين في هذا الوقت عن هذا؟ فقال: لا بد لك أن تسأل حاجتك، فقال: أسأل - وأطال الله عمر أمير المؤمنين - أن أكون ولي عهده من بعده، فإنه بلغني أن عدل يوم في الرعية كعبادة خمسمائة عام. فقال: قد أجبتك إلى ذلك، ثم قال لامرأته: كيف رأيت؟ فعملت وتحققت فضل يزيد على ولدها.

وقد ذكر ابن الجوزي (المنتظم: ٢٨٨/٥) في هذه السنة وفاة أم حرام بنت ملحان الأنصارية امرأة عبادة بن الصامت، والصحيح الذي لم يذكر العلماء غيره أنها توفيت سنة سبع وعشرين، في خلافة عثمان، وكانت هي وزوجها مع معاوية حين دخل قبرص، وقصتها بفلتها فماتت هناك وقبرها بقبرص، والعجب أن ابن الجوزي أورد في ترجمتها حديثها المخرج في الصحيحين (ج ٢٧٧٨، ٢٧٧٩)، م (١٩١٢) في قبولة النبي ﷺ في بيتها، ورواه في منامه قوماً من أمته يركبون شبح البحر مثل المسوك على الأسرة غزاة في سبيل الله، وأنها سألته أن يدعو لها أن تكون منهم فدعا لها، ثم نام فرأى كذلك، فقالت: ادعوا الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين». وهم الذين فتحوا قبرص فكانت معهم، وذلك في سنة سبع وعشرين، ولم تكن من الآخرين الذين غزوا بلاد الروم سنة إحدى وخمسين مع يزيد بن معاوية ومعهم أبو أيوب، وقد توفي هناك قبره قريب من سور قسطنطينية، وقد ذكرنا هذا مقررًا في دلائل النبوة.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

فيها كان مشى عبد الله بن قيس بأرض الروم.

قال الواقدي: وفي شوالها عزل معاوية مروان بن الحكم عن المدينة، وولى عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة، لأنه صارت إليه إمرة المدينة، وكان على الكوفة الضحاك بن قيس، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان سعيد بن عثمان.

قال ابن الجوزي (المنتظم: ٢٨٩/٥): وفيها توفي عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي، وهو أخو عبادة وسهل ابني حنيف، بعثه عمر لمساحة خراج السواد بالعراق، واستأبته عمر على الكوفة، فلما قدم طلحة والزبير صحبة عائشة وامتنع من تسليم دار الإمارة، تنفث لحيته وحواجبه وأشعار عينيه ومثل به، فلما جاء علي وسلمه البلد قال له: يا أمير المؤمنين فارتقت

المسلوب، فهل من فرج؟ ثم بكى وأثنا يقول:

في القلب مني نازٍ والنار فيها شرارٌ
والجسم مني تحلٍ واللون فيه اصفرارٌ
والعين تبكي بشجوٍ فمعهما مدرارٌ
والحسب داءٌ عسير فيه الطيبُ يحارٌ
حلت فيه عظيمٌ فمنا عليه اضطرابٌ
فليس ليلي بليلى ولا نهاري نهارٌ

قال: فرق له معاوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنبه على ذلك ويعينه عليه، ويأمره بطلاقها قولاً واحداً، فلما جاءه كتاب معاوية تنص الصلحاء، وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف، وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تحييه نفسه، وجعل البريد الذي ورد عليه بالكتاب يستحبه، فطلقها وأخرجها عنه وسيرها مع الوفد إلى معاوية، فلما وقفت بين يديه رأى منظرًا جليلاً، فلما استنطقها فإذا هي أفصح الناس وأحلامهم كلاماً، وأكملهم جمالاً ودلاً، فقال لابن عمها: يا أعرابي هل من سئوٍ عنها بأفضل الرغبة؟ قال: نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول: -

لا تحمّلني والأمثال تضرب بي كالستيف من الرضاء بالنار
أرد سعاداً على حيران مكتوبٍ بمسي ويصبغ في هم وتذكير
قد شفه قلن ما مثله قلن وأسعر القلب منه أي إسماعيل
والله والله لا أنسى محبتها حتى أغيب في رمسٍ وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صابر
فقال معاوية: فإننا نغيرها بيني وبينك وبين ابن أم الحكم فأنشأت تقول: -

هنا وإن أصبح في أطمار وكان في تقصير من اليسار
أكثر عسدي من أبي وجاري وصاحب الدرهم والدينار
أخشى إذا غلرت حر النار

قال: فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم ومركب وطاء، ولما انتقضت عدتها زوجها بها وسلمها إليه. حلفنا منها أشعاراً كثيرة مطولة. وجرّت في هذه السنة فصول طويلة بين عبيد الله بن زياد والخوارج، فقتل منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً، وحبس منهم آخرين، وكان صارماً كأيهم مقدماً في أمرهم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

توفي في هذا العام:

■ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، قتل أبوه يوم بدر كافراً، قتله علي بن أبي طالب. ونشأ سعيد في حجر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان عمر سعيد يوم مات رسول الله ﷺ تسع سنين، وكان من سادات المسلمين والأجواد المشهورين، وكان جدّه سعيد بن العاص - ويكنى بأبي أحبة - رئيساً في قریش، يقال له ذو التاج لأنه كان إذا اعتم لا يعتم أحد يومئذ إعظماً له.

وكان سعيد هذا من عمال عمر على السواد، وجعله عثمان فيمن يكتب المصاحف لفصاحته.

قالوا: وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ، وكان في جملة الاثني عشر رجلاً، الذين يستخرجون القرآن ويعلمونه ويكتبونه، منهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

واستتابه عثمان على الكوفة بعد عزله الوليد بن عقبة، فافتتح طبرستان وجرجان، ونقض العهد أهل أفريجان فزاهم ففتحها، فلما مات عثمان اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه فعتب عليه فاعتذر إليه فعذره في كلام طويل جداً، وولاه المدينة مرتين، وعزله عنها مرتين بمروان بن الحكم، وكان سعيد هذا لا يسبُ علياً، ومروان يسبه، وروى عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وعثمان، وعائشة، وعنه ابنه عمرو بن سعيد الأشدق ويحيى بن سعيد وسالم بن عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير وغيرهم، وليس له في المسند ولا في الكتب الستة شيء.

وقد كان حسن السيرة، جيد السيرة، وكان كثيراً ما يجمع أصحابه في كل جمعة فيطعمهم ويكسومهم الخلل، ويوصل إلى بيوتهم بالمدايا والتحف والبر الكثير، وكان يصبر الصبر فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٠٧/٢١، ١٠٨]: وقد كانت له دار بدمشق تعرف بعلة بلدر نعيم، وحماد نعيم، بنواحي الدماس، ثم رجع إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات، وكان كريماً جواداً ممدحاً.

ثم أورد شيئاً من حديثه من طريق يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو سعيد الجعفي حدثنا عبد الله بن الأجلح حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أن سعيد بن العاص قال: إن رسول الله ﷺ قال: «خيركم في الإسلام خيركم في الجاهلية» [تاريخ دمشق: ١٠٨/٢١]

ومن طريق الزبير بن بكار: حدثني رجل عن عبد العزيز بن أبان حدثني خالد بن سعيد عن أبيه عن ابن عمر قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببرد، فقالت: إني نويت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب، فقال: «أعطه هذا الغلام» - يعني سعيد بن العاص - وهو واقف، فلذلك سميت الثياب السعيدية وأشد الفزدق قوله فيه:

ترى العُرَّ المجاحج من قريش إذا ما الخطبُ في الحدانِ عالا
فيامساً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

وذكر أن عثمان عزل عن الكوفة المغيرة وولاه سعد بن أبي وقاص، ثم عزله وولاه الوليد بن عقبة، ثم عزله وولى سعيد بن العاص، فأقام بها حيناً، ولم تحمد سيرته فيهم ولم يحبوه، ثم ركب مالك بن الحارث - وهو الأشتر النخعي - في جماعة إلى عثمان وسأله أن يعزل عنهم سعيداً فلم يعزله، وكان عنده بالمدينة فيعتب إليهم، وسبق الأشتر إلى الكوفة فخطب الناس وحثهم على منعه من الدخول إليهم، وركب الأشتر في جيش يمنعونه من الدخول، قيل: تلقوه إلى العلي، - وقد نزل سعيد بالثنيب - فمنعوه من الدخول إليهم، ولم يزالوا به حتى رده إلى عثمان، وولى الأشتر أبا موسى الأشعري على الصلاة والتغر وحذيفة بن اليمان على الفيء، فأجاز ذلك أهل الكوفة ويعتبر إلى عثمان في ذلك فأماضه وسره ذلك فيما أظهروه، ولكن هذا كان أول ومن دخل على عثمان.

وأقام سعيد بن العاص بالمدينة حتى كان زمن حصر عثمان فكان عنده

سريراً وتواعدوا للكتاب، وأمرت ابنتها زيد بن عمر أن يزوجهما منه، فبعث إليها بمائة ألف، وفي رواية: بمائتي ألف مهرأ واجتمع عنده أصحابه لينهبوا معه، فقال: إني أكره أن أخرج ابنتي فاطمة، فترك التزويج وأطلق جميع ذلك المال لها.

وقال ابن معين وعبد الأعلى بن حماد: سأل أعرابي سعيد بن العاص فأمر له بخمسة مائة فقال الخادم: خمسة مائة درهم أو دينار؟ فقال: إنما أمرتك بخمسة مائة درهم، وإذا قد جاش في نفسك أنها دينار فادفع إليه خمسة مائة دينار، فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي، فقال له: ما لك؟ ألم تقبض نواذك؟ قال: بلى والله! ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك.

وقال عبد الحميد بن جعفر: جاء رجل في حالة أربع ديات سأل فيها أهل المدينة: فقيل: له عليك بالحسن بن علي، أو عبد الله بن جعفر، أو سعيد بن العاص، أو عبيد الله بن عباس، فانطلق إلى المسجد فإذا سعيد داخل إليه، فقال: من هذا؟ فقيل: سعيد بن العاص، فقصدته فذكر له ما أقدمه، فتركه حتى انصرف من المسجد إلى المنزل فقال للأعرابي: انت بمن يعمل معك؟ فقال: رحل الله! إنما سألتك مالا لا تمراً، فقال: أعرف، انت بمن يعمل معك؟ فأعطاه أربعين ألفاً فأخذها الأعرابي وانصرف ولم يسأل غيره.

وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بني أخزى لله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة، فإما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه، أو جارك خاطراً لا يلزي أن تعطيهم أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته.

وقال سعيد: جليسي علي ثلاث، إذا دنا رحبت به وإذا جلس أوسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه.

وقال أيضاً: يا بني لا تمازج الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فهوون عليه، وفي رواية: فيجترى عليك.

وخطب يوماً فقال: من رزقه الله رزقا حسنا فليكن أسعد الناس به، إنما يترك لأحد رجلين، إما مصلح فيسعد بما جمعت له وتحبب أنت، والمصلح لا يقل عليه شيء، وإما مفسد فلا يبقى له شيء. فقال معاوية: جمع أبو عثمان طرف الكلام.

وروى الأصمعي عن حكيم بن قيس: قال: قال سعيد بن العاص: موطن لا أستحي من رقي فيها والتأني عندهما، مخاطبي جاهلا أو سفيها، وعند مسألتي حاجة لنفسي.

ودخلت عليه امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة فأكرمها وأحسن إليها، فقالت: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زالت المنة لك في اعتناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردّها عليه.

وقد كان له عشرة من الولد ذكورا وإناثا، وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص - أخت مروان بن الحكم.

ولما حضرت سعيدا الوفاة جمع بينه وقال لهم: لا يفتقد أصحابي غير وجهي، وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم، واغفروهم مؤنة الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فراشه مخافة أن يرد، فوالله لرجل يتملص على فراشه يراكم موضعا لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه. ثم أوصلهم بوصايا كثيرة، منها أن يوفوا ما عليه من الدين والوعد، وأن لا يزوجوا أخواتهم إلا من الأكفاء، وأن يسودوا أكبرهم. فتكفل بذلك كله ابنه عمرو بن سعيد الأشدق، فلما مات دفنه بالقبع ثم ركب عمرو إلى معاوية فعزاه فيه

بالدار، ثم لما ركب طلحة والوزير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما، فأقام بالطائف حتى انقضت تلك الحروب كلها، ثم ولاء معاوية إمرة المدينة سنة تسع وأربعين، وعزل مروان فأقام سبعا ثم رد مروان.

وقال عبد الملك بن عمر بن قبيصة بن جابر قال: بعثني زياد في شغل إلى معاوية، فلما فرغت من أموري قلت: يا أمير المؤمنين لمن يكون الأمر من بعدك؟ فسكت ساعة ثم قال: يكون بين جماعة، أما كريمة قريش سعيد بن العاص، وأما فتى قريش، حياه ودعاء وسخاء، فعبد الله بن عامر، وأما الحسن بن علي فرجل سيد كريم، وإما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله، فمروان بن الحكم، وأما رجل رجل نفسه فعبد الله بن عمر، وأما رجل يرد الشريعة مع دواهي السباع ويروغ روغان الثعلب فعبد الله بن الزبير.

وروي أنه استسقى يوما في بعض طرق المدينة، فأخرج له رجل من داره ماء فشرب، ثم بعد حين رأى ذلك الرجل يعرض داره للبيع فسأل عنه لم يبيع داره فقالوا: عليه دين أربعة آلاف دينار، فبعث إلى غريمه فقال: هي لك علي، وأرسل إلى صاحب الدار فقال: استمتع بدارك.

وكان رجل من القراء الذين يجالسونه قد انقصر وأصابته فاقة شديدة فقالت له امرأته: إن أميرنا هذا يوصف بكرم، فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشيء؟ فقال: ويحك! لا تخلفي وجهي فألحت عليه في ذلك، فجاء فجلس إليه، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالسا في مكانه، فقال له سعيد: أظن جلوسك لحاجة؟ فسكت الرجل، فقال سعيد لغلمانه: انصرفوا، ثم قال له سعيد: لم يبق غيري وغيرك، فسكت، فاطفا المصباح ثم قال له: رحل الله لست ترى وجهي فاذا كنت حاجتك، فقال: أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت، فقال له: إذا أصبحت فالت فلاتا وكيلي، فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال له الوكيل: إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت من يحمله معك، فقال: ما عندي من يحمله، ثم انصرف الرجل إلى امرأته فلماها وقال: حملتني على بذل وجهي للأمير، فقد أمر بي بشيء يحتاج إلى من يحمله، وما أراه أمر لي إلا بدينق أو طعام، ولو كان مالا لا احتاج إلى من يحمله، ولأعطانيه، فقالت له المرأة: فمهما أعطاك فإنه يقرتو فخذ، فخرج الرجل إلى الوكيل فقال له الوكيل: إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودا يحملونه معك، فذهب الرجل، فلما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، فقال للغلمان: ضعوا ما معكم وانصرفوا، فقالوا: إن الأمير قد أطلقنا لك، فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها، قال: فحسن حال ذلك الرجل.

وذكر ابن عساكر (١٢٣٠/٢١) أن زياد بن أبي سفيان بعث إلى سعيد بن العاص بهديا وأموال وكتاب ذكر فيه أنه يخطب إليه ابنته أم عثمان من أمة بنت جرير بن عبد الله البجلي، فلما وصلت الهدايا والأموال والكتاب قرأه، ثم فرق الهدايا في جلساته، ثم كتب إليه كتابا لطيفا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم! قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآفٍ رَاهٍ اسْتَفْتَى﴾ [علق: ٦] والسلام.

وروي أن سعيدا خطب أم كلثوم بنت علي من فاطمة، التي كانت تحت عمر بن الخطاب، فأجابته إلى ذلك وشاورت أخويها فكرها ذلك، وفي رواية إنما كره ذلك الحسين وأجاب الحسن، فهيات دارها ونصبت

الحسن، وتوفي في هذه السنة بأرضه بعرفات، وأوصى إلى عبدالله بن الزبير. له حديث واحد، وليس له في الكتب شيء.

روى مصعب الزبيري عن جده عن حنظلة بن قيس عن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل دون ماله فهو شهيد» [المشرك: ١٣٩/٤].

وقد زوجه معاوية بابتة هند، وكانت جميلة، فكانت تلي خدمتها بنفسها من محبتها له، فنظر يوما في المرأة فرأى صباحة وجهها وشيبة في لحية فطلقها، وبعث إلى أبيها أن يزوجه بشاب كان وجهه ورقة مصحف. توفي في هذه السنة وقيل بعدها سنة.

■ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهو أكبر ولد أبي بكر الصديق، قاله الزبير بن بكار، قال: وكانت فيه دعابة، وأمه أم رومان، وأم عائشة فهو شقيقها، بارز يوم بدر واحد مع المشركين، وأراد قتل أبيه أبي بكر، فتقدم إليه أبوه أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ: «أمتنا بنفسك» ثم أسلم عبد الرحمن بعد ذلك في الهذنة، وهاجر قبل الفتح، ورزقه رسول الله ﷺ من خير كل سنة أربعين سقاً، وكان من سادات المسلمين، وهو الذي دخل على رسول الله ﷺ يوم مات وعائشة مستنثة إلى صلوه، ومع عبد الرحمن سواك رطب فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره، فأخذت عائشة ذلك السواك فقضته، وطيته، ثم دفنته إلى رسول الله ﷺ فاستن به أحسن استنان ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى». ثم قضى. قالت: فجمع الله بين رفيقي ورفيقي، ومات بين سحري وغري، في بيتي ويومي لم أظلم فيه أحداً [ع (٣١٠٠)، مسند أحمد (٢٧٤/٩)].

وقد شهد عبد الرحمن فتح اليمامة وقتل يومئذ سبعة، وهو الذي قتل عكرمة بن الخطمى - صديق مسيلمة على باطله - كان محكم واقفاً في ثلثة حائط فرماه عبد الرحمن فسقط محكم، فدخل المسلمون من تلك الثلثة فخلصوا إلى مسيلمة فقتلوه. وقد شهد فتح الشام، وكان معظماً بين أهل الإسلام ونقل ليلي بنت الجودي ملك عرب الشام، نقله إياها خالد بن الوليد عن أمر عمر بن الخطاب كما سنذكره مفصلاً.

وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر - ولم يجرب عليه كذبة قط - ذكر عنه حكاية أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة، قال عبد الرحمن لروان: جعلتموها والله هرقلية وكسروية - يعني جعلتم ملك الملك لمن بعده من ولده - فقال له مروان: اسكت فإنك أنت الذي أنزل الله فيك ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعْلَمَانِي أَنْ أَخْرُجَ﴾ [الأحزاب: ١٧] فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أنه أنزل علوي [ع (٤٨٢٧) بنحوه].

ويروي أنها بعثت إلى مروان تعبه وتؤنبه وتحببه وتخبر فيه ذم له ولأبيه [ص (كبرى) (١١٤٩١)] لا يصح عنهما.

قال الزبير بن بكار: حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه عن جده. قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية، فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بنينا؟ وخرج إلى مكة فمات بها.

وقال أبو زرعة العسقلاني: حدثنا أبو مسهر حدثنا مالك قال: توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نومة ناهما.

ورواه أبو مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد فكره وزاد: فأعتقت عنه عائشة رقاباً.

واسترجع معاوية وحزن عليه وقال: هل ترك من دين عليه؟ قال: نعم! قال: وكم؟ قال: ثلاثمائة ألف درهم، وفي رواية: ثلاثة آلاف درهم، فقال معاوية: هي علي! فقال ابنه: يا أمير المؤمنين، إنه أوصاني أن لا أقضي دينه إلا من ثمن أراضيه. فاشتري منه معاوية أراضيه بمبلغ الدين، وسأل منه عمرو أن يجعلها له إلى المدينة فجعلها له، ثم شرع عمرو يقضي ما على أبيه من الدين حتى لم يبق أحد، فكان من جملة من طالبه شاب معه رقعة من أديم فيها عشرون ألفاً، فقال له عمرو: كيف استحققت هذه على أبي؟ فقال الشاب: إنه كان يوما يمشي وحده فأجبت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله، فلما وصل قال: هل من حاجة؟ فقلت: لا إلا أنني رأيت الأمير يمشي وحده فأخبرت أن أكون معه حتى يصل إلى منزله، فقال: ابني رقعة من أديم، فذهبت إلى الخزازين فأتيته بهذه فكذب في فيها هذا المبلغ، واعتذر بأنه ليس عنده اليوم شيء. فدفعت إليه عمرو ذلك المال وزاده شيئاً كثيراً. ويروي أن معاوية قال لعمرو بن سعيد: من ترك مثلك لم يموت، ثم قال: رحم الله أبا عثمان، ثم قال: قد مات من هو أكبر مني ومن هو أصغر مني، ثم أنشد قول الشاعر:

إذا سار سنن دون امرئ وإمامه وأوحش من إخوانه فهو سائر
وكانت وفاة سعيد بن العاص في هذه السنة، وقيل: في التي قبلها، وقيل: في التي بعدها، وقال بعضهم: كانت وفاته قبل عبد الله بن عامر بجمعة فالثمة أعلم.

■ شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حزام، أبو يعلى الأنصاري الحوزجي: صحابي جليل، وهو ابن أخي حسان بن ثابت. وحكى ابن منده عن موسى بن عقبة أنه قال: شهد بدرًا. قال ابن منده وهو وهم.

وكان من الاجتهاد في العبادة على جانب عظيم، كان إذا أخذ مضجعه يعلق على فراشه، ويتقلب عليه ويتلو كما تتلو الحية ويقول: اللهم إن خوف النار قد أتلقتني، ثم يقوم إلى صلاته.

قال عبادة بن الصامت: كان شداد من الذين أوتوا العلم والحلم. نزل شداد فلسطين وبيت المقدس، ومات في هذه السنة عن خمس وسبعين سنة، وقيل: مات سنة أربع وستين، وقيل: سنة إحدى وأربعين. فالثمة أعلم.

■ عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العنسي، ابن خال عثمان بن عفان، ولد في حياة رسول الله ﷺ، وتوفي في فيه، فجعل يتلوع ريق رسول الله ﷺ فقال: «إنه لسقاء»، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء، وكان كريماً ممدحاً ميمون النقية، استتابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى، وولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص، وعمره إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، ففتح خراسان كلها، وأطراف فارس وسجستان وكرمان وبلاد غزنة، وقتل كسرى ملك الملوك في أيامه - وهو يزدجرد - ثم أكرم عبد الله بن عامر بحجة، وقيل بعمرة من تلك البلاد شكراً لله عز وجل، وفرق في أهل المدينة أموالاً كثيرة جزيلة، وهو أول من لبس الخنز بالبصرة، والله سبحانه وتعالى أعلم. وهو أول من اتخذ الخياض بركة وأجرى إليها الماء المعين والعين، ولم يزل على البصرة حتى قتل عثمان، فأخذ أموال بيت المال وتلقى بها طلحة والزبير وحضر معهم الجمل، ثم سار إلى دمشق، ولم يسمع له بذكر في صفين، ولكن ولاه معاوية البصرة بعد صلحه مع

بالناس سنة ست وثلاثين وستة سبع وثلاثين، فلما كان سنة ثمان وثلاثين اختلف هو ويزيد بن شجرة الرهاوي الذي قدم على الحج من جهة معاوية، ثم اصطلحا على شية بن عثمان الحجي، فأقام للناس الحج عامته، ثم لما صارت الشوكة لحاوية تسلط على عبيد الله بسر بن أبي أوطاه فقتل له ولدين، وجرت أمور باليمن قد ذكرنا بعضها. وكان يقدم هو وأخوه عبد الله المدينة فيوسعهم عبد الله علما، ويوسعهم عبيد الله كرما.

وقد روي أنه نزل في مسير له مع مولى له على خيمة رجل من الأعراب، فلما رآه الأعرابي أعظمه وأجله، ورأى حسنه وشكله، فقال لامرأته: ويحك ماذا عندك لضيئنا هذا؟ فقالت: ليس عندنا إلا هذه الشيعة التي حياة ابتك من لبنها، فقال: إنه لا يد من ذبحها، فقالت: أتقتل ابتك؟ فقال: وإن، فأخذ الشفرة والشاة وجعل يذبحها ويسلخها وهو يقول مرئجراً:

يا جبارتي لا توقظي البنية إن توقظيها تتحب عليـه
وتترج الشفرة من يديه

ثم هيأها طعاماً فوضعهما بين يدي عبيد الله ومولاه فعشاهما، وكان عبيد الله قد سمع محاورته لامرأته في الشاة، فلما أراد الارتحال قال لمولاه: ويحك ماذا معك من المال؟ فقال: معي خمسمائة دينار فضلت من نفقتك، فقال: ادفعها لي الأعرابي، فقال: سبحان الله! تعطيه خمسمائة دينار وإعنا ذبح لك شاة واحدة تساوي خمسة دراهم؟ فقال: ويحك والله لو أسخى منا وأجود، لأننا إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا بجميع ما نملك، وأترنا على مهجة نفسه وولده. فبلغ ذلك معاوية فقال: لله در عبيد الله، من أي بيضة خرج؟ ومن أي شيء درج!

قال خليفة بن خياط [تاريخه: ٢٧٠/١]: توفي سنة ثمان وخمسين.

وقال غيره: توفي في أيام يزيد بن معاوية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: توفي في سنة سبع وثمانين.

وكانت وفاته بالمدينة، وقيل باليمن، وله حديث واحد.

قال أحمد [٢١٤/١]: حدثنا هشيم حدثنا يحيى بن أبي إسحاق عن سليمان بن يسار عن عبيد الله بن عباس قال: جاءته الغمصة - أو الرميصة - إلى رسول الله ﷺ تشكو زوجها تزعم أنه لا يصل إليها، فما كان إلا يسيراً حتى جاء زوجها فزعم أنها كاذبة، وأنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول فقال رسول الله عليه وسلم: «ليس لك ذلك حتى ينفق عيشتك رجل غيره»

وأخرجه النسائي [٣٤١٣] عن علي بن حجر عن هشيم به.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

أم المؤمنين

■ عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوجة رسول الله ﷺ، وأحب أزواجه إليه، المبرأة من فوق سبع سموات رضي الله عنها، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنتانية، تكنى عائشة بأم عبد الله، قيل كناهها بذلك رسول الله ﷺ بآبنا اختها عبد الله بن الزبير، وقيل: إنها أسقطت من رسول الله ﷺ سقطاً فسماه عبد الله، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرة غيرها، ولم ينزل عليه الرحي في لحاف امرأه غيرها، ولم يكن في أزواجه أحب إليه منها، تزوجها بمكة بعد وفاة خديجة، وقد أتاها الملك بها في المنام في سرقة من حرير، مرتين أو ثلاثاً، فيقول: هذه زوجتك. قال: «فاكشف

ورواه الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم فذكره.

ولما توفي كانت وفاته بمكان يقال له الحبشي - على ستة أميال من مكة، وقيل: اثني عشر ميلاً - فحمله الرجال على أعناقهم حتى دفن بأعلى مكة، فلما قلمت عائشة مكة زارته وقالت: أما والله لو شهدتك لم أبك عليك، ولو كنت عندك لم أتفلك من موضعك الذي مت فيه، ثم تمثلت بشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك: -

وكنا كندمانى جذبة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كائى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
رواه الترمذي [١٠٥٥] وغيره.

وروى ابن سعد أن ابن عمر مرة رأى فسطاطاً مضروباً على قبر عبد الرحمن - ضربته عائشة بعدما ارتحلت - فامر ابن عمر بترعه وقال: إنما يظله عمله.

وكانت وفاته في هذا العام في قول كثير من علماء التاريخ، ويقال: إن عبد الرحمن توفي سنة ثلاث وخمسين قاله الواقدي وكتابه محمد بن سعد وأبو عبيد وغير واحد، وقيل: سنة أربع وخمسين قاله أعلم.

قصته مع ليلى بنت الجودي ملك عرب الشام:

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك الخزاسي عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قدم الشام في نجارة - يعني في زمان جاهليته - فرأى هناك امرأة يقال لها ليلى ابنة الجودي على طنفسة لها وحولها ولاندها فاعجبته، قال ابن عساکر: وأما بارض بصرى فقال فيها:

تذكرت ليلى والسماوة دونها فما لابنة الجودي ليلى وما ليا
وأنى تماطى قلبه حارثية تئمن بصرى أو تحل الجوابيا
وأنى تلايتها بلى ولعلها إن الناس حجبوا قابلاً أن توابيا

قال: فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال للأمير على الجيش: إن ظفرت بليلى بنت الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر، فظفر بها فدفعها إليه فاعجب بها وأثرها على نسائه حتى جعلن يشكونه إلى عائشة، فعاتبته عائشة على ذلك، فقال: والله كائى أرشف بأثنيها حب الرمان، فأصابها وجع سقط له فوها فجأها حتى شكته إلى عائشة، فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحبيت ليلى فافطرت، وابتضفتها فافطرت، فإما أن تصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها فجهزها إلى أهلها.

قال الزبيرى: وحدثني عبد الله بن نافع عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه. قال: إن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي حين فتح دمشق، وكانت ابنة ملك دمشق - يعني ابنة ملك العرب الذين هم حول دمشق - في زمن الروم؛ والله أعلم.

■ عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم النبي ﷺ، وكان أصغر من أخيه عبد الله بستة، وأمهما أم الفضل لبابة بنت الحارث المالكية، وكان عبيد الله كرمياً جليلاً وسيماً يشبه أباه في الجمال، روي أن رسول الله ﷺ كان يصف عبيد الله وعبيد الله كثيراً ثم ويقول: «من سبق إلي فله كنا» فيستبقون إليه فيقومون على ظهره وصلوه فيقبلهم ويلتزمهم [مسند أحمد: ٢١٤/١].

وقد استنابه علي بن أبي طالب في أيام خلافته على اليمن. وحج

توجد إلا عندها، وانفردت باختيارات أيضا وردت أخباراً مختلفاً بنوع من التأويل. وقد جمع ذلك غير واحد من الأئمة.

وقال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات.

وثبت في صحيح البخاري (٣٩٦٢، ٤٣٥٨) من حديث أبي عثمان النهدي عن عمرو بن العاص. قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: ومن الرجال؟ قال: «أبوها».

وفي صحيح البخاري (٣٤١١، ٤٣١١) أيضا عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وقد استدل كثير من العلماء عن ذهب إلى تفضيل عائشة على خديجة بهذا الحديث، فإنه دخل فيه سائر النساء الثلاث المذكورات وغيرهن، ويضد ذلك أيضا الحديث الذي رواه البخاري (٣٨٢١): حدثنا إسماعيل بن خليل حدثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ ففرغ استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة» قالت عائشة: ففرت فقلت: ما تذكر من عجز من عجائز قريش حمراء الشدين هلكت في الدهر الأول، قد أهلك الله خيراً منها!!

هكذا رواه البخاري.

فأما ما يروى فيه من الزيادة: «ما أبدلني الله خيراً منها» فليس يصح سندها. وقد ذكرنا ذلك مطولاً عند وفاة خديجة، وذكرنا حجة من ذهب إلى تفضيلها على عائشة بما أغنى عن إعادته هنا.

وقال البخاري (٣٧٦٨): حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال أبو سلمة: إن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ قال يوماً: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى.

وثبت في صحيح البخاري (٣٧٧٥) أن الناس كانوا يتحرون بهديابهم يوم عائشة، فاجتمع أزواج النبي ﷺ إلى أم سلمة وقلن لها: تقولي له يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، فقالت أم سلمة: فلما دخل علي قلت له ذلك فأعرض عني، ثم قلن لها ذلك فقالت له: فأعرض عنها، ثم لما دار إليها قالت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها»

وذكر أنهم بعث فاطمة ابنته إليه فقالت: إن نساءك يشدنك العدل في ابنة أبي بكر ابن أبي قحافة، فقال: «يا بنية ألا تحبين من أحب؟» قالت: قلت: بلى! قال: «فأحي هذه»، ثم بعث زينب بنت جحش فدخلت على رسول الله ﷺ وعنده عائشة فتكلمت زينب ونالت من عائشة، فانتصرت عائشة منها وكلمتها حتى أفحمتها، فجعل رسول الله ﷺ ينظر إلى عائشة ويقول: «إنها ابنة أبي بكر» (٢٥٨١).

وذكرنا أن عمارة لما جاء يستصرخ الناس ويستفهمهم إلى قتال طلحة والزبير أيام الجمل، صعد هو والحسن بن علي على منبر الكوفة، فسمع عمار رجلاً ينال من عائشة فقال له: اسكت مقبوحاً منبوذاً، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعرون أم لاياها (٣٧٧٢) بنحوه.

وقال الإمام أحمد (٢٧٦/١): حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا

عنه فإذا هي أنت، فأقول، إن يكن هذا من عند الله بمضه، فخطبها من أبيها فقال: يا رسول الله أو تحل لك؟ قال: نعم! قال: أو لست أخاك؟ قال: «بلى في الإسلام»، وهي في حلال، فتزوجها رسول الله ﷺ فحظيت عنده.

وقد قلنا ذلك في أول السيرة، وكان ذلك قبل الهجرة بستين، وقيل: بسنة ونصف، وقيل: بثلاث سنين، وكان عمرها إذ ذاك ست سنين ثم دخل بها وهي بنت تسع سنين بعد بلوغها، في شوال من سنة تسين من الهجرة فأحبها.

ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تلي على تعاقب الزمان. وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سلف، وشرحنا الآيات والأحاديث الواردة في ذلك في غزوة المريسيع، ويسطن ذلك أيضا في كتاب التفسير بما فيه كفاية ومقتنع، ولله الحمد والمنة. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها، واختلفوا في بقية أمهات المؤمنين، هل يكفر من قذفهن أم لا؟ على قولين، وأصحهما أنه يكفر، لأن القذوفة زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها لأنها زوجة رسول الله ﷺ، فهي وغيرها ممنه سواء.

ومن خصائصها رضي الله عنها أنها كان لها في القسم يومان يومها ويوم سودة حين وهبتها ذلك تقرباً إلى رسول الله ﷺ، وأنه مات في يومها وفي بيتها وبين سحرها ونحوها. وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن في بيتها.

وقد قال الإمام أحمد (١٣٨/٦): حدثنا وكيع عن إسماعيل عن مصعب بن إسحاق بن طلحة عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إنه ليهون علي أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة» فرد به أحمد.

وهذا في غاية ما يكون من المحبة العظيمة أنه يرتاح لأنه رأى بياض كفها أمامه في الجنة.

ومن خصائصها أنها أعلم نساء النبي ﷺ، بل هي أعلم النساء على الإطلاق.

قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة.

وقال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رضي الله عنها.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أصحاب محمد حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً، رواه الترمذي (٣٨٨٣).

وقال أبو الضحى عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض.

فأما ما يلوغ به كثير من الفقهاء وعلماء الأصول من إيراد حديث: «أخذوا شطر دينكم عن الحمراء» فإنه ليس له أصل ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزني فقال: لا أصل له.

ثم لم يكن في النساء أعلم من تلميذاتها عمرة بنت عبد الرحمن، وحفصة بنت سيرين، وعائشة بنت طلحة.

وقد تفردت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمسائل عن الصحابة لم

من أدخله على معاوية الأحنف بن قيس - ولم يكن عبيد الله يحله - فلما رأى معاوية الأحنف رحب به وعظمه وأجله وأجلسه معه على السرير، ثم تكلم القوم فاثناوا على عبيد الله والأحنف ساكت، فقال له معاوية: يا أبا جحر لا تكلم؟ فقال له: إن تكلمت خالفت القوم، فقال معاوية: انهضوا فقد عزلت عنكم فاطلبوا وإياي ترضونه، فمكثوا أياماً يترددون إلى أشرف بني أمية، يسألون كل واحد منهم أن يتولى عليهم فلم يقبل أحد منهم ذلك، ثم جمعهم معاوية فقال: من اخترتم؟ فاختلفوا عليه، والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك لا تكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد غير أهل بيتك فراه رأيك. فقال معاوية: قد أعدته إليكم.

وقال ابن جرير [٣١٧/٥]: قال الأحنف: يا أمير المؤمنين إن وليت علينا أحداً من أهل بيتك فإننا لا نعدل بعبيد الله أحداً، وإن وليت علينا من غيرهم فانظر لنا في ذلك، فقال معاوية: قد أعدته إليكم. ثم إن معاوية أوصى عبيد الله بالأحنف خيراً، وقبح رأيه فيه وفي مباعده، فكان الأحنف بعد ذلك أخص أصحاب عبيد الله، ولما وقعت الفتنة لم يف لعبيد الله غير الأحنف بن قيس.

قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله وعباد

ذكر ابن جرير [٣١٧/٥-٣٢١] عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغيره أن هذا الرجل كان شاعراً، وكان مع عباد بن زياد بسجستان، فاشتغل عنه بحرب الترك، وضاق على الناس علف اللواب، فقال ابن مفرغ شعراً يهجو به عباد بن زياد على ما كان منه فقال:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها غيول المسلمين

وكان عباد بن زياد عظيم اللحية كبيرها جداً، فبلغ ذلك فغضب وتطلب فهرب منه وقال فيه قصائد يهجو بها كثيرة فمن ذلك قوله: -

إذا أودى معاوية بن حرب فبشر شعب قبك بانصناع
فأنهذ أن أمك لم تأنس أباسفيا واضمة القناع
ولكن كان أمراً فو ليس على وجعل شديد وارتجاع
وقال أيضاً:

ألا البسخ معاوية بن حرب مغلفة من الرجل البماتي
اتنضب أن يقال أبوك عفو وترضى أن يقال أبوك زاني
فأنهذ أن رحمتك من زياد كرحم القليل من ولد الأنان

فكتب عباد بن زياد إلى أخيه عبيد الله وهو وافد على معاوية بهذه الأبيات، فقرأها عبيد الله على معاوية واستأذنه في قتله، فقال: لا تقتله، ولكن أدبه ولا تبلغ به القتل، فلما رجع عبيد الله إلى البصرة استحضره وكان قد استجار بوالد زوجة عبيد الله بن زياد، وهو المنذر بن الجارود، وكانت ابنته بحرية عند عبيد الله، فأجاره وآواه إلى داره، وجاء المنذر مسلماً على عبيد الله، وبعث عبيد الله الشرط إلى دار المنذر فجاءوا بابن مفرغ فاوقف بين يديه، فقال المنذر: إني قد أجرته، فقال: يمدحك ويمدح أباك فترضى عنه، ويهجوني ويهجو أبي ثم تجبره علي، ثم أمر عبيد الله بابن مفرغ فسقي دواء مسهلاً وحملوه على حمار عليه أكاف وجعلوا يطوفون به

عبد الله بن خثيم حدثني عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان - حاجب عائشة - أنه جاء عبد الله بن عباس يستأذن على عائشة فجئت - وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن - فقلت: هذا ابن عباس يستأذن، فأكب عليها ابن أخيها عبد الله فقال: هذا عبد الله بن عباس يستأذن - وهي تموت - فقالت: دعني من ابن عباس، فقال: يا أمته!! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك ويودعك، فقالت: أئذن له إن شئت قال: فادخلته، فلما جلس قال: أبشري فقالت: بماذا؟ فقال: ما بينك وبين أن تلقى محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وسقطت قلاتك ليلة الأبراء فأصبح رسول الله ﷺ حتى يصبح في المنزل، وأصبح الناس وليس معهم ماء فأنزل الله آية التيمم، فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة، وأنزل الله براعتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس لله مسجد من مساجد الله إلا ينل في آتاء الليل وآتاء النهار، فقالت: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أنني كنت نسياً منسياً. والأحاديث في فضائلها ومناقبها كثيرة جداً.

وقد كانت وفاتها في هذا العام سنة ثمان وخمسين، وقيل قبله بسنة، وقيل بعده بسنة، والمشهور في رمضان منه وقيل في شوال، والأشهر ليله الثلاثاء السابع عشر من رمضان.

وأوصت أن تدفن بالبيق ليلا، وصلى عليها أبوهريرة بعد صلاة الوتر ونزل في قبرها خمسة، وهم عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام، من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان عمرها يومئذ سبعاً وستين سنة، لأنه توفي رسول الله ﷺ وعمرها ثمان عشرة سنة، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين، فالله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

فيها شئ عمرو بن مرة الجهني في أرض الروم في البر.

قال الواقدي: ولم يكن فيها غزو في البحر.

وقال غيره: بل غزا في البحر عامئذ جنادة بن أبي أمية.

وفيها عزل معاوية ابن أم الحكم عن الكوفة لسوء سيرته فيهم، وولى عليهم النعمان بن بشير.

وفيها ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد ولاية خراسان وعزل عنها سعيد بن عثمان بن عفان، فصار عبيد الله على البصرة وعباد بن زياد على سجستان، وعبد الرحمن بن زياد على خراسان، ولم يزل عليها إلى زمن يزيد، فقدم عليه بعد مقتل الحسين فقال له: كم قدمت به من المال؟ قال: عشرون ألف ألف، فقال له: إن شئت حاسبتك، وإن شئت سوغناكها وعزلناك عنها، على أن تعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم، قال: بل تسوغنيها، وأما عبد الله بن جعفر فأعطي ما قلت ومثلها معها، فعزله وولى غيره، وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم، وقال: خمسمائة ألف من جهة أمير المؤمنين، وخمسمائة ألف من قبلي.

وفي هذه السنة وفد عبيد الله بن زياد على معاوية ومعه أشرف أهل البصرة والعراق، فاستأذن لهم عبيد الله عليه على منازلهم منه، فكان آخر

في الأسواق وهو يسلح والناس ينظرون إليه، ثم أمر به فنفي إلى سجستان إلى عند أخيه عباد، فقال ابن مفرغ لعبيد الله بن زياد: -

يفسل الماء ما صنعت وقسولي راسخ منك في العظام البوالي وكلم اليمانيون معاوية في أمر ابن مفرغ، وأنه إنما بحث به إلى أخيه ليقتله، فبحث معاوية إلى ابن مفرغ فأحضره، فلما وقف بين يديه بكى وشكى إلى معاوية ما فعل به ابن زياد، فقال له معاوية: إنك هجوته، ألسنت القتال كذا؟ ألسنت القتال كذا؟ فأنكر أن يكون قال من ذلك شيئاً، وذكر أن القتال ذلك هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان، وأحب أن يسندها لي، ففضض معاوية على عبد الرحمن بن الحكم ومنعه العطاء حتى يرضى عنه عبيد الله بن زياد، وأنشد ابن مفرغ ما قاله في الطريق في معاوية يخاطب راحلته: -

عَدَسْ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِسَارَةً غَبَرْتُ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيْقَ لِعَمْرِي لَقَدْ نَجَاكَ مِنْ هَوَا الرَّدَى إِسَامٌ وَجِبِلٌّ لِلْإِسَامِ وَثِيْقٌ سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نَعْمَةٍ وَمَنْ لِي بِشُكْرِ الْمُتَعَمِّينَ حَقِيْقٌ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَمَا لَوْ كُنَّا نَحْنُ الَّذِي هَجَوْتَا لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ثُمَّ خَيَّرَهُ أَيُّ الْبِلَادِ أَحَبُّ إِلَيْهِ يَقِيْمُ بِهَا، فَاخْتَارَ الرُّصْلَ فَارْسَلَهُ إِلَيْهَا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَبِيدَ اللَّهِ فِي الْقُدُومِ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْقَصَامِ بِهَا فَأَذِنَ لَهُ. ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ رَكِبَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ فَاسْتَرْضَاهُ فَرَضِي عَنْهُ وَأَنْشَدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: -

لَأَنْتَ زِيَادَةٌ فِي كُلِّ حَرْبٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِي أَرَاكَ أَخًا وَعَمًّا وَإِبْنَ عَمٍّ وَلَا أَدْرِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا تَرَانِي فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ: أَرَاكَ وَاللَّهِ شَاعِرٌ سَوْءٌ. ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُ وَأَعَادَ إِلَيْهِ مَا كَانَ مَنُوعَ مِنَ الْعَطَاءِ.

قال أبو معشر والواقدي: وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وكان نائب المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعلى الكوفة النعمان بن بشير، وقاضيه شريح، وعلى البصرة عبيد الله بن زياد، وقاضيه هشام بن هيرة، وعلى خراسان عبد الرحمن بن زياد، وعلى سجستان عباد بن زياد، وعلى كرمان شريك بن الأعور الحارثي، من قبل عبيد الله بن زياد.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان:

ذكر ابن الجوزي (المنظم: ٣٠٦/٥): أنه توفي فيها أسامة بن زيد، والصحيح قبلها كما تقدم.

■ الحطيفة الشاعر واسمه جروول بن أوس بن مالك بن جروول بن مالك بن جزية بن خروم بن مالك بن قطيعة بن عيسى أبو مليكة، الشاعر الملقب بالحطيفة لقصره، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن الصديق، وكان كثير الهجاء حتى يقال: إنه هجا أباه وأمه، وخاله وعمه، ونفسه وعمره، فمما قال في أمه قوله: -

تَحْيِي فَاغْدِي عَنِّي بَعِيدَا أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِيَا أَغْرِبَالَا إِنْ اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا وَكَاتُونَا عَلَى التَّحْدِيثَا جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْمَقْرُوقُ مِنَ الْبَنِيَا

وقال في أبيه وعمه وخاله: -

لِحَاكَ اللَّهُ ثُمَّ لِحَاكَ حَقًّا أَبَا وَلِحَاكَ مِنْ عَمٍّ وَخَالَ فَنَعَمْ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُخَاذِي وَشَسَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُعَالِي وَمَا قَالَ فِي نَفْسِهِ يَنْهَمَا: -

أَبْتَ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بَشَرٌ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَاتِلُهُ؟ أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ قَبِيحٌ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبِيحٌ حَامِلُهُ وَقَدْ شَكَاهُ النَّاسُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَحْضَرَهُ وَحْبَسَهُ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ بَدْرٍ شَكَاهُ لِعُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ يَهْجُو: -

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيغِيْبَهَا وَأَقْعِدْ فِلْهَكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَلْسِي فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا أَرَاهُ هَجَاكَ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ طَاعِمًا كَاسِيًا؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَا يَكُونُ هَجَاءٌ أَشَدَّ مِنْ هَذَا، فَبُعثَ عُمَرُ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هَجَاهُ وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِ، فَعَدَّ ذَلِكَ حَبْسَهُ عُمَرُ وَقَالَ: يَا خَيْثَ لِأَشْفَلِكُ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ شَفَعَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَأَخْرَجَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ أَنْ لَا يَهْجُو النَّاسَ وَاسْتَأْذَنَهُ، وَيَقَالَ: إِنَّهُ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَقْطَعَ لِسَانَهُ فَشَفَعُوا فِيهِ حَتَّى أَطْلَقَهُ.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي عن عبد الله بن مصعب حدثني عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أمر عمر بإخراج الحطيفة من الحبس وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره، فأخرج وأنا حاضر فأناشد يقول: -

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحَ بَنِي مَرْخٍ زَعْبِ الْخَوَاصِلِ لِأَمَاءٍ وَلَا شَجَرٍ غَادَرْتُ كَاسِيَهُمْ فِي تَعْمَرٍ مَظْلَمَةٍ فَارْحَمْ هَذَاكَ مَلِيكَ النَّاسِ يَا عَمْرُ أَنْتَ الْإِسَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْهَيْمَى الْبِشْرُ لَمْ يُوْثِرُواكَ بِهَا إِذْ قَدِمُواكَ لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْإِثْرُ قَامَنْ عَلَى صَبِيَّةٍ بِالرَّمْلِ مَكْنَهُمْ بَيْنَ الْأَبْطَاحِ يَنْشَاهُمُ بِهَا الْقَدْرُ نَفْسِي فَبَدَاؤُكَ كَمْ يَبْنِي وَيَنْهَسُ مِنْ عَرْضِ دَاوِيَةَ يَمْعَى بِهَا الْخَبْرُ

قال: فلما قال الحطيفة: مَاذَا تَقُولُ الْأَفْرَاحَ بَنِي مَرْحٍ، بكى عمر، فقال عمرو بن العاص: مَا أَظَلَّتْ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتْ الْغُبَرَاءُ أَحَدًا مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي عَلَى تَرْكِه الْحَطِيْفَةَ. ثُمَّ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَرَادَ قَطْعَ لِسَانِ الْحَطِيْفَةَ لِتَلَا يَهْجُو بِهِ النَّاسَ فَاجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيٍّ وَجِيءَ بِالْمَوْسَى، فَقَالَ النَّاسُ: لَا يَعْبُدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشَارُوا إِلَيْهِ قُلْ: لَا أَعُوذُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: التَّجَاهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ عُمَرُ: ارْجِعْ يَا حَطِيْفَةَ، فَرَجَعَ فَقَالَ لَهُ: كَاتِي بِكَ عِنْدَ شَابٍ مِنْ قَرِيْشٍ قَدْ كَسَرَ لَكَ نَمْرَقَةً، وَبَسَطَ لَكَ أُخْرَى، وَقَالَ: يَا حَطِيْفَةَ غَنَّا، فَانْدَفَعَتْ تَنْتِيهِه بِأَعْرَاضِ النَّاسِ، قَالَ أَسْلَمُ: فَارْتَلِ الْحَطِيْفَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِوٍ وَقَدْ كَسَرَ لَهُ نَمْرَقَةً وَبَسَطَ لَهُ أُخْرَى، وَقَالَ: يَا حَطِيْفَةَ غَنَّا فَانْدَفَعَ حَطِيْفَةُ يَمْنِي، فَقُلْتُ لَهُ: يَا حَطِيْفَةَ أَتَذْكُرُ يَوْمَ عَمْرِوِّ حِينَ قَالَ لَكَ مَا قَالَ؟ فَفَرَعَ وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَرْءَ، لَوْ كَانَ حَيًّا مَا فَعَلْنَا هَذَا، فَقُلْتُ لِعَبِيدِ اللَّهِ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَكُنْتُ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ.

وقال الزبير: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: قال عمر للحطيفة: دَعِ قَوْلَ الشُّعْرِ. قَالَ: لَا اسْتَطِيْعُ، قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: هُوَ مَأْكَلَةٌ عِيَالِي، وَغَلَّةٌ عَلَى لِسَانِي، قَالَ: فَدَعِ الْمَلْحَةَ الْمُجْحَفَةَ، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: تَقُولُ: بَنُو فُلَانٍ أَفْضَلُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، أَمْدَحُ وَلَا تَفْضُلُ، فَقَالَ: أَنْتَ أَشْعَرُ مِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

ومن مديحه الجيد المشهور قوله:

أقلسوا عليهم لا أبأ لأيكُم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قومي إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمة فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كسروا

قالوا: ولما احتضر الخطبة قيل له: أوص. فقال: أوصيكم بالشعر، ثم قال:

الشعر صعب وطويل سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه
يريد أن يحربه فاجعبه

قال أبو الفرج بن الجوزي في المتكلم [٣٠٧/٥، ٣١١]: توفي الخطبة في هذه السنة.

وذكر أيضا فيها وفاة عبد الله بن عامر بن كريس، وقد تقدم في السيرة قبلها.

■ عبد الله بن مالك بن القشب: واسمه جندب بن نضلة بن عبد الله بن رافع الأزدي، أبو محمد حليف بني عبد المطلب، المعروف بابن بحينة، وهي أمه بحينة بنت الأرت، واسمه الحارث بن المطلب بن عبد مناف. أسلم قبلها، وصحب رسول الله ﷺ، وكان ناسكا صواما قواما، وكان ممن يسرد صوم الدهر كله.

قال ابن سعد (الطبقات: ٣٤٢/٤): كان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة، ومات في عمل مروان في المرة الثانية، ما بين سنة أربع وخمسين إلى ثمان وخمسين، والعجب أن ابن الجوزي نقل من كلام محمد بن سعد، ثم إنه ذكر وفاته في هذه السنة - يعني سنة تسع وخمسين - والله أعلم.

■ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل كأيته، له في الصحيحين (خ) (١٣١٢)، (م) (٨١٩٦١)، حديث، وهو القيام للجنائز، وله في المسند (٤٢١/٣، ٤٢٢) حديث في صوم عاشوراء، وحديث غسل رسول الله ﷺ في دواهم وغير ذلك (٤٢١/٣، ٦/٦، ٧).

وخدم رسول الله ﷺ عشر سنين، وثبت في صحيح البخاري (٧١٥٥) عن أنس قال: كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة.

ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فتح لهم قيس بن سعد تسع جزائر، حتى وجدوا تلك الدابة على سيف البحر فأكلوها منها، وأقاموا عليها شهرا حتى سموا.

وكان قيس سيدا مطاعا كريما مخلصا شجاعا، ولله علي نيابة مصر، وكان يقوم بدعائه وخدمته وسياسة معاوية وعمرو بن العاص، ولم ينزل معاوية يعمل عليه حتى عزله علي عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق، فاستخفه معاوية، ولم ينزل به حتى أخذ منه مصر كما قلنا ذكره.

وأقام قيس عند علي فشهد معه صفين والتهروان ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليأبيه كما أباه أصحابه.

قال عبد الرزاق عن ابن عينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية ليأبيه كما أباه أصحابه فقال له معاوية: وأنت يا قيس تلجم علي مع من

الجم؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتي هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظفاري موجه، فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارها أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية، فقال له معاوية: ولم؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار يهود؟ فقال له قيس: وأنت يا معاوية كنت صنما من أصنام الجاهلية، دخلت في الإسلام كارها، وخرجت منه طائعا، فقال معاوية: اللهم غفرا، مذهبك، فقال له قيس بن سعد: إن شئت. زدت وزدت.

وقال موسى بن عقبة: قالت عجوز لقيس: أشكو إليك قلة الجردان، فقال قيس: ما أحسن هذه الكناية!! املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وقرأ. وقال غيره: كانت له صفحة يدار بها حيث دار، وكان ينادي له مناد: هلموا إلى اللحم والثريد. وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله.

وقال عروة بن الزبير: باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً، فقدم المدينة فنادى مناديه: من أراد القرض فليات، فاقترض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده، فقال لزوجته - قرية بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق -: إنني أرى قلة من عاذني في مرضي هذا، وإنني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين يصكه المكتوب عليه، فوفهم ماله عليهم، وقيل: إنه أمر مناديه فنادى: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد، وكان يقول: اللهم ارزقني مالا وفعالا، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

وقال سفيان الثوري: اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً، فلما جاء ليوفيه إياها قال له قيس: إنا قوم إذا أعطينا أحدا شيئا فترجع فيه. وقال الميثم بن عدي: اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم، فقال أحدهم: عبد الله بن جعفر، وقال الآخر: قيس بن سعد، وقال الآخر: عرابة الأوسي، فتماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره، فليظفر ما يعطيه وليحكم على العيان.

فلذهب صاحب عبد الله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الفرز لينهب إلى ضيعة له، فقال له: يا ابن عم رسول الله ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الفرز وقال: ضع رجلك واستر عليها فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة ولا تحذ عن عرس السيف فإنه من سيوف علي، فرجع إلى أصحابه بناتقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خز وغير ذلك، وأجل ذلك سيف علي بن أبي طالب.

ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائما، فقالت له الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل، ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس مال غيره اليوم، وأذهب إلى مولانا في معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبدا، وأذهب راشدا. فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها شكراً على صنعها ذلك، وقال: هلا أيقظتني حتى أعطيتني ما يكفي، فلعل الذي أعطيتني لا يقع منه موقع حاجته.

ونذهب صاحب عرابة الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتركأ على عبيد - وقد كف بصره - فقال له: يا عرابة، فقال: قل، فقال: ابن سبيل ومنقطع به. قال: فخلني عن العبدتين ثم صمّني بليدي، باليمن على اليسرى، ثم قال: أوه أوه، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئا، ولكن خذهما! يعني

وإني من الحبي اليمني لسيّد وما الناس إلا سيّد ومسودّ
فكلّهم يمثلي إنّ مثلي عليهم شديدٌ وخلفي في الرجال مزيدٌ
وفضلي في الناس أصلي والسيدي وساعٍ به أعلو الرجال منيدٌ
قال: فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه فوقعت
بالأرض.

وفي رواية أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن
أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم، فإن كان في جيشك من
يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا، ومن التحف كذا وكذا، وإن
لم يكن في جيشك من يُشبههما فهادني ثلاث سنين، فلما حضرا عند
معاوية قال: من لهذا القوي؟ فقالوا: ماله إلا أحد رجلين، إما محمد بن
الحنفية، أو عبدالله بن الزبير، فنجى به محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن
أبي طالب، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية: أتعلم فيم
أرسلت إليك؟ قال: لا فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه فقال له: ما
تريد؟ فقال يجلس لي أو أجلس لك وتناولني بك أو أناولك يدي، فأبنا
قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه، وإلا فقد غلب، فقال له: ما

تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومي: بل اجلس أنت، فجلس محمد
بن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة
أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقبضه فلم يقدر على ذلك، ولا وجد إليه
سيلاً، فغلب الرومي عند ذلك، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم
أنه قد غلب ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي: اجلس لي، فجلس
وأعطى محمداً يده فما لبث أن أقامه سريعاً، ورفع في الهواء ثم ألقاه على
الأرض فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً، ونهض قيس بن سعد فتحنى
عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهما لذلك الرومي الطويل فلبسها فلبثت
إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترفت الروم بالغلب، وبعث ملكهم ما
كان التزمه لمعاوية، وعاتب الانتصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بمحضرة
الناس فقال ذلك الشعر المتقدم معتبراً به إليهم، وليكون ذلك الزم للحجة
التي تقوم على الروم، وأقطع لما حاولوه.

وروى الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: كان
قيس بن سعد رجلاً ضخماً جسيماً صغير الرأس له حية في ذقنه، وكان
إذا ركب الحمار العالي خطت رجلاه بالأرض.

وقال الواقدي وخليفة بن خياط وغير واحد: توفي بالمدينة في آخر
خلافة معاوية.

وذكر ابن الجوزي [التكملة: ٣١٨/٥] وفاته في هذه السنة، فتبعناه في
ذلك.

■ معقل بن يسار المزني صحابي جليل، شهد الحديبية، وكان هو الذي
كان يرفع أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبيع الناس
تحتها، وكانت من السم، وهي المذكورة في القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [التحفة: ١٨] وقد ولاه
عمر إمرة البصرة فحفر بها النهر المنسوب إليه، فيقال نهر معقل، وله بها
دار.

قال الحسن البصري: دخل عبيد الله بن زياد على معقل بن يسار
يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثاً سمعته
من رسول الله ﷺ، لو لم أكن على حالتي هذه لم أحدثك به، سمعته يقول:
فمن استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد راحة الجنة، وإن رجمها

العبلين، فقال: ما كنت لأفعل، فقال: إن لم تأخذهما فهما حران، فإن
شئت فاعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمس الحافظ بيده قال: فأخذهما
وجاء بهما. قال: فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بما عظيم، وأن
ذلك ليس بمستكره له، إلا أن السيف أجلها. وأن قيساً أحد الأجواد حكم
مملوكه في ماله بغير علمه واستحسانه ما فعلته، وعقته لها وما تكلم به،
واجتمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابية الأوسي، لأنه جهد من مقل.

وقال سفيان الثوري عن عمرو بن أبي صالح قال: قسم سعد بن
عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها، فولد له ولد بعد وفاته،
فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس بن سعد فقالا: إن أبك قسم ماله ولم يعلم
بمال هذا الولد إذ كان حياً، فاقسموا له معكم، فقال قيس: إني لا أخير ما
فعله سعد ولكن نصبي له.

ورواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين فذكره.

ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عطاء فذكره.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن معبد بن خالد،
قال: كان قيس بن سعد لا يزال هكذا رافعاً أصبحه المسبحة - يعني يدعو

وقال هشام بن عمار: حدثنا الجراح بن مليح حدثنا أبو رافع عن قيس
بن سعد. قال: لولا أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في
النار» لكتبت من أمرك هذه الأمة.

وقال الزهري: دهاء العرب حين ثارت الفتنة خمسة، معاوية، وعمرو
بن العاص، والمنيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بديل، وكانوا
مع علي، وكان المنيرة معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان فصارا إلى
معاوية.

وقد تقدم أن محمد بن أبي حنيفة كان قد تغلب على مصر وأخرج
منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، نائب عثمان بعد عمرو بن العاص،
فأقره عليها علي مدة يسيرة ثم عزله بقبس بن سعد، فلما دخلها سار فيها
سيرة حسنة وضبطها، وذلك في سنة ست وثلاثين، فقتل أمره على معاوية
وعمر بن العاص، فكتابه ليكون معهما على علي فامتنع وأظهر للناس
النخعي فمات الأشر في الرملة قبل أن يصل إليها، فبعث علي محمد بن
أبي بكر فحف أمره على معاوية وعمرو، فلم يزالا حتى أخذوا منه الديار
المصرية، وقتل محمد بن أبي بكر هذا وأحرق في جيفة حمار. وسار قيس إلى
المدينة، ثم سار إلى علي بالكوفة، فكان معه في حروبه حتى قتل علي، ثم
على مقلعة الحسن، فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك، وامتنع من
طاعة معاوية، ثم ارتحل إلى المدينة، ثم قدم على معاوية في وفد من الأنصار
فبايع معاوية بعد معاتبته، وكلام فيه غلظة، ثم أكرمه معاوية وقلمه وحظي
عنده، فيمينا هو مع الوفود عند معاوية إذ قد كتب ملك الروم على معاوية
وفيه: أن ابعت لي بسراريل أطول رجل من العرب، فقال معاوية لقيس:
ما أظننا إلا قد احتجنا إلى سراريلك؟ - وكان قيس مديد القامة جناً لا
يصل أطول الرجال إلى صدره - فقام قيس فتحنى ثم خلع سراويله
فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية: يرحمك الله، ما أردت إلى هذا، هلاً
ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا، فأثأ قيس يقول عند ذلك: -

أردت بها كي يعلم الناس أنها سراريل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهلو سراريل عادي ننتهئ مسود

ليوجد من مسيرة مائة عام.

ومن توفي في هذه السنة.

■ أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والإسلام، واسم أبيه على أقوال متعددة، وقد بسطنا أكثرها في كتابنا «التكميل»، وقد بسط ذلك ابن عساکر في تاريخه، والأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن سخر وهو من الأزد، ثم من دوس. ويقال: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد غنم، ويكنى بأبي الأسود، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وكناه بأبي هريرة.

وروي عنه أنه قال: وجدت هريرة وحشية فساخنت أولادها فقال لي أبي: ما هذه في حيزرك؟ فأخبرته، فقال: أنت أبو هريرة.

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له: «أبا هريرة» [٦٤٥٢] وثبت أنه قال له: «يا أبا هريرة» [٢٣١١، ٥٠٧٦، ...].

قال محمد بن سعد وابن الكلبي والطبراني: واسم أمه ميمونة بنت صبيح بن الحارث بن أبي صعب بن هُثَيْة بن سعد بن ثعلبة، أسلمت وماتت مسلمة.

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب، وكان من حفاظ الصحابة، وروى عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وبُصرة بن أبي بَصْرَةَ، والفضل بن العباس، وكعب الأحبار، وعائشة أم المؤمنين. وحدث عنه خلائق من أهل العلم قد ذكرناهم مرتبين على حروف المعجم في «التكميل»، كما ذكره شيخنا في تهذيبه وهلم الكمال: [٣١٦/٣٤].

قال البخاري والطبري (الك: ٢٦٥/١٢): روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيرهم.

وقال عمرو بن علي الفلاس: كان يترى المدينة وكان إسلامه سنة خيبر.

قال الواقدي: وكان له بذي الحليفة دار.

وقال غيره: كان آدم اللون، بعيد ما بين المنكبين، ذا ضفيرتين، أفرق الشيتين.

وقال أبو داود الطيالسي وغير واحد عن أبي خلدَةَ خالد بن دينار عن أبي العالية عن أبي هريرة قال: لما أسلمت قال رسول الله ﷺ «من أنت؟» فقلت: من دوس، فوضع يده على جبهته وقال: «ما كنت أرى أن في دوس رجلاً فيه خير»

وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال: شهدت مع رسول الله ﷺ خيبر.

وروى عبد الرزاق عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن قيس. قال: قال أبو هريرة: جئت يوم خيبر بعد ما فرغوا من القتال.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا الدراودي. قال: حدثني خثيم بن عراك بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة. قال: خرج رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة سباع بن عرفة، قال أبو هريرة:

وقلمت المدينة مهاجراً فصليت الصبح وراء سباع فقرأ في السجدة الأولى سورة مريم، وفي الثانية ويل للمطففين، قال أبو هريرة: فقلت في نفسي: ويل لأبي فلان، لرجل كان بارض الأزد - وكان له مكيالان مكيال يكيل به نفسه، ومكيال يبخس به الناس.

وقد ثبت في صحيح البخاري [٢٥٣٠] أنه ضل غلام له في الليلة التي

اجتمع في صبيحتها برسول الله ﷺ وأنه جعل يشد

يساً ليلة من طولها وعنايتها - على أنها من دارة الكفر نَحَسَتْ.

فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له: «هنا غلامك؟» فقال هو حر لوجه الله عز وجل.

وقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ بعد إسلامه، فلم يفارقه في حضر ولا سفر، وكان أحرص شيء على سماع الحديث منه، وتقفه عنه، وكان يلزمه على شبع بطنه.

وقال أبو هريرة - وقد تمخض يوماً في قميص له من كتان -: يخ بخ، أبو هريرة يمتخط في الكتان! لقد رأيته آخر فيما بين المنبر والمحجر من الجوع، فيمر المار فيقول: به جئون. وما بي إلا الجوع، والله الذي لا إله إلا هو لقد كنت أعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وأشد المحجر على بطني من الجوع، ولقد كنت استقرئ أحدهم الآية وأنا أعلم بها منه، وما بي إلا أن يستبيني إلى منزله فيطعمني شيئاً. وذكر حديث اللين مع أهل الصفة كما قلناه في ذكر دلائل النبوة.

وقال الإمام أحمد [٣١٩/٢]، [٣٢٠]: حدثنا عبد الرحمن حدثنا عكرمة بن عمار حدثني أبو كثير - وهو يزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمي الأعمى - حدثني أبو هريرة. قال: والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبي، قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت امرأة مشركة، وإنني كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأتي علي، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأتي علي، وإنني دعوتها اليوم فأسمعتني فك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت أعلو أبشرها بدعاء رسول الله ﷺ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشف رجل - يعني وقها - فقالت: يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن حمارها فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعائك، قد هدى الله أم أبي هريرة، وقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجيبني وأمي إلى عبادته المؤمنين ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عُيَيْدَكَ هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما» قال أبو هريرة: فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني.

وقد رواه مسلم [٢٤٩١] (١٥٨) من حديث عكرمة عن عمار نحوه.

وهذا الحديث من دلائل النبوة، فإن أبا هريرة يحبب إلى جميع الناس، وقد شهر الله ذكره بما قدره من إيراد هذا الخبر عنه، الذي رواه عن رسول الله ﷺ في الإنصات يوم الجمعة عند الخطبة على رؤوس الناس في المحافل الكثيرة المتعددة في سائر الأقاليم وهذا قدره الله ويسره من شهر ذكره ومجبة الناس له رضي الله عنه.

وقال هشام بن عمار: حدثنا سعيد حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن المقبري عن سالم مولى النضرين أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإنني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفني، فأما رجل من المسلمين آذنته أو شتمته أو جلسته فأجلعها له قرية بها عندك يوم القيامة» قال أبو هريرة: لقد رفع عليّ رسول

الزعيذة كاتب مروان بن الحكم: أن مروان دعا أبا هريرة وأقعدله خلف السرير، وجعل مروان يسأله وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به وأقعدله من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر [المستدرک: ٥١٠/٣].

وروي أبو بكر بن عياش وغيره عن الأعمش عن أبي صالح، قال: كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم. وقال الربيع: قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا أبو خيثمة حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: تواعد الناس ليلة من الليالي إلى قبة من قباب معاوية فاجتمعوا فيها، فقام أبو هريرة فحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح.

وقال سفيان بن عيينة عن معمر بن وهب بن منبه عن أخيه همام بن منبه. قال: سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب [خ (١١٣)].

وقال أبو زرعة الدمشقي [تاريخه: ٥٤٤/١]: حدثني محمد بن زرعة الرعي حدثنا مروان بن محمد حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن السائب بن يزيد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنك بأرض دوس، وقال لكعب الأحبار: لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض القردة.

قال أبو زرعة، وسمعت أبا مسهر يذكره عن سعيد بن عبد العزيز نحوه منه ولم يستدله.

وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي يضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث الرخص، أو أن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك.

وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في الحديث.

فقال مسدد: حدثنا خالد الطحان حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة. قال بلغ عمر حديثي فأرسل إلي فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم! وقد علمت لم سألتني عن ذلك؟ قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال: إما لي فاذهب فحدث.

وقال الإمام أحمد [٤١٣/٢]: حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - حدثنا عاصم بن كليب حدثني أبي. قال: سمعت أبا هريرة يقول - وكان يتنشد حديثه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ أبو القاسم الصادق المصدوق: «من كذب علي عامداً فليتبوأ مقعده من النار» - وروي مثله من وجه آخر عنه.

وقال ابن وهب: حدثني يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان. أن أبا هريرة كان يقول: إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج راسي.

وقال صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة: سمعت أبا هريرة يقول: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتى قبض عمر.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن

الله ﷺ يوماً الدرة ليضربني بها، لأن يكون ضربي بها أحب إلي من حر النعم، ذلك باني أرجو أن أكون مؤمناً وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته.

وقال ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. قال: قلت: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأناست، فقال: «أبسط رداءك»، فبسطته، ثم قال: «ضمه» فضمته فما نسيت حديثاً بعده. رواه البخاري [١١٩].

وقال الإمام أحمد [٢٤٠/٢]: حدثنا سفيان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج، قال سمعت: أبا هريرة يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله ﷺ، والله الموعود إني كنت امرأةً مسكينةً أصعب رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصنف بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فحضرت من رسول الله ﷺ يوماً مجلساً فقال: «من بسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني». فبسطت بردة علي حتى قضى حديثه، ثم قبضتها إلي فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد ذلك.

وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة [٢٤٩٢] وله طرق أخر [خ (١١٨، ١١٩)] عنه.

وقد قيل إن هذا كان خاصاً بتلك المقالة المعينة لم ينس منها شيئاً، بدليل أنه نسي بعض الأحاديث كما هو مصرح به في الصحيح [خ (٥٧٧١)]، حيث نسي حديث «لا عدوى ولا طيرة» مع حديثه «لا يورد عرض على مصح» وقيل: إن هذا كان عاماً في تلك المقالة وغيرها والله أعلم.

وقال البراءودي عن عمرو بن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: «يا رسول الله من أسعد الناس بشفاقتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاقتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه».

ورواه البخاري [٦٥٧٠] من حديث عمرو بن أبي عمرو به.

وقال ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعامين فأما أحدهما فبينت في الناس، وأما الآخر فلو بينته لقطع هذا اليوم.

ورواه البخاري [١٢٠] من حديث ابن أبي ذئب، ورواه غير واحد عن أبي هريرة. وهذا الرعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال، وما سيقع التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكليبه، وردوا ما أخبر به من الحق، كما قال: لو أخبرتكم أنكم تقتلون إسماعيل وتقتلون فيما بينكم بالسيف لما صدقتموني. وقد يتسمك بهذا الحديث طوائف من أهل الأهواء والبدع الباطلة، والأعمال الفاسدة، ويسندون ذلك إلى هذا الجراب الذي لم يقله أبو هريرة، ويعتقدون أن ما هم عليه كان في هذا الجراب الذي لم يخبر به أبو هريرة، وما من مبطل مع تضاد أقوالهم وأعمالهم إلا ويدعي شيئاً من هذا وكلهم يكذبون، فإذا لم يكن أبو هريرة قد أخبر به فمن علمه من بعده وإلما كان الذي فيه شيء من الفتن والملاحم قد أخبر بها هو وغيره من الصحابة، مما ذكرناه وما سنذكره في كتاب الفتن والملاحم.

وقال حماد بن زيد: حدثنا عمرو بن عبيد الأنصاري حدثنا أبو

سنة سبع، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، واقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نساؤه وأخلمه، وأنا والله يومئذ مقل، وأصلي خلفه وأغزو وأحج معه، فكتت والله أعلم الناس بمجديته، قد والله سبقتي قوم بصحبته والمجرة من قریش والأنصار، فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فلا والله ما يخفي علي كل حديث كان بالمدينة، وكل من أحب الله ورسوله، وكل من كانت له عند رسول الله ﷺ منزلة، وكل صاحب له، فكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره، وقد أخرجه رسول الله ﷺ أن يساكنه - يعرض بأبي مروان الحكم بن أبي العاص - ثم قال أبو هريرة: ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنه يجد عندي منه علماً جماً ومقالاً، قال: فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه.

وفي رواية أن أبا هريرة قال لسروان: إنني أسلمت وهاجرت اختياراً وطوعاً، وأحببت رسول الله ﷺ حباً شديداً، وأتسم أهل الدار وموضع الدعوة، أخرجتم الناعي من أرضه، وأذنبتموه وأصحابه، وتأخر إسلامكم عن إسلامي إلى الوقت المكروه إليكم. فندم مروان على كلامه له واتقاه.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد بن سلمة حدثنا محمد بن إسحاق عن عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال: قال لي أبي الزبير: أدنني من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، قال: فأدنيت منه، فجعل أبو هريرة يحدث، وجعل الزبير يقول: صدق، كذب صدق، كذب. قال: قلت: يا أبا هريرة ما قولك: صدق كذب؟ قال: يا بني أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله ﷺ فلا أشك، ولكن منها ما وضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه.

وقال علي بن المديني عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن أبي أسد بن أبي عامر. قال: كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال: يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ منك، أم يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ فقال طلحة: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوماً أغنياء، لنا بيوتات وأهلون، وكنا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان مسكيناً لا مال له ولا أهل، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ، وكان يلور معه حيثما دار، فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع. وقد رواه الترمذي بنحوه (٣٨٣٧).

وقال شعبه عن أشعث بن سليم عن أبيه قال: سمعت أبا أيوب يحدث عن أبي هريرة فقل له: أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدث عن أبي هريرة؟ فقال: إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإني أن أحدث عنه أحب إلي من أن أحدث عن رسول الله ﷺ - يعني ما لم أسمع منه.

وقال مسلم بن الحجاج (الشيخ دمشق: ٢٣٩/١٩ من طريق مسلم ٤): حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا مروان الدمشقي عن الليث بن سعد حدثني بكير بن الأشج. قال: قال لنا بسر بن سعيد: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله ﷺ، وفي رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم، وما قاله رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث.

الزهري. قال: قال عمر: أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به. قال: ثم يقول أبو هريرة: أفكنت محذركم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخفقة ستياشر ظهري، فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله.

ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي توماً لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كلوي التحل، فدعهم على ما هم عليه، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شريكك في ذلك. وهذا معروف عن عمر رضي الله عنه.

وقال الإمام أحمد (٢/٢٠٣): حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر. أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «من تبع جنازة فصلى عليها فله قبراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أحده». فقال له ابن عمر: أبا هريرة ما تقول؟ تحدث عن رسول الله ﷺ فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين أشكك بالله أسمعت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم يقول: «من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان؟» فقالت: اللهم نعم. فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس الردى ولا صفق بالأسواق، إنني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها، أو أكلة يطعمنيها، فقال له ابن عمر: أنت يا أبا هريرة كنت الزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بمجديته.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه. قال: كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يشي أمامها ويكثر الترحم عليه، ويقول: كان من يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين.

وقد روي أن عائشة تناولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمت في بعضها، وفي الصحيح (ج ٣٥٦٨، م ٢٤٩٣) أنها عابت عليه سرود الحديث، أي الإكثار منه في الساعة الواحدة.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا بشر بن الوليد الكندي حدثنا إسحاق بن سعيد عن سعيد أن عائشة قالت لأبي هريرة: أكثرت الحديث عن رسول الله ﷺ يا أبا هريرة؟ قال: إني والله ما كنت تشغلني عنه المكحلة والحضاب، ولكني أرى ذلك شغلك عما استكثر من حديثي. قالت: لعله.

وقال أبو يعلى: حدثنا إبراهيم الشامي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع أن رجلاً من قریش أتى أبا هريرة في حلة يتختر فيها، فقال: يا أبا هريرة إنك تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، فهل سمعته يقول في حلي هذه شيئاً؟ قال: والله إنكم لتؤذوننا، ولولا ما أخذ الله على أهل الكتاب «لَتَشِيَّتْ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْثُرُونَ» (آل عمران: ١٨٧) ما حدثكم بشيء، سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن رجلاً من كان قبلكم بينما هو يتختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة» فوالله ما أدرى لعله كان من قومك أو من رهطك - شك أبو يعلى -.

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر حدثني كثير بن زيد عن الوليد بن رباح قال: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت بوال، وإن الوالي لغيرك فدعه - يعني حين أرادوا أن يلفنوا الحسن مع رسول الله ﷺ ولكنك تتدخل فيما لا يعينك، إنما تريد بهدا إرضاء من هو غائب عنك - يعني معاوية - قال: فأقبل عليه مروان مغضباً فقال: يا أبا هريرة إن الناس قد قالوا: إنك أكثرت عن رسول الله ﷺ الحديث، وإنما قدمت قبل وفاة النبي ﷺ يسير، فقال أبو هريرة: نعم قدمت ورسول الله ﷺ يخير

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يلبس -
رواه ابن عساکر [الربيع دمشق: ٢٤٠/١٩].

وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه «من أصبح جنباً فلا صيام له» [مسند
أحمد: ٢٤٨/٧] فإنه لما حوِّق عليه قال: أخبرني غيره ولم أسمعه من رسول
الله ﷺ.

وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم: قال: كان أصحابنا يلبسون من
حديث أبي هريرة.

وروى الأعمش عن إبراهيم: قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي
هريرة.

وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم: قال: كانوا يرون في أحاديث أبي
هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون من حديثه إلا ما كان من حديث جنة
أونار.

وقد انتصر ابن عساکر لأبي هريرة ورد هذا الذي قاله إبراهيم
التخمي. وقد قال ما قاله إبراهيم طائفة من الكوفيين، والجمهور على
خلافهم.

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه من الصدوق والحفظ واللبانة
والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم.

قال حماد بن زيد عن عباس الجريري عن أبي عثمان النهدي: قال:
كان أبو هريرة يقوم ثلث الليل. وإمرأته ثلثة، وابنته ثلثة، يقوم هذا ثم يوقظ
هذا، ثم يوقظ هذا هذا.

وفي الصحيحين (ج ١١٧٨، ١١٨١) م (٧٢١، ٧٢٢) عنه أنه قال:
«أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى، وأن
أوتر قبل أن أنام».

وقال ابن جريج عن حمته: قال: قال أبو هريرة: «إني أجزئ الليل
ثلاثة أجزاء فجزأ لقراءة القرآن، وجزأ أنام فيه، وجزأ أذكر فيه حديث
رسول الله ﷺ».

وقال محمد بن سعد: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا إسحاق بن عثمان
القرشي حدثنا أبو أيوب: قال: كان لأبي هريرة مسجد في خدعه، ومسجد
في بيته، ومسجد في حجرته، ومسجد على باب داره، إذا خرج صلى فيها
جميعها، وإذا دخل صلى فيها جميعها.

وقال عكرمة: كان أبو هريرة يسبح كل يوم ثي عشرة ألف تسبيحة،
يقول: أسبح على قدر ديني.

وقال هشيم بن يعلى بن عطاء عن ميمون بن أبي ميسرة: قال: كانت
لأبي هريرة صيحتان في كل يوم، أول النهار صيحة يقول: ذهب الليل
وجاء النهار وعرض آل فرعون على النار، وإذا كان العشي يقول: ذهب
النهار وجاء الليل وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أحد صوته إلا
استعاذ بالله من النار.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا موسى بن عبيدة عن زياد بن ثوبان
عن أبي هريرة: قال: لا تبطن فاجراً بنعمة فإن من ورائه طالباً حيثما طلبه،
«جهنم كلما خبت زناهم سعيراً» [الإسراء: ٩٧].

وقال ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوماً
فلما سلم رفع صوته فقال: الحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا
هريرة إماماً، بعدما كان أجيراً لابنة غزوان على شيع بطنه وحملته رجله ثم
يقول: والله يا أهل الإسلام إن كانت إجارتني معهم إلا على كسرة يابسة،
وعقبة في ليلة غيرة مظلمة، ثم زوجها الله فكنت أركب إذا ركبوا،

وأخدم إذا نزلوا وقال إبراهيم بن إسحاق الحرابي: حدثنا عفان حدثنا سليم
بن حيان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة قال: نشأت يتيمًا،
وما جرت مسكناً، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي،
أحدو بهم إذا ركبوا وأحطب إذا نزلوا، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً
وجعل أبا هريرة إماماً.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا
هلال بن عبد الرحمن الحنفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي سلمة: قال:
قال أبو هريرة وأبو ذر: باب من العلم تتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة
تطوعاً، ورباب تعلمه عملنا به أو لم نعمل به، أحب إلينا من مائة ركعة
تطوعاً وقالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء طالب العلم الموت
وهو على هذه الحال مات وهو شهيد» وهذا حديث غريب من هذا
الوجه.

وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه كان يتعوذ في سجوده أن يزني أو
يسرق، أو يكفر أو يعمل كبيرة. فقيل له: اتخاف ذلك؟ فقال: ما يؤمنني
ويأبليس حي، ومصرف القلوب يصرفها كيف يشاء؟.

وقالت له ابنته: يا أبة إن البنات يعيرنني بقلن: لم لا يجليك أبوك
بالذهب؟ فقال: يا بنية قولني لمن: إن أبي يخشى علي حر اللهب.

وقال أبو هريرة: أتيت عمر بن الخطاب فقمته له وهو يسبح بعد
الصلاة فانتظرتة فلما انصرف دنوت منه فقلت: أقرني آيات من كتاب
الله، قال: وما أريد إلا الطعام، قال: فأقرني آيات من سورة آل عمران،
فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب، فقلت: يتزع ثيابه ثم يأمر لي
بطعام، فلم أر شيئاً، فلما طال علي قمت فمشيت فاستقبلني رسول الله
ﷺ فكلمني فقال: «يا أبا هريرة إن خلوفاً فمك الليلة لشديد؟» فقلت:
أجل يا رسول الله لقد ظلمت صائماً وما أفطرت بعد، وما أجد ما أفطر
عليه، قال: «فاظلق»، فاطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء
فقال: «أتنا تلك القصعة» فأتتنا بقصعة فيها وضر من طعام أراه شعيراً قد
أكل وبقى في جوانبها بعضه وهو يسير، فسميت وجعلت أتبعه فآكلت
حتى شبعت.

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر
عن أيوب عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة قال لابنته: لا تلبسي الذهب
فإنني أخشى عليك حر اللهب.

وقد روي هذا عن أبي هريرة من طرق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن سماك بن حرب عن
أبي الربيع عن أبي هريرة أنه قال: إن هذه الكناسة مهلكة دنياكم
وآخرتكم، يعني الشهوات وما ياكلونه.

وروى الطبراني عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب
دعا ليستعمل فأبى أن يعمل له، فقال: أنكره العمل وقد عمل من هو خير
منك؟ أو قال: قد طلبه من هو خير منك؟ قال: من؟ قال: يوسف عليه
السلام فقال أبو هريرة: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة،
فأخشى ثلاثاً واثنين. فقال عمر: أفلا قلت خساً؟ قال: أخشى أن أقول
بغير علم، وأقضي بغير حكم، وأن يضرب ظهري، ويتزع مالي، ويشتم
عرضي.

وقال سعيد بن أبي هند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال له:
«ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟» فقلت: أسألك أن
تعلمني عما علمك الله، قال: فنزعت نمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه

وروى حماد بن سلمة عن أيوب عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أسوده فقلت: اللهم اشفأ أبا هريرة فقال: اللهم لا ترجعها ثم قال: يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر.

وروى عطاء عن أبي هريرة قال: إذا رأيت ستاً فإن كانت نفس أحدهم في يده فليس لها، فلذلك أمتى الموت أخاف أن تتركني، إذا أُمُرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهوّن بالدم، وقطعت الأرحام، وكثرة الجلاوة، ونشأ نشأة يتخون القرآن مزامير.

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يرمئذ أمير مروان بن الحكم فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: يرحمك الله يكفي هنا فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه.

وله فضائل ومنقب ومآثر وكلام حسن ومواظب جملة. أسلم كما قلنا عام خير، فلزم رسول الله ﷺ ولم يفارقه إلا حين بعث مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، ووصاه به، فجعله العلاء مؤذناً بين يديه، وقال له أبو هريرة: لا تسبقني به «أمين» أيها الأمير. وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته، وقاسمه مع جملة العمال.

قال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين: أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما. فقال: فمن أين هي لك؟ قال: خيل نتجت، وغلة ورتيق لي، وأعطيت تتابعني علي. فنظروا فوجدوا كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليعمله فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك؟ طلبه يوسف عليه السلام، فقال: إن يوسف نبي ابن نبي، ابن نبي نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشي ثلاثاً واثنتين، قال عمر: فهلا قلت: خسة؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، أو يضرب ظهري، وينزع مالي، ويشتم عرضي. وذكر غيره أن عمر أغرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفاً فلعلنا امتنع في الثانية.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد: قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجه عته، فعزل مروان ورجع أبو هريرة، فقال لمولاه: من جاءك فلا ترده واحجب مروان، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد فلما دخل قال: إن الغلام حجبنا عنك، فقال له أبو هريرة: إنك أحتق الناس أن لا تغضب من ذلك.

والمعروف أن مروان هو الذي كان يستبني أبا هريرة في إمرة المدينة، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم.

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فركب الحمار ويلقي الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير - يعني نفسه - وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب، فلا يشعرون به حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برحلية كأنه مجنون، فيفزع الصبيان منه ويفرون.

قال أبو رافع: وربما دعاني أبو هريرة إلى عشاءه بالليل فيقول: دع العراق للأمير - يعني قطع اللحم - قال: فانظر فإذا هو تريد بزيت.

حتى كآني أنظر إلى القمل يدب عليها، فحدثني حتى إذا استوعب حديثه قال: «اجمعها إليك فصرها»، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني.

وقال أبو عثمان النهدي: قلت لأبي هريرة: كيف تصوم؟ قال: أصوم أول الشهر ثلاثاً فإن حدث بي حدث كان لي أجر شهري.

قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان النهدي أن أبا هريرة كان في سفر ومعه قوم فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه لياكل معهم فقال: إني صائم، فلما كادوا أن يفرغوا من أكلهم جاء فجعل يأكل، فجعل القوم ينظرون إلى رسولهم الذي أرسلوه إليه، فقال لهم: أراكم تنظرون إلي، قد والله أخبرني أنه صائم فقال أبو هريرة: صدق، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صوم شهر الصبر وصوم ثلاث أيام من كل شهر صوم الدهر» وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فانا مفطر في تخفيف الله، صائم في تضييف الله عز وجل.

وروى الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا إسماعيل عن أبي المتوكل عن أبي هريرة أنه كان هو وأصحاب له إذا صاموا يجلسون في المسجد وقالوا: نظهر صيامنا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبيدة الحنابلة حدثنا عثمان الشحام أبو سلمة حدثنا فرقد السبخي قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول: ويل لي من بطني، إن أشبعته كظني، وإن أجمعت أضعفي.

وروى الإمام أحمد عن عكرمة قال: قال أبو هريرة: إني لأستغفر الله عز وجل وأترب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ديني.

وروى عبد الله بن أحمد عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه اثني عشر ألف عقدة يسبح به قبل أن ينام.

وفي رواية ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به. وهو أصح من الذي قبله. ولما حضره الموت بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أصبحت في صعد مهبط على جنة وبار، لا أدري إلى أيهما يأخذ بي.

وروى قتية بن سعيد حدثنا الفرج بن فضالة عن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: إذا زوqتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدعوا عليكم.

وروى الطبراني عن معمر قال: بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مر بجماعة قال: روحوا فانا غادون، أو اعدوا فانا رائحون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له.

وقال الحافظ أبو بكر بن مالك: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو بكر ليث بن خالد البلخي حدثنا عبد المؤمن بن عبد الله السلويسي. قال: سمعت أبا يزيد المدني يقول: قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعتبة، فقال: ويل للعرب من شر قد اقترب، ويل لهم من إمارة الصبيان، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب.

وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن ثابت عن أسامة بن زيد عن أبي زياد مولى ابن عباس عن أبي هريرة قال: كانت لي خمس عشر ثمرة فأنفطرت على خمس وتسحرت بخمس وأبقيت خساً لفطري.

وقال أحمد: حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا إسماعيل - يعني العبدى - عن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت لهم زجيجة قد غتمهم بعملها، فرفع عليها يوماً السوط ثم قال: لولا القصاص يوم القيامة لأغشيتك به ولكن سأبعلك عن يوفيني ثمنك، أحوح ما أكون إليه، ادعني فأتك حرة لله عز وجل.

بن زياد إلى دمشق.

وقال أبو الزعيرة كاتب مروان: بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار، فلما كان الغد بعث إليه، إني غلظت ولم أردك بها، وإني إنما أردت غيرك. فقال أبو هريرة: قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه وكان قد تصدق بها وإنما أراد مروان اختباره.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الأعلى بن عبد الجبار حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان معاوية إذا أعطى أبا هريرة سكت، وإذا أمسك عنه تكلم.

وروى غير واحد عن أبي هريرة أنه جاءه شاب فقال: يا أبا هريرة إني أصبحت صائماً فدخلت على أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسياً، فقال: طعمة أطعمكها الله لا عليك، قال: ثم دخلت داراً لأهلي فجيء بلبين لقحة فشرته ناسياً، قال: لا عليك، قال: ثم نمت فاستيقظت فشربت ماء، وفي رواية: وجاءت ناسياً، فقال أبو هريرة: إنك يا ابن أخي لم تعود الصيام.

وروى غير واحد أنه لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على قلة الزاد وشدة المقازة، وأنا على عتبة هبوط إما إلى جنة أو إلى نار فما أدري إلى أيهما أصير.

وقال مالك عن سعيد بن أبي سعيد المقبري: قال: دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقامك فأحب لقائي. قال: فما بلغ مروان أصحاب القضا حتى مات أبو هريرة.

وقال يعقوب بن سفيان عن دحيب عن الوليد عن ابن جابر عن عمير بن هانئ: قال: قال أبو هريرة: اللهم لا تتركني سنة ستين، قال: فتوفي فيها أو قبلها بسنة.

وهكذا قال الواقدي: إنه توفي سنة تسع وخمسين، عن ثمان وسبعين سنة.

قال الواقدي: وهو الذي صلى على عائشة في رمضان، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين، ثم توفي أبو هريرة بعدهما فيها. كذا قال، والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي هريرة.

وقد قال غير واحد: إنه توفي سنة تسع وخمسين وقيل ثمان، وقيل سبع وخمسين، والمشهور تسع وخمسين.

قالوا: وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان نائب المدينة، وفي القوم من عمر وأبو سعيد وخلق من الصحابة وغيرهم، وكان ذلك عند صلاة العصر، وكانت وفاته في داره بالعقيق، فحمل إلى المدينة فصلي عليه، ثم دفن بالقيع رحمه الله ورضي عنه.

وكتب الوليد بن عتبة إلى معاوية بوفاة أبي هريرة فكتب إليه معاوية: أن انظر ورثته فأحسن إليهم، وأصرف إليهم عشرة آلاف درهم، وأحسن جوارهم، وأعمل إليهم معروفاً، فإنه كان ممن نصر عثمان، وكان معه في الدار رحمه الله تعالى.

سنة ستين من الهجرة النبوية

فيها كانت غزوة مالك بن عبد الله مدينة سورية.

قال الواقدي: وفيها دخل جنادة بن أبي أمية جزيرة رومس وهدم مدينتها.

وفيها أخذ معاوية البيعة ليزيد من الوفد الذين قدموا صحبة عبيد الله

وفيها مرض معاوية الذي توفي فيه في رجب منها كما سنبينه. فروى ابن جرير [٣٢٢/٥: ٣٢٢/٥] من طريق أبي غنثف: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن خزيمة أن معاوية لما مرض مرضه التي هلك فيها، دعا ابنه يزيد فقال: يا بني إني قد كتبتك الرحلة والرجال. ووطأت لك الأشياء، وذللت لك الأعزاء، وأخضعت لك أعتاق العرب، وإني لا أخوف أن يثأرك هذا الأمر الذي استتب إلا أربعة نفر، الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر. كذا قال والصحيح أن عبد الرحمن كان قد توفي قبل موت معاوية بستين كما قلنا - فأما ابن عمر فهو رجل قد وقذته العبادة، وإذا لم يبق أحد غيره بسايك، وأما الحسين فإن أهل العراق لا يدعونه حتى يخرجوه عليك، فإن خرج فظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً. وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله، ليست له همة إلا في النساء والهوى. وأما الذي يشتم لك جثم الأسد، ويرواغك روغان الثعلب، وإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً.

قال غير واحد: فحين حضرت معاوية الوفاة كان يزيد في الصيد، فاستدعى معاوية الضحاك بن قيس الفهري - وكان على شرطة دمشق - ومسلم بن عتبة فأوصى إليهما أن يلبغا يزيد السلام ويقولوا له يتوصى بأهل الحجاز، وإن سأله أهل العراق في كل يوم أن يعزل عنهم عاملاً ويولي عليهم آخر فليقبل، فعزل واحد أحب إليك من أن يسأل عليك مائة ألف سيف، وأن يتوصى بأهل الشام خيراً، وأن يجعلهم أنصاره، وأن يعرف لهم حقهم، ولست أخاف عليه من قريش سوى ثلاثة، الحسين، وابن عمر، وابن الزبير، ولم يذكر عبد الرحمن بن أبي بكر، وهذا أصح، فأما ابن عمر فقد وقذته العبادة، وأما الحسين فرجل خفيف وأرجو أن يكفيكه الله تعالى بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وقربة من محمد ﷺ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه فإني لو أتي صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خبٌ ضب فإن شخص لك فاليد له إلا أن يلتبس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل منه، واصفح عن دماء قومك ما استطعت.

وكان موت معاوية لاستهلال رجب من هذه السنة، قاله هشام بن الكلبي. وقيل للنصف منه، قاله الواقدي. وقيل يوم الخميس لثمان بقين منه، قاله المدائني.

قال ابن جرير [٣٢٤: ٣٢٣/٥: ٣٢٤]: وأجمعوا على أنه هلك في رجب منها، وكان مدة ملكه استقلالاً من جمادى سنة إحدى وأربعين حين بايعه الحسن بن علي بالزحف، فذلك تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان نائباً في الشام عشرين سنة، وقيل غير ذلك. وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة، وقيل خمساً وسبعين سنة، وقيل ثمانياً وسبعين سنة، وقيل خمساً وثمانين سنة، وسيأتي بقية الكلام في ذلك آخر ترجمته.

وقال أبو السكين زكريا بن يحيى حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب: قال: كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المخيرة المخزومي، وكان الفاكه من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن، فخلا ذلك البيت يوماً فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة، ثم خرج الفاكه لبعض شأنه، وأقبل رجل من كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة فيه ولى هارباً، وأبصره الفاكه وهو خارج من

قال الواقدي: وشهد معه حنينا، وأعطاه مائة من الإبل، وأربعين أوقية من ذهب، وزنها له بلال، وشهد اليمامة. وزعم بعضهم أنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب. حكاه ابن عسكار.

وقد يكون له شرك في قتله، وإنما الذي طعته وحشي، وجلله أبو دجاجة سماك بن خرشة بالسيف.

وكان أبوه من سادات قریش في الجاهلية، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم حسن بعد ذلك إسلامه، وكانت له مواقف شريفة وآثار عمودة في يوم اليرموك وما قبله وما بعده.

وصحب معاوية رسول الله ﷺ، وكتب الوحي بين يديه مع الكتاب، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: كان معاوية طويلا أبيض جبلا، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان مخضب.

حدثني محمد بن يزيد الأحمي حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن أبي عبد رب قال: رايت معاوية يصفر لحية كأنها الذهب.

وقال غيره: كان أبيض طويلا أجلى أبيض الرأس واللحية مخضبهما بالحناء والكتم. وقد أصابته لقوة في آخر عمره، فكان يستر وجهه ويقول: رحم الله عبدا دعا باللعافية، فقد رميت في أحسن وما يسود مني ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي، وكان حليما وقورا رئيسا سديا في الناس، كريما عادلا شهيا.

وقال المدائني عن صالح بن حسان قال: رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: كذبت إن كان لا يسود إلا قومه.

وقال الشافعي: قال أبو هريرة: رايت هنداً بكمة كأن وجهها فلقه قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعهما صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه، فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فاماته الله. وهو معاوية بن أبي سفيان.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف قال: نظر أبو سفيان يوما إلى معاوية وهو غلام فقال له: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وأنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط! كذبت إن لم يسد العرب قاطبة. وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول:

إذ بني معرق كريماً عيب في أهله حليماً
ليس بفحاش ولا لئيم ولا بطرور ولا سؤوم
صخر بني فهر به زعيم لا يغلغل الظن ولا ينجيم

قال: فلما ولي عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان له: كيف رايت صار ابنك تابعاً لابي؟ فقالت: إن اضطرب جبل العرب فستعلم أين يقع ابنك عما يكون فيه ابني. فلما مات يزيد بن أبي سفيان ستة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته، رد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه؟ قال: أخاه معاوية، قال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين.

وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه: والله يا بني إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحبت وكرهت.

البيت، فأقبل إلى هند فضر بها برجله وقال: من هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رايت أحداً ولا انتهت حتى أنهتني أنت، فقال لها: الحقني بأبيك، وتكلم فيها الناس، فقال لها أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك، فأبشني ناك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دمست إليه من يقتله فيقطع عتك القالة، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلقت له هند بما كانوا يملفون في الجاهلية إنه لكاذب عليها، فقال عتبة للفاكه: يا هذا إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن، فخرج الفاكه في بعض جماعة من بني مخزوم معهم - أقاربه - وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرجوا معهم يهتدون ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد وقالوا: غداً نرد على الكاهن، تنكرت حال هند وتغير وجهها. وقال لها أبوها: يا بنية قد أرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك أراه عندك إلا لكروه فالأ كان هذا قبل أن يشتهر في الناس مسيرنا؟ فقالت: والله يا أبتاه ما هذا الذي تراه مني لكروه وقع مني، وإني لبرية، ولكن هذا الذي تراه من الحزن وتغير الحال هو أبي أعلم أنكم تاتون هذا الكاهن وهو بشر يخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمي مسيماً يكون علي سبة في العرب. فقال لها أبوها: لا تخافي فإني سوف أختبره وأمتحنه قبل أن يتكلم في شأنك وأمرك، فإن أخطأ فيما أمتحنه به لم أدعه يتكلم في أمرك.

ثم إنه انفرد عن القوم - وكان راكباً مهراً - حتى توارى عنهم خلف رابية فنزل عن فرسه ثم صفر له حتى اقبل، ثم أخذ حبة بر فادخلها في إحليل المهر، وأركى عليها يسير فلما وردوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم، فلما تفلوا قال له عتبة: إنا في جنتك في أمر، ولكن لا أدعك تتكلم فيه حتى تبين لنا ما خبات لك، فإني قد خبات لك خبيثاً فانظر ما هو، قال الكاهن: ثمرة في كمره، قال: أريد أبين من هذا، قال: حبة من بر في إحليل مهر، قال: صدقت فخذ لما جنتك له، انظر في أمر هؤلاء النسوة، فاجلس النساء خلفه وهند معهم لا يعرفها، ثم جعل يدنو من إحداهن فيضرب كنفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فضرب كنفها وقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية، وتلدن ملكاً يقال له معاوية. فوثب إليها الفاكه فأخذ بيدها، ففترت يدها من يده وقالت له: إليك عني، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة، والله لأحرصن على أن يكون هذا الملك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءته منه بمعاوية.

وهذه ترجمة معاوية رضي الله عنه وذكر شيء من

أيامه ودولته وما ورد في مناقبه وفضائله

هو

■ معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي الأموي، أبو عبد الرحمن، خال المؤمنين، وكتاب وحى رسول رب العالمين. وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

أسلم معاوية عام الفتح، وروى عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية ولكن كمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا أخوك يزيد وهو خير منك على دين قومه، فقلت له: لم آك نفسي جهداً. قال معاوية: ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لصديق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فجئت فرحب بي، وكتب بين يديه.

يرغب فيها كل الملوك. وأما في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه هو البخاري [٦٣٩١] وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة. أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أنا بشر فأبش عبد سبيته أو جللته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وتقر به وتقر به عتقك يوم القيامة» فركب مسلم من الحديث الأول.

وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك.

وقال المسيب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس. قال: أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أقرئ معاوية السلام واستوص به خيراً، فإنه أمين الله على كتابه وحيه ونعم الأمين.

ثم أورد ابن عساکر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان، ثم أورد أيضاً من رواية علي وجابر بن عبد الله «أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استنابه معاوية، فقال: استكتبه فإنه أمين». ولكن في الأسانيد إليهما غرابة.

ثم أورد ثم عن علي في ذلك غرائب كثيرة وكذا عن غيره أيضاً.

وقال أبو عروبة عن سليمان عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرم الزبيدي عن عبد الله بن عمرو. قال: كان معاوية يكتب للنبي ﷺ

وقال أبو القاسم الطبراني [الأوسط ١٨٥٩]: حدثنا أحمد بن محمد الصديلائي حدثنا السري بن عاصم حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي ﷺ، دق الباب داق، فقال النبي ﷺ: «انظروا من هذا؟» قالوا: معاوية، قال: «انظروا له»، فدخل وعلى آذنه قلم لم يخط به، فقال: «ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟» قال: قلم أعدته لله ولرسوله، فقال: «جزاك الله عن نبيك خيراً، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله. كيف بك لو قمصك الله قميصاً؟» يعني الخلافة، فقالت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت: يا رسول الله وإن الله قمصك قميصاً قال: «نعم» ولكن فيه منات وهنات وهنات. فقالت: يا رسول الله فادع الله له، فقال: «اللهم اهله بالهدى، وجنيه الردى، واغفر له في الآخرة والأولى». قال الطبراني تفرد به السري بن عاصم عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن هشام.

وقد أورد ابن عساکر من طريق شعيب بن إسحاق وغيره، عن هشام بن عروة فذكر بإسناده نحوه، وقد أورد ابن عساکر بعد هذا أحاديث كثيرة موضوعة، والعجب منه مع حفظه وإطلاعه كيف لا ينبه عليها وعلى نكارتها وضعف رجالها والله الموفق للصواب.

وقد أورد من طريق أبي هريرة وأنس ووائل بن الأسقع مرفوعاً: «الأماء ثلاثة، جبريل، وأنا ومعاوية» ولا يصح من جميع وجوهه، ومن رواية ابن عباس: «الأماء سبعة، القلم، واللوح، وإسرافيل، وميكائيل، وجبريل، وأنا، ومعاوية» وهذا أكثر من الأحاديث التي قبله، وأضعف إسناداً.

وقال الإمام أحمد [١٢٧/٤]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية - يعني ابن صالح - عن يونس بن سيف عن الحارث بن زياد عن أبي رهم عن العرياض بن سارية السلمي. قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعونا إلى السحور في شهر رمضان: «هلم إلى الغداء المبارك»، ثم سمعته يقول: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب» تفرد به أحمد.

وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفهم سبقهم، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة، وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فانفس فيه فإن بلغته أورتته عتقك.

فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تنزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها.

فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلمة، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أحياه وأذله، وفهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تنالني إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكذب معاوية إليه: والله لنن لم تنه وترجع إلى بلادك يا لعين لأصلطحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم واتكف، ويحث يطلب الهدنة.

ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي كذا تقدم، فانتقدت الكلمة على معاوية، واجتمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين كما قلنا، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كالت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالياً، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصنع وعفو.

وقد ثبت في صحيح مسلم [٢٥٠١] من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس. قال: قال أبو سفيان: يا رسول الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم»، قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فقال «إن ذلك لا يحل لي». وقد تكلمنا على ذلك في جزء مفرد، وذكرنا أقوال الأئمة واعتناهم عنه ولله الحمد.

والمقصود منه أن معاوية كان من جملة الكتاب بين يدي رسول الله ﷺ الذين يكتبون الوحي.

وروى الإمام أحمد [٢٩١/١، ٣٣٥] ومسلم [٢٦٠٤] والحاكم في مستدرکه من طريق أبي عروبة - الوضاح بن عبد الله الشكري - عن أبي حمزة عمران بن أبي عطاء عن ابن عباس. قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت: ما جاء إلا لي، فاختبأت على باب فجامتي فخطأتي خطاة، ثم قال: «اذهب فادع لي معاوية» وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوت له فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادع، فأتيت الثانية فقيل: إنه يأكل فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه» قال: فما شبع بعدها.

وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وآخرها، أما في الدنيا فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول: والله ما أشبع وإنما أعي، وهذه نعمة ومعدة

وقد اعتنى ابن عساکر بهذا الحديث وأطنب فيه وأطيب وأطرب، وأفاد وأجاد، وأحسن الانتقاد، فرحمه الله، كم له من موطن قد برز فيه على غيره من الحفاظ والنقاد.

وقال الترمذي [٣٨٤٣]: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا عبد الله بن محمد النخيلي حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبي إدريس الخولاني قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن الشام وولى معاوية قال الناس: عزل عميراً وولى معاوية، فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اهد به».

نفره به الترمذي وقال: غريب. وعمرو بن واقد ضعيف، هكذا ذكره أصحاب الأطراف (تحفة الأشراف: ٢٠٥/٨) في مسند عمير بن سعيد الأنصاري. وعندني أنه ينبغي أن يكون من رواية عمر بن الخطاب، ويكون الصواب فقال عمر: لا تذكروا معاوية إلا بخير. ليكون عنراً له في توليته له.

وما يقوي هذا أن هشام بن عمار قال: حدثنا ابن أبي السائب - وهو عبد العزيز بن الوليد بن سليمان - قال: وسمعت أبي يذكر أن عمر بن الخطاب ولى معاوية بن أبي سفيان فقالوا: ولى حدث السن! فقال: تلو مني في ولايته، وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اجعله هادياً واهداً به». وهذا منقطع بقويه ما قبله.

قال الطبراني: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا نعيم بن حماد حدثنا محمد بن شعيب بن سابر حدثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن حليس عن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ: استشار أبا بكر وعمر في أمر فقال: «أشيراً علي» فقالا: الله ورسوله أعلم، فقال: «ادعوا معاوية». فقال أبو بكر وعمر: أما في رسول الله ﷺ ورجلين من رجال قريش ما يتقنون أمرهم، حتى يبعث رسول الله ﷺ إلى غلام من غلمان قريش؟ فقال: «ادعوا لي معاوية» فدعي له، فلما وقف بين يديه قال رسول الله ﷺ: «أحضروه أمركم وأشهده أمركم»، فإنه قوي أمين.

ورواه بعضهم عن نعيم وزاد «وحمله أمركم».

ثم ساق ابن عساکر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية، أضرتنا عنها صفحا، واكتفينا بما أوردها من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنتكرات.

ثم قال ابن عساکر: وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس: أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم. أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٠٤، ٩٦، ٩٧)، وبعده حديث العرياض: «اللهم علم معاوية الكتاب» وبعده حديث ابن أبي عمير: «اللهم اجعله هادياً مهدياً».

قلت: وقد قال البخاري في كتاب المناقب [٣٧٦٤]: ذكر معاوية بن أبي سفيان: حدثنا الحسن بن بشر حدثنا المعافي عن عثمان بن الأسود عن ابن أبي مليكة قال: أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: أوتر معاوية بركعة بعد العشاء بركعة، فقال: دعه فإنه قد صحب رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن عمر حدثنا ابن أبي مليكة. قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة! قال: أصاب، إنه فقير (٣٧٦٥).

حدثنا عمرو بن عباس حدثنا ابن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال: سمعت حمران عن أبان عن معاوية. قال: إنكم لتصلون صلاة، لقد

ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي.

وكذلك رواه أحمد بن موسى، ويشترى السري، وعبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح، بإسناده مثله. وفي رواية بشر بن السري فوادخله الجنة» ورواه ابن عدي [الكامل: ١٨١٠/٥] وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن عطاء عن إسن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب».

وقال محمد بن سعد: حدثنا سليمان بن حرب والحسن بن موسى الأشيب قال: حدثنا أبو هلال محمد بن سليم حدثنا جلبة بن عطية عن مسلمة بن مخلد، وقال الأشيب: قال أبو هلال أو عن رجل عن مسلمة بن مخلد، وقال سليمان بن حرب أو حدثه مسلمة عن رجل أنه رأى معاوية يأكل فقال لعمر بن العاص: إن ابن عمك هذا ليجفد قال: أما إني أقول لك هذا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علمه الكتاب ويمكن له في البلاد وقه العذاب».

وقد أرسله غير واحد من التابعين منهم الزهري وعروة بن روم حريز بن عثمان الرجي الحمصي، ويونس بن ميسرة بن حليس.

وقال الطبراني: حدثنا أبو زرعة واحد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي قال: حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني - وكان من أصحاب النبي ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب».

قال ابن عساکر: وهذا غريب، والمحموط بهذا الإسناد حديث العرياض الذي تقدم.

ثم روى من طريق الطبراني عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن سعيد عن ربيعة عن عبد الرحمن بن أبي عمير المزني. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لمعاوية: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به».

وقال الإمام أحمد [٢١٦/٤]: حدثنا علي بن بحر حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الأزدي عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية فقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به».

وهكذا رواه الترمذي [٣٨٤٣] عن محمد بن يحيى عن أبي مسهر عن سعيد بن عبد العزيز به. وقال حسن غريب.

وقد رواه عمر بن عبد الواحد وعمد بن سليمان الحراني كما رواه الوليد بن مسلم وأبو مسهر عن سعيد عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة.

ورواه محمد بن المصنف عن مروان بن محمد الطاطري عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس عن ابن أبي عميرة أن رسول الله ﷺ دعا لمعاوية فقال: «اللهم علمه العلم، واجعله هادياً مهدياً، واهداً به».

وقد رواه سلمة بن شبيب وصفوان بن صالح وعيسى بن هلال وأبو الأزهر عن مروان الطاطري، ولم يذكر أبو إدريس في إسناده.

ورواه الطبراني عن عبدان بن أحمد عن علي بن سهل الرملي عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن يونس بن ميسرة بن حليس عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني. أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر معاوية فقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً».

قال ابن عساکر: وقول الجماعة هو الصواب.

صحبنا رسول الله ﷺ فما رأيناه يصلحهما، ولقد نهى عنهما [٣٧٦٦] - يعني الركعتين بعد العصر.

ثم قال البخاري بعد ذلك [٣٨٢٥]: ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة: وقال عبدان حدثنا عبد الله حدثنا يونس عن الزهري حدثني عروة أن عائشة قالت: جاءت هند بنت عتبة فقالت: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خيالك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خيالك، فقال: «وأيضا والذي نفسي بيده» فقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك، فهل عليّ حرج أن أطعم من الذي له عيالا؟ قال: «لا أراه بالمعروف».

فالملاح في قوله: «وأيضا والذي نفسي بيده» وهو أنه كان يريد أن هنداً وأهلها وكل كافر يذلوا في حال كفرهم، فلما أسلموا كان يجب أن يعزوا فاعزهم الله - يعني أهل خيائها.

وقال الإمام أحمد [١٠١/٤]: حدثنا روح حدثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الإلاوة بعد أبي هريرة فتبع رسول الله ﷺ بها - وكان أبو هريرة قد اشتكى - فبينما هو يوضع رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: «يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدله» قال معاوية: فما زلت أظن أنني سأبتي بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت. تفرد به أحمد.

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أبي إسحاق الحمداني سعيد بن زنبور بن ثابت عن عمرو بن يحيى بن سعيد. ورواه ابن منده عن حديث بشر بن الحكم عن عمرو بن يحيى به.

وقال أبو يعلى [٧٣٨٠]: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد عن جده عن معاوية قال: أتبع رسول الله ﷺ بوضوء، فلما توضأ نظر إلي فقال: «يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدله» فما زلت أظن أنني مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ حتى وليت».

ورواه غالب القطان عن الحسن. قال: سمعت معاوية يخطب وهو يقول: صبيت يوماً على رسول الله ﷺ وضوءه فرفع رأسه إلي فقال: «أما إنك ستلي أمر أمتي بعدي، فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم» وقال: فما زلت أرجو حتى قمت بمقامي هذا.

وروى البيهقي [٤٤٦/١: الدلائل] عن الحاكم بسنده إلى إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عبد الملك بن عمير، قال: قال معاوية: «والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ: «يا معاوية، إن ملكك فأحسن» قال البيهقي: إسماعيل بن إبراهيم هنا ضعيف، إلا أن للحديث شواهد.

وروى ابن عساکر بإسناده عن نعيم بن حماد: حدثنا محمد بن حرب عن أبي بكر بن أبي مريم حدثنا محمد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال: بينما أنا راقد في كنيسة يوحنا - وهي يومئذ مسجد يوصى فيها - إذ انتهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي، فوثبت إلى سلاحي، فقال الأسد: «ه! إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها، قلت: ومن أرسلك؟ قال: الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السلام وتعلمه أنه من أهل الجنة، فقلت له: ومن معاوية؟ قال: معاوية بن أبي سفيان.

ورواه الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي عن المعلبي بن الوليد القعقاعي عن محمد بن حرب الخولاني عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني، وفيه ضعف وهذا غريب جداً، ولعل الجميع مناماً! ويكون

قوله: «إذ انتهت من نومي» مدرجاً لم يضبطه ابن أبي مريم، والله أعلم. وقال محمد بن عائذ عن الوليد عن ابن لبيعة عن يونس عن الزهري. قال: قدم عمر الجابية فترجى شرحبيل وأمر عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر، وبقي الشام على أميرين أبي عبيدة وزيد، ثم توفي أبو عبيدة فاستخلف عياض بن غنم، ثم توفي يزيد فأمر معاوية مكانه، ثم نجاه عمر لأبي سفيان، فقال لأبي سفيان: احتسب يزيد بن أبي سفيان، قال: من أمرت مكانه؟ قال: معاوية، فقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم، فكان على الشام معاوية، وعمير بن سعد حتى قتل عمر، رضي الله عنهم.

وقال محمد بن إسحاق: مات أبو عبيدة في طاعون عمواس واستخلف معاذ، فمات معاذ واستخلف يزيد بن أبي سفيان، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر، وولى عمرو بن العاص فلسطين والأردن، ومعاوية دمشق وعلبك والبلقاء، وولى سعيد بن عامر بن حننيم حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان، ثم استمر به عثمان بن عفان على الشام. وقال إسماعيل بن أمية: أفرد عمر معاوية بإمرة الشام، وجعل له في كل شهر ثمانين ديناراً.

والصواب أن الذي جمع لمعاوية الشام كلها عثمان بن عفان، وأما عمر إنما ولاه بعض أعمالها.

وقال بعضهم: لما عزيت هند في يزيد بن أبي سفيان - ولم يكن منها قيل لها: إنه قد جعل معاوية أميراً مكانه فقالت: أو مثل معاوية يجعل خلفاً من أحد؟ فوالله لو أن العرب اجتمعت متوافرة ثم رمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء.

وقال آخرون: ذكر معاوية عند عمر فقال: دعوا فتى قريش وابن سيدها، إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا، ومن لا يأخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن قدامة الجوهري حدثني عبد العزيز بن مخر عن شيخ له. قال: لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له: أنت صاحب المركب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: مع ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين إنما بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن يظهر من عز السلطان ما يرههم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت، فقال له عمر: يا معاوية ما سألكت عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أديب. قال: فمرني يا أمير المؤمنين، قال: لا أمرك ولا أنهك. فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟ فقال عمر: لحسن مصادره وموارده جشمتاه ما جشمتاه.

وفي رواية أن معاوية تلقى عمر حين قدم الشام، ومعاوية في موكب كثيف، فاجتاز بعمر وهو وعبد الرحمن بن عوف راكبان على حمار، ولم يشعر بهما، فقيل له: إنك جاوزت أمير المؤمنين، فرجع، فلما رأى عمر ترجل وجعل يقول له ما ذكرنا، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين؟! فقال: من أجل ذلك جشمتاه ما جشمتاه.

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد [ص ٥٧٦]: أخبرنا محمد بن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن أسلم مولى عمر قال: قدم علينا معاوية وهو أبيض أو أبيض الناس وأجلهم، فخرج إلى الحج مع عمر، فكان عمر

يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولا يزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون».

وفي رواية [ج ٣٦٤] «وهم على ذلك».

وقد خطب معاوية بهذا الحديث مرة ثم قال: وهذا مالك بن نجرار يخبر عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال وهم بالشام - فحث بهذا أهل الشام على مناجزة أهل العراق: «وإن أهل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها».

وهنا مما كان ينبغي به معاوية لأهل الشام في قتالهم أهل العراق.

وقال الليث بن سعد: فتح معاوية قيسارية سنة تسع عشرة في دولة عمر بن الخطاب.

وقال غيره: وفتح قبرص سنة خمس وقيل: سنة سبع، وقيل ثمان وعشرين في أيام عثمان.

قالوا: وكان عام غزوة المضيقي - يعني مضيقي القسطنطينية - في سنة اثنين وثلاثين الأمير على الناس عامنذ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

وجمع عثمان لمعاوية جميع الشام، وقد استقضى معاوية فضالة بن عبيد بعد أبي الدرداء، ثم كان ما كان بينه وبين علي بعد قتل عثمان على سبيل الاجتهاد والرأي، فجرى بينهما قتال عظيم كما قلنا، وكان الحق والصواب مع علي، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفرقي من الطرفين - أهل العراق وأهل الشام - كما ثبت في الحديث الصحيح [ج ١٠٦٥]: «مفرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق» فكانت المارقة الخوارج، وقتلهم علي وأصحابه، ثم قتل علي فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين، وكان يغازي الروم في كل سنة مرتين، مرة في الصيف ومرة في الشتاء، ويأمر رجلاً من قومه فيجرح بالناس، وحج بالناس معاوية سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين، وفيها أو في التي بعدها أغزاه بلاد الروم فقد تقدم ذلك كله. فسار معه خلق كثير من كبار الصحابة حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت في الصحيح [ج ٢٩٢٤]: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم».

وقال وكيع عن الأعمش عن أبي صالح، قال: كان الحادي يحلو بعثمان فيقول:

إن الأمير بـمـدـة علي وفي الزبير خلف مرضي

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء - يعني معاوية - فأتاه معاوية فقال: يا أبا أسحاق تقول هذا وهما علي والزبير وأصحاب محمد ﷺ فقال: أنت صاحبها.

ورواه سيف بن بدر بن الحليل عن عثمان بن عطية الأسدي عن رجل من بني أسد. قال: ما زال معاوية يطمع فيها منذ سمع الحادي في أيام عثمان يقول:

إن الأمير بـمـدـة علي وفي الزبير خلف مرضي

فقال كعب: كذبت! بل صاحب البغلة الشهباء بعده - يعني معاوية - فقال له معاوية في ذلك فقال: نعم أنت الأمير بعده، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بجليتي هذا. فوقع في نفس معاوية.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا سفيان بن عيينة

ينظر إليه فيجب له، ثم يضع أصبعه على مثنى ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: يخ يخ، نحن إذا خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة. فقال معاوية: يا أمير المؤمنين سأحدثك إننا بأرض الحمامات والريف، فقال عمر: سأحدثك ما بك إطفافك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك، وذو الحاجات وراء الباب! قال: فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب، فقال: يعتمد أحدكم فيخرج حاجاً ثياباً حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما؟! فقال معاوية: إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشريني أو قومي، والله لقد بلغني أنك ههنا وبالشام، والله يعلم أنني لقد عرفت الحياء فيه، ثم نزع معاوية ثوبه ولبس ثوبه اللين أحرم فيهما.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني أبي عن هشام بن محمد عن أبي عبد الرحمن المدني. قال: كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب. وهكذا حكى المدني عن عمر أنه قال ذلك.

وقال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده. قال: دخل معاوية على عمر عليه حلة خضراء، فنظر إليها الصحابة، فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها، وجعل معاوية يقول: يا أمير المؤمنين! والله في، فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين؟ وما في قومك مثله؟ فقال: والله ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خيراً، ولكني رأيته - وأشار بيده - فأحييت أن أضاع منه. وقد قال أبو داود [٢٩٤٨]: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ابن أبي مريم أن القاسم بن خيمرة أخبره أن أبا مريم الأزدي أخبره. قال: دخلت على معاوية فقال: ما أتعنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها العرب - فقلت: حديث سمعته أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخيلتهم وقرهم، احتجب الله دون حاجته وخيلته وقرهم». قال: فجعل رجلاً على حوائج الناس. ورواه الترمذي [١٣٣٣] وغيره.

وقال الإمام أحمد [١٠٠/٤]: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا حبيب بن الشهيد عن أبي مجاز. قال: خرج معاوية على الناس فقاموا له فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

وفي رواية [٩٣/٤] قال: خرج معاوية على ابن عامر وابن الزبير فقام له ابن عامر ولم يقم له ابن الزبير، فقال معاوية لابن عامر: اجلس! فأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يتمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده من النار».

ورواه أبو داود [٥٢٢٩] والترمذي [٢٧٥٥] من حديث حبيب بن الشهيد، وقال الترمذي: حديث حسن.

وروى أبو داود [٤٨٨٨] من حديث الثوري عن شور بن يزيد عن راشد بن سعد المقراني الحمصي عن معاوية. قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك إن تبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم». قال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية نفعه الله بها.

تفرد به أبو داود - يعني أنه كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير السر رحمة الله تعالى.

وثبت في الصحيحين [ج ٢١] [١٠٣٧] من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن معاوية. أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من

سأله نياحة الشام ومصر، فكتب إلى معاوية يؤنبه ويلومه على ذلك ويعرض بأشياء فيه.

معاوي إن الشام شامك فاعتصم بشامك لا تدخل عليك الأفاعيا وحاماً علياً بالقبائل والقفا ولاتك غشوش الذراعين وانبا فلان علياً ناطراً ما تحييه فاهد له حرباً يشيب الزواصيا والا فسلم إن في الأمن راحة لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا وإن كتابا يا ابن حرب كبتك على طمع جان عليك الدواصيا سألت علياً في مال تالته ولو نلتك لم يبق إلا ليااليا إلى أن ترى منه الذي ليس بعدك بقاة فلا تكثر عليك الأمانيا ومثل علي تغتره بخدهك وقد كان ما جريت من قبل كافيا ولو نشبت انظاره فيك مرة حذاك ابن هند بعد ما كنت حاذيا

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدله وأمره لي؟ فقالوا له: فليسلم إلي قتل عثمان وأنا أسلم له أمره. فأتوا علياً فكلّموه في ذلك فلم يدفع إليهم أحداً، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية.

وعن عمرو بن شعبر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي وأبي جعفر الباقر. قال: بعث علي رجلاً إلى دمشق ينذرهم أن علياً قد نهى في أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتهم لمعاوية، فلما قدم أمر معاوية فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فملؤوا المسجد ثم صعد المنبر فقال في خطبته: إن علياً قد نهى إليكم في أهل العراق فما الرأي؟ فغضب كل منهم على صدره، ولم يتكلم أحد منهم، ولا رفعوا إليه أبصارهم، وقام ذو الكلاع فقال: يا أمير المؤمنين عليك الرأي وعلينا أفعال يعني الفعل -، ثم نادى معاوية في الناس: أن أخرجوا إلى معسكركم في ثلاث، فمن تخلف فقد أحل بنفسه. فاجتمعوا كلهم، فركب ذلك الرجل إلى علي فأخبره، فأمر علي نادياً فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال: إن معاوية قد جمع الناس لحربكم، فما الرأي؟ فقال كل فريق منهم مقالة، واختلط كلام بعضهم في بعض، فلم يدرك علي ما قالوا شيئاً، فنزل عن المنبر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله بها ابن أكلة الأكباد.

ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان، كما ذكرنا. مبسوطاً في سنة ست وثلاثين.

وقد قال أبو بكر بن دريد: أنبأنا أبو حاتم عن أبي عبيدة. قال: قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة، فما منعتي إلا قول ابن الإطابة حيث يقول: -

أبست لي عفتي وأبسى بلاستي وإخذني الحمد بالثمن الريح
وإكراهي على المكروه نفسي وضرسي هامة البطل الشيخ
وقولي كلما جشأت وجاشت مكائلك حمدي أو تترجي

وروي البيهقي عن الإمام أحمد أنه قال: الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قتل له: لمعاوية؟ قال: لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي، ورحم الله معاوية.

وقال علي بن المني: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما كانت في علي

عن أبي هارون قال: قال عمر: إياكم والفرقة بعدي، فإن فعلتم فإن معاوية بالشام، وستعلمون إذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبها دونكم. ورواه الواقدي من وجه آخر عن عمر رضي الله عنه.

وقد روى ابن عساکر عن عامر الشعبي أن علياً حين بعث جرير بن عبد الله الجلي إلى معاوية قبل وقعة صفين - وذلك حين عزم علي على قصد الشام، وجمع الجيوش لذلك - وكتب معه كتاباً إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته، لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار، فإن لم يتابع استعنت بالله عليك وقاتلتك، وقد أكثر القول في قتل عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلي أهلك وليأمرهم على كتاب الله... في كلام طويل. وقد قلنا أكثره فيما سلف، فقرأه معاوية على الناس وقام جرير فخطب الناس، وأمر في خطبته معاوية بالسمع والطاعة، وحذره من المخالفة والمعاندة، ونهاه عن إيقاع الفتنة بين الناس، وأن يضرب بعضهم بعضاً بالسيف. فقال له معاوية: انتظر حتى آخذ رأي أهل الشام، فلما كان بعد ذلك أمر معاوية نادياً فنادى في الناس: الصلاة جامعة.

فلما اجتمع الناس صعد المنبر فخطب فقال: الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً، والشرائع للإيمان بهائناً يتوقد مصباحه بالسنة في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عبياده فأحلها أهل الشام ورضيهم لها، ورضيها لهم، لما سبق في مكنون علمه من طاعتهم ومانصحتهم أوليائه فيها، والقوام بأمره، الذين عن دينه وحرمانه، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً، وفي أعلام الخير عظاماً، يردع الله بهم الناكثين، ويجمع بهم ألفة المؤمنين، والله نستعين على إصلاح ما تشعث من أمور المسلمين، وتباعد بينهم بعد القرب والألفة، اللهم انصرنا على قوم يوقظون نائمنا، ويخيفون آمننا، ويولدون هراقة مائتنا، وإخافة سيئاتنا، وقد يعلم الله أننا لا نريد لهم عقاباً، ولا نهنك لهم حجاباً، غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثواباً لن ننزعه طوعاً ما جابوا الصدى، وسقط الندى، وعرف الهدى، وقد علمنا أن الذي ملهم على خلافتنا البني والحمد لنا، فالله نستعين عليهم.

أيها الناس! قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأني خليفة أمير المؤمنين عثمان عليكم، وأني لم أقم رجلاً منكم على خيابة قط، وأني ولي عثمان وابن عمه، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَاناً﴾ [الإسراء: ٣٣] وقد علمتم أنه قتل مظلوماً، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقال أهل الشام بأجمعهم: بل نطلب بدله، فأجابوه إلى ذلك وياهموه، ووثقوا له أن يذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم، أو يدركوا بثأره، أو يفني الله أرواحهم قبل ذلك.

فلما رأى جرير من طاعة أهل الشام لمعاوية ما رأى، أنزعه ذلك، وعجب منه. وقال معاوية لجرير: إن ولاتي علي الشام ومصر بليته على أن لا يكون لأحد بعده علي بيعة، فقال: اكتب إلى علي بما شئت، وأنا أكتب معك.

فلما بلغ علياً الكتاب قال: هذه خديعة، وقد سألني المغيرة بن شعبه أن أولي معاوية الشام وأنا المدينة فأبيت ذلك وما كنت متخذ المصلين عضداً.

ثم كتب إلى جرير بالقدوم عليه، فما قدم إلا وقد اجتمعت العساكر إلى علي، وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص - وكان معتزلاً بفلسطين حين قتل عثمان - وكان عثمان قد عزله عن مصر فكتب إليه معاوية يستدعيه ليستشيره في أموره، فركب إليه فاجتمعا على حرب علي.

وقد قال الوليد بن عتبة بن أبي معيط في كتاب معاوية إلى علي حين

سواد العراق من ناحية الأنبار، فاستقل معاوية بالأمر إلى أن مات سنة ستين.

وقد قال بعضهم: كان نقش خاتم معاوية: لكل عمل ثواب. وقيل بل كان: لا قوة إلا بالله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر بن أبي شبة وسعيد بن منصور قالوا: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد. قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة يعني خارج الكوفة الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحبوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون.

ورواه محمد بن سعد عن يعلى بن عبيد عن الأعمش به.

وقال محمد بن سعد: حدثنا عارم حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري أن معاوية عمل ستين عمل عمر ما يخرم فيه، ثم إنه بَعِدَ.

وقال نعيم بن حماد: "حدثنا ابن فضال عن السري بن إسماعيل عن الشعبي حدثني سفيان بن الليل قال: قلت للحسن بن علي لما قدم من الكوفة إلى المدينة: يا مثل المؤمنين، قال: لا تقل ذلك فإني سمعت أبي يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية. فعلمت أن أمر الله واقع، فكرهت أن تهراق ببني وبينه دماء المسلمين.

وقال مجاهد عن الشعبي عن الحارث الأعور. قال: قال علي بعدما رجع من صفين: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، فإنكم لو فقدتموه رايتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنها الحظال.

وقال ابن عسكار بإسناده عن أبي داود الطيالسي: حدثنا أيوب بن جابر عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينزاع أصحاب محمد ﷺ في الخلافة؟ فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاخر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة.

وقال الزهري: حدثني القاسم بن محمد أن معاوية حين قدم المدينة يريد الحج دخل على عائشة فكلما خالين لم يشهد كلامهما أحد إلا ذكوان أبو عمرو مولى عائشة، فقالت: أمنت أن أخبي لك رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً؟ فقال: صدقت. فكلما معاوية. فلما قضى كلامه معها تشهدت عائشة ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، والذي سن الخلفاء بعده، وحضت معاوية على أمرهم، فقالت في ذلك فلم تترك، فلما قضت مقالها قال لها معاوية: أنت والله العالة بأمر رسول الله ﷺ، الناصحة المشقة البليغة المرحطة، حضضت على الخير، وأمرت به، ولم تأمرنا إلا بالذي هو لنا، وأنت أهل أن تطاعني. وتكلمت هي ومعاوية كلاماً كثيراً. فلما قام معاوية اتكأ على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ يبلغ من عائشة.

وقال محمد بن سعد: حدثنا خالد بن خالد الجبلي حدثنا سليمان بن بلال حدثني علقمة بن أبي علقمة عن أمه. قالت: قدم معاوية بن أبي سفيان المدينة فأرسل إلى عائشة: أن أرسلني إليّ بأبني جارية رسول الله ﷺ وشعره، فأرسلت به معي أمه، حتى دخلت به عليه، فأخذ الأنبيانية فلبسها، وأخذ شعره فدعا بماء فسله وشربه وأفاض على جلده.

وقال الأصمعي عن الهذلي عن الشعبي قال: لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقته رجال من وجه قريش فقالوا: الحمد لله الذي أعز نصرنا وأعلى أمرنا فما رد عليهم جواباً حتى دخل المدينة، فقصد المسجد وعلا

خصلة تنقص به عن الخلافة، ولم يكن في معاوية خصلة ينزاع عليها بها. وقيل لشريك القاضي: كان معاوية حليماً؟ فقال: ليس بحليم من سفة الحق وقتل علياً. رواه ابن عسكار.

وقال سفيان الثوري عن حبيب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه ذكر معاوية وأنه لم يمشي عرفة فقال فيه قولاً شديداً، ثم بلغه أن علياً لم يمشي عرفة فتركه.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني عباد بن موسى حدثنا علي بن ثابت الجزري عن سعيد بن أبي عروبة عن عمر بن عبد العزيز. قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتني بعلي ومعاوية، فأدخلوا بي وأجف الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن أخرج علي وهو يقول: قضى لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن أخرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة.

وروى ابن عسكار عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأبش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما.

وسئل الإمام أحمد عما جرى بين علي ومعاوية فقرا ﴿تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤) وكذا قال غير واحد من السلف.

وقال الأوزاعي: سئل الحسن عما جرى بين علي وعثمان فقال: كانت لهذا سابقة ولهذا سابقة، ولهذا قرابة ولهذا قرابة، فابتلي هذا وعوفي هذا. وسئل عما جرى بين علي ومعاوية فقال: كانت لهذا قرابة ولهذا قرابة، ولهذا سابقة ولم يكن لهذا سابقة، فابتلي جميعاً.

وقال كلثوم بن جوشن: سأل النضر أبو عمر الحسن البصري فقال: أبو بكر أفضل أم علي؟ فقال: سبحان الله ولا سواء، سبقت لعلي سوابق شره فيها أبو بكر، وأحدث علي أحداثاً لم يشركه فيها أبو بكر، أبو بكر أفضل. قال: فمعر أفضل أم علي؟ فقال: مثل قوله الأول أبي بكر، ثم قال: عمر أفضل، ثم قال: عثمان أفضل أم علي؟ فقال مثل قوله الأول، ثم قال: عثمان أفضل. قال: فغلي أفضل أم معاوية؟ فقال: سبحان الله ولا سواء! سبقت لعلي سوابق لم يشركه فيها معاوية، وأحدث علي أحداثاً شره فيها معاوية، علي أفضل من معاوية.

وقد روي عن الحسن البصري أنه كان يقوم على معاوية أربعة أشياء: قتاله علياً، وقتله حجر بن عدي، واستلحاحه زياد بن أبيه، ومبايعته ليزيد ابنه.

وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة. قال: لما جاء خبر قتل علي في معاوية جميل يبيكي، فقالت له امرأته: أتبيكي وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفة والعلم. وفي رواية أنها قالت له بالأمس تقاتله واليوم تبكيه؟!!

قلت: وقد كان مقتل علي في رمضان سنة أربعين كما قلنا، ولهذا قال الليث بن سعد: إن معاوية بوع له بإيلياء بيعة الجماعة، ودخل الكوفة سنة أربعين.

والصحيح الذي قاله ابن إسحاق والجمهور أنه بوع له بإيلياء في رمضان سنة أربعين حين بلغ أهل الشام مقتل علي، ولكنه إنما دخل الكوفة بعد مصلحة الحسن له في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وهو عام الجماعة، وذلك يمكن يقال له أنزح، وقيل: بمسكن من أرض

الله، منهم المسور بن غرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وعبد الله بن عبيد بن جراح، في أشباه لهم لم يتزعموا يوماً من جماعة في أمة محمد ﷺ.

وقال أبو زرة (رحمته: ١٨٨/١) عن دحيمة عن الوليد بن سعيد بن عبد العزيز: قال: لما قتل عثمان لم يكن للناس غزوة تغزو، حتى كان عام الجماعة فأغزا معاوية أرض الروم ست عشرة غزوة ذهب سرية في الصيف ونشروا بأرض الروم ثم تقفل وتعمقها أخرى. وكان في جملة من أغزى ابنه يزيد ومعه خلق من الصحابة، فجاز بهم الخليج، وقاتل أهل القسطنطينية على بابها، ثم قتل بهم، وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال: سلثوا خناق الروم.

وقال ابن وهب عن يونس عن الزهري قال: حج معاوية بالناس في أيام خلافته مرتين، وكانت أيامه عشرين سنة إلا شهراً. وقال أبو بكر بن عياش: حج بالناس معاوية في أيام خلافته مرتين، وكانت أيامه عشرين سنة إلا أشهر.

وقال أبو بكر بن عياش: حج بالناس معاوية سنة أربع وأربعين، وسنة خمسين.

وقال غيره: سنة إحدى وخمسين قاله أعلم.

وقال الليث بن سعد: حدثنا بكر بن بسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب - يعني معاوية -.

وقال عبد الرزاق (المصنف: ٢٠٧٧/٢) عن حذيثا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن حدثنا المسور بن غرمة أنه وفد على معاوية. قال: فلما دخلت عليه - حسب أنه قال: سلمت عليه - فقال: ما فعل طعنك على الأئمة يا مسور؟ قال: قلت: أرفضنا عن هذا وأحسن فيما قلنا له، فقال لتكلمني بذات نفسك، قال: فلم أدع شيئاً أعيه عليه إلا أخبرته به، فقال لا براء من الذنوب، فهل لك من ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يفرها الله لك؟ قال: قلت: نعم! قال: فما الذي يجعلك أحق بأن ترجو المغفرة مني، فوالله ما ألي من إقامة الخلود والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي نخصيها والتي لا نخصيها أكثر مما تلي، وإني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات والله على ذلك ما كنت لأخبر بين الله وغيره إلا اخترت الله على ما سواه، قال: ففكرت حين قال لي ما قال فعرفت أنه قد خصمني. قال: فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير.

وقد رواه شعب بن الزهري عن عروة عن المسور بنحوه.

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي قال: قال معاوية: يا أيها الناس! ما أنا بخيركم وإن منكم من هو خير مني، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أتمتعكم ولاية، وأتاكم في عدوكم، وأدركم حبلاً.

وقد رواه محمد بن ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مريم عن ثابت مولى سفيان أنه سمع معاوية يقول نحو ذلك.

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق: حدثنا عمرو بن واقد حدثنا يونس بن حبيب قال: سمعت معاوية على منبر دمشق يوم جمعة يقول: أيها الناس اعقلوا قولي فلن تجدوا أعلم بأمور الدنيا والآخرة مني، أقيموا وجوهكم وصغوفكم في الصلاة، فلتقيموا وجوهكم وصغوفكم، أو ليخالفن الله بين قلوبكم، خذوا علي أيدي سفهاتكم أو ليسلطن الله عليكم فليسومكم سوء العذاب. تصدقوا ولا تقولن الرجل إني مقل فإن

المير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد! فإني والله ما وليت أرمك حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولائي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم، ولكي خالستكم بسيفي هذا خالسة، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً، وحاولتها على مثل سنات عثمان فأبى عليّ وأبى مثل هؤلاء؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم؟ رحمة الله ورضوانه عليهم، غير أنني سلكت بها طريقاً لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك. ولكل فيه مؤاكلة حسنة، ومشاورة جيلة، ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجلوني خيركم فلأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما قد علمتموه فقد جعلته ذبر أذني، وإن لم تجلوني أقوم بحقوقكم كله فأرضوا مني ببعضه، فإنها ليست بقائمة قوبها، وإن السيل إذا جاء تترى، وإن قل أغني، ولياكم والفتنة فلا تهملوا بها، فإنها تصد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستئصال، استغفر الله لي ولكم. ثم نزل.

قال أهل اللغة: القابضة البيضاء، والقوب: الفرخ، قابت البيضاء تقوب: إذا انفلقت عن الفرخ -.

والظاهر أن هذه الخطبة كانت عام حج في سنة أربع وأربعين، أو في سنة خمسين، لا في عام الجماعة.

وقال الليث: حدثني علوان بن داود، عن صالح بن كيسان أن معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه فليق به الحسن والحسين ورجال من قريش، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان، فلما دنا إلى باب الدار صاحبت عائشة بنت عثمان ونذبت أباه، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم فإن لي حاجة في هذه الدار، فانصرفوا ودخل نسكن عائشة بنت عثمان، وأمرها بالكف وغضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا، رباعونا هذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا شتروا على حقهم، ومع كل إنسان منهم شيعته، وهو يرى مكان شيعتهم، فإن كناهم نكنوا بنا، ثم لا ندري أنكون لنا الدائرة أم علينا؟ وأن تكوني ابنة عثمان أمير المؤمنين خير من أن تكوني أمة من إماء المسلمين، ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك. وقد روى ابن عدي من طريق علي بن زيد - وهو ضعيف - عن أبي نصره عن أبي سعيد ومن حديث مجالد وهو ضعيف أيضاً عن أبي الوداك عن أبي سعيد. أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». وأسند أيضاً من طريق الحكم بن ظهير - وهو متروك - عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مرفوعاً.

وهذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك، لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم. وأرسله عمرو بن عبيد عن الحسن البصري، قال أيوب: وهو كذب. ورواه الخطيب البغدادي (الدرر: ٢٥٩/١) بإسناد مجهول عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون».

وقد قال أبو زرة الدمشقي (رحمته: ١٨٩/١، ١٩٠) عن دحيمة عن الوليد عن الأوزاعي قال: أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أمامة وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممن سبنا بأضعاف مضاعفة كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم حضروا من الكتاب تنزيه، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويله. ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء

صدقة المقل أفضل من صدقة الغني، إيساكم وقذف المحصنات، وأن يقول الرجل: سمعت وبلغني، فلو قذف أحدكم امرأة على عهد نوح لستل عنها يوم القيامة.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا يزيد بن طهمان الرقاشي حدثنا محمد بن سيرين. قال: كان معاوية إذا حدث عن رسول الله ﷺ لم ينههم.

وروي أبو القاسم البغوي عن سويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل، قال: كان معاوية يبعث رجلاً يقال له أبو الجيش في كل يوم فيلور على المجالس يسأل: هل ولد لأحد مولود؟ أو قدم أحد من الوفود؟ فإذا أخبر بذلك أثبت في الديوان - يعني ليحري عليه الرزق. وقال غيره: كان معاوية متواضعاً ليس له مجالد إلا كمجالد الصبيان التي يسمونها المخاريق فيضرب بها الناس.

وقال هشام بن عمار عن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس. قال: رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردف وراءه وصيفاً عليه قميص مرقع الجلب، وهو يسير في أسواق دمشق.

وقال الأعمش عن مجاهد إنه قال: لو رأيتم معاوية لقلتم: هذا المهدي. وقال هشيم عن العوام عن جبلة بن سحيم عن ابن عمرو. قال: ما رأيت أحداً أسود من معاوية، قال: كان عمر قال: قلت: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسود منه.

ورواه أبو سفيان الحيري عن العوام بن حوشب به. قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية قيل: ولا أبو بكر؟ قال: كان أبو بكر وعمر وعثمان خيراً منه وهو أسود منهم.

وروي من طرق عن ابن عمر مثله.

وقال عبد الرزاق (الصفحة ٢٠٩٨): عن معمر عن همام سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية.

وقال حبل بن إسحاق: حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن أبي عتبة عن شيخ من أهل المدينة قال قال معاوية: أنا أول الملوك.

وقال ابن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة عن ابن شاذب قال: كان معاوية يقول: أنا أول الملوك وآخر خليفة.

قلت: والسنة أن يقال لمعاوية ملك، ولا يقال له خليفة حديث سفيانة الخلافة بعد ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً (مسند أحمد ٢٢١/٥).

وقال عبد الملك بن مروان يوماً وذكر معاوية فقال: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه.

وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سوداً ولا أبعد أناة ولا ألين خرجاً، ولا أرحب بأعاً بالمعروف من معاوية.

وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاماً شديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن أحد من رعيي.

وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك؟ فقال: إني لأستحي أن يكون جرم رجل أعظم من حلمي.

وقال الأصمعي عن الثوري: قال قال معاوية: إني لأستحي أن يكون ذنب أعظم من عفري، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أوارها بستري.

وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه قال: جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غم لمعاوية فاطرق. ثم رفع رأسه فقال: يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليلة يغلب كثير الناس. ثم أمر له بمال فقال أبو

الجهم في ذلك يمدح معاوية على حلمه:

نميل على جوارحه كأننا إذا يئنا نميل على أيننا
نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منها كرمنا ولينا

وقال الأعمش: طاف الحسن بن علي مع معاوية يشي بين يديه، فقال الحسن: ما شبه ألبه بالتي هند؟ فالتفت إليه معاوية فقال: أما إنه كان يعجب أبا سفيان.

وقال ابن أخته عبد الرحمن بن أم الحكم لمعاوية: إن فلاناً يستمني، فقال له: تطأها فتمر فتجاوزك.

وقال ابن الأعرابي: قال رجل لمعاوية: ما رأيت أئدلك منك، فقال معاوية: بلى من واجه الرجال بمثل هذا.

وقال أبو عمرو بن العلاء قال معاوية: ما يسرنى بئد الكرم حر النعم. وقال بعضهم: قال معاوية: يا بني أمة قاربوا قرشاً بالحلم، فو الله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعي شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق، إن أستجده فينجني، وأتو به فيثور ممي، وما رفع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرمًا. وقال: أفة الحلم الذل.

وقال أيضاً: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم.

وقال عبد الله بن الزبير: لله ذر ابن هند، إن كنا لنفرقه وما الليث على بوائنه بأجراً منه، فيتفارق لنا، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهي منه فيتخادع لنا، والله لو ددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر وأشار إلى أبي قيس.

وقال رجل لمعاوية: من أسود الناس؟ فقال: أسخاهم نفساً حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقاً، وأحلمهم حين يستجهل.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الآيات كثيراً:

فما قتل السفاهة مثل حلم يعود به على الجهل الخليم
فلا تسفه وإن مثلت غيظاً على أحد فلان الفحش لوم
ولا تقطع أخاً لك عند ذنب فلان الذنب يغفره الكريم

وقال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية: وحكي أن معاوية أتى بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم، فقال:

يميني أمير المؤمنين أعيذك بعفسوك أن تلقى مكاناً يئها
ييدي كانت الحسناء لو تم سترها ولا تعلم الحسناء عيباً يشينها
فلا خير في الدنيا وكلمات حبيبة إذا ما شمالي فارتقتها يمينها

فقال معاوية: كيف اصنع بك؟ وقد قطعنا أصحابك؟ فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها. فخلى سبيله، فكان أول حد ترك في الإسلام. وعن ابن عباس أنه قال: قد علمت بم غلب معاوية الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار.

وقال غيره: كتب معاوية إلى نائبه زياد: إنه لا ينبغي أن يسوس الناس سياسة واحدة باليمن فيمرحوا، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والنظافة والغلظة، أكون أنا لللين والألفة والرحمة، فإذا خاف خائف وجد باباً يدخله.

وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز. قال: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، كانت عليها.

غرماءه فقال: وكم هو؟ قال: خمسمائة ألف. فقضاهما عنه وقال له: إن الألف ألف ستاتيك في وقتها.

وقال ابن سعد: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا ابن هلال عن قتادة. قال قال معاوية: يا عجباً للحسن بن علي!! شرب شربة عسل بمائة بماء رومة فقصي نحيبه، ثم قال لابن عباس: لا يسووك الله ولا يمزيك في الحسن بن علي، فقال ابن عباس لمعاوية: لا يمزيك الله ولا يسووكي ما أبقي الله أمير المؤمنين. قال: فأعطاه ألف ألف درهم وعروضاً وأشياء، وقال: خذها فاقسمها في أهلك.

وقال أبو الحسن المدني عن سلمة بن محارب قال: قيل لمعاوية: ألكم كان أشرف، أنتم أو بنو هاشم؟ قال: كنا أكثر أشرافاً وكانوا أشرف واحداً، لم يكن في بني عبد مناف مثل هاشم فلما هلك كنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً، وكان فيهم عبد المطلب لم يكن فينا مثلهم، فصرنا أكثر عدداً وأكثر أشرافاً ولم يكن فيهم واحد كواحدنا، فلم يكن إلا لقرار العين حتى جاء شيء لم يسمع الأولون بمثله، ولا يسمع الآخرون بمثله محمد ﷺ.

وروي ابن أبي شيخة عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمرو بن العاص قصص على معاوية مناماً رأى فيه أبا بكر وعمر وعثمان وهم يجاسون على ما ولوه في أيامهم، وروى معاوية وهو موكل به رجلان يجاسبانه على ما عمل في أيامه، فقال له معاوية: ما رأيت ثم ذناب مصر؟

وقال ابن دريد عن أبي حاتم عن العتي. قال: دخل عمرو على معاوية وقد ورد عليه كتاب فيه تعزية له في بعض الصحابة، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص:

يموت الصالحون وأنت حي تخطئك المنايا لا تموت
فقال له معاوية:

أترجو أن أموت وأنت حي فلست بميت حتى تموت

وقال ابن السماك: قال معاوية: كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا أرضيه إلا زوالها.

وقال الزهري عن عبد الملك بن مروان عن أبي بحريه. قال: قال معاوية: المروءة في أربع، العفاف في الإسلام، واستصلاح المال، وحفظ الإخوان وحفظ الجار.

وقال أبو بكر الهذلي: كان معاوية يقول الشعر فلما ولي الخلافة قال له أهله: قد بلغت الغاية فماذا تصنع بالشعر؟ فارتاح يوماً فقال:

سَرَحْتُ سَفاهي وأرحت حلمي وفي علسي محملي اعتراضُ
على أنسي أجيب إذا دعيتني إلى حاجتها الحلق المراضُ
وقال مغيرة عن الشعبي: أول من خطب جالساً معاوية حين كثر شحه وعظم بطنه.

وكذا روى عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال: أول من خطب جالساً يوم الجمعة معاوية.

وقال أبو المليح عن ميمون: أول من جلس على المنبر معاوية واستأذن الناس في الجلوس.

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب: أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر معاوية.

وقال أبو جعفر الباقر: كانت أبواب مكة لا أغلق لها، وأول من اتخذ

وقال هشام بن عروة عن أبيه. قال: بعث معاوية إلى أم المؤمنين عائشة بمائة ألف ففرقتها من يومها فلم يبق منها درهم، فقالت لها خادمتها: هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به لحماً؟ فقالت: لو أذكرتني لفعلت.

وقال عطاء: بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته.

وقال زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة. قال: قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: لأجيزنك بجزاة لم يميزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربعمائة ألف ألف.

ورفد إليه مرة الحسن والحسين فأجازهما على الفور بمائتي ألف، وقال لهما: ما أجاز بها أحد قبلي، فقال له الحسين: ولم تعط أحداً أفضل منا.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يوسف بن موسى حدثنا جرير عن مغيرة. قال: أرسل الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر إلى معاوية يسألانه المال، فبعث إليهما أو إلى كل منهما بمائة ألف، فبلغ ذلك علياً فقال لهما: ألا تستحيان؟ رجل نطعن في عينه غدوة وعشية تسألانه المال؟ فقالا: بل حرمتنا وجادلنا.

وروي الأصمعي قال: وفد الحسن وعبد الله بن الزبير على معاوية فقال للحسن: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر له بثلثمائة ألف، وقال لابن الزبير: مرحباً وأهلاً بابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر له بمائة ألف.

وقال أبو مروان الرواسي: بعث معاوية إلى الحسن بن علي بمائة ألف فقال لجلسائه: من أخذ شيئاً فهو له، وبعث إلى الحسين بمئة ألف، فقسمها على جلسائه وكانوا عشرة، فأصاب كل واحد عشرة آلاف. وبعث إلى عبد الله بن جعفر بمائة ألف فاستوثبتها منه امرأته فأطفلها لها، وبعث إلى مروان بن الحكم بمائة ألف فقسم منها خمسين ألفاً وحبس خمسين ألفاً، وبعث إلى عبد الله بن عمر بمائة ألف ففرق منها تسعين وأستبقى عشرة آلاف. فقال معاوية: إنه لقتصد يجب الاقتصاد. وبعث إلى عبد الله بن الزبير بمائة ألف فقال للرسول: لم جئت بها بالنهار؟ هلا جئت بها بالليل؟ ثم حبسها عنده ولم يعط منها أحداً شيئاً، فقال معاوية: إنه لحب غضب، كأنك به قد رفع ذنبه وقطع.

وقال ابن داب: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، ويقضي له معها مائة حاجة، فقدم عليه عاماً فأعطاه المال وقضى له الحاجات، وبقيت منها حاجة واحدة، فبينما هو عنده إذ قدم أصهبذ سجستان يطلب من معاوية أن يملكه تلك البلاد، ووعد من قضى له هذه الحاجة من ماله ألف ألف، فطاف على رؤوس الأمراء من أهل الشام وأمرأه العراق، ممن قدم مع الأنثى بن قيس، فكلهم يقولون: عليك بعبد الله بن جعفر، فقصدته الدهقان فكلهم فيه ابن جعفر معاوية فقصى حاجته تكلمة المائة حاجة، وأمر الكاتب فكتب له عهده، وخرج به ابن جعفر إلى الدهقان فجدس له وحمل إليه ألف ألف درهم، فقال له ابن جعفر: اسجد لله وأحمل مالك إلى منزلك، فإنا أهل بيت لا تتبع المعروف بالأنثى. فبلغ ذلك معاوية فقال: لأن يكون يزيد قالها أحب إلي من خراج العراق، أبت بنو هاشم إلا كرمأ.

وقال غيره: كان لعبد الله بن جعفر على معاوية في كل سنة ألف ألف، فاجتمع عليه في بعض الأوقات دين خمسمائة ألف، فالح عليه غرماءه فاستنظرهم حتى يقدم على معاوية فيسأله أن يسلفه شيئاً من العطاء، فركب إليه فقال له: ما أقدمك يا ابن جعفر؟ فقال: دين أبح علي

لما الأبواب معاوية.

وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري: مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر، وأول من واثق المسلم من الكافر معاوية، وقضى بذلك بنو أمية بعده حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة، وأعاد هشام ما قضى به معاوية وبنو أمية من بعده.

وبه قال الزهري: ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف، وأخذ النصف لنفسه.

وقال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله ﷺ قال لي: اسمع يا زهري، من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للشجرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب.

وقال سعيد بن يعقوب الطالقاني: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: تراب في أنف معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز.

وقال محمد بن يحيى بن سعيد: سئل ابن المبارك عن معاوية فقال: ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: «سمع الله لمن حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد»، فقيل له: أيهما أفضل؟ هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز.

وقال غيره عن ابن المبارك قال: معاوية عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم؛ يعني الصحابة.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي وغيره: سئل المعافي بن عمران أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فنفضب وقال للسائل: أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟! معاوية صاحبه وصهره وكتابه وأمينه على وحي الله. وقد قال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصحابي وأصحابي، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وكنا قال الفضل بن عتبة. قال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي: معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ فإذا كشف الرجل الست اجترأ على ما وواه.

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام.

وقال الفضل بن زياد. سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمر بن العاص: أيقال له رافضي؟ فقال: إنه لم يجترأ عليهما إلا وله خيبة سوء، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء.

وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة. قال: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية، فإنه ضربه أسوأ.

وقال بعض السلف: «بيننا أنا على جبل بالشام إذ سمعت هاتفاً يقول: من أبغض الصديق فذاك زنديق، ومن أبغض عمر فلل جهنم زئير، ومن أبغض عثمان فذاك خصمه الرحمن، ومن أبغض علي فذاك خصمه النبي، ومن أبغض معاوية سحبه الزبانية، إلى جهنم الحامية، يرمى به في الهاوية».

وقال بعضهم: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية، إذ جاء رجل فقال عمر: يا رسول الله هذا يتقصص، فكأنه انتهر رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني لا انتقص هؤلاء ولكن هذا انتقص يعني معاوية فقال: رسول الله ﷺ «ويلك! وليس هو من أصحابي؟» قالوا ثلاثاً، ثم أخذ رسول الله ﷺ حرية فناولها معاوية فقال: «جأ بها في لبته» فصره بها وانتهت فبكرت إلى منزله، فإذا

ذلك الرجل قد أصابته الذخعة من الليل ومات، وهو رائد الكندي.

وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض أنه كان يقول: معاوية من الصحابة، من العلماء الكبار، ولكن ابتلي بحب الدنيا.

وقال العتي: قيل لمعاوية أسرع إليك الشيب؟ فقال: كيف لا ولا أزال أرى رجلاً من العرب قاتماً على رأسي يلقي لي كلاماً يلزمني جوابه، فإن أصبت لم أحمد، وإن أخطأت سارت بها البرد.

وقال الشعبي وغيره: أصابت معاوية في آخر عمره لقوة.

وروى ابن عساكر في ترجمة حديج الحضي مولى معاوية قال: اشترى معاوية جارية بيضاء جميلة فادخلتها عليه بمجرة، ويده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها - يعني فرجها - ويقول: هذا الشاع لو كان لي متاع! أذهب بها إلى يزيد بن معاوية، ثم قال: لا ادع لي ربيعة بن عمرو الجرشي - وكان قفياً - فلما دخل عليه قال: إن هذه أتيت بها بمجرة فرائت منها ذاك وذاك، وإني أردت أن أبست بها إلى يزيد، فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين! فإنها لا تصلح له، فقال: نعم ما رأيت، قال: ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الزناري مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكان أسود فقال له: بيض بها وللك.

وهذا من فقه معاوية وتخبره حيث كان ينظر إليها بشهوة، ولكنه استضعف نفسه عنها، فتخرج أن يبهما من ولده يزيد لقوله تعالى ﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء﴾ [النساء: ٢٢]. وقد واقفه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الجرشي الدمشقي.

وذكر ابن جرير [الرحمة: ٣٣٠/٥، ٣٣١] أن عمرو بن العاص قدم في وفد أهل مصر إلى معاوية، فقال لهم في الطريق: إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه لا يجب ذلك، فلما دخل عليه عمرو قتلهم، قال معاوية لحاجبه: ادخلهم، وأوعز إليه أن يخوفهم من الدخول ويرعبهم. وقال: إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء. فلما ادخلوهم عليه - وقد أهانهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول: السلام عليك يا رسول الله، فلما نهض عمرو من عنده قال: قبحكم الله، نهيتكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة!

وذكر أن رجلاً سأل معاوية أن يساعده في بناء داره يائتي عشر ألف جذع من الخشب. فقال له معاوية: أين دارك؟ قال: بالبصرة، قال: وكم اتساعها؟ قال: فرسخان في فرسخين، قال: لا تقل داري بالبصرة، ولكن قل: البصرة في داري.

وذكر أن رجلاً دخل بابه معه فجلسا على سباط معاوية فجعل ولده يأكل أكلاً ذريعاً، فجعل معاوية يلاحظه، وجعل أبوه يريد أن ينهيه عن ذلك فلا يفتن، فلما خرجا لأمه أبوه وقطعه عن الدخول، فقال له معاوية: أين ابنك التلقامة؟ قال: اشتكى قال: قد علمت أن أكله سيورته داء.

قال: ونظر معاوية إلى رجل وقف بين يديه يخاطبه وعليه عباءة فجعل يزدريه، فقال: يا أمير المؤمنين إنك لا تخاطب العباءة، إنما يخاطبك من فيها. وقال معاوية: أفضل الناس عقل وخلم؛ من إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا غضب كظم، وإذا قدر غفر، وإذا وعد الحجز، وإذا أساء استغفر.

وكتب رجل من أهل المدينة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كثير أعضائها

وجعلت أسفائها تتألفا فهي زروع قد نسا حصائها
فقال معاوية: نعم إلي نفسي.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس! إني من زرع قد استحصد، وإني قد وليكم ولن يليكم أحد بعدي إلا من هو شر مني، كما كان من وليكم قبلي خيراً مني، وبأ يزيد إذا وقى أجلي قول غسلي رجلاً ليبياً، فإن الليب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراصة من شعره وأظفاره، فاستودع القراصة أنفي وفمي، وأذني وعيني، واجعل ذلك الثوب يلي جلدي دون أكتافي، وبأ يزيد احفظ وصية الله في الرالين، فإذا أدرجتوني في جريدتي وضمتوني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.

وقال بعضهم: لما احتضر معاوية جعل يقول:

لمعري لقد عثرت في الدهر برهة ودانت لي الدنيا بوقع البواشر
وأعطيت حر المال والحلم والنهي وسلمت فما قيم الملوك الجبابر
فأضحي الذي قد كان مما يسرني كحلُم مضى في الزمناات الغواير
فيا ليتني لم أشر في الملك ساعة ولم أشر في لثناات عيش نواشر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من العيش حتى زار ضيق المقابر

وقال محمد بن سعد: أنبأنا علي بن محمد عن محمد بن الحكم عمن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد إلى بيت المال كأنه أراد أن يطيب له لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله.

وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقیل يغمه، فاتخذ له ثوباً من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال: تباً لك من دار، ملكك أربعين سنة، عشرين أميراً، وعشرين خليفة، ثم هذا حالني، فيك، ومصيري منك، تباً للدنيا ومُجِئها.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا أبو عبيد عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير. قال: لما ثقل معاوية وتحدث الناس أنه بالوت قال لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسعوا رأسي دهنًا، ففعلوا ويزقوا وجهه بالدهن، ثم هُذ له فجلس وقال: استنوني، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا علي قياماً ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه متكئاً متدعناً فيقول متقول الناس: إن أمير المؤمنين هو لَمَّا به وهو أصح الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاوية في ذلك:

وتجلمدي للشامتين أريهم أني لرب الدهر لا أتضعض
وإذا المنيبة انتشبت أظفارهها ألفيت كل قيمة لا تنفع
قال: وكان به التفاتة يعني لقوة فمات من يومه ذلك رحمه الله ورضي عنه.

وقال محمد بن عتبة: لما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش يذني طوى، ولم آل من هذا الأمر شيئاً.
وقال أبو السائب المخزومي: لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر:

إن تناقض يكن نقاشك يا رب غائباً لا طسوق لي بالعذاب
أو تجاوز تجاوز العفو ناصفح عن مسيء ذنوبه كالستراب

وقال بعضهم: لما احتضر معاوية جعل أهله يقبلونه فقال لهم: أي شيخ تقولون؟ إن تجاه الله من عذاب النار غداً.

وقال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خداه على الأرض ثم يقب وجهه ويضع الخد الآخر ويكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم فاجعلني ممن تشاء أن تغفر له.

وقال العتي عن أبيه: تمثل معاوية عند موته بقول بعضهم وهو في السياق.

هو المورت لا منجى من الموت والني غمادز بعد الموت أهدى وانظس

ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز حلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة مهرب إلا إليك. ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء فذكر مثله، وزاد: ثم مات.

وقال غيره: أغمى عليه ثم أفاق فقال لأهله: اتقوا الله فإن الله تعالى بقي من اتقاه ولا يقي من لا يقي. ثم مات رحمه الله.

وقد روى أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل. قال: لما مات معاوية سعد الضحاك بن قيس النبر فخطب الناس وأكثان معاوية على يديه فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

إن معاوية الذي كان عوداً العرب، وخد العرب، قطع الله به الفتنة، وملكه على العباد، وفتح به البلاد إلا إنه قد مات وهذه أكفانه، فنحن مدرجه فيها ومدخلوه قبره وتخلون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى.

ثم نزل وبعث البريد إلى يزيد بن معاوية يعلمه ويستحثه على الجي. ولا خلاف أنه، رضي الله عنه، توفي بدمشق في رجب سنة ستين. وقيل: ليلة الخميس للنصف من رجب سنة ستين، وقيل: ليلة الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين. قاله ابن إسحاق وغير واحد.

وقيل: لأربع خلعت من رجب، قاله الليث.

وقال سعد بن إبراهيم: لستهل رجب.

قال محمد بن إسحاق والشافعي: صلى عليه ابنه يزيد.

وقد ورد من غير وجه أنه أوصى إليه أن يكن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه، وكان متدخراً عنده لهذا اليوم، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامه أظفاره في فمه والله وعينه وأذنيه.

وقال آخرون: بل كان ابنه يزيد غائباً فصلى عليه الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق، ثم دفن قتيلاً: بدار الإمارة وهي الخضراء، وقيل: بمقابر باب الصغير. وعليه الجمهور قاله أعلم. وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وسبعين سنة، وقيل: جاوز الثمانين وهو الأشهر والله أعلم.

ثم ركب الضحاك بن قيس في جيش وخرج ليتلقى يزيد بن معاوية وكان يزيد بموارين فلما وصلوا إلى ثبة العقاب تلقتهم أنقال يزيد؛ وإذا يزيد راكب على بخي وعليه الحزن ظاهر، فسلم عليه الناس بالإمارة وعزوه في أبيه، وهو يخفض صوته في رده عليهم والناس صامتون لا يتكلم معه إلا الضحاك ابن قيس فأنتهى إلى باب توما، فظن الناس أنه يدخل منه إلى المدينة، فاجازه مع السور حتى انتهى إلى الباب الشرقي، فقيل: يدخل منه لأنه باب خالد، فجازه حتى أتى الباب الصغير ففرق الناس أنه قاصد قبر

بكيت بكاء معولة قوبح أصاب الدمر واحدها الفريدا
ذكر من تزوج من النساء ومن ولد له من الأولاد الذكور
والإناث:

كان له عبد الرحمن وبه كان يكنى، وعبد الله، وكان ضعيف العقل،
وأماها

■ فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وقد تزوج
بأختها مفردة عنها بعدها، وهي كندوب بنت قرظة وهي التي كانت معه حين
افتتح قبرص، وتزوج نائلة بنت عمارة الكلية فأعجبته وقال ليسون بنت
بجمل: ادخلي فانظري إلى ابنة عمك، فدخلت فسالها عنها فقالت: إنها
لكاملة الجمال، ولكن رايت تحت سرّتها خلا، وإنني لأرى هذه يقتل
زوجها ويوضع رأسه في حجرها، فطلقها معاوية فتزوجها بعده حبيب بن
مسلمة القهري، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير فقتل ووضع رأسه
في حجرها.

ومن أشهر أولاده يزيد وأمه

■ مسون بنت بجمل بن أثيب بن دلجة بن قنافة الكلبي، وهي التي
دخلت على نائلة فأخبرت معاوية عنها بما أخبرته، وكانت حازمة عظيمة
الشان جمالا ورياسة وعقلا ودينا، ودخل عليها معاوية يوما ومعه خادم
خصي فاستترت منه وقالت: ما هذا الرجل معك؟ فقال: إنه خصي
فاظهري عليه، فقالت: ما كانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه، وحجبت
عنها. وفي رواية أنها قالت له: إن مجرد مثلك له لن تحل ما حرمه الله
عليه، وقد وليّ ابنها يزيد الخلافة بعد أبيه.

وذكر ابن جرير [رتبه: ٣٢٩/٥] أن مسون هذه ولدت لمعاوية بتاً
أخرى يقال لها: أمة رب المشرق، ماتت صغيرة.

■ وملة تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان، كانت دارها بدمشق عند
عقبة السمك تجاه زقاق الرمان، قاله ابن عسك [رتبه: ١٠١٢] دمشق، جزء تراجم النساء
ص ٩٥ قال: ولها طاحون معروفة إلى الآن.

■ هند بنت معاوية تزوجها عبد الله بن عامر، فلما ادخلت عليه
بالخضراء، أرادها على نفسها فتمنعت عليه وأبى أشد الإباء، فضرها
فصرخت، فلما سمع الجوارى صوتها صرخن وعلت أصواتهن، فسمع
معاوية فنهض إليهن فاستعلمهن ما الخبر؟ فقلن: سمعنا صوت سيدتنا
فصحن. فدخل فإذا بها تكبي من ضربه، فقال لابن عامر: ويحك!! مثل
هذه تضرب في مثل هذه الليلة؟ ثم قال له: أخرج من ههنا، فخرج وخلا
بها معاوية فقال لها: يا بنية إنه زوجك الذي أحله الله لك، أو ما سمعت
قول الشاعر

من الحفّرات البيض أمّا حرامها فصعبٌ وأما جلّها فذلّون

ثم خرج معاوية من عندها وقال لزوجها: ادخل فقد مهدت لك
خلقها ووطأته. فدخل ابن عامر فوجدما قد طابت أخلاقها فقضى حاجته
منها رحمهم الله تعالى.

من كان على قضاء معاوية وحرسه:

وكان على قضاء معاوية أبو الدرداء بولاية عمر بن الخطاب، فلما
حضره الموت أشار على معاوية بتولية فضالة بن عبيد، ثم مات فضالة فولى
أبا إدريس الخولاني.

وكان على حرسه رجل من الموالي يقال له المختار وقيل مالك، ويكنى
أبا المخارق - مولى الحمير - وكان معاوية أول من اتخذ الحرس، وعلى

أبيه، فلما وصل إلى باب الصغير ترجّل عند المقبرة، ثم دخل فصلّى على
أبيه بعد ما دفن ثم انتقل، فلما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة
فركب.

ثم دخل البلد وأمر فنودي في الناس الصلاة جامعة، ودخل الخضره
فاغتسل وليس ثياباً حسنة ثم خرج فخطب الناس أول خطبة وهو أمير
المؤمنين، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس! إن معاوية كان عبداً من عبيد الله، أنعم الله عليه ثم قبض
إليه، وهو خير من بعده ودون من قبله، ولا أركيه على الله عز وجل، هو
أعلم به إن عفى عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر من بعده،
ولست أسئ على طلب، ولا أعتذر من تفریط، وإذا أراد الله شيئاً كان.

وقال لهم في خطبته هذه: وإن معاوية كان يزيكم في البحر، وإنني
لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر، وإن معاوية كان يثنيكم بأرض
الروم ولست مشياً أحداً بأرض الروم، وإن معاوية كان يخرج لكم العطاء
أثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله، قال: فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه
أحداً.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: بعث
معاوية وهو مريض إلى ابنه يزيد، فلما جاءه البريد ركب وهو يقول:

جاء السريد بقرطاس يخسبُ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الوليل ماذا في صحيفتك قال الخليفة أسى مُثِياً وجعا
فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كأن أغبر من أركانها انتقلعا
ثم اتبعتنا إلى خُوص مضجرة نرمي الفجاج بها نائلي سُرعاً
فما نبالي إذا بُلغفن أرحلُنا ما مات منهن بالوُصاة أو ظلمنا
وزاد غيره:

لما انتهينا وبسب الدار منصفق يصوت رملة ربح القلب فانصدعا
من لا تول نفسه توفي على شرف توشك مقادير تلك النفس أن تقعا
أودى ابن هند وأودى المجد تبعه كانا جميعاً خليطاً سالمين معا
أغرّ أبلج يتسقى الغمام به لو قارع الناس عن أحلامهم قرعا
لا يرقع الناس ما أوهى وإن جهدوا أن يرقموه ولا يوهون ما رقعا

قال الشافعي: سرق يزيد هذين البيتين من الأعرشى. ثم ذكر أنه دخل
قبل موت أبيه دمشق وأنه أوصى إليه. وهذا قد قاله ابن إسحاق وغير
واحد، ولكن الجمهور على أن يزيد لم يدخل دمشق إلا بعد موت أبيه،
وأنه صلى على قبره بالناس كما قلنا. والله أعلم.

وقال أبو الورد العبدي يريثي معاوية رحمته:

ألا أنسى معاوية بن حرب نعام الحيل للشهر الحرام
نعام الناعجات بكل فج خواضع في الأزقة كالسهم
فهاتيك النجوم ومن خرس ينحن على معاوية الشأم
وقال أيمن بن خريم يريثي أيضاً:

رمى الخيثران نسوة آل حرب بمقدار سَمَنان له سمسونا
فرد شعورهن السود ييضاً ورد وجوههن البيض سودا
فإنك لو شهدت بكاء هند ورملة إذ يصفقن الخلدوا

يعلّموا سعد مولاة وعلى الشرطة قيس بن حمزة، ثم زُمل بن عمرو العلري، ثم الضحاك بن قيس الفهري، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومي. وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وخزّم الكتب. وأما ما أظن غيره.

قال: ثم نهض حسين فأخذ معه مواليه وجاء باب الأمير فاستأذن فأذن له، فدخل وحده، وأجلس مواليه على الباب، وقال: إن سمعتم أمراً يريكم فادخلوا، فلم يجلس ومروان عنده، فنالوه الوليد بن عتبة الكاتب ونعى إليه معاوية، فاسترجع وقال: رحم الله معاوية، وعظم لك الأجر. فدعاه الأمير إلى البيعة فقال له الحسين: إن مثلي لا يبايع سراً، وما أراك تجزئني مني بهذا، ولكن إذا اجتمع الناس دعوتنا معهم فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد: - وكان يحب العافية - فانصرف على اسم الله حتى تأتينا في جماعة الناس، فقال مروان للوليد: والله لئن فارقك ولم يبايع الساعة ليكثرن القتل بينكم وبينه، فاحبسه ولا تخرجه حتى يبايع ولا ضريت عتقه، فنهض الحسين وقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني! كذبت والله وأنت.

ثم انصرف إلى داره، فقال مروان للوليد: والله لا تراه بعدها أبداً. فقال الوليد: والله يا مروان ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وأني قتلت الحسين، سبحانه الله! أقتل حسينا أن قال: لا أبايع! والله إني لأظن أن من يقتل الحسين يكون خفيف الميزان يوم القيامة.

وبعث الوليد إلى عبد الله بن الزبير فامتنع عليه وماطله يوما وليلة، ثم إن ابن الزبير ركب في مواليه واستصحب معه أخاه جعفرًا وسار إلى مكة على طريق الفُرع، وبعث الوليد خلف ابن الزبير الرجال والفرسان فلم يقدروا على رده، وقد قال جعفر لأخيه عبد الله وهما سائران متمثلاً بقول صبرة الحنظلي: -

وكل بني أم سيمون ليلة ولم يبق من أعقابهم غير واحد فقال: سبحانه الله! ما أردت إلى هذا؟ فقال: والله ما أردت به شيئا يسوءك، فقال: إن كان إنما جرى على لسانك فهو أكره لي، قالوا: وتطير به.

وأما الحسين بن علي فإن الوليد تشاغل عنه بابن الزبير وجعل كلما بعث إليه يقول: حتى تنظر وتنظر، ثم جمع أهله وبنيه وركب ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب من هذه السنة، بعد خروج ابن الزبير بليلة، ولم يتخلف عنه أحد من أهله سوى محمد بن الحنفية، فإنه قال له: والله يا أخي لأنت أعز أهل الأرض علي، وإني ناصح لك لا تدخلن مصرًا من هذه الأمصار، ولكن اسكن البوادي والرمال، وابتع إلى الناس فإذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل المصّر، وإن آبيت إلا سكنتي المصّر فانهض إلى مكة، فإن رأيت ما تحب وإلا ترفعت إلى الرمال والجبال فقال له: جزاك الله خيراً فقد نصحت واشفقت.

وسار الحسين إلى مكة فاجتمع هو وابن الزبير بها، وبعث الوليد إلى عبد الله بن عمر فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعت، فقال رجل: إنما تريد أن يختلف الناس ويقتلوا حتى يمتلأوا، فإذا لم يبق غيرك بايعوك؟ فقال ابن عمر: لا أحب شيئا مما قلت، ولكن إذا بايع الناس فلم يبق غيري بايعت. قال: فتركوه! وكانوا لا يتخوفونه.

وقال الواقدي: لم يكن ابن عمر بالمدينة حين قدم نعي معاوية، وإنما

حجّاه سعد مولاة وعلى الشرطة قيس بن حمزة، ثم زُمل بن عمرو العلري، ثم الضحاك بن قيس الفهري، وكان صاحب أمره سرجون بن منصور الرومي. وكان معاوية أول من اتخذ ديوان الخاتم وخزّم الكتب.

ومن ذكر أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ستين -

■ صفوان بن المعطل بن رحة بن المؤمل بن خزاعي أبو عمرو، وأول مشاهده المريسيم، وكان في الساقية يومئذ، وهو الذي رماه أهل الإفك بأم المؤمنين فبرأه الله وإياها مما قالوا، وكان من سادات المسلمين، وكان ينাম نوما شديداً حتى كان ربما طلعت عليه الشمس وهو نائم لا يستيقظ، فقال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظت فصل» [مسند أحمد: ٨٠٣/٢]. وقد قتل صفوان شهيداً.

■ أبو مسلم الخولاني عبد الله بن نُوْب الخولاني من خولان ببلاد اليمن. دعاه الأسود الغنصي إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له: أشهد أني رسول الله؟ فقال: لا أسمع، أشهد أن محمداً رسول الله، فأبج له ناراً وألقاه فيها فلم تضره، وأغواه الله من النار، فكان يشبه إبراهيم الخليل، ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات، فقدم على الصديق فجلسه بينه وبين عمر وقال له عمر: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل، وقبله بين عينيه، وكانت له أحوال ومكاشفات.

ويقال: إنه توفي فيها النعمان بن بشير رضي الله عنه، والأظهر أنه مات بعد ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

إمارة يزيد بن معاوية وما جرى في

أيامه من الحوادث والفتن

بوقع له بالخلافة بعد أبيه في رجب سنة ستين، وكان مولده سنة ست وعشرين، فكان يوم بوقع ابن أربع وثلاثين سنة، فآفر نواب أبيه على الأقاليم، لم يعزل أحداً منهم، وهذا من ذكائه.

قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي غنم لوط بن يحيى الكوفي الأخباري: ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همة حين ولي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية البيعة ليزيد، فكتب إلى نائب المدينة الوليد بن عتبة:

«بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوَّله ومكَّن له، فعاش بقدر ومات بأجل، فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام»

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن الفأرة وأما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام».

فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه، فبعث إلى مروان فقرأ عليه الكتاب واستشاره في أمر هؤلاء النفر، فقال: أرى أن تدعوهم قبل أن

وأرسل عمرو إلى أخيه يقول له: يَرْجِيَنَّ الخليفة، وأنه وفي عتقك جامعة من ذهب أو فضة، ولا تدع الناس يضرب بعضهم بعضاً، واتق الله فإنك في بلد حرام. فأرسل عبدالله يقول لأخيه: موعذك المسجد. وبعث عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان بن أمية في سرية فاقتلوا أنيس بن عمرو الأسلمي فهزموا أنيساً هزيمة قتيحة، وتفرق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو إلى دار ابن علقمة، فأجاره أخوه عبيدة بن الزبير، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال: تخير من في عتقه حقوق الناس؟ ثم ضربه بكل من ضربه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير وابنه فإنهما أيا أن يستقينا من عمرو، وسجنه ومعه عارم، فسمي سجن عارم، وقد قيل: إن عمرو بن الزبير مات تحت السياط والله أعلم.

قصة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسبب خروجه بأهله من مكة إلى العراق في طلب الإمارة وكيفية مقتله ﷺ

ولنبداً قبل ذلك بشيء من ترجمته ثم تتبع الجميع بذكر مناقبه وفضائله. هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي، السبط الشهيد بكريلاء ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء، ورباعته من الدنيا، ولد بعد أخيه الحسن، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة، وقال بعضهم: إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع. وقال قتادة: ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين، وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف، رضي الله عنه.

وروي عن النبي ﷺ أنه حنكه وتفل في فيه ودعا له وسماه حسينا، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حرباً، وقيل جعفرراً، وقيل: إنما سماه يوم سابعه وعق عنه.

وقال جماعة عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما كان أسفل من ذلك (٣٩٧٩)، للسند: ٢٩٩/١.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك الحزامي. قال: كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله ﷺ، وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ.

وروي محمد بن سيرين وأخته حفصة، عن أنس. قال: كنت عند ابن زياد فجاء برأس الحسين فجعل يقول بقضيبي في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، فقلت له: إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ.

(٣٧٤٨)

وقال سفیان: قلت لعبيد الله بن أبي يزيد: رأيت الحسين؟ قال: نعم أسود الرأس واللحية شعرات مهنا في مقدم لحية، فلا أدري اخضب وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله ﷺ، أو لم يكن شاب منه غير ذلك؟

وقال ابن جريج: سمعت عمر بن عطاء قال: رأيت الحسين بن علي يصيح بالوشمة، أما هو فكان ابن ستين، وكان رأسه ولحيته شديدي السواد.

فأما الحديث الذي روى من طريقين ضعيفين (١٢٨/١٤)،

كان هو وابن عباس بمكة فلقبهما وهما مقبلان منها الحسين وابن الزبير، فقالا: ما وراءكما؟ قالوا: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا بين جماعة المسلمين. وقدم ابن عمر وابن عباس إلى المدينة فلما جاءت البيعة من الأمصار بايعا مع الناس، وأما الحسين وابن الزبير فإنهما قعدا مكة فوجدنا بها عمرو بن سعيد بن العاص فخافاه وقالوا: إنا جئنا عوذاً بهذا البيت.

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه، وأضافها إلى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة، فقدم المدينة في رمضان، وقيل: في ذي القعدة، وكان منزهاً متكبراً، وسلط عمرو بن الزبير - وكان عنداً لأخيه عبد الله - على حربه وجرده له، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير.

وقد ثبت في الصحيحين (١٠٤)، (١٣٥٤)، مطراً: عندما أن أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك حديثاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أنذاني ووعاه قلبي وأبصرته عيني حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن مكة حرماً لله ولم يحرمها الناس، وإن لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلي، ولم يحل لأحد بعدي» (١٣٥٥) (بحره) ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، ثم قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب.

وفي رواية (١٠٤)، (١٣٥٤): «فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم» فقيل لأبي شريح: ما قال لك؟ فقال: قال لي نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخبرة.

قال الواقدي: ولما عمرو بن سعيد شرطة المدينة عمرو بن الزبير ففتح أصحاب أخيه ومن يهوى هواه، ففرضهم ضرباً شديداً حتى ضرب من جملة من ضرب أخاه المنذر بن الزبير، وجماعة من الأعيان من مكة ثم جاء العزم من يزيد إلى عمرو بن سعيد في تطلب ابن الزبير، وأنه لا يقبل منه وإن بايع حتى يؤتى به إلى في جماعة من ذهب أو من فضة تحت برنسه، فلا ترى إلا أنه يسمع صوته، وكان ابن الزبير قد منع الحارث بن خالد المخزومي من أن يصلي بأهل مكة، وكان نائب عمرو بن سعيد عليها، فحينئذ صمم عمرو على تجهيز سرية إلى مكة بسبب ابن الزبير، فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير: من يصلح أن نبعثه إلى مكة لأجل قتاله؟ فقال له عمرو بن الزبير: إنك لا تبعث إليه من هو أنكى له مني، فعينه على تلك السرية وجعل على مقدمته أنيس بن عمرو الأسلمي في سبعمائة مقاتل.

وقال الواقدي: إنما عينهما يزيد بن معاوية نفسه، وبعث بذلك إلى عمرو بن سعيد في كتاب، فسكر أنيس بالجرف وأشار مروان بن الحكم على عمرو بن سعيد أن لا يفرز مكة وأن يترك ابن الزبير بها، فإنه عما قليل إن لم يقتل يموت، فقال أخوه عمرو بن الزبير: والله لنفرزونه ولو في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم. فقال مروان: والله إن ذلك ليسوفني.

فسار أنيس واتبه عمرو بن الزبير في بقية الجيش - وكانوا ألفين - حتى نزل بالأبطح، وقيل بداره عند الصفا، ونزل أنيس بندي طوى، فكان عمرو بن الزبير يصلي بالناس، ويصلي وراءه أخوه عبد الله بن الزبير،

حين بلغتهم موت معاوية وولاية يزيد، ومصر الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد. فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الحملاني، وعبد الله بن وال، معهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية، فقدموا على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة، ثم بعثوا بعدهما نفرًا منهم قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكواء الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً إلى الحسين، ثم بعثوا هاتين هاتين السيبي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السير إليهم، وكتب إليه شيب بن رعيص، وحجار بن أبحر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعزرة بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي، وعبد بن عمير بن يحيى التميمي: أما بعد فقد اخضرت الجنب وأينعت الثمار وطمت الحمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك بجندة والسلام عليك.

فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليأبىوه عرضاً عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية، ويتألون منه ويتكلمون في دولته، وأنهم لما يابىوا أحداً إلى الآن، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم.

فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان محتتماً وأمرأ حازماً محكما بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليطفر بمن يعايناه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة فآخذ منها دليلين فساروا به على براري مهجورة المسالك، فكان أحد الدليلين منهما أول هالك، وذلك من شدة العطش، وقد أضلوا الطريق فهلك الدليل الواحد بمكان يقال له المضيق، من بطن خبيث، فتطير به مسلم بن عقيل، فتلثب مسلم على ما هنالك ومات الدليل الآخر فكتب إلى الحسين يستشير به أمره، فكتب إليه بعزم عليه أن يدخل العراق، وأن يجتمع بأهل الكوفة ليستعلم أمرهم، ويستشير خبرهم.

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي فآله أعلم. فتساع أهل الكوفة بقدموه فجاؤوا إليه فيأبىوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصره بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليهم فقد تمهدت له البيعة والأمور، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة كما سنذكره.

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير أخيراً رجل بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة، وأمرهم بالاتلاف والسنة، وقال: إني لا أقاتل من لا يقاتلي، ولا أتب على من لا يثب علي، ولا أخذكُم بالظنة، ولكن والله الذي لا إله إلا هو لئن فارقت إمامكم ونكمت بيعته لأقاتلنكم ما دام في يدي من سيفي قائمته. فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي فقال له: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشم، وإن الذي سلكته أيها الأمير سلك المستضعفين. فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعز من في معصية الله. ثم نزل فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك، وكتب إلى يزيد عمارة بن عتبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة، وذلك بإشارة

١٢٦٩] أن فاطمة سألت رسول الله ﷺ في مرض الموت أن ينحسب ولديها شيئا فقال: أما الحسن فله هيتي وسوددي، وأما الحسين فله جُرأتي وجودي. فليس يصحيح، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب المعتبرة، وقد أدرك الحسين من حياة النبي خمس سنين أو نحوها، وروي عنه أحاديث.

وقال مسلم بن الحجاج: له رؤية من النبي ﷺ. وقد روى صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال في الحسن بن علي: إنه تابعي ثقة. وهذا غريب فلان يقول في الحسين إنه تابعي بطريق الأولى، وسنذكر ما كان رسول الله ﷺ يكرمهما به، وما كان يظهر من محبتهم واختر عليهما.

والقصد أن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، ولكنه كان صغيراً. ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب إياه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظماً موقراً، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصلح معاوية شق ذلك عليه ولم يسد رأى أخيه في ذلك، بل حشه على قتال أهل الشام، فقال له أخوه: والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك. فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم، فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فكان معاوية يكرمهما إكراماً زائداً، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيهما عطاء جزيلاً، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يطعكما أحد قبلي ولا أحد بعدي، فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلين أفضل منا. ولما توفي الحسن كان الحسين ينفذ إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين.

ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين عن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك، فلما مات معاوية سنة ستين ويوبع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فآرين إلى مكة فاقامسا بها، فمكث الناس على الحسين ينفذون إليه ويقلمون عليه ويجلسون حوالبه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد.

وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاة عند الكعبة، وجعل يتردد في غيوب ذلك إلى الحسين في جملة الناس، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديرهم إياه عليه، غير أنه قد تعينت السرايا والبعوث إلى مكة بسببه، ولكن أظفهر الله بهم كما تقدم ذلك اتفاقاً، فانقضت السرايا عن مكة مفلولين وانتصر عبد الله بن الزبير على من أراد هلاكه من الزبيديين، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتص منه وأهانته، وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز، واشتهر أمره وبُعد صيته، ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله ﷺ فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساويه ولا يساويه، ولكن الدولة الزيدية كانت كلها تناوئه.

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك

له: إن القوم أرادوا قتلك فقال: ويحك إني بهم لرفيق. فما بالهم؟ وقال شريك لمسلم: ما منك أن تخرج فتقتله؟ قال: حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال «الإيمان ضد الفتنك، لا يفتك مؤمن» [مسند أحمد: ١/١٦٦] وكرهت أن أقتله في بيتك، فقال: أما لو قتله جلست في القصر لم يستعد منه أحد ولنكتفين أمر البصرة، ولو قتله لقتلت ظالما فاجرا، ومات شريك بعد ثلاث.

ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم فأغلق باب القصر وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي، فقال له عبيد الله: افتح لأنتحت، ففتح وهو يظنه الحسين، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده، ودخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد ولاني أمركم ونفركم وفياكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدة على مريبكم وعاصيكم، وإما أنا تمثل فيكم أمره ومنفذ عهده، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق، وإما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نقي وأسقطت عراقته من الديوان - وكان هاتئ أحد الأمراء الكبار - ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم وغامض، فذكره عبيد الله وقال: ما بال هاتئ لم يأتني مع الأمراء؟ فقالوا: أيها الأمير إنه يشتكي، فقال: قد بلغني إنه يجلس على باب داره. وزعم بعضهم أنه عاده قبل شريك بن الأعور ومسلم بن عقيل عنده، وقد هموا بقتله فلم يمكنهم هاتئ لكونه في داره، فجاء الأمراء إلى هاتئ بن عروة فلم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله بن زياد، فالتفت عبيد الله إلى القاضي شريح فقال متمثلاً بقول الشاعر:

أريد حياتي ويؤيد قلسي - عنبرك من خليلك من مراد

فلما سلم هاتئ على عبيد الله قال: يا هاتئ أين مسلم بن عقيل؟ قال: لا أدري، فقام ذلك المولى التيمي الذي دخل دار هاتئ في صورة قاصد من حصص فبايع في داره ودفع الدراهم بمضرة هاتئ إلى مسلم، فقال: أتعرف هنا؟ قال: نعم! فلما رآه هاتئ قطع به وأسقط في يده، فقال: أصلى الله الأمير، والله ما دعوتني إلى منزلي، ولكنه جاء فطرح نفسه علي، فقال عبيد الله: فأتني به، فقال: والله لو كان تحت قلبي ما رفعتما عنه، فقال: أدنوه مني، فأذنوه فضر به بحربة على وجهه فشجه على حاجبه وكسر أنفه، وتناول هاتئ سيف شرطي ليسله فلذع عن ذلك، وقال عبيد الله: قد أحل الله لي دمك، لأنك حروري، ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قومه من بني مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل، فسمع عبيد الله لهم جلبة، فقال لشريح القاضي وهو عنده: اخرج إليهم فقل لهم: إن الأمير لم يجبه إلا لیساله عن مسلم بن عقيل، فقال لهم: إن صاحبكم حي وقد ضربه سلطانا ضرباً لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلوا بأنفسكم ولا بصاحبكم. فنفروا إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن الحارث بن نوفل براية حمراء فرتهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمر هاتئ ويحذرهم من الاختلاف، وأشرف الناس وأمرأهم تحت منبره، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله

سرجون مولى يزيد بن معاوية، وكان يزيد يستشير، فقال سرجون: أكنس قبلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً؟ قال: نعم! قال: فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فوله إياها. وكان يزيد يغيض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن البصرة، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به ويغيره.

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فطلب مسلم بن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو اتفه. وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها دخلها مثلثا بعمامة سوداء، فجعل لا يمر بملاً من الناس إلا قال: سلام عليكم. فيقولون: وعليك السلام مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه - وتكاثر الناس عليه، ودخلها في سبعة عشر ركباً، فقال لهم مسلم بن عمرو الذي من جهة يزيد: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد. فلما علموا ذلك علتهم كآبة وحزن شديد، فتحقق عبيد الله الخبر، ونزل قصر الإمارة من الكوفة.

ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم، فأغلق باب القصر، قال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي. فقال له عبيد الله: افتح لا فتحت. ففتح وهو يظنه الحسين، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده، ودخل [١٨١/٦] عبيد الله إلى قصر الإمارة، وأمر منادياً فنادى: إن الصلاة جامعة. فاجتمع الناس، فخرج إليهم، فحمد الله وأثنى عليه، قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين، أصلحه الله ولاني ومصركم ونفركم وفيكم وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا أمثل فيكم أمره ومنفذ عهده. ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الحزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق، وإما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نقي وأسقطت عراقته من الديوان.

فلما استقر أمره أرسل مولى لبني تميم - وقيل كان مولى له يقال له معقل - ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص، وأنه إنما جاء هذه البيعة، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها، وهي دار هاتئ بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياماً حتى أطلع على جلية أمرهم، فدفع المال إلى أبي ثمامة الصائلي بأمر مسلم بن عقيل - وكان هو الذي يقض ما يؤتى به من الأموال ويشترى السلاح - وكان من فرسان العرب، فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها، وقد تحول مسلم بن عقيل بن دار هاتئ بن عروة المرادي، ثم إلى دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته، فبعث إلى هاتئ يقول له: أبعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقبل عبيد الله إذا جاء يعودني، فبعثه إليه فقال له شريك: كن أنت في الخياء، فإذا جلس عبيد الله فإني أطلب الماء وهي إشارتي إليك، فاخرج فاقتله، فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هاتئ بن عروة، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران، فتحدثت عنده ساعة ثم قال شريك: اسقوني ماءً، فتجن مسلم عن قتله، وخرجت جارية بكوز من ماء فوجدت مسلماً في الخياء فاستحييت ورجعت. قالها ثلاثاً، ثم قال: اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي أحموني من الماء؟ ففهم مهران الغدر فغمز مولاة فنهض سريعا وخرج، فقال شريك: أيها الأمير إني أريد أن أوصي إليك، فقال: ساعدك إليك! فخرج به مولاة فأنهجه، وجعل يطرد به يقول

وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال بعض من حوله: إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبيك إذا نزل به هذا، فقال: أما والله لبيك أبكي على نفسي، ولكن أبكي على الحسين، وأك الحسين، إنه قد خرج إليكم اليوم أو غداً من مكة، ثم التفت إلى عمه بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل. فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع فلم يصدق الرسول في ذلك، وقال: كل ما حم واقع.

قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة عن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد، ومسلم غضب بالدماء وجهه وثيابه مشخن بالجراح، في غاية العطش، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك: والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم، فقال له: ويلك يا ابن باهلة، أنت أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني، ثم جلس متسانداً إلى الحائط من التعب والكلال والعطش، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع من كثرة الدماء التي تعلو على الماء مرتين أو ثلاثاً، فلما شرب سقطت ثيابه مع الماء فقال: الحمد لله لقد كان لي من الرزق المقسوم شربة ماء، ثم أدخل على ابن زياد، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه، فقال له الحرسي: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: لا! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه، وإن لم يرد قتلي فأسلم عليه كثيراً، فأقبل ابن زياد عليه فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم وأحلته لتشتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على بعض؟ قال: كلا لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أبك قتل خيارهم وسفك دماهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيانهم لأنام بالعدل وتدعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت ذاك يا فاسق؟ أو لم تكن تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت قلت بغير علم، وأنت أحق بذلك مني، فإني لست كما ذكرت، وإن أولى بها مني من يبلغ في دماء المسلمين ولعناً، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظن، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً. فقال له ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تخيك ما حال الله دونك ودونه، ولم يرك أهله، قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. قال: الحمد لله علي كل حال، رضي الله بحكماء بيننا وبينكم. قال: كأنك تنظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين. قال له: قتلي الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس. قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك لا تدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن آبائكم وجهالك، وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسينا وعلياً، ومسلم ساكت لا يكلمه.

ذكره ابن جرير (٣٧٧/٥: ٣٧٧) عن أبي مخنف وغيره من رواة الشيعة. ثم قال له ابن زياد: إني قتلتك. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي، قال: أوص. فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص. فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهو سر، فإني أن يقوم معي حتى أذن له ابن زياد، فقام فتحنى قريباً من ابن زياد فقال له مسلم: إن علي ديناً في الكوفة سبعمئة درهم فاقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابتعث إلى الحسين، فإني قد كتبت

فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب، فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهندوهم ووعودهم وتعودوهم وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجمي إلى ابنها وأخيها وتقول: أرجع الناس يكتفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنك غداً بجند الشام قد أقبلت فماذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصروا وتصرفوا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل فما أسى إلا وهو في خمسمئة نفس، ثم بقي في ثلاثمئة ثم لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً، فصلى بهم المغرب وقصد أبواب كتنة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يبله على الطريق، ولا من يواسيه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله.

فللهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فتزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة، كانت أم ولد للأشعث بن قيس، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره، فقال لها مسلم بن عقيل: اسقي ماء فسقته، ثم دخلت وخرجت فوجدته، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى! قالت: فاذهب إلى أهلِكَ فسكت، فقالت له ذلك ثلاثاً وهو ساكت، فقالت: سبحان الله يا عبد الله! قم إلى أهلِكَ عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك، فقام فقال: يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعرّوف وفعل تكافئك به بعد اليوم؟ فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبتني هؤلاء القوم وغرّوني، فقالت: أنت مسلم؟ قال: نعم! قالت ادخل! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتشرب، فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرأها تكثر الدخول والخروج، فسألها عن شأنها فقالت: يا بني أله عن هذا، فآلح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً، فأخبرته خبر مسلم، فاضطجع وسكت إلى الصباح ساكناً لا يتكلم.

وأما عبيد الله بن زياد فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد العشاء الأخيرة فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع، ثم خطبها وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث على طلبه، ومن وجد عنده ولم يعلم به فدعه هدر، ومن جاء به فله دينه، وطلب الشرط وحرضهم على طلبه وتهندهم وتوعدهم.

فلما أصبح ابن تلك المعجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم، فجاء عبد الرحمن فسار أباه بذلك وهو عند ابن زياد: فقال ابن زياد: ما سارك به؟ فقال: أخبرني أن مسلماً في بعض دورنا، فنحن بقبضه في جنبه وقال: قم فإني به الساعة. وبعث ابن زياد عمرو بن حريث المخزومي - وكان صاحب شرطته - ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات، وأصيبت شفته العليا والسفلى، ثم جعلوا يرمونهم بالحجارة ويلهبون النار في أطشاب القصب ويلقونها عليه، فضاق بهم ذرعاً، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وجاؤوا ببغلة فأركبوا عليها وسلبوا منه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئاً، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول، فبش من نفسه،

تقدم.

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن أبي جحيفة قال: كان خرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، وقيل: يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة، وذلك يوم عرفة سنة ستين، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة، وخرج منها لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية.

صفة مخرج الحسين وما جرى بعد ذلك

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسائل بينهم وبينه، وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله، ثم وقع في غبون ذلك ما وقع من مقتل مسلم بن عقيل، والحسين لا يعلم بشيء من ذلك، بل قد عزم على السير إليهم والقيد عليهم، فاتفق خروجه من مكة يوم التروية قبل مقتل مسلم بن عقيل بيوم واحد - فإن مسلماً قتل يوم عرفة - ولما استشر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم.

قال سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طائوس عن ابن عباس: قال: استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت: لو لا أن يزري بي وك لثبثت يدي في راسك، فكان رد علي أن قال: لأن أقتل في مكان كذا وكذا أحب إلي من أن أقتل بمكة. قال: فكان هذا الذي سلى نفسي عنه.

وروي أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سميعة: أن حسيناً لما أجمع السير إلى الكوفة أتاه عبد الله ابن عباس فقال: يا ابن عم إنه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فينبى لي ما أنت صانع؟ فقال: إني قد أجمعت السير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم وتفرأ عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم عليهم، قاهراً لهم، وعماله نجى بلادهم، فأنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن يستفروا إليك الناس، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك. فقال الحسين: إني استخير الله وأنظر ما يكون.

فخرج ابن عباس عنه، ودخل ابن الزبير فقال له: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم ونحن أبناء المهاجرين، وولاء هذا الأمر دونهم، أخبرني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب لي شيعي بها وأشراف أهلها، واستخير الله. فقال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت عنها. فلما خرج من عنده قال الحسين: قد علم أنه ليس له من الأمر شيء، وأن الناس لم يعدلوه بشيء، فود أني خرجت لتخلو له.

فلما كان من العشي أو من الغد، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له: يا ابن عم! إني أنصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه المهلك، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم، وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعاباً،

إليه أن الناس منه، ولا أراه إلا مقبلاً، فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز له ذلك كله، وقال: وأما الحسين فإنه إن لم يردنا لا نرده، وإن أردنا لا تكف عنه، ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل فاصعد إلى أعلى القصر وهو يكبر ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرورنا وخذلونا، ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير بن حران، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر، واتبع رأسه بجسده. ثم أمر بهائيه بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكتاسة، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة - ويقال: إنها الفرزدق

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاتين في السرق وابن عقيل
أصابهما أمر الإمام فأصبحا أحاديث من يسمي بكل سليل
إلى بطل قد شتم سيف وجهه وآخراً يهوي من طمار تليل
تري جسداً قد غير الموت لوناً ونضج دم قد سال كل سليل
فإن أنتم لم تشاروا بأعيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل
ثم بعث برؤسهما إلى يزيد بن معاوية إلى الشام وكتب له كتاباً بصورة ما وقع من أمرهما.

وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة يوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذروهم وأندروهم من الاختلاف والفتنة والضرر. وذلك لما رآه هشام بن الكلبي وأبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن أبي عثمان النهدي (تابع الطبري: ٣٥٧/٥).

قال: بعث الحسين مع مولى له يقال له سليمان كتاباً إلى أشرف أهل البصرة فيه:

أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمته بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قوماً بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحبينا العاقبة، ونحن نعلم أننا أحق بذلك الحق المستحق علينا من تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، ونحرموا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعث إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميت، وإن البعثة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله.

وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر، والظاهر أنه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة.

قال: فكل من قرأ ذلك من الأشراف كتمه إلا المنذر بن الجارود فإنه ظن أنه دمية من ابن زياد فجاه به إليه، فبعث خلف الرسول الذي جاء به ف ضرب عنقه، وصعد عبيد الله بن زياد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فوالله ما بي تفرق الصعبة، وما يقمع في الشنان، وإني ليكنل لمن عاداني، وسيمام لمن حاربي، أنصف القارة من رامها، يا أهل البصرة إن أمير المؤمنين ولأبي الكوفة وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، ولإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتله وعريته ووليه، ولأخذن الأذن بالأقصى، حتى تستقيموا لي، ولا يكن فيكم خالف ولا مشاق، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطى الحصى، ولم يتزعجني شبه خال ولا عم. ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي فكان من أمره ما

ولأيك به شعبة، وكن عن الناس في معزل، واكسب إليهم ويث دعائك فيهم، فإني أرجو إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب. فقال الحسين: يا ابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له: فإن كنت ولا بد سائراً فلا تسر بناشك وصييتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونسائه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس: أقروا عن ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس اطعني وأقمت لفعلت ذلك. قال: ثم خرج من عنده فلقى ابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير؟

بإلك من قنبرة بمعسر خلا لك الجو فيضي واصفري ونفري ما شئت أن تقري

ثم قال ابن عباس: هنا حين يخرج إلى العراق ويخيلك والحجاز.

وقال غير واحد عن شبابة بن سوار. قال: حدثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي قال: سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بماء له، فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال له: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه طوامير وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتهم، فأبى. فقال ابن عمر: إني محدثك حديثاً، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنكم تفضن من رسول الله، والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرنا الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع. قال: فاعتقه ابن عمر ويكى وقال: استودعك الله من قتل.

وقال يحيى بن معين: حدثنا أبو عبيدة حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا. قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: عجل حسين قدره، عجل حسين قدره، وإله لو أدركته ما كان ليخرج إلا أن يغلبني، ببني هاشم فتح، وبني هاشم ختم؛ فإذا رأيت الهاشمي قد ملك فقد ذهب الزمان. قلت: وهذا مع حديث ابن عمر يدل على أن الفاطميين أدهبوا، لم يكونوا من سلالة فاطمة كما زعموا، وإنما كانوا كذبة فيما ادَّعوه، كما نص عليه غير واحد من الأئمة على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحيمدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن شريك عن بشر بن غالب. قال قال ابن الزبير للحسين: أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ فقال: لأن أقتل بمكان كنا وكنا أحب إلي من أن تستحل بي - يعني مكة -

وقال الزبير بن بكار: حدثني عمي مصعب بن عبد الله أخبرني من سمع هشام بن يوسف يقول عن معمر قال: سمعت رجلاً يحدث عن الحسين بن علي، قال: سمعته يقول لعبد الله بن الزبير: أتني بيعة أربعين ألفاً يخلفون بالطلاق والعناق من أهل الكوفة، أو من أهل العراق، فقال له ابن الزبير: أنتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟ قال هشام: فسألت معمر عن الرجل فقال: هو ثقة.

قال الزبير: وقال عمي: وزعم بعض الناس أن ابن عباس هو الذي قال هذا.

وقد ساق محمد بن سعد كاتب الواقدي هذا سيقافاً حسناً مبسوطاً. فقال: أتينا علي بن محمد عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه، وعن لوط بن يحيى الغامدي عن محمد بن نضر المديني وغيره، وعن محمد بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير، وعن هارون بن عيسى عن يونس بن

أبي إسحاق عن أبيه، وعن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مجالد عن الشعبي. قال محمد بن سعد: وغير هؤلاء قد حدثني أيضاً في هذا الحديث بطائفة فكبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

قالوا: لما بايع الناس معاوية ليزيد كان الحسين ممن لم يبايع له، وكان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحسين فأخبره بما عرضوا عليه، وقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويُشيطوا دماءنا، فأقام حسين على ما هو عليه من العموم، مرة يريد أن يسير إليهم، ومرة يجمع الإقامة، فجاءه أبو سعيد الخدري فقال: يا أبا عبد الله إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه كاتبك قوم من شيعتك بالكوفة يدعوك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما بلوت منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف.

قال: وقدم المسبب بن نجيبة الفزازي في علة معه إلى الحسين بعد وفاة الحسن، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا: قد علمنا أباك وراي أخيك، فقال: إني لأرجو أن يعطيني الله أخي على نيته في حبه الكتب، وأن يعطيني على نيتي في حبي جهاد الظالمين.

وكتب مروان إلى معاوية: إنني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظن يومكم من حسين طويلاً. فكتب معاوية إلى الحسين: إن من أعطى الله صفقة بينه وعهده جليل بالوفاء، وقد أثبت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوا إلى الشقاق وأهل العراق من قد جرت قد أفسدوا على أهلك وأخيك، فاتق الله واذكر الميثاق، فإنك متى تكلمني أنكك. فكتب إليه الحسين: أثنائي كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك عمارية ولا علك خلافاً، وما أظن لي عند الله عنراً في ترك جهادك، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة، فقال معاوية: إن أثرتنا بأبي عبد الله إلا أسداً.

وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه: إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك. قالوا: فلما احتضر معاوية دعا يزيد فأوصاه بما أوصاه به، وقال له: انظر حسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله، فإنه أحب الناس إلى الناس، فصل رحمه، وارفق به، يصلح لك أمره، فإن يكن منه شيء فإني أرجو أن يكتفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه.

وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين، وبايع الناس يزيد فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري عامر بن لؤي، إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وأبدأ بوجه قریش، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي، فإن أمير المؤمنين عهد لي في أمره الرفق به واستصلاحه.

فبعث الوليد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية، ودعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس، ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير وهو يقول: هو يزيد الذي نعرف، والله ما حدث له حزم ولا مروءة.

وقد كان الوليد أغلظ للحسين فقتله الحسين وأخذ بعمامة فترصها من رأسه، فقال الوليد: إن هجتنا بأبي عبد الله إلا أسداً. فقال له مروان - أو بعض جلسائه - : اقله، فقال: إن ذلك لدم مقنون به في بني عبد مناف.

فأذكرك الله في نفسك. فقال. جزاك الله يا ابن عم خيراً، مهما يقض الله من أمر يكن. فقال أبو بكر: إنا لله عند الله، نحتسب أبا عبد الله.

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل الكوفة ويناشده الله إن يشخص إليهم. فكتب إليه الحسين: إني رأيت رؤيا، ورأيت رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماض له، ولست بمخير بها أحداً حتى الآتي عملي.

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين: إني أسأل الله أن يهلك رشلك، وأن يصرفك عما يردك، بلغني أنك قد عزمت على الشخصوخ إلى العراق، وإني أعينك الله من الشقاق، فإن كنت خائفاً فاقبل إلي، فلك عندي الأمان والبر والصلة.

فكتب إليه الحسين: إن كنت أردت بكتابك بري وصلي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، وإن لم يشاق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال: إني من المسلمين، وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن بالله من لم يخف في الدنيا، فنسأل الله غفلة في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده.

قالوا: وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يحذره بخروج الحسين إلى مكة، ويحسبه قد جاءه رجال من أهل هذا المشرق فممنوه بالخلافة، وعندهم خبره وتجربة، فإن كان قد فعل فقد قطع واشج القربة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكفك عن السعي في الفرقة. وكتب بهذه الآيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش: -

يا أيها الراكب المادي لطيفه على عنافرة في سيرها نحم
أبلغ قريشاً على ناي المزار بها بيني وبين حين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشد عهد الإله وما توفى به اللهم
عنيتم قومكم فخراً بأمكم أم لمعري حصان برة كسر
هي التي لا يلبثي فضلها أحد بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضل وغيركم من قومكم لهم في فضلها قم
إنسي لأعلم أو ظنا كماله والظن يصدق أحياناً فينظم
أن سوف يترككم ما تدعون بها قتلها فهاكم العقبان والرخم
ياقوما لا تشبوا الحرب إذ سكنت وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
قد غرث الحرب من قد كان فيكم من القرون وقد بادت بها الأم
فأصفا قومكم لا تهلكوا بذيخاً قرب ذي بذخ زلت به القدم
قال: فكتب إليه ابن عباس: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفي به النائرة.

ودخل عبد الله بن عباس على الحسين فكلمه ليلاً طويلاً وقال له: أئندك أن تهلك غداً بحال مضية لا تأتي العراق، وإن كنت لا بد فاعلا فاقم حتى يقضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدر، ثم ترى رأيك، وذلك في عشر ذي الحجة. فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق، فقال له ابن عباس: والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نساك ونسائك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فقال: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت، فقال له ابن عباس: لولا أن يزري ذلك بي أو بك لنشيت يدي في راسك، ولو أعلم أنا إذا تناصنا أمت لقتلت، ولكن لا إخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تستحل بي، يعني

قالوا: وخرج الحسين وابن الزبير من ليلتهما إلى مكة، وأصبح الناس فغدوا على البيعة لزيد، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدوا، فقال المسور بن مخرمة: عجل الحسين وابن الزبير لفته وزيجه إلى العراق ليخلصوا بمكة، فقدموا مكة فنزل الحسين دار العباس، ولزم ابن الزبير الحجر، ولبس المعافري وجعل يمرض الناس على بني أمية، وكان يندو ويروح إلى الحسين ويشير عليه أن يقدم العراق، ويقول: هم شيعتك وشيعة أبيك، فكان عبد الله بن عباس ينهه عن ذلك ويقول: لا تفعل، وقال له عبد الله بن مطيع: إني فداؤك وأبي وأمي، فامتنع بنفسك ولا تسر إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم لينخلوننا عبيداً وخولا. قالوا: ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العمرة فقال لهما ابن عمر: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتظنرا فإن اجتمع الناس عليه فلم تشدا، وإن افترقا عليه كان الذي تريدان. وقال ابن عمر للحسين: لا تخرج فإن رسول الله ﷺ خير الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه ولاتناله - يعني الدنيا - واعتقه ويكي وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير.

وقال له ابن عباس: أين تريد يا ابن فاطمة؟ فقال: العراق وشيعي، فقال: إني لكراً لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطاً وملاحة هم؟ أذكرك الله أن تغر بنفسك.

وقال أبو سعيد الخدري: غلبني الحسين بن علي على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك والزيم بيتك ولا تخرج على إمامك.

وقال أبو واقد الليثي: بلغني خروج الحسين بن علي فأدركه بلبل فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما خرج يقتل نفسه، فقال: لا أرجع.

وقال جابر بن عبد الله: كلمت حسيناً فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حدثت ما صنعت. فقصاني.

وقال سعيد بن المسيب: لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، ولكن شجعه على ذلك ابن الزبير.

وكتب إليه المسور بن مخرمة: إياك أن تغر بكتب أهل العراق ويقول ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك، إياك أن تبرح الحرم فإنهم إن كانت لهم بك حاجة فيضربون إليك أبواب الإبل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة. فجزاه خيراً وقال: استخير الله في ذلك.

وكتب إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمرة بالطاعة ولزوم الجماعة، وتجهره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد سمعت عائشة تقول أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل الحسين بأرض بابل» فلما قرأ كتابها قال: فلا بد لي إذا من مصرعي ومضى.

وأما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: يا ابن عم، إن الرحم نظرني عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك، قال: يا أبا بكر، ما أنت عن يستغش ولا يهيم، قل، قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بابيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه عن ينصره،

مكة. قال: فبكى ابن عباس وقال: أقروا عين ابن الزبير بذلك، وذلك الذي سلا نفسي عنه.

قال: ثم خرج ابن عباس عنه وهو مغضب وابن الزبير على الباب، فلما رآه قال: يا ابن الزبير قد أتى ما أحبت، قرت عينك، هذا أبو عبد الله خارج ويتركك والحجاز، ثم قال:

يا لئلا من قسرة بمعمر خلا لك الجو نيفضي واصفري
ونفري ما شئت أن تقصري

قال: وبعث الحسين إلى المدينة فقدم عليه من خف من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم، وتبعهم محمد بن الحنفية، فادرك حسيباً بمكة فاعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد بن الحنفية ولده فلم يبعث معه أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد، وقال: ترغب بولئك عن موضع أصاب فيه؟ فقال محمد: وما حاجتي إلى أن تصاب ويصابون معك؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم؟ قالوا: وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكاتب يدعونه إليهم، فخرج متوجهاً إليهم في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة صحبه، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة، ستة ستين، فكتب مروان إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة. وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وبالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره، والسلام.

وكتب إليه عمرو بن سميد بن العاص: أما بعد فقد توجه إليك الحسين، وفي مثلها تمت أو تكون عبداً تسترق كما يسترق العبيد.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه. قال: كتب يزيد إلى ابن زياد: إنه قد بلغني أن حسيباً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان وابتليت به أنت من بين العمال، وعندها تمت أو تعود عبداً كما تعبد العبيد، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه.

قلت: والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتي، وفي رواية [تاريخ الطبري: ٣٨١/٥] أن يزيد كتب إلى ابن زياد: قد بلغني أن الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالج، واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من خبر والسلام.

وقال الزبير بن بكار: وحدثني محمد بن الضحاك قال: خرج الحسين من مكة إلى العراق، فلما مر بباب المسجد الحرام وقال:

لا دعرت السوام في فلق الصباح
مغنياً ولا دعيتُ يزيداً
يوم أعطى خافئة الموت ضيقاً
والثاميا ترصنني أن أحيداً

وقال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيى بن أبي حنيفة عن عدي بن حرمة الأسدي عن عبد الله بن سليم والمُدْرِي بن المشمعل الأسديين قالوا: خرجنا حاجين من الكوفة حتى قدمنا مكة فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين وابن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب، فسمعت ابن الزبير وهو يقول للحسين: إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الأمر فأزورك وساعدناك ونصحتك لك وباعتناك؟ فقال الحسين: إن أبي

حدثني أن لما كبشاً يستحل خُرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش. فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وولي أنا الأمر فطاع ولا تعصى، فقال: وما أريد هذا أيضاً، قالوا: ثم إنهما أخفيا كلامهما دوناً، فما زالا يتناجيان حتى سمعا دُعاة الناس متوجهين إلى منى عند الظهر، قالوا: فطاف الحسين بالبيت وبين الصفا والمروة، وقصر من شعره، وحل من عمرته، ثم توجه نحو الكوفة وتوجهنا نحن مع الناس إلى منى.

وقال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب الوالي عن عقبة بن سمعان. قال: لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد يعني نائب مكة عليهم أخوه يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف أين تذهب؟ فأبى عليهم ومضى، وتنازع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن حسيباً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين على وجهه، فناداه: يا حسين ألا تبقى الله؟ فخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة؟ قال: فتأول الحسين قوله تعالى ﴿فلي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ [يونس: ٤١].

قال: ثم إن الحسين مر بالتعظيم فلقى بها عيراً قد بعث بها بحير بن ريسان الحميري نائب اليمن قد أرسلها من اليمن إلى يزيد بن معاوية، عليها روس وحلل كثيرة، فأخذها الحسين وانطلق بها، واستاجر أصحاب الجمال عليها إلى الكوفة، ودفع إليهم أجرتهم.

ثم ساق أبو مخنف بإسناده الأول أن الفرزدق لقي الحسين في الطريق فسلم عليه وقال له: أعطاك الله سؤلوك وأملك فيما تحب. فسأله الحسين عن أمر الناس وما وراءه فقال له: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء. فقال له: صدقت، لله الأمر، يفعل ما يشاء، وكل يوم رينا في شأن، إن نزل القضاء بما تحب فنحمد الله على نعماته، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يَعتَزْ من كان الحق نيته، والتقوى سريره، ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليكم. ثم افتراقا.

وقال هشام بن الكلبي عن عروانة بن الحكم عن لَبْط بن الفرزدق عن أبيه. قال: حججت بأبي، فبينما أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم في أيام الحج، وذلك سنة ستين، إذ لقيت الحسين خارجاً من مكة معه أسيافه وأتراسه، فقلت له: بأبي وأمي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت، ثم سألتني: ممن أنت؟ فقلت: امرؤ من العراق، فسألتني عن الناس. فذكر نحو ما تقدم.

ثم ذكر الفرزدق اجتماعه بعبد الله بن عمرو وقوله له: إن الحسين لا يحبك فيه السلاح. فندم الفرزدق أن لا يكون تابع الحسين، فلما بلغه قتله جعل يتذكر قول عبد الله بن عمرو: لا يجبل فيه السلاح. ولم يفهم عنه، إنما أراد أن السلاح لا يضره في آخرته؛ وكذا قال بعض السلف، ذكره ابن عساکر، [تاريخ الطبري: ٢١٢/١٤، ٢١٣]. وفي هذا نظر، والله أعلم، وقيل: غير ذلك وقيل: أراد المزمل بالفرزدق. قالوا: ثم سار الحسين لا يلوي على شيء حتى نزل ذات عرق.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالي عن علي بن الحسين بن علي قال: لما خرجنا من مكة كتب عبد الله بن جعفر إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد: أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي هذا، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك إن هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في إثرك يا

والسلام.

ثم نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد نائب مكة فقال: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتحميه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال له عمرو: اكتب عني ما شئت وأتني به حتى أختمه. فكتب ابن أبي جعفر عن عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فخطه بخطه، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد: ابعث معي أخاك، فبعث معه أخاه يحيى، فانصرفا حتى لحقا الحسين فقرأ عليه الكتاب فابى أن يرجع وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أمرني بأمر وأنا ماض له، فقالا: ما تلك الرؤيا؟ فقال: ما حدثت بها أحداً ولا أحدثه حتى ألقى ربي عز وجل.

قال أبو غنف: وحديثي محمد بن قيس أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن ذي الرمة، بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أهد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاني غيبرني فيه بحسن رايكم واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بمقتنا، فسأل الله أن يحسن لنا الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فامشوا أمركم وجداً فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: وكان كتاب مسلم إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة، ومضمونه: أما بعد فإن الرائد لا يكتب أهله، وإن جمع أهل الكوفة معك، فاقبل حين تقرأ كتابي هذا والسلام عليك.

قال: وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة، يكتب الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحسين بن عمر فبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقال له ابن زياد: اصعد إلى أعلى القصر فاسبب الكذاب ابن الكذاب فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم، وقد فارقه بالحاجر من بطن الرثمة فاجيئوه. ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي والحسين. فأمر به ابن زياد فألقي من رأس القصر فتقطع، ويقال: بل تكسرت عظامه وبقي فيه بقية ومق، فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فذهبه، وقال: إنما أردت إراحته من الألم، وقيل: إنه رجل يشبه عبد الملك بن عمير وليس به.

وفي رواية أن الذي قدم بكتاب الحسين إنما هو عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاعة، فالقي من أعلى القصر والله أعلم.

ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة ولا يعلم شيء مما وقع في الأخبار. قال أبو غنف عن أبي علي الأنصاري: عن بكر بن مصعب المزني. قال: وكان الحسين لا يمر بماء من مياه العرب إلا اتبعوه.

قال: قال أبو غنف عن أبي جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمؤدري بن المشعل الأسديين قالا: لما قضينا حجتنا لم يكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين، فذكر أنهما اتبعا فأدركاه وقد مر برجل من بني أسد فهم الحسين أن يكلمه ويسأله فترك ذلك، فجثا ذلك فسألناه عن أخبار الناس، فقال: والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل

وهانيء بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق، قالا: فلاحقنا الحسين فأخبرناه فجعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ مراراً. فقلنا له: الله الله في نفسك. فقال: لا خير في العيش بعدهما. فقلنا: خسار الله لك. وقال له بعض أصحابه: والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرح.

وقال غيرهما: لما سمع أصحاب الحسين بمقتل مسلم بن عقيل، وثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب وقالوا: لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخوانا. فسار الحسين حتى إذا كان بزورود بلغه خبر مقتل الذي بعث بكتابه إلى أهل الكوفة بعد أن خرج من مكة ووصل إلى حاجر، فقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف عن غير حرج عليه، وليس عليه منا ضمان، قال: فضرق الناس عنه أيادي سبا ميمناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة، وإنما فعل ذلك لأنه ظن أن من اتبعه من الأعراب إنما اتبعوه لأنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهلها، فكره أن يسيروا معه وهم يعلمون على ما يقدمون، وقد علم أنه إذا بين لهم الأمر لم يصحبه إلا من يريد مواساته في الموت معه قال: فلما كان السحر أمر قتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا منه، ثم سار حتى مر ببطن العقبة فترل بها.

وقال محمد بن سعد: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جعفر بن سليمان عن يزيد الرشك قال: حدثني من شافه الحسين قال: رأيت أبنية مضرية بفلاة من الأرض فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه حسين قال: فأثيته فإذا شيخ يقرأ القرآن والدموع تسيل على خديه ولحيته، قال: قلت: بأبي وأمي يا ابن رسول الله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد؟ فقال: هذه كتب أهل الكوفة إلي ولا أراهم إلا قاتلي، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا الله حرمة إلا انتهكوها، فسلط الله عليهم من يلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة؛ يعني مقتنتها.

وأخبرنا علي بن محمد عن الحسن بن دينار عن معاوية بن قرة، قال: قال الحسين: والله ليتدن علي كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت. وحدثنا علي بن محمد عن جعفر بن سليمان الضبعي. قال: قال الحسين: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة. فقتل بنيوي يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان حدثنا شهاب بن خراش عن رجل من قومه: قال: كنت في الجيش الذين بعثهم ابن زياد إلى الحسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون قتال النبلهم، فصرهم عبد الله إلى الحسين، فقلت حيناً فرأيت أسود الرأس واللحية، فقلت له: السلام عليك أبا عبد الله، فقال: وعليك السلام وكانت فيه غنة فقال: لقد باتت فينا سلة منذ الليلة يعني سرق. قال شهاب: فحدثت به زيد بن علي فأعجبه وكانت فيه غنة. قال سفيان بن عيينة: وهي في الحسينين.

قال أبو غنف عن بعض أصحابه، عن أبي خالد الكاهلي: قال: لما صحبت الخيل الحسين بن علي رفع يديه فقال: اللهم أنت تفتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزلتة وعدة، فكمن هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويغفل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزله بك وشكوته إليك، رغبة فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتني، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومتهمي كل غاية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن بعض مشيخته. قال: قال الحسين حين نزلوا كربلاء: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. قال: كرب وبلاء.

وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بقاتلهم، فقال الحسين: يا عمر اختر مني إحدى ثلاث خصال، إما أن تتركني أرجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فاقاتلهم حتى أموت. فأرسل إلى ابن زياد بذلك، فهم أن يسيره إلى يزيد، فقال شمر بن ذي الجوشن: لا إلا أن يتزل على حكمك، فأرسل إليه بذلك فقال الحسين: والله لا أفعل، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن: وقال له: إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقته وكن أنت مكانه، فقد وليك الإمرة، وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة، فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً فتحولوا مع الحسين فقاتلوا معه.

وقال أبو زرعة (٢١٦هـ/٢٢٦): حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن حصين. قال: أدركت ذاك مقتل الحسين قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: فرأيت الحسين وعليه جبة بيروم ورواه رجل يقال له عمرو بن خالد الطهوي بسهم، فنظرت إلى السهم معلقا بجبهته.

وقال ابن جرير (٢١٦هـ/٣٩٢): حدثنا محمد بن همام الرازي حدثني سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة: إن معك مائة ألف. فبعث إليهم مسلم بن عقيل فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم.

قال حصين: فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج، وأقبل الحسين ولا يشعر بشيء. حتى أتى الأعراب فسلمهم عن الناس فقالوا: والله لا ندرى، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج، قال: فأتوا يسير نحو يزيد بن معاوية، فلقته الخيول بكربلاء فنزل يناشدهم الله والإسلام، قال: وكان بعث إليه ابن زياد عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن نمير، فنادىهم الحسين الله والإسلام أن يسيره إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فقالوا له: لا إلا على حكم ابن زياد، وكان في جملة من بعثهم إليه الحر بن يزيد الخططي ثم النهشلي على خيبل، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم، والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوهم فأبوا إلا حكم ابن زياد؟ فغضب الحزب وجه فرسه وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كر على أصحاب ابن زياد فقاتلهم فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله.

وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجباً فأقبل معه، وخرج إليه ابن أبي بحرية المرادي ورجلان آخران، وهما عمرو بن الحجاج ومنع السلمي. قال الحصين: وقد رأيتها. قال: وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من بيروم، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بني نمير يقال له عمرو الطهوي بسهم، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً بجبهته، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مائة رجل، فيهم لصلب علي خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عم ابن زياد.

وقال حصين: حدثني سعد بن عبيدة قال: إننا لمستقعون في الماء مع

عمر بن سعد إذ أتاه رجل فسأله فقال له: قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك. قال: فوثب إلى فرسه فركبه ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه، ونهض بالناس إليهم فقاتلهم فجاءه برأس الحسين إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيه في الله ويقول: إن أبا عبد الله كان قد شمت. قال: وجيء. بسأته وبناته وأهله قال: وكان أحسن شيء صنعته أن أمر لهم بمزتل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقاً، وأمر لهم بنفقة وكسوة. قال: وانطلقت غلامان منهم لعبد الله بن جعفر أو ابن جعفر فأتيا رجلاً من طيء فلجأ إليه، فغضب اعتاقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهم ابن زياد يضرب عنقه وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أتني يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيته يبكي ويقول: لو كان بينه وبينه رحم ما فعل هذا يعني ابن زياد.

قال الحصين: ولما قتل الحسين لبشوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلتطخ الحوايط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع.

قال أبو غنم: حدثني لؤذان حدثني عكرمة أن أحد عمومته سال الحسين: أين تريد؟ فحدثه، فقال له: أنشدك بالله لا انصرفت راجعاً، فوالله ما بين يديك أحد يذب عنك ولا يقتل معك، وإنما والله أنت قادم على الأستة والسيوف، فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كضوك مؤنة القتال ووطؤوا لك الأشياء، ثم قدمت عليهم بعد ذلك كان ذلك رأياً، فأما على هذه الصفة فإني لا أرى لك أن تعمل. فقال له الحصين: إنه ليس يخفى علي ما قلت وما رأيت، ولكن الله لا يخلب على أمره، ثم ارتحل قاصداً الكوفة. وقال خالد بن سعيد بن العاص:

رب مستصح يمشي ويسردي وظنين بالغيب يلقى نصيحاً

وقد حج بالناس في هذه السنة عمرو بن سعيد بن العاص وكان عامل المدينة ومكة ليزيد، وقد عزل يزيد عن إمرة المدينة الوليد بن عتبة وولاه عمرو بن سعيد بن العاص في شهر رمضان منها وكان عبيد الله بن زياد على البصرة والكوفة.

ثم دخلت سنة إحدى وستين

استهلت هذه السنة والحسين بن علي سائر إلى الكوفة فيما بين مكة والعراق ومعه أصحابه وقرباته، فقتل في يوم عاشوراء من شهر محرم من هذه السنة على المشهور الذي صححه الواقدي وغير واحد، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها والأول أصح.

وهذه صفة مقتله رضي الله عنه مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب

الصريح والبهتان

قال أبو مخنف عن أبي جناب عن عدي بن حرملة عن عبد الله بن سليم والمزدي بن الشمعل الأسدي قال: أقبل الحسين فلما نزل شراف قال لنظماة وقت السحر: استقوا من الماء فاكثروا، ثم ساروا إلى صدر

فلما سمع ذلك الحر منه تحنى عنه وجعل يسير بأصحابه ناحية عنه، فأتوها إلى غيب المجاثات، وكان بها هجائن النعمان ترعى هناك، وإذا سفر أربعة أي أربعة نفر على رواحلهم يتجيبون ويتجيبون فرساً لتافع بن هلال يقال له الكامل قد أقبلوا من الكوفة يقصدون الحسين، ودليلهم رجل يقال له الطرماح بن عدي راكب على فرس، وهو يقول:

يا نائقي لا تدعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر
بغير ركبان وخير سفر حسي نحلبي بكريم النجر
المسجد الحر رحيب الصدر أئسى به الله خير امر
نمت أبقاءه بققاء الدمر

فأراد الحر أن يحول بينهم وبين الحسين فمنعه الحسين من ذلك، فلما خلصوا إليه قال لهم: أخبروني عن الناس وراءكم، فقال له يجمع بين عبد الله العائذي أحد النفر الأربعة: أما أشراف الناس فهم ألب عليك، لأنهم قد عظمت رشوتهم وملكت غرائزهم، يستمك بذلك ودهم ويستخلص به نصيحتهم، وأما سائر الناس فأقنعتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك. قال لهم: فهل لكم برسولي علم؟ قالوا: ومن رسولك؟ قال: قيس بن مسهر الصيداوي. قالوا: نعم أخذنا الحصين بن نمير فيست به إلى ابن زياد فأمره ابن زياد أن يلتمك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه، ودعا الناس إلى نصرتك وأخبرهم بقدمك فأمر به فأتاني من رأس القصر فمات، فترقرت عينا الحسين، وقرأ قوله تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ الآية (الأحزاب: ٢٤): اللهم اجعل منازلهم الجنة، واجمع بيتنا وبينهم في مستقر من رحمتك، وورعاًب مدخور ثوابك.

ثم إن الطرماح بن عدي قال للحسين: أنظر فما أرى معك أحداً إلا هذه الشرذمة اليسيرة، وإني لأرى هؤلاء القوم الذين يسايرونك أكفأ لمن معك، فكيف وظاهر الكوفة ملوّه بالخيل والجيش يعرضون ليقصدوك، فأشدك الله، إن قدرت أن لا أقدم إليهم شبراً إلا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يملك الله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذل قط فأسير معك حتى أتوك القرية، ثم نبعث إلى الرجال من أجا وسلمى من طيء، ثم أقم معنا ما بدا لك، فأتا زعيم بعشرة آلاف طائي يضربون بين يديك بأسياهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف. فقال له الحسين: جزاك الله خيراً. ولم يرجع عما هو بصده، فودعه الطرماح، ومضى الحسين.

فلما كان من الليل أمر فتياه أن يستقوا من الماء كفايتهم، ثم سرى فنفس في مسيره حتى خفق برأسه، واستيقظ وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين. ثم قال: رأيت فارساً على فرس وهو يقول: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنها أنفست نعت إيتا.

فلما طلع الفجر صلى بأصحابه وعجل الركوب ثم تيسر في مسيره حتى انتهى إلى نينوى، فإذا راكب متنبك قوماً قد قدم من الكوفة، فسلم على الحر بن يزيد ولم يسلم على الحسين، ودفع إلى الحر كتاباً من ابن زياد ومضمونه أن يعبد بالحسين في السير إلى العراق في غير قرية ولا حصن، حتى تأتيه رسلة وجنوده، وذلك يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين. فلما كان من الغد قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف، وكان قد جهزه ابن زياد في هؤلاء إلى الدليم، وخيم بظاهر الكوفة، فلما قدم عليهم أمر الحسين قال له: سر إليه، فإذا فرغت منه فسر إلى

النهار فسمع الحسين رجلاً يكبر فقال له: مم كبرت؟ فقال: رأيت النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان لم ير أحد منه نخلة، فقال الحسين: فماذا ترياه رأي؟ فقالوا: هذه الخيل قد أقبلت، فقال الحسين: أما لنا ملجأ نجمله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقالوا: بلى: ذو حسم. فأخذ ذات اليسار إلى ذي حُسم فنزل، وأمر بأبنتيه فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي، وهم مقدمة الجيش الذين بعثهم ابن زياد، حتى وقفوا في مقابلته في غر الظهيرية، والحسين وأصحابه معتمون متقلدون سيوفهم، فأمر الحسين أصحابه أن يترؤوا من الماء ويسقوا خيولهم، وأن يسقوا خيول أعدائهم أيضاً.

وروى (تابع الطبري: ٤٠١/٥-٤١٤) هو وغيره قالوا: لما دخل وقت الظهر أمر الحسن الحاجب بن مسروق الجعفي فأذن ثم خرج الحسين في إزار ورداء وتلعين فخطب الناس من أصحابه وأعدائه واعتلوا إليهم في عيته هذا إلى ههنا، بأنه قد كتب إليه أهل الكوفة أنهم ليس لهم إمام، وإن أنت قدمت علينا بآيبتك وقاتلتنا معك، ثم أقيمت الصلاة فقال الحسين للحر: تريد أن تصلي بأصحابك؟ قال: لا! ولكن صل أنت نصلي نحن وراءك. فصلى بهم الحسين، ثم دخل إلى خيمته واجتمع به أصحابه، وانصرف الحر إلى جيشه وكل على أهتبه، فلما كان وقت العصر صلى بهم الحسين ثم انصرف فخطبهم وحثهم على السمع والطاعة له وخلع من عليهم من الأدعية الساترين بالجور في الرعية. فقال له الحر: إنا لا ندرى ما هذه الكتب، ولا من كتبها، فأحضر الحسين خرجين مملوئين كتباً فقرأها بين يديه وقرأ منها طائفة، فقال الحر: لسا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى تقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال الحسين لأصحابه: اركبوا! فركبوا وركب النساء، فلما أراد الانصراف حال القوم بينه وبين الانصراف، فقال الحسين للحر: كلتك أمك، ما تريد؟ فقال له الحر: أما والله لو غرك بقولها لي من العرب وهو على مثل الحال التي أنت عليها لأقتن منته، ولما تركت ذكر أمه، ولكن لا سبيل إلى ذكر أمك إلا بأحسن ما تقدر عليه، وتناول القوم وتراجعوا فقال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد، فإذا آيت فخذ طريقاً لا تقدمك الكوفة ولا تردك إلى المدينة، واكتب أنا إلى ابن زياد واكتب أنت إلى يزيد، أو إلى ابن زياد إن شئت، ففعل الله أن يأتي بأمر يرضيني في العافية من أن أبني بشيء من أمرك.

قال: فأخذ الحسين يسرا عن طريق العذيب والقادسية، والحر بن يزيد يسايروه وهو يقول له: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لقتلت، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى.

فقال له الحسين: أفبالموت تحفوني؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وقد لقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال: أين تذهب فإنا مقتول؟ فقال:

سأضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجهاد مسلماً
وأسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق خوفاً أن يمشي ويزعماً

ويروي على صفة أخرى:

سأضي وما بالموت عار على امرئ إذا ما نوى حقاً ولم يلف مجرماً
فإن مت لم أئتم وإن عشت لم ألم كفى بك موتاً أن تسدل وترغماً

الذي صرفته عن الذي عرضت عليه من الأمور الثلاثة التي طلبها الحسين، فقال له شمر: فأخبرني ما أنت صانع؟ أتقاتلهم أنت أو تاركي وإياهم؟ فقال له عمر: لا ولا كرامة لك! أنا أتولى ذلك، وجعله على الرجالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخميس التاسع من المحرم، فقام شمر بن ذي الجوشن فقال: أين بنو أختنا؟ فقام إليه العباس وعبد الله، وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب، فقال: أنتم آمنون. فقالوا: إن أمنا برسول الله ﷺ، وإلا فلا حاجة لنا بأمانك. قال: ثم نادى عمر بن سعد في الجيش: يا خيل الله أركبي وأبشري، فركبوا وزحفوا إليهم بعد صلاة العصر من يومئذ، هذا وحسين جالس أمام خيمته عتيباً بسيفه، ونعس فحقق برأسه وسمعت أخته زينب الضجة فلذت منه فأبقيته، فرجع برأسه كما هو، وقال: إني رأيت برسول الله ﷺ في المنام فقال لي: «إنك تروح إلينا فلطمت وجهها وقالت: يا ولينا. فقال: ليس لك الولي يا أختي: اسكني رحمتك الرحمن، وقال له أخوه العباس بن علي: يا أخي جاءك القوم، فقال: اذهب إليهم فسلمهم ما بدا لهم، فذهب إليهم في نحو من عشرين فارساً فقال: ما لكم؟ فقالوا: جاء أمر الأمير إما أن تأثروا على حكمه وإما أن تقتلكم. فقال: مكانكم حتى أذهب إلى أبي عبد الله فاعلمه، فرجع ووقف أصحابه فجمعوا يتراجعون القول ويؤنب بعضهم بعضاً، يقول أصحاب الحسين: بنس القوم، أنتم تريدون قتل ذرية نبيكم وخيار الناس في زمانهم؟

ثم رجع العباس بن علي من عند الحسين إليهم فقال لهم: يقول لكم أبو عبد الله: انصرفوا عنيكم هذه حتى ينظر في أمره الليلة، فقال عمر بن سعد لشمر بن ذي الجوشن: ما تقول؟ فقال: أنت الأمير والراي وأريك، فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله لو سألكم ذلك رجل من الديلم لكان ينفي إجابته. وقال قيس بن الأشعث: أجبههم إلى ما سألوكم، فلعمري ليصحبكم بالقتال غلوة.

وهكذا جرى الأمر، فإن الحسين لما رجع العباس قال له: ارجع فارددهم هذه العشية لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة ونستغفره وندعوه، فقد علم الله ما أتى أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، والاستغفار والدعاء. وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله، وخطب أصحابه في أول الليل فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على رسوله بعبارة فصيحة بليلة، وقال لأصحابه: من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلة هذه فقد أذنت له فإن القوم إنما يريدوني. فقال: مالك بن النضر: علي دين ولي عيال، فقال هذا الليل قد غشيك فأتخلوهم جلاً، ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم اذهبوا في سيط الأرض في سواد هذا الليل إلى بلادكم ومداكنكم، فإن القوم إنما يريدوني، فلو قد أصابوني لهما عن طلب غيري، فاذهبوا حتى يفرج الله عز وجل.

فقال له وإخوته وأبنائه وبنو أخيه: لا بقاء لنا بعدك، ولا أرانا الله فيك ما نكره، فقال الحسين: يا بني عليل حسبكم بمسلم أخيك، اذهبوا فقد أذنت لكم، قالوا: فما يقول الناس أننا تركنا شيخنا وسيدنا وبنينا عمومتنا خير الأعمام، لم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ورغبة في الحياة الدنيا، لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، وتقاتل معك حتى نرد موردهك، فقبض الله العيش بعنك.

وقال نحو ذلك مسلم بن عوسجة الأسدي، وكذلك قال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخلبك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول

الديلم، فاستعفا عمر بن سعد من ذلك. فقال له ابن زياد: إن شئت عفيتك وعزلتك عن ولاية هذه البلاد التي قد استبكت عليها، فقال: حتى أنظر في أمري، فجعل لا يستشير أحداً إلا نهاء عن المسير إلى الحسين، حتى قال له ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة: إياك أن تسير إلى الحسين فتعصي ريك وتقطع رحلك، فو الله لأن تخرج من سلطان الأرض كلها أحب إليك من أن تلقى الله بدم الحسين، فقال: إني أفعل إن شاء الله تعالى، ثم إن عبيد الله بن زياد تهدده وترعده بالعزل والقتل، فسار إلى الحسين فنزلته في المكان الذي ذكرنا، ثم بعث إلى الحسين الرسل: ما الذي أقدمك؟ فقال: كتب إلي أهل الكوفة أن أقدم عليهم، فإذا قد كرهوني فأنا أرجع إلى مكة وأفركم.

فلما بلغ عمر بن سعد هذا قال: أرجو أن يصافني الله من حربه، وكتب إلى ابن زياد بذلك، فرد عليه ابن زياد: أن حل بينهم وبين الماء كما فعل بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأعرض على الحسين أن يبلغ هو ومن معه لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فلذا فعلوا ذلك رأينا رأينا، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمتنعون أصحاب الحسين من الماء، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج، فدعا عليه الحسين بالعطش فمات هذا الرجل من شدة العطش، ثم إن الحسين طلب من عمر بن سعد أن يجتمع به بين العسكرين، فجاء كل واحد منهما في نحو من عشرين فارساً، فتكلما طويلاً حتى ذهب هزيع من الليل، ولم يدر أحد ما قالوا، ولكن ظن بعض الناس أنه سأل أن يذهب معه إلى يزيد بن معاوية ويتركه العسكرين متوافقين، فقال عمر: إذا يهدم ابن زياد داري، فقال الحسين: أنا أنبئها لك أحسن مما كانت، قال: إذا يأخذ ضياعي، قال أنا أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز، قال: فكره عمر بن سعد من ذلك. وقال بعضهم: بل سأل منه إما أن يذهب إلى يزيد، أو يتركه يرجع إلى الحجاز أو يذهب إلى بعض الثغور فيقاتل الترك، فكتب عمر إلى عبيد الله بذلك، فقال: نعم! قد قبلت، فقام الشمر بن ذي الجوشن فقال: لا والله حتى يزل على حكمك هو وأصحابه، ثم قال: والله لقد بلغني أن حسيناً وابن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامة الليل، فقال له ابن زياد: فنعما ما رأيت.

وقد روى أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سميان. قال: لقد صحبت الحسين من مكة إلى حين قتل، والله ما من كلمة قالها في موطن إلا وقد سمعتها، وإنه لم يسأل أن يذهب إلى يزيد فيضع يده في يده، ولا أن يذهب إلى ثغر من الثغور، ولكن طلب منهم أحد أمرين، إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعوهم يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه. ثم إن عبيد الله بن زياد بعث شمر بن ذي الجوشن فقال: اذهب فإن جاء حسين وأصحابه على حكمي وإلا فمر عمر بن سعد أن يقاتلهم، فإن تباطأ عن ذلك فاضرب عنقه ثم أنت الأمير على الناس.

وكتب إلى عمر بن سعد يتهده على تواتيه في قتال الحسين، وأمره إن لم يحضر الحسين إليه أن يقاتله ومن معه، فإنهم مشاقرون. فاستأمن عبد الله بن أبي المحل لبي عمة أم البنين بنت حزام من علي، وهم العباس وعبد الله وجعفر وعثمان. فكتب لهم ابن زياد كتاب أمان وعنه عبد الله بن المحل مع موله لا يقال له كزمان، فلما بلغهم ذلك قالوا: أما أمان ابن سمية، فلا نريد، وإنما لئرجو أماناً خيراً من أمان ابن سمية.

ولما قدم شمر بن ذي الجوشن على عمر بن سعد بكتاب عبيد الله بن زياد، قال له عمر: أبعد الله دارك، وقبح ما جئت به، والله إني لأظنك

الشاهدين. قال: ويحك أفلا تنفك معرفتك؟ قال: فأنه عزرة بن قيس أمير السرية التي تحرسنا فأنصرف عنا. قال: فلما صلى عمر بن سعد الصبح بأصحابه يوم الجمعة وقيل يوم السبت وكان يوم عاشوراء انتصب للقتال، وصلى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنا وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، ثم أنصرف فصهفهم فجعل على ميته زهير بن القين، وعلى الميسرة حبيب بن مظهر، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم، وقد أمر الحسين من الليل فحفرُوا وراء بيوتهم خندقاً وقذفوا فيه حطباً وخشياً وقصباً، ثم أضرمت فيه النار لنلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها.

وجعل عمر بن سعد على ميته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن واسم ذي الجوشن شرحبيل بن الأصور بن عمرو بن معاوية وهو الضباب بن كلاب وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحسي، وعلى الرحالة شبيب بن ريمي، وأعطى الراية ذويداً مولاه، وتوقف الناس في ذلك الموضع، فعدل الحسين إلى خيمة قد نصبت له فاغسل فيها وأطلى بالنورة وتطيب بمسك كثير، ودخل بعده بعض الأمراء ففعلوا كما فعل، فقال بعضهم لبعض: ما هذا في هذه الساعة؟ فقال بعضهم: دعنا منك، والله ما هذه ساعة باطل، فقال بُرير بن خضير: والله لقد علم قومي أنني ما أحيت الباطل شاباً ولا كهلًا، ولكن والله إني لمستبشر بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحسور العين إلا أن يميل علينا هؤلاء فيقتلوننا. ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره: اللهم أنت تقني في كل كرب، ورجائي في كل شدة. إلى آخره. وأركب ابنه علي بن الحسين وكان ضعيفاً مريضاً فرساً يقال له الأحق ونادى الحسين أيها الناس: اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فانصت الناس كلهم، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أيها الناس إن قلتهم مني وأنصتوني كتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقولوا مني «فاجمعوا أركم وشركاكم ثم لا يكن أركم عليكم غمة ثم أقضوا إلي ولا تنظرون» [يونس: ٧١]. «إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين» [الأعراف: ١٩٦].

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك: لا يبعد ابن عباس يعني: حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر. ثم بعث أخاه العباس وابنه علياً فسكتاهن فسكنهن، ثم شرع يذكر للناس فضله وعظمته ونسبه وعلو قدره وشرفه، ويقول: رجعوا أنفسكم وحاسبوا. هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وعلي أبي، وجعفر ذو الجناحين عمي، وحزرة سيد الشهداء عم أبي. وقال لي رسول الله ﷺ وأخي: «هذان سيدا شباب أهل الجنة». فلان صدقوني بما أقول فهو الحق، فو الله ما تعدمت كذبة منذ علمت أن الله يمقت على الكذب، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، جابر بن عبد الله، وأبا سعيد، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وغيركم بذلك، ويجكم! أما تقولون الله؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ فقال عند ذلك شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف: إن كنت أدري ما يقول. فقال له حبيب بن مظهر: والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفاً، وإنك لا تدري ما يقول، لأن الله قد طبع على قلبك. ثم قال: أيها الناس فزوني أرجع إلى مأمي من الأرض، فقالوا: وما منعك أن تنزل على حكم بني عمك؟ فقال: معاذ الله أن أعطيهم يديني

الله ﷻ فيك، والله لو علمت أنني أقتل دونك ألف قتلة، وإن الله يدفع بذلك القتل عنك وعن أنفس هؤلاء الغية من أهل بيتك، لأحييت ذلك، فكيف وإنما هي قتلة واحدة، وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً من وجه واحد، فقالوا: والله لا تفارقك، وأنفسنا النداء لك نتيك بنحورنا وجباهنا، وأيدينا وأبداننا، فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا. وقال أخوه العباس: لا أرانا الله يوم فقتلك ولا حاجة لنا في الحياة بعدك. وتتابع أصحابه على ذلك.

وقال أبو مخنف: حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين زين العابدين. قال: إني لجالس تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها، وعمتي زينب تعرضني إذ اعتزل أبي في خبائه ومعه أصحابه، وعنده حُرَيُّ مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول: يا دعراف لك من خليل كمل لك بالإشراق والأصيل من صاحب أو طالب قاتل والدمع لا يقتنع بالبدل وإنما الأمر إلى الجليل وكسل حسي سالك السبيل

قال: فأعادهما مرتين أو ثلاثاً ففهم ما أراد، فختنتي العبرة فرددتها، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاد قد نزل، وأما عمتي فقامت حاسرة، حتى انتهت إليه فقالت: واككلاء!! ليت الموت أعدني الحياة اليوم، ماتت أمي فاطمة وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي! فنظر إليها وقال: يا أخية، لا يذهبن حلمك الشيطان، فقالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، استقبلت؟ ولطمت وجهها وشقت جيها وخرت مثنياً عليها، فقام إليها فصب على وجهها الماء وقال: يا أخية اتقي الله وتعزري بعزاه الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يموتون، وإن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وهزته، ويعيدهم فيعودوني وحده وهو فرد وحده، واعلمي أن أبي خبر مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولم ولكل مسلم برسول الله ﷺ أسوة حسنة، ثم خرج عليها أن لا تفعل شيئاً من هذا بعد مهلكه، ثم أخذ يبلها فردها إلى عندي، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرئوا بيوتهم بعضها من بعض حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض، وأن لا يعملوا للعدو خلاصاً إليهم إلا من وجه واحد، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمالكهم، ومن ورائهم.

وبات الحسين وأصحابه طول ليلتهم يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، ويحول حرم علوهم تدور من ورائهم، عليها عزرة بن قيس الأحسي والحسين يقرأ: «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين، ما كان الله لينز المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب» الآية وآل عمران: ١٧٨، ١٧٩. فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال: نحن ورب الكعبة الطيرون ميزنا الله منكم. قال: ففرقت فقلت لبُرير بن خضير: أتدري من هنا؟ قال: لا أقلت: هذا أبو حرب السبيعي عبد الله بن شهر وكان مضحكاً بطالاً وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه في جناية، فقال له بُرير بن خضير: يا فاسق متى كنت من الطيبن؟ فقال: من أنت ويلك؟ قال: أنا بُرير بن خضير. قال: إنا لله! هلكت والله عزَّ والله علي يا بُرير تملك؟ قال قلت له: يا أبا حرب هل لك أن توب إلى الله من ذنوبك العظام؟ فو الله إنا لنحن الطيوس وإنكم لأنتم الخيوسون. قال: نعم وأنا على ذلك من

على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت. ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين فاعتذر إليه بما تقدم، ثم قال: يا أهل الكوفة لأمكم المبل، أدعوتكم الحسين إليكم حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم عدوت عليه لقتلوه، ومنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة الوسيلة التي لا يمنع فيها الكلب والخنزير، وحلتم بينه وبين الماء الفرات الجاري الذي يشرب منه الكلب والخنزير وقد صرعه الملعش يش ما خلقتهم عمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظما الأكبر إن لم تتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في سאתكم هذه. فحملت عليه رجاله لسم ترميه بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين وقال لهم عمر بن سعد: لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب ولكن أبي علي بن زياد، وقد خاطب أهل الكوفة فسبهم وأبهم وقال: ويحكم حتى إذا جاء خللتهم. وما كضام ذلك حتى جثم لقتلوه. وقد منعتموه وينسأه الماء من الفرات الذي يشرب منه اليهودي والنصراني والمجوسي وتتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً.

قال: فتقدم عمر بن سعد وقال لمولاه: يا فؤاد أدن رايتك، فأدناها ثم شمر عمر عن ساعده ورمى بسهم وقال: اشهدوا أبي أول من رمى القوم، قال: قترامى الناس بالنبل، وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله فقالا: من يبارز؟ فبرز لهما عبد الله بن عمير الكلبي بعد استئذانه الحسين فقتل يساراً أولاً ثم قتل سالماً بعده، وقد ضربه سالم ضربة أطار أصابع يده اليسرى، وحل رجل يقال له عبد الله بن حوزة حتى وقف بين يدي الحسين فقال له: يا حسين أبشر يا نارا فقال له الحسين: كلا ويحك إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، بل أنت أولى بالنار. قالوا: فانصرف فوقعت فرسه فسقط وتعلقت رجله اليسرى بالركاب، وكان الحسين قد سأل عنه فقال: أنا ابن حوزة فرغ الحسين يده وقال: اللهم حره إلى النار فنفض ابن حوزة وأراد أن يهجم عليه الفرس وبنيه ونهر، فجالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه وفخذه. وفي جانب الآخر متعلقاً بالركاب، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات.

وروى أبو مخنف عن أبي جناب قال: كان منا رجل يدعى عبد الله بن عمير من بني عليم، كان قد نزل الكوفة وانفذ داراً عند بشر الجعدي من همدان، وكانت معه امرأة له من النمر بن قاسط، فرأى الناس يهيشون للخروج إلى قتال الحسين، فقال: والله لقد كنت على قتال أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو أن يكون جهادي مع ابن بنت رسول الله ﷺ هؤلاء أفضل من جهاد المشركين، وأبسر ثواباً عند الله، فدخل إلى امرأته فأخبرها بما هو عازم عليه، فقالت: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، أفضل وأخرجني معك، قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى الحسين. ثم ذكر قصة رمي عمر بن سعد بالسهم، وقصة قتله يسار مولى زياد وسالم مولى ابن زياد، وأن عبد الله بن عمير استأذن الحسين في الخروج إليهما فظفر إليه الحسين، فرأى رجلاً آدم طويلاً شديد الساعنتين بعيد ما بين المتكئين، فقال الحسين: إني لأحسب للأقران قتلاً، أخرج إن شئت، فخرج فقال له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك فقال لهما: يا أولاد الزانية، أو بكم رغبة عن مبررة أخذ من الناس، وهل يخرج إليكما أحد إلا وهو خير منكما، ثم شد على يسار فكان كأمس الذاهب، فإنه لمشتغل به إذ حل عليه سالم مولى ابن زياد فصاح به: قد رهقك العبد، قال: فلم يتبه له حتى غشيه فضربه على يده اليسرى فأطار أصابعه، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى

إعطاء الذليل وأقر إقرار العبد، عباد الله ﴿إني علنت برسي وريكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ (غافر: ٢٧) ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سميان فقلعها ثم قال: أخبروني أنظفوني بقتيل لكم قتلته؟ أو مال لكم أكلته؟ أو بقصاصة من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه. قال: فنادى يا شيث بن ريعي، يا حجار بن أبحر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أنه قد أينت الثمار واخضر الجناب، فأقدم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجند؟ فقالوا له: لم نفعل. فقال: سبحان الله! والله لقد فعلتم، ثم قال: يا أيها الناس! إذ قد كرهتموني قدعوني أنصرف عنكم، فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يؤذوك، ولا ترى منهم إلا ما تحب؟ فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن تطبق بتر هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لهم إقرار العبد.

قال: وأقبلوا يزحفون نحوه وقد تحيز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل، منهم الحر بن يزيد أمير مقدمة الكوفيين، فاعتذر إلى الحسين بما كان منهم، قال: ولو أعلم أنهم على هذه النية لسرت معك إلى يزيد، فقبل منه الحسين، ثم تقدم بين يدي أصحاب الحسين فخطب عمر بن سعد فقال: ويحكم ألا تقبلون من ابن بنت رسول الله ﷺ ما يعرض عليكم من الحاصل الثلاث واحدة منها؟ فقال: لو كان ذلك لي قبلت.

قال: وخرج من أصحاب الحسين زهير بن القين على فرس له شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذاراً، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، على دين واحد، وملة واحدة، مالم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا ولياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية، عبيد الله بن زياد، فإنكم لم تدركوها منهم إلا سوء عموم سلطانها، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمتلان بكم، ويقتلان أمانتكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهاتئ بن عروة وأشباهه. قال: فسبوه وأثروا على ابن زياد ودعوا له وقالوا: لا نترع حتى تقتل صاحبك ومن معه. فقال لهم: إن ولد فاطمة أحق بالرد والنصر من ابن سمية، فإن أنتم لم تتصروهم فاعينكم بالله أن تقتلوه، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، تذهب حيث شاء، فلعمرى إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم وقال له: اسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا ابن البوال على عقيبه، إياك أخاطب؟ إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزري يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك بعد ساعة، فقال له زهير: أبا لوت تحرفني؟ فو الله للמות معه أحب لي من الخلود معكم. ثم إن زهيراً أقبل على الناس رافعاً صوته يقول: عباد الله لا يفرتمكم عن دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه، فو الله لا يتال شفاعة محمد ﷺ قوم أمرتوا دماء ذريته، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم.

وقال الحر بن يزيد لعمر بن سعد: أصلحك الله امقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالا أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، وكان الحر من أشجع أهل الكوفة، فلما بعض أصحابه على الذهاب إلى الحسين، فقال له: والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار

قتله وأقبل يرتجز ويقول:

إن تكراني فأنا ابن كلب حبي يتي في عليم حبي
إنني امرؤ ذو مرة وعصب ولست بالخوار عند الكرب
إنني زعيم لك أم وهب بالظن فيهم مقدماً والضرب
ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداؤك أبي وأمي، قاتل دون الطيين، ذرية محمد عليه الصلاة والسلام، فأقبل إليها يردفاً نحو النساء فأقبلت تحاذيه ثوبه، قالت: دعني أكون معك، فناداها الحسين: انصربي إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال، فلنصرفت إليهن.

قال: وتكرت البارزة يومئذ بين الفريقين والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم البارزة، وحمل عمرو بن الحجاج أمير الميمنة، وجعل يقول: قاتلوا من مرق من الدين وفارق الإمام والجماعة. فقال له الحسين: ويحك يا حجاج أعلي تحرض الناس؟ ونحن مرقا من الدين وأنتم نثم عليه؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحكم أجسادكم من أولى بصلي النار. وقد قتل في هذه الحملة مسلم بن عوسجة. فكان أول من قتل من أصحاب الحسين فمشى إليه الحسين فترحم عليه، وهو على آخر رمق، وقال له حبيب بن مظهر: أبشر بالمجنة، فقال له بصوت ضعيف: يشرك الله بالخير. ثم قال له حبيب: لولا أنني أعلم أنني على أترك لاحقاً لكتكت أقضي ما توصيني به، فقال له مسلم بن عوسجة: أوصيك بهذا وأشار الحسين إلى أن تموت دونه. قالوا: ثم حل شعر بن ذي الجوشن بالميمنة وقصدوا نحو الحسين فدافعته عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيماً، وكافحوا دونه مكافحة بليغة، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة، فبحث إليهم نحواً من خمسمائة، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فمقروها كلها حتى بقي جميعهم رجالة، ولما عقروا جواد الحر بن يزيد نزل عنه وفي يده السيف كأنه ليث وهو يقول:

إن تعزروني يسي فأنا ابن الحسر أشجع من ذي لسان هزبر
ويقال: إن عمر بن سعد أمر بتفويض تلك الأبنية التي تمنع من القتال من أتى من ناحيتها، فجعل أصحاب الحسين يقتلون من يتعاطى ذلك، فأمر بتحريقها فقال الحسين: دعوهم يحرقونها فإنهم لا يستطيعون أن يجوزوا منها وقد أحرقت.

وجاء شعر بن ذي الجوشن قبحه الله إلى فسطاط الحسين فطعنه برمح يعني الفسطاط وقال: اتزني بالنار لأحرقه على من فيه، فصاحت النسوة وخرجن منه، فقال له الحسين: أنت تريد أن تحرق أهلي أحرقتك الله بالنار، وجاء شيب بن ربيعي إلى شعر قبحه الله فقال له: ما رأيت أقيع من قولك وموقفك هذا، أتريد أن ترعب النساء؟ فاستحيا وهم بالرجوع وقال حميد بن مسلم: قلت لشعر سبحان الله!! إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين؟ تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء؟ والله إن في قتلك الرجال لما ترضي به أميرك. قال فقال لي: من أنت؟ قلت: لا أخبرك من أنا وخشيت أني إن أخبرته تعرفني أن يسوؤني عند السلطان.

وشد زهير بن القين في رجال من أصحاب الحسين على شعر بن ذي الجوشن فأزالوه عن موقفه، وقتلوا أبا عزة الضبابي وكان من أصحاب شعر وكان الرجل من أصحاب الحسين إذا قتل بان فيهم الخلل، وإذا قتل من أصحاب ابن زياد الجماعة الكثيرة لم يتبين ذلك فيهم لكثرتهم، ودخل عليهم وقت الظهر فقال الحسين: مروهم فليكنوا عن القتال حتى نصلي، فقال رجل من أهل الكوفة: إنها لا تقبل منكم، فقال له حبيب بن مظهر: ويحك!! أتقبل منكم الصلاة ولا تقبل من آل رسول الله ﷺ؟ وقاتل حبيب قتالاً شديداً حتى قتل وحمل راسه إلى ابن زياد رجلاً يقال له بديل بن صريم من بني علفان وجعل يقول:

أنا حبيب وأبسي مظاهر فارس هيجاء وحرب مسعر
أنتهم أوفرعدة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر حقاً وأبقى منكم وأطهر

ثم حل على حبيب هذا رجل من بني تميم فطعنه فوقه، ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقه ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه وحمله إلى ابن زياد فرأى ابن حبيب رأس أبيه عرفه فقال لحامله: أعطني رأس أبي حتى أدفنه، ثم بكى، وقال: [لقاتله: أما والله لقد قتلتك وهو خير منك] فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه، قال: فما كان زمن مصعب بن عمير دخل الغلام عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاط، فدخل عليه وهو قاتل فضربه بسيفه حتى برد.

وقال أبو مخنف: حدثني محمد بن قيس قال: لما قتل حبيب بن مظاهر هد ذلك الحسين، وقال عند ذلك: أحسبت نفسي، وأخذ الحر يرتجز ويقول للحسين:

البيت لا تقتل حتى أتتلا ولن أصاب اليوم إلا مقبلاً
أضربهم بالسيف ضرباً مفضلاً لا ناكلاً عنهم ولا مهملاً
ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شد أحدهما حتى استلحم شد الآخر حتى يخلصه، فعلا ذلك ساعة، ثم إن رجلاً شدوا على الحر بن يزيد فقتلوه، وقتل أبو ثمامة الصائلي ابن عم له كان عدواً له. ثم صلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً ووصل إلى الحسين رضي الله عنه، ودافع عنه صناديد أصحابه، فقتل زهير بن القين بين يدي الحسين وقاتل دونه نافع بن هلال الجملي، قتالاً شديداً، ورمى بعض أصحابه بالنبل حتى سقط بين يدي الحسين وجعل زهير يرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أفودكم بالسيف عن الحسين
قال: وأخذ يضرب على منكب الحسين ويقول:

أقدم هديت هادياً مهدياً فاليرم تلقى جدك النيا
وحسنا والمرضى عيلاً وفا الجناحين الفتى الكما
وأسد الله الشهيد الحيا

قال: فشد عليه كثير من عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلوه.
قال: وكان من أصحاب الحسين نافع بن هلال الجملي، وكان قد كتب على فوق نبله فجعل يرمي بها مسمومة وهو يقول:

أرمسي بها معلماً أنوافها والنفس لا ينغمها شقاقها
أنا الجلسي أنا على دين علي

قتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد، سوى من جرح، ثم أسر وكسرت عضده، ومع ضرب عنقه بين يدي عمر بن سعد شير بن ذي الجوشن، ثم حمل شير على أصحاب الحسين وهو يقول: خلّو عُدّة الله خلّوا عن شمر يضرهم بسيفه ولا يقرّ وصمّ عليهم الأعداء من كل جانب وتكاتروا عليهم وتغافى ضرب حتى كسرت عضده، ثم أسروه فأثابوا به عمر بن سعد فقال له: ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ فقال: إن ربي يعلم ما أردت، والدعاء تسيل عليه وعلى لحيته، ثم قال: والله لقد قتلت من جندكم اثني عشر سوى من جرح، وما ألوم نفسي على الجهد ولو بقيت لي عضد ومساعد ما أسرقوني. فقال شمر لعمر: اقتله، قال: أتت جثت به فإن شئت اقتله. فقام شمر فأتى سيفه فقال له نافع: أما والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منابنا على يدي شرار خلقه، ثم قتله، ثم أقبل شمر فحمل على أصحاب الحسين وتكاتر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين، فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم، وأنهم لا يقدرون على أن يمتنعوا الحسين ولا أنفسهم، تناشروا أن يقتلوا بين يديه، فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عزة الغفاريه فقالا: أبا عبد الله عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحبنا أن تقتل بين يديك وندفع عنك. فقال: مرحباً بكما، ادنوا مني، فدنوا منه فجعلوا يقتلان قريباً منه وهما يقولان:

قد علمت حقاً بنو غفار وخلف بعد بني نزار
لتضربن معشر الفجار بكل غضب تطاع بنار
يا قوم ذودوا عن بني الأخيار بالمشركي والقنا الخطار

ثم أتاه أصحابه مشي وفرادي يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول: جزاكم الله أحسن جزاء المؤمنين، فجعلوا يسلمون على الحسين ويقاتلون حتى يقتلوا، ثم جاء عابس بن أبي شبيب فقال: يا أبا عبد الله! ما أمسي على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي منك، ولو قدرت أن أضع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، اشدّ لي أني على هديك. ثم مشي صلتاً وبه ضربة على جبينه وكان أشجع الناس فتنادى: ألا رجل لرجل؟ ألا إبرزوا لي. فعرفوه فنكلوا عنه، ثم قال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمي الحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك اتقى درعه ومغفره، ثم شدّ على الناس، والله لقد رأيته يكرّد أكثر من ماتين من الناس بين يديه ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فقتل رحمه الله فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدد، كل يدهي قتله، فأثابوا به عمر بن سعد فقال لهم: لا تختصموا فيه، فإنه لم يقتله إنسان واحد، ففرق بينهم بهذا القول.

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه لم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو بن أبي مطاع الحثمي، وكان أول قتل من أهل الحسين من بني أبي طالب يومئذ علي الأكبر بن الحسين بن علي، وأمه ليلي بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، طعنه مرة بن منذر بن النعمان المديني فقتله، ويروى أنه جعل يقاتل عن أبيه وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي محسن ربّ الله أولى بالنبي

تالله لا يحكم لنا ابن الدّعي كيف ترون اليوم ستري عن أبيي فلما طعنه مرة احترشته الرجال فقطعوه بأسياهم، فقال الحسين: قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجزأهم على الله وعلى انتهاك عماره ١٢ فعلى الدنيا بعلى المعاف.

قال: وخرجت جارية كانها الشمس حسناً فقالت: يا أخياه وبيا ابن أخياه، فإذا هي زينب بنت علي من فاطمة، فأكبت عليه وهو صريع. قال: فجاء الحسين فأخذ يدها فأدخلها القسطاط، وأمر به الحسين فحول من هناك إلى بين يديه عند قسطاطه، ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل. ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبي طالب، ثم قتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب. قال أبو مخنف: وحديثي فضيل بن خديج الكندي أن يزيد بن زياد، وكان رامياً، وهو أبو الشعث الكندي من بني بهلثة. جثا على ركبته بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها على الأرض خمسة أسهم، فلما فرغ من الرمي قال: قد تبين لي أني قتلت خمسة نفر وكان في أول من قتل، وكان جزؤه يومئذ:

أنا يزيد وأبي مهاصر أشجع من ليث بفيل خادر
يا ربّ إنسي للحسين ناصر ولابن سعد تشارك ومناجر

قالوا: ومكث الحسين نهراً طويلاً وحده لا يأتي أحد إليه إلا رجوع عنه، لا يجب أن يلي قتله، حتى جاءه رجل من بني بداه، يقال له مالك بن الشير، فضرب الحسين بالسيف على رأسه فجرحه، وكان عليه برنس فامتلأ دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين. ثم اتقى الحسين ذلك البرنس ودعا بعمامة فاعتم بها.

وقال أبو مخنف: حديثي سليمان بن أبي راشد عن حميد. قال: خرج إلينا غلام كان وجهه فلقة قمر في يده سيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شع أحدهما، ما أتى أنها اليسرى، فقال لنا عمر بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدن عليه. فقلت له: سبحان الله! وما تريد إلى ذلك؟ يكفيك قتل هؤلاء، الذين تراهم قد اعتزلوهم. فقال: والله لأشدن عليه، فشدّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش، فضربه وصاح الغلام يا عماء، قال: فشدّ الحسين على عمر بن سعد شدة ليث أخضب، فضرب عمر بالسيف فاتقاء بالساعد فأطعن من لدن المرفق فصاح ثم تنحى عنه، وجعلت خيل أهل الكوفة ليستقلوا عمر من الحسين، فاستقبلت عمر بصورها وحركت حوافرها، وجالت بفرساتها عليه، ثم انحلت الغيرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجله والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جندك، ثم قال: عز الله علي عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا يفعلك، صوت والله كثر عدوه. وقل ناصر، ثم احتمله فكأني أنظر إلى رجلي الغلام يخطان في الأرض، وقد وضع الحسين صدره على صدره، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه علي الأكبر ومع من قتل من أهل بيته، فسألت عن الغلام فقيل لي: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وقال هاني بن ثابت الحضرمي: إني لواقف يوم مقتل الحسين عاشر عشرة ليس منا رجل إلا على فرس، إذ خرج غلام من أك الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية، وعليه إزار وقميص، وهو مذعور يلتفت يمنة وشمالاً، فكأني أنظر إلى درتين في أذنيه تذبذبان كلما التفت، إذ أقبل رجل يركض فرسه حتى إذا دنا من الغلام مال عن فرسه ثم أخذ الغلام قطعه

منذج، وقيل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وليس بشيء، وإنما كان عمر أمير السرية التي قتلت الحسين فقط والأول أشهر. وقال عبد الله بن عمار رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اندفعوا عنه، فرأى الله وما رأيت مكثراً قط قد قتل أولاده وأصحابه أربط جاشاً منه ولا أمضى جنازاً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله. وقال: ودنا عمر بن سعد من الحسين فقالت له زينب: يا عمر أيقنت أن الله وأنت تنظر؟ فبكى وصرف وجهه عنها.

وقال أبو مخنف: حدثني الصقبة بن زهير عن حميد بن مسلم قال: جعل الحسين يشد على الرجال وهو يقول: أعلى قلتي تحابون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم بقتله مني، وإيم الله إنني أرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم يتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم. قال: ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكن كان يتقي بعضهم ببعض دمه، ويجب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء مؤنة قتله حتى نادى شمر بن ذي الجوشن ماذا تنتظرون بقتله، فتقدم إليه زعدة بن شريك التميمي فضربه بالسيف على عاتقه، ثم طعته سنان بن أنس بن عمرو النخعي بالرمح، ثم نزل فاحتر رأسه ودفعه إلى خولي. وقد روى ابن عساکر في ترجمة شمر بن ذي الجوشن، وذو الجوشن صحابي جليل قيل اسمه شرجيل، وقيل عثمان بن نوفل، ويقال ابن أوس بن الأعور العامري الضبابي، بطن من كلاب، ويكنى شمر بأبي السابعة.

ثم روى من طريق عمر بن شبة: حدثنا أبو أحمد حدثني عمي فضيل بن الزبير عن عبد الرحمن بن ميمون عن محمد بن عمرو بن حسن. قال: كنا مع الحسين بنهري كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال: صلق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: «كأنني أنظر إلى كلب أبقع في دماء أهل بيبي» وكان شمر قبحة الله أبرصاً. وأخذ سنان وغيره سلبه، وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله، وما في خيائه حتى ما على النساء من الثياب الظاهرة.

وقال أبو مخنف عن جعفر بن محمد. قال: وجد بالحسين حين قتل ثلاثاً وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، وهم شمر بن ذي الجوشن يقتل علي بن الحسين الأصغر «زين العابدين» وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك حميد بن مسلم أحد أصحابه، وجاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلن على هذه النسوة أحد، ولا يقتل هذا الغلام أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم، قال: فرأى الله ما رد أحد شيئاً فقال له علي بن الحسين: جزيت خيراً فقد دفع الله عني بمقاتلتك شرأ. قالوا: ثم جاء سنان بن أنس إلى باب فسطاط عمر بن سعد فنادى بأعلى صوته:

أوقر ركباني فضة ونعبا أنا قتلته الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمأ وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال عمر بن سعد: أدخلوه علي، فلما دخل رماه بالسوط وقال: ويحك أنت مجنون، والله لو سمعت ابن زياد تقول هذا لضرب عحك. ومن عمر بن سعد على عقبة بن سميان حين أخبره أنه مولى، فلم ينج منهم غيره. والمزعم بن ثمامة أسر فمُنَّ عليه ابن زياد. وقتل من أصحاب الحسين اثنتان وسبعون نفساً فدفنهم أهل الناضرية،

بالسيف. قال هشام السكوني: هاني بن ثابت هو الذي قتل الغلام، خاف أن يعاب ذلك عليه فكنى عن نفسه.

قال: ثم إن الحسين أعيأ فقعده على باب فسطاطه وأتى بصبي صغير من أولاده، فأجلسه في حجرة، ثم جعل يقلبه ويشمه ويودعه ويوصي أهله، فرماه رجل من بني أسيد يقال له «ابن موقد النار» بهم فنبح ذلك الغلام، فتلقي حسين دمه في يده وألقاه نحو السماء وقال: رب إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير، وانتقم لنا من الظالمين. ورمى عبد الله بن عقبة النخعي أباً بكر بن الحسين بهم فقتله أيضاً، ثم قتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر وعمر بن علي بن أبي طالب، إخوة الحسين لأبيه، رضي الله عنهم أجمعين، وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى من ماء الفرات فمانعوه دونه، فخلص إلى شربة منه، فلما أهوى إليها رماه حصين بن غمر بسهم في حنكه فأنثته، فأنزعه الحسين من حنكه فثار الدم فلقاه يديه ثم دفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دماً، ثم رمى به إلى السماء وقال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بئداً، ولا تلز على الأرض منهم أحداً. ودعا عليهم دعاء بليغاً.

قال: فرأى الله إن مكث الرجل الرامي له إلا يسيراً حتى صب الله عليه الظمأ، فجعل لا يروى ويسقي للماء مبرداً، وتارة يورد له اللبن والماء جميعاً، ويسقي فلا يروى، بل يقول: ويلكم اسقوني قلتي الظمأ، قال: فرأى الله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذ بطنه أنفاداً بطن البعير. ثم إن شمر بن ذي الجوشن أتى في نحو من عشرة رجالة الكوفة قبل منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوهم فحالفوا بينه وبين رحله، فقال لهم الحسين: ويلكم!! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم الماد فكونوا في دينكم أحراراً وذوي أحساب، امتعوا رحلي وأهلي من طغائكم وبهائمكم، فقال ابن ذي الجوشن ذلك لك يا ابن فاطمة، ثم أحاطوا به فجعل شمر يحرضهم على قتله، فقال له أبو الجنوب: وما يمنعك أنت من قتله؟ فقال له شمر: إني أقول ذاك؟ فقال أبو الجنوب: إني أقول ذاك؟ فاستبأ ساعة، فقال له أبو الجنوب وكان شجاعاً: والله لقد هممت أن أخفض هذا السنان في عينك، فانصرف عنه شمر.

ثم جاء شمر ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحسين وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه، فجاء غلام يشتد من الخيام كأنه البدر، في أذنيه درتان تليدبان، فخرجت زينب بنت علي لترده فامتنع عليها، وجاء يجاحف عن عمه لضربه رجل منهم بالسيف فاتقاه يده فأطنها سوى جلده، فقال: يا ابتاه، فقال له الحسين: يا بني أحسبت أجرك عند الله، فإنك تلحق بأبائك الصالحين.

ثم حمل على الحسين الرجال من كل جانب وهو يحول فيهم بالسيف يميناً وشمالاً، فيستأفون عنه كثائر المغزى عن السبع، وخرجت أخته زينب بنت فاطمة إليه فجعلت تقول: ليت السماء تقع على الأرض وجاء عمر بن سعد فقالت: يا عمر أرضيت أن يقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟ فتحدثت الدموع على لحية وصرف وجهه عنها، ثم جعل لا يقدم أحد على قتله، حتى نادى شمر بن ذي الجوشن: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه تكتلكم أمهاتكم. فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه زعدة بن شريك التميمي على كفه اليسرى، وضرب على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو يتواء ويكبو، ثم جاء إليه سنان بن أنس بن عمرو بن النخعي فطعن بالرمح فوقه، ثم نزل فذبحه وحز رأسه، ثم رفع رأسه إلى خولي بن يزيد. وقيل: إن الذي قتله شمر بن ذي الجوشن. وقيل رجل من

وقال البرزاري (كشف الأسرار) (٢٦٤٩): حدثنا مفرج بن شجاع بن عبيد الله الموصلي حدثنا غسان بن الربيع حدثنا يونس بن عتبة عن ثابت وحيد عن أنس. قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثابهاً يقول: لقد كان أحبه قال: جليلاً فقلت: والله لأسوؤنك، إني رأيت رسول الله ﷺ يلمم حيث يقع قضيبك. قال فانقبض.

تفرد به البرزاري من هذا الوجه وقال: لا تعلم رواه عن حميد غير يوسف بن عتبة وهو رجل من أهل البصرة مشهور وليس به بأس.

ورواه أبو يعلى الموصلي (مسند) (٣٩٨١) عن إبراهيم بن الحجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس فذكره.

ورواه قره بن خالد عن الحسن عن أنس فذكره (تاريخ دمشق) (٢٣٦/١٤).

وقال أبو خنيفة عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم. قال: دعاني عمر بن سعد فبرحني إلى أهله لأبشرهم بما فتح الله عليه وبعاثته، فاقبلت حتى أتيت أهله، فاعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخلت، فاجد ابن زياد قد جلس للناس، وقد دخل عليه الوفد الذين قدموا عليه، فدخلت فيمن دخل. فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكت فيه بقضيب بين يديه ساعة، فقال له زيد بن أرقم: أرفع هذا القضيب عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره، لقد رأيت شفي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقلعهما. ثم انفضخ الشيخ يكي، فقال له ابن زياد: أبكي الله عينك، فوالله لولا أنك شيخ قد خرقت وذعب عقلك لضربت عتقك، قال: فنهض فخرج، فلما خرج قال الناس: والله لقد قال زيد بن أرقم كلاماً لو سمعه ابن زياد لقتله. قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: ملك عبد جباراً. فاتخذهم قلداً. أتمم يا معشر العرب العيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرت ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فريضتم بالذلّ فبعداً لمن رضي بالذل.

وقد روي من طريق أبي داود الشيباني عن زيد بن أرقم بنحوه.

ورواه الطبراني (المعجم الكبير) (٢٣٤، ٢٣٨) من طريق ثابت عن زيد.

وقد قال الترمذي (٣٧٨٠): حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نُصبت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تتخلّل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكنت هنيئة ثم خرجت، فذهبت حتى تغيب ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً. ثم قال الترمذي: حسن صحيح.

وأمر ابن زياد فتودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فنصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين الذي أراد أن يسلمهم الملك ويفرق الكلمة عليهم، فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، فقال: ويحك يا ابن زياد! تقتلون أولاد النبيين وتكلمون بكلام الصديقين! فأمر به ابن زياد فقتل وصلب، ثم أمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام، وكان مع زحر جماعة من الفرسان، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي طبيان الأزدي، فخرجوا حتى قدموا بالرؤوس كلها على يزيد بن معاوية بالشام (تاريخ الطبري) (٤٥٨/٥، ٤٥٩).

قال هشام: فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجناامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشى من حير. قال: والله إني لعند يزيد بن

من بني أسد بعدما قتلوا يوم رحمهم الله وأكرمهم.

قال: ثم أمر عمر بن سعد أن يوطأ الحسين بالخيل. ولا يصح ذلك والله أعلم. وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون نفساً.

وروي عن محمد بن الحنفية أنه قال: قتل مع الحسين سبعة عشر رجلاً كلهم من أولاد فاطمة.

وعن الحسن البصري أنه قال: قتل مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شية.

وقال غيره: قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً فمن أولاد علي (عليه السلام) جعفر والحسين والعباس ومحمد وعثمان وأبو بكر. ومن أولاد الحسين علي الأكبر وعبد الله. ومن أولاد أخيه الحسن ثلاثة، عبد الله، والقاسم، وأبو بكر بنو الحسن بن علي بن أبي طالب. ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان، عون ومحمد. ومن أولاد عقيل، جعفر، وعبد الله، وعبد الرحمن، ومسلم قتل قبل ذلك كما قلنا. فهؤلاء أربعة لصلبه، واثنان آخران هما عبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، فكملا ستة من ولد عقيل، وفيهم يقول الشاعر:

وأفندي تسعة لصلب علي قد أصيوا وسنة لمعيل
وسمي النبي غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول

وعن قتل مع الحسين بكرلاء أخوه لأمه من الرضاعة عبد الله بن بَطْن، وقد قيل إنه قتل قبل ذلك حيث بحث معه كتاباً إلى أهل الكوفة فحمل إلى ابن زياد فقتله. وقتل من أهل الكوفة من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً سوى الجرحى، فصلى عليهم عمر بن سعد ودفنهم. ويقال: إن عمر بن سعد أمر عشرة فرسان فداسوا الحسين بأفراسهم حتى الصقوه بالأرض يوم المعركة وسَرَحَ برأسه من يومه إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إرجانة وقال لأمرأته نوار بنت مالك: جئتك بجزء الدهر، فقالت: وما هو؟ قال: برأس الحسين. فقالت: جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت أنت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ؟! والله لا يجيئني وإياك فراش أبداً، ثم نهضت عنه من الفراش، واستدعى بامرأة له أخرى من بني أسد فنامت عنده. قالت الثانية: والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الإرجانة إلى السماء وطويراً يبضاً ترغرف حولها. فلما أصبح غداً به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه، ويقال إنه كان معه رؤوس بقية أصحابه، وهو المشهور، وجموعهما اثنان وسبعون رأساً، وذلك أنه ما قتل قتيل إلا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد، ثم بحث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام (تاريخ الطبري) (٤٥٦-٤٥٩).

قال الإمام أحمد (٢٦١/٣): حدثنا حسين حدثنا جرير عن محمد عن أنس. قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست، فجعل ينكت عليه وقال في حسنة شيئاً، فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوياً بالوسمة.

ورواه البخاري في المناقب (٣٧٤٨) عن محمد بن الحسين بن إبراهيم هو ابن إشكاب عن حسين بن محمد عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أنس فذكره.

وقد رواه الترمذي (٣٧٧٨) من حديث حفصة بنت سيرين عن أنس. وقال: حسن صحيح، وفيه أفجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً.

وقد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الوليد عن خالد بن يزيد بن أسد عن عمار الدهني عن أبي جعفر. قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعنده أبو برزة جعل يبتك بالقضيب لثته ويقول: يُلْقَنَ هاماً. فقال له أبو برزة: «ارفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلمسه».

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني مسلمة بن شبيب عن الحميدي عن سفيان سمعت سالم بن أبي حفصة قال قال الحسن: لما جيء برأس الحسين جعل يزيد يلعن بالقضيب، قال سفيان وأخبرت أن الحسن كان ينشد على إثر هذا:

سمية أمسى نسلها عدد الحصى وبت رسول الله ليس لها نسل
وأما بقية أهله ونسائه فإن عمر بن سعد وكل بهم من يجرسهم ويكلوهم، فأركبهم على الرواحل في الموادج، فلما مروا بمكان المعركة ورواوا الحسين وأصحابه يجادلون هناك بكته النساء، وصرخن، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها، فقالت وهي تبكي:

يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء. هذا حسين بالعراء.
مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء يا محمداه. وشاتك سباباً، وفريقك مقتلة، تسغي عليها الصبا، قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.

قال قره بن قيس لما مرت النسوة بالقتلى صحن ولطمن وجوههن، قال: فما رأيت من منظر من نسوة قط أحسن منظر رأيته منهن ذلك اليوم، والله إنهن لأحسن من مها يبرين.

وذكر الحديث كما تقدم. ثم قال: ثم سلروا بهم في الموادج من كربلاء حتى دخلوا الكوفة فأكرمهم ابن زياد وأجرى عليهم التفقات والكساوى والصلوات.

قال: ودخلت زينب ابنة فاطمة في أولاد ثيابها قد تكرت وحضت بها إمامها، فلما دخلت على عبيد الله بن زياد قال: من هذه؟ فلم تكلمه فقال بعض إمامها: هذه زينب بنت فاطمة، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحك وتكلم وكذب أحذوئك. فقالت: بل الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيراً لا كما تقول، وإنما يقتضح القاسق ويكذب الفاجر. قال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم؟ فقالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجونك إلى الله فتضرب ابن زياد واستشاط، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منقطعها؟ إنها لا تؤاخذ بما تقول ولا تلام على خطئ.

وقال أبو مخنف عن المجالد عن سعيد: إن ابن زياد لما نظر إلى علي بن الحسين فزين العابدين قال لشروطي: انظر أدرك هذا الغلام، فإن كان أدرك فانطلقوا به فاضربوا عنقه؟ فكشف إزاره عنه فقال: نعم! فقال: اذهب به فاضرب عنقه، فقال له علي بن الحسين: إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعت معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له ابن زياد: تعال أنت! فبعته معهن.

قال أبو مخنف: وأما سليمان بن أبي راشد فحدثني عن حميد بن مسلم قال: إني لقاتم عند ابن زياد حين عرض عليه علي بن الحسين، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين، قال: أؤلم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت، فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال: كان لي أخ يقال له علي أيضاً قتله الناس. قال: إن الله قتله، فسكت، فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» [الفرق: ٤٢]، «وما كان لنفس أن

معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس فدخل على يزيد، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره، ورد علينا الحسين بن علي بن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته، ومستون رجلاً من شيعته، فسرنا إليهم فسلانهم أن يستسلموا ويستزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، ففدونا إليهم مع شروق الشمس فأسحنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم. فجعلوا يهرسون إلى غير مهرب ولا وزر ويلوفون منا بالأكام والحفر، لوافاً كما لاذ الحمام من صقر، فوالله ما كان إلا جزر جزور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرثلة، وخلودهم معفرة، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان والزحمة. [الربيع الطري: ٤٥٩/٥، ٤٦٠]

قال: فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن مَرْجَانة، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، ورحم الله الحسين. ولم يصل زحمر بن قيس بشيء.

ولما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال: أما والله لو أني صاحبك ما قتلتك، ثم أنشد قول الحسين بن الحمام المرسي الشاعر [الربيع الطري: ٤٦٠/٥]:

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أصق وأظلموا

قال أبو مخنف: فحدثني أبو جعفر العباسي عن أبي عمارة العباسي، قال: وقام يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم فقال:

لهم يجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أضحى نسلها عدد الحصى وبت رسول الله ليس لها نسل

قال: فضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت.

وقال محمد بن حميد الرازي وهو شيعي: حدثنا محمد بن يحيى الأحمري حدثنا ليث عن مجاهد قال: لما جيء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد تمثل بهذه الأبيات:

ليت أنشأني بيذر شهدوا جزع الحزرج من وقع الأسل
فألموا واستهلوا فرحاً ثم قالوا لي هنيئاً لا نسل
حين حُكَّت بقباه بركها واستحر القتل في عبد الأسل
قد قلنا الضعف من أشرفهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
قال مجاهد: نافق فيها، والله ثم والله ما بقي في جيشه أحد إلا تركه.

وقد اختلف العلماء بعدما في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا؟ على قولين، والأول أشبه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة قاله أعلم. وقال أبو مخنف عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن مخيم، قال: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد بن معاوية جعل يبتك بقضيب كان في يده في ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحسين بن الحمام المري:

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أصق وأظلموا

فقال له أبو برزة الأسلمي: أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذاً لقد رأيت رسول الله ﷺ يرفشه، ثم قال: أما إن هذا سيجيء يوم القيامة وشفيعة محمد ﷺ، ونجيه وشفيك ابن زياد. ثم قام فولى. [الربيع الطري: ٤٦٠/٥]

دار الخلافة فاستقبلهن نساء آل معاوية يكيين وينحن على الحسين، ثم أقمن المناحة ثلاثة أيام، وكان يزيد لا يتدفى ولا يتعشى إلا ومعه علي بن الحسين وعمرو بن الحسن، فقال يزيد يوماً لعمر بن الحسين وهو صغير جداً: أتقاتل هذا؟ يعني ابنه خالد بن يزيد فقال: أعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى نقتال، فأخذ يزيد قمصه إليه وقال: شنته أعرفها من أحزم، هل تلد الحية إلا حية؟!

ولما ودعهم يزيد قال لعلي بن الحسين: قبح الله ابن مَرْجَانة، أما والله لو أتني صاحب أبيك ما سألتني خصلة إلا أعطيتها إياها، وللدعت الختف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رايت. ثم جهزه وأعطاه مالا كثيراً وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول، وقال له: كاتبني بكل حاجة تكون لك، فكان ذلك الرسول الذي أرسله معهم يسير عنهن بمعزل من الطريق، ويعد عنهن بحيث يدركهن طرفه وهو في خدمتهن حتى وصلوا المدينة، فجمعن شيئاً من خُلُيَّهن، فدفننه إلى ذلك الرجل فأبى أن يقبله، وقال: إنما والله ما فعلت ذلك لله تعالى ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

وقيل: إن يزيد لما رأى رأس الحسين قال: أشدرون من أين أتى ابن فاطمة؟ وما الحامل له على ما فعل، وما الذي أوقعه فيما وقع فيه؟ قالوا: لا! قال: يزعم أن أباه خير من أبي، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي، وجده رسول الله ﷺ خير من جدي، وأنه خير مني وأحق بهنا الأمر مني، فأما قوله: أبوه خير من أبي فقد حاجج أبي أباه إلى الله عز وجل، وعلم الناس أنهما حكم له، وأما قوله: أمه خير من أمي فلعمري إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي، وأما قوله: جدي رسول الله خير من جدي، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى أن لرسول الله ﷺ فينا عدلاً ولا نداء، ولكنه إنما أتى من قيل فقعه لم يقرأ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. فلما دخلت النساء على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين وكانت أكبر من سكينه: يا يزيد! بنات رسول الله ﷺ سبأ! فقال يزيد: يا بنت أخي، أنا لهذا كنت أكره، قالت: قلت: والله ما تركوا لنا خرساً، فقال: ابنة أخي! ما أتى إليك أعظم مما ذهب لك.

ثم أدخلهن داره ثم أرسل إلى كل امرأة منهن: ماذا أخذ لك؟ فليس منهن امرأة تدعي شيئاً بالغا ما بلغ إلا أضعفه لها.

وقال هشام عن أبي مخنف: حدثني أبو حمزة الثمالي عن عبد الله الثمالي عن القاسم بن بخيت. قال: لما أقبل وفد الكوفة برأس الحسين دخلوا به مسجد دمشق فقال لهم مروان بن الحكم: كيف صنعتهم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتينا والله على آخرهم، وهذه الرؤوس والسبايا، فوثب مروان وانصرف، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم فقال: ما صنعتهم؟ فقالوا له مثل ما قالوا لأخيه، فقال لهم: حجبتهم عن محمد ﷺ يوم القيامة، لن أجمعكم على أمر أبداً، ثم قام فانصرف.

قال: ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بني هاشم ونحن عليه.

وروي أن يزيد استشار الناس في أمرهم فقال رجل من قبهم الله: يا أمير المؤمنين لا تتخذن من كلب سوء جرواً، اقتل علي بن الحسين حتى لا يفي من ذرية الحسين أحد، فسكت يزيد فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين اعمل معهم كما كان يعمل معهم رسول الله ﷺ لو رأيهم على

تموت إلا بإذن الله ﷻ [آل عمران: ١٤٥] قال: أنت والله منهم ويحك!! انظروا هذا أدرك؟ والله إني لأحسبه رجلاً، فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري فقال: نعم قد أدرك، فقال: اقتله، فقال علي بن الحسين: من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت به زينب عمته فقالت: يا ابن زياد حسبك منا ما فعلت بنا، أما رويت من دمائنا؟ وهل أبقيت منا أحداً؟ قال: واعتقته وقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلتنا لما قتلتني معه، وناداه علي فقال: يا ابن زياد!! إن كان بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام. قال: فنظر إليهن ساعة ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم!! والله إني لأظن أنها ودت لو أتى قتلته أن اقتلها معه، دعوا الغلام، انطلق مع سنانك.

قال: ثم إن ابن زياد أمر بنساء الحسين وصيانه وبناته فجهزهن إلى يزيد وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، وأرسلهم مع يخضر بن ثعلبة العائذي من عائلة قريش ومع شمر بن ذي الجوشن قبحه الله، فلما بلغوا باب يزيد بن معاوية رفع يخضر بن ثعلبة صوته فقال: هذا محقر بن ثعلبة، أتى أمير المؤمنين بالنام الفجرة، فأجابه يزيد بن معاوية: ما ولدت أم يخضر شر والأأم.

ثم سيرهم فردهم غيبد الله إلى الشام [المعجم الكبير]: شمر بن ذي الجوشن وشخّر بن ثعلبة العائذي من قريش، ومعهم علي بن الحسين زين العابدين، وكان أراد ابن زياد قتله، فصرفه الله عنه، فلما بهمهم سيره مع أهله، ولكنه مغلول إلى عنقه، وبقية الأهل في حال سيئة على ما ذكر بعضهم.

فلما دخلوا على يزيد بن معاوية قال لعلي بن الحسين: يا علي أبوك قطع رمحي وجعل حتي ونارعي سلطاني، فصنع الله به ما قد رايت. فقال علي: ﴿وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب قبيل أن نبرأها﴾ [الحديد: ٢٢] فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه. قال: فما درى خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد: ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠] فسكت عنه ساعة ثم دعا بالنساء والصبيان فرأى هيئة قبيحة، فقال: قبح الله ابن مرجانة، لو كانت بينهم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا.

وروي أبو مخنف عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت علي قالت: لما أجلسنا بين يدي يزيد رق لنا وأمر لنا بشيء والطفنا، ثم إن رجلاً من أهل الشام أحر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه. يعنيني وكنت جارية وضيفة، فارتعدت فرقة من قوله، وظننت أن ذلك جائر لهم، فأخذت بياض أخي زينب وكانت أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يجوز فقالت للرجل: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد فقال لها: كذبت! والله إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت. قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتلين بغير ديننا. قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتلمت أنت وأبوك وجعلك. قال: كذبت يا عدوة الله. قالت: أنت أمير المؤمنين مسلط تشتم ظالماً وتقر بسلطانك. قالت: فو الله لكأنه استحيأ فسكت، ثم الشامي فقال: يا أمير هب لي هذه. فقال له يزيد اعزب وهب الله لك حنفاً قاضياً.

ثم أمر يزيد النعمان بن بشير أن يبعث معهم إلى المدينة رجلاً أميناً معه رجال وخيل، ويكون علي بن الحسين معهم. ثم أنزل النساء عند حريمه في

يكن بقي من آل الحسين إلا غلام وكان مريضاً مع النساء، فأمر به ابن زياد ليقتل فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلونني، فرق لما فتركه وكف عنه، قال: وجههم وحملهم إلى يزيد فلما قدموا عليه جمع من كان بمحضرة من أهل الشام ثم أدخلوهم فهنؤوه بالفتح، فقال رجل منهم أحر أزرق ونظر إلى وصيفة من بناته فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له، إلا أن تخرجنا من دين الله قال: فأعادها الأزرق فقال له يزيد: كف عن هذا. ثم أدخلهم على عياله، فجهزهم وحملوا إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقاهم وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعتني وباعني بعد مقتدي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تحلفوني بسوء في ذوي رحمي
وقد روى أبو عصف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود أن بنت عقيل هي التي قالت هذا الشعر.

وهكذا حكى الزبير بن بكار أن زينب الصغرى بنت عقيل بن أبي طالب هي التي قالت ذلك حين دخل آل الحسين المدينة النبوية. وروى أبو بكر بن الأتباري بإسناده أن زينب بنت علي بن أبي طالب من فاطمة وهي زوج عبد الله بن جعفر أم بنية رفعت سجع خيائها يوم كربلاء يوم قتل الحسين وقالت هذه الآيات فإله أعلم.

وقال هشام بن الكلبي: حدثني بعض أصحابنا عن عمرو بن أبي المقدم قال: حدثني عمر بن عكرمة قال: أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة فإذا مولاة لنا تحدثنا قالت: سمعت البارحة نادياً ينادي وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسياً أبشروا بالعلاب والتكيد
كل أهل السماء يدعركم من نبي وملاك وقبيل
قد لعم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل
قال ابن هشام: حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي عن أمه قالت: سمعت هذا الصوت.

وما أشبه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيره لبعض المتقدمين في مقتل الحسين:

جاءوا يرأسك يا ابن بنت محمد مسترملاً بدعائه ترميلاً
وكانما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاً ولم يترقبوا في قتلك التبريل والتأويل
ويكبرون بأن قتلنا وإنا قتلوا بك التكبير والتهليل

فصل

وكان مقتل الحسين عليه السلام يوم الجمعة، وقال الليث وأبو نعيم يوم السبت يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين.

وقال هشام بن الكلبي: سنة اثنين وستين، وبه قال علي بن المديني. وقال ابن أبي عمير: سنة تنتين أو ثلاث وستين. وقال غيره سنة ستين. والصحيح الأول. يمكن يقال له الطف بكربلاء من أرض العراق وله من العمر ثمان وخمسون سنة أو نحوها، وأخطأ أبو نعيم في قوله: إنه قتل

هذه الحال. فرق عليهم يزيد وبعث بهم إلى الحمام وأجرى عليهم الكسوى والمطايا والأطعمة، وأنزلهم في داره.

وهذا يرد قول الرافضة: أنهم حملوا على جنائب الإبل سبائاً عرايا، حتى كذب من زعم منهم أن الإبل البخاتي إنما نبت لها الأسنان من ذلك اليوم لتستر عوراتهن.

ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يشره بمقتل الحسين، فأمر متادياً فنادى بذلك في المدينة. فلما سمع نساء بني هاشم ارتفعت أصواتهن بالبكاء والنوح فجعل عمرو بن سعيد يقول: هذا يبكاء نساء عثمان بن عفان. وقال عبد الملك بن عمير: دخلت على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين بن علي بين يديه على ترس، فوالله ما لبث قليلاً حتى دخلت على المختار بن أبي عبيد وإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس، ووالله ما لبث إلا قليلاً حتى دخلت على عبد الملك بن مروان وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس بين يديه.

وقال أبو جعفر ابن جرير الطبري في تاريخه (٣٨٩/٥، ٣٩٠): فحدثني زكريا بن يحيى الضرير حدثنا أحمد بن جناب المصيصي حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري حدثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر: حدثني عن مقتل الحسين كأي حضرته، فقال: أقبل الحسين بكتاب مسلم بن عقيل الذي كان قد كبه إليه يأمه فيه بالقدوم عليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد؟ فقال: أريد هذا المصر، فقال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي غيراً أرجوه، فهم الحسين أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرك عن قتل أخانا أو نقتل. فقال: لا خير في الحياة بعدكم، فسار فلقية أوائل خيل ابن زياد، فلما رأى ذلك عاد إلى كربلاء فأسند ظهره إلى قصباء وخلاً؛ لئلا يُقاتل إلا من وجة واحد. فترل وضرب أبيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه ابن زياد الري وعهد إليه عهد، فقال: اكفني هذا الرجل، فقال: أعفي. فأبى أن يعفيه، فقال: أنظرني الليلة، فأخبره فظفر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به فتوجه إليه عمر بن سعد فلما أتاه قال له الحسين: اختر واحدة من ثلاث، إما أن تدعوني فأصرف من حيث جئت، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فألقني بالثغور. فقبل ذلك عمر، فكتب إليه عبيد الله بن زياد لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين: لا والله لا يكون ذلك أبداً. فقاتله فقتل أصحاب الحسين كلهم وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته وجاءه سهم فاصاب ابنه له معه في حجره فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا ليصروننا قتلونا، ثم أمر بحجرة فشقها ثم لبسها وخرج يسيفه فقاتل حتى قتل، قتله رجل من مذحج وحز رأسه فاطلق به إلى عبيد الله وقال في ذلك:

أزفر ركابي فضة وذهباً فقد قتل الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمراً وإباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً
قال: فأوفده إلى يزيد بن معاوية فوضع رأسه بين يديه، وعنده أبو برزة الأسلمي فجعل يزيد يكتك بالفضيب على فيه ويقول:

يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعز وأظلموا
قال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فارسل الله عليهم
على فيه يلثمه قال: وسرح عمر بن سعد مجرمه وعياله إلى عبيد الله، ولم

وله من العمر خمس أو ست وستون سنة.

قال الإمام أحمد (٢٦٥/٣): حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا عمارة يعني ابن زاذان عن ثابت عن أنس قال: استأذن ملك القطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له، فقال لا م سلمة: «أحفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد» فجهاد الحسين بن علي فوثب حتى دخل، فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ، فقال له الملك: «أحب! قال النبي ﷺ: «نعم» فقال فإن أمتك تقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، قال: فضررب يده فأراه تراباً أحمر، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصترته في طرف ثوبها. قال: فكانا نسمع يقتل بكربلاء.

وقال الإمام أحمد (٢٩٤/٦): حدثنا وكيع حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي: إن ابنتك هنا حسين مقتول، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها» قال: فأخرج تربة حراء.

وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أم سلمة. ورواه الطبراني (الكبير: ٣٤٢/٨) عن أبي أمامة وفيه قصة أم سلمة. ورواه محمد بن سعد عن عائشة بنحو رواية أم سلمة قاله أعلم.

وروي ذلك من حديث زينب بنت جحش ولبابية أم الفضل امرأة العباس. وأرسله غير واحد من التابعين. وقال أبو القاسم البغوي: «حدثنا محمد بن هارون أبو بكر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي وعلي بن الحسن الرازي قالوا: حدثنا سعيد بن عبد الملك أبو واقد الحراني حدثنا عطاء بن مسلم حدثنا أشعث بن سحيم عن أبيه قال: سمعت أنس بن الحارث يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد منكم ذلك فلينصره». قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين، ثم قال: ولا أعلم روى غيره.

وقال الإمام أحمد (٨٥/١): «حدثنا محمد بن عبيد حدثنا شرحبيل بن مدرك عن عبد الله بن نجى عن أبيه أنه سار مع علي وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نيزى وهو متعلق إلى صفين، فنادى علي: أصبر أبا عبد الله، أصبر أبا عبد الله، بشط الفرات قلت: وماذا؟ قال: دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ وما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «بلى قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات» قال: فقال: «هل لك أن أشمك من تربته؟» قال: فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتاً تفرد به أحمد.

وروى محمد بن سعد عن علي بن محمد عن يحيى بن زكريا عن رجل عن عامر الشعبي عن علي مثله.

وقد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب أنه مر بكربلاء عند أشجار الخنظل وهو ذاهب إلى صفين، فسأل عن اسمها فقيل كربلاء فقال: كرب وبلاء، فنزل فصلى عند شجرة هناك ثم قال: يقتل هنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة، يدخلون الجنة بنسب حساب وأشار إلى مكان هناك فعلموه بشيء فقتل فيه الحسين رضي الله عنه.

وقد روى عن كعب الأحبار آثار في كربلاء وقد حكى أبو الجنب الكلابي وغيره أن أهل كربلاء لا يزالون يسمعون نسوح الجن على حسين وهن يلقن:

سبح الرسول جينسه فله بريقتي في الخلود
أبراه من عليا قريش جده خير الجلود
وقد أجابهم بعض الناس فقال:

خرجوا به وفداً إليه فهم له شر الوفود
قتلوا ابن بنت نبيهم سكنوا به نار الخلود
وروي ابن عساكر (تاريخ دمشق: ٢٤٣/١٤) أن طائفة من الناس ذهبوا في غزوة إلى بلاد الروم فوجدوا في كنيسة مكتوباً:

أترجو أمة قتلت حيناً شفاعته جده يوم الحساب
فسألهم: من كتب هذا؟ فقالوا: إن هذا مكتوب هنا من قبل مبعث نبيكم بثلاثمائة سنة.

وروي أن الذين قتلوه رجعوا فباتوا وهم يشربون الخمر والراس معهم، فبرز لهم قلم من حديد فرسم لهم في الحائط بدم هذا البيت.

أترجو أمة قتلت حيناً شفاعته جده يوم الحساب؟

وقال الإمام أحمد (٢٤٢/١، ٢٨٣): «حدثنا عبد الرحمن وعفان حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر، معه قارورة فيها دم، قلت: يا بني أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هنا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألقطه منذ اليوم». قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم.

تفرد به أحمد وإسناده قوي.

وقال ابن أبي الدنيا: «حدثنا عبد الله بن محمد بن هانيء أبو عبد الرحمن النخعي حدثنا معدي بن سليمان حدثنا علي بن زيد بن جدعان. قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله، فقال له أصحابه: كلا يا ابن عباس كلاً؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زوجة من دم فقال: «ألا أعلم ما صنعت أمي من بعد؟» قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله». فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه، وتلك الساعة، فما لبث إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة.

وروي الترمذي (٣٧٧١) عن أبي سعيد الأشج عن أبي خالد الأحمر عن رزين عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تكيى فقلت: ما يكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أنبأنا قرّة بن خالد أخبرني عامر بن عبد الواحد عن شهر بن حوشب قال: إننا لعند أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعنا صارخة فأقبلت حتى انتهت إلى أم سلمة فقالت: قتل الحسين. فقالت: قد فعلوها، ملا الله قبرهم أو يوتهم عليهم ناراً، ووقعت مغشياً عليها، وقعنا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن عمار قال: سمعت أم سلمة قالت: سمعت الجن يكيين على حسين وسمعت الجن تتوح على الحسين.

ورواه الحسين بن إدريس عن هاشم بن هاشم عن أمه عن أم سلمة قالت: سمعت الجن يكيين تتوح على الحسين وهن يلقن:

أنخر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة، ويظهرون السرور والفرح، يريدون بذلك عناد الروافض ومعاصيتهم. وقد تاول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بابيه الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم [١٨٥٧] الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتعذر عليه وتقدير أن تكون طائفة من الجبهة قد تاولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاث المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين لم تدم الأمة بكاملها وتتهم على نبيها ﷺ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرعة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا وأخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لفا حته كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به غبراً عن نفسه بذلك. وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا لوسل يعيب عليه ذلك والله أعلم.

فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه هذا الذي وقع من قتله ﷺ، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله ﷺ التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخيّاً، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء وقد كان أبوه أفضل وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التثريب من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً، وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر وهو يقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم مقتله مأتماً، وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، رسول الله ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موته مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجبهة من الرافضة يوم مصرع الحسين. ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة، مثل كسوف الشمس والحمة التي تطلع في السماء وغير ذلك.

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه الحسين بن علي عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن تقادم ههنا فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها». رواه الإمام أحمد (٢٠١/١) وابن ماجه.

وأما قبر الحسين ﷺ فقد اشتهر عند أكثر المتأخرين أنه في مشهد علي. بمكان من الطف عند نهر كربلاء، فيقال إن ذلك المشهد مبني على قبره فالله أعلم.

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع على

إياها القاتلون ظلماً حسيباً أبشروا بالعذاب والتكيد كل أهل السماء يدعوا عليكم من نبي ومرسل وقبيل قد لعتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل وقد روي من طريق أخرى عن أم سلمة بشعر آخر غير هذا، فالله أعلم.

وقال الخطيب رحمه الله: (١٤١/١، ١٤٢) : أنبأنا أحمد بن عثمان بن مباح السكري حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي حدثنا محمد بن شداد السلمي حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال: أوحى الله تعالى إلى محمد إني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بلبن بتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

هذا حديث غريب جداً، وقد رواه الحاكم في مستدركه (٥٩٢/٢). وقد ذكر الطبراني المعجم الكو: (١١٩/٣-١٢٣) مهنا آثاراً غريبة جداً، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة وكذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا رجد تحت دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم وصارت السماء كأنها علفة، وأن الكواكب صار يضرب بعضها بعضاً، وأمطرت السماء دماً أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ.

وروي ابن طيبة عن أبي قبيل الماعري أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دماً، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم تمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحت دم عيط، وأن الإبل التي غنموها من إيل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل الملقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء.

وأما ما روي من الأمور والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنه قل من نجا منهم في الدنيا، إلا أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون. وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين رضي الله عنه كذب كثير وأخبار طويلة، وفيما ذكرناه كفاية، وفي بعض ما أوردهنا نظير، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ الأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين عن بعده والله أعلم.

وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الوباد تصرب بغياد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتين في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتشد موافقة للحسين لأنه قتل عطشان. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشيعة والأهواء الفظيعة والفتنات المخترعة وإنما يريدون بهذا وإشباعه أن يشنعوا على دولة بني أمية، لأنه قتل في أيامهم.

وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام، فكانوا إلى يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيون ويلبسون

تعيته بغير.

وقد كان أبو نعيم، الفضل بن دكين، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين عليه السلام.

وذكر هشام بن الكلبي أن الماء لما أجري على قبر حسين ليحمي أثره نصب الماء بعد أربعين يوماً، فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك!! ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وأما رأسه عليه السلام: فالمشهور عند أهل التاريخ وعلما السير أنه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس من أنكر ذلك. وعندي أن الأول أشهر قاله أعلم.

ثم اختلوا بعد ذلك في المكان الذي دفن فيه الرأس، فروى محمد بن سعد أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبيع.

وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح وهما ضعيفان أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي فأخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفرائيس من مدينة دمشق.

قلت: ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفرائيس الثاني. وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمته رباح حاضنة يزيد بن معاوية يرجع منه ١٠٢، ١٠٣، أن يزيد حين وضع رأس الحسين بين يديه تمثل بشعر ابن الزبير يعني قوله:

ليت أشياخي يسد شهوداً جزع الخنزرج من وقع الأسفل

قال: ثم نصبه بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح، حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك فبجى به إليه، وقد بقي عظماً أبيض، فكفنه وطيه وصلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين، فلما جاءت المسودة يعني بني العباس نشوا عن رأس الحسين وأخذوه معهم. وذكر ابن عساكر أن هذه المرأة بقيت بعد دولة بني أمية، وقد جاوزت المائة سنة قاله أعلم.

وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها ونوا عليه المشهد المشهور به بمصر، الذي يقال له تاج الحسين، بعد سنة خمسمائة. وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خونة، وقد نص على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء، في دولتهم في حدود سنة أربعمائة، كما سنين ذلك كله إذا تنهينا إليه في مواضعه إن شاء الله تعالى.

فصل: في ذكر شيء من فضائله

روى البخاري من حديث شعبة (٣٧٥٧) ومهدي بن ميمون (٥٩٩٤) عن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعيم قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن الحرم يقتل الذئباب فقال: أهل العراق يسألون عن قتل الذئباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله عليه السلام، وقد

قال رسول الله عليه السلام: «هما ريحائتي من الدنيا».

ورواه الترمذي (٣٧٧٠) عن عتبة بن مكرم عن وهب بن جرير عن أبيه عن محمد بن أبي يعقوب به نحوه: أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب، فقال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله عليه السلام. وذكر تمام الحديث. ثم قال حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد (٢٨٨/٢): حدثنا أبو أحمد، حدثنا سفيان عن أبي الجحاف عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله عليه السلام: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني» يعني حسناً وحباً.

وقال الإمام أحمد (٤٤٢/٢): حدثنا نليل بن سليمان كوفي حدثنا أبو الجحاف عن أبي حازم عن أبي هريرة. قال: نظر النبي عليه السلام إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم». تفرد بهما الإمام أحمد.

وقال الإمام أحمد (٤٤٠/٢): «حدثنا ابن غير حدثنا حجاج يعني ابن دينار عن جعفر بن إياس عن عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة. قال: خرج رسول الله عليه السلام ومعه حسن وحسين، هنا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هنا مرة وهنا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله والله إنك لتحبهما، فقال: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني». تفرد به أحمد.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي (٤٢٩٤): «حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عتبة بن خالد حدثني يوسف بن إبراهيم التميمي أنه سمع أنس بن مالك يقول: سئل رسول الله عليه السلام: أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «الحسن والحسين». قال: وكان يقول: «ادع لي ابني» فيشهما ويضمهما إليه.

وكذا رواه الترمذي (٣٧٧٢) عن أبي سعيد الأشج به، وقال: حسن غريب من حديث أنس.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر (٢٥٩/٣) وعفان (٢٨٥/٣) عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس. أن رسول الله عليه السلام كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول: «الصلوة يا أهل البيت، إنما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً» (الأحزاب: ٣٣).

ورواه الترمذي (٣٢٠٦) عن عبد بن حميد عن عفان به، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

وقال الترمذي (٣٧٨٢): «حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو أسامة عن فضيل بن مزروغ عن علي بن ثابت عن البراء أن رسول الله عليه السلام أبصر حسناً وحسيناً فقال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، ثم قال: حسن صحيح.

وقد روى الإمام أحمد (٣٥٤/٥): «عن زيد بن الحباب عن الحسين بن واقد وأهل السنن الأربعة» (١١٠٩)، ت (٣٧٧٤)، م (١٤١٢) × (١٥٨٤)،

ج (٣٦٠٠) من حديث الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه. قال: كان رسول الله عليه السلام يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران، يمشیان ويعثران، فنزل رسول الله عليه السلام عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ﴾

فنزطت إلى هذين الصبيين يمشیان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. وهذا لفظ الترمذي، وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد.

أخبره أنه رأى النبي ﷺ يضم إليه حسناً وحسناً ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما». وقد روي عن أسامة بن زيد وسلمان الفارسي شيء يشبه هذا وفيه ضعف وسقم والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد [٥١٢/٢]: «حدثنا أسود بن عامر حدثنا كامل وأبو المنذر، أنا كامل قال أسود: أنبأنا المعنى عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما أحداً وبقياً فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عاداً حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمتم إليه فقلتم: يا رسول الله أردهما؟ قال: فبرقت برقة فقال لهما: «الحقا بأكما»، قال فمكث ضوؤها حتى دخلا. وقد روى موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه، وقد روي عن أبي سعيد وابن عمر قريب من هذا.

وقال الإمام أحمد [١٠١/١]: «حدثنا عفان حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا قيس بن الربيع عن أبي القدام عن عبد الرحمن الأزرق عن علي. قال: دخل علي رسول الله ﷺ وأنا نائم على المثامة، فاستسقى الحسن أو الحسين فقام رسول الله ﷺ إلى شاة لنا بكىء فحلبها فندرت فجاه الآخر فتجاه، فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحبهما إليك؟ قال: «لا ولكنه استسقى قبله»، ثم قال: «إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة».

نفرد به أحمد.

ورواه أبو داود الطيالسي [١٩٠] عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي فاختة عن علي فذكر نحوه وقد روي عن أبي سعيد الخدري وعن ميمونة وأم سلمة أمي المؤمنين مثله أو نحوه.

وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يحبهما ويكرمهما ويعلمهما ويعطيهما في الديوان كما يعطي أباهما، وحي مرة بلال من اليمن قسمها بين أبناء الصحابة ولم يعطهما منها شيئاً، وقال: ليس فيها شيء يصلح لهما، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا قبيصة بن عقبة حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث قال: بينما عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين مقبلاً فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء.

وقال الزبير بن بكار: حدثني أحمد بن سلمان، عن الدراوردي عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صفار لم يلبسوا، ولم يلبس صغيراً إلا مناء، وهذا مرسل غريب.

وقال محمد بن سعد: أخبرني يعلى بن عبيد حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير. قال: حج الحسين بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ولجأه تقاد بين يديه.

وحدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسين بن علي حج ماشياً وإن لجأه تقاد وراه. والصواب أن ذلك إنما هو الحسن أخوه كما حكاه البخاري.

وقال المدائني: جرى بين الحسن والحسين كلام فتهاجروا، فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن إلى الحسين فأكب على رأسه فقبله، وقال: إن الذي تمنني من ابتلائك بهذا شيء رأيت أنك أحق بالفضل مني فكرهت أن أتازلك ما أنت أحق به مني.

ثم قال [٣٧٧٥]: «حدثنا الحسين بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن راشد عن يعلى بن مرة. قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط». ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه أحمد [١٧٢/٤] عن عفان عن وهيب، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به.

ورواه الطبراني [٢٧٣/٢] عن بكر بن سهل عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن يعلى بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

وقال الإمام أحمد [٢٧٣/٣]: «حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سينا شباب أهل الجنة».

ورواه الترمذي [٣٧٦٨] من حديث سفيان الثوري وغيره عن يزيد بن أبي زياد، وقال: حسن صحيح.

وقد رواه أبو القاسم البغوي عن داود بن رشيد عن مروان الفزاري عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبيه عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سينا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة، يحيى ويعيسى عليهما السلام».

وأخرجه النسائي [٨١٦٩] من حديث مروان بن معاوية الفزاري به.

ورواه سويد بن سعيد عن محمد بن خازم عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد. [تاريخ دمشق: ١٣٥/١٤، ١٣٦]

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن ربيع بن سعد عن أبي سابط قال: دخل حسين بن علي المسجد فقال جابر بن عبد الله: من أحب أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا، سمعته من رسول الله ﷺ. نفرد به أحمد [رواه ابن مسعود تاريخ دمشق: ١٣٦/١٤، من طريق الإمام أحمد].

وروى الترمذي [٣٧٨١] والنسائي [٨٢٩٨] من حديث إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المهال بن عمرو عن زر بن حبیش عن حليفة أن أمه بعته ليستغفر له رسول الله ﷺ ولما قال: فأنثته فصليت معه المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء، ثم انفلت فتبعته فسمع صوتي فقال: «من هذا؟ حليفة؟ قلت: نعم! قال: «ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ إن هذا ملك لم ينزل إلى الأرض قبل هذه الليلة، استأذن ربه بأن يسلم علي ويشرنني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سينا شباب أهل الجنة».

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ولا يعرف إلا من حديث إسرائيل.

وقد روي مثل هذا من حديث علي بن أبي طالب ومن حديث الحسين نفسه، وعمر وابنه عبد الله وعبد الله ابن عباس وابن مسعود وأبى وغيرهم، وفي أسانيده كلها ضعف والله أعلم.

وقال أبو داود الطيالسي [٢٥٠٢] عن حدثنا موسى بن مطير عن أبيه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الحسن والحسين: «من أحبني فليحب هذين».

وقال الإمام أحمد [٣٩٩/٥]: «حدثنا سليمان بن داود حدثنا إسماعيل يعني ابن جعفر أخبرني محمد يعني ابن أبي حرملة عن عطاء. أن رجلاً

وحكى الأصمعي عن ابن عون أن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء فقال الحسين: إن أحسن المال ما وقى العرض.

وقد روى الطبراني والمعجم الكبير: ١٠٦/٣: حدثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي حدثنا يزيد بن عمرو بن البراء الغنوي حدثنا سليمان بن الميثم قال: كان الحسين بن علي يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فأوسع فما له الناس، والفردق بن غالب ينظر إليه فقال رجل: يا أبا فراس من هذا؟ فقال الفردق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطائه والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى التقى الطاهر العلم
يكاد يملكه عرفان راحته ركن الحليم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا يتهي الكرم
ينفسي حياه ويفضي من مهابته فما يكلم إلا حين ينتم
في كل خيثران ريجها عسق بكف أروع في عرينه شمم
مشقة من رسول الله نبتة طابت عناصره والخيم والشيم
لا يستطيع جواد بعد غايته ولا يئاته قوم إن هموا كرموا
أي العشائر ليست في رقابهم لأولية هنا أو له نعم
من يعرف الله يعرف أولية فالدين من بيت هذا ناله الأمم

هكذا أوردنا الطبراني في ترجمة الحسين في معجمه الكبير وهو غريب، فإن المشهور أنها من قيل الفردق في علي بن الحسين لا في أبيه، وهو أشبه، فإن الفردق لم ير الحسين إلا وهو مقبل إلى الحج والحسين ذاهب إلى العراق، فقال الحسين الفردق عن الناس فذكر له ما تقدم، ثم إن الحسين قتل بعد مفارقه له بأيام يسيرة، وأه يطوف بالبيت؟ والله أعلم، وروى هشام عن عروانة قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد: أين الكتاب الذي كتبه إليك في قتل الحسين؟ فقال: مضيت لأسرك وضاع الكتاب، فقال له ابن زياد: لتجيش به، قال: ضاع، قال: والله لتجيش به، قال: ترك والله يقرأ على عجائر قريش اعتذر إليهم بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتنا إلى سعد بن أبي وقاص لكنت قد أدبت حقه، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صلبك عمر والله، ولوددت والله أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وإن حسينا لم يقتل، قال: فو الله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله.

فصل: في ذكر شيء من أشعاره

فمن ذلك ما أنشد أبو بكر بن كامل عن عبد الله بن إبراهيم، وذكر أنه للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

اغتن عن المخلوق بالخالق تفرغ عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يخونونه فليس بالرحمن بالواق
أو ظن أن المال من كسبه زلت به الععلان من حالق
عن الأعمش أن الحسين بن علي قال:

كلما زيد صاحب المال مالا زيد في همه وفي الاشتغال

قد عرفناك يا منفضة العيب شربا دار كل فان ويل
ليس يصفر لزاهد طلب الزهد سد إذا كان مثقلا بالعيال
وعن إسحاق بن إبراهيم قال: بلغني أن الحسين زار مقابر الشهداء بالبقع فقال:

ناديت سكان القبور فلمسكوا وأجابني عن صمتهم نذب الجثى
قالت اتدري ما صنعت بساكني مزقت اللحم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدما كانت تأذى باليبر من القسا
أما العظام فلاني مزقتها حتى تباينت المفاصل والشوا
قطعت ذا من ذا ومن هذا كفا فزكتها رما يطول بها اليسى
وأنشد بعضهم للحسين رضي الله عنه أيضاً:

لئن كانت الدنيا تمد نفيسة فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت فقتل سبيل الله بالسيف أفضل
وإن كانت الأرزاق شيئاً مقدراً فقللة سعي المرء في الكسب أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعت فما بال متروك به المرء يخل
وما أنشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أئيف، ويقال بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي وهي أم ابنته سكينه بنت الحسين:

لعمرك إنني لأحب داراً تحمل بها سكينه والرباب
أحبها وأبذل جل مالي وليس للامسي فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب
وقد أسلم أبوها على يدي عمر بن الخطاب وأمره عمر على قومه، فلما خرج من عنده خطب إليه علي بن أبي طالب أن يزوج ابنته الحسن والحسين من بناته، فزوج الحسن ابنته سلمى، والحسين ابنته الرباب، وزوج علياً ابنته الثالثة، وهي الحياة بنت امرئ القيس في ساعة واحدة، فأحب الحسين زوجته الرباب حباً شديداً وكان بها معجباً يقول فيها الشعر، ولما قتل بكرلاء كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً، وذكر أنها أقامت على قبره ستة ثم انصرفت وهي تقول:

لئ الحول ثم اسم السلام عليكم ومن يك حولا كاملا فقد اعتذر
وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش فقالت: ما كنت لأتخذ
حي بعد رسول الله ﷺ، وو الله لا يؤمنني ورجلا بعد الحسين سقف أبداً. ولم تزل عليه كلمة حتى ماتت، ويقال إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة فآله أعلم.

وابنتها سكينه بنت الحسين كانت من أجل النساء حتى أنه لم يكن في زمانها أحسن منها، قاله أعلم.

وروى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن جندب أن عبيد الله ابن زياد بعد مقتل الحسين تفقد أشراف أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر بن يزيد، فطلبه حتى جاءه بعد أيام فقال: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب أم مريض البدن؟ قال: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله علي بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدونا، قال: لو كنت مع عدوك لم يخف مكان مثلي، ولكن الناس شاهدوا ذلك، قال: وغفل عنه ابن زياد غفلة فخرج ابن الحر فبعد على فرسه. ثم

من ذلك ما اصطفاه يزيد بن معاوية مع مرزيان ومعه وفد، وصالح سلم أهل سمرقند في هذه الغزوة على مال جزيل.

وفيهما عزل يزيد عن إمرة الحرمين عمرو بن سعيد وأعاد إليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فولاه المدينة، وذلك أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ويعظم قتل الحسين وأصحابه جداً، ويعيب على أهل الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله، ويقول: أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغنا والملاهي! ولا بالأكاء من خشية الله الخلاء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالجلوس في خلق الذكر تطلب الصيد يعرض في ذلك بيزيد بن معاوية فسوف يلقون غيا، ويؤلب الناس على بني أمية ويحثهم على مخالفتهم وخلع يزيد. فبايعه خلق كثير في الباطن، وسأله أن يظهرها فلم يمكنه ذلك مع وجود عمرو بن سعيد، وكان شديداً عليه ولكن فيه فرق، وقد كان كاتبه أهل المدينة وغيرهم، وقال الناس: أما إذ قتل الحسين فليس أحد يتنازع ابن الزبير، ويلغ ذلك يزيد وقيل له: إن عمرو بن سعيد لو شاء لبعث إليك برأس ابن الزبير، أو يحاصره حتى يخرج منه من الحرم، فبعث فغزله وولى الوليد بن عتبة في هذه السنة، وقال بعضهم: في مستهل ذي الحجة، فأقام للناس الحج في هذه السنة، وحلف يزيد ليعين إلى ابن الزبير فليؤتيه به في سلسلة من فضة، وبعث بها مع البريد ومعه برنس من خز لتبزيه، فلما مر البريد على مروان وهو بالمدينة أخبره بما هو قاصد له وما معه من الغل أنشأ مروان يقول:

فخلعنا فما هي للعزيز بخطّة وفيها مقال لامرئ مثزل
أعامر إن القوم ساموك خطّة وذلك في الجيران غزل بمغزل
أراك إذا ما كنت في القوم ناصحاً يقال له بالدلو أدير وأقبل
فلما انتهت الرسل إلى عبد الله بن الزبير بعث مروان ابنه عبد الملك وعبد العزيز ليحضرا مراجعته في ذلك، وقال: أسمعاه قولي في ذلك، قال عبد العزيز: فلما جلس الرسل بين يديه جعلت أنشد ذلك وهو يسمع ولا أشعره، فالتفت إلي فقال: أخبرا أبكما أنني أقول:

إنني لمن نبعة صم مكاسرها إذا تناوحت القصباء والعشر
ولا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضع الحجر

قال عبد العزيز: فما أدري أيهما كان أعجب!!

قال أبو معشر: لا خلاف بين أهل السير أن الوليد بن عتبة حج بالناس في هذه السنة وهو أمير الحرمين وعلى البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد، وعلى خراسان وسجستان سلم بن زياد أخو عبيد الله بن زياد، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن علي رضي الله عنهما: ومعه بضعة عشر من أهل بيته قتلوا جميعاً بكريلاء، وقيل بضعة وعشرون كما تقدم. وقتل معهم جماعة من الأبطال والفرسان.

■ جابر بن عتيك بن قيس: أبو عبد الله الأنصاري، شهد بدرًا وما بعدها، وكان حامل راية بني معاوية يوم الفتح، كذا قال ابن الجوزي، قال: وتوفي في هذه السنة عن إحدى وسبعين سنة.

■ حمزة بن عمرو الأسلمي صحابي جليل ثبت في الصحيحين

قال: أبلغوه أنني لا أتبه والله طائفاً فقال ابن زياد: أين الحر؟ قالوا: خرج، فقال: علي به، فخرج الشرط في طلبه فأسمعه غليظ ما يكرهون، وترضى عن الحسين أخيه وأبيه ثم أسمعه في ابن زياد غليظاً من القول، ثم امتنع منهم وقال في الحسين وفي أصحابه شعراً:

يقول أمير غادر حق غادر ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيا ندمي أن لا أكون نصرته ألا كل نفس لا تعدد نادمه
وإنني لأتسي لم أكن من حماته لئلو حيرة ما إن تصارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تلزروا على نصره سقياً من الغيث فأنمه
وقفت على أجدلتهم ومجالهم فكان الحشا ينفخ والعين ساجه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى سراعاً إلى الهيجا حاة خضارمه
ناسوا على نصر ابن بنت نبيهم بأسيانهم آساد غيل شرارمه
فلأن تقتلوا فكل نفس تتيه على الأرض قد أضحت لنلك واجمه
وما إن رأى الرايون أفضل منهم لدى الموت سادك وزهر فما قتته
أقتلهم ظلماً وترجوا وفادنا فذني خطه ليست لنا بلامته
لعمري لقد راغمتونا يقتلهم فكم نائم منا عليكم وناقمه
أهم مروراً أن أمير يحفل إلى فتنة زافت من الحق ظالمة
فيا ابن زياد استمد لحرنا وموقف ضحك يقصم الظهر قاصمه
وقال الزبير بن بكار: قال سليمان بن قتة يري الحسين عليه السلام:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت
فلن تبعوه عائذ البيت تصبحوا كعاد نعمت عن هداها فضلت
مررت على آيات آل عماد فالتفتها أمثالها حيث حلت
وكانوا لنا غنماً فسادوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقبرها وتقتلنا قيس إذا العمل زلت
وعند غني قطرة من دماننا سنجزبهم يوماً بها حيث حلت
لم تر أن الأرض أضحت مريضة لقتل حسين والبلاء اقتشعت
وما وقع من الحوادث في هذه السنة أعني سنة إحدى وستين بعد مقتل الحسين.

ففيها ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد سجستان وخراسان حين وفد عليه، وله من العمر أربعة وعشرون سنة، وعزل عنها أخويه عباداً وعبد الرحمن، وسار سلم إلى عمله فجعل يتخبط الوجوه والفرسان، ويحرض الناس على الجهاد، ثم خرج في جحفل عظيم ليغزو بلاد الترك، ومعه أمزاته أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فكانت أول امرأة من العرب قطع بها النهر، وولدت هنالك ولداً أسماه صغدياً، وبعثت إليها امرأة صاحب الصغد بتاجها من ذهب ولاكي. وكان المسلمون قبل ذلك لا يشترن في تلك البلاد، فشتى بها سلم بن زياد.

وبعث المهلب بن أبي صفرة إلى تلك المدينة التي هي للترك، وهي خوازم فحاصره حتى حاصره على ثيف وعشرين ألف ألف، وكان يأخذ منهم عروضاً عرضاً، فيأخذ الشيء بنصف قيمته فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فحظى بذلك المهلب عند سلم بن زياد، ثم بعث

بمملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من أمرنا؟ فقال له نعمان: أما والله لكأنني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الركب التي تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيف، ودارت رحي الموت بين الفريقين، وكأني بك قد ضربت جنب بفلتك إلى مكة وخلفت هؤلاء المساكين يعني الأنصار يقتلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم. ففصاه الناس فلم يسمعو منه فانصرف وكان الأمر والله كما قال سواء.

قال ابن جرير رحمه الله: [٤٨١/٥] : وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة. كنا قال وفيه نظر، فإنه إن كان في وفد أهل المدينة وقد رجعوا من عند يزيد فأنما وفد عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وإن كان قد حج بالناس فيها الوليد فما قدم وفد المدينة إلى يزيد إلا في أول سنة ثلاث وستين وهو أشبه والله أعلم.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ يزيد بن الحبيب الأسلمي: كان إسلامه حين اجتاز به رسول الله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة عند كراع الغميم، فلما كان هناك تلقاه بريدة في ثمانين نفساً من أهله فأسلموا، وصلى بهم صلاة العشاء وعلمه ليلتذ صبراً من سورة مريم ثم قدم على رسول الله ﷺ المدينة بعد أحد شهيد معه المشاهد كلها وأقام بالمدينة، فلما فتحت البصرة نزلها واختط بها داراً، ثم خرج إلى غزو خراسان فمات بمرو في خلافة يزيد بن معاوية. ذكر موته غير واحد في هذه السنة.

■ الربيع خنيم أبو يزيد الثوري الكوفي أحد أصحاب ابن مسعود قال له عبد الله بن مسعود: ما رأيتك إلا ذكرت المختين. ولو رآك رسول الله ﷺ لأحبك. وكان ابن مسعود يحبه كثيراً.

وقال الشعبي: وكان الربيع من معاذ الصدق، وكان أروع أصحاب ابن مسعود.

وقال ابن معين: لا يسأل عن مثله.

وله مناقب كثيرة جداً، أرخ ابن الجوزي [المنظوم: ٨/٦] وفاته في هذه السنة.

■ علقمة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي: كان من أكابر أصحاب ابن مسعود وعلمائهم وكان يشبه بابن مسعود. وقد روى علقمة عن جماعة من الصحابة وعنه خلق من التابعين.

■ عقبة بن نافع القهري: بعثه معاوية إلى إفريقية في عشرة آلاف فافتتحها، واختط القيروان، وكان موضعها غيضة لا ترام من السباع والحيات والحشرات، فدعا الله تعالى فجعلنا يخرج من أبوالأدهن من الأوكار والجحار، فبناها ولم يزل بها حتى هذه السنة،

غزا أقواماً من البربر والروم فقتل شهيداً. ■ عمرو بن حزم: صحابي جليل استعمله رسول الله ﷺ على نجران وعمره سبع عشرة سنة وأقام بها مدة، وأدرك أيام يزيد بن معاوية.

■ مسلم بن مخلد الأنصاري الزرقني: ولد عام الهجرة، وسمع من رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر، وولي الجند بها لمعاوية ويزيد، ومات في ذي القعدة من هذه السنة.

أن يخرجوا من السجن ويلحقوا به، وأعد لهم إبلا يركبونها، ففعلوا ذلك، فلما لحقوه حتى وصل إلى يزيد فلما دخل عليه أكرمه واحترمه ورحب به يزيد، وأثنى مجلسه، ثم إنه عاتبه في تقصيره في شأن ابن الزبير، فقال له: يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن جل أهل مكة والحجاز ما ألوه علينا وأجوه ولم يكن لي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يجذري ويغترس مني، وكنت أرفق به كثيراً وأدريه لأستمكن منه فأناب عليه، مع أنني قد ضيقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلي اسمي واسم أبيه، ومن أي بلاد الله هو وما جاء له، وماذا يريد، فإن كان من أصحابه أو ممن عرف أنه يريد ردة صاغراً، وإلا خلعت سيبله. وقد وليت الوليد وسياتيك من عمله وأمره ما لعلك تعرف به به فضل مبالغتي في أمرك ومناصحتي لك إن شاء الله، والله يصنع لك ويكبت عدوك. فقال له يزيد: أنت أصدق بمن رساك وحلتي عليك، وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وأدخره لأرباب الصدع. وكفاية المهمل وكشف نوازل الأمور العظام. في كلام طويل.

وأما الوليد بن عتبة فإنه أقام بالحجاز وقد هم مراراً أن يطش بعبد الله بن الزبير فلا يجيده إلا متحذراً متمسكاً قد أعد للأمور أقرانها. وثار بالعمامة رجل آخر يقال له نجدة بن عامر الحنفي حين قتل الحسين، وخالف يزيد بن معاوية، ولم يخلف ابن الزبير بل بقي على حدة، له أصحاب يتبعونه، فإذا كان ليلة عرفة دفع الوليد بن عتبة بالجمهور وتخلف عنه أصحاب ابن الزبير وأصحاب نجدة، ثم يدفع كل فريق وحدهم. ثم كتب نجدة إلى يزيد: إنك بعثت إلينا رجلاً آخرق لا يتجه لأمر رشد ولا يروعي لعظة الحكيم، فلو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق لين الكنف، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوخر منها وأن يتجمع ما تفرق، فانظر في ذلك فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله تعالى.

قالوا: فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فسار إلى الحجاز وإذا هو قتي غر حدث غمر لم يمارس الأمور، فطمعوا فيه، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد منها وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة، فقدموا على يزيد فآكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، ثم انصرفوا ورجعوا إلى المدينة، إلا المنذر بن الزبير فإنه سار إلى صاحبه عبيد الله بن زياد بالبصرة، وكان يزيد قد أجاز به مائة ألف نظير أصحابه من أولئك الوفد، ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدما من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر وتعزف عنه القينات بالمعازف، وإننا نشهدكم أننا قد خلعتنا، فتابعهم الناس على خلعه، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، ورجع المنذر بن الزبير من البصرة إلى المدينة فوافق أولئك على خلع يزيد، وأخبرهم عنه أنه يشرب الخمر ويسكر حتى يترك الصلاة، وعابه أكثر مما عابه أولئك. فلما بلغ ذلك يزيد قال: اللهم إني أثرتك وأكرمتك ففعل ما قد رأيت، فأدركه واتقته منه.

ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة نعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويعلمهم غيب ذلك ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة ولزوم الجماعة، فسار إليهم ففعل ما أمره يزيد وخوفهم الفتنة وقال لهم: إن الفتنة وخيمة، وقال: لا طاقة لكم بأهل الشام، فقال له عبد الله بن مطيع التثوي: ما

أيام يزيد من معاوية، وقال ابن الجوزي [الطهم: ١٠/٦]: مات في هذه السنة. وفيها توفيت

■ الرباب بنت امرئ القيس امرأة الحسين بن علي التي كانت حاضرة أهل العراق إذ هم يعنون في السبت أو في الجمعة على زوجها الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ففيها كانت وقعة الحرة وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد ولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي؛ فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه وثلقيها عن راسه، ويقول الآخر: قد خلعت كما خلعت نعلي هذه. حتى اجتمع شيء كثير من العمامات والنعال هنالك، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد، وعلى إحصاء بني أمية من المدينة، فاجتمعت بنو أمية وهم قريب من ألف رجل في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، واعتزل الناس علي بن الحسين قزوين العابدين، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يخلع يزيد، ولا أحد من أهل بيته، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفيصل ويروى الصيلم بيني وبينه. وسيأتي هذا الحديث بلفظه وإسناده في ترجمة يزيد. وأكرر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت، وقال: إنما كنا نابع رسول الله ﷺ على أن لا نفر، وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب، وقد مثل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك وأبى أشد الإباء وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموه به من شره الخمر وتركه بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله تعالى.

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإمالة، والجوع والعطش، وأنه إن لم يبعث إليهم من يتقدم ما هم فيه ولا استوصلوا عن آخرهم ويعثوا ذلك مع البريد، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتد به ما به من الثقرس في رجله، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال: وبلكا أما فيهم ألف رجل؟ قال: بلى، قال: أفلا قاتلوا ولو ساعة من نهار؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعث إليهم، وعرض عليه ذلك فأبى، وقال: إن أمير المؤمنين عزلي عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة، فاما الآن فلما دماء قريش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم، ليتولى ذلك من هو أبعد منهم مني، قال: فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المري وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس، وقيل اثني عشر ألفاً وندى منادي يزيد بدمشق أن سيروا على أخذ أعطيائكم كاملاً ومعونة أربعين ديناراً. قال المدايني: ويقال: في سبعة وعشرين ألفاً، اثنا عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وقيل أربعين ديناراً، ثم استعرضهم وهو على فرس له.

قال المدايني: وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص حصين بن غير السكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن

دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زباب الجفامي وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي، وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المري، مرة غطفان، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة. فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين ولبي عليهم أكثف وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت ربيعة فقال يزيد: لا ليس إلا هذا العثمة، والله لا أقبلهم بعد إحسانتي إليهم وغفوي عنهم مرة بعد مرة. فقال النعمان أنشدك الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ.

وقال له عبد الله بن جعفر: أرايت إن رجعوا إلى طاعتك أقبل منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم، وقال يزيد لمسلم بن عقبة: إذا قدمت المدينة ولم تصد عنها، وسمعوا وأطاعوا، فلا تتعرض لأحد منهم، وأمض إلى المجد ابن الزبير، وإن صلوك عن المدينة فادعهم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم، فأبها ثلاثاً ثم أكف عن الناس وقيل: إنه قال لمسلم بن عقبة: إذا ظهرت عليهم فإن كان قتل من بني أمية أحق فجرّد السيف، واقتل المقبل والمبذر، وأجهز على الجريح واتهبها ثلاثاً، وانتظر إلى علي بن الحسين فأكفك عنه واستوص به خيراً وأذن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، وأمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن غير، وقال له: إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن الزبير السكوني.

وقد كان يزيد كتب إلى عبد الله بن زياد أن يسير إلى ابن الزبير فيحاصره بمكة، فأبى عليه وقال: والله لا أجمعهم للفاسق أبداً، أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وأغزو البيت الحرام؟ وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين: ويحك ماذا صنعت وماذا ركب؟ وعفته تعنيفاً شديداً. قالوا: وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبه: يزيد القرد، شارب الخمر، تارك الصلوات، منعكف على القينات.

فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول:

أبلغ أبا بكر إذا الجيش سرى وأشرف الجيش على وادي القرى
أجمع سكران من القوم ترى يا عجا من ملحد يا عجا
خداخ للدين يفتو يقضي بالقرى

وفي رواية:

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى ونزل الجيش على وادي القرى
عشرون ألفاً بين كهمل وقصى أجمع سكران من القوم ترى

قالوا: وسار مسلم من معه من الجيوش إلى المدينة، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية وقالوا لهم: والله لقتلكنم عن آخركم أو تعطوننا موتاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين، ولا عمالهم علينا، فاعطوهم العهد بذلك، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يجبره أحد، فاحتصر لذلك، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فانزل شرقي المدينة في الحرة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أفتيتكم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة. فشكره مسلم بن عقبة على ذلك، وامتل ما أشار عليه به، فنزل شرقي المدينة في الحرة، ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا الحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين قال لهم: يا أهل

وقد اخفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام، قال: فلما رأيته انتضيت سيفي فقصصني، فلما رأيته صمم على قتلي شئتُ سيفي ثم قلت: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾ [البقرة: ٢٦٩] فلما رأى ذلك قال: من أنت؟ قلت: أنا أبو سعيد الخدري قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم فمضى وتركني.

قال المدائني: وجمي إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له: بايع! فقال: أباع على سيرة أبي بكر وعمر. فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل أنه مجنون فخلى سبيله.

وقال المدائني عن علي بن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالاً: لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان، فقال ابن عمر: بهثمان ورب الكعبة ورب الكعبة.

قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة. قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالى وعن لا يعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف. قال: وكانت الوقعة ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وانهتير المدينة ثلاثة أيام.

قال الواقدي وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليثين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

قال الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن ابن عوف قال: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكانوا يسمونه العائذ ويرون الأمر شوري، وجاء الخبر إلى أهل مكة ليلة ما حصل لأهل المدينة مستهل المحرم مع سعيد مولى المسور بن غرمة، فحزنوا حزناً شديداً وتآهبوا لقتال أهل الشام.

قال ابن جرير [٤٩٥/٥: ٥٩٥] : وقد رويت قصة الحرة على غير ما رواه أبو غنف، فحدثني أحمد بن زهير حدثنا أبي سمعت وهب بن جرير حدثنا جويرية بن أسماء قال: سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا ابنه يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارهم بمسلم بن عتبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته، فلما هلك معاوية وفد إليه وفد من أهل المدينة، وكان ممن وفد إليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وكان شقيقاً فاضلاً سيذاً عادباً ومعه ثمانية بنين له فأعطاه يزيد مائة ألف درهم، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملاتهم فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا له: ما وراءك؟ قال: جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم. قالوا: قد بلغنا أنه أعطاك وأخذاك وأكرمك. قال: قد فعل وما قبلت منه إلا لأتقوى به فحضر الناس فباهوه، فبلغ ذلك يزيد فبعث إليهم مسلم بن عتبة وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه رقاً من قطران وعوروه، فأرسل الله على جيش الشام السماء مدراراً، فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج إليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلاً، فلما رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم، ومسلم شديد الرجوع، فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة، وأقحم عليهم بنو حارثة من أهل الشام وهم على الجدد، فانهزم الناس فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قتل من الناس، فدخلوا المدينة وهزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند إلى الجدار يغط نوماً، فنهبه

المدينة: مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وإنه أمرني أو أوجلكم ثلاثاً فقد مضت، فما أنتم صانعون؟ أنسألون أم نحاربون؟ فقالوا: بل نحارب. فقال: لا تفعلوا بل سالوا ونجعل جندنا وقوتنا على هذا الملحد يعني ابن الزبير فقالوا: يا عدو الله! لو أردت ذلك لما مكناك منه، نحن نترككم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام؟ ثم تهيؤوا للقتال، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين مسلم بن عتبة، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع، على كل ربع أمير، وجعلوا أجلاً الأربع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم أهل المدينة إليها. وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان، منهم عبد الله بن مطيع وبنو له سبعة بين يديه، وعبد الله بن حنظلة الغسيل، وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس، ومحمد بن عمرو بن حزم، وقد مر به مروان وهو مُجِدِّلٌ فقال: رحمك الله فكم من سارية قد رايتك تطيل عندها القيام والسجود.

ثم أباح مسلم بن عتبة، الذي يقول فيه السلف: مسرف بن عتبة قبحه الله المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، لا جزاء الله خيراً، وقتل خلقاً من أشرافها وقراتها وانهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد، فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان الأشجعي، وقد كان صديقه قبل ذلك، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً فنفق عليه بسبه.

واستدعى بعلي بن الحسين فجاء بمشي بين مروان بن الحكم وابنه عبد الملك، ليأخذ له بهما عنده أماناً، ولم يشعر أن يزيد أوصاه به، فلما جلس بين يديه استدعى مروان شراباً وقد كان مسلم بن عتبة حمل معه من الشام لتجأ إلى المدينة فكان يشاب له بشرابه فلما جيء بالشراب شرب مروان قليلاً ثم أعطى الباقي لعلي بن الحسين ليأخذ له بذلك أماناً، وكان مروان مواداً لعلي بن الحسين، فلما نظر إليه مسلم بن عتبة قد أخذ الإناء في يده قال له: لا تشرب من شرابنا، ثم قال له: إنما جئت مع هذين لشأني بهما؟ فأرعدت يد علي بن الحسين وجعل لا يضح الإناء من يده ولا يشربه، ثم قال له: لولا أن أمير المؤمنين أوصاني بك لضربة عنقك. ثم قال له: إن شئت أن تشرب فأشرب، وإن شئت دعونا لك بغيرها، فقال: هله التي في كفي أريد، فشرب ثم قال له مسلم بن عتبة: ليّ مهناً، فأجلسه معه على السرير وقال له: إن أمير المؤمنين أوصاني بك، وإن هؤلاء شغلوني عنك. ثم قال: لعل أهلك فزعوا، فقال: إي والله. فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله عليها حتى رده إلى منزله مكرماً. ثم استدعى بعمرو بن عثمان بن عفان ولم يكن خرج مع بني أمية فقال له: إنك إن ظهر أهل المدينة قلت: أنا معكم، وإن ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين، ثم أمره ففتفت لحيته بين يديه.

قال المدائني: وأباح مسلم بن عتبة المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس، ويأخذون الأموال. فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عتبة تقول له: أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لإيلنا بمكان كنا وكنا، فقال لأصحابه: لا تلبسوا إلا بإبلها وجاءت امرأة فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارى، فقال: عجلوها لها، فضررت عنقه وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين أن لا يقتل حتى تتكلمي في ابنك؟ ووقعوا على النساء حتى قيل: إنه جلبت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.

قال المدائني عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد الحرة من غير زوج.

وقال ابن وهب: أخبرني حيو بن شريح عن ابن الهاد عن أبي بكر عن عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وقال الدار قطني: حدثنا علي بن أحمد بن الهيثم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر حدثنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن أنيس الأنصاري عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله قالوا: خرجنا مع أبنائنا يوم الحرة وقد كف بصرة فقال: تنس من أخاف رسول الله ﷺ فقلنا: يا أبة وهل أحد يخيف رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخاف هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع كفيه على جنبه» قال الدار قطني: تفرد به سعيد بن عبد الحميد لفظاً وإستاداً.

وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسين وانتصر لذلك الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد، وجوز لعنه. ومنع من ذلك آخرون وصنفوا فيه أيضاً لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى إيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ، وقالوا: إنه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد ذلك على أصح قول العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع المخرج كما جرى.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد بن معاوية لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحرة من مسلم بن عقبة وجيشه، فرح بذلك فرحاً شديداً، فإنه كان يرى أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمروا عليهم غيره، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة، كما أنزههم بذلك على لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة ثلاثة أيام كما تقدم، وقد جاء في الصحيح (١٨٥٢): «من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كأننا من كان».

وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبيري في وقعة أحد التي يقول فيها:

لبت أشياخي يبدو شهدوا جزع الخنزرج من وقع الأسفل
حين حكّت بقاء بركهما واستحر القتل في عبد الأسفل
قد قلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
وقد زاد بعض الروافض فيها فقال:

لبت هاشم بالملك فلا ملك تجاه ولا وحى نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع عليه به، وعلى سلوك المسلمين، وسنذكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً، وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانيه من الأفعال والقبايح والأقوال في السنة الآتية، فإنه لم يجهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجابرة قبله وبعده، إنه كان عليماً قديراً.

وقد توفي في هذه السنة خلق من المشاهير والأعيان من الصحابة وغيرهم في وقعة الحرة مما يطول ذكرهم. فمن مشاهيرهم من الصحابة عبد

ابنه، فلما فتح عينيه ورأى ما صنع الناس، أمر أكبر بنه فتقدم حتى قتل، فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية، يحكم في دمايتهم وأموالهم وأهلهم ما شاء.

وقد روى ابن عسكراً في ترجمة أحمد بن عبد الصمد من تاريخه من كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي: حدثنا الحسين بن الحسن الشكري حدثنا الزيايدي عن الأصمعي (ح) وحدثني محمد بن الحارث عن المدايني قال: لما قتل أهل الحرة هف هائف بمكة على أبي قيس مساء تلك الليلة، وابن الزبير جالس يسمع:

قتل الخيفار بنو الخيفار ذوو المهابة والسماح
والصائمون القائمون القتاتو ن أولو الصلاح
المهتدون المحسنون السابقون إلى الفلاح
مناذا بواقسم والبقية مع من الجاحجة الصباح
ويقاع يثرب ويجهنم من من النواذب والصباح

فقال ابن الزبير لأصحابه: يا هؤلاء قتل أصحابكم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيع المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فإنه وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحصى ولا يوصف، عما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه، فعاقبه الله بتقيض قصده، فقصمه الله قاصم الجابرة، وأخذله أخذ عزيز مقتدر.

قال البخاري في صحيحه (١٨٧٧): حدثنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى حدثنا الحميد عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا الممخ كما ينمخ الملح في الماء». وقد رواه مسلم (١٣٦٣) من حديث أبي عبد الله القراط المنني واسمه دينار عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال «لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أنابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء».

وفي رواية لمسلم (١٣٨٧) من طريق أبي عبد الله القراط عن سعد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء».

وقال الإمام أحمد (٥٥/٤): حدثنا أنس بن عياض حدثنا يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عطاء بن يسار عن السائب بن خلاد أن رسول الله ﷺ قال: «من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

ورواه النسائي (٤٦٦٦) عن غير وجه عن علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد من بلحارث بن الخزرج أخبره فذكره.

وكذلك رواه الحميدي عن عبد العزيز بن أبي حازم عن يزيد بن خصيفة.

ورواه النسائي (٤٦٦٥) أيضاً عن يحيى بن حبيب بن عربي عن حماد عن يحيى بن سعيد عن مسلم بن أبي مريم عن عطاء بن يسار عن ابن خلاد وكان من أصحاب النبي ﷺ فذكره.

وهو ابن خمس أو ثمان أو تسع وثلاثين سنة، فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أو ثمانية أشهر، فحينئذ خدت الحرب وطمشت نار الفتنة، ويقال: إنهم مكثوا يحاصرون ابن الزبير بعد موت يزيد أربعين ليلة، ويذكر أن ابن الزبير علم بموت يزيد قبل أهل الشام فنادى فيهم: يا أهل الشام قد أهلك الله طاغيكم، فمن أحب منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليعمل، ومن أحب أن يرجع إلى شامة فليرجع، فلم يصدق الشاميون أهل مكة فيما أخبرهم به، حتى جاء ثابت بن قيس بن المقفع بالخير اليقين.

ويذكر أن حصين بن نمير دعاه ابن الزبير ليحدثه بين الصفيين فاجتمعوا حتى اختلفت رؤوس فرسيهما، وجعلت فرس حصين تنفر ويكفها، فقال له ابن الزبير: ما لك؟ فقال إن الحمام تحت رجلي فرسي تأكل من البروث فأكره أن أطا حمام الحرم، فقال له: تفعل هذا وأنت تقتل المسلمين؟ فقال له حصين: فأذن لنا فلنطف بالكعبة ثم نرجع إلى بلادنا، فأذن لهم فطافوا.

وذكر ابن جرير [٥٠١/٥: ٥٠٣] أن حصيناً وابن الزبير اتعدا ليلة أن يجتمعا فاجتمعا بظاهر مكة، فقال له حصين: إن كان هذا الرجل قد ملك فانت أحق الناس بهذا الأمر بعده، فهلم فارحل معي إلى الشام، فوالله لا يختلف عليك اثنان. فيقال: إن ابن الزبير لم يبق منه بذلك وأغلظ له في المقاتلة ففر منه ابن نمير وقال: أنا ادعوه إلى الخلافة وهو يغلظ لي في المقاتلة؟ ثم كر بالجنش راجعاً إلى الشام، وقال: أعدته بالملك ويتراعنني بالقتل؟ ثم ندم ابن الزبير على ما كان منه إليه من الغلظة، فبعث إليه يقول له: أما الشام فلست آتيه ولكن خذ لي البيعة على من هناك، فإني أؤتمكم وأعدل فيكم. فبعث إليه يقول له: إن من يبتغيها من أهل هذا البيت بالشام لكثير. فرجع فاجتاز بالمدينة فطمع فيه أهلها وأهانهم إهانة بالغة، وأكرمهم علي بن الحسين وأهدى لحصين بن نمير قناً وعلفاً، وأرغلت بنو أمية مع الجيش إلى الشام فرجعوا إليه وقد استخلف بدمشق معاوية بن يزيد بن معاوية عن وصية من أبيه له بذلك، والله سبحانه أعلم بالصواب.

وهذه ترجمة يزيد بن معاوية

هو

■ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين أبو خالد الأموي، ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين، بالمطرون، وقيل: بيت رأس ويوقع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعده، ثم أكد ذلك بعد موت أبيه في النصف من رجب سنة ستين، فاستمر متولياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين. وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بنت قنافة بن عدي بن زهير حارثة الكلبي روى عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». وحديثاً آخر في الرضوء. وعنه ابنه خالد وعبد الملك بن مروان، وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة، وهي العليا، وقال: له أحاديث.

وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جليلاً طويلاً ضخماً الهامة غنّدت الأصابع غليظها مجدراً.

وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به، فرأت في المنام أنه جرج من كُبُها فمر، فقصت رؤياها على أمها فقالت: إن صدقت رؤياك لتلدن من يبيع له بالخلافة. وجلست أمه ميسون يوماً تمشطه وهو صبي صغير، وأبوه معاوية مع زوجته الحظية عنده في المنظرة، وهي فاخته بنت قرظة، فلما

اللّه بن حنظلة أمير المدينة الذي بايعه أهل الحرة ومعقل بن سنان وعبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنهم، ومسروق بن الأجدع.

ثم دخلت سنة أربع وستين

ففيها في أول المحرم منها سار مسلم بن عقبة بعد فراغه من حرب أهل المدينة إلى مكة قاصداً قتال ابن الزبير ومن التف عليه من الأعراب، على مخالفة يزيد بن معاوية، واستخلف عليها المدينة روح بن زنياع، فلما بلغ ثنية هرشاً بعث إلى رؤوس الأجناد فجمعهم فقال: إن أمير المؤمنين عهد إلي إن حدث بين حدث الموت أن أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني، ووالله لو كان الأمر لي ما فعلت، ثم دعا به فقال: انظر يا ابن بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به، ثم أمره إذا وصل مكة أن ينجاز ابن الزبير قبل ثلاث ثم قال: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أحب إلي من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة. وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي. ثم مات قبجه الله ودفن بالمشلل فيما قاله الواقدي.

ثم أتبعه الله يزيد بن معاوية فمات بعده في ربيع الأول لأربع عشرة ليلة خلت منه، فمات متصهماً بالله بشيء مما رجوه وأملوه، بل قهرهم القاهرة فوق عبادته وسلبهم الملك، ونزعه منهم من يتزعج الملك ممن يشاء.

وسار حصين بن نمير بالجيش نحو مكة فأنتهى إليها لأربع بقين من المحرم فيما قاله الواقدي، وقيل لسبع مضيئة منه، وقد تلاحق بابن الزبير جماعات ممن بقي من أشرف أهل المدينة، وانضاف إليه أيضاً نخلة بن عامر الحنفي من أهل البصرة في طائفة من أهلها ليعنوا البيت من أهل الشام، فنزل حصين بن نمير بظاهر مكة، وخرج إليه ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه فاقتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً، وتبارز المنذر بن الزبير ورجل من أهل الشام فقتل كل واحد منهما صاحبه، وحل أهل الشام على أهل مكة حلة صادقة، فأنكشف أهل مكة، وعثرت بغلة عبد الله بن الزبير به، فكر عليه المسور بن غزمية ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف وطائفة فقاتلوا دونه حتى قتلوا جميعاً، وصابروهم ابن الزبير حتى الليل فانصرفوا ثم اقتتلوا في بقية شهر المحرم وصفرًا بكعالمه، فلما كان يوم السبت ثالث ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا المجانيق على الكعبة ورموها حتى بالنار، فاحترق جدار البيت في يوم السبت، هكذا قول الواقدي، وهم يقولون:

خطارة مثل الفتيق المزبد نرسي بها أعواد هذا المسجد وجعل عمر بن حوطة السدوسي يقول:

كيف ترى صنيع أم فروه تآخضهم بين الصفا والمروة
وام فروة اسم المتنجق، وقيل: إنما احترقت لأن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة، فعلقت النار في بعض أستار الكعبة فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت، وقيل إنما احترقت لأن ابن الزبير سمع التكبير على بعض جبال مكة في ليلة ظلماء فظن أنهم أهل الشام، فرفعت نار على رمح لينظروا من هؤلاء الذين على الجبل، فاطارت الريح شدة من رأس الرمح إلى ما بين الركن اليماني والأسود من الكعبة فعلقت في أستارها وأخشابها فاحترقت، وأسود الركن وانصدع في ثلاثة أمكنة منه واستمر الحصار إلى مستهل ربيع الآخر، وجاء الناس نهي يزيد بن معاوية، وأنه قد مات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين،

فأحسن معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق، فقال: يا بني ما أقدرك على أن تصير إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرتك، ثم قال: يا بني إني مشدك أبياتاً فتأدب بها واحفظها، فأنشدته:

انصب نهاراً في طلاب العلا واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليل أنسى بالدجى واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فبأشر الليل بما تشتهي فأنما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحمسه ناكساً قد بأشر الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل استاره فبات في أمن وعيش خصيب
ولسنة الأحق مكشوفة يشفى بها كل عدو غريب

قلت: وهذا كما جاء في الحديث من ابتلي بشيء من هذه القافورات فليستر بستر الله عز وجل. «الموطأ: ٨٢٥/٢»

وروى الواقدي والمذاقني أن عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه، وجلس بين يديه، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال: إنما اجلس مجلس المعزي لا المهني. ثم ذكر الحسن فقال: رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عاقبة. فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس: إذا ذهب بنو حربو ذهب حلماء الناس: ثم أشد متملاً:

مفاض عن العمراء لا ينطقونها وأصل وراثت الخلود الأوائل
وقد كان يزيد أول من غزا مدينة قسطنطينية في سنة تسع وأربعين في قول يعقوب بن سفيان

وقال خليفة بن خياط (٢٨٤: ٢٩٤) : سنة خمسين.

ثم حج بالناس في تلك السنة بعد مرجعه من من أرض الروم. وقد ثبت في الصحيح (٢٩٢: ٢٩٤) أن رسول الله ﷺ قال: «أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم». وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله ﷺ في منامه عند أم حرام بنت ملحان، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين». يعني: من الجيش الأول الذين رأهم رسول الله ﷺ مثل الملوك على الأسر، يركبون ثبج البحر، فكان أمير الأولى أبو معاوية حين غزا قبرص، ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان، وكانت معهم أم حرام، فماتت هناك بقبرص، ثم كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ولم تترك أم حرام جيش يزيد هذا. وذلك من أكبر دلائل النبوة كما تقدم بيانه.

وقد أورد الحافظ ابن عساكر ههنا الحديث الذي رواه محاضر عن الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله. أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث. وكذلك رواه عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله. ثم أورد من طريق حماد بن سلمة عن أبي محمد عن زرارة بن أوفى قال: القرن عشرون ومائة سنة، فبعث رسول الله ﷺ في قرن وكان آخره موت يزيد بن معاوية.

قال أبو بكر بن عياش: حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين وثلثين وخمسين وثلث وخمسين. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو كريب حدثنا رسلين عن عمرو بن

فرغت من مشطه نظرت إليه فأعجبها فقالت بين عينيه، فقال معاوية عند ذلك:

إذا مات لم تغلق مزينة بعده فتوطي عليه يا مزين التامنا وانطلق يزيد يمشي وفاحة تبعه بصرها ثم قالت: لعن الله سواد ساقى أمك، فقال معاوية: أما والله أنه خير من ابنك عبد الله وهو ولده منها وكان أحق فقالت فاخه: لا والله لكنك تؤثر هذا عليه، فقال: سوف أبين لك ذلك حتى تعرفه قبل أن تقومي من مجلسك هذا، ثم استدعى بابنها عبد الله فقال له: إنه قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في هذا المجلس، فقال: حاجتي أن تشتري لي كلباً فأراه وحماراً، فقال: يا بني أنت حمار ويشترى لك حماراً؟ قم فاخرج. ثم قال لأمه: كيف رأيت؟ ثم استدعى يزيد فقال: إني قد بدا لي أن أعطيك كل ما تسألني في مجلسك هذا، فسلمني ما بدا لك. فخر يزيد ساجداً ثم قال حين رفع رأسه: الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة، وأراه في هذا الرأي، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك، وتوليبي العام صائفة المسلمين، وتأذن لي في الحج إذا رجعت، وتوليبي الموسم، وتزيد أهل الشام عشرة دنائير لكل رجل، وتجعل ذلك بشفاقي، وتقرض لأيتام بني جمح، وأيتام بني سهم، وأيتام بني عدي، فقال: ما لك ولأيتام بني عدي؟ فقال: لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري. فقال معاوية: قد فعلت ذلك كله، وقبل وجهه، ثم قال لآبنة قرظة: كيف رأيت؟ فقالت: يا أمير المؤمنين أوصه بي فأتت أعلم به مني، ففعل.

وفي رواية أن يزيد لما قال له أبوه: سلني حاجتك، قال له يزيد: اعتقني من النار اعتق الله رقبتيك منها، قال: وكيف؟ قال: لأنني وجدت في الأثر أنه من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمة الله على النار، فاعهد إلي بالأمر من بعدك. ففعل.

وقال العتي: رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً له فقال له: سواء لك!! أتضرب من لا يستطيع أن يتمتع عليك؟ والله لقد منعتي القدرة من الانتقام من ذوي الإرحن، وإن أحق من عفا لمن قدر.

قلت: وقد ثبت في الصحيح (١٦٥: ١٦٦) أن رسول الله ﷺ رأى أبا مسعود يضرب غلاماً له فقال: «اعلم أبا مسعود لله أقدر عليك منك عليه».

قال العتي: وقدم زياد بأموال كثيرة ويسقط مملوء جواهر على معاوية فسر بذلك معاوية، فقام زياد فصعد المنبر ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية، فقام يزيد فقال: إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء تقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عبيد إلى حرب بني أمية. فقال له معاوية: اجلس فذاك أبي وأمي.

وعن عطاء السائب وغيره قال: غضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فقال له الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين إنما هم أولادنا، ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظلية، وأرض ذليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن طلبوا فأعطهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويثمنوا موتك. فقال معاوية: لله دوك يا أبا بحر، يا غلام أنت يزيد فأقره مني السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة ألف درهم، ومائة ثوب، فقال يزيد: من عند أمير المؤمنين؟ فقال: الأحنف، فقال يزيد: لا جرم لأقاسمه. فبعث إلى الأحنف بمخمس ألفاً وخمسين ثوباً.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه. قال: كان يزيد في حديثه صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث،

سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلف من بعد ستين سنة أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر». قال بشر: قلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ قال: المنافق كافر به، والفاجر يتاكل به، والمؤمن يؤمن به. تفرد به أحمد.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زهير بن حرب حدثنا الفضل بن دكين حدثنا كامل أبو العلاء سمعت أبا صالح سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «تعودوا بالله من سنة سبعين، ومن إمارة الصبيان».

وروي الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه قال في يزيد بن معاوية:

لست منا وليس خالك منا يا مضيع الصلاة للشهوات
قال: وزعم بعض الناس أن هذا الشعر لموسى بن يسار، ويعرف بموسى شهوات.

وروي عن عبد الله بن الزبير أنه سمع جارية له تغني بهذا البيت فضرها وقال قولي:

أنت منا وليس خالك منا يا مضيع الصلاة للشهوات

وقال الحافظ أبو يعلى [سنه (٨٧٠)]: حدثنا الحكم بن موسى حدثنا يحيى بن حزة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي عبيدة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أمر أمي قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية».

وحدثنا الحكم، حدثنا الوليد بن مسلم، عن أبي عبيدة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر أمي قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له: يزيد» [سنه (٨٧١)] وهذا منقطع بين مكحول وأبي عبيدة بل معضل. وقد رواه ابن عساکر من طريق صدقة بن عبد الله النمشي عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الحاشي عن أبي عبيدة. عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد». ثم قال: وهو منقطع أيضاً بين مكحول وأبي ثعلبة.

وقال أبو يعلى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن عوف عن خالد بن أبي المهاجر عن أبي العالية. قال: كنا مع أبي در بالشام فقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من يغير سني رجل من بني أمية».

ورواه ابن خزيمة عن يندار عن عبد الوهاب بن عبد المجيد عن عوف: حدثنا مهاجر بن أبي غنم حدثني أبو العالية حدثني أبو مسلم عن أبي ذر فذكر نحوه، وفيه قصة: وهي أن أبا ذر كان في غزاة عليهم يزيد بن أبي سفيان فاغضب يزيد من جارية فاستعان الرجل على يزيد بأبي ذر أن يردّها عليه، فأمره أبو ذر أن يردّها عليه فتلکما فذكر أبو ذر له الحديث فردّها، وقال يزيد لأبي ذر: نشدتك بالله أهو أنا؟ قال: لا.

وكذا رواه البخاري في التاريخ [الصفحة ٧٠/١] وأبو يعلى عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب. ثم قال البخاري: والحديث معطل ولا يعرف أن أبا ذر قدم الشام زمن عمر بن الخطاب. قال: وقد مات يزيد بن أبي سفيان زمن عمر فولى مكانه أخاه معاوية.

وقال عباس الدوري: سألت ابن معين: أسمع أبو العالية من أبي ذر؟ قال: لا، إنما يروي عن أبي مسلم عنه. قلت: فمن أبو مسلم هذا؟ قال: لا

الخارث عن أبي بكر بن الأشج أن معاوية قال ليزيد ابنه: كيف تراك فاعلا إن وليت؟ قال: تمتع الله بك، قال: تخبرني: قال: كنت والله يا أبة عاملاً فيهم عمل عمر بن الخطاب. فقال معاوية: سبحان الله! والله يا بني لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما ألققتها.

وقال الواقدي: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن مروان بن أبي سعيد بن المولى قال قال معاوية ليزيد وهو يوصيه عند الموت: يا يزيد! اتق الله فقد وطأت لك هذا الأمر ووليت من ذلك ما وليت، فإن يك خيراً فانا أسعد به، وإن كان غير ذلك شقيت به، فارتق بالناس واغضض عما بلغك من قول تؤذى به وتنقص به، وطأ عليه يهنك عيشك، وتصلح لك رعيته، ولياك والناقشة وحل الغضب، فإنك تهلك نفسك ورعيته، ولياك وجفوة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم، إن لم ليأ بحيث لا يرون منك ضعفاً ولا خوراً وأوطئهم فراشك وقربهم إليك وأذنهم منك، فإنهم يعلمون لك حقدك، ولا تهنهم ولا تستخف بمهمهم فيهنك ويستخفوا بحقدك ويقعوا فيك، فإذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاؤهم ولا تخالفهم، ولياك والاستبداد براكب فإن الرأي ليس في صدر واحد، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف، ثم اطعه فيما أشار به، واخزن ذلك عن نساك وخدملك، وشمر لإزارك، وتعاهد جنك، وأصلح نفسك يصلح لك الناس لا تدع لهم فيك مقالاً فإن الناس تزأق إلى الشر، واحضر الصلاة، فإنك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقدك، وعظمت مملكتك، وعظمت في عين الناس، وأعرف شرف أهل المدينة ومكة فإنهم أصلك وعشيرتك، واحفظ لأهل الشام شرفهم فإنهم أنصارك وحمايك وجنك الذين بهم تصول وتنصر على أعدائك وتصل إلى أهل طاعتك، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تمدعهم فيه منك بالمعروف، فإن ذلك يُشِطُّ أمالهم، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فإنهم لمن ورائهم، ولا تسمعن قول قاذف ولا ساحل فإني رأيتهم وزراء سوء.

ومن وجه آخر أن معاوية قال ليزيد: إن لي خليلاً من أهل المدينة فأكرمه، قال: ومن هو؟ قال: عبد الله بن جعفر. فلما وفد بعد موت معاوية إلى يزيد أضعف جائزته التي كان معاوية يعطيها إياها، وكانت جائزته على معاوية ستمائة ألف، فأعطاه يزيد ألف ألف، فقال له: بابي أنت وأمي، فأعطاه ألف ألف أخرى، فقال له ابن جعفر: والله لا أجمع أبوي لأحد بعدك. ولما خرج ابن جعفر من عند يزيد وقد أعطاه ألفي ألف، رأى على باب يزيد بخاتي مبركات قد قدم عليها هدية من خراسان، فرجع عبد الله بن جعفر إلى يزيد فسأله منها ثلاث بخاتي ليركب عليها إلى الحج والعمرة، وإذا وفد إلى الشام على يزيد، فقال يزيد للحاجب: ما هذه البخاتي التي على الباب؟ ولم يكن شعر بها فقال: يا أمير المؤمنين هذه أربعمائة بختية جاءت من خراسان تحمل أنواع الألفاظ وكان عليها أنواع من الأموال كلها فقال: اصرفها إلى أبي جعفر بما عليها. فكان عبد الله بن جعفر يقول: أتولموني على حسن الرأي في هذا؟ يعني يزيد.

وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأي في الملك. وكان ذا جمال حسن المعاشرة، وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات.

وقد قال الإمام أحمد [٣٨/٣، ٣٩]: حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشر بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا

أدري.

وقد أورد ابن عساکر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيد وانقطاع بعضه والله أعلم.

وقال الحسن بن أبي الحسن: ما أفسد أمر الناس إلا اثنتان؛ عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف يوم صفين، فحملت على رهوس الأسنة، فحكم الخوارج، وقالوا: لا حكم إلا لله. فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والآخر المغيرة بن شعبه، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية يقول: إذا قرأت كتابي فاقبل مزمولاً. فأبطأ على معاوية في القدوم، فلما قدم عليه قال له معاوية: ما أبطأك عني؟ قال: أمرت كنت أوطئه وأهيكه. قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعديك. قال: وقد فعلت ذلك؟ قال: نعم. فقال: ارجع إلى عملك. فلما خرج المغيرة من عنده، قال له أصحابه: ما ورائك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غسي لا يزال فيه إلى يوم. قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء أبناءهم، ولولا ذلك لكانت شوری بين المسلمين إلى يوم القيامة.

وقيل: إن معاوية قيل له: تشكك الله فيمن نستخلف على المسلمين. فقال: لم يبق إلا ابني وأبناءهم وابني أحق.

قال الحارث بن مسكين عن مسكين، عن سفيان عن شبيب عن غرقدة بن المستظل. قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قد علمت ووب الكعبة متى تهلك العرب، إذا ساسهم من لم يدرك الجاهلية ولم يكن له قدم في الإسلام.

قلت: يزيد بن معاوية أكثر ما تقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش، فاما قتل الحسين فإنه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه. وقد قلنا أنه قال: لو كنت أنا لم أقبل معه ما فعله ابن مرجانة يعني: عبيد الله بن زياد. وقال للرسول الذين جاؤوا برأسه: قد كان يكفيكم من الطاعة دون هذا. ولم يعطهم شيئاً، وأكرم آل بيت الحسين ورد عليهم جميع ما فقد لهم وأضعافه، وردهم إلى المدينة في تحمل وابهة عظيمة، وقد ناه أهله في منزله على الحسين حين كانوا عندهم ثلاثة أيام.

وقيل: إن يزيد فرح بقتل الحسين أول ما بلغه ثم ندم على ذلك.

فقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: إن يونس بن حبيب الجرهمي حدثه قال: لما قتل ابن زياد الحسين وبني أبيه بعث برؤوسهم إلى يزيد، فسر بقتله أولاً وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم! فكان يقول: وما كان علي لسو احتملت الأذى وأنزله في داري وحكمته فيما يريد، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله ﷺ، ورعاية لحقه وقرباته، ثم يقول: لعن الله ابن مرجانة فإنه أخرجه واضطره، وقد كان سأل أن يخلي سبيله أو يأتيه أو يكون بنشر من تنور المسلمين حتى يترواه الله تعالى، فلم يفعل، وأبى عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فابغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً، مالي ولا ابن مرجانة قبحه الله وغضب عليه.

ولما خرج أهل المدينة عن طاعته وخلعوه ولولوا عليهم ابن مطيع وابن حنظلة، لم يذكروا عنه وهم أشد الناس عداوة له إلا ما ذكره عنه من شره الخمر وإتيانه بعض القاذورات، لم يتهموه بزندقة كما يفتنه بذلك بعض الروافض، بل قد كان فاسقاً والفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يشور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع المرح كما وقع زمن الحررة، فإنه بعث إليهم

من يردهم إلى الطاعة وأنظرهم ثلاثة أيام، فلما رجعوا قاتلهم، وقد كان في هذا كفاية، ولكنه تجاوز الحد بإباحة المدينة ثلاثة أيام، فوقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عظيم.

وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد. كما قال الإمام أحمد [٤٨٢]: "حدثنا إسماعيل بن علي حثني صخر بن جويرية عن نافع. قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنه وأهله ثم تشهد ثم قال:

أما بعد فإننا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه غدره فلان"، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشرار بالله، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته. فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الصيلم بيني وبينه.

وقد رواه مسلم [١٣٧٥] والترمذي [١٥٨١] من حديث صخر بن جويرية، وقال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف اللمائي عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر مثله.

قال: ومشي عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأنى، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرائيته مواظباً على الصلاة متحريراً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إلي الحشوع؟ فأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فأتين كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يجل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا الحق وإن لم يكن رأينا. فقال لهم: قد أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: «إلا من شهد بالحق وهم يعلمون» [٢٠٩٠] ولست من أمركم في شيء، قالوا: فأعلمك نكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا. قال: ما استحل القتال على ما تريدوني عليه تابعاً ولا متبوعاً. قالوا: فقد قاتلت مع أبيك، قال: جيتوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه، فقالوا: فمر ابنك أبا هاشم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله!! أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذا ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذا نكرهك. قال: إذا أمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق يسخط المخلوق، وخرج إلى مكة.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا مصعب الزبيري حدثنا ابن أبي حازم عن هشام عن زيد بن أسلم عن أبيه أن ابن عمر دخل وهو معه علي بن مطيع، فلما دخل عليه. قال: مرحباً بابي عبد الرحمن ضعوا له وسادة، فقال: إنما جئت لأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «من نزع يداً من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مفارق الجماعة فإنه يموت موة جاهلية».

وهكذا رواه مسلم [١٨٥١] من حديث هشام بن سعد عن زيد عن أبيه عن ابن عمر به. وتابعه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه.

وقد رواه الليث عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فذكره. [السند: ٩٧/٢]

وقال أبو جعفر الباقر: لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرة، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأدنى مجلسه وأعطاه كتاب أمان.

وروى المدائني أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرة، فلما أخبره بما وقع قال: وأقوماء، ثم دعا الضحك بن قيس الفهري فقال له: ترى ما لقي أهل المدينة؟ فما الرأي الذي يجرهم؟ قال: الطعام والأعطية، فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته.

وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض عنه من أنه شمت بهم وشفى بقتلهم، وأنه أشد إما ذكراً وإما أثراً شعر ابن الزبير المتقدم ذكره.

وقال أبو بكر محمد بن خلف بن الرزيان بن بسام: حدثني محمد بن القاسم سمعت الأصمعي يقول سمعت هارون الرشيد يشد ليزيد بن معاوية:

إنها بين عامر بن لؤي حين تمشي وبين عبيد مناف ولها في المطيحين جلود ثم نالت مكارم الأخلاف بنت عم النبي أكرم من يمشي بمنع على التراب وحافي لن تراها على التبلل والغلظ إلا كسفرة الأصناف وقال الزبير بن بكار: أشدني عمي مصعب ليزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

أب هذا المم فاكنتها وأمر النوم فامتنعنا راعياً للنجم أرقبه فإذا ما كوكب طلعا حام حتى إنني لأرى أنه بالغور قد وقعا ولما بالمطارون إذا أكل النمل الذي جمعا نزهة حتى إذا بلغت نزلت من جلق ييمعا في قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا ومن شعره:

وقائلة لي حين شبهت وجهها ببدن الدجى يوماً وقد ضاق منهجي تشبهي بالبدن هذا تناقص بقدري ولكن لست أول من هجي ألم تر أن البلد عند كماله إذا بلغ التشبيه عاد كئُملج فلا فخر إن شبهت بالبدن مبسمي وبالسحر أجفائي وبالليل مدعجي

وذكره الزبير بن بكار عن أبي محمد الجزري قال: كانت بالمدينة جارية مغنية يقال لها سلامة، من أحسن النساء وجهاً، وأتمهن عقلاً وأحسنهن حديثاً، قد قرأت القرآن.

وروت الشعر وقالته، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يجلسان إليها.

فعلقت الأحوص وصدت عن عبد الرحمن، فرحل ابن حسان إلى يزيد بن معاوية إلى الشام فامتدحه ودله على سلامة وجالها وحسنتها وفصاحتها. وقال: لا تصلح إلا لك يا أمير المؤمنين، وإن تكون من سمارك، فأوصل يزيد فاشتريت له وحملت إليه، فوكت منه مرقعاً عظيماً، وفضلها على جميع من عنده، ورجع عبد الرحمن إلى المدينة فمر بالأحوص فوجده مهموماً فلأد أن يزيد إلى ما به فقال:

يا مبتلى بسالح مفدوحا لاقي من الحب تاريمحا

أفحمه الحب فما يشني إلا بكأس الحب مصوحا وصار لا يمجبه مفلحاً عنه وما يكره مفتوحا قد حازها من أصبحت عنده ينال منها الشم والريحا خليفة الله فلل الهوى وعز قلباً منك مجروحاً

قال: فأمسك الأحوص عن جوابه ثم غلبه وجده عليها فسار إلى يزيد فامتدحه فأكرمه يزيد وحظي عنده، فدمت إليه سلامة خادماً وأعطته مالا على أن يدخله إليها، فأخبر الخادم يزيد بذلك، فقال: امض لرسالتها، ففعل وأدخل الأحوص عليها وجلس يزيد في مكان يراهما ولا يراهما، فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها، وأمرت فألقي له كرسي فقعده عليه، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة شوقه، فلم يزالا يتحدثان إلى السحر، ويزيد يسمع كلامهما من غير أن يكون بينهما رية، حتى إذا هم الأحوص بالخروج قال:

امسى فؤادي في هم وبليال من حب من لم أزل منه على بال فقالت:

صحا المحبون بعد النسي إذ يشوا وقد يشت وما أضحوا على حال فقال:

من كان يسلو بياس عن أخي نقة فنك سلام ما أسبت بالسالي فقالت:

والله والله لا أئساك يا شجي حتى تفارق مني الروح أوصالي فقال:

والله ما خاب من أمسى وأنت له يا قرة العين في أهل وفي مال قال: ثم ودعها وخرج، فأخذه يزيد ودعا بها فقال: أخبرني عما كان في ليلكما وأصلقتاني: فأخبراه وأشدها ما قالاً، فلم يحرفا منه حرفاً ولا غيراً شيئاً عما سمعته، فقال لها يزيد: أتحينه؟ قالت: إي والله يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً جرى كالروح في جسدي فهل يفرق بين الروح والجسد؟ فقال له: أتحبها؟ فقال: إي والله يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً تليداً غير مطرف بين الجوانح مثل النار يضطرم فقال يزيد: إنكما لتصفان حباً شديداً خذاها يا أحوص فهي لك، ووصله صلة سنية، فرجع بها الأحوص إلى الحجاز وهو قرير العين. وقد روي أن يزيد كان قد اشتهر بالمنازف وشرب الخمر والنفاء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والذباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح خموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بجبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل: إن سبب موته أنه حمل قرودة وجعل ينقرها فعضته. وذكروا عنه غير ذلك والله أعلم بصحة ذلك.

وقال عبد الرحمن بن أبي مذعور: حدثني بعض أهل العلم قال: آخر ما تكلم به يزيد بن معاوية: اللهم لا تؤاخذني بما لم أحبه، ولم أرد، وأحكم بيني وبينه عبيد الله بن زياد. وكان نقش خاتمه أمّنت بالله العظيم. مات يزيد بموارين من قرى دمشق في رابع عشر ربيع الأول، وقيل

وقيل شهراً ونصف شهر، وقيل ثلاثة أشهر وقيل: عشرين يوماً، وقيل أربعة أشهر فآله أعلم.

وكان في مدة ولايته مريضاً لم يخرج إلى الناس، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس ويسد الأمور، ثم مات معاوية بن يزيد هنا عن إحدى وعشرين وقيل: ثلاثة وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً، وقيل: تسع عشرة سنة، وقيل عشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون سنة، وقيل: إنما عاش ثمانى عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة، فآله أعلم.

وصلى عليه أخوه خالد، وقيل عثمان بن عتبة، وقيل الوليد بن عتبة. وهذا هو الصحيح، فإنه أوصى إليه بذلك، وشهد دفنه مروان بن الحكم، وكان الضحاك بن قيس هو الذي يصلي بالناس بعده حتى استقر الأمر لمروان بالشام، ودفن بمقابر باب الصغير بدمشق.

ولما حضرته الوفاة قيل له: ألا توصي فقال: لا أتزوّد مرأتها وأترك حلاتها لبني أمية، وكان رحمه الله أبيض شليد البياض كثير الشعر كبير العينين جعد الشعر أقرنى الأشفى مدور الرأس، جميل الوجه دقيقه حسن الجسم.

قال أبو زرعة الدمشقي: معاوية وعبد الرحمن وخالد إخوة، وكانوا من صالحى القوم وقال فيه بعض الشعراء وهو عبد الله بن همام السلولي:

تلقاها يزيد عن أبيه فدونكها معاوي عن يزيدا
أديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الفرض البعيدا

يروى أن معاوية بن يزيد هنا نادى في الناس الصلاة جامعة ذات يوم، فاجتمع الناس فقال لم فيما قال: يا أيها الناس! إني قد وليت أمركم وأنا ضعيف عنه، فإن أجيبت تركتها لرجل قوي كما تركها الصليق لعمر، وإن شئت تركتها شوري في ستة منكم كما تركها عمر بن الخطاب، وليس فيكم من هو صالح لذلك، وقد تركت لكم أمركم فولوا عليكم من يصلح لكم. ثم نزل ودخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله تعالى: ويقال: إنه سقي ويقال: إنه طعن وقيل إن معاوية بن يزيد لما بوع بالخلافة خطب الناس فقال: أيها الناس إنا بليناكم بكم وليتم بنا، وإنا لا نجعل كراحتكم لنا، وإن جدي قد نازع هذا الأمر من كان أولى به منه فغضى لسيله، وأقام جدي فيه على ما علمتم فركب منكم ما علمتم. ثم مات فصار مرثناً بعمله ثم قلد أبي هذا الأمر فركب هواه فأخلفه الأمل وقصر في العمل حتى بقته الموت، وحال بينه وبين ما يشتهي، فخرج من الدنيا فقير ذنبه مريض شهوته قد رضىه الآفات، وطحته الخطيات.

ثم بكى وقال: ولست بالمختار لتقلد أموركم ولا بالتحمل لتبعاتكم فإن تكن الخلافة خيراً فقد نلنا منها حظاً وافراً، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان من الشر ما أصابوا منه فيما مضى. ولم يكن معاوية بن يزيد ليهلك نفسه ودينه، فدخل منزله فلم يخرج منه حتى مات رحمه الله.

قال: فدخلوا عليه وهو مريض فقالوا له: أعهد لمن شئت فقال: كيف تقلدونها؟ وآله لا أحملها حياً وميتاً أذهبوا عني اللهم إني بريء إليك منها. ثم دعا الله واستعاذه من الفتنة، ثم دعا حسان بن مالك خازن بيت المال فقال له: احفظ ما قبلك حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه. ولما مات صلى عليه الوليد بن عتبة فكبّر عليه تكبيرتين، ثم طعن في الثانية فوقع ميتاً، فتقدم عثمان بن عتبة فصلى عليه، ودفن بالباب الصغير عند آبائه وحزن عليه الناس كثيراً لعقله وعفته وزهده ودينه، وانقضى بموته

يوم الخميس للنصف منه، سنة أربع وستين، وكانت ولايته بعد موت أبيه في منتصف رجب سنة ستين، وكان مولده في ستة خمس، وقيل سنة ست، وقيل سبع وعشرين.

ومع هذا فقد اختلف في سنة وميلج أيامه في الإمارة على أقوال كثيرة، وإذا تأملت ما ذكرته لك من هذه التحديدات انزعاج عنك الإشكال من هذا الخلاف، فإن منهم من قال: جاوز الأربعين حين مات فآله أعلم. وقد حل إلى دمشق وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد أمير المؤمنين يومئذ، ودفن بمقابر باب الصغير، وفي أيامه وسع النهر المسمى بيزيد في فيل جبل قاسيون، وكان جلولا صغيراً فورسه أضعاف ما كان يجري فيه من الماء.

وقال الحافظ أبو القاسم بن عسكار: حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المغيرة البجلي قاضي البحرين من لفظه وكتبه لي بخطه قال: رأيت يزيد بن معاوية في النوم فقلت له: أنت قتلت الحسين؟ فقال: لا فقلت له: هل غفر الله لك؟ قال: نعم، وأدخلني الجنة.

قلت: فالحديث الذي يروى أن رسول الله ﷺ رأى معاوية يحمل يزيد فقال: «رجل من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل النار»؟ فقال: ليس بصحيح. قال ابن عسكار: وهو كما قال: فإن يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي ﷺ. وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة. وقال أبو جعفر بن جرير [٥٠٠/٥:٥٠٠]:

ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم

فمنهم: معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أبا ليلى وهو الذي يقول فيه الشاعر:

إني أرى فتنة قد حان أولها والملك بعد إيسي ليس لمن غلبا
وخالد بن يزيد يكنى أبا هاشم كان يقال إنه أصاب علم الكيمياء، وأبو سفيان، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وقد تزوجها بعد يزيد مروان بن الحكم، وهي التي يقول فيها الشاعر:

أنعمني أم خالد رب ساع لقاعد

وعبد الله بن يزيد ويقال له الأسوار، وكان من لرمى العرب، وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

زعم الناس أن خير قریش كلهم حين يذكرون الأسوار

وعبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعتبة، وعبد الرحمن والربيع، ومحمد، لأمهات أولاد شتى. ويزيد وحرب وعمر وعثمان. فهؤلاء خمسة عشر ذكراً، وكان له من البنات عاتكة ورملة وأم عبد الرحمن وأم يزيد، وأم محمد. فهؤلاء خمس بنات. وقد انقرضوا كافة فلم يبق ليزيد عقب، وآله سبحانه أعلم.

إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية

■ (معاوية بن يزيد بن معاوية) أبي عبد الرحمن ويقال: أبو يزيد ويقال: أبو ليلى القرشي الأموي، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، بوع له بعد موت أبيه وكان ولي عهده من بعده في ربيع الأول سنة أربع وستين وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، ولم تطل مدته، قيل: إنه مكث في الملك أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً، وقيل شهرين،

ملك بني حرب.

والظاهر أن القبر الذي يباب الصغير يقال له قبر معاوية إنما هو قبر معاوية بن يزيد هذا، وليس بقبر معاوية بن أبي سفيان.

ويقال: إن معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج، وكذلك عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب إنما دفنوا في حوائط الجامع، بمصر والكوفة والشام حيث ماتوا والله أعلم.

ثم تولى الشام مروان بن الحكم وأولاده وهم بنو أبي العاص بني أمية وأبو العاص أخو حرب بن أمية، وهو أبو أبي سفيان، والله سبحانه أعلم. وقد حضر مروان دفته فلما فرغ منه قال مروان: أشهدون من دفنتم؟ قالوا: نعم معاوية بن يزيد، فقال مروان: هو أبو ليلى الذي قال فيه أبو أژم الغزاري.

إنسي أرى فتنة تغلسي مارجلهما والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا قالوا: كان الأمر كما قال، وذلك أن أبا ليلى توفي من غير عهد منه إلى أحد، فغلب على الحجاز عبد الله بن الزبير، وعلي دمشق وأعمالها مروان بن الحكم، وبايع أهل خراسان سلم بن زياد حتى يتولى على الناس خليفة، فسار فيهم سلم سيرة حسنة أحبوه عليها، ثم أخرجوه من بين أظهرهم. وخرج القراء والخوارج بالبصرة وعليهم نافع بن الأزرق، وطردوا عنهم عبيد الله بن زياد بعد ما كانوا يابغوه عليهم حتى يصير للناس إمام، فذهب إلى الشام بعد فصول يطول ذكرها، وقد يابغوا بصله عبد الله بن الحارث بن نوفل المعروف بنبته، وأمه هند بنت أبي سفيان، وقد جعل على شرطة البصرة هيمان بن عدي السدوسي، فبايعه الناس في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وستين، وقد قال الفرزدق:

وبايعت أقواماً وفيت بعدهم وبيعة قد بايعته غير نادم

فأقام فيها أربعة أشهر ثم لزم بيته، فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير فكتب ابن الزبير إلى أنس بن مالك يأمره أن يصلح بالناس، فوصلهم بهم شهرين، ثم كان ما سنذكره.

وخرج نخلة بن عامر الحنفي باليمامة، وخرج بنو ماحوز في الأهواز وفارس وغير ذلك على ما سيأتي تفصيله قريباً إن شاء الله تعالى.

إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه،

وعند ابن حزم وطائفة أنه أمير المؤمنين آنذاك

قد قلنا أنه لما مات يزيد أطلع الجيش عن مكة، وهم الذين كانوا يحاصرون ابن الزبير وهو عائد بالبيت فلما رجع حصين بن غير السكوني ورجعوا عن مكة إلى الشام، واستفحل عبد الله بن الزبير ببلاد الحجاز وما والاها، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة عامة هناك، واستتاب على المدينة أخاه عبيدة بن الزبير، وأمره بإجلاء بني أمية عن المدينة فاجلأهم فرحلوا إلى الشام، وفيهم مروان وابنه عبد الملك، ثم بعث أهل البصرة إلى ابن الزبير بعد حروب جرت بينهم وفن كثيرة يطول استقصاؤها، غير أنهم في أقل من ستة أشهر أقاموا عليهم نحواً من أربعة أمراء من بينهم ثم اضطرت أمورهم، ثم بعثوا إلى ابن الزبير وهو بمكة يجلبونه إلى أنفسهم، فكتب إلى أنس بن مالك ليصلح بهم.

ويقال إن أول من بايع ابن الزبير مصعب بن عبد الرحمن، فقال الناس: هذا أمر فيه صعوبة. وبايعه عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن علي بن أبي

طالب، وبعث إلى ابن عمر وابن الحنفية وابن عباس ليسابغوا فأبوا عليه. ويومع في رجب بعد أن أقام الناس نحو ثلاثة أشهر بلا إمام.

وبعث ابن الزبير إلى أهل الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج، واستوثق له المصران جميعاً، وأرسل إلى أهل مصر فبايعوه. واستتاب عليها عبد الرحمن بن جحدم، وأطاعت له الجزيرة، وبعث على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وبعث إلى اليمن فبايعوه، وإلى خراسان فبايعوه، وإلى الضحاك بن قيس بالشام فبايع وقيل: إن أهل دمشق وأعمالها من بلاد الأردن لم يبايعوه، لأنهم يابغوا مروان بن الحكم لما رجع الحصين بن غير عن مكة إلى الشام وقد كان التنف على عبد الله بن الزبير جماعة من الخوارج ينافون عنه، منهم نافع بن الأزرق، وعبيد الله بن ياض، وجماعة من رؤوسهم فلما استوثق أمرهم في الخلافة قالوا فيما بينهم: إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان. وكانوا يخضون عثمان فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان فأجابهم فيه بما يسوؤهم، وذكر لهم ما كان متصفاً به من الإيمان والتصديق، والمعدل والإحسان والسيرة الحسنة، والرجوع إلى الحق إذا تين له، فعند ذلك نفروا عنه وفارقوه وقصدوا بلاد العراق وخراسان، ففارقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة، التي لا تنضبط ولا تنحصر، لأنها مفرقة على الجهل وقوة النفس، والاعتقاد الفاسد، ومع هذا استحوذوا على كثير من البلدان والكور، حتى انتزعت منهم بعد ذلك على ما سنذكره بعد إن شاء الله.

ذكر بيعة مروان بن الحكم

وكان سبب ذلك أن حصين بن غير لما رجع من أرض الحجاز وارتحل عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الشام، وانتقلت بنو أمية من المدينة إلى الشام، اجتمعوا إلى مروان بن الحكم بعد موت معاوية بن يزيد، وقد كان عزم على أن يبايع لابن الزبير بدمشق، وقد بايع أهلها الضحاك بن قيس على أن يصلح بينهم ويقم لهم أمرهم حتى تجتمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والضحاك يريد أن يبايع لابن الزبير، وقد بايع لابن الزبير النعمان بن بشير بمحصر، وبايع له زفر بن الحارث الكلبي بقنسرين وبايع له نائل بن قيس بفلسطين، وأخرج منها روح بن زنباع الجلمي، فلم يزل عبيد الله بن زياد والحصين بن غير بمروان بن الحكم حتى تنوء عن رأيه وحذروه من دخول سلطان ابن الزبير وملكه إلى الشام، وقالوا له: أنت شيخ قريش وسيدنا: فانت أحق بهذا الأمر الثف هؤلاء كلهم مع قومه بني أمية ومع أهل اليمن، فوافقهم على ما أرادوا وجعل يقول ما فات شيء، وكتب حسان بن مالك بن بجلد الكلبي إلى الضحاك بن قيس يشنيه عن المبايع لابن الزبير، ويعرفه أباي بني أمية عنده وإحسانهم إليه، ويذكر فضلهم وشرفهم، وقد بايع حسان بن مالك أهل الأردن لبني أمية، وهو يدعو إلى ابن أخيه خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وبعث إلى الضحاك كتاباً بذلك، وأمره أن يقرأ كتابه على أهل دمشق يوم الجمعة على المنبر، وبعث بالكتاب مع رجل يقال له ناغضة بن كريب الطائفي، وقيل هو من بني كلب وقال له: إن لم يقرأه هو على الناس فقرأه أنت، فأعطاه الكتاب فسار إلى الضحاك فأمره بقراءة الكتاب فلم يقبل، فقام ناغضة فقرأه على الناس فصدقه جماعة من أمراء الناس، وكذبه آخرون، وشارت فتنة

وحسين بن عمر، وابن زياد، وأهل اليمن وخلق، فقالوا لمروان: أنت كبير قريش ورئيسها، وخالد بن يزيد غلام، وعبد الله بن الزبير كهل، فإنما يقرع الحديد بعضه ببعض، فلا تبار هذا السلام، وإرم بنحرك في نحري، ونحن نبائعك، أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربع وستين، قاله الواقدي [تاريخ الطبري: ٥٣٣/٥، ٥٣٤].

فلما تمهد له الأمر سار بمن معه نحو الضحاك بن قيس فالتقى بمرج راهط فغلبه مروان بن الحكم وقته وقتل من قيس مقتلة لم يسمع بمثلهما، على ما سياتي تفصيله في أول سنة خمس وستين فإن الواقدي وغيره قالوا: إنما كانت هذه الوقعة في الحرم من أول سنة خمس وستين.

وفي رواية محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا: إنما كانت في أواخر هذه السنة.

وقال الليث بن سعد والواقدي والمدايني وأبو سليمان بن زُرير وأبو عبيد وغير واحد: كانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن

قيس الفهري

قد تقدم أن الضحاك كان نائب دمشق لمعاوية بن أبي سفيان، وكان يصلي عنهم إذا اشتغل أو غاب، ويقوم الخلد ويسد الأمور، فلما مات معاوية قام بأعباء بيعة يزيد ابنه، ثم لما مات يزيد بايع الناس لمعاوية بن يزيد، فلما مات معاوية بن يزيد بايعه أهل دمشق حتى يجتمع الناس على إمام، فلما اتسعت البيعة لابن الزبير عزم على المبايعه لابن الزبير، فخطب الناس يوماً وتكلم في يزيد بن معاوية وذه، فقامت فتنة في المسجد الجامع، حتى أقتل الناس فيه بالسيف، فسكن الناس ثم دخل دار الإمارة من الخضراء وأغلق عليه الباب، ثم اتفق مع بني أمية على أن يركبوا إلى حسان بن مالك بن مجدل وهو بالأردن فيجتمعوا عنده على ما يراه أهلاً للإمارة على الناس، وكان حسان يريد أن يبايع لابن أخيه خالد بن يزيد، ويزيد بن ميسون، وميسون بنت مجدل أخت حسان، فلما ركب الضحاك معهم اغتذل باكر الجيش فرجع إلى دمشق فامتنع بها، وبعث إلى أمراء الأجناد فبايعهم لابن الزبير، وسار بنو أمية ومعهم مروان بن الحكم وعمر بن سعيد، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية، حتى اجتمعوا بحسان بن مالك بالجابية. وليس لهم قوة طائلة بالنسبة إلى الضحاك بن قيس، فعزم مروان على الرحيل إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ أماناً منه لبني أمية، فإنه كان قد أمر بإجلائهم عن المدينة، فسار حتى وصل إلى أذرعاء فلقه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق فاجتمع به ومعه حصين بن عمر، وعمر بن سعيد بن العاص، فحسبوا إليه أن يدعو إلى نفسه، فإنه أحق بذلك من ابن الزبير الذي قد فارق الجماعة وخلع ثلاثة من الخلفاء، فلم يزالوا بمروان حتى أجابهم إلى ذلك، وقال له عبيد الله بن زياد: وأنا أذهب لك إلى الضحاك إلى دمشق فأتدعه لك وأخذل أمره.

فسار إليه وجعل يركب إليه كل يوم ويظهر له الود والنصيحة والمحبة، ثم حسن له أن يدعو إلى نفسه ويخلع ابن الزبير فإنك أحق بالأمر منه، لأنك لم تزل في الطاعة مشهوراً بالأمانة، وابن الزبير خارج عن الناس. فدعا الضحاك الناس إلى نفسه ثلاثة أيام فلم يصعد معه، فرجع إلى الدعوة

عظيمة بين الناس، فقام خالد بن يزيد بن معاوية وهو شاب حدث على درجتين من المنبر فسكن الناس، ونزل الضحاك فجلس بالناس الجمعة، وأمر الضحاك بن قيس بأولئك الذين صدقوا ناغضة أن يسجنوا، فثار قبايلهم فأخرجوهم من السجن، واضطرب أهل دمشق في ابن الزبير وبني أمية، وكان اجتماع الناس لذلك ووقوفهم بعد صلاة الجمعة بباب الجيرون فسمي هذا اليوم يوم جيرون.

قال المدايني: وقد أراد الناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يتولى عليهم قاي، وهلك في تلك الليالي، ثم إن الضحاك بن قيس صعد منبر المسجد الجامع فخطبهم به، ونال من يزيد بن معاوية، فقام إليه شاب من بني كلب فضربه بعضى كانت معه، والناس جلوس متقلبي سيوفهم، فقام بعضهم إلى بعض فاقتلوا في المسجد قتلاً شليداً فقيس ومن لف لفيها يدعون إلى ابن الزبير وينصرون الضحاك بن قيس، ويرو كلب يدعون إلى بني أمية إلى البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية، ويتمصون ليزيد وأهل بيته، فنفض الضحاك بن قيس فدخل دار الإمارة وأغلق الباب ولم يخرج إلى الناس من يوم السبت لصلاة الفجر، ثم أرسل إلى بني أمية فجمعهم إليه فدخلوا عليه وفهم مروان بن الحكم، وعمر بن سعيد بن العاص، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية.

قال المدايني: فاعتذر إليهم بما كان منه، واتفق معهم أن يركب معهم إلى حسان بن مالك الكلبي فيقتلوا على رجل يرضونه من بني أمية للإمارة، فركبوا جميعاً إليه، فبينما هم يسرون إلى الجابية لقصد حسان، إذ جاء ثور بن معن بن الأحنس في قومه قيس، فقال له: إنك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير فأجبتك، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية، فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن تظهر ما كنا نسراً، وأن ندعو إلى طاعة ابن الزبير وتقاتل عليها. فمال الضحاك بمن معه فرجع إلى دمشق فاقام بها بمن معه من الجيش من قيس ومن لف لفيها، وبعث إلى أمراء الأجناد وبايع الناس لابن الزبير، وكتب بذلك إلى ابن الزبير يعلمه بذلك، فذكره ابن الزبير لأهل مكة وشكره على صنيعة، وكتب إليه بنبأه الشام، وقيل بل بايع نفسه بالخلافة فإله أعلم أي ذلك كان.

والذي ذكره المدايني أنه إنما دعا إلى بيعة ابن الزبير أولاً، ثم حسن له عبيد الله بن زياد أن يدعو إلى نفسه، وذلك مكر منه به فدعا الضحاك إلى نفسه ثلاثة أيام، فقم الناس عليه ذلك وقالوا: دعوتنا إلى بيعة رجل فبايعناه ثم خلعت من غير سبب ولا عذر، ودعوت إلى نفسك؟ فرجع إلى البيعة لابن الزبير فسقط بذلك عند الناس، وذلك الذي أراد عبيد الله بن زياد. وكان اجتماع عبيد الله بن زياد به بعد اجتماعه بمروان وتحسينه له أن يدعو إلى نفسه، ثم فارق ليخضع له الضحاك، فزحل عنده بدمشق وجعل يركب إليه في كل يوم، ثم أشار ابن زياد على الضحاك أن يخرج من دمشق إلى الصحراء ويدعو بالجيوش إليه ليكون أمكن له، فركب الضحاك إلى مرج راهط فزحل بمن معه من الجنود، وعند ذلك اجتمعت بنو أمية ومن اتبعهم بالأردن واجتمع إليهم من هتلك من قوم حسان بن مالك من بني كلب.

ولما رأى مروان بن الحكم ما انتظم من البيعة لابن الزبير، وما استوسق له من الملك، عزم على الرحيل إليه ليبايعه ولأخذ منه أماناً لبني أمية، فسار حتى بلغ أذرعاء فلقه عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق فصده عن ذلك ومجن رأيه، واجتمع إليه عمرو بن سعيد بن العاص،

ثم استباه معاوية عنده على دمشق فلم يزل عنده حتى مات معاوية وتولى ابنه يزيد، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد، ثم صار أمره إلى ما ذكرنا. وقد قال الإمام أحمد [٤٥٣/٣]: حدثنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا علي بن زيد عن الحسن أن الضحاك بن قيس كتب إلى قيس بن المهثم حين مات يزيد بن معاوية: سلام عليك أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة فتنة تقطع الليل المظلم، فتتأكل قطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمناً وعسي كافراً، وعسي فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمناً وعسي كافراً». وإن يزيد بن معاوية قد مات وأتم إخواننا وأشقائنا فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا.

وقد روى ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٤/٢٩١] من طريق ابن قتيبة عن العباس بن الفرج الراشبي عن يعقوب بن إسحاق بن يونس عن حماد بن زيد. قال: دخل الضحاك بن قيس على معاوية فقال معاوية:

تطاولت للضحاك حتى رددته إلى حسب في قومه متقاصر فقال الضحاك: قد علم قوما أنا أحلاس الخيل، فقال: صدقت، أنتم أحلاسها ونحن فرسانها. يريد: أنتم راحة وساسة، ونحن الفرسان. وأرى من المجلس وهو كساء يكون تحت البردة، أي: يلزم ظهورها كما يلزم المجلس ظهر البعير.

وروي أيضاً أن مؤذن دمشق قال للضحاك بن قيس: والله أيها الأمير إني لأحبك في الله. فقال له الضحاك: ولكني والله أبغضك في الله. قال: ولم أصلحك الله؟ قال: لأنك تترامى في أذنانك وتأخذ أجراً على تعليمك. قتل الضحاك رحمه الله يوم مرج راهط وذلك للنصف من ذي الحجة سنة أربع وستين. قاله الليث بن سعد وأبو عبيد والواقدي وابن زبير والمحدثي. وفيها قُتل:

■ النعمان بن بشير الأنصاري

وأمة عمرة بنت رباحة، وكان أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة للأَنْصار، في جمادى الأولى سنة ثنتين من الهجرة، فأُتت به أمه تحمله إلى النبي ﷺ فحنكه ويشرها بأنه يعيش حياً، ويقتل شهيداً، ويدخل الجنة، فمات في خير وسعة، ولي نيابة الكوفة لمعاوية تسعة أشهر، ثم سكن الشام، وولي قضاءها بعد فضالة بن عبيد، وفضالة بعد أبي الدرداء، وناب بمحصر لمعاوية، وهو الذي رد آل رسول الله ﷺ إلى المدينة بأمر يزيد له في ذلك، وهو الذي أشار على يزيد بالإحسان إليهم وقال: عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنهم على هذه الحالة. فرق لهم يزيد وأحسن إليهم وأكرمهم، وأمره بإكرامهم، ثم لما كانت وقعة مرج راهط وقتل الضحاك بن قيس، وكان النعمان قد أمته بأهل محص عدا عليه أهل محص. فقتلوه بقرية يقال لها تيرين، قتله رجل يقال له خالد بن خلي الكلاعي. وقتل خلي بن داود وهو جد خالد بن خلي. وقد رثته ابنة حميدة بنت النعمان فقالت:

ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه
ليت ابن منزة وابنه

لابن الزبير، ولكن اغبط بها عند الناس، ثم قال له ابن زياد: إن من يطلب ما تطلب لا يتزل المدن والحصون، وإنما يتزل الصحراء ويدعو عبيد الله بالجند، فبرز الضحاك إلى مرج راهط فزله، وأقام بن زياد بدمشق ومروان ويثرب أمية بدمر، وخالد وعبد الله عند خالهم حسان بالجابية، فكتب ابن زياد إلى مروان يأمره أن يظهر دعوته، فدعا إلى نفسه، وتزوج بأم خالد بن يزيد بن معاوية وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، فعظم أمره وبايعه الناس، واجتمعوا عليه، وسار إلى مرج راهط نحو الضحاك بن قيس، وركب إليه عبيد الله بن زياد وأخوه عباد بن زياد، حتى اجتمع مع مروان ثلاثة عشر ألفاً، وي دمشق من جهته يزيد بن أبي النسر، وقد أخرج عامل الضحاك منها وهو يمد مروان بالسلاح والرجال وغير ذلك. ويقال كان نائبه على دمشق يومئذ عبد الرحمن بن أم الحكم، وجعل مروان على ميته عبيد الله بن زياد، وعلى ميسرته عمرو بن سعيد بن العاص، وبعث الضحاك إلى النعمان بن بشير فأمله النعمان بأهل محص عليهم شرحبيل بن ذي الكلاع، وركب إليه زفر بن الحارث الكلبي في أهل قنسرين. فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً، على ميته زياد بن عمرو العقيلي، وعلى ميسرته زكريا بن شير الهلالي، فتصافوا وتقاتلوا بالمرج عشرين يوماً، يلتقون في كل يوم فيقتلون قتالا شديداً، ثم أشار عبيد الله بن زياد على مروان أن يدعوهم إلى الموقعة خديعة فإن الحرب خدعة، وأنت وأصحابك على الحق، وهم على الباطل. فتدوي في الناس بذلك، ثم غدر أصحاب مروان فمالوا يقتلونهم قتالا شديداً، وصبر أصحاب الضحاك صبراً بليناً، فقتل الضحاك بن قيس في المعركة، قتله رجل يقال له رُحمة بن عبد الله من بني كلب، طعنه بجرية فألقته ولم يعرفه. وصبر مروان وأصحابه صبراً شديداً حتى فر أولئك بين يديه، فنادى مروان: لا يتبع مدبر. ثم جى برأس الضحاك، ويقال إن أول من بشره بقتله روح بن زنباع الجذامي، واستقر ملك الشام بيد مروان بن الحكم. وروي أنه بكى على نفسه يوم مرج راهط، فقال: أبعد ما كبرت وضعت حتى صرت إلى أن أقتل بالسيف على الملك؟! قال: ولم تظل مدته في الملك إلا تسعة أشهر على ما ستذكره.

وقد كان

■ الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيان بن عارب بن فهر بن مالك، أبو أنيس الفهري أحد الصحابة على الصحيح، وقد سمع من النبي ﷺ وروى عنه أحاديث عدة، وروى عنه جماعة من التابعين، وهو أخو فاطمة بنت قيس وكانت أكبر منه بعشر سنين، وكان أبو عبيدة بن الجراح عمه. حكاه ابن أبي حاتم [المجروح والعليل: ٤/٤٥٧].

وزعم بعضهم أنه لا صحة له.

وقال الواقدي: أدرك النبي ﷺ وقد سمع منه قبل البلوغ.

وفي رواية عن الواقدي أنه قال: ولد الضحاك قبل وفاة النبي ﷺ بستين.

وكان شهد فتح دمشق وسكنها وله بها دار عند حجر الذهب عما يلي نهر بردى، وكان على أهل دمشق يوم صفين مع معاوية، ولما أخذ معاوية الكوفة استباه بها في سنة أربع وخمسون. وقد روى البخاري في التاريخ [الكبير: ٣٣٢/٤] أن الضحاك قرأ سورة ص في الصلاة بالناس بالكوفة ففسد فيها فلم يتابعه علقمة وأصحاب ابن مسعود في السجود.

فلأبكينك مسرة ولا بكن علانيه
ولا بكنك ما حيا ست مع السباع العائيه

القاسية إريق ذهب مرصعاً بالياقوت فلم يدر ما هو، فلقبه رجل من
الفرس فقال له: بعينه بعشرة آلاف، فعلم أنه شيء له قيمة. فبعث به إلى
سعد بن أبي وقاص فظله لياه، فباعه بمائة ألف.

ولما توفي معاوية قدم مكة فاصابه حجر المنجنيق مع ابن الزبير لما رسوا
به الكعبة، فمات منه بعد خمسة أيام، وغسله عبد الله بن الزبير، وحمله في
جمله من حمل إلى الحجون، وكانوا يطؤون به القتل، ويمشون به بين أهل
الشام وصلوا معهم عليه.

واحتكر المسور بن غرمة طلعماً في زمن عمر بن الخطاب، فرأى سحابة
فكرهه، فلما أصبح عدا إلى السوق فقال: من جاني أعطينه، فقال عمر:
اجننت يا ابن غرمة؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت سحابة
فكرهت ما ينفع الناس فكرهت أن أريح فيه شيئاً، فقال له عمر: جزاك
الله خيراً. ولد المسور بمكة بعد الهجرة بستين.

■ المنذر بن الزبير بن العوام ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وأمه
أسماء بنت أبي بكر الصديق، وقد غزا المنذر القسطنطينية مع يزيد بن
معاوية، ووقد على معاوية فاجازه بمائة ألف، وأقطعه أرضاً، فمات معاوية
قبل أن يقبض المال.

وكان المنذر بن الزبير وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام يقاتلان
أهل الشام بالهزار، ويقطعاهم بالليل. قتل المنذر بمكة في حصارها مع
أخيه، ولما مات معاوية أوصى إلى المنذر أن يتزل في قبره.

■ مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كان شاباً ديناً فاضلاً. قتل
مصعب أيضاً في حصار مكة مع ابن الزبير.

وعن قتل في وقعة الحرة محمد بن أبي بن كعب، وعبد الرحمن بن أبي
قتادة، وأبو حكيم معاذ بن الحارث الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي
بالناس، وقتل يومئذ ولدان لزينة بنت أم سلمة، وزيد بن محمد بن سلمة
وسعيد بن زيد بن ثابت الأنصاري قتل يومئذ، وقتل معه سبعة من إخوته
وغير هؤلاء رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.

وفيهما توفي

■ الأخنس بن شريق، شهد فتح مكة وكان مع علي يوم صفين.

حوادث ووقائع

وفي هذه السنة -أي سنة أربع وستين- جرت حروب كثيرة وفتن
متشعبة ببلاد المشرق واستحوذ على بلاد خراسان رجل يقال له عبد الله
بن خازم، وقهر عملها وأخرجهم منها، وذلك بعد موت يزيد وابنه معاوية،
قبل أن يستقر ملك ابن الزبير على تلك النواحي، وجرت بين عبد الله بن
خازم هذا وبين عمرو بن مرثد حروب يطول ذكرها وتفصيلها، اكتفينا
بذكرها إجمالاً إذ لا يتعلّق بتفصيلها كبير فائدة، وهي حروب فتنة وقتال
بغاة بعضهم في بعض، والله المستعان.

وقال الواقدي: وفي هذه السنة -بعد موت معاوية بن يزيد- بايع أهل
خراسان سلم بن زياد بن أبيه، وأجوه حتى أنهم سموا باسمه في تلك
السنة أكثر من ألف غلام مولود، ثم نكسوا واختلفوا فخرج عنهم سلم
وترك عليهم المهلب بن أبي صفرة.

وفيهما اجتمع ملا الشيعية على سليمان بن صرد بالكوفة، وتواعدوا
النخيلة ليأخذوا بآثار الحسين بن علي بن أبي طالب، وما زالوا في ذلك مجدين،
وعليه عازمين، من بعد مقتل الحسين بكربلاء في العاشر الحرم سنة إحدى

وقيل إن أعضى ممدان قدم على النعمان بن بشير وهو على حصص
وهو مريض، فقال له النعمان: ما أقدماك؟ قال: لتصلي وتغفط قرابتي
وتقضي ديني، فقال: والله ما عندي، ولكني سأطلب لك شيئاً، ثم قام
فصعد المنبر ثم قال: يا أهل حصص، إن هذا ابن عمكم من العراق، وهو
مستفدكم شيئاً فما ترون؟ فقالوا: احكم في أموالنا، فأبى عليهم فقالوا:
قد حكمنا من أموالنا كل رجل دينارين وكانوا في الدينارين عشرين ألف
رجل فملجأها له النعمان من بيت المال أربعين ألف دينار، فلما خرجت
أعطياتهم أسقط من عطاء كل رجل منهم دينارين.

ومن كلام النعمان بن بشير عليه السلام: إن الملكة كل الملكة أن تعمل
بالسبب في زمان البلاد.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش
عن أبي ربيعة يزيد بن أبيهم عن الهيثم بن مالك الطائي سمعت النعمان
بن بشير على المنبر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن للشيطان
نصلي وفخوخاً، وإن من مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله، والفخر بعطاء
الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله».

ومن أحاديثه الحسان الصحاح ما سمعه من رسول الله ﷺ يقول:
«إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبين ذلك أمور مشبهات لا يعلمهن
كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع
في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع
فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه، ألا وإن في
الجسد مضغة إذا صلّحت صلّح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر
الجسد، ألا وهي القلب». رواه البخاري (٥٢٦، ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩)

(١٠٨، ١٠٧) بنحوه

وقال أبو مسهر: كان النعمان بن بشير على حصص عاملاً لابن الزبير،
فلما تفرّج أهل حصص خرج النعمان هارباً فاتبه خالد بن خلي الكلاعي
فقتله.

قال أبو عبيد وغير واحد: في هذه السنة.

وقد روى محمد بن سعد بأسانيد أن معاوية تزوج بإمرأة جميلة جداً
فبعث إحدى امرأته ميسون أو فاخنة لتنظر إليها، فلما رأتها أعجبها جداً،
ثم رجعت إليه فقال: كيف رأيته؟ قالت: بديعة الجمال، غير أنني رأيت
تحت سرتها خالاً أسود، وإنني أحسب أن زوجها يقتل ويلقى رأسه في
حجرها. فطلقها معاوية وتزوجها النعمان بن بشير، فلما قتل ألقى رأسه في
حجر امرأته هذه.

وقال سليمان بن زبير: قتل بسلامة سنة ست وستين. وقال غيره: سنة
خمس وستين، وقيل سنة ستين والصحيح ما ذكرناه.

وفيهما توفي

■ المسور بن غرمة بن نوفل، صحابي صغير، أصابه حجر المنجنيق
مع ابن الزبير بمكة وهو قائم يصلي في الحجر. وهو من أعيان من قتل في
حصار مكة وهو المسور بن غرمة بن نوفل أبو عبد الرحمن الزهري، أمه
عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف، له صبية ورواية، ووقد على معاوية،
وكان من يلزم عمر بن الخطاب، وقيل إنه كان ممن يصوم الدهر، وإذا قدم
مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعا، وصلى ركعتين، وقيل إنه وجد يوم

وستين، وقد نعموا على ما كان منهم من بعثهم إليه، فلما حصل خذلوه وتحولوا عنه ولم ينصروه.

فجاست بوصول لا ينفع الوصول

فاجتمعوا في دار سليمان بن صرد وهو صحابي جليل، وكان رؤوس القائلين في ذلك خمسة، سليمان بن صرد الصحابي، والمسيب بن نجبة الفزاري أحد كبار أصحاب علي، وعبد الله بن سعد بن ثعلبة الأزدي، وعبد الله بن وال التيمي، ورفاعة بن شداد البجلي. وكلهم من أصحاب علي رضي الله عنه، فاجتمعوا كلهم بعد خطب ومواعظ على تأمير سليمان بن صرد عليهم، فقاموا وتعاقدوا وتواعدوا بالخيلة، أن يجتمع من يستجيب لهم إلى ذلك الموضع بها في ستة خسر وستين، ثم جمعوا من أموالهم وأسلحتهم شيئاً كثيراً وأعدوه لذلك.

وقام المسيب بن نجبة خطيباً فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: لما بعد فقد ابتلينا بطول العمر وكثرة الفتن، وقد ابتلانا الله فوجدنا كاذبين في نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ، بعد أن كتبنا إليه وراسلناه، فأتانا طمعاً في نصرتنا إياه، فخذلناه وأخلفناه، وأتينا به إلى من قتل أولاده وذريته وقراباته الأخيار، فما نصرناهم بأبدينا، ولا خذلنا عنهم بالسبتا، ولا قوتناهم بأموالنا، فالويل لنا جيماً ولا متصلاً أبداً لا يفر ولا يبيد دون أن يقتل قاتلهم والمالئين عليه، أو تقتل دون ذلك وتذهب أموالنا ونغرب ديارنا، أيها الناس قوموا في ذلك قومة رجل واحد، «وتوبوا إلى بارئكم فاقبلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم»، الآية [البقرة: ١٥٤]. وذكر كلاماً طويلاً. ثم كتبوا إلى جميع إخوانهم أن يجتمعوا بالخيلة في السنة الآتية.

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حنيفة بن اليمان وهو بالمداين يدعو إلى ذلك فاستجاب له ودعا إليه سعد من أطاعه من أهل المداين، فبادروا إليه بالاستجابة والقبول، وتماثلوا عليه وتواعدوا الخيلة في التاريخ المذكور.

وكتب سعد إلى سليمان بذلك فحضر أهل الكوفة من موافقة أهل المداين لهم على ذلك، وتنشطوا لأمرهم الذي تماثلوا عليه. فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بعد قليل، طمعوا في الأمر، واعتقدوا أن أهل الشام قد ضعفوا، ولم يبق من يقيم لهم أمراً، فشدوا إلى سليمان واستشاره في الظهور أن يخرجوا إلى الخيلة قبل الأجل، فمنعهم من ذلك: حتى يأتي الأجل الذي واعدوا إخوانهم فيه. ثم هم في الباطن يعدون السلاح والقوة ولا يشعر بهم جمهور الناس، وحيث عمد جمهور أهل الكوفة إلى عمرو بن حريث نائب عبيد الله بن زياد على الكوفة فأخرجوه من القصر، وأصلحوها على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الملقب دحرجة، فبايع لعبد الله بن الزبير، فهو يسد الأمور حتى تأتي نواب ابن الزبير.

فلما كان يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من هذه السنة أعني سنة أربع وستين قدم أميران إلى الكوفة من جهة ابن الزبير، أحدهما عبد الله بن يزيد الخطمي، على الحرب والنفر، والآخر إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، على الخراج والأموال.

وقد كان قدم قبلهما بجمعة واحدة للنصف من هذا الشهر المختار ابن أبي عبيد - وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائفاً، وهم مدعون للحرب. فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامه محمد بن الحنفية، ولقبه

المهدي، فاتبعه كثير من الشيعة وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان يريدون الخروج على الناس لياخذوا بآثار الحسين، وفرقة أصحاب المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقربون عليه ليروجوا على الناس به، ولينصلوا إلى أغراضهم الفاسدة، وجاءت العين الصافية إلى عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير بما تمثالاً عليه فرقتا الشيعة. على اختلافهما من الخروج على الناس والدعوة إلى ما يريدون، وأشار من أشار عليه بأن يبادر إليهم ويتحاط عليهم ويبحث الشرط والمقاتلة فيقيمهم عما هم مجمعون عليه من إرادة الشر والفتنة. فقام خطيباً في الناس وذكر في خطبته ما بلغه عن هؤلاء القوم، وما أجمعوا عليه من الأمر، وأن منهم من يريد الأخذ بآثار الحسين، ولقد علموا أنني لست بمن قتلته، وإني والله لمسئس أصيب بقتله رحمه الله ولمن قاتله، وإني لا أتمرض لأحد قبل أن يبدئي بالشر، وإن كان هؤلاء يريدون الأخذ بآثار الحسين فليعمدوا إلى ابن زياد فإنه هو الذي قتل الحسين وخيار أهله فليأخذوا منه بالشر، ولا يخرجوا بسيوفهم على أهل بلدهم، فيكون فيه حثهم واستصالحهم.

فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة الأمير الآخر فقال: أيها الناس لا يغرنكم من أنفسكم كلام هذا الماخن، إنا والله قد استيقنا من أنفسنا أن قوماً يريدون الخروج علينا، ولناخذن الوالد بالولد والولد بالوالد، والحميم بالحميم، والعريف بما في عرفاته، حتى يبيتوا بالحق وينزلوا للطاعة. فوثب إليه المسيب بن نجبة الفزاري فقطع كلامه فقال: يا ابن الناكثين أهملنا بسيفك وغشمك؟ أنت والله أذل من ذلك، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أبك وجنك، وإنا لسرجو أن نلحقك بهما قبل أن تخرج من هذا القصر. وساعد المسيب بن نجبة من ردد عن إبراهيم بن محمد بن طلحة جماعة من العمال، وخرجت فتنة وشراً كبير في المسجد، فتل عبد الله بن يزيد الخطمي عن الثبر وحاولوا أن يوقعوا بين الأمرين فلم يفتق لهم ذلك، ثم ظهرت الشيعة أصحاب سليمان بن صرد بالسلاح، وأظهروا ما كان في أنفسهم من الخروج على الناس وركبوا مع سليمان بن صرد فقصدا نحو الجزيرة، وكان من أمرهم ما سنذكره.

وأما المختار بن أبي عبيد الله الثقفي الكذاب فإنه قد كان بغضاً إلى الشيعة من يوم طعن الحسين وهو ذاهب إلى الشام بأهل العراق، فلجأ إلى المداين، فأشهر المختار على عمه وهو نائب المداين بأن يقبض على الحسين ويبعثه إلى معاوية فيخذل بذلك عنده اليد البيضاء، فامتنع عنه من ذلك، فأبغضته الشيعة بسبب ذلك، فلما كان من أمر مسلم بن عقيل ما كان وقتله ابن زياد، كان المختار يومئذ بالكوفة فبلغ ابن زياد أنه يقول: لأقومن بنصرة مسلم ولأخذن بثأره، فأحضره بين يديه وضرب عينه بقضيب كان بيده فشرتها، وأمر بسجته، فلما بلغ أخته سجنه بكث وجزعت عليه، وكانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع عنه في إخراج المختار من السجن، فبعث يزيد إلى ابن زياد: أن ساعة وقوفك على هذا الكتاب تخرج المختار بن أبي عبيد من السجن، فلم يمكن ابن زياد غير ذلك، فأخرجه وقال له: إن وجدتك بعد ثلاثة أيام بالكوفة ضربت عنقك. فخرج المختار إلى الحجاز وهو يقول: والله لأقطن أنامل عبيد الله بن زياد، ولأقتل بالحسين بن علي عدد من قتل علي دم يحيى بن زكريا. فلما استعمل أمر عبد الله بن الزبير بمكة بايعه المختار بن أبي عبيد، وكان من كبار الأمراء عنده، ولما حاصره الحصين بن نمير مع أهل الشام قاتل المختار دونه أشد القتال، فلما بلغه موت يزيد بن معاوية

ثم إن ابن الزبير استخار الله ثلاثة أيام، ثم غدا في اليوم الرابع فبدأ بتقص الركن إلى الأساس، فلما وصلوا إلى الأساس وجدوا أصلاً بالحجر مشبكاً كأصابع اليدين، فدعا ابن الزبير حسين رجلاً واشهدهم على ذلك، ثم بنى البيت وأدخل الحجر فيه، وجعل للكعبة باين موضوعين بالأرض، باب يدخل منه وباب يخرج منه، ووضع الحجر الأسود بيده، وشده بغضه لأنه كان قد تصدع، وجعل طول الكعبة سبعة وعشرين ذراعاً وكان طولها سبعة عشر ذراعاً فاستقصه، وزاد في وسع الكعبة عشرة أذرع، ولطخ جدرانها بالمسك وسترها بالديباج، ثم اعتمر من مساجد عائشة وطاف بالبيت وصلى وسمى، وأزال ما كان البيت وفي المسجد من الحجارة ومن الزبالة، وما كان حولها من الدماء، وكانت الكعبة قد وهت من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق، واسود الركن وانصدع الحجر الأسود من النار التي كانت حول الكعبة. وكان سبب تجليد ابن الزبير لها ما ثبت في الصحيحين [١٢٦] (١٣٣٣) [٢٠٢٨، ٢٠٢٩] (٨٧٥، ٨٧٦)، ج (٢١٥٥) وغيرهما من المسانيد [ج: ٥٧/١] والسنة، من طرق عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: «لولا حدثان قومك بكره لفضت الكعبة ولأدخلت فيها الحجر، فإن قومك قصرت بهم الثقة، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً، يدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر، ولألصقت بابها بالأرض فإن قومك رفعوا بابها ليدخلوا من شأوا ويمخروا من شأوا».

فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ، فجزاه الله خيراً، ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي وقته وصلبه، هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولاً، وأدخل الحجارة التي هدمها إلى جوف الكعبة فرضها فيها، فارتفع الباب وسد الغربي، وتلك آثاره إلى الآن، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان في ذلك، ولم يكن بلغه الحديث، فلما بلغه الحديث قال: ودعنا أنا تركنا وما تولى من ذلك.

وقد هم المهدي ابن المنصور أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك، فقال: إني أكره أن يتخذها الخلفاء ملعبة - يعني يتلاعبون ببنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأي ابن الزبير، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان، وهذا يرى رأياً آخر والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال ابن جرير رحمه الله: [٥٨٢/٥]: «وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه عبيدة، وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وعلى قضائهما سعيد بن ثمران، وامتع شريح أن يحكم في زمان الفتنة، وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعلى قضائهما هشام بن هيرة، وعلى خراسان عبد الله بن خازم».

وكان في أواخر هذه السنة وقعة مرج راهط كما قلنا، وقد استقر ملك الشام لمروان بن الحكم، وذلك بعد ظفروه بالضحاك بن قيس وقته له في الوقعة.

وقيل إن فيها دخل مروان مصر وأخذها من نائبها الذي من جهة ابن الزبير، وهو عبد الرحمن بن جحدم. واستقرت يد مروان على الشام ومصر وأعمالها والله أعلم.

واضطراب أهل العراق، نعم على ابن الزبير في بعض الأمر وخرج من الحجاز قصد الكوفة فدخلها في يوم جمعة والناس يتجهون للصلاة، فجعل لا يمر بملاً إلا سلم عليه وقال: أبشروا بالنصر والظفر بالأعداء. ودخل المسجد فصلى إلى سارية هنالك حتى أقيمت الصلاة، ثم صلى من بعد الصلاة حتى صليت العصر، ثم انصرف فسلم عليه الناس وأقبلوا إليه وعليه وعظموه، وجعل يدهر إلى إمامة المهدي عمه بن الحنفية، ويظهر الانتصار لأهل البيت، وأنه يصعد أن يقيم شعارهم، ويظهر منارهم، ويستوفي ثأرهم، ويقول للناس الذين قد اجتمعوا على سليمان بن صرد من الشيعة وقد خشي أن يبادروا إلى الخروج مع سليمان فجعل يغلظهم ويستميلهم إليه ويقول لهم: إني قد جتكم من قبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ورضي الوصي، والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وقام النعماء، وأن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه إنما هو عتمة من العتمة، وشئ بال ليس يذني تحرية للأسور، ولا له علم بالحروب، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم، وإني إنما أعمل على مثل قد مثل لي، وأمر قد بين لي، فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني وأطيعوا أمري، ثم أبشروا وتباشروا، فإني لكم بكل ما تأملون ونحوه كثير. فالتف عليه خلق كثير من الشيعة، ولكن الجمهور منهم مع سليمان بن صرد، فلما خرجوا مع سليمان إلى النخيلة قال عمر بن سعد بن أبي وقاص وشيت بن ربيعة وغيرهما لعبد الله بن يزيد نائب الكوفة: إن المختار بن أبي عبيد أشد عليكم من سليمان بن صرد، فبئت إليه الشرط فأحاطوا بداره فأخذ فذهب به إلى السجن مقيداً، وقيل بغير قيد. فأقام به مدة ومريض فيه.

قال أبو غنم: فحدثني يحيى بن أبي عيسى أنه قال: دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدي نعوذ وتعاونه. فسمعتة يقول: أما ورب البحار، والنخيل والأشجار، والمهامه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتل كل جبار، بكل لذن خطر، ومهند بتار، وجموع من الأنصار، ليسوا بميل أغمار، ولا بعز أشرار، حتى إذا أقمت عمود الدين، وجبرت صدق المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين، وأدركت ثار أولاد النبين، لم أبك على زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا ذنا. قال: وكان كلما أتيته وهو في السجن يردد علينا هذا القول حتى خرج.

ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير

قال ابن جرير رحمه الله: [٥٨٢/٥]: «وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة، وذلك لأنه مال جدارها عما رमित به من حجارة المنجنيق فهدم الجدران حتى وصل إلى أساس إبراهيم، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرقه من حجر، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب، عند الخزان حتى أعاد ابن الزبير بناها على ما كان رسول الله ﷺ يريد أن يبنها عليه من الشكل، وقال الواقدي: لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس في هدمها فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمر بذلك، وقال ابن عباس: أخشى أن يأتي بعنك من يهدمها، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرمتها، ولكن لرى أن تصلح ما وهي منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً بعث رسول الله ﷺ عليها فقال ابن الزبير: لو احترق بيت أحدكم ما رضي حتى يعيده فكيف بيت ريكم؟!

ثم دخلت سنة خمس وستين

بهم مراحل، ما يتقدمون مرحلة إلى نحو الشام إلا تخلف عنه طائفة من الناس الذين معه، فلما مروا بقر الحسين صاحوا صيحة واحدة وتباكوا وباتوا عنده ليلة، وظلوا يوماً يترحمون عليه ويستغفرون له ويتضرعون عنه ويتنون أن لو كانوا ماتوا معه شهداء.

قلت: لو كان هذا العزم والاجتماع قبل وصول الحسين إلى تلك الميزة، لكان أنفع له وأتصر من اجتماعهم لتصرته بعد أربع سنين. ولما أرادوا الانصراف جعل لا يسير أحد منهم حتى يأتي القبر فيترحم عليه ويستغفر له، حتى جعلوا يزدهجون أشد من ازدحامهم عند الحجر الأسود. ثم ساروا قاصدين الشام، فلما اجتازوا بقرقيسيا تحصن منهم زفر بن الحارث، فبعث إليه سليمان بن صرد: إنا لم نأت لقتالكم فأخرج إلينا سوقاً فإنما نقيم عندكم يوماً أو بعض يوم. فأمر زفر بن الحارث أن يخرج السوق إليهم، وأمر للرسول إليه وهو المسيب بن نجبة بفارس وألف درهم. فقال: أما المال فلا. وأما الفرس فنعيم.

وبعث زفر بن الحارث إلى سليمان بن صرد ورؤوس الأمراء الذين معه إلى كل واحد عشرين جزوا وطعاماً وعلفاً كثيراً، ثم خرج زفر بن الحارث فشيهم، وسار مع سليمان بن صرد وقال له: إنه قد بلغني أن أهل الشام قد جهزوا جيشاً كثيراً وعدداً كثيراً، مع حصين بن نمير، وشرحيل بن ذي الكلاع، وأدعم بن حمز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي، وجيلة بن عبد الله الحثمي. فقال سليمان بن صرد: على الله توكلنا وعلى الله فليتركوا المتوكلون. ثم عرض عليهم زفر بن الحارث أن يدخلوا مدينته أو يكونوا عند بابها، فإن جاءهم أحد كان معهم عليه، فأبوا أن يقبلوا شيئاً من ذلك وقالوا: قد عرض علينا أهل بلننا مثل ذلك فامتنعنا. قال: فإذا أبيتم ذلك فبادروهم إلى عين السودة فيكون الماء والمدينة والأسواق والسباق خلف ظهوركم، وما بيننا وبينكم فائتت آمنون منه، ثم أشار عليهم بما يمتدونه في حال القتال، فأتى عليه سليمان بن صرد والناس خيراً، ثم رجع عنهم، وسار سليمان بن صرد فبادر إلى عين السودة فقتل غريبها، وأقام خساً هناك قبل وصول أعدائه إليه.

وقعة عين الورد

واستراح سليمان وأصحابه واطمأنوا، فلما اقترب أهل الشام إليهم خطب سليمان أصحابه فرغهم في الآخرة وزهدهم في الدنيا، وحثهم على الجهاد، وقال: إن قتلت فالأمير عليكم المسيب بن نجبة، فإن قتل فعبد الله بن سعد بن نفل، فإن قتل فعبد الله بن وال، فإن قتل فرفاعة بن شداد. ثم بعث بين يديه المسيب بن نجبة في أربع مئة فارس، فأغاروا على جيش شرحبيل بن ابن ذي الكلاع وهم غارون، فقتلوا منهم جماعة وجرحوا آخرين، واستاقوا نعاماً، وأتى الخبر إلى عبيد الله بن زياد فأرسل بين يديه الحصين بن نمير في اثني عشر ألفاً فصيح سليمان بن صرد وجيشه فترافقوا في يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى، وحصين بن نمير قائم في اثني عشر ألفاً، وقدمها كل من الفريقين لصاحبه، فدعا الشاميون أصحاب سليمان إلى الدخول في طاعة مروان بن الحكم، ودعا أصحاب سليمان الشاميين إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد فيقتلوه عن الحسين، وامتنع كل من الفريقين أن يبيح إلى ما دعا إليه الآخر، فباقتلوا قتلاً شديداً عامة يومهم إلى الليل، وكانت الدائرة فيه للعراقيين على الشاميين، فلما أصبحوا أصبح ابن ذي الكلاع وقد وصل إلى الشاميين في

فيها اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً، كلهم يطلبون الأخذ بآثار الحسين عن قتله. قال الواقدي: لما خرج الناس إلى النخيلة كانوا قليلاً، فلم تعجب سليمان قتلهم، فأرسل حكيم بن مقذ فنادى في الكوفة بأعلى صوته: يا ثارات الحسين، فلم يزل ينادي حتى بلغ المسجد الأعظم، فسمع الناس فخرجوا إلى النخيلة وخرج أشراف الكوفة فكانوا قريباً من عشرين ألفاً أو يزيدون، في ديوان سليمان بن صرد، فلما عزم على السير بهم لم يصف معهم سوى أربعة آلاف، فقال المسيب بن نجبة لسليمان: إنه لا يفتك الكاره، ولا يقااتل معك إلا من أخرجه التية، وياع نفسه له عز وجل، فلا تنتظر أحداً وامض لأمرك في جهاد عدوك واستعن بالله عليهم. فقام سليمان في أصحابه وقال: يا أيها الناس! من كان إنما خرج لوجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه، ومن كان خروجه معنا للدنيا فليس منا ولا يصحبنا. فقال الباقون معه: ما للدنيا خرجنا، ولا لها طلبنا، فقيل له: أتسير إلى قتلة الحسين بالشام وتقتله عندنا بالكوفة كلهم مثل عمر بن سعد وغيره؟ فقال سليمان: إن ابن زياد هو الذي جهز الجيش إليه وفعل به ما فعل، فإذا فرغنا منه عدنا إلى أعدائه بالكوفة، ولو قاتلتهم أولاً، وهم أهل مصركم ما عدم الرجل منكم أن يرى رجلاً قد قتل أباه قد قتل أخاه أو حيمه، فيقع التخاذل، فإذا فرغتم من الفاسق ابن زياد حصل لكم المراد. فقالوا: صدقت. فنادى فيهم: سيروا على اسم الله تعالى، فساروا عشية الجمعة لخمس مضي من ربيع الأول. وقال في خطبته: من كان خرج منكم للدنيا ذهبها وزبرجدها فليس معنا ما يطلب شيء، وإنما معنا سيوف على عواتقنا، ورماح في أكفنا، وزاد يكفينا حتى نلقى عدونا. فأجابوه إلى السمع والطاعة والحالة هذه، وقال لهم: عليكم بابن زياد الفاسق أولاً، فليس له إلا السيف، وما هو قد أقبل من الشام قاصداً العراق. فصمم الناس معه على هذا الرأي.

فلما أزمعوا على ذلك بعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد أسمره الكوفة من جهة ابن الزبير، إلى سليمان بن صرد يقولان له: إنا نحب أن تكون أبلينا واحدة على ابن زياد، وأنهم يريدون أن يعيشوا معهم جيشاً ليقويهم على ما هم قد قصدوا له، ويعثوا يريدنا بذلك ينتظروهم حتى يقدموا عليه، فتهايم سليمان بن صرد لقدومهم عليه في رؤوس الأمراء، وجلس في أبته والجيش عذقة به، وأقبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة في أشراف أهل الكوفة من غير قتلة الحسين، لئلا يطعموا فيهم، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص في هذه الأيام كلها لا يبيت إلا في قصر الإمارة عند عبد الله بن يزيد خوفاً على نفسه، فلما اجتمع الأميران عند سليمان بن صرد قال له وأشارا عليه أن لا يذهبوا حتى تكون أبلينهم كلهم واحدة على قتال ابن زياد، ويجهزوا معهم جيشاً آخر، فإن أهل الشام جمع كثير وجم غفير، وهم يحاجفون عن ابن زياد، فامتنع سليمان من قبول قولهما وقال: إنا خرجنا لأمر لا نرجع عنه ولا نتأخر فيه. فانصرف الأميران راجعين إلى الكوفة، وانتظر سليمان بن صرد وأصحابه الذين كانوا قد وعدوهم من أهل البصرة وأهل الملائن أن يقدموا عليهم النخيلة في هذه السة، فلم يقدموا عليهم ولا أحد منهم، فقام سليمان بن صرد في أصحابه خطياً وحرضهم على الذعاب لما خرجوا عليه، وقال: لو قد سمع إخوانكم بمسيركم للحقوقكم سراعاً، فخرج سليمان وأصحابه من النخيلة يوم الجمعة لخمس مضي من ربيع الأول سنة خمس وستين، فسار

إليه من الشياطين، فإنه قد كان يأتيه شيطان فيوحى إليه قريبا بما كان يوحى شيطان مسيلة إليه، وكان جيش سليمان بن صرد وأصحابه يسمى بجيش التوابين.

وقد كان سليمان بن صرد الخزرجي صحابياً جليلاً نبيلاً عابداً زاهداً، وروى عن النبي ﷺ أحاديث في الصحيحين وغيرهما، وشهد مع علي صفين، وكان أحد من كان يجمع الشيعة في داره لبيعة الحسين، وكتب إلى الحسين فيمن كتب بالقندوم إلى العراق، فلما قدمها تخللوا عنه وقتل بكرلاء، ورأى هؤلاء أنهم كانوا سبياً في قديمه، وأنهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته فقدموا على ما فعلوا معه، ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسما جيشهم جيش التوابين وسما سليمان بن صرد أمير التوابين، فقتل سليمان عليه السلام في هذه الوقعة بعين وردة سنة خمس وستين، وقيل سنة سبع وستين، والأول أصح. وكان عمره يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة رحمه الله.

وأما المسيب بن نجبة بن ربيعة الفزاري فإنه قدم مع خالد بن الوليد من العراق وشهد فتح دمشق، ثم عاد إلى العراق وشهد مع علي صفين وغيرها، وكان أحد الكبار الذين خرجوا يطالبون بدم الحسين، رضي الله عنه، وحمل رأسه ورأس سليمان بن صرد إلى مروان بن الحكم بعد الوقعة، وكتب أمراء الشاميين إلى مروان بما فتح الله عليهم وأظفروهم من عدوهم، فخطب الناس وأعلمهم بما كان من أمر الجنود ومن قتل من أهل العراق. وقد قال: أهلك الله رؤوس الضلال سليمان بن صرد وأصحابه، وعلق الرؤوس بدمشق، وكان مروان بن الحكم قد عهد بالأمر من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم عبد العزيز، وأخذ بيعة الأمراء على ذلك في هذه السنة، قاله ابن جرير (١١٠/٥) وغيره.

وفيهما دخل مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدق إلى الديار المصرية فأخذها من يد نائبها الذي كان لعبد الله بن الزبير، وهو عبد الرحمن بن جعدم، وكان سبب ذلك أن مروان قصدوا فخرج إليه نائبها ابن جعدم فقباله مروان ليقاتله فاشتغل به، وخلص عمرو بن سعيد بطائفة من الجيش من وراء عبد الرحمن بن جعدم فدخل مصر فملكها، وهرب عبد الرحمن ودخل مروان إلى مصر فملكها، وجعل عليها ولده عبد العزيز. وفيها بعث ابن الزبير أخاه مصعباً لفتح له الشام، فبعث إليه مروان عمرو بن سعيد فقلقه إلى فلسطين فهرب منه مصعب بن الزبير وكر راجعاً ولم يظهر بشيء. واستقر ملك الشام ومصر لمروان.

وقال الواقدي: إن مروان حاصر مصر فخلق عبد الرحمن بن جعدم على البلد خندقاً، وخرج في أهل مصر إلى قتاله، وكانوا يتناوبون القتال ويستريحون، ويسمى ذلك يوم التروايح، واستمر القتال في خواص أهل البلد فقتل منهم خلق كثير، وقتل يومئذ عبد الله بن يزيد بن معد يكرّب الكلاعي أحد الأشراف. ثم صالح عبد الرحمن مروان على أن يخرج إلى مكة بماله وأهله، فأجابه مروان إلى ذلك وكتب إلى أهل مصر كتاب أمان بيده، وتفرق الناس وأخذوا في دفن موتاهم والبكاء عليهم، وضرب مروان عتق ثمانين رجلاً تخلفوا عن مبايعته، وضرب عتق الأكيدر بن حلة اللخمي، وكان من قلة عثمان، وذلك في نصف جمادى الآخر يوم توفي عبد الله بن عمرو بن العاص، فما قدروا أن يخرجوا بمنازته فدفنوه في داره، واستولى مروان على مصر وأقام بها شهرين، ثم استعمل عليها ولده عبد العزيز، وترك عنده أخاه بشر بن مروان وموسى بن نصير وزيراً له، وأوصاه بالإحسان إلى الأكابر ورجع إلى الشام.

وفيهما جهز مروان جيشين أحدهما مع حبيش بن دجة القتي ليأخذ له

ثمانية عشر ألفاً فارس، وقد أتته وشتمه عبيد الله ابن زياد، فاقتل الناس في هذا اليوم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل، فلما أصبح الناس من اليوم الثالث وصل إلى الشاميين أدهم بن حمز في عشرة آلاف، وذلك في يوم الجمعة، فاقتلوا قتالاً شديداً إلى حين ارتفاع الضحى، ثم استنار أهل الشام بأهل العراق وأحاطوا بهم من كل جانب، فخطب سليمان بن صرد الناس وحرضهم على الجهاد، فاقتل الناس قتالاً عظيماً جداً، ثم ترجل سليمان بن صرد وكسر جفن سيفه ونادى يا عباد الله، من أراد الروح إلى الجنة والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فليأت إليّ، فترجل معه ناس كثيرين وكسروا جفون سيوفهم، وحملوا حتى صاروا في وسط القوم، وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة حتى خاضوا في الدماء، وقتل سليمان بن صرد، رماه رجل يقال له يزيد بن الحصين بسهم فوقع، ثم وثب ثم وقع ثم وثب ثم وقع، وهو يقول: فزت ورب الكعبة، فأخذ الراية المسيب بن نجبة فقاتل بها قتالاً وهو يقول: فَذْ عَلَيَّ ثِيَابُ الدُّوَابِّ وَأَخِيحَ الْكِبَاتِ وَالْثَّرَابِ أَتَيْ غَدَاةَ الرُّوْحِ وَالْتَفَالِبِ أَشْجَحُ مِنْ ذِي لَيْدَةِ مَوَائِبِ قَطَّاعُ أَقْرَانِ عُرُوفِ الْجَنَابِ

ثم قاتل قتالاً قفصى ابن نجبة نجبه، ولحق صحبه، فأخذ الراية عبد الله بن سعد بن نغيل فقاتل قتالاً شديداً أيضاً، وهو يقول: رحم الله أخوتي، منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينظر، وما بلغوا تبديلاً، وحمل حيثن ربيعة بن غمارق على أهل العراق حملة منكرة، وتبارز هو وعبد الله بن سعد بن نغيل، ثم أخذ فحمل ابن أخي ربيعة على عبد الله بن سعد فقتله، ثم احتمل عمه، فأخذ الراية عبد الله بن وال، فحرض الناس على الجهاد وجعل يقول: الروح إلى الجنة - وذلك بعد العصر - وحمل بالناس ففرق من كان حوله ثم قتل - وكان من الفقهاء المقتين - قتله أدهم بن حمز الباهلي أمير حرب الشاميين ساهتد، من جهة الشاين فأخذ الراية رفاعه بن شداد فالحماز بالناس وقد دخل الطلام، ورجع الشاميون إلى رحاهم، واتشمر رفاعه بمن بقي معه راجعاً إلى بلاده، فلما أصبح الشاميون إذا العراقيون قد كروا راجعين إلى بلادهم، فلم يمشوا وراءهم طالباً ولا أحداً، فقطع رفاعه بمن معه الخابور ومر على قرقيسا فبعث إليهم زفر بن الحارث الطغام والعلف والأطباء فاقاموا ثلاثاً حتى استراحوا ثم رحلوا، فلما وصلوا إلى هيت إذا سعد بن حنيفة بن اليمان قد أقبل بمن معه من أهل المدائن قاصدين إلى نصرتهم، فلما أخبروه بما كان من أمرهم وما حل بهم، ونموا إليه أصحابهم ترحوا عليهم واستغفروا لهم وتباكوا على إخوانهم، وانصرف أهل المدائن إليها، ورجع راجعة أهل الكوفة إليها، وقد قتل منهم خلق كثير وجم غفير، وإذا المختار بن أبي عبيد كما هو في السجن لم يخرج منه بعد، فكتب إلى رفاعه بن شداد يعزيه فيمن قتل منهم ويترحم عليهم ويخطبهم بما نالوا من الشهادة وجزيل الثواب، ويقول: مرحباً بالذين أعظم الله أجورهم ورضي عنهم، والله ما خطا منهم أحد خطوة إلا كان ثواب الله له فيها أعظم من الدنيا وما فيها، وإن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه في أرواح النبيين والشهداء والصالحين، وبعد فانا الأمير المأمون، قاتل الجبارين والمفسدين إن شاء الله، فاعدوا واستعدوا وأبشروا، وأنا أدهوكم إلى كتاب الله وستة رسوله: والطلب بدماء أهل البيت. وذكر كلاماً كثيراً في هذا المعنى.

وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن رؤي الذي كان يأتي

والج عليه أولئك أن يسلم مروان إليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع، وقد قاتل مروان يوم الدار قتالا شديداً، وقتل بعض أولئك الخوارج، وكان على الميسرة يوم الجمل، ويقال: إنه رمى طلحة بسهم في ركبته فقتله فإله أعلم. وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: كان علي يوم الجمل حين انهزم الناس يكثر السؤال عن مروان فقيل له في ذلك فقال: إنه تعطفني عليه رحم ماسة، وهو سيد من شباب قرش.

وقال ابن المبارك عن جرير بن حازم عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر أنه قال لمعاوية: من ترى لهذا الأمر من بعدك؟ فقال: وأما القرائي لكتاب الله. الفقيه في دين الله، الشليلي في حدود الله، فمروان بن الحكم.

وقد استأبته على المدينة غير مرة، يعزله ثم يعيده إليها، وأقام للناس الحج في سنين متعددة.

وقال حنبل عن الإمام أحمد، قال: يقال: كان عند مروان قضاء. وكان يتيقن قضاء عمر بن الخطاب.

وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول وذكر مروان يوماً فقال: قال مروان: قرأت كتاب الله منذ أربعين سنة ثم أصبحت فيما أنا فيه، من هراقة الدماء وهذا الشأن.

وقال إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد وغيره. قال: كان مروان إذا ذكر الإسلام قال:

بنعمة ربي لا بما قدمت يدي ولا يسيّراتي إنني كنت خاطئاً

وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم أبي النضر أنه قال: شهد مروان جنازة فلما صلى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطاً وحرم قيراطاً، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بدت ركبته، فقعده حتى أذن له.

وروى المدائني عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد أن مروان كان أسلف علي بن الحسين حين يرجع إلى المدينة بعد مقتل أبيه سنة آلف دينار، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من علي بن الحسين شيئاً، فبث إليه عبد الملك فامتنع من قبولها، فألح عليه لقبها.

وقال الشافعي: أنبأنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يصليان خلف مروان ولا يعبدانها، ويعتدان بها.

وقد روى عبد الرزاق [المصنف (٥٦٤٩)] عن الثوري عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أول من قدم الخطبة على الصلاة يوم العيد مروان، فقال له رجل: خالفت السنة، فقال له مروان: إنه قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسلمه، فإن لم يستطع فليقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

قالوا: ولما كان نائباً بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة فاستشارهم فيها. قالوا: وهو الذي جمع الصيعان فأخذ بأعدائها فنسب إليه الصلح، فقيل: صاع مروان.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثني علي بن أبي علي اللببي عن إسماعيل بن أبي سعيد الخدري عن أبيه. قال: خرج أبو هريرة من عند مروان فلقه قوم قد خرجوا من عنده فقالوا له: إنه أشهدنا الآن على مائة رقبة اعتقها الساعة، قال: فغمز أبو هريرة يدي وقال: يا أبا

المدينة، وكان من أمره ما سنذكره، والآخر مع عبيد الله بن زياد إلى العراق ليزترعه من نواب ابن الزبير، فلما كانوا ببعض الطريق لقوا جيش التوابين مع سليمان بن صرد وكان من أمرهم ما ذكرناه عند عين الوردة قتلوا أكثر أصحاب سليمان بن صرد معه. واستمروا ذاهبين، فلما كانوا بالجزيرة بلغهم موت مروان بن الحكم.

وكانت وفاته في شهر رمضان من هذه السنة، وكان سبب موته أنه تزوج بأم خالد امرأة يزيد بن معاوية وهي أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة، وإنما أراد مروان بتزويجه إياها ليصغر ابنها خالداً في أعين الناس، فإنه قد كان في نفوس كثير من الناس منه أن يملكوه بعد أخيه معاوية، فتزوج أمه ليصغر أمره، فبينما هو ذات يوم داخل إلى عند مروان، إذ جعل مروان يتكلم فيه عند جلسائه، فلما جلس قال له فيما خاطبه به: يا ابن الرطبة الاست. فلعب خالداً إلى أمه فأخبرها بما قال له، فقالت: اكتم ذلك ولا تعلمه أنك أهلمتني بذلك. فلما دخل عليها مروان قال لها: هل ذكرني خالد عندك بسوء؟ فقالت له: وما عساه يقول لك وهو يحبك ويعظمك؟ ثم إن مروان رقد عندها فلما أخذه النزم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه وتحملت عليها هي وجواربها حتى مات غماً، وكان ذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بمسقط، وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل إحدى وستون وقيل: إحدى وثمانون سنة، وكانت إمارته تسعة أشهر، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام.

وهذه ترجمة مروان بن الحكم

جدّ خلفاء بني أمية الذين كانوا بعده

هو

■ مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك ويقال أبو الحكم، ويقال أبو القاسم، وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي ﷺ وروى عنه في حديث صلح الحديبية، وفي رواية في صحيح البخاري (٤١٧٨-٤١٨١) عن مروان والمصور بن خزيمة الحديث بطوله، وروى عن عمر وعثمان وكان كاتبه وعلي وزيد بن ثابت ومُسرة بنت صفوان الأسديّة وكانت حماته، وقال الحاكم أبو أحمد: كانت خالته.

ولا منافاة بين كونها حماته وخالته. وروى عنه ابنه عبد الملك وسهل بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين زين العابدين ومجاهد وغيرهم.

قال الواقدي. وعمد بن سعد: أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه شيئاً، وكان عمره ثمان سنين حين توفي النبي ﷺ. وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين [الطبقات الكبرى: ٣٥/٥].

وقد كان مروان من سادات قرش وفضلائها.

روى ابن عساکر وغيره أن عمر بن الخطاب خطب امرأة إلى أمها فقال: إن جريراً البجليّ ينخطب إليك أسلم. وهو سيد شباب المشرق، ومروان بن الحكم وهو سيد شباب قرش، وعبد الله بن عمر وهو من قد علمتم، وعمر؟ فقالت المرأة: أجاد يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قالت: قد زوجناك يا أمير المؤمنين.

وقد كان عثمان بن عفان يكرمه ويعظمه، وكان كاتب الحكم بين يديه، ومن تحت رأسه جرت قضية الدار، وبسببه حصر عثمان بن عفان فيها.

استقر ملكه في هذه البلاد بايع من بعده لولده عبد الملك، ثم من بعده لولده عبد العزيز - والد عمر بن عبد العزيز - وترك البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية، لأنه كان لا يراه أهلاً للخلافة، ووافقه على ذلك حسان بن مالك، وإن كان خالاً لخالد بن يزيد، وهو الذي قام بأعباء بيعة عبد الملك، ثم إن أم خالد دبرت أمر مروان فسمته ويقال: بسل وضعت على وجهه وهو نائم وسادة فمات خنقاً ثم إنها أعلنت الصراخ هي وجوارها وصحن: مات أمير المؤمنين فجأة. فقام من بعده ولده عبد الملك بن مروان كما سنذكره.

وقال عبد الله بن أبي مذكور: حدثني بعض أهل العلم قال: كان آخر ما تكلم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النار. وكان نقش خاتمه العزة لله.

وقال الأصمعي: حدثنا علي بن أبي عمارة عن أبيه عن حرب بن زباد قال: كان نقش خاتم مروان: أمنت بالعزير الرحيم.

وكانت وفاته بدمشق عن إحدى - وقيل: ثلاث - وستين سنة. وقال أبو معشر وغير واحد: كان عمره يوم توفي إحدى وثمانين سنة. وقال خليفة: حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده قال: مات مروان بدمشق ثلاث خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين، وصلى عليه ابنه عبد الملك، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وقال غيره: عشرة أشهر.

وقال ابن أبي الدنيا وغيره: كان قصيراً أحر الوجه أوقص دقيق العنق كبير الرأس واللحية، وكان يلقب خيط باطل. قال الحافظ بن عساكر: وذكر سعيد بن كثير بن عفير أن مروان مات حين انصرف من مصر بالشيرة ويقال بلد، وقد قيل إنه مات بدمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير.

وكان كاتبه عبيد بن أوس، وحاجبه المنهال مولا، وقاضيه أبو إدريس الخولاني، وصاحب شرطته يحيى بن قيس الغساني، وكان له من الولد عبد الملك، وعبد العزيز، ومعاوية، وغير هؤلاء، وكان له عدة بنات من أمهات شتى.

خلافة عبد الملك بن مروان

بوع له بالخلافة في حياة أبيه، فلما مات أبوه في ثالث رمضان من هذه السنة أعي سنة خمس وستين جددت له البيعة بدمشق ومصر وأعمالهما، فاستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه، وقد كان أبوه قبل وفاته بعث بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد إلى العراق ليرتبعها من نواب ابن الزبير، فلقني في طريقه جيش التوابين مع سليمان بن صرد عند عين الورد، فكان من أمرهم ما تقدم، من ظفروهم، وقتله أميرهم وأكثرهم. والبعث الآخر مع جيش بن دلجة إلى المدينة ليرتبعها من نائب ابن الزبير، فسار نحوها، فلما انتهى إليها هرب نائبها جابر بن الأسود بن عوف، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، فجهز نائب البصرة من قبل ابن الزبير وهو الحارث بن عبد الله بن ربيعة، جيشاً من البصرة إلى حيش بن دلجة ليخرجوه من المدينة، فلما سمع بهم حيش بن دلجة سار إليهم. وبعث ابن الزبير عيسى بن سهل بن سعد نائباً على المدينة، وأمره أن يسير في طلب حيش، فسار في طلبهم حتى لحقهم بالردة فرمى يزيد بن سياه حيشاً بهم فقتله، وقتل بعض أصحابه وهزم الباقون، وتحصن منهم خمسمائة في

سميد، يك من كسب طيب خير من مائة رقة. قال الزبير: ذلك الواحد. وقال الإمام أحمد (٨٠/٣): حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله حولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً».

ورواه أبو يعلى (١١٠٢) عن زكريا بن زحمويه عن صالح بن عمر عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله حولاً».

وقد رواه الطبراني عن أحمد بن عبد الوهاب عن أبي المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذر. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً». وذكره، وهذا منقطع. ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن قوله: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً» فذكره.

ورواه البيهقي (اللائل: ٥٠٧/٦، ٥٠٨) وغيره من حديث ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن موهب عن معاوية وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله دخلاً فإذا بلغوا ستة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة» وأن رسول الله ﷺ ذكر عبد الملك بن مروان فقال: «أبو الجلبيرة الأربعة». وهذه الطرق كلها ضعيفة.

وروى أبو يعلى (٦٤٦١) وغيره من غير وجه عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أن بني الحكم يتزرون على منبره ويرقون، فأصبح كالنقيط، وقال: فرأيت بني الحكم يتزرون على منبري نزو القردة، فما رثي رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكاً بعد ذلك حتى مات.

ورواه الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل وفيه «فاوحى الله إليّ إنما هي دنيا أخطرها». ففرت عنه وهي قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرِّزْقَ الَّتِي أَرْزَقْنَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» (الاسراء: ٦٠) يعني بلاء للناس. وهذا مرسل وسنده إلى سعيد ضعيف. وقد ورد في هذا المعنى أحاديث موضوعة، فلها أضربنا صفحاً عن إيرادها لعدم صحتها.

وقد كان أبوه الحكم من أكبر أعداء النبي ﷺ، وإنما أسلم يوم الفتح، وقدم الحكم المدينة ثم طرده النبي ﷺ إلى الطائف، ومات بها، ومروان كان أكبر الأسباب في حصار عثمان لأنه زور على لسانه كتاباً إلى مصر يقتل أولئك الوفد، ولما كان متولياً على المدينة لمعاوية كان يسب علياً كل جمعة على المنبر، وقال له الحسن بن علي: لقد لعن الله أباك الحكم وأنت في صلبه على لسان نبيه فقال: لعن الله الحكم وما ولد والله أعلم.

وقد تقدم أن حسان بن مالك بن مجمل لما قدم عليه مروان أرض الجابية، أحبه إتيانه إليه، فبايعه وبيع أهل الأردن على أنه إذا انتظم له الأمر نزل عن الإمرة لخالد بن يزيد، ويكون مروان إمرة محص، ولعمرو بن سعيد نياة دمشق.

وكانت البيعة لمروان يوم الاثنين للنصف من ذي القعدة سنة أربع وستين. قاله الليث بن سعد وغيره.

وقال الليث: وكانت وقعة مرج راحط في ذي الحجة من هذه السنة بعد عيد النحر يومين.

قالوا: فغلب الضحاك بن قيس واستقر له ملك الشام ومصر، فلما

فوالله إني لأرجو أن لا ترجع خيلهم حتى تستريحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم. ففعل الناس ذلك، فزحف بهم المهلب بن أبي صفرة على عسكر الخوارج فقتل منهم خلقاً كثيراً نحواً من سبعة آلاف، وقتل عبيد الله بن الماحوز في جماعة كثيرة من الأزارقة، واحتاز من أموالهم شيئاً كثيراً، وقد أرصد المهلب خيولاً بينه وبين الذين يرجعون من طلب أهل البصرة، فجعلوا يقتطمون دون قومهم، وانتهزم فلهم إلى كرمان وأرض أصبهان، وأيام المهلب بالأهواز حتى قدم مصعب بن الزبير إلى البصرة، وعزل عنها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة كما سيأتي قريباً.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمداً إلى الجزيرة، وذلك قبل مسيرة إلى مصر. قلت: محمد بن مروان هذا هو والد مروان الحمار، وهو مروان بن محمد بن مروان، وهو آخر خلفاء بني أمية، ومن يده استلب الخلافة العباسيون كما سيأتي.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: وفي هذه السنة عزل ابن الزبير أخاه عبيدة الله عن إمرة المدينة وولاه أخاه مصعباً، وذلك أن عبيدة الله خطب الناس فقال في خطبته: وقد رأيت ما نصح الله يقوم صالح في ناقته قيمتها خمسمائة درهم، فلما بلغت أخاه قال: إن هذا هو التكلف، وعزله. فُسِّيَ مقوم الناقه.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: وفي آخرها عزل ابن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي، وولى عليها عبد الله بن مطيع السدي كان أمير المهاجرين يوم الحرة، لما خلعوا يزيد.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: وفي هذه السنة كان الطاعون الجارف بالبصرة.

وقال ابن الجوزي في المنتظم [٢٦٠، ٢٥٠/٦]: كان في سنة أربع وستين، وقد قيل: إما كان في سنة تسع وستين.

وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي [تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦٩-٨٠، ٦٦، وغيره، وكان معظم ذلك بالبصرة، وكان ذلك في ثلاثة أيام، فمات في أول يوم منه من أهل البصرة سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني منها أحد وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث منه ثلاثة وسبعون ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا قليلاً من أحاد الناس، حتى ذكر أن أم الأمير بها ماتت فلم يوجد لها من يحملها، حتى استأجروا لها أربعة أنفس.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدثنا عبيد الله حدثنا أحمد بن عصام حدثني معدي عن رجل يكنى أبا النُفيل، وكان قد أدرك زمن الطاعون، قال: كنا نطوف بالقبائل وندفن الموتى، فلما كثروا لم نقو على الدفن، فكان ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها. قال: فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حياً فسدنا بابها، فلما مضت الطواحين كنا نطوف نتزع تلك السُّد عن الأبواب، ففتحتنا سدة الباب الذي كنا فتشناه فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين، كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه، قال: ونحن وقوف على الغلام نتعجب منه فدخلت كلبه من شق في الحائط فجعلت تلوذ بالغلام يجبر إليها حتى مصص من لبنها، قال معدي: وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة وقد قبض على لحية.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: وفي هذه السنة بنى عبد الله بن الزبير الكعبة البيت الحرام، يعني أكمل بناءها وأدخل فيها الحجر، وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثني

المدينة ثم نزلوا على حكم عباس بن سهل فقتلهم صبراً، ورجع فلهم إلى الشام.

قال ابن جرير [٢٢٢/٥]: ولما دخل يزيد بن سياه الأسواري قاتل حبيش بن دجلة إلى المدينة مع عباس بن سهل كان عليه ثياب يياض وهو راكب برذوناً أشهب، فما لبث أن أسودت ثيابه ودابته مما يتمسح الناس به ومن كثرة ما صبروا عليه من الطيب والمك.

وقال ابن جرير [٢٢٢/٥-٢١٥]: وفي هذه السنة اشتدت شوكه الخوارج بالبصرة.

وفيها قتل نافع بن الأزرق وهو رأس الخوارج ورأس أهل البصرة، مسلم بن عبيس فارس أهل البصرة، ثم قتله ربيعة السُّلَيْطِي وقاتل بينهما نحو خمسة أمراء، وقتل في وقعة الخوارج قرة بن إيسل الزني أبو معاوية، وهو من الصحابة. ولما قتل نافع بن الأزرق راست الخوارج عليهم، عبيد الله بن ماحوز، فسار بهم إلى اللدائن فقتلوا أهلها ثم غلبوا على الأهواز وغيرها، وجبوا الأموال وأتتهم الأمداد من اليمامة والبحرين، ثم ساروا إلى أصفهان وعليها عتاب بن ورقاء الرياحي، فالتقاهم فهزمهم، ولما قتل أمير الخوارج ابن ماحوز كما سذكر، أقاموا عليهم قطري بن الفجاءة أميراً.

ثم أورد ابن جرير [٢٢٢/٥-٢١٩] قصة قتالهم مع أهل البصرة بمكان يقال له دولا، وكانت الدولة للخوارج على أهل البصرة، وخاف أهل البصرة من الخوارج أن يدخلوا البصرة، فبعث ابن الزبير فعزل نائبها عبد الله بن الحارث المعروف ببيته، بالحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباق، وأرسل ابن الزبير المهلب بن أبي صفرة الأزدي على عمل خراسان، فلما وصل إلى البصرة قالوا له: إن قتال الخوارج لا يصلح إلا لك، فقال: إن أمير المؤمنين قد بعثني إلى خراسان، ولست أعصي أمره فاتفق أهل البصرة مع أميرهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على أن يكتبوا كتاباً على لسان ابن الزبير إلى المهلب يأمره فيه بالمسير للخوارج ليكفهم عن الدخول إلى البصرة، فلما قرئ عليه الكتاب اشترط على أهل البصرة أن يقري جيشه من بيت مالهم وأن يكون له ما غلب عليه من أموال الخوارج، فأجابوه إلى ذلك، ويقال إنهم كتبوا بذلك إلى ابن الزبير فامضى لهم ذلك وسوقه، فسار إليهم المهلب وكان شجاعاً بطلاً صليداً، فلما أراد قتال الخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدة لم ير مثلها من الدروع والزود والخيول والسلاح، وذلك أن لهم مئة ياكلون تلك النواحي، وقد صار لهم تحمل عظيم مع شجاعة لا تداني، وإقدام لا يسامى، وقوة لا تبارى، وسبق إلى حومه الوغى لا يجارى فلما تواقف الناس بمكان يقال له سبلى وسبلىرى إيري، اقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر كل من الفريقين صبراً باهراً، وكان المهلب في نحو من ثلاثين ألفاً، ثم إن الخوارج حملوا حملة منكرة، فانهمز أصحاب المهلب لا يلوي والد على ولد، ولا يلتفت أحد إلى أحد ووصل إلى البصرة فلأهم، وأما المهلب فإنه سبق المهزمين فوقف لهم بمكان مرتفع من الأرض، وجعل ينادي: إلى عباد الله، فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف من الفرسان الشجعان، فقام فيهم خطيباً فقال في خطبته: أما بعد أيها الناس، فإن الله تعالى ربما يكل الجمع الكثير إلى أنفسهم فيهزمون، ويترك النصر على الجمع اليسير فيظهرون، ولعمري ما بكم الآن من قلة، وأنتم فرسان أهل مصر وأهل النصر، وما أحب أن أحداً ممن انهزموا معكم الآن «ولو كانوا فيكم» ما زادوكم إلا خبالاً» ثم قال: عزمت على كل رجل منكم إلا أخذ عشرة أحجار معه، ثم أمشوا بنا إلى عسكرهم فأنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيولهم في طلب إخوانكم،

فاستدعيه به فضمنه جماعة من أصحابه، واستحلفه عبد الله بن يزيد إن هو بنى للمسلمين غائلة فعليه ألف بدنة ينحرها تجاه الكعبة، وكل مملوك له - من عبد وأمة - حر، فالتزم لهما بذلك، ولزم منزله، وجعل يقول: قاتلها الله، أما حلفي بالله، فإني لا أحلف على عين فأرى غيرها خيراً منها إلا كُفرت عن يميني، وأثبت الذي هو خير، وأما إهدائي ألف بدنة فيسير، وأما عتقي ماليكي فوددت أنه قد استتم لي هذا الأمر ولا أملك مملوكاً واحداً.

واجتمعت الشيعة عليه وكثر أصحابه وبايعوه في السر. وكان الذي يأخذ البيعة له ويجرّس الناس عليه خمسة، وهم السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس، وأحمد بن شميطة، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن شداد الجشمي.

ولم يزل أمره يقوى ويشد ويستغل ويترفع، حتى عزل عبد الله بن الزبير عن الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، وبعث عبد الله بن مطيع نائباً عليها، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة نائباً على البصرة.

فلما دخل عبد الله بن مطيع المخزومي إلى الكوفة في رمضان سنة خمس وستين، خطب الناس وقال في خطبته: إن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير أمرني أن أسير فيكم بسيرة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: لا نرضى إلا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا، ولا نريد سيرة عثمان - وتكلم فيه - ولا سيرة عمر وإن كان لا يريد للناس إلا خيراً. وصلى على ما قال بعض أمراء الشيعة، فسكت الأمير وقال: إني ساسير فيكم بما تحبون من ذلك.

وجاء صاحب الشرطة وهو إلياس بن مضارب العجلي إلى ابن مطيع فقال له: إن هذا الذي رد عليك من رؤوس أصحاب المختار، ولست آمن المختار، فابعث إليه فأودعه إلى السجن فإن عيوني قد أخبروني أن أمره قد استجمع له، وكأنك به وقد وثب بالصر فيبعث إليه عبد الله بن مطيع زائدة بن قدامة وأميراً آخر معه، فدخل على المختار فقال له: أجب الأمير، فدعا بنيابه وأمر بإسراج دابته، وتهيأ للنساء معهما، فقرأ زائدة بن قدامة ﴿وَأَذِمْ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠] فلقى المختار نفسه وأمر بقطيعة أن تلقى عليه، وأظهر أنه مريض، وقال: أخبروا الأمير بحالي، فرجعوا إلى ابن مطيع فاعتزلوا عنه، فصدقهما ولها عنه.

فلما كان الحرم من هذه السنة عزم المختار على الخروج لطلب ثار الحسين فيما يزعم، فلما صمم على ذلك اجتمعت عليه الشيعة ويطهوه عن الخروج الآن إلى وقت آخر، ثم أئنفوا طائفة منهم إلى محمد بن الحنفية يسألونه عن أمر المختار وما دعا إليه، فلما اجتمعوا به كان ملخص ما قاله لهم: إنا لا نكره أن ينصرنا الله بمن شاء من خلقه، وقد كان المختار بلغه خروجه إلى محمد بن الحنفية فكره ذلك وخشي أن يكتبه فيما أخبر به عنه، فإنه لم يكن يأذن محمد بن الحنفية، وهم بالخروج قبل رجوع أولئك، وجعل يسجع لهم سجعاً من سجع الكهان بذلك ثم كان الأمر على ما سجع به، فلما رجعوا أخبروه بما قال ابن الحنفية، فعند ذلك قوي عزم الشيعة على الخروج مع المختار بن أبي عبيد.

وقد روى أبو خنوف [تابع الطبري: ١٥/٦] أن أمراء الشيعة قالوا للمختار: اعلم أن جميع أمراء الكوفة مع عبد الله بن مطيع وهم ألب علينا، وإنه إن بايعك إبراهيم بن الأشتر النخعي وحده أغناك عن جميع من

عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد حدثني زياد بن جبل أنه كان بمكة يوم كان عليها ابن الزبير، فسمعه يقول: حدثني أمي أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر». قال: فأمر ابن الزبير فحفروا فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل فحركوا منها صخرة فبرقت بركة فقال: أقروها على أساسها، فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر.

قلت: هذا الحديث له طرق متعددة عن عائشة في الصحاح (١٢٦٩) (١٣٣٣) والحسان والمسانيد [مسند أحمد: ٥٧/٦، ٦٧]، وموضوع سياق طرق ذلك في كتاب الأحكام إن شاء الله تعالى.

وذكر ابن جرير [رواه: ١٢٣/٥ - ١٢٦] في هذه السنة حروياً جرت بين عبد الله بن خازم بخراسان، وبين الحريش بن هلال القريني يطول تفصيلها.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة مصعب بن الزبير، وعلى الكوفة عبد الله بن مطيع، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

قال الراقي: ومن توفي فيها من الأعيان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمي كان من نجباء الصحابة وعلمائهم وعبادهم، وكتب عن النبي ﷺ كثيراً، أسلم قبل أبيه، ولم يكن أصغر منه إلا بآثي عشرة سنة، وكان واسع العلم مجتهداً في العبادة، عاقلاً، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية، وكان سميناً، وكان يقرأ الكتابين والتوراة والفرقان، وقيل إنه بكى حتى زاغت عيناه، يقوم الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً ويصوم يوماً. استأبته معاوية على الكوفة ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة، توفي في هذه السنة بمصر. وقتل بمكة عبد الله بن مسعدة الفزاري، له صعبة، نزل دمشق وقيل إنه من سبي فزارة.

ثم دخلت سنة ست وستين

وفيها وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب بالكوفة ليأخذ ثار الحسين بن علي فيما يزعم، وأخرج عنها عاملها عبد الله بن مطيع، وكان سبب ذلك أنه لما رجع أصحاب سليمان بن صرد منلوين إلى الكوفة وجدوا المختار بن أبي عبيد مسجوناً فكتب إليهم يعزيهم ويعددهم ويحثهم وما يهددهم الشيطان إلا خروراً، وقال لهم فيما كتب إليهم خفية: أبشروا فإني لو قد خرجت إليهم جردت فيما بين المشرق والمغرب من أعدائكم السيف فجعلتهم يأذن الله كاماً، وقتلهم. فذا وتوأمأ، فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى، ولا يبعد الله إلا من أبى وعصى.

فلما وصلهم الكتاب قرؤوه سرّاً وردوا إليه: إنا كما نحب، فمضى أحببت أخرجنكم من عبيك، فكره أن يخرجوه من مكانه على وجه القهر لنواب الكوفة، فتلفظ فكتب إلى زوج أخته صفية، وكانت امرأة سالحة، وهو عبد الله بن عمر بن الخطاب، يسأل أن يشفع في خروجه من عبيته عند نائب الكوفة عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة، فكتب ابن عمر إليهما يشفع عندهما فيه فلم يمكنهما رده.

وكان فيما كتب إليهما ابن عمر: قد علمتما ما بيني وبينكما من الود وما بيني وبين المختار من القرابة والصهر، وأنا أقسم عليكم ما خلينما سيئله والسلام.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في الثانية قال بعض من سمعه: فما سمعت إماماً أنصح لهجة منه.

وقد جهز ابن مطيع جيشاً ثلاثة آلاف عليهم شيث بن رعي، وأربعة آلاف، أخرى مع راشد بن إلياس بن مضارب، فوجه المختار إبراهيم بن الأشتر في ستمائة فارس وستمائة راجل إلى راشد بن إلياس، وبعث نعيم بن هيرة في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل إلى شيث بن رعي، فلما إبراهيم بن الأشتر فإنه هزم جيش قرنه راشد بن إلياس وقتله وأرسل إلى المختار يبشّره، وأما نعيم بن هيرة فإنه لقي شيث بن رعي فهزمه شيث بن رعي وقتله وجاء فأحاط بالمختار بن أبي عبيد وحصره. وأقبل إبراهيم بن الأشتر نحو المختار بن أبي عبيد فاعترض له حسان بن قائد العبسي في نحو من ألفي فارس من جهة ابن مطيع، فقاتلوا ساعة. فهزمه إبراهيم، ثم أقبل نحو المختار فوجد شيث بن رعي قد حصر المختار وجيشه، فما زال حتى طردهم عنه وكروا راجعين، وخلص إبراهيم إلى المختار، وأرسلوا من مكانهم ذلك إلى غيره في ظاهر الكوفة، فقال له إبراهيم بن الأشتر: اعمد بنا إلى قصر الإمارة فليس دونه أحد يرد عنه، فوضعوا ما معهم من الأتقال، وأجلسوا هنالك ضعة المشايخ والرجال.

واستخلف المختار على من هنالك أبا عثمان النهدي، وبعث بين يديه إبراهيم بن الأشتر، وجا المختار جيشه كما كان، وسار نحو القصر، فبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل، فبعث إليه المختار يزيد بن أنس وسار هو وابن الأشتر أمامه حتى دخل الكوفة من باب الكناسة، وأرسل ابن مطيع شمر بن ذي الجوشن الذي قتل الحسين في الفين آخرين، فبعث إليه المختار سعد بن مقذ الهذلي، وسار المختار حتى انتهى إلى سكة شيث. وإذا نوفل بن مساحق بن عبد الله بن غمرة في خمسة آلاف وخرج ابن مطيع من القصر في الناس، واستخلف عليه شيث بن رعي، فتقدم إبراهيم بن الأشتر إلى الجيش الذي مع نوفل بن مساحق فكان بينهم قتال شديد، قتل فيه رفاعة بن شداد أمير جيش التوابين الذين قدم بهم، وعبد الله بن سعد وجماعة غيرهم، ثم انتصر عليهم ابن الأشتر فهزمهم، وأخذ بلجام دابة ابن مساحق فمّث إليه بالقرابة، فأطلقه، فكان لا ينساها بعد لابن الأشتر.

ثم تقدم المختار بجيشه إلى الكناسة وحصروا ابن مطيع بقصره ثلاثاً، ومعه أشرف الناس سوى عمرو بن حريث فإنه لزم داره، فلما ضاق الحال على ابن مطيع وأصحابه استشارهم فأشار عليه شيث بن رعي أن يأخذ له ولهم من المختار أماناً، فقال: ما كنت لأفعل هذا وأمير المؤمنين مطاع بالحجاز وبالبصرة، فقال له: فإن رأيت أن تذهب بنفسك خفية حتى تلحق بصاحبك فتخبره بما كان من الأمر وما كان منا في نصره وإقامته دولته.

فلما كان الليل خرج ابن مطيع مخفياً حتى دخل دار أبي موسى الأشعري، فلما أصبح الناس أخذ الأمراء إليهم أماناً من أميرهم ابن الأشتر فانهم، فخرجوا من القصر وجاؤوا إلى المختار فبشّروه، ثم دخل المختار إلى القصر فبات فيه وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر، فخرج المختار إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثم دعا الناس إلى البيعة وقال: فوالذي جعل السماء سقفاً مكشوراً والأرض فجاً سبلاً، ما بليتكم بعد بيعة عليّ أهدى منها. ثم نزل فدخل ودخل الناس يبايعونه على كتاب الله وسنة رسوله، والطلب بشار الحسين وأهل البيت وجاء رجل إلى المختار فأنبأه أن ابن مطيع في دار أبي موسى، فأراه

سواه. فبعث إليه المختار جماعة يدعونه إلى الدخول معهم في الأخذ بشار الحسين وذكره سابقة أبيه مع عليّ عليه السلام، فقال: قد اجتمع لي ما سألتهم، على أن أكون أنا ولي أمركم، فقالوا: إن هذا لا يمكن لأن المهدي قد بعث المختار إلينا وزيراً له وداعياً إليه، فسكت عنهم إبراهيم بن الأشتر فرجعوا إلى المختار فأخبروه، فمكث ثلاثاً ثم خرج في جماعة من رؤوس أصحابه إليه، فدخل على ابن الأشتر فقام إليه واحترمه وأكرمه وجلس إليه، فدعاه إلى الدخول معهم، وأخرج له كتاباً على لسان ابن الحنفية يدعوه إلى الدخول مع أصحابه من الشيعة فيما قاموا فيه من نصرة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله والأخذ بشار الحسين. فقال ابن الأشتر: إنه قد جاءني كتب محمد بن الحنفية بغير هذا النظام، فقال المختار: إن هذا زمان، فقال إبراهيم بن الأشتر: فمن يشهد أن هذا كتابه؟ فتقدم جماعة من أصحاب المختار فشهدوا بذلك، فقام ابن الأشتر من مجلسه وأجلس المختار فيه وبإيابه، ودعا لهم بفاكهة وشراب من عسل.

قال الشعبي: وكان حاضراً ذلك من أمرهم هو وإبره. فلما انصرف المختار قال لي إبراهيم بن الأشتر: يا شعبي ما ترى فيما شهد به هؤلاء؟ فقلت: إنهم قراء وأمراء ووجوه الناس، ولا أراهم يشهدون إلا بما يعلمون، قال: وكنت ما في نفسي من اتهامهم، ولكني كنت أحب أن يخرجوا للأخذ بشار الحسين، وكنت على رأي القوم.

ثم جعل إبراهيم يختلف إلى المختار في منزله هو ومن أطاعه من قومه، ثم اتفق رأي الشيعة على أن يكون خروجهم ليلة الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة - سنة ست وستين.

وقد بلغ ابن مطيع أمر القوم وما اشتدوا عليه، فبعث الشرط في كل جانب من جوانب الكوفة وألزم كل أمير أن يحفظ ناحيته من أن يخرج منها أحد، فلما كان ليلة الثلاثاء خرج إبراهيم بن الأشتر قاصداً إلى دار المختار في مائة رجل من قومه، وعليهم الدروع تحت الأقبية، فلقيه إلياس بن مضارب فقال له: أين تريد يا ابن الأشتر في هذه الساعة؟ إن أمرك لمريب، فوالله لا أدعك حتى أحضرك إلى الأمير فيرى فيك رأيه، فتناول إبراهيم بن الأشتر رعباً من يد رجل فطعته في ثغرة نحره فسقط، وأمر رجلاً فاحتز رأسه، وذهب به إلى المختار فلقاه بين يديه، فقال له المختار: بشارك الله بخير، فهذا طائر صالح. ثم طلب إبراهيم من المختار أن يخرج في هذه الليلة، فأمر المختار بالنار أن ترفع وأن ينادي بشعار أصحابه: يا منصور أمت، يا ثارات الحسين. ثم نهض المختار فجعل يلبس درعه وسلاحه وهو يقول:

قد علمت يضيء حسناء الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفصل
إنسي غداة الروح مقدم بطل

وخرج بين يديه إبراهيم بن الأشتر فجعل يتقدم الأمراء الموكلين بنواحي البلد فيطردهم عن أماكنهم واحداً واحداً. وينادي بشعار المختار، وبعث المختار أبا عثمان النهدي فتدعى بشعار المختار، يا ثارات الحسين. فاجتمع الناس إليه من هاهنا وهاهنا، وجاء شيث بن رعي فقاتل هو والمختار عند داره. وحصره حتى جاء إبراهيم بن الأشتر فطرده عنه.

فرجع شيث إلى ابن مطيع وأشار عليه بأن يجمع الأمراء إليه، وأن ينهض بنفسه، فإن أمر المختار قد قوي واستفحل، وجاءت الشيعة من كل فج عميق إلى المختار، فاجتمع إليه في أثناء الليل قريب من أربعة آلاف، فأصبح وقد عي جيشه وصلى بهم الصبح، فقرأ فيها ﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَبَاتٌ﴾

أنه لا يسمع قوله، حتى كرّر ذلك ثلاثاً كل ذلك يُريه أنه لا يسمع قوله. فسكت الرجل، فلما كان الليل بعث المختار إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم. وقال له: اذهب فقد أخبرت بمكانك .. وكان له صديقاً قبل ذلك - فذهب ابن مطيع إلى البصرة وكره أن يرجع إلى عبد الله بن الزبير وهو مغلوب.

وشرع المختار يتحجب إلى الناس بحسن السيرة، ووجد في بيت المال تسعة آلاف وألف، فأعطى الجيش الذين حضروا معه القتال نفقات كثيرة، واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري، وقرب أشرف الناس فكانوا جلساءه، فنشئ ذلك على الموالى الذين قاموا بنصره، وقالوا لأبي عمرة كيسان مولى عريته - وكان على حرسه -: قدّم والله أبر إسحاق العرب وتركتنا، فأنهى ذلك أبو عمرة إليه، فقال: بل هم مني وأنا منهم، ثم قال: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّبِعُونَ﴾ [السنحة: ٢٢] فقال لهم أبو عمرة: أبشروا فإنه سيقتلهم ويقرّبكم. فأعجبهم ذلك وسكروا.

ثم إن المختار بعث الأمراء إلى النواحي والبلدان والأقاليم والرساتيق، من أرض العراق وخراسان، وعقد الألوية والرايات، وقدر الإمارة والولايات، وجعل يجلس للناس غلوة وعشية يحكم بينهم، فلما طال ذلك عليه استقضى شريحاً فكلّم في شريح طائفة من الشيعة، وقالوا: إنه شهد على حجر بن عدي، وإنه لم يبلغ عن هاتين عروة ما أرسله به، وقد كان علي بن أبي طالب عزله عن القضاء. فلما بلغ شريحاً ذلك غماض ولزم بيته، فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً.

فصل

ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله، وكان سبب ذلك أن عبيد الله بن زياد كان قد جهّز مروان بن الحكم من دمشق ليدخل الكوفة، فإن ظفر بها فليحيا ثلاثة أيام، وجعل له ما غلب عليه من البلاد فسار ابن زياد قاصداً الكوفة، فلقى جيش التوابين بعين الورد كما ذكرنا ثم سار حتى انتهى إلى الجزيرة فوجد بها قيس عيلان، وهم من أنصار ابن الزبير، وقد كان مروان أصاب منهم قتلى كثير يوم مرج راهط، وهم ألب عليه، وعلى ابنه عبد الملك من بعده، فتعوق عن المسيرة وهو محاصر قيس عيلان بالجزيرة، ثم وصل إلى الموصل فأنحاز نائبها عنه إلى تكريت، وكتب إلى المختار يعلمه بذلك فندب المختار يزيد بن أنس في ثلاثة آلاف اختارها، وقال له: إني سأملك بالرجال بعد الرجال، فقال له: لا تمهني إلا بالدعاء. وخرج معه المختار إلى ظاهر الكوفة فودعه ودعا له وقال له: ليكن خبرك في كل يوم عندي، وإذا لقيت عدوك فتناجزهم، ولا تؤخر فرصة.

ولما بلغ خبر خروجهم عبيد الله بن زياد جهّز بين يديه سريتين إحداهما مع ربيعة بن غمارق ثلاثة آلاف، والأخرى مع عبد الله بن حملة ثلاثة آلاف، وقال: أياكم سبق فهو الأمير، وإن سبقتما معاً فالأمر على الناس استكما. فسبق ربيعة بن غمارق إلى يزيد بن أنس فالتقيا في طرف أرض الموصل مما يلي الكوفة، فتواقفا هناك، ويزيد بن أنس مريض مدنف، وهو مع ذلك يعرض قومه على الجهاد ويدور على الأرياع وهو محمول مضئى ركب على حمار وهو يقول: لقوم يا شرطة الله اصبروا توجروا وقاتلوا عدوكم تظفروا. ثم نزل فوضع له سريره بين الصنين وقال لقومه: قاتلوا

عن أميركم إن شتم أو فروا عنه. وقال للناس: إن هلكتم فالأمر على الناس عبد الله بن ضمرة العنزي، رأس الميمنة، فإن هلك فيصير بن أبي سيعر رأس اليسرة، وكان ورفاء بن عازب الأسدي على الخيل. وهو وهؤلاء الثلاثة أمراء الأرياع، وكان ذلك في يوم عرة من سنة ست وستين عند إضاءة الصبح، فاقبلوا هم والشاميون قتالاً شديداً، واضطربت كل من الميمنتين واليسريتين، ثم حل ورفاء على الخيل فهزمها وفر الشاميون وقتل أميرهم ربيعة بن غمارق، واحتاز جيش المختار ما في معسكرهم، ورجع فرارهم فللقوا الأمير الآخر عبد الله بن حملة، فقال: ما خبركم؟ فآخبروه فرجع بهم وسار بهم نحو يزيد بن أنس فأنهى إليهم عشاء، فبات الناس محتاجين، فلما أصبحوا تواقفوا على تعبتهم، وذلك يوم الأضحى من سنة ست وستين، فاقبلوا قتالاً شديداً، فهزم جيش المختار جيش الشاميين أيضاً، وقتلوا أميرهم عبد الله بن حملة واحتزوا على ما في معسكرهم، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، فجاؤوا بهم إلى يزيد بن أنس وهو على آخر رمق، فأمر بضرب أعناقهم.

ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك وصلى عليه خليفته ورفاء بن عامر ودفنه، وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسللون راجعين إلى الكوفة، فقال لهم ورفاء: يا قوم ماذا ترون؟ إنه قد بلغني أن ابن زياد قد أقبل في ثمانين ألفاً من الشام، ولا أرى لكم بهم طاقة، وقد هلك أميرنا، وتفرق عنا طائفة من الجيش من أصحابنا فلو انصرفنا راجعين إلى بلادنا ونظهر أننا إنما انصرفنا حزناً منا على أميرنا لكان خيراً لنا من أن تلقاهم فيهمزونا ونرجع مغلوبين. فاتفق رأي الأمراء على ذلك، فرجعوا إلى الكوفة.

فلما بلغ خبرهم أهل الكوفة وأنهم قد كروا راجعين وبلغهم أن يزيد بن أنس قد هلك، أرجف أهل الكوفة بالمختار وقالوا: قتل يزيد بن أنس في المعركة وانهمز جيشه، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد فيستأصلكم ويشقت خضراكم، ثم غمّلوا على الخروج على المختار وقالوا: هو كذاب، واتفقوا على حربه وقتاله وإخراجه من بين أظهرهم، وقالوا: هو كذاب قد قدم موالينا على أشرفنا، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثار الحسين وهو لم يأمره بشيء، وإنما هو مشغول عليه. وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفة لإبراهيم بن الأشتر فإنه قد عينه المختار أن يخرج في سبعة آلاف للقاء ابن زياد وقال له: سر حتى تلقى جيش ابن أنس فردهم معك وسر بهم حتى تلقى عدوك عبيد الله بن زياد فتناجزه فخرج ابن الأشتر بمجموعه، فلما بلغ ساباط جاءه كتاب المختار يأمره بالرجوع فرجع. وكان المختار قد حصن قصر الإمارة واستعد للقتال وخرج أولئك الذين اتفقوا على قتاله فمكروا بمجابهة السبيع وهم شبيب بن ريمي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب الحنمعي وزحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث وبشر بن جرير وحجار بن أبجر وعمر بن الحجاج الزبيدي وغيرهم، فلما خرج إبراهيم بن الأشتر اجتمع أشرف الناس من كان في جيش قتلة الحسين وغيرهم في دار شبيب بن ريمي وأجمعوا أمرهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الإمارة، وبعث المختار عمرو بن توبة يربداً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سرعاً وبعث غمارق إلى أولئك يقول لهم: ماذا تقومون؟ فإني أجيئك إلى جميع ما تطلبون، وإنما يريد أن يثبطهم عن مناضته حتى يقدم إبراهيم بن الأشتر، وقال: إن كنتم لا تصدقوني في أمر محمد بن الحنفية فابعدوا من جهنم وأبعث من جهتي من يسأله عن ذلك، ولم يزل يطاولهم حتى قدم

إبراهيم بن الأشتر بعد ثلاث، فانقسم هو والناس فرقتين، فتكفل المختار بأهل اليمن، وتكفل إبراهيم بن الأشتر بمصر وعليهم شُبَّ بن ربعي، وكان ذلك بإشارة المختار، حتى لا يتولى ابن الأشتر قتال قومه من أهل اليمن فيجنو عليهم وكان المختار شديداً عليهم.

ثم أقتل الناس في نواحي الكوفة قتالا عظيماً وكثرت القتل بينهم من الفريقين، وجرت فصول وأحوال حرية يطول استقصاؤها، وقتل جماعة من الأشراف، منهم عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الكندي، وسبعمائة وثمانين رجلاً من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلاً، ويعرف هذا اليوم بجبانة السبيع، وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، ثم كانت النصرة للمختار عليهم، وأسر منهم خمسمائة أسير، فعرضوا عليه فقال: انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه، فقتل منهم مائتان وأربعون رجلاً، وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسيء إليهم بشير أمر المختار، ثم أطلق الباقيين، وهرب عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان ممن شهد قتل الحسين فلا يدري أين ذهب من الأرض.

ذكر مقتل شمر بن ذي الجوشن أمير السرية التي قتلت

حسيناً

وهرب أشراف الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير، وكان ممن هرب لقصد شمر بن ذي الجوشن قبحة الله، فبث المختار في أثره غلاماً له يقال له زُرِّي، فلما دنا منه قال شمر لأصحابه: تقدموا وذرّوني وراءكم بصفة أنكم قد هربتم وتركتموني حتى يطعم في هذا العليج، فساقوا وتأخر شمر فأدركه زُرِّي فمطف عليه شمر وتركه، وكتب كتاباً إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة ينذره بقدمه عليه، ووفادته إليه، وكان كل من فر من هذه الوقعة يهرب إلى مصعب بالبصرة، ويث شمر الكتاب مع عليج من علوج قرية قد نزل عندها يقال لها الكليانية عند نهر إلى جانب تل هناك فذهب ذلك العليج فلقبه عليج آخر فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: إلى مصعب. قال: بمن؟ قال: من شمر، فقال: اذهب معي إلى سيدي، وإذا سيده أبو عمرة أمير حرس المختار، وهو قد ركب في طلب شمر، فدلّه العليج على مكانه فقصده أبو عمرة، وقد أثار أصحاب شمر عليه أن يتحول من مكانه ذلك، فقال لهم: هذا كله فرق من الكذاب، والله لا أرغل من هاهنا إلى ثلاثة أيام حتى أملاً قلوبهم رعباً فلما كان الليل كابسهم أبو عمرة في الخيل فأعجلهم أن يركبوا أو يلبسوا أسلحتهم، وثار إليهم شمر بن ذي الجوشن فطاعهم برحه وهو عريان ثم دخل خيمته فاستخرج منها سيفاً وهو يقول:

نبتهم ليث عرين باسلاً جهما عيها يندق الكاملا
لم ير يوماً عن عدو ناكلاً إلا كنا مقاتلا أو قاتلا
يُسِرُّهُمْ ضرباً ويري الماملا

ثم ما زال يناضل عن نفسه حتى قتل، فلما سمع أصحابه وهم منهزمون صوت التكبير وقل أصحاب المختار الله أكبر قتل الخبيث عرفوا أنه قد قتل قبحة الله.

قال أبو مخنف عن يونس بن أبي إسحاق قال: ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر - يعني منصرفه من القتال - ناداه سراقه بن مرداس بأعلى صوته وكان في الأسرى:

الا أخبر أبا إسحاق أنا نزلنا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً وكان خروجنا بطراً وخيلاً
نراهم في مصافهم قليلاً وهم مثل الثبا حين التقينا
يرزنا إذ راياناهم فلما رايانا القوم قد برزوا إلينا
راينا منهم ضرباً ولحنناً وطنناً صائلاً حتى اتينا
نصرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تنمى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب إذ لاقى حنيئا
فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل نوبة مني فلاني ساشكر إذ جعلت القُدْ دينا

وجعل سراقه بن مرداس يحلف أنه رأى الملائكة تقاتل على الحيول البلق بين السماء والأرض وأنه لم يأسره إلا واحد من أولئك الملائكة، فأمره المختار أن يصعد المنبر فيخبر الناس بذلك. فصعد المنبر فأخبر الناس بذلك، فلما نزل خلا به المختار فقال له: إني قد عرفت أنك لم تر الملائكة، وإنما أردت بقولك هذا أنني لا أقتلك، ولست أقتلك فانهب حيث شئت، لا تقصد عليّ أصحابي، فذهب سراقه إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير وجعل يقول:

إلا أبلغ أبا إسحاق أنني رايت البلق دهما مصبتات
كثرت بوحيك وجعلت نلراً عليّ قالكم حتى المات
رأت عينايا ما لم تبصراه كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا: أقول هم كذبتهم وإن خرجوا لبست لهم أفاتي

قالوا: ثم خطب المختار أصحابه فحرضهم في خطبته تلك على تبّع من قتل الحسين من أهل الكوفة المقيمين بها، فقالوا: ما دينا ترك قوم قتلوا حسيناً يشون في الدنيا أحياء آمنين، بش ناصر آل محمد إني إذا كذاب كما سميتوني أنتم، فإني بالله أستعين عليهم، فالحمد لله الذي جعلني سيفاً أضرهم، ورعاً أطعنهم، وطالب وترهم، والقائم بحقهم، وإنه كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسمعهم ثم اتبعوهم حتى يقتلوه، فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم، وأتقي من في المصر منهم. ثم جعل يتبع من من في الكوفة منهم وكانوا يأتون بهم حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات بما يناسب ما فعلوا - ومنهم من حرقه بالنار، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات، ومنهم من يرمي بالنبال حتى يموت، فأتوه بمالك بن بشير فقال له المختار: أتت الذي ترعت برنس الحسين عنه؟ فقال: خرجنا ونحن كلهم فامتن علينا، فقال: أقطعوا يديه ورجليه. ففعلوا به ذلك ثم تركوه يضطرب حتى مات، وقتل عبد الله ابن أسيد الجهني وغيره شر قتلة

مقتل خولي بن يزيد الأصبحي

الذي احتز رأس الحسين رضي الله عنه

بعث إليه المختار أبا عمرة صاحب حرسه، فكبس بيته فخرجت إليهم امرأته فسألوها عنه فقالت: لا أدري أين هو. وأشارت يدها إلى المكان الذي هو غتف فيه، - وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها، وكانت تلومه على ذلك - واسمها العيوف بنت مالك بن نهار بن عترب الحضرمي، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً فحملوه إلى المختار فأمر بقتله قريباً من داره، وأن يحرق بعد ذلك.

وبعث المختار إلى حكيم بن فضيل السبي - وكان قد سلب العباس بن علي بن أبي طالب يوم قتل الحسين - فأخذ فلذهب أهله إلى عدي بن حاتم، فركب ليشفع فيه عند المختار، فخشى أولئك الذين أخذوه أن يسبقهم عدي إلى المختار فيشفعه فيه، فقتلوا حكيماً قبل أن يصل إلى المختار، فدخل عدي فشفع فيه فشفعه فيه. فلما رجعوا وقد قتلوه شتمهم عدي وقام متغضباً عليهم وقد تقلد مئة المختار. وبعث المختار إلى زيد بن رُقَاء، وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، فلما أحاط الطلب بداره خرج فقاتلهم فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط، ثم حرقوه وبه رمق الحياة، وطلب المختار سنان بن أنس، الذي كان يدعي أنه قتل الحسين، فوجدوه قد هرب إلى البصرة فأمر بداره فهُدمت. فهكنا صنع بكل من هرب من هؤلاء إلى البصرة أو الجزيرة فهُدمت داره، وكان محمد بن الأشعث بن قيس ممن هرب إلى مصعب فأمر المختار بهدم داره وأن يسي بها دار حجر بن عدي التي كان زياد هدمها.

مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا

الحسين

قال الواقدي: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جالساً ذات يوم إذ جاء غلام له ودعه يسيل على عقبه، فقال له سعد: من فعل بك هذا؟ فقال: ابنك عمر، فقال سعد: اللهم اقلته وأسل دمعه. وكان سعد مستجاب الدعوة، فلما ظهر المختار على الكوفة استجار عمر بن سعد بعبد الله بن جعدة بن هبيرة، وكان صليفاً للمختار من قرابته من علي، فأتى المختار فأخذ منه لعمر بن سعد أماتاً مضمونه أنه آمن على نفسه وأهله وماله ما أطاع ولزم رحله ومصره، ما لم يحدث حدثاً. وأرَادَ المختار: ما لم يأت الخلاء فيقول أو يغرط.

ولما بلغ عمر بن سعد أن المختار يريد قتله خرج من منزله ليلاً يريد السفر نحو مصعب أو عبيد الله بن زياد، فمضى للمختار بعض مواليه ذلك، فقال المختار: وأي حدث أعظم من هذا؟ وقيل: إن مولاه قال له ذلك، وقال له: تخرج من منزلك ورحلك؟ أرجع، فرجع، ولما أصبح بعث إلى المختار يقول له: إن أبي يقول لك: هل أنت مقيم على أماتك؟ وقيل: إنه أتى المختار يتعرف منه ذلك فقال له المختار: اجلس، وقيل: إنه أرسل عبد الله بن جعدة إلى المختار يقول له: هل أنت مقيم على أماتك؟ فقال له المختار: اجلس، فلما جلس قال المختار لصاحب حرسه: اذهب فأتني برأسه. فلذهب إليه فقتله وأتاه برأسه.

وفي رواية (صحيح الطبري: ٦/١٠٦): أن المختار قال ليلة: لأقتلن غداً رجلاً

عظيم القلمين غائر العينين، مشرف الحاجبين يسر بقتله المؤمنون والملائكة المقربون، وكان الهيثم بن الأسود حاضراً فوقع في نفسه أنه أراد عمر بن سعد فبعث إليه ابنه العُريان فأنذره، فقال: كيف يكون هذا بعد ما أعطاني من العهود والمواثيق؟ وكان المختار حين قدم الكوفة أحسن السيرة إلى أهلها أولاً وكتب لعمر بن سعد كتاب أمان إلا أن يحدث حدثاً.

قال أبو غنم: وكان أبو جعفر الباقر يقول: إنما أراد المختار إلا أن يدخل الكيف فيحدث فيه، ثم إن عمر بن سعد قلق أيضاً، ثم جعل ينتقل من حلة إلى حلة ثم صار أمره أنه رجع إلى داره، وقد بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع فقال: كلا والله إن في عنقه سلسلة ترد له لو جهد أن يطلق ما استطاع. ثم أصبح فبعث إليه أبا عمرة فدخل عليه فقال: أجب الأمير. فقام عمر فعر في جتته، فضره أبو عمرة بالسيف حتى قتله، وجاءه برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار، فقال المختار، لابنه حفص - وكان جالساً عند المختار -: أتعرف هذا الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم ولا غير في العيش بعده، فقال: صدقت، ثم أمر به فضرته عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه، ثم قال المختار: هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين الأكبر، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفروا أئمة من أئمتهم. ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد بن الحنفية، وكتب إليه كتاباً في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد، سلام عليك أيها المهدي فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن الله بعثني نعمة على أعدائكم فهم بين قتل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم، ونصر مؤازركم، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته كل من قدرنا عليه، ولن يعجز الله من بقي، ولست بمنحجم عنهم حتى يبلغني أن على أديم الأرض منهم إرمياً، فكتب إلى أيها المهدي براكب أتبعه وأكن عليه، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته، ولم يذكر ابن جرير أن محمد بن الحنفية رد جوابه، مع أن ابن جرير قد تقصى هذا الفصل وأطال شرحه، ويظهر من غيوب كلامه ونظامه قوة وجد به وغرامه، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي غنم لوط بن يحيى، وهو منهم فيما يرويه، ولا سيما في باب التشيع، وهذا المقام للشيعه فيه غرام وأي غرام، إذ فيه الأخذ بشأر الحسين وأهله من قتلهم، والانتقام منهم. ولا شك أن قتل قتله كان متحتماً، والمبادرة إليه كان منمتماً، ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكتاب الذي صار بدعواه إتيان الرحي إليه كافراً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»، وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (النعام: ١٢٩). وقال بعض الشعراء: -

وما بين يدٍ إلا بذ الله فوقها ولا ظالم إلا سئلي بظالم

وسأني في ترجمة المختار ما يدل على كذبه واقتراه، وإدعائه نصره أهل البيت، وهو في نفس الأمر مستتر ذلك ليجمع عليه زعاعاً من الشيعة الذين بالكوفة. ليقم لهم دولة ويوصل بهم ويحول على مخالفه صولة.

ثم إن الله تعالى سلط عليه من انتقم منه، وهذا هو الكتاب الذي قال فيه الرسول في حديث أسماء بنت الصديق: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي تَقْيِيفِ كَذَابٍ وَبَيْرٍ». (٢٥٤: ٢٥٥) فهنا هو الكتاب وهو يظهر التشيع وأما البير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد ولي الكوفة من جهة عبد الملك بن مروان

السمع والطاعة والنصح لك، فلما رأيتك قد عرضت عني تباعدت عنك، فإن كنت على ما أعهد منك فأنا على السمع والطاعة لك. والمختار يخفي هذا كل الإخفاء عن الشيعة، فإذا ذكر له أحد شيئاً من ذلك أظهر لهم أنه أبعد الناس من ذلك.

فلما وصل كتابه إلى ابن الزبير أراد أن يعلم أصادق أم كاذب، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فقال له: تجهز إلى الكوفة فقد وليتها، فقال: وكيف وبها المختار؟! فقال: يزعم أنه سامع لنا مطيع، وأعطاه قريبا من أربعين ألف يتجهز بها، فسار فلما كان ببعض الطريق لقيه زائدة بن قدامة من جهة المختار في خمسمائة فارس ملبسة، ومعه سبعون ألفا من المال، وقد تقدم إليه المختار فقال: أعطه المال فإن هو انصرف وإلا فأره الرجال فقاتله حتى ينصرف، فلما رأى عمر بن عبد الرحمن الجلب قبض المال وسار إلى البصرة فاجتمع هو وابن مطيع بها عند أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب الثني بن خزيمة كما تقدم، وقبل وصول مصعب بن الزبير إليها.

وبعث عبد الملك بن مروان بن عمه عبد الملك بن الحارث بن الحكم في جيش إلى وادي القرى لياخذوا المدينة من نواب ابن الزبير، وكتب المختار إلى ابن الزبير: إن أحببت أن أمك بمدد. وإنما يريد المختار خديعته ومكايده، فكتب إليه ابن الزبير: إن كنت على طاعتي فلست أكره ذلك فأبى محمد إلى وادي القرى ليكونوا مددا لنا على قتال الشاميين. فجهز المختار ثلاثة آلاف عليهم شرحبيل بن ورثس الهملاني، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة، وقال له: سر حتى تدخل المدينة، فإذا دخلت فاكذب إلي حتى يأتيك أمري. وإنما يريد أخذ المدينة من ابن الزبير، ثم يركب بعد ذلك إلى مكة ليحاصر ابن الزبير بها، وخشي ابن الزبير أن يكون المختار بعث ذلك الجيش مكرأ فبعث العباس بن سهل بن سعد الساعدي في ألفين، وأمره أن يستعين بالأعراب وقال لهم: إن رأيتموهم في طاعتي وإلا فكأيدهم حتى نلهمكم.

فأقبل العباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقم، وقد تعشى ابن ورس في جيشه، فاجتمعا على ماء هنالك، فقال له العباس: ألتسم في طاعة ابن الزبير؟ فقال: بلى، قال: فإنه قد أمرني أن نذهب إلى وادي القرى فنقاتل من به من الشاميين. فقال له ابن ورس: فإني لم أؤمر بطاعتك، وإنما أمرت أن أدخل المدينة ثم أكتب إلى صاحبي فإنه يأمرني بأمره، ففهم عباس مغزاه ولم يظهر له أنه فطن لذلك، فقال له: رأيك أفضل، فاعمل ما بدا لك. ثم نهض العباس من عنده وبعث إليهم الجزر والغنم والدقيق، وقد كان عندهم حاجة أكيلة إلى ذلك، وجوع كثير، فجعلوا يذبحون ويطيخون ويخبزون ويأكلون على ذلك الماء، فلما كان الليل بيثهم عباس بن سهل فقتل أميرهم وطائفة منهم غمرا من سبعين، وأسر منهم خلقا كثيرا فقتل أكثرهم ورجع القليل منهم إلى المختار وإلى بلادهم خائبين.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو يوسف أن عباس بن سهل انتهى إليهم وهو يقول: -

أنا ابن سهل فإسار غير وكل أردع مقدم إذا الكيش نكل
واعتلي رأس الطرشاح البطل بالسيف يوم الروع حتى يتخزل
فلما بلغ خبرهم المختار قام في أصحابه خطيباً فقال: إن الفجار
الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار، إلا إنه كان أمراً مايتأ، وقضاء مقضيا.

كما سيأتي. وكان الحجاج عكس هذا، كان ناصيا جلدأ ظالماً غاشما، ولكن لم يكن في طبقة هذا، يُتهم على دين الإسلام ودعوة النبوة، وأنه يأتيه الوحي من العليّ العلام.

قال ابن جرير (١٦١/٦): وفي هذه السنة بعث المختار الثني بن خزيمة البغددي إلى البصرة يدعو إليه من استطاع من أهلها، فدخلها وأبشى بها مسجداً يجتمع إليه فيه قومه، فجعل يدعو إلى المختار، ثم أتى مدينة الرزق فمسكر عندها فبعث إليه الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة القبايع - وهو أمير البصرة قبل أن يزل بمصعب - جيشا مع عباد بن الحصين أمير الشرطة، وقيس بن الميثم. فقاتلوه وأخذوا منه المدينة وانهزم أصحابه، وكان قد قام بتصرههم بنو عبد القيس، فبعث إليهم الجيش فبشوا إليه فأرسل الأحنف بن قيس وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا بين الناس، وساعدهما مالك بن مسعم، فانحجز الناس بعضهم عن بعض، ورجع إلى المختار في نفر يسير مغلولا مغلوبا مسلوبا، وأخبر المختار بما وقع من الصلح على يدي الأحنف وغيره من أولئك الأمراء، وطمع المختار فيهم وكتابهم في أن يدخلوا معه فيما هو فيه من الأمر.

وكان كتابه إلى الأحنف بن قيس: من المختار إلى الأحنف بن قيس ومن قبله أنتم أما بعد فويل أم ربيعة من مضر، وإن الأحنف يورد قومه سقر، حيث لا يستطيع لهم الصنتر، وإنني لا أملك لكم ما قد خط في القدر، وقد بلغني أنكم سمعتموني كذابا، وقد كذب الأنبياء من قبلي ولست بخير منهم.

وقال ابن جرير (١٦١/٦): حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ثنا الحسن بن حماد عن حماد بن علي عن مجاهد عن الشعبي. قال: دخلت البصرة ففقدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس، فقال بعض القوم: من أنت؟ فقلت: رجل من أهل الكوفة، فقال: أنتم موال لنا، قلت: وكيف؟ قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار.

قلت: أتدري ما قال شيخ من همدان فينا وفيكم؟ فقال الأحنف: وما قال؟ قلت: قال: -

أفخرتم أن قتلتم أعبدأ وهزمتهم مرة آل عَزْزَلْ
فلذا فافخرتمونا ناذركوا مافلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثونة وقى أبيض وضاح رَقْلْ
جائنا يهلع في سابعة فنجناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فسيتم عفونا وكفرتم نعمه الله الأجل
وقتلتم محبين منهم بدلا بين قومكم شر بدلْ

قال: فنضب الأحنف وقال: يا غلام هات الصحيفة. فأتى بصحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس، أما بعد فويل أم ربيعة من مضر فإن الأحنف يورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصلح، وقد بلغني أنكم تكذبوني، فإن كذبت فقد كذبت رسل من قبلي، ولست بخير منهم، ثم قال الأحنف: هذا منا أو منكم.

فصل

ولما علم المختار أن ابن الزبير لا ينام عنهم، وأن جيش الشام من قبل عبد الملك يقتصدونه مع عبيد بن زياد في جمع كثير لا يرام، شرع يصانع ابن الزبير ويعمل على خداعه والمكر به، فكتب إليه: إنني كنت بايعتك على

ثم كتب إلى محمد بن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي كتاباً يذكر فيه أنه بعث إلى المدينة جيشاً لنصرته فغدر بهم جيش ابن الزبير، فإن رأيت أن أبعث جيشاً آخر إلى المدينة وتبعث من قبلك رسلاً إليهم فافعل.

فكتب إليه ابن الحنفية: أما بعد فإن أحب الأمور كلها لي ما أطيع الله فيه، فأطع الله فيما أعلت وأسررت، وأعلم أنني لو أردت القتال لوجدت الناس لي سرعاء، والأعوان لي كثيرة، ولكني اعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين. وقال لصالح بن مسعود: قل للمختار فليتنق الله وليكفف عن الدماء.

فلما انتهى إليه كتاب محمد بن الحنفية قال: إني قد أمرت بجمع البر واليسر، وطرح الكفر والغدر.

وذكر ابن جرير (٢٧٥/٦) من طريق المدائني وأبي مخنف أن الزبير عمد إلى ابن الحنفية وسبعة عشر رجلاً من أشرف أهل الكوفة فحبسهم حتى يبايعوه، ففكروا أن يبايعوا إلا من اجتمعت عليه الأمة، فتهددهم وتوعدهم واعتقلهم بزمزم، فكتبوا إلى المختار بن أبي عبيد يستصرخونه، ويستصرخونه، ويقولون له: إن ابن الزبير قد توعدنا بالقتل والحرق، فلا نخذلوا كما خذلتهم الحسين وأهل بيته. فجمع المختار الشيعة وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب المهدي وصريح أهل البيت قد أصبحوا عصوين يتظنون القتل والحرق وقال: لست أنا بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصرأ مؤزرأ، وإن لم أسرب إليهم الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتى يحل بابن الكاهلية الويل. ثم وجه أبا عبد الله الجبلي في سبعين راجلاً من أهل القوة، وظليان بن عمر التميمي في أربعين، وأبا المعتمر في مائة. وهاتين قبض في مائة. وعمر بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين وكتب إلى محمد بن الحنفية مع الطفلين بن عامر بتوجيه الجنود إليه، فنزل أبو عبد الله الجبلي بذات عرق حتى تلاحق به نحو من مائة وخمسين فارساً، ثم سار بهم حتى دخل المسجد الحرام نهلاً جهاراً وهم يقولون: يا ثارات الحسين. وقد أعد ابن الزبير الخطب لابن الحنفية وأصحابه ليحرقهم به إن لم يبايعوا، وقد بقي من الأجل يومان، فعملوا - يعني أصحاب المختار - إلى محمد بن الحنفية فاطلقوه من سجن ابن الزبير، وقالوا: إن أذنت لنا قاتلتنا ابن الزبير، فقال: إني لا أرى القتال في المسجد الحرام، فقال لهم ابن الزبير: ليس يبرح وتبرحون حتى يبايع وتبايعوا معه، فامتنعوا عليه ثم لحقهم بقية أصحابهم فجعلوا يقولون وهم داخلون الحرم: يا ثارات الحسين. فلما رأى ابن الزبير ذلك منهم خافهم وكف عنهم، ثم أخذوا محمد بن الحنفية وأخذوا من الحجيج مالا كثيراً فسار بهم حتى دخل شعب علي، واجتمع معه أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم ذلك المال.

هكذا أورد ابن جرير وفي صحته نظر والله أعلم.

قال ابن جرير (٢٧٥/٦، ٨٠/٦): وحبج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان نائيه بالمدينة أخاه مصعب وثانيه على البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وعبد الملك بن مروان على الشام وأخوه محمد بن مروان على الجزيرة ولؤمينة وأخوه عبد العزيز على مصر وقد استحوذ المختار على الكوفة، وعبد الله بن خازم على بلاد خراسان، وذكر حروبا جرت فيها لعبد الله بن خازم بطول ذكرها (تاريخ الطبري: ٧٧/٦-٨٠).

فصل

قال ابن جرير: وفي هذه السنة شخص إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله

بن زياد، وذلك لثمان بقين من ذي الحجة.

وقال أبو مخنف عن مشايخه: ما هو إلا أن فرغ المختار من جبانة السبع وأهل الكناسة، فما نزل إبراهيم بن ابن الأشتر إلا يومين حتى اشخصه إلى الوجه الذي كان وجهه فيه لقتال أهل الشام، فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين، وخرج معه المختار يودعه في وجوه أصحابه، وخرج معهم خاصة المختار. ومعهم كرسي المختار على بغل أشهب ليستنصروا به على الأعداء، وهم حافون به يدعون ويستصرخون ويستنصرون ويتضرعون، فرجع المختار بعد أن وصاه بثلاث قال: يا ابن الأشتر اتق الله في شرك وعلاتيك، وأسرع السير، وعاجل عدوك بالقتال. واستمر أصحاب الكرسي سائرين مع ابن الأشتر، فجعل ابن الأشتر يقول: اللهم لاتواخذنا بما فعل السفهاء منا، سنة بني إسرائيل والذي نفسي بيده إذ عفوا على عجلهم. فلما جاوز القنطرة هو وأصحابه رجع أصحاب الكرسي.

قال ابن جرير (٢٧٥/٦، ٨٢/٦): وكان سبب اتخاذ هذا الكرسي ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبيب حدثني أبي حدثنا سليمان حدثنا عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى بن طلحة حدثني معبد بن خالد حدثني طفيل بن جعدة بن هيرة قال: أعدمت مرة من الورق فباتني كذلك إذ مررت بباب رجل جاري له كرسي قد ركب وسخ شديد، فخطر على بالي أن لو قلت في هذا، فرجعت فأرسلت إليه أن أرسلني إلى بالكرسي، فأرسل به، فأتيت المختار فقلت له: إني كنت أتمك شياً وقد بدا لي أن أذكره إليك، قال: وما هو؟ قال: قلت: كرسي كان جعدة بن هيرة يجلس عليه كأنه كان يرى أن فيه أثره من علم. قال: سبحان الله!! فأخبرت هذا لي اليوم؟ أبعث إليه. قال: فجت به وقد غسل فرج عوداً ناضراً وقد تشرب الزيت، فأمر لي بأثنى عشر ألفاً، ثم نودي في الناس: الصلاة جامعة، قال: فخطب الناس فقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وإنه قد كان في بني إسرائيل التابوت يصرون به، وإن هذا مثله. ثم أمر فكشف عه أثوابه وقامت البيعة فرغوا أيديهم وكبروا ثلاثاً، فقام شبت بن ربيعة فأتى على الناس وكاد أن يكثر من يصنع بهذا التابوت هذا التعظيم، وأشار بأن يكسر ويخرج من المسجد ويومي به في الحش، فسكرها الناس لشبت بن ربيعة، فلما قيل: هذا عيد الله بن زياد قد أقبل. وبعث المختار إبراهيم بن الأشتر، بعث معه بالكرسي يحمل على بغل أشهب قد غشي بأثواب الحرير، عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة، فلما تواجهوا مع الشاميين - كما سيأتي - وغلبوا الشاميين وقتلوا ابن زياد، ازداد تعظيمهم لهذا الكرسي حتى بلغوا به الكفر، قال الطفيل بن جعدة فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ونذمت على ما صنعت. وتكلم الناس في هذا الكرسي وكثر عيب الناس له، فغضب حتى لا يرى بعد ذلك.

وذكر ابن الكلبي (تاريخ الطبري: ٨٤/٦، ٨٥) أن المختار طلب من آل جعدة بن هيرة الكرسي الذي كان علي يجلس عليه فقالوا: ما عندنا شيء مما يقول الأمير. فألح عليهم حتى علموا أنهم لوجاؤوا بأبي كرسي كان لقبله منهم، فحملوا إليه كرسيًا من بعض الدور فقالوا: هذا هو. فخرجت شيام وشاكر وسائر رؤوس المختار به وقد عصّبوه بالحرير والديباج. وحكى أبو مخنف أن أول من سدن هذا الكرسي موسى بن أبي موسى الأشعري، ثم إنه عتب عليه في ذلك، فدفعه إلى حوشب البرسمي، وكان صاحبه حتى هلك المختار بقبه الله.

ويروى أن المختار كان يظهر أنه لا يعلم بما يعظم أصحابه هذا

الكرسي، وقد قال في هذا الكرسي أعشى همدان -

شهدت عليكم أنكم سببة وأنى بكم يا شرطة الشرك عارف
وأقسم ما كُرميكم بسكية وإن كان قد لقت عليه اللفائف
وإن ليس كالتأبوت فينا وإن سعت شباباً حوالبه ونهت وعشارف
وإنى امرؤ أحييت آل عمُمد وتابعت وحيأ ضُمتَه المصاحف
وتابعت عبد الله لآ تابعت عليه قريش شُمنطها والغطارف
وقال المتوكل الليثي:

أبلغ أبا إسحاق إن جته أنى بكرمكم كافراً
نُتروا شباباً حول أعواده وتَحمل الوحى لهُ شاكراً
حَمرة أعينهم حركه كأنهم الحُصص الحارذ

قلت: هنا وإما لما يدل على قلة عقل المختار واتباعه، وضعفه وقلة علمه وكثرة جهله، وروادة فهمه، وترويعه الباطل على أتباعه وتشبيهه الباطل بالحق ليضل به الطعام، ويجمع عليه جهال العوام.
قال الواقدي: وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون هلك فيه خلق كثير من أهلها.

وفيها ضرب الدناتير عبد العزيز بن مروان بمصر، وهو أول من ضربها بها.

قال صاحب مرآة الزمان: وفيها ابتداء عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة، وكان يخطب في أيام منى وعرفة، ومقام الناس بمكة، وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بني مروان، ويقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الحكم وما نسل، وأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه. وكان يدعو إلى نفسه، وكان نصيحاً، فمال معظم أهل الشام إليه، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم، وكانوا يقفون عند الصخرة يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم، ففتح بذلك على نفسه سان تشنيع ابن الزبير عليه، فكان يشنع عليه بمكة ويقول: ضاهى بها فعل الأكاسرة في إيوان كسرى، والحفصاء، كما فعل معاوية. ونقل الطواف من بيت الله إلى قبة بني إسرائيل. ونحو ذلك.

ولما أراد عبد الملك بناءها، سار من دمشق إلى بيت المقدس ومعه الأموال والعمال، وكل بالعميل رجاء بن حيوة، وزيد بن سلام مولاه، وجمع الصناع والمهتمسين فأمرهم فقصروا له القبة في صحن المسجد فأعجبه، وبنى للمال بيتاً شرقي القبة، وشحنه بالمال وأمر رجاء بن حيوة وزيد أن يفرغا المال إفرافاً ولا يترققا فيه، فبشوا التفقات وأكثروا، فبنوا القبة التي هي اليوم قائمة، وبنوا من ناحية القبلة سبع قباب، والقبة التي باقية اليوم على الخراب هي أوسطها، ولما تم بناء القبة عمل لها جلالين، أحدهما من لُؤد أحر للشتاء، والآخر من آدم للصيف، وحفا الصخرة بدرابزين من الساج المطعم باليُشم وخلف الدرابزين ستور من الديباج مُرخاة بين المُعَر، وكانت السنة كل خيس واثنين يلبسون المسك والعنبر والموارد والزعفران، ويعملون منه غالية ويُعَمَرُونها من الليل، ثم يدخل الخدم الحمام من الليل فيغتسلون ويتطيبون، ويلبسون ثياب الوشي،

ويشدون أوساطهم بالمناطق المخلوة بالذهب، ويخلقون الصخرة ثم يمشون البخور في مجامر الذهب والفضة، وفيها العود القماري المغلي بالمسك ويعرشي الشئنة السور فتخرج تلك الرائحة فتملأ المدينة كلها، ثم ينادي مناد: ألا إن الصخرة قد فُتحت فمن أراد الزيارة فليأت، فيقبل الناس مبادرين، فيصلون ويخرجون، فمن وجدت منه رائحة البخور قال الناس: هذا كان اليوم في الصخرة.

وابواب الصخرة أربعة؛ على كل باب عشرة من الحجبة، الباب الشمالي يُسمى باب الجن، والشرقي باب إسرائيل، والغربي باب جبريل، والقبلي باب الأقصى. وكانوا يشغلونها بدهن البان، ولا يدخلها أحد غير أيام الزيارة سوى الخدم، وكان للحرم عشرون باباً، وكان فيه ألف عمود من الرُحام، وفي الشقوق ستون ألف خشبة من الساج المقشوش، وبين القناديل خمسة آلاف قنديل، وكان فيه أربعمئة سلسلة ألف رطل شامي، طول السلاسل ثلاثون ألف ذراع، وكان يؤقد في الصخرة كل ليلة مائة شمعة، وكذا في الأقصى، وكان يؤقد في القناديل كل ليلة من الزيت المتقول قطاراً، وكان في الحرم خمسون قبة، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف لوح، وكان في الحرم ثلاثمئة خادم إبتاعوا من بيت المال من الخمس، كلما مات واحد قام ولله بعده مقامه، ويقضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر، وكان في الحرم مائة صهرج، وكانت صفائح القبة، وسقف الأقصى من صفائح الذهب عوض الرصاص، وكذلك أبواب القبة صفائحها، وذلك أنه لما كمل البناء فُضِّل من المال ثلاثمئة ألف دينار، وقيل: ستمائة ألف. وكُتب رجاء بن حيوة يزيد إلى عبد الملك يُعرفه بذلك، فكتب إليه: قد جعلته لكما عروضا عن تبعكما. فكتب إليه: إنما قُمتا بهذا البيت لله تعالى، فلا تقل على ذلك عر الدنيا ولدينا أن نزيد فيه من خلي نسانا. فكتب إليهم: [٤٠٧/٤] إذا أيتسم ذلك فأفرغاه على القبة والأبواب. فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة بما عليها من الذهب. فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قديم القدس سنة أربعين ومائة فوجد الأقصى وقبائه تنكو إليه الخراب، فأمر بقلع الصفائح التي على القبة والأبواب، وأن يُعمرَها ما تنشأ في الحرم. ففعلوا ذلك. وكان المسجد طويلاً، فأمر أن يؤخذ من طوله ويُزاد في عرضه، ولما كمل البناء كتبوا على القبة مئالي الباب القبلي من جهة الأقصى بالنص بعد البسلة: بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين سنة اثنين وسبعين من الهجرة النبوية. وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمئة وخمسة وستين ذراعاً، وعرضه أربعمئة وستين ذراعاً. وكان فتح القدس سنة عشرة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ويخرون القبة والمسجد من الليل، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيراً، وجعل فيها العود القماري المغلف بالمسك وفرشها والمسجد بأنواع البسط الملونة، وكانوا إذا أطلقوا البخور يُشم من مسافة بعيدة، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياماً، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس، وأنه دخل الصخرة، وكان فيه من السنة والقوم القائدين بأموره خلق كثير، ولم يكن يؤمذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس، بحيث إن الناس اتهاوا بها عن الكعبة والحج، بحيث كانوا لا يلتفتون في مواسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس، واقتن الناس بذلك اقتنا عظيمًا، وأتوه من كل مكان، وقد عملوا فيه من الأشارات والعلامات الكنوية شيئاً كثيراً مما في الآخرة،

وعلى الميرة، عمير بن الحجاب السلمي - وكان قد اجتمع بابن الأشتر ووعده أنه معه وأنه سيتهزم بالناس غدا - وعلى خيل ابن زياد شرحبيل بن ذي الكلاع، وابن زياد في الرحالة يمشي معهم.

فما كان إلا أن توافق الفريقان حتى حمل حصين بن غمر بالمينة على ميسرة أهل الكوفة فهزموها، وقتل أميرها علي بن مالك الجشمي فأخذ رايته من بعده ولده قرّة بن علي فقتل أيضاً، واستمرت الميرة ذاهبة فجعل ابن الأشتر يتأديهم: إلى يا شرطة الله، أنا ابن الأشتر، وقد كشف عن رأسه ليعرفوه، فالتاثوا به وانتطفوا عليه، واجتمعوا إليه، ثم حملت مينة أهل الكوفة على ميسرة أهل الشام. وقيل: بل انتهزت ميسرة أهل الشام وانحازت إلى ابن الأشتر، ثم حمل ابن الأشتر بمن معه وجعل يقول لصاحب رايته: ادخل برأيتك فيهم، وقتل ابن الأشتر يومئذ قتالا عظيما، وكان لا يضرب بسيفه رجلا إلا صرعه، وكثرت القتلَى بينهم، وقيل: إن ميسرة أهل الشام نبثوا وقتلوا قتالا شديداً بالرماح ثم بالسيف، ثم أردف الحملة ابن الأشتر فانهزم جيش الشام بين يديه، وهو يقتلهم كما يقتل الحملان، وأبعدهم بنفسه ومن معه من الشجعان، وثبت عبيد الله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه، لكن قال لأصحابه: التمسوا في القتلى رجلا ضربته بالسيف فضحي منه ريح المسك، شرقت يده وغربت رجلاه، وهو واقف عند راية منفردة على شاطئ نهر خازر: فالتسموه فإذا هو عبيد الله بن زياد، وإذا هو قد ضربه ابن الأشتر فقطعه نصفين، فاحتزوا رأسه وبعثوه إلى المختار إلى الكوفة مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام.

وقتل من رؤوس أهل الشام أيضاً حصين بن غمر وشرحبيل بن ذي الكلاع، فأرسلهما المختار إلى ابن الزبير فنصبت بمكة.

وأتبع الكوفيون أهل الشام فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم أكثر من قتل، واحتازوا ما كان في معسكرهم من الأموال والخيول.

وقد كان المختار بشر أصحابه بالنصر قبل أن يجيء الخبر، فما ندري أكان ذلك تفاؤلا منه أو اتفاقا وقع له، أو كهانة. وأما على ما كان يزعم أصحابه أنه أوحى إليه بذلك فلا، فإن من اعتقد ذلك كفر ومن أقرهم على ذلك كفر، لكن: قال إن الوقعة كانت بتصيين فأخطأ مكانها إنما كانت بأرض الموصل، وهذا مما انتقله عامر الشعبي على أصحاب المختار حين جاءه الخبر بالفتح، وقد خرج المختار من الكوفة ليتلقى البشارة، فأتى المدائن فصعد منبرها فينما هو يخطب إذ جاءته البشارة وهو هنالك.

قال الشعبي: فقال لي بعض أصحابه: أما سمعته بالأمس يخبرنا بهذا؟ فقلت له: أنه زعم أن الوقعة كانت بتصيين من أرض الجزيرة، وإنما قال البشير: إنهم كانوا بالخازر من أرض الموصل، فقال: والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى الغلاب الأكم.

ثم رجع المختار إلى الكوفة وفي غيبته هذه تمكن جماعة ممن كان قاتله يوم جباته السبيع والكناسة من الخروج إلى البصرة ليجتمعوا بمصعب بن عمير، وكان منهم شيب بن رعي، وأما ابن الأشتر فإنه بعث بالبشارة ويرأس عبيد الله بن زياد إلى المختار واشتغل هو في تلك البلاد فبعث أخاه لأمه عبد الرحمن بن عبد الله على نيازة تصيين وبعث عمالا إلى الموصل وأخذ سنجار وفارا وما والاها من الجزيرة.

وقال أبو أحمد الحاكم: كان مقتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة ست وستين. والصواب سنة سبع وستين.

وقد قال سراقه بن مرداس البارقي يمدح ابن الأشتر على قتله ابن

نصوروا فيه صورة الصراط وباب الجنة، وقدم رسول الله ﷺ، ووادي جهنم، وكذلك في أبوابه ومواضع منه، فاغتر الناس بذلك، وإلى زماننا.

وبالجملية أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظرًا، وقد كان فيها من القصور والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شيء كثير، وأنواع باهرة. ولما فرغ رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام من عملتها على أكمل الوجوه فضل من المال الذي أنفقاه على ذلك ستمائة ألف مثقال، وقيل ثلاثمائة ألف مثقال. فكتب إلى عبيد الملك يخبره بذلك، فكتب إليهما: قد وهبته منكما، فكتب إليه: إنا لو استطعنا لزدنا في عمارة هذا المسجد من حلي نساتنا. فكتب إليهما إذا أيتما أن تغلبا فأفرغاه على القبة والأبواب. فما كان أحد يستطيع أن يتأمل القبة عما عليها من الذهب القديم والحديث، فلما كان في خلافة أبي جعفر المنصور قدم بيت المقدس في سنة أربعين ومائة، فوجد المسجد خرابا، فأمر أن يقطع ذلك الذهب والصفائح التي على القبة والأبواب، وأن يعمرها بها ما تشعث في المسجد ففعلوا ذلك.. وكان المسجد طويلا فأمر أن يؤخذ من طوله ويزاد في عرضه، ولما كمل البناء كتب على القبة بما يلي الباب القبلي: أمر ببنائه بعد تشييده أمير المؤمنين عبد الملك سنة اثنين وستين من الهجرة النبوية، وكان طول المسجد من القبة إلى الشمال سبعمائة وخمسة وستين ذراعًا، وعرضه أربعمائة وستين ذراعًا، وكان فتوح القدس سنة ستة عشر والله.

ثم دخلت سنة سبع وستين

ففيها كان مقتل عبيد الله بن زياد على يدي إبراهيم بن الأشتر النخعي، وذلك أن إبراهيم بن الأشتر خرج من الكوفة يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة في السنة الماضية، ثم استهلكت هذه السنة وهو سائر لقصد ابن زياد في أرض الموصل، فكان اجتماعهما بمكان يقال له الخازر، بينه وبين الموصل خمسة فراسخ، وكان بن الأشتر لا يسير إلا على نفسه فلما قاربوا أرسل عمير بن الحجاب السلمي إليهم معك وأتى إلى ابن الأشتر ليلا فبايعه وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد، ووعده أنه يتهزم بالناس وقال له: لا تطاول القوم فإنهم أضغافكم ولكن ناجزهم فإنهم قد ملثوا منكم رعبا فقال ابن الأشتر: الآن علمت أنك ناصح. ثم انصرف، فبات ابن الأشتر تلك الليلة ساهرا لا يغمض بصره، فلما كان قريب الصبح نهض فعفى جيشه وكتب كتابه، وصلى بأصحابه الفجر في أول وقت، ثم ركب فناهض جيش ابن زياد، وزحف بجيشه وريدا وهو ماش في الرحالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد، فإذا هم لم يتحرك منهم أحد، فلما راهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدعوشين، فركب ابن الأشتر فرسه وجعل يقف على رايات القبائل فيعرضهم على قتال ابن زياد ويقول: هذا قاتل ابن بنت رسول الله ﷺ، قد جاءكم الله به وأمكنكم الله منه اليوم، فعليكم به فإنه قد فعل في ابن بنت رسول الله ﷺ ما لم يفعله فرعون في بني إسرائيل! هذا ابن زياد قاتل الحسين الذي حال بينه وبين الفرات أن يشرب منه هو وأولاده ونسأوه، ومنه أن ينصرف إلى بلده أو يأتي يزيد بن معاوية حتى قتله، ويحكم! أشقوا صلوركم منه، وارووا رماحكم وسيوركم من دمه، هذا الذي فعل في آل نبيكم ما فعل، قد جاءكم الله به. ثم أكثر من هذا القول وأمثاله، ثم نزل تحت رايته.

وأقبل ابن زياد في جيش كثيف قد جعل على ميمته حصين بن غمر

زياد:

اتاكم غلام بين عرائين مذبح جري على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ باعظم هالكو وثق حذ ماضي الشفرين صقيل
ضربناك بالفضب الحسام بحدته إذا ما أباننا قتالا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم شقوا من عبيد الله امس غليبي

وهذه ترجمة ابن زياد

هو

■ عبيد الله بن زياد بن عبيد، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان،
ويقال له زياد بن أبيه، وابن سمية، أمير العراق بعد أبيه زياد،
وقال ابن معين [ترقه: ٣٨٧/٢]، ويقال له عبيد الله بن مرجانة وهي
أمه، وقال غيره: وكانت مجوسية.
وكنيته أبو حفص، وقد سكن دمشق بعد يزيد بن معاوية، وكانت له
دار عند الدياس تعرف بعده بدار ابن عجلان، وكان مولده في سنة تسع
وثلاثين فيما حكاه ابن عساکر عن أبي العباس أحمد بن يونس الضبي.
قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢١٧/٤٤]: وروى الحديث عن معاوية
وسعد بن أبي وقاص ومعتل بن يسار، وحدث عنه الحسن البصري وأبو
الليخ بن أسامة.

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: ذكروا أن عبيد الله بن زياد حين قتل
الحسين كان عمره ثمانيا وعشرين سنة.

قلت فعلى هذا يكون مولده سنة ثلاث وثلاثين فإله أعلم.

وقله روى ابن عساکر أن معاوية كتب إلى زياد: أن أوفد إلي ابنك،
فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شيء إلا نفد منه، حتى سأله عن الشعر
فلم يعرف منه شيئا، فقال له: مامتك من تعلم الشعر؟ فقال: يا أمير
المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدي مع كلام الله كلام الشيطان. فقال
معاوية: اغرب فوالله ما منعني من القرار يوم صفين إلا قول ابن الإطنابة
حيث يقول:

أبت لي عفتي وأبسى بلاسي وأخذني الحمد باللعن الربيع
واعطاني على الإعظام مالي وإقنامي على البطل المشيع
وقولي كلما جشأت وجاشت مكاتك تُنذري أو تُترجي
لأدفع من مائر صالحات واحمي بعد عن أنف صحيح
ثم كتب إلى أبيه: أن روه من الشعر، فرواه حتى كان لا يسقط عنه منه
شيء.

ومن شعره بعد ذلك: -

يسلم سروان بن نسوة اتني إذا نُقِيتَ الحيلان أطنها شزرا
واني إذا حل الضيوف ولم أجذ سوى فرسي أوسعه فسم نحرا
وقد سأل معاوية يوما أهل البصرة عن ابن زياد فقالوا: إنه لظريف
ولكنه يلحن، فقال: أوليس اللحن أطرف له؟

قال ابن قتيبة وغيره: إنما أرادوا أنه يلحن في كلامه، أي يلغز. وهو
الحن بجمته كما قال الشاعر:

منطق رائح ويلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وقيل: إنهم إنما أرادوا أن يلحن في قوله لحنا وهو ضد الإعراب.
وقيل أرادوا اللحن الذي هو ضد الصواب. وهو الأثب والله أعلم.
فاستحسن معاوية منه السهولة في الكلام وأنه لم يكن ممن يتقنى في كلامه
ويفهمه، ويتشلق فيه.

وقيل: أرادوا أنه كانت فيه لكنة من كلام المعجم، فإن أمه مرجانة
كانت سرية وكانت بنت بعض ملوك الأعاجم يزودجد أو غيره.

قالوا: وكان في كلامه شيء من كلام المعجم، قال يوما لبعض
الخوارج: أهروري أنت؟ يعني: أهروري أنت؟ وقال يوما: من كاتلنا
كاتلناه، أي: من قاتلنا قاتلناه.

وقول معاوية ذاك أطرف له، أي أجود له حيث نزع إلى أخواله، وقد
كانوا يوصفون بحسن السياسة وجودة الرعاية ومحاسن الشيم.

ثم لما مات زياد سنة ثلاث وخمسين ولى معاوية على البصرة سمرة بن
جندب سنة ونصف ثم عزله وولى عليها عبد الله بن عمرو بن غيلان بن
سلمة سنة أشهر، ثم عزله وولى عليها ابن زياد سنة خمس وخمسين. فلما
تولى يزيد الخلافة جمع له بين البصرة والكوفة، فبنى في إمارة يزيد البيضاء،
وجعل باب القصر الأبيض الذي كان لكسرى عليها، وبنى الحمراء وهي
على سكة المردة فكان يشتر في الحمراء ويصيف في البيضاء.

قالوا: وجاء رجل إلى ابن زياد فقال: أصلىح الله الأمير، إن امرأتي
ماتت، وإني أريد أن أتزوج أمها، فقال له: كم عطاوك في الديوان؟ فقال:
سبعمائة، فقال: يا غلام خطه من عطائه أربعمئة، ثم قال له: يكفيك من
فقهك هذا ثلاثمئة!

قالوا: ونخاصمت أم الفجج وزوجها إليه وقد أحببت المرأة أن تضارق
زوجها، فقال أبو الفجج: أصلىح الله الأمير إن خير شطري الرجل آخره،
وإن شر شطري المرأة آخرها، فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: إن الرجل إذا
أسن اشتد عقله واستحكم رأيه وذهب جهله، وإن المرأة إذا أسنت ساء
خلقها، وعقم رحمها واحتد لسانها، فقال: صدقت خذ بيدها وانصرف.

وقال يحيى بن معين: أمر ابن زياد لصفوان بن عمرز بألفي درهم
فسرق، فقال: عسى أن يكون خيرا فقال أهله: كيف يكون هذا خيرا؟
فبلغ ذلك ابن زياد فأمر له بألفين آخرين، ثم وجد الألفين فصارت أربعة
آلاف فكان خيرا.

وقيل لهند بنت أسماء بن خارجة - وكانت قد تزوجت بعده أزواج
من نواب العراق - من أمر أزواجك وأكرمهم عليك؟ فقالت: ما أكرم
النساء إكرام بشر بن مروان ولا هاب النساء هية الحجاج بن يوسف،
ووددت أن القيامة قد قامت فأرى عبيد الله بن زياد وأشتني من حديثه
والنظر إليه - وكان أبا عندها - وقد تزوجت بالآخرين أيضا.

وقال عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: أول
من جهر بالمعذنين في الصلاة المكتوبة ابن زياد، قلت: يعني والله أعلم في
الكوفة، فإن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه وكان ققهاء الكوفة عن
كبراء أصحاب ابن مسعود يأخذون والله أعلم.

وقله كانت في ابن زياد جرأة وإقدام على سفك الدماء قتل خلقا كثيرا
صبرا وكان سفها شديدا وكان فيه مبادرة إلى ما لا حاجة له به، ثبت في
الحديث الذي رواه أبو يعلى ومسلم [١٨٣٠]، كلاهما عن شيبان بن فروخ
عن جرير عن الحسن أن عائذ بن عمرو دخل على عبيد الله بن زياد فقال:
أي بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الرعاة الحطمة، فإياك أن
تكون منهم». فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله

إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلف الرووس حتى دخلت في متخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنية ثم خرجت فلعبت حتى تنبت ثم قالوا: قد جاءت قد جاءت. ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً. قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

وقال أبو سليمان بن زُيْر: وفي سنة ست وستين قالوا فيها قتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير، ولي قتلها إبراهيم بن الأشتر وبعث برؤوسهما إلى المختار فبعث بهما إلى ابن الزبير، فنصب بمكة والمدينة. وهكذا حكى ابن عساکر عن أبي أحمد الحاكم وغيره أن ذلك كان في سنة ست وستين، زاد أبو أحمد: في يوم عاشوراء. وسكت ابن عساکر عن ذلك.

والشهور أن ذلك كان في سنة سبع وستين كما ذكره ابن جرير [٩٠/٦] وغيره، ولكن بعث الرووس إلى ابن الزبير في هذه السنة متعذر لأن العداوة كانت قد قويت وتحققت بين المختار وابن الزبير في هذه السنة، كما ذكرنا وعمّا قليل أمر ابن الزبير أخاه مصعباً أن يسير من البصرة إلى الكوفة لحصار المختار وقتاله. والله أعلم.

مقتل المختار بن أبي عبيد القفي الكذاب على يدي

مصعب بن الزبير وأهل البصرة

كان عبد الله بن الزبير قد عزل في هذه السنة عن نيابة البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي المعروف بالقبيص، وولاهم لأخيه مصعب بن الزبير، ليكون ردهم وقرناً وكفواً للمختار، فلما قدم مصعب البصرة دخلها مثلثاً فيهم المنبر، فلما صعد قال الناس: أمير أمير، فلما كشف اللثام عرفه الناس فأقبلوا إليه، وجاء القبيص فجلس تحته بدرج، فلما اجتمع الناس قام مصعب خطيباً فاستفتح القصص حتى بلغ «إن فرعون غلا في الأرض وجعل أهلها شيعاً» [القصص: ٤] وأشار بيده نحو الشام أو الكوفة ثم قال «ويزيد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض» [القصص: ٥] وأشار إلى الحجاز. وقال: يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد سميت نفسي الجزار، فاجتمع عليه الناس وفرحوا به، ولما انهزم أهل الكوفة حين خرجوا على المختار فقهروهم وقتل منهم من قتل، كان لا ينهزم أحد من أهلها إلا قصد البصرة، ثم لما خرج المختار ليلقي ابن الأشتر حين بلغه أنه قتل ابن زياد، اغتمت من بقي بالكوفة من أعداء المختار غيته فذهبوا إلى البصرة فرأوا من المختار لقلته دينه وكفره، ودعوا أنه يأتيه الوحي، وأنه قد قدم المولى على الأشراف، واتفق أن ابن الأشتر حين قتل ابن زياد واستغل بتلك النواحي، فأحرز بلاداً وأقاليم ورساتيق لنفسه، واستهان بالمختار، فطعم مصعب فيه وبعث محمد بن الأشعث بن قيس على البريد إلى المهلب بن أبي صفرة، وهو نائبهم على خراسان، فقدم في تجهل عظيم ومال ورجال وعُدَد وعُدَد، وجيش كثيف، ففرح به أهل البصرة وتقوى به مصعب، فركب في أهل البصرة ومن اتبعهم من أهل الكوفة فركبوا في البحر والبر وساروا قاصدين إلى الكوفة.

وقدّم مصعب بين يديه عباد بن الحصين، وجعل على ميمنة عمر بن عبيد الله بن معمر وعلى الميسرة المهلب بن أبي صفرة، ورتب الأمراء على راياتها وقبائلها كمالك بن مسمع، والأحف بن قيس، وزياد بن عمر، وقيس بن الهيثم وغيرهم، وخرج المختار بعسكره فيستل المنازل وقد جعل على مقدمته أبا كامل الشاكري، وعلى ميمنة عبد الله بن كامل، وعلى

الخلفاء فقال: وهل كانت فيهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم. وقد روى غير واحد عن الحسن أن عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار يعوده فقال: إني عدتلك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من رجل استرغاه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٍ لهم إلا حرم الله عليه الجنة». [بخيعه (٧١٥٠، ٧١٥١، ١٤٧٢)]

فذكر غير واحد أنه لما مات معقل صلى عليه عبيد الله بن زياد ولم يشهد دفنه، واعتذر بما ليس يجدي شيئاً وركب إلى قصره.

ومن جراته إقدامه على الأمر بإحضار الحسين إلى بين يديه وإن قتل دون ذلك، وكان الراجح عليه أن يبيح إلى سؤاله الذي سأل فيه طلب من ذهابه إلى يزيد أو إلى مكة أو إلى أحد الثغور، فلما أشار عليه شمر بن ذي الجوشن بأن الحزم أن يحضر عنك وأنت تسير به بعد ذلك إلى حيث شئت من هذه الحصان أو غيرها، فوافق شمر على ما أشار به من إحضاره بين يديه فأبى الحسين أن يحضر عنده ليقضي فيه بما يراه ابن مرجانة، وقد تمس وخاب وخسر، فليس لابن بنت رسول الله ﷺ أن يحضر بين يدي ابن مرجانة الخبيث.

وقد قال محمد بن سعد: أنبأنا الفضل بن دكين ومالك بن إسماعيل قالوا: حدثنا عبد السلام بن حرب عن عبد الملك بن كردوس عن حاجب عبيد الله بن زياد قال: دخلت معه القصر حين قتل الحسين قال: فاضطرم في وجهه ناراً - أو كلمة نحوها - فقال بكفه هكنا على وجهه وقال: لا تخش بهنا أحداً.

وقال شريك عن مغيرة قال: قالت مرجانة لابنها عبيد الله: يا خبيث قتلت ابن بنت رسول الله ﷺ؟ لا ترى الجنة أبداً.

وقد قلنا أن يزيد بن معاوية لما مات بايع الناس في المصيرين لعبيد الله حتى يجتمع الناس على إمام، ثم خرجوا عليه فأخرجوه من بين أظهرهم، فسار إلى الشام فاجتمع بمروان، وحسن له أن يتولى الخلافة ويدعو إلى نفسه ففعل ذلك، فكان من أمره ما تقدم مع الضحاك بن قيس، ثم سيرة مروان في جيش إلى العراق فالتقى بعين الورد مع سليمان بن صرد فكسرهم، واستمر قاصداً الكوفة في ذلك الجيش، فتوق في الطريق بسبب من كان يمانه في أرض الجزيرة من الأعداء بمن بايع ابن الزبير، ثم اتفق خروج ابن الأشتر إليه في سبعة آلاف، وكان مع ابن زياد أضعاف ذلك، ولكن ظفر به ابن الأشتر فقتله شر قتله على شاطئ نهر الحازر قريبا من الموصل بخمس مراحل.

قال أبو أحمد الحاكم: وكان ذلك يوم عاشوراء.

قلت: وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين.

ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار ومعه رأس حصين بن نمير وشريحيل بن ذي الكلاع وجماعة من رؤساء أصحابهم، فسر بذلك المختار.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني يوسف بن موسى حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما جئ برأس ابن مرجانة وأصحابه طرحت بين يدي المختار فجاءت حية دقيقة تخلفت الرووس حتى دخلت في فم ابن مرجانة وخرجت من منخره، ودخلت في منخره وخرجت من فمه، وجعلت تدخل وتخرج من رأسه من بين الرووس.

ورواه الترمذي [٣٧٨٠] من وجه آخر بلفظ آخر فقال: حدثنا وأصل بن عبد الأعلى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير. قال: لما جئ برأس عبيد الله وأصحابه نُفِثَتْ في المسجد في الرحبة، فانتهت

ميسرته عبد الله بن وهب الجشمي، وعلى الخليل وزير بن عبد الله السلولي، وعلى الموالي أبا عمرة صاحب شرطته.

ثم خطب الناس وحثهم على الخروج، وبعث بين يديه الجيوش، وركب هو وخلق من أصحابه وهو يشرفهم بالنصر، فلما انتهى مصعب إلى قريب الكوفة لقيتهم الكتاب المختارية فحملت عليهم الفرسان الزبيرية، فما لبث المختارية إلا يسيراً حتى هربوا على حية، وقد قتل منهم جماعة من الأمراء، وخلق من القراء وطائفة كثيرة من الشيعة الأغبياء، ثم انتهت الهزيمة إلى المختار.

وقال الراقي: لما انتهت مقدمة المختار إليه جاء مصعب قطع الدجلة إلى الكوفة وقد حصن المختار القصر واستعمل عليه عبد الله بن شداد وخرج المختار بمن بقي معه فنزل حروراء فلما قرب جيش مصعب منه جهز إلى كل قبيلة كردوساً، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن مئذ، وإلى عبد القيس مالك بن المنذر، وإلى العالية عبد الله بن جملة، وإلى الأزدي مسافر بن سعيد، وإلى بني تميم سليم بن يزيد الكندي، وإلى محمد بن الأشعث السائب بن مالك، ووقف المختار في بقية أصحابه فاقبلوا قتالا شديداً إلى الليل فقتل أعيان أصحاب المختار وقتل تلك الليلة محمد بن الأشعث وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وتفرق عن المختار باقي أصحابه، فقتل له القصر القصر، فقال: والله ما خرجت منه وأنا أريد أن أعود إليه، ولكن هذا حكم الله، ثم سار إلى القصر فدخل وجاءه مصعب ففرق القبائل في نواحي الكوفة، واقتسموا المحال، وخلصوا إلى القصر، وقد تمنوا المختار المدة والماء، وكان المختار يخرج فيقاتلهم ثم يعود إلى القصر، ولما اشتد عليه الحصار قال لأصحابه: إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً، فانزلوا بنا حتى نقاتل حتى الليل حتى نموت كراماً، فوهنوا فقال: أما أنا، فوالله لا أعطي يدي. ثم اغتسل وتطيب وتخط وخرج فقاتل هو ومن معه حتى قتلوا.

وقيل: بل أشار عليه جماعة من أساورته بأن يدخل القصر دار إمارته، فدخله وهو ملوم مذموم، وعن قريب يتخذ فيه القدر المحترم، فحاصره مصعب فيه وجميع أصحابه حتى أصابهم من جهد العطش ما الله به عليم، وضيّق عليهم المسالك والمقاصد، وانسدت عليهم أبواب الخليل، وليس فيهم رجل رشيد ولا حليم، ثم جعل المختار يجبل فكرته ويكرّر زوئته في الأمر الذي قد حل به، واستشار من عنده من الموالي والعبيد، ولسان القدر والشرع يناديه ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْعَى أَظْهَرُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعَذِّبُ﴾ [سج: ٤٩] ثم قوى عزمه قوة الشجاعة المركبة فيه، على أن أخرجه من بين من كان يحالفه ويواليه، ورأى أن يموت على فرسه، حتى يكون عليها انقضاه آخر نفسه، فنزل حية وغضباً، وشجاعة وكلباً، وهو مع ذلك لا يجد مناصاً ولا مفرأً ولا مهرباً، وليس معه من أصحابه سوى تسعة عشر، ولعله إن كان قد استمر على ما عاش عليه أن لا يفارقه التسعة عشر الموكلون بسقر، ولما خرج من القصر قال لأصحاب مصعب: أنامونني؟ قالوا: لا إلا على حكم الأمير. فقال: إلا حكم نفسي أبداً ثم قاتل قتالاً شديداً وتقدم إليه رجلان شقيقان أخوان، وهما طرفة وطراف ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة، فقتلاه بمكان الزبائين من الكوفة، واحترأ رأسه وأتيا به إلى مصعب بن الزبير، وقد دخل قصر الإمارة، فوضع بين يديه، كما وضع رأس ابن زياد بين يدي المختار، وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد، وكما سيضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان، فلما وضع رأس المختار بين يدي مصعب أمر لهما بثلاثين ألفاً.

وقد قتل مصعب جماعة من المختارية في المعركة، وأسر منهم خمسمائة أسير، فضربت أعناقهم عن آخرهم في يوم واحد، وقد قتل من أصحاب مصعب في الوقعة محمد بن الأشعث بن قيس، وأمر مصعب بكف المختار فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد، فلم يزل هناك حتى قدم الحجاج، فسأل عنها فقيل له: هي كف المختار، فأمر بها فرفعت وانتزعت من هناك، لأن المختار كان من قبيلة الحجاج والمختار هو الكذاب، والمبهر الحجاج، ولهذا أخذ الحجاج بثأره من ابن الزبير فقتله وصلبه شهوراً، وقد سأل مصعب أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار عنه فقالت: ما عسى أن أقول فيه إلا ماقولون أتم فيه، فتركها واستدعى يزوجته الأخرى وهي عمرة بنت النعمان بن بشير فقال لها: ما تقولين فيه؟ فقالت: رحمه الله لقد كان عبداً من عباد الله الصالحين، فسجنها وكتب إلى أخيه: إنها تقول إنه نبي فكتب إليه أن أخرجها فاقبلها، فأخرجها إلى ظاهر البلد فضربت ضربات حتى ماتت، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حَرَّوْ عُبَيْدُ
قُلْتُ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ لَكَ دُرُهَا مِنْ تَيْلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقَتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَايَةِ جُرْ الذَّبُولِ
وقال أبو غنم: حدثني محمد بن يوسف أن مصعباً لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه فقال ابن عمر: من أنت؟ فقال له: أنا ابن أخيك مصعب بن الزبير، فقال له ابن عمر: نعم، أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة؟ عسى ما استطعت، فقال له مصعب: إنهم كانوا كفرة سحرة، فقال ابن عمر: والله لو قتل عديهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً.

وهذه ترجمة المختار بن أبي عبيد الكذاب

هو

■ المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن تقيف الثقفي، أسلم أبوه في حياة النبي ﷺ، ولكن لم يره، فلها لم يذكره أكثر الناس في الصحابة، وإنما ذكره ابن الأثير في النابة [٢٠٥/٦]، وقد كان عمر بعثه في جيش كثيف في قتال الفرس سنة ثلاث عشرة، فقتل يومئذ شهيداً وقتل معه نحو من أربعة آلاف من المسلمين، كما قلنا، وعرف ذلك الجسر به، وهو جسر على دجلة، فيقال له إلى اليوم جسر أبي عبيد، وكان له من الولد صفة بنت أبي عبيد وكانت من الصالحات العابدات وهي زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان عبد الله لها مكرماً ومحباً، وماتت في حياته. وأما أخوها المختار هذا فإنه كان أولاً ناصياً يفتض علياً بغضاً شديداً، وكان عند عمه بالمدائن، وكان عمه نائبها، فلما دخلها الحسن بن علي يوم خذله أهل العراق وهو سائر إلى الشام لقتال معاوية بعد مقتل أبيه علي، فلما أحس الحسن منهم بالخطر فر منهم إلى المدائن في جيش قليل، فقال المختار لعمه: لو أخذت الحسن فبعته إلى معاوية لآخذت عنده بذلك اليد البيضاء أبداً، فقال له عمه: بش ما تامرني به يا ابن أخي، فما زالت الشيعة تبغضه حتى كان من أمر مسلم بن عقيل بالكوفة ماكان، وكان المختار من الأمراء بالكوفة، فجعل يقول: أما لأضرته. فبلغ ابن زياد ذلك فحبسه بعد ضربه مائة جلدة، فأرسل ابن عمر إلى يزيد بن معاوية يشفع فيه، فأرسل يزيد إلى ابن زياد فأطلقه وسيره إلى الحجاز في بقاء، فغضب إلى ابن الزبير بمكة فقاتل معه حين حصره إلى

أهل الشام قتلا شديداً، ثم بلغ المختار ما أهل العراق فيه من التخيط، فسار إليهم وترك ابن الزبير، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة فقبل، فسار إليها، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسب في السر، ومدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بشار الحسين، وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة حتى قاوم نواب ابن الزبير على الكوفة، وأخرج عامل ابن الزبير منها، واستقر ملك المختار بها، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتز إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مذهباً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته، ثم شرح في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الرقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وظفر برؤوس كبار منهم، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وشعر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين، وسنان بن أبي أسير، وخولي بن يزيد الأصبحي، وخلع غير هؤلاء، وما زال حتى بعث سيف ثقتهم إبراهيم بن الأشتر النخعي في عشرين ألفاً إلى ابن زياد، وهو في جيش أعظم من جيش المختار بأضعاف مضاعفة - كانوا ستين ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشه، واحتاز ما في معسكره، واتسق ذلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين ثم بعث برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه مع البشارة إلى المختار، ففرح بذلك فرحاً شديداً، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن غير ومن معهم إلى ابن الزبير بمكة، فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون، وقد كانوا نصبرها بالمدينة، وطابت نفس المختار بالملك، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع، ثم إن ابن الزبير تبين ابن خديعة ومكره وسوء مذهبه، فبعث أخاه مصعباً أميراً على العراق، فسار إلى البصرة فاجتمع إليه أهلها، ووفد إليه جماعات من الكوفة فلم ينسهم سرور المختار حتى ركب إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فحاصره بالكوفة وضيق عليه، وما زال حتى أمكن الله منه فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرطة على البريد، إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل، فما زال يصلح حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس، فلما كان قريب الفجر قال: ما جاء بك؟ فالتفت إليه الكتاب فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين معي الرأس، فقال: الله على باب المسجد، فالتقاء ثم جاء فقال: جازتني يا أمير المؤمنين، فقال: جازتتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق.

ثم زالت دولة المختار كأن لم تكن، وكذلك سائر الدول، وفرح المسلمون بزوالها، وذلك لأن الرجل لم يكن في نفسه صادقا، بل كان كاذباً وكاهناً وكان يزعم أن الوحي يتزل عليه على يد جبريل يأتيه عليه.

قال الإمام أحمد (٢٢٣/٥): حدثنا ابن نمير حدثنا عيسى القارئ أبو عمر بن عمر، حدثنا السدي عن رفاعة القتبي قال: دخلت على المختار فالتفت لي وسادة وقال: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه لألقيتها لك، قال: فأردت أن أضرب عنقه قال: فذكرت حديثاً حدثني أخي عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ﷺ: «إيما مؤمن أئمن مؤمناً على دمه فقتله فانا من القاتل بريء».

وقال الإمام أحمد (٢٢٤/٥): حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن حماد بن سلمة حدثني عبد الملك بن عمير عن رفاعة بن شداد قال: كنت أقوم على رأس الشام قتلاً شديداً، ثم بلغ المختار ما أهل العراق فيه من التخيط، فسار إليهم وترك ابن الزبير، ويقال إنه سأل ابن الزبير أن يكتب له كتاباً إلى ابن مطيع نائب الكوفة فقبل، فسار إليها، وكان يظهر مدح ابن الزبير في العلانية ويسب في السر، ومدح محمد بن الحنفية ويدعو إليه، وما زال حتى استحوذ على الكوفة بطريق التشيع وإظهار الأخذ بشار الحسين، وبسبب ذلك التفت عليه جماعات كثيرة من الشيعة حتى قاوم نواب ابن الزبير على الكوفة، وأخرج عامل ابن الزبير منها، واستقر ملك المختار بها، ثم كتب إلى ابن الزبير يعتز إليه ويخبره أن ابن مطيع كان مذهباً لبني أمية، وقد خرج من الكوفة، وأنا ومن بها في طاعتك، فصدقه ابن الزبير لأنه كان يدعو له على المنبر يوم الجمعة على رؤوس الناس، ويظهر طاعته، ثم شرح في تتبع قتلة الحسين ومن شهد الرقعة بكربلاء من ناحية ابن زياد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وظفر برؤوس كبار منهم، كعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا الحسين وشعر بن ذي الجوشن أمير الألف الذين ولوا قتل الحسين، وسنان بن أبي أسير، وخولي بن يزيد الأصبحي، وخلع غير هؤلاء، وما زال حتى بعث سيف ثقتهم إبراهيم بن الأشتر النخعي في عشرين ألفاً إلى ابن زياد، وهو في جيش أعظم من جيش المختار بأضعاف مضاعفة - كانوا ستين ألفاً، وقيل: ثمانين ألفاً فقتل ابن الأشتر ابن زياد وكسر جيشه، واحتاز ما في معسكره، واتسق ذلك في يوم عاشوراء سنة سبع وستين ثم بعث برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه مع البشارة إلى المختار، ففرح بذلك فرحاً شديداً، ثم إن المختار بعث برأس ابن زياد ورأس حصين بن غير ومن معهم إلى ابن الزبير بمكة، فأمر ابن الزبير بها فنصبت على عقبة الحجون، وقد كانوا نصبرها بالمدينة، وطابت نفس المختار بالملك، وظن أنه لم يبق له عدو ولا منازع، ثم إن ابن الزبير تبين ابن خديعة ومكره وسوء مذهبه، فبعث أخاه مصعباً أميراً على العراق، فسار إلى البصرة فاجتمع إليه أهلها، ووفد إليه جماعات من الكوفة فلم ينسهم سرور المختار حتى ركب إليه مصعب بن الزبير من البصرة في جيش هائل فحاصره بالكوفة وضيق عليه، وما زال حتى أمكن الله منه فقتله واحتز رأسه وأمر بصلب كفه على باب المسجد، وبعث مصعب برأس المختار مع رجل من الشرطة على البريد، إلى أخيه عبد الله بن الزبير، فوصل مكة بعد العشاء فوجد عبد الله يتنفل، فما زال يصلح حتى أسحر ولم يلتفت إلى البريد الذي جاء بالرأس، فلما كان قريب الفجر قال: ما جاء بك؟ فالتفت إليه الكتاب فقرأه، فقال: يا أمير المؤمنين معي الرأس، فقال: الله على باب المسجد، فالتقاء ثم جاء فقال: جازتني يا أمير المؤمنين، فقال: جازتتك الرأس الذي جئت به تأخذه معك إلى العراق.

وقال الإمام أحمد (٣٥١/٦): حدثنا ابن إسحاق بن يوسف حدثنا ابن عوف عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج بن يوسف دخل على أسماء بنت أبي بكر الصديق، بعد ما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال: إن ابنك الخد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب اليم، وفعل به وفعل، فقالت: كذبت، كان بلراً بالوالدين، صواماً قواماً، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ: «أنه سيخرج من قميق كذابان الآخر منهما شر من الأول، وهو شير». هكذا رواه أحمد بهذا السند واللفظ.

وقد أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل (٢٥٤٥) عن عقبة بن مكرم العمي البصري عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل عن أبي عقرب واسمه معاوية بن مسلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «إن في قميق كذاباً ومُبيراً».

وفي الحديث قصة طويلة في مقتل الحجاج ولدها عبد الله بن الزبير في سنة ثلاث وسبعين كما سيأتي.

وقد ذكر البيهقي هذا الحديث في دلائل النبوة (٤٨٦/٦).

وذكر العلماء أن الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يظهر التشيع ويطن الكهانة، ويسير إلى إخصائه أنه يوحى إليه، ولكن ما أدري هل كان يدعي النبوة أم لا؟ وكان قد وضع له كرسي عظيم ويحف بالرجال، ويستر بالحرير، ويعمل على البغال، وكان يضاهي به تابوت بني إسرائيل المذكور في القرآن، ولا شك أنه كان ضالاً مضللاً أراح الله المسلمين منه بعد ما انتقم به من قوم آخرين من الظالمين، كما قال تعالى: «وَكَذَلِكَ نُنْزِلُ الْغَافِلِينَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (الأنعام: ١٢٩) وأما المير فهو القتال وهو الحجاج بن يوسف الثقفي نائب العراق لعبد الملك بن مروان، الذي انتزع العراق من يد مصعب بن الزبير، كما سيأتي بيانه قريباً.

قُبَاعاً، واستعمل على المدينة جابر بن الأسود الزهري، وعزل عنها عبد الرحمن بن الأشعث لكونه ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً، فإنه أراد أن يبيع لابن الزبير فاتمعت من ذلك فضره، فغزله ابن الزبير. وفيها هلك ملك الروم قسطنطين بن قسطنطين ببلده لعنه الله.

وفيها كانت وقعة الأزارقة:

وذلك أن مصعباً كان قد عزل عن ناحية فارس المهلب بن أبي صفرة، وكان قاهراً لهم وولاه الجزيرة، وولى على فارس عمر بن عبيد الله بن معمر، فأثاروا عليه فقاتلهم عمر بن عبيد الله بن معمر، فأثاروا عليه، فقاتلهم عمر بن عبيد الله فقهرهم وكسرهم، وكانوا مع أميرهم الزبير بن الماحوز، ففروا بين يديه إلى إصطخر فاتبهم فقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتلوا ابنه، ثم ظفر بهم مرة أخرى ثم هربوا إلى بلاد أصبهان ونواحيها، فتفوقوا هناك وكثر عُدَّتُهُمْ وَعُدَّتُهُمْ، ثم أقبلوا يريدون البصرة، فمروا ببعض بلاد فارس وتركوا عمر بن عبيد الله بن معمر وراء ظهورهم، فلما سمع مصعب بقدمهم ركب في الناس وجعل يلوم عمر بن عبيد الله بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده إلى البصرة، وقد ركب عمر بن عبيد الله بن معمر في آثارهم، فبلغ الخوارج أن مصعباً أمامهم وعمر بن عبيد الله وراءهم، فعدلوا إلى اللدائن فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويقرون بطون الحبال، ويفعلون أفعالا لم يفعلها غيرهم، فقصدهم نائب الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ومعه أهلها وجعاعات من أشرفائها، فيهم ابن الأشتر وثبت بن ربيعي، فلما وصلوا إليهم عند جسر الصراة قطعه الخوارج بينهم وبين الناس، فأمر الأمير بإعادته فأعيد، ففرت الخوارج هارين بين يديه، فاتبهم عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف فمروا على الكوفة ثم صاروا إلى أرض أصبهان، فانصرف عنهم ولم يقاتلهم، ثم أقبلوا فحاصروا عتاب بن وراقاً شهراً، بمدينة جُبَا، حتى ضيقوا على الناس فقتلوا إليهم فقاتلهم فكشفهم وقتلوا أميرهم الزبير بن الماحوز وغنما ما في معسكرهم، وأثرت الخوارج عليهم قُطْرِي بن النجاعة ثم ساروا إلى بلاد الأهواز، فكتب مصعب بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة - وهو على الموصل - أن يسير إلى قتال الخوارج وكان أبصر الناس بقتالهم، ويعت مكانه إلى الموصل إيرايم بن الأشتر فانصرف المهلب إلى الأهواز فقاتل فيها الخوارج ثمانية أشهر قتالاً لم يسمع بمثله.

قال ابن جرير [١٢٧/٦]: وفي هذه السنة كان القحط الشديد ببلاد الشام بحيث لم يتمكنوا معه من الغزو لضعفهم وقلة طعامهم وميرتهم. قال ابن جرير [١٢٧/٦]: وفيها قتل عبيد الله بن الحر وكان من خبره أنه كان رجلاً شجاعاً تغلب به الأحوال والأيام والأكرام، حتى صار من أمره أنه لا يطاع لأحد من بني أمية ولا لآل الزبير، وكان يمر على عامل الكوفة من العراق وغيره فيأخذ منه جميع ما في بيت ماله من الخواص قهراً ويكتب له براءة ويذهب فينفقه على أصحابه.

وكان الخلفاء والأمراء يعثون إليه الجيوش فيطردوها ويكسرها قُلْتُ أو كثرت، حتى كاع فيه مصعب بن الزبير وعماله ببلاد العراق، ثم إنه وفد على عبد الملك بن مروان فبعثه في عشرة نفر وقال: ادخل الكوفة وأعلمهم أن الجنود تستل إليهم سريماً، فبعث في السر إلى جماعة من إخوانه فظهر على أمره فأعلم أمير الكوفة الحارث بن عبد الله فبعث إليه جيشاً فقتلوه في المكان الذي هو فيه، وحمل رأسه إلى الكوفة، ثم إلى البصرة، واستراح الناس منه.

قال ابن جرير [١٢٨/٦]: وفيها شهد موقف عرفة أربع رايات

وذكر الواقدي أن المختار لم يزل مظهرًا موافقاً لابن الزبير حتى قدم مصعب إلى البصرة في أول سنة سبع وستين وأظهر مخالفته فسار إليه مصعب فقاتله وكان المختار في نحو من عشرين ألفاً، وقد حل عليه المختار مرة فهزمه، ولكن لم يثبت جيش المختار حتى جعلوا ينصرفون إلى مصعب ويذهبون المختار، ويقمون عليه ما هو فيه من الكهانة والكذب، فلما رأى المختار ذلك انصرف إلى قصر الإمارة فحاصره مصعب فيه أربعة أشهر، ثم قتله في ربيع عشر رمضان سنة سبع وستين، وله من العمر سبع وستون سنة فيما قيل.

فصل

ولما استقر مصعب بن الزبير بالكوفة بعث إلى إيرايم بن الأشتر ليقدم عليه، ويعت عبد الملك بن مروان إليه ليقدم عليه، فحار ابن الأشتر في أمره، وشاروا أصحابه إلى إيهما يذهب، ثم اتفق رأيهم على الذهاب إلى بلدهم الكوفة، فقدم ابن الأشتر على مصعب بن الزبير فأكرمه وعظمه واحترمه كثيراً، ويعت مصعب المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وكان قد استخلف على البصرة حين خرج منها عبيد الله بن عبد الله بن معمر، وأقام هو بالكوفة، ثم لم تسلب هذه السنة حتى عزله أخوه عبد الله بن الزبير عن البصرة وولى عليها ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير، وكان شجاعاً جواداً غلظاً يعطي أحياناً حتى لا يدع شيئاً، ويمنع أحياناً ما لم يمنعه مثله، وظهرت خفته وطيشه في عقله، وسرعة في أمره، فبعث الأحنف إلى عبد الله بن الزبير فغزله وأعاد إلى ولايته أخاه مصعباً مضافاً إلى ما بيده من ولاية الكوفة.

قالوا: وخرج حمزة بن عبد الله بن الزبير من البصرة بمال كثير من بيت مالها، فعرض له مالك بن مسعم، فقال: لا ندعك تذهب بأعطياتنا، فضمن له عبيد الله بن عبد الله بن معمر العطاء فكف عنه، فلما انصرف حمزة لم يقدم على أبيه مكة، بل عدل إلى المدينة، فأودع ذلك المال رجلاً فكلهم غل ما أودعه وجهده، سوى رجل من أهل الكتاب، فادى إليه أماته، فلما بلغ أباه ما صنع قال: أبعده الله، أردت أن أباهي به بني مروان فنكص.

وذكر أبو مخنف أن حمزة بن عبد الله بن الزبير ولي البصرة سنة كاملة فألها علم.

قال ابن جرير [١٢٨/٦]: وحج بالناس فيها عبد الله بن الزبير، وكان عامله على الكوفة أخاه مصعباً، وعلى البصرة ابنه حمزة، وقيل بل كان رجع إليها أخوه، وعلى خراسان وتلك البلاد عبد الله بن خازم السلمي من جهة ابن الزبير والله سبحانه أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأبو الجهم، وهو صاحب الأتبانجية المذكورة في الحديث الصحيح [٣٧٣]، [٥٥٩]. وفيها قتل خلق كثير يطول ذكرهم.

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ففيها رد عبد الله أخاه مصعباً إلى إمرة البصرة، فأتاها فأتاه بها، واستخلف على الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي،

ثلاث عشرة سنة.

ثم قال الواقدي: وهذا مالا خلاف فيه بين أهل العلم.

واحتج الواقدي بأنه كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع.

وفي صحيح البخاري [٦٢٩٩] عن ابن عباس قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا غثون، وكانوا لا يختنون الغلام حتى يحلم.

وقال شعبة وهشيم وأبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين غثون. زاد هشيم: وقد جمعت الحكم على عهد رسول الله ﷺ، قلت: وما الحكم؟ قال: المنفصل [سند أحمد: ٢٥٢/١، ٢٨٧، ٣٣٧].

وقال أبو داود الطيالسي [سنه ٢٩٤٠] عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قبض رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة غثون.

وهذا هو الأصح ويؤيده صحة ما ثبت في الصحيحين [٧٦، ٥٠٤م]. ورواه مالك [الموطأ: ١٥٥/١] عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: أقبلت رابعا على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار، فرمرت بين يدي بعض الصف، فزلت وأرسلت الأتان ترتع ودخلت في الصف، فلم ينكر ذلك على أحد.

وثبت عنه في الصحيح [٤٥٨٧] أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، كانت أُمي من النساء وكنت أنا من الودان.

وهاجر مع أبيه قبل الفتح، فاتفق لقيامهما النبي ﷺ بالحفظة، وهو ذاهب لفتح مكة، فشهد الفتح وحنينا والطائف عام ثمان، وقيل: كان في سنة تسع وحجة الوداع ستة عشر، وصحب النبي ﷺ من حيث ذلزمه، وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال، وأخذ عن الصحابة علما عظيما مع الفهم الثاقب، والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحاة، والأصالة والبيان، ودعا له رسول الرحمن ﷺ، وذلك كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان عند الأئمة الحفاظ المرضيين، أن رسول الله ﷺ دعا له بأن يعلمه الله التأويل، وأن يفقهه في الدين.

وقال الزبير بن بكار: حدثني ساعلة بن عبيد الله المزني عن داود بن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه قال: إن عمر كان يدعو عبد الله بن عباس فيقره ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دهاك يوما فمسح رأسك وتقل في فيك وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».

وبه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك فيه وانشر منه».

وقال حماد بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: بت في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا، فقال: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» قالوا: عبد الله بن عباس، فقال: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين». وقد رواه غير واحد عن ابن خثيم [سند أحمد: ٢٩٦/١، ٣١٤].

وقال الإمام أحمد [٣٣٠/١]: حدثنا عبد الله بن بكر حدثنا حاتم بن أبي صفيرة أبو يونس عن عمرو بن دينار أن كريبا أخبره أن ابن عباس قال: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فآخذ بيدي فجزني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلواته خست فصلي رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي: «ما شأنك أجملك جزاني فتخيس؟» فقلت: يا رسول الله أوبني لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل؟ قال: فأعجبته. فدعا الله لي أن يزيدني علما

مبتائة، كل واحدة منها لا تأتم بالأخرى الواحدة لحمد بن الحنفية في أصحابه، والثانية لتجلة الحروري وأصحابه، والثالثة لبي أمية، والرابعة لعبد الله بن الزبير، وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية، ثم نجدة، ثم بنو أمية، ثم دفع ابن الزبير فدفع الناس معه، وكان عبد الله بن عمر فيمن انتظر دفع ابن الزبير، ولكنه تأخر دفعه، فقال ابن عمر: أشبه بتأخيره دفع الجاهلية، فدفع ابن عمر فدفع ابن الزبير، ونحازر الناس في هذا العام فلم يكن بينهم قتال، وكان على نيابة المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب، وعلى ملك الشام ومصر عبد الملك بن مروان، والله أعلم.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ عبد الله بن يزيد الأوسي، شهد الحليفة.

■ عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث.

■ عبد الرحمن بن زيد بن الخطاطب العدوي، ابن أخي عمر بن الخطاب، أدرك النبي ﷺ، وتوفي بالمدينة عن نحو سبعين سنة.

■ عبدالرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري.

■ عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن أمية القيس. صحابي جليل، سكن الكوفة ثم سكن قرقيساء.

■ زيد بن أرقم بن زيد صحابي جليل.

وفيهما توفي:

■ عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وابن عم رسول الملك الديان:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، حبر هذه الأمة، ومفسر كتاب الله وترجمته، كان يقال له الحبر والبحر.

وروى عن رسول الله ﷺ شيئا كثيرا، وعن جماعة من الصحابة، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين، وله مفرقات ليست لغيره من الصحابة لاسماع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله، رضي الله عنه وأرضاه.

وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، وهو أحد إخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس، وهو آخرهم مولدا، وقد مات كل واحد منهم في بلد بعيد من الآخر جدا كما سيأتي ذلك.

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله ﷺ في الشعب جاء أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: «لعل الله أن يبرأ أعينكم». قال: فأتى بي رسول الله ﷺ وأنا في خرقه فتحكي بريقه. قال مجاهد: فلا تعلم أحدا حثك رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه غيره.

وفي رواية أخرى فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبيض وجوهنا بسلام». فولدت عبد الله بن عباس.

وعن عمرو بن دينار قال: ولد ابن عباس عام الهجرة.

وروى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال: ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين، ونحن في الشعب، وتوفي رسول الله ﷺ وأنا ابن

ذكر صفة أخرى لرؤيته جبريل:

رواهما قتية عن الدراوردي عن ثور بن زيد عن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله في حاجة إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من أجل مكان ذلك الرجل، فلقي العباس رسول الله ﷺ بعد ذلك فقال العباس: أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلاً فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمّ تلدري من ذلك الرجل؟» قال: لا قال: «ذاك جبريل، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علماً».

ورواه سليمان بن بلال عن ثور بن زيد كذلك. وله طريق أخرى. وقد ورد في فضائل ابن عباس أحاديث كثيرة منها ما هو منكر جداً أضربنا عن كثير منها صفحا، وذكرنا ما فيه منقح وكفاية عما سواه. وقال أبو بكر البيهقي: أنبأ أبو عبد الله الحافظ أنبأ عبد الله بن الحسن القاضي بمرود حدثنا الحارث بن محمد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا جبريل بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسال أصحاب رسول الله ﷺ فيهم اليوم كثير، فقال: يا عجايبك يا ابن عباس! أترى الناس يقتضرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل يأتي بابه وهو قائل فاتوسد رثائي على بابه يسفي الريح عليّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فتأنيك؟ فاقول: لا أنا أحق أن أتيتك، قال: فأسأله عن الحديث، قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رأيته وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني».

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة حدثنا أبو سلمة عن ابن عباس قال: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقبل بباب أحدهم، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن، ولكن أبغني بذلك طيب نفسه.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٣٧١/٢]: أنبأ محمد بن عمر حدثني قدامة بن موسى عن أبي سلمة الحضرمي قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت أزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا أتبي أحداً منهم إلا سر يأتيني، لقربي من رسول الله ﷺ فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً - وكان من الراسخين في العلم - عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل سبع وعشرون سورة وسأثرها مكّي.

وقال أحمد: عن عبد الرزاق عن معمر قال: عامة علم ابن عباس من ثلاثة: من عمر وعلي وأبي بن كعب.

وقال طائوس عن ابن عباس أنه قال: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال مغيرة عن الشعبي قال: قيل لابن عباس: أتى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤل، وقلب عقول.

وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان إذا أتبل يقول عمر: جاء قتي الكهول، وذو اللسان السؤل، والقلب العقول.

وثبت في الصحيح [ص: ٤٩٧٠] أن عمر سأل الصحابة عن تفسير إذا

وفهما، قال: ثم رأيت رسول الله ﷺ نام حتى سمعته يفتح، ثم أتاه بلال فقال: يا رسول الله الصلاة، فقام فصلى ما أعاد وضوءاً.

وقال الإمام أحمد [٣٧٧/١] وغيره [ص: ١٤٣]: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ورقاء سمعت عبيد الله بن أبي يزيد يحدث عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ الخلافة فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: «من وضع ذاً؟» قيل: ابن عباس، فقال: «اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل».

وقال الثوري وغيره عن ليث عن أبي جهضم موسى بن سالم عن ابن عباس أنه رأى جبريل وأن رسول الله ﷺ دعا له بالحكمة، وفي روايه بالعلم، مرتين [ص: ٣٨٢٢].

وقال الدارقطني: حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي وآخرون قالوا: حدثنا العباس بن محمد حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا أبو مالك النخعي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: «رأيت جبريل مرتين، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين». ثم قال: غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عكرمة.

تفرد به عنه أبو مالك النخعي عبد الملك بن حسين.

وقال الإمام أحمد [٢١٤/١]: حدثنا هشيم عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس. قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الحكمة».

ورواه أحمد [٣٥٩/١] أيضاً عن إسماعيل بن عليّ عن خالد الحذاء عن عكرمة عنه قال: ضمني إليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الكتاب».

وقد رواه البخاري [٧٥] والترمذي [٣٨٢٤] والنسائي [كبرى (٨١٧٩)] وابن ماجه [١٦٦] من حديث خالد وهو ابن مهران الحذاء عن عكرمة عنه به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الإمام أحمد [٢٩٩/١]: حدثنا أبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال حدثنا حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس. أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل». تفرد به أحمد. وقد روى هذا الحديث غير واحد عن عكرمة بنحو هذا.

ومهم من أرسله عن عكرمة، والمصل هو الصحيح، فقد رواه غير واحد من التابعين عن ابن عباس. وروى من طريق أسير المؤمنين المهدي عن أبيه عن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم علمه الكتاب وفقّه في الدين».

وقال الإمام أحمد [٣١٢/١]: حدثنا أبو كامل وعفان المعنى قالوا: ثنا حماد ثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس. قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل يتأجبه، قال عفان: وهو كالمعرض عن العباس، فخرجنا من عنده فقال العباس: ألم تر لي ابن عمك كالمعرض عني؟ فقلت: إنه كان عنده رجل يتأجبه، قال عفان: قال: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم، قال: فرجع إليه فقال: يا رسول الله هل كان عندك أحد؟ فإن عبد الله أخبرني أنه كان عندك رجل يتأجبه، قال: «هل رأيته يا عبد الله؟» قال: نعم فقال «ذاك جبريل عليه السلام».

وقد روي من حديث المهدي عن أبيه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له: «أما أنتك مستصابٌ في بصرِكَ». فكان كذلك، وقد روي من وجه آخر أيضاً والله أعلم.

عن عكرمة أن علياً حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ» وكنت قاتلهم لقرول رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ». فبلغ ذلك علياً فقال: ويح ابن عباس، وفي رواية ويح ابن عباس إنه لنواص على الهنات.

وقد كافأه علي فإن ابن عباس كان يرى إباحة المتعة، وأنها باقية، وتحليل الحمر الإنسية، فقال علي: إنك امرؤ تائه، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الإنسية يوم خيبر. وهذا الحديث يخرج في الصحيحين (٤٢١٩)، (١٤٠٧) وغيرهما، وله الفاظ هذا من أحسنها والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال البيهقي: أنبا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا بكر بن المؤمل يقول: سمعت أبا نصر بن أبي ربيعة يقول: ورد صمصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب من البصرة فسأله عن ابن عباس - وكان علي خلافة بها - فقال صمصعة: يا أمير المؤمنين، إنه أخذ بثلاث وتارك لثلاث، أخذ بقلوب الرجال إذا حدث، وبخمس الاستماع إذا حدث ويأمر الأمريين إذا خولف، وترك المراء ومقارنة اللثيم، وما يعتنر منه.

وقال الواقدي: ثنا أبو بكر بن أبي سيرة عن موسى بن سعد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. قال: ماريت أحداً أحضر فهماً ولا البُ كُباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حِلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعو للمعضلات ثم يقول: عنك قد جادتكم معضلة. ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار.

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عثره منا أحد. وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وعن ابن عمر أنه قال: ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ٣٧٧/٢): حدثنا محمد بن عمر حدثني يحيى بن العلاء عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول حين بلغه موت ابن عباس وصُفِّى بإحدى يديه على الأخرى: مات اليوم أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

وبه إلى يحيى بن العلاء عن عمر بن عبد الله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: قال: لما مات ابن عباس قال رافع ابن خلتيج: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم.

قال الواقدي: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة عن عمرو بن أبي عمرو: عن عكرمة قال: سمعت معاوية يقول: ومولاه والله الله من مات ومن عاش.

وروى ابن عساکر تاريخ دمشق: [٢٨٨، ٢٨٧/٢٩] عن ابن عباس قال: دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو، فإذا عنده أناس فقال: مرحباً يا ابن عباس، ما تحاكمت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز علي بعداً ولا أحب إلى قرباً، الحمد لله الذي أمات علياً، فقلت له: إن الله لا يذم في قضاة، وغير هذا الحديث أحسن منه، ثم قلت له: أحب أن تعفيني من ابن عمي وأقربك من ابن عمك، قال: ذلك لك.

وقالت عائشة وأم سلمة حين حج ابن عباس بالناس: هو أعلم الناس بالناسك.

جاء نصر الله والفتح ﴿سورة النصر: ١﴾ فسكت بعض وأجاب بعض بجواب لم يرتضه عمر، ثم سأل ابن عباس عنها فقال: أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، فقال: لا أعلم منها إلا ما تعلم.

ولراد عمر بذلك أن يقرر عندهم جلالة قدره، وكبير منزلته في العلم والقيم.

وسأله مرة عن ليلة القدر فاستبطن أنها في السابعة من العشر الأخير فاستحسنه عمر واستجاده كما ذكرنا في التفسير.

وقد قال الحسن بن عرفة: حدثنا يحيى بن اليمان عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال: قال عمر لابن عباس: لقد علمت علماً ما علمنا.

وقال الأوزاعي: قال عمر لابن عباس: إنك لأصبح فتيتاً وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفهم في كتاب الله عز وجل.

وقال جالند عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: إن عمر يذنبك ويهلكك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً، لا تشين له سرراً، ولا تتناهن عنده أحمداً، ولا يجرين عليك كذباً. قال الشعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، فقال ابن عباس: بل كل واحدة خير من عشرة آلاف.

وقال الواقدي: حدثنا عبد الله بن الفضل بن أبي عبد الله عن أبيه عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيشير مع أهل بدر، وكان يقني في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات.

قلت: وشهد فتح إفريقية سنة سبع وعشرين مع ابن أبي سرح.

وقال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه قال: نظر أبي إلى ابن عباس يوم الحمل مشي بين الصفتين، فقال: أقر الله عين من له ابن عم مثل هذا.

وقد شهد مع علي أيضاً صفين وكان أميراً على الميسرة، وشهد معه قتال الخوارج وكان ممن أشار على علي أن يستتيب معاوية على الشام، وأن لا يعزله عنها في بادئ الأمر، حتى قال له فيما قال: إن أحببت عزله فوله شهراً وأعزله دهرأ. فأبى عليه علي إلا أن يقاتله، فكان ما كان ما قد سبق بيانه. ولما تراءوس الفريقان على تحكيم الحكمين طلب ابن عباس أن يكون من جهة علي ليكافئ عمرو بن العاص، فامتنعت مذحج وأهل اليمن إلا أن يكون من جهة علي أبو موسى الأشعري، فكان من أمر الحكمين ماسلف.

وقد استتابه علي على البصرة، وأقام للناس الحج في بعض السنين فخطب بهم في عرفات خطبة وفسر فيها سورة البقرة، وفي رواية سورة النور، قال من سمعه: فسر ذلك تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا.

وهو أول من عرف بالناس في البصرة، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ويجمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب، ثم يترى فصلي بهم المغرب. وقد اختلف العلماء بعده في ذلك، فمنهم من كره ذلك وقال: هو بدعة لم يعملها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس، ومنهم من استحسب ذلك لأجل ذكر الله ومواقفة الحاجاج.

وقد كان ابن عباس يتتقد على علي في بعض أحكامه فيرجع إليه علي في ذلك، كما:

قال الإمام أحمد (٢١٧/١، ٢٨٢، ٢٨٣): حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب

فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً، وكان مثجاً: قال ابن قتيبة مثجاً من الشج وهو السيلان، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (آل عمران: ١٤) وقيل: كثيراً بسرعة.

وقال يونس بن بكير: حدثنا أبو حزة الشمالي عن أبي صالح: قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قریش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابي حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم، فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: أخرج قل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فأدبتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سأله عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سأله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: أخرج قل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، قال: فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم فخرجوا، ثم قال أخرج: قل: من أراد أن يسأل عن الفرائض والمأثبات، فليدخل، فخرجت فأدبتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سأله عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا، ثم قال: أخرج قل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، قال أبو صالح: فلو أن قریشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

وقال طائوس وميمون بن مهران: مارينا أروع من ابن عمر ولا أفعه من ابن عباس.

قال ميمون: وكان ابن عباس أفتهم.

وقال شريك القاضي عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

وقال يعقوب بن سفيان (العرفه والاصحاح: ٤٩٥/١) حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحرث عن عكرمة قال: كان ابن عباس أعلمهما بالقرآن، وكان علي أعلمهما بالمجاهدة.

وقال إسحاق بن راهويه: إنما كان كذلك لأن ابن عباس كان قد أخذ ما عند علي من التفسير، وضم إلى ذلك ما أخذه عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي بن كعب وغيرهم من كبار الصحابة. مع دعاء رسول الله ﷺ له أن يعلمه الله الكتاب.

وقال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأها ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل أن ابن عباس حج بالناس عام قتل عثمان فقرأ سورة التور ففسرها. وذكر نحو ما تقدم. فلعل الأول كان في زمان علي فقرأ في تلك الحجة سورة البقرة، وفي فتنة عثمان سورة التور، والله أعلم.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين من أوله إلى آخره،

وقال ابن المبارك عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس يركابه فقال: لا تغل يا ابن عم رسول الله ﷺ، قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلماتنا فقال له زيد: أرنى يدك؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

وقال الواقدي: حدثني داود بن سمعت ابن المسيب يقول: ابن عباس أعلم الناس.

وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: قال: كان ابن عباس قد فات الناس بمخالف. يعلم ما سبقه، وفقه فيما احتج إليه من رايه، وحلم ونسب ونائل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا يقضاه أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفعه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم فيما مضى ولا أثبت رايها فيما احتج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل، ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلاً قط سأل إلا وجد عند علما. قال: وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً.

وقال هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت مثل ابن عباس قط.

وقال عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً، ولا أعظم هيئة، أصحاب القرآن يسألونه، وأصحاب العربية يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، فكلهم يصدر في واد واسع.

وقال الواقدي: حدثني بشر بن أبي سليم عن ابن طائوس عن أبيه. قال: كان ابن عباس قد تيسر على الناس في العلم كما تيسر النخلة المسحوق على الرودي الصغار.

وقال ليث بن أبي سليم قلت لطائوس: لم لزم هذا الغلام؟ - يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من الصحابة؟ فقال: إنني رأيت سبعين من الصحابة إذا تدارؤوا في شيء صاروا إلى قوله.

وقال طائوس أيضاً: ما رأيت أفعه منه، قال: وما مخالفه أحد قط فتركه حتى يقرره.

وقال علي بن المنيني ويحيى بن معين وأبو نعيم وغيرهم عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما رأيت مثله قط، ولقد مات يوم مات وإله خبر هذه الأمة - يعني ابن عباس.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي أسامة عن الأعمش عن مجاهد. قال: كان ابن عباس يسمي البحر لكثرة علمه.

وروى الواقدي والزبير بن بكار عن مجاهد أنه كان قال: كان ابن عباس أمدم قامه، وأعظمهم جفنة، وأوسعهم علماً.

وقال عمرو بن دينار: قال: ما رأيت مجلساً قط أجمع لكل خير من مجلس عباس الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام.

وقال محمد بن سعد: حدثنا عفان بن مسلم حدثنا سليم بن أخضر عن سليمان التيمي قال: أنبأني من أرسله الحكم بن أيوب - إلى الحسن سأل: من أول من جمع بالناس في هذا المسجد يوم عرفة؟ قال: إن أول من جمع ابن عباس، وكان رجلاً مثجاً - أحسب في الحديث - كثير العلم، وكان يصعد المنبر فيقرأ سورة البقرة ويفسرها آية آية.

وقد روي من وجه آخر عن الحسن البصري نحوه.

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسن قال: كان ابن عباس أول من عرف بالهجرة، صعد المنبر

أقرب عند كل آية فأسأل عنها.

وروي عنه أنه قال: أربع من القرآن لا أدري ما هي: الأواه، والحسان، والرقيم، والفلسين. وكل القرآن أعلمه إلا هذه الأربع.

وقال ابن وهب وغيره عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد. قال: كان ابن عباس إذا سئل عن مسألة فإن كانت في كتاب الله قال بها، وإن لم تكن وهي في السنة قال بها، فإن لم يقلها رسول الله ﷺ ووجدتها عن أبي بكر وعمر قال بها، وإلا اجتهد رأيته.

وقال يعقوب بن سفيان في معرفة النسخ: [٥٢٦/١]: حدثنا أبو عاصم وعبد الرحمن بن حماد الشعبي عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن يريدة. قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال، إني لأتني على الآية من كتاب الله فلأؤذنت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم فافرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً وإني لأسمع بالثبث يصيب الأرض من أرض المسلمين فافرح به وما لي بها من سائمة أبداً.

ورواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن يزيد بن هارون عن كهمس به.

وقال الواقدي: سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: كانت السماء رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تثبت فتفتق هذه بالمطر وهذه بالثبات.

وقال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن، يقرأ حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من الشج والنحيب ويقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيذًا [رق: ١٩]

وقال الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن شعيب بن درهم قال: كان في هذا المكان - وأوما إلى مجرى الدعوى من خثيئة - من خدي ابن عباس - مثل الشراك البالي من البكاء.

وقال غيره: كان يصوم يوم الاثنين والخميس، وقال: أحب أن يرتفع علمي وأنا صائم.

وروي هشيم وغيره عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام إلى الله عز وجل. ومن أكرم العباد على الله عز وجل، ومن أكرم الإمام على الله عز وجل، وعن أربعة فيهم الروح لم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن مكان في الأرض لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة، وعن قوس فزح ماهو؟ وعن الحجر. فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن فكتب ابن عباس إليه: أما أحب الكلام إلى الله فنبهان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. وأكرم العباد على الله آدم، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأكرم الإمام على الله مريم بنت عمران. وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم فأدم وحوا وعصا موسى، وكبش لإبراهيم الذي فدئ به إسماعيل، وفي رواية: وناقصة صالح، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس. وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر الذي اتفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه، وأما قوس قزح فإمان لأهل الأرض من الغرق، والحجرة باب السماء. وفي رواية الذي تنشق منه، فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال: والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله، وإنما هي من عند أهل النبي ﷺ.

وقد ورد في هذه الأسئلة روايات كثيرة وزيادات كثيرة فيها وفي بعضها نظر؛ أنه سأله عن من لا تجل له، وعن من لا عشيرة له، وعن من لا أب له، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء وأرسل قارورة فقال ابعت لي في هذه. يبرز كل شيء، فكتب إليه: أما الذي لا قبل له فآله عز وجل وأما من لا عشيرة له فأدم عليه السلام، وأما من لا أب له فعيسى عليه السلام، وأما عن شيء فهو العاقل يعمل بعقله وأما نصف شيء فالذي له عقل ويعمل برأي غيره، وأما لاشيء فالذي لا عقل له ولا يعمل بعقل غيره. وملاً القارورة ماء وقال: هذا بزر كل شيء. فأعجب ذلك ملك الروم جداً. فآله أعلم.

فصل:

تولى ابن عباس إمامة الحج سنة خمس وثلاثين يأمر عثمان بن عفان له وهو محصور، وفي غيبته هذه قتل عثمان، وحضر مع علي الجمل، وكان على المسيرة يوم صفين، وشهد قتال الخوارج وتأمر على البصرة من جهة علي، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة، وزياد بن أبي سفيان على الخراج، وكان أهل البصرة مغبوطين به، يفقههم ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات علي، ويقال: إن علياً عزله عنها قبل موته، ثم وفد على معاوية. فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه، وكان يلقي عليه المسائل المعضلة فيجيب عنها سريعاً، فكان معاوية يقول: ما رأيت أحداً أحضر جواباً من ابن عباس.

ولما جاء الكتاب بموت الحسن بن علي اتفق كون ابن عباس عند معاوية فعزاه فيه بأحسن تعزية، ورد عليه ابن عباس رداً حسناً كما قدمنا، وبعث معاوية ابنه يزيد فجلس بين يدي ابن عباس فعزاه فيه بعبارة فصحة بلغة وجيزة، شكره عليها ابن عباس، وقد تقدم ذلك أيضاً.

ولما مات معاوية ودام الحسين بن علي الخروج إلى العراق نهاه ابن عباس أشد النهي، ولامه على عزمه ذلك أكد اللوم وأراد ابن عباس أن يتعلق بشباب الحسين، لأن ابن عباس كان قد أضمر في آخر عمره - فلم يقبل منه، فلما بلغه عزمه حزن عليه حزناً شديداً ولزم بيته، وكان يقول: يا لسان قل خيراً نتمن، واسكت عن شر تسلم، فإنك إن لا تفعل تندم.

وجاء إليه رجل يقال له جندب فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن كل خير آتبه أنت بعد ذلك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جندب إنك لن تردد من يومك إلا قريباً، فصل صلاة مودع. وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنيك من أهل القبور، وإياك على ذنبك وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شمع نملك، وكان قد فارتقتها وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلقت، ولن يشعلك إلا عملك.

وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل النهم، قال: لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً، ولا تمار سفياً ولا حليماً فإن الخليم يغلبك والسفيه يزدريك، ولا تذكر أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام. فقال رجل عنه: يا ابن عباس! هذا خير من عشرة آلاف. فقال ابن عباس: كلمة منه خير من عشرة آلاف.

قال ابن عباس: تمام المصروف تمجيده وتصغيره وسره - يعني أن تعجل العطية للمعطى، وأن تصغر في عين المعطي - وإن استترها عن

وكان عمره يوم مات ثنتين وسبعين سنة، وقيل إحدى وسبعين، وقيل أربع وسبعين، والأول أصح والله أعلم.

صفة ابن عباس رضي الله عنه:

كان جسيماً إذا جلس يأخذ مكان رجلين، جميلاً له وفرة. قد شاب مقدم رأسه، وشابت لحيته، وكان يخضب بالحناء وقيل بالسواد، حسن الوجه يلبس حسناً ويكثر من التطيب بحيث إنه كان إذا مر في الطريق تقول النساء: هذا ابن عباس أو رجل معه مسك وكان وسيماً أبيض طويلاً، صيحياً، فصيحاً ولما عمي اعترى لونه صفرة يسيرة. وقد كان بنو العباس عشرة، وهم الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن، وكثير، والحارث، وعون، وقثم. وكان أصغرهم قثم، ولهذا كان العباس يجعله ويقول.

تَعُوا بِقَثمَ فَصَارُوا عَشْرَهُ يا رب فاجعلهم كزاسا بَرَزَهُ واجعلهم ذَكَراً وَأُمَّ الثُّمَرَهُ

فاما الفضل فمات بأجنادين شهيداً، وعبد الله بالطائف، وعبيد الله باليمن، ومعبد وعبد الرحمن بأفريقية، وقثم وكثير يبيع، وقيل: إن قَثمَ مات بسمرقند.

وقد قال مسلم بن قساذين المكي مولى بني غزوم: ما رأيت مثل بني أم واحدة أشرف ولدوا في دار واحدة أبعد قبوراً من بني أم الفضل. ثم ذكر مواضع قبورهم كما تقدم، إلا أنه قال: الفضل مات بالمدينة، وعبيد الله بالشام.

وقد كان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم، وكان له من الولد العباس وعلي، ويدعى السجاد لكثرة صلاته، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض، وقد قيل: إنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة، وقيل: في الليل والنهار مع الجمال التام. وعلى هذا فهو أبو الخلفاء العباسيين، ففي ولده كانت الخلافة العباسية كما سيأتي، وكان لابن عباس أيضاً محمد والفضل وعبد الله، ولُبابة وأُمهم زُرعة بنت مسرح بن معدى كرب، وله أسماء وهي لأم ولد، وكان له من الموالى عكرمة وكريب وأبو معبد وشعبة ودقيق وأبو عمرة وأبو عبيد، ومقسم.

وقد أسند ألفاً وستمائة وسبعين حديثاً. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفيها توفي:

■ أبو شريح الخزاعي العدوي الكعبي، اختلف في اسمه على أقوال أصحها خويلد بن عمرو، أسلم عام الفتح، وكان معه أحد ألوية بني كعب الثلاثة.

قال محمد بن سعد: مات في هذه السنة وله أحاديث.

■ أبو واقد الليثي صحابي جليل مختلف في اسمه وفي شهوده بدرأ.

قال الواقدي: توفي سنة ثمان وستين عن خمس وستين سنة، وكذا قال غير واحد في تاريخ وفاته، وزعم بعضهم أنه عاش سبعين سنة، وكانت وفاته بمكة بعد ما جاوز بها سنة ودفن في مقابر المهاجرين والله أعلم.

■ حميد بن ثور الهلالي الشاعر المشهور، قال الشهر في أيام عصر، وهو من فحول الشعراء.

الناس فلا تظهرها! فإن في إظهارها فتح باب الرياء وكسر قلب المعطي، واستحياءه من الناس.

وقال ابن عباس: أعر الناس علي جليسي لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت.

وقال أيضاً: لا يكافئ من أثناني يطلب حاجة فرأني لها موضعاً إلا الله عز وجل، وكذا رجل بدائي بالسلام أو أوسع لي في مجلس أو قام لي عن المجلس، أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ، ورجل حفظني بظهر الغيب. والمتأثر عنه من هذه المكارم كثير جداً وفيما ذكرنا إشارة إلى ما لم نذكره.

وقد عده الميثم بن عدي في العميان من الأشراف، وفي بعض الأحاديث الواردة عنه ما يدل على ذلك، وقد أصيب إحدى عينيه فنحل جسمه، فلما أصيب الأخرى عاد إليه لحمه، فقيل له في ذلك فقال: أصابني ما رأيتم في الأولى شفقة على الأخرى، فلما ذهبتا إطمأن قلبي.

وقال أبو القاسم البغوي: ثنا علي بن الجعد حدثنا شريك عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس أنه وقع في عينيه الماء فقيل له: نزع من عينك الماء على أنك أن لا تصلي سبعة أيام. فقال: لا! إنه من ترك الصلاة وهو يقدر عليها لقي الله وهو عليه غضبان، وفي رواية أنه قيل له: نزل هذا الماء من عينك على أن تبقى خمسة أيام ولا تصلي إلا على عود، وفي رواية إلا مستلقياً، فقال: لا والله ولا ركعة واحدة، إنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله وهو عليه غضبان.

وقد أنشد المثنائي لابن عباس حين عمي:

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهُمَا ففِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نَوْرٌ قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ نَبِي دَخَلِي وفي فمسي صارم كالسيف سائور

ولما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد بن الحنفية الناس فدعاهما ابن الزبير ليايأه فأبيا عليه، وقال كل منهما: لا نبايعك ولا نخالفك. فهم بهما فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة فاستجد لهما من بالعراق من شيعتهما. فقدم أربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة، وهما بابن الزبير فانطلق ابن الزبير هارباً وتعلت باستار الكعبة، وقال: أنا عائد بالله، فكفوفهم عنه، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حل ابن الزبير حول دورهم الحطاب ليخرجهم، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف، وأقام ابن عباس ستين لم يبايع أحداً كما تقدم.

فلما كان في سنة ثمان وستين توفي ابن عباس بالطائف، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: مات اليوم حبر هذه الأمة. فلما وضعوه ليدخلوه في قبره جاء طائر أبيض لم ير مثل خلقته، فدخل في أكفانه والتفت فيها حتى دفن معه.

قال عفان: فكانوا يروونه علمه، فلما وضع في اللحد تلا تال لا يعرف من هو - وفي رواية: أنهم سمعوا من قبره ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطَهَّاتَةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفتح: ٢٨] هذا القول في وفاته هو الذي صححه غير واحد من الأئمة، ونص عليه أحمد بن حنبل والوافدي وابن عساکر، وهو المشهور عند الحفاظ.

وقيل: إنه توفي سنة ثلاث وستين، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقيل سنة سبع وستين، وقيل سنة سبع وستين، وقيل سنة سبعين، والأول أصح، وهذه الأقوال كلها شاذة غريبة مردودة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وستين

ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصداً قريشياً ليحاصر زفر بن الحارث الكلبي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قاتلوه بمعين وردة. ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك، فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق، فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل: بل كان مع عبد الملك ولكنه اغتدل عنه في طائفة من الجيش وكر راجعا إلى دمشق في الليل ومعه حيد بن حريث ابن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي، فأتوها إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائبا من جهة عبد الملك بن مروان، فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن، وخطب الناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل. ولا علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعا من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها الستائر والمسرح، وانحاز الأشدق إلى حصن رومي متبع كان بدمشق فتزله، فحاصره عبد الملك وقتلته عمرو بن سعيد الأشدق مدة ستة عشر يوما، وراسله عبد الملك وقال له: أتشك الله والرحم أن تغدأ أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة، وأن فيما صنعت قوة لابن الزبير فارجع إلى بيتك ولك علي عهد الله وميثاقه، وحلف له بالأمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدي، وكتب بينهما كتابا، فالتفت له عمرو، وفتح أبواب دمشق ثم اصطالحا على ترك القتال، وعلى أن يكون ولي العهد من بعد عبد الملك، وعلى أن يكون مع كل عامل لعبد الملك عامل له، وكتب بينهما كتاب أمان، وذلك عشية الخميس.

ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الإمارة على عادته، وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له: رد على الناس أعطياتهم التي أخذتها لهم من بيت المال، فبعث إليه عمرو يقول له: إن هذا ليس إليك، وليس هذا البلد لك فاخرج منه. فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالإتيان إلى منزله بدار الإمارة المحضراء، فلما جاءه الرسول صافد عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت عمرو بن سعيد، فاستشاره عمرو في الذهاب إلى عبد الملك فقال له: يا أبا سعيد والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري، وأرى أن لا نأتيه، فإن تبيعا الحميري ابن امرأة كعب الأحبار قال: إن عظيما من عظماء بني إسماعيل يعلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل. فقال عمرو: والله لو كنت نائما ما تخوفت أن يبهني ابن الزرقاء، وما كان ليحترق على ذلك مني، مع أن عثمان بن عفان أثنى البارحة في المنام فالبستي قميصه، وقال عمرو بن سعيد للرسول: أبلغه السلام وقل له: أنا راضع إليك العشي إن شاء الله.

فلما كان العشي - يعني بعد الظهر - لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سفيه ونهض فغثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره: إنا نرى أن لا تأتيه، فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواليه، وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده، فلما انتهى عمرو إلى الباب أسر عبد الملك أن يدخل وأن يجلس من معه عند كل باب طائفة منهم، فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذي فيه عبد الملك، ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف واحد، فرمى يصيره فإذا بنو مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند

عبد الملك، فأحس بالشر فالتفت إلى وصيفه فقال له هسأ: ويلك اطلق إلى أخي يحيى بن سعيد فقل له فليأتي، فلم يفهم عنه وقال له: ليك، فأعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضاً وقال: ليك، فقال: ويلك أغرب عني في حرق الله وناره، وكان عند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل، وقيصة بن ذؤيب، فأذن لهما عبد الملك بالاتصاف، فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فحرب به وأجلسه معه على السرير، ثم جعل يحذره طويلا، ثم إن عبد الملك قال: يا غلام خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: أو تطمع أن تتحدث معي متقلدا سيفك؟ فأخذ الغلام السيف عنه، ثم تحدثا ساعة، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، قال: ليك يا أمير المؤمنين، قال: إنك حيث خلعتني أليت يبعثني إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة، فقالت بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين، قال: ثم أطلقه، وما عسيت أن أفعل بأبي أمية، فقال بنو مروان: أبر قسم أمير المؤمنين، فقال عمرو: فأبر قسمك يا أمير المؤمنين. فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحتها إليه ثم قال: يا غلام قم فاجمع فيها، فقام الغلام فجمعها فيها، فقال عمرو: أدرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: أمكراً يا أبا أمية عند الموت؟ لأهأ الله إذا ما كنا لتخرجك في جامعة على رؤوس الناس ولا تغرجه منك إلا صعداً، ثم اجتنبه اجتباة أصاب فمه السرير ففكر شئته، فقال عمرو: أدرك الله يا أمير المؤمنين يا أن يدعوك كسر عظمي إلى ما هو أعظم من ذلك، فقال عبد الملك: والله لو أعلم أنك إذا بقيت تني لي وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلا ن قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه.

وفي رواية أنه قال له: أما علمت يا عمرو أنه لا يجتمع فحلان في سؤل؟ فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له: أصدراً يا ابن الزرقاء؟ وبينما هما كذلك إذ أذن للعصر، فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة، وأمر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله، وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو: أدرك الله والرحم أن لا تلي ذلك مني، وليتول ذلك غيرك، فكف عنه عبد العزيز بن مروان.

ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أوجف الناس بهمرو، فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمر بن سعيد وأناس معهم كثير، وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الإمارة، وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الإمارة ويقولون: أسمعننا صوتك يا أبا أمية، وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه، فادخله إبراهيم بن عربي صاحب الدنوان بيتاً، وأحضره فيه، ووقعت خطة عظيمة في المسجد وضجت الأصوات، ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه، ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك - فقال: إنه ناشدني الله والرحم، وكان ابن عمه عبد الملك بن مروان، ثم إن عبد الملك قال: يا غلام أتني بالحرية، فأتاه بها فهزها وضربه بها فلم تغن شيئاً، ثم شئ فلم تغن شيئاً، ففرض يده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال: وداع أيضاً؟ إن كنت لمعداً، يا غلام أتني بالصمصامة، فأتاه بسيفه ثم أسر بهمرو فصرع ثم جلس علي صدره فدفعه وهو يقول: -

يا عمرو إن لا تدع شتحي ومتقصي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني قالوا: وانتفض عبد الملك بعد ما دحجه كما تنفض القصبه برعدة شليلة جدلاً، وبجث إتهم ما دفعوه عن صدره إلا محمولا، فوضعوه طالب

وَجَدْتُ ابْنَ مِرْوَانَ لَا تَبْتَئُ نَفْسَهُ شَدِيداً ضَرِيرَ الْبَاسِ غَيْرَ بَلِيدٍ
هو ابن أبي العاصي لمروان يتحى إلى أسرة طابت له وجُود
وكان الواقدي يقول: أما حصار عبد الملك لعمرو بن سعيد الأشدق
فكان في سنة تسع وستين، رجع إليه من بطنان فحاصره بدمشق وأما قتله
إياه فكان في سنة سبعين والله أعلم.

وهذه ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق

هو

■ عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أمية القروشي
الأموي، المعروف بالأشدق، يقال: إنه رأى النبي ﷺ وروي عنه أنه قال:
«فما نحل والد ولداً أحسن من أدب حسن» (١٩٥٢) وروى
وحديثاً آخر في العتق (مصنف عبد الرزاق (١٩٧٠٥)).

وروى عن عمر وعثمان وعلي وعائشة، وحدث عنه بنوه أمية وسعيد
وموسى وغيرهم، واستتابه معاوية على المدينة، وكذلك يزيد بن معاوية بعد
إيئه كما تقدم.

وكان من سادات المسلمين، ومن الكرماء المشهورين، يعطي الكثير،
ويتحمل العظام، وكان وصي أبيه من بين بنيه، وكان أبوه كما قدمنا من
المشاهير الكرماء، والسادة النجباء.

قال عمرو: ما شمت رجلاً منذ كنت رجلاً، ولا كلفت من فصلني
أن يسألني، هو أم علي مني عليه.

وقال سعيد بن المسيب: خطباه الناس في الجاهلية الأسود بن المطلب،
وسهيل بن عمرو، وخطباه الناس في الإسلام معاوية وابنه، وسعيد بن
العاص وابنه، وعبد الله بن الزبير.

وقد قال الإمام أحمد (٥٢٢/٢): حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا
علي بن زيد أخبرني من سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «كِرْعَنَ عَلِيٍّ يَنْتَرِي جِبَارَ مِنْ جَابِرَةِ بَنِي أُمِيَّةٍ حَتَّى يَسِيلَ رَعْفُهُ»
قال: فأتعبرني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رُفِعَ عَلَى مِنْبَرٍ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَالَ رَعْفُهُ.

وهو الذي كان يبعث البعث إلى مكة بعد وقعة الحرة أيام يزيد بن
معاوية لقتال ابن الزبير، فهذه أبو شريح الخزاعي وذكر له الحديث الذي
سمعه من رسول الله ﷺ في تحريم مكة، فقال: نحن أعلم بذلك منك يا
شريح، إن الحرم لا يعضد عاصياً ولا فاراً بدم، ولا فاراً بخربة، الحديث كما
تقدم وهو في الصحيحين (ج ١٠٤)، (١٣٥٤).

ثم إن مروان دخل إلى مصر بعد ما دعا إلى نفسه واستقر له الشام،
ودخل معه عمرو بن سعيد ففتح مصر، وقد كان وعد عمر أن يكون ولي
العهد من بعد عبد الملك، وأن يكون قبل ذلك نائباً بدمشق، فلما قويت
شوكة مروان رجع عن ذلك، وجعل الأمر من بعد عبد الملك لولده عبد
العزيز، وخلع عمرو بن سعيد من ذلك، فما زال ذلك في نفسه حتى كانت
هذه السنة، وعزم عبد الملك على الدخول إلى العراق لقتال مصعب بن
الزبير فرجع من جيشه ودخل عمرو دمشق وتحصن بها وأجابه أهلها،
فاتبعه فحاصره عبد الملك ثم استنزله على أمان صوري، ثم قتله كما
قدمنا.

وكان ذلك في هذه السنة على المشهور عند الأكثرين.

وقال الواقدي وأبو سعيد بن يونس سنة سبعين فإله أعلم.

على سريره وهو يقول: ما رأيت مثل هذا قط قُتِلَ صاحب دنيا ولا آخره،
ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فإلقاه بين
أظهريهم، وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل،
فالقت بين الناس فجعلوا يخطفونها، ويقال: إنها استرجعت بعد ذلك من
الناس إلى بيت المال.

ويقال: إن الذي ولي قتل عمرو بن سعيد مولى عبد الملك أبو الزهيرة
بعد ما خرج عبد الملك إلى الصلاة فإله أعلم.

وقد دخل يحيى بن سعيد - أخو عمرو بن سعيد - دار الإمارة بعد
مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتلوا، وجرح جماعات من
الطائفين، وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه اشتغلت عن نفسه وعن
القتال، ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر
فجعل يقول: ويحكم أين الوليد؟ وأيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأريهم،
فأناه إبراهيم بن عربي الكنتاني فقال: هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة
وليس عليه بأس، ثم أمر عبد الملك يحيى بن سعيد أن يقتل تشفع فيه
أخوه عبد العزيز بن مروان، وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد
أمر بقتلهم يومئذ، فشفعه فيهم وأمر بحبسهم فحسن شهره، ثم سيره وبني
عمرو بن سعيد وأهلهم إلى العراق فدخلوا علي مصعب ابن الزبير
فاكرمهم وأحسن إليهم، ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن
الزبير كما سيأتي، وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطف بعضهم في العبارة حتى
رق لهم رقة شديدة، وقال: إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله،
فاختارت قتله على قتلي، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرايتكم
وأراعني لحكمكم. فأحسن جازيتهم وقربهم، وقد كان عبد الملك بعث إلى
امراة عمرو بن سعيد أن ابني إلى بكتاب الأمان الذي كنت كتبه لعمرو،
فقال: إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله.

وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي
العهد من بعد ولده عبد الملك، كلاً مجرداً، فطعم في ذلك وقويت نفسه
بسبب ذلك، وكان عبد الملك يفضيه بغضاً شديداً من الصغر، ثم كان هذا
صنيعه إليه في الكبر.

قال ابن جرير (١٤٨/٦): وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال
لعبد الملك ذات يوم: عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته
حتى قتلتها؟ فقال:

أَفَيْتُهُ مَنِي لَيْسَ كُنْ رَوْعُهُ فَأَصُولُ صَوْلَةِ حَازِمٍ تُسْتَمَكِنُ
غَضْباً وَمَحِيَةَ لَيْسِي إِنْهُ لَيْسَ الْمُنِي سِيلُهُ كَالْخَيْسِ

قال خليفة بن خياط (٣٣٨): وهذا الشعر للفضي بن أبي رافع
تمثل به عبد الملك.

وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي أن عبد الملك قال: لقد كان
عمرو بن سعيد أحب إلي من دم النواظر، ولكن والله لا يجمع فحلان في
الإبل إلا أخرج أحدهما الآخر، وإنا لكما قال أخو بني يربوع: -

أَجْزَايَ مَنْ جَزَانِي الْخَيْرَ خَيْرُا وَجَزَايَ الْخَيْرِ يُجْزَى بِالنَّوَالِ
وَأَجْزَى مَنْ جَزَانِي الشَّرَّ شَرُّا كَمَا تُحْدَى النَّمَالُ عَلَى النَّوَالِ

قال خليفة بن خياط: وأنشد أبو القيثان لعبد الملك في قتله عمرو بن
سعيد:

صَحَّتْ وَلَا تَسْلُ وَضُرَّتْ غُثُوها يَمِينِ أَوَاثِ مُهْجَةِ ابْنِ سَعِيدِ

وعشي ليلة مسكيناً ثم قيده ويته عنده ومنعه أن يخرج ليلته تلك لئلا يؤذي المسلمين بسؤاله، فقال له المسكين: أطلقني، فقال: هيهات، إنما عشتك لأريح منك المسلمين الليلة. فلما أصبح أطلقه، وله شعر حسن رحمه الله.

قال ابن جرير (١٤٨/٦، ١٤٩): وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير، وقد أظهر خارجي التحكيم بمنى فقتل عند الجمرة. والنواب فيها هم الذين كانوا في السنة التي قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جابر بن سمرة بن جندب، له صحبة ورواية ولأبيه أيضاً صحبة ورواية، وقيل توفي في سنة ست وستين فإله أعلم.

■ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية؛ بايعت النبي ﷺ ويقال لها أم سليم قتلت بعمود خيمتها يوم اليرموك تسعة من الروم ليلة عرسها، وسكنت دمشق وقبرها بباب الصغير.

■ حسان بن مالك بن بحدل الأمير أبو سليمان البجلي الكلبي، وهو الذي قام ببيعة مروان. وقيل: إنهم سلموا عليه بالخلافة أربعين يوماً ثم سلمها لمروان. وقصر حسان بدمشق ويعرف بقصر ابن أبي الحديد وهو قصر البحادلة.

مات في هذه السنة والله سبحانه أعلم.

■ يوسف بن الحكم الظفي والد الحجاج. قدم من الطائف إلى الشام ثم ذهب إلى مصر والمدينة وكان يلزم مروان.

■ عبد الرحمن بن الحكم آخر مروان. شهد النار مع عثمان بن عفان، وكان شاعراً محسناً، وله منزلة عند معاوية وابنه.

ثم دخلت سنة سبعين من الهجرة

فيها ثارت الروم على من بالشام، واستضعفهم لما يرون من الاختلاف الواقع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله ابن الزبير، فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم وهادنه على أن يدفع إليه عبد الملك في كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على الشام.

وفيها وقع الزمام بمصر فهرب منه عبد العزيز ابن مروان إلى الشرقية، فنزل حلوان وهي على مرحلة من القاهرة، واتخذها منزلاً واشتراها من القبط بعشرة آلاف دينار، وبني بها داراً للإمارة وجامعاً، وأزله الجند.

وفيها ركب مصعب بن الزبير من البصرة إلى مكة ومعه أموال جزيلة. فأعطى وفرق ونحر عند الكعبة ألف بدنة وعشرين ألف شاة وأغنى ساكني مكة ثم عاد إلى العراق واتعم وأطلق لجماعة من رؤوس الناس بالحجاز أموالاً كثيرة.

وحج الناس فيها ابن الزبير والعمال على الأمصار المذكورين فيما قبل.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، وأمه جميلة بنت ثابت ابن أبي الأفلح، ولد في حياة رسول الله ﷺ، ولم يرو إلا عن أبيه حديثاً واحداً: «إذا أقبل الليل من ههنا الحديث (ع) (١٩٥٤)، (١١٠٠)».

وعنه ابنه حفص وعبيد الله، وعروة بن الزبير، وقد طلق أبوه أمه

ومن الغريب ما ذكره هشام بن محمد الكلبي بسند له: أن رجلاً سمع في المنام قاتلاً يقول على سور دمشق قبل أن يخرج عمرو بن سعيد بالكلية، وقبل قتله هذه الأبيات: -

ألا يا قومي للشفاعة والزمن وللفاجر الموهون والرأي ذي الأسن
ولابن سعيد ينما هو قائم على قلبه خسر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجأ إليه فزارتني الخيبة في الحصن

قال: فأتى الرجل عبد الملك فأخبره فقال: ويحك سمعها منك أحد؟ قال: لا قال: فضعها تحت قدميك. ثم بعد ذلك خلع عمرو الطاعة وقتله عبد الملك بن مروان، وقد قيل: إن عبد الملك لما حاصره وراسله وقال: أئشك الله والرحم أن تدع أمر بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة فإن فيما صنعت قوة لابن الزبير علينا، فارجع إلى بيتك ولك علي عهد الله وميثاقه، وحلف له بالأمان المؤكدة أنك ولي عهدي من بعدي، وكتباً بينهما كتاباً، فالتجأ له عمرو وفتح له أبواب دمشق فدخلها عبد الملك وكان من أمرهما ما تقدم.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً

■ أبو الأسود الدؤلي ويقال له الديلمي: قاضي البصرة، تابعي جليل، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ابن يعمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الكل بن بكر، أبو الأسود الذي نسب إليه علم النحو، ويقال: إنه أول من تكلم فيه، وإنما أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وقد اختلف في اسمه على أقوال، أشهرها أن اسمه ظالم بن عمرو، وقيل عكسه.

وقال الواقفي: اسمه عويمر بن ظوليم، قال: وقد أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وشهد الجمل مع علي وكان من وجوه شيعته ومن أكملهم رأياً وعقلاً وقد أمره علي بوضع النحو فلما رآه علي قال له: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت وهلك في ولاية عبيد الله بن زياد.

وقال يحيى بن معين وأحمد بن عبد الله العجلي: كان ثقة وهو أول من تكلم في النحو.

وقال ابن معين وغيره: مات بالطاعون الجارف سنة تسع وستين. قال ابن خلكان: وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقد كان ابتناؤها في سنة تسع وتسعين.

قلت: وهذا غريب جداً.

قال ابن خلكان وغيره: كان أول من أتى إليه علم النحو علي بن أبي طالب، وذكر له أن الكلام اسم وفعل وحرف، ثم إن أبا الأسود نحى نحوه وفرغ على قوله، وسلك طريقه، فسمي هذا العلم النحو لذلك.

وكان الباحث لأبي الأسود على ذلك تغير لغة الناس، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق، وكان أبو الأسود مؤدب بنيه، فإنه جاء رجل يرمي إلى زياد فقال: توفي أبائنا وترك بنون، فأمره زياد أن يضع للناس شيئاً يهتمون به إلى معرفة كلام العرب.

ويقال: إن أول ما وضع منه باب التعجب من أجل أن ابنته قالت له ليلة: يا أبا ما أحسن السماء فقال: نجوهمها، فقالت: إني لم أسأل عن أحسنها إنما تعجب من حسنها، فقال: قولي: ما أحسن السماء

قال ابن خلكان ورويت الأعيان: ٥٣٨/٢، ٥٣٩ بهو: وقد كان أبو الأسود يبخل، وكان يقول: لو أعلنا المساكين في أموالنا لكتنا مثلهم.

سار في جنود هائلة من الشام قاصداً مصعب بن الزبير بالعراق، فالتقى في هذه السنة، وقد كانا قبلها يركب كل واحد للمقتلي الآخر فيحول بينهما الشتاء والبرد والوحل، فيرجع كل واحد منهما إلى بلده، فلما كان في هذا العام سار إليه عبد الملك وبعث بين يديه السرايا، ودخل بعض من أرسله إلى البصرة فدعا أهلها إلى عبد الملك في السر، فاستجاب له بعضهم، وقد كان مصعب سار إلى الحجاز فجاء ودخل البصرة على إثر ذلك، فأناب الكبراء من الناس وشتتهم ولاهمهم على دخول أولئك إليهم، وإقراهم لهم على ذلك، وهدم دور بعضهم، ثم شخص إلى الكوفة، ثم بلغه قصد عبد الملك له بمجنود الشام فخرج إليه.

ووصل عبد الملك إلى مسكن، وكتب إلى المروانية الذين استجابوا لمن بعث إليهم فاجابوه، واشتروا عليه أن يوليهم أصبهان فقال: نعم - وهم جماعة كثيرة من الأمراء وقد جعل عبد الملك على مقدمته أخاه محمد بن مروان. وعلى يمينه عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى يساره خالد بن يزيد بن معاوية، وخرج مصعب بن الزبير وقد اختلف عليه أهل العراق، وخنلوه وجعل يتأمل من معه فلا يجدهم يقامون أعداءه، فاستقل وطنه نفسه على ذلك، وقال: لي بالحسين بن علي أسوة حين امتنع من إلقائه يده، ومن اللذة لعبد الله بن زياد، وجعل ينشد ويقول مسلماً نفسه:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم تأنسوا فنسوا للكرام التأسي

وكان عبد الملك قد أشار عليه بعض أمراءه أن يقيم بالشام وأن يبعث إلى مصعب جيشاً، فأبى وقال: لعلي أبعث رجلاً شجاعاً لا رأي له، ومن له رأي له لا شجاعة له، وإني أجد من نفسي بصراً بالحرب وشجاعة، وإن مصعباً في بيت شجاعة، أبوه أشجع قريش، وأخوه لا تجهل شجاعته، وهو شجاع لا علم له بالحرب وهو يحب الدعة والخفض، ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي ويوافقني على ما أريد، فسار بنفسه فلما تقارب الجيشان بعث عبد الملك إلى أمراء مصعب بكتب يدعوهم إلى نفسه ويعدهم الولايات، فجاء إبراهيم بن الأشتر إلى مصعب فالتقى إليه كتاباً غتوماً وقال: هذا جاني من عبد الملك، ففتحه فإذا هو يدعو إلى الإتيان إليه وله نيابة العراق، وقال لمصعب: أيها الأمير إنه لم يبق أحد من أمراك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا، فإن أعطيتني ضربت أعناقهم. فقال له مصعب: إني لو فعلت ذلك لم تصحنا عشائهم بعدهم، فقال: فاقورهم في الحديد وابعثهم إلى أبيض كسرى فاسجنهم فيه، ووكل بهم من إن غلبت ضرب اعتقمهم، وإن غلبت مَنَّتْ بهم هلى عشائهم بعدهم؛ فقال له: يا أبا النعمان، إني لفي شغل عن هذا، ثم قال لمصعب: رحم الله أبا جحر - يعني الأحف بن قيس - إن كان ليحذرني غدر أهل العراق، وكأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه الآن.

ثم تواجه الجيشان بدير الجاثليق من مسكن، فحمل إبراهيم بن الأشتر - وهو أمير المقدمة العراقية لجيش مصعب - على محمد بن مروان - وهو أمير مقدمة الشام - فأزاله عن موضعه، فأردفه عبد الملك بن مروان بعيد الله بن يزيد بن معاوية، فحملوا على ابن الأشتر ومن معه فطحنوهم، وقتل ابن الأشتر رحمه الله وعفا عنه وقتل معه جماعة من الأمراء، وكان عتاب بن روقا على خيل مصعب فهرب أيضاً ولجأ إلى عبد الملك بن مروان، وجعل مصعب بن الزبير وهو واقف في القلب ينهض أصحاب الرايات ويحث الشجعان والأبطال أن يتقدموا إلى أمام القوم، فلا يتحرك أحد، فجعل يقول: يا إبراهيم ولا إبراهيم لي اليوم، وتفاقم الأمر واشتد

فأخذته جدته الشموس بنت أبي عامر، حكم له بها الصديق وقال: شتمها ولطفها أحب إليه منك، ثم لما تزوجها أبوه في أيامه اتفق عليه من بيت المال شهراً، ثم كف عن الإنفاق عليه وأعطاه ثمن ماله وأمره أن يتجر ويثقى على عياله.

وذكر غير واحد أنه كان بين عاصم وبين الحسن والحسين منازعة في أرض، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال: هي لك، فقال له: بل هي لك، فزكاها ولم يتعرضا لها، ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب.

وكان عاصم رئيساً وقوراً كريماً فاضلاً.

قال الواقدي: مات سنة سبعين بالمدينة.

■ قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي، أبو العلاء: من كبار التابعين شهد خطبة عمر بالجالية وكان أخاً معاوية من الرضاعة. وكان من الفصحاء البغلاء.

■ قيس بن فروع أبو يزيد اللبي الشاعر المشهور، من بادية الحجاز وكان قد تزوج بنت الحباب ثم طلقها فلما طلقها هام لما به من الغرام، وسكن البادية وجعل يقول فيها الأشعار ونحل جسمه، فلما زاد ما به أتاه ابن أبي عتيق فأخذه ومضى به إلى عبد الله بن جعفر فقال له: فلانك أبي وأمي، اركب معي في حاجة، فركب واستنهض معه أربعة نفر من وجوه قريش، فذهبوا معه وهم لا يدرون ما يريد، حتى أتى بهم باب زوج لبي، فخرج إليهم فإذا وجوه قريش، فقال: جعلني الله فداكم! ما جاء بكم؟ قالوا: حاجة لابن أبي عتيق، فقال الرجل: اشهدوا علي أن حاجته مقضية، وحكمه جائز، فقالوا: أخبره بحاجتك، فقال ابن أبي عتيق: اشهدوا على أن زوجتي لبي منه طالق، فقال عبد الله بن جعفر: قبحك الله، الهذا جئت بنا؟ فقال: جعلت فداكم يطلق هذا زوجته ويترجى بغيرها خير من أن يموت رجل مسلم في هراها صابية، والله لا أبرح حتى يتقبل متاعها إلى بيت قيس، ففعلت وأقاموا مدة في أرغد عيش وأطيه رحمهم الله تعالى.

■ يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري الشاعر: كان كثير الشر والمجون، وقد أراد عبيد الله بن زياد قتله لكونه هجا أباه زياداً، فمنعه معاوية من قتله، وقال: أدبه، فسقاه دواء مسهلاً وأركبه على حمار وطاف به في الأسواق وهو يسبح على الحمار فقال في ذلك:

يُسبِّلُ الماء ما صنعت وشيعري راسيخ ينك في العظام البسولي

■ بشر بن النضر: قاضي مصر، كان رزقه في العام ألف دينار، توفي بمصر، وولي بعده عبد الرحمن بن حمزة الخولاني، والله سبحانه أعلم.

■ مالك بن نمامر السكسكي الألثاني الحمصي: تابعي جليل، ويقال: له صحة قاله أعلم.

روى البخاري [٣٦١، ٧٤٦٠] من طريق معاوية عنه عن معاذ بن جبل في حديث الطائفة الظاهرة على الحق أنهم بالشام، وهذا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر، إلا أن يقال له صحة، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي، وكان من أحص أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قال غير واحد: مات في هذه السنة، وقيل سنة اثنتين وسبعين والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ولها كان مقتل مصعب بن الزبير، وذلك أن عبد الملك بن مروان

القتال، وتحاذلت الرجال، وضاق الحال، وكثر التزل.

قال المدائني: من يحيى بن إسماعيل بن المهاجر، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك أخاه محمد بن مروان إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالياً أو مغلوباً.

قالوا: فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب فقال: يا ابن أخي لا تقتل نفسك. لك الأمان، فقال له مصعب: قد آمنك عمك فامض إليه، فقال: لا تحدث نساء قريش أنني أسلمتكم للقتل، فقال له: يا بني فاركب خيل السيوف فالحق بعمك فأخبره بما صنع أهل العراق فزاني مقتول مهتماً، فقال: والله إني لا أخبر عنك أحداً أبداً، ولا أخبر نساء قريش بمصرعك أبداً، ولا أقتل إلا معك ولكن إن شئت ركب خيلك وسرنا إلى البصرة فأنهم على الجماعة، فقال مصعب: لا والله، ما الفرار لي بعبادة، ولكن أقاتل، فإن قُلت فما السيف لي يعار والله لا تحدث قريش عني باني فررت من القتال، فقال لأبيه: تقدم بين يدي حتى أحسبك، فتقدم ابنه فقاتل حتى قتل، وأنخن مصعب بالرمي فنظر إليه زائدة بن قدامة وهو كذلك فحمل عليه فطعمه وهو يقول: يا ثارات المختار مصرعه، ونزل إليه رجل يقال له عبيد الله بن زياد بن طبيان التميمي فقتله وحز رأسه وأتى به عبد الملك بن مروان، فمسجد عبد الملك وأطلق له ألف دينار فأبى أن يقبلها وقال: لم أقتله على طاعتك ولكن بئار كان في عنده. وكان قد ولي له عملاً قبل ذلك فعزله عنه وأمانه.

قالوا: ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال عبد الملك: لقد كان بيني وبين مصعب صفة قديمة، وكان من أحب الناس إلي، ولكن هذا الملك عقيم.

وقال: لما تفرق عن مصعب جموعه قال له ابنه عيسى: لو اعتصمت ببعض القلاع وكاتبته من يمددك مثل المهلب بن أبي صفرة وغيره فقدموا عليك، فإذا اجتمع لك ما تريد منهم لقيت القوم، فإنك قد ضعفت جداً. فلم يرد عليه جواباً. ثم ذكر ما جرى للحسين بن علي وكيف قتل كرباً ولم يلق بيده، ولم يجد من أهل العراق وفاء، وكذلك أبوه وأخوه، ونحن ما وجدنا لهم وفاء.

ثم انهزم أصحابه وبقي في قليل من غواصه، ومال الجميع إلى عبد الملك، وقد كان عبد الملك يحب مصعباً حباً شليداً، وكان خليلاً له قبل الخلافة، فقال لأخيه محمد: اذهب إليه فأنه، فجاءه فقال له: يا مصعب قد آمنك ابن عمك على نفسك وولئك ومالك وأهلك، فاذبح حيث شئت من البلاد، ولو أراد بك غير ذلك لكان، فقال مصعب: قضى الأمر، إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالياً أو مغلوباً، فتقدم ابنه عيسى فقاتل، فقال محمد بن مروان: يا ابن أخي لا تقتل نفسك. ثم ذكر من قوله ما تقدم، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله، ثم ذكر من قتل أبيه بعده كما تقدم. قال: ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بكى وقال: والله ما كنت أقدر أصبر عليه ساعة واحدة من حيي له حتى دخل السيف بيتنا، ولكن الملك عقيم! ولقد كانت المحبة والحرمة بيتنا قديمة، متى تلد النساء مثل مصعب؟ ثم أمر بمواراته ودفنه هو وابنه وإبراهيم بن الأشتر في قبور بسكن بالقرب من الكوفة.

قال المدائني: وكان مقتل مصعب بن الزبير يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الأولى أو الآخرة من سنة إحدى وسبعين في قول الجمهور. وقال المدائني: سنة ثنتين وسبعين. والله أعلم.

قالوا: ولما قتل عبد الملك مصعباً ارتحل إلى الكوفة فترز النخيلة

فوفدت عليه الوفود بها من رؤساء القبائل وسادات العرب، وجعل يخاطبهم بفصاحة وبلاغة واستشهاد بأشعار حسنة، وبإبهاء أهل العراق وفرق العيالات في الناس، وولى الكوفة قطن بن عبد الله الحارثي أربعين يوماً، ثم عزله وولى أخاه بشر بن مروان عليها.

وخطب عبد الملك يوماً بالكوفة فقال في خطبته: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم فأسى نفسه ولم يفرز ذنبه في الحرم، ثم قال لهم: إني قد استخلفت عليكم أخي بشر بن مروان وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة وبالشدة على أهل المعصية، فاسمعوا له وأطيعوا.

وأما أهل البصرة فأنهم لما بلغهم مقتل مصعب تنازع في إمارتها حُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وعبيد الله بن أبي بكر، فغلبه حمران بن أبان عليها، فبأبه أهلها فكان أشرف الرجلين.

قال أعرابي: والله لقد رايت رداء ابن أبان مال عن عاتقه يوماً فابنتوه مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه على منكبيه.

وقال غيره: مد حُمران يوماً رجله فابتنر

معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها.

قال: فبعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وإليه عليها - يعني على البصرة - فأخذها من حمران بن أبان واستأب فيها عبيد الله بن أبي بكر، وعزل حمران عنها.

قالوا: وقد أمر عبد الملك بطعام كثير فعمل لأهل الكوفة فاكلوا من سباطه ومعه يومئذ على السرير عمرو بن حريث، فقال له عبد الملك: ما ألد عيشنا لو أن شيئاً يندم؟ ولكن كما قال الأول.

وكل جندبيل يا أميم إلى بلسى وكل إمريه يوماً يصير إلى كان فلما فرغ الناس من الأكل نهض فدار في القصر وجعل يسأل عمرو بن حريث عن أحوال القصر ومن بنى أماكنه ويؤتونه فيخبره، ثم جاء مجلسه فاستلقى وهو يقول:

اغسل على مهل فإنيك ميت واكسح لفضلك أيها الإنسان فكان ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان

قال ابن جرير (١٦٥/٦): وفيها رجع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام.

وفيها عزل بن الزبير جابر ابن الأسود عن المدينة وولى عليها طلحة بن عبد الله بن عوف، وكان هو آخر أمراءه عليها، حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان من جهة عبد الملك بن مروان.

وفيها حج بالناس عبد الله بن الزبير ولم يبق له ولاية على العراق.

قال الواقدي: وفيها عقد عبد العزيز بن مروان نائب مصر لحسان الفسائي على غزو إفريقية فسار إليها في عدد كثير، فافتتح قرطاجنة وكان أهلها روماً عبداً أصنام.

وفيها قتل نجدة الحروري الذي تغلب على اليمامة.

وفيها خرج عبد الله بن ثور في اليمامة.

وهذه ترجمة مصعب بن الزبير، رحمه الله

وهو

■ مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي، ويقال له أبو عيسى أيضاً الأسدي.

الأسدي - وكان قاضي الجماعة بالبصرة - : إن لنا ولكم مثلاً قد مضى يا أمير المؤمنين وهو ما قال الأعشى:

عَلَّقْنَاهَا فَرَضًا وَعَلَّقْتَ رَجُلًا
غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى فَبَرَّهَا الرَّجُلُ
قلت كما قيل أيضاً:

جُنَيْتًا بِلَيْسٍ وَهِيَ جُنَّتْ بِغَيْرِنَا
وَأُخْرَى بِنَا جُنُونَةٌ لَا نَرِيدُهَا
علقتنا يا أمير المؤمنين وعلقت أهل الشام وعلقت أهل الشام إلى مروان، فما حسينا أن نضع؟ قال الشعبي: فما سمعت جواباً أحسن منه. وقال غيره: وكان مصعب من أشد الناس حبة للنساء وقد أعطاه الله من ذلك شيئاً كثيراً.

كما روي أنه اجتمع عند الحجر الأسود جماعة فقالوا فيما بينهم: ليقسم كل واحد منكم فليسال عند الحجر الأسود من الله شيئاً يحبه فقام كل يسأل حاجته منهم وكان بينهم مصعب بن الزبير سأل الله عز وجل أن يزوجه سكية بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وكاتنا أحسن النساء في ذلك العصر، وأن يعطيه الله إمرة العراقين، فأعطاه الله ذلك كله، تزوج بعائشة بنت طلحة، وكان صداقها عليه مائة ألف دينار، وكانت باهرة الجمال جداً، وكان مصعب أيضاً جليلاً جداً، وكذلك بقية زوجته.

قال الأصمعي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عمر، فقالوا: نَعْمُوا فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتى الخلافة، وقال عروة: أما أنا فأتى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكية بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتى المغفرة. قال: فتالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غفر له.

وقال عامر الشعبي: بينما أنا جالس يوماً إذ دعاني الأمير مصعب بن الزبير فأدخلني دار الإمارة ثم كشف عن سر فإذا وراءه عائشة بنت طلحة، فلم أر منظرًا أبهى ولا أحسن منها، فقال: أتدري من هذه؟ فقلت: لا فقال: هذه عائشة بنت طلحة، ثم خرجت فقالت عائشة: من هذا الذي أظورتني عليه؟ قال: هذا عامر الشعبي، قالت: فاطلق له شيئاً، فاطلق لي عشرة آلاف درهم. قال الشعبي: فكان أول مال ملكته.

وحكى الحافظ ابن عساکر (البيع مغلط) (الجمعة) ٢١٨ أن عائشة بنت طلحة تفضيت مرة على مصعب فترضاها بأربعمائة ألف درهم، فاطلقتها هي للمرأة التي أصلحت بينهما.

وقيل إنه أهديت له ثغلة من ذهب ثلثها من صنوف الجواهر الثمينة، فقومت بالفي ألف دينار، وكانت من متاع الفرس فأعطاهما لعبد الله بن أبي فروة.

وقيل: إن أخاه عبد الله كان إذا كتب لأحد جائرة بألف درهم جعلها مصعب مائة ألف درهم.

وقد كان مصعب من أجود الناس وأكثرهم عطاء، لا يستكثر ما يعطى ولو كان ما عساه أن يكون فكانت عطاياه للقوي والضعيف، والوضيع والشريف متقاربة، وكان أخوه عبد الله يخل.

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه (١٠٦/١٣) أن مصعباً غضب مرة على رجل فأمر بضرب عنقه، فقال له الرجل: أعز الله الأمير! ما أتبع بمثلي أن يقوم يوم القيامة فيتعلق بأطرافك الحسنة، وبوجهك هذا الذي يستضاء به، فأقول: يا رب سل مصعباً فيم قتلي؟ ففأعنه، فقال الرجل:

وأمة الرثاب بنت أثيف الكلية. كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً، وأسماهم كفاً.

وقد حكى عن عمر بن الخطاب، وروي عن أبيه الزبير وسعد وأبي سعيد الخدري، وروى عنه الحكم بن عتيبة وعمرو بن دينار الجمحي، وإسماعيل بن أبي خالد، ووفد على معاوية، وكان ممن يجالس أبا هريرة، وكان من أحسن الناس وجهاً.

حكى الزبير بن بكار أن جليلاً نظر إليه وهو واقف بعرفة فقال: إن ههنا فتى أكره أن تراه بشية.

وقال الشعبي: ما رأيت أميراً قط على منبر أحسن منه. وكذا قال إسماعيل بن أبي خالد. وقال الحسن: هو أجل أهل البصرة.

وقال الخطيب البغدادي (البيع مغلط: ١٠٥/١٣) ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الله بن الزبير حتى قتله عبد الملك بمسكن في موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، وقبره إلى الآن معروف هناك.

وقد ذكرنا صفة قتله المختار بن أبي عبيد، وأنه قتل في غلة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف.

قال الواقدي: لما قتل مصعب المختار طلب أهل القصر من أصحاب المختار من مصعب الأمان فأمتهم، ثم بعث إليهم عباد بن الحصين فجعل يخرجهم ملتين، فقال له رجل: الحمد لله الذي نصركم علينا وابتلائنا بالأسر، يا ابن الزبير من عفا عفا الله عنه، ومن عاقب لا يأمن القصاص، نحن أهل قبلكم وعلى ملتكم وقد قدرت فاسمح واعف عنا قال: فرق لهم مصعب وأراد أن يغلي سيولهم، فقام عبد الرحمن بن عجمد بن الأشعث وغيره من كل قبيلة فقالوا: قد قتلوا أولادنا وعشائرنا وجرحوا منا خلقاً، اخترنا أو اخترهم، فأمر حيتض بقتلهم، فنادوا بأجمعهم: لا تقتلنا واجعلنا مقدمتك في قتال عبد الملك بن مروان، فإن ظفركنا فلكم، وإن قتلنا لا تقتل حتى تقتل منهم طائفة، وكان الذي تريد. فأبى ذلك مصعب، فقال له مسافر: اتق الله يا مصعب، فإن الله عز وجل أمرك أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس، وإن «مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» (النساء: ٩٣) فلم يسمع له بل أمر بضرب أعناقهم جميعهم وكانوا سبعة آلاف نفس، ثم كتب مصعب إلى ابن الأشتر إن اجتبتك فلك الشام وأعنة الخليل. فسار ابن الأشتر إلى مصعب، وقيل إن مصعباً لما قدم مكة أتى عبد الله بن عمر فقال: أي عم: إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة وقاتلوا حتى إذا غلبوا تحصنوا وسألوا الأمان فأعطوه ثم قتلوا بعد ذلك. فقال: وكم هم؟ فقال: خمسة آلاف، فسبح ابن عمر واسترجع وقال: لو أن رجلاً أتى ماشية الزبير فذبح منها خمسة آلاف شاة في غلة واحدة لست تعدد مسرفاً قال: نعم. قال: أفترأه إسرافاً في البهائم ولا تراه إسرافاً في من ترجو توبته؟ يا ابن أخي أصب من لاء البلود ما استطعت في دنياك.

ثم إن مصعباً بعث برأس المختار إلى أخيه بمكة وتمكن مصعب في العراق متمكناً زائداً، فقرر بها الولايات والعمال. وحظي عنده إبراهيم ابن الأشتر فجعله على الوفاة، ثم رحل مصعب إلى أخيه بمكة فأعلمه بما فعل فأقره على ما صنع، إلا إبراهيم بن الأشتر لم يرض له ما جعله عليه، فقال له: أعمدت إلى رأية خفضها الله تريد أن ترفعها؟ ثم كشف عن ظهره فإذا ضربة قد أصابته وقال له: أثرتني أحب ابن الأشتر وهو الذي جرحني هذه الجراحة. ثم استدعى بمن قدم مع مصعب من أهل العراق فقال لهم: والله لوددت أن لي بكل رجلين منكم رجلاً من أهل بالشام، فقال له أبو حاضر

ولا وقافله والخيل تملكو ولا خيال كأيوب اليراع
فقال الرجل الذي جاء برأسه: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته والرمح في
يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطن بهذا، لرأيت رجلاً يملأ القلب
والعين شجاعة وإقداماً، لكنه لما تفرقت رجاله وكثر من قصده وبقي وحده
ما زال يشنل: -

وإني على المكره عند حضوره أكذب نفسي والجفون له تُغشي
وما ذاك من ذلك ولكن خيفة أذب بها عند المكارم عن عرضي
وإني لأهل الشر بالشر ثم صيد وإني لفي سبيل أكل من الأرض
فقال عبد الملك: كان والله كما وصف به نفسه وصدق، ولقد كان من

أحب الناس إلي، وأشدهم لي لفة ومودة، ولكن الملك عقيم.
وروي يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر
عن سعيد بن يزيد أن عبيد الله بن زياد بن ظبيان قتل مصعباً عند دير
الجاثليق على شاطئ نهر يقال له دجيل، من أرض مسكن، واحتز رأسه
فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكرًا لله وكان ابن ظبيان فاتكراً ردياً وكان
ويقول: ليتني قتل عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتل ملكي
العرب.

قال يعقوب: وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين.
قلت: وكذا قال علي بن محمد المدني والذي رجحه ابن جرير وغيره
أنه سنة إحدى وسبعين قاله أعلم.

وحكى الزبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال، أحدها خمس
وثلاثون سنة والثاني أربعون سنة، والثالث خمس وأربعون سنة قاله أعلم.
وروي الخطيب البغدادي [ربيع بنده: ١٠٨/١٣] أن امرأته سكينة بنت
الحسين كانت معه في هذه الواقعة. فلما قتل طلبته في القتلى حتى عرفه
بشامة في فخذه فقالت: نعم بعل المرأة المسلمة كنت، أدركك والله ما قال
عترة:

وخليل غائبة تركت مجدلاً بالقراع لم يهتد ولم يتلسم
فهكت بالرمح الطويل إهابه ليس الكريم على الفتى بمحرم
قال الزبير: وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

لقد أورت الميزن حُرنا وولت قَتيلَ بدير الجاثليق مُتيمم
فَمَا نَصَحْتَ لَهْ بِكَرٍمٍ وَائِلٍ وَلَا مَنَعْتَ يَوْمَ اللِقَاءِ مِمِّم
ولو كان يَكْرِيماً تَطُفَّ حَوْلَهُ كَسَابٌ يَغْلِي حَتِيماً وَيَلْدُم
ولكنه ضاع اللمام ولم يكن بها مُضْطَرِي يَوْمَ ذَاكَ كَرِيم
جَزَى اللَّهُ كَوْفًا هُنَاكَ مَلَاةً وَيَصْرِيهَمُ إِنْ الْمَلُومَ مَلُوم
وإن بني العلات أغلوا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصميم
فإن نفن لا يقي أولئك بعننا لذي حرمة في المسلمين حريم

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً أيضاً: الكامل
نَمَتْ السَّحَابُ وَالْفُصَامُ بِأَسْرِهَا جَسَدًا مَسْكَنَ عَارِي الْأَوْصَالِ
تَمِيسِي عَوَانِيهِ السُّبَاعِ وَدَارُهُ يَنْتَازِلُ أَطْلَالَهُنَّ بِوَالِي
رَحَلِ الرِّقَاقِ وَغَادِرِهِ ثَاوِيًا لِلرَّيْحِ بَيْنَ الصَّبَا وَرَيْنَ شَمَالِ
وقد قال أبو حاتم الرازي: حدثنا يحيى بن مصعب الكلبي حدثنا أبو
بكر بن عياض عن عبد الملك بن عمير قال: دخلت القصر بالكوفة فإذا

أمر الله الأمير إن رأيت أن تجعل ما وهبت لي من حياتي في عيشٍ وخي،
فاطلق له مائة ألف، فقال الرجل إني أشهدك أن نصفها لابن قيس الرقيات
حيث يقول فيك: -

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ عِزَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ مِنْهُ وَلَا كِبَرِيَاءُ
يُجِيبِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ هُمُ الْأَنْفَاءُ
وفي رواية أنه قال له: أيها الأمير قد وهبتني حياة، فإن استطعت أن
تجعل ما قد وهبتني من الحياة في عيشٍ وخيٍ وسعة فافعل، فأمر له بمائة
ألف.

وقال الإمام أحمد (٢٤٠/٣، ٢٤١): حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن سلمة
حدثنا علي بن زيد قال: بلغ مصعباً عن عريف الأنصار شيء فهم به،
فدخل عليه أنس بن مالك فقال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«استوصوا بالأنصار خيراً» - أو قال معروفًا - اقبلوا من محنهم وتجاوزوا
عن سيئهم». فالتقى مصعب نفسه عن سريره وألقى خده بالبساط وقال:
أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين. فتركه.

ومن كلام مصعب في التواضع أنه قال: العجب من ابن آدم كيف
يتكبر وقد جرى في جري البول مرتين.

وقال محمد بن يزيد المبرد: سئل القاسم بن محمد عن مصعب فقال:
كان نبيلاً رئيساً تقياً أنيساً.

وقد تقدم أنه لما ظهر على المختار قتل من أصحابه في غداة واحدة
خمس آلاف، وقيل سبعة آلاف، فلما كان بعد ذلك لقي ابن عمر فسلم
عليه فلم يعرفه ابن عمر لأنه كان قد انصرف في عينيه، فتعرف له حتى عرفه
فقال: أنت الذي قتل في غداة واحدة خمس آلاف من يوحد الله؟ فاعتذر
إليه بأنهم بايعوا المختار، فقال: أما كان فيهم من هو مستكره أو جاهل
فيظن حتى يتوب؟ أرأيت لو أن رجلاً جاء إلى غنم الزبير فنحر منها خمسة
آلاف في غداة واحدة، أما كان مسرفاً؟ قال: بلى! قال: وهي لا تعبد الله
ولا تعرفه كما يعرفه الأممي، فكيف بمن هو موحد؟ ثم قال له: يا بني تمتع
من الماء البارد في الدنيا ما استطعت. وفي رواية أنه قال له: عش ما
استطعت.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن عن زافر بن قتيبة عن
الكلبي قال قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه: من أشجع العرب؟
قالوا شبيب، قطري بن الفجاءة وفلان وفلان. فقال عبد الملك: إن أشجع
العرب لرجل جمع بين سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمة الحميد
بنت عبد الله بنت عامر بن كرز وأمه رباب بنت أنيف الكلبي، سيد
ضاحية العرب وولي العراقين خمس سنين فأصاب ألف ألف واللف ألف،
وألف وألف، وأعطي الأمان، فأبى، وحشى بسيفه حتى مات؛ ذلك
مصعب بن الزبير، لا من قطع الجسور مرة وهنا ومرة وهنا.
قالوا: وكان مقتله يوم الخميس النصف من جمادى الأولى سنة اثنتين
وسبعين.

وقال الزبير بن بكار: حدثني فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي كثير
عن أبيه. قال: لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال: -

لقد أرى القوارس يوم غبس غلام غير مناع الشاع
ولا فرح خير إن أتاه ولا هلع من الخنثان لاغ

خراسان وسكن الكوفة وولها مرة. توفي بالكوفة.

■ عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله المرادي الصنهاجي، كان من الصلحاء، وكان عبد الملك يجلسه معه على السرير، وكان عالماً فاضلاً، توفي بدمشق.

■ عمر بن أبي سلمة المخزومي المدني ربيب النبي ﷺ ولد ببارض الحبيشة وكان عند أمه أم سلمة. وله روايات عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

■ سفينة مولى رسول الله ﷺ أبو عبد الرحمن: كان عبداً لأم سلمة فأعتقه وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ فقال: أنا لا أزال أخدم رسول الله ﷺ لو لم تمنعني ما عشت. وقد كان سفينة بكال رسول الله ﷺ ألبناً، وبهم خليطاً.

وروي الطبراني (المعجم الكبير: ٩٦/٧، ٩٧) أن سفينة سئل عن اسمه: لم سمي سفينة؟ قال: سماني رسول الله ﷺ سفينة. خرج مرة ومعه أصحابه فنقل عليهم متاعهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «ابسط كساءك» فبسطته فجعل فيه متاعهم، ثم قال لي: «أحل ما أنت إلا سفينة» قال: فلو حملت يومتد وفر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل علي.

وروي محمد بن المنكدر عن سفينة قال: ركبنا مرة سفينة في البحر فانكسرت بنا فركبت لوحاً منها فطرحني البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءني فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فطأ رأسه وجعل يلغمني بجنبه أو يكفه حتى وضعني على الطريق، ثم همهم مهممة فظننت أنه يودعني (طريق دمشق: ٢٧٠/٤).

وقال حماد بن سلمة: حدثنا سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله ﷺ دخل بيت فاطمة فسأى في ناحية البيت قراماً مضروباً فرجع ولم يدخل، فقالت فاطمة لعلي: سل رسول الله ﷺ ما الذي رده؟ فسأله فقال: «ليس لي ولا لني أن يدخل بيتاً مزوّجاً» (رد المحتار: ٣٣٠/٥، أحمد: ٢٢٠/٥، ٢٢١).

■ عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري الأعرج غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة ومسح رأسه وقال: «اللهم» جملة فبلغ مائة سنة ولم يبيض شعره. توفي بالبصرة.

■ غنصيف بن الحارث بن زئيم السكوني، مختلف في صحبته، له روايات عن الصحابة، قيل: هو من تابعي أهل الشام. سكن حمص، وكان يتولى صلاة الجمعة نيابة عن خالد بن يزيد. وكان من الصالحين.

■ يزيد بن الأسود الجرضي السكوني كان عابداً زاهداً صالحاً، سكن الشام بقرية زبدتين، وقيل بقرية جسرين، وكانت له دار داخل باب شرقي، وهو مختلف في صحبته، وله روايات عن الصحابة، وكان أهل الشام يستسقون به إذا قططوا، وقد استسقى به معاوية والضحاك بن قيس، وكان يجلسه معه على المنبر، فإذا اجتمع الناس قال معاوية: قم يزيد اللهم إنا نتوسل إليك بخيارنا وصلاحنا، فيستسقي الله فيسقون، وكان يصلي الصلوات في الجامع بدمشق، وكان إذا خرج من القرية يريد الصلاة بالجامع في الليلة المظلمة يضيء له إبهام قدمه، وقيل أصابع رجله كلها حتى يدخل الجامع، فإذا رجع أضاءت له حتى يدخل القرية، وذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية زبدتين إلا صلى عندها ركعتين، وكان يمشي في ضوء إبهامه في الليلة المظلمة قاهباً إلى صلاة العشاء بالجامع بدمشق وآتياً إلى قريته، وكان يشهد الصلوات بالجامع بدمشق لا تقوته به صلاة.

مات بقرية زبدتين أو جسرين من غوطة دمشق رحمه الله.

رأس الحسين بن علي على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله على السرير، ثم دخلت القصر بعد ذلك حين فرأيت رأس عبيد الله بن زياد على ترس بين يدي المختار، والمختار على السرير، ثم دخلت القصر بعد حين فرأيت رأس المختار على ترس بين يدي مصعب، ومصعب على السرير، ثم دخلت بعد ذلك حين فرأيت رأس مصعب ابن الزبير على ترس بين يدي عبد الملك، وعبد الملك على السرير، وقد حكى ذلك الإمام أحمد وغير واحد عن عبد الملك بن عمير.

وقالده حكاهما الإمام أحمد وغير واحد، عن عبد الملك بن عمير رحمه الله.

فصل

وكان لمصعب من الولد عكاشة وعيسى الذي قتل معه وسكينة وأهمهم فاطمة بنت عبد الله بن السائب، وعبد الله ومحمد، وأهمهما عائشة بنت طلحة، وأما أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وجعفر ومصعب وسعيد وعيسى الأصغر والمنذر لأمهات شتى، والرباب وأما سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم

قال ابن جرير: (الترغيب: ١٦٦/٦) وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد بن يحيى حدثني مصعب بن عثمان قال: لما انتهى إلى عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس خطيباً فقال: الحمد لله الذي له الخلق والأمر يوتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ألا وإنه لم يذل الله من كان الحق معه وإن كان فرداً وحده ولن يفلح من كان وليه الشيطان وحزبه ولو كان معه الأنام طراً، ألا وإنه أثنان من العراق خير أحرزنا وأفرحنا، أثنان قتل مصعب رحمه الله، فأما الذي أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة، وأما الذي أحرزنا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند الحمية ثم يرعوي من بعدها، وذو الرائي جميل الصبر كريم العزاء، ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بالزبير قبله، وما أنا من عثمان مخلو مصيبة، وما مصعب إلا عبد من عبيد الله، وعون من أهواني، ألا وإن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن، فإن يقتل فإنا والله ما نموت على مضاجعنا كما نموت بنو أبي العاص، والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا في الإسلام. وما نموت إلا بأطراف الرماح أو تحت ظل السيوف، فإن بني أبي العاص يجمعون الناس بالربغات والرهبات، ثم يقتلون بهم أعداءهم ممن خير منهم وأكرم ولا يقتلون تسابيهم زحفاً، ألا وإن الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبدل ملكه، فإن تقبل الدنيا لا تأخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر لا أبك عليها بكاء الحزين المهين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ إبراهيم بن الأشتر واسم الأشتر مالك بن الحارث النخعي كان أبوه الأشتر من كبار أمراء علي واستعمله على خراسان، وهو ممن قام على عثمان وقتله وكان ابنه إبراهيم هذا من المعروفين بالشجاعة وله شرف، وهو الذي قتل عبيد الله بن زياد كما ذكرنا ثم صار إلى مصعب بن الزبير وقتل معه هذه السنة كما ذكرنا.

■ عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي له صحبة ورواية واستعمله على

أصحابه السلاح وهم وقوف بعرفات، وكذا فيما بعدها من المشاعر، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هذه السنة، بل غرّبنا يوم النحر، وكذا لم يتمكن كثير من معه من الحج، وكذا لم يتمكن كثير من مع الحجاج وطارق بن عمرو أن يطوفوا بالبيت، فبقوا على إحرامهم لم يحصل لهم التحلل الثاني، والحجاج وأصحابه نزول بين الحجون ويثر ميمونة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن جرير [١٧٦/٦]: وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم أمير خراسان يدعو إلى بيعته ويقطعه خراسان سبع سنين، فلما وصل إليه الكتاب قال للرسول: بعثك أبو الذّكّان؟ والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، ولكن كل كتابه. فأكله، وبعث عبد الملك إلى بكير بن وشاح نائب ابن خازم على مرو يعده بإمرة خراسان إن هو خلع عبد الله بن خازم، فخلعه، فجاءه ابن خازم فقاتله فقتل في المعركة عبد الله بن خازم أمير خراسان، قتله رجل يقال له وكيع بن عميرة، لكن كان قد ساعده غيره، فجلس وكيع على صدره وفيه رمق، فذهب لينوء فلم يتمكن من ذلك، وجعل وكيع يقول: يا ثارات دولة - يعني أخاه - وكان دولة قد قتل ابن خازم، ثم إن ابن خازم تنخم في وجهه وكيع قال وكيع: لم أر أحداً أكثر ريقاً منه في تلك الحال. وكان أبو ميرة إذا ذكر هذا يقول: هذه والله البسالة، وقال له ابن خازم: ويحك أقتلني بأخيك؟ لعنك الله، أقتل كبش مضر بأخيك العليج؟ وكان لا يساوي كفاً من تراب؟ أو قال من نوى قالوا: فاحتر رأسه وأقبل بكير بن وشاح فأراد أخذ الرأس فمعه منه بحير بن ورقاء فضربه بكير بن وشاح بعمود وقبده، ثم أخذ الرأس ثم بعثه إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بالنصر والظفر ومقتل عبد الله بن خازم فسر بذلك سروراً كثيراً، وكتب إلى بكير بن وشاح بأمره على نيابة خراسان.

وفي هذه السنة أخذت المدينة من نواب ابن الزبير واستتاب فيها عبد الملك طارق بن عمرو، الذي كان بعثه مدداً للحجاج على ابن الزبير. وهذه ترجمة:

■ ابن خازم: هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي أبو صالح البصري أمير خراسان أحد الشجعان المذكورين، والفرسان المشكورين. قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه [٤٤٢/١٤]: ويقال: له صفة، روى عن النبي ﷺ في العمامة السوداء، وهو عند أبي داود [٤٠٣٨] والترمذي [٣٣٢١] والنسائي [٤٧٦/٥] لكن لم يسموه. وروى عنه سعد بن عثمان الرازي وسعيد بن الأزرق.

روى أبو بشر الدوالي أنه قتل في سنة إحدى وسبعين، وقيل: في سنة سبع وثمانين، وليس هذا القول بشيء. انتهى ما ذكره شيخنا في التهذيب.

وقد ذكره أبو الحسن ابن الأثير في الغابة في أسماء الصحابة [٢٢٠/٣]، وقال: قال: عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن سماك بن عوف بن أمريئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، أبو صالح السلمي أمير خراسان، شجاع مشهور، وبطل مذكور، روى عنه سعيد بن الأزرق، وسعد بن عثمان، قيل: إن له صفة، وفتح سرخس، وكان أميراً على خراسان أيام فتنة ابن الزبير، وأول ما وليها سنة أربع وستين بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية، وجرى له فيها حروب كثيرة حتى تم أمره بها، وقد استقصينا أخباره في كتاب «الكامل في التاريخ» [١٥٤/٤] وقتل سنة إحدى وسبعين بخراسان.

■ عمرو بن الأسود أبو عياض القسي الحمصي: من كبار تابعي الشام، صاحب زهد واجتهاد، توفي بمصر.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين

ففيها كانت وقعة عظيمة بين المهلب بن أبي صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له سولاف، مكثوا نحواً من ثمانية أشهر متواضين، وجرت بينهم حروب يطول بسطها، وقد استقصاها ابن جرير [١٦٨/٦].

وقتل في أثناء ذلك من هذه الملة مصعب بن الزبير، وبيع الناس عبد الملك بالأهواز، وأمر عبد الملك المهلب بن أبي صفرة على الأهواز وما معها، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كثيراً، ثم تواقع الناس في دولة عبد الملك بالأهواز فكرر الناس الخوارج كسرة فظيمة، وهربوا في البلاد لا يلون بل يؤلّون، واتبهم خالد بن عبد الله أمير الناس وداد بن قحذم ليطردوهم، وأرسل عبد الملك إلى أخيه بشر بن مروان أن يمدهم بأربعة آلاف، فبعث إليه أربعة آلاف عليهم عتاب بن ورقاء فطردوا الخوارج كل مطرد، ولكن لقي الجيش جهداً عظيماً وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم إلا مشاة إلى أهليهم.

قال ابن جرير [١٧٤/٦]: وفي هذه السنة كان خروج أبي فديك الحارثي وهو من قيس بن ثعلبة، وغلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحارثي، فبعث إليه خالد بن عبد الله أمير البصرة أخاه أمية بن عبد الله في جيش كثيف، فهاجمهم أبو فديك وأخذ جارية أمية واصطفاها لنفسه، وكتب خالد بن عبد الله أمير البصرة إلى عبد الملك يعلمه بما وقع، واجتمع على خالد حرب أبي فديك وحرب الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة بالأهواز.

قال ابن جرير [١٧٤/٦]: وفيها بعث عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير ليحاصره بمكة، قال: وكان السبب في بعثه له دون غيره، أن عبد الملك بن مروان لما أراد الرجوع إلى الشام بعد قتله مصعباً وأخذه العراق، ندب الناس إلى قتال عبد الله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد إلى ذلك، فقام الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين أنا له. وقص الحجاج على عبد الملك ما زعم أنه رآه، قال: رأيت يا أمير المؤمنين كأي أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فابست بي إليه فإني قاتله. فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام وكتب معه أماناً لأهل مكة إن هم أطاعوا.

قالوا: فخرج الحجاج في جمادى من هذه السنة ومعه ألفا فارس من أهل الشام، فسلك طريق العراق ولم يعرض للمدينة حتى نزل الطائف، وجعل يبعث الجعوث إلى عرقه، ويرسل ابن الزبير الخيل فيلتقيان فهزم خيل ابن الزبير وتظفر خيل الحجاج، ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم ومحاصرة ابن الزبير، فإنه قد كُت شوكته، وتفرق عنه عامة أصحابه، وسأله أن يمدّه برجال أيضاً، فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه بالحجاج وكان طارق يتولى المدينة لعبد الملك وكان قد أمره عبد الملك أن يكون مقبياً بوادي القرى بمن معه من جيش المدينة وغيرها وكان في نحو خمسة آلاف من الشام منهم ثلاثة آلاف، وارتحل الحجاج من الطائف فنزل بثر ميمون، وحصر ابن الزبير بالمسجد، فلما دخل ذو الحجة حج بالناس الحجاج في هذه السنة وعليه وعلى

راسي لما هو أعظم منها. وأغلظ له رجل في الكلام، فلما وصل إلى نادي قومه وقَّع وقال: إن كان عندك شيء آخر، فقل؛ لئلا يسمك قومي يُؤذوك. وقيل: إن عبد الملك بن مروان كتب إليه يدعوهُ لنفيه ويعدُّهُ بولاية الشام، فقال: يدعوني ابنُ الزرقاء إلى ولاية الشام، والله وودت أن يني وبينهم جبال من نار. وكان زياد بن أبيه يقول: قد بلغ الأحنف من السؤدد والشرف ما لا يتفقه معه ولاية ولا يضره عزل. وإن ليفر من الشرف وهو يتبعه.

وقال الحاكم: وهو الذي افتتح مرو الروذ، وكان الحسن وابن سيرين في جيشه، وهو الذي افتتح سمرقند وغيرها من البلاد. وقيل: إنه مات سنة سبع وستين، وقيل غير ذلك، عن سبعين سنة، وقيل عن أكثر من ذلك.

ومن كلامه وقد سئل عن الحلم ما هو؟ فقال: الذل مع الصبر. وكان إذا تعجب الناس من حلمه يقول: والله إني لأجد ما تعجبون، ولكني صبور.

وقال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وقد انتهى إليه الحلم والسؤدد، وقال: أحي معروفك بإماتة ذكره. وقال: عجب لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكره؟ وقال: ما أتيت باب أحد من هؤلاء إلا أن ادعى، ولا دخلت بين اثنين إلا أن يدخلاني بينهما. وقيل له: بم سلت قومك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعينك.

وأغلظ له رجل في الكلام وقال: والله يا أحنف لئن قلت لي واحدة لتسمعن بدعا عسرا، فقال له: إنك إن قلت لي عسرا لا تسمع مني واحدة. وكان يقول في دعائه: اللهم إن تعذبني فأنا أهل لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك.

وقد كان زياد بن أبيه يقره ويعظمه ويدنيه، فلما مات زياد وولي ابنه عبيد الله لم يرفع به رأسا، فتأخرت عنده منزلة فلبس منظره وصار يقدم عليه من هو دونه، فلما وفد برؤساء أهل العراق على معاوية أدخلهم عليه على مراتبهم عنده، فكان الأحنف آخر من أدخله عليه، فلما رآه معاوية أجله وعظمه، وأدناه وأكرمه، وأجلسه معه على القرائش، ثم أتبل عليه يحادثه دونهم، ثم شرع الحاضرون في الشاء على عبيد الله بن زياد والأحنف ساكت، فقال له معاوية: ما لك لا تكلم؟ قال: إن تكلمت خالفتهم، فقال معاوية: أشهدوا علي أني قد عزلت عبيد الله عن العراق، ثم قال لهم: انظروا لكم نائبا عليكم، وأجلهم ثلاثة أيام، فاختلفوا بينهم اختلافا كثيرا، ولم يذكر أحد منهم بعد ذلك عبيد الله، ولا طلبه أحد منهم، ولم يتكلم الأحنف في هذه الأيام في ذلك كلمة واحدة مع أحد منهم، فلما اجتمعوا بعد ثلاث أفاضوا في ذلك، وكثر اللفظ، وارتفعت الأصوات والأحنف ساكت، فقال له معاوية: تكلم، فقال له: إن كنت تريد أن توفي فيها أحدا من أهل بيتك فليس فيهم من هو مثل عبيد الله، فإنه رجل حازم ولا يسد أحد منهم مسده، وإن كنت تريد غيره فأنت أعلم بنوابك، فرده معاوية إلى الولاية، ثم قال له بيته وبينه: كيف جهلت مثل الأحنف؟ إنه عزلك وولاك وهو ساكت. فغظمت منزلة الأحنف بعد ذلك عند ابن زياد.

توفي الأحنف بالكوفة وصلى عليه مصعب بن الزبير، ومشى في جنازته ذكر الواقدي أنه قدم على معاوية فوجده غضبان على ابنه يزيد،

هكذا قال: إنه قتل سنة إحدى وسبعين. وهكذا حكى شيخنا عن الدولابي، وكذا رأيت في «التاريخ» [تاريخ الإسلام ص ٣٠٠] لشيخنا الذهبي والذي ذكره ابن جرير في سياق تاريخه [١٧٨/٦] أنه قتل في سنة اثنتين وسبعين.

قال ابن جرير [١٧٨/٦]: وزعم بعضهم أنه قتل بعد مقتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك بعث برأس ابن الزبير إلى ابن خازم بخراسان، ويدعوه إلى طاعته وله خراسان عشر سنين، وأن ابن خازم لما رأى رأس ابن الزبير حلف لا يعطيه طاعة أبدا، ودعا بطست ففصل رأس ابن الزبير وكفته وطيه وبعث به إلى أهله بالمدينة، ويقال: بل دفنه عنده بخراسان والله أعلم.

وأطعم الكتاب للرسول الذي جاء به وقال: لولا أنك رسول لضربت عنقك، وقال بعضهم: قطع يديه ورجليه وضرب عنقه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي: أبو بحر البصري ابن أخي صعصعة بن معاوية، والأحنف لقب له، وإنما اسمه الضحاك، وقيل: صخر، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وجاء في حديث أن رسول الله ﷺ دعا له [للسنة: ٣٧٢/٥].

وكان سيدا شريفا مطاعا مؤثما، عليم اللسان، وكان يضرب بحلمه المثل وله أخبار في حلمه سارت بها الركبان.

قال عنه عمر بن الخطاب: هو مؤمن عليم اللسان. وقال الحسن البصري: ما رأيت شريف قوم أفضل منه.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: هو بصري تابعي ثقة، وكان سيد قومه، وكان أمور أحنف الرجلين دميما قصيرا كوسجا له بيضة واحدة، احتسبه عمر سنة يختبره، ثم قال: هذا والله السيد.

وقيل: إنه خطب عند عمر فاعجبه منطقه. قيل ذهب عينه بالجلدي، وقيل في فتح سمرقند.

وقال يعقوب بن سفيان: كان الأحنف جوادا حليما، وكان رجلا صالحا، أدرك الجاهلية ثم أسلم، وذكر للبيهقي فاستغفر له.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٩٣/٧]: كان ثقة مأمونا قليل الحديث.

وكان كثير الصلاة بالليل، وكان يسرج المصباح، ويصلى ويكي حتى الصباح، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول: حس يا أحنف، ما حملك على كذا؟ ما حملك على كذا؟ ثم يقول لنفسه: إذا لم تصبر على المصباح فكيف تصبر على نار جهنم؟

وقيل له: بأي شيء سودك قومك وأنت أردفهم خلقة؟ قال: لو عاب الملة الناس ما شرته.

وكان الأحنف من أمراء على يوم صفين، وهو الذي صالح أهل بلخ على أربعمئة ألف دينار في كل سنة، وله وقائع مشهودة مشهورة، وقتل من أهل خراسان خلقا كثيرا في القتال بينهما، وانتصر عليهم.

وكان الأحنف لا يحسد، ولا يجهل، ولا يدفع الحق. وقال: إن من السؤدد الصبر على الذل، وكفى بالحلم ناصرا. وقال: ما نازعني أحد إلا أخذت من أمري إحدى ثلاث؛ إن كان كان فوقني عزفت قديره، وإن كان دوني رفعت نفسي عنه، وإن كان مثلي تفشلت. وقال: ما ذكرت أحدا بسره بعد أن يقوم من عندي، ولا سمعت كلمة تسوءني إلا طأطأت

الأمان والطاعة لعبد الملك.

وكان مع الحجاج خلق قلعوا إليه من أرض الحيشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقاً كثيراً، وكان معه خمس جبايت قاطع عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة فصاعوا، وكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله الله في الطاعة، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال: إنهم أخذوه في هذه الشدة، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شبة، ثم يكررون عليه فيشد عليهم، فعل ذلك مراراً، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول: خذوها وأنا ابن الحواري. وقيل لابن الزبير: ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: والله لو وجدوكم في جوف الكعبة للجمرك جميعاً والله لا أسألكم صلحاً أبداً.

وذكر غير واحد أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تلو أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فاصابت من الشاميين اثني عشر رجلاً فضعت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة، فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول: إني خير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإن القوم يصيهم مثل السني يصيكم، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة؟!

وكان أهل الشام يخرجون وهم يرمون بالمنجنيق يقولون:

خَطَاةَ مِثْلِ النَّبِيِّ الْمُرْسَدِ نَرْمِي بِهَا عُورَاةَ هَذَا الْمَسْجِدِ

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقت، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا قبل منهم؟ فلو لا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلت. فعداوا إلى المحاصرة.

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف، فأنهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج حزمة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير، فأخذوا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأنهما، ودخل عبد الله بن الزبير على أمه فشكا إليها خذلان الناس له، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهلها، وأنه لم يبق معه إلا السير، ولم يبق لحم صبر ساعة، والقوم يعطوني ما شئت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت على حق وتعدو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتي يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فليس العبد أنت، أهلك نفسك وأهلك من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين وللي كم خلوك في الدنيا؟ القتل أحسن. فلما منها فقبل رأسها وقال: هذا والله رأيي، ثم قال: والله ما ركنك إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة، ولكي أحببت أن أعلم رأيك، فردني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماء فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزني، وسلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يعتمد إتيان منك، ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان ولم يعتمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يلغى ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته، ولم يكن عندي أثر من رضي ربي عز وجل، اللهم إني

وأنه أصلح بينهما بكلام، قال: فبعت معاوية إلى يزيد بمال جزيل وقماش كثير، فأعطى يزيد نصفه للأحفاد. والله سبحانه أعلم.

■ البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الحارث بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري الحارثي الأوسي. صحابي جليل، وأبوه أيضاً صحابي.

روى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة، وحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم، وعنه جماعة من التابعين وبعض الصحابة. وقيل: إنه مات بالكوفة أيام ولاية مصعب بن الزبير على العراق.

■ عبيدة السلماني القاضي وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي. وسلمان بطن من مراد.

أسلم عبيدة في حياة النبي ﷺ وروى عن ابن مسعود وعلي وابن الزبير. وحدث عنه جماعة من التابعين.

وقال الشعبي: كان يوازي شريعاً في القضاء.

وقال ابن عمر: كان شريح إذا أشكل عليه أمر كتب إلى عبيدة فيه، وانتهى إلى قوله، وقد أتى عليه غير واحد.

وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين فالله أعلم.

وقد قيل: إن مصعب بن الزبير قتل في هذه السنة فالله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً:

■ عبد الله بن السائب بن صفيي المخزومي، قارئ أهل مكة. له صحبة ورواية، وقرأ على أبي بن كعب، وقرأ عليه مجاهد وغيره.

■ عطية بن بسر المازني: له صحبة ورواية توفي بالمدينة.

■ عبيدة بن نضلة أبو معاوية الخزازي الكوفي مقرئ أهل الكوفة، مشهور بالخير والعبادة، توفي بالكوفة في هذه السنة.

■ عبيد الله بن قيس الرقيات القرشي العامري: أحد الشعراء، مدح مصعب بن الزبير وعبد الله بن جعفر وإنما سمي قيس الرقيات لأن له عدة أخوات يسمين رقية.

■ عبد الله بن همام أبو عبد الرحمن السلولي أحد الشعراء الفصحاء مدح يزيد بن معاوية بعد أن كان هجاء بقوله: -

شربنا النقيض حتى لو سُقينا دماء بني أئمة ما روينا
ولو جألوا برؤس أو بهنر لياعننا أمير المؤمنين

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

فيها كان مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه على يدي الحجاج بن يوسف الثقفي المير بجبه الله وأخزاه.

قال الواقدي: حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولي بني أسد - وكان عالماً بفننه ابن الزبير - قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي الحجة سنة ثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة، وكان في الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتهم بآبن عمر في المناسك كما ثبت ذلك في الصحيحين (ج ١٦٦٠، ١٦٦٣)، وليس عنه (م).

فلما استهلكت هذه السنة استهلكت وأهل الشام محاصرون أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى

خرجت لي فدخلتها وإني واللّه قد مللت الحياة وجاوزت سني اثنتين وسبعين سنة اللهم إني أحب لقاءك فأحب لِقائي. ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم، فكشفوا وجوههم وعليهم المغافر، فحرضهم وحتمهم على القتال والصبر، ثم نهض بهم، فحمل وحملوا حتى كشفوهم إلى الحجون فجاءته أجبرته فأصابته في وجهه فارتش لها، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم:

فلسنا على الأعقاب نَنْقُصُ كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم رجع فجاءه حجر منجنيق من وراءه فأصابه في قفاه فوققه ثم وقع إلى الأرض على وجهه ثم انتفض فلم يقدر على القيام، وابتدته الناس فشد عليه رجل من أهل الشام فضرب الرجل قفطع رجله وهو متكئ على مرقفه الأيسر وجعل يضرب وما يقدر أن يتنهض حتى كثروا عليه فابتدروه بالسيف فقتلوه رضي الله عنه.

وجاؤوا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجدا قبحه الله، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا! فقال الحجاج: تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين؟ قال: نعم! هو أعذر لنا؛ إنا نحاصروه وليس هو في حصن ولا خندق ولا منعة يتصنف منا، بل يفضل علينا في كل موقف. فلما بلغ ذلك عبد الملك صوب طارفاً.

وروي ابن عساكر في ترجمة الحجاج (تاريخ دمشق: ١٢/١٢٠): أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله. فخطب الحجاج الناس فقال: أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه الله من عذاب اليم، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير، وكان في الجنة، وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

وقيل إنه قال: يا أهل مكة! بلنني إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته. وعلمه أسماء كل شيء، فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض. وأدم أكرم على الله من ابن الزبير، وإن ابن الزبير غير كتاب الله. فقال له عبد الله بن عمر: لو شئت أن أقول لك: كذبت لقلت، واللّه إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله، بل كان قواماً به صواماً، عاملاً بالحق.

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع، ويعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان وعمارة بن حزم إلى عبد الملك، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤوس بها، ثم يسيروا بها إلى الشام، ففعلوا ما أمرهم به.

ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدّاء عند الحجون، ويقال: منكسة، فما زالت مصلوية. حتى مر به عبد الله بن عمر فقال: رحمة الله عليك يا أبا خبيب، أما واللّه لقد كنت صواماً قواماً. ثم قال: أما أن لهذا الراكب أن يتزل؟ فبعث الحجاج فأُنزل عن الجذع ودفن هناك.

ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها لأمر المؤمنين عبد الملك بن مروان، ولم يزل الحجاج مقيماً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا

لا أقول هنا تركية لنفسي، اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً، إن تقدمتني أو تقدمتك ففي نفسي، أخرج يابني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعد فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظما في هواجر المدينة ومكة، وسره بآبيه وبني، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فقابلني في عبد الله بن الزبير بشواب الصابرين الشاكرين. ثم قالت له: ادنُ مني أودعك. فدنا منها فقبلته ثم اخذته إليها فاحتضته لتودعه واعتنقها ليودعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها - فوجدته لا بأساً فدعا من حديد فقالت: يابني ما هذا لباس من يريد ما يريد من الشهادة؟! فقال: يا أمه إنما لبسته لأطيب خاطرك وأسكن قلبك به، فقالت: لا يا بني ولكن انزعه. فترعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشد وهي تقول: شمر ثيابك. وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبلو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بآبيه الزبير، وجده أبي بكر الصديق، وجعلته صفية بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ وترجيه القلوب عليهم إذا هو قتل شهيداً، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها رضي الله عنهما وعن آبيه وأبيها.

ثم قالت له: امض على بصيرتك، فودّعها وخرج وهو يقول.

وَلَسْتُ بِبَيْتَاعِ الْحَيَاةِ بَيْتَةً وَلَا تَرْتُقُ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا
قالوا: وكان يخرج من باب المسجد الحرام وهناك خمسمائة فارس وراجل فيحمل عليهم فيتفرقون عنه يمينا وشمالا، ولا يثبت له أحد وهو يقول: -

إني إذا أصرف يويسي أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر
ويقول أيضاً:

الموت أكرم من إعطاء مُقَصِّبٍ مَنْ لَمْ يَمِتْ غِيْطَةً فَالْغَايَةُ الْمَرْمُ
وكان أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حصص حصار الباب الذي يواجه باب الكعبة، ولأهل دمشق باب بني شيبه، ولأهل الأردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جحج، ولأهل قنسرين باب بني سهم، وعلى كل باب قائد ومعه أهل تلك البلاد، وكان الحجاج وطارق بن عمرو في ناحية الأبطح.

وكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلا فرقههم وبدد شملهم، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح.

لو كان قرني واحداً لكفّته

فيقول ابن صفوان وأهل الشام أيضاً: إي واللّه وألف رجل.

ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا يتزعج لذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد ضار، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته، فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلي طول ليته ثم جلس فاحتى بحميلة سيفه فاغني ثم اتب مع الفجر على عادته، ثم قال: ادنُ يا سعد، فأذن عند المقام، وتروضا ابن الزبير ثم صلى ركعتي الفجر، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر، ثم قرأ سورة «ن» حرفاً حرفاً، ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لأصحابه: ما أرايتي اليوم إلا مقتولاً، فإني رأيت في منامي كان السماء

أيضا وهو على مكة واليمامة واليمن.

وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير عليه السلام

هو

■ عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو بكر ويقال له أبو خبيب القرشي الأسدي، أول مولود ولد بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين. وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ذات النطاقين، هاجرت به وهي حامل به يُسمّى - فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة وقيل: وإنما ولدت في شوال سنة اثنين من الهجرة. قاله الواقدي ومصعب الزبيري وغيرهما، والأول أصح لما رواه أحمد (٣٤٧/٦) عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها حملت بعبد الله بمكة قالت: فخرجت به وأنا متم فأتيت المدينة فزلت فولدته، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمره فمضغها ثم ثقل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، قالت: ثم حنكه بتمره ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام.

وهو صاحب جليل. روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وغيرهم. وعنه جماعة من التابعين، وشهد بالرموك، مع أبيه وهو صغير، وحضر خطبة عمر بالجالية، ورواها عنه بطولها ثبت ذلك من غير وجه. وقدم دمشق لغزو القسطنطينية، ثم قلعها مرة أخرى وبيع بالخلافة أيام يزيد بن معاوية ولما مات يزيد غلب على الحجاز واليمن والعراقين ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق، وتمت البيعة له سنة أربع وستين وكان الناس يغير في زمانه.

وثبت من غير وجه عن هشام عن أبيه عن أسماء أنها خرجت بعبد الله من مكة مهاجرة وهي حبلية به فولدته بقباء أول مقدمهم المدينة، فأتت به رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله ودعا له، وفرح المسلمون بمولده لأنه كانت اليهود قد زعموا أنهم قد سحروا المهاجرين فلا يولد لهم في المدينة، فلما ولد ابن الزبير كبر المسلمون (٣٩٠/٩، ٢١٤/٦).

وقد سمع عبد الله بن عمر جيش الشام حين كبروا عند قتله. فقال: أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله. وأذن الصديق في أذنه حين ولد رضي الله عنهما، ومن قال: إن الصديق طاف به حول الكعبة وهو في خرقة فهو واهم والله أعلم. وإنما طاف الصديق به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت اليهود.

وقال مصعب الزبيري: كان عارضا عبد الله خفيفين، وما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة.

وقال الزبير بن بكار: حدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ كلم في غلعة ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن أبي سلمة، فقيل: يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركك ويكون لهم ذكر، فأتى بهم إليه فكانهم تكلموا واقتحم عبد الله بن الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إنه ابن أبيه وبايعه.

وقد روي من غير وجه (المستدرک: ٣/٥٥٤) أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد احتجم في طست فاعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه فقال له: «لا تمسك النار إلا تحلة القسم، وويل

لك من الناس وويل للناس منك»

وفي رواية (الايخ مشق: ١٦٣/٢٨) أنه قال له: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأمرقه حيث لا يراك أحد»، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: «ما صنعت بالدم؟» قال: عمدت إلى أفى موضع علمت فجعلته فيه. قال: «فلعلك شربته؟» قال: نعم. فقال: «لا تمسك النار إلا تحلة القسم، ويل للناس منك، وويل لك من الناس». فكانت تلك القوة التي به من ذلك الدم.

وقال عمد بن سعد: أتى مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجوني أن نوحا البكائي كان يقول: إني لأجد في كتاب الله المنزل أن ابن الزبير فارس الخلقاء. وقال حماد بن زيد عن ثابت البناني قال: كنت أمر بعبد الله بن الزبير وهو يصلى خلف المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك.

وقال الأعمش عن يحيى بن وثاب: كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره تصعد وتنزل لا تراه الا جدم حائط.

وقال غيره: كان ابن الزبير يقوم ليله حتى يصبح، ويركع ليله حتى يصبح، ويسجد ليله حتى يصبح.

وقال بعضهم: ركع ابن الزبير يوما فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه.

وقال عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء: كنت إذا رأيت ابن الزبير يصلى كأنه كعب راتب.

وفي رواية: ثابت.

وقال أحمد: تعلم عبد الرزاق الصلاة من ابن جريج، وابن جريج من عطاء، وعطاء من ابن الزبير، وابن الزبير من الصديق، والصديق من رسول الله ﷺ.

وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن ابن المنكر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلى كأنه غصن شجرة تصفقهما الريح، والمنجنق يقع هامنا وهامنا. قال سفيان: كأنه لا يبالي. وحكى بعضهم لعمر بن عبد العزيز أن حجرا من المنجنق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقه منه فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه، فما زال عن مقامه ولا عرف ذلك في صوته، فقال عمر بن عبد العزيز: لا إله إلا الله، جاد ما وصفت.

وقال عمر بن عبد العزيز يوما لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير، فقال: والله ما رأيت جلوساً قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصباً على عظم مثله، ولا رأيت نفساً ركبت بين جنبين مثل نفسه، ولقد مرت أجرة من رمي المنجنق بين لحيته وصلره فوالله ما جئع ولا قطع لها قرامته، ولا ركع دون ما كان يركع، وكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها. ولقد كان يركع فيكاد الرخم يقع على ظهره ويسجد فكانه ثوب مطروح.

وقال أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد عن شعبة عن منصور بن زاذان قال: أخبرني من رأى ابن الزبير يشرب في صلاته وكان ابن الزبير من المصلين.

وسئل ابن عباس عن ابن الزبير فقال: كان قاروا لكتاب الله، متعباً لسنة رسول الله، فأتاه صالما في المهاجر من غفلة الله، ابن حوارى رسول الله ﷺ، وأمه بنت الصديق، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله، زوجة رسول الله، فلا يبجل حقه إلا من أمهه الله.

وروي أن ابن الزبير كان يوما يصلى فسقطت حبة من السقف تطوقت

أبي بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني.

وقال أحمد بن أبي الحواربي: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: خرج ابن الزبير في ليلة مقمرة على راحلة له فقتل يولاً فالتفت فإذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية، قال: فشد عليه ابن الزبير فتنحى عنها فركب ابن الزبير راحلته ومضى، قال: فناداه: والله يا ابن الزبير لو دخل قلبك الليلة مني شجرة لخلبتك، قال: ومنك أنت يا لعين يدخل قلبي شيء!

وقد روي لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة [تاريخ دمشق: ١٨٣/٢٨-١٨٦].

وروى عبد الله بن المبارك عن إسحاق بن يحيى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: أقبل عبد الله بن الزبير من العمرة في ركب من قريش فلما كانوا عند التناضب أبصروا رجلاً عند شجرة، فتقدمهم ابن الزبير، فلما انتهى إليه سلم عليه فلم يميأ به ورد رداً ضعيفاً، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل، فقال له ابن الزبير: تتع عن الظل. فالتحز متكارهاً، قال ابن الزبير: فجلست وأخذت بيده وقلت: من أنت؟ فقال: رجل من الجن. فما عدا أن قالها حتى قامت كل شجرة مني فاجتنبته وقلت: أنت رجل من الجن وتبدى لي هكذا؟ وإذا ليس له سفلة وانكسر ونهرته وقلت: لي تبدى وأنت من أهل الأرض فلعب هارياً وجاء أصحابي فقالوا: أين الرجل الذي كان عندك؟ فقلت: إنه كان من الجن فهرب قال: فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم أمّج وما يعقلون.

وقال سفيان بن عيينة قال ابن الزبير: دخلت المسجد ذات ليلة فإذا نسوة يطفن بالبيت فأعجبني، فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في إثرهن لأعلم أين متزلن، فخرجن من مكة حتى أتيت العقبة ثم المحدثون حتى أتيت فجاً فدخلن في خربة فدخلت في إثرهن. فإذا مشيخة جلوس فقالوا: ما جاء بك يا ابن الزبير؟ فقلت لهم: من أنتم؟ قالوا: الجن وتلك النسوة نساؤنا فما تشتهي يا ابن الزبير؟ فقلت: أشتهي وطباً، وما بمكة يومئذ من رطبة. فأتوني برطب فأكلت ثم قالوا: احمل ما بقي معك، فبحث به المنزل فوضعت في سبط وجعلت السبط في صندوق، ثم وضعت رأسي لأنام، فبينما أنا بين النائم واليقظان إذ سمعت جلبة في البيت، فقال بعضهم لبعض: أين وضعه؟ قالوا: في الصندوق، ففتحوه فإذا هو في السبط داخله، فهما يفتحه فقال بعضهم: إنه ذكر اسم الله عليه، فأخذوا السبط بما فيه فذهبوا به، قال: فلم أسف على شيء أسفني كيف لم أتب عليهم وهم في البيت.

وقد كان عبد الله بن الزبير ممن حاجف عن عثمان يوم الدار، وجرح يومئذ تسع عشرة جراحة، وكان على الرجالة يوم الجمل وجرح يومئذ تسع عشرة جراحة أيضاً. وقد تبارز يومئذ هو ومالك بن الحارث بن الأشتر، فالتحز فصرع الأشتر ابن الزبير فلم يتمكن من القيام عنه، بل احتضنه ابن الزبير وجعل ينادي ويقول:

اقتلوني ومالكاً، واقتلوا مالكاً معي

فأرسلها مثلاً. ثم تفرقا ولم يقدر عليه الأشتر، وقد قيل: إنه جرح يومئذ بضعا وأربعين جراحة، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق، وقد أعطت عائشة لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً، وقد كانت تحبه حباً شديداً، لأنه ابن أختها، وكان عزيزاً عليها. وقد روي عن عروة أنه قال لم تكن عائشة لم تحب أحداً بعد رسول

على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة والزعم أهل المنزل واجتمعوا على قتل تلك الحية فقتلوا، وسلم الولد؛ فعلموا هذا كله وإبن الزبير في الصلاة لم يلتفت ولا درى بما جرى لابنه حتى سلم.

وقال الزبير بن بكار: حدثني عماد بن الضحاك الخزاسي وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصي كثرة من أصحابنا أن ابن الزبير كان يواصل الصوم سبعا، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة، ويصوم بمكة فلا يفطر إلا بالمدينة، وكان إذا فطر أول ما يفطر على لبن لقحة وسمن وصبر.

وفي رواية أخرى: فاما اللبن فيمضمه، واما السمن فيقطع عنه العطش، واما الصبر فيفتن الأمعاء.

وقال ابن معين عن روح عن حبيب بن الشهيد عن ابن أبي مليكة قال: كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصيح في اليوم الثامن وهو اليثا. وروى مثله من غير وجه. وقال بعضهم: لم يكن يأكل في شهر رمضان سوى مرة واحدة في وسطه.

وقال خالد بن أبي عمران: كان ابن الزبير لا يفطر من الشهر إلا ثلاثة أيام. ومكث أربعين سنة لم يتزع ثوبه عن ظهره.

وقال ليث عن مجاهد: لم يكن أحد يطيق ما يطيقه ابن الزبير من العبادة رضي الله عنه. ولقد جاء سيل مرة فطبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف بالبيت سباحة.

وقال بعضهم: كان ابن الزبير لا يتازع في ثلاث، في العبادة والشجاعة والفصاحة.

وقد ثبت أن عثمان جملة في الفر الذين نسخوا المصاحف مع زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وذكره سعيد بن المسيب في خطباء الإسلام مع معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه.

وقال عبد الواحد بن أيمن: رأيت على ابن الزبير رداً يمانية عندي يصلي فيه، وكان صبيّاً إذا خطب يُجاوبه الجبلان أبو قيس وزرود. وكان آدم نحيفاً ليس بالطويل، وكان بين عينيه أثر السجود كثير العبادة مجتهداً شهماً فصيحاً صواماً قواماً شليد البأس ذا ألفة له نفس شريفة وهمة عالية، وكان خفيف اللحية ليس في وجهه من الشعر إلا قليلاً. وكانت له جمّة وكان له لحية صفراء.

وقد ذكرنا أنه شهد مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح قتال البربر وكانوا في عشرين ومائة ألف، والمسلمون عشرين ألفاً، فأحاطوا بهم من كل جانب، فما زال عبد الله بن الزبير يمثال حتى ركب في ثلاثين فارساً، وسار نحو ملك البربر وهو مفرد وراء الجيش، وجواربه يظللنه بريش النعام، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب في رسالة إليه، فلما فهمه الملك ولي مديراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رُمحه وكبر وكبر المسلمون، وحلوا على البربر، فانهزمت البربر بين أيديهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا مغانم كثيرة جداً، وبعث ابن أبي سرح بالبشارة مع ابن الزبير فقص على عثمان الخبر وكيف جرى، فقال له عثمان: أستطيع أن تزدي هذا للناس فوق المنز؟ قال: نعم فأمره فصعد ابن الزبير - فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى، قال عبد الله: فالتفت فإذا أبي الزبير في جملة من حضر، فلما تبينت وجهه كاد أن يرتج علي في الكلام من هيبة في قلبي، فزبرني بعينه وأشار إلي ليحسبني، فعضيت في الحطبة كما كنت، فلما نزلت قال: والله لكأنني أسمع خطبة

ألف. فأعطاه فجاه مروان فقال: والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلك، جارك رجل قد سمي بيت مال الديوان وبيت الخلافة، وبيت كذا، وبيت كذا، فأعطيته مائة ألف، فقال له: وملك كيف أصنع بآبن الزبير؟

وقال ابن أبي الدنيا: أخبرني عمر بن بكر عن علي بن مجاهد عن هشام بن عروة قال: سأل ابن الزبير معاوية شيئاً فتمنعه، فقال: والله ما أجعل أن أزم هذه البنية فلا أستم لك عرضاً ولا أقصّب لك حساباً، ولكني أسدل عصامي من بين يدي ذراعاً، ومن خلفي ذراعاً في طريق أهل الشام وأذكر سيرة أبي بكر الصديق وعمر فيقول الناس: من هذا؟ فيقولون: ابن حواري رسول الله ﷺ وابن بنت الصديق، فقال معاوية: حسبك بهذا شراً. ثم قال: هات حوائجك.

وقال الأصمعي: حدثنا غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد. قال: دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابنه له صغيراً فلطمه لطمه دوخ منها رأسه. فلما أفاق ابن الزبير قال للصبي: ادن مني، فدنا منه، فقال له: لطم الصبي قال: لا أفعل، قال: ولم؟ قال: لأنه أبي. فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبي لطمه جعل يدور منها كما تدور الدوماء، فقال معاوية: تفعل هذا بغلام لم نجر عليه الأحكام؟ قال: إنه والله قد عرف ما يضره عما ينفعه، فأحييت أن أحسن أديه.

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدني عن عبد الله بن أبي بكر قال: لحق ابن الزبير معاوية وهو سائر إلى الشام من المدينة فوجده وهو ينمى على راحلته، فقال له: أتنمى وأنا معك؟ أما تخاف مني أن أقتلك؟ فقال: إنك لست من قتال الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره. فقال: أما لقد سرت تحت لواء أبي إلى علي بن أبي طالب، وهو من تعلم. فقال: لا جرم قتلكم والله بشماله. قال: أما إن ذلك كان في نصرة عثمان، ثم لم يجر بها، فقال: إنما كان لبغض علي لا لنصرة عثمان، فقال له ابن الزبير: إنا قد أعطيناك عهداً فنحن وافون لك به ما عشت، فإذا مت فسيعلم من بعدك، فقال: أما والله ما أخافك إلا على نفسك، ولكأني بك قد خبطت في الحبال واستحكمت عليك الأنشودة، فذكرتني وأنت فيها، فقلت: ليت أبا عبد الرحمن هاهنا ليتي والله لها، أما والله لأخلفنك رويداً، ولأطلقنك سريعاً، ولبش الولي أنت تلك الساعة، وحكى ابن عينة نحو هذا.

وقد تقدم أن معاوية لما مات وجاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة اتشمر منها ابن الزبير والحسين بن علي فقصدا مكة فأقاما بها، ثم خرج الحسين إلى العراق فكان من أمر مقتله بأرض كربلاء ما تقدم، وتفرّد بالرياسة والسؤدد بمكة ابن الزبير، ولهذا كان ابن عباس ينشد: بعد خرج الحسين:

يا ألك من قسرة بعمير خلا لكو الجور فيضي واصفري
وتقري ما شئتو أن تقري

يعرض بآبن الزبير.

وقيل: إن يزيد بن معاوية كتب إلى ابن الزبير يقول: إنني قد بعثت إليك بسلسلة من فضة وقيد من ذهب وجماعة من فضة وحلفت لتأتي في ذلك فأبر قسمي ولا تشق العصا، فلما قرأ كتابه ألقاه من يده وقال:

ولا أليئ لفسير الحق أسأله حتى تليئ لفسير الماغيب الحجز
فلما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريباً، استفحل أمر عبد الله بن الزبير جداً، وبويع له بالبحجاز والعراق ومصر، وبيع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها، ولكن عارضه مروان بن

الله ﷺ وأبي بكر مثل جها عبد الله ابن الزبير، وقال: وما رأيت أبي وعائشة يدهوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لآبن الزبير.

وقال الزبير بن بكار: حدثني أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة عن أبيه عن عمه عن عبد الله بن عروة قال: أفحمت السنة نابتة بني جملة فدخل على عبد الله بن الزبير المسجد الحرام فأنشد هذه الأبيات:

حكيت أنسا الصديق لما وليتسا وعثمان والفاروق فارتاح مُعديم
وسويت بين الناس في الحق فاستروا فساد صباحاً خالك اللون مُظليم
اتك أبو ليس ينجوب به الذجى دجى الليل جِواب الفلاة غَنَسُم
يتجبر منه جلياً غَنَزت به صُرُوف الليالي والزمان المُصَنَّم

فقال له ابن الزبير: هو عليك أبا ليس. فإن الشعر أهون رسائلك عندنا، أما صفوة مالنا فلاك الزبير، وأما عفوه فإن بني أسد يشغلها عنك وتيما، ولكن لك في مال الله حقان، حق لرويتك لرسول الله ﷺ وحق لشركك أهل الإسلام في فيهم، ثم أخذ بيده فأدخله دار النعم فأعطاه قلائص سبعة وجلا رحيل، وأورق له الركاب برأ وجرأ وثيابا، فجعل النابتة يستعمل ويأكل الحب صرفا، فقال له ابن الزبير: ويع أبي ليس، لقد بلغ الجهد. فقال النابتة: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: أما وليت قريرش فمُكَلَّتْ، واسترحمت فرحت وحلثت فصلدت، ووعدت خيراً فأنجزت، فأنا والنبيون فرط القاصفين.

وقال محمد بن مروان صاحب كتاب المجالسة: أخبرني حبيب بن نصر الأزدي حدثنا محمد بن دينار حدثنا محمد بن زياد الضبي حدثنا هشام بن سليمان المخزومي عن أبيه قال: أذن معاوية للناس يوما فدخلوا عليه فاحتفل المجلس وهو على سريره، فأجال بصره فيهم فقال: أنشدوني لقدماء العرب ثلاثة أبيات جامعة من أجمع ما قالها العرب، ثم قال: يا أبا خبيب فقال: مهيم، قال: أنشدني ذلك، فقال: نعم يا أمير المؤمنين بثلاثمائة ألف كل بيت بمائة ألف، قال: نعم إن ساءت، قال: أنت بالخير، وأنت واف كاف، قال: نعم. فأنشده للأفوه الأودي:

تَلَوْتُ النَّاسَ قُرْآنًا بَعْدَ قُرْنٍ قَلِمَ إِزْغِيرَ خَلَالٍ وَقَالَ
فقال معاوية: صدق:

وَمَ إِزْ فِي الْخَطُوبِ إِشْدَ وَقَعَا وَكَيْدًا مِنْ مُعَاوَةِ الرَّجَالِ
فقال: صدق

وَقُتِلَتْ مَرَاةُ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءَ أَتْرَ مِنْ السُّوَالِ
فقال: صدق. ثم قال معاوية: هيه يا أباخبيب، قال: إلى ههنا انتهى قال: فدعا معاوية بثلاثين عبداً على حق كل واحد منهم بدرة، وهي عشرة آلاف درهم، فمروا بين يدي ابن الزبير حتى انتهوا إلى داره.

وروي ابن أبي الدنيا عن أبي زيد النميري عن أبي عاصم النبيل عن جويرية بن أسماء أن معاوية لما حج تلقته الناس وتخلّف ابن الزبير ثم جاءه وقد حلق رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين ما أكثر جحرة راسك!! فقال له: اتق، لا يخرج عليك منها حية فتقتلك. فلما أفاض معاوية طاف معه ابن الزبير وهو أخذ بيده ثم استدعاه إلى داره ومنازله بقميعةان، فذهب معه إليها، فلما خرجا قال: يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون: جاء معه أمير المؤمنين إلى دوره ومنازله ففعل ماذا؟ لا والله لا أدعك حتى تعطيني مائة

التقنين لورثتها قال: فانظر أن لا تكونه، يا ابن عمر فإنك قد قرأت الكتب وصحبت النبي ﷺ، فإني أشهدك أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً.

وهذا قد يكون رفعه غلطاً، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو، وما أصابه من الزامين من علوم أهل الكتاب يوم اليرموك. والله أعلم.

وقال وكيع عن الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن حنشل الكتاني عن عليم الكندي عن سلمان الفارسي. قال: ليحرقن هذا البيت على يدي رجل من آل الزبير.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن ابن فضال حدثنا سالم بن أبي حفصة عن مندر الثوري قال: قال ابن الحنفية: اللهم إنك تعلم أنني كنت أعلم بما علمتني أن ابن الزبير لا يخرج منها إلا قتلاً يطفأ برأسه في الأسواق.

وقد روى الزبير بن بكار عن هشام بن عروة قال: إن أول ما فصح به عبد الله ابن الزبير وهو صغير السيف، فكان لا يضعه من فيه، وكان الزبير إذا سمع ذلك منه يقول له: أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام.

وقد تقدم كيفية مقتله، وأن الحجاج صلبه على جذع فوق الشية، وأنه ربط إلى جانبه هرة ميتة فكان ريح المسك يغلب على ريحها، وأن أمه أرسلت إلى الحجاج تقول: فأتلك الله علام تصلب ولدي؟ إني استبقت أنا وإياه إلى هذه الخشبة فسبقتي إليها: وأن أمه جاءت حتى وقفت عليه فدعت له طويلاً ولا يقطر من عينها دمعة ثم انصرفت، وكذلك وقف عليه ابن عمر فدعا له وأثنى عليه ثناء كثيراً جداً.

وقال الواقدي: حدثني نافع بن ثابت عن عبد الله مولى أسماء قال: لما قتل عبد الله خرجت إليه أمه حتى وقفت عليه وهي على دابة، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها، فأقبل حتى وقف عليها فقال: كيف رأيت نصر الله الحق وأظهره؟ قالت: ربما أديل الباطل على الحق، وإنك بين فرئها والجبية، فقال: إن ابنك الحد في هذا البيت، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَرُدَّ بِنُورٍ يَرُدَّ بِنُورٍ يَرُدَّ بِنُورٍ يَرُدَّ بِنُورٍ﴾ [الحج: ٢٥] وقد أذقه الله ذلك العذاب الأليم، قطع السبل قالت: كذبت، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وسر به رسول الله ﷺ وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى أرتجت المدينة فرحاً به، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك برأ بالوالدين صواماً قواماً بكتاب الله، معظماً لحرم الله، ينفخ من عصي الله عز وجل، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول: «سيخرج من ثقب كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبيره» فأنكسر الحجاج وانصرف، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء، وقال: مالك ولابنة الرجل الصالح؟

وقال مسلم بن الحجاج في صحيحه [٢٥٤٥]: حدثنا عتبة بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي أنبا الأسود بن شيان عن أبي نوفل قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبه المدينة، قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لامة أنت شرها لامة خير. ثم نفذ عبد الله بن عمر. فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله، فأرسل إليه فأنزل عن جذعه وألقي

الحكم في ذلك وما زال حتى قتله وجماعة بمرج راعط، كما تقدم. فباع له أهل الشام، ثم دخل مصر فاتزعها من نوأب ابن الزبير، ثم جهز السرايا إلى العراق، ومات واستخلف بعده عبد الملك بن مروان فما زال حتى قتل مصعب بن الزبير وأخذ العراق منه، ثم بعث الحجاج بن يوسف فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به في يوم الثلاثاء سابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

وكانت ولاية ابن الزبير في سنة أربع وستين، وحج بالناس فيها كلها، وبنى الكعبة في أيامه كما أشار إليه رسول الله ﷺ وبنائها كما كانت عليه كما أخبرته بذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكسا الكعبة الحرير، وكانت كسوتها قبل ذلك الأنطاع والمسوح.

وكان ابن الزبير عالماً عابداً مهيباً وقوراً كثير الصلاة والصيام، شديد الخشوع قوي السياسة.

قال أبو نعيم الأصبهاني [حلية الأولياء: ١/٣٣٤]: حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا أحمد بن سعيد الدارسي حدثنا أبو عاصم عن عمر بن قيس. قال: كان لابن الزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة غير لغة الآخر، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجل لم يرد الله طرفه عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين.

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى قال: رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال. وكان يطيب الكعبة حتى كان يوجد ريحها من مسافة بعيدة.

وقال ابن المبارك عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: دخل ابن الزبير على امرأته بنت الحسن فرأى ثلاثة مثل - يعني أفرشة - فقال: هذا لي وهذا لابنة الحسن، وهذا للشيطان. فأخزجوه.

وقال الثوري عن عبد الله بن أبي بشر عن عبد الله بن مساور. قال: سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على البخل ويقول: قال رسول الله ﷺ: «ليس بالمؤمن من يبيت شعبان وجاره إلى جنبه جامع».

وقال الإمام أحمد [١/٦٤٤]: حدثنا إسماعيل بن أبان الوراق حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المنيرة عن ابن أزي عن عثمان بن عفان. قال: قال له عبد الله بن الزبير حين حصر: إن عندي لحاج قد أعدتها لك، فهل لك أن تحمّل إلى مكة فيأتيك من أودان أن يأتيك؟ قال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله، عليه مثل أوزار الناس».

وهذا الحديث منكر جداً وفي إسناده ضعف، ويعقوب هذا هو القمي وفيه تشيع وضعف، ومثل هذا لا يقبل تفرده به، وتقدير صحته فليس هو بعبد الله بن الزبير، فإنه كان على صفات حميدة، وقيامه في الإمارة إنما كان لله عز وجل، ثم هو كان له الأمر بعد موت معاوية بن يزيد لا محالة، وهو أرشد من مروان بن الحكم، حيث نازعه بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، وقامت البيعة له في الأفاق وانتظم له الأمر. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد [٢/٢١٩]، ومختصراً من القصة: [٢/٢١٩]: حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا إسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال: أتى عبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير وهو في الحجر جالس فقال: يا ابن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله، فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلجأ ويحل به رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب

المجرة، وقيل في شوال سنة ثنتين من الهجرة، فمات وقد جاوز السبعين قطعاً والله أعلم.

وأما أمه فإنها لم تمش بعده إلا مائة يوم وقيل: إنما عاشت معه عشرة أيام، وقيل: خمسة، والأول هو المشهور وستأتي ترجمتها قريباً رضي الله عنها.

وكان له من الولد: خبيب وحزمة وعبد وثابت وأهمهم حماد بن منصور الغزاري وهاشم وقيس وعروة - قتل مع أبيه - والزبير وأهمهم أم هاشم بنت حلة بن منصور وعامر وموسى وأم حكيم وفاطمة وفاخنة وأهمهم جيثمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وركر ورقية وأهمهم عائشة بنت عثمان بن عفان وعبد الله ومصعب بن أم ولد.

وقد أسند ثلاثة وثلاثين حديثاً.

وقد رثي ابن الزبير وأخوه مصعب بمراثي كثيرة حسنة بليغة، رحمهما الله، من ذلك قول عمرو بن معمر الذهلي يرثيها بآليات:

لَمْ تَمُتْ مَا أَلْبَيْتُ فِي النَّاسِ حَاجَةً وَلَا كُنْتُ تَلِيْمُوسَ الْهَدَى مُتْبَلِيَا
عَنَّةَ دَعَانِي مُصْعَبٌ فَأَجَبْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَا
ابْرُكْ حَوَارِي الرُّسُولِ وَسِفُهُ قَانَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ خَيْرِنَا أَيْ
وَأَنَّكَ أَخْوَلُكَ الْمُهَنْدِي بَضِيائِهِ بِمَكَّةَ يَدْعُونَا دَعَا مَثُونَا
وَلَمْ يَكْ ذَا وَجْهَيْنِ وَجْهَ لِمُصْعَبٍ مَرِيضٍ وَوَجْهَ لَابْنِ مَرْوَانَ إِذْ صَبَا
وَكُنْتُ امْرَأًا نَاصِخْتُهُ غَيْرَ مُؤَثِّرٍ عَلَيْهِ ابْنِ مَرْوَانَ وَلَا مُتَقَرِّبَا
إِلَيْهِ بِمَا تَقْدَرُ بِهِ عَيْنُ مُصْعَبٍ وَلَكِنِّي نَاصِخْتُ فِي اللَّهِ مُصْعَبَا
إِلَى أَنْ رَزَقْنَا الْحَاوِثَاتِ بِسَهْبِيهَا فَاللَّهُ سَهَبًا مَا أَسْدُوْا وَاصْرُوتَا
فَبَانَ بِكَ هَذَا الشَّعْرُ أَوْدَى بِمُصْعَبٍ وَأَصْبَحَ هَذَا اللَّهُ شَيْلُوا مُلْجَبَا
فَكَلَّ امْرَأَةً حَاسٍ مِنَ الْمَوْتِ جُرْعَةً وَإِنْ خَازَ عَنْهَا جُحْمَهُ وَتَهَيَّأَا

وقد روى الطبراني عن عامر بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن النبي ﷺ أعطاه دم محابه يهرقه فحساه، فلما رجع إلى النبي ﷺ، قال: «ما صنعت يا عبد الله بالدم؟» قلت: جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس، قال: «فلعلك شربته؟» قلت: نعم! قال: «ومن أسرك أن تشرب الدم؟ ويل لك من الناس، وويل للناس منك».

ودخل سلمان الفارسي مرة على النبي ﷺ فإذا عبد الله بن الزبير قائم في الدملج ومعه طست يشرب منه، فدخل سلمان ودخل عبد الله على رسول الله ﷺ، قال له: «فرغت؟» قال: نعم! قال سلمان: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أعطيت غسالة محابي يهرق ما فيها» قال سلمان شربها والذي بعثك بالحق، قال: «شربته؟» قال: نعم! قال: لم؟ قال: أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوف، فقال يده على رأس ابن الزبير، وقال: «ويل لك من الناس، وويل للناس منك، لا تمس النار إلا تحلة القسم».

ولما بعث يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير ذلك القيد من ذهب وسلسلة من فضة وجامعة من فضة وأقسم لتأني فيها، فقيلوا له: بر قسم أمير المؤمنين فقال:

وَلَا أَلْبِيْنَ لِغَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى تَلِيْنَ لِغَيْرِ الْمَاضِي الْحَبْرُ

ثم قال: والله لضربة سيف في عز، أحب إلي من ضربة بسوط في ذل، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية.

وروى الطبراني أن ابن الزبير دخل على أمه فقال: إن في الموت

في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فابت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول: لتأني أو لأبعث إليك من يسحبك من قرونك، فابت وقالت: والله لا أتبه حتى يبعث إلي من يسحبني بقرونني، قال: فقال الحجاج: أروني سيأتي. فأخذ نعليه ثم انطلق يتودف حتى دخل عليها فقال: كيف رأيته صنعت بعلو الله؟ قالت: رأيته أقصد عليه دنياه، وأفسدت عليك آخرتك، بلغني أنك تقول: يا ابن ذات النطاقين، أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر، وأما الآخر فطابق المرأة الذي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في تحيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فرائه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يرجعها.

أنفرد به مسلم.

وروى الواقدي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه، وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها، حتى كتب إلى عبد الملك في ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون، وذكروا أنه كان يشتم من عند قبره ريح المسك.

وكان الحجاج قد قدم من الشام في ألفي فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو في خمسة آلاف.

وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير، وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً: وأنه نصب المنجنيق على أبي قبيس ليرمي به المسجد الحرام الذي فيه عبد الله بن الزبير، وأنه جعل يؤمن، وأنه أمر من خرج إليه من أهل مكة ونادي فيهم بذلك، وقال: إنما لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير، وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب في الأرض حيث شاء أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالجليد، أو يقتل حتى يقتل. فشاور أمه في ذلك فأشارت عليه بالنالك فقط.

ويروى أنها استدعت بكفن له وبجرتة وشجعتة على القتل، فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاهته أجراً فقلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض، ثم أراد أن ينفض فلم يقدر، فأتى على مرقه الأيسر وجعل يحجم باليسف من جاءه، فاقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه فقطع رجله، ثم تكاثروا عليه حتى قتلوه واحترقوا رأسه، وكان مقتله قريباً من الحجون، ويقال: بل قتل وهو متعلق بأستار الكعبة. فإله أعلم. ثم صلبه الحجاج منكساً على ثنية كلاء عند الحجون، ثم لما أنزل دفته في مقابر اليهود كما رواه مسلم [٢٥٥٤]، وقيل: دفن بالحجون بالمكان الذي صلب فيه، فإله أعلم وقيل: إن أسماء بعدما تقطعت أوصاله وخيطته وكفنته وصلت عليه، وحملته إلى المدينة فدفنت في دار صفية بنت حيي، وأن هذه الفار زيدت في المسجد، فهو مدفون في المسجد مع أبي بكر وعمر. وقال عبد الرزاق [٢٥٧٥] عن معمر بن أبيوب عن ابن سيرين قال قال عبد الله بن الزبير لما جيء برأس المختار: ما كان يحدثنا كعب الأخبار شيئاً إلا وجدناه كما قال إلا قوله: إن قتي تحيف يقتلني، وهذا رأسه بين يدي، قال ابن سيرين: ولم يشعر أنه قد خبي له الحجاج.

وروي هذا من وجه آخر.

قلت: والمشهور أن مقتل الزبير كان في سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى، وقيل الآخرة منها، وعن مالك وغيره أن مقتله كان على رأس اثنين وسبعين، والصحيح المشهور هو الأول، وكانت يبعثه في سابع رجب سنة أربع وستين، وكان مولده في أول سنة إحدى من

أن يكرم وقده، فمن كان منكم يطلب ما عند الله فإن طالب ما عند الله لا يجيب فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل والنية، والقلوب القلوب، الله الله في أباكم هذه فإنها أيام تغفر فيها الذنوب، جثم من آفاق شتى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا. ثم لى لى الناس، فما رأيت باكياً أكثر من يومئذ.

وروى الحسن بن سفيان قال: حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مالك بن أنس عن وهب بن كيسان قال: كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة: أما بعد فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، صدق الحديث، وأداء الأمانة، وكظم الغيظ، وصبر على البلاء، ورضاً بالقضاء، وشكر للنعمة، وذلل لحكم القرآن، وإثماً للإمام كالسوق ما نفق فيها حمل إليها، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهله. وإن نفق الباطل عنده حمل إليه وجاءه أهله.

وقال أبو معاوية: حدثنا هشام بن عروة عن وهب بن كيسان قال: ما رأيت ابن الزبير يعطي سلمه قط لرغبة ولا لرهبة سلطان ولا غيره.

وبهذه الإستادات أهل الشام كانوا يعيرون ابن الزبير ويقولون له: يا ابن ذات النطاقين. فقالت له أسماء: يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين وإنما كان لي نطاق واحد شققت نصفين فجعلت في سفرة رسول الله ﷺ أحدهما وأوكيت قربه بالآخر لما خرج هو وأبو بكر يريدان الهجرة إلى المدينة. فكان ابن الزبير بعد ذلك إذا عيروه بالنطاقين يقول:

إيها والله تلك شكاة ظاهر عنك

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وعن قتل مع ابن الزبير في سنة ثلاث وسبعين بمكة من الأعيان: ■ عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمعي أبو صفوان المكي: وكان أكبر ولد أبيه، أدرك حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وجماعة من الصحابة، وحدث عنه خلق من التابعين، وكان سيداً شريفاً مطاعاً حليماً يحتمل الأذى، لو سبه عبد أسود ما استنكف عنه، ولم يقصده أحد في شيء فرده خائباً. ولا سمع بمفارقة إلا حفر بها جأ أو عمل فيها بركة، ولا عقبه إلا سهلها، وقيل: إن المهلب بن أبي صفرة قدم على ابن الزبير من العراق فأطال الخلوة معه، فجاء ابن صفوان فقال: من هذا الذي شغلك منذ اليوم؟ قال: هذا سيد العرب من أهل العراق، فقال: ينبغي أن يكون المهلب. فقال المهلب لابن الزبير: ومن هذا الذي يسأل عني يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد قرش بمكة، فقال: ينبغي أن يكون عبد الله بن صفوان، وكان ابن صفوان كريماً جنداً.

وقال الزبير بن بكار بسنده: قدم معاوية حاجباً فلقاه الناس فكان ابن صفوان في جملة من تلقاه، فجعل يسأله معاوية وجعل أهل الشام يقولون: من هذا الذي يسأله أمير المؤمنين؟ فلما انتهى إلى مكة إذا الجبل أبيض من الغنم، فقال: يا أمير المؤمنين هذه غنم أجززتها، نقسها بين الجنود، فإذا هي ألفا شاة، فقالوا: ما رأينا أكرم من ابن عم أمير المؤمنين.

ثم كان ابن صفوان من جملة من صبر مع ابن الزبير حين حصروه الحجاج، فقال له ابن الزبير: إني قد أفلتتك بيعتي فأذهب حيث شئت، فقال: إني إنما أفلتت عن ديني. ثم صبر نفسه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة في هذه السنة، رحمه الله وأكرم مثواه.

■ عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العلوي المدني، ولد في حياة رسول الله ﷺ وحكاه ودعا له بالبركة، وروى عن أبيه عن

لراحة، وكانت أمه قد أتت عليها مائة سنة لم تسقط لها سن، ولم يفسد لها بصر، فقالت: ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إما أن تمكك فتر عني، وإما أن تقتل فأحتسبك، ثم خرج عنها وهو يقول: -

وَلَسْتُ بِبَيْتَاعِ الْحَيَاةِ بِشَيْءٍ وَلَا مُرْتَضٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْماً
ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول: ليكن أحدكم سيفه كما تكين وجهه فيدفع عن نفسه يده كأنه امرأة، والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، وما ألت جرحاً إلا ألت الدواء، ثم حمل عليهم ومعه سفيان، فأول من لقيه الأسود فضربه سيفه حتى أطن رجله، فقال له الأسود: أخ يا ابن الزانية، فقال له ابن الزبير: أحسب يا ابن حام، أسماء زانية؟ ثم أخرجه من المسجد، وكان على ظهر المسجد جماعة من أعوانه يرمون أعداءه بالأجر، فأصابته أجرة من أعوانه من غير قصد في مفرق رأسه فقلقت رأسه فوقف قائماً وهو يقول:

لو كان قرني واحداً كفتيه

ويقول: -

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَمِي كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَانِيَا تَقَطَّرُ الدُّمَا
ثم وقع فأكب عليه موليان له وهما يقولان:

العبد يجمسي ربه ويحتسي

وروى الطبراني أيضاً عن إسحاق بن أبي إسحاق قال: أنا حاضر مقتل عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام، يوم قتل جعلت الجيوش تدخل من أبواب المسجد، وكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم، فينما هو على تلك الحال إذ جاءت شرقه من شرفات المسجد، فوقعت على رأسه فصعته، وهو يمثل بهذه الأبيات:

أَسْمَاءُ يَا أَسْمَاءُ لَا تَكِينِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَسِي وَيُنْسِي
وَصَارِمٌ لَأَنْتِ بِهِ تَكِينِي

وقد روي أن أمه قالت للحجاج: أما أن لنا الركب أن ينزل؟ فقال الحجاج: ابنك المناق، فقالت: والله ما كان منافقاً، إن كان لصوماً قواماً وصولاً للرحم، فقال: انتصري يا عجزوز، فإنك قد خرفت، فقالت: والله ما خرفت منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُخْرَجُ مِنْ ثِيَابِ كِتَابٍ وَمِيرَةٍ، فَأَمَّا الْكُذَّابُ فَقَدْ رَأَيْتَاهُ، وَأَمَّا الْمِيرَ فَأَنْتِ».

وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر فمر على ابن الزبير فوقف فترحم وأثنى عليه ثم التفت إلي وقال: أخبرني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: «من يعمل سوءاً يجز به».

وروى سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال: ذكرت ابن الزبير عند ابن عباس فقال: كان عفيفاً في الإسلام، قارناً للقرآن، صواماً قواماً، أبوه الزبير، وأمّه أسماء، وجدته أبو بكر، وعمته خديجة، وجدته صفية، وخالته عائشة، والله لأحاسن له بنفسه محاسبة لم أحاسبها لأبي بكر ولا لعمر.

وقال الطبراني: حدثنا زكريا الساجي حدثنا حوثة بن محمد حدثنا أبو أسامة حدثنا سعيد بن المزيان أبو سعيد الجبسي حدثنا محمد بن عبد الله التقي قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالمرسم خرج علينا قبل التروية يوم وهو محرم فلقى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنكم جثتم من آفاق شتى وفردوا إلى الله عز وجل، فحق على الله

ورضي عنها. وقد روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها ورحمها.

قال ابن جرير رحمه الله: وفي هذه السنة - يعني سنة ثلاث وسبعين - عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وأضافها إلى أخيه بشر بن مروان مع الكوفة، فارتحل إليها بشر واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث.

وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة فهزم الروم.

وقيل: إنه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية أرمينية، وهو في أربعة آلاف، والروم في ستين ألفاً فهزمهم وأكثر القتل فيهم.

وأقام للناس الحج في هذه السنة الحجاج بن يوسف الثقفي وهو على مكة واليمن والبعامة، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان، في قول الواقدي. وفي قول غيره. وعلى الكوفة شريح بن الحارث، وعلى قضاء البصرة هشام بن هيرة. وعلى إمرة خراسان بكير بن وشاح، يعني الذي كان نائباً لجعد الله بن خازم والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان غير من تقدم

ذكره مع ابن الزبير

■ عبد الله بن سعد بن خزيمة الأنصاري: له صحبة وشهد اليرموك، وكان كثير العبادة والغزو.

■ عبد الله بن أبي حنيفة الأسلمي أبو محمد: له صحبة ورواية توفي بالمدينة.

■ مالك بن مسمع بن غسان البصري: كان شديد الاجتهاد في العبادة والزهادة..

■ ثابت بن الضحاك الأنصاري: له صحبة ورواية توفي بالمدينة، يقال له أبو زيد الأشهلي وهو من أهل البيعة تحت الشجرة.

قال يحيى بن أبي كثير: أخبرني أبو قلابة أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال: فمن قذف مؤمناً بكفر فهو كفيله (ج ١٧١، ٦٠٤٧).

■ زبيب بنت أبي سلمى المخزومية ربيبة النبي ﷺ ولدتها أمها بالحبيشة، ولها رواية وصحة.

■ توبة بنت الحُمَيْر وهو الذي يقال له مجنون ليلي، كان توبة يشن الغارات على بني الحارث بن كعب، فرأى ليلي فورها وتنتك فيها وهام بها عجة وعشقا، وقال فيها الأشعار الكثيرة القوية الرائقة، التي لم يسبق إليها ولم يلحق فيها لكثرة ما فيها من المعاني والحكم، وقد قيل له مرة: هل كان بينك وبين ليلي رية قط؟ فقال: برئت من شفاعة محمد ﷺ إن كنت قط حلت سراويلي على محرم.

وقد دخلت ليلي على عبد الملك بن مروان تشكو ظلاماً فقال لها: ماذا رأى منك توبة حتى عشقتك هذا العشق كله؟ فقالت: والله يا أمير المؤمنين لم يكن بيني وبينه قط رية ولا خشا، وإنما العرب تعشق وتعف وتقول الأشعار في من تهوى وتحب مع العفة والصيانة لأنفسها عن الدناءات، فأزال ظلامتها وأجازها.

توفي توبة في هذه السنة وقيل إن ليلى جاءت إلى قبره فبكّت حتى ماتت والله أعلم.

رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة» (ج ١٧٨٢).

ورعته ابنته إبراهيم ومحمد والشعبي وعيسى بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن أبي موسى.

قال الزبير بن بكار: كان ابن مطيع من كبار رجال قريش جلدناً وشجاعاً، وأخبرني عمي مصعب أنه كان على قريش أميراً يوم الحرة ثم قتل مع ابن الزبير بمكة وهو الذي يقول:

أنا الذي فُسررت بِسُوءِ الحَرَّةِ والشَّيْخُ لَا يَبْرُءُ غَيْرَ سَرِهِ
وَلَا جَبْرُونَ كَرَّةً بِفَرَّةِ

رحمه الله.

■ عرف بن مالك بن أبي عرف الأشجعي الطلفائي صحابي جليل، شهد موته مع خالد بن الوليد والأمرء قبله، وشهد الفتح وكانت معه رابية قومه يومئذ، وشهد فتح الشام، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وروى عنه جماعة من التابعين وأبو هريرة، وقد مات قبله.

وقال الواقدي وخليفة بن خياط (ج ١٧١، ٣٤٤٧) وأبو عبيد وغير واحد: توفي سنة ثلاث وسبعين بالشام.

■ أسماء بنت أبي بكر الصديق والدة عبد الله بن الزبير، يقال لها ذات النطاقين، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها فربطت به سفرة النبي ﷺ وأبي بكر حين خرجا إلى غار ثور للهجرة، وأما قبلة وقيل قبيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي.

أسلمت أسماء قديماً وهم بمكة في أول الإسلام وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل متم بابنها عبد الله فوضعت بقباء أول مقدمهم للمدينة، ثم ولدت للزبير بعد ذلك عروة والمنذر. وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً، وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق وجدها أبو حنيفة وابنها عبد الله وزوجها الزبير صحابين رضي الله عنهم، وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين. وقيل: إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها فقال: يا أماء إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأم، إنما أنا أم المصلوب على الشية، وما لي من حاجة، ولكن أحدثك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من تيفف كذاب ومبير» فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أراك إلا لياء. فقال: أنا مبير المناقنين، وقيل إن ابن عمر دخل مع عليها وابنها مصلوب فقال لها: إن هذا الجسد ليس بشيء وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري، فقالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بني من بغايا بني إسرائيل؟ وقيل: إنها غسلته وحطته وكفته وطيته وصلت عليه ثم دفنته، ثم ماتت بعده بأيام في آخر جمادى الآخرة. ثم لما كبرت طلقها ابن الزبير، وقيل: بل قال له عبد الله ابنه: إن مثلي لا توطأ أمه، فطلقها الزبير، وقيل: بل اختصمت هي والزبير فجاء عبد الله ليصلح بينهما فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق، فدخلت فبانت فآله أعلم.

وقد عمرت أسماء دهرًا صالحًا وأضرت في آخر عمرها، وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن، وأدركت قتل ولدها في هذه السنة كما ذكرنا، ثم ماتت بعده بخمسة أيام، وقيل: بعشرة، وقيل: بعشرين، وقيل: بضعه وعشرين يوماً، وقيل: عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر، وبلغت من العمر مائة سنة، ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل رحمها الله

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طروق بن عمرو عن إمرة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، فقلعها فأقام بها شهراً ثم خرج معتزاً ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثمانية أشهر، وبنى في بني سلمة مسجداً، وهو الذي ينسب إليه اليوم، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة ختم جابراً وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصرا عثمان بن عفان، وخاطبهما خطاباً غليظاً قبيحاً الله وأخزاه، وقد استقصى أبا إدريس الخولاني -أظنه- على اليمن.

وقال الواقدي: إن الحجاج لما قدم المدينة صعد منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس وقال: يا أهل خيصة -يعني طيبة- أنتم شر أمة وأخس ولولا أن أمير المؤمنين أوصاني بكم لجعلتها مثل جوف حمار يا أهل خيصة تموتون هل تعرفون إلا بأعواد يابسة - يعني المنبر - ورومة بالية، وأشار إلى قبر النبي ﷺ، ثم نزل وأرسل إلى سهل بن سعد الساعدي فقال: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قد فعلت. فقال: كذبت، ثم أمر به فخنق في عنقه برصاص وكذلك فعل بجابر بن عبد الله ختمه في يده وأمس بن مالك في عنقه وكان قصده يلهم بذلك فقال أنس: إن أهل الذمة لا يجوز أن يفعل بهم مثل هذا.

قال ابن جرير [طريق الطبري: ١٩٥/٦]: وفيها نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناء وأعادها على بنائها الأول.

قلت: الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه، بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج المجر من البيت ثم سدّه وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار، وبقيت الحيطان الثلاثة مجالها، ولها بقي البابان الشرقي والغربي وهما ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا، ولكن سدّ الغربي بالكليّة ودم أسفل الشرقي حتى جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ﷺ عن رسول الله ﷺ كما تقدم ذلك من قوله: «لولا أن قومك حديث عهدهم بكنس - وفي رواية - بجاهلية - لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً، ولألصقتهما بالأرض، فإن قومك قصرت بهم الثقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم يتموها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شأواً ويمسوا من شأواً» (١٥٨٤)، (١٥٨٦)، (١٣٣٣) أخرجه بإسلاف في بعض النسخ. فلما تمكن ابن الزبير بنائها كذلك، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال: ودنا أنا تركناه وما تولى من ذلك.

وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك أخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج الأزارقة في جيوش من أهل البصرة والكوفة، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه، فلم يجد بُدّاً من طاعته في تأميره على الناس في هذه الغزوة، وما كان له من الأمر شيء، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الرحمن بن غنم أن يستبد بالأمر دونه، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة، فسار المهلب بأهل البصرة وأمره الأرباع معه على منازلهم حتى نزل برامهرمز، فلم يلبث عليها إلا عسراً حتى جاء نعي بشر بن مروان، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله، فأرغض بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردهم، وكتب خالد بن عبد الله

إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك، فعدلوا يستأذنون عمرو بن حرث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم: إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفتين، فليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحلم فركبوا ثم ساروا إلى بعض البلاد فلم يزالوا تخفّين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً.

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان ولها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد القرشي ليجمع عليه الناس فإنه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله بن خازم، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطه فأبى وطلب منه أن يوليّه طخارستان فخوفوه منه أن يجلعه هناك فتركه مقيماً عنده.

قال ابن جرير [طريقه: ٢٠١/٦]: وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والجماعة.

قال ابن جرير [طريقه: ٢٠١/٦]: وقد قيل: إن عبد الملك اعتصر في هذه السنة ولا تعلم صحة ذلك.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

■ رافع بن خديج بن رافع الأنصاري، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدهما، وشهد صفين مع علي وكان يتعمق المزارع والفلاحة، توفي وهو ابن ست وثمانين سنة، وأسد ثمانية وسبعين حديثاً وله أحاديث جيدة. وقد أصابه يوم أحد سهم في رتوقه فخيّر رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه القطة ويشهد له يوم القيامة، فاختار هذا، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه ﷺ.

■ أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استصغر يوم أحد. ثم كان أول مشاهدته الخندق، وشهد مع رسول الله ﷺ ثني عشرة غزوة وروى عنه أحاديث كثيرة، وعن جماعة من الصحابة، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم ﷺ.

قال الواقدي وغيره: مات سنة أربع وسبعين.

وقيل: قبلها بعشر سنين فإله أعلم.

قال الطبراني [المعجم الأوسط: ٩٠٤٣]: حدثنا المقدم بن داود حدثنا خالد بن نزار حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري. قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ فقال: «التيون» قلت: ثم أي؟ قال: «ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السيرة» - وفي رواية - «إلا العباد» - أو نحوها، وإن أحدهم ليتلى فيقول حتى يندب القمل، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء. وقال قتية بن سعيد: حدثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري: أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً، فوافقه على المنبر وهو يقول: «أيها الناس قد آن لكم أن تستنخوا عن المسألة فإنه من يستغف بصفة الله ومن يستغف بغيره الله، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر، ولئن أيتيم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدته». وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه.

وقال ابن مسعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا ابن عمر.

قال جابر: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها، إلا ابن عمر، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريماً.

وقال سعيد بن المسيب: مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن تأتي الله بمثل عمله منه.

وقال الزهري: لا يعدل برأيه فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم.

وقال مالك: عاش ستاً وثلاثين سنة وأتقى في الإسلام ستين سنة، يقدم عليه وفود الناس من أنظار الأرض.

قال الواقدي وجماعة: توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين.

وقال الزبير بين بكر وأخرون: توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله تعالى أعلم.

وقال ابن سعد لما قتل عثمان واستخلف علي أتاه ابن عمر قال له علي: أنت محبوب إلى الناس فسر إلى الشام فقد وليتها. فقال: أذكر الله وقربائي وصحبي لرسول الله والرحم إلا ما وليت غيري وأعني فلي عليه فاستعان بحفصة اخته فكلمته ثم سار من ليلى إلى مكة هارباً منه.

وقيل: إن مروان قال لابن عمر: ألا تخرج إلى الشام فيبايعوك؟ قال: فكيف أصنع بأهل العراق؟ قال: تقتاتهم بأهل الشام فقال: والله ما يسرني أن لي ملك الأرض وأن الناس كلهم ببايعوني وقد قتل منهم رجل واحد وما أحب أنها أتني ورجل يقول: لا وآخر: نعم.

وقيل: إنه دخل عليه الحجاج وهو مريض فتمسّص عينيه فكلمه فلم يجبه.

توفي بمكة بعد متصرف الناس من الحج في آخر السنة وعمره أربع وثلاثون سنة ودفن بالمحصب وهو آخر من مات من الصحابة بمكة.

وكان له من الولد أبو بكر وأبو عبيدة وواقدة وعبد الله وعمر وحفصة وسودة أمهم صفية بنت أبي عبيد أخت المختار وعبد الرحمن وسالم وعبيد الله وحزرة وأمهم أم ولد وزيد وعائشة وأم ولد. وأسند القليل وستمئة وثلاثين حديثاً.

■ عبيد بن عمير بن قنادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث، الليثي ثم الحنذلي، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة.

قال مسلم بن الحجاج: ولد في حياة النبي ﷺ، وقال غيره: ورآه أيضاً. وروى عن أبيه، وله صحة وعن عمر وعلي وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وأم سلمة وغيرهم.

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم، وثقه ابن معين وأبو زرعة وغير واحد.

وكان ابن عمر يجلس في حلقته ويكيي وكان يعجبه تذكيره، وكان بلينا، وكان يكيي حتى يبل الحصى بلموعه.

قال مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير قال: كان عبيد بن عمر إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال: اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك، واجعل عمداً شهيداً علينا بالإيمان، وقد سبقت لنا منك الحسن غير متناول علينا الأمد، ولا قاسية قلوبنا ولا قاتلين ما ليس لنا بحق، ولا ساتلين ما ليس لنا به علم.

وحكى البخاري (التاريخ الكبير: ٤٥٥/٥) عن ابن جريج أن عبيد بن

■ عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجر وعمره عشر سنين، وقد استصغر يوم أحد، وكان ابن أربع عشرة فلما كان يوم الخندق أجازته وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدا وما بعدها، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون.

وكان عبد الله بن عمر ربيعة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يخضب بالصفرة ويغني شاربه، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه، وقد أراده عثمان على القضاء فأبى، وكذلك أبوه.

وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس، وشهد فتح مصر، واختط بها داراً، وقدم البصرة وشهد غزو فارس وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة، وكان إذا أعجبه شيء من ماله تقرب به إلى الله عز وجل، وكان عبيده قد عرفوا ذلك منه، فرموا لزم أحدهم المسجد فإذا رأى ابن عمر على تلك الحال اعتقه، فيقال له: إنهم يخدعونك، فيقول: من خدعنا في الله الخدعنا له.

وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع، وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَنَنْتَلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحْنُ بِكُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وكان له غيب اشتراه بمال فأعجبه ما ركبته فقال: يا نافع أدخله في إبل الصدقة.

وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف دينار قليل له: ما تنتظر بيعه فقال: ما هو خير من ذلك؟ هو حر لوجه الله.

واشترى مرة غلاماً باريعين ألفاً واعتقه فقال الغلام يا مولاي قد اعتقتني فهب لي شيئاً أحش به فأعطاه أربعين ألفاً.

واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال: لمن صليتم هذه الصلاة؟ فقالوا: لله، فقال: أتم أحرار لمن صليتم له، فأعتقهم. والمقصود أنه ما مات حتى اعتق ألف رقبة، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً، وكانت تضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا ينوق فيه لحماً وما كان يأكل طعاماً إلا وعلى مائدة يميم.

ويعد إليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يسابع ليزيد، فما حال عليها الحول وعنده منها شيء، وكان يقول: إني لا أسأل أحداً شيئاً، وما رزقني الله فلا أرده.

وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله، وكان أعلم الناس بمناسك الحج، وكان يتبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه أو قعد فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدهما ويصب في أصلها الماء حتى لا تيس.

وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحياناً الليل تلك الليلة، وكان يقوم أكثر الليل، وقيل: إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه، وكان يوم مات خير من بقي، ومكث ستين سنة يقي الناس من سائر البلاد.

وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة أم المؤمنين وغيرهم، وعنه خلق من التابعين منهم بنو حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر - إن كان محفوظاً - وأسلم - حمول أبيه - وأبى بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهري ومولاه نافع.

وثبت في الصحيح (٧٠٢٩) عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل»، فكان بعد يقوم الليل.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

وفي هذه السنة غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار - صائفة الروم حين خرجوا من عند مرشش.

وفيهما ولي عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبي العاص، وهو عمه، وعزل عنها الحجاج.

وفيهما ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف الثقفي نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار، وذلك بعد موت أخيه بشر بن مروان، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسلطوته وقهره وقسوته وشهامته، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راجاً على النجائب، فنزل قريب الكوفة فاعتسل واختضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عبية العمامة بين كفيه، ثم سار فنزل دار الإمارة، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول، فخرج عليهم وهم لا يعلمون، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصاة ليفلقوه بها، وقد كانوا حصوا الذي كان قبله، فلما سكث أبهتهم واجبوا أن يسمعوا كلامه، فكان أول ما تكلم به أنه قال:

يا أهل العراق يا أهل الشقاق ويا أهل النفاق، ومساوي الأخلاق، والله إن كان أمركم ليهيئ قبل أن أتى إليكم، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي فأجاب دعوتي، إلا أنني سرت الباحة فسقط مني سوطي الذي أؤذيكم به، فالتفت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ثم قال: والله لأجزيته فيكم جرّ المرأة ذنبها، لأفتعلن بكم ولأضعنّ فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم، وقيل: إنه دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها في شهر رمضان من هذه السنة ظهراً فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتج بعمامة حراء مثلم بطرفها، ثم قال: علي بالناس! فحسبه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه وقال:

أنا ابن جَلْأ وطلّاع الثياب. متى أضع العمامة تترقوني ثم قال: أما والله إني لأحمل الشُرّ بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤوساً قد أبيضت وأن قطفانها، وإني لأنظر إلى الدماء تترقق بين العمام والمحي.

شمرت عن ساقها فشمرى

ثم أتشد أيضاً:

هذا وإن الشدّ فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حُطْم
لست براعي إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضْم
قد لفها الليل بصلبي أروغ خراج من السنوي
مهاجر ليس بأعراي

ثم قال: إني والله يا أهل العراق ما أغمز بغماز، ولا يقيمق لي بالشان، ولقد فررت عن ذكاء وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نشر كنانته ثم عجم عيائها عوداً عوداً فوجدني أمرها عوداً وأصلها مغزاً فوجهي إليكم، فإنكم طالما أوضعتم في أودية الفتن، وستتم سنن الغي، واخترم جدد الضلال، أما والله لأخونكم لحى العود، ولأعصبكم عصب السلمة، ولأعزبنكم ضرب

عمر مات قبل ابن عمر رضي الله عنه.

■ أبو جحيفة: وهب بن عبد الله السوائي، صحابي رأى النبي ﷺ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ لكن روى عنه عدة أحاديث، وعن علي والبراء بن عازب، وعنه جماعة من التابعين، منهم إسماعيل بن أبي خالد، والحكم وسلمة بن كهيل والشامي وأبو إسحاق السبيعي. وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة، وقيل في سنة أربع وتسعين، فالله أعلم.

وكان صاحب شرطة علي، وكان علي إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره.

■ سلمة بن الأكوع بن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة، وكان من فرسان الصحابة وعلمائهم، كان يفتي بالمدينة، وله مشاهد معروفة في حياة النبي ﷺ وبعده، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة.

■ مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني وهو جد الإمام مالك بن أنس، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً، توفي بالمدينة.

■ أبو عبد الرحمن السلمي: مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره، توفي بالكوفة.

■ أبو معرض الأسدي: اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه، وله شعر جيد، ويعرف بالأكثير، وكان أحمر الوجه كثير الشعر، توفي بالكوفة في هذه السنة، وقد قارب الثمانين سنة.

■ بشر بن مروان الأموي أخو عبد الملك بن مروان، ولي إمرة العراقين لأخيه عبد الملك، وله دار بدمشق عند عقبة الكنان، وكان سمحاً جواداً، وأليه ينسب دير مروان عن حجير، وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلبي يوم مرج راهط، وكان لا يخلق دونه الأبواب ويقول: إنما تحتجب النساء، وكان طليق الوجه، وكان يميز على الشعر بالكوف، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل. والجمعيّة تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل فيما مدح به بشر بن مروان، وهو قوله:

قد استوى بشرٌ على الميراث من غير سيفٍ وممّ مُهرَاق
وليس فيه دليل، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة، وقد كان الأخطل نصرانياً.

وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في يمينه فقيل له نقطعها من المفصل فيجزع فما أمسى حتى خالطت الكف، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات، ولما احتضر جعل يكي ويقول: والله لوددت أنني كنت عبداً أرمي الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أَلِ ما وليت. فذكر قوله لأبي حازم - أو لسعيد بن المسيب - فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يبعثنا نفر إليهم، إنا لنرى فيهم عبراً.

وقال الحسن: دخلت عليه فإذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار، والأطباء حوله.

مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها. ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفي نائباً على البصرة من جهته، وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله، وأقر على قضاء الكوفة شريعاً ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور، وولى قضاء البصرة لزرارة بن أوفى، ثم عاد إلى الكوفة.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الملك بن مروان، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله.

وفي هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضبابة، وقام في أهل البصرة بخطبة نظير ما قام في أهل الكوفة من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، ثم أتى برجل من بني يشكر قتيلاً: هذا عاص، فقال الرجل: إن بني قضا وقد عذوني الله وعذوني بشر بن مروان، وهنا عطائي مردود على بيت المال، فلم يقبل منه وأمر بقتله قتل، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قطرة رامهرمز، وعليهم عبد الله بن الجارود، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أسراء الجيش من المصريين فاقتلوا هناك قتلاً شديداً، فهزمهم الحجاج وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤوس من القتال معه، وأمر برؤوسهم فنصبت عند الجسر من رامهرمز، ثم بعث بها إلى المهلب فقوي بذلك وضعف أمر الخوارج، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن غنم فأمرهما بمناهضة الأزارقة، فهضما بمن معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأبسر قتال، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور، وسار الناس وراهم فالتقوا في العشر الأواخر من رمضان.

فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره، فجاؤوا إلى عبد الرحمن بن غنم فوجدوه غير محتز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن غنم وطائفة من جيشه وهزمهم هزيمة منكرة، ويقال: إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان، فاقتلوا قتلاً شديداً لم يمهده مثله من الخوارج، وحملت الخوارج على جيش المهلب فاضطروه إلى معسكره، فجعل عبد الرحمن بن غنم يمد بالخيال بعد الخيل، والرجال بعد الرجال، فمالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بن غنم بعد العصر فاقتلوا معه إلى الليل، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبوا معه، فلما كان الصباح جاء المهلب فوصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزبه فيه فتعاه عبد الملك إلى الناس بمنى، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء، وكتب إليه أن يطبع المهلب، ففكر ذلك ولم يجد بداً من طاعة الحجاج، ولم يمكنه مخالفته، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويعصيه سراً، ثم تقاولا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب.

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله.

قال ابن جرير [رواه: ٢١٥/٦]: وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرج أحد بني امرئ القيس، وكان يرى رأى الصفرية، وقيل: إنه أول من خرج من الصفرية، وكان سبب ذلك أنه كان حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد، والبطين وأشباههم من رؤوس الخوارج، واتفق حج أمير

غرائب الإبل، إني والله لا أعود إلا وفيت، ولا أحلق إلا فريت، فليأي وهذه الجماعات وقلاً وقالاً، والله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلًا في جسده.

ثم قال: من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب - يعني الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر بن مروان كما تقدم - سفكت دمه وانتهت ماله. ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك.

ويقال: إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى إن عماد بن عمير أخذ كفاً من حصي وأراد أن يصبه بها، وقال: قبحه الله ما أعياه وأذمه! فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتسائر من يده وهو لا يشعر به، لما يرى من فصاحته ويلاغته.

ويقال: إن الحجاج قال في خطبته هذه: شامت الوجوه إن الله ضرب مثلاً قُرْبَةً كَانَتْ أَمَةً مُطْعِمَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُرْحِ وَالْحَرْفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [النحل: ١١٢] وأنتم أولئك فاستوتقروا واستقيموا فروا الله لأذيقنكم المهران حتى تلبثوا، ولأعصبنكم عصب السلطة حتى تتقاولوا، وأقسم بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعن الإرجاف وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان، والخبر وما الخبر، أو لأهبرنكم بالسيف هراً يدع النساء أيامي والأولاد يتامى، حتى تمشوا السُّمُهي وتقلعوا عن ها وها. في كلام طويل بليغ غريب مشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير.

فلما كان في اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق، ومسائري الأخلاق، إني سمعت تكبيراً في الأسواق ليس بالتكبير الذي يراد به الترغيب، ولكنه تكبير يراد به الترهيب، وقد عصفت عجاجة تحتها قصف، يا بني اللكعة وعبيد العصا وإبناء الإمام والأيامي، ألا يروع كل رجل منكم على ظلمه، ويحسن حقن دمه ويصير موضع قنمه، وأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها.

قال: فقام إليه عمير بن ضبابة التميمي ثم الحظلي فقال: أصلح الله الأمير أنا في هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل، وهذا ابني وهو أشب مني. قال: ومن أنت؟ قال: عمير بن ضبابة التميمي، قال: سمعت كلامنا بالأمس؟ قال: نعم! قال: ألت الذي غزا عثمان بن عفان؟ قال: بلى. قال: وما حملك على ذلك؟ قال: كان حبس أبي وكان شيخاً كبيراً، قال: أو ليس هو الذي هو يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني فعلت ووليت البكاء حلالاً

ثم قال الحجاج: إني لأحسب أن في ذلك صلاح المصريين، ثم قال: قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه، فقام إليه رجل فاضرب عنقه وانتهى ماله، وأمر منادياً فنادى في الناس: ألا إن عمير بن ضبابة تأخر بعد سماع النداء ثلاثاً فأمر بقتله.

قال: فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه في ساعة واحدة أربعة آلاف من مذبح، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه، فقال المهلب: قدم العراق والله رجل دكر اليوم قوتل العدو.

ويرى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضبابة حتى قال له عبيسة بن سعيد: أيها الأمير! إن هنا جاء إلى عثمان رضي الله عنه وقد قتل فلطم وجهه. فأمر الحجاج عند ذلك بقتله.

إدريس الخولاني، وأبو قلابة الجرهمي.

وكان ممن يجالس كعب الأحبار، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيضكر ثم يرجع فيسجد لله عز وجل، وكان يقول: إني لأرجو أن لا يميتني الله عند الموت كما أراكم تموتون، فينسا هو ليلة يصلى من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد. وروى ابنته في المنام كان أباه قد مات فانتبهت مذعورة فقالت لأهلها: أين أبي؟ قالت: هو في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فجاءته فحركته فسقط بجانبه فإذا هو ميت رحمه الله.

قال أبو عبيد ومحمد بن سعد [الطفاة: ٤١٦/٧] وخليفة [الرحمة: ٧٨٢]

وغير واحد: كانت وفاته سنة خمس وسبعين.

وقال غيرهم: كانت وفاته في أول إمرة معاوية فأنه أعلم.

وقد توفي في هذه السنة.

■ الأسود بن يزيد: صاحب ابن مسعود، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود، ومن كبار أهل الكوفة، وكان يصوم الدهر، وقد ذهب عنه من كثرة الصوم، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمرة. وكان يهل من الكوفة، توفي في هذه السنة، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أثبت بالمغفرة من الله لأعشي الحياة مع ما قد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيفرضه فلا يزال مستحيًا منه.

■ حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان: كان من سبي عين التمر اشتراه عثمان، وهو الذي كان يأذن للناس على عثمان. توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وسبعين

وكان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرح أمير الصفرية، وشيب بن يزيد أحد شجعان الخوارج، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بتقوى الله وحثهم على الجهاد، وأن لا يقتاتوا أحدا حتى يدعوه إلى الدخول معهم.

ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة لأخيه عبد الملك فأخذوها فتقروا بها، وأقاموا بارض دارا ثلاثة عشرة ليلة، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدي بن عدي بن عميرة، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار في ألف من حران إليهم، وكانوا يساق إلى الموت وهو ينظر، لما يعلم من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم، فلما التقى مع الخوارج هزموه هزيمة شنيعة بالغة. واحتروا على ما في معسكره ورجع فلهم إلى محمد بن مروان، فغضب وبعث إليهم ألفا وخمسمائة مع الحارث بن جعونة، وألفا وخمسمائة مع خالد بن جزء السلمي، وقال لهما: أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل، والخوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس فلما انتهوا إلى آمد توجه صالح إلى خالد بن جزء في شطر الناس، ووجه شيباً في الباقي إلى الحارث بن جعونة في الباقي، فاقبل الناس في هذا اليوم قتالا شديداً إلى الليل، فلما كان المساء انكف كل من الفريقين عن الآخر، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا

المؤمنين عبد الملك فهم شيب بالفتك به، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره فكتب إلى الحجاج أن يطلبهم، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والإقامة بها، وكان له جماعة، من أهل دارا وأهل الموصل، يعلمهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم وكان مصغراً كثير العبادة، وكان إذا قص يمدح الله ويثني عليه ويصلى على رسول الله ﷺ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، ويمت على ذكر الموت، ثم يترحم على الشيخين أبي بكر وعمر، ويثني عليهما ثناء حسناً، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان بن عفان ﷺ فيسبه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف ولإنكار المنكر، الذي قد شاع في الناس فقام، ويهون عليهم القتل، ويدم الدنيا وأمرها ويصغرها فالتفت عليه جماعة من الناس، وكتب إليه شيب بن يزيد الحارثي يستبطئه في الخروج ويمت عليه وينتبه إليه، ثم قدم شيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شيب وأخوه مصاد والمحلل والفضل بن عامر، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها وتفرقوا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما سنذكره في التي بعد ما إن شاء الله تعالى.

وكان ممن توفي في هذه السنة

في قول أبي مسهر وأبي عبيد:

■ العرياض بن سارية السلمي أبو نجيح سكن حمص وهو صحابي جليل، أسلم قديماً هو وعمرو بن عتبة رضي الله عنهما ونزل الصفة، وكان من الكيانيين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ قُلْتُ لَا مَا أَهْلَكُمْ تَقْبِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزْناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٩٢]. وهو راوي حديث «خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وفرفت منها العيون» حتى قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع [٨٥/٧] فأوصينا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ حسنٌ» كأن رأسه زينة، عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، غصوا عليها بالنواحي، وإياكم وعصيات الأمور، فإن كل عذبة بدعة.

ورواه أحمد [١٢٦/٤، ١٢٧، ١٢٨] وأهمل السنن [٤٦٠/٧]، ت(٢٦٦٩)، ج(٤٢) وصححه الترمذي وغيره.

وروى أيضاً أن النبي ﷺ «كان يصلى على الصف المتقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة» [السنن: ١٢٦/٤، ١٢٧]

وقد كان العرياض شيخاً كبيراً، وكان يجب أن يقبضه الله إليه، وكان يدعو: اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك. وروى أحاديث.

■ أبو لعبة الحنفي: صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان عن نزل الشام بداريا غربي دمشق إلى جهة القبلة، وقيل ببلاد قرية شرقي دمشق فأنه أعلم.

وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، والأشهر منها جرثوم بن ناشر.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث وعن جماعة من الصحابة، وعنه جماعة من التابعين، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو

اللسكرة، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً. فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كرايس، فهو في كردوس، وشيب عن يمينه في كردوس، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس، وحمل عليهم الحارث بن عميرة، وعلى ميمته أبو الرواح الشكري وعلي ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً، ثم انكشف سويد بن سليمان، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم وصريح شيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هناك، وقد بقي منهم سبعون رجلاً، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيدخلون الخوارج قهراً، فما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج من الباب على الصعب والذلول فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن، واحتاز شيب وأصحابه ما في معسكرهم، فكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شيب، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفيها دخل شيب الكوفة ومعه زوجته غزالة، وذلك أن شيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح، واجتمعت عليه الخوارج وابعوه، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك، ثم سار فحاصر المدائن فلم يزل منها شيئاً، فسار فأخذ دواب للحجاج من كلواذ، ومن عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة، فلما وصل فلهم إلى الحجاج جهاز جيش أربعة آلاف مقاتل إلى شيب، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شيب فجعل شيب يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريهم أنه خائف منهم، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرهما وينهب ما فيها، ولا يواجه أحداً إلا هزمه، والحجاج يلح في طلبه ويهجم إليه السرايا والبعوث والمدد وشيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارساً، وهذا من أعجب العجيب، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله، وبلغه ذلك فلم يبال بهم واتزعج الناس وخافوا منه وفرقوا، وهموا أن يدخلوا الكوفة خوفاً منه فيتحصنوا فيها منه، حتى قيل لهم: إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم، وشيب نازل بالكوفة بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له فقيل له: قد جاءك الجند فأدرك نفسك، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر لذلك ويقول للدهقان الذي يصنع له الطعام: عجل به، فلما استوى أكله ثم ترض وصلى بأصحابه صلاة تامة بتطويل وطمانية، ثم ليس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال: أسرجوا لي البغلة، فقال له أخوه مصاد: أفي هذا اليوم تركب البغلة وقد أحاط بك الأعداء من كل جانب قال: نعم فركبها ثم فتح باب الدير السني هو فيه وخرج وهو يقول: أنا أبو المذل لا حكم إلا لله، وتقدم إلى أمير الجيش الذين تقدموا إليه فضره بالعمود الحديد فقتله، وهو سعيد بن المجال، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجؤوا إلى الكوفة، ومضى شيب إلى الكوفة حتى أغار على أسفل الفرات، وقتل جماعة هناك، وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة ثم اقترب شيب من الكوفة يريد دخولها، فأعلم الدعايق عروة بن المغيرة بذلك فكذب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع

والله الحجاج في الناس: يا خيل الله اركبي وأبشري، فخرج شيب من الكوفة فجهز الحجاج في إثره ستة آلاف مقاتل، فساروا وراءه وهو بين أيديهم يتنصرون ويهز رأسه، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم شيب فيقتل منهم جماعة، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً، وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة، قتله شيب، وهو ابن عم المختار، فوجه الحجاج مكانه لحربه عبد الرحمن بن الأشعث، فلم يقابل شيئاً ورجع، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهزمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستمائة نفس، فمن أعانهم عقيل بن شداد السلولي، وخالد بن نهيك الكندي، والأسود بن ربيعة.

واستغفل أمر شيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية، وإن ما مع شيب شرمة قليلة، وقد ملا قلوب الناس رعباً وجرت خطوب كثيرة له معهم، ولم يزل ذلك دأبه ودايمهم حتى استهلت هذه السنة.

قال ابن جرير [٢٥٦/٦]: وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدينار وهو أول من نقشها.

وقال الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» [١٣٩/١]: اختلف في أول

من ضربها بالعربية في الإسلام فقال سعيد بن المسيب: أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان، وكانت الدينار رومية والدراهم كسروية.

قال أبو الزناد: وكان ذلك سنة أربع وسبعين.

وقال المدائني: خمس وسبعين، وضربت في الأناق سنة ستة وسبعين.

وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها (الله أحد)، وعلى الوجه الآخر (الله الصمد).

قال: وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير، سنة سبعين على ضرب الأكاسرة، وعليها (الملك بركة) من جانب، و(الله) من جانب، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب، ثم خلصها بعده يوسف بن هيرة في أيام يزيد بن عبد الملك، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسري في أيام هشام، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم، ولهذا كان المنصور لا يقبل منها إلا الهيرية والحالدية واليوسفية.

وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها درهم البجلي، وكان منها ثمانية دنانير، والطبري وكان أربعة دنانير، والمصري ثلاثة دنانير واليماني دنانيراً، فجمع عمر بن الخطاب بين البجلي والطبري ثم أخذ نصفها فجعله الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخميس مثقال. وذكروا أن المثقال لم

اللسكرة، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً. فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كرايس، فهو في كردوس، وشيب عن يمينه في كردوس، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس، وحمل عليهم الحارث بن عميرة، وعلى ميمته أبو الرواح الشكري وعلي ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً، ثم انكشف سويد بن سليمان، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم وصريح شيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هناك، وقد بقي منهم سبعون رجلاً، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيدخلون الخوارج قهراً، فما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج من الباب على الصعب والذلول فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن، واحتاز شيب وأصحابه ما في معسكرهم، فكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شيب، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفيها دخل شيب الكوفة ومعه زوجته غزالة، وذلك أن شيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح، واجتمعت عليه الخوارج وابعوه، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك، ثم سار فحاصر المدائن فلم يزل منها شيئاً، فسار فأخذ دواب للحجاج من كلواذ، ومن عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة، فلما وصل فلهم إلى الحجاج جهاز جيش أربعة آلاف مقاتل إلى شيب، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شيب فجعل شيب يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريهم أنه خائف منهم، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرهما وينهب ما فيها، ولا يواجه أحداً إلا هزمه، والحجاج يلح في طلبه ويهجم إليه السرايا والبعوث والمدد وشيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارساً، وهذا من أعجب العجيب، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله، وبلغه ذلك فلم يبال بهم واتزعج الناس وخافوا منه وفرقوا، وهموا أن يدخلوا الكوفة خوفاً منه فيتحصنوا فيها منه، حتى قيل لهم: إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم، وشيب نازل بالكوفة بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له فقيل له: قد جاءك الجند فأدرك نفسك، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر لذلك ويقول للدهقان الذي يصنع له الطعام: عجل به، فلما استوى أكله ثم ترض وصلى بأصحابه صلاة تامة بتطويل وطمانية، ثم ليس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال: أسرجوا لي البغلة، فقال له أخوه مصاد: أفي هذا اليوم تركب البغلة وقد أحاط بك الأعداء من كل جانب قال: نعم فركبها ثم فتح باب الدير السني هو فيه وخرج وهو يقول: أنا أبو المذل لا حكم إلا لله، وتقدم إلى أمير الجيش الذين تقدموا إليه فضره بالعمود الحديد فقتله، وهو سعيد بن المجال، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجؤوا إلى الكوفة، ومضى شيب إلى الكوفة حتى أغار على أسفل الفرات، وقتل جماعة هناك، وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة ثم اقترب شيب من الكوفة يريد دخولها، فأعلم الدعايق عروة بن المغيرة بذلك فكذب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع

على ذلك الراهب بعد زمان فإذا تخللات حسان فقال: إنهن لمن الربطات التي أطعمتني. وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تربه للناس. ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً. فقام يصلي فقامت تصلي معه، فلم يزلوا يصليان حتى برق الصبح، قال: فأتيت فقلت له: أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقممت تصلي وتركتها؟ قال: إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت. البيت الذي أذكره به النار هو الحمام، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس.

وقال له رجل: ادع الله لي، فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه، ولا تعول في الدين إلا عليه. وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له: أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدم صلة فقاتل حتى قتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: إن كنتن جئتني لهتتني فمرحبا بكن، وإن كنتن جئتني لغير ذلك فارجمن.

توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة.

■ زهير بن ليس البلوي: شهد فتح مصر وسكنها، له صحبة، قتلته الروم بركة من بلاد المغرب، وذلك أن الصريح أتى الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا بركة، فأمره بالتهوض إليهم، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر، فقالوا: يا أبا شداد حمل بنا عليهم، فحملوا فقتلوا جميعاً.

■ المنذر بن الجارود مات في هذه السنة، تولى بيت المال ووفد على معاوية والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً، وانضاف إليهم عشرة آلاف، فصاروا خمسين ألفاً، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لسيب بن يزيد وأن يصمم عليه وعلى من معه - وكانوا قد تجمعوا ألف رجل - وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والمزمنة.

ولما بلغ شيباً ما بعث به الحجاج إليه من الجنود، لم يعاً بهم شيئاً، بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكرهم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء.

سار شيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء، فالتقى في آخر النهار عند غروب الشمس، فأمر شيب مؤذنه سلام بن سيّار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شيب بأصحابه المغرب، وصاف عتاب أصحابه - وكان قد خندق حول جيئه من أول النهار - فلما صلى شيب بأصحابه المغرب انتظر حتى إذا طلع القمر وأضاء تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب أريات عتاب وهو يقول: أنا شيب أبو المدلّة لا حكم إلا لله. فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن الوقى وجماعة من الأمراء معه، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن خوية، وولى عامة الجيش مدبرين وداوسا الأمير عتاباً وزهرة فوطته الخيل، وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي، ثم قال شيب لأصحابه: لا تتبعوا منهزماً، وانهزم جيش

يتغير وزنه في جاهلية ولا إسلام، وفي هذا نظر والله أعلم.

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو مروان.

وفيها ولّى عبد الملك بن مروان نيابة المدينة لأبان بن عثمان، وعزل عنها يحيى بن مروان عمه، واستدعاه إلى الشام.

الحمار آخر من ولي الخلافة من بني أمية بالشام، ومنه أخذها بنو العباس.

وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو عثمان الهذلي القضاعي اسمه عبد الرحمن بن مزل، أسلم على عهد النبي ﷺ وغزاه جلولاء والقادسية وتستر، ونهواند، وأذريجان وغيرها، وكان كثير العبادة زاهداً عالمياً يصوم النهار ويقوم الليل، توفي وعمره مائة وثلاثون سنة بالكوفة.

■ صلة بن أشيم العدوي: من كبار التابعين من أهل البصرة، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد، كنيته أبو الصباه كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبواً، وله مناقب كثيرة جداً، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا في النهار عن الطريق واناموا الليل فمتى يقطعون سفرهم؟ فقال لهم يوماً هذه المقاتلة، فقال شاب منهم: والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو، وبالليل ننام. ثم تبع صلة فلم يزل يتبعه معه حتى مات.

ومر عليه فتى يمر ثوبه فهم أصحابه أن يأخذوه بالسهم فقال: دعوني أكنفكم أمره، ثم دعاه فقال: يا ابن أخي لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قال: أن ترفع إزارك، قال: نعم، ونعوت عين، فرفع إزاره، فقال صلة: هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لشتمكم.

ومنها ما حكاه جعفر بن زيد قال: خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم ففزل الناس عند العتمة فقلت: لأرقن عمله الليلة، فدخل غيضة ودخل في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة، قال: فترأه التفت أو علّه جرّوا حتى سجد فقلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سلم فقال: أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر، فولى الأسد وإن له لثيراً تصدع منه الجبال، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بحماد لم أسمع بمثله ثم قال: اللهم إني أسألك أن تحجّرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسلّك الجنة، ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبني من الفترة شيء الله به عليهم.

قال: وذعبت بقلته بقلها فقال: اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلي بقلها، فجاءت حتى قامت بين يديه، قال: فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعناً وضرباً، فقال العدو: رجلا من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني أنزلوا على حكمهم.

وقال صلة: جئت مرة في غزاة جوعاً شديداً فينما أنا أسير أدعو ربي وأستطعمه إذ سمعت وجة من خلفي فالتفت فإذا أنا بممثل أبيض فإذا فيه دوخلة ملانة رطباً فأكلت منه حتى شبع، وأدركني المساء فملت إلى دير راهب فحدثه الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته، ثم إني مررت

الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة.

وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ من بقي منهم البيعة له بالإمارة فبايعوه، وقال لهم: إلى أي ساعة تهربون؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن، ثم قصد نحو الكوفة، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام، فاستنقذ الحجاج بهم عن نصرة أهل الكوفة، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز، ولا نصر من أراد بكم النصر، أخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بالحيرة فأنزلوا مع اليهود والنصارى، فلا يقاتل معنا إلا من كان لنا عاملاً، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء.

وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى بلغ الصرعة، وخرج إليه الحجاج بمن معه من الشاميين وغيرهم، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في ستمائة من أصحابه فخطب الحجاج أهل الشام وقال: يا أهل الشام أتمم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقتكم، غضوا الأبصار واجتروا على الركب، واستقبلوا بأطراف الأسمنة. ففعلوا ذلك.

وأقبل شبيب وقد غباً أصحابه ثلاث فرق، واحدة معه، وأخرى مع سويد بن سليم، وأخرى مع الجمل بن وائل، وأمر شبيب سريداً أن يجعل فحمل على جيش الحجاج فصرخوا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فأنهزم عنهم، فنادى الحجاج: يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا. ثم أمر الحجاج فقدم كرسبه الذي هو جالس عليه إلى الأمام، ثم أمر شبيب الجمل أن يحمل، ففعلوا به كما فعلوا بسويد، وقال لهم الحجاج كما قال لأولئك وقدم الحجاج كرسبه إلى أمام، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كتيبه فقتلوه له حتى إذا غشى أطراف الأسمنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى الحقوه بأصحابه، فلما رأى صبرهم نادى: يا سويد حمل في خيلك على أهل هذه السمكة، لعلك ترزى أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه، وتحمل نحن عليه من أمامه. فحمل فلم يؤخذ ذلك شيئاً، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً، فعند ذلك حرص شبيب أصحابه على الحملة وأمرهم بها ففهم الحجاج ذلك، فنادى: يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة، ثم ورب السماء والأرض ما شيء دون الفتح، فنجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه، فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظهرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقعهم إلى ما ورائها، فنادى شبيب في أصحابه: يا أولياء الله الأرض الأرض. ثم نزل ونزل أصحابه وجاء الحجاج فنادى: يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة، هنا أول النصر والذي نفسي بيده. وصعد مسجداً هناك لشبيب ومعه نحو من عشرين رجلاً معهم النبل، وأقتل الناس قتلاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض، حتى أفر كل واحد من الفريقين لصاحبه والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتي الخوارج من ورائهم، فأذن له، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخاً شبيب، وغزاة امرأة شبيب، قتلها رجل يقال له فروة بن قناب الكلبي.

وخرق في جيش شبيب، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس، فأمر الحجاج الناس أن يتطلقوا في طلبهم، فشدوا عليهم فهزموهم وتغلب شبيب في حامية الناس، ثم انطلق واتباعه الطلب فجعل ينمى وهو على فرسه حتى يغشى برأسه، ودنا منه الطلب فجعل بعض أصحابه ينهائهم عن التماس في هذه الساعة فجعل لا يكثر بهم ويعود فتخفق رأسه، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول: دعوه في حرق النار، فتركوه ورجعوا.

ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته: إن شبيباً لم يهزم قبلها. ثم قصد شبيب الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا معه يوم الأربعاء فهزم الخوارج يوم الجمعة، وسارت الخوارج هارين. وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه، فحمل شبيب على الحارث بن معاوية فكسره ومن معه، وقتل منهم طائفة، ودخل الناس الكوفة هارين، وحسن الناس السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل، ثم هرب أصحابه ودخلوا الكوفة، ثم خرج إليه أمير آخر فانكسر أيضاً، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فمروا بعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه، ثم خطب أصحابه وقال: اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة. ثم رمى بالمال في الفرات، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله، ثم خرج إليه بعض الأمراء الذين على بعض المدن فقال له: يا شبيب ابرز إلي وأبرز إليك، - وكان صديقه - فقال له شبيب: إني لا أحب قتلك، فقال له: لكبي أحب قتلك فلا تفرنك نفسك وما تقدم من الوقائع. ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهدم رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه، ثم كفنه ودفنه، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والساكنين في طلب شبيب فلم يلقوه ولم يقدروا عليه، وإنما سلب الله عليه موتاً قدراً من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة.

ذكر مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف يطلبون شبيباً، ويكونون تبعاً لسفيان بن الأبرد، ففعل فالتقوا به فاقتلوا قتلاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه، ثم عزم أصحاب الحجاج فحملوا على الخوارج ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى جسر هناك، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته، ورده عن موقفه هنا يعلمنا تقائلوا نهراً كاملاً أشد قتال يكون، ثم أمر سفيان بن الأبرد الرماة من أصحابه فرشقوهم بالنبل رشقاً واحداً، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا منهم نحواً من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض، وبات كل من الفريقين مضراً على مناهضة الآخر، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر، فبينما شبيب على متن الجسر وهو على حصان له وبين يديه فرس أنشأ فتراً فرسه عليها وهو على الجسر فترق حافر فرس رجل شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء، فقال: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول: ذَلِكَ تَقْلِيلُ التَّزْيِينِ الْعَلِيمِ. ففرق.

ولما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كروا وانصرفوا ذاهبين مفرقين في

مثله، ومثل الأشتر وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله وعمن يناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن النجاء من الأزارقة الخوارج والله أعلم.

وفيهما توفي من الأعيان

■ كثير بن الصلت بن معدي كرب الكندي، كان كبيراً مطاعاً في قومه، وله بالمنية دار كبيرة بالمصلى، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل، توفي بالشم.

■ محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاء سجستان فلما صار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أحيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد، فلما صار إليه شبيب فاقتل معه فقتله شبيب، وقيل غير ذلك والله أعلم.

عباس بن عمرو الأشعري: شهد اليرموك، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله.

■ مطرف بن المغيرة بن شعبة: وقد كانوا إخوة: عروة ومطرف وحمزة، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم، فاستعمل عروة على الكوفة، ومطرف على المدائن، وحمزة على همدان.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم فتحتوا إربيلية، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وتلج وبرد، فأصيب بسببه ناس كثير.

وفيهما ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقدّم على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد، وبعضهم قتلوا، أنفه ونفوه.

وفيهما عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع سجستان أيضاً، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من الكوفة إلى البصرة، وقد استخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه، فمن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج له لقطعة، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان، وولى عبيد الله بن أبي بكر إمرة خراسان، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده، فقيل: كان ذلك بإشارة المهلب، وقيل: إنه كان استعانة بصاحب الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق البشبي، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابته الحجاج إلى ذلك، وألزم المهلب بألف درهم لكونه اعترض على ذلك.

قال أبو معشر: رجع بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك.

وكان أمير المدينة يابن بن عثمان، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج بن يوسف، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة، ونائبه على سجستان عبيد الله بن أبي بكر الثقفي، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري.

وقد توفي في هذه السنة من الأعيان

■ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عبد الله الأنصاري

البلاد، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فإذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة، وكانوا يضربون به الأرض فيثب قلعة الإنسان. وقيل: إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشارهم، فلما تخلف في الساقة اشتوروا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فمالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء فغرق، فنادوا غرق أمير المؤمنين، فعرف جيش الحجاج ذلك فجاؤوا فاستخرجوه.

ولما نعي شبيب إلى أمه قالت: صدقتم إلي كنت رأييت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج مني شهاب من نار فعلمت أنه لا وأنه لا يطفئه إلا الماء، وكانت أمه جارية اسمها جهيرة. وكانت جميلة، وكانت من أشجع النساء، تقاتل مع ابنها في الحروب.

وذكر القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٤٥٥/٢] أنها قتلت في هذه الغزوة، وكذلك قتلت زوجته غزالة، وكانت شديدة البأس خارجية وكان الحجاج مع هيئته يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء:

أَسَدٌ عَلِيٌّ وَفِي الْحُرُوبِ نَمَاسَةٌ تَخْشَاهُ تَفْزَعُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَا بَزَزَتْ لِي غَزَالَةٌ فِي الرِّغْسِ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرِ

قال [وفيات الأعيان: ٤٥٤/٢]: وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان الشيباني، يدعى الخلافة ويسمى بأمر المؤمنين، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق لئال الخلافة إن شاء الله، ولما قدر عليه أحد. وإنما قهره الله على يدي الحجاج لما أرسل إليه أمير المؤمنين عبد الملك بمسارك لقتاله فهرب غير مرة، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل: أغرقاً يا أمير المؤمنين؟ قال: ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

قال: ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فترع قلبه من صدره فإذا هو مثل الحجر.

وكان رجلاً طويلاً أشمطاً جمداً، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين، وقد أمسك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له: ألتست القاتل:

فَإِنْ يَكُ يَنْكُمُ كَانَ سُرُوءًا وَابْنُهُ وَعَمْرُو وَيَنْكُمُ هَانِئِمٌ وَخَيْبٌ
فَعِنَا حُصَيْنٌ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ وَمِنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ

فقال: إنما قلتُ ومنا أمير المؤمنين شبيب، فأعجبه اعتناؤه وأطلقه.

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قطري بن النجاء، وكان أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين، وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة، وأما هو فشرذ في الأرض لا يلدئ أبين ذهب وقد جرت بينهم مناولات ومجاولات يطول بسطها واستقصاؤها، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها [تاريخ: ٣٠١/٦].

قال [تاريخ الطبري: ٣١١/٦]: وفي هذه السنة ثار بكبر بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد - كما سيأتي - وذلك أن بكراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله، وقد جرت بينهما خطوط طويلة قد استقصاها أبو جعفر رحمه الله في تاريخه.

وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد الخارجي كما قدمنا، وقد كان من الشجاعة والفروسية على جانب كبير لم أر بعد عصر الصحابة

الجلال العبدري، ويقال: مولى الحكم بن مروان، كان أصله من الحولة فنزل دمشق وتبعه بها وتنسك وترهد ثم مكر به ورجع القهقري على عقبه، وانسلخ من آيات الله تعالى، وفارق حزب الله المفلحين، وتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولم يزل الشيطان يريخ في فقهه حتى أخسره دينه وديناه، وأغراه فيهما وأشقه، فلنا له وإننا إليه راجعون وحسبنا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا عبد الوهاب بن عجلة الحوطي حدثنا محمد بن مبارك حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق، وكان مولى لأبي الجلاس، وكان له أب بالحولة، فعرض له إليس، وكان رجلاً متعباً زاهناً لو لبس جبة من ذهب لرئيت عليه الزهادة والعبادة، وكان إذا أخذ في التعميد لم يسمع السامعون مثل تكميله ولا أحسن من كلامه، فكتب إلى أبيه وكان بالحولة: يا ابتاه أصعب عليّ فإني قد رأيت أشياء أخوف أن يكون الشيطان قد عرض لي، قال: فزاده أبوه غياً على غيه، فكتب إليه أبوه: يا بني أتقبل على ما أمرت به فإن الله تعالى يقول: ﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] ولست بأفأك ولا أثيم، فامض لما أمرت به. فكان يمشي إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذكرهم أمره ويأخذ عليهم العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى قبل ولا كتم عليه.

قال: وكان يريهم الأعاجيب، كأن يأتي إلى رخامة في المسجد فيترها بيده فتسبح تسيحاً بليغاً حتى يضح من ذلك الحاضرون. قلت: وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس ابن تيمية رحمه الله يقول: كان يقرر هذه الرخامة الحمراء التي في القصورة فتسبح، وكان زنديقاً.

قال ابن أبي خيثمة في رواية: وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، وكان يقول لهم: اخرجوا حتى أريكم اللاتكة، فيخرج بهم إلى دير المرقن فيريهم رجلاً على خيل، فقبه على ذلك بشر كثير، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن بخيرة، قال: فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد والميثاق إن هو رضي أمراً قبله، وإن كرهه كتم عليه، قال: فقال له: إني نبي، فقال القاسم: كذبت ياعبد الله، ما أنت بنبي.

وفي رواية: ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَالُونٌ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يُزَعَّمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ» (٣٦٠، ٣٦١) وأنت أحدهم ولا عهد لك، قال: ثم قام فخرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فاعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس: نعرفه، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك.

وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زكريا دخلا على الحارث فدعاهما إلى نيوته فكنياه وردا عليه ما قال، ودخلا على عبد الملك فاعلماه بأمره، فطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يذهب إلى نفسه سراً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى الصَّيِّرة فنزلها فورد عليه هناك رجل من المسلمين من أهل البصرة عن كان يدخل على الحارث وهو بيت المقدس فاعلمه بأمره وأبين هو، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجنود من الأتراك ليحاط عليه، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل، وفعل ما يأمر به، فلما وصل الرجل إلى بيت المقدس بمن

السلمي، صاحب رسول الله ﷺ وله روايات كثيرة، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرأ فمنعه أبوه وخلفه على أخواته وإخوته، وكانوا تسعة، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته.

توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة، وأسند إليه ألف وخمسة وأربعين حديثاً.

■ شرح بن الحارث بن قيس أبو أمية الكندي، وهو قاضي الكوفة، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، ثم عزله علي، ثم ولاة معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم، وقيل خمسمائة درهم.

وكان إذا خرج إلى القضاء يقول: سيعلم الظالم حظ من نقص. وقل: إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية: ﴿يَا ذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ الآية ص: ٢٢٦.

وكان يقول: إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر. وقل: إنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة، وقيل: إنه استغنى من القضاء قبل موته بسنة فأناله اعلم.

وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ، وتوفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين.

■ عبد الرحمن بن غنم الأشعري: نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل: إن له صحة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليقفه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين.

■ جنادة بن أبي أمية الأزدي: شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر لمعاوية، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير، توفي بالشام وقد قارب الثمانين.

■ العلاء بن زياد البصري: كان من الصالحين العباد من أهل البصرة، وكان كثير الخوف والورع، وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس، وكان كثير البكاء، لم يزل يبكي حتى عمي، وله مناقب كثيرة، توفي بالبصرة في هذه السنة.

■ سراقلة بن مرداس الأزدي: كان شاعراً مطبقاً، هجى الحجاج فنشأه إلى الشام فتوفي بها.

■ النابغة الجعدي الشاعر.

■ السائب بن يزيد الكندي: توفي في هذه السنة.

■ سفيان بن سلمة الأسدي.

■ معاوية بن قرة البصري.

■ زر بن حبيش.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدة، ولم يفز فيها أحد من أهل الشام لضعفهم وقتلهم، ووصلت الروم فيها أنطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لضعفهم بضعف الجنود والمقاتلة.

وففيها غزا عبيد الله بن أبي بكرة تربييل ملك الترك حتى أوغل في بلاده، ثم صالحه على مال يجعله إليه في كل سنة،

وففيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سعيد الدمشقي، مولى أبي

ويرجعون عنهم إلى بلادهم، فانتدب شريح بن هانئ الحارثي - وكان صحابياً، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصاهرة والنزال والجلاد بالسيف والرمح والنبال، فنهاه عبيد الله بن أبي بكره فلم يته، وأجابه شرفة من الناس من الشجعان وأهل الحفاظ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فني أكثر المسلمين، فإنا لله وأن إليه راجعون، قالوا: وجعل شريح بن هانئ يرتجز يومئذ، ويقول:

أَصْبَحْتُ فَأَبْتَ أَقَابِي الْكِبَرَا قَدْ عَشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْمُرَا
ثُمَّتْ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنِيرَا وَيَعْنِي صَليُّهُ وَعُمُرَا
وَيَوْمَ تَهْرَكانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا وَالْجَمْعُ فِي صِفَتِهِمْ وَالنَّهْرَا
فِيهِمَا مَا أَطْلُوْنَ مَسْلَا عُمُرَا

ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه، وقتل معه خلق من أصحابه، ثم خرج من أخرج من الناس صفة عبيد الله بن أبي بكره من أرض رتييل، وهم قليل، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر. وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشير في بمت جيش كيف إلى بلاد رتييل ليتنصروا منه بسبب ما حل بالمسلمين في بلاده، فعين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ما رأى من المصلحة في ذلك، وأن يعجل ذلك سريعاً، فعين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً لذلك على ما سيأتي تفصيله في السنة الآتية بعدها، وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً وابتاع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً، فإنا لله وأنا إليه راجعون. وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً؛ قتلوا أضعافهم.

ويقال إنه في هذه السنة استغنى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية والله أعلم.

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير: وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية.

وفي هذه السنة قتل

■ قطري بن الفجاءة التميمي أبو نعامه الحارثي، وكان من الشجعان المشاهير، ويقال: إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه من الحوارج بالخلافة، وقد جرت له خطوط وحروب مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره، وقد قلعنا منها طرفاً صالحاً في أماته.

وكان خروجه في زمن مصعب بن الزبير، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها، ووقامته مشهورة وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كثيرة فهزمها، وقيل: إنه برز إليه رجل من بعض الحوورية وهو على فرس أعجمي ويده عمود حديد، فلما قرب منه كشف قطري عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له قطري: إلى أين؟ أما تستحي أن تفر ولم تر طعننا ولا ضرباً؟ فقال: إن الإنسان لا يستحي أن يفر من مثلك.

ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتلوا بطبرستان، فمثر بقطري فرسه فوق إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج، وقيل: إن الذي قتله سودة بن الحر الدارمي، وكان قطري بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلغة وجودة الكلام والشعر الحسن، فمن مستجاد

معه انتدب نائب القدس لخدمته، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بإشعالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا ينفى أمره، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لوابيه: استأذن لي على نبي الله، فقال: في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح، فصاح البصري: أسرجوا، فأسرج الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار، وهجم البصري: على الحارث فاخنته منه في سرب هناك فقال أصحابه: هيهات تريدون أن تصلوا إلى نبي الله، إنه قد رفع إلى السماء.

قال: فدخل البصري: يده في ذلك السرب فإذا بثوره فاجتره فأخرجه، ثم قال للفرغانيين من أتراك الخليفة: تسلموا قال: فأخذوه فربطوه وقيدوه، فيقال إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مراراً ويعيلونها، وجعل يقرأ: ﴿قُلْ إِنْ خَلَلْتُ فَلَيْسَ أَخِي عَلى نَفْسِي، وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [ص: ٥٠] وقال لأولئك الأتراك: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [طه: ٢٨]؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم: هذا كرائنا فهات كرائك، أي هذا قرأتنا فهات قرأتك، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فانتثرت في ضلع من أضلاعه، فقال له عبد الملك: ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته؟ فقال: نسيت، فقال: ويحك سم الله ثم اطعته، قال: فذكر اسم الله ثم طعته فأنفذه. وقد كان عبد الملك حسبه قبل صلبه وأمر رجلاً من أهل العلم والفقه أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان، فأبى أن يقبل منهم فصله بعد ذلك. وهذا من تمام العدل والدين.

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع عتبة الأعرور يقول: سمعت العلاء بن زياد العدوي. يقول: ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَالُونٌ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يُزْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَمَنْ قَالَه فَاقتلوه، وَمَنْ قَتَلَ فَلَهُ الْجَنَّةُ».

وقال الوليد بن مسلم: بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك: لو حضرتك ما أمرك بقتله، قال: ولم؟ قال: إنه إنما كان به المنجيب فلو جوعته لذهب ذلك عنه.

وقال الوليد عن المنذر بن نافع: سمعت خالد بن اللجلاج يقول لغيلان: ويحك يا غيلان، ألم نأخذك في شيعتك ترامي النساء في شهر رمضان بالتفاف، ثم صرت حارثياً يحجب امرأته ويضعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً.

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رتييل ملك الترك الأعظم فيهم، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد أخرى، فكتب الحجاج إلى عبد الله بن أبي بكره أن تاجزه بمن مملك من المسلمين حتى تستريح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتييل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بشارة، وجاس ابن أبي بكره وجنسه خلال ديارهم، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأصطوره، وتبر ما هنالك تبيراً، ثم إن رتييل تهقّر منه مُشمرّاً وما زال يتبعه حتى اقترب من مدنيته العظمى حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً، ثم إن الترك اخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين إنه لا محالة هالك، فعند ذلك طلب عبيد الله أن يصالح رتييل على أن يدفع إليه سبعمائة ألف، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون منه

شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَمَاعَا مِنْ الْأَبْطَالِ وَنَجَدَا لَنْ تَرَايَا
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَنَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطْعَا
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيلَ الْخُلُودَ بِسَطْعَا
وَلَا تَوْبَ الْحَيَاةِ بِسُوبِ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَحْيَا الْخَيْبِ السَّرَا
سَبِيلَ الْمَوْتِ غَايَةً كُلِّ حَيٍّ وَكَأَيِّهِ لَأَهْلُ الْأَرْضِ دَاغٍ
فَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْرَمُ وَتُسْلِيهِ النَّشْرُ إِلَى انْقِطَاعٍ
وَمَا لِلْمَرَةِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِنْ مَا عُدَّ فِي سَقَطِ النَّعَا

ذكرها صاحب الحماسة واستحسنها ابن خلكان في تاريخه [ولهت الأعيان: ٩٤/٤] كثيراً.

وفيها توفي

■ عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقتلوا رتييل ملك الترك، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك.

وقد دخل عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج: كم خمت بخاتمك هذا؟ قال: على أربعين ألف ألف دينار، قال: فقيم اقتنتها؟ قال: في اصطناع المعروف، ورد الملهوف والمكانة بالصانع وترويح العقائل.

وقيل: إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد فأطاعها ثلاثين ألفاً.

وقيل: إنه أهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه: خذهما لك، ثم فكر وقال: والله إن إثار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة: ثم قال يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة. توفي عبيد الله بن أبي بكرة يست وقيل بتزيح والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

فيها كان السيل الجفاف بمكة لأنه جحف على كل شيء مر به، وحل الحجاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه، ويبلغ الماء إلى الخججون، وغرق خلق كثير، وقيل: إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت والله أعلم.

وحكى ابن جرير [٣٢٥/٦] عن الواقدي أنه قال: كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون الجارف فآله أعلم. والمشهور أنه كان في سنة تسع وستين كما تقدم.

وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر بلخ، وأقام بكش ستين صابراً مصابراً للأعداء من الأتراك، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها، وقد عليه في غروب هذه المدة كتاب ابن الأشعث بخلفه الحجاج، فبعثه المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث.

وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة وغيرهما لقتال رتييل ملك ليقصروا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكرة فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع أنه كان الحجاج يفضله جداً، حتى إنه

كان يقول: ما رأيته قط إلا همت بقتله.

ودخل ابن الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشعبي فقال: انظر إلى مشيتي والله لقد همت أن أضرب عنقه. فأسرهما الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث: وأنا والله لأجهدن أن أزيله عن سلطانه إن طاب بي وبه البقاء.

والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجيوش وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقدمه عليهم، فسأى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج: إني أخاف أن تزمه فلا يرى لك طاعة إذا جاوز جسر القرات، فقال: ليس هو هنالك هو لي أميب ومني أرمب أن يخالف أميري أو يخرج عن طاعتي. فامضاه عليهم، فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض رتييل، فلما بلغ رتييل عجيء ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه رتييل يعتذر بما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية، وأنه كان لذلك كارهاً، وأنهم أجبروه إلى قتالهم، وسأل من ابن الأشعث أن يصالحه وأن يبذل للمسلمين الخراج، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك، وصمم على دخول بلاده، وجعرتييل جنوده وتهايل له ولحره، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد رتييل استعمل عليها نائباً من جهته وجعل معه من يحفظها له، وجعل المسالمة على كل أرض ومكان غوف، فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتييل، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة، وسعى خلقاً كثيرة، ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رتييل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد، ويتقوا بما فيها من المخلات والحواصل ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يهزؤون الأراضي والأقاليم حتى يحاصروهم في مدينتهم -مدينة العظماء- على الكنتور والأموال والدراري حتى يخنموها ثم يقتلون مقاتلتهم، وعزموا على ذلك، وكان هذا هو الرأي.

وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

وقال بعضهم: كان الحجاج قد وجه هميان بن عدي السدوسي إلى كرمان مسلحة لأهلها ليمد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك، فعصى هميان ومن معه، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزمه وأقام بمن معه.

ومات عبيد الله بن أبي بكرة فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بإمرة سجستان مكان ابن أبي بكرة وجهز إلى ابن الأشعث جيشاً اتفق عليه ألفي ألف سوى أعطياتهم، وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواويس، وأمره بالإقدام على رتييل فكان من أمره معه ما تقدم.

قال الواقدي وأبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان.

وقال غيرهما: بل حج بهم سليمان بن عبد الملك.

وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك، وعلى المدينة أبان بن عثمان، وعلى المشرق بكماله الحجاج، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك.

وَمَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ

■ أسلم مولى عمر بن الخطاب: وهو أبو زيد بن أسلم أصله من سبي عين النمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة، وتوفي وعمره مائة

متلبس به من هذه الأشياء وغيرها؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ، وكان الحجاج يقول: إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب، وقيل: إنه لم يصل إليها، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها.

أسند عبد الله بن جعفر ثلاثة عشر حديثاً.

■ أبو إدريس الخولاني اسمه عائد الله بن عبد الله، له أحوال ومناقب، كان يقول: قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دنس في ثياب نقية. وقد تولى القضاء بدمشق، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل.

■ معبد الجهني القلدي: يقال إنه معبد بن عبد الله بن عكيم، راوى حديث: «لَا تَتَّبِعُوا مِنَ الْيَتَامَى بِأَسَابٍ وَلَا عَصَبٍ» [٤١٢٨، ٤١٢٧]، ت (١٧٢٩)، م (٤٢٦٠، ٤٢٦١)، ج (١٦١٢).

وقيل: غير ذلك في نسبه.

سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم.

وشهد يوم التحكيم، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ثم اجتمع بعمرو بن العاص فوصاه في ذلك فقال له: ليها يا تيس جهة ما أنت من أهل السر ولا العلانية، وإنه لا يتفعل الحق ولا يضرك الباطل. وهذا توهم فيه من عمرو بن العاص فيه، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر، ويقال: إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوسن، وأخذ غيلان القدر من معبد.

وقد كانت لمعبد عبادة وقية زهادة، ووقعه ابن معين وغيره في حديثه. وقال الحسن البصري: ليأكم ومعبد فإنه ضال مضل. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله. وقال سعيد بن عفير: بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله. وقال خليفة بن خياط: مات قبل التسعين فإله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قالقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة.

وفيها قتل بكير بن وشاح، قتله بجير بن ورقاء الصرمي، وكان بكير من الأمراء الشجعان ثم ثار لبكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له: صمصعة بن حرب العوفي الصرمي، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيراً، طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بأخر رمق، فبعت المهلب بصمصعة إليه، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال: ضعوا رأسه عند رجلي. فوضعه فطعنه بخنجر فمجرته حتى قتله ومات على إثره.

وقد قال له أنس بن طارق: اعف عنه فقد قتلت بكير بن وشاح، فقال: لا والله لا أموت وهذا حي. ثم قتله، وقد قيل: إنه إنما قتل بعد موته. فإله أعلم.

فتنة ابن الأشعث

قال أبو غطف: كان ابتدأها في هذه السنة.

وقال الواقدي: في سنة ثنتين وثمانين.

وقد ساقها ابن جرير [٣٣٤/٦] في هذه السنة فوافقتنا في ذلك.

وأربع عشرة سنة، وروى عن عمر عدة أحاديث، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله.

■ جبير بن نفير بن مالك الحضرمي له صبيحة ورواية، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالبادة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة، وقيل: أكثر وقيل: أقل.

■ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: صحابي جليل ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة، سكن المدينة، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة أتى النبي ﷺ إلى أهمهم فقال: «إِتْرَنِي بَنِي أَخِي»، فأتى بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالخلق فحلق رؤوسهم ثم قال: «اللَّهُمَّ اخْطِفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وَيَا رِكَ لِيَعْبُدَ اللَّهَ فِي صَفَّتِهِ»، فجاءت أهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء، فقال: «أنا لهم عوضاً من أبيهم» وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين، وهذا لم يتفق لغيرهما.

وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس، يعطي الجزيل الكثير ويستقله، وقد تصدق مرة بالفني ألف، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار، وقيل: إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتريه أحد فامر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهبه للناس.

وقيل: إن معاوية لما حج ونزل المدينة في دار مروان قال يوماً لحاجبه: انظر هل تري بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلاتا - وعبد جماعة - فخرج فلم ير أحداً، فقيل له: هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتشاورون، فأتى معاوية فأخبره فقال: ما أنا إلا كاحدهم. ثم أخذ عصا فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه، فقال له معاوية: أين غداؤك يا ابن جعفر؟ فقال: وما تشتهي من شيء فادع به؟ فقال معاوية: أعطنا غداً، فقال: يا غلام هات غداً، فأتى بصحفة فأكل معاوية، ثم قال ابن جعفر لغلامه: هات غداً، فجاء بصحفة أخرى ملائكة غداً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات، فتعجب معاوية وقال: يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء. فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم، ويقضي له مائة حاجة. ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد به. فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له: كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة؟ قال: ألف ألف. فقال له: قد أضعتها لك، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة، فقال له عبد الله بن جعفر: بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك، فقال يزيد: ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدي.

وقيل: إنه كان عند ابن جعفر جارية تعنيه تسمى عثارة، وكان يحبها حبة عظيمة، فحضر عنده يزيد بن معاوية يوماً فلفت الجارية، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه؛ خوفاً أن يمنعه إياها، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية، فبعت يزيد رجلاً من أهل العراق فبعت يزيد رجلاً من أهل العراق ودفع إليه تجارة وأمره أن يتلطف في أمر هذه الجارية، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأمدى إليه هدايا وحنفاً كثيرة، وأمس به، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى بها يزيد.

وكان الحسن البصري يلم عبد الله بن جعفر على سماعه الفناء والهلوه ويشرائه المولدات، ويقول: أما يكفيه هذا الأمر القبيح الذي هو

الملك يعلمه بذلك ويستعجله في بعثه الجنود إليه، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث، وكتب إليه يدعوهُ إلى ذلك فأبى عليه، وبعث بكتابه إلى الحجاج. وكتب المهلب إلى ابن الأشعث يقول له: إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طوئيل، أبقي على أمة محمد الله الله، انظر لنفسك فلا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، أو استحلال عرم والسلام عليك.

وكتب المهلب إلى الحجاج: أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك مثل السيل المنحد من علٍّ ليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شيرة في أول خرجهم، وصباية إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردّهم حتى يصلوا إلى أهلهم ويشموا أولادهم، ثم واقمهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله تعالى.

فلما قرأ الحجاج كتابه قال: فعل الله به وفعل، لا والله ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح.

ولما رفع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه كتاب الحجاج فقال: يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان فحقه، وإن كان من قبل سجستان فلا تخفه.

ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج وتجهيز الحجاج للخروج إلى ابن الأشعث، وعصى رأي المهلب فيما أشار به عليه، وكان فيه النصع والصدق، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك يخبره بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً، أين نزل ومن أين ارتحل، وأي الناس إليه أسرع. وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل جانب، حتى قيل: إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل. وخرج الحجاج في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث، فزل تستر وقدم بين يديه مطهر بن حَيٍّ العنكي أميراً على المقدمة، ومعه عبد الله بن زميت أميراً آخر، فاتتهوا إلى دجيل فإذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثي، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة، واجتازوا ما في معسكرهم من خيول وقماش وأموال. وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه فأخذه ما دبّ ودرج، وقد كان قائماً يُخطب، فقال: أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجنود. فرجع بالناس واتبعتهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شأناً إلا قتلوه، ولا فاداً إلا أهلكوه، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فسكر عندها وجعل يقول: لله در المهلب أي صاحب حرب هو! قد أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف ألف درهم، وخذلق حول جيشه خندقاً، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهلهم وشموا أولادهم، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم ويأبهم وسأبهم على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف، وقال لهم ابن الأشعث: ليس الحجاج بشيء، ولكن انزعوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله، ووافقه على خلعهما جميع من بالبصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب، ثم أمر ابن الأشعث بتخندق حول البصرة فعمل ذلك، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة.

وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج ينفذه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره، وأمره بدخول بلاد رتييل ملك الترك، فمضى وصنع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد الترك، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقروا إلى العام المقبل فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويفرعه بالجبن والنكول عن الحرب، ويأمره حتماً بدخول بلاد رتييل، ثم أوقف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد، وكتب في جملة ذلك يا ابن الحناك الغادر المرتد، امض إلى ما أمرتك به من الإيفال في أرض العدو وإلا حل بك ما لا يطاق. وكان الحجاج ينفذ ابن الأشعث، ويقول: هو أخرج أحق حدود، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتلته، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيّل حتى قتله، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام وما رأيت قط إلا هممت بقتله، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك، غضب ابن الأشعث وقال: يكتب إليّ بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خلعي لحسره وضعف قوته؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة.

ثم إن ابن الأشعث جمع رؤوس أهل العراق وقال لهم: إن الحجاج قد ألح عليكم في الإيفال في بلاد العدو، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأسس. وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد، فانظروا في أمركم أما أنا فقلت مطيعه ولا اتقص رأياً رأيت به بالأسس، ثم قام فيهم خطيباً فاعلمهم بما كان رأى من الرأي له ولم في ذلك من إصلاح البلد التي فتحوها، وأن يقيموا بها حتى يتقروا ببلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسبرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصرروا رتييل ملك الترك في مدينة العظما، ثم أعلمهم بما كتب الحجاج إليه من الأمر بمعالجة رتييل، فثار إليه الناس وقالوا: لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع.

قال أبو خنيفة: فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك، وكان شاعراً خطيباً، وكان ما قال: إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه: أهل عبيدك على الفرس فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. إنكم إن ظفرتكم كان ذلك زيادة في سلطانه، وإن هلكتم كتم الأعداء البغضاء، ثم قال: اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - ويأبوا لأمرهم عبد الرحمن بن الأشعث فإني أشهدكم أنني أول خالع للحجاج. فقال الناس من كل جانب: خلعتنا عدو الله. ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبأيهم عوضاً عن الحجاج، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن مروان.

وبعث ابن الأشعث إلى رتييل فصالحه على أنه إن ظفر بالحجاج فلا خراج على رتييل أبداً.

ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه العراق، ثم لما توسطوا الطريق قالوا: إن خلعتنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعهم جميعاً وجدوا البيعة لابن الأشعث فبأيهم على كتاب الله وستة رسوله وخلع أئمة الفضالة وجهاد المجليين، فإذا قالوا: نعم. بأيهم.

فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع ابن مروان، كتب إلى عبد

وحج بالناس فيها سليمان بن عبد الملك فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفيهما غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الأندلس فافتتح منها كثيرة، وأراضي عامرة، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الزقاق المبتق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **بحر بن ولاء الصرمي البصري** أحد الأشراف بخراسان، والقواد وهو الذي حارب ابن خازموقله، وقتل بكبر بن وشاح ثم قتل في هذه السنة.

■ **سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر أبو أمية الجعفي الكوفي**: شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة، وكان من كبار المخضرمين ويقال: إنه رأى النبي ﷺ، وصلى معه، والصحيح أنه لم يره، وكان مولده عام ولد النبي ﷺ وقيل: إنه ولد بعده بستين، وعاش مائة وعشرين سنة لم يربو يوماً محتياً ولا مشانداً، وانقض بكرة عام وفاته وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين. قاله أبو عبيد وغير واحد. وقيل: إنه توفي في سنة ثنتين وثمانين قاله أعلم.

■ **عبد الله بن شداد بن الهاد**: كان من العباد الزهاد، والعلماء، وله وصايا وكلمات حسان، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعنه خلق من التابعين.

■ **محمد بن علي بن أبي طالب**: أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً، وهو المعروف بابن الحنفية، وكانت أمه أمة سوداء سلتية من سبي من بني حنيفة اسمها خولة. ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فأنشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال: عفوا يا أمير المؤمنين، فعفا عنه وأجرله إلى الجائزة.

وكان محمد بن علي من سادات قريش، ومن الشجعان المشهورين، ومن الأقوياء المذكورين، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه، فجرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك تابعه ابن عمر وبايعه ابن الحنفية، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها، ودفن بالبقيع. والرافضة يزعمون أنه ببجل رضوى، وأنه حي يرزق، وهم ينتظرونه، وقد قال كبير حزة في ذلك:

ألا إن الأمانة من قريش
ولاء الحق أرى نعمة سواها
علي والثلاثة من نبيهم
هم الأسباط ليس بهم خلفاء
فرب سبط لئمان وير
وسبط غيبة كزلاء
وسبط لا تراه العين حتى
يقود الخيل يقدوها لبراء
تتيب لا يمرى عنهم زمانا
يرضوى عنه غل وماء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وائلة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله، وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي، فبعث المختار أبا عبد الله الجبلي في أربعة آلاف فاستقنوا بني هاشم من

يدي ابن الزبير، وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف ويقي ابن الحنفية في شيعتهم، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك يقول: إما أن تأتيني وإما أن تخرج من أرضي، فكتب إليه ابن الحنفية: أبابيك علي أن تؤمن أصحابي، قال: نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي حفر دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي مأمته إلى بلده محفوظاً فليفل، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعائة رجل، فأحرم بعمرة وقلد هديا وسار نحو مكة، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فممنه أن يدخل، فأرسل إليه إننا لم نأت لحرب ولا لقتال، ولكن دعنا ندخل حتى نقضي نسكتنا ثم نخرج عنك، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه وذلك بعد عدة سنين، وكان القمل يتناثر منه في تلك المدة كلها، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة فأقام بها حتى مات.

وقيل: إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية: قد قتل عدو الله بايع، فكتب إليه: إذا بايع الناس كلهم بايعت، فقال الحجاج: والله لأقتلنك، فقال ابن الحنفية: إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، في كل نظرة منها ثلاثمائة وستون قضية، ففعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكتنيك، فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك وبايعك، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بجمع من الجنود لا يطيقها أحد، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم: إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك، وإنما خرج من بيت نبوة. ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية: ما بقي شيء فبايع، فكتب يبعث إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك.

توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة، وكان له من الولد عبد الله وحزرة وعلي وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورقية، وكلهم لأمهات شتى. وقال الزبير بن بكار: كانت شيعته تزعم أنه لم يميت وفيه يقول السيد:

ألا قل للوصي فتكت نفسي
أطلت بذلك الجبل القافا
أخسر بمشعر والسرور بنا
وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً
مفائك عنهم سنين عافا
وما ذاق ابن خولة طعم موت
ولا ذارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمروق شيع رضى
ترأجعه الملائكة الكلاما
وإن لك به لمقيل صدق
واندية تعديسه كراما
هذان الله إذ حزم لأمر
به وعليه لتؤيس التماما
تمام مودة المهدي حتى
تروا زياتته نترى نظاما

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا، وهذا من خرافاتهم وهليانهم وجهلهم وضلالهم وبهتانهم، وستزيد ذلك وضوحاً في موضعه إن شاء

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففي الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام، ثم توافوا يوماً آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقاً من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم، وخر الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثا على ركبتيه وسل شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول: ما كان أكرمه حين صبر نفسه للقتل.

وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة اللثي، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بن بقي معه ومن اتبعه من أهل البصرة، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث، وتبعه طائفة من أهل البصرة، فاستتاب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان، وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك، واشتد الحال، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب، واتسع الخرق على الراقع.

قال الواقدي: لما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة، فقال القراء - وكان عليهم جبلة بن زحر -: أيها الناس ليس القرار من أحد باقبح منه منكم فقاتلوا عن دينكم ودياركم، وقال سعيد بن جبير نحو ذلك، وقال الشعبي: قاتلوهم على جورهم واستذلوا الضعفاء وإماتهم الصلاة، ثم حلت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبدعوا فيه ثم رجعوا فإذا هم بمقتلهم جبلة بن زحر صريعاً، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج: يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم، ثم حل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على مسيرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن قرّة التميمي، فأنهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال، فانكر الناس منهم ذلك، وكان أمير مسيرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر، وظنوا أنه قد خامر، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً، وكان ابن الأشعث يمرض الناس على القتال، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها.

ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وقعة دير الجماجم قال الواقدي:

وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فتلوه وحضوا به ودخلوا بين يديه، غير أن شرمة قليلة أرادت أن تقتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم ذلك، فعدلوا إلى القصر، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلاسل فنصبت على قصر الإمارة فآخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له: استبقي فإني خير من فرسانك، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستنزل لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة، وكان عن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب، وأمر بالسلاح من كل جانب، وحفظت

النفور والطرق والمسالك، ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والعذيب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فمنعوا الحجاج من نزول القادسية، فسار الحجاج حتى نزل دير قرة، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية فنزل دير الجماجم، ومعه جنود كثيرة، وفيهم القراء من المصريين لحين، وكان الحجاج بعد ذلك يقول: قاتل الله ابن الأشعث، أما كان يزجر الطير حيث رأيته قد نزلت دير قرة، ونزل هو بدير الجماجم، وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء، ومعهم مثلهم من مواليهم وقدم على الحجاج في غيور ذلك أمائد كثيرة من الشام، وخندق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتلون قتالا شديداً في كل يوم، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قريش وغيرهم، واستمر هذا الحال مدة طويلة، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له: إن كان أهل العراق يرضعهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أسير من قتالهم وسفك دمايتهم، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ومعهما جنود كثيرة جداً، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم: إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزله، وأبقيت عليكم أعطيائكم مثل أهل الشام، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان، وقال في عهده هذا: فإن لم يجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره.

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده، وكتب إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعسي عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك، ولا يزيدهم ذلك إلا جراً عليك، ثم لم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشعث النخعي على ابن عفان؟ فلما سألهم ما يريدون؟ قالوا: نزع سعيد بن العاص، فلما نزع لم تسم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه؟ وإن الحليد بالحديد يُفْلَح، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك.

قال: فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر، فتقدم عبد الله ومحمد فتأدى عبد الله: يا معشر أهل العراق، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وإنه يعرض عليكم كيت وكيت، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال، وقال محمد بن مروان: وأنا رسول أخي أمير المؤمنين إليكم بذلك، فقالوا: نظري في أمرنا غداً ونزد عليكم الخبر عشيّة، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيه خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم ربيعة عبد الملك وإلقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج فنفر الناس من كل جانب وقالوا: لا والله لا نقبل ذلك، نحن أكثر غداً وغداً، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم ودلوا لنا، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً، ثم جددوا خلق عبد الملك بن مروان ثانية، واتفقوا على ذلك كله.

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعنه محمد بن مروان الخبر فقالوا

الأقاليم من تحت يده، وهو مشغول عن تدبير الممالك محروب ابن الأشعث في هذه المدة كلها.

قال أبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان الذي كان نائب المدينة.

وفيها توفي

■ اسماء بن خارجة القزاري الكوفي كان جواداً مدحاً، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال: حاجة لا أستطيع ذكرها، فألح عليه فقال: جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى صرت تلك الجارية فقال: هذه، فقال له: أخرج فاجلس على الباب مكانك، فخرج الشاب فجلس مكانه، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد لبسها أنواع الحلبي، وقال له: ما معني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأخي، وكانت ضئيلة بها، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف، والبستها هذا الحلبي، فهي لك بما عليها، فأخذها الشاب وانصرف.

■ المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، كان جواداً مدحاً شجاعاً، له مواقف مشهورة.

■ الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي المعروف بقباع، ولي إمرة البصرة لابن الزبير.

■ محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة: كان من فضلاء أبناء الصحابة وأصلهم، توفي بالمدينة ودفن بالقيع.

■ عبد الله بن أبي طلحة بن الأسود: والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأعلم النبي ﷺ فقال ﷺ: «أَعَزَّسْتُمْ بَلَدَكُمْ اللَّهُ لَكُمْ فِي لَيْلِكُمَا» (٥٤٧٠)، (٢١٤٤)، (٢٣) ولا ولد حنكه بثمرات.

■ عبد الله بن كعب بن مالك كان قائد كعب حين عمي، له روايات، توفي بالمدينة هذه السنة.

■ سفيان بن وهب: أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية، وغزا المغرب، وسكن مصر وبها مات.

■ جميل بن عبد الله بن معمر بن ضحاح بن طبيان بن حُنَّ بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيل بن زيد بن لث بن سود بن أسلم بن الحاف بن لقضاة: أبو عمرو الشاعر صاحب بيتنة، كان قد خطبها فتمنت مته، فتغزل فيها واشتهر بها، وكان أحد عشاق العرب، كانت إقامته بوادي القرى وما حوله وكان عفيفاً صينياً ديناً شاعراً إسلامياً، من أفصح الشعراء في زمانه.

وكان كثير عزة روايته، وهو يروي عن هذيلة بن خشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى، وابنه كعب.

قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول:

وَحَبْرَتْنِي أَنْ تَيْسَلَ تَنْزِلَ لِيْلِي إِذَا مَا الصَّبَفُ الْقَى الْمَاسِيَا
فَهَذِي شُهُورُ الصَّبَفِ عَنَا قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْبِي بِلَيْسِ الْمَازِيَا

ومنها قوله:

وَمَا زِلْتُ بِبِي بَا بَيْنَ حَتَّى لَوْ اتَّبَعِي مِنَ الشَّوْقِ اسْتَبَكِي الْحَمَامُ بَكَى لِيَا
وَمَا زِلْتُ فِي الْوَأَشْرُونَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا كَثْرَةَ النَّاعِينَ إِلَّا تَمَاقِيَا

للحجاج: شئتكم بهم إذًا، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين، فكانوا إذا لقياه مسلماً عليه بالإمرة وسلم هو أيضاً عليهم بالإمرة، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديرها كما كان قبل ذلك، فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب، فجعل الحجاج على ميته عبد الرحمن بن سليم الكلبي، وعلى مسيرته عملة بن تميم اللخمي، وعلى الخيل سفيان بن الأبرد وعلى الرحالة عبد الرحمن بن حبيب الحكمي، وجعل ابن الأشعث على ميته الحجاج بن حارثة الخثعمي، وعلى المسيرة الأبرد بن قرة التميمي، وعلى الخيالة عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة، وعلى الرحالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي، وكان في القراء سعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكميل بن زياد - وكان شجاعاً فاتكاً على كثيره - وأبو البخترى الطائي وغيرهم، ثم جعلوا يقتلون في كل يوم، وأهل العراق تاتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم، من العلف والطعام وغيره، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم ضيق من العيش، وقلة من الطعام، وقد قتلوا اللحم بالكلية فلا يجدونه، وما زالت الحرب بينهم في هذه المدة كلها حتى انسحلت هذه السنة وهم على حالهم وقاتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام، وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيفهم واستقنوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث.

وفي هذه السنة كانت وفاة

■ المهلب بن أبي صفرة، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سعيد الأزدي أحد أشرف أهل البصرة ووجههم ودهاتهم وأجوادهم وكرامتهم، ولد عام الفتح، وكانوا يتزلون فيما بين عمان والبحرين، وقد ارتد قومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم، وبث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين، ثم وفي حرب الخوارج أول دولة الحجاج وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثلاثمائة، فعمقت منزلته عند الحجاج، وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح، وله كلام حسن، فتمت: نعم الخصلة السخاء تستر عورة الشريف وتلحق خسيصة الوضيع، وتحبب المزهود فيه. وقال: يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه، ولا أرى لسانه زائداً على عقله.

توفي المهلب غازياً بمرو الروذ وعمره ستة وسبعون سنة رحمه الله وكان له عشرة من الولد وهم: يزيد، وزباد، والمفضل، ومالك، وحبيب، والمغيرة، وقبيصة، ومحمد، وهند، وفاطمة.

توفي المهلب في ذي الحجة منها، وكان من الشجعان مواقف حميدة، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج، وجعل الأمر من بعده لولده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان فامضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان.

وفي جمادى الآخرة منها عزل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عن إمرة المدينة أبان بن عثمان، وولى عليها هشام بن إسماعيل المخزومي، وكانت ولاية أبان على المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان على إمرة بلاد المشرق بكماله الحجاج بن يوسف والثواب في

رحمه الله آمين.

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جبلاً قال له: هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بيته ولك ما عندي؟ قال: نعم قال: إذا أنا مت فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول آياتها منها:

فومي بئنة فانتبني بعومل وابكي خليلك ذون كل خليل فلما انتهى إلى حيهم أشد الآيات. قال: فخرجت بيته كأنها بدر بنا في دجة وهي تنس في مرطها فقالت له: ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتني، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني. فقلت: بلى والله صادق وهذه حلتي وناقتي، فلما تحققت ذلك صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها واجتمع ناه الحي إليها يبكين معها، ثم صعقت منشفة عليها، ثم أفاقت وهي تقول:

وإن سألوني عن جليل نساعة من العبر ما خانت ولا كان حينها سواء علينا يا جليل بن متمر إذا وث بأساء الحياة ولينها قال الرجل: فما رأيت أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ.

وروى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٥٦/١١] عنه أنه قيل له بدمشق: لو تركت الشعر وحفظت القرآن؟ فقال: هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من الشعر لحيكة».

■ عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان أبو حصص القرظي التميمي: أحد الأجواد والأمرء الأجداد تحت على يديه بلدان كثيرة، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم، وهو الذي قتل قطري بن العجدة.

روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما، وعنه عطاء بن أبي رباح، وابن عون.

وفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة اثنين وثمانين. قاله اللاتني. وحكي أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فاحبها حباً شديداً واتفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية، فقالت له الجارية: قد أرى ما بك من قلة الشيء، فلو بعني وانتفعت بشئني صلح حالك، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم، فلما قبض المال ندم وتندمت الجارية، فأنشأت تحاطب مولاهم الذي باعها.

هَيْئاً لَكَ الْمَالُ الَّذِي قَدْ اخَذْتَهُ وَلَمْ يَبْقَ فِيَّ قُشْيٌ إِلَّا تَنْكُرِي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ فِي كَرْبٍ غَشِيَةٍ أَقُولِي فَقَدْ بَانَ الْخَلِيطُ أَوْ أَكْثَرِي إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَمْرِ عِنْدَكَ حِيلَةٌ وَلَمْ تَجِدِي بَدْءاً مِنَ الصَّبْرِ فَاصْبِرِي فَاجَابَهَا سِيدُهَا وَقَالَ: -

وَلَوْلَا قُوَّةُ النَّعْرِ بِي عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ لِقُرْقَتَا شَيْءٍ سِوَى الْمَوْتِ فَاعْلَمِي أَنَّ الْوَبَّ يَحْزِنُ بَيْنَ فِرَاقِكَ مُوجِعٍ أَنَا بِي بِهِ قَلْباً طَوِيلَ التَّذَكُّرِ عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا زِيَارَةَ بَيْنَنَا وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ فَلَمَّا سَمِعَهُمَا ابْنُ مَعْمَرٍ قَدْ شَبَّهَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَحِينٍ أَبَدًا، ثُمَّ اعْطَاهُ الْمَالُ - وَهُوَ مِائَةُ أَلْفٍ - وَالْجَارِيَةُ لَمَّا رَأَتْ مِنْ تَوَجُّعِهِمَا عَلَى فِرَاقِ كُلِّ مَنَّهُمَا صَاحِبِهِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ وَثَمَنَهَا وَأَنْطَلَقَ.

توفي عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون، وصلى عليه عبد الملك بن مروان، ومضى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته، وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قريش.

وما أحدث النسي المشرق بيننا سُلُوءاً وَلَا طُحُونٌ اللَّيَالِي تَقَالِيَا أَلَمْ تَعْلَمِي يَا غَلْبَةَ الرَّيْسِ أَنِّي أَظَلُّ إِذَا لَمْ أَلْقَ وَجْهَكَ صَادِقَا لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى النِّسَاءَ بَغْتَةً وَفِي النَّفْسِ خَاجَاتُ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ وَعَا أُوْرِدَ لَهُ الْقَاضِي ابْنُ خُلَكَانَ فِي الْوَفَايَاتِ (٣٦٧/١) قَوْلُهُ:

إِنِّي لِأَحْفَظُ سِرْكَمَ وَسُرْرِي لِرَ تَعْلَمِينَ بِصَالِمٍ إِنْ تَذَكَّرِي إِلَى أَنْ قَالَ:

مَا أَنتَ وَالرَّوْعُ الَّذِي تَعْلَمِيَنِي إِلَّا كَسِرْقٍ سَخَابَةٍ لَمْ تُمْطِرِ وَقَوْلُهُ -رَوْرِي لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِيْعَةٍ فِيمَا نَقَلَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ:

مَا زِلْتُ أَبْهِي الْحَيَّ اتَّبِعْ فَلَهُمْ حَتَّى قُفِعْتُ إِلَى رِيْعَةٍ مَسُودِجٍ فَتَنَوْتُ مُخْطِئاً أَلَمْ يَنْتَهَا حَتَّى وَلَجْتُ إِلَى خَفِيِّ الْمَوْلِجِ قَالَتْ وَغَيْشٌ أَحْمِي وَنِعْمَةٌ وَابِدِي لِأَكْتَهِنَ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ فَتَاوَلْتُ زَامِي لِنَعْرِفَ نَسْءُ بِمُخْضَبِ الْأَطْرَافِ غَيْرَ مُشْنِجٍ فَعَرَجْتُ خِفَةً أَمَلَهَا تَقَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ بَيْنَهُمَا لَمْ تَخْرُجْ فَلَتَّسْتُ فَأَعَا آخِلًا بِقُرُونِهِمَا شَرِبَ التَّرْفِيفُ مَاءَ الْحَشْرِجِ

قال كثير عزة: لقني جبل بيته فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند هذه الحبيبة، فقال: وإلى أين؟ فقلت: إلى هذه الحبيبة - يعني عزة - فقال: أقسمت عليك لما رجعت إلى بيته فواعدتها؛ فلأن لي من أول الصيف ما رأيته، وكان آخر عهدي بها بوادي الذُّوم، وهي تغسل هي وأماها ثوباً فتحدثنا إلى الغروب. قال كثير: فرجعت حتى ألتقت بهم، فقال أبو بيته: ما رَدُّكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ فقلت: آيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك. فقال: وما هي؟ فأشددته وبشته تسمع من وراء الحجاب:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ ارْسُلِي صَاحِبِي إِلَيْكَ رُسُولَا وَالرُّسُولُ مُؤَكَّلٌ بَأَنْ تَعْلَمِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا وَأَنْ تَأْمُرِي مَا الَّذِي فِيهِ أَفْعَلُ وَأَجْزُرُ عَهْدِي مِنْكَ يَوْمَ لِقَائِي بِأَسْفَلِ وَادِي الدُّومِ وَالشُّرْبُ يُغْشَلُ

قال: فضررت بيته جانب خلدوها، وقالت: احضاً، احضاً فقال أبوها: مهيم فقالت: كلب يأتينا إذا نام الناس من وراء الرابية، ثم قالت لجارتها: ابشينا من الدومات حطاً ليشوي به لكثير شاة فقلت: أنا أصجل من ذلك، وانطلقت إلى جبل فقلت: موعذك الدومات. قال: فلما كان الليل أقبلت بيته إلى المكان الذي واعدته إليه وجاء جبل، وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن مناديات وانقض ذلك المجلس وما أدري أيهما أنهم لما في ضمير صاحبه منه.

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جبل وهو يموت فقال له: ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن فقه، ولم يشرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فمن هذا؟ قال: أنا قتلت: والله ما أظنك سلمت وأنت تشب منذ عشرين سنة، بيته. فقال: لا نالني شفاعة محمد ﷺ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة قال: فما برحنا حتى مات.

قلت: كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فآكرمه وسأله عن حبه بيته فقال: شديداً، واستنشد من أشعاره ومدائحه فأنشده فوجد أنه أن يجمع بينه وبينهما فعاجلته النية في سنة اثنين وثمانين

بالحرب، ومازال ذلك دأبه وفأبهم حتى أمر بالحملة على كنية القراء، لأن الناس كانوا تبعاً لهم، وهم الذين يجرسونهم على القتال والناس يقتلون بهم، فصر القراء حملة جيشه، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم، وما انفك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، ثم حل على جيش ابن الأشعث فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن نعيم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج والإمرة لمصار، فسلقوا وراءهم يطردونهم لملهم يظفرون به قتلاً أو أسراً، فما زال يسوق ويترق الأقاليم والكور والرساتيق، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان، واتبعه الشاميون فزفوا في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم، فإذا فيه كتاب قد كبه بعض أهل الكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي جلدة الشكري يقول:

إِبَاهُتْهُنَّ وَابْخَرْنَا جَيْمَهُأً وَابْخَرْنَا الْفُؤَادَ لِمَا لَيْقِنَا
تَرَكْنَا الدِّينَ وَالنَّيْثَ جَيْمَهُأً وَأَسْلَمْنَا الْخَلَّائِلَ وَالْيَتَامَا
فَمَا كُنَّا أَتَمَّأً أَهْلَ نَيْثَا قَتَمْنَاهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِيْنَا
تَرَكْنَا دُورَنَا لَطُغَامِ عَكْ وَابْتَاطُ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِيْنَا
ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتييل ملك الترك، فأكرمه رتييل وأنزله عنده وآمنه وعظمه.

قال الواقدي: ومرو ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتييل على عامل له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأنزله، فعل ذلك خليعة به ومكرراً، وقال له: ادخل إلى عندي إلى البلد لتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع أحداً ممن معك يدخل المدينة، فاجابه إلى ذلك، وإنما أراد المكر به، فممنه أصحابه فلم يقبل منهم، ففرق عنه أصحابه، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فمسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج، وقد كان الملك رتييل سر بقدوم ابن الأشعث، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست، سار حتى أحاط ببست، وأرسل إلى عاملها يقول له: والله لئن أتيت ابن الأشعث لا أبرح حتى استترك وأقتل جميع من في بلدك، فخافه ذلك العامل وسير إليه ابن الأشعث فأكرمه رتييل، فقال ابن الأشعث لرتييل: إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي، فغدر بي وفعل ما رأيت، فأذن لي في قتله، فقال: قد أمته، وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان هو الذي يصلي بالناس هنالك في بلاد رتييل، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليندكروه فيكونوا معه - وهم قريب من ستين ألفاً - فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتييل فقتلوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر البعاري وأخوته وقرابته، واستحوذوا على ما فيها من الأموال، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث: أن أخرج إلينا حتى نكون معك نصرارك على من يخالفك، وتأخذ بلاد خراسان، فإن بها جنأ عظيماً منا، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبده الملك، فنرى بعد ذلك رأينا. فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان فاعتزله شرمة من أهل العراق مع عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة، فقام فيهم ابن الأشعث خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب، وقال: لا حاجة لي بكم، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتييل فأكون عنده. ثم انصرف عنهم وتبعه

تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صدق أربعين ألف دينار، فأولدها إبراهيم ورملة، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صدق مائة ألف دينار رحمه الله.

■ كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي الكوفي: روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة، وشهد مع علي صفين.

وكان عابداً زاهداً، قتل الحجاج في هذه السنة، وقد عاش مائة سنة قتل صبراً بين يديه، وإنما نغم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمه لطمها لياه، فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه، فقال له الحجاج: أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص؟ ثم أمر فضربت عنقه.

قالوا: وذكر الحجاج علياً في غيوب ذلك فقال منه وصلى عليه كميل، فقال له الحجاج: والله لأبئن إليك من يفض علياً أكثر مما تحب أنت، فأرسل إليه ابن أدهم، وكان من أهل حمص، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه.

وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله «القلوب أوعية فخيرها أوعاها» وهو طويل. قد روى جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواظ وكلام حسن رضي الله عن قائله.

■ زاذان أبو عمرو الكندي: أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالطنبور، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق، وخشية شديدة، حتى إذا كان في الصلاة كانه خشية.

وقال مرة: إني جائع فتزل عليه من الروضة وريح مثل الرحي.

وهو ثقة عند ابن معين وغيره.

قال خليفة (رحمته): توفي سنة ثنتين وثمانين.

قال خليفة: وفيها توفي

■ زر بن حبیش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة.

وقال أبو عبيد: مات سنة إحدى وثمانين وقد تقدمت له ترجمة.

■ شقيق بن سلمة أبو والل أترك من زمن الجاهلية سبع سنين،

وأسلم في حياة النبي ﷺ

■ أم الدرداء الصغرى: اسمها هجيمة ويقال: هجيمة تابعة عابدة عالة فقيهة كان الرجال يقرؤون عليها، ويتفقهون في الحافظ الشمالي بجامع دمشق، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشغل عليها وهو خليفة، رضي الله عنها.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهل هذه السنة والناس مترافقون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قره، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجماسم، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة، وفي غالب الأيام تكون النصرة لأهل العراق على أهل الشام، حتى قيل: إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعاً وثمانين مرة يتصورون عليهم، ومع هذا فالحجاج ثابت مكانه صابر ومصابر لا يتزعزع عن موضعه الذي هو فيه، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام تقدم بجيشه إلى نحو عذوة، وكان له خبرة

ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبائع أحداً من أهلها إلا قال: أتشهد على نفسك أنك قد كفرت، فإذا قال: نعم بابع، وإن أبى قتله، فقتل منهم خلقاً كثيراً عن أبي أن يشهد على نفسه بالكفر، قال: فأتني برجل فقال الحجاج: ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه - وأراد الحجاج نخادته - فقال: أخادعي أنت عن نفسي؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكثر من فرعون وهامان ونمرود. قال: فضحك الحجاج وخلقى سيّله.

وذكر ابن جرير [٣٧٥/٦] من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج - وكان قد عمل قصيدة مها فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويحذ فيها ابن الأشعث وأصحابه، فاستنشد إياها فأنشده قصيدة طويلة فآلته، فيها مدح كثير لعبد الملك بن مروان وأهل بيته فجعل أهل الشام يقولون: قد أحسن إليها الأمير، فقال الحجاج: إنه لم يحسن، وإنما يقول هذا مصانعة، ثم ألح عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه.

واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو الصباح الهمداني الكوفي الشاعر، أحد القضاة البلغاء المشهورين، وقد كان له فضل وعبادة في مبتدئه، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بمحصر فامتدحه، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حمص أربعين ألف دينار، وكان زوج أخت الشعبي، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله.

وقد كان الحجاج وهو مواقف لابن الأشعث يثب كميناً يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه، ثم توافقت الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره، فجاه ابن الأشعث فاحتاز ما في المعسكر وبيات فيه، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فمالوا عليهم ميلاً واحدة، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتلوا قتلاً شليداً، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق كثير منهم في دجلة وجبل، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان، واحتازوه بكماله، وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمائة من أصحابه فركبوا دجيباً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة، ثم ساروا من هنالك إلى بلاد الترك، وكان في دخولهم بلاد رتييل ما كان، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فقتلهم مثنى وفرادى، حتى قيل: إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة ألف وثلاثين ألفاً. قاله النضر بن شميل عن هشام بن حسان، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من السادات حتى كان آخرهم سعيد ابن جبير رحمهم الله ورضي عنهم كما سيأتي ذلك في موضعه.

بناء واسط: قال ابن جرير [٣٨١/٦] (٣٨٢): وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطاً، وكان سبب بنائه لما أنه رأى راحباً على أثنان قد أجاز دجلة، فلما مر بموضع واسط وقفت أثنائه فبالت، فنزل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحفره ورمى به في دجلة، فقال الحجاج: علي به، فأتني به فقال له: لم صنعت هذا؟ قال: إنا نحمد في كيننا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام في الأرض أحد يوحده، فعند ذلك اختط الحجاج منية واسط في ذلك المكان وبني المسجد في ذلك الموضع. وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية.

طائفة منهم وبقي معظم الجيش، فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة الهاشمي.

وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب. بن أبي صفرة، ليمنعهم من دخول بلاده، وكتب إلى عبد الرحمن بن عباس يقول له: إن في البلاد تمسماً فاذهب إلى أرض ليس بها سلطان فإني أكره قتالك، وإن كنت تريد مالا بعثت إليك. فقال له: إنا لم نلج لقتال أحد، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى حاجة عما عرضت، ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور خراسان، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه الفضل في جيوش كثيفة، فلما صافوهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عباس، وقتل يزيد منهم مقتلة عظيمة، وأسروا منهم أسرى كثيرة واحتاز ما في معسكرهم، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب: أسالك بدعوة أبي لأيك ما أطلقتني. فاطلقة.

قال أبو جعفر بن جرير [٣٧٤/٦]: ولهذا الكلام خبر فيه طول، ولما قنعت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعفا عن بعضهم، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث بدير الجماجم نادى مناديه في الناس: من رجع فهو آمن ومن لحق بقتية بن مسلم بالرري فهو آمن، فلحق به خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فلمنهم الحجاج، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ما سيأتي بيانه.

وكان الشعبي من جملة من صار إلى قتيبة بن مسلم فذكره يوماً الحجاج فقيل له: إنه سار إلى قتيبة. فكتب إليه مسلم: أن ابعت لي بالشعبي قال الشعبي: فلما دخلت عليه سلمت عليه بالإمرة ثم قلت: أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتز إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق، قد والله نردنا عليك، وحرّمنا وجهنا كل الجهد فما ألونا، فما كنا بالأقرباء النجدة، ولا بالأقرباء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فيذنونا وما جرت إليك أيلينا، وإن عفوت عنا فيجلكم، وبعد الحجة علينا.

فقال الحجاج: أنت والله يا شعبي أحب إلي من يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول: ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبي. قال: فأنصرفت فلما مشيت قليلاً قال: هلم يا شعبي، قال: فوجل لذلك قلبي، ثم ذكرت قوله: قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي، فقال: كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي؟ - قال: وكان لي مكرماً - فقلت: أصح الله الأمير، قد اكتملت بعدك السهر، واستعرت السهولة، واسترخت الجناب، واستحلست الحورف، واستحللت المهم، وفقدت صالح الإخوان، ولم أجِد من الأمير خلفاً. قال: أنصرفت يا شعبي، فأنصرفت. ورواه أبو مخنف عن الرري إسماعيل عن الشعبي [٣٧٥/٦].

وروى البيهقي [السنن الكبرى: ٣٥٤/٦] أنه سأله عن المسألة الخرقاء في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وكان لكل منهم قول فيها، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعته فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان، وأطلق الشعبي بسبب ذلك.

وقيل: إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير ممن سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الرحمن بن حجية الخولاني المصري، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال، وكان رزقه في العام ألف دينار، وكان لا يدخر منها شيئاً.

■ طارق بن شهاب بن عبد شمس الأحسي عن رأي النبي ﷺ وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعا وأربعين غزاة، توفي بالمدينة هذه السنة.

■ عبيد الله بن عدي بن الحيار: أدرك النبي ﷺ، وحدث عن جماعة من الصحابة وكان من فقهاء قريش وعلمائهم، وأبوه عدي عمن قتل يوم بدر كافراً.

■ عبد الله بن قيس بن مخزومة، كان قاضي المدينة، وتوفي بها في هذه السنة.

■ مرثد بن عبد الله أبو الحارث الزبي.

ولمها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع ابن الأشعث، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عقه، ومنهم من تبعه الحجاج حتى قتله.

ولقد سمي منهم خليفة بن خياط [توفي: ٣٧١/٣٧٢] طائفة من الأعيان، فمنهم مسلم بن يسار المزني، وأبو مرثدة العجلي قتل، وعقبة بن عبد الغافر قتل، وعقبة بن وساح قتل، وعبد الله بن غالب الجهضمي قتل، وأبو الجوزاء الرعي قتل، والنضر بن أنس، وعمران والد أبي جمره الضبي، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرليحي، ومالك بن دينار، ومرة بن دباب الهذلي، وأبو نجيد الجهضمي، وأبو شيخ الهذلي، وسعيد بن أبي الحسن، وأخوه الحسن البصري.

قال أيوب: قيل لابن الأشعث: إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأتخرج الحسن معك، فأخرجه. ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن شداد والشعي، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، والمرور بن سويد، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وأبو البخترى، وطلحة بن مصرف، وزيد بن الحارث اليماني، وعطاء بن السائب.

قال أيوب: فما منهم من أحد صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه.

ومن أعيان من قتل الحجاج: عمران بن عصام الضبي، والد أبي جمره، كان من علماء أهل البصرة، وكان صالحاً عابداً، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له: أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك، فقال: والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به. فأمر فضربت عقه.

■ عبد الرحمن بن أبي ليلى، روى عن جماعة من الصحابة، ولأبيه أبي ليلى صحبة، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج أسيراً فضرب عقه بين يديه صبراً.

فأما

■ مسلم بن يسار فكان كثير العبادة والصيام، شديد الخشوع في الصلاة. وقع مرة حريق إلى جنبه وهو قائم يصلي فما شعر به. واتهمت ناحية المسجد ففرغ أهل المسجد لهدنتها، وإنه لفي المسجد قائم يصلي فما التفت. قال ابنه: رأيته ساجداً، وهو يقول: متى القلاك وأنت عني راض.

وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة.

قال لأصحابه يوم التروية: هل لكم في الحج؟ فقالوا: خرف الشيخ، وعلى ذلك لطيفته. فخرجوا إلى الجبال يرواحلهم، فقال: خلوا أزمته. فأصبحوا، وهم ينظرون إلى جبال تهامة. فوهم (خرف) أي: تغير عقله من الكبر؛ لأنهم كانوا بالبصرة، وقد بقي للوقوف بعرفة يوم واحد، فعرض عليهم الحج وبينهم وبينه مسيرة أربعين يوماً وأربعين ليلة في ليلة واحدة.

وقال سليمان بن المغيرة: جاء مسلم بن يسار إلى دجلة وهي تقذف بالزبد وترمي بالخشب، فمشى على الماء ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون شيئاً؟ يعني أن أصحابه كانوا قد مشوا معه على الماء ببركته، فلما قطعوا دجلة أشفق أن يكون قد ذهب لهم شيء من أمتعتهم، فقال: هل تفقدون شيئاً؟

قال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار في منامي بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، فقلت له: ما لك لا ترد علي. فقال: أنا ميت، فكيف أرد عليك؟ فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت والله أهوالاً وزلازل شديداً عظيماً. فقلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: فما تراه يكون من الكريم؛ قيل منا الحسنات، وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات. ثم شق مالك شققة خر منشياً عليه، فلبث أياماً مريضاً ثم مات. قتل مسلم بن يسار في وقعة ابن الأشعث مع الحجاج.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي: فيها انتح عبد الله بن عبد الملك بن مروان المصيبة. وفيها غزا محمد بن مروان لرومية فقتل منهم خلقاً كثيراً وحرق كنائسهم وضياعمهم وتسمى سنة الحريق. وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي، وأمره بقتل الأكراد.

وفيها ولي عبد الملك الإسكندرية عياض بن غنم التميمي وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكند الذي كان قد وليها في العام الماضي. وفيها انتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أروزية، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً، وأسر نحواً من خمسين ألفاً. وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من رؤساء أصحاب ابن الأشعث، منهم:

■ أيوب بن القرية: وكان فصيحاً بليغاً واعظاً، قتله صبراً بين يديه، ويقال: إنه ندم على قتله.

وهو أيوب بن زيد بن قيس أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القرية. ■ عبد الله بن الحارث بن نوفل. وسعد بن إلياس الشيباني، وأبو عينة الخولاني. له صحبة ورواية، سكن حمص وبها توفي وقد قارب المائة سنة.

■ عبد الله بن قتادة. وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ومنهم من توفي:

■ أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، كان ذا منزلة عند أهل الشام فخاف منه معاوية فقه من ذلك أبو زرعة فقال: يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بيتي، ولا تحزن صاحباً سررتي، ولا تشمت عدواً كبت. فكف عنه معاوية.

وفيها توفي

■ عبة بن النضر السلمي: صحابي جليل، كان يمد في أهل الصفة. ■ عمران بن حطان الحارثي، وقد كان أولاً من أهل السنة والجماعة

وإنما ذكر ابن جرير [٣٨٩/٦] مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فإله أعلم.

وعبد الرحمن هذا هو ابن محمد بن الأشعث بن قيس، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي.

قد روى له أبو داود [٣٥١١] والنسائي [٤٦٦٢] عن أبيه عن جده عن ابن مسعود حديث «إذا اختلف المتبايعان والسلمة قائمة فالقول ما قال البائع أو يتاركان».

وعنه أبو العميس ويقال إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة فإله أعلم. والعجب كل العجب من هؤلاء الذين يبعوه بالإمارة وليس من قريش، وإنما هو كندي من اليمن، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه، كما قررنا ذلك فيما تقدم. فكيف يعملون إلى خليفة قد بوع له بالإمارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلية قريش ويبيعون لرجل كندي ببيعة لم ينفق عليها أهل الحل والعقد؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفلته نشأ بسببها شر كثير ملك فيه خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ **أيوب بن القرية:** وهي أمه. واسم أبيه يزيد بن قيس بن زواوة بن مسلم التمري الحلالي.

كان أعرابياً أمياً، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيته وبلغته، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك، ثم بعثه رسولاً إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث: لئن لم تقم خطيباً فتخلع الحجاج لأرضين عتقك. ففعل وأقام عنده، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام، ثم في آخر الأمر ضرب عقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عقه، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم. كما قيل:

وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

وقد ذكره ابن عسكار في تاريخه [١٤٠/١٠] وابن خلكان في الوفيات [٢٥٠/١] وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة، قال: والقرية بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها حماعة بنت جشم.

قال ابن خلكان [٢٥٤/١]: ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى.

وابن أبي العقب صاحب الملحمة، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم.

■ **روح بن زباع بن سلامة الجذامي** أبو زوعة ويقال أبو زباع الدمشقي داره بدمشق في طرف البزورين عند دار أبي عقب صاحب الملحمة. وهو تابعي جليل، روى عن أبيه - وكانت له صحة - وقيم الداري، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأحبار وغيرهم، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي.

كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زباع كانت له صحة، ولم يتابع مسلم على هذا القول.

والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي.

فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها، وكان هو دميم الشكل، فأراد أن يردّها إلى السنة فابت فارتدت معها إلى مذهبها. وقد كان من الشعراء المطبقين، وهو القائل في قتل علي عليه السلام: وقاتله:

يا ضربة من تبي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنسي لأذكركه يوماً فاحسب أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكبرهم بقوم بطون الطير تبرم لم يخلطوا بينهم نبياً وغدونا
وقد كان الثوري يمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله:-

أرى إشقيّة الناس لا ينامونها على أنهم فيها عسرة وجوع
أزافاً وإن كانت تحب فأنها سحابة صيف عن قليل تنشع
كركب قسّوا حاجاتهم وترحلوا طريقتهم بايدي العلامة منهج

مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين. وقد ردّ عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها وزونها:

بل ضربة من شقي ما أراة بها إلا ليبلغ من ذي العرش خسارنا
إنسي لأذكركه يوماً فاحسب أشقى البرية عند الله ميزاناً

■ **روح بن زباع الجذامي:** كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشره في أموره.

وفيها كان مهلك ■ **عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي** وقيل في النسي بعدما فإله أعلم.

وذلك وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ ابن الأشعث إليه يقول له: والله الذي لا إله إلا هو لئن لم تبعث لي بابين الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف مقاتل، ولأخربنها.

فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يجرب الحجاج دياره ويأخذ عامة أمصاره، فأرسل إلى الحجاج بشرطه عليه أن لا يقاتل عشر سنين، وأن لا يؤدي في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج، فأجابته الحجاج إلى ذلك.

وقيل: إن الحجاج وعده أن يطلق له خراج أرضه سبع سنين، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث قتيلاً: إنه أمر بضرب عقه صبراً بين يديه، وبعث برأسه إلى الحجاج.

وقيل: بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً فقتله وهو بآخر رمق.

والشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصناد وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرُّنْج، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالخلد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لثلا يفر، فألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه الموكل به فماتاً جميعاً فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزّه، وقتل من معه من أصحاب ابن الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فطيف برأسه في الشام، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك، ثم دفنوا رأسه بمصر وجثته بالرُّنْج، وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

هذه توضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرُّنْج

ومن مآثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يعتق نسمة.

قال ابن زُيْر: مات سنة أربع وثمانين بالأردن. وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك، وقد حج مرة فنزل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان، ثم وضعت بين يديه، فينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء، فدعاه روع بن زُبَيْع إلى الأكل من ذلك الطعام، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال: إني صائم، فقال له روع: في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يا راعي؟ فقال الراعي: أفأفني أيامي من أجل طَعْمَتِكَ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فنزله وترك روع بن زُبَيْع، فقال روع بن زُبَيْع: -

لَقَدْ ضَنَنْتُ بِإِيَّائِكَ يَا رَاعِي إِذْ جَاءَ بِهَا رُوحَ بَنِّ زُبَيْعٍ
ثم إن روعاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرغعت، وقال: انظروا هل تجدون لها أكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي مجامع قلبه وصغرت إليه نفسه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها ذكر ابن جرير رحمه الله: ٣٨٩/٦ كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث الكندي قاله أعلم.

وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه الفضل بن المهلب.

وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له: إن فيه شيخاً من أهل الكتاب عالماً، فدعي له فقال: يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أتم في وما نحن فيه؟ قال: نعم. قال له: فما تجدون صفة أمير المؤمنين؟ قال: تجده ملكاً أقرع، من يقم في سبيله يصعق، قال: ثم من؟ قال: ثم رجل يقال له الوليد، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس، قال: أفترعني فترعني؟ قال: قد أخبرتك بك. قال: أفترعني ما لي؟ قال: نعم. قال: فمن يلي العراق بعني؟ قال: رجل يقال له يزيد، قال: أي حياتي أم بعد موتي؟ قال: لا أدري، قال: أفترعني صفته؟ قال: يندر غدره لا أعرف غيرها قال: فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب، وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ. ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده. فجاء الكتاب بالتفريع والتائب والتويخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه.

ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال: ويحك يا عبيد، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدي يليه رجل يقال له: يزيد، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد بن دينار فليسوا هناك، وما هو - إن كان - إلا يزيد بن المهلب. فقال عبيد: لقد شرفتهم وعظمت ولايتهم، وإن لم لعنوا وعلنا وحظاً فآلخني به، فأجعب رأي الحجاج على عزل يزيد بن المهلب، فكتب إلى عبد الملك يلّمه ويخوفه غدره ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ، وكتب إليه عبد الملك: قد أكثر في شأن يزيد فسم رجلاً يصلح لخراسان، فوقع اختيار الحجاج على الفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر، ففزا بإذغيس وغيرها وغشم مغام كثيرة، وامتدحه لشعراء ثم عزله بقتية بن مسلم.

قال ابن جرير رحمه الله: ٣٩٨/٦ وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمه، ثم ذكر سبب ذلك وملخصه:

أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف، فجعل يهادنه ويبحث إليه بالألطف والتحف، حتى جعل يتصيد هو وهو، ثم عرض للملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن اتني في مائة من أصحابك. فاختار موسى من جيشه مائة من شجعانهم، ثم دخل البلد، فأكل من طعام الملك، فلما فرغت الضيافة اضطجع موسى على جنبه في دار الملك وقال: والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري. فثار أهل القصر إليه فحاجف عنه أصحابه، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ، فاقتلوا قتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيةهم، واستدعى موسى بقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فحضرها ومنهها من الأعداء، وخرج منها ملكها هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستصرهم فقالوا له: هؤلاء قوم في نحو من مائة رجل أخرجوك من بلدكم، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء. ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستصرهم فبعثوا معه قصاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه، فلما أحس بقدمهم عليه - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يخرجوا نارا ويلبوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها، فلما وصلت إليه الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم: ما هذا الذي تفعلونه؟ فقالوا لهم: إنا نجد البرد في الصيف والكر في الشتاء، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ما هؤلاء بشر ما هؤلاء إلا جن! ثم عادوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا: لا طاقة لنا بقتال هؤلاء. ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاءوا فحاصروهم بترمه وجاء الخزاعي فحاصروهم أيضاً، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ويقاتل آخره العجم، ثم إن موسى بينهم فقتل منهم مقاتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخزاعي فصالحه وكان معه، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد، وليس يرى معه سلاحاً فقال على وجه النصح: أصلح الله الأمير، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح، فقال: إن عندي سلاحاً، ثم رفع صدر فراشه فإذا سيفه منتضى فأخذ عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبد الله بن خازم.

قال ابن جرير رحمه الله: ٤١٢/٦ وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روع بن زُبَيْع الجفامي، فينبأهما في ذلك إذ دخل عليهما قيصة بن ذؤيب في الليل، وكان لا يجيب عنه أي ساعة جاء من ليل أو نهار، فغزاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله، وإثما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأي الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، كان أبوه مروان عهد بالأمر من بعده إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحى عن الإمرة من بعده بالكلية، ويحمل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم، والله أعلم.

عبد العزيز بن مروان رحمه الله تعالى

ومات عبد الملك سنة ست وثمانين.

وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كريماً جواداً محدداً، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة.

وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر، عاصم وأبو بكر وعبد الأصبح - مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده و مات. وسهيل وكان له عدة بنات، أم محمد وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين ومن أمهات شتى، وله من الأولاد غير هؤلاء.

مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في النبل ودفن بها، وقد ترك عبد العزيز بن مروان من الأموال والأثاث الدواب من الخيل والبغال والإبل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف، من جملة ذلك ثلاثمائة مد من ذهب غير الورق، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة، فإنه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير [رحمه: ٤١٤/٦] أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن يتزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده، فإنه أعز الخلق علي، فكتب إليه عبد العزيز يقول: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد. فكتب إليه عبد الملك يأمره بحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره، وإنما كانت بلاد مصر بكمالها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز، مغالها وخراجها وحملها - فكتب عبد العزيز إلى أخيه عبد الملك: إني وإيساك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سناً لم يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان يقاوه قليلاً، وإني لا أدري ولا تدري أين يأتي الموت أولاً، فإن رأيت أن لا تُنْثَنَّتْ عليّ بقية عمري فافعل. فرق له عبد الملك وكتب إليه: لعمري لا أغتث عليك بقية عمرك. وقال عبد الملك لابنه الوليد: إن يرد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك، وقال لابنه الوليد وسليمان: هل قارفتما محرماً أو حراماً قط؟ قالوا: لا والله، فقال: الله أكبر، نلتماها ورب الكعبة. وقال: إن عبد الملك لما امتنع أخوه عبد العزيز من إجابته إلى ما طلب منه من بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال: اللهم إني قطعني فاقطعه. فمات في هذه السنة كما ذكرنا، فلما جاء الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز، ولكن سره ذلك من جهة ابنه الوليد وسليمان فإنه نال فيهما ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما المهدي من بعده.

وقد كان الحجاج كتب إلى عبد الملك يُزَيِّن له ولاية الوليد من بعده، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم عمران بن عاصم الغنزي، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك على ذلك وأنشيد عمران بن عاصم في ذلك:

أَبِىَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي عَلَى النَّهْيِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ
اجْبِنِي فِي بَيْتِكَ يَكُنْ جَوَابِي لَهُمْ عَاقِبَةٌ وَلَنَا قِيَامُ
فَلَرَأَى الْوَلِيدُ أَسْلَاحَ فِئُو جَنَلَتْ لَهُ الْخِلَافَةُ وَالنِّعَامُ
شَبِيهَكَ حَوْلَ نَيْبِهِ قُرَيْشٌ بِسَوْسَطِ طَرَفِ النَّاسِ الْغَنَامُ
وَيُطْلَقُ فِي النَّقْصِ لِي يَصْبُ تَوْأَمُ لَنَنْ خَلَعَ الْقُلَاصَ وَالشَّمَامُ
فَبِنْ تَوَيْرَ أَخَاكَ بِهَا قَانَا وَجَسَدُكَ لَا تُطِيقُ لَهَا أَتَامَا

■ عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصبح القرشي الأموي. ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان بن الحكم، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة وشهد قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما قلنا، وكانت له دار بدمشق وهي الدار التي للصوفية اليوم، المعروفة بالخانقاه البسيطة ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية. وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبة بن عامر وأبي هريرة، وحديثه عنه في مسند أحمد (٣٠٢/٢، ٣٢٠) وسنن أبي داود (٢٥١١) أن رسول الله ﷺ قال «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شَيْعٌ هَالِعٌ وَجُنٌّ خَالِعٌ». وعنه ابنه عمر والزهرى وعلي بن رباح وجماعة.

قال محمد بن سعد [الطبقات: ٢٣٦/٥]: كان ثقة قليل الحديث، وقال غيره: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثم تعلم العربية فاتقنها وأحسنها فكان من أفصح الناس، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز: مَنْ خَتَنَكَ؟ فقال الرجل: ختني الحفان الذي يخفن الناس، فقال لكتابه: ويحك بماذا أجابني؟ فقال الكاتب: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول: من خَتَنَكَ؟ فألى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية، فكثت جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من أفصح الناس، وكان بعد ذلك يميز عطاء من يعرب كلامه ويقص عطاء من يلحن فيه، فتسارع الناس في زماته إلى تعلم العربية.

قال عبد العزيز يوماً لرجل: من أنت؟ فقال: من بنو عبد الدار، فقال: نجدها في جارتك، فنقصه مائة دينار.

والقال أبو يعلى الموصلي [سنه: ٥٧٣]: حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا إسحاق بن يوسف أثبات سفيان عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم قال: كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر: ارفع لي حاجتك. فكتب إليه ابن عمر: إن رسول الله ﷺ قال: «الْبَيْتُ الْمَلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْبَيْتِ السَّمْلَى وَابْدَأْ بِتَنْوِيلِهِ». ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقاً رزقيته الله عز وجل منك.

والقال ابن وهب: حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال: بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال: فجئت فدفعت إليه الكتاب فقال: أين المال؟ قلت: لا أستطيع الليلة حتى أصبح. قال: لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار، قال: فدفعت لي الكتاب حتى جئت بها ففرقتها رضي الله عنه. ومن كلامه رحمه الله: عجباً لمؤمن يؤمن ويؤمن أن الله يرزقه ويغلف عليه، كيف يجيب مالا عن عظيم اجر وحسن سماح.

ولما حضرته الوفاة أحضر له مائاً يحضه وإذا هو ثلاثمائة مئني من ذهب، فقال: والله لو ددت أنه بر حائل بنجد، وقال: والله لو ددت أنني لم أكن شيئاً مذكوراً، ولو ددت أن أكون هذا الماء الجاري، أو نباتاً بأرض الحجاز، وقال لهم: اتروني بكنفي الذي تكفوني فيه، فجعل يقول: أف لك ما أقصر طولك، وأقل كبرك.

قال يعقوب بن سفيان [العرفه والطابع: ٤٣٣/٣] عن ابن بكير عن الليث كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين.

قال ابن عساكر [البرق دمشق: ٢٦/٤٣٠]: وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصراب سنة خمس وثمانين، فإنه مات قبل عبد الملك أخيه،

■ عمرو بن حريث.

■ عمرو بن سلمة.

و ■ واللة بن الأسقع، قال الواقدي ويحيى بن معين: كان يسكن الصفة في زمن النبي ﷺ. قال الواقدي: أسلم واللة والتي ﷺ يتجهز إلى تبوك في آخر الأمر.

قال واللة: قال لنا رسول الله ﷺ: كيف أنتم بعدي إذا شيعتم من خبز البر والزيت، فأكلتم الطعام، ولبستم أنواع الثياب، فأنتم اليوم خير أم ذلك اليوم؟ قال: قلنا: ذلك اليوم. قال: بل أنتم اليوم خير. قال واللة: فما ذهبنا عنا الأيام حتى أكلنا ألوان الطعام، ولبسنا أنواع الثياب وركبنا المراكب.

شهد واللة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزها، ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة، وهو آخر من توفي بدمشق من الصحابة؛ قاله سعيد بن بشير، وقد قال البخاري وغيره أنه توفي سنة ثلاث وثمانين. والله أعلم.

■ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية، كان أعلم قریش بفنون العلم، وله يد طول في الطب، وكلام كثير في الكيمياء، وكان قد استفاد ذلك من واهب اسمه مريانس، وكان خالد فضيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً كايه، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص فشكى إليه أن ابنه الوليد يحقر أخاه عبد الله بن يزيد، فقال عبد الملك: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة» والصل: ٣٤ فقال له خالد: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها ففق عليها القول ففسدناها تدميراً» والإسراء: ٢٦ فقال عبد الملك: والله لقد دخل علي أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم اللحن، فقال خالد: والوليد لا يقيم اللحن، فقال عبد الملك: إن أخاه سليمان لا يلحن، فقال خالد: وأنا أخو عبد الله لا لحن، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد: اسكت، فوالله ما تعد في العبر ولا في الفبر، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين! ثم أقبل خالد على الوليد فقال: ويحك وما هو العبر والفبر غير جدي أبي سفيان صاحب العبر، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب الفبر، ولكن لو قلت: غنيمات وخيالات والطائف، ورحم الله عثمان، لقلنا: صدقت - يعني أن الحكم كان منفياً بالطائف يرعى غنماً ويأوي إلى حبله الكرم حتى آراه عثمان بن عفان حين ولي - فسكت الوليد وأبوه ولم يجيرا جواباً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثمانين

لفيها غزاة قتية بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان، بلداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار، وسبى وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصوناً وممالك، ثم قتل فسبق الجيش، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له: إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش، وإذا قتل رجلاً فكن في ساقة الجيش - يعني لتكون رداً لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد - وهذا رأي حسن وعليه جاءت السنة، وكان في جملة السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاها قتية أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه، ثم إن قتية من على السبي وردت تلك المرأة على زوجها برمك وهي حلى من عبد الله بن مسلم، وكان ولدعا عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بني العباس

ولكننا نخاف من يسي - ينسي القللات نائرة سماماً ونخشى إن جعلت الملك فيهم سخاباً أن تعود لهم جهنماً ونعد غداً يسوم فاقبم لو نخلفني عصام بللك ما عذرت به عصاماً ولو أني جيت أخاً بفضل أريد به المقاتلة والمقاتلة لعقب في بني عيسى كذاك أو لرميت له مزاماً فمن يك في أقراره صلوغ فصعد الملك أبطوه التماساً قال: فهاج ذلك على أن كتب لأخيه يسترله عن الخلافة للوليد، فأبى عليه، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لأخيه

سليمان

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان، يرمع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضرب ستين سوطاً، وألبس ثياباً من شعر وأركبه جملاً وطاق به في المدينة، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلبون عندها ويقتلون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن، فقال لهم: والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم البس هذا الثياب.

ثم كتب هشام بن إسماعيل المخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد بن المسيب في ذلك، فكتب إليه يعفه في ذلك ويأمره بإخراجه ويقول له: إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به، وإننا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف. ويروي أنه قال له: ما ينبغي إلا أن يبايع، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خلعت سبيله.

وذكر الواقدي: أن سعيداً - رحمه الله - لما جاءت بيعة عبد الله بن الزبير إلى المدينة امتنع من البيعة فضربه نالها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه قاله أعلم. قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي: وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل المخزومي نائب المدينة، وكان على العراق والمشرق بكماه الحجاج.

قال شيخنا الحافظ الذهبي [تاريخ الإسلام: ص ٢٢]:

وتوفي في هذه السنة

■ أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة، كان من فقهاء المدينة العشرة، قاله يحيى بن القطان.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ١٥٢/٥، ١٥٣] كان ثقة وكان به صمم ووضح كثير، وأصابه الفالج قبل أن يموت.

■ عبد الله بن عامر بن ربيعة.

كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه لم يخضب، ويقال: إنه خضب بعد ذلك.

وقد قال نافع: لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفتح ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان.

وقال الأعمش عن أبي الزناد: كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة.

وعن ابن عمر أنه قال: ولد الناس أبناء وولد مروان أباً - يعني عبد الملك.

ورآه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس، فقال: لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه.

وقال عبد الملك: كنت أجالس بريرة بالمدينة قبل أن أربي هذا الأمر فكانت تقول: يا عبد الملك إن فيك خصالاً، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة، فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْعَ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا عَلَى مَحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ يُرْفِقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بغير حق».

وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمر بن العاص في قصة طويلة. وقال سعيد بن داود الزبيري عن مالك عن يحيى بن سعيد قال: كان أول من صلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وقتان معه، فقال سعيد بن المسيب: ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم. إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله.

وقال الشعبي: ما جالست أحداً إلا وجدت في الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فإني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه.

وذكر خليفة بن خياط [٢٤٧/١: ٢٤٨] أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابنتك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خنيس، فذكر من كتابته وغنايه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً.

ولم يزل عبد الملك مقيماً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز، وأجلى بني أمية من هناك، فقدم مع أبيه إلى الشام، ثم لما صارت الإمارة إلى أبيه وبايعه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة.

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فاطمة وقال: هذا فراق بيني وبينك.

وقال أبو الطفيل: صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه، وقد كان بني له فيه قبة قبل ذلك، فدخله وقال: لقد كان ابن حنمة الأخوري - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام.

وقيل: إنه لما وضع المصحف من حجره قال: هذا آخر العهد منك. وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء، وكان عماله على مذهبه؛ منهم الحجاج والمهلب وغيرهم وكان حازماً فحماً فطناً سائساً لأمر الدنيا، لا يكل أمر دنياه إلى غيره.

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وأبوها معاوية هو

كما سأتي. ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار وصاغان بهنديا عظيمة، ومحتاج من ذهب بلغار.

ولها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات، لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمي بذلك.

ولها غزا سلمة بن عبد الملك بلاد الروم قتل وسى وغنم وسلم وافتح حصن بولق وحصن الأخرم من أرض الروم.

ولها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة.

ولها هلك ملك الروم الأخرم بوري لا رحمه الله.

ولها حبس الحجاج يزيد بن المهلب.

وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل المخزومي.

وفي هذه السنة توفي

■ أبو أمامة صدي بن عجلان البجلي وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي في قول، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر وله أحاديث.

ولها في النصف من شوالها توفي أمير المؤمنين.

■ عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية. سمع عثمان بن عفان، وشهد الدار مع أبيه وله ابن عشر سنين، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين وكان أميراً على أهل المدينة، وله ست عشرة سنة، ولله إياها معاوية.

وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة.

وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرري وعمر بن الحارث ورجاء بن حيوة وجبر بن عثمان.

ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم فكان يكنى بأبي القاسم، فلما بلغه النهي عن التكني غير اسمه فسماه عبد الملك.

قال ابن أبي خيثمة عن مصعب بن الزبير: وكان أول من سمي في الإسلام بعبد الملك.

قال ابن أبي خيثمة: وأول من سمي في الإسلام بأحمد والد الخليل بن أحمد العروضي.

ويومع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين، وابن الزبير على باقي البلاد، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين.

وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن، وكان ربة من الرجال أقرب إلى القصور. وكانت أسنانه مشبكية بالذهب، وكان أفوه مفتوح الفم، فرمما غفل فيفتح فمه فيدخل فيه اللباب، فلها كان يقال له أبو اللبان.

وكان أبيض ربة ليس بالتحيف ولا البادن، مقرون الحاجبين أشهل

والذي جدد أنف حمزة عم النبي ﷺ يوم أحد.

وقال سعيد بن عبد العزيز: لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال

مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى، فلما التقوا قال:

اللهم احجز بين هذين الجبلين، وول الأمر أحبهما إليك. فظفر عبد الملك

وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً ودخوله الكوفة ووضع رأس مصعب بين

يديه وقد كان من أعز الناس عليه وأحبهم إليه.

قال سعيد بن عبد العزيز: لما بوجع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد

الله بن عمر بن الخطاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عمر

إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين! سلام عليك فإني أحمد إليك الله

الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني راع وكل راع مسؤول عن رعيته ﴿وَاللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

حَدِيثًا﴾؟ (الفاء: ٨٧) لا أحد. والسلام.

ويبعث مع سالم فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين،

ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك، فاحتملوا ذلك منه.

وقال الراقي: حدثني ابن أبي سيرة عن أبي موسى الخطاط عن أبي

كعب قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: يا أهل المدينة أذ أحق

الناس أن يلزم الأمر الأول لأتتم، وقد سألت علياً أحاديث من قبل هذا

المشرق ولا تعرفها ولا تعرف منها إلا قراءة القرآن، فالزموا ما في

مصحفكم الذي جمعكم عليه الإمام المظلوم، وعليكم بالفرائض التي جمعكم

عليها إمامكم المظلوم رحمه الله، فإنه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت

ونعم النشير كان للإسلام رحمه الله، فاحكموا ما أحكمنا، واسقطوا ما شذ

عنهما.

وقال ابن جريج عن أبيه: حج علينا عبد الملك بن مروان سنة خمس

وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين، فخطبنا فقال: أما بعد فإنه كان من

قلبي من الخلفاء يأكلون من المال ويؤكلون، وإني والله لا أدوي أدواء هذه

الأمة إلا بالسيف، ولست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة

المداهن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية - أيها

الناس إنا نغتملكم لكم كل اللغو ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر،

هنا عمرو بن سعيد حقه حقه، وقربته قربته. قال برأسه مكنا قتلنا بسيفنا

مكنا، وإن الجامعة التي خلعنا من عنقه عندي، وقد أعطيت الله عهداً أن

لا أضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء، فليبلغ الشاهد الغائب.

وقال الأصمعي: حدثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن

جلده. قال: ركب عبد الملك بن مروان بكراً فأنشأ قائده يقول: -

يا أيها البكر الذي أراكا عليك سهل الأرض في مشاكا

ويحك قبل تعلم سن غلاك خليفة الله الذي استطاك

لم يحب بكراً مثل ما حبأك

فلما سمعه عبد الملك قال: أيها يا هتاء، قد أمرت لك بعشرة آلاف.

وقال الأصمعي: خطب عبد الملك فحصر فقال: إن اللسان بضعة من

الإنسان، وإننا لا نسكت حصاراً ولا نطق هناءً، ونحن أسراء الكلام، فبينا

رسمت عروقه، وعلينا تهلكت أخصائه، وبعد مقامنا هنا مقام، وبعد عينا

هذا مقال، وبعد يومنا هذا أيام، يعرف فيها فصل الخطاب ومواقع

الصواب.

قال الأصمعي: قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشيب، فقال: وكيف لا

وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين؟.

وقال غيره قيل لعبد الملك: أسرع إليك الشيب، فقال: شبي كثرة

ارتفاع المنبر وخفاة اللحن؟.

ولحن رجل عند عبد الملك فقال له آخر: زد إني فقال له عبد الملك:

وأنت زد ألفاً.

وقال الزهري: سمعت عبد الملك يقول في خطبته: إن العلم سيقبض

قبضاً سريعاً، فمن كان عنده علم فليظهره غير غالي فيه ولا جاف عنه.

وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسأله في سفره إذا

وفعت له شجرة: سبحوا بنا حتى نأتي تلك الشجرة، وكبروا بنا حتى نأتي

تلك الحجر، ونحو ذلك.

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر فندرة فاكترى عليه

بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها، فقيل له في ذلك فقال: إنه كان عليه

اسم الله عز وجل.

وقال غير واحد: كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم

السيافون على رأسه بالسيف فينشد، وقال بعضهم: يأمر من ينشد فيقول:

إنا إذا نالت قواعي المسوى وانصبت السامع للقاتل

واصطغر الناس بالأيام تقضي بكم عادول فاصيل

لا نغسل الباطل حقاً ولا نلصق دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفه أعلامنا فنخلل الدهر مع الحاصل

وقال الأعمش: أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى

عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه: لو أن رجلاً أوى عيسى ليلة

واحدة أو خدعة فعرفته النصارى لزل عندهم، ولعرفوا ذلك له، ذلك، ولو

أن رجلاً خدم موسى أو رآه فعرفته اليهود فذكر غمّه. وإني خدام رسول

الله ﷺ وصاحبه وإن الحجاج قد أضربني وفعل وفعل، قال: فأخبرني من

شهد عبد الملك بقرأ الكتاب وهو يكي ويبلغ به الغضب ما شاء الله، ثم

كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير وجهه ثم قال

إلى حامل الكتاب: انطلق بنا إليه نترضاه.

وقال أبو بكر بن دريد: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن

الأشعث: إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه، وإذا عززت بالله

فأعف له، فإنك به تعز وإليه ترجع.

وقال بعضهم: سأل رجل عبد الملك أن يخلو به فاذن لأصحابه

بالانصراف، فلما تهيأ الرجل ليتكلم قال له عبد الملك: إياك أن تمدحني

فإني أعلم بنفسي منك، أو تكنيني فإنه لا رأي لكفوب، أو تسعى لي

بأحد وإن شئت أقتلك، فقال الرجل: أقلي. فأتاه.

وكنا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: أعفني من أربع وقل

ما شئت، لا تطرني، ولا تحبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكنيني، ولا

تحملني على الرعية فإنهم لي رافقي ومعلمي أحوج.

وقال الأصمعي عن أبيه قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من

خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي

منك، فقال: وما جزاؤك؟ فقال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك،

وذلك أتى رجل مشووم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان

لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيراً لك من مائة ألف معك

تصحك، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه، وكنت مع فلان

فقتل، وكنت مع فلان فهزم - حتى عد جماعة من الأمراء - فضحك

وخلى سبيله.

لسعيد بن المسيب: إن عبد الملك بن مروان قال: قد صرت لا أفرح بالحنسة أعملها، ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال سعيد: الآن تكامل موت قلبه.

وقال الأصمعي عن أبيه قال: خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال: يا رب إن ذنوبي عظيمة، وإن قليل عفوك أعظم منها، اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي. قال: فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال: لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام.

وقد روي عن غير واحد نحو ذلك.

وقال أبو مسهر الدمشقي: وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه: ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: مات يا أمير المؤمنين، قال: فأنيبني بن عبد الله بن خالد بن أسيد، قال: مات، قال: فلخالد بن يزيد بن معاوية، قال: مات، قال فلخالد بن معاوية، قال: ماتوا وهو يعلم ذلك فبكى، وأمر يرفع السباط وأنشأ يقول:

فَجَبْتُ لِإِنِّي وَانْقَضَتْ آيَاتُهُمْ وَغَبِرَتْ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ

وقيل: إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك: ما هذا؟ أتحزن حين الجارية والأمة؟ إذا أتت فشم واتزر والبس جلد النمر، وضع الأمور عند أقرانها واحذر قريشاً. ثم قال له: يا وليد اتق الله فيما استخلفك فيه، واحفظ وصيتي، وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تنزل عنها، وانظر ابن عمنا علي بن عبد الله بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بموته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه وأعرف حقه، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لكم البلاد وقهر الأعداء وأخلص لكم الملك وشتت الخوارج، وأتاهك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة، وكونوا في الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً، فإن الحرب لم تدن منة قبل وقتها، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحنه، وبذلك الألسنة بالذكر الجميل، ولله در القائل:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اجْتَمَعَ فِرَاقُهَا بِالْكَسْرِ ذُو خَنْقٍ وَطَشٍ بِالْيَدِ غَزَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُلْدَتْ فَالْكَسْرُ وَالتَّوْهِينُ لِلْمُسْتَبْدِ

ثم قال: إذا أتت فادع الناس إلى يمتك فمن أبى فالسيف، وعليك بالإحسان إلى أخواتك فأكرمهن وأجهن إلى فاطمة - وكان قد أعطاهما قرطبي ملوية والدرة اليتيمة - ثم قال: اللهم احفظني فيها. فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها.

ولما احتضر سمع غسلاً يغسل الثياب فقال: ما هذا؟ فقالوا: غسال، فقال: باليتي كنت غسلاً أكسب ما أعيش به يوماً بيوم، ولم أله الخلافة. ثم تمثل فقال:

لعمري لقد عُشِرْتُ في المُلْكِ بُرْقَةً وَكَانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوَقْعِ التَّوَاتُرِ وَأُعْطِيتُ جَمَّ الْمَالِ وَالْحُكْمَ وَالنَّهْيَ وَدَانَ قِمَاقِمِ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرِ فَأَضْحَى الَّذِي قَدْ كَانَ مَعَ بَسْرِي كَحَلَمِ مَضَى فِي الزَّمَانِ الْغَوَابِرِ فَيَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِالْمُلْكِ لَيْلَةً وَلَمْ أَسْجُ فِي لَيْلَتٍ حَيْشَ نَوَاصِرِ وَكُنْتُ كَلْبِي طَيْرَيْنِ عَاشَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَيْشِ حَتَّى زَارَ ضَيْقُ الْقَابِرِ

وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته.

وقيل لعبد الملك: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة، وترك النصرة عن قوة.

وقال أيضاً: لا طمأنينة قبل الخيرة، فإن الطمأنينة قبل الخيرة ضد الخرم.

وقال: خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً، ولا يقولون أحدكم: أبداً بمن تقول، فإن الخلق كلهم عيال الله.

وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث.

وقال المناقب: قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر -: علمهم الصديق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السئلة فإنهم أسوأ الناس رعةً وأقلهم أدباً، وجنبهم الخشم فإنهم لهم مفسدة، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقرؤوا، وعلمهم الشعر يمجذوا ويتجلدوا، ومرهم أن يستكروا غرضاً، وعصوا الماء مصاً، ولا يعبوا عباً، وإذا احتجت أن تتاولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهنوتوا عليهم.

وقال الهيثم بن عدي: أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذاً خاصاً، فدخل شيخ رث الهيئة لم يابه له الحرس، فالتقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب، وإذا فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فَاحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ. «وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» (ص: ٢٦) «وَالَا تَطْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِ الْعَالَمِينَ» (الطه: ٤-٦) «ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ» وَمَا تَزُخَّرُ إِلَّا لِأَجْلِ الْمَعْتُودِ (هود: ١٠٤، ١٠٥) إِنَّ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ لَوْ بَقِيَ لَفِرَكَ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ، «فَتِلْكَ يَبُوءُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا» (الفصل: ٥٢) وَإِنِّي أَحْلُوكَ يَوْمَ يَنَادِي الْمُنَادِي «احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ» (الصافات: ٢٢) «إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (الأعراف: ٤٤) قال: فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمه ولم تزل الكتابة في وجهه بعد ذلك أياماً.

وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره: ولا يطعمك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأت أعلم بضعك واذكر ما تكلم به الأولون:

إِذَا الرُّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهُمْ وَلَيْسَتْ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادِهِمْ وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهُمْ تَمَاتُهَا تِلْكَ رُؤُوسٌ قَدْ نَسَا حَصَانُهَا

فلما قرأ عبد الملك بكى حتى بلى طرف ثوبه، ثم قال: صدق زر، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.

وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال: إنها عن ذكر عمر فإنه إزاء على الولاة مفسدة للرعية.

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده قال: كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد يدمشق، فقالت له: بلغني أنك شربت الطلاء بعد العبادة والنسك، قال: إي والله، والدعاء قد شربتها، ثم جاءه غلام كان قد بعته في حاجة فقال: ما حبسك لعنك الله؟ فقالت أم الدرداء: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة لعان».

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال: قيل

الطائي، وابنة لملي بن أبي طالب، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر. ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريباً.

■ أرطاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن عصفان بن أبي حارثة بن مرة بن نسيبة بن غنظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان أبو الوليد المري، ويعرف بابن سبيبة، وهي أمه بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خليج بن أبي جشم بن كعب بن عوف بن عامر بن عوف - سبيبة من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأنث بأرطاة على فراشه، وقد عمر أرطاة دهرًا طويلاً حتى جاوز المائة بتلاتين سنة.

وقد كان سيداً شريفاً مطاعاً مدحاً شاعراً مطبقاً.

قال المدائني: ويقال إن بني عُفَافَظَةَ ابن ربيعة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيمة عيس دخلوا في بني مرة بن نسيبة فقالوا بني عصفان بن أبي حارثة بن مرة.

وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك بن مروان فأنشده أبياتاً

رايتُ المرأة تاكلُ الليالي كاكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبقي النسيبة حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستخز حتى تُوفي نذرنا بسامي الوليد

قال: فارتاع عبد الملك وظن أنه عنده بذلك فقال: يا أمير المؤمنين إنما عنت نفسي، فقال عبد الملك: وأنا والله سيعمر بي الذي يمر بك، وزاد بعضهم في هذه الآيات: -

خلفنا أنفساً ونسي نقوس ولست بالسلام ولا الحديد
لئن فُجئت بالقرناء يوماً لقد مُتت بالأمم الجعيد

وهو القائل:

واني لقوام لدى الضيف مؤفناً إذا أسبل الستر البخل الموكل
دعاً فاجبته كلاب كثيرة على تقية مي باني فاعل
وما دون ضيبي من تلالو نخوره لي النفس إلا أن تصان الحلال

■ يونس بن عطية الحضرمي: قاضي مصر وصاحب الشرطة في أيام عبد العزيز بن مروان، ثم تولى بعده القضاة ابن أخيه أوس بن عبد الله.

■ مطرف بن عبد الله بن الشخير: كان من كبار التابعين، وكان من أصحاب عمران بن حصين، وكان مجاب الدعوة، وكان يقول: ما أوتي أحد أفضل من العقل، وعقول الناس على قدر زمانهم.

وقال: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله: هذا عبيد حقاً.

وقال: إذا دخلت على مريض فإن استطعت أن يدعوك لكرم فإنه قد حرك - أي قد أوقظ من غفلته بسبب مرضه - فدعاؤه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه.

وقال: إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة.

وقال لبعض إخوانه: إذا كانت لك لي حاجة، فلا تكلمني فيها؛ فإني أكره أن أرى ذلك السؤال في وجهك، ولكن اكبتها في رُفعة وارفعها.

وكان يقول: إن هذا الموت قد أسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

وقال: لو علمت متى أجلى؛ لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله

وقال أبو مسهر: قيل لعبد الملك في مرض موته: كيف تمجدك؟ فقال: أجندني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْجِعُنَا مَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٤).

وقال سعيد بن عبد العزيز: لما احتضر عبد الملك أمر بفتح أبواب من قصره، فلما فتحت سمع قصاراً فقال: ما هذا؟ قالوا: قصار، فقال: يا ليتني كنت قصاراً، فلما بلغ سيداً قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم.

وقال غيره: لما حضره الموت جعل يندم ويضرب يده على رأسه ويقول: وددت أنني اكتسبت قوتي يوماً بيوم واشتغلت بطاعة الله.

وقال غيره: لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم ثم قال: الحمد لله الذي لا ينسى أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينسى: -

فهل من خالداً إلّا خلكنَا وهل بالموت إلّا للناس عارٌ

ويروى أنه قال: أرفعوني، فرفعوه حتى شم الهواء وقال: يا دنيا ما أطيك! إن طويلك قصير وإن كثيرك لحفير، وإن كنا منك لفي غرور، ثم تمثل بهذين البيتين ويروي أن معاوية قالهما في هذه الحال:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاور فأنث رب صفوح عن مسمي فثوبه كالتراب

قالوا: وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل الأربعاء وقيل الخميس، في النصف من شوال وقيل لخمس مضي من سنة ست وثمانين، وصلى عليه ابنه الوليد ولي عهده من بعده، وكان عمره يوم مات ستين سنة. قاله أبو معشر وصححه الواقدي.

وقيل: ثلاثاً وستين سنة. قاله المدائني.

وقيل: ثمان وخمسين.

ودفن بباب الجابية الصغير.

قال ابن جرير (٤١٩/٦): ذكر أولاده وأزواجه: منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر - درج - وعائشة، وأمههم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جندبة بن ربيعة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيمة بن عيس بن بغيض، ويؤيد ومروان الأصغر ومعاوية - درج - وأم كلثوم وأمههم عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وهشام وأمه أم هشام عائشة - فيما قاله المدائني - بنت هشام بن إسماعيل المخزومي.

وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، والحكم - درج - وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي، وفاطمة وأمه أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي.

وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة وعمد وسعد الحثير والحجاج لأمهات أولاد شتى.

فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكراً وإناثاً.

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة، منها تسع سنين مشاركاً لابن الزبير، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلاً بالخلافة وحده.

وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني، وكتبه روح بن زنياع، وحاجبه يوسف مولاة، وصاحب بيت المال والحاتم قبيصة بن ذؤيب. وعلى شرطه أبو الزعيزعة. وقد ذكرنا عماله فيما مضى.

قال المدائني: وكان له زوجات أخضر، شقران بنت سلمة بن حلبس

الملك كما سيأتي بيانه، وكما تقدم تقريره في كتاب دلائل النبوة في باب الإخبار عن الغيوب المستقبلية، فيما يتعلق بدولة بني أمية.

وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه، يقال: إنه لا تعرف له صبرة، ومن جملة عاصته ما صح عنه أنه قال: لولا أن الله قصة علينا خبر قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكراً كان يأتي ذكراً كما تزني النساء، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته في سنة ست وتسعين إن شاء الله تعالى.

وهو بالي جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين، فلما أنهى انتهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً.

وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها: كنيسة يوحنا، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً، وبقي الجانب الغربي كنيسة بحاله من لدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف، وقيل: عوضهم عنها كنيسة توما، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصحابة، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والديارات والآثار والعمارات، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز، فدخلها في ثلاثين بغيراً في ربيع الأول منها، فزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر، وعبيد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا ب رأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو يلبسكم عن عامل في علامة، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني.

فخرجوا من عنده يمجزون خيراً، واقتروا على ذلك.

وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان سعى الرأي فيه - لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم، وكانت لحماً من أربع سنين، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وإلى علي بن الحسين وأهل بيته فلما أوقف للناس قال هشام: ما أخاف إلا من سعيد وعلي بن الحسين، فقال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه: لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل، فإني تركت ذلك لله ولسرهم. وأما كلامه فلا أكلمه أبداً، وأما علي بن الحسين فإنه مر به وهو موقوف عند دار مروان فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له

من على عباد به الغفلة عن الموت، ولولا الغفلة لما تهتوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

وكان مطرف إذا دخل بيته، سبحت معه آية بيته.

وكان يسكن البادية، ويحیی منها إلى الجمعة مبكراً، فمر مرة بمقبرة، فنفس فنام عند القبور، فرأى في منامه أهل القبور على أفواء قبورهم، فقالوا: هذا مطرف يذهب إلى الجمعة. قال: فقلت لهم: وتعرفون الجمعة من غيرها؟ قالوا: نعم، ونعرف ما يقول الطير في جر السماء.

قال: فقلت: وما تقول؟ قالوا: تقول: سلام سلام ليوم صالح.

وكان يقول: يا إخواني، اجتهدوا في الأعمال الصالحة؛ فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله، كان لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف لم نقل: ربنا ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل، نقول: قد عملنا فلم يفتننا.

وكان يدعو: اللهم ارض عني؛ فإن لم ترض عني، فاعف عني؛ فإن المولى قد يعفو عن العبد، وهو عنه غير راض.

وكان مطرف قد حفر في داره قبراً، كان كل يوم يتزل إليه، فيصلي فيه، ويقرأ القرآن.

توفي مطرف بالبصرة، وكان له منزلة عند الخلفاء والملوك والأمراء، وكان هو من أوفد الناس فيهم، وكان مجاب الدعوة؛ كذب عليه رجل عند بعض الأمراء، فقال مطرف: يا هذا، إن كنت كاذباً عجل الله حفرك. فوقع الرجل ميتاً مكانه. والله سبحانه أعلم.

خلافة الوليد بن عبد الملك بالي جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة أعني سنة ست وثمانين - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة، قوموا فلياموا. فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلولي وهو يقول: -

الله أعطاك التي لا توفىها وقد أراذ الملبئون عرفتها
عنك ويأتى الله إلا سرفها إليك حتى قلنوك طوفها

ثم يليه ويليه الناس بعده.

وفكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أيها الناس إني لا مقدم لما أكره الله، ولا مؤخر لما قدم الله، وقد كان من قضاء الله وسابقته وما كتبه على أنبيائه وحملته عرشه وملأته الموت، وقد صار إلى منازل الأبرار، بما لاقى في هذه الأمة - يعني بالسلفي - بحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً.

أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الفرد.

أيها الناس من أبى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بلماته.

ثم نزل فظفر ما كان من دواب الخلافة فحازها. وكان جبلاً عتيلاً. وقد ورد في تولية الوليد حديث غريب، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.

وعلى العراق والمشرق بكمالهما الحجاج بن يوسف الثقفي، وثابته على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي وقاضيه بها عبد الله ابن أذينة، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جبر بن عبد الله البجلي، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، وثابته على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم.

وفي هذه السنة توفي من الأعيان

■ عتبة بن عبد السلمي: صحابي جليل. نزل حصص، يروى أنه شهد بني قريظة، وعن العرياض أنه كان يقول: هو خير مني أسلم قبلي سنة. قال الواقدي وغيره: توفي في هذه السنة، وقال غيره: بعد التسعين والله أعلم.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة. وروى بنية عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلاً يمر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحفره يوم القيامة» (السند: ١٨٥/٤). وقال إسماعيل بن عياش عن عقیل بن مترك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال: اشكتك إلى رسول الله ﷺ العُري فكساني خيشتين فلقد رأيتني البسهما وأنا أكسي الصحابة (٤٠٣٢)، السند: ١٨٥/٤.

■ المقدم بن معدي كرب: صحابي جليل، نزل حصص أيضاً، له أحاديث، وروى عنه غير واحد من التابعين. قال محمد بن سعد والفلاس وأبو عبيد: توفي في هذه السنة، وقال غيرهم: توفي بعد التسعين والله أعلم.

■ أبو أمامة الباهلي: واسمه صدي بن عجلان. صحابي جليل، نزل حصص، وهو راوي حديث «تلقين الميت بعد الدفن» رواه الطبراني في الدعاء (١٣٦٧/٣)، وقد تقدم له ذكر في الوفيات.

■ قبصة بن ذؤيب أبو صفیان الخزاعي المدني، ولد عام الفتح وأبى به النبي ﷺ ليدعو له.

روى عن جماعة كثيرة من الصحابة، وأصيبت عينه يوم الحرة، وكان من فقهاء المدينة، وكانت له منزلة عند عبد الملك، ويدخل عليه بغير إذن، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها، وكان صاحب سره، وكان له دار بدمشق بباب البريد وتوفي بدمشق.

■ عروة بن المغيرة بن شعبة: ولي إمرة الكوفة للحجاج، وكان شريفاً لبياً مطاعاً في الناس، وكان أحول، توفي بالكوفة.

■ يحيى بن يعمر، كان قاضي مرو، وهو أول من نقط المصاحف، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم وله أحوال ومعاملات، وله روايات، وكان أحد النصفاء، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي.

■ شريح بن الحارث بن قيس القاضي: أدرك الجاهلية، واستنقضاء عمر على الكوفة فمكث بها قاضياً خساً وستين سنة، وكان عالماً عادلاً كثير الخير، حسن الأخلاق، فيه دعابة كثيرة، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه، وكذلك كان عبد الله بن الزبير، والأحف بن قيس، وقيس بن سعد بن عبادة وقد ترجمناه في التكميل بما فيه كفاية، وقد اختلف في نسبه وسنه

أحد منهم، فلما اجتاز به علي بن الحسين وتجاوزوه ناداه هشام بن إسماعيل فقال: الله أعلم حيث يعمل رسالته.

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً. وفتح حصوناً كثيرة وغنم غنائم جمة.

ويقال: إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن يولق، وحصن الأخرم، وبحيرة الفرسان، وحصن بولس، وقميقم، وقتل من المستعربة نحواً من ألف ووسى ذراريهم.

وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل، وعلى أن يطلق كل من يبلاده من أسارى المسلمين.

وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجسم غفير، وهي من أعمال بخارى، فلما نزل بارضهم استنجدوا عليه بأهل الصند ومن حولهم من الأتراك، فأتوهم في جمع عظيم فاخذوا على قتيبة الطرق والمضايق، فتواقف هو وهم قريبا من شهرين وهو لا يقدر على أن يبعث إليهم رسولاً ولا يأتيه من جهتهم رسول، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف عليه واشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار.

وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتتلون مع الترك في كل يوم، وكان لقتيبة عين من العجم يقال له: تنذر، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلا على أن يأتي قتيبة فيخلّله عنهم، فجاه إليه فقال له: أخلّني، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين، فقال له تنذر: هذا عامل يقدم عليك سريعا بمنزل الحجاج، فلو انصرفت بالناس إلى مرو، فقال قتيبة لمولاه سياه: اضرب عقه فقتله، ثم قال قتيبة لضرار: لم يبق أحد سمع هذا غيبي وغيرك وأنا أعطي الله عهداً إن ظهر هذا الخبر حتى يتقضي حريتنا لألحقك به، فاملك عليك لسانك، فإن انتشار هذا يفتّ في أعضاد الناس ثم نهض قتيبة فحرض الناس على الحرب، ووقف على أصحاب الربايات يرضهم، فقاتل الناس قتالا شديداً وأنزل الله على المسلمين النصر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ما شالوا، واعتصم من بقي منهم بالمدينة، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها فسأله الصلح على مال عظيم فصالحهم، وجعل عليها رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً، فلما كان منهم على خمس مراحل نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجعدوا أثوف من كان معه، فرجع إليهم وحاصرها شهراً. وأمر الثقابين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضر النار فيها، فسقط السور فقتل من الفعلة أربعين نفساً، فسأله الصلح فأبى، ولم يزل حتى اقتحها فقتل مقاتلتهم وسبى الذرية وغنم الأموال.

وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم، فأسر فقال: أنا أفندي نفسي بخمسة أبواب صينية قيمتها ألف ألف، فأشار الأمراء على قتيبة يقول ذلك منه، فقال قتيبة: لا والله لا أروع بك مسلماً مرة ثانية، وأمر به فضربت عقه. وغنم المسلمون من بيكند شيئاً كثيراً من آتية الذهب والفضة والأصنام من الذهب، وكان فيها صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ووجدوا في خزانة الملك أموالاً كثيرة وسلاحاً كثيراً وعدداً متروعة، وجواهر نفيسة وأخذوا من السبي شيئاً كثيراً، فكتب قتيبة إلى الحجاج في أن يعطي ذلك للجند، فاذن له فتول المسلمون مالا كثيراً جدنا، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول كثيرة وتقرؤوا على الأعداء قوة عظيمة والله الحمد والمنة.

وعام وفاته على أقوال، ورجح ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٤٦٣/٢] وفاته في هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، فافتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانة في جمادى من هذه السنة - وكان هذا حصيناً منيعاً - اقتل الناس عنده قتلاً عظيماً ثم حمل المسلمون على النصارى فهزمهم حتى أدخلوهم الكنيسة، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقعه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن عمير الجهمي، فقال العباس لابن عمير: أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل؟ فقال: نادهم يأتوك، فتأذى: يا أهل القرآن، فتراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجؤوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه.

وذكر ابن جرير [رحمته: ٤٣٥/٦، ٤٣٦] أن في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز بالمدنية يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ وأن يوسع من قبلته وسائر نواحيه، حتى يكون مثل في مائتي ذراع، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم أهدم وأدفع إليهم أثمان يوتهم، فلأن لك في ذلك سلف صدق؛ عمر وعثمان.

فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب الوليد، فشق عليهم ذلك وقالوا: هذه حجر قصيرة السقف، وسقفها من جريد النخل، وحيطانها من اللبن، وعلى أبوابها المسوح، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون، وإلى بيوت النبي ﷺ فيفتنوا بذلك ويعتبروا به، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكبر، ويعرفون أن هذا البيان العالي إنما هو من أفعال الفرائسة والأكاسرة، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها.

فعد ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم، فأرسل إليه يأمره بإخراجه وبناء المسجد على ما ذكر، وأن يعلى سقوفه. فلم يجد عمر ثبناً من هدمها، ولا شرعوا في الهدم صاح الأشراف ووجوه الناس من بني هاشم وغيرهم، وتباكروا مثل يوم مات النبي ﷺ، فأجاب من له ملك متاخم للمسجد إلى بيعة فاشتري منهم عمر، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك، وجاءته فُعُول كثيرة من قِبَل الوليد، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد.

وروي أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى تحفروا أنها قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كانه خشي أن يتخذ القبر مسجداً - والله أعلم.

وذكر ابن جرير [رحمته: ٤٣٦/٦] أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء، فبعث إليه مائة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي نحو خمسين جملًا ومائة ألف دينار.

والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق فأنه أعلم. وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحضر الفؤارة بالمدنية، وأن يجري مامعا ففعل، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا، وساق إلى الفؤارة الماء من ظاهر المدنية، والفؤارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رأها فأعجبته.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كسور مغانور ابن أخت ملك الصين، ومعه مائتا ألف مقاتل، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم، فاقبلوا قتالا شديداً، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسوراً فكسروهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيراً، وقتل منهم خلقاً وسيى وأسر.

وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قریش، فلما كان بالتيميم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلّة المطر، فقال لأصحابه: ألا نستطرق؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة وهم مع المطر، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر، ومطرت عرقة ومزلفة ومنى، وأخصبت الأرض هذه السنة خصباً عظيماً بمكة وما حولها، وذلك ببركة دهاء عمر بن عبد العزيز ومن كان معه من الصالحين.

وكان النوب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها.

وعن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الله بن يسر بن أبي يسر المازني: صحابي كاهن، سكن حمص، وروى عنه جماعة من التابعين.

قال الواقدي: توفي في سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين سنة. زاد غيره: وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرناً [الخبر الصغرى: ٢١٦/١]، فعاش مائة سنة.

■ عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي، صحابي جليل، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة، وكانت وفاته فيما قاله البخاري سنة سبع أو ثمان وثمانين [الخبر الصغرى: ٢١١/١]. وقال الواقدي وغير واحد: سنة ست وثمانين، وقد جاوز المائة، وقيل قاربها رضي الله عنه.

وفيها توفي:

■ هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي المدني، وكان حاضراً عند الملك بن مروان ونائبه على المدينة، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب كما تقدم، ثم قدم دمشق فمات بها، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فمات فيها في السبع.

■ حكيم بن غمير العنسي الشامي، له رواية، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن عمير أبو الأحوص، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بلاد الروم فقتلا خلقاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة، منها حصن سورية ودمورية وهرقل وقمرية، وغنما شيئا كثيراً وأسرا جماً غفيراً.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسّف وكسّر، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير.

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك.

وفيهما عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر ووُلّي عليها قرة بن شريك.

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي ملك السند داهر بن صصة، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج.

وفيهما فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها، وجرت بينهم فصول بطول ذكرها، وقد قصصها ابن جرير رحمه الله: ٤٤٧/٦-٤٤٨.

وفيهما طلب طرخون ملك الصفد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصاحبه على مال يذله في كل عام فأجابته قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه.

وفيهما استجد وردان خذاه بالترك فأتوه من جميع النواحي - وهو

صاحب بخارى بعد أخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فحطمهم ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة،

وصالح قتيبة ملك الصفد، وفتح بخارى وحصونها، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصفد قال

للملوك الترك: إن العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا، وإن قتيبة

هكنا يقصد الملوك، فإن أعطوه شيئاً أخذوه ورجع عنهم، وإن قتيبة ليس

بملك ولا يطلب ملكاً، فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكتب نيزك ملك

الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان، وكان قد صالح قتيبة

فنفذ الصلح الذي كان بينه وبين قتيبة، واستجاش عليه بالملوك كلها،

فأتاه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا

يداً واحدة على قتيبة، واتصلوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاقفوا على أن

يجمعوا فيقاتلوا كلهم فاجتمعوا في فصل الربيع من السنة الآتية، فقتل

منهم قتيبة في ذلك الحين مقتلة عظيمة جداً لم يسمع بمثلهما، وصلب منهم

سماطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد، وذلك مما كسر جموعهم

كلهم.

وفي هذه السنة حرب يزيد بن المهلب وأخوه الفضل وعبد الملك من

سجن الحجاج، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك فأنهم من الحجاج، وذلك

أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة، وأخذ

منهم ستة آلاف ألف، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب، كان لا

يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا فكان ذلك يغيظ الحجاج حتى قال

من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرقان، وظفر بهم

فقال في ذلك نهار بن توسعة:

وباتت لُهم ينسا بخرقان ليلةً وليلتنا كانت بخرقان أمسلاً

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتلاً شديداً فلم

يظهر به قتيبة، فرجع عنه إلى مرو، فجاهده البريد بكتاب الحجاج يعثفه على

الفرار والنكول عن أعداء الإسلام، وكتب إليه أن يعث له بصورة هذا

البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن ارجع إليها وتب

إلى الله من ذنبك وأنتها من مكان كنا وكنا، ورد وردان خذاه، وإليك

والتحويط، ودعي وبنات الطريق.

وفي هذه السنة إلى الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله

القسري، فحفر بئراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون، فجاءت عذبة

الماء طيبة، وكان يستقي الناس منها.

وروى الواقدي: حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني غزوم، قال:

سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب

الناس: أيها الناس! أيها أعظم؛ خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟

والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاء

ملحاً أجاجاً، واستسقى الخليفة فسقاء علياً فراثاً - يعني البئر التي احتفرها

له بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان يظل مالاها فيوضع في حوض

من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم.

قال: ثم غارت تلك البئر فذهب مالاها فلا يدري أين هو إلى اليوم.

وهذا الاستاد غريب، وهذا الكلام يتضمن كبراً إن صح عن قائله،

وعندي أن خالد بن عبد الله القسري لا يصح عنه هذا الكلام، وإن صح

فهو عنو الله، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه

جعل الخليفة أفضل من الرسول الذي أرسله الله، وكل هذه الأقوال

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم، ففتحوا

حصوناً وقتلوا خلقاً من الروم وغنما وأسرا خلقاً كثيراً.

وكتب إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك يخبره بهرهم، وأنه لا يراهم هربوا إلا إلى خراسان، وخاف الحجاج من يزيد بن المهلب أن يصنع كما صنع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له.

وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجامته خيول كان قد أعد لها له أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد، فأخذ بهم على السماء، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له: إن يزيد بن المهلب وإخوه في منزلي، قد جاوزوا مستعينين بك من الحجاج، قال: فاذهب فأتني بهم فهم آمنون ما دمت حياً، فجاهدهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك، فأمنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد: إن آل المهلب قد أمتهم، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف، وهي عندي.

فكتب إليه الوليد: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ، فكتب إليه: ولا والله لا أبشبهه حتى أجنيء معه، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقضيني أو تخفرتني في جواربي، فكتب إليه: لا والله لا نجنيء معه وأبعث به إليّ في وثاق. فقال يزيد: أبعثني إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرماً، فأبعثني إليه وأبعث معي ابنك وكتب إليه بالطف عارة تقدر عليها. فبعثه وبعث معه ابنه أيوب، وقال لابنه: إذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة، وادخلها عليه كذلك: فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان. ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحن من منها، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لكاننا منك، ولا تسلك من رجاء العز في الانقطاع إلينا لئلا نلزمنا بك.

ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه: أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذلل جاري ولا تخفر جواربي، بل لم أجر إلا سامعاً مطيعاً، حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك فإن كنت إنما تعد قطيعي وإخضر ذمتي والإبلاغ في مسامتي فقد قدرت إن أنت فعلت، وأنا أعينك بالله من احتداد قطيعي وانتهاك حرمتي، وترك بري وصلي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي ويقاؤك، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك، فإن استطاع أمير المؤمنين - إدام الله سروره - أن لايتأني أجل الوفاة علينا إلا وهو لي وأصل ولحقي مؤد، وعن مسامتي نازع فليقبل، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك، وإن رضاك وسرورك وما ألتبس به ورضوان الله عز وجل، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد مسرئتي صلي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد، وكل ما طلبته به فهو عليّ.

فلما قرأ الوليد كتابه قال: لقد أشققتنا على سليمان، ثم دعا ابن أخيه فادناه منه، وتكلم يزيد بن المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال: يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عننا أحسن البلاء، فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفره فلسنا بكافريه، وقد كان من بلاتنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق

والمغرب، ما إن المنة فيه علينا عظيمة.

فقال له: اجلس فجلس فأمته وكف عنه ورده إلى سليمان، وكان عنده يعلمه الهيئة، ويصف له ألوان الأطعمة الطيبة، وكان حطياً عنده لا يهدي إليه بهدية إلا بعث إليه بنصتها، وتقرب يزيد بن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقديم.

وكتب الوليد إلى الحجاج: إنني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخي سليمان، فأكف عنهم واله عن الكتاب إليّ فيهم. فكف الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطلبهم به من الأموال، حتى ترك لأبي عبيدة بن المهلب ألف ألف درهم، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس وتسعين، كما سيأتي بيانه.

ثم ولي يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب.

وفيهما توفي من الأعيان

■ تباذق الطبيب الحاذق له مصنفات في فقهه وكان حطياً عند الحجاج، مات في حدود سنة تسعين بواسطة.

وفيهما توفي

■ عبد الرحمن بن السور بن حمزة.

و■ أبو العالية الرياحي.

و■ سنان بن سلمة بن الخثعم أحد الشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وتولى غزو الهند، وطال عمره. وتوفي في هذه السنة.

■ محمد بن يوسف القتيبي أخو الحجاج، وكان أميراً على اليمن، وكان يلعب على المنابر، قيل: إنه أمر حُجراً المنذري أن يلعب عليه فقال: بل لعن الله من يلعب علينا، ولعنة الله على من لعنه الله. وقيل: إنه وُزِيَ في لعنه الله أعلم.

■ خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم الأموي الدمشقي، وكانت داره بدمشق تلي دار الحجازة، وكان عالماً شاعراً، وينسب إليه شيء من علم الكيمياء، وكانت يعرف شيئاً من علوم الطبيعة، روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه الزهري وغيره.

قال الزهري: كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم الجمعة وهو عيد المسلمين، ويوم السبت وهو عيد اليهود، والأحد لل نصارى -.

وقال أبو زرة الدمشقي رحمه الله: كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد، وكان ولي العهد من بعد مروان فلم يلتزم له الأمر، وكان مروان زوج أمه.

ومن كلامه: أقرب شيء الأجل، وأبعد شيء الأمل، وأرجى شيء العمل.

وقد امتلحه بعض الشعراء فقال:

سألت الندى والجود حُرّاً إنتما فقالا جميعاً إننا لعميد
فقلّت ومن مولائنا فقلّوا عليّ وقالوا خالد بن يزيد

قال: فأمر له بمائة ألف.

قلت: وقد رأيتها قد أبتدأ في خالد بن الوليد رضي الله عنه. فقال:

وقال: خالد بن وليد. والله أعلم.

عمري الا ما يسع ثلاث كلمات لقتله، ثم قال: اقلوه اقلوه اقلوه، فقتل هو وسبعائة من أصحابه في غداة واحدة، وأخذ قتيبة من أموالهم وخيولهم وثيابهم وأبنائهم ونسائهم شيئا كثيرا، وفتح في هذا العام مدنا كثيرة، وقرر ممالك كثيرة، وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء، ومن أنية الذهب والفضة شيئا كثيرا.

ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها، ثم سار إلى الفارياب وبها مدن ورساتيق، فخرج إليه ملكها سامعا مطيعا، فاستعمل عليها رجلا من أصحابه، ثم سار إلى الجوزجان فأخذها من ملكها واستعمل عليها، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهرا واحدا، ثم خرج منها وقصد نيزك خان بيجلان، وقد ترك نيزك خان معسكرا على قم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده، وفي قم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمس، لعلوها وارتفاعها واتساعها. فقدم على قتيبة الروب خان ملك الروب وسمنجان، فاستأمنه على أن يبلده على مدخل القلعة، فأمنه وبعث معه رجلا إلى القلعة فاتوا ليلًا ففتحوها وقتلوا خلقا من أهلها وهرب الباقي، ودخل قتيبة الشعب وأتى سمنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك البلاد والمدن نيزك خان في جيش هائل، فسار خلفه إلى بخلان فحصره بها، وأقام محصره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات، فأرسل قتيبة من عنده ترجمانا يسمى الناصح، فقال له: اذهب فأتني بنيزك خان ولئن عدت إلي وليس هو معك ضربت عنقك. وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة، فسار الترجمان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له، فقدم به على قتيبة ومعه سبعائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة. وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمتهم وولى على بلادهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الواقدي وغيره: وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز نائب المدينة أشراف المدينة فثقلوه فرحب بهم وأحسن إليهم، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي، فلم يبق فيه أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم، فقالوا له: تنع عن المسجد أيها الشيخ، فإن أمير المؤمنين قادم، فقال: والله لا أخرج منه. فدخل الوليد المسجد فجعل يلور فيه يصلي ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل.

قال عمر بن عبد العزيز: وجعلت أعدل به عن موضع سعيد بن المسيب خشية أن يراه فحالت منه الفتاة فقال: من هذا، أهو سعيد بن المسيب؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو علم بمكانك لقام إليك وسلم عليك. فقال الوليد: قد علمت حاله، وجعل يلور في المسجد ويتزجج في عمارته، ويسألني عن سعيد بن المسيب، فقلت: إنه وإني، وقصدت موافقته في ذلك، نثر الوليد يثني عليه بالعلم والدين، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعتر له - فقال: نحن أحق بالسعي إليه، فجاء فوقف عليه فسلم عليه فلم يقم له سعيد ثم قال الوليد: كيف الشيخ؟ فقال: بخير والحمد لله، كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد: بخير والحمد لله وحده. ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز: هذا بقيّة الناس. فقال: أجل يا أمير المؤمنين.

قالوا: ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس في الخطبة

وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص، وهو الذي بنى جامع حمص وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون، فلما فرغ منه اعتهم.

وكان خالد يبيض الحجاج، وهو الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل.

ولما مات مثنى الوليد في جنازته وصلى عليه، وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضعف، فسأله عبد الملك عن ذلك فلم يجبه، فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير، فأرسل عبد الملك يخطبها لخالد فقالت: حتى يطلق نسائه. فطلقهن وتزوجها وأنشد فيها الشعر.

وكانت وفاته في هذا العام، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك والصحيح الأول.

■ عبد الله بن الزبير بن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير، ويقال أبو سعد، وهو مشهور.

وفد على عبد الله بن الزبير فاستنحه فلم يعطه شيئا فقال: لعن الله ناقة حملتي إليك، فقال ابن الزبير: إن وصاحبها.

يقال: إنه مات في زمن الحجاج.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد.

وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضا، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك.

وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدنا كثيرة ودخل في تلك البلاد ولوج فيها حتى دخل أراضي غابرة قاصية فيها آثار قصور ويوت ليس بها ساكن، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة، فبادوا جميعا فلا غبر بها.

وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشب لها الوليد، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أوان الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم، فاجتمعوا اجتماعا هائلا لم يجتمعوا مثله في موقف، فكسروهم قتيبة وقتل منهم أمما كثيرة، ورد الأمور إلى ما كانت عليه، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض الأماكن من جملة من أخذ منهم سباطين طولها أربعة فراسخ من ههنا وههنا، عن يمينه وشماله، صلب الرجل منهم بجنب الرجل، وهذا شيء كثير، وقتل في الكفار قولا ذريعا، ثم لا يزال يتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم، ومن كورة إلى كورة، ومن رستاق إلى رستاق، ولم يزل ذلك ذابه ودابه حتى حصره في قلعة هنالك شهرين متتابعين، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة، وأشرف هو ومن معه على الهلاك، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأنا مذموما تحنوا، فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاءه الكتاب بعد أربعين يوما بقتله، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه، فقاتل يقول: اقلته وقاتل يقول: لا تقتله فقال له بعض الأمراء: إنك أعطيت الله عهدا أنك إن ظفرت به لثقتله، وقد أمكنك الله منه، فقال قتيبة: والله لو لم يسق من

ورحل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون: إنك قد بؤت بالذل، وأديت الجزية، وأنت شيخ كبير، فلا حاجة لنا بك، ثم عزلوه وولوا عليهم غوزك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد، وكان من أمرهم ما سيأتي.

ولمها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الأعظم، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على أموال عظيمة، خيول وورق ونساء من بنات الملوك، يجعل ذلك إليه، فصالحه. وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة رحمه الله.

وتوفي فيها من الأعيان

■ مالك بن أوس بن الحذلان النصري، أبو سعيد المدني، مختلف في صحبته، وقال بعضهم: ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر. وقال محمد بن سعد (الطحاوي): رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئاً، وأذكر ذلك ابن معين والبخاري وأبو حاتم، وقالوا: لا تصح له صحة قاله أعلم.

مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها والله أعلم.
■ طويس المغني: اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المتعم المدني مولى بني غزوم، كان بارعاً في صناعته، وكان طويلاً مضطرباً أحول العين، وكان مشووماً، لأنه ولد يوم توفي رسول الله ﷺ، وطمع يوم توفي الصديق، واحتلم يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل الحسين بن علي، وقيل: وولد له يوم قتل علي. حكاه ابن خلكان (وليات الأعيان: ٢٥٧/٣) وغيره.

وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويداء - وهي على مرحلتين من المدينة.
■ الأخطل كان شاعراً مطبقاً، فاق أقرانه في الشعر.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصوناً كثيرة من بلاد الروم، منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك.

وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سبسطية. وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ خنجرة. وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعو إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مائة، وأن يدفع إليه أموالاً وورقاً كثيراً على أن يقتل أخاه ويسلمه إليه، فإنه قد أقصد في الأرض ويغني على الناس وعسفيهم، وكان أخوه هذا لا يسمع بشيء حسن عند أحد إلا بعث إليه فاخذته منه، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره، فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فلمس إليه خوارزم شاه ما صالحه عليه، وبعث قتيبة إلى بلاد أخيه خوارزم شاه جيشاً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير، فدفع أخاه إليه، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته، قتل ألفاً بين يديه وألفاً عن يمينه وألفاً عن شماله وألفاً من وراء ظهره، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم.

فتح سمرقند

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده، قال

الأول واتصبت قائماً في الثانية، وقال: هكذا خطب عثمان بن عفان، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً ونفقة كثيرة. ثم كسا المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه، وهي من ديباج غليظ.

وتوفي في هذه السنة:

■ السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ وكان عمر السائب سبع سنين، رواه البخاري (١٨٥٩)؛ فلها قال الواقدي: إنه ولد سنة ثلاث من الهجرة، وتوفي في سنة إحدى وتسعين.

وقال غيره: سنة ست وقيل: ثمان وثمانين، والله أعلم.

■ سهل بن سعد الساعدي: صحابي مدني جليل، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة، وكان ممن ختمه الحجاج في عتقه سنة أربع وسبعين هو وأبى مالك وجابر بن عبد الله في يده، لينظم كيلاً يسمع الناس من رأيهم. قال الواقدي: توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة.

قال محمد بن سعد: ليس في هذا خلاف، وقد قال البخاري (الفتح الكبر: ٩٧/٤، ٩٨) وغيره: توفي سنة ثمان وثمانين والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصوناً كثيرة وغنما شيئاً كثيراً وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم.

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفاً، فخرج إليه ملكها أذرنوق في جحافله وعليه تاجه ومعه سرير ملكه، فقاتله طارق فهزمه وغنم ما في معسكره، فكان من جملة ذلك السرير، وتملك بلاد الأندلس بكاملها، قال الذهبي (تاريخ الإسلام) حوادث وولات ٨١-١٠٠هـ: ٢٥٩، ٢٥٥: كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة واتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقبلوا فيما بينهم، وأمعن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها أذرنوق، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح، فحصله موسى على الانفراد بهذا الفتح، وكتب إلى الوليد يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة النهري، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال، فغنم شيئاً لا يحصى ولا يوصف ولا يعد، من الجواهر والياقوت والذهب والفضة، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئاً كثيراً، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئاً كثيراً. وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسة وبلغا إلى خليج القسطنطينية.

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكيس ونسف، وامتنع عليه أهل فريب فأحرقها، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الصفد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان أموالاً كثيرة، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو، ولما صالح طرخون عبد الرحمن

وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد، فأعادها إلى الحجاج، فأعادها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم: إني لا أريد منكم أكثر مما صالحكم عليه، ولكن لا بد من جند يقيمون عندكم من جهتنا. فانتقل عنها ملكها غوزك خان فلا قتيبة ﴿وَأَوَّاهُ أَهْلُكَ عَادَا الْأَوَّلَى وَتَوَّاهُ فَمَا أَبْقَى﴾ [البقر: ٥٠ - ٥١].

ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم، وقال له: لا تَدْعُرْ مشركاً يدخل باب سمرقند إلا غنوم اليد، ثم لا تدعه بها إلا بمقدار ما تحب طيبة ختمه، فإن جفت وهو بها فاقتله، ومن رأيته منهم ومعه حنيدة أو سكينه فاقتله بها، وإذا غلقت الباب فوجدت بها أحداً منهم فاقتله، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي لرجل من جُعْفَى: -

كُلُّ يَوْمٍ يَحْصِي قَتِيْبَةً نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَسْوَالَ مَالًا جَلِيْبًا
بِأَهْلِ قَدْ أَلْبَسَ النَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ تَفَارِقُ كُنْ سُوْبًا
دَوَّخَ الصَّنَدِ بِالْكَسَائِبِ حَتَّى تَرَكَ الصَّنَدَ بِالسَّعَاءِ فُكُوْبًا
فَوَلِيْدٌ يَكِيْ لِفَقْدِ أَبِيهِ وَابٌ مَوْجِعٌ يَكِي الْوَلِيْدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَمَا تَرَكَتْ خِيْلُهُ بِهَا أُخْدُوْدَا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وفيها من الذهب والجزواهر شيء كثير جداً، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك، فما وصلت إليه مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك، فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ما سيأتي بيانه في موضعه، وكان فيها ما يهرى العقول، لم ير منظر أحسن منها. واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير.

وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها في بلاد المغرب، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرها من المدن الكبار والأقاليم، ومن القرى والرساتيق شيئاً كثيراً، فكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو يزلوا على حكمه، وجهاز البعوث والسرايا غرباً وشرقاً وشمالاً، فجعلوا يفتحون المغرب بلدًا بلدًا، وإقليمًا إقليمًا، ويغنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء، ورجع موسى بن نصير بغنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثره.

وفيها قطع أهل إريقية وأجدبوا جدباً شديداً، فخرج بهم موسى بن نصير يستسقى بهم، فما زال يدعو حتى انتصف النهار، فلما أراد أن يزل عن المنبر قيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين؟ قال: ليس هذا الموضع موضع ذلك، فسقاهم الله مطراً غزيراً.

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك، وصب فوق رأسه قرية من ماء بارد في يوم شاتٍ، وأقامه على باب المسجد يومه ذلك فمات رحمه الله. وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الحزن لا يأمن، وكان إذا بشر بشيء من أمر الآخرة يقول: وكيف وخبيب لي بالطريق؟ وفي رواية يقول: هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق. ثم يصيح صياح المرأة النكلى، وكان إذا أتى عليه يقول: خبيب وما خبيب! إن محوت منه فاتنا بخير. وما زال على المدينة إلى

له بعض الأمراء: إن أهل الصغد قد أبشروك عامك هذا، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدها يوماً من الدهر. فقال قتيبة لذلك الأمير: هل قلت هذا لأحد؟ قال: لا! قال: فلئن سمعته منك أحد أضرب عتقك.

ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند، ولحقه قتيبة في بقية الجيوش، فلما سمعت الأتراك يقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء، وأمرهم أن يسروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في ستمائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون، وقال: خلوا عليهم الطريق، فساروا فوققوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق فلما اجتازوا بهم في الليل - وهم لا يشعرون بأمرهم - ثاروا عليهم فاقتلوا هم ولإياهم، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المخلدة بالذهب، والأمتعة، وقال لهم بعض أولئك: تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطلاً من الأبطال المندودين بمائة فارس أو بألف فارس. فغفلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح.

واقترب قتيبة من المدينة العظمى التي بالصغد - وهي سمرقند - فنصب عليها الجانبين فرماها بها، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقطع عنهم، وناصحه من معه عليها من أهل بخارى وخوارزم، فقاتلوا أهل الصغد قتالاً شديداً، فأرسل إليه غوزك ملك الصغد: إنما تقتلني بإخوتي وأهل بيتي، فأخرج لي العرب. فنفضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر المعجم باعتزالهم، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح، وانتزعه من أيدي الجناء، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالجانبين، فثلم فيها ثلثة فسددا الترك بغرائر الدخن، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه. فلم يلبث أن مات قبيح الله، فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف، ثم دخل الليل، فلما أصبحوا رماهم بالجانبين فثلم أيضاً ثلثة وصعد المسلمون فوقها، وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب، فقالت الترك لقتيبة: ارجع عنا يومك هذا ونحن نصلحك غداً، فرجع عنهم وصاحوه من الغد على ألفي ألف ومئتي ألف يحملونها إليه في كل عام، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق، ليس فهم صغير ولا شيخ ولا عيب. وفي رواية: مائة ألف من رقيق، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبني فيها قتيبة مسجداً، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه، ويتغدى ويخرج. فأجابوه إلى ذلك.

فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد ووضع فيه المنبر - وصلى في المسجد وخطب وتغدى وأتى بالأصنام التي لم يفسدت بين يديه، وألقيت بعضها فوق بعض، حتى صارت كالقصر العظيم، ثم أمر بتحريقها، فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس: إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها ملك. وجاء الملك غوزك فنهى عن ذلك، وقال لقتيبة: إني لك ناصح، فقام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار وقال: أنا أحرقتها بيدي فكيدوني جميعاً ثم لا تنتظرون، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل، وألقى فيها النار فاحترقت، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسين ألف مثقال من ذهب.

صنعها «وادخله الجنة». وثبت عنه أنه قال: كنّاني رسول الله ﷺ بقلعة كنت اجتنيها [سنن: ٢٨٣٠].

وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك. وقد ثبت عنه أنه قال: خلعت النبي ﷺ عشر سنين فما ضربني ولا سبني ولا عيس في وجهي ولا قال لي شيء: لم لا فعلت كذا؟ وقيل: إن النبي ﷺ دعا له فقال: «اللهم كثر ماله وولده وطول حياته» [تاريخ دمشق: ٣٤٩/٩].

وكان أنس رضي الله عنه كثير الصلاة والصيام والعبادة. وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة، وكان له بها أربع دور، وقد ناله أذى من جهة الحجاج، وذلك في فتنه ابن الأشعث، توهّم الحجاج منه أنه داخل في الأمر، وأنه اتقى فيه، فخنّته الحجاج في عنقه: هذا عنق الحجاج، وقد شكاه أنس كما قلنا إلى عبد الملك، فكتب إلى الحجاج يعنفه، ففزع الحجاج من ذلك وصالح أنسا. وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته، قيل: في سنة ثنتين وتسعين، وهو بيني جامع دمشق.

قال مكحول: رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فقامت إليه فسأته عن الوضوء من الخزانة فقال: لا وضوء.

وقال الأوزاعي: حدثني إسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر قال: قدم أنس على الوليد فقال له الوليد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كهاتين».

ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال: قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره.

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف مما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد صنعت فيها ما صنعت [خ: ٥٢٩ من طريق غيلان، وليس الزهري]. وفي رواية [خ: ٥٢٠] وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواطبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي، وقال عبد بن حيد [الصبغ من مسنده ١٢٥٣] عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس: قال: جاءت بي أم سليم أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقلت: يا رسول الله خويلدك أنيس فادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وادخله الجنة». قال: فقد رأيت اثنين وأنا أرجو الثالثة.

وفي رواية [طبقات ابن سعد: ١٩/٧، ٢٠] [تاريخ دمشق: ٣٤٩/٩] قال أنس: فوالله إن مالي لكثير حتى أن غلتي وكرمي ليثمر في السنة مرتين، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة.

وفي رواية [طبقات ابن سعد: ١٩/٧، ٢٠] [تاريخ دمشق: ٣٤٩/٩] وإن ولدي لصلي مائة وستة. ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ متشعبة جدا.

وفي رواية [خ: ١٩٨٢] قال أنس: وأخبرتني ابنتي أمية أنه دفن لصلي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة.

وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد.

وقال ثابت لأنس: هل مسّت يذك كف رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! قال فاعطيني أقبليها.

أن ضرب خبيثاً فمات فاستقال وربكه الحزن والخوف من حيث، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء، وكانت تلك هفوة منه وزلة، ولكن حصل له بسببها خير كثير، من عبادة ويكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر عتق وغير ذلك.

وفيها انتصح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الذئيل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولّاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً متخبة، فاقتلوا فهزمهم الله وهرب الملك داهر، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً، فأحاطوا بالمسلمين فاقتلوا قتالا شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة الكيرج وبرها ورجع بنائهم كثيرة وأموال لا تحصى كثيرة، من الجواهر والنهب وغير ذلك.

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة، وكان سبب ذلك، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وعشقه، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد: إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة، وإن جماعة من أهل الشر من أهل العراق قد لجؤوا إلى المدينة ومكة وهذا وهن وضعف في الولاية، فأجعل على الحرمين من يضبط أمرهما. فولّى على المدينة عثمان بن حيان، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري، ففعل ما أمره به الحجاج. فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فترّل السويدي، وقدم عثمان بن حيان إلى المدينة لليلتين بقيتا من شوال في هذه السنة.

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدني بن النجار، أبو حنزة ويقال أبو ثمامة الأنصاري التجاري، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري. روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمّة، وأخير معلوم مهمة. وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم. وحدث عنه خلق من التابعين.

قال أنس: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة.

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: قيل لأنس: أشهدت بدراً؟ فقال: وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟ قال الأنصاري: شهدنا بنجّم رسول الله ﷺ.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي [تهذيب الكمال: ٣/٣٦٨]: لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي.

قلت: الظاهر أنه إذا شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم. وقد ثبت أن أمه أثبت به - وفي رواية [طبقات ابن سعد: ١٩/٧] عمه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا أنس خادم لييب بخدمك، فوجهته له قبله، وسألته أن يدعو له فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وادخله الجنة» [خ: ٦٣٣٤، ٦٣٤٤، ٢٤٨٠م، ٢٤٨١] بنحوه وليس

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٢٠٧] عن مسلم بن إبراهيم عن المنصور بن سعيد الذارع قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حيي عليه السلام ثم يكي.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٤٨٢/١] عن أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن المنهال بن عمرو: قال: كان أنس صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وإداوته.

وقال أبو داود: حدثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس: قال: إني لأرجو أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله فأقول: يا رسول الله عوذك.

وقال الإمام أحمد [١٧٨/٣]: حدثنا يونس حدثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس: قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشفع لي يوم القيامة: قال: «أنا فاعل، قلت: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإذا لم ألقك؟ قال: فأنا عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال فأنا عند الخوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع يوم القيامة».

ورواه الترمذي [٢٤٣٣] وغيره من حديث حرب بن ميمون أبي الخطاب الأنصاري به وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك - وقال أنس بن سيرين: كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

وقال أنس: يا ثابت خذ مني فإني أخذت من رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ رسول الله عن الله عز وجل، ولست تجد أوثق مني [٢٨٣١].

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول: ما بقي أحد صلى القبلتين غيري [ج: ٤٤٨٩].

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٢٢٢/٧]: حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا حبيب سمعت الجريري يقول: أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل، فقال لي: يا ابن أخي هكنا الإحرام.

وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي صلى الله عليه وآله تحدث فقال: مه، فلما أقيمت الصلاة قال: إني أخاف أن أكون قد أبطلت جمعي بقولي لكم مه.

وقال ابن أبي الدنيا [مجاو الدعوة: ٤٤]: حدثنا بشار بن موسى الخفاف حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال: كنت مع أنس فجاء قهرمانه فقال: يا أبا حمزة عطشت أرضاً، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فغسل ركبتيين ثم دعا فزأيت السحاب يلتهم ثم مطرت حتى ملأت كل شيء، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال: انظر أين بلغت السماء، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً.

وقال الإمام أحمد [٢٠٩/٣]: حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عوف عن محمد قال: كان أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال الأنصاري عن ابن عوف عن محمد قال: بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من الفتي فقال: أخمس؟ قال: لا. قال: فلم يقبله.

وقال النضر بن شداد عن أبيه: مرض أنس فقيل له ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: الطبيب أمرضني.

وقال حبل بن إسحاق: حدثنا أبو عبد الله الراشدي حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا علي بن يزيد قال: كنت في القصر مع الحجاج وهو يعرض

الناس ليالي ابن الأشعث، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج: هي يا خبيث، جوال في الفتن، مرة مع علي، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفس الحجاج بيده لأستاصلك كما تستاصل الصمغة، ولأجردنك كما يجرد الضب. قال: يقول أنس: من يعني الأمير؟ قال: إياك أعني، أصم الله سمعك، قال: فاسترجع أنس، وشغل الحجاج فخرج أنس فتبعناه إلى الرجة، فقال: لولا أنني ذكرت ولدي وخفته عليهم لكلمته بكلام في مقامي هذا لا يستحيي بعده أبداً.

وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنساً بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول في كتابه: إني خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين، والله لو أن اليهود والنصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموا، وذكر له أئمة الحجاج له. فلما قرأ عبد الملك كتابه حصل عنه أمر عظيم، فكتب إليه يقول: ولك، لقد خشيت أن لا يصلح على يدي أحد. وذكر له ثلاثاً فيه غلظة ويقول فيه: إذا جأرك كتابي هذا قسم لي أنس واعتذر إليه، فجاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج بالغلظة في ذلك فهم أن ينهض إليه فأنشأ عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، الذي قدم بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة - وكان إسماعيل صديق الحجاج - فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه، وقال: إنما مثلي ومثلك كما قيل إياك أعني واسمعي يا جارة. أردت أن لا يبقى لأحد علي منطلق.

وقال ابن قتيبة [زهر الحديث: ٧٠٩/٣، ٧١١، ٧١٢]: كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - يا ابن المستغربة بحب الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوي بها إلى نار جهنم، قاتلك الله أخيفش العينين، أقيبل الرجلين، أسود الجاعرتين -.

ومعنى قوله المستغربة بحب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به، ومعنى أركلك: أي أرفسك برجلي. وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين.

وقال أحمد بن صالح المعجلي: لم يبتل أحد من الصحابة إلا رجلين، معيقب كان به الجفام، وأنس بن مالك كان به وضع.

وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال: رأيت أنساً يأكل فرايته يلغم لقمًا عظماً، ورأيت به وضحا شديداً.

وقال أبو يعلى [سننه: ٧٠٤/٧، ٤١٩٤]: حدثنا عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا عمران عن أبيوب قال: ضعف أنس عن الصور فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلاثين مسكيناً فطاعهم. وذكره البخاري تعليقاً. وقال شعبة عن موسى السبلاني قلت لأنس: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: قد بقي قوم من الأعراب، فاما من أصحابنا فانا آخر من بقي.

وقيل له في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وجعل يقول: لفتنني لا إلا الله، وهو مختصر فلم يزل يقولها حتى قبض. وكان عنده عجمة من رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بها فدفنت معه.

وقال عمر بن شبة وغير واحد: مات وله مائة وسبع سنين.

وقال الإمام أحمد في مسنده [١٢٤/٣] حدثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنساً عمر مائة سنة غير سنة.

قال الواقدي: وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة. وكذا قال علي بن المدني والفلاس وغير واحد. وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقيل: سنة تسعين، وقيل إحدى وتسعين، وقيل ثنتين وتسعين، وقيل ثلاث

وتسعين، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثني أبو نعيم قال: توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين.

وقال قتادة: لما مات أنس قال مؤرق المجلي: ذهب اليوم نصف العلم، قيل له: وكيف ذلك يا أبا المعتمر؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم: تعالوا إلى من سمعنا منه.

■ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي الشاعر المشهور، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب، وخلف يوم مقتل عثمان، وتزوج يوم مقتل علي، فالله أعلم.

وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ، كان يتغزل في امرأة يقال لها الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عرف الزهري، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة: -

أيها النكحُ الثريا سُهَيْلا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْقِيَانِ
هِيَ شَامِيَةٌ إِنْ مَا اسْتَقَلْتُ وَسُهَيْلٌ إِنْ اسْتَقَلَّ يَمَانِ

ومن مستجاد شعره ما أورده القاضي ابن خلكان ورواه الأعيان: قوله: [٣٩/٣]

حَسْبُ طَيْفٍ أَسْنِ الْأَجْبَةِ زَارًا بَعْدَ مَا بَرَّحَ الْكَرِي السَّمَارَا
طَارِقًا فِي الْمَنَامِ نَحْتُ دَجَى اللَّيْلِ ضَيْبًا بَانَ يَزُورُ نَهَارَا
قُلْتُ مَا بَالُنَا جُنِينَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارَا
قَالَ: إِنَّا كَمَا عَهَدْتَ وَلَكِنْ شَغَلَ الْحَلْسُ أَهْلَهُ أَنْ يَمَارَا

■ بلال بن أبي الدرداء: ولي إمرة دمشق ثم ولي القضاء بها، ثم عزله عبد الملك بن أبي إدريس الخولاني. كان بلال حسن السيرة، كثير العبادة، والظاهر أن هذا القبر الذي بباب الصغير الذي يقال له قبر بلال، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء، لا قبر بلال بن حمزة مؤذن رسول الله ﷺ، فإن بلالا المؤذن دفن بداريا والله أعلم.

■ يسر بن سعيد المدني السيد العابد الفقيه، كان من العباد المقطعين، الزهاد المروفين، توفي بالمدينة.

■ زرارة بن أوفى بن حجاب العامري، قاضي البصرة، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحاتها، له روايات كثيرة، قرأ مرة في صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] خرّ ميتا. توفي بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة.

■ خبيب بن عبد الله بن عبد الله بن الزبير، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له في ذلك فمات، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة، فكان يتأسف على ضربه له ويكيي. مات بالمدينة.

■ حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدني، له روايات كثيرة، وكان من الصالحين. توفي بالمدينة.

■ سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد الأموي، أحد الأشراف بالبصرة، كان جواداً ممدحاً، وهو أحد الموصفين بالكرم، قيل: إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين ألفاً.

■ فروة بن مجاهد قيل: إنه كان من الأبدال، أسر مرة وهو في غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم في المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رايه، فقال لهم فروة: هل لكم

في المضي إلى بلادنا؟ فقالوا: وما ترى ما نحن فيه من الضيق؟ فلمس قيودهم بيده فزال عنهم، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح، فخرجوا منه ومضوا، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد.

■ أبو الشعثاء جابر بن زيد: كان لا يمسك في ثلاث، في الكَرِي في مكة، وفي الرقة يشتريها للعتق، وفي الأضحية.

وقال: لا تمكس في شيء يتقرب به إلى الله.

وقال ابن سيرين: كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم.

قلت: كما قيل:

إِنِّي رَأَيْتُ فَلَا تَنْظُرُوا غَيْرُهُ أَنْ التَّوَرُجَ عِنْدَ هَذَا الدَّرْهَمِ

فإنما قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تفكاً تقوى المسلم

وقال أبو الشعثاء: لأن اتصدق بدرهم على يتيم ومسكين أحب إلى من حجة بعد حجة الإسلام.

كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم، وكان يفتي في البصرة، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول: كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء؟ وقال له ابن عمر: جابر بن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلك.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بفنيا من جابر بن زيد.

وقال نياس بن معاوية: أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان.

وقال قتادة لما دفن جابر بن زيد: اليوم دفن أعلم أهل الأرض.

وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أبو الشعثاء: كتب الحكم بن أيوب نقرأ للقضاء أنا أحدهم - أي عمرو - فلو أنني ابتليت بشيء منه لركبت راحلي وهربت في الأرض.

وقال أبو الشعثاء: نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تحمده البدن ولا تحمده المال، والصيام مثل ذلك، والحج يحمده المال والبدن، فرأيت أن الحج أفضل من ذلك.

واخذ مرة قصبه من حائط، فلما أصبح ردعاً في الحائط، وكان الحائط لقوم فقال: لو كان كلما مر به أخذ منه قصبه لم يبق منه شيء.

وقال أبو الشعثاء: إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف على الباب وقل: اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك، وأقرب من تقرب إليك، وأنجح من دعاك ورغب إليك.

وقال سيار: حدثنا حماد بن زيد حدثنا الحجاج بن أبي عيينة. قال: كان جابر بن زيد يأتينا في مصلاتنا، قال: فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلقان، فقال: مضى من عمري ستون سنة نعلاني هاتان أحب إلي مما مضى مني إلا أن يكون خيراً قدمته. وقال صالح الدهان:

كان جابر بن زيد إذا وقع في يده درهم ستوق كسره ورمى به لتلا يفر به مسلم. السروق: الدرهم المغاير أو الدغل. وقيل: هو المغشوش.

وروى الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الصمد العمي حدثنا مالك بن دينار قال: دخل علي جابر بن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له: كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء؟ قال: نعم الصنعة صنعتك، تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، وآية إلى آية، وكلمة إلى كلمة، هذا الحلال لا بأس به.

ولقد تبين عدل حكمك فيهم في كل مال
هكذا ذكر ابن جرير أن هنا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة.
وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في منتظمه أن سحبان وائل مات في خلافة
 معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين. والله أعلم.

مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال ابن جرير [تاريخه: ٤٨٧/٦ - ٤٩١]: وفي هذه السنة قتل الحجاج بن
يوسف سعيد بن جبير، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على
نقعات الجند حين بعثه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى قتال رتبيل
ملك الترك، فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير، فلما ظفر
الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان، فكتب
الحجاج إلى نائبها أن يعثه إليه، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها، ثم كان
يعتمر في كل سنة ويحج، ثم لجأ إلى مكة فاقام بها إلى أن وليها خالد بن
عبد الله القسري، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد:
والله لقد استحييت من الله ما أفر ولا مفر من قدره!.

وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز، فجعل
يعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من أهل العراق إلى الحجاج في
القيود، فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري فعين من عنده من مكة سعيد
بن جبير وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، وعمرو بن دينار، وطلق بن
حبيب.

ويقال: إن الحجاج كتب إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل
الشقاق، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار لأنهما
من أهل مكة، وبعث بأولئك الثلاثة، فأما طلق بن حبيب فمات في الطريق
قبل أن يصل، وأما مجاهد فحبس حتى مات الحجاج.

وأما سعيد بن جبير فإنه لما وقف بين يدي الحجاج قال له: يا سعيد ألم
أشركك في أمانتي؟ ألم استعملك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ كل ذلك يقول: نعم
حتى ظن من عنده أنه سيخلي سبيله، حتى قال له: فما حملك على أن
خرجت علي وخلعت بيعة أمير المؤمنين؟ فقال سعيد: إن ابن الأشعث
أخذ مني البيعة على ذلك وعزم علي، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً
شديداً وانتفخ حتى سقط أحد طرفي رداءه عن منكبيه، وقال له: ويحك ألم
أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر
المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى، قال: ثم قدمت الكوفة واليا على العراق
فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية؟ قال: بلى! قال:
فتنتك بيعتين لأمر المؤمنين وتبي بواحدة للحاتك ابن الحناك؟ يا حرسى
أضرب عقه. قال: فضربت عقه فندر رأسه عليه لاطة صغيرة بيضاء.

وقال الواقدي: لما أوقف سعيد بن جبير قدام الحجاج قال: يا شقي بن
كسبر أما قدمت الكوفة فجعلتك إماماً؟ قال بلى. قال: أما وليتك القضاء
ففضح أهل الكوفة: إنه لا يصلح للقضاء إلا عربي فجعلت أبا بردة وأمرته
أن لا يقطع أمراً دونك؟ قال: بلى. قال: أما أعطيتك مائة ألف تفرقها على
أهل الحاجة؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علي؟ قال: بيعة كانت في عتي
لابن الأشعث. فغضب الحجاج وقال: أما كانت بيعة أمير المؤمنين في
عتقك من قبل؟ ثم قال: أكفرت إذ خرجت علي؟ فقال: ما كفرت منذ
آمنت. فقال: اختر أي قتلة أقتلك. فقال: اخترت فإن القصاص أمامك.
فقال الحجاج: يا حرسى أضرب عقه. وذلك في رمضان سنة خمس

وقال مالك بن دينار: سأله عن قوله تعالى ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ قال ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة: ﴿ثُمَّ
لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥].

وقال سفيان: حدثني أبو عمير الحارث بن عمير قال: قالوا لجابر بن
زيد عند الموت: ما تشتهي، أو ما تريد؟ قال: نظرة إلى الحسن. وفي رواية
عن ثابت قال: لما ثقل على جابر بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى
الحسن. قال ثابت: فأتيته الحسن فأخبرته فركب إليه، فلما دخل عليه قال
لأهله: أوفدوني، فجلس فما زال يقول: أعوذ بالله من النار وسوء
الحساب.

وقال حماد بن زيد: حدثنا حجاج بن أبي عينة عن هند بنت المهلب
بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد
فقالوا: إنه كان إياضاً، فقالت: كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلي
وللى أمي، فما أعلم شيئاً كان يقربني إلى الله عز وجل إلا أمرني به، ولا
شيئاً يباعني عن الله إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباحية قط ولا
أمرني بها، وكان ليأمرني أن أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة.
استند عن جماعة من الصحابة، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن
عباس.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم، فقبل: إنه فتح أنطاكية،
وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد ببلغ غزاة، وبلغ الوليد بن هشام
المعيطي أرض برج الحمام، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية.
وفيها كانت الرجفة بالشم.

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم.
وفيها فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد
الملك، على يدي أولاده وأقربائه وأمراته حتى عاد الجهاد شيبها بليام عمر
بن الخطاب رضي الله عنه.

وفيها انتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد
ولا توصف، وقد ورد في غزوه الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره
[المسند: ٢٢٨/٢، ٢٢٩ من (٣١٧٣)].

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة، وكاشان
مديني فرغانة، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند، ثم خاض تلك
البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها واقتحمها، وقد لقيه
المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خجندة مراراً وظفر
بهم، وأخذ البلاد منهم، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين، وغنم أموالاً كثيرة.
قال ابن جرير [تاريخه: ٤٨٤/٦]: وقد قال سحبان وائل يذكر قتالهم
بخجندة التي هي قرية من بلاد الصين آياتاً في ذلك: -

قَالَ الْفُؤَارِسُ فِي خَجَنْدَ سَعَةً تَحْتَ مُرْقَنَةِ النَّوَالِ
مَلَّ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ إِذَا هَرَمُوا وَأَتَسَدُّوا فِي تَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةً عَائِي وَأَصْبِرُ لِلنَّوَالِ
هَذَا وَانْتُ قَرِيبُ قِي سَبْ كُلُّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
وَفَضَلْتُ قِيَا فِي النَّدَى وَأَبْرُوكَ فِي الْحَجِجِ الْخَوَالِ
تَمَّتْ مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غَسَى عَزْكُمْ غَلَبَ الْجَبَالِ

وتسعين بواسط، وقبره ظاهر يزار.

ولما قتله خرج منه دم كثير حتى راح الحجاج فدعا طيباً فسأله عن ذلك فقال: إنك قتله ونفسه معه وقلبه. حاضر وقيل: إن الحجاج رثي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلت بكل رجل قتله قتلة، وقتلني بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة، والله أعلم.

قال ابن جرير [تاريخه: ٤٨٩/٦]: فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال: سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فتلد رأسه هلال ثلاثاً، مرة يفصح بها، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بها.

وذكر أبو بكر الباهلي قال: سمعت أنس بن أبي شيخ يقول: لما أتني الحجاج بسعيد بن جبير قال: لعن الله بن النصرانية - يعني خالد القسري - وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة، ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك علي؟ فقال: أصاح الله الأمير، أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب أخرى، فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره، ثم عاوده في شيء فقال سعيد: إنما كانت بيعة في عتقي. فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله.

وذكر عتاب بن بشر عن سالم الأفلح قال: أتني الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز، فقال: والله لا أركب حتى تتبوا مقعدك من النار، اضربوا عنقه، فضربت عنقه. قال: والتبس الحجاج في عقله مكانه، فجعل يقول: قيودنا قيودنا. فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود.

وقال محمد بن حاتم: حدثنا عبد الملك بن عبد الله، عن هلال بن خباب، قال: جئني بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال: كتبت إلى مصعب بن الزبير؟ فقال: بل كتبت لي مصعب، قال: والله لأقتلك قال: إني إذا لسعيد كما سمتني أمي. قال: فقتله، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً، فكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه فيقول: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيقول الحجاج: مالي ولسعيد بن جبير، مالي ولسعيد بن جبير؟

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٣٧١/٢ - ٣٧٤]: كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفياً أحد الأعلام من التابعين، وكان أسود اللون، وكان لا يكتب على الفتيا، فلما عمي ابن عباس كتب، فغضب ابن عباس من ذلك. وذكر مقتله بنحو ما تقدم، وذكر أنه كان في شعبان، وأن الحجاج توفي بعده في رمضان، وقيل: ستة أشهر.

وذكر عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال: مفترق - إلى علمه. ويقال: إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد. وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا.

قال ابن جرير [تاريخه: ٤٩١/٦]: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة. مات في أولها علي بن الحسين زين العابدين، ثم عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن جبير من أهل مكة.

وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل، وسنذكر طرفاً صالحاً ما هنا إن شاء الله تعالى.

قال ابن جرير [تاريخه: ٤٩١/٦]: واستقصى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن حبيب.

وحج بالناس أخوه مسلمة في قول بعضهم.

وقال الواقدي: حج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد، ويقال: مسلمة بن عبد الملك.

وكان على نيابة مكة خالد بن عبد الله القسري، وعلى المدينة عثمان بن حيان، وعلى المشرق بكامله الحجاج، وعلى نيابة خراسان قتيبة بن مسلم، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جبر، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

■ سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، الكوفي المكي، من أكابر أصحاب عبد الله بن عباس كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم، وكثرة العلم الصالح، رحمه الله، وقد رأى خلقاً من الصحابة، وروى عن جماعة منهم، وعنه خلق من التابعين، يقال: إنه كان يقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الحتمة، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة.

وقد قال ابن عباس وقد أتاه أهل الكوفة: أليس فيكم سعيد بن جبير؟ وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، فلما ظفر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين، مرة للعمرة ومرة للحج، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها، وكان بخراسان لا يتحزن؛ لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك، وكان يقول: إن ما يهمني ما عندي من العلم، وددت أن الناس أخذوه. واستمر في هذا الحال مختفياً من الحجاج قريراً من ثنتي عشرة سنة. ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج، فكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريراً.

وقد قال أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء [٢٩٠/٤]: حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أحمد بن أبي خلف حدثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة. قال: لما أتني بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له: أنت شقي بن كسير؟ قال: لا إنما أنا سعيد بن جبير، قال: لأقتلك، قال: إني إذا كما سمتني أمي سعيداً قال: شقيت وشقيت أمك، قال: الأمر ليس إليك. ثم قال: اضربوا عنقه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، قال: وجهوه إلى قبلة النصارى، قال: ﴿فَأَنبِئُوا نِسَاءَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] ثم قال: إني استعذت منك بما عاذت به مريم، ثم قال: وما عاذت به؟ قال: قالت ﴿إِنِّي أَهْوَى بِالرَّحْمَنِ يَنْكِحُ إِن كُنْتُ نَفْسًا﴾ [مريم: ١٨] قال سفيان: لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً.

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله، أكثرها لا يصح، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما سنذكر وفاته في السنة الآتية، فقيل: إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً، وقيل أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر فآله أعلم.

فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: إني كرهت أن أحثلك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وقال برد مولا: ما نودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد. وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة.

وقال سعيد: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم، لكيلا تحيط أعمالكم الصالحة.

وقال: ما ينس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء.

وقال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى.

وقال: كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

وقال: من استغنى بالله افتقر الناس إليه. وقال: الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأندل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها.

وقال: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا يبين أن تذكر عيوبه، وقال: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدبا وأعلمهم بكتاب الله وستة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج - وكان قفيرا، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل: بعشرين ألفا، وقال: استغنى هذه.

وقصته في ذلك مشهورة، وقد كان عبد الملك خطبها لابنته الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك، ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة، وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع، فلما رجعوا به رآه امرأة فقالت: ما هذا الحزبي يا سعيد؟ فقال: من الحزبي فرنا إلى ما ترين، أي لو أحييناهم وقتنا في خزي الدنيا والآخرة.

وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة، وكان له مال يتجر فيه ويقول: اللهم إنك تعلم أني لم أسكه بخلا ولا حرصا عليه، ولا حجة للدنيا ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم في فهمهم، وأصل منه رحي، وأؤدي منه الحقوق التي فيه، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار. والله سبحانه وتعالى أعلم.

■ **طلق بن حبيب العنزي:** تابعي جليل، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس، وعبد الله بن عمر وغيرهم، ومنه حميد الطويل والأعمش وطائوس، وهو من أقرائه وأثنى عليه في قرأته عمرو بن دينار، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء.

وقد كان فيمن خرج مع ابن الأشعث، وكان يقول: اتقوها بالتقوى، فقيل له: صف لنا التقوى، فقال: التقوى: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله. والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله.

وقال أيضا: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى، أو يقوم بشكرها العباد، ولكن أصبحوا تائنين، وأمساوا تائنين.

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقيل: كان عمره تسعا وأربعين سنة، وقيل: سبعا وخمسين فالله أعلم.

قال أبو القاسم اللالكائي: كان مقتله في سنة خمس وتسعين.

وذكر ابن جرير (تاريخه: ٤٨٧/٩-٤٩١) مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - فالله أعلم.

■ **سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرظي أبو محمد المدني المخزومي،** سيد التابعين على الإطلاق، ولد لستين مضتا وقيل: بقتا من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: لأربع مضين منها، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهم منه والله أعلم.

ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ، وروى عن عمر كثيراً، فقيل: سمع منه، وقيل: لم يسمع وعن عثمان وعلي وسعيد وأبي هريرة وكان زوج ابنته، وأعلم الناس بمحدثه، وروى عن جماعة من الصحابة آخرين وحدث عن جماعة من التابعين، وخلق من سواهم.

قال ابن عمر: كان سعيد أحد الفتيان: وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه وكان يسرد الصوم، وقال عن نفسه إنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وحج أربعين حجة.

وقال الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علما غيره.

وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال: طقت الأرض كلها في طلب العلم. فلما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب.

وقال الأوزاعي: مثل الزهري ومكحول: من أفقه من لقيتما؟ قال: سعيد بن المسيب.

وقال قتادة: ما رأيت أعلم بالحلل والحرام منه وكان الحسن إذا أشبه عليه شيء، كتب إلى سعيد بن المسيب.

وقال غيره: كان يقال له فقيه الفقهاء.

وقال مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب: كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

قال مالك: ويلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه.

وقال الربيع عن الشافعي أنه قال: إرسال سعيد بن المسيب عندها حسن.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: هي صحاح. قال: وسعيد بن المسيب أفضل التابعين.

قال علي بن المدني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، وإذا قال سعيد: مضت السنة فحسبك به، وهو عندي أجل التابعين.

وقال أحمد بن عبد الله المعجلي: كان سعيد رجلا صالحا فقيها، كان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعمئة دينار، وكان يتجر في الزيت، وكان أعور.

وقال أبو زرعة: كان مدني ثقة إمام.

وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه، وهو أنبئهم في أبي هريرة.

قال الواقدي: توفي في سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، عن خمس وسبعين سنة، رحمه الله.

وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته ووطنه، وكان من أزهدهم الناس في فضول الدنيا، والكلام فيما لا يعني، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث.

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع،

وقيل: إنه لما رأى رجله المقطوعة في الطشت قال: الله أعلم أنني ما مشيت بها في معصية قط.

قلت: قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في وادي قرب المدينة وكان مبدوها هناك، فظن أنها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه. وربما ترقت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له: ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بالمشقة؟ فقال: لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله، ولكن إن كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة، فإني لا أحس بذلك، ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان المحي احتياطاً أنه لا يبيق منها شيء، وهو قائم يصلي، فما تصور ولا اختلج، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله، فقال: اللهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلتن كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت.

وقيل: إنه لما رأى رجله المقطوعة في الطشت، قال: الله أعلم أنني ما مشيت بها في معصية قط.

قيل: إنه ولد في حياة عمر، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور، وقيل: سنة تسعين، وقيل: سنة مائة، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: سنة إحدى ومائة، وقيل: سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين، وقيل سنة تسع وتسعين والله أعلم.

■ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين، وأم أم ولد اسمها سلامة، وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً، قتل مع أبيه.

روى علي هذا الحديث عن أبيه وعنه الحسن بن علي، وجابر وابن عباس والمسيور بن مخزومة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة، أمهات المؤمنين.

وعنه جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر، وزيد بن أسلم، وطاوس وهو من أقرانه، والزهرى، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو سلمة وهو من أقرانه، وخلق.

قال القاضي ابن خلكان (وفيات الأعيان: ٢٩٧/٣): كانت أمه سلامة بنت يزيد جرد آخر ملوك الفرس.

وذكر الزعزعي في «ربيع الأبرار» أن يزيد جرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم، والأخرى للحسين بن علي فأولدها علياً زين العابدين هذا، فكُلهم بنو خالة.

قال ابن خلكان (وفيات الأعيان: ٢٩٧/٣): ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز بن يزيد جرد بعث بابنته إلى الحجاج فأخذ إحداها وبعث بالأخرى إلى الوليد بن عبد الملك، فأولدها الوليد يزيد الناقص.

وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف (ص: ١١٤) أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية، يقال لها سلامة، ويقال غزالة.

وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به، وإن لم يجد إلا بصلاً، ويقول: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرِّسُولَ فَقَدُوا يَدَيَّ نَجَاحَكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المائدة: ١٢] فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم.

قال مالك: قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير. وقد ذكر ابن جرير فيما سبق أن خالد بن عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج، وهم مجاهد، وسعيد بن جبير، وطلح بن حبيب، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد، وكان من أمر سعيد ما كان. والله أعلم.

■ عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني، تابعي جليل، روى عن أبيه وعن العباسية ومعاوية والمغيرة وأبي هريرة، وأمهم أسماء، وخالته عائشة، وأم سلمة. وعنه جماعة من التابعين، وخلق من سوامهم.

قال محمد بن سعد (الطبقات: ١٧٩/٥): كان عروة ثقة كثير الحديث عالماً مأموناً ثباتاً.

وقال المعجلي (تاريخ الطقات ص: ٣٣١): مدني تابعي رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن.

وقال ذكره الواقدي: كان فقيهاً عالماً حافظاً ثباتاً حجة عالماً بالسير، وهو أول من صنف المغازي، وكان من فقهاء المدينة للعديد، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه، وكان أروى الناس للشعر، وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث هشام: العلم لواحد من ثلاثة، لذي حسب يزنيه به، أو ذي دين يسوس به دينه، أو غلط بسلطان يتخفه بعلمه ويتخلص منه بالعلم، فلا يقع فيهلكه، وقال: ولا أعلم أحداً اشترط هذه الخصال الثلاثة إلا عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز.

وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل، وكان أيام الرطب يثلم حائطه ثم ياذن للناس فيدخلون فيأكلون ويحملون، فإذا ذهب الرطب أعاده.

وقال الزهري: كان عروة بحراً لا يتزف. وقال مرة: ولا تكنوه الدلاء. وقال عمر بن عبد العزيز: ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجعله.

وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهي إلى قولهم. وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إلى قولهم في زمن ولايته على المدينة.

وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيث عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها، فقال: ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيث عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن علموا فاقطعوا فاقطعوا من ركبته وهو صامت لا يتكلم، ولا يسمع له جرس. وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغفه بالصلاة فألله أعلم.

ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى عمداً - كان أحب أولاده - من سطح فمات، فدخلوا عليه فعزوه فيه، فقال: اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكُنْ أطرافاً أربعة فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً، فلتن كنت قد أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت فلقد عافيت فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما أعطيت.

غضب الرب، وتورق القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة. وأنه قاسم الله تعالى ماله مرتين.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، ولما مات وجدا في ظهره واكتافه أثر حمل الجرب إلى بيوت الأراذل والمساكين في الليل.

وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات.

ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له: ما يبكيك؟ قال: علي دين. قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار - وفي رواية سبعة عشر ألف دينار - فقال: هي علي.

وقال علي بن الحسين: كان أبو بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته.

ونال منه رجل يوماً فجعل يتناقل عنه - يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له علي: وعنك أغضي.

وخرج يوماً من المسجد فسيه رجل فابتلر الناس إليه، فقال: دعوه، ثم أقبل عليه فقال: ما سئرتك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فأنقلى إليه خبيصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الأبياء.

قالوا: واختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن - وكان بينهما منافسة - فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزله فقال: يا ابن عم إن كنت صادقاً يفتخر الله لي، وإن كنت كاذباً يفتخر الله لك والسلام عليك، ثم رجع، فلحقه فصاحه ربهما الله.

وقيل له: من أعظم الناس خطراً؟ فقال: من لم يرض الدنيا لنفسه خطراً.

وقال أيضاً: الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته، وقال: فقد الأحية غربة.

وكان يقول: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة المبيد، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار.

وقال لابنه: يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه يبيعك باكلة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها، ولا يخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، ولا كذاباً فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعل فيضرك، ولا قاطع رحم فإنه ملمعون في كتاب الله. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٢ - ٢٣).

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلته زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك، أنت سيد الناس تأتي تخطى حتى تجلس مع هذا العبد الأسود؟ فقال له علي بن الحسين: إنما يجلس الرجل حيث يتفرغ، وإن العلم يُتغنَى ويؤتى ويطلب من حيث كان.

وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال: قال لي علي بن الحسين: أستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير؟ فقلت: ما تصنع به؟ قال: أريد أن أسأله عن أشياء يفتعنا الله بها، إنه ليس عننا ما يرمينا به هؤلاء -

وكان مع أبيه بكريلاء، فاستبقي لصخره، وقيل: لمرضه، فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد، ثم صرفه الله عنه، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً فغمته الله تعالى من ذلك، والله الحمد من ذلك، والله الحمد والمثنة، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه، ولا يأكل إلا وهو عنده، ثم بعثهم إلى المدينة مكرمين، وكان علي بالمدينة محترماً معظماً.

قال الحافظ ابن عساکر: ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف.

قلت: وهو الذي يقال له: مشهد علي شرقي جامع دمشق. وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب

ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطين.

قال الزهري: ما رأيت قريشاً أفضل منه، وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض، فقال عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض.

وقال الواقدي: كان من أروع الناس وأعبدهم وأقاهم لله عز وجل، وكان إذا مشى لا يخطو بيده، وكان يعم بعمامة يضاء يرخيها من ورائه، وكان كنيته أبو الحسن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ٢٢٢/٥): كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رقيقاً ورعاً، وأمه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه يزيد فولدت له عبد الله بن زيد، وهو علي الأصغر، فأما الأكبر فقتل مع أبيه. وكذا قال غير واحد:

وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم: لم يكن في أهل البيت مثله.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: سمعت علي بن الحسين وهو أفضل

هاشمي أدرته يقول: يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا بحكم حتى صار علينا عاراً.

وفي رواية: حتى بغضتمونا إلى الناس.

وقال الأصمعي: لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين، ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن، فقال له مروان بن الحكم: لو اتخذت السرايري حتى يكثر أولادك، فقال: ليس لي ما أتسرى به، فأقرضه مائة ألف فاشتري له السرايري فولدت له وكثر نسله، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من علي بن الحسين عما كان أقرضه، فجميع الحسينيين من نسله رضي الله عنه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: أصبح الأستاذي كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده. وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي، فلما انصرف قالوا له: ما لك لم تنصرف؟ فقال: إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى.

وأنه كان إذا توضأ يصفر لونه، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق، فقيل له في ذلك فقال: ألا تدرون بين يدي من أريد أن أقوم ولن أنساغي؟ ولا حج أراد أن يلبي فارتعد وقال: أخشى أن أقول ليك اللهم ليك، فيقول لي: لا ليك، فتشجوه وقالوا: لا بُدَّ من التلبية، فلما لى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة، وأنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة.

وقال طائوس: سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول: عيبك بفنائك. مسكينك بفنائك سائلك بفنائك. فقيرك بفنائك، قال طائوس: فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني.

وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل، وكان يقول: صدقة الليل تطفى

وأشار بيده إلى العراق.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن رزين بن عبيد قال: كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب.

وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي: حدثنا العلاءي حدثنا إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير قال: كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال: كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبلة وأقعدته إلى جنبه، ثم قال: «يولد لابني هذا ابن يقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش ليقيم سيد العابدين، فيقوم هو».

هذا حديث غريب جداً أورده الحافظ ابن عساکر.

وقال الزهري: كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أفقه منه، وكان قليل الحديث، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة، وأجهم إلى مروان وابنه عبد الملك، وكان يسميه زين العابدين.

وقال جويرية بن أسماء: ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ دهنماً قط. رحمه الله ورضي عنه.

وقال محمد بن سعد [الطبقات: ٢١٣/٥]: أتى علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال: بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردّها، فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان: إن المختار بعث إلي بمائة ألف فكرهت أن أقبّلها وكرهت أن أردّها، فأبعت من يقبضها. فكتب إليه عبد الملك: يا ابن عم! خذها فقد طيبتها لك، فقبلها.

وقال علي بن الحسين: سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم، لأن العلماء ورثة الأنبياء.

وقال أيضاً: إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبجل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبجل، وأبجل وأبجل.

وذكروا أنه كان كثير البكاء فقليل له في ذلك فقال: إن يعقوب عليه السلام بكى حتى أبيضت عيناه على يوسف، ولم يعلم أنه مات، وإني رأيت بضعة عشر من أهلي يبكي يذهبون في غداة واحدة، أفترزون حزنهم يلذهب من قلبي أبداً؟!.

وقال عبد الرزاق: سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الأبرق من يدها على وجهه فشبهه، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية: إن الله يقول: «وَالْكَاذِبِينَ الْغِظُ» فقال: قد كظمت غيظي، قالت: «وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ»: قد عفا الله عنك. فقالت: «وَاللَّهُ يُجِيبُ الْمُحْسِنِينَ» [قال عمر: ١٣٤] قال: اذهبي أنت حرة.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا عبد الله بن إبراهيم أبو قدامة الجُمَحي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال: جلس لي قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فثأروا منهما، ثم ابتدلوا في عثمان فقلت لهم: أخبروني أنتم من المهاجرين الذين «أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» وإلى قوله: «وَأَرْسَلَكُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ» [بخش: ٨] قالوا: لا، لسا منهم قال: فأنتم من الذين قال الله عز وجل «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلى قوله «فَأَرْسَلَكُمْ هُمُ الْمَلْحُومُونَ» [بخش: ٩] قالوا: لا، لسا منهم قال: فقلت لهم: أما أنتم فقد تَرَكْتُمْ وأقررتُم وشهدتُم أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل

فيهم: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» [بخش: ١٠] فقوموا عني لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله.

وجاء رجل فسأله: متى يبعث علي؟ فقال: يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثت عن سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال: اللهم إني أتصلق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحلّه.

وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سقود وهو يشوي شيئاً في التور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله، فنهض علي بن الحسين مسرعاً، فلما نظر إليه قال للغلام: يا بني إنك لم تعتمد، أنت حر. ثم شرع في جهازه.

وقال المدائني: سمعت سفيان يقول: كان علي بن الحسين يقول: ما يسرنى أن لي بصيص من اللذ الحمر النعم. ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه.

ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجنّز عليه من أجل إسراره، فقال له علي بن الحسين: إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً: شهادة أن لا إله إلا الله، وشفاعاة رسول الله، ورحمة الله عز وجل.

وقال المدائني: قال الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله، فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له: يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك، فقال الزهري: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» [الأنعام: ١٢٤].

وفي رواية: أنه كان أصاب دماً خطاً فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله.

وكان الزهري يقول: علي بن الحسين أعظم الناس علي مة.

وقال سفيان بن عيينة: كان علي بن الحسين يقول: لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، وما اصطحب اثنان علي معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة الله.

وذكروا أنه زوج أبة من مولى له واعتق أمه فتزوجها فارس إلى عبيد الملك يلومه في ذلك، فكتب إليه «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءٌ» [الأحزاب: ٢١] وقد اعتق صفية فتزوجها، وزوج مولاة زيد بن حارثة من أبة عمته زينب بنت جحش.

قالوا: وكان يلبس في الشتاء خيصة من خز بخمسين ديناراً، فإذا جاء الصيف تصدق بها، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ويتلو قوله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» [الأعراف: ٣٢].

وقد روي من طرق ذكرها الصولي والجريري وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه أو أخيه الوليد، فطاف بالبيت، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه، وقام أهل الشام حوله، فيمينا هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً، وهو في بزة حسنة، وشكل مليح، فقال أهل الشام له: من هذا؟ فقال: لا أعرفه. لتلا يرغب فيه أهل الشام - فقال الفرزدق - وكان حاضراً -: أنا أعرفه، فقالوا: ومن هو؟ فأنشأ الفرزدق يقول:

هَذَا الَّذِي تَصْرَفُ الْبَطْنَاءُ وَطَائِفُهُ وَالْيَتِيمُ يَعْرِفُهُ وَالْجَلِيلُ وَالْحَكِيمُ هَذَا ابْنُ خَيْرٍ عِيَاذُ اللَّهِ كُلَّهُمْ هَذَا الْغَيِّي الْغَيِّي الطَّاهِرُ الْقَلْبُ إِذَا زَائِمَةٌ قَرِيشٌ قَالَ قَاتِلُهَا إِلَى مَكَارِمٍ هَذَا يَتِمِّي الْكَرَمُ يُنْسَى إِلَى ذِرْوَةِ الْجَبْرِ الَّتِي قُصِرَتْ مِنْ نِيلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَبُ بِكَادٍ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاخِيهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ يُغْضِي خِيَاةً وَيُغْفَسِي مِنْ مَهَائِيهِ فَمَا يَكَلِّمُ إِلَّا حَيْثُ يَتَحَرَّمُ يَكْفُهُ خَيْرُكَانٍ رِيحُهَا عِبَسٌ مِنْ كَفِّ لَرَوْحٍ فِي عَرِينِهِ شَمَمٌ مُنْتَفَخٌ مِنْ رُسُولِ اللَّهِ نَبْتُهُ طَلَبَتْ خَنَاصِيرُهَا وَالْحَيْمُ وَالشَّيْمُ يَنْجَابُ نُورُ الْمُحْدَى مِنْ نُورِ غُرْمٍ كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتْمُ حَسَالُ الْقَتَالِ اقْرَأُوا إِذَا فَرَحُوا حُلُوُ الشَّمَالِ تَحُلُو عَنْدهُ نَمَمٌ هَذَا ابْنُ قَاتِلِهَا إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ بِخَبْرِهِ آيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَيَّمُوا اللَّهُ فَضْلُهُ قَتَلَتْ وَشَرُّهُ جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْجِهِ الْقَلَمُ مِنْ جَنْدِهِ قَالَ فَضْلُ الْآيَاءِ لَهُ وَفَضْلُ الْكُتُبِ ذَاتَتْ لَهَا الْأَمُّ عَمُ الْبَرِيَّةِ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَضَتْ عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ كَلَّمَ يَدِيهِ غِيَاكُ عَمُ نَعْمَا يُسَوِّدُهَا وَلَا يَبْرُؤُهَا التَّدْمُ سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بِوَاوِهِ بَرِيَّةُ اثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالْكَرَمُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ فَيُشَوِّدُ قَبِيَّةً رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيْبُ حَيْثُ يَحْتَرَمُ مِنْ مَعْتَرِ شُجْبِهِمْ وَبَيْنَ وَغُفْهِمْ كَثُرَ وَرُبُّهُمْ نَجَى وَمُعْتَصَمُ يُسْتَدْفَعُ الشُّوءُ وَالْبَلَاءُ بِجَبْهِمْ وَمُتَرَبِّ بِهَ الْإِحْسَانُ وَالنَّمَمُ مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ فِي كُلِّ حَكْمٍ وَمُخْتَرَمٌ بِهَ الْكَلِمُ إِنْ عُدَّ أَهْلُ الْقِيَامَةِ كَانُوا إِيْمَتُهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرٌ أَهْلُ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ لَا يَسْطَلِجُ جَوَادُ بَعْدَ غِيَابِهِمْ وَلَا يُتَابِعُهُمْ قُرُومٌ وَإِنْ كُرُّوا عُمُ الْفُيُوتِ إِذَا مَا لَزِمَتْ وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشُّرَى وَالْبَاسُ مُحْتَدَمٌ يَلْحَى لَهُمْ إِنْ يَحُلُ الدَّمُ سَاحَتِهِمْ حَيْمٌ كَرِيمٌ وَابِدُ بِاللَّذَى فَضْمٌ لَا يَنْقُصُ الْعَمْرُ بَسَاطَةً مِنْ أَكْثَرِهِمْ سَيِّانُ ذَلِكَ إِنْ ائْتَرُوا وَإِنْ عَوُّوا أَيْ الْخَلَائِقُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ يَنْقُمُ فَلَيْسَ قَوْلُكَ تَنْ هَذَا بِفَضْلِهِ الْعُرْبُ تَصْرَفُ مِنْ ائْتَرَتْ وَالْعَجَبُ تَنْ يَعْرِفُوهُ اللَّهُ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا قَالَيْنِ مِنْ يَبْرُ هَذَا نَالَهُ الْأَمُّ

قال: فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان، بين مكة والمدينة، فلما بلغ ذلك علي بن الحسين بعث إلى الفرزدق بثاني عشر ألف درهم وأرسل يعتذر إليه أن ليس عنده اليوم غيرها فردها الفرزدق، وقال: إنما قلت ما قلت لله عز وجل ونصرة للحق، وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته، ولست أعتاض عن ذلك بشيء. فأرسل إليه علي بن الحسين يقول: قد علم الله صدق نيتك في ذلك، وأقسمت لتقبلها قبلها منه. ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه:

يُجْبَسِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالسِّيِ إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْرِي مِثْلُهَا يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ وَعَيْنَيْنِ خَوْلَاوَيْنِ بِأَدْعِيَا

وقد روينا عن علي بن الحسين رحمه الله أنه كان إذا مرت به الجنائزة يقول:

نُسْرَاجُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْهَا وَنَلِهُوا حِينَ تَغْفِي فَايَسَاتِ كَرْوَعَةٌ ثَلَاثَةٌ يُنْفَارُ سَمِيعٌ قَلَمًا غَابَ عَادَتِ رَاقِعَاتِ وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنَ عَسَاكِرٍ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُقَرَّرِ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ عِيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ وَيُنَاجِي رَبَّهُ: -

يَا نَفْسُ حَتَامٌ إِلَى الدُّنْيَا غُرُورُكَ، وَإِلَى عِمَارَتِهَا وَكُونُكَ، أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ وَمَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنَ الْأَنْفِكَ؟ وَمَنْ فَجَعَتْ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكَ، وَثَقُلَ إِلَى الْبَلَى مِنْ أَقْرَانِكَ؟

خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتُهُمْ نَحْوَ النِّمَاطِ الْمَقَادِرِ وَخَلُّوا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَعْتُهُمْ تَحْتَ التَّرَابِ الْخَفَائِرِ كَمْ تَحْرَمْتُ أَيْدِي الْمَوْتِ مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ، وَكَمْ غَيَّرْتَ الْأَرْضَ بِلَانِهَا، وَغَيَّيْتَ فِي ثَرَاهَا، عَمَّ عَاشَرَتْ مِنْ صُنُوفِ النَّاسِ وَشَيْعَتِهِمْ إِلَى الْأَرَامِاسِ.

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكَبُّ مُنَافَسٍ لِيُخَلِّبَهَا فِيهَا خَرِيصٌ مُتَكَاثِرٌ عَلَى خَطَرٍ عَمْسِي وَنُصَبٌ لَاهِيَا أَتَدْرِي مِمَّا لَوْ غَفَلْتَ تَخَاطَرُ وَإِنْ إِسْرًا يَسْتَوِي لِثَنِيَّةٍ ذَائِيَا وَتَنْغَلُّ عَنْ أَخْرَاهِ لَا شَكَّ خَاسِرُ فَحَتَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِقْبَالُكَ، وَبِشَهَوَاتِهَا اسْتِغْثَالُكَ؟ وَقَدْ وَخَطَكَ الْقَتِيرُ وَأَتَاكَ التَّنْذِيرُ، وَأَنْتَ عَمَّا يَرَادُ بِكَ سَاءَ وَبِلَذَّةِ يَوْمِكَ لَا، وَقَدْ رَأَيْتَ انْقِلَابَ أَهْلِ الشَّهَوَاتِ، وَعَايَنْتَ مَا حُلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَصِيبَاتِ:

وَفِي ذِكْرِ حَوْلِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَاسِ عَنْ اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ لِلْمَرَةِ زَاجِرُ أَبْعَدُ اقْتِرَابِ الْأَرْبَعِينَ تَرْتُبُصُ وَشَيْبٌ قَدْ نَالَ مُنْذَرُكَ كَاسِرُ كَأَنَّكَ تَعْنِي مِمَّا هُوَ صَائِرٌ لِنَفْسِكَ عَقْدًا أَوْ عَنْ الرُّشْدِ جَائِرُ انْظُرْ إِلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُلُوكِ الْفَاتِيَةِ كَيْفَ أَفْتَهُمُ الْأَيَّامُ وَأَفَانَهُمُ الْحِمَامُ، فَامْتَحَتْ مِنَ الدُّنْيَا أَتَارَهُمْ، وَبَقِيَتْ فِيهَا أَخْبَارُهُمْ، وَأَضْحَوْا رَمًا فِي التَّرَابِ، إِلَى يَوْمِ الْحِشْرِ وَالْحِسَابِ:

وَأَضْحَوْا رَيْبًا فِي التَّرَابِ وَغَطَّلَتْ مَجَالِسُ بَيْنَهُمْ أَفْقَرَتْ وَمَقَاصِيرُ وَخَلُّوا بِذِكْرِ لَا تَزَاوُرُ بَيْنَهُمْ وَأَنْسَى يُسْكِنُ الْقُبُورَ نَزَاوُرُ فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا قُبُورًا قَدْ تَزَوَّرُوا بِهَا مُطْمَئِنَّةٌ تَسْنِي عَلَيْهَا الْأَعَاوِيرُ كَمْ مِنْ ذِي مَنَعَةٍ وَسُلْطَانٍ وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ، تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ، وَنَالَ فِيهَا مَا تَمَنَّا، وَبَنَى فِيهَا الْقُصُورَ وَالْمَسَاكِرَ، وَجَمَعَ الْأَعْلَافَ وَالذُّخَاوِيرَ

فَمَا صَرَفَتْ كَفًّا لِنَيْبَةٍ إِذْ أَنْتَ مَبَاوِرَةٌ تَهْرِي إِلَى الدُّخَاوِيرِ وَلَا دَعَمَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي يَنْسَى وَخَفَّ بِهَا أَنْهَارُهُ وَالْمَسَاكِرُ وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمُنِيَّةُ حِيلَةً وَلَا طَمِعَتْ فِي الذُّبِّ عَنْهُ الْمَسَاكِرُ

أَتَاهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرِدُ، وَنَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَائِهِ مَا لَا يَصُدُّ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ الْقَهَّارُ، قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ، وَمُمِيدُ الْمُتَكَبِّرِينَ، الَّذِي ذَلَّ لِعِزِّهِ كُلُّ سُلْطَانٍ، وَأَبَادَ بِقُوَّتِهِ كُلَّ دِيَانٍ.

مَلِكُكَ غَرِيْمٌ لَا يُرَدُّ فَضَاؤُهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ نَافِذُ أَمْرِهِ قَاهِرٌ عَسَا كُلُّ ذِي عِزٍّ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ فَكُلُّ غَرِيْمٍ لِلْمُهَيْمِينَ صَاغِرٌ لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسَلَّمَتْ وَتَضَاعَلَتْ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْشِ الْمُلُوكِ الْجَبَّارِ

فالبلد البدار والحفار والحفار من الدنيا ومكايدها، وما نصبت لك من مصايدها، وتحت لك من زيتها، وأظهرت لك من بهجتها، وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتها وهلكاتها.

وفي فؤد ما عانيت بين فجعاتها إلى رخصها فاع وبالهزله أمر فجع ولا تغفل فعيثك زائل وانست إلى دار الإقامة صائر ولا تطلب الدنيا فإن نعيمها وإن نلت نيتها عبة لك عنائها فهل يحرص عليها لبيب، أو يسر بها أريب؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عينا من يغشى البيات، وتسكن نفس من يتوقع المات.

الا لا ولكننا نقر نفوسنا ونشغلنا اللذات عما نكادز وكيف يلد الغيش من هو موثق يتوقف على يوم تبلى الشرائر كأننا نرى أن لا نشور وإننا سدد لنا بعد المات مصائر وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها، مع صنوف عجائبها وكثرة تعب وفي طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها والآلهة؟!

أما قد نرى في كل يوم وليلة يروح علينا صرغها ويصاكر تمارونها أفانها ومهرتها وكم قد نرى يقى لها المتاور فلا هو مغبوط بئنها آيين ولا هو عن تطلباها النفس قاصر كم قد غرت الدنيا من غلد إليها، وصرعت من مكب عليها، فلم تنعشه من عثرته، ولم تقمه من صرعه، ولم تشغه من ألمه، ولم تبره من سقمه. ولم تخلصه من وصمه.

بل أوزقت به عيز ومنقة سودة سوء ما لهن مصادر فلما رأى أن لا نجاة وإنه هو الموت لا ينجيه منه التخاذر تسد إذ لم تكن عنه ندامة عليه وأبكت الذنوب الكبائر بكى على ما سلف من خطاياهم، وتحسر على ما خلف من دنياه، حين لا ينفعه الاستغفار، ولا ينجيه الاعتذار، عند هول المنة ونزول البلية.

أحاطت به أحزانه وهموه وأبليس لما اعجزته المبادر فليس له من كزية الموت فارج وليس له عما يحاذر ناصر وقد جشك خوف المنة نفسه ترقبها منه الألها والخناجر هنالك خف عواده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرثة بالعويل، وقد أيسوا من العليل، فغصوا بألبيهم عينه، ومد عند خروج روحه رجليه، وتحلى عنه الصديق، والصاحب الشقيق.

فكم موجد يكجي عليه ومجمع ومستج صبرا وما هو صابر ومسترجم فاع له الله مخلصا بعدد منه خير ما هو ذاكز وكم ضايت شبيب بوقاته وعما قليل للذي صار صائر

فشقت جيوبها نساؤه، ولطمت خلودها إمامه، وأعول لفقد جيرانه، وتوجع لرزته إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا لإبرازه، كأنه لم يكن بينهم العزيز المهدى، ولا الحبيب المبدى.

وظل أحب القوم كان لقرى يحث على تجهيزه ويصاد

وشعر من قد احضره يفسله ووجه لما قام للقب جافر وكفن في ثوبين واجتمعت له مشيعة إخوانه والتشائر فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فواده، وغشى من الجزع عليه، وخضبت الدموع خليه، وهو يتدب أباه ويقول: يا ويله وأحريه:

لنابت من قبح المنة منظرأ يهال امرأة وترتاع ناظر أكابر أولاد يهيج اكتسابهم إذا ما تناسه التوبن الأصغر ورنة يوان عليه جوازيع متاعهم فوق الحدود غوايز

ثم أخرج من سعة قصره، إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللين، احتوشته أعماله وأحاطت به خطاياهم، وضاق ذرعا بما رآه، وحثوا بألبيهم عليه التراب، وأكثروا التلذذ عليه والانتعاب، ثم وقفوا ساعة عليه، وأيسوا من النظر إليه، وتركوه رهنا بما كسب وطلب.

فولوا عليه موعلين وكلهم لبث الذي لاقى أخوه مخاير كشاه رتاع آيين بنا لها بئنيته يبادي النزاعين حاسر فريقت ولم ترتع قليلا وأجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر عادت إلى مرعاه، ونسيت ما في أختها دعاه، أفاعال البهائم اقتنيا؟ أم على عادتها جرينا؟ عد إلى ذكر المنول إلى دار البلى، والثرى، المنفوع إلى هول ما ترى.

نوى مقردا في لحبه وتودعت مواربه أرحاشه والأواصير وأحزوا على أمواليه يقبمونها فلا تخايد ينهم عليها وشاكر فيا غاير الدنيا وما ساعيا لها وبا آيينا من أن تسدر الذوائر كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة؟ أم كيف تنها لحياتك وهي مطيتك إلى عمالك؟ أم كيف تسيع طعامك وأنت متظر حمامك؟ أم كيف تنها بالشهوات، وهي مطية الآفات.

ولم تتزده للرحيل وقد كنا وأنت على حال وشيك مسافر فيا لهف نفسي كم أسوف توبسي وعسري فإن والردى لي ناظر وكل الذي أسلفت في المحفو ثبت يجازي عليه عادل الحكم قادر فكم ترقع بأخترتك دنياك، وتركب في ذلك هواك، ألواك ضعيف اليقين، يا مؤثر الدنيا على الدين أبهنا أمرك الرحمن؟ أم على هذا نزل القرآن؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب، وشر المآب أما تذكر حال من جمع وثمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا، ومساكنهم قبرا:

تخرب ما يقى وتغر فانيا فلا ذاك توفسور ولا ذاك عاير وهل لك إن وإفالا خضك بقنة ولم تكتب خيرا لدى الله عاير أترضى بأن تقى الحياة وتقضي ودينك مقصود ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين، زين العابدين، فالشهور عن الجمهور أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة أربع وتسعين - في أولها عن ثمان وخمسين سنة، وصلي عليه بالقيع، ودفن به. قال الفلاس: مات سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وعروة وأبو بكر بن عبد الرحمن سنة أربع وتسعين.

وقال بعضهم: توفي سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين.

وأغرب الماتني في قوله: إنه توفي سنة تسع وتسعين والله أعلم.
ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة، قيل اسمه محمد، وقيل اسمه أبو بكر، وكنيته أبو عبد الرحمن، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد، وله من الأولاد والإخوة كثير، وهو تابعي جليل، روى عن عمار وأبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر وعائشة وأم سلمة وغيرهم، وعنه جماعة منهم بنوه: سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر، ومولاه سمي، وعامر الشعبي وعمر بن عبد العزيز، وعمر بن دينار، وجاهد، والزهرى.
ولد في خلافة عمر، وكان يقال له راهب قرش، لكثرة صلاته، وكان مكفوفاً، وكان يصوم الدهر، وكان من الثقة والأمانة والفقه وصحة الرواية على جانب عظيم.

وكان عبد الملك بن مروان يكرمه ويعرف فضله ويقول: إني أُمُّ بالشئ أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عننا، فاذكر أبا بكر بن عبد الرحمن فاستحي منه وأترك ذلك الأمر من أجله.

وله مناقب كثيرة.

قال أبو داود: وكان قد كُتِفَ وكان إذا سجد يضع يده في طست ماء لعله كان يجدها. والصحيح أنه مات في هذه السنة، وقيل: في التي قبلها، وقيل: في التي بعدها. والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم، وافتتح حصوناً كثيرة.

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب من أرمينية وخر بها ثم بناها بعد ذلك بتسع سنين.

وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولتان من أرض الهند، وأخذ منها أموالاً جزيلة.

وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل تحمل من كثرتها، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء:

لَعَمْرِي لَيْتَمَ الْمَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحُورَانَ أَنْتَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَأَنْ تَحْمِي لَا أَتْلُكَ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء، ويعد على ذلك ويجزه خيراً، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتل أهل الكفر والعناد. وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصرين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة، وولى خراجهما يزيد بن مسلم، وقيل: إن الحجاج كان يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه، وكانت وفاة الحجاج لخمس، وقيل: لثلاث بقين من رمضان، وقيل: مات في شوال من هذه السنة.

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك، قاله أبو معشر والواقدي.

وفيها قتل الوضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه.

وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

(وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته)

هو

■ الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن تقيف - وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن - أبو محمد الثقفي.

سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى.

وروى عنه أنس بن مالك، وثابت البناني، وحيد الطويل، ومالك بن دينار، وجراح بن مجالد، وقتيبة بن مسلم، وسعيد بن أبي عروبة. قاله ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١١٣/١٢].

قال: وكانت له بدمشق أكرم منها دار الزاوية بقرب قصر ابن أبي الخلد. وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير، ثم عزله عنها وولاه العراق.

وقدم دمشق وافداً على عبد الملك، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم حدثنا سالم بن قتيبة بن مسلم، سمعت أبي يقول: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر، فما زال يقول: إنه بيت الوحلة، وبيت الغربة. حتى بكى وأبكى من حوله، ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته: فما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى.

وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود [٣٢٣٤] وغيره [ج (٤١٥)].

وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار: حدثنا سيار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: دخلت يوماً على الحجاج فقال لي: يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى! فقال: حدثني أبو بردة عن أبي موسى. قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَلْيَذْغُ بِهَا فِي ذُبُرِ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ.

وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن [١٤٨١]، ت (٣٤٧٦، ٣٤٧٧)، م (١٣١٤)، والمسند [السند: ١٨/٦] والله أعلم.

قال الشافعي رحمه الله: سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها ليخرج ما بينها من أذى - وكان ذلك في أول النهار، فقال: والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرغية دنية، وإن كان الذي تتخللين منه شيء بقي فيك من البارحة إنك لغسرة، فطلقتها فقالت: والله ما كان شيء مما ذكرت، ولكنني باكرت ما تباكره المرأة من السواك، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها. فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج: تزوجها فإنها لخليقة بسان تأتي برجل يسود، فتزوجها يوسف أبو الحجاج. قال الشافعي: فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم: ما أسرع ما ألقحت بالبير.

قال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٢٩/٢]: واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، وكان زوجها الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك.

للقرآن.

قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن في كل ليلة،

وقال أبو العلاء: ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري، وكان الحسن أفصح منه.

وقال الدارقطني: ذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح ابن سليمان قال: قال عتبة بن عمرو: ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض، إلا الحجاج ولياس بن معاوية، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس.

وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بن الزبير فحاصره بها.

وأقام للناس الحج عامته، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت، ولا تمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف بعرفة، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين فقتله كما قلنا وأقام للناس الحج أيضاً في سنة ثلاث وسبعين.

ثم استأبى عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن، ثم ولاه عبد الملك العراق بعد موت أخيه بشر بن مروان. فدخل الكوفة كما ذكرنا، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إيراد مفصلاً، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة. وفتح فيها ثروحات كثيرة، هائلة مشترية، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم، ووصلت خيوله أيضاً إلى قرب بلاد الصين، وجرت له فصول قد ذكرناها. ونحن نورد هنا أشياء آخر مما وقع له من الأمور والجرام والإقناعات، والتهور في الأمور العظام، مما يمدح على مثله وما يذم بقوله وفعله، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره.

فروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن كثير - ابن أخي إسماعيل ابن جعفر المدني - ما معناه: أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بمجنّب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الإمام ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد يطرّف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه سعيد فقال له: يا سارق يا خائن، تصلي هذه الصلاة! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك. فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج، ثم رجع فعاد إلى الشام، ثم جاء نائباً على الحجاز. فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها، فلما دخل المسجد النبوي إذا مجلس سعيد بن المسيب، فقصده الحجاج فخشي الناس على سعيد منه، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ ف ضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم! قال: فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً، ما صليت بملك صلاة إلا وأنا أذكر قولك. ثم قام ومضى.

وروى الرياشي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخيه أبي عمرو بن العلاء - قال: لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء، فأمر بالناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والشهادة عليه: يا أهل مكة! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها، فترج طاعة الله واستكنّ بحرم الله، ولو كان شيء مانع العصاة لمعت آدم حرمة الله، إن الله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأباح له كرامته، وأسكنه جنته، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته، وأدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكلمة، اذكروا الله يذكركم.

وذكر صاحب المقد والنفد القهري: ١٣/٥، ١٤ أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان العلمان بالطائف، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا يتزلزل لنزوله ولا يرحلون لرحيله، فقال روح: عندي رجل توليه ذلك، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون ففرضهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك، فقال للحجاج: لم صنعت هذا؟ فقال: لم أفعله إنما فعله أنت، فإن يدي يذك، وسوطي سوطك، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه، وبذل الغلام غلامين، ولا تكسري في الذي وليتي؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده.

قال: وبني واسط في سنة أربع وثمانين، وقرع منها في سنة ست وثمانين.

وقيل قبل ذلك (وفيات الأعيان: ٥٠/٢).

قال: وفي أيامه نطقت المصاحف، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كلياً، ثم سمي الحجاج.

وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى قتل له غرغ، وأنه لم يرتفع إماماً حتى سقره دم جدي إماماً ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فارتفع، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء، لأنه أول ما ارتفع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه.

ويقال: إن أمه هي المتينة لنصر بن حجاج بن علاط.

وقيل: إنها أم أبيه والله أعلم.

وكانت فيه شهامة عظيمة، وفي سيفه رمق، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة، وكان يغضب غضب الملوك، وكان فيما يزعم يشبه يزيد بن أبيه، وكان زياد يشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً، ولا سواء ولا قريب.

وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عثر التميمي قاضي مصر ومختصر تاريخ دمشق: ١٠/٢٠٠، وكان من كبار التابعين. وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجالية، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم، وكان يحتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها.

والقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عثر هذا فنهض إليه أبو الحجاج فسلم عليه، وقال له: إني ذاهب إلى أمير المؤمنين، فهل من حاجة لك عنده؟ قال: نعم! تسأله أن يعزلي عن القضاء. فقال: سبحان الله!! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك. ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنة: يا أبة أتقوم إلى رجل من حبيب وأنت ثقني؟ فقال له: يا بني والله إني لأحسب أن الناس إنما يرحمون بهذا وأمثاله. فقال ابنه الحجاج: والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله، فقال: ولم يا بني؟ قال: لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونهم ويغضبون عليه ويغضبونه، ولا يرون طاعته، والله لو خلس لي من الأمر شيء لأضرب عنق هذا وأمثاله، فقال له أبوه: يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً.

وهنا يدل على أن أباه كان ذا وجاعة عند الخليفة، وأنه كان ذا فراسة صحيحة، فإنه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك.

قالوا: وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين، وقيل: في سنة أربعين، وقيل: في سنة إحدى وأربعين، ثم نشأ شاباً ليلاً فصيحاً بليغاً حافظاً

ابن الزبير وقدم إلى المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة، فقال: بشر حال، قتل ابن حواري رسول الله ﷺ، فقال الحجاج: ومن قتله؟ قال: الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته، من قليل المراقبة لله. فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال: أيها الشيخ أتعرف الحجاج إذا رأيته؟ قال: نعم فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً. فكشف الحجاج عن لثامه وقال: ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة. فلما تحقق الشيخ الجدل قال: والله إن هذا هو العجب يا حجاج، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبي داود أصرع كل يوم خمس مرات فقال الحجاج: انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن عبد الصمد حدثنا حماد بن سلمة عن ابن أبي رافع عن عبد الله بن جعفر أنه زوج بته من الحجاج بن يوسف فقال لها: إذا دخل بك فقولي: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. وزعم أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال هذا. قال حماد: فظننت أنه قال: فلم يصل إليها.

قال الشافعي: لما تزوج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك بن مروان: اتهمته من ذلك؟ فقال: وما بأس بذلك؟ قال: أشد البأس والله، قال: كيف؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدري على آل الزبير منذ تزوجت وملة بنت الزبير، قال: وكأنه كان نائماً فأيظله، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها.

وقال سعيد بن أبي عروبة: حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتى بغداه فقال لحاجبه: انظر من يأكل معي، فذهب فإذا أعرابي نائم فضره برجله وقال: أجب الأمير، فقام فلما دخل على الحجاج قال له: اغسل يديك ثم تغد معي، فقال: إنه دعاني من هو خير منك فاجبته، قال: ومن هو؟ قال: الله دعاني إلى الصوم فاجبته، قال: في هذا الحر الشديد: قال: نعم صمت ليرم هو أشد حرأ منه، قال: فأنظر وسم غداً، قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غير. قال: ليس ذلك لي، قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟ قال: إن طعامنا طعام طيب، قال: لم يطيبه أنت ولا الطبايح، إنما طيبته العافية.

فصل

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إليهم بغته، وتهليله ووعيده إليهم، وأنهم خافوه مخافة شديدة، وأنه قتل عمير بن ضباب، وكذلك قتل كميل بن زياد صبراً، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدما ذكره من ظفزه به بعد المطاولة والمقاتلة وتسلبه على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعباد والقراء، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير.

قال القاضي المعافى بن زكريا: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا محمد - يعني ابن عبيد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال: خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجماجم، فقال: يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم، والعصب والسماع، والأطراف، ثم أفضى إلى الأسماخ والأغشاخ، والأشباج والأرواح، ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرخ، ثم دب ودرج، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً، وأشعركم خلافاً، اتخذهوه

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا عوف بن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال: إن ابنك الحد في هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم، وفعل. فقالت: كذبت، كان برأً بوالديه، صواماً قواماً، والله لقد أعبرنا رسول الله ﷺ «أنه يخرج من قيظ كذابان الآخر منهما شر من الأول، وهو مُبِير».

ورواه أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد عن عوف بن أبي الصديق. قال: بلغني أن الحجاج دخل على أسماء.... فذكر مثله.

وقال أبو يعلى: حدثنا زهير حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأخف عن أسماء بنت أبي بكر. قالت: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة. وسمعت يقول: «فَيُخْرِجُ مِنْ قَيْظٍ رَجُلَانِ كَذَابٌ وَمُبِيرٌ». قالت فقلت للحجاج: أما الكذاب فقد رأيتاه، وأما المبير فأتت هرو يا حجاج.

وقال عبيد بن حيد: أنبأنا يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق ؓ تقول للحجاج حين دخل عليها يعزيها في ابنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فَيُخْرِجُ مِنْ قَيْظٍ رَجُلَانِ مُبِيرٌ وَكَذَابٌ» فاما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني المختار - واما المبير فأتت.

وتقدم في صحيح مسلم لمن وجه آخر عن أسماء أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله.

وقد رواه غير أسماء عن النبي ﷺ.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت: قال رسول الله ﷺ: «فِي قَيْظٍ كَذَابٌ وَمُبِيرٌ». تفرد به أبو يعلى.

وقد روى الإمام أحمد [٣٨١/١] عن وكيع عن أم غراب - واسمها طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة.

وأخرجه أبو داود [٥٨١] وابن ماجه [٩٨٢]، وروى من حديث ابن عمر، فقال أبو يعلى: حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عبد الله بن عصفه قال: سمعت ابن عمر «أنبأنا رسول الله ﷺ أن في قَيْظٍ مُبِيرٌ وَكَذَابٌ».

وأخرجه الترمذي [٢٢٠، ٣٩٤٤] من حديث شريك عن عبد الله بن عُصَمُ ويقال عصمة. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

وقال الشافعي: حدثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالي قتال ابن الزبير والحجاج بمى، فكان يصلي مع الحجاج. وقال الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلي وراءه.

وقال إسحاق بن راهويه: أنبأ جرير عن القعقاع ابن الصلت قال: خطب الحجاج فقال: إن ابن الزبير غير كتاب الله، فقال ابن عمر: ما سلطه الله على ذلك، ولا أنت معه، ولو شئت أن أقول: كذبت لفعلت.

وروي عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول: الصلاة الصلاة مراراً، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس، فصلى الحجاج بالناس، فلما انصرف قال لابن عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنما نحى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم يقبض ما شئت بعد من يقبض.

وقال الأصمعي: سمعت عبي يقول: بلغني أن الحجاج لما فرغ من

الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء. فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة وأقهرها طول الأمل بقصر الأجل.

وقال المدائني عن أبي عبد الله الثقفي عن عمه قال: سمعت الحسن البصري يقول: وقتني كلمة سمعتها من الحجاج سمعت يقول على هذه الأعداء: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره بغير ما خلق له لحري أن تطول عليها حسرتة إلى يوم القيامة.

وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال: قال الحجاج يوما: من كان له بلاء أعطيته على قدره، فقام رجل فقال: أعطني فإني قتلت الحسين، فقال: وكيف قتله؟ قال: دسرت بالرمح دسراً، وهبرته بالسيف هبراً، وما اشركت معي في قتله أحداً. فقال: اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد، ولم يعطه شيئاً.

وقال الهيثم بن عدي: جاء رجل إلى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد خدمت داري، فقال الحجاج: أما سمعت قول الشاعر:

جَازَيْكَ مَنْ يَجِيءُ عَلَيْكَ وَقَدْ تَحْدَى الصُّحَاخَ تَبَارِكُ الْجُرْبُوبِ
وَلَسَبَ سَاخُوْهُ بِلَنْسَبِ قَرِيْبِهِ وَنَجَا الْمُصَارِفُ صَاحِبُ النَّسَبِ؟

فقال الرجل: أيها الأمير! إني سمعت الله يقول غير هذا، وقول الله الصادق من هذا، قال: وما قال؟ قال: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مِّكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْضِينَ﴾، قَالَ تَعَالَى اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ رَجَعْنَا مَتَاعًا عَنْهُ إِنَّا إِذَا نَظَرْنَا لِيَوْمُنَا ﴿يوسف: ٧٨، ٧٩﴾ قال: يا غلام أعد اسمه في الديوان وابن داره، وأعطه عطاءه، ومر مناديا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر.

وقال الهيثم بن عدي عن ابن عياش: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلي براس أسلم بن عبد البركي، لما بلغني عنه، فأحضره الحجاج فقال: أيها الأمير أنت الشاهد وأمر المؤمنين الغائب، وقال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بَتَائِبُهُمْ﴾ [الحجرات: ٦]. وما بلغني عني فباطل، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما هن كاسب غيري وهن بالباب، فأمر الحجاج بإحضارهن، فلما حضرن جعلت هذه تقول: أنا خالته، وهذه: أنا عمته، وهذه: أنا اخته، وهذه: أنا ابنته. وهذه: أنا زوجته، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان، دون العشرة، فقال لها الحجاج: من أنت؟ فقالت: أنا ابنته، ثم قالت: أصلى الله الأمير، وجئت على ركبتيها وقالت: -

أَحْبَابُ لَمْ تُشْهَدْ مَقَامَ بَنَاتِهِ وَعُمَاتِهِ يَنْتَبِهُ اللَّيْلُ اجْتِمَاعَا
أَحْبَابُ كَمْ تَقْتُلُ بِهِ إِنْ قَتَلْتَهُ ثَمَانًا وَعَشْرًا وَتَبَيَّنَ وَارْتَبَا
أَحْبَابُ مَنْ هَذَا يَقُومُ مَقَامَهُ عَلَيْنَا فَمَهْلَا إِنْ تَرَكْنَا تَضَعُفُصَا
أَحْبَابُ إِنْ أَنْ تَجُودَ يَنْغَمِرَ عَلَيْنَا وَإِنَّا أَنْ تَقْتُلْنَا مَتَا

قال: فبكى الحجاج وقال: والله لا أعنت عليك ولا زدتك تنعضا، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل، وبما قالت ابنته هذه، فكتب إليه يأمره بإطلاقه وحسن صلته وإيلا إحسان إلى هذه الجارية وتقديرها في كل وقت.

وقيل: إن الحجاج خطب يوماً فقال: أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله. فقام إليه رجل فقال له: ويمك يا حجاج

دليلاً تبعونه، وقائلاً تطيعونه، وموأيراً تشاورونه وتستأمرونه، فكيف تنفعكم تجربة، أو ينفعكم بيان؟ أأستم أصحابي بالأموال حيث رُمْتُ المكر واجتمع على الغدر، واتفقت على الكفر، وظننت أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا والله أريمكم بطرقي وأنت تسفلون لؤاداً، وتنهزمون سراعاً. يوم الزاوية وما يوم الزاوية، بما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالإبل الشاردة عن أوطانها التنازع، لا يسأل المرء منكم عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيته، حين عضكم السلاح، وغسكتكم الرماح.

يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم، بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق يا أهل الكفريات بعد الفجرات، والندرات بعد الخفريات، والزروة بعد التزوات، إن يعتاكم إلى ثغوركم خلثتم وخستم، وإن أمتم أرجفتهم، وإن خفتم نافقتهم، لا تذكرون نعمة، ولا تشكرون معروفاً، هل استخفكم ناكث، أو استنواكم غاو، ولا استنقذكم عاص، ولا استصرمكم ظالم، أو استعضدكم خالغ، إلا ليتم دعوته، وأجبت صيحته، ونفرتم إليه خفافاً وثقالاً، وفرساناً ورجلاً.

يا أهل العراق هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو زفر زافر إلا كتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تر جركم الوقائع؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته، ويذفكم حر سيفه، وأليم بأسه ومثلاته؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظلم الرامح عن فراخه ينقي عنها القنر، ويواعد عنها الحجر، ويكنها من المطر، ويجمعها من الضباب، ويحرسها من الذئاب.

يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء، وأنتم الملازمة والحفاء، أنتم الأولياء والأنصار، والشعار والذئار، بكم يذب عن البيعة والحرورة، وبكم ترمى كتاب الأعداء ويهزم من عائد وتولى.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني محمد بن أبي الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التميمي قال: كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لسأ - إن الله تعالى خلق آدم وافرته من الأرض فامشاهم على ظهرها، فأكلا ثمارها وشربوا أنهارها وهاكوا بالمساحي والروبر، ثم أдал الله الأرض منهم فردهم إليها فاكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها. وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوا بالمساحي والروبر.

وما رآه غير واحد من الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ: أيها الرجل وكلكم ذاك الرجل، رجل خطم نفسه وزمها فقادها بظلماتها إلى طاعة الله، وكفها بزمامها عن معاصي الله بورحم الله امرأ رد نفسه، امرأ اتهم نفسه، امرأ اتخذ نفسه عدوه، امرأ حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرأ نظر إلى ميزانه، امرأ نظر إلى حسابه، امرأ وزن عمله، امرأ فكر فيما يقره غداً في صحيفته ويراه في ميزانه، وكان عند قلبه زاجراً، وعند همه امرأ، امرأ أخذ بعتان عمله كما يأخذ بزمام جله، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كف، امرأ عقل عن الله امره، امرأ فاق واستفاق، وأبفض المعاصي والتفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول امرأ امرأ، حتى بكى مالك بن دينار.

وقال المدائني عن عروانة بن الحكم قال: قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبق إليه أحد، يقول: أما بعد فإن الله تعالى كتب على

وأصحابه في منظره، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول:

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ غَنَّتِكَ كَلَامًا ذُو انْفِرٍ وَمَخْلِكِ
وَشِدَّةٍ فِي نَفْسِهِ وَفَتْلِكِ إِنَّ يَكْشِفُ اللَّهُ قَنَاقَ الشَّكِّ
فَهُوَ أَحَقُّ مَزَلٍ بِرُكِّ

فلما نظر إليه الأسد زار زارة شديدة وغطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقه جحدر بالسيف فضربه ضربة حتى خالط ذباب السيف لهواته، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح، من شدة الضربة، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد ولموضع القيود عليه، فبكر الحجاج وكبر أصحابه وأنشأ جحدر يقول:

يَا جُبُلُ إِنَّكَ لَو زَالَيْتَ كَرِهَيْتِي فِي يَوْمِ هَوْلِ مُسِيْفٍ وَعَجَاجِ
وَتَقْدَيْتِي لِلسَّيْرِ أَرْسُفُ مُوقِفًا كَيْمَا أَسَاوِرُهُ عَلَى الْأَحْرَاجِ
شَدْنُ بَرَائِيهِ كَانَ يُؤَيِّدُهُ رُوقُ الْمُقَاوِلِ أَوْ شُبَّةُ زَجَاجِ
يَسْمُو بِنَاطِرَيْنِ تَحَسَّبَ فِيهَا لَهْبًا أَحْلَعَهَا شَعَاغُ مِرَاجِ
وَكَاثِمًا خِيَطَتُ خَلِيو عِبَاةَ بَرْقَاءِ أَوْ خِرْقَ مِنْ الدِّيَاجِ
لَعَلِمَتِ ابْنِي ذُو حِفَاطٍ مَاجِدٌ مِنْ نَسْلِ اقْتَوَامِ ذَوِي ابْرَاجِ
ثم التفت إلى الحجاج فقال:

عَلِمَ النِّسَاءُ بَأَنِّي لَا أَتَيْتِي إِذَا لَا يَنْقُصُنْ بِفِيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ كَرِهْتُ زَوَاكِهِ أَنِّي مِنَ الْحَجَّاجِ لَسْتُ بِسَاجِ
فبعد ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده، وإن شاء انطلق إلى بلاده، فاختار المقام عند الحجاج، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً.

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر، منها أنه كان يبدل «إِنَّ» المكسورة بـ«هَاءٍ» المفتوحة وعكسه، وكان يقرأ «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ» إلى قوله «أَحِبُّ إِلَيْكُمْ» (الطوبة: ٢٤) فيقرأها برفع أحب.

وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته، فقال له يحيى بن يعمر: كذبت! فقال الحجاج: لتأتيني على ما قلت بيته من كتاب الله أو لأضربن عنقك، فقال: قال الله تعالى: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ» إلى قوله «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى» (الأنعام: ٨٤ - ٨٥) فيعيسى من ذرية إبراهيم، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ.

فقال الحجاج: صدقت، ونفاه إلى خراسان.

وقال الأصمعي وغيره: كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد، فقال للرسول: أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده؟ قال: نعم! فكتب الحجاج إلى عبد الملك: أما أمس فأجل، وأما اليوم ففعل، وأما غدا فأمل.

وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى: قال: لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق، وسع على الناس في العطاء، فكتب إليه عبد الملك: أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا يتفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا يتفقه أمير المؤمنين في الشهر، ثم قال منشأ:

عليك بتقوى الله في الأمر كلو وكن لوعيد الله تخشى تقصر

ما أصفوك وجهك وأقل حياتك، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام؟ خبت وضل سبيلك، فقال للمحرم: خذوه، فلما فرغ من خطبته قال له: ما الذي جراك علي؟ فقال: ويحك يا حجاج، أنت تجترئ على الله ولا اجترئ أنا عليك، ومن أنت حتى لا اجترئ عليك، وأنت تجترئ على الله رب العالمين، فقال: خلوا سبيله. فأطلق.

وقال الملقاني: أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهم، فقال أحدهما: إن لي عندك بدا، قال: وما هي؟ قال: ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه، فقال: ومن يشهد لك؟ قال: صاحبي هذا! فسأله فقال: نعم! فقال: ما منعك أن تفعل كما فعل؟ قال: بغضك. قال: اطلقوا هذا لصدة، وهذا لفعله. فأطلقوهما.

وحكى الواقدي أن الحجاج نادى في البلد أن من خرج من بعد العشاء الآخرة من بيته قتل، فأتي ليلة برجل، فقال: ما أخرجك من بيتك هذه الساعة من بعد ما سمعت المنادي؟ فقال: أما والله إني لا أكذب الأمير، إن أمي مريضة، هالكة. وأنا عندها منذ ثلاثة أيام، فلما كان الساعة أفاقنا وقالت: يا بني إني أعزم عليك بمحبي عليك إلا ما مضيت إلى أهلك وأولادك فإنهم مغمومون بتخلفك عنهم، فخرجت من عندها، فأخذني المسس، وأتوا بي إليك. فقال الحجاج: نهبكم وتعصروا، ثم أمر ففريت عقه. قال: ثم أتني بأخر فقال له الحجاج: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: والله ما أكذبك إنه كان عندي لرجل دراهم، فأعطيني على بابه ولزمني، وقال: لا أفارقك إلا بمحبي، فلما كان هذه الساعة دخل إلى منزله، وأغلق بابه، وتركني على بابه، فجاءني طاشك فأخذ بي إليك، فقال الحجاج: اضربوا عقه. قال: ثم أتني بأخر فقال له: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: كنت أشرب مع قوم فلما سكرت خرجت من عندهم وأنا لا أدري، فأخذوني إليك، فقال الحجاج لرجل كان عنده: ما أراه إلا صادقاً، ثم قال: خلوا سبيله.

فخلوا سبيله وذكر محمد بن يزيد بن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكاً بارض اليمامة، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم اخذه، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج، فقال له الحجاج: ما حلك على ما كنت تصنعه؟ فقال: جراه الجنان، وجفاه السلطان، وكلب الزمان، ولو اخترتني الأمير لوجدني من صالح الأعران، ويهمهم الفرسان، ولوجدني من أصلح رعيته، وذلك أنني ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتلوا، فقال له الحجاج: إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فإن تلتك كفانا مؤنسك، وإن قتلتك خلينا سبيلك. ثم أودعه السجن مقيداً مغلولاً يده اليمنى إلى عقه، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث إليه بأسد عظيم ضار، وقد قال جحدر هذا في عجبته هذا أشعاراً يتحزن فيها على امرأته سليماً أم عمرو يقول في بعضها:

الْيَسَّ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرُو وَإِنَّا فَذَلِكَ بَنَّا نَتَلَّيْ
بَلَى وَتَرَى الْمِلَالُ كَمَا تَرَاهُ وَيَعْلَمُهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَّيْ
إِنَّا جَاوَزْنَا نَحْلَاتِ حَجَرٍ وَأَوْدِيَةَ الْيَمَامَةِ فَاتَّيَّيْ
وَقَوْلَا حَجْدَرُ أَمْسَى زَيْنَا يُخَاذِرُ وَقَعَ نَصْقُورٍ بَنَاتِي

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به ففجر ثلاثة أيام، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولاً بحالها، وأعطى سيفاً في يده اليسرى وخلق بينه وبين الأسد وجلس الحجاج

ووقر خراج المسلمين وفيهم وكن لهم حصناً محيّر ونمّس وعن الشافعي رحمه الله أنه قال: أمر الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه: هل يجد في نفسه مما أصاب من الدعاء شيئاً؟ فسأله كما أمره، فقال: والله ما أحب أن لي لبنان أو سنيراً ذهباً أنفق في سبيل الله مكان ما ابلاّني الله من الطاعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل فيما روي عنه من الكلمات

الناقصة والجرأة البالغة

قال أبو داود: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو بكر عن عاصم قال: سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول: اتقوا الله ما استطعتم، ليس فيها مثنوية، واسمعوا واطيعوا ليس فيها مثنوية لأمر المؤمنين عبد الملك، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم، والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حللاً، وما عذيري من عبد هذيل يزعم أن قرأته من عند الله، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ﷺ، وعذيري من هذه الحمراء، يزعم أحدهم يرمي بالحجر فيقول لي إن يقع الحجر حدث أمر، فوالله لأدعنه كالأس الدابر. قال: فذكرته للأعمش فقال: وأنا والله سمعته منه.

ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج يقبحه الله يقول ذلك، وفيه: والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم، ولا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه، ولأحكنها من المصحف ولو بضع خنزير.

ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه.

وفي بعض الروايات: والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه.

وهذا من جرأة الحجاج يقبحه الله، وإقدامه على الكلام السيئ، والدعاء الحرام.

وإنما تم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي جمع الناس عليه عثمان، والظاهر أن عبد الله بن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقيه والله أعلم.

وقال علي بن عبد الله بن بشر عن عباس الدوري عن مسلم بن إبراهيم: حدثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول: عبد الله بن مسعود رأس المنافقين، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه. قال: وسمعت علي منبر واسط وتلا هذه الآية «قَبِ لِيْ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّيْ» (ص: ٣٥) قال: والله إن كان سليمان لحسوداً. وهذه جرأة عظيمة تنفي به إلى الكفر. يقبحه الله وأخزاه، وأبعده وأقصاه.

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود أيضاً: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا جرير. (ح) وحدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن المنيرة عن يزيد بن خالد الضبي قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفتي في أهله؟ فقلت في نفسي: لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاءعنك معهم. زاد إسحاق في حديثه: فقاتل في الجمامح حتى قتل.

وكن لهم حصناً محيّر ونمّس وعن الشافعي رحمه الله أنه قال: أمر الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه: هل يجد في نفسه مما أصاب من الدعاء شيئاً؟ فسأله كما أمره، فقال: والله ما أحب أن لي لبنان أو سنيراً ذهباً أنفق في سبيل الله مكان ما ابلاّني الله من الطاعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فكتب إليه الحجاج: لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم قراطيس تملأ ثم تطوى قطبج كتاب أثاني فيه لين وغلظة وذكرت والذكرى لذي اللب تنفع وكانت أمور تسترني كثيرة فارضخ أو اعتل حيناً فأمنع إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم ولم يك عندي بالمنازع مطمئ ليرضى بذلك الناس أو يخطونهم أم أحمد فيهم أم الأم فأقذع وكانت بلاد جتتها حين جتتها بها كل نيران العداوة تلمع فقايت منها ما علمت ولم أزل أصارع حتى كدت بالموت أصرع وكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها ولو كان غيري طار عما يسرع وكنت إذا هموا بإحدى قناتهم حسرت لهم رأسي ولا اتقنع فلو لم يلد عني صنابيد منهم تقسم أعضائي ذئاب وأضبع قال: فكتب إليه عبد الملك: أن اعمل براك.

وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمعي قال: أتني الحجاج بسارق فقال له: لقد كنت غنياً أن يأتيك الحكم فيطيل عليك عضواً من أعضائك، فقال الرجل: إذا قل ذات اليد سخت النفس بالثأف. قال: صدقت والله لو كان حسن اعتذار يطيل حداً لكنت له موضعاً. يا غلام سيف صارم ورجل قاطع. فقطع يده.

وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال: تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن عبد الملك فلما انقضى غذاؤهما دعا الوليد إلى شرب النبيذ فقال: يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت، ولكي أنهى عنه أهل عملي، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَتَاهُمْ عَنْهُ» (هود: ٨٨).

وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج يعتب عليه في إسراره في صرف الأموال، وسفك الدماء، ويقول له: إنما المال مال الله ونحن خزانه، وسيان منع حق أو إعطاء باطل. وكتب في أسفل الكتاب هذه الآيات: -

إِنَّا أَنْتَ لَمْ تَخْرُكْ أَمْوَاراً كَرِهَتْهَا وَتَطْلُبُ رِضَائِي فِي النَّبِيِّ أَنَا طَالِيَةٌ وَتَخْشَى الَّذِي يَخْشَاهُ يَتْلُكَ حَارِباً إِلَى اللَّهِ يَنْصِبُ الشُّرَّ جَائِلِهِ فَمَنْ تَرَى يَنْسِي غَفْلَةً قُرْشِيَةً قَبَا رَمَا قَدْ غُصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ وَإِنْ تَرَى مَنِي وَجْهَ أَمْرِيَّةٍ فَمَنْ تَرَى هَذَا كُلُّهُ أَنَا صَاحِبُهُ فَلَا تَعُدْ مَا يَأْتِيكَ مَنِي فَإِنْ تَعُدْ نَقَمٌ فَاعْلَمُنْ يَوْمًا عَلَيْكَ نَوَافِئُهُ

فلما قرأه الحجاج كتب: أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال، والدعاء، فر الله ما بالفت في عقوبة أهل المعصية، ولا قضيت حق أهل الطاعة، فإن كان ذلك سرفاً فليحد لي أمير المؤمنين حداً أنتهي إليه ولا أقبوزه، وكتب في أسفل الكتاب:

إِنَّا أَنَا لَمْ أَطْلُبْ رِضَاكَ وَأَتَقِي أَنَاكَ فَيَوْمِي لَا تَوَارَتْ كَوَائِدُهُ إِنَّا قَارَأَ الْحَجَّاجُ فِيكَ خَطِيئَةً قَسَمْتُ عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ نَوَافِئُهُ أَسَاسٌ مِنْ سَأَلْتُ مِنْ ذِي هَوَادَةٍ وَمَنْ لَمْ تَسْأَلْهُ فَمَنْ لِي عَارِيَّةُ إِنَّا أَنَا لَمْ أَدِنِ الشَّقِيقَ لِنَصَحِهِ وَأَقْصَى الَّذِي تَسْرِي لِي عَقَارُهُ

معصية إلا ارتكبتها، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة، وكان بينه وبينها باب مغلّق لكسره حتى يرتكها، يقتل بمن أطاعه من عصاه.

وقال الطبراني: حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا إسماعيل بن موسى السدي حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجندية قالت: استأذن الأشعث بن قيس على علي فردّه قنبر فأدّى أنّه فخرج علي فقال: مالك وله يا أشعث، أما والله لو بعد تقيف تمرست لأشعرت شعيرات استك، قيل له: يا أمير المؤمنين، ومن عبد تقيف؟ قال: غلام يليهم لا يقي أهل بيت من العرب إلا البسم ذلاً، قيل: كم يملك؟ قال: عشرين إن بلغ.

وقال البيهقي [دلائل: ٤٨٩/٦]: أنبأنا الحاكم أنبأنا الحسن بن الحسن بن أيوب حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا عبد الله بن يوسف التتيسي حدثنا هشام بن يحيى السنان. قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بجيشها، وجئنا بالحجاج لغليناها.

وقال أبو بكر بن عياش: عن عاصم بن أبي النجود أنه قال: ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبتها الحجاج.

وقد تقدم الحديث [إ] في تقيف كذاباً ومُتبرّأه وقد ذكرنا شأن المختار بن أبي عبيد وهو الكتاب المذكور في هذا الحديث، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويطن الكفر المحض، وأما المير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي هذا، وقد كان ناصياً يغيض علياً وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبلاً عنيداً، مقدماً على سفك الدماء بأبني شيعة. وقد روي عنه ألفاظ بشعة شيعية ظاهرها الكفر كما قلنا. فإن كان قد تاب منها أو أقلع عنها، وإلا فهو باقٍ في عهدتها، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه، فإن الشيعة كانوا يفيضونه جسداً لوجوه، وربما حرقوا عليه بعض الكلم. وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات.

وقد روي عنه أنه كان يتدين بترك المسكر، وكان يكثر تلاوة القرآن، ويتجنب المحارم، ولم يشتهر عنه شيء من التلطف بالفروج، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها، وخفيات الصدور وضمائرها.

قلت: الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن، فكان يعطي على القرآن كثيراً، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلثمائة درهم. والله أعلم.

وقال القاضي المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طراري البغدادى: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبيد حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي حدثنا عوانة بن الحكم الكلبي.

قال: دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه سلّم عليه قال له: إيه يا إيه يا أنس، يوم لك مع علي، ويوم لك مع ابن الزبير، ويوم لك مع ابن الأشعث، والله لأستاصلنك كما تستاصل الشاقة. ولأدمنعنك كما تدمنع الصمعة. فقال أنس: إياي يعني الأمير أصلحه الله؟ قال: إياك صك الله سمعك. قال أنس: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لولا الصية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت. ولا أي ميتة مت، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره ما قال له الحجاج، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً وصقّ عجباً، وتعاطم ذلك من الحجاج، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك بن مروان:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من

فإن صح هذا عنه فظاهره كثر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على منصب الرسالة، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول.

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا أبو حفص الثقفي قال: خطب الحجاج يوماً فأتبل عن يمينه فقال: ألا إن الحجاج كافر، ثم أطرّق فقال: كافر، ثم أطرّق فأتبل عن يساره فقال: ألا إن الحجاج كافر، فعل ذلك مراراً، ثم قال: كافر يا أهل العراق باللات والعزى.

وقال حنبل بن إسحاق: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة حدثنا ابن شوذب عن مالك بن دينار قال: بينما الحجاج يجتنب يوماً إذ قال: الحجاج كافر، قلنا: ما له؟ أي شيء يريد؟ قال: الحجاج كافر يوم الأربعاء والبقلة الشهية.

وقال الأصمعي: قال عبد الملك يوماً للحجاج: إنه ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه، فصف عيب نفسك، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، فأبى، فقال: أنا لجرح حقوق حسود، فقال عبد الملك: ما في الشيطان شر مما ذكرت.

وفي رواية أنه قال: إذا بينك وبين إيليس نسب. وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة وخذلاتهم لهم، وعصيانهم، ومخالفتهم، والإفنيات عليهم.

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حذته قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنخبره أن أهل العراق حصوا أميرهم فخرج غضبان، ففصل لنا صلاة فسخا فيها، حتى جعل الناس يقولون: سبحان الله سبحان الله، فلما سلم أتبل على الناس فقال: من ههنا من أهل الشام؟ فقام رجل ثم قام آخر ثم قلت أنا ثالثاً أو رابعاً، فقال: يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ، اللهم إنهم قد لبسوا لبسوا فالبس عليهم، وعجل عليهم بالسلام الثقفي، يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مستيهم.

وقد رويته في كتاب مسند عمر بن الخطاب [٦٦٣/٢] من طريق أبي عتبة الحمصي عن عمر مثله.

وقال عبد الرزاق: حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب: اللهم كما اتهمتهم فخانوني ونصحت لهم ففشتوني فسلط عليهم فتى تقيف الذيال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها ويحكم فيها بحكم الجاهلية. قال: يقول الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ.

ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الخديان عن علي أنه قال: الشاب النبال أمير المصريين يلبس فروتها ويساكل خضرتها، ويقتل أشراف أهلها، يشتد منه الفرق، ويكثر منه الأرق، وسلطه الله على شيعة.

وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة [٤٨٩/٦]: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد الحنبري: حدثنا سعيد بن مسعود حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت. قال: قال علي لرجل: لا مت حتى تسلك فتى تقيف، قيل له: يا أمير المؤمنين وما فتى تقيف؟ قال: ليقال له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم، وجل يملك عشرين، أو بضعا وعشرين سنة، لا يدع لله عز وجل

سفيان عن الزبير - يعني بن عدي - قال: شكروا لي أنس بن مالك ما تلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ريكتم عز وجل»، سمعته من نبيكم عليه السلام. وهكذا رواه البخاري (٧٠٦٨) عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه» الحديث.

قلت: ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول: كل عام تزدلون، وهذا اللفظ لا أصل له، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث، والله أعلم.

وقد قال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، قال: يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج.

وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر، قال: قال الشعبي: والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج.

وقال الأصمعي: قيل للحسن: إنك تقول: الآخر شر من الأول، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج، فقال الحسن: لا بد للناس من تنفيسات.

وقال ميمون بن مهران: بعث الحجاج إلى الحسن وقد هم به، فلما قام بين يديه قال: يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير، فأيمن هم؟ قال: ماتوا، قال: فكس الحجاج رأسه وخرج الحسن.

وقال أيوب السخيتاني: إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه، وقد ذكر له معه مناظرات، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه، وكان ينهى أصحابه إسن الأشعث عن ذلك، وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدمنا، وكان الحسن يقول: إنما هو نعمة فلا تقابلوا نعمة الله بالسيف، وعليكم بالصبر والسكينة والترضع.

وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضر عن ابن عائشة. قال: أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقتل له: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأتني خيراً، قال: فتمشان؟ فأتني خيراً، قيل له: فما تقول في علي؟ فأتني خيراً، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد، فيأتي على كل بما يناسبه، حتى قيل له: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ فقال: الآن جاءت المسألة، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من خطاياهم؟!

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال: أتني الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً، فقال لها بعض الشرط: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فأمر بها فقتلت.

وقد ذكرنا في ستة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبيرة وما دار بينهما من الكلام والمراجعة.

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا أبو ظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن بنسليم بن مسلم عن قتادة قال: قيل لسعيد بن جبيرة: خرجت على الحجاج؟ قال: إني والله ما خرجت عليه حتى كفر، ويقال: إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث.

وقال أبو عيسى الترمذي (٢٢٢٠): حدثنا أبو داود سليمان بن سالم البجلي حدثنا الضر بن شميل عن هشام بن حسان قال: أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً.

قال الأصمعي: حدثنا أبو عاصم عن عباد بن كثير عن قحذم قال: أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحدًا وثمانين ألف أسير كانوا

أنس بن مالك، أما بعد: فإن الحجاج قال لي مُجْزأً، وأسمعي نُكراً، ولم أكن لذلك أهلاً، فخذني على يديه، فبني أمْتُ بخدمتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحبي إياه، والسلام عليك، ورحمة الله وبركاته.

فبعث عبد الملك إلى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - وكان مصادقاً للحجاج - فقال له: دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق، وأبداً بأنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فادفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام، وقل له: يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك.

وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك:

بسم الله الرحمن الرحيم! من عبد الملك أمير المؤمنين إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكائيك الحجاج، وما سلطته عليك ولا أمرته بالإساءة إليك، فإن عاد لثقلها فآتني بذلك أنزل به عقوبي، وتحسن لك معوني. والسلام. فلما قرأ أنس كتابه وأخبر برسالة قال: جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً، وعافاه وكفاه وكافاه عني بالجنة، فهذا كان ظني به والرجاء منه.

فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس: يا أبا حمزة إن الحجاج عامل أمير المؤمنين، وليس بك عنه غي، ولا بأهل بيتك، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع إليك لقتل أن يضرب ويغض ففاره وداره تش مع بحير وسلام، فقال أنس: أفضل إن شاء الله، ثم خرج إسماعيل من عنده فدخل على الحجاج، فلما رآه الحجاج قال: مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه، فقال إسماعيل: أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به، فتغير لون الحجاج وقال: ما أتيتني به؟ قال: فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس عليك غضباً، ومنك بعداً، قال: فاستوى الحجاج جالساً مرعوباً، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق، وينظر إلى إسماعيل أخرى، فلما نقضه قال: قم بنا إلى أبي حمزة نعتلر إليه ونترضاه، فقال له إسماعيل: لا تمجلا! فقال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بأبدى؟ وكان في الطومار: إلى الحجاج بن يوسف.

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف، أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور، فسموت فيها وعدلت طورك، وجاوزت قلدك، وركبت داهية إذاً، وأردت أن تبورني فإن سوغتكها مضيت قدماً، وإن لم أسوغتكها رجعت القهقري، فلعلك الله من عبداً أخفش العينين، متقوص الجاعرتين. أنسيت مكاسب آبائك بالطائف، وحفرهم الآبار، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المسترمة بعجم الزبيب، والله لأعزمك غمز الليث الثعلب، والصقر الأرنب، وثبت على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرنا، فلم تقبل له إحسانه، ولم تتجاوز له إساءته، جراً منك على الرب عز وجل، واستخفافاً منك بالعهد، والله لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً خدتم عزيز بن عزري، وعيسى ابن مريم، لعظمته وشرفته وأكرمه فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانين سنين، يطلعه على سره، ويشاوره في أمره، ثم هو مع هذا يقيع من بقايا أصحابه، فإذا قرأت كتابي هذا فكأن أطوع له من خفه ونعله، وإلا أتاك مني سهم مُشكل حتف قاض، ولكل نأ مستقر وسوف تعلمون.

وقد تكلم ابن طراري على ما وقع في هذا الكتاب من غريب، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد (١٣٧/٣، ١٧٧): حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن

بقلب سليم فقد أصاب الذنوب من هو خير منه، فقيل له: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم الله تعالى وأن الساعة حق قائمة، وأن الله يبعث في القبور.

وقال أبو قاسم البغوي: حدثنا أبو سعيد حدثنا أبو أسامة قال: قال رجل لسفيان الثوري: أتشهد على الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار؟ قال: لا إذا أقرّا بالترديد.

وقال الرياشي: حدثنا عباس الأزرق عن السري بن يحيى قال: مر الحجاج في يوم جمعة فسمع استغاثة فقال: ما هذا؟ فقيل له: أهل السجون يقولون: قتلنا الحر، فقال: قولوا لهم: اخصروا فيها ولا تكلمون. قال: فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة.

وقال بعضهم: رأيته وهو يأتي الجمعة وقد كاد يهلك من العلة. وقال الأصمعي: لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته: إن طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه؟ وهل يرجو الحجاج الغير إلا بعد الموت؟ والله ما يسرنى أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها، وما رأيت الله رضي التخليد إلا لأهون خلقه عليه إيليس، قال الله له: ﴿إِنَّكَ مِنَ النَّظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] فأنظره إلى يوم الدين، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال: ﴿مَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ﴾ [ص: ٣٥]، فأعطاه الله ذلك إلا البقاء، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره، فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] فما عسى أن يكون أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، كائي والله بكل حي منكم ميتاً، ويكل وطب يابساً، ثم نقل في ثياب أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً، فكلت الأرض لحمه، ومصت صديده، وانصرف الحثيث من ولده يقسم الحبيب من ماله، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول: ثم نزل.

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي ليّاه على حبه القرآن وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر. قال: كان عمر بن عبد العزيز يفيض الحجاج نفوس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل، قال: وحدثني بعض أهل العلم قال: قيل للحسن: إن الحجاج قال عند الموت كذا وكذا، قال: أقالها؟ قالوا: نعم! قال: عسى؟. وقال أبو العباس المبرد عن الرياشي عن الأصمعي قال: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يَا رَبِّ نَدَّ خَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا بِأَثْقَلِ رَجُلٍ مِنْ سَلَاطِينِ النَّارِ
أَبْحَلِفُسُونُ عَلَى عَيَاةٍ وَتَخَفُهُمْ مَا عَلِمُهُمْ بِكَرِيمِ الْقَسْوِ غَفَارِ
قال: فأخبر بذلك الحسن فقال: تالله إن نجا فيهما. وزاد بعض في ذلك:

إِنَّ الْمَوَالِي إِذَا شَابَتْ عَيْنُهُمْ فِي رَفِيقِهِمْ عَقَبُوهُمْ حَتَّى إِسْرَارِ
وَأَنْتَ يَا خَلْقِي أَوْلَى بِذَا كَرَمًا قَدْ شَيْتَ فِيهِ الرِّقَ فَاغْتَنِي مِنَ النَّارِ
وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال: لما مات الحجاج لم يعلم بموته حتى أشرفت جارية فبكيت فقالت: ألا إن مطعم

في سجن الحجاج، وقيل: إنه مات في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب، وكان فيمن حبس أعرابي وجد بيول في أصل ريش مدينة واسط، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول:

إِنَّا نَحْنُ جَلَّوْنَا مَلِيكَتَهُ وَأَسِيطَ غَرِيْنَا وَصَلَيْنَا بِفَسِيرِ حَسَابِ
وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر.

قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي: حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا صالح بن سليمان قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابث الأمم فجاءت كل أمة بخبيثتها وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان الحجاج يصلح للدنيا ولا لآخره لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة، فأخس به حتى صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدى إلي في عامي هذا ثمانين ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلي ما أدى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف.

وقال أبو بكر بن المقرئ: حدثنا أبو عروبة عمرو حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي سمعت جدي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع. وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن أسد حدثنا ضمرة عن الريان بن مسلم. قال: بعث عمر بن عبد العزيز بكال أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد فإني قد بعثت بكال أبي عقيل وهم شر بيت في العرب، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا، وعليك السلام. وإنما نقاهم.

وقال الأوزاعي: سمعت القاسم بن غيمرة يقول: كان الحجاج يقض عرى الإسلام، وذكر حكاية.

وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج بن يوسف، وقال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعشى: اختلفوا في الحجاج فسلكوا مجاهداً فقال: تسألون عن الشيخ الكافر.

وروي ابن عساكر عن الشعبي أنه قال: الحجاج مؤمن يسألجيت والطاغوت، كافر بالله العظيم. كذا قال والله أعلم.

وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: عجباً لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمناً؟.

وقال الثوري عن ابن عون: سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج: أتشهد أنه من أهل النار؟ فقال: أتأمروني أن أشهد على الله العظيم.

وقال الثوري عن منصور: سألت إبراهيم عن لعن الحجاج أو بعض الجبارة فقال: أليس الله تعالى يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] ربه قال إبراهيم: وكفى بالرجل عى أن يعنى عن أمر الحجاج.

وقال سلام بن أبي مطيع: لأنا للحجاج أرحم مني لعمر بن عبيد، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا، وعمر بن عبيد أحدث للناس بدعة شنعاء، قتل الناس بعضهم بعضاً.

وقال الزبير بن عدي: سمعت أبا وائل يقول: لا تنبه لعله قال: يوماً اللهم أرحمني فإرحمه، ليك وبجالة من يقول: أرايت أرايت.

وقال عوف: ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال: مسكين أبو محمد، إن يعنقه الله عز وجل فينبذه، وإن يغفر له فتهبنا له، وإن يلسن الله

فقلت: يا أبا محمد ما صنع بك ربك؟ قال: ما قتلت أحداً قُتِلَ إلا قتلتني بها، فقلت: ثم مه؟ قال: ثم أمر بي إلى النار، قلت: ثم مه، قال: ثم أرجو ما يرجو أهل لا إله إلا الله، قال: وكان ابن سيرين يقول: إني لأرجو له، فبلغ ذلك الحسن فقال: أما والله ليخلق الله رجاءه فيه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه، قال: فرأه في منامه فقال له: أنت الحجاج؟ قال: أنا الحجاج، قال: ما فعل الله بك؟ قال: قتلت بكل قتل قتله ثم عزلت مع الموحدين. قال: فامسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفيان. قال: قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأفتداً ومعه معاوية بن قرة، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال: إن صدقاتكم تقتلوننا، وإن كتبناكم خشيته الله عز وجل، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك: لا تعرض له، ففناه إلى السند فكان له بها مواقف.

ومن توفي من الأعيان في هذه السنة

أعني سنة خمس وتسعين:

■ إبراهيم بن يزيد النخعي، قال: كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا ميت عرف ذلك فينا أياماً لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار، وإنكم في جنازكم تتحدثون بأحاديث دناكم. وقال: لا يستقيم رأيي إلا برواية، ولا رواية إلا براي.

وقال: إذا رأيت الرجل ينهاون بالكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه.

وقال: إني لأرى الشيء مما يحاسب فلا يتمتع من عيبه إلا غافة أن ابتلى به. ويكي عند موته قليل له: ما يبيك؟ فقال: انتظر ملك الموت، ما أدري يشرني بجنة أو بنار.

■ الحسن بن محمد بن الحنفية: كنيته أبو محمد، كان المقدم على إخوته في الفضل، وكان أعلم الناس بالاختلاف والفقه والتفسير، وكان من ظرفاء بني هاشم وعقلانهم ولم يكن له عقب.

قال أيوب السخيتي وغيره: كان أول من تكلم في الإرجاء، وكتب في ذلك رسالة ثم تدم عليها.

وقال غيرهم: كان يتوقف في عثمان وعلي وطلحة والزبير، فلا يتولاهم ولا يلهمهم، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال: ويحك ألا تتولى أباك علياً؟

وقال أبو عبيد: توفي سنة خمس وتسعين.

وقال خليفة: توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم.

■ حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً، له روايات كثيرة.

■ مطرف بن عبد الله بن الشخير: تقدمت ترجمته.

وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل.

ولمها كان موت الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد.

ولمها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدايني وجماعة،

الطعام، وميت الأيتام، ومرمل النساء ومقلتي الهام، وسيد أهل الشام قد مات، ثم أنشأت تقول: -

اليوم يرمضنا من كان يفضنا واليوم يأتنا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مراراً فلما تحقق وفاته قال: «فَقُطِعَ ذَبْرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الاعلام: ٤٥).

وروى غير واحد أن الحسن لما بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله عز وجل، وكان غمغماً فظهر، وقال: اللهم أمته فاذهب عنا سته.

وقال حماد بن أبي سليمان: لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح.

وقال أبو بكر بن أبي خيشة: حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا صالح بن سليمان قال: قال يزيد بن الربيع الحارثي لأهل السجن: بموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا، فلما كانت تلك الليلة لم يمت أهل السجن فرحاً، جلسوا ينتظرون حتى سمعوا الناعية، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان، وقيل: كان ذلك لحمس بقين من رمضان وقيل: في شوال من هذه السنة، وكان عمره إذ ذاك خمساً وخمسين سنة، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين، وقيل بعدها بسنة، وقيل قبلها بسنة.

مات بواسط وعفي قبره، وأجري عليه الماء لكيلا يئش ويحرق والله أعلم.

وقال الأصمعي: ما كان أعجب الحجاج، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم.

وقال الواقدي: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب: حدثنا عمي قال: زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة.

وقال شهاب بن خراش: حدثني عمي يزيد بن حوشب قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور فقال: حدثني بوصية الحجاج بن يوسف، فقلت: أعفني يا أمير المؤمنين، فقال: حدثني بها، فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك، عليها يحيى، وعليها يموت، وعليها يبعث، وأوصى بتسعمائة درع حديد، ستمائة منها لمنافقي أهل العراق يفزون بها، وثلاثمائة للترك. قال: فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال: هذه والله الشيعة لا شيعتكم.

وقال الأصمعي عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلتني بكل قتلة قتلت بها إنساناً، قال: ثم رأيت بعد الحول فقلت: يا أبا محمد ما صنع الله بك؟ فقال: يا ماصٍ بظر أمه أما سألت عن هذا عام أول؟

وقال القاضي أبو يوسف: كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم، قال: في أي زي رأيته؟ قال: في زي قبيح. فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما أنت وذلك يا ماصٍ بظر أمه! فقال هارون: صدقت والله، أنت رأيت الحجاج حقاً، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً.

وقال حنبل بن إسحاق: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة حدثنا ابن شاذان عن أشعث الحفائي. قال: رأيت الحجاج في المنام في حالة سيرة

والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وتسعين

ولمّا فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشغر من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يظا بلاده، ويختم ملوكهم وأشراقهم، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام، فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم، وهو في مدينة عظيمة، يقال: إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها، يقال لها خان بالق، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً، حتى قيل: إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين، والصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم، وغيرهم يحتاج إليهم لما عندهم من التنازع والدنيا المتسعة، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج، لقهره وكثرة جنده وعدده.

والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا ملكة عظيمة وجنوداً كثيرة ومدينة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة، بقلعة مدينة كبيرة، فقال لهم ملك الصين: ما أنتم؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هيرة - فقال الملك لترجمانه: قل لهم: ما أنتم وما تريدون؟ فقالوا: نحن رسل قتيبة بن مسلم، وهو يدعوكم إلى الإسلام، فإن لم تفعل فالجزية، فإن لم تفعل فالحرب. فغضب الملك وأمر بهم إلى دار، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم: كيف تكونون في عبادة إلهكم؟ فصلوا الصلاة على عاتقهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم، فقال: كيف تكونون في بيوتكم؟ فلبسوا ثياب مهنيهم، فأمرهم بالانصراف، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال: كيف تدخلون على ملوككم؟ فلبسوا الروشي والعمامات والمطارف ودخلوا على الملك، فقال لهم: ارجعوا فرجعوا، فقال الملك لأصحابه: كيف رأيتم هؤلاء؟ فقالوا: هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى، وهم أولئك.

فلما كان اليوم الثالث: أرسل إليهم فقال لهم: كيف تلقون عدوكم؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض وتقلدوا السيوف وتكبروا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقلبة، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين، فقبل لهم: ارجعوا - وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يطاردون بها، فقال الملك لأصحابه: كيف ترونهم؟ فقالوا: ما رأينا كهؤلاء قط.

فلما أسبوا بعث إليهم الملك أن ابعدوا إلى زعيمكم وأفضلكم، فبعثوا إليه هيرة، فقال له الملك حين دخل عليه: قد رأيتم عظم ملكي وليس أحد بمنعم مني، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي، وأنا سائلكم عن أمر فإن لم تصدقني قلتكم، فقال: سل، فقال الملك: لم صنعتم ما صنعت من ذي أول يوم والثاني والثالث؟ فقال: أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطيننا عندهم، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا. فقال الملك: ما أحسن ما دبرتم دهركم، فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقرولوه لا ينصرف راجعاً عن بلادي، فإني قد عرفت حرصه وقلّة أصحابه، وإلا بعثت إليكم من

يهلككم عن آخركم. فقال له هيرة: تقول لقتيبة هذا؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك في بلادك؟ وأما تخوفك إيانا بالقتل فإننا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضر فأكرمها عندنا القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه. فقال الملك: فما الذي يرضي صاحبكم؟ فقال: قد حلف أنه لا ينصرف حتى يظا أرضك ويختم ملوكك ويبيجي الجزية من بلادك، فقال: أنا أبر يمّنه وأخرجه منها، أرسل إليه بتراب من أرضي، وأربع غلمان من أبناء الملوك، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحجراً وثياباً صينية لا تقوم ولا يدري أحد قدرها، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة، ثم شرع يتهديم قهقهته ويتوعدهم فتوعدوه ثم اتفق الحال على أنه بعث صحافاً من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة، وبعث بمائة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم، وبعث بمال جزيل لير بذلك بمين قتيبة، وقيل: إنه بعث أربع مائة من أولاده وأولاد الملوك.

فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين، فانكسرت همته لذلك، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على عدم مبايعة سليمان بن عبد الملك، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العساكر، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى، فإنه يقال: إنه ما كسرت له راية، وكان من المجاهدين في سبيل الله، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره.

وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة، وغزا العباس بن الوليد الروم، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم.

وقال الواقدي: إن قتيبة بن مسلم سير جيشاً إلى بلد كاشغر. وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى جزاءه الله عن المسلمين خيراً، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبداً بته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً، فهم أول من بناها، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي القمر في السماء الدنيا، وعطارد في السماء الثانية، والزهرة في السماء الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة، وكانوا قد صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك، فنصروا هيكل سبعة لكل كوكب هيكل، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاء وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة، وسلخوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن، بل هي أحسنها، لما فيها من التصاريف العجيبة، وبنوا هذا المعبود وهو الجامع اليوم في جهة القطب، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي، وكانت عاريه نجاة الشمال، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة، خلف المحراب اليوم، كما شاهدنا ذلك عياناً، ورأينا عاريهم إلى جهة القطب، ورأينا الباب وهو باب حسن مبني بمجارية منقوشة، وعليه كتاب بخطهم، وعن يمّنه ويساره بابان صغيران بالنسبة إليه، وكان غربي المعبود قصر منيف جداً تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد، وشرقي المعبود قصر جبرون الملك، الذي كان

واستمر النصارى على دينهم هذا بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة، حتى بعث الله ﷺ فكان من شأنه صلوات الله وسلامه عليه ما ذكرنا بعضه في كتاب السيرة من هذا الكتاب، وقد بعث صلوات الله وسلامه عليه إلى ملك الروم في زمانه - وهو يقصر ذلك الوقت - واسمه هرقل بدعوه إلى الله عز وجل، وكان من مراجعته ومخاطبته لأبي سفيان صخر بن حرب ما تقدم، ثم بعث عليه السلام أمرأه الثلاثة، زيد بن حارثة مولاه، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، إلى البلقاء من تقوم الشام، فيبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة ممن معهم من الجيش، فعزم النبي ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك، ثم رجع عليه السلام عامه ذلك لشدة الحر، وضعف الحال، وضيقة على الناس.

ثم لما توفي رسول الله ﷺ بعث الصديق الجيوش إلى الشام وإلى العراق كما تقدم تفصيل ذلك في كتابنا هذا ولله الحمد ففتح الله على المسلمين الشام بكاملها، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها، وساق يره إليها، وكتب أمير الحرب إذ ذاك وهو أبو عبيدة، وقيل خالد بن الوليد، لأهل دمشق كتاب أمان أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريخا، يحكم أن البلد تنحى خالد من الباب الشرقي بالسيف، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة، وكان على باب الجابية الصلح، فاختلطوا ثم اتفقوا على أن يجعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة مسجداً وكان قد صارت إليه إمرة الشام لعزل عمر خالداً وتولية أبي عبيدة مسجداً - وكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة ؓ ثم الصحابة بعده في البقعة الشرقية منه، التي يقال لها عراب الصحابة، ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بحراب محني، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة، والظاهر أن الوليد هو الذي فتح الحارث في الجدار القبلي. وقد كره كثير من السلف الصلاة في مثل هذه المحارب، وجعلوه من البدع المحدث، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المبد من باب واحد، وهو باب المبد الأصلي الذي كان من جهة القبلة، مكان المحراب الكبير الذي في المقصورة اليوم، فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيتهم، ويأخذ المسلمون بمنى إلى مسجدهم ولا يستطيع النصارى أن يجهرروا بقراءة كتابهم، ولا يضربوا بناقوسهم، إجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً.

وقد بنى معاوية ؓ في أيام ولايته على الشام دار الإمارة قبلي المسجد الذي كان للصحابة، وبنى فيها قبة خضراء، فعرفت الدار بكاملها بها، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قلنا.

ثم لم يزل الأمر كما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى، من سنة أربع عشرة، إلى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك في شوال منها، فعزم الوليد على اخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها، وجعل الجميع مسجداً واحداً، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى الإنجيل، ورفع أصواتهم في صلواتهم، فأحب أن يمدعهم عن المسلمين، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا، فيصير كله معبداً للمسلمين، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين، فعند ذلك طلب النصارى وسائل منهم أن يجزوا له عن هذا المكان، ويعوضهم إقطاعات كثيرة، وعرضها عليهم،

ملكهم، وكان هناك داران عظيمتان معتتان لمن يملك دمشق قديماً منهما. ويقال: إنه كان مع المبد ثلاث دور عظيمة للملوك، ويحيط بهذه الدور والمبد سور واحد عال منيف بججارة كبار منحوتة، وهن دار المطبق، ودار الخيل، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية.

قال الحافظ ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل (تاريخ دمشق: ٢/٢٥٧): إنهم مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة، وقد حفروا أساس الجدران حتى وافقهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المسجد لا يغرب أبداً ولا تخلوا منه العبادة، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة.

قلت: أما المبد فلم يجل من العبادة.

قال كعب الأحبار: لا يخلو منها حتى تقوم الساعة.

وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنذكره، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأرذلهم في الغالب إلى زماننا هذا وبالله المستعان.

والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدناً طويلة، تزيد على أربعة آلاف سنة، حتى إنه يقال: إن أول من بنى جدران هذا المبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة.

وقد ورد إبراهيم عليه السلام دمشق ونزل شمالها عند برزة، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم، ونصره الله عليهم، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة، فهنا المكان المنسوب إليه بها منصوب عليه في الكتب المقدمة، يأترونه كابرأ من كابر وإلى زماننا والله أعلم.

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة أهلة بمن فيها من اليونان، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله، وهم خصماء الخليل، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موش كما قرنا ذلك في التفسير، وفي قصة إبراهيم الخليل عليه السلام من كتابنا هذا «البدلية والنهاية» والله الحمد وبالله المستعان.

والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق وينون فيها وفي معاملاتها من أرض حوران والبقاع ويعلمون وغيرها، البنايات المائلة الغربية العجيبة، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين، الذي بنى المدينة المشهورة في بلاد الروم التي تُنسب إليه وهي القسطنطينية، وهو الذي وضع لهم القوانين، وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً، ووضعت له بطاركة النصارى ديناً مخترعاً مركباً من أصل دين النصرانية، مزجواً بشيء من عبادة الأوثان، وصلوا به إلى الشرق، وزادوا في الصيام، وأحلوا الخنزير، وعلموا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون، وإنما هي الحقيقة خيانة كبيرة، وجناية كبيرة حقيرة، وهي مع ذلك في الحجم صغيرة، حقيرة نفيرة وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيننا، فبنى لهم هذا الملك الذي تُنسب إليه الطائفة الملكية من النصارى، كنائس كثيرة في دمشق وفي غيرها، حتى يقال: إنه بنى في زمانه ثنتي عشرة ألف كنيسة، وأوقف عليها أوقافاً دارة، من ذلك كنيسة بيت لحم، وقمامة في القدس، بنتها أم هيلانة الفنقدانية، وغير ذلك.

والمقصود أنهم - يعني النصارى - حولوا بناء هذا المبد الذي هو بدمشق معظماً عند اليونان فجعلوه كنيسة ونشوا له المذابح في شرقيه، وسموه كنيسة مريخا ومنهم من يقول كنيسة يوحنا، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة.

في أعلى حجر فالفقه، فتبادر الأمراء إلى الهدم، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات، وصرخت النصارى بالمويل على دوج جيرون، وكانوا قد اجتمعوا هنالك، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغساني، أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك، ففعل ذلك، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جده النصارى في تربع هذا المكان من المذابح والأبنية والحنايا، حتى بقي المكان صرحاً مريعة، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة التي لم يشتهر مثلها قبلها على ما سنذكره ونشير إليه.

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة، وكان المستحث على عمارته أخوه وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك، ويقال: إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات في الرخام وغير ذلك، ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد، وأرسل يتوعدة لئن لم يفعل ليغزوا بلاده بالجوش، وليخرجن كل كنيسة في بلاده، حتى كنيسة القدس، وكنيسة الرها، وسائر آثار الروم، فبعث ملك الروم إليه صناعات كثيرة جداً، مما تاتي صانع، وكبب إليه يقول: إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت فإنه لوصمة عليك، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت فإنه لوصمة.

فلما وصل ذلك الكتاب إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك، واجتمع الناس عنده لذلك، وكان فيهم الفرزدق الشاعر فقال: أنا أجيء يا أمير المؤمنين من كتاب الله تعالى. قال الوليد: وما هو ويحك؟ فقال: قال الله تعالى ﴿فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٩) وسليمان هو ابن داود، فقههم الله ما لم يفهمه أبوه، فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم. وقد قال الفرزدق في ذلك

فرقت بين النصارى في كنائسهم والعابدين مع الأسحار والتَّعَسَمَ
وهم جميعاً إذا صلوا وأوجههم شتى إذا سجدوا لك والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه أهل الصليب مع القسراء لم تسم
فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا إذ يحكمنا له في المحرث والزنم
فهمك الله تحويلاً ليعتسم عن مسجد فيه ينسئ طيب الكلم
داود والمملك المهدي إذ جُزِرَ أولادها واجترأ الصوف بالجلم
فهمك الله تحويلاً ليعتسم عن مسجد فيه ينسئ طيب الكلم
ما من أب حملته الأرض نعلمه خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي: بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان.

وقال الحسن بن يحيى الحشني: إن هودا عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق.

وقال غيره: لما أراد الوليد بناء القبة التي في وسط الرواقات وهي قبة النسر وهو اسم حادث لها، وكانهم شبهوها بالنسر في شكله لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها - حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا، ثم إنهم وضعوا فيه جرار الكرم وبنوا فوقها بالحجارة، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت، فقال الوليد لبعض المهندسين: أريد أن تبني لي أنت هذه القبة، فقال: على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنينا أحد غيري، ففعل بنى الأركان ثم غلفها بالبوارى، وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب، فلما

وأن يُقَرُّ لهم أربع كنائس لم تدخل في العهد، وهي كنيسة مريم، وكنيسة المصلبة داخل الباب الشرقي، وكنيسة تل الجبن، وكنيسة حيد بن دوة التي بدرب الصفيلى، فأبوا ذلك أشد الإيابة، فقال: انتروا بعهديكم فأتوا بعدهم الذي يابديهم من زمن الصحابة، ففرئ بحضرة الوليد، فإذا كنيسة توما - التي كانت خارج باب توما عند النهر - لم تدخل في العهد، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريخا، فقال الوليد: أنا أهدمها وأجعلها مسجداً، فقالوا: بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة، فآفروهم على تلك الكنائس، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة. هذا قول.

ويقال: إن الوليد لما أعمه ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله. دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقيس من باب الشرقي ومن باب الجالية، فوجد منتصف ذلك عند سوق الریحان تقريباً، فإذا الكنيسة المنازع فيها قد دخلت في العتوة، فأخذها.

وحكي عن المغيرة مولى الوليد قال: دخلت على الوليد فوجدته مهموماً قلقت: مالك يا أمير المؤمنين مهموماً؟ فقال: إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال في بقية هذه الكنيسة لأضيئها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا. فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين عندي ما يزيل همك، قال: وما هو؟ قلت: الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف، فلما سمع أهل البلد بذلك فرعوا إلى عبيدة يطلبون منه الأمان فأتهم، وفتحوا له باب الجالية، فدخل منه أبو عبيدة بالصلح، فنحن نغاسحهم إلى أي موضع بلغ السيف أخذنا، وما كان بالصلح تركناه بأيديهم، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العتوة فتدخل في المسجد، فقال الوليد: فرجت عني، فتول أنت ذلك بنفسك، فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجالية إلى سوق الریحان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بارية أذرع وكسر، فدخلت الكنيسة في المسجد، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال: إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العتوة فهي لنا دونكم، فقالوا: إنك أولا دفعت إلينا الأموال وأقطعتنا الإقطاعات فأبينا فمن إحسان أمير المؤمنين أن يصالحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم.

وقيل: إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفرائيس داخله فسومها مريخا باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم، وأخذوا شاهداً فوضعه فوق التي أخذوها بدلها فآله أعلم.

ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء من رؤوس الناس، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن، فقال: أنا أحب أن أخرج في الله عز وجل، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلي، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضلاع المعروفة بالساعات، وكانت صومعة هائلة فإذا فيها راهب معظم عندهم، فأمره الوليد بالتزول منها فأكبر الراهب ذلك، فأخذ الوليد بقاء فلم يزل يدفعه حتى أحدره منها، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المنبج الأكبر منها، الذي يسمونه الشاهد، وهو مثال في أعلى الكنيسة، فقال له الرهبان: احذر الشاهد، فقال: أنا أول ما أضع فأس في رأس الشاهد، ثم كبر وضربه فهدمه، وكان على الوليد ثياب لونه أصفر سفرجلي وقد غرز أظفاله في المنطقة، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها

كان بعد السنة حضر، فهم به الوليد فأخذوه معه ورؤوس الناس، فكشف البواري من الأركان فإذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض، فقال له: من هذا أتيت، ثم بناها فاعتقدت.

وقال بعضهم: أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار: إنك لا تقدر على ذلك، فضربه خمسين سوطاً، وقال له: ولك! أنا لا أقدر على ذلك، وترجم أبي أعجز عنه؟ وخراج الأرض وأموالها تحبب لي؟ قال: نعم أنا أبيع لك ذلك، قال: فبين ذلك، قال: اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما سبك به لبنة فإذا هي قد دخلها ألوف من الذهب فقال: يا أمير المؤمنين إننا نريد من هذه كذا وكذا ألف لبنة فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه، فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين ديناراً، وقال: إنني لا أعجز كما قلت، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللاتق به، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك. ثم عقدها على ما أشار به المعمار.

ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات، وباطنها مسطحاً مقرنصاً بالذهب، فقال له بعض أهله: أتعبت الناس بعدك في تطيين أسطحه لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام - فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجمع له عوض الطين، ويكون أخف على السقوف فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم، فعازروا فإذا عند امرأة منه قناطير مقطرة، فساموها فيه، فأبت أن تبيعه إلا بوزنه فضة، فكبروا إلى أمير الوليد بذلك فقال: اشتروه منها ولو بزنته فضة، فلما بلغوا لها ذلك قالت: أما إذا فلتتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد، فكتبوا على الواحها بطابع «الله» ويقال إنها كانت إسرائيلية، وإنه كتب على الأنواح التي أخذت منها: هذا ما أعطته الإسرائيلية.

وقال محمد بن عائذ: سمعت المشايخ يقولون: ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة لقد كان يفضل عند الرجل من القومة يعنون الفعلة القاس وراس المسار فيجئ حتى يضعه في الخزانة.

وقال بعض مشايخ الدماشقة: ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر.

وقال بعضهم: اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر، من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار.

وقال دحيمة عن الوليد بن مسلم: حدثنا مروان بن جنان عن أبيه قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم.

وقال أبو قصي: أتق في مسجد دمشق أربعمئة صندوق من الذهب، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وفي رواية: في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار. قلت: فعلى هذا يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي أحد عشر ألف دينار ومائتي ألف دينار، والله أعلم.

قال أبو قصي: وأتى الحرس إلى الوليد فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أتق الوليد أموال بيت المال في غير حقها. فنودي في الناس:

وقال بعضهم: كان في قبة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلازورد، في كل منها: بسم الله الرحمن الرحيم «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم». لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه، ربنا الله وحده، وديننا الإسلام، ونبينا محمد ﷺ أمر ببيان هذا المسجد وهم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد، في ذي القعدة سنة ست وثمانين، وفي صفحة أخرى رابعة من تلك الصفائح «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» إلى آخر السورة، ثم التزعات، ثم عيس، ثم «إذا الشمس كورت».

قالوا: ثم بحث بعد محيي المأمون إلى دمشق. وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات، وفوق الرخام كومة عظيمة من ذهب، وفوق الكومة القصوص المذهبة والخنصر والحمر والزرق والبيض، قد صوروا بها سائر البلدان المشهورة، الكعبة فوق الحراب، وسائر الأقاليم بمنه ويسرة، وصوروا ما في البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك، وسقفه مقرنص بالذهب، والسلاسل المعلقة فيه جميعها من ذهب فضة وأتوار الشوع في أماكنه مفرقة.

قال: وكان في محراب الصحابة برنية حجر من بلور، ويقال: بل كانت حجراً من جوهر وهي الذرة، وكانت تسمى القليلة، وكانت إذا اطفئت القناديل تضيء لمن هناك بنورها، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد - وكان يحب البلور وقيل الجوهر - بعث إلى سليمان والي شرطة دمشق أن يبعث بها إليه، فسرقتها الوالي خوفاً من الناس وسيرها إلى الأمين، فلما ولي المأمون أرسل بها إلى دمشق لينشع بذلك على الأمين.

قال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٧٩/٢]: ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج. قال: وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيء.

قالوا: وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق، وإنما كان عليها الستور مرخاة، وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد الكرملة التي فوقها القصوص المذهبة، ورؤوس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير، وعملوا له شرفات تحيط به، وبنى الوليد المنارة الشمالية فيه التي يقال لها مأذنة العروس، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدور منطلوة، وقد كان في كل زاوية من هذا المبد صومعة شاهقة جداً،

الأقاليم، وليس هو لبيت المال، فاطرق عمر رحمه الله.
قالوا: واتفق في ذلك الزمان قدم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم، فلما دخلوا من باب البريد وانشقوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن ذلك الجامع الباهر، والزخرفة التي لم يسمع بمثله، صعد كبيرهم وخزّ مغشياً عليه، فحملوه إلى منزلهم، فبقي أياماً ملتفّاً، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال: ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء، وكنت أعتقد أن ملتهم تكون أقصر من هذا، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال: أو إن هذا لغبط الكفار، دعوه.

وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم وكان عمر عادلاً، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منه فادخله في الجامع، ثم حقق عمر القضية ثم نظر فإذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة، مثل كنيسة دير مران بسفح قاسيون، وهي بقرية المعظمية، وكنيسة الراهب، وكنيسة توما خارج باب توما، وسائر الكنائس التي بقرى الحواضر فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها، أو تبقى تلك الكنائس ويطبقوا نفساً للمسلمين بهذه البقعة، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس، ويكتب لهم كتاب أمان بها، ويطبقوا نفساً بهذه البقعة فكتب لهم كتاب أمان بها.

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا نظير في حسنه وبهجته.

قال الفرزدق: أهل دمشق في بلدكم في قصر من قصور الجنة - يعني به الجامع الأموي.

وقال أحمد بن أبي الحواري عن الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان: ما يبني أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدنا.

قالوا: ولما دخل المهدي أمير المؤمنين العباسي دمشق يريد زيارة بيت المقدس نظر إلى جامع دمشق فقال: لكتابه أبي عبيد الله الأشعري: سبقنا بنو أمية بثلاث، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه ظهر الأرض مثله، ويئيل الموالى، ويعمر بن عبد العزيز، لا يكون والله فينا مثله أبداً. ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه: وهذه رابعة أيضاً.

ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم، وقاضيه يحيى بن أكرم، قال: ما أعجب ما فيه؟ فقال أخوه: هذه الأذهاب التي فيه.

وقال يحيى بن أكرم: هذا الرخام وهذه العقد، فقال المأمون: إنني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال مقدم، ثم قال المأمون لقاسم التمار: أخبرني باسم حسن اسمي به جاري هذا، فقال: سمها مسجد دمشق، فإنه أحسن شيء.

وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الشافعي قال: عجائب الدنيا خمسة: أحدها متارنكم هذه - يعني منارة ذي القرنين التي بإسكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً، والثالثة مرآة بباب الأندلس على باب مدينتها، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ. وقيل ينظر من بالقسطنطينية، والرابعة مسجد دمشق وما يوصف من الإنفاق عليه، والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يدري لهما موضع، ويقال: إن الرخام

بنتها اليونان للرصد، ثم بعد ذلك سقطت الشماليان وبقيت القبليتان إلى الآن، وقد أحرق بعض الشرقة بعد الأربعين وسبعمئة، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى، حيث اتهموا بمجرقتها، فقامت على أحسن الأشكال، يضاء بناتها وهي والله أعلم المنارة الشرقية التي يتزل عليها عيسى ابن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم [٢٩٣٧×١١٠] عن الثوراس بن سمعان.

قلت: ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت، وكان أعلاها من خشب فبليت بمجارية كلها في آخر السبعين وسبعمئة، فصارت كلها مبنية بالحجارة.

والمقصود أن الجامع الأموي لما اكتمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه، ولا أبهى ولا أجل منه، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى أي جهة منه أو إلى أي بقعة أو مكان منه تحير فيما ينظر إليه لحسنه وجماله، ولا يمل ناظره، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى.

وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية، ولا من الحيات ولا من العقارب، ولا الخنافس ولا العناكب، ويقال: ولا العصفائر أيضاً تعيش فيه، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس.

وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف الجامع مما يلي السبح، فأحرقت لما وقع فيه الحريق وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر، سنة إحدى وستين وأربعمئة، في دولة الفاطميين كما سيأتي ذلك في موضعه. وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا والله أعلم.

فمن ذلك العمود الذي في رأسه مثل الكرة بسوق الشعير عند قنطرة أم حكيم، وهذا المكان يعرف اليوم بالعالميين، ذكر مشايخ دمشق أنه من وضع اليونان لعسر بول الحيوان، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق بوله، وذلك مجرب عند اليونان.

قال ابن تيمية عن هذا العمود: إن تحته مدفوناً جبار عنيد، كافر يعذب، فإذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب فرث ويال من الخوف، قال: ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار، فإذا سمعت أصوات المعذنين انطلق بولها. والعمود المشار إليه ليس له سر، ومن اعتقد أن فيه منعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشاً، وقيل: إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون، وكان ممن يعتقد الرجعة إلى الدنيا كما قال تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٧) والله سبحانه وتعالى أعلم.

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي المعمور وزيادته مدة ولايته، وجددت له فيه المقصورة رحمه الله، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده ما فيه من الذهب، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء فيرد ذلك كله إلى بيت المال، ويطيئه مكان ذلك كله، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه. وقال خالد بن عبد الله القسري: أنا أكلمه لكم. فلما اجتمعوا، قال خالد: يا أمير المؤمنين بلغنا أنك تريد أن تصنع كذا وكذا. قال: نعم! فقال خالد: ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين. فقال عمر: ولم يا ابن الكافرة؟ وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال: يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلاً مؤمناً. فقال: صدقت. واستحيا عمر ثم قال له: فلما قلت ذلك؟ قال: يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر

فصل فيما وجد فيه من الآثار وما روي في فضله من

الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار

روي عن قتادة أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ قال: هو مسجد دمشق ﴿وَالَّذِينَ﴾ قال: هو مسجد بيت المقدس ﴿وَالَّذِينَ﴾ حيث كلم الله موسى ﴿وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾ وهو مكة. ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ هو مسجد.

دمشق رواه ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢/٢٣٧].

وقال صفوان بن صالح عن عبد الحاقق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس الكلبي قال: قال كعب الأحبار: لينين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً.

وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال: أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس، قال: ففعل فأوحى الله إليه أما إذ فعلت فإني سأبني لي في حضنك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك، قال: فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع.

وقال دحيم: حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حد الرخام والكرمة إلى فوق.

وقال غيره: إنما بنى هود الجدار القبلي فقط. وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي النمشقي: حدثنا إبراهيم بن مروان سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول: سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال: كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القران، فما تقبل منه جاءت نار فاكلته، وما لم يقبل منه بقي على حاله.

قلت: وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات، وهي موجودة إلى الآن، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر، والله أعلم.

وقال هشام بن عمار: حدثنا الحسن بن يحيى الحشني أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به صلى في موضع مسجد دمشق.

قال ابن عساکر: وهذا منقطع.

قلت: ومنكر جداً ولا يثبت أيضاً لا من هذا الوجه ولا من غيره.

وقال أبو بكر البرامي: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة القري حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال: إني أريد أن أصلي الليلة في المسجد فلا تتركوا فيه أحداً حتى أصلي الليلة. فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين هذا الحضر يصلي في المسجد كل ليلة، وفي رواية أنه قال لهم: لا تتركوا أحداً يدخله ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له، فإذا رجل قائم بين باب الساعات وباب الحضراء الذي يلي المقصورة يصلي، وهو أقرب إلى باب الحضراء منه إلى باب الساعات، فقال الوليد للقوام: ألم أركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلي في المسجد؟ فقال له بعضهم: يا أمير المؤمنين هذا الحضر عليه السلام يصلي كل ليلة في المسجد.

معجون، والدليل على ذلك أنه ينوب على النار.

قال الحافظ بن عساکر [تاريخ دمشق: ٢/٢٤٨]: وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - وفي رسالة له قال: ثم أمرنا بالانتقال إلى البلد فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه، ووافق ظاهره باطنه، أرقته أرجة، وشوارعه فرجة، فحيث ما شئت شممت طيباً، ولئن سمعت رأيت منظرأ عجباً، وأفضيت إلى جامعة فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه، وجملته أنه يكر الدهر ونادرة الوقت، وأعجوبة الزمان، وغريبة الأوقات، ولقد أثبت الله عز وجل به ذكراً يدرس، وخلف به أمراً لا يغنى ولا يدرس.

قال ابن عساکر: وأتشدني بعض أهل الأدب لبعض المحدثين في جامع دمشق عصره الله بذكره وفي دمشق فقال:

دمشق قد شاع حسن جامعها وما حوته رئيس مرابعها
بديعة الحسن في الكمال لا يدركه الطرف من بدائعها
طيبة أرضها مباركة باليمن والسعد أخذ طالعها
جامعها جامع الخاسن قد نأقت به المدن في جوامعها
بنية بالإتقان قد وضعت لا ضيع الله سمي واضعها
تذكر في فضله ورفعتة أخبار صدق راقى لسامعها
قد كان قبل الحريق مدعشة فغيرت نوار بلانفها
فأنعت بالحريق بهجنه فليس يرجى لئساب راجعها
إذا تفكرت في الفصوص وما فيها تفننت خلق راصعها
أشجارها لا تزال شمرة لا تذهب الريح من مدافعها
كانها من زمرد غرست في أرض تبر تنشى بفاقعها
فيها ثمار تخالها ينمت ليس يخشى فساد يانفها
تقطف بالالحت لا بمجارحه اليد ولا تجني لئانفها
وتحتمها من رخامة قطع لا قطع الله كف قاطعها
أحكم ترخيمها المرخم قد بان عليها إحكام صانفها
وإن تفكرت في قناطره وسفقه بان خلق صانفها
وإن تينت حسن قبته تحير اللب في أضالعهها
تخترق الريح في غارمهها عصفافضوى على زعازعهها
وأرضه بالرخام قد فرشت بنضج الطرف في مواضعها
يجالس العلم فيه متقنة ينشرح الصدر في مجامعها
وكل باب عليه مطهرة قد أمن الناس دفع مانفها
يرتقى الخلق من مراقفها ولا يصعدون عن منافعها
ولا تزال الياء جارية فيها لما شئت من مشارعها
وسوقها لا تزال أهلة ترحم الناس في شوارعها
لما يشاؤون من فواكهها وما يربدون من بضائعها
كأنها جنة معجولة في الأرض لولا سرى فجائعها
دامت برغم العدى مسلمة وحاطها الله من قوارعها

الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى الحافظ ابن عساكر [تابع دمشق: ٢/٢٤٠، ٢٤١] عن زيد بن واقد قال: وكنت الوليد على العمال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافانا وبنيه الشمع، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففتح الصندوق فإذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام. مكتوب عليه: هذا رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرد إلى مكانه، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من بين الأعمدة، فجعل عليه عمود مسطو الرأس.

وفي رواية عن زيد بن واقد: أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة - يعني قبل أن تبنى - قال: وكان على الرأس شعر وبشر. وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من اللبقة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة، فوضع تحت عمود السبط السكاسك.

وقال الأوزاعي والوليد بن مسلم: هو العمود الرابع المسطو.

وروى أبو بكر بن البرامي عن أحمد بن أنس بن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشيباني عن سفيان الثوري أنه قال: صلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة. وهذا غريب جداً.

وروى ابن عساكر [تابع دمشق: ٢/٢٤٣، ٢٤٤] عن طريق أبي مسهر عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية: عن رجل قد سماه - أن واثلة بن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقبه كعب الأحبار فقال: أين تريد؟ قال واثلة: أريد بيت المقدس. فقال: تعال حتى أريك موضعاً في هذا المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الدوالي إلى الحنية - يعني القنطرة الغربية - فقال: من صلى فيما بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس. فقال واثلة: إنه مجلسي ومجلس قومي. قال كعب: هو ذلك. وهذا أيضاً غريب جداً ومتكرر ولا يعتمد على مثله.

وعن الوليد بن مسلم قال: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش، فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه، ثم بعث إلى العبرانيين، فلم يستخرجوه ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأشبان فلم يستخرجوه، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط ويقال: إن ذلك الحائط بناء هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأ فإذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، وإنما تلقى ندمك لو قد زلت بك قدمك. وأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب وذو عك القريب، ثم صرت تدعى فلا تحييب، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، قبل أن يحل بك أجلك، وتنزع منك روحك، فلا يتفكك مال جمعته، ولا ولد ولدته، ولا أخ تركته، ثم تصير إلى برزخ الثرى، وبجواررة الموتى، فاغتم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن تؤخذ بالكلية ويحال بينك وبين العمل. وكتب في زمن سليمان بن داود عليهما

في إسناده هذه الحكاية وصحتها نظر، ولا يثبت بمثلها وجود الخضر بالكيفية ولا صلته في هذا المكان المذكور، والله أعلم.

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية عند باب المئذنة الغربية تسمى زاوية الخضر، وما أدري ما سبب ذلك، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الأمراء بالشام، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمين هذه الأمة وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يغیره الوليد إلى هذه الصفة، فاما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك رضي الله عنه، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين، وهو يبني فيه الوليد، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأتكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قمنا ذلك في ترجمة أنس، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين.

وسبلي في عيسى ابن مريم [ج: ٢ (٢٢٣٧)] إذا نزل من السماء في آخر الزمان، إذا خرج الدجال وعمت البلوى به، والمحصن الناس منه بدمشق، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر [أحد: ٢١٩/٤، ٢١٩، ٢٢٠]، فيأتي وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس: تقدم يا روح الله فيقول: إنما أقيمت لك فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة، يقال: إنه المهدي فآله أعلم.

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عتبة أفيق، وقيل: يباب لد فيقتله بيده هناك. وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى ﴿وَأَنزِلْ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ الْإِسْمَئِيلَ﴾ به قبل مؤخره [النساء: ١٥٨] وفي الصحيح [ج: ١ (١٥٥)] دون قوله: ﴿وَأَنزِلْ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ عن النبي صلى الله عليه وآله (والذي نفسي بيده لينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عادلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام).

والمقصود أن عيسى عليه السلام ينزل والبلد محصن من الدجال، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق - وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصراني - حيث أحرقوها فجندت من أموالهم - ثم يكون نزول عيسى حثفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم، ينزل بين ملكين واضعاً يديه على منكبيهما، وعليه مهردادان - وفي رواية [ج: ٤ (٤٣٢٤)]، أحمد: ٤٠٦/٢، ٤٣٧] - محصرتان - يقطر رأسه ماء كأنما خرج من دباس، وذلك وقت الفجر، فينزل على المنارة وقد أقيمت الصلاة، وهذا إما يكون في المسجد الأعظم بدمشق، وهو هذا الجامع.

وما وقع في صحيح مسلم من رواية النوراس بن سميان الكلابي [ج: ٢ (٢٩٣٧)] فينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، كأنه والله أعلم مروى بالمعنى محسب ما فهمه الراوي، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقيني على هذه اللفظة.

وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها، والله الحمد والمنة.

السلام.

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر: إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه كان عمل هناك يركاز الساعات، يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار، عليها عصافير من نحاس، وحية من نحاس وغراب، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فقصرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست، فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة، وكذلك في سائرهما.

قلت: هذا الكلام يحتمل أحد شيئين إما أن الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع، وهو الذي يسمى باب الزيادة، ولكن قد قيل: إنه محدث بعد بناء الجامع، ولا ينبغي ذلك أن الساعات كانت عنه في زمن القاضي ابن زبر، وإما أنه قد كان في الجانب الشرقي من الجامع في الحائط القبلي باب آخر في محاذة باب الزيادة، وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم.

قلت: باب الوراقين قبلي أيضاً، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع والله أعلم، أو لجوارته للجامع ولبابه.

قلت: فاما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري، وتقول العامة لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أרך ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدعاشة.

وأما القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة، فسمعت شيخنا الحافظ الذهبي يقول: إنها إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن المنصور العباسي، وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه.

وأما القبة الشرقية التي على باب مشهد علي فيقال: إنها بنيت في زمن الحاكم العييدي في حدود سنة أربع ومائة.

وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني، وكأنه كان ناظر الجامع، وجبر إليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج، وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة وعملت حولها قناطر، وعقد عليها قبة، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحمت، وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فأعيدت ثم سقطت أعملتها وما عليها من حريق اللبدين ودار الحجارة في شوال من سنة اثنتين وستين وخمسمائة، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر.

قلت: وأما القصعة التي كانت في الفوارة، فما زالت وسطها، وقد أدركتها كذلك، ثم رفعت بعد ذلك.

وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلهما، فلم تزل بها، ثم لما أهلمت اللبدين بسبب حريق النصارى في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، استوفت بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما كانت، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر، ثم عمل الشاذروان الذي هو شرقي فوارة جيرون، بعد الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أبو عامر بن موسى بن عامر المري حدثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال: قال أبو عمرو الأوزاعي عن حسان

وقال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٧٩/٢]: قرأت على أبي عبد الله محمد السلمي عن عبد العزيز التميمي أنبأنا تمام الرازي حدثنا ابن البرامي سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول: لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبناته المسجد احتضروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد، فخرج من داره حتى وقف عليه، وفتح بين يديه، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة، على فرس من حجارة، في يد التمثال الواحدة الشفرة التي كانت في المحراب، ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكسرت، فإذا فيها حيتان، حبة قمح وحبة شعير، فسأل عن ذلك فقيل له: لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير.

وقال الحافظ أحمد الوراق - وكان قد عمر مائة سنة: سمعت بعض الشيوخ يقول: لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقلط - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنماً ماداً يده بكف مطبقة، فكسروه فإذا في يده حبة قمح، فسألوا عن ذلك فقيل لهم: هذه الحبة القمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم طائشاً، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد، ولو أقام سنين كثيرة.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٨٠/٢]: وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة المقلط فلما هدمت القناطر ذهب.

قلت: كنيسة المقلط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير، عند الصابونيين والعطارين اليوم، وعندها اجتمعت جيوش الإسلام يوم فتح دمشق، دخل أبو عبيدة من باب الحلبية، وخالد من الباب الشرقي، ويزيد بن أبي سفيان من باب الحلبية الصغير كما قلنا والله الحمد والمنة.

وقال عبد العزيز التميمي عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المزني: سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون: إن في سقف مسجد الجامع طلائس عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي، فيها طلائس للصنويات، لا تدخلها ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها، ولا يدخلها غراب، وطلسم للفار والحيات والعقارب، ما أبصر الناس من هذا شيئاً إلا الفار، ويوشك أن يكون قد غير طلسمها، وطلسم للمنعكوت لا ينسج في زواياه، فيركبه الغبار والوسخ.

قال الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق: ٢٨١/٢]: وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي القاضي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات، معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلين اليوم الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة، وهي لمسر بول الدواب، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها.

وقد كان شيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله يقول: إنما هذا قبر مشرك متروك مدفون هناك يعذب، فإذا سمعت الدابة صياحه فزعت فانتقلت طبعها، قال: ولها يغبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مَيِّتَتْ فينطلق طباعها وتروث، وما ذاك إلا لأنها تسمع أصواتهم وهم يملئون والله أعلم.

هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهدم الكنيسة قال: كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق: ما شتمت إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحاً، فانا أهدم كنيسة توما - قال هشام: وتلك أكبر من هذه الداخلة - قال: فرضوا أن يهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد، قال: وكان بابها قبلة المسجد اليوم، وهو المحراب الذي يصلى فيه، قال: وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين، ومكثوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه، فأنه هشام من بعده ففيه فوائد وفيه غلط، وهو قوله: إنهم مكثوا في بنائه سبع سنين، والصواب عشر سنين، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير [التاريخ الطبري: ٤٩٥/٦] على ذلك إجماع أهل السير. وقوله: لم يتم بناءه في زمن الوليد: بل قد تم، ولكن بقيت بقايا من الزخرفة فأكملها أخوه سليمان لا هشام والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وذكر

وفاته في هذا العام

هو

■ الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو العباس الأموي، يوبع له بالخلافة بعد أبيه بعد مئة في شوال سنة ست وثمانين، وكان أكبر ولده، والولي من بعده، وأمه ولادة بنت العباس بن جَزْزِي بن الحارث بن زهير العسبي. وكان مولده سنة خمسين، وكان أبواه يترفانه، فشب بلا أدب، وكان لا يحسن العربية، وكان طويلاً أسمر به أثر جدرى، أنفاس الأنف سائله، وكان إذا مشى يتوكف في المشية - أي يتبختر - وكان جبلاً وقيل: بل كان دميماً، قد شاب في مقدم لحية، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سأله ماذا سمع في أشراف الساعة، كما تقدم في ترجمة أنس، وسمع سعيد بن السبب وحكى عنه الزهري وغيره. وقد روي أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة من أهل النحو عنده فأقاموا عنده سنة، وقيل: سنة أشهر، فخرج يوم خرج أجهل مما كان، فقال عبد الملك: قد أجهد وأعذر.

وقيل: إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له: لا ألفينك إذا مت تجلس تمصر عينيك، وتحن حنين الأمة، ولكن شمر واثتر، ودلني في حفرتي، وخلي وشاتي، وادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا.

وقال الليث: وفي سنة ثمان وسبعين غزا الوليد بلاد الروم، وفيها حج بالناس أيضاً.

وقال غيره: غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ملطية وغيرها وكان نقش خاتمه أومن بالله خلعاً. وقيل: كان نقشه يا وليد إنك ميت، ويقال: إن آخر ما تكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله.

وقال إبراهيم بن أبي عبلة: قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً: في كم تحتم القرآن؟ قلت: في كنا وكنا، فقال: أمير المؤمنين على شغلته يختمه في كل ثلاث، وقيل: في كل سبع، قال: وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة. قال إبراهيم رحمه الله: الوليد! وأين مثله؟ بنى مسجد دمشق، وكان

بن عطية قال: الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي، في قمته على عبد الملك، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال: ما هنا؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء فقرأ هشام بن إسماعيل فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام بن إسماعيل، فقرأ بقراءته، مولى له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرؤوا بقراءته.

وقال هشام بن عمار خطيب دمشق: حدثنا أيوب بن حسان حدثنا الأزاعي حدثنا خالد بن دهقان قال: أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن هشام بن المنيرة المخزومي، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى.

قلت: هشام بن إسماعيل هذا كان نائباً على المدينة النبوية، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك، قبل أن يموت أبوه، ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز، كما ذكرنا.

وقد حضر هذا السبع جامعات من سادات السلف من التابعين بدمشق، منهم هشام بن إسماعيل المخزومي ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، وكان مكثاً لأولاد عبد الملك بن مروان، وقد ولي إمرة إفريقية هشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان.

وحضره من القضاة أبو إدريس عاتذ الله بن عبد الله الحتراني، وغير بن أوس الأشعري، ويزيد بن أبي مالك الحمداني، وسالم بن عبد الله الحاربي، ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي.

ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ القارئ أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى آل معاوية، ومكحول، وسليمان بن موسى الأشلق، وعبد الله بن العلاء بن زبر، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عراك، وعبد الرحمن بن عامر الحيصي - أخو عبد الله بن عامر - ويعقوب بن الحارث الثماري، وعبد الملك بن نعمان المزني، وأنس بن أنيس العنزي، وسليمان بن بزيع القارئ، وسليمان بن داود الخشني، وغرأ - أو هُرَان - بن حكيم القرشي، ومحمد بن خالد بن أبي ظبيان الأزدي، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر، وعياش بن دينار وغيرهم.

هكذا أوردتهم ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٨٣/٢، ٢٨٤]. قال: وقد روي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره، ولا وجه لإنكاره.

ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود [تاريخ دمشق: ٢٨٤/٢]: حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال: سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم ينكر الدراسة ويقول: ما رأيت ولا سمعت، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ.

قال ابن عساکر [تاريخ دمشق: ٢٨٥/٢]: وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين في خلافة عمر بن عبد العزيز.

ففضل كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين، هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذي القعدة منها، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء، وتكامل في عشر سنين، وكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين.

وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك، وقد بقيت فيه بقايا فأكملها أخوه سليمان بن عبد الملك كما ذكرنا.

فأما قول يعقوب بن سفيان [العرفه والتاريخ: ٤٣٣/٣، ٤٣٥]: سألت

امراة غير الإمام.

قلت: وقد يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع والله أعلم.

قلت: بنى الوليد بن عبد الملك الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير، وبني صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة، وبني مسجد النبي ﷺ ووسعه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه، وله آثار حسان كثيرة جداً، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين.

قال ابن جرير [٤٩٥/٦]: وهذا قول جميع أهل السير، وقد قال عمر بن علي الفلاس وجماعة: كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة، عن ست وقيل: ثلاث وقيل تسع وقيل: أربع وأربعين سنة. وكانت وفاته بدير مران فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير، وقيل: بمقابر باب القرايس، حكاه ابن عساکر.

وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز، لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف. وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز. وقيل: بل صلى عليه أخوه سليمان، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم. وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله: لتنزله غير موسى ولا وهما، قد خلفت الأسباب وفارقت الأحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، فقيراً إلى ما تقدم عليه، غنياً عما تخلف.

وجهاء من غير وجه عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه أخبر أنه لما وضع - الوليد - في لحده ارتكض في أكفانه، وجمعت رجلاه إلى عنقه. وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم. قال المدايني: وكان له من الولد تسعة عشر ولداً ذكراً، وهم عبد العزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وشمر ويزيد ويحيى. فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان، وأم أبي عبيدة قزارية، وسائرهم من أمهات أولاد شتى.

قال المدايني: وقد رثاه جرير فقال:

يا عين جودتي بدمع هاجه الذكُرُ فما لدمعك بعد اليوم مدخرُ
إن الخليفة قد وارت شمالكه غبراء مُلَحَّنة في جوفها زورُ
أضحى بنوه وقد جلَّت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمرُ
كانوا جميعاً فلم يذفع ميتة عبد العزيز ولا روح ولا عمرُ

ومع هلك أيام الوليد بن عبد الملك:

■ زياد بن جارية الصيمى الدمشقي، كانت داره غربي قصر التقيين، روى عن حبيب بن مسلمة النهري في النهي عن المسألة لمن له ما يغنيه ويعنيه، وفي الغفل. ومنهم من زعم أن له صحة، والصحيح أنه تابعي. روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس بن ميسرة بن حليس، ومع هذا قال فيه أبو حاتم: شيخ مجهول، ووثقه النسائي وابن حبان.

روى الحافظ ابن عساکر [تاريخ دمشق: ١٩/١٣٦] أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرج الصلاة، فقال: والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت، قال: فأخذ فأدخل الخضره فقطع رأسه، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك.

■ عبد الله بن عمرو بن عثمان أبو محمد، كان قاضي المدينة، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً عذماً والله أعلم.

يعطني تصاع الفضة فاقسمها على قراء بيت المقدس.

وروى الحافظ ابن عساکر بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال: خرج الوليد بن عبد الملك يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراًياً، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: القنوع يا أمير المؤمنين، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال: إن لك لثأناً فأخبرني به وإلا ضرت الذي فيه عينك، فقال: نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً جَمَلاً، فيمتنا أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكوفة، إذ زُرْتُني البول فعدلت إلى خريه لأبول، فإذا سرب فحفرته فإذا مال صيب، فملأت منه غرائزي، ثم انطلقت أفرد برواحلي وإذا بمخلصة معي فيها طعام فآلقته منها، وقلت: إني سأتى الكوفة، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخلصة من ذلك المال فلم أمتد إلى المكان بعد الجهد في الطلب، فلما أبست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجِد الطعام، فأليت على نفسي أن لا أكل إلا خبزاً وتراًياً. قال: فهل لك عيال؟ قال: نعم، ففرض له في بيت المال.

قال ابن جابر: وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها في بيت المال. وقيل: إن الوليد قال له: ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إيلك فخذها، وقيل: إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقيته وعياله.

وقال غير بن عبد الله السمعاني عن أبيه قال: قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر قري لوط في القرآن ما ظننت أن أحداً يفعل هذا. قالوا: وكان الوليد لحناً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته ﴿يَا أَيُّهَا كَاتِبُ الْقَاضِيَةِ﴾ [الحلقة: ٢٧] فضم التاء من ﴿لَيْتِهَا﴾، فقال عمر بن عبد العزيز: يا ليتها كانت عليك وإراحنا الله منك، وكان يقول: يا أهل المدينة.

وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش: إنك لرجل لولا أنك تلحن، فقال: وهذا ابنتك الوليد يلحن، فقال: لكن ابني سليمان لا يلحن، فقال الرجل: وأخي أبو فلان لا يلحن.

وقال ابن جرير [تاريخه: ٤٩٦/٦]: حدثني عمر حدثنا علي - يعني ابن محمد المدايني - قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلافتهم، بنى المساجد بدمشق، ووضع المنار، وأعطى الناس، وأعطى الجملتين، وقال لهم: لا تسألوا الناس، وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيماً، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم، فتح الهند والسند والأندلس وأقاليم بلاد العجم، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك، قال: وكان مع هذا يمر بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول: بكم تباع هذه؟ فيقول: بفلس، فيقول: زد فيها فلأنك تبيع.

وذكروا أنه كان يمر حملة القرآن ويكرهم ويقضي عنهم ديونهم.

قالوا: وكانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الآخر فيقول: ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء، فكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم تزوجت؟ ماذا عندك من السراري؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن والصلاة والعبادة، وكان الناس كذلك، يلقى الرجل الرجل فيقول: كم وردك؟ كم تقرأ كل يوم؟ ماذا صليت البارحة؟

وقال الواقدي: كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب، لجوجاً كثير الأكل والجماع مطلقاً، يقال: إنه تزوج ثلاثاً وستين

خلافة سليمان بن عبد الملك

بوقع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكان سليمان بالرملة، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك.

وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد، وقد كان الحجاج طارعه على ذلك الحجاج بن يوسف وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة من أهل الشام، وقد أشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد فلم يتظم ذلك له حتى مات الوليد، وانعقدت البيعة لسليمان، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه، فعزله سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب، فأعاده إلى إمرته بعد عشر سنين، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف، الذي عزله عن خراسان.

ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان أحد العلماء.

وقد كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتابا يعزبه في أخيه، ويهته بولايته، ويذكر فيه بلاءه وعناؤه وقاتله وهيته في صدور الأعداء، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه، وأنه له على مثل ما كان للوليد من قبله من الطاعة والنصيحة، إن لم يعزله عن خراسان، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر فيه ما فعله من القتال والفتوحات وهيته في صدور الملوك والأعاجم، وينم يزيد بن المهلب أيضاً، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد بن المهلب ليخلعن سليمان عن الخلافة، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكلية، وبعث بها مع البريد وقال له: ادفع إليه الكتاب الأول، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني، فإن قرأه ودفعه إلى يزيد فادفع إليه الثالث، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - واتفق حضور يزيد عند سليمان - ودفعه إلى يزيد فقرأه، فناله البريد الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد، فناله البريد الثالث فقرأه فإذا فيه الصريح بعزله وخلعه، فتغير وجهه، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد، وأمر بإزالة البريد في دار الضيافة، فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذعياً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها، فلما وصلوا بلاد خراسان بلغهم أن قتيبة قد خلع الخليفة، فدفع البريد كتاب يزيد سليمان الكتاب الذي معه إلى يزيد قتيبة، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع يزيد سليمان.

مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيش وعزم على خلع سليمان وترك طاعته، وذكر لهم همة وفتحته وعنده فيهم، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم، فلما فرغ من مقاتله لم يبق أحد من الناس إلى مقاتله، فشرع في تأنيبهم وذهمهم، قبيلة قبيلة، وطائفة طائفة، ففضضوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا، وعملوا على مخالفته، وسعوا في قتله، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سواد، فجمع جمعاً كثيراً، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة من هذه السنة، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته،

ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة، فحتمه أخواله، وعمرو بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح ويشار، وهؤلاء أبناء مسلم، وأربعة من أبنائهم قتلهم كلهم وكيع بن أبي سواد.

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي، من سادات الأمراء وخيارهم، وكان من القادة النجباء الكبراء، والشجعان وذوي الحروب والفتوحات السعيدة والآراء الحميدة، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله، فأسلموا ودانوا لله عز وجل، وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً ميثماً، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يجيب تبعه وجهاده.

ولكن زل زلة كان فيها حقه، وقفل فملة رغم فيها الله، وخلع الطاعة فبادرت إليه المنة إليه، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته، ويحوي بها عنه من خطيئاته، والله يساعده ويعفو عنه، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجاة الأعداء، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان، في ذي الحجة من هذه السنة، وله من العمر ثمان وأربعون سنة، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزبير، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً، وقد وثاه عبد الرحمن بن حمة الباهلي فقال:

كان أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش إلى جيش ولم يصل منبراً ولم تخفق الرايات والقوم حوله وقوف ولم يشهد له الناس عسكراً دعتهم الناياب فاستجاب لربه وراح إلى الجنات عتفاً مطهراً فما رزأ الإسلام بعد محمد بمثل أبي حفص فيكبه عتفها ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير، وعبره أم ولده.

وقال الطرماح في هذه الواقعة التي قتل فيها قتيبة على يدي وكيع بن أبي سواد:

لولا فارسٌ مُذْجِجُ ابنَةِ مُذْجِجٍ والأردُ دُغْرِيْ وإسْتِجِجُ العسْكَرُ
وتَقَطَّعتْ بهمُ البلادُ ولمْ يُؤْبَ منهم إلى أهلِ العِراقِ مُخْبِرُ
واسْتَفْجِلْتُ عَقْدَ الجَمَاعَةِ وإِذْدرى أَسْرُ الخَلِيفَةِ واسْتَجِلُّ المُنْكَرُ
قَوْمٌ هُمُو قَتَلُوا قَتِيْبَةَ عَنَوَةً والحِجْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا البُشَيْرُ
بِالْمَرْجِ مَرْجُ الصَّيْنِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ مُضَرُّ العِراقِ مِنَ الأَعْرُ الأَكْبَرُ
إِذْ خَالَفتْ جَزْعاً رَيْبَةً كُلَّهَا وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌ وَمَنْ يَنْتَفِضِرُ
وتَقَدَّستْ أُوْدُ العِراقِ وَمُذْجِجُ للَمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَيُّوْمَا الأَكْبَرُ
فَخَطَأَ تَضَرُّبُ رَأْسِ كُلِّ مُذْجِجٍ نَحْمِي بِصَافِرِهِمْ إِذْ لَا تَصُرُ
وَالأردُ تَنْلَمُ أَنْ تَخُتَ لِوَأَيْهَا مُلْكُا قُرَاسِيَّةٌ وَتَوْتُ أَخْمَرُ
فَجَزَأَ نُصْرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَنَا تَبَيَّنَتْ في دِمَشْقِ المِيزُ

وقد بسط ابن جرير [٥٠٦/١-٥٢٢] هذه القصيدة بسطاً كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً.

وقال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٨٨/٤] وقال جرير في قتيبة بن مسلم رحمه الله وساعة:

نَبِئْتُمْ عَلَى قَتْلِ الأَمِيرِ ابْنِ مُسْلِمٍ وَأَنْتُمْ إِذَا لَاقَيْتُمْ اللّٰهَ أَنْتُمْ

بن عبد الملك حبيب بن أبي عبد القهري.

وفيهما ولي سليمان نياحة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتية بن مسلم وذريته، بعث برأس قتية إلى سليمان فحفظي عنده وكتب له إمارة خراسان، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن الأتهم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان، ويتنقص عنده وكيع بن أبي سود، فسار ابن الأتهم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان، وولى عليها يزيد مع إمرة العراق، وبعث بعده مع ابن الأتهم، فسار في سبع حتى جاء يزيد، فأعطاه عهد خراسان مع العراق وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف له بها، وبعث يزيد ابنه غللاً بين يديه إلى خراسان، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتية بن مسلم لم يكن خلع الطاعة، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيدته وبعث به إلي، فقدم غللاً فأخذ وكيعاً فعاقيه وحجسه قبل أن يجرى أبوه، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود على خراسان تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، ثم قدم يزيد بن المهلب فتسلم خراسان وأقام بها، واستتاب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير [٥٢٦/٦] رحمه الله تعالى.

قال: ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور، وإنما هي جبال وأودية، وكان ملكها يقال له صول، فتحول عنها إلى قلعة هناك، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسرروا وغنموا.

قال: وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن أبي سود، وولياها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أبو محمد القروي الهاشمي، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً: **مَنْ عَاَلَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَهُمْ وَلَيْتَهُمْ غُفْرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ**، وعن عبد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب [ص كبرى (١٠٤٧٨، ١٠٤٧٩، ١٠٤٨٠)]، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين، وعنه ابنه عبد الله وجماعة، وقد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج، وأقره وحده على ولاية صلقة علي، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر [تابع دمشق: ٦١/١٣] فأحسن، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته وعلمه وتسنته رحمه الله.

وقيل: إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: إن الحسن بن الحسن كاتب أهل العراق، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة، وقفه للناس، ولا أراني إلا قاتله. فأرسل خلفه فعلمه علي بن الحسين كلمات الكرب فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم، وهي: لا إله إلا الله العظيم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم. توفي بالمدينة، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزاري.

وقال يوماً لرجل من الرافضة: **وَاللَّهِ إِنْ تَلَكْتَ لِقَرَّةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنَّكَ تَمْرَحُ، فَقَالَ: اللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مَرَحٍ وَلَكِنَّ الْجَدَّ.** وقال له آخر منهم: **أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كُنْتُ مَوَلَاً فَلْيَبْلِي**

لَقَدْ كُتِبَ مِنْ غَزْوِهِ فِي غَيْمَةٍ. وَاتَّسَمَ لِمَنْ لَا يَتَّسَمُ الْيَوْمَ مَغْنَمٌ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَى إِلَى حُورٍ جَنَّةٍ وَطَبِئْتُ بِاللَّوْىِ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمُ قَالَ: وَقَدْ وُلِيَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَفَرِيته جماعة الإمرة في البلدان، فمهم عمرو بن سعيد بن سلم بن قتية بن مسلم وكان جواداً مخلصاً، رثاه حين مات أبو عمرو أشجع بن عمرو السلمي الرقي نزيل البصرة بقوله:

مَنْ بَنِى سَعِيدَ حَيْثُ لَمْ يَتَّقِ شَرْقِيَّ وَلَا مُنْزَبِيَّ إِلَّا أَنَّهُ فِى مَدَاخِ وَمَا كُنْتُ أَدْرِى مَا فَوَاضِلُ قَلْبِهِ عَلَى النَّاسِ حَسْبِي غَيْبُهُ الصَّفَاحُ وَاصْبَحَ فِى لَحْدِ مَنْ الْأَرْضُ ضَيْقِي وَكَانَتْ بِوَ حَيَا تَقْصِقُ الصَّخَاصِ سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِيضُ فَحَسْبُكَ بِنِي مَا تَجِبُ الْجَوَانِحُ فَمَا أَنَا مَنْ رَزَى وَإِنْ جَلَّ جَبَانِي وَلَا بِسُرُورٍ تَمَدُّ مَرْتِكَ فَلَاحُ كَانَ لَمْ يَمِتْ حَسْبِي سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَخِي إِلَّا عَلَيْكَ التَّوَانِحُ لَيْسَ حَسْبُكَ فِىكَ الْمَرَاتِي وَذَكَرَهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلِ فِىكَ الْمَلَايِحُ

قال ابن خلكان: وهي من أحسن المراثي وهي في الحماسة، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مردولة عند العرب، قال: وقد رايت في بعض الجامع أن الأشعث بن قيس قال: يا رسول الله استكافا دماؤنا؟ قال: **فَنَعَمْ! وَلَوْ قَتَلْتُ رَجُلًا مِنْ بَاهِلَةٍ لَقَتَلْتُكَ بِهِ**. وقيل لبعض العرب: ليسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قال: بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك، وسأل بعض الأعراب رجلاً: ممن أنت؟ فقال: من باهلة، فجعل يريه له فقال: وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم، فجعل يقبل يديه ورجليه، فقال: ولم تفعل هذا؟ فقال: لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا ليعوضك الجنة في الآخرة.

ثم قال ابن جرير [تابع: ٥٢٢/٦]: وفي هذه السنة توفي ■ **قُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ الْقَيْسِيُّ** أمير مصر وحاكمها. قلت: هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد بن عبد الملك، وهو الذي بنى جامع الفيوم.

قال: وفيها حج بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان هو الأمير على المدينة، وكان على مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب، وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن، وعلى نياحة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي، وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى، وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيهما جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة، ففتح حصن المرأة. قال الواقدي: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي فتحه الوضاح صاحب الوضاحية. وفيها غزا مسلمة أيضاً برجمة ففتح حصوناً وبرجمة وحصن الحليد وسرّة وسل، وشى بأرض الروم.

وفيهما غزا عمر بن هيرة الفزاري في البحر أرض الروم وشى بها. وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وقدم برأسه على سليمان

يرون شخصه: أيها الناس، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذرکم، وقيل: إنهم وجدوا في هذا الكثر مائدة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها. وقد جمع أخباره وما جرى له في حروبه وغزواته رجل من فرته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيري.

وروي الحافظ ابن عساکر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شيء رآه في البحر، فقال: انتهيت مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة خضراء مختومة عليها بخاتم سليمان بن داود عليها السلام، قال: فأمرت بأربعة منها فأخرجت، وأمرت بواحدة منها ففتحت فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه وهو يقول: والذي أكرمك بالنبوة لا أعود بعدها أقيّد في الأرض، قال: ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال: واللّه لا أرى بها سليمان وملكه، فانساخ في الأرض فذهب، قال: فأمرت بالثلاث الباقية فردت إلى مكانها.

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر، في أقصى بلاد المغرب، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال، وأمره أن يدور حول سورها ليظهر لها باب أو منفذ إلى داخلها، فقيل: إنه سار يوماً وليلة حول سورها، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض، فلم يبلغوا أعلى سورها، فأمر فعمل سلام فصعدوا عليها، وقيل: إنه أمر رجلاً فصعد على سورها، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن القاهما في داخلها فكان آخر العهد به، ثم آخر كذلك، ثم امتنع الناس من الصعود إليها، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علماً، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها، فقيل: إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها، ووجد عليها رجلاً قائماً، فقال له: ما أنت؟ قال: رجل من الجن وأبي عجبوس في هذه البحيرة جسده سليمان، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره، فقال له: هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلها إليها؟ قال: لا، إلا أن رجلاً يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياماً ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها، واللّه أعلم ما هو. ثم رجع إلى إفريقية، واللّه أعلم بصحة ذلك، والعهدة على من ذكر ذلك أولاً.

وقد استقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أتحطوا بإفريقية، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء، ثم خرج بين الناس وميز أهل الذمة عن المسلمين، وفرق بين الهائم وأولادها، ثم أمر برفع الضحيج والبكاء، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار، ثم نزل فقيل له: ألا دعوت لأمر المؤمنين؟ فقال: هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل، فسقامهم الله عز وجل ما قال ذلك.

وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر، وقد لبس موسى ثياباً حسنة وهيئة حسنة، فدخل ومعه ثلاثون غلاماً من أبناء الملوك الذين أسرهم، والأسبان، وقد البسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبهة العظيمة، فلما نظر إليهم الوليد وهو يحطّب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر، وأمر أولئك فوقفوا عن بين المنبر وشماله، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيد به ووسع ملكه،

مولاه؟ فقال: بلى، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال: أيها الناس اعلّموا أن هنا ولي أكرمهم والقائم عليكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، واللّه لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه علي لكان أول من ترك أمر الله ورسوله.

وقال لهم أيضاً: واللّه لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لا تقبل لكم توبة، ويلكم غرغرونا من أنفسنا، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لفتحت آياه وأمه، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا قد غشونا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظلمونا وكنتمونا عنا أفضل الأمور، واللّه إنني لأخشى أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، كما إنني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين، ويحكم أحرابنا إن أطلعنا الله على طاعته، وأبعضونا إن عصينا الله على معصيته.

■ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي: مولاهم، كان مولى لأمراء منهم، وقيل: كان مولى لبني أمية، افتتح بلاد المغرب، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا تحصى، وله بها مقامات مشهورة هائلة، ويقال: إنه كان أعرج، ويقال: إنه ولد في سنة تسع عشرة، وأصله من عين التمر، وقيل إنه من إراشة من بلي، سبي أبوه من جبل الحليل من الشام في أيام الصديق، وكان اسم أبيه نصرًا فغصر.

روى عن حميد الناري، وروى عنه ابنه عبد العزيز، وي زيد بن مسروق الجصبي، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص، وبنى هنالك حصوناً كالماغوسة وحصن يانس وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين، وشهد مرج راهط مع الضحّاك بن قيس، فلما قتل الضحّاك لجأ موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان.

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب.

قال النسوي: وولي موسى بن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً منّا وأقاليم، وقد ذكرنا أنه افتتح بلاد الأندلس، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف، فسبي منها ومن غيرها خلقاً كثيراً، وغنم أموالاً جزيلة، من الذهب واللاطخ والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد، وأما الآلات والمتاع والدواب فشيء لا يدرى ما هو، وسبى من الغلمان الحسن والنساء الحسن شيئاً كثيراً، حتى قيل: إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء، وأسلم أهل المغرب على يديه، وبث فيهم الدين والقرآن، وكان إذا سار إلى مكان تحمّل الأموال معه على العجل لكثرها وعجز الدواب عنها.

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد المغرب، وقتية يفتح في بلاد المشرق، فجزأهما الله خيراً، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً، ولكن موسى بن نصير حظي بأشياء لم يحظ بها قتيبة، حتى قيل: إنه لما فتح الأندلس جاءه رجل فقال له: ابعت معي رجلاً حتى أدلك على كنز عظيم، فبعت معه رجلاً فأتى بهم إلى مكان فقال: احفروا فألقى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواءين حسنة، فوجدوا هناك من البواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهتهم، وأما الذهب فشيء لا يعبر عنه، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس، والطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب، منظومة بالؤلؤ الغالي المتختر، والطنفسة منظومة بالجواهر الثمن، والبواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها، ولقد سمع يومئذ مناو ينادي لا

بن عبد العزيز، على ما سيأتي فكروا وراجعين إلى الشام، وقد جهلوا جداً شديداً، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء حكماً، رحب الفناء شاهقاً في السماء.

وقال الواقدي: لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس، ثم أرسل العساكر إلى القسطنطينية، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتين والحصون، حتى يبلغ المدينة، فلا يأتيها إلا وقد همدت حصونها وهنت قوتها، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة، فتمى ما فتحت فإن بقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك، فقال سليمان: هذا هو الرأي، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفاً، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة، وأخرج لهم الأعطية، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة عليها إلى أن يفتحوها، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة، ثم قال: سيروا على بركة الله، عليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف، ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحسنين أجورهم على الله، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشي، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة، قالوا: فابعث إلينا إليون نناوره، فأرسله إليهم، فقالوا له: رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا، فرجع إلى مسلمة، فقال له: قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها ما لم تنح عنهم، فقال مسلمة: إني أخشى غدرك، فحلف له أنه يدفع إليه مفتاحها وما فيها، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار، وغدر إليون بالمسلمين فحبسه الله.

قال ابن جرير [٥٣١/٦، ٥٣٢]: وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أن يكون الخليفة من بعده، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك بن مروان، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب، وتربص بأخيه الدوائر، فمات أيوب في حياة أبيه، فبايع سليمان لابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده، ولتعم ما فعل.

ولمها فتحت مدينة الصقالبة.

قال الواقدي: وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة، فبعث إليه سليمان جيشاً فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل.

وفي هذه السنة غزا يزيد بن المهلب دهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً، ولم يزل حتى تسلمها، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتة مالا يعد ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سيرة الجعفي - وكان فارساً شجاعاً باهراً - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله عز وجل، ولقد بارز ابن أبي سيرة هذا يوماً بعض فرسان الترك، فضره التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها، وضربه ابن أبي سيرة فقتله، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً

وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة، ثم نزل فصلى بالناس، ثم استدعى موسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئاً كثيراً، وكان موسى بن نصير قد قدم معه بشيء كثير، من ذلك مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، التي كان يأكل عليها، وكانت من خليطين ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثلاً، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة. وقيل: إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السي مائة ألف رأس، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السي مائة ألف رأس أيضاً من البربر، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس. قال الناس: إن هذا أحق، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم، ولم يسمع في الإسلام بمثيل سببها موسى بن نصير أمير المغرب.

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال: لو اتقاد الناس لي لقدنتهم حتى افتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى، ولما قدم على الوليد قدم معه ثلاثين ألفاً من السي غير ما ذكرنا، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب، وقدم معه من الأموال والتحف واللؤلؤ والجواهر ما لا يحصى ولا يوصف.

ولم يزل مقيماً بدمشق حتى توفي الوليد وتولى سليمان، وكان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظمية، ولم يزل في يده حتى حج سليمان في هذه السنة وأخذ معه فمات بالمدينة، وقيل بوادي القري، وقد قارب الثمانين، وقيل: توفي سنة تسع وتسعين فآله أعلم ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

ففي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية، وراء الجيش الذين هم هناك، فسار إليها ومعه جيش عظيم، ثم التفت عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مئين من طعام، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فإذا هو أمثال الجبال، فقال لهم مسلمة: اتركوا هذا الطعام وكلوا عما تجلبونه في بلادهم، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه، وابنوا لكم بيوتاً من خشب، فإننا لا نرجع عن هذا البلدة إلا أن تفتحها إن شاء الله. وقد داخل مسلمة رجلاً من النصارى يقال له إليون، وواطئه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية، فدخل إليون في رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفاً شديداً، فلما دخل إليون إليهم قالوا له: رد عنا ونحن نملكك علينا فخرج فاعمل الحيلة في الغدر والمكر، ولم يزل يقيه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين، وذلك لأنه قال لمسلمة: إنهم ما داموا يرون هذا الطعام عندك يظنون أنك تطاولهم في القتال، فلو أحرقت لتحققوا منك العزم، وسلموا لك البلد سريعاً، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق، ثم اتشمع إليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتة الجيش في الليل، وأصبح وهو بالبلد عارياً للمسلمين، وأظهر العداوة الأكيدة، وتحصن بالبلد واجتمعت عليه الروم، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب، فلم يزل ذلك ذاهبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر

■ عبد الله بن محمد ابن الحنفية. وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

وفيهما كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين، وقيل: بقين من صفر منها، عن خمس وأربعين سنة، وقيل: عن ثلاث وأربعين، وقيل: إنه لم يجاوز الأربعين. وكانت خلافته ستين وثمانية أشهر.

وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان منها، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام وله من العمر تسع وثلاثون سنة، والصحيح قول الجمهور وهو القول الأول، والله أعلم.

وهو

■ سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو أيوب.

كان مولده بالمدينة في بني جزيمة، ونشأ بالشام عند أبيه، وروى الحديث عن أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الإفك، رواه ابن عساكر بمحضر تاريخ دمشق: ١٠/ ١٧٠ من طريق ابنه عبد الواحد بن سليمان عنه، وروى عن عبد الرحمن بن هنيئة أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال: فسكت فقال لي ابن عمر: مالك؟ فقلت: كنت أتمنى. فهل تتمنى يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: لو أن لي أحداً هنا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك، أو قال: ما خشيت أن يضريني. رواه محمد بن يحيى الذهلي عن أبي صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عنه.

قال الحافظ ابن عساكر بمحضر تاريخ دمشق: ١٠/ ١٧٠. وكانت داره بدمشق موضع مضاة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها، وبني داراً كبيرة بما يلي الباب الصغير، موضع الدوب المعروف ببلرب حمز، وجعلها دار الإمارة، وعمل فيها قبة صفراء تشبهاً بالقبة الخضراء، قال: وكان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للفرز، وقد أنفذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوه على بناء الجامع بها.

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بينه، الوليد وسليمان ومسلمة، بين يديه فاستقرأهم القرآن فأجادوا القراءة، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا، غير أنهم لم يكملوا أو يحكموا شعر الأعشى، فلامهم على ذلك، ثم قال: ليشنني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا يفحش، هات يا وليد، فقال الوليد:

ما مركب وركوب الخيل بمجني كمركب بين مدلوج وخلصال
فقال عبد الملك: وهل يكون من الشعر أرقث من هذا؟ هات يا سليمان، فقال:

حبنا رجعها يديها إليها في يدي درعها تحمل الإزارا
فقال: لم تصب، هات يا مسلمة، فأنشده قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقل
فقال: كذب امرؤ القيس ولم يصب، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء، وإنما ينبغي للعاشق أن يقتضي منها الجفاء ويكسوها المودة، ثم

وسيف التركي ناشب في خوذته، فنظر إليه يزيد بن المهلب قال: ما رأيت منظرأً أحسن من هذا، من هذا الرجل؟ قالوا: ابن أبي سبرة، فقال: نعم الرجل لولا انهماك في الشراب. ثم صمم يزيد بن المهلب على محاصرة جرجان، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار، ومائتي ألف ثوب، وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس: على الترس طيلسان وجام من فضة وسرقة من حرير.

وهذه المدينة كان سعيد بن العاص قد افتتحها صلحاً على أن يؤديوا الخراج في كل سنة فكانوا يحملون في كل سنة مائة ألف، وفي سنة مائتي ألف، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف، ويمنون ذلك في بعض السنين، ثم انتصروا جملة وكفروا، فغزاهم يزيد بن المهلب وردعها صلحاً على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص، قالوا: وأصاب يزيد بن المهلب من جرجان أموالاً كثيرة جداً، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة، فقال: أترون أحداً يزهد في هذا؟ قالوا: لا نعلمه، فقال: والله إني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهده فيه، فدعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مفزاً - فعرض عليه أخذ التاج فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: أقسمت عليك لتأخذنه، فأخذه وخرج به من عنده، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج، فمر بسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه التاج بكماله وانصرف، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالا كثيراً.

وقال علي بن محمد المائتي: قال أبو بكر الهذلي: كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار، فسأله عنها فقال: نعم وأحضرها، فقال له يزيد: هي لك، ثم استدعى الذي وثى به فشتمه، فقال في ذلك القطامي الكلي، ويقال: إنها لسان بن مكمل النميري.

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ مِنْهُ بِخَرِيْطَةٍ فَكُنْ يَأْتِنُ الْقُرَاءَ بِمَنْزِلَةِ يَأْ شَهْرٍ
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَوِيْلاً وَبِعَتْهُ مِنْ ابْنِ جَبْجُودَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْعُسْدُ

وقال مرة النخعي:

يا ابن المهلب ما أردت لي امرئ لولا كان كصالح القسراء
قال ابن جرير [رحمته]: ٥٣٩/٦. ويقال: إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أتاهم الله تعالى، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً، ثم عزم يزيد على السير إلى طبرستان، وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سرية الناس، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل من المسلمين في الحركة أربعة آلاف فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم عزم يزيد على فتح البلاد لا محالة، وما زال حتى صالحه صاحبها - وهو الإصبيذ - بمال كثير، سبعمائة ألف في كل عام، وغير ذلك من الشاع والرفيق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عُبد الله بن عبد الله بن عتبة: كان إماماً حجة، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة.

■ أبو الحفص النخعي.

وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم. قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته: وإنما أهل الدنيا على رحيل، لم تخض بهم نية ولم تطفن لهم دار حتى يأتي أمر وعد الله وعد وهم على ذلك، كذلك لا يديم نعيمها، ولا يؤمن فجاجتها ولا يفتي من شر أهلها ثم يتلو ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥] رزم الدنيا (٢٧).

وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان: آمنت بالله غلصا. وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري. قال: قال محمد بن سيرين: يرحم الله سليمان بن عبد الملك: افتتح خلافته بخير وختمها بخير، افتتحها بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

قد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة.

قال الهيثم بن عدي قال الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز: ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، ولا يسع رزقهم غيره، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيك اليوم، وهم غدا خصماؤك عند الله، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال: بالله أستعين.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن عطاء بن السائب. قال: كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعد وبرد وظلمة وريح شديدة، حتى فزعوا لذلك، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك، فقال له سليمان: ما يضحكك يا عمر؟ أما ترى ما نحن فيه؟ فقال له: يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمة فيه شائد ما ترى، فكيف بآثار سخطه وغضبه؟!

ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله: الصمت منام العقل والنطق يقطعه، ولا يتم هذا إلا بهذا.

ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقته ثم فتنه فلم يحمده عقله، فقال: فضل منطق الرجل على عقله خدعة، وفضل عقله على منطقته، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضا.

وقال: العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه.

وقال أيضاً: إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن.

ومن شعره يتسلى عن صديق له مات:

وَعَزَّ وَجَدِي فِي شِرَاحِيلِ أَسِي مَتَى شِئْتَ لَأَقِيَتْ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ

ومن شعره أيضاً:

وَيْسَ شَيْئِي إِلَّا أَقَارِقُ صَاحِبِي وَإِنْ مَلَيْتِي إِلَّا سَأَلْتُ لَهُ رُشْدًا

وَأَنْ قَامَ لِي بِالْوَدِّ مُسْتُ وَلَمْ أَكُنْ كَأَخْرَ لَا يُرْعَى قَتَامًا وَلَا غَهْنًا

وسمع سليمان ليلة صوت غناء في معسكر فلم يزل يفحص حتى أتى بهم، فقال سليمان: إن الفرس ليصهل فتستودق له الرثمة، وإن الجمال ليحظر فتضيق له الناقة، وإن التيس لينب فكثرته له العتر وإن الرجل ليتنى فتشاك له المرأة، ثم أمر بهم ليخصومهم، فيقال: إن عمر بن عبد

قال: أنا موجهكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن أتى به فله حكمه - أي مهما طلب أعطيه - فنهضوا من عنده فبينما سليمان في موكب إذا هو بأعرابي يسوق إبله وهو يقول:

لَوْ خُزُّ بِالسَّيْفِ رَاسِي فِي مَوْدَتِهَا لَكَانَ يَهْرِي سَرِيحًا نَحْوَهَا رَاسِي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل، ثم جاء إلى أبيه فقال: قد جئتكم بما سألت، فقال: هات، فأثد البيت فقال: أحسنت، وأنى لك هذا؟ فأخبره خبر الأعرابي، فقال: سل حاجتك ولا تنس صاحبك. فقال: يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد، وإنني أحب أن أكون ولي العهد من بعده، فأجابته إلى ذلك، ويعنه على الحج في سنة إحدى وثمانين، وأطلق له مائة ألف درهم، فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي الذي قال: ذلك البيت من الشعر، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد، كان بين يديه كالوزير والمشير، وكان هو المستحث على عمارة جامع دمشق، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للثلاث من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، كان سليمان بالرملة، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس، وقيل: إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه هناك، وعزم على الإقامة بالقدس، وأتته الوفود إلى بيت المقدس، فلم يروا وفادة هناك، وكان يجلس في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال، ويجلس أكابر الناس على الكراسي، وتقسّم فيهم الأموال، ثم عزم على المجيء إلى دمشق. فدخلها وكمل عمارة الجامع.

وفي أيامه جددت القصور واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مشاوراً ووزيراً، وقال له: إنا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فليكتب، وكان من ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها، وإطلاق الأسراء، وبذل الأعطية بالعراق، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول، بعدما كان من كان قبله يخرؤونها إلى آخر وقتها، مع أمور حسنة كان يسمعون من عمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل، ويعت من أهل مصر وأفريقية ألف مركب في البحر عليهم عمر بن هيرة، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة بن عبد الملك، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك في جماعة من أهل بيته، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير، حين قدم عليه من بلاد المغرب، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد كما قلنا والله أعلم.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا رزم الدنيا (٢٧): حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عرون الأسدي. قال: أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال:

الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع، ومن شاء أعطى ومن شاء منع.

إن الدنيا دار غرور، ومزل باطل، وزينة تقلب، تضحك باكياً وتبكي ضاحكاً، وتحيف آمناً وتؤمن خائفاً، تفقر مثرها، وتثري فقيرها، سالة لاجة بأهلها.

يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً، وارضوا به حكماً، واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده. اعلما عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائته كما يجلو ضوء الصباح إذا تنفس إديار الليل إذا عسعس.

العزير قال: يا أمير المؤمنين إنها مثله فتركهم.

وفي رواية أنه خصى أحدهم، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل: إنه بالمدينة، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم يأمره أن ينحني من عنده من المئين المختين.

وقال الشافعي: دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فدعاه إلى أكل الفالودج وقال له: إن أكلها يزيد في الدماغ فقال الأعرابي: لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل رأس البغل.

وذكروا أن سليمان بن عبد الملك كان نهماً في الأكل، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية، وأربع وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة، ثم أكل مع الناس على العادة في السباط العام.

ودخل ذات يوم بستاناً له قد أمر بكمه أن يجبس ثماره وقطفت له ومعه أصحابه فأكل القرم، واستمر هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك الفواكه، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما، ثم عاد إلى الفاكهة، ثم أتى بقبع يقعد فيه الرجل ملولاً بسويق وسمن وسكر فأكله ثم عاد إلى دار الخلافة، وأتى بالسباط فما قد من أكله شيئاً.

وقد روي أنه عرضت له حمى أدته إلى الموت، وقد قيل: إن سبب مرضه كان من أكل أربعمائة بيضة وستين من تين فآله أعلم.

وذكر الفضل بن المذهب وغيره أنه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء، واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة، ثم نظر في المرأة فأعجبه حسنه، وشمر عن ذراعيه وقال: أنا الخليفة الشاب.

وقيل: إنه كان ينظر في المرأة من فرقه إلى قممه ويقول: أنا الملك الشاب.

وفي رواية: أنه كان ينظر فيها ويقول: كان محمد نبياً يملأ، وكان أبو بكر صديقاً وكان عمر فاروقاً، وكان عثمان حياً، وكان علي شجاعاً، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب.

قالوا: فما دار عليه شهر، وفي رواية: جمعة، حتى مات. قالوا: ولما حم شرع يتوضأ فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته:

أَنْتَ يَنْعَمُ الْمَتَاعَ لَوْ كُنْتَ بَقِيَ غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاةَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا عَلِمْتَهُ فَيْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَنَانٌ

قالوا: فصاح بها وقال: عَزَّيْنِي فِي نَفْسِي وَصَرَفَهَا، ثم أمر خاله الوليد بن القعقاع الغنسي أن يصب عليه وقال:

قَرَّبَ وَضَوْؤَكَ يَا وَلِيدُ فَإِنَّمَا مَلَايَ الْحَيَاةَ تَلْعَةً وَمَتَاعُ

فقال الوليد:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحاً فَالْهَرَفُ فِيهِ فَرْقَةٌ وَجَمَاعُ

ويروي أن الجارية لما جاءت بالطلست جعلت تضطرب من الحمى، فقال: أين فلانة؟ فقالت: محموعة، قال: فلانة؟ قالت: محموعة، وكان يهرج دابق من أرض قنسرين، فأمر خاله فوضاه ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحة في الخبطة، ثم نزل وقد أصابته حمى فاستمر فيها حتى مات في الجمعة المقبلة.

ويقال: إنه أصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله.

وكان قد أقسم أنه لا يهرج يهرج دابق حتى يرجع إليه الخبر يفتح القسطنطينية، أو يموت قبل ذلك، فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مشواه، قالوا: وجعل يلهج في مرضه ويقول:

إِنْ يَنْسِي صَيِّئَةً صَيِّئاًزُ أَنْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كَيَازُ

فيقول له عمر بن عبد العزيز: قد أنلح المؤمنون يا أمير المؤمنين، ثم يقول:

إِنْ يَنْسِي صَيِّئَةً صَيِّئُونَ أَنْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ شَيْتُونُ

ويروي أن هذا آخر ما تكلم به، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال: أسألك متقبلاً كريماً. ثم قضى.

وروي ابن جرير [٢٥٠/٦] عن رجاء بن حيوة - وكان وزير

صدق لبي أمية - قال: استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن

يولي ابناً له صغيراً لم يبلغ الحلم، فقلت: إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن

يولي على المسلمين من بعده الرجل الصالح، ثم شاورني في ولاية ابنه

داود، فقلت: إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحيى هو أم ميت،

فقال: فمن ترى؟ فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف ترى في عمر بن

عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله

فقال: هو والله على ذلك، أخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك، ولكن

أخوف إخوتي لا يرضون بذلك. فأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك

ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضي بذلك بني مروان، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين

لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليت الخلافة من بعدي ومن بعده يزيد بن

عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم

عدوكم.

وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة،

فقال له: أجمع أهل بيتي فمرهم فليأيعوا على ما في هذا الكتاب ختموا،

فمن أبي منهم فأضرب عنقه. فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على

أمير المؤمنين، فقال لهم: هذا الكتاب عهدني إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا

ويايعوا من وليت فيه، فليأيعوا رجلاً رجلاً.

قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أشدك الله

وحرمي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى استعفيه الآن قبل

أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة، فقلت: والله لا

أخبرك حرفاً واحداً. قال: ولقيه هشام بن عبد الملك فقال: يا رجاء إن لي

بك حرمة ومودة قديمة، فأخبرني هذا الأمر فإن كان لي علمت، وإن كان

لي غيري تكلمت، فما مثلي فصر به عن هذا. فقلت: والله لا أخبرك

حرفاً واحداً عما أُمِر لي.

قال رجاء: ودخلت على سليمان فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته

السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة، فإذا أفارق يقول: لم يأن لذلك

بعد يا رجاء، فجعلت ذلك مرتين فلما كانت الثالثة قال لي: من الآن يا

رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله، قال: فحرفته إلى القبلة ومات رحمه الله. فخطبته بقطيفة خضراء

وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد

دابق، فقلت: يا أيها لمن في هذا الكتاب، فقالوا: قد بايعنا، فقلت: يا أيها

ثانية، ففعلوا ثم قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، وقرأت الكتاب

والخليفة، فكتب إلى مسلمة يقول له: إن إليون كتب إلي يستصرنني عليك، وأنا معك فعربي بما شئت. فكتب إليه مسلمة: إنني لا أريد منك رجلاً ولا عنداً، ولكن أرسل إلي بالميرة فقد قلّ ما عندنا من الأزواد. فكتب إليه: إنني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كنا وكنا، فأرسل من يسلمها ويشتري منها.

فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه، فذهب خلق كثير فوجدوا هناك سوقاً هائلة، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة، فأقبلوا يشترون، واشتغلوا بذلك، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخيـث من الكتمان بين تلك الجبال التي هنالك، فخرجوا عليهم بئمة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان بن عبد الملك يخبره بما وقع من ذلك، فأرسل جيشاً كثيراً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا، وأمرهم أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان، ثم يعبروا إلى مسلمة، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخلدجان، فإتلتوا معهم قتالاً شديداً، فهزمهم المسلمون بإذن الله، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً وخلصوا أسرى المسلمين، ثم تحجزوا إلى مسلمة بن عبد الملك فكتلوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم، ومن ضيق العيش، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أتابهم الله تعالى.

خلافة عمر بن عبد العزيز أشج بني مروان رضي الله

عنه وأكرمه

قد تقدم أنه يبيع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين - وقيل: بقين من صفر من هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قلنا، وقد ظهرت عليه غايل الورع والدين والتشف والصيانة والزراعة، من أول حركة بدت منه، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة، وهي الخيل الحسان الجياد المعدة لها، والاجترأ بمركوبه الذي كان يركبه، وسكن منزله رغبة عن منزل الخلافة، ويقال: إنه خطب الناس فقال في خطبته:

أيها الناس، إن لي نفساً تواق لا تعطى شيئاً إلا تأقت إلى ما هو أعلى منها، وإنني لما أعطيت الخلافة تأقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهو الجنة، فأعينوني عليها يرحمكم الله. وسأنتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله تعالى.

وكان مما بادر إليه عمر بن عبد العزيز في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم وهم محاصرو القسطنطينية، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال، لأنهم عسكر كثير، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم. وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق، يقال: خمسمائة فرس، ففرح الناس بذلك. وفي هذه السنة أغارت الترك على أفريجيان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وبعث منهم أسارى إلى عمر بن عبد العزيز وهو بمغناصرة. وقد كان المؤمنون يذكرونه بعد أذنتهم باقتراب الوقت وضيقه لتلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله، لكثرة الأشغال، وكان ذلك عن أمره لم بذلك فإله أعلم.

عليهم، فلما انتهت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان، فلما قرأت: وإن يزيد بن عبد الملك من بعده، تراجعوا بعض الشيء. ونادى هشام: لا نبايه أبداً، فقلت: أضرب والله عتقك، ثم فابع، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد، فلما تحقق ذلك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بقصبيه فاصعدوه على المنبر، فسكت حيناً، فقال رجاء بن حيوة: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم فبايعوه، ثم قام إليه هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت تتنازع هذا الأمر. ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبايعوه، فكان ما قال في خطبته: أيها الناس، لست بمبتدع ولكي متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فانا وإياكم، وإن هم أبوا فليست لكم بوال.

ثم نزل، فشرعوا في جهاز سليمان.

قال الأوزاعي: فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر بن عبد العزيز بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب، فلما انصرف عمر بن عبد العزيز أتى بمراكب الخلافة فلم يركبها وركب دابته ثم سار مع الناس حتى أتوا دمشق، فمالوا به نحو دار الخلافة فقال: لا أنزل إلا في منزلي حتى تغرق دار أبي أيوب، فاستحسن ذلك منه، ثم استدعى بالكاتب فجعل يمل عليه نسخة الكتاب الذي يبايع عليه الأمصار، قال رجاء: فما رأيت أفصح منه.

قال محمد بن إسحاق: وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين، على رأس ستين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته، ومنهم من يقول: لعشر بقين من صفر، وقالوا: كانت ولايته ستين وثمانية أشهر، زاد بعضهم: إلا خمسة أيام والله أعلم. وقول الحاكم أبي أحمد: إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته ثلاثة وستين وثلاثة أشهر وخمسة أيام وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة فقد حكاه ابن عساکر، وهو غريب جداً، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله، وعندهم أنه جاوز الأربعين فقيل: بثلاث وقيل بخمسة والله أعلم.

قالوا: وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً بليغاً، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومجبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله.

وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قرية من بلاد حلب - لما جهزت الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت، فمات هنالك كما ذكرنا، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله من يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله.

وقد ذكر الحافظ ابن عساکر [راجع دمشق: ٤٤٧/٢٢] في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضونه: أن مسلمة بن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتبع المسالك واستحوذ على أكثر ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان يستصره على مسلمة، ويقول له: إن هؤلاء القوم ليس لهم همة إلا في الدصرة إلى دينهم، الأقرب منهم فالأقرب، وإنهم متى فرغوا مني فخلصوا إليك، فمهما كنت صانعاً حيثنؤ فاصنعه الآن، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر

لوروى ابن عساکر [الربيع دمشق: ٣٢٨/١٢] في ترجمة حريز بن عثمان الرحبي الحمصي قال: رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة حي على الفلاح، الصلاة قد قارت.

وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة، فاستقضى عليها الحسن البصري، فاستعفا فاعفاه، واستقضى مكانه إلياس بن معاوية الذكي المشهور، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه، واستقضى عليها عامراً الشعبي.

قال الواقدي: فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز. وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن وقاعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله المخزومي، وكان حسن السيرة، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن محمد بن الحنفية: تابعي جليل، يقال: إنه أول من تكلم في الإرجاء، وقد تقدم أن أبا عبيد قال: توفي في سنة خمس وتسعين. وذكر خليفة [طهارة: ٥٩٩/٢] أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وذكر شيخنا الذهبي في الأعلام [سير أعلام النبلاء: ١٣٠/٤٠]، وعنده أنه توفي سنة ثمان أو في التي قبلها نقلًا عن خليفة بن خياط أنه توفي هذا العام، والله أعلم.

وفيها توفي

■ سليمان بن عبد الملك بن مروان كما تقدم.

■ عبد الله بن محمير بن جادة بن وهب: القرشي الجمحي المكي، نزىل بيت المقدس، تابعي جليل، روى عن زوج أمه أبي محذورة المؤذن، وعبادة بن الصامت، وأبي سعيد، ومعاوية، وغيرهم، وعنه خالد بن معدان، ومكحول، وحسان بن عطية، والزهرى، وآخرون.

وقد وثقه غير واحد، وأثنى عليه جماعة من الأئمة، حتى قال رجاء بن حيوة: إن يفخر علينا أهل المدينة بعبادهم ابن عمر، فإننا نفخر عليهم بعبادنا عبد الله بن محمير.

وقال بعض ولده: كان يجتمه القرآن كل جمعة، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه.

قالوا: وكان صموتاً معتزلاً للفنن، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يذكر شيئاً من خصاله الحمودة، ورأى على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه، فقال: إنما البسها من أجل هؤلاء - وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن محمير: لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من الناس.

وقال الأوزاعي: من كان مقتبلاً فليقتد بمثله، فإن الله لا يفضل أمة فيها مثله. قال بعضهم: توفي أيام الوليد.

وقال خليفة بن خياط [طهارة: ٧٥٥/٢]: توفي أيام عمر بن عبد العزيز. وذكر الذهبي في الأعلام [سير أعلام النبلاء: ٤٩٦/٤]، وعنده أنه توفي في خلافة الوليد أنه توفي في هذا العام، والله سبحانه أعلم.

دخل ابن محمير مرة حائوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم، فقال له جاره: ويحك هذا ابن محمير ضع له، فأخذ ابن محمير بيد غلامه وقال: اذهب بنا، إنما جئت لشتري بأموالنا لا بأدياننا، فذهب وتركه.

■ محمود بن لبيد بن عقبة: أبو نعيم الأنصاري الأشعري المدني: ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث لكن حكمها الإرسال.

وقال البخاري [الربيع الكبير: ٤٠٢/٧] لم يذكر أنه له صحبة: له صحبة.

وقال ابن عبد البر [الاستيعاب: ١٣٧٩/٣]: هو أسنُّ من محمود بن الربيع.

قيل: إنه توفي في سنة ست وقيل: سبع وتسعين.

وذكر الذهبي في الأعلام [سير أعلام النبلاء: ٤٨٩/٣]، وعنده أنه توفي سنة سبع وتسعين، أو ست وسبعين أنه توفي في هذا العام أعني سنة تسع وتسعين والله أعلم باليقين.

■ نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني، روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، وكان ثقة عابداً ينجح ماشياً ومركوبه يقاد معه.

قال غير واحد: توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة. والله أعلم.

■ كريب بن مسلم: مولى ابن عباس، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم، وكان عنده حمل كتب، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة.

■ محمد بن جبير بن مطعم: كان من علماء قريش وأشرفها، وله روايات كثيرة، توفي في المدينة، ودفن في البقيع.

■ محمد بن الربيع الأنصاري أبو محمد: له روايات كثيرة، وكان يعقل عجة جهها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين، توفي وعمره ثلاث وتسعين سنة بالمدينة.

■ مسلم بن يسار: أبو عبد الله البصري، الفقيه الزاهد، له روايات، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع، وقيل: إنه وقع في نار حريق فاطفأوه وهو في الصلاة لم يشعر به، وله مناقب كثيرة رحمه الله.

قلت: وإنه لمت مرة ناحية من المسجد ففرغ أهل السوق لهدتها، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت.

وقال ابنه: رأته ساجداً وهو يقول: متى القالك وأنت عني راض؟ ثم يذهب في الدعاء، ثم يقول: متى القالك وأنت عني راض؟ وكان إذا كان في غير صلاة كآته في الصلاة، وقد تقدمت ترجمته.

■ حش بن عبد الله بن عمرو الصنعائي: كان والي إفريقية وبلاد المغرب، وإفريقية توفي غزياً، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة.

■ خارجة بن زيد بن الضحاک الأنصاري المدني الفقيه، كان يفتي بالمدينة، وكان من فقهائها المعنودين، كان عالماً بالفرائض وتقسيم الموارث، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين منار الفتوى على قولهم.

سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الإمام أحمد (١٩٣/١): حدثنا علي بن حفص أنبأنا ورقاء عن منصور عن النبال بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال: دخل أبو مسعود على علي فقال: أت القاتل قال رسول الله ﷺ: «لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس مفوضة؟» إنما قال رسول الله ﷺ: «لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس مفوضة بمن هو حي»، وإن رخصاً هذه الأمة بعد المائة. تفرد به أحمد.

وفي رواية (المسند: ١٤٠/١) لابنه عبد الله أن علياً قال له: يا فروخ أنت القاتل: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ أخطأت استك الحفرة، إنما قال رسول الله ﷺ: «لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى الأرض عين تطرف ممن هو اليوم حي» وإنما رخص هذه الأمة وفرجها بعد المئة. تفرد به وهكذا جاء في الصحيحين (١١٩٦)، (٢٥٣٧) عن ابن عمر، فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك وإنما أراد انحرام قرنه.

ولها خرجت خارجة من الحرورية بالعراق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق، ويتلطف بهم، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً تكسرهم الحرورية، فبعث عمر إليه يلومهم على جيشه، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم، فآظفهم الله بهم، وقد أرسل عمر بن عبد العزيز إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له: ما أخرجك علي؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك، ولست أولى بذلك مني وهلم أنظرك، فإن رأيت حقاً اتبعته، وإن أبديت حقاً نظرتا فيه.

فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر بن عبد العزيز ورجلين فسالهما: ماذا تقومون؟ فقالا: جعلك يزيد بن عبد الملك من بعديك، فقال: إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري. قالوا: فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك؟ فقال: أنظرنى ثلاثة، فيقال: إن بني أمية دسست إليه سماً فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمتصهم الأموال والله أعلم.

وفي هذه السنة غزا عمر بن الوليد بن هشام المصيطي، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص، الصائفة.

ولها ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هيرة نياية الجزيرة فصار إليها. ولها حل يزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز من العراق، أرسله عدي بن أوطاة نائب البصرة وقد كان أظهر الامتناع مع موسى بن وجيه، وكان عمر يفضي يزيد بن المهلب وأهل بيته، ويقول: هؤلاء جبابة ولا أحب مثلهم، فلما دخل على عمر طالبه بما قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده، فقال: إنما كتبت بذلك لأرهب الأعداء بذلك، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء، وقد عرفت مكانتي عنده فقال له عمر: لا أسمع منك هذا، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين، وأمر بسجنه.

وكان عمر قد بعث على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي عوضه، وقدم ولد يزيد بن المهلب، مخلد بن يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد من على هذه الأمة بولايته عليها، فلا تكونن أشقى الناس بك فعلام تحبس هذا الشيخ وأنا أقوم بما تصالحي عنه؟ فقال عمر: لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع ما يطلب منه، ولا تأخذ منه إلا جميع ما

عنده من مال المسلمين. فقال: يا أمير المؤمنين إن كانت لك بيته عليه بما تقول وإلا فاقبل بيته أو فصلخي عنه، فقال: لا تأخذ منه إلا جميع ما عنده. فخرج مخلد بن يزيد من عند عمر، فلم يلبث أن مات مخلد. فكان عمر يقول: هو خير من أبيه.

ثم إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة من صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي إليها الفساق، فشفعوا فيه فرده إلى السجن، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه، فهرب من السجن وهو مريض، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك، وبذلك كتب إليه كما سيأتي، وأظنه كان عالماً أن عمر قد سقي سماً.

وفي هذه السنة في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان، بعد ستة وخمسة أشهر، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول: أتمم إنما تسلمون فراراً منها. فامتنعوا من الإسلام وثبوا على دينهم وأدوا الجزية.

فكتب إليه عمر: إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً، ولم يعنه جايئاً. وعزله وولي بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري على الحرب، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج.

ولها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، وبين لهم الحق ويوضحه لهم ويعظهم فيما بينه وبينهم، ويخوفهم بأس الله وانتقامه، وكان فيما كتبه إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري:

أما بعد فكن عبداً لله ناصحاً لله في عباده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، ولا تولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالصيحة لهم، والتوفير عليهم. وأداء الأمانة فيما استرعي، وإياك أن يكون ملك ميلاً إلى غير الحق، فإن الله لا تخفى عليه خافية، ولا تدعن عن الله ملجأ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال.

وقال البخاري في صحيحه [كتاب الإيمان - باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»]: وكتب عمر إلى عدي بن عدي:

إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وستاً، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأيتها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص.

وفي هذه السنة كان بدؤ دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان مقبياً بأرض الشراة - فبعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة، إلى العراق، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج، وهو أبو محمد الصادق، وحيان العطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي قبل أن يعزل في رمضان، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته، فلحقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى ميسرة الذي بالعراق، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسره، وكان مباديء أمر قد كتب الله إقامته، وأول رأي قد أحكم الله إيمانه، وذلك أن دولة بني أمية كان قد بان عليها غليل الوهن والضعف، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز، كما سيأتي بيانه. وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيباً، وهم سليمان بن كثير الخزاعي، ولازم بن قريظ التميمي، وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن

علي بن أبي طالب، شهد معه حروبه كلها، لكن تقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد، ويقال: إنه كان حامل رايته، وقد روي أنه دخل على معاوية فقال له: ما أبقي لك الدهر من تَكَلُّك علياً؟ فقال: تَكَلُّ العجوز المقلات والشيوخ الرقوب، قال: كيف جيك له؟ قال حب أم موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير.

قبل إنه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة وقيل ستة عشر ومائة فالله أعلم.

قال مسلم بن الحجاج: وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مائة.

■ أبو عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل البصري، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين، وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ، ومثل هذا يسميه أئمة الحديث خضرماء، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب، فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة وصحب سلمان الفارسي ثني عشرة سنة حتى دفته، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، منهم أيوب، وحيد الطويل، وسليمان بن طرخان التيمي.

وقال عاصم الأحول: سمعته يقول: أدركت في الجاهلية بغوث صنماً من رصاص يجعل على جبل أجرد، فإذا بلغ وادياً برك فيه فيقولون: قد رضي ربكم لكم هذا الوادي فيزلون فيه.

قال: وسمعته وقد قيل له: أدركت النبي ﷺ؟ فقال: نعم! أسلمت على عهده، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات، ولم ألقه، وشهدت البيروك والقادسية وجولاء ونهاوند وتُسْتَر وأذربيجان ورستم.

وقال غيره: كان البشير إلى عمر في فتح نهاوند.

قالوا: وكان أبو عثمان صواماً قواماً، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه، وكان يصلي حتى يغشى عليه، وحج ستين مرة ما بين حجة وعمرة.

قال سليمان التيمي: إني لأحسبه لا يصيب ذنباً، لأنه كان ليله قائماً ونهاره صائماً، وقال بعضهم: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: أتت علي ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أمني فإني أجده كما هو.

وقال ثابت البناني عن أبي عثمان: قال: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قال فيقول له: من أين تعلم ذلك؟ فيقول: قال الله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] فإذا ذكرت الله تعالى ذكرني.

قال: وكنا إذا دعونا الله قال: والله لقد استجاب الله لنا، قال الله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [طه: ٦٠].

قالوا: وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل: وأربعين سنة قاله هشيم وغيره.

قال المدائني وغيره: توفي سنة مائة.

وقال الفلاس: توفي سنة خمس وتسعين. والصحيح سنة مائة والله أعلم.

وفيهما توفي

■ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وكان يفضل على والده في العبادة والانتقطاع عن الناس، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه.

كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي معيط - ومالك بن المهيم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وعمرو بن أعين أبو حزة - مولى لخزاعة - وشبل بن طهمان أبو علي الهروي - مولى لبني حنيفة - وعيسى بن أعين مولى لخزاعة أيضاً. واختار منهم سبعين رجلاً أيضاً. وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثلاً وسيرة يقتدون بها ويسرون بها.

وقد حج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، نائب المدينة.

والنواب على الأمصار هم المذكورون في التي قبلها، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم.

ولم يحج عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته لشغله بالأموار، ولكنه كان يرد البريد إلى المدينة فيقول له: سلم على رسول الله ﷺ عني، وسيأتي بإسناده إن شاء الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سالم بن أبي الجعد الأشجعي: مولاهم الكوفي. آخر زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران ومسلم، وهو تابعي جليل، روى عن ثوبان وجابر وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والنعمان بن بشير وغيرهم. وعنه قتادة والأعمش وآخرون، وكان ثقة نبيلاً جليلاً توفي في هذه السنة على المشهور.

■ أبو أمامة بن سهل بن حنيف: الأنصاري الأوسي المدني، ولد في حياة النبي ﷺ، ورآه وحديث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس. وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة.

قال الزهري: كان من علية الأنصار وعلمائهم، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا.

وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم، قال: آخر خروجة خرجها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الجمعة حصبه الناس وحالوا بينه وبين الصلاة، فغلب بالناس يومئذ أبو أمامة بن سهل بن حنيف.

قالوا: توفي سنة مائة والله أعلم.

■ أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي تابعي جليل، سمع أبا أمامة صدي بن عجلان، وعبد الله بن بسر، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حنيفة مرسلة، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده، وقد وثقه ابن معين وغيره.

ومن أغرب ما روي عنه قول قتية: حدثنا شهاب بن خراش عن حيد بن أبي الزاهرية عن أبيه قال: أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقت علي الباب، فما انتهت إلا بتسييح الملائكة فوثبت مذعوراً فإذا الملائكة صفوف، فدخلت معهم في الصف.

قال أبو عبيد وغيره: مات سنة مائة.

■ أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكنتاني، صحابي، وهو آخر من رأي النبي صلى الله عليه وسلم وفاة بالإجماع قال: روى عن النبي ﷺ أنه رآه يستلم الركن بمحجنه، وذكر صفة النبي ﷺ، وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود، وحدث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين، وكان من أنصار

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن منادياً بين السماء والأرض ينادي: أتاكم اللين والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين، فقلت: ومن هو؟ فتزل فكتب في الأرض عمر.

وقال آدم بن أبي إياس: حدثنا ضمرة، حدثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز. قال: دخل عمر ابن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه وهو غلام فضره فرس فشجه، فجعل أبوه يحسح عنه الدم ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك إذاً لسعيد.

رواه الحافظ ابن عسكار من طريق هارون بن معروف عن ضمرة. وقال نعيم بن حاد: حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قيس أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير، فبلغ ذلك أمه فارسلت إليه فقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت، فبكى أمه. وكان قد جمع القرآن وهو صغير.

وقال الضحاك بن عثمان الحزامي. كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤديه، فلما حج أبوه اجتاز به في المدينة فسأله عنه فقال: ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام. وروى يعقوب بن سفيان العرقه والتاريخ: ٥٦٨/١، ٥٦٩ أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان: ما شغلك؟ فقال: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال له: أقنمت ذلك على الصلاة؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه.

وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه، فبلغ عبيد الله أن عمر يتقصص عليه، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي، فجلس عمر ينتظره، فلما سلم أقبل على عمر مغضباً وقال له: متى بلغت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ قال: ففهمها عمر وقال: معذرة إلى الله ثم إليك، والله لا أعود، قال: فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا أبي، حدثنا الفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند. قال: دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - يعني باباً من أبواب مسجد النبي ﷺ - فقال رجل من القوم: بعث إلينا الفاسق لنا بانه هذا يعلم الفرائض والسنن، ويزعجهم أنه لن يموت حتى يكون خليفة، ويسير بسيرة عمر بن الخطاب. قال داود: فوالله ما مات حتى رأينا ذلك فيه.

قال الزبير بن بكار: حدثني العتيبي قال: إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، قال: إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه، فأراد إخراجه معه، فقال: يا أبه أو غير ذلك لعله يكون اتبع لي ولك؟ قال: وما هو؟ قال: ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها وأتأدب بأدابهم، فوجهه إلى المدينة، وأرسل معه الخدام، فقعده مع مشايخ قرش، وتجنب شبابه، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه أخذته معه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابته فاطمة، وهي التي يقول فيها الشاعر:

بُنْتُ الْخَلِيفَةَ وَالْخَلِيفَةُ جُدُّهَا أَخْتُ الْخَلِيفَةِ وَوَجْهَهَا

قال: ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها.

قال العتيبي: ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز يقيم عليه شيئاً سوى

فيها كان حرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز فواعد غلمانه يلقونه بالخليل في بعض الأماكن، وقيل: بسبل له، ثم نزل من محبه ومعه جماعة وامراته عائكة بنت الفرات العامرية، فلما جاءه غلمانه ركب راحله وسار، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك، ولو رجوت حياتك ما خرجت، ولكني خشيت من يزيد بن عبد الملك فإنه يتوعدني بالقتل، وكان يزيد بن عبد الملك يقول: لئن وليت لأقطع من يزيد بن المهلب طائفة، وذلك أنه لما ولي العراق عاقبت أصحابه أن يهملوا، وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجاً ببنت محمد بن يوسف أخي الحجاج، وله منها ابنة الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي.

ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال: اللهم إن كان يريد بهذه الأمة سوءاً فأكفهم شره واردد كيده في نحره. ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بمخاضرة، من دير سمعان بين حماة وحلب، في يوم الجمعة، وقيل في يوم الأربعاء لخمس بقين من رجب من هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فאלله أعلم. وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد ستين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان حكماً مقسطاً، وإماماً عادلاً ورعاً ديناً، لا تأخذه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى.

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي الإمام المشهور

رحمه الله وأكرم مثواه

هو

■ عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين، وأمّه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ويقال له: أشج بن مروان، وكان يقال: الأشج والناقص أعداء بني مروان. فهذا هو الأشج وسيأتي ذكر الناقص.

كان عمر تابعياً جليلاً، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام، ويوسف صحابي صغير. وروى عن خلق من التابعين. وعنه جماعة من التابعين وغيرهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا أرى قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز.

بوع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك، عن عهد منه له بذلك كما تقدم، ويقال: كان مولده في سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما بمصر، قاله غير واحد.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ٣٣٠/٥): ولد سنة ثلاث وستين.

وقيل: سنة تسع وخمسين، فالله أعلم.

وكان له جماعة من الأخوة ولكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث. قال: بلغني أن عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة كان

عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة.

وقال عبد الله بن طائوس: رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا، فلما افترقا قلت: يا أبا من هذا الرجل؟ قال: هذا عمر بن عبد العزيز، وهو من صالحى هذا البيت - يعني بني أمية -.

وقال عبد الله بن كثير: قلت لعمر بن عبد العزيز: ما كان يده إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي فقال لي: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة.

وقال الإمام مالك: لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعني في سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها ويكى وقال لمولاه: يا مزاحم، أخشى أن تكون من نقت المدينة - يعني أن المدينة تنفي خبيثها كما ينفي الكبر خبيث الحليد - وتنصع طيها.

قلت: خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حينئذ، ثم قدم دمشق على بني عمه.

قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني، فلما قدمت الشام نسيت.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال: سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته، فقال: كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت.

وقال ابن وهب عن الليث عن عقيل عن الزهري قال قال عمر بن عبد العزيز: بعث إلي الوليد ذات ساعة من الظهر، فدخلت عليه فإذا هو عابس، فأشار إلي أن اجلس، فجلست بين يديه فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل؟ فسكت، ثم عاد فسكت، ثم عاد فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن سب، فقلت: يتكلم به، فنضب وانصرف إلى أهله، وقال لي ابن الريان السيف: اذهب، قال: فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه.

وقال عثمان بن زفر: أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأبقار والرجال، فقال له سليمان: ما تقول يا عمر في هذا؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المسؤول عن ذلك كله، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، ونعّب نعبه، فقال له سليمان: ما تقول في هذا يا عمر؟ فقال: لا أدري، فقال: ما ظنك أنه يقول قال: كأنه يقول: من أين جاءت وأين ينهب بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبك؟ فقال عمر: أعجب منى من عرف الله فمصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها.

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بعرفة وجعل سليمان يعجب من كثرة الناس فقال له عمر: يا أمير المؤمنين: هؤلاء رعيك اليوم وأنت مسئول عنهم غداً.

وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة، فبكى سليمان وقال: بالله أستعين.

وتقدم أنه لما أصابهم في بعض الأسفار رعد شديد وبرد وظلمة شديد فجعل عمر يضحك من ذلك فقال له سليمان: أتضحك ونحن فيما نرى؟ فقال: نعم هذه آثار رحمته ونحن في هذه الحال، فكيف بأثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال؟.

متابعتها في النعمة، والاختيال في المشية، وقد قال الأحنف بن قيس: الكامل من عُدَّتْ هفواته ولا تعد إلا من قلة.

وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والتاع والدواب هو وإخوته ما لم يرته غيره فيما نعلم، كما تقدم ذلك.

ودخل يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجافف في مشيته فقال له: يا عمر مالك تمشي غير مشيتك؟ قال: إن في جرحاً، فقال: وأين هو من جسدك؟ قال: بين الرافقة والصحن - يعني بين طرف الألية وجللة الحصىة - فقال عبد الملك لروح بن زباع: بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب هذا الجواب.

قالوا: ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه وليس المسرح تحت ثيابه سبعين يوماً، ولما وُلِّي الوليد عامله بما كان أبوه يعامله به، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين، وستة وتسعين، وحج بالناس الوليد سنة إحدى وتسعين، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين وثلاث وتسعين.

وبنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي ﷺ ووسعه عن أمر الوليد له بذلك، فدخل فيه قبر النبي ﷺ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة، وأعلمهم سيرة، كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه، وقد عين عشرة منهم، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر منهم، وهم عروة، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد بن ثابت.

وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيب، وقد كان سعيد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة.

قال ابن وهب، عن عبد الجبار الأيلي، عن إبراهيم بن أبي عيلة: قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره، وقد نديهم عمر يومئذ راباً.

وقال ابن وهب: حدثني الليث حدثني قادم البربري أنه ذكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة، قال: فقال له ربيعة: كأنك تقول: أخطأ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط. وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك. قال: ما صليت وراء إمام قط أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة (ص ٩٨٠).

قالوا: وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود.

وفي رواية صحيحة (ص ٨٨٨)، (ص ١١٤٤) أنه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً.

وقال ابن وهب: حدثني الليث عن أبي النضر المديني، قال: لقيت سليمان بن يسار خراجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له: من عند عمر خرجت؟ قال: نعم! قلت: تعلمونه؟ قال: نعم، فقلت: هو والله أعلمكم.

وقال بجاهد: أثبتنا نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة، وفي رواية قال ميمون: كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء.

وقال الليث: حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزية، قال: ما التمسنا علم شيء إلا وجئنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه، وما كان العلماء

وأذن سمعية، قال: فترقرقت عينا الفتى. فأرسل يده من يد خالد وولى، فقلت: من هذا؟ قال: هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي أمير المؤمنين، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى.

قلت: قد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيء جيد من أخبار الأرائل وأقوالهم، وكان ينظر في النجوم والطب.

وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة عزم أن يكتب العهد باسم أحد أولاده، فما زال به وزيره الصادق رجاء بن حيوة حتى صرفه عن ذلك، وأشار عليه أن يجعل الأمر من بعده لأصلح الناس لهم، فاهم الله الخليفة رشده فمئن لما ابن عمه عمر بن عبد العزيز ليجود رايه رجاء بن حيوة وصوبه فكتب سليمان العهد من بعده لعمر بن عبد العزيز في صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك عمر ولا أحد من بني مروان سوى سليمان ورجاء، ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الأمراء ورؤوس الناس من بني مروان وغيرهم، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المخومة، ثم انصرفوا، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا ثانية قبل أن يعلموا موت الخليفة، ثم فتحها فقرأها عليهم، فلما فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز، فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه فاتفقت له البيعة.

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود، ثم يشهدون على ما فيه فينفذ، فسوى ذلك جماعات من أهل العلم، قال القاضي أبو الفرج المعاني بن زكريا الجبري: أجاز ذلك وأضاه وافق ذلك الحكم به جمهور أهل الحجاز.

وروي ذلك عن سالم بن عبد الله. وهو مذهب مالك وعمر بن مسلمة المخزومي ومكحول، وغير بن أوس وزرعة بن إبراهيم، والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، ومن وافقهم من فقهاء الشام.

وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جندته، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاةهم.

وروي عن ثقافة وعن سوار بن عبد الله وعبيد الله بن الحسين ومعاذ بن معاذ العبدي فيمن سلك سبيلهم، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه.

قلت: وقد اعتنى به البخاري في صحيحه.

قال المعاني: وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق، منهم إبراهيم وحامد والحسن، وهو مذهب الشافعي وأبي ثور، قال: وهو قول شيخنا أبي جعفر، وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب إلى القول الأول، قال الجبري: وإلى القول الأول نذهب.

وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان بن عبد الملك أتى بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأتأى يقول: -

فَلَوْلَا النَّفْسُ تَمَّ النَّفْسُ خَشْيَةَ الرَّؤْيِ لَقَصَيْتُ فِي حَبِّهِ الصَّبَا كُلَّ زَاجِرٍ
نَفْسِي مَا نَفْسِي فِيمَا نَفْسِي ثُمَّ لَا تَرَى لَهُ صَبْرَةَ أُخْرَى إِلَّا بَالِي النَّوَابِرِ

ثم قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. قدموا إلي بغلي، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة فيمن يريد، وكانت من الخيول الجياد الثمينة، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال.

قالوا: فلما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه،

وذكر الإمام مالك أن سليمان وعمر تناولوا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام: كذبت، فقال: تقول لي: كذبت؟ والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر، فلم يمكنه سليمان، ثم بعث إليه فضالحه وقال له: ما عرض لي أمر يهمني إلا خضرت على بالي.

وقد ذكرنا أنه لما حضرت سليمان بن عبد الملك الوفاة أوصى بالأمير من بعده وإلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك ولله الحمد.

فصل وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة المالجشون حدثنا عبد الله بن دينار قال قال ابن عمر: يا عجبا! يزعم الناس أن الدنيا لا تقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر، قال: فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر، قال: وكان يوجهه أثر، فلم يكن هو، وإذا هو عمر بن عبد العزيز، وأمه ابنة حاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

وقال البيهقي: أنبأنا الحاكم أنبا أبو حامد أحمد بن علي المقرئ حدثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع. قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: إن من ولدي رجلا يوجهه شئني يلي فيما لا الأرض عدلا.

قال نافع من قبله: ولا أحبه إلا عمر بن عبد العزيز.

ورواه المبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع. وقال: كان ابن عمر يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا؟

وقال وهيب بن الورد: بينما أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول: يا أيها الناس! ولي عليكم كتاب الله. فقلت: من؟ فأشار بيده إلى ظهره فإذا مكتوب عليه ع م ر، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز.

وقال بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزاعي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في روضة خضراء فقال له: إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَيِّي فَرَزَخَ عَنِ الدَّمِّ، فَإِنْ اسْمَكَ فِي النَّاسِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، واسمك عند الله جابر.

وقال أبو بكر بن المقرئ: حدثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني حدثنا أيوب بن محمد الوزان حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة. قال: خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده، فقلت في نفسي: إن هذا الشيخ جافو، فلما صلى ودخل لحفته فقلت: أصلى الله الأمير، من كان متكئا الشيخ الذي أتاكم به يذكرك؟ قال: يا رباح رأيته؟ قلت: نعم! قال: ما أحسبك يا رباح إلا رجلا صالحا، ذاك أخي الخضر أتاني فاعلمني أنني سألني أمر هذه الأمة وأني ساعدت فيها.

وقال يعقوب بن سفيان [المرقة والبرق: ٥٧٨/١]: حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة عن علي بن أبي حمزة عن أبي الأعيس. قال: كنت جالسا مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد، فقال: هل علينا من عين؟ فقال أبو الأعيس: فقلت: عليكما من الله عين: بصيرة،

انقلب وهو منتقم مهموم، فقال له مولا: مالك هكذا منتماً مهموماً وليس هذا يوقت هنا؟ فقال: ويحك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشرق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه، كسب إلي في ذلك أو لم يكسب، طلبه مني أو لم يطلب.

قالوا: ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها، وبين أن تلحق بأهلها، فبكت وبكى جوارها لبيكانها، فسمعت ضجة في داره، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله.

وقال له رجل: تفرغ لنا يا أمير المؤمنين، فأثنا يقول:

فَدَجَا شَغْلٌ شَاغِلٌ وَعَدَلْتُ عَنْ طُرُقِ السَّلَامَةِ
نَعَبَ الْفَرَاغُ فَلَا فَرَاغٌ لَنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من صحبتنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقتنا. يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه، ولا يتأبنا عندنا الرعية، ولا يعرضن فيما لا يعنيه. فانتشع عنه الشعراء والخطباء وبثت معه الفقهاء والزهاد، وقالوا: ما يسعنا أن نفرق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله.

وقال سفيان بن عيينة: لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم: قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي، فما عندكم؟ فقال محمد بن كعب: اجعل الشيخ أبا، والشاب أخاً، والصغير ولداً، فبر أباك وصل أخاك، وتعتطف على ولدك.

وقال رجاء: ارض للناس ما ترضى لنفسك، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأته إليهم، وأعلم أنك أول خليفة تموت.

وقال سالم: اجعل الأمر يوماً واحداً صم فيه عن شهوات الدنيا، واجعل آخر فطرك فيه الموت فكان قد. فقال عمر: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال غيره: خطب عمر بن عبد العزيز يوماً الناس فقال - وقد خنفته العبرة -: أيها الناس أصلحوا آخرتكم يصلح الله لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علائكم، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات، إنه لمرق له في الموت.

وقال في بعض خطبه: كم من عامر مؤثق عما قليل يغرب، وكم من مقيم منتخب عما قليل يظلم. فاحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس فيها قير العين قانعاً، إذ دعاه الله بقلبه، ورواه بيوم خضه، فسله أشاره ودنياه، وصبر لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلاً وتغمر طويلاً.

وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ، وإني لست بقاض ولكني منفذ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع، إن الرجل المارب من الإمام الظالم ليس بظالم إلا إن الإمام الظالم هو الماصي، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل.

وفي رواية أنه قال فيها: وإني لست بخير من أحد منكم، ولكني أثقلكم حملاً، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا هل أسمعت؟.

وقال أحمد بن مروان: حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن لسعيد بن العاص قال: كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني لم تخلقوا عبداً، ولم تتركوا سيداً، وإن لكم معاداً يتزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى، وحرمت جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم الآخر وخافه، وباع نأفذاً بباقي، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين، وسيكون من بعدكم للباقيين، كذلك حتى نرُدَّ إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تنيعون غداً وداً إلى الله لا يرجع، قد قضى غبه حتى تنييه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير موسد ولا معمد، قد فارق الأحباب، وباع التراب وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، غني عما ترك فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء مراقبه ونزول الموت بكم، أما إني أقول هذا. ثم وضع طرف ردهته على وجهه فبكى وأبكى من حوله.

وفي رواية: وإيم الله أنني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة، أمر فيها بطاعته، ونهى فيها عن معصيته، واستغفر الله، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحته، فما عاد يجلسه حتى مات رحمه الله.

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الترم وهو يقول: «إذن يا عمر»، فنوت حتى خشت أن أصيبه، فقال: «إذا وليت فأعمل نحواً من عمل هذين»، فإذا كهلاً قد اكتفاه، فقلت: ومن هذان؟ قال: «هذا أبو بكر وهذا عمر». وروينا أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر: اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها، فقال له سالم: إنك لا تستطيع ذلك، قال: ولم؟ قال: إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر، لأنه كان يجد على الخير أعواناً، وأنت لا تجد من يعينك على الخير.

وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وفي رواية: آمنت بالله، وفي رواية الوفاء عزيز.

وقد جمع يوماً رؤوس الناس فخطبهم فقال: إن فلك كانت بيد رسول الله ﷺ يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك، قال الأصمعي: وما أدري ما قال في عثمان، قال: ثم إن مروان أقطعها فحصل لي منها نصيب، وهبني الوليد وسليمان نصيبهما، ولم يكن من مالي شيء أرد علي منها، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ. قال: فيس الناس عند ذلك من الظالم، ثم أخذ بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال وسماها أموال المظالم، فاستشفعوا إليه بالناس، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم يتجسس فيه ولم يرده عن الحق شيء، وقال لهم: لتدعي وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به، وقال: والله لو أقتت فيكم خمسين عاماً ما أقتت فيكم إلا ما أريد من العدل، وإني لأريد الأمر فما أتفته إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم.

وقال الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال: إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز.

ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد.

وقال طاوس: هو مهدي وليس به، إنه لم يستكمل العدل كله، إذا كان المهدي رتيب على المسي من إسماعته، وزيد المحسن في إحسانه، سمح بالمال

شديد على العمال رحيم بالمساكين.

وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال: الخلفاء أبو بكر والعمران، فقيل له: أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر الآخر؟ فقال: يوشك إن عشت أن تعرفه. يريد عمر بن عبد العزيز.

وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو أشجع بني مروان. وقال عباد السماك وكان يجالس سفيان الثوري -: سمعت الثوري يقول: الخلفاء خمسة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز.

وهكلاً روي عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد.

وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين. وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح: «لا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى يكون فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (١: ١٨٢).

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذي حق حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين البتاسي؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء.

وقد اختلف العلماء أيهما أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدناته وزهده وعبادته، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته، حتى قال بعضهم: يوم شهده معاوية من رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته.

وذكر ابن عسكار في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بنت عبد الملك، فكان يسأله إياها؛ إما يعة أو هبة، فكانت تأتي عليه ذلك، فلما ولي الخلافة ألبستها وطبتها وأهدتها إليه ووهبتها له، فلما أختلها به أعرض عنها، فعرضت له فصدف عنها، فقالت: يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك لي؟ فقال: والله إن محبتك لبقية كما هي، ولكن لا حاجة لي في النساء، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك، ثم سألتها عن أصلها ومن أين جليوها، فقالت: يا أمير المؤمنين إن لي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة، وبعت بي إلى الوليد فوهبني الوليد لأخته فاطمة زوجتك، فأهدتني إليك. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، كننا والله نفتضح ونهلك، ثم أمر بردها مكربة إلى بلادها وأهلها.

وقالت زوجته فاطمة: دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثير، والمال القليل، وأشبابهم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل يسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومي، فرحمت نفسي فبكيت.

وقال يمين بن مهران ولأخي عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي: إذا جامك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض.

وكتب إلى بعض عماله: إذا دعيت فترتك على الناس إلى ظلمهم، فاذكر قدرة الله عليك، ونفاد ما تأتي إليهم، ويقاه ما يأتون إليك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإسلام سنتا

وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش أئينها لكم لتعملوا بها، وإن أمت فوالله ما أنا على صحبتكم بمرخص. وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به [كتاب الإيمان - باب الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»]

وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله: عليك بتقوى الله فإنها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها، ولا يناب إلا عليها، وإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.

وقال أيضاً: من علم أن كلامه من عمله أقل منه إلا فيما ينفعه، ومن أكثر ذكر الموت اجتاز من الدنيا باليسر.

وقال أيضاً: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

وكلمه رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه، ثم قال للرجل: أردت أن يستغزني الشيطان بعزة السلطان فأنا لك ما تناله مني غداً؟ ثم عافاك الله لا حاجة لنا في مفاولتك.

وكان يقول: إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجسد، والعفو في المقدرة، والرق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجه صبي منهم، فاحتلموا الصبي الذي شج ابنه وجاؤوا به إلى عمر، فسمع الجلبة فخرج إليهم، فإذا مربية تقول: إنه ابني وإنه يتيم، فقال لها عمر: هوني عليك، ثم قال لها عمر: أله عطاء في الديوان؟ قالت: لا! قال: فاكتهبه في اللرية. فقالت زوجته فاطمة: أفضل هذا به وقد شج ابنك؟ فعل الله به وفعل، إن لم يشج ابنك ثالثة. فقال: ويحك، إنه يتيم وقد أفزعتموه. وقال مالك بن دينار: يقولون مالك زاهد، أي زهد عندي؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، الله الدنيا فاغرة فاهما فتركتها جملة.

قالوا: ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييس.

وقد وقف مرة على راهب فقال له: ويحك عظمي، فقال له: عليك بقول الشاعر:

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَيْتَكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَانْتَ تُجَرَّدُ

قالوا: ودخل على امرأته يوماً فسأله أن ترضه درهماً أو فلوماً يشتري له بها عباءة، فلم يجد عنده شيئاً، فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عباءة؟ فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال، والأكثال غداً في نار جهنم.

قالوا: وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين.

قالوا: وبعث يوماً غلامه ليشوي له لحمة فجاءته بها سريعاً مشوية، فقال: أين شويتها؟ قال: في المطبخ، فقال: في مطبخ المسلمين؟ قال: نعم. فقال: كلها فاني لم أرزها، هي رزك. وسخّروا له ماء في المطبخ، العام فرد بدل ذلك بلدهم حطباً. وقالت زوجته: ما جامع ولا احتلم وهو خليفة.

قالوا: وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان في الخوض فيمت إليه فأحضره على البريد وقال له كالتروبع: ما أردنا المشقة عليك يا أبا سلام، ولكن أردت أن تشافني بالخليث مشافنة، فقال: سمعت ثوبان يقول: قال رسول الله ﷺ: «خوضي ما بين عذن إلى

وقال رجاء بن حيوة: سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعضي السراج فقلت: ألا أتبه هذا الغلام يصلحه؟ فقال: لا دعه ينم، لا أحب أن أجمع عليه عليلين. فقلت: أفلا أقوم أصلحه؟ فقال: لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتاً ثم جاء وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجئت وأنا عمر بن عبد العزيز.

وقال: أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها.

وقال: إنه ليمتعي من كثرة الكلام مخافة المباءة.

وبلغته أن رجلاً من أصحابه توفي، فجاه إلى أهله ليعزيهم فيه، فصرخوا في وجهه بالبكاء عليه، فقال: مه، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم، وإن الذي يرزقكم حي لا يموت، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئاً من حفركم، وإنما سد حفرة نفسه، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لابد والله أن يسدها، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب، وعلى أهلها بالقناء، وما امتلأت دار حيرة إلا امتلأت عبرة، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه، فإن الذي صار إليه صاحبكم كلكم يصير إليه غداً.

وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي: يا أبا أيوب! هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد خلت قهيم الملائك، واستحكم فيهم البلاء؟ ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال: انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد آمن من عذاب الله عز وجل، ينتظر ثواب الله.

وقال غيره: خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه: قفوا حتى آتي قبور الأخية، فأتاهم فجعل يبكي ويدعو، إذ هتف به التراب فقال: يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأخية؟ قال: قلت: وما فعلت بهم؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحوم، وشدخت المقتلين، وأكلت الحذقتين، ونزعت الكفين من الساعنين، والساعدين من العضدين، والمعضدين من المنكبين والمنكبين من الصلب، والقديمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب. وعمر يبكي فلما أراد أن يذهب قال له: يا عمر ألا أدلك على أكفان لا تبلى؟ قال: وما هي؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح.

وقال مرة لرجل من جلسائه: لقد أرقت الليلة مفكراً، قال: وفيهم يا أمير المؤمنين؟ قال: في القبر وسأكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثالثي قبره، وما صار إليه، لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام، ويجري فيه وتقرقه الديدان الصلبد، مع تشير الريح، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح، ونقاء الثوب، قال: ثم شق شقة خر مغشياً عليه.

وقال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبد العزيز قسراً ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ سَوْؤُلُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها.

وقالت امرأته فاطمة: ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه، ثم يبتيه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه، قالت: ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فيتبضع كما يتبضع الصغور في الماء ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحف رحمة له، وأنا أقول: يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها.

عَمَّا الْبَلَقَاءَ مَا هُوَ أَشَدُّ يَأْضاً مِنَ اللَّيْنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْقَسَلِ، أَكَارِيهِ عِدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَطْمَأْ بِعَدْهَا أَبَداً، وَأَوَّلُ النَّاسِ زُرُوقاً عَلَيْهِ قَفَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشَّمْسُ زُرُوساً، الدُّنْسُ يُبَاباً، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِمَاتِ، وَلَا تَفْتَحُ لَهُمُ السُّدَّةُ. فقال عمر: لكني تكحت المتنعمات، فاطمة بنت عبد الملك، وتحت لي السُّدَّةُ، فلا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ.

قالوا: وكان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج ليبت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه نفسه حرفاً. وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار، ولا يطيل القراءة، وكان له ثلاثمائة شرطي، وثلاثمائة حرس، وأهدى له رجل من أهل بيته ثقلأ فاشتته ثم رده مع الرسول، وقال له: قل له: قد بلغت عهلاً، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية، وهذا رجل من أهل بيتك، فقال: إن الهدية كانت لرسول الله ﷺ هدية، فأما نحن فهي لنا رشوة.

قالوا: وكان يوسع على عماله في النفقة، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار، وكان يتأول أنهم إذا كثروا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين، فقالوا له: لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك؟ فقال: لا أمنعهم حقاً لهم، ولا أعطيهم حق غيرهم. وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك.

وقال يوماً لرجل من ولد علي: إني لأستحي من الله أن تقف بياني ولا يؤذن لك، وقال لآخر منهم: إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أفسدك بالدينيا لما أكرمكم الله به.

وقال أيضاً: كنا نحن وبنو عمتنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا، نلجأ إليهم ويلجؤون إلينا، حتى طلعت شمس الرسالة فأكدت كل نفاق، وأخرست كل مناقق، وأسكت كل ناطق.

وقال أحمد بن مروان: حدثنا أبو بكر أخو خطاب حدثنا خالد بن خديش حدثنا حماد بن زيد عن موسى بن أعين الراعي - وكان يرعى الغنم لمحمد بن أبي عينة - قال: كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد، فعرض لشاة منها ذئب فقلت: إنا لله ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال: فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة. ورواه غيره عن حماد فقال: كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه، وله شاهد من وجه آخر.

ومن دعائه: اللهم إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم، اللهم وإن توفيقك ليأهم كان قبل طاعتهم ليالك، فوفقني.

ومنه: اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر.

وقال له رجل: أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك، فقال: هذا شيء قد فرغ منه، ولكن قل: أحيك الله حياة طيبة وتوفاك مع الأبرار.

وقال له رجل: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أصبحت بطيئاً بطيئاً، متولواً بالخطايا، أتمنى على الله عز وجل.

ودخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين، وأنت زين الخلافة، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر:

وَأَنَا السُّدُورُ زَيْنٌ حُسْنٌ وَجُورُ كَأَنَّ لِلدُّرِّ حُسْنَ وَجْهَكَ زَيْنًا

قال: فأعرض عنه عمر.

وقال علي بن زيد: ما رأيت رجلين كان النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز.

وقال بعضهم: رأيت يكي حتى يكي دماً.

قالوا: وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ ﴿إِنْ زَكَّيْتُمْ لَسَيِّئٌ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية، ويقرأ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا تَبَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] ونحو هذه الآيات، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والأخرة، ثم يكون حتى كان بينهم جنازة.

وقال أبو بكر الصولي عن البرد: كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر:

فَمَا تَزِدُّهُ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى خَنَوطِ غِلَاةِ الْبَيْنِ فِي خَيْرِ
وغير نَفْحَةِ أَمْوَادٍ تَنْسِبُ لَهُ وَتَقُلُّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِيُطْلَقَ
بِأَيِّمَا بَلَدٍ كُنْتَ تَنْتَقِي إِنْ لَا يَبْرُ طَائِعاً فِي قَصْدِهَا يُسَيِّ

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس وانحازوا إلى الظل فبكى وأشد:

مَنْ كَانَ حِينَ تَصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أَوْ الْغَبَارُ يَخَافُ الشَّيْءَ وَالشَّعْثَا
وَيَأْتِي الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ نَسِيفٌ يَكُونُ يَوْمًا رَاغِبًا جَنَّتَا
فِي قَمَرٍ مُظْلِمَةٍ غَيْرَاءَ مُوجِسَةٍ يُحِيلُ فِي قَمَرِهَا تَحْتَ الشَّرَى لَيْثَا
تَجْهَرُزِي بِجَهَازٍ تَلْفُوسِينَ بُوَ يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تَخْلُقِي عَشَا

هذه الآيات ذكرها الأجري في أدب النفوس زيادة فيها فقال: أخبرنا أبو بكر أثبات أبو حفص عمر بن سعد القراطيسي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال: أورد عمر بن عبد العزيز أن يعيشه رسولاً إلى اليون طافية الروم يدعوهم إلى الإسلام، فقال له عبد الأعلى: يا أمير المؤمنين! أئذن لي في بعض بني يخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من الذكور - فقال له: انظر من يخرج معك من ولدك. فقال: عبد الله، فقال له عمر: إني رأيت ابنك عبد الله يمشي مشية كرهتها منه ومقته عليها، ويلغني أنه يقول الشعر. فقال عبد الأعلى: أما مشية تلك فغريزة فيه، وأما الشعر فلأنه هو نواحة ينوح بها على نفسه، فقال له: مر عبد الله يأتيني وخذ معك غيره، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه، فاستنشد فأنشده ذلك الشعر المتقدم:

تَجْهَرُزِي بِجَهَازٍ تَلْفُوسِينَ بُوَ يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تَخْلُقِي عَشَا
وَلَا تَكْدِي لِمَنْ يَفِي وَتَقْضِي إِنْ الرَّدَى وَارِثَ الْبَاقِي وَمَا وَرِثَا
وَاعْشِي حَوَادِثَ صَرَفُو الدَّعَى فِي مَهَلٍ وَاسْتَقْبَلِي لَا تَكُونِي كَالَّذِي جَعَلَا
عَنْ مَدِينَةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعٌ مَدَنُو فَوَافَتْ الْحَرَّ مَوْفُورَا كَمَا حَرَّشَا
لَا تَلْعِي فَجَعَ دَهْرٌ مَسْتَرْفٍ خَطَلٍ قَدْ اسْتَوَى عُنْدَهُ مِنْ طَبَابٍ أَوْ خِشَا
يَا رَبِّ ذِي أَمَلٍ فَبِوْ عَلَى وَجْهِ اضْحَى بُوَ أَنَا أَسَى وَقَدْ حَدَّثَا
مَنْ كَانَ حِينَ تَصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أَوْ الْغَبَارُ يَخَافُ الشَّيْءَ وَالشَّعْثَا
وَيَأْتِي الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ فَكَيْفَ يَكُونُ يَوْمًا رَاغِبًا جَدَّثَا
قَصْرَاءَ مُوحِشَةٍ غَيْرَاءَ مُظْلِمَةٍ يُحِيلُ تَحْتَ الشَّرَى مِنْ قَمَرِهَا لَيْثَا
وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فمعر أنشدنا عنه، والله سبحانه وتعالى

أعلم.

وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويكي.

وقال المفضل بن غسان الغلابي: كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت:

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ اسْرَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ أَلَمٍ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله:

فَلَنْ تُعْجِبَ الدُّنْيَا إِنْسَاناً فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَالزَّوَالُ قَرِيبُ
ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي:

أَنَا مَيِّتٌ وَعِزٌّ مِنْ لَا مَيِّتُ قَدْ تَفَنَّتْ أَنَسِي سَامُوتُ
لَيْسَ مَلِكٌ يَزِيلُهُ الْمَوْتُ مَلِكاً إِنَّمَا الْمَلِكُ مَلِكٌ مِنْ لَا مَيِّتُ

وقال عبد الله بن المبارك: كان عمر بن عبد العزيز يقول:

تَسْرُبَا يَلِي وَتَسْرُبَا يَلِي كَمَا اغْتَرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالُمُ
نَهَارَكَ يَا مَرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلِكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ
وسمعت فيما سوف تذكره غبه كذلك في الدنيا تمشي اليهائم

وقال محمد بن كثير: قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه ويعاتبها:

أَيُّظُنُّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ نَائِمٌ وَكَيْفَ يَطِيقُ النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمُ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانُ الْغَدَاةَ لَحَرَقْتَ مَدَامِعَ عَيْنِكَ الدَّمْعُ السَّوَاجِمُ
نَهَارَكَ يَا مَرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلِكَ نَوَاحٍ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ
بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مظلّمت عظامم
وشغلك فيما سوف تذكره غبه كذلك في الدنيا تمشي اليهائم
فلا أنت في النوم يوماً بالأم ولا أنت في الأيقاظ يقظان حازم

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: أتيت عمر بن عبد العزيز ذات ليلة وهو يقول: لقد رأيت الليلة رؤيا معجبة، فقلت: أخبرني بها، فقال: حتى نصبح، فلما صلى الصبح بالمسلمين دخل فسأته عنها: فقال: رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه النضفة فخرج منه خارج فنادى: أين محمد بن عبد الله، أين رسول الله ﷺ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ، حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين عثمان بن عفان؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى: أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن عبد العزيز؟ فقامت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب، وهو عن يسار رسول الله ﷺ، وأبو بكر عن يمينه، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيبي وبينه نور لا أراه، وهو يقول: يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه، واثبت على ما أنت عليه، قال: ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول: الحمد لله الذي نصرني ربي، وإذا علي في إثره وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربي.

مجدد القرن الأول

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سنته (٢٩١) أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا».

فقال جماعة من أهل العلم منهم أحد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي (صفة الصفوة: ١١٣/٢) وغيره: إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى.

وقال آخرون: هو من جملة من جدد الله به أمر الدين على رأس المئة الأولى وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق، لإمامته وعموم ولايته، وقيامه واجتهاده وقيامه في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما يتشبه به. وقد جمع الشيخ أبو الفرج بن الجوزي سيرة العمرين؛ عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وقد أفرنا سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة، ومستند في مجلد ضخم، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا، يستدل به على ما لم نذكره.

وقد كان عمر رحمه الله يعطي من انقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها، للفقهاء ونشر العلم وتلاوة القرآن، في كل عام من بيت المال مائة دينار، وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا الناس بالسنة، ويقول: إن لم تصلحهم السنة فلا أصلهم الله، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب فني من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ولا السراويل، ولا يشين أحد منهم إلا بزنا من جلد، وهو مقرون الناصية، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه.

وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عندهم خير.

وكان يكتب إلى عماله: اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات، فإن من أضعافها فهو ما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعاً.

وقد كان يكتب الموعظة إلى العامل من عماله فيدخل بها قلبه، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه، وذلك أن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ.

وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسنة ولو نقصنا ذلك لطال هذا الفصل، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك.

وكتب إلى بعض عماله: أما بعد: فلاني أذكرك ليلة تمخض بالساعة وصباحها القيامة، فيا لها من ليلة ويا له من صباح، وكان يوماً على الكافرين عسيراً.

وكتب إلى آخر: أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن تنصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك، قالوا: فخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على عمر فقال له: ما لك؟ فقال: خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين، والله لا أعود إلى ولاية أبداً.

فصل

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا، حتى إنه رد فص خاتم كان في يده،

قال: أعطاني الوليد من غير حقه، وخرج من جميع ما كان فيه من التميمي الملبس والمأكول والمتاع، حتى إنه ترك التمتع بزوجه الحسنة فاطمة بنت عبد الملك، يقال كانت من أحسن النساء، ويقال إنه رد جهازها وما كان من أموالها إلى بيت المال، والله أعلم.

وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلبس الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربع مائة دينار في كل سنة وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم، وكان له من الأولاد جماعة، وكان ابنه عبد الملك أجملهم، فمات في حياته في زمن خلافته، حتى يقال: إنه كان خيراً من أبيه، فلما مات لم يظهر عليه حزن، وقال: أمر رضى الله فلا أكرهه، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول: ما أحسنه لولا خشونة فيه، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقع ولا يفسله حتى يتسخ جداً، ويقول: ما أحسنه لولا لينه. وكان يلبس الفروة الغليظة.

وكان سراجهم على ثلاث قصبات في رأسهن طين، ولم يبن شيئاً في أيام ولايته، وكان يخدم نفسه بنفسه، وقال: ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه.

وكان يأكل الغليظ من الطعام أيضاً ولا يسالي بشيء من التميم، ولا يتبعه نفسه ولا يوده. حتى قال أبو سليمان الداراني: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني، لأن عمر ملك الدنيا بخلافها وزهد فيها، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟ ليس من جرب كمن لم يجرب.

وتقدم قول مالك بن دينار: الناس يقولون مالك زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أنه الدنيا فاقرة فاهاً فروهاً.

وقال عبد الله بن دينار: لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً. وذكرنا أنه أمر جارية تروحه حتى ينشأ فروحه، فنامت هي، فأخذ المروحة من يدها وجعل يروحها ويقول: أصابك من الحر ما أصابي. وقال له رجل: جزاك الله عن الإسلام خيراً. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً.

ويقال: إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحاً غليظاً من شعر، ويضع في رقبته غلا إذا قام يصلي من الليل، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد، وكانوا يظنون أنه مالا أو جوهراً من حرصه عليه، فلما مات فتحو ذلك المكان فإذا فيه غل ومسح.

وكان يبيكي حتى يبيك الدم مع الدموع، ويقال: إنه بكى فوق سطح حتى سال دمه من الميزاب، وكان يأكل من العسل ليرق قلبه وتغزير دمه.

وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله، وقرأ رجل عنه «وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَّنَّاسًا ضَيْقًا مُؤْتِرِينَ» [الفرقان: ١٣]، فبكى بكاء شديداً ثم قام فدخل منزله وتفرق الناس عنه، وكان يكثر أن يقول: اللهم سلم سلم.

وكان يقول: اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد ﷺ.

وقال: أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم.

وقال: لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتوأكّل الناس الحرام، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقل الراعظون والساعون لله بالنصيحة.

وقال: الدنيا عدوة أولياء الله، ووليه أعداء الله، أما الأولياء فمغتتهم

واحزنتهم، وأما الأعداء فغرتهم وشتمهم وأبعدتهم عن الله.

وقال: قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع.

وقال لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا، قال: لو كنت كذلك لم تقله.

وقال: أزهّد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب.

وقال لقد يورك لعبد في حاجة أكثر فيها من الدماء، أعطي أو منع.

وقال: قيدا العلم بالكتاب.

وقال لرجل: علم ولدك الفقه الأكبر: القناعة وكف الأذى.

وتكلم رجل عنده فأحسن فقال: هذا هو السحر الحلال، وقصته مع أبي حازم مطولة حين رآه خليفة وقد شحب وجهه من التشف، وتغير حاله، فقال له: ألم يكن ثوبك نقياً؟ ووجهك وضيأ؟ وطعامك شهيأ؟ ومركبك وطياً؟ فقال له: ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ عَقِيَّةٌ كُذِّبُوا لَا يَجُوزُهَا إِلَّا كُلُّ ضَامِرٍ مَهْزُولٍ؟» ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أنفق فذكر أنه رأى في غشيتة تلك أن القيامة قد قامت، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة، فأمر بهم إلى الجنة، ثم ذكر من بيته وبينهم فلم يدر ما صنع بهم، ثم دعي هو فأمر به إلى الجنة، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره، ثم قال للسائل: فمن أنت؟ قال: أنا الحجاج بن يوسف، قلني ربي بكل قتلته قتلته، ثم ها أنا أنتظر ما ينظره الموحدون.

وفضائله ومآثره كثيرة جداً، وفيما ذكرنا كثافة ولله الحمد والمنة، وهو حسبتنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة لنا إلا به.

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل، وقيل: سببها أن مولى له سم في طعام أو شراب، وأعطى على ذلك ألف دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولا الذي سقاه، فقال له: ويحك!! ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها، فقال: هاتها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك، ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفاني أن امسح شحمة أذني أو أوتي بطيب فأشمه ما فعلت.

فقبل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء؟ فقال: «إِنْ وَصَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ» [الأعراف: ١٦٦] والله لا أعطيهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه.

وفي رواية فلا أبالي في أي واد هلك.

وفي رواية أفادع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل. ثم استدعى بأولاده فردعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرساً في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسال من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم من الأموال الغناية، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم.

وقال يعقوب بن سفيان [الوفاء والخلافة: ٦٠٨/١]: حدثنا أبو النعمان

حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتاً دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار فإنه لا صبر لي عليها، أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أنني لذلك الموضع أهل.

قالوا: وكان مرضه بليغ سمعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، ولما احتضر قال: أجلسوني، فاجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعميت. ثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة ما هم يأنس ولا جان. ثم قبض من ساعته.

وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعه يقول: مرحباً بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قرأ: «بِذَلِكَ الدَّلِيلِ الْآخِرَةِ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمَالِيَةَ لِلْمُتَحِينَ» [ههههه: ٨٣] ثم هذا الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غُصَّ وسُوي إلى القبلة وقبض.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراودي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب فقرأوها فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار. فادخلوها بين أكفاته ودفنوها معه.

وروي نحو هذا من وجه آخر.

وروي ابن عسكار في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده عن عمير بن الحباب السلمي، قال: أسرت أنا وثمانية في زمان بني أمية، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك، فأطلقني له، فأخذني إلى منزله، وإذا له ابنة مثل الشمس، فعرسها علي وعلى أن يقاسمي نعمته، وأدخل معه في دينه فأبى، وخلت بي ابنته فعرست نفسها علي فاستمتعت، فقالت: ما يمنعك من ذلك؟ فقلت: يمنعني ديني، فلا أترك ديني لامرأة ولا شيء. فقالت: تريد الذهاب إلى بلادك؟ فقلت: نعم، فقالت: سر على هذا النجم بالليل واكنم بالنهار فإنه يلقيك إلى بلادك، قال: فسرت كذلك، قال: فبينما أنا في اليوم الرابع مكنم وإذا بجبل مقبله فخشيت أن تكون في طلي، فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب، فقالوا: عمير؟ فقلت: عمير. فقلت: أو ليس قد قتلتم؟ قالوا: بلى، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز، قال: ثم قال لي بعضهم: ناولني يدك يا عمير، فأردفتي فسرنا سيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجيزة، من غير أن يكون لحفتي شر.

وقال رجاء بن حيوة: كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن اغسله وأكفنه وأدفنه، فإذا حلت عقدة الكفن أن أنظر في وجهه، قال: فلما فعلت ذلك فإذا وجهه مثل القرايطيس يياضاً، وكان قد أخبرني أنه دفن ثلاثة من الخلفاء فيحل عن وجوههم فإذا هي مسودة. وروي ابن عسكار في ترجمة يوسف بن مارك قال: بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار.

ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن مارك فذكره، وفيه غرابة شديدة والله أعلم.

بعد عمر بن عبد العزيز، فلما توفي عمر بن عبد العزيز رحمه الله في رجب من هذه السنة - أعني سنة إحدى ومائة - بإيمه الناس البيعة العامة، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة، فعزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس، فجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضغائن، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحله حدين فيها.

وفيها كانت وقعة بين الخوارج، وهم أصحاب بسطام الخارجي، وبين جند الكوفة، وكانت الخوارج جماعة قليلة، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس، فكادت الخوارج أن تكسرهم، فثامروا فيما بينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً، وقتلوه من آخرهم، فلم يبقوا منهم ثأراً. وفي هذه السنة خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة، وذلك بعد حاصرة طويلة، وقتال طويل، فلما ظهر عليها بسط العدل في أهلها، وبذل الأموال، وحبس عاملها عدي بن أرقطة، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز، كما ذكرنا، ولما ظهر على قصر الإمارة أتى بعدي بن أرقطة فدخل عليه وهو يضحك، فقال يزيد بن المهلب: إني لأعجب من ضحكك، إنك هربت من القتال كما تهرب النساء، وإنك جيتني وأنت تسل كما يتل العبد. فقال له عدي: إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك وإن من ورائي طالباً لا يتركني، قال: ومن هو؟ قال: جنود بني أمية بالشام ولا يتركوك، فذاك نفسك قبل أن يرمي إليك البحر بأمواله، فطلب الإقالة فلا تقال. فرد عليه يزيد جواب ما قال، ثم سجنه كما سجن أهله، واستقر أمر يزيد بن المهلب بالبصرة، وبعث نوابه في التواحي والجهات واستتاب في الأهواز، وأرسل أخاه مذك بن المهلب على ناية خراسان، ومعه جماعة من المقاتلة، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف، مقدمته بين يدي عمه مسلمة بن عبد الملك، وهو في جنود الشام، قاصدين البصرة لقتاله، ولما بلغ يزيد بن المهلب خرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستتاب عليها أخاه مروان بن المهلب وجاء حتى نزل واسطاً فنزلها، واستشار من معه من الأمراء في ماذا يتعمده؟ فاختلقوا عليه في الرأي، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز في ليتحصن في رؤوس الجبال، فقال: إنما تريدون أن تجعلوني طائراً في رأس جبل؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها ويتحصن بأجود حصن فيها ويضعف عليه رجال أهل العراق ويجمع عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام، وانسلخت هذه السنة وي زيد بن المهلب نازل بواسط وجيش الشام قاصده.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعلى قضائهما عامر الشعبي، وعلى البصرة يزيد بن المهلب. قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك.

وفيها توفي عمر بن عبد العزيز، ورعي بن حراش ومسلم بن يسار وأبو صالح السمان وكان عابداً صادقاً ثباتاً، وكل قد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم.

وقد رثت له منامات صالحة، وتأسف عليه الخاصة والعامة، لاسيما العلماء والزهاد والعباد. ورواه الشعراء، فمن ذلك ما أشبهه أبو عمرو الشيباني لكثير عزة يرثي عمر بن عبد العزيز:

عَمَّتْ صَنائِعُهُ فَعَمَّ هَلَاكُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجِرُ
وَالنَّاسُ مَأْتَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُشِيْ عَلَيْهِ لَسَانُ مَنْ لَمْ تَوَلَّ خَيْراً لَأَنَّكَ بِالنَّيِّ جَدِيرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مَنْ نَشَرَهَا مَشْوَرُ

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

يَمْنَى النِّعَةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَا
حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاضْطَلَعَتْ بِهِ وَقَعَتْ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عَمْرَا
الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِمَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَحْوَمُ اللَّيْلِ وَالْقَمْرَا
وقال عراب بن دثار رحمه الله يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

لَوْ أَعْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يَواقِعَهُ لَعَدْلُهُ لَمْ يَصْبِكْ لِلْمَوْتُ يَا عُمَرُ
كَمْ مِنْ شَرِيعَةٍ عَدَلٌ قَدْ نَعَشَتْ لَهَا كَادَتْ تَمُوتُ وَآخِرَى مِنْكَ تَنْظُرُ
يَا لَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفَ الْوَاجِدِينَ مَعِي عَلَى الْعَدُولِ الَّتِي تَخَالِفُا الْخَفَرُ
ثَلَاثَةٌ مَا رَأَيْتُ عَيْنِي لَهَا شَبْهًا تَضُمُّ أَعْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْخَفَرُ
وَأَنْتَ تَتَّبِعُهُمْ لَمْ تَسَالِ مَجْتَمِعًا سَفِيًّا لَهَا سَنَنْ بِالْحَقِّ تَنْقَرُ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ تَأْتِي رَوَاحًا وَتَبْيَانًا وَتَبْكَرُ
صَرَفْتُ عَنْ عَمْرِ الْخَيْرَاتِ مَصْرَعُهُ بِدِيرِ سَمْعَانَ لَكِنْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

قالوا: وكانت وفاته بدير سمعان من أرض حمص، يوم الخميس، وقيل: الجمعة لخمس مضي، وقيل: بقين من رجب، وقيل: لعشر بقين منه، سنة إحدى وقيل: ثنتين ومائة والله أعلم.

وقال الهيثم بن عدي في جمادى سنة ثنتين ومائة وصلى عليه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك، وقيل: صلى عليه يزيد بن عبد الملك، وقيل: ابنه عبد العزيز بن عمرو بن عبد العزيز، وكان عمره يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا، وقيل: إنه جاوز الأربعين بأشهر، وقيل: بسنة. وقيل بأكثر، وقيل إنما عاش ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: ستاً وثلاثين، وقيل سبعمائة وثلاثين، وقيل ثمانياً وثلاثين سنة، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها.

وقال أحمد عن عبد الرزاق عن معمر: مات عمر على رأس خمس وأربعين سنة.

قال ابن عساکر: وهذا وهم، والصحيح الأول يعني تسعاً وثلاثين سنة وأشهرًا. وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وقيل: وأربعة عشر يوماً، وقيل: ستان ونصف.

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه حسنه تحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين، بجمته أثر شجة وكان قد شاب وخضب رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

خلافة يزيد بن عبد الملك

بوع له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي العهد من

ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

ففيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من واسط واستخلف عليها ابنه معاوية، وسار هو في جيش، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب، حتى بلغ مكانا يقال له العقر، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها، وقد التقت المقتتان أولا فاقتلوا قتالا شديدا، فهزم أهل البصرة أهل الشام، ثم تناذر أهل الشام فحملوا على أهل البصرة فكشفوهم فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان، منهم المتوفى، وكان شجاعا مشهورا، وكان من موالي بكر بن وائل، فقال في ذلك الفرزدق:

تُبكي على المتوفى بكر بن وائل وتنهى عن أبي سمع بكاهما.

فأجابه الجعد بن درهم مولى الثورين من همدان، وهذا الرجل هو أول الجهمية، وهو الذي ذمّه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد

تُبكي على المتوفى بن نصر قومه ولنا نُبكي الشائلين إياهما
أراد فناء الحي بكر بن وائل فعزّ تيم لو أصيب فناما
فلا لقينا روحاً من الله ساعة ولا رقات عنا شجي بكاهما
أي الغشّ بُكي إن بكينا عليهما وقد لقينا بالغشّ فينا رداهما

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب، خطب يزيد بن المهلب الناس فحرضهم على القتال - يعني قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف، وعشرين ألفا، قد بايعوه على السمع والطاعة، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى أن لا تطأ الجنود بلادهم، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة القاسق الحجاج، ومن بايعنا على ذلك قبلنا منه، ومن خالفنا قاتلناه.

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة، وينهاهم أشدّ النهي، وذلك لما وقع من الشر الطويل العريض في أيام ابن الأشعث، وما قتل بسبب ذلك من النفوس العديدة، وجعل الحسن يحطّب الناس ويعظهم في ذلك، ويحرضهم على الكف، فبلغ ذلك نائب البصرة مروان بن المهلب، فقام في الناس خطيبا فأمرهم بالجد والجهد والفتير إلى القتال، ثم قال: ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه - يبطئ الناس عنا، أما والله ليكفن عن ذلك أو لأفعلن ولأفعلن، وتوعد الحسن، فلما بلغ الحسن قوله قال: أما والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم، وذلك أن الجيوش لما تواجعت تبارز الناس قليلا، ولم تنشب الحرب شديدا فلم يثبت أهل العراق حتى فروا سريعا، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤوا عليه قد حرق فانهزموا، فقال يزيد بن المهلب: ما بال الناس؟ ولم يكن من الأمر ما يفر من مثله، فقيل له: إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤوا عليه قد حرق. فقال: قبحهم الله، ثم رام أن يرد المنهزمين فلم يمكنه ذلك، ثبت في عصابة من أصحابه وجعل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شذمة منهم قليلة، وهو مع ذلك يسير قلما لا يمر بخيل إلا هزمهم، وأهل الشام يتحاذون عنه يمينا وشمالا، وقد قتل قبله أخوه حبيب بن المهلب، فازداد حقا وغضباً، وهو على فرس له أشهب، ثم قصد نحو مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه، وقتلوا معه أخاه محمد بن

المهلب، وقتلوا السميدع، وكان من الشجعان، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له القفل بن عياش، فقتل إلى جانب يزيد بن المهلب، وجاؤوا برأس يزيد بن المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان، واستحوذ مسلمة بن عبد الملك على ما في معسكر يزيد بن المهلب، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة، فبعث بهم إلى الكوفة، وبعث إلى أخيه فيهم، فجاه كتاب يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين بقتلهم، وسار مسلمة فنزل الحيرة.

ولما انتهت هزيمة يزيد بن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط، عمد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، عدي بن أوطاة رحمه الله وإبنه، ومالك وعبد الملك ابنا سمع، وجماعة من الأشراف، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزان من الأموال، وجاء معه عمه المفضل بن المهلب إليه، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن وتجهزوا أتمّ الجهاز واستعدوا للحرب، فساروا ببياضهم وأتقاهم فلم يزالوا سائرين حتى أتوا جبال كرمان فزلوها، واجتمع عليهم جماعة من قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب، وقد أمروا عليهم المفضل بن المهلب، فأرسل مسلمة بن عبد الملك جيشاً عليهم هلال بن أحرز المازري في طلب آل المهلب، ويقال: إنهم أمروا عليهم رجلاً يقال له مدرك بن ضب الكلي، فلحقهم بجبال كرمان فاقتلوا هناك قتالاً شديداً، فقتل جماعة من أصحاب المفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهزم بقيتهم، ثم لحقوا المفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلمة بن عبد الملك، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخذوا لهم أماتا من أمير الشام منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ثم أرسلوا بالأثقال والأموال والنساء والذرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب، فبعث مسلمة بالرووس وتسعة من الصبيان الأحداث الحسان إلى أخيه يزيد بن عبد الملك، فأمر بضرب أعناق أولئك، ونصبت رؤوسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها، وحلف مسلمة بن عبد الملك ليعين ذراري آل المهلب، فاشتراهم منه بعض الأسراء إسراراً لقسمه بمائة ألف، فأعطهم وخلق سيولهم، ولم يأخذ مسلمة بن عبد الملك من ذلك الأمير شيئاً.

وقد رثا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكروا ابن جرير وترجمه: ٦٠٣/٦، ٦٠٤.

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة، فاستتاب على الكوفة وعلى البصرة، وبعث إلى خراسان ختته - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، الملقب بخنيفة، فسار إليها فحرض أهلها على الصبر والشجاعة، وعاقب عمالا ممن كان ينوب ليزيد المهلب، وأخذ منهم أموالا جزيلة، ومات بعضهم تحت العقوبة.

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك، بعث جيشاً إلى الصفد لقتال المسلمين، عليهم رجل منهم يقال له كورصول، فأقبل حتى نزل على

قال: وفيها توفي في هذه السنة من الأعيان والسادة:

■ الضحاك بن مزاحم الهلالي: أبو القاسم، ويقال أبو عمدة، الخراساني، كان يكون يبلغ وسمرقند ونيسابور، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عباس وابن عمر وأبي هريرة، وجماعة من التابعين، وقيل: إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس، وإن كان قد روي عنه أنه جاوره سبع سنين، وكان الضحاك إماماً في التفسير. قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك.

وقال الإمام أحمد: مأمون.

وقال ابن معين وأبو زرعة هو ثقة.

وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس، وقال: إنما أخذ عن سعيد عنه.

وقال يحيى بن سعيد القطان: كان ضعيفاً.

وذكره ابن حبان في الثقات (الصفحة ٦٨٠/٦)، وقال: لم يشافه أحداً من الصحابة، ومن قال: إنه لقي ابن عباس فقد وهم، وحملت به أمه ستين، ووضعه وله أسنان، وكان يعلم الصبيان حسبة، قيل: إنه كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي وكان يركب حماراً ويلبوس من العلياء عليهم وقيل: إنه مات سنة خمس وقيل: سنة ست ومائة وقد بلغ الثمانين والله أعلم.

■ أبو المؤكل علي بن داود الناجي: تابعي جليل، ثقة، رفيع القدر، مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فيها عزل أمير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيداً - الملقب خزيمة - عن نيابة خراسان، وولى عليها سعيد بن عمرو الحرشي، بإذن أمير المؤمنين، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين، انزعج له الترك وخافوه خوفاً شديداً، وتقهرقوا من بلاد الصغد إلى ما وراء ذلك، من بلاد الصين وغيرها.

وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة، وولى عبد الرحمن بن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف. وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ يزيد بن أبي مسلم: أبو العلاء المدني.

■ عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد القاص المدني، مولى ميمونة، وهو أخو سليمان، وعبد الله، وعبد الملك، وكلهم تابعي. وروى هذا عن جماعة من الصحابة، ووثقه غير واحد من الأئمة.

وقيل: إنه توفي سنة ثلاث أو أربع ومائة، وقيل: توفي قبل المائة بالإسكندرية، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم.

■ مجاهد بن جبر المكي: أبو الحجاج القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أحد أئمة التابعين والمفسرين ومن أخصاء أصحاب، حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير، حتى قيل إنه لم يكن في زمانه أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وعطاء وطاوس.

وقال مجاهد: أخذ ابن عمر بركابي وقال: وددت أن ابني سالماً وغلامي

قصر الباعلي، فحصره وفيه خلق من المسلمين، فصالحهم نائب سمرقند - وهو عثمان بن عبد الله بن مطرف - على أربعين ألفاً، ودفع إليهم سبعة عشر دهنقاً رهائن عندهم، ثم ندب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياسي في أربعة آلاف، فساروا نحو الترك، فلما كان ببعض الطريق خطب الناس فحثهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة، فرجع عنه أكثر من ألف، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم، حتى بقي في سبعمائة مقاتل، فسار بهم حتى غاث جيش الأتراك، وهم محاصرون ذلك القصر، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسايتهم وذبح أولادهم أمامهم، ثم يزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم، فبعث إليهم المسيب يثبهم يومهم ذلك، فثبتوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر كبر وكبر أصحابه، وقد جعلوا شعارهم يا محمد، ثم حملوا على الترك حملة صادقة، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعقروا دواب كثيرة، ونهض إليهم الترك فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى فر أكثر المسلمين، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل عنها وترجل معه الشجعان، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً، والفت الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلبون على شيء، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة، فنادى منادي المسيب: أن لا تتبعوا أحداً منهم، وعليكم بالقصر وأهله، فاحتلهم وحلوا ما في معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين، وجاءت الترك من الغد إلى القصر فلم يجدوا به داعياً ولا مبيحاً، فقالوا فيما بينهم: هؤلاء الذين أتونا بالأسلح لم يكونوا إنساً، إنما كانوا جنأً ثم غزا سعيد الملقب خزيمة أمير خراسان بلاد السغد وذلك لأنهم أعتقوا الترك على المسلمين في هذه الغزوة التي ذكرناها فسار إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى نصره الله عليهم وولوا مدينتين، وأخذ منهم أموالاً جزيلة، وقبض ما وجد لهم من الأموال والحواصل.

وفيها عزل أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة عن إمرة العراق وخراسان، وذلك لأنه كان يصرف أموال الغنيمة - فيما يريد ولم يصرف إلى أخيه شيئا في هذه المرة، فطمع في أخيه فمزله عنها، وولى عليها بدله عمر بن هبيرة على العراق وخراسان.

وحج بالناس فيها أمير المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس.

وفيها توفي

■ عدي بن أرطاة القزاري، نائب عمر بن عبد العزيز على البصرة، وهو الذي قبض على يزيد بن المهلب، ويث به مقيداً إلى عمر بن عبد العزيز، فلما قدم عليه أمر بسجنه، فلما مرض عمر هرب من السجن، فلما توفي عمر ظهر يزيد بن المهلب، ونصب رايات سوداً، وطلب البصرة وملكها، وجرت له فصول قد ذكرها ابن جرير، ثم إن معاوية بن يزيد بن المهلب لما بلغه قتل أبيه أخرج عدي بن أرطاة هذا من الحبس وقتله، وقتل معه جماعة نحو ثلاثين إنساناً.

■ يزيد بن المهلب، كان من الشجعان المشهورين، وله فتوحات كثيرة، وكان جواداً ممتدحاً، له أخبار في الكرم والشجاعة، وآخر أمره أنه قتل، وقتل من إخوته وأولاده جماعة، وأخذت أمواله ونسأله وأولاده، وزال ما كان فيه، وقد كانوا نحو ثمانين نفساً آك المهلب بن أبي صفرة، وقد جمعوا شيئاً كثيراً من الأموال والجواهر، فما أفادهم ذلك شيئاً بل سلبوا ذلك جميعه.

الله بن عباس وهو الملقب بالسفاح، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق.

وفيهما توفي من الأعيان

■ خالد بن معدان الكلعي: له روايات عن جماعة من الصحابة، وكان تابعياً جليلاً، وكان من العلماء وأئمة الدين المدونين المشهورين وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسيعة وهو صائم، وكان إمام أهل حمص، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن، وروى الجوزجاني عنه أنه قال: من اجتار على الملاوم في مراد الحق، قلب الله تلك المحامد عليه ذمًا.

وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: ما من عبد إلا وله أربعة أعين. عينان في وجهه يصبر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بالعبد خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فابصر بهما أمر آخرته وهما غيب، فأمن الغيب بالغيب، وإذا أراد الله بالعبد خلاف ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه، فتراه ينظر فلا ينتفع، فإذا نظر بقلبه نفع.

وقال: بصر القلب من الآخرة، وبصر العينين من الدنيا.

وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى.

■ عامر بن سعد بن أبي وقاص: له روايات كثيرة عن أبيه وغيره، وهو تابعي جليل، ثقة مشهور.

■ عامر بن شراحيل الشعبي: توفي فيها في قول.

كان الشعبي من شعب همدان، كنيته أبو عمرو، وكان علامة أهل الكوفة، كان إماماً حافظاً، ذا فنون، وقد أدرك خلقاً من الصحابة وروى عنهم وعن جماعة من كبار التابعين، وعنه أيضاً روى جماعة من التابعين.

قال أبو جبر: ما رأيت أفقه من الشعبي.

وقال مكحول: ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية منه.

وقال داود الأودي: قال لي الشعبي: قم معي ما هنا حتى أتيتك علماً، بل هو رأس العلم. قلت: أي شيء تقيدين؟ قال: إذا سئلت عما لا تعلمه فقل: الله أعلم، فإنه علم حسن.

وقال: لو أن رجلاً سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد، لرأيت سفره عقوبة وضائعاً.

وقال: العلم أكثر من عدد الشعر، فخذ من كل شيء أحسنه.

■ أبو بردة بن أبي موسى الأشعري: تولى قضاء الكوفة قبل الشعبي، فإن الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز، واستمر إلى أن مات، وأما أبو بردة فإن كان قاضياً في زمن الحجاج، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أبا بكر، وكان أبو بردة فقيهاً حافظاً عالماً، له روايات كثيرة.

■ أبو قلابة الجرمي: عبد الله بن يزيد البصري، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم، وكان من كبار الأئمة والفقهاء، وطلب للقضاء فهرب منه وتغرب، قدم الشام فقتل دارياً وبها مات رحمه الله.

قال أبو قلابة: إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة، ولم يكن همك ما يحدث به الناس، فلعل غيرك يتنفع ويستغني وأنت في الظلمة تتعثر، وإنني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخ البطالين.

وقال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عنراً جهلك، فإن لم تجد له عنراً فقل: لعل لأخي عنراً لا أعلمه.

نافعاً يحفظان حفظك.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس مرتين، أفقه عند كل آية وأسأله عنها.

مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة، وقيل: إحدى وقيل: اثنتين وقيل: ثلاث ومائة، وقيل أربع ومائة، وقد جاوز الثمانين والله أعلم.

■ مصعب بن سعد بن أبي وقاص: تابعي ثقة جليل القدر.

■ موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، كان يلقب بالمهدي لصلاحه، كان تابعياً جليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع مائة

ففيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الصغد وحاصر أهل خجينة وقتل خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً جزيلاً، وأسر رقيقاً كثيراً جداً، وكتب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين، فوجد فيها عليه أمير العراق عمر بن هبيرة إذ لم يكتب إليه فيكتب هو إلى أمير المؤمنين لأنه هو الذي ولاه. وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين عن إمرة الحرمين عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس، وكان سببه أنه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك، فالح عليها وتوعدتها، فأرسلت إلى يزيد بن عبد الملك تشكو إليه، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب الطائف فوالاه المدينة، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين وهو متكئ على فراشه بدمشق، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بن الضحاك ركب إلى دمشق فاستجار بمسلمة بن عبد الملك، فدخل على أخيه فقال: إن لي إليك حاجة، فقال: كل حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك، فقال: هو والله - حاجتي، فقال: والله لا أقبلك ولا أعفو عنه، فردّه إلى المدينة فتسلمه عبد الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف، فسأل الناس بالمدينة، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهر، وكان الزهري قد أشار عليه برأي سديد، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل، ولم يفعل. فأقبضه الناس وذمه الشعراء ثم كان هذا آخر أمره.

وفيهما عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي، وذلك أنه كان يستخف بأمر عمر بن هبيرة، ولما عزله أحضره بين يديه وعاقبه وأخذ منه أموالاً كثيرة، وأمر بقتله ثم عفا عنه، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانت منكسة في أيام سعيد بن عمرو الحرشي.

وفيهما غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان، أرض الترك، فتفتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وفرايزهم في الماء، وسى منهم خلقاً كثيراً، وفتح عامة الحصون التي تلي بلنجر، وأجلى عامة أهلها، والتقى هو الحاقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم حاقان، وتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، قتل فيها خلق كثير لا يحصون.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ.

وفي هذه السنة ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد

منه تجريري لوقفت وحضه يصادفه يوماً على غير موعد
قتل للذي يعني خلاف الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكان قد
فكتب إليه هشام: جعل الله يومي قبل يومك، وولدي قبل ولدك، فلا
خير في العيش بملك.

وقله كان يزيد هذا يحب حظية من حظياه يقال لها حبابة - بتشديد
الباء الأولى - والصحيح تخفيفها - واسمها العالية، وكانت جميلة جداً،
وكان قد اشتراها في زمن أخيه سليمان بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار،
من عثمان بن سهل بن حنيف، فقال أخوه سليمان: لقد هممت أن أحجر
علي يزيد، فباعها يزيد، فلما أفضت إليه الخلافة قالت له امرأته - سعدة
يوماً: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ قال: نعم،
حبابة، فبعثت امرأته فاشتريتها له ولبستها وصنعته وأجلستها من وراء
الستارة، وقالت له أيضاً: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا
شيء؟ قال: أو ما أخبرتكم فقلت: فهذه حبابة وأبرزتها له وأخلت بها
وتركتها وإياها فحظيت الجارية عنده، وكذلك زوجته أيضاً، فقال يوماً:
أشتهي أن أدخل عجباً في قصر مدة من الدهر، لا يكون عندي أحد، ففعل
ذلك، وجعها إليه في قصره ذلك حبابة، وليس عنده فيه أحد، وقد فرش له
بأنواع الفرش والبسط المائلة، والنعمة الكثيرة السابغة فيمنما هو معها في
ذلك القصر على أسر حال وأنعم بال، وبين يديهما عنب ياكلان منه، إذ
رماها بحبة رمان، ويروى بعنة في فيها وهي تضحك فشرقت بها فماتت،
فمكث أياماً يقيها ويرشفها وهي ميتة حتى انتشنت وجيفت فأمر بدفنها،
فلما دفنها أقام أياماً عند قبرها هالماً، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها
فوقف عليه وهو يقول

فإن تُسَلَّ عنك النفس أو تدع الصبا فيالباس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قاتل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد
ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل.
وذلك بالسواد سواد الأردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه
السنه - أعني سنة خمس ومائة -.

وكانت خلافة أربع سنين وشهراً على المشهور، وقيل: أقل من ذلك،
وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وقيل: خمساً، وقيل: ستاً وقيل ثمانياً وقيل
تسعاً وثلاثين، وقيل: إنه بلغ الأربعين فإله أعلم.
وكان طويلاً جسيماً أبيض مدور الوجه أقدم الفم لم يشب، وقيل إنه
مات بالجولان، وقيل بجوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد، وعمره خمس
عشرة سنة، وقيل: بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك، وهو الخليفة
بعده، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير
بدمشق، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام، ومن بعده لولده
الوليد بن يزيد، فبايع الناس من بعده هشاماً.

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بوع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه خمس بقين من شعبان
من هذه السنه - أعني سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة
وأشهر، لأنه لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين
وسبعين، فسماه منصوراً تفاؤلاً، ثم قدم فوجد أمه قد أسمته باسم أبيها
هشام فأقره.

ثم دخلت سنة خمس ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد اللان، وفتح حصوناً كثيرة،
ويلاًد متسمة الأكتاف من وراء بلنجر، وأصاب غنائم جمة، وسعى خلقاً
من أولاد الأتراك.

وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد
الصغد، فصالحه ملكها على مال كثير يحمله إليه.

وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم، فبعث بين يديه
سرية ألف فارس، فأصيروا جميعاً.

وفيها خمس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد
الملك بن مروان بأرد من أرض البلقاء، وكان ذلك يوم الجمعة، وعمره ما
بين الثلاثين والأربعين، وهذه ترجمته:

هو

■ يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف أبو خالد القرشي الأموي، أمير المؤمنين، وأمه
عاتكة بنت يزيد بن معاوية، قيل: إنها دفنت بقبر عاتكة فنسبت الحلة
إليها والله أعلم.

بوع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى
ومائة بعدد من أخيه سليمان بن عبد الملك، أن يكون الخليفة بعد عمر بن
عبد العزيز رحمه الله يوم الجمعة. لخمس بقين من رجب.

قال محمد بن يحيى الذهلي: حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن
برقان حدثني الزهري قال: كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في
عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فلما ولي الخلافة
معاوية ورث المسلم من الكافر. ولم يرث الكافر من المسلم، وأخذ بذلك
الخلفاء من بعده، فلما قام عمر بن عبد العزيز رابع السنة الأولى، وتبعه في
ذلك يزيد بن عبد الملك، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء يعني أنه ورث
المسلم من الكافر.

وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال: بينما نحن عند مكحول إذ
أتى يزيد بن عبد الملك فهمنا أن نوسع له، فقال مكحول: دعوه يجلس
حيث انتهى به المجلس، يتعلم التواضع.

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما
ولي عزم أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له
الظلم، كما قال حرمله عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك قال: سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك
أربعين ليلة، فأتى بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب
ولا عذاب، وقد اتهم بعضهم في الدين، وليس بصحيح، إنما ذاك ولده
الوليد بن يزيد كما سيأتي، وأما يزيد هذا فما كان به بأس، وقد كتب إليه
عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإني لا أراني إلا لئماً بي، ولا أرى الأمر إلا
سيفزي إليك، فإله الله في أمة محمد ﷺ، فإنك عما قليل ميت فتدع
الدنيا لمن لا يحمذك وتفضي إلى من لا يعنرك، والسلام.

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد
بلغه، أنك استبطلت حياته وتمتت وفاته ومرت الخلافة، وكتب في آخره:

تمنى رجال أن أموت وإن أمست قتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو يضع العلم عنهم متى مت ما الباغي علي بمخلد

فيركب ثم يضرب بالهراوى ولا عرف للبه ولا تكسر
وعود البع بنت مستراً وليس يطول والقضاء خور
وقد تكلم أبو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام
طويل.

قالوا: ودخل كثير عزة يوماً على عبد الملك بن مروان فامتدحه
بقصيدته التي يقول فيها

على ابن أبي العاصي دوع حصينة أجاد المسدي سردها وأثامها
فقال له عبد الملك: أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معدي
كرب:

وإذا تحجى كتيبة ملمومة شهباء يخشى النائدون نهالها
كنت المقدم غير لأبس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطالها

فقال: يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالخزم.

ودخل يوماً على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير
فقال: ويحك يا كبير، ذكرتك الآن بشرك فإن أصبت أعطيتك حكمك،
فقال: يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عاتكة بنت يزيد بكت لفراقك فبكى
لبكائها حشماً فذكرت قولتي:

إذا ما أراد الغزو لم تكن عزمه حصان عليها نظم در زينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما عراها فظننها

قال: أصبت فاحكم، قال: مائة ناقة من نورق المختارة، قال: هي لك،
فلما سار عبد الملك إلى العراق نظر يوماً إلى كبير عزة وهو مفكر في أمره
فقال: علي به، فلما جيء به قال له: أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به
تعطيني حكمي؟ قال: نعم، قال: والله؟ قال: والله، قال له عبد الملك: إنك
تقول في نفسك: هذا رجل ليس هو على مذهبي، وهو ذاهب إلى قتال
رجل آخر ليس هو على مذهبي، فإن أصابني سهم غرب من بينهما
خسرت الدنيا والآخرة، فقال: أي والله يا أمير المؤمنين فاحكم، قال:
حكمي أن أدرك إلى أهلك وأحسن جاترتك، فأعطاه مالا وأذن له في
الانصراف.

وقال حماد الراوية عن كثير عزة: وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى
عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة، ونحن نمت إليه بصحبتنا إياه
ومعاشرتنا له لما كان بالمدينة، فكل منا يظن أنه مشركه في الخلافة، فنحن
نسير ونختال في رحالنا، فلما انتهينا إلى خناصرة ولاحت لنا أعلامها، تلقانا
مسلمة بن عبد الملك فقال: ما أقدمكم؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب
الشعر ولا الشعراء؟ قال: فوجئنا لذلك، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا
النفقات وعلف دوابنا، وأقامنا عنده أربعة أشهر لا يمكن أن يستأذن لنا على
عمر، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد
الصلاة، فسمعتة يقول في خطبته: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم
من الدنيا إلى الآخرة بالقوى، وكزونا كمن عاين ما أعد الله له من عذابه
وثوابه فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتقادوا
لعدوكم، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصابحه
ولا يصبح بعد إصابته، وربما كانت له كاتمة بين ذلك خطرات المنايا، وإنما
يطمن من وقت بالنجاة من عذاب الله وأموال يوم القيامة، فأسأ من لا
يأوي من الدنيا كلمة إلا أصابه جراح من ناحية أخرى فكيف يطمن،
أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبلس مسكتي في

وجهاً فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله وخرج هارباً منها، فرأى
يوسف عليه السلام في المنام. فقال له: أنت يوسف؟ فقال: نعم أنا يوسف
الذي هممت، وأنت سليمان الذي لم تهتم. وقيل إن هذه الحكاية إنما
وقعت في بعض منازل الحجاج، وكان معه صاحب له، فبعثه إلى سوق
الحجاج ليشتري شيئاً فألحقت على سليمان امرأة من الجبل حسنة فقالت
له: هيت لك، فبكى واشتد بكاءه فلما رأت ذلك منه ارتفعت في الجبل،
وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له: ما لك تبكي؟ فقال: خير، فقال:
لملك ذكرت بعض ولدك أو بعض أهلك؟ فقال: لا فقال: والله لتخبرني
ما أبكاك أنت. قال: أبكايني حزني على نفسي، لو كنت مكانك لم أصبر
عنها، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه كما تقدم والله أعلم.

و عكرمة مولى ابن عباس: أحد التابعين، والمفسرين المشكرين
والعلماء الربانيين، والرحالين الجوالين.

و القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: كان أحد الفقهاء المشهورين
له روايات كثيرة، عن الصحابة وغيرهم، وكان من أفضل أهل المدينة،
وأعلم أهل زمانه، قتل أبوه بمصر وهو صغير، فأخذته خالته فنشأ عندها،
وساد وله مناقب كثيرة.

أبو رجاء العطاردي، تقدم له ذكر وفاة، واسمه عمر بن ملحان
البصري، له روايات كثيرة. قيل: إنه عاش مئة وعشرين. وقيل: مئة وثلاثين
سنة. وقيل: أكثر من ذلك، وكان يذكر أنه ولد قبل المبعث، وكان من
المشهورين بالعلم والفضل والزهد والعبادة، رحمه الله تعالى.

كثير عزة الشاعر المشهور: وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن
عامر، أبو صخر الخزاعي الحجازي، المعروف بابن أبي جمعة، وعزة هذه
المشهور بها المنسوب إليها، لتغزله فيها، هي أم عمرو عزة بالعين المهملة،
بنت جميل بن حفص، من بني حاجب بن غفار، وإنما صغر اسمه فقيل
كثير، لأنه كان دميم الحلق قصيراً، طوله ثلاثة أشبار.

قال ابن خلكان (وفيات الأعيان: ١١٣/٤): كان يقال له زبّ الذنباب،
وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره، وكان إذا دخل على عبد الملك
بن مروان يقول له: طأطأ. راسك لا يؤذيك السقف، وكان يضحك إليه،
وكان يقد على عبد الملك ووفد على عبد الملك بن مروان مرات، ووفد
على عمر بن عبد العزيز، وكان يقال إنه أشعر الإسلاميين، على أنه كان
فيه تشيع، وربما نسب بعضهم إلى مذهب التناسخية، وكان يحتج على ذلك
من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه، بقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا
شَاءَ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ٨] وقد استأذن يوماً على عبد الملك فلما دخل عليه
قال عبد الملك: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: جيهلاً يا أمير
المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل
بجنان، وأنا الذي أقول:

وجرى الأمور وجرى بني وقد أبعدت عريكتي الأمور
وما تخفى الرجال علي إنسي بهم لأخو مثاقبة خبير
تري الزجل التحيف فتدريه وفي أتوابه أسد عزيز
ويعجبك الطير فتجنبيه فيخلف ظنك الرجل الطير
وما عظم الرجال لها يزبن ولكن زينها كرم وغير
بنات الطير أطولها جوصاً ولم تطل البزة ولا الصقور
وقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالمعظم البعير

يوم لا يفتح فيه إلا الحق والصدق، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض لحبه،
وارتج المسجد وما حوله بالكاء والعيول. قال: فانتصرفت إلى صاحبي
فقلت: خذا شرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فإنه رجل آخري
ليس برجل دنيا. قال: ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا
عليه سلمت عليه ثم قلت: يا أمير المؤمنين طال الشواء وقلت القاتلة،
وتحدث بجهنمك إيانا وفرد العرب. فقال: ﴿إنما الصدقات للفقراء
والمساكين﴾ رهوبة: ٦٠ ﴿وقرأ الآية، فإن كنتم من هؤلاء أعطيتكم وإلا فلا
حق لكم فيها، فقلت: يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به،
فقال: أأنتم عند أبي سعيد؟ يعني مسلمة بن عبد الملك، فقلنا: بلى! فقال:
إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد، فقلت: اتلن لي يا أمير المؤمنين
بالإنشاء، قال: نعم ولا تقل إلا حقاً، فأنشدته قصيدة فيه:

وليت فلم تستم علياً ولم تخف يربكاً ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي أثبت فأسى راضياً كل مسلم
إلا إنما يكفني الفتى بعد زينه من الأود البادي ثقاف المقوم
وقد ليست تسمى إليك ثيلها تراهي لك الدنيا بكف ومعصم
وتومضن أحياناً بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمال المنظم
فأعرضت عنها مشمراً كأنما سقتك مدفناً من سقام وعلقم
وقد كنت من إجلالها في منع ومن بحرهما في مزيد المروج مفعم
ومازلت تواقب إلى كل غاية بلغت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم تكن لطالب دنيا بعده في تكلم
تركت الذي يفتنى وإن كان موقفاً وآثرت ما يقضى برأي مصمم
وأضرت بالقائي وشمرت للذي أملك في يوم من الشر مظلم
وما لك إذ كنت الخليفة مانع سوى الله من مال رغب ولا دم
سما لك هم في الفؤاد موزق بلغت به أعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها مناد ينادي من فضيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتني بأخذك ديناري ولا أخذ درهمي
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم ولا السفك منه ظالم مله عجم
ولو يستطيع المسلمون لقسمو لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فعمت بها ما حج لله راكب ملب مطيف بالمقام وزمزم
فأربع بها من صفقة لبائع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم
قال: فأقبل علي عمر بن عبد العزيز وقال: إنك تسأل عن هذا يوم
القيامة، ثم استأذنه الأحرص فأنشده قصيدة أخرى فقال: إنك تسأل عن
هذا يوم القيامة. ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر لكل واحد منهم مائة
وخسين درهماً، وأغزى نصيباً إلى مرج ذابق.

وقد وفد كثير عزة بعد ذلك على يزيد بن عبد الملك وامتدحه بقصائد
فأعطاه مسمحة دينار.

وقال الزبير بن بكار: كان كثير عزة شيعياً خشيئاً يرى الرجعة، وكان
يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ [الأنفطار: ٢٨].

وقال موسى بن عبيدة: هزل كثير عزة ليلة في منامه فأصبح يمتدح آل
الزبير ويروي عبد الله بن الزبير، وكان يسيء الرأي فيه:

بمفتضح البطحاء ثاول لو أنه أقيم بها مالم ترمها الأخشاب
سرحنا سروراً آمنين ومن يخف يوافق ما يخشى تنبه النواشب
تبرات من عيب ابن أسماء إني إلى الله من عيب ابن أسماء تائب
هو المرء لا تزري به أمهاته وآبائه فبينا الكرام الأطياب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: قالت عائشة بنت طلحة لكثير
عزة: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما
تصف من الحسن والجمال؟ فلو قلت ذلك في وفي أمثالي فأتا أشرف
وأفضل منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فافت النساء حسناً وجمالاً
وأصالة - وإنما قالت له ذلك لتخبره وتبلوه فقال:

ضحى قلبه يا عزة أو كاد يلهل وأضحى يريد الصبرم أو يبدل
وكيف يريد الصبرم من هو وامق لعزة لا قال ولا منبذل
إذا وصلت خلة كي تريلنا أيننا وقلنا الحاجبية أول
سنوليك عرفاً إن أردت وصلنا ونحن نليك الحاجبية أوصل
وحذنا الواشون أنسي هجرتها فحملها غيظاً علي المحمل
فقلت له عائشة: لقد جعلتي خلة ولست في بخلة، وهلاً قلت كما قال
جميل فهو والله أشرف منك حيث يقول:

يا رب عارضة علينا وصلها بالجد تخططه بقول المازل
فأجبتنا بالقول بعد تتر حيي بشنة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي بقدر قلامة فضل وصالك أو أتاك رسالي
فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته،
واستحيا.

ومما أنشده ابن الأنباري لكثير عزة:

بلي وأسي أنت من مشوكة طبن العدو لها فغير حالها
ومشى لي بيب عزة نسوة جعل الإله غدودهن نعلها
الله يعلم لو جمعن ومثلت لاخترت قبل تأمل ثنائها
ولو أن عزة خاضت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها
وأشده غيره لكثير عزة:

فما أحدث النائي الذي كان يبتا سلواً ولا طول اجتماع تقالبا
وما زادني الواشون إلا صباباً ولا كثرة الناهين إلا تماديا
قللت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
هنيئاً مريئاً غير داء غمام لعزة من أغراضنا ما استحلت
وقال كثير عزة أيضاً وفيه حكمة:

ومن لا يفض عنه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهلاً كل عشرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

ودكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن
غفار أم عمرو الضمرية وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامه
فقال: لا أقضيها لك حتى تشليني شيئاً من شعره، فقالت: لا أحفظ له
كثير شعر ولكن سمعتهم يحكون عنه أنه قال في:

قضى كل ذي دين علمت غريمه وعزة بمطول معنى غريمها

العزیز بن مروان فلا أرغب، وإنما الشعر عن هذه الخلال.
وكانت وفاته ووفاة عكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، ولكن في
سنة خمس ومائة على المشهور. وإنما ذكره شيخنا أبو عبد الله النعماني في
هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم، وفتح
إبراهيم بن هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الروم أيضاً.
وفيهما غزا أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك كسرة
فاضحة.

وفيهما زحف خاقان إلى أفريجيان وحاصر مدينة ورشان ورامها
بالمجانيق، فسار إليه أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن
عبد الملك، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه وقتل من جيشه خلق كثير،
وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه، وقتل الحارث
بن عمرو شهيداً، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً.
وفيهما غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك أرض الروم، ويعت البطال
على جيش كثيف فافتتح جنتجرة وغنم منها شيئاً كثيراً.
وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أمير
الحرمين والطائف.
والعمال فيها هم العمال في التي قبلها بأعيانهم.

ولها توفي

- بكر بن عبد الله المزني.
 - راشد بن سعد المقراني الحمصي: عمر دهنراً طويلاً، وروى عن
جماعة من الصحابة، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً، رحمه الله تعالى، وله
ترجمة طويلة.
 - محمد بن كعب القرظي: في قول وأبو نضرة. المشهور بين مالك بن
قطعة العبدية.
- وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمرة
خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج، فأقبل منها في رمضان، واستخلف على
خراسان الحكم بن عروثة الكلبي، واستتاب هشام على خراسان أشرس بن
عبد الله السلمي، وأمره أن يكتب خالد بن عبد الله القسري، وكان
أشرس فاضلاً خبيراً، وكان سمي الكامل لذلك، وكان أول من اتخذ
المرابطة بخراسان، واستعمل عليها عبد الملك بن دثار الباهلي، وتولى هو
الأمر بنفسه كثيراً وصغيرها، ففرح به أهلها.
وفيهما حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين والطائف.

سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان، في جموع
عظيمة فتوافقوا نحرًا من شهر، ثم هزم الله خاقان في زمن الشتاء، ورجع

فقال: ليس عن هذا أسالك ولكن أنشدني قوله:

وقد زعمت أنني تغيرت بعدما
ومن ذا الذي يبا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالذي
عهلت ولم يتغير بذلك غير
فاستحييت وقالت: أما هذا فلا أحفظه ولكني سمعتهم يحكونه عنه،
ولكن أحفظ له قوله:

كأنني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تشي بها العصم زلت.
صفوح نما تلقاك إلا بخيلة ومن مل منها ذلك الوصل ملت
قال: قضى لها حاجتها وردّها ورد عليها غلامتها وقال: أدخلوها
على الحرم ليتعلموا من أدبها.

وروي عن بعض نساء العرب قالت: اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء
الحاضر إليها لينظرن حسنها، فإذا هي حياء حلوة لطيفة فلم تقع من
النساء بذلك الموقع حتى تكلمت فإذا هي أبرح الخلق وأحلاها حديثاً، فما
بقي في أعيننا امرأة تفوقها حسناً وجمالاً وحلاوة. وذكر الأصمعي عن
سفيان بن عيينة قال: دخلت عزة على سكين بنت الحسين فقالت لها: إنني
أسالك عن شيء فاصدقني، ما الذي أراد كثير في قوله لك:

قضى كل ذي دين فونى غريمه وعزة تعطول معنى غريمها
فقال: كنت وعدته قبلة فمطلته بها، فقالت: اغزيها له وإثمها علي،
وقد كانت سكين بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بحسنتها
المثل. وقد روي أن أم المؤمنين أخت عمر بن عبد العزيز قالت لها مثل هذا
سواء، والله أعلم.

وروي أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة فأبى عليه
وقالت: يا أمير المؤمنين أبعدا فضحني بين الناس وشهرني في العرب؟
وامتنعت من ذلك كل الامتناع، ذكره ابن عساکر [تابع دمشق] جزء رابع
النساء ص ٢٤٣.]

وروي أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتكررت عليه وأرادت
أن تختبر ما عنده، فتعرض لها فقالت له: فأين حبك عزة؟ فقال: أنا لك
الغداة لو أن عزة أمة لي لوهبها لك، فقالت: ويحك لا تفعل ألت القاتل:
إذا وصلتنا خلة كسي تزيئنا أينا وقلنا الحاجبية أول؟

فقال: بأي أنت وأمي، أنصري عن ذكرها واسمعي ما أقول ثم قال:
هل وصل عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها بدل
قالت: فهل لك في الجمالة؟ قال: ومن لي بذلك؟ قالت: فكيف بما
قلت في عزة؟ فقال: أقبله فيتحول لك، قال: فسرت عن وجهها وقالت:
أغلداً وتكثاً يا فاسق، وإنك لما هنا يا علو الله، فهبت وأبلس ولم ينطق
وتحير وخجل، ثم قالت: قاتل الله جيلاً حيث يقول:
لحي الله من لا يفسح الود عنده ومن حبله إن مُدَّ غير متين
ومن هو ذو وجهين ليس بدائم على الهدى حلفاً بكل يمين
ثم شرع كثير يعتدل ويتصل بما وقع منه ويقول في ذلك الأشعار ذاكراً
وأثراً.

وقد ماتت عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان وزار كثير قبرها
ورثاها وتغير شعره بعدها، فقال له قائل: ما بال شعرك تغير وقد قصرت
فيه؟ فقال: ماتت عزة فلا أطرب، وذهب الشاب فلا أحجب، ومات عبد

لمشاق، قال: فهذا جرير وهذا الأخطل وهذا الفرزدق. فأنشأ الأعرابي يقول:

فَيَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ خَزَرَهُ وَأَرْغَمَ أَفْكَ يَا أَخْطَلَ
وَجِدَّ الْفَرَزْدَقِ تَبَسُّمُ بِي وَدَقَّ خِيَاثِيهِمُ الْخَنَسَدُ
فأنشأ الفرزدق يقول:

يَا أَرْغَمَ إِلَهَ أَنْفَأَ أَنْتَ حَائِلُهُ يَا ذَا الْخَنَاءِ وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّضْيِيعِ حُكْمُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي السَّرَايِ وَالْجَدِلِ
ثم أنشأ الأخطل يقول:

بَا شَرُّ مَنْ حَلَّتْ سَاقِي عَلَى قَدَمِ مَا مَثَلَ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يَجْتَمِلُ
إِنْ الْحُكْمَةَ لَيْسَتْ فِي أَيْدِيكَ وَلَا فِي مَشْرِبِ أَنْتَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ سَفَلُ
فقام جرير مضطرباً وهو يقول:

شَتَمْنَا قَاتِلًا بِالْحَقِّ مَهْتَبِيًّا عِنْدَ الْخَلِيفَةِ وَالْأَقْوَالِ تَتَصَلُّ
أَتَشْتَمَانِ سَفَاهًا خَيْرُكُمْ حَسَبًا فَيَكُمَا - وَالْهِي - الزُّورُ وَالْخَطَلُ
شَتَمْتُمَا عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِكُمَا لَا زِلْمَا فِي سَفَالِ إِيهَا السُّفَلُ

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال: يا أمير المؤمنين جازتني له، وكانت خمسة عشر ألف، فقال عبد الملك: وله مثله من مالي، فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج.

وحكى يعقوب بن السكيت أن جريراً دخل على عبد الملك مع وفد أهل العراق من جهة الحجاج فأشده مدبجه الذي يقول فيه:

الْكُتْمُ خَيْرٌ مِنْ رَكْبِ الْمَطَايَا وَأَتَدَى الْعَالِينَ بِطُيُونِ رَاحٍ

فأطلق له مائة ناقة وثمانية من الرعاء أربعة من التوبة وأربعة من السبي الذين قدم بهم من الصفد قال جرير: وبين يدي عبد الملك جامات من فضة قد أهديت له، وهو لا يعا بها شيئاً، فهو يقرعها بقضيب في يده، فقلت: يا أمير المؤمنين الخلب، فالق لي إني واحداً من تلك الجامات، ولما رجع إلى الحجاج أعجبه إكرام أمير المؤمنين له فأطلق الحجاج له خمسين ناقة تحمل طعاماً لأهله.

وحكى نفلويه أن جريراً دخل يوماً على بشر بن مروان وعنده الأخطل، فقال بشر لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا، ومن هذا أيها الأمير؟ فقال: هذا الأخطل، فقال الأخطل: أنا الذي شتمت عرضك، وأسهرت ليلك، وأذيت قومك، فقال جرير: أما قولك: شتمت عرضك، فما ضر البحر أن يشتمه من غرق فيه، وأما قولك: وأسهرت ليلك، فلو تركتني أنام لكان خيراً لك، وأما قولك: وأذيت قومك، فكيف تؤذي قوماً أنت تؤذي الجزية إليهم؟ وكان الأخطل من نصاري العرب المنتصرة بقبح الله وأبعد منواه، وهو الذي أنشد بشر بن مروان قصيدته التي يقول فيها:

قَدْ اسْتَوَى بَشَرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَبِيٍّ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، وليس في بيت هذا النصرائي حجة ولا دليل على ذلك، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً، فإنه إنما يقال: استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه، كاستيلاء بشر على العراق، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيائها عليه،

مسلمة سالماً غانماً، فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام، وتسمى هذه الغزاة غزاة الطين، وذلك أنهم سلكوا على مفارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة، وتوكل فيها خلق كثير، فما نجوا حتى قاسوا شدائد وأموالاً صعباً وشداداً عظماً.

وفيها دعا أشروس بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ورضع عنهم الجزية فاجابوه إلى ذلك، وأسلموا غالبيتهم، ثم طالبهم بالجزية فقبضوا له الحرب وقتلوه، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة، قد أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة.

وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام عبيدة إلى إفريقية متولياً عليها، فلما وصل جهاز ابنه وإخاه في جيش فالتقوا مع المشركين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا بطريقهم وانهزم باقيهم، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً.

وفيها انتزع معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم، وغنم غنائم جمّة. وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام وعلى العراق خالد القسري، وعلى خراسان أشروس السلمي

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ جرير الشاعر: وهو

■ جرير بن الحظفي ويقال: جرير ابن عطية بن الحظفي واسم الحظفي حليفته بن بلر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن نعيم بن مر بن طابخة بن إلياس بن مضر، بن نزار، أبو حرزة الشاعر البصري، قدم دمشق مراراً، وامتنح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده، ووفد على عمر بن عبد العزيز، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل، وكان جرير أشعرهم وأخبرهم.

قال غير واحد: هو أشعر الثلاثة.

قال ابن دريد حدثنا الأشعثاني حدثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان التَّيَّي قال: رأيت جريراً وما تضم شفثاه من التسييح، فقلت: وما يتفعل هذا وأنت تغذ الحصة؟ فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]، وَخَذَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ.

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتنحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة، جرير والفرزدق والأخطل، فلم يعرفهم الأعرابي، فقال عبد الملك للأعرابي: هل تعرف أهدج بيت في الإسلام؟ قال: نعم! قول جرير:

فَفَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ مِنْ نُسَيْرٍ فَلَا كُفْباً بَلَفَتْ وَلَا يَلَابِ

فقال: أحسنت، فهل تعرف أهدج بيت قيل في الإسلام؟ قال نعم! قول جرير:

الْكُتْمُ خَيْرٌ مِنْ رَكْبِ الْمَطَايَا وَأَتَدَى الْعَالِينَ بِطُيُونِ رَاحٍ

فقال: أصبت وأحسنت، فهل تعرف أرق بيت قيل في الإسلام؟ قال: نعم! قول جرير:

إِنْ الْعِيسَى السِّيَّي فِي طَرَفِهَا سَرَضَ قَتَلْنَا نُسْ لَمْ يُحْيِيَنَّ قَتَلْنَا
يَصْرَغُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا خَرَاكُ بِهِ وَهَنْ أَضَعُفَ خَلْقِ اللَّهِ أَوْكَانَا
فقال: أحسنت، فهل تعرف جريراً؟ قال: لا والله، وإنني إلى رؤيته

وعرش الرب تعالى لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً، حتى يقال: استوى عليه أو معنى الاستواء الاستيلاء، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية، حتى أدامهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبح وليس فيه حجة والله أعلم.

وقال الهيثم بن عدي عن عروانة بن الحكم قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فمكثوا بابيه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم، فسأهم ذلك وهموا بالرجوع إلى بلادهم، فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير:

يا أيها الرجل المرخي عمامتهُ هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا
فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً، فمر بهم عدي بن أرطاة فقال له جرير مثلاً:

يا أيها الراكب المرخي مطيتهُ هذا زمانك إني قد مضى زميني
أبلغ خليفتي إن كنت لائقهُ أني لدى الباب كالمصفود في قرن
لا تنس حاجتنا لآيتٍ مفقرةُ قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين الشعراء يبابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، فقال: ويحك يا عدي، مالي وللشعراء، فقال: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ويحزي عليه، وقد أنشد العباس بن مرداس مدحة فاعطاه حلة، فقال له عمر: أتروي منها شيئاً؟ قال: نعم فأنشده:

وابنك يا خير البرية كلها نثرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
ونورت بالبرهان أسراراً مدلىاً واطفأت بالقرآن نارا تضرماً
فمن مبلغ عني النبي عموماً وكل امرئ يجزى بما كان قدماً
أقمت سبيل الحق بعد أوجاجي وكان قديماً ركنهُ قد تهتما
تعالى علواً فوق عرش إلها وكان مكاناً اللئى أعلى وأعظماً

فقال عمر بن عبد العزيز: ويحك يا عدي من بالباب منهم؟ فقال: عمر بن أبي ربيعة، فقال ليس هو الذي يقول:

ثم نهتها فهبت كعاباً طفلة ما تبين رجس الكلام
ساعة ثم إنها بعد قالت ولينا قد عجلت يا بن الكرام
أعلى غير موعد جئت تسري تخطسى لي روس النيام
ما تحشمت ما تريد من الأمير ولا جئت طارقاً لخصام

ثم قال: فلو كان عدو الله إذ فجر كتم وستر على نفسه، لا يدخل والله علي أبداً، فمن بالباب سواء؟ قال: همام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر: أو ليس هو الذي يقول:

هنا دلياني من ثمانين قامةً كما انقضت بناز أتم الرش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحسي يرجسى أم تبتل غماذره
لا يطأ والله باسطي وهو كاذب، فمن سواء بالباب؟ قال: الأخطل، قال: أو ليس هو القائل:

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بكامل لحم الأضاحي
ولست بزاجر غناً بكوراً لي يطعمه مكة للنجاح

ولست بزائر بيتاً بعيداً بمكة أبغسي فيو صلاحي
ولست بقائم كالمير أدمو قيل الصبح حي على الفلاح
ولكنني سائر بها شمولاً وأسجد عند منبج الصباح
والله لا يدخل علي وهو كافر أبداً، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم الأحوص، قال: ليس هو الذي يقول:

اللئى يسني وسين سبيها يفر منسي بها وأتبعه
فما هو دون من ذكرت، فمن هنا غيره؟ قال جميل بن معمر، قال: الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمت يوافق في الموتى ضربي ضربيها
فما أنا في طول الحياة براغب إنا قيل سوي عليها صفيحها
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحاً! والله لا يدخل علي أبداً، فهل بالباب أحد سوى ذلك؟ قلت: جرير، قال أما إنه الذي يقول:

طرتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزبارة فارجمي بلام
فإن كان لا بد فاذن لجرير، فاذن له فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمداً جعل الخلافة للإمام العادل
وسمى الخلافة عدله ووفاءه حتى ارعوى وأقام ميل المسائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولمة بحب العاجل

فقال له عمر بن عبد العزيز: ويحك يا جرير، اتق الله فيما تقول. ثم إن جريراً استأذن عمر في الإنشاد فلم يأذن له ولم ينهه، فأنشده قصيدة طويلة يمدح بها، فقال له: ويحك يا جرير لا أرى لك فيما هنا حقاً، فقال: إني مسكين وابن سبيل، فقال له: إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة وقد بقيت مائة، فأمر له بها، فخرج على الشعراء فقالوا: ماوراءك يا جرير؟ فقال: ما يسؤلكم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لأراض، ثم أنشأ يقول:

رايت رعى الشيطان لا تغفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا
وقال بعضهم فيما حكاه المعافي بن زكريا الجرمي: قالت جارية للحجاج بن يوسف في جرير: إنك تدخل هذا علينا، فقال: إنه ما علمت إلا عفيفاً، فقالت: أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع، فأمر بإخلائها مع جرير في مكان يراهما، ولا يشعر جرير بشيء من ذلك، فقالت له: يا جرير، فأطرق رأسه، وقال: هاذا، فقالت: أنشدني من قولك كنا وكذا من قولك كنا وكذا. لشعر فيه رقة وتحنن فقال: لست أحفظه ولكن أحفظ كنا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشد شعراً في مدح الحجاج - فقالت: لست أسألك هذا، ولكن عن كنا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشد في الحجاج - حتى انقضى المجلس فقال الحجاج: لله درك، أبيت إلا كرمًا وتكرماً.

وقال عكرمة أنشدت أعرابياً بيتاً لجرير الخطفي:

أبذل الليل لا تسري كواكبهُ أو طان حتى حبت النجم حيرانا
فقال الأعرابي: إن هذا حسن في معناه وأمرؤ بالله من مثله، ولكنني أنشدك في ضده من قول:

وليسل لم يقصره وقصا
نسيم الحب أورق فيه حتى
بمجلس لئلا تم نفسه فيه
فحلنا أن نطعمه بلفظ
فقلت له: زني، فقال: أما من هنا فحبك ولكن أنشدك غيره
فأنشدني:

وكنث إذا عقلت حبال قوم
فأحسن حين يحسن محبتهم
أشياء سوى مشيتهم فأتني
مشيتهم وأترك ما أشاء

قال القاضي ابن خلكان [وفيت الأعيان: ٣٢١/١]: كان جرير أشعر من
الفرزدق عند الجمهور، وأخبر بيت قاله جرير:

إذا غضبت عليك بنو قيس
قال: وقد سأله رجل: من أشعر الناس؟ فأخذ يده وأدخله على أبيه،
وإذا هو يرتفع من ثدي عز، فاستدعاه فنهض واللين يسيل على لحيته،
فقال جرير للذي سأله: أتصر هذا؟ قال: نعم، قال: أتعره؟ قال: لا، قال:
هذا أبي، وإذا يشرب من ضرع العتر لثلا يجلجها فيسمع جيرانه حس
الحلب فيطلبوا منه لبناً، فأشعر الناس من فخر بهذا ثمانين شاعراً فغللبهم.
وقد كان بين جرير والفرزدق مقاولات ومهاجاة كثيرة جداً يطول
ذكرها، وقد ماتا في سنة عشر ومائة، قاله خليفة بن خياط وغير واحد.

قال خليفة [وفيت: ٤٩٨/٢]: مات الفرزدق وجرير بعده بأشهر.

وقال الصولي: ماتا في سنة إحدى عشرة ومائة، ومات الفرزدق قبل
جرير بأربعين يوماً.

وقال الكندي عن الأصمعي عن أبيه قال: رأى رجل جريراً في المنام
بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفري، فقيل: بماذا؟ قال:
بتكبيره كبرتها بالبادية، قيل له: فما فعل الفرزدق؟ قال: أبهاه أهلكه قذف
المحصات. قال الأصمعي: لم يدعه في الحياة ولا في الممات.

وأما
■ الفرزدق فاسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن
عمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
بن مثة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي خطل التميمي
البصري الشاعر المعروف بالفرزدق، وجدته صعصعة بن ناجية صحابي،
وقد إلى رسول الله ﷺ، وكان يحكي المؤودة في الجاهلية.

حدث الفرزدق عن علي أنه ورد مع أبيه عليه، فقال: من هذا؟ قال:
أبي وهو شاعر. قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر.

وسمع الحسين بن علي ورأه وهو ذاهب إلى العراق وأبا هريرة وأبا
سعيد الخدري وعرفجة بن أسعد، وزرارة بن كرب، والطرماس بن عدي
الشاعر.

وروى عنه خالد الحذاء ومروان الأصغر وحجاج بن حجاج الأحول،
وجاعة، وقد وفد على معاوية يطلب ميراث عمه الخنات، وعلى الوليد بن
عبد الملك قيل: وعلى أخيه هشام ولم يصح ذلك، وقال أشعث بن عبد
الملك عن الفرزدق قال: نظر أبو هريرة إلى قلمي فقال: يا فرزدق إنني أرى
قلمك صغيرتين فاطلب لهما موضعاً في الجنة، فقلت: إن ذنوبي كثيرة،
فقال: لا تياس فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن

بالغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يغلَق حتى تطلع الشمس من مغربها».

وقال معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق
فتحرك فإذا في رجله قيد، فقلت: ما هنا؟ فقال: حلفت أن لا أنزعه حتى
أحفظ القرآن.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت بدأياً أقام بالخير إلا فسد لسانه
إلا رؤية بن العجاج والفرزدق فإنهما زادا على طول الإقامة جدة وحدة.

وقال راويته أبو شقفل طلق الفرزدق امرأته النوار ثلاثاً ثم جاء فأنشده
على ذلك الحسن البصري، ثم ندم على طلاقها وإنشاده الحسن على ذلك
فأنشأ يقول:

ندمت ندامة الكسبي لما
وكانت جنتي فخرجت منها
فلو انني ملكت يدي وقلمي
قوله: «الكسبي»، والكسبي كان رجلاً جاهلياً، وكان من أرمي
العرب، فخرج يوماً متصيلاً في ضوء القمر، فغن له حمر وحشية فرماها،
فأصاب منها حماراً فألفظه، وخرج سهمه منه فأصاب صخرة فقتل حماراً،
فغن أنه لم يصب، فقال: أنا أرمي ولا أصيب! فقطع يده، فلما أصبح إذا
الحمار مطروح وسهمه على جنبه، فندم على قطع يده.

وقال الأصمعي وغير واحد: لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة
المجاشعي امرأة الفرزدق - وكانت قد أوصت أن يصلي عليها الحسن
البصري- فشهدها أعيان أهل البصرة والحسن على بخلته، والفرزدق على
بعيره، فسار فقال الحسن للفرزدق: ماذا يقول الناس؟ قال: يقولون: شهد
هذه الجنائز اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس يعنونني - فقال له:
يا أبا فراس لست أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس، ثم قال له
الحسن: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين
سنة، فلما أن صلى عليها الحسن مالوا إلى قبرها لدفنها فأنشأ الفرزدق
يقول:

أخاف وراة القبر إن لم يعافني
إذا جماني يوم القيامة قائد
لقد خاب من أولاد آدم من مشى
يساق إلى نار الجحيم مسريلاً
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم
قال: فبكي الحسن حتى بل الثرى ثم التزم الفرزدق، وقال: لقد كنت
من أبغض الناس إلي، وإنك اليوم من أحب الناس إلي.

وقال له بعضهم: ألا تخاف من الله في قذف المحصات؟ فقال: والله
لله أحب إلي من عبي اللتين أبصر بهما، فكيف يعذبني؟
وقد قلتما أنه مات سنة عشر ومائة وأنه توفي قبل جرير بأربعين يوماً،
وقيل بأشهر والله أعلم.

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما مبسطة في كتابنا
التكميل وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فأما

■ الحسن بن أبي الحسن: واسمه يسار أبو سعيد البصري مولى زيد بن
ثابت، ويقال: مولى جابر بن عبد الله وقيل غير ذلك، وأمه خيرة مولاة أم
سلمة كانت تحلبها، فرما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن

وقال ابن شاذب: ما رأيت أحداً أجراً على تعبير الرواية منه ولا أجبن عن فتيا منه.

وقال عثمان البني: لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه.

قالوا: ومات في تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم.

وفيها توفي

■ وهب بن منبه اليماني: وهو تابعي جليل، وله معرفة بكتب الأوائل، وهو يشبه كعب الأحبار، وله صلاح وعبادة، ويسرى عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل ولله الحمد. قال الواقدي: توفي بصنعاء سنة عشر ومائة.

وقال غيره: بعدعا بسنة، وقيل بأكثر، والله أعلم.

ويزعم بعض الناس أن قبره في بصرى بقرية يقال لها عصم، ولم أجد لذلك أصلاً، والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم.

وفيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي عن إمرة خراسان وأولى عليها الجند بن عبد الرحمن، المري وولي الجراح بن عبد الله الحكمي أرمينية.

وفيها قصدت الترك بلاد أذربيجان فلقهم الحارث بن عمرو فهزمهم. ولما وصل الجند بن عبد الرحمن إلى خراسان أميراً عليها تلقته خيول الأتراك منهزمين من المسلمين، وهو في سبعة آلاف قتصافوا واقتتلوا قتالا شديداً، وطعموا فيه وقيمن معه لقتلهم بالنسبة إليهم، ومعهم ملكهم خاقان، فكاد الجند أن يهلك، ثم أظفرو الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة، وأسر ابن أخي ملكهم، ويعت به إلى الخليفة.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو أمير الحرمين والطائف، وأمير العراق خالد بن عبد الله القسري، وأمير خراسان الجند بن عبد الرحمن المري.

ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فانتص حصوناً من ناحية ملاطية. وفيها سارت الترك من اللان فلقهم الجراح بن عبد الله الحكمي فبين معه من أهل الشام وأذربيجان، فاقتلوا قبل أن يتكامل إليه جيشه، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بمروج أوديل، وأخذ العدو أوديل. فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الحرشي في جيش سريعاً، فلقن الترك وهم يسرون بأسارى المسلمين إلى نحو ملكهم خاقان، فاستنقذ منهم من كان معهم من المسلمين، ومن أهل الذمة أيضاً، وقتل من الترك مقتلة عظيمة جداً، وأسر منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبراً، وشفى ما كان تنكس من القلوب، ولم يكف هشام بن عبد الملك بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنده أميراً وسار هو بمن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان، وكان من أمره معهم ما سنكروه.

ونهب أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف، فوصل إلى نهر بلغ ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً، وأخرى عشرة آلاف بمنة

وهو رضيع، فتشاهله أم سلمة بشديها فغير عليه فارتضع منها، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من يدعوه له عمر بن الخطاب، قال: اللهم فقّه في الدين، وحبه إلى الناس.

وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا عنها مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسيتا.

وقال ابن مرة: إني لأعجب أهل البصرة بهذين الشيخين - الحسن وابن سيرين.

وقال قتادة: ما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه.

وقال أيضاً: ما رأت عيناى أفقه من الحسن.

وقال أيوب: كان الرجل يخالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هية له.

وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة: إذا نظرت إلى رجل أجمل أهل البصرة وأهمهم فهو الحسن، فاقرأه مني السلام.

وقال يونس بن عبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتضع به وإن لم يسمع كلامه ولم يَرِ عمله.

وقال الأعمش: ما زال الحسن يمي الحكمة حتى نطق بها، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ١٥٧/٧، ١٥٨): قالوا: كان الحسن جامعاً للعلم والعمل، عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم والعمل فضيحاً جليلاً وسيماً، وقدم مكة فاجلس على سريره، حوله، واجتمع الناس إليه فحدثهم وكان فيهم مجاهد وعطاء وطاوس وعمرو بن شعيب فقالوا: لم نر مثلاً هذا قط.

قال أهل التاريخ: مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة، عام عشر ومائة في مستهل رجب منها، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم.

وأما

■ ابن سيرين: فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة الأنصاري مولى أنس بن مالك البصري، كان أبو محمد من سبي عين التمر، أسره خالد بن الوليد في جملة السبي، فاشترته أنس ثم كاتبه، ثم ولد له من الأولاد الأخير جماعة، محمد هذا، وأنس بن سيرين، ومعبد ويحيى وحفصة وكرمة، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء ورحمهم الله.

قال البخاري (التاريخ الصغير: ٢٨٠/١): ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

وقال هشام بن حسان: هو أصدق من أدركت من البشر.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ١٩٣/٧): كان ثقة مأموناً عالماً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً. وكان به صمم.

وقال موريق العجلي: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، وأورع في فقّه منه.

قال ابن عرون: كان محمد بن سيرين أرحم الناس لهذه الأمة، وأشد الناس إزراءً على نفسه، وأشدهم خوفاً عليها.

قال ابن عرون: لم أر في الدنيا مثلاً ثلاثة، محمد بن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد في الحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام. وكانوا يأتون بالحديث على حروفه.

وكان الشعبي يقول: عليكم بذلك الأصم - يعني محمد بن سيرين.

وأما مشثرة حتى قتل ابن خاقان وفتح بلاداً كثيرة، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجر وأعمالها.

وفيها حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك. قال الواقدي وأبو معشر.

وحكى ابن جرير [٨٩/٧] عن بعضهم أنه حج بالناس لإبراهيم بن هاشم بن إسماعيل المخزومي: فأنه أعلم.

ونواب البلاد هم الذين في التي قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

قال ابن جرير: فيها كان مهلك: الأمير

■ عبد الوهاب بن بخت: وهو مع البطال عبد الله بارض الروم قتل شهيداً وهذه ترجمته: هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر، مولى آل مروان مكي، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة، روى عن ابن عمر وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين. وعنه خلق منهم أيوب السخيتاني ومالك بن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبيد الله العمري، حديثه عن أنس مرفوعاً: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فذه فوعاهما ثم بلغها غيره، فؤب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صلو مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم» [ج مختصر (٢٣٩) الحد: ٢٢٥/٣].

وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه» [٢٥٠٠].

وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعات من أئمة العلم.

وقال مالك: كان كثير الحج والعمرة والغزو، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفاقته.

وكان سمحاً جواداً، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال في بلاد الروم ودفن هناك رحمه الله تعالى.

وكانت وفاته في هذه السنة قاله خليفة وغيره، وذلك أنه لقي العدو ففر بعض المسلمين، فجعل ينادي ويركض فرسه نحو العدو: أن هلموا إلى الجنة، ويحكم أثرون من الجنة؟ أثرون من الجنة؟ إلى أين ويحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء؟ ثم قاتل حتى قتل رحمه الله.

■ مكحول الشامي: تابي جليل كبير القدر، إمام أهل الشام في زمانه، وكان مولى لامرأة من هنيل، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص، وكان نوباً، وقيل من سبي كابل، وقيل كان من الأبناء من سلالة الأكاسرة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا التكميل.

وقال محمد بن إسحاق: سمعته يقول: طففت الأرض كلها في طلب العلم.

وقال الزهري: العلماء أربعة، سعيد بن المسيب بالحجاز، والحسن البصري بالبصرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام.

وقال بعضهم: كان لا يستطيع أن يقول: قل، وإنما يقول: كل. وكان له وجاعة عند الناس، مهما أمر به من شيء في الشام يفعل.

وقال سعيد بن عبد العزيز: كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري.

وقال غير واحد: توفي في هذه السنة، وقيل بعدها فأنه أعلم.

وبسرة، وجاشت الترك، فاتوا سمرقند فكتب أميرها إليه يعلمه بهم، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم، ومعهم ملكهم الأعظم خاقان، فالقوت الغوث.

فسار الجندي مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شعب سمرقند وبقي بينه وبينها أربعة فراسخ، فصبحه خاقان في جمع عظيم، فحمل خاقان على مقدمة الجندي فأنحازوا إلى العسكر والترك تتبعهم من كل جانب، فترامى الجمعان والمسلمون يتسلدون ولا يشعرون بأنهم أمامهم، فنهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم، وذلك في مجال واسع، ومكان بارز، فالتقوا فحملت الترك على الميمنة وفيها بنو نعيم والأزد، فقتل منهم ومن غيرهم خلق كثير، ممن أراد الله تعالى كرامته بالشهادة، وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم، فناداه ترجمان الملك: إن صرت إلينا جعلناك فيمن يرفض الصنم الأعظم فنعبدك. فقال: ويحكم، إنما أقاتلكم على أن تبدلوا الله وحده لا شريك له، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله. ثم تناحى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان، وصبروا وصابروا، وحملوا على الترك حملة رجل واحد، فهزمهم الله عز وجل، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً حتى لم يبق سوى ألفين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل يومئذ سودة بن أبيج واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فحملوهم إلى الملك خاقان فأمر بقتلهم عن آخرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشعب. وقد بسطها ابن جرير [٧٠/٧-٧١] جداً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ رجاء بن حيوة الكندي: أبو المقدم، ويقال أبو نصر، وهو تابي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل، وزير صدق لخلفاء بني أمية، وكان مكحول إذا سئل يقول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية، وله روايات وكلام حسن رحمه الله.

■ شهر بن حوشب الأشعري الحمصي: ويقال إنه دمشقي، تابي جليل، روى عن مولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها، وحدث عنه جماعة من ثقات التابعين وغيرهم، وكان عالماً عابداً ناسكاً، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بغير إذن ولي الأمر، فعابوه وتركوا عِرضه وتركوا حديثه وأنشدوا فيه الشعر، منهم شعبة وغيره، ويقال إنه سرق غيرها فأنه أعلم. وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثنوا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده، وقالوا: لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه، وقد كان والياً عليه متصرفاً فيه فأنه أعلم.

قال الواقدي: توفي شهر في هذه السنة - أعني سنة اثني عشرة ومائة وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مئة، والله فأنه أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها، وقد أخذ أميرها رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك.

وفيها وغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك وقتل منهم خلقاً كثيراً

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

لفيها وقع طاعون بالشام.

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل وهو نائب الحرمين والطفان.

والنواب في سائر البلاد هم المذكورون في التي قبلها والله أعلم

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو جعفر الباقر: وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي، وهو تابعي جليل القدر كثير العلم، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وعبادة ونسباً وشرافاً، وهو أحد من تدعي فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر، ولم يكن الرجل على طريقهم ولا على مناهمهم، ولا يدعي بما وقع في أذهانهم وأوامهم وخيالهم، بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر، وذلك عنه صحيح في الأثر.

وقال أيضاً: ما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما. رضي الله عنهما وعنه.

وقد روى عن غير واحد من الصحابة، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم.

فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق، والحكم بن عتيبة، وربيعة والأعمش، والأوزاعي والأعرج، وهو أسن منه، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهرى وأبو إسحاق السبيعي.

وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال: حدثني أبي وكان خير عملي على وجه الأرض.

وقال العجلي: هو مني تابعي ثقة.

وقال محمد بن سعد (الطبقات: ٣٢٤/٥): كان ثقة كثير الحديث.

وكانت وفاته في هذه السنة في قول وقيل: في التي قبلها، وقيل: في التي بعدها أو في التي هي بعدها أو بعد بعدها فالله أعلم، وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست عشر ومائة

لفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة.

وفيها وقع طاعون بالشام والعراق، وكان معظم ذلك في واسط.

وفي الحرم منها توفي

■ الجعيد بن عبد الرحمن المري أمير خراسان من مرض أصابه في بطنه، وقد كان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فتغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فعزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان، وقال له: إن أدركته قبل أن يموت فآزق روحه. فما قدم عاصم بن عبد الله أرض خراسان حتى مات الجعيد في الحرم منها بمرو، وقد قال فيه أبو الجوزية عيسى بن عصبه يرثيه:

هلك الجود والجيد جيعاً فعلى الجود والجيد السلام
أصبحا ثاوين في بطن مسرو ما تنفى على الفصون الحرام
كتمتا نزهة الكسرام فلمسا مت مات الندي ومات الكرام

مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم، واسم أبي مسلم شهزاد بن شاذل. كنا نقله من خط ابن عبد الهادي.

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال: من نطق ثوبه قل همه، ومن طاب ربحه زيد في عقله. وقال مكحول في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ﴾ [الحاكر: ٨] قال: بارد الشراب، وظلال المساكن وشيع البطون، واعتدال الخلق، ولذاعة النوم.

وقال: إذا وضع المجاهدون أثقالهم عن دوابهم أتتها الملائكة، فمسحت ظهورها ودعت لها بالبركة، إلا دابة في عنقها جرس.

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى اليمنى سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان.

وفيها التقى عبد الله البطال وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي ﷺ فأمره البطال، فأرسله إلى سليمان بن هشام، فسار به إلى أبيه.

وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطفان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فحج بالناس في هذه السنة في قول.

وقال الرازي وأبو معشر: إنما حج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عطاء بن أبي رباح: الفهري مولاهم أبو محمد المكي، أحد كبار التابعين الثقات الرفعاء، يقال: إنه أدرك مائتي صحابي.

وقال محمد بن سعد: سمعت بعض أهل العلم يقول: كان عطاء أسود أعور أنفاس أشل أخرج، ثم عمي بعد ذلك، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث.

وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد: ما بقي أحد في زمانه أعلم بالناسك منه، وزاد بعضهم: وكان قد حج سبعين حجة، وعمر مائة سنة، وكان في آخر عمره يفتقر في رمضان من الكبر والضعف ويفدي عن إفطاره، ويتناول الآية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] وكان ينادي منادي بني أمية في أيام منى: لا يفي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح.

وقال أبو جعفر الباقر: ما رأيت فيمن لقيت أفقه منه.

وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عندهم.

وقال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس به صلاة.

وقال قتادة: كان سعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار.

وقال عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنت له كائني لم أكن سمعته، وقد سمعته قبل أن يولد، فأريه أني إنما سمعته الآن منه. وفي رواية: أنا أحفظ منه له فأريه أني لم أسمع.

الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله.

■ موسى بن وردان.

■ (ميمون بن مهران) [هذه الترجمة زيادة من الناسخ]

يقول: لا يكون الرجل من المثقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، حتى يعلن من أين مطعمه، ومن أين مشربه، أمن حلال ذلك أم من حرام؟ وقال أبو زرعة الدارمي: حدثنا سعيد بن حفص الثفلي حدثنا أبو المليح عن ميمون قال: الفاسق بمنزلة السبع فإذا كلمت فيه فخلبت سبيله فقد خلبت سبعاً على المسلمين وقال جعفر بن برقان: قلت لميمون بن مهران: إن فلاناً يستطعم نفسه في زيارتك، قال: إذا ثبت المودة في القلوب فلا بأس وإن طال المكث. وقال أحمد: حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال: لا تجد غريباً أهون عليك من بطنك أو ظهرك. وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن بن حبيب بن أبي مرزوق قال: رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له: ما هذا؟ قال: نعم! فلا تخبر به أحداً وقال عبد الله بن أحمد: حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال: ما أساء سرّاً فليتب سرّاً، ومن أساء علانية فليتب علانية، فإن الله يغفر ولا يعير، وإن الناس يعيرون ولا يغفرون.

وقال جعفر قال ميمون: في المسال ثلاث آفات، إن نجا صاحبه من واحدة لم ينج من اثنتين، وإن نجا من اثنتين كان قميناً أن لا ينجو من الثالثة، ينبغي أن يكون حلالاً طيباً، فأياكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيباً؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفسه ليس بمسرف ولا مقتر. وقال: سمعت ميموناً يقول: أهون الصوم ترك الطعام والشراب. وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا يحيى بن عثمان الحربي حدثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران قال: ما نال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر. وبهنا الإسناد قال: الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالشهوات، والشيطان عدو حاضر، فيظن أن أمر الآخرة أجل، وأمر الدنيا عاجل. وقال يونس بن عيينة: كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران فكتب إليه أسأله عن أهله، فكتب لي: بلغني كتابك تسألني عن أهلي، وأنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنساناً، وإني أكره البلاء إذا أقبل، فإذا أدير لم يسرنني أنه لم يكن، وأما أنت فعليك بكتاب الله، فإن الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث، أحاديث الرجال، ولياك والمراسي في الدين. قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به ميموزاً، ومعناه أنسوا به.

وقال عمرو بن ميمون: كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلقني أبي شيخ فعانقه ومع الشيخ فتى نحو مني، فقال له أبي: من هذا؟ قال: ابني. فقال: كيف رضاك عنه؟ فقال: ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه، إلا واحدة. قال: وما هي؟ قال: أن يموت فأوثر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي، فقلت: من هذا الشيخ؟ فقال: مكحول. وقال: شر الناس العيايون، ولا يلبس الكتاب إلا غني أو غوي وروى الإمام أحمد عنه قال: يا ابن آدم خفف عن ظهرك فإن ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يعمل، ومن ظلم هذا، وأكل مال هذا، وغشم هذا، وكل هذا على ظهرك تحمله، فخفف عن ظهرك. وقال: إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل وقال: ما أتى قوم في ناديهم المنكر إلا حتى ملاكهم. وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ: ﴿وَاتَّخَذُوا الزَّيْمَ إِلَهاً الْمَجْرُومَ﴾ [يس: ٥٩] ثم فارق حتى بكى، ثم قال: ما سمع الخلاق نبعت قط أشد منه. وقال أبو عروانة: حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا

ولما قدم عاصم بن عبد الله خراسان أخذ ثواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات، وعسفهم في المصادرات والجنائيات، فخرج عن طاعته الحارث بن سريج وبارزه بالحرب، وجرت بينهم أمور يطول ذكرها، ثم أكل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن سريج وظهر عاصم عليه. قال الراقدي: وفي هذه السنة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك.

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى.

وفيها بحث مروان بن عجمد وهو على أرمينية بعثين ففتح حصوناً من بلاد اللان، ونزل كثير منهم على الإيماني.

وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الحلالي عن إمرة خراسان وضمها إلى خالد بن عبد الله القسري مع العراق معادة إليه جبرياً على ما سبق له من العادة وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الحلالي إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية العراق، فأجابته هشام إلى ذلك قبولاً لتصيحته.

وفيهما توفي

■ قتادة بن دعامة السدوسي: أبو الخطاب البصري الأعمى، أحد علماء التابعين، والأئمة العاملين.

وروى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين، منهم سعيد بن المسيب، وأبو العالية ووزارة بن أوفى، وعطاء ومجاهد ومحمد بن سيرين ومسروق، وأبو مجلز وغيرهم، وحدث عنه جماعات من الكبار كأيوب وحامد بن سلمة وحيد الطويل وسعيد بن أبي عروبة، والأعشى وشعبة والأوزاعي والليث، وسمر، ومعمّر وهمام.

قال سعيد بن المسيب: ما جاني عراقي أفضل منه.

وقال بكر المزني: ما رأيت أحفظ منه.

وقال محمد بن سيرين: وهو من أحفظ الناس.

وقال مطر الوراق: كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه.

وقال الزهري: هو أعلم من مكحول.

وقال معمر: ما رأيت أفقه من الزهري وحامد وقاتدة وقال قتادة.

ما سمعت شيئاً إلا وعاء قلبي.

وقال أحمد بن حنبل: هو أحفظ أهل البصرة وقال: قلماً نجد من يتقنمه، أمّا المثل فلعل لا يسمع شيئاً إلا حفظه.

وقرأ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها وكان من العلماء وذكر يوماً فأتني على علمه وفقهه ومعرفة بالاختلاف والتفسير وغير ذلك.

وقال أبو حاتم: كانت وفاته بواسط في الطاعون - يعني في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة.

وفيها توفي:

■ أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج.

■ ابن أبي مليكة.

■ عبد الله بن أبي زكريا الخزازي. وميمون بن مهران.

فوا ضيعة الشعر الذي راح وانقضى بمسي ولم أملك ضلال فؤادها
قال القاضي ابن خلكان: ومن شعره السائر بين الناس ما أشده
إذا هبت الأرواح من نحو جانب به أهل مي حاج شوقي هربها
هوى تلذف العينان منه وإنما هوى كل نفس أين حل حببها
وأشد عند الموت:

يا قباض الأرواح في جسمي إذا احتضرت

وغافر الذنب زحزحني عن النار

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة

وفيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم، وفيها قصد شخص يقال له: عمار بن يزيد، ثم مسمي بخدش، إلى بلاد خراسان فدعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فاستجاب له خلق كثير، فلما انتفوا عليه دعاهم إلى مذهب الحرورية الزنادقة، وأباح لهم نساء بعضهم بعضاً، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجيء به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان، فأمر به فقطعت يده وشمل لسانه ثم صلب بعد ذلك لعنه الله. وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي أمير المدينة ومكة والطائف، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل، وكانت إمرة العراق إلى خالد بن عبد الله القسري ونائبه على خراسان وأعمالها أخوة أسد بن عبد الله القسري.

وفيها كانت وفاة

علي بن عبد الله بن عباس: بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو الحسن، ويقال أبو محمد، وأمه زهرة بنت مسرج بن معن بكرب الكندي، أحد الملوك الأربعة الأقباليين المذكورين في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وهم مسرج، وحمد وغرس وأبضعه: وأختهم العمردة وكان مولد علي هذا ليلة قتل علي بن أبي طالب، فسماه أبوه باسمه، وكناه بكنيته، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي الأملاك، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره. فقال له: ألك ولد؟ قال: نعم ولد لي ولد سميت محمدًا، فقال له: أنت أبو محمد، وأجزل عطيت، وأحسن إليه. وقد كان علي هذا في غاية العبادة والزهادة والعلم والمعمل وحسن الشكل والعدالة والفتنة كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة، قال عمرو بن علي الفلاس: كان من خيار الناس، وكانت وفاته بالحمية من أرض السراة من هذه السنة، وقد قارب الثمانين وذكر القاضي ابن خلكان أنه تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان، فطلقها، وكان سبب طلاقه إياها أنه عرض فتاحة ثم رمى بها عبد الملك إليها فأخذت السكنى فالتقت ما مس فمه منها، فقال: ولم تفعلين هذا؟ فقالت: أزيل الأذى عنها - وذلك لأنه كان أجبر - فطلقها عبد الملك، فلما تزوجها علي بن عبد الله بن عباس هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك، فضربه بالسياط، وقال إنما أردت أن تذلل بنينا من الخلفاء،

قتية بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال: أروع لا تكلم فيهم: علي، وعثمان والقدور، والنجوم، وقال: احذروا كل هوى يسمى بغير الإسلام.

وروى شيبة عن فرات بن السائب قال: سألت ميمون أعلي أفضل عندك أم أبو بكر وعمر؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال: ما كنت أظن أن أبقي إلى زمان يعدل بهما غيرهما، إنهما كانا رداءي الإسلام، ورأس الإسلام، ورأس الجماعة. فقلت: فأبو بكر كان أول إسلاماً أم علي؟ فقال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراعب حين مر به، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه. وذلك كله قبل أن يولد علي، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك. وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به» وروى عن ابن عمر أيضاً عن النبي ﷺ قال: «شر المال في آخر الزمان المال» وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: من طلب مرضاة الإخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور. وقال: من ظلم أحداً ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته. وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراس والأموال وسائر المظالم. وقال ميمون: القتاتل والأمر والمأمور والظالم والراضي بالظلم، كلهم في الوزر سواء وقال: أفضل الصبر الصبر على ما تكره نفسك من طاعة الله عز وجل.

وروى ميمون عن جماعة من الصحابة، وكان يسكن الرقة، رحمه الله تعالى.

نافع مولى ابن عمر: أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب، وقيل من نيسابور، وقيل من كابل وقيل غير ذلك. روى عن مولا عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة، مثل رافع بن خديج، وأبي سعيد وأبي أمامة وأبي هريرة وعائشة أم سلمة وغيرهم: وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم، وكان من الثقات النبلاء، والأئمة الأجلاء قال البخاري: أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال غيره. كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات في هذه السنة على المشهور رحمه الله.

وعن توفي سنة سبع عشرة ومائة:

فوا الورمة الشاعر واسمه غيلان بن عتبة بن بيس، من بني عبد مناة بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر أبو الحارث أحد فحول الشعراء، وله ديوان مشهور، وكان يتنزل في مية بنت مقاتل بن طلب بن قيس بن عاصم المقرري، وكانت جميلة، وكان هو دميم الخلق أسود اللون، ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ولم يكن رأفاً قط ولا راته وإنما كانت تسمع به ويسمع بها، ويقال: إنها كانت تنزل إن هي راته أن تنجب جزوراً فلما راته قالت: وإسواناً وإسواناً، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة، فأنشأ يقول:

على وجه مسي نحة من حلالة ونحت الثياب العار لو كان باديها
قال فانسلخت من ثيابها فأنشأ يقول:

لم تر أن الماء يجبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صائفاً
فقلت: تريد أن تلوق طعمه؟ فقال: إي والله، فقلت: تلوق الموت

قبل أن تلوق

فأنشأ يقول:

وضربه مرة ثانية لأنه اشتهر عنه أنه قال: الخلافة صائرة إلى بيته، فوقع الأمر كذلك. وذكر البرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح والمصور وهما صغيران، فأكرمه هشام وأدنى مجلسه وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً، وجعل علي بن عبد الله يوصيه بابنيه خيراً، ويقول: إنهما سلبان الأمر، فجعل هشام يتعجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك إلى الحق، فوقع الأمر كما قالوا: وقد كان علي في غاية الجمال وتمام القامة، كان بين الناس كأنه واكب، وكان إلى منكب أبيه عبد الله وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس، وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن يموت علي هذا قيل هذه السنة بسنوات، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده عبد الله أبو العباس السفاح، وكان ظهوره في سنة اثنين وثلاثين على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ومن توفي في هذه السنة

عمرو بن شعيب، وعبادة بن نسي، وأبو صخرة جامع بن شداد، وأبو عثانة المعافري.

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

وفيها غزا الوليد بن القعقاع العباسي أرض الروم. وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم وهو خاقان، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله على العراق، ثم سار بجيوشه إلى مدينة ختل فافتتحها، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان بأن جيش أسد قد تفرق في بلاد ختل، فافتحم خاقان هذه الفرصة فركب من فورهِ في جنوده قاصداً إلى أسد بن عبد الله وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً، وقديماً وملحاً وساروا في خلق عظيم، وجاءت العين الصافية إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم كثيف، فتجهز لذلك وأخذ أهبة، فأرسل من فورهِ إلى أطراف جيشه، فلما عليها وإشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعوا إلى أسد، فرد الله كيدهم في نحورهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الإسلام وازدادوا حقاً على عدوهم، وعزموا على الأخذ بالشار، فقصصوا الموضع الذي فيه أسد بن عبد الله، فإذا هو حي قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانب، وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح، وأراد أن يخوض نهر بلخ، وكان معهم أغنام كثيرة ففكر أسد أن يتركها وراء ظهره، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة على عنقه، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر، فما خلصوا منه جيداً حتى دعمهم خاقان من ورائهم في خيل دهم، فقتلوا من وجنوده لم يقطع النهر وبعض الضعفة، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر، فتشاور الأتراك فيما بينهم، ثم اتفقوا على أن يعملوا حملة واحدة - وكانوا خمسين ألفاً فيقتحموا النهر، ففرضوا بكوساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية رجل واحد فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم، وكانوا قد

خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه، فبات الجيشان تترامى نارهما، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقاً وأسراً وأخذ أموالاً كثيرة وإبلا موقرة ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن يصلوا صلاة العيد، فما صلوا إلا على وجل.

ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ، حتى انقضى الشتاء، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في لقاء خاقان، فمنهم قال: فتحصن بيلخ، ومن قاتل يشير بالذهاب إلى مرو، وأشار آخرون بملقاه والتوكل على الله فوافق ذلك رأي أسد الأسد، فقصده بجيشه نحو خاقان، وصلى بالناس ركعتين أطال فيها ثم دعا بدعاء طويل ثم انصرف وهو يقول: نصرتم إن شاء الله تعالى ثلاثاً، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه، ثم ساق أسد فأتى إلى أغنامهم فاستأنها، فإذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة، ثم التقى معهم، وكان خاقان في هذا اليوم إنما معه أربعة آلاف وأخوها، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه، يقال له الحارث بن سريح، فهو يذله على عورات المسلمين، فلما اقتتل الناس هربت الأتراك في كل جانب، وانهزم خاقان ومعه الحارث بن سريح المذكور بحميه ويثيته، فتبعهم أسد فلما كان عند الظهيرة انخزل خاقان في أربعمائة من أصحابه، عليهم الخز ومعهم الكؤوسات فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤوسات فضربت ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف، فتقدم المسلمون فاتحوا على معسكرهم فاتحوا بما فيه من الأمتعة العظيمة، والأواني من النقد، والنساء والصبيان، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم، بما لا يحصى ولا يوصف لكثرة وعظم قيمته وحسنه. غير أن خاقان كان قد ضرب امرأته بمنجدر فقتلها، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي بآخرة رمت تتحرك ووجدوا فنورهم تغلي بأطماعهم، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها، فاتفق أنه لعب بالرد مع بعض أمراءه فغلبه الأمير فتوعدة خاقان بقطع اليد، فحق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله، وتفرقت الأتراك فرقاً يعلو بعضهم على بعض، وينهب بعضهم بعضاً ويبتع أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان، ويبتع إليه بطوق خاقان - وكانت كباراً لها أصوات كالرعد وشيء كثير من حواصله وأمتعه، فوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً جداً، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعراء في أسد يمدحه على ذلك:

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً تبين منها طولها والعرضاً
لم تلسن خيراً مرةً ونقصاً من الأمير أسد وأمضى
أفصى إلينا الخير حين أفصى وجع الشمل وكان رُفصاً
ما فاتته خاقان إلا ركضاً قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن سريح قد لقيت حمضا حمضا به يُشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري أمير العراق المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابوه على باطله، وكان هذا الرجل ساحراً فاجراً شيعياً خبيثاً.

قال ابن جرير [رواه: ١٧٨٧]: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن الأعمش قال: سمعت المغيرة بن سعيد يقول: لو أراد علي أن يجي عدا

وخرب أراضيه.

وفيها غزا مروان بن محمد الحمار بلاد الترك.

وفيها كانت وفاة أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان وكان سبب وفاته أنه كانت له ديلة في جوفه، فلما كان مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين وهم أمراء المدن الكبار - من سائر البلدان بالهدايا والتحف على أشد، وكان ممن قدم نائب هراة ودهقانها، خراسان شاه، فقدم بهدايا عظيمة ونحف غزيرة، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب وقصر من فضة، وأباريق من ذهب، وصحاف من ذهب وفضة، وتفاصيل من جريد تلك البلاد ألوان ملونة، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ المجلس، ثم قام الدهقان خطيباً فامتدح أسداً بمجالات حسنة، من عقله ورياسته وعده ومنعه أهله وخاصة أن يظلموا أحداً من الرعايا بشيء، قل أو كثر، وأنه قهر الخان الأعظم وكان في مائة ألف فكسره وقتله، وأنه يفرح بما ينفذ إليه من الأموال، وهو بما خرج من عنده أفرح وأشد سروراً، فأنشأ عليه أسد وأجلسه ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هنالك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه، حتى لم يبق منه شيء، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الديلة، ثم أفاق إفاقة وجي، بهدية كُثرت فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة، فالتقى إلى دهقان خراسان واحد فأنفجرت ديلته فكان فيها حفه واستخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهراني، فمكث أميراً أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة، وقد قال فيه ابن عرس العبد يريته:

نعى أسد بن عبد الله ناع فربيع القلب للملك المطاع
يبلخ وافق القنصار يسري وما لقضاء ريك من دفاع
فجودي عين بالعبرات سحاً ألم يمزنسك تفرقت الجماع
أنه حمامه في جوف صيغ وكم بالصيغ من يطل شجاع
كاتب قد يعيون المنادي على جُرد مسومة سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثاً مريعاً عند مرصاد النجاع

وفيها عزل هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق، وذلك لأنه المحصر منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه، وأنه كان يقول عنه: إنه ابن الحمقاء، وكتب إليه كتاباً فيه غلظة، فرد عليه هشام رداً عتيقاً، ويقال: إنه حسده على سعة ما حصل له من الأموال والخواص والغلات، حتى قيل: إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار، وقيل درهم، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف.

وقيل: إنه وفد إليه رجل من الزمام أمير المؤمنين من قريش يقال له: ابن عمرو، فلم يرحب به ولم يعأ به، فكتب إليه هشام يعنه ويكته على ذلك، أنه حال وصول هذا الكتاب إليه من ليل أو نهار يقوم من فوره بمن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو صاعراً ذليلاً مستأذناً عليه، متصلاً إليه بما وقع، فإن أذن لك وإلا وقف على بابه حولاً غير متحلل من مكانك ولا زائل، ثم أترك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبداك وإن شاء انتصر، وإن شاء عفا. وكتب إلى ابن عمرو يعلمه بما كتب إلى خالد، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطاً على رأسه، إن رأى ذلك مصلحة.

ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخفى ذلك، وبعث البريد إلى نائبه على

وثمود وقروناً بين ذلك كثيراً لأحياءهم.

قال الأعمش: وكان الغيرة هذا ينجرح إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور أو نحو من هذا الكلام.

وذكر ابن جرير (١٢٨٧) أنه: لما بلغ خالد أمره أمر بإحضاره فجيء به في ستة نفر أو سبعة نفر، فأمر خالد فأبرز سريه إلى المسجد، وأمر بإحضار أطنان القصب والنفط فصب فوقها، وأمر الغيرة أن يختصن طناً منها، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طناً واحداً وصب فوق رأسه النفط، ثم أضرم بالنار وكذلك فعل ببقية أصحابه قبيحهم الله.

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثرة واتبه جماعات من الخوارج دون المائة، وقصدوا قتل خالد بن عبد الله القسري فبعث إليهم البعث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جداً لشجاعتهم وجليلهم، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة، الموقرة بالأسلحة والخيال المسومة ثم إنهم راموا قديم الشام لقتل الخليفة هشام، فقصدا نحوها، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتلوا منهم قتالا عظيماً، فقتلوا عامة أصحاب بهلول الخارجي. ثم إن رجلاً من جليظة يكنى أبا الموث ضرب بهلولاً ضربة فصصره وتفرق بقية أصحابه وكان جميعهم سبعين رجلاً، وقد رثاهم بعض أصحابهم فقال:

بدلت بعد أبي بشر وصحبته قوماً عليّ مع الأحزاب أعوانا
بانوا كأن لم يكونوا من صحبنا ولم يكونوا لنا بالأسر خلانا
يا عين أذري دموعاً منك تهتنا وابكي لنا صحبة بانوا وإخواناً
خلصوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا
ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا وقتلوا وجهرت إليهم العساكر من عند خالد القسري، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية ولله الحمد والمنة.

وفيها غزا أسد القسري بلاد الترك، فغرض عليه ملكهم بلدر طرخان خان ألف ألف فلم يقل منه شيئاً، وأخذ قهراً قتلته صبراً بين يديه، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونساءه وأمواله.

وفيها خرج الصحاري بن شبيب الخارجي واتبه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلاً، فبعث إليهم خالد بن عبد الله القسري جنداً فقتلوه وجميع أصحابه، فلم يتركوا منهم رجلاً واحداً ولله الحمد والمنة.

وحج بالناس في هذه السنة أبو شاعر مسلمة بن هشام بن عبد الملك، وحج معه ابن شهاب الزهري ليعلمه مناسك الحج، وكان أمير مكة والمدينة والطناف محمد بن هشام بن إسحاق المخزومي، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد بن عبد الله القسري، ونائبه على خراسان بكماها أخوه أسد بن عبد الله القسري، وقد قيل إنه توفي في هذه السنة، وقيل لم يتوف أسد إلا في سنة عشرين قاله أعلم، ونائب أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد الملقب بالحمار والله أعلم.

سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم وافتتح هنالك حصوناً.

وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقيلي قلاع تومان شاه، وافتحها

أرضه، فأذن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه، وأعطاه رهنًا على ذلك ولله الحمد والمئة.

وفيها في صفر منها قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية، في قول الواقدي.

وقال هشام بن الكلبي: إنما قتل في صفر من سنة اثنين وعشرين فإلله أعلم.

وقد ساق محمد بن جرير [١٩١/٧: ١٩٢] سبب مقتله في هذه السنة تبعًا للواقدي رحمه الله، وهو أن زيدًا وفد على يوسف بن عمر فسأله: هل أودع عندك خالد القسري مالا؟ فقال له زيد بن علي: كيف يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره في كل جمعة؟ فأخذه أنه ما أودع عنده شيئًا، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالد بن عبد الله القسري من السجن فجيء به في عباءة، فقال: أنت أودعت هذا شيئًا نستخلصه منه؟ قال: لا، وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة؟ فتركه يوسف بن عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فعفا عن ذلك، ويقال: بل استحضرهم فحلقوا بما حلقوا.

ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي، وكانوا نحوًا من أربعين ألفًا، فنهاه بعض النصحاء عن الخروج، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وقال له: إن جدك خير منك، وقد التفت على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفًا ثم خاتوه أحوج ما كان إليهم وإني أحذرك من أهل العراق. فلم يقبل بل استمر يبايع الناس في الباطن بالكوفة، على كتاب الله وسنة رسوله حتى استفحل أمره بها في الباطن، وهو يتحول من منزل إلى منزل في الكوفة، وما زال كذلك حتى دخلت سنة اثنين وعشرين ومائة، فكان فيها مقتله كما سنذكره قريبًا.

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك، وأسر ملكهم كورصول في جملة تلك الحروب وهو لا يعرفه، فلما تيقنه وتحققه، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف بعير من إبل الترك - وهي البخاتي - وألف برذون، وهو مع ذلك شيخ كبير جدًا، فشاور نصر بن محضرته من الأمراء في ذلك، فنههم من أشار بإطلاقه، ومنهم من أشار بقتله. ثم سأله نصر بن سيار: كم غزوت من غزوة؟ فقال: ثنتين وسبعين غزوة، فقال له نصر: ما مثلك يطلق، وقد شهدت هذا كله، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يجمعون زيكون عليه، وجذوا لحاهم وشعورهم وقطعوا أذانهم وحرقوا خيامًا كثيرة، وقتلوا أنعامًا كثيرة، فلما أصبح أمر نصر بإحراقه لئلا يأخذوا جيشه، فكان ذلك أشد عليهم من قتله، وانصرفوا خائنين صاغرين خاسرين، ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقًا كثيرًا وأسر أماً لا يحصون كثرة، وكان فيمن حضر بين يديه عجوز كبيرة جدًا من الأعاجم أو الأتراك، وهي من بيت ملكة، فقالت لنصر بن سيار: كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس بملك: وزير صادق يفصل خصومات الناس ويشاوره ويناصحه، وطباخ يصنع له ما يشتهي، وزوجة حسنة إذا دخل عليها مغميًا فنظر إليها سرته وذبح غصه، وحسن منيع إذا فزع رعاياه لجؤوا إليه، وسيف إذا قارع به الأقران لم ينش خيانتته، وذخيرة إذا حلها فأينما وقع من الأرض عاش بها.

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف، ونائب العراق يوسف بن عمر، ونائب خراسان نصر بن سيار، وعلى أرمينية مروان بن محمد.

اليمين وهو يوسف بن عمر فولاه إمرة العراق، وأمره بالمسير إليها والقُدوم عليها في ثلاثين راجبًا من أصحابه، فقدموا الكوفة وقت السحر، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالإقامة: فقال: إلى أن يأتي الإمام - يعني خالدًا - فاتهره وأمره بالإقامة وتقدم يوسف فصلى وقرأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الرَّاغِبَةُ﴾ [الواقعة: ١] ﴿وَسُكَّانُ سَائِلٍ﴾ [العنبر: ١] ثم انصرف فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما، فأحضروا فأخذ منهم أموالًا كثيرة، صادر خالدًا بمائة ألف ألف درهم وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة، وعُزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة - أعني ستة وعشرين ومائة.

وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسري، واستتاب على خراسان جليبع بن علي الكرمانی، وعزل جعفر بن حفظة الذي كان استتابه أسد بن عبد الله.

ثم إن يوسف بن عمر عزل جليبعًا في هذه السنة عن خراسان، وولى عليها نصر بن سيار، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والأموال وملة واحدة، وقد كان أشار عليه بعض أصحابه لا يلزمه عتب هشام عليه أن يبعث إليه يعرض عليه بعض أملاكه، فما أحب منها أخذه وما شاء ترك، وقالوا له: لأن يذهب البعض ويبقى البعض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والإخفاق فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه عليه أن يذل، ففجأه العزل، وذهب ما كان حصله وجمعه ومنعه، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان، واستقرت ولاية نصر بن سيار نائبًا على خراسان، فتهدت البلاد وأمن العباد ولله الحمد والمئة، وقد قال سوار بن الأشعر في ذلك:

أضحت خراسان بعد الخوف آمنةً من ظلم كل غشوم الحكم جبار لما أتى يوسفًا أخبار ما لقيت اختار نصرًا لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطلت شيعة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم، وقد كان عتب عليهم في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بمخدش، وكان خرميًا، وهو الذي أحل لهم المنكرات ودنس المحارم والمصاهرات، فقتله خالد القسري كما تقدم، فعتب عليهم محمد بن علي في تصديقهم له واتباعهم إياه على الباطل، فلما استبطلوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولًا يخبرهم أمره، ويعتوا هم أيضًا رسولًا، فلما جاء رسولهم أعلمه محمد بمأذاه عتب عليهم بسبب الخرمي - قبحه الله - ثم أرسل مع الرسول كتابًا مختمًا، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى: بسم الله الرحمن الرحيم، تعلموا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي. ثم أرسل هو رسولًا فلم يصدق كثير منهم وهموا به، ثم جاءتهم من جهته عصا ملوآء عليها حديد ونحاس، فعلموا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة، وأنهم مختلفون باختلاف ألوان النحاس والحديد.

قال ابن جرير [١٩١/٧: ١٩٢]، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي فيما قاله أبو معشر. وقال: وقد قيل إنه حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك، وقيل: ابنه يزيد بن هشام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ففيها غزا مسلمة بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فافتتح بها مطاير وهي حصن.

وغزا مروان بن محمد بلاد صاحب الذهب، فافتتح قلاعها وخرب

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

■ مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو سعيد وأبو الأصم الدمشقي.

قال ابن عساکر: وداره بدمشق في مَحَلَّة القباب عند باب الجامع القلبي، ولي الموسم أيام أخيه الوليد، وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم عزله وولي أرمينية، وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان، وعبيد الله بن قرعة، وعيينة والد سفيان بن عيينة وابن أبي عمران ومعاوية بن خديج، ويحيى بن يحيى التستاني.

قال الزبير بن بكار: كان من رجال بني أمية، وكان يلقب بالجرادة الصفراء، وله آثار كثيرة، وحروب وتكاية في الروم وغيرهم.

قلت: وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم. ولما ولي أرمينية غزا الترك فبلغ باب الأبواب فهدم المدينة التي عنده، ثم أعاد بناءها بعد تسع سنين. وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية. فحاصرها وافتتح مدينة الصقالية، وكسر ملكهم البرجان، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية.

قال الأوزاعي: فأخذه وهو يغازيهم صداع عظيم في رأسه، فبعث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال: ضعها على رأسك يذهب صداعك، فخشى أن تكون مكيكة فوضعها على رأس بهيمة فلم ير إلا خيراً، ثم وضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيراً، فوضعها على رأسه فذهب صداعه، ففتقها فإذا فيها مكتوب سبعون سطراً هذه الآية مكررة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُصِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِي إِنَّهُ كَانَ خَلِيفاً غَفُوراً﴾ (طاهر: ٤١) رواه ابن عساکر.

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة، وجاع المسلمون عندها جوعاً شديداً، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد يأمرهم بالقول إلى الشام، فحلف مسلمة أن لا يقطع عنهم حتى يشوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية، فبنا له بها جامعاً ومنارة، فهو بها إلى الآن يصلي فيه المسلمون الجمعة والجماعة.

قلت: وهي آخر ما يفتح المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان، كما سنورده في الملاحم والفن من كتابنا إن شاء الله. ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك.

وبالجملة كانت مسلمة مواقف مشهورة، ومساع مشكورة، وغزوات متالية متوالية، وقد افتتح حصوناً وقلاعاً، وأحيا بعزمه وحزمه قصوراً ويقاعاً، وكان في زمانه نظير خالد بن الوليد في أيامه، في كثرة مغازيه، وكثرة فتوحه، وقوة عزمه، وشدة بأسه، وجودة تصرفه في نقضه وإيرامه، هذا مع الكرم والفصاحة والرياسة والسماحة، والأصالة والرجاحة والدين والمعة رحمه الله.

ومن كلامه الحسن قوله: مروءتان ظاهران الرياش والفصاحة.

وقال يوماً لتصيب الشاعر: سلمي: قال، لا، قال: ولم؟ قال: لأن فكك بالجيزل أكثر من مسالي باللسان. فأعطاه ألف دينار.

وقال أيضاً: الأنبياء لا يتأبون كما يتأب الناس ما تشاء نبي قط وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب، وقال: إنها صناعة يجهل أهلها.

وقال الوليد بن مسلم وغيره: توفي يوم الأربعاء لسبع مضين من المحرم

سنة إحدى وعشرين ومائة، وقيل في سنة عشرين ومائة، وكانت وفاته بموضع يقال له الحانوت، وقد رثاه بعضهم وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال:

أقول وما البعد إلا الردى أَسْلَمَ لا تبعدن مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد مضياً فقد أصبحت مظلمه
ونكتم موتك نخشى اليقين فابدى اليقين عن المجمعه

■ غفر بن أوس الأشعري قاضي دمشق، تابعي جليل:

روى عن حذيفة مرسل وأبي موسى مرسل وأبي الدرداء وعن معاوية مرسل وغير واحد من التابعين، وحدث عنه جماعة كثيرون، منهم الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ويحيى بن الحارث النعماني. وولاه هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بعد عبد الرحمن بن الحشاخش العنزي، ثم استعفى هشاماً فأعفاه وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك، وكان غير هذا لا يحكم باليمن مع الشاهد، وكان يقول: الأذاب من الآباء، والصلاح من الله.

قال غير واحد: توفي سنة إحدى وعشرين ومائة، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة، وقيل سنة خمس عشرة ومائة، وهو غريب والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة ممن بايعه من أهل الكوفة، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له، فشرعوا في أخذ الأمة لذلك. فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقه إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره - وهو بالحيرة يومئذ - خبر زيد بن علي وعنده من يكون من أهل الكوفة، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويسلح في طلبه، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له: ما قولك يرحمك الله في أبي بكر وعمر؟ فقال: غفر الله لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل البيت؟ فقال: إنا كنا أحرر الناس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرة، قد ولوا فعدلوا، وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم تقاتل هؤلاء إذا؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإنني أدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإحياء السنن وإماتة البلع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تابوا فلست عليكم بوكيل. فرفضوا وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه، فلها سماوا الرافضة من يومئذ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية، وفيه حق، وهو تعديل الشيخين، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهم، وليس علي مقدماً عليهما، بل ولا علي عثمان على أصح قول في أهل السنة، والأكثر الصحيحة الثابتة عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واليمن طوائف من الزيدية ولا سيما أهل صنعاء وغيرها؛ والزيدية لا تَسُب ولا تُحِب وإنما منعهن التقديم والتأخير والأذان بـ «حي على خير العمل» ولا يصلون إلا خلف إمام منهم.

فأنزل وحرق في أيامه قبح الله الوليد هذا.

وأما ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبد الملك بن بشر بن مروان، فبعث إليه يوسف بن عمر يتهدده حتى يخضروه، فقال له عبد الملك بن بشر: ما كنت لأؤوي مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا. فصدقه يوسف بن عمر في ذلك، ولما هذا الطلب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان فأقاموا بها هذه المدة.

قال أبو مخنف: ولما قتل يوسف بن عمر زيد بن علي خطب أهل الكوفة فتهنأهم وتوعدهم وشتمهم وأنهم وقال لهم فيما قال: والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منكم، ولو أذن لي لقتلت مقاتلتكم وسيت ذواربكم، وما صعدت هذا المنبر إلا لأسمعكم ما تكرهون.

قال ابن جرير [٢٩١/٧]: وفي هذه السنة قتل عبد الله هذا البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم. ولم يزد ابن جرير على هذا، وقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساکر في تاريخه الكبير (٣٥٦/٣٩) فقال:

■ عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطال: كان يتزل أنطاكية، حكى عنه أبو مروان الأنطاكي، ثم روى بإسناده أن عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم، ولي على رؤساء أهل الجزيرة والشام البطال، وقال لابنه مسلمة: سيره على طلائعك، وأمره فليعس بالليل العسكر، فإنه أمين ثقة مقدم شجاع. وخرج معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق. قال: تقدم مسلمة البطال على عشرة آلاف يكونون بين يديه ترسا من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين.

قال محمد بن عائد الدمشقي: حدثنا الوليد بن مسلمة حدثني أبو مروان - شيخ من أنطاكية - قال: كنت أغازي البطال وقد أوطأ الروم ذلاً، قال البطال: فسألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمري فيهم، فقلت له: خرجت في سرية ليلاً فدفعنا إلى قرية فقلت لأصحابي: أرخوا لجم خيلكم ولا تحركوا أحداً بقتل ولا بسبي حتى تشحنوا القرية فإنهم في نومة، ففعلوا واقتروا في أزقتها، فدفعني في أناس من أصحابي إلى بيت يزهو سراج، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه، وهي تقول: لتسكنن أو لأدفعنك إلى البطال يلعب بك، وانتشلت من سريره وقالت: أمسك يا بطال، قال: فأخذته.

وروى محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال: اتفردت مرة على فرسي ليس معي أحد من الجنود، وقد سئطت خلفي مخلدة فيها شعير، ومعني متدلي فيه خبز وشواء، فبينما أنا أسير لعلني ألقى أحداً مفرداً، أو أطلع على خير، إذا أنا بيستان فيه بقول حسنة، فزلت وأكلت من ذلك بالخيز والشواء مع البقل، فأخذني إسهال عظيم فمت منه مراراً، فحفت أن أضعف من كثرة الإسهال، فركبت فرسي والإسهال مستمر على حاله، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب، وأفرط بي الإسهال في السرج حتى خشيت أن أسقط من الضعف، فأخذت بعنان الفرس وثمت على وجهي ولا أدري أين يسير الفرس بي، فلم أشعر إلا بقرع نعاله على بلاط، فأرفع رأسي فإذا دير، وإذا قد خرج منه نسوة صبية امرأة حسناء جميلة جداً، فجعلت تقول لمن بلسانها: أنزلن، فأنزلني ففسلن عني ثيابي وسرجي وفرسي، ووضعني على سرير وعملن لي طعاماً وشرباً، فمكثت يوماً وليلة مسبوتا، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى تراءت لي حالي، فبينما أنا كذلك إذ قيل: جاء البطريق فأمرت بفرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه، وإذا هو بطريق كبير فيهم، قد جاء لحظيتها، فأخبره بعض من كان هنالك

ثم إن زيداً عزم على الخروج بمن بقي معه من أصحابه، فواعدهم ليلة الأربعاء في مستهل صفر من هذه السنة، فبلغ ذلك يوسف بن عمر، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلخ الحرم، قبل خروج زيد بيوم، وخرج زيد بمن معه ليلة الأربعاء في برد شديد، ورفع أصحابه النيران، وجعلوا ينادون: يا منصور يا منصور، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً، فجعل زيد يقول: سبحان الله!! أين الناس؟ فقل: هم في المسجد محصورون، وكتب الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر يعلمه بخروج زيد بن علي. فبعث إليه سرية إلى الكوفة، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس، فالتقى زيد بمن معه جرنومة منهم خمسمائة فارس فمزهمهم، ثم أتى الكناسة فعمل على جمع من أهل الشام فمزهمهم، ثم اجتاز يوسف بن عمر وهو واقف فوق تل، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر لقتله، ولكن أخذ ذات اليمين، وكلمة التقى بطائفة من أهل الكوفة مزهمهم، وجعل أصحابه ينادون: يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعز والدنيا، فإنكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا، ثم لما أسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة، وقد قتل بعض أصحابه في أول يوم، فلما كان في اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً، وانصرفوا عنه بشر حال، وأمسوا فبعيا يوسف بن عمر جيشه جداً، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد بن علي في أصحابه فكشفهم حتى أخرجهم إلى السبخة، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أدخلوا على المنشة، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً، حتى كان جنح الليل رمي زيد بسهم فاصاب جانب جبهته اليسرى، فوصل إلى دماغه، فرجع ورجع أصحابه، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل، وأدخل زيد إلى دار في سكة البريد، وجيء بطبيب فانتزع ذلك السهم من جبهته، فما عدا أن انتزعه حتى مات من ساعته رحمه الله، فاختلف أصحابه أين يدفونه:

فقال بعضهم: ألبسوه درعه والقروء في الماء، وقال بعضهم: احتزوا رأسه واتركوا جثته في القتل، فقال ابنه: لا والله لا تأكل أبي الكلاب. وقال بعضهم: ادفنوه في العباسية، وقال بعضهم: ادفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين، ففعلوا ذلك وأجروا على قبره الماء لتلا يعرف، واقتل أصحابه ولم يبق لهم رأس يقاتلون به، فما أصبح الفجر ولهم قائمة ينهضون بها، وتبع يوسف بن عمر الجرحى هل يجد زيداً بينهم، وجاء مولى يزيد سندي قد شهد دفنه فدل على قبره فاخذ من قبره، فأمر يوسف بن عمر بصلبه فصلب على خشبة بالكناسة، ومعه نصر بن خزيمه ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، وزيد التهدي، ويقال إن زيداً مكث مصلوباً أربع سنين، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق قاله أعلم.

وقد ذكر أبو جعفر بن جرير الطبري [٢٩٨/٧] أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من أمر زيد بن علي حتى كتب إليه هشام بن عبد الملك يقول له: إنك لغافل، وإن زيد بن علي غارز ذنبه بالكوفة يبيع له، فآلح في طلبه وأعطه الأمان، وإن لم يقلل فقاتله، فطلبه يوسف بن علي حتى كان من أمره ما ذكرناه، فلما ظهر على قبره حز رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فنصبه على باب دمشق ثم أمر به فسلوا به إلى المدينة حتى نصبوه على أحد أبوابها، وأما جيشه فلم تزل مصلوبة تحرس ليلاً ونهاراً حتى انقضت دولة هشام، وقام من بعده الوليد بن يزيد فأمر به

بالأطباء ليدأوه فإذا جراحه قد نفذت إلى مقاتله، فقال له ليون: هل من حاجة؟ قال: نعم قال: وما هي؟ قال: تأمر من معك من أسارى المسلمين أن يولوا غسلي والصلاة علي ودفعي، ففعل. وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى، وأطلق ليون إلى أولئك المسلمين الذين تحصنوا فحاصروهم، فبينما هم كذلك إذا جاءتهم البرد بقسود سليمان بن هشام في الجيوش الإسلامية، ففر ليون في جيشه هارباً راجعاً إلى القسطنطينية، قبّحه الله.

قال خليفة بن خياط [٥٢٤/٧]: كانت وفاة البطل ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة.

وقال ابن جرير [١٩١/٧]: في سنة ثنتين وعشرين ومائة.

وقال أبو حسان الزبائدي: قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة.

قلت: وقد قاله غيره وأنه قتل هو والأمير عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة، كما ذكرنا ذلك فإله أعلم، ولكن ابن جرير لم يؤرخ وفاته إلا في هذه السنة فإله أعلم.

وقال أبو بكر بن عياش: قيل للبطل: ما الشجاعة؟ قال: صبر ساعة قلت: فهذا ملخص ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة البطل مع تفصيله للأخبار وإطلاعه عليها، وأما ما يذكره العامة عن البطل من السيرة المنسوبة إلى دلفعة والبطل والأمير عبد الوهاب والقضاخي عقبة، فكذب وإفراء ووضع بارد، وجهل كبير وتخيط فاحش، لا يروج ذلك إلا على غي أو جاهل ردي. كما يروج عليهم سيرة عنتره العبيسي المكنوية، وكذلك سيرة البكري والدنف وغير ذلك، والكذب المقتعل في سيرة البكري أشد إثمًا وأعظم جرماً من غيرها، لأن واضعها يدخل في قول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (ج: ١٠٧)، [٢٣].

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ إياس اللذكي: وهو إياس بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رثاب بن عبد بن دريد بن أوس بن سؤابة بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، هكذا نسبة خليفة بن خياط [طفاة: ٥٠٨/١]، وقيل غير ذلك في نسبه.

وهو أبو وائلة المزني قاضي البصرة، وهو تابعي ولجده صحبة، وكان يضرب المثل بذكائه، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء وعن أنس بن مالك وسعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب ونافع وأبي جابر، وعنه الحمادان وشعبة والأصمعي وغيرهم.

قال عنه محمد بن سيرين: إنه لفهم إنه لفهم.

وقال محمد بن سعد: والعجلي وابن معين والنسائي: ثقة. زاد ابن سعد وكان عاقلاً من الرجال فطناً. وزاد العجلي: وكان قهياً عفيفاً. وقد قدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان، ووفد على عمر بن عبد العزيز، ومرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة.

قال أبو عبيدة وغيره: تحاكم إياس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بلعش، فقال له القاضي: إنه شيخ وأنت شاب فلا تُساوَره في الكلام، فقال إياس: إن كان كبيراً فالحق أكبر منه، فقال له القاضي: اسكت، فقال: فمن يتكلم بحجتي إذا سكّ؟ فقال القاضي: ما أحسبك تطلق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم، فقال إياس: أشهد أن لا إله

بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس، فهم بالهجوم علي فتمتعة المرأة من ذلك، وأرسلت تقول له: إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته، فثناء ذلك عن المجرم علي، وأقام الطريق إلى آخر النهار في ضيافتهم، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق. قال البطل: فهضمت في أثرهم فهمت أن تمنني خوفاً عليّ منهم فلم أقبل، وسقت حتى لحقتهم، فحملت عليهم فانفجر عنه أصحابه، وأراد الفرار فالحقه وأضرب عنقه واستلبته وأخذت رأسه مسمطاً على فرسي، ورجعت إلى الدبير، فخرجت إلي ووقفت بين يدي، فقلت: اركبن، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتهن إليه، ففعلني ما شئت منهن، فأخذت تلك المرأة الحسنة بعينها، فهي أم أولادي. والطريق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم وكان البطل بعد ذلك يكتب إياها ويهادي.

وذكر محمد بن عاذه عن الوليد سمعت عبد الله بن راشد مولى خزاعة يخبر عمن سمعه من البطل أن هشام بن عبد الملك لما ولّاه المصيصة بعث البطل سرية إلى أرض الروم، فغاب عنه خبرها فلم يدرك ما صنعوا، فركب بنفسه وحده على فرس له وصار حتى وصل إلى عمورية، فطرق بابها ليلاً فقال له البواب: من هذا؟ قال البطل: فقلت: أنا سيف الملك ورسوله إلى الطريق، فخذ لي طريقاً إليه، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه، ثم قلت له: إني قد جئتكم في رسالة فمر هؤلاء فليصرفوا، فأمر من عنده فذهبوا، قال: ثم قام ففلق باب الكنيسة عليّ، وعليه، ثم جاء فجلس مكانه، فاخترطت سيفي وضربت به رأسه صفحاً وقلت له: أنا البطل فاصدقني عما أسألك عنه وإلا ضريت عنقك قال: وما هو؟ قلت: السرية التي بعثتها ما خبرها، فقال: هم في بلاد يتهربون ما تهايم لهم، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادي كذا وكذا، والله لقد صدقتك. قلت: فهات الأمان، فأعطاني الأمان، فقلت: إيتني بطعام، فأمر أصحابه فجاؤوا بطعام فوضع لي، فأكلت ثم قمت لأنصرف فقال لأصحابه: أخرجوا بين يدي رسول الملك، فاطلقتوا فأتوا بين يدي، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكرنا فإذا أصحابي هنالك، فأخذتهم ورجعت إلى المصيصة، فهذا أغرب ما جرى.

قال الوليد: وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطل وهو قافل من حجته، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة، فلم يتمكن من الحج إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس، بعث الطريق - الذي البطل استزوج بابه التي ذكرنا أمرها - إلى البطل يخبره بذلك، فأخبر البطل أمير عساكر المسلمين بذلك، وكان الأمير مالك بن شبيب، وقال له: إن المصلحة تقتضي أن نتحصن في مدينة خراب، فنكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش، فأبى عليه ذلك ودعاهم الجيش، فاقبلوا قتالا شديداً والبطل يمحول بين يدي الأبطال ولا يتجاسر أحد أن ينه باسمه خوفاً عليه من الروم، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة، فاقتلوه من سرجه برماهم فآلقوه إلى الأرض، وساقوا وراء الناس يقتلون منهم ويأسرون، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب، وانكسر المسلمون واطلق الناس إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا بها، وأصبح ليون فوقف على مكان المعركة فإذا البطل يأخر رمق فقال له ليون: ما هنا يا أبا يحيى؟ قال: هكذا تقتل الأبطال، فاستدعى ليون

علي قال: قال رجل لإياس بن معاوية: يا أبا وأئله حتى متى يبقى الناس؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه. فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل الجثثان، عدة أهل الجنة، وعدة أهل النار.

وقال بعضهم: اكرى إياس بن معاوية من الشام قاصداً الحج، فركب معه في المخول غيلان القندي، ولا يعرف أحدهما صاحبه، فمكثا ثلاثاً لا يكلم أحدهما صاحبه، فلما كان بعد ثلاث تحدّثا فتعارفا وتعجب كل واحد منهما من اجتماعه مع الآخر، لماينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر، فقال له إياس: هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾. [الأعراف: ٤٣] ويقول أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾. [اليسون: ١٠٦]. وتقول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. [البقرة: ٣٢]. ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما فقهره إياس، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التورية، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاتباً، فاستجاب الله منه، فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك ولله الحمد والمنة.

ومن كلام إياس الحسن: لأن يكون في فعال الرجل فضل عن قوله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله.

وقال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً يسوء عند إياس بن معاوية فظفر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا! قال: فالسند والمهند والترك؟ قلت: لا! قال: أقسلم منك الروم والسند والمهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعداً.

وقال الأصمعي عن أبيه: رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني، وإذا هو أحر طويل الذراع غليظ الثياب، يلوث عمامته، وإذا هو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علا.

وقد قال له بعضهم: ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك، فقال: أفي بحق أنكلم أم يباطل؟ فقلت: بل بحق، فقال: كلما كثر الحق فهو خير، ولأمة بعضهم في لبسه الثياب الغليظة فقال: إنما لبس ثوباً يحميني ولا ألبس ثوباً أخدمه.

وقال الأصمعي: قال إياس بن معاوية: إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع باكرم أخلاقه.

وقال بعضهم: سأل رجل إياساً عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فاجبرني عن الماء فقال: حلال، قال: فالكشوث؟ قال: حلال، قال: فالتمر؟ قال: حلال، قال: فما باله إذا اجتمع يجرم؟ فقال إياس: أريت لو رميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التين؟ قال: لا، قال: فهذه الغرفة من الماء؟ قال: لا، قال: أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طيناً ثم حتى استحجر ثم رميتك أيرجعك؟ قال: إي والله ويقتلي، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت.

وقال المدائني: بعث عمر بن عبد العزيز عدي بن أرطاة إلى البصرة نائباً وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجروشي، فإيهما كان أقفه فليوله القضاء، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى: أيها الرجل سل فقيهي البصرة، الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا ياتيهما، فغرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال القاسم لعدي: والله الذي لا إله إلا هو إن إياساً

إلا الله - زاد غيره: فقام القاضي: ما أظنك إلا ظالماً له، فقال: ما على ظن القاضي خرجت من منزلي. فقال القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال: اقتض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد علي الناس.

وقال بعضهم: لما عزل عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة فر منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجده قد سات، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس، فاغظ له الأموي فقام إياس، فقيل للأموي: إن هذا إياس بن معاوية المزني، فلما عاد من الغد اعتذر إليه وقال: لم أعرفك، وقد جلست إلينا بتياب السوق وكلمتنا بكلام الأشراف فلم نحتمل ذلك.

وقال يعقوب بن سفيان [المعرفة والتاريخ: ٩٣/٢، ٩٤]: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ضمرة عن أبي شروذب قال: كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم.

وقال العجلي: دخلت على إياس ثلاث نسوة فلما رأتهن قال: أما إحداهن فمرضع، والأخرى بكر، والأخرى ثيب فقيل له: لم علمت هذا؟ فقال: أما المرضع فكلمة تعدت أسكت ثديها يدها، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد، وأما الثيب فلما دخلت نظرت ورمت بعينيها.

وقال: يونس بن حبيب: حدثنا الأحنف بن حكيم بأصهبان حدثنا حماد بن سلمة قال: سمعت إياس بن معاوية يقول: أذكر الليلة التي ولدت فيها، وضعت أمي على رأسي جفنة.

وقال المدائني: قال إياس بن معاوية لأمه: ما شيء سمعته وأنت حامل بي وله جلية شديدة؟ قالت: تلك يا بني طست سقطت من فوق الدار إلى أسفل، فقزعت فولدتك تلك الساعة.

وقال أبو بكر الحراشي عن عمر بن شبة النميري قال: بلغني أن إياس بن معاوية قال: ما يسرني أن أكذب كذبة لا يطلع عليها أبي معاوية لا أحاسب عليها يوم القيامة وأن لي الدنيا بخلافها.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن حبيب ابن الشهيد عن إياس بن معاوية. قال: ما خاصمت أحداً من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية، قلت لهم: أخبروني عن الظلم ما هو؟ قالوا: أخذ الإنسان ما ليس له، قلت: فإن الله له كل شيء.

وقال بعضهم عن إياس قال: كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصراري يضحكون من المسلمين ويقولون: إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة، فقلت للفقهاء - وكان نصرانياً -: الست تزعم أن من الطعام ما ينصرف في غذاء البدن؟ قال: بلى، قلت: فما تنكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لبدناتهم؟ فقال له معلمه: ما أنت إلا شيطان.

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سنذكره إن شاء الله في صفة أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جشاء وعرقاً كالسلك، فإذا البطن ضامر.

وقال سفيان بن حسين: قدم إياس واسطاً فجاهه ابن شبرمة بمسائل قد أعدّها، فقال له: أتأذن لي أن أسألك؟ قال: سل وقد ارتيت حين استأذنت، فسأله عن سبعين مسألة يجيبه فيها، ولم يخطئها إلا في أربع مسائل، رده إياس إلى قوله ثم قال له إياس: اتقروا القرآن؟ قال: نعم؟ قال: اتحفظ قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣]؟ قال: ال. وما قبلها وما بعدها؟ قال: نعم: فهل أبقت هذه الآية لآل شبرمة رأياً؟

وقال عباس عن يحيى بن معين: حدثنا سعيد بن عامر حدثنا عمر بن

قالوا: ثم مر يوماً ببعض المكاتب فإذا صبي هنالك فقال: إن كنت أدري شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة، فإذا هو ابنها.

وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد رجل عند إياس فقال له: ما اسمك؟ فقال أبو العتقر: فلم يقبل شهادته.

وقال سفيان الثوري عن الأعمش: دعوني إلى إياس فإذا رجل كلما فرغ من حديث أخذ في آخر.

وقال إياس: كل رجل لا يعرف عيب نفسه فهو أحمق، فقيل له: فما عيبك؟ فقال: كثرة الكلام. قالوا: ولما ماتت أمه بكى. فقيل له في ذلك

فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما.

وقال أبوه: إن الناس يلدون أبناء وولدت أنا ابناً.

وكان أصحابه يجلسون حوله ويكثرون عنه الفراسة، فيمنعهم هم حوله

جلوس إذ نظر إلى رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه، ثم قام فظهر في وجه رجل ثم عاد، فقال لأصحابه: هذا

فيه كتاب قد أبق له غلام أعور فهو يطلبه، فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إياس، فقالوا لإياس: من أين عرفت ذلك؟ فقال: لما

جلس على دكة الحانوت علمت أنه ذو ولادة، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا للقاءة المكتب، ثم جعل ينظر إلى كل من يمر، فعرفت أنه قد فقد

غلاماً، ثم لما قام فظهر لي وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر، عرفت أن

غلامه أعور.

وقد أورد القاضي ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته، من ذلك أنه قال: شهد عنده رجل في بستان فقلت له: كم عدد أشجاره؟ فقال: كم

عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة سنين؟ قال: فقلت: لا أدري وأقررت شهادته. قال خليفة وغير واحد: توفي بواسط سنة ثنتين

وعشرين ومائة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان، تفرق شمل الأتراك، وجعل بعضهم يغير

على بعض، وبعضهم يقتل بعضاً، حتى كادت أن تحرب بلادهم، واشتغلوا عن المسلمين.

وفيها السنة سأل أهل الصغد من أمير خراسان نصر بن سيار أن يردهم إلى بلادهم، وسأله شروطاً أنكرها العلماء، منها أن لا يعاقب من

ارتد منهم عن الإسلام، ولا تؤخذ أسراء المسلمين منهم، وغير ذلك، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين، فغاب عليه الناس ذلك،

فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمعوا على معاندتهم للمسلمين كان ضرورهم أشد، أجابهم إلى ذلك.

وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفداً إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان، وتكلموا في نصر بن سيار أمير خراسان بأنه

وإن كان شهماً شجاعاً، إلا أنه قد كبر وضعف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته، وتكلموا فيه كلاماً كثيراً، فلم يلبثت إلى ذلك هشام،

واستمر به على إمرة خراسان وولايتها.

قال ابن جرير [رواه: ١٩٧/٧]: وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك، والعمال فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها.

وتوفي في هذه السنة ربيعة بن يزيد القصير من أهل دمشق، وأبو يونس

أفضل مني وأقفة، وأعلم بالقضاء، فإن كنت من أهل الصلح فوله، وإن كنت كاذباً فما ينبغي أن ألي القضاء. فقال إياس: هذا رجل أوقف على شفير جهنم فافتدى منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، فقال عدي: أما إذا فطنت إلى هذا فقد وليتك القضاء. فمكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم، وإذا تبين له الحق حكم به، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغنى من القضاء، فولى عدي بعده الحسن البصري.

قالوا: لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب: لقد رموها بمجراها. وجاءه الحسن وابن سيرين فسلما عليه، فبكى إياس

وذكر حديث «القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة» [٣٥٧٣]، ج (٢٣١٥). فقال الحسن فقد قال الله تعالى: ﴿وَرَأَوْهُ وَسَيِّئًا يَذَّيْحُكُمَا فِي الْحَرِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] قالوا:

ثم جلس للناس في المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات، فما قام حتى فصل سبعين قضية، حتى كان يشبه بشرح القاضي. وروي عنه أنه

كان إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله عنه.

وقال إياس: إني لأكلم الناس بنصف عقلي، فإذا اختصم إلي اثنان جمعت عقلي كله.

وقال له رجل: إنك لتعجب برأيك، فقال: لولا ذلك لم أقض به.

وقال له آخر: إن فيك خصالاً لا تعجبني، فقال: ما هي؟ قال تحكم قبل أن تفهم، وتحال كل أحد وتلبس الثياب الغليظة. فقال له: أيها أكثر

الثلاثة أو الاثنين؟ فقال: الثلاثة. فقال: ما أسرع ما فهمت وأجبت، فقال: أو يجمل هذا أحد؟ فقال: وكذلك ما أحكم أنا به، وأما مجالستي لكل أحد

فلأن اجلس مع يعرف لي قدرتي أحب إلي من أن اجلس مع من لا يعرف لي قدرتي، وأما الثياب فأما ألبس منها ما يقيني لا ما أقيء أنا. قالوا: وتحاكم

إليه اثنان أودع أحدهما عند الآخر مالا، ووجدته الآخر، فقال إياس للمودع: أين أودعته؟ قال: عند شجرة في بستان. فقال: انطلق إليها فقف

عندنا لعلك تذكر، وفي رواية أنه قال له: هل تستطيع أن تدعبل إليها فتأتي بورق منها؟ قال: نعم! فانطلق، وجلس الآخر فجعل إياس يحكم

بين الناس ويلاحظه، ثم استدعاه فقال له: أوصل صاحبك بعد إلى المكان؟ فقال: لا بعد أصلحك الله. فقال له: قم يا عدو الله فاد إليه حقه، وإلا

جعلتك نكالا. وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديته بكاملها.

وجاءه آخر فقال له: إني قد أودعت عند فلان مالا وقد جحدني، فقال له: اذهب الآن واتني غداً، ويعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد

فقال له: إنه قد اجتمع عندنا هاتنا مال، فضعه عندك في مكان حرير. فقال له: سمعاً وطاعة فقال: اذهب الآن واتني غداً، وأصبح ذلك الرجل

صاحب الحق فجاء إلى إياس فقال له: اذهب الآن إليه فقل له: أعطني حقي وإلا رفعتك إلى القاضي، فذهب فقال له ذلك فخاف أن لا يودع

عنده الحاكم، فدفع إليه حقه، فجاء إلى إياس فأعلمه، ثم جاء ذلك الرجل من الغد رجاء أن يودع فأنهت إياس وطرده وقال له: أنت خائن.

وتحاكم إليه اثنان في جارية فادعى المشتري أنها ضعيفة العقل، فقال لها إياس: أي رجلك أطول؟ فقالت: هذه، فقال لها: أتذكرين ليلة ولدت؟

فقالت نعم. فقال للبائع: رد رد.

وروي ابن عساكر أن إياساً سمع صوت امرأة من بيتها فقال: هذه امرأة حامل بصبي، فلما ولدت، ولدت كما قال، فستل بم عرفت ذلك؟

قال: سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل، وفي صوتها صُحِّل فعلمت أنه غلام.

عباس، وهو الذي يدعون إليه دعاة بني العباس، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها.
قال الواقدي وأبو معشر: وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل.

قال: أبو جعفر بن جرير [١٩٩/٧]: حج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ومعه امرأته أم سلمة بن هشام بن عبد الملك، وكان نائب الحجاز والطائف، وهو محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على يهابها ويهدي إليها الألفاظ والتحف ويعتذر إليها من التقصير، وهي لا تلتفت إلى ذلك.
ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها.

وفيهما توفي

■ القاسم بن أبي بزة: أبو عبد الله المكي القاري، مولى عبد الله بن السائب، تابعي جليل، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وعنه جماعة، ووثقه الأئمة. توفي في هذه السنة على الصحيح، وقيل بعدها بسنة. وقيل سنة أربع عشرة، وقيل سنة خمس عشرة ومائة فإله أعلم.

■ الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، أبو بكر القرشي الزهري: أحد الأعلام من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع من غير واحد من الصحابة وروى عنه غير واحد من التابعين وغيرهم.

روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري قال: أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتفعت إلى دمشق، وكان عندي عيال كثيرة، فحجت جامعها فجلست في أعظم حلقة، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فقال: إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئاً وقد شد عنه - في أمهات الأولاد يرويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فقلت: إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، فأخزني فأدخلني على عبد الملك فسألني: ممن أنت؟ فانتسبت له، وذكرت له حاجتي وعيالي، فسألني هل تحفظ القرآن؟ قلت: نعم والفرائض والسنن، فسألني عن ذلك كله فأجبت، فقصي ديني وأمرني بجاهزة، وقال لي: أطلب العلم فإني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا، قال: فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبة، فأتيتها فسألته عن ذلك، فقالت: أن بعلي مات وترك لنا خادما وداجنا ونخيلات، نشرب من لبنها، ونأكل من ثمرها، فبينما أنا بين النائمة واليقظ رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشتتا - قد أتبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن، وقال: إن هذا يضيق علينا اللبن، ثم نصب القدر وقطعه ووضع فيه، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه، وأخوه صغير كما قد جاء، ثم استيقظت مذعورة، فدخل ولدي الكبير فقال: أين اللبن؟ فقلت: يا بني شربه ولد الداجن، فقال: إنه قد ضيق علينا اللبن، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر، فبقيت مشفقة خائفة مما رأيت، فأخذت ولدي الصغير فغيت في بعض بيوت الجيران، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشفقة جدا مما رأيت، فأخزني عني فمت فرايت في المنام قائلا يقول: ما لك مفتمة؟ فقلت: إني رأيت مناما فأتا أحذر منه فقال: يا رؤيا يا رؤيا، فأقبلت امرأة حسنة جميلة، فقال: ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة؟ قالت: ما أردت إلا خيرا، ثم قال: يا أحلام يا أحلام، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال،

سليم بن جبير، ومماك بن حرب، ومحمد بن واسع بن جابر، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل ولله الحمد والمئة.

■ (محمد بن واسع) [زيادة من الناسخ]

قال محمد بن واسع: أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة. وقال: خمس خصال تجت القلوب: الذنب على الذنب، وبجالة الموتى، قيل له: ومن الموتى؟ قال: كل غني مترف، وسلطان جائر. وكثرة منافاة النساء، وحديثهن، وملاحاة الأحق؛ تقول له ويقول لك، وكثرة مشاهدة الباطل وإشاعته وغالطة أهله.

وقال مالك بن دينار: إني لأغبط الرجل يكون عيشه كفافاً فيقع به. فقال محمد بن واسع: أغبط منه والله عندي من يصبح جائعا ويمسي جائعا وهو عن الله راض.

وقال: ما أسى من الدنيا إلا على ثلاث: صاحب إذا اعوججت قومي، وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها وأفور بفضلها، وفوت من الدنيا ليس لأحد فيه منه، ولا لله علي فيه تبعة. وروى زياد بن الربيع عن أبيه قال: رأيت محمد بن واسع يسوق مرو وهو يعرض حمرا له للبيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ فقال: لو رضيت لم أبعه.

ولما ثقل محمد بن واسع كثر عليه الناس في العبادة، قال بعض أصحابه: فدخلت عليه فإذا قوم قوم وأخرون قيام، فقال: ماذا يعني هؤلاء عني إذا أخذ بناصتي وقدمي غدا وألقيت في النار؟!

ويعد بعض الخلفاء مالا مستكرا إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلمس منه شيئا، وأما مالك بن دينار فإنه قبل ما أمر له به، واشترى به أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا، فجاهد محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان. فقال له: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ فقال له مالك: يا أبا عبد الله! سل أصحابي ماذا فعلت منه، فقالوا له: إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم، فقال له: سألته بالله أطلبك الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك. فقام مالك وحفا على رأسه التراب وقال: إنما يعرف الله محمد بن واسع، إنما مالك حمار إنما مالك حمار.

وكلام محمد بن واسع كثير جداً رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فلقي ملك الروم أيون فسلم سليمان وغنم ولله الحمد والمئة.

وفيهما قدم جماعة من دعاء بني العباس من بلاد خراسان قاصدين إلى مكة فمروا بالكوفة فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد بن عبد الله القسري، قد حبسهم يوسف بن عمر، فاجتمعوا بهم في السجن فدعواهم إلى البيعة لبني العباس، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن معقل العجلي، وكان محبوساً فأعجبهم شهادته وقوته واستجابته مع مولاة إلى هذا الأمر، فاشتره بغير من ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستبدلوه لهذا الأمر، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب ونتج ما يوجهونه إليه، ثم كان من أمره ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

قال الواقدي: ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن

فقال: ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة؟ فقالت: ما أردت إلا خيراً، ثم قال: يا أصفهان يا أصفهان، فأقبلت امرأة سوداء شبيعة فقال: ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة؟ فقالت: إنها امرأة صالحة فاحببت أن أغمها ساعة، ثم استيقظت فجاءه ابني فوضع الطعام وقال: أين أخي؟ فقلت: درج إلى بيوت الجيران. فذهبت وراءه فكاثما هدي إليه، فأقبل به يقبله، ثم وضعه وجلسنا جميعاً فاكلنا من ذلك الطعام.

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية، وكان قصيراً قليل اللحية، له شعرات طوال خفيف العارضين. قالوا: وقد قرأ القرآن في نحو من ثمانين يوماً، وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين أو عشر سنين، تمس ركبته ركبته.

وكان يخدم عبيد الله بن عبد الله يستقي له الماء المالح، ويدور على مشايخ الحديث، ومعه ألواح يكتب عنهم الحديث، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه، وقد احتاج أهل عصره إليه.

وقال عبد الرزاق (الصف: ٤٨٧/٢٠٢): أخبرنا معمر عن الزهري قال: كنا نكوه كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأسراء، فرأينا أن لا نكعه أحداً من المسلمين.

وقال أبو إسحاق: كان الزهري يرجع من عند عروة فيقول لجارية عنده فيها كُتْبة: حدثنا عروة حدثنا فلان. ويسرد عليها ما سمعه منه، فتقول له الجارية: والله ما أدري ما تقول، فيقول لها: اسكبي لكاع، فإني لا أريدك، إنما أريد نفسي.

ثم وفد على عبد الملك بن مروان بدمشق كما تقدم فأكرمه وقضى فيته وفرض له في بيت المال ثمان كان بعد من أصحابه وجلسائه، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده، الوليد وسليمان، وكذا عند عمر بن عبد العزيز، وعند يزيد بن عبد الملك، واستقضاه يزيد مع سليمان بن حبيب، ثم كان حظاً عند هشام، وحج معه وجعله معلماً أولاده إلى أن توفي في هذه السنة قبل هشام بسنة.

وقال ابن وهب: سمعت الليث يقول: قال ابن شهاب: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته.

قال: وكان يكره أكل التفاح وسور الفار، ويقول: إنه يُنْسي، وكان يشرب العسل ويقول: إنه يُذْكَر. وفيه يقول فايد بن أقرم.

فردا وثائن على الكريم محمد واذكر فواضله على الأصحاب وإذا يقال من الجسود ماله قيل الجسود محمد بسن شهاب أهل المائتين يعرفون مكانه وريبع ناديه على الأعراب يشري وغاء جفانه وبعدها بكسور أثاباج وثسق لباب

وقال ابن مهدي: سمعت مالكا يقول: حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام أخذت بلبجام دابته فاستفهمته فقال: أتستفهمي؟ ما استفهمت عالماً قط، ولا رددت على عالم قط. ثم جعل ابن مهدي يقول: فليكن الطوال وتلك المغازي.

وروي يعقوب بن سفيان (المعرفة والتاريخ: ١/٢٤٠) عن هشام بن خالد السلامي عن الوليد بن مسلم عن سعيد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لابنه شيئاً من حديثه، فأملى على كاتبه أربعمائة حديث ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها، ثم إن

هشاماً قال للزهري: إن ذلك الكتاب ضاع، فقال: لا عليك، فأملى عليهم تلك الأحاديث ثم أخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يفتقد حرفاً واحداً، وإنما أراد هشام امتحان حفظه.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً أحسن سوقاً للحديث إذا حدث من الزهري.

وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري، ولا أهون من الدينار والدرهم عنده، وما الدرهم والدينار عند الزهري إلا بمنزلة البعر.

قال عمرو بن دينار: ولقد جالست جابرأ وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رأيت أحداً أسبق للحديث من الزهري.

وقال الإمام أحمد: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري.

وقال النسائي: أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي عن رسول الله ﷺ.

وقال شيب عن الزهري: مكثت خمساً وأربعين سنة اختلفت من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز، فما كنت أسمع حديثاً استطرفه.

وقال الليث: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت: ما يحسن غير هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدءاً جامعاً، يقول: اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة.

قال الليث: وكان الزهري أسخى من رأيت، كان يعطي كل من جاء وسأله، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف. وكان يطعم الناس الثريد ويسقيهم العسل، وكان يسمر على شراب العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم، ويقول: اسقونا وحدثونا، فإذا نمس أحدهم يقول له: ما أنت من سمار قريش.

وكانت له قبة معصورة وعليه ملحفة معصورة، ونحته بساط معصفر. وقال الليث قال يحيى بن سعيد: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب.

وقال عبد الرزاق: أنبأ معمر قال: قال عمر بن عبد العزيز: عليكم بابن شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه، وكذا قال مكحول.

وقال أيوب: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري، قليل له: ولا الحسن؟ فقال: ما رأيت أعلم من الزهري.

وقيل لمكحول: من أعلم من لقيت؟ قال: الزهري، قيل: ثم من؟ قال: الزهري قيل: ثم من؟ قال الزهري.

وقال مالك: كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج.

وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة: حدثوا أهل الحجاز ثلاثة: الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج.

وقال علي بن المنيني: الذين أتوا أربعة، الزهري، والحكم، ومحمد، وقتادة، والزهري أفقههم عندي.

وقال الزهري: ثلاثة إذا كن في القاضي فليس بقاضي، إذا كره للراشم وأحب للمحمد، وكره العزل.

وقال أحمد بن صالح: كان يقال: فصحاء زمانهم: الزهري وعمر بن

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك

كما أورده ابن عساكر.

■ بلال بن سعد بن نعيم السكوني أبو عمرو ويقال: أبو زرة إمام جامع دمشق إمام هشام وقاص أهل الشام. كان أحد الزهاد الكبار، والعباد الصوام القوام، روى عن أبيه وكانت له صحبة، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه جماعة منهم أبو عمرو الأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه ووعظه، وقال: ما رأيت واعظاً قط مثله. وقال أيضاً: ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وقال غيره وهو الأصمعي: كان إذا نَس في ليل الشتاء القلى نفسه يشابه في البركة، فغلبه بعض أصحابه في ذلك فقال: إن ماء البركة أهون علي من صليد جهنم.

وقال آخر، وهو الوليد بن مسلم: كان إذا كثُر في الحراب سمع تكبيره من الأوزاع. قلت: وهي خارج باب القرائس بمحلة سوق قبيلة اليوم. قال: وكنا نثبِت قراءته من عقبه الشيخ عند دار الضيافة. يعني من عند دار الذهب داخل باب القرائس.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: هو شامي تابعي ثقة.

وقال أبو زرة الدمشقي: كان أحد العلماء قاصاً حسن القصص، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالقدر حتى قال بلال يوماً في وعظه: رب مسرور مغبور، ورب مغبور لا يشعر، فويل لمن له الويل لا يشعر، يأكل ويشرب، ويضحك، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار، فيا ويل لك روحاً، ويا ويل لك جسداً فليكن وليك عليك البواكي لطول الأمد.

وقد ساق الحافظ ابن عساكر شيئاً حسناً من كلامه في مواظبه البليغة، فمن ذلك قوله: والله لكفى به ذنباً أن الله يرهننا في الدنيا ونحن نرغب فيها، زاهدكم واغيب، وعالمكم جاهل، ومجهتكم مقصر.

وقال أيضاً: أخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيك من الله، أو أخبرك يعجب فيك، أحب إليك، وخير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً.

وقال أيضاً: لا تكن ولياً لله في العلانية وعدواً له في السر ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر، ولا تكن ذا وجهين وذو لسانين فتظهر للناس أنك تحشى الله ليحمدوك وقلبك فاجر.

وقال أيضاً: أيها الناس إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتُم للبقاء، تنتقلون من دار إلى دار، كما تقلتُم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الجنة أو النار.

وقال أيضاً: عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقام، ودار حزن ونصب لدار نعيم وخلد، فمن لم يعمل على يقين فلا يتم، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغل، ولو عملتم بما تعلمون لكتسم عباد الله حقاً، عباد الرحمن أما ما وكلكم الله به فتضيعونه، وأما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه، ما هكذا نعت الله عبادة الموتين، أفدو عقول في الدنيا ويده في الآخرة، وعمي عما خلقتُم له بصراء في أمر الدنيا؟ فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته، فكذلك أشفقوا من عذابه بما تنتهكون من معاصيه، عباد الرحمن! هل جاءكم خبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم قد تقبل منكم؟ أو

عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله، رحمهم الله.

وقال مالك عن الزهري: أنه قال: إن هذا العلم الذي أدب الله به رسوله ﷺ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل.

وقال غلذ بن الحسين عن يونس عن الزهري قال: الاعتصام بالسنة نجاة.

وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال: أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت.

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري: إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه، وفي رواية أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب، فإن من غوائل قلة انتفاع العالم بعلمه، ومن غوائله النسيان والكذب، وهو أشد الغوائل.

وقال أبو زرة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال: القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب.

وقد قضى عنه هشام بن عبد الملك مرة ثمانين ألفاً، وفي رواية سبعة عشر ألفاً، وفي رواية عشرين ألفاً.

وقال الشافعي: عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الإسراف وكان يستلين، فقال له: لا آمن أن يجيس هؤلاء القوم ما يلبثهم عنك فتكون قد حملت على أمانتك، قال: فوعده الزهري أن يقصر، فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العمل، فوقف به رجاء وقال: يا أبا بكر ما هذا بالذي فارتقت عليه، فقال له الزهري: انزل فإن السخي لا تؤجبه التجارب.

وقد أشد بعضهم في هذا المعنى:

له صاحب جرود في أماله امطارها القضة البيضاء والذهب يقول في المر إن أبرت ثائرة أقصرت عن بعض ما أعطي وما أهب حتى إذا عاد أيام اليسار له رأيت أمواله في الناس تنهب

وقال الواقدي: ولد الزهري سنة ثمان وخمسين، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله ليلة الثلاثاء بشعب وبدا، فأقام بها فمرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق، وكانت وفاته لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة، وهو ابن خمس وسبعين سنة، قالوا: وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية، فيها جامعاً.

وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني: رأيت قبر الزهري بأداني - وهي خلف شعب وبنا من فلسطين سميماً مجصصاً.

وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبره فقال: يا

قبر كم فيك من علم وحلم يا قبر كم فيك من علم ومن كرم

وقال الزبير بن بكار: توفي الزهري بأمواله بشعب، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، عن اثنين وسبعين سنة، ودفن على قارعة الطريق ليحوه له المارة، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقال أبو معشر: سنة خمس وعشرين ومائة والصحيح الأول والله أعلم.

يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الحزري، وقيل الترمذي، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده وتشاطران، حتى نفي إلى ترمذ، ثم قتل الجهم بأصبهان، وقيل بمرو، قتله نائبا سلم بن أحوز بن أبي داود رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي داود عن بشر، وأما الجعد لعنه الله فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فقتله بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة، فلقبه فيها الجهم بن صفوان فخلق هذا القول لعنهما الله، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك أن خالداً خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضع بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً. ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر بيده أثابه الله تعالى وتقبل منه وذلك في أيام هشام بن عبد الملك، وقد كان هشام طلبه بدمشق حين أظهر ما أظهر، ثم إنه هرب بعد ذلك فكتب إلى نائبه خالد بن عبد الله القسري أن يقتله فقتله كما ذكرنا.

وقد روى قصته مع خالد البخاري في «أفعال العباد» (ص ٨) وابن أبي حاتم وغير واحد عن صف في السنة كالطبراني وابن أبي عاصم وعبد الله بن أحمد وذكره الحافظ ابن عساكر في التاريخ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه، وأنه كان كلما راح إلى وهب يقتل ويقول: أجمع للعقل، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً: وبلك يا جعد، أقصر المسألة، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يجترأ الله في كتابه أن له بدأ ما قلنا ذلك، وأن له عينا ما قلنا ذلك، وأن له نفساً ما قلنا ذلك، وأن له سمعاً ما قلنا ذلك، وذكر له الصفات من العلم والكلام وغير ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل.

وذكر في ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروي لعمران بن حطان:

ليث علي وفي الحروب نعمة فتخاء تحفل من صفي الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الرغى بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال الحافظ أبو بكر البزار (البحر الرعاع ١٠٢٧): حدثنا رزق الله بن موسى حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فليك حدثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة».

وكنا رواه أبو يعلى في مسنده (٨٥١) عن أبي كريب عن ابن أبي فليك عن عبد الملك بن زيد بن سعيد بن ثعلب عن مصعب بن مصعب عن الزهري به.

قلت: وهذا حديث غريب منكر، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجنيد. وكنا تكلم في الراوي عنه أيضاً والله أعلم.

وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم، وفي ربيع الآخر منها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان.

شيئاً من خطاياكم قد غفر لكم: ﴿إِنَّمَا حَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ خَلَقْتُمْ عِبَادًا وَأَنْتُمْ إِنَّمَا لَا تَرْجُمُونَ﴾ (الفرعون: ١١٦) والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم ما فرض عليكم. أترغبون في طاعة الله لتعجيل دار معصودة بالآفات؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة ﴿كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا، تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَتَوْا وَغُفَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد: ٣٥).

وقال أيضاً: الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل، وذكر الله عندما أحل وحرم أفضل. عباد الرحمن يقال لأحدنا: تحب أن تموت؟ فيقول: لا! فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أعمل، فيقال له: أعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يجب أن يموت، ولا يجب أن يعمل، وأحب شيء إليه أن يؤخر عمل الله، ولا يجب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه. عباد الرحمن إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضاع ما سواها، فما يزال يمينه الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئاً دون الجنة، مع إقامته على معاصي الله. عباد الله، تقبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها، فإن كانت خالصة لله فامضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، فإنه قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْطَعِدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (طه: ٢١).

وقال أيضاً: إن الله ليس إلى عذابكم سريع، يخيل العثرة. يقبل المقبل ويدعو المذير.

وقال أيضاً: إذا رأيت الرجل متحرجاً لوحاً عاربياً معجباً برأيه فقد ختم خسارته.

وقال الأوزاعي: خرج الناس بدمشق يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فقال: يا معشر من حضري! أستم مقربين بالإساءة؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إني أطلب: ﴿مَّا عَلَى الْمُخْبِتِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ (الجمعة: ٩١) وقد أقرنا بالإساءة فاعف عنا واسقنا. قال: فسقوا يومهم ذلك.

وقال أيضاً: سمعت يقول: لقد أدركت أقواماً يشتنون بين الأعراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا جهنم الليل كانوا رهباناً. وسمعت أيضاً يقول: لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر من عصيت. وسمعت يقول: من بادل بالرد فقد استرقك بالشر. وكان من دعائه: اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب، ومن تبعات الذنوب، ومن مرديات الأعمال ومضلات الفتن.

وقال الأوزاعي عنه أنه قال: عباد الرحمن لو أنكم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل، وقال: إن الله يغفر الذنوب لمن تاب منها، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة.

■ الجعد بن درهم: هو أول من قال بخلق القرآن، وهو الذي كان ينسب إليه مروان الجعدي، وهو مروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية. كان شيخه الجعد بن درهم، أصله من حران، ويقال: إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، وكانت له بها دار بالقرب من القلانسين إلى جانب الكنيسة، ذكره ابن عساكر.

قلت: وهي الحلة بالقرب من الخواصين اليوم غربها عند حمام القطاين الذي يقال له حمام قليس.

قال الحافظ ابن عساكر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سنان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت ليث بن أعصم وزوج ابنته عن ليث بن أعصم الساحر لعنه الله الذي سحر رسول الله ﷺ عن

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

هو

■ هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو الوليد القرشي الأموي المشقب، أمير المؤمنين. وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل المخزومي، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد رحمه الله التي يقال لها النورية الكبيرة، وتعرف بدار القبايين - يعني الذين يبيعون القباب وهي الحيام - والله أعلم.

وقد بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعهد منه إليه، وذلك في يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة، وكان جميلاً أبيض أحول يخضب بالسواد، وهو الرابع من ولد عبد الملك لصلبه الذين ولوا الخلافة، وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات، فلبس إلى سعيد بن المسيب من سألها عنها فصرها له بأنه يلي الخلافة من ولده أربعة، فوقع ذلك، فكان هشام آخرهم، وكان في خلافته حازم الرأي جامعاً للأموال ييخل، وكان ذكياً منبراً، لا يصر بالأمور جليلاً وحقيراً، وكان فيه حلم وأناة، شتم مرة رجلاً من الأشراف فقال: أنشمتني وأنت خليفة الله في الأرض؟! فاستحيا وقال: اقتص مني بدلها أو قال: بئتها، فقال: إذن أكون سفيهاً مثلك، قال: فخذ عوضاً منها قال: لا أفعل، قال: فاتركها لله، قال: هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك: والله لا أعود إلى مثلها.

وقال الأصمعي: أسمع رجلاً هشاماً كلاماً فقال له: أقول لي مثل هذا وأنا خليفتك؟! وغضب مرة على رجل فقال له: اسكت وإلا ضربتك سوطاً.

وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان بن الحكم مالا أربعة آلاف دينار. فلم يتعرض له أحد من بني مروان، حتى استخلف هشام بن عبد الملك فقال: ما فعل حقنا قيلك؟ قال: موفور مشكور، فقال: هو لك. قلت: هذا الكلام فيه نظر، ذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، قيل أن يلي هشام الخلافة يأخذى عشرة سنة، فإنه إما يلي الخلافة سنة خمس ومائة، فقول المؤلف: إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام فطالبه بالمال المذكور. فيه نظر ولا يصح لتقدم موت علي على خلافة هشام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر شديد وقال: وددت أني ائتيتهما بجميع ما أملك.

وقال المدائني عن رجل من غني عن بشر مولى هشام قال: أتني هشام برجل عنده قيان وخمر وبريط، فقال: اكسروا الطنبور على رأسه وقرنه، فبكي الشيخ، قال بشر: فضربه، فقلت له وأنا أعزبه عليك بالصبر. فقال: أتراني أبكي للضرب، إنما أبكي لاحتراره البريط حتى ساء طنبوراً. قال: واغلظ رجل يوماً هشام في الكلام فقال: ليس لك أن تقول هذا لإمامك.

قال: وتقعد أحد ولده يوم الجمعة فيبعث إليه: مالك لم تشهد الجمعة؟ فقال: إن بنلي عجزت عني، فبعث إليه: أما كان يمكنك المشي، ومنعه أن يركب سة.

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردعهما السفير إلى هشام، وهو جالس على سرير في وسط داره، فقال له: أرسلهما في الدار، فأرسلهما، ثم قال: جازتني يا أمير المؤمنين فقال: ويحك وما جازتني على هدية طيرين؟ خذ أحدهما، فجعل الرجل يسعى خلف أحدهما، فقال: ويحك ما لك؟ فقال: اختار أجودهما. قال: وتختار أيضاً الجيد وترك الرديء؟! ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهماً.

وذكر المدائني عن قحزم كاتب يوسف بن عمر. قال: بعثني يوسف إلى هشام بياقوتة حمراء ولؤلؤة كانتا لرافقة، جارية خالد بن عبد الله القسري، مشترى الباقوتة ثلاثة ومبعون ألف دينار، قال: فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش فأوردتها له، فقال: كم زتها؟ فقلت: إن مثل هذه لا مثل لها، فسكت. قالوا: ورأى قوماً يقرطون الزيتون فقال: القطر لقطاً ولا تنفسوه نفثاً، فنفثا عيونهم وتكسر غصونه.

وكان يقول: ثلاثة لا يضعن الشريف: تعاود الصنعة، وإصلاح المعيشة، وطلب الحق وإن قل.

وقال أبو بكر الحارثي: يقال إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت:

إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال وقد روي له شعر غير هذا.

وقال المدائني عن وسنان الأعرجي حدثني ابن أبي نجيعة عن عقاب بن شبة قال: دخلت على هشام وعليه قباء ففك أخضر، فوجهني إلى خراسان، ثم جعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء، ففطن فقال: ما لك؟ قلت: رأيت عليك قباء ففك أخضر، قبل أن تلي الخلافة، فجعلت تأمل هذا أمر ذاك أم غير، قال: هو والله الذي لا إله غيره، أهو ذاك ما لي قباء غيره؟ وأما ما ترون من جمعي لهذا المال وصونه فإنه لكم. قال عقاب: وكان هشام عحشواً عقلاً.

وقال عبد الله بن علي عم السفاح: جمعت دواوين بني أمية فلم أر ديواناً أصحح للعامة والسلطان من ديوان هشام.

وقال المدائني عن هشام بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام.

وهو الذي قتل غيلان القدري، ولما أحضر بين يديه قال له: ويحك قل ما عندك، إن كان حقاً اتبعناه، وإن كان باطلا رجعت عنه، فناظره يمينون بن مهران فقال ليمون: أشاء الله أن يعصى؟ فقال له يمينون: أيعصى الله كارهاً؟ فسكت غيلان فقيده حيثد هشام وقتله.

وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منذر بن أبي ثور قال: أصبنا في خزان هشام اثني عشر ألف قميص كلها قد أثر بها.

وشكى هشام إلى أبيه ثلاثاً إحداها أنه يهاب الصمود على المنبر، والثانية قلة تناول الطعام، والثالثة أن عنده في القصر مائة جليلة من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن، فكتب إليه أبوه: أما صعورك إلى المنبر فإذا علوت فوقه فارم ببصرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك، وأما قلة الطعام فمر الطباخ فليكثر الألوان فلعلك أن تتناول من كل لون لقمة، وعليك بكل يضاء بضة ذات جمال وحسن.

وقال أبو عبد الله الشافعي: لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال:

الزهرى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة».

قال ابن أبي فديك: زينتها نور الإسلام وبهجته. وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم.

قلت: لما مات هشام بن عبد الملك تولى ملك بني أمية، واضطرب أمرهم جداً، وإن كان قد تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين، ولكن في اختلاف وهيج، وما زالوا حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم تمتعتهم وملكهم، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك مبسوطاً مقررًا في مواضعه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الفاسق، قبحه الله وأبعده

قال الواقدي: والمناقب يبيع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. وقال هشام بن الكلبي: يبيع له يوم السبت في ربيع الآخر، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة. وكان سبب ولاته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأكر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخططاء السوء ومجالس اللهو، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشرة ومائة، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه، حتى يقال: إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فأحاروا ذلك على الجمال فضرب على ذلك.

قالوا: واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك، واستصحب معه الخمر وغير ذلك من المنكرات، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه، فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مراراً فلم يته، واستمر على حاله القبيح، وعلى فعله الرديء، فعزم عمه على خلع من الخلافة - وليه فعل - وأن يولي بعده مسلمة بن هشام، وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء، ومن أخواله، ومن أهل المدينة ومن غيرهم، وليت ذلك تم. ولكن لم يتنظم حتى قال هشام يوماً للوليد: ويحك! والله ما أدري أعلَى الإسلام أنت أم لا، فإنك لم تلغ شيئاً من المنكرات إلا أثبتته غير متحاش ولا مستر. فكتب إليه الوليد بن يزيد:

يا أيها السائل عن ديننا ديني على دين أبي شاكِر
نشرها حرقاً ومزوجة بالسخن أحياناً وبالفقر

ففضب هشام على ابنه مسلمة، وكان يكتي أباً شاكِر، وقال له: يميني بك الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أريقك إلى الخلافة؟ وعنه على الموسم سنة تسع عشرة ومائة فآظهر النسك والوقار واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالاً، فقال مولى لأهل المدينة:

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكِر
الواهب الجرد بأرسانها ليس يزنيق ولا كافِر

ووقعت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي

أحب أن أخلو بها يوماً لا يأتيني فيه خير غم، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثغور، فقال: ولا يوماً واحداً.

وقد رويت هذه الحكاية من وجه آخر وأنه لم يمكث بعد ذلك إلا شهراً واحداً.

وقال سفيان بن عيينة: كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا حسين بن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن علي قال: مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له: إنه قد طال ملك هشام وسلطانه، وقد قرب من العشرين سنة، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا يئبني لأحد من بعده، فزعم الناس أنها العشرين، فقال: ما أدري ما أحدث الناس، ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي ﷺ قال: «لن يعمر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمته». فإن الله عمر نبيه ﷺ ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: ليس حديث فيه توقيت غير هذا، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال: من حدثك به؟ فقلت: إبراهيم، فتلف أن لا يكون سمعه. وقد رواه ابن جرير في تاريخه (٢٠٨/٧) عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي.

وروى مسلم بن إبراهيم حدثنا القاسم بن الفضل حدثني عباد بن المرء العتكي عن عاصم بن المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول: هلاك ملك بني أمية على يد رجل أحول - يعني هشاماً -

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النميري عن أبيه عن عمرو بن كليج عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك قال: خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر عليه الحزن، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال: يا أمير المؤمنين ما لي أراك هكذا؟ فقال: ما لي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومي هذا. قال: فكتبنا ذلك، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسول هشام في الليل يقول: احضر معك دواء للذئبة، وكانت قد أصابته قبل ذلك، فاستعمل منه فعوفي، فذهبت إليه ومعني ذلك الدواء فقتلوه وهو في وجع شديد، واستمر فيه عامة الليل، ثم قال: يا سالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وفر الدواء عندي، فذهبت فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصباح عليه، فبحث فإذا هو قد مات.

وذكر غيره أن هشام بن عبد الملك نظر إلى أولاده وهم يكون عليه حوله فقال: جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالباك، وترك لكم ما جمع، وتركتكم عليه ما كسب، ما أعظم مغلب هشام إن لم يفر الله له.

ولما مات جاءت الحزنة فختما على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على قمقم حتى استعاروا له، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم.

وكانت وفاة هشام بالرصافة يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وهو ابن بضع وخمسين سنة، وقيل: إنه جاوز الستين، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي ولي الخلافة بعده، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وقيل وثمانية أشهر وأياماً، فآله أعلم.

وقال ابن أبي فديك: حدثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن

بعده في الأفاق، وكتب الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هشام، وأن يكون نصر بن سيار ونوابه من تحت يده، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفيه إلى أمير المؤمنين بأهله وعباله، وأن يكسر من استصحاب الهدايا والتحف. فحمل نصر بن سيار ألف مملوك على الخيل، وألف وضيعة وشيئاً كثيراً من أباريق الفضة والذهب، وغير ذلك من التحف، وكتب إليه الوليد يستحثه سريعاً ويطلب منه أن يحمل معه طائير وبرباط ومغنيات ويازات وبراذين فرها، وغير ذلك من آلات الطرب والفسق، فكره الناس ذلك منه وكرهوه. وقال المتجمعون لنصر بن سيار: إن الفتنة قريباً تقع بالشام، فجعل يتناقل في سره، فلما أن كان ببعض الطريق جاءته البرد فأخبروه بأن الخليفة الوليد قد قتل وهاجت فتنة عظيمة في الناس بالشام، فعند ما معه إلى بعض المدن فأقام بها، ويبلغ أن يوسف بن عمر قد هرب من العراق واضطربت الأمور، وذلك بسبب قتل الخليفة على ما سنذكره. وبالله المستعان.

وفي هذه السنة ولي الوليد بن يزيد يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ولاية المدينة ومكة والطائف، وأمره أن يقيم إبراهيم ومحمداً ابني هشام بن إسماعيل المخزومي بالمدينة مهاتين لكرهنهما خالي هشام، ثم يبعث بهما إلى يوسف بن عمر نائب العراق فيعتهما إليه. فما زال يعضدهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالاً كثيرة.

وفي هذه السنة ولي يوسف بن محمد يحيى بن سعيد الأنصاري قضاء المدينة.

وفيها بعث الوليد بن يزيد إلى أهل قبرص جيشاً مع أخيه وقال: خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام، ومن شاء أن يتحول إلى الروم، فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام، ومنهم من انتقل إلى بلاد الروم.

قال ابن جرير [رواه: ٢٢٢٧/٧، ٢٢٢٨]: وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولازم بن قريظ وقطيفة بن شبيب مكة فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم فقال: أحر هو أم عبد؟ فقالوا: أما هو فيزعم أنه حر، وأما مولا فيزعم أنه عبد، فأشتروه فاعتقوه، ودفعوا إلى محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألفاً، وقال لهم: لعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا، فإن مت فإن صاحبكم إبراهيم بن محمد - يعني ابنه - فإنه ابني، فأوصيكم به. ومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة في هذه السنة بعد أبيه علي بسبع سنين. وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان.

وحج بالناس فيها يوسف بن محمد الثقفي أمير مكة والمدينة والطائف. وأمير العراق يوسف بن عمر، وأمير خراسان نصر بن سيار، وهو في همة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف فقتل الوليد قبل أن يجمع

الوليد ما كان يتعاطاه من الفواحيش والمنكرات، فتكر له هشام وعزم على خلعهم وتولية ولده مسلمة ولاية العهد، ففر منه الوليد إلى الصحراء، وجعل يتراسلن بأقبح المراسلات، وجعل هشام يتربعه وعبداً شليداً، ويتهدده، ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية، فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد بالخلافة، قلق الوليد تلك الليلة قلقاً شليداً، وقال لبعض أصحابه: ويحك قد أخزني الليلة قلق عظيم فأركب لعلنا تبسط، فساروا ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به، من كبه إليه بالتهديد والوعيد، ثم رآيا من بعد رهجا وأصواتاً وغباراً ثم انكشف ذلك عن برد يقصدونه بالولاية، فقال لصاحبه: ويحك! إن هذه رسل هشام، اللهم أعطنا خيرها، فلما اقترت البرد منه وتبيّنه ترجلوا إلى الأرض وجأوا فسلموا عليه بالخلافة، فبهت وقال: ويحكم أمات هشام؟ قالوا: نعم، قال: فمن بعثكم؟ قالوا: سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل، وأعطوه الكتاب فقرأه ثم سأله عن أحوال الناس وكيف مات عمه هشام، فأخبروه. فكتب من فوره بالاحتياط على أموال هشام وحواصله بالرصافة وقال:

ليت هشاماً عاش حتى يرى بكياله الأوفر قد طبعاً
كلناه بالصاع الذي كآله وما ظلمناه به إصبناً
وما أتيناك عن بعدى أخله الفرقان في أجتناً

وقد كان الزهري يث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستنهضه في ذلك، فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس، ولشلا تنكر قلب الأجناد من أجل ذلك، وكان الوليد يفهم ذلك من الزهري ويغضه ويتربعه ويتهدده، فيقول له الزهري: ما كان الله ليلسلك عليّ ما فاست. ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات، فاحتاط على أموال عمه ثم ركب من فوره من البرية، ثم سار إلى دمشق، واستعمل العمال وجاءته البيعة من الأفاق، وجاءته الوفود، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية وأذربيجان - يبارك له في خلافة الله له على عباده والتسكين في بلاده، ويهت به موت هشام وظفروه به، والتحكم في أمواله وحواصله، ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده، وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك، ولولا خوفه من الثغر لاستتاب عليه وركب بنفسه شوقاً إلى رؤيته، ورغبة في مشافهته، ثم إن الوليد سار في الناس سيرة حسنة يادي الرأي، وأمر بإعطاء الزمنى والمجذومين والعميان لكل إنسان خادماً، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لميالات المسلمين، وزاد في أعطيات الناس، ولاسيما أهل الشام والوفود، وكان كريماً ممدحاً شاعراً عبيداً، لا يسأل شيئاً قط فيقول: لا، ومن شعره قوله بمدح نفسه بالكرم:

ضننت لكم إن لم تمغني عواقب بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معاً وزادة وأعطية سني إليكم تبرج
عزكم ديوانكم وعطاؤكم به تكب الكتاب شهراً وتطبع

وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان، على أن يكونا وليي العهد من بعده، وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر نائب العراق وخراسان، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيار، فخطب بذلك نصر خطبة عظيمة بليغة طويلة، ساقها ابن جرير [رواه: ٢٢١٨/٧] بكاملها. واستوسق للوليد الممالك في المشرق والمغرب، وأخذت البيعة لولديه من

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو عبد الله المدني، وهو أبو السفاح والمنصور، روى عن أبيه وجده وسعيد بن جبير وجماعة، وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليفة، أبو العباس عبد

آل المغيرة اسمه الوليد، فقال: «من هذا يا أم سلمة؟» قالت: هذا الوليد، فقال النبي: «قد اتخذتم الوليد حناناً غيروا اسمه، فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد».

وروى الحافظ ابن عساکر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا محمد بن غالب الأنطاكي، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي داود حدثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي قال: «لا يزال هذا الأمر قائماً بالقسط حتى يئله رجل من بني أمية».

صفة مقتل وزوال دولته

كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش مصرّاً عليها، متهاكاً بحرام الله عز وجل، لا يتحاشى من معصية، وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين، فآله أعلم، لكن الذي يظهر أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي، لا يتحاشاها بها من أحد، ولا يستحي من أحد، قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولي.

وقد روي أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتله، قال: أشهد، بُغداً له، أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد أوداني على نفسي الفاسق.

وحكى المعافي بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفري فأحبها، فبعت يرادها عن نفسها فأبت عليه، فآلح عليها وعشقها فلم تطاوعه، فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم لميد لهم، فذهب الوليد إلى بستان هناك ففكر وأظهر أنه مصاب، فخرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان، فرأينه فأحرقن به، فجعل يكلم سفري بمآزحها وتضاحكه ولا تعرفه، حتى اشفى من النظر إليها، فلما انصرفت قيل لها: ويحك أتدلين من هذا الرجل؟ فقالت: لا! فقيل لها: هو الوليد. فلما تحققت ذلك حنت عليه بعد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها. فقال الوليد في ذلك:

أضحي فؤادك يا وليد عبيداً صَباً قديماً للسان صَبودا
من حب واضحة العوارض طفلاً بَرزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وإميت حتى بصُرتُ بها تقبل عُودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى منكم صلياً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه وأكون في لب الجحيم وقودا

وقال فيها أيضاً لما ظهر أمره وعلم بحاله الناس. وقيل: إن هذا وقع قبل أن يلي الخلافة:

ألا حيناً سَفَرِي وإن قيل إنسي كَلِفتُ نصرانية تشرب الخمر
يهون علينا أن نظل نهازنسا إلى الليل لا أولى نصلي ولا عصرا

قال القاضي أبو الفرج المعافي بن زكريا الجبري المعروف بابن طرار النهرواني ثم البغدادي بعد إيراده هذه الأبيات: للوليد في هذا النحو من الخلافة والجور وسخافة الدين ما يطول ذكره، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره المتضمن ريك ضلاله وكفره.

وروى ابن عساکر بسنده أن الوليد سمع بخمار صلف بالخيرة فقصدته حتى شرب منه ثلاثة أوطال من الخمر، وهو راكب على فرسه، ومعه اثنان من أصحابه، فلما انصرف أمر للخمر بمحسنة دينار.

الله السفاح، وأبو جعفر عبد الله المصور، وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده وكان عنده علم بالأخبار. فيشره بأن الخلافة ستكون في ولده، فدعا إلى نفسه في سنة سبع وثمانين، ولم يزل أمره يتزايد حتى توفي في هذه السنة، وقيل في التي قبلها، وقيل في التي بعدها، عن ثلاث وستين سنة، وكان من أحسن الناس شكلاً، فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم، فما أبرم الأمر إلا لولده السفاح، فاستلب من بني أمية الأمر في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي تفصيل ذلك.

وأما

■ يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه لما قتل أبوه يزيد في سنة إحدى وعشرين ومائة، لم يزل يحيى مخفياً في خراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ، حتى مات هشام بن عبد الملك فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يخبره بأمر يحيى بن يزيد، فكتب نصر بن سيار إلى نائب بلخ مع عقيل بن معقل المعجلي، فأحضر الحريش فعاقبه ستمائة سوط فلم يذل عليه، وجاء ولد الحريش فدلهم عليه فقبض، فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك، فبعث إلى الوليد بن يزيد يخبره بذلك، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وإرساله إليه صحة أصحابه ويجهزهم إليه، فأطلقهم وأطلق لهم وجههم إلى دمشق، فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه غدرًا، فبعث إليه جيشاً عشرة آلاف فكسروهم يحيى بن زيد، وإنما معه سبعون رجلاً، وقتل أميرهم واستلب منهم أموالاً كثيرة، ثم جاءه جيش آخر فقتلوه واحتزوا راسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته:

هو

■ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو العباس الأموي الدمشقي، بويح له بالخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك في السنة الخالية بم عهد من أبيه كما قلنا. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي. وكان مولده سنة تسعين، وقيل: سنة ثنتين وتسعين، وقيل: سبع وثمانين، وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، ووقعت فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، وهو خليفة لنفسه، وقيل وزندقة.

وقد قال الإمام أحمد (١٨/١): حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال: ولد لأخي أم سلمة زوج النبي غلام فسموه الوليد، فقال النبي: «سميتوه بأسماء فراعتمكم، ليكرنن: في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، هو شرُّ على هذه الأمة من فرعون لقومه».

قال الحافظ ابن عساکر: وقد رواه الوليد بن مسلم ومقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن الأوزاعي فلم يذكره عمر في إسناده وأرسلوه، ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب.

ثم ساق طرقه هذه كلها بأسانيدها وألفاظها. وحكى عن البيهقي أنه قال: هو مرسل حسن.

ثم ساق من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن زيب بنت أم سلمة عن أمها قالت: دخل عليّ النبي وعندي غلام من

عمان فحبسه بها، فلم يزل هناك حتى قتل الوليد، وأخذ جارية كانت لآل عمه الوليد بن عبد الملك فكلمه فيها عمر بن الوليد فقال: لا أردعها، فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك. وحبس الأقمم يزيد بن هشام، وباع لولديه الحكم وعثمان، وكانا دون البلوغ، فشق ذلك على الناس أيضاً ونصحوه فلم يتصحب، ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل.

قال المثنائي في روايته: ثقل ذلك على الناس ورماء بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة وغشيان أمهات أولاد أبيه، وباللواط وغيره.

وقالوا: قد اتخذ مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقبله بها، ورموه بالزندقة، وكان أشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان الناس إلى قوله أميل، لأنه أظهر النسك والتواضع، وجعل يقول: ما يسعنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس على الفتك به.

قالوا: وانتدب للقيام عليه جماعة من قضاة اليمانية وخلق من أعيان الأمراء وآل الوليد بن عبد الملك وآل هشام بن عبد الملك، وكان القنائم بأعياء ذلك كله والناهي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وهو من سادات بني أمية، وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع، فبايعه الناس على ذلك، وقد نهاه عن ذلك أخوه العباس بن الوليد فلم يقبل، فقال: والله لولا أنني أخاف عليك الوليد لقيدتك وأرسلتك إليه. واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها، فكان عن خرج الوليد بن يزيد أمير المؤمنين في طائفة من أصحابه نحو المائتين، إلى ناحية مشارف دمشق، فانتظم ليزيد بن الوليد أمره وجعل أخوه العباس ينهاه عن ذلك أشد النهي، فلا يقبل، فقال العباس في ذلك:

إِنِّي أَعِذُّكُمْ بِاللَّهِ مَنْ قَتَلَ يَشْلُ الْجَبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنَفَّعَ
إِنَّ الرِّبَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ فَاسْتَمْسِكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وَارْتَدَّعُوا
لَا تُلْجِسُنَّ ذَنَابَ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الذَّنَابَ إِذَا مَا لَاجَتْ رَتَّعُوا
لَا تَبْقَرُونَ بِأَيْدِيكُمْ بَطُونَكُمْ قَسَمَ لَا خَسْرَةَ تَفْنِي وَلَا جَزْءُ

فلما استوسق ليزيد بن الوليد أمره، وبايعه من بايعه من الناس، قصد دمشق فدخلها في غيبة الوليد فبايعه أكثر أهلها في الليل، وبلغه أن أهل المزة قد بايعوا كبيرهم معاوية بن مصاد فمضى إليه يزيد ماشياً في نفر من أصحابه، فأصابهم في الطريق مطر شديد، فأتوه فطرقوا بابه ليلاً ثم دخلوا فكلمه يزيد في ذلك فبايعه معاوية بن مصاد، ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القناة وهو على حمار أسود، فحلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح، فلبس سلاحاً من تحت ثيابه فدخلها، وكان الوليد قد استتاب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد خرج منها أيضاً من الرءاء فهو مقيم بقطنا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطتها أبو العجاج كثير بن عبد الله السلمي، فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد بين العشائين عند باب القرايس، فلما أذن لعشاء الأخيرة دخلوا المسجد، فلما لم يبق في المسجد غيرهم بعثوا إلى يزيد بن الوليد فجاهم فقصصوا باب المقصورة ففتح لهم خادم، فدخلوا فوجدوا أبا العجاج وهو سكران، فأخوه وأخذوا خزائن بيت المال وتسلموا الخواص، وتقروا بالأسلحة. وأمر يزيد بإغلاق أبواب البلد، وأن لا يفتح إلا لمن يعرف، فلما أصبح الناس قدم أهل الحواضر من كل جانب فدخلوا من سائر أبواب البلد، كل أهل حلة من الباب الذي يليهم، فكثرت الجيوش حول يزيد بن الوليد بن عبد الملك في نصرته، وكلهم قد بايعه بالخلافة. وقد قال بعض الشعراء في ذلك:

وقال القاضي أبو الفرج: أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون بمجموعة ومفردة، وقد جمعت شيئاً من سيره وآثاره، ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسفاهته وحقه وهزله ومجونه وسخافته دينه، وما صرح به من الإلحاد في القرآن العزيز، والكفر بمن أنزله وأنزل عليه، وقد عارضت شعره السخيف بشعر حصيف، وباطله بحق نبيه شريف، وتوحيته رضاء الله عز وجل واستيجاب مغفرته.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا سليمان بن أبي شيخ حدثنا صالح بن سليمان، قال: أراد الوليد بن يزيد الحج وقال: أشرب فوق ظهر الكعبة. فهم قوم أن يفتكوا به إذا خرج، فجاءوا إلى خالد بن عبد الله القسري فسألوه أن يكون معهم فأبى، فقالوا له: فاقم علينا، فقال: أما هذا فتعم، فجاء إلى الوليد فقال له: لا تخرج فإني أخاف عليك، فقال: ومن هؤلاء الذين تخافهم علي؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر، قال: وإن بعثت بي إلى يوسف بن عمر، فبعثه إلى يوسف فعذب حتى قتله. وذكر ابن جرير [رحمته: ٢٣٣٧/٧، ٢٣٤] أنه لما امتنع أن يعلمه بهم سجنه ثم سلمه إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال العراق فقتله، وقد قيل: إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله القسري بمخمسين ألف ألف يخلصها منه، فما زال يعاقبه ويستخلص منه حتى قتله، ففضبت أهل اليمن من قتله، وخرجوا على الوليد.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا مصعب بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس: كان زنديقاً، فقال المهدي: خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زندق.

وقال أحمد بن عمر بن جوصاء الدمشقي: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا حصين بن الوليد عن الأزهر بن الوليد قال: سمعت أم الرداء تقول: إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوماً لم تزل طاعة مستخفاً بها ودم مسفوكاً على وجه الأرض بغير حق.

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري [رحمته: ٢٣١٧/٧].

ذكر قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له

الناقص للوليد بن يزيد وكيف قُتل

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاسته وجماعته وفسقه وما ذكر عن تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته. ولما ولي الخلافة وأفضت إليه لم يزد في الذي كان فيه من اللهو واللذنة والركوب إلى الصيد وشرب المسكر ومتاعمة الفساق، إلا تمادياً وجناً، ففعل ذلك على رعيته وجنده، وكرهوه كراهة شديدة، وكان من أعظم ما جنسى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه، إفساده على نفسه بني عمه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفساده اليمانية، وهي أعظم جند خراسان، وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسري وسلمه إلى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك، فلم يزل يعاقبه حتى هلك، انقلبوا عليه وتكروا له وساءم قتله كما سنذكره في ترجمته.

ثم روى ابن جرير [رحمته: ٢٣١٧/٧، ٢٣٢] بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا سكّابكها أهل البيوت الصناديد وكلب فجاءوهم بخيل وعُشّة من البيض والأبدان ثم السرايع فأكرم بها أحياء أنصار سنة هم منسوا حرمتها كل جاجو وجاءتهم شعبان والأزّة شرعاً وعبس ولخمس بين حام وفابو وغسان والحيان قيس وتغلب واحجم عنها كل وإن وزاهبو فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها قد استوتقوا من كل عات ومبارد

وبعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس إلى قطنا ليأتوه بعبد الملك بن محمد بن الحجاج نائب دمشق وله الأمان، وكان قد تحصن في قصر هناك فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار، فلما مروا بالزّة قال أصحاب ابن مصاد: خذ هذا المال فهو خير لك من يزيد بن الوليد، فقال: لا والله لا تحدث العرب أبي أول من خان، ثم أتوا به يزيد بن الوليد فاستخدم من ذلك المال جنداً للقتال قريباً من ألفي فارس، وبعث بهم مع أخيه عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك خلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ليأتوا به، وركب بعض موالي الوليد فرساً سابقاً به حتى انتهى إلى مولاة من الليل، وقد نفق الفرس، فأخبره الخبر فلم يصدقه وأمر بضربه، ثم تواترت عليه الأخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول من منزله ذلك إلى حصص فإنها حصينة. وقال الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي: اتزل على قومي بتدملر، فأبى أن يقبل شيئاً من ذلك، بل ركب بمن معه، وهو في مائتي فارس، وقصده أصحاب يزيد فالتقوا بقله في أثناء الطريق فأخذوه، وجاء الوليد فنزل حصن البحراء الذي كان للنعمان بن بشير، وجاءه رسول العباس بن الوليد إني أتيت - وكان من أنصاره - فأمر الوليد بإبراز سريره فجلس عليه وقال: أعلي يتوب الرجال وأنا أتب على الأسد وأتقصّر الأفاعي؟ وقدم عبد العزيز بن الوليد بمن معه، وإنما كان قد خلص معه من الألفي فارس ثمانمائة فارس، فتصافوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من أصحاب العباس جماعة حملت رؤوسهم إلى الوليد، وقد كان جاء العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد، فبعث إليه أخوه عبد العزيز فجاء به قهراً حتى بايع لأخيه يزيد بن الوليد، واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد، فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم، وبقي الوليد في ذلك وقتل من الناس، فلجأ إلى الحصن فجاءوا إليه وأحاطوا به من كل جانب يحاصرونه، فدنا الوليد من باب الحصن فنادى: ليكمني رجل شريف، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي، فقال الوليد: ألم أرفع المؤمن عنكم؟ ألم أعط قراءكم؟ ألم أخدم زمانكم؟ فقال له يزيد: إنما ننم عليك انتهاك الحرام وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أباك، واستخفافك بأمر الله عز وجل، فقال: حسبك يا أبا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأفرقت، وإن فيما أحل الله لي لسعة عما ذكرت. ثم قال: أما والله لئن قتلتموني لا يُرثن فتككم ولا يلم شعنكم ولا تجتمع كلمتكم، ورجع إلى الدار فجلس ووضع بين يديه مصحفاً فشره، وأقبل يقرأ فيه وقال: يوم كيوم عثمان، واستسلم، وتسور عليه أولئك الحافظ، فكان أول من نزل إليه يزيد بن عنبسة، فتقدم إليه وإلى جانبه سيفه فقال: تحه عنك، فقال الوليد: لو أردت القتال به لكان غير هذا، فأخذ بيده وهو يريد أن يجسه حتى يبعث به إلى يزيد بن الوليد، فبادره عليه عشرة من الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيف حتى قتلوه، ثم جروه برجله ليخرجوه، فصاحت النسوة فزكوه، واحتز أبو علاقة القضاعي رأسه، وبعثوا به إلى يزيد مع عشرة نفر،

منهم منصور بن جمهور وروح بن مقبل ويشر مولى كنانة من بني كلب، وعبد الرحمن الملقب بوجه الفلّس، فلما انتهوا إليه يشروه بقتل الوليد وسلموا عليه بالخلافة، فاطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف، فقال له روح بن بشر بن مقبل: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق، فسجد شكراً لله عز وجل ورجعت الجيوش إلى يزيد، فكان أول من أخذ يده للمباينة يزيد بن عنبسة السكسكي فانتزع يده من يده وقال: اللهم إن كان هذا رضى لك فاعني عليه، وكان قد جعل لمن جاءه برأس الوليد مائة ألف درهم، فلما جيء به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - لليتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة. فأمر يزيد بنصب رأسه على رمح وأن يطاف به في البلد، فقيل له: إنما ينصب رأس الخارج، فقال: والله لأنصبه، فشهره في البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهره ثم بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد، فقال أخوه بعداً له: أشهد أنك كنت شروباً للخمر مجانباً فاسقاً ولقد أراذني على نفسي الفاسق وأنا أخوه، لم يأتني من ذلك. وقد قيل: إن رأسه لم يزل معلقاً بمحاط جوامع دمشق الشرقي مما يلي الصحن حتى انتقضت دولة بني أمية، وقيل: إنما كان ذلك أثر دمه، وكان عمره يوم قتل ستاً وثلاثين سنة، وقيل ثمانياً وثلاثين، وقيل إحدى وثلاثين، وقيل ثمانين، وقيل خمس، وقيل ست وأربعون سنة، ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر، وقيل ثلاثة أشهر.

قال ابن جرير [الرحمة: ٢٥٢/٧]: كان شديد البطش طويل أصابع الرجلين، كانت تضرب له سكة الخلد في الأرض ويربط فيها خيط إلى رجله ثم يثب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس، فتنتقلع تلك السكة من الأرض مع وثبه.

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وهو الملقب بالناقص لنقصه الناس من أعطياتهم ما كان زادهم الوليد بن يزيد في أعطياتهم، وهي عشرة عشرة، ورده إليهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام.

ويقال: إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد.

بوع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد، وذلك ليلة الجمعة لليتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة - أعني سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم، وذلك في كل سنة عشرة عشرة، فسعى الناقص لذلك، ويقال في المثل: الأشج والناقص أعدلا بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز وهذا - ولكن لم تطل أيامه، فإنه توفي من آخر هذه السنة، واضطربت عليه الأمور، وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام، وكان معتقلاً في سجن الوليد بعمان فاستحوذ على أموالها وحواصلها، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعن الوليد ويمينه ويرميه بالكفر، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها منه الوليد، وتزوج يزيد أخت سليمان، وهي أم هشام بنت هشام، ونهض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها، وحبسوا أهله وبنيه، وهرب هو من حمص فلقن يزيد بن الوليد إلى دمشق، وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد، وأغلقت أبواب البلد، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد، وكتبوا الأجناد في طلب ثار الوليد، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم، على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة،

في النسب، وكُنْتُ في الحسب، فلما رايت ذلك استخرت الله في أمره، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد، بحول الله وقوته لا يحول ولا يقوتي.

أيها الناس! إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة، ولا أكرى نهراً ولا أكثر مالا ولا أعطي زوجة، ولا ولداً. ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثغر ذلك البلد، وخاصة أهله بما يُعنيهم، فإن فضل فضل قلته إلى البلد الذي يليه عن هو أسوح إليهم، ولا أجركم في ثغوركم فافتنكم وافتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فبأكل فويكم ضعيفكم، ولا أهل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم وينقطع نسلهم، وإن لكم عندي أعطيكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستل المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كادناهم، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المأزرة، وإن أنا لم أف لكم فلكم أن تخلعوني وإلا أن تستبينوني، فإن تبث قبلتم مني، وإن علمتم أحداً من أهل الصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته.

أيها الناس! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله تامل فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع الله، فإذا عصى فدعا إلى معصيته فهو أهل أن يعصى ويقتل ويهان، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الحق على اليمانية، وهم قوم خالدين بن عبد الله القسري، حتى قتل الوليد بن يزيد، وكان قد سجن غالب من بيلاده منهم، وجعل الأرصاء على الثغور خوفاً من جند الخليفة، وولى عليها منصور بن جمهور أعرابياً جلفاً، وكان يُزَنُّ بمذهب الفيلانية القدرية، ولكن كانت له أثار حسنة، وعنه كثير في مقتل الوليد بن يزيد، فحظي بذلك عند يزيد بن الوليد، ويقال إنه لما فرغ الناس من مقتل الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها ليزيد، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً في أواخر رمضان، فلذلك ولاه الخليفة ما ولاه والله أعلم.

وأما يوسف بن عمر فإنه فر من العراق فلقح ببلاد البلقاء، فبعث إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره وإليه، فلما وقف بين يديه أخذ بلحيته - وكان كبير اللحية جداً، ربما كانت تجاوز سرتة وكان قصير القامة - فوجّهه وأنبه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه. ولما انتهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد، وأن الله أخذ عزيز مقتدر، وأنه قد ولى عليهم منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب، فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد، وكذلك أهل السند وسجستان.

وأما نصر بن سيار نائب خراسان فإنه امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور، وأبى أن يتقاد لأوامره، وقد كان جهز هدياً كبيرة للوليد بن يزيد فاستمرت له.

وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد الملقب بالحمار كتاباً إلى الغمر بن يزيد أخيه الوليد بن يزيد، يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد بن يزيد، وكان مروان يومئذ أميراً على أذربيجان وأرمينية.

ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق، وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقال له: إن أهل العراق يجرون أباك

وخلعوا نائبهم، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ثم قتلوه وقتلوا ابنه وأمرؤا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتاباً مع يعقوب بن هاني، ومضمون الكتاب أنه يدعوا إلى أن يكون الأمر شورى، فقال عمرو بن قيس: فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد، فأخذ يعقوب بلحيته وقال: ويحك! لو كان هذا الذي تدعوا إليه يبيماً تحت حجرك لم يجل لك أن تدفع إليه ماله، فكيف أمر الأمة، فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم. وقال لهم أبو محمد السيفاني: لو قمت دمشق لم يختلف علي منهم اثنان، فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد أمروا عليهم السيفاني، فلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم يزيد بن الوليد، وجهز أيضاً عبد العزيز بن الحجاج في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب، وجهز هشام بن مصاد الزبي في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبه السلية، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان بن هشام ذات اليسار وعَلَّوه، فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السليمانية فجعلوا الزيتون عن أيامهم والجبل عن شمائلهم والجباب من خلفهم، ولم يبق مخلص إليهم إلا من جهة واحدة، فاقتلوا هنالك في قباله الحر قتالا شديداً، فقتل طائفة كثيرة من الفريقين، فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الحجاج بمن معه فحمل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي في وسطهم، وكانت المزيمة، فظفروا واتبعهم الناس، ثم تبادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا ليزيد بن الوليد، وأسروا منهم جماعة، منهم أبو محمد السيفاني ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية، ثم أرحل سليمان وعبد العزيز فترلا عندها ومعهم الجيوش وأشرف الناس، وأشرف أهل حمص من الأسارى ومن استجاب من غير أسر، بعدما قتل منهم ثلاثمائة نفس، فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد، فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصنع عنهم، وأطلق الأعطيات لهم، لا سيما لأشرافهم، وولى عليهم الذي اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين، وطابت عليه أنفسهم، وأقاموا عنده بدمشق سامعين مطيعين له.

وفي هذه السنة بايع أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك، وذلك أن بني سليمان كانت لهم أملاك هناك، وكانوا يتزلونها، وكان أهل فلسطين يجرون مجاورتهم، فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زنباع - وكان رئيس تلك الناحية - إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوه إلى المبايعه له، فأجابه إلى ذلك. فلما بلغ أهل الأردن خبرهم بايعوا أيضاً محمد بن عبد الملك بن مروان، وأمرؤا عليهم، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمير المؤمنين بعث إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدمشقية وأهل حمص الذين كانوا مع السيفاني، فصالحهم أهل الأردن أولاً ورجعوا إلى الطاعة، وكذلك أهل فلسطين. وكتب يزيد بن الوليد ولاية الإمرة بالرملة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد، واستقرت الممالك هنالك، وقد خطب أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد أيها الناس، أنا والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطراره نفسي إني لظلوم لنفسي، إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ولرسوله ولدينه، وداعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد ، لا هدمت معالم الدين، وأطفئ نور أهل التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة، والراكب كل بدعة، مع أنه والله ما كان يصلق بالكتاب، ولا يؤمن بيوم الحساب، وإنه لابن عمي

فقد وليتكها، وذلك في شوال منها، وكتب له إلى أمراء الشام الذين بالعراق يوصيهم به خشية أن يتبع منصور بن جهمور من تسليم البلاد إليه فسلم إليه وسمع وأطاع.

وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار بولاية خراسان مستقلاً بها، فخرج عليه رجل يقال له الكرمانى، لأنه ولد بكرمان، وهو أبو علي جذيع بن علي بن شبيب المعنى، واتبعه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من ألف وخمسمائة، وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده، فتجبر نصر بن سيار وأمراؤه فيما يصنع به، فاتفق رأيهم بعد جهد على سجنه، فسجن قريباً من شهر، ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير، وجسم غفير، وركبوا معه، فبعث إليهم نصر بن سيار من قاتلهم وقهرهم وكسرهم.

واستخف جماعات من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمت، والحوا عليه في أعطياتهم وأسمعهو غليظ ما يكره وهو على المنبر، بسفارة سلم بن أحوز أدى إليه ذلك، وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو يضطرب، وانفض كثير من الناس عنه، فقال لهم نصر فيما قال: والله لقد نشرتكم وطريقتكم وطريقتكم ونشرتكم فما عندي منكم عشرة على دين، فاتفقوا بالله لئن اختلف فيكم سيفان ليمتحن الرجل منكم أن يتخلع من أهله وماله وولده، ولم يكن رأها، ثم تمثل بقول النابتة:

فإن يغلب شقاؤكم عليكم فلاني في صلاحكم سميت
وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد الجمعي:

أبيت أرمي النجوم مرتقباً إذا استقلت نحوي أو أبايتها
من فتنة أصبحت مجلبة قد عم أهل الصلاة شاملها

من بخراسان والعراق ومن بالشام كل شجاء شاغلها
يمشي السفيه الذي يعنف بالجهل سواء فيها وعاقلها

فالناس منها في لون مظلمة نهماء ملتبجة غياطلها
والناس في كربة يكاد لها تبتذ أولادها حواملها

يفسدون منها في ظل بيممة عباء تتنالم غوائلها
لا ينظر الناس من عواقبها إلا التي لا عين قائلها

كزفة البكر أو كصبة حب لى طرقت حولها قوابلها
فجاء فينا يزري بوجهته فيها خطوب جثم زلازلها

وفي هذه السنة أخذ الخليفة البيعة من الأمراء وغيرهم بولاية العهد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ثم من بعده إبراهيم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان، وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه. وكان ذلك في شهر الحجة منها، وقد حرصه على ذلك جماعة من الأمراء والأكابر والوزراء.

وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فقدمها في أواخر ذي القعدة منها.

وفيها أظهر مروان الحمار الخلاف ليزيد بن الوليد، وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه طالب بدم الوليد بن يزيد، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبيع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد.

وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكير بن ماهان إلى أرض خراسان، فاجتمع بجماعة من أهل خراسان بمرو،

وقد رأوا عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه، ووصيته، فتلقوا ذلك بالقول، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات.

وفي سلخ ذي القعدة، وقيل في سلخ ذي الحجة، وقيل لعشر مضين منه، وقيل بعد الأضحي منها كانت وفاة أمير المؤمنين يزيد بن الوليد، رحمه الله، وهذه ترجمته:

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أبو خالد الأموي، أمير المؤمنين، يبيع له بالخلافة أول ما يبيع بها في قرية المزة، من قرى دمشق، ثم دخل دمشق فقلب عليها، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة، وكان يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد، وقيل إنما سماه بذلك مروان بن محمد الملقب بالحمار، وكان يقول: الناقص ابن الوليد، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن كسرى، كسروية.

وقال ابن جرير (الربيع الطبري): ٢٩٨٧/ وأمه شاه أفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهریار بن كسرى، وهو القاتل.

أما ابن كسرى وأبى مروان وقيصير جدي وجد خاقان وإنما قال ذلك لأن جده فيروز، وأم أم بنت قيصر، وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك، وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم، هي وأخت لها فبعتهما إلى الحجاج، فأرسل بهن إلى الوليد واستبقى عنده الأخرى، فولدت هذه للوليد يزيد الناقص، وكان مولده في سنة تسعين، وقيل في سنة ست وتسعين.

وقد روى عنه الأوزاعي مسألة في السلم.

وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة، وأنه كان عادلاً ديناً محباً للخير مبغضاً للشر، قاصداً للحق.

وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفين من الخيالة والسيوف مسلّة عن يمينه وشماله، ورجع من المصلّى إلى الخضراء كذلك، وكان رجلاً صالحاً، يقال في المثل الأشج والناقص أصدلاً بني مروان، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا.

وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد الناقص: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فإنه داعية الزنى.

وقال ابن عبد الحكيم عن الشافعي: لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان.

قال ابن عسكراً: ولعله قرب أصحاب غيلان، لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك.

وقال محمد بن المبارك: آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص: واحسرتاه، وألسفاه. وكان نقش خاتمه العظيمة لله.

وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذي الحجة، وقيل مستهله، وقيل يوم الأضحي منه، وقيل بعده بأيام، وقيل لعشر بقين منه، وقيل في سلخه، وقيل في سلخ ذي القعدة من

هذه السنة. وأكثر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة، وقيل ثلاثون سنة، وقيل غير ذلك فאלله أعلم.

وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر، وقيل خمسة أشهر وأيام. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد، وهو ولي العهد من بعده رحمه الله. وذكر سعيد بن كثير بن عفير أنه دفن بين باب الجابية وباب الصغير، وقيل: إنه دفن بباب الفرائيس، وكان أسمر نحيفاً حسن الجسم حسن الوجه. وقال علي بن محمد المديني: كان يزيد أسمر طويلاً صغير الرأس بوجهه خال، وكان جميلاً، في فمه بعض السعة وليس بالفرط.

وحج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز، وأخوه عبد الله نائب العراق، ونصر بن سيار على نياحة خراسان، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان:

■ خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبقري، أبو المهيم الجعفي القسري الدمشقي، أمير مكة والحجاز للوليد بن عبد الملك ثم لأخيه سليمان، وأمير العراقيين لأخيهما هشام خمس عشرة سنة قال ابن عساکر: كانت داره بدمشق في مربعة القز وتعرف اليوم بدار الشريف الزندي، وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما. روى عن أبيه عن جده أن رسول الله قال له: «يا أسد أحب الجنة؟ قال: نعم! قال: فأحب للمسلمين ما أحب لنفسك». رواه أبو يعلى [مسند: ٩١١] عن عثمان بن أبي شيبة عن هشام عن سيار أبي الحكم أنه سمعه على المنبر يقول ذلك.

ومن روى عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد، وحبيب بن أبي حبيب، وحيد الطويل.

وروي أنه روى عن جده عن النبي في تكفير المرض الذنوب: وكانت أمه نصرانية، وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف، ممن أمه نصرانية.

وقال المذائي: أول ما عرف من رياسته أنه أوطلاً صيباً بدمشق بفرسه فحمله فأشده. فأنقذه من الناس أنه هو صاحبه، فإن مات فعليه دينه، وقد استأبته الوليد على الحجاز سنة تسع وثمانين إلى أن توفي الوليد ثم استأبته سليمان، وفي سنة ست ومائة استأبته هشام على العراق إلى سنة عشرين ومائة، ثم سلمه إلى يوسف بن عمر الذي ولاه مكانه فعاقبه وأخذ منه أموالاً جزية ثم أطلقه، فأقام بدمشق إلى الحرم من هذه السنة فسلمه الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر ليستخلص منه خمسين ألف ألف. فمات تحت العقوبة البليغة، كسر قلعيه ثم ساقه ثم فخلنيه، ثم صدره، فمات ولا يتكلم كلمة واحدة، ولا تراه حتى خرجت روحه رحمه الله.

قال العتي عن أبيه: خطب خالد القسري يوماً فارتج عليه فقال: أيها الناس! إن هذا الكلام يمي أحياناً ويعزب أحياناً، فيسب عند مجيئه سببه ويتعنو عنه عزوه مطلبه، وقد يرد إلى السليط بيانه ويثيب إلى الحصر كلامه، وسيعود إلينا ما نحبون، ونعود لكم كما تريدون.

وقال الأصمعي وغيره: خطب خالد القسري يوماً بواسط فقال:

«يا أيها الناس تنافسوا في الكرام وسارعوا إلى المفاتيح واشتروا الحمد بالجوهر، ولا تكسروا بالطلل فماً، ولا تعجلوا بمعروف لم تعجلوه، ومهما تكن لأحد منكم نعمة عند أحد لم يبلغ شكرها فאלله أحسن له جزاء، وأجزل عطاء، واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم فلا تملوها فتحول نعمة، فإن أفضل المال ما كسب أجراً وأورث ذكراً، ولو رأيتم المعروف

لرايتموه رجلاً حسناً جميلاً يسر الناس إذا نظروا إليه، وفوق العالمين. ولو رأيتم البخل لرايتموه رجلاً مشوهاً قبيحاً تنفر منه القلوب وتغضن دونه الأبصار. إنه من جاد ساد ومن بخل ذل، وأكرم الناس من أعطى من لا يرجوه، ومن عفا عن قنطرة، وأوصل الناس من وصل من قطعته، ومن لم يطب حرثه لم يرك نبتة، والفروع عند مفارستها تنمو، ويأصولها تسمو.

وروى الأصمعي عن عمر بن المهيم أن أعرابياً قدم على خالد فأنشده قصيدة امتدحه بها يقول فيها:

إليك ابن كرز الخير أقبلت رغبياً لتجبر مني ما وقى وتبذلنا
إلى الماجد البهلول ذي الحليم والندى وأكرم خلق الله فرعاً ومعدنا
إذا ما أناس قصروا بفعلهم نهضت فلم تلقى هنالك مفعنا
فيا لك بجرأ يفمر الناس موجه إذا يسأل المصروف جاش وأزبدنا
بلوت ابن عبد الله في كل موطن فالتفت خير الناس نفساً وأجدنا
فلو كان في الدنيا من الناس خالد لجود بمعروف لكنك خللنا
فلا تحرمني منك ما قد رجوت فبصبح وجهي كالحلزون أربدا

قال: فحفظها خالد، فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشد فابتدره إليها خالد فأنشده قبله وقال: أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقناك إليه. فنهض الشيخ فولى ذاهباً فأتبعه خالد من يسمع ما يقول فإذا هو ينشد هذه الأبيات:

ألا في سبيل الله ما كنت أرجمي لديه وما لاقيت من نكد الجهد
دخلت على بحر يهود بالمو ويعطي كثير المال في طلب الحمد
فحالني الجد المشوم لشقوتي وقاربني محسبي وفارقتي سمعدي
فلو كان لي رزق لديه لنتسه ولكنه أمر من الواحد الفرد

فرده إلى خالد وأعلمه بما كان يقول فأمر له بعشرة آلاف درهم. وقال الأصمعي: سأل أعرابي خالد القسري أن يملا له جرابه دقيقاً فأمر بمائة درهم، فقيل للأعرابي حين خرج من عنده: ما فعل معك؟ فقال: سألت بما اشتهي فأمر لي بما يشتهي هو.

وقال بعضهم: بينما خالد يسير في موكبه إذ تلقاه أعرابي فسأله أن يضرب عنقه، فقال: ويحك ولم أقطعت السبيل؟ فأخرجت يدا من طاعة؟ فكل ذلك يقول: لا قال: فلم؟ قال: من الفقر والحاجة. فقال: سل حاجتك، فقال: ثلاثين ألفاً. فقال خالد: ما ربح أحد مثل ما ربح اليوم، إني وضعت في نفسي أن يسألني مائة ألف فسأل ثلاثين فرجحت سبعين ألفاً. أرجعوا بنا اليوم، وأمر له بثلاثين ألفاً.

وكان إذا جلس توضع الأموال بين يديه ويقول: إن هذه الأموال ودائع لأبد من تفرقتها.

وسقط خاتم لجارته راقعة يساوي ثلاثين ألفاً، في بالوعة الدار، فسأله أن يؤتي بمن يستخرجه، فقال: إن بك أكرم علي من أن تلبسه بعد ما صار إلى هذا الموضع القذر، وأمر لها بمائة ألف دينار بدلته. وقد كان لراقعة هذه من الحلي شيء عظيم، من جملة ذلك ياقوتة وجوهرة، كل واحدة بثلاثة وسبعين ألف دينار.

وقد روى البخاري في كتاب أفعال العباد، وابن أبي حاتم في كتاب السنة، وغير واحد عن صف في كتب السنة أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله

ضحاياكم، فإني مضج بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.

قال غير واحد من الأئمة: كان الجعد بن درهم من أهل الشام، وهو مؤيد مروان الحمار، ولهذا يقال له مروان الجعدي، فنسب إليه، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المنهج الخبيث عن رجل يقال له بيان بن سمعان، وأخذنه بيان عن طالوت ابن أخت ليبيد بن أعصم، عن خاله ليبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي في منط ومشاة وجف طلعة ذكر تركه تحت راعوفة بيتر ذى أروان الذي كان ملاها نقاعة الحناء. وقد ثبت الحديث بذلك في الصحيحين [ج: (٣١٧هـ)، (٢١٨٩هـ)] وغيرهما. وجاء في بعض الأحاديث أن الله أنزل بسبب ذلك سورتي الموعظتين [الذليل للهقي ٩٢٧-٩٤].

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي سمعت أبا بكر بن عياش قال: رأيت خالداً القسري حين أتى بالمغيرة وأصحابه، وقد وضع له سرير في المسجد، فجلس عليه ثم أمر برجل من أصحابه فضربت عنقه ثم قال للمغيرة بن سعيد: أحيه - وكان المغيرة يزعم أنه يحيي الموتى - فقال: والله أصلحك الله ما أحيي الموتى. قال: لتحييه أولاً أو لأضربن عنقك. قال: والله ما أقدر على ذلك. ثم أمر بطن قصب فأضرموا فيه ناراً ثم قال للمغيرة: اعتقه، فأبى، فعدا رجل من أصحابه فاعتقه، قال أبو بكر: فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة. قال خالد: هذا والله أحق بالرياسة منك. ثم قتله وقتل أصحابه.

وقال المدائني: أتى خالد بن عبد الله رجلاً تبنياً بالكوفة فقيل له: ما علامة نبوتك؟ قال: قد أنزل علي قرآن قيل: ما هو؟ قال: إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك ولا تمجهر، ولا تطع كل كافر وفاجر. فأمر به فصلب فقال وهو يصلب: إنا أعطيناك العمود، فصل لربك على عود، فأتا ضامن لك ألا تعود.

وقال المبرد: أتى خالد بشاب قد دخل في دار قوم وادعى عليه السراق، فسأله فاعترف فأمر بقطع يده فقدمت فتاة حسناء فقالت: أخال قد أوطأت والله عُسرة وما العاشقُ المسكين فينا بسارقٍ أقرب مما لم يجز غير أنه رأى القطع أولى من فضيحة عاشقٍ فأمر خالد بإحضار أبيها فزوجها من ذلك الفتى وأمرها عنه عشرة آلاف درهم.

وقال الأصمعي: دخل أعرابي على خالد فقال: إني قد امتدحتك بيتين ولست أتشدهما إلا بعشرة آلاف وخادم، فقال: نعم! فأنشأ يقول: لزمت نَمَمَ حتى كُناك لم تكن سمعت من الأشياء شيئاً سوى نَمَمٍ وانكسرت لا حتى كُناك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والأسم

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم وخادم يحملها.

قال: ودخل عليه أعرابي فقال له: سل حاجتك فقال له: مائة ألف. فقال: أكثر حظ منها. قال: أضع منها تسعين ألفاً، قال: فتعجب منه خالد فقال: أيها الأمير سألتك على قنورك ووضعت على قلدي، فقال له: لن تغلبي، وأمر له بمائة ألف.

قال: ودخل عليه أعرابي، فقال: إني قد قلت فيك شعراً وأنا استصغره فيك، فقال: قل فأنشأ يقول:

تَرْضَتْ لي بالجود حتى نمشيتي وأعطيتني حتى ظننتك تلعبُ
فأتت اللئى وابن اللئى وأخو اللئى حليف اللئى ما للئى عنك منعبُ
فقال: سل حاجتك. قال: على خمسون ألف دينار، فقال: قد أمرت لك بها وشفتها لك، فأعطاه مائة ألف. قال أبو الطيب عماد بن إسحاق بن يحيى ابن الوشاء: دخل أعرابي على خالد القسري فأنشده:

كَبَيْت نَمَمَ بيباك فهي تدعو إليك الناسُ مُسْفَرَةً النصارى
وقلت لـلا عليك بيباب غيري فلو لـس نَسَرى أبداً بيباي
قال: فأعطاه على كل بيت خمسين ألفاً. وقد قال فيه ابن معين: كان رجل سوء يقع في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وذكر الأصمعي عن أبيه: أن خالداً حفر بئراً بمكة ادعى فضلها على زمزم.

وله في رواية عنه تفضيل الخليفة على الرسول، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم.
ولعل هذا لا يصح عنه، وقد رأيت صاحب «العقد» [٤٢٨/٤-٤٣٠] سبَّ به ويقرُّه عنه؛ لأن صاحب العقد كان فيه تشييع شنيع، وربما لا يفهم كل أحد، وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره ولم يفهم تشييعه، والله أعلم.

وقد ذكر ابن جرير [٢٣٣/٧] وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته ومن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة، فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية غيره من الجماعة، فحضر خالد أمير المؤمنين منهم، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عقاباً شديداً، ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شر قتلة وأسوأها، وذلك في محرم من هذه السنة - أعني سنة ست وعشرين ومائة.

وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وقال: كان يُتهم في دينه، وقد بنى لأمه كنيسة في داره، فنال منه بعض الشعراء.
وقال صاحب الأعيان [٢٣٠/٢، ٢٣١] كان في نسبه يهود فانتصروا إلى العرب، وكان يقرب من شق وسطيح.

قال القاضي ابن خلكان: وقد كانا ابني خالة، وعاش كل منهما ستمائة سنة، وولنا في يوم واحد، وذلك يوم ماتت طريفة بنت الحر بعد ما تفلت في فم كل منهما وقالت: إنه سيقوم مقامي في الكهانة، ثم ماتت من يومها.

ومن توفي في هذه السنة

جيلة بن محجم ودراج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول، وسليمان بن حبيب الحاربي، قاضي دمشق، وعبد الرحمن بن القاسم شيخ مالك وعبيد الله ابن أبي يزيد وعمرو بن دينار. وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

استهلّت هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية

مروان بن محمد دمشق فنتزل في أعاليها وأتى بالغلامين الحكم وعثمان مقتولين وكذلك يوسف بن عمر فأمر بهم فدفنوا. وأتى بلأبي محمد السفياي وهو في كبله قسطنطين على مروان بالخلافة فقال مروان: مه، فقال: إن هذين الغلامين جعلاهما لك من بعدكما ثم أشد قصيدة قالها الحكم في السجن وهي طويلة، فمناها قوله:

ألا تَسْـمُئْ مُبْلِغُ مَرْوَانَ عَسِي وَعَمِي الْغَمْرُ طَال بِهِ خَيْبَا
بِأَنِّي قَدْ ظَلِمْتُ وَصَارَ قَوْمِي عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مُشَايِبَا
فَإِنِ أَهْلِكَ أَتَا وَدَلِي عَهْدِي فَمَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ثم قال أبو محمد السفياي لمروان: أبسط يدك، فكان أول من بايعه بالخلافة، معاوية بن يزيد بن حصين بن غير ثم بايعه رؤوس أهل الشام من أهل دمشق وحمص وغيرهم، ثم قال لهم مروان: اختاروا أمراء نوليهم عليكم، فاختار أهل كل بلد أميراً فوالاه عليهم، فعلى دمشق زامل بن عمرو الجبرائي، وعلى أهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي، وعلى أهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان، وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجفامي. ولما استترسق الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فآمنهما، وقدم عليه سليمان بن هشام في أهل تدمر فبايعوه.

ثم لما استقر مروان بجران أقام فيها ثلاثة أشهر فنقض أهل حمص وغيرهم، فأرسل إلى حمص جيشاً فوافروهم ليلة عيد الفطر من هذه السنة، وقدم مروان إليها بعد الفطر بيومين، فنازها مروان في جنود كثيرة، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع، وسليمان بن هشام، وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا بهما وقت الغداء والعشاء، فلما حاصر حمص نادوه: إنا على طاعتك، فقال: افتحوا باب البلد ففتحوه، ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم نحو الخمسمائة أو الستمائة فأمر بهم فصلبوا حول البلد، وأمر بهدم بعض سورها.

وأما أهل دمشق فإن أهل الغوطة حاصروا أميرهم زامل بن عمرو وأمروا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت في المدينة نائبها، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكرياً نحواً من عشرة آلاف، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب فيمن معه والتقا هم والعسكر بأهل الغوطة فهزمهم وحرقوا المزة وقرى أخرى معها، واستجار يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة الكلبي برجل من أهل المزة من لحم، فذل عليهم زامل بن عمرو فأتي بهما فقتلها وبعث برأسيهما إلى أمير المؤمنين مروان وهو بمحصر.

وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين على الخليفة وأتوا طبرية فحاصروها، فبعث الخليفة إليهم جيشاً فاجلروهم عنها واستباحوا عسكرهم، وفر ثابت بن نعيم هارباً إلى فلسطين فأتبعه الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق عنه أصحابه، وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى الخليفة وهم جرحى فأمر بمداواتهم، ثم كتب أمير المؤمنين إلى نائب فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكنائي يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان، فما زال يطلب به حتى أخذه أسيراً، وذلك بعد شهرين، فبعثه إلى الخليفة وأمر بقطع يديه ورجليه، وكذلك جماعة كانوا معه، وبعث بهم إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدها، لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب إلى مصر فتغلب عليها وقتل نائب مروان فيها، فأرسل به إليهم مقطوع اليدين والرجلين ليصرفوا بطلان ما كانوا به أرجفوا. وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنيه عيسى

أخيه يزيد الناقص إليه، وبايعه الأمراء له بذلك، وجميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب بالحمار كان نائباً بأفريقيان وأرمينية، وتلك كانت لأبيه من قبله، وقد كان نعم على يزيد بن الوليد في قتله الوليد بن يزيد، وأقبل في طلب دم الوليد، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد، فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فنتزلوا على طاعته، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد يحاصروهم حتى يبايعوا إبراهيم بن الوليد، وقد أصروا على عدم مبايعته، فلما بلغ عبد العزيز قرب مروان بن محمد ترحل عنها، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق، ومعهم جند الجزيرة وجند قنسرين، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفاً، وقد بعث إبراهيم بن الوليد سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفاً، فالتقى الجيشان عند عين الجمر من البقاع، فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق، فأبوا عليه ذلك، فآقتلوا قتالاً شديداً من حين ارتفاع النهار إلى العصر، وبعث مروان سرية تأتي جيش سليمان بن هشام من وراءهم، فتم لهم ما أرادوه، وأقبلوا من وراءهم يكبرون، وحمل الآخرون من تلقائهم عليهم، فكانت الهزيمة من أصحاب سليمان، فقتل منهم أهل حمص خلقاً كثيراً، واستبيح عسكرهم، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريباً من سبعة عشر ألفاً أو ثمانية عشر ألفاً وأسر منهم مثلهم، فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد، الحكم وعثمان، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن العطار والوليد بن مصاد الكلبيان، فضرهما بين يديه بالسياط وحبسهما فماتا في السجن، لأنهما كانا عن باشر قتل الوليد بن يزيد حتى قتل. وأما سليمان بن هشام وبقية أصحابه فإنهم استمروا منهزمين، فما أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأتبعوا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع، فاجتمع معهم رؤوس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وأبو علاقة السكسكي، والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظرائهم، على أن يعمدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان، خشية أن يلبا الخلافة فيهلكا من عداهما وقتل أباهما، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا، ويقال: وولد لأحدهما ولد فشدتهما بالعمد، وقتل يوسف بن عمر - وكان مسجوناً معهم - وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفياي فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب دماً، فحاصروه فامتنع، فأتوا بنار ليحرقوا الباب. ثم اشتغلوا عن ذلك بقدوم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين.

دخول مروان الحمار دمشق فيها وولايته الخلافة، وعزله

إبراهيم بن الوليد عنها

لما أقبل مروان بن معاوية من الجند من عين الجمر واقترب من دمشق وقد انهزم أهلها بين يديه بالأمر، هرب إبراهيم بن الوليد وعبد سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحوه وأتفقوا فيه على أصحابه ومن اتبعه من الجيش، وثار موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه فيها واتهبوها ونشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الحلبية، ودخل

صالح الضحاك الخارجي على ما بيده من الكوفة وأعمالها، وكانت خيول مروان قاصدة إلى الكوفة، فلتقاهم نائبها من جهة الضحاك - ملحان الشيباني - فقاتلهم فقتل ملحان، فاستتاب الضحاك عليها المثنى بن عمران من بني عائذ، وسار الضحاك في ذي القعدة إلى الموصل، وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانزعتها من أيدي الخوارج، وأرسل الضحاك جيشاً إلى الكوفة فلم يجد شيئاً.

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني، وكان سبب خروجه أن رجلاً يقال له سعيد بن بهدل - وكان خارجياً - اغتشم غفلة الناس واشتغلهم بمقتل الوليد بن يزيد، فثار في جماعة من الخوارج بال عراق، فالتف عليه أربعة آلاف - ولم تجتمع قبله خارجي - فقصدتهم الجيوش فاقتلوا معهم، فتارة يكثرزون وتارة يكتفرون، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه، واستخلف على الخوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا، فالتف أصحابه عليه، والتقى هو وجيش كثير فغلبت الخوارج وقتلوا خلقاً كثيراً، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز - أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - فرائه بأشعار. ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز الكوفة، فنهض إليه أهلها فكسرهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها، واستتاب بها رجلاً اسمه حسان، ثم استتاب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة، وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق، فالتقوا فجرت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها.

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الإمام ومعهم أبو مسلم الخراساني، فدفعوا إليه نفقات كثيرة، وأعطوه خمس أموالهم، ولم ينتظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة، والفتن الواقعة بين الناس.

وفي هذه السنة خرج بالكوفة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعا إلى نفسه فحاربهم أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فجرت بينهما حروب يطول ذكرها، ثم أجلاه عنها فلحق بالجلال فتغلب عليها.

وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريج الذي كان لحق ببلاد الترك ومالهم على المسلمين فمن الله عليه بالهداية ووقفه حتى خرج إلى بلاد الشام، وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد له إلى الرجوع إلى الإسلام وأهله فأجابهم إلى ذلك، وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائبها وفرح المسلمون بذلك وجاؤوا لتهنئته ثم وقع بينه وبين نصر بن سيار خصومة واستمر الحارث بن سريج على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الامام، وعنده بعض المناوأة لنصر بن سيار.

قال الرازي وأبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير الحجاز ومكة والمدينة والطائف.

وأمير العراق النضر بن سعيد الحارثي، وقد خرج عليه الضحاك الحارثي، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز. وأمير خراسان نصر بن سيار، وقد خرج عليه الكرمانى والحارث بن سريج.

ومن توفي في هذه السنة

بكير بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الكريم بن مالك الجزري وعمر بن هانيء ومالك بن دينار ووهب بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي.

الله ثم عبد الله وزوجهما ابني هشام، وهما أم هشام وعائشة، وكان جمعاً حافلاً وعقلاً مثلاً، وبيعة عامة، ولكن لم تكن في نفس الأمر تامة. وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بثابت وأصحابه بعد ما كانوا قطعوا أن يصلوا على أبواب البلد، ولم يستبق منهم أحداً إلا واحداً وهو عمرو بن الحارث الكلبي، وكان عنده فيما زعم علم يوديع كان ثابت بن نعيم أودعها عند أقوام.

واستوسق أمر الشام لمروان ما عدا تدمر، فسار من دمشق فتزل القسطل من أرض حصص، وبلغه أن أهل تدمر قد عوزوا ما بينه وبينهم من المياه، فاشتد غضبه عليهم ومعه جحافل من الجيوش، فتكلم الأبرش ابن الوليد وكانوا قومه وسأل منه أن يرسل إليهم أولاً ليعذر إليهم، فبعث عمرو بن الوليد أخا الأبرش، فلما قدم عليهم لم يفتخروا إليه ولا سمعوا له قولاً فرجع، فهم الخليفة أن يعث الجنود فسأله الأبرش أن يدعه يذهب إليهم بنفسه فأرسله، فلما قدم عليهم الأبرش كلمهم واستمالهم إلى السمع والطاعة، فأجابهم أكثرهم وامتنع بعضهم، فكتب إلى الخليفة يعلمه بما وقع فأمره الخليفة أن يهدم بعض سورها، وأن يقبل بمن أطاعه منهم إليه، ففعل، فلما حضروا عنده سار بمن معه من الجنود نحو الرصافة على طريق البرية، ومعه من الرؤوس إبراهيم بن الوليد المخلوع، وسليمان بن هشام، وجماعة من ولد الوليد يزيد وسليمان، فأقام بالرصافة أياماً ثم شخص إلى الرقة، فاستأنه سليمان بن هشام أن يقيم هناك أياماً ليستريح ويجم ظهره فاذن له، والمحمد مروان فتزل عند واسط على شط الفرات فأقام ثلاثاً ثم مضى إلى قرقيسيا، وابن هبيرة بها ليعثه إلى العراق لحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي الحارثي، واشتغل مروان بهذا الأمر.

وأقبل عشرة آلاف فارس عن كان مروان قد بعثهم في بعض السرايا، فاجتازوا بالرصافة وفيها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفة في المقام هناك للراحة، فدعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد وعمارته، فاستتره الشيطان فأجابهم إلى ذلك، وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين، وكتب أهل الشام فانفضوا إليه من كل وجه، وكتب سليمان إلى ابن هبيرة الذي جهزه مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجي يأمره بالمسير إليه، فالتف عليه نحو من سبعين ألفاً، وبعث مروان إليهم عيسى بن مسلم بن نحو من سبعين ألفاً أيضاً فالتقوا بأرض قنسرين فاقتلوا قتلاً شديداً، وجاء مروان والناس في الحرب فقاتلهم أشد القتال فهزمهم وقتل يومئذ إبراهيم بن سليمان بن هشام، وكان أكبر ولده، وقتل منهم نيفاً على ثلاثين ألفاً، وذبح سليمان مغلولاً فأتى حصص فالتف عليه من انهزم من الجيش فسكر بهم فيها، وبني ما كان مروان هدم من سورها. فجاءهم مروان فحاصرهم بها ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً، فمكث كذلك ثمانية أشهر يرميهم ليلاً ونهاراً، ويخرجون إليه كل يوم ويقاتلون ثم يرجعون. هذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تدمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهما بالفتك به وأن يبيئوه فلم يمكنهم ذلك، ونهياً لهم مروان فقاتلهم فقتلوا من جيشه قريباً من ستة آلاف وهم تسعمائة، وانصرفوا إلى تدمر، ولزم مروان محاصرة حصص كمال عشرة أشهر، فلما تتابع عليهم البلاد، ولزمهم الذل، سألوه أن يؤمنهم فأبى إلا أن يزلوا على حكمه، ثم سألوه الأمان على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان معه على جيشه، ومن حبشي يشتمه ويفترى فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك، ثم سار إلى الضحاك الخارجي، وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

فيها كان مقتل الحارث بن سريج، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب إليه كتاب أمان، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاته المشركين إلى نصرة الإسلام وأهله. وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار أمير خراسان وحشة ومانفاس كثيرة يطول شرحها، فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك. وتولى ابن هبيرة نيابة العراق، وجاءت البيعة لمروان، فامتنع الحارث من قبولها وتكلم في مروان، وجاءه سلم بن أحوز أمير الشرطة، وجماعة من رؤوس الأجناد والأمراء، وطلبوا منه أن يكف لسانه ويده، وأن لا يفرق جماعة المسلمين، فأبى وبرز ناحية عن الناس، ودعا نصر بن سيار إلى ما هو عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته، واستمر هو على خروجه على الإسلام. وأمر الجهم بن صفوان مولى بني واسط ويكنى بأبي عرز - وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية - أن يقرأ كتاباً فيه سيرة الحارث على الناس، وكان الحارث يقول: أنا صاحب الرايات السود. فبعث إليه نصر يقول: لئن كنت ذلك فلعمري إنكم الذين تحربون سور دمشق وتزيلون بني أمية، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير وما شئت من الأموال، وإن كنت غيره فقد أهلكك عشيرتك. فبعث إليه الحارث يقول: لعمري إن هذا الأمر لكائن. فقال له نصر: فابداً بالكرامي أولاً، ثم سر إلى الري، وأنا في طاعتك إذا وصلتها. ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكما بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان فحكما أن يعزل نصر ويكون الأمر شورى. فامتنع نصر من قبول ذلك، ولزم الجهم بن صفوان وغيره قراءة سيرة الحارث على الناس في المجمع والطرق، فاستجاب له خلق كثير، وجسم غفير فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار، فقصده فجاخف دونه أصحابه، فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان، طعنه رجل في فيه فقتله، ويقال بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله، فقال: إن لي أماناً من ابنك، فقال: ما كان له أن يؤمنك، ولو فعل ما أمتك، ولو ملأت هذه الملاة كواكب، وأنزلت إلى عيسى بن مريم، ما نجوت، والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى أهلك. وأمر عبد ربه بن سمين فقتله. ثم اتفق الحارث بن سريج والكرامي على نصر ومخالفته، والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى وتحريم المنكرات إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة، ثم اختلفا فيما بينهما واقتتلا قتالا شديداً، فغلب الكرامي وانتهزم أصحاب الحارث عنه. وكان راجياً على بغل فتحول إلى فرس فحزنت أن تمشي، وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه منهم سوى مائة، فأدركه أصحاب الكرامي فقتلوه تحت شجرة زيتون، وقيل: تحت شجرة غيراء. وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة، وقتل معه مائة من أصحابه، واحتاط الكرامي على حواصله وأمواله، وأخذ أموال من خرج معه أيضاً، وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب مدينة مرو، ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث قال في ذلك:

يا مُدْخِلَ الذِّلِّ عَلَى قَوْمِهِ بُعْداً وَسَحْقاً لَكَ مِنْ هَإِلِكِ
شَوْمُكَ أَرْدَى مُفْضِراً كُلِّهَا وَغَضُّ مِنْ قَوْمِكَ بِالْهَارِكِ
مَا كَانَتْ الْأَرْضُ وَاشْتِيعَاها تَطْمَعُ فِي عَمْرُو وَلَا مَالِكِ
وَلَا بَنِي سَعْدِ إِذْ الْجُمُوعَا كَسَلُ طَيْرٍ لَوْنُهُ حَالِكِ

وقد أجابه عباد بن الحارث بن سريج فيما قال:

أَلَا يَا نَصْرُ قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ طَالَ التَّمَسِّي وَالرَّجَاءُ
وَأَصْبَحْتَ الْمَزُونُ بِأَرْضِ مَرُو تَقْضِي فِي الْحُكُومَةِ مَا تَشَاءُ
يَجُوزُ قَضَائُهَا فِي كُلِّ حَكَمٍ عَلَى مُضَرِّ وَإِنْ جَارَ الْقَضَاءُ
وَجُنْمِيرُ فِي مَجَالِسِهَا قَمُودُ تَوَقَّرُ فِي رِقَابِهِمُ الدَّمَاءُ
فَإِنْ مُضَرُّ بَدَأَ رَغِيثَ وَذَلَّتْ فَطَالَ لَهَا الْمَذَلَّةُ وَالشَّقَاءُ
وَأِنْ هِيَ اعْتَبَتْ فِيهَا وَلَا فَحَلَّ عَلَى عَسَاكِرِهَا الْعَفَاءُ

وفي هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبا مسلم الخراساني إلى خراسان وكتب معه كتاباً إلى شيعتهم بهذا: إن هذا أبو مسلم فاسمعوا له وأطيعوا، وقد وليته على ما غلب عليه من أرض خراسان، فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب، لم يلتفتوا إليه ولم يعملوا به وأعرضوا عنه وبنوه وراء ظهورهم، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم، فاشتكاهم إليه وأخبره بما قابلوه من المخالفة، فقال له: يا عبد الرحمن! إنك رجل منا أهل البيت، ارجع إليهم وعليك بهذا الحي من اليمن فالزمهم وانزل بين أظهرهم فإن الله لا يتسم هذا الأمر إلا بهم. ثم حزنه من بقية الأحياء وقال له: إن استطعت أن لا تدع بتلك البلاد لساناً عربياً فافعل، ومن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار واتهمته فاقته، وعليك بذلك الشيخ فلا تعصه - يعني سليمان بن كثير - وسيأتي ما كان من أمر أبي مسلم الخراساني فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي في قول أبي خنوف، وكان سبب ذلك أن الضحاك حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وواقفه على محاصرته منصور بن جهمور، فكتب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز إليه: أنه لا فائدة لك في محاصرتي ولكن عليك بمروان بن محمد فسر إليه، فإن قتله اتبعتك. فاصطلحا على مخالفة مروان بن محمد وترحل الضحاك عنه وسار قاصداً إلى قتال مروان بن محمد أمير المؤمنين، فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها فمال إليهم فدخلها، وقتل نائبها واستحوذ عليها، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حمص، ومشغول بأهلها وعدم مبايعتهم إياه، فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان وهو نائب الجزيرة يأمره أن يقاتل الضحاك بالموصل فصار الضحاك إلى عبد الله بن مروان - وكان الضحاك قد التف عليه مائة ألف وعشرون ألفاً فحاصروا نصيبين - وساق مروان في طلبه فالتقى هنالك، فاقتالا قتالا شديداً جداً فاقترع الضحاك عن فرسه وترجل معه جماعة من كبار الأمراء فاقتلوا قتالا شديداً فقتل الضحاك في المعركة وحجز الليل بين الفريقين، وقصد أصحاب الضحاك الضحاك وشكوا في أمره حتى أخبرهم من شاهده قد قتل، فبكوا عليه وناحوا، وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المعركة بالمشاغل ومن يعرف مكانه بين القتلى، فلما وجدوه جالوا به إلى مروان وهو مقتول، وفي رأسه ووجهه نحو من عشرين ضربة، فأمر برأسه فطيف به في مدن الجزيرة.

واستخلف الضحاك على جيشه من بعده رجلاً يقال له الخبيري، فالتف عليه بقية جيش الضحاك، والتف مع الخبيري سليمان بن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه، والجيش الذين كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة، وخلصوا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله. فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان، فحمل الخبيري في أربعمئة من شجعان أصحابه على مروان، وهو في القلب، فكر منهزماً واتبعوه حتى أخرجه

وركب سليمان بن هشام في مواله وأهل بيته السفن وساروا إلى السند، ورجع مروان من الموصل فأقام بمنزله بمران وقد وجد سروراً بزوال الخوارج، ولكن لم يتم سروره، بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم اتباعاً، وأشد بأساً من الخوارج، وهو ظهور أبي مسلم الخراساني الداعية إلى دولة بني العباس

أول ظهور أبي مسلم الخراساني بخراسان

وفي هذه السنة ورد كتاب من إبراهيم بن محمد الإمام العباسي يطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان، فسار إليه في سبعين من الثقباء، لا يبرون ببلد إلا سألوه: إلى أين تذهبون؟ فيقول أبو مسلم: نريد الحج. وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلاً إليه دعاه إلى ما هم فيه فيجيبه إلى ذلك، فلما كان أبو مسلم في أثناء الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الإمام: إني قد بعثت إليك برياة النصر فارجع إلى خراسان وأظهر الدعوة فامتلأ أبو مسلم ذلك، وأمر قحطية بن شبيب أن يسير بما معه من الأموال والتحف إلى إبراهيم الإمام فيوافيه بها في الموسم، ورجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم من أيام رمضان فرفع الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه: أن أظهر دعوتك ولا تترصص. فقتلوا عليهم أباً مسلم الخراساني داعياً إلى بني العباس، فبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان ونواحيها، وأمير خراسان - نصر بن سيار - مشغول بقتال الكرمان، وشيخان بن سلمة الحاروري، وقد بلغ من أمره أنه كان يسلم عليه أصحابه بالخلافة في طوائف كثيرة من الخوارج، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب، فكان عن قصده في يوم واحد أهل ستين قرية، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً، ففتحت على يديه أقاليم كثيرة.

ولما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في هذه السنة، عقد أبو مسلم اللواء الذي بعث إليه الإمام، وكان يدعى الظل، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي بعث بها الإمام أيضاً، وتدعى السحاب، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهما سوداوان، وهو يتلو قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِيْهِمْ ظُلُمًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وليس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى هذه الدعوة السواد، وصارت شعارهم، وأوقدوا في هذه الليلة ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي. وكانت علامة ما بينهم فتجمعوا. ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يغطي جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم الأرض، ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل أبداً، وكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم. وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب، وكثر جيشه جداً.

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس، ونصب له منبراً، وأن يخالف في ذلك بني أمية، ويعمل بالسنة، فتودي للصلاة: الصلاة جامعة، ولم يؤذن ولم يقرأ خلافاً لهم، وبدأ بالصلاة قبل الخطبة، وكبر سبعاً في الأولى قبل القراءة، لا أربعاً، وخمساً في الثانية لا ثلاثاً، خلافاً لهم. وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة، وانصرف الناس من صلاة العيد وقد أعد لهم أبو مسلم طعاماً فوضعه بين أيدي الناس، وكتب إلى نصر بن سيار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال: إلى نصر بن سيار. بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فإن الله عَزَّ أَقْوَاماً في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَبِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ

من الجيوش، ودخلوا عسكره وجلس الخيري على فرشه، هذا وميمنة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله، وميسرته أيضاً ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي، ولما رأى عبيد العسكر قلَّةً مَن مع الخيري، وأن الميمنة والميسرة في جيشهم باقيتان طمعوا فيه فأقبلوا إليه بعمد الخيام فقتلوه بها، وبلغ مقتله مروان وقد سار عن الجيش نحواً من خمسة أميال أو ستة، فرجع مسروراً وانهمز أصحاب الخيري، وقد ولوا عليهم شيخان، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكرايس فهزمهم.

ولفها بعث مروان الحمار على إمرة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاتل من بها من الخوارج.

وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف، وأمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وأمير خراسان نصر بن سيار.

ومن توفي في هذه السنة

بكر بن سودة وجابر الجعفي والجهم بن صفوان، مقتولاً كما تقدم، والحارث بن سريح أحد كهراء الأمراء، وقد تقدم شيء من ترجمته، وعاصم بن بهدلة، وأبو حصين عثمان بن عاصم، ويزيد بن أبي حبيب، وأبو التياح يزيد بن حميد، وأبو جرة الضبي، وأبو الزبير الكسي وأبو عمران الجوني وأبو قبيل الماعري. وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

فيها اجتمعت الخوارج بعد الخيري على شيخان بن عبد العزيز بن الحليس الشكري الخارجي فأشار عليهم سليمان بن هشام أن يتحصنوا بالموصل ويعملوا منزلاً لهم، فتحولوا إليها وتبعهم مروان بن محمد أمير المؤمنين، فعسكروا بظاهرها وخندقوا عليهم مما يلي جيش مروان. وقد خندق مروان على جيشه أيضاً من ناحيتهم، وأقام سنة يحاصروهم ويقتلون في كل يوم بكرة وعشية، وظفر مروان بابن أخ لسليمان بن هشام، وهو أمية بن معاوية بن هشام، أسره بعض جيشه، فأمر به فقطعت يده ثم ضربت عنقه، وعنه سليمان والجيش ينظرون إليه، وكتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة. يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده. فجزت له معهم وقعات عديدة، فظفر بهم ابن هبيرة. وأباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق، واستنقذ الكوفة من أيديهم، وكان عليها المتشئ بن عمران العائذي - عائلة قريش - في رمضان من هذه السنة وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما فرغ من الخوارج أن يمد بهارم بن ضبارة - وكان من الشجعان - فبعثه إليه في ستة آلاف أو ثمانية آلاف، فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاعترضوه في الطريق فهزمهم ابن ضبارة وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي، وأقبل نحو الموصل، ورجع قُلُ الخوارج إليهم. فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يرتحلوا عن الموصل، فإنه لم يكن يمكنهم الإقامة بها، ومروان من أمامهم وابن ضبارة من ورائهم، قد قطع عنهم الميرة حتى لم يجدوا شيئاً يأكلونه، فارتحلوا عنها وساروا على حلوان إلى الأهواز، فأرسل مروان ابن ضبارة في آثارهم في ثلاثة آلاف، فاتبعهم يقتل من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم. ومازال وراءهم حتى فرق شملهم شفر مفز، وهلك أميرهم شيخان بن عبد العزيز الشكري بالأهواز في السنة القابلة، قتله خالد بن مسعود بن جعفر بن خالد الأدي.

الآية إن شاء الله تعالى.

مقتل الكرمانى

ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين الكرمانى - وهو جليلع بن علي الكرمانى - فقتل بينهما من الفريقين خلق كثير، وجعل أبو مسلم يكتب كلا من الطائفتين ويستميلهم إليه، يكتب إلى نصر وإلى الكرمانى: إن الإمام قد أوصانى بكم خيراً ولست أعدو رايه فيكم، وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير، وأقبل أبو مسلم فتزل بين خنلق نصر بن سيار وخنلق جُدَيْع الكرمانى، فهابه الفريقان جميعاً، وكتب نصر بن سيار إلى الخليفة مروان بن محمد بن مروان الملقب بالخممار يعلمه بأمر أبي مسلم، وكثرة من معه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب في كتابه:

أرى بين الرماذ وميض جمر فأخبر يكون له خمرام
فلان النار بالمودين تذكسى وإن الحرب مبدوها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري أليفاظ أمة أم نيام
فكتب إليه مروان: الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، فقال نصر: إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصرة عنده.
وبعضهم يرونها بلفظ آخر:

أرى خنلق الرماذ وميض نار فيوشك أن يكون لها خمرام
فلان النار بالزئنين تُورى وإن الحرب أولها الكلام
فلان لم يطفها عتلاء قوم يكون وقودها جشت وهام
أقول من التعجب ليت شعري أليفاظ أمة أم نيام
فلان كانوا حينهم نياماً قتل قروموا فقد حان القيام

قال ابن خلكان **وفيات الأعيان**: ١٥٠/٣: وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ابن الحسن على المنصور أخي السفاح:

أرى ناراً تشب على بقاع لها في كل ناحية شعاع
وقد رقت بنو العباس عنها وسات وهي أمانة رتاع
كما رقت أمة ثم هبت تنافع حين لا يغني الدفاع
وكتب نصر إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هيرة يستمله كتب إليه:

أبلغ يزيد وغير القول أمدقاً وقد تئنت أن لاخير في الكذب
بان خراسان أرض قد رايت بها نضاً لو افترخ حذبت بالعجب
فسراح عامين إلا أنها كجرت ولم يطرن وقد شربلن بالزغب
فلان يطرن ولم يحل لمن بها يلوي نيران حرب إنما لهب
فبعث ابن هيرة بكتاب نصر إلى مروان، واتفق في وصوله إليه أن وجدا رسولا من جهة إبراهيم بن محمد ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم. وهو يشتمه ويسبه، ويأمره أن ينامض نصر بن سيار والكرمانى، ولا يترك هناك من يحسن الكلام بالرية. فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم بخران كتاباً إلى نائب دمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك، يأمره أن يرسل كتاباً إلى نائبه بالبلقاء ويأمره فيه أن يذهب إلى الحميمية، البلدة التي فيها

إحدى الأم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً. استكبوا في الأرض ومكر السعى ولا يحيف المكر السعى إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن نجد لسنة الله تبدا ولن نجد لسنة الله تخويلاً **وطاهر**: ٤٢، ٤٣ فمظلم على نصر أن قدم اسمه على اسمه، وأطال الفكرة، وقال: هذا كتاب له جواب.

قال ابن جرير [٣٥٨/٧، ٣٥٩]: ثم بعث نصر بن سيار خيلا عظيمة تخاربه أبي مسلم، وذلك بعد ظهوره بثمانية عشر شهراً، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن المهيم الخزازي، فالتقوا هنالك، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله ﷺ فأبوا ذلك، فتصافوا من أول النهار إلى العصر، ثم جاءه مدد فقوي مالك عليهم وظفر بهم مالك، وكان هذا أول موقف اقتتل فيه دعاة بني العباس وجند بني أمية.

وفي ذي القعدة من هذه السنة غلب خازم بن خزيمه على مزو الروذي، وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار، وهو بشر بن جعفر السعدي، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم.

وكان أبو مسلم إذ ذاك شاباً حدثاً قد اختاره إبراهيم الإمام لدخولهم، وذلك لشهامته وصرايته وقوة فهمه لله وجودة عقله، وأصله من سواد الكوفة، وكان مولد لإدريس بن عقيل العجلي، فاستتره بعض دعاة بني العباس باريعة من درهم، ثم أخذته محمد بن علي، ثم آل ولاؤه لآل العباس، وقد زوجه إبراهيم ابن محمد الإمام بابنه أبي النجيم عمران بن إسماعيل، وأصدقها عنه، وكتب إلى نقيبهم بخراسان والعراق أن يستمعوا له ويطيعوا، فامتثلوا أمره في هذه المدة، وقد كانوا في السنة الماضية رؤوا عليه أمره فيه لصغره في أعينهم، فلما كانت هذه السنة أمد كتابه إليهم في سببه، فلم يكن لهم عنه مغفل، وكان في ذلك الحيرة، وكان أمر الله قلداً مقدوراً.

ولما استنحل أمر أبي مسلم بخراسان تعاقبت طوائف من أحياء العرب الذين بها على خزيه ومقاتلته، ولم يكره أمره الكرمانى وشيئاً؛ لأنهما خرجا على نصر، وهذا يخالف له، وهو مع ذلك يندفع إلى خلق مروان الحمار، وقد طلب نصر من شيان أن يكون معه على حرب أبي مسلم، أو يكف عنه حتى يتفرغ لحربه، فإذا قتله وتفرغ منه عادا إلى غداؤهما، فبلغ ذلك أبا مسلم، فبعث إلى ابن الكرمانى يغلبه بذلك، فتنى ابن الكرمانى شيان عن ذلك الرأي، وبعث أبو مسلم إلى هزاة النضر بن نعيم، فافتتحها وطرده عنها عاملها عيسى بن عقيل الليثي، واستخوذ على البلد، وكتب إلى أبي مسلم بذلك، وجاء عاملها إلى نصر هارباً. ثم إن شيان واقع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه، وذلك عن كرم من ابن الكرمانى، فبعث ابن الكرمانى إلى أبي مسلم: إني معك على قتال نصر. وركب أبو مسلم إلى خديعة ابن الكرمانى، فزحل عنده واجتمعوا، فاتفقا على خزيه ومقاتلته، وتحوّل أبو مسلم إلى مريض فسيح، وكثر جنده، وعظم جيشه، واستعمل على الشرط والخرس والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج الملك إليه، وجعل القاسم بن مجاشع التميمي - وكان أحد القباء - على القضاء، وكان يوصى بأبي مسلم الصلوات، ويقص بعد العصر، فيذكر محاسن بني هاشم، ويذم بني أمية. ثم تحوّل أبو مسلم فنزل بقرية يقال لها: أكر. وكان في مكان منخفض، فخشي أن يقطع عنه نصر ابن سيار الماء، وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة، وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع، وصار نصر بن سيار في جحافل قاصداً قال أبي مسلم، واستخلف على البلاد نوباً، فكان من الأمر ما سنذكره في السنة

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

سالم أبو النصر، وعلي بن زيد بن جدعان، في قول، ويحيى بن أبي كثير. وقد ذكرنا تراجمهم في كتاب التكميل ولله الحمد والمئة.

سنة ثلاثين ومائة

في يوم الخميس تسع خلون من جمادى الأولى منها، دخل أبو مسلم الحراساني مدينة مرو، ونزل دار الإمارة بها، وانتزعها من يد نصر بن سيار، وذلك بمساعدة علي بن الكرماني، وهرب نصر بن سيار في شردمة قليلة من الناس، نحو من ثلاثة آلاف، ومعه امرأته المرزبانة، ثم عجل الحرب حتى لحق بسرخص وترك امرأته وراءه، ونجا بنفسه، واستفحل أمر أبي مسلم بخراسان جداً، والثقت عليه الطوائف من الناس وجماعة من أحياء العرب.

مقتل شيان بن سلمة الحروري

ولما هرب نصر بن سيار بقي شيان الحروري وكان ثماناً له على أبي مسلم، فبعث إليه أبو مسلم رسلاً فحبسهم شياناً فأرسل أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث يأمره أن يركب إلى شيان فيقاتله، فسار إليه فاقتلا فهزمه بسام وقتله واتبع أصحابه يقتلهم ويأسرهم، ثم قتل أبو مسلم علياً وعثمان ابني الكرماني وكان سبب ذلك أن أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب إلى أبيورد فافتحها وكتب إلى أبي مسلم يعلمه بذلك، ثم وجه أبو مسلم أبا داود إلى بلخ فأخذها من زياد بن عبد الرحمن القشيري فجمع زياد خلقاً من الجنود من أهل تلك الناحية لقتال المسودة فنهض إليه أبو داود فقتلهم حتى كسرهم واستباح معسكرهم وقتل منهم خلقاً واصطفى أموالاً جزيلة واستفحل أمره هنالك ثم وقعت كائنة اقتضت أن اتفق رأي أبي مسلم مع أبي داود على قتل عثمان بن الكرماني في يوم كذا وكذا، وفي ذلك اليوم بعثه يقتل أبو مسلم علي بن جديع الكرماني، فوقع ذلك كذلك.

وفي هذه السنة توجه قطيبة بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار، ومع قطيبة جماعة من كبار الأمراء، منهم خالده بن برمك وخلق منهم، فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبوه لقتالهم بطوس، فقتل قطيبة من أصحاب نصر نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة، وقد كان أبو مسلم بعث إلى قطيبة مدداً في عشرة آلاف فارس، عليهم علي بن معقل، ولما التقوا قتلوا من أصحاب نصر خلقاً، وقتلوا تميم بن نصر، وغنموا أموالاً جزيلة جداً، ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مروان على العراق بعث سرية مدداً لنصر بن سيار على أبي مسلم فأرسل أبو مسلم من جهته بن شبيب، فالتقى معهم قطيبة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة بمجران وذلك يوم الجمعة فقام قطيبة في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والقتال وذرهم وأمرهم بالمصابرة ووعدهم عن الإمام أنهم ينصرون في هذا اليوم فاقتلوا قتالا شديداً فانهزم جند بني أمية، وقتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف، منهم أمير المدد نباتة بن حنظلة عامل جرجان، ورسايتها لابن هبيرة فبعث قطيبة برأسه إلى أبي مسلم.

إبراهيم بن محمد الملقب بالإمام، فبقية ويرسله إليه. فبعث نائب دمشق إلى نائب البلقاء فذهب إلى مسجد البليدة المذكورة فوجد إبراهيم بن محمد جالساً فبقية وأرسل به إلى دمشق، فبعثه نائب دمشق من فورهِ إلى مروان بن محمد أمير المؤمنين، فأمر به فسجن وكان من أمره ما سيأتي في السنة الآتية.

وأما أبو مسلم فإنه لما توسط بين جيش نصر والكرماني، كاتب الكرماني: إني معك فمال إليه، فكتب إليه نصر: ويحك لا تغتر فإنه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك معك، فلهم حتى نكتب كتاباً يبتنا بالموادعة، فدخل الكرماني داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس، وبعث إلى نصر أن هلم حتى نتكاتب، فابصر نصر غرة من الكرماني فنهض إليه في خلق كثير، فحملوا عليهم فقتلوا منهم جماعة، وقتل الكرماني في المعركة، طعنه رجل في خاصرته فخر عن دابته، ثم أمر نصر بصلبه فُصلب وصلب معه سمكة، وانضاف ولده إلى أبي مسلم الحراساني ومعه طوائف من الناس من أصحاب أبيه، فصاروا كئفاً واحدة على نصر بن سيار.

قال ابن جرير [رواه: ٣٧١/٧-٣٧١/٨]: وفي هذه السنة تغلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها، وعلى حلوان وقومس وأصبهان والري، بعد حروب يطول ذكرها ويسطها، ثم التقى عامر بن ضبارة معه بإصطخر فهزمه ابن ضبارة وأسر من أصحابه أربعين ألفاً. فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، فنسب ابن ضبارة وقال له: ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافة الأمير المؤمنين مروان؟ فقال: كان عليّ دين فأتيته. فقام إليه حرب بن قطن بن وهب الكنتاني فاستوجهه منه وقال: هو ابن أختنا فوجه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش، ثم استعلم ابن ضبارة من عبد الله بن علي عن أخبار ابن معاوية فذمه ورماه هو وأصحابه باللوأط، وحيه من الأسارى بمائة غلام عليهم الثياب المصبغة، فحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره بذلك، فبعثه ابن هبيرة إلى مروان في أجداد أهل الشام، فأخبره بما أخبر به ابن ضبارة عن ابن معاوية. وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك بني أمية يكون على يدي هذا الرجل، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، ولا يشمر واحد منهم بذلك.

قال ابن جرير [رواه: ٣٧٢/٧-٣٧٢/٨]: وفي هذه السنة وافى الموسم أبو حمزة الخارجي فأظهر التحكم والمخالفة لمروان بن محمد بن مروان، والتبرؤ منه. فرأسهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف، وإليه أمر الحجيج في هذه السنة، ثم صالحهم على الأمان إلى يوم الفتر، فوقفوا على حمزة من الناس بعرفات، ثم تحيروا عنهم، فلما كان يوم الفتر الأول تمجل عبد الواحد وترك مكة فدخلها الخارجي بغير قتال، فقال بعض الشعراء في ذلك:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا دين الإله فسر عبد الواحد
تَرَكَ الحلائل والإمارة هارياً ومضى يُخَيِّطُ كالصير الشارد
لو كان والده متصل جرحه لصفحت شكارته بمرق الوالد

ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى الخارجي، وبذل النفقات وزاد في أعطية الأجناد، وسيرهم إليه سريعاً.

وكانت إمرة العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، وإمرة خراسان إلى نصر بن سيار، وكان قد استحوذ على بعض بلاد أبو مسلم الحراساني.

ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية واستيلائها

عليها مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل منها

قال ابن جرير رحمه الله: ٣٩٣/٧-٣٩٥: وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد من أرض الحجاز بين أبي حمزة الخارجي الذي حكم في أيام الموسم وبين أهل المدينة، فقتل الخارجي خلقاً كثيراً من قريش، ثم دخل الخارجي المدينة وهرب نائبها عبد الواحد بن سليمان، فقتل الخارجي من أهلها خلقاً، وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة، ثم خطب الخارجي أهل المدينة على المنبر النبوي فوجههم، وأنهم، وكان فيما ويخهم به أن قال: يا أهل المدينة إني مرت بكم أيام الأحول - يعني هشام بن عبد الملك - وقد أصابتكم عاعة في مشاركم فكتبتم إليه تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضعه عنكم، فزاد غيظكم غنى وزاد فقيركم فقراً، فكتبتم إليه: جزاك الله خيراً، فلا جزاء الله خيراً، في كلام طويل غير هذا، فأقام أبو حمزة عندهم ثلاثة أشهر ببقية صفر وشهري ربيع وبعض جمادى الأولى فيما قاله الواقدي وغير واحد.

وقد روى المدائني أن أبا حمزة رقي يوماً منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: تعلمون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً، ولا لدولة نريد أن نخوض فيها النار، ولا لثأر قديم نيل منا ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عظمت، وضعف القاتل بالحق، وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٢٢] أقبلنا من قبائل شتى، الفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافاً واحداً قليلون مستضعفون في الأرض، فأبانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا والله بنعمة الله إخواناً، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن. ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان، فشتان لعمري الله بين النبي والرشد، ثم أقبلوا نحونا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بملاتهم مراجله، وصدق عليهم ظنه فأتبعوه، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب، بكل مهند ذي رونت، فلدارت رحانا واستلدارت رحاهم، بضرب يرتاب منه المبطلون، وأتمت يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يستحكم الله بعذاب من عنده أو بأيدنا، ويشف صدور قوم مؤمنين، يا أهل المدينة أولكم خير أول، وآخركم شر آخر.

يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم، إلا مشركاً عابداً وثناً أو كافر أهل كتاب، أو إماماً جائراً.

يا أهل المدينة من زعم أن الله يكلف نفساً فوق طاقتها، أو سألها ما لم يؤتها، فهو لله عدو، ولنا حرب.

يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوي والضعيف، فجاء تاسع ليس له منها ولا سهم واحد، فأخذها لنفسه، مكابراً محارباً لربه.

يا أهل المدينة بلغني أنكم تتقصرون أصحابي قلتم شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثاً، شباباً والله مكهولون في شبابهم، غضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقلامهم، قد باعوا الله أنفساً تموت بأنفس لا تموت، قد خاطبوا كلامهم بكلامهم، وقيام ليهم بصيام نهارهم، متحنين أصلاهم على

أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيف قد انتضيت، وإلى الرماح قد شرعت، وإلى السهام قد فوقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا والله وعيد الكتيبة لوعيد الله، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة. فطرب لهم وحسن مأب، فكم من عين في مقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من من خوف الله تعالى، وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها في طاعة الله. أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال: كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوه على منبر رسول الله ﷺ يقول: برح الخفاء أين ما بك يذهب؟ من زنا فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، فعند ذلك أبغضوه ورجعوا عن محبته، وأقام بالمدينة حتى بعث مروان الحمار عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف، قد انتخبها مروان من جيشه، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وقرساً عريية، وبغلاً لثقله، وأمره أن يقتله، ولو لم يلحقه إلا باليمن فليتيه إليها، وليقاتل نائب صنعاء عبد الله بن يحيى. فسار ابن عطية حتى بلغ وادي القرى فلقاه أبو حمزة الخارجي قاصداً مروان، فاقبلوا هنالك إلى الليل، فقال له: ويحك يا ابن عطية! إن الله قد جعل الليل سكناً، فأبى عليه أن يقلع عن القتال، وما زال يقاتلهم حتى غلبهم وكسرهم ورجع فلم يبق في المدينة، فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ودخل ابن عطية المدينة، وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها، فيقال: إنه أقام بها شهراً ثم سار إلى مكة وقد استخلف على المدينة، ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن فخرج إليه عبد الله بن يحيى نائب صنعاء، فاقبلا فقتل ابن عطية وبعث برأسه إلى مروان وجاء كتاب مروان إليه يأمره بعجلة السير إلى مكة ليحج بالناس عامه هذا. فخرج من صنعاء في اثني عشر راكباً، وترك جيشه بصنعاء، ومعه خرج فيه أربعون ألف دينار، فلما كان ببعض الطريق نزل منزلاً هنالك إذ أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جمانة من سادات تلك الناحية، ومعهما طائفة من أصحابهما فأحذقوا بابن عطية وأصحابه فقالوا: ويحكم أئتم لصوص. فقال: ويحكم هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ بإمرة الحج هذا العام، فنحن نجعل السير لنالحق الموسم وأنا ابن عطية، فقالوا: هذا باطل، ثم حلوا عليهم فقتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد، وأخذوا ما معهم من المال. قال أبو معشر: رجع بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان، وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف.

ونائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، وإمرة خراسان إلى نصر بن سيار، غير أن أبا مسلم قد انتزع منه أماكن كثيرة من خراسان وكورا ورساتيق، وقد أرسل نصر إلى ابن هبيرة يستمده ويستجده ويطلب أن يمه من عنده بعشرة آلاف قبل أن لا يكفيه مائة ألف، وكتب أيضاً إلى مروان يستمده، فكتب مروان إلى ابن هبيرة يمه بما أراد.

وَمَنْ تَوَفَّى فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ

شعيب بن الحبحاب، وعبد العزيز بن صهيب، وعبد العزيز بن رفيع، وكعب بن علقمة، ومحمد بن النكدر.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

في الحرم منها وجه قحطبة بن شبيب ولده الحسن إلى قومس لقتال نصر بن سيار، وأردفه بالأمداد، فخامر بعضهم إلى نصر وارتمل نصر فترل الري، فأقام بها يومين ثم مرض فسار منها إلى همدان. فلما كان بساوة قريبا من همدان توفي لمضي ثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة، عن خمس وثمانين سنة. فلما مات نصر تمكن أبو مسلم الخراساني وأصحابه من بلاد خراسان، وقويت شوكتهم جدا، وسار قحطبة من جرجان، وقدم أمامه زياد ابن زرارة القشيري، وكان قد ندّم على اتباع أبي مسلم، فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتي ابن ضبارة، فبعث قحطبة وراءه جيشا فقتلوا عامة أصحابه، وأقبل قحطبة وراءه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها، وبعث ابنه بين يديه إلى الري ثم ساق وراءه فوجده قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك. وارتمل أبو مسلم من مرو فترل نيسابور واستفحل أمره، وبعث قحطبة بعد دخوله الري بثلاث ابنه الحسن بين يديه إلى همدان، فلما اقترب منها خرج منها مالك بن أدهم وجماعة من أجناد الشام وخراسان، فزولوا نهاوند، فافتتح الحسن همدان ثم سار وراءهم إلى نهاوند، وبعث إليه أبوه بالأمداد وراءه فحاصروهم بها حتى افتتحها.

وفي هذه السنة مات

■ عامر بن ضبارة، وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة كتب إليه أن يسير إلى قحطبة وأمله بالعاسكر، فسار ابن ضبارة حتى التقى مع قحطبة وابن ضبارة في مائة وخمسين ألفا، وكان يقال له عسكر العساكر وقحطبة في عشرين ألفا، فلما تواجه الفريقان رفع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المتأدي: يا أهل الشام، إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف، فشتموا المناذي وشتموا قحطبة، فأمر قحطبة أصحابه أن يحملوا عليهم، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضبارة، واتبهم أصحاب قحطبة فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وقتلوا ابن ضبارة في العسكر وأخذوا من عسكرهم ما لا يحصى ولا يوصف.

وفيها حاصر قحطبة نهاوند حصارا شديدا حتى سأل أهل الشام الذين بها أن يشغل أهلها حتى يفتحوا له الباب، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أمانا، فقال لهم من بها من أهل خراسان: ما فعلتم؟ فقالوا: أخذنا لنا ولكم أمانا، فخرجوا ظانين أنهم في أمان، فقال قحطبة للأمرء الذين معه: كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه، ففعلوا ذلك ولم يبق من كان هرب من أبي مسلم أحد، وأطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يمالئوا عليه عدوا. ثم بعث قحطبة عن أمر أبي مسلم أبا عون إلى شهرزور، في ثلاثين ألفا فحاصرها حتى افتتحها، وقتل نائبا عثمان بن سفيان. وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبعث إلى قحطبة بذلك.

ولما بلغ مروان خبر قحطبة وأبي مسلم وما وقع من أمرهما، تحول من حران فترل بمكان يقال له: الزاب الأكبر.

وفي هذه السنة قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما اقترب منه تهاقر ابن هبيرة إلى ورائه، وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات، وجاء قحطبة فجازاه وراءه، وكان من أمرهما ما سنذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة

في الحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجند والفرسان، وابن هبيرة غيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة، في خلق كثير وجم غفير، وقد أمده مروان بجند كثيرة، وانضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضبارة. ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها، فاتبعه ابن هبيرة. فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان مضي من الحرم اقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل في الفريقين، ثم ولّى أهل الشام منهزمين واتبهم أهل خراسان، وقصد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأنه أوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن، ولم يكن الحسن حاضرا، فبايعوا حميد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر، وقتل في هذه الليلة جماعة من سادات لأمراء. والذي قتل قحطبة معن بن زائدة، ويحيى بن حزين. وقيل بل قتل رجل من كان معه أخفا بئر بني نصر بن سيار فآله أعلم. ووجد قحطبة في القتل دفن هناك، وسار الحسن بن قحطبة نحو الكوفة، وقد خرج بها عماد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسوء، وكان خروجه ليلة عاشوراء في الحرم من هذه السنة، وأخرج عاملها من جهة ابن هبيرة، وهو زياد بن صالح بن الحارثي، وتحول محمد بن خالد إلى قصر الإمارة فقصده حوثة في عشرين ألفا من جهة ابن هبيرة، فلما اقترب حوثة من الكوفة جعل أصحابه يذهبون إلى محمد بن خالد فيبايعونه لبني العباس، فلما رأى حوثة ذلك ارتحل إلى واسط، ويقال: بل دخل الحسن بن قحطبة الكوفة، وكان قحطبة قد جعل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخلال، وهو بالكوفة، فلما قدموا عليه أشار أن يذهب الحسن بن قحطبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسط، وأن يذهب أخوه حميد إلى المدائن، وبعث البعوث إلى كل جانب من تلك النواحي يفتحونها، وفتحوا البصرة، افتتحها سلم بن قتيبة لابن هبيرة، فلما قتل ابن هبيرة - كما سيأتي تفصيله - جاء أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني.

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر منها، أخذت البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الملقب بالسفاح قاله أبو معشر ومشام بن الكلبي. وقال الواقدي: في جمادى الأولى من هذه السنة كانت خلافة السفاح فآله أعلم.

ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة أن مروان أطلع على كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخراساني، يأمره فيه بأن لا يبقى أحدا بأرض خراسان ممن يتكلم بالعربية إلا إياه، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم فقيل له: هو بالبقاء، فكتب إلى نائب دمشق أن يحضره وبعث رسولا في ذلك ومعه صفته وبعثه، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح، فاعتقد أنه هو فأخذه فقتل له: إنه ليس به، وإنما هو أخوه. فدل على إبراهيم فأخذه وذهب معه بأم ولد له معها، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس السفاح، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة، فارتحلوا من فورهم إليها وكانوا جماعة، منهم أعمامه السنة وهم:

فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من النسيء والغنمة نصيبنا تكرمه لنا، وفضلة علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعمت الشيعة الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاعت وجوههم. ثم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد ملكهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ودفع بنا الخبيسة، وأتم النقيصة وجمع الفرق، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف ووبر ومواساة في دنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في أخراهم، فتح الله علينا ذلك منة ومحنة بمحمد، فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوروا مواريت الأمم فعدلوا فيها، ورضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خالصا منها. ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لأنفسهم، وتداولوها. فجأروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى أسفوه، فلما أسفوه انتقم منهم بإيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا امتنا، ووفى نصرنا والقيام بأمرنا ليعم بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو أن لا يأتاكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

يا أهل الكوفة أتم على محبتنا وميزنا، وأتمم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتمكم في أعطيائكم مائة درهم، فاستعدوا فانا السفاح الهاجع والثائر المبير.

وكان به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض عنه داود فقال: الحمد لله شكراً شاكراً الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا.

أيها الناس الآن انقضت حنادس الظلمات وانكشف غطاؤها، واشرفت أرضها وسماؤها، وطلعت شمس من مطلعها، وبرز القمر من مبرغه، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم.

أيها الناس إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا لنحضر نهراً ولا لنبني قصراً، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا، ولسوء سيرة بني أمية فيكم، واستذلهم لكم، واستتارهم بينكم وصدقاتكم، فلکم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله، ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ، تبا تبا لبني أمية وبني مروان، أثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الأثام وظلموا الأنعام، وارتكبوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجأروا في سيرتهم في العباد، وستهم في البلاد التي بها استنزلوا تسربل الأرزار، وتجلجل الأصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الفنى، جهلا باستدراج الله، وأمناً لكر الله، فأتاهم بأس الله بيئات وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل عمزق، فبعثنا للقرم الظالمين، وأدانا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، وأرسل لعدو الله في عتاته حتى عثر جواده في فضل خطاه، أظن عدو الله أن لن يقدر عليه؟ فنأدى حزنه وجمع جنده ورمى بكتابه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته مسا أسات باطله، وعن يمينه، وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا، ورد إلينا حقنا وإرثنا.

أيها الناس إنا أمير المؤمنين نصره الله نصرنا عزيزاً، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة الجمعة لأنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن

عبد الله، وداود، وعيسى، وصالح، وإسماعيل، وعبد الصمد، بنو علي، وأخوه أبو العباس عبد الله ويحيى ابنا محمد بن علي، وابناه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الإمام الممسوك، وخلق سواهم، فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد، مولى بني هاشم في بني أود، وكنتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من القواد والأمراء، ثم أرغحل بهم إلى موضع آخر، حتى فتحت البلاد، ثم بوع للسفاح.

وأما إبراهيم بن محمد الإمام فإنه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان بن محمد وهو يجران فحبه، كما قدمتنا وما زال في السجن إلى هذه السنة، فمات في صفر منها في السجن، عن ثمان وأربعين سنة، وقيل إنه غم بمرفقة وضعت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة، وصلى عليه رجل يقال له مَهْلَهْل بن صفوان، وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات، وقيل بل سقى لبنا سميماً فمات.

وقيل إن إبراهيم الإمام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين، واشتهر أمره هنالك لأنه وقف في أبهة عظيمة، وغجاب كثيرة، وحرمة وافرة، فأنهى أمره إلى مروان وقيل له: إن أبا مسلم إنما يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة، فبعث إليه في الحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر من هذه السنة. وهذا أصح مما تقدم.

وقيل: إنه إنما أخذه من الكوفة لا من حمية البلقاء والله أعلم. وقد كان إبراهيم هذا كريماً جواداً له فضائل وفواضل، وروى الحديث عن أبيه وجده، وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وعنه أخوه عبد الله السفاح، وأبو جعفر عبد الله المنصور، وأبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، ومالك بن الميثم. ومن كلامه الحسن قوله: الكامل الرومة من أحرز دينه، ووصل رحمه، واجتنب ما يلام عليه.

خلافة أبي العباس السفاح

لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد، أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي بن أبي طالب، فغلبه بقية النقياء والأمراء على أمره، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة، وذلك بالكوفة، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة. وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال، وذلك ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة، فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج أبو العباس السفاح على برذون أبلق، والجنود مليئة معه، حتى دخل دار الإمارة، ثم خرج إلى المسجد الجامع وصلى بالناس، ثم صعد المنبر وبابه الناس يومئذ وهو على المنبر في أعلاه، وعنه داود بن علي واقف دونه بثلاث درج، وتكلم السفاح، وكان أول ما نطق به أن قال: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ديناً، فكرمه وشرفه وعظمه، واختاره لنا، وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والناظرين له، والزمان كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها، خصنا برحم رسول الله وقربائه، واشتقنا من نبعه ووضعنا بالإسلام وأهله في الموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً ينل عليهم. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْتَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الشورى: ٢٣] وقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ عَلَيَّ رُسُولُكَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْسَى وَالْيَتَامَى﴾ [الحشر: ٧] الآية.

كذب ابن زريق، لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله تعالى، وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة، فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدلوههم بقتال، وجعل ينظر إلى الشمس فخالفه الوليد بن معاوية بن مروان - وهو ختن مروان على ابنته - فحمل، فغضب مروان فشمته فقاتل أهل الميمنة فالحزب أبو عون إلى عبد الله بن علي، فقاتل موسى بن كعب لعبد الله بن علي، فأمर الناس فليزولوا، ونودي الأرض، فزول الناس وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب وقتلوههم، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفعون، وجعل عبد الله يمشي قدماً، وجعل يقول: يا رب حتى متى تقتل فيك، ونادى: يا أهل خراسان، يا لثارات إبراهيم، يا محمد يا منصور، واشتد القتال بين الناس جداً، فلا تسمع إلا وقعاً كالرأب على النحاس فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالنزول فقالوا: قل لبي سليم فليزولوا، وأرسل إلى السكاسك أن يحملوا فقالوا: قل لبي عامر أن يحملوا، فأرسل إلى السكون أن يحملوا فقالوا: قل لطفان فليحملوا. فقال لصاحب شرطته: انزل فقال: لا والله لا أجعل نفسي غرضاً. قال: أما والله لأموئلك. قال: وددت والله لو قدرت على ذلك، ويقال: إنه قال ذلك لابن هيرة.

قالوا: ثم انهزم أهل الشام واتبعهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون، وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع، وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر، واستخراج من هلك من الغرق، وجعل يتلو قوله تعالى ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠] وأقام عبد الله بن علي في موضع المعركة سبعة أيام، وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ:

لَجَّ الْفِرَارُ بِمُرْوَانَ قَتَلَتْ لَهُ عَادَ الظُّلُومِ ظَلِيماً فَهُوَ الْمَرْبُ
ابْنُ الْفِرَارِ وَتَرَكْتُ الْمَلِكُ إِذْ ذُهِبَتْ عَنْكَ الْهُوْنِى فَلَإِ دِينَ وَلَا حَسْبُ
فَرَاةَ الْحِلْمِ فَرَعُونَ الْعِقَابِ وَإِنْ تَطَلَّبْ نَدْبَهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبُ
واحتاز عبد الله ما في معسكر مروان من الأموال والأمتعة والحواصل، ولم يجد فيه امرأة سوى جارية كانت لعبد الله بن مروان، وكتب إلى أمير المؤمنين أبي العباس السفاح بما فتح الله عليه من النصر، وما حصل لهم من الأموال. فصلى السفاح ركعتين شكراً لله عز وجل، وأطلق لكل من حضر الوقعة خمسمائة خمسمائة، ورفع في أرزاقهم إلى ثمانين، وجعل يتلو قوله: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

صفة مقتل مروان الحمار

لما انهزم مروان سار لا يلوي على أحد، فأقام عبد الله بن علي في مقام المعركة سبعة أيام، ثم سار في طلبه بمن معه من الجنود، وذلك عن أمر السفاح له بذلك، فلما مر مروان بحران اجتازها وأخرج أبا محمد السفياتي من سجنه، واستخلف عليها أبان بن يزيد - وهو ابن أخيه، وزوج ابنته أم عثمان - فلما قدم عبد الله بن علي حران خرج إليه أبان بن يزيد مسوداً فأمته عبد الله بن علي وأقره على عمله، وهدم الدار التي سجن فيها إبراهيم بن محمد الإمام، واجتاز مروان قسرين قاصداً حصص، فلما جاءها خرج إليه أهلها بالأسواق، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها، فلما راوا حصص قلة من معه اتبعوه طمعاً فيه، وقالوا: مرعوب مهزوم، فأسدركه بواد عند حصص فأكمن لهم أميرين، فلما تلاحقه أجمعاهما -

استمات الكلام بعد أن اسحق في شدة الروع، فادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن، وخليفة الشيطان، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقى. قال فعج الناس له بالعداء ثم قال: واعلموا يا أهل الكوفة أنه لم يصعد منكم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد هذا - وأشار بيده إلى السفاح - واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى تسلمه إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا.

ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر. ثم دخل الناس يسارعون إلى العصر، ثم من بعد العصر إلى الليل.

ثم إن أبا العباس خرج فمسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود بن علي، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة. وهو يومئذ بواسط يحاصر ابن هيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمقاتن، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف. وأقام هو بالعسكر أشهراً، ثم ارتحل فزول المدينة الهاشمية في قصر الإمارة، وقد تنكر لأبي سلمة الخلاص، وذلك لما كان بلغه عنه من العدول بالخلافة عن بني العباس إلى آل علي بن أبي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم.

مقتل مروان بن محمد بن مروان

آخر خلفاء بني أمية، وتحول الخلافة إلى بني العباس، وذلك من قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ مُتَرَجِّعُ الْمُلْكِ مِنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه، تحول من حران فزول على نهر قريب من الموصل، يقال له الزاب من أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن السفاح قد بويع له بالكوفة والتفت عليه الجنود، واجتمع له أسره، شق عليه ذلك جداً، وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن يزيد في جيش كثيف، فنازله على الزاب وجاءته الأمداد من جهة السفاح، ثم ندب السفاح الناس من يلي القتال من أهل بيته، فالتدب عمه عبد الله بن علي فقال سر على بركة الله، فسار في جنود كثيرة فقدم على أبي عون فتحول له أبو عون عن سرادقه، وخلاه له وما فيه، وجعل عبد الله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي، وعلى حرسه نصير بن المحفز، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن علي يحته على مناجزة مروان، والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن تحدث أمور، وتبرد نيران الحرب.

فتقدم عبد الله بن علي بمن معه حتى واجه جيش مروان، ونهض مروان في جنوده وتصفاف الفريقان في أول النهار، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفاً، ويقال: مائة وعشرون ألفاً، وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفاً. فقال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، وإن قاتلونا قبل الزوال فلنا له وإننا إليه راجعون. ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله المودة، فقال عبد الله:

ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم.
وقد استدعى الأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له: يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه؟ قال: قتلته له: لا أدري، غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات [١] (١٩٠٧) فذكر الحديث. قال الأوزاعي: وانتظرت رأسي يسقط بين رجلتي ثم أخرجت، وبعث إلي بمائة دينار.

وأقام بها عبد الله بن علي خمسة عشر يوماً ثم سار وراء مروان فنزل على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائباً على دمشق، ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سودوا ثم سار إلى بيسان ثم سار فنزل مرج الروم، ثم أتى نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل مصر، وجاءه كتاب السفاح: أن وجه صالح بن علي في طلب مروان وأقم أنت بالشام نائباً عليها، فسار صالح يطلب مروان في ذي القعدة من هذه السنة، ومعه أبو عون وعامر بن إسماعيل، فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل القرماء، وقيل الفيوم، فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش، ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد، فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله من العلف والطعام، ومضى صالح في طلبه. فالتقى بجمل لمروان فهزمهم، ثم جعل كلما التقوا مع خيل لمروان يهزمونهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فلم يعلم عليه، وإذا به في كنيسة بوسير، فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير فأحاطوا به حتى قتلوه، طعنه رجل من أهل البصرة يقال له مغنود، ولا يعرفه حتى قال رجل: صرع أمير المؤمنين. فابتدته رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فأحتر رأسه، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي، فبعث به صالح مع رجل يقال له خزمية بن يزيد بن هاتئ كان على شرطته، لأمر المؤمنين السفاح.

وكان مقتل مروان يوم الأحد ثلاث بقين من ذي الحجة، وقيل يوم الخميس لست بقين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور، واختلفوا في سنة يوم قُتل فقيل أربعون سنة، وقيل ست وقيل ثمان وخمسون سنة، وقيل ستون وقيل اثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة، وقيل ثمانون فالله أعلم.
ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخلف على مصر أبا عون بن أبي يزيد والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار

وهو

■ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية، وأمه أمة كردية يقال لها لبابة، وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي، أخنعا محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا، ويقال: إنها كانت أولاً لمصعب بن الزبير، وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكافين. قاله الحافظ ابن عساکر.

بوقع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، ثم قدم دمشق وخلع لإبراهيم بن الوليد، واستتب له الأمر في النصف من

فناشدهم أن يرجعوا فأبوا إلا مقاتلته، فثار القتال بينهم وثار الكميّسان من ورائهم، فانهزم الحمصيون، وجاء مروان إلى دمشق وعلى نياتها من جهته زوج ابنته أم الوليد وهو الوليد بن معاوية بن مروان، فتركه بها واجتاز عنها قاصداً إلى الديار المصرية، وجعل عبد الله بن علي لا يمر ببلد إلا خرجوا وقد سودوا فيبايعونه ويعطيهم الأمان، ولما وصل إلى قنشرين وصل إليه أخوه عبد الصمد بن علي في أربعة آلاف، قد بعثهم السفاح مدداً له، ثم سار عبد الله حتى أتى حمص، ثم سار منها إلى بعلبك، وجاء دمشق من ناحية المزة فنزل بها يومين، ثم جاءه أخوه صالح بن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح، فنزل صالح بمرج عذراء، ولما جاء عبد الله بن علي دمشق نزل على الباب الشرقي، ونزل صالح بن علي على باب الجابية، ونزل أبو عون على باب كيسان، ونزل بسم على الباب الصغير، وحيد بن قحطبة على باب توما، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفرائيس، فحاصروها أياماً ثم اقتحمها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان هذه السنة، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأباحها ثلاث ساعات، وهدم سورها، ويقال إن أهل دمشق لما حاصروهم عبد الله بن علي اختلّفوا فيما بينهم، ما بين عباسي وأموي، فاقترلوا فقتل بعضهم بعضاً، وقتلوا نائهم ثم سلموا البلد، وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله الطائي ومن ناحية باب الصغير بسم بن إبراهيم، ثم أبيضت دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحواً من خمسين ألفاً.

وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب، وكان أميراً على خمسة آلاف مع عبد الله بن علي في حصار دمشق، أنهم أقاموا محاصرتها خمسة أشهر، وقيل مائة يوم، وقيل شهراً ونصفاً، وأن البلد كان قد حصنه نائب مروان تحصيناً عظيماً، ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب الميمنة والمضربة، وكان ذلك سبب الفتح، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد عمرايين للقبليتين حتى في المسجد الجامع متبرين، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين، وهذا من عجيب ما وقع، وغريب ما اتفق، وفظيع ما أحدث بسبب الفتنة والهووى والعصية، نسأل الله السلامة والعافية، وقد بسط ذلك ابن عساکر في الترجمة المذكورة.

وذكر في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال: كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق، دخلها بالسيف ثلاث ساعات، وجعل مسجد جامعها سبعين يوماً اصطبلًا لدوابه وجمالها، ثم بنى قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خطاً أسود مثل الهباء، وبنى قبر عبد الملك بن مروان فوجد جمجمة، وكان يجد في القبر العضو بعد العضو، إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجده صحيحاً لم يبل منه غير أرنبة أنفه، فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياماً ثم أحرقه بالنار ودق رماده ثم ذره في الريح، وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير، سبعة سوط، ثم نفاه إلى الحيمية بالبلقاء. قال: ثم تبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين نفساً عند نهر بالرملة. وسط عليهم الأنطاع ومد عليهم سماتاً فاكل وهم يختلجون تحتها، وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه، وقد مضى ولم يدم له ما أراده ورجاه، كما سيأتي في ترجمته. وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال، مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاسرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها فما زالوا يزنن بها ثم قتلوها.

صفر سنة سبع وعشرين ومائة.

وقال أبو معشر: بويع له بالخلافة في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائة. وكان يقال له مروان الجعدي، نسبة إلى رأي الجعد بن درهم، وتلقب بالحمار، وهو آخر من ملك من بني أمية، كانت خلافته منذ سلم إليه إبراهيم بن الوليد إلى أن بويع للسفاح خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وقيل خمس سنين وشهراً، وبقي مروان بعد أن بويع للسفاح تسعة أشهر.

وكان أبيض مشرباً، أزرق العينين، كبير اللحية، ضخم الهامة، ربعة، ولم يكن يخضب، ولله هشام نياحة أفريجيان وأرمينية والجزيرة، في سنة أربع عشرة ومائة، ففتح بلاداً كثيرة وحصوناً متعددة في سنين كثيرة، وكان لا يفارق الغزو، قاتل طوائف من الناس والترك والخزر واللات وغيرهم، فكسبهم وقهرهم، وقد كان شجاعاً بطلاً مقدماً حازم الراي، ولولا أن جنته خللوه بتقليد الله عز وجل لما له في ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته. ولكن من يخذل الله يخذل، ومن يهن الله فما له من مكرم.

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله: كان بنو أمية يرون أنه تذهب منهم الخلافة إذا وليها من أمه أمة، فلما وليها مروان بن محمد كانت أمه أمة، فأخذت الخلافة من يده في سنة اثنتين وثلاثين ومائة لأبي العباس السفاح.

وقد قال الحافظ ابن عساكر: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن أخبرنا سهل بن بشر أنبا الخليل بن هبة الله بن الخليل أنبا عبد الوهاب الكلبي حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبا العباس بن الوليد بن صبح حدثنا عباس بن نجيع أبو الحارث حدثني الهيثم بن حميد حدثني راشد بن داود عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال الخلافة في بني أمية يتلقفونها تلقف الغلمان الأكثرة، فإذا خرجت منهم فلا خير في عيش.

هكذا أورد ابن عساكر وسكت عليه وهو منكر جداً. وقد سأل الرشيد أبا بكر بن عياش: من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية؟ فقال: هم كانوا أشفع للناس، واتمم أقوم للصلاة، فأعطاه ستة آلاف. قالوا: وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير العجب، يعجبه اللهو والطرب، ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب.

قال ابن عساكر: قرأت بخط أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن مقذ بن الأمير في مجموع له: كتب مروان بن محمد إلى جارية له تركها بالرملة عند ذهابه إلى مصر منهزماً:

وما زلت يدعونني إلى الصبر ما قأى ويؤنسي الذي لك في صدري
وكان عزيزاً أن تيسبي وينتسا حجاب قد أصبت مني على عشرين
وانكاهما والله للقلب فاعلمي إذا زدت مثلياً فصيرت على شهر
واعظم من هذين والله انسي أحناف بأن لا نلتقي آخر الدهر
سأبكيك لا مستقباً فيض عبرة ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم: اجتاز مروان وهو هارب برأب فاطلع عليه الراهب فسلم عليه فقال له: يا راهب هل عندك علم بالزمان؟ قال: نعم! عندي من تلونه ألوان. قال: هل تبلغ الدنيا من الإنسان أن تجعله مملوكاً بعد أن كان ملكاً؟ قال: نعم! قال: كيف؟ قال: تحبها؟ قال: نعم. قال: فأنت مملوك لها. قال: فما السبيل في العتق؟ قال: بغضها والتخلي عنها. قال: هذا

ما لا يكون. قال الراهب: أم تحبها منك فسيكون، فبادر بالهرب منها قبل أن تبادرك. قال: هل تعرفني؟ قال: نعم! أنت ملك العرب مروان، تقتل في بلاد السودان وتدفن بلا أكفان، فلولا أن الموت في طلبك لدلتك على موضع هربك.

قال بعض أهل ذلك الزمان: كان يقال: يقتل ع بن ع بن ع بن ع م بن م بن م. يعنون يقتل عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس مروان بن محمد بن مروان.

وقال بعضهم: جلس مروان يوماً وقد أحيط به وعلى رأسه خادم له قائم، فقال مروان يوماً لبعض من يحاط به: ألا ترى ما نحن فيه؟ هفي على أيد ما ذكرت. ونعم ما شكرت، ودولة ما نصرت. فقال له الخادم: يا أمير المؤمنين من ترك القليل حتى يكسر، والصغير حتى يكبر، والخصي حتى يظهر، وآخر فعل اليوم لغد، حل به أكثر من هذا، فقال مروان: هذا القول أشد علي من فقد الخلافة.

وقد قيل إن مروان قتل يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وقد جاوز الستين، وبلغ الثمانين.

وقيل: إنما عاش أربعين سنة. والصحيح الأول وكانت خلافته خمس سنين. وهو آخر خلفاء بني أمية به انقضت دولتهم.

ذكر ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء دولة بني

العباس من الأخبار النبوية وغيرها

قال العلاء بن عبد الرحمن بن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين رجلاً اتخولوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً». ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه [الدلائل للسيهي: ٥٠٧/٦].

وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن موهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان بن الحكم فكلّمه في حاجة فقال: اقض حاجتي فإني لأبوء عشرة، وعم عشرة وأخو عشرة. فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير: أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخولوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتب الله دغلاً، فإذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة، كان هلاكهم أسرع من لوك تمرّة. فقال ابن عباس: اللهم نعم قال: وذكر مروان حاجة له فردّ مروان عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فيها فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: «أبو الجبابرة الأربعة». فقال ابن عباس: اللهم نعم [الدلائل للسيهي: ٥٠٧/٦، ٥٠٨].

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا القاسم بن الفضل حدثنا يوسف بن مازن الراسي قال: قام رجل إلى الحسين بن علي بعدما بايع معاوية فقال: يا مسرود وجه المؤمنين! فقال الحسين: لا تؤنّبني رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساء ذلك فترلت «إِنَّا أَطَعْنَاكَ الْكَوْثَرُ» (الكوثر: ١) وهو نهر في الجنة، ونزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» (القدر: ١-٣) يملكه بنو أمية. قال: فحسبنا ذلك فإذا هو كما قال لا يزيد يوماً ولا ينقص.

وقد رواه الترمذي [٣٣٠٠] عن محمود بن غيلان عن أبي داود

صحة - قال: جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله ﷺ فعرّف كلامه فقال: أنذنوا له حيّة أو ولد حيّة، عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم، يشركون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق.

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي: أتى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد أتيا محمد بن المظفر الحافظ أتيا أبو القاسم عامر بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقي أتيا أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاح حدثنا أبو النصر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد مولى أم الحكم بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز، حدثنا يزيد بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث الصنعاني عن ثوبان قال: «كان رسول الله ﷺ نائما واضعاً رأسه على فخذه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فنهض ثم تبسم، فقالوا: يا رسول الله رأيناك نحيب ثم تبسمت، فقال: رأيت بني مروان يتعاورون على منبري فسامني ذلك، ثم رأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسرني ذلك».

وقال يعقوب بن سفيان: حدثني محمد بن خالد بن العباس حدثنا الوليد بن مسلم حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام المعيطي عن أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط. قال: قدم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته، ثم قال: يا أبا العباس! هل تكون لكم دولة؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، فقال: لتخبرني، قال: نعم! قال: فمن أنصاركم؟ قال: أهل خراسان. ولبي أمية من بني هاشم تطحات.

وقال المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير: سمعت ابن عباس يقول: يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح، والمنصور، والمهدي.

رواه البيهقي من غير وجه، ورواه الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً.

وروى ابن أبي خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد عن ابن عباس قال: كما انتح الله بأولنا فأرجو أن ينجته بنا.

وهذا إسناد صحيح إليه، وكذا وقع ويقع للمهدي إن شاء الله تعالى. وروى البيهقي عن الحاكم (اللائل: ٥١٤/٦) عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد. قال قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن، يقال له السفاح، يعطي المال حشاً.

وقال عبد الرزاق: حدثنا الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: يقتل عند كتركم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير إلى واحد منهم، ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم ير مثلها. ثم ذكر شيئاً فإذا كان ذلك فأتوه ولو جروا على النجج، فإنه خليفة الله المهدي.

ورواه بعضهم عن ثوبان فوقه وهو أشبه والله أعلم. وقال الإمام أحمد (٣١٥/٢): حدثني يحيى بن خيلان وقتيبة بن سعيد

قالا: حدثنا رسلين بن سعد حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شيء حتى تصب بأبلياء.

وقد رواه البيهقي في الللائل (٥١٦/٦) من حديث رسلين بن سعد المصري، وهو ضعيف. ثم قال: قد روي قريبا من هنا عن كعب الأحبار وهو أشبه.

ثم قال من طريق يعقوب بن سفيان: حدثنا محدث، عن أبي المغيرة

الطيالسي ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي. قال: وشيخه يوسف بن سعد ويقال: يوسف بن مازن، رجل مجهول، ولا يعرف هذا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه.

وأخرجه الحاكم في مستدركه (١٧٠/٣، ١٧١) من حديث القاسم بن الفضل الحناني، وقد تكلمت على تكرار هذا الحديث في التفسير بكلام مبسوط والله الحمد والمنة، وإنما يتجه أن يكون دولة بني أمية ألف شهر إذا أسقط منها أيام عبد الله بن الزبير، وذلك أن معاوية بوع به مستقلاً بالملك في ستة أربعين، وهي عام الجماعة حين سلم إليه الحسن بن علي الأمر بعد ستة أشهر من قتل علي، ثم زالت الخلافة عن بني أمية في هذه السنة، أعني هي سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وذلك ثنتان وتسعون سنة، وإذا أسقط منها تسع سنين بقي ثلاث وثمانون سنة، وهي مقاربة لما ورد في هذا الحديث، ولكن ليس هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ، أنه فسر هذه الآية بهذا، وإنما هذا من بعض الرواة، وقد تكلمنا على ذلك مطولاً في التفسير، وتقدم في الدلائل أيضاً تقريره والله أعلم.

وقال علي بن الحسين عن يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: رأيت بني أمية يصعدون منبري فشق ذلك علي فأنزلت. «إنا أنزلناه في ليلة القدر» فيه ضعف وإرسال.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة: حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الله بن نمير عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله: «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» (الإسراء: ٦٠) قال: رأى ناساً من بني أمية على المنابر فسأه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها وتضعمل عن قليل فسرني عنه.

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال: لما أسري برسول الله ﷺ رأى فلاناً وهو بعض بني أمية على المنبر يخاطب الناس فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى: «وَأَنْ أَرَى لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (الأنبياء: ١١١) يقول: هذا الملك فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وقال مالك بن دينار: سمعت أبا الجوزاء يقول: والله ليغيرن الله ملك بني أمية كما غير ملك من كان قبلهم، ثم لينزلن ملكهم كما أذل ملك من كان قبلهم، ثم تلا قوله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلْهَا بَيْنَ النَّاسِ» (آل عمران: ١٤٠).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن سعيد حدثنا أبو أسامة حدثنا عمر بن حزمة أخبرني عمر بن سيف مولى لعثمان بن عفان قال: سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لأبي بكر بن عبد الرحمن ولأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وذكروا بني أمية - فقال: لا يكون هلاكهم إلا بينهم. قالوا: كيف؟ قال: هلك خلفاؤهم وبقي شرارهم فيتافسونها، ثم يكثر الناس عليهم فيهلكونهم.

وقال يعقوب بن سفيان: أتى أحمد بن محمد الأزرقى حدثنا الزنغي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رأيت في النوم بني الحكم أو بني أبي العاص يزورون على منبري كما تزور القردة قال: فما روي رسول الله ﷺ مستجعماً ضاحكاً بعدها حتى توفي.

قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا سعيد بن زيد - أخو حاد بن زيد - عن علي بن الحكم البتاني عن أبي الحسن هو الحمصي عن عمرو بن مرة - وكانت له

وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية، لكن لم يحكم بلاد الأندلس، ولا على بلاد المغرب، وذلك لأن بعض من دخلها من بني أمية استحوذ عليها وملكها كما سيأتي تفصيله.

وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف، فمنهم أهل قنسرين بعد ما يبيعوه على يدي عمه عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم وهو أبو الورد مجزة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، وكان من أصحاب مروان وأمرائه، فخلع السفاح ولبس البياض، وحل أهل البلد على ذلك فوافقوه، وكان السفاح يومئذ بالحيرة، وعبد الله بن علي مشغول بالبقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المري ومن وافقه من أهل البقاء والبنية وحوران على خلع السفاح، ويؤم فلما بلغه عن أهل قنسرين ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وركب نحو قنسرين، فلما اجتاز بدمشق - وكان بها أهله ونقله - استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف، فلما جاوز البلد وانتهى إلى حصص، نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه. فخلعوا السفاح ويضوا وقاتلوا الأمير أبا غانم فهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه وانتهوا ثقل عبد الله بن علي وحواصله، ولم يتعرضوا لأهله. وتفاقم الأمر على عبد الله بن علي وذلك أن أهل قنسرين ترأسوا مع أهل حصص وتدنم واجتمعوا على أبي محمد السفياي، وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فبايعوه عليهم بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفا فقتلهم عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم، فقدم عبد الله بن علي أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من الفرسان بين يديه فالتقوا مع مقدمة السفياي وعليها أبو الورد فالتقوا قتالا شديدا وهزموا عبد الصمد وقتل من الفريقين ألف، فقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا قتالا شديدا، وجعل أصحاب عبد الله يفرون وهو ثابت هو وحيد. وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد، وثبت أبو الورد في خمسمائة من أهل بيته وقومه، فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد السفياي ومن معه حتى لحقوا بتنمر، وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة، ثم كر عبد الله رجعا إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا، فلما دنا منها تفرقوا عنها وهربوا ولم يكن بينه وبينهم قتال فأنهم ودخلوا في الطاعة وسودوا موافقة للخليفة، وكان ذلك شعار السمع والطاعة.

وأما أبو محمد السفياي فإنه ما زال متغيا ومشتتا من بلد إلى بلد حتى لحق بأرض الحجاز فقاتله نائب أبي جعفر المنصور في أيامه، فقتله وبعث برأسه وباين له اخذهما أسيرين فأطلقهما المنصور وخلي سبيلهما.

وقد قيل: إن وقعة أبي محمد السفياي كانت يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة فإله أعلم.

ومن خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا، فوافقهم ويضوا وركبوا إلى نائب حران من جهة السفاح - وهو موسى بن كعب - وكان في ثلاثة آلاف فارس قد اعتصم بالبلد، فحاصروه قريبا من شهرين، ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسط محاصري ابن هيرة، فمر في مسيره إلى حران بقرقيسيا وقد ييضوا فغلقت أبوابها دونه، ثم مر بالركة وعليها بكار بن مسلم وهم كذلك، ثم جاء حران وعليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونها ففرح إسحاق عنها إلى الرها، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جند حران فالتقوا أبا جعفر المنصور ودخلوا في جيشه، وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعة بدارا

عبد القدوس، عن ابن عياش، عن حدثه عن كعب الأحبار قال: تظهر رايات سود لبني العباس حتى يزلوا الشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم.

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل عن ابن أبي أويس عن ابن أبي فنيك عن محمد بن عبد الرحمن العامري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للعباس: فيكم النبوة وفيكم الملكة. [الدلائل للبيهقي: ٥١٧/٦]

وقال عبد الله بن أحمد عن ابن معين عن عبيد بن أبي قرعة عن الليث عن أبي قبيل عن أبي مسيرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال: كنت عند رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: أنظر هل ترى في السماء من شيء؟ قلت: نعم! قال: فما ترى؟ قلت: الثريا، قال: أما إنه سيملك هذه الأمة بعدد ما من صلبك. [الدلائل للبيهقي: ٥١٨/٦]

قال البخاري [التاريخ الكبير: ٢/٦]: عبيد بن أبي قرعة لا يتابع على حديثه في قصة العباس.

وروي ابن عدي عن طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن عليم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: مررت برسول الله ﷺ ومعه جبريل وأنا أظنه دحية الكلبي، فقال جبريل لرسول الله ﷺ: إنه لو سخط الثياب، وسلبس ولده من بعده السوداء.

وهذا منكر من هذا الوجه، ولا شك أن شعار بني العباس كان السوداء، وأخذوا ذلك من دخول رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجمع والمخالف. وكذلك كان جندهم لا بد من أن يكون على أحدهم شيء من السوداء، ومن ذلك وما يليه الملك للأمراء حين يُخلع عليهم بالإمرة لا بد وأن يلبس شيئا من السوداء وهو الشربوش. وكذلك دخل عبد الله بن علي يوم دخل دمشق وعليه السوداء، فجعل النساء والغلمان يعجبون من لباسه، وكان دخوله من باب كيسان. وقد خطب بالناس يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السوداء.

وقد روى ابن عساکر بمختصر تاريخ دمشق: ١٤٦/٢٤ عن بعض الحراسيين قال: لما خطب بالناس عبد الله بن علي بالناس فصلى؛ صلى رجل إلى جاني فقال: الله أكبر، سبحانك اللهم وبحمديك وتبارك اسمك وتعالى جلتك ولا إله غيرك، ثم قال، ونظر إلى عبد الله بن علي: ما أتبع وجهك وأشنع سوادك؟! وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على الخطباء يوم الجمعة والأعياد.

ذكر استقلال أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن

عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح وما اعتمده في أيامه

من السيرة الحسنة والعدالة النامة

قد تقدم أنه يبيع له بالخلافة أول ما بُيع بها بالكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر، وقبل: الأول من هذه السنة، سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ثم جرد الجيوش نحو مروان الحمار فطردوه من مملكه وأجلوه عنها، وما زالوا وراءه حتى قتلوه ببوصير من بلاد الصعيد، بالديار المصرية، في العشر الأخيرة من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه وتفصيله وبسطه وحيث استقل بالخلافة السفاح واستقرت يده على بلاد العراق

فمال إلى مصالحة أبي جعفر، فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك فأذن له في المصالحة، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصلح، فمكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً. ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية، فلما دنا من سرادق أبي جعفر هم أن يدخل بفرسه فقال الحاجب سلام: انزل أبا خالد، فتزل، وكان حول السرادق عشرة آلاف من أهل خراسان، ثم أذن له في الدخول فقال: أنا ومن معي؟ قال: لا بل أنت وحدك، فدخل ووضع له وسادة فجلس عليها، فحادثه أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده فأتبعه أبو جعفر بصره. ثم جعل يأتيه يوماً بعد يوم في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل، فشكوا ذلك إلى أبي جعفر فقال أبو جعفر للحاجب: مره فليأت في حاشيته، فكان يأتي في ثلاثين نفساً، فقال الحاجب: كأنك تأتي متابعاً؟ فقال: لو أمرتوني بالمشي لمشيت إليكم، ثم كان يأتيه في ثلاثة أنفس. وقد خاطب ابن هبيرة يوماً لأبي جعفر فقال له في غبون كلامه: يا هناه - أو قال: يا أيها المرء - ثم اعتنوا إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك، فأعذره. وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشيريه في مصالحة ابن هبيرة فنهاه عن ذلك، وكان السفاح لا يقطع أمراً دون مراجعة أبي مسلم، فلما وقع الصلح على يدي أبي جعفر لم يعجب السفاح ذلك، وكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتله، فراجعه أبو جعفر مراراً لا يفيد شيئاً، حتى جاء كتاب السفاح إليه أن اقتله لا محالة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كيف يعطي الأمان وينكت؟ هذا فعل الجبارة وأقسم عليه في ذلك. فأرسل إليه أبو جعفر طائفة من الخراسانية فدخلوا عليه وعنده ابنه داود وفي حجره صبي له صغير، وحوله مواليه وحاجبه، فدافع عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواليه، وخلصوا إليه، فألقى الصبي من حجره وخر ساجداً فقتل وهو ساجد، واضطرب الناس، فنادى أبو جعفر في الناس بالأمان إلا الحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمر بن ذر. فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضهم.

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة الحلال فيضرب أعناقهم، ففعل ذلك.

ولمها ولى السفاح أخاه يحيى بن محمد المرسل وأعمالها، وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن واليمامة، وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى، وولى قضاءها ابن أبي ليلى، وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلي. وعلى قضائها الحجاج بن أوطاه، وعلى السند منصور بن جهور، وعلى فارس محمد بن الأشعث، وعلى أرمينية وأذربيجان والجزيرة أبو جعفر المنصور، وعلى الشام وأعماله عبد الله بن علي عم السفاح، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد، وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك. وحج بالناس فيها داود بن علي.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي، آخر خلفاء بني أمية، قتل في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة كما قلنا ذكره.

ووزيره

وماردين، ورئيسهم حروري يقال له بركة، فصاروا حزياً واحداً، فقصده إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل بركة في المعركة، وهرب بكار إلى أخيه بالرها، فاستخلفه بها ومضى في عظم المسكر حتى نزل سميحاً فخذق على عسكره، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكاراً بالرها، وجرت له معه وقعتات. وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى سميحاً وقد اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفاً من أهل الجزيرة، فسار إليهم عبد الله بن علي واجتمع إليه أبو جعفر المنصور، فكاتبتهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك، عن إذن أمير المؤمنين السفاح وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، فلم يزل عليها حتى ولي الخلافة بعد أخيه، ويقال إن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان بن محمد قد قتل، وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر، وقد كان صاحباً لأبي جعفر المنصور فآمنه.

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن امر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أميرها، ليستطلع رايه في قتل أبي سلمة خض بن سليمان الوزير وكان سبب ذلك أن السفاح سمر ليلة مع أهل بيته فتناكروا ما كان من أمر أبي سلمة حين كان أراد أن يصرف الخلافة عن بني العباس فسأل سائل: هل كان ذلك عن مآلاة أبي مسلم له في ذلك أم لا؟ فسكت القوم، فقال السفاح: لئن كان هذا عن رايه إنا لجرؤض بلاءه، إلا أن يدفعه الله عنا. قال أبو جعفر: فقال لي أخي: ما ترى؟ فقلت: الرأي رأيك. فقال: ليس أحد أخص بأبي مسلم منك، فاذهب إليه فاعلم علمه، فإن كان عن رايه احتلنا له، وإن لم يكن عن رايه طابعت أنفسنا. قال أبو جعفر: فخرجت إليه قاصداً على وجل. فلما وصلت إلى الري إذا كتاب أبي مسلم إلى نائبها يستخني إليه في المسير، فازدت وجلا، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستخني أيضاً وقال لنانها: لا ندعه يقر ساعة واحدة. فإن أرضك بها خوارج، فانشرح للنك. فلما صرت من مرو على فرسخين، أتني يتلقاني ومعه الناس، فلما واجهني ترجل وجاء قبيل يدي، فأمرته فركب، فلما دخلت مرو نزلت في داره فمكث ثلاثاً لا يسألني عن شيء، فلما كان في اليوم الرابع: سألني ما أقدمك؟ فأخبرته. فقال: أفعلها أبو سلمة؟ أنا أكنيكموه. فدعا مرار بن أنس الضبي فقال: اذهب إلى الكوفة فحيث لقيت أبا سلمة فاقتله، وإنته في ذلك إلى رأي الإمام. فقدم مرار الكوفة الهاشمية، وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح، فلما خرج قتله مرار وشاع أن الخوارج قتلوه، وغلقت البلد. ثم صلى عليه يحيى بن محمد بن علي أخو أمير المؤمنين، ودفن بالهاشمية، وكان يقال له وزير آل محمد. ويقال لأبي مسلم أمير آل محمد. قال الشاعر:

إن الوزيرَ وزيرَ آلِ محمدٍ أودى فمن يثْشَنَّاكَ كانَ وزيراً
ويقال: إنه إنما سار جعفر إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وإن أبا جعفر كان معه ثلاثون رجلاً، منهم الحجاج بن أوطاه، وإسحاق بن الفضل الهاشمي، في جماعة من السادات. ولا رجع أبو جعفر من خراسان قال لأخيه: لست بخليفة ما دام أبو مسلم حياً حتى تقتله، لما رأى من طاعة الجيش والأمراء له، فقال له السفاح: اكتمها فسكت.

ولما رجع أبو جعفر من خراسان بعثه أخوه إلى حصار ابن هبيرة بواسطة، فلما اجتاز بالحنين بن قحطبة أخذه معه، فلما أحيط بابن هبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن ليابع له بالخلافة فأبى عليه جوابه،

■ عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي، الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل، فيقال: فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد.

وكان إماماً في الكتابة وجميع فنونها، وهو القدوة فيها. وله رسائل في ألف ورقة، وأصله من الأنبار ثم سكن الشام، وتعلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه، وعليه تخرج، وكان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد ماهراً في الكتابة أيضاً، وقد كان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال حتى وُزِّرَ لسروان الجعدي آخر خلفاء بني أمية وأخذ بعده، فقتله السفاح ومثّل به. ومن مستجاد كلامه: العلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة.

ومن كلامه ورأى رجلاً يكتب خطاً رديئاً: أطل جلفه قلمك وأسمها، وحرف قطك وإينها. قال الرجل: ففعلت ذلك فجاد خطي. وسأله رجل أن يكتب له كتاباً إلى بعض الأكابر يوصيه به، فكتب إليه: حقّ موصل كتابي إليك كحفة علي إذ رأك موعباً لأمله، ورأني أهلاً لحاجته، وقد قضيت أنا حاجته فصلق أمله. وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت:

إذا خرج الكتاب كان قوهم قسباً وأقلام السوءي لها نبلا وأبو سلمة

■ حفص بن سليمان: أول من وزر لآل العباس، قتل أبو مسلم عن أمر السفاح، بعد ولايته بأربعة أشهر وكانت بيعة السفاح ليلة الجمعة وهي ليلة الثالث عشر من ربيع الآخر من هذه السنة وكان مقتله، في رجب منها.

وكان داهية فاضلاً حسن المفاكهة، وكان السفاح يأنس إليه ويجب مسامرته لطيب محاضراته، ولكن توهم ميله لآل علي ففسد عليه أبو مسلم عليه من قتله غيلة كما تقدم، فأنشد السفاح عند ذلك:

إلى النار فليلعب ومن كان مثله على أي شيء فأتينا منه نأسف كان يقال له وزير آل محمد، ويعرف بالخلال، لسكناه في درب الخلالين بالكوفة، وهو أول من سُمي بالوزير.

وقد حكى ابن خلكان وفیات الأعيان: ١٩٧/٢ عن ابن قتيبة أن اشتقاق الوزير من الوزر وهو الحمل، فكان السلطان حمله انتقالاً لاستبداده إلى رايه. وقال الزجاج: وهو مشتق من الوزر وهو الجبل فكان السلطان لجاً إلى رايه، كما يلجأ الخائف إلى جبل يعتصم به. والله أعلم

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

فيها ولي السفاح عمه سليمان بن علي البصرة وأعمالها. وكور دجلة والبحرين وعمان. ووجه عمه إسماعيل بن علي إلى كور الأهواز. وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدنية من بني أمية.

وفيها توفي داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول، واستخلف ابنه موسى على عمله، وكانت ولايته على أرض الحجاز ثلاثة أشهر، ولما بلغت السفاح وفاته استتاب على الحجاز خاله يزيد بن عبيد الله بن عبد المذنان الحارثي، وولّى اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المذنان، وجعل إمرة الشام لمحبه عبد الله وصالح ابني علي، وقرّر أبا عون

على الديار المصرية نائباً عليها.

وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتلها، وفيها خرج شريك بن شيخ المهري على أبي مسلم الخراساني وقال: ما على هذا بائنا آل محمد، على سفك الدماء؟ واتبعه على ذلك نحو من ثلاثين ألفاً، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله.

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل، وولّى عليه عمه إسماعيل بن علي.

وفيها ولى الصائفة من جهته صالح بن علي بن سعيد بن عبد الله ففزا وراء الدروب.

وحج بالناس خال أمير المؤمنين السفاح زياد بن عبيد الله بن عبد المذنان الحارثي.

ونواب البلدان هم الذين كانوا في التي قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل في هذه السنة

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

فيها خلع بسام بن إبراهيم بن بسام الطاعة وخرج على السفاح، فبعث إليه خازم بن خزيمه فقاتله فقتل عامة أصحابه، واستباح عسكره. ورجع فمر بملاً من بني عبد المذنان أخوال السفاح فسألم عن بعض ما فيه نصرة للخليفة، فلم يردوا عليه، واستهانوا به، فأمر بضرب أعناقهم - وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلهم من مواليتهم - فاستعدي بنو عبد المذنان على خازم بن خزيمه إلى أمير المؤمنين السفاح، وقالوا: قتل أخوالك بلا ذنب، فهم السفاح بقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن ليبعث مبعثاً صعباً، فإن سلم فلذاك، وإن قتل فلذلك الذي أردت. فبعثه إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهز معه سبعمائة رجل، وكتب إلى عمه سليمان بن علي بالبصرة أن يحملهم في السفن إلى عمان ففعل، فقاتل الخوارج فكسروهم وقهرهم واستحوذ على تلك البلاد، وقتل أمير الخوارج الصفريه وهو الجندى، وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف، وبعث برؤوسهم إلى البصرة، فبعث بها نائب البصرة إلى الخليفة، ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً غانماً منصوراً.

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصفد وغزا أبو دارد أحد نواب أبي مسلم بلاد كس، فقتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً.

وفيها بعث السفاح موسى بن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً، فالتقه موسى بن كعب في ثلاثة آلاف فهزمه واستباح عسكره.

وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد المذنان، فاستخلف السفاح عليها عمه، وهو خال الخليفة زياد بن عبيد الله.

وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار.

وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى، ونواب الأقاليم هم هم.

وفيه توفي من الأعيان

- أبو هارون العبدي، عمارة بن جوين.
- يزيد بن يزيد بن جابر الدمشقي، والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

فيها خرج زياد بن صالح من وراء نهر بلخ على أبي مسلم الخراساني فأظفقه الله بهم فبذل شملهم واستأصل خضرأهم، واستقر أمره بتلك النواحي معظماً.

وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائب البصرة. والتواب هم المذكورون قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

برد بن سنان، وأبو عقيل زهرة بن معبد، وعطاء الخراساني.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح بالعراق، وذلك بعد استئذانه الخليفة في القدم، فكتب إليه أن أقدم في خمسمائة من الجنيد، فكتب إليه: إني قد تورت الناس، وإني أخشى من قلة الخمسمائة. فكتب إليه أن يقدم في ألف، فقدم في ثمانية آلاف، فرقمهم وأخذ معه من الأموال والتحف والمهلبات شيئاً كثيراً. ولما قدم لم يكن معه سوى ألف من الجنيد، فقتله القواد الكبراء إلى ظاهر البلد، ولما دخل على السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريبا منه، وكان يأتي إلى الخدمة كل يوم، واستأذن الخليفة في الحج فأذن له، وقال: لولا أنني عينت إمرة الحج لأخشي أبي جعفر لأمرت على الحج، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً، وذلك لما رأى من الخفوة منه حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح وللنصور من بعده، فحقد عليه أبو جعفر وأشار على السفاح بقتله. وحين قدم حرضه على قتله أيضاً، فقال له السفاح: قد علمت بلاءه معنا وخدمته لنا فقال له أبو جعفر: يا أمير المؤمنين إنما ذلك بدولتنا، والله لو أرسلت سوراً لسمعوا لها وأطاعوا، وإنك إن لم تتدب به تعشى بك هو. فقال له: كيف السبيل إلى ذلك؟ فقال: إذا دخل عليك فحادثه جئت أنا من ورائه فضرته بالسيف. قال: فكيف بمن معه؟ قال: هم أذل وأقل، فأذن له في قتله، فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه فبعث إليه الخادم يقول له: إن ذلك الذي بينك وبينه قد ندم عليه فلا تفعله. فلما جاءه الخادم وجده محتجباً بالسيف منهياً لما يريد من قتل أبي مسلم. فلما نهاء عن ذلك غضب أبو جعفر غضباً شديداً.

وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح، وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمر الخليفة، وإذنه له في الحج في هذا العام، فلما رجعا من الحج وكانا بذات عرق جاء الخبر إلى أبي جعفر - وكان يسير قبل أبي مسلم بمرحلة - بموت أبي العباس السفاح، فكتب إلى أبي مسلم أن قد حدث أمر فالعجل العجل، فلما استعلم أبو مسلم الخبر عجل السير وراه، فلحقه إلى الكوفة وكانت بيعة المنصور على ما سيأتي بيانه وتفصيله قريباً الله تعالى.

وهذه ترجمة أبي العباس السفاح وذكر وفاته

هو عبد الله

■ السفاح - ويقال له المرتضى، والقائم أيضاً - ابن محمد لإمام ابن علي السجاد بن عبد الله الخبر بن العباس ذي الرأي بن عبد المطلب شعبة

الحمد بن هاشم عمرو بن عبد مناف بن قصي أبو العباس القرشي الهاشمي أمير المؤمنين. وأمه ربطة - ويقال راطقة - بنت عبد الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نضر بن معد بن عدنان. كان مولد السفاح بالحريمة من أرض الشراة من أرض البلقاء بالشام، ونشأ بها حتى طلب أخوه إبراهيم فقتله مروان الحمار بحران فانتقلوا إلى الكوفة. ويبيع له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول ويقال: في جمادى سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما تقدم. وتوفي بالجندري بالأنبار يوم الأحد الحادي عشر، وقيل: الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين، وقيل: ثنتين، وقيل: إحدى وثلاثين سنة، وقيل: ثمانياً وعشرين سنة، قاله غير واحد. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

وكان أبيض جليلاً طويلاً. أفتى الأنف، جعد الشعر، حسن اللحية، حسن الوجه، فصيح الكلام، حسن الرأي، جيد البديهة.

دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم، فقال له: يا أمير المؤمنين أعطينا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف. قال: فأشفق الحاضرون أن يجعل السفاح بشيء أو يعيا بجوابه، فيقضي ذلك سبباً عليه وعليهم. فأقبل السفاح عليه غير مغضب ولا مزعج، فقال: إن جلك علياً وكان خيراً مني وأعدل، وولي هذا الأمر فأعطي جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك، شيئاً قد أعطيكته وزدتك عليه، فما كان هذا جزائي منك. قال: فما رد عليه عبد الله بن حسن جواباً، وتعجب الناس من سرعة جوابه وحذته وجودته على البديهة.

وقد ورد في حديث ذكره، رحمه الله، فقال الإمام أحمد في مسنده (٢٨٠/٣): حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري. قال قال رسول الله ﷺ: يخرج عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له السفاح، فيكون إعطاؤه المال حياً.

وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به.

وهذا الحديث في إسناده عطية العوفي وقد تكلموا فيه. وفي كون المراد بهذا الحديث المذكور السفاح نظر والله أعلم. وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخباراً وأثراً في مثل هذا المعنى.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن المخزومي حدثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وهو والد السفاح - قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر بن عبد العزيز: من تجدون الخليفة بعد سليمان؟ قال له النصارى: أنت. فأقبل عمر بن عبد العزيز علياً فقال: وهي في ثيابك، يا أبا عبد الله. قال محمد بن علي: فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصارى من بالي فرايته يوماً فأمرت غلامي أن يحبس علي، وذهبت به إلى منزلي فسألته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحداً واحداً، وتحاوز عن مروان بن محمد. قلت: ثم من؟ قال: ثم ابن الحارثية، قال: وكان إذ ذلك حملاً.

ووفد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده وترك ذلك عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي، وإنما حياه بالخلافة وهناه بها فقط وقال: والله يا أمير المؤمنين لو كانت نزيلك رفعة وتزيدني وسيلة إليك ما سبقتي إليها أحد من هؤلاء، وإني لغني عما لا أجر فيه، ثم جلس. قال: فو الله ما نقصه ذلك من حظ أصحابه.

الناس في قوله « إن كان » قيل: إن كان أهلاً لها. وقال آخرون إن كان حياً.

وهذا القول الثاني هو الصواب، ذكره الخطيب وابن عساكر مطولاً، وهذا ملخص منه، وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جداً. وذكر ابن عساكر أن الطيب دخل عليه فأخذ بيده فأنشأ السفاح يقول عند ذلك:

انظر إلى ضعف الحسرا ك وذلك بهد السكون
يُنْبِتُكَ أن ياتيه ههنا مقدمة النون
فقال له الطيب: أنت صالح، فأنشأ يقول:

يُسْرِنِي بِسَائِي ذو صلاح يبين له وبسي فاه دفين
لقد إقنت أنسي غير باق ولا شك إذا وضح اليقين
قال بعض أهل العلم: كان آخر ما تكلم به أبو العباس السفاح حين حضره الموت: الملك لله الحي القيوم، ملك الملوك، وجبار الجبابرة. وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله. وكان موته بالجلدي في يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار العتيقة، عن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر على أشهر الأقوال. وصلى عليه عمه عيسى بن علي. ودفن في قصر الإمارة من الأنبار. وترك تسع جبات وأربعة أقمص وخمس سراويلات وأربعة طيالة وثلاثة مطارف خز، وقد ترجمه ابن عساكر فذكر بعض ما أوردها والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الخليفة السفاح كما تقدم، وأشعث بن سوار، وجعفر بن ربيعة، وحسين بن عبد الرحمن، وربيعة الرازي، وزيد بن أسلم. وعبد الملك بن عمير، وعبد الله بن أبي جعفر، وعطاء بن السائب. وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل ولله الحمد. والمئة

خلافة أبي جعفر المنصور

قد تقدم أن السفاح مات وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: بالحباز فأخذ البيعة له بالعراق عمه عيسى بن علي، وبلغه خبر موته وهو بذات عرق فعجل السير، وكان معه أبو مسلم الخراساني، فبايعه أبو مسلم في الطريق وعزاه في أخيه أمير المؤمنين السفاح فبكى أبو جعفر المنصور عند ذلك، فقال له أبو مسلم: أتبكي وقد جاءتك الخلافة؟ فأنشأ يخبرها إن شاء الله. فسرى عن المنصور، وأمر زياد بن عبيد الله أن يرجع إلى مكة والياً عليها، وكان السفاح قد عزل عنها بالعباس بن عبد الله بن مبيد بن عباس وأقر بقية الثواب على أعمالهم حتى انسلخت هذه السنة، وقد كان عبد الله بن علي قدم على السفاح الأنبار فآثره على الصائفة، فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم، فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعاً إلى حران، ودعا إلى نفسه. وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده، فأنفذت عليه جيوش عظيمة، وكان من أمره ما سنذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

وذكر القاضي المعافى بن زكريا أن السفاح بعث رجلاً ينادي في عسكر مروان بهذين البيتين في عسكر مروان بن محمد ليلاً ثم رجع وهما هذان:

يا آل مروان إن الله مهلككم ومبدل أنفكم خوفاً وتشريدا
لا عثر الله من أنشأكم أحدا ويتكم في بلاد الخوف تطريدا
وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوماً في المرأة - وكان من أجل الناس وجهاً - فقال: اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الخليفة الشاب. ولكني أقول: اللهم عمرني طويلاً في طاعتك تمتعاً بالعافية. فما استم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لآخر: الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام. فطير من كلامه وقال: حسي الله لا قوة إلا بالله عليه توكلني وبه أستعين. فمات بعد شهرين وخمسة أيام.

وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من إسحاق بن عيسى بن علي ما يرويه عن أبيه في قصة السفاح، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة النهار فوجده صائماً، فأمره أن يحادثه في يومه هذا ثم يجتم ذلك بغيره عنده.

قال: فحادثته حتى أخذته النوم فقامت عنه وقلت: أقبل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك. فذهبت فتمت قليلاً ثم قمت فاقبلت إلى داره فإذا على بابيه بشر من أهل السند يبيعهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه. قال: فحمدت الله الذي وفقني لأن أجيئه ببشارة، فدخلت الدار فإذا آخر معه البشارة بفتح إفريقية، فحمدت الله أيضاً فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحية بعد الوضوء، فسقط الشط من يده ثم قال: سبحان الله، كل شيء باند سواه، نعت والله نفسي؛ حدثني إبراهيم الإمام عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه يقدم علي في مدينتي هذه وافدان وافد السند والآخر وافد إفريقية يسمعون وطاعتهم وبيعهم. فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت. قال: وقد أثناني الوافدان فاعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك. فقلت: كلا، يا أمير المؤمنين إن شاء الله. قال: بلى إن شاء الله! لئن كانت الدنيا حبيبة إلي فصحة الرواية عن رسول الله ﷺ أحب إلي منها، والله ما كنت ولا كنت. ثم نهض فدخل منزله وأمرني بالجلوس، فلما جاء المؤذن يعلمه بوقت الظهر خرج الخادم يأمرني أن أصلي عنه، وكذلك العصر والمغرب والعشاء، كل ذلك يخرج الخادم فيأمرني أن أصلي عنه، وبث هناك، فلما كان وقت السحر خرج الخادم بكتاب معه يأمرني أن أصلي عنه العبد ثم أرجع إلى داره، وفيه يقول: يا عم إذا مت فلا تعلم الناس بموتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبايعوا لمن فيه. قال: فصليت بالناس ثم رجعت إليه فإذا ليس به بأس مما أنكره، ثم دخلت عليه من آخر النهار فإذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان، ثم كثرتا، ثم صار في وجهه حب صفار يبيض يقال إنه جلدي، ثم بكرت إليه في اليوم الثاني من أيام التشريق فإذا هو قد هجر وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري، ثم رجعت إليه بالعشي فإذا هو قد انتفخ حتى صار مثل الرق، وتوفي في اليوم الثالث من أيام التشريق، فسجته كما أمرني، وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم الكتاب فإذا فيه: من عبد الله أمير المؤمنين إلى الرسول والأولياء وجماعة المسلمين، سلام عليكم أما بعد فقد قلد أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسمعوا له وأطيعوا، وقد قلد الخلافة من بعد عبد الله عيسى بن موسى إن كان. قال: فاختلف

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

على ابن أخيه المنصور

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج، دخل الكوفة فخطب بأهلها يوم الجمعة، ثم ارتحل منها إلى الأنبار. وقد أخذت له البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام، وقد ضبط عيسى بن موسى بيوت الأموال والحواصل للمنصور حتى قدم، فسلم إليه الأمر، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه بوفاء السفاح، فلما بلغه الخبر نادى في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع إليه الأمراء والناس، فقرأ عليهم وفاة السفاح، ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى مروان أن يكون الأمر إليه من بعده، وشهد له بعض أمراء خراسان بذلك، ونهضوا إليه فبايعوه، ورجع إلى حران فتسلمها من نائب المنصور بعد عاصرة أربعين ليلة، وقتل مقاتل العكي نائها. فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه عبد الله بن علي بعث إليه أبا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي بمحزان، وأرصد عنده مما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً، وصار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هشام الخزاعي، فلما تحقق عبد الله بن علي بقدوم أبي مسلم إليه خشي من جيش خراسان الذين معه أن لا يناصروه، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً، وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم، وركب عبد الله بن علي فترل نصيبين وخنق حول عسكره، وأقبل أبو مسلم فترل ناحية وكتب إلى عبد الله: إني لم أومر بقتالك، وإنما بعثني أمير المؤمنين واليا على الشام فإنا أريدنا. فخاف جنود الشام من هذا الكلام وقالوا: إنا نخاف على ذراتنا وأموالنا، فنحن نذهب إليها نمنعهم منه. فقال عبد الله بن علي: ويحكم! والله إنه لم يأت إلا لقتالنا. فأبوا إلا أن يرتحلوا نحو الشام، فتحول عبد الله من منزله ذلك وقصد ناحية الشام فنهض أبو مسلم فترل في موضع عسكر عبد الله وعور ما حوله من المياه - وكان نزل عبد الله منزلاً جيداً جداً - واحتاج عبد الله وأصحابه فترلوا في الموضع الذي نزل فيه أبو مسلم فوجدوه منزلاً رديئاً، ثم أنشأ أبو مسلم القتال فحاربهم خمسة أشهر، وكان على خيل عبد الله أخوه عبد الصمد بن علي، وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي، وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة، وعلى ميسرته أبو نصر خزيم بن خزيمة، وقد جرت بينهم وقعات وقتل منهم جماعات في أيام محاسن، وكان أبو مسلم إذا حل يرتجز ويقول:

من كان ينوي أهله فلا رجع - فر من الموت وفي الموت وقع
وكان يعمل له عريش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فما رأى في جيشه
من خلل أرسل فاصلحه. فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون
من جمادى الآخرة التقوا فاقتلوا قتلاً شديداً، فمكر بهم أبو مسلم! بعث
إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة يأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى
الميسرة، فلما رأى ذلك أهل الشام انحازوا إلى الميمنة بلزاء الميسرة التي
تمعرت، فأرسل حبيذاً أبو مسلم إلى القلب أن يحصل بمن بقي في الميمنة
على ميسرة أهل الشام فحطموهم، فجال أهل القلب والميمنة من الشاميين

فحمل عليهم الخراسانيون فكانت الهزيمة، وانهزم عبد الله بن علي بعد تلوم، واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم من الأموال والحواصل، وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحداً، وكتب إلى المنصور بذلك، فأرسل المنصور مولاة أبا الخصيب ليحصى ما وجدوا في معسكر عبد الله بن علي، فنضب من ذلك أبو مسلم الخراساني. واستوسقت الممالك لأبي جعفر المنصور في المشرق والمغرب، ومضى عبد الله بن علي وأخوه عبد الصمد على وجوههما، فلما مرا بالرصافة أقام بها عبد الصمد، فلما رجع أبو الخصيب وجده بها، فأخذته معه مقيلاً في الحديد فأدخله على المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأمن له من المنصور، وقيل بل استأمن له إسماعيل بن علي.

وأما عبد الله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة فأقام عنده زمناً تخفياً، فلبث في السجن تسع سنين ثم سقط عليه البيت الذي هو فيه فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

ذكر مهلك أبي مسلم الخراساني

في هذه السنة ذكر أن أبا مسلم لما نفر الناس من الحجاج سبق الناس بمحلة، فلما جاءه خبر السفاح في الطريق كتب إلى أبي جعفر يعزبه في الخليفة ولم يهت به بالخلافة، ولا رجع إليه. فغضب المنصور من ذلك مع ما كان مضراً له من سوء إذا أفقت إليه الخلافة، وقيل إن المنصور هو الذي كان قد تقدم بين يدي الحجاج بمحلة، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبي مسلم يستعجله في السير كما قدمنا. فقال لأبي أيوب: اكتب له كتاباً غليظاً، فلما بلغه الكتاب بعث يهت به بالخلافة وانقمع من ذلك. وقال بعض الأمراء لأبي جعفر: إنا نرى من المصلحة أن لا تجامعه في الطريق فإن معه من الجنود من لا يخالفه. وهم له أعيب، وليس معك أحد، فأخذ المنصور برأيه ثم كان من أمره في مبايعته لأبي جعفر ما ذكرنا، ثم بعث إلى عمه عبد الله بن علي فكسره كما تقدم، وقد بعث في غيوب ذلك الحسن بن قحطبة إلى يوم أيوب كاتب رسائل المنصور يشافهه ويخبره بأن أبا مسلم يهت في أبي جعفر، فإنه إذا جاءه الكتاب منه يقرأه ثم يلوي شذقيه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان استهزاء، فقال أبو أيوب: إن تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا.

ولما بعث أبو جعفر مولاة أبا الخصيب يقطين ليحاط على ما أصيب من معسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثينة وغيرها، غضب أبو مسلم فشت أبا جعفر وهم بأبي الخصيب، أن يقتله حتى كلف فيه وقيل له: إنما هو رسول فتركه ورجع. أبو الخصيب فأخبر المنصور بما كان وما هم به أبو مسلم من قتله، فغضب المنصور وخشي أن يذهب أبو مسلم إلى خراسان فيشت عليه تحصيله بعد ذلك، فكتب إليه مع يقطين إني قد ولتكم الشام ومصر وهما خير من خراسان. فابعث إلى مصر من شئت وأقم أنت بالشام، لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين، إذا أراد لقاءك كنت منه قريباً، فغضب أبو مسلم من ذلك وقال: قد ولاني الشام ومصر، ولي خراسان، فإذا أذهب إليها واستخلف على الشام ومصر، فكتب إلى المنصور بذلك فقتل المنصور من ذلك كثيراً. ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خراسان وهو عازم على مخالفة المنصور. فخرج المنصور من الأنبار إلى اللاتان وكتب إلى أبي مسلم بالمصير إليه، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزراب عازم على الدخول إلى خراسان: إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو إلا أمكنه الله منه.

هو رده. فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له: ما وراءك؟ قال: رأيتهم معظمين لك يعرفون قنرك. فغره ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة، فاستشار أميراً يقال له نيزك، فنهاه، فصمم على الذهاب، فلما رآه نيزك عازماً على الذهاب تمثل ينزل بقول الشاعر:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأتوم

ثم قال له: احفظ عني واحدة. قال: وما هي؟ قال: إذا دخلت عليه فاقته ثم بايع من شئت بالخلافة فإن الناس لا يخالفونك. وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه بقدمه عليه.

قال أبو أيوب كاتب الرسائل: فدخلت على المنصور وهو في خباء شعر بالرؤية جالساً في مصلاه بعد العصر، وبين يديه كتاب فلقاه لي فإذا هو كتاب أبي مسلم إليه، ثم قال الخليفة: واللّه لئن ملأت عيني منه لأقتله. قال أبو أيوب: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ويت تلك الليلة لا يأتي نوم، وفكرت في هذه الواقعة، وقلت: إن دخل أبو مسلم خائضاً ربما أنه يلدو منه شيء إلى الخليفة، والمصلحة أن يدخل آمناً ليتمكن منه الخليفة. فلما أصبحت طلبت رجلاً من الأمراء وقلت له: هل لك أن تتولى مدينة كسكر فإنها مغلة في هذه السنة؟ فقال: ومن لي بذلك؟ فقلت له: اذهب إلى أبي مسلم فتلقه في الطريق فاطلب منه أن يوليكَ تلك البلد، فإن أمير المؤمنين يريد أن يولي ما وراء بابه ويستريح لنفسه، واستأذنت المنصور له أن يذهب إلى أبي مسلم فاذن له وقال له: سلم عليه وقل له: إنا بالأشواق إليه. فسار ذلك الرجل - وهو سلمة بن سعيد بن جابر - إلى أبي مسلم فأخبره بأشتاق الخليفة إليه، فسره ذلك واتشرح، وإنما هو غرور ومكر به، فلما سمع أبو مسلم بذلك عجل السير، فلما قرب من المدائن أمر الخليفة القواد والأمراء أن يتلقوه، وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه

إلى الغد، فقبل ذلك منه. فلما دخل أبو مسلم على المنصور من العشي قال: اذهب فأرح نفسك وادخل الحمام، فإذا كان الغد فاتني. فخرج من عنده وجاءه الناس يسلمون عليه، فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له: كيف بلائي عنك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لأقتلها. قال: فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم؟ قال: فوجم ساعة ثم قال أبو أيوب: ما لك لا تتكلم؟ فقال قولة ضعيفة: أقتله. ثم اختار له من عيون الحرس أربعة فحرضهم الخليفة على قتله، وقال: كونوا من وراء الرواق فإذا صفقت فاحرجوا عليه فاقتلوه. ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلاً ترى يتبع بعضها بعضاً، فاقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يبتسم، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يعاتبه في الذي صنع واحدة واحدة، فيمتدح عن ذلك كله فيما عقده من الأمور التي تسرع فيها. ثم قال: يا أمير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت علي. فقال المنصور: أما والله ما زادني هذا إلا غضباً عليك. ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى فخرج عثمان وأصحابه فضربوه بالسيف حتى قتلوه ولقوه في عباءة ثم أمر بإلقائه في دجلة، وكان آخر العهد به، وكان مقتله في يوم الأربعاء أربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة.

وكان من جملة ما عاتبه به المنصور أن قال: كتبت إليّ مرات تبدأ بنفسك، وأرسلت تخطب عمتي أمينة، وتزعم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس إلى غير ذلك. فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين لا يقال هذا لي

وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدعماء. فتحن نافرون من قربك، حريصون على الرفاه بعدك ما وقيت، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تقاربها السلامة. فإن أرضاك ذلك فأنا كاحسن عبيدك، وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي.

فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم: قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشقة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، وإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاع بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به، وليس مع الشرطة التي أوجبت منك سمع ولا طاعة، وقد حل أمر المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك، فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده من وأقرب من ظنه من الباب الذي فتحه عليك.

ويقال: إن أبا مسلم كتب إلى المنصور: أما بعد فإني اتخذت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه، وكان في محلة العلم نازلاً وفي قرابته من رسول الله ﷺ قريباً، فاستجھلي بالقرآن فحرفه عن مواضع طمعا في قليل قد نماه الله إلى خلقه، فكان كالذي دُلي بغرور، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقبل المعذرة ولا أقبل العثرة، ففعلت توطيئاً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم، وأطاعكم من كان عدوكم، وأظهركم الله بي بعد الإخفاء والحقارة والذل، ثم استفتني الله بالتوبة، فإن يعف عني فبقدماً عرف به ونسب إليه، وإن يعاقبي فيما قدمت يداي، وما الله بظلام للعبيد.

ذكره الماتني عن شيوخه.

ويعد المنصور إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي - وقد كان واحد أهل زمانه - في جماعة من الأمراء وقد كان المنصور قال له: كَلِّمْ أبا مسلم بالين كلام بالين كلام تقدر عليه، وقل له: إنه يريد رفعك وعلو قنرك، والإطلاق لك، فإن جاء بهذا فكذلك، وإن أبى أن يرجع، فقل: إنه يقول: هو بريء من العباس إن شققت العصا وذهبت على وجهك ليدرركك بنفسه وليلين قتالك دون غيره، ولو خضت البحر الحضم لحاضه خلفك حتى يدررك فيقتلك أو يموت قبل ذلك. ولا تقل له هذا حتى تياس من رجوعه بالي هي أحسن، فلما قدم عليه أمراء المنصور يحملون دخلوا عليه ولاموه فيما هم به من منابذة أمير المؤمنين. ورغوه في الرجوع إليه، فشاوَر ذوي الرأي من أمراءه فكلهم نهاه عن الرجوع إليه، وأشاروا بأن يقيم في الري فتكون خراسان تحت حكمه، وجنوده طوع له، فإن استقام له الخليفة وإلا كان في عز ومنعة من الجند. فأرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم: أرجعوا لي صاحبكم فليست ألقاه. فلما استياسوا منه قالوا له ذلك الكلام الذي كان المنصور أمرهم به. فلما سمع ذلك كسره جداً وقال: قوموا عني الساعة.

وكان أبو مسلم قد استخلف على خراسان أبا داود خالد بن إبراهيم، فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين اتهمه: إن ولاية خراسان لك ما بقيت، فكتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عزم عليه من منابذة الخليفة: إنه ليس لنا منابذة خلفاء بيت رسول الله ﷺ فارجع إلى إمامك سامعاً مطيعاً، فزاده ذلك كسراً أيضاً فبعث إليهم أبو مسلم: إنني سأبعث إليه أبا إسحاق وهو عن أثنى به. فيعته إليه فأكرمه ووعده بنبأ خراسان إن

مسلم بتان إحداهما أسماء أعقبته، وفاطمة ولم تعقب.

وقد تقدم ذكر كيفية استقلال أبي مسلم بأمر خراسان في سنة تسع وعشرين ومائة، وكيف نشر دعوة بني العباس.

وقد كان ذا هبة وصرامة وإقدام وتسرع في الأمور.

وقد روى ابن عساکر من طريق مصعب بن بشر، عن أبيه قال: قام رجل إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال: ما هذا السواد الذي أرى عليك؟ فقال: حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء. وهذه ثياب الهبة وثياب الدولة. يا غلام اضرب عقه.

وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس. قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد هوان قريش أهاته الله.

وقد كان إبراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة، وكان يعدله إذا ظهر أن يقيم الحدود والعزل، فلما تمكن أبو مسلم ما زال إبراهيم بن ميمون يلج عليه في القيام بما وعده به حتى أخرجهم، فغضب عقه بعدما قال له: هلا كنت تترك على نصر بن سيار وهو يعمل أواني الخمر من الذهب فيبيعها إلى بني أمية؟ فقال له: إن أولئك لم يعدوني من أنفسهم ما وعدتني أنت. وقد رأى بعضهم في المنام لإبراهيم منازل عالية في الجنة بصره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رحمه الله.

وقد ذكرنا ما اعتقه أبو مسلم في أيام السفام من الطاعة الأكيدة، والمبادرة إلى أوامره وانتال مراسيمه، ثم لما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحقره، ومع هذا كسر عقه عبد الله بن علي حين دعا إلى نفسه بالشام فاستقفا منه وردوا إلى حكم المنصور. ثم شمت نفسه على المنصور وهم بقلعه، فظن لذلك المنصور مع ما كان مبطناً له من البغضة، وقد سال أخاه السفاح غير مرة أن يقتله فيصنف عن ذلك وذكرنا أيضاً ما كان من أمر أبي مسلم والمنصور من المراسلات والمكاتبات حين استوحش منه المنصور واتهمه بسوء النية، وما زال يرسله ويستدعيه ويغذعه ويكرهه حتى استحضره فقتله، كما قلنا بيانه. قال بعضهم: كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فإنه يرين على القلوب وتطيع عليها المعاصي، فقع أيها الطائر، وألق أيها السكران، واتبه أيها الحالم، فإنك مغرور باضغاث أحلام كاذبة، وفي برزخ دنيا قد غرت من كان قلبك وسم بها سوائف القرون ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مریم: ٩٨] وإن الله لا يعجزه من هرب، ولا يفوته من طلبه، فلا تفتّر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي، فكأنهم صالوك، إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدا لك من الله ما لم تكن تحسب، مهلاً مهلاً، احذر البيه أبا مسلم فإنه من بغى واعتدى فحلى الله منه، ونصر عليه من يصصره للبدن والسم، واحذر أن تكون سنة في الذي خلوا من قبل، فقد قامت الحجة وأعدت إليك وإلى أهل طاعتي نيك. قال تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتَيْنَاهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٤]

فاجابه أبو مسلم: أما بعد فقد قرأت كتابك فرايتك فيه للصواب مجانباً، وعن الحق حائذاً إن تضرب فيه الأمثال على غير أشكالكها، وتضرب فيه آيات منزلة من الله للكافرين، وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وإني والله ما استلخمت من آيات الله، ولكنني يا عبد الله بن محمد كنت رجلاً متاولاً فيكم من القرآن آيات أوجب لكم بها الولاية والطاعة، فالتفت بأخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما، فكتبت لهما

وقد سميت في أمركم بما علمه كل أحد. فقال: ولك! لو قامت في ذلك أمة سوداء لأتته الله لجلنا وحظنا. ثم قال: والله لأقتلك. فقال: استبقي يا أمير المؤمنين لأعدائك. فقال: وأي عدو لي أعدى منك. ثم أمر بقتله وقتل كما ذكرنا. فقال له بعض الأمراء: يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة. ويقال: إن المنصور أشد عند ذلك:

فالتفت عصاه واستقر بها النوى كما قرع عينا بالإيذاب المسافر

وذكر القاضي ابن خلكان وفاته الأعيان: ١٥٣/٣ أن المنصور لما عزم على قتل أبي مسلم تخير في أمره هل يستشير أحداً في ذلك أو يستبد هو برأيه؛ لتلا يشع ويشتر، ثم إنه استشار واحداً من نصحاكه في قتل أبي مسلم فقال: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿لَنْ كُنَّا فِيهِمَا آلِهَةً إِلَّا اللَّهُ لَنَسْتَبَنَّ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فقال له: لقد أودعتها أنا وأمية. ثم عزم على ذلك.

وهذه ترجمة أبي مسلم الخراساني

هو

■ عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة ويقال دعوة بني العباس، وكان يقال له أمين آل بيت رسول الله ﷺ.

وقال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٢٠٧/١٠] يقال له عبد الرحمن بن سفيرون بن أسفنديار أبو مسلم الروزي، صاحب الدولة العباسية، يروي عن أبي الزبير وثابت البناني وإبراهيم وعبد الله ابني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

زاد ابن عساکر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرملة وعكرمة مولى ابن عباس.

قال ابن عساکر: روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ، ويشتر والد مصعب بن بشر، وعبد الله بن شبرمة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب الروزي وقليد بن منيع صهر أبي مسلم.

قال الخطيب: وكان أبو مسلم فاتكاً شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم، قتله أبو جعفر المنصور بالمداخن.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان [١٠٩/٢]: كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار، قيل إنه ولد بأصبهان، وروى عن السدي وغيره، وقال بعض الحفاظ: كان اسم أبي مسلم صاحب الدعوة إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شيلوس بن جودون، من ولد بزرجهر، وكان يكنى أبا إسحاق، ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة وكان أبو ه أوصى إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الإمام إلى خراسان قال له: غير اسمك وكنيتك، فسمى بعبد الرحمن بن مسلم، واكتى بأبي مسلم، فسار إلى خراسان وهو ابن تسع عشرة سنة راكباً على حمار يأكاف، وأعطاه إبراهيم بن محمد نفقة من عنده، فرحل إلى خراسان وهو كذلك، ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بأزمته وحذايرها، وذكر بعضهم أنه في مروره إلى خراسان عدا رجل من بعض الحانات على حماره، فهلب ذنبه فلما تمكن أبو مسلم وحكم على ذلك المكان جملة دكا فكان بعد ذلك خراباً لا يسكن.

وذكر بعضهم أنه أصابه سباه في صغره وأنه اشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم. ثم إن إبراهيم بن محمد الإمام استوهبه واشتراه فأنشئ إليه وزوجه إبراهيم بنت أبي النجم عمران بن إسماعيل الطائي، أحد دعائهم، لما بعثه إلى خراسان، وأصلدها عنه بأربعمائة درهم فولد لأبي

لأعدائك، فقال: وأي عدو لي أعدى منك. ثم زجرهم المنصور فقطّعوه قطعاً قطعاً ولقوه في عباءة، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك فقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا أبو مسلم، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له المنصور: أهد الله إليك هجمت على نعمة. ولم تهجم على نعمة، ففي ذلك يقول أبو دلالة:

أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد
أبا مسلم خوفني القتل فاتخى عليك بما خوفني الأسد الورود

وذكر ابن جرير [٤٨٨/٧: ٤٩٢] أن المنصور تقدم إلى عثمان بن نهيك وشيب بن واج وأبي حنيفة حرب بن قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريباً منه، فإذا دخل علي أبو مسلم وخاطبه وضرب بإحدى يديه على الأخرى فليقتلوه. فلما دخل أبو مسلم على المنصور قال له: ما فعل السيفان اللذان أصبتما من عبد الله بن علي؟ فقال: هذا أحدهما. فقال: أريني، فناله السيف فوضعه تحت ركبتيه ثم قال له: ما حملك على أن كتبت إلى أبي العباس يعني السفاح تنهيه عن الموات، أردت أن تعلمنا الدين؟! قال: إني ظننت أن أخذه لا يجل، فلما جاءني كتابه أمير المؤمنين علمت أنه وأهل بيته معدن العلم. قال: فلم تقلت علي في طريق الحج؟ قال: كرهت اجتماعاً على الماء فيضرب ذلك بالناس، فتقدمت التماس الرفق. قال: فلم لا رجعت إليّ حين أتاك خبر موت أبي العباس؟ قال: كرهت التضيق على الناس في طريق الحج، وعرفت أننا نجتمع بالكوفة، وليس عليك مني خلاف. قال: فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك؟ قال: لا! ولكن خفت أن تضيق فحملتها في قبة وركلت بها من يحفظها. ثم قال له: ألت الكاتب إليّ تبدأ بنفسك والكاتب إليّ يخطب أمينة بنت علي؟ وتزعم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس؟ هذا كله ويد المنصور في يده يرمكه ويقبّلها ويعتبر، ثم قال له: فما حملك على مراغمي ودخولك إلى خراسان؟ قال: خفت أن يكون دخلك مني شيء فقتلت: أتى خراسان وكتب إليك بعنزي. قال: فلم قتل سليمان بن كثير وكان من ثقاتنا ودعاتنا قبلك؟ قال: أراد خلافي. فقال: ويحك وأنت أردت خلافي وعصيتي، قتلتني الله إن لم أقتلك. ثم ضربه بعمود الخيمة وخرج إليه أولئك فضربه عثمان قطع حمائل سيفه، وضربه شيب قطع رجله، واعتوّزه بقيتهم، والمنصور يصيح: ويحكم أضربوا قطع الله أيديكم، ثم ذبحوه وقطّعوه قطعاً قطعاً. ثم التقي في دجلة.

ويروى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال: رحمك الله أبا مسلم،

باعتنا وباعتنا، وعاهدتنا وعاهدناك، ووفيت لنا فوفينا لك، وإنا ببايعناك

على أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه، فخرجت علينا فقتلناك، وحكمتنا عليك حكمك على نفسك.

ويقال: إن المنصور قال: الحمد لله الذي أراني يومك يا عدو الله.

قال ابن جرير [٤٩١/٧: ٤٩٢] وقال المنصور عند ذلك:

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كاساً كنت تسقي بها أمر في الخلق من الملقم

وقد خطب المنصور الناس بعد قتل أبي مسلم فقال: أيها الناس، لا

تفرّوا أطياف النعمة بقلّة الشكر، تحل بكم النعمة، ولا تسروا غش الأئمة

فإن أحداً لا يسر منكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه،

وطوال نظره وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرفتم حقنا، ولا ننسى الإحسان

شيعة متدينين أحسني هادياً، وأخطأت في التأويل وقدأنا أخطأ المتأولون، وقد قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ يَنْكُرُ سُوءاً يَجْهَلُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْضِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]

وكتب فيه أبو مسلم: وإن أخطأك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً، أمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفع الرحمة ولا أقبل المعنرة ولا أقبل العثرة، فورت أهل الدنيا في طاعتكم، وتوطئة سلطانكم، حتى عرفكم من كان جهلكم. ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستغفرتني بالتوبة. فإن يعف عني ويصفح فإنه كان للأوابين غفوراً، وإن يعاقبني فينوبني وما ريك بظلام للبيد.

فكتب إليه أبو جعفر: أما بعد أيها الجرم العاصي، فإن أخي كان إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من الله، فأوضح لك السبيل، وحملك على المنهج، فلو باخني اقتديت لما كنت عن الحق حائثاً، وعن الشيطان وأوامره صادراً، ولكنه لم يسع لك أمران إلا كنت لأرشدكما تاركاً، ولأغواكما موافقاً، تقتل قتل الفراغة، وتبتطش بطن الجبابرين، وتحكم بالجور حكم المفسدين. وتبذر المال وتضعه في غير موضعه فعل المفسرين، ثم من خبري أيها الفاسق أي قد وليت موسى بن كعب خراسان، وأمرته أن يقيم بنيسابور، فإن أردت خراسان لفيك بمن معه من قوايدي وشيعتي، وأنا موجه للفتاك أترارك، فأجمع كيدك وأمرك غير مسدد ولا موفق، وحسب أمير المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل.

ولم يزل المنصور يرأسه تارة بالبرقة وتارة بالرهبة، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والرسل الذين يبعثهم أبو مسلم، حتى حسنوا له في رأي القدم على أبي جعفر سوى أمير معه يقال له نيزك، فإنه لم يوافق على ذلك، فلما رأى أبا مسلم قد أصاع معهم قال:

ما للرجال مع القضاء عالة نخب القضاء بحيلة الأقسام

وأشار عليه، كما تقدم، بأن يبادر إلى قتل الخليفة إن أمكنه، فما أمكنه كما تقدم، وذلك أن أبا مسلم لما قدم المائتين تلقاه الأمراء عن أمر الخليفة، فما وصل إلا آخر النهار، وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل على الخليفة أن لا يقتله يومه هذا فلما وقف بين يدي الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه، وقال: اذهب الليلة فأذهب عنك وعناء السفر ثم انتهي من الغد فلما كان الغد أصد له من الأمراء من يقتله، منهم عثمان بن نهيك، وشيب بن واج، فقتلوه كما تقدم وأرسل إليه رسلاً تترى ليقدم عليه، ويقال بل أقام أياماً يظهر له المنصور الإكرام والاحترام، ثم بدا له منه الوحشة فخاف أبو مسلم واستشفع بعيسى بن موسى واستجار به، وقال: إني أخافه على نفسي. فقال: لا بأس عليك فانطلق فاني آت وراك، أنت في ذمتي حتى آتيك. - ولم يكن مع عيسى بن موسى خبر بما يريد به الخليفة - فجاه أبو مسلم يستأذن على المنصور فقالوا له: اجلس هنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ، فنجلس وهو يؤد أن يطول مجلسه ليجيء عيسى بن موسى فأبطل، وأذن له الخليفة فدخل عليه فجعل يعاتبه في أشياء صدرت منه فيعتز عنها جيداً، حتى قال له: فلم قتل سليمان بن كثير، وإبراهيم بن ميمون، وفلانة وفلانة؟ قال: لأنهم عصوني وخالفوا أمري. فنضب عند ذلك المنصور وقال: ويحك! أنت تقتل إذا عصيت، وأنا لا أقتلك وقد عصيتني؟ وصفق يديه وكانت الإشارة بينه وبين المرسلين لقتله - فبادروا إليه ليقتلوه فضره أحدهم قطع حمائل سيفه، فقال: يا أمير المؤمنين استبقي

ولما قتل المنصور لف في كساء وهو مقطع إربا إربا، فدخل عيسى بن موسى الذي كان وعده أن يلحقه ليشفع فيه، فقال: يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم؟ قال: قد كان ها هنا آنفاً. فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأي إبراهيم الإمام فيه. فقال له: يا أشوك والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه، ها هو ذاك في البساط. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له المنصور: خلع الله قلبك! وهل كان لكم مكان أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبي مسلم؟

ثم استدعى المنصور برؤوس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن يعلموا بقتله، فكلهم يشير بقتله، ومنهم من كان إذا تكلم أسر كلامه ثلاثاً ينقل عنه إلى أبي مسلم، فلما أطلعهم الخليفة على قتله أفرحهم ذلك وأظهروا سروراً كثيراً. ثم خطب المنصور عامة الناس بذلك كما قدمناه.

ثم كتب الخليفة إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواسله بكتاب على لسان أبي مسلم وختم عليه بخاتم أبي مسلم أن يقدم بجميع ما عنده من الخواص والذخائر والأموال، وختم فلما وصل الكتاب إلى نائبه وعليه الخاتم بكماله مطبوعاً استراب في الأمر، وقد كان أبو مسلم تقدم إليه: إنني إذا بعث إليك كتابي فأتما أختم بنصف فسه على كتابي، وإذا جاءك الكتاب غتوماً عليه بكماله فلا تقبل ولا تحض ما فيه. فامتنع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بعث به المنصور، فأرسل المنصور بعد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن.

وكتب المنصور إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بأمره خراسان كما وعده قبل ذلك عرضاً عن أبي مسلم. والله الأمر.

وفي هذه السنة خرج سباز يطلب بدم أبي مسلم الخراساني، وقد كان سباز هذا مجوسياً تغلب على قومس وأصبهان والرزي، وتسمى بفيروز أصبهج، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً هم عشرة آلاف فارس عليهم جهور بن مرار العجلي - فالتقوا بين همدان والرزي على طرف المفازة، فهزم جهور لسباز وقتل من أصحابه ستين ألفاً وسبى ذراريهم ونساءهم، وقتل سباز بعد ذلك فكانت أيامه سبعين يوماً. وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري.

وخرج في هذه السنة أيضاً رجل يقال له مُلَبَّد في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز له المنصور جيوشاً متعددة كثيفة كلها تفر منه وتنكسر ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة، فهزمه ملبد وتحصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف فدفعها إليه وقبلها ملبد وانقلع عنه.

وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي.

وكان نائب الموصل وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سليمان بن علي، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة، وعلى مصر صالح بن علي، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله.

ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسباز.

ومن مشاهير من توفي في هذه السنة

■ أبو مسلم الخراساني وقد تقدمت ترجمته، ويزيد بن أبي زياد أحد

إليك ما ذكرتم فضلتنا، ومن نازعنا هذا القميص أو طائفاً أم رأسه، حتى يستقيم جاهلكم، ويرتدع عالمكم، وإن أبا مسلم بايع على أنه من نكت بيتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه، فنكت وغدر وفجر وكفر، فحكمنا عليه لأفئسا حكمه على غيره لنا، وإن أبا مسلم أحسن مبتدئاً وأساء معقباً، وأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا. ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره، وعلمنا من خبث سريره وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لا لام، ولو أطلع على ما أطلعنا عليه منه لعزنا في قتله، وعفنا في إمهاله، وما زال يتنقض بيئته ويخفر دمه حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه، فحكمنا فيه حكمه في غيره عن شق العصا، ولم يمننا الحق له من إمضاء الحق فيه، وما أحسن ما قال النابتة الليثاني للنعمان - يعني ابن المنذر -

فمن أطاعك فافقه بطاعته كما أطاعك واذ لله على الرشد ومن عصاك فاعاقبه معاقبة تنهى الظلم ولا تعقد على ضد

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهر خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن كان الحجاج شراً منه.

قلت: قد اتهم بعضهم على الإسلام، ورموه بالزندقة، ولم أر فيما ذكروه عن أبي مسلم ما يدل على ذلك، بل على أنه كان ممن يخاف الله من دنياه، وقد ادعى التوبة عما كان سفكاً من الدماء في إقامة الدولة العباسية والله أعلم بأمره.

وقد روى الخطيب [تاريخ بغداد: ٢٠٨/١٠] عنه أنه قال: ارتدبت الصبر، وآثرت الكتمان، وحالفت الأحزان والأشجان. وسأعت المقادير والأحكام، حتى بلغت غاية همي، وأدركت نهاية بغتي. ثم أنشأ يقول:

قد نلت بالعزم والكتمان ما عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا ما زلت أضربهم بالسيف فاتبهروا من رقدته لم ينهيا قبلهم أحد طفقت أسمى عليهم في ديارهم والقوم في ملكهم في الشام قد رقدوا ومن رعى غنماً في أرض مسبية ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد كان قتل أبي مسلم بالمذات يوم الأربعاء لسبع خلون، وقيل لخمس يمين، وقيل لأربع، وقيل لليلتين بقيتا من شعبان من هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين ومائة - وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين، وهذا غلط من قائله، فإن ببغداد لم تكن بنيت بعد وقد رد هذا القول أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه والله أعلم.

ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرهبة والولايات، واستدعى أبا إسحاق - وكان من أعز أصحاب أبي مسلم - وكان على شرطه، وهم بضرب عنقه فقال: يا أمير المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم، وما من مرة كنت أدخل عليك إلا تحططت ولبست أكفاني. ثم كشف عن ثيابه التي تلي جسده، فإذا هو مخطط وعليه أدراع أكفان، فرق له المنصور وأطلقه.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٤٩١/٧-٤٩٤] أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتعاطاه لأجل دولة بني العباس ستمائة ألف صبراً زيادة عن من قتل بغير ذلك. وقد قال للمنصور وهو يعاتبه على ما كان يصنعه: يا أمير المؤمنين لا يقال لي مثل هذا بعد ثلاثي وما كان مني. فقال: يا ابن الحبيشة، والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت عك، إنما عملت ما عملت في دولتنا ويريننا، لو كان ذلك إليك لما قطعت قتيلاً.

من المتكلم فيهم كما ذكرنا في التكميل، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

فيها أكمل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائفة على طريق الحدث، فوغل في بلاد الروم، وغزا معه اختاه أم عيسى ولبابة بنتا علي، وكانتا نذرنا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدا في سبيل الله عز وجل.

وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم، فاستقذ بعض أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائفة من هذه السنة إلى سنة ست وأربعين، وذلك لاشتغال المنصور الخليفة بأمر أبي عبد الله بن حسن كما سنذكره. ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام سنة أربعين فآله أعلم.

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام، وكانت هذه السنة خصبة جداً أي فكان يقال لها سنة الخصب - وقيل: إنما كان ذلك في سنة أربعين. والله أعلم.

وفيها عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن إمرة البصرة، فاختفى عبد الله بن علي وأصحابه خوفاً على أنفسهم، فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة. وهو سفيان بن معاوية، يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه، فيبعثه في أصحابه فقتل بعضهم وسجن عبد الله بن علي، وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان فقتلهم هناك.

وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيها توفي

عمرو بن مجاهد، وي زيد بن عبد الله بن الهاد، ويونس بن عبيد، أحد العباد وصاحب الحسن البصري.

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

فيها ثار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان، وحاصروا داره، فأشرف عليهم وجعل يستغيث بجنده ليحضروا إليه، واتكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر ظهره، فمات رحمه الله، فخلفه على خراسان عصام، صاحب الشرطة حتى قدم الأمير عليها من جهة الخليفة، وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، فتسلم بلاد خراسان، وقتل جماعة من الأمراء بها لأنه بلغه عنهم أنهم يدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب، وحبس آخرين، وأخذ نواب أبي داود بجباية الأموال المنكسرة عندهم.

وفيها حج بالناس الخليفة المنصور أحرم من الحيرة ورجع بعد انقضاء الحج إلى المدينة، ثم رحل إلى بيت المقدس فزاره وصلى فيه، ثم سلك الشام إلى الرقة، ثم سار إلى هاشمية الكوفة.

وتواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها، سوى خراسان فإنه مات نائبها أبو داود، فخلفه مكانه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي.

وفيها توفي

داود بن أبي هند، وأبو حازم سلمة بن دينار، وسهيل بن أبي صالح، وعمارة بن غزية، وعمرو بن قيس السكوني.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهدم سورها وغضا عمن قدر عليه من مقاتلتها.

وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر، فبنى ما كان هدمه ملك الروم من سور ملطية، وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار، وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار.

وفيها بايع عبد الله بن علي الذي فتح دمشق ثم كسره أبو مسلم كما تقدم وانهزم إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي، حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى طاعته. ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي.

وفيها خلع جهور بن مرار العجلي الخليفة المنصور وذلك بعد ما كسر سنباذ واستحوذ على حواصله وما كان عنده من أموال أبي مسلم، فقويت نفسه بذلك وظن أنه يقدر على متابفة الخليفة بتلك الأموال، فأرسل إليه الخليفة محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش كثيف فاشتعلوا قتالاً شديداً، فهزم جهور وقتل عامة أصحابه، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل، ثم لحقوه فقتلوه.

وفيها قتل الملبد الخارجي على يدي خازم بن خزيمه في ثمانية آلاف، وقتل من أصحاب الملبد ما يزيد على ألف وانهزم بقيتهم. ولله الحمد والملة.

قال الواقدني: وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن صالح بن علي، والتواب فيها هم المذكورون بالتي قبلها.

ومن توفي فيها

زيد بن واقد، والعلاء بن عبد الرحمن، وليث بن أبي سليم في قول. وفيها كانت خلافة الناخل على بلاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الهشامي، كان قد دخل إلى بلاد المغرب، فاجتاز بمن معه من أصحابه يقوم يقتلون على عصبية اليمانية والمضرية، فبعث مولاة بداراً إليهم فاستمالهم إليه فبايعوه ودخل بهم ففتح بلاد الأندلس واستحوذ عليها وانتزعها من نائبها يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وقتله. وسكن عبد الرحمن قرطبة واستمر في خلافة في تلك البلاد من هذه السنة أعني سنة ثمان وثلاثين ومئة إلى سنة ثنتين وسبعين ومائة. فتوفي فيها وله في الملك أربع وثلاثون سنة وأشهر.

ثم قام من بعده ولده هشام ست سنين وأشهرًا. ثم مات فتولي بعده الحكم بن هشام ستاً وعشرين سنة وأشهرًا ثم مات. ثم من بعده ولده عبد الرحمن بن الحكم ثلاثاً وثلاثين سنة ثم مات. ثم من بعده محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستاً وعشرين سنة. ثم ابنه المنذر بن محمد، ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن المنذر. وكانت أيامه بعد الثلاثمائة بدهر، ثم زالت تلك الدولة كما سنذكره ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانهم على ميعاد.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

فيها خرجت طائفة يقال لهم الراوندية على المنصور.

ذكر ابن جرير [٥٠٧-٥١١ هـ] عن المدائني أن أصلهم من خراسان، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني، كانوا يقولون بالتناسخ يزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك، وأن ربه الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور. وأن الميثم بن معاوية جبريل، قبحهم الله تعالى.

قال: فاتوا يوماً قصر المنصور فجمعوا يطوفون به ويقولون: هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضبوا من ذلك وقالوا: علام نحبسهم؟ ثم عمدوا إلى نخل فحملوه على كواهلهم وليس عليه أحد، واجتمعوا حوله كأنهم يشيعون جنازة، واجتازوا بباب السجن، فالتقوا النخل ودخلوا السجن قهراً واستخرجوا من فيه من أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور وهو في ستمائة، فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد، وخرج المنصور من القصر ماشياً، لأنه لم يكن في القصر دابة يركبها، ثم جيء بدابة فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء الناس من كل ناحية، وجاء معن بن زائدة، فلما رأى الخليفة ترجل وأخذ بلجام دابة الخليفة، وقال: يا أمير المؤمنين أرجع نحن نكنيكهم. فأبى وقام أهل السوق إليهم فقاتلوه، وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية ففصلوهم عن آخرهم، ولم يبق منهم بقية، وجرحوا عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه، فمرض أياماً ثم مات، فولي الصلاة عليه الخليفة المنصور، وقام على قبره حتى دفن ودعا له، وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس، وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية من الكوفة.

ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها، ثم أتى بالطعام فقال: أين معن بن زائدة؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء معن فأجلسه إلى جانبه، ثم أخذ في شكره لمن حضرته لما رأى من شهامته يومئذ. فقال معن: والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لرجل، فلما رأيت استهانتك بهم وإقدامك عليهم قوي قلبي بذلك، وما ظننت أن أحداً يكون في الحرب هكذا، فذاك الذي شجعني يا أمير المؤمنين. فأمر له المنصور بعشرة آلاف ورضي عنه وولاه اليمن. وكان معن بن زائدة قبل ذلك مختفياً، لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة، فلم يظهر إلا في هذا اليوم. فلما رأى الخليفة صدقه في قتاله رضي عنه.

ويقال: إن المنصور قال: أخطأت في ثلاث: قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذعبت الخلافة، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لذعبت ضياعاً. وهذا من حزمه وصرامته.

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه عمداً المهدي ولى عهده من بعده بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن، وذلك أنه قتل خلقاً من شيعة الخليفة، فشكاه المنصور إلى أبي أيوب الخواري كاتب الرسائل فقال: يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليعيث جيشاً من خراسان لغزو الروم، فإذا خرجوا من عنده بعثت إليه من شئت فأخرجوه منها ذليلاً. ليس عنده كثير أحد فكتب إليه المنصور بذلك فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد عاثت بها الأتراك، ومتى خرج منها جيش فسد أمرها. فقال الخليفة لأبي أيوب: ماذا ترى؟ قال: فآتت إليه: بأن بلاد خراسان أحق بالمدد من غيرها، وقد جهزت إليك بالجنود. فاجاب بأن بلاد خراسان في هذا العام مضيق

أقواتها، ومتى دخلها جيش أفسدها، فقال الخليفة لأبي أيوب: ما تقول؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره، فحيث يبعث المنصور ابنه عمداً المهدي ليقم بالري، فبعث المهدي خازم بن خزعة مقدماً بين يديه إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن، فما زالوا عليه حتى هزموا من معه وأخذوه هو فأركبوه بعيراً حولاً وجهه إلى ناحية نهب البعير. وسيره كذلك في البلاد حتى أقدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله، فغضب المنصور عقه وسير ابنه ومن معه من أهله إلى جزيرة دُفْلَك في طرف اليمن، فأسرتهم الهند بعد ذلك، ثم فودي بعضهم بعد ذلك.

واستقر المهدي نائباً على خراسان، وأمره أبوه أن يغزو طبرستان، وأن يجارب الأصهب بن معن من الجنود وأمله بجيش عليهم عمر بن العلاء، وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان، وهو الذي يقول فيه بشار الشاعر:

قُتِلَ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتَهُ نَصِيحاً وَلَا خَيْرَ فِي التَّهْمِ
إِذَا ابْتَغَيْتَ حُرُوبَ الْمَدَى قَبْلَهُ لَهَا عُمْراً ثُمَّ مِ
قَسَى لَا يَنَامُ عَلَى يَمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِ

فلما توافقت الجيوش على طبرستان فتحوها وحاصروا الأصهب حتى الجؤه إلى قلعة فصالحهم على ما فيها من الذخائر، وكتب المهدي إلى أبيه بذلك، ودخل الأصهب بلاد الديلم فمات هناك. وكسروا أيضاً ملك الترك الذي يقال له المصفغان، وأسروا أمماً من النزاروي، فهذا فتح طبرستان الأول.

وفي هذه السنة فرغ من بناء المصيبة على يدي جبريل بن يحيى الخراساني.

وفيها رابط محمد بن إبراهيم الإمام ببلاد ملطية.

وفيها عزل المنصور زياد بن عبيد الله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري وقدمها في رجب، وولى مكة والطائف الميثم بن معاوية التميمي.

وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرط المنصور. وعلى مصر والهند ونائب في الهند ابنه.

وفيها ولي مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى عليها نوفل بن الفرات.

وحج بالناس فيها صالح بن علي وهو نائب قنشرين وحصص ودمشق، وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم.

وفيها توفي

أبان بن تغلب، وموسى بن عقبة، صاحب المناذري، وأبو إسحاق الشيباني في قول والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة، فجهز إليه العساكر صعبة عمر بن حفص بن أبي صفرة، وولاه السند والهند، فحاربه عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلمها منه.

وفيها نكح الأصهب طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين، وقتل طائفة من كان بطبرستان، فجهز إليه الخليفة الجيوش صعبة خازم بن خزعة، وروح بن حاتم، ومعهم مرزوق أبو الخصيب، مولى المنصور،

وقال علي بن المديني ويحيى بن معين: ليس بشيء، وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون: إنما الناس مثل الزرع. وقال الفلاس: متروك صاحب بدعة. كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يتحدث عنه.

وقال أبو حاتم: متروك وقال النسائي: ليس بثقة. وقال شعبة عن يونس بن عبيد: كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث.

وقال حماد بن سلمة: قال لي حميد: لا تأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري. وكذا قال أيوب وعوف وابن عوف.

وقال أيوب: ما كنت أعدل له عقلاً.

وقال مطر الوراق: والله لا أصدق في شيء. وقال ابن المبارك: إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر.

وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه. قال الحسن البصري: هذا سيد شباب القرى ما لم يحدث.

قالوا: فأحدث والله أشد الحديث.

وقال ابن حبان: كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسماوا المعتزلة، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث، وهماً لا تمعناً، وقد روي عنه أنه قال: إن كانت «تبت يدا أبي لهب» في اللوح المحفوظ فما لله على ابن آدم حجة. وروي له حديث ابن مسعود: حدثنا الصادق المصطفى «إن خلق أحكمكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً» حتى قال: «فيؤمر بأربع كلمات. رزقه وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد» [٣٢٠٨]، «(٢٦٤٣)» إلى آخره. فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته، ولو سمعت الله يقول هنا لقلت: ما على هذا أخذت علينا الميثاق.

وهنا من أتبع الكفر، لعنه الله إن كان قال هذا. وإذا كان مكنوزاً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه.

وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

أبها الطالب علمها إيت حَمَاساً بِنَ زَيْدٍ
فخذ العلم مجلسي نسم قَيْدَهُ بِقَيْدِ
وَدَّرِ البَدْعَةَ مِّنْ آثارِ عمرو بن عبيد

وقال ابن عدي: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جداً، ملعن بالبدع.

وقال الدارقطني: ضعيف الحديث.

وقال الخطيب البغدادي: جالس الحسن واشتهر بصحته ثم أزاله وأصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه، واعتزل أصحاب الحسن، وكان له سمت وإظهار زهد. وقد قيل: إنه واصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين، وحكى البخاري أنه مات سنة ثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة، وقد كان عمرو خطيباً عند أبي جعفر المنصور، وكان خطيباً عند أبي جعفر المنصور؛ لأنه كان ينفذ مع القراء فيعطيه المنصور فيأخذون، ولا يقبل عمرو منه شيئاً، فكان ذلك يُعجب المنصور لأن المنصور كان بخيلاً وكان يقول:

فحاصروه مدة طويلة، فلما أعياهم فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه، وذلك أن أبا الخصب قال: أضربوني واحلقوا رأسي وحيتي، ففعلوا ذلك، فذهب إليه كأنه مغاضب للمسلمين قد ضربوه وحلقوا لحته، فدخل الحصن فقرح به الأصهب وأكرمه وقره، وجعل أبو الخصب يظهر له النصيح والخدمة حتى خدعه، وحظي عنده جداً وجعله من جملة من يتولى فتح الحصن وغلقه، فلما تمكن عنده كاتب المسلمين وأعلمهم أن الليلة القلانية في حرسه فافتروا من الباب حتى أفتحهم لكم، فلما كانت تلك الليلة فتح للمسلمين باب الحصن فدخلوا فقتلوا من فيه من المقاتلة وسبوا الذرية وامتص الأصهب خائفاً مسموماً فمات، وكان من أسر يومئذ أم منصور بن المهدي، وأم إبراهيم بن المهدي، وكانت من بنات الملوك. وفيها بني المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون عندها بالجلمان، وتولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر نائب الفرات والأبلة، وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذلك المصلى. وفيها عزل الخليفة نوفل بن الفرات عن إمارة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة.

وحج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي.

وفيها توفي

■ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة. وكان ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة، وهو ابن تسع وخمسين سنة، وصلى عليه أخوه عبد الصمد.

روى عن أبيه وعمره وأبي بردة بن أبي موسى. وعنه جماعة منهم بنوه جعفر، ومحمد، وزينب والأصمعي. وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة وخضب لحته من الشيب في ذلك السن، وكان كريماً جواداً ممدحاً. كان يعتق عشيعة عرفة في كل سنة مائة نسمة، وبلغت صلاته لبني هاشم وسائر قريش والأنصار خمسة آلاف ألف.

وأطلع يوما من قصره فرأى نسوة يغزلن في دار من دور البصرة، فاتفق أن قالت واحدة منهن: ليت الأمير أطلع علينا وأطلع فأغنانا عن الغزل؟ فنفض فجعل يدور في قصره ويجمع من حلي نسائه من الذهب والجواهر وغير ذلك ما ملأ به منديلاً، ثم دلاه إليهن ونثر عليهن من اللذائير والدراهم شيئاً كثيراً، فماتت إحداهن من شدة الفرح. فأعطى دينها وما تركته من ذلك لورثتها.

وقد ولي الحج في أيام السفاح، وولي البصرة للمنصور، وكان من خيار بني العباس، وهو أخو إسماعيل وداود وصالح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد، وهو عم السفاح والمنصور.

ومن توفي فيها:

خالد الخذاء، وعاصم الأحول،

■ عمرو بن عبيد القفري في قول: وهو عمرو بن عبيد بن باب. ويقال: ابن كيسان، التيمي مولا أم عثمان البصري، من أبناء فارس، شيخ القدرية والمعتزلة. روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس، وأبي العالية وأبي قلابة، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش - وكان من أقرانه - وعبد الوارث بن سعيد، وهارون بن موسى، ويحيى القطان، ويزيد بن زريع.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس بأهل أن يحدث عنه.

إبراهيم منه خوفاً شديداً، وذلك لأنه توهّم منهما أنهم لا بد أن يخرجوا عليه والذي خاف منه المنصور وقع فيه، ولما خافه ذهباً منه هرباً في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن، ثم سارا إلى الهند ثم تحوّلوا إلى المدينة فاختفيا بها، فدل على مكانتهما الحسن بن زيد فهربا إلى موضع آخر، فاستدل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما، ثم كذلك، وانتصب إليهما عند المنصور. والعجب أنه من أتباعهما، واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يتفق له ذلك إلى الآن. فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صارا إليه من البلاد، ثم ألح المنصور على عبد الله في طلب ولديه فغضب عبد الله من ذلك وقال: والله لو كانتا تحت قدمي ما دلتك عليهما. فغضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقه وأمواله، فلبث في السجن ثلاث سنين، وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم وجد في طلب لإبراهيم ومحمد جدّه، هذا وهما بمحضران الحج في غالب السنين، ويكتمان في المدينة في غالب الأوقات، ولا يشعر بهما من يسم عليهما والله الحمد. والمنصور يعزل نائباً عن المدينة ويولي عليها غيره ويعرضه على إسماعيلها والفحص عنهما، وينذل الأموال في طلبهما، وتعجزه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل.

وقد واطعها على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له أبو العساكر خالد بن حسان، فغزموا في بعض الحجات على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة. فنهاهم عبد الله بن حسن لشرف البقعة. وقد اطلع المنصور على ذلك وعلم بما ما لأهمل ذلك الأمر، فعذبه حتى أقر بما كانوا تمالؤوا عليه من الفتك به. فقال: وما الذي صرفكم عن ذلك؟ فقال: عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك. فأمر به الخليفة فغيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن.

وقد استشار المنصور من يعلم من أمرائه ووزرائه من ذوي الرأي في أمر ابني عبد الله بن حسن، وبعث الجواسيس والقضاة إليهما فلم يقع لهما على خبر، ولا ظهر لهما على عين ولا أثر، والله غالب على أمره.

وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه! إني قد شفقت على أبي وعمومي، ولقد هممت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأريح أهلي. فذهبت أمه إلى السجن فعرضت عليهم ما قال ابنها، فقالوا: لا، بل نصبر على أمره فلعل الله أن يفتح على يديه خيراً، ونحن نصبر وفرجنا بيد الله وتمالؤوا كلهم على ذلك رحمهم الله.

وفي هذه السنة نقلوا من المدينة إلى حبس بالعراق وفي أرجلهم القيود، وفي أعناقهم الأغلال. وكان ابتداء تقييدهم من الرينة بأمر أبي جعفر المنصور، وقد اشخص معهم محمد بن عبد الله العثماني، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وقد حملت قريباً، فاستحضره الخليفة وقال: قد حلفت بالعراق والطلاق إنك لم تغشي، وهذه ابنتك حامل، فإن كان من زوجها فقد خيبت، وإن كان من غيره فانت ديوت. فأجابته العثماني ببواب أحفظه به، فأمر به فجردت عنه ثيابه فإذا جسمه مثل الفضة النقية. ثم ضرب بين يدي الخليفة مائة وخمسين سوطاً، منها ثلاثون فوق رأسه، أصاب أحدها عينه فسالت، ثم رده إلى السجن وقد بقي كانه عبد أسود من زرقه الضرب، وتراكم الدماء فوق جلده، فاجلس إلى جانب أخيه لأمه عبد الله بن حسن، فاستقى ماء فما جسر أحد أن يسقيه حتى سقاها خراساني من جملة الجلاوزة الموكلين بهم. ثم ركب الخليفة هودجه وأركبوا أولئك في عمال ضيقة، وعليهم القيود والأغلال، فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه، فناداه عبد الله بن حسن:

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعلم أن كل واحد من أولئك القراء خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيد، والزهد لا يبدل على صلاح، فإن بعض الرهايين قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه كثير من المسلمين في زمانه. وقد روينا عن إسماعيل بن مسلمة القعني قال: رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعد ما مات بعبادان فقال لي: أيوب ويونس وابن عون في الجنة. قلت: فعمرو بن عبيد؟ قال: في النار. ثم رآه مرة ثانية وروى ثالثة، ويقول له مثل ذلك.

وقد رثيت له منامات قيحة، وقد طوّل شيخنا في «تهذيبه» [١٢٣/٢٢] - (١٣٥) ترجمته ولخصنا حاصلها في كتابنا التكميل، وأشرنا ههنا إلى نبذ من حاله ليعرف فلا يغتر به والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ففيها ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم، لأنهم قتلوا من المسلمين خلقاً، وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم يقدر على عشرة آلاف فصاعداً أن يذهب مع الجيش إلى الديلم، فانتدب خلق كثير وجم غفير لذلك.

وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها.

وفيهما توفي

حجاج الصراف، ومحمد بن تيرويه الطويل، وسليمان بن طرخان التيمي، وعمرو بن عبيد في قول، وقد ذكرناه في التي قبلها، وليث بن أبي سليم على الصحيح. وعيسى بن سعيد الأنصاري.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ففيها سار محمد بن أبي العباس السفاح عن أمر عمه المنصور إلى بلاد الديلم ومعه الجيوش من الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة.

وفيهما قدم محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور على أبيه من بلاد خراسان ودخل بآبنة صمه ربطة بنت السفاح بالخير.

وفيهما حج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الميرة والعسكر خازم بن خزيمه، وولى رباح بن عثمان المزني المدينة وعزل عنها محمد بن خالد بن عبد الله القسري.

وتلقى الناس أبا جعفر المنصور في أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربعين ومائة. وكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، فأجلسه المنصور معه على السباط، ثم جعل يحادثه وأقبل عليه إقبالاً زائداً بحيث اشتغل بذلك عن عامة غدايته، وسأله عن ابنه إبراهيم ومحمد لم لا جاءني مع الناس؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدري أين صارا من أرض الله. وصلى في ذلك، وما ذاك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايعه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمالي بالخلافة وخلع مروان، وكان في جملة من بايعه على ذلك أبو جعفر المنصور، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه

فزعاً بذلك وانزعج انزعاجاً شديداً، وركب في جحافل فطاف بالمدينة وحوفاً ليستعلم مكان محمد بن حسن فأعياه ذلك، وقد مرّ في رجوعه على دار مروان، وهم بها مجتمعون، فلم يشعر بهم. فلما رجع إلى منزله بعث إلى بني حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤوس من سادات قريش وغيرهم، فوعظهم وأنبههم وقال: يا معشر أهل المدينة، أمير المؤمنين يطلب هذا الرجل في المشرق والمغرب وهو بين أظهركم، ثم ما كناكم كتماناً حتى يابتموه على السمع والطاعة؟ والله لا يلغني عن أحد منكم خرج معه إلا ضربت عنقه. فأنكر الذين هم هنالك أن يكون عندهم علم أو شعور بشيء مما وقع مما يقوله، وقالوا: نحن نأتيك برجال مسلحين يقتلون دونك إن وقع شيء من ذلك. فنهضوا فجاءوه بجماعة مسلحين فاستأذنوه في دخولهم عليه، فقال: لا إذن لهم، إني أخشى أن يكون ذلك خديعة. فجلس أولئك على الباب ومكث الناس جلوساً حول الأمير وهو واجم لا يتكلم إلا قليلاً حتى ذهبت طائفة من الليل، ثم ما فجئهم الناس إلا وأصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير، فانزعج الناس في جوف الليل، وأشار بعض الحاضرين على الأمير أن يضرب أعناق بني حسين، فقال أحدهم: علام ونحن مقرون بالسمع والطاعة؟ واشتغل الأمير عنهم بما فجأه من الأمر، فاعتصموا الغفلة ونهضوا سراعاً فتسوروا جدار الدار وألقوا أنفسهم على كناسة هنالك.

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين فارساً، فأقبل بمن معه فمر بالسجن فأتى من فيه، وجاء دار الإمارة فحاصرها فافتتحها وأمسك على رباح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان، وسجن معه ابن مسلم بن عقبة، وهو الذي أشار بقتل بني حسين في أول هذه الليلة فنجوا وأحيط به. وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها. فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾. وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة. وقد خطب محمد بن عبد الله أهل المدينة في هذا اليوم، فتكلم في بني العباس وذكر عنهم أشياء ذمهم بها وأخبرهم أنه لم ينزل بلدًا من البلدان إلا وقد يابموه على السمع والطاعة، فبابه أهل المدينة كلهم إلا القليل.

وقد روى ابن جرير (٥٦٠/٧) عن الإمام مالك أنه أتى الناس بمبايعته، فقيل له: إن في أعناقنا بيعة المنصور، فقال: إنما كنتم مكرهين وليس لكره بيعة، فبابه الناس عند ذلك عن قول مالك، ولزم مالك بيته. وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته: يا ابن أخي إنك مقتول. فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه، فاستتاب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله الخزومي، وعلى شرطتها عثمان بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان المعطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن مسور بن خزيمة، وتلقب بالمهدي طمعاً أن يكون هو الموعود به في الأحاديث التي سنوردها في كتاب الفتن والملاحم فلم يكن ليأه، ولا تم له ما تمناه.

وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلة دخلها ابن الحسن، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال، فورد عليه فوجده نائماً في الليل، فقال للربيع الحاجب: استأذن لي على الخليفة، فقال: إنه لا يوقظ هذه الساعة. فقال: إنه لا بد من ذلك فأخبر الخليفة فخرج فقال: ويحك! ما وراءك؟ فقال: إنه خرج ابن حسن بالمدينة. فلم يظهر لذلك أكثرنا ولا انزعاجاً، بل قال: أنت رأيته؟ قال: نعم! فقال: هلك والله وأهلك معه من

والله يا أبا جعفر ما هكذا صنعنا بأسراكم يوم بدر، فأخساه المنصور وتقل عليه ونفر عنهم.

ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالمناشمية، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وكان جبلاً يذهب الناس لينظروا إليه من حسنة. وكان يقال له: الديباج الأصفر، فأحضره المنصور بين يديه وقال له: أما والله لأتلكك قتلة ما قتلها أحد. ثم ألقاه بين أسطوأتين وسد عليه حتى مات. وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم فيما بعد على ما سذكروه. فكان فيمن هلك في السجن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أي طالب، وقد قيل وهو الأظهر أنه قتل صبراً، وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما، وقل من خرج منهم من الحبس، وقد كانوا في سجن لا يسمعون فيه التأتين، ولا يعرفون فيه وقت الصلاة إلا بالتأثرة، ثم بعث أهل خراسان يشفعون في محمد بن عبد الله العثماني، فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان.

وهو

■ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي. أبو عبد الله المدني المعروف بالديباج، حسن وجهه. وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، روى الحديث عن أبيه وأمه وخالجه بن زيد وطاوس وأبي الزناد والزهري ونافع وغيرهم، وحديث عنه جماعة. ووثقه النسائي وابن حبان، وكان أخا عبد الله بن حسن بن حسن لأمه، وكانت ابنته رقية زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله، وبسببها قتله أبو جعفر المنصور في هذه السنة. وكان كريماً جواداً ممدحاً.

قال الزبير بن بكار: أشدني سليمان بن عياش السعدي لأبي وجزة السعدي بمدحه:

وجدنا المحض الأبيض من قريش قسى بين الخليفة والرسول
أتاك الجعد مسن هنا وهنا وكنت له بمنالج السيول
فما للمجد دونك من ميث وما للمجد دونك من ميث
ولا مُمْتَضَى وراك تبتغيه ولا هو قابل بك من بديل

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

فما كان فيها من الأحداث غرغ محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة، على ما سنيه إن شاء الله تعالى.

أما محمد فإنه خرج على إثر ذهاب أبي جعفر المنصور ببني حسن من المدينة إلى العراق على الصفة والنعت الذي تقدم ذكره، وسجنهم في مكان ساء مستقراً ومقاماً، لا يسمعون فيه التأتين ولا يعرفون دخول أوقات الصلوات إلا بالأذكار والتلاوات. وقد مات أكثر أكابرهم هنالك رحمهم الله. هذا كله ومحمد بن عبد الله بن حسن مختف بالمدينة، حتى إنه في بعض الأحيان اختفى في بئر نزل فيها، فلم يبق منه سوى رأسه، وباقيه مغمور بالماء، وقد تواعد هو وأخوه وقتاً معيناً يظهران فيه، هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة، ولم يزل الناس من أهل المدينة يؤثرون محمد بن عبد الله في اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج، وذلك لما أضرب به شدة الاختفاء من كثرة إلحاح رباح نائب المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً، فلما اشتد به الأمر وضاق الحال وأعد أصحابه على الظهور في الليلة الفلانية، فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الرشاة إلى منزلي المدينة فأعلمه بذلك، فضاقت

في عدم إسلام أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وقد فخرت به لأنه اخف أهل النار عذاباً، وليس في الشر خيار، ولا ينبغي لزمن الفخر بأهل النار، وفخرت بأن علياً ولده هاشم مرتين. وأن حسناً ولده عبد المطلب مرتين، فهذا رسول الله ﷺ خير الأولين والآخرين إنما ولده عبد المطلب وهاشم مرة واحدة، وقرولك إنك لم تملك أمهات الأولاد، فهذا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية، وهو خير منك، وعلي بن الحسين من أم ولد وهو خير منك، وكذلك ابنه محمد بن علي، وابنه جعفر بن محمد، جدتهما أم ولد وهما خير منك.

وأما قولك: إنكم بنو رسول الله ﷺ فقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقد جاءت السنة التي لا خلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخاله لا يورثون، ولم يكن لفاطمة ميراث من رسول الله ﷺ بنص الحديث، وقد مرض رسول الله ﷺ وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس، بل أمر غيره، ولما توفي رسول الله ﷺ لم يعدل الناس بأبي بكر ثم عمر، ثم قدموا عليه عثمان في الشورى، ثم ولوه بعد مقتل عثمان واتهمه بعضهم به، وقتلوه طلحة والزبير، وامتنع سعد من مبايعته، ثم بايع بعد ذلك معاوية، ثم طلبها أسوك وقتل عليها الرجال، ثم اتفق على التحكيم فلم يف به، ثم صارت إلى الحسن فباعها بنحرق ودرهم، وأقام بالبحجاز يأخذ مالا من غير حله، وسلم الأمر إلى غير أهله، وترك شيعة في أيدي معاوية. فإن كانت لكم فقد تركوها وبعتموها بثمانها، ثم خرج عموك حسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأثروا برأسه إليه ثم خرجتم على بني أمية قتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وحرقوكم بالنيران، وحملوا نساءكم على الإبل كالسباع إلى الشام، حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بآرئكم، وأدركنا بملائكم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، وذكرنا فضل سلفكم، فجعلت ذلك حجة علينا، وظننت أنا إنما ذكرنا فضله تلعمة منا له على حمزة والعباس وجعفر، وليس الأمر كما زعمت، فإن هؤلاء مضوا ولم يدخلوا في الفتنة، وسلموا من الدنيا وابتلوا بذلك أبوك. وكانت بنو أمية تلعت كما تلعت الكفرة في الصلوات المكتوبات، فذكرنا فضله وعفانهم بما نالوا منه، وقد علمت أن مكربتنا في الجاهلية سقاية الحجيح الأعظم، وخلمة زمزم، وحكم لنا بها رسول الله ﷺ في الإسلام ولما قُطع الناس زمن عمر استسقى بابينا العباس، وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله ﷺ إلا العباس، فالسقاية سقايت، والورثة وراثته، والخلافة في ولده، فلم يبق شرف في الجاهلية والإسلام في الدنيا والآخرة إلا والعباس وارثه ومورثه.

في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة ويلاغة. وقد استقصاه ابن جرير بطوله والله سبحانه أعلم.

فصل في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن

بحث محمد بن عبد الله بن حسن في غيوب ذلك رسلاً إلى أهل الشام يدعومهم إلى بيعته وخلافته فأبوا قبول ذلك منه، وقالوا: قد ضجرنا من الحروب ومللنا من القتال. ولم يكتفوا بأصحابه فرجعوا إليه بعد ما خافوا على أنفسهم وجعل يستميل رؤوس أهل المدينة، ففهم من أجابه ومنهم من امتنع عليه، وقال له بعضهم: كيف أبيناك وقد ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال؟ ولزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى

اتبعه. ثم أمر بالرجل فسجن، ثم جاءت الأخبار بذلك وتواترت. فاطلقة المنصور وأطلق له عن كل ليلة ألف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم.

ولما تحقق المنصور الأمر من خروجه ضاق ذرعاً بذلك، فقال له بعض المنجمين: يا أمير المؤمنين لا عليك منه، فوالله لو ملك الأرض بمخافيرها فإنه لا يقيم أكثر من سبعين يوماً.

ثم أمر الخليفة جميع رؤوس الأمراء أن يذهبوا إلى السجن فيجتمعوا بعبد الله بن علي فيخبروه بما وقع وبخروج محمد ويسمعوا ما يقول لهم. فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال: ما ترون ابن سلامة فاعلا؟ - يعني المنصور - فقالوا: لا ندري. فقال: والله لقد قتل صاحبكم البخل يبغي له أن يفتن الأموال ويستخدم الرجال، فإن ظهر فاسترجع ما انتفى من الأموال عليه سهل، وإلا لم يكن لصاحبكم شيء في الخزائن. فرجعوا إلى الخليفة فأخبروه بذلك،

وأشار الناس على الخليفة بمناجزته، فاستدعى عيسى بن موسى فندبه إلى ذلك، ثم قال: إني ساكتب إليه كتاباً أنذره به قبل قتاله فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم! من عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُقَرَّبُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ أَكْثَرَهُمْ رَجِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤] ثم قال: فلك عهد الله وميثاقه ودمته ودمه رسوله، إن أنت أقلت ورجعت إلى الطاعة لأؤمنتك ومن اتبعك، ولأعطيتك ألف ألف درهم، ولأدعيتك تقيم في أحب البلاد إليك، ولأقضيت لك جميع حوائجك، في كلام طويل.

فكتب إليه محمد جواب كتابه:

من عبد الله محمد بن عبد الله بن حسن: ﴿طَسَمَ ثَلَاثَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، تَنَزَّلَ عَلَيْكَ مِنْ سُبْحٍ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِيعُ ظِلْفَهُ مِنْهُمْ يُدْعَى ابْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ، وَنَزِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُكُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ١-٥] ثم قال: وإني أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي، فأنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا، فإن علينا كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ ونحن أشرف أهل الأرض نسباً، فرسول الله ﷺ خير الناس وهو جدنا، وجلسنا خديجة وهي أفضل زوجاته، وفاطمة أمنا وهي أكرم بناته، وإن هاشمًا ولد علياً مرتين، وإن حسناً ولده عبد المطلب مرتين، وهو وأخوه سيلاً شباب أهل الجنة، وإن رسول الله ﷺ ولدني مرتين، وإني أوسط بني هاشم نسباً، وأصرحهم نسباً، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة، وأخضع عذاباً في النار، فأنا أول بالأمر منك، وأوفي بالعهد، فإنك أعطيت ابن هيرة العهد ونكته، وكذلك بعكك عبد الله بن علي، وبأبي مسلم الخراساني.

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله: أما بعد فقد بلغني كلامك، وقرأت كتابك، فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء لتضل به الجفأة والغشاة، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والأبواء، ولا كالعصبة والأولياء، وقد أنزل الله ﴿وَأَنْزِلْ غَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان له حينئذ أربعة أعمام، فاستجاب له أثنان أحدهما أبي، وكفر اثنان أحدهما أبو ك قطع الله ولايتهما منه، ولم يجعل بينهما إلا ولا ذمة، وقد أنزل الله

أسمر عظيم الهامة.

ولما نزل عيسى بن موسى الأعور وأقرب من المدينة، صعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد ونهدهم إليه - وكانوا قريباً من مائة ألف - فقال لهم في جملة ما قال: إني جعلتكم في حل من بيعتي، فمن أحب منكم أن يقيم عليها فليفعل. ومن أحب أن يتركها فليفعل. فتسلل كثير منهم أو أكثرهم عنه، ولم يبق معه إلا شذوذة من الناس، وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لتلا يشهدوا القتال بها، فتزلوا الأعراض ورؤوس الجبال. وقد بعث محمد أبا القلّس ليردهم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم، واستمروا فاهمين. وقال محمد لرجل: أتناخذ سيفاً ورعاً وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة؟ فقال: نعم إن أعطيتني رعاً أطعنهم وهم بالأعراض، وسيفاً أضربهم به وهم في رؤوس الجبال فعلت. فسكت محمد ثم قال: ويحك! إن أهل الشام والعراق وخراسان قد بيضوا - يعني لبسوا البياض - موافقة لي وخلعوا السواد، فقال: وما يضعني أن لو بقيت الدنيا زيدة بياض وأنا في مثل صوفة الدواة، وهذا عيسى بن موسى نازل بالأعور. ثم جاء عيسى بن موسى فتزل قريباً من المدينة: على ميل منها، فقال له دليله ابن الأصم: إني أخشى إذا كشفتموه أن يرجعوا إلى معسكرهم سريعاً قبل أن تدرهم الخيل. ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة، وذلك يوم السبت لصبح نني عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة. وقال: إن الرجل إذا هرب لا يقلد على الهولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتدره الخيل.

وأرسل عيسى بن موسى خمسمائة فارس فتزلوا عند الشجرة في طريق مكة، وقال لهم إن هرب هذا الرجل فليس له ملجأ إلا مكة فقاتلوه، وحولوا بينه وبينها. ثم أرسل عيسى إلى محمد يدعو إلى السمع والطاعة أو الرجوع إلى المبيعة لأمر المؤمنين المنصور، فإنه قد أعطاه الأمان له ولأهل بيته إن هو أجاب إلى ذلك، فقال محمد للرسول: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك. ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له: إني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأحذر أن تنتفع فأقتلك فتكون شر قتيل. أو تقتلني فتكون قتلت من دعاك إلى الله وسنة رسوله ﷺ، ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام يدعو فيها عيسى بن موسى إلى السمع والطاعة والرجوع إلى الجماعة. وجعل عيسى بن موسى يقف في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على التنية عند سلع فينادي: يا أهل المدينة إن دماءنا علينا حرام فمن جاءنا فوفق تحت رايتنا فهو آمن، ومن دخل مسجد رسول الله ﷺ فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، فليس لنا في قتالكم أرب، وإنما نريد عمداً وحده لنذهب به إلى الخليفة. فجعلوا يسبون ويثألون من أمه، ويتكلمون معه بكلام شنيع، ويخطبونه غاطبة فظيمة. وقالوا: هذا ابن رسول الله ﷺ معنا ونحن معه، نقاتل دونه.

فلما كان اليوم الثالث أتاهم في خيل ورجال وسلاح ورمح لم ير مثلها، فناداه يا محمد! إن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى السمع والطاعة، فإن فعلت أمناك وقضى دينك وأعطاك أموالاً وأراضي، وإن أبيت قتالتك فقد دعوتك غير مرة. فناداه محمد: إنه ليس لكم عندي إلا القتال. فنشبت الحرب حيثئذ بينهم، وكان جيش عيسى بن موسى فوق الأربعة آلاف، وعلى الملقمة حميد بن قحطبة، وعلى ميمته محمد بن السفاح، وعلى مسيرته داود بن كراز، وعلى الساقة الهيثم بن شعبة، ومعهم عدد لم ير مثلها. وفرق عيسى أصحابه في كل قطر طائفة. وكان عمد

قتل محمد بن عبد الله بن حسن. وبعث محمد الحسن بن معاوية في سبعين رجلاً ونحواً من عشرة فوارس على مكة إن هو دخلها فساروا إليها، فلما بلغ أهلها قدامهم خرجوا إليهم في ألوف من المقاتلة، فقال لهم الحسين بن معاوية: علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر المنصور؟ فقال السري بن عبد الله زعيم أهل مكة: إن برده جاءتنا من أربع ليال وقد أرسلت إليه فأتنا أنتظر جوابه إلى أربع، فإن كان ما تقولون حقاً سلمتكم البلد وعليّ مؤنة رجالكم وخيلكم. فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة، وحلف لا يبيت الليلة إلا بمكة، إلا أن يموت. وأرسل إلى السري أن ابرز من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء في الحرم. فلم يخرج، فتقدموا إليهم فصافوهم فحمل عليه الحسن وأصحابه حملة واحدة فهزموهم وقتلوا منهم نحو سبعة، ودخلوا مكة، فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وعزاهم في أبي جعفر، ودعا محمد بن عبد الله بن حسن الملقب بالمهدي.

خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وجاءه البريد إلى أخيه محمد بن بذلك فأتته إلى ليلا فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان فطرق بابها. فقال: اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير. ثم خرج فأخبره عن أخيه بذلك فاستبشروا جداً وفرح بذلك كثيراً، وكان يقول للناس بعد صلاتي الصبح والمغرب: ادعوا لله لإخوانكم أهل البصرة، وللحسين بن معاوية بمكة، واستنصروه على أعدائكم.

وأما ما كان من المنصور فإنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبد الله بن حسن، صحبة عيسى بن موسى أربعة آلاف فارس من الشجعان المتخبين، منهم محمد بن أبي العباس السفاح، وحيد بن قحطبة وجعفر بن حنظلة البهراني، وكان المنصور قد استشاره فيه فقال: يا أمير المؤمنين ادع بمن شئت ممن تثق به من مواليك فيتزل وادي القرى فيمنع من ميرة الشام، فيموت هو ومن معه جوعاً، فإنه ببلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح، وقدم بين يديه كثير بن الحصين العبدي وقد قال أبو جعفر المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه: يا عيسى! إني أبعثك إلى ما بين جنبي هذين، فإن ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالأمان. وإن تغيب فضمنهم إياه حتى يأتوك به، فإنهم أعلم بمناهي. وكتب معه كتاباً إلى رؤساء قريش والأنصار من أهل المدينة يدفعها إليهم خفية يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة. فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكتب مع رجل فأخذه حرس محمد بن عبد الله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها إلى محمد فاستحضر جماعة من أولئك فدعاهم وضرهم ضرباً شديداً وقوداً قالوا، وأودعهم السجن. ثم إن حمداً استشار أصحابه في المقام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصروهم بها، أو أن يخرج من معه فيقاتل أهل العراق. فممن من أشار بهذا، ومنهم من أشار بذلك، ثم اتفق الرأي على المقام بالمدينة، لأن رسول الله ﷺ ندم يوم أحد على الخروج منها، ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فأجاب إلى ذلك كله، وحفر مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله ﷺ، وقد ظهر لهم لبة من الخندق الذي كان حفره رسول الله ﷺ، ففروا بذلك واستبشروا وكبروا وبشروا بالنصر. وكان محمد حاضراً عليه بقاء أبيض، وفي وسطه منطقة، وكان شكلاً ضخماً

من رمضان، ثم خرج منها قاصداً مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد بن عبد الله بن حسن، وكان محمد قد كتب إليه ليقدّم عليه، فلما خرج من مكة وكان ببعض الطريق تلقته الأخبار بقتل محمد بن عبد الله، فاستمر فاراً إلى البصرة إلى إبراهيم بن عبد الله، الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنذكره.

ولما جئهم المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة، فمَنَعَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ ضَرْباً مَبْرَحاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْفُو عَنْهُ.

ولما توجه عيسى بن موسى إلى مكة استتاب على المدينة كثير بن حصين، فاستمر بها شهراً حتى بعث المنصور على نيابته عبد الله بن الربيع، فعاث جنده في المدينة فساداً واشتروا من الناس أشياء لا يعطونهم ثمنها، وإن طولبوا بذلك ضربوا المطالب، وخوفوه بالقتل، ثار عليهم طائفة من السودان واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة. وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة، لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة، وقيل: لخمس بقين من شوال منها، فقتلوا منهم طائفة كثيرة بالمزاريق وغيرها، وهرب نائب المدينة الأمير عبد الله بن الربيع وترك صلاة الجمعة. وكان رؤساء السودان: وثيق ويعقل ورمقة وحديا وعقود، وسمر، وأبو قيس وأبو النار.

فركب عبد الله بن الربيع في جنوده والتقى مع السودان فهزموه أيضاً فلحقوه بالبيع فألقى لهم دراهم شغلهم بها، حتى نجا بنفسه ومن اتبعه، فلحق ببطن نخل على لابئين من المدينة، ووقع السودان على طعام لأبي جعفر المنصور كان مخزناً في دار مروان قد قدم به في البحر لأجل الجند الذين بالمدينة من دقيق وسويق وزيت وقَسْبُو، فأنتهوه وباعوه بأرخص ثمن. وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان، وخاف أهل المدينة من مرة ذلك. فاجتمعوا في المسجد وخطبهم ابن أبي سبرة - وكان مسجوناً - فصعد المنبر وفي رجله القيود، فحثهم على السمع والطاعة للمنصور، وخوفهم شر ما صنعه مواليتهم، فاتفق رأيهم على أن يكفروا مواليتهم ويفرقوهم وأن يذهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله، ففعلوا ذلك، فسكن الأمر وهذا الناس وانطفت الشور، ورجع عبد الله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبي النار ويعقل وسمر.

ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن

حسن بالبصرة وكيفية مقتله

كان إبراهيم قد نزل في بني ضبيعة من البصرة، في دار الحارث بن عيسى، وكان لا يرى بالنهار، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرة جداً، وجرت عليه وعلى أخيه خطوط شديدة هائلة. وانعقد أسباب هلاكهما في أوقات متعددة، ثم كان آخر ما استقر أمره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة، بعد منصرف الحجيج.

وقيل إن قدومه إليها كان في مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، بشه أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة النبوية. قاله الواقدي. [الطبري: ٦٣٤/٧]

قال: وكان يدعو في السر إلى أخيه، فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة، والمشهور أنه قدمها قبل ذلك وأنه أظهر

وأصحابه على عدة أصحاب أهل بدر، وقتل الفريقان قتلاً شديداً جداً، وترجل محمد إلى الأرض فيقال إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم، وأحاط بهم أهل العراق فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبد الله بن حسن، فافتحموا عليهم الخندق الذي كانوا حفروه وعملوا أبو أبا على قدره، وقيل إنهم ردموه بمجذاتج الإبل حتى أمكنهم أن يجوزوه، وقد يكونون هذا في موضع منه، وهذا في موضع آخر والله أعلم.

ولم يزل القتال ناشباً بينهم من بكرة النهار حتى صليت العصر. فلما صلى محمد العصر نزلوا إلى مسيل الوادي بسلع فكسر جفن سيفه وعقر فرسه وفعل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وحملت الحرب حيشته جداً، فاستظهر أهل العراق ورفعوا راية سوداء فوق سلع، ثم دنوا إلى المدينة فدخلوها ونصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله ﷺ.

فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا: دخلت المدينة، وهربوا وبقي محمد في شُرْذمة قليلة جداً ثم بقي وحده، وفي يده سيف صلت بضرب به من تقدم إليه، فلا يقوم له شيء إلا أتاها، حتى قتل خلقاً من أهل العراق من الشجعان، ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكاثر عليه الناس فتقدم إليه رجل فضربه بسيفه تحت شحمة أذنه اليمنى فسقط لركبتيه وجعل يجمي نفسه ويقول: ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم. وجعل حميد بن حقطبة يقول: ويحكم! دعوه لا تقتلوه، فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حميد بن حقطبة فحز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه. وكان حميد قد حلف أن يقتله متى رآه، فما أدركه إلا كذلك، ولو كان على حاله وقوته لما استطاع حميد ولا غيره من الجيش.

وكان مقتل محمد بن عبد الله بن حسن عند أحجار الزيت يوم الاثنين بعد العصر، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع رأسه بين يديه: ما تقولون فيه؟ فقال منه أقوام وتكلموا فيه، فقال رجل منهم: كذبتم والله! لقد كان صواماً قواماً، ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه على ذلك. فسكتوا حيثن.

وأما سيفه ذو الفقار فإنه صار إلى بني العباس يتوارثونه حتى جربه بعضهم فضرب به كلباً فانقطع السيف. ذكره ابن جرير وغيره. وقد بلغ المنصور في غبون هذا الأمر أن محمداً فر من الحرب فقال: لا إنا أهل بيت لا نفر.

وقال ابن جرير [٥٩٧/٧]: حدثني عبد الله بن راشد حدثني أبو الحجاج قال: إني لقائم على رأس أبي جعفر المنصور وهو مسائي عن غرج محمد، إذ بلغه أن عيسى بن موسى قد هُزِمَ وكان متكئاً فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه وقال: كلا، فأين لعب صيانتنا بها على المنابر ومشورة النساء؟ ما أتني لذلك بعد، ويعث عيسى بن موسى بالبشارة إلى المنصور مع القاسم بن الحسن وبالرأس مع ابن أبي الكرام، ثم أمر بدفن الجثة فدفن بالبيع، وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفين ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلع. ثم نلقوا إلى خندق هناك، وأخذ أموال بني حسن كلها فسوغها له أبو جعفر المنصور، ويقال إنه ردّها بعد ذلك إليهم، حكاه ابن جرير.

ونودي في أهل المدينة بالأمان فأصبح الناس في أسواقهم، وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد، وجعل يتأب المسجد من الجرف، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر

نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزمه المغيرة واستحوذ على البلاد، وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخذها، وكذلك واسط والملائن والسواد، واستفحل أمره جداً، ولكن لما جاءه نعي أخيه محمد انكسر جداً، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور. فقال بعضهم: والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يخطف الناس فتى إلى الناس أخاه محمداً، فإزداد الناس حقاً على المنصور وأصبح فسكر بالناس واستتاب على البصرة غيلة وخلف ابنه حسناً معه.

ولما بلغ المنصور خبره تغير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنته في الممالك، وكان قد بعث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفاً إلى الري. وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إريقية في أربعين ألفاً والباقرن مع عيسى بن موسى بالحجاز، ولم يبق معه في مسكره سوى ألفي فارس. وكان يأمر بالتيار الكثيرة فتوقد ليلاً، فيحسب الناظر إليها أن هناك جنوداً كثيراً. ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى وهو بالحجاز بعد قتل محمد بن عبد الله بن حسن: إذا قرأت كتابي هذا فاقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه. فلم ينشب أن أقبل إليه فقال له: اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولك كثرة من معه، فإنهم جملا بني هاشم المقتولان جميعاً، فابسط يدك وثق بما عندك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور.

وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن يوجه خازم بن خزيمه في أربعة آلاف إلى الأهواز، فذهب إليها فأخرج منها نائب إبراهيم - وهو المغيرة - وأباحها ثلاثة أيام، ورجع المغيرة إلى البصرة، وكذلك بعث إلى كل كورة من هذه الكور التي خلعت بيعته جندا يرفقونهم إلى الطاعة. قالوا: ولزم المنصور موضع مصلاه فلم يرح منه ليلاً ولا نهاراً في بذلة ثياب عليه قد استسخت، فلم يزل مقيماً هناك بضعا وخمسين يوماً حتى فتح الله عليه، وقد قيل له في غيوب ذلك يا أمير المؤمنين: إن نساءك قد خيبت أنفسهن لغيبك عنهن، فاتهر القاتل وقال: ويحك ليست هذه أيام نساء، حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي، أو يحمل رأسي إليه.

وقال بعضهم: دخلت على المنصور وهو مهموم من كثرة ما وقع من الشرور والفروق والخروق، وهو لا يستطيع أن يتابع الكلام من كثرة كربه وهمه، وهو مع ذلك قد أعد لكل أمر ما يسد خلله، وقد خرجت عن يده البصرة، والأهواز وأرض فارس والملائن وأرض السواد. وفي الكوفة عنده مائة ألف سيف مغملة تنتظر به صبيحة واحدة، فيثبون عليه مع إبراهيم، وهو في ذلك يمرق التوابت ويمررسها ولم تقمعه به نفسه وهو كما قال الشاعر:

نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكمر والإنداماً

فصيرته ملكاً هماماً

وأقبل إبراهيم بن عبد الله قاصداً من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف. وجاء إبراهيم فتزل في باخرا في جحافل عظيمة، فقال له بعض الأمراء: إنك قد اقتربت من المنصور فلو أنك سرت إليه بطائفة من جيشك هذا لأخذت بقاءه فإنه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه. فقال آخرون منهم: إن الأولى أن نناجر هؤلاء الذين بإزائنا، ثم هو في قبضتنا. فتناهم ذلك على الرأي الأول، ولو فعلوه لثم لهم الأمر. ثم قال بعضهم: خندق حول الجيش. وقال آخرون: إن هذا الجيش لا يحتاج إلى خندق حوله، فترك ذلك. ثم أشار بعضهم أن يبيت

الدعوة في حياة أخيه ودعا إلى نفسه كما قدمنا والله أعلم.

ولما دخل البصرة أول قدامه إليها نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي، فاختفى عنده هذه المدة كلها، حتى ظهر في هذه السنة وكان أول ظهوره في دار أبي فروة، وكان أول من بايعه غيلة بن مرة، وعفوا الله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمر بن سلمة الهجيمي، وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي، وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثيرة فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة، واستفحل أمره، وبايعه قام من الناس، وتفاقم الخطب به، وبلغ خبره إلى المنصور فإزداد غمماً إلى غمه بأخيه محمد، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه وإنما كان السبب في تعجيله الظهور بالبصرة كتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا إلى نفسه، فانتظم أمره بالبصرة، وكان نائباً للمنصور سفيان بن معاوية وكان مائلاً لإبراهيم في الباطن، ويبلغه أخباره فلا يكثر بها، ويكذب بما يُخبر منها ويؤد أن لو صح أمر إبراهيم، وقد أمده المنصور بأمرين من أهل خراسان مهمما ألفا فارس وراجل، فآثرهما عنده ليتقوى بهما على محاربة إبراهيم، وتحول المنصور من بغداد - وكان قد شرع في عمارتها - إلى الكوفة، وجعل كلما اتهم رجلاً من أهل الكوفة في أمر إبراهيم بعث إليه من يقتله في الليل في منزله، وكان القرافصة العجلي قد هُمّ بالوثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لكان المنصور بها، وجعل الناس يقصصون البصرة من كل فجح لمبايعه إبراهيم، ويفنون إليها جماعات وفرادى، وجعل المنصور يرصد لهم السامح فيقتلونهم في الطرقات ويأثرون برؤوسهم فيصلبها بالكوفة ليتعظ بها الناس. وأرسل المنصور إلى حرب الراوندي - وكان مرابطاً بالجزيرة في ألفي فارس لقتال الخوارج - يستدعيه إلى الكوفة، فاقبل بمن معه فلما اجتاز ببلدة بها أنصار لإبراهيم فقالوا له: لا ندعك تختار، لأنك إنما طلبك ليحارب إبراهيم. فقال: ويحكماء دعوني، فأبوا فقاتلهم فقتل منهم خمسمائة وأرسل برؤوسهم إلى المنصور. فقال: هذا أول الفتح. ولما كانت ليلة الاثنين ستهل رمضان من هذه السنة، خرج إبراهيم بن عبد الله في الليل إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر فارساً، وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في ألفي فارس مندداً لسفيان بن معاوية، فآثرهم الأمير في القصر، ومال إبراهيم وأصحابه ومن التفت عليه وصار إليه على دواب أولئك العسكر وأسلحتهم فأخذوها جميعاً، فكان هذا أول ما أصاب. وما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جداً، فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع، والتفت الخلائق عليه ما بين ناظر وناصر، وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الإمارة وجلس عنده الجنود فحاصروهم إبراهيم بمن معه، فطلب سفيان بن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان، ودخل إبراهيم قصر الإمارة فبسط له حصير ليجلس عليها في مقدم إيوان القصر، فهبت الريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن، فتظير الناس بذلك، فقال إبراهيم: إنا لا نتظير. وجلس على ظهر الحصير، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيماً وأراد بذلك أن يبرئ ساحته عند أبي جعفر المنصور، واستحوذ على ما كان بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف، وقيل ألفا ألف. فقوي بذلك جداً.

وكان في البصرة جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي، وهما ابنا عم الخليفة المنصور، فركبا في ستمائة فارس فأرسل إليهما إبراهيم المضاً بين القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلاثين رجلاً فهزم بهؤلاء ستمائة فارس. وأمن من بقي منهم، وبعث إبراهيم إلى أهل الأهواز فبايعوه له وأطاعوه، وأرسل إلى نائبها مائتي فارس عليهم المغيرة فخرج إليه محمد بن الحصين

ذكر من توفي فيها من الأعيان

وقد قتل في هذه السنة جماعة من أعيان أهل البيت منهم عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم، وأخوه حسن بن حسن، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج. وقد تقدمت ترجمته في آخر الجزء الذي قبله.

فأما

■ عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي قنابي، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو صاحب جليل، وغيرهم. وعنه جماعة منهم سفيان الثوري والثرودي ومالك، وكان معظماً عند العلماء منجلاً، وكان عالماً كبير القدر.

قال يحيى بن معين: كان ثقة مأموناً، وقد عسى عمر بن عبد العزيز فأكرمه، ووفد على السفاح فعظمه وأعطاه ألف ألف درهم، فلما ولي المنصور عكس هذا الإكرام الله عز وجل، وأخذته وأهل بيته مقيدين مغلولين مهاتين من المدينة إلى الهاشمية، فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا، فمات أكثرهم فيه، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة، وقد قيل إنه قتل عمداً. وقيل بل مات حتف أنفه والله أعلم وكان عمره يوم مات خمساً وسبعين سنة، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي.

ثم مات بعده أخوه حسن فعلى عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. ثم قتل بعده وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم. وأما محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فروى عن أبيه ونافع، وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كيفية الهوى إلى السجود، وحدث عنه جماعة، ووثقه النسائي وابن حبان وقال البخاري: لا يتابع على حديثه. وقد ذكر أن أمه حلت به أربع سنين، وكان طويلاً سمياً أسمر متخماً ضخماً ذا همة سامية، وسطورة عالية وكان مقتله بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وله خمس وأربعين سنة. وقد حملوا رأسه إلى المنصور، وطيف به في الأقاليم.

■ (إبراهيم بن حسن)

وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكانت وفاته بعد وفاته في ذي القعدة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة.

وقد حكى أبو داود السجستاني عن أبي حنيفة أنه قال: كان إبراهيم وأخوه محمد خارجيين. ثم قال أبو داود: ويشما قال، هذا رأي الزيدية.

قلت: وقد حكى عن جماعة من العلماء والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورهما. وفي هذا نظر والله أعلم وفيها توفي أيضاً من المشاهير

الأجلح بن عبد الله، وإسماعيل بن أبي خالد في قول، وحبيب بن الشهيد، وعبد الملك ابن أبي سليمان، وعمر مولى عفرة، ويحيى بن الحارث النميري، ويحيى بن سعيد أبو حيان التيمي،

و■ رؤبة بن العجاج والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة، أبو محمد التيمي البصري، الراجز بن الراجز، ولكل منهما ديوان رجز، وكل منهما بارع في فنه لا يجارى ولا يمازى، عالم باللغة.

و■ عبد الله بن القنقع الكاتب المقوم، أسلم على يد عيسى بن علي

جيش عيسى بن موسى فقال إبراهيم: إني لا أرى ذلك، فتركه. ثم أشار آخرون بأن يجعل جيشه كراديس فإن غلب كردوس ثبت الآخر، وقال آخرون: إن الأولى أن نقاتل صفوفاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الف: ٤].

والأمر لله وما فعل الله ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لثم له الأمر مع تقدير الله تعالى.

وأقبل الجيشان فتصافوا في باخرا وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فقاتلوا بها قتالاً شديداً فانهزم حيد بن قحطبة بمن معه من المقدمة، فجعل عيسى يناديهم الله في الرجوع والكوفة فلا يلوي عليه أحد، وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله، فقيل له: لو تفتح من مكانك هذا لثلاث مئة جيش إبراهيم فقال: والله لا أزل عنه حتى يفتح الله لي أو أقتلها هنا. وكان المنصور قد تقدم إليه بما أخبره به بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة مع عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له، فاستمر المنهزمون ضاهين فأتوها إلى نهر بين جيلين فلم يمكنهم خوضه فكروا راجعين بأجمعهم، فكان أول راجع حيد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم. ثم اجتمعوا هم وأصحاب إبراهيم فقاتلوا قتالاً شديداً، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير، ثم انهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في خمسمائة، وقيل في أربع مائة. وقيل في سبعين رجلاً، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه، وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤوس أصحابه، فجعل حيد يأتي بالرؤوس فيعرضها على عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فيعثره مع البشير إلى المنصور، وكان نيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيء البشير على المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فأجسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت لك فاقتلني. فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم، ولما جاءه بالرأس تمثل المنصور بيت معقر بن أوس بن حمار البرقي:

فألفت عصاهما واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر
وقيل إن المنصور لما نظر رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال: والله لقد كنت لهذا كارها، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك، ثم أمر بالرأس فصب بالسوق، وأقطع نيخت المنجم الكذاب ألفي جريب.

فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياء كثيرة، فهم كذبة كفره وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا، وقد ورت الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لا يجوز.

وذكر صالح مولى المنصور قال: لما جاءه برأس إبراهيم جلس المنصور مجلساً عاماً وجعل الناس يدخلون عليه فيهنوته وينالون من إبراهيم ويقولون الكلام فيه ابتغاء مرضاة المنصور، والمنصور واجم متغير اللون لا يتكلم. حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فوقف فسلم ثم قال: أعظم الله أجرَكَ يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقد. قال فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال له: يا أبا خالد مرحباً وأهلاً، ههنا فاجلس! فسلم الناس أن ذلك وقع منه. فجعل كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظلة.

قال أبو نعيم الفضل بن دكين: كان ذلك في ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة من هذه السنة. يعني سنة خمس وأربعين ومائة.

ليالي فرأى الرياح ليلاً ونهاراً وطيب الهواء في تلك الحلة وقد كان موضعها قري وديورة لعباد النصارى وغيرهم - ذكر ذلك مفصلاً بأسمائه وتعداده أبو جعفر بن جرير رحمه الله - فحيتنو أمر المنصور باختطاطها فرسموها له بالرماد فمشى في طرقها ومسالكها فأعجبه ذلك، ثم سلم كل ربع منها لأمر يقوم على بنائه، وأحضر من كل البلاد فُعالاً وصُنَاعاً ومهندسين، فاجتمع عنده ألوف منهم، ثم كان هو أول من وضع لينة فيها بيده وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابتوا على بركة الله. وأمر ببنائها مدورة سمك سورها من أسفلها خمسون ذراعاً، ومن أعلاه عشرون ذراعاً، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني، ومثلها في الجواني، وليس كل واحد تجاه الآخر، ولكن جعله أزور عن الذي يقابله، ولهذا سميت ببغداد الزوراء، لازورار أبوابها بعضها عن بعض، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها والله أعلم.

وبنى قصر الإمارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء، واختط المسجد الجامع إلى جانب القصر، وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطاة.

وقال ابن جرير [٦٥٢/٧: ٦٥٢]: ويقال إن في قبلته انحرافاً يحتاج المصلي فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة، وذكر أن مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب منه لأنه ببني قبل القصر، وجامع المدينة ببني على القصر، فاختلت قبلته بسبب ذلك.

وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أباً حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فامتنع فحلف المنصور أن يتولى له، وحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، ففولاه القيام بأمر المدينة وضرب الدين وعده، وأخذ الرجال بالعمل، فكان أبو حنيفة المتولي لذلك حتى فرغوا من استتمام حائط المدينة مما يلي الخندق، وكان استمائه في سنة تسع وأربعين ومائة.

قال ابن جرير [٦٥٦/٧: ٦٥٦]: وذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع، فحلف أن لا يقطع عنه حتى يعمل، فأخبر بذلك أبو حنيفة فدعا بقصة فعد اللين لير بذلك يمين أبي جعفر، ومات أبو حنيفة ببغداد.

وذكر أن خالد بن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها. وأنه كان مستحثاً فيها، وقد شاور المنصور الأمراء في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الإمارة بها، فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه آية في العالم، وفيه مصلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فخالفهم ونقل منه شيئاً كثيراً فلم يف ما تحصل منه بأجرة ما يصرف في حمله فتركه، ونقل أبو البرص قصر واسط إلى أبواب بغداد. وقد كان الحجاج نقلها من مدینه هناك كانت من بناء سليمان بن داود، وكانت الجن قد عملت تلك الأبواب.

وقد كانت الأسواق قريباً من قصر الإمارة. فكانت أصوات الباعة وهوشات الأسواق تسمع منه، فعاب ذلك بعض بطارقة النصارى عن قدم في بعض الرسائل من الروم، فأمر المنصور بنقل الأسواق من هناك إلى موضع آخر، وأمر المنصور بتوسعة الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً، ومن بنى في شيء من ذلك هدم.

وقال ابن جرير [٦٥٥/٧: ٦٥٥]: وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال: وجدت في خزائن المنصور في الكتب أنه أنفق على بناء مدينة السلام

عمّ السفاح والمنصور، وكتب له، وله رسائل والفاظ صحيحة، وكان يُتهم بالزندقة، وهو الذي صنف كتاب كليله ودمته، ويقال: بل هو الذي عربها من المجوسية إلى العربية.

قال المهدي بن المنصور: ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع.

وقال الجاحظ: الزندقة ثلاثة ابن المقفع ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد.

قالوا: ونسي الجاحظ نفسه وهو رابعهم. وكان مع هذا فاضلاً بارعاً فصيحاً.

قال الأصمعي: قيل لابن المقفع: من أدبك؟ قال: نفسي. إذا رأيت من غيري قبيحاً آيته، وإذا رأيت حسناً آيته.

ومن كلامه: شربت من الخطب ريثاً، ولم أضبط لها رويّاً، فغاضت ثم فاضت، فلا هي نظاماً، وليست غيرها كلاماً.

وكان قتله على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة، وذلك أنه كان يعث به وسب أمه، وإنما كان يسميه ابن الغنظمة وكان كبير الأنف، وكان إذا دخل عليه يقول: السلام عليكما - على سبيل التهكم.

وقال سفيان بن معاوية مرة: ما ندمت على سكوت قط. فقال: صدقت، الخرس خير لك فاتفق أن المنصور تنصّب على ابن المقفع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هنا أن يقتله، فأخذه فأحمى له تنوراً وجعل يقطعه إرباً إرباً ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق، وقيل غير ذلك في صفة قتله. قال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٢/ ١٥٥]: ومنهم من يقول: ابن المقفع نسبة إلى بيع القفاح وهي من الجريد كالزنبيل بلا أذن، والصحيح أنه ابن المقفع وهو أبوه دادويه كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخان فعاقبه حتى تقفعت يده والله أعلم.

وفيها خرجت الترك والحزر بياب الأبواب قتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة.

وحج بالناس في هذه السنة السري بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب نائب مكة وكان نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي. وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سلم بن قتية، وعلى مصر يزيد بن حاتم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

فيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد، وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة، وكان مقيماً قبل ذلك بالهاشمية المتاخمة للكوفة. وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة، وقيل: في سنة أربع وأربعين ومائة فأنه أعلم.

وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الراوندية لما وثبوا عليه بالكوفة ووقاه الله شرهم، فقهرهم وقتلهم، كما تقدم بقيت منهم بقية فخشي على جنده منهم، فخرج من الكوفة يرتاد لهم موضعاً لبناء مدينة، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعاً أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هي فيه الآن، وذلك بأنه موضع يُهدى إليه ويراح بهتيرات ما حوله في البر والبحر، وهو محصن بدجلة والفرات. لا يقدر أحد أن يتوصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر، وقد بات به المنصور قبل بنائه

ثمانيه أوطال بدرهم، والعسل عشرة أوطال بدرهم.
ولهذا الأمن والرخص كثير ساكنوها وعظم أهلها وكثر الدارج في أسواقها وأزقتها، حتى كان المال فيها لا يكاد يجتاز في الأسواق لكثرة أهلها. قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق: طالما طردت خلف الأرتاب في هذا المكان.

وذكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٧٨/١، ٧٩] أن المنصور جلس يوماً في قصر الإمارة وعنده بعض رسل الروم فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال للربيع الحاجب: ما هذا؟ فكشف فإذا بقرة قد نفرت من جازرها هاربة في الأسواق، فقال الرومي: يا أمير المؤمنين إنك بنيت بناء لم يته أحد قبلك، وفيه ثلاثة عيوب، بعده من الماء، وقرب الأسواق منه، وليس عنده خضرة، والعين خضرة تحب الخضرة. فلم يرفع بها المنصور رأساً ثم أمر بتغيير ذلك، بعد ذلك وساق إليه الماء وبنى عنده البساتين، وحول الأسواق من ثم إلى الكرخ.

قال يعقوب بن سفيان: كمل بناء بغداد في سنة ست وأربعين ومائة، وفي سنة سبع وخمسين حول الأسواق إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وأمر بتوسعة الأسواق أربعين ذراعاً، وبعد شهر من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالخلد، فكمّل سنة ثمان وخمسين ومائة. كما سيأتي. وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح، بنى قصر الوضاح وبني للعامة جامعاً للصلاة والجمعة لئلا يدخلون إلى جامع مدينة المنصور، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد فإنها كانت أولاً للحسن بن سهل، فانتقلت من بعده إلى ابنته بوران التي كان تزوجها المأمون، فطلبها منها المعتضد - وقيل المعتمد - فأئتمت له بها، واستظرت أياماً حتى تنتقل منها ثم شرعت في ترميمها وتبييضها وتحسينها، ثم فرشتها بأنواع الفرش، وعلقت فيها أنواع الستور، وأرصدت فيها ما ينبغي للخليفة من الجسور والخدم، بأنواع الملابس، وجعلت في الخزان ما ينبغي من أنواع الأطعمة والمأكول، وجعلت في بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر، ثم أرسلت بمفاتيحها إليه، ثم دخلها وجد فيها ما أرصدته بها، فهاهنا ذلك واستعظمه جداً، وكان أول خليفة سكنها وبنى عليها سوراً، ذكره الخطيب البغدادي وأما التاج فبناه المكفي على دجلة وحوله القباب والمجالس والميدان والثريا وحير الوحوش.

وذكر الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت في زمن المعتز بالله، وما فيها من الفرش والستور والخدم والممالك والحشمه الباذخة، وأنه كان بها أحد عشر ألف طواشي، وسبعمئة حاجب. وأما الممالك فالأول لا يحصون كثرة، وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في أيامهم ودولتهم التي ذهب كائناً أحلام نوم، بعد سنة ثلاثمائة.

وذكر الخطيب [تاريخ بغداد: ١٠٥/١-١١٧] دار الملك التي بالمخرم، وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمععات، وذكر الأنهار والجسور التي بها، وما كان في ذلك في زمن المنصور، وما أحدث بعده إلى زمانه، وأنشد لبعض الشعراء في جسور بغداد التي على دجلة:

يوم سرقنا العيش فيه خيلنةً في مجلس يفتاء دجلة مُفِرِدَ
رَقِّ الهواء يرقى قداميةً فسدوت رَقّاً للزمان المُعِدَ
فكان دجلة طليساناً أبيضاً والجسر فيها كالطراز الأسود

وقال آخر:

ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق والفصائل والخنادق وقبابها وأبوابها، أربعة آلاف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين درهماً، وكان أجرة الأستاذ من البنائين كل يوم قيراط فضة، وأجرة الصانع من الحيتين إلى الثلاثة.

قال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٦٩/١]: وقد رأيت ذلك في بعض الكتب. وحكى عن بعضهم أنه قال: أنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف ألف فأنه أعلم.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٦٥٤/٧، ٦٥٥] أن المنصور ناقص أحد المهتدين الذي بنى له بيتاً حسناً في قصر الإمارة فتقصه درهماً عمّا ساروه، وأنه حاسب بعض المستحقين على الذي كان عنده ففضل عنده خمسة عشر درهماً فحبسه حتى أحضرها.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد [٦٧/١]: وبناه مدورة، ولا يعرف في أقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها، ووضع أساسها في وقت اختاره له نوحث النجم، ثم ذكر عن بعض المتحسين قال: قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد: خذ الطالع فنظرت في طالعها - وكان المشتري في القوس - فاختبرته بما تدل عليه النجوم، من طول زمانها، وكثرة عمارتها، وانصباب الدنيا إليها وفقر الناس إلى ما فيها. قال: ثم قلت له: وأبشرك يا أمير المؤمنين بشارة أخرى؛ وهي أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً. قال: فرأيت يتسم ثم قال: الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً منه:

قضى ربها أن لا يموت خليفة بها إنه ما شاء في خلقه يقضى
وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب أبو بكر البغدادي وسلم ذلك ولم يتقصه شيء مع اطلاعه ومعرفة.

قال: وزعم بعض الناس أن الأمين قتل بدرب الأنبار منها فذكرت ذلك للقاضي أبي القاسم علي بن الحسن الترخي فقال: محمد الأمين أيضاً لم يقتل بالمدينة، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة ليتزعم قبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك. وذكر ذلك الصولي وغيره.

وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال: اتساع بغداد مائة وثلاثون جريباً، وذلك يعدل ميلين في ميلين.

قال الإمام أحمد بن حنبل: بغداد من الصراة إلى باب التين.

وذكر الخطيب [تاريخ بغداد: ٧١/١-٧٣] عن بعضهم أن بين كل بابين من أبوابها الثمانية ميلاً، وقيل أقل من ذلك. وذكر الخطيب [تاريخ بغداد: ٧١/١-٧٣] صفة قصر الإمارة وأن فيه القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعاً، على رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به في أي جهة استقبلها واستمر مستقيماً، علم أن في تلك الجهة قد وقع حدث فينظر في أمره الخليفة وهذه القبة على مجلس في صدر إيوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً. وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرد، ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

وذكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٧٠/١] أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور ببغداد الكيش بدرهم والحمل بأربعة دنانير، وينادي على لحم الغنم كل ستين رطلاً بدرهم، ولحم البقر كل تسعين رطلاً بدرهم، والتمر كل ستين رطلاً بدرهم، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم، والسمن كل

ذكر ما ورد في مدينة بغداد من الآثار والتبیه علی

ضعف ما روي فيها من الأخبار

فيها أربع لغات بغداد وبغداد بإهمال الدال الثانية، وإعجامها، وبغداد بالنون آخره وبالميم مع ذلك أولا مغدان، وهي كلمة أعجمية قيل إنها مركبة من بغ وداذ فقيل بغ بستان وداذ اسم رجل، وقيل بغ اسم صنم وقيل شيطان وداذ عطية الصنم، ولها كره عبد الله بن المبارك والأصمعي وغيرهما تسميتها ببغداد وإنما يقال لها مدينة السلام، وكذا سماها بأنها أبو جعفر المنصور، لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام، ومنهم من يسميها الزوراء وهو لقب لها.

فروى الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٢٧١/٢٨] من طريق عمار بن سيف - وهو منهم - قال: سمعت عاصم الأحول يحدث عن سفيان الثوري عن أبي عثمان عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: بُنِيَ مَدِينَةُ بَيْنَ دَجْلَةٍ وَدَجِيلٍ وَقَطْرِبِلٍ وَالصَّرَاةِ نَجْمِي إِلَيْهَا خَزَائِنُ الْأَرْضِ، وَجَبَابِرَتُهَا، لَهَا أَسْرَعُ ذَهَابًا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْوَتْدِ الْحَدِيدِ فِي الْأَرْضِ الرَّخْوَةِ.

قال الخطيب: وقد رواه عن عاصم الأحول سيف ابن أخت سفيان الثوري، وهو آخر عمار بن محمد.

قلت: وكلاهما ضعيف منهم يرمى بالكذب، وعمر بن جابر اليمامي وهو ضعيف أيضاً، وأبو شهاب الخياط. وروى عن سفيان الثوري عن عاصم ثم أسند ذلك كله.

وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي بكير عن عمار بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي ﷺ؛ فذكره.

وقال أحمد ويحيى بن معين: ليس لهذا الحديث أصل. وقال الإمام أحمد: ما حدث به إنسان ثقة. وقد علله الحافظ أبو بكر الخطيب من جميع طرقه وساقه أيضاً من طريق عمار بن سيف عن الثوري عن أبي عبيدة حميد الطويل، عن أنس بن مالك، ولا يصح أيضاً.

ومن طريق عمر بن يحيى عن سفيان عن قيس بن مسلم عن رعي عن حذيفة مرفوعاً بنحوه، ولا يصح.

ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس، وفي بعضها ذكر السفياني «وأنه يخربها» ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث.

وقد أوردنا الخطيب بأسانيدها وألفاظها، وفي كل منها نكارة، وأقرب ما في ذلك عن كعب الأجر وقد جاء في آثار عن كتب متقدمة أن بأنها يقال له مقلاص وذو اللوائق وقد كان المنصور يلقب بمقلاص في حفره ولما ولي لقب بذئ اللوائق لبخله.

فصل في ذكر محاسن بغداد وما روي فيها

عن الأئمة الثقات

قال يونس بن عبد الأعلى الصديقي المصري: قال لي الشافعي: هل رأيت بغداد؟ قلت: لا! فقال: لم تر الدنيا.

وعن الشافعي قال: ما دخلت بلداً قط إلا عدتته سفراً، إلا بغداد فإنني

يا حُبّاً جَسَرَ عَلَى مَنِّ دَجْلَةٍ يَلْتَقَانِ تَالِسِيَّ وَحَسَنَ وَرَوَّسِيَّ جَالٌ وَحَسَنٌ لِلْعِرَاقِ وَزَهْمَةٌ وَسُلُوءٌ مِّنْ أَضْنَةِ فَرْطُ النَّشْوِيِّ تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَنَامِلًا كَسَطَ صَبْرٍ خَطٌّ فِي وَسْطِ مُهْرَقٍ أَوْ الْعَاجِ فِيهِ الْأَبْسُوسُ مُرْقَشٌ مِثَالُ فَيْسُولٍ تَحْتَهَا أَرْضُ زَيْبِقٍ وَذَكَرَ الصَّوْلِيُّ قَالَ: ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ فِي كِتَابِ بَغْدَادٍ أَنَّ ذُرْعَ بَغْدَادِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ أَلْفَ جَرِيبٍ وَسَبْعُونَ جَرِيباً وَأَنَّ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ سِتَّةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفَ جَرِيبٍ وَسَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ جَرِيباً وَأَنَّ عِدَّةَ حِمَامَاتِهَا سِتْرُونَ أَلْفَ حِمَامٍ، وَأَقْلَ مَا فِي كُلِّ حِمَامٍ مِنْهَا خَمْسَةٌ نَفَرٍ حِمَامِي وَقِيمٌ وَزَيْبَالٌ وَوَقَادٌ وَسَقَاءٌ، وَأَنَّ بِإِزَاءِ كُلِّ حِمَامٍ خَمْسَةٌ مَسَاجِدَ، فَذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفٍ مَسْجِدٍ، وَأَقْلَ مَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ خَمْسَةُ أَنْفُسٍ - يَعْنِي إِمَاماً وَقِيَمًا وَمَآذُونًا وَمَأْمُومِينَ - ثُمَّ تَنَاقَصَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ ذُتِرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا خَرِيبَةٌ صُورَةٌ وَمَعْنَى. عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٩٩/١]: لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالته قهرها، وفخامته أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها، وسعة أطرارها، وكثرة دورها ودروبها وشوارعها ومعالها وأسواقها وسككها وإزقتها ومساجدها وحماماتها وخاناتها، وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها وأفنانها واعتدال صيفها وشتاتها، وصحة ربيعها وخريفها، وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في أيام الرشيد، ثم ذكر تناقص أحوالها بعد ذلك وهلم جرا إلى زمانه.

قلت: وكذا من بعده إلى زماننا هذا، ولا سيما في أيام هولاكو بن تولى بن جنكز بن خان التركي الذي وضع معالها وقتل خليفتها ومعالها وخرّب دورها وهدم قصورها وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام، وأخذ الأموال والمواصل، ونهب الذخائر والأصائل، وأورث بها حزناً يعدد به في البكرات والأصائل، وصيرها مثلة في الأقاليم، وعبرة لكل معتبر عليهم، وتذكرة لكل ذي لبٍّ مستقيم، وبذلت بعد تلاوة القرآن بالنعامت، والألحان، وإنشاد الأشعار، وكان، وكان، وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرس الفلسفة اليونانية، والمناهج الكلامية والتأويلات القرطبية. وبعد العلماء بالحكماء، وبعد الخليفة العباسي بشر الولاية من الأناسي، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة، وبعد العبادة بالأنكاد، وبعد الطلبة المشتغلين بالظلمة والعيارين وبعد الاشتغال بفنون العلوم من التفسير والفقه والحديث وتعبير الرؤيا، بالزجل والموشح ودوبيت ومواليها. وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم وما رُبُّكَ بظلام للعبيد.

والتحول منها في هذه الأزمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية، وأكل الحشيشة، والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل الله بأهله أفضل وأكمل وأجل.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده [٢٤٩/٥] عن أبي أمامة الباهلي أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْخَرِقَ خَيْبَرُ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَيُشِيرَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ».

حين دخلتها عدتها ووطناً.

وقال بعضهم: الدنيا بادية ويغداد حاضرتها.

وقال ابن علي: ما رأيت أعدل في طلب الخليفة من أهل بغداد، ولا أحسن رغبة. وقال ابن مجاهد: رأيت أبا عمرو بن العلاء في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال لي: دعني من هذا، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة.

وقال أبو بكر بن عياش: الإسلام ببغداد، وإنها لصيادة تصيد الرجال، ومن لم يرها لم ير الدنيا.

وقال أبو معاوية: ببغداد دار دنيا وآخرة.

وقال بعضهم: من أحسن الإسلام الجمعة ببغداد، وصلاة التراويح بمكة، ويوم العيد بطرسوس.

قال الخطيب: من شهد يوم الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الإسلام، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد.

وقال بعضهم: كنت أراظب على الجمعة بجامع المنصور فعرض لي شغل فصليت في غيره فرائيت في المنام كأن قاتلاً يقول: تركت الصلاة في الجامع وإنه ليصلي فيه كل جمعة سبعون ولياً.

وقال آخر: أردت الانتقال من بغداد إلى غيرها فرائيت كأن قاتلاً يقول لي في المنام: انتقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل؟

وقال بعضهم: رأيت كأن ملكين أتيا ببغداد فقال أحدهما لصاحبه: اقلب بها. فقد حق القول عليها: فقال الآخر كيف: أقلب ببلد خُتم فيه القرآن الليلة خمسة آلاف ختمة؟

وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى قال: إذا كان علم الرجل حجازياً وخلقه عراقياً وطاعته شامية فقد كمل.

وقالت زبيدة المنصور النمري قل شعراً تحب فيه ببغداد إلي الرشيد. فقد اختار عليها الرفيقة فقال:

ماذا ببغداد من طيب الألفانين ومن منازل الدنيا وللدين
تحمي الرياح بها المرضى إذا نسمت وجوشت بين أغصان الرياحين
قال: فأعطته التي دبتار، وقال الخطيب: وقرأت في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن بخطه من شعره:

سقى الله صوب الغاديات حلة ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر
هي البلدة الحسناء خصت لأهلها بأشياء لم يجتمع مذ كن في مصر
هواء رقيق في اعتدال وصحة وماء له طعم الذ من الحمر
ودجلتها شيطان قد نظمنا لنا بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كملك والمياه كفضة وحصاؤها مثل البواقيت والدر
وقد أورد الخطيب في هذا أشعاراً كثيرة وفيما ذكرنا كفاية.

وقد كان الفراغ من بناء بغداد في هذه السنة - أعني سنة ست وأربعين ومائة - وقيل في سنة ثمان وأربعين، وقيل إن خندقها وسورها كمل في سنة تسع وأربعين، ولم يزل المنصور يزيد فيها ويثارت في بنائها حتى كان آخر ما بنى فيها قصر الخلد، فعند كماله مات. توفي كما سيأتي بيانه.

قال ابن جرير [١٥٥/٦٥٦]: وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتية عن البصرة وولى عليها محمد بن سليمان بن علي، وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين يأمروا إبراهيم بن عبد الله بن حسن

فتواتى في ذلك فعزله، ويعت ابن عمه محمد بن سليمان فعاث بها فساداً، وهدم دوراً كثيرة، وعزل عبد الله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان، وعزل عن مكة السري بن عبد الله وولأها عبد الصمد بن علي.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره.

قال: وفيها غزا الصائقة من بلاد الروم جعفر بن حنظلة البهراني.

وفيه توفي من الأعيان

أشعث بن عبد الملك، ومحمد بن السائب الكلبي، وهشام بن عروة، ويحيى بن أبي عبيد في قول.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

فيها أغار استرخان الخوارزمي في جيش من الأتراك على ناحية أرمينية فدخلوا تخلص وقتلوا خلقاً وأسروا كثيراً من المسلمين وأهل النعمة، ومن قتل يومئذ حرب بن عبد الله الراوندي الذي تنسب إليه الحريية ببغداد، وكان مقيماً بالموصل في الفتن لقاتلة الخوارج، فسيره المنصور لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية، وكان في جيش جبريل بن يحيى، فهزم جبريل وقتل حرب رحمه الله.

وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور، الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية، وكان عليها والياً حتى مات السفاح، فلما مات دعا إلى نفسه فيعت إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبد الله إلى عند أخيه سليمان بن علي والي البصرة فاختفى عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعاه وسجنه.

فلما كان في هذه السنة عزم المنصور على الحج فطلب ابن عمه عيسى بن موسى - وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح - وسلم إليه عمه عبد الله بن علي وقال له: إن هنا عدوي وعدوك، فاقتله في غيبي عنك ولا تتوانى. وسار المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له: ماذا صنعت فيما أوعزت إليك فيه؟ مرة بعد مرة.

وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عمه حار في أمره وشاور بعض أهله فأشار بعضهم من له رأي أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأخفه عنك وأظهر قتله فإنما تخشى أن يطالبك به جبهة فتقول: قتله، فيأمر بالقود فتدعي أنه أمرك بقتله بالسر فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به، وإنما يريد المنصور قتله وتقتل ليستربح منك ما معاً، فتصبر عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عمه وأظهر أنه قتله. فلما رجع المنصور من الحج أمر أهله أن يدخلوا عليه ويشفعوا في عمه عبد الله بن علي فجاءوا كلهم فدخلوا عليه وشفعوا في عبد الله بن علي، والحوا في ذلك فأجابهم إليه، واستدعى عيسى بن موسى وقال له: إن هؤلاء قد شفّعوا في عبد الله بن علي وقد أجبتهم إلى ما طلبوا فسلمه إليهم، فقال عيسى: وأين عبد الله؟ ذاك قتله منذ أترتني. فقال المنصور: لم أمرك بذلك، وجحد أن يكون تقدم إليه منه أمر في ذلك، فأحضر عيسى الكتب باستحثائه في ذلك مرة بعد مرة فأنكر أن يكون أراد ذلك، وصمم على الإنكار، وصمم عيسى بن موسى أنه قد قتله، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً بعبث الله،

وفيها توفي

زكريا بن أبي زائدة، وكهمس بن الحسن، والمثنى بن الصباح.
 و■ عيسى بن عمر أبو عمر القفي البصري النحوي شيخ سيويه.
 يقال إنه من موالى خالد بن الوليد، وإثما نزل في تقيف فنسب إليهم. كان
 إماماً كبيراً جليلاً في اللغة والنحو والقراءات، أخذ ذلك عن عبد الله بن
 كثير وابن محيضر وعبد الله بن أبي إسحاق. وسمع الحسن البصري
 وغيرهم. وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيويه. ولزمه وعرف به
 وانتفع به، وأخذ كتابه الذي سماه الجامع فزاد عليه وسطه، فهو كتاب
 سيويه اليوم، وإثما هو كتاب شيخه، وكان سيوية يسأل شيخه الخليل بن
 أحمد عما أشكل عليه فيه، وقد سأل الخليل يوماً سيويه عما صنف عيسى
 بن عمر فقال: جمع بضعاً وسبعين كتاباً نضبت كلها إلا كتاب الإكمال،
 وهو بأرض فارس. وكتابه الجامع وهو الذي اشتغل فيه وأسالك عن
 غوامضه، فأطرق الخليل ساعة ثم أشد:

ذَقَبَ النُّحُوَّ جَمِيعاً كُلُّهُ غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِ
 ذَاكَ إِكْمَالاً وَهَلْنَا جَامِعٌ وَهَمَّا لِلنَّاسِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ
 وقد كان عيسى بن عمر يفرح ويتعزى في عبارته جداً.

وقد حكى الجوهري عه في الصحاح [٦٦/١] أنه سقط يوماً عن حمارة
 فاجتمع عليه الناس فقال: ما لكم تكاكمتم علي تكاكوكم على ذي جنة
 افرتقموا عني. معناه: مالكم تجتمعتم علي تجمعكم على مجنون؟ انكشفتوا
 عني.

وقال غيره: كان به ضيق النفس فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه
 مصروع. فجملوا يهودونه وقرؤون عليه، فلما أفاق من غشيته قال، ما
 قال. فقال بعضهم: إن جشيت بالفارسية -
 وذكر القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٤٨٦/٣] أنه كان صاحباً لأبي
 عمرو بن العلاء، وأن عيسى بن عمر قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء: أنا
 أفصح من معد بن عدنان. فقال له أبو عمرو: كيف تشد هذا البيت.

فد كُنْ يَجْبَانُ الْوَجْهَ تَسْتَرُ فالْيَوْمَ حِينَ بَدَأَ لِلنَّظَارِ
 أو «بدن؟» فقال بدبن. فقال أبو عمرو: أخطأت، ولو قال: بدنان
 لأخطأ أيضاً. وإثما أراد أبو عمرو تغليظه، وإثما الصواب «بدون» من بدا
 يبدو: إذا ظهر، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة

فيها خرج رجل من الكفرة يقال له استاذنيس في بلاد خراسان
 فاستحوذ على أكثرها، وألف معه نحو من ثلاثمائة ألف، وقتلوا من
 المسلمين هناك خلقاً، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد، وسبوا خلقاً
 كثيراً، واستحكم الفساد بسببهم، وتفاقم أمرهم، فوجه المنصور خازم بن
 خزيمه إلى ابنه المهدي ليولي به حرب تلك البلاد، ويضم إليه من الأجناد ما
 يقاوم أولئك. فنهب المهدي في ذلك نهضة رجل هاشمي، وجمع لحازم بن
 خزيمه الإمرة على تلك الجيوش، وبعثه في نحو من أربعين ألفاً، فسار إليهم
 وما زال يراوهم ويمكرهم ويعمل الخديعة حتى فاجأهم بالحرب.
 وواجههم بالطنن والضرب، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً، وأسرى منهم
 أربعة عشر ألفاً، وهرب ملكهم استاذنيس فترحز في جبل، فجاء خازم إلى

فخرج به بنو هاشم ليقتلوه، فلما جاؤوا بالسيف قال: ردوني إلى الخليفة،
 فردوه إلي فقال له: إن عمك حاضر ولم أقتله، فقال: هلم به. فأحضره
 فسقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبنية على ملح، فلما كان
 من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البنا فهلك. رحمه الله
 ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدم عليه ابنه
 المهدي، وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه، ثم كان بعد ذلك لا
 يلتفت إلى عيسى بن موسى ويهينه في الإذن والمشيورة والدخول عليه
 والخروج من عنده بعد ما كان خطيباً عنده قبل ذلك جداً، ثم ما زال
 يقصيه ويبعده ويتوعدده حتى خلع نفسه بنفسه، وباع محمد بن
 منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف ألف درهم،
 وانصلح أمر عيسى بن موسى وبنه عند المنصور، وأقبل عليه بعد ما كان
 قد أعرض عنه، وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة
 جداً، ومراوضات في تهديد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه، وأن
 العامة لا يعدلون بالمهدي أحداً. وكذلك الأمراء والخواص. ولم يزل به
 حتى أجاب إلى ذلك مكرهاً، فعوضه عن ذلك ما ذكرنا، وسارت بيعة
 المهدي في الأفاق شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وفرح المنصور بذلك فرحاً
 شديداً، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا، فلم يكن خليفة من بني
 العباس إلا من سلالته ذَلِكَ تَقْلِيلُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .
 وفيها توفي. عبد الله بن عمر العمرى، وهاشم بن هاشم، وهشام بن
 حسان صاحب الحسن البصري.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

فيها بعث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين كانوا قد عاثوا في
 بيلاد تغليس، فلم يجد منهم أحداً لأنهم انشعروا إلى بلادهم.
 وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر المنصور، ونواب البلاد فيها هم
 المذكورون في التي قبلها.

وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان، منهم

■ جعفر بن محمد الصادق المنسوب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو
 مكنوب عليه..

■ سليمان بن مهران الأعمش أحد مشايخ الحديث في ربيع الأول
 منها

وعمر بن الخارث، والعوام بن حوشب، والزبيدي، ومحمد بن عبد
 الرحمن بن أبي ليلى. ومحمد بن عجلان.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخذلها.
 وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فدخل بلاد الروم ومعه الحسن بن
 قحطبة ومحمد بن الأشعث، ومات محمد بن الأشعث. في الطريق.
 وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي وولاه المنصور
 على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي. وعمال الأمصار
 فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها.

للشيء يعنى ويصم، والدال على الخير كفاعله، وإن الله يحب إغاثة الملهوف». وفي لفظ: «اللفهان».

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء مرفوعاً: «إغاثة الملهوف فرض على كل مسلم، ومن تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وعن معقل بن يسار مرفوعاً: «علامة المؤمن ثلاث؛ إذا قال صلح، وإذا وعد وفى، وإذا حدث لم يخن».

وعن وائلة مرفوعاً: «الجراد أكثر جنود الله في الأرض، لا أكله». وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحداد بن أبي سليمان، وسلمة بن كهيل، وعامر الشعبي، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، والزهرى، ونافع مولى ابن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري وأبو إسحاق السبيعي.

وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وأسد بن عمرو القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وحمزة الزيات، وداود الطائي، وزفر، وعبد الرزاق، وأبو نعيم، ومحمد بن الحسن الشيباني، وهشيم، ووكيع، وأبو يوسف القاضي.

قال يحيى بن معين: كان ثقة، وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأتى أن يكون قاضياً. قال: إن يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى، وكان يحيى يقول: لا تكذب الله! ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله. وقال عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أغاثني حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس.

وقال الشافعي عن مالك: رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذمياً لقام بمجته:

وقال الشافعي: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ومن أراد السيرة فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان،

وقال عبد الله بن داود الحري: ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة، لحفظه الثقة والسنن عليهم.

وقال سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك: كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه.

وقال أبو نعيم: كان صاحب غوص في المسائل.

وقال مكى بن إبراهيم: كان أعلم أهل الأرض.

وروى الخطيب البغدادي (الربيع بعدد: ٣٥٤/١٣) بسنده عن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة كان يصلي في الليل ويقرأ القرآن في كل ليلة، ويكي حتى يرحمه جيرانه. ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وأنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة - أعني سنة خمسين ومائة.

وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين ومئة.

وقال غيره: سنة ثلاث وخمسين.

والصحيح الأول. وكان مولده في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعون سنة، وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام، وقبره هناك رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فيها عزل الخليفة المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام

تحت الجبل وقتل أولئك الأسرى كلهم، ضرب أعناقهم ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء، فحكم أن يقيد بالحديد هو وأهل بيته، وأن يعتق من معه من الأجناد - وكانوا ثلاثين ألفاً - فزم خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد عن كان مع أستاذ سيس ثوبين، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي، فكتب المهدي بذلك إلى أبيه المنصور.

وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاهما الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

وفيها حج بالناس عبد الصمد بن علي عم الخليفة.

وتوفي فيها جعفر ابن أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ودفن ليلاً بمقابر بني هاشم من بغداد، ثم نقل منها إلى موضع آخر

وفيه توفى

■ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أحد أئمة أهل الحجاز، ويقال: إنه أول من جمع السنن. وعثمان بن الأسود، وعمر بن محمد بن زيد. وفيها توفي الإمام أبو حنيفة. ذكر ترجمته:

هو الإمام

■ أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي، فقيه العراق، واحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، واحد أركان العلماء، واحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك، قيل وغيره. وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة قاله أعلم.

وهو أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن أنيس، وعبد الله ابن أبي أوفى، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، ومعقل بن يسار، ووائله ابن الأسقع، وعاتشة بنت عجرود، رضي الله عنهم. وقد روينا عن أبي حنيفة نظر؛ فإن في الإسناد إليه من لا يعرف، وفي متن بعضها نكارة شديدة. قاله أعلم.

وأخبرنا شيخنا الرحلة أبو العباس الحجازي، عن الزبيدي، وهو الحسين بن المبارك البغدادي، عن والده، عن أبي المكارم عبيد الله بن الحسين الشعري، عن محمد بن منصور، عن الخطيب أبي الحسن علي بن أحمد، عن القاضي أبي سعيد صاعد بن محمد، عن أبي مالك نصرويه بن أحمد البلخي، عن الحسين ابن إبراهيم العبادي، عن أبي الحسين علي بن الخطيب، عن أبي الحضر علي بن بدر، عن هلال بن العلاء، عن أبيه، عن أبي حنيفة، عن أنس مرفوعاً: «من قال: لا إله إلا الله. خالصاً خلصاً من قلبه دخل الجنة، ولو تركتكم على الله حتى تترككم كما يرزق الطير؛ تغدو فخاصا وتمود بظاناً».

وعن جابر: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم ومسلمة.

وعن عبد الله بن أنيس مرفوعاً: قرأت في عارضتي الجنة مكتوباً ثلاثة أسطر بالذهب الأحمر، لا بماء الذهب؛ السطر الأول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. الثاني: الإمام ضامن والمؤمن مومن، فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤمنين. الثالث: وجدنا ما عملنا، ونحن ما قلنا، خسرونا ما خلفنا، قدما على رب غفور».

وعن عبد الله بن أبي أوفى، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حبك

وعلى البصرة جابر بن توبة الكلابي، وعلى مصر يزيد بن حاتم. ونائب خراسان حميد بن قحطبة، ونائب سجستان ممن بن زائدة. وغزا الصائفة في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد.

وفيهما توفي من الأعيان

حنظلة بن أبي سفيان، وعبد الله بن عون، ومحمد بن إسحاق بن يسار، صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماً يهتدى به، وفجراً يستجلى به، والناس كلهم عيال عليه في ذلك، كما قال محمد بن إدريس الشافعي وغيره من أئمة الإسلام.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عن إمرة مصر يزيد بن حاتم وولاهما محمد بن سعيد، وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصي وخالف، فلما جيء به أمر بضرب عنقه، وعزل عن البصرة جابر بن توبة الكلابي، وولاهما يزيد بن منصور.

وفيهما قتلت الخوارج ممن بن زائدة بسجستان.

وفيهما توفي

عبد بن منصور، ويونس بن يزيد الأيلي.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

فيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المورياتي وسجنه وسجن أخاه خالداً وبني أخيه الأربعة سعيماً ومسعوداً ومخلداً وعمداً، وطالبهم بالأموال الكثيرة.

وكان سبب ذلك ما ذكره ابن الحافظ عساكر في ترجمة أبي جعفر المنصور، وهو أنه كان في زمن شبينة قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا معه، فأجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوج به امرأة، ثم جعل يعدها ويمنحها أنه من بيت سيصير إليهم الملك سريعاً، فاتفق حبها منه، ثم تطلبه بنو أمية فهرب عنها وتركها حاملاً، ووضع عندها رقعة فيها نسبه، وأنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمرها إذا بلنها أمره أن تأتبه، وإذا ولدت غلاماً أن تسميه جعفرأ. فولدت غلاماً قسمته جعفرأ. ونشأ الغلام فتعلم الكتابة وغوى العربية والأدب وأتقن ذلك إتقاناً جيداً، ثم أكل الأمر إلى بني العباس، فسألت عن السفاح فإذا هو ليس صاحبها، ثم قام المنصور وسافر الولد إلى بغداد فاختلط بكتاب الرسائل فأعجب به أبو أيوب المورياتي صاحب ديوان الإنشاء للمنصور، وحظي عنده وقدمه على غيره، فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة فجعل الخليفة يلاحظه، ثم بعث يوماً الخادم ليأتيه بكتاب فدخل ومعه ذلك الغلام، فكتب بين يدي الخليفة كتاباً وجعل الخليفة ينظر إليه ويتأمله، ثم سأله عن اسمه فأخبره أنه جعفر، فقال: ابن من؟ فسكت الغلام، فقال: ما لك لا تتكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن من خيري كيت وكيت، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يتعجب. ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال: أنت ابني. ثم بعثه بعقد ثمين ومال جزيل وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة حال الزوج.

بن عمرو التغلبي، وكان سبب عزله عمر بن حفص عن السند أن محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر كان بعث ابنه عبد الله الملقب بالأشتر ومعه جماعة بهدية خيول عتاق إلى عمر بن حفص بالسند لقبها، فدعوه إلى دعوة محمد بن عبد الله بن حسن في السر فاجابهم إلى ذلك أيضاً ولبسوا البياض. ولما جاء خبر مقتل محمد بن عبد الله بالمدينة أسقط في أيدي عمر بن حفص وأصحابه وأخذ في الاعتذار إلى عبد الله بن محمد، فقال له عبد الله: إني أخشى على نفسي، فقال: إني سأبعثك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا، وإنه من أشد الناس تنظيمًا لرسول الله ﷺ، وإنه متى عرف أنك من سلالة أحبك. فأجاب به إلى ذلك، وسار عبد الله بن محمد إلى ذلك الملك فكان عنده آمناً، وصار عبد الله يركب في موكب من الناس، ويتصيد في جحفل من الجنود، وانضم إليه ووفد عليه طوائف من الزيدية.

وأما المنصور فإنه بعث يعتب على عمر بن حفص نائب السند، فقال رجل من الأمراء: ابغضني إليه واجعل القضية مسندة إلي، فاني سأعتذر إليه من ذلك، فإن سلمت وإلا كنت فداك وفداه من عندك من الأمراء، فأرسله سفيراً في القضية، فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضرب عنقه، وكتب إلى عمر بن حفص بعزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضاً عن أميرها، ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد، فجعل يتراعى في ذلك، فبعث إليه المنصور يستحثه في ذلك، ثم اتفق سفتجاً أخا هشام بن عمرو لقي عبد الله بن محمد في بعض الأماكن فاقتلوا فقتل عبد الله وأصحابه جميعاً واشتبهم عليهم مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه. فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يعلمه بقتله. فبعث يشكره على ذلك ويأمره بقتل الملك الذي آواه، ويعلمه أن عبد الله كان قد تسرى بجمارية هنالك وأولدها ولدأ أسماه محمداً فإذا ظفرت بالملك فاحتفظ بالغلام فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فغلبه وقهره على بلاده وأمواله وحواصله، وبعث بالفتح والأخماس وبذلك الغلام إلى المنصور ففرح المنصور بذلك وبعث بذلك الغلام إلى المدينة، وكتب إلى نائبها يعلمه بصحة نسبه، ويأمره أن يلحقه بأهله ليكون عندهم لتلا يضح نسبه، فهو الذي يقال له أبو الحسن بن الأشتر.

وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من بلاد خراسان فلتقاه أبوه والأمراء والأكابر إلى أثناء الطريق، وقدم نواب البلاد من الشام وغيرها للسلام عليه وتهنئته بالسلامة والنصر.

بناء الرصافة

قال ابن جرير (٣٧٨/٣): وفي هذه السنة المباركة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان، وهي في الجانب الشرقي من بغداد، وجعل له سوراً وخندقاً، وعمل عندها ميداناً وستاناً، وأجرى إليها الماء من نهر المهدي.

قال ابن جرير (٣٩٨/٣): وفيها جلد المنصور البيعة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده، ولعيسى بن موسى من بعدهما، وجاء الأمراء والخواص فبايعوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه المهدي ويلمسون يد عيسى بن موسى ويشيرون بالتقيل إليها ولا يقبلونها.

قال الواقدي: وولى المنصور ممن بن زائدة سجستان.

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي، وهو نائب مكة والطائف، وعلى المدينة الحسن بن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان،

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم.
ونواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها، سوى البصرة فعليها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان.

وفيه توفى

■ أبو أيوب المورياتي الكاتب وأخوه خالد، وأمر المنصور في بني أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم ثم تضرب بعد ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم.
وفيه توفى:

■ أشعب الطامع: هو بن جبير أبو العلاء، ويقال أبو إسحاق المديني، ويقال له أبو حميدة. وكان أبوه مولى لابن الزبير، فقتله المختار، وهو خال الواقدي.

وروى عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ كان يتختم في اليمين: [ت: (١٧٤)، م: كرى (٩٥٢٧)].

وروى عن أبان بن عثمان، وصالم وعكرمة، وكان ظريفاً مانحاً يحبه أهل زمانه لخلاصته وطمعه، وكان حميد الغناء، وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق فترجه ابن عساكر ترجمة ذكر عنه فيها أشياء مضحكة، وأسند عنه حديثين.

وروي عنه أنه سئل يوماً أن يحدث فقال: حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: 'تصلتان من عمل بهما دخل الجنة ثم سكت قليل له: وما هما؟ فقال: نسي عكرمة الواحدة ونسيت أنا الأخرى. وكان سالم بن عبد الله بن عمر يستخليه ويستحليه ويضحك منه ويأخذه معه إلى الغابة، وكذلك كان غيره من أكابر الناس.

وقال الشافعي: عبث الولدان يوماً بأشعب فقال: إن ههنا أناساً يفرقون الجوز فتسارعوا إلى ذلك، فلما رآهم مسرعين قال: لعله حق فتجمعهم.
وقال له رجل: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما زلت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلي فكسحت دري ونظفت ثيابي.

واجتاز يوماً برجل يصنع طبقاً من قش فقال له: زد فيه طوراً أو طويين لعله يهدي يوماً لنا فيه هدية.

وروى الحافظ ابن عساكر أن أشعب غنى يوماً لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء:

مُتَرَيِّسَةً كَالْبَدْرِ سُنَّةً مُتَهَرِّجَةً الْأَنْتَوَابِ وَالْدِيْنِ وَأَفْرُ
لَهَا حَسْبُ زَاكٍ وَعِزُّ مَهْذَبٍ وَعَنْ كُلِّ مَكْرُوهِ مِنَ الْأَمْرِ زَاكِ
مِنْ الْخُفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ رِيَةً وَلَمْ يَنْخَلِهَا عَنْ قُتَى اللَّهِ شَاعِرُ

فقال له سالم: أحسنت فزدا فغناه:

لَأَتَّ بِنَا وَالْبَيْلُ نَاجٍ كَانَهُ جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ نَفَضَ الْفَطْرُ
فَقُلْتُ أَغْطَا زَنْبُورِي فِي رَحَائِنَا وَمَا حَلَّتْ لِيْلَى سِوَى رِيحِهَا عَطْرُ
فقال له: أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة، وإنك من الأمر بمكان.

وفيه توفى

جعفر بن برقان، والحكم بن أبان، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وقرعة بن خالد، وأبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء، واسمه كنيته، وقيل اسمه زبَّان والصحيح الأول.

وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال: ما أباطاك عند الخليفة؟ فقال: إنه استكنني في رسائل كثيرة، ثم تقاولا ثم فارقه الغلام مغضباً ونهض من فوره فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد، إلى مكان منها أمر به الخليفة. فسل مرآجل، ثم سال عنه أبو أيوب فقبل سافر فظن أبو أيوب أن هذا قد أفشى شيئاً من أسرارها إلى الخليفة وفر منه، فبعث في طلبه وسرلاً وقال: حيث وجدته فردّه علي.

فسار الرسول في طلبه فوجدته في بعض المنازل فخلفه وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع به إلى أبي أيوب. فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده وندم على بعثه خلفه. وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبطه فبعث من كشف خبره فإذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله. فحينئذ استحضر أبا أيوب وأزله بأموال عظيمة، وما زال تحت العقوبة حتى أخذ جميع أمواله وحواصله ثم قتله، وقال: هذا قتل حبيبي. وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً.

وفيه خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد إفريقية. فاجتمع منهم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً، ما بين فارس وراجل، وعليهم أبو حاتم الإباضي، وأبو عاد. وانضم إليهم أبو قرعة الصفري في أربعين ألفاً، فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه، وهو عمر بن عثمان بن أبي صفرة الذي كان نائب السند فعزله المنصور عنها بسبب مبايعته محمد بن عبد الله بن حسن وولاه هذه البلاد فقتله الخوارج رحمه الله. وأكثر الخوارج الفساد في البلاد وقتلوا الحرير والأولاد وأذوا عامة العباد.

وفيه ألزم المنصور الناس بلبس قلائس سود طوال جداً، حتى كانوا يستعينون على رفعها من داخلها بالقصب، فقال أبو دلالة الشاعر في ذلك:

وَكُنَّا نُرْجِسِي مِنْ إِمَامٍ زِيَادَةً فَرَادَ الْإِمَامُ الْمُصْطَفَى فِي الْقَلَائِسِ
تَرَاهَا عَلَى هَامِ الرِّجَالِ كَانَهَا بِنَانُ يَهُودٍ جُلِّلَتْ بِالْبَرَائِسِ

وفيه غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجوري فأمر خلقاً كثيراً من الروم ما ينيف على ستة آلاف أسير، وغنم أموالاً جزيلة.

وحج بالناس المهدي ابن أمير المؤمنين المنصور.

وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم، وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور، وعلى مصر محمد بن سعيد.

وذكر الواقدي أن يزيد بن منصور كان ولاد المنصور في هذه السنة اليمن. فإله أعلم

فيها توفى

أبان بن صمعة، وأسامة بن زيد الليثي، وثور بن يزيد الحمصي، والحسن بن عمارة. وفطر بن خليفة، ومعمر وهشام بن الغاز والله أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجوز يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً وولاه بلاد إفريقية، وأمره بقتال الخوارج، وأنتق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف ألف درهم.
وغزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي.

قَسَمَ الْخَمْسَةَ فَيَسَا وَجَانَسَا الْأَرْبَعِيْنَ

وهو

■ أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني البصري، وقيل غير ذلك في نسبه.

كان علامة زمانه في اللغة والفقه والنحو وعلم القراءات، وكان من كبار العلماء العاملين، ويقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب، ثم تزهد فأحرقه، ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب، وكان قد لقي خلقاً كثيراً من أعراب الجاهلية، كان مقدماً أيام الحسن البصري وبعده.

ومن اختياراته في الغرية قوله في تفسيره الغرة في الجنين: إنها لا يقبل فيها إلا أبيض غلاماً كان أو جارية. فهم ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «غرة عبد أو أمة» قال: ولو أريد أي عبد كان أو جارية لما قيده بالغرة، وإنما الغرة البياض.

قال القاضي ابن خلكان: وهذا غريب ولا أعلم هل يوافق قول أحد من الأئمة المجتهدين أم لا.

وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا يشد فيه بيتاً من الشعر حتى ينسلخ، وأنه كان يشتري له كل يوم كوزاً جديداً وريحاناً طرياً، وقد صحبه الأصمعي نحواً من عشر سنين.

كانت وفاته في هذه السنة، وقيل في سنة ست وخمسين. وقيل سبع وخمسين ومئة فإله أعلم. وقد قارب التسعين، وقيل إنه جاوزها فإله أعلم.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة صالح بن علي بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس مرفوعاً لأن يري أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو كلب خير له من أن يريي ولدناً لصلبه. وهذا منكر جداً وفي إسناده نظر. ذكره من فوائد غمام (الروض السام بوب ونجريح فوائد عام ١٧١٩) عن خيشمة بن سليمان عن محمد بن عوف الحمصي عن أبي المغيرة عن عبد الله بن السمط عن صالح به. وعبد الله بن السمط هذا لا أعرفه، وقد ذكره شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في كتابه الميزان [٤٣٦/٢] وقال: روى عن صالح بن علي حديثاً موضوعاً.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عوداً على بدء، وقتل من كان تغلب عليها من الخوارج، وقتل أمراءهم وأسر كبارهم وأذل أشرافهم وأرغم أنافهم وبيد آلافهم واستبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمناً وسلامة، وبالإمانة كرامة، وكان في جملة من قتل من أمراءهم أبو حاتم وأبو عاد الحارثيان. ثم لما استقامت له وبه الأمور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فمهدا وأطهدا وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال عذورها والله سبحانه أعلم.

بناء الرافقة المدينة المشهورة

وفيها أمر المنصور ولده المهدي ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد ففعل ذلك في هذه السنة المباركة، وأمر المنصور فيها ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة، وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها، من كل إنسان من ذوي اليسار أربعين درهماً. وكان قد فرضها أولاً خمسة دراهم، خمسة دراهم، وجيبت أربعين أربعين، فقال في ذلك بعضهم:

يا لقومسي ما لقينا من أسير المؤمنين

وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي.

وفيها طلب ملك الروم الصلح من أبي جعفر المنصور على أن يحمل إليه الجزية.

وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالاً كثيرة.

وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة، فقبل لأمر بلغته عنه في تعاطي منكرات، وأمر لا تليق بالعمل، وقيل لقتله عبد الكريم بن أبي العوجاء - وقد كان ابن أبي العوجاء هذا زنديقاً - يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يجل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال، ويصوم الناس يوم الفطر ويفطرونهم في أيام الصيام، فأراد المنصور أن يجعل قتله له ذنباً ففعله، وأراد أن يقيده منه، فقال له عيسى بن علي: يا أمير المؤمنين لا تعزله بهذا، فإنه إنما قتله على الزندقة، ومتى عزلته به شكرته العامة ودموك، فتركه حيناً ثم عزله عن الكوفة وولى عليها عمرو بن زهير.

وفيها عزل المنصور عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه.

وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد، وعلى الكوفة عمرو بن زهير وعلى البصرة الهيثم بن معاوية، وعلى مصر محمد بن سعيد، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم.

وفيها توفي صفوان بن عمرو وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان، وعثمان بن عطاء، ومسرور بن كدام

و■ حاد الراوية. هو ابن أبي ليلى ميسرة - ويقال سابور - بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي، مولى مكثف بن زيد الخيل الطائي، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها، وهو الذي جمع السبع المملكات الطوال، وإنما سمي الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب، اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين فأنشده تسعاً وعشرين قصيدة على حروف المعجم، كل قصيدة نحواً من مائة بيت، وزعم أنه لا يسمي شاعراً من شعراء العرب إلا أنشد له ما لا يحفظه غيره. فأطلق له مائة ألف درهم.

وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة الغواص (ص ١١٠، ١١١)، أن هشام بن عبد الملك استدعاه من العراق من نائبه يوسف بن عمر، فلما دخل عليه إذا هو في دار قوراء مرخة بالرخام والذهب، وإذا عنده جارتان حسناوان جداء، فاستنشه شيئاً فأنشده، فقال له: سل حاجتك: فقال: كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين؟ فقال: وما هي؟ فقال: تطلق لي إحدى هاتين الجاريتين. فقال: هما لك وما عليهما، وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم.

هذا ملخص الحكاية. والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد، فإنه ذكر أنه شرب معه، وهشام لم يكن يشرب. ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر، إنما كان نائبه خالد بن عبد الله القسري، وبعده يوسف بن عمر بن عبد العزيز. كانت وفاة حاد في هذه السنة عن ستين سنة.

قال ابن خلكان: وقيل: إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين فإله أعلم.

وفيهما قتل

■ حماد عجرد على الزندقة. وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي، ويقال إنه واسطي، مولى بني سواقة، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً خليعاً، لكنه كان متهماً على الإسلام، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية، ولكنه ما اشتهر إلا في أيام بني العباس، وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجرة كثيرة، ولما قتل بشار على الزندقة أيضاً دفن مع حماد هذا في قبره، وقيل: إن حماد عجرد مات سنة ثمان وخمسين، وقيل إحدى وستين ومائة فإله أعلم.

وفيهما توفي

الحسين بن واقد.

■ أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم. وقد بقي أهل الشام وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة.

وهذا ذكر شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

■ عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد أبو عمرو الأوزاعي. والأوزاع بطن من حير وهو من أنفسهم، قاله محمد بن سعد.

وقال غيره: لم يكن من أنفسهم ولما نزل في محلة الأوزاع، وكانت قرية خارج باب الفراءيس من قرى دمشق، وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني.

قال أبو زرعة: وأصله من ساء السند فتل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها. وقال غيره: ولد يعلبك ونشأ بالبقيع يتيماً في حجر أمه، وكانت تنقل به من بلد إلى بلد، وتادب بنفسه، فلم يكن في أبناء الملوك. والوزراء أعقل منه، ولا أروع ولا أعلم، ولا أنصح ولا أوقر ولا أحلم، ولا أكثر صمتاً منه، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من يجالس أن يكتبها عنه، من حسننها، وكان يعاني الرسائل والكتابة. وقد اكتسب في بحث إلى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير وانقطع إليه فأرسله إلى الرحلة إلى البصرة ليسمع من الحسن وابن مغير. يتردد لعيادته، فقوي المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً. وجاء فتل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفراءيس، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام.

وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم، وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين، كمالك بن أنس والثوري والزهري، وهو من شيوخه. وأثنى عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدلته وإمامته.

قال مالك: كان الأوزاعي إماماً يقتدى به.

وقال سفيان بن عيينة وغيره: كان الأوزاعي إمام أهل زمانه.

وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزام جملة، ومالك بن أنس يسوق به، والثوري يقول: افسحوا للشيخ حتى أجلسه عند الكعبة، وجلسا بين يديه يأخذان عنه.

وقد تذاكر مالك والأوزاعي بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر، ومن العصر حتى صليا المغرب، فغمره الأوزاعي في المغازي، وغمره مالك في الفقه. أو في شيء من الفقه.

وتناظر هو والثوري في مسجد الحيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه. فاحتج الأوزاعي بما رواه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه.

واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد. فغضب الأوزاعي وقال: أتعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف؟! فأحار وجه الثوري، فقال الأوزاعي: لعلك كرهت ما قلت؟ قال: نعم. قال: فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أينما على الحق. فسكت الثوري.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

فيها ظفر الهيثم بن معاوية نائب البصرة، بعمرو بن شنداد الذي كان عاملاً لإبراهيم بن محمد على فارس، فقتل بالبصرة قطعت يده ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب.

وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وولى عليها قاضياً سوار بن عبد الله، فجمع له بين القضاء والصلاة، وجعل على شرطتها وأحداها سيد بن دعلج، ورجع الهيثم بن معاوية إلى بغداد فمات فيها فجأة في هذه السنة، وهو على بطن جارية له، وصلى عليه المنصور ودفن في مقابر بني هاشم.

وحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد أخو أمير المؤمنين المنصور.

ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها.

وعلى فارس والأهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو.

وفيها توفي

■ حمزة الزيات في قول.

وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين، وإليه تنسب المنود الطويلة في القراءة، وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة.

وسعيد بن أبي عروبة، وهو أول من جمع السنن في قول، وعبد الله بن شاذب، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي، وعمرو بن ذر.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

فيها بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد، وكان المستح في عمارته أبان بن صدقة، والربيع مولى المنصور وهو حاجبه.

وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الإمارة إلى باب الكرخ. وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك.

وفيها أمر بتوسعة الطرقات.

وفيها أمر بعمل جسر عند باب الشعير.

وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو أيضاً لأبس سلاحاً عظيماً، وكان ذلك عند دجلة.

وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولى عليها معبد بن الخليل.

وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي فاوغل في بلاد الروم، وبعث ستاناً مولى البطال بين يديه ففتح حصوناً وسى وغنم.

وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي.

ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها.

وقال مفل بن زياد: أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة يحدثنا وأخبرنا.

وقال أبو زرعة: روي عنه ستون ألف مسألة.

وقال غيرهما: أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، ثم لم يزل يفتي حتى مات وعقله زاك.

وقال يحيى القطان عن مالك: اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت: أيهم أرجح؟ قال: الأوزاعي.

وقال محمد بن عجلان: ما رأيت أحداً أتصح للمسلمين من الأوزاعي.

وقال غيره: ما رثي الأوزاعي ضاحكاً مقهقهاً قط، ولكن كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيت يكي في مجلسه قط وكان إذا خلى بكي حتى يرحم.

وقال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثوري، وأبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي.

والأوزاعي ثقة، وليس هو في الزهري بذلك، أخذ كتاب الزبيدي عن الزهري، وما أقل ما رواه عن الزهري.

قال أبو حاتم: كان ثقة متبعاً لما سمع.

قالوا: وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه، وكانت كتبه ترد علي المنصور فينظر فيها ويتملها ويتعجب من فصاحتها وحلاوتها. فقال يوماً لأخطى كتابه عنده - وهو سليمان بن جالد -: ينبغي أن تحجب الأوزاعي عن كتبه. فقال: والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على ذلك، وإنما لتستعين بكلامه فيما نكتب به أهل الأفاق ممن لا يعرف كلام الأوزاعي. وقال الوليد بن مسلم: كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس، ويأثر عن السلف ذلك. قال: ثم يقومون فينذكرون في الفقه والحديث.

وعن الأوزاعي قال: رأيت رب العزة في المنام فقال: أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فقلت: بفضلك يا رب. فقلت: يا رب امتني على الاسلام. فقال: وعلى السنة.

وقال محمد بن شعيب بن شابور: قال لي شيخ بجامع دمشق: أنا ميت في يوم كذا وكذا. فلما كان ذلك اليوم رأيته في صحن الجامع يتفلى، فقال لي: اذهب إلى سرير الموتى فأحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه. فقلت: ما تقول؟ فقال: هو ما أقول لك، إني رأيت كأن قتلاً يقول: فلان قلدي، وفلان كذا وعثمان بن أبي العاتكة نعم الرجل، وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض، وأنت ميت في يوم كذا وكذا. قال محمد بن شعيب: فما جاء الظهر حتى مات وصلي عليه بعدما وأخرجت جنازته.

رواه ابن عساکر.

وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعاً ناسكاً طويلاً الصمت، وكان يقول: من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة وكأنه، أخذ ذلك من القرآن وهو ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، إن هؤلاء يجيئون العاجلة ويدورون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴿الإنسان: ٢٩ - ٢٧﴾.

وقال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة.

وقال غيره: حج فما نام على الراحلة، إنما هو في صلاة، فإذا نعس استند إلى القتب.

وقال غيره: كان من شدة الخشوع كأنه أعمى.

ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرات الحصر الذي يصلي عليه مبلولا فقالت لها: لعل الصبي بال ههنا. فقالت: لا، هذا من أثر دموع الشيخ في سجوده، وهكذا يصبح كل يوم.

وقال الأوزاعي: عليك بأثر من سلف، وإن رفضك الناس، وإليك وراي الرجال وإن زخرفوه وبالقول. فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

وقال أيضاً: أصبر على السنة وقف حيث يقف القوم، وقل ما قالوا وكف عما كفوا، وليس لك ما وسعهم.

وكان يقول: العلم ما جاء عن أصحاب محمد، وما لم يجيء عنهم فليس بعلم.

وكان يقول: لا يجتمع حب عليّ وعثمان إلا في قلب مؤمن. وإذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل.

قالوا: وكان الأوزاعي من أكرم الناس واستخاهم، وكان له في بيت المال على الخلفاء إقطاع فصار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار، فلم يقم منها شيئاً، ولا أقتى شيئاً من عقار ولا غيره، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنائير كانت جهازه، بل كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء.

ولما دخل عبد الله بن علي دمشق وسلب الملك من بني أمية تطلب الأوزاعي فنتب عنه ثلاثة أيام ثم أحضر بين يديه. قال: دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسودة عن يمينه وشماله، معهم السيوف مصلية - والعمد الحديد - فسلمت عليه فلم يرد وتكثرت تلك الخيزرانة التي في يده ثم قال: يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك أرباط هو؟ قال: فقلت: أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَجُّهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهَا». قال: فنكتت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت. وجعل من حوله يعضون على أيديهم، ثم قال: يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَ: النَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالْكَيِّبِ الزَّانِي، وَالتَّارِكِ لِبَيْتِهِ الْمُنَافِقِ» للجماعة ج (٦٤٨٤)، م (١٦٧٦). فنكتت أشد من ذلك ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً، وإن كانت لهم حلالاً فلا محل لك إلا بطريق شرعي. فنكتت أشد ما كان ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليكَ القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليّ في ذلك، وإني أحب أن تيمم ما ابتدؤوني به من الإحسان، فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائي حرماً وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم. قال: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي، فأسمرني بالانصراف. فلما خرجت إذا رسول الله من ورائي، وإذا معه مائة دينار، فقال يقول لك الأمير: استفق هذه. قال: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفاً.

قال: وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الأظفار عنده فأبى أن ينفطر عنده رحمه الله.

قالوا: ثم رحل الأوزاعي من دمشق فزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده، قال: وأعجبتني فيها أني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء قتلت لها:

السلطان، وهم به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه: دعه عنك فوالله لو أمر الشاميين أن يقتلوك لقتلوك.

ولما مات جلس عند قبره بعض الولاة فقال: رحمك الله، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني. وقد قال أبو مسهر: ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه وقال أبو خيثمة: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال: كنت جالساً عند الثوري فجاءه رجل فقال: رأيت كأن رجلاً من المغرب يعني قلعته. قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي. فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم أو في تلك الليلة.

وقال أبو مسهر: بلغنا أن سبب موت الأوزاعي أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فمات فيه، ولم تكن عامدة لذلك، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعنتى رقية. قال: وما خلف ذهباً ولا فضة ولا عقاراً، ولا متاعاً إلا ستة دنائير، فضلت من عطائه. وكان قد اكتسب في ديوان الساحل.

وقال غيره: كان الذي أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام، وذهب إلى حاجة ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله.

قلت: لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً، واختلفوا في سنة وفاته: فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال: قال أحمد: قال يحيى: رأيت الأوزاعي وتوفي سنة خمسين ومائة وقال الوليد بن مسلم: سنة ست وخمسين ومئة.

قال العباس بن الوليد البيروتي: أخبرني أبي قال: توفي يوم الأحد أول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة.

وهو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح، وهو قول أبي مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم - في أصح الروايات عنه - ويحيى بن معين ودحيم وخليفة بن خياط وأبي عبيد وسعيد بن عبد العزيز وغير واحد. قال العباس بن الوليد: ولم يبلغ سبعين سنة.

قلت: وقال غيره: جاوز السبعين. والصحيح تسع وستون سنة، لأن كان ميلاده في سنة ثمان وثمانين على الصحيح. وقيل: إنه ولد سنة ثلاث وتسعين، وهذا ضعيف.

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: دلي على عمل يقربني إلى الله. فقال: ما رأيت في الجنة درجة أعلى من درجة العلماء، ثم المحزونين.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

فيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالخلد وسكنه أياماً يسيرة ثم مات وتركه.

وفيها مات طاغية الروم.

وفيها وجه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره بعزل موسى بن كعب عن الموصل، وأن يولي عليها خالد بن برمك، وكان ذلك بعد نكتة غريبة اتفقت ليحيى بن خالد، وذلك أن المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف، فضاقت ذراعاً بذلك. ولم يبق له مال ولا حال وعجز عن أكثر ما طلب منه، وقد أجله ثلاثة أيام، فأن لم يحمل ذلك في هذه الأيام فدمه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأمراء يستعرض منهم، فكان منهم من أعطاه مائة ألف، ومنهم أقل وأكثر.

أين العمارة يا هتاه؟ فقالت: إن أردت العمارة فهي هذه - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فامامك - وأشارت إلى البلد - فعزمت على الإقامة بها.

وقال محمد بن كثير: سمعت الأوزاعي يقول: خرجت يوماً إلى الصحراء فإذا رجل من جراد في السماء وإذا شخص راكب على جرادة منها وعليه سلاح الحديد، وكلما قال يده هكذا إلى جهة مال الجراد مع يده، وهو يقول: الدنيا باطل باطل باطل ما فيها الدنيا باطل باطل باطل ما فيها.

وقال الأوزاعي: كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا يتظر الجمعة فحسب ببغته فلم يبق منها إلا ذنبا.

وخرج الأوزاعي يوماً من باب مسجد بيروت وهناك دكان فيه ناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول: يا أحلى من الناطف. فقال: سبحان الله! ما يرى هذا بالكذب بأساً؟

وقال الراقي: قال الأوزاعي: كنا قبل اليوم نضحك وتلعب، أما إذ صرنا أئمة يقتدى بنا فلا نرى أن يسعنا ذلك، وينبغي أن نتحفظ.

وكتب إلى أخ له: أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب، وإنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والقيام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك بك والسلام.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح - كاتب الليث - يذكر عن الحقل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس: تقووا بهذه النعم التي أصيبتكم فيها على الحرب من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفتنة، فإنكم في دار الشراء فيها قليل، وأنتم فيها مرحلون، خلافت بعد القرون التي استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أصمراً وأمد أجساماً، وأعظم آثاراً، فخذوا الجبال وجابوا الصخور وتعبوا في البلاد، مؤبدين بطش شديد، وأجساد كالجماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت منكم وعفت آثارهم، وأخربت منازلهم، وأنست ذكركم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً كانوا بلهو الأمل آمين، وليقات يوم غافلين، أو لصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بيتاً من عقوبة الله، فاصبح كثير منهم في ديارهم جائعين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نعمته، وزوال نعمته ومسكن خاوية، قد كانت بالزحف مخوفة، وبالنعم معروفة، والقلوب إليها مصروفة، والأعين نحوها ناظرة. فاصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى. وأصيبتكم بعدهم في أجل مقصود ودينياً مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه وخيره وصفوه، فلم يبق منه إلا حمة شر، وصباية كدر، وأهاويل غير، وعقوبات غير وأرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر، يضيّقون الديار ويغلون الأسعار بما يرتكبونه من العار والشر، فلا تكونوا أمثاباً لمن خدعه الأمل وغرّه طول الأجل، وتبلغ بالأماني، نسال الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى، وعقل مثواه فمهد لنفسه.

وقد اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام وعظه وأحبه المنصور وعظمه، ولما أراد الانصراف أسأته في أن لا يلبس السواد فأذن له، فلما خرج قال المنصور للرابع الحاجب: الحق فأسأله لم كره لبس السواد؟ ولا تعلمه أنني قلت لك. فسأله الريح فقال: لأنني لم أر محرماً أحرم فيه، ولا ميتاً كفني فيه، ولا عروساً جلبت فيه، فلماذا أكرمه.

وقد كان الأوزاعي في الشام معظماً مكرماً أمره أعز عندهم من أمر

كانه خرج من أسد فزار وأقمى على يديه، فما بقي أسد حتى جاء فسجد له.

وقد رأى المنصور في صفه نماماً غريباً كان يقول: ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب، ويعلق في أعناق الصيوان. قال: رأيت كائني في المسجد الحرام وإذا رسول الله ﷺ في الكعبة والناس مجتمعون حولها، فخرج من عنده مناد فنادى: أين عبد الله؟ فقام أخي السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إياها، فما لبث أن خرج ومعه لواء أسود. ثم نودي: أين عبد الله؟ فقامت أنا وعمي عبد الله بن علي نستقي، فسبقتني إلى باب الكعبة فدخلتها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ويلال، فعدت لي لواء وأوصاني بأمتي وعمتي عمامة كورها ثلاثة وعشرون كوراً، وقال: «خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة».

وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية فاجتمع به في السجن نوبخت المنجم وتوسم فيه الرياسة فقال له: بمن تكون؟ فلما عرف منه نسبه وكنيته قال: أنت الخليفة الذي تلي الأرض. فقال له: ويحك ماذا تقول؟ فقال: هو ما أقول لك، فضع لي خطك في هذه الرقعة أن تعطيني شيئاً إذا وليت. فكتب له، فلما ولي أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم نوبخت على يديه، وكان قبل ذلك مجوسياً. ثم كان من أخص أصحاب المنصور عنده.

وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة. وأحرم من الحيرة، وفي سنة أربع وأربعين، وفي سنة سبع وأربعين. وفي سنة ثنتين وخمسين، ثم في هذه السنة التي كانت فيها وفاته، وبني مدينة السلام ببغداد والرافقة وقصره الخلد.

قال الربيع بن يونس الحاجب: سمعت المنصور يقول: الخلفاء أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والملوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، وأنا.

وقال مالك: قال لي المنصور: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقلت: أبو بكر. وعمر. فقال: أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين.

وعن إسماعيل النهري قال: سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول: أيها الناس! إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوقيفه ورشده، وخازناته على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قتيلاً، إذا شاء أن يفتحي لإعطائكم وقسم أرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يغلطني عليه أقفلني. فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه، إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أن يوقني للصواب ويسلطني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ويفتحي لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم، فإنه سمع مجيب.

وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهو يثني على الله عز وجل، فقال: يا أمير المؤمنين أذكر من أنت ذاكرة، وأنت الله فيما تأتيه وتزده. فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال: أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّبِعْ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] أو أن أكون جباراً عصياً.

أيها الناس! إن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا بُيِّنَتْ. ثم قال للرجل: ما أظنك في مقاتلتك هذه تريد وجه الله، وإنما أردت أن يقال: وعظ أمير المؤمنين.

أيها الناس لا يفرنكم هذا فتضعوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها، ثم قال لمن هو عنده: أعرض عليه الدنيا فإن قبلها

قال يحيى بن خالد: فبينما أنا ذات يوم من تلك الأيام على جسر ببغداد، وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منا ولا طاقة لنا به، إذ وثب لي زاجرٌ يعني من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية، فقال لي: أبشر، فلم التفت إليه، فقدم حتى أخذ بلجام فرسي ثم قال لي: أنت مهموم، والله ليفرجن الله همك ولتمرن غداً في هذا الموضع واللواء بين يديك، فإن كان ما قلت حقاً فلي عليك خمسة آلاف. فقلت: نعم. ولو قال خمسون ألفاً لقلت نعم، لبعد ذلك عندي. قال: ذهبت لشأني وقد بقي علينا من الحمل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتفاض الموصل وانتشار الأكراد بها، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل فأشار بعضهم بخالد بن برمك، فقال له المنصور: ويحك! أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به ما فعلنا؟ فقال: نعم! وأنا الضامن أنه يصلح لها، فأمر بإحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه، وعقد له اللواء، وولى ابنه يحيى بن خالد أنزبجان وخرج الناس في خدمتهما. قال يحيى: فمررنا بالجسر فثار لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به، فأمرت له به، فقبض خمسة آلاف.

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق المهدي معه، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذته وجعه الذي مات فيه، وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في الهواجر، وأخذته إسهال وأفرط به، فقوي مرضه، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذي الحجة، وصلى عليه ودفن بكداء عند ثنية المأسى التي بإعلى مكة، وكان عمره يومئذ ثلاثاً وقليل أربعاً وقليل خمساً وستين سنة، وقيل إنه بلغ ثمانياً وستين سنة قاله أعلم. وقد كتم الربيع الحاجب موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤوس بني هاشم، ثم دفن. وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي، وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة.

وهذه ترجمة المنصور أبي جعفر

هو

■ عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور. وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح، وأمه أم ولد اسمها سلامة.

وروى عن جده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه. وأورد ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به.

يبيع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين على المشهور في صفر منها بالحجيمة من بلاد البلقاء، وكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا أياماً.

وكان أسمر اللون موفر اللمة خفيف اللحية، رحب الجبهة، أفتى الأنف، بين القنأ عين كان عيبه لسانان ناطقان، تحالط أبهة الملك، وتقبله القلوب، وتبعه العميون، يعترف الشرف في تواضعه، والعنف في صورته، والليث في مشيته. هكذا وصفه بعض من رآه.

وقد صح عن ابن عباس أنه قال: «منا السفاح والمنصور والمهدي». وفي رواية «حتى يسلمها إلى عيسى ابن مريم» وقد روي مرفوعاً ولا يصح رفعه.

وذكر الخطيب البغدادي أن أمه سلامة قالت: رأيت حين حملت به

قال: لا تبعث إلي حتى آتيك. فقال: إنا والله لا نلتقي. فقال: عن حاجتي سألتي. فودعه وانصرف. فلما ولي أبيه بصره وهو يقول:

كلكم بمشي رويد كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ويقال: إن عمرو بن عبيد أشد المنصور قصيدة في موعظته إياه وهي قوله:

يا أيها الذي قد غره الأمل ودون ما يائس التنيص والأجل
ألا ترى أما الدنيا وزينتها كَمَزَل الركب حَلَا نُثَّتْ أَرْغَلُوا
خَوْنَهَا رَصَدَ وَغَشَّهَا نَكَدَ وَفُوقَهَا كَسَدَ وَمُلْكُهَا ذُوْ
نَظَلْ تَفَرَّقَ بِالرُّوْعَاتِ سَاكِنَهَا فَمَا يَسُوعُ لَهُ لَبَنٌ وَلَا جَنَلُ
كَأَنَّهُ لِلْمَنَابِ وَالرَّيْ غَرَضُ نَظَلْ فِيهِ بَنَاتُ الدَّعْرِ تَنَضَّلُ
تُدِيرُهُ مَا أَدَارَتْهُ دَوَائِرُهَا مِنْهَا الْمَصِيبُ وَمِنْهَا الْمُخْطَى الزَّلُّ
وَالنَّفْسُ هَارِبَةٌ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهَا وَكُلُّ عَثْرَةٍ رَجُلٍ عِنْدَهَا جَلَلُ
وَالْمَرْءُ يَسَى بِمَا يَسَى لَوَارِثُهُ وَالْقَبْرِ وَارِثُ مَا يَسَى لَهُ الرَّجُلُ

وقال ابن دريد عن الرياشي عن محمد بن سلام قال: رأت جارية للمنصور ثوبه مرقوعاً فقالت: خليفة وقميصه مرقوع؟ فقال: ويحك أما سمعت ما قال ابن هرمة

قد يُدْرِكُ الشرفُ الفنى وَدَاؤُهُ خَلَقَ وَمَعِصْرُ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ
ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم الخراساني:

إِذَا كُنْتُ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزْمٍ فَإِنْ فَادَا السَّرَّاءِ أَنْ تَرْتَدَا
وَلَا تُنْهَلِ الْأَعْدَاءُ يَوْمًا بِقُدْرَةٍ وَيَا بَزْءُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَا
ولما قتله ورواه طريحا بين يديه قال:

قَدْ اكْتَفَيْتُ خَلَاتَ ثَلَاثَ جَلْبَيْنَ عَلَيْكَ عَتَمَ الْجِمَامِ
خِلَانُكَ وَامْتِنَاعُكَ مِنْ بِيحِي وَقَوْلُكَ لِلْجَمَاهِيرِ الْبِظَامِ
ومن شعره أيضاً:

المرءُ يسألُ أن يعيرَ شئَ وطولَ عُمرٍ قد بضره
يُكَلِّسُ بِشَانِئِهِ وَيَسَى بِعَدِ خُلُوِّ الْعِيشِ مُرُهُ
وَيُخَوِّنُهُ الْأَيْبَامُ حَتَّى لَا يَسِرَى شَيْئًا بِسَرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِسِي إِذَا هَلَكَ شَيْءٌ وَقَاتِلٍ لِلَّهِ ذَرُهُ

قالوا: وكان المنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والعزل والنظر في مصالح العامة، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح من بعد ذلك إلى العصر، فإذا صلاها جلس لأهل بيته ونظر في مصالحهم الخاصة، فإذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الأفاق، وجلس عنده من يساره إلى ثلث الليل، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في ليوانه.

وقد ولي بعض العمال على بلد فبلغه أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً والزبابة، فكتب إليه المنصور: تكلتك أمك وعدمتك عشيرتك، ويحك إنا إنما استفيناك أمور المسلمين، ولم نستفكك أمور الوحوش، فلم

فأعلمني، وإن ردما فأعلمني، فما زال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال والجواري، وولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة، وثياب وشارة حسنة، فقال له الخليفة: ويحك! لو كنت عفاً لما قبلت شيئاً مما أرى، ولكن أردت أن يقال عنك: إنك وعظمت أمير المؤمنين، وخرجت عليه، ثم أمر به فضربت عنقه.

وقد قال المنصور لابنه المهدي: إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأتقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه.

وقال أيضاً: يا بني استدم التهمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع والرحمة للناس، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر برجل أن تضرب عنقه وأحضر النظم والسيف، فقال له مبارك: سمعت الحسن يقول قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مَنَاقِبُ لَيْقَمَ مَنَ أَجَرَهُ عَلَى اللَّهِ فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنَ عَفَا» فأمر بالعفو عن ذلك الرجل. ثم أخذ يعدد على جلساته عظيم خزانته وما صنعه.

وقال الأصمعي: أتى المنصور برجل ليعاقبه فقال: يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعفو فضل، ونعيم أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيين، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. قال: فمعا عنه.

وقال الأصمعي: قال المنصور لرجل من أهل الشام: أحمد الله يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولایتنا. فقال: إن الله لا يجمع علينا حسناً وسوءاً كيلاً، ولا يتكم والطاعون.

والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جداً.

ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، قال: فأفهم المنصور قوله وأمر له بمال فقال: لو احتجت إلى مالك ما وعظتك.

وروي عن عمرو بن عبيد القدري أنه دخل على المنصور فأكرمه وأذناه وقربه وسأله عن أهله وعياله، ثم قال له: عظمي. فقرأ عليه سورة الفجر إلى «إِنْ رَيْكَ لَبِائِضَادُ وَهَجَرُ» ١٤ قال: فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل تلك الساعة، ثم قال له: زدني. فقال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صائر لمن بعدك، واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة. فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلقت جفناه. فقال له سليمان بن جبال: رفقاً بأمير المؤمنين. فقال عمرو: وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله عز وجل. ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال: لا حاجة لي فيها. فقال المنصور: والله لتأخذنها. فقال: والله لا آخذنها. فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه: إجلع أمير المؤمنين وتحلف أنت؟ فالتفت إلى المنصور فقال: ومن هذا؟ فقال: هذا أبي محمد المهدي ولي العهد من بعدي. فقال: أسيئته أسما لم يستحقه بعمله هذا، وأبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار، ولقد مهدت له أمراً أمع ما يكون به أشغل ما تكون عنه. ثم التفت إلى المهدي فقال: يا بن أخي! إذا حلف أبوك حلف عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك. ثم قال المنصور: يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: نعم! قال: وما هي؟

ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة اعني سنة ثمان وخمسين ومائة دعا ولده المهدي وليّ عهده فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وسائر المسلمين خيراً، وعلمه كيف يفعل الأشياء ويسد الثغور، بوصايا يطول بسطها وخرج عليه أن لا يفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فإن بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يجب إليهم من الخراج درهم عشر سنين، وعهد إليه أن يقضي ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار، فإنه لم ير قضاءها من بيت المال. فامتثل المهدي ذلك كله. وأجرم للمنصور بمحج وعمرة من الرصافة وساق بدنه وقال: يا بني إني ولدت في ذي الحجة وقد وقع لي أن أموت في ذي الحجة، وهذا الذي خذاني على الحج عامي هذا، وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فما دخل مكة إلا وهو مُتَعَلِّجٌ جداً، فلما كان بأخر منزل نزله دون مكة إذا في صدر منزله مكتوب: (بسم الله الرحمن الرحيم)

أبا جعفرٍ حاتمت وفاتك وانقضت سِرُّكَ وأسرُّ الله لا بُدَّ وإقبعُ أبا جعفرٍ هل كاهنٌ أو مُنْجِمٌ لَكَ اليومَ من كَرَبِ النَّبِيِّ مانعٌ فدعا بالحجة فأمرهم بقراءة ذلك فلم يروا شيئاً فعرفوا أن أجله قد نعي إليه.

قالوا: وراى المنصور في منامه ويقال بل حُفَّ به هاتف وهو يقول:

أما وَرَبُّ السُّكُونِ وَالْحَرَكِ إِنَّ النَّبِيَّ كَثِيرَةَ الشَّرَكِ عَلَيْكَ يَا نَفْسُ إِنَّ أَسَاتِ وَأَنْ أَحْسَنَ يَا نَفْسُ كَانَ ذَاكَ لَكَ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا إِلَّا بِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكِكَ إِذَا انْقَضَى مُلْكُهُ إِلَى مَلِكِكَ حَتَّى يَصِيرَ بِهِ إِلَى مَلِكِكَ مَا عَرُفَ سُلْطَانُهُ بِشَرْكَكَ ذَاكَ بَدِيعُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَرِ سَيَ الْجِبَالِ الْمُسَخَّرِ الْقَلْبُكَ

فقال المنصور: هذا والله أوان حضور أجلي وانقضاء عمري.

وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد الذي بناه وتآلق فيه ناماً أَفْرَعَهُ فقال للربيع: ويحك ياربيع! لقد رأيت ناماً هالتي، رأيت قاتلاً وقف في باب هذا القصر وهو يقول:

كأني بهذا القصر قد بَادَ أَهْلُهُ وَعُزِّيَ مِنْهُ أَفْلُهُ وَمَنَازِلُهُ وَصَارَ رَيْسُ الْقَصْرِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ إِلَى جَدِّتٍ تُبْسَى عَلَيْهِ جَنَادِلُهُ

فما أقام في الخلد إلا أقل من ستة حتى خرج إلى الحج عامه هذا ومرض في طريق مكة، فدخلها مدنفاً قليلاً. وكانت وفاته ليلة السبت لست وقيل لسبع مضين من ذي الحجة. وكان آخر ما تكلم به أن قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ. وقيل: إنه قال يا رب إن كنت عصيتك في أمور كثيرة فقد أظمتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله خلاصاً. ثم مات.

وكان نقش خاتمه: اللَّهُ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ يَوْمَنُ.

وكان عمره يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة على المشهور، منها اثنتان وعشرون سنة خليفة. ودفن بباب الْمُتَعَلِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال ابن جرير [٨٤/٨: ١٠١/٨: ١٠٢]: وما رثي به أبو جعفر المنصور

رحمه الله قول سلم الخاسر الشاعر:

عجيباً للسذي نعى الناعيان كيف فاهت بموته الشفتان

ما كنت تلي من عملنا إلى فلاق والحق بأهلك ملوماً مدحوراً. وأُثِي يوماً بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور: ويحك يا بسن الفاعلة! مثلك يهزم الجيوش؟ فقال الخارجي: وبلك سواة لك بيني وبينك أسس السيف والقتل واليوم القذف والسب، وما يؤمنك أن أرد عليك وقد تست من الحياة فلا تستقيها أبداً. قال فاستحي منه المنصور وأطلقه. فما رأى له وجهاً إلى الحول.

وقال أيضاً: يا بني ليس العاقل من يخال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه، ولكن العاقل الذي يخال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه. وقال المنصور أيضاً يوماً لابنه المهدي: يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعنده من أهل العلم من يحدّثك، فإن الزهري قال: علم الحديث لا يجبه إلا ذكوان الرجال، ولا يكرهه إلا مؤنثونهم، وصدق آخر زهرة.

وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فمال من ذلك جانباً جيداً وطرفاً صالحاً، وقد قيل له يوماً: يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللغات لم تله؟ قال: لا، سوى شيء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدث للشيخ من ذكرت رحلك الله؟ فاجتمع وزرأوه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث، فقال: لستم بهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشقة أرجلهم، الطويلة شعورهم، بُرْدُ الآفاق ونقلة الحديث.

وقال المنصور يوماً لابنه المهدي: كم عندك راية؟ فقال: لا أدري. فقال: هنا هو التقصير، فانت لأمر الخلافة أشد تضييعاً فائق الله يا بني.

وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي: دخلت يوماً على المنصور وهو يشتكي ضرره ويداه على صدغيه فقال لي: كم عندك من المال يا خالصة؟ فقلت: ألف درهم. فقال: ضعي يدي على رأسي واحلفي، فقلت: عندي عشرة آلاف دينار. قال: ادفعي فأحلفها لي. قالت: فذهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخيزران فشكوت إليه ما قال أمير المؤمنين، فوكزني برجله وقال: ويحك! إنه ليس به وجع ولكني سألتك بالأسس مالا تمارض، وإنه لا يسعك إلا ما أمرك به، فذهبت إليه خالصة ومعها عشرة آلاف دينار، فاستدعى بالمهدي فقال له: تشكو الحاجة وهذا كله عند خالصة!

وقال المنصور لحازنه: إذا علمت بمجيء المهدي فانتحي مخلقتان الثياب قبل أن يجيء، ففاجأ بها فوضعها بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقلبها، فجعل المنصور يضحك فقال: يا بني من ليس له خلق ما له جديده، وقد حضر الشتاء فنحتاج نعين العيال والولد. فقال المهدي: علي كسوة أمير المؤمنين وعياله. فقال: دونك فافعل.

وذكر ابن جرير [٨٤/٨: ١٠١/٨: ١٠٢] عن الميثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبعض أعمامه ألف ألف درهم. وفي هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم، ولا يعلم خليفة فرق مثل هذا في يوم واحد.

وقرأ بعض القراء عند المنصور ﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِخْلِ﴾ [النساء: ٣٧] وقال: والله لولا أن المال حصن للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما ما بت ليلة واحدة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً لما أجذ لبذل المال من اللذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل الثوبة.

وقرأ عنده قارئ آخر ﴿وَلَا تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ مَتَلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. فقال: ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل.

وقال المنصور: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن عبد الله يقول: سادة أهل الدنيا في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء.

كثير وجم غفير.

منهم أفلح بن حميد، وحيوة بن شريح، ومعاوية بن صالح بمكة،

■ زفر بن الخليل بن قيس بن سليم بن مكنل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنجد بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مرة بن آذ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي، أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة، وأكثرهم استعمالاً للقياس، وكان عابداً، اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس. ولد سنة ست عشرة ومائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

استهلت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبد الله المهدي بن أبي جعفر المنصور، فبعث في أولها العباس بن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف، وركب معهم مشيعاً لهم، فساروا إليها فافتتحوا مدينة عظيمة للروم، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالين لم يفقد من المسلمين أحد.

ولها توفي

■ حميد بن قحطبة نائب خراسان، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد، وولى حمزة بن مالك سجستان، وولى جبريل بن يحيى سمرقند.

ولها بنى المهدي مسجد الرصافة وخندقها.

ولها جهز المهدي جيشاً كثيراً إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الأتية، وكان من أمرهم ما سنذكره.

ولها توفي نائب السند

■ معبد بن الخليل فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبد الله.

ولها أطلق المهدي من كان في السجون إلا من كان عيباً على دم، أو عن يمين في الأرض فساداً، أو عنده حق لأحد، وكان في جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم، والحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن، وأمر الخليفة بصيرورة الحسن بن إبراهيم إلى نصير الخادم ليحتز عليه. وكان الحسن قد عزم على الهرب من السجن قبل خروجه منه، فلما خرج يعقوب بن داود من السجن صاحب الخليفة بما كان عزم عليه الحسن بن إبراهيم فقلعه الخليفة من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه، وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جداً حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان، وجعله الخليفة على أمور كثيرة فوضها إليه، وأطلق له مائة ألف درهم. وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فسقطت منزلة يعقوب عند المهدي. وقد عزل المهدي نواباً كثيرة عن البلاد وولى بلهم عليها.

وفي هذه السنة تزوج المهدي بآبنة عمه أم عبد الله بنت صالح بن علي، واعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضاً، وهي أم الرشيد.

ولها وقع حريق عظيم في السفن التي بدجلة بغداد.

ولما ولي المهدي سأل عيسى بن موسى - وكان ولي العهد من بعد المهدي - أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع على المهدي، وسأل من المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم، فكتب إلى المهدي: إن عيسى بن موسى لا يأتي

ملك أن عبداً على الدهر يوماً أصبح الدهر ساقطاً للجبران ليت كفاً حثت عليه تواباً لم تعد في يمينها بينان حين دانت له البلاد على العمد ف وأغضى من خوفه الضلان حلك عشرين حجة واثنتان اخلفته قوادح النسيان دح في حبسه فود الأنفسان قباد أعداءه بغير عنان سدي من خوفه على الأذنان خلف اقصاصهم ودون الناسي مل على غارب الشرود الهدان ف وعزم يلوي بكل جنان ذهبت دونه النفوس حناراً غير أن الأرواح في الأبدان وقد دفن المنصور عند باب المعلى بمكة ولا يعرف قبره لأنه عُمي قبره، فإن الربيع الحاجب حفر مائة قبر ودفنه في غيرها لتلا يعرف.

ذكر أولاد المنصور

محمد المهدي وهو ولي عهده من بعده، وجعفر الأكبر مات في حياته، وأمهما أروى بنت منصور: وعيسى، ويعقوب، وسليمان، وأمههم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله. وجعفر الأصغر من أم ولد كردية، وصالح المسكين من أم ولد رومية - يقال لها قالي الفراشة - والقاسم من أم ولد أيضاً والعالية من امرأة من بني أمية.

ذكر خلافة المهدي بن المنصور

لما مات أبو المنصور بمكة لست أو سبع مضي من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت له البيعة بمكة من رؤوس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه، وبعث بالبيعة مع البريد إلى المهدي وهو ببغداد، فوصله البريد يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة، فسلم عليه بالخلافة وأعطاه الكتب بالبيعة، وبأيعه أهل بغداد، ونفذت البيعة إلى سائر الأفاق والأقاليم وقد كان ولي العهد من بعد أبيه.

وذكر ابن جرير [رحمته: ١١٤/٨] أن المنصور قبل موته يوم تحامل وتساند واستدعى بالأمراء فجلد لهم البيعة لابنه المهدي، فتسارعوا إلى ذلك وتبادروا إليه.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه إليه في ذلك، وهو الذي صلى عليه، وقيل: إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي العهد من بعد المهدي، والصحيح الأول، لأنه كان نائب مكة والطائف.

وعلى إمرة المدينة عبد الصمد بن علي، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي - أخو المسبب بن زهير أمير الشرطة للخليفة - وعلى خراسان حميد بن قحطبة، وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة، وعلى صلاتها وقضائها عبد الله بن الحسن العنبري، وعلى أحوالها سعيد بن دعلج.

قال الواقدي: وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد ففوت في خلق

القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لإحضاره إليه، وأمرهم أن يصحبوا مع كل واحد منهم طبلاً، فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم بطلبه، ففعلوا ذلك فارمجت الكوفة، وخاف عيسى بن موسى، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه التشكي، فلم يقبلوا وأخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة يوم الخميس ثلاث خلون من المحرم من هذه السنة، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع، ثم لم تنزل الناس به بالرغبة والرهبة حتى أجاب في يوم الأربعاء لأربع بقين من المحرم بعد العصر، ربيع ولدي أمير المؤمنين موسى وهارون الرشيد صباحة يوم الخميس ثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة صبيحة في إيوان الخلافة، ودخل الأمراء فيأبوا ثم نهض فصعد المهدي المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته، وقام عيسى بن موسى على أول درجة منه، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الإيمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي. ففصل عيسى بن موسى ذلك ويابح المهدي على ذلك. ثم نهض الناس فيأبوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسنانهم، وكتب على عيسى بن موسى مكتوباً مؤكداً بالأيمان البالغه من الطلاق والعناق، وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء وأعيان بني هاشم وغيرهم.

ولمّا وصل عبد الملك بن شهاب المسمعي مئنةً باريد من الهند في جحفل كثير معه فحاصروها ونصبوا عليها الجانيق، وروها بالنفط فأحرقوا منها طائفة، وهلك بشر كثير من أهلها، وقتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاغتلام البحر، فأقاموا هناك فأصابهم داء في أفواههم يقال له حمام قرّ فمات منهم ألف نفس منهم الريح بن صبيح، فلما أمكنهم السير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح ففرق منهم أيضاً، ووصل بقيتهم إلى البصرة ومعهم سبي كثير، فيهم بنت ملكهم.

ولمّا حكم المهدي بإلحاق سب أبي بكره التقي إلى ولاء رسول الله ﷺ وقطع نسبهم من تقيف، وكتب بذلك كتاباً إلى والي البصرة. وقطع نسب من زياد ومن نسب نافع ففي ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار:

إن زياداً ونافعاً وإبسا بكرة عندي من أعجب العجب
فا قرشي كما يقول وفا مولى وهذا بزعمه عري

فذكر ابن جرير [١٣٢/٨] أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك.

وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وخلقاً من الأمراء، منهم يعقوب بن داود على منزله ومكانته، وكان الحسن بن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز، فاستأنل به يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأجرل جائزته، وفرق المهدي في أهل مكة مالا عظيماً جداً كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب، وجاء من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار، فأعطاهما كلها في أهل مكة والمدينة.

وشكت الحجة إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم من كثرة ما عليها من الكسوي، فأمر بتجريدتها من الكسوة، فلما انتهوا إلى كساوي هشام بن عبد الملك وجدها من دياج ثخين جداً، وبقية كساوي الخلفاء قبله ويعد من أهل اليمن، فلما جردها طلائها بالخلفوف وكساها كسوة

الجمعة ولا الجماعة مع الناس إلا شهرين من السنة، وإنه إذا جاء يدخل بدوايه إلى داخل باب المسجد فتروح دوابه حيث يصلي الناس، فكتب إليه المهدي أن يعمل خشباً على أفواه السكك حتى لا يصل الناس إلى الجوامع إلا مشاة، فعلم بذلك عيسى بن موسى فاشتري قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيدة من ورثته - وكانت ملاصقة بالمسجد - وكان يأتي إليها من يوم الخميس، فإذا كان وقت الجمعة ركب حماراً إلى باب المسجد فنزل عنه وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالكلية بالكوفة بأهله، ثم ألح المهدي على عيسى بن موسى في أن يخلع نفسه من ولاية وتوعده إن لم يفعل، ووعده إن فعل فأجابته إلى ذلك فأعطاه أنطاعاً عظيمة. وجعل له من المال عشرة آلاف ألف درهم، وقيل عشرين ألف ألف، ويابح المهدي لولديه من بعده موسى الهادي، ثم هارون الرشيد كما سيأتي.

وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي وكان نائباً على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقاً إليه.

وغالب نواب البلاد قد تغفروا في هذه السنة، غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة، وعلى خراسان أبو عون، وعلى السند بسطام بن عمرو، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة، وعلى اليمن رجاء بن روح، وعلى اليمامة بشر بن المنذر، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح، وعلى المدينة عبد الله بن صفوان الجمحي، وعلى مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن عباس، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي، وعلى خراجها ثابت بن موسى، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي، وعلى أحداث البصرة عمارة بن حمزة وعلى صلاتها عبد الملك بن أيوب بن ظليان النميري، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن العنبري.

ومن توفي فيها من الأعيان

عبد العزيز بن أبي رواد، وعكرمة بن عمار، ومالك بن مغول.

و■ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب المدني: نظير مالك بن أنس في الفقه، وربما أُنكر على مالك أشياء في تركه الأخذ ببعض الأحاديث، لآخذ كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من المسائل.

ثم دخلت سنة ستين ومائة من الهجرة

فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكراً عليه أحواله وسيرته، يقال له يوسف البرم، والتف عليه خلق كثير، وتفاقم أمره وعظم الخطب به، فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقه فاقتلا حتى تنازلا وتعاثقا، فأسر يزيد بن مزيد يوسف هنذا، وأسر جماعة من أصحابه فينبه وعينهم إلى المهدي فأدخلوا عليه، وقد حملوا على جمال محولة وجوههم إلى ناحية أذناب الإبل، فأمر الخليفة هرثة بن أعين أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم تضرب عنقه وأعانق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأكبر مما يلي عسكر المهدي وأطفا الله نارتهم وكفى شرهم.

ذكر البيعة لموسى الهادي وهارون الرشيد

كان الخليفة المهدي قد ألح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه عن ولاية وهو في ذلك كله يمتنع وهو مقيم بالكوفة، فبعث إليه المهدي أحد

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

فيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد فتزل دابق، وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من الدخول إليها بسبب ذلك.

وفيها أمر المهدي بخر الركايا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة وولى على ذلك يقطين بن موسى على ذلك، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، حتى صارت طريق الحجاز من أرفق الطرقات وأمنها وأطيبها.

وفيها وسع المهدي جامع البصرة من قبلته وغريه.

وفيها كتب إلى الأفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد جماعة، وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله ﷺ، ففعل ذلك في المدن كلها.

وفيها اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي عنده، وظهرت عنده خيائته فضم إليه المهدي من يشرف عليه، وكان ممن ضم إليه إسماعيل بن علي، ثم أبعد وأقصاه وأخرجته من معسكره.

وفيها ولي القضاء عافيه بن يزيد الأزدي وكان يحكم هو وابن علالة في عسكر المهدي بالرصافة.

وفيها خرج رجل يقال له المتعمم بخراسان في قرية من قرى مرو، وكان يقول بالتناسخ واتبه على ضلالتة خلق كثير، فجهز له المهدي عدة من امراته وأثد إليه جيوشاً كثيرة، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان، وكان من أمره وأمرهم ما سنكروه.

وحج بالناس في هذه السنة موسى الهادي بن أمير المؤمنين وهو ولي عهد أبيه كما قلنا.

وفيها توفي

إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي.

و■ زائدة بن قدامة:

و■ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد أئمة الإسلام ومجتهدين والمقتد بهم أبو عبد الله الكوفي.

روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم. قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد: هو أمير المؤمنين في الحديث.

وقال ابن المبارك: كتب عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم.

وقال أيوب: ما رأيت كوفياً أفضله عليه.

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أفضل منه.

وقال عبد الله بن داود: ما رأيت أقه من الثوري.

وقال شعبة: ساد الناس بالورع والعلم.

وقال سفيان بن عيينة: أصحاب المناهب ثلاثة: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

وقال الإمام أحمد: لا يتقدمه في قلبي أحد. ثم قال: أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري.

وقال عبد الرزاق: سمعت الثوري يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني. وقال الثوري: لأن أتسرك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن احتاج إلى الناس.

قال محمد بن سعد: أجمعوا أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة.

حسنة جداً، ويقال إنه استغنى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناءة ابن الزبير من موضعها على الوجه الذي كان يؤكده رسول الله ﷺ، فقال مالك: دعها على حالها فإني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبه. فتركها كما كانت.

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة، وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها. ولما دخل المدينة النبوية وسع المسجد النبوي، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن يقص من المنبر ما كان زاده معارية بن أبي سفيان فقال له مالك: إنه يخشى أن يتكسر الخشب العتيق إذا زعزع، فتركه ولم يتعرض له.

وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو العثمانية، وانتخب من أهلها من الأنصار خمسمائة من أعيانها ليكونوا حوله حرساً بالعراق وأنصاراً له وأجرى عليهم أرزاقاً غير أعطيتهم وأطعمهم أقطاعاً معروفة بهم.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الربيع بن صبيح، وسفيان بن حسين، أحد أصحاب الزهري.

و■ شعبة بن الحجاج بن الورد العنكي الأزدي أبو بسطام الواسطي، ثم انتقل إلى البصرة. رأى شعبة الحسن وابن سيرين، وروى عن أمم من التابعين، وحدث عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الإسلام، وهو شيخ الحديثين الملقب فيهم بأمر المؤمنين قاله الثوري.

وقال يحيى بن معين: هو إمام المتقين، وكان في غاية الورع والزهد والتشقق والحفظ وحسن الطريقة.

وقال الشافعي: لولاه ما عرف الحديث بالعراق.

وقال الإمام أحمد: كان أمة وحده في هذا الشأن، ولم يكن في زمانه مثله.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة مأمونا حجة صاحب حديث.

وقال وكيع: إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بلبه عن حديث رسول الله ﷺ.

وقال صالح بن محمد، جزرة: كان شعبة أول من تكلم في الرجال واتبه يحيى القطان ثم أحمد وابن معين.

وقال ابن مهدي: ما رأيت أعقل من مالك، ولا أشد نقشاً من شعبة، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك، ولا أحفظ للحديث من الثوري.

وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلت على شعبة في وقت صلاة الا ورايته يصلي، وكان أبا الفقراء وأهمهم.

وقال النضر بن شميل: ما رأيت أرحم بمسكين منه، كان إذا رأى مسكيناً لا يزال ينظر إليه حتى يغب عنه.

وقال بعضهم: ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده بعظمه.

وقال يحيى القطان: ما رأيت أرق للمسكين منه، كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه.

قال محمد بن سعد وغيره: مات في أول سنة ستين ومائة بالبصرة عن ثمان وسبعين سنة.

همة عالية من العباد.

و ■ داود الطائي، أحد أئمة الصوفية وزهير بن محمد، ويزيد بن إبراهيم التستري.
فاما

■ إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق التميمي، ويقال العجلي، فهو أحد الزهاد أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق، وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق.
وحدث عنه خلق منهم بقية الثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن جيمر، وحكى عنه الأوزاعي.

وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن الثوري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة. قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي جالساً فقلت: يا رسول الله إنك تصلي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع يا أبا هريرة». قال: فبكيت فقال: لا تبك فإن شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا.

ومن طريق بقية عن إبراهيم بن أدهم حدثني أبو إسحاق الميموني عن عمارة بن غزية عن أبي هريرة. قال قال رسول الله ﷺ: «إن الفتنة تجيء فتتلف العباد نسفاً، وينجو العالم منها بعلمه».

قال السائي: هو ثقة مأمون أحد الزهاد.

وذكر أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان، وكان قد حُب إلى الصيد، قال: فخرجت مرة فأثرت ثعلباً ففتفت بهي هاتف من قريوس سرجي: ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. قال: فوقفت وقلت: انتهيت انتهيت، جاءني نذير من رب العالمين. فرجعت إلى أهلي فخلعت عن فرسي وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت منه جبة وكساء ثم ألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي بها الحلال، فسالت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأتيت طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد، وكان يقول: ما تهنتت بالعيش إلا في بلاد الشام. أفر بدني من شاق إلى شاق ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: هو موسوس. ثم دخل البادية ودخل مكة وصحب الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك.

وما روي عنه أنه وجد رجلاً في البادية فعلمه اسم الله الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له: إنما علمك أخني داود اسم الله الأعظم.

ذكره القشيري وابن عساكر عنه: يأسد لا يصح. وفيه أنه قال له: إن إلياس علمك اسم الله الأعظم. وقال إبراهيم: أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار.
وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم اقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم قد غلا فقال: أرخصوه. أي لا تشروه.

وقال بعضهم: هتف به الهاتف قائلاً له من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العيب «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» والوسون: ١١٥ اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة. فتزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة.

وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة، وهو يقرأ «الحمد لله الذي صدّقنا وعَدَّنا وأوثنا الأرض ثبوتاً من الجنة حيث تشاء فنعم أجر العاملين» [الزمر: ٧٤].

■ أبو دلامة زيد بن الجون الشاعر المجن، أحد الظرفاء، أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند المنصور لأنه كان يضحكه ويشده ويمدحه، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور وابنة عمه حمادة بنت عيسى، وكان المنصور قد وجد عليها، فلما شهد القبر نظر إليه المنصور ثم قال لأبي دلامة: ويحك يا أبا دلامة، ما أعددت لهذا؟ فقال: ابنة عم أمير المؤمنين. فضحك المنصور حتى استلقى، ثم قال: ويحك فضحتنا بين الناس.
ودخل يوماً على المهدي يهته يقدمه من سفره وأتشد:

إني حلفت لئن رأيتك سالماً بقرى العراق وأنت ذو وفر
لصلين على النبي محمد ولتسلان ذروهما حجري
فقال المهدي: أما الأول فنعم، وأما الثاني فلا. فقال: هما كلمتان فلا يفرق بينهما. فملاً حجره دراهم، ثم قال له: قم! فقال: إذا ينخرق قميصي فأفرغت في أكياسها ثم قام وأخذها.

وذكر عنه القاضي ابن خلكان أنه مرض ابنه فداواه طبيب فلما عوفي قال له: ليس عندنا ما نعطيك، ولكن أدع على فلان اليهودي مبلغ ما تستحقه حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور. فادعى عليه عند قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى - وقيل ابن شيرمة - فأنكر اليهودي فشهد عليه أبو دلامة وابنه، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التركة فأعطى المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي. وجمع القاضي بين المصالح.

وتوفي أبو دلامة في هذه السنة، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين قاله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة

فيها خرج عبد السلام بن هاشم الشكري بأرض قنسرين واتبه خلق كثير، وقويت شوكة قتالته جماعة من الأمراء، وجهاز إليه المهدي جيوشاً وأنفق فيهم أموالاً جزية فهزمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بعد ذلك. وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفاً من المرتزقة سوى المطوعة، فقهر الروم وحرق بلداناً كثيرة، وغرب أماكن وأسر خلقاً من النوراني.

وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب قالقلا فنعم وسلم وسبي خلقاً كثيراً.

وفيها خرجت طائفة بمجرجان فلبسوا الحمرة لهذا يقال لهم الحمرة مع رجل يقال له عبد القهار، فغزا عمرو بن العلاء من طبرستان فقهر عبد القهار وقتله وأصحابه.

وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والأفانق على المؤمنين والمحبسين، وهذه مثرة عظيمة ومكرمة جسيمة.

وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور

وفيها توفي من الأعيان

إبراهيم بن أدهم: أحد مشاهير العباد ومن أكابر الزهاد. كانت له

وقال شقيق بن إبراهيم: لقيت ابن أدهم بالشام وقد كنت رأيته بالعراق وبين يديه ثلاثون شاكراً. فقلت له: تركت خراسان، وخرجت من نيمتك؟ فقال: قد تبتيت بالعيش هنا، أفر بديني من شامق إلى شامق، فمن يراني يقول: هو موسوس أو حمال أو ملاح، ثم قال: بلغني أنه يؤتى بالفقير يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له: يا عبدي ما لك لم تحج؟ فيقول: يا رب لم تعطني شيئاً أحج به، فيقول الله: صلت عبدي اذهبوا به إلى الجنة.

وعن إبراهيم بن أدهم وقال: أقمت بالشام أربعاً وعشرين سنة لم أقم بها لجهد ولا رباط إنما نزلتها لأشبع من خبز الحلال.

وقال: الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك، فحزنتك على الآخرة وخبرها لك. وحزنتك على الدنيا وزينتها عليك.

وقال: الزهد ثلاثة، واجب، ومستحب وزهد سلامة، فالزهد في الحرام واجب، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب، والزهد عن الشهوات سلامة.

وكان هو وأصحابه يمنعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجعلون في ملحمهم أبزراً.

وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رعى بطيها إلى أصحابه وأكل هو الخبز والزيتون.

وقال إبراهيم بن أدهم: قلة الحرص والطمع تورث الصلح والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث النعم والجزع.

وقال له رجل: هذه جبة أحب أن تقلبها مني. فقال: إن كنت غنياً قبلتها، وإن كنت فقيراً لم أقبلها. قال: أنا غني. قال: كم عندك؟ قال: ألفان. قال: تود أن تكون أربعة آلاف؟ قال: نعم. قال: فأنت فقير، لا أقبلها.

وقال له رجل: لو تزوجت؟ فقال: لو أمكنتني أن أطلق نفسي لطلقتها. ومكث بمكة خمسة عشر يوماً لا شيء معه ولم يكن له زاد سوى الرمل

بالماء، وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة.

وأكل يوماً على حافة الشريعة كميات مبلولة وضعها بين يديه أبو يوسف الغسولي، ثم قام فشرّب من الشريعة ثم جاء واستلقى على قفاه وقال: يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذت العيش. فقال له أبو يوسف: طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم. فبسم إبراهيم وقال: من أين لك هذا الكلام!

وبينما هو يوماً بالمصيصة في جماعة من أصحابه إذ جاءه راكب فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم؟ فأرشد إليه، فقال: يا سيدي أنا غلامك، وإن إيساك قد مات وترك مالا هو عند القاضي، وقد جئتكم بعشرة آلاف درهم لتنفقها عليكم إلى بلخ، وفرس وبغلة. فسكت إبراهيم طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إن كنت صادقاً فالدرهم والفرس والبغلة لك، ولا تخبر به أحداً. ويقال: إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله.

وكان معه بعض أصحابه فمكثوا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلون، فقال له إبراهيم: أدخل إلى هذه النخضة - وكان ذلك في يوم شات - قال: فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فملاّت منه جراحي ثم خرجت، فقال: ما معك؟ قلت: خوخ. فقال: يا ضعيف اليقين! لو صبرت لوجدت رطباً جنيماً، كما زرقت مريم بنت عمران.

وشكا إليه بعض أصحابه الجوع فضلى ركعتين فإذا حوله دنائير كثيرة

وروى ابن عساكر بإسناد فيه نظر عن ابتداء أمر إبراهيم بن أدهم قال: بينما أنا يوماً في منطرة لي يبلغ وإذا شيخ حسن قد استظل بظلها فأخذ بمجامع قلبي، فأمرت غلامي فطلبه فدخل فعرضت عليه الطعام فأبى فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من وراء النهر. قلت: أين تريد؟ قال الحج. قلت في هذا الوقت؟ - وكان أول يوم من ذي الحجة أو ثانيه - فقال: يفعل الله ما يشاء. فقلت: الصعبة. قال: إن أحبيت ذلك فموسعك الليل فلما كان الليل جاني فقال: قم بسم الله فأخذت ثياب سفري وسرنا غشي كأنما الأرض تجذب من تحتنا، ونحن نمر على البلدان وتقول: هذه فلانة هذه فلانة، فإذا كان الصباح فارقتي ويقول: موعلك الليل، فإذا كان الليل جاني. فالتفتنا إلى مدينة النبي ﷺ ثم سرنا إلى مكة فجتناها ليلاً فقصينا الحج مع الناس ثم رجعنا إلى الشام فزنا بين المقدس وقال: إني عازم على المقام بالشام، ورجعت أنا إلى بلدي بليخ أسير سير الضعفاء حتى رجعت إليها ولم أسأله عن اسمه، فكان ذلك أول أمري.

وروي من وجه آخر فيه نظر.

وقال أبو حاتم الرازي عن أبي نعيم عن سفیان الثوري قال: كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً.

وقال عبد الله بن المبارك: كان إبراهيم رجلاً فاضلاً له سرائر وما رأيته يظهر تسيحاً ولا شيئاً من علمه ولا أكل مع أحد طعاماً إلا كان آخر من يرفع يديه.

وقال بشر بن الحارث الحافي: أروية رفعهم الله بطيب المطعم، إبراهيم بن أدهم، وسليمان الخواص وهيب بن الورد، ويوسف بن أسباط.

وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال: إنما سمع إبراهيم بن أدهم من منصور حديثاً واحداً فأخذ به فساد أهل زمانه. قال: حدثنا منصور عن رمعي بن خراش قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلي على عمل يجني الله عليه ويجني الناس قال: إذا أردت أن يحبك الله فابنض الدنيا، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فابنض إليهم.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبو الربيع عن إدريس قال: جلس إبراهيم بن أدهم إلى بعض العلماء فجعلوا يتناكرون الحديث وإبراهيم ساكت، ثم قال: حدثنا منصور ثم سكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس، فعاتبه بعض أصحابه في ذلك! فقال: إني لأخشى مضرة ذلك المجلس في قلبي إلى اليوم. وقال رشدين بن سعد: مر إبراهيم بن أدهم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال: لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم. فقام الأوزاعي وتركهم.

وقال إبراهيم بن بشار قيل لابن أدهم: لم تكب الحديث؟ فقال: إني مشغول بثلاث، بالشكر على النعم، وبالإستغفار من الذنوب، وبالإستعداد للموت، ثم صاح وغشي عليه فسمعوا هاتفاً يقول: لا تدخلوا بيبي وبين أوليائي.

وقال أبو حنيفة يوماً لإبراهيم بن أدهم: قد زرقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن العلم من بسالك فإنه رأس العبادة وقوام الدين. فقال له إبراهيم: وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من بالك وإلا هلك.

وقال إبراهيم بن أدهم: ماذا أنسم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم، إنما يسأل هؤلاء المساكين؛ يعني: الأغنياء.

فقال لصاحبه: خذ منها ديناراً، فأخذته واشترى لهم به طعاماً.

وذكروا أنه كان يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشتري الخبز الأبيض والزراد وتارة الشواء والجرذيات والخبص فطعمه أصحابه وهو صائم، فإذا أفطر يأكل من رديء الطعام ويمرح نفسه المطعم الطيب لير به الناس تأليفاً لهم وتحبباً وتدوداً إليهم.

وأضاف الأوزاعي لإبراهيم بن أدهم فقصر لإبراهيم في الأكل فقال: ما لك قصر؟ فقال: لأنك قصرت في الطعام. ثم عمل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي: أما تخاف أن يكون سرفاً؟ فقال: لا إنما السرف ما كان في معصية الله، فأما ما أتقنه الرجل على إخوانه فهو من الدين.

وذكروا أنه حصد مرة بعشرين ديناراً، فجلس مرة عند حجام هو وصاحب له ليحلق رؤسهم ويجمهم، فكانه تبرم بهم واشتغل عنهم بغيرهم، فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال: ماذا تريدون؟ قال إبراهيم: أريد أن تحلق رأسي وتجمعي، ففعل ذلك فأعطاه إبراهيم تلك العشرين ديناراً، وقال: أردت أن لا تحرق بعدلماً فقيراً أبداً.

وقال مضاه بن عيسى: ما فاق إبراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخاء.

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: فروا من الناس كفراركم من الأسد الضاري، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة.

وكان إذا سافر مع أحد من أصحابه يخلمه إبراهيم، وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هية له وإجلالا.

وربما تسامر هو وصفيان الثوري في الليلة الثامنة إلى الصباح، وكان الثوري يتحضر معه في الكلام.

ورأى رجلاً فقيل له: هذا قاتل خالك، فذهب إليه وسلم عليه وأهدى له وقال: بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة المتقين حتى يأمنه عدوه.

وقال له رجل: طوبى لك أفنيت عمرك في العبادة وتركيت الدنيا والزوجات. فقال: ألك عيال؟ قال: نعم. فقال: لروعة الرجل يعياله - يعني في بعض الأحيان من الفاقة - أفضل من عبادة كذا وكذا سنة.

ورأه الأوزاعي ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال: يا أبا إسحاق إن إخوانك يكتفونك هذا. فقال له: اسكت يا أبا عمرو! فقد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة.

وخرج إبراهيم ابن أدهم من بيت المقدس فمر بطبرية فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا: أنت عبيد؟ قال: نعم. قالوا: أبتى؟ قال: نعم فسجنوه. فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجاءوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا: علام حُجست؟ إبراهيم بن أدهم؟ قال: ما سجنه. قالوا: بلى هو في سجنك. فاستحضره فقال: علام سجنك. فقال: سئل المسلحة، قالوا: أنت عبيد؟ قلت: نعم وأنا عبد الله. قالوا: وأنت أبتى؟ قلت: نعم وأنا عبد أبتى من دنوبي، فخلني سبيله.

وذكروا أنه مر مع رقعة فإذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن أدهم فقال له: يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فعمودك على بطنك. قالوا: فولى السبع فأهبا يضرب بطنه، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركتك الذي لا يرام، وارحنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجلؤنا يا الله يا الله، يا الله. قال خلف بن عيم فما زلت أوقها منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره.

وقد روي لنا شواهد من وجوه آخر.

وروي أنه كان يصلي ذات ليلة فجاءه أسد ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فربض قريباً منه، وجاء الثاني ففعل كذلك، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك، واستمر إبراهيم في صلاته، فلما كان وقت السحر قال لهم: إن كنتم أمرتم بشيء فلهم، وإلا فانصرفوا فانصرفوا.

وصعد مرة جبلاً بمكة ومعه جماعة فقال لهم: لو أن ولياً من أولياء الله قال لجبل زل لزال، فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال: اسكن فلانما ضربتك مثلاً لأصحابي، وفي رواية: وكان الجبل أبا قيس.

وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج، وأيقظوه وقالوا: ألا ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس هذه بشدة، إنما الشدة الحاجة إلى الناس. ثم قال: اللهم أرنا قدرتك فارنا عفوك، فصار البحر كأنه قدح زيت.

وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين وألح عليه، فقال له: اذهب معي حتى أعطيك ديناراً، فخرج معه مرة إلى جزيرة في البحر فتوضأ إبراهيم وصلى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد ملأ دنائير، فقال له: خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد.

وعن حنيفة المرعشي قال: أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً، فقال لي: كأنك جائع، قلت: نعم. فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال، المثار إليه بكل معنى.

أنا حامد شاكر أنا ذاكر أنا أنا جائع أنا نافع أنا عاري هي سنة وأنا الضمين لنصفها تكن الضمين لنصفها فأجر عبيدك من دخول النار مدحي لغريك وهج نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار.

ثم قال لي: اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى، وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه، فخرجت فإذا رجل على بقة فدفعتها إليه فلما قرأها بكى ودفع لي ستمائة دينار وانصرفت، فسألت رجلاً: من هذا الذي على البقة؟ فقال: هذا رجل نصراني. فبحث إبراهيم فأخبرته فقال: الآن يجيء فيسلم. فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم.

وكان إبراهيم يقول: دارنا أماناً وحياتنا بعد وفاتنا. فإذا إلى الجنة وإما إلى النار.

وكان يقول: مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعوته لقبض روحك وانظر كيف تكون، ومثل له هول المطلع ومساءلة منكر ونكير وانظر كيف تكون. ومثل له القيامة وأهوالها وأزاعها والعرض والحساب، وانظر كيف تكون. ثم صرخ صرخة خر مشتماً عليه.

ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له: لا تطمع فيما لا يكون، ولا تياس بما يكون. فقيل له: كيف هذا يا أبا إسحاق؟ فقال: لا تطمع في البقاء والموت يطلبك، فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين يذهب إلى جنة أم إلى نار؟ ولا تنس ما يكون الموت يأتيك صباحاً أو مساءً. ثم قال: أوه أوه! ثم خر مشتماً عليه.

وكان يقول: ما لنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا. ثم يقول: كلكم عبد أمة أحب الدنيا ونسي ما في خزائن مولا.

وقال: إذا كنت بالليل نائماً وبالنهار هائماً وفي المعاصي دائماً فكيف

يرضى من كان هو بأمورك قائماً.

ورأه بعض أصحابه بمسجد بيروت وهو يكي ويضرب يديه على رأسه، فقال: ما يكيك؟ فقال: ذكرت يوماً تغلب فيه القلوب والأبصار. وقال: إنك كلما أمعنت النظر في مرآة التوبة بان لك قبيح شين المعصية.

وكتب إلى الثوري: من عرف ما يطلب هان عليه ما يذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطلق أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه. وسأله بعض الولاة: من أين معيشتك؟ فأنشأ يقول:

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع
وكان كثيراً ما يمثل بهذه الآيات:

لما توعد الدنيا به من شرورها يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والأفما يكيه منها وإنها لأروح مما كان فيه وأوسع
إذا أبصر الدنيا استهل كأنها يرى ما سيقى من أذاها ويسمع
وكان يمثل أيضاً:

رأيت الذنوب قيمت القلوب وتبعها الذل إيمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وغير للنفس عصيانها
وما أهلك الدين إلا الملوك وأجبار سوء رهبانها
وباعوا النفوس فلم يرجعوا ولم يغفل بالبيع أثمانها
لقد وقّع القوم في جيفة تبين لذي اللب أثنائها

وقال إبراهيم بن أدهم: إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك، والاشتغال عن غيرهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل من قلب ذليل لرب جليل، فكر في ذنبك وتب إلى ربك بيت الورع في قلبك، واقطع الطمع إلا من ربك.

وقال أيضاً: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يفضضه حبيبك، ذم مولانا الدنيا فمدحناها، وأبغضها فأحببناها، وزهدنا فيها فأكثرناها ورغبنا في طلبها، ووعدكم خراب الدنيا فحسبتموها، ونهاكم عن طلبها فطلبتموها، وأنزلكم الكنوز فكثرتموها، وعصمتكم إلى هذه الغرارة دواعيها، فأجتمت مسرعين متاديبها، خدعتكم بغرورها، ومتكم فائقتم خاضعين لأمانيتها تترغون في زهراتها، وتسعون في لذاتها وتقبلون في شهواتها، وتلوثون ببتعاتها، تبشون بمخالف الحرص عن خزائنها، وتحفرون بمعاول الطمع في معادنها.

وشكى رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة العيال فقال: ابعد إلي منهم من لا رزقه على الله فسكت الرجل.

وقال إبراهيم بن أدهم: مرت في بعض جبال الشام فإذا بمجر مكتوب عليه بالعربية:

كل حسي وإن بقي فمن العمر يستحي
فأعمل اليوم واجتهد وأحذر الموت يا شقي

قال: فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي، وإذا برجل أشعر أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال: مم تكي؟ فقلت: من هنا. فأخذ يدي ومضى غير بعيد فإذا صخرة عظيمة مثل الخراب فقال: اقرأ وابك ولا تقصر. وقام هو يصلي فإذا في أعلاه نقش عربي بين:

لا تنفسي جاهاً وجاهك ساقط عند المليك وكن لجاهك مصلحاً
وفي الجانب الآخر نقش بين لحي:

من لم يبق بالقضاء والقدر لأقوى هموماً كبيرة الضرر
وفي الجانب الأيسر منه نقش بين عربي:

ما أزين التقي وما أتبع الخبا وكل ماخوذ بما جنى وعند الله الجزا
وفي أسفل المحراب فوق الأرض بنواخ أو أكثر:

إمسا الفسوز والغنسى في تقى الله والمعمل
قال: فلما فرغت من القراءة التفت فإذا ليس الرجل هناك، فما أدري انصرف أم حجب عني.

وقال إبراهيم بن أدهم: أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان، ومن وفى العمل وفي له الأجر، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير.

وقال أيضاً: كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص بمنزلة واحدة، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة، وكل من خدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة.

وقال: ما ينبغي لمن ذل لله في طاعته أن يذل لغير الله في مجاعته، فكيف بمن هو يتقلب في نعم الله وكفايته.

وقال أيضاً: أعربنا في كلامنا فلم نلحن، ولحنا في أعمالنا فلم نعرب. وقال: كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من غيره.

وقال إبراهيم لأصحابه: جانبوا الناس ولا تقطعوا عن جمعة ولا جماعة.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رام بن الأستريادي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد الحميدي الشيرازي أن أبا القاضي أحمد بن محمود بن خرزاد الأهوازي حدثني علي بن محمد القصري حدثني أحمد بن محمد الحلبي سمعت سري السقطي يقول: سمعت بشر بن الحارث الحافي يقول: قال إبراهيم بن أدهم: وقفت على راهب في جبل لبنان فأشرف علي فقلت له: عظمي فأنشأ يقول:

خذ عن الناس جانباً كي يمدوك راهباً
إن دهرراً أظلمني قد أرائني العجائباً

قلب الناس كيف شئت تعبدتهم عقارباً
قال بشر: فقلت لإبراهيم: هذه موعظة الراهب لك، فعظمي أنت.

فأنشأ يقول:

توحش من الإخوان لا تبغ مؤنساً ولا تتخذ خلا ولا تبغ صاحباً
وكن سامري الفصل من نسل آدم وكن أوحدياً ما فلدت مجانباً

فقد فسد الإخوان والحب والإخا فليست ترى إلا ملوكاً وكناباً
فقلت ولولا أن يقال ملعده وتكر حالتي لقد صرت راهباً

قال سري: فقلت لبشر: هذه موعظة إبراهيم لك فعظمي أنت، فقال: عليك بلزوم بيتك. فقلت: بلغني عن الحسن أنه قال: لولا الليل وملاقاة الإخوان ما كنت أبالي متى مت. فأنشأ بشر يقول:

يا من يسر برؤية الإخوان مهلاً أنت مكايد الشيطان
خلت القلوب من المعاد وذكره وتشاغلوا بالحرص والخران

تتابها على هواها، فذاك أعضل دائك، واستشعر الخوف من الله تعالى بخلافها، وكرر على قلبك ذكر نعمتها وأوصافها، فإنها الأمانة بالسوء والفحشاء، والمروءة من أطاعها موارد العطب والبلاء، واعمد في جميع أمورك إلى تحري الصدق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل دار الخلد قراره ومأواه ثم أنشد لنفسه: إن كنت تبغي الرشاد عضداً في أمر دنياك والمعاد فخالف النفس في هواها إن الهوى جامع الفساد

قال الحافظ ابن عساكر: المحفوظ أن إبراهيم بن أدهم توفي سنة ثنتين وستين ومائة.

وقال غيره: سنة إحدى وقيل: سنة ثلاث. والصحيح ما قاله ابن عساكر كما ذكرنا والله الحمد.

وذكرنا أنه توفي في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مريض، وأنه ذهب إلى الخلاة ليلة وفاته نحواً من عشرين مرة، وكل مرة يمدد الوضوء بعدها، فلما كانت غشية الموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على التوس ومات وهو كذلك رحمه الله وأكرم مثواه.

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي: حدثنا محمد بن علي بن زيد الصائغ قال سمعت الشافعي يقول سمعت السري بن حيان يقول وكان سفيان معجباً به.

أجاعتهم الدنيا فجاءوا ولم يزل كذلك ذو التقوى عن العيش ملجأ أخو طيء داود منهم ومصر ومنهم وهيب والغريب ابن أدهم وفي ابن سعيد قدة البر والنهي وفي الوارث القاروق صنفاً مقدماً وحسبك منهم بالفضل مع ابنه ويوسف إن لم يبال أن يسلماً أولئك أصحابي وأهل مودتي فصلى عليهم ذو الجلال وسلمما

فما ضرنا التقوى نصال أسنة وما زال ذو التقوى أعز وأكرماً وما زالت التقوى تريك على الفتى إذا تحشش التقوى من المز ميسما

وروى البخاري في كتاب الأدب [١٢٥٣] عن إبراهيم بن أدهم وأخرج الترمذي في جامعه حديثاً معلقاً [٩٤] في المسح على الخفين. والله سبحانه أعلم.

وأما ■ داود الطائي فله:

■ داود بن نصير الطائي أبو سليمان الكوفي الفقيه الزاهد، أخذ الفقه عن أبي حنيفة.

وقال سفيان بن عيينة: ثم ترك طلب الفقه وأقبل على العبادة ودفن كبة.

قال عبد الله بن المبارك: وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي. وقال يحيى بن معين: كان ثقة. وقال الخطيب البغدادي: ترك الفقه وأقبل على العبادة حتى مات وقد قدم على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة.

مات في سنة ستين ومائة، وقيل: في سنة خمس وستين ومائة. وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ثنتين وستين ومائة - والله أعلم.

صارت مجالس من ترى وحديثهم في هتك مستور وخلق قرآسي قال الحلبي: قلت لسري: هذه موعظة بشر لك فعظني أنت. فقال: عليك بالإخلاق قلت إني أحب ذاك، فأشأ يقول:

يا من يروم بزعمه إخالاً إن كان حقاً فاستعد خصالاً ترك المجالس والتذاكر يا أخسي واجعل خروجك للصلاة خيالاً بل كن بها حياً كأنك ميت لا يرغبى منه القريب وصلاً

قال علي بن محمد القصري: قلت للحلبي: هذه موعظة سري لك فعظني أنت. فقال: يا أخي أحب الأعمال إلى الله ما اصدر إليه من قلب زاهد في الدنيا، فازهد في الدنيا فيحك الله. ثم أنشأ يقول:

أنست في دار شئناات فتأهب لشئنااتك واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك واجعل الفطر إذا صمته يوم وفنااتك

قال ابن خرزاد: قلت لعلي: هذه موعظة الحلبي لك فعظني أنت. فقال لي: احفظ وقتك واسخ بنفسك لله عز وجل، وانزع قيمة الأشياء من قلبك يصفو لك بذلك شرك ويترك به ذكرك. ثم أنشدني:

حياتك أنفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت به جزءاً فتصبح في نقص ونمسي بمثلته ومالك معقول تحس به رزماً يمتك ما يمتك في كل ساعة ويحدوك حاو ما يريد بك الهزماً

قال أبو محمد قلت لأحمد: هذه موعظة علي لك فعظني. فقال: يا أخي عليك بلزوم الطاعة وإياك أن تبرح من باب القناعة، وأصلح مشراك، ولا تؤثر هواك، ولا تبع آخرتك ببنيك، واشتغل بما يعينك بترك ما لا يعينك. ثم أنشدني:

ندمت على ما كان مني ندماً ومن يتبع ما تشتهي النفس يندم فخافوا لي كما تافوا بعد موتكم ستلقون رباً عادلاً ليس يظلم فليس لغرور بنيائه زاجر سيندم إن زلت به التحل فاعلم

قال القاضي أبو محمد بن رامين: قلت لأبي محمد: هذه موعظة أحمد لك فعظني أنت. فقال: أعلم رحمة الله أن الله عز وجل ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهموها، فانظر أين أنزلت قلبك، وأعلم أن تقرب القلوب على حسب ما قرب إليها، وتقرب منه على حسب ما قرب إليها، فانظر من القريب من قلبك. وأنشدني:

قلوب رجال في الحجاب نزول وأرواحهم فيما هناك حلول بروج نعيم الأنس في عز قربه بسفراد توحيد المليك تحول لهم بفناء القرب من محض بره عوائد بسذل خطبهن جليل

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: قلت للقاضي أبي محمد بن رامين: هذه موعظة الحميدي لك فعظني أنت. فقال: اتق الله وثق به ولا تهمة فإن اختياره لك خير من اختيارك لنفسك. وأنشدني:

انخذ الله صاحباً وفر الناس جانباً جرب الناس كيف شئت تجدهم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصوري: قلت للخطيب البغدادي: هذه موعظة ابن رامين لك فعظني أنت. فقال: احذر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن

مذهب جبلي، وكان معتزلاً للسلطان. توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة رحمه الله.

■ همام بن يحيى.

■ يحيى بن أبي أيوب المصري.

■ عبيدة بنت أبي كلاب العابدلة، بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت. وكانت تقول: أشتكي الموت فلاني أخشى أن أجني على نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم، فأقبل إليه ميخائيل البطريق في نحو من تسعين ألفاً، فيهم طازاذ الأرمني البطريق فقتل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف - فأراد المهدي ضرب عنقه فكلم فيه فحبسه في المطبق.

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصراً من لبن بيعسا باذ، ثم عزم على الذهاب إلى الحج فقلّ الماء أصابه حمى فرجع من أثناء الطريق، فمطش الناس في الرجعة حتى كاد بعضهم يهلك، فغضب المهدي على يقطين صاحب المصانع، وبعث من حيث رجع صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس فحج بهم عائثاً.

وفيها توفي

■ حاد الراوية في قول، وكان من أعلم الناس بأيام الناس، والشعر والعربية والأدب، وقد كانت بنو أمية تعظمه وتُسي جازتته، وقد دخل على المنصور والمهدي، وشييان بن عبد الرحمن النحوي، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

فيها جهز المهدي ولده هارون الرشيد لغزو الصائفة، وأنفذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وأربعة وتسعين رجلاً، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار، وثلاثة وتسعون ألف دينار، وأربعمائة وخمسون ديناراً، ومن الفضة أحد وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف، وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم.

قال ابن جرير (١٥٢/٨: ١٥٣).

فبلغ هارون بمجوده خليج البحر الذي على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ أغسطة امرأة أليون، ومعهما ابنها في حجرها من الملك الذي توفي عنها، فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعين ألف دينار في كل سنة، فقبل ذلك منها، وذلك بعد ما قتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسين ألفاً وأسر من الذراري خمسة آلاف رأس وستمئة وثلاثة وأربعين رأساً، وقتل من الأسرى ألفي أسير صبراً، وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس، وبيع البرفون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم. فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة:

أطقت بقسطنطينية الروم مسنداً إليها القنا حتى اكسى النذل سُووها

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

فيها حصر المقتع الزنديق الذي كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ، واتبه على جهالة وضلالته خلق من الطعام وسفهاء الأنام، والسفلة من العوام، ومنعوه من الجنود في ذلك العام فلما كان في هذا العام لجأ إلى قلعة كش فحاصره سعيد الحرشي فألح عليه في الحصار، فلما أحس بالغلبة نحس سماً وسمّ نساءه فماتوا جميعاً، عليهم لعائن الله، ودخل الجيش الإسلامي قلعة فاحتروا رأسه وبعثوا به إلى المهدي، وكان المهدي حين جاءه رأس المقتع مجلب.

قال ابن خلكان: كان اسم المقتع عطاء، وقيل حكيم، والأول أشهر، وكان أولاً قصاراً ثم ادعى الربوبية، مع أنه كان أعور قبيح المنظر، وكان يتخذ له وجهاً من ذهب، وتابعه على جهالة خلق كثير، وكان يرى الناس قرماً يرى من مسيرة شهرين ثم يغيب، فمظلم اعتقادهم فيه ومنعوه بالسلاح، وكان يزعم لعنه الله وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً أن الله ظهر في صورة آدم، ولهذا سجدت له الملائكة، ثم في نوح، ثم في الأنبياء واحداً واحداً، ثم تقول إلى أبي مسلم الخراساني، ثم تقول إليه. ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جدها بناحية كش مما وراء النهر ويقال لها سناب، سقى نساءه وأهله سماً ونحساً هو أيضاً منه فماتوا واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله.

وفيها جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم، وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد، وخرج من بغداد مشيعاً له، فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي، وكان في هذا الجيش الحسن بن قحطبة والربيع الحجابي وخالد بن برمك - وهو مثل الوزير للرشيد ولي العهد - ويحيى بن خالد - وهو كاتبه وإليه النفقات - وما زال المهدي مع ولده مشيعاً له حتى بلغ درب الروم عند جيحان، وارتاد هناك المدينة المسماة بالهيدية في بلاد الروم، ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس، فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة جداً، وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر جبيل لم يكن لغيره، وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجزل عطائه.

وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة، وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي. وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب وأذربيجان وأرمينية، وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك، وولى وعزل جماعة من النواب.

وحج بالناس فيها علي بن المهدي.

وفيها توفي

■ إبراهيم بن طهمان.

■ حريز بن عثمان الرحبي الحمصي.

■ موسى بن عَمِّي اللخمي المصري.

■ شعيب بن أبي حمزة.

■ عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور، وإليه ينسب قصر عيسى، ونهر عيسى ببغداد قال يحيى بن معين: كان له

وما رمتها حتى أشك ملوكها بجزيمها والحرب تغلي قدورها

وحج بالناس في هذه السنة صالح بن أبي جعفر المنصور.
وفيهما توفي:

■ سليمان بن المغيرة.

و ■ عبد الله بن العلاء بن زّور.

و ■ عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان.

و ■ وهيب بن خالد.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في الحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أبهة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره.

وفيهما أخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى الهادي، ولقب هارون بالرشيد.

وفيهما سخط المهدي على يعقوب بن داود وكان قد حظي عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة، وفي ذلك يقول بشار بن برد:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الثغف والسرود

فلم تزل الساعة والرشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجه عليه، كلما سعوا به إليه دخل إليه فاصلح أمره عنده، حتى وقع من أمره ما سأذكره، وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأشواط الفرش والأوان الحرير، وحول ذلك المكان أشجار مزهرة بأشواط الأزهير، فقال: يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت شيئاً أحسن منه. فقال: هو لك بما فيه، وهذه الجارية ليم بها سرورك، ولي إليك حاجة أحب أن قضيتها لي. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: حتى تقول نعم. فقلت يا أمير المؤمنين وعليّ السمع والطاعة: فقال: أكله؟ فقلت: أكله. قال: وحيات رأسك قلت: وحيات رأسك. فقال: ضع يدك على رأسي وقل ذلك، ففعلت. فقال: إن ههنا رجلاً من العلويين أحب أن تكفيته. والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب. فقلت: نعم، فقال: وعجل علي، ثم أمر بتحويل ما في ذلك المجلس من الفرش إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية، فما فرحت بشيء فرحي بها، فلما صارت بمنزلي حجبتها في جانب الدار في الخلد، فأمرت بذلك العلوي فجيء به فجلس لي فتكلم، فما رأيت أعقل منه ولا أفهم. ثم قال لي: يا يعقوب تلقى الله بدعي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ فقلت: لا والله ولكن اذهب حيث شئت. فقال: إني أختار بلاد كنا وكلنا. فقلت: اذهب كيف شئت، ولا

يظهرون عليك المهدي فهلك أهلك فخرج من عندي وجهزت معه رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد، ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علماً بما جرى، فبعت بخادمها إلى المهدي فأعلمه بذلك، وقالت له: هذا الذي قد أثرته بي، قد فعل كذا وكذا. فغضب المهدي، وبعث المهدي إلى تلك الطريق فردوا ذلك العلوي فحبسه عنده في بيت من دار الخلافة، وأرسل إليّ في اليوم فذهبت وأنا لا استشعر أمر العلوي، فلما دخلت عليه قال: ما فعل العلوي؟ قلت: مات. قال: أكله؟ قلت: أكله. قال: فضع يدك على

رأسي واحلف بحياته، ففعلت. فقال: يا غلام أخرج ما في هذا البيت، فخرج العلوي فأسقط في يدي، فقال المهدي: دمك لي حلال، ثم أمر به فائق في ير في المطبق. قال يعقوب: فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر، فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهائم، ثم مضت عليّ مند متطولة، فينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر التي في ذلك المطبق فقيل لي: سلم على أمير المؤمنين. فسلمت وأنا أظنه المهدي، فلما ذكرت المهدي في كلامي قال: رحم الله المهدي. فقلت: الهادي؟ فقال: رحم الله الهادي. فقلت: الرشيد؟ قال نعم. فقلت: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل بي من الضعف والعلّة، فإن رأيت أن تطلقني. فقال: أين تريد تنهب؟ قلت: مكة. فقال: اذهب راشداً، فسار إلى مكة فما لبث بها إلا قليلاً حتى مات رحمه الله تعالى.

وقد كان يعقوب هذا يعظ المهدي في تعاطيه شرب النبيذ بين يديه، وكثرة سماع الغناء ويلومه على ذلك ويقول: ما على هذا استوزرتني، ولا على هذا صحبتك، أبعد الصلوات الخمس في المسجد الحرام يشرب عنده النبيذ ويغني بين يديك؟ فيقول: فقد سمع عبد الله بن جعفر، فقال: إن ذلك لم يكن من حسناته، ولو كان هنا قرية لكسان كلما داوم عليه العبد كان أفضل.

وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً وأقبل على صهبا طيبة النشر
وفيهما ذهب المهدي إلى قصره المسمى بقصر السلام بعيسا باذ - بني له بالأجر بعد القصر الأول الذي كان بالبلن - فسكنه وضرب هناك الدراهم والدنانير.

وفيهما أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يفعل هذا قبل هذه السنة.

وفيهما خرج موسى الهادي إلى جرجان. وقد جعل على القضاء أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة.

وفيهما حج بالناس لإبراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة. ولم يكن في هذه السنة صائفة للهندة التي كانت بين الرشيد وبين الروم.

وفيهما توفي:

■ صدقة بن عبد الله السمين.

و ■ أبو الأشهب الطاطري.

■ أبو بكر النهشلي.

و ■ غفر بن معدان.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

فيها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله، وجعل على رسالته إبان بن صدقة.

وفيهما توفي عيسى بن موسى الذي كان وليّ العهد من بعد المهدي فخلع وكانت وفاته بالكوفة فأشهد نائبها روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الأعيان، ثم دفن. وكان قد امتنع من الصلاة عليه فبلغ ذلك المهدي فكتب إليه يعتقه أشد التعنيف، وأمر بمحاسبه على عمله.

وفيهما عزل المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل

■ الحسن بن صالح بن حمي، وحامد بن سلمة، والريح بن مسلم، وسعيد بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن مسلم.

■ عتبة الغلام: وهو عتبة بن أبان بن صمعة أحد العباد المشهورين والبيكائين المذكورين، كان يأكل من عمل يده في الخوص، ويصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح.

والقاسم الحذائي، وأبو هلال محمد بن سليم، وعمر بن طلحة، وأبو حزة السكري محمد بن ميمون.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

ففيها في رمضان منها نقضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصلح الذي عقده هارون الرشيد عن أمر أبيه المهدي، ولم يستمروا على الصلح إلا ثنتين وثلاثين شهراً، فبعث نائب الجزيرة خيلاً إلى الروم فقتلوا وأسروا وغنموا وسلموا والله الحمد.

وفيهما اتخذ المهدي دواوين الأزمة ولم يكن بنو أمية يعرفون ذلك.

وفيهما حج بالناس علي بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ربطة.

وفيهما توفي من الأعيان

■ الحسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب، ولاء المنصور للمدينة خمس سنين، ثم غضب عليه فعزله وحجبه وأخذ جميع ماله.

■ حماد عجرد، كان ظريفاً ماجناً شاعراً، وكان ممن يعاشر الوليد بن يزيد ويهاجي بشار بن برد. وقدم على المهدي ونزل الكوفة وانهم بالزندقة. قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء: ثلاثة حمادون بالكوفة يرمسون بالزندقة. حماد الراوية، وحماد عجرد، وحماد بن الزبرقان النحوي. وكانوا يتعاشرون ويتماجنون.

و ■ خارجة بن مصعب.

و ■ عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحر العنبري، قاضي البصرة بعد سوار. سمع خالداً الحذاء وداود بن أبي هند، وسعيد الجريدي. وروى عنه ابن مهدي. وكان ثقة فقيهاً له اختيارات تعزى إليه غريبة في الأصول والفروع، وقد سئل مرة عن مسألة فأخطأ في الجواب فقال له قائل: الحكم فيها كذا وكذا. فأطرق ساعة ثم قال: إذا أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل، توفي في ذي القعدة من هذه السنة. وقيل بعد ذلك بعشر سنين فإله أعلم.

■ غوث بن سليمان بن زياد بن ربيعة بن نعيم أبو يحيى الجرهمي، قاضي مصر، كان من خيار الحكام، ولي الديار المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي.

و ■ فليح بن سليمان.

و ■ قيس بن الريح في قول.

و ■ محمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك، أبو اليسر العقيلي، قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمهدي، هو وعافية بن يزيد القاضي. وكان يقال لابن علاثة قاضي الجن، لأنه كانت بشر يصاب من أخذ منها شيئاً فقال: أيها الجن! إنا حكمنا أن لكم الليل ولنا النهار. فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه شيء. قال ابن معين: كان ثقة. وقال البخاري: في حفظه شيء.

ولاه الريح بن يونس الحاجب، فاستخلف فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته.

وفيهما وقع وياه شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة، وأظلمت الدنيا فكانت كالليل حتى تعالي النهار، وكان ذلك لليلتين بقين من ذي الحجة من هذه السنة.

وفيهما تبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه، وكان المتولي أمر الزنادقة عمر الكلواذي.

وفيهما أمر المهدي بزيادة كبيرة في المسجد الحرام، فدخل في ذلك دور كثيرة، وولى ذلك يقطين بن موسى الموكل بأمر الحرمين، فلم يزل في عمارة ذلك حتى مات المهدي كما سيأتي. ولم يكن للناس صافهة للمهنة.

وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن محمد. وتوفي بعد فراغه من الحج بآيام، وولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى عقيل، ولد أعمى، وقال الشعر وهو دون عشر سنين وله التشبيهات التي لم يهتد إليها البصرياء. وقد أثنى عليه الأصمعي والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة، وقال: له ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر. فلما بلغ المهدي أنه هجاه وشهد عليه قوم أنه زنديق أمر به فضرب حتى مات عن بضع وتسعين سنة.

وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات [٢٧١/١-٢٧٣]، فقال: بشار بن برد بن يروح العقيلي مولاهم، وقد نسب صاحب الأغاني [١٣٥/٣]، [١٣٦] فأطال نسبه، وهو بصري قدم بغداد، وأصله من طخارستان، وكان ضخماً عظيم الخلق، وشعره في أول طبقات المولدين، ومن شعره البيت المشهور:

هل تعلمين وراء الحب منزلةً تنني إليك فإن الحب أقصاني
وقوله:

أنا والله أنشهي سحر عيني — لك واخشي مصارع العشاق
وله أيضاً:

يا قوم أنني لبعض الحبي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا ممن لا ترى تهذي قلقت لهم الأذن كالعين تنولي القلب ماكانا
وله أيضاً:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضافة فريش الخواري تابع للقوادم
وما خير كف أسك الغل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

كان بشار يمدح المهدي حتى وشى إليه الوزير أنه هجاه وقذفه ونسب إلى شيء من الزندقة، وأنه يقول بتفضيل النار على التراب، وعذر إبليس في ترك السجود لأدم، وأنه أنشد:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

فأمر المهدي بضربه فضرب حتى مات.

ويقال: إنه عُرق ثم نقل إلى البصرة في هذه السنة.

وفيهما توفي:

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

فيها في الحرم منها توفي أمير المؤمنين المهدي بن المنصور العباسي رحمه الله بمكان يقال له ماسبلان، بالحصى، وقيل مسموماً وقيل بعضه فرس فمات. على ما سيأتي بيانه وهذه ترجمته:

■ محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو عبد الله المهدي، أمير المؤمنين وإنما لقب بالمهدي طمعاً أن يكون المرعود به في الأحاديث فلم يكن به، وإن اشترك في الاسم لأنه لم يشبهه في الفعل، ذاك يأتي في آخر الزمان وعند فسادة فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وقد قيل إن في أيامه يزل عيسى ابن مريم بدمشق كما سيأتي ذكر ذلك في أحاديث الفتن والملاحم.

وقد جاء في حديث (الحديث ليعب بن حاد ١٠٨٦-١٠٨٨، ١٠٨٨، ١١٠٥) من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس، وجاء موقوفاً على ابن عباس وكعب الأحبار ولا يصح ذلك، ويتقدير صحة ذلك لا يلزم أن يكون هذا على التعيين.

وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو [ج (٤٠٨٦)] يعارض هذا والله أعلم.

وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري. روى عن أبيه عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ جهر بيسم الله الرحمن الرحيم. رواه عنه يحيى بن حمزة البجلي قاضي دمشق، وذكر أنه صلى خلف المهدي حين قدم دمشق فجهر في السورتين بالسلمة، وأسند ذلك عن رسول الله ﷺ ورواه غير واحد عن يحيى بن حمزة، ورواه المهدي عن المبارك بن فضالة، ورواه عنه أيضاً جعفر بن سليمان الضبيعي، ومحمد بن عبد الله الرقاشي. وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن مهدي.

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائة بالحيمية من أرض البلقاء واستخلف بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة، ولد بالحيمية من أرض البلقاء، وتوفي في الحرم من هذه السنة عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وبعض شهر، وكان أسمر طويلاً جعد الشعر، على إحدى عينيه نكتة بيضاء، فقبل: عنه اليمنى، وقيل اليسرى.

قال الربيع الحجاب: رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهو له عليه ثياب حسنة. فما أدري أهر أحسن أم القمر، أم بهو، أم ثيابه. فقرأ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. ثم أمرني فأحضرت رجلاً من قرابته كان مسجوناً فاطلقه. ولما جاءه خبر موت أبيه بمكة وهو ببغداد مع مائة البربري مولاه، في السادس عشر من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومئة، وكان ولي العهد من بعد أبيه، كتم الأمر يومئذ ثم نودي في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بموت أبيه فقال: إن أمير المؤمنين دعي فأجاب وقد قلّدت بعده جسيماً فعند الله أحسب أمير المؤمنين واستعني على خلافة المسلمين. ثم بايعه الناس بالخلافة يومئذ. وقد عزاه أبو دلالة ومناه في قصيدة التي يقول فيها:

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف
تبكي وتضحك تارة ويسرورها ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيؤوها مسوت الخليفة محرماً ويسرها أن تمام هذا الأرف
ما إن رأيتُ كما رأيتُ ولا أرى شمرأ أرجله وأخر يتف
هلك الخليفة يال أمة أحمد وأنكم من بعده من يخلف
أهدى لهذا الله فضل خلافة ولذاك جنات النعيم ترزخرف

وقد قال المهدي يوماً في خطبته: أيها الناس أسروا مثلما تعلنون من طاعتنا تهكم العافية، وتحملوا العاقبة، واخفصوا جناح الطاعة لمن نشر معدته فيكم، وطوى ثوب الأصر عنكم. وأهال عليكم السلامة ولين المعيشة من حيث أراه الله، مقدماً ذلك فعل من تقدمه، والله لأفنين عمري من عقوبتكم، الإحسان إليكم. قال: فأشرفت وجوه الناس من حسن كلامه، ثم استخرج المهدي حواصل أبيه من الذهب والفضة التي لا تحمد ولا توصف كثرة، ففرقها في الناس، ولم يعط أهله ومواليه شيئاً منها، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال، لكل واحد خمسة في الشهر غير الأعطيات وقد كان أبوه المنصور حريصاً على توفير بيت المال، وإنما كان يتنقى في السنة ألفي درهم من مال الشراة، وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولها، وبني مدناً ذكرناها فيما تقدم.

وقد ذكر له عن شريك بن عبد الله القاضي أنه لا يرى الصلاة خلفه. فأحضره إليه فتكلم معه ثم قال له المهدي في كلام: يا ابن الزانية! فقال له: يا زنديق معي يا أمير المؤمنين. فلقد كانت صوامع قوامه. فقال له: يا زنديق لأقتلك. فصحك شريك، فقال: يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها، شربهم القهوة، واتخاذهم القينات، فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه.

وذكروا أنه هاجت ريح شديدة، فدخل المهدي بيتاً في داره فالقز عله بالتراب وقال: اللهم إن كنت أنا المطلوب بهذه الخيانة دون الناس فما أنافا بين يديك، اللهم لا تشمت بي الأعداء من أهل الأديان. فلم يزل كذلك حتى المجلت.

ودخل عليه رجل يوماً ومعه نعل فقال: هذه نعل رسول الله ﷺ قد أمديتها لك. فقال: هاتها، فناولها إياها، فقبلها ووضعها على عينه وأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما انصرف الرجل قال المهدي: والله إني لأعلم أن رسول الله ﷺ لم ير هذه النعل، فضلاً عن أن يلبسها، ولكن لو رددته لذهب يقول للناس: أعطيتني إليه نعل رسول الله ﷺ فردها علي. فيصدقه أكثر الناس، لأن العامة تميل إلى أمثالها، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوي وإن كان ظالماً، فاشتريتنا لسانه بعشرة آلاف درهم، ورأينا هذا أرجح وأنجح.

واشتهر عنه أنه كان يحب الحمام والسباق بينها، فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم غياث بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة: «لا سبق إلا في خف أو نعل أو حافر» [محمد: ٢٥٧٢، ٢٥٧٤، ٢٥٧٤، ٢٥٧٤]. ثم (٣٥٧٨). وزاد في الحديث «أو جناح» فآمر له بعشرة آلاف. ولما خرج قال: والله إني لأرى فقال قفا كذاب على رسول الله ﷺ. ثم أمر بالحمام فذبح ولم يذكر غياثاً بعدها.

وقال الواقدي: دخلت يوماً على المهدي فحدثته بأحاديث فكذبها عني ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو متعلّى غيظاً فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: دخلت على الخيزران فقامت لي ومزقت ثوبي وقالت: ما

رأيت منك خيراً، وإني والله يا وائلي إنما اشتريتها من نخاس، وقد نالت عندي ما نالت، وقد بايعت لولديها بأمرة المؤمنين من بعدي. فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قال: «إنهم يغلبن الكرام ويغلبهن اللثام». وقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (ج ١٩٧٧)، وقال: «خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومتها كسرتها» (ج ٣٣١)، (م ١٤٦٨). وحدثه في هذا الباب بكلام حضرتي. فأمر لي بالقي دينار، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقني بالقي دينار إلا عشرة دنائير، وإذا معه أثواب أخرى، ويشت تشكر لي وتنتي عليّ معروفاً.

وذكروا أن المهدي كان قد أهل دم رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة ألف، فدخل الرجل بغداد متكرراً فينما هو يوماً في أزقة بغداد إذ لقيه رجل فأخذ يجمع ثوبه ونادى: هذا طلبة أمير المؤمنين. وجعل الرجل يريد أن يفلت منه فلا يقدر، فينما هما، كذلك، إذ مر أمير في مركبه وقد أقبل وإذا هو مع بن زائدة - فقال الرجل: يا أبا الوليد خائف مستجير. فقال: ويحك ما لك وله؟ فقال: هذا طلبة أمير المؤمنين، جعل لمن جاء به مائة ألف. قال من: ويحك، وأما علمت أبي قد أجرته؟ أرسله من يديك. ثم أمر بعض غلمانه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله، وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة فأنهى إليه الخبر، فبلغ المهدي فأرسل إلى معن فدخل عليه فسلم فلم يرد عليه المهدي وقال: يا معن أبلغ من أمرك أن تجير عليّ؟ قال: نعم قال: ونعم أيضاً قال: نعم! قد قلت في دولتكم أربعة آلاف مصل فلا يجار لي رجل واحد؟ فاطرق المهدي ثم رفع رأسه إليه وقال: قد أجرنا من أجرت يا معن. فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف، فأمر له المهدي بثلاثين ألفاً، فقال: إن جرمتهم عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر ذنوب الرعية. فأمر له بمائة ألف، فحملت بين يدي معن إلى ذلك الرجل، فقال له معن: ادع لأمرير للخليفة وأصلح نيتك في المستقبل.

وقدم المهدي مرة البصرة فخرج ليصلي بالناس فجاء أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فليظروني حتى أتوا فأمرهم المهدي بانتظاره، ووقف المهدي في المحراب لم يكبر حتى قيل له: هذا لأعرابي قد جاء. فكبر. فتعجب الناس من سماحة أخلاقه.

وقدم أعرابي ومعه كتاب غنوم فجعل يقول: هذا كتاب أمير المؤمنين، أين الرجل الذي يقال له الربيع؟ فدلوه على الربيع الحاجب فأخذ الكتاب وجاء به إلى أمير المؤمنين وأوقف الأعرابي وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيه كتابة ضعيفة، والأعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة، فتبسم المهدي وقال: صدق الأعرابي، هذا خطي، إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعت من الجيش وأقبل الليل فتعوذت بتعوذ رسول الله ﷺ فرُقع لي نار من بُعد فقصدتها فإذا هذا الشيخ وامراته في خباء يوقدان ناراً، فسلمت فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء، فما شربت شيئاً إلا وهي أطيب منه، وتمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أنني نمت أحلى منها. فقام إلى شويبة له فذبحها فسمعت امرأته تقول له: عمدت إلى معيشتك ومعيشة أولادك فذبحتها! أهلكك نفسك وعيالك. فما التفت إليها، واستيقظت من النوم فاشتريت من تلك الشويبة وقلت له: أعنيك شيء أكتب لك فيه كتاباً؟ فأتاني بهذه الرقعة عن الأديم فكشيت له بعود من ذلك الرماد خمسمائة ألف، وإنا أردت تحسين ألفاً، والله لأنفذتها له كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها. فقبضها الأعرابي واستمر مقيماً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار، فجعل يقرى الناس في ذلك

الموضع فعرف بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي وعن سوار - صاحب رجة سوار - قال: انصرفت يوماً من عند المهدي فجتت منزلي فوضع لي الغداء فلم تقبل نفسي عليه، فدخلت خلوتي لأتأم في القافلة فلم يأخذني نوم، فاستدعيت ببعض حظائبي لأنلهي بها فلم يقر لي قرار، فنهضت فخرجت من المنزل وركبت بغلي فما جاوزت الدار إلا قليلاً حتى لقيني رجل ومعه ألفا درهم، فقلت: من أين هذه؟ فقال: من ملكك الجديد. فاستصحبته معي وسرت في أزقة بغداد أتشاكل عما أنا فيه من الضجر، فحانت صلاة العصر عند مسجد في بعض الحارات، فنزلت لأصلي فيه، فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعمى قد أخذ بيدي فقال: إن لي إليك حاجة، فقلت: وما حاجتك؟ فقال: إني رجل ضرير ولكني لما شممت رائحة طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والثروة، فأحييت أن أقضي بحاجتي إليك. فقلت: وما هي؟ فقال: إن هذا القصر الذي تجاه المسجد كان لأبي فسافر منه إلى خراسان وباعه وأخذني معه وأنا صغير، فافترقنا هناك وأصابني الضرر، فرجعنا إلى بغداد بعد أن مات أبي، فجتت إلى صاحب هذا القصر أطلب منه شيئاً أتبلغ به ليلي أجمع بسوار، فإنه كان صاحباً لأبي، فلعله أن يكون عنده سعة يجود منها علي. فقلت: ومن أبوك؟ فذكر رجلاً كان أصحاب الناس لي، فقلت: إني أنا سوار صاحب أبيك، وقد منعي الله في يومك هذا النوم والقرار والأكل والراحة حتى أخرجني من منزلي لأجتمع بك. وأجلسني بين يديك، وأمرت وكيلي فدفع له الألفين التي معه، وقلت له: إذا كان الغد فأت منزلي في مكان كنا وكذا. وركبت فجتت دار الخلافة وقلت: ما أخف المهدي الليلة في السمر بأغرب من هذا. فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جداً وأمر للأعمى بالقي دينار. وقال لي: عليك دين؟ قلت نعم! قال: كم؟ قلت: خمسون ألف دينار. فسكت وحادثني ساعة ثم لما قمت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الخمارون قد سبقوني بمخمين ألف دينار وألني دينار للأعمى، فانتظرت الأعمى أن يجيء في ذلك اليوم فتأخر فلما أصبحت جلست إلى المهدي فقال: قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبق معك شيء، وقد أمرت لك بمخمين ألف دينار أخرى. فلما كان اليوم الثالث جاءني المكفوف فقلت: قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً، ودفعت إلي الألفي الدينار التي من عند الخليفة وزدته ألفي دينار من عندي أيضاً.

ووقت امرأة للمهدي فقالت: يا عصبية رسول الله اقض حاجتي. فقال المهدي: ما سمعتها من أحد غيرها، اقضوا حاجتها وأعطوها عشرة آلاف درهم.

ودخل ابن الحياط على المهدي فامتدحه فأمر له بمخمين ألف درهم ففرقها ابن الحياط وأتاه يقول: -

أخذت بكفي كفه أبغني الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي فلا أنا منه ما أصاد ذرو الغنى أفدت وأصلاني فبُذت ما عندي قال: فتمنى ذلك المهدي فأعطاه بدل كل درهم ديناراً.

وبالجمل فله مآثر ومحاسن كثيرة، وقد كانت وفاته بماسبذان. كان قد خرج إليها ليعث إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يجلبه من ولاية العهد ويجعله بعد هارون الرشيد، فامتنع الهادي من ذلك، فركب المهدي من بغداد قاصداً إحضاره، فلما كان بماسبذان مات بها على ما سنذكره. وكان قد رأى في النوم وهو بقصره ببغداد - وأظنها المسمى بقصر

خلافة موسى الهادي بن المهدي

توفي أبوه في الحرم من أول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعد أبيه، لكن كان أبوه قد عزم على تقديم أخيه هارون الرشيد عليه في ولاية العهد، فلم يفتق ذلك حتى مات أبوه بماسبان في شهر الله المحرم. وكان الهادي إذ ذاك بمجرجان، فهم بعض الدولة منهم الربيع الحاجب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمبايع له، وكان الرشيد حاضراً ببغداد، وعزموا على الثقة في الجند لذلك تفصيلاً لما رآه المهدي من ذلك. فأسرع الهادي السير من جرجان إلى بغداد حين بلغه الخبر، فساق منها إليها في عشرين يوماً، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً، وأخذ البيعة منهم فبإيعوه، وتغيب الربيع الحاجب قتلته الهادي حتى حضر بين يديه، فعفا عنه وأحسن إليه وأقره على وظيفة الحجوية، وزاده الوزارة وولايات أخرى. وشرع الهادي في تطلب الزنادقة من الأفاق قتل منهم طائفة كثيرة، واقتدى في ذلك بأبيه، وقد كان موسى الهادي من أفكاه الناس مع أصحابه في الخلوة، فإذا جلس في مقام الخلافة كانوا لا يستطيعون النظر إليه، لما يعلوه من المهابة والرياسة، وكان شاباً حسناً وقروراً مهيباً.

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وستين ومائة - خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي، وجاءه الناس إلى الصلاة فلما رآه ولوا راجعين، والتف عليه جماعة فيلعبوه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والرضى من أهل البيت. وكان سبب خروجه أن متولياً خرج منها إلى بغداد لتلقي أمير المؤمنين وتهتبه بالولاية وتعزته في أبيه المهدي. ثم جرت أمور اقتضت أن يخرج حسين هذا، والتف عليه جماعة وجعلوا مأواهم المسجد النبوي، ومنعوا الناس من الصلاة فيه، ولم يبه أهل المدينة وجعلوا يدعون عليه لامتثالهم المسجد، حتى ذكر أنهم كانوا يقرنون في جنبات المسجد، وقد اقتتلوا مع السودة مرات فقتلوا منهم وقتل منهم. ثم أرغل إلى مكة فاقام بها إلى زمن الحج، فبعث إليه الهادي جيشاً فقاتلوه بعد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه، وهرب بقيتهم وتفرقوا شذر مذر، فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وقد كان كريماً من أجود الناس. دخل يوماً على المهدي فاطلق له أربعين ألف دينار ففرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة، وما خرج منها وعليه قميص، إنما كان عليه فروة وليس دونها قميص. وفيها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة. وغزا الصائفة من طريق دواب الرهاب معيوسي بن يحيى في جحفل كثيف، وقد أقبلت الروم مع بطريقها فبلغوا الحدث.

وفيها توفي من الأعيان

■ الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق كما ذكرنا.

■ الربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور، وحاجبه ووزيره، وقد وزر أيضاً للهادي وقيل: إنه وزر أيضاً للمهدي، وكان بعضهم يظن في نسيه. وقد أورد الخطيب في ترجمته حديثاً من طريقه ولكنه منكر، وفي صحته عنه نظر والله أعلم. وقد ولي الحجوية بعده ولده الفضل بن

السلامة - كان شيخاً وقف بباب القصر، ويقال إنه سمع هاتفاً يقول:

كأنني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عبيد القوم من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جناذله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه تنادي عليه معولات حلاته
فما عاش بعدها إلا عشرأ حتى توفي رحمه الله وساعه وأدخله الجنة برحمته.

ويروى أنه لما قال له الهاتف:

كأنني بهذا القصر قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه المهدي:

كذلك أمور الناس يلسى جديدها وكل قسى يوماً ستبلى فعالله
فقال الهاتف:

تزوّد من الدنيا فلنك ميت وإنك مسؤول فما أنت قائله
فأجابه المهدي:

أقول بأن الله حتى شهدته فذلك قول ليس تخصى فضائله
فقال الهاتف:

تزوّد من الدنيا فلنك راحل وقد أرف الأمر الذي بك نازله
فأجابه المهدي:

متى ذاك خبرني هديت فلاني ساقول ما قد قلت لي وإعجله
فقال الهاتف:

تلبث ثلاثاً بعد عشرين ليلة إلى متهمى شهر وما أنت كامله
قالوا: فلم يعش بعدها إلا تسعة وعشرين يوماً حتى مات رحمه الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير [١٦٨/٨: ١٧٠] اختلافاً في سبب موته، ف قيل إنه ساق خلف ظي والكلاب بين يديه فدخل الظبي إلى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس فحمل به في مشواره فدخل الخربة فكسر ظهره الخليفة فكان ذلك سبب وفاته.

وقيل إن بعض حظايه بعثت إلى أخرى لبنا مسموماً فمر الرسول بالمهدي فأكل منه فمات. وقيل بل بعثت إليها بصينة فيها كمثرى وفي أعلاها واحدة كبيرة فيها سم، وكان المهدي يعجبه الكمثرى، فغمرت الجارية تحمل تلك الصينية فراها فاستدعاه فآخذ التي في أعلاها فأكلاها فمات من ساعته، فجعلت الخطيئة تندبه وتقول: وا أمير المؤمنين، أردت أن يكون لي وحدي قتلتك.

وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - وله من العمر ثلاث وأربعون سنة على المشهور، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وكسوراً، وروثه الشعراء بمراثي كثيرة وقد أورد منها الحافظ ابن عسكراً طرناً وكذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله.

وفيها توفي:

عبد الله بن إيداد، ونافع بن عمر الجمحي، ونافع بن أبي نعيم القاري.

الربيع، ولاه إياها الخليفة الهادي.

وقيل ست وعشرون سنة، والصحيح الأول.

قال الخطيب: ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنة.

وكان حسناً جميلاً طويلاً، أبيض في شفته العليا تقلص، وكان قوي البأس يثب على الدابة وعليه درعان، وكان أبوه يسميه ريماني.

ذكر عيسى بن داب قال: كنت يوماً عند الهادي إذ جيء بطست فيه رأس جاريتين، لم أر أحسن منهما، ولا مثل شعورهما، وفي شعورهما اللآلئ والجواهر متصلة، ولا مثل طيب ريحهما. فقال: أتدرون ما شأن هاتين؟ قلنا: لا. فقال: إنه ذكر في عنهما أنهما يرتكبان الفاحشة، فأمرت الخادم فرصهما ثم جاني فقال: إنهما مجتمعتان، فجئت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة، فأمرت بحز رقابهما. ثم أمر برفع رؤوسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يصنع شيئاً. وكان شهماً خيراً بالملك كريماً.

ومن كلامه: ما أصلع الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني، والعفو عن الزلات القرية، ليقال الطمع عن الملك.

وغضب يوماً على رجل فاسترضي عنه فرضي، فشرع الرجل يعتذر فقال الهادي: إن الرضا كذاك مؤنة الاعتذار.

وعزى الهادي رجلاً في ولد له توفي فقال له: أسرك وهو علو وقتنة، وأحزنك وهو صلاة ورحمة.

ودروى الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أشد الهادي قصية له منها:

تشابه يوماً بأبيه ونواله فما أحد يدري لأيهما الفضل فقال له الهادي: أيهما أحب إليك؟ ثلاثون ألفاً معجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين؟ قال: يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: ثلاثون ألفاً معجلة ومائة ألف تدور بالدواوين. فقال الهادي: أو أحسن من ذلك، نعجل الجميع لك، فأمر له بمائة ألف وثلاثون ألفاً معجلة. قال الخطيب البغدادي: حدثني الأزهرى حدثنا سهل بن أحمد الديلمي حدثنا الصولي حدثنا الغلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التميمي المكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال: قدمنا على أبي عمدة الهادي شهوداً على رجل منا شتم قريشاً وتحطى إلى ذكر رسول الله ﷺ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه، وأحضر الرجل وأحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه، فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه ثم قال: إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس قال: من أراد هوان قريش أهانه الله، وأتت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تحطيت إلى ذكر رسول الله ﷺ اضربوا عنقه. فما برحنا حتى قتل.

توفي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة. وصلى عليه أخوه هارون الرشيد ولي العهد، ودفن الهادي في قصر بناء وسماه الأبيض بعبساباذ من الجانب الشرقي من بغداد، وكان له من الولد تسعة، سبعة ذكور وإبنتان، فالذكر جعفر وهو الذي كان رشحاً للخلافة، وعباس، وعبد الله، وإسحاق، وإسماعيل، وسليمان، وموسى الأعمى، الذي ولد بعد وفاته فسمي باسم أبيه. والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المأمون، والأخرى أم العباس تلقب نوتة.

ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية

فيها عزم الهادي على خلع أخيه هارون من الخلافة وولاية العهد ومبايعة ابنه جعفر بن الهادي فاتقاه هارون لذلك ولم يظهر المنازعة بل المطاوعة، واستدعى الهادي جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك، وأبى ذلك أم أمير المؤمنين الخيزران، وكانت أميل إلى ابنها هارون، وكان الهادي قد منها من التصرف في شيء من المملكة، بعدما كانت قد استحوذت عليه في أول ولايته، وانتقلت الدول إلى بابها والأمراء يلوذ ببابها، فحلف الهادي لئن عاد أمير إلى بابها ليفرض عنقه ولا يقبل لها شفاعة أبداً، فامتنت من الكلام في ذلك. وحلفت لا تكلمه أبداً، وانتقلت عنه إلى منزل آخر. والحق هو على أخيه هارون في الخلع ويحث إلى يحيى بن خالد بن برمك - وكان من أكابر القواد الذين هم في صف الرشيد - فقال له: ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر؟ فقال له يا أمير المؤمنين: إني أخشى أن تهون الأيمان على الناس، ولكن الصلحة أن تجعل جعفرأ ولي العهد من بعد هارون، وأيضاً يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن لا ييبب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر، وهو دون البلوغ، فيتأقم الأمر ويختلف الناس فينالها بعض أهلك لا هذا ولا هذا. فاطرق ملياً - وكان ذلك ليلاً - ثم أمر بسجته ثم أطلقه.

وجاء يوماً إليه أخوه هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيداً، فجعل الهادي ينظر إليه ملياً ثم قال: يا هارون! أتعلم أن تكون رؤياً المهدي حقاً؟ فقال: إي والله، والله لئن كان ذلك لأصلن من قطعت، ولأنصفن من ظلمت، ولأزوجن بنيك من بنتي. فقال ذلك الظن بك. فقام إليه هارون ليقبل يده فحلف الهادي ليجلسن معه على السرير فجلس معه، ثم أمر له بألف دينار، وأن يدخل الخزان فيأخذ منها ما أراد، وإذا جاء الخراج فليدفع إليه نصفه. ففعل ذلك كله ورضي الهادي عن الرشيد. ثم سافر الهادي إلى حديثة الموصل بعد ذلك، ثم عاد منها فمات بعبساباذ ليلة الجمعة للصف من ربيع الأول، وقيل الآخر سنة سبعين ومائة، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرون يوماً. وكان طويلاً جميلاً، أبيض، شفته العليا تقلص.

وقد توفي في هذه الليلة خليفة وهو الهادي، وولي خليفة وهو الرشيد، وولد خليفة وهو المأمون بن الرشيد. وقد كانت الخيزران أم الخليفة في أول الليل: إنه بلني أنه يولد الليلة خليفة ويموت خليفة وتوتل خليفة، يقال إنها سمعت ذلك من الأوزاعي قبل ذلك بمدة، وقد سرها ذلك جداً. وقال: إنها سمعت ولدعا الهادي خوفاً على ابنها الرشيد منه، وأيضاً فإنه كان قد أبعدا وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأدناها قاله المستعان.

وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي

هو

■ موسى بن محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي أمير المؤمنين بن المهدي بن المنصور، ولي الخلافة كما ذكرنا في محرم سنة تسع وستين ومائة. وكانت وفاته في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة، وله من العمر ثلاث، وقيل أربع،

تضيّق عيون الناس عن نور وجهه إذا ما بدا للناس منظره البليج وإن أمين الله هارون ذا الندى ينبل الذي يجرّوه أضعاف ما يرجو وغزا الصائفة في هذه السنة سليمان بن عبد الله البكائي.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي. ويقال القهرودي الأزدي اليمامي، شيخ النحاة، وعنه أخذ سيبويه والنضر بن شميل، وغير واحد من أكابرهم، وهو الذي اخترع علم العروض. قسمه إلى خمس دوائر وفرعه إلى خمسة عشر بحراً، وزاد الأخصف فيه بحراً آخر وهو الحجب، وقد قال بعض الشعراء:

قد كان شعر النوري صحيحاً من قبل أن يخلق الخليل

وقد كان له معرفة بعلم النغم، وله فيه تصنيف أيضاً، وله كتاب «العين» في اللغة، ابتداءً وأكمله النضر بن شميل وأضرابه من أصحابه، كمؤرخ السدوسي، ونضر بن علي الجهضمي. فلم يناسبوا ما وضعه الخليل رحمه الله. وقد وضع ابن درستويه كتاباً بين فيه ما وقع لهم من الخلل فافاد.

وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً، وكان مثقلاً من الدنيا، صبوراً على العيش الخشن الضيق، وكان يقول: لا يجاوز همي ما وراء بابي، وكان طريقاً حسن الخلق.

وذكر أنه اشتغل عليه رجل عليه في العروض قال: وكان بعيد الفهم. قال فقلت له يوماً: كيف تقطع هذا البيت؟

إذا لم تستطيع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

فشرح معي في تقطيعه على قدر معرفته، ثم إنه نهض من عندي فلم يعد إلي، وكأنه فهم ما أشرت إليه. ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي ﷺ بأحمد سوى أبيه. روي ذلك عن أحمد بن أبي خيثمة والله أعلم.

ولد الخليل سنة مائة من الهجرة. ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة على المشهور، وقيل سنة ستين، وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور المعقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة. وهذا غريب جداً. والمشهور الأول والله أعلم

■ الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم، المصري المؤدب راوية الشافعي، وآخر من روى عنه. وكان رجلاً صالحاً تفرس فيه الشافعي وفي البويطي والمزني وابن عبد الحكم فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر رحمه الله.

ومن شعر الربيع هذا:

صبراً جيلاً ما أسرع الفرجا من صدق الله في الأمور نجها من خشى الله لم ينله أذى ومن رجا الله كان حيث رجا

[روى المؤلف في ذكره هنا إمّا مات سنة ٢٧٠هـ]

فأما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً، وقد مات في سنة ست وخمسين ومائتين رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة.

خلافة هارون الرشيد بن المهدي

يبيع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادي، وذلك ليلة الجمعة للصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتين وعشرين سنة، فبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخرجه من السجن، وقد كان الهادي عزم من تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد، فأخرجه الرشيد وكان ابنه من الرضاة، وولاه حيتن الوزارة، وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الإنشاء. وكان هو الذي قام خطيباً بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر ببغداد، ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى بن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائماً فقال له: قم يا أمير المؤمنين. فقال: كم تروعي، ولو سمع بهذا الكلام هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده؟ فقال له يحيى: قد مات الرجل. فجلس هارون فقال: أشر علي. فجعل يذكر ولايات الأقاليم لرجال يسميهم فوليهم الرشيد، فينما هما كذلك إذ جاء آخر فقال: هو عبد الله وهو المأمون. ثم أصبح فصلى على أخيه الهادي، ودفنه ببغداد، وحلف لا يصلي الظهر إلا ببغداد. فلما فزع من الجنابة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن الهادي، فزاحمو هارون على جسر فقال أبو عصمة: كف حتى يجوز ولي العهد. فقال الرشيد: السمع والطاعة للأمير. فجاز جعفر ووقف الرشيد. فلما ولي أمر بقتل أبي عصمة، ثم سار إلى بغداد. فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالعناصرين فقال لئن سقط متي هنا خاتم كان والذي المهدي قد اشتراه في مائة ألف، فلما كان من أيام بحث ورائي الهادي يطلبه فآلقته إلى الرسول فسقط هتنا. ففاصوا وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سروراً كثيراً.

ولما ولي الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له: قد فوضت إليك أمر الرعية وخلصت ذلك من عني وجعلته في عتقك، قول من رأيت واعزل من رأيت. ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرق نورها بيمين أمين الله هارون ذي الندى فهارون واليهما ويحيى وزهرا وكانت الخيزران هي المشاورة في الأمور كلها لا يقطع أمراً يحيى بن خالد أمراً حتى يشاورهما فيها يرمة ويحلّه ويضيه ويحكمه.

وفيها أمر الرشيد بسهم ذوي القربى أن يقسم في بني هاشم على السواء.

وفيها تبع الرشيد خلقاً من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة.

وفيها خرج عليه بعض أهل البيت.

وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد بن زبيدة. وذلك يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة.

وفيها كمل بناء مدينة طرسوس على يدي فرج الخادم التركي ونزها الناس.

وفيها حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد، وأعطى أهل الحرمين أموالاً كثيرة جداً، ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضاً. وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر:

بهارون لاح النور في كل بلدة وقام به في عدل سيرته النهج إمام بذات الله أصبح شغله وأكثر ما يعنى به الغزو والحج

المهدي وحظيت عنده جداً ثم اعتمها وتزوجها وولدت له خليفتين: موسى الهادي وهارون الرشيد. ولم يتفق هذا لغيرها من النساء إلا لولادة بنت العباس العباسية، زوجة عبد الملك بن مروان، وهي أم الوليد وسليمان. وإلا لشاهقروند بنت فيروز بن يزدجرد، ولدت لمولاه الوليد بن عبد الملك بن مروان: يزيد وإبراهيم. وكلاهما ولي الخلافة.

وقد روي من طريق الخيزران عن مولاه المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من اتقى الله وقاه الله كل شيء». ولما عرضت الخيزران على المهدي ليشترها أعجبه إلا دقة ساقها، فقال لها: يا جارية إنك لملى غاية المنى لولا خوشتي في ساقك. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما فاستحسن جوابها واشترها وحظيت عنده جداً. وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة يستوحش لها ويتشوق إليها يقول:

نحس في غاية السرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ماغن فيه يا أهل ودي أنكم غيب ونحس حضور
فاجئوا في السير بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياح فطيروا
فاجبته أو امرت من أجابه:

قد أتانا الذي وصفت من الشو ق فكلنا وما فعلنا نظير
ليست أن الرياح كن يؤديين إليكم ما قد يُجِن الضمير
لم أزل صبة فلن كنت بعدي في سرور فدام ذاك السرور
وذكروا أنه أهدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة مائة وصيف، مع كل وصيف جام من فضة مملوء مسكاً، فكتبت إليه: إن كان ما بعثه ثمننا عن ثلثنا فيك فظننا فيك أكثر مما بعث، وقد نجحنا في الثمن، وإن كنت تريد به زيادة المودة فقد اتهمتي في المودة. وردت ذلك عليه، وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخيزران، فزادتها في المسجد الحرام.

وكان مغلاً ضيعاها في كل سنة ألف ألف وستين ألفاً وأتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة. فخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سريرها يجنب في الطين. فلما انتهى إلى المقبرة أتى بماء ففصل رجليه ولبس خفاً وصلّى عليها، ونزل في لحدها. فلما خرج من القبر أتى يسير فجلس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الخاتم والثقات. وأشد الرشيد قول متمم ابن نويرة حين دفن أمه الخيزران:

وكنّا كنعماني جذبة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقتا كئيباً ومالكاً طول اجتماع لم نبت ليلة معا
وعن توفي في هذه السنة:

■ غافر: جارية كانت لموسى الهادي، كان يحبها حباً شديداً جداً، وكانت تحسن الغناء جيداً، فينمى هي يوماً تنهيه إذ أخذته فكرة غيبتها عنها وتغير لونه، فسأله بعض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخذتني فكرة أتى أموت وأن أخي هارون يتولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريته هذه. ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر. ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع في فكره فعوفه الرشيد من ذلك، فاستحلفه الهادي بالآمان المغلظة من الطلاق والعناق والحج ماشياً حافياً لا يتروجها، فحلف له واستحلف

وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبراً في قصر الخلد بين يديه.

وفيها خرج الفضل بن سعيد الحروري قتل.

وفيها قدم روح بن حاتم إفريقية.

وخرجت أم أمير المؤمنين الخيزران إلى مكة فأقامت بها حتى شهدت الحج، وكان الذي حج بالناس عم الخلفاء عبد الصمد بن علي بن الله بن عباس.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف.

وفيها خرج الرشيد من بغداد يرتاد له موضعاً يسكنه غيرها فلم يبرح إلا أن تشوش فيها ثم رجع.

وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم هارون الرشيد.

وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

فيها توفي:

■ محمد بن سليمان بالبصرة فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً جداً فقبضوه من الذهب والفضة والأمتعة التي يستعان بها على الحرب وعلى تقوي المسلمين من العدد والبرك وغير ذلك.

وهو ■ محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي، وكان من رجالات قریش وشجعانهم. جمع له المنصور بين البصرة والكوفة، وزوجه المهدي ابنته العباسية، وكان له من الأموال شيء كثير، كان دخله في كل يوم مائة ألف. وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله.

وروي الحديث عن أبيه عن جده الأكبر وهو ابن عباس، حديثاً مرفوعاً في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه، ومسح رأس من له أب إلى مؤخره.

وقد وفد على الرشيد فهناه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئاً كثيراً. ولما أراد الخروج خرج معه الرشيد يشيعه إلى كلواذ.

توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة، وقد أرسل الرشيد من اصطفي من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن الدراهم ستين ألف ألف، خارجاً عن الأملاك والجواهر.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٢٣٨/٨] أن وفاته ووفاة الخيزران في يوم واحد، وقد وقعت جارية من جواربه على قبره فأنشأت تقول:

أمسى التراب لمن هربت ميتاً التراب فقل له حيناً
إننا نحكى يا تراب وما بنا إلا كرامة من عليه حيناً
وفيها توفيت:

■ الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين الهادي والرشيد، اشتراها

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

فيها أخذ الرشيد البيعة بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زبيدة وسماه الأمين، وعمره إذ ذاك خمس سنين، فقال في ذلك سلم الخاسر:

قد وفق الله الخليفة إذ بنى بيت الخلافة للجهان الأزهر
فهو الخليفة عن أبيه وجده شهنا عليه بمنظر ومخبر
قد بايع الثقلان في مهد الهدى محمد بن زبيدة ابنه جعفر

وقد كان الرشيد يتوسم النجابة والرجاحة في عبدالله المأمون، ويقول: والله إن فيه حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة نفس الهادي. ولو شئت أن أقول الرابعة مني لقلت، وإنى لأقدم محمد بن زبيدة عليه وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك. ثم انشأ يقول:

لقد بان وجه الرأي في غير أبي غلبت على الأمر الذي كان أحزما
وكيف يرد الدر في الضرع بعدما توزع حتى صار نهبا مقسما
أخاف التواء الأمر بعد استوائه وأن يقض الأمر الذي كان أبرما

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح، في قول الواقدي.

وحج بالناس الخليفة هارون الرشيد.

وفيها سار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الديلم وتحرك هنالك.

وفيها توفي من الأعيان

■ شعوانة العابدة الزاهدة، كانت أمة سوداء كثيرة العبادة، روي عنها كلمات حسان، وقد سألتها الفضيل بن عياض الدعاء فقالت: أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك؟ فشقق الفضيل ووقع منشا عليه.

■ الليث بن سعد بن عبد الرحمن القهفي مولاهم.

قال ابن خلكان (وفيات الأعيان: ١٢٧/٤): كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر القهفي، كان الليث إمام الديار المصرية ولد بقرقشنة من بلاد مصر سنة أربع وتسعين. وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، ونشأ بالديار المصرية.

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان: ١٢٧/٤): أصله من قلقشندة وضبطه بلامين الثانية متحركة.

وحكى عن بعضهم أنه كان حفي المذهب، وأنه ولي القضاء بمصر، وأنه ولد سنة أربع وعشرين ومائة، وذلك غريب جداً.

وذكروا أنه كان يدخله من ملكه في كل سنة خمسة آلاف دينار.

وقال آخرون: كان يدخل له من الغلة في كل سنة ثمانون ألف دينار، وما وجبت عليه زكاة.

وكان إماماً في الفقه والحديث والعريّة.

قال الشافعي: كان الليث أفه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه.

ويعت إليه مالك يستهني شيئاً من العصفور لأجل جهاز ابنته، فبعث إليه بثلاثين حملاً، فاستعمل منه مالك حاجته وباع منه بمئتمائة دينار. وبقى عنده بقية.

وحج مرة فأهدى له مالك طبقاً فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار. وكان يهب الرجل من أصحابه من العلماء والعباد الألف دينار وما يقارب ذلك.

الجارية بالحج والمتاق فحلفت له، فلم يكن إلا أقل من شهر حتى مات، فلما كان بعد ذلك بعث الرشيد إليها بخطها، فقالت: كيف بالإيمان التي حلفتها وحلفتها. فقال: أنا أكثر عني وعنك، فتزوجها وحظيت عنده جداً، حتى كانت تام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزجها من منامها. فبينما هي ذات ليلة نائمة معه إذ انتهت مذعورة تبكي، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادي مولاي في منامي هذا وهو يقول:

أخلفت عهدي بعد ما جاورت سكان المقابر
ونسيتي وحثت في أمالك الكذب الفواجر
وتكحت غادرة أحبي صدق الذي سماك غادر
أسيت في أهل البلى وغدت في الحور الفرائر
لا يهنك الإلف الجديد دولا تدور عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح ح وصرت حيث غدت صائر
فقال لها الرشيد: إنما هذا أضغاث أحلام. فقالت: كلا والله يا أمير المؤمنين، فكأنما كتبت هذه الأبيات في قلبي. ثم ما زالت تضطرب وترتعد حتى ماتت قبل الصباح.

■ هيلانة جارية الرشيد، وهو الذي سماها هيلانة لكثرة قولها هي لانه.

قال الأصمعي: وكان لها محباً، وكانت قبله ليحيى بن خالد بن برمك، فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في الطريق فقالت: أما لنا منك نصيب؟ فقال لها: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقالت: استوهني من هذا الشيخ. فاستوهيها من يحيى بن خالد فوهيها له وحظيت عنده، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها واسترثاها وكان من قوله فيها:

قد قلت لما ضمنوك الثرى وجالت الحسرة في صدري
أذهب فلا والله لا سرنى بملك شيء آخر الدهر
وقال العباس بن الأحف في موتها:

بما ن تباشرت القبور بموتها قصد الزمان مآتي فرماك
أبني الأيس فما أرى لي مؤناً إلا التردد حيث كنت أراك
ملك بكاك وطال بملك حزنه لو يستطيع بملكه لفلاك
تحمي الفؤاد عن الناء حفيظة كي لا يحمل حمى الفؤاد سواك
قال: فأمر له الرشيد بأربعين ألفاً، لكل بيت عشرة آلاف.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

فيها وقعت عصية بالشام وتخبط بين أهلها.

وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن القاضي أبي يوسف وأبوه حي.

وفيها غزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم.

وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد، فلما اقترب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف فوقف ثم جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها.

فاحكم فيما شئت، ومزق الأمان. وصق فيه أبو البخترى، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال: هيه هيه، وهو يتسهم بتسهم المغضب، وقال: إن الناس يزعمون أننا سمعناك. فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورعاً وحقاً، فعلام تعذبني وتغيبني؟ فرق له الرشيد، فاعترض بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين لا يفترنك كلام هذا، فإنه عاص شاق، وإنما هذا منه مكر وخبيث. وقد أفسد علينا مدينتنا وأظهر فيها العصيان فقال له يحيى: ومن أنتم عافاكم الله؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباء هذا ثم قال يحيى: يا أمير المؤمنين إنما الناس نحن وأنتم والله يا أمير المؤمنين. لقد جاء لي هذا حين قتل أخني محمد بن عبد الله فقال: لعن الله قاتله، وأشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً، وقال: إن تحركت في هذا الأمر فانا أول من يبايعك، وما يمتنع أن تلحق بالبصرة وأيدنا معك؟ قال: فتغير وجه الزبيري وأكره وشرع يحلف بالأيمان المخلطة: إنه لكاذب في ذلك، وتنثر الرشيد وقال ليحيى: اتصف شياً من المريبة؟ قال: نعم. وأتشد منها جانباً. فازداد الزبيري في الإنكار، فقال له يحيى بن عبد الله: قل: إن كنت كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته، ووكلي الله إلى حولي وقوتي. فامتنع من الحلف بذلك، فعزم عليه الرشيد وتغيظ عليه، فحلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالقالج فمات من ساعته. ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتلته، فאלله أعلم.

ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله بن حسن وأطلق له مائة ألف دينار، ويقال إنما حسبه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام. وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربع مائة ألف دينار من بيت المال، وعاش بعد ذلك كله شهراً واحداً ثم مات رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بالشام بين التزارية، وهم قيس، واليمانية، وهذا كان أول بدو أمر العشرين بحوران، وهم قيس وعين، أعادوا ماكانوا عليه في الجاهلية في هذا الأوان، فقتل منهم في بشر كثير.

وكان على نياحه الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى، وقيل عبد الصمد بن علي فאלله أعلم.

وكان على نياحة دمشق بخصوصها سندي بن شاهك أحد سوالي إبي جعفر المنصور، وقد هدم سور دمشق حين هاجت الفتنة خوفاً من أن يتغلب عليها أبو الهيثم المري رأس القيسية، وقد كان سيندي هذا دميم الخلق.

قال الحافظ: وكان لا يحلف المكاري ولا الملاح ولا الحائك، يقول: القول قولهم، ويستخير الله في الجمال ومعلم الكتاب. وقد توفي سيندي سنة أربع ومائتين.

فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤوس الكتاب، فأسلحوا بين الناس وهذات الفتنة واستقام أمر الشام، وحلوا جماعات من رؤوس الفتنة إلى دار السلام فرد الرشيد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعفا عنهم وأطلقهم، وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

قد هاجت الشام هيجاً يشتب رأس وليه
فصُـبَّ موسى عليها بخيليه وجنوده
فدانت الشام لما أتى نسبيج وحده
هنا الجواد الذي ———— ذكـل جود بجوده

وكان يخرج إلى الإسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبخه في مركب. ومناقبه كثيرة جداً، وقد ذكرنا في «التكميل».

وحكى ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٢٨/٤] أنه سمع قاتل يقول يوم مات البيت:

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريباً وقبر
فالتفتوا فلم يروا أحداً.

والمخر بن عبد الله بن المخر القرشي: عرض عليه المهدي أن يلي القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم، فقال: إني كنت عاهدت الله أن لا لي شيئاً، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أخيس بهدي. فقال له المهدي: أله؟ قال: الله. قال: انطلق فقد أعفيتك.

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الديلم، واتبعه خلق كثير وجم غفير، وقويت شوكته، وارتحل إليه الناس من الكور والأمصار، فأنزعج للنك الرشيد وقلق من أمره، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً، وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس والرؤيان وغير ذلك. فسار الفضل ابن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة، وكتب الرشيد تلححه مع الرد في كل منزلة، وأنواع التحف والبر، وكتب الفضل صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم إن هر سهل خروج يحيى بن عبد الله إليهم، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله بعده ويمنيه ويؤمله ويرجيه، ويسسط أمه إن هو خرج إليه أن يقيم له العذر عند الرشيد. فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده. فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعاً عظيماً. وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والعقهاء ومشيخة بني هاشم، منهم عبد الصمد بن علي، وبعث الأمان وأرسل معه جوارراً وتحفاً كثيرة جداً، فلما وصلت إلى الفضل بعثها بكاملها إلى يحيى بن عبد الله، فخرج يحيى بن عبد الله إليهم، فسار به الفضل فدخل به ببغداد، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له العطاء، وخلده آل برمك خدمة عظيمة، بحيث إن يحيى بن خالد كان يتولى خدمته بنفسه: وعظم الفضل عند الرشيد جداً بهذه القعلة حيث سعى في الإصلاح بين العباسيين والفاطميين.

ففي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على سعيه هنا:

ظفرت فلا شلت يد برمكية رقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين أعيا الراغبين التمام فكفوا وقالوا ليس بالثلاثم
فأصبحت قد فازت يدك بخطة من المجد باقى ذكرها في المواسم
ومازال قدح الملك يخرج فائزاً لكم كلما ضمت قدح المساهم

قالوا: ثم إن الرشيد تكرر ليحيى بن عبد الله بن حسن وتغير عليه، ويقال: إنه سجنه ثم استحضره الرشيد وعنده القاضيان محمد بن الحسن وأبو البخترى وعنده الجماعات من الهاشميين وغيرهم، وأحضر الأمان الذي كان بعثه إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الأمان أصحيح هو؟ قال: نعم! فتغيظ الرشيد عليه. وقال أبو البخترى: ليس وهو بصحيح

هذا فلان الشاعر فيستشده. حتى كان من آخرهم ابن هرمة هذا، قال: فسمعتة يقول: لأمراًجاً ولا أهلاً ولا أنعم الله به عتيماً. قال: فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب والله نفسي، ثم رجعت إلى نفسي هلكت، ثم استشدني فأشدته قصيدي التي أقول فيها:

سرى نومه عنك الصبا التخاليل وقرب للبين الخليط الزايل
حتى انتهيت إلى قولتي:

فأما الذي أمته بأمن الردى وأما الذي حاول بالكل ناكل
قال: فأمر برفع الحجاب فإذا وجهه كأنه فلقة قمر، فاستشدني بقية القصيدة وأمرني بالاقرب إليه والجلوس بين يديه، ثم قال: ويحك يا إبراهيم! لولا ذنوب بلغتني عنك لفضلتك على أصحابك فأقر علي بنونوك أعفها عنك، فقلت: هذا رجل فقيه عالم، وإنما يريد أن تقيلي بمجة تحب علي، فقلت: يا أمير المؤمنين كل ذنب بلغك عما عنوته عني فانا مقربه. فتناول المخصرة فضربي بها ضربتين وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وعفا عني والخفي بنظراني.

وكان من جملة ما يتقمه المنصور عليه قوله:

ومهما الأم على حبههم فلاني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالحكما ت وبالدين والسنة الثامنة
فلست أبالي بحبي لهم سواهم من النعم السائمة
قال الأخفش. قال لنا ثعلب قال الأصمعي: ختم الشعراء بابن هرمة وهو آخر الموحج.

ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم [٢١/٩].

و■ الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح.

و■ سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المديني، ولي قضاء بغداد سبع عشرة سنة بمسكن المهدي، وثقه ابن معين وغيره.

■ صالح بن بشر المري: أحد العباد الزهاد، كان كثير البكاء وكان يعظ فيحضر مجلسه سنيان الثوري فيقول: هذا نذير قوم، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء راكباً على حمار فدنا من بساط الخليفة فأمر المهدي ابنه - ولبي العهد موسى المهادي وهارون الرشيد، فابتدراه، فأقبل صالح على نفسه فقال: لقد خبت وخسرت إن كنت عملت لهذا اليوم، إليه ليتزلا. ثم جلس إلى المهدي فوعظه فقال له: اعلم أن رسول الله ﷺ خصم من خالفة في أمته، ومن كان محمد ﷺ خصمه كان الله خصمه، فاعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله ﷺ حججاً تضمن لك النجاة، وإلا فاستسلم للهلكة، واعلم أن أبداً الصرعى نهضة صريع هوى يثنيه إلى الله قربة، وأن أثبت الناس قديماً يوم القيامة أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، في كلام طويل. فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه.

و■ عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. قدم قاضياً بالعراق فمات في هذا العام.

و■ فرج بن فضالة الحمصي التوخي، كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد، فتوفي في هذه السنة، وكان مولده سنة ثمان وثمانين فمات وله ثمان وثمانون سنة.

ومن مناقب أن المنصور دخل يوماً إلى قصر الذهب فقام الناس إلا الفرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه: لم لم تقم؟ قال: خفت أن يسألني الله عن ذلك وسألك لم رضيت وقد كرهه رسول الله ﷺ. قال:

أعسده جـسود أليه يجيى وجسود جسوده
فجـاد موسى بن يجيى بطـارف وتلبـده
ونـال موسى ذرى الجـد وهو حـشو مهـوده
خصـصته بمدحـي مثـوره وقصـيده
مـن السـرامك عـسوة لـه فـاكرم بـعـوده
حـووا على الشـعر طـراً خـفـيفه ومـديـده

وفيها عزل الرشيد العطريف بن عطاء عن خراسان وولاهها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزازي الملقب بالعروس.

وفيها ولي الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك نياية مصر، جعفر فاستأب عليها عمر بن مهران، وكان شنيع الشكل، زري الخلق، بين الكينة أحول، وما كان سبب ولاية الرشيد إياه الديار المصرية أن نأثها موسى بن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد. فقال الرشيد: والله لأعزله ولأولين عليها أحسن الناس. فاستدعى عمر بن مهران هذا فولاه عليها نياية عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي فسار إليها عمر بن مهران على بغل وغلامه أبو درة على بغل آخر، فدخلها كذلك فأنتهى إلى مجلس نائبها موسى بن عيسى فجلس في آخريات الناس، فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو، فقال: ألك حاجة يا شيخ؟ قال: نعم أصلى الله الأمير. ثم قام بالكعب، فدعها إليه، فلما قرأها قال: أنت عمر بن مهران؟ قال: نعم! قال: لمن الله فرعون حين قال: ﴿أليس لي ملك مصر؟﴾ ثم سلم إليه العمل وارتحل عنها، وأقبل عمر بن مهران على عمله، وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو قماشاً، ويكتب على كل هدية اسم مهنده، ثم إنه طالب بالخراج وألح عليهم في ذلك، فشرع بعضهم في مما طلته فاقسم لا ماطله أحد إلا فعل به وفعل. فجمع من ذلك شيئاً كثيراً، وكان يبعث ما جمعه إلى بغداد، ومن ماطله بعثه إلى بغداد. فأتاه الناس معه. ثم جاءهم القسط الثاني فعجز كثير منهم عن الأداء فجعل يستحضر ما كانوا أدوه إليه من الهدايا، فإن كان نقداً أداه عنهم، وإن كان برأ باعه وأداه عنهم. وقال لهم: إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم. ثم أكمل استخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يفعل ذلك أحد قبله. ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجبى الخراج، فذلك إذنه في الإنصراف. ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاة أبو درة وحاجبه، وهو منفذ أموره.

وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً.

وفيها حجت زينة زوجة الخليفة ومعها أخوها، وكان أمير الحج في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، كان أميراً على مصر، توفي في شعبان، حكى عنه عبدالله بن وهب.

و■ إبراهيم ابن هرمة الشاعر، وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة أبو إسحاق الفهري المدني شاعر مثق، وقد على المنصور بغداد في وفد أهل المدينة حين استوفدهم إليه، فقدموا عليه فجلسوا إلى ستر دون المنصور، يرى الناس من ورائه ولا يرويه، وأبو الخصب الحاجب واقف يقول: يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب، فيأمره فيخطب، ويقول:

نبكى المنصور وقربه وقضى حوائجه.

و■ المسيب بن زهير بن عمرو أبو مسلم الضبي، كان ولي الشرطة ببغداد في أيام المنصور والمهدي والرشيد، وولي خراسان مرة للمهدي. وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وسبعين سنة.

و■ الواضح بن عبد الله أبو عروانة الشكري مولاهم، كان من أئمة المشايخ في الرواية. توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

فيها عزل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي عن مصر وولى عليها إسحاق بن سليمان، وعزل حزة بن مالك عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال بالري وسجستان وغير ذلك.

وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمة في أواخر المحرم من هذه السنة، وكذلك في أواخر صفر منها. وحج بالناس وأمير المؤمنين هارون الرشيد.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ شريك بن عبد الله القاضي الكوفي النخعي، سمع أبا إسحاق السبيعي وغير واحد، وكان مشكوراً في حكمه وتفيذه وتضمنه، وكان لا يجلس للحكم حتى يتخذى ثم يخرج ورقة من قمطره فينظر فيها ثم يامر بتقديم الخصوم إليه، فحرص بعض أصحابه على قراءة ما في تلك الرقعة فإذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل. كانت وفاته يوم السبت مستهل ذي القعدة منها.

و■ عبد الواحد بن زيد

و■ محمد بن مسلم

و■ موسى بن أعين.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

فيها وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاة بعامل مصر إسحاق بن سليمان فقاتلوه وجرت فتنة عظيمة فبعث الرشيد هرثمة بن أعين نائب فلسطين في خلق من الأمراء مدداً لإسحاق بن سليمان، فقاتلوه حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف، واستمر هرثمة نائباً على مصر نحواً من شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان، ثم عزله الرشيد عنها وولى عليها عبد الملك بن صالح.

وفيها وثبت طائفة من أهل إفريقية فقتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل المهلب، فبعث إليهم الرشيد هرثمة فرجعوا إلى الطاعة على يديه.

وفيها فوض الرشيد أمور الخلافة كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك. وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقاً من أهلها، ثم مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سنذكره.

وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن السيرة بها، وبنى فيها

الربط والمساجد، وغزا ما وراء النهر. واتخذ بها جنداً من المعجم سماهم العباسية، وجعل ولأهم لهم، وكانوا نحواً من خمسمائة ألف، وبعث منهم نحواً من عشرين ألفاً إلى بغداد، فكانوا يعرفون بها بالكرنئية، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة:

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
حام على ملك قوم عز سهمهم من الوراثة في أيديهم سبب
أست يد لبني ساقى الحجيج بها كتاب مالها في غيرهم أوب
كتاب لبني العباس قد عرفت ما ألف الفضل منها المعجم والعرب
أثبت خمس مشين في عدادهم من الألوف التي أحصت لها الكتب
يقارعون عن القوم اللين هم أئبي بأحد في القرآن إن نسبوا
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا رزق يبقى على جود كفيه ولا ذهب
ما ر يوم له مذ شذ مكرهه إلا أقول أقوام بما يهيب
كم غاية في الندى والبأس أحرزها للطلالين مداها دونها تب
يعطي اللهى حين لا يعطي الجواد لا ينبو إذا سلّت المندبة القضب
ولا الرضى والرضى لله غايته إلى سوى الحق يدعوه ولا الغضب
قد ناض عرفك حتى ما يعادله غيث مغيث ولا بحر له حذب

وكان قد أنشده قبل خروجه إلى خراسان:

ألم تر أن الجود من لندن آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل
إذا ما أبو العباس راحت سماؤه فيالك من هطل وما لك من وئيل
إذا أم طفل راعها جوع طفلها دعه باسم الفضل فاستطعم الطفل
ليحيى بك الإسلام إنك عزه وإنك من قوم صغيرهم كهل

قال فأمر له بمائة ألف درهم. ذكر ذلك كله أبو جعفر بن جرير.

وقال سلم الحاسر فيهم أيضاً:

وكيف تخاف من بسوس بدار تكفها البرامكة البحور
وقوم منهم الفضل بن يحيى نغير ما يوازنه نغير
له يومان يوم ندى ويأس كان الدهر بينهما أسير
إذا ما البرمكي غدا ابن عشر فمته أسير أو وزير

وقد اتفق للفضل بن يحيى في هذه السفرة إلى خراسان أشياء غريبة، وفتح بلاداً كثيرة، منها كابل وما وراء النهر، وقهر ملك الترك هناك وكان متمتاً، وأطلق أموالاً كثيرة جداً، ثم قفل راجعاً إلى بغداد، فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجه الناس إليه، وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس، فجعل يطلق الألف ألف، والخمسمائة ألف ونحوها، وصرف من الأموال في ذلك شيئاً كثيراً جداً لا يمكن حصره إلا بكلفة عظيمة، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبلد موضوعة ختمته بين يديه وهي تفرق على الناس فقال:

كفى الله بالفضل بن يحيى بن وجود يديه بخل كل بخل
فأمر له بمال جزيل.

وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم، وغزا الشاتية سليمان بن راشد.

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن

عباس وهو نائب مكة كرمها الله.

وفيهما توفي

جعفر بن سليمان، وعيثر بن القاسم، عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم القاضي ببغداد، وصلى عليه الرشيد ودفن بها، وقد قيل إنه مات في التي قبلها فآله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمرو بن شرحبيل، فولى الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري.

وفيهما عزل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن الحجة وردعا إلى الفضل بن الربيع.

وفيهما خرج غراسان حمزة بن أترك السجستاني، وكان من أمره ما سيأتي طرف من ذكره.

وفيهما رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكة وكثر أتباعه، تبعه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق أصحابه، فقالت الفارعة في أخيها الوليد بن طريف ترثيه:

أيا شجر الخابور ما لك مورفاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنأ وسيوف

وفيهما خرج الرشيد معتمراً من بغداد معتمراً شكرًا لله عز وجل، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة، فمضى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات، وشهد المشاهد والمشاعر كلها مشياً، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة.

وذكر من توفي فيها من السادة الأعيان

■ السيد الحميري الشاعر الواقفي

■ إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد، كان من الشعراء المشهورين والمبرزين في هذه الصناعة المفوهين، ولكنه كان رافضياً خبيثاً، وشيعياً غشياً، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة - أي بالدور -

قال يوماً لرجل: أقرضني ديناراً ولك عندى مائة دينار إذا عدنا إلى الدنيا. فقال له الرجل: إني أخشى أن تعود كلباً أو خنزيراً فيلعب مالي.

وكان قبحه الله يسب الصحابة في شعره وبشتم الخيرة.

قال الأصمعي: ولولا ذلك ما قدمت عليه أحدًا في طبقته، ولا سيما الشيعين وإبائيتهم، رضي الله عنهم، ولعنه واسحقه وأبعده.

وقد لورد ابن الجوزي [المقطم: ٤٠/٩] شيئاً من شعره في ذلك كرهت كتابته، وقد اسود وجهه قبل موته وأصابه كرب شديد جداً. ولما مات لم يدفنه لسهب الصحابة رضي الله عنهم

وفيهما توفي:

■ حماد بن زيد أحد أئمة الحديث.

■ وخالد بن عبد الله الطحان، من سادات المسلمين، وشرب نفسه من الله أربع مرات.

■ ومالك بن أنس الإمام.

■ والفحل بن زياد صاحب الأوزاعي.

■ وأبو الأحوص. وكلهم قد ذكرناهم في كتابنا التكميل. بما فيه منقح وكفاية بما ينبغي عن ذكرهم هنا. ولكن الإمام مالك هو أشهرهم

فإنه أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب التابعة فهو

■ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيثان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح الحميري، أبو عبد الله المدني إمام دار الهجرة في زمانه.

روى مالك عن غير واحد من التابعين، وحدث عنه خلق من الأئمة، منهم السفينان، وشعبة، وابن المبارك، والأوزاعي، وابن مهدي وابن جريج

والثالث والشافعي والزهرري شيخه، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن يحيى الأندلسي، ويحيى بن يحيى

التيسابوري.

قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر.

وقال سفيان بن عيينة: ما كان أشد انتقاده للرجال.

وقال يحيى بن معين: كل من روى عنه مالك فهو ثقة، إلا أبا أمية.

وقال غير واحد: هو أثبت أصحاب نافع والزهرري.

وقال الشافعي: إذا جاء الحديث فمالك النجم.

وقال أيضاً: من أراد الحديث فهو عيال على مالك.

ومناقاة وفضائل كثيرة جداً، وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا المكان.

قال أبو مصعب: سمعت مالكا يقول: ما أتيت حتى شهد لي سبعون اتني أهل لذلك.

وكان إذا أراد التحديث تنظف وتطيب ولبس أحس ثيابه، وكان يلبس حسناً. وكان نقش خاتمه حسيبي الله ونعم الوكيل.

وكان إذا دخل منزله يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وكان منزله مبسوطاً بأنواع الفرش. ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم

مالك بيته فلم يكن يتردد إلى أحد لا لعزاء ولا لثناء، حتى قيل: ولا يخرج إلى جماعة ولا جمعة. ويقول: ما كل ما يعلم يقال، وليس كل أحد يقدر

على الاعتذار ولما احتضر رحمه الله شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ثم جعل يقول: لله الأمر من قبل ومن بعد، ثم قبض في ليلة أربعة عشر من صفر، وقيل من ربيع الأول من هذه السنة، وله خمس

وثمانون سنة.

قال الواقدي: بلغ تسعين سنة ودفن بالبقيع.

وقد روى الترمذي [٢٦٨٠] عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رواية: «يوشك أن يضرب الناس

أكباد الأبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة». ثم قال: هذا حديث حسن وهو حديث ابن عيينة، وقد روي عن ابن عيينة أنه قال:

هو مالك بن أنس. وكلنا قال عبد الرزاق.

وعن ابن عيينة رواية أنه عبد العزيز بن عبد الله العمري. وقد ترجمه القاضي ابن خلكان في الوفيات فاطنب وأتى بقوائد جمعة.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

فيها هاجت الفتنة بالشام بين الزارية واليمينية. فازعج الرشيد لذلك فندب جعفرأ البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود، فدخل الشام

فانقاد الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا رمحاً إلا استلبه من الناس، وأطفأ الله به نار تلك الفتنة.
وقد ذلك يقول بعض الشعراء في ذلك:

لقد أوقدت بالشام نيران فتنة فهذا أوان الشام تخمد نارها
إذا جاش موج البحر من آل برمك عليها خبت شهبانها وشراها
رمماها أمير المؤمنين بمغفر وفيه تلافى صدعها والمجاهرا
رمماها بميمون النقية ماجد تراضى به قحطانها ونزارها
ثم كر جعفر واجماً إلى بغداد بعد ما استخلف على الشام عيسى بن
المعكي، ولما قدم على الرشيد أكرمه وقربه وأدناه، وشرع جعفر يذكر كثرة
وحشته له في الشام، ويحمد الله الذي من عليه برجوعه إلى أمير المؤمنين
ورؤيته وجهه.

وفيها ولي الرشيد جعفرأ خراسان وسجستان فاستعمل على ذلك
عمد بن الحسن بن قطبة، ثم عزل الرشيد جعفرأ عن خراسان بعد
عشرين ليلة.

وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج هناك، وجعل
الرشيد جعفرأ على الحرس، ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستتاب على
بغداد ابنه الأمين محمداً وولاه المراقين، وعزل هرثة بن أعين عن إفريقية
واستدعاه إلى بغداد فاستتابه جعفر على الحرس.

وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس متارة الإسكندرية.
وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني قتلته مسلم بن بكر بن مسلم
العقيلي.

وفيها ظهرت طائفة بمرجان يقال لها الحمرة لبسو الحمرة واتبعوا رجلاً
يقال لهم: عمرو بن محمد العمركي، وكان ينسب إلى الزندقة، فبعث الرشيد
بأمر بقتله فقتل بمرو وأطفأ الله نارهم في ذلك الوقت.

وفيها غزا الصائقة معاوية بن زفر بن عاصم.
وحج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس.

وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان

■ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري: قارئ أهل المدينة
ومؤدب علي بن المهدي ببغداد. وقد أقام مدة ببغداد يؤدب علي بن
المهدي في هذه السنة.

وفيها كانت وفاة

■ علي بن المهدي وقد ولي إمارة الحج غير مرة، كما تقدم وكان أسن
من الرشيد بشهور.

■ حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى بن عوف التوخي الأتباري، ولد
سنة ستين، ورأى أنس بن مالك ودعا له ففجاء من نسله قضاة ووزراء
وصلحاء، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وكان نصرانياً فأسلم وحسن
إسلامه وكان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية، وكان يعرّب الكتب بين
يدي ربيعة لما ولّاه السفاح الأتبار.

وفيها توفي:

■ عبد الوارث بن سعيد البصري أحد الثقات

و ■ عافية بن يزيد بن قيس القاضي للمهدي على الجانب الشرقي من

بغداد، هو وابن علاته، وكانا يحكما بمجامع الرصافة، وكان عافية عابداً
زاهداً ورعاً، دخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال: يا أمير المؤمنين
أعفي، فقال له المهدي: ولم؟ أعترض عليك أحد من الأمراء؟ فقال: لا
ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فعمد أحدهما إلى رطب السكر -
وكانه سمع أبي أجه - فألدى إلى منه طبقاً لا يصلح إلا لأمير المؤمنين،
فردته عليه، فلما أصبحنا: وجلسنا إلى الحكومة لم يستريا عندي في قلبي
ولا نظري، ومال قلبي إلى المهدي منهما، هذا وما قبلت منه فكيف لو
قبلت منه؟ فأعفي يا أمير المؤمنين عفا الله عنك فأعفا. وقال الأصمعي:
كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافية القاضي وقد أحضره لأن قوماً استعدوا
عليه إلى الرشيد، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب الخليفة
عما يسأله. وطال المجلس ففعل الخليفة فتمتته الناس ولم يشتمه عافية،
فقال له الرشيد: لم تشمتي مع الناس؟ فقال: لأنك لم تحمد الله، واحتج
بالحديث في ذلك. فقال له الرشيد: أرجع لعملك فو الله ما كنت لتفعل ما
قيل عنك، وأنت لم تساعني في عطسة لم أحد الله فيها. ثم رده رداً جيلاً
إلى ولايته.

وفيها توفي: -

■ سيويه: إمام النحاة، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر،
المعروف بسيويه النحوي، مولى بني الحارث بن كعب، وقيل مولى آل الربيع
بن زياد، وإخما سمي سيويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك، ومعنى
سيويه رائحة التفاح، وقد كان في ابتداء أمره يصحب المحدثين والفقهاء،
وكان يستملي على حماد بن سلمة، فلحن يوماً فرد عليه قوله فأنف من
ذلك، فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو، ودخل ببغداد وناظر الكسائي.

وكان سيويه شاباً حسناً جميلاً نظيفاً، وقد تعلق من كل علم بسبب،
وضرب في كل أدب بسهم، مع حدائه سنة وبراعة في النحو.
وقد صنف في النحو كتاباً لا يلحق شأوه، وشرحه أئمة النجاة بعده
فانغمروا في لجج بحره، واستخرجوا من جواهر حاصله، ولم يلبسوا إلى
قعره. وقد زعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه، وقد تساعد جماعة في تصنيفه
نحو من أربعين نفساً هو أحدهم، وهو أصول الخليل، فادعاه سيويه لنفسه.
وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة. قال: وقد أخذ سيويه
اللغات عن أبي الخطاب الأعمش وغيره وكتابه المشهور «بالكتاب» لم يسبق
إلى مثله، ولا يلحقه في أحد.

وكان سيويه يقول: سعيد بن أبي العروبة، والعروبة يوم الجمعة، وكان
يقول: من قال عروبة فقد أخطأ، فذكر ذلك ليونس فقال أصاب الله دره.

وقد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فإنه كان يحب
النحو فمرض هناك مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت:

يؤمّل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل
حيثاً يُروى أصول الفصيل فعاش الفصيل ومات الرجل
ويقال: إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فلمعت عين أخيه
فاستفاق فرأه يكي فقال:

وكنّا جميعاً ففرق الدهر بيتاً إلى الأمد الأقصى فمن يأن

قال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٩٩/١٧]: يقال إنه توفي وعمره ثنتان
وثلاثون سنة.
وفيها توفيت

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة، وسار أصحابه أمامه وتحلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت فكتشف عن أمراها وفحص، حتى سألتها فقالت: أنا وأخوتي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة. وقد حلت لنا الميتة، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل. فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال: عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى مرو وأعطاها الباقي. فهذا أفضل من حجتنا في هذا العام، ثم رجع.

وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه: من عزم منكم على الحج، فيأخذ نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من الثقات والركوب، وحسن الخلق والتيسير عليهم، فإذا قصروا المتناسك فيقول لهم: هل أوصاكم أهلوكم بهدية، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمينية وغيرها، فإذا جاؤوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية، فإذا قفلوا بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورسم شعبها، وإذا رجعوا إلى أوطانهم عمل وليمة بعد قدومهم فأكلوا وكساهم، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرة ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء النناء الجميل.

وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، يطعمه وهو صائم لله عز وجل في الحر الشديد.

وسأله مرة سائل فاعطاه درهما فقال له بعض أصحابه: إن هؤلاء يأكلون في غذائهم الشواء والفالودج، وقد كان يكفيه قطعة. فقال: والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والحبز، فاما إذا كان يأكل الشواء والفالودج فلا بد من عشرة دراهم يا غلام: رده وادفع وأعطه عشرة دراهم. وفضائله ومناقبه كثيرة جدا.

قال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإماتته وعدله.

توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رمضانها عن ثلاث وستين سنة.

■ **مفضل بن فضالة** ولي قضاء مصر مرتين، وكان ديناً ثقة، سأل الله أن يذهب عنه الأمل فآذبه، فكان بعد ذلك لا يهتبه عيش ولا شيء من الدنيا، فسأل الله أن يرده عليه فردّه فرجع إلى حاله.

■ **يعقوب التائب: العابد الكوفي**، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار: خرجت ذات ليلة وأنا أظن أنني قد أصبحت، فإذا عليّ ليل، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبيكي وهو يقول: وعزتك وجلالك ما أردت ممصيتك مخالفتك ولكن سولت في نفسي، وغلبتني شقوتي، وغرني سترك المرخى عليّ فالآن من عذابك من يستقيني؟ وبجل من أتصل إن أنت قطعت جملك عني؟ واسأواته على ما مضى من أيامي في معصية ربي: يا وليي كم أتوب وكم أعود، قد حان لي أن أستحيي من ربي عز وجل. قال منصور فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم **هَيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ**

■ **عفيرة العابدة:** كانت طويلة الحزن كثيرة البكاء. قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي، فقيل لها: ليس هذا وقت بكاء! فقالت: لقد ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله، فمسرور ومثبور. وفيها مات:

■ **مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي.** كان من أهل مكة، وقد تكلموا فيه لسوء حفظه.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

فيها غزا أمير المؤمنين هارون الرشيد بلاد الروم فافتتح حصناً يقال له الصفصاف، فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة:

إن أمير المؤمنين المصطفى قد ترك الصفصاف قاعاً صفصافاً

وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ أنقرة والفتح مطمورة. وفيها تغلبت الحمرة على جرجان.

وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله ﷺ بعد النشاء على الله عز وجل.

وفيها حج بالناس الرشيد وتعمل في نفر، وسأله يحيى بن خالد أن يعفيه من الولاية فأعفاه وأقام يحيى بمكة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان:

■ **الحسن بن قحطبة** أحد أكابر الأمراء العباسية.

■ **حمزة بن مالك**، ولي إمرة خراسان في أيام الرشيد.

■ **خلف بن خليفة** شيخ الحسن بن عرفة عن مائة سنة.

■ **عبد الله بن المبارك:** أبو عبد الرحمن المروزي، كان أبوه تركياً مولوداً لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان، وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم، وكانت أمه خوارزمية، ولد سنة ثمان عشرة ومائة.

وسمع إسماعيل بن خالد، والأعمش، وهشام بن عروة، وحيداً الطويل، وغيرهم من أئمة التابعين.

وحدث عنه خلافت من الناس، وكان موصوفاً بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة، له التصانيف الحسان، والشعر المضمن حكماً جمة، وكان كثير الغزو والحج، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان، فحيث اجتمع به عالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم والعبادة، وربما أنفق من رأس المال.

قال سفيان بن عيينة: نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا بصحبته رسول الله ﷺ.

وقال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.

وقدم مرة الرقة وبها هارون الرشيد، فلما دخلها وانجفل الناس إلى ابن المبارك وازدحم الناس حوله، فأشرقت أم ولد للرشيد من قصر هناك فقالت: ما للناس؟ فقيل لها: قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فأغفل الناس إليه. فقالت المرأة: هذا هو الملك، لأمك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والنصا والرغبة والرهبة.

الفتى فقالت له: إنك شيخ قد خرفت.

قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاة، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، لأنه كان يستتب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة.

قال أبو يوسف: فينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بفالوذج وكنت لا أعرفها فقال لي: كل من هذا، فإنه لا يصنع لنا كل وقت. فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذج. قال: فبسمت فقال: مالك تبسم؟ فقلت: لأشياء أبقي الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. فقصصت عليه القصة من أولها فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة - فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه. وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف: إنه أعلم أصحابه.

وقال المزني: كان أبو يوسف أتبعهم للحديث.

وقال علي بن المديني: كان صدوقاً.

وقال ابن معين: كان ثقة.

وقال أبو زرعة: كان سليماً من التجهم.

وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف يقول: من قال: القرآن مخلوق فحرام كلامه، وفرض مباحته.

ومن كلامه الذي يبنسي كتابه بماء الذهب قوله: من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غرائب الحديث كذب. ومن طلب العلم بالكلام ترندق.

ولما تناظر هو ومالك بالمدية بمحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الحضارات احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيعان المتقولة عن آبائهم وأسلافهم، ويأنه لم تكن الحضارات في زمن الخلفاء الراشدين. فقال أبو يوسف: لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت. وهذا انصاف. ولقد كان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طبقاتهم، حتى إن أحمد بن حنبل كان شاباً وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فينتظرون ويتباحثون، وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضاً.

وقال: وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد، إلا يوماً واحداً جاءني رجل فذكر أن له بستاناً وأنه في يد أمير المؤمنين، فدخلت إلى أمير المؤمنين فاعلمته فقال: البستان لي اشتراه لي المهدي. فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه. فأحضره فادعى بالبستان فقلت: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: هو بستاني. فقلت للرجل: قد سمعت ما أجاب. فقال الرجل: يجلف، فقلت، اتخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، فقلت ساعرض عليك اليمين ثلاثاً فإن حلفت وإلا حكمت عليك. فعرضها عليه ثلاثاً فامتنع فحكمت بالبستان للمدعي. قال: فكنت في أثناء الحاضرة أود أن تفصل ولم يمكني أن أجلس الرجل مع الخليفة. وبعث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل.

وروى المعافى بن زكريا الجريري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي أسحاق الموصلي عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف: قال: بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش، إذا رسول الخليفة يطرق الباب، فخرجت مترعجاً فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى بن جعفر فقال لي الرشيد: إن هذا قد طلبت منه جارية يهينها فلم يفعل، أو يمينها، فلم يفعل، وإني أشهدك إن لم يبيحي لي ذلك تلتته. فقلت لعيسى: لم لم تفعل؟ فقال: إني خائف بالطلاق والتناق وصدة مالي كله أن لا أبيعها ولا أمها. فقال لي الرشيد: فهل له من غلص؟ فقلت: نعم يبيعك

مأثورون ﴿الحريم﴾ قال: فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً فذهبت لحاجتي، فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة، فسألت عنه فإذا هو قد مات من سماع هذه الآية.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة

فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد ابن زبيلة الأمين وذلك بالرقعة بعد مرجعه من الحج، وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكي ثم أرسله إلى بئنداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمه له، وولاه خراسان وما يتصل بها، وسماه المأمون. وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكي من مجاورته بمكة إلى بئنداد.

وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة أصحاب الكهف.

وفيها سملت الروم عني ملكهم قسطنطين بن أليرون وملكوا عليهم أمه رنى وتلقب أغسطه.

وحج بالناس فيها موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس.

وفيها توفي من الأعيان

■ إسماعيل بن عباس الحمصي أحد المشاهير من أئمة الشاميين، وفيه كلام.

و ■ مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور المشكور، كان يمدح الخلفاء والبرامكة.

و ■ من بن زائدة وكان قد تحصل له حصل من الأموال شيء كثير جداً، وكان مع ذلك من أبخل الناس، لا يكاد يأكل اللحم من بخله، ولا يشعل في بيته سراجاً، ولا يلبس من الثياب إلا الكرياس والفسرو الغليظ، وكان رفيقه سلم الحاسر إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على بردون وبidle سنة تساوي ألف دينار، والطبيب ينفع من ثيابه، ويأتي مروان في شر حالة وأسوأها.

وخرج يوماً إلى المهدي فقالت امرأة من أهله: إن أطلق لك الخليفة شيئاً فأجعل لي منه شيئاً. فقال: إن أعطاني مائة ألف درهم فلك درهم. فأعطاه ستين ألفاً فأعطاهم أربعة دوائيق. توفي ببئنداد في هذه السنة، ودفن في مقبرة نصر بن مالك.

والقاضي أبو يوسف هو

■ يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة، وهي أمه، وأبوه بجر بن معاوية، وسعد هذا له صحبة استصغر يوم أحد، وأبو يوسف القاضي هذا كان أكبر أصحاب أبي حنيفة رحمه الله.

وروى الحديث عن الأعمش وهشام بن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم.

وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

قال علي بن الجعد: سمعته يقول: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار فكتت أمر على حلقه أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كتت أخالفها في ذلك ولذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك قالت أمي لأبي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أسفدته علي. فقال لها: اسكتي يا رعاء. ها هو ذا يتعلم العلم وسيكمل الفالوذج بدهن

وزيد بن زريع أبو معاوية العيشي، كان ثقة عالماً عابداً ورعاً، توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة ألف درهم، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحداً، وكان يعمل الخوص ويأكل منه. توفي بالبصرة في هذه السنة، وقيل قبل ذلك قاله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

ففيها خرجت الحزرة على الناس من ثلثة أرمينية فعاتوا في تلك البلاد فساداً، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحواً من مائة ألف، وقتلوا بشراً كثيراً، وانتهز نائب أرمينية سعيد بن مسلم، فأرسل الرشيد إليهم خزيمة بن خازم وي زيد بن يزيد في جيوش كثيفة إلى تلك البلاد، فاصطلموا ما وقع فيها من العيث والفساد. وحج بالناس العباس بن موسى الهادي.

وفيهما توفي من الأعيان

■ علي بن الفضيل بن عياض في حياة أبيه. كان كبير العبادة والورع والخوف.

■ محمد بن صبيح أبو العباس مولى بني عجل المذكور، ويعرف بابن السماك.

روى عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش والثوري وهشام بن عروة وغيرهم.

ودخل يوماً على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين: إن لك بين يدي الله موقعاً فانظر أين منصرفك، إلى الجنة أم إلى النار؟ فبكى الرشيد حتى كاد يموت.

■ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الهاشمي، ويقال له: الكاظم. ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، وكان كبير العبادة والمروءة، إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالتحف والذهب، ولد له من الذكور والإناث أربعون نسمة. وأهدى له مرة عبد عبيدة فاشتره واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار واعتقه، ووهبها له.

وقد استدعاه المهدي إلى بغداد فحبسه، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له: يا محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٧] فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأخرج من السجن ليلاً فأجلسه معه وعانقه وأقبل عليه، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده، فقال: والله ما هذا من شأني ولا حدثت فيه نفسي، فقال: صدقت، وأمر له بثلاثة آلاف دينار، وأمر به فرد إلى المدينة، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد ففجع، فلما دخل ليسلم على قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر فقال الرشيد: السلام عليك يا رسول الله يا ابن حم. فقال موسى: السلام عليك يا أبة. فقال الرشيد: هذا هو الفخر يا أبا الحسن. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة تسع وسبعين وسجته فأطال سجنه، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها: أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لن يقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يقضي بنا ذلك إلى يوم يحسر فيه الميطلون.

نصفها ويهيك نصفها. فوجه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية، فلما رآها الرشيد قال: هل لي من سبيل عليها البلية؟ قلت: إنها علوك ولا بد من استبرائها، إلا أن تعتقها وتزوجها فإن الحرية لا تستبرأ. قال: فاعتقها وزوجها منه بعشرين ألف دينار، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين نخلاً من ثياب، وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار.

وقال يحيى بن معين: كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبقي وطيب ومائيل ند وغير ذلك، فلما كرني رجل في إسناد حديث فمن أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فقال أبو يوسف: إنما ذاك في الأقط والتمر والزبيب، ولم تكن الهدايا ما ترون، يا غلام شيل إلى الحزان.

وقال بشر بن غياث المريسي: سمعت أبا يوسف يقول: صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت عليّ الدنيا سبع عشرة سنة، وما أظن أجلي إلا قد اقترب. كان شهرور حتى مات.

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة، وقد مكث في القضاء ست عشرة سنة وولي القضاء من بعده ولده يوسف. وقد كان نائبه على الجانب الغربي من بغداد. ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي سافها الشافعي فقد أخطأ في ذلك، إنما ورد الشافعي ببغداد في أول قدمة قدمها إليها في سنة أربع وثمانين. وإنما اجتمع بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه، ولم يكن بينهما شأن كما يذكره بعض من لا أخيرة له في هذا الشأن والله أعلم.

وفيهما توفي:

■ يعقوب بن داود بن طهمان: أبو عبد الله مولى عبد الله بن خازم السلمي، استوزره المهدي، وسلم إليه أزمة الأمور وحظي عنده جداً، ثم لما أمره بقتل ذلك العلوي كما تقدم فأرسله ونعت عليه تلك الجارية وتحقق أنه لم يفعل سجنه المهدي في بئر ونبئت عليه قبة، ونبئت عليه شعر كما نبئت شعر الأعمام، وعمي، ويقال بل عشي بصره، ومكث نحواً من خمسة عشرة سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً إلا في أوقات الصلوات يعلمونه بذلك، ويلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء، فمكث كذلك حتى انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصلى من أيام الرشيد، قال يعقوب: فأتاني آت في منامي فقال:

عسى الكرب الذي أصبت فيه يكون وراءه فرج قريب
نيامن خائف ويفك عان ويأتي أهله النسائي الغريب

فلما أصبحت توديت فظننت أنني أعلم بوقت الصلاة، ودلّ إليّ حبل وقيل لي: اربط هذا الحبل في وسطك، فأخرجوني، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئاً، وأوقفت بين يدي الخليفة، فظننت المهدي فسلمت عليه أنه المهدي، فقال: لست به، فقلت الهادي؟ فقال: لست به. فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد. فقال: نعم ثم قال: والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد، ولكني البارحة حملت جارية في صغيرة على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرجحت ما أتت فيه من الضيق فأخرجتك. ثم أتمم عليه وأحسن إليه. فغار منه يحيى بن خالد بن برمك، وخشي أن يعيله إلى المنزلة التي كان عليها أيام المهدي، وفهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فاذن له، فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله.

إليك، وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى.
قال: فلما مات دفنه وطلب الحضور بين يدي الخليفة، فقال: ما حاجتك؟ قلت: هذا الخاتم دفعه إلي رجل وأمرني أن أدفعه إليك، وأوصاني أن أقول كلاماً، فلما نظر عرفة فقال: ويحك وأين صاحب هذا الخاتم؟ قال فقلت: مات يا أمير المؤمنين، ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به، وذكرت له أنه كان يعمل بالفاعل في كل جمعة يوماً بدهم وأربع دوايق، أو بدهم ودائق، يتقوت به سائر أيام الجمعة، ثم يقبل على العبادة. قال: فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يتمرح ويتقلب ظهراً لبطن ويقول: والله لقد نصحتني يا بني، ثم بكى، ثم قال: أتصرف قبره؟ قلت: نعم! قال: إذا كان العشي فأتني، قال: فأتته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي عنده حتى أصبح، ثم أمر لذلك رجل بعشرة آلاف درهم. وكتب له ولعياله رزقاً.

■ عبد الله بن مصعب: بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، والد بكار. ألزمه الخليفة الرشيد بولاية المدينة فقبلها بشروط عدة اشترطها، فاجابه إلى ذلك، ثم أضاف إليه نيابة اليمن، فكان من أعدل الولاة، وكان عمره يوم توفي نحواً من سبعين سنة.

■ عبد الله بن عبد العزيز العمري: أدرك أبا طولة. وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد، وكان عابداً زاهداً، وعظ الرشيد يوماً فأتى وأطيب. قال له وهو واقف على الصفا: أنتظر كم حولاً من الناس؟ فقال: بشر كثير. فقال: كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه، وأنت تسأل عنهم كلهم. فبكى الرشيد بكاء كثيراً، وجعلوا يأتونه بمندبل بعد مندبل للدموع. ثم قال له: يا هارون إن الرجل يسرع في ماله فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن يسرع في أموال المسلمين كهلم؟ ثم تركه وانصرف والرشيد يبكي. وله معه مواقف محمودة في غير هذا الموضع. توفي عن ست وستين سنة.

■ محمد بن يوسف بن معدان: أبو عبد الله الأصمعي، أدرك التابعين، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة. كان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد.

وقال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت أفضل منه، وكان كأنه قد عاين.
وقال ابن مهدي: ما رأيت مثله قالوا لا يشتري زاده من خبز واحد، ولا من بقال واحد، كان لا يشتري إلا ممن لا يعرفه، يقول: أخشى أن يجابوني فأكون ممن يعيش بدته. وكان لا يضح جبهه للنوم صيفاً ولا شتاء. ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

فيها قتل أهل طبرستان متزليهم مهرويه الرازي، فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحارثي.
وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري إبان بن قسطة الخارجي بمصر القلعة. وفيها عاث حمزة الشاري بأذغيس من خراسان، فنهض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم، وسار وراء جيش حمزة إلى كابل وزابلستان.
وفيها خرج أبو الخصيب فتغلب على أبيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوي أمره.
وفيها توفي ■ يزيد بن يزيد يردغة، فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد.

توفي لخمس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور.
■ هشيم بن بشير بن أبي خازم القاسم بن دينار أبو معاوية السلمي الواسطي، كان أبوه طابخاً للحجاج بن يوسف الثقفي، ثم كان بعد ذلك يبيع الصحناء والكرامخ، وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على صناعته، فابى إلا أن يسمع الحديث. فاتفق أن هشماً مرض فجاءه أبو شبة قاضي واسط ليعوده ومعه خلق من الناس، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال له: يا بني أبلغ من أمرك أن جاء القاضي إلى منزلي؟ لا أمتك بعد هذا اليوم من طلب الحديث.

كان هو من سادات العلماء، وحدث عنه مالك وشعبة والثوري وأحمد بن حنبل وخلق سواهم، وكان من الصلحاء العباد. ومكث يصلي الصبح بوضوء العشاء قبل أن يموت عشر سنين.

■ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة قاضي الملائن، كان من الأئمة الثقات.

■ يونس بن حبيب أحد النحاة النجباء، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وغيره، وأخذ عنه الكسائي والفراء، وقد كانت له حلقة بالبصرة يتباهي أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والعرب. توفي في هذه السنة عن ثمان وتسعين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج الذي عليهم، وولى رجلاً يضرب على ذلك ويحبس، وولى على أطراف البلاد. وعزل وقطع ووصل.
وخرج بالجزيرة أبو عمرو الشاري فبعث إليه الرشيد من قتله بشهزور.
وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي.

ومن توفي من الأعيان

■ (أحمد بن الرشيد)

أحمد ابن أمير المؤمنين الرشيد: كان زاهداً عابداً قد تنسك، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه، يعمل في الطين، وليس يملك إلا مراً وزنبلاً - أي مجرفة وقفة - وكان لا يعمل إلا في يوم السبت فقط، ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة، وكان لا يعمل إلا في يوم السبت فقط. ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة. وكان من زبيدة في قول بعضهم، والصحيح أنه من امرأة غيرها كان الرشيد قد أحبها فتزوجها فحملت منه بهذا الغلام، ثم أحلها إلى البصرة وأعطاهم خاتماً من ياقوت أحمر، وأشياء منها نفيسة، وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتبه. فلما صارت الخلافة إليه لم تأتبه ولا ولدها، وبلغه أنها ماتا، ولم يكن كذلك، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها، فاتفق مرضه في دار من كان يستعمله في الطين فمرضه عنده، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل: اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له: صاحب هذا الخاتم يقول لك: إليك أن تموت في سكرتك هذه فتندم حيث لا ينفع نادماً ندمه، وأحذر انصافك من بين يدي الله إلى الدارين، وأن يكون آخر العهد بك، فإن ما أنت فيه لو دام لغربك لم يصل

وحج بالناس فيها أمير المؤمنين هارون الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين، وعبد الله المأمون، فبلغ جملة ما أعطى لأهل الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، وذلك أنه كان يعطي ثم يذهب الناس من بعده إلى ولده محمد الأمين فيعطيه، ثم يذهبون إلى ولده عبد الله المأمون فيعطيه.

وكان إلى الأمين ولاية الشام والعراق، وإلى المأمون من همدان إلى بلاد المشرق. ثم بايع الرشيد لولده القاسم من بعد أخويه، ولقبه المؤتمن، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم، وكان الباعث له على ذلك أن ابنه القاسم هنا كان في حجر عبد الملك بن صالح، فلما بايع الرشيد لولده الأمين والمأمون كتب إليه:

يا أيها الملك الذي لو كان نهماً كان سمنا
اعقد لقاسم بيعة وافدح له في الملك زنا
فالله فرد واحد فاجعل ولاه المهدي فردا

ففعل الرشيد ذلك، وقد حمده قوم على ذلك، وذهم آخرون. ولم ينظم للقاسم هذا أمر، بل اخترمه الأقدار عن بلوغ والأوطار.

ولما قضى هارون الرشيد حجه ومناسكه أحضر من معه من الأمراء والوزراء، وأحضر ولي العهد محمد الأمين وعبد الله المأمون. وأشهد على كل منهما السمع والطاعة لأخيه، ولأبائهما ما ولأه الله من ذلك وكتب بمضمون ذلك صحيفة. وكتب فيها الأمراء والوزراء خطوطهم بالشهادة عليها بذلك، وأراد الرشيد أن يعلقها في الكعبة فسقطت فقيل: هذا أمر سريع انتقاضه. وكذا وقع كما سيأتي بيانه.

وقال إبراهيم الموصلي في عقد هذه البيعة في الكعبة:

خير الأمور مغيبة وأحق أمر بالتمام
أمر قضى أحكامه الرحن في البلد الحرام

وقد اطال القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير وبعه ابن الجوزي في المتظم.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ أصبح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو زبآن في رمضان منها.
■ و■ حسان بن إبراهيم قاضي كerman عن مائة سنة.
■ و■ سلم الخاسر الشاعر: وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء، وإنما قيل له الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر لأمريء القيس وقيل للاعشى، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب وقد كان شاعراً مطبقاً له قدرة على الإنشاء على حرف واحد، فمن ذلك قوله لموسى الهادي:

موسى المطر غيث بكر
ثم انهمر كم اعثر
ثم ايتسر وكـم قـلـر
ثم غفر عدل السير
بـاقـي الأثر خـير البشر
فـرـع مـضـر بـدر بـسـدر
لـمـن نظـر هـو الـسـوزر

واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يتمر في رمضان فأذن له، فاعتمر في رمضان ثم رابط بجده إلى وقت الحج فحج مع الناس.
وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

■ عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي: عم السفاح والمنصور. ولد سنة أربع ومائة، وكان ضخماً الخلق جذاً ولم يبدل أسنانه، وكانت أسنوها صحيفة واحدة. قال يوماً للرشيد: يا أمير المؤمنين هذا المجلس اجتمع فيه عم أمير المؤمنين، وعم عمه، وعم عم عمه، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد، والعباس بن محمد بن علي عم سليمان، وعبد الصمد بن علي عم السفاح. وتلخيص ذلك أن عبد الصمد عم عم عم الرشيد لأنه عم جده.

روى عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن البر والصلة لطيلان الأعمار، ويعمران الديار، ويثران الأموال، ولو كان القوم فجاراً».

وبه أن رسول الله ﷺ قال «إن البر والصلة ليخفان سوء الحساب يوم القيامة» ثم تلا رسول الله ﷺ «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا آمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ». (الرعد: ٢١) وغير ذلك من الأحاديث.

■ و■ محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المعروف بالإمام، كان على إمارة الحاج، وإقامة شعائر الحج في خلافة المنصور عدة سنين. توفي ببغداد فعلى عليه الأمين في شوال من هذه السنة. ودفن بالعباسية.

وفيهما توفي من مشايخ الحديث:

■ ضمام بن إسماعيل، وعمر بن عبيد. والمطلب بن زياد. والمعالى بن عمران. في قول، ويوصف بن المجاشون.

■ و■ أبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام بعد الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة.

■ رابعة العلوية: هي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك، العلوية البصرية العابدة المشهورة، ذكرها القشيري في الرسالة وأبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في صفة الصفوة، والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف. واتنى عليها أكثر الناس، وتكلم فيها أبو داود السجستاني، واتباعها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر. وأشد لها السهروردي في المعارف:

إنني جملتكم في الفؤاد محدثي وأجبت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليل موانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي
وقد ذكر لها أحوال وأعمال صالحة، وصيام نهار وقيام ليل، ورثت لها منامات صالحة فالله سبحانه وتعالى أعلم. توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقيه بالطور.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصب إلى نسا فقاتله بها، وسبى نساءه ووزاريه. واستقامت خراسان.

لمن حضر والمفتخر
لمن غبر والجَنَـبَر
لمن عثر

وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من الجون والفسق، وأنه كان من تلاميذ بشار بن برد، وأن نظمه أحسن من نظم بشار، فمما غلب فيه بشار قوله:

من راقب الناس لم يظفر بمجاهته وفاز بالطيبات الفاتك اللهب
فقال سلم:

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

فغضب بشار وقال: أخذ معاني فكساها الفاظاً أخف من الفاظي. وقد حصل له من الخلفاء والبرامكة نحو من أربعين ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك. ولما مات ترك ستة وثلاثين ألف دينار وديعة عند أبي السمراء الغساني، ففنى إبراهيم الموصلي الرشيد يوماً فأطربه فقال له: سل فقال: يا أمير المؤمنين أسألك شيئاً لا أرزؤك. قال: وما هو؟ فذكر له وديعة سلم الجاسر، وأنه لم يترك وارثاً. فأمر له بها. ويقال إنها كانت خمسين ألف دينار.

■ العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد، كان من سادات قریش، ولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد، وقد أطلق له الرشيد في يوم خسة آلاف ألقاب ألف درهم، وإليه تنسب العباسية، وبها دفن وعمره خمس وستون سنة وصلى عليه الأمين.

■ يقطين بن موسى: كان أحد الدعاة إلى دولة بني العباس، وكان داهية ذا رأي، وقد احتال سرقة حيلة عظيمة وذلك حين حبس مروان الحمار إبراهيم بن محمد بخران، فتحررت الشيعة العباسية فيمن يكون ولي الأمر من بعده فذهب يقطين هذا إلى مروان فوقف بين يديه في صورة تاجر فقال: يا أمير المؤمنين إني قد بعث بضاعة من رجل ولم أقبض ثمنها منه حتى أخذته وسلكت فحيسره، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لأطلبه بمالي. قال: نعم! فأرسل به إليه مع غلام، فلما رآه قال: يا عدو الله إلى من تركت بعدك أخذ مالي منه؟ فقال: إلى ابن الحارثية - يعني أخاه عبد الله السفاح - فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بني العباس فأعلمهم بما قال، فبايعوا السفاح، وكان ما قد كان.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

مهلك البرامكة

فيها كان مقتل الرشيد، جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ودمار ديارهم واندثار آثارهم، وذهاب صغارهم وكبارهم، وقد اختلف في سبب ذلك على أقوال ذكرها أبو جعفر بن جرير وغيره من علماء التاريخ فمما قيل: إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكي فسجنه عنده، فما زال يحيى يترقب له حتى أطلقه جعفر، فنسب الفضل بن الربيع على جعفر في ذلك فقال له الرشيد: وبلك لا تدخل بني وبين جعفر، فلمله قد أطلقه عن أمري وأنا لا أشعر. ثم سأل الرشيد جعفرًا عن ذلك فصدقه الحال فتغيظ عليه وحلف ليقبلته، وكره البرامكة،

ومقتهم وقلاهم بعد ذلك، بعدما كانوا أحظى الناس عنده، وأحبهم إليه. وكانت أم جعفر والفضل أمه من الرضاعة. وقد جعلهم الرشيد من الرفعة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئاً كثيراً لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن بعدهم من الأكابر والرؤساء، بحيث إن جعفرًا بنى داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم، وكان ذلك من جملة ما نقمه عليه الرشيد.

ويقال: إن الرشيد كان لا يكاد يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هنا لجعفر، وقيل: إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة. وقيل إنما قتلهم بسبب العباسية. ومن العلماء من أنكر ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره.

وذكر ابن الجوزي (المطبوع: ١٣٢/٩) أن الرشيد سئل عن السبب الذي من أجله أهلك البرامكة فقال: لو أعلم أن قميصي يعلم ذلك لأحرته. وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى إنه كان ربما دخل عليه وهو في الفراش مع حظايه - وهذه وجاعة عظيمة ومترلة عالية - وكان من أحظى العشاء على الشراب - فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام ملكه المسكر - وكان أحب أهله إليه أخته العباسية بنت المهدي، وكان يحضرها معه، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً، فزوجها بها ليحل له النظر إليها، واشترط عليه أن لا يظاها. وكان الرشيد ربما قام وتركها وهما ثملان من الشراب فرما واقفها جعفر فاتفق حملها منه فولدت ولدًا وبعته مع بعض جواربها إلى مكة، وكان يرى بها.

وذكر القاضي ابن خلكان في الوفيات (٣٣٣/١، ٣٣٤) قصة أخرى في مقتل جعفر وذلك أنه لما زوج الرشيد جعفرًا من العباسية أحبته حباً شديداً، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد، فاحتالت عليه - وكانت أمه تهدي إليه في كل ليلة جمعة جارية حسنة بكراً - فقالت لأمه: ادخليني عليه في صفة جارية. فهابت ذلك فتهدتها حتى فعلت ذلك. فلما دخلت عليه وكان لم يتحقق وجهها من مهابة الرشيد فواقفها فقالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك فقال: ومن أنت؟ فقالت: أنا العباسية وحملت من تلك الليلة، فدخل على أمه فقال لها: بعثني والله برخيص. ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيق على عيال الرشيد في الشفقة حتى شكت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات، ثم أفتت له سر العباسية، فاستشاط غضباً، ولما أخبرت أن الولد قد أرسلت به إلى مكة حجج عامة ذلك حتى تحقق الأمر. ويقال: إن بعض الجوارب نمت عليها إلى الرشيد وأخبرته بما وقع من الأمر، وأن الولد بمكة وعنده جوار ومعه أموال وحلي كثير. فلم يصدق حتى حجج في السنة الحالية، ثم فكشف عن الحال، فإذا هو كما ذكرت تلك الجارية.

وقد حجج في هذه السنة يحيى بن خالد الوزير وقد استشعر الغضب من الرشيد، فجعل يدعو عند الكعبة: اللهم إن كان يرزقك عني سلب مالي وولدي وأهلي فافعل ذلك بي وأبق عليّ منهم الفضل، ثم خرج. فلما كان عند باب المسجد رجع فقال: اللهم والفضل معهم فإني راضٍ برضاك عني ولا تشن منهم أحداً.

فلما قتل الرشيد من الحجج صار إلى الحيرة ثم ركب في السفن إلى الغمر من أرض الأنبار، فلما كانت ليلة السبت سلخ الحرم من هذه السنة أعني سنة سبع وثمانين أرسل مسروراً الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجن، فأتوا جعفر بن يحيى ليلاً، فدخل عليه مسرور الخادم وعنده محتشون المتطبب، وأبو زكار الأعمى المنفي الكلوزاني، وهو في أمره،

وأبو زكّار يفتيه:

فلا تبعد فكلّ فسى سياتي عليه الموت قد طرقت، أو ينادي فقال الخادم له: يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقت، أجب أمير المؤمنين. فقام إليه فقبل قدميه ودخل عليه أن يدخل إلى أهله فيوصي إليهم، فقال: أما الدخول فلا سبيل إليه. فأوصى جعفر وأعتق جماعة من مماليكه وجاءت رسل الرشيد تستحثه فأخرج إخراجاً عنيماً، فجعلوا يقودونه حتى أتوا به المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيدته بقيد حمار، وأعلموا الرشيد بما كان يفعل، فأمر بضرب عنقه، فجاء السيف إلى جعفر فقال: إن أمير المؤمنين قد أمرني أن آتيه برأسك. فقال: يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران، فإذا صحا عاتبك على ذلك، فعاوده. فرجع إليه فقال: يا أمير المؤمنين: لعلك مشغول. فقال: ويحك يا ماص بظر أمه انتني برأسه. فكرر عليه جعفر المعاودة، فقال له: برئت من المهدي لئن لم تأتني برأسه لأبشمن من يأتني برأسك ورأسه. فرجع إلى جعفر فحز رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه، وأرسل الرشيد من ليلته البرد في الاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها، ومن كان منهم بسبيل. فآخذوا كلهم عن آخرهم. فلم يفلت منهم أحد. وحبس يحيى بن خالد في منزله، وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الأموال والموالي والحشم والخدم وبعث الرشيد برأس جعفر وجثته ثم قطعت بائنين فصبب الرأس عند الجسر الأعلى، وشق الجثة عند الجسر الأسفل، وشقها الآخر عند الجسر الآخر، ثم أحرقت بعد ذلك. ونودي في بغداد: أن لا أمان للبرامكة ولا لن آوَاهم، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه استثناء من البرامة لنصحه الخليفة.

وأتى الرشيد بأحسن من أبي شيخ وكان يتهم بالزندقة، وكان مصاحباً لجعفر بن يحيى البرمكي وذلك ليلة قتل جعفر، فدار بينه وبين الرشيد كلام، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفاً وأمر بضرب عنقه به. وجعل يشتمل بيت قيل في أنس قبل ذلك:

نلعت السيف من شوق إلى أنس فالسيف يلحظ والأنداد تنتظر
فضربت عنق أنس فسبق السيف الدم فقال الرشيد: رحم الله عبد الله
بن مصعب، فقال الناس: إن السيف كان للزبير بن العوام. وشحنت
السجون بالبرامكة واستلبت أموالهم كلها.

وقد كان الرشيد في اليوم الذي قتل في آخره جعفر، هو وإياه راكبين في الصيد، وقد خلا به دون ولاية العهد، وطيه به ذلك اليوم بالغالبية بيده، فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضمه إليه وقال: لولا أن الليلة ليلة خلوتي بالنساء ما فارقتك، فازدب إلى منزلك واشرب واطرب لتكون على مثل حالي. فقال: والله يا أمير المؤمنين لا أشتهي ذلك إلا معلن. فانصرف عنه جعفر فما هو إلا أن ذهب من الليل بعضه حتى أوقع به من البأس والتكال ما تقدم ذكره. وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من الحرم، وقيل إنها كانت مستهل صفر سنة سبع وثمانين، وكان عصر جعفر إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة، ولما جاء الخبر إلى أبيه يحيى بن خالد بقتله قال: قتل الله ابني. ولما قيل له: قد خربت دارك قال: خرب الله داره. ويقال: إن يحيى لما نظر إلى دوره وقد هتكت ستورها واستبيحت قصورها، وانتهب ما فيها. قال: هكذا تقوم الساعة.

وقد كتب إليه بعض أصحابه يعزبه فيما وقع، فكتب جواب التعزية: أنا بقضاء الله راض، وبالحيار عالم، ولا يؤخذ الله العباد إلا بذنوبهم، وما

الله بظلام للعبيد. وما يغفر الله أكثر ولله الحمد.

وقد أكثر الشعراء من المراثي في البرامكة فمن ذلك قول الرقاشي، ويُذكر أنها لأبي نواس:

الآن استرحنا واستراحت ركابنا وأمسك من يجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد أمنت من الشرى وطبي القياقي فدفناً بعد فدفند
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للمطايا بعد فضل تعطلي وقيل للزايبا كل يوم تجدي
ودونك سيفاً برمكياً مهتداً أصيب بسيف هاشمي مهتد
وقال الرقاشي، وقد نظر إلى جعفر وهو على جذعة مصلوب:

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تمام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا بن يحيى حساماً فله السيف الحسام
على اللغات والدينا جميعاً ودولة آله برمك السلام
قال فاستدعا به الرشيد وقال له: كم كان يعطيك جعفر كل عام؟ قال: ألف دينار. فأمر له بألفي دينار.

وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري قال: لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى وقت امرأة على حمار فاره فقالت بلسان فصيح: والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية فلقد كنت في المكارم غاية، ثم أنشأت تقول:

ولما رأيت السيف خالط جعفرأ ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولة بعد دولة تحوّل ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا انزلت هذا منازل رفعة من الملك حطت ذا إلى الغابة
قال: ثم حركت حمارها فكانها كانت ربحاً لا أثر لها، ولا يعرف أين ذهبت.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المنتظم (١٣٠/٩) أن جعفرأ كان له جارية يقال لها ففنة مخنية، لم يكن لها في الدنيا نظير، وكان مشتراها عليه من معها من الجوارى مائة ألف دينار، فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك، فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فأحضرها ليلة في مجلس شرابه وعنده جماعة من جلسائه ومصاره، وأحبابه فأمر من معها أن يغنين فاندفعت كل واحدة تغني، حتى انتهت النوبة إلى ففنة، فأمرها بالغناء فألبست معها وقالت: أما بعد السادة فلا. فغضب الرشيد من ذلك غضباً شديداً، وأمر بعض الحاضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له، ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه: لا تطأها. ففهم أنه يريد بذلك كسرها. فلما كان بعد ذلك أحضرها وأظهر أنه قد رضي عنها وأمرها بالغناء فامتنعت وأرسلت معها وقالت: أما بعد السادة فلا. فغضب الرشيد أشد من الأول وقال: النطع والسيف، وجاء السيف فوقف على رأسها وقال له: إذا أمرتك ثلاثاً وعقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب. ثم قال لها غني فبكت وقالت: أما بعد السادة فلا. ففقد أصبعه المختصر، ثم أمرها الثانية فامتنعت، ففقد اثنتين، فارتعد الحاضرون وأشفقوا غاية الإشفاق وأقبلوا عليها يسألونها أن لا تقتل نفسها، وأن تحب أمير المؤمنين إلى ما يريد منها. ثم أمرها الثالثة فاندفعت تغني:

ولفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة. وجعله قرباناً ووسيلة بين يديه، وولاه العواصم، فسار إلى بلاد الروم فحاصروهم حتى اقتصدوا بخلت من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم، ففعل ذلك.

وفيها نقضت الروم الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين، الذي كان عقده الرشيد بينه وبين ربي ملكة الروم الملقبة أغسطس. وذلك أن الروم عزلوها عنهم وملكوا عليهم الشففور، وكان شجاعاً، يقال إنه من سلالة آل جفنة، وأنه قبل الملك كان يلي ديوان الخراج، وملكوا تقفور هذا عليهم فخلعوا ربي وسلموا عيبتها. فكتب تقفور إلى الرشيد: من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل إقامتك مقام البرخ، وأقامت نفسها مقام اليلق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها، وذلك من ضعف النساء ومحققن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد إلي ما حصل لك من الأموال واقتد نفسك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

فلما قرأ هارون الرشيد الكتاب استفزّه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه، دون أن يخاطبه، وتفرّق جلساؤه خوفاً منه واستدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم. قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام.

ثم شخص من يومه حتى أقام يباب هرقة ففتحها واصطفى ابنة ملكها، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً، وخرب وأحرق، واصطلم فطلب تقفور منه المودة على خراج يؤديه إليه في كل سنة، فأجابه الرشيد إلى ذلك. فلما رجع من غزوه وصار بالركة نقض الكافر العهد وخان الميثاق، وكان البرد قد اشتد جداً، فلم يقدر أحد أن يجيء فيخبر الرشيد بذلك لخوفهم على أنفسهم وعليه، حتى يفصل الشتاء.

وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن عباس بن عماد بن علي.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكي الوزير ابن الوزير، ولاء الرشيد الشام وغيرها من البلاد، وذكر ابن عساكر أن الرشيد بعثه إلى دمشق لما ثارت الفتنة بين العشرين بحوران بين قيس وبن، وكان ذلك أول ما أنشأه في الإسلام، كان خامداً فأنشأه في هذا الأوان، فلما قدم جعفر بجيشه خمدت الشرور وظهر السرور، وقيل في ذلك أشعار حسان، قد ذكرها في ترجمته من «تاريخه»؛ فمنها:

لقد أوقدت في الشام نيران فتنة فهذا أوان الشام تخمد نارها
إذا جاش موج البحر من آل برمك عليها خبت شهبانها وشرارها
رماها أمير المؤمنين بجعفر وفيه تلاقى صدعها وانحيارها
رماها بميمون النقيّة ماجد تراخي به قحطها وزارها
هو الملك المأمول للبر والنقي وصولاته لا يستطاع خطارها
وزير أمير المؤمنين وسيفه ومديته والحرب تدمع شفارها
ومن تطو أسرار الخليفة دونه فعدتك ماوها وأنت قرارها
إذا ما ابن يحيى جعفر قصدت له ملحات خطب لم ترعه كبارها
لقد نشأت بالشام منك غمامة يؤمل جدواها ويخشى دمارها

لما رأيت الديار وقد درست أيقنت أن التميم لم يعد
قال: فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر، وأقبلت الدماء وتطيرنا من حولها، وحملت الجارية من بين يديه فماتت بعد ثلاث.

وروي أن الرشيد كان يقول: لعن الله من أغراني بالبرامكة، فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رخاء، وددت والله أني شوطرت نصف عمري وملكي وأني تركتهم على أمرهم.

وحكى ابن خلكان أن جعفرأ اشترى جارية من رجل بأربعين ألف دينار، فالتفتت إلى بائعها وقالت له: أذكر العهد الذي بيني وبينك، لا تأكل من ثمن شيئا. فبكى سيدها وقال: أشهدوا أنها حرة، وأنسي قد تزوجتها. فقال جعفر: أشهدوا أن الثمن له أيضاً.

قال: وكتب إلى نائب له: أما بعد فقد كثر شاكرك، وقل شاكرك، فإما أن تعدل، وإما أن تعتزل.

ومن أحسن ما وقع منه من التلطف في إزالة هم الرشيد، وقد دخل عليه منجم يهودي فأخبر أنه سيموت في هذه السنة، فحمل الرشيد هما عظيماً، فدخل جعفر فسأل: ما الخبر؟ فأخبره بقول اليهودي للخليفة أنه سيموت من عامه هذا فاستدعى جعفر اليهودي فقال له: كم وجدت بقي لك من العمر؟ فذكر مدة طويلة فأقبل على الرشيد. فقال: يا أمير المؤمنين اقتله حتى تعلم كذبه فيما أخبر عن موتك كما علمت كذبه فيما أخبر عن عمره. فأمر الرشيد باليهودي فقتل، وسري عن الرشيد هم الذي كان يجده، والله الحمد.

وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن نهيك، وذلك أنه حزن على مقتل البرامكة، ولا سيما على جعفر، وكان يكثر البكاء عليهم، ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانتصار لهم والأخذ بشارهم، وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته: اتني بسيفي، فيسلم ثم يقول: والله لأقتل قتله، فأكثر أن يقول ذلك، فخشي ابنه عثمان أن يطلع الخليفة على ذلك فيهلكهم عن آخرهم، ورأى أن أباه لا يتزع عن هذا، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه، فأخبر الفضل الخليفة، فاستدعى به فاستخبره فأخبره، فقال: ومن يشهد معك؟ فقال: فلان الخادم فجاء به فأخبره، فقال الرشيد: لا يجل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصي، لعلهما قد توصيا على ذلك.. فأحضره الرشيد معه على الشراب ثم خلا به فقال له: ويحك يا إبراهيم إن عندي سرأ أحب أن أطلعك عليه، قد ألقني في الليل والنهار. قال: وما هو؟ قال: إني ندمت على قتل البرامكة ووددت أني قد خرجت من نصف ملكي ونقصت نصف عمري ولم أكن فعلت بهم ما فعلت، فإني لم أجِد بعدهم لذة ولا راحة. فقال: رحمة الله على أبي الفضل - يعني جعفرأ - ويكي، وقال: والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله. فقال له: قم لعنك الله، ثم حسنه ثم قتله بعد ثلاثة أيام، وسلم أهله وولده.

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة، واشتد غضبه بسببه أيضاً على البرامكة الذين هم في الجبوس، وسجنه فلم يزل في السجن حتى توفي الرشيد فأخرجهم الأمين وعقد له على نياية الشام.

وفي هذه السنة ثارت العصية بالشام بين المضربة واليمانية، فبعث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فأنهزم بعض سورها ونضب ماؤهم ساعة من الليل.

تزوجتها. فلما قال ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمروا الحمال أن يحمل الدراهم. فقال جعفر: واللّه لا تبعيني، وقال للرجل: قد ملكتها فأنفقها على أهلك، وذهب وتركه.
هذا وقد كان يبخل بالنسبة إلى أخيه الفضل، إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا.

وروى ابن عساكر من طريق الدارقطني بسنده أنه لما أصيب جعفر وجدوا له في جرة ألف دينار، زنة كل دينار مائة دينار، مكتوب على صفحة الدينار الواحدة جعفر والأخرى:

وأصفر من ضرب دار الملوك يسبح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحدا متى تعطه معسراً يوسر

وقال أحمد بن المولى الراوية: كتبت عنان جارية الناطقي إلى جعفر تطلب منه أن يقول لأبيه يحيى أن يشير على الرشيد بشراتها، وكتبت إليه بهذه الأبيات من شعرها في جعفر:

يا لائمسي جهلاً ألا تقصر من ذا على حر الهوى يصير
لا تلحني إذا شررت الهوى صرفاً فمزوج الهوى يسر
أحاط بي الحب فخلقي له بحر وقذاسي له بحر
تحقق رايبت الهوى بالردى فوقى وحولي للهوى عسر
سيان عندي في الهوى لائم أقل فيه والذي يكثر
أنت المفضى من بني برمك يا جعفر الخيرات يا جعفر
لا يبلغ الواصف في وصفه ما فيك من فضل ولا يعثر
من وفر المال بأغراضه فجعفر أعراضه أوفر
دياجة الملك على وجهه وفي يديه العارض المطر
سحت علينا منها دمة ينهل منها الغيب الأحمر
لو سحت كفاه جلمودة أنضر فيها الورق الأخضر
لا يستم المجد إلا تنسى يصير للبدل كما يصير
يهتر تاج الملك من فوقه فخراً ويهوي تحته المنير
أشبهه البدر إذا ما بدا أو غرة في وجهه تهرهر
والله ما أدري أبدر الدجى في وجهه أم وجهه أنور
يستمر الزوار منك الندى وأنت بالزوار تبشّر

وكتبت تحت أبياتها حاجتها، فركب من فوره إلى أبيه فأدخله على الخليفة فأشار عليه بشراتها فقال: لا والله لا أشتريها، وقد قال فيها الشعراء فأكثروا، واشتهر أمرها وهي التي يقول فيها أبو نواس:

إن عنان النطاق جارئة أصبح حرماً للتيك ميدان
لا يشتريها إلا ابن زانية أو قلاباً يكون من كانا

وعن ثمامة بن أشرس قال: بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد فأنته من منامه يكي مذعوراً فقلت: ما شأنك؟ قال: رأيت شيخاً جاء فأخذ بعضاتي هذا الباب وقال:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
قال فأجته:

وهي قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر، وكانت له فصاحة وبلاغة وكرم زائد، وكان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف فتفقه عليه، وصار له اختصاص بالرشيد، وقد وقع ليلة بمضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه.

وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان عن زيد بن ثابت كاتب الوحي. قال قال رسول الله ﷺ: إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السنين فيه. رواه الخطيب [تاريخ بغداد: ٣٤٠/١٢] وابن عساكر [تاريخ دمشق: ٤٧/٤٠] من طريق أبي القاسم الكعبي المتكلم، واسمه عبد الله بن أحمد البلخي - كان كاتباً لمحمد بن زيد - عن أبيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به. وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر بن يحيى للرشيد: يا أمير المؤمنين! قال لي أبي يحيى: إذا أقبلت الدنيا عليك فأعطها فإنها لا تفي، وإذا أدبرت عنك فأعط، فإنها لا تبقي، قال جعفر: وأشدني أبي.

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة - فليس يقصها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

قال الخطيب البغدادي: ولقد كان جعفر من علو القدر ونفاذ الأمر وعظم المحل وجلالة المنزلة عند الرشيد بمالة انفراد بها، ولم يشاركه فيها. وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر. أما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فأشهر من أن يذكر وأبين من أن يظهر. وكان أيضاً من ذوي الفصاحة والمذكورين والبلاغة.

وروى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطيعة العباس والعباسية أنه أصابته ضائقة، فآلح عليه المطالبون وعنده سقط فيه جوهر شرائه عليه ألف ألف درهم، فحمله إلى منه فاشتره بثمنه ووزن له ألف ألف، وقبض منه السقط وأجلسه عنده في تلك الليلة فلما رجع إلى منزله إذا السقط قد سبقه إلى منزله. فلما أصبح غدا إليه ليشره فوجده مع أخيه الفضل على باب الرشيد يستأذنان عليه، فقال له جعفر: إني قد ذكرت أملك للفضل، وقد أمر لك بألف ألف. وما أظنها إلا قد سبقتك إلى أهلك، وسأفاوض فيك أمير المؤمنين. فلما دخل ذكر له أمره وما لحقه من الديون فأمر له بثلاثمائة ألف دينار.

وكان جعفر ليلة في سمعه عند رجل من أصحابه فبجاءت الخنفساء فركبت ثياب الرجل فآلقها عنه جعفر وقال: إن الناس يقولون: إن من قصده الخنفساء يشرب بمال يصيبه. فأمر له جعفر بألف دينار أخرى. الخنفساء، فرجعت إلى الرجل فأمر له بألف دينار أخرى.

وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه: انظر جارية أشتريها تكون فائقة في جمالها وغناها وذكاها، ففتش الرجل فوجد جارية على التعت فطلب سيدها فيها مالا كثيراً على أن يراها جعفر، فذهب جعفر إلى منزل سيدها فلما رآها أعجب بها، فلما غتته أعجبه أكثر، فسأومه صاحبها فيها، وقال: قد أحضرنا مالا فإن أعجبك وإلا زدناك، فقال لها سيدها: إني كنت في نعمة وكنت عندي في غاية السرور، وإنه قد انقبض على حالي، وإني قد أحبيت أن أبيعك لهذا الملك، لتكونني عنده كما كنت عندي. فقالت: ياسيدي لو ملكت منك ما ملكت مني لم أبعك بالدنيا وما فيها، وأين ما كنت عاهنتني أن لا تبعيني ولا تأكل من ثمعي. فقال سيدها لجعفر وأصحابه: أشهدكم أنها حرة لوجه الله، وإني قد

بل نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر
قال ثمامة بن أشرس: فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب
رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد فنظر إليه فتأمله ثم أنشأ يقول:
تقاضاك دمرك ما أسلفا وكسدر عيشك بعد الصفاف
فلا تمجبن فإن الزمان رهين بتفريق ما ألفا
قال: فنظرت إلى جعفر وقلت: أما لئن أصبحت اليوم آية فلقد كنت
في الخير غاية، قال: فنظر إلي الرشيد كأنه جل صول ثم أنشأ يقول:
ما يعجب العالم من جعفر ما عابته فينا كانا
من جعفر أو من أبوه ومن كانت بنو برمك لولانا
ثم حول وجه فرسه وانصرف.

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر من سنة سبع وثمانين
ومائة، وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة، وكان له في الوزارة سبع عشرة سنة.
وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في يوم عيد أضحى تستمنحهم
جلد شاه تتدأ به، وسألوها عن أمرهم فقالت: أذكر أصبحت في مثل هذا
اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة، وإني لأقول: إن ابني جعفر أعاق
بني.

وروى الخطيب البغدادي أن سفيان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد
جعفرأ وما أحل بالبرامكة من النعمة، استقبل القبلة وقال: اللهم إن جعفرأ
كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة.
حكاية غريبة:

ذكر أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المنتظم [١٤٧/٩-١٤٨] أن المأمون
بلغه أن رجلاً يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة فيبكي عليهم ويندبهم، فبعث
من جابه به فدخل عليه وقد يش من الحياة، فقال له: ويحك! ما يملكك
على صنعك هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنهم أسدوا لي معروفاً وخبراً
كثيراً ولي خبر طويل. فقال: قل قال: أنا المنذر بن الغيرة من أهل دمشق،
كنت في نعمة عظيمة، فزال عني حتى أفضى بي الحال إلى أن بعث داري،
ولم يبق لي شيء، فأشاور بعض أصحابي علي بقصد البرامكة ببغداد، فأتيت
أهلي وتحملت ببغداد، فأتيت بشداد ومعني نيف وعشرون امرأة وصبيأ
فأترلتهم في مسجد مهجور ثم قصدت مسجداً مأهولاً أصلي فيه. فدخلت
فإذا فيه جماعة لم أر أحسن منهم، فجلست إليهم فجعلت أدير في نفسي
كلاماً أطلب به منهم قوتاً للعيال، فيمنعني من ذلك ذلك السؤال، فيينا أنا
كذلك إذا بخادم قد أقبل فاستدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم، فدخلوا
داراً عظيمة، فإذا الوزير يحيى بن خالد فيها فجلسوا حوله، فقد عقد ابنته
عائشة على ابن عم له ونثروا علينا سحق المسك وبنادق العنبر، ثم جاءت
الخادم إلى كل واحد من الجماعة بصيتية من فضة فيها ألف دينار، ومعها
فئات المسك، فأخذها القوم ونهضوا وبيت بين يدي الصيتية التي وضعوها
لي، وأنا أهاب أن أخذها من عظمتها عندي، فقال لي بعض الحاضرين: ألا
تأخذها وتقوم؟ فمددت يدي فأخذتها فأقرغت ذمها في جيبي وأخذت
الصيتية تحت إبطي وقمت، وأنا خائف أن تؤخذ مني، فجعلت أتلفت
والوزير ينظر إلي وأنا لا أشعر، فلما بلغت الستارة أمرهم فردوني فيشت
من المال، فلما رجعت قال لي: ما شئت خائف؟ فقصصت عليه خبري،
فبكي ثم قال لأولاده: خلوا هذا فضموه إليكم. فجاءني خادم فأخذ مني
الذهب والصيتية وأقامت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد، وخاطري كله

عند عيالي، ولا يكتفي الانصراف، فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم
فقال: ألا تذهب إلى أمك؟ فقلت: بلى والله، فقام بمشي أممي ولم يعطني
الذهب، فقلت: يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصيتية والذهب، يا
ليت عيالي رأوا ذلك. فسار بمشي أممي إلى دار لم أر أحسن منها، فدخلتها
فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحرير فيها، وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف
درهم وعشرة آلاف دينار، وكتاب فيه تمليك الدار بما فيها، وبقرتين
جليلتين، فكنيت مع البرامكة في أطيب عيش، فلما أصيبوا أخذ مني عمرو
بن مسعدة القريتين والأزني بخراجهما، فكلمنا لحقتي فاقة فقصدت دورهم
وقبورهم فبكيت عليهم. فامر المأمون برد القريتين، عليه وخراجهما فبكي
الشيخ بكاء شديداً فقال له المأمون: ألم استأنف بك جبيلأ؟ قال: بلى!
ولكن هو من بركة البرامكة. فقال المأمون: امض مصاحباً فإن الوفاء
مبارك، وحسن العهد من الإيمان.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ الفضيل بن عياض: أبو علي التميمي أحد أئمة العباد وعلم
الزهاد، وواحد العلماء الأولياء، ولد بخراسان بكسورة أيبورد وقدم الكوفة
وهو كبير، فسمع الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحسين
بن عبد الرحمن وغيرهم. ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها، وكان حسن السلاوة
كثير الصلاة والصيام، وكان سيذا كبير الشأن ثقة من أئمة الرواية رحمه الله
ورضي عنه. وله مع الرشيد قصة موعظته له، وقد رويها ذلك مطرولاً في
كيفية دخول الرشيد عليه منزله، وما قال له الفضيل بن عياض، وعرض
الرشيد عليه المال فأبى ذلك ولم يقبل منه شيئاً. وكانت وفاته بمكة في هذا
العام في الحرم منه.

وذكروا أنه كان شاطراً يقطع الطريق، وكان يتعشق جارية، فيينا هو
ذات ليلة يتصور عليها جذراً إذ سمع قارناً يقرأ ﴿الْمَ يَانَ لِلْنَّيْنِ أَمْتُوا أَنْ
تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: بلى! وبأ رب. وألق عما هو
فيه. ورجع إلى خربة فبات بها فسمع سفاراً يقولون: خذوا حذرکم إن
فضيلاً أمامکم يقطع عليهم الطريق، فأنشهم واستمر على توبته حتى كان
منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة، حتى صار علماً يقتدى به
ويهتدى بكلامه وفعله. رحمه الله.

قال الفضيل: لو أن الدنيا كلها حلال لا أحاسب بها لكننت أتقنرها
كما يتقنر أحدكم الحليفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه.
وقال: العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء،
والإخلاص أن يعافيك الله منها.

وقال له الرشيد يوماً: ما ازهدك؟ فقال: أنت أزهديني، لأنني زهدت
في الدنيا الفانية، وأنت زهدت في الآخرة الباقية.

ومن كلامه: لو أن لي دعوة مستجابة لدعوت بها لإمام عامّة فإنه إذا
صلح أمنت العباد والبلاد.

وقال أيضاً: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حاري وخادمي.
وقال في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوكُمْ بِكُفْرٍ كَثِيرٍ﴾ [الملك: ٢٠] قال:
يعني أخلصه وأصوبه، إن العمل يجب أن يكون خالصاً لله، وصواباً على

متابعة النبي ﷺ

وفيها توفي

بشر بن الفضل. وعبد السلام بن حرب. وعبد العزيز بن محمد
الدراوردي. وعبد العزيز العمي.

■ علي بن عيسى، الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في

الصائفة.

و ■ معمر بن سليمان

و ■ أبو شعيب البرائي الزاهد، وكان أول من سكن براءاً في كوخ له يتعبد فيه، فهو يهوى امرأة من بنات الرؤساء فانخلعت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والخشمة، وتزوجته وأقامت معه يتعبدان في ذلك الكوخ حتى ماتا رحمهما الله، ويقال: إن اسمها: جوهرة.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

فيها غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة فدخل بلاد الروم من درب الصفصاف فخرج القنوقور للاقائه فخرج القنوقور ثلاث جراحات، وانهزم، وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفاً، وغنموا أكثر من أربعة آلاف دابة. وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق.

وفيها حج بالناس أمير المؤمنين هارون الرشيد، وكانت آخر حجاته. وقد قال أبو بكر بن عياش حين رأى الرشيد متصرفاً من الحج - وقد اجتاز بالكوفة - لا يحج الرشيد بعدها، ولا يحج بعده خليفة أبداً. وقد لقيه بهلول الموله العاقل فوعظه موعظة حسنة، فروى عن طريق الفضل بن الربيع الحاجب قال: حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذي، فقلت: اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين، فسكت. فلما حاذاه المودج قال: يا أمير المؤمنين حدثني أين من نابل حدثنا قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ على جبل ومعه زحل رث، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك. فقلت: يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون، فقال: قد عرفته، قل يا بهلول فقال:

فهبَ أَنْ قَدْ مَلَكْتَ الْأَرْضَ طَرَفًا وَدَانَ لَكَ الْعِبَادُ فَكَأَنَّ مَا نَا الْيَسَّ غَدًا صَبْرَكَ جَوْفَ تَبْرِ وَيَحْشُو التُّرْبَ هَذَا نَمَ هَذَا قَالَ: أجدت يا بهلول، أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! من رزقه الله مالا وجلا فف في جماله، وواس في ماله، كتب في ديوان الأبرار. قال: فظن أنه يريد شيئاً، فقال: إنا أمرنا بقضاء دينك. فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، لا تقض شيئاً بدين، ارد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك. قال: إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني. وما أنا قد عشت عمراً لم تجر علي رزقاً، انصرف لا حاجة لي في جرايتك. قال: هذه ألف دينار خذها. فقال: ارددها على أصحابها فهو خير لك، وما أصنع أنا بها؟ انصرف عني فقد آتيتني. قال: فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنه الدنيا.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو إسحاق الفزاري: إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة، إمام أهل الشام في المخازي وغير ذلك.

أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما، توفي في هذه السنة. وقيل قبلها. و ■ إبراهيم الموصلي: التميمي، هو إبراهيم بن ماهان بن بهمن بن نُسك أبو إسحاق، أحد الشعراء والمثنيين والتدباء، أصله من الفرس وولاه للحظليلين وولد بالكوفة وصحب شبانها وأخذ عنهم الغناء، فأجاد في عمله ثم سافر إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقالوا له: الموصلي. ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظي عند الرشيد، وكان من جملة سماره وندمائيه

ومغنيه، وقد أثرى وكثر ماله جداً، حتى إنه يقال: إنه ترك أربعة وعشرين ألف ألف درهم، وكانت له طرف وحكايات غريبة، وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة في الكوفة، ونشأ في كفالة بني تميم، فتعلم منهم ونسب إليهم، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الغناء، وكان مزوَّجاً بأخت منصور الملقب بزبلز، الذي كان يضرب معه، فإذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس. وكانت وفاته في هذه السنة على الصحيح.

وحكى ابن خلكان في الوفيات [٤٣/١] قولاً أنه توفي هو وأبو الغنافية وأبو عمرو الشيباني النحوي ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومائتين. وصحح الأول. ومن أشعاره شعره عند احتضاره قوله:

مَلُّ وَاللَّسِي طِيْبِي مِنْ مَقَاسَةِ الَّذِي بِي
سَوْفَ أُنَمَى عَنْ قَرِيبٍ لِمَسْدُودٍ وَحِيْبٍ
وفيها مات:

جوز بن عبد الحميد. وروشد بن سعد. وعبد بن سليمان. وعقبة بن خالد. وعمر بن أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل. وعيسى بن يونس في قول.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الري فولى وعزل. وقطع ووصل.

وفيها ردَّ علي بن عيسى إلى ولاية خراسان، وجاءه نواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان، ثم عاد إلى بغداد فأدركه عيد الأضحى بقصر اللصوص فضحى عنده، ودخل بغداد ثلاث بقين من ذي الحجة، فلما اجتاز بالجسر أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقت ودفنت، وكانت مصلوقة من قتله إلى هذا اليوم، ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطبيها، وإنما مراده بمقامه بالرقة رجع المفسدين بها، وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد:

مَا أَتَخَبَّا حَتَّى ارْتَحَلْنَا فَمَا نَفَرْنَا بَيْنَ الْمُنَاخِ وَالْإِرْمَالِ
سَاءَ لُونَا عَنْ حَالِنَا إِذْ قَدَمْنَا قَفَرْنَا وَدَاعَهُمْ بِالْأَسْوَالِ

وفي هذه السنة فادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم، حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين. فقال فيه بعض الشعراء الألباء:

وَقَفْتُ بَكَ الْأَمْرَى الَّتِي شَدِيدَتْ مَحَابِسُ مَا فِيهَا حَيْمٌ يَزُورُهَا
عَلَى حَيْنٍ أَعْيَا الْمُسْلِمِينَ فَكَأَكْهَا وَقَالُوا سَجَوْا الْمُشْرِكِينَ قَبْرُهَا

وفيها رابط القاسم بن هارون الرشيد بمرج دابق محاصراً الروم. وفيها حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولاهم، الكوفي المعروف بالكسائي لإحرامه في كساء، وقيل لاشتغاله على حمزة الزيات في كساء، النحوي اللغوي أحد أئمة القراء، أصله من الكوفة ثم

حتى كأن من رأى قذراً من قبله
المسلم ينهى أهله أن يمتدحوه أهله
لعلمه بذلك لأهله ولعلمه
قال: فوجه به إليه في الحال هدية لا عارية.

وقال إبراهيم الحربي: قيل لأحمد بن حنبل: هذه المسائل الدقاق من أين هي لك؟ قال: من كتب محمد بن الحسن رحمه الله وكانت وفاة محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد من هذه السنة. فقال الرشيد: دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً. وكان عمر محمد بن الحسن ثمانياً وخمسين سنة.

سنة تسعين ومائة من الهجرة

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب سمرقند الطاعة ودعا إلى نفسه، وتابيه أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية، واستفحل أمره، فسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى فهزمه رافع وتقامم الأمر به. وفيها سار هارون الرشيد لغزو بلاد الروم لعشر بقين من رجب، وقد لبس على رأسه قلنسوة فقال فيها أبو المعلى الكلابي:

فمن يطلب لفسادك أو يبرده فبالخرمين أو أقصى الثنوبر
نقي أرض المدبر على طمر وفي أرض الترفس فوق كوبر
ثم وصل إلى الطرانة فسكر بها وبعث تغفر بالطاعة وحمل الخراج والحزبة حتى عن رأسه ورأس ولده، وأهل مملكته، في كل سنة خمسين ألف دينار، وبعث يطلب من الرشيد جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقة، وكان قد خطبها على ولده، فبعث بها الرشيد مع هدايا وتحف وطيب بعث بطلبه، واشترط عليه الرشيد أن يحمل في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وأن لا يعمر هرقة. ثم انصرف الرشيد راجعاً واستأب على الغزو عقبة بن جعفر.

ونقض أهل قبرص العهد فغزاهم ميعوف بن يحيى، فبى أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً. وخرج رجل من عبد القيس فبعث إليه الرشيد من قتله. وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى الهادي.

ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

■ أحمد بن عمرو بن عامر أبو المثلر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة، وحكم ببغداد وبواسط، فلما أنكر بصره عزل نفسه عن القضاء. روى عنه أحمد بن حنبل وقال: كان صدوقاً. ووثقه ابن معين، وتكلم فيه علي بن الحسين والبخاري.

■ وسهلون المجنون صام ستين سنة ففخت دماغه فسماه الناس المجنون، وقف يوماً على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

وقال الأصمعي: مررت به وهو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه، فقلت له: ما لي أراك عند رأس هذا الشيخ؟ فقال: إنه مجنون. فقلت: أنت المجنون أو هو؟ قال: لا بل هو، لأنني صليت الظهر والعصر جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى. وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم اشربها. قلت: فهل قلت في هذا شيئاً؟ قال: نعم، ثم أنشأ يقول:

استوطن ببغداد، فأدب الرشيد وولده الأمين، وكان قد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته، وكان يقرئ بها، ثم اختار لنفسه قراءة فكان يقرأ بها. وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما، وعنه يحيى بن زياد القراء وأبو عبيد.

وقد قال الشافعي: من أراد أن يتبحر النحو فهو عيال على الكسائي. وقد كان الكسائي أخذ عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً: عمن أخذت هذا؟ قال: من بوادي الحجاز. فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً، ثم عاد ومن ههنا العود إلى الخليل فإذا هو قد مات وتصدر في موضعه يونس، ففجرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس، وأجلسه في موضعه.

قال الكسائي: صليت يوماً بالرشيد فأعجبتني قراءته، فغلطت غلطة ما غلطها صبي، أردت أن أقول ﴿لعلهم يرجعون﴾ ﴿الأعراف: ١٨٦﴾، فقلت لعلهم يرجعون، فما تجاسر الرشيد أن يردعه. لكن لما سلمت قال: أي لغة هذه؟ فقلت: إن الجواد قد يعثر. فقال: أما هذا فتم.

وقال بعضهم: لقيت الكسائي فإذا هو مهوم، فقلت: ما لك؟ فقال: إن يحيى بن خالد قد وجه إليّ يسألني عن أشياء فأخشى من الخطأ، فقلت: قل ما شئت فأت الكسائي. فقال: قطعه الله - يعني لسانه - إن قلت ما لم أعلم.

وقال الكسائي يوماً قلت لنجار: بكم هذان البابان؟ فقال: بسلحطان يا مصفعان.

توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور، عن سبعين سنة. وكان في صفة الرشيد ببلاد الري فمات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد، وكان الرشيد يقول: دفنت الفقه والعربية بالري.

قال القاضي ابن خلكان (وفيات الأعيان: ٢٩٦/٣): وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة فإله أعلم.

وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبلدر فقال له: ما فعل ربك بك؟ فقال: غفر لي بالقرآن. فقلت: ما فعل حمزة؟ قال: ذاك في عليين ما نراه إلا كما ترى الكوكب.

■ محمد بن الحسن بن فرقد: أبو عبد الله الشيباني مولاها، صاحب أبي حنيفة. أصله من قرية من قرى دمشق، قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط سنة ثنتين وثلاثين ومائة، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة ومسلم والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف، وسكن بغداد وحدث بها، وكتب عنه الشافعي حين قدمها في سنة أربع وثمانين ومائة وقرّ بعير، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله وخرج مع الرشيد إلى الري فمات بها.

وكان يقول لأهله: لا تسألوني حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبي. وخذوا ما شئتم من وكيلي فإنه أقل همي وأفرغ قلبي.

وقال الشافعي: ما رأيت حبراً سمياً مثله، ولا رأيت أخف روحاً منه، ولا أنصح منه. كنت إذا سمعته يقرأ وكان القرآن نزل بخلته.

وقال أيضاً ما رأيت أعقل من محمد بن الحسن، كان يملأ العين والقلب.

قال الطحاوي: كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن كتاب السير فلم يجبه إلى الإعارة فكتب إليه:

فصل للذي لم تر عيلاً من رآه مثله

تركتُ النِيذَ لأهلِ النِيْلِ وأصبحتُ أشربُ ماءَ قراحا
لأن النِيذَ يَنْذِرُ العِزَّ ويَكُونُ بِذاكِ الوجوهِ الصُّباحا
فإنَّ كَأَنَّا جَانِثًا لِلشَّبابِ فما العِزُّ مَنهُ إذا الشَّيْبُ لاحا

قال الأصمعي: فقلت له: صدقت، وانصرفت

و■ عيلة بن حيد بن صهيب أبو عبد الرحمن اليماني الكوفي، مؤدب
الأميين. روى عن الأعمش وغيره، وعنه أحمد بن حنبل. وكان يثني عليه.

■ يحيى بن خالد بن برمك: أبو علي الوزير والد جعفر البرمكي، ضم
إليه المهدي ولده الرشيد فراه، وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى، فلما
ولى الرشيد عرف له حقه، وكان يقول: قال أبي. وفرض إليه أمور الخلافة
وأزتها، ولم يزل كذلك حتى نكبت البرامكة فقتل جعفرًا وخلد أباه يحيى
في الحبس حتى مات في هذه السنة.

وكان كريماً فصيحاً، ذا رأي سديد، يظهر من أموره خير وصلاح.
قال يوماً لولده: خلوا من كل شيء طرقاتاً، فإن من جهل شيئاً عاداه.
وقال لأولاده: اكثروا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون،
وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

وكان يقول لهم: إذا أقبلت الدنيا فأنفقوا منها فإنها لا تقضى، وإذا
أدبرت فأنفقوا منها فإنها لا تبقى.

وكان إذا سأل سائل في الطريق وهو راكب أقل ما يأمر له بمائتي درهم
فقال رجل يوماً:

يا سمي الحضور يحيى أتيت لك من فضل رينا جتان
كل من سُر في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لئلا يلبس قليل هي منكم للقباس العجلان

فقال: صدقت. وأمر أن فسق به إلى الدار، فلما رجع سأل عنه فإذا
هو قد تزوج وهو يريد أن يدخل على أهله فاعطاه صدقاتها أربعة آلاف،
وثن دار أربعة آلاف، وعن الأمتة أربعة آلاف. وثن الدخول أربعة
آلاف، ولربعة آلاف يستظهر بها.

وجاءه رجل يوماً فسأله شيئاً فقال: ويحك لقد جتني في وقت لا أملك
فيه مالا، ولكن قد بعث إلي صاحب إلي يطلب مني أن يهدي إلي ما أحب،
وقد بلغني أنك تريد أن تبع جارية لك، وأنت قد أعطيت فيها ثلاثة آلاف
دينار، وإنني سأطلبها منه فلا تبعها منه بأقل من ثلاثين ألف دينار. فلما
جاءني يسأمني فيها ألحجت أن لا أبيعها بأقل من ثلاثين ألف دينار، فبلغ
في ثمنها عشرين ألف دينار، فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردّها، وأجبت
إلي بيعها، فآخذها وأخذت العشرين ألف دينار. فأهداها إلي يحيى، فلما
اجتمعت يحيى قال: بكم بيعتها؟ قلت: بعشرين ألف دينار. قال: إنك
لخسيس خذ جارياتك إليك وقد بعث إلي نائب فارس يطلب مني أن
أستهديه شيئاً، وإنني سأطلبها منه فلا تبعها بأقل من خمسين ألف دينار.
فجاؤني فوصلوا إلي ثلاثين ألف دينار، فبعتها. فلما جتته لامني أيضاً
وردها علي، فقلت: أشهدك أنها حرة وقد تزوجتها، وقلت: جارية قد
أفادتني خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد الزيم.

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف ألف
درهم، ولم يكن عنده منها سوى ألف ألف درهم، فضاق ذرعاً، وقد توعدّه
إن لم يجمعه في يومه ذلك بالقتل وخراب الديار، فدخل على يحيى بن
خالد وذكر له أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف، واستطلق له من ابنه

الفضل ألقى ألف، وقال لابنه: يا بني بلغني أنك تريد أن تشتري بها ضيعة.
وهذه ضيعة تغل الشكر وتبقى مدى الدهر. وأخذ له من ابنه جعفر ألف
ألف، وأخذ له من جاريته دنائير عقداً مُشتراه بمائة ألف دينار، وعشرون
ألف دينار، وقال للمترسم عليه: قد حسبناه عليك بألفي ألف. فلما
عرضت الأموال على الرشيد رد العقد، وكان قد وهبه لجارية يحيى، فلم
يعد فيه بعد أن وهبه لها. وقال له بعض بنيهم في السجن والقيود: يا
أبت بعد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هذا الحال، فقال: يا بني دعوة
مظلوم سرت بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها. ثم أنشأ يقول:

رب قوم قد خلدوا في نعمة زمناً والدُّرُريُّ غرق
سكت الدهر زماناً عنهم ثم إكهام مآحين نطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجري على سفيان بن عينة كل شهر ألف
درهم، وكان سفيان يدعو له في سجوده يقول: اللهم إنه قد كفاني المؤنة
وفرغني للمعبدة فأكفه أمر آخرته. فلما مات رآه بعض أصحابه في المنام
فقال: ما فعل الله لك؟ قال: غفر لي بدعاء سفيان.

وقد كانت وفاة يحيى بن خالد رحمه الله في الحبس بالرافقة لثلاث
خلون من الحرم في هذه السنة عن سبعين سنة، وصلى عليه ابنه الفضل،
ودفن على شط الفرات، وقد وجد في جيبه رقعة مكتوب فيها بخطه: قد
تقدم الخصم والمدعى علي بالأثر، والحاكم الحكم العدل الذي لا يجوز ولا
يحتاج إلى بينة. فحملت إلى الرشيد فلما قرأها ما زال يبكى يومه ذلك،
وبقي أياماً يتنين الأسى في وجهه. وقد قال بعض الشعراء في يحيى بن
خالد هذا:

سألت النسا هل أنت حرّ فقال لا ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد
فقلتُ شجرةً قال لا بل ورائة توارثني عن والدٍ بعد والدٍ

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

ففيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف، وجعل يتنقل
فيها من بلد إلى بلد، فوجه إليه الرشيد طروق بن مالك فهزمه وجرح ثروان
وقتل عامة أصحابه، وكتب بالفتح إلى الرشيد.

وفيها خرج بالشام أبو النداء فوجه إليه الرشيد يحيى بن معاذ واستتابه
على الشام.

وفيها وقع الثلج ببغداد.

وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن غلغل المهبيري في عشرة آلاف، فأخذت
عليه الروم المضيّق فقتلوه في خمسين من أصحابه على مرحلتين من
طرسوس، وانهزم الباقيون، وولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين،
وضم إليه ثلاثين ألفاً فهم مسرور المحامد، وإليه التفقات.

وخرج الرشيد إلى الحشد ليكون قريباً منهم. وأمر الرشيد بهدم
الكنائس بالثغور، وألزم أهل الذمة بتميز لباسهم وهياتهم في بغداد وغيرها
من البلاد.

وفيها عزل الرشيد علي بن موسى عن إمرة خراسان وولاهها هرثمة
بن أعين.

وفيها فتح الرشيد هرقة في شوال وخرّبها وسبى أهلها وبث الجيوش
والسرايا بأرض الروم وخرجت الروم إلى عين زُرُسي، والكنيسة السوداء.

وفيهما تحرك ثروان الحروري وقتل عامل السلطان بطف البصرة.
وفيهما قتل الرشيد الميصم اليماني.

ومات.

■ عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد فمات في الطريق.

وفيهما حج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المصور.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن جامع: بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة أبو القاسم، أحد المشاهير بالغناء، ومن يضرب به المثل فيه يقال: غناء ابن جامع، وقد كان أولاً يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الغناء وترك القرآن، وذكر عنه أبو الفرج علي بن الحسين الأصمهاني صاحب الأغاني حكايات غريبة، من ذلك أنه قال: كنت يوماً مشرفاً في غرفة بحران إذ أقبلت جارية سوداء معها قرية تستغي فيها من مشرعة، فجلست ووضعت قريتها واندفعت تغي:

إلى الله أشكو بخلها وسماحي لها عسل مني وتبذل علقما
فردني مصاب القلب أنت تلتني ولا تبدي فيما تجتمعت كلتما

قال: فسمعت ما لا صبر لي عنه ورجوت أن تعيده فقامت وانصرفت، فزلت وانطلقت وراءها وسألها أن تعيده فقالت: إن علي خراجاً كل يوم درهمين، فأعطيتها درهمان فأعادته فحفظته وسلكته يومي ذلك، فلما أصبحت أنسيته فأقبلت السوداء فزلت فسألها أن تعيده فلم تفعل إلا بلرهمين، ثم قالت: كأنك تستكثر أربعة دراهم. كأي بك وقد أخذت به أربعة آلاف دينار.

قال ابن جامع: فغنيته ليلة للرشيد فأعطاني ألف دينار، ثم استعاض به ثلاثاً أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار، فبست فقال: مم تبست؟ فذكرت له القصة، فضحك وألقى إلي كيساً آخر فيه ألف دينار. وقال لا تكذب السوداء.

وحكي عنه أيضاً قال: أصبحت يوماً بالمدينة وليس معي إلا ثلاثة دراهم فإذا جارية على رقبها جرة تريد الركي وهي تسعى وتترنم بصوت شجي وتقول:

شكونا إلى أحبابنا طويلاً ليلنا فقالوا لنا ما أنصّر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم سراعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا

إذا ما دنا الليل المضّر لذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلنا نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا

قال: فاستعته منها وأعطيتها الثلاثة دراهم فقالت: لتأخذن بها ألف دينار، وألف دينار وألف دينار. فأعطاني الرشيد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت.

■ بكر بن الطاح أبو وائل الحنفي البصري الشاعر المشهور، نزل بفناد زمن الرشيد، وكان يعاشر أبا العتاهية.

قال أبو هفان: أشعر أهل النزل من المحدثين أربعة، أولهم بكر بن الطاح.

وقال المبرد: سمعت الحسن بن رجا يقول: اجتمع جماعة من الشعراء ومعه بكر بن الطاح يتناشدون، فلما فرغوا من طواهم أنشد بكر بن

وكان خراج هرقله في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرفوق، وولى حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر، ودخل جزيرة قبرص فبسى أهلها وحملهم حتى باعهم بالرافقة، فبلغ ثمن الأسقف ألفي دينار، باعهم أبو البختري القاضي.

وفيهما أسلم الفضل بن سهل على يدي المأمون.

وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن علي العباسي وكان والي مكة، ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة وماتين.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ سلمة بن الفضل الأبرش.

■ عبد الرحمن بن القاسم الفقيه الراوي عن مالك الذي هو العملة في منهب مالك فيما يرويه عن الإمام مالك، وكان من كبار الصالحين.

■ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، قدم على الرشيد فأمر له بمال جزيل، نحواً من خمسين ألفاً فلم يقبله.

■ الفضل بن موسى السنياني.

■ محمد بن سلمة.

■ مخلد بن الحسين الميصبي أحد الزهاد الثقات. قال لم أتكلم بكلمة احتاج إلى الإعتناء منها منذ خمسين سنة. ومعمر الرقي.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة

ففيها دخل حرثة بن أعين إلى خراسان نائباً عليها، وقبض على علي بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على راحلة ونادى عليه ببلاد خراسان، وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك، ثم سيره إلى الرشيد بعد ذلك فحسب يداره ببغداد.

وفيهما ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نيابة الثغور فدخل بلاد الروم وفتح مطمورة.

وفيهما كان الفداء بين المسلمين والروم على يدي ثابت بن نصر.

وفيهما خرجت الحرّمية بالجليل وبلاد أذربيجان. فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن المهيم الخزاعي في عشرة آلاف فارس فقتل منهم خلقاً وأسر وسبي ذراريهم، وقدم بهم بغداد فأمر الرشيد بقتل الرجال منهم، وبالدزيرة فيبعوا بها. وكان قد غزاهم قبل ذلك خزعة بن خازم.

وفي ربيع الأول منها قدم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم وبين يديه خزعة بن خازم، ومن نية الرشيد الذهاب إلى خراسان لغزو رافع بن ليث الذي كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها، ثم خرج الرشيد في شعبان قاصداً خراسان، واستخلف على بغداد ابنه محمداً الأمين، وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفاً من غدر أخيه الأمين، فأذن له فصار معه وقد شكوا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمراءه جفاء بنيه الثلاثة الذين جعلهم ولاء العهد من بعده، وأراه داء في جسده، وقال إن لكل واحد من الأمين والمأمون والقاسم عندي عينا علي، وهم يعلمون أنفاسي، ويتمنون انتضاء أبيامي، وذلك شر لهم لو كانوا يعلمون. فدعا له ذلك الأمير ثم أمره الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه، وكان آخر العهد به.

الطاح لنفسه:

ما ضرها لو كتبت بالرضى فجفَ جفنُ العين أو أغمضا
شفاعةً مردودةً عندها في عاشتي تذلُّمَ لو قُذِّ قضي
يا نفسُ صبراً واعلمي أنما يأمَلُ منها مثلما قُذِّ مضى
لم تضرني الأجفانُ مِن قاتلٍ بلحظه إلا لأن أمرضاً
قال: فأبتدوه يقبلون رأسه.
ولما مات رثاه أبو العتاهية فقال:

مات ابنُ نطاحِ أبو وائلٍ بكرُ فامسى الشعرُ قُذِّ باناً
■ يهلولُ المجنون، كان يأوي إلى مقابر الكوفة، وكان يتكلم بكلمات
حسنة، وقد لقي الرشيد وهو ذاهب إلى الحج فوعظه وذلك في سنة ثمان
وثمانين كما تقدم.

■ عبد الله بن إدريس: الأودي الكوفي، سمع الأعمش وابن جريح
وشعبة ومالكا وخلقاً سواهم.
وروى عنه جماعات من الأئمة، وقد استدعاه الرشيد ليؤليه القضاء
فقال: لا أصليح، وامتنع أشد الامتناع، وكان قد سأل قبله وكيعاً فامتنع
أيضاً، فطلب حفص بن غياث قبله.
وأطلق لكل واحد خمسة آلاف درهم عوضاً عن كلفة السفر، فلم يقبل
وكيع ولا ابن إدريس، وقبل ذلك حفص، فحلف ابن إدريس لا يكله
أبداً.

وحج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو
يوسف والأمين والمأمون، فأمر الرشيد بجمع شيوخ الحديث لسمعوا الأمين
والمأمون، فاجتمعوا إلا ابن إدريس هذا، وعيسى بن يونس. فركب الأمين
والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من المشايخ إلى ابن
إدريس فاسمعهما مائة حديث، فقال له المأمون: يا عم إن أردت أعدتها
من حفظي، فأذن له فاعادها من حفظه كما سمعها، فتعجب لحفظه ابن
إدريس. ثم أمر له المأمون بمال فلم يقبل منه شيئاً، ثم سارا إلى عيسى بن
يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بعشرة آلاف فلم يقبلها، فظن أنه
استقلها فاضمها فقال: والله ولا إله إلا الله، لو ملأت لي المسجد مالا إلى
سقفه ما قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله ﷺ.

ولما احتضر ابن إدريس بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن
في هذا البيت أربعة آلاف ختمه.

■ صعصعة بن سلام: ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الدمشقي، ثم
تحول إلى الأندلس فاستوطنها في زمن عبد الرحمن بن معاوية وابنه هشام،
وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى بلاد الأندلس،
وولي الصلاة بقرطبة، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما
يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه.

وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز.

وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه، وذكره في كتاب
الفقهاء، وذكره ابن يونس في تاريخه - تاريخ مصر - والحليدي في تاريخ
الأندلس، وحرر وفاته في هذه السنة أعي سنة ثنتين وسبعين ومائة.
وحكى عن شيخه ابن حزم أن صعصعة هذا أول من أدخل مذهب
الأوزاعي إلى الأندلس.

وقال ابن يونس: هو أول من أدخل علم الحديث إليها. وذكر أنه توفي

قريباً من سنة ثمانين ومائة، والذي حرره الحميدي في هذه السنة أثبت.

■ علي بن طبيان: أبو الحسن العباسي الكوفي قاضي الشريعة من
بغداد، زمن الرشيد. كان ثقة عالماً من أصحاب أبي حنيفة، ثم ولاء الرشيد
قاضي القضاة، وكان الرشيد يخرج معه إذا خرج من عنده، مات بقرميسين
في هذه السنة.

■ العباس بن الأحف: بن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور، كان من
عرب خراسان ونشأ ببغداد، وكان لطيفاً ظريفاً مقبولا حسن الشعر.
قال أبو العباس: قال عبدالله بن المعتز: لو قيل لي: من أحسن الناس
شعراً تعرفه؟ قلت: العباس.

قد سَحَبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا - وفرقَ الناسُ فينا قَوْفَهمَ فَرَقَا
فكاذِبٌ قد رمى بالحُبِّ غيرَكم - وصادقٌ ليسَ يَئِثُرُ أَنه صَدَقَا
وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فانزعج لذلك، وخاف
نساؤه، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له: ويحك إنه قد عن لي بيت في
جارية لي فأجبت أن تشفعه بمنله، فقال: يا أمير المؤمنين ما خفت قط
أعظم من هذه الليلة، فقال: ولم؟ فذكر له دخول الحرس عليه في الليل، ثم
جلس حتى سكن روعه ثم قال: ما قلت يا أمير المؤمنين؟ فقال:

جنان قُذِّ وأبناها - فلمَ نَرَمَ مثلها بشِرا
فقال العباس:

يزيدُك وجهها حسناً - إذا ما زدتُكَ نظَرا
فقال الرشيد: زد. فقال:

إذا ما الليلُ مالَ عليكَ - لك بالإِثْلَامِ واعتكرا
ودجٍ فلم تَصرِ قَمرًا - فأبرزها تَصرِ قَمرًا
فقال: إنا قد رأيناها، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم.

ومن شعره الذي أقر له فيه بشار بن برد وأثبه في سلك الشعراء بسببه
قوله:

أبكي الذينَ أذاقوني مودتهم - حتى إذا أبغظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت متصباً - بقل ما حلوني منهم قعدوا
وله أيضاً:

وحدثني يا سعدُ عنها فردتني - جنوناً فردني من حديثك يا سعدُ
هوها هوى لم يعرفه القلبُ غيرَه - فليسَ له قَبْلُ وليسَ له بَعْدُ
قال الأصمعي: دخلت على العباس بن الأحف بالبصرة وهو طريق
على فراشه يجود بنفسه وهو يقول:

يا بعيدَ الدارِ عَن وطني - مفرداً يَكسي على شَجَنه
كلما شَدَّ النَجاةُ بِو - زادتِ الأسقامُ في بدنَه

ثم أغمي عليه فأنته بصوت طائر على شجرة فقال:

ولقد زادَ القَواذُ شَجِي - هاتِفَ يَكسي على فتَنه
شاقَّةٌ ما شاقَّني فبكى - كلنا يَكسي على سَكَنه

قال: ثم أغمي عليه أخرى فحركته فإذا هو قد مات.

قال الصولي: كانت وفاته في هذه السنة.

وحكى القاضي ابن خلكان أنه توفي بعدها.

وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة والله أعلم.

وزعم بعضهم أنه بقي بعد الرشيد.

■ عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور: أخو زبيدة كان نائباً على البصرة في أيام الرشيد فمات في أثناء هذه السنة.

■ الفضل بن يحيى: بن خالد بن برمك أخو جعفر وإخوته، كان هو والرشيد يتراضعان. أرضعت الخيزران فضلاً هذا، وأرضعت أم الفضل - وهي زبيدة بنت سنان، ببرية - هارون الرشيد. وكانت زبيدة هذه من مولدات المدينة، وقد قال في ذلك بعض الشعراء:

كنى لك فضلاً أن أفضل حرة غلتك بشدي والخليفة واحداً
لقد زنت يحيى في المشاهد كلها كما زان يحيى خالداً في المشاهد

قالوا: وكان الفضل بن يحيى أكرم من أخيه جعفر، ولكن كان فيه كبر شديد، وكان عبوساً، وكان جعفر أحسن بشراً منه وأطلق وجهاً، وأقل عطاء. وكان الناس إليه أميل، ولكن خصلة الكرم تغطي جميع القبايح، فهي تستر تلك الخصلة التي كانت في الفضل.

وقد وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم فعابه أبوه في ذلك، فقال: يا أبت إن هذا كان يصحني في العسر واليسر والعيش الخشن، واستمر معي في هذا الحال فأحسن صحتي، وقد قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يؤنسهم في المنزل الخشن
وهب يوماً لبعض الأدياء عشرة آلاف دينار فبكي الرجل فقال له:

مم تبكي، استقلتها؟ قال: لا والله، ولكني أبكي أسفاً أن الأرض توارى مثلك.

وقال علي بن الجهم عن أبيه: أصبحت يوماً لا أملك شيئاً ولا علف الدابة. فقصدت الفضل بن يحيى، فإذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس، فلما رأيته رجب بي وقال: هلم. فمرت معه، فلما كان ببعض الطريق سمع غلاماً يدعو جارية من دار، وإذا هي باسم جارية له يحبها، فأنزعج لذلك وشكا إلي ما لقي من ذلك، فقلت: أصابك ما أصاب أخي بني عامر حيث يقول:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهبج أحزان الفؤاد ولا يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدرى

فقال: اكتب لي هذين البيتين. قال: فذهبت إلى بقال فرهنت عنده خاقمي على ثمن ورقة وكتبتهما له، فأخذهما وقال: انطلق راشداً. فرجعت إلى منزلي فقال لي غلامي: هات خاتلك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف للدابة، فقلت: إني رهنه. فما أمنيته حتى أرسل إلي الفضل بثلاثين ألفاً، وعشرة آلاف درهم، سلفاً لشهرين من رزق أجراه علي.

ودخل عليه بعض الأكابر فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير، فشكا إليه الرجل ديناً عليه وسأله أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين. فقال:

نعم، وكم دينك؟ قال ثلاثمائة ألف درهم. فخرج من عنده وهو مهموم لضعف رده عليه، ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فإذا المال قد سبقه إليه. وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء:

لك الفضل بأفضل بن يحيى بن خالد وما كل من يدعى بفضل له الفضل
رأى الله فضلاً منك في الناس واسعاً فمناك فضلاً فالتقى الاسم والفعل

وقد كان الفضل أكبر رتبة من جعفر، ولكن جعفراً أعطى عند الرشيد

منه وأخص. وقد ولي الفضل أعمالا كباراً، منها نيابة خراسان وغيرها.

ولما قتل الرشيد جعفرأ وحبس البرامكة جلد الفضل بن يحيى بن خالد هذا مائة سوط وخلده في السجن حتى مات في هذه السنة، قبل الرشيد بشهور خمسة بالرقعة وصلى عليه بالقصر الذي مات فيه أصحابه، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة، وكان سبب موته قتل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة، وتوفي قبل أذان الغداة من يوم السبت.

قال ابن جرير [رواه: ٣٤١/٨]: وذلك في الحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائة.

وقال ابن الجوزي في المنتظم [٢٠٩/٩] كان ذلك: في ستة ثنتين وتسعين قاله أعلم.

وقد أطال القاضي ابن خلكان ترجمته وذكر طرفاً صالحاً من عاصمه ومكارمه: من ذلك أنه ورد بلغ حين كان نائباً على خراسان، وكان بها بيت النار التي كانت تعبد الجوس، وقد كان جده برمك من خدامها، فهدم بعضه ولم يتمكن من هدمه كله، لقوة إحكامه، وبني مكانه مسجداً لله تعالى. وذكر أنه كان يمثل في السجن بهذه الآيات ويكي:

إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى ففي يده كشف المضرة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جامعنا السجن يوماً لحاجة عجبنا وقتلنا جاء هذا من الدنيا

و■ محمد بن أمية الشاعر الكاتب، وهو من بيت كلهم شعراء، وقد اختلط أشعار بعضهم في بعض. وله شعر رائق ووديع فائق.

■ منصور بن الزهرقان: بن سلمة أبو الفضل العمري الشاعر، امتدح الرشيد، وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لجده مطعم الكيش الرخم، وذلك أنه أضاف قوماً فجعلت الرخم تملأ حولهم، فأمر بكيش ينبح للرخم حتى لا يتأذى بها أضيافه قليل، ففعل له ذلك لذلك فقال الشاعر فيه:

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكباش يقرى الرخم
وله أشعار حسنة، وكان يروي عن كلثوم بن عمرو، وكان شيخه الذي أخذ عنه الغناء.

■ يوسف ابن القاضي أبي يوسف: يعقوب بن إبراهيم سمع الحديث من السري بن يحيى ويونس بن أبي إسحاق، ونظر في الرأي وتفقه، وولي قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياة أبيه، وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن أمر الرشيد. توفي في رجب من هذه السنة وهو قاض ببغداد.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

قال ابن جرير [رواه: ٣٤١/٨]: ففي الحرم منها توفي

■ الفضل بن يحيى، وقد أُرُخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثنتين وتسعين كما تقدم.

قال: وفيها توفي

■ سعيد الجوهري.

قال: وفيها وصل الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن علي بن عيسى تحمل على ألف وخمسمائة بغير، وذلك في صفر منها، ثم تحول منها إلى

وكان الرشيد أبيض طويلاً سمياً جميلاً.

وقد غزا الصائفة في حياة أبيه مراراً، وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية، وقد لقي المسلمون من ذلك جهداً جهيداً وخوفاً شديداً، وكان الصلح مع امرأة اليون وهي الملقبة بأغسطة على حمل كثير تبذله للمسلمين في كل عام، ففرح المسلمون بذلك في المشرق والمغرب كما تقدم، وكان هذا هو الذي حدا بأباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة، ثم لما أفضت الخلافة إليه بعد أخيه في سنة سبعين ومائة كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزواً وحجاً بنفسه، ولهذا قال فيه أبو العلي:

فمن يطلب لفسادك أو يبرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
فسي أرض العدو على طمر وفي أرض البئسة فسوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق من المستخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وإبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالفقه السابعة والكسوة الثمينة، وكان يحب التشبه بجمه أبي جعفر المنصور إلا في العطاء، فإنه كان سريع العطاء جزيله، وكان يحب الفقهاء والشعراء والأدباء ويعطيهم كثيراً، ولا يضيع لديه بر ولا معروف، وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله. وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعاً، إلى أن فارق الدنيا، إلا أن تعرض له علة.

وكان ابن أبي مريم المدني هو الذي يضحكه، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها، وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخطه بأمله. نهبه الرشيد يوماً إلى صلاة الصبح فقام فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ في الصلاة: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [س: ٢٢] فقال ابن أبي مريم: لا أدري والله. فضحك الرشيد وقطع الصلاة، ثم أقبل عليه وقال: ويحك اجتنب الصلاة والقرآن ولك ما عدا ذلك.

ودخل يوماً العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب، فجعل يمدحها ويؤيد في شكرها، وسأل من الرشيد أن يقيها منه فقبلها فاستوبها منه ابن أبي مريم فوهبها له، فقال له العباس: ويحك! جئت بشيء منمتة نفسي وأهلي وآثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته. فحلف ابن أبي مريم لطيفين به استه، ثم أخذ منها شيئاً فظلى به استه ودهن جوارحه كلها منها، والرشيد لا يتمالك نفسه من الضحك. ثم قال لخدم قائم يقال له خاقان: اطلب لي غلامي. فقال الرشيد: ادع له غلامه. فقال له: خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فمرها فلتطيب منها استه حتى أرجع إليها فأتيكها. فذهب الضحك بالرشيد كل مذهب، ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له: جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين الذي ما تمطر السماء شيئاً ولا تبت الأرض شيئاً إلا وهو تحت تصرفه وفي يده؟ وأعجب من هذا أن قبل ملك الموت: ما أملك به هذا فانفذ. وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه يقال أو خباز أو طباط أو ثمار، فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك. ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم.

وقد شرب الرشيد يوماً دواء فسأله ابن أبي مريم أن يلي الحجابة في هذا اليوم، ومهما حصل له فهو بينه وبين أمير المؤمنين، ففلا الحجابة، فجات الرسل بالهلالي من كل جانب. من عند زينة والبرامكة وكبار الأمراء، فكان حاصلة في هذا اليوم ستين ألف دينار، فسأله الرشيد في اليوم

طوس وهو عليل، فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها.

وفيها توافق هرثة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرثة وافتح بخاري وأسر أخاه بشير بن الليث، فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس مثقل عن السير، فلما أوقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه، بل قال: والله لو لم يبق من عمري إلا أن أحرك شفتي بقتلك لقتلتك، ثم دعا بقصاب فجزأه بين يديه أربعة عشر عضواً، ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من رافع كما يمكنه من أخيه بشير.

ذكر وفاة هارون الرشيد

كان قد رأى وهو بالرقعة رؤيا أفزعته وغمه ذلك، فدخل عليه جبريل بن جنيش فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: رأيت كأن كفاً فيها تربة حمراء خرجت من تحت سريري هذا وقائلاً يقول: هذه تربة أمير المؤمنين. فهون عليه جبريل أمرها وقال: هذه من أضغاث الأحلام ومن حديث النفس، فتأسها يا أمير المؤمنين. فلما سار يريد خراسان ومصر بطوس واعتقلته العلة بها، ذكر رؤياه التي كان رأى فهاهه ذلك وانزعج جداً، فدخل الناس عليه فقال جبريل يحك! أما تذكر ما قصصه عليك من الرؤيا؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين فكان ماذا؟ فدعا مسروراً الخادم وقال: اتني بشيء من تربة هذه الأرض، فجاهه بترية حمراء في يده، فلما رآها قال: والله هذه الكف التي رأيت، والتربة التي كانت فيها. قال جبريل: فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفي رحمه الله.

وقد أمر جعفر بقره قبل موته في الدار التي كان فيها، وهي دار حميد بن أبي غانم الطائي، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول: يا بن آدم تصير إلى هنا. ثم أمر بقره فقرروا في القبر القرآن حتى ختموه وهو في غمفة على شفير القبر ولما حضرته الوفاة احتجى بملازمة وجلس يقاسي سكرات الموت، فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين لو اضطجعت كان أهون عليك. فضحك ضحك صحيح ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

وإني من قوم كرام يزيدهم شماساً وصبراً شدة الحذلان
وكانت وفاته ليلة السبت، وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، عن خمس، وقيل سبع وأربعين سنة. وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة.

وهذه ترجمته

هو

■ هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد المهدي ابن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، أبو محمد، ويقال أبو جعفر. وأمه الخيزران أم ولد. وكان مولده في شوال سنة ست وقيل سبع، وقيل ثمان وأربعين ومائة، وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة، ويوقع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي في ربيع الأول سنة سبعين ومائة، بعهد من أبيه المهدي كما تقدم.

روى الحديث عن أبيه وجده، وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وأورد وهو على المنبر وهو يحث الناس.

وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمي والد إسحاق، ونباتة بن عمرو.

هذا الطعام من لحم الجزور يقرؤ عليك؟ قال: بأربعة دراهم. قال: لا والله، يا أمير المؤمنين بل بأربعة آلاف درهم. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنك طلبت من طبابخ هذا لحم الجزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده، فقلت: لا يخلون المطبخ من لحم جزور، فنحن ننحر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين، لأننا لا نشترى لحم الجزور من السوق. فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعة آلاف درهم، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم الجزور إلا هذا اليوم. قال جعفر: فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة. فهي على أمير المؤمنين بأربعة آلاف.

قال: فيكي الرشيد بكاء شديداً وأقبل على نفسه ويخنها ويقول: هلكت والله يا هارون وأمر برفع السماط من بين يديه، ولم يزل يكي حتى أذنه المؤذنون بصلاة الظهر، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يكي حتى أذنه المؤذنون بصلاة العصر، وقد أمر بالقي ألف يتصدق بها في جاني بغداد كل حرم ألف ألف صدقة، وأمر بالقي ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة. ثم خرج لصلاة العصر ثم رجع يكي حتى صلى المغرب، ثم رجع، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال: ما شأنك يا أمير المؤمنين باكياً في هذا اليوم؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته، وإنما ناله منها لقمة. فقال أبو يوسف لجعفر: هل كان ما تدجوحنه من الجزور يفسد، أو يأكله الناس؟ قال: بل يأكله الناس. فقال: أبشرا يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية، وبما يسره الله عليك من الصدقة في هذا اليوم على الفقراء، وبما رزقك الله من خشية وخوفه في هذا اليوم، وقد قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] فأمر له الرشيد بأربعة آلاف. ثم استدعى بطعام فاكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء.

وقال عمرو بن بحر الجاحظ: اجتمع للرشيد من الجدد والمزحل ما لم يجتمع لغيره من بعده، كان أبو يوسف قاضيه، والبرامكة وزراءه، وحاجبه الفضل بن الربيع أئبه الناس وأشداهم تعاطفاً، وندبه عم أبيه العباس بن محمد صاحب الحبسية. وشاعره مروان بن أبي حفصة، ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته، وضاربه زلزل وزامره برصوماً. وزوجته أم جعفر - يعني زبيدة - وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف، أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك، إلى أشياء من المعروف أجراها الله على يداه.

وروى الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد: ٨/١٤) أن الرشيد كان يقول: إنا من قوم عظمت زريتهم، وحسنت بقيتهم، ورثنا رسول الله ﷺ وبقيت فينا خلافة الله عز وجل.

وبينا الرشيد يطوف يوماً بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلتك بكلام فيه غلظة، فقال لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولاً ليئلاً. وعن شعيب بن حرب قال: رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي: قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فخرقتني وقالت: إنه الآن يضرب عتقك. فقلت: لا بد من ذلك، فتأبته فقلت: يا هارون! قد أثبت الأمة والهائم. فقال: خلوه. فادخلت عليه وفي يده لت من حديد يلعب به وهو جالس على كرسي، فقال: ممن الرجل؟ فقلت: رجل من المسلمين. فقال: ثكلتك أمك ممن أنت؟ فقلت: من الأبناء. فقال:

الثاني عما تحصل فأخبره قال: فأين نصيبني؟ قال: معزول. قال: قد صالحتك عليه بعشرة آلاف فتأخذه.

وقد استدعى إليه أبا معاوية الضير محمد بن خازم لسمع منه الحديث قال أبو معاوية: ما ذكرت عنده في حديث رسول الله ﷺ إلا قال: صلى الله وسلم على سيدني، وإذا سمع فيه موعظة يكي حتى يبلى الثرى. وأكلت عنده يوماً ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء علي وأنا لا أراه. ثم قال: يا أبا معاوية أتندري من يصب عليك الماء؟ قلت: لا. قال: أنا. فدعا له أبو معاوية: الضير، فقال: إنما أردت تعظيم العلم. وقد حدثه أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث: «احتج آدم وموسى» فقال عم الرشيد: أين التقياً يا أبا معاوية؟ فغضب الرشيد من ذلك غضباً شديداً، وقال: أتعترض على الحديث؟ علي بالنطع والسيف، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال الرشيد: هذه زندقة، ثم أمر بسجنه وقال: أقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا، فأقسم عمه بالإيمان المظلمة ما قال له أحد، وإنما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا أستغفر الله وأتوب إليه. فأطلقت.

وقال بعضهم: دخلت على هارون الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول، فقال الرشيد: قتله لأنه قال: القرآن مخلوق، فقتلته قرية إلى الله عز وجل.

وقال له بعض أهل العلم: يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يميون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فآكرهمهم يعز سلطانك، فقال الرشيد: أو لست كذلك؟ أنا والله كذلك كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما. وقال له ابن السماك أو غيره: يا أمير المؤمنين إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك. فقال: لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة.

وقال له الفضيل بن عياض - أو غيره - إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك في الدنيا. فاجهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة، فأكدح لنفسك وأعملها في طاعة ربك.

ودخل عليه ابن السماك يوماً فاستسقى الرشيد فأتى بقلعة فيها ماء مبرد فقال لابن السماك: عظمي. فقال: يا أمير المؤمنين! بكم كنت تشتري هذه الشرية لو منعتها؟ فقال: بنصف ملكي. فقال: اشرب شيئاً، فلما شرب قال: أرايت لو منعت خروجها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك؟ قال: بملكي كله. فقال: إن ملكاً قيمته شرية ماء، لخلق أن لا يتنافس فيه. فيكي هارون الرشيد.

وقال ابن قتيبة: حدثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول: دخلت على الرشيد وهو يقيم أظفاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال: أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة، ويليني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر. فقلت: يا أمير المؤمنين أو تخشى الفقر؟ فقال: يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني؟

وروى ابن عسكار عن إبراهيم بن المهدي قال: كنت يوماً عند الرشيد فدعا طبابخه فقال: أعنتك في الطعام لحم جزور؟ قال: نعم، البران منه. فقال: أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها في فيه فضحك جعفر البرمكي، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال: ممّ تضحك؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، ذكرت كلاماً دار بيني وبين جاريتي الباردة. فقال: بحق عليك لما أخبرني به. قال: حتى تأكل هذه اللقمة، فألقاها من فيه وقال: والله لتخبرني. فقال: يا أمير المؤمنين بكم تقول إن

ما حملك على أن دعوتني باسمي؟ قال: فخطر ببالي شيء لم يخطر ببالي قبل ذلك، فقلت: أنا أدعو الله باسمه يا الله، يا رحمن، أفلا أدعوك باسمك؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه عمداً، وكفى أبغض الخلق إليه فقال: ﴿بُتَ يدا أبي لب﴾ [المسد: ١] فقال الرشيد: أخرجوه أخرجوه. وقال له ابن السماك يوماً: يا أمير المؤمنين: إنك تموت وحدك، وتُفَرِّجُ وحدك فاحذر المقام بين يدي الجبار، والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تَنَالُ، ولا عثرة تَقَالُ، ولا يقبل فداء بمال. فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السماك! لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة. فقام فخرج من عنده وهو يبكي.

وقال له الفضيل بن عياض - في جملة موعظه تلك الليلة بمكة -: يا صبيح الوجه إنك المسؤول عن هؤلاء كلهم، وقد قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال حدثنا ليث عن مجاهد قال: الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا. فبكى حتى جعل يشهق.

وقال الأصمعي: استدعاني الرشيد يوماً وقد زخرف منزله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فأشأ يقول:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شالعة القصور
يسعى عليك ما اشتبهت لدى السروج وفي البكور
فلما انفسوس تقطعت في ضيق حشجرة الصدور
فهنالك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور

قال: فبكى الرشيد بكاء شديداً. فقال له الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين لشره فأحزنه؟ فقال له الرشيد: دعه فإنه وآنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى.

ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية: عظمي بأبيات من الشعر وأوجر فأشأ يقول:

لا تأمن الموت في طرف ولا ولو تمتعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل ملئع منها ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجر على اليس
قال: فخر الرشيد مغنياً عليه.

وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه مما يقول، فكتب مرة على جدار الحبس:

أما والله إن الظلم لروم وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
قال: فاستدعاه واستعجله في حل ووجه ألف دينار وأطلقه.

وقال الحسين بن الفهم: حدثنا محمد بن عباد عن سفيان بن عيينة قال: دخلت على الرشيد فقال: ما خبرك؟ فقلت:

بعين الله ما تخفى اليوت فقد طال التحمل والسكوت
فقال: يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتعني عقبه، ولا تضر الرشيد شيئاً.

وقال الأصمعي: كنت مع الرشيد في الحج فمرنا بواد فلأنا على شفيره امرأة صبية حسناء بين يديها قصعة وهي تسأل فيها وتقول:

طَحَطَحَتْنا طحاطح الأهرام ورمتنا حوادث الأيام
فاتيناكم مُسد أكفنا لفضالات زادكم والطعام
فاطلبوا الأجور والثوبة فينا أيها الزائرون بيت الحرام
من رأسي فقد رأسي ورجلي فارحوا غربي وذلي مقامي
قال الأصمعي: فذهبت إلى الرشيد فأنخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحها وبكى وأمر مسروراً الخادم أن يملا قصعتها ذهباً، فلأها حتى جعلت تفيض ميماً وشمالاً.

وسمع مرة الرشيد أعرابياً يجلو إليه في طريق الحج وهو يقول:

يا أيها المجمع هماً لا تهتم
أنك إن تفضى لك الحمى تحم
كيف توقيك وقد جف القلبم
وحطت الصحة منك والشقم

فقال الرشيد لبعض خلعاه: ما معك؟ قال: أربعمائة دينار، فقال: ادفعها إلى هذا الأعرابي. فلما قبضها ضرب رفيقه بيده على كتفه وقال متمثلاً:

وكننت جليس قمعاق بن عمرو ولا يشقى بقمعاق جليس
فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطي المتمثل ما معه من الذهب فإذا معه ماتنا دينار.

قال أبو عبيد إن أصل هذا المثل أن معاوية بن أبي سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب ففرقها على جلسائه وإلى جانبه قمعاق بن عمرو، وإلى جانب القمعاق أعرابي لم يفضل له منها شيء. فاطرق الأعرابي حياء فدفع إليه القمعاق الجام الذي حصل له، فنهض الأعرابي وهو يقول:

وكننت جليس قمعاق بن عمرو ولا يشقى بقمعاق جليس
وخرج الرشيد يوماً من عند زبيدة وهو يضحك فقيل له: مم تضحك يا أمير المؤمنين؟ فقال: دخلت اليوم إلى هذه المرأة - يعني زوجته زبيدة - فأكلت عندها وتمت، فما استيقظت إلا بصوت ذهب يُصْبأ، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذه ثلاثمائة ألف دينار قدمت من مصر، فقالت زبيدة: هبها لي يا ابن عم، فقلت: هي لك، ثم ما خرجت حتى عربرت علي وقالت: أي خير رأيت منك؟

وقال الرشيد مرة للمفضل الضبي: ما أحسن ما قيل في النشب، ولك هذا الخاتم، وشراؤه ألف وستمائة دينار؟ فأنشد قول الشاعر:

ينام بإحدى مقتلته ويتقي بأخرى الزابيا فهو يقظان هاجع
فقال: ما قلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم. ثم ألقاه إليه فبعثت زبيدة فاشترته منه بألف وستمائة دينار، وبعث به إلى الرشيد وقالت: إني رأيتك معجباً به. فرده إلى المفضل والناثير، وقال: ما كنا لنهب شيئاً ونرجع فيه.
وقال الرشيد يوماً للعباس بن الأحنف: أي بيت قالت العرب أرق؟ فقال: قول جميل في بيته:

ألا ليتني أعمى أصمم تقوؤنسي بيئته لا يخفى علي كلامها
فقال له الرشيد: فقولك أرق؟ من هذا حيث قلت:

طاف الهوى في عباد الله كلهم حتى إذا مر بي من بينهم وقفا
فقال العباس: فقولك يا أمير المؤمنين أرق من هذه كله:

يزيد في عمره من عمري قالوا: فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات، والقول بخلق القرآن، فعرفنا ما كان يحمل الفضيل بن عياض على ذلك.

وقد تقدم ما رأه في منامه من ذلك وفيه تربة حمراء وقائل يقول: هذه تربة أمير المؤمنين وكانت بطوس.

وقد روى ابن عسكار أن الرشيد رأى في منامه قاتلاً يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أمله. الشعر إلى آخره.

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي. وأبوه محمد المهدي قاله أعلم.

وقد علمنا أنه أمر بحفر قبره في حياته، وأمر بقراءة ختمته فيه، وأنه حمل حتى نظر إليه فجعل يقول: إلى هنا تصير يا ابن آدم. ويكي، وأمر أن يوسع عند صدره وأن يمد من عند رجله، ثم جعل يقول: «ما أغنى عني ماليه ملك عني سلطانيه» (الحاقة: ٢٨ - ٢٩) ويكي.

ويقال: إن آخر ما تكلم به حين احتضر: اللهم افتحن بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا من لا يموت ارحم من يموت.

وكان مرضه بالدم، وقيل بالسل، وكان جبريل بن ينجشوع يكتبه ما به من العلة، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ مائه في قارورة ويذهب به إلى جبريل فيريه إياه، على أنه لمرض عنده. فلما رآه جبريل قال لرجل عنده: هذا مثل ماء ذلك الرجل. ففهم صاحب القارورة من عني به، فقال له: بالله عليك أخبرني عن حال صاحب هذا الماء. فإن لي عليه مالا، فإن كان به رجاء وإلا أخذته منه. فقال: اذهب فتخلص منه فإنه لا يعيش إلا أياماً. فلما جاء وأخبر الرشيد بعث إلى جبريل فتعجب حتى مات الرشيد. وقال قال الرشيد وهو في هذه الحال:

إنني بطوس مقيم مللي بطوس حميم
أرجو الهي لبسي فأنه بي رحيم
لقد أتاني بطوس قضواؤه المحتوم
وليأس إلا رضائي والصبر والتسليم

مات بطوس يوم السبت ثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقيل إنه توفي في جمادى الأولى، وقيل في ربيع الأول، وله من العمر خمس وقيل ست، وقيل سبع، وقيل ثمان وأربعون سنة. ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوماً. وقيل ثلاثة أشهر. وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها ستاباذ رحمه الله وساعه وأدخله الجنة.

وقال بعضهم: قرأت على خيام الرشيد بستانباز والناس منصرفون من طوس من بعد موته.

منازل المعكر معمورة والموتل الأعظم مهجور
خليفة الله بدار البلى تنفي على أجنائه المور
أقبلت العير تباهي به واتصرفت تنبيه العير
وقد رثاه أبو الشيح فقال:

غربت في الشرق شمس فلهما العينان تدمع
ما رأينا قط شمساً غربت من حيث تطلع
وقد رثاه الشعراء بقصائد.

أما يكتيك أنك تملكيني وأن الناس كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الهوى أحسنت زيدي
قال: فضحك الرشيد وأعجبه ذلك.

ومن شعر الرشيد في ثلاث حظيات كنّ عنده من الخواص:

ملك الثلاث الأنسات عاني وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطعمهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطاني
ومن شعره فيما أورده صاحب العقد في كتابه:

تُبدي صدوداً وتخفي تحته مَقَّةً فالنفس راضية والطرف غضبان
يا من بثلث له خديّ فزلَّه وليس فوقني سوى الرحمن سلطان

وذكر أبو هيفان أنه كان في دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمهن وخدم زوجته وأخواته أربعة آلاف جارية، وأنهن حضرن كلهن يوماً بين يديه ففتته المطريات منهن فطرب جداً، وأمر بمال فشر عليهم. فكان مبلغه ستة آلاف ألف درهم في ذلك اليوم. رواه ابن عسكار.

وروي أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جداً فأمر بإحضار موابها ومن يلوذ بهم ليقتضي حوائجهم، فقدموا في ثمانين نفساً فأمر الحاجب - وهو الفضل بن الربيع - أن يتلقاهم ويكتب حوائجهم؛ فكان فيهم رجل أعرابي قد أقام بالمدينة وهو يهوى تلك الجارية، فقال له الحاجب: ما حاجتك؟ قال: حساجتي أن يجلسني أمير المؤمنين مع فلانة فاشرب ثلاثة أرطال من شراب، وتغنيني ثلاثة أصوات. فقال: أجنون أنت؟ فقال: لا ولكن اعرض ذلك على أمير المؤمنين. فلما رجع إلى الخليفة، ذكر له ما قال ذلك الرجل فأمر بإحضاره وأن تجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهما ولا يريانه فجعلت على كرسي والخدام بين يديها، وجلس الرجل على كرسي فشرب رطلاً وقال لها غني:

خيليلي عوجا ببارك الله فيكما وإن لم تكن هند بارضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ولكننا جزنا لتلقاكم عمدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا
قال: ففتته ثم استعمله الخدم فشرب رطلاً آخر، وقال: غني جعلت فداك:

تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم
ونغضب أحياناً ونرضى بطرفنا وذلك فيما يتنا ليس يعلم
قال: ففتته: ثم شرب رطلاً ثالثاً وقال: غني جعلني الله فداك:

أحسن ما كنا تفرقنا وخاننا الدهر وما خنا
فليت ذا الدهر لنا مرة عاد لنا يوماً كما كنا
قال: ثم قام الشاب إلى درجة هناك فعلاها، ثم ألقى نفسه من أعلاها على أم رأسه فمات. فقال الرشيد: عجل الفتى، والله لو لم يعجل لرهبتها له.

وفضائل الرشيد ومكارمه ومآثره وأشعاره كثيرة جداً. وقد أورد الأئمة من ذلك شيئاً كثيراً فذكرنا منه الموهجاً صالحاً والله الحمد.

وقد كان الفضيل بن عياض يقول: ليس موتاً من هارون أحد أعز علينا من موت الرشيد، لما اتخوف بعده من الحوادث، وإني لأدعو الله أن

اختلاف الأمين والمأمون

وكان السبب في ذلك أن الرشيد لما كان مد وصل إلى أول بلاد خراسان ذهب جميع ما كان معه من الخواصل والدواب والسلاح لولده المأمون، وجد له البيعة، وكان الأمين قد بعث بكر بن المتمر بكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد، فلما توفي الرشيد نفذت الكتب إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد، وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة، فأخذ صالح البيعة من الناس إلى الأمين، وأرسل الفضل بن الربيع الحاجب بالجيش إلى بغداد وقد بقي في نفوسهم تحرج من البيعة التي أخذت منهم للمأمون، وكتب إليهم المأمون يدعهم إلى بيعته فلم يجيبوه، فوقعت الوحشة بين الأخوين، ولكن تحول عامة الجيش إلى الأمين، فعند ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتعظيم، وبعث إليه من هدايا خراسان وتحفا من الدواب والمسك وغير ذلك، وهو نائبه عليها، وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بعد أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصالح، فقال في ذلك بعض الشعراء:

بنى أمين الله ميداناً وصير الساحة بسننا
وكانت الغزلان فيه باناً يهدى إليه فيه غزلاننا

وفي هذه السنة في شعبان قادت زبيدة من الرقة بالخزائن وما كان عندها من التحف والثياب، فتلقاه ولدها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس.

وأقر الأمين أخاه المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان والري وغير ذلك، وأقر أخاه القاسم على الجزيرة والثغور، وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم.

ومات في هذه السنة

نقفور ملك الروم، قتله البرجان، وكان ملكه سبع سنين، وأقام بعده ولده إسترارق شهرين فمات، فملكهم ميخائيل زوج أخت نقفور لنهم الله.

وفيها تواقع هرمة بن أعين نائب خراسان ورافع بن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقي رافع وحده فضعف أمره.

وحج بالناس في هذه السنة نائب الحاجز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.

وفيها توفي من الأعيان

■ إسماعيل ابن علي: وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرفعاء، روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل، وقد ولي المظالم ببغداد، وكان ناظر الصدقات بالبصرة، وكان ثقة نبيلًا جليلًا كبير القدر، قليل التسم وكان يتجر في البز وينفق على عياله منه ويحج منه، وير أصحابه من العلماء منهم السفينيين وغيرهما، وقد ولّاه الرشيد القضاء فلما بلغ عبد الله بن المبارك أنه ولي القضاء بعث إليه يمتب عليه ويلومه نظمًا ونثرًا، فاستعفى ابن علي الرشيد من القضاء فأعفاه.

وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة، ودفن في مقابر عبد الله بن مالك.

■ محمد بن جعفر: الملقب بقنبلر. روى عن شعبة وسعيد بن أبي عروبة وقد حدث عن خلق، وعنه جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل،

قال أبو الفرج بن الجوزي: في الملتزم (٢٣٢/٩): وقد ترك الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء، خلف من الجواهر والأثاث والأمتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف دينار، وخمسة وثلاثون ألف ألف دينار.

قال ابن جرير (٣٤٩/٨): وكان في بيت المال لمصالح الناس سبعة ألاف ألف ونيّف.

ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور، في سنة خمس وستين ومائة في حياة أبيه المهدي، فولدت له محمدًا الأمين. وماتت زبيدة في سنة ست عشرة ومائتين كما سيأتي. وتزوج أمة العزيز أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد. وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين، والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزنتا إليه في ليلة واحدة سنة سبع وثمانين ومائة بالرقة، وتزوج عزيزة بنت الفطريف، وهي بنت خاله أخي أمة الخيزران، وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الشمانية، ويقال لها الجرشيّة، لأنها ولدت بجرش باليمن، وتوفي الرشيد عن أربع حرائر: زبيدة، وعباسة، وابنة صالح، والعثمانية هذه.

وأما الخطايا من الجوار فكثير جدًا حتى.

قال بعضهم: إنه كان عنده في داره أربعة آلاف جارية سراري حسان. وأما أولاده المذكور فمحمد الأمين بن زبيدة، وعبد الله المأمون من جارية اسمها مراجل، ومحمد أبو إسحاق المعتصم من أم ولد يقال لها ماردة، والقاسم المؤمن من جارية يقال لها قصف. وعليّ المؤمن أمة أمة العزيز. وصالح من جارية اسمها رشم. ومحمد أبو يعقوب. ومحمد أبو عيسى. ومحمد أبو العباس. ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد. وكان من الإناث سكين من قصف. وأم حبيب من ماردة. وأروى. وأم الحسن. وأم محمد حمدونة وفاطمة وأما غصص. وأم سلمة. وخديجة. وأم القاسم ورملة. وأم علي. وأم الغالية. وريطة كلهن من أمهات أولاد.

خلافة محمد الأمين ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي

بن أبي جعفر المنصور

لما توفي الرشيد بطوس في جمادى الآخرة من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وتسعين ومائة كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد بن الرشيد الملقب بالأمين وهو ابن زبيدة يعلمه ببغداد بوفاة أبيه ويعزيه فيه، فلما وصل الكتاب صجّة رجاء الخادم ومعه الخاتم والقضيب والبردة، يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الآخرة، فركب الأمين من قصره بالحد إلى قصر أبي جعفر المنصور - الذي يقال له: قصر الذهب - على شط بغداد وكان ذلك يوم جمعة النصف من جمادى، فصرى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم وعزاهم في الرشيد، وسط آمال الناس ووعدهم الخير. فلباه الخواص من قومه ووجوه الأمراء، وأمر بصرف أعطيات الجند عن ستين، نزل وأمر عمه سليمان بن أبي جعفر أن يأخذ البيعة له من بقية الناس فلما انتظم أمر الأمين ببغداد واستقام حاله فيها حسده أخوه المأمون ووقع الخلاف بينهما على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

الرشيد وأودعه في الكعبة، فمزقه الأمين وأكلوا البيعة للناطق بالحق موسى بن الأمين على ما يليه أبوه من الأصنام، وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسائل يطول بسطها، وقد استقصاها الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه [٣٧٥/٨-٣٨٥].

ثم آل بهما الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بسلامة وحصنها وهيا الجيوش والجنود وتآلف الرعايا. وفي هذه السنة غدت الروم على ملكهم ميخائيل فراموا خلعهم وقتله فترك الملك وترهب وولوا عليهم ليون. وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى، وقبل علي بن الرشيد.

وقد توفي فيها من الأعيان

■ **سَلَمٌ بن سالم أبو محمد البلخي:** قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن طهمان والثوري. وعنه الحسن بن عرفة.

وكان عابداً زاهداً، مكث أربعين سنة لم تزل له فراشاً، وصامها كلها إلا يومي العيد، ولم يرفع رأسه إلى السماء، وكان داعية إلى الإرجاء ضعيف الحديث، إلا أنه كان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان قد قدم بغداد فشنَّ على الرشيد فحبسه وقبده بائني عشر قيداً، فلم يزل أبو معاوية يشفع فيه حتى تركوه في أربعة قيود، ثم كان يدعو الله أن يرده إلى أهله.

فلما توفي الرشيد أطلقت زبيلة فرجع إلى أهله وكانوا بمكة قد جالوا حجاجاً - فمرض بمكة. واشتغل يوماً برذاً فسقط في ذلك الوقت برد حين اشتهاه فأكل منه. مات في ذي الحجة من هذه السنة.

■ **عبد الوهاب بن عبد المجيد:** القفي كانت غلته في السنة قرياً من خمسين ألفاً ينفقها كلها على أهل الحديث. توفي عن أربع وثمانين سنة.

■ **أبو النصر الجهني المصাব:** كان مقيماً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه، وكان يطيل السكوت، فإذا سئل أجاب بجواب حسن، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب، وكان يخرج يوم الجمعة قبل الصلاة فيقف على جماع الناس فيقول: «يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولي ولا مولود هو جاز عن والديه شيئاً» [٣٣] و«يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل بيننا شفاعة ولا يؤخذ منها عدل» [القرة: ٤٨] ثم يتقل من جماعة إلى جماعة، حتى يدخل المسجد فيصلي فيه الجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلي العشاء الأخيرة.

وقد عظم مرة هارون الرشيد بكلام حسن فقال: اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جواباً، وقد قال عمر بن الخطاب: لو ماتت سحلة بالعراق ضياعاً خشيت أن يسألني الله عز وجل عنها. فقال الرشيد: إني لست كعمر، وإن دهري ليس كدهره. فقال: ما هذا بمن عنك شيئاً، فأمر له بثلاثمائة دينار، فقال: أنا رجل من أهل الصفة فمر بها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

ففي صفر منها أمر الأمين أن لا يتعامل بالدرهم والدنانير التي عليها

وكان ثقة جليلاً حافظاً متقناً في الحديث. وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفغيله في أمور الدنيا.

كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة، وقيل في التي بعدها. وقد لقب بهذا اللقب جماعة من المحدثين من المتقدمين والمتأخرين. وعن توفي فيها:

■ **هارون الرشيد:** أمير المؤمنين، وقد تقدمت ترجمته قريباً.
■ **أبو بكر بن عياش:** أحد الأئمة، سمع أبا إسحاق السبيعي والأعمش وهشام بن عروة وجماعة. وحديث عنه خلق من الثقات منهم أحمد بن حنبل. وقال يزيد بن هارون: كان خيراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة.

قالوا: ومكث ستين سنة يحتم القرآن في كل يوم ختمه كاملة، وصام ثمانين رمضان، وتوفي وله ست وتسعون سنة. ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال: يا بني علام تبكي؟ والله ما أتى أبوك فاحشة قط.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

فيها خلع أهل حصن ناهبهم فعزله عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل طائفة من وجوه أهلها وحرق نواحها بالنار، فسألوه الأمان فأنهم ثم هاجروا فضرب أعناق كثير منهم أيضاً. وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والثغور، وولى على ذلك خزمية بن خازم، وأمر أخاه بالمقام عنده ببغداد.

وفيها أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على المنابر في سائر الأمصار وبالإمرة من بعده، وسماه الناطق بالحق، ثم يدهي بعده لأخيه المأمون ثم لأخيه القاسم، ومن نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما، فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير نيته في أخويه، وحسن له خلع المأمون والقاسم، وصغر عنده شأن المأمون. وإنما حمله على ذلك خوفاً من المأمون إن أقضت إليه الخلافة يوماً من الدهر، فيسعى في خلعهم وزوال الولاية عنه. فوافقه الأمين على ذلك وأمر بالدعاء لولده موسى بولاية العهد من بعده، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة.

فلما بلغ ذلك المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرز، وتكر لأخيه الأمين. ويعت رافع بن الليث إلى المأمون يسأل منه الأمان فأمنه فسار إليه بمن معه فأكرمه المأمون وعظمه، وجاء هرثمة على إثره فتلقه المأمون ووجوه الناس وولاء الحرس، فلما بلغ الأمين أن الجنود قد التفت على أخيه المأمون ساء ذلك وأنكره، وكتب إلى المأمون كتاباً وأرسل إليه رسلاً ثلاثة من أكابر الأمراء، يسأله أن يجيبه إلى تقديم ولده موسى عليه، وأنه قد سمى الناطق بالحق، فأظهر المأمون الامتناع وشرعوا في مطايعته وملايئته، وأن يجيبهم إلى ذلك فأبى كل الإباء، فقال له العباس بن موسى بن عيسى: فقد خلع أبي نفسه فمذا كان؟ فقال المأمون: إن أباك كان امرأة مكرهاً، ثم لم يزل المأمون يعد العباس ويمنه حتى بايعه بالخلافة، ثم لما رجع إلى بغداد كان يرأسه بما كان من الأمر ببغداد ويتناصح، ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من جوابه، فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الأمين في خلع المأمون فخلعه وأمر بالدعاء لولده في العراق كله وبلاد الحجاز وغيرها من البلاد وسماه الناطق بالحق، وجعلوا من يتكلم في المأمون ويذكر مساوئه، ويعثوا إلى مكة فاخذوا الكتاب الذي كبه

اسم أخيه المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر، وأن يقتصر على الدعاء له ثم من بعده لولده الناطق بالحق:

وفيها تسمى المأمون بإمام المؤمنين.

وفي ربيع الآخر منها عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان الإمارة على الجبل وهمدان وأصبهان وقم وتلك البلاد، وأمره بحرب المأمون وجهاز معه جيشاً كثيراً، وأتفق فيهم نفقات عظيمة، وأعطاه مائتي ألف دينار، ولولده خمسين ألف دينار وألقي سيف على، وستة آلاف ثوب للخلع. فخرج علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألف مقاتل فارس، ومعه قيد من فضة ليأتي بالمأمون فيه وخرج الأمين معه مشياً فصار حتى وصل إلى الري فظفاه الأمير طاهر في أربعة آلاف، فكانت بينهم أمور آل الحال فيها إلى أن اقتتلوا، فقتل علي بن عيسى وانهزم أصحابه وحمل رأسه وجثته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير المأمون ذي الرياستين، وكان الذي قتل علي بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسمي ذا اليبنتين، لأنه أخذ السيف بيديه الثنتين فذبح به علي بن عيسى بن ماهان، ففرح بذلك المأمون وقووه، وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجلة، فقال: ويحك دعني من هذا فإن كوثراً قد صاد سمكتين. ولم أصد بعد شيئاً. وأرجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر، وندم محمد الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع أخيه المأمون، وما وقع من الأمر الفظيع. وكان رجوع الخبر إليه بذلك في شوال من هذه السنة.

ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الألباني في عشرين ألفاً من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية، فلما اقتربوا منهم تواجها فقتلوا قتالاً شديداً فكثرت القتل بينهم من الفريقين، ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن جبلة فلبسوا إلى همدان فحاصروهم فيها طاهر حتى اضطروهم إلى أن دعوا إلى الصلح، فصالحهم وأمنهم ووفى لهم، وانصرف عبد الرحمن بن جبلة وقد بقي منهم أنهم راجعين، ثم غلروا بأصحاب طاهر وحملوا عليهم وهم غافلون فقتلوا منهم خلقاً وصبر لهم أصحاب طاهر ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فهزموهم وقتل أميرهم عبد الرحمن بن جبلة، وفر أصحابه خائينين. فلما رجعوا إلى بغداد واضطربت الأمور وكثرت الأراجيف، وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وطرد طاهر عمال محمد الأمين عن قزوین وتلك النواحي، وقوي أمر المأمون جنأ بتلك البلاد.

وفي ذي الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفياي بالشام، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فعزل نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه، فبعث إليه الأمين جيشاً فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالركة، ثم كان من أمره ما سنذكره بعد.

وحج بالناس في هذه السنة نائب الحجاز داود بن عيسى.

وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان

منهم:

■ إسحاق بن يوسف الأزرق: أحد أئمة الحديث. روى عنه الإمام

أحمد وغيره.

■ بكار بن عبد الله: بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، وكان نائب المدينة للرشد ثني عشرة سنة وأشهرها، وقد أطلق الرشيد على يديه لأهلها ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار، وكان شريفاً جواداً معظماً

مجتباً.

■ أبو نواس الشاعر المشهور واسمه الحسن بن هاتئ بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن وهيب بن ذرة بن غنم بن سليم بن حكيم بن سعد الشيرة بن مالك بن عمرو بن الغوث بن طيسه بن أدد بن شبيب بن سبيع بن الحارث بن زيد بن عدي بن عوف بن زيد بن هيصم بن عمرو بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح كذا نسبه عبدالله بن سعد الوراق أبو علي الحكمي نسبة إلى ولاء الجراح بن عبد الله الحكمي.

ويقال له أبو نواس البصري، كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد، ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها جليان، فولدت له أبا نواس هذا وأبناً آخر يقال له أبا معاذ، ثم صار أبو نواس إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وأبي عبيدة، وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلفاً الأحمر، وصحب يونس بن حبيب الضبي التحوي.

وقد قال القاضي ابن خلكان **وفيات الأعيان**: [٩٥/٢]: صحب أبا أسامة والبة الحباب الكوفي، وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعتز بن سليمان، ويحيى القطان. وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي. حكى عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل والجاحظ وغندر ومشاهر العلماء.

ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة.

وقال محمد بن إبراهيم: دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي: يا أبا علي! أتت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وبينك وبين الله هنات، فنب إلى الله عز وجل من عملك. فقال: إياي تخوف بالله فقال: أسندوني. فأسندوه فقال: حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الراشعي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: [إن لكل نبي شفاعته ولني اختبات شفاعتي لأهل الكباير من أمي يوم القيامة] [٢٠١، ت(٢٤٣٦)، ج(٤٣١٠)]. ثم قال: أقراني لا أكون منهم. وقال أبو نواس: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن خنساء وليلى، فما ظنك بالرجال؟.

وقال يعقوب بن السكيت إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية، ومن الإسلاميين لجريس والفرزدق، ومن الحديث عن أبي نواس فحبسك.

وقد أتى عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام. قال أبو عمرو الشيباني: لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقذار لاحتججنا به - يعني شعره الذي قاله في الخمريات والأحداث، وقد كان يميل إليهم - ونحو ذلك مما هو معروف من شعره. وقد اجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقال لهم: أيكم القاتل:

فلما تحسأها وقننا كأننا نرى قمراً في الأرض يبلغ كوكبا

قالوا: أبو نواس. قال: فأيكم القاتل:

إذا نزلت دون اللهاة من الفتى دعا همة عن صدره برحيل

قالوا: أبو نواس. قال: فأيكم القاتل:

فتمشيت في مفاصهم كتمشي السيرة في السقم
قالوا: أبو نواس. قال: فهو أشعرهم.

وقال سفيان بن عيينة لابن منافذ: ما أشعر ظريفكم أبا نواس في قوله:
بأقمرأ أبصرت في مسامع ينسب شجراً بين اثرباب
أبرزه المسامع لي كارهها برغم ذي باب وحجاب
يكسي فيندري الثور من نرجس ويلطم السور بدباب
لازال موتاً داب أحببه ولا تزل رؤيته دابسي

قال ابن الأعرابي: أشعر الناس أبو نواس في قوله:

تغطيت من دهمري بظل جناحه فعيني ترى دهمري وليس يراني
فلو تسأل الأيام ما اسمي لما درت وأين مكاني ماعرفن مكاني
وقال أبو العتاهية: قلت في الزهد عشرين ألف بيت، وددت أن لي
مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي هذه، وكانت مكتوبة على
قبره:

بنا نواسي تفر وتفر وتصبر
إن يكن ساءك دهمر فلمسا سرك أكثر
بنا كبير الذنوب عفو الله من ذنبك أكبر

ومن شعر أبي نواس - رحمه الله عليه - يمدح بعض الأمراء:

أوجدته الله فما مثله لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وأشدوا لسفيان بن عيينة قول أبي نواس:

ساعوى إلا له سبب يتلدى منسه وينشعب
فتنت قلبي عجيبة وجهها بالحسن متعقب
خليلت والحسن تساغله تنقسي منه وتتخشب
فاكتست منه طرائفه واستزادت بعض ما تهب
فهو لو صيرت فيه لها مسودة لم ينهها أرب
صار جلد ما مزحت به رب جد جره اللعب

فقال ابن عيينة: آمنت بالذي خلقها.

وقال ابن دريد: قال أبو حاتم: لولا أن العامة بدلت هذين البيتين
لكتبتهما بماء الذهب:

ولو أنني استزدتكم فوق ما لي من البلوى لأعوزكم المزيد
ولو عرضت على الموتى حياتي بعيش مثل عيشي لم يردوا

وقد سمع أبو نواس حديث سهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة أن
رسول الله ﷺ قال: القلوب جنود مجتدة فما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف. (م ٢٦٣٨)، د (٤٨٣٤) من حديث أبي
هريرة. فظم ذلك في قصيدة له يقول فيها:

إن القلوب لأجناد مجتدة لله في الأرض بالأمواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف
ودخل يوماً أبو نواس مع جماعة من المحدثين على عبد الواحد بن زياد
فقال لهم عبد الواحد: ليختر كل واحد منكم عشرة أحاديث أحدثها بها،

فاختار كل واحد عشرة إلا أبا نواس، فقال له: مالك لاختيار كما اختاروا؟
فأنشأ يقول:

ولقد كنا رويناً عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب ثم سعد بن عبادة
وعن الشعبي والشعمسي بسبي شيخ ذو جلالة
وعن الأخيار نحكيه وعن أهل الإنصاف
أن من مات عبداً فله أجر شهاده

فقال له عبد الواحد: قم ماجن، لاحتثك ولا حدث أحد من هؤلاء
من أجلك. فبلغ ذلك مالك بن أنس وإبراهيم بن أبي يحيى فقالا: كان
ينبغي أن يحثه لعل الله أن يصلحه.

قلت: وهذا الذي أنشده أبو نواس في شعره قد رواه ابن عدي في
كامله عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً من عشق فغف فكم فمات مات
شهيداً. ومعناه أن من ابتلي بالعشق من غير اختيار منه فصبر وعف عن
الفاحشة ولم يقش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير. فإن صح
هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم.

وروى الخطيب البغدادي أيضاً أن شعبة لقي أبا نواس فقال له: حدثنا
من طرفك، فقال مرتجلاً:

حدثنا الحفصاء عن وائل وخالد الخلداء عن جابر
ويشعر عن بعض أصحابه يرفقه الشيخ إلى عامر
قالوا جميعاً إنما طفلة علقها ذو خلقت طاهر
فواصتته ثم ماتت له على وصال الحافظ المذكر
كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر
وأي معشوق جفا عاشقاً بعد وصال دائم ناضر
ففي عذاب اللو يئس له نعم وسحق دائم فاحر

فقال له شعبة: إنك لجميل الأخلاق، وإنني لأرجو لك.

وأشد أبو نواس أيضاً

بنا ساحر المقتنين والجيد وقاتلي منك بالمواعيد
توعلتني الوصل ثم تخلفني فوابلاتي من خلف موعودي
حدثني الأزرق المحدث عن شعر وعوفو عن ابن مسعود
ما يخلف الوعد غير كافرة وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال: كذب عدو الله عليّ
وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد ﷺ.

وعن سليم بن منصور قال: رأيت أبا نواس في مجلس أبي يكي بكاء
شدداً فقلت: إني لأرجو أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء أبداً فأنشأ
يقول:

لم أبك في مجلس منصور شوقاً إلى الجنة والخور
ولا من القبر وأهواله ولا من النخعة في الصور
ولا من النار وأغلاها ولا من الخذلان والجور
لكن بكائي لبكاشادن تقيه نفسي كل عجزور
ثم قال: إنما بكيت لبكاء هذا الأمر الذي إلى جانب أبيك - وكان

يبأى الفتى إلا اتباع المورى ومنهج الحق له واضح
فاسم بينيك إلى نسوة مهوهرن العمل الصالح
لا يتلي العذراء من في خنبرها إلا امرؤ ميزانهُ راجح
من اتقى الله فلذاك الذي سبق إليه المتجر الرابع
فساعد فما في الدين أغلوطة روح لما أنت له رائج
وقد استشهد أبو هيفان قصيدته التي في أولها:

لا تنس ليلى ولا تطرب إلى هند

فلما فرغ منها سجد له أبو هيفان، فقال له أبو نواس: والله لا أكلمك مدة. قال: ففعلني ذلك، فلما أردت الانصراف قال: متى أراك؟ فقلت: ألم تقسم؟ فقال: الدهر أقصر من أن يكون معه هجر. ومن مستجاد شعره قوله:

الأرب وجه في السراب عتيق ويارب حسن في السراب رقيق
وبارب حزم في السراب ونجد ويارب رأي في السراب وثيق
أرى كل حي هالكاً وابن هالك وفا حسب في المالكين عريق
فقل لقریب الدار إنك ظاعن إلى سفر نائي المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق
وقوله:

لاتسهرن فإن السلى في الشره والعز في الحلم لا في الطيش والسفه
وقل لمغتبط في التيه من حمق لو كنت تعلم مافي التيه لم ته
التيه مفدةً للدين مقصدة للعقل مهلكة للعرض فاتبه
وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل في دكان وراق فكتب على ظهر دفتر:

إيا عجباً كيف يُقصى الإله له أم كيف يمجده المجاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ثم جاء أبو نواس فقرأها ثم قال: أحسن، قاتله والله. والله لوددت أنها لي بجميع شيء قلته، لمن هذه؟ قيل له: لأبي العتاهية، فآخذ الدفتر فكتب إلى جانبها:

سبحان من خلق الخلق من ضعف مهين
يسوقه من قرار إلى قرار مكسين
يحسور شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى بدلت حركات مخلوقة من سكون
ومن شعر أبي نواس المستجاد قوله:

انقضت شرطي فعفت الملاهني إذ رمى الشيب مفرقي بالدوامي
ونهنني النهى فملت إلى العدل وأشفقت من مقالة ناي
أيها الضائل المقر على السهر ولا عذر في المعاد لساء
لا بأعنائنا نطيق خلاصاً يوم تبدو السمات فرق الجباه
غير أنا على الإساءة والتف ريط نرجو من حسن عفو الإله
وقوله:

صياً حسن الصورة يسمع الرعظ فيكيكي خوفاً من الله عز وجل
قال: أبو نواس: دعاني يوماً بعض الحاككة وألح عليّ ليضيفني في منزله، ولم يزل بي حتى أجبته فسار إلى منزله وسرت معه فإذا منزل لا بأس به، وقد احتفل الحائك فلم يقصر، فأكلنا وشربنا ثم قال: يا سيدي أشتهي أن تقول في جاريقي شيئاً من الشعر - وكان مغرمًا بجارية له - قال: فقلت: أرنيها حتى أنظم على شكلها وحسنها، فكشف عنها الحجاب فإذا هي من أجمع خلق الله وأوحشهم سرداء شمطاء ذنانية يسيل لعابها على صدرها. فقلت لسيديها: ما اسمها؟ فقال تسنيم، فأنشأت أقول:

أسهر ليلى حباً تسنيم جارية في الحسن كالיום
كأنما نكهتها كساخ أو حزمة من حزم الثوم
ضربت من حيي لها ضرطة أفزعت منها ملك الروم
قال: فقام الحائك يرقص ويصفق سائر يومه ويفرح ويقول: شبهها والله بملك الروم. ومن شعره أيضاً:

أبرمني الناس يقولون تُسب بزعمهم كثرت أوزاربه
إن كنت في النار وفي جنة ماذا عليكم بابني الزانية
وبالجملة فقد ذكروا له أموراً كثيرة، وأشعاراً منكرة، ومجوناً كثيرة وله في الخمريات والفاذورات والتشبيب بالردان والنسوان أشياء بشعة شنيعة، فمن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة، ومنهم من يرميه بالزندقة، ومنهم من يقول: إنما كان يجرب على نفسه، والأول أظهر، لما في أشعاره. فأما الزندقة فبعيدة عنه، ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة. وقد عزوا إليه في صفه وكبره أشياء منكرة الله أعلم بصحتها، والعامّة تنقل عنه أشياء كثيرة لاحقة لها. وفي صحن جامع دمشق قبة ينفور الماء من وسطها يقول الدماشقة: قبة أبي نواس، وهي مبنية بعد موته بأزيد من مائة وخمسين سنة، فما أدري لماذا تسمى بهذا، والله أعلم.

وقال محمد بن أبي عمير: سمعت أبا نواس يقول: والله ما فتحت سراويلي لحرام قط.

وقال محمد الأمين بن هارون الرشيد لأبي نواس: أنت زنديق. فقال: يا أمير المؤمنين، كيف وأنا أقول:

أصلي الصلاة الخمس في حين وقتها وأشهد بالتوحيد لله خاضعاً
وأحسن غسلاً إن ركبت جنباً وإن جماني المسكين لم أك ما معاً
وإن حانت من الكأس دعوة إلى بيمة الساقى أجت سارعا
وأشربها صرفاً على جنب ماعز وجدي كثير الشحم أصبح راضعا
وجوفاب حوارى وجوز وسكر وما زال للمخمور ذلك نافعا
وأجعل تخليط الرواقض كلهم لفقحة يجتشیخ في النار طابعاً

فقال له الأمين: ويحك! وما الذي ألك إلى فقحة يجتشیخ؟ فقال: به تمت القافية. فأمر له بمجائة.

وقال الجاحظ: لا أعرف في كلام الشعراء أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول:

أية نار قدح القصاد وإي جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ وناصح لو خطى الناصح

غموت ونيلى غير أن ذنوبنا
الا ربّ ذي عينين لاتفتنسه
وقوله:

لو أن عيناً ومُتمتها نفسها
سبحان ذي الملكوت أبة لـ
كتب الفناء على البرّة رهبا
وذكر أن أبا نواس لما أراد الإحرام بالحج قال:

إلهنا ما أعذلّك
ثيبك قد ليثّ لك
والملك لا شريك لك
لييك إن الحمد لك
انت له حيث سألك
لييك إن الحمد لك
والليل لّا أن حلّك
على مجاري المنك
وكلّ من أهل لك
ثيبك إن الحمد لك
ياغظك ما أغفلك
واخترّم بخير عمّك
والملك لا شريك لك

وقال المعاني بن زكريا الجري: حدثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمد بن يحيى - ثعلباً - يقول: دخلت على أحمد بن حنبل فرايت رجلاً تهمة نفسه لا يجب أن يكثر عليه كان النيران قد سمرت بين يديه، فما زلت أتفرّق به وتوسلت إليه بأنّي من مولاي شيان حتى قال: في أي شيء نظرت من العلوم؟ فقلت: في اللغة والشعر. فقال: مررت بالبصرة وجماعة يكتبون عن رجل الشعر، قيل لي: هنا أبو نواس. فتخلّلت الناس ورائي فلما جلست أُملي علينا:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
ولا تحسب الله يغفل ساعة
لمرنا لعمر الله حتى تشابت
فيا ليت أن الله يغفر ماضي
خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ذنوب على آثارهن ذنوب
ويؤذن في ترباتنا فتشوب
وزاد بعضهم في رواية عن أبي نواس بعد هذه الأبيات:

أقول إذا ضاقت عليّ مذاهبي
لطول جناباتي وعظم خطيئتي
وأغرق في بحر المخافة آيساً
ويذكر غفر للكرم عن السورى
فأخضع في قولي وأرغب سائلاً
عسى كاشف البلوى عليّ يتوب
وحلّ بقلبي للمهموم ندوب
هلكت ومالي في التناوب نصيب
فأجبا وأرجو عفوه فأنيب
عسى كاشف البلوى عليّ يتوب

قال ابن طرار الجري: وقد رويت هذه الأبيات: لمن؟ قيل: لأبي نواس وهي في زهدياته. وقد استشهد بها النحاة في أماكن كثيرة قد

ذكرناها.

قال حسن بن البداية: دخلت على أبي نواس وهو في مرض الموت فقلت: عظمي فانشأ يقول:

تكثر ما استطعت من الخطايا
سنبصر إذ ودمت عليه عفواً
تمعض ندامة كثيرك عما
فقلت: وملك، في مثل هذه الحال تعظمي بهذه الموعظة؟ فقال: اسكت حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال النبي ﷺ: أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي. وقد تقدم له بهذا الإسناد: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله.

وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال: دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فانشأ يقول:

تماظمي ذنبي فلما قرنته
ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
ولولاك لم يُغوى بليلىس عابد
رواه الحافظ ابن عسك.

وروي أنهم وجدوا عند رأسه رقعة مكتوباً فيها بخطه:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
إن كان لا يرجوك إلا عمن
أدعوك ربي كما أمرت تضرعاً
مالي إليك وسيلة إلا الرجا

وقال يوسف بن البداية: دخلت عليه وهو في السياق فقلت: كيف تجدك؟ فاطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال:

دب في الفناء سفلاً وعلواً
ليس تأتي من ساعة بي إلا
قد أسأت كل الإساءة فالله
ثم مات من ساعته ساعه الله.

وقد كان نقش خاتمه لا إله إلا الله خلعاً، فأوصى أن يجعل في فيه إذا غسلوه ففعلوا به ذلك.

ولما مات لم يجدوا له من المال سوى ثلاثمائة درهم وثيابه وأثاثه، وقد كانت وفاته في هذه السنة ببغداد ودفن في مقابر الشويبة في تل اليهود. وله خمسون سنة. وقيل ستون سنة، وقيل تسع وخمسون سنة. وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بآيات قلتها في الترجس:

تفكر في نبات الأرض وانظر
عيون من لجّين فاخارت
على غضب الزبرجد شاهدات
وفي رواية عنه أنه قال: غفر لي بآيات قلتها وهي تحت وسادتي فجاوزوا فوجدوها في رقعة بخطه، وهي هذه الأبيات:

وقعت حروب كان مبلوؤها من أهل حمص، وتفاقم الأمر وطال القتال بين الناس، ومات عبد الملك بن صالح هنالك فرجع الجيش إلى بغداد صحبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، فلقاه أهل بغداد بالإكرام والاحترام، وذلك في شهر رجب من هذه السنة. فلما وصل إليها جاءه رسول الأمين يطلبه فقال: والله ما أنا بمسار ولا مضحك، ولا وليت له عملاً ولا جاءه له على يدي مال، فلا شيء يريدني في هذه الليلة؟

سبب خلع محمد الأمين وكيف أفضت

الخلافة إلى أخيه عبد الله المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه، وذلك بعد مقدمه بالجيش من الرقة، قام في الناس خطيباً وإلهم على الأمين، وذكر لعبه وما يتعاطاه من اللغو وغير ذلك من المعاصي، وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله، وأنه يريد أن يوقع البأس بين الناس، ثم حثهم على القيام عليه والنهوض إليه، وندبهم لذلك، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير، وبعث محمد الأمين إليه خيلاً فاقتلوا ملياً من النهار، فأمر الحسين أصحابه أن يترجلوا إلى الأرض وأن يقتلوا بالسيف والرمح، فانهزم جيش الأمين وخلع محمد الأمين، وذلك يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ولما كان يوم الثلاثاء نقل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بغداد، وضيّق عليه وقيد واضطهده، وأمر العباس بن موسى بن عيسى أمه زبيدة أن تنقل إلى هناك فامتعت فتمتعه بالسوط وقهرها على الانتقال فانقلبت مع أولادها. فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطيهم واختلقوا عليه وصار أهل بغداد فرقتين، فرقة مع الخليفة وفرقة عليه. فاقتلوا قتلاً شديداً فغلب حزب الخليفة أولئك، وأسروا الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان وقيده ودخلوا به على الخليفة ففكروا عنه قيوده وأجلسوه على السرير، فعند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحاً من الخزان، فانتهب الناس خزائن السلاح بسبب ذلك، وأمر الأمين وأبني الأمين بالحسين بن علي بن عيسى فلامه على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عفو الخليفة حله على ذلك. ففعا عنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه الحاتم وولاه ما وراء بابه، وولاه الحرب وسيره إلى حلوان، فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته وخدمه فبعث إليه الأمين من يده، فركبت الخيول وراءه فأدركوه فقاتلهم وقتلوه فقتلوه لمتصف رجب، وجاؤوا برأسه إلى الأمين، وجدد الناس البيعة للأمين يوم الجمعة. ولما قتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين نائب المأمون على أكثر البلاد واستتاب بها النواب، من جهة المأمون وخلع أكثر أهل الأقاليم الأمين وسابعوا المأمون، وتدنى طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها، واستتاب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ولم يبق مع الأمين من البلاد إلا القليل.

وفي شعبان منها عقد محمد الأمين أربعمئة لواء مع كل لواء أمير، ويعتهم لقتال هرمة بن أعين، فالتقوا في شهر رمضان فكسرهم هرمة وأسر مقدمهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وبعث به إلى المأمون، وهرب جماعة من جند طاهر نحو من خمسة آلاف ففسدوا إلى الأمين فأعطاهم أموالاً كثيرة، وأكرمهم وغلف لحاهم بالغالية فسموا جيش

يا رب إن عظمت دنوسي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظم الآيات. وقد تقلعت.

وفي رواية لابن عساكر قال بعضهم: رأيته في المنام في هيئة حسنة ونعمة عظيمة فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا وقد كنت غلطاً على نفسك؟ فقال: جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم أهدى ثواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا في جملتهم، فغفر الله لي. وقال ابن خلكان: لما صحب أبا أسامة والبة بن الحجاب قدم به بغداد، فكان أول شعر قاله أبو نواس:

حامل المهرى تمسب يستخفه الطرب
إن بكى يحرق له ليس ما به لعب
تضحك من لاهية والحسب يتحسب
تعجبين من سقمي صحتي هسي العجب
وقال المأمون: ما أحسن قوله:

وما الناس إلا هالك وإبن هالك وفو نسب في الهالكين هريق
إذا امتحن الدنيا لييب تكشف له عن عدو في ثياب صديق
قال القاضي ابن خلكان: وما أشد رجاءه بره حيث يقول:

تكثّر ما استطعت من الخطايا فلتك بالغ رباً غفوراً
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيراً
تمضّ ندامة كفيك عما تركت خافة النار السرورا
وفها توفي

■ أبو معاوية الضوي، محمد بن خازم، أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين.

و ■ الوليد بن مسلم الدمشقي تلميذ الأوزاعي.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئة

فيها حبس محمد بن الأمين أسد بن يزيد بن يزيد لأجل أنه نعم على الأمين لعبه وتهوانه في أمر الرعية، وارتكابه اللعب والصيد في هذا الوقت. وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة في أربعين ألفاً مع كل واحد منهما عشرون ألفاً إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين أمير الحرب من جهة المأمون، فلما وصلوا إلى قريب من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقاً وجعل يعمل الحيلة في إيقاع الفتنة بين الأميين، فاختلفا فرجما ولم يقتلوا، ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتاب المأمون بتسليم ما تحت يده إلى هرمة بن أعين، وأن يتوجه هو إلى الأهواز. ففعل ذلك.

وفيها رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وولاه أعمالاً كبيراً وسماه ذا الرياستين.

وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي - وقد كان أخرجه من سجن الرشيد - وأمره أن يعث له رجالاً وجنوداً لقتال طاهر وهرمة، فلما وصل عبد الملك بن صالح إلى الرقة أقام بها وكسب إلى رؤساء الشام يتألفهم ويدهمهم إلى الطاعة، فقدم عليه منهم خلق كثير، ثم

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

استهلّت هذه السنة وقد ألح طاهر بن الحسين بن مصعب وهرثمة بن أعين ومن معهم من الجنود في حصار بغداد والتضييق على عهد الأميين، وهرب القاسم بن الرشيد وعنه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرهما، وولى أخاه القاسم جرجان، واشتد حصار بغداد ونصب عليها الجنائز والعراءات. وضاق الأميين بهم ذرعاً، ولم يبق معه ما ينقذ في الجند، فاضطر إلى ضرب آية القضة والذهب دراهم ودينار، وهرب كثير من جنده إلى طاهر، وقتل من أهل البلد خلق كثير، وأخذت أموال كثيرة من التجار، وبعث محمد الأميين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن وعمال كثيرة فحرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة، فعل كل هذا فراراً من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم، وقُتل وخربت دياره كما سيأتي قريباً، وفعل طاهر مثل ما فعل الأميين حتى كادت بغداد تحترق بكاملها، فقال بعضهم في ذلك:

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زماناً قرة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم وكان قريبهم زيناً من الزين
صاح الغراب بهم بالين فافترقوا ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوماً ما ذكرتهم إلا تحدر ماء العين من عيني
كانوا ففرقتهم دهر وصدعهم والدرهم يصدع ما بين الفريقين
وقد أكثر الشعراء في ذلك.

وقد أورد ابن جرير [٤٤٨/٨-٤٥٤] من ذلك طرفاً صالحاً، وأورد في ذلك قصيدة طويلة جداً لبعض أهل ذلك الزمان، فيها بسط ما وقع، وهي هول من الأحوال اقتصرناها بالكافية.

واستحوذ طاهر على ما كان في الضياع من الغلات والحواصل للأمرء وغيرهم، ودعاهم إلى الأمان وخلع الأميين والبيعة للمأمون فاستجاب له جماعة منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة، ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطوسي، وكتبه خلق من الهاشمين والأمراء، وصارت قلوبهم معه، واتفق في بعض الأيام أن ظفر أصحاب الأميين ببعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح، فلما جرى ذلك بطر الأميين وأقبل على اللهو والشرب واللعب، ووكل الأمور وتديرها إلى محمد بن عيسى بن نهيك، ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضعف جانب الأميين جداً، وانحاز الناس إلى جيش طاهر - وكان جانبه آمناً جداً لا يخاف أحد فيه من سرقة ولاتهاب ولاخير ذلك - وقد احتاز طاهر أكثر عيال بغداد وأرباضها، ومنع الملاحين أن يحملوا طعاماً إلى من خلفه، ليضيق عليهم فقلت الأسعار جداً، وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك، ومنعت التجار من القلوم إلى بغداد بشيء من البضائع أو الدقيق، وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها، وجرت بين الفريقين حروب كثيرة، فمن ذلك وقعة درب الحجازة كانت لأصحاب الأميين، قتل فيها خلق من أصحاب طاهر كان الرجل من العيارين والحرافشة من البغاددة يأتي عرياناً ومعه بارية مقبرة، وتحت كفه حلاة فيها حجارة، فإذا ضربه الفارس من بعيد بالسهم اتقاه بباريته فلا يؤذيه، وإذا اقترب منه رماه بحجر في القلاع فأصابه، فهزمهم بذلك.

وقعة الشامية أسر فيها هرثمة بن أعين، فشق ذلك على طاهر وأمر

الغالية. ثم ندبهم الأميين وأرسل معهم جيشاً كثيراً لقتال طاهر فهزمهم وفرق شملهم، وأخذ ما كان معهم، واقترب طاهر من بغداد فحاصرها وبعث القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيعاً، ثم وقع بين الجيش وسعت الأصاغر على الأكابر واختلفوا على الأميين في سادس ذي الحجة فقال بعض البغاددة:

قل لأمين الله في نفسه ما شئت الجند سوى الغالية
وطاهر؛ نفسي تقى طاهراً برسله والعدو الكافية
أضحى زمام الملك في كفه مقاتلا للفنسة الباغية
يا ناكثاً أسلمه نكته عيونه في جيشه فاشية
قد جاءك الليث بشدته مستكباً في أسد ضاربه
فاهرب ولا مهرب من مثله إلا إلى النار أو الهاوية

ففرق على الأميين شمله، وحار في أمره، وجاء طاهر بن الحسين بجيوشه فنزل على باب الأنبار يوم الثلاثاء لثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، واشتد الحال على أهل البلد وأخذت الدعار والسطار أهل الصلاح، وخربت الديار، وثارت الفتنة بين الناس، حتى قاتل الأخ أخاه للأهواء المختلفة، والابن أباه. وجرت شروخ عظيمة، واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل داخل البلد.

وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي من قبل طاهر، ودعا للمأمون بالخلافة بمكة والمدينة النبوية، وهو أول موسم دعي فيه للمأمون. بالخلافة.

وفيه توفى

- بقية بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وفقهها وعذبتها.
- حفص بن غياث القاضي: عاش فوق التسعين ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له: لا تبك! والله ما حلت سراويلي على حرام قط، ولا جلس بين يدي خصمان فبليت على من وقع الحكم منهما، قريباً كان أو بعيداً، ملكاً أو سوقة.
- عبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد، كان وزيراً للرشيد فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله يرحمه.

■ أبو شيبان: الشاعر محمد بن رزيق بن سليمان، كان إنباد الشعراء، وإنشأه ونظمه أسهل عليه من شرب الماء، كذا قال ابن خلكان وغيره.

وكان هو مسلم بن الوليد - الملقب صريع الفواني - وأبو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون. وقد عمي أبو الشيبان في آخر عمره، ومن جيد شعره قوله:

وقف الهوى بي حيث أتت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملازمة في هواك لذينة حباً للذكرك فليمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك عن يكرم

إلا لتسل السلطان من ملكه غاوا يحب الدنيا إلى ملكه وملك ذي العرش دائم أبداً ليس بفان ولا بمشترك قال: فيها وأقامها من حضرته فعثرت في قديم كان له من بلور فسكرته فطير بذلك. ولما ذهبت الجارية سمع صاخاً يقول «قضى الأمر الذي فيه تستغيثان» (يوسف: ٤١) فقال لجليسه: ويحك ألا تسمع، تسمع فلم يسمع شيئاً، ثم عاد الصوت بذلك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في ربيع صفر يوم الأحد، وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق عنده طعام ولا شراب فجاء ليلة فما أتى برغيف ودجاجة إلا بعد كلفة كبيرة، ثم طلب ماء فلم يوجد له فبات عطشاً فلما أصبح قتل قبل أن يشرب ماءً.

ذكر كيفية مقتله

لما اشتد به الأمر اجتمع عنده من بقي معه من الأمراء والخدم والجند، فشاوهم في أمره فقالت طائفة: تذهب بمن بقي معك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخدم الرجال. وقال بعضهم: تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماناً وتبيع لأخيك، فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأمر لك بما يكفيك ويكفي أهلك من أمر الدنيا، وغاية مرادك الدعة والراحة، وذلك يحصل لك. وقال بعضهم: بل هرمة أولى بأن يأخذ لك منه الأمان فإنه مولاكم أحنى عليكم. فمال إلى ذلك.

فلما كانت ليلة الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخر وأعد هرمة أن يخرج إليه، ثم لبس ثياب الخلافة وطيلاً واستدعى بولديه فشمهما وضمهما إليه وقال: استودعكما الله، ومسح دموعه بطرف كفه، ثم ركب على فرس سوداء وبين يديه شعبة، فلما انتهى إلى هرمة أكرمه وعظمه وركبا في حرقة في دجلة، وبلغ ذلك طاهراً فغضب من ذلك وقال: أنا الذي فعلت هذا كله وذهبت إلى غيري، وينسب هذا كله إلى هرمة فلحقهما وهما في الحرقة فأمالها أصحابه ففرقت في الماء، ففرق من فيها، غير أن عمداً الأمين سبى إلى الجانب الآخر وأسره بعض الجند. وجاء فأعلم طاهراً بذلك فبعث إليه جنداً من العجم فجازوا إلى البيت الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له: ادن مني فإني أجد وحشة شديدة، وجعل يلتفت في ثيابه شديداً وقلبه يتفقد خفقاناً عظيماً، كاد يخرج من صدره. فلما دخل عليه أولئك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول: ويحكم أنا ابن عم رسول الله ﷺ، أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون، الله الله في دمي. فلم يلتفتوا إلى شيء من ذلك بل تكاثروا عليه وذهبه من قفاه وهو مكبوت على وجهه وذهبوا برأسه إلى طاهر وتركوا جسده، ثم جازوا بكرة إليها فلقرها في جل فرس وذهبوا بها. وكان ذلك في ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر من هذه السنة. أعني سنة ثمان وتسعين ومائة.

وهذا شيء من ترجمة الأمين

هو محمد أمير المؤمنين

■ الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور أبو عبد الله ويقال أبو موسى الهاشمي العباسي البغدادي، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور. كان مولده بالرصافة سنة سبعين ومائة.

بعقد جسر على دجلة فوق الشماسية، وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم، واسترد منهم هرمة وجماعة ممن كانوا أسروهم من أصحابه، فشق ذلك على محمد الأمين وقال في ذلك:

ميت بأشجع الثقلين قلباً إذا ما طال ليس كما يطول
له مع كل ذي بدن رقيب يشاهده ويعلم ما يقول
فليس بمفضلٍ أمراً عناداً إذا ما الأمر ضيعته النفوس
وضعف أمر محمد الأمين ابن زبيدة جداً ولم يبق عنده مال ينقذه على جنده ولا على نفسه، وتفرق أكثر أصحابه عنه، وبقي مضطهداً ذليلاً. وانقضت هذه السنة بكاملها والناس يبتعدون في قلاقل وزلازل وهشاهات، وقتال وحصار وحرق وغرق وسرق، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي ودعا للمأمون.

وفيها توفي من السادة الأعيان

- شعيب بن حرب أحد الزهاد.
- عبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية.
- عبد الرحمن بن مسهر قاضي جبّل، آخر علي بن مسهر.
- عثمان أبو سعيد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم.
- وكيع بن الجراح الرؤاسي أحد أعلام المحدثين. مات عن ست وستين سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

فيها خامر خزمية بن خازم على محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر. ودخل هرمة بن أعين من الجانب الشرقي. وفي يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم وثب خزمية بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر بغداد فقطعاه ونصبا رأيتهما عليه. ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد الأمين، ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه، ونادى بالأمان لمن لزم منزله، وجرت عند دار الرقيت والكرخ وغيرهما وقعات، وأحاط مدينة أبي جعفر والخلد وقصر زبيدة، ونصب المجانيق حول السور وحذاء قصر زبيدة، ورماء بالمنجنيق، فخرج الأمين بأهله وولده إلى مدينة أبي جعفر، وتفرق عنه عامة أصحابه في الطريق، لا يلوي أحد على أحد، ودخل قصر الأمين أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمي المنجنيق، وأمر بتحريق ما كان فيه من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك، فحضر فيه حصراً شديداً. ومع هذه الشدة والضيق وإشرافه على الهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى بنيذ وجارية فغته فلم ينطق لسانها إلا بالفراقيات وذكر الموت وهو يقول لها: غيري هذا، وتذكر نظيره حتى غته آخر ما غته أن قالت:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشورك
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك

وروى الخطيب [تاريخ بغداد: ٣/٣٣٨] من طريقه حديثاً أورده عنه لما عُرِي في غلام له توفي بمكة فقال: حلفتُ أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبدالله عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات محرماً حشر ملياً.

وقد قلنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفرقة، حتى انقضى ذلك إلى خلمه وعزله، ثم إلى التضيق عليه وقلته، رحمه الله وسامحه، وأنه حصر في آخر أمره حتى احتاج إلى مصانعة هرثمة، فخرج إليه ليجتمع به، فألقي من الحرقة، فسبح إلى الشط الآخر من دجلة فدخل داراً لبعض العامة وهو في غاية الخوف والدعش والجوع والعُري، فجعل الرجل يلقيه الصبر والاستغفار، فاشتغل بذلك ساعة من الليل، ثم جاء الطلب وراءه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب، فدخلوا عليه وكان الباب ضيقاً فدخلوا يتدافعون وقام إليهم فجعل يدافعهم عن نفسه بمخلة كانت في يده، فما وصلوا إليه حتى عرقبه وضربوا رأسه وخصرته بالسيف، ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأثوا بهما إلى طاهر بن الحسين فحرق بذلك فرحاً شديداً، وأمر بنصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس ينظرون إليه فوق الرمح عند باب الأتبار، وكثر عدد الناس ينظرون إليه. ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب، وبعث معه بالبردة والقضيب والمصلى - وكان من خواص مطب - فسلمه إلى ذي الرياستين، فدخل به على المأمون على ترس، فلما رآه سجد وأمر لمن جاء به بألف ألف درهم. وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤلب على طاهر: أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به عقيراً. فقال المأمون: قد مضى ما مضى. وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً ذكر فيه صورة ما وقع من القتال حتى آل الحال إلى ما آل إليه.

ولما قتل الأمين هدأت الفتن وهدئت الشرور، وأمن الناس، وطابت النفس، ودخل طاهر بن الحسين إلى بغداد يوم الجمعة فصلّى بالناس الجمعة وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة ثم خرج إلى معسكره فأقام به وأمر بتحويل زبيدة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد، فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة، وبعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بمخراسان، وكان ذلك رأياً سليماً.

وقد وثب طائفة من الجند بطاهر بعد خمسة أيام من مقتل الأمين وطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال، فتجزبوا واجتمعوا ونهبوا بعض متاعه ونادوا: يا موسى يا منصور، واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالناطق بالحق هناك، وإن هو قد سيره طاهر إلى عمه المأمون والحاظر طاهر بمن معه من القواد ناحية وعزم على قتالهم ومنازعتهم بمن معه، ثم رجعوا إليه واحتذروا ونلموا على ما كانوا فعلوا، فأمر لهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس، فطابت الخواطر واتسق الحال وصالح أمر بغداد.

وكان إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زبيدة ورثاء بآليات، فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه يعظه ويولمه على ذلك. وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٨/٤٩٩] مرثي كثيرة للناس في الأمين، وذكر من أشعار الذين هجوه طرفاً، وذكر من شمر طاهر بن الحسين حين قتله قوله:

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال: ولد محمد الأمين بن هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة. وأتته الخلافة بمدينة السلام ببغداد لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقتل ليلة الأحد لحسن يمين من الحرم، يعني سنة ثمان وتسعين ومائة، قتله قريش الدناني، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح ونلا هذه الآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام، وكان طويلاً سميناً أبيض أفتى الأنف صغير العينين، عظيم الكراديس بعيداً ما بين المتكئين. وقد رماه بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة.

وقد ذكر ابن جرير [تاريخه: ٨/٤٩٨] طرفاً من سيرته في إكثاره من اقتناء السودان والخصيان، وإعطائهم الأموال والجواهر، وأمره بإحضار الملاحين والمغنين من سائر البلاد، وأنه أمر بعمل خمس حراقات على صورة الفيل والأسد والعقاب والحية والفرس، وأتفق على ذلك أموالاً جزيلة جداً، وقد امتدحه أبو نواس على ذلك بشعر أقيح في معناه من صنيع الأمين فإنه قال في أوله:

سخرَ الله للأمين مطايا لم تسخر لصاحبِ الحراب
فإذا ما ركابهُ سرَّ برأ سار في الماء ركباً ليث غاب
ثم وصف كلا من تلك الحراقات.

واعتني الأمين ببنائيات هائلة للزينة وغير ذلك، وأثقل في ذلك أموالاً كثيرة جداً. فكثر التكبر عليه بسبب ذلك.

وذكر ابن جرير [تاريخه: ٨/٥١٢] أنه جلس يوماً في مجلس أُنفق عليه مالا جزيلاً في الخلد، وقد فرش له بأنواع الحرير، ونضد بأثنية الذهب والفضة، وأحضر نداءه وأمر القهرمانة أن تهيب له مائة جارية حسناء وأمرها أن تبسطنه إليه عشراً بعد عشر يغنيه، فلما جاءت العشر الأول اندفعن يغنين بصوت واحد:

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما عذرت يوماً بكسرى مرازمة
فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالكاس، وأمر بها أن تلقى إلى الأسد فأكلها. ثم استدعى بعشرة فاندفعن يغنين:

من كان مسوراً بمقتل مالك فليأت نوتنا بوجوه نهار
يمحو النساء حواسراً يتدبسه يطمئن قبل تبلج الأسحار
فطردهن واستدعى بعشر غيرهن، فلما حضرن اندفعن يغنين بصوت واحد:

كليب لمعري كان أكثر ناصراً وإيسر ذنباً منك ضرج بالدم
فطردهن وقام من فوره وأمر بتخريب ذلك المجلس وتخريق ما فيه.

وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحاً يقول الشعر ويحب ويعطي عليه الجوائز الكثيرة، وكان شاعره أبا نواس، وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسناً، وقد وجده مسجوناً في حبس الرشيد مع الزنادقة فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من نلعاته، ثم حبسه مرة أخرى في شرب الخمر وأطال حبسه ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر ولا يأتي الذكuran من العالين فامتثل ذلك، وكان لا يفعل شيئاً من ذلك بعد ما استتابه الأمين، وقد تآدب على الكسائي وقرأ عليه القرآن.

ملكْتُ النَّاسَ قَسْرًا وَاقْتِدَارًا وَقَتَلْتُ الْجَبَايِرَ الْكِبَارَا
وَوَجَّهْتُ الْخِلَافَةَ غَرْمَ مَرُورٍ إِلَى الْمَأْمُونِ يُتَبَدَّلُ ابْتِدَارًا

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

لما قتل أخوه محمد بن هارون الرشيد ببغداد في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في آخر المحرم، استوسقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون (عبدالله بن الرشيد): فولى الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن، وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم، وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو ببغداد أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شبث، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب. وكتب إلى هرثمة بن أعين نيابة خراسان.

وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سفيان بن عيينة. وعبد الرحمن بن مهدي. ويحيى القطان بن سعيد. فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في زمانهم في الحديث وأسماء الرجال.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

فيها قدم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون، ووجه نوابه إلى بقية أعماله، وتوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاط المغرب. وسار هرثمة إلى نيابة خراسان.

وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذي الحجة منها، الحسن الحرشي يدعو إلى الرضى من آل محمد عليهم السلام، فحبى الأموال وانتهب الأنعام وعاث في البلاد فساداً فبعث إليه المأمون جيشاً فقتلوه في المحرم من هذه السنة.

وفي هذه السنة خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة، يدعو إلى الرضى من آل محمد، والعمل بالكتاب والسنة، وهو الذي يقال له ابن طباطبا، وكان القائم بأمره وتدير الحرب بين يديه أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، وقد أصفى أهل الكوفة على وفاقه واجتمعوا عليه من كل فج عقيق، ووفدت إليه الأعراب من ضواحي الكوفة، وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان بن أبي جعفر المنصور، فبعث الحسن بن سهل إلى سليمان يلومه ويؤنبه على ذلك، وأرسل إليه بعشرة آلاف فارس صلبة بن زهير بن المسيب، فقتلوا خارج الكوفة فهزموا زهيراً واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان معه، وذلك يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة، فلما كان الغد من الواقعة توفي ابن طباطبا أمير الشيعة فجأة، يقال إن أبا السرايا سمه وأقام مكانه غلاماً أمرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. واتعزل زهير بن بقي معه من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة، وأرسل الحسن بن سهل مع عبلوس بن محمد أربعة آلاف فارس، مدحاً زهيراً فأتقوا وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبلوس أحد، وانتشر الطالبيون في تلك البلاد، وضرب أبو السرايا الدراهم والدنانير في الكوفة، ونقش عليها «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ يُتَيَّنُ مَرْصُوصٌ» الآية (الف ٤).

ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمداين فهزموا من فيها ودخلوها قهراً، وقويت شوكتهم، فاهتم لذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرثمة من خراسان يستدعيه لحرب أبي السرايا فتمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا غير مرة وطرده حتى رده إلى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بني العباس بالكوفة فنهبوا وخربوا ضياعهم، وفعلوا أفعالا قبيحة.

وبعث أبو السرايا إلى أهل المدينة فاستجابوا له، وبعث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأفطس بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ليقيم لهم الموسم فتهب أن يدخلها جهرة، ولما سمع نائب مكة - وهو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - بقدمه هرب من مكة طالباً أرض العراق، وبقي الناس بلا إمام فستل مؤذنها أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى أن يصلي بهم فأبى، فقبل لقاضيا محمد بن عبد الرحمن المخزومي فامتنع، وقال: لمن ادعوا وقد هرب نواب البلاد. فقدم الناس رجلاً من غرضهم فصلى بهم الظهر والعصر، وبلغ الخبر إلى حسين بن حسن الأفطس فدخل مكة في عشرة رهط قبل الغروب فطاف بالبيت، ثم وقف بعرفة ليلاً وصلى بالناس الفجر بمزدلفة ودفع بهم وأقام بقية المناسك في أيام منى، فدفع الناس من عرفة بغير إمام.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسحاق بن سليمان. وابن غيور. وابن شايور. وعمرو العتقزي. وأبو مطيع البلخي. ويونس بن بكير.

ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة النبوية

في أول يوم من هذه السنة جلس حسين بن حسن الأفطس على طنفسة مثثة خلف المقام وأمر بتجريد الكعبة عما عليها من كساوى بني العباس، وقال: نظهرا من كساويهم. وكساها ملاءتين صفراوين عليهما اسم أبي السرايا، ثم أخذ ما في كثر الكعبة من الأموال، وتبع ودائع بني العباس فأتخذها، حتى إنه لا يخاذ مال ذي المال ويلزمه بإقرار للمسودة فيأخذ. وهرب منه الناس إلى الجبال، وحلّ ما على رؤوس الأساطين من الذهب، وكان ينزل من السارية مقدار يسير بعد جهد جهيد، وقلعوا ما في المسجد الحرام من الشيايك وباعوها بالانمان البخسة، وأسأوا السيرة جداً. فلما بلغه مقتل أبي السرايا كتم ذلك وأمر رجلاً من الطالبيين شيخاً كبيراً، واستمر على سوء السيرة.

وفي سادس عشر المحرم منها، قهر هرثمة بن أعين أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبيين من الكوفة، ودخلها هرثمة ومنصور بن المهدي فأمنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد. وسار أبو السرايا بمن معه إلى القادسية، ثم سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضاً وجرح أبو السرايا جراحة منكرة جداً، وهربوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين، فاعترضهم بعض الجيوش أيضاً فأسروهم وأتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان حين طرده الحرية، فأمر بضرب عتق أبي السرايا فجزع من ذلك جرعاً شديداً جداً وطيف برأسه وأمر بمجسده أن يقطع بائتين وينصب على جسر ببغداد، فكان بين خروجه وقتله عشرة

أشهر. فبعت الحسن سهل محمد بن محمد إلى المأمون مع رأس أبي السرايا. وقد قال بعض الشعراء:

الم تر ضربة الحسن بن سهل بسيفك يا أمير المؤمنين
أدارت مرور رأس أبي السرايا وأبقت عسيرة للعابرين

وكان الذي في يده البصرة من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، ويقال له زيد النار، لكثرة ما حرق من البيوت التي للمسوفة، فأمره علي بن أبي سعيد وأمنه وبعث به وعن معه من القواد إلى اليمن لقتال من هناك من الطالبين [الذين قد خرجوا بها].

وفيها خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، ويقال له الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن، وأخذ من أموالهم. وقد كان مقيماً بمكة، فلما بلغه خبر أبي السرايا وظهوره بأرض الكوفة، طمع فسار إلى أهل اليمن، فلما بلغ ناتها قدمه ترك له وسار إلى خراسان إلى أمير المؤمنين واجتاز بمكة وأخذ أمه منها. واستحوذ إبراهيم بن موسى على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة وخطوب كبيرة يطول ذكرها، ورجع محمد بن جعفر العلوي لذي أذى الخلافة بمكة عما كان يزعمه، وقال: كنت أظن أن المأمون قد مات كما سُمع ذلك وقد تحققت حياته، وأنا استغفر الله وأتوب إليه مما كنت ادعيت من ذلك، وقد رجعت إلى الطاعة وأنا رجل من المسلمين. وهزم أبو السرايا وأصحابه ومحمد بن محمد الذي تأمر بالكوفة وأتى الخلافة، وتفرق أصحابهما على يدي هرثمة بن أعين، فوشى بعض الناس إلى المأمون أن هرثمة لو شاء ما ظهر أبو السرايا وأصحابه فاستدعى به إلى مرو فأمر به فضرب بين يديه ووطى بطنه ثم رفع إلى الحبس ثم قتل بعد ذلك بأيام، وانطوى خبره بالكوفة.

ولما وصل خبر قتله إلى بغداد سعت العامة والحرية بالحسن بن سهل نائب العراق وغيرها وقالوا: لا نرضى به ولا بعماله بيلادنا، وأقاموا إسحاق بن موسى بن المهدي نائباً، واجتمع أهل الجانبين على ذلك، والتفت على الحسن بن سهل جماعة من الأمراء والأجناد، وراسل من وافق العامة على ذلك من الأمراء يحرصهم على القتال، وجرت الحروب بينهم ثلاثة أيام في شعبان من هذه السنة. ثم اتفق الحال على أن يعطيهم شيئاً من أرزاقهم يتفقهوا في شهر رمضان، فما زال يظلمهم إلى ذي القعدة حتى يدرك الزرع، فخرج في ذي القعدة زيد بن موسى بن جعفر الذي يقال له زيد النار، وهو أخو أبي السرايا، وقد كان خروجه هذه المرة بتأحية الأنبار، فبعت إليه علي بن هشام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالملائن إذ ذلك فأخذ وأتى به إلى علي بن هشام، وأطفا الله نارتهم.

وبعث المأمون في هذه السنة يطلب جماعة من العباسيين، وأحصى كم العباسيين قبلوا ثلاثة وثلاثين ألفاً، ما بين ذكور وإناث.

وفيها قتلت الروم ملكهم إليسون، وقد ملكهم سبع سنين، وملكوا عليهم ميخائيل نائبه.

وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل، لأنه قال للمأمون: يا أمير الكافرين. فقتل صبراً بين يديه.

وفيها حج بالناس أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد.

وفيها توفي من الأعيان

■ أسباط بن محمد. وأبو حمزة أنس بن عياض. وسلم بن قتيبة. وعمر بن عبد الواحد. وابن أبي لؤي. ومبشر بن إسماعيل. ومحمد بن

جبر. ومعاذ بن هشام.

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

فيها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك، فراوده على أن يكون نائباً للمأمون يدعوه له في الخطبة فأجابهم إلى ذلك، وذلك بعد إخراج أهل بغداد علي بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم بعد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك.

وفيها عم البلاء بالعابرين والشطار والفاسق ببغداد وما حولها من القرى، كانوا يأتون الرجل يسألونه ما لا يقرضهم أو يصلهم به فيمتنعوا عليهم فيأخذون جميع ما في منزله، وربما تعرضوا للعلمان والنسوان، ويأتون أهل القرية فيستاقون ما فيها من الأنعام والمواشي ويأخذون ما شأوا من العلمان والنسوان، ونهبوا أهل قطريل ولم يدعوا لهم شيئاً أصلاً، فانتدب رجل يقال له خالد الديوش، وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان. والتف عليهما جماعة من العامة فكفوا شرهم وقتلوه. ومنعهم من العيث في الأرض فساداً، واستمرت الأمور كما كانت، وذلك في شعبان ورمضان والله الحمد والملة.

وفي شوال منها رجع الحسن بن سهل إلى بغداد وصالح الخند، وانفصل منصور بن المهدي ومن وافقه من الأمراء.

وفي هذه السنة بايع المأمون لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده، وسماه الرضى من آل محمد، وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة، وألزم جندته بذلك، وكتب بذلك إلى الآفاق الأقاليم، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وذلك أن المأمون رأى أن علياً الرضى خير أهل البيت وليس في بني العباس مثله في علمه ودينه، فجعله ولي عهده من بعده.

ذكر بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لما جاء الخبر إلى بغداد أن المأمون بايع لعلي بن موسى الرضى بالولاية من بعده اختلقوا فيما بينهم، فمن يجيب مبايع، ومن أب مانع، وجهور العباسيين على الامتناع، وقام في ذلك ابن المهدي إبراهيم ومنصور، فلما كان يوم الثلاثاء لحمس يقين من ذي الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك - وكان أسود اللون - ومن بعده لأبن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي، وخلعوا المأمون. فلما كان يوم الجمعة لليتين بقيتا من ذي الحجة أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة: لا نرضى إلا إبراهيم فقط، واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم، ولم يصلوا الجمعة، وصلى الناس فرادى أربع ركعات.

وفي هذه السنة انتخب نائب طبرستان جبالا وبلاد اللاز والشيزر. وذكر ابن جرير [٥٥٦/٨] أن سلماً الخاسر قال في ذلك شعراً. وقد ذكر ابن الجوزي [المنظوم: ١٢٠/٩] وغيره أن سلماً توفي قبل ذلك بسنين فأنه أعلم.

وفيها أصاب أهل خراسان والري وأصبهان مجاعة شديدة وعز الطعام جلاء.

وفي هذه السنة تحرك بابك الخرمي وأتبعه طوائف من السفلة والجهلة

وكان يقول بالتناسخ قبحه الله ولعنه. وسيأتي ما آل أمره إليه.

وفيها حج بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيها توفي من الأعيان

- أبو أسامة جاد بن أسامة. وحاد بن مسعدة وحرمي بن عمارة. وعلي بن عاصم.
- محمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان يابيه أهل الكوفة بعد ابن طباطبا.

ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين

في أول يوم منها يبيع لإبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون، فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فبايعه الناس ولقب بالبارك، وغلب على الكوفة وأرض السواد، وطلب منه الجند أرزاقهم فمأطلمهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد، وكتب لهم بتعويض من أرض السواد، فخرجوا لا يجرمون بشيء إلا انتهروه، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان، واستأب إبراهيم على الجانب الشرقي للعباس بن موسى الهادي، وعلى الجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي. وفيها خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان، فبعث إليهم إبراهيم جيشاً عليهم أبو إسحاق المتصم بن الرشيد في جماعة من الأمراء فكسره ورد كيده و الله الحمد.

وفيها خرج أخو أبي السرايا فيض بالكوفة فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم، ولما كان ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهبت وبقي بعدها عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل، وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب المأمون، واقتتلوا قتالا شديداً. وعلى أصحاب إبراهيم السواد، وعلى أصحاب المأمون الخضرية واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب.

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعي فسجنه، وذلك أنه التف عليه جماعة من الناس يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة، وصار باب داره كأنه باب السلطان، عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أهبة الملك، فقاتله الجند فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والظفارة ثم اختفى في بعض الدروب، فأخذ وجيء به إلى إبراهيم فسجنه ستة كاملة.

وفيها أقبل المأمون من خراسان قاصداً العراق، وذلك أن علي بن موسى بن جعفر العلوي أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بأرض العراق، وبأن الهاشميين قد انهروا إلى الناس بأن المأمون مسحور وجنون، وأنهم قد تقموا عليك ببيعتك لعلي بن موسى، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم بن المهدي. فاستدعى المأمون بجماعة من أمراءه وأقربائه فسألهم عن ذلك فصدقوا علياً فيما قال، بعد أخذهم الأمان منه، وقالوا له: إن الفضل بن سهل حسن لك قتل هرثمة، وقد كان ناصحاً لك. فعاجله فقتله، وإن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد

إليك الخلافة بزمانها فطردته إلى الرقة فبعد لأعمل له ولا تستنهضه في أمر، وإن الأرض قد تفتت بالشور والفتن من أقطارها. فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد، وقد فطن الفضل بن سهل بما تمألاً عليه أولئك الناصحون للمأمون، ف ضرب قوماً وتنف لحي بعضهم.

وسار المأمون فلما كان يسرخس عدا قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام فقتلوه بالسيف، وذلك يوم الجمعة لليتين خلنا من شعبان وله ستون سنة، فبعث المأمون في آثارهم فجاء بهم وهم أربعة من المالكي فقتلهم، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يمزيه فيه، وولاه الوزارة مكانه، وأرسل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيم بن المهدي بالملائن، وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جهة المأمون.

وفي هذه السنة تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل، وزوج علي بن موسى الرضى بابته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بابته الأخرى أم الفضل.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضى، ودعا لأخيه بعد المأمون، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن، وقد كان تغلب عليها حملوه بن علي بن موسى بن ماهان.

وفيها توفي من الأعيان

- أيوب بن سويد. وضمرة. وعمر بن حبيب. والفضل بن سهل الوزير. وأبو يحيى الحماني.

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

فيها وصل المأمون - في سيرة خراسان إلى العراق - إلى مدينة طوس، فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر، فلما كان في آخر الشهر أكل علي بن موسى الرضى عبا فمات فجأة فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد، وأسف عليه أسفاً كثيراً فيما ظهر، والله أعلم.

وكتب إلى الحسن بن سهل يمزيه في علي الرضا ويغيره بما حصل له من الحزن عليه، وكتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم: إنكم إنما تقيم علي بسبب تولي العهد من بعدي لعلي بن موسى الرضى، وهذا هو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة. فأجابوه بأغلب جواب كتب به إلى أحد. وفي هذه السنة غلبت السوءاء على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت، فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون، فكتب إليهم: إني واصل على إثر كتابي هذا. ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد، وتكروا عليه وأبغضوه. وظهرت الفتن والشطار والفساق ببغداد وتفاقم الأمر، وصلوا يوم الجمعة ظهراً، أمهم المؤذنون فيها من غير خطبة، صلوا أربع ركعات، واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون، ثم غلبت المأمونية عليهم.

ذكر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ودعائهم

للمأمون

لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم، وأقبل

للمأمون: أنا الذي منتت علي يا أمير المؤمنين بالغفر، وأنشد المأمون عند ذلك:

ليس يزري السواد بالرجلي الشهم ولا يالفني الأديب الأريب
إن يكن للسواد منك نصيب فياض الأخلاق منك نصيب

قال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٤١/١]: وقد نظم هذا المعنى بعض المتأخرين وهو نصر الله بن قلاص الإسكندري فقال:

رب سوادا وهي يضأ فعل حذ المسك عندها الكافور
مثل حب العيون بحبه الناس سوادا وإغا هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحول: يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء في ذلك، وإن عقت عنه فما لك نظير.

ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره بها، وسكت الفتن وانزاحت الشرور، وأمر بمقاسمة أهل السواد على الحسين، وكانوا يقاسمون على التصف. وأخذ القفيز الملجم وهو عشرة مكاي بالكوك الهاروني ووضع شيئا كثيرا من خراجات بلاد شتى، ورفق بالناس في مواضع كثيرة.

وولي أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة، وولي أخاه صالحا البصرة، وولي عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نياية الحرمين، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة. وفيها واقع يحيى بن معاذ بابل الحرّمي فلم يظفر به.

وفيها توفي جماعة من الأعيان منهم:

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

وقد أوردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا طبقات الشافعين، ولنذكر هنا ملخصاً من ذلك وبالله المستعان.

هو الإمام العالم أبو عبد الله

■ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، القرشي المطلب، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر، وابنه شافع بن السائب من صفار الصحابة، وأمه أزدية. وقد رأت حين حملت به كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلد منه شظية. وقد ولد الشافعي بغزة، وقيل بعسقلان، وقيل باليمن سنة خمسين ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن ستين ثلاثاً يضع نسبها، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأتى وهو ابن خمس عشرة سنة. وقيل ابن ثمانين سنة، أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي، وعني باللغة والشعر، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين، وقيل عشرين سنة، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبته قراءته وهنته، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي.

وروي عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماءهم مرتين على حروف المعجم، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبل عن ابن كثير عن مجاهد

حميد بن عبد الحميد في جيش من جهة المأمون فحاصر بغداد. وطمع جندها في المطاء إذا قدم فطأوه على السمع والطاعة للمأمون. وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي، ثم احتال عيسى حتى صار في أيد المأمونية أسيراً، ثم أكل الحال إلى اختفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة. وكانت أيامه سنة وأحد عشر شهراً وأثنى عشر يوماً. وقد وصل المأمون في هذا الوقت إلى همدان وجيوشه قد استعدوا ببغداد إلى طاعته.

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ علي بن موسى: بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي العلوي الملقب بالرضي، كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك، فجعله ولي العهد من بعده كما قلنا ذلك. توفي في صفر من هذه السنة بطوس.

وقد روى الحديث عن أبيه وغيره، وعنه جماعة منهم المأمون وأبو الصلت الهروي وأبو عثمان المازني النحوي، وقال سمعته يقول: الله أعدل من أن يكلف العباد ما لا يطيقون، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون. ومن شعره:

كلنا يامل مدأ في الأجل والناباهن أفأت الأمل
لا تنرك إباطيل المنى والزم القصد ودع عنك العلل
إنما الدنيا كظل زائل حل فيه راكب ثم ارتحل

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

فيها كان قنوم المأمون أرض العراق، وذلك أنه مر بمرجان فأقام بها شهراً، ثم سار منها وكان ينزل في المنزل يوماً أو يومين، ثم جاء إلى النهروان فأقام بها ثمانية أيام، وقد كتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرقعة أن يوافيه إلى النهروان فوافاه بها وتلقاه رؤوس أهل بيته والقراد وجهود الجيش، فلما كان يوم السبت الآخر دخل بغداد ارتفاع النهار لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر، في أبهة عظيمة وجيش عظيم، وعليه وعلى جميع أصحابه، وقيابهم وجميع لباسهم الخفزة فلبس أهل بغداد وجميع بني هاشم الخفزة، ونزل المأمون بالرفافة ثم تحول إلى قصره على دجلة، وجعل الأمراء ووجوه الدولة يتقدمون إلى منزله على العادة، وقد تحول لباس البغاداة إلى الخفزة، وجعلوا يقرقون كل ما يجلبونه من السواد، فمكثوا بذلك ثمانية أيام. ثم استعرض حوارج طاهر بن الحسين فكان أول حاجة سألها أن يرجع إلى لباس السواد، فإنه لباس آبائه من دولة ورثة الأنبياء. فلما كان السبت الآخر وهو الثالث والعشرون من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخفزة، ثم إنه أمر بملعة سواد فلبسها طاهر بن الحسين، ثم لبس بعده جماعة من الأمراء السواد، فلبس الناس السواد وعادوا إلى ذلك، بعدما علم منهم الطاعة والمراقة، وقيل إنه مكث بلبس الخفزة بعد قنومه ببغداد سبعا وعشرين يوماً، فإله أعلم.

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون: أنت الخليفة الأسود، فأخذ في الاعتزال والاستغفار، ثم قال

يَلَا الأَرْضَ علماً، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَذَنْتَ أَوْلَهَا عَذَاباً أَوْ رِيَالاً فَادَّقْ آخِرَهَا نَوَالاً.

وهذا غريب من هذا الوجه.

وقد رواه الحاكم في مستدركه سناب الشافعي للبيهقي (٢٧/١) عن الحاكم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه.

قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الإسفرائيني: لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي. حكاه الخطيب [تاريخ بغداد: ٦١/٢].

وقال يحيى بن معين عن الشافعي: هو صدوق لا بأس به. وقال مرة: لو كان الكذب له مباحاً مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: الشافعي فقيه البدن، صدوق اللسان.

وحكى بعضهم عن أبي زرعة أنه قال: ما عند الشافعي حديث غلط فيه.

وحكى عن أبي دود غوه.

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - وقد سئل: هل سنة لم تبلغ الشافعي؟ - فقال: لا.

ومعنى هذا أنها تارة تبلغه بسندها، وتارة مرسله، وتارة مقطعة كما هو الموجود في كتبه والله أعلم.

وقال حرمله: سمعت الشافعي يقول: سميت ببغداد ناصر السنة.

وقال أبو ثور: ما رأينا مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه.

وكنا قال الزعفراني وغيره.

وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي: للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره من شرف نسبه، وصحة دينه

ومتقده، وسخاوة نفسه، ومعرفة بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومشروحه، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف، وجودة الأصحاب والتلامذة، مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه، وإقامته على

السنة. ثم سرد أعيان أصحابه من البغاداة والمصريين، وكذا عبد أبو داود من جملة تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل.

وقد كان - رحمه الله - من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة، وأشد الناس انتزاعاً للدلائل منهما، وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً، كان يقول: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إلى شيء منه أبداً

فأوجر عليه ولا يحمدونني.

وقد قال غير واحد عنه: إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله ﷺ فقولوا به ودعوا قولي، فإني أقول به، وإن لم تسمعه مني.

وفي رواية فلا تقلوني.

وفي رواية: فلا تفتنوا لي قولي.

وفي رواية: فاضربوا بقولي عرض الحائط، فلا قول لي مع رسول الله ﷺ.

وقال: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

وفي رواية: خير له من أن يلقاه بعلم الكلام.

وقال: لو علم الناس ما في علم الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد.

وقال أيضاً: حكيم في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويظاف بهم في القبتال وينادي عليهم: هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم

عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل.

وأخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عطاء عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما عن جماعة من الصحابة، منهم عمر

وعلي وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وغيرهم. كلهم عن رسول الله ﷺ. وتفقه أيضاً على مالك عن مشايخه، وتفقه به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا في تصنيف مفرد ولله الحمد والمثنة.

وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدولابي عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الحميدي عن الشافعي أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن، ثم تمصوا عليه ووشوا به إلى الرشيد - هارون - أنه يروم الخلافة،

فحمل على بغل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة، فاجتمع بالرشيد فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي

الرشيد، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن، وتبين للرشيد براعته مما نسب إليه، وانزله محمد بن الحسن عنده.

وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة، وقيل بستين، وكرمه محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي وقَرَّ بعير، ثم أطلق له الرشيد ألفي دينار

وقيل خمسة آلاف دينار. وعاد الشافعي إلى مكة ففرق عامة ما حصل له في أهله وذوي رحمه من بني عمه، ثم عاد الشافعي إلى بغداد في سنة خمس

وتسعين ومائة، فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والحسين بن علي الكرايسي، والحاتر بن سريح النقال، وأبو عبد الرحمن الشافعي، والزعفراني، وغيرهم. ثم رجع إلى مكة ورجع إلى

بغداد أيضاً سنة ثمان وتسعين ومائة، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة، سنة أربع ومائتين، كما سيأتي. وصنف بها كتابه

«الأم» وهو من كتبه الجليدة لأنها من رواية الربيع بن سليمان، وهو مصري. وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم، ولهذا بعيد وعجيب

من مثله والله أعلم.

وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له «الرسالة»، وكان يدعو له في الصلاة دائماً، وشيخه مالك بن أنس.

وقتية بن سعيد. وقال: هو إمام.

وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وكان يدعو له أيضاً في صلاته.

وأبو عبيد، وقال: ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أروع من الشافعي.

ويحيى بن أكرم القاضي، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن الحسن، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم.

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود [٤٢٩١] من طريق عبد الله بن

وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد عن أبي علقمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله يعث لهذه الأمة على رأس كل مائة

سنة من يجدها أمر دينها».

قال: فمهر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، والشافعي على رأس المائة الثانية.

وقال أبو داود الطيالسي [٣٠٩]: حدثنا جعفر بن سليمان عن النضر بن معبد الكندي - أو العبدي - عن الجارود عن أبي الأحوص عن

عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا قريشاً فإن عالمها

لمرض الحسن بن سهل بالسواد. وولّى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة بجي بن معاذ. وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن شيب. وولّى المأمون عيسى بن يزيد الجلودى مقاتلة الزط. وولّى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان وإرمينية، وأمره بمحاربة بابك الخرمي. ومات نائب مصر السري بن الحكم بها.

ونائب السند داود بن يزيد، فولى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم. وحج بالناس فيها عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين الشريفين.

وفيه توفى من الأعيان

إسحاق بن منصور السلولي، وبشر بن بكر الدمشقي. وأبو عامر العقدي. ومحمد بن عبيد الطنافسي. ويعقوب الحضري.

و■ أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وقيل عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، وقيل عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني، أحد أئمة العلماء العاملين، أصله من واسط، وسكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا.

وقد سمع الحديث من سفيان الثوري وغيره، وروى عنه أحمد بن أبي الحواري وجاعة.

وأسد الحافظ ابن عساكر من طريقه قال: سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: سمعت ابن عجلان يذكر عن القمقاع بن حكيم عن أبي صالح، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ.

وقال أبو القاسم القشيري: حكى عن أبي سليمان الداراني قال: اختلفت إلى مجلس قاصٍّ فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لي يمين في قلبي منه شيء، فعدت ثانية فأثر كلامه في قلبي فبعلمت قمت وفي الطريق، ثم عدت ثالثة فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، ففسدت آلات المخالقات ولزمت الطريق، فحكيت هذه الحكاية ليعبي بن معاذ فقال: عصفور اصطاد كركياً - يعني بالعصفور القاص - وبالكركي أبا سليمان الداراني.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: ليس لمن أظم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من في الأثر، فإذا سمعه من الأثر عمل به وحمد الله حين وافق ما في قلبه فكان نوراً على نور.

وقال الجنيدي قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكسة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة. قال: وقال أبو سليمان: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

وقال: لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله.

وقال: لكل شيء صدا وصدا نور القلب شيع البطن.

وقال: كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك مشؤوم.

وقال: كنت ليلة في الحراب أدعو ويلدي معدودتان فغلبني السرد فاضمت إحداهما وقيت الأخرى مبسوطة أدعو بها، وغلبتني عيني فنمت فهتفت بي هاتف: يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت

الكلام.

وقال البريطي: سمعت الشافعي يقول: عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صواباً.

وكان يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيراً، حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

ومن شعره في هذا المعنى قوله:

كلّ العلوم سوى القرآن مشغلةٌ إلا الحديثُ وإلا الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواهُ الشياطين

وكان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر. وقد روي عن الربيع وغير واحد من رؤوس أصحابه ما يدل على أنه كان يُجرِ آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف، على طريقة السلف.

وقال ابن خزيمة: أنشدني المزني وقال أنشدنا الشافعي لنفسه:

ما شئتُ كائنٌ وإن لم أنشأ وما شئتُ إن لم تنشأ لم يكن خلقت العباد على ما علمت فني العلم يجري الفنى والمسرّ فمنهم شقي ومنهم سعيدٌ ومنهم قبيح ومنهم حسنٌ على ذا متنت وهذا خللت وهذا أعنت وذا لم تمنّ

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

وعن الربيع قال: أنشدني الشافعي:

قد عوجّ الناسُ حتى أحنثوا بدعاً في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسلُ حتى استخفّ بحقّ الله أكثرهم وفي الذي حملوا من حقّه شغلٌ

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفي الحكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبه في أول «طبقات الشافعية».

وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس، وقيل يوم الجمعة، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين، وعن أربع وخمسين سنة، وكان أبيض جليلاً طويلاً مهيباً يخضب بالحناء خالفاً للشعبة رحمه الله وأكرم مثواه وجعل الجنة مأواه.

ومن توفى فيها أيضاً من الأعيان

■ إسحاق بن القرات. وأشهد بن عبد العزيز المصري المالكي. والحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي الحنفي. وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المستند، أحد الحفاظ. وأبو بكر شجاع بن الوليد. وأبو بكر الحنفي. عبد الكبير. وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف. والنضر بن شميل أحد أئمة اللغة. وهشام بن محمد بن السائب الكليبي أحد علماء التاريخ.

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ففيها ولّى المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نياية بشناد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل المشرق، ورضي عنه ورفع منزلته جداً، وذلك

وقال أحمد بن أبي الحواري: بت ليلة عند أبي سليمان فسمعت يقول: وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبتك بعفوك، ولئن طالبتني ببخلني لأطالبتك بسخائك ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أنني أجبك.

وكان أبو سليمان يقول: لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي.

وكان يقول: ما خلق الله خلقاً أهون عليّ من إبليس، ولو لا أن الله أمرني أن أتموّد منه ما تموّدت منه أبداً، ولو تبدى لي ما لظمت إلا صفحة وجهه.

وقال: إن اللص لا يجيء إلى خربة يتقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء، وإنما يجيء إلى بيت المعمور، كذلك إبليس لا يجيء إلا إلى كل قلب عامر ليستزله عن شيء.

وقال: إذا أخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والرياء الوسواس والرؤيا.

وقال: الرؤيا - يعني الجنابة.

وقال: مكثت عشرين سنة لم أحلم فدخلت سمكة ففاتني صلاة العشاء في جماعة فاحتلمت تلك الليلة.

وقال: إن من خلق الله قوماً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه كيف تشغلون بالدينا عنه؟

وقال: الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة فما الزهد فيها، وإنما الزهد في الجنان والحوار العين، حتى لا يرى الله في قلبك غيره.

وقال الخنيد: شيء يروى عن أبي سليمان أنا استحسنت كثيراً قوله: من اشتغل بنفسه شغل عن الناس، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس.

وقال: خير السخاء ما وافق الحاجة.

وقال أبو سليمان: من طلب الدنيا حالاً واستغفراً عن المسألة واستغناء عن الناس لقي الله يوم يلقاه وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حالاً مفاخر ومكاثراً لقي الله - عز وجل - يوم يلقاه وهو عليه غضبان. وقد روي نحو هذا مرفوعاً. وقال أبو سليمان: إن قوماً طلبوا الغنى فحسبوا أنه في جمع المال، ألا وإنما الغنى في القناعة، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة، وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هي في التقوى، وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق اللين، وفي طعام طيب، والنعمة في الإسلام والسر والعافية. وقال: لولا قيام الليل ما أحيت البقاء في الدنيا وما أحب البقاء في الدنيا لتشتق الأنهار ولا لغرس الأشجار. وإنما أحبها لصيام المواجه وقيام الليل.

وقال: أهل الطاعة في ليهم ألد من أهل اللهو في لهومهم. وقال: ربما استبطني الفرح في جوف الليل، وربما رأيت القلب يضحك ضحكاً.

وقال: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً فاقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: بينا أنا ساجد إذ ذهب بي الترم فلذا أنا بها - يعني الحواراء - قد ركعتني برجلها فقالت: حبيبي أترقد عينك والملك يقظان ينظر إلى المهجدين في تهجدهم؟ يوماً لعين أترت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز، قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد؟ حبيبي وقرّة عيني أترقد عينك وأنا أربي لك في الخنور منذ كنا وكنا؟ فوثبت فرعاً وقد عرفت استحياء من

الأخرى لوضعنا فيها.

قال: فآليت على نفسي ألا ادعو إلا ويداي خارجتان، حرّاً كان أو برداً.

وقال أبو سليمان: تمت ليلة عن وردي فإذا أنا بحوراء تقول لي: تنام وأنا أربي لك في الخنور منذ خمسمائة عام؟

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إن في الجنة أنهاراً على شاطئها خيام فيهن الحور، ينشئ الله خلقاً إحداهن إنشاء فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام، جالسة على كرسي من ذهب ميل في ميل، قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسي، فيجيء أهل الجنة من قصورهم يتزهدون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤوا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهم. قال أبو سليمان: كيف يكون في الدنيا حال من يريد اقتضاض الأيكار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة؟

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعدد إلا الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل، فسبحان من يرده بعد!

وسمعت يقول: أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل، ومفتاح الدنيا الشيع، ومفتاح الآخرة الجوع.

وقال لي يوماً: يا أحمد جوع جوع قلبك، ودلّ قلبك، وعزّ قلبك، وفقر قلبك وصبر قلبك، وقد انقضت عنك أيام الدنيا.

وقال أحمد: اشتهى أبو سليمان رغيفاً حاراً يملح فجهت به فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول: يا رب عجلت لي شهوتي، لقد أطلت جهدي وشقوتي وأنا نائب، فأقبل توبتي فلم يلق الملح حتى لحق بالله عز وجل.

قال: وسمعت يقول: ما رضية عن نفسي طرفة عين، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما أحسنوا.

وسمعت يقول: من رأى لنفسه قيمة لم يبق حلالة الخدمة.

وسمعت يقول: إذا تكلم المتعبون أن لا يتكلموا إلا بالإعراب، ذهب الحشوع.

وسمعت يقول: من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف فهو غلوع.

وقال: ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء، فإذا غلب من الرجاء على الخوف فسد القلب.

وقال لي يوماً: هل فوق الصبر منزلة؟ فقلت: نعم - يعني الرضا - فصرخ صرخة غشي عليه ثم أفاق فقال: إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب، فما ظنك بالآخرين وهم الذين رضي عنهم.

وقال بعضهم: سمعت أبا سليمان يقول: ما يسرنى أن لي الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أتفقه في وجوه البر، وأنسي أغفل عن الله طرفة عين.

وقال أبو سليمان: قال زاهد لزهدي: أوصني، فقال: لا يراك الله حيث نهاك ولا يفتدك حيث أمرك، فقال: زدني. فقال: ما عندي زيادة.

وقال أيضاً: من أحسن في نهاره كوفى في ليله، ومن أحسن في ليله كوفى في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذب قلباً بشهوة تركت له.

وقال: إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة، وقال: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزامها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحها الآخرة، أن والآخرة كرمة، والدنيا ليشمة.

قلت: وقد دفن في قرية داريا في قبلتها، وقبره بها مشهور وعليه بناء، وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر المهراني، ووقف على المقيمين عنده وفقاً يدخل عليهم منه غلة، وقد جدد مزاره في زماننا هذا ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكليّة، وهذا منه عجب.

وروي ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري قال: كنت أشتهي أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيتُه بعد سنة فقلت: ما فعل الله بك يا معلم؟ فقال: يا أحمد دخلت يوماً من باب الصغير فرأيتُ جمل شيخ فأخذت منه عوداً فما أدري تخلفت به أو رميته، فأنا في حسابه إلى الآن.

وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من ستين رجلاً الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست ومائتين

فيها ولي المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين، وأمره بمحاربة الزط.

وفيها جاء مد كثير ففرّق بلاد أرض السواد وأهلك للناس شيئاً كثيراً.

وفيها ولي المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شبث، وذلك أن نائبه يحيى بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يرض ذلك المأمون، واستأب عليها عبد الله بن طاهر لشهامته ويصره بالأمور، وحته على قتال نصر بن شبث، وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر له بالمعروف والنهي عن المنكر وإتباع الكتاب والسنة، وقد ذكره ابن جرير (توفي: ٥٨٧/٨ - ٥٩١) بطوله، وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه وتهادوه بينهم، حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر ففرقه بين يديه فاستجاده جنداً، وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم.

وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين.

وفيها توفي من الأعيان

■ إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حليقة صاحب كتاب المبتدأ. وحجاج بن محمد الأحمور. وداود بن الحبر الذي وضع كتاب العقل. وشبابة بن سوار ومعاشر بن المورق. وقطرب صاحب «الثلاث» في اللغة. وهب بن جرير. ولخيز بن هارون شيخ الإمام أحمد.

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد عليهم السلام، وذلك لما أن العمال باليمن أسأوا السيرة إلى الرعايا، فلما ظهر عبد الرحمن هنا بايعه الناس فلما بلغ أمره إلى المأمون بعث إليه دينار. بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو سمع وأطاع! فحضره الموسم فلما انتهوا إلى عبد الرحمن بعث دينار بكتاب الأمان فقبله وسمع وأطاع، وجاء حتى وضع يده في يد دينار، فسار معه إلى بغداد ولبس السواد فيها.

وفيها توفي

■ طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق بكاملها، وخراسان

توبخها ليأي، وإن حلالة منطقها لفي سمعي وقلبي.

وقال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان فإذا هو يكي فقلت: ما لك؟ فقال: زجرت البارحة في منامي. قلت: ما الذي حل بك؟ قال: بينا أنا قد غفوت في عراي إذ وقعت على جارية تغرق الدنيا حسناً، ويدها ورقة وهي تقول: أتمام يا شيخ؟ فقلت: من غلبته عيناه نام قالت: كلا إن طالب الجنة لا ينام، ثم قالت: أتقرأ؟ قلت: نعم، فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب:

لَهْتُ بِكَ لَذَّةً عَنْ حَسَنِ عَيْشٍ مَعَ الْخَيْرَاتِ فِي غُرَفِ الْجَنَانِ تَعِيشُ خُلْدًا لَا مَوْتَ فِيهَا وَتَتَمُّ فِي الْجَنَانِ مَعَ الْحَسَنِ تَقْطُظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَّا خَيْرًا مِنْ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بِالْقُرْآنِ

وقال أبو سليمان: أما يستحي أحدهم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم؟

وقال أيضاً: لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه، فإذا لم يبق في قلبه شيء من شهوات الدنيا جاز له أن يظهر للناس الزهد بلبس العباءة، فإنها علم من أعلام الزهاد، ولو لبس ثوبين أبيضين ليستر بهما إبطار الناس عنه وعن زهده كان أسلم لزهده من لبس العباءة.

وقال: إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي. وخيار هذه الأمة أصحاب القطن، أبو بكر الصديق وأصحابه.

وقال غيره: إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه.

وقال أبو سليمان: إنما الأخ الذي يعظك برويته قبل كلامه، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فانتفع برويته شهراً.

وقال أبو سليمان: قال الله تعالى: عبادي إنك ما استحيتت مني أنسيت الناس عيورك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت زلاتك من أم الكتاب ولم أناقشك في الحساب يوم القيامة.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف فيما تكره؟

وقال أحمد: تهذبت عنده يوماً فقال: إنك مسؤول عنها يوم القيامة، فإن كانت على ذنب سلف فطوى لك، وإن كانت على الدنيا فويل لك.

وقال إنما رجع من رجع من الطريق قبل الوصول، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا.

وقال إنما عصى الله من عصاه لمواتهم عليه. ولو كُروا عليه وكرموا لحزبهم عن معاصيه وحال بينهم وبينها.

وقال: جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالاً الكرم والحلم والعلم والحكمة والرقة والرحمة والفضل والصفح والإحسان والبر والعفو واللفظ.

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب «عن المشايخ» أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق وقالوا: إنه يزعم أنه يرى الملائكة ويكلمونه، فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل دمشق أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا. فخرجوا في طلبه وتشفعوا إليه حتى رده.

وقد اختلف في وفاته على أقوال قليل: سنة أربع ومائتين، وقيل سنة خمس ومائتين، وقيل خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة خمس وثلاثين ومائتين فآله أعلم.

وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان: لقد أصيب به أهل الإسلام كله.

وفيهما توفي من الأعيان

■ بشر بن عمر الزهراني، وجعفر بن عون، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وقراد أبو نوح، وكثير بن هشام، ومحمد بن كناسة، ومحمد بن عمر الواقدي قاضي بغداد وصاحب السير والمغازي، وأبو النصر هاشم بن القاسم، والهيثم بن عدي صاحب التصانيف.

■ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور: أبو زكريا الكوفي نزيل بغداد مولى بني سعد المشهور بالقراء شيخ النحاة واللغويين والقراء، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو.

وروى الحديث عن خازم بن الحسين البصري عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك. قال: «قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان يوم الدين» بالكاف «رواه الخطيب تاريخ بغداد: ١٤٩/١٤٩ قال: وكان ثقة إماماً.

وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو فأملاه وكتبه الناس عنه، وأمر المأمون بكتبه في الخزانة، وأنه كان يؤدب ولديه ولي العهد، فقام يوماً فابتدأه أيهما يقدم نعليه، فتنازعا في ذلك ثم اصطالحا على أن يقدم كل واحد منهما نعلًا، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار، وللغراء عشرة آلاف درهم. وقال له: لا أعز منك إذ يقدم نعليك وليا العهد.

وروى أن بشرًا المريسي أو محمد بن الحسن سأل القراء عن رجل سها في سجنتي السهو فقال: لا شيء عليه، قال: ولم؟ قال: لأن أصحابنا قالوا المصغر لا يصغر. فقال: ما ظننت أن امرأة تلد مثلك.

والمشهور أن عملاً هو الذي سأل عن ذلك وكان ابن خالة القراء. وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي: توفي القراء سنة سبع ومائتين.

قال الخطيب: كانت وفاته ببغداد، وقيل بطريق مكة، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته.

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

ففيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر فاراً من خراسان إلى كرمان فعصى بها، فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل قهرًا، فذهب به إلى المأمون فعفا عنه فاستحسن ذلك منه.

وفيهما استعفى محمد بن سماعة من القضاء فأعفاه المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة.

وفيهما ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزومي القضاء بمسكر المهدي في شهر المحرم، ثم عزله عن قريب وولى مكانه بشر بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها. فقال للمخزومي في ذلك:

ألا أيها الملك الموحَّد رُبِّه قَاضِيكُ بِشَرِّ بْنِ الْوَلِيدِ جَمَّارُ
يَنْفِي شَهَادَةً مِنْ يَدَيْهِ بِمَا بِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ الْأَخْبَارُ
وَيَعِدُّ عَدْلًا مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ شَيْخٌ يَمِيطُ بِجَمْعِهِ الْأَقْطَارُ

وفيهما حج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون.

وفيهما توفي من الأعيان

■ الأسود بن عامر. وسعيد بن عامر. وعبد الله بن بكر أحد مشايخ

بكمالها وجد في فراشه ميتاً بعد ما صلى العشاء الآخرة والتف في الفراش، فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجداه ميتاً، فلما بلغ موته المأمون قال: للبين والقم الحمد لله قدمه وأخرنا. وذلك أنه بلغه أن طاهراً خطب يوماً ولم يدع للمأمون فوق المنبر، ومع هذا ولى ولده عبد الله مكانه مع إضافة أرض الجزيرة والشام إلى نيابته فاستخلف عبد الله على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين. ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد، وكان نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع ببغداد والعراق من يد الأمين وقتله أيضاً، واستوسق الأمر للمأمون، كما ذكرنا في سنة خمس وتسعين، وقد دخل طاهر يوماً على المأمون فستأله حاجة فقصها له. ثم نظر إليه المأمون واغرورت عيناه فقال له طاهر ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فلم يجبه، فلم يجره، فاقطع طاهر حبساً الخادم مائتي ألف درهم حتى استعمل له بما بكى أمير المؤمنين فقال له: لا تخبر به أحداً [ولاً] أتركك، ذكرت مقتل أخي وما ناله من الإمامة على يدي طاهر، والله لا تموتوه مني. فلما تحقق طاهر ذلك سعى في النقلة من بين يديه، ولم يزل حتى ولاه المأمون خراسان وأطلق له خادماً من خدامه، وعهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريه أن يسمه، ودفع إليه سماً لا يطاق. فلما خطب يوم الجمعة طاهر ولم يدع للمأمون سمّه الخادم في كأمخ فمات من ليلته.

وقد كان طاهر بن الحسين هذا يقال له ذو اليمينين، وكان بفرد عين. فقال فيه عمرو بن بانة:

يا ذا اليمينين وعين واحده نقصان عين وعمين زائده
واختلف في معنى كونه ذا اليمينين فقيل لأنه ضرب رجلاً بشماله ففده نصفين، ويحتمل أنه لقب بذلك لأنه ولي العراق وخراسان.
وقد كان كريماً ممدحاً يحب الشعر ويميز عليه، ركب يوماً في حرّاقة فقال فيه شاعر:

عجبت لحراقة ابن الحسين لا غرقت كيف لا تغرق
وبحسran من فوقها واحد وآخر من تحتها مطبق
وأعجب من ذلك أحوالها وقد مئها كيف لا تورق
فأجازه بثلاثة آلاف دينار. وقال إن زدتنا زدناك.

قال ابن خلكان: وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر:

ولما امتلأ البحر ابتهلّت تضرباً إلى الله يا مجري الرياح بلطفه
جعلت الندى من كفه مثل موجه فسلمه واجعل موجه مثل كفه
وقال القاضي ابن خلكان: مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين، وكان مولده سنة تسع وخسين ومائة، وكان الذي سار إلى ولده عبد الله بن طاهر وهو بأرض الرقة يعزبه في أبيه ويهنيه بولاية تلك البلاد، القاضي يحيى بن أكثم عن أمر المأمون.

وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والكوفة والبصرة، حتى بلغ سعر الفقيز من الحنطة أربعين درهماً.

وفيهما حج بالناس في هذه السنة أبو علي بن الرشيد أخو المأمون.

بل يتعلل عليه في كل واحدة منها، فجمعهم الفضل بن الربيع وقال: أرجعن خاتبات خاسرات ثم نهض وهو يقول:

عسى وعسى ينسي الزمان عنيانه بصرفه حال الزمان عسوره
فقتضى لبات وتشتى حوائف وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد فقال له: أقسمت عليك لما رجعت، فأخذ منه القصص فوقع عليها. ثم لم يزل يحفر خلفهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم، وفي ذلك يقول أبو نواس:

ما رعى الدهر آل يرمك لما أن رمى ملكهم بأسر فقلع
إن دهرأ لم يسر عهداً ليحيى غير راع ذمام آل الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل المأمون بغداد اختفى فأرسل له المأمون أماناً فخرج فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه، ولم يزل خاملاً حتى مات في هذه السنة، وله ثمان وستون سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة تسع ومائتين

ففيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيب بنعلما حاربه خمس سنين فلما حصره في هذه السنة وضيق عليه جداً حتى ألباه إلى أن طلب منه الأمان، فكتب ابن طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك، فأرسل إليه أن يكتب له أماناً عن أمير المؤمنين. فكتب له كتاب أمان فنزل فأمر عبد الله بتخريب المدينة التي كان متحصناً بها، وذهب شره.

وفيهما جرت حروب مع بابك الخرمي فأمر بابك بعض أمراء الإسلام واحد مقدمي العساكر، فاشتد ذلك على المسلمين.

وفيهما حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة.

وفيهما توفي ملك الروم

■ ميخائيل بن جرجس وكان له عليهم تسع سنين، فملكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل.

وفيهما توفي من مشايخ الحديث

■ الحسن بن موسى الأشيب، وأبو علي الحنفي، وحفص بن عبد الله قاضي نيسابور. وعثمان بن عمر بن فارس. ويعلى بن عبيد الطنافسي.

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

في صفر منها دخل نصر بن شيب إلى بغداد، بعثه عبد الله بن طاهر من الرقة فدخلها ولم يتلقه أحد من الجند بل دخلها وحده، فأنزل في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر.

وفي هذا الشهر ظفر المأمون بجماعة من كبراء من كان يبيع إبراهيم بن المهدي فعاقبهم وحبسهم في المطبق.

الحديث. والفضل بن الربيع الحاجب. ومحمد بن مصعب. وموسى بن محمد الأمين الذي كان قد ولاه العهد من بعده ولقيه بالناطق بالحق فلم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم. ويحيى بن أبي بكر، ويحيى بن حسان، ويعقوب بن إبراهيم الزهري. ويونس بن محمد المؤدب.

وفاة السيدة

■ نفيسة:

وهي بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، القرشية الهاشمية، كان أبوها نائباً للمصور على المدينة النبوية خمس سنين، ثم غضب عليه أبو جعفر المنصور فعزله عنها وأخذ منه كل ما كان يملكه وما كان يجمع منها، وأودعه السجن ببغداد. فلم يزل به حتى توفي المنصور فاطلقة المهدي وأطلق كل ما كان أخذ منه، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومائة. فلما كان بالحاجر توفي الحسن بن زيد عن خمس وثمانين سنة.

وقد روى له النسائي (٢٢١٥) حديثه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرم.

وقد ضعفه ابن معين وابن عدي، ووثقه ابن حبان. وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في رياسته وشهامته.

والمقصود أن ابنته نفيسة دخلت الديار المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر الصادق، فأقامت بها وكانت ذات مال وإحسان إلى الناس والجذبي والزمني والمرضى وعموم الناس، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير.

ولما ورد الشافعي الديار المصرية كانت تحسن إليه وكان ربما صلى بها في شهر رمضان. وحين توفي أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلت عليه. ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فمنعه أهل مصر من ذلك وسأله أن يتركها عندهم، فدفنت في المنزل الذي كان تسكنه محلة كانت تعرف قديماً بلرب السباع بين مصر والقاهرة اليوم، وقد بادت تلك المحلة فلم يبق سوى قبرها وكانت وفاتها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره ابن خلكان (وفيات الأعيان: ٤٢٤/٥).

قال: ولأهل مصر فيها اعتقاد.

قلت: وإلى الآن وقد بالغ العامة أمرها كثيراً جداً، ولا سيما عوام مصر فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة فيها مجازفة تزدي إلى الكفر والشرك، وألغافاً كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا يجوز إطلاقها في مثل أمرها. وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالة. والذي ينبغي أن يعتد فيها من الصلاح ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المخالفة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمخالفة في البشر حرام. ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك. رحمها الله وأكرمها وجعل الجنة منزلها.

■ الفضل بن الربيع: بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان، الذي كان زوال دولة البرامكة على يديه، وقد وزر مرة للرشيد كان الفضل هنا متمكناً من الرشيد، وكان شديد التشبه بالبرامكة، وكانوا يستهينون به، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم.

وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه، ومع الفضل عشر قصص فلم يقض له منها واحدة

ظهور إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه

ولما كان ليلة الأحد ثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي - وكان غنياً مدة ست سنين وشهوراً متتبعاً في زي امرأة ومعه امرأتان - في بعض دروب بغداد في أثناء الليل، فقام الحارس فقال: إلى أين هذه الساعة؟ ومن أين؟ ثم أراد أن يسكهن فأعطاه إبراهيم خاتماً كان في يده من ياقوت، فلما نظر إليه الحارس استراب وقال: إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن، فذهب بهن إلى متولي الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن، فتمتع إبراهيم فكشوا عن وجهه فإذا هو هو، ففرقه فذهب به إلى صاحب الحرس فسلمه إليه فرفعه الآخر إلى باب المأمون، فأصبح في دار الخلافة وتقباه على رأسه والملحفة في صدره ليراه الناس، وليلعبوا كيف أخذ. فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة، ثم أطلقه ورضي عنه. هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكلين بالسجن، فصلب منهم أربعة.

وقد ذكروا أن إبراهيم بن المهدي لما وقف بين يدي المأمون شرع في تأنيبه فترقب له عمه إبراهيم كثيراً، وقال: يا أمير المؤمنين إن تعاقب فيحكك، وإن تعف فيفضلك. فقال: بل أعفو يا إبراهيم إن القسرة تذهب الحفيظة، والتدب توبة وينهما عفو الله عز وجل، وهو أكبر مما تسأله، فكبر إبراهيم وسجد شكراً لله عز وجل.

وقد امتنع إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها، فلما سمعها المأمون قال: أقول كما قال يوسف لأخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وذكر ابن عساکر أن المأمون لما عفا عن عمه إبراهيم أمره أن يغنيه شيئاً فقال: إني تركته. فأمره فأخذ العود في حجره وقال: هذا مقام سوؤي خربت منازلتي ودوره نمت عليه عدائته كلباً فعاثبه أميره ثم عاد فقال:

نعبت من الدنيا وقد نعبت عني لوى اللعربي عنها وولى بها عني
فإن أبك نفسي أبك نفساً عزيزة وإن احترها احترها على غشي
واني وإن كنت المسيء بعينه بريتي تعالى جدته حسن الظن
عدوت على نفسي فعاد بنفسه عليّ فعاد العفو مناً على من

فقال المأمون: أحسنت يا أمير المؤمنين حقاً، فرمى العود من حجره ووثب قائماً فرعاً من هذا الكلام، فقال له المأمون: أقعد واسكن مرحباً بك، لم يكن ذلك لشيء تورعته، والله لا رأيت طول أيامي شيئاً تكرهه وتتمتع به. ثم أمر له برد جميع ما كان له من الأموال والضياع والدور فردت إليه، وأمر له بعشرة آلاف دينار وخلع عليه، وخرج من عنده مكرماً معظماً.

عروس بوران

وفي رمضان منها بنى المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل، وقيل إنه خرج من بغداد في رمضان إلى معسكر الحسن بن سهل بقم الصلح، وكان الحسن قد عوفي من مرضه ذلك، فزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم، فدخل بيوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشعلت بين يديه شموع العنبر، ونثر على رأسه الد

والجوهر، فوق حصر مشوجة بالذهب الأحمر. وكان عدد الجوهر منه ألف درة، فأمر به فجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فقالوا: يا أمير المؤمنين إنما نثرناه لتلقطه الجواري، فقال: لا أنا أعرضهن خيراً من ذلك. فجمع ذلك كله، فلما جاءت العروس ومعهما جديتها وزبيدة أم أخيه الأمين - من جملة من جاء معها - فاجلست إلى جانبها فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال لها: هذه ثلثة مني إليك وسلي حاجتك، فأطرقت حياء فقالت جديتها: كلمي سيدك وسلي حاجتك فقد أمرك. فقالت: يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عمك إبراهيم بن المهدي، وأن تردّه إلى منزلته التي كان فيها قبل ذلك، فقال: نعم! فقالت: وأم جعفر - تعني زبيدة - تأذن لها في الحج، قال نعم! فخلعت عليها زبيدة بذلتها الأموية وأطلقت له قرية مقورة.

وأما والد العروس الحسن بن سهل فإنه كتب أسماء قراءه وضياعه وأملاكه في رقاق ونثرها على الأمراء وجوه الناس، فمن وقعت في يده منها رقعة بعث إلى القرية التي فيها نوابه فسلموها إليه ملكاً خالصاً. وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوماً ما يعادل خسين ألف ألف درهم. ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم، وأعطاه البلدة الذي هو نازل بها، وهو إقليم قم الصلح مضافاً إلى ما بيده من الإقطاعات.

ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة. وفي هذه السنة ركب عبد الله بن طاهر إلى الديار المصرية فاستنقذها بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم التغلب عليها، واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها.

وفيها توفي من الأعيان

أبو عمرو الشيباني اللغوي واسمه إسحاق بن برار. ومروان بن محمد الطاطري. ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

وفيها توفي من الأعيان

■ أبو الجواب. وطلق بن غنام. وعبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف والمستند. وعبد الله بن صالح العجلي.

■ أبو العتاهية الشاعر المشهور: واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز، وسكن بغداد، وكان يبيع الجرار أولاً، ثم حظي عند الخلفاء، لا سيما المهدي وقد كان يعيش جارية للمهدي اسمها عتية. وقد طلبها من الخليفة غير مرة فإذا سمح له بها لا تريده الجارية، وتقول للخليفة: أتعطي لرجل دميم الخلق كان يبيع الجرار؟ فكان يكشر التفزل فيها، وشاح أمره واشتهر بها، وكان المهدي يفهم ذلك منه. وقد اتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشعراء إلى مجلسه فاجتمعوا، وكان فيهم أبو العتاهية وشار بن برد الأعمى، فسمع صوت أبي العتاهية. فقال بشار جليسه: أثم ههنا أبو العتاهية؟ قال: نعم، فوجّه لها بشار، ثم استند المهدي أبا العتاهية فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها:

الحجاج الشامي الدمشقي. وعهد بن يونس القريابي شيخ البخاري.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

فيها ثار رجلا بمصر، وهما عبد السلام وابن جليس فخلعا المأمون واستحوا على الديار المصرية، وبايعهما طائفة من القيسية واليمانية، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام، وولى ابنه العباس نيابة الجزيرة والثغور والمواصم، وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف دينار وخمسة آلاف دينار. فلم ير يوماً أكثر إطلاقاً منه، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسة آلاف دينار.

وفيها ولى المأمون السند غسان بن عباد.
وحج بالناس فيها أمير السنة الماضية رضي الله عنه.

وفيها توفي من الأعيان

■ عبد الله بن داود الحريري. وعبد الله بن يزيد القرئ البصري. وعبد الله بن موسى البسي. وعمرو بن أبي سلمة الدمشقي.
وحكى ابن خلكان في «الوفيات» [٤٣/١] عن بعضهم أن في هذه السنة

توفي

إبراهيم بن مامان الموصلي النديم. وأبو العاتية. وأبو عمرو الشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد. ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفي سنة ثمان ومائتين ومائة.

قال السهيلي: في هذه السنة توفي

■ عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن ابن إسحاق حكاها ابن خلكان عنه، والصحيح أنه توفي في سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر.

■ العكوك الشاعر: أبو الحسن بن علي بن جبلة بن المسلم بن عبد الرحمن الخراساني ويلقب بالعكوك، لقصره وبمئته وكان من الموالي وولد أعمى وقيل بل أصابه جندي وهو ابن سبع سنين فعمي، وكان أسود أبرص، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً، وقد أثنى عليه في شعره الجاحظ فمن بعده.

قال الجاحظ: ما رأيت بدوياً ولا حضرياً أحسن إنشاداً منه. فمن ذلك قوله:

بأي من زارني مكمماً خائفاً من كل شي جزعاً
زائر ثم عليه حنة كيف يخفي الليل بدمراً طلقاً
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجناً
ركب الأهوال في زودتي ثم ما سلم حتى رقعاً
وهو القائل في أبي طلف القاسم بن عيسى العجلي بمتدحه:

إنما الدنيا أبو دلف بين منزهة وعظيرة
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضيرة
مستعير منك مكرمة يلبسها يوم مفتخرة
ولا بلغ المأمون هذه الأبيات - وهي في قصيدة طويلة - عارض فيها

ألا ما لسيدي ما لها أطلت فأحل إدلالها
فقال بشار جليسه: ما رأيت أجسر من هذا. حتى انتهى أبو العاتية إلى قوله:

أنه الخلافة مقلادة إليه تجرر أذيالها
فلم تكل تصلح إلا له ولم يكل يصلح إلا لها
ولو زامها أحد غيره زلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطمه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها
فقال بشار جليسه: انظر ويحك أطار الخليفة عن فراشه أم لا؟ قال: فوالله ما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره.

قال ابن خلكان: اجتمع أبو العاتية بأبي نواس - وكان في طبقة وطبة بشار فقال أبو العاتية لأبي نواس: كم تعمل في اليوم من الشعر؟ قال: بيتاً أو بيتين. فقال: لكفي أعمل المائة والمائتين. فقال أبو نواس: لأنك تعمل مثل قولك:

يا غيب مالي ولك يا ليتني لم أرك
ولو أردت أنا مثل هذا الألف والألفين لقدرت عليه وأنا أعمل مثل قول:

من كفة ذات حر في زي ذي ذكر لها عيان لوطي وزنا
ولو أردت مثل هذا لأعجزك الدهر.

قال ابن خلكان: ومن لطيف شعر أبي العاتية:

ولقد صرت إليك حسى صرت من فرط التصابي
يمجد الجليس إذا دنى ربح التصابي في ثيابي
قال ابن خلكان: وأشعاره كثيرة وكان مولده سنة ثلاثين ومائة. وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل ثلاث عشرة ومائتين، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد:

إن عيشاً يكون آخره الموت لميش معجل التنفيس

ثم دخلت سنة اثني عشرة ومائتين

فيها وجه المأمون محمد بن حيد الطوسي على طريق الموصل لغارة بابك الخرمي في أرض أذربيجان، فأخذ جماعة من المتغلبين فيها، فبعث بهم إلى المأمون أسراء إلى بغداد.

وفي ربيع الأول أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما اطم من الأخرى، وهي القول بخلق القرآن، والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله ﷺ وقد أخطأ في كل من هذين المذميين خطأ كبيراً فاحشاً، وإثم إثما عظيماً ومن العلماء من يقول بخلق القرآن، كما سيأتي ذلك في موضعه.

وفيها حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي.

وفيها توفي

■ أسد بن موسى الذي يقال له أسد السنة، والحسين بن جعفر. وأبو عاصم النبيل واسمه الضحاك بن غلدة. وأبو المغيرة عبد القدوس بن

وفيهما حج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

وفيهما توفي من الأعيان

أحمد بن خالد الرهوي وحسن بن محمد المروزي شيخ الإمام أحمد. وعبد الله بن الحكم المصري. ومعوية بن عمرو.

■ أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح: أبو جعفر الكاتب ولي ديوان الرسائل للمأمون. ترجمه ابن عساكر وأورد من شعره قوله:

قد يبرز المرء لا من حسن حيلته ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الثامني
ما متني من غنى يوماً ولا عدم إلا وقسولي عليه الحمد لله
وله أيضاً:

إذا قلت في شيء نعم فائقه فإن نعم دين علي الحر واجب
ولا قتل لا؛ تسترح وتُرح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب
وله:

إذا المرء أفضى سره بلسانه فلام عليه غيره فهو أحسن
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي استودعته السر أضيق

أبو محمد

■ عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصري: أحد من قرأ الموطأ على الإمام مالك وتفقّه بمذبه. وكان معظماً ببلاد مصر، وله بها ثروة وأموال وافرة. وحين قدم الشافعي مصر أعطاه ألف دينار، وجمع له من أصحابه ألفي دينار، أخرى.

وهو والد محمد بن عبد الله بن الحكم الذي صحب الشافعي. ولما توفي في هذه السنة دفن إلى جانب قبر الشافعي. ولما توفي ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب أبيه من القبلة.

قال ابن خلكان فهي ثلاثة أقبر الشافعي شامها. ومما قبلته. ورحمهم الله.

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

في أواخر الحزم منها ركب المأمون في العساكر من بغداد قاصداً بلاد الروم لغزوهم. واستخلف على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلما كان بتكريت تلقاه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من المدينة النبوية. فأذن له المأمون في الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون. وكان معقود العقد عليها في حياة أبيه علي بن موسى، فدخل بها، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز. وتلقاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل وصوله إلى الموصل. وسار المأمون في جحافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها في جمادى الأولى، وفتح حصناً هناك عنوة وأمر بهدمه، ثم رجع المأمون من بلاد الروم إلى دمشق فترها وعمر دير مران بسفح قاسيون، وأقام بدمشق مدة.

ووجع بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي.

أبا نواس الحسن بن هاني فطلبه المأمون فهرب منه ثم أحضر بين يديه فقال له: ويحك فضلت القاسم بن عيسى علينا. فقال: يا أمير المؤمنين أئتم أهل بيت اصطفاكم الله من بين عبادي، وآتاكم ملكاً عظيماً، وإنما فضلت على أشكاله وأثرانه. فقال: والله ما أبقيت أحداً ولقد أدخلتنا في الكل حيث تقول:

كل من في الأرض من عرب

البيتين ومع هذا فلا أستحل قتلك بهذا، ولكن بشرتك وكفرك حيث تقول في عبد ذليل:

أنت الذي تنزل الأيام منزلهما وتنقل الدر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال
ذاك الله يفعل، أخرجوا لسانه من قفاه، فأخرجوا لسانه من قفاه، فمات في هذه السنة ساعه الله.

وقد امتدح حميد بن عبد الحميد الطوسي:

إنما الدنيا حميد وأبايدى الجسام
فإنما ولي حميد فعلى الدنيا السلام

وقوله:

تَكُنْ سَكَنِي الدِّينَا حَمِيدٌ قَدْ أَضْمَرُوا لَهُ فِيهَا عِيَالَا
كَأَنَّ أَبَاهُ أَدَمَ كَانَ أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يُؤْتِلَهُمْ فَتَمَالَا
ولما مات حميد هذا في سنة عشر مع المأمون بضم الصلح، قال المَكْشُور - يرثيه قصيدة؛ منها قوله:

فأدبنا ما أدب الناس قبلنا ولكنه لم يبق للصبر موضع
وقال أبو العتاهية يرثي حميداً هذا:

أبا غام أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب عكم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يهيم
وقد أورد ابن خلكان لمعك هذا اشعاراً جيدة تركناها اختصاراً

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حميد وبالك الحرمي لعنه الله، فقتل الحرمي خلقاً كثيراً من جيشه، وقتله أيضاً وانهزم بقية أصحاب ابن حميد، فأتا لله وإنسا واجمبون فبعث المأمون إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر يخبرانه بين خراسان، ونيابة الجبال وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك الحرمي، فاختر المأمون بخراسان لكثرة احتياجه إلى الضبط، وللخوف من ظهور الخوارج بها.

وفيهما دخل أبو إسحاق بن الرشيد الديار المصرية فافتحها واستعادها إلى السمع والطاعة، وظفر بعبد السلام وابن جليس وقتلها.

وفيهما خرج رجل يقال له بلال الضبابي الشاري فبعث إليه المأمون ابنه العباس في جماعة من الأمراء فقتلوا بلالاً وعادوا سائلين.

وفيهما ولّى المأمون علي بن هشام الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان.

ذلك لم يبق للجهر معنى.

وهذا كما روي عن ابن عباس [خ (١٣٣٥)، د (٣١٩٨)، ت (١٠٢٧)] أنه كان يجهز بالفاتحة في صلاة الجنائز ليعلم الناس أنها سنة، ولهذا نظائر والله أعلم.

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فإنها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف.

وفيها وقع برد شديد جداً.

وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العام الماضي، وقيل غيره والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

حيان بن هلال. وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك. ومحمد بن بكار بن بلال. وهودبة بن خليفة.

زبيدة امرأة هارون الرشيد وابنة عمه

■ (زبيدة امرأة هارون)

وهي ابنة جعفر أمة العزيز الملقبة بزبيدة بنت جعفر بن المنصور القرشي الهاشمية العباسية، امرأة هارون الرشيد وأحب الناس إليه في زمانها، مع ما كان معها من الخطايا والزوجات كما ذكرنا ذلك في ترجمته، وإنما لقبت زبيدة لأن جدّها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول: إنما أنت زبيدة، لياضها، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به، وأصل اسمها أمة العزيز.

كانت من الجمال والمال والخير والديانة على جانب، ولها من الصدقات والأوقاف ووجوه القربى شيء كثير.

وروي الخطيب البغدادي أنها حجت فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم، وأنها لما هانت المأمون بالخلافة حين دخل بغداد قالت له: لقد هانت نفسي بها عنك قبل أن أراك، ولئن كنت قد دت ابناً خليفه لقد عوضت ابناً خليفه لم الله، وما خسر من اعتاض منك، ولا تكلت أم ملأت يدك منك، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ، وإمتاعاً بما عوض. وذكر أنها توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين.

ثم قال الخطيب: حدثني الحسين بن محمد الحلال لفظاً قال: وجد بخط أبي الفتح القواس قال حدثنا صدقة بن هيرة الموصلية حدثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال: قال عبد الله بن المبارك الزين: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة. قلت: فما هذه الصفرة في وجهك؟ قالت: دفن بين ظهرائنا رجل يقال له بشر المريسي زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

وذكر القاضي ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ، وكان يسمع لمن في القصر دوي كنوي النحل، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن، وورد أنها ربيت في المنام فستلت عما كانت تصنع من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر.

وفيها جرت حوادث وأمر يطول ذكرها.

وفيهما توفي من الأعيان

■ أبو زيد الأنصاري وأبو سليمان الداراني ومحمد بن عبد الله الأنصاري. ومحمد بن المبارك السوري. وقبيصة بن عقبة. وعلي بن الحسن بن شقيق. ومكي بن إبراهيم.

■ أبو زيد الأنصاري: فهو سعيد بن أوس بن ثابت البصري اللغوي أحد الثقات اللاتبات ويقال إنه كان يرى القدر.

قال أبو عثمان المازني: رأيت الأصمعي جاء إلى مجلس أبي زيد الأنصاري فقتل رأسه وجلس بين يديه وقال: أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة.

قال ابن خلكان: وله مصنفات كثيرة، منها «خلق الإنسان»، و«كتاب الإبل»، و«كتاب المياه»، و«كتاب القوس» و«الترس» وغير ذلك.

توفي في هذه السنة، وقيل في التي قبلها أو التي بعدها، وقد جاوز التسعين، وقيل إنه قارب المائة.

وأما أبو سليمان فقد قلنا ترجمته.

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

في هذه السنة عنا ملك الروم وهو توفيل بن ميخائيل قاتل جماعة من المسلمين في أرض طرسوس نحواً من ألف وستمائة إنسان ويقال إنه أيضاً كتب إلى المأمون فبدا بنفسه، فلما قرأ المأمون كتابه نهض من فوره فركب في الجيوش إلى بلاد الروم عوداً على يده وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر، فافتتح بلداناً كثيرة صلحاً وعوة، وافتتح أخوه ثلاثين حصناً، وبعث المأمون يحيى بن أكرم في سرية إلى طروانة فافتتح بلداناً كثيرة وأسر خلقاً من النصارى وغيرهم، وقتل خلقاً من الروم وحرق حصوناً عدة، ثم عاد سالماً مؤيداً إلى العسكر. وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادى الآخرة إلى نصف شعبان، ثم عاد إلى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبلوس الفهري في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر، فغلب على نواب أبي إسحاق بن الرشيد وقويت شوكة واتبعه خلق كثير، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة إلى الديار المصرية، فكان من أمره ما سنذكره.

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد وما والاها من البلاد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقب الصلوات الخمس، فكان أول ما بدى به في جامع المدينة والرافقة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة، وذلك أنهم كانوا إذا قضاوا الصلاة قام الناس قياماً فكبروا ثلاث تكبيرات، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات. وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضاً بلا مستند ولا دليل ولا معتمد، فإن هذا لم يفعله قبله أحد، ولكن ثبت في الصحيح [ج (٨٤١)، م (٥٨٣)] عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله ﷺ ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة، وقد استحسب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره.

وقال ابن بطال [مسلم بشرح النووي: ٨٤/٥، فتح الباري: ٣٢٥/٢، ٣٢٦]: المذاهب الأربعة وغيرهم على عدم استحبابه.

قال النووي [مسلم بشرح النووي: ٨٤/٥]: وقد روي عن الشافعي أنه قال: إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع، فلما علم

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

في الحرم منها دخل المأمون الديار المصرية وظفر بعبدوس الفهري فامر فضربت عنقه، ثم كر راجعاً إلى الشام.

وفيهما ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً فحاصر لؤلؤة مائة يوم، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عفيفاً فخذعته الروم فأسروه فأتاهم في أيديهم ثمانية أيام، ثم انفلت من أيديهم واستمر محاصراً لهم، فجاء ملك الروم بنفسه فحاط بجيشه من ورائه، فبلغ المأمون فسار إليه، فلما أحس توفيل بقدمه انصرف هارباً من وجهه وبعث إليه الوزير الذي يقال له: الصنخل فسأله الأمان والمصالحة والمهادنة، ولكنه بدأ بنفسه في كتابة إلى المأمون المأمون فرد عليه المأمون كتاباً بليغاً مضموه التفرع والتريخ، وإنسي إنما أقبل منك الدخول في الخنيفة وإلا فالسيف والقتل والسلام على من أتبع الهدى.

وفيهما حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي.

وفيهما توفي من الأعيان

■ حجاج بن منهل، وشريح بن النعمان، وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

في أول يوم من جمادى منها وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطوارة وتجديد عمارتها. وبعث إلى سائر الأقاليم والأفاق في تجهيز الفعلة من كل بلد إليها، من مصر والشام والعراق، فاجتمع عليها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وأمره أن يجعلها ميلا في ميل، وأن يجعل سورها ثلاث فراسخ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب عند كل باب حصن.

ذكر أول الخنة والفتنة

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يتحن القضية والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم، وكتب إليه يستح في كتاب مطول وكتب غيره قد سرد ما ابن جرير [٦٣١/٨]، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وليس بقديم، وعنده أن كل محدث فهو مخلوق، وهذا أمر لا يوافق عليه كثير من المتكلمين ولا المحدثين، فإن القائلين بأن الله تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة بعد أن لم يكن مخلوق، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة، وما كان قائماً بذاته لا يكون مخلوقاً، وقد قال الله تعالى ﴿مَا يَتَّبِعُهُمُ بَينَ يَدَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ سَخَذَتْ﴾ [الأنبياء ٢] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ بِالْجُودِ صَدْرَ مِنْهُ تَعَالَى بَعْدَ خَلْقِ آدَمَ، فَالْكَلَامُ الْقَائِمُ بِالذَّاتِ لَيْسَ مَخْلُوقاً، وَمَعْنَى بَعْضِ آخِرِ.

وقد صنف البخاري - رحمه الله - كتاباً في هذا المعنى سماه «خلق أفعال العباد».

والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببغداد قرئ على الناس، وقد عين

المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستطلي يزيد بن هارون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن إبراهيم الدورقي. فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتنعهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته وهم كارهون، فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء، ففعل إسحاق بن إبراهيم ذلك. وأحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء والقضاء وأئمة المساجد وغيرهم، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون، وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم كتب المأمون كتاباً ثانياً إلى إسحاق بن إبراهيم يستدل فيه على القول بخلق القرآن بشبه من الدلائل لا تحقيق تحتها ولا حاصل لها، بل هي من المشابهات وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه. لا له، وقد أورد ابن جرير بطوله - وأمره أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعواهم إليه وإلى القول بخلق القرآن، فأحضر إسحاق ابن إبراهيم جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل. وقتيبة. وأبو حسان الزبائدي. ويشر بن الوليد الكندي. وعلي بن أبي مقاتل. وسعدويه الواسطي. وعلي بن الجعد. وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن الهرثي، وابن علي الأكبر، ويحيى بن عبد الحميد العمري. وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضياً على الرقة، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب، وابن الفرخان، والنضر بن شميل. وابن علي بن عاصم، وأبو العوام البزاز، وأبو شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة. فلما دخلوا على إسحاق بن إبراهيم قرأ عليهم كتاب المأمون. فلما فهموه قال لبشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: ليس عن هذا أسألك. وإنما أسألك أهو مخلوق؟ قال: ليس بخالق. قال: ولا عن هذا أسألك. فقال: ما أحسن غير هذا، وصمم على ذلك. فقال: تشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه؟ قال: نعم! فقال للكاتب: اكتب بما قال. فكتب.

ثم امتنعهم رجلاً رجلاً فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن، فكان إذا امتنع الرجل منهم يمتنحه بما في الرقة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي، من أنه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول: نعم! كما قال بشر.

ولما انتهت التوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل قال له: أقول: إن القرآن مخلوق؟ فقال: القرآن كلام الله لا أزيد على هذا. فقال له: ما تقول في هذه الرقة؟ فقال: أقول: «لَيْسَ كَيْفُله شيء وهو السميع البصير» [الشورى: ١١] فقال رجل من المعتزلة: إنه يقول: سميع بأذن بصير بعين. فقال له إسحاق: ما أردت بقولك: سميع بصير؟ فقال: أردت منها ما أراد الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك. فكتب جوابات القوم رجلاً رجلاً ريعت بها إلى المأمون.

فصل: قد تقدم أن إسحاق بن إبراهيم نائب ببغداد لما امتحن الجماعة في القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأجابوا كلهم إلى نفي الماثلة، وأما القول بخلق القرآن فامتنعوا من ذلك، وقالوا كلهم: القرآن كلام الله. قال الإمام أحمد: ولا أزيد على هذا حرفاً أبداً. وقرأ في نفي الماثلة قوله تعالى: «لَيْسَ كَيْفُله شيء وهو السميع البصير» [الشورى: ١١]. فقالوا ما أردت

العباسي أبو جعفر أمير المؤمنين، وأمه أم ولد يقال لها مارجل الباذغيسية، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفي عنه الهادي، وولي أبوه هارون الرشيد، وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم.

قال ابن عساکر: روى الحديث عن أبيه وهشيم بن بشير، وأبي معاوية الضرير، ويوسف بن عطية، وعباد بن العوام، وإسماعيل بن علية، وحجاج بن محمد الأعور.

وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر - وهو أسن منه - ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومعمار بن شبيب وأبو يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشيعي - واليزيدي - وعمرو بن مسعدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين، ومحمد بن إبراهيم السلمي ودعبل بن علي الخزاعي.

قال: وقدم دمشق دفعات وأقام بها مدة.

ثم روى ابن عساکر من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال: سمعت المأمون في الشمسية وقد أجرى الحلبة فجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحيى بن أكرم: أما ترى كثرة الناس؟ ثم قال: حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال: أخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

ومن حديث أبي بكر المياحي عن الحسين بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المأمون عن هشيم عن منصور عن الحسن عن أبي بكره أن رسول الله ﷺ قال: أخصاء من الإيمان (ج ١١٨) م (٣٦). ومن حديث جعفر بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرصافة فلما سلم كبر الناس فجعل يقول: لا يا غوغاء لا يا غوغاء، عدا سنة أبي القاسم ﷺ. فلما كان الغد صعد المنبر فكبر ثم قال: أبا هشيم بن بشير حدثنا ابن شبرمة عن الشعبي عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن نيار. قال: قال رسول الله ﷺ: من ذبح قبل أن يصلي فإثمها هو لحم قلته لأهله، ومن ذبح بعد أن يصلي الفداء فقد أصاب السنة. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، اللهم أصلحي واستصليحي وأصلح على يدي.

وكان مولد المأمون ليلة مات عنه الهادي وولي أبوه الرشيد وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة تسعين ومائة.

تولى المأمون الخلافة في الحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر. وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالنسبة الصحيحة، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية العهد من بعده علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، وخلع السواد ولبس الخضرة كما فعلنا، فأعظم ذلك العباسيون من البغادة وغيرهم، وخلعوا المأمون ولولوا عليهم إبراهيم بن المهدي كما تقدم، ثم ظفر المأمون بهم واستقام أمره في الخلافة، وذلك بعد موت علي الرضا بطوس، وعفا عن عمه إبراهيم بن المهدي، كما تقدم بسط ذلك في موضعه.

أما كونه على مذهب الاعتزال فإنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث الريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل، وكان يجب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنه الباطل. ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً. وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته.

يقولك: السميع البصير؟ فقال: أردت منها ما أراد الله منها. كان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرهاً لأنهم كانوا يعزلون عن لا يجيب عن وظائفه، وإن كان له رزق على بيت المال قطع، وإن كان مفتياً منع من الإفتاء، وإن كان شيخ حديث ردع عن الإسماع والأداء. ووقعت فتنة صماء ومحنة شتاء وداية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم العزيز الحكيم.

فصل:

وأمر النائب إسحاق بن إبراهيم الكاتب، فكتب عن كل واحد منهم جوابه بعينه، ويث به إلى المأمون، فجاء الجواب بمدح النائب على ما فعل، والرد على كل فرد ما قال في كتاب أرسله. وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضاً فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجيب منهم إلى القول بخلق القرآن فأبعث به إلى عسكر أمير المؤمنين مقيداً محتفظاً به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه رأي. ومن مذهبه أن يضرب عتق من لم يقل بقوله. فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلساً آخر وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي، وقد نص المأمون على قتلهم إن لم يجيبا على الفور، فلما امتحنهم إسحاق بن إبراهيم ثانياً بعد قراءة كتاب الخليفة أجابوا كلهم مكرهين متولين قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية. إلا أربعة وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد سبجادة، وعبيد الله بن عمر القواريري. فقديمهم وأرصدتهم ليث بهم إلى المأمون، ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم فأجاب سبجادة إلى القول بخلق القرآن فأطلق قيده وأطلقه. ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده أيضاً وأطلقه. وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري على الامتناع من ذلك، فأكد قيودهما وجمعهما في الحديد وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس، وكتب معهما كتاباً يارسألهما إليه. فسارا مقلبين في عارة على جبل متعادلين رضي الله عنهما. وجعل الإمام أحمد يدهر الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون، وأن لا يرياه ولا يراهما.

وجاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرهين متولين قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. وقد اخطؤوا في ذلك خطأ كبيراً، فأرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين. فاستدعاهم إسحاق وألزمهم بالمسير إلى طرسوس فساروا إليها، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا إلى الرقة، ثم أذن لهم في الرجوع إلى بغداد. وكان أحمد بن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس، ولكن لم يجتمعا به. حتى مات واستجاب الله سبحانه دعاه عبده ووليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فلم يجتمعا بالمأمون وردوا إلى بغداد. وسيأتي تمام ما وقع لهم من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد، وغمام الكلام على ذلك في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبالله المستعان.

وهذه ترجمة المأمون

هو عبد الله

■ المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس القرشي الهاشمي

وقال ابن أبي الدنيا: كان المأمون أبيض رعة حسن الوجه قد خطه الشيب تعلوه صفرة أعين طويل الحية رقيقها ضيق الجبين، على خده خال. أمه أم ولد يقال لها مارجل.

وروى الخطيب البغدادي عن القاسم بن محمد بن عباد قال: لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون.

وهذا غريب جداً لا يوافق عليه، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء.

قالوا: كان يتلو في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمه.

وجلس يوماً لإملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى بن أكثم وجماعة فأملى عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً. وكانت له بصيرة بعلوم متعددة، من فقه وطب وشعر وفرائض وكلام ونحو وعربية وغريب حديث، وعلم النجوم. وإليه ينسب الزيج المأموني. وقد اختبر مقدار الدرجة في وطة سنجار فاختلف عمله وعمل الأوائل من الفقهاء.

وروى ابن عساكر أن المأمون جلس يوماً للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء، فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمئة دينار، فلم يحصل لها سوى دينار واحد. فقال لها المأمون على البديهة: قد وصل إليك حقك، كان أخاك قد ترك بيتين وأماً وزوجة واثني عشر أخاً واختاً واحدة وهي أنت، قالت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: للبيتين الثلاثين أربعمائة دينار، وللأم الستم مائة دينار، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً، يبقى خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران، ولك دينار واحد. فعجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه. وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً من الشعر يراه عظيماً، فلما أنشد له لم يقع منه موقفاً طائلاً، فخرج من عنده محروماً، فلقبه شاعر آخر فقال له: ألا أعجبك! أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً. فقال: وما هو؟ قال قلت فيه:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً
بالسدين والناس بالدنيا مشاغلي
فقال له ذلك الشاعر الآخر: ما زدت على أن جعلته عجوزاً في عرابها. فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلُه
وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه: بيتان اثنان لاثنين ما لحقهما أحد، قول أبي نواس:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وقول شريح:

نهبون على الدنيا اللامة إنه حريص على استصلاحها من بلوئها
قال المأمون: وقد الجاني الزحام يوماً وأنا في المركب حتى خالطت السوق فرأيت رجلاً في دكان عليه أثواب خلقة، فنظر إلي نظر من يرحمني أو من يتعجب من أمري فقال:

أرى كل مغرور قميصه نفسه إذا ما مضى عام سلامة قبايل
وقال يحيى بن أكثم: سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال: عباد الله! عظم أمر الدارين وارتنع جزاء العاملين، وطالت مدة الفريقين، فوالله إنه للجدد لا للعب،

وإنه للحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والصراط ثم العقاب والثواب، فمن نجا يومئذ فقد فاز. ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار.

وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: ما الإرجاء؟ فقلت: دين يوافق الملوك يصيرون به من دنياهم ويتقصون من دينهم. قال: صدقت. ثم قال: يا نضر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم؟ قلت: أتى لي بعلم الغيب. فقال: قلت:

أصبح فيني الذي أدينُ به - ولست منه الغداة معتزلاً
حُبُّ عليٍّ بعد النبي ولا - أشتُم صديقنا ولا عُمرنا
ثم ابن عفان في الجنان مع - الأبرار ذاك القاتل مصطبراً
لا لا ولا أشتُم الزبير ولا - طلحة إن قال قاتل غسلاً
وعائش الأم لست أشتُمها - من يفتريها فنحن منه برّاً

وهذا المذهب ثاني مراتب التشيع وفيه تفضيل عليٍّ على عثمان. وقد قال بعض السلف والدارقطني: من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار - يعني في اجتهدهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان على عليٍّ بعد مقتل عمر رضي الله عنهم - وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع، على ما ذكره صاحب كتاب «البلاغ الأكبر»، والناسوس الأعظم، تنتهي إلى أكثر الكفر.

وقد رويتنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: لا أوتى بأحد فضلي على أبي بكر وعمر إلا جللته جلد المفترى. وتواتر عنه أنه قال: خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان.

فقد خالف المأمون بن الرشيد في مذهبه الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار، وخالفهم في ذلك، البدعة الأخرى والطامة العظمى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي السكر وغير ذلك من الأفعال فعال التي تعدد فيها المنكر، ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة وله همة في القتال وحصار الأعداء ومصابرة الروم وحصرهم في بلدانهم، وقتل رجالهم وسي نسايتهم. وكان يقول: كان معاوية يغمرة، وعبد الملك يمحاجه وأنا بنفسي.

وكان يقصد العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل، جاءته امرأة ضعيفة فتظلمت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه، فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه، فادعت عليه بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها، فتناظرا ساعة فجعل صورتها يعلو على صورته، فزجرها بعض الحاضرين فقال له المأمون: اسكت فإن الحق أنطقها بالباطل أسكته، ثم حكم لها بحقوقها وأغرم لها ولده بعشرة آلاف درهم.

وكتب لي بعض الأمراء: ليس من المروءة أن يكون أيتك من ذهب وفضة وغريمك عار، وجارك طار والفقر جائع.

ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون: والله لا تقتلك. فقال: يا أمير المؤمنين تاني علي فإن الرفق نصف العفو، فقال: ويلك - ويحك! قد حلقت لأقتلك، فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن تلق الله عز وجل حائناً خير من أن تلقاه قاتلاً، ففما عته.

وكان يقول: ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو حتى يذهب

وناجيت من أهوى وكنت مقرئاً
فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
وردت طرفاً في عاسن وجهها
أرى أنراً في صحن خحك لم يكن
ولما ابتعد المأمون ما ابتعد من التشيع والاعتزال، فرح بذلك بشر
المريسي - وكان بشر هذا شيخ المأمون - فأنشأ المريسي يقول:

قد قال مأموننا وسيدنا
إن علياً أعني أباح حسن
بعد نبي الهدى وإن لنا
أعمالنا، والقرآن غلوق
فاجابه بعض الشعراء من أهل السنة فقال:

يا أيها الناس لا قول ولا عمل
لن يقول: كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر ولا عمر
ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك إلا كل متبع
على الإله وعند الله زنديق
عمداً أراد به إحقاق دينكم
لأن دينهم والله محقوق
أصبح يا قوم عقلاً من خليفكم
يُسمى ويصبح في الأغلال موثق
وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قاتل هذا فيؤذبه على ذلك، فقال:

ويحك لو كان قاتلها لأبنته ولكنه شاعر فليست أعرض له.
ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سفره سافرهما إلى طرسوس استدعى
بجارية كان يجمها وقد اشتراها في آخر عمره، فضعها إليه فبكت الجارية
وقالت: قتلتني يا أمير المؤمنين بسفرك هذا ثم أنشأت تقول:

سأدعو دعوة المضطر رباً
يُيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حرباً
ويجمعنا كما تهوى القلوب
فضعها إليه وأنشأ يقول متمثلاً:

فيا حسنها إذ ينسل الدمع كحلها
وإذ هي تدرى الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتي
وقلتي بما قالت هناك تحاو
ثم أمر مسروراً الخادم بالإحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع،
ثم قال: نحن كما قال الأخطل:

قوم إذا حارتوا شذّبوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت بأطهار
ثم ودعها وسار فمرضت الجارية في غيبتها هذه، ومات المأمون أيضاً في
غيبتها هذه، فلما جاء نعيه إليها تنفست الصعداء وحضرته الوفاة وأنشأت
تقول وهي في السياق:

إن الزمان سقانا من مرارته
بعد الخلاوة أنفاساً فاروانا
أبدى لنا تارة منه فاضحكتنا
ثم أنشأت تارة أخرى فابكتنا
إننا إلى الله فيما لا يزال لنا
من القضاء ومن تلويح دنائنا
دنيا تراها تريننا من تصرفنا
ما لا يدوم مصافاة وأحزاننا
ونحن فيها كأننا لا يزالنا
للعيش أحيوانا يَكُون موتنا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد
العصر، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين،
وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشرين سنة
وأشهرها، وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده، ودفن

الحوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم.
وركب يوماً في حراقة فسمع ملاحاً يقول لأصحابه: ترون هذا المأمون
ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين - يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان
المأمون - فجعل المأمون يتبسم ويقول: كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين
هذا الرجل الجليل؟

وحضر عند المأمون هدية بن خالد ليتغدى عنده فلما رفعت المائدة
جعل هدية يلتقط ما تاتر منها من اللباب وغيره، فقال له المأمون: أما
شعبت يا شيخ؟ فقال: بلى، ولكن حكيتني حماد بن سلمة عن ثابت عن
أنس أن رسول الله ﷺ قال: من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر. قال
فأمر له المأمون بالكف دينار.

وروى ابن عساکر أن المأمون قال يوماً لمحمد بن عباد بن
المهلب: يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف، وألف ألف، وألف ألف وألف
عليك ذبيبة؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالمعبود. فقال:
أحسن يا أبا عبد الله! أعطوه ألف ألف وألف ألف.

ولما أراد المأمون أن يدخل بيروان بنت الحسن بن سهل جعل الناس
يهدون لأبيها الأشياء النفيسة، وكان من جملة من يعز به رجل من الأدباء.
فأهدى إليه مزوداً فيه ملح طيب، ومزوداً فيه أشنان جيد. وكتب إليه: إنني
كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها، فوجهت إليك بالبلد به
ليمنه ويركته، وبالمختم به لطيفه ونظافته. وكتب إليه:

بفساغتي تقصّر عن همتي
وهمتي تقصّر عن مالي
فالملح والأشنان يا سيدي
أحسن ما يهديه أمثالي

قال: فدخل بهما الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر
بالمزودين ففرغا وملئا دنائير وبعث بهما إلى ذلك الأديب.
وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهتونه بصنوف التهاني،
ودخل عليه لشعراء فقال يهينه بولده:

مد لك الله الحياة مسداً
حتى ترى ابنك هذا جثاً
ثم يُبدى مثل ما تُبدى
كانه أنت إذا تُبدى
أشبه منك قامة وقسداً
موزراً بمجده مُرداً
قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى
أخيه المعتصم ذلك، فوردت عليه خزان من خراسان وبها ثلاثون ألف
ألف درهم، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال، ومعه يحيى بن
أكرم القاضي، فلما دخلت البلد قال: ليس من المروءة أن تحوزن نحن هذا
كله والناس ينظرون. ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله
في الركاب لم يتزل عن فرسه.
ومن لطيف شعره:

لساني كسوم لأسراركم
ودعني كسوم لسري منيع
فلولا دعوي كتمت الهوى
ولولا الهوى لم تكن لي دعوى

وقد بعث خادماً ليلة من الليالي ليأتيه بجارية فاطمال الخادم عندها
المكث، وتغتمت الجارية من الجيء إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه، فأنشأ
المأمون يقول:

بعثك مشتاقاً فقسزت بنظرة
وأغفلتني حتى أسأت بك الظن

المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد من أضل المأمون، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً في شيء من الفقه، وأخذ عن القاضي أبي يوسف. وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم، ثم غلب عليه علم الكلام، وقد نهى الشافعي عن تعلمه وتعايه فلم يقبل منه.

وقال الشافعي: لئن تلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بعلم الكلام. وقد اجتمع بشر بالشافعي عندما قدم الشافعي بغداد.

قال القاضي ابن خلكان: جرد القول بخلق القرآن وحكي عنه أقوال شيعية، وكان مرجحاً وإليه تنسب المريسية من المرجحة، وكان يقول: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، وإنما هو علامة الكفر، وكان ينظر الشافعي وكان لا يحسن النحو، وكان يلحن لحناً فاحشاً. ويقال: إن أباه كان يهودياً صابغاً بالكوفة، وكان يسكن درب المريسي ببغداد. والمريسي عندهم هو الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر. قال: ومُرَّس ناحية ببلاد النوبة تهب عليها في الشتاء ريح باردة. قلت: ثم راج بشر المريسي عند المأمون وحظي عنده، وقُدِّم في حضرته، ونفقت سوق الكاسد، واستجيد ذهنه البارء.

ولمَّا توفي في ذي الحجة من هذا العام - أو الذي قبله في قول - صَلَّى عليه رجلٌ من المحدثين يُقال له: عبيدُ الشونيزي. فلامه بعضُ المحدثين، فقال لهم: ألا تسمعون كيف دعوتُ له في صلاتي عليه؟ قلتُ: اللَّهُمَّ إِنْ عَبْدكَ هَذَا كَانَ يَنْكُرُ عَذَابَ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ فَأَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكَانَ يَنْكُرُ شِفَاعَةَ نَبِيِّكَ فَلَا تَجْعَلْهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَكَانَ يَنْكُرُ رُؤْيَاكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَاحْجِبْ وَجْهَكَ الْكَرِيمَ عَنْهُ. فقالوا له: أصيبت. وهذا الذي نطق به بعضُ السلف حيث قالوا: مَنْ كَذَبَ بِكَرَامَةٍ لَمْ يَنْلِهَا.

وفي هذا العام توفي:

■ عبد الله بن يوسف النخعي.

وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي.

ويحيى بن عبد الله البجلي.

و■ أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الماعري: راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق مصنفها، وإنما نسبت إليه فيقال سيرة ابن هشام، لأنه هذبها وزاد فيها ونقص منها، وحرر أماكن واستدرك أشياء.

وكان إماماً في اللغة والنحو، وقد كان مقيماً بمصر واجتمع به الشافعي حين وردها، وتناشدا من أشعار العرب شيئاً كثيراً، وكانت وفاته بمصر لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة، قاله ابن يونس في تاريخ مصر.

وزعم السهيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم فإله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين

فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضى من آل محمد، واجتمع عليه خلق كثير وقتله قواد عبد الله بن طاهر، ثم ظهروا عليه وهرب فآخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المعتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر من هذه السنة فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين، فمكث فيه ثلاثاً، ثم حول إلى أوسع منه وأجرى

بطرسوس في دار خاقان الخادم، وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء، وقيل يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب من هذه السنة، وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فحمل إليها فدفن بها، وقيل إنه نقل إلى بعد ذلك أذنة في رمضان فدفن بها فإله أعلم. وقد قال أبو سعيد المخزومي:

أما رأيت النجوم أغنت عن الما - مونٍ في عزِّ ملكه المأشوس
خلقوه بترصتي طرسوس - مثل ما خلّفوا إياه بطرسوس

وقد كان أوصى إلى أخيه أبي إسحاق المعتصم وكتب وصيته بمحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتاب. وفيها القول بخلق القرآن ولم يتب من ذلك حتى أمركه أجله وانقضى عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه، وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلي عليه خمسا، وأوصى أخاه أبا إسحاق المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالريعية، وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقد أخوه المأمون في القرآن، وأن يدع الناس إلى ذلك، وأوصاه بعبد الله بن طاهر وإسحاق بن إبراهيم وأحمد بن أبي دواد القاضي، وقال: شاوره في أمورك كلها ولا تقارقه، وحذره من يحيى بن أكنم ونهاه عنه وذهمه وقال: خائني ونفر الناس عني فارقته غير راضٍ عنه. ثم أوصاه بالعالمين خيراً، أن يقبل من عمنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة.

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير (رحمته) ٢٤٦/٨-٢٦٦ للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها الحافظ ابن عساكر مع كثرة ما يورده، وفوق كل ذي علم عليم.

خلافة المعتصم بالله أبي إسحاق بن هارون الرشيد

بويح له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثامن عشر من رجب من سنة ثمان عشرة ومائتين، وكان إذ ذاك مريضاً، وهو الذي صلى على أخيه المأمون، وقد شغّب بعض الجند فارادوا أن يولّوا العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس بن المأمون فقال: ما هذا الحب البارء؟ أنا قد بايعت عمي المعتصم. فسكن الناس وخدمت الفتنة وركب البرد بالبيعة للمعتصم إلى الآفاق، وبالتنزية بالمأمون. فأمر المعتصم بهدم ما كان بناه المأمون في مدينة طوالة، وأمر بإبطال ذلك ونقل ما كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين، وأذن القعدة بالانصراف إلى بلدانهم، ثم ركب المعتصم في الجنود قاصداً بغداد وصحبته العباس بن المأمون، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان في أبهة عظيمة وتجميل تام.

وفيها دخل خلق كثير من أهل همدان وأصبهان وماسبذان ومهرجان في دين الخرمية، فتجمع منهم بشر كثير، فجهز إليهم المعتصم جيوشاً كثيرة آخر من جهز إليهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في جيش عظيم، وعقد له على الجبال، فخرج من بغداد في ذي القعدة وقرأ كتابه بالفتح يوم التروية. وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقاً كثيراً، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم، والله الحمد والمثنة وعلى يدي هذا جرت فتنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وضرب بين يديه كما سيأتي بسط ذلك في ترجمة أحمد في سنة إحدى وأربعين ومائتين إن شاء الله، وبه الثقة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بشر المريسي: وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

فيها كانت وقعة هائلة بين بغا الكبير وبابك الخرمي فهزم بابك بغا وقتل خلقاً من أصحابه. فلما لله وإنسا إليه راجعون. ثم أقتل الأفشين وبابك فهزموه أفضين وقتل خلقاً من أصحابه بعد حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير رحمه الله في تاريخه (٢٧-٢٢/٩). وحج بالناس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي.

وفيها توفي من الأعيان

■ عاصم بن علي. وعبد الله بن مسلمة القعني. وعبدان. وهشام بن عبيد الله الرازي.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين

فيها وجه المتصم جيشاً كثيراً مدداً للأفشين على غارة الخرمية وبعث إليه ثلاثين ألف درهم نفقة للجند والأتباع. وفيها اقتل الأفشين والخرمية قتالا عظيماً، وافتتح الأفشين البلد مدينة بابك واستباح ما فيها ولله الحمد، وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وذلك بعد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد. وقد أطال ابن جرير (٣١٩-٣١٠) وسطه جداً. وحاصل الأمر أنه افتتح البلد وأخذ جميع ما احتوى عليه من الأموال بما قدر عليه.

ذكر مسك بابك الخرمي وأسر وقته

لما احتوى المسلمون على بلده المسمى بالبد وهو دار ملكه ومقر سلطانه هرب من معه من أهله وولده ومعه أمه وامراته، فاتفرد في شردمة قليلة من خدمه ولم يبق معهم طعام، فاجتاز بحراث فبعث غلامه إليه ومعه ذهب فقال: أعطه الذهب وخذ ما معه من الخبز، فنظر شريك الحراث إليه من بعيد وهو يأخذ من الخبز، فظن أنه قد اغتصبه منه، فذهب إلى حصن هناك فيه نائب للخليفة يقال له سهل بن سباط ليستعدي على ذلك الغلام، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام فقال: ما خبرك؟ فقال: لا شيء، إنما أعطيتني دنائير وأخذت منه هذا الخبز. فقال: ومن أنت؟ فأراد أن يعمي عليه الخبر فالح عليه فقال: من غلمان بابك، فقال: وأين هو؟ فقال: ها هو ذا جالس يريد الغداء. فسار إليه سهل بن سباط فلما رآه ترجل وجاءه فقتل يده وقال: يا سيدي أين تريد؟ قال: أريد أن أدخل بلاد الروم، فقال: إلى عند من تذهب أحرز من حصني وأنا غلامك وفي خدمتك؟ وما زال به حتى خدعه وأخذته معه إلى الحصن فأنزله عنده وأجرى عليه التفقات الكثيرة والتحف وغير ذلك، وكتب إلى الأفشين يعلمه بذلك، فأرسل إليه أميرين ليقضه، فنزلا قريباً من الحصن وكبا إلى ابن سباط فقال: أقيم مكانكما حتى يأتيكما أمري، ثم قال لبابك: إنك قد حصل لك غم وضيق من هذا الحصن وقد عزمنا على الخروج اليوم إلى الصيد ومعنا بزة وكلاب، فإن أحببت أن تخرج معنا لتشرح. قال: نعم! فخرجوا وبعث ابن سباط إلى الأميرين أن كونوا بمكان كنا وكنا في وقت كنا وكنا من النهار، فلما كانوا بذلك الموضع أقبل الأميران بمن معهما من الجنود

عليه رزق من يخدمه، فلم يزل محبوساً هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد فغلب له حبل من كوة كان يأتيه الضوء منها، فذهب فلم يدرك كيف ذهب وإلى أين صار من الأرض.

وفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد راجعاً من قتال الخرمية، ومعه أسارى منهم، وقد قتل في حربه هذه من الخرمية منهم مائة ألف مقاتل منهم. وفيها بعث المتصم عجيلاً في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا فساداً في بلاد البصرة، وقطعوا الطريق ونهبوا الغلات، فمكث في قتالهم تسعة أشهر، فقهرهم وقمع شرهم وأباد خضارهم. وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له سملق، وهو داهيتهم وشيطانهم، فأراح الله المسلمين منه ومن شرهم.

وفيها توفي من الأعيان

■ سليمان بن داود الهاشمي شيخ الإمام أحمد. وعبد الله بن الزبير الحميدي صاحب المسند وتلميذ الإمام الشافعي وعلي بن عياض. وأبو نعم الفضل بن دكين شيخ البخاري. وأبو غسان النهدي.

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة

في يوم عاشوراء دخل عفيف في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفاً قد جاوزوا بالأسان إلى الخليفة، فأنزلوا في الجانب الشرقي ثم نفاهم الخليفة إلى عين زرية، فأغار الروم عليهم فاجتاحوهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم أحد. فكان آخر العهد بهم.

وفيها عقد المتصم للأفشين واسمه حيدر بن كاسر على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لعنه الله، وكان قد استعمل أمره جسداً، وقويت شوكة جسداً، وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وعمارة الحصون ولإيصال المدد، وأرسل إليه المتصم بالله مع بغا الكبير أموالاً جزيلة نفقة لمن معه من الجند والأتباع، وقد اتفق فالتقى هو وبابك في هذه السنة فاقتلا قتالا شديداً، فقتل الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً أزيد من ألف، وانهمز هو إلى ملتيه فأوى إليها مكسوراً، فكان هذا أول ما تضعض من أمر بابك، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها، وقد استقصاها الإمام أبو جعفر بن جرير (١١٩-١٢٠) رحمه الله.

وفي هذه السنة خرج المتصم من بغداد فنزل القاطول فقام بها. وفيها غضب المتصم على الفضل بن مروان بعد المكانة العظيمة، وعزله عن الوزارة وحجبه وأخذ أمواله وجعل مكانه محمد بن عبد الملك بن الزيات.

وحج بالناس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية.

وفيها توفي من الأعيان

آدم بن أبي إياس. وعبد الله بن رجاء. وعفان بن مسلم. وقالون أحمد مشاهير القراء. وأبو حنيفة النهدي.

عشرين ألف ألف درهم، وكتب له بولاية السند، وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين، وعلى تخريبه بلد بابك التي يقال لها البذ وتركه إياها يباباً خراباً. فقالوا في ذلك فأحسنوا، وكان من جللتهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتمامها ابن جرير في تاريخه [٥٥/٩] وهي قوله:

بذّ الجلال البذّ فهو دفين ما إن بها إلا الوحوش قلين
لم يقر هذا السيف هذا الصبر في هيجاء إلا عز هذا الدّين
قد كان عذرةً سودد فاقضها بالسيف فحل المشرق الأثنين
فأعادها تموي الثعالب وسطها ولقد ترى بالأمس وهي عرين
مطلت عليها من حجاج أهلها فيمّ أمارتها طلّس وشؤون
كانت من المهجات قبل مفازة عسراً فاضحت وهي منه معين

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين - أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل لعنه الله بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة، قتل فيها منهم خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات. ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وآفاتهم وسمل أعينهم قبحه الله. وكان سبب ذلك أن بابك لما أحيط به من كل جانب في مدينته البذ واسترست الجيوش حوله كتب إلى ملك الروم يقول له: إن ملك العرب قد جهز ليّ بجمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها، فإن كنت تريد النجاة فانهض سريعاً إلى ما حولك من بلاده فخذها فإنك لا تجد أحداً يمانعك عنها. فركب توفيل لعنه الله في مئة ألف وانضاف إليه الحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فلم يقدر عليهم وتحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على السلمين فوصلوا إلى زيطرة فقتلوا من رجالها خلقاً كثيراً وأسروا من نساءها أمة كثيرة، فلما بلغ ذلك المتعصم الزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره فأمر بتعبئة الجيوش واستدعى بالقاضي والدول فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لمواليه.

وخرج من بغداد فمسكروا غربي دجلة يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى ووجه بين يديه عجباً وطائفة من الأمراء ومعهم خلق من الجيش إعانة لأهل زيطرة، فأسرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وانشمر إلى بلاده راجعاً وتشارط الحال ولم يمكن الاستدراك فيه، فرجعوا إلى الخليفة لإعلامه بما وقع من الأمر، فقال للأمراء: أي بلاد الروم أمعن؟ قالوا: عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية.

ذكر فتح عمورية على يد المتعصم

لما فرغ المتعصم من شأن بابك لعنه الله وقتله وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتجهز جهازاً لم يجهز أحد كان قبله من الخلفاء، وأخذ معه من آلات الحرب والأعمال والجمال والقرب والدواب والنفظ والخيول والبغال شيئاً لم يسمع بمثله، وسار إليها في جحافل كالجبال، وبعث الأثنين خيزن بن كاوس من ناحية سروج، وعباً الخليفة جيوشه تعبئة لم يسمع بمثله. وقدم بين يديه الأمراء المرويون بالحرب، فانتهى في سيره إلى

فأحاطوا بابك وبابن سنباط، فلما رأوه جاؤوا إليه فقالوا: ترجل عن دابك. فقال: ومن أئتما؟ فلذكا أئتما من عند الأثنين، فترجل حيثن عن دابته وعليه دراعة بيضاء وعمامة بيضاء وخف قصير وفي يده باز، فنظر إلى ابن سنباط فقال: قبحك الله فهلا طلبت مني من المال ما شئت فكننت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء! ثم أركبوه وأخذوه معهم إلى الأثنين، فلما اقتربوا من بلاد الأثنين خرج قتلناه وأمر الناس أن يصطفوا صفين. وأن يترجل بابك فيدخل بين الناس وهو ماش، ففعل ذلك، وكان يوماً مشهوراً جداً. وكان ذلك في شوال من هذه السنة. ثم احتفظ به وهو في السجن عنده. ثم كتب الأثنين إلى المتعصم يخبره بأن بابك في أسره وقد استحضر أخاه عبد الله أيضاً فكتب إليه المتعصم يأمره أن يقدم بهما عليه إلى بغداد، فتجهز الأثنين بهما إلى بشلاد في تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد.

وحج بالناس فيها محمد بن داود المتقدم ذكره.

وفيها توي

أبو اليعان الحكيم بن نافع وعمر بن حفص بن غياث، ومسلم بن إبراهيم، ويحيى بن صالح الوحاظي.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

في يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأثنين على المتعصم سامراء ومعه بابك الخرمي وأخوه عبد الله، في تحمل عظيم، وقد أمر المتعصم ابنه هارون الواثق أن يتلقى الأثنين، وكانت أخباره تنفذ إلى المتعصم في كل يوم من شدة اعتناء المتعصم بأمر بابك، وقد ركب المتعصم قبل وصول بابك بيومين على البريد حتى دخل إلى بابك وهو لا يعرفه، فنظر إليه ثم رجع، فلما كان يوم دخوله عليه تاهب المتعصم واصطف الناس سباطين وأمر بابك أن يركب على فيل ليشهر أمره ويعرفوه، عليه قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة، وقد هيئ القيل وخضبت أطرافه وألبس من الحرير والأمتعة التي تليق به شيئاً كثيراً، وقد قال فيه بعضهم:

قد خُضِبَ القيل كعادته يحمل شيطان خراسان
والقيل لا تُخْضَبُ أعضاؤه إلا لذي شأن من الشان

ولما حضر بين يدي المتعصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصلب جسده على خشبة بسماء، وكان بابك قد شرب الخمر ليلة أسفر صباحها عن قتله وهي ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة. وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره لعنه الله - وهي عشرون سنة - مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان - قاله ابن جرير [٥٥/٩، ٥٥] - وأسر خلقاً لا يحصون كثرة، وكان من جملة من استنقذه الأثنين من أسره نحو من سبعة آلاف وستمائة إنسان، وأسر من أولاده سبعة عشر رجلاً، ومن حلالته وحلائل أولاده ثلاثاً وعشرين امرأة من الحواتين، وقد كان أصل بابك لعنه الله من جارية زرية الشكل جداً، فآل به الحال إلى ما آل به إليه، ثم أراح الله المسلمين من شره بعد ما اقتن به خلق كثير وجسم غفير من العوام الطغام.

ولما قتله المتعصم توج الأثنين وقلده وشاحين من جوهر، وأطلق له

ملك الروم فجعلت الروم تعلنهما وتسبهما. ثم أمر المعتمد عند ذلك بتجديد الحرس والاحتفاظ فيه من خروج الروم بقتة، فضاقت الروم ذرعاً بذلك، وألح عليهم المسلمون في الحصار، وقد أعد المعتمد عليها المجانيق الكثيرة والنباتات وغير ذلك من آلات الحرب. ولما رأى المعتمد عمق خندقها وارتفاع سورها عمل المجانيق في مقاومة سورها، وكان قد غنم في الطريق غنماً كثيراً جداً ففرقها في الناس وقال: ليأكل الرجل الرأس وليجيء بجلده تراباً فيطرحه في الخندق، ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً مهيئاً، وأمر بالنباتات أن توضع فوقه فلم يخرج الله إلى ذلك.

وبينا الناس في الحرس إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع العيب من السور، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هتافاً عظيماً فظنوا من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بقتة، فبعث المعتمد من ينادي في الناس: إنما ذلك سقوط السور. ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، لكن لم يكن يشع أن يدخل منه الجيش لضيقة عنهم، فأمر المعتمد بالمجانيق المنفرة فجعلت هناك ونصب حول ذلك الموضع الذي سقط، ليضرب بها ما حوله ليُشيع لدخول الخيل والرجال إذا دخلوا. وقرى الحصار وقد وكلت الروم لكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه، وأُثْقِنَ أنَّ ذلك الأمير الذي هدمت ناحيته من السور ضُعب عن مقاومة ما يلقاه من الحصار، فذهب إلى ياطس فسأله لئحة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا: لا نترك ما نحن موكلون في حفظه.

فلما يس منهم خرج إلى المعتمد ليجتمع به. فلما وصل إليه أمر المعتمد المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد انهضت وطلعت من المقاتلة، فركب المسلمون نحوها فجعلت الروم يشيرون إليهم لا تَحْيُوا ولا يقتلوا على دفاعهم، فلم يلتفت إليهم المسلمون، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهراً وتنازع المسلمون إليها يكبرون، وتفرقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وأبىن تقفوه، وقد حصروهم في كنيسة لهم هائلة فتفتحوها قسراً وقتلوا من فيها نهراً. وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فأحرقوا عن آخرهم، ولم يبق فيها موضع حصن سوى المكان الذي فيه النائب، وهو ياطس في حصن منيع، فركب المعتمد فرسه وجاء حتى وقف بمخاض الحصن الذي فيه ياطس فدأه المنادي ويح يا ياطس: هنا أمير المؤمنين واقف تجاهك. فقال: ليس ياطس هنا مرتين. فغضب المعتمد من ذلك وولى فتادى ياطس هذا ياطس هذا ياطس. فرجع الخليفة ونصب السلام على الحصن وطلعت الرسل إليه فقالوا له: ويحك ازل على حكم أمير المؤمنين. فتمنع ثم نزل متقلداً سيفاً فوضع السيف من عنقه ثم جيء به حتى أوقف بين يدي المعتمد فضربه بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمشي إلى مضرب الخليفة فمشى مهاتماً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل، فأوثق هناك. وأخذ المسلمون من عمورية أموالاً عظيمة وغنائم لا تحصى ولا توصف فحملوا منها ما أمكن حملها، وأمر المعتمد بإحراق ما بقي من ذلك، وإحراق ما هنالك من المجانيق والنباتات وآلات الحرب لتلا يتقوى بها الروم على شيء من حرب المسلمين، وانصرف راجعاً إلى ناحية طرسوس في آخر شوال من هذه السنة. وكانت إقامته على عمورية خمسة وخمسين يوماً.

نهر اللبوس وهو قريب من طرسوس، وذلك في رجب من هذه السنة المباركة.

وقد ركب ملك الروم في جيشه قصد نحو المعتمد فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ، ودخل الأفشين بلاد السور من ناحية أخرى، فجاء من وراء ملك الروم، فحار في أمره وضاق ذرعه بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاء الأفشين من خلفه فالتقى عليه فيهلك، وإن سار إلى أحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه. ثم اقترب منه الأفشين فسار إليه ملك الروم في شرفة من الجيش واستخلف على بقية جيشه قريباً له فالتقى هو والأفشين في يوم الخميس لحسن يمين من شعبان منها، فثبت الأفشين في ثاني الحال وقتل من الروم خلقاً وجرح آخرين، وتَقَلَّتْ فتنة ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأسرع الأوبة فإذا نظام الجيش قد انحل، فغضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المعتمد فسره ذلك جداً، فركب من فوره وجاء إلى أنقرة ووافاه الأفشين بمن معه إلى هناك، فوجدوا أهلها قد هربوا منها وتفرقوا عنها فقتلوا منها بطعام وعلوفة كثيرة ثم فرق المعتمد جيشه ثلاث فرق فالميمنة عليها الأفشين، والميسرة عليها أشناس، والمعتمد في القلب، وبين كل عسكري فرسخان، وأمر كل أمير من الأفشين وأشناس أن يجعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلباً ومقدمة وساقة، وأنهم مهما مروا عليه من القرى حرقوها وخربوها وأسروا. وغمموا، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمورية، وكان بينها وبين أنقرة سبع مراحل، فأول من وصل إليها من الجيش أشناس أمير الميسرة ضحوة يوم الخميس لحسن خلون من رمضان من هذه السنة، فدار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها، ثم جاء المعتمد صبيحة يوم الجمعة بعده، فدار حولها دورة ثم نزل قريباً منها، ثم قدم الأفشين يوم السبت فدار حولها دورة ثم نزل قريباً منها وقد حصن أهلها تحصناً شديداً وملئوا أبراجها بالرجال والسلاح، وهي مدينة عظيمة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كبيرة، وقسم المعتمد الأبراج على الأمراء فنزل كل أمير تجاه الموضع الذي أقطعه وعينه له، ونزل المعتمد قبالة مكان هناك قد أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين الأسراء، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين معه رجع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد دمه السيل وبني بناء فأسنداً بلا أساس فنصب المعتمد المجانيق حول عمورية فكان أول موضع انهزم من سورها ذلك الموضع الذي نصع فيه ذلك الأسير، فبادر أهل البلد فسلوه بالخشب الكبار المتلاصقة فالتج عليها المنجنيق فكسرها فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلما ألح عليها المنجنيق لم تغن شيئاً، وانهدم السور من ذلك الجانب وتسخ. فكذب نائب البلد إلى ملك الروم يعلمه بذلك، ويعت ذلك مع غلامين من قومهم فلما اجتازوا بالجيش في طريقهم أنكروا أمرهما فسألوهما عن أمتنا؟ فقالا: من أصحاب فلان لرجل من المسلمين فحُمِلَا إلى المعتمد فقررهما فإذا معهما كتاب ياطس نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بقتة فيناجز المسلمين كاتباً في ذلك ما كان.

فلما وقف المعتمد على ذلك أمر بالغلامين فخلع عليهما، وأن يعطى كل واحد منهما بدرة، فأسلما من فورهما فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع، وأن يوقفا تحت الحصن الذي فيه ياطس فينثر عليهما الدراهم والخلع، ومعهما الكتاب الذي كتب به ياطس معهما إلى

ذكر مقتل العباس بن المأمون

كان العباس بن المأمون مع عمه المعتصم في غزوة عمورية، وكان عفيف بن عنبسة قد نثمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون حين مات بطرسوس، ولامه على مبايعته عمه المعتصم، ولم يزل به حتى أجابه إلى القتال بعمه المعتصم وأخذ البيعة من الأمراء له، وجهز رجالاً يقال له الحارث السمرقندي وكان نديماً للعباس، فآخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن، واستوثق منهم وتقدم إليهم أنه يلي متى ما قتل بعضه، فليقتل كل واحد منهم من يقدر عليه من رؤوس أصحاب المعتصم؛ كالأنشين وأشناس وغيرهم من الكبار، فلما كانوا يدرّب الروم وهم قاصدون إلى أنقرة ومنها إلى عمورية، أشار عفيف على العباس أن يقتل عمه في هذا المصيق ويأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد، فقال العباس: إني أكره أن أعطل على الناس هذه الغزوة.

فلما فتحوا عمورية واشتغل الناس بالمغام أشار عليه أن يقتل، فوعده مضيق الدرب إذا رجعوا فلما رجعوا فطن المعتصم بالخبر فأمر بالاحتفاظ وقوة الحرس وأخذ بالحزم واجتهد في العزم، واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بجلبية، وأخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أسماهم له، فاستكرهم المعتصم واستدعى بابن أخيه العباس بن المأمون. فقيده وغضب عليه وأمانه ثم أظهر له أنه قد رضي عنه وعفا عنه، فأرسله من القيد وأطلق سراحه، فلما كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلس شرابه واستخلاه حتى سقاه واستحكه عن الذي كان قد دبره من الأمر، فشرح له القضية، وأنهى له القصة، فإذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي. فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً فذكرها له كما ذكرها أول مرة، فقال: إني كنت حرصاً على ذلك فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصدقك إياي في هذه القصة.

ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيده وسلم إلى الأنشين، وأمر بعفيف وبقية من ذكرهم من الأمراء فاحتيط عليهم وأحيط بهم، ثم أخذ في أنواع القنمات يقترحها لهم، فقتل كل واحد منهم بنوع من القنات، ومات العباس بن المأمون بمنج دنفن هناك، وكان سبب موته أنه جاع جوعاً شديداً، ثم جيء بأكل كثير فأكل وطلب الماء فنع منه حتى مات، وأمر المعتصم بلعنه على المنابر وسماه اللعين. وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود ونُفِث فيها عمورية كما تقدم.

وفيها توفي من الأعيان

■ بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا ذلك مبسوطاً. وعالده بن خلدش وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد. ومحمد بن سنان العزقي. وموسى بن إسماعيل

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل من أمل طبرستان يقال له ملازيار بن قارن بن واتندرمز، وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن

طاهر بن الحسين، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه، فبعث الخليفة من يتلقى الحمل إلى بعض البلاد فيقبضه منه ثم يدفعه إلى عبد الله بن طاهر ثم آل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم. وقد كان الملازيار هنا عن يكاتب بابك الخرمي ويعد النصر.

ويقال إن الذي قوى رأس الملازيار هو الأنشين ليعجز عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيؤليه المعتصم بلاد خراسان مكانه فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم في جيش كثيف فجرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير [تاريخه: ٨٠٩/١٠١٠]، وكان آخر ذلك أن أسر الملازيار وحمله إلى عبد الله بن طاهر، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأنشين فأقر بها فأرسله إلى المعتصم وما معه من أمواله التي اصطفت للخليفة، وهي أشياء كثيرة جداً، من الجواهر والذهب والياب. فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأنشين إليه فأنكرها، فأمر به فضرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد، وقتل عيون أصحابه وأتباعه.

وفيها تزوج الحسن بن الأنشين بالترجة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسامرا في جمادى، وكان عرساً عظيماً، ولله المعتصم بنفسه، حتى قيل إنهم كانوا يخضون لها العامة بالغالية.

وفيها خرج منكجور الأشروسي قرابة الأنشين بأرض أنزيرجان وخلع الطاعة، وذلك أن الأنشين كان قد استأبته على بلاد أنزيرجان حين فرغ من أمر بابك فظفر منكجور بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان، فاحتجبه لنفسه وأخفاه عن المعتصم، وظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن، وكاتب الخليفة في ذلك فكتب منكجور بكنبه في ذلك، وهم به ليقتله فانتع منه بأهل أردبيل. فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بفا الكبير فحاربه وأخذ بالأمان وجاء به إلى الخليفة.

وفيها مات

■ ياطس الرومي الذي كان نائباً على عمورية، حين فتحها المعتصم ونزل من حصنه على حكم المعتصم فأخذ معه أسيراً، فاعتقله بسامراء حتى توفي هذا العام وفي رمضان منها مات:

■ إبراهيم بن المهدي بن منصور عم المعتصم ويعرف بابن شكله، وقد كان أسود اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً.

قال ابن ماكولا [الإكمال: ٥١٨/١]: وكان يقال له التين يعني لسواده وقد كان ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه الرشيد مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية وأقام بها أربع سنين. وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين، ثم عاد إلى دمشق، وقد كان قد بلّبه أهل بغداد في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين كما ذكرنا وقد قتله الحسن بن سهل نائب بغداد، فهزم إبراهيم هذا، فقصده حميد الطوسي فهزم إبراهيم واختفى إبراهيم ببغداد حين قدمها المأمون مدة طويلة، ثم ظفر به المأمون فعفا عنه وأكرمه سنة عشر، فعفا عنه وأكرمه واستمر به في منزله التي كان عليها قبل ذلك.

وكانت مدة ولايته على بغداد ومعاملتها سنة واحد عشر شهراً وأثنى عشر يوماً، وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين، فمكث تخفياً ست سنين وأربعة أشهر وعشراً وكان الظفر به في ثالث عشر ربيع الأول من سنة عشر ومائتين وقد جرت له في اختفائه هذا أمور عجيبة يطول بسطها.

عليه عبد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة درهم، وأجرها على ذريته من بعده.

وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر بن الحسن استحسنه وقال: ما ينبغي لعقل بعث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن يُحَوِّج صاحبه إلى طلب المعاش. وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر.

وقال محمد بن وهب السعدي: سمعت أبا عبيد يقول: مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة.

وقال هلال بن العلاء الرقي: من الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة: الشافعي تفقه في الحديث، وأحمد بن حنبل ثبت في الحنفية. ويحيى بن معين في نفي الكذب عن الحديث، وأبي عبيد في تفسير غريب الحديث. ولولا ذلك لاحتجم الناس في الخطأ.

وذكر ابن خلكان أن أبا عبيد ولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، وذكر له من العبادة والاجتهاد شيئاً كثيراً.

وقد روى العربية عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وابن الأعرابي، والفراء والكسائي وغيرهم.

قال إسحاق بن راهويه: نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا.

وقدم بغداد وسمع الناس منه من تصانيفه.

وقال إبراهيم الحريزي: كان كأنه جبل نفع فيه روح، يحسن كل شيء.

وقال أحمد بن كامل القاضي: كان أبو عبيد فاضلاً ديناً وراثياً عالماً متقناً

في أصناف علوم الإسلام: من القرآن والفقه والعربية الأخبار حسن الرواية صحيح النقل، لا أعلم أحداً طعن عليه في شيء من علمه وكتبه.

وله كتاب الأموال وكتاب فضائل القرآن ومعانيه، وغير ذلك من الكتب المتتبع بها رحمه الله.

توفي في هذه السنة قاله البخاري. وقيل في التي قبلها بمكة، وقيل بالمدينة وله سبع وستون سنة رحمه الله. وقيل جاوز السبعين فإله أعلم.

و■ محمد بن عثمان أبو الجماهر الدمشقي الكفرسوسي أحد مشايخ الحديث.

و■ محمد بن الفضل أبو النعمان السلمي الملقب بعمار شيخ البخاري

ومحمد بن عيسى بن الطباع. ويؤيد بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخها في زمانه.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

فيها دخل بفا الكبير ومعه منكبور قد أعطى الطاعة بالأمان.

وفيها عزل المتصم جعفر بن بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى اليمن أيتاخ.

وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالزيارة فدخل بغداد على بغل بإكاف

لخمس خلون من ذي القعدة فضره المتصم بين يديه أربعمائة وخمسين

سوطاً ثم سقى الماء حتى مات، وأمر بصلبه إلى جنب بابك الخرمي، وأمر

في ضربه أن الأثنين كان يكتابه ويمسح له خلع الطاعة، فنضب المتصم

وأمر بسجته، فبنى له مكان كالنار من دار الخلافة يسمى الكوة، إنما يسعه فقط وذلك حين تحقق الخليفة أنه كان يريد مخالفته والخروج عليه، وأنه

يعزب على الذهاب لبلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله، وعقد له المتصم مجلساً فيه قاضيه أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي، ووزير محمد بن عبد الملك بن الزيات، ونائب إسحاق

قال الخطيب البغدادي: كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف، وكان معروفاً بصناعة الغناء، حاذقاً بها وذكر الخطيب قل المال على إبراهيم بن المهدي في أيام خلافة بيكداد فبالغ الأعراب عليه في أخذ أعطياتهم فجعل يسوف بهم. ثم خرج إليهم رسوله يقول: إنه لا مال عنده اليوم، فقال بعضهم: فليخرج الخليفة إلينا فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات. فقال في ذلك دعيل بن علي شاعر المأمون يذم إبراهيم بن المهدي في ذلك:

يا معشر الأعراب لا تغفلوا خلوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف يعطيكم حنينة لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعديبات لقوادكم وما بهذا أحد يغبط
فهكذا يرزق أصحابه خليفة مصغفه البربط

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء: ولي الأثر حكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى، وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو، كما جعل كل ذي ذنب دونه، فإن عفا بفضله وإن عاقب بفحقه.

فوقع المأمون في جواب ذلك. القدرة تذهب الحفيظة وكفى بالندم إثابة وعفو الله أوسع من كل شيء.

ولما دخل إبراهيم عليه أنشأ يقول:

إن أكن مذنباً فخطي أخطأت فدع عنك كثرة التائب
قل كما قال يوسف لبني يعقرب ب ما أتسوء: لا تشرب

فقال المأمون: لا تتريب.

وروى الخطيب البغدادي أن إبراهيم بن المهدي لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤذنه على ما فعل فقال: يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو

جذلک وقد أتى برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر بقتله فقال مبارك بن فضالة:

يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحدثك حديثاً، فقال: قل.

فقال: حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش: ألا ليقم

العائون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم الأجزاء، فلا يقوم إلا من عفا فقال المأمون: قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عم وقد ذكرنا في

سنة أربع ومائتين زيادة على هذا. وكانت أشعاره جيدة بلغة ساعه الله وقد ساق من ذلك ابن عساکر في تاريخه (١٩٠/٧) أشياء حسنة كثيرة.

كان مولد إبراهيم بن المهدي هذا في مستهل ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائة، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة رحمه الله.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً

■ سعيد بن أبي مرهم المصري. ومسلمان بن حرب وأبو معمر المقعد.

و■ علي بن محمد المدائني الأخياري أحد أئمة هذا الشأن في زمانه.

و■ عمرو بن مزروق شيخ البخاري. وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأة.

و■ أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن والأخبار وأيام الناس، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين

العلماء، حتى يقال: إن الإمام أحمد كتب كتابه في الغريب بيده، ولما وقف

ثم دخلت سنة ست وعشرون ومائتين

في شعبان منها توفي الأفيين في الحبس فأمر به المعتصم فصلب ثم أحرق وذري رماده في دجلة واحتيط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصناماً مكحلة بذهب وجواهر، وكتباً في فضل دين الجوس وأشياء كثيرة كان يتهم بها، تدل على كفره وزندقته، ويتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانتماء إلى دين آباءه الجوس لعنهم الله.

وفيها توفي:

محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين.

وحج بالناس فيها محمد بن داود.

وفيها توفي من سادات المحدثين

إسحاق القروي. وإسماعيل بن أبي أوس. سُند بن داود صاحب التفسير. وغسان بن الربيع. ويحيى بن يحيى التميمي شيخ مسلم بن الحجاج.

و■ أبو دلف العجلي: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم الأمير أبو دلف العجلي أحد قواد المأمون والمعتصم وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماکولا، صاحب كتاب الإكمال.

وكان القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق يزعم أنه من سلالة ويذكر نسبه إليه، وكان أبو دلف هذا كريماً جواداً معطاءً مدحاً، قد قصده الشعراء من كل أوب وكان أبو تمام الطائي من جملة من يشناه ويستمنح نداءه، وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء، وصنف كتباً منها سياسة الملوك، ومنها في الصيد والبراة. وفي السلاح وغير ذلك. وما أحسن ما قال فيه بكر بن الطاح الشاعر:

يا طالباً للكيماه وعلمه مدح ابن عيسى الكيماه الأعظم
لو لم يكن فنى الأرض إلا درهم ومدحته لأنك ذاك الدرهم

فيقال: إنه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم. وكان شجاعاً فاتكاً ومعطاء لا يمل من العطاء، وكان يستلني على ذمته ويعطي، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرج فمات ولم يتمها فأتها أبو دلف هذا، وكان فيه تشيع. وكان يقول: من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زنى. فقال له ابنه دلف: لست على مذهبك يا أبة. فقال: والله لقد وطئت أمك قبل أن استبرئها، فهذا من ذاك.

وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن آتياً أتاه فقال: أجب الأميراً قال: فقممت معه فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء الحيطان مقلعة السقوف والأبواب. ثم أصدعني في درج منها ثم أدخلني غرفة في جيطانها أثر النيران، وفي أرضها أثر الرماد، وإذا بلي في فيها وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستهضم: دلف؟ فقلت دلف. فأنشأ يقول:

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم ما لقينا في البرزخ الخناق
قد سنلنا عن كل ما قد فعلنا فارحموا وحشي وما قد الاتي

ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم!

بن إبراهيم بن مصعب، فاتهم الأفيين في هذا المجلس بأشياء تدل على أنه باق على دين أجداده من الفرس. منها أنه غير غتخت فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك فقال له الوزير وهو الذي كان ينظره من بين القوم فأتت تطاعن بالرماح في الحروب ولا تخاف من طعننا وتخاف من قطع قلقة ببدنك؟ ومنها أنه ضرب رجلين إماماً ومؤذناً كل واحد ألف سوط لأنهما هدما بيت أصنام فالتفذه مسجداً. أنه عنده كتاب كليله وفيه الكفر وهو على الجواهر والذهب، فاعتذر أنه ورثه من آباءه واتهم بأن الأعاجم يكتابونه فتقول: إلى إله الأله من عبده وأنه يقرهم على ذلك. فجعل يعتذر بأنه أجراهم على ما كانوا يكتابونه به أباه وأجداده، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضع عندهم فقال له الوزير: ويحك فماذا أبقيت لفرعون حين قال أنا ربكم الأعلى؟ وأنه كان يكتاب المزاربان يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينصر دين الجوس الذي كان قديماً ويظهره على دين العرب، والمغاربة والأتراك وأنه كان يستطيع المنخقة على المنبوحة، وأنه كان في كل يوم أربعاء يستدعي بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ويمشي بينهما ثم يأكلهما، فعند ذلك أمر المعتصم بغ الكبير أن يسجنه مهاناً ذليلاً فجعل يقول: إني كنت أتوقع منكم ذلك.

وفي هذه السنة حل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشتاس إلى سامرا.

وحج بالناس فيها محمد بن داود.

وفيها توفي من الأعيان

أصبغ بن الفرج، وسعدويه، ومحمد بن سلام الليكندي شيخ البخاري، وأبو عمرو الجرمي. وأبو عمرو الحارضي وأبو دلف العجلي التميمي الأمير أحد الأجواد.

و■ سعيد بن مسعدة: أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن، وكتاب الأروسط في النحو وغير ذلك، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الحجب على الخليل.

وسمي الأخفش لصغر عينيه وضعف بصره، وكان أيضاً أبلج، وهو الذي لا تنضم شفاته على أسنانه، كان أولاً يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد المجري، شيخ سيبويه وأبي عبيدة، فلما ظهر علي بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط، والمجري الأكبر، وعلي بن سليمان الأصغر.

قال القاضي ابن خلكان: وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين.

■ الجرمي النحوي: وهو صالح بن إسحاق البصري، قدم بغداد وناظر بها الفراء، وكان قد أخذ النحو عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتباً منها الفرخ يعني فرخ كتاب سيبويه وكان فقيهاً فاضلاً نحوياً بارعاً عالماً باللغة حافظاً لها، دينا ورعاً حسن المذهب، صحيح الاعتقاد وروى الحديث. قاله كله ابن خلكان وروى عنه المبرد، وذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان.

أن تجعل الموت راحة منه؟ والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب بعدها. فتركوه فكان أمياً، وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة.

وقد أسند الخطيب البغدادي من طريقه عن أبياته حديثين منكرين أحدهما في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء. والثاني في النهي عن الحجابة يوم الخميس.

وذكر بسنده عن المعتصم أن ملك الروم كتب إليه كتاباً يهدده فيه فقال للكتّاب: اكتب قد قرأت كتابك وسمعت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع، «وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار».

قال الخطيب: غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فأنكى نكاية عظيمة في العدو، نصب على عمورية المجانيق وأقام عليها حتى فتحها ودخلها فقتل ثلاثين ألفاً وسعى مثلهم، وكان في سببه ستون بطريقاً، وطرح النار في عمورية في سائر نواحيها فأحرقها وجاء بابها إلى العراق وهو باقى حتى الآن منصوب على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر.

وروي عن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أنه قال: ربما أخرج المعتصم ساعده إلى وقال لي: عض يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه، فاقول إنه لا تطيب نفسي يا أمير المؤمنين أن أعرض ساعدك، فيقول: إنه لا يضرنني. فأكدم بكل ما أقدر عليه فلا يؤثر ذلك في يده.

قال: ومر يوماً في خلافة أخيه بمخيم الجند فإذا امرأة تقول: ابني ابني، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ابني أخذني صاحب هذه الخيمة. فجاء إليه المعتصم فقال له: أطلق هذا الصبي، فامتنع عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ثم أرسله فسقط ميتاً وأمر بإخراجه الصبي إلى أمه.

ولما ولي الخلافة كان شهماً في إياه وله همة عالية في العرب ومهابة عظيمة في القلوب.

وقال بعضهم: وإنما كانت همته في الحرب لا في البناء ولا في غيره. وقال القاضي أحمد بن أبي دؤاد: تصلق المعتصم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم.

وقال غيره: كان المعتصم إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: دخلت يوماً على المعتصم وعنده قبة له تغنيه فقال لي: كيف تراها؟ فقلت: يا أمير المؤمنين: أراها تقهره بجلق وتحتله برفق، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه، وفي صوتها قطع شنور، أحسن من نظم الدر على النحور. فقال: والله لصفقت لها أحسن منها ومن غنائها، ثم قال لابنه هارون الوائلي عهده من بعده: اسمع هذا الكلام.

وقد استخدم المعتصم من الأتراك خلقاً عظيماً كان له من الممالك الترك قريب من عشرين ألفاً، وهم له من آلات الحرب والدواب ما لم ينقص لغيره. ولما حضرته الوفاة جعل يقول: «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون» [الأنعام: ٤٤]. وقال: لو علمت أن عمري قصير ما فعلت ما فعلت وقال: إني أخذت من بين هذا الخلق، وجعل يقول: ذهبت الحيل ليست حيلة.

وروي عنه أنه قال في مرض موته: اللهم إنسي أخفاك من قبلي ولا أخافك من قبلك، وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي.

وكانت وفاته بسر من رأى في يوم الخميس ضحى لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة أعني سنة سبع وعشرين ومائتين وكان

فلو أننا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة لكل حي ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء ثم قال: أفهمت؟ قلت: نعم. وانتهت.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل من أهل الثغور بالشام يقال له أبو حرب المبرقع اليماني، فخلع الطاعة ودعا إلى نفسه. وكان سبب خروجه أن رجلاً من الجند أراد أن يتزل في منزله وذلك في غيبة أبي حرب فامتعه المرأة فضر بها الجندي في يدها فأنثرت الضربة في معصمها فلما جاء بعلمها أبو حرب أخبرته فذهب إلى الجندي وهو غافل فضره فقتله ثم تحصن في رؤوس الجبال وهو مبرقع، فإذا جاءه أحد دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذم من السلطان، فاتبعه على ذلك خلق كثير من الحرايين وغيرهم، وقالوا: هذا هو السفاني المذكور أنه يملك الشام، واستنحل أمره جداً، واتبعه نحو من مائة ألف مقاتل، فنقذ إليه الخليفة المعتصم وهو في مرض موته جيشاً نحواً من ألف مقاتل، فلما قدم أمير المعتصم بمن معه وجد أمة كثيرة، قد اجتمعوا حوله، فخشى أن يتأخره والحالة هذه، فانتظر حتى جاء وقت حرث الأراضي فتصرم عنه الناس إلى أراضيهم، وبقي في شردمة قليلة من أصحابه فتأهضه فأمره جيش الخليفة وتفرق عنه أصحابه، وحمله أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قدم به على المعتصم، فلامه المعتصم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام، فاعتذر بأنه كان معه مائة ألف أو يزيدون فلم يزل يطاوله حتى أمكن الله منه، فشكره على ذلك وقد ذكر قصته مبسطة الحافظ ابن عساكر في ترجمته من الكنى.

ذكر وفاة المعتصم

وفي يوم الخميس - لساعتين مضتا من - الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور.

وهذه ترجمة الخليفة المعتصم: هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن أمير المؤمنين المهدي بن علي بن عبد الله بن العباس يقال له المثنى لوجوه منها أنه ثامن ولد العباس، وأنه ثامن الخلفاء من ذريته، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات، بلاد بابل على يد الأفشين، وعمورية بنفسه، والزط بمجيب، وبحر البصرة، وقلعة الأجراف، وأعراب ديار ربيعة، والشارك، وفتح مصر بعد عصيانها، وقتل ثمانية أعداء، بابل، ومازيار، وباطس الرومي، والأفشين، وعجيفاً، وقارن، وقائد الرافضة، ومنها أنه أقام في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام. وقيل ويومين، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة، ومنها أنه خلف ثمانية بنين وثمان بنات، ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان مائة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون.

قالوا: وكان أمياً لا يحسن الكتابة، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلام فمات الغلام فقال له أبوه الرشيد: ما فعل غلامك؟ قال: مات فاستراح من الكتاب، فقال الرشيد: وقد بلغ منك كراهة الكتاب إلى

ولم يزوج لكان قد تم أمره وفي رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله. وقال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلاً، ولا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة لمسلم، وكان في كل شجرة منه عقل. ولو تم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء. وذكر غير واحد أن بشراً كان شاطراً في بده أمره، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أنون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال: سيدي اسمك مهنا ملقى بidas! ثم ذهب إلى عطار فاشترى ب درهم غالية وضمخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تنال، فأحى الله قلبه وألمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة.

ومن كلامه: من أحب الدنيا فليتها للذل. وكان بشر يأكل الحبز وحده قليل له: بماذا تأدم؟ فقال: أذكر العافية فأجعلها أداماً. وكان لا يلبس نعل بل يمشي حافياً، طرقت يوماً باباً، فقيل من؟ فقال: بشر الحافي. فقالت جارية صغيرة: أما وجد هذا دانتين يشتري بهما ويستريح من هذا الاسم.

قالوا: وكان سبب تركه النمل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراكاً لنعله فقال له: ما أكثر كلفنكم يا فقراء على الناس؟ فطرح النمل من يده وخلع الأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعل أبداً. قال ابن خلكان: وكانت وفاته يوم عاشوراء وقيل في رمضان ببغداد وقيل بمرو.

قلت الصحيح ببغداد في هذه السنة، وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم.

وحيث مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم، فأخرج من بعد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة. وكان علي بن المديني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

وروي أن الجن كانت تتوح عليه في بيته الذي كان يسكنه. وأنه رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي ولكل من شهد جنازتي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة.

وذكر الخطيب البغدادي أنه كان له أخوات ثلاث وهن: غنة، ومضعة، وزيدة. وكلهن عابدات زاهدات مثله وأشد ورعاً أيضاً. ذهبت إحداهن فاستأذنت على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقالت: إني ربما طفق السراج وأنا أغزل فإذا كان ضوء القمر غزلت فيه، فعلي عند البيع أن أميز هنا من هنا؟ فقال: إن كان بينهما فرق فأعلمي به المشتري.

وقالت له مرة إحداهن: ربما تمر بنا مشاعر بني طاهر في الليل وغن نغزل فنغزل الطاق والطاقين والطاقات فخلصني من ذلك. فأمرها أن تصدق بذلك الغزل كله لما أشبه عليها من معرفة ذلك المقدار.

وسأله عن أنثى المريض أفيه شكوى. قال لا: إنما هو شكوى إلى الله عز وجل. ثم خرجت فقال لابنه عبد الله: يا بني اذهب خلفها فأعلم لي من هذه المرأة؟ قال عبد الله: فذهبت وراءها فإذا هي قد دخلت دار بشر الحافي، وإذا هي أخته.

وروي الخطيب البغدادي أيضاً عن زينة قالت: جاء، ليلة أخي بشر فدخل برجله في الدار وبقيت الأخرى خارج الدار، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح، فقلت له: قيم تفكرت ليلتك؟ فقال: تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي واسمي بشر، فقلت: ما الذي سبق منك حتى خضك بالإسلام من بينهم؟ فتفكرت في تفعله

مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة، وولي الخلافة في رجب سنة ثمانين ومائتين، وكان المعتصم أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً ومشرب اللون أمه أم ولد اسمها ماردة، وهو أحد أولاد ستة من أولاد الرشيد، كل منهم اسمه محمد، وهم أبو إسحاق محمد المعتصم، وأبو العباس الأمين، وأبو عيسى، وأبو أحمد، وأبو يعقوب، وأبو أيوب قاله، هشام بن الكلبي.

وقد ولي الخلافة بعده ولده هارون الواثق.

وقد ذكر ابن جرير [رحمته: ١٩/٩] أن وزيره محمد بن الملك عبد بن الزيات رثاه فقال:

قد قلت إذ غيورك واصطفقت عليك أيدي السراب والطين
أذهب فتم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين
لا جبر الله أمة فقدت مثلك إلا بمثل هارون
وقال مروان بن أبي الجنوب، وهو ابن أبي حفصة:

أبو إسحاق مات ضحى فمتنا وأسمينا بهارون حينما
لئن جاء الخميس بما كرهنا لقد جاء الخميس بما هورنا

خلافة الواثق هارون بن المعتصم

بويغ له بالخلافة قبل أن مات أبوه المعتصم يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة أعني سنة سبع وعشرين ومائتين ويكنى بأبي جعفر، وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس، وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فماتت بالحرّة، ودفت بالكوفة في دار داود بن عيسى، وذلك لأربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة، وكان الذي أقام للناس الحج في هذه السنة جعفر بن المعتصم.

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير

ملك الروم

■ توفيل بن ميخائيل، وكانت مدة ملكه ثنتي عشرة سنة، فملك الروم بعده امرأته تلورة. وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً. وفيها توفي:

■ بشر الحافي الزاهد المشهور: وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي، نزيل بغداد.

قال ابن خلكان: وكان اسم جده عبد الله بعبور، أسلم على يدي علي بن أبي طالب.

قلت: وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة، وسمع بها شيئاً كثيراً من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك، وإسبن مهدي، ومالك، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم.

وعنه جماعة منهم أبو خيثمة، وزهير بن حرب، وسري السقطي، والعباس بن عبد العظيم ومحمد بن حاتم.

قال محمد بن سعيد: سمع بشر كثيراً ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يتحدث. وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه.

قال الإمام أحمد يوم بلغه موته: لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس،

وكان فظناً فهماً، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فاجداً، وشاع ذكره وسار شعره وبلغ المعصم خبره فحمله إليه وهو بسر من رأى، فعمل فيه قصائد فاجازاه المعصم فقدم على شعراء وقته، قدم بغداد فجالس الأديباء وعاشر العلماء، وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره أخباراً يستند.

قال ابن خلكان: كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك، وكان يقال: في طيئ ثلاثة: حاتم في كرمه، وداود الطائي في زهده، وأبو تمام في شعره.

قلت: وقد كان الشعراء في زمانه جماعة فمن مشاهيرهم أبو الشيص ودعبل بن علي، وابن أبي قيس، وقد كان أبو تمام من خيارهم ديناً وأديباً وأخلاقاً، ومن رقيق شعره قوله:

يا حليف الندى ويا معدن الجود ويا خير من جوت القريضا
ليت حُماك بي وكان لك الأجـر ر فلا تشكي وكنت المريضا

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة ثمان وعشرين وميتين وكذا قال ابن جرير، وحكي عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين فإله أعلم.

وكانت وفاته بالوصل، وبنيت على قبره، وقُبره وحلى الصولي عن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أنه قال يريته:

نبا أتى من أعظم الأنباء لسا ألم مقلقل الأحناء
قالوا حبيب قد نوى فاجتبه ناشدتك لا تجعلوه الطائي
وقال غيره:

فجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضها حبيب الطائي
ماتاً معاً فتجاورا في حفرة وكذلك كنا قبل في الأحياء

وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم.

قال القاضي ابن خلكان: وقد امتدح أحمد بن المعتصم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها:

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إيـاس
فقال له بعض الحاضرين: أتقول هذا لأمر المؤمنين وهو أكبر قدراً من هؤلاء؟ فإنك ما زدت على أن شبهته بأجلال من العرب البوادي، فأطرق ساعة، ثم قال:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروفاً في الندى والباس
قاله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنيراس

قال: فلما أخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين، وإنما قالهما ارتجالاً. فقال بعضهم: لا يعيش هذا بعد هذا إلا قليلاً فكان كذلك.

وقيل إن الخليفة أعطاه الموصل لما مدحه بهذه القصيدة، فأقام بها أربعين يوماً ثم مات. وليس هذا بصحيح، ولا أصل له، وإن كان قد هج به بعض الناس كالزغشري وغيره، وقد أورد له ابن عساكر أشياء مستظرفة من شعره الرائق ونظمه الفائق، فمن ذلك قوله:

ولو كانت الأزواق تجري على الحيجا هلكن إذا من جهلهن البهائم
ولم يمتنع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف اسرئ والدراهم
ومنه قوله:

علي وحدته على أن جعلني من خاصته، والبسني لباس أحيابه. وقد ترجمه الخافظ ابن عساكر فاطنب وأطيب وأطال من غير ملال، وقد ذكر له أشعاراً حسنة، وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات:

تعاف القذى في الماء لا تستطيعه وتكرح من حوض الذنوب فتشرب
وتؤثر من كل الطعام السوء ولا تذكر المختار من أين يكسب
وترقد يا مسكين فوق غمارق وفي حشوها نار عليك تلهب
فحتى متى لا تستفيق جهالة وأنت ابن سبعين بلديك تلعب
ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد بن عبد الله بن يونس البربوعي، وإسماعيل بن عمرو البجلي، وسعيد بن منصور صاحب السنن المشهورة التي لا يشاركه في مثلها إلا القليل. ومحمد بن الصباح الدولابي، وله سنن أيضاً، وأبو الوليد الطيالسي، وأبو الهذيل العلاف المتكلم المعتزلي، والله أعلم

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

في رمضان منها خلق الخليفة الواثق على أئتناس الأمير، وتوجه وألبه وشاحين من جوهر.

وحج بالناس فيها محمد بن داود الأمير، وغلا السعر على الناس في طريق مكة جداً، وأصابهم حر شديد وهم بعرفة، ثم أعقبه برد شديد ومطر عظيم، كل ذلك في ساعة واحدة، ونزل عليهم وهم بمنى مطر لم ير مثله، وسقطت قطعة من الجبل عند جرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج.

قال ابن جرير [تاريخه: ١٢٤/٩]: وفيها مات
■ أبو الحسن المدائني أحد أئمة هذا الشأن في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

■ وحبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر.
قلت: أما أبو الحسن علي بن محمد المدائني أحد أئمة هذا الشأن، وإمام الأخباريين في زمانه، وقد قلنا ذكر وفاته قبل هذه السنة والله أعلم.
أما

■ أبو تمام الطائي الشاعر: صاحب الحماسة التي جمعها في فصل الشتاء بهمدان في دار وزيرها. فهو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مزيان بن سَهْم بن خُلجان بن مروان بن دقانة بن مَرُ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الحارث بن طييء - وهو جُلهمَة - بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، أبو تمام الطائي الشاعر الأديب المشهور.

ونقل الخطيب عن محمد بن يحيى الصولي أنه حكي عن بعض الناس أنهم قالوا: أبو تمام حبيب بن تدرس النصراني، فسماه أبوه حبيب أوساً بدل تدرس

قال ابن خلكان: وأصله من قرية جاسم من عمل الجلود بالقرب من طبرية، وكان بدمشق يعمل عند حائك، ثم سار به إلى مصر في شبثية. وابن خلكان أخذ ذلك عن تاريخ [١٦/١٢] الخافظ ابن عساكر، وقد ترجم أبا تمام ترجمة حسنة.

وقال الخطيب البغدادي: وهو شامي الأصل، وكان بمصر في حياته يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جالس الأديباء فأخذ عنهم وتعلم منهم

إنما العاجز من لا يستبد

ثم بطش بالكتاب على إثر ذلك، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً. وفيها حج بالناس محمد بن داود وهو: أمير الحجيج في السنين الماضية.

وفيها توفي من الأعيان

■ خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء، وعبد الله بن محمد

المسندي

و■ نعيم بن حماد الخزازي أحد أئمة السنة بعد أن كان من أكابر الجهمية، وله المصنفات المشهورة في الفتن وغيرها ودينار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكنونة عنه أو منه، وهي عالية الإسناد إليه ولكنها موضوعة.

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الأرض فساداً، وأخافوا السبل، وأقاتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة وتلك المناطق والقرى، فبعث إليهم الوائى بغا الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان فقتل منهم خمسين فارساً وأسر مثلهم وانهزم بقيتهم، فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين، فاجتمع إليه منهم خلق كثير، فدخل بهم المدينة وسجن رؤوسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق. وفيها حج بالناس محمد بن دواد المتقدم.

وفي هذه السنة توفي

■ عبد الله بن طاهر بن الحسين: نائب خراسان وما والاها من البلدان. وكان خراج ما تحت يده في كل سنة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم، فولى الوائى مكانه ابنه طاهراً. وكانت وفاة عبد الله بن طاهر بعد موت اشناس التركي تسعة أيام، وذلك يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وقد حكى القاضي ابن خلكان: أنه توفي سنة ثمان وعشرين بمرو، وقيل بيسابور، وكان كرمياً جواداً عديمًا، وله شعر حسن، قال: أورد له منه وقد ولي نيابة مصر بعد العشرين ومائتين. وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربي أن البطيخ العبدلوي الذي بمصر منسوب إلى عبد الله بن طاهر هذا.

قال القاضي ابن خلكان: إما إنه كان يستطيعه، أو لأنه أول من زرعه هناك والله أعلم.

ومن جيد شعره:

اغضز زلني تحرز فضل الشكر مني ولا يفوتك أجري
لا تكسني إلى التوسل بالعدو رلعي أن لا أقوم بعذري
ومن شعره أيضاً قوله:

نحن قوم تلتينا الحق النجل على أننا نلن الحديد

وما أنا بالخيران من دون غرسه إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم
طيب فزادي مذ ثلاثين حجة ومنصب همي والمفرج للغم

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو نصر التمار، والقشي، وأبو الجهم، ومسدد، وداود بن عمر الضبي، ويحيى بن عبد الحميد الحماني.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

في هذه السنة أمر الوائى بالله بضرب الدواوين واستخلاص الأموال منهم، لظهور خياناتهم وإسرافهم في أمورهم، فمنهم من ضرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار، ودون ذلك وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاية الشرط بالعناوة فكشفوا وجسوا وقلعوا شراً عظيماً، وجهداً جهيداً، وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم، وأقيموا للناس وانفضحوا هم والدواوين فضيحة بليغة، وكان سبب ذلك أن الوائى جلس ليلة في دار الخلافة فُسّر عنده، فقال: هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة جدي الرشيد للبرامكة؟ فقال بعض الحاضرين: نعم يا أمير المؤمنين: سبب ذلك أن الرشيد عرضت عليه جارية فأعجبها جمالها فساوم سيدها فيها فقال: يا أمير المؤمنين إنني أقسمت بكل بين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار، فاشترأها منه بها وبعث إلى يحيى بن خالد الوزير ليعبث بها إليه من بيت المال، فاعتل بأنها ليست عنده، فأرسل الرشيد إليه يؤذنه ويقول: أليس في بيت مالي مائة ألف دينار؟ وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد: أرسلوها إليه دراهم ليستكثر ذلك ولعله يرد الجارية، فبعثوا بمائة ألف دينار دراهم ووضعوها في طريق الرشيد وهو خارج إلى الصلاة، فلما اجتاز بها رأى كوماً من دراهم، فقال: ما هذا؟ قالوا: ثمن الجارية، فاستكثر ذلك وأمر بخزنها عند بعض خدمه في دار الخلافة، وأصبح جمع المال في حواصله، ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فإذا البرامكة قد استهلكوها، فغضب عليهم بأخذهم تارة ويحجم أخرى، حتى إذا كان في بعض الليالي سمر عنده رجل يقال له أبو العود فأطلق له ثلاثين ألفاً من الدراهم، فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فمأطله مدة طويلة، فلما كان في بعض الليالي في السمر عرض أبو العود بذلك للرشيد بقول عمر بن أبي ربيعة:

وعدت هند وما كانت تعد ليت هند أنجزنا ما تعد
واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد
فجعل الرشيد يكرر قوله:

إنما العاجز من لا يستبد

ويعجبه ذلك. فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما، ففهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك للرشيد؟ فقبل له: أبو العود. فبعث إليه فأنجز له الثلاثين ألفاً وأعطاه من عنده عشرين ألفاً، وكذلك ولداه الفضل وجعفر، فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة، وكان من أمره وأمرهم ما كان.

فلما سمع ذلك كله الوائى أعجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر:

طوع أيدي الظباء تقتادنا العبد
ن وتقتاد بالطعان الأسود
نملك الصيد ثم نملكنا اليد
نض المصونات أعيناً وخدودنا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى
سخط الخشف حين ييدي الصدودنا
فتراننا يوم الكريهة أحرا
را وفي السلم للغواني عييدا

قال ابن خلكان: وكان خزاعياً من موالي طلحة الطلحات الخزاعي، وقد كان أبو تمام مدحه، فدخل عليه مرة فاعتاقه الثلج بهمدان فصنف له كتاب الحماسة عند بعض رؤسائها، وروى له المحافظ ابن عساكر. ولما ولاه المأمون نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بما في ديار مصر من الخواص فحمل إليه وهو في أثناء الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار، ففرقها كلها في مجلس واحد، وأنه لما واجه مصر نظر إليها فاحتقرها وقال: قبح الله فرعون، ما كان أخسه وأضعف همة حين ملك هذه القرية، وقال: أنا ربكم الأعلى.

ومن توفي فيها:

■ علي بن الجعد الجوهري. ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وله كتاب الطبقات وغيره. من المصنفات. وسعيد بن محمد الجرمي رضي الله عنهم أجمعين.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

فيها وقعت مفاداة من المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على يدي الأمير خاقان الخادم، وذلك في الحرم من هذه السنة، وكان عدة الأسارى الذين استعبدوا من أيدي الكفار أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين أسيراً ولله الحمد والمنة.

وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه.

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وجدته مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة في الناس إلى دولة بني العباس وكانت له وجهة ورياسة وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث، وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد كما قدمنا بسط ذلك. وبه تعرف سوقة نصر ببغداد.

وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير، وكان من أئمة السنة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وكان هارون الوائقي من أشد الناس في القول بخلق القرآن، يدعو إليه ليلا ونهاراً سراً وجهاراً، اعتماداً على ما كان أبوه المتصم قبله وعنه المأمون عليه، من غير دليل ولا برهان، ولا حجة ولا بيان، ولا سنة ولا قرآن.

فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها. فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد، والتف عليه من الألواف أعداد، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي، طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليه من الخلائق ألوف كثيرة، وجماعات غزيرة، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على السلطان لبدعته

ودعوته إلى القول بخلق القرآن، ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان وهي ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه، وأتفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس، وكانا يتعاطيان الشراب، فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدوا أن تلك الليلة هي ليلة الورد، وكان ذلك قبله بليلة، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس، فلم يجر أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب، وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم، لغيتة عن بغداد، فأصبح الناس متخبطين، واجتهد نائب السلطنة على إحصار ذلك الرجلين فأحضرهما فعاقبهما فأقاراً على أحمد بن نصر في الحال فطلبه وأخذ خادماً له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان، فجمع جماعة من رؤوس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى، وذلك آخر يوم من شعبان من هذه السنة فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن إبي ذؤاد المعتزلي، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الوائقي لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعة العامة له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره، بل أعرض عن ذلك كله وقال له: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله. وكان أحمد بن نصر قد استنقل وحضر وقد تحنط وتنور وشد على عورته ما سترها فقال له: فما تقول في ربك، أترأه يوم القيامة؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [البقرة: ٢٢ - ٢٣] وقال رسول الله ﷺ: «إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» [ز: ٥٥٤]، ﴿٢٣﴾، فتحن على الخبر.

زاد الخطيب قال الوائقي: وبحسبك: أيرى كما يرى المحدود المتجسم؟ ويجريه مكان ويحصره الناطق؟ أنا أكثر برب هذه صفته.

قلت: وهذا الذي قاله الخليفة الوائقي لا يرد ولا يلزم ولا يؤدّ به مثل هذا الخبر الصحيح والله أعلم.

ثم قال أحمد بن نصر الخزاعي للوائقي: وحديثي سفيان بحديث يرفعه: «إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء» وكان النبي ﷺ يقول: «ما مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقال له إسحاق بن إبراهيم: ويلك، انظر ما تقول. فقال: أنت أمرتني بذلك. فأشغف إسحاق من ذلك وقال: أنا أمرتك بذلك؟ قال نعم، أنت أمرتني أن أنصح له. فقال الوائقي لمن حوله: ما تقولون في هذا الرجل؟ فأكثروا القول فيه.

فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضياً على الجانب الغربي فعزل وكان مواداً لأحمد بن نصر قبل ذلك: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم.

وقال أبو عبد الله الأرمي صاحب أحمد بن أبي ذؤاد: اسقني دمه ما أمير المؤمنين. فقال الوائقي: يأتي على ما تريد.

وقال القاضي أحمد بن أبي ذؤاد: يا أمير المؤمنين هو كافر يستتاب لعل به عامة أو نقص عقل فقال الوائقي: إذا رأتهموني قمت إليه فلا يقوم أحد معي، فإني أحسب خطأي. ثم نهض إليه بالصمصامة وقد كانت سيفاً لعمرو بن معديكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صفيحة موصولة في أسفلها مسمومة بثلاثة مسامير فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بجبل قد أوقف على نطح، ثم ضربه أخرى

وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المتعصم وعمه المأمون فإنهم أسأوا إلى أهل السنة وقرّبوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم، فأمره أن ينزل جثة أحمد بن نصر ويدفنه ففعل.

وقد كان المتوكل يكرم الإمام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً كما سيأتي بيانه في موضعه.

والمقصود أن عبد العزيز الكناني قال للمتوكل: يا أمير المؤمنين رثي أعجب من أمر الواثق، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن. فوجل المتوكل من كلامه وسأه ما سمع في أخيه الواثق، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل: في قلبي من قتل أحمد بن نصر. فقال: يا أمير المؤمنين أحرقتي الله بالنار إن قتل أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً ودخل عليه هرمة فقال له في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين قطعني الله إرباً إرباً إن قتل الواثق إلا كافراً.

ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي داود فقال له مثل ذلك فقال: ضربني الله بالفالج إن قتل الواثق إلا كافراً. قال المتوكل: فأما ابن الزيات فأنا أحرقت بالنار، وأما هرمة فإنه هرب وتبثّى فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحي فقال: يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه. فقطعه إرباً إرباً. وأما ابن أبي داود فقد سجنه الله في جلده يعني بالفالج ضربه الله به قبل موته بأربع سنين، وصودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتي بيان ذلك في موضعه.

وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أحمد بن نصر قال: سألت سفیان بن عيينة: «القلوب بين إصبعين من أصابع الله، وإن الله يضحك من يذكره في الأسواق». فقال: أروها كما جاءت بلا كيف.

وفي هذه السنة كان الواثق قد عزم على الحج واستعد لذلك فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عامثاً.

وفيها تولى جعفر بن دينار نيابة اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس.

وفيها عدا قوم من العامة على بيت المال فأخذوا منه شيئاً من الذهب والفضة، فأخذوا وسجنوا.

وفيها ظهر خارجي ببلاد ربيعة فقاتله نائب الموصل فكسره وانهزم بقية أصحابه.

وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من الأكراد نحو من خمسمائة في القيد، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوا، فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة وسبعين ألف دينار، وخلع عليه خلعة سنية.

وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تمّ الصلح والمقادة بينه وبين الروم، وقدم معه جماعة من رؤوس أهل الشفور، فأمر الواثق بامتحانهم في القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة.

وأمر الواثق أيضاً بامتحان الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودي وإلا ترك في أيدي الكفار وهذه بدعة صلحاء شتاء عمياء صماء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في

على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط رحمه الله صريعاً على التلع ميتاً، فأنا ما وإنا إليه راجعون رحمه الله وعفا عنه ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضاً حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الحرمي فصلب فيها، وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقميص، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً، وفي الجانب الغربي أياماً، وعنده الحرس في الليل والنهار، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجّة في خلق القرآن، ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح، فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه.

ثم أمر الواثق بتبع رؤوس أصحابه فأخذ منهم نحواً من سبعة وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وسموا الظلمة، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيداً بالحديد، ولم يجز عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين، وهذا ظلم عظيم هذا ملخص ما قاله ابن جرير رحمه الله.

وقد كان أحمد بن نصر هذا رحمه الله من أكابر العلماء العاملين وعمن كان قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسمع الحديث من حماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وهشيم بن بشير، وكانت عنده مصنفاته كلها، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديث جيدة، ولم يحدث بكثير من حديثه.

وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين، وذكره يوماً فترحم عليه وقال: قد ختم الله له بالشهادة، وقد كان لا يحدث يقول: لست أهل ذلك.

وأحسن يحيى بن معين الثناء عليه جداً. وذكره الإمام أحمد بن حنبل يوماً فقال: رحمه الله ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه لله عز وجل.

وقال جعفر بن محمد الصائغ: بصر عيناى وإلا فعميتا وسمع أذناى وإلا فصمتا أحمد بن نصر الخزاعي حيث ضربت عنقه يقول رأسه: لا إله إلا الله.

وقد سمعه بعض الناس ورأسه مصلوب على الجذع: «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» [العنكبوت: ٢٥-٢٦]. قال: فاقشعر جلدي.

ورأه بعضهم في النوم فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك لي.

ورأى بعض الناس رسول الله ﷺ في المنام ومعه أبو بكر وعمر، قد مروا على الجذع الذي عليه رأس أحمد بن نصر فلما حاذوه أعرض رسول الله ﷺ بوجهه الكريم عنه فقيل له: يا رسول الله ما لك أعرضت عن أحمد بن نصر؟ فقال: «استحياء منه حين قتل رجل من أهل بيتي».

ولم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً ببغداد من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين إلى بعد عيد الفطر يوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين، فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية رحمه الله. وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق بالله، وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب كتاب الحيلة على المتوكل

موضعهم. وبالله المستعان.

فاستتاب في الصلاة بالناس قاضيه ابن أبي ذؤاد الأيادي المعتزلي. وكانت وفاته لست بقين من ذي الحجة، وذلك أنه قوي به الاستسقاء فأتقده في تنور قد أحيى له بحيث يمكن إجلالته فيه ليسكن وجهه، فلان عليه أمره بعض الشيء السير، فلما كان من الغد أمر بأن يحمى أكثر من العادة فاجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة فحمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه، فمات وهو محمول فيها، فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت، منفض القاضي عينيه بعد ذلك ولي غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادي، عليهما من الله ما يستحقانه.

وكان أبيض اللون مشرباً حمرة جليلاً ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى، فيها نكة بيضاء، وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة، فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة، ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام، وقيل سبعة أيام والثاني عشرة ساعة، فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبذع قليلة قصيرة.

وقد جمع الوراق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته، وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي ليلحقه إلى بين يدي الله فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته، فاجتمع عنده من رؤوسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل بن إسحاق الهاشمي، وإسماعيل بن نوبخت، ومحمد بن موسى الخوارزمي الجوسي القطريلي وسند صاحب محمد بن الهيثم، وعامة من يتكلم في النجوم، فنظروا في مولده وما تقتضيه الحال عندهم ثم أجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلاً، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظر من لم يصر فإنه لم يلبث بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى مات.

ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله [تاريخه: ١٥٠/٩، ١٥١].

قال ابن جرير [تاريخه: ١٥٠/٩، ١٥١]: وذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الوراق بعد أن مات المعتصم بأيام وقد قعد مجلساً كان أول مجلس قعده، فكان أول ما غي به في ذلك المجلس أن تغت شارية جارية إبراهيم بن المهدي:

ما درى الحاملون يوم استقلوا نغشه لكسواء أم للقاء
فليقل فيك باكيلاك ماشد من صباحاً وعند كل مساء
قال: فبكى وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه. ثم اندفع بعضهم يغني:

ودع هريرة إن الركب مرثحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
فازداد والله بكاءه وقال: ما سمعت كاليوم قط تعزية باب ونغي
نفس، ثم أرفض ذلك المجلس.

وروى الخطيب البغدادي أن دعلج بن علي الشاعر لما تولى الوراق عهد إلى طومار فكتب فيه أبيات شعر ثم جاء إلى الحاجب فدفعه إليه وقال: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل: هذه أبيات امتلحك بها دعلج فلما فضها الوراق إذا فيها:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء إذا أهل الهوى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر لم يفرح به أحد
فمر هذا ومر الشؤم يتبعه وقام هذا ققام الويل والنكد

وكان وقوع المفادة عند نهر يقال له اللامس، عند سلوقية بالقرب من طرسوس، بدل كل مسلم أو مسلمة في أيدي الروم أو ذمي أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم، فنصبوا جسرين على النهر فإذا أرسل الروم مسلماً أو مسلمة في جسريهم فانتهى إلى المسلمين كبر وكبر المسلمون، ثم يرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسريهم فإذا انتهى إليهم تكلم بكلام يشبه التكبير أيضاً. ولم يزوالاً كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس، ثم بقي مع خاقان جماعة من الروم الأسارى فاطلقهم للروم يكون له الفضل عليهم.

قال ابن جرير [تاريخه: ١٤٥/٩]: وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بن الحسين بطبرستان في شهر رمضان.

وفيها مات الخطاب بن وجه الفلاس. وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الراوية يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من شعبان، وهو ابن ثمانين سنة.

وفيها مات أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضا. وفيها مات خارق المني، وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمعي. وعمرو بن أبي وعمرو الشيباني. ومحمد بن سعدان التحوي. قلت: ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً:

■ أحمد بن نصر الخزاعي كما تقدم. وإبراهيم بن محمد بن عروة. وأمية بن بسطام. وأبو غام الطائي الشاعر في قول. والمشهور ما تقدم. وكامل بن طلحة. ومحمد بن سلام الجمحي. وأخوه عبد الرحمن. ومحمد بن منهال الضري، ومحمد بن منهال أخو حجاج. وهارون بن معروف. ■ البويطي صاحب الشافعي مات في السجن مقيداً حتى يقول يخلق القرآن فامتنع من ذلك رحمه الله.

■ يحيى بن عبد الله بن بكير راوي الموطأ عن مالك.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين

فيها عاثت قبيلة يقال لها بنو غير باليمامة في الأرض فساداً فكتب الوراق إلى بغا الكبير وهو مقيم بأرض الحجاز فحاربهم فقتل منهم جماعة وأسر منهم آخرين، وهزم بقيتهم، ثم التقى مع بني غنيم وهو في الفتي فارس وهم في ثلاثة آلاف، ففرت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم آخره، وذلك في النصف من جمادى الآخرة. ثم عاد بعد ذلك كله إلى بغداد ومعه من أعيان رؤوس العرب في القيود والأسر جماعة، وقد قتل من أشرافهم في الوقائع المتقدم ذكرها ما ينيف على ألفي رجل من بني من بني سليم وغير وكلاب ومرة وفزارة وعلبة وطئ وغيرهم. وفي هذه السنة أصاب الحجيج في الرجوع عطش شديد حتى يبعث الشربة بالذنانير الكثيرة، ومات خلق كثير من العطش رحمه الله. وفيها أمر الوراق بترك جباية أعشار سفن البحر.

وفاة الخليفة أبي جعفر هارون

■ الوراق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله ذي الدوائق بن محمد الإمام بن علي السجاد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي. كان هلاكه في ذي الحجة من هذه السنة بعلة الاستسقاء، فلم يقدروا على حضور العيد عامئذ

خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخسة أيام، وقيل خمس سنين وشهران واحد وعشرين يوماً، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل على الله والله أعلم.

خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله

بويغ له بالخلافة بعد أخيه الواثق هارون وكانت بيعته وقت زوال الشمس من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة. وكانت الأبرار قد عزموا على تولية محمد بن الواثق فاستصغروه فتركوه وعدلوا إلى جعفر هذا، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة، وكان الذي البسه خلعة الخلافة أحمد بن أبي دؤاد القاضي وهو أول من سلم عليه بالخلافة وبايعه الخاصة ثم العامة، وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمعتصم بالله، إلى صبيحة يوم الجمعة فقال أحمد بن أبي دؤاد: رأيت أن يلقب أمير المؤمنين بالمتوكل على الله فاتفقوا على ذلك، وكتب به إلى الأفاق وأمر بإعطاء الشاكبة من الجند ثمانية شهور، وللمغاربة أربعة شهور، ولغيرهم ثلاثة شهور، واستبشر الناس به.

وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الواثق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله، فغيرها فقليل له: هي الخلافة، فبلغ ذلك أخاه الواثق فسجته حيناً ثم أرسله. وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود أمير مكة شرفها الله. وفيها توفي من الأعيان:

■ الحكم بن موسى.

و ■ عمرو بن محمد الناقذ.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الواثق، وكان المتوكل ينفذه لأمره:

منها أن أخاه الواثق تنصّب عليه المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيات يزيد الواثق غضباً على أخيه، فبقي ذلك في نفسه منه، ثم كان الذي استرضى الواثق عليه أحمد بن أبي دؤاد فحظي لذلك عنده في أيام ملكه.

ومن ذلك أن ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بعد أبيه، ولف عليه الناس، وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة لم يلتفت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله، رغم أنف ابن الزيات. فلهاذا أمر بالقبض عليه سريعاً فطلبه فركب بعد غداؤه وهو يظن أن الخليفة بعث إليه، فأتته به الرسل إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتيط عليه وقيد ويعتوا في الحال إلى داره فأخذ جميع ما كان فيها من الأموال واللآلئ والجواهر والحواصل والجواري والأثاث: ووجدوا في مجلسه الخصاص به آلات الشراب وبعث المتوكل في الحال أيضاً إلى حواصله بامرا وضياعه وما فيها فاحتاط عليها، وأمر به أن يعذب ومنعه من الكلام، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرقاد غص بالحديد، ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفله فأتهم عليها ووكل به من يمنعه من القعود والرقاد، فمكث كذلك أياماً حتى مات وهو كذلك. ويقال إنه أخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو نحت

قال: فتطلبه الواثق بكل ما يمكنه من الطلب فلم يقدر عليه حتى مات الواثق. وروي أيضاً أنه لما استخلف الواثق ابن أبي دؤاد على الصلاة في يوم العيد فرجع إليه بعد أن قضاهما قال له: كيف كان عيدكم يا أبا عبد الله؟ قال: كنا في نهار لا شمس فيه، فضحك وقال: يا أبا عبد الله أنا مؤيد بك.

قال الخطيب: وكان ابن أبي دؤاد قد استولى على الواثق وحمله على التشديد في الحجة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن.

قال ويقال: إن الواثق رجع عن ذلك قبل موته فآخبرني عبيد الله بن أبي الفتح أن أحمد بن إبراهيم بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي أن الواثق مات وقد تاب من القول بخلق القرآن.

وروي أن الواثق دخل عليه يوماً مؤدبه فأكرمه إكراماً كثيراً فقليل له في ذلك فقال: هذا أول من فتح لساني بذكر الله وأداني من رحمة الله. وكتب إليه بعض الشعراء:

جذبت دواعي النفس عن طلب الغنى وقلت لها عني عن الطلب السز
فإن أمير المؤمنين بكفه مدارحى الأرزاق دابة تجرى
فوقع له في رقعته: جذبتك نفسك عن امتنانها، ودعتك إلى صونها
فخذ ما طلبته هنيئاً. وأجزل له العطاء.
ومن شعره قوله:

هي المقادير تجري في اعتها فاصبر فليس لها صبر على حال
ومن شعر الواثق قوله:

تنح عن القبيح ولا تترده ومن أوليته حسناً فزده
ستخفى من عدوك كل كيد إذا كاد العدو ولم تكد

وقال القاضي يحيى بن أكرم: ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق: ما مات وفيهم فقير. ولما احتضر الواثق جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سوقة منهم يقى ولا ملك
ما ضر أهلك قليل في تصاقرهم وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا
ثم أمر بالبسط فطويت ثم ألصق خده بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه أرحم من قد زال ملكه.

وقال بعضهم: لما احتضر الواثق ونح حول حوله غشي عليه فقال بعضنا لبعض: انظروا هل قضى نحبه؟ قال: فدنوت، من بينهم إليه لأنظر هل هذا نفسه، فأتفق فلحظ إلي بعينه فرجعت الفهري خوفاً منه، فتعلقت قائمة سيفي في شيء فكنت أن أهلك، فما كان عن قريب حتى مات وأغلق عليه الباب الذي هو فيه وبقي فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل، وجلس أنا أحرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فإذا جرد قد أكل عينه التي لحظ إلي بها، وما كان بين الحالين إلا اليسير.

وكانت وفاته بسر من رأى التي كان يسكنها في القصر الحاروني، في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة أعني سنة ثنتين وثلاثين ومائتين عن ست وثلاثين سنة، وقيل ثنتين وثلاثين سنة. وكانت مدة

وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحجيج من سنين متقدمة.

وفيهما توفي من الأعيان:

■ أبو خزيمة زهير بن حرب. وسليمان بن داود الشاذكوني أحد الحفاظ. وعبد الله بن محمد النفيلى. وأبو ربيع الزهراني. وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث. ومحمد بن عبد الله بن غير. ومحمد بن أبي بكر المديني. والمعالى الرسعي. ويحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ للمغازة عن مالك بن أنس

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن وذلك أنه رجع من الحج فلقته هدايا الخليفة، فلما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها المتوكل بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليلتقاه وجوه الناس وبني هاشم فدخلها في أبهة عظيمة، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنه مظفر ومنصور وكتائبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة، وكان هلاك إيتاخ بالعطش، وذلك أنه أكل أكلا كثيراً بعد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة منها. ومكث ولدها في السجن مدة خلافة المتوكل، فلما ولي المتصور ولد المتوكل أخرجهما.

وفي شوال منها قدم بقا سامرا ومعه محمد بن البيهت وأخوه صقر وخالد، ونائبه العلاء ومعه من رؤوس أصحابه نحو من مائة وثمانين إنساناً فادخلوا على الجمال إبراهيم الناس، فلما أوقف ابن البيهت بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه، فأحضر السيف والنطع فجاء السيفون فوققوا حوله، فقال له المتوكل: ويليك ما دعاك إلى ما فعلت؟ فقال: الشقة يا أمير المؤمنين، وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولهما بك، وهو العفو. ثم اندفع يقول بديهة:

أبى الناس إلا أنك اليوم قتالي إمام الهدى والصفح بالمرء أجمل وهل أنا إلا جيلة من خطيئة وعفوك من نور النبوة يجبل فلنك خير السابقين إلى العلى ولا شك أن خير القتالين تفعل فقال المتوكل إن معه لأدياً ثم عفا عنه ويقال: بل شفع فيه المعتز بن المتوكل فشفعه فيه، ويقال بل أودع في السجن في قيوده فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك، وقد قال حين هرب:

كم قد قضيت أموراً كان غيري غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم لا تمديني فيما ليس بقعسي إليك عني جرى المقدار بالكرم سائلك المال في عسر وفي يسر إن الجواد الذي يعطي على القَدَم وفي هذه السنة أمر المتوكل على الله أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم وأن يتطيلوا بالمصبر بالعسلي وأن يكون على عمائمهم رقع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم وأن يلزموا بالزنانير الحاضرة بشياهم كزنانير الفلاحين اليوم وأن يحملوا في رقابهم كُرَات من خشب كثيرة وأن لا يركبوا خيلاً ولتكن ركبهم من خشب إلى غير ذلك من الأمور المثلثة لهم المهينة لنفوسهم وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم

الضرب، ويقال إنه أحرق ثم دفعت جثته إلى أولاده فدفنوه، فنبشت عليه الكلاب فأكلت لحمه وجلده ساعه الله.

وكانت وفاته لإحدى عشرة من ربيع الأول منها. وكان قيمة ما وجد له من الخواصل نحواً من تسعين ألف دينار وقد قدمنا أن المتوكل ساه عن قتل أخيه الواثق أحمد بن نصر الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن كان الواثق قتله يوم قتله إلا وهو كافر. قال المتوكل: فأنأ أحرقت بالنار.

وفيهما في جمادى الأولى منها فلعج أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي، فلم يزل كذلك حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك، كما دعا على نفسه حين ساه المتوكل عن قتل أحمد بن نصر كما تقدم، ثم غضب المتوكل على جماعة من الكتاب والعمال، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً.

وفيهما ولي المتوكل ابنه محمد المتصور الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها.

وفيهما عمد ملك الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمه تدورة فأقامها بالشمس وألزمها الدبر وقتل الرجل الذي اتهمها به، وكان ملكها ست سنين.

وفيهما حج بالناس محمد بن داود أمير مكة حرسها الله تعالى وشرفها. وفيها توفي:

إبراهيم بن الحجاج السامي. وجان بن موسى المروزي. وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وسهل بن عثمان العسكري. ومحمد بن سماعة القاضي. ومحمد بن عائذ الدمشقي صاحب المغازي. ويحيى بن أيوب المقابري. ويحيى بن معين أحد أئمة الجرح والتعديل، وأستاذ أهل صناعة الحديث في زمانه.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

فيها خرج محمد بن البيهت بن المجلس عن الطاعة في بلاده أذربيجان، وأظهر أن المتوكل قد مات والى عليه جماعة من أهل تلك الرساتيق، ولجأ إلى مدينة مرند فحصبها، وجاءته البعوث من كل جانب، وأرسل إليه المتوكل جيوشاً يتبع بعضها بعضاً، فتصبروا على بلده المجانيب من كل جانب، وحاصروه محاصرة عظيمة جداً وقتلهم مقاتلة هائلة، وصبر هو وأصحابه صبراً بليغاً، وقدم بقا الشرابي لمحاصرته، فلم يزل به حتى أسره واستباح أمواله وحرمه وقتل خلقاً من رؤوس أصحابه، وأسرى سائرهم وانحسرت مادة ابن البيهت والله الحمد.

وفي جمادى الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن.

وفيهما حج إيتاخ أحد الأمراء الكبار وهو والي مكة والمدينة والموسم، ودعي له على المنابر، وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خزرياً طباحاً، لرجل يقال له سلام الأبرش، فاشتره منه المتعصم في سنة تسع وتسعين ومائة، فرفع منزله وحظي عنده، وكذلك الواثق من بعده، ضم إليه أعمالاً كثيرة، وكذلك عامله المتوكل وذلك لرجله إيتاخ وشهادته ونهضته، ولما كان في هذه السنة شرب ليلة مع المتوكل فغريد عليه المتوكل فهم إيتاخ بقتله، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له: أنت أبي وأنت ربيتي. ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له، وأمره على كل بلدة يحل بها وخرج القواد في خدمته إلى طريق الحج حين خرج، وولى المتوكل الحجابة لوصيف الخادم عوضاً عن إيتاخ.

وله شعر حسن وديوان كبير. وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن. توفي في هذه السنة قال ابن خلكان: وقيل في التي بعدها. وقد ترجمه الحافظ بن عساكر ترجمة حافلة وذكر عنه أشياء حسنة وأشعاراً بديعة راقية وحكايات مدهشة يطول استقصاؤها. فمن غريب ذلك أنه غنى يوماً يحيى بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع له ابنه جعفر بمثلها، وابنه الفضل بمثلها، في حكاية طويلة. قلت: ومن توفي في هذه السنة من الأعيان:

■ سريج بن يونس. وشيخان بن فروخ. وعبيد الله بن عمر القواريري، وأبو بكر بن أبي شيبة أحد الأعلام وأئمة الإسلام. وصاحب المنصف الذي لم يصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

فيها أمر المتوكل يهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس: من وجد هنا بعد ثلاثة أيام رُفِعَ إلى المطبق. فلم يبق هناك بشر واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرق وتستغل. وفيها حج بالناس محمد المنتصر بن المتوكل.

وفيها توفي

■ محمد بن إبراهيم بن مصعب، سمه ابن أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم، وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأمراء الكبار.

وفيها توفي

■ الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدم ذكرها وكان من سرات الناس ورؤسائهم، ويقال: إن إسحاق بن إبراهيم المعني توفي في هذه السنة فإله أعلم.

وفيها توفي أبو سعيد

■ محمد بن يوسف المروزي فجاء، فولي ابنه يوسف مكانه على نيابة أرمينية.

وفيها توفي

■ إبراهيم بن المنذر الحزامي. ومصعب بن عبد الله الزيري. وهذبة بن خالد القيبي. وأبو الصلت الهروي أحد الضعفاء.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

فيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينية على البطريق الكبير بها وبعثه إلى نائب الخليفة، واتفق بعد بعثه إياه أن سقط تلج عظيم على تلك البلاد، فحزب أهل ذلك البطريق وجاءوا فحاصروا البلد التي بها يوسف بن محمد فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين الذين معه وهلك كثير من الناس في الثلج من شدة البرد، ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك الناحية بضا الكبير في جيش كثيف جداً فقتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة وقتل الأمير نحواً من ثلاثين ألفاً وأسر منهم طائفة كبيرة، ثم سار إلى بلاد الباق من كورة البسفرجان وسلك إلى مدن كثيرة كبار ومهد الممالك وو طد البلاد والنواحي.

وفي صفر من هذه السنة منها غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد

وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه وتضييق منازلهم التسعة، فيؤخذ منها العشر وأن يعمل ما كان متسعاً كبيراً مسجداً وأمر بتسوية قبورهم بالأرض وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والأفاق وإلى كل بلد ورستاق.

وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري، وهو من كان يتردد إلى خشبة بابك الخرمي وهو مصلوب فيقعد قريباً منه، وذلك بقرب دار الخلافة من سُرٍّ من رأى فادعى أنه نبي وأنه ذو القرنين وقد اتبعه على هذه الضلالة ووافقه على هذه الجهالة جماعة قليلون وهم سبعة وعشرون رجلاً وقد نظم لهم كلاماً في مصحف له فيجده الله زعم لعنة الله أن جبريل جاءه به من الله، فأخذ فرفع أمره إلى المتوكل فأمر به ففُضِرَ بين يديه بالسياط، فاعترف بما نسب إليه وما هو معلول عليه، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه أن يصفعه عشر صفعات ففعلوا فعله وعليهم لعنة رب الأرض والسموات ثم اتفق موته في يوم الأربعاء ثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة.

وفي يوم السبت ثلاث بقين من ذي الحجة من هذه السنة المباركة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده الثلاثة وهم: محمد المنتصر، ثم أبو عبد الله المعتز، واسمه محمد، وقيل الزبير، ثم لإبراهيم وسماه المؤيد بالله ولم يل هذا الخلافة وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها وتوابعها فيها ويضرب له السكة بها، وقد عين ابن جرير [تاريخه: ١٧٦/٩] ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم الرساتيق، وعقد لكل واحد منهم لواءين لواء أسود للعهد، ولواء أبيض للعامة، وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم بمبايعته الأمراء والكبراء لهم على ذلك وكان يوماً مشهوداً.

وفيها في شهر ذي الحجة هذا منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء المدود ففرح الناس لذلك.

وفي هذه السنة أتى المتوكل يحيى بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه ففُضِرَ ثمان عشرة مفرقة ثم حبس في المطبق.

وحج بالناس محمد بن داود.

قال ابن جرير [تاريخه: ١٨١/٩]: وفيها توفي:

■ إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر يعني نائب بغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وصبر ابنه محمد مكانه، وخلع عليه خمس خلع وقطع سيفاً.

قلت: وقد كان له في نيابة بغداد والعراق من زمن المأمون، وهو من أكبر الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأفلسنا السيل﴾ [الأحزاب: ٦٧]. وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون.

وفيها توفي:

■ إسحاق بن إبراهيم بن ماهان: الموصلي النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته، الجموع الفضائل من كل فن يعرفه أبناء عصره، من ألفقه والحديث والجلد والكلام واللغة. والشعر، ولكن اشتهر بالغناء لأنه لم يكن له في الدنيا نظير فيه.

قال المعتصم: كان إسحاق إذا غنى يخيل إلي أنه قد زيد في ملكي.

وقال المأمون: لولا اشتهاره بالغناء لوليت القضاء لما أعلمه من عفته ونزاهته وأمانته.

الحجاز. وفيها توفي حاتم الأصم وعبد الأعلى بن حماد. وعبيد الله بن معاذ العنبري. وأبو كامل الفضيل بن الحسين الجحدري.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفلّيس وعلى مقدمته زيرك التركي، فخرج إليه صاحب تفلّيس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر بغا إسحاق فأمر بغا بضرب عنقه وصلبه وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة، وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحواً من خمسين ألفاً، وطفئت النار بعد يومين، لأن نار الصنوبر لا بقاء لها. ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا الموتى. ثم سار بغا إلى مدن أخرى عن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف، أخذوا بثأره وعقوبة لمن نجرأ عليه.

وفي هذه السنة جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط فدخلوها فجاء قتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وحرقوا المسجد الجامع والمنبر، وأسروا من النساء نحواً من ستمائة امرأة، من المسلمات مائة وخمسة وعشرون امرأة، والباقيات من نساء القبط، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئاً كثيراً جداً، وفر الناس منهم في كل جهة، فكان من غرق في بحيرة تبتس أكثر من أسروه، ثم رجعوا على حية ولم يعرض لهم أحد حتى عادوا إلى بلادهم لعنهم الله وقبحهم.

وفي هذه السنة غزا الصائفة علي بن يحيى الأرمني.

وحج بالناس أمير السن التي قبلها.

وفيها توفي

■ إسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الإسلام، والمجاهدين من الأنام. وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي. وطالوت بن عباد. ومحمد بن بكار بن الريان. ومحمد بن الحسين البرجلاني. ومحمد بن أبي السري العسقلاني.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في الحرم منها زاد التوكل في التغليب على أهل النعمة في التميز في اللباس عن المسلمين وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدث في الإسلام.

وفيها نفى التوكل علي بن الجهم إلى خراسان.

وفيها اتفق شعائين النصارى ويوم النيروز في يوم واحد وهو يوم الأحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة، وزعمت النصارى أن هذا لم يتفق مثله في الإسلام إلا في هذا العام.

وغزا الصائفة علي بن يحيى المذكور.

وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي والي مكة.

قال ابن جرير [رحمته]: ١٩٦/٩: وفيها توفي:

■ أبو الوليد محمد ابن القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المعتزلي.

قلت: ومن توفي فيها من الأعيان فيها

■ داود بن رشيد. وصفوان بن صالح مؤذن أهل دمشق. وعبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي أحد المشاهير وعثمان بن أبي شبة صاحب التفسير والمسنَد المشهور. ومحمد بن مهران الرازي. ومحمود بن غيلان.

القاضي المعتزلي وكان على المظالم، فعزله عنها واستدعى يحيى بن أكنم فولاه قضاء القضاة والمظالم أيضاً.

وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دواد وأخذ ابنه أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد فحبسه في يوم السبت ثلاث خلون من ربيع الآخر وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بعشرين ألف دينار، ثم صولج على ستة عشر ألف ألف درهم. وكان ابن أبي دواد قد أصابه الفالج كما ذكرنا، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين.

قال ابن جرير [رحمته]: ١٨٩/٩: فقال في ذلك أبو العتاهية:

لو كنت في الرأي منسوباً إلى زُشد - وكان عزمك عزمًا فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به - عن أن تقول كتاب الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم - ما كان في الفرع لولا الجهل الموق

وفي يوم عيد الفطر منها أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم المغازي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه، فصرح الناس بذلك فرحاً شديداً، واجتمع من العامة في جنازته خلق كثير جداً، وجعلوا يتسحرون بها ويأعدون نعشه، وكان يوماً مشهوداً. ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتسحرون به، وأرهب العامة في ذلك فرحاً وسروراً، فكُتب المتوكل إلى نائبه بأمره بردهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالة في البشر، ثم كتب المتوكل إلى الأفاق بالنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالطبق ماواه إلى أن يموت. وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير وأظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاء من بغداد إليه، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بمجازة سنة فلم يقبلها، وخلع عليه خلعة سنة من ملابسها فأسجبا منه أحمد كثيراً فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكي رحمه الله تعالى. وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظهر أنه يأكل منه، وكان الإمام أحمد لا يأكل لهم طعاماً بل كان صائماً مواصلاً يطوي تلك الأيام، لأنه لم يتيسر له شيء يرتضي أكله، ولكن كان أبناء صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعاً، وارتفعت شأن السنة جداً في أيام المتوكل عفا الله عنه، وكان لا يولي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد بن حنبل، وكان ولاية يحيى بن أكنم قضاء القضاة موضع ابن أبي دواد عن مشورته أيضاً، وقد كان يحيى بن أكنم هذا من أئمة السنة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث. واتباع الأثر، وكان قد ولي من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية، وسوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي، وكان كلاهما أعور. فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دواد:

رايت من الكبار قاضين - هما أحدثون في الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين قدأ - كما اقتسما قضاء الجانبين

وغلب منهما من هز رأساً - ليظهر في مواريت وديسن

كانك قد وضعت عليه دنأ - فتحت بزأله من فرد عين

هما فال الزمان بهلك يحيى - إذ افتتح القضاء بأعورين

وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الأرمني.

وحج بالناس فيها علي بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أمير

وهوب بن بقة:

و■ أحمد بن عاصم الأنطاكي: أبو علي الراعظ الزاهد أحد العباد، له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان من طبقة الحارث المحاسبي، ويشتر الحافي. وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته.

روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته، وعنه أحمد بن أبي الحواري، وعمود بن خالد، وأبو زرعة الدمشقي. وغيرهم.

روى عنه أحمد بن أبي الحواري عن مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان قال: مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت: يا أبا سعيد مثلك يجلس في هذا الوقت؟ قال: إني قد توضأت فأردتها أن تقوم فتصلي فأبى علي، وأرادتني على أن تنام فأبى عليها.

ومن مستجاد كلامه قوله: إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك.

وقال: من النعمة الباردة ما بقي من عمرك فيفقر لك ما مضى منه.

وقال: يسير اليقين يخرج الشك كله من القلب، ويسير الشك يخرج اليقين كله منه.

وقال: من كان بالله أعرف كان له أخوف.

وقال: خير صاحب لك في دنياك الهم، يقطعك عن الدنيا ويوصلك إلى الآخرة. ومن شعره رحمه الله:

هممت ولم أعزم ولو كنت صادقاً عزمتم ولكن القطام شديد

ولو كان لي عقل وإيقان موثق لما كنت عن قصد الطريق أحميد

ولا كان في شك مطسامي ولكن عن الأقدار كيف أحميد

ومن شعره أيضاً:

داعيات الهوى تخفف علينا وخلاف الهوى علينا ثقیل

فقد الصديق في الأماكن حتى وصفه اليوم ما عليه دليل

لا نرى خائفاً فيلزمنا الخوف ولا صادقاً بما مد يقول

فريقنا مذنبين حيارى نطلب الصديق ما إليه سبيل

ومن شعره أيضاً:

هون عليك فكل الأمر ينقطع وخل عنك عنان الهم يندفع

فكل هم له من بعده فرج وكل كرب إذا ما ضاق يتسع

إن البلاء وإن طال الزمان به الموت يقطعه أو سوف يقطع

وقد أطال الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يؤرخ وفاته، وإنما ذكرته هنا تقريباً والله أعلم.

سنة أربعين ومائتين من الهجرة النبوية

فيها عدا أهل حمص على عاملهم أبي المغيث موسى بن إبراهيم

الرافقي وكان قد قتل رجلاً من أشرفهم فقتلوا جماعة من أصحابه

وأخرجوه من بين أظهرهم، فبعث إليهم المتوكل أميراً عليهم وقال للسفير

معه: إن قبلوا وإلا فاعلمني. فقبلوه فعمل فيهم الأعاجيب وأهانهم غاية الإهانة.

وفيها عزل المتوكل القاضي يحيى بن أكرم عن قضاء القضاة وصادرو

بما مبلغه ثمانون ألف دينار، وأخذ منه أراضي كثيرة في أرض البصرة، وو إلى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة.

قال ابن جرير [١٩٧/٩]: وفي الحرم منها توفي أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه بعشرين يوماً.

وهذه ترجمة: أحمد بن أبي دؤاد القاضي.

هو

■ أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج وقيل دعي، والصحيح أن اسمه كنيته بن جرير القاضي أبو عبد الله الأيادي المعتزلي.

قال ابن خلكان في نسبه: هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد لحم بن

مالك بن قص بن متعة بن بركان بن دوس بن الدئل بن أمية بن حذافة بن زهر بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان.

قال الخطيب البغدادي: ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ثم للواثق. وكان موصوفاً بالجرود والسخاء وحسن الخلق وو فور الأدب، غير

أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة.

قال الصولي: لم يكن بعد البرامكة أكرم منه، ولولا ما وضع من نفسه من عجة الحجة لاجتمعت عليه الأسن.

قالوا: وكان مولده في سنة ستين ومائة، وكان أسن من يحيى بن أكرم بعشرين سنة.

قال ابن خلكان: وأصله من بلاد قسرين، وكان أبوه تاجراً يفد إلى الشام ثم أخذ ولده هذا معه إلى العراق، فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن

العلاء السلمي أحد أصحاب واصل بن عطاء فآخذ عنه الاعتزال، وذكر أنه كان يصحب يحيى بن أكرم القاضي ويأخذ عنه العلم. ثم سرد له ترجمة

طويلة في كتاب الوفيات، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال:

رسول الله والخلفاء منا ومنا أحمد بسن أبي دؤاد

فرد عله بعض الشعراء فقال:

فقل للفاخرين غلى نزار وهم في الأرض سادات العباد

رسول الله والخلفاء منا ونيراً من دعي بني إباد

ومنا إساد إذا أقبرت بدعوة أحمد بن أبي دؤاد

قال: فلما بلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد قال: لولا أنني أكره العقوبة لعاقبت هذا الشاعر عقوبة ما فعلها أحمد. وعفا عنه.

قال الخطيب: حدثني الأزهرى، حدثنا عمر بن أحمد الراعظ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك، حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال:

كان أبي يعني أحمد بن أبي دؤاد إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخاطب ربه وأنشأ يقول:

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما تُجسح الأمور بقوة الأسباب

واليوم حاجتنا إليك وإنما يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

ثم روى الخطيب أن أبا تمام دخل يوماً على أحمد بن أبي دؤاد فقال له: أحسبك عاتياً، فقال: فقال: إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعاً. فقال له:

أني لك هذا؟ فقال: من قول أبي نواس:

وليس لله مستنكر أن يمسح المسام في واحد
وامتنحه أبو تمام يوماً فقال:

لقد أنست مساوي كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد
وما سافرت في الأفاق إلا ومن جدواك راحلي وزادي
يقيم الظن عندك والأمانى وإن قلقك ركابي في البلاد
فقال له: هذا المعنى تفردت به أو أخذته من غيرك؟ فقال: هو لي، غير
أنني ألمت بقول أبي نواس:

وإن جبرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأتت الذي نعني
وقال محمد بن يحيى الصولي: ومن غثار ملبع أبي تمام لأحمد بن أبي
دؤاد قوله:

أحمد إن الحاسدين كثير وما لك إن عد الكرام نظير
حللت عملاً فاضلاً متقدماً من الجدد والفخر القلبي فخور
فكسل غني أو فقير فإنه إليك وإن نال السماء فقير
إليك تناهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث يصير
ويسر لإسعاد أنست لا يتكرونها كذاك لإسعاد للأفام بدور
تجبت أن تدعى الأمير تواضعاً وأنت لمن يدعى الأمير أمير
فما من نذى إلا إليك علمه ولا رفعة إلا إليك تسير
قلت: قد أخطأ الشاعر في هذا خطأ كبيراً وأفحش في المبالغة كثيراً،
ولعله إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين بل ضال مضل، أن يكون
له جهنم وساءت مصيراً.

وقال أحمد بن أبي دؤاد يوماً لبعضهم: لم لا تسألني؟ فقال له: لأنني لو
سألتك أعطيتك ثمن ما تعطيني. فقال له: صدقت. وأرسل إليه بخمسة
آلاف درهم.

وقال ابن الأعرابي: سألت رجلاً أحمد بن أبي دؤاد أن يحمله على غير
فقال: يا غلام أعطه عيراً وبغلاً وبرذونا وفرساً وجارية. وقال له: لو أعلم
مركوباً غير هذا لأعطيتك.

ثم أورد الخطيب بأسانيبه عن جماعة من الناس أخباراً تدل على كرمه
وفصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات، وعظيم منزلته عند
الخلفاء.

وذكر عن محمد المهدي بن الوائلي أن شيخاً دخل يوماً على الوائلي
فسلم فلم يرد عليه الوائلي بل قال: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير
المؤمنين يس ما أدبك معلمك. قال الله تعالى: ﴿وإذا حِينَ تَحِيَّةٍ فحيوا
ياحسن منها أو ردوها﴾ [النساء: ٨٦] فلا حيتي بأحسن منها ولا رددتها.
فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين الرجل متكلم. فقال: ناظره. فقال ابن
أبي دؤاد: ما تقول يا شيخ في القرآن لخلق هو؟ فقال الشيخ: لم تنصني،
المسألة لي. فقال: قل. فقال: هذا الذي تقوله علمه رسول الله ﷺ وأبو
بكر وعمر وعثمان وعلي أو ما علموه؟ فقال ابن أبي دؤاد: لم يعلموه.
قال: فأنت علمت ما لم يعلموا؟ فدخل وسكت. ثم قال: أفتني بل علموه،
قال: فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت، أما وسعك ما وسعهم؟
فدخل وسكت وأمر الوائلي له بجائزة نحو أربعمئة دينار فلم يقبلها. قال

المهدي: فدخل أبي التزل فاستلقى على قفاه وجعل يكرر قول الشيخ
على نفسه ويقول: أما وسعك ما وسعهم؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه
أربعمئة دينار ورده إلى بلاده، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن
بعده أحداً. رواها الخطيب في تاريخه بإسناد فيه بعض من لا أعرفه وساقها
مطولة وفيها تكرار.

وقد أشد ثعلب عن أبي حجاج الأعرابي أنه قال في ابن أبي دؤاد:
نكت الديهي يا بن أبي دؤاد فاصبح ممن أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ريك كان خلقاً أما لك عند ريك من معاد
كلام الله أنزله بعلم وأنزله على خير العباد
ومن أمسى يبابك مستضيئاً كمن حل الفلاة بغير زاد
لقد أطرفت يا بن أبي دؤاد بقولك إنني رجل إيادي
ثم قال الخطيب: أتبا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري
قال: أشهدنا المعافي بن زكريا الجزيري عن محمد بن يحيى الصولي لبعضهم
يهجو ابن أبي دؤاد:

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشد وكان عزمك عزمياً فيه توفيق
لكان في الفقه لشل لو فتحت به عن أن تقول كتاب الله مخلوق
مافا عليك وأصل الدين يجمعهم ما كان في الفرع لا في الجهل والموق
وقد تقدمت هذه الأبيات.

وروى الخطيب البغدادي عن يحيى الجلاء أو علي بن الموفق أنه قال:
ناظرني رجل من الواقفية في خلق القرآن فالتفتي منه ما أكره، فلما أصبغت
أتيت امرأتي فوضعت لي العشاء فلم أقدر أن أأكل منه شيئاً، فتمت فرايت
رسول الله ﷺ في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحمد بن حنبل
وأصحابه وحلقة فيها ابن أبي داود وأصحابه، فجعل رسول الله ﷺ يقرأ
هذه الآية: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء﴾ [الأنعام: ٨٩] ويشير إلى حلقة ابن أبي
دؤاد ﴿فقد وكلنا بها قرماً ليسوا بها بكافرين﴾ [الأنعام: ٨٩] ويشير إلى حلقة
أحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله.

وقال بعضهم: رأيت في المنام ليلة مات ابن أبي دؤاد كأنه يقول:
هلك الليلة أحمد بن أبي دؤاد. فقلت له: وما سبب هلاكه؟ فقال: إنه
اغضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات.

وقال بعضهم: رأيت في تلك الليلة كأن النار زفرت زفرة عظيمة
فخرج منها المهب فقلت: ما هذا؟ فقلت هذه اتخذت لابن أبي دؤاد.

وقد كان موته في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة،
وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة،
وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين وبقي طريحاً في فراشه لا يستطيع
أن يحرك شيئاً من جسده، وحرمت لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك.
وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائداً وإنما جئت لأحمد
الله على أن سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل
سجن، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيد الله ولا ينقصه عما هو فيه، فزاد
مرضاً إلى مرضه.

وقد صور في العام الماضي بأموال جزيلة جداً، ولو كان يحمل العقوبة
لوضعها عليه المتوكل.

قال ابن خلكان: كان مولده في سنة ستين ومائة.
قلت: فعلى هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكثم

الذي ذكر ابن خلكان أنه كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون، فحظي عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه المعتصم، فولاه المعتصم القضاء وعزل ابن اكثم، وكان لا يقطع أمراً دونه، فكان عنده خصباً ولاه القضاء والمظالم، وكان ابن الزيات الوزير يغيضه، وجرت بينهما منافسات ومَجَاجَ، كما تقدم، وقد بالغ ابن خلكان في ترجمته ومدحه، وذكر من مآثره ومحاسنه فاطن بك وأكثر وما أطيب، ولم يذكر من مساوئه بل ذكر امتحانه للإمام أحمد بن حنبل ذكراً موجزاً بأطراف الأنامل وهي الحنة التي هي أس ما بعدها من الحسن، والفتنة التي فتحت على الناس باب الفتن.

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صوره به من المال، الرابع وإن أباه أبا الوليد عمداً صوره بألف ألف دينار وأنه مات قبل أبيه بشهر. وأما ابن عسكار فإنه بسط القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً. وقد كان الرجل أديباً نصيحاً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر العطاء على المنع، والفرقة على الجمع وقد روى ابن عسكار بإسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروج الوائش فقال ابن أبي دؤاد إنه ليعجبني هذان البيتان:

ولي نظرة لو كان يجبل ناظر بنظرته انشئ لقد جلبت مني
فإن ولدت ما بين تسعة أشهر إلى نظرتي أبنا فإن ابنها مني

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء المشاهير.
قال الإمام أحمد: هو عندنا في صلاح الثوري.

■ خليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحدثاني وسويد بن نصر. وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد فقهاء المالكية المشهورين. وعبد الواحد بن غياث. وقصة بن سعيد شيخ أئمة السنة.

■ أبو العميط عبد الله بن خليل كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره، كان عالماً بالغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة، ومن شعره يمدح عبد الله بن طاهر

يا من يحاول أن تكون صفاته كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك في المشورة والذي حج الحجيج إليه فاسمع أو دع
اصنق وعف وير واصبر واحتمل واصفح وكافو ودار واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتكد واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد محضتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهيح

أما

■ سحنون المالكي صاحب المدونة:

فهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكر بن ربيعة الترخي، أصله من مدينة حمص، فدخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك هناك، وكان قد تفقه على ابن القاسم، وسببه أنه قدم أسد بن الفرات المالكي من بلاد العراق إلى بلاد مصر فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابها عنها، فمقلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فاتسبها منه سحنون، ثم قدم على ابن القاسم مصر فاعاد استلته عليه فزاد فيها ونقص ورجع عن أشياء منها فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب.

وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يعرض نسخته على نسخة سحنون ويصلحها بها فلم يقبل، فدعى عليه ابن القاسم فلم يتبع به ولا بكتابه، وسارت الرحلة إلى سحنون وانتشرت عنه المدونة، وساد أهل ذلك الزمان، وتولى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله ولياؤه.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

في جمادى الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضاً على عاملهم محمد بن عبيدو فأرادوا قتله، وساعدهم نصاري أهلها أيضاً عليه، فكتب إلى الخليفة يعلمه بذلك، فكتب إليه يأمراه بمناهضتهم، وكتب إلى متولي دمشق أن يمدد بجيش من عنده ليساعده على أهل حمص، وكتب إليه أن يضرب ثلاثة منهم معروفين بالشرب بالسياط حتى يموتوا، ثم يصلبهم على أبواب البلد وأن يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلاثمائة ثلاث مئة، وأن يرسلهم إلى سامرا مقيدين في الحديد، وأن يخرج كل نصراني بها ويهدم كنيسها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع، وأن يضيفها إليه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وللأمراء الذين ساعدوه بصلات سنية. فامتثل ما أمره به الخليفة فيهم.

وفي هذه السنة أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، فضرب ضرباً شديداً مبرحاً، يقال: إنه ضرب ألف سوط حتى مات. وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزبائدي أنه يشتم أباه بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم أجمعين. فرفع أمره إلى الخليفة فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضرب هذا الرجل بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلى عليه، ليرتاع بذلك أهل الإلحاد والمعادنة. ففعل معه ذلك قبحه الله ولعنه.

ومثل هذا يكفر إن كان قد قذف عائشة أم المؤمنين بالإجماع، وفيمن قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان، والصحيح أن يكفر أيضاً، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ ورضي عنهن.

قال ابن جرير رحمه الله: وفي هذه السنة انتقضت الكواكب ببغداد وتناثرت، وذلك ليلة الخميس لليلة خلت من جمادى الآخرة.

قال: وفيها مطر الناس في آب مطراً شديداً جداً.

قال: وفيها مات شيء كثير من الدواب البقر.

قال: وفيها أغارت الروم على عين زربة فأسروا من بها من الزط وأخذوا نساءهم وفراخهم ودوابهم.

قال: وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس بحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد، عن إذن الخليفة له في ذلك، واستأنبه ابن أبي الشاروب. وكانت عدة الأسرى من المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين امرأة، وقد كانت أم الملك تدور لعننا الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى، وكانوا نحواً من عشرين ألفاً فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتله فقتلت اثني عشر ألفاً وتصر بعضهم، وبقي منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلاً ونساء.

وفيها أغارت البجة على حرس من أرض مصر، وقد كانت البجة لا

وقد توفي فيها من الأعيان

الإمام

■ أحمد بن حنبل. وجبارة بن المغلس الحماني. وأبو توبة الحلبي. والحسن بن حاد سجادة. ويعقوب بن حديد بن كاسب.

ولنذكر شيئاً من أخبار الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

وفضائله ومناقبه وآثره على سبيل الاختصار.

فقول وبالله المستعان: هو

■ أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الميعص بن حمل بن النبت بن قيدر بن إسمايل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي.

هكذا ساق نسبه الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في الكتاب الذي جمعه في مناقب الإمام أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک.

وروي عن صالح ابن الإمام أحمد قال: رأى أبي هذا النسب في كتاب لي فقال: وما تصنع بهذا؟ ولم ينكر النسب.

قالوا: وقدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعت أمه بيغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاثين سنة فكفلته أمه. قال صالح عن أبيه: فقيت أذني وجعلت فيهما لؤلؤتين فلما كبرت دفعتهما إلي فيبعتهما بثلاثين درهماً.

وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله.

وقد كان في حديثه يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة تسع وسبعين ومائة، وله من العمر ست عشرة سنة، وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة، ثم سنة إحدى وتسعين.

وفيها حج الوليد بن مسلم، ثم في سنة ست وتسعين، وجاور في سنة سبع وتسعين، ثم حج في سنة ثمان وتسعين، وجاور إلى سنة تسع وتسعين سافر إلى عند عبد الرزاق في باليمن، فكتب عنه هو ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه.

قال الإمام أحمد: حججت خمس حجج منها ثلاث راجلاً، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً. قال: وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول: يا عبد الله دلوني على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق.

قال: وخرجت إلى الكوفة فكتبت في بيت تحت رأسي لبنة، ولو كان عندي خمسون درهماً كنت رحله إلى جبر بن عبد الحميد إلى الري وخرج بعض أصحابنا ولم يكتفي الخروج لأنه لم يكن عندي شيء.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حرملة: سمعت الشافعي رحمه الله وعندي

بغزون المسلمين قبل ذلك، لهدنة كانت لهم من المسلمين، فنقضوا الهدنة وصرحوا والمخالفة.

والبيعة طائفة من سودان بلاد المغرب، وكذا التوبة والقروية وينوز وزعروين ويكسوم وأمم كثيرون لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم. وفي بلاد هؤلاء معادن الذهب والجوهر، وكان عليهم حمل في كل سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن، فلما كانت دولة المتوكل امتنعوا عن أداء ما عليه سنين متعددة، فكتب نائب مصر وهو يعقوب بن إبراهيم الباذغيسي مولى المهدي وهو المعروف بقوصرة بذلك كله إلى المتوكل، فنضب المتوكل من ذلك غضباً شديداً، وشاور في أمر البيعة فقيل له: يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إيل وبادية، وإن بلادهم بعيدة ومعطشة، ويحتاج الجيش الناهبون إليها أن يتزودوا لمقامهم بها طعاماً وماء، فصلة ذلك عن البعث إليهم، ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصعيد، ويخشي أهل مصر على أولادهم منهم، فجهز لحربهم محمد بن عبد الله القمي، وجعل إليه نياحة تلك البلاد كلها المتاخمة لأرضهم، وكتب إلى عمال مصر أن يمتنعوا بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك، فتخلص وتخلص معه من الجورث الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل، وحمل معه الطعام والإدام في مراكب سبعة، وأمر الذين هم بها أن يلجأوا بها في البحر ثم يوافوه بها إذا توسط بلاد البيعة، ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معانهم وأقبل إليه ملك البيعة واسمه علي بابا في جمع عظيم أضاعف من مع محمد بن عبد الله القمي، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام، فجعل الملك يطاول المسلمين في القتال لعله تغد أزوادهم فيأخذونهم بالأيني، فلما نفذ ما عند المسلمين وطمع فيهم السودان يشر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام والتمر والزيت وغير ذلك مما يحتاجون إليه شيء كثير جداً قسمه الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم، فبش السودان من هلاك المسلمين جوعاً فشرعوا في التهاجب لقتال المسلمين، وكانوا يركبون على إبل شبيهة بالهجن زعرة جداً كثيرة الفار، لا تكاد ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً إلا جفلت منه.

فلما كان يوم الحرب عمد الأمر إلى جميع الأجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول، فلما كانت الوقعة حمل المسلمون حملة رجل واحد، فهرب السودان فرار رجل واحد ونفرت إليهم من أصوات تلك الأجراس في كل وجه، وتفرقوا شذر منذر، وأتبعهم المسلمون يقتلون من شاموا، لا يمتنع منهم أحد، فلا يعلم عدد من قُتل منهم إلا الله عز وجل. ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجالاً فكيسهم القمي من حيث لا يشعرون فقتل عامة من بقي منهم وأخذ ملكهم بالأمان، وأدى ما كان عليه من الحمل، وأخذهم معه أسيراً إلى الخليفة.

وكانت هذه الوقعة في أول يوم من هذه السنة وكان وصوله إلى الخليفة في أواخر هذه السنة، فولاء الخليفة على بلاده كما كان، وجعل إلى ابن القمي أمر تلك الناحية والنظر في أمرها ولله الحمد والمنة.

قال ابن جرير رحمه الله: [٢٠٧/٩]: ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جادى الآخرة.

قلت: وهذا الرجل كان نائباً على الديار المصرية من جهة المتوكل على الله.

قال: وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود، وحج جعفر بن دينار إليها وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم، ولم يتعرض ابن جرير لوفاة أحد من المحدثين في هذه السنة.

أحمد بن حنبل أن مقدم على مصر فلم يقدم. قال ابن أبي حاتم: يشبه أن تكون خفة ذات اليد حالت بينه وبين الوفاء بالعفة.

وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والأفاق، وسمع من مشايخ العصر وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في تهذيبه [٤٣٧/١] أسماء شيوخه مرتين على حروفه المعجم، وكذلك الرواة عنه.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد: وقد أكثر أحمد بن حنبل في المسند وغيره الرواية عن الشافعي، وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قرش، وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور، وحين توفي أحمد وجدوا في تركته رسالي الشافعي القديمة والجديدة.

قلت: قد أفرد ما رواه الإمام أحمد عن الإمام أبي عبد الله الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثاً.

ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» [المسند: ٤٥٥/٣].

وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد بعد ستة تسعين ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة. قال له: يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فاعلمني به أذهب إليه حجازياً كان أو شامياً أو عراقياً أو مبنياً يعني أنه لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلا رواية الحجازيين ويتزلون أحاديث من سواهم منزلة أحاديث أهل الكتاب. وقرول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المثابة إذا صحح أو ضعف يرجع إليه في ذلك.

وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والعلماء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعتراهم له بعلو الكفانة وارتضاع المنزلة في العلم والحديث رحمهم الله، وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شيبته في الأفاق.

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل ويزيد ويتقص، وكلامه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإنكاره على من يقول: إن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن.

قال: وفيما حكى أبو عمارة وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال: اللفظ محدث. واستدل بقوله: «ما يلفظ من قول إلا لله رقيب عنيد» [رق: ١٨]. قال: فاللفظ كلام الأعميين.

وروى غيره ما عن أحمد أنه قال: القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق، وإما أفعالنا فهي مخلوقة.

قلت: وقد قرر البخاري هذا المعنى في أفعال العباد (٩، ٣٣) وذكره أيضاً في الصحيح [كتاب التوحيد، تحت باب (٥٢)، واستدل بقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» [د: (١٤٦٨)، ص (١٠١٥، ١٠١٥)، ج (١٣٤٢)]. ولهذا قال غير واحد من الأئمة: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ. وقد قرر البيهقي [الإنشاء والصفات ص ٢٥٩] ذلك أيضاً.

وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي عن أحمد أنه قال: من قال: القرآن محدث فهو كافر.

ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقول تعالى: «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون» [الأنبياء: ٢]. قال: يحتمل أن يكون تنزيهه إلينا هو المحدث، لا الذكر نفسه هو المحدث.

وعن حنبل عن أحمد أنه قال: يحتمل أن يكون ذكراً آخر غير القرآن،

وهو ذكر رسول الله ﷺ أو وعظه لإياهم.

ثم ذكر البيهقي كلام الإمام أحمد في إثبات رؤية الله في النار الآخرة، واحتج بحديث صهيب في الرؤية [١ (١٨١)] وهي الزيادة، وكلامه في نفي التشبيه وترك الخوض في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة من الآثار عن النبي ﷺ أصحابه.

وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تناول قول الله تعالى: «وجاء ربك» [الهمجر: ٢٢]. أنه جاء ثوابه. ثم قال البيهقي: وهذا إسناد لا غبار عليه.

وقال الإمام أحمد [٣٧٩/١]: حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله، هو ابن مسعود قال: ما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ. وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر ﷺ إسناده صحيح.

قلت: وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق ﷺ. والأمر كما قاله ابن مسعود ﷺ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل حين اجتاز بمحصر وقد حمل إلى المأمون في زمن الحنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له: ما تقول في الخلافة؟ فقال الإمام أحمد: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فصل: ورعه وزهده وتقشفه رحمه الله ورضي عنه:

روى البيهقي [سبب الشامي ١٥٤/١] من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد: إن اليمن تحتاج إلى قاض، فقال له: اختر رجلاً نوله إياها. فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه: ألا تقبل قضاء اليمن، فانتفع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي: إني إنما اختلف إليك لأجل العلم المزهدي في الدنيا، فتأمرني أن ألي القضاء؟ ولولا العلم لما أكملتك بعد اليوم. فاستحى الشافعي منه.

وروي أنه كان لا يصلي خلف عمه إسحاق بن حنبل. ولا خلف بنه ولا يكلمهم أيضاً، لأنهم أخذوا جائزة السلطان.

ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجد له ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقاً ففرغ أهله حاجته إلى الطعام فمجلوا وعجنوا وخبزوا له سريعاً فقال: ما هذه العجلة؟ كيف خبزتم سريعاً؟ فقالوا: وجدنا تنور بيت صالح مسجوراً فخبزنا لك فيه. فقال: ارفعوا. ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

قال البيهقي: لأن صالحاً أخذ جائزة المتوكل على الله.

وقال عبد الله: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مد سوقياً يقطر بعد كل ثلاث ليال على شئمة منه حتى رجع إلى بيته، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر. وقد رأيت موقبه دخلنا في حديثه.

قال البيهقي: وقد كان الخليفة يبعث لمائدته شيئاً كثيراً وكان أحمد لا يتناول من طعامه شيئاً. قال: وبعث المأمون مرة ذباً ليقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى.

وقال سليمان الشاذكوني: حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند فامي باليمن، فلما جاءه بفكاكه أخرج له سطلين فقال: خذ متاعك. فاشتبه عليه أيهما الذي له فقال: أتت في حل منه ومن الفكاك، وتركه.

العشاهين جاءوا وكان الإمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه، فلما صلوا العشاء لم يصلوا بعدها شيئاً، حتى جاءوا فجلسوا بين يدي الخارث سكوناً، كأنما على رؤوسهم الطير حتى إذا كان قريباً من نصف الليل ثم سأل رجل عن مسألة فشرح الخارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ، فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم، قال: فصعدت إلى الغرفة فإذا الإمام أحمد يبكي حتى يكاد يغشى عليه، ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح، فلما أرادوا الانصراف قلت: كيف رأيتم هؤلاء يا أبا عبد الله؟ فقال: ما رأيتم أحداً يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل، وما رأيتم مثل هؤلاء، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم.

قال البيهقي: يحتمل أنه كره له صحبتهم لأن الخارث بن أسد، وإن كان زاهداً، لكنه كان عنه شيء من علم الكلام، وكان أحمد يكره ذلك، أو كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقهم وما هم عليه من الزهد والورع.

قلت: بل إن كره ذلك لأن في كلامهم من التشفي الذي لم يرد بها الشرع والتدقيق والتفكير والحاسبة البليغة ما لم يأت بها أمر، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الخارث بن أسد المسمى بالرعاية قال: هذا بدعة. ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب: عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد، ودع هذا فإنه بدعة.

وقال إبراهيم الحري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يجب. وكان يقول: الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر.

وكان يقول: الفقر أشرف من الغنى فإن الصبر عليه أعظم مرارة وانزعاجه أعظم حالاً من الشكر. وقال: لا أعدل بفضل الفقر شيئاً.

وكان يقول: على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس، ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف. وكان يحب التقليل طلباً خفة الحساب.

وقال إبراهيم: قال رجل لأحمد: هذا العلم تعلمت لله؟ فقال له أحمد: هذا شرط شديد ولكن حبيب إلي شيء فجمعت.

وفي رواية أنه قال: أما لله فعزيز، ولكن حبيب إلي شيء فجمعت.

وروى البيهقي [صاحب الإمام أحمد (٣٩٨)] أن رجلاً جاء إلى الإمام أحمد فقال: إن أمي زمنة مقعدة منذ عشرين سنة، وقد بعثني إليك لتدعو الله لها فكأنه غضب من ذلك وقال: نحن أحوج أن تدعو هي لنا. ثم دعا الله عز وجل لها. فرجع الرجل إلى أمه فلدق الباب فخرجت إليه على رجليها وقالت: قد وهبني الله العافية.

وروي أن سائلاً سأله فأعطاه الإمام قطعة فقام رجل إلى السائل فقال: هني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها، ما تساوي درهماً. فأبى فرقاها إلى خمسين درهماً وهو يأبى وقال: إني أرجو من بركتها ما ترجوه أنت من بركتها. ثم قال البيهقي رحمه الله:

باب ذكر ما جاء في محبة أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله.

في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب، وقلة مبالاته بما كان منهم من ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم، وكان أحمد عالماً بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة، والأخبار المأثورة وبلغه ما أوصي به في المنام واليقظة فرضي وسلم إيماناً واحتساباً، وفاز بغير الدنيا ونعيم الآخرة، وهياه

وحكى ابنه عبد الله قال: كنا في زمن الواثق في ضيق شديد، فكتب رجل إلى أبي: إن عندي أربعة آلاف درهم وورثتها من أبي وليست صدقة ولا زكاة، فإن رأيتم أن تقبلها. فامتنع من ذلك، وكرر عليه فأبى فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال أبي: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت. وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلها باسمه فأبى أن يقبلها وقال: نحن في كفاية وجزاك الله عن قصلك خيراً.

وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فامتنع من قبولها وقام وتركه. ونفذت نفقة أحمد وهو في اليمن فعرض عليه شيخه عبد الرزاق ملء كفه دناتير فقال: نحن في كفاية ولم يقبلها.

وسرقت ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب فافتقله أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منه إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به فكتب لهم بالأجر رحمه الله.

وقال أبو داود: كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا وما رأيتم أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

وروى البيهقي [طبقات الحنابلة: ٤١٦/١] أن أحمد سئل عن التوكل فقال: هو قطع الاستشراف باليأس من الناس، فقل: له: هل من حجة على هذا؟ قال: نعم: إن إبراهيم لما رمي به في النار من المنجنيق عرض له جبريل فقال: هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فسل من لك إليه حاجة. فقال: أحب الأمرين إلي أحبهما إليه.

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال: كنا مع أحمد بن حنبل يسر من رأى فقلنا: ادع الله لنا فقال: اللهم إنك تعلم أننا نعلم أنك لنا على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما تحب، ثم سكت. فقلنا: زدنا فقال: اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات والأرض: ﴿أتيتنا طوعاً أو كرهاً فاتنا أثبتنا طائعين﴾ [ص: ١١] اللهم وفقنا لمرضاتك، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ونعوذ بك من البذل إلا لك، اللهم لا تكثر لنا فطنى ولا تقل علينا فتسى وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغاً لنا في دنيا وغنى من فضلك.

قال البيهقي: وفي حكاية أبي الفضل التميمي عن أحمد: وكان دعاؤه في السجود: اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق.

وكان يقول: اللهم إن قبلت من عصاة أمة محمد ﷺ فداء فاجعلي فداء لهم.

وقال صالح ابن الإمام أحمد: كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء للوضوء، بل كان يلي ذلك بنفسه، فإذا خرج اللؤلؤ ملان قال: الحمد لله. فقلت: يا أبا به ما الفائدة في ذلك؟ فقال: يا بني أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾ [المائدة: ٣٠].

والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً. وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله، ولم يلحقه أحد فيه. والمظنون بل المقطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه من ذلك رحمه الله وأكرم مشواه وجعل جنة الفردوس مقبلة ومأواه.

وقال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل: هل تستطيع أن تربني الخارث المحاسبي إذا جاء منزلك؟ فقلت: نعم! وفرحت بذلك، ثم ذهبت إلى الخارث فقلت له: إنني أحب أن تنحصر الليلة أنت وأصحابك. فقال: إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب. فلما كان بين

إلى نابه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، وافق ذلك في آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمانين عشرة ومائتين.

فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا، فتهلدهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين. واستمر على الامتناع في ذلك الإمام أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح الجنيد بسابوري، فحملاً على بعير وسيرهما إلى الخليفة عن أمره بذلك، وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد فلما كانوا ببلاد الرجة جاء رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر، فسلم على الإمام أحمد وقال له: يا هذا إنك وافق الناس فلا تكن مشووماً عليهم وإنك رأس الناس اليرم فليأكل أن يجهمهم إلى ما يدعونك إليه فيجسروا، فتحمل أوزارهم يوم القيامة، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإن ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وإنك إن لم تقتل تمت، وإن عشت عشت حميداً.

قال أحمد: فكان ذلك ما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه. فلما اقتربوا من جيش المأمون ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو مسح دموعه بطرف ثوبه وهو يقول: يعز علي يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك، وسط نطعاً لم يسطه قبل ذلك وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقطعنك بذلك السيف. قال: فجنى الإمام أحمد على ركبتيه ورمى بطفه إلى السماء وقال: سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى يتجبر على أوليائك بالضرب والقتل اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته. قال: فجاهمهم الصريح بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل.

قال الإمام أحمد: ففرحت، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي ذؤاد، وأن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى، ونالني معهم أذى كثير وكان في رحلي القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها وهو مريض وذلك في رمضان، فأوق السجج غمراً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم كما سيأتي إن شاء الله تعالى وبه الثقة. وقد كان الإمام أحمد هو الذي يصلي بأهل السجن وعليه قيوده في رحليه.

ذكر ضربه ﷺ بين يدي المعتصم:

لما أحضره المعتصم من السجن زيد في قيوده.

قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في النكة وحماتها بيدي، ثم جاءوني بداية فحملت عليها فكذت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد بمسكي، فسلم الله حتى جئت دار الخلافة فادخلت في بيت وأغلقت علي وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إنه فيه ماء قروضات منه، ثم قمت أصلي ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد.

قال: ثم دعيت فادخلت على المعتصم، فلما نظر إلي وعنده ابن أبي ذؤاد قال: اليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي: ادنه، فلم يزل يدينني حتى قربت منه ثم قال: اجلس فجلست وقد اتفاني الحديد فمكث ساعة ثم قلت: يا أمير المؤمنين إلام دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله. قلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله. قال: ثم ذكرت له حديث ابن عباس

الله بما أتاه من ذلك بلبلخ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أولياء الله، والحق به عبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بلية وبالله التوفيق والعصمة.

قال الله تعالى: ﴿إِلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ١-٣]. وقال الله تعالى في سورة لقمان لابنه: ﴿يا بني أتم الصلاة وأمر بالمعروف وأمر عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧] في آتي سواها في معنى ما كتبنا. وقد روى الإمام أحمد المتحضر في مسنده (١٧٣/١) قالنا فيه: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ فقال «الأنبياء»، ثم الأمثل فالأمثل، ينزل الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين ابتلي على حسب ذلك، وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذلك، وما يزال البلاء بالرجل حتى يمشي في الأرض وما عليه خطيئة.

وقد روى مسلم في صحيحه (٤٣) قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس. قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة من كن فيه فقد وجد حلالة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يوقف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه». أخرجه في الصحيحين (١٦)، م (٤٣).

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو السكسكي حدثنا عمرو بن قيس السكوني، حدثنا عاصم بن حديد قال: سمعت معاذ بن جبل يقول: «إنكم لم تتروا إلا بلاء وفتنة، ولن يزداد الأمر إلا شدة، ولا الأنفس إلا شحاً».

وبه قال معاذ: «لن تتروا من الأئمة إلا غلظة ولن تتروا أمراً يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه».

قال البغوي: سمعت أحمد يقول: اللهم رضىنا.

وروى البيهقي عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انتقل من صلاة الفجر فبلغت إليه الكتاب فقال: أقرأه؟ فقلت: لا! فأخذه فقرأه فدمعت عيناه، فقلت: يا أبا عبد الله وما فيه؟ فقال: يذكر أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: اكتب إلى عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه مني السلام وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبه، يرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة.

قال الربيع: فقلت: حلالة البشارة. فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته فقال: إني لست أفهمك فيه، ولكن بئره بالله وأعطني حتى أتبرك به.

ذكر ملخص الفتنة والحنة مجموعاً من كلام أئمة السنة ورحمهم الله وأئبهم اللجنة:

قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد اجتمع استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فآزغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل.

قال الحافظ البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله لا من بني أمية ولا من بني العباس خليفة إلا على منهج السلف، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له.

قالوا: اتفق خروجهم إلى طرسوس لغزو بلاد الروم فمسن له أن يكتب

خليفتين، فعند ذلك حي واشتد غضبه، وكان اليهنم عريكة، وهو يظن أنهم على شيء. قال أحمد: فعند ذلك قال لي: لعنك الله، طمعت فيك أن تخيبي فلم تخيبي، ثم قال: خذوه واخلموه واسحبوه.

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وحيي بالعقابين والسيات وأنا أنظر، وكان معي شعر من شعر النبي ﷺ مصورة في ثوبي، فجدوني منه وصرت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين الله الله، إن رسول الله ﷺ قال: «لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث» وتلوت الحديث رخ (٦٨٧٨)، م (١٦٧٦)، وإن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم» رخ (١٣٩٩)، م (٢٠). فم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى كوقوفي بين يديك، فكانه أسك. ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فأقمت بين العقابين وحيي بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن أخذ بيدي بأي الخشب فلم أقمهم، فتخلعت يداي وحيي بالضرايين ومهم السيات فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له يعني المعصم: شد قطع الله يدك، ويحيي الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كلنك، فضربوني أسواطاً فأغمي علي وذهب عقلي مراراً، فإذا سكن الضرب يعود لي عقلي، وقام المعصم لي يدهوني إلى قولهم فلم أجبه وجعلوا يقولون: ويحك. الخليفة على رأسك، فلم أقبل فأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأربعه ذلك من أمري وأمر بي فأطلعت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت، وقد أطلعت الأقياد من رجلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً، وقيل ثمانين سوطاً، لكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً.

وقد كان الإمام أحمد رجلاً طويلاً رقيقاً أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله ورضي عنه وأكرم مثواه.

ولما حل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم. أتوه بسويق وماء ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي: صليت في دمك؟ فقال له أحمد: قد صلى عمر وجرحه يثعب دما. فسكت.

ويروى أنه لما أقيم ليضرب انقطعت تكة سراويله فخشي أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفتيه بدعاء فعاد سراويله كما كان، ويروى أنه قال: يا غياث المستغيثين، يا إله العالمين، إن كنت تعلم أنني قائم لك بحق فلا تهتك لي عورة.

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحي فقطع لحماً ميتاً من جسده وجعل يداويه والناثب يبعث كثيراً في كل وقت يسأل عنه، وذلك أن المعصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً، وجعل يسأل الناثب عنه والناثب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعصم والمسلمون بذلك، ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة وإلهامه يؤذيها البرد وجعل كل من سعى في أمره في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿وليعرفوا وليصفحوا﴾ الا تحبون أن يغفر الله لكم؟ (النور: ٢٢). ويقول: ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم في سبيلك؟ وقد قال الله تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (الشورى: ٤٠) ويتنادي المتادي يوم القيامة: «ليقم من أجره على

في وفد عبد القيس رخ (٥٣)، م (١٧) ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

قال: ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه وذلك لأنني لم أتفه كلامه، ثم قال المعصم: لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك ثم قال: يا عبد الرحمن ألم أرك أن ترفع الحنة؟ قال أحمد: فقلت: الله أكبر، هذا فرج للمسلمين ثم قال: ناظروه يا عبد الرحمن، كلمه. فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ فلم أجبه، فقال للمعصم: أجبه فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكت، فقلت: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، فسكت فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كضرك وكفرنا فلم يلتفت إلى ذلك، فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن، فقلت: كان الله ولا علم؟ فسكت. فجعلوا يتكلمون من مهنا ومهنا، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به فقال ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟ فقلت: وهذا يقوم الإسلام إلا بهما؟

وجرت بينهما مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ (الأنبياء: ٢٤) وعنه في تلك أجوبة محدث إنزاله، أو ذكر غير القرآن محدث - كما تقدم - ورشح هذا بقوله: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ (ص: ١٦) يعني به القرآن - بخلاف الذكر فإنه غير القرآن. ويقول: ﴿الله خالق كل شيء﴾ (الرعد: ١٦).

وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله: ﴿تتمر كل شيء بأمر ربها﴾ (الاحقاف: ٢٥). فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع، وهؤلاء قضائك والفقهاء فلسهم، فقال لهم: ما تقولون فيه؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً في اليوم الثالث فناظروه أيضاً، وفي ذلك كله يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم. قال: فإذا سكوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد وكان من أجهل الناس بالعلم والكلام، وقد توعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل، فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها.

قال: سمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها، وقد تكلم معي برغوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه، فقلت: لا أدري ما تقول، إلا أنني أعلم أن الله أحد صمد، ليس كمثله شيء، فسكت عني.

وقد أوردت لهم حديث الرؤية في النار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كلاماً يتسلقون به إلى الطعن فيه، وهيئات، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد؟ (ص: ٥٢) وفي غبون ذلك كله يتلفظ به الخليفة ويقول: يا أحمد أجبي لي هذا حتى أجعلك من خاصتي وعن يطا بساطي. فأقول: يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها.

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الاحتجاج بالآثار بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ (هريم: ٤٢) ويقول: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ (النساء: ١٦٣) ويقول: ﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ (ه: ١٤) ويقول: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (الاحقاف: ٤٠) وغير ذلك من الآيات. فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة في ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل. وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب

الله فلا يقوم إلا من عفاه.

وفي صحيح مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله».

وكان الذين ثبتوا على المحنة فلم يغيروا بالكلية أربعة: أحمد بن حنبل وهو رئيسهم، وعبد بن نوح بن ميمون الجندسابوري، ومات في الطريق حين ذهب هو وأحمد إلى المأمون. ونعيم بن حماد الخزازي، وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البوطي، وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن. لم يجهم إلى ذلك وكان مثقلاً بالحديد وأوصى أن يدفن فيها. وأحمد بن نصر الخزازي وقد ذكرنا كيفية قتله رحمه الله في أيام الواثق.

ذكر ثناء الأئمة على الإمام أحمد بن حنبل العظيم المجلل:

قال البخاري: لما ضرب أحمد بن حنبل كناً بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول: لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوتة.

وقال إسماعيل بن الحليل: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان عجباً.

وقال المزني: أحمد بن حنبل يوم المحنة، وأبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين.

وقال حرمله: سمعت الشافعي يقول: خرجت من العراق فما خلفت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

وقال شيخه يحيى بن سعيد القطان: ما قدم عليّ من بغداد أحد أحب إلي من أحمد بن حنبل.

وقال قتيبة: مات سفيان الثوري ومات الورع، ومات الشافعي ومات السنن، وموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع. وفي رواية قال قتيبة: إن أحمد بن حنبل قام في الأمة مقام النبوة.

قال البيهقي: يعني في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله عز وجل.

وقال أبو عمر بن النحاس وذكر أحمد يوماً فقال: رحمه الله في الدين ما كان أبصره، وعن الدنيا ما كان أصبره، وفي الزهد ما كان أخبره، وبالصالحين ما كان الحق به والمباشرين ما كان أشبهه، عرضت له الدنيا فأباهها والبدع ففناها.

وقال بشر بن الحارث الحافي بعدما ضرب أحمد بن حنبل: ادخل أحمد الكبر فخرج ذهباً أحر.

وقال الميموني: قال لي علي بن المديني بعدما امتحن أحمد وقبل قبل أن يمتحن: يا ميموني ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل. فعجبت من هذا عجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال: صدق، إن أبا بكر الصديق وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان ثم أخذ أبو عبيد يطري أحمد ويقول: لست أعلم في الإسلام مثله.

وقال إسحاق بن راهوية: أحمد حجة بين الله وبين عبده في أرضه.

وقال علي بن المديني: إذا ابتليت بشيء فافتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان.

وقال علي أيضاً: إني اتخذت أحمد بن حنبل حجة فيما بيني وبين الله عز وجل، ثم قال: ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله!

وقال يحيى بن معين أيضاً: كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط، كان محدثاً، وكان حافظاً، وكان عالماً، وكان ورعاً وكان زاهداً،

وكان عاقلاً.

وقال يحيى بن معين أيضاً: أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل: والله ما نقوى أن نكون مثل أحمد ولا نطيق سلوك طريقه.

وقال محمد بن يحيى الذهلي: اتخذت أحمد بن حنبل حجة فيما بيني وبين الله عز وجل. وقال هلال بن العلاء الرقي: من الله على هذه الأمة بأربعة: بالشافعي فهم الأحاديث وفسرها، وبين الجميل من المفضل، والخاص العام والناسخ من المنسوخ. وبأبي عبيد عرّف الغريب وفسره. وبيحيى بن معين نفى الكذب عن الأحاديث، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة لولا هؤلاء الأربعة هلك الناس.

وقال أبو بكر بن أبي داود: أحمد بن حنبل مقدم على كل من يحمل بيده قلماً وعبرة يعني في عصره.

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله.

وقال أبو زرة الرازي: ما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أفقه منه. وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد العنبري قال: أشدنا أبو عبد الله البوشنجي في أحمد بن حنبل رحمه الله:

إن ابن حنبل إن سألت إماماً وبه الأئمة في الأنعام تمسكوا خلف النبي محمداً بعد الأئمة كانوا الخلاف بعده واستهلكوا حلو الشراك على الشراك وإنما يحلوا المثال مثاله المتمسك

وقد ثبت في الصحيح (ج ٧٣١٩، م ١٠٣٧، ١٩٢٠، ١٩٢٣) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

قال عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: هم أهم الحديث.

وروى البيهقي (اللائل: ٤٤٤/١، ٤٤٤/١، ٤٤٤/١) عن أبي سعيد المالبي عن ابن عدي عن أبي القاسم البغوي عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن بقة بن الوليد عن معان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي، قال البغوي: وحديثي زياد بن أيوب حدثنا مبشر عن معان عن إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي، قال البغوي قال قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهليين».

وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف. والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من نسب إلى حمل العلم، والإمام أحمد من أئمة أهل العلم رحمه الله وأكرم مثواه.

ذكر ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة:

حين خرج من دار الخلافة بعد الضرب صار إلى منزله فلوّوي حتى برئ، والله الحمد والمئة، ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة، وامتنع من التحديث، وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهماً يتفقا على عياله ويتنقع بذلك رحمه الله صابراً محسباً. ولم يزل كذلك مدة خلافة المعتصم، وكذلك في أيام أئمة محمد الواثق.

فلما ولي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم استبشر الناس بولايته، فإنه كان محباً للسنّة وأهلها ورفع المحنة عن الناس، وكتب إلى الأفاق أن لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن، ثم كتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعى إسحاق بالإمام أحمد إليه فأكرمه إسحاق وعظمه، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه، وسأله

وأمر أن يستكرى له دار غيرها.

وكان رؤوس الأمراء في كل يوم يحضرون عنده ويلغونه عن الخليفة السلام، ولا يدخلون عليه حتى يخلعوا ما عليهم من الزينة والسلاح، ويبحث إليه الخليفة بالمفارش الوطنية وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة.

وأراد منه الخليفة أن يقيم هناك ليحدث الناس عرضاً عما فاتهم منه في أيام المحنة وما بعدوا من السنين المتطاولية، وهو معجوب في داره، لا يخرج إلى جماعة ولا إلى جمعة أيضاً، فاعتذر إليه بأنه عليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف وكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والتلج، مما يقاوم مائة وعشرين درهماً في كل يوم، والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك، ولم يكن أحمد يطعم شيئاً من ذلك بالكليّة، بل كان صائماً يطوي، فمكث ثمانية أيام لم يستطع طعاماً، ومع ذلك هو عليك، ثم أقسم عليه ولده حتى شرب قليلاً من السويق بعد ثمانية أيام وجاءه عبيد الله يحيى بن خاقان بمال جزيل من الخليفة جائزة له فامتنع من قبولها، فألح عليه الأمير فلم يقبل. فأخذها الأمير ففرقها على بنيه وأهله، وقال: إنه لا يمكن أن تُردّ على الخليفة جائزته. وكتب المتوكل لأهله وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم، فامتنع أبو عبد الله في ذلك، فقال الخليفة: لا بد من ذلك، وما هذا إلا لولدك. فأمنك أبو عبد الله عن ممانعته ثم أخذ يلوم أهله وعمه وبني عمه، وقال لهم: إنما بقي لنا أيام قلائل، وكنا قد نزل بنا الموت، فأما إلى جنة وإما إلى نار، فنخرج من الدنيا ويطوننا قد أخذت من مال هؤلاء. في كلام طويل يعظمهم به. فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح (خ (٧١٦٤)، م (١٠٤٥)): «ما جأرك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشف فخذ». وأن ابن عمر وابن عباس قبلوا جوائز السلطان. فقال: ما هذا وفذاك سواء. ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس فيه ظلم ولا جور لم أبال.

ولما استمر ضعف أبي عبد الله جعل المتوكل يبعث إليه بابين ماسويه المتطبب لينظر في مرضه ففرج إليه فقال: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل ليس به علة في بدنه، وإنما علته من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة. فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الإمام أحمد فبعث المتوكل إليه يسأله أن يجتمع بانه المعتز ويدعو له، ويكون في حجره. فامتنع من ذلك ثم أجاب إليه رجاء أن يجعل برجوعه إلى أهله ببغداد. وبعث الخليفة. إليه بخلة سنية ومركوب من مراكيه، فامتنع من ركوبه لأنه عليه ميثرة غور، فجئ ببخل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس، من وراء ستر رقيق. فلما جاء أحمد قال: سلام عليكم. وجلس ولم يسلم عليه بالأمرة، فقالت أم الخليفة: الله الله يا بني في هذا الرجل! ترد إلى أهله، فإن هذا ليس بمن يريد ما أتم فيه. وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه: يا أمه قد أثار الدار وجاء الخادم ومعه خلة سنية مطبّة وثوب وقلنسوة وطيلسان، فالبسها الإمام أحمد يده، وأحمد لا يتحرك بالكليّة.

قال الإمام أحمد: ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه: أصليح الله الأمير هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدبك. فقال: إن علمي شيئاً تعلمته، قال أحمد: فجمعت من ذكائه في صغره لأنه كان صغيراً جفا فخرج أحمد عنهم وهو يستغفر الله ويستعيذ بالله من مقتته وغضبه.

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهياً له حراقة فلم يقبل أن ينحدر فيها، بل ركب في زورق فدخل ببغداد مخفياً، وأمر أن تباع تلك

فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له الإمام أحمد: سؤال نتعت أو استرشاد. فقال بل سؤال استرشاد. فقال: هو كلام الله منزل غير مخلوق، فسكن إلى قوله في ذلك، ثم جهزه إلى الخليفة بسرّ من رأى ثم سبه إليه.

ويلغنه أن أحمد بن حنبل اجتاز بانه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه، فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكا إلى الخليفة فقال المتوكل: يرد وإن كان قد وطى بساطي فرجع الإمام أحمد من الطريق إلى بغداد. وقد كان الإمام أحمد متكرهاً لذلك ولكن لم يهن ذلك على كثير من الناس وإنما كان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه.

ثم إن رجلاً من المبتدعة يقال له ابن الثلجي وشى إلى الخليفة شيئاً فقال: إن رجلاً من العلويين قد ضوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبيع له الناس في الباطن. فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل الإمام أحمد من الليل. فلم يشعروا إلا بالمشاعل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة فوجدوا الإمام أحمد جالساً في داره مع عياله فسلّوه عما ذكر عنه فقال: ليس عندي من هذا علم، وليس من هذا شيء ولا هذا من نبي، وإنني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية وفي عسري ويسري ومنطبي ومكرمي، وأثرة علي، وإنني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار. في كلام كثير.

قال: فقتلوا منزله حتى مكان الكتب ويصوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئاً فلما بلغ المتوكل ذلك وعظم براهته عما نسب إليه علم أنهم يكذبون عليه كثيراً، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة وهو أحد الحجبة بعشرة آلاف درهم من الخليفة، وقال: هو يقرأ عليك السلام ويقول لك: استفتى هذه، فامتنع من قبولها. فقال: يا أبا عبد الله إنني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه، والمصلحة لك قبولها، فوضعها عنده ثم ذهب فلما كان من آخر الليل استدعى الإمام أحمد أهله وبني عمه وعياله وقال: لم أتم هذه الليلة من هذا المال فجلسوا معه وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة، ثم أصبح ففرقها في الناس ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين فلم يبق منها درهماً، وأعطى منها لأبي كريب، وأبى سعيد الأشج، وتصدق بالكنيس الذي كانت فيه، ولم يعط منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والحاجة، وجاء بُنيّ ابنه فقال: أعطني درهماً. فنظر أحمد إلى ابنه صالح فتناول صالح قطعة فاعطاهما الصبي فسكت أحمد ﷺ.

ويلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى لم يبق منها شيئاً، وأنه تصدّق بكيسها، فقال علي بن الجهم: يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصدق بها عنك، وما يصنع أحمد بالمال؟ إنما يكفيه رغيّف فقال: صدقت. فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما إلا القريب، وتولى نيابة بغداد عبد الله بن إسحاق، كتب المتوكل إليه أن يحمل إليه الإمام أحمد، فقال لأحمد في ذلك فقال: إنني شيخ كبير وضعيف، فرد الجواب على الخليفة بذلك، فأرسل يعزم عليه لتأني، وكتب إلى أحمد يقول له: إنني أحب أن أسبقر بك وبناظر إليك، ويحصل لي بركة دعائك. فسار إليه الإمام أحمد وهو عليل في بنيه وبعض أهله، فلما قارب العسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم، فسلم وصيف على الإمام أحمد فرد السلام ثم قال له وصيف: قد أمكنك الله من عدوك ابن أبي ذؤاد. فلم يرد عليه جواباً، وجعل ابنه يدهو للخليفة ولرؤسيف. فلما وصلوا إلى العسكر بسر من رأى، أنزل أحمد في دار إيتاخ، فلما علم بذلك ارتحل منها

يحملوه في الحاملين، وأن ينصحو جماعة المسلمين، وأوصي أبي قد رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمداً نبياً، وأوصي أن لعبد الله بن محمد المعروف بغوران عليّ نحواً من خمسين ديناراً وهو مصدق فيما قال فيقضى ما له علي من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطي ولد صالح كل ذكر وأثنى عشرة دراهم.

ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعو لهم، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوماً فسماه سعيداً، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مضى حين مرض الإمام أحمد فدعاه فآلزمه وقبله ثم قال: ما كنت أصنع بالولد على كبر السن؟ فقيل له: ذرية تكون بعدك يدعون لك. قال: وذلك إن حصل. وجعل يحمّد الله تعالى. وقد بلغه في مرضه عن طائوس أنه كان كره الأثين في المرض فترك الأثين فلم يثن حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها أُنْ، وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة، فأُنْ حين اشتد به الوجع. وقد روي عن ابنه عبد الله ويروى عن صالح وقد يكون عن كل منهما أنه قال: لما احتضر أبي رحمه الله جعل يكثر أن يقول: لا بعد، لا بعد، فقلت: يا أبت ما هذه اللفظة التي لمجت بها في هذه الساعة؟ فقال: يا بني إن إليّس واقف في زاوية البيت وهو عاض على أصبعه وهو يقول: قتي يا أحمد؟ فأقول: لا بعد لا بعد - يعني أنه لا يفوته حتى تخرج روحه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث قال إليّس: يا رب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال: وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني.

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضئوه فجعلوا يوضئونه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعي وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك، فلما أكملوا الوضوء توفي رحمه الله ورضي عنه.

وقد كانت الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة حين مضى نحو من ساعتين من النهار، فاجتمع الناس في الشوارع وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر حاجبه ومعه غلمان يحملون مناديل فيها أكفان، وأرسل يقول: هذا نياية عن الخليفة، فإنه لو كان حاضراً لبعث بهذا. فأرسل أولاده يقولون: إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته ما يكروه وهذا ما يكروه وأبو أن يكفونه في تلك الأنواب وأتوا بثوب كان قد غزلته جاريته فكفّسوه فيه واشتروا معه عوز لفاقة وحنوطاً، واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن يفسلوه بماء من بيوتهم، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئاً، وكان لا يزال متفضياً عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم وكانوا عالةً فقره. وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بني هاشم، فجعلوا يقبلون بين عينيه ويدعون له ويتروحن عليه رحمه الله.

وخرج الناس بنعشه والمخلاق حوله من الرجال والنساء ما لا يعلم عددهم إلا الله، ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس، فتقدم خطوات فغزى أولاد الإمام أحمد فيه، وكان هو الذي أمّ الناس في الصلاة عليه، وقد أعاد جماعة من الناس الصلاة على القبر بعد الدفن من أجل ذلك، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق.

وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحرق الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن وأقل ما قيل: سبع مئة ألف.

الخلفة وأن يتصدق بمنشأ على الفقراء والمساكين. وجعل أياماً يتألم من اجتماعه بهم ويقول: سلمت منهم طول عمري ثم ابتليت بهم في آخره. وكان قد جاع عندهم جوعاً عظيماً كثيراً حتى كاد يهلك من الجوع. وقد قال بعض الأمراء للمتوكل على الله الخليفة: إن أحمد بن حنبل لا يأكل لك طعاماً، ولا يشرب لك شراباً، ولا يجلس على فرشك، ويمرر ما تشربه. فقال لهم: والله لو نئير المتعصم وكلمني في أحمد ما قبلت منه. وجعلت رسل المتوكل تغد إليه في كل يوم تستعلم أخباره وكيف حاله. وجعل يستغني في أموال ابن أبي ذؤاد فلا يجيب بشيء، ثم إن المتوكل أخرج ابن أبي ذؤاد من سر من رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأملكه وأخذ أمواله كلها.

قال عبد الله بن أحمد: وحين رجع أبي من سامرا إلى بغداد وجدنا عينه قد دخلنا في موقيته، وما رجعت إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتاً هم فيه أو يتنقع بشيء مما هم فيه لأجل قبولهم أموال السلطان.

وكان مسير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين، ثم مكث إلى سنة وفاته، قل يوم إلا ورسالة المتوكل تغد إليه في أمور يشاوره فيها، ويستشير في أشياء تقع له.

ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليفرقها على من يرى، فامتنع من قبولها وتفرقتها، وقال: إن أمير المؤمنين قد أعفاني عما أكرهه فدرها. وكتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول فيها: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة. فكتب فيها المتوكل: أما المؤمن فإنه خلط فسلط الناس على نفسه، وأما أبي المتعصم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصير بالكلام، وأما أخي الوائق فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة سائتي سوط، فأخذ عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط. فقال له الخليفة: لم ضربته خمسمائة سوط؟ فقال: مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ورسوله، ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل.

وقد كتب الخليفة إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد. فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم، وأحاديث مرفوعة. وقد أوردتها ابنه صالح في المحنة التي ساقها، وهي مروية عنه، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ.

ذكر وفاة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

قال ابنه صالح: كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو مغموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف، فقلت: يا أبت ما كان غمناؤك؟ فقال: ماء الباقلا. ثم إن صالحاً ذكر كثرة جمحي الناس من الأكابر وعموم الناس لعيادته وكثرة جزع الناس عليه، وكان معه خريقة فيها قطيعات ينشق على نفسه منها، وقد أمر ولده عبد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكثر عنه كفارة بيمين، فأخذ شيئاً من الأجرة فاشتري ثمراً وكفر عن أبيه، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم. وكتب الإمام أحمد وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل، أوصنى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العبادين، وأن

فقلت له: ما فعل بشر الحافي؟ فقال: يخ، يخ، ومن مثل بشر؟ تركه بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول: كل يا من لم ياكل، واشرب يا من لم يشرب، واتمم يا من لم ينعم، أو كما قال. وقال أبو محمد بن أبي حاتم عن محمد بن مسلم بن وبرة قال: لما مات أبو زرعة رأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي الجبار: الحق به بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله، مالك والشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن حنبل في تاريخه: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله، لفصل القضاء، وكان منادياً ينادي من تحت بطنان العرش: أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة. قال: فقلت للملك إلى جنسي: من هؤلاء؟ فقال: مالك، والثوري، والشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب المقدسي قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو قائم وعليه ثوب مغطى به وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين يذبان عنه.

وتقدم في ترجمة أحمد بن أبي ذؤاد عن يحيى الجلاء أنه رأى كأن أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي ذؤاد في حلقة أخرى وكان رسول الله ﷺ واقف بين الحلقتين وهو يتلو هذه الآية: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ﴾ (الأنعام: ٨٩) ويشير إلى حلقة ابن أبي ذؤاد وأصحابه ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ٨٩) ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين

فيها كانت زلازل هائلة في البلاد فمن ذلك ما كان بمدينة قوس، تهدمت منها دور كثيرة، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً. وكانت باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازل متكررة.

وفيها أغارت الروم على بلاد الجزيرة فانهبوا شيئاً كثيراً وأسروا نحواً من عشرة آلاف من النصارى. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وحج بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي نائب مكة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور.

■ أبو حسان الزياتي: قاضي الشريعة، واسم أبي حسان الزياتي الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي سمع الوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح، والواقدي، وخلقا سواهم. وعنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وعلي بن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بكفط، وجماعة.

ترجمه الحافظ ابن عسكار في تاريخه [١٣٢/١٣٣]. قال: وليس هو من سلالة زياد بن أبيه، إنما تزوج بعض أجلاده بأم ولد زياد، فقبل له الزياتي. ثم أورد من حديثه بسنده عن جابر الأحول بين والحرام بين. الحديث.

وقال ابن أبي حاتم [المرح والصدل: ٣١٢/١]: سمعت أبا زرعة يقول: بلغني أن التوكل أمر أن يحسحح الموضع الذي وقف الناس عليه حيث صُلِّي على الإمام أحمد بن حنبل فبلغ مقام ألف وخمسة آلاف.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضي يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول: ما بلغنا أن جمعا في الجاهلية الإسلام كان أكثر من الجمع على جنازة أبي عبد الله. وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوراق - جاز أحمد بن حنبل - قال: أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس، ووقع المائت في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وفي بعض النسخ: أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً والله أعلم.

وقال البارقي: سمعت أبا سهل بن زياد، سمعت عبد الله بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البيع: بيتنا وبينكم الجناز حين نمر. وقد صلق الله قوله في هذا، فإنه رحمه الله، كان إمام السنة في زمانه، وعيون مخالفه أحمد بن أبي ذؤاد القاضي لم يحتفل أحد بموته، ولا شيعه أحد من الناس إلا القليل وكذلك الحارث بن أسد الحاسبي مع زهده وورعه وتقربه ومحاسنه نفسه في خطراته وحركاته، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس. وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً، فله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاهر أنه قال: ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الإمام أحمد.

وروي عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد: دفن اليوم سادس خسة، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رحمه الله. وكان عمره رحمه الله يوم توفي سبعا وسبعين سنة وأياماً أقل من شهر.

ذكر ما رمي من الماومات الصالحة التي رآها الإمام أحمد ورُكبت له: وقد صح في الحديث: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. وفي رواية إلا الرؤيا الصالحة - يراها المؤمن أو ترى له [ع: ٢٩٩٠، م: ٤٧٩].

وروي البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن حماد سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول: كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فسلم وجلس فقال: من منكم أحمد بن حنبل؟ فقال أحمد: أنا ما حاجتك؟ فقال: ضربت إليك من أربعمائة فرسخ، أريت الخضر في المنام فقال لي: سر إلى أحمد بن حنبل وصل عنه وقل له: إن ساكن العرش والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله عز وجل.

وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الإسكندراني. قال: لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غمّاً شديداً فرأيت في المنام وهو يتبختر في مشية فقلت له: يا أبا عبد الله أي مشية هذه؟ فقال: مشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وتوجني وألبسي نعلين من ذهب، وقال لي: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي، ثم قال لي: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتني عن سفيان الثوري وكنت تدعو بهن في دار الدنيا، قال: قلت: يا رب كل شيء، بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء. فقال لي: يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها. فدخلت فإذا أنا بسفیان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة، ومن شجرة إلى شجرة، وهو يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَبْرًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر: ٧٤). قال

ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المتصم محمد بن عبد الملك بن الزيات.

وكنيت أخشي بإخفاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنيت أذم إليك الزمان فصبحت منك أذم الزمانا
وكنيت أعدك للنايات فها أنا اطلب منك الأمانا
وله:

لا بمنعك خضف العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران
كانت وفاته في منتصف شعبان من هذه السنة يسر من رأى رحمه الله.
قال: ومات هاشم بن بنجور في ذي الحجة.
قلت: وفيها توفي:

■ أحمد بن سعيد الرباطي. والشارح بن أسد المحاسبي. أحد أئمة الصوفية. وحرمله بن يحيى التجيبي صاحب الشافعي. وعبد الله بن معاوية الجمحي. ومحمد بن عمر العدني. وهارون بن عبد الله الحمالي. وهناد بن السري.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق في أبهة الخلافة وكان يوماً مشهوداً، وكان عازماً على الإقامة بها، وأمر بنقل دواوين الملك إليها، وأمر ببناء القصور بها فبني بطريق داريا، فأقام بها مدة، ثم إنه استرخى ورأى أن هواها بارد ندي وماءها ثقیل بالنسبة إلى هواء العراق ومائه، ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف، فلا يزال في اشتداد وغيار إلى قريب من ثلث الليل، ورأى كثرة البراهيت بها، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والتلوج أمراً عجباً، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه، وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الأمطار والتلوج، فغضب منها ثم جهز بغاً إلى بلاد الروم، ثم رجع من آخر السنة إلى سامرا بعد ما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام، ففرح به أهل بغداد فرحاً شديداً.

وفي هذه السنة أتى المتوكل بالحيرة التي كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد وغيره، وقد كانت للنجاشي فوهها للزبير بن العوام، فوهها الزبير للنبي ﷺ، فلما صارت إلى المتوكل على الله فرح بها فرحاً شديداً وأمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ.

وفيها غضب المتوكل على الطبيب بختشوع ونفاه وأخذ ماله.
وحج بالناس فيها: عبد الصمد المذكور قبلها.
واتفق في هذه السنة يوم عيد الأضحى وعيد الفطر لليهود وشعائين النصراني وهذا أمرٌ عجيب غريب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن منيع. وإسحاق بن موسى الخطمي. وحديد بن مسعدة.
وعبد الحميد بن بيان. وعلي بن حجر. والوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات. ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق.

وروي عن الخطيب أنه قال: كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والفة والأمانة، ولي قضاء الشرقية في خلافة المتوكل، وله تاريخ حسن، وله حديث كثير.

وقال غيره: كان صالحاً ديناً قد عمل الكتب، وكانت له معرفة جيدة بأيام الناس، وله تاريخ حسن، وكان كريماً مفضلاً.

وقد ذكر ابن عساكر عنه أشياء حسنة، منها أنه أنفذ إليه بعض أصحابه يذكر أنه قد أصابته ضائقة في عيد من الأعياد، ولم يكن عنده غير مائة دينار، فأرسلها بصرتها إليه، ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضاً يشكو مثل تلك الحال، فأرسل بها إليه. وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الذي أخذ المئة يستقرض منه شيئاً وهو لا يشعر بالأمر، فأرسل إليه بالمائة في صرتها، فلما رآها تعجب من أمرها وركب إليه وسأله عن ذلك فذكر أن فلاناً أرسلها إليه، فاجتمعوا الثلاثة واقتسموا المائة الدينار رحمهم الله وجزاهم عن مروءاتهم خيراً.

و■ أبو مصعب الزهري أحد رواة المطا عن مالك، وعبد الله بن ذكوان أحد القراء المشاهير. ومحمد بن أسلم الطوسي. ومحمد بن رمح. ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي أحد أئمة الجرح والتعليل. والقاضي يحيى بن أكنم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

في ذي القعدة منها توجه للمتوكل على الله من العراق قاصداً مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامة ومحلة إمامته، فادركه عيد الأضحى وهو بمدينة بلد، فضحى بها، وتأسف أهل العراق على ذهاب الخليفة من بين أظهرهم، فقال في ذلك يزيد بن محمد المهلي:

أظن الشام تشمت بالعراق إذا عزم الإمام على انطلاق
فإن تدع العراق وساكنتها فقد تلبس المليحة بالطلاق
وحج بالناس فيها عبد الصمد المذكور في التي قبلها وهو نائب مكة.

وفيهما توفي

قال ابن جرير [الرحمة: ٢٠٩/٩]:

■ إبراهيم بن العباس: متولي ديوان الضياع الحسن بن مخلد بن الجسراخ خليفة إبراهيم في شعبان.

قلت: إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي الشاعر الكاتب المشهور، وهو عم محمد بن يحيى الصولي، وكان جده صول ملك جرجان وكان أصله منها، ثم تمجس ثم أسلم على يدي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وإبراهيم هذا ديوان شعر ذكره ابن خلكان واستجاد من شعره أشياء منها قوله:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها عوج
ضائق فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
ومنها قوله:

كنت السواد لقلبي فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فليكن ككنت أحار

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

فيها أمر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهر بها، فيقال: إنه أنفق على بنائها وبناء قصر للخلافة فيها يقال له: اللؤلؤة. ألفي ألف دينار. وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى، فمن ذلك بمدينة أنطاكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار، وانهدم من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمعت من كوى دورها أصوات مزعجة جداً فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الأقصر فساح في البحر، فهاج البحر عند ذلك وارتفع منه دخان أسود مظلم متن، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب.

ذكر أبو جعفر بن جرير [٢١٣/٩] قال: وسمع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير.

قال: وزلزلت فيها بالس والرقه وحران ورأس العين وحصص ودمشق والرها وطرسوس والمصيصة، وأذنت وسواحل الشام، ورجفت اللاذقية بأهلها فما بقي منها منزل إلا انهدم، وما بقي من أهلها إلا اليسير، وذهبت جيلة بأهلها.

وفيها غارت مشاش - عين بمكة - حتى بلغ ثمن القرية بمكة ثمانين درهماً. حتى بعث المتوكل فاتفق عليها مالا جزيلاً حتى خرجت.

وفيها مات:

■ إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي. وهلال الرازي. وفيها هلك:

■ نجاح بن سلمة. وقد كان على ديوان التوقيع. وقد كان حظياً عند المتوكل، ثم جرت له كائنة أفضت به إلى أن أمر المتوكل بأخذ أمواله وأملأكه وحواصل، وقد أورد قصته ابن جرير مطولة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عبدة الضبي، وأبو الحيس القواس مرقى مكة، وأحمد بن نصر النيسابوري. وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإسماعيل بن موسى ابن بنت السدي. وفو النون المصري، وسوار القاضي وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، ومحمد بن رافع، وهشام بن عمار، وأبو تراب النخشي.

و■ ابن الراوندي الزنديقي، أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي، نسبة إلى قرية ببلاد قاسان، ثم نشأ كان ببغداد، كان بها يصنف الكتب في الزندقة، وكانت لديه فضيلة، ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا الآخرة. وقد ذكرنا له ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي وإنما ذكرناها هنا لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة، وقد تلبس عليه ولم يجرّحه بشيء أصلاً بل مدحه فقال: أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً، منها كتب فضيحة المعتزلة، وكتاب التاج، وكتاب الزمردة، وكتاب القصب، وغير ذلك. وله حماس ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرق بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام في كتبهم.

توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، برحة مالك بن طوق التغلبي، وقيل ببغداد. وتقدّر عمره أربعون سنة، وذكر في «البيستان» أنه توفي سنة خمسين،

فأله أعلم. هذا لفظه بحروفه وإنما أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سيأتي له هناك ترجمة مطولة.

■ ذو النون المصري: ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيص بن إبراهيم، أبو الفيص المصري أحد المشايخ المذكورين في رسالة القشيري وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله، وأرخ وفاته في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فأله أعلم. وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن مالك. وذكره ابن يونس في تاريخ مصر، قال: كان أبوه نوبياً وقيل إنه كان من أهل إيجيم، وكان حكيماً فصيحاً، قيل ومثل عن سبب توبته فذكر أنه رأى قُبيرة عمياء نزلت من وكرها فانثقت الأرض عن سكرجين من ذهب وقضة في إحداها سمسم وفي الأخرى ماء، فأكلت من هذه وشربت من هذه.

وقد شكى مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق، فلما دخل عليه وعظه فأبكاها، فرد مكراً إلى بلده. فكان بعد ذلك إذا ذكر عنده بكى عليه.

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكل الماحوزة فنزل بقصر الخلافة منها، واستدعى بالقراء ثم بالمطربين وأعطى وأطلق، وكان يوماً مشهوداً، وفي صفر منها وقع الغداء بين المسلمين والروم، فقودي من المسلمين نحو من أربعة آلاف أسير.

وفي شعبان منها أمطرت ببغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحد وعشرين يوماً، ووقع بأرض بلخ مطر مازة دم عيط.

وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزيني، وحج فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي هو أمر الموسم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إبراهيم الدورقي. والحسين بن الحسن المروزي. وأبو عمر الدورقي. أحد القراء المشاهير. ومحمد بن مصفى الحمصي.

و■ دعلج بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي، مولاهم الشاعر الماجن البليغ في المدح، وفي الهجاء أكثر.

قال: حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب وكان بخيلاً، فاستدعى بغداته فإذا ديك في قصعة، وإذا هو عاس لا يقطع سكين إلا بشدة، ولا يعمل فيه خرس. فلما حضر بين يديه فقد رأسه فقال للطباخ: ويلي، ماذا صنعت به؟ أين رأسه، قال: ظننت أنك لا تأكله فألقيته، فقال: ويحك، والله إني لأعيب على من يلقي الرجلين فكيف بالرأس، وفيه الحواس الأربع، ومنه بصوت، وبه فضل وعينا يُضرب بهما المثل، وعرفه وبه يتبرك، وعظمه أهش العظام، فإن كنت رغبته عن أكله فأحضره. فقال: لا أدري أين هو؟ فقال: بل أنا أدري، هو في بطنك قاتلك الله. فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه.

■ أحمد بن أبي الخوارزمي: واسمه عبد الله بن ميمون بن عباس بن الحارث أبو الحسن التغلبي النطفاي، أحد الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات الصادقة، أصله من الكوفة وسكن دمشق وتلمذ للشيخ أبي سليمان

الداراني رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يدي ولده المنتصر، وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبد الله المعتز الذي هو ولي العهد من بعده أن يحضّر بالناس في يوم الجمعة، فأذاها أداء عظيمًا بليغًا، فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ، وحتى على أبيه وأخيه، ثم اتفق أن يحضره أبوه بين يديه فأهانه وأمر بضربه في رأسه وصفعه، وصرح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه، فاشتد أيضًا حقه أكثر مما كان. فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل على الله بالناس وعنده بعض التشكي من علة به، ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها، فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال الشهر بتدعائه على عادته في سمه وحضرته وشربه، ثم عمّالاً ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه في ليلة الأربعاء أربع خلون من شوال، ويقال من شعبان من هذه السنة، وهو على السباط فابتدروه بالسيف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر كما سنذكره.

ترجمة المتوكل على الله

■ جعفر بن المتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو الفضل المتوكل. وأمه ألد ويقال لها شجاع، وكانت من سرورات النساء سخاء وحزماً. كان مولده بقم الصلح سنة سبع ومائتين، ويوقع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين كما تقدم.

وقد روى الخطيب [تاريخ بغداد: ١٦٦/٧] من طريقه عن يحيى بن أكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: "من حرم الرفق حرم الخير". ثم أنشأ المتوكل يقول:

الرفق بمن والأنسة سعادة فاستأن في رفق تلاق نجاها
لا خير في حزم بغير رويث والشك وهن إن أردت سراحا
وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه: وحدث عن أبيه المتصم ويحيى بن أكثم القاضي.

وروى عنه علي بن الجهم الشاعر، وهشام بن عمار الدمشقي، وقدم المتوكل دمشق في خلافته وابتنى بها قصراً بأرض دارياً. وقال يوماً لبعضهم: إن الخلفاء كانت تصعب على الرعية لطعنها، وإني ألين لهم ليجبوني ويطيعوني. وقال أحمد بن مروان المالكي: حدثنا أحمد بن علي البصري قال: وجه المتوكل إلى أحمد بن المذل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المذل. فقال المتوكل لعبد الله: إن هذا لا يرى بيعتنا؟ فقال له: بلى يا أمير المؤمنين! ولكن في بصره سوء. فقال أحمد بن المذل: يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء، ولكن نزلت من عذاب الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يشتم له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار" (رد ٥٢٢٩)، ت (٢٧٥٥). فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.

وروى الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٦٧/٧] أن علي بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درتان يقلبهما فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق. وعنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي وخلق كثير. وذكره أبو حاتم فأنى عليه.

وقال يحيى بن معين: إني لأظن أن الله يسقي أهل الشام به. وكان الجليد بن محمد يقول: هو ريحانة الشام.

وقد روى الحافظ ابن عساكر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الداراني إلا يغضبه ولا يخالفه، فجاءه يوماً وهو يحدث الناس فقال: ياسيدي، قد سجدوا للتور فماداً تأمر؟ فلم يرد عليه أبو سليمان، لشغله بالناس، ثم أعادها أحمد ثانية وثالثة، فقال له في الثالثة: اذهب فاقعد فيه. ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره: إنسي قلت لأحمد: اذهب فاقعد في التور، وإني أخشى أن يكون قد فعل ذلك، فقوموا بنا إليه. فذهبوا فوجدوه جالساً في التور ولم يحترق منه شعرة واحدة.

وروى أيضاً أن أحمد بن أبي الحواري أصبح ذات يوم وقد ولد له ولد ولا يملك شيئاً يصلح به الولد، فقال لخادمه: اذهب فاستن لنا وزنة من دقيق، فينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمائتي درهم فوضعهما بين يديه، فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال: يا أحمد إنه قد ولد لي الليلة ولد ولا أملك شيئاً، فرفع أحمد طرفه إلى السماء وقال: يامولاي هكذا بالعجلة. وقال للرجل: خذ هذه الدراهم، لك، ولم يأخذ منها درهماً، واستندان لأهله دقيقاً.

وروى عنه خادمه أنه خرج إلى الثغر للرباط فما زالت الهدايا تغد إليه من بكرة النهار إلى الزوال، ثم فرقها كلها إلى وقت الغروب ثم قال لي: كن هكذا لا ترد على الله شيئاً، ولا تدخر عنه شيئاً.

ولما جاءت الحنة زمن المأمون إلى دمشق يخلق القرآن عين فيها أحمد بن أبي الحواري وهشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمن، وعبد الله بن ذكوان، فكلهم أجابوا إلا أحمد بن أبي الحواري فحبس بدار الحجارة، ثم هدد فاجاب تورية مكرهاً، ثم أطلق رحمه الله. وقد قام ليلة بالثغر يكرر هذه الآية ﴿إِنَّكَ نَجْدٌ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [هاتفه: ٥] حتى أصبح. وقد ألقى كتبه في البحر وقال: نعم الدليل كنت في على الله عز وجل وإليه، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المذلول عليه والوصول إليه محال. ومن كلامه: لا دليل على الله سواء، وإنما يطلب العلم لأدب الخدعة.

وقال: من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله أثر رضاه.

وقال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه. وقال أيضاً: قلت لأبي سليمان الداراني في ابتداء أمر: أوصني، فقال: أمستوص أنت؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى. فقال: خالف نفسك في كل مراد لها فإنها الأمارة بالسوء، وإياك أن تحقر أحداً من المسلمين، واجعل طاعة الله ذئاراً، والخوف منه شعلاً، والإخلاص زاداً، والصدق جنة، وأقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها: إنه من استحى من الله في كل أوقاته وأحواله وأفعاله، بلغه إلى مقام الأولياء من عبادته. قال فجعلت هذه الكلمات أمامي في كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها. والصحيح أنه توفي في هذه السنة، وقيل في ستة ثلاثين ومائتين، وقيل غير ذلك فالله أعلم.

بك ريك؟ فقال: غفر لي. قلت بماذا؟ قال: بقليل من السنة أحييتها. قلت فما تصنع ههنا؟ قال: أنتظر ابني محمداً أحاصمه إلى الله الحليم العظيم الكريم.

وقد ذكرنا قريباً كيفية مقتله وإن ابنه محمداً المنتصر مالا جماعة من الأمراء على قتله فقتل في ليلة الأربعاء أول الليل الأربع خلت من شوال من هذه السنة - أعني سنة سبع وأربعين ومائتين - بالثوكلية وهي الماحوزة، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالجعفرية وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام. وكان أسمر حسن العينين نحيف الجسم خفيف العارضين أقرب إلى القصر واللثة سبجانه أعلم.

خلافه محمد المنتصر بن المتوكل

قد تقدم أنه عملاً هو وجماعة من الأمراء على قتل أبيه، وحين قتل الخليفة المتوكل ببيع له بالخلافة في الليل، فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه فبايعه المعتز، وقد كان المعتز هو ولي العهد قبله، ولكن أكرهه وخافه فسلم ويبيع. فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتح بن خاقان على قتل أبيه، وقتل الفتح أيضاً، ثم بعث البيعة له إلى الأفاق.

وفي ثاني يوم من خلافته ولي المظالم لأبي عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم فقال الشاعر:

يا ضيعة الإسلام لا ولي مظالم الناس أبو عتبة
صغير مأمونا على أمير وليس مأموناً على بئسرة

وكانت البيعة له بالثوكلية، وهي الماحوزة، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قوّاده وحشمه منها إلى سامرا.

وفي ذي الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر عمه علي بن المعتصم من سامرا إلى بغداد ووكل به.

وحج بالناس محمد بن سليمان الزيني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن سعيد الجوهري وسفيان بن وكيع بن الجراح، وسلمة بن شبيب.

و■ أبو عثمان المازني النحوي: واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه، أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأكثر عنه، وللمازني مصنفات كثيرة في هذا الشأن وكان شبيهاً بالفقهاء ورعاً زاهداً ثقة مأموناً.

روى عنه المبرد أن رجلاً من أهل اللغة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك فلامه بعض الناس في ذلك فقال: إنما تركت هذا لما فيه من آيات الله تعالى فاتق بحد هذا أن جارية غنت بحضرة الوائت:

أظلموا إن مصابكم رجلاً رة السلام مخيئة ظلم

فاختلفت من بحضرة الوائت في إعراب هذا البيت، وهل يكون رجلاً مرفوعاً أو منصوباً، وم نصب؟ أم هو اسم أو ماذا؟ وأصرت الجارية على أن

وإذا مررت ببر عسرة فاسقي من مائه
فأعطاه النبي في يمينه وكانت تساوي مائة ألف. ثم أنشده:

يسر من من را أسير عدل
يرجى ويخشى لكل خطيب
المسك فيه وفي بيته
يسده في الجود ضرر كان
لم تات منه اليمين شيئاً
إلا أتت مثلثة اليسار
قال: فأعطاه النبي في يساره أيضاً.

قال الخطيب: وقد رويت هذه الأبيات عن علي بن هارون للبحري في المتوكل.

وروى ابن عسار عن علي بن الجهم قال: وقفت قبعة حظية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدها بالغالية جعفر فامل ذلك ثم أنشأ يقول:

وكتابة في الخد بالمسك جعفراً
لئن أودعت سطرًا من المسك خلجاً
فيا من مناهي السريرة جعفر
ويا من لمسلوك يملك يمينه
قال: ثم أمر المتوكل عريباً فغنت به.

وقال الفتح بن خاقان: دخلت يوماً على المتوكل فإذا هو مطرق مفكر فقلت: يا أمير المؤمنين ما لك مفكراً؟ فوالله ما على الأرض أطيّب منك عيشاً، ولا أنعم منك بالاً. قال: أطيّب مني عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة، لا يعرفنا فتزديه ولا يحتاج إلينا فتزديه.

وقد كان المتوكل محباً إلى رعيته قائماً بالسنة فيهم، وقد شبه بعضهم بالصدق في رده على أهل الردة، حتى رجعوا إلى الدين. ويعمر بن عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية. وهو أظهر السنة بعد البدعة، وأخذ البدعة بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله.

وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور فقال ألتوكل؟ فقال: المتوكل. قلت: فما فعل بك ريك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بقليل من السنة أحييتها.

وروى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات المتوكل كان رجلاً يصعد به إلى السماء وقائلاً يقول:

ملك يقاد إلى ملك عادل
مفضل في العفو ليس بجائر
وروي عن عمرو بن شيان الحلبي قال: رأيت ليلة قتل المتوكل قائلاً يقول:

يا نائم العين في أنطار جثمان
أفرض دموعك يا عمرو بن شيان
أما ترى الفتية الأرجاس ما فعلوا
بالمهاشمي وبالفتح بن خاقان
وأنى إلى الله مظلوماً فضح له
أهل السموات من مشي ووحدان
وسوف تأتيكم أخرى موصومة
توقموها لها شأن من الشأن
فأبكوا على جعفر وارثوا خليفتمكم
فقد بكاه جميع الإنس والجان

قال: فأصبحت فأخبرت الناس، فجاء نعيه أنه قتل في تلك الليلة، قال ثم رأيته بعد هذا بشهر وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت: ما فعل

الملازني حفظها هنا وهكذا. قال فارسس الخليفة إليه، فلما مثل بين يديه قال له: أنت الملازني؟ قال: نعم. قال من ملازني تقيم أم من ملازني ربيعة أم من ملازني قيس؟ فقلت: من ملازني ربيعة. فأخذ يكلمني بلغني، فقال: باسمك؟ وهم يلقبون الباء ميماً والميم باء، فكرهت أن أقول مكر فقلت: بكر، فأعجبه إعراضي عن المكر إلى البكر، وعرف ما أردت. فقال: علام تنصب رجلاً؟ فقلت: لأنه معمول المصنوع «مصباكم». فأخذ الزيدي يمارضه فعلاه الملازني بالحجة فأطلق له الخليفة ألف دينار ورده إلى أهله مكرماً. فعوضه الله عن المائة دينار لما تركها لله سبحانه ولم يكن النعمي من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن - ألف دينار عشرة أمثالها.

وروي المبرد عنه قال: أقرأت رجلاً كتاب سيرة إلى آخره، فلما انتهى إلى آخره قال لي: أما أنت أيها الشيخ فعزك الله خيراً، وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفاً.

توفي الملازني في هذه السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين، وأغرب من قال: سنة ست وثلاثين. فالله أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

فيها أغزى المنتصر وصيفاً تركي الصافقة لقتال الروم، وذلك أن ملك الروم قصد بلاد الشام، فعند ذلك جهز المنتصر وصيفاً وجهز معه جيشاً كثيراً ورجالاً وعدداً، وأمر له بقتلات كثيرة، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالفرع أربع سنين، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه.

وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر من هذه السنة المباركة خلع أبو عبد الله محمد المعز والمؤيد إبراهيم أخيراً أمير المؤمنين، وليا العهد أنفسهما من الخلافة، وأشهدا عليهما بذلك، وأنهما عاجزان عن الخلافة، وإن المسلمين في حل من بيعتهما، وذلك بعد ما تهدمهما أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم يقملا ذلك، ومقصوده تولية ابنه عبد الرحاب بإشارة أمراء الأتراك بذلك. وخطب بذلك على رؤوس الأشهاد بمحضرة القواد والقضاة وأعيان بني هاشم والناس عامة، وكتب بذلك إلى الأفاق والأقاليم ليعلموا بذلك ويحظروا له بذلك على المنابر، ويتوالى على محال الكتابة، والله غالب على أمره، فأراد أن يسلبهما الملك ويجعله في عقبه، والأقدار تكذبه وتخالفه، وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر، ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له علة كان فيها حظه على ما سنذكره.

وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنه يصعد سلماً فيبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة، فقصها على بعض المعبرين فقال له: هذه خمسة وعشرون: نلي فيها الخلافة، وإذا بها علة عمره قد استكملها في هذه السنة. وقال بعضهم: دخلنا عليه يوماً فإذا هو يكي ويتحب شديداً، فسأله بعض أصحابه عن بكائه فقال: رأيت أبي المتوكل في منامي هذا وهو يقول: ويلك يا محمد تقتني وظلمتي وغصبتني خلافتي، والله لا تمتع بها بعدي إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار.

قال: فما أملك عيني ولا جزعي. فقال له بعض أصحابه من الترابين الذين يغرون الناس ويفتنونهم: هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب، فقم بنا إلى الشراب ليذهب همك وحزنك. فأمر بالشراب فأحضر وجاء ندماءه فأخذ

في الخمر وهو منكسر الحمة، وما زال كذلك مكسوراً حتى مات. وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه، فقيل: إنه أصابه داء في راسه فقطر في أذنه دهن فلما وصل إلى دماغه عرجل بالموت، وقيل: بل ورمت معدته فانتهى الورم إلى قلبه فمات، وقيل بل أصابته ذمة فاستمرت به عشرة أيام فمات، وقيل بل فصله الحجام بمقصود مسموم فمات من يومه.

قال ابن جرير [٢٥١/٩]: أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو محموم فدعا تلميذاً له ليفصله فأخذ مضجع أستاذة فقصده به وهو لا يشعر وأنسى الله سبحانه الحجام فما ذكر حتى رآه قد فصله به وتحكم فيه السم، فأوصى عند ذلك ومات من يومه. وذكر ابن جرير [٢٥٢/٩]: أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في مرضه الذي مات فيه فقالت له: كيف حالك؟ فقال: ذهب مني الدنيا والآخرة.

وقال إنه أنشد لما أحبط به وأيس من الحياة وهو في الساق: فما فَرَحْتُ نفسي بنديا أصبها ولكن إلى الرب الكريم أصيرُ فمات يوم الأحد لخمس مضي من ربيع الآخر من هذه السنة، وقت صلاة العصر، عن خمس وعشرين سنة، قيل: وستة أشهر، ولا خلاف أنه إنما ولي الخلافة ستة أشهر لا يزيد منها.

وذكر ابن جرير [٢٥٤/٩]: عن بعض أصحابه أنه لم يزل يسمع الناس يقولون العامة وغيرهم حين ولي المنتصر -: إنه لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر، وذلك مدة خلافة من قتل أباه لأجلها، كما مكث شيرويه بن كسرى حين قتل أباه لأجل الملك، وكذلك وقع سواء.

وقد كان المنتصر أعين أقمى قصيراً مهياً جيد البدن، وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره، وذلك بإشارة أمه حبشية الرومية. ومن جيد كلامه قوله: والله ما عز ذو باطل قط، ولو طلع القمر من جيبه، ولا ذل ذو حق قط ولو أصفق العالم عليه.

خلافة المستعين بالله

وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم بوع له بالخلافة يوم مات المنتصر، يابيه عموم الناس، ثم خرجت عليه شرمة من الأتراك، يقولون: يا معتز يا منصور فالتفت عليهم خلق، وقام بنصر المستعين جمهور الجيش، فاقتلوا قتلاً شديداً أياماً، فقتل خلق من الفريقين، وانتهت أسكن كثيرة من بغداد، وجرت فتن مشتعلة كثيرة جداً، ثم استقر الأمر للمستعين، فعزل وولي، وقطع ووصل، وأمر ونهى أياماً ومدة غير طويلة.

وفيها مات

■ بها الكبير في جمادى الآخرة منها، فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بشار، وقد كانت له همة عالية وأثار سامية، وغزوات في المشرق والمغرب متوالية.

وفي هذه السنة ابتاع المستعين من أبي عبد الله المعز شيئاً كثيراً من المتاع والضياع بما قيمته عشرة آلاف دينار، وترك عشر جبات جوهر ومن إبراهيم بما قيمته ثلاثة آلاف دينار، وثلاث جبات سلا ذهباً وورقاً.

وفيها عدا أهل حمص على عاملهم، فأخرجوه من بين أظهرهم، فبعث إليهم المستعين، فأخذ منهم مائة رجل من سرراتهم، وأمر بهدم سورهم.

وفيهما حج بالناس محمد بن سليمان الزيني.

وفيهما توفي من الأعيان

أحمد بن صالح؛ والحسين بن علي الكرابسي. وعبد الجبار بن الملاء، وعبد الملك بن شعيب، وعيسى بن حماد، ومحمد بن حميد الرازي، ومحمد بن زبور ومحمد بن الملاء أبو كرب، ومحمد بن يزيد أبو هشام الرافعي.

■ أبو حاتم السجستاني واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي أبو حاتم النحوي اللغوي، صاحب المصنفات الكثيرة، وكان بارعاً في اللغة اشتغل فيها على أبي عبيدة، والأصمعي، وأكثر الرواية عن أبي زيد الأنصاري وأخذ عنه المبرد، وابن دريد، وغيرهما، وكان عبداً صالحاً، كثير الصدقة والتلاوة، وكان يتصلق كل يوم بدينار، ويقرب في كل أسبوع ختمة، وله شعر كثير فمن قوله:

أبرزوا وجهه الجميل ولا مروا من افتتن
لو أرادوا صياني سرتوا وجهه الحسن

قال ابن خلكان: وكانت وفاته في المحرم، وقيل في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين

في يوم الجمعة، للنصف من رجب منها، التقى جمع من المسلمين، وخلق من الروم بالقرب من مطية، فاقتلوا قتالا شديداً، قتل من الفريقين خلق كثير، وقُتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله بن الأقطع، وقُتل معه ألفا رجل من المسلمين، وكذلك قُتل الأمير علي بن يحيى الأرمني، في طائفة من المسلمين أيضاً، فلنا لله وإنا إليه راجعون وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام.

ووقعت فتنة عظيمة ببغداد في أول يوم من صفر من هذه السنة، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة، وقتلوا المتوكل، واستضعفوا المنتصر، والمستعين بعده، فنهضوا إلى السجن، فأخرجوا من كان فيه، وجازوا إلى الجسر، فقطعوه، وضربوا الآخر بالنار، فأحرقوه، ونادوا بالنفير، فاجتمع خلق كثير، وجم غفير، ونهبوا أماكن متعددة، وذلك بالجانب الشرقي من بغداد ثم جمع أهل اليسار من أهل بغداد أموالاً كثيرة، لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور الروم لقتالهم، عوضاً عن من قتل من المسلمين هناك، فأقبل خلق كثير من نواحي الجبال، والأهواز، وفارس، وغيرها، لغزو الروم، وذلك أن الخليفة والجيش تأخروا عن النهوض إلى بلاد الروم، وقتل أعداء الإسلام، وقد ضعف جانب الخلافة، واشتغلوا بالقيان، والملاهي، فعند ذلك غضبت العامة من ذلك، وفعلوا ما ذكرنا.

ولسع بقين من ربيع الأول، نهض عامة أهل سامرا إلى السجن، فأخرجوا من فيه أيضاً كما فعل أهل بغداد، وجاءهم قوم من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمهم العامة، فركب عند ذلك وصيف، وبغا الصغير، وعامة الأتراك، فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً، وجرت فتن طويلة كثيرة، ثم سكنت.

وفي النصف من ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك، وذلك أن الخليفة

المستعين كان قد فرض أمر الخلافة، والتصرف في أموال بيت المال، إلى ثلاثة وهم أتامش التركي، وكان أخص من عنده وهو بمنزلة الوزير، وفي حجره العباس بن المستعين يريه ويعلمه الفروسية. وشاهك الخادم، وأم الخليفة وكان لا يتمتع شيئاً تريده، وكان لها كاتب يقال له سلمة بن سعيد النصراني فأقبل أتامش فأسرف في أخذ الأموال، حتى لم يبق بيت المال شيئاً، فغضبت الأتراك من ذلك، وغارت منه، فاجتمعوا عليه عند ذلك وركبوا إليه، فأحاطوا بقصر الخلافة، وهو عند المستعين، ولم يمكنه منهم، ولا دفعهم عنه، فأنزلوه صاغراً قتلوه، وانتهبوا أمواله، وحواصله، ودوره، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزيد، وولى بغا الصغير فلسطين، وولى وصيفاً الأهواز، وجرى خطب كبير ووهن كثير من أمر الخليفة وضعف وتحركت الغفارة بسامرا في يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة، فكلنا يجتمعون، فيركبون، ثم يفرقون.

وفي يوم الجمعة خمس بقين من جمادى الأولى، وهو اليوم السادس عشر من تموز، مطر أهل سامرا مطراً عظيماً برعد، وبرق، وغيم مطبق، والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس. وفي ذي الحجة أصاب أهل الري زلزلة شديدة جداً، ورجفة هائلة، تهدمت منها الدور، ومات منها خلق كثير، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء. حج بالناس هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والي مكة.

ومن توفي فيها من الأعيان

أيوب بن محمد الوزان. والحسن بن الصباح البزار صاحب كتاب السنن، ورجاء بن مرجا الحافظ، وعبد بن حميد صاحب المسند والتفسير الحافظ، وعمر بن علي الفلاس.

■ علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسد القرشي السامي من ولد سامة بن لؤي الخراساني، ثم البغدادي، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعترين وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة وكان فيه تحامل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان له خصوصية بالمتوكل، ثم غضب عليه ففناه إلى خراسان، وأمر نائبه بها أن ينصب يوماً مجرداً، ففعل به ذلك، ومن مستجاد شعره:

بلاء ليس يعدله بلاء عدواة غير حسب ودين
يبحك منه عرضاً لم يصنه ويرتج منك في عرض مصون
وإنما قال ذلك في مروان بن حفصة حين هجاه فقال في هجائه له:

لمسرك ما للجهم بن بسر بشاعر وهذا علي بعده يدعي الشعراء
ولكن أبي قد كان جباراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهمني أسرا
كان علي بن الجهم قد قدم الشام، ثم عاد قاصداً العراق، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بني كلب، فقاتلهم، ففجر جرحاً بليفاً، فكان فيه حضة، فوجد بين ثيابه رقعة مكتوب فيها:

يا رحمتا للغريب في البلد النسا زح مسافاً بنفسه صنعاً
فلارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعوا
كانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة، وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وذلك أنه أصابته فاقة شديدة، فرحل إلى سامراء، فسلك وصيفاً أن يجري عليه رزقاً، فأغلظ له القول فرجع إلى أرض الكوفة، فاجتمع عليه خلق من الأعراب، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة، فتزل على الفلوجة، وقد كثر الجمع معه، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل الكوفة - وهو أبو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان - بإمره بمقاتلته ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة، فاحتوى على بيت مالها، فلم يجد فيه سوى ألفي دينار وسبعين ألف درهم، وظهر أمره بالكوفة، وفتح السجتين، وأطلق من فيهما، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها، واستحكم أمره بها، والتف عليه خلق من الزيدية، وغيرهم، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها، ثم كَرَّ راجعاً إليها، فالتقاء عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفللس، فقاتله قتالاً شديداً، فانهزم وجه الفللس، ودخل يحيى بن عمر الكوفة، ودعا إلى الرضى من آل محمد، وقوي أمره جداً، وصار إليه جماعة من الناس من أهل الكوفة وغيرها، وتولاه أهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع، وأحبوه أكثر مما كانوا يحبون أحداً من الخارجين من أهل البيت، وشرع في تحصيل السلاح، وإعداد آلات الحرب، وجمع الرجال وقد خرج نائب الكوفة منها وهو الحسين بن إسماعيل إلى طاهرها، واجتمع إليه أمداد كثيرة من جهة الخليفة ومحمد بن عبد الله بن طاهر، واستراحوا وجمت خيرهم، فلما كان اليوم الثالث عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر عن لا رأي له، أن يركب، ويناجز الحسين بن إسماعيل، ويكبس جيشه، فركب في جيش كثير فيه خلق من الفرسان، والمشاة أيضاً من عامة أهل الكوفة بغير أسلحة فساروا فلما انتهوا إليهم نهضوا إليهم، فاقتلوا قتالاً شديداً في ظلمة آخر الليل، فما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر وداستهم الخيول ووجدوا يحيى بن عمر قد تقطر به فرسه ووطن في ظهره فخر أيضاً فأخلوه وحزوا رأسه، وحملوه إلى الأمير، فبعثه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فأرسله إلى الخليفة من الندم مع رجل يقال له عمر بن الخطاب، أخي عبد الرحمن بن الخطاب، لينصب بسامراء ساعة من النهار، ثم بعث به إلى بغداد فنصب عند الجسر، ولم يمكن نصبه من كثرة العامة فجعل في خزائن السلاح ولما جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، دخل الناس يهتونه بالفتح والظفر، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفري، فقال له: أيها الأمير! إنك لتنهى بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزي به، فما رد عليه شيئاً، ثم خرج أبو هاشم الجعفري وهو يقول:

يا بسني طاهر كلوه ويبأ إن لحم النبي غير مري
إن ترأ يكسوك طالبه الله سة لوتسرح نحاحه بساحري

وكان الخليفة المستعين قد وجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة، فلما قتل يحيى بن عمر دخلوا الكوفة، فأراد ذلك الأمير أن يضع في أهلها السيف، فمنعه الحسين بن إسماعيل، وأمن الأسود والأبيض، وأطاف الله هذه الفتنة.

ثم خرج آخر من أهل البيت أيضاً

فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بناحية طبرستان، وكان سبب ذلك أنه لما قُتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية، فبعث كتاباً له يقال له جابر بن هارون، وكان نصرانياً، ليتسلم تلك الأراضي، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وراسلوا الحسن بن زيد هذا، فجاء إليهم فبايعوه، والتفت عليه جملة النيلم، وجماعة الأمراء في تلك النواحي، فركب فيهم، ودخل أمل طبرستان، وأخذها قهراً، وجبى خراجها واستفحل أمره جداً، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك النواحي، فالتقى هنالك، وكانت بينهما حروب، ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة، وترك أهله وماله، ولم يرجع دون جرجان، فدخل الحسن بن زيد سارية، فاستحوذ على ما بها من الأموال والحواصل، وسير أهل سليمان إليه مراكب مكرمين، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طبرستان بكاملها ثم بعث إلى الري فأخذها أيضاً وأخرج منها الطاهرة، وصار له إلى حدّ مهران ولما بلغ خبره المستعين - وكان مديراً ملكه يومئذٍ وصيف التركي - اغتم لذلك جداً واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا.

وفي يوم عرفة من هذه السنة ظهر بالري أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فصلى بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا، ودعا إلى الرضى من آل محمد، فحاربه محمد بن علي بن طاهر، فهزمه أحمد بن عيسى، واستفحل أمره.

وفي هذه السنة وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن، أخى المازيار بن قارن قتلوه في رجب، فوجه المستعين إليهم موسى بن بضا الكبير، فاقتلوا بأرض الرستن، فهزمهم وقتل جماعة من أهلها، وأحرق أماكن كثيرة منها، وأسر أشرف أهلها.

وفيها وثبت الشاكسة والجند في أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فهرب منهم، فاتهبوا داره، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن.

وفيها غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة.

وفيها أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين في دار الخلافة.

وحج بالناس فيها جعفر بن الفضل أمير مكة شرفها الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، والبزي أحد القراء المشاهير، والحارث بن مسكين، وأبو حاتم السجستاني، أحد أئمة اللغة، وعبد بن يعقوب الرواجي، وعمرو بن بحر الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات، وكثير بن عبيد الحمصي، ونصر بن علي الجهضمي.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

فيها اجتمع رأي المستعين وبضا الصغير ووصيف على قتل باغر التركي، وكان من قواد الأمراء الكبار الذين باشروا قتل المتوكل، وقد اتسع

إقطاعه، وكثرت أعماله، فقتل ونُهت دار كاتبه دليل بن يعقوب النصراني، ونُهت أمواله وحواصله، فركب الخليفة في حراقة من سامرا إلى بغداد فاضطربت الأمور بسبب خروجه إليها، وذلك في خامس المحرم، فقتل الخليفة دار محمد بن عبد الله بن طاهر.

وفي هذه السنة وقعت فتنة شتعا بين جند بغداد، وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن، فباع أهل سامرا المعتز، واستحوذ على حواصل بيت المال بها، فإذا فيها خمسمائة ألف دينار، وفي خزنة أم المستعين ألف ألف دينار، وفي حواصل العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار، واستفحل أمر المعتز بسامرا. وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصن بغداد، ويعمل في السورين، والخندق، وغرم على ذلك ثلاثمائة ألف دينار، وثلاثين ألف دينار، وكل بكل باب أميرا يحفظه، ونصب على السور خمسة مجانيق، منها واحد كبير جدا، يقال له الغضبان، وست عرادات، وأعدوا آلات الحرب، والحصار، والمعدن، وقطعت القناطر من كل ناحية، لتلا يصل الجيش إليهم.

وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعو إلى الدخول معه في أمره، ويذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من اليهود والمواثيق، أن تكون الخلافة بعد المتصر له، فلم يلتفت إليه بل رد عليه واحتج بمجيج يطول ذكرها.

وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا الكبير وهو مقيم بأطراف الشام حرب أهل حمص، يدعو إلى نفسه، ويحث إليه بالبيعة يعقدها لمن اختار من أصحابه، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد، ويأمره أن يستبني في عمله، فركب مسرعاً فسار إلى سامرا، فكان مع المعتز على المستعين. وكذلك هرب عبد الله بن بغا الصغير من عند أبيه من بغداد إلى سامرا، وكذلك غيره من الأمراء والأثراك.

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين، وجهز معه جيشاً لذلك، فسار في خمسة آلاف من الأثراك، وغيرهم نحو بغداد، وصلى بعبكرا يوم الجمعة، ودعا لأخيه المعتز، ثم وصل إلى بغداد في ليلة الأحد لسبع خلون من صفر، فاجتمعت العساكر هنالك، وقد قال رجل يقال له بأذخانة كان في عسكر أبي أحمد:

يا بني طاهر أتتكم جنود الله - والمسير بينها مشور
وجيوش أمامهن أبو أحمد - قد نعم المولى ونعم النصير

ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة [ترويه: ٩٩٧/٩]، ثم بعث المعتز مع موسى بن أشتاس ثلاثة آلاف مدداً لأخيه أبي أحمد بن المتوكل، فوصلوا لليلة بقيت من ربيع الأول، فوقتوا في الجانب الغربي عند باب قطرل، وأبو أحمد، وأصحابه على باب الشامية، والحرب مستمرة، والقتال كثير جداً، والقتل واقع.

قال ابن جرير [ترويه: ٣١٦/٩]: وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبي أحمد يلومه على التصبر في قتال أهل بغداد، فكتب إليه أبو أحمد:

لأمر النابا علينا طريق - وللدهر فينا اتساع وضيق
وأيامنا عسير للأنام - فمنها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد - ويغذل فيها الصديق الصديق
وسرور عريس لـ ذروة - تفوت العيون وبحر عميق

قال ميبد وسيف عتيد - وخوف شديد وحسن وثيق
وطول صباح لداعي الصباح - سلاح السلاح فما يستفيق
فهنا طريح وهذا جريح - وهذا حريق وهذا غريق
وهنا قتل وهذا نيل - وآخر يشدخه المتجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب - ودور خراب وكانت تروق
إذا ما ضموننا إلى مسلك - وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرغبه - وبالله ندفع ما لا نطبق

قال ابن جرير [ترويه: ٣١٧/٩]: هذا الشعر ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون.

وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبي أحمد أخيه المعتز، وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين، والبلد محصور، وأهله في ضيق شديد جداً، بقية شهور هذه السنة، وقتل من الفريقين خلق كثير في وقعات متعددت، وأيام نحسات، فتارة يظهر أصحاب أبي أحمد، ويأخذون بعض الأبواب، فتحمل عليهم الطاهرة، فيزجونهم عنها، ويقتلون منهم خلقاً ثم يترجعون إلى مواقعهم ويصابرونهم مصابرة عظيمة، لكن أهل بغداد كل ما لهم إلى ضعف بسبب قلة الميرة والجلب إلى داخل البلد.

ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين، ويباع للمعتز، وذلك في أواخر السنة، فتصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة وحلف بالأيمان الخليفة، فلم تبرا ساحته من ذلك حق البراءة عند العامة، واجتمعت العامة والغوغاء إلى دار ابن طاهر، والخليفة نازل بها، فسألوا أن يبرز الخليفة ليروه، ويسألوه عن ابن طاهر أهو راض عنه أم لا؟ وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة، حتى برز لهم الخليفة من فوق المكان الذي هم فيه وعليه السواد ومن فوقه البردة النبوية ويده القضيب وقال لهم فيما خاطبهم به: أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعت إلى منازلكم ورضيت عن ابن طاهر، فإنه غير منهم لدي، فسكت الغوغاء ورجعوا إلى منازلهم، ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم، وذلك في أوائل ذي الحجة، وصلى بهم العيد يوم الأضحي في الجزيرة التي بجده دار ابن طاهر، وبرز الخليفة يومئذ للناس، وبين يديه الحرية، وعليه البردة، ويده القضيب، وكان يوماً مشهوراً ببغداد على ما بأهلها من الحصار، وغلاء الأسعار المترجمين لباس الجوع والجوع نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

ولما تفاقم الأمر، واشتد الحال، وضاق المجال، وجاع العيال، وتهدد الرجال، شرع ابن طاهر يظهر ما كان كائناً في نفسه من خلع المستعين، فجعل يعرض له في ذلك، ولا يصرح، ثم كاشفه به، وأظهر له وناظره فيه وقال له: إن المصلحة تقتضي أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً، وأن يكون لك من الخراج في كل عام ما تختاره وتحتاجه، ولم يزل يقتل له في الذروة والغراب، حتى أجاب إلى ذلك وأناب، فكتب فيما اشترطه المستعين في خلع نفسه من الخلافة كتاباً، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة ركب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء، وأدخلهم على المستعين فوجاً يشهدون عليه، أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وكذلك جماعة الحجاب والخادم، ثم تسلم منه جوهر الخلافة، وأقام عند المستعين إلى هوي من الليل وأصبح الناس يذكرون ويتوقعون فيما يقولون من الأراجيف. وأما

الذي عول عليه الحافظ ابن عساكر وترجمه في تاريخه [٣٠٧/١٨]. فلما خلع المستعين أحمد بن محمد المعتصم نفسه من الخلافة، وبايع للمعتز دعا الخطباء يوم الجمعة رابع الحرم من هذه السنة بمجامع بفسلاد على المنابر للخليفة المعتز بالله، وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه، ووكل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه، وأخذ من المستعين البرقة، والقضيب، والخاتم، وبعث بذلك إلى المعتز، ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين بقيا عنده يقال لأحدهما برج وللآخر جبل. فأرسلهما وطلب المستعين أن يسير إلى مكة، فلم يمكن، فطلب البصرة، فقيل له إنها ريثه. فقال: إن ترك الخلافة أوبا منها. ثم أذن له في المسير إلى واسط، فخرج معه حرس يوصلونه إليها نحو من أربعمائة.

واستوزر المعتز أحمد بن أبي إسرائيل، وخلع عليه، وألبسه تاجاً على رأسه. ولما تمهد أمر بغداد، واستقرت البيعة للمعتز بها، ودان له أهلها، واجتمع شملها وقدمتها الميرة من كل جانب، واتسع الناس في الأرزاق والأطعمة، ركب أبو أحمد منها في يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من الحرم إلى سامرا، وشيعة محمد بن عبد الله بن طاهر في وجوه القواد، فخلع أبو أحمد على ابن طاهر خمس خلع، وسيفاً، ورده من الرؤفبار.

وقد ذكر ابن جرير [٣٥٠/٩: ٣٥٣] ملاحق الشعراء في المعتز، وتشفهم بخلع المستعين، فأكثر من ذلك جلداً، فمن ذلك قول محمد بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان في مدح المعتز وذم المستعين كما جرت به عادة الشعراء:

ان الأمور إلى المعتز قد رجعت والمستعين إلى حالته رجعا
وكان يعلم أن الملك ليس له وأنه لك لكن نفسه خدعا
ومالك الملك مؤتبه ونازعه آتاك ملكاً ومنه الملك قد نزعاً
إن الخلافة كانت لا تلامه كانت كذات حليل زوجت متعا
ما كان أقبح عند الناس بيعته وكان أحسن قول الناس قد خلعا
ليت السفين إلى قافو دفعن به نفسي الفداء للاح به دفعا
كم ساس قلبك أمر الناس من ملكك لو كان حُمل ما حُملت ظلمنا
أسي بك الناس بعد الضيق في سعة والله يجعل بعد الضيق متسما
والله يدفع عنك السوء من ملكك فإنه بك عنا السوء قد دفعا

وكتب أمير المؤمنين المعتز من سامرا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف ويذا ومن كان في رسمهما في الدواوين، وعزم على قتلها، ثم استرضي عنهما فرضي عنهما.

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية المهدي وحبه، وأخاه أبا أحمد، بعدما ضرب المؤيد أربعين مفرقة. ولما كان يوم الجمعة سابعه خطب بخلعه، وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك، وكانت وفاته بعد ذلك كله بخمسة عشر يوماً، فقيل إنه أدرج في لحاف سمور وأمسك طرفاه حتى مات غماً، وقيل بل ضرب بحجارة من ثلج حتى مات برداً وبعد ذلك أخرج من السجن ولا أثر به، فاحضر القضاة والأعيان، فشهدوا على موته من غير سبب وليس به أثر، ثم حمل على حمار، ومعه كفته أرسل به إلى أمه، فدفنته.

ابن طاهر، فإنه أرسل بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المعتز بسامرا، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم، وخلع عليهم وأجازهم فأسنى جوائزهم، وسيأتي ما كان من أمره أول السنة الداخلة.

وفي هذه السنة في ربيع الأول منها كان ظهور رجل من أهل البيت أيضاً بأرض قرزين وزنجان وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويعرف بالكوكبي. وسيأتي ما كان من أمره هناك.

وفيهما خرج إسماعيل بن يوسف العلوي، وهو ابن أخت موسى بن عبد الله الحسيني وسيأتي ما كان من أمره أيضاً.

وفيهما خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان، فاقتلا فهزم العلوي، وقتل من أصحابه بشر كثير، ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار، ونهب أموال الذين خرجوا معه، وباع بعض جوارحي الحسين بن محمد هذا، وكانت معتقة على باب المسجد الجامع.

وفيهما ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب بمكة، فهرب منه نائبه جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزله، ومنازل أصحابه، وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة، وأخذ ما في الكعبة من الذهب، والفضة، والطيب، وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار، ثم خرج إلى المدينة النبوية، فهرب منه عاملها علي بن الحسين بن إسماعيل، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب، فحصر أهلها، حتى هلكوا جوعاً وعطشاً، فبيع الخبز ثلاث أواق بدينارهم، واللحم الرطل بأربعة، وشربة الماء بثلاثة دراهم، ولقي منه أهل مكة كل بلاء، ثم رجع عنهم إلى جنة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً، فانتهب أموال التجار هنالك، وأخذ المراكب، وقطع الميرة عن أهل مكة، حتى جلبت إليها من اليمن، ثم عاد إلى مكة لا جزاء الله خيراً عن المسلمين، فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهراً ولا ليلاً، وقتل من الحجيج ألفاً ومائة، وسلبهم أموالهم، ولم يقف بعرفة عاصم سواه، ومن معه من أصحابه، لا تقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً. وفيها وهن أمر الخلافة جناً.

وفيهما توفي من الأعيان

إسحاق بن منصور الكوسج، وحيد بن زنجويه، وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي، وأبو الفتي هاشم بن عبد الملك اليزني.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين

ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله

بعد خلع المستعين نفسه

استهلقت هذه السنة، وقد استقرت الخلافة باسم أبي عبد الله المعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وقيل: إن اسم المعتز أحمد وقيل الزبير وهو

ذكر مقتل المستعين

في سؤال من هذه السنة كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين فجهز أحمد بن طولون التركي فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول ثلاث مضي من سؤال، ثم قتل، فقبل ضرب حتى مات، وقيل بل غرق في دجيل، وقيل بل ضربت عنقه.

وقد ذكر ابن جرير (٣٦٤/٩) أن المستعين سأل من سعيد بن صالح التركي حين أراد قتله أن يمهله حتى يصلي ركعتين، فأمهله، فلما كان في السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد، ودفن جسده في مكان صلاته، وعفا أثره وحمل رأسه إلى المعتز، فدخل به عليه وهو يلعب بالشطرنج، فقتل هذا رأس المخلوع. فقال: ضموه حتى أفرغ من اللست. فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه، ثم أطلق لسعيد بن صالح الذي قتله خمسين ألف درهم، وولاه معونة البصرة.

وفي هذه السنة مات

■ إسماعيل بن يوسف العلوي الذي فعل بمكة ما فعل والحّد في حرم الله ما ألدّ فأهلكه الله في هذه السنة عاجلاً ولم ينظره ربه عز وجل.
■ أحمد بن محمد المعصم وهو المستعين بالله كما تقدم، وإسحاق بن بهلول، وزيد بن أيوب، ومحمد بن بشار، بقلار، ومحمد بن المشي الزمن، ويغوث بن إبراهيم الدورقي.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بشار الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف، ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دلف بناحية همدان، وذلك لأنه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين ألفاً، فهزموا عبدالعزيز في أواخر هذا الشهر هزيمة فظيمة، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في رمضان عند الكرج، فهزم عبد العزيز أيضاً، وقتل من أصحابه بشر كثير، وأسروا ذراري كثيرة، حتى أسروا أم عبد العزيز، وبشوا إلى الخليفة سبعين حملاً من الرؤوس، وأعلاماً كثيرة، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من بلاد الخليفة.

وفي رمضان خلع المعتز على بشار الشراي، وألبسه التاج والوشاحين.

وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند البوازيج، وذلك أن رجلاً يقال له مساور بن عبد الحميد حكم فيها، والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوارج، فقصده رجل يقال له بندار الطبري في نحو من ثلاثمائة من أصحابه، فالتقوا في هذا اليوم فاقتلوا قتلاً شديداً فقتل من الخوارج نحو من خمسين، وقتل من أصحاب بندار مائتان، وقيل وخمسون رجلاً وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله ثم صمد مساور إلى حلوان، فقاتله أهلها وأعاتهم حجاج أهل خراسان، فقتل مساور منهم نحواً من أربعمئة إنسان قبّحه الله. وقتل من أصحابه جماعة كثيرون أيضاً، ولثلاث بقين من سؤال قتل وصيف التركي، وأرادت العامة أن تهبط داره بسامراً، ودور أولاده، فلم يمكنهم ذلك، وجعل الخليفة المعتز ما كان إليه إلى بشار الشراي.

وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة خسف القمر، حتى غاب أكثره وغرق نوره، وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد وكانت علته قروحاً في رأسه وحلقته، فذبحته، ولما أتى به ليصلى عليه، اختلف أخوه عبيد الله، وابنه طاهر أيهما يصلي عليه، وتنازعا، حتى جذبت السيوف، وترامى الناس بالحجارة، وصاحت الفوضى يا طاهر يا منصور: فمال عبيد الله إلى الشرقية، ومعه القواد وأكابر الناس، فدخل داره، وصلى عليه ابنه وكان أخوه قد أوصى إليه. وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأطلق عبيد الله للذي قدم بالخلع خمسين ألف درهم.

وفيها نفى الخليفة المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط، ثم إلى البصرة، ثم رد إلى بغداد فأقرن في الشرقية في قصر دينار بن عبد الله. وفيها نفى علي بن المتصم إلى واسط ثم رد إلى بغداد أيضاً. وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بشار الكبير، هو والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتلا قتالاً شديداً، ثم هزم الكوكبي، وأخذ موسى بن بشار قزوين، وهرب الكوكبي إلى الديلم.

وذكر ابن جرير (٣٧٨/٩) عن بعض من حضر هذه الواقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يتربسوا بالحقف. فكانت السهام لا تعمل فيهم. فأمر موسى بن بشار أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط بالأرض، ثم حاولهم وأروهم أنهم قد انهمزوا منهم، فتبهم أصحاب الكوكبي، فلما توسطوا الأرض التي فيها النفط، أمر عند ذلك بإلقاء النار فيه، فبجعت النار تحرق أصحاب الكوكبي، ففروا سراعاً هارين، وكثر عليهم موسى وأصحابه، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب الكوكبي إلى الديلم، وتسلم موسى بن بشار قزوين. وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزنبي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو الأخت. وأحمد بن سعيد المارمي.

■ سري السقطي: أحد كبار مشايخ الصوفية وهو السري بن المنفلت أبو الحسن السقطي البغدادي تلميذ معروف الكرخي، حدث عن هشيم، وأبي بكر بن عياش، وعلي بن غراب، ويحيى بن عمار، وي زيد بن هارون، وغيرهم.

وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد، وأبو الحسن الثوري، ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة.

وكانت له دكان يتجر فيها، فمرت به جارية قد انكسر إنياء كان معها تشتري فيه شيئاً لسانتها، فبجعت تبكي، فأعطاهم سري شيئاً تشتري به، فبذل، فنظر معروف إليه، وما صنع بتلك الجارية فقال له: بغض الله إليك الدنيا، فوجد الزهد من يومه.

وقال سري: مرت في يوم عيد، فلذا معروف، ومعه صبي صغير شعث الحال، فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا كان واقفاً والصبيان يلعبون، وهو منكسر، فقلت له: مالك لا تلعب كما يلعبون؟ فقال: أنا يتيم ولا شيء معي اشتري به جزواً لعب به، فأخذه لجمع له نوى يشتري به جزواً يفرح به، فقلت لا أكسوه، وأعطيه شيئاً يشتري به جزواً؟ فقال أو تفعل؟ فقلت: نعم. فقال: خذ أغنى الله قلبك. قال: فسويت الدنيا عندي أقل

شيء.

وكان عنده مرة لوز، فساومه رجل على الكر بثلاثة وستين ديناراً، ثم ذهب الرجل فإذا اللوز يساوي الكر تسعين ديناراً فقال له: إنني اشتري منك الكر بتسعين ديناراً فقال له: إنني ساومتك بثلاثة وستين ديناراً، وإنني لا أبيعك إلا بذلك، فقال الرجل: أنا اشتري منك بتسعين ديناراً، فقال: لا أبيعك إلا بما ساومتك عليه، فقال له الرجل: إن من النصح أن لا اشتري منك إلا بتسعين ديناراً، وذهب فلم يشتر منه.

وجاءت امرأة يوماً إلى سري فقالت: إن ابني قد أخذه الحرس، وإنني أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب، فقام فكبر، وطول في الصلاة وجمعت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: الله الله في ولدي، فقال هائلاً في حاجتك، فما قام من مجلسه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت: أبشري، فقد أطلق الترتلي وللك وما هو في المنزل، فانصرفت إليه، وقال سري: اشتيتي أن أكل أكله - ليس لله عليّ فيها تبعة ولا لأحد عليّ فيها منه فما أجد إلى ذلك سبيلاً.

وفي رواية عنه أنه قال: إنني لأشتي البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه.

وعن السري أنه قال: احترق سوقنا، فقصدت المكان الذي فيه دكانتي، فتلقتني رجل فقال: أبشر فإن دكانك قد سلمت، فقلت: الحمد لله. ثم تذكرت ذلك التحميد إذ حدثت الله على سلامة دنياي، وإنني لم أواس الناس فيما هم فيه، فأننا استغفر الله منذ ثلاثين سنة رواها الخطيب [إبراهيم بنده: ١٨٨/٩].

وقال: صليت وودي ذات ليلة، ثم مددت رجلي في الحراب، فنوديت: ياسري هكذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً.

وقال المجند بن محمد: ما رأيت أعبد من سري السقطي. أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما رمي مضطجماً إلا في علة الموت.

وقال الخطيب، عن أبي نعيم، عن جعفر الخليلي، عن المجند بن محمد قال: دخلت عليه أعوده فقلت: كيف تمهلوك؟ فقال: كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي.

قال: فاخذت المروحة أروحه فقال لي: كيف يجد روح المروحة من جوفه يخرق من داخل؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترقٌ والدماغ مستيقنٌ والكربُ مجتمعٌ والصبر مفترقٌ
كيف القرارُ على من لا قرارَ لهُ مما جناهُ الهوى والشوقُ والقلقُ
ياربِّ! إن كان شيءٌ لي به فرجٌ فامن عليّ به ما دام بي رفقٌ
قال: وقلت له: أوصني، قال: لا تصحب الأشرار، ولا تشغل عن الله بمجالسة الأبرار الأخيار.

وقد ذكر الخطيب وفاته، يوم الثلاثاء، لست خلون من رمضان، سنة ثلاث وخمسين ومائتين، بعد أذان الفجر، ودفن بعد العصر قال: ودفن بمقبرة الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، وإلى جنبه قبر المجند.

وروي عن القاضي، عن أبي عبيد بن حروبه قال: رأيت سرياً في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غُفر لي، ولكل من شهد جنازتي، قلت: فإني ممن حضر جنازتك، وصلى عليك قال: فأخرج درجاً، فنظر فيه، فلم ير فيه اسمي، فقلت: بل! قد حضرت، فإذا اسمي في الحاشية.

وحكى ابن خلكان قولاً أن سرياً توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة

ست وخمسين، قاله أعلم

قال ابن خلكان: وما كان ينشد السري رحمه الله:

إذا ما شكوت الحب قالت كلُّبَتِي فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حبٌ حتى يلصق الجلدُ بالحشى وتلعل حتى لا تحيب الناديا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

فيها أمر الخليفة المعتز، بقتل بغا الشرايبي، ونصب رأسه بسامرا، ثم ببغداد، وحرقت جثته، وأخذت أمواله وحواصله.

وفيها ولي الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية، وهو باني الجامع المشهور بها.

وحج بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

زياد بن أيوب الحساني، وعلي بن محمد بن علي بن موسى الرضى، يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد، ودفن بداره ببغداد ومحمد بن عبد الله المخزومي، ومؤمل بن إهاب.

■ (علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق)

وأما أبو الحسن علي الهادي، فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة.

وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامرا، فاقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر ومات بها في هذه السنة.

وقد ذكر للمتوكل أن يمتزله سلاحاً، وكتباً كثيرة من الناس، فأرسل فكبه، فوجدوه جالساً مستقبل القبلة، وعليه ملرعة من صوف، وهو على بسيط الأرض ليس دونها حائل، فأخذه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرايه فلما مثل بين يديه أجله، وعظمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس الذي في يده فقال: يا أمير المؤمنين إنه يخالط لحمي ودمي قط، فأعفي منه، فأعفاه، ثم قال له: أنشدني شعراً فأنشده:

باتوا على قُلل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغتهم القلل
واستزلوا بعد عز عن معاقلم فأردعوا حضرا يا بشس ما نزلوا
ناهم ضارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلم تلك الوجوه عليها الدود يقتل
قد طام ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال: فبكى المتوكل، حتى بلّ الثرى، وبكى من حوله بحضرته، وأمر برفع الشراب، وأمر له بأربعة آلاف دينار، وتحلل منه، ووده إلى منزله مكرماً رحمه الله.

الشعر جمعه كثيفه، كثيف اللحية، حسن العينين والوجه، ضيق الجبين أمر
الوجتين وجه الله.

وقد أتى عليه الإمام أحمد بن حنبل على جردة دهنه، وحسن فهمه،
وأدبه حين دخل عليه في حيلة أبيه المتوكل بسامرا، كما قدمنا في ترجمة
الإمام أحمد.

وروى الخطيب عن علي بن حرب قل: دخلت على المعتز بالله فما
أبئت خليفة أحسن وجهاً منه، فلما رأيته سجدت، فقال: يا شيخ تسجد
لأحد من دون الله؟ فقلت: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن غلد النبيل،
حدثنا بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله
ﷺ إذا رأى ما يفرح به أو بشر بما يسره سجد شكراً لله عز وجل رد
(٢٧٧٤)، ت (١١٥٧٨)، ج (١٣٩٤).

وقال الزبير بن بكار: صرت إلى المعتز وهو أمير، فلما سمع بقدمي
خرج مستعجلاً إلي فمثر فأنشأ يقول:

موت الفتى من عشرة بلسائه وليس يموت المرء من عشرة الرُّجل
فمثرته من فيه ترمي برأسه وعثرته في الرجل تبرا على مهل
وذكر الحافظ ابن عساكر أن المعتز لما حلق القرآن في حيلة أبيه المتوكل،
اجتمع أبوه والأمراء والأمرء والكبراء والرؤساء بسر من
رأى، واختلفوا لذلك أياماً عديدة، وجرت أحوال عظيمة. ولما جلس وهو
صبي على المنبر، وسلم على أبيه بالخلافة، وخطب الناس ثرت الجواهر في
الصواني والذهب، والدرهم على الخواص والعوام بدار الخلافة، وكان
قيمة ما ثر من الجواهر يساوي مائة ألف دينار، ومثلها ذهباً، وألف ألف
درهم غير ما كان من خلع، وأسمطة، وأقمشة مما يفوت الحصر، وكان
وقتاً مشهوداً لم يكن سرور بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن وخلع الخليفة
على أم ولده المعتز وهي قبيحة خلعتاً سنية، وأعطاهما وأجزل لها العطاء،
وكذلك خلع على مؤدب المعتز وهو محمد بن عمران، أعطاه من الجوهر،
والذهب، وغير ذلك شيئاً كثيراً جداً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

خلافة المهدي بالله

أبى عبد الله محمد بن الواثق هارون بن المعتصم. وكانت بيته يوم
الأربعاء ليلة بقيت من رجب من هذه السنة، بعد خلخع المعتز نفسه بين
يديه، وإشهاده على نفسه بأنه عاجز عن القيام بأمر الخلافة، وأنه قد رغب
إلى من يقوم بأعبائها محمد بن الواثق بالله، ثم مد يده، فبايعه قبل الناس
كلهم، ثم بايعه الخاصة، ثم كانت بيعة العامة، وكُتب على المعتز كتاب
أشهد عليه فيه بالخلع، والعجز، والمبايعة للمهدي وفي يوم من رجب هذا
وقعت في بغداد فتنة هائلة، وثبت فيها العامة على نائبا سليمان بن عبد
الله بن طاهر، ودعوا إلى بيعة أبي أحمد بن المتوكل أخي المعتز، وذلك لعدم
علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهدي بالله بن الواثق، وقتل من
أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير، ثم لما بايع الناس بيعة العامة للمهدي
بالله فس سابع شعبان، وبلغ أهل بغداد ذلك، سكتوا، واستقرت الأمور،
واسقل المهدي بالخلافة.

وفي رمضان من هذه السنة، ظهر عند قبيحة أم المعتز أموال عظيمة،
وجواهر نفيسة كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار، ومن الزمرد
الذي لا ير مثله مقدار مكوك، ومن الحب الكبير مكوك، وكلجة ياقوت
أمر، مما لا ير مثله أيضاً وقد كانت قبل ذلك مخفية عند صالح بن وصيف

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

فيها كانت وقعة بين مفلح وبين الحسن بن زيد الطالبي، فهزمه مفلح،
ودخل أمل طبرستان وحرق منازل الحسن بن زيد، ثم سار وراه إلى
الديلم.

وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث، وبين علي بن
الحسين بن قريش بن شبل، فبعث علي بن الحسين رجلاً من جهته يقال له
طوق بن المغلس، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأسره وأسر
وجوه أصحابه، ثم سار إلى علي بن الحسين هذا فأسره أيضاً وأخذ ببلاده
— وهي كرمان — فأضافها إلى ما بيده من مملكة سجستان: ثم بعث يعقوب
بن الليث بهدية سنية إلى المعتز بالله: دواب، وبزاة، وثياب فاخرة.

وفيها ولّى الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نايبة بغداد والسواد
في ربيع الأول منها.

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن
بن غلد كاتب قبيحة أم المعتز، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم، وكانوا قد
تغالوا على أكل أموال بيت المال، وكانوا دواوين وغيرهم، فضربهم وأخذ
خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها، وذلك بغير رضى من المعتز في الباطن،
واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسُموا الكتاب الخونة، وولى
الخليفة عن قهر غيرهم.

وفي رجب من هذه السنة ظهر عيسى بن جعفر، وعلي بن زيد
الحسينان بالكوفة وقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى، واستفحل
أمرهما بها.

موت الخليفة المعتز بالله

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلخع الخليفة المعتز بالله،
وللبينين مضت من شعبان أظهر موته وكان سبب خلعه أن الجند اجتمعوا،
فطلبوا منه أرزاقهم، فلم يكن عنده ما يعطيهم، فسأل من أمه أن تقرضه
مالا يدفعهم عنه به فلم تعطه وأظهرت أنه لاشيء عندها، فاجتمع الأتراك
على خلعه، فأرسلوا إليه ليخرج إليهم، فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن
عنده ضعفاً، ولكن ليدخل إليهم بعضهم، فدخل إليه بعض الأمراء، فتناولوه
بالدبابيس يضربونه، وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ
بالدم، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حر شديد، حتى جعل يراوح بين
قدميه من شدة الحر، وجعل بعضهم يلطمه، وهو يبكي ويقول له الضارب
اخلعها والناس مجتمعون، ثم أدخلوه حجرة ضيقة عليها فيها.

وما زالوا عليه بأنواع العذاب، حتى خلخع نفسه من الخلافة، وولّى بعده
المهدي بالله كما سيأتي، ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع
الثلاث، ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام، حتى جعل يطلب شربة من
ماء البئر، فلم يسق، ثم أدخلوه سراً في حصص جبر، فذسوه فيه، فأصبح
ميتاً، فاستلوه من الحصص سليم الجسد، فأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه
مات وليس به أثر، وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة،
وكان يوم السبت، وصلى عليه المهدي بالله، ودفن عند أخيه المنتصر إلى
جانب قصر الصوامع، عن أربع وعشرين سنة.

وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، وكان
طويلاً جسيماً وسيماً أفتى الأنف مدور الوجه، حسن الضحك أبيض أسود

ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة التف عليه خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ، فمهر بهم دجلة، فزل الديناري، وكان يزعم لبعض الجبهة من أتباعه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة وكان يدعي أنه حفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة، وهن سبحان، والكهف، وصر، وعم. وأنه فكّر يوماً وهو في البادية إلى أي البلاد يصير، فخطب من سحابة أن يقصد البصرة، فقصدها، فلما اقترب منها وجد أهلها مفتقرين على شعبتين، سعدية، ولبالية، فطمع أن ينضم إلى إحداها فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك، فارتحل إلى بغداد، فأقام بها سنة، وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه، وأن الله يُعلمه بذلك، فتبعه على ذلك جهلة من الطعام، وطائفة من رعاع الناس العوام.

ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان من هذه السنة، فاجتمع معه بشر كثير، ولكن لم يكن معهم عُدد يقاتلون بها، فأتاهم جيش من ناحية البصرة، فاقتتلوا جميعاً، ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف، وأولئك الجيش معهم عدد، وعُدد، ولبوس، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جباً فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً، فألقى عليها حبلاً وركبها، وشنق حنكها بليف، ثم صادر رجلاً وتهدد بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم، فكان هذا أول مال غنمه من هذه البلاد، وأخذ من آخر ثلاثة براذين، وأخذ من موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة، ثم سار في جيشه قليل سلاح وخيول، ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة، يهزمهم فيها وكلما أمره يقوى ويزيد أصحابه، ويعظم أمره، ويكثر جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس، وإنما يريد أخذ أموال السلطان.

وقد انهزم أصحابه في بعض تلك الحروب هزيمة قضيعة، ثم تراجعوا إليه، واجتمعوا حوله، ثم كروا على أهل البصرة، فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، فكان لا يؤتى بأحد من الأسرى إلا قتله ثم قوي أمره بعد ذلك وخافه أهل البصرة، وبعث الخليفة إليها مدداً يكونون لهم على صاحب الزنج ليقاتلوا هذا الخارجي، وهو صاحب الزنج هذا الخارجي قبحه الله، ثم أشار عليه رؤوس أصحابه أن يهجم بهم على أهل البصرة، فيدخلونها عنوة فهجم آراءهم وقال: بل نكون منها قريباً، حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويخطبوننا عليها. وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلية إن شاء الله تعالى.

وحج بالناس في هذه السنة علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ الجاحظ المتكلم المعتزلي: وإليه تنسب الفرقة الجاحظية منهم وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني اللبني البصري المعروف بالجاحظ لم يحفظ عينه، ويقال له الحذقي، وكان شنيع المنظر، سمى المخبر ردياً الاعتقاد، ينسب إلى البدعة وربما جاوز به بعضهم إلى الاغلال، حتى يقال في المثل: يا ويح من كفره الجاحظ والله اعلم بحاله. وكان بارعاً فاضلاً قد اتقن علوماً كثيرة، وصنف كتاباً جمة تدل على

عبدو ولدعاً، ثم تزوجت به، وكانت تدعو عليه تقول: اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك سري وقتل ولدي، ويذد شملي، وأخذ مالي، وغربني عن بلدي، وركب الفاحشة مني، وقد كان الأتراك قد طلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار، تصرف في أرزاقهم وضمنوا له أن يقتلوا صالح بن وصيف، فلم يكن عنده من ذلك شيء، فطلب من أمه قبيحة هذه قبيحها الله فامتعت أن ترضه ذلك، فأظهرت أنه لا شيء عندها ثم لما قتل ابنها، وكان ما كان، ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا. وكان عندها من الغلات في كل سنة، ما يعادل عشرة آلاف دينار، واستقرت الخلافة للمهتدي بالله، وكان - والله الحمد - خليفة صالحاً قال يوماً للأمرأء: إني لست لي أم لها من الغلات ما يقاوم عشرة آلاف ألف دينار، ولست أريد إلا القوت فقط لا أريد فضلاً على ذلك، إلا لإخوتي، فإنهم قد مستهم الحاجة.

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً، وأبي نوح عيسى بن إبراهيم الذي كان نصرانياً، فأظهر الإسلام، وكان كاتب قبيحة، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص أموالها، ثم طيف بهما على بغلين متكئين فماتا وهما كذلك، ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي بالله ولكن لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف في بادئ الأمر.

وفي رمضان في هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضاً بين محمد بن أوس، ومن تبعه من الشاكزية والجند وغيرهم، وبين العامة والرعاع، فاجتمع من العامة نحو من مائة ألف، وكان بين الناس قتال بالنبال، والرماح، والسيوف، وقتل خلق كثير، ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه، فنهبت العامة ما وجنوا من أمواله، وكان منه شيء يعادل ألفي ألف أو نحو ذلك.

ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أينما أراد، من سائر البلاد فخرج منها خافئاً طريداً وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضى السيرة، بل كان جباراً عنيداً، وشيطاناً مريداً وفاسقاً شليداً، وأمر الخليفة المهتدي بالله بأن ينفى القيان، والمغنون من سامراء وأمر بقتل السباع، والنمر التي في دار السلطان، وقتل الكلاب المعدة للصيد أيضاً وإبطال الملاهي، ورد المظالم، وأن يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وجلس للعامة. وكانت ولايته والدنيا كلها من أرض الشام، وغيرها مفترقة ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن بغا الكبير إلى حضرته ليتقوى به على من عنده من الأتراك، ولتجتمع كلمة الخلافة، واعتذر من استدعائه بما هو فيه من الجهاد بتلك البلاد.

ذكر خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت ظهر بالبصرة

وفي النصف من شوال من هذه السنة ظهر رجل بظاهر البصرة، زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن صادقاً في دعواه هذا النسب، وإنما كان عبقسياً بن عبد القيس، واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه قرة بنت علي بن رحيب من محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمه، وأصله من قرية من قرى الري. قاله ابن جرير [٤١٠/٩].

قال: وقد خرج أيضاً في سنة تسع وأربعين ومائتين بالبحرين، فادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب، فدعا الناس بهجراً إلى طاعته، فاتبه جماعة من أهلها، فوقع بسببه قتال كثير، وفقن كبار، وحروب كثيرة وممتددة.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين

في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من الحرم، قدم موسى بن بغا الكبير إلى سامرا، فدخلها في جيش هائل، قد عباه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين، فقصده دار الخلافة التي فيها المهدي بالله جالس للعامة لكشف المظالم، فاستأذنوا عليه، فتمادى الإذن ساعة، وتأخر عنهم، فظنوا في أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهم خديعة منه، ليسلط عليهم صالح بن وصيف، فدخلوا عليه هجماً، فجعلوا يراطونهم بالتركي، ثم عزموا، فألقاهوه من مجلسه، واثبها ما كان فيه، ثم أخذوه مهاناً إلى دار أخرى، فجعل يقول لموسى بن بغا: ما لك وبك؟ إنني إنما جئت بك لأتقوى بك على صالح بن وصيف، فقال له موسى: لا بأس عليك، احلف لي أنك لا تريد لي خلاف ما أظهرت فحلف له المهدي، فطابت أنفسهم، وباعوه بيعة ثانية، مشافهة، وأخذوا عليه العهد والمواثيق، أن لا يمالأ صالحاً عليهم، واصطالحوا على ذلك. ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم، للمناظرة في أمر المعتز، ومن قتل صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم، فوعدهم أن يأتيهم، ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه، وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليه، ثم اختفى من ليلته، فلم يدر أحد أين ذهب في تلك الساعة، فبثت المنادية تنادي عليه في أرجاء البلد، وتهلئذ من أخفائه، فلم يزل في خفاء إلى آخر صفر على ما سنذكر.

ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نياحة بغداد، وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزيد إلى الحسن بن غلغل الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين، بقي في السجن حتى رجع إلى الوزارة.

ولما أبطل خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه، قال بعضهم لبعض: اخلعوا هذا الرجل يعني الخليفة المهدي بالله فقال بعضهم: اقتتلون رجلاً صوماً قوماً لا يشرب النبيذ ولا يأتي الفواحش؟ والله إن هذا ليس كثيره من الخلفاء، ولا يظلمكم الناس عليه. وبلغ ذلك الخليفة، فخرج إلى الناس، وهو متقلد سيفاً، فجلس على السري، واستدعى موسى بن بغا وأصحابه، فقال: قد بلغني ما عمالكم عليه من أمري، وإنني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متخطئ، وقد أوصيت إلى أخي بولدي، وهذا سفي، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدي، والله لئن سقط من شعري ليهلكن، أو ليذهبن بها أكرتكم أما دين؟ أما حياة؟ أما رعة؟ كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء، والإقدام والجراة على الله عز وجل، سواء عندكم من قصد الإبقاء عليكم، ومن كان إذا بلغه هذا عنكم دعا بأبطال الشراب، فشربها، سروراً بمكروهمك واذهبوا فانظروا في منزلي ومنزل إخوتي، ومن يتصل بي هـل فيها من آلات الخلاف، أو فرشها غير شيء غير ما يكون في بيوت آحاد الناس، وتقولون إنني أعلم علم صالح بن وصيف، وهـل هو إلا كراحد منكم؟ فاذهبوا، فاعلموا علمه، فأبلغوا شفاء نفوسكم منه، وأما أنا فلست أعلم علمه. قالوا: فاحلف لنا على ذلك، قال أما اليمين فإني أبذلها لكم، ولكي أؤخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعلمين وأصحاب المراتب في غد إذا صليت صلاة الجمعة قال: فكانهم لانوا لذلك قليلاً.

ولما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر، ظفروا بصالح بن وصيف، فقتل وجيء برأسه إلى المهدي بالله، وقد انفتل من صلاة المغرب، فلم يزد على أن قال: واروه. ثم أخذ في تسيحه وذكره. ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رُفِعَ الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد: هذا جزء من

قوة ذهنه وجودة تصرفه ومن أجل كبه كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين.

قال ابن خلكان: وهما أحسن مصنفاته وأمتها، وقد أطال ترجمته بمكايات ذكرها عنه وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره، وحكي عنه أنه قال: أنا من جنائي الأمير مغلول لو قرض بالمقاريض ما علمت به، وجاني الأيمن مقترس فلو مرت به الذبابة لألت، وبني حصاة، وأشد ما عليّ ست وتسعون سنة. وكان ينشد:

أترجسوا أن تكسون وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كنتك نفسك ليس ثوبٌ دريس كالجديد من الثياب

■ عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي صاحب المسند المشهور وقد سمعناه بعلو، وعبد الله بن هاشم الطوسي والخليفة أبو عبد الله المعتز بالله بن جعفر المتوكل على الله في رجب كما تقدم، ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة.

و■ محمد بن كرام التكملي الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليهم جواز وضع الأحاديث على الرسول ﷺ وأصحابه، وغيرهم، وهو محمد بن كرام - يفتح الكاف وتشديد الراء، على وزن جمال - بن عراق بن خزابة بن البراء، أبو عبد الله السجستاني العابد، يقال إنه من بني نزار، ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر الكاف وتخفيف الراء جمع كريم وفرق البيهقي بينهما فجعل الذي ينسب إليه الكرامية يفتح الكاف وتشديد الراء وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات، وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور. والصحيح الذي يظهر من كلام الحاكم أبي عبد الله وابن عساكر الحافظ أنهما واحد.

وقد روى ابن كرام، عن علي بن حجر، وعلي بن إسحاق الخنظلي السمرقندي، سمع منه التفسير، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، وإبراهيم بن يوسف الماكيني، ومالك بن سليمان المروزي، وأحمد بن حرب، وعتيق بن محمد الجرشي، وأحمد بن الأزهر النيسابوري، وأحمد بن عبد الله الجويري، ومحمد بن تميم الفارياني وكانا كذايين وضاعين وغيرهم.

وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق، وأبو إسحاق بن سفيان. وعبد الله بن محمد القراطي، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري.

وذكر الحاكم أنه حُجِس في حبس طاهر بن عبد الله، فلما أطلقه، ذهب إلى ثور الشام، ثم عاد إلى نيسابور، فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله، وأطال حبسه، وكان يتأهب لصلاة الجمعة، ويأتي إلى السجن فيقول: دعني أخرج إلى الجمعة، فيمنعه السجناء فيقول: اللهم إنك تعلم أن المنع من غيري.

وقال غيره: أقام بيت المقدس أربع سنين، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام، واجتمع عليه خلق كثير، ثم تبين لهم أنه يقول إن الإيمان قول بلا عمل، فتركه أهلها، ونشأ متولياً إلى غور زغر، فمات بها، وتقل إلى بيت المقدس، وكانت وفاته في صفر من هذه السنة.

وقال الحاكم: توفي بيت المقدس ليلاً، ودفن بباب أرميا، عند قبور الأنبياء عليهم السلام، وله بيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفاً والله أعلم.

قتل مولاه. وما زال الأمر مضطرباً متفاقماً، وعظم الخطب.

ذكر خلع المهدي بالله وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل

وإيراد شيء من فضائل المهدي

لما بلغ موسى بن بغا أن مساوراً للشاربي قد عاث بتلك الناحية فساداً، ركب إليه في جيش كثيف، ومعه مفلح وبايكبك التركي، فاقتلوا هم ومساور الخارجي، ولم يظفروا منه بشيء يعجبهم وهرب منهم، وأعجزهم، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المتكررة.

والمقصود أن الخليفة المهدي بالله أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك، فكتب إلى بابيكبك أن يسلم الجيش من موسى بن بغا، ويكون هو الأمير على الناس، وأن يقبل بهم إلى سامراء، فلما وصل إليه الكتاب أقره موسى بن بغا، فاشتد غضبه على المهدي، واتفقا عليه، وقصدا إليه بلد سامراء، وتركوا ما كانا فيه فلما بلغ ذلك المهدي، استخدم من فوره جنداً من الحمايرة والفرافغة والأشروسية والأركسية والأتراك أيضاً، وركب في جيش كثيف، فلما سمعوا به، رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان، وأظهر بابيكبك السمع والطاعة، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطعياً، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاوهم فيه، فقال له صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور: يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء في الشجاعة والإقدام ما بلغت، وقد كان أبو مسلم الخراساني شراً من هذا وأكثر جنداً، ولما قتله أبو جعفر المنصور سكنت الفتنة، وخمد صوت أصحابه فأمر عند ذلك المهدي بالله بضرب عنق بابيكبك ثم التقى رأسه إلى الأتراك، فلما راوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخيه طغوتياً، فخرج إليهم الخليفة فيمن معه، فلما التقوا، خامرت الأتراك الذين مع الخليفة إلى أصحابهم، وصاروا ألباً واحداً على الخليفة وأصحابه، فحمل الخليفة فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ثم حملوا عليه فهزموهم وانهزم والمهدي بالله وبيده السيف صلتاً، وهو يتادي: يأبها الناس انصروا خليفتم فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المونة، فوضع فيها سلاحه ولبس البياض وأراد أن يذهب فيخفي، فعاجله أحمد بن خاقان منها فأنزله قبل أن يذهب، ورُمي بسهم، وطعن في خاصرته وحمل على دابة وخلفه سائس وعليه قميص وسراويل، حتى حصل فيه دار أحمد بن خاقان، فجعل من هناك يصفعونه ويبرقون في وجهه، وأخذ خطه بثمانية ألف دينار، وسلموه إلى رجل، فلم يزل يطأ خصيته حتى مات رحمه الله وذلك يوم الخميس لثلاثي عشرة ليلة بقيت من رجب.

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام، وولد في سنة تسع عشرة، وقيل خمس عشرة ومائتين، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد، ودفن بمقبرة المنصور بن المتوكل وكان أسمر رقيقاً أجلى حسن اللحية أشهب عظيم حسن العينين البطن عريض المنكبين قصيراً طويل اللحية يكنى أبا عبد الله. قال الخطيب [تاريخ بغداد: ٣/٣٤٨، ٣٤٩]: وكان من أحسن الخلفاء منزلاً، وأجلهم طريقة، وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة وإنما روى حديثاً واحداً، ثم أسند عنه قال: حدثني علي بن أبي هاشم من طبرخ، عن محمد بن الحسن الفقيه، عن ابن أبي ليلى عن داود بن علي - عن أبيه عن ابن عباس قال قال العباس: يا رسول الله ما لنا في هذا الأمر؟ قال: لي النبوة، ولكم الخلافة، بكم يفتح هذا الأمر، وبكم يتم وقال للعباس: من أحبك

ناله شفاعي، ومن أبغضك لا ناله شفاعي.

وروى الخطيب أن رجلاً استعلى المهدي على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأثأ الرجل يقول:

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ شَلُّ الْقَمَرِ الزَاهِرِ
لَا يَقْبَلُ الرُّشُوءَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يَبَالِي غَيْبَ الْخَاسِرِ

فقال له المهدي بالله: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك. وأما أنا فإني ما جلست حتى قرأت ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْى بَنَّا حَاسِبِينَ﴾ [الاحقاف: ٤٧] قال: فبكى الناس حوله فما رآه باكياً أكثر من ذلك اليوم.

وقال بعضهم: سرد المهدي الصوم منذ ولي إلى أن قتل رحمه الله. وكان يجب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في أيام خلافته، من الورع، والتقشف، وكثرة العبادة، وشدة الاحتياط.

وقال أحمد بن سعيد الأموي: كنا جلوساً بمكة، وعندي جماعة، ونحن نبحت في النحو وأشعار العرب، إذ وقف علينا رجل مجنون فأثأ يقول:

أما تستحون الله يا معدن الجهل شلتُم بنا والناس في أعظم الشغل
إسماعُكم أضحى قتيلاً عجلاً وقد أصبح الإسلام مفترق الشمل
واتم على الأشعار والنحو عكف تصجون بالأصوات في قلة العقل

قال: فنظرنا، وأرخنا ذلك اليوم فإذا المهدي بالله قد قتل في ذلك اليوم، وكان يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين.

خلافة المعتمد على الله بن المتوكل على الله ويعرف بابن

فتيان

وبوع له بالخلافة يوم الثلاثاء، ثلاث عشرة ليلة خلت من رجب من سنة ست وخمسين ومائتين، في دار الأمير يارجوخ، وذلك قبل خلع المهدي بأيام، ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين، لثمان بقين من رجب، ولعشر بقين من رجب، دخل موسى بن بغا ومفلح إلى سر من رأى، فنزل موسى في داره، وسكن الناس، وخمدت الفتنة هناك.

وأما صاحب الزنج المدعي أنه علوي، فهو محاصر للبصرة، والجيش الخليفة في وجهه دونها، وهو في كل يوم يقهرها، ويفتحم ما يقد إليه من المراكب من الأطعمة وغيرها، واستحوذ بعد ذلك على الأبله، وعبادان، وغيرهما من البلاد، وخاف منه أهل البصرة خوفاً شديداً وكل ما لأمره يقوى، ولجوشه تكثر ولعدوه يتزايد ولم يزل ذلك ذاهباً إلى اسلاخها.

وفي هذه السنة خرج رجل آخر بالكوفة، يقال له علي بن زيد الطالبي، وجاءه جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي، واستفحل أمره بالكوفة، وقويت شوكته، وتفاقم أمره.

وفيها وثب محمد بن واصل التميمي على نائب فارس الحارث بن سيما الشراي، فقتله، واستحوذ على بلاد فارس.

وفي رمضان منها، تغلب الحسن بن زيد الطالبي على بلاد الري، فتوجه إليه موسى بن بغا في شوال من عند المعتمد، وخرج الخليفة لتوديعه. وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق، بين أماجور نائب دمشق -

حنبل، فيحثه أحمد على المقام ببغداد، ويلومه على الإقامة بخراسان. وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوري السراج، ويكتب الفاتحة ثم يخاطره ثم يطفى سراج، ثم يقوم مرة أخرى حتى يتعد ذلك منه قريباً من عشرين مرة.

وقد كان أصيب بصره وهو صغير، فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فقال يا هنه، قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك أو قال: بكائك فأصبح وهو بصير.

وقال البخاري: فكرت البارحة، فإذا أنا قد كتبت في مصنفاتي نحواً من مائتي ألف حديث مستنة وكان يحفظها كلها.

ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع به أربع مئة من علماء الحديث بها، فركبوا له أسانيد وأدخلوا إسناده الشام في إسناده أهل العراق، وخطبوا الرجال في الأسانيد، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها، ثم قرؤوها على البخاري فرد كل حديث إلى إسناده وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها، وما تعلقوا عليه بسقطة في إسناده ولا في متن وكذلك صنع بمئة محدث من أهل بغداد.

وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة، فيحفظه من نظرة واحدة والأخبار عنه في ذلك كثيرة.

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه.

فقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثله.

وقال علي بن المديني: لم ير البخاري مثل نفسه.

وقال إسحاق بن راهويه: لو كان في زمن الحسن، لاحتاج الناس إليه لمعرفة الحديث وفقهه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير: ما رأينا مثله.

وقال علي بن حجر: لا أعلم مثله.

وقال محمود بن النضر أبو سهل الشافعي: دخلت البصرة، والشام، والحجاز، والكوفة، ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري، فضلوهم على أنفسهم.

وقال أبو العباس الدغولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري:

المسلمون بخير ما حييت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال الفلاس: كل حديث لا يعرفه البخاري فليس بحديث.

وقال نعيم بن حماد: هو فقيه هذه الأمة.

وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي.

ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه.

وقال قتيبة بن سعيد: رجل لي من شرق الأرض وغربها، فما رحل إليّ مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال رجاء بن مرقس: فضل البخاري على العلماء - يعن في زمانه - كفضل الرجال على النساء وقال: هو آية من آيات الله بمشي على الأرض.

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: محمد بن إسماعيل البخاري، أفقها، وأعلمنا، وأغوصنا، وأكثرنا طلباً.

وقال إسحاق بن راهويه: هو أبصر مني.

وقال أبو حاتم الرازي: محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق.

وقال عبيد العجل: رأيت أبا حاتم، وأبا زرعة، يجلسان إليه، يستمعان

ولم يكن معه إلا قريب من أربعمئة فارس - وبين ابن لعيسى بن الشيخ، وهو في قريب من عشرين ألفاً، فهزمه أمامجور، وجاءت من الخليفة ولاية لابن الشيخ؛ بلاد أرمينية، على أن يترك أهل الشام، فقبل ذلك، وانصرف عنهم.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور، وكان في جملة الحجاج أبو أحمد بن المتوكل فتعجل وعجل السير إلى سامراء، فدخلها، ليلة الأربعاء ثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الخليفة المهدي بالله في رجب كما تقدم.

■ الزبير بن بكار: بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري قاضي مكة، قدم ببغداد وحلث بها، وله كتاب أنساب قريش، وكان من أعلم الناس بذلك، وكتبه في ذلك حافل جداً.

وقد روى عنه ابن ماجه وغيره، وقد وثقه الدارقطني، والخطيب، وأثنى عليه وعلى كتابه.

وتوفي بمكة، عن أربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة ودفن بمكة رحمه الله.

■ البخاري: صاحب الصحيح، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا للصحيحه، ولتذكرها هنا نبذة يسيرة من ذلك فتقول وبالله المستعان:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، ويقال: بنذرته الجعفي مولاهم أبو عبد الله البخاري الحافظ، إمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوائه، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستسقى بقرائه الفهم، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام.

ولد البخاري رحمه الله في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، فأنشأه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة، حتى قيل: إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرّاً، وحج وعمره ثماني عشرة سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث، في البلدان التي أمكنه الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ وروى عنه خلائق وأسم.

وقد روى الخطيب البغدادي عن القريبي أنه قال: سمع الصحيح من البخاري ممي نحو من تسعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيري.

وقد روى البخاري من طريق القريبي كما هي رواية الناس اليوم من طريقه، وحامد بن شاذان، وإبراهيم بن معقل، وطاهر بن غنم وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن علي البزدوي السني، وقد توفي السني هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ووثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا (الإكمال: ٢٤٣/٧).

ومن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذي في جامعه، والنسائي في سننه في قول بعضهم.

وقد دخل بغداد ثمان مرات، وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد بن

العشاء، وصلّي عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة - أعني سنة ست وخمسين ومائتين - وكفن في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، وفق ما أوصى به، وحين دفن، فاحت من قبره رائحة غالية، أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً، ثم علت سوارٍ بيض مستطيلة بمضاء قبره وكان عمره يوم مات اثنتين وستين سنة.

وقد ترك رحمه الله علماً نافعاً لجميع المسلمين، فعمله فيه لم ينقطع، بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، من علم يتفهم به الحديث رواه مسلم [١٦٣١].

وشرطه في صحيحه هذا، أعز من شرط كل كتاب صنف في الصحيح، لا يوازيه فيه غيره، لا صحيح مسلم ولا غيره. وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء:

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء أمام متون كمثل كالشهب
بها قام ميزان دين الرسول وفان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه تميز بين الرضى والغضب
وستر رفيق إلى المصطفى ونص مبين لكشف الريب
في عالم أجمع العالمون على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعيف من الناقل ين ومن كان متهماً بالكذب
وأبرزت في حسن ترتيبه وتبويه عجباً للعجب
فاعطاك مولاك ما تشتهي واجزل حظك فيما وهب

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

فيها ولّى الخليفة المعتمد على الله، ليعقوب بن الليث، بلخ، وطخارستان، وما يلي ذلك من كرمان، وسجستان، والسند، وغيرها وفي صفر منها.

عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد، على الكوفة، وطريق مكة، والحرمين، واليمن، وأضاف إليه في رمضان، نياية بغداد، والسواد وواسط، وكور دجلة، والبصرة، والأموار، وفارس، وأذن له أن يستيب في ذلك كله.

وفيها تواقع سعيد الحاجب، وصاحب الزنج، في أراضي البصرة، فهزمه سعيد الحاجب، واستنقذ من يده خلقاً من النساء والفرقة، واسترجع منه أموالاً جزيلة. وأذن الزنج غاية الإحسان والمثلة. ثم إن الزنج يترو سعيلاً وجيشه، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ويقال: إن سعيد بن صالح قتل أيضاً، ثم التقى مع منصور ابن جعفر الحياطي، في جيش كثيف، فهزمهم صاحب الزنج المدعي أنه طالي، وهو كاذب.

قال ابن جرير [٤٧٩/٩]: وفيها ظفر ببغداد، بموضع يقال له بركة زلزل، برجل خناق قد قتل خلقاً من النساء، فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه ألفي سوط وأربعمئة أرز، فلم يمست حتى ضرب الجلادون على أثنيه بخشب العقابين، فمات، ورد إلى بغداد وصلب هناك، ثم أحرقت

ما يقول، ولم يكن مسلم يبلغه، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلي بكنا وكنا، وكان ديناً فاضلاً يحسن كل شيء.

وقال غيره: رأيت محمد بن يحيى الذهلي يسأل البخاري عن الأسامي، والكنى، والعلل، وهو ير فيه كاسهم، كأنه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقال أحمد بن حمدون القصار: رأيت مسلم بن الحجاج، جاء إلى البخاري، وقيل بين عينيه وقال: دعني حتى أتيل رجليك يا أستاذ الأستاتين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله. ثم سأله عن حديث كفارة المجلس، فذكر له علته، فلما فرغ، قال مسلم: لا يفيضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.

وقال الترمذي: لم أر لأبرار، ولا بغراسان، في معنى العلل، والتاريخ، ومعرفة الأسانيد، أعلم من البخاري وكنا يوماً عند عبد الله بن منير، فقال للبخاري: جعلك الله زين هذه الأمة. قال الترمذي: فاستجيب له فيه.

وقال ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء، أعلم بحديث رسول الله ﷺ، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري ولو ذهبنا نسطر ما أنشئ عليه الأئمة، في حفظه، وإتقانه، وعلمه، وفقهه، وورعه، وزهده، وتبحره، لطاق علينا، ونحن على عجل من أجل الحوادث، وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في أول شرح «الصحيح» والله سبحانه المستعان.

وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياة، والشجاعة، والسخاء والورع، والزهد في الدنيا دار الفناء، والرغبة في الآخرة دار البقاء.

وقال: أرجو أن ألقى الله، وليس أحد يطالبني أني اغتبتة فذكر له «التاريخ»، وما ذكر فيه من الجرح، والتعديل، وغير ذلك فقال: ليس هذا من هذا، قال النبي ﷺ: يُلَيِّنُونَا لَهُ، فلبس أخو العشرة (ع ٦٠٣٢)، م (٢٥٩١) ونحن إنما روينا ذلك رواية، ولم نقله من عند أنفسنا.

وقد كان رحمه الله يصلّي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يجتم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة، وكانت له جلة ومال جيد ينفق منه سرّاً وجهراً، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار سرّاً وعلانية، وكان مستجاب الدعوة، مسدد الرمية، شريف النفس، بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه، حتى يسمع أولاده عليه، فأرسل إليه: في بيته يؤتى الحكم، إن كنتم تريدون ذلك فلهوا لي - وأبى أن يذهب إليهم - وهو خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخاري، فبقي في نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاءه كتاب من محمد بن يحيى الذهلي، من نيسابور بأن البخاري يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق - وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي، وبين البخاري في ذلك كلام، وصنف البخاري في ذلك كتابه «أفعال العباد» - فأراد الأمير أن يصرف الناس عن السماع من البخاري، وقد كان الناس يعظمونه جداً، وحين رجع إليهم، ثروا على رأسه الذهب والفضة - يوم دخل بخاري عائداً إلى أهله، وكان له مجلس الإملاء بجامعها، فلم يقبلوا من الأمير، فأمر عند ذلك بنفيه من البلد، فخرج منها، ودعا على خالد بن أحمد، فلم يمض شهر، حتى أمر ابن طاهر، بأن ينادى على خالد بن أحمد على أثنان، وزال ملكه، وسجن في بغداد، حتى مات، ولم يبق أحد ساعده على ذلك، إلا ابتلي ببلاء شديد، فزح البخاري من بلده إلى بلدة يقال لها خرتك، على فرسخين من سمرقند، فنزل عند أقارب له بها، وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه، حين رأى الفتى: كما جاء في الحديث: وإذا أردت بقوم فتنة فترونا إليك غير مفتونين، ت (٢٢٣٣، ٢٢٣٥)

ثم اتفق مرضه على إثر ذلك فكانت وفاته ليلة السبت - عند صلاة

جته.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن عرفة بن يزيد: صاحب الجزء المشهور المروي، وقد جاوز المائة بعشر سنين، وقيل بسبع، وكان له عشرة من الولد سماهم بأسماء العشرة وقد وثقه يحيى بن معين وغيره، وكان يتردد إلى الإمام أحمد بن حنبل، ولد في سنة خمسين ومائة، وتوفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين.

■ يزيد بن أحمز الطائي. والرواسي ذمهما الزنج في جملة من قتلوا من أهل البصرة. كما قلنا قصتهم قبهم الله، وما قتلوا من المسلمين رحمهم الله. وعلي بن خشرم.

■ أبو سعيد الأشج، أحد مشايخ مسلم الذين يكثر الرواية عنهم. و■ العباس بن القرق أبو الفضل الرياشي النحوي الغفري، كان عالماً بأيام العرب والسير وكان كثير الاطلاع، ثقة عالماً، روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة، وغيرهما، وعنه إبراهيم الحريشي، وأبو بكر بن أبي الدنيا وغيرهما، قتل الرياشي في هذه السنة بالبصرة، قتله الزنج فيمن قتلوا. ذكره ابن خلكان في الوفيات [٢٧/٣]، وحكى عنه الأصمعي أنه قال: مرّ بنا أعرابي يشد ابنه، فقلنا له: صف لنا فقال: كأنه ذئب فقلنا: لم نره، فلم نلبث أن جاء يعمل على عقبيه أسيلاً كأنه جعل قتلنا لو سألنا عن هذا لأرشدناك إليه، إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان ثم أنشد الأصمعي:

نشم ضجيج الفتى إذا برّك الليل سخيّاً ورقف الصرّد
زتها الله في الفزاد كما رُين في عين والد ولّد

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين

في يوم الاثنين، لعشر بقين من ربيع الأول، عقد الخليفة المعتمد على الله أخيه أبي أحمد على ديار مصر، ونفسرين، والعواصم، وجلس يوم الخميس في مستهل ربيع الآخر، فخلع على أخيه، وعلى مفلح، وركبا نحو البصرة، في جيش كثيف، في عدد وعُدو، فاقتلوا هم والزنج قتالا شديداً، فقتل مفلح، للنصف من جمادى الأولى، أصابه سهم بلا فصل في صدره فأصبح ميتاً، وحلت جثته إلى سامرا، فدفن بها.

وفيها أسر يحيى بن محمد البحراني أحد أمراء صاحب الزنج الكبير، وحمل إلى سامرا، فضرب بين يدي المعتمد مسائي سوط، ثم قطعت يده ورجلاه من خلاف، ثم خبط بالسيف، ثم ذبح، ثم أحرق، وكان الذين أسروه، جيش أبي أحمد، في وقعة هائلة مع الزنج قبهم الله، ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك ثم قال: لقد خوطبت فيه فليل لي: قتله كان خيراً لك لأنه كان شرهاً، يخفي من المغام خيراها، وقد كان هذا اللعين أعني صاحب الزنج المدعى إلى غير أبيه يقول لأصحابه: لقد عرضت علي الثورة، ففخت أن لا أقوم بأعبائها، فلم أقبلها.

وفي ربيع الآخر منها، وصل سعيد بن أحمد الباهلي، إلى باب السلطان فضرب سبعمة سوط، حتى مات ثم صلب. وفيها قتل قاض، وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزنج عند باب العامة بامرا.

وفيها رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان، وحمل خراج فارس، وتمهدت الأمور هناك واستقلت على السند.

وفي ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كسف القمر، وغاب أكثره وفي صبيحة هذا اليوم، دخل جيش الخبيث الزنجي إلى البصرة قهراً، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وهرب نائبها بغراج ومن معه، وأحرقت الزنج جامع البصرة، ودوراً كثيرة، وانتهبوا، ثم نادى فيهم إبراهيم بن يحيى المهلب أحد أصحاب الزنجي الخارجي: من أراد الأمان فليحضر فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة، فرأى أنه قد أصاب فرصة، فغدر بهم، وأمر بقتلهم، فلم يفلت منهم إلا الشاذ، كانت الزنج تحيط بالجماعة من أهل البصرة، ثم يقول بعضهم لبعض: كيلوا - وهي الإشارة بينهم إذا أرادوا قتل أحد - فيحملون عليهم بالسيف، فلا تسمع إلا تشهد أولئك وضجيجهم عند القتل فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهكذا كل عمله من محال البصرة، في عدة أيام، وهرب الناس منهم كل مهرب، وحرقوا الكلا من الجبل إلى الجبل، فحرقت النار ما وجدت من شيء من إنسان، أو بهيمة، أو أثاث، أو غير ذلك، وأحرقوا المسجد الجامع أيضاً، وقد قتل في هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان، والأدياء، والفضلاء، والمحدثين والعلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان هذا الخبيث قد أوقع في أهل فارس وقعة عظيمة ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شيء كثير، وقد اتسعوا بعد الضيق، فحسداهم على ذلك، فروى ابن جرير [٤٨١/٩] عن من سمعه يقول: دعوت الله على أهل البصرة، فخوطبت، فليل لي: إنما أهل البصرة خبزة، تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف، خربت البصرة، فأولت ذلك بانكشاف القمر. وقد كان هذا شامساً حتى وقع الأمر طبق ذلك. ولا شك أن هذا كان معه شيطان يخاطبه، كما كان يأتي شيطان مسيلة إلى مسيلة.

ولما أوقع أصحابه من الزنج وغيرهم ما أوقع أصحابه من الزنج وغيرهم ما أوقعوا بأهل البصرة، قال لمن معه: إني صبيحة ذلك، دعوت الله على أهل البصرة، فرفعت لي بين السماء والأرض، ورأيت أهلها يقتلون، ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابي، وإني لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معي، وثبتت جيوشي، وتؤيدني في حروبي.

ولما صار إليه العلوية الذين كانوا بالبصرة، انتسب هو حيثنذ إلى يحيى بن زيد، وهو كاذب في ذلك بالإجماع، لأن يحيى بن زيد لم يعقب إلا بتاً ماتت وهي ترضع، فقبح الله هذا اللعين، ما أكله، وأفجره، وأغدره. وفي مستهل ذي القعدة، وجه الخليفة من سامرا جيشاً كثيراً مع الأمير محمد - المعروف بالمولد - لقتال صاحب الزنج، فقبض في طريقه على سعد بن أحمد الباهلي الذي كان قد تغلب على أرض البطائح، وأخاف السبل.

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان، بأرض فارس، وتغلب عليها. وفيها وثب رجل من الروم يقال له بسيل الصقلي، على ملك الروم ميخائيل بن توفيل، فقتله، واستحوذ على مملكة الروم، وقد كان ليخائيل في ملك الروم أربع وعشرون سنة.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن اسماعيل بن العباس بن محمد بن علي العباسي.

أهلها، فهزموه، وقتلوا بطريق البطارقة الذي كان معه، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير.

وفيها دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور، فظفر بالخارجي، الذي كان بهرة يتحلق الخلافة منذ ثلاثين سنة، فقتله، وحمل رأسه على رمح، وطيف به في الآفاق والأقاليم ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك.

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني خطيب دمشق، وإمامها، وعالمها، وله المصنفات المشهورة المقيدة منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة.

و ■ أحمد بن إسماعيل السهمي وحجاج بن يوسف الشاعر ومحمود بن آدم.

ثم دخلت سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية

فيها وقع غلاء عظيم ببلاد الإسلام كلها، حتى أجلى أكثر أهل البلدان منه يتجمعون غيرها، ولم يبق بمكة أحد من المهاجرين ومن يسبهم، حتى ارتحلوا إلى المدينة، وغيرها من البلاد، وخرج نائب مكة منها وبلغ كثر الشعر ببغداد مائة وعشرين ديناراً، واستمر ذلك شهوراً.

وفيها قتل صاحب الزنج المستحوذ على البصرة علي بن زيد صاحب الكوفة.

وفيها أخذت الروم من المسلمين حصن لؤلؤة.

وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن محمد الزعفراني، وعبد الرحمن بن بشر، ومالك بن طروق الذي تنسب إليه رجة مالك بن طروق.

و ■ حنين بن إسحاق العبادي الطيب المشهور، الذي عُرِب كتاب إقليدس، وحرره بعده ثابت بن قرة وعُرِب حنين أيضاً كتاب المجسطي أيضاً، وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب، وكان المأمون شديد الاعتناء بذلك جداً، وكذلك جعفر البرمكي قبله، ولحنين مصنفات كثيرة في الطب، وإليه تنسب مسائل حنين، وكان بارعاً في فنه جداً، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة، قاله ابن خلكان [وفيات الأعيان: ٢١٨/٢].

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان، وأحرق مدينة شالوس، لمما كتبهم يعقوب بن الليث عليه.

وفيها قتل مساور الخارجي يحيى بن حفص الذي كان يلي طريق خراسان، في جمادى الآخرة، فشخص إليه مسرور البلخي، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل، فهرب مساور فلم يُلحق.

وفيها في أواخر رجب، كانت بين أبي أحمد، وبين الزنج وقعة هائلة، فقتل منها خلق من الفريقين، ثم استرخم أبو أحمد منزله فتحير إلى واسط فنزلها في أوائل شعبان فوقعت هناك زلزلة شديدة، وهدة عظيمة، تهدمت بسبب ذلك بيوت ودور كثيرة، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً وفي هذه السنة وقع في الناس وباء شديد ببغداد وسامرا وواسط وغيرها من البلاد وحصل للناس ببغداد داء يقال له القفاح فإن الله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان أخذ رجل من باب العامة بسامرا، ذكر عنه أنه يسب السلف، فضرب ألف سوط حتى مات.

وفي يوم الجمعة ثامنة توفي الأمير يارجوخ، فصلى عليه أخو الخليفة أبو عيسى، وحضره جعفر بن المعتمد على الله.

وفيها كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا وبين أصحاب الحسين بن زيد ببلاد خراسان، فهزمهم موسى بن بغا هزيمة فظيعة.

وفيها كانت وقعة بين مسرور البلخي، وبين مساور الخارجي، فأسر مسرور من أصحابه جماعة كثيرة.

وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره.

ومن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن بنديل، وأحمد بن حفص وأحمد بن سنان القطان وأحمد بن الفرات وحيد بن الربيع، ومحمد بن سنجر، صاحب المستند، ومحمد بن يحيى الذهلي. ويحيى بن معاذ الرازي.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

في يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر، رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامرا، وقد استخلف على حرب الخيـث صاحب الزنج عمداً الملقب بالولـد، وكان شجاعاً شهماً.

وفيها بعث الخليفة إلى نائب كنجر نائب الكوفة، جماعة من القواد، فذبحوه، وأخذوا ما كان معه من المال، فإذا هو أربعون ألف دينار.

وفيها تغلب رجل جمال، يقال له شركب على مدينة مرو فانتبهها من كان معه من أتباعه وتناقم أمره، هناك.

ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة، توجه موسى بن بغا الكبير من سامراً لحرب الخيـث، وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه، وخلع عليه عند مفارقتها له، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها، وليكون عوناً لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخيـث لعنه الله، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيشاً للخيـث، وقتل من الزنج خلقاً كثيراً، وأسر طائفة كبيرة منهم، وأرعبهم إرعباً كثيراً، بحيث لم يتجاسروا على موافقته مرة ثانية، وقد حرّضهم الخيـث كل التحريض، فلم ينجح ذلك فيهم.

■ ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح، وعلي بن أبان المهلي، وهو مقدم جيوش صاحب الزنج، فجرت بينهما حروب يطول شرحها، ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد والمثـة. فرجع علي بن أبان إلى الخيـث مغلوباً مقهوراً مملوماً مدحوراً، وبعث عبد الرحمن بن مفلح بالأسارى إلى سامرا، فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم، وسلبوهم.

وفيها دنى ملك الروم لعنه الله إلى بلاد سميـط، ثم إلى ملطية فقاتله

البخاري لها في الأبواب، فهذا القدر لا يوازي قوة أسانيد البخاري، واختياره في تصحيح ما أورده في جامعه، معاصرة الراوي لشيخه، وسماعه منه، وفي الجملة فإن مسلماً لا يشترط في كتابه الشرط الثاني، كما هو مقرر في علوم الحديث، وقد بسطت ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمثني في ترجمة الإمام البخاري رحمه الله.

والمقصود الآن أن مسلماً دخل إلى العراق، والحجاز، والشام، ومصر، وسمع من جماعة كثيرين، قد أوردتهم شيخنا الحافظ المزي في تهذيبه مرتبين على حروف المعجم.

وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذي في جامعه [٦٨٧] حديثاً واحداً، وهو حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أحصوا هلال شعبان لرمضان. وصالح بن محمد جزرة، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن صاعد، وأبو عوانة الإسفراييني.

وقال الخطيب البغدادي: أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن نعيم الضبي. أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، سمعت أحمد بن سلمة يقول: رأيت أبا زرعة، وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج، في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.

وأخبرني ابن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن محمد الماسرجسي يقول: سمعت أبي يقول سمعت مسلماً بن الحجاج يقول: صنعت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.

وروى الخطيب قالنا: حدثني أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي السوفرجاني - بأصبهان - سمعت محمد بن إسحاق بن منده، سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث.

وقد ذكر مسلم عند إسحاق بن راهويه قال بالعجمية ما معناه: أي رجل كان هذا؟! وقال إسحاق بن منصور لمسلم: لن نعدم الخير ما أبشاك الله للمسلمين.

وقد أثنى عليه جماعة من العلماء من أهل الحديث وغيرهم.

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم: قل ما يفوت البخاري، ومسلماً بما يثبت من الحديث.

وروى الخطيب، عن أبي عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحبري قال: سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ عن البخاري ومسلم أيهما أعلم؟ فقال: كان البخاري علماً، ومسلم عالماً. فكررت ذلك عليه مراراً، وهو يرد عليّ هذا الجواب ثم قال: يا أبا عمرو، قد يقع للبخاري الغلط في أهل الشام، وذلك أنه أخذ كتبهم، ففطر فيها، فربما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره في موضع آخر باسمه، ويترهم أنهما اثنان، وأما مسلم فقل ما يقع له الغلط لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع والمراسيل.

قال الخطيب: إننا قفا مسلم طريق البخاري، ونظر في علمه، وحذا حذوه. ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، وأدام الاختلاف إليه، وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصبري قال: سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: لولا البخاري، ما ذهب مسلم، ولا جاء.

قال الخطيب: وأخبرني أبو بكر المنكدر، حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثني أبو نصر بن محمد الوراق، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدان

وفيهما كانت وقعة بين ابن واصل، الذي تغلب على فارس، وبين عبد الرحمن بن مفلح، ففكره ابن واصل، وأسره، وقتل طاشتم، واصطلم الجيش الذي كان معهم، فلم يفلت منهم إلا اليسير، ثم سار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بشا، فرجع موسى بن بشا إلى باب السلطان وسأل أن يعفى من نيابة بلاد المشرق رأى من كثرة المتغلبين بها، ففُزل عنها، وولي ذلك أبو أحمد آخر الخليفة المعتمد.

وفيهما سار أبو الساج إلى حرب الزنج، فاقتلوا قتالا شديداً، وغلبتهم الزنج، ودخلوا الأهواز، فقتلوا خلقاً من أهلها، وحرقوا منازل كثيرة، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز، وخربها الزنج، وولى الخليفة ذلك إبراهيم بن سيماء. وفيها تجهز مسرور البلخي في جيش لقتال الزنج أيضاً.

وفيهما ولي الخليفة نصر بن أحمد بن أسد الساماني ما وراء نهر بلخ، وكتب إليه بذلك في شهر رمضان منها.

وفي شوال من هذه السنة قصد يعقوب بن الليث إلى ابن واصل، فالتقى في ذي القعدة، فهزمه يعقوب وقتل عسكره، وأسره خاله، وطائفة من حُرّمه، وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم وقتل من كان يمالئه، وينصره من أهل تلك البلاد، وأخذ تلك الناحية. جزاه الله خيراً.

ولاثني عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة، ولي المعتمد على الله ولده جعفرأ المهدي من بعده وسمّاه المقبوض إلى الله، وولاه المغرب، وضم إليه موسى بن بشا وولاية إفريقية، ومصر والشام، والجزيرة، والموصل، وأرمينية، وطريق خراسان، وغير ذلك، وجعل الأمر من بعد جعفر إلى أبي أحمد بن المتوكل، ولقبه الموفق بالله، وولاه المشرق، وضم إليه مسروراً البلخي وولاه بغداد، والسواد، والكوفة، وطريق مكة، والمدينة واليمن، وكسكر، وكور دجلة والأهواز، وفارس، وأصبهان، وقم، والكرخ، والدينور والري وزنجان، والسند وكتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق، وعلق منها نسخة بالكمية المعظمة.

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن سليمان الرهاوي، وأحمد بن عبد الله العجلي، والحسن بن أبي الشوارب بمكة، وداود بن القاسم الجعفري، وشعيب بن أيوب.

■ عبد الله بن الواثق أخو المهدي بالله وأبو شعيب السوسي، وأبو يزيد البسطامي أحد أئمة الصوفية وعلي بن إشكاب وأخوه محمد، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح. رحمهم الله تعالى.

وهذا ذكر شيء من أخبار مسلم بن الحجاج على سبيل

الاختصار رحمه الله واكرم مثواه

هو

■ مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري، أحد الأئمة من حفاظ الحديث، صاحب الصحيح، الذي هو تلو صحيح البخاري، عند أكثر العلماء، وذهب المغاربة وأبو علي النيسابوري شيخ الحاكم النيسابوري من المشاركة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخاري، فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها في موضع واحد، ولا يقطعها كتقطع

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافل، فدخل واسطاً فحرراً، فخرج الخليفة المعتمد بنفسه، من سامرا لقتاله، فتوسط بين بغداد وواسط، فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة، في جيش عظيم على ميمته موسى بن بغا، وعلى ميسرته سرور البلخي، فاقتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً هائلاً، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه، وذلك يوم عيد الشعانين: فقتل منهم خلق كثيرون، وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة، والمسك، والدواب، ويقال إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان ثم انصرف المعتمد إلى المدائن، ورد محمد بن طاهر إلى نياحة بغداد، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس، وهرب ابن واصل منها.

وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة.

وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب.

وفيها جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جاتي بغداد.

وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق العباسي.

قال ابن جرير [الرحمة: ٥٢٦/٩، ٢٢٧]: وفيها وقع بين الخناطين والجزائرين بمكة، فاقتلوا يوم التروية، أو قبله يوم فقتل منهم سبعة عشر نفساً، وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم، ثم توادعوا إلى ما بعد الحج.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها، وعمر بن شبة النميري، ومحمد بن عاصم.

و ■ يعقوب بن شبة صاحب المسند الحافل المشهور والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

فيها جرت حروب كثيرة، منتشرة في بلدان شتى، فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج لعنهم الله حصرهم في بعض المواقف، بعض الأمراء، من جهة الخليفة، فقتل الموجودين عنده عن آخرهم والله الحمد والمنة.

وفيها سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم لعنه الله:

وفيها تغلب أخو شركب الجمال على نيسابور، وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر، وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة قبحة الله.

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ مساو بن عبد الحميد الشاري الخارجي، وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم، وطالت مدته حتى قصمه الله.

وزرير الخلافة

■ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، صدمه في الميدان خادم يقال له رشيق، فسقط عن دابته على أم رأسه، فخرج دماغه من أذنيه، وأنفه، فمات بعد ثلاث ساعات وصلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل، ومشى في جنازته،

القصار، سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري، فقيل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجلك، يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحققين، وطبيب الحديث في علله حدثك محمد بن سلام، حدثنا غلغل بن يزيد الحراني، حدثنا ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في كفارة المجلس فما علمته؟ فقال البخاري: هذا حديث ملب، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، عن سهيل، عن عون بن عبد الله قوله قال البخاري: وهذا أولى، فإنه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل.

قلت: وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة، وأوردت فيه طرقه والأفاظه، ومنته، وعلله والله الحمد والمنة.

قال الخطيب: وقد كان مسلم يناضل عن البخاري رحمه الله. ثم ذكر ما كان وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور، وكيف نودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور، وأن الذهلي قال يوماً لأهل مجلسه، وفيهم مسلم بن الحجاج: ألا من كان يقول بقول البخاري، في مسألة اللفظ بالقرآن، فليعتزل مجلسنا فنهض مسلم من فوره إلى منزله، وجمع ما كان سمعه من الذهلي جميعه، وأرسل به إليه، وترك الرواية عن الذهلي بالكيفية، فلم يرو عنه شيئاً لا في صحيحه ولا في غيره، واستحكمت الوحشة بينهما. هذا ولم يترك البخاري محمد بن يحيى الذهلي، بل روى عنه في صحيحه، وغيره وعذره رحمه الله.

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله، أنه عقد له مجلس للمناكرة، فستل يوماً عن حديث، فلم يعرفه، فانصرف إلى منزله، فأوقد السراج، وقال لأهله: لا يدخل أحد الليلة علي. وقد أهملت له سلة من تمر، فهي عنده يأكل تمره، ويكشف عن حديثاً، ثم يأكل أخرى، ويكشف عن آخر، ولم يزل ذلك دابه حتى أصبح، وقد أكل تلك السلة، وهو لا يشعر فحصل له بسبب ذلك ثقل، ومرض من ذلك، حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين، لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي، وهي سنة أربع ومائتين، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة رحمه الله تعالى.

■ أبو يزيد البطامي: اسمه طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسياً فأسلم، وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان، وهو أجلّ منهما قيل لأبي يزيد: بأي شيء وصلت إلى هذه المعرفة؟ فقال بيطن جائع، ويدن عار.

وكان يقول: دعوت نفسي إلى طاعة الله، فلم تجبني، فمئنتها الماء سنة. وقال أيضاً: إذا نظرت إلى الرجل أعطي من الكرامات، حتى يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تتظروا كيف تجددونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة.

قال القاضي ابن خلكان: وله مقامات كثيرة، وبجاءمادات مشهورة، وكرامات ظاهرة. وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله.

قلت: وقد حكى عنه كلمات فيها شطح، وقد تكلم كثير من العلماء من الفقهاء والصوفية، عليها، فمن تناول على الحامل البعيدة، أو قائل: إن ذها قاله في حال الاصطلام والسكر، ومن مبلغ وخطي، والله أعلم.

الشافعي، وقد ذكرناه في التكميل وفي الطبقات.

و■ **قبيصة أم المعز** إحدى حظايا المتوكل على الله، وقد جمعت من الجواهر، واللاكر، والذهب والمصاغ ما لم يعد لها ثم سلبت ذلك كله، وقتل ولدها المعز؛ لأجل نفقات الجند، وشحت عليه بمخمين ألف دينار تدارى بها عنه وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين

فيها كانت وقعة بين ابن ليثويه، عامل أبي أحمد على جبلاء، وبين سليمان بن جامع، فظفر بها ابن ليثويه بأبن جامع الذي من جهة الحبيث صاحب الزنج، فقتل خلقاً من أصحابه، وأصابه منهم سبعة وأربعين أسيراً، وحرق له مراكب كثيرة، ونظم منهم أموالاً جزيلة والله الحمد والمثلة. وفي المحرم من هذه السنة، حاصر أحمد بن طولون، نائب الديار المصرية، مدينة أنطاكية، وفيها سيما الطويل، فلم يزل حتى فتحها بعد حروب يطول ذكرها، وقتل سيما المذكور، وأقام بها حتى جاءته هدايا ملك الروم وفي جعلتها أسارى من المسلمين، مع كل أسير مصحف، منهم عبد الله بن رشيد بن كاوس، الذي كان عامل الثغور، فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكمالها مع الديار المصرية، لأنه لما مات نائب دمشق أماجور، ركب ابن طولون من مصر، فلتقاه ابن أماجور إلى الرملة، فآفره عليها، وسار إلى دمشق، فدخلها ثم إلى حمص، فقتلها، ثم إلى حلب، فاستحوذ عليها، ثم ركب إلى أنطاكية، فكان من أمره ما تقدم وكان أحمد بن طولون قد استخلف على مصر ابنه العباس، فلما بلغه قتل أبيه عليه من الشام، أخذ ما كان في بيست المال من الخواصل ووزاره جماعة على ذلك، ثم ساروا إلى برقة، خارجاً عن طاعة أبيه، فبعث إليه من أخذه ذليلاً حقيراً، وردوه إلى مصر، فحبسه، وقتل جماعة من أصحابه.

وفيها خرج رجل يقال له القاسم بن مهارة، على دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، فقتله، واستحوذ على أصبهان، فانتصر أصحاب دلف له، وقتلوا القاسم هذا، ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز.

وفيها لحق محمد المولد يعقوب بن الليث فصار إليه في المحرم منها، فأمر الخليفة بنهب حواصله، وأمواله وأملاكه وضياعه:

وفيها دخل صاحب الزنج إلى النعمانية، فقتل، وحرق، ثم سار إلى جرجاربا، فانزعج الناس ودخل أهل السواد إلى بغداد فلبجأوا إليها محصرين.

وفيها ولي أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان، وفارس، وأصبهان، وسجستان، وكرمان، والسند، ووجهه إليها بذلك، وبالحلف، والتحف.

وفيها حاصرت الزنج تستر، حتى كادوا يفتحونها، فوافاهم تكين البخاري، فلم يضع ثياب سفره، حتى ناجز الزنج، فزهمهم هزيمة فظيمة منكراً جداً فقتل منهم خلقاً لا يحصون كثيرة، وهرب أميرهم علي بن أبان المهلي غنولاً.

قال ابن جرير [٥٤٦/٩]: وهذه وقعة باب كودك المشهورة، ثم إن علي بن أبان المهلي أخذ في مكتبة تكين، واستماتته إليه، وإلى صاحب الزنج، فسارع تكين في إجابته إلى ذلك، فبلغ خبره مسروراً بالخلي، فصار نحوه، وأظهر له الأمان، حتى أخذه، فقيده، وتفرق جيشه عنه، ففرقة صارت إلى الزنج، وفرقة إلى محمد بن عبد الله الكردي، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخي بعد إعطائه إياهم الأمان، وولي مكانه على عماله أميراً

وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذي القعدة من هذه السنة، واستوزر من الغد الحسن بن غنله، فلما قدم موسى بن بغا سامرا، عزله، واستوزر مكانه سليمان بن وهب، وسلمت دار عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكيفلغ.

و■ **أحمد بن الأزهر**، والحسن بن أبي الريح، ومعاوية بن صالح الأشعري.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد، وموسى بن بغا، بسامرا، وخرجوا منها للثنتين مضتا من صفر، وخرج المعتد لتوذيهمما، وسارا، فلما وصلا إلى بغداد، توفي الأمير موسى بن بغا بها، وحمل إلى سامرا ودفن بها.

وفيها ولي محمد بن المولد واسطاً فحارية سليمان بن جامع نائبها من جهة الحبيث صاحب الزنج، فهزمه محمد بن المولد بعد حروب طويلة بينهما.

وفيها سار ابن الليراني إلى مدينة الدينور فاجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف، وابن عياض، فهزماه، ونهبوا أمواله، ورجع مغلولاً، ولما توفي موسى بن بغا، عزل الخليفة المعتد الوزير الذي كان من جهته، وهو سليمان بن وهب، وجسه مقيداً، وأمر بنهب دوره ودور أقربائه، ورد الحسن بن غنله إلى الوزارة، فبلغ ذلك أبا أحمد، وهو ببغداد، فصار بين معه إلى سامرا، فتحصن منه أخوه المعتد بجانبها الغربي، فلما كان يوم التروية، عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتد، فلم يكن بينهم قتال، بل اصطبلوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة، وهرب الحسن بن غنله، فنهبت أمواله، وحواصله، واختفى أبو عيسى بن المتوكل، ثم ظهر، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل، خوفاً من أبي أحمد.

وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **أحمد بن عبد الرحمن بن وهب**

و■ **إسماعيل بن يحيى المزني**، أحد رواة الحديث عن الشافعي من أهل مصر، وقد ترجمناه في طبقات الشافعيين. وترجمه ابن خلكان في الوفيات [٢١٧/١] أيضاً فأحسن وأظن وأطيب.

و■ **أبو زرعة**: عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أحد الحفاظ المشهورين، قيل إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث، وكان فقيهاً، ورعاً، زاهداً، عابداً، خاشعاً، متواضعاً، أثنى عليه أهل زمانه بالحفظ، والديانة وشهدوا له بالتقدم على أقرانه، وكان في حال شببته، إذا اجتمع بأحمد بن حنبل، للمناكرة يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات، ولا يفعل المنوبات، اكتفاء بالذاكرة عن ذلك.

وكانت وفاته في يوم الاثنين سلع ذي الحجة من هذه السنة وكان مولده سنة مائتين، وقبل سنة تسعين ومائة، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطاً في التكميل.

و■ **محمد بن إسماعيل بن علي قاضي دمشق**.

و■ **يونس بن عبد الأعلى الصديقي المصري**، وهو ممن روى عن

آخر يقال له أرغتش.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن منصور الرمادي، رواية عبد الرزاق، وقد صحب الإمام أحمد، وكان يعد من الأبدال، توفي عن ثلاث وثمانين سنة، ومسلحان بن نصر، وعبد الله بن محمد المخزومي، وعلي بن حرب الطائي الموصل، وأبو حفص النيسابوري علي بن موفق الزاهد، ومحمد بن سحنون.

قال ابن الأثير في كملته [٣٢٨/٧]: وفيها قتل أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي صاحب أبي عبيدة، والأصمعي، فقتله الزنج بالبصرة.

■ يعقوب بن الليث الصفار: أحد الملوك العقلاء الأبطال. فتح بلاداً كثيرة، من ذلك بلد الرخج، التي كان فيها ملك صاحب الزنج، وكان يعمل في سرير من ذهب، على رؤوس اثني عشر رجلاً، وكان له بيت في رأس جبل عال سماه مكة، فما زال حتى قتله، وأخذ بلده واستسلم أهلها، فأسلموا على يديه، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة، وقتله أبو أحمد الموفق كما تقدم، ولما مات ولوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب، مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتي.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين

في صفر منها تغلب إسكانكين على بلد الري، وأخرج عاملها منها، ثم مضى إلى قزوين، فصالحه أهلها، فدخلها، وأخذ منها أموالاً جزيلة ثم عاد إلى الري، فماتته أهلها عن الدخول إليها، فقاتلهم، ودخلها قهراً. وفيها غارت سرية من الروم، على ناحية ديار ربيعة، فقتلوا، ومثلوا، وسبوا، ومثلوا وأخذوا نحواً من مائتين وخمسين أسيراً، ففرض عليهم أهل نصيبين، وأهل الموصل، فهرت منهم الروم، ورجعوا إلى بلادهم لعنهم الله.

وفيها وتي عمرو بن الليث شرطة بغداد، وسامرا، لعبيد الله بن طاهر، وبعث إليه أبو أحمد بالخلمة، وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً، وأهدى إليه عمودين من ذهب، وذلك مضافاً إلى ما كان يليه أخوه من البلدان.

وفيها سار أرغتش إلى قتال علي بن إبان المهلي، بستر، فأخذ من كان في السجن من أصحاب علي بن إبان المهلي، من الأمراء، فقتلهم عن آخرهم، ثم سار إلى علي بن إبان، فاقتلوا قتالاً شديداً في مرات عديدة، كان آخرها لعلي بن إبان المهلي، قتل خلقاً كثيراً من أصحاب أرغتش، وأسر بعضهم، فقتلهم أيضاً وبعث برؤوسهم إلى الحبيث صاحب الزنج، فنصبت رؤوسهم على سور مدنيته قبجه الله.

وفيها رتب أهل حمص، على عاملهم عيسى الكرخي، فقتلوه، في شوال منها.

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العتيقي أهل طبرستان إلى نفسه، وأظهر لهم أن الحسن بن زيد قد أسر، ولم يبق من يقوم بهذا الأمر غيره، فبايعوه، فلما بلغ ذلك الحسن بن زيد، قصده، فقاتله، فقتله، ونهب أمواله، وأموال من اتبعه، وأحرق دورهم.

وفيها وقعت فتنة بالمدنية، ونواحيها، بين الجعفرية والعلوية وتغلب

عليها رجل من أهل البيت، من سلالة الحسن بن زيد، الذي تغلب على طبرستان، وجرت شروخ كثيرة هنالك، بسبب قتل الجعفرية والعلوية، يطول ذكرها.

وفيها وثبت طائفة من الأعراب، على كسوة الكعبة فأنتهبوا، وسار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحجيج منهم شدة عظيمة وبلاء شديد، وأمور كريهة.

وفيها أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة.

وفيها دخل أصحاب صاحب الزنج، إلى رامهرمز، فافتحوها، بعد قتال طويل.

وفيها دخل ابن أبي الساج مكة، فقاتله المخزومي، فقهره ابن أبي الساج، وأحرق داره، واستباح ماله، وذلك يوم التروية في هذه السنة، ثم جعلت إمرة الحرمين إلى ابن أبي الساج من جهة الخليفة.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المتقدم ذكره قبلها. وفي هذه السنة عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل إلى خليفة بلاد الأندلس وبلاد المغرب. مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط لتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلدان ليقاتلوه، فلما دخلت المراكب البحر المحيط، تكسرت، وتقطعت، ولم ينج من أهلها إلا اليسير، بل غرق أكثرهم.

وفيها التقى أسطول المسلمين، وأسطول الروم، ببلاد صقلية، فاقتلوا، فقتل من المسلمين خلق كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها حارب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون، لموسى بن أتماش فكسره جيشه وأسر لؤلؤ وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون، وهو إذ ذاك نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة، ثم اقتتل لؤلؤ هذا، وطائفة من الروم، فقتل من الروم خلقاً كثيراً.

قال ابن الأثير [الكامل: ٣٣٦/٧]: وفيها اشتد الحال، وضاق الناس ذرعاً بكثرة المنيح وتغلب القواد، والأجناد، على كثير من البلاد، بسبب ضعف الخليفة المعتد، واشتغال أخيه أبي أحمد بقتال الزنج. وفيها اشتد الحر في تشرين الثاني جداً ثم قوي به البرد حتى جد الماء.

وفيها توفي من الأعيان

إبراهيم بن أورمة، وصالح ابن الإمام أحمد بن حنبل قاضي أصبهان، ومحمد بن شجاع النلجي أحد عباد الجهمية، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين

فيها وجه أبو أحمد الموفق، ولده أبا العباس، في نحو من عشرة آلاف فارس وراجل في أحسن هيئة، وأكمل تجهل، لقتال الزنج، فساروا نحوهم، فكان بينهم من القتال والتزال في أوقات متعدداً، ووقعات مشهورات، ما يطول بسطه، وقد استقصاه الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تاريخه [٥٥٧/٩] مبسوطاً.

وحاصل ذلك أنه أكل الحال وانتهى الحرب والجدال والتزال إلى، أن استحوذ أبو العباس بن الموفق، على ما كان استولى عليه الزنج، ببلاد واسط، وأراضي دجلة، هذا وهو شاب حدث، لا خبرة له بالحرب، ولكن سلمه الله، وغنمه، وأعلى كلمته، وسدد رميته، وأجاب دعوته، وفتح على

وبنيه، وأسبغ نعمته عليه، وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة بعد عمه المعتد ولقب بالمعتضد كما سيأتي.

ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله، من بغداد، في صفر من هذه السنة في جيوش كثيفة، فدخل واسطاً في ربيع الأول منها، فتلقاه ابنه، وأخبره عن الجيوش الذين معه، وتحملوا من أعباء الجهاد، فخلع عليه وعلى الأمراء كلهم خلعاً سنياً، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج، وهو بالمدينة التي أنشأها، وسماها المنية، فقاتلوا الزنج دونها قتالاً شديداً، ففهرهم، ودخلها عنوة، وهربوا منها، فبعث في آثارهم جيشاً، فلحقهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون وغنم أبو أحمد من المنية شيئاً كثيراً، واستقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط، ثم أمر بهدم سور البلد، وطمّ خندقها، وجعلها بلعماً بعدما كانت للبشر مجمعا وعادت بيتاً بعدما كانت للخيبت جناً.

ثم سار الموفق إلى المدينة، التي يقال لها المنصورة، وبها سليمان بن جامع، فحاصروها، وقاتلوه دونها، فقتل خلق كثير، من الفريقين، ورسم أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدي بسهم فاصبه في دماغه فقتله، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج، فشق ذلك على الزنج جداً، وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر، والجيوش الموفقية مرتبة أحسن ترتيب، فتقدم الموفق فصلى أربع ركعات، وإبتهل إلى الله في الدعاء، واجتهد في حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حصن غاية التحصين، وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق، وخمسة أسوار، فجعل كلما جاوز سوراً، قاتلوه دون الآخر فيقهرهم، ويميزه إلى الذي يليه، حتى انتهى إلى البلد، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وهرب بقیهم، وأسر من نساء الزنج من حلائل سليمان بن جامع وذويه، نساء كثيرة، وصبيان، واستقذ من أيديهم من النساء المسلمات، والصبيان من أهل البصرة، والكوفة وواسط، نحواً من عشرة آلاف نسمة، فسبهم إلى أهلهم، جزاء الله خيراً، ثم أمر بهدم فنادقها، وأسوارها، وردم خنادقها، وأنهاها وأقام بها سبعة عشر يوماً، وبعث في آثار من انتهزم من الزنج، فكان لا يؤتى بأحد منهم، إلا استماله إلى الخير برفق، ولين، وصفح، وأضاف إلى بعض الأمراء - وكان مقصوده رجوعهم إلى الدين والحق - ثم ركب إلى الأهواز، فأجلاهم عنها، وطردهم منها، وقتل خلقاً كثيراً من أشرفهم، منهم أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري، وكان رئيساً فيهم مطاعاً، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج قبحه الله كتاباً يدعو فيه إلى التوبة، والرجوع عما ارتكبه، من المأثم، والمظالم، والحرام، ودعوى النبوة، والرسالة، وخواب البلدان، واستحلال الفروج والأمور يئذل له الأمان إن هو رجع إلى الحق، فلم يرد عليه صاحب الزنج جواباً.

ومن يكثر سوادهم، فقدم الموفق ولده أبا العباس بين يديه، فقدم حتى وقف تحت قصر الملك، فحاصره محاصرة لم ير مثلاً، وتعجب الزنج من إقدامه وجراته مع صغر سنه وحداته صغره، ثم تراكت الزنج عليه من كل مكان، فهزمهم، وأبى بهود أكبر أسراء صاحب الزنج، بالسهم، والحجارة، ثم خامره جماعة من أصحاب امرائه، إلى الموفق، فأكرمهم، وأعطاهم خلعاً سنياً، ثم رغب إلى ذلك جماعة كثيرون منهم، فصاروا إليه ثم ركب أبو أحمد، في يوم النصف من شعبان، ونادى في الناس كلهم بالأمان، إلا صاحب الزنج، فتحول خلق كثير من جيش صاحب الزنج وأجناده إلى الموفق، وأبى الموفق مدينة تجاه مدينة صاحب الزنج، وسماها الموفقية، وأمر بحمل الأمثلة والتجارات إليها، فاجتمع بها من أنواع الأشياء، وصنوفها، ما لم يجمع في بلد قبلها، وعظم شأنهم، وامتلات من المعاش، والأرزاق، وصنوف التجارات، والسكان والدواب، وغيرهم، ولما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزنج، ثم جرت بينهم حروب عظيمة، وما زالت الحرب ناشبة بينهم حتى انسلخت هذه السنة، وهم محاصرون البلد الحثيث ومن فيه، وقد تحول منهم خلق كثير، فصاروا على صاحب الزنج، بعد أن كانوا معه، ويلغ عددهم قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء والخواص، والأجناد، والله الحمد كل ما لم في زيادة وقوة، ونصر، وظفر.

وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن سمويه، وإسحاق بن إبراهيم شاذان، ومجر بن نصر الخولاني، وعباس الترقفي، ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ، صاحب خلف بن هشام البزار، ببغداد في ربيع الأول، ومحمد بن عزيز الأيلي. ويحيى بن محمد بن يحيى الذهلي حيكان. ويونس بن حبيب راوي مستند أبي داود الطيالسي عنه.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين

في الحرم منها استامن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان - وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج وثقاتهم في أنفسهم - الموفق، فأمنه، وفرج به، وخلع عليه، وأمره، فركب في سمرته، فوقف تجاه قصر الملك، فنادى في الناس، وأعلمهم بكذب صاحب الزنج، وفجوره، وأنه في غرور، هو ومن اتبعه، فاستامن بسبب ذلك بشر كثير منهم، وورد قتال الزنج عند ذلك إلى ربيع الآخر، فعند ذلك أمر الموفق أصحابه بمحاصرة السور، وأمرهم، إذا نقوا السور أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم، فقبوا السور، حتى انثلهم، ثم عجلوا الدخول، فدخلوا فقاتلهم الزنج، فهزمهم المسلمون، وتقدموا إلى وسط المدينة، فجاءتهم الزنج من كل مكان، وخرجت عليهم الكمان، من أماكن لا يهتدون إليها، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، واستلبوهم، وفرّ الباقر، فلامهم أبو أحمد الموفق على غفلته، من العجلة، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم، فحسن ذلك عند الناس جداً، وظفر أبو العباس بن الموفق، بجماعة من الأعراب وغيرهم، كانوا يجلبون الطعام، إلى الزنج، فقتلهم، وظفر بيهود بن عبد الوهاب فقتله، وكان ذلك من أكبر الفتن عند

ذكر مسير أبي أحمد الموفق إلى المدينة التي فيها صاحب

الزنج وهي المختارة ليحاصرها

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج، يدعو إلى الحق، فلم يجبه، استهانة به، ركب من فوره في جيوش عظيمة، قريب من خمسين ألف مقاتل، قاصداً إلى مدينة التي أنشأها وسماها المختارة، فلما انتهى إليها، وجدها في غاية الإحكام، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً، وقد التف على صاحب الزنج، نحو من ثلاثمائة ألف مقاتل، بسيف ورمح ومقلاع،

ومعه جماعة من القواد، وقد أرصد له ابن طولون جيشاً بالركة يتلقونه، فلما اجتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج، نائب الموصل، وعامة الجزيرة، اعتقله عنده، عن المسير إلى ابن طولون، وقد أعيان الأمراء الذين معه، وعاتب الخليفة، ولامه على هذا الصنع أشد اللوم، ثم ألزمه العود إلى سامرا، ومن معه من الأمراء، فرجعوا إليها في غاية الذل والإهانة.

ولما بلغ ذلك الموفق، شكر سمي إسحاق، وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية، وكتب إلى ابن أخيه أن يلحق ابن طولون في دار العامة، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك، وهو كاره، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطاب، وأسقط اسمه عن الطراوات.

وفيها في ذي القعدة وقعت فتنة بمكة، بين أصحاب الموفق، وأصحاب ابن طولون، قُتل من أصحاب ابن طولون مائتان، وهرب بقيةهم، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيراً.

وفي هذه السنة قطعت الأعراب على الحجيج الطريق، وأخذوا منهم خمسة آلاف بعير بأعمالها.

وفيها توفي

إبراهيم بن منقذ الكتاني وأحمد بن غنم مولى المعتصم - وكان من دعاة المعتزلة، أخذ الكلام عن جعفر بن معشر المعتزلي - وسليمان بن حفص المعتزلي، صاحب بشر المريسي، وأبي الهذيل العلاف، وعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني، نائب أرمينية وديار بكر، وأبو لؤي يزيد بن محمد الرهاوي أحد الضعفاء.

سنة سبعين ومائتين من الهجرة

فيها كان مقتل صاحب الزنج بفتح الله: وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج وهي المخصرة، واحتاز ما كان بها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال، وسعى من وجد فيها من النساء والأطفال، وقد هرب صاحب الزنج عن حومة الجلال، واليزال وسار إلى بعض البلاد، طريداً شريداً، بشر حال، عاد الموفق - وفقه الله - إلى مدينته، الموقية، مؤيداً منصوراً، وقدم عليه لؤلؤة غلام أحمد بن طولون منابذاً لسيده سمعاً مطيعاً لأبي أحمد الموفق، وكان وروده عليه في ثالث الحرم من هذه السنة، فأكرمه، وعظمه وأعطاه، وخلع عليه، وأحسن إليه، وبعثه طليعة بين يديه، لقتال صاحب الزنج، وركب الموفق في الجيوش الكثيفة الهائلة، وراءه فقصدوا الخبيث، وقد تحصن ببلدة أخرى، فلم يزل به محاصراً له، حتى أخرجه منها ذليلاً وهو صاغر، واستحوذ على ما كان بها من الأموال، والغنائم، ثم بعث السرايا والجيوش، فأمرؤا عامة من كان معه، من خاصته، وجماعته، منهم سليمان بن جاعم، فاستبشر الناس بأسره، وكبروا الله وحملوه، فرحاً بالنصر، والفتح، وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة، على أصحاب الخبيث، فاسترحر فيهم القتل، وما تجلّت الحرب، حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج في المعركة، وأتى برأسه مع غلام لؤلؤة الطولوني، فلما تحقق الموفق، أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك، خر ساجداً لله ثم انكفاً راجعاً إلى الموقية، ورأس الخبيث يحمل بين يديه، وسليمان معه أسير، فدخل البلد وهو كذلك، وكان يوماً مشهوداً، وفرح المسلمون بذلك في الغارب والمشرق، ثم جيء

المسلمين، وأعظم الرزايا عند الزنج، ولله الحمد.

وبعث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفق ثلاثمائة ألف دينار، وخمسين مثلاً من مسك، وخمسين مثلاً من عنبر، ومائتي من عود، وفضة بقيمة مائة ألف، وثياباً من وشي، وعلماً كثيراً جداً.

وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فحاصر أهل ملطية فأعانهم أهل مرعش، وفر الخبيث خاسراً.

وغزا الصائفة من ناحية الثغور، عامل ابن طولون، قتل من الروم سبعة عشر ألفاً.

وحج بالناس فيها هارون بن عماد الهاشمي المتقدم.

وفيها قُتل أحمد بن عبد الله الحفجستاني.

توفي من الأعيان

أحمد بن سيار، وأحمد بن شيان، وأحمد بن يونس الضبي، وعيسى بن أحمد البلخي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الفقيه المالكي. وقد صحب الشافعي وروى عنه.

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

في هذه السنة اجتهد الموفق بالله في تخريب سور مدينة صاحب الزنج، فخرب منه شيئاً كثيراً، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة، سهم في صدره، من يد رجل رومي، يقال له قرطاس، فكاد يقتله، فاضطرب الحال لذلك، وهو يتجلد ويحضر على القتال مع ذلك، وأقام ببلده الموقية أياماً يتداوى فاضطربت الأحوال وخاف الناس جداً من صاحب الزنج، وأشاروا على الموفق بالمسير إلى بغداد، فلم يقبل، ففوت علة، ثم من الله عليه بالعافية في شعبان، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، فنهض مسرعاً إلى الحصار، فوجد الخبيث قد رمم كثيراً، مما كان الموفق قد خربه، وهدمه، فأمر بتخريبه، وما حوله، وما قرب منه، ثم لازم الحصار، وما أنقذ حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج، ودور أمراءه، وأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً، وغنم ما لا يحصى، ولا يوصف كثرة، وأسر من نساء الزنج، واستنقذ من نساء المسلمين، وصبيانهم، خلقاً كثيراً، فأمر يردهم إلى أهاليهم مكرمين، وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي، وعمل الجسور، والقناطر الهائلة بينه وبين وصول السمريات إليه، فأمر الموفق بتخريبها، وقطع الجسور، واستمر الحصار في هذه السنة، وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي أيضاً واستحوذ على حواصله، وأمواله، وفر الخبيث ذاهباً وكرهاً، وترك حلالته، وأولاده، وحواصله، فأخذها الموفق ولله الحمد والمئة وشرح ذلك بطول جداً، وقد حرره مسبوفاً ابن جرير [الرحم: ٦١٤/٩-٦١٥/٩]، ولخصه ابن الأثير [الكامل: ٣٧٤/٧]، واختصره ابن كثير، والله أعلم، وهو الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

ولما رأى الخليفة المعتمد، أن أخاه أبا أحمد، قد استحوذ على أمور الخلافة، وصار هو الحاكم الأمر الناهي، الذي إليه تجلب التخاذل وتحمل الأموال والخراج، وهو الذي يولي ويعزل، كتب إلى أحمد بن طولون، يشكو إليه، ذلك فكتب إليه ابن طولون، أن يتحول إلى عنده ببلاد مصر، ووعده النصر والقيام معه، فاستغنى غية أخيه الموفق، وركب في جمادى الأولى،

ويقال إلى الرشيد في سنة تسعين ومائة.

ولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة وقيل في سنة عشرين ومائتين، ومات أبوه طولون في سنة ثلاثين، وقيل في سنة أربعين ومائتين.

وحكى ابن خلكان، أنه لم يكن أباه، وإنما تبناه، والله أعلم.

وحكى ابن عساكر، أنه من جارية تركية، اسمها هاشم، ونشأ أحد هذا في صيانة، وعفاف، ورياسة، ودراية للقرآن العظيم، مع حسن الصوت، وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه، من المحرمات والأشياء المنكرات، وكانت أمه جارية اسمها هاشم.

وحكى ابن عساكر، في تاريخه مختصر تاريخ دمشق: [١٢٢/٣] عن بعض مشايخ مصر، أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد تبناه وأنه كان ظاهر النجابة من صغره، وأنه اتفق، أن يعنه طولون، في حاجة لآتيه بها، من دار الإمارة، فذهب، فإذا حظية من حظايا طولون، مع بعض الخدم، في فاشقة، فأخذ حاجته التي أمره بها، وكرّر راجعاً إليه سريعاً، ولم يجره بشيء، بما رأى من ذلك، فتوهمت الحظية أن يكون أحد قد أخبر طولون بما رأى، فجهزت إلى طولون فقالت: إن أحد جوامي الآن إلى المكان الفلاني، وراودني عن نفسي. وانصرفت إلى قصرها، فوقع في نفسه صدقها، فاستدعى أحد وكتب معه كتاباً، وختمه إلى بعض الأمراء، أن إذا وصل إليك حامل هذا الكتاب فاضرب عنقه، وابعث برأسه سريعاً إليّ. فذهب أحد، وهو لا يدري ما فيه، فاجتاز في طريقه، بقصر تلك الحظية فاستدعته إليها، فقال: إني مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى فلان فقالت: هلم، فلي إليك حاجة وأردت أن تحبب ليكتب لها كتاباً، ثم استوهبت من أحد الكتاب، الذي أمره طولون أن يرسله، إلى ذلك الأمير، فدفعه إليها فأرسلت به ذلك الخادم، الذي وجده معها على الفاشقة، وظنت أن به جائزة، تريد أن تحبب بها الخادم المذكور، فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير، فلما قرأه أمره بضرب عنق ذلك الخادم، وأرسل برأسه إلى الملك طولون، فتعجب الملك من ذلك وقال: أين أحد؟ فطلب له، فقال: ويحك، أخبرني كيف صنعت، منذ خرجت من عندي؟ فأخبره بما جرى من الأمر. ولما سمعت تلك الحظية، بأن رأس الخادم قد أتى به إلى طولون، أسقط في يديها، وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال، فقامت إليه تعتذر، وتستغفر، عما وقع منها مع الخادم، واعترفت بالحق، ويرات ساحة أحمد، مما نسبته إليه، فحفظي عند الملك طولون، وأوصى له بالملك من بعده.

ثم ولي نياحة الديار المصرية، للمعتمد، فدخلها يوم الأربعاء، لسيح يقين من رمضان، سنة أربع وخمسين ومائتين، فأحسن إلى أهلها إحساناً كثيراً، وأتفق فيهم من بيت المال، ومن صدقاته: واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار، وبنى بها الجامع، غرم عليه مائة ألف دينار، وعشرين ألف دينار، وكان فراغه في سنة تسع وخمسين، وقيل في سنة ست وستين ومائتين، وكانت له مائة في كل يوم، يحضرها الخاص، والعام، وكان يتصدق في كل شهر من خالص ماله، بألف دينار، وقد قال له وكيله يوماً: إنه تأتيك المرأة، وعليها الإزار، وبذلة وهشة وتسالي، ولها الهيئة الحسنة، تسالي، فأعطيها؟ فقال: من مذهبك إليك فاعطه.

وكان من أحفظ الناس للقرآن، ومن أطيبهم به صوتاً. وقد حكى ابن خلكان عنه أنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفس، فإله أعلم.

وبنى البيمارستان ففرم عليه ستين ألف دينار، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفاً، وكانت له صدقات كثيرة جداً، وإحسان زائد، ثم ملك

بأنكلاي، ولد صاحب الزنج، وأبان بن علي المهلب، مسعر حريم، مأسورين، ومعهما قريب من خمسة آلاف أسير، قسم السرور، وهرب قرطاس الذي رمى الموفق بصدوره، بذلك السهم، إلى رامهرمز، فآخذ، وبعث به إلى الموفق، فقتله أبو العباس ولد الموفق واستأمن من بقي من أصحاب صاحب الزنج، فأمّنهم الموفق، ونادى في الناس بالأمان، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره، بسبب فتنة الزنج إلى أوطانهم ويلدانهم، ثم قدم ولده أبا العباس، بين يديه إلى بغداد، ومعه رأس الخبيث، يحمل، ليراه أهل بغداد، فدخلها لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى، من هذه السنة، وكان يوماً مشهوداً، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله تعالى.

وقد كان ظهره في يوم الأربعاء، لأربع يقين من شهر رمضان، سنة خمس وخمسين، ومائتين، وكان هلاكه يوم السبت، لليلتين خلتا من صفر، سنة سبعين، ومائتين وكانت دولته أربع عشرة سنة، وأربعة أشهر، وستة أيام، ولله الحمد والملة.

وقد قيل في انقضاء دولة الزنج، وما كان من النصر عليهم، أشعار كثيرة، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي:

أقول وقد جاء البشر بوقعة أعزّت من الإسلام ما كان وإهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما أبيع حمامهم خير ما كان جازيا
تسرّد إذ لم ينصر الله ناصر بتجديد دين كان أصبح باليا
وتعجيد ملك قد وهى بعد عزّه واخذ بشارات تبير الأعاديا
ورد عمارات ازبلت وأخربت ليرجع فيه قد تحرم وإفيا
وترجع أمصار أبيضت وأحرقت مراراً وقد أمست قواء عوافيا
ويشفي صدور المسلمين بوقعة يقر بها منا العيون البواكيا
ويتلى كتاب الله في كل مسجد ويلقى د عليه الطالين خاسيا
فأعرض عن أحبابه وتبجيه وعن لثة الدنيا وأصبح عاريا
وهي قصيدة طويلة هذا طرف منها.

وفي هذه السنة أقبلت الروم، في مائة ألف مقاتل، فتلوا قريباً من طرسوس، فخرج إليهم المسلمون، فبترهم، فقتلوا منهم في ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفاً من المقاتلة ولله الحمد والملة.

وقتل المقدم الذي عليهم، وهو بطريق البطارقة، وجرح أكثر الباقين، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة، من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة، وصليهم الأعظم خندهم، وهو من ذهب صامت، مكلل بالجوهر، وأربعة كراس من ذهب، ومثا كرسي من فضة، وآنية كثيرة من فضة، وعشرة آلاف علم من ديباج وخنموا حبراً كثيراً، وأموالاً جزيلة، وخمسة عشر ألف دابة، وسروجاً، وسلاحاً وسيفاً محلاة، وغير ذلك ولله الحمد والملة أولاً وآخرأ.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن طولون: أبو العباس أمير الديار المصرية، وباني الجامع بها المنسوب إلى طولون، وإنما بناه أحد ابنه، وقد ملك دمشق، والمعاصم، والثغور مدة طويلة، وقد كان أبوه طولون من الأتراك، الذين أهداهم نوح بن أسد بن سامان الساماني، عامل بخارى، إلى المأمون في سنة مائتين،

قال الخطيب: كان فقيهاً زاهداً، وفي كُتبه حديث كثير، والرواية عنه غزيرة جداً.

كانت وفاته ببغداد، في هذه السنة، وكان مولده في سنة مائتين وقيل في سنة ثنتين ومائتين.

وذكر أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته، أن أصله من أصبهان، وولد بالكوفة، ونشأ ببغداد وأنه انتهت إليه رئاسة العلم بها، وكان يحضر مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر، وكان من المتعصبين للشافعي، وصنف مناقبه.

وقال غيره: كان حسن الصلاة والتواضع

قال الأزدي: ترك حديثه، ولم يتابع الأزدي على ذلك ولكن روى عن الإمام أحمد، أنه تكلم فيه، بسبب كلامه في القرآن، وإن لفظه به غلو، كما نسب ذلك إلى الإمام البخاري رحمه الله.

قلت: وقد كان من الفقهاء المشهورين، ولكن حصر نفسه بنفيه القياس الصحيح، فضاق بذلك ذروعه، في أماكن كثيرة من الفقه، فلزمه القول بأشياء قطعية، صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد، من غير تفهم لمعنى النص، وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده، في الاعتناء بخلافه، وأنه هل ينعتد الإجماع بكونه، مع خلافه أم لا؟ على أقوال ليس هذا موضع بسطها. ومن توفي فيها:

■ **الربيع بن سليمان المرادي**، صاحب الشافعي، وقد ترجمناه في طبقات الشافعية، والقاضي بكار بن قتيبة، الحاكم بالديار المصرية، من سنة ست وأربعين ومائتين، إلى أن توفي مسجوناً بحبس أحمد بن طولون، لكونه لم يخلع الموفق في سنة سبعين رحمه الله، وكان عالماً، عابداً، زاهداً، كثير التلاوة، والحامسة لنفسه، وقد شغل منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين.

وقد بسط ابن خلكان ترجمته في الوفيات (٢٧٩/١-٢٨٠) رحمه الله

■ **ابن قتيبة الدينوري**:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضيها، النحوي اللغوي صاحب المصنفات البديعة، المقتيدة المحتوية على علوم جمة نافعة، اشتغل ببغداد، وسمع بها الحديث على إسحاق بن راهويه، وطبقته، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستاني وقويه وصنف وجمع وألف الكتب المشهورة، فمن ذلك كتاب المعارف، وأدب الكاتب الذي شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسي وكتاب مشكل القرآن والحديث، وغريب القرآن والحديث، وعيون الأخبار، وإصلاح الغلط، وكتاب الخيل، وكتاب الأنوار، وكتاب المسائل والجوابات، وكتاب اليسر والقداح، وغير ذلك.

كانت وفاته في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، ومولده في سنة ثلاث عشرة ومائتين، ولم يماز البتة رحمه الله.

وروي عنه ولده أحمد جميع مصنفاته وقد ولي ولده أحمد قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتوفي بها بعد سنة رحمه الله

■ **محمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني** ومحمد بن مسلم بن وارة ومصعب بن أحمد أبو أحمد الصوفي، وكان من أقران الجنيد.

وفيهما توفي ملك الروم بن الصقلي لعه الله.

وفيهما ابتداء إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة من بلاد الأندلس.

ثم دخلت سنة مائتين وإحدى وسبعين

فيها عزل الخليفة، عمرو بن الليث عن ولاية خراسان، وأمر بلعنه

دمشق بعد أمرها أماجور، في سنة أربع وستين ومائتين، فأحسن إلى أهلها أيضاً، إحساناً بالغا، واتفق أن وقع بها حريق عند كنيسة مريم، فنهض بنفسه إليه، ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي، فأمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار، تصرف إلى أهل الدور، والأموال التي أحرقت فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكره، وبقي أربعة عشر ألف دينار فاضلة عن ذلك، فأمر بها أن توزع عليهم، على قدر حصصهم، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق، وغوطةها، فأقل ما حصل للفقير دينار، رحمه الله.

ثم خرج إلى أنطاكية، فحاصر بها صاحبها سيما، حتى قتله، وتسلم البلد كما ذكرنا. ذلك فيما تقدم.

ثم كانت وفاته بمصر في أوائل ذي القعدة، من هذه السنة، من علة أصابته، من أكل لبن الجواميس، فأصابه ذرب، فداواه الأطباء، وأمروه أن يمتحي منه، فلم يقبل منهم، فكان يأكل منه في الخفية، فمات رحمه الله.

وقد ترك من الأموال، والأثاث والدواب، شيئاً كثيراً جداً، من ذلك عشرة آلاف دينار، ومن القصة شيئاً كثيراً، وكان له ثلاثة ثلاثون ولداً، منهم سبعة عشر ذكراً، فقام بالأمر من بعده ولده خوارويه كما سيأتي ما كان من أمره وكان له من الغلمان أربعة وعشرون ألف غلام ومن الموالى سبعة آلاف مولى، ومن البنات، والخيل، والجمال شيء كثير جداً نحو سبعين ألف دابة، وقيل أكثر من ذلك.

قال ابن خلكان: وإنما تغلب على البلاد، لاشتغال الموفق طلحة بن المتوكل عنه بحرب صاحب الزنج، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد على الله وهو والد المعتضد رحمه الله.

■ **أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب** صاحب كتاب الخراج قاله ابن خلكان.

■ **أحمد بن عبد الله بن البرقي**، وأسد بن عاصم الجمال، وبكار بن قتيبة المصري في ذي الحجة من هذه السنة...

■ **الحسن بن زيد العلوي**: صاحب طبرستان في رجب من هذه السنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة، وثمانية أشهر، وستة أيام، وقام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد، وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جواداً عديداً يعرف الفقه والعربية، قال له مرة شاعر من الشعراء في جملة قصيدة مدحه بها «الله فرد» وابن زيد فرد فقال له: ويلك، لا تقل، هلا قلت: «الله فرد، وابن زيد عبده» ثم نزل عن سريره وخر لله ساجداً لله عز وجل والصق خده بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً.

وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدة:

لا تَقُلْ بُشْرَى ولكنْ بُشْرَيَانِ عِزَّةَ الدَّاعِي وَسَوْمُ الْمُهْرَجَانِ

فقال له الحسن بن زيد: لو ابتدأت بالمصراع الثاني كان أحسن، وأبعد لك أن تبدئ شعرك بحرف لا فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجمل من قول لا إله إلا الله فقال: أصبت، وأمر له بمجازة سنه.

■ **الحسن بن علي بن عفان العامري**.

■ **داود بن علي**: الأصبهاني، ثم البشنادي الفقيه الظاهري، إمام أهل الظاهر.

روى عن أبي ثور، وإبراهيم بن خالد، وإسحاق بن راهويه، وسليمان بن حرب، وعبد الله بن سلمة القعني، ومسدد بن سرهد، وغير واحد.

روى عنه ابنة الفقيه أبو بكر بن داود، وذكرنا بن يحيى الساجي.

كان صغرى وكبرى من فراقهما حصباءً ذُ على أرض من اللهب
ثم أمر بالدر فجمع، فوضع في حجر العروس، وقال: هذا غلة مني
لك، وسلي حاجتك فقالت لها جنتها: سلي سبك فقد استنطقك فقالت:
أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدي، فرضي عنه، ثم أراد
الاجتماع بها فإذا هي حائض، وكان ذلك في شهر رمضان ثم توفي المأمون
في سنة ثماني عشرة وميتين، وتآخرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه
السنة ولها ثمانون سنة.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائتين

في جمادى الأولى منها، سار نائب قزوين، وهو أذكوتكين في أربعة
آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوي، صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن
بن زيد، وهو بالري، في جيش عظيم من الدليم وغيرهم، فاقتتلوا قتالا
شديداً، فهزمه أذكوتكين، وغنم ما في معسكره، وقتل من أصحابه ستة
آلاف، ودخل الري، فاخذها، أهلها مائة ألف ألف دينار، وفرق عماله في
نواحي الري.

وفيها وقع بين أبي العباس بن الموفق، وبين صاحب نهر طرسوس،
وهو يازمان الخادم، قتال أهل طرسوس على أبي العباس، فأخرجوه عنهم،
فرجع إلى بغداد.

وفيها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشاري مدينة الموصل، وصلّى
بهم الشاري في جامعها الأعظم.

وفيها عاثت بنو شيان في أرض الموصل وسفّوا في الأرض فساداً.
وفيها تحركت بقية الزنج في أرض البصرة، ونادوا: يا أنكلي يا
منصور، وكان أنكلي ابن صاحب الزنج، وسليمان بن جامع، وأبان بن
علي المهلب، وجماعة من وجوه أمرائهم، في حبس الموفق، فبعث إليهم،
فقتلوا، وحملت رؤوسهم إليه، وصلت أبدانهم ببغداد، وسكنت الشرور.

وفيها صلح أمر المدينة النبوية، وتراجع الناس إليها ولله الحمد.

وفيها جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس، وتسلّمت الروم من

المسلمين بلدين عظيمين من الأندلس، فإن الله وإنا إليه راجعون.

وفيها قدم صاعد بن غلّ، الكاتب من فارس، إلى واسط، فأمر الموفق
القوّاد أن يتلقوه، فدخل في أبهة عظيمة، ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد،
فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه، وعلى أهله، وأمواله وحواصله

واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل.

وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق العباسي المتقدم منذ
دهر.

ومن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن الوليد بن الجشاش، وأحمد بن عبد الجبار بن محمد بن
عطارد العطاردي التميمي، راوي السيرة، عن يونس بن بكير، عن محمد بن
إسحاق بن يسار، وغير ذلك وأبو عتبة المحجّزي، وسليمان بن سيف،
وسليمان بن وهب الوزير في حبس الموفق وشعيب بن بكار يروي عن أبي
عاصم النبيل، ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي، ويلقب بكليجة،
وهو من تلاميذ يحيى بن معين، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء، ومحمد بن
عبيد المنادي، ومحمد بن عرف الحمصي.

على المنابر، وفوض أمر خراسان إلى محمد بن طاهر، ويعت جيشاً إلى
عمرو بن الليث فهزمه عمرو.

وفيها كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفق أبي أحمد، وبين
خارويه ابن أحمد بن طولون، وذلك أن خارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر
والشام، جاءه جيش من جهة الخليفة، عليهم إسحاق بن كنداج، نائب
الجزيرة وابن أبي الساج فقاتلوه بأرض شيزر فامتنع من تسليم الشام إليهم،
فاستجدوا بأبي العباس بن الموفق، فقدم عليهم، فكسر جيش خارويه ابن
أحمد، وتسلم دمشق، واحتازها ثم سار خلف خارويه إلى بلاد الرملة،
فأدركه عند ماء عليه طواحين، فاقتتلوا هنالك، وبذلك تسمى هذه وقعة
الطواحين، فكانت النصره أولاً لأبي العباس على خارويه، فهزمه حتى
هرب خارويه، لا يلوي على شيء، فلم يرجع حتى دخل الديار المصرية،
فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم، فينما هم كذلك، إذ
أقبل كمين لجيش خارويه، وهم مشغولون بالغنمة، فوضع المصريون فيهم
السيوف، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وانهزم الجيش، وهرب أبو العباس
المعتضد، فلم يرجع حتى وصل دمشق، فلم يفتح له أهلها بابها، فانصرف
حتى وصل إلى طرسوس، وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان، وليس
في واحد منهما أمير ثم كان الظفر للمصريين، لأنهم أقاموا أبا العباس أخا
خارويه عليهم أميراً، فغلبوا بسبب ذلك، واستقرت أيديهم على دمشق
وسائر الشام، وهذه الوقعة من أعجب الوقعات.

وفيها جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب.

وفيها دخل إلى المدينة النبوية محمد وعلي ابنا الحسين بن جعفر بن
موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،
فقتلا خلقاً كثيراً من أهلها، وأخذوا أموالاً جزيلة، وتعطلت الصلوات في
المسجد النبوي أربع جمع، لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة، فإن الله وإنا
إليه راجعون.

وجرت بمكة فتنة أخرى، واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً
وحج بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق العباسي

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عباس بن محمد الدوري، تلميذ ابن معين، وغيره من أئمة الجرح
والتعديل وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري، ومحمد بن حماد
الطهراني، ومحمد بن سنان ويوسف بن مسلم.

■ وبران بنت الحسن بن سهل: زوجة المأمون ويقال إن اسمها
خديجة، وبران لقب لها، والصحيح الأول عقد عليها المأمون بم الصلح،
سنة ست ومائتين، ولها عشر سنين، فثر أبوها، على الناس يومئذ بنادق
المسك، مكتوب في ورقة وسط كل بندقة، اسم قرية، أو ملك أو جارية، أو
غلام، أو فرس، فمن التقط من ذلك شيئاً ملكه، ونثر ذلك على عامة
الناس الدنانير، ونوافج المسك، ويض العبر وأنفق على المأمون، وعسكره
مدة مقامه تلك الأيام خمسين ألف ألف درهم فلما ترحل المأمون عنه،
أطلق له عشرة آلاف درهم وأقطعهم فم الصلح، وبني بها في ستة عشر فلما
جلس المأمون، فرشوا له حصيراً من ذهب، ونثروا على قلبه ألف حبة
جوهر، وهنالك تور من ذهب، فيه شمعة من عنبر، زنة أربعين مثناً من عنبر،
فقال: هذا سرف، ونظر إلى ذلك الحب على المحصر فقال: قاتل الله أبا
نواس حيث يقول في صفة الخمر:

السنة وأئمة الحديث.

ومن توفي فيها أيضاً من الأعيان

■ إسحاق بن سيار،

■ وحبل بن إسحاق ابن عم الإمام أحمد بن حنبل، وأحد الرواة المشهورين عنه، على أنه قد اتهم، في بعض ما يرويه، ويحكيه والله أعلم، وأبو أمة الطرسوسي

■ والقح بن شخرف أحد مشايخ الصوفية، وذوي الأحوال والكرامات، والمقامات والكلمات النافعات، وقد وهم ابن الأثير في قوله في كامله [٤٢٥/٧]: إن أبا داود صاحب السنن توفي في هذه السنة، وإنما توفي سنة خمس وسبعين كما سيأتي في.

■ ابن ماجه القزويني: صاحب السنن، وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، مولى ربيعة صاحب كتاب السنن المشهورة، وهي دالة على عمله، وعلمه، وبعثه، وإطلاعه، وتابعه للسنة النبوية في الأصول، والفروع، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً، ألف وخمسمائة باب، ويحتوي على أربعة آلاف حديث، كلها جياذ سوى اليسير.

وقد حكى عن أبي زرعة الرازي، أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً ربما يقال إنها موضوعة أو منكورة جداً، وله تفسير حافل، وتاريخ كامل، من لدن الصحابة إلى عصره.

وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني: أبو عبد الله محمد بن يزيد، ويعرف يزيد بماجه مولى ربيعة، كان عالماً بهذا الشأن، صاحب التصانيف في التاريخ والسنن، ارتحل إلى العراق، ومصر، والشام، ثم ذكر طرفاً من مشايخه وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل، ولله الحمد والمنة.

قال: وقد روى عنه الكبار القدماء: ابن سيوري، ومحمد بن عيسى الصفار، وإسحاق بن محمد، وعلي بن إبراهيم بن سلمة القطان، وجدي أحمد بن إبراهيم، وسليمان بن يزيد.

وقال غيره: كانت وفاة ابن ماجه يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء، لثمان بقين من رمضان، سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة، وصلى عليه أخوه أبو بكر، وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبي عبد الله، وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

فيها نشبت الحرب بين أبي أحمد الموفق، وبين عمرو بن الليث بفارس، فقصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد وتبعه، ثم لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة، وقد تحيز إلى أبي أحمد الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث، وهو أبو طلحة شركب الجمال، ثم أراد العود، فقبض عليه الموفق، وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد، وذلك بالقرب من شيراز.

وفيها غزا يازمان الخادم نائب طرسوس بلاد الروم فأوغل فيها، فقتل، وغنم وسلم.

وفيها دخل صليق الفرغاني سامرا، فنهب دور التجار بها، وكرّ راجعاً، وقد كان هذا الرجل ممن يجرس الطرقات، فترك ذلك، وأقبل يقطع الطرقات، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن أحمد بن يحيى بن الأصم أبو إسحاق.

■ أبو معشر النخعي: واسمه جعفر بن محمد البلخي، أستاذ عصره في صناعة التنجيم، وله فيه التصانيف المشهورة، كالمدخل، والزيح، والألوف وغيرها، وتكلم على ما يتعلق بالتنسير وكذلك بالأحكام.

قال القاضي ابن خلكان: وله إصابات عجبية، ثم حكى أن بعض الملوك تطلب رجلاً، فذهب ذلك الرجل، فاخفى، وخاف من أبي معشر، أن يدل عليه بصناعة التنجيم، فعمد إلى طست، فملاه دماً، وضع أسفله هاوياً، وجلس على ذلك الهاون، فاستدعى الملك أبا معشر النخعي، وأمره أن يظهر هذا الرجل، فغضب رمله وحرر أمره ثم قال: هذا عجيب! أجد هذا الرجل جالس على جبل من ذهب، في وسط بحر من دم، ولكن ليس هذا في الدنيا ثم أعاد الضرب فوجده كذلك، فتعجب الملك أيضاً، ونادى في البلد بأمان المذكور، فلما مثل بين يدي الملك، سأله أين اختفى؟ فأخبره بأمره، فتعجب الناس من ذلك.

قلت: والظاهر أن الذي ينسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر، والطرف، واختلاج الأعضاء ونحو ذلك إنما هو منسوب إلى جعفر بن محمد هذا وليس بالصادق والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

وفيها وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل والجزيرة، وبين صاحبه ابن أبي الساج، نائب قسرين وغيرها، بعدما كانا متفقين، وكاتب ابن أبي الساج خمارويه صاحب مصر، وخطب له ببلاده، وقدم خمارويه إلى الشام، فاجتمع به ابن أبي الساج، ثم سار إلى إسحاق بن كنداج، فترافعا، فانهزم ابن كنداج، وهرب إلى قلعة ماردين، فحاصره بها، ثم ظهر أمر ابن أبي الساج، واستحوذ على الموصل، وبلاد الجزيرة وغيرها، وخطب بها لخمارويه، واستفحل أمره جداً.

وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون، وصاحبه بأريعمائة ألف دينار، وسجنه، فكان يقول: ليس لي ذنب إلا كثرة مالي، ثم أخرج بعد ذلك من السجن، وهو فقير ذليل، فعاد إلى الديار المصرية في أيام هارون بن خمارويه، ومعه غلام واحد فدخلها على برفون وهذا جزء من كفر نعمة سيده عليه.

وفيها عدا أولاد ملك الروم، على أبيهم فقتلوه، وتملك بعده أحد أولاده.

وفيها كانت وفاة:

■ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي: صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة. وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة، وأحد عشر شهراً، وكان أبيض مشرباً بجمرة، ربة، أوقص، يفضض بالحناء، والكتم، وكان عاقلاً لئيباً، يدرك الأشياء المشتبهة، وخلف ثلاثاً وثلاثين ذكراً، وقام بالأمير بعده ولده المنذر، فأحسن إلى الناس، فأحبوه.

وفيها كانت وفاة:

■ خالد بن أحمد أبي الهيثم الدهلي: الذي كان أمير خراسان، في حبس المعتضد على الله، وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري محمد بن إسماعيل من بخاري، وطرده عنها، فدعا عليه البخاري، فلم يفلح بعدها، ولم يبق في الإمرة إلا أقل من شهر، حتى احتيط عليه، وعلى أمواله وحواصله، وأركب حماراً، ونودي عليه في بلده، ثم سجن من ذلك الحين، فمكث في السجن حتى مات في هذه السنة، وهذا جزء من تعرض لأهل

فغلا بها السعر حتى بيع الملح بها وزن الدرهم بدينارين، فهرب محمد بن زيد منها ليلاً إلى سارية فأخذ منه رافع بلاطاً كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة.

وفي الحرم منها أو في صفر كانت وفاة

■ المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأحمري صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة وكانت ولايته سنة وأحد عشر شهراً، وعشرة أيام، وكان أسمر طويلاً بوجهه أثر جلدي، جواداً مدحاً يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير وخلف من الأولاد ستة ذكور، ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبد الله بن محمد فامتلات بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشرّاً حتى هلك كما سيأتي.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أبو بكر

■ أحمد بن محمد بن الحجاج للزُّودي صاحب الإمام أحمد، كان من الأئمة الأذكياء، وكان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأسس به ويعينه في الحاجة ويقول له: قل ما شئت وهو الذي أغضض الإمام أحمد وكان فيمن غسله أيضاً، وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة وحصلت له رفعة عظيمة شيعه إلى سامرا حين أراد الغزو خسون ألفاً.

■ أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس أبو عبد الله الباهلي البصري المعروف بغلام خليل، سكن بغداد، روى عن سليمان بن داود الشاذكوني، وشيبان بن فروخ، وقرّة بن حبيب وغيرهم، وعنه ابن سماء وابن غنّـد وابن غنّـد وغيرهما، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكراً عن شيخ مجهرلين.

قال أبو حاتم: ولم يكن عن يفتعل الحديث، كان رجلاً صالحاً.

وكذبه أبو داود وغير واحد.

وروى ابن عدي عنه أنه اعترف بوضع الحديث، ليرقق به قلوب الناس.

وكان عالماً زاهداً، يقاتل الباقلاء الصرف، وحين مات أغلقت أسواق بغداد وحضر الناس للصلاة عليه ثم حُمل في زورق وشيع إلى البصرة فدفن بها في رجب من هذه السنة.

و■ أحمد بن ملاعب روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة ديناً عالماً فاضلاً انتشر به كثير من الحديث.

وأبو سعيد

■ الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري التحوي اللخوي، صاحب التصانيف.

و■ إسحاق بن إبراهيم بن هاني أبو يعقوب النيسابوري، كان من أخصاء أصحاب الإمام أحمد، وعنده اختفى أحمد في زمن الخنة.

و■ عبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمي العطار الموصل.

قال ابن الأثير: كان كثير الحديث معدلاً عند الحكماء

و■ يحيى بن أبي طالب.

و■ أبو داود السجستاني: صاحب السنن، اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران أبو داود الأزدي السجستاني.

أحد أئمة الحديث الرحالين الجوالين في الأفاق والأقاليم، جمع وصنف وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة

قال ابن الجوزي في المنتظم (٢٦١/١٢): كان حافظاً فاضلاً، روى عن حملة وغيره، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ إسحاق بن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقرئ حدث عن هلبة وعنه ابن غنّـد، توفي في ربيع الأول منها.

■ أيوب بن سليمان بن داود الصغددي يروي عن آدم بن أبي إياس وعلي بن الجعد وعنه ابن صاعد وابن السماك، وكان ثقة.

توفي في رمضان منها

■ الحسن بن مكرم بن حسان بن علي البزار، سمع عفان، وأبي النضر، ويزيد بن هارون، وغيرهم، وعنه الحاملي، وابن غنّـد النجاد وكان ثقة توفي في رمضان منها، عن ثلاث وسبعين سنة.

■ خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطي الملقب بكردوس، روى عن يزيد بن هارون، وغيره، وعنه الحاملي، وابن غنّـد.

قال ابن أبي حاتم: صدوق، وقال الدارقطني ثقة توفي في ذي الحجة منها، وقد نيف على الثمانين.

■ عبد الله بن روح بن عبد الله أبو محمد المدائني المعروف بعبّـدروس، روى عن شبابة ويزيد بن هارون، وعنه الحاملي، وابن السماك، وأبو بكر الشافعي، وكان من الثقات توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ عبد الله بن أبي سعد أبو محمد الوراق أصله من بلخ وسكن بغداد، وروى الحديث عن سريج بن يونس وعفان وعلي بن الجعد وغيرهم، وعنه ابن أبي الدنيا والبنوري والحاملي وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملك، توفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة.

■ محمد بن إسماعيل بن زياد أبو عبد الله، وقيل أبو بكر الدولابي، سمع أبا النضر وأبا اليمان، وأبا مسهر، وعنه أبو الحسين بن النّـادي ومحمد بن غنّـد وابن السماك وكان ثقة.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

في الحرم منها وقع الخلاف بين بن أبي الساج وبين خمارويه فافتلتا عند ثنية العقاب شرقي دمشق فغلب ابن أبي الساج وانهزم، وكانت له حواصل بمحص فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها ومنع منه. محص فذهب إلى حلب فمنعه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبعه، فذهب إلى الموصل ثم انهزم منها خوفاً من خمارويه ووصل خمارويه إلى بلد واتخذ له بها سريراً طويل القوائم، فكان يجلس عليه في الفرات، فعند ذلك طمع فيه إسحاق بن كنداج فسار وراءه ليظفر منه بشيء فلم يقدر، وقد التقي في بعض الأيام فصر له ابن أبي الساج صبراً عظيماً، فلم وانصرف إلى الموفق ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر ومُضّر من الجزيرة.

وفي هذه السنة في شوال منها سجن أبو أحمد الموفق ابنه أبا العباس المعتضد في دار الإمارة، وكان سبب ذلك أنه أمره بالسير إلى بعض الوجوه فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي كان عمه المعتضد ولاه إياها فغضب عليه وأمر بسجنه فثارت الأمراء واختبأت ببغداد فركب الموفق إلى بغداد وقال للناس: أنظنون أنكم أشفق على ولدي أشفق مني؟ فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا إلى منازلهم ثم أفرج عنه ولله الحمد والمثنة.

وفي هذه السنة سار رافع إلى محمد بن زيد أخيه الحسن بن زيد العلوي فأخذ منه مدينة جرجان فهرب إلى استراباذ فحاصره بها ستين

والعراق وخراسان وغير ذلك، وله السنن المشهورة المتناولة بين العلماء، التي قال فيها أبو حامد الغزالي: يكفي المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية. وحدث عنه جماعة منهم ابنه أبو بكر عبد الله وأبو عبد الرحمن النسائي وأحمد بن سليمان النجاد، وهو آخر من روى عنه في الدنيا.

سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتابه السنن بها، ويقال إنه صنفها بها وعرضه على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: حثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم الفاري اللينوري بلفظه، قال: سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفريزي قال سمعت أبا بكر بن داسه يقول سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمته هذا الكتاب يعني كتاب السنن، جمعت فيه أربعة آلاف وثمنامائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لعينه من ذلك أربعة أحاديث.

قوله عليه السلام: «الأعمال بالنيات» (خ) ١، م (١٩٠٧)

الثاني قوله: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه (ت) (٢٣١٧)، ج (٣٩٧٦).

والثالث قوله: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه (خ) (١٣)، م (٤٥).

الرابع قوله: الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات (خ) (٥٢)، م (١٥٩٩).

وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي أن أبا بكر الحلال قال: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه، رجل ووع مقدم قد سمع منه أحد بن حنبل حديثاً واحداً كان أبو داود يذكره، وكان إبراهيم الأصبهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره. ويذكر أنه بما لا يذكران أحداً في زمانه بمثله.

قلت: الحديث الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد بن حنبل هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ سئل عن التيرة فحسنتها».

وقال إبراهيم الحاربي وغيره: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديث.

وقال غيره: كان أحد حفاظ الإسلام للحديث وعلمه وسنده. في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث.

وقال غيره: كان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في عليه وحله وسمته، وكان علقمة يشبهه، وكان إبراهيم يشبهه علقمة، وكان منصور يشبه إبراهيم، وكان سفيان يشبه منصور، وكان وكيع يشبه سفيان، وكان أحمد يشبه وكيعاً، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل.

وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق: كان لأبي داود كم واسع وكم ضيق قليل له: ما هذا يرحمك الله؟ فقال: هذا الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.

وقد كان مولد أبي داود، في سنة ثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقية من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري. وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل. وذكرنا ثناء الأئمة عليه.

■ محمد بن إسحاق بن إبراهيم أبو العيس الصيمري الشاعر كان جيداً

في شعره أدبياً كثير الملح، وكان هجاءً، ومن جيد شعره قوله:

كم مريض عاش من بعد ياسي بعد موت الطبيب والمواد قد يصاد القطا فينجو سليماً ويحبل القضاء بالصياد

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين

في الحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم أسقط اسمه في شوال منها وعزل عن ذلك وولي عبيد الله بن طاهر.

وفيهما ولي الموفق ابن أبي الساج نياذة أذربيجان.

وفيهما قصد هارون الشاري الحارجي مدينة الموصل فتزل شرقي وجلتها فحاصرها فخرج إليه أشرف أهلها فاستمنوه فأمنهم.

وفيهما حج بالناس هارون بن محمد العباسي أمير الحرمين والطائف، ولما رجع حجاج اليمن نزلوا في بعض الأماكن فجاءهم سيل لم يشعروا به فغرقهم كلهم لم يفلت منهم أحد فلما لله وإن إليه راجعون.

وذكر ابن الجوزي في منتظمه (٢٧٢/١٢) وابن الأثير في كامله (٤٣٧/٧) أن في هذه السنة انفجر تل بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبير في مثل الخوض، وفيهم سبعة أبدانهم صحيحة. وأكفانهم يفوح منهم ريح المسك، أحدهم شاب وله جثة وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماء الآن، وكان عينيه مكحلان وبه ضربه في خاصرته، وأراد بعض من حضره أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوي كشمع الحمي.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد بن حازم بن أبي غرزة الحافظ صاحب المسند المشهور له

حديث كثير وروايته عالية.

■ وبقي بن مخلد: أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ الكبير، له المسند المبوب على الفقه، روى فيه عن ألف وستمئة صحابي، وقد فضله ابن حزم على مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعندي في ذلك نظير، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه فإنه ليس هو ببلادهم، ولا وقع لهم روايته، ولو أطلع عليه ووقف على ما فيه لما فضل عليه مسنداً من المسندات، اللهم إلا أن يكون بقي قد سمع من أحمد جميع «المسند»، وزاد عليه، كما قد يشر الله من الزيادات التي أحقتها به «مسند» الإمام أحمد. والله الحمد والثناء. وقد رحل بقي إلى العراق فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرهما يزيدون على المائتين بأربعة وثمانين شيخاً، وله تصانيف آخر، وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً مجاب الدعوة.

ذكر القشيري أن امرأة جاءت فقالت: إن ابني قد أسرته الإفرنج، وإنني لا أنام الليل من شوقي إليه، ولي ديرة أريد أن أبيعها لأستفك، فإن رأيت أن تسير إلى أحد بائعها لأسعى في فكائها بشئها، فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار. فقال: نعم انصرتي حتى تنظر في ذلك إن شاء الله. وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص من أيدي الفرنج، فذهبت المرأة فما كان إلا عن قليل حتى جاءت الشيخ وابنها معها فقالت: اسمع خبره يرحمك الله فقال: كيف كان أمرك؟ فقال: إني كنت فيم يخدم الملك ونحن في القيود، فيمنا أنا ذات يوم أمشي سقط

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن إسحاق بن أبي العنيس. أبو إسحاق الكوفي قاضي بغداد بعد ابن سماعه، سمع يعلى بن عبيد وغيره، وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره، توفي عن ثلاث وتسعين سنة، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً.

■ أحمد بن عيسى أبو سعيد الخزاز: أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة، وله تصانيف في ذلك وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد وضيق الحال.

وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن آدم وغيره.

وعنه علي بن محمد المصري وجماعة.

ومن جيد كلامه قوله رحمه الله: إذا بكى أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدعوتهم.

وقوله رحمه الله: العافية تستر البر والفاجر فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال.

وقوله: كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل. وقوله: الاشتغال بوقت ماض تضيق وقت حاضر.

وقوله ذنوب المقرين حسنت الأبرار.

وقوله: الرضا قبل القضاء تفويض، والرضا مع القضاء تسليم.

وقد روى البيهقي (رفع الإيمان: ٣٨١/١) بسنده إليه أنه سئل عن قول النبي ﷺ: تجلبت القلوب على حب من أحسن إليها فقال يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل إليه بكلية؟

قلت: وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه أحسن.

وقال ابنه سعيد: طلبت من أبي دائق فضة فقال: يا بني أصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوك إلى بابه ما تابوا عليه.

وروى الحافظ ابن سبكار عنه قال: أصابني مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعاماً فقلت: هذا ينافي التوكل فهممت أن أسأله صبراً فهتف بي هاتف يقول:

ويزعم أنه من قريب
وسألنا القيرى جهداً وصبراً
كأننا لا نرأه ولا نرانا

قال: فقمتم ومثيت فراسخ بلا زاد.

وقال: أبو سعيد الخزاز: الحب يتعلل إلى محبوه بكل شيء، ولا يتسلى عنه شيء يتبع آثاره ولا يدع استخباره ثم أنشد:

أسألكم عنها فهل من غير
فما لي بعمى بعد مكتنا علم
فلو كنت أدري أين خيم أهلها
وأي بلاد الله إذ ظعنوا أثوا
إذا نزلنا نسلك الريح خلفها
ولو أصبحت نعى ومن دونها النجم

وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل في سنة سبع وأربعين، وقيل في سنة ست وثمانين والأول أصح.

■ عيسى بن عبد الله بن ستان بن دلو به بن موسى الطيالسي الحافظ، يلقب زغان.

سمع صفان وأبا نعيم، وعنه أبو بكر الشافعي وغيره واحد.

وفته الدارقي. كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة.

■ أبو حاتم الرازي: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو

القيد من رجلي، فاقبل عليّ المولك بي فشتني وقال: لم أزلت فككت من رجلك؟ فقلت: لا والله ما شرت به ولكنه سقط ولم أشعر به، فجاؤوا بالحداد فأعادوه وشد السمار وأيده، ثم قمت فسقط أيضاً فأعادوه وأكلوه فسقط أيضاً، فسألوا رهبانهم عن سبب ذلك فقالوا: له والد؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها قد استجيب دعائها أطلقوه فاطلقوني وخزوني حتى وصلت إلى بلاد الإسلام فسأله بقي بن خالد عن الساعة التي سقط فيها القيد من رجله فإذا هي الساعة التي دعا فيها الله له.

■ صاعد بن مخلد الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد أنسى عليه أبو الفرج بن الجوزي في منظمه (٢٧٥/١٢) وتكلم فيه ابن الأثير في كامله (٤١٩/٧)، وذكر أنه كان فيه تيه وحمق، وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين.

■ ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو عماد الدينوري ثم البغدادي، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء، روى عن إسحاق بن راهويه وغير واحد، وله التصانيف المفيدة المشهورة الأنيقة؛ كـ: «غريب القرآن» و«مشكله» و«المعارف»، و«أدب الكاتب»، و«عيون الأخبار» وغير ذلك، وكان ثقة نبيلاً جليلاً من الأئمة، وكان أهل العلم يهتمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه.

وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسة فإذا هي حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم أفاق ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب، من هذه السنة وقيل إنه توفي في سنة سبعين ومائتين، والصحيح في هذه السنة.

■ عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرقاشي، أحد الحفاظ، كان يكنى بأبي محمد، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة، سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسي وغيرهم.

وعنه ابن صاعد والحاملي والبخاري وأبو بكر الشافعي وغيرهم.

وكان صدوقاً عابداً يصلي في كل يوم أربعمئة ركعة، وروى من حفظه ستين ألف حديث غلط في بعضها على سبيل العمد، كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

و■ محمد بن أحمد بن أبي العوام.

و■ محمد بن إسماعيل الصالح.

و■ يزيد بن عبد الصمد.

و■ أبو الرداد المؤذن، وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن صاحب المقياس بمصر، الذي هو مسلم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا. قاله القاضي ابن خلكان في الوفيات (١١٢/٣) والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين

فيها خطب يازمان نائب طرسوس لحمارويه، وذلك أنه هاداه بذهب كثير ونحف هائلة من حرير وغير ذلك.

وفيها قدم قائد عظيم من أصحاب حمارويه إلى بغداد.

وفيها ولي الظالم ببغداد يوسف بن يعقوب ونودي في الناس: من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين الله أبي أحمد الموفق، أو عند أحد من الناس فليحضر. وسار في الناس سيرة حسنة، وأظهر صرامة لم ير مثلاً.

وحج بالناس هارون بن محمد الهاشمي.

يفوتني بسبب ذلك من كتابة حديث رسول الله ﷺ، وما أنا فيه من الغربة، ثم غلبتني عيني فتمت فرايت رسول الله ﷺ في المنام فقال: ما لك؟ فشكرت إليه ما أنا فيه من الغربة، وما فاتني من كتابة السنة فقال: أذن مني، فلنوت منه فوضع يده على عيني وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله.

وقد أتى عليه أبو زرعة الدمشقي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وقال: هو إمام أهل الحديث بفارس. وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسيه بعضهم إلى التشيع.

وذكر ابن عساكر أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان فأمر بإحضاره فقال له وزيره: أيها الأمير إنه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي، إنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي، فقال: دعوه مالي وللصحابة، إني إنما حسبه يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي.

قلت: وما اظن هذا صحيحاً عن يعقوب بن سفيان فإنه إمام محدث كبير القدر، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم بشهر في رجب من هذه السنة بالبصرة رحمه الله.

وقد رآه بعضهم في المنام فقال: ما فعل بك ربك؟ فقال له: غفر لي وأمرني أن أملئ الحديث في السماء كما كنت أملئ في الأرض، فجلست للإملاء في السماء الرابعة، وجلس حولي جماعة من الملائكة منهم جبريل يكتبون ما أملئ من الحديث بأقلام الذهب. وأما

■ **عريب المأمونية:** فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر في تاريخه [تراجم النساء ص ٢٢٩] وحكى قولاً لبعضهم أنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، سرت وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة، وبيعت فاشتراها المأمون بن الرشيد.

ثم روى عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه قال: ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً وغناء وضرباً وشعراً ولعباً بالشطرنج والنرد منها، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة في امرأة إلا وجدتني فيها.

وقد كانت شاعرة مطبقة بليغة فصيحة، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بعده المعتصم، وكانت هي تتعشق لرجل يقال له محمد بن حامد، وربما أدخلته إليها في دار الخلافة فبجها الله على ما ذكره ابن عساكر عنها في تاريخه، ثم تعشقت صالحاً المنفرد وتزوجته سرّاً، وكانت تقول فيه الشعر، وربما غتته بين يدي المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو، فتضحك جواريه من ذلك فيقول: يا سحاقات هذا خير من عملكن.

وقد أورد ابن عساكر شيئاً كثيراً من شعرها، فمن ذلك قولها لما دخلت على المتوكل تعود من حمى أصابته فقالت:

أتوني فقالوا بالخليفة علة فقلت ونار الشوق توقد في صدري
الا ليت بـسي حمى الخليفة جعفر فكانت بـسي الحمى وكان له أجري
كفى حزناً أن قيل حم فلم أمت من الحزن إني بعد هذا لنـو صبر
جعلت فداً للخليفة جعفر وذاك قليل للخليفة من شكري
ولما عوفي دخلت عليه فغته من قبلها:

شكراً لأنتم من عافك من سقم دمت المعافى من الآلام والسقم
عادت ببركك للأبـام بهجتها واهترت نيت رياض الجود والكرم

حاتم الخططي الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل، وهو قرين أبي زرعة الرازي نعمدهما الله برحمته. سمع كثير وطاف الأقطار والأمصار، وروى عن خلق من الكبار، وحدث عنه الربيع بن سليمان، ويونس بن عبد الأعلى وهما أكبر منه، وقدم بغداد وحدث بها.

وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا والحسامي وغيرهم.

قال لابنه عبد الرحمن: يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ.

وذكر أنه لم يكن له شيء يتفق عليه في بعض الأحيان، وأنه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار.

وقد أتى عليه غير واحد من العلماء والفهاء، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم، ويقول: من أغرب علي بحديث واحد صحيح فله علي درهم أتصدق به قال: ومرادي أن أسمع ما ليس عندي، فلم يأت أحد بشيء من ذلك. وكان في جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازي.

كانت وفاة أبي حاتم في شعبان من هذه السنة.

■ **محمد بن الحسين بن موسى بن الحسن أبو جعفر الكوفي الخزاز** المعروف بالختني، له مسند كبير، روى عن عبيد الله بن موسى والقعني وأبي نعيم وغيرهم، وعنه ابن صاعد والحسامي وابن السماك كان ثقة صدوقاً.

■ **محمد بن سعدان أبو جعفر البزاز،** سمع من أكثر من خمسمائة شيخ، ولكن لم يحدث إلا اليسير، توفي في شعبان منها. قال ابن الجوزي: وثم محمد بن سعدان البزاز عن القعني وهو غير مشهور ومحمد بن سعدان النحوي مشهور توفي في سنة إحدى وثلاثين مائتين.

قال ابن الأثير في كامله [٤٤٠/٧]: توفي فيها

■ **يعقوب بن سفيان بن جowan الإمام القسوي،** وكان يتشيع.

و ■ **يعقوب بن يوسف بن معقل الأموي مولاهم،** والد أبي العباس أحمد الأصم.

غريب المغيرة المأمونية، وقيل إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي. فاما:

■ **يعقوب بن سفيان بن جowan:** فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي القسوي، سمع الحديث الكثير، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات، منهم هشام بن عمار، ودحيم، وأبو الجهم، وسليمان بن عبد الرحمن اللثمقيون، وسعيد بن منصور وأبو عاصم، ومكي بن إبراهيم، وسليمان بن حرب، ومحمد بن كثير وعبيد الله بن موسى والقعني.

روى عنه النسائي في سننه وأبو بكر بن أبي داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو عوانة الأسفرائيني وخلق سواهم.

وصنف كتاب التاريخ والمعركة وغيره من الكتب المفيدة النافعة، وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية، وتغرب عن وطنه في ذلك نحو ثلاثين سنة.

وقد روى ابن عساكر عنه أنه قال: كنت أكتب في الليل على ضوء السراج في زمن الرحلة فينا أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم أبصر معه السراج فجعلت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري، وما

ما قام للدين بعد المصطفى من ملك أعف منك ولا أروعى إلى النعم
نعمر الله فينا جعفرأ ونفى بنور سته عنا دجى الظلم
ولها في عافته أيضاً:

هلدا الذي عافى الخليفة جعفرأ على رغم أشياخ الضلالة والكفر
وما كان إلا مثل بدر أصابه كسوف قليل ثم أجلى عن البدر
سلامته للدين عز وقوة وعلمه للدين قاصمة الظهور
مرضت فامرغت البرية كلها واطلمت الأمصار من شدة الثغر
فلما استبان الناس منك إفافة افتاقوا وكانوا كالنيام على الجمر
سلامة دنيا سلامة جعفر فدام معافى سالماً آخر الدهر
إمام يعم الناس بالفضل والنقى قريباً من التقوى بعيداً من الوزر
ولها من الأشعار الرائقة الفائقة شيء كثير، وفيما ذكرنا كفاية، والله
الموفق للصواب.

قال ابن عساكر: بلغني أنّ مولدها في سنة إحدى وثمانين ومائتين
في سنة سبع وسبعين ومائتين بسر من رأى، ولها ست وتسعون سنة.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين

قال ابن الجوزي (الطبعة: ٢٨٧/١٢): في الحرم من هذه السنة طلع نجم
ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة.

قال: وفي هذه السنة غار ماء النيل وهذا شيء لم يهد مثله ولا بلغنا
في الأخبار السابقة. فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جداً.

قال: وفيها خلع على عبد الله بن سليمان بن وهب بالوزارة.
وقال: وفي الحرم منها قدم الموفق أبو أحمد من الغزو فتلقيه الناس إلى
النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالقرص فاستمر في دله في أوائل صفر،
ومات بعد أيام كما ستأتي ترجمته في هذه السنة.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة تحركت القرامطة قبحهم الله وهم
فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة
زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات. ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق
إلى باطل، وأكثر ما يدخلون من جهة الرافضة، لأنهم أقل الناس عندهم
وعند غيرهم عقولاً ويقال لهم الإسماعيلية، لانتسابهم إلى إسماعيل
الأعرج بن جعفر الصادق. ويقال لهم القرامطة، قيل نسبة إلى قرط بن
الأشعث البقار.

وقيل: إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في
كل يوم وليلة ليغفلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة. ثم اتخذ نقباء
اثني عشر، وأسس لأتباعه دعوة ومسلماً يسلكونه ودعا إلى إمام من أهل
البيت، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرضا ويطنسون الكفر الخف،
والحرمية والبابكية نسبة إلى بابك الخرمي الذي ظهر في أيام المعتصم فلم
يزل يعث خلفه الجيوش حتى جيء به أسيراً فقتله كما ذكرنا فيما سبق.
ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمره شعراً مضاهة لبني العباس وخالفه
هم، لأن بني العباس يلبسون السواد. ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم
من الإمام المعصوم وترك الرأي ومقتضى العقل ويقال لهم السبعة نسبة إلى
القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السيارة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون
لنعمهم الله. وهي القمر في الأولى، وعطارد في الثانية، والزهرة في الثالثة،

والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في
السابعة.

قال ابن الجوزي: وقد بقي من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون في
كل سنة ليلة هم ونسأوهم ثم يطفئون المصباح ويتهبون النساء فمن وقعت
في يده امرأة حلت له ويقولون هذا اصطلياد مباح لنعمهم الله.

وقد بسط أبو الفرج بن الجوزي في هذا الموضوع من تاريخه المسمى
بالمعظم [٢٩٢/١٢] تفصيل قولهم لنعمهم الله وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر
الباقلائي المتكلم المشهور في كتابه «هناك الأستار وكشف الأسرار» في الرد
على الباطنية، ورؤ على كتابهم الذي جمعه بعض قضاتهم ببلد مصر في
أيام الفاطميين الذي سماه «البلاغ الأعظم والناموس الأكبر» وجعله ست
عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولاً إن كان من أهل السنة
إلى القول بتفضيل علي على عثمان بن عفان ثم يتنقل به إذا وافقه على
ذلك إلى تفضيل علي على الشيوخ أبي بكر وعمر، ثم يترقى بعد ذلك
إلى سبهما، لأنهما ظلما علياً وأهل البيت، ثم يترقى به إلى تجهيل الأمة
وتحطتها في موافقة أكثرهم على ذلك، ثم يشرع في القدح في دين الإسلام
من حيث هو. وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شبيهاً
وضلالات لا تسروج إلا على كل غبي جاهل شقي كما قال
تعالى: ﴿وَالسَّامَاءُ ذَاتُ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مُخْتَلِفُونَ عَنْهُ مِنْ أُولَئِكَ﴾
[الدريات: ٧ - ٩] أي يضل به من هو ضال وقال: ﴿فَأَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا
أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِنْ مِنْكُمْ مِنْهُمْ ضَالٌّ فَاصْطَلُوا﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣] وقال
تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَلَوْ فَعَلُوهُ
لَافْتَرَوْا وَمَا يَفْتَرُونَ. وَلَيَنْصَغِي إِلَيْهِ أَقْبَنَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْرِضُوهُ
وَلَيَفْتَرُوا مَا هُمْ بِمُعْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة
ومضمونها أن الجهل والضلالة لا يناد لها إلا شرار الناس كما قال بعض
الشعراء:

إِنْ هُوَ مُسْتَحَرًّا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أضعف الجانين

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والجهل والسخافة والرعونة مما
لا ينبغي لضعيف عقل أو دين أو تصور سماعه مما فتح عليهم إيليس من
الأبواب وأنواع الجهالات، وربما أفاد بعضهم إيليس أشياء لم تكن عنده كما
قال بعضهم:

وكنْتُ امرأ من جنِّد إيليس برهةً من الدهر حتى صار إيليس من جندي

والمقصود أن هذه الطائفة تحركت في هذه السنة، ثم استفحل أمرهم
وتفاقم الحال بهم كما سنذكره، حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد
الحرام فسفكوا دم الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المكرمة وكسروا
الحجر الأسود واقتلوه من موضعه وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع
عشرة وثلاثمائة، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، فمكث
غائباً عن موضعه من البيت ثلاثين وعشرين سنة فإنا لله وإنا إليه راجعون
وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم
على البلاد وتشتت الأمر.

واتفق في هذه السنة شيان

أحدهما: ظهور هؤلاء.

والثاني موت حسام الإسلام وناصر الدين أبي أحمد الموفق تغلمه الله
برحمته وأسكنه جحوة جنته بكرمه ومنه، لكن أبى الله للمسلمين بعده

إليك؟ فقالت أن تنصبر، وتصعد إلي فأجابها إلى ذلك فبحه الله فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً، وشن عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل علمك وصلاتك؟ فقال: اعلموا أنني اتسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَثَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢ - ٣] وقد صار لي فيهم مال وولّد.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

في أواخر الحزم منها خلع جعفر المفروض من المعهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس بن الموفق ولقب بالمعتضد وجعل له السلطة كما كان أبوه، وخطب له بذلك المعتمد على رؤوس الأشهاد وكان يوماً مشهوداً وفي ذلك يقول يحيى بن علي يهتف المعتضد:

لهنك عقد أنت فيه للقدم حباك به رب بفضلك أعلم
فإن كنت قد أصبحت ولي عهدنا فأت غداً فينا الإمام العظيم
ولا زال من والاك فيه مبلغاً منه ومن عداك يشجى ويندم
وكان عمود الدين فيه تلوّة فناد بهذا العهد وهو مقوم
وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكاً يضيء لنا منه الذي كان يظلم
قدونك شدد عقد ما قد حوتيه فسبّك دون الناس فيه الحكم

وفيها نودي ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطريقة والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات، وأن لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام.

وفي هذه السنة وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله [٤٥٣/٧]. وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه وهذه ترجمته:

■ (المعتمد بن المتوكل بن المعتصم)

هو أمير المؤمنين المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

استمرت أيامه في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر، وكان أسن من أخيه أبي أحمد الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة، ولم يكن إليه من الأمر شيء وإنما كان الأمر كله فيما يتعلق بتبليغ الخلافة إلى الموفق وقد اتفق أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار يحصل له إليها فقال في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل متمتعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تحمل الأموال طراً وتنع بعض ما يجيى إليه

ولده أبا العباس أحمد بن الموفق الملقب بالمعتضد وقد كان شهماً شجاعاً فاتكاً كريماً جواداً عذحاً.

ترجمة أبي أحمد الموفق

■ (الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد)

هو الأمير الناصر لدين الله، أبو أحمد محمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد.

كان مولده في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين، وكان أخوه المعتمد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر، ولقبه الموفق بالله، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل، وإليه يجيى الخراج، وكان يخطب له على المنابر، يقال: اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين أبا أمير المؤمنين ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر، وكان غزير العقل حسن التدبير كريماً جواداً عذحاً شجاعاً مقداماً رئيساً، حسن المخاطبة والمجالسة، عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده القضاة فيصف المظلوم من الظالم وكان عالماً بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً.

وكان سبب موته أنه أصابه مرض القرس في السفر فقدم إلى بغداد وهو عليل، فاستقر في داره في أوائل صفر وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً، وكان يوضع عليها الأشياء المبردة كالثلج ونحوه، وكان يحمل سريه أربعون رجلاً بالنوبة، عشرون عشرون فقال لهم ذات يوم: ما أظنكم إلا قد مللتم فيما لئني كواحد منكم أكل كما تاكلون، وأشرب كما تشربون، وأرقد كما ترقدون في عافية.

وقال أيضاً: في ديواني مائة ألف مرتوق ليس فيهم أسوأ حالا مني. ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس لثمان بقين من صفر قال ابن الجوزي: وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً. ولما توفي أبو أحمد الموفق اجتمع الأمراء على أخذ البيعة لولاية العهد من بعده لولده أبي العباس أحمد، فباع له المعتمد بولاية العهد بعد أبيه المفروض، وخطب له على المنابر وجعل إليه ما كان لأبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل والمقد والحل، ولقب بالمعتضد بالله. ومن توفي فيها أيضاً:

■ إدريس بن سليم الفقهسي الموصلبي قال ابن الأثير: كان كثير الحديث والصلاح.

■ إسحاق بن كنداج نائب الجزيرة، كان من ذوي الرأي الشجعان المشهورين، وقام بما كان إليه ولده محمد.

■ يازمان نائب طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلدة كان يحاصرها ببلاد الروم فمات منه وذلك في رجب من هذه السنة ودفن بطرسوس، فولي نيابة الثغر بعده أحمد العجيفي بأمر خوارويه بن أحمد بن طولون، ثم عزله عن قريب بأين عمه موسى بن طولون.

■ عبدة بن عبد الرحيم قبحه الله. ذكر ابن الجوزي في النظم: ٣٠١/١٢ - ٣٠٢ أن هذا الشقي كان من الجماعين كثيراً في بلاد العلو، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرون بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة في ذلك الحصن فهويها فراسلها وما السيل إلى الوصول

الزهراني وجماعة، وعنه يحيى بن النسيم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي

قال الحافظ ابن عسكراً: كان أدبياً راوية، له كتب جيد، ومدح المأمون بمناصب، وجالس المتوكل، وتوفي أيام المعتضد وُوسِسَ في آخر عمره. وروى ابن عسكراً قال: قال لي عمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، يزول عنك إنمه فقلت:

استعدي يا نفس للموت واستعي لنجاة فالحازم المستعد
قد نيت أنه ليس للحسي خلوة ولا من الموت بُدُ
إما أنت مستعيرة ما سوف تدين والعواري ترد
أنت تتهين والحوادث لا تستهين وتلهين والمنايا تجدُ
أي ملك في الأرض أو أي حظ لامرئى حظ من الأرض لحد
لا ترجى البقاء في معدن الموت ودار خوفها لك ورد
كيف يهوى أمرؤ للذادة ليا م عليه الأنفاس فيها تعد

■ الوملي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن، ويقال محمد بن عيسى بن سورة بن شداد أبو عيسى السلمي الترمذي الضري، ويقال إنه ولد أكمه. وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه، وله المصنفات المشهورة، منها الجامع، والشامل، وأسماء الصحابة وغير ذلك. وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الأفاق، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي حيث قال في «علاء»: ومن محمد بن عيسى بن سورة؟ لا تضره في دينه ودنياه ولا تقع من قدره، عند أهل العلم، بل تعطى من منزلة ابن حزم عند الحفاظ

وكيف يصح في الأذهان شسي. إذا احتاج النهار إلى دليل وقد ذكرنا مشايخ الترمذي في التكميل.

وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخاري في غير «الصحيح»: والهيثم بن كليب الشامي صاحب المسند، ومحمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي، راوي الجامع عنه. ومحمد بن المنذر بن شكر.

قال الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني في كتابه علوم الحديث: محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه، له كتاب في السنن وكتاب في الجرح والتعديل، روى عنه ابن محبوب والأجلاء، وهو مشهور بالأمانة والعلم. مات بعد الثمانين ومائتين. كذا قال في تاريخ وفاته. وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنjar في تاريخ بخارى: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الحافظ، دخل بخارى وحدث بها، وهو صاحب الجامع والتاريخ، توفي بالترمذ ليلة الاثنين ثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.

وذكره الحافظ أبو حاتم بن حبان في الثقات، فقال: كان من جمع وصنف وحفظ وذاكر.

وقال الترمذي: كتب عني البخاري حديث عطية عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» [٣٧٧].

وروى ابن نقطة في تقييده عن الترمذي أنه قال: صفت هذا المسند الصحيح فعرضته على علماء الحجاز فرفضوا به، وعرضته على علماء

وكان أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد بعد ما بنيت سامرا ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا دار إقامتهم ببغداد.

وكان سبب هلاكه في ما ذكر ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شرباً كثيراً وتعمش عشاء كثيراً، وكانت وفاته في القصر الحسيني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه، ثم غسل وكفن وصلى عليه ثم حمل فدفن بسلاما وفي صبيحة العزاء بوج للمعتضد بالله.

خلافة المعتضد بالله

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل، كان من خيار خلفاء بني العباس ووجاهم. بوج له بالخلافة صبيحة موت المعتضد وذلك لعشر يقين من رجب منها.

وقد كان أمر الخلافة دائراً فأجابه الله على يديه بعدله وشهامته وجرأته، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب وولى مولا بدار الشرطة في بغداد وجهاته هدايا عمرو بن الليث وسأل منه أن يولي إمرة خراسان فأجابته إلى ذلك، ويعد إليه بالخلع واللواء فنصبه عمرو بن الليث في داره ثلاثة أيام فرحاً وسروراً بذلك، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان ودخلها عمرو بن الليث فلم يزل يتبع رافعاً من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي، ويعد برأسه إلى المعتضد وصفت إمرة خراسان لعمر بن الليث.

وفي هذه السنة قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خاوريه صاحب مصر إلى المعتضد فتزوج المعتضد بآية خاوريه فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله، حتى قيل إنه كان من الموارين الذهب مائة هاون، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة ببغداد صبيحة العروس، وكان وقتاً مشهوراً.

وفي هذه السنة تملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة مازدين وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداج.

وفيهما حج بالناس هارون بن محمد العباسي وهي آخر حجة حجها بالناس، وقد كان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد أمير المؤمنين محمد كما تقدم ترجمته قرياً.
■ أبو بكر بن أبي خزيمة أحمد بن زهير بن خزيمة صاحب التاريخ وغيره.

سمع أبا نعيم وعفان وأخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزيري، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدني. وعلم الأدب عن محمد بن سلام الجمحي.

وكان ثقة حافظاً ضابطاً مشهوراً، وفي تاريخه هذا فوائد كثيرة وفرائد غزيرة.

روى عنه البغوي وابن صاعد وابن أبي داود وابن المنادي. توفي في جمادى الأولى من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله.

■ خاقان أبو عبد الله الصوفي، كانت له أحوال وكرامات.

■ البلاذري المورخ: أحد المشاهير أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب «التاريخ» المنسوب إليه، سمع هشام بن القاسم بن سلام، وأبا الريح

ما كان قد شُتت فيها، وفُرشت في كل موضع منها ما يليق به من الفارش، وأسكنت فيه ما يليق به من الجوارى والخدم، وأعدت بها المأكَل الشهية وما يحسن ادخاره في ذلك الزمان، ثم أُرسلت بمفاتيحها إلى المعتضد، فلما دخلها أذهله ما رأى فيها من الخيرات، ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها، وكانت قدر مدينة شيراز، وبنى الميدان ثم بنى فيها قصرًا مشرفاً على دجلة ثم بنى المكتبة التاج، فلما كانت أيام المقتدر زاد فيها زيادات عظيمة جسدًا، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة وتآخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وخربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر الأمينات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى من سنة ست وخمسين وستائة.

قال الخطيب: والذي يشبه أن تكون بوران سلّمت دار الخلافة إلى المعتمد، فإنها لم تنش إلى أيام المعتضد. وفيها زلزلت أربديل ست مرات فهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار، ومات تحت الدردم مائة ألف وخمسون ألفاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها غارت المياه ببلاد الري وطبرستان حتى بيع الماء كل ثلاثة أرباط بدرهم وغلّت الأسعار مثلك جناً.

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد الساماني ببلاد الترك ففتح مدينة ملكهم وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير وغنم من النواب والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً، أصاب الفارس ألف درهم وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق العباسي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن سيار بن أيوب الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهد.
و■ أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادي، كان من أكابر الحنفية، تفقه على محمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوي وكان ضريباً، سمع الحديث من علي بن الجعد وغيره وقدم مصر فحدث بها من حفظه، وتوفي بها في الحرم من هذه السنة، وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر.
و■ أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر أبو العباس التبرّتي: القاضي بواسط، صاحب المسند.

روى عن مسلم بن إبراهيم وأبي سلمة التبردكي وأبي نعيم وأبي الوليد وخلق، وكان ثقة ثباتاً تفقه بأبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجابب الشرقي من بغداد في أيام المعتز، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطيهما ما يابديهما من أموال اليتامى الموقوفة فبادر إلى ذلك إسماعيل القاضي واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرقي هنا، ثم بادر إلى كل من أنس منه رشداً من اليتامى فندفع إليه ماله فلما طولب به قال: ليس عندي منه شيء، فدفعته إلى أهله فعزل عن القضاء ولزم بيته وتعبد إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة. وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافحه وقبل بين عينيه وقال: مرحباً بمن يعمل بسني وآثري.

وفيها توفي: ■ جعفر بن المعتمد، وكان يسامر أباه.

و■ راشد مولى الموفق بمدينة الدينور فحمل إلى بغداد.

المراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان، فرضوا به ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم.
قالوا: «الجامع» الذي صنّفه الترمذي مائة وأحد وخمسون كتاباً، وكتاب «الملل» صنّفه بسمرقند، وكان فراغه منه في يوم عيد الأضحى سنة سبعين ومائتين.

قال ابن نقطة: سمعت محمد بن طاهر المقدسي سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: كتاب الترمذي عندي أقيد من كتاب البخاري ومسلم. قلت: ولم؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَنْ هو من أهل المعرفة التامة، وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبينها، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهما.
قلت: والذي يظهر من حال الترمذي أنه إنما طرا عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف، ثم اتفق موته في بلده في رجب من هذه السنة على الصحيح المشهور والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة

في الحرم منها قتل المعتضد رجلاً من أمراء الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بشيملة، ذكر له أنه يدعو إلى رجل لا يعرف من هو، وقد أسد جماعة، فاستدعى به ففرقه فلم يقر، وقال: لو كان تحت قدمي ما أتررت به، فأمر به فشدُّ على عمود خيمة ثم لُوحه على النار حتى تساقط جلده عن عظامه، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبح ليال خلون من الحرم. وفي أول صفر ركب المعتضد بالله أبو العباس بن الموفق من بغداد قاصداً بني شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له توباذ وكان مع المعتضد حادٍ جيد الحياء، فقال في بعض تلك الليالي يحذو بالمعتضد.

فأجهشت للتوباذ حين رأيته وهللت للرحمن حين رأسي وقلت له أين الذين عهدتهم بظلك في أمن ولين زمان فقال مضوا واستخلفوني مكانهم ومن ذا الذي يبقى على الحدّان قال فتفرغت عينا المعتضد وقال: من ذا الذي يبقى على الحدّان وفي هذه السنة أمر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان ففرم عليها عشرين ألف دينار، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة.

وفيها وسع المعتضد جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه، وغرم عليه عشرين ألف دينار، وكانت الدار قبليّة فيها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر باباً وحول المنبر والمحراب إلى المسجد ليكون في قبلة الجامع على عادته.

قال الخطيب البغدادي: وزاد بدر مولى المعتضد المسقطات من قصر المنصور المعروفة بالبصرة في هذا الوقت.

بناء دار الخلافة ببغداد

أول من بناها المعتضد في هذه السنة وكان أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم، وكانت أولاً داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسيني، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران التي تزوّج بها المأمون، فعمرت فيها حتى استنزها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك، ثم أصلحت ما وهى منها ووعمت

وفي هذه السنة وصلت قطر الندى بنت خارويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد في تحمل عظيم ومعها من الجهاز شيء عظيم حتى قيل إنه كان في الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى ثم بعد كل حساب أرسل معها أبوها مائة ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد نحتاج إليه مما ليس بمصر مثله بالديار المصرية. وفيها خرج المعتضد إلى بلاد الجبل وولى ولده علياً الكنتي نيابة الري وقزوين وزنجيان وقمّ ومهمّان والدينور، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبح، وولى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف نيابة أصبهان ونهاوند والكرخ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد.

وحج بالناس محمد بن هارون بن إسحاق، وأصاب الحجاج في الأجفر مطر عظيم ففرق كثير منهم، كان الرجل يفرق في الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الحافظ صاحب كتاب المصنفات، منها في وقعة صفين مجلد كبير
■ وأحمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى منها.
■ وإسحاق بن إبراهيم: المعروف بابن الجبلي سمع الحديث وكان يفتي الناس بالحديث وكان يوصف بالفهم والحفظ
■ ابن أبي الدنيا القرشي: مولى بني أمية، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبي الدنيا الحافظ المصنف في كل فن، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الزائدة في الرقائق وغيرها، تزيد على مائة مصنف وقيل إنها نحو الثلاثمائة مصنف، وقيل أكثر وقيل أقل.
سمع ابن أبي الدنيا إبراهيم بن المنذر الحزامي، وخالد بن خراش وعلي بن الجعد وخلفاً، وكان موقباً للمعتضد وابنه علي بن المعتضد الملقب بالكنتي بالله، وكان له عليه في كل شهر خمسة عشر ديناراً، وكان ثقة صدوقاً حافظاً ذمواً، لكن قال صالح بن محمد جزرة: إلا أنه كان يروي عن رجل يقال له محمد بن إسحاق البلخي وكان هذا الرجل كذاباً يضع للكلام إسناداً، ويروي أحاديث منكراً.
ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم، فجاء المطر فحال بينه وبينهم، فكتب إليهم رقعة فيها:

أنا مشتاق إلى رؤيتكم يا أخاكتي وسمعي والبصر
كيف أناكم وقلبي عندكم حال فيما يتنا هذا المطر

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ودفن بالشويزية رحمه الله.

■ عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة الدمشقي الحافظ الكبير الشهير بين أهل العلم.

■ محمد بن إبراهيم بن المواز الفقيه المالكي، له اختيارات في مذهب الإمام مالك، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائتين

في خامس ربيع الأول منها يوم الثلاثاء دخل المعتضد بالله زوجته ابنة خارويه، وكان قدومه إلى بغداد صيحة معها وصحبة ابن الجصاص،

■ عثمان بن سعيد الدارمي مصنف الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل للمذهب الجهمية وقد ذكرناه في طبقات الشافعية.

■ مسرور الخادم وكان من أكابر الأمراء.

■ محمد بن إسماعيل الزمدي صاحب التصانيف الحسنة في رمضان في هذه السنة، قاله ابن الأثير، وشيخنا الذهبي.

■ هلال بن العلاء المحدث المشهور وقد وقع لنا من حديثه طرف.

■ سيويه أستاذ النحاة مهلاً وهم، حقه أن يكون في سنة (٥٨١هـ) أو نحوها.

وهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، وقيل: مولى الربيع بن زياد الحارثي البصري. ولقب سيويه لجماله وجمرة وجتيه حتى كانتا كالتفاحتين. وسيويه في لغة فارس رائحة التفاح. وهو الإمام العلامة العلم، شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زماننا هذا، والناس عيال على كتابه المشهور في هذا الفن وقد شرح بشرح كثيرة وقل من يحيط علماً به.

أخذ سيويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه، وكان إذا قدم يقول الخليل: مرحباً بزيائر لا يمل. وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأفش الكبير وغيرهم، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائي يؤدب الأمين بن الرشيد، فجمع بينهما فتناظرا في شيء من مسائل النحو فانهى الكلام إلى أن قال الكسائي: تقول العرب: كنت أظن الزنور أشد لسماً من النحلة فإذا هو بإها قال سيويه: إنما يقولون: فإذا هو هي. فطال النزاع في ذلك فقال سيويه: بيني وبينك أعرابي لم يشبه شيء من كلام الناس المولد، وكان الأمين يحب نصرة أستاذه فسأل رجلاً من الأعراب فطلق بما قال سيويه فكره الأمين ذلك وقال له: إن الكسائي يقول خلافك فقال: إن لساني لا يطاوعني على ما يقول فقال: أحب أن تحضر وأن تصوب كلام الكسائي، فطاعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الأعرابي: إن الكسائي أصاب فحمل سيويه على نفسه وعرف أنهم تعصبوا عليه ورحل عن بغداد فمات ببلاد شيراز في قرية يقال لها البيضاء، وقيل إنه ولد بهذه وتوفي بمدينة ساوة في هذه السنة، وقيل سنة سبع وسبعين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة فالله أعلم، وقد نيف على الأربعين، وقيل بل إنما عمر ثنتين وثلاثين سنة فالله أعلم.

قرأ بعضهم على قبره هذه الأبيات:

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ونأي المزار فالسومك واقشوا
تركوك أوحش ما تكون بقفرة لم يؤنسوك وكربة لم يدفقا
قضي القضاء وصرت صاحب حفرة عنك الأحبة امرضوا وتصدعوا

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

فيها دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا ولله الحمد. وفيها تكامل غور المياه ببلاد الري وطبرستان وغلت الأسعار جداً وجهد الناس وقحطوا حتى أكل بعضهم بعضاً فكان الرجل ياكل ابنه وابنته فإنما لله وإنا إليه راجعون.

وفيها حاصر المعتضد قلعة ماردين وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً وأخذ ما كان فيها، ثم أمر بتخريبها فهلمت.

■ محمد بن القاسم بن خلاد أبو العناء البصري الضرير الشاعر الأديب البليغ اللغوي تلميذ الأصمعي. وكنيته أبو عبد الله وإنما لقب بأبي العناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغرُ شيئاً؟ فقال: عُيُنَا يا أبا العناء، فبقي عليه، وله معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح أما الحديث فليس له منه إلا القليل.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين

في الحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي ففقر به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد، ولما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الشاري وكان صغرياً. فلما صلب قال: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون وكان الحسين بن حمدان بن حمدون قد قاتل الخوارج في هذه الغزوة قتالاً شديداً مع الخليفة، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعدما كان قد سجنه حيناً من وقت أخذ قلعة ماردين من يده وهدمها عليه فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه.

وفيها كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوي القروض إذا لم تكن عصبة إلى ذوي الأرحام وذلك عن فتيا أبي حازم القاضي. وقد قال في فتياه: إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه تفرد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال. ووافق علي بن محمد بن أبي الشوارب لأبي حازم، أفتى القاضي يوسف بن يعقوب، يقول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد، وأمضى فتيا أبي حازم، ومع هذا وكلى القضاء يوسف بن يعقوب في الجانب الشرقي، وخلع عليه خلعة سنية، وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وكذلك لابن أبي الشوارب وخلع عليه خلعة سنية أيضاً.

وفيها وقع الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمائة وأربعة أنثى و لله الحمد والمئة.

وفيها حاصرت الصقالبة الروم في القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فنخرجوا معهم فهزمو الصقالبة، ثم خاف ملك الروم من غائلة أولئك المسلمين ففرهم في البلاد.

وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله فخلفه فيها رافع بن هرثمة ودعا على منابرها محمد بن زيد الطليحي ولولده من بعده، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها.

وفيها بعث الخليفة وزيره عبيد الله بن سليمان لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمنه وأخذته معه إلى الخليفة فثقله الأمراء عن أمر الخليفة وخلع عليه وأحسن إليه.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفي السراج النيسابوري، كان الإمام أحمد يدخل إلى منزله - وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي من بغداد - وينسبط فيه ويفطر عنده، وكان من الثقات العلماء العباد، توفي في صفر منها.

■ إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن حازم أبو القاسم الحنطلي، وليس هو بالذي تقدم ذكره في السنين المتقدمة سمع داود بن عمرو وعلي بن الجعد

وكان الخليفة غائباً وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً، منع الناس من المرور في الطرقات.

وفيها نهى الخليفة المعتضد الناس أن يعمل الناس في يوم النيروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال الجورس ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المقتطفين في هذا اليوم وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران وسُمي النيروز المعتضدي، وكتب بذلك إلى الآفاق.

وفيها في ذي الحجة قدم إبراهيم بن أحمد المافرائي من دمشق على البريد فآخبر الخليفة بأن خمارويه.

ذبحه خدمه على فراشه ولووا بدمه ولده جيشاً ثم قتلوه ونهبوا داره، ثم ولّوا هارون بن خمارويه، وقد التزم في كل سنة ألف دينار واربعة وخمسمائة ألف دينار تحمل إلى باب الخليفة، فأقره المعتضد على ذلك، فلما كان المكتني عزله وولى مكانه محمد بن سليمان الراثقي فاصطفى أموال آل طولون، وكان ذلك آخر العهد بهم.

وفيها اطلق لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من الحبس فعاد إلى مصر في أذل حال. وفيها حج بالناس الأمير المتقدم ذكره.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن داود أبو حنيفة الليثوري اللغوي صاحب كتاب النبات.

■ إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حمد بن زيد أبو إسحاق الأزدي القاضي، أصله من البصرة ونشأ ببغداد وسمع مسلم بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصاري، والقعني وعلي بن المديني، وكان حافظاً فقيهاً مالِكياً جمع وصف وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه، وغير ذلك، وقد ولي القضاء في أيام التوكل بعد سوار بن عبد الله ببغداد، ثم عزل ثم ولي وصار مقدم القضاء. وكانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

■ الحارث بن محمد بن أبي إسماعيل صاحب المسند المشهور.

■ خمارويه بن أحمد بن طولون: صاحب الديار المصرية بوع له بملك الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين، فقصده المعتضد بن الموفق في حياة أبيه، فاقتلوا قتالاً شديداً في أرض الرملة، وقيل في أرض الصعيد. فانهزم خمارويه هارباً. على حمار، وكرَّ جيشه على المعتضد، فهرب، كما قلنا. ثم تزوج ابنته وتضافيا بعد ذلك فلما كان في ذي الحجة من هذه السنة عدا أحد الخدم من الخصيان على خمارويه فذبحه وهو على فراشه، وذلك لأنه اتهمهم بجواربه فمات عن ثنتين وثلاثين سنة، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه، وهو آخر الطولونية.

وذكر ابن الأثير فيمن توفي في هذه السنة

■ عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي الفقيه الشافعي، أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي.

■ الفضل بن محمد بن المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن باذان ملك اليمن، أسلم باذان في حياة رسول الله ﷺ.

■ أبو محمد الشعراني: الأديب الفقيه العابد الحافظ الرجال تلميذ ليحيى بن معين، روى عنه «الفوائد في الجرح والتعديل» وغير ذلك، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وقرأ على خلف بن هشام البزار وتعلم اللغة من ابن الأعرابي، وكان ثقة كبير القدر رحمه الله.

وخلقاً كثيراً. وقد ليته الدارقطني فقال ليس بالقوي. توفي في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

■ سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد أحد أئمة الصوفية، لقي ذا النون المصري. ومن كلام سهل الحسن قوله: أمس قد مات واليوم في النزح وغد لم يولد. وهذا كما قال بعض الشعراء:

ما مضى فات والمؤمل غداً يببْ ولك الساعة التي أنت فيها
قال القاضي ابن خلكان: وكان سلوكه على يدي خاله محمد بن سوار، وقبل إنه توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين قاله أعلم.

■ عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ الروزي أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث والمتكلمين في الجرح والتعليل، وقد يتشر بشيء من التشيع قاله أعلم.

روى الخطيب عنه أنه قال: شرت بولي في هذا الشأن خمس مرات - يعني أنه اضطر إلى ذلك في الأسفار في طلبه الحديث.

■ علي بن محمد بن أبي الشوارب عبد الملك الأموي البصري قاضي سامرا. وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة، وكان من الثقات، سمع أبا الوليد وأبا عمر الحوزي وعنه النجاد وابن صاعد وابن قانع، وحمل الناس عنه علماً كثيراً.

■ ابن الرومي الشاعر صاحب الديوان في الشعر علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومي وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً فمّن ذلك قوله:

إذا ما مدحت الباخلين فإنما تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهدي لهم غمّاً طويلاً وحسرة فإن منعوا منك التوال فبالعدل
ومن ذلك قوله:

إذا ما كسك الدر سربال صحبة ولم تحل من قوت يلدُ ويعذب
فلا تنبطن المسترفين فإنته على قدر ما يكسومهم الدر يسلبُ
وقال أيضاً:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب
فإن الساء أكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدواً مينا والأمور إلى انقلاب
ولو كان الكثير طيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب
ولكن قل ما استكثر إلا وقعت على ذئب في ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب
وما اللجج الملاح بمرويات ويكفي الري في النطف العذاب
وقوله أيضاً:

وما الحب للموروث لا دره بمحب إلا بأثر مكسب
فلا تكبل إلا على ما فعلته ولا تحسن المجد يورث بالنسب
فليس يسود المرء إلا بنفسه وإن عد آباء كراماً ذوي حسب
إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة من الثمرات اعتدته الناس في الخطيب
وللمجد نوم شيدوه بأنفس كرام ولم ينعسوا بام ولا باب
ومن لطيف شعره:

قلبي من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو إليه رحيم
في وجهها أبداً نهار واضح من فرعها ليل عليه بهيم
إن أقبلت فاليل لآح وإن مشيت فالنصن راح وإن رنت فالريم
نعمت بها عيني فطال عذابها ولكم عذاب قد جناه نعيم
نظرت فأنصت الفؤاد بسهما ثم انتت نحوي فكنت أهيم
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقنع السهام ونزعهن أليم
بها ميتل دمي محرم رحمي ما أنصف التحليل والتحریم
وله أيضاً وكان يزعم أنه ما سبق إليه وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة وما أوردها من ذلك قوله، وكان يزعم أنه لم يسبق إليه:

أراؤكم ووجوهكم وسيؤفكم في الحادثات إذا زجرن غجوم
منها معام للهدى ومصايح تجلو الدجى والأخريات رجوم
وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة غير ما أوردها، من ذلك قوله - وكان يزعم أنه لم يسبق إليه -:

أراؤكم ووجوهكم وسيؤفكم في الحادثات إذا دجّون غجوم
منها معام للهدى ومصايح تجلو الدجى والأخريات رجوم

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين. وأنه مات في هذه السنة، وقيل في التي بعدها، وقيل في سنة ست وسبعين ومائتين، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه ولسانه فأنس إليه من أطعمه وهو بحضرته خشكناخج مسمومة، فلما أحسن السم قال فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذي بعثني إليه. قال: سلم على والدي فقال: لست أجتاز على النار.

■ محمد بن سليمان بن الحارث أبو بكر الباغندي الواسطي، كان من الحفاظ، وقد ذكر أن أبا داود كان يسأله عن الحديث، ومع هذا تكلموا فيه وضعفه.

■ محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف بتمام سمع سفيان وقيصة والقعني، وكان من الثقات.

قال الدارقطني: وربما أخطأ. توفي في رمضان عن تسعين سنة.

■ البحري الشاعر: صاحب الديوان المشهور، اسمه الوليد ابن عبادة، ويقال الوليد بن عبيد بن يحيى أبو عباد الطائي البحري الشاعر، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء، وكان شعره في المدح خيراً منه في المراثي فقليل له في ذلك فقال: المديح للزجاء والمراثي للوفاء وبينهما بعد. وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان وقيل له: إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام. فقال: لولا أبو تمام ما أكلت الخبز، كان أبو تمام استاذنا.

وقد كان البحري شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً رجع إلى بلده فمات بها في هذه السنة، وقيل في التي بعدها عن ثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين

في المحرم منها دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر، ثم بالجانب الغربي إلى الليل.

وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء

بمدينة أبي جعفر المنصور عوضاً عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام، وهي شاعرة.

وفي ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحررة في الأفق حتى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً. وكذلك الجدران. فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ثم خرجوا إلى الصحراء يبدعون الله ويتضرعون إليه حتى كشف عنهم.

وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فحضره ذلك وزيره عبيد الله بن سليمان بن وهب من ذلك؛ فإن العامة تنكر قلوبهم وهم يترحمون عليه ويتضرعون عنه في أسواقهم وبجوامعهم، فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك وأمضاه وكُتبت نسخ بلعن معاوية وذكر فيها ذمه وذم ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بني أمية، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانيين بن بغداد، ونهيت العامة عن الترحم على معاوية والترضي عنه، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع مما يرغب العامة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم، فوجم لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه خوفاً على الملك، وقدر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصياً يفيض علياً فكان هنا من هفوات المعتضد ساعه الله.

وفيها نودي في البلاد لا يجتمع العامة على قاص ولا كاهن ولا منجم ولا جليل ولا غير ذلك، وأمرهم أن لا يهتموا لأمر النوروز، ثم أطلق لهم أمر النوروز فكانوا يصبون المياه على المسارة وتوسعوا في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند وعلى أصحاب الشرط وغيرهم، وهذا أيضاً من هفواته.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار، وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهوفاً في الجبال خوفاً من ذلك، فأكذب الله تعالى المنجمين في قومهم فلم تكن سنة أقل مطراً منها. وقلت العيون جداً وقطعت الناس في كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة فلهذا الأمر من قبل ومن بعد.

قال: وفي هذه السنة كان يتبدى بالليل في دار الخلافة شخص بيده سيف مشهور فإذا أرادوا أخذه انهزم فدخل في بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التي يندار الخلافة فلا يطلع له على خبر، فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً، ثم استدعى بالمعزمين ومن يعاني علم السحر وأمر المجانين فعزّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فإعياهم أمره، فلما كان بعد مدة أطلع على جليلة الأمر وحقيقة الخبر فوجدته خادماً خصباً من الخدام كان يمشي ببعض الجوّاري من من خواص الخطايا اللاتي لا يصل إليها مثله ولا النظر إليها من بعيد، فاتخذ لحي مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة، واتخذ لباساً مزعجاً فكان يلبس ذلك ويتبدى في الليل في شكل مزعج فيتزعج الجوّاري والخدم فيثورون إليه من كل جانب فإذا قصده دخل في بعض العطفات ثم يلقي ما عليه أو يجعله في كمة أو في مكان قد أعده لذلك ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلّين لكشف هذا الأمر، ويسأل هنا وهنا ما الخبر؟ والسيف في يده صفة أنه من جملة من رهب من هذا الأمر، وإذا اجتمع الخطايا تمكن من النظر إلى تلك المستوحشة ولا حظها وأشار إليها بما يريده منها وأشارت إليه، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه في سرية إلى طرسوس فنمت

عليه تلك الجارية وانكشف زيفه ويحاله وأهلكه الله. عز وجل.
وفي هذه السنة اضطرب الجيش المصري على هارون بن خارويه بمصر فأقاموا له بعض أمراء أبيه بدير الأمور ويصلح الأحوال، وهو أبو جعفر بن آبا، فبعث إلى دمشق - وكانت قد منعت بيعة جيش بن خارويه في مدة ولايته تسعة أشهر بعد أبيه، واضطربت أحوالها - فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحماني والحسين بن أحمد الماذرائي فأصلحوا أمرها واستعملوا على نيابتها طنج بن جُفّ ورجعوا إلى الديار المصرية والأمور غثقة جداً. وهكذا يكون انقضاء الدول في أواخرها ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي: الزاهد النيسابوري يلقب بحكمويه العابد، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم، واستملى الزاهد النيسابوري على المشايخ ستاً وخمسين سنة، وكان فقيراً رث الهيئة زاهداً، دخل يوماً على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل وهو في مجلس التذكير، فبكى أبو عثمان وقال للناس: إنما أباكاني ثلاثة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجله عن أن أسميه في هذا المجلس، فجعل الناس يلقون الخواتيم والثياب والدرهم حتى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملي فقال: أيها الناس أنا الذي قصصني الشيخ بكلامه، ولولا أنني كرهت أن يهتم بإثم لسترت ما ستره. فتعجب أبو عثمان من إخلاصه ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع من المال فما خرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمجاورج رحمه الله كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ إسحاق بن الحسن بن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربي، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما. وكان أسن من إبراهيم الحربي ثلاث سنين، ولما توفي إسحاق الحربي نودي عليه بالبلد فقصده الناس داره للصلاة عليه، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربي فجعلوا يقصصون داره فيقول لهم إبراهيم. ليس إلى هذا الموضع قصدتم، وغداً تأتونه أيضاً، فما عمّر بعده إلا دون السنة. رحمهما الله.

■ إسحاق بن محمد أبو يعقوب السدوسي عمّر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً.

■ إسحاق بن موسى بن عمران الفقيه أبو يعقوب الإسفرائيني الشافعي.

■ عبيد الله بن علي بن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمي، كانت إليه الحسبة ببغداد وإمامة جامع الرصافة

و ■ عبد العزيز بن معاوية العتامي من ولد عتاب بن أسيد بصري، قدم بغداد وحدث عن أزهر السمان وأبي عاصم النبيل.

■ يزيد بن الهيثم بن طهمان أبو خالد الدقاق ويعرف بالبادا.

قال ابن الجوزي: والصواب أن يقال: البادي لأنه ولد توأمًا وكان هو الأول في الميلاد. روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحاً. عالماً عاملاً.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

فيها خرج صالح بن مدرك الطائي على الحاج بالأجر فأخذ أموالهم ونساءهم وخلعهم، يقال: إنه أخذ منهم ما قيمته ألفا ألف دينار.

وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بقين منه ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جداً ثم سقطت أمطار برعود ووروق لم ير مثلاً، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض، وسود، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهماً، واقتلعت الرياح شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار مما حول دجلة، وزادت دجلة زيادة كثيرة حتى خيف على بغداد من الغرق.

وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم ففتح حصوناً كثيرة وأسر ذراري كثيرة جداً، وقتل من أسارى الرجال الذين يُجسّلون معه ثلاثة آلاف رقة، ثم عاد سالماً مؤيداً منصوراً.

وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي.

وفيها توفي

■ أحمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد فقام بأمرها من بعده ولده محمد، فقصده المعتضد ومعه ابنه أبو محمد الكوفي بالله فحاصره بها فخرج إليه سامعاً مطيعاً فسلمها منه وخلع عليه وأكرم أهله، وأحسن إليه، واستخلف عليها ولده الكوفي، ثم سار إلى قسرين والعواصم فسلمها عن كتاب هارون بن خارويه، وإذن له في ذلك ومصلحته له على ذلك.

وفيها غزا ابن الإخشيد بأهل طرسوس بلاد الروم ففتح الله على يديه حصوناً كثيرة ولله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن إسحاق: بن بشر بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحروي أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك، وكان زاهداً عابداً تخرج بأحمد بن حنبل، وروى عنه كثيراً.

قال الدارقطني: إبراهيم الحربي إمام مصنف عالم بكل شيء بارع في كل علم صدوق، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وورعه.

وقال إبراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه. وكان يقول: الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله، وقد كانت بي شقيقة منذ خمس وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ما أخبرت بهذا أحداً قط.

وذكر أنه مكث نيماً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غذاء ولا عشاء، بل إن جالوه بشيء أكله ولا طوى إلى الليلة القليلة.

وذكر أنه أنفق في بعض الرماضات على نفسه وعياله درهماً واحداً وأربعة دنانير ونصفاً، وما كنا نعرف من هذه الطبائع شيئاً إنما هو باذخيان مشوي أو باقة فجّل أو نحو هذا.

وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد في بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وردّها، فرجع الرسول وقال: يقول لك الخليفة: فرقها على من تعرف من فقراء جيرانك. فقال: هذا شيء لم نجتمع ولا نسأل عن جمعه، فلا نسأل عن تفرقه، قل لأمر المؤمنين: إما يتركنا وإما نتحول من بلد.

ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعودوه فقامت ابنته تشكو

إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح، ورما عدمو الملح في بعض الأحيان فقال لها إبراهيم: يا بنة تخافين الفقر؟ انتظري إلى تلك الزاوية ففيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها في العلم فني كل يوم يبيعي منها جزءاً بدهم فمن عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقر.

ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجة وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

■ المبرد النحوي: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي الشامي المعروف بالمبرد النحوي البصري إمام في اللغة العربية، أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني، وكان ثقة ثباتاً فيما ينقله وكان متواضعاً لثعلب وله كتاب الكامل في الأدب، وإلما سمي بالمبرد لأنه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المزة.

قال المبرد: دخلنا يوماً على المجانيب نزورهم أنا وأصحاب معي بالرقعة فإذا فيهم شاب قريب العهد بالمكان عليه ثياب ناعمة فلما أبصر بنا قال: حياكم الله عن أئمتنا؟ قلنا: من أهل العراق. فقال: بأبي العراق وأهلها أشدوني أو أشدكم؟ قال المبرد فقلت: بل أشدنا أنت فقال:

اللّه يعلم إنني كمد روحان لي روح تضمهما بلد وأخرى حازها بلد وأرى المقيمة ليس بضمها صبر ولا يقوى لها جلد وأظن غائبي كشاهدتي بمكانها محمد الذي أجده قال المبرد فقلت: واللّه إن هذا لطريف، فزدنا منه فأنشأ يقول:

لما أنساخوا قبيل الصبح عيرهم ورحلوا فثارت بالهوى الإبل وأبرزت من خلال السجف ناظرها ترنو لي ودمع العين ينهمل وودعت بينان عقده عنم ناديت لا حلت رجلاك يا جل من نازل البين حان البين وارحلوا يا راحل العيس جعل كي أودعهم يا راحل العيس في رحالك إني على العهد لم انقض موثقتهم فليت شمري لطول العهد ما فعلوا فقال رجل من الغضاه الذين معي: ماتوا فقال الشاب: إذا أموت، فقال له: إن شئت تمطى واستند إلى سارية عنده ومات، وما برحنا حتى دفناه رحمه الله ومات المبرد وقد جاوز السبعين

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو يحيم بآمد أن يسلم إليه قسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار المصرية، فاجابه إلى ذلك، ثم ترحل عن آمد قاصداً العراق وأمر بهدم سور آمد فهدم البعض ولم يقدر على ذلك فقال ابن المعتز بهتة بفتح آمد:

اسلم أمير المؤمنين دم في غبطة ولينك النصر فسلم حادثة نهضت لها متقدماً فآخر الدهر ليث فرائثه الليوث فما يبيض من دمهاله ظفر ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور

ومن توفي فيها من الأعيان المشاهير

■ أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي.

وقد أُرِخه ابن الجوزي في سنة سبع وسبعين ومائتين فإله أعلم.

■ إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبيان: أبو يعقوب النخعي الأحمر، وإليه تنسب الطائفة الإسماعيلية من الشيعة. وقد ذكر ابن التوجيخي والخطيب وابن الجوزي أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية علي بن أبي طالب، وأنه انتقل إلى الحسن ثم إلى الحسين، وأنه كان يظهر في كل وقت، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحميم قبّحه الله وتبجحهم.

وإنما قيل له الأحمر لأنه كان أبرص، فكان يطلي برصه بما يغير لونه، وقد أورد له التوجيخي أقوالاً عظيمة في الكفر لعنه الله. وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازني وطبقته، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه.

■ بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ أحد علماء الغرب، له التفسير والمسنند والسنة، والأخبار التي فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسنند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة، وفيما زعم ابن حزم نظر. وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فإثنى عليه خيراً، ووصفه بالحفظ والافتان، وأنه كان يجاب الدعوة رحمه الله. وأرخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

■ والحسين بن بشار بن موسى: أبو علي الخياط روى عن أبي بلال الأشعري، وعنه أبو بكر الشافعي وكان ثقة، رأى في منامه - وقد كانت به علة - قائلاً يقول له: كل لا، واشرب لا. ففسره بقوله تعالى: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فآكل زيتوناً وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك.

■ محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأنطاقي المعروف بمرجع تلميذ يحيى بن معين، كان ثقة حافظاً.

■ عبد الرحمن بن الرقي.

■ محمد بن وضاح المصنف.

■ علي بن عبد العزيز البغوي صاحب المسند.

■ محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كلبم أبو العباس القرشي البصري الكندي، وهو ابن امرأة روح بن عبادة، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائة، وسمع عبد الله بن داود الحرّبي، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وأبا داود الطيالسي، والأصمعي وخلفاء.

وعنه ابن السماك والنجاد. وآخر من حدث عنه أبو بكر بن مالك القطيعي، وقد كان حافظاً مكثرأ مغرباً، وقد تكلم فيه الناس لأجل غرابه في الروايات وقد ذكرنا ترجمته في التكميل.

دُفن يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد جاوز المائة، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله.

■ يعقوب بن إسحاق بن، تحفة أبو يوسف الواسطي، سمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد وحدث بها: أربعة أحاديث، ووعد الناس أن يحذوهم من الغد فمات من ليلته عن مائة واثنى عشرة سنة رحمه الله.

■ الوليد أبو عبادة البجلي فيما ذكره شيخنا الذهبي، وقد تقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزي فإله أعلم.

فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف درهم خارجاً عن الدواب وسروج وغير ذلك.

وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة سال منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافاً إلى ما بيده من ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر، وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فانتفع بها عن ما في يدي من هذه البلاد. فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة، جذا فالتقى عند بلخ فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو بن الليث فلما جاء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقتل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلم إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحصل على ستمائة جبل إلى القيد والسجن ومن العجائب أن عمراً كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصيب أحد منهم ولا أسر سواه.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة

قبهم الله ولعنهم

وهو أخبث من الزنج وأشد فساداً

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير، وقويت شوكة جذا، وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصيل سورها، فعمروها وجدلوا معاملة بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك. وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد، وأكثروا في الأرض الفساد.

وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به يقال له: يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي، فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزبائدي، وساعده في الدعوة إلى المهدي، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له، فكان من جملة من استجاب له أبو سعيد الجنابي هذا قبّحه الله، ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرامطة فاستجابوا له والفتوا عليه، فصار عليهم وصار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلدة هناك يقال لها جنتابة، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه.

قال ابن الجوزي في المنتظم [٤٠٢/١٢، ٤٠٣]: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة ثم روى بسنده أن امرأة جاءت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأفكره فجاءت بيته تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا، فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة: وغد قد أراد ذلك، فهو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة.

الرصافة.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

في ربيع الأول منها تفاقم أمر القرامطة صحبة أبي سعيد الجنابي فقتلوا وسبوا وأفسدوا في بلاد هجر، فجهز الخليفة إليهم جيشاً كبيراً وأمر عليهم العباس بن عمرو الغنوي، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا، فالتقوا هنالك وكان العباس في عشرة آلاف مقاتل، فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده، وقتل الباقر عن آخرهم صبراً بين يديه. ويقال إن العباس لما قتل أبو سعيد أصحابه صبراً بين يديه والعباس ينظر، أقام عند أبي سعيد أياماً ثم أطلقه وحمله على رواحل وقال: أرجع إلى صاحبك وأخبره بما رأيت.

وقد كانت هذه الواقعة في أواخر شعبان منها، فلما وقع هذا الأمر الفظيع انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيماً جداً، وهم أهل البصرة بالجلاء منها فمتنعهم من ذلك نائبها أحمد الواقي وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها ابن الإخشيد قد توفي في العام الماضي واستخلف على الثغر أبا ثابت فطمعت الروم في تلك الناحية وحشدوا عساكرهم إلى هنالك، فالتقاهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فبين أسروا فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابي فوثقوه أمرهم وذلك في ربيع الآخر.

وفيها قتل

■ محمد بن زيد العلوي: أمير طبرستان والديلم وكان سبب ذلك أنه لما ظفر إسماعيل الساماني بعمرو بن الليث نائب خراسان ظن محمد أن إسماعيل لا يماوز عمله، وأن خراسان قد خلت له، فارتحل من بلده يريد بها وسبقه إلى خراسان، إسماعيل بن أحمد، وكتب إليه أن النزم عملك ولا تتجاوز به إلى غيره فلم يقبل، فبعث إليه جيشاً مع محمد بن هارون الذي كان يتوب عن رافع بن هرثمة، فلما التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعة، فسار الجيش وراءه في الطلب فكر عليهم راجعاً فانهزموا منه فأخذ ما في معسكرهم وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة فمات بسببها بعد أيام، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأنزله بخارى. وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ديناً حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد، وكان فيه تشيع فتقدم إليه يوماً خصمان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر علي، فقال محمد بن زيد: إن الحكم بينكما ظاهر، فقال معاوية: أيها الأمير لا تغتر بنا، فإن أبي كان من كبار الشيعة، وإنما سماني معاوية مندراً لن ببلدنا من أهل السنة وهذا كان أبوه من كبار النواصب فسماه علياً نقاة لكم، فقسم محمد بن زيد وأحسن إليه. رحمه الله

قال ابن الأثير في كامله [٥٠٨/٧]: وعن توفي في هذه السنة:

■ إسحاق بن أيوب بن عمر بن الخطاب العلوي - عدي ربيعة وكان أميراً على ديار ربيعة من الجزيرة، فولي مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتز.

■ علي بن عبد العزيز البغوي صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام وفهد بن أحمد بن فهد الأزدي الموصلين - وكان من الأعيان - وذكر هو وأبو الفرج بن الجوزي أن قطر الندى بنت خارويه بن أحمد بن طولون امرأة المعتضد بالله توفيت في هذه السنة

قال ابن الجوزي: لسبع خلون من رجب منها، ودفنت داخل القصر

■ يقرب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعي، سمع أحمد بن حنبل وعلي بن المديني، وعنه النجاد والخلدي، وكان ورده في كل يوم قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ إحدى وثلاثين ألف مرة، أو إحدى وأربعين ألف مرة. قلت: وعن توفي فيها:

■ أبو بكر بن أبي عاصم صاحب السنة والمصنفات وهو:

■ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحالك: بن محمد النيل، له مصنفات في الحديث كثيرة، منها كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريقة السلف، وكان حافظاً كبيراً جليلاً، قد ولي قضاء أصبهان بعد صالح ابن الإمام أحمد، وكان قد طاف البلاد في طلب الحديث، وصحب أبا تراب النخشي وغيره من مشايخ الصوفية، وقد اتفق له مرة كرامة هائلة، كان هو واثان من كبار الصالحين في سفر فتزلوا يوماً على رمل أبيض، فجعل أبو بكر هنا يقبله بيده ويقول: اللهم ارزقنا خيصاً يكون بلون هذا. فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي ويده قصعة فيها خيصر بلون ذلك الرمل في ياضه، فأكلوا منه رحمه الله وكان يقول: لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدع ولا مدح ولا طعان ولا لسان ولا فاحش ولا بنزي، ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث.

وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان. وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو يصلي فلما انصرف قال له: ما فعل بك؟ فقال: يؤنسني ربي عز وجل.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين

اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصلوا بلاد الرقة في جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر، فقتلوا خلقاً وأسروا غوراً من خمسة عشر ألفاً من الذرية.

ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها ولاء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى فتركوا في الطرق لا يوارون عن الأبصار.

ومنها أن بلاد أرمينيا أصابها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ثم زلزالوا زلزالاً شديداً، واستمر ذلك عليهم أياماً فتهدمت الدور والمساكن ونصف بآخريين، منهم وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها اقترب القرامطة من البصرة فخاف أهلها منهم خوفاً شديداً، وهربوا بالرحيل منها فمتنعهم واليها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي: ولد سنة تسعين ومائة، وسمع من روح بن عبادة حديثاً واحداً، وسمع الكثير من هوزة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبي نعيم وعلي بن الجعد والأصمعي وغيرهم.

وعنه ابن المنادي وابن خلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمر الزاهد والخلدي والحطبي وأبو بكر الشافعي وابن الصواف وغيرهم. وكان ثقة أميناً حافظاً، وكان من أهل البيوتات وكان الإمام أحمد يكرمه

ومن شعره:

ضعفت ومن جاز الثمانين بضعف ويكرمه كل من كان يعرف

وهذه ترجمة المعتضد

■ (المعتضد بن الموفق بن المعركل)

أحمد ابن الأمير أبي أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله، واسم أبي أحمد محمد، وقيل طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد أبو العباس أمير المؤمنين الخليفة المعتضد بالله.

ولد في سنة ثنتين وقيل ثلاث وأربعين ومائتين، وأمه أم ولد.

وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة، قد وخطه الشيب في مقدم لحية طول، وفي رأسه شامة بيضاء.

ربيع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب

سنة تسع وسبعين ومائتين، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب، وولي القضاء إسماعيل بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وابن أبي الثوارب.

وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المعتضد على الله فلما ولي المعتضد أقام شعارها ورفع منارها، وشيد دعائمها وحيطانها، وأطد أركانها وكان شجاعاً فاضلاً من رجالات قريش حزمًا وجرأة وإقدامًا وحرمة وكذلك كان أبوه من قبله، وقد أورد ابن الجوزي بإسناده أن المعتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مشقة فوقف صاحبها صائحاً مستصرخاً بالخليفة، فاستدعى به فسأله عن أمره فقال: إن بعض الجيش أخذوا لي شيئاً من القناه وهم من غلمانك. فقال: أتعرفهم؟ فقال نعم. فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة فأمر الخليفة بتقيدهم وحبسهم فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق، فاستعظم الناس ذلك واستكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا: قتل ثلاثة بسبب قناه أخذوه؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص مسامره أن ينكر عليه ذلك ويتلطف في مخاطبته في ذلك والأمراء حضور، فدخل عليه ذات ليلة وقد عزم على ذلك ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يئديه، فقال له: إني أعرف أن في نفسك كلاماً فما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم.

قلت له: فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء. فقال: والله ما سفكت دماً حراماً منذ وليت الخلافة إلا بحقه فقلت له: فعلام قتل أحمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له جناية؟ فقال: ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه، فلما دعاني إلى ذلك قلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة، وأنا متصب في منصبه فأفكر حتى أكون من غير قبيلته فقتلته على الكفر والزندقة فقلت له: فما بال الثلاثة الذين قتلهم في القناه؟ فقال: والله ما كان أولئك الذين أخذوا القناه، وإنما كانوا لصوصاً قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم، فبعثت فبحث بهم من السجن فقتلهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القناه، وأردت بذلك أن أهرب الجيش لئلا يفسدوا في الأرض ويتعدوا على الناس ويكفوا عن الأذى. ثم أمر بإخراج أولئك الذين حبسهم بسبب القناه فاطلقتهم بعدما استتابهم وخلع عليهم وردهم إلى أزواقهم التي كانت لهم.

قال ابن الجوزي: وخرج المعتضد يوماً فعمد بباب الشماسية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئاً، فأتي بأسود قد أخذ عذقاً من بسر فتأمله طويلاً ثم أمر بضرب عنقه، ثم التفت إلى أصحابه وقال: إن العامة ينكرون هنا ويقولون إن رسول الله ر قال: «لا قطع في ثمر ولا كثر» [٤٣٨٨]، ت (١٤٩٩)، ص (٩٧٥ - ٩٨٥) ولم يكف أن يقطع يده حتى قتله، وإني لم أقتل هذا على سرقته، وإنما هذا الأسود رجل من الزنج كان قد استامن في حياة أبي وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين ف ضرب المسلم

وعيسى رويداً كالأسير مقيداً يداني خطاه في الحديد ويرسف

■ ثابت بن قرة بن هارون ويقال: زهرون بن ثابت بن كدابي بن إبراهيم الصايغ الفيلسوف الحارثي صاحب التصانيف، من جملتها أنه حرر كتاب إقليدس الذي عربيه حين بن إسحاق العبادي. وكان أصله صيرفيًا بجران فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل، فقال منه رتبة سامية عند أهله، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها، وكان يدخل مع المنجمين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن، وكان بليغاً ماهراً حاذقاً بالغاً. وعنه إبراهيم بن ثابت بن قرة كان طبيباً عارفاً أيضاً. وقد سردهم كلهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان رحمه الله.

■ الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعي - من شيعة المنصور لا من الروافض - حدث عن علي بن الحسين، وحكى عن بشر الحافي وعنه أبو عمرو بن السماك.

■ عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد، كان خطياً عنده، وقد عز عليه موته وتآلم لفقده وأهمه من يجعله من بعده، فعقد لولده القاسم بن عبيد الله الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به.

وأبو القاسم

■ عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالأعماطي أحد كبار الشافعية. وقد ذكرناه في طبقاتهم.

■ هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمي إمام الناس في الحج عدة سنين متوالية، وقد سمع وحدث. وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

فيها عاثت القرامطة بسواد الكوفة فظفر بعض العمال بطائفة منهم فبعث برئيسهم إلى المعتضد وكان يقال له أبو الفوارس، فقال من العباس بين يدي الخليفة فأمر به فقلعت أضراسه وخلعت يده ثم قطعنا مع رجليه، ثم قتل وصلب ببغداد وأشهر أمره.

وفيها قصدت القرامطة دمشق في جحفل عظيم فقاتلهم نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارويه، فهزموه مرات متعددة، وتفاقم الحال بينهم، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن مهرويه الذي ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد كذب في ذلك وزعم لهم أنه قد اتبعه على أمره مائة ألف، وأن ناقته مأمورة حيث ما توجهت به نصر على أهل تلك الجهة فراج ذلك عندهم ولبقوه الشيخ، واتبه طائفة من بني الأصبح وسموا بالفاطميين. وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيراً فهزموه ثم اجتازوا بالرصافة فأحرقوا جامعها، ولم يجتازوا بقرية إلا انتهوها ولم يزل ذلك داهمهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله في ربيع الأول من هذه السنة أحسن الله خاتمته.

أهل المرأة ليحضروا حتى يسلموا مال ولئيمهم فنادى بذلك ثلاثة أيام في أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فسلم إليهم ما كان مع تلك المرأة من الحلبي والثياب فقال له خذها: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت في نومي تلك الساعة شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب وهو يتأدى: يا أحمد يا أحمد، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها فأقم عليه الحد فكان ما شاهدتم.

وعن خفيف السمرقندي الحاجب قال: كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصدياته وكان قد انقطع عن العسكر وليس معه غيري، إذ خرج علينا أسد قصد قصصنا فقال لي المعتضد: يا خفيف أفيك خير؟ قلت: لا والله يا مولاي، فقال: ولا حتى تمسك فرسي وانزل أنا؟ فقلت: بلى قال: فنزل عن فرسه فامسكها وعرز أطراف ثيابه في منطقتة واستلم سيفه ورمى بقرابه إلي ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه فضربه المعتضد بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده فضربه ثانية على هامته فقلعها، فخر الأسد صريعاً فلما منه فمسح سيفه في صوفه ثم أقبل إلي فأغمد سيفه في قرابه، ثم ركب فرسه ثم عدنا إلى العسكر. قال وصحبته إلى أن مات فوالله ما سمعته ذكر ذلك لأحد، فما أدرى من أي شيء أعجب؟ أم شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد؟ أم من عدم عتبه عليّ حيث ضننت بنفسي عنه؟ والله ما عاتيت في ذلك قط.

وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي الحسين النوري أنه اجتاز بزورق فيه خر مع ملاح، فقال: ما هذه؟ ولن هذه؟ فقال له: هذه خمر للمعتضد فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود في يده حتى كسرها كلها سوى واحد تركه واستنثا الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقوه بين يدي المعتضد فقال له: من أنت؟ فقال أنا المحتسب فقال: ومن ولاك الحسبة؟ فقال: الذي ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين فأطرق رأسه ثم رفعها فقال: ما الذي حملك على ما فعلت؟ فقال: شفقة عليك لدفع الضرر عنك فأطرق رأسه ثم رفعه فقال: ولم تركت من اللذان واحداً؟ فقال: إني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لعظمة الله تعالى، فلم أبال أحداً حتى انتهيت إلى هنا الدن فتخوفت على نفسي كبراً على أنني قد أقدمت على مثلك فتركته، فقال له المعتضد: اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر فقال النوري: الآن نقص عزمي عن التغير، فقال: ولم؟ فقال: لأنني كنت أغير عن الله، وأنا الآن أغير عن شرطي. فقال: سل حاجتك فقال: أحب أن تخرجني من بين يديك سالماً فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة، فأقام بها مختفياً خشية أن يشق عليه أحد في حاجته عند المعتضد. فلما توفي المعتضد رجع إلى بغداد.

وذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجار قال: كان لي على بعض الأمراء مال كثير فمطالبي ومنعني حقّي، وجعل كلما جئت أطلبه حجيتي عنه ويأمر غلماناً يؤذوني فاشتكت عليه إلى الوزير فلم يقد ذلك شيئاً، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً، وما زاده ذلك إلا متعاً وجحوداً، فأيست من المال الذي عليه ودخلني هم من جهته، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي إذ قال لي رجل: ألا تأتي فلاناً الحياط - إمام مسجد هناك - فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من أشتكت إليه، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً قال: قصصته غير محتفل في أمره، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت

فقطع يده فمات المسلم، فأهدر أبي دم الرجل المقتول تأليفاً للزنج، فكأيت على نفسي لئن أنا قدرت عليه لأقتلته، فما وقعت عيني عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل.

وقال أبو بكر الخطيب: أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول سمعت أبا العباس بن سريج يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه، فنظرت إليهم فرأيت المعتضد وأنا أتأملهم فلما أردت القيام أشار إلي فمكثت ساعة فلما خلا قال لي: أيها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام قط.

وروى البيهقي عن الحاكم عن حسان بن محمد عن ابن سريج عن القاضي إسماعيل بن إسحاق قال: دخلت يوماً على المعتضد فدفع إلي كتاباً فقرأته فإذا قد جمع فيه الرخص من زلل العلماء فقلت: يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق فقال: كيف؟ فقلت: إن من أباح النبيذ لم يبح المتعة، ومن أباح الفناء لم يبح النبيذ، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه. فأمر بتحريق ذلك الكتاب.

وروى الخطيب بسنده عن صافي الحرمي الخادم قال: انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغب وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف، والصبيان من أصحابه في سنه عنده، وبين يديه طبق من فصة فيه عقود عنب، وكان العنب إذ ذاك عزيزاً جذاً، وهو يأكل عنبه واحدة ثم يفرق على كل واحد من جلسائه عنبه عنبه فتركه المعتضد وجلس ناحية في بيت مهموماً فقلت له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام، فإن في قتله صلاحاً للأمة. فقلت: أعينك بالله يا أمير المؤمنين العن الشيطان فقال: ويحك يا صافي هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان فإن طباع الصبيان تأبى الكرم، وهذا في غاية الكرم وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلا من هو من ولدي، فسلي عليهم المكثي ثم لا تطول أيامه لعلته التي به وهي داء الخنازير ثم يموت فيولّي الناس جعفر هذا الغلام فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الخطايا لشغفه بهن، وقرب عهد من تشبه بهن، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والمهرج والخوارج والشورور. قال صافي: فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء.

وروى ابن الجوزي عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يوماً نائماً وقت القائلة ونحن حول سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا إليه فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدونها فارغة منحدرة فأتوني بملاحها واحتفظوا بالسفينة. فذهبنا سراعاً فوجدنا ملأحاً في سميرة فارغة منحدراً فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد يتلف، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون، اصدقي عن فصدك مع المرأة التي قتلها اليوم وإلا ضربت عنقك قال فتعلمت ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحرأ في شرعي الفلانية، فزلت امرأة لم أر مثلاً عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجوهر، فطمعت فيها واحتلت عليها حتى شددت فاهها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلبي والثياب، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها، فأردت الذهاب إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني فقال: وابن حلبيها؟ فقال: في صدر السفينة تحت البوارى فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلبي فجيء به فإذا هو حلبي كثير يساوي أموالاً كثيرة، فأمر الخليفة بتريق الملاح في المكان الذي غرق فيه المرأة، وأمر أن ينادى على

ويحك أما كفناك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتحيرت على السلطان، وما كفناك ذلك حتى عمدت إلى رجل أميرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ففرضته وأهتته وأعميته؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غل ثم أمر به فادخل في جوارث ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضرباً شديداً حتى خفت صوته، ثم أمر به فالتقي في دجله فكان ذلك آخر العهد به. ثم أمر ببدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الخواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال بغير حلها، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فاعلمني، فإن اتفق اجتماعك بي والا فعلى ما بيني وبينك أن تؤذّن في مثل وقت أذنالك هذا، قال: فهذا السبب لا أمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء من الخير، أو إنهاء عن الشر إلا بادر إلى امتاله وقبوله، خوفاً من المعتضد. وما احتجت أن أؤذّن في مثل تلك الساعة إلى الآن.

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال: كنت يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمبنة في يده إذ حركتها فجاءت في قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه، فاعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع، ولم يكثر الخليفة لذلك، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم: مر هذا البائس ليذهب لراحته فإنه قد نرس، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة. قال الوزير: فأخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال: إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه وإنما نرس، وليس العتاب والمعابة إلا على المتعمد لا على المخطئ والساهي.

وقال خفيف السمرقندي الحاجب: لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان وتحقق ذلك خر ساجداً طويلاً، فقيل له: يا أمير المؤمنين: لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك فقال: إنما سجدت شكراً لله أني لم أعزله ولم أؤذنه، ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده، وذكر هو رجلين، أحدهما جراءة وكان ابن سليمان حازم الرأي قوياً، والآخر أحمد بن محمد بن الفرات فعدل به بذر صاحب الشرطة عنه وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفّه رايه فالح عليه فولاه وبعث إليه يعزّيه في أبيه ويهتبه بالوزارة، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولي المكتفي الخلافة من بعد أبيه المعتضد حتى قتل بداراً. وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق، وهذه فراسة عظيمة وتومس قوي.

وقد رُفِع يوماً إلى المعتضد أن أقواماً يجتمعون على المعصية فاستشار وزيره في أمرهم فقال: ينبغي أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم فقال: ويحك لقد بردت لهب غضبي عليهم بقسوتك هذه، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها، وأنه سائله عنها؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير فيهم. ولهذا النية لما ولي الخلافة كان بيت المال صفراً من المال وكانت الأحوال فاسدة، والأعراب تغيث في الأرض فساداً في كل جهة، فلم يزل يرايه وتلدّيه حتى كثرت الأموال في بيت المال وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والأفاق.

ومن شعره في جارية له توفيت فوجد عليها وجداً عظيماً قال:

يسا حياء لم يكن يَفُـ دلّه عندي حبيب
انت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب

من هذا الظالم فقام معي فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وسأدر إلى قضاء حقي الذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر، غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت. فتغير لون الأمير ودفع لي حقي.

وقال التاجر: فنجيت من ذلك الخياط مع رثالة حاله وضعف بنته كيف استطاع ذلك الأمير له، ثم إنني عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل مني شيئاً، وقال: لو أردت هذا لكان لي من الأموال ما لا يحصى. فسألته عن خبره وذكرت له تعجيبي منه والحجت عليه فقال: إن سبب ذلك أنه كان عنتنا ههنا رجل تركي، شاب حسن أمير، فلما كان ذات يوم امرأة حسنة قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريد بها على نفسها ليدخلها منزله، وهي تأتي عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج، وهذا يريدني على نفسي ليدخلني منزله، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله، ومتى بت ها هنا طلقت منه ولحقتي بسبب ذلك عار لا ترخصه الأيام ولا تنسله المدامع. قال الخياط: فقممت إليه فأثرتك عليه وأردت خلاص المرأة من يديه ففرضني بدبوس في يده فشج رأسه، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً، فرجعت أنا فغلست الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت لهم: إن هذا قد فعل ما قد فعل قوموا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس، وقصدني هو من بين الناس ففرضني ضرباً شديداً مبرحاً حتى آدماني، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق، من شدة الوجع وكثرة الدماء فتمت على فراشي فلم ياخذني نوم، وتحيرت ماذا أصنع حتى أتقذ المرأة من يده في الليل لترجع فقيت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق، فألمت أن أؤذّن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عاداتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا، إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالاً، وهم يقولون: أين الذي أذن هذه الساعة؟ فقلت: ها أنا ذا، وأنا أريد أن يعينوني عليه فقالوا: إنزل فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً وما زالوا بي حتى أدخلوني على الخليفة المعتضد بالله، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعته فرعاً شديداً، فقال: ادن، فدنوت فقال لي: ليسكن روعك وليهد قلبك وما زال يلاطفيني حتى اطمانت وذهب خوفي، فقال: أنت الذي أذنت هذه الساعة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه؟ فيغتر بذلك الصوام والمساfer والمصلي وغيرهم، فقلت: يؤمني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري؟ فقال: أنت آمن فذكرت له القصة قال: فغضب غضباً شديداً وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا فأحضرا سريعاً فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهة ثقات ومعهن ثقة من جهة أيضاً، وأمره أن يأمر زوجها بالمغفر والصفح عنها والإحسان إليها، فإنها مكرهة ومعلورة. ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوار والزوجات؟ فذكر له شيئاً كثيراً فقال له:

لك من قلبي على قلبي وإن بنيت رقيب
وخيالي منك مذ غيب ت خيال ما يغيب
لو تراني كيف لي بعد ذلك عسرول وغيب
وفؤادي حشوه من حرق الحزن لهيب
لثقت بـ... بك عزون كيب
ما أرى نفسي وإن طيب بتهما عنك تطيب
ليس مدح لي بصبي نسي وصبري ما يجيب
وقال فيها أيضاً:

لم أبك للدار ولكن لمن قد كان فيها مرة ساكن
فخاني الدهر يفقدانه وكنت من قبل له آشنا
ودعت صبري عنه توديعه وإن قلبي معه ظاعنا
وكتب إليه ابن المعتز يعزبه ويسليه عن مصيبته فيها:

يا إمام الهدى بنا لا بك الغم وأفتيتا وعشت أنت سليما
أنت علمت على النعم الشكر وعند المصائب التسليما
فتلى عن ما مضى فلان التي كانت سروراً صارت ثوباً
قد رضى بان نموت ونحى إن عسدي في ذاك حظاً جيماً
من تمت طامعاً لديك فقد أعطي فوزاً ومات موتاً كريماً

واجتمع ليلة عند المعتضد نداءه فلما انقضى السر وصار إلى حظايه
ونام القوم السمل شبههم من نومهم خادم من عند الخليفة، وقال: يقول
لكم أمير المؤمنين، إنه أصابه أرق من بعدكم وقد عمل بيتاً أعياه ثابته فمن
عمل ثابته فله جائزة وهو هذا البيت:

ولما انتهنا للخيال الذي سرى إذا الدار قُفِرَى والمزار بعيد
قال: فجلس القوم من فرشهم يفكرون في ثابته فبدر واحد منهم فقال:
فقلت لعبي عاودي النوم واجعبي لعل خيالاً طارقاً سيعود
قال: فلما رجع به الخادم إلى المعتضد وقع منه موقعاً جيداً وأمر له
بجائزة سنية.

واستعظم المعتضد يوماً من بعض الشعراء قول الحكم بن عمرو المازني البصري:

لحقى على من أطار النوم فانتما وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس من أعطافه طلعت حسناً أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وإن عظمت منه الإساءة معذور بما صنعنا
في وجهه شافع يحو إساءته من القلوب وجية حيثما شفعا

ولما كان في ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة تسع وثمانين
ومائتين - اشتد وجع الخليفة المعتضد بالله فاجتمع رؤساء القواد؛ منهم
يونس الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله فاشاوروا بأن يجتمع
الناس لتجديد البيعة للمكتفي بالله علي بن المعتضد بالله، ففعل ذلك
وتأكدت البيعة وكان في ذلك خير كثير.

وحين حضرت المعتضد الوفاة أشد لنفسه:

تنتع من الدنيا فإني لا تبقي وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرثقا

ولا تسأمن الدهر إنسي أمتسه فلم يبق لي حالا ولم يرح لي حقا
قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدواً ولم أهمل على خلق خلقا
وأخليت دار الملك من كل ننازع فشردهم غرباً ومزقههم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعةً وصارت رقاب الخلق أجمع لي رفا
رماني السردى سهماً فأخذ جررتي فها أنا في حفرتي عاجلاً القى
ولم يخن عني ما جمعت ولم أجد لذى ملك الأحياء في حبيها رفا
وأفسدت دنياي وديني سفاهةً فمن ذا الذي مني بمصرعه أشتى
فيا ليت شعري بعد موتي ما القى لي نعمة لله أم ناره القى

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه
السنة، ولم يبلغ الخمسين. فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة
عشر يوماً وخلف من الأولاد الذكور: علياً المكتفي، وجعفر المقتدر،
وهارون. ومن البنات إحدى عشر بنتاً. ويقال: سبع عشرة بنتاً وترك في
بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار. وكان يملك من صرف الأموال في
غير وجهها، فلها كان بعض الناس يخله، ومن الناس من يجعله من
الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث، الاثنى عشر المتصور عليهم في
حديث جابر بن سمره فله أعلم.

وقد رثي أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسي ابن عمه المعتضد
بمرثاة حسنة يقول فيها:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحداً وأنت والد سوء تاكل الولدا
استغفر الله بل ذا كله قدر رضىت بالله رباً واحداً صمداً
يا ساكن القبر في غرباء مظلمة بالظاهرة مقصى الدار مفردا
أين الجيوش التي قد كنت تسحبها أين الكنوز التي أحصيتها عددا
أين السرير الذي قد كنت تملؤه مهابة من رأسه عينه ارتعدا
أين القصور التي شيدتها فعلت ولاح فيها سنا الإبريز فاتقدا
أين الأعادي الألى ذللت صعبهم أين الليوث التي صيرتها تقدا
أين الوفود على الأبواب عاكفة ورد القطا صفر ماء جال اطردا
أين الرجال قياماً في مراتبهم من راح منهم ولم يطمر فقد سعدا
أين الجياد التي قد حجلتها بدم وكن يحملن منك الضيغ الأسدا
أين الرماح التي غلظتها مهجماً مذ مت ما وردت قلباً ولا كبدا
أين السيوف وأين النبل مرسله يصين من شيب من قرون وإن يعلدا
أين المجاتيئ أمثال الفيضول إذا تحين حياض حسن قائم قتيلا
أين الجنان التي تجري جدالها وتستعجب إليها الطائر الفردا
أين الوصاف كالغزلان رائحة يحين من حلل موشية جددا
أين الملاهي وأين الرماح تحبها ياقوتة كسيت من فضة زردا
أين الوثوب إلى الأعداء مبتغيا صلاح ملك بني العباس إذ فُردا
ما زلت تقرر منهم كل قسورة وعظم العاتي الجبار عمتدا
ثم انقضيت فلا عين ولا أثر حتى كائنك يوماً لم تكن أحداً
لا شيء يبقى سوى خير تقدمه ما دام ملك لإنسان ولا خلدا
ذكرها ابن عساكر في تاريخه.

خلافة المكشي بالله أبي محمد

علي بن المعتض بالله أمير المؤمنين رحمه الله تعالى. بويح له بالخلافة بعد موت أبيه في ربيع الأول من هذه السنة، وليس في الخلفاء من اسمه علي سوى هذا وعلي بن أبي طالب. وليس فيهم من يكنى بأبي محمد إلا هذا والحسن بن علي بن أبي طالب والهادي، والمستضيء بالله. وحين ولي المكشي كثرت الفتن وانتشرت في البلاد. وفي رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جداً. وفي رمضان منها تساقطت وقت السحر من السماء نجوم كثيرة ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس.

ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرقعة، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب فدخل بغداد في يوم مشهود، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الأولى من هذه السنة.

وفي هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصفار - وكان معتقلاً في سجن أبيه - وأمر بتخريب الطامير التي كان اتخذها أبوه للسجن وأمر ببناء جامع مكانها وخلع في هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ست خلع وقلده سيفاً، وكان عمره يومئذ خمساً وعشرين سنة وبعض أشهر.

وفي هذه السنة انتشرت القرامطة بعد موت المعتضد في الأفاق وقطعوا الطريق على الحجيج، وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين. فبعث المكشي إليهم جيوشاً كثيرة وأنفق أموالاً جزيلة، حتى أطلق الله بعض شرهم.

وفيها خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني، وكتب أهل الري بعد قتله محمد بن زيد الطالبي، فصار إليهم فسلموا إليه البلد فاستحوذ عليها، فقصده إسماعيل بن أحمد الساماني بالجيوش فقهروه وأخرجوه منها مذموماً مدحوراً.

قال ابن الجوزي في المنتظم [٦/١٣]: وفي يوم التاسع من ذي الحجة منها صلى الناس العصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف، فهبت ريح باردة جداً حتى احتاج الناس مع ذلك إلى الاصطلاء بالنار، ولبسوا الفراء والخشوات وجد الماء كفضل الشتاء.

قال ابن الأثير في الكامل: ٢٢٧/٧: وكذا وقع بمدينة حمص؛ قال: وهبت ريح عاصف بالبصرة فالتعلت شيئاً كثيراً من نخيلها، وخسف بموضع منها، فمات تحتها ستة آلاف نسمة.

قال ابن الأثير وابن الجوزي في المنتظم: ٦/١٣: وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرات متعددة ثم سكنت ولله الحمد والملة. وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي:

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أحد الصوفية الكبار.

قال ابن الأثير: وهو من أقران السري السقطي.

قال: لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس. و■ أحمد بن محمد المعتضد بالله غلب عليه سوء المزاج والجفاف من كثرة الجماع، وكان الأطباء يصفون له ما يربط بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته. وقد ذكرنا كيفية وفاته في ترجمته آنفاً.

■ بدر غلام المعتضد ورأس الجيش: كان القاسم بن عبيد الله الوزير

قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد وفأوض بذلك بداراً هذا فامتنع عليه وأبى إلا البيعة لأولاد مولاه فلما ولي المكشي بن المعتضد خاف الوزير من غائلة ما كان أسر به إلى بندر، فعمل عليه عند المكشي ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط، ثم بعث إليه بالأمان فقدم، فأمر الوزير من قتله، فقتل يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة، ثم قطع رأسه وبقيت جثته فانخذها أهله فبعثوا بها إلى مكة في تابوت فدفن بها، وذلك أنه أوصى بذلك وكان قد اعتق كل ملوك له قبل وفاته. وحين أرادوا قتله صلى ركعتين لله عز وجل، ثم قتلوه.

■ الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم، أبو علي، الخاطف البغدادي، سمع خلف بن هشام ويحيى بن معين وعبد بن سعد وغيرهم.

وعنه أخذ الخطي والطوماري، وكان عسراً في التحديث إلا لمن لازمه، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه، توفي عن ثمان وسبعين سنة، وقد قال الدارقطني: ليس بالقي.

■ عمارة بن وليلة بن موسى أبو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ على السنين، ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره.

■ عمرو بن الليث الصفار أحد الأمراء الكبار، قتل في السجن أول ما قدم المكشي بغداد.

ثم دخلت سنة تسعين ومائتين

فيها أقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو قاسم القرمطي المعروف بالشيخ في جحافل عظيمة من القرامطة فعات بناحية الرقة فساداً فجهز إليه الخليفة جيشاً نحو عشرة آلاف فارس.

وفيها ركب الخليفة المكشي من بغداد إلى سامرا يريد الإقامة بها فثنى رأيه عن ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ورجع به إلى بغداد.

وفيها قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق قتله جيش المصريين زرقه رجل من المغاربة بمزراق من نار فحرقه، وبذلك بعد ما كان قتل خلقاً كثيراً من جيشها من أصحاب فطخ بن جئف نالها، ثم من الله على الناس بقتله، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين وتسمى بأحمد وتكنى بأبي العباس وتلقب بأمير المؤمنين وأطاعته القرامطة، كما كانوا يطعمون أخاه فحاصر كمشق فصالحه أهلها على مال، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرهما، ثم سار إلى حماة ومرة النعمان فقهز أهل تلك النواحي والاحتياح أموالهم وحرمتهم، وكان يقتل الدواب والصبان في المكاتب، ويبيع لمن معه وطء النساء، وربما وطن الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال، فإذا وكسدت ولداً هنا به كل واحد منهم الآخر، فكتب أهل الشام إلى الخليفة يشكون إليه ما يلقون من هذا اللعين، فجهز إليهم جيوشاً كثيفة، وأنفق أموالاً جزيلة لحربه وركب في رمضان فنزل الرقة وبثت الجيوش في كل جانب لقتال القرمطي وكان القرمطي هذا يكتب إلى أصحابه: من عبد الله المهدي أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله، القاب عن حريم الله، المختار من ولد رسول الله وكان يدعي أنه من سلاسة علي بن أبي طالب من فاطمة، وهو كاذب

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ففيها جرت وقعة عظيمة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة فهزمت القرامطة هزيمة عظيمة وأسر رئيسهم الحسن بن زكرويه الملقب بأبى المؤمنين الذي يقال له ذو الشامة وقد تسمى كما ذكرنا بأحمد وتكنى بأبى العباس والثف عليه خلائق من الأعراب وغيرهم واستفحل أمره جداً، فلما أسر حمل إلى الخليفة في جماعة كثيرة من رؤوس أصحابه، وأدخل بغداد على فيل مشهور للناس، وأمر الخليفة بعمل ذكوة مرتفعة فاجلس عليها القرمطي وحي. بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر، وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى فقاها، ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يده ورجلاه، وكوي، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد، وذلك في شهر ربيع الأول منها.

وففيها قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جهافل عظيمة، فبيتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجما غفيراً ما لا يحصون كثرة «وَرَدُ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْتُوا خَيْرًا» [الأحراب: ٢٥].

وففيها بعث ملك الروم عشرة صليان مع كل صليب عشرة آلاف، فغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا أناساً من الذرية.

وففيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية - وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية - وخلص من المسلمين خمسة آلاف أسير، وأخذ من الروم ستين مركباً وغنم شيئاً كثيراً، فبلغ نصب كل واحد من الغزاة ألف دينار

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار: أبو العباس الشيباني مولاهم، الملقب بشعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، مولده في سنة مائتين، سمع محمد بن زياد الأعرابي والوزير بن بكار والقواريري وغيرهم، وعنه ابن الأثيري وابن عروة وأبو عمر والزاهد وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالصدق والحفظ، وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث. وكانت وفاته يوم السبت ثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى من هذه السنة عن إحدى وتسعين سنة.

قال ابن خلكان: وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه وقد كان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فآلقته في هوة فاضطرب دماغه فمات من اليوم الثاني رحمه الله.

قال: وهو مصنف كتاب الفصح، وهو صغير الحجم كثير الفائدة، وله كتاب المصون، واختلاف التحوين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر وما يلحق فيه العامة وذكر أشباه كثيرة أيضاً. ومما نسب إليه من الشعر قوله:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فكم تلبث النفس التي أتت قوتها
ستبقى بقاء الضب في الماء أو كما يعيش ببيداء المهابة حوتها
أغررك مني أن تصبرت جاهداً وفي النفس مني منك ما سيميتها
فلو كان ما بي بالصخور لهداها وبالريح ما هبت وطال خفوتها
فصبراً لعل الله يجمع بيننا فأشكو هوماً منك فيك لتقيتها

أفأك أئيم قبحه الله، فإنه كان من أشد الناس عدلوة لقريش، ثم لبني هاشم، ثم دخل سلمية فلم يدع بها أحداً من بني هاشم حتى قتلهم وقتل أولاده واستباح حرهم.

وففيها ولي ثغر طرسوس أبو العشائر أحمد بن نصر عوضاً عن مظفر بن حاج عزل عنها لشكوى أهل الثغر منه. وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي رحمه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (عبد الله بن أحمد بن حنبل)

عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن الشيباني: كان إماماً ثقة حافظاً ثباتاً كثيراً عن أبيه وغيره.

قال ابن النادى: لم يكن أحد أروى عن أبيه منه. سمع منه المسند ثلاثين ألفاً، والتفسير مائة ألف حديث وعشرين ألفاً، من ذلك سماع ومن ذلك وجادة، ومن ذلك النسخ والنسوخ، والمقدم والمؤخر، في كتاب الله والتاريخ، وحديث شعبة وجوابات القرآن، والمناسل الكبير، والصغير. وغير ذلك من التصانيف، وحديث الشيوخ.

قال: وما زلنا نرى أكابر شيوختنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمراظة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك، حتى إن بعضهم أسرف في تقريبه إليه بالمعرفة وزيادة السماع للحديث على أبيه.

ولما مرض قيل له أين تدفن؟ فقال: صح عندي أن بالقضية نبياً مدفوناً، ولأن أكون بجوار نبي أحب إليّ من أن أكون في جوار أبي. مات في جمادى الآخرة من هذه السنة عن سبع وسبعين سنة، كما مات لها أبوه، وكان الجمع كثيراً جداً، وصلى عليه زهير ابن أخيه، ودفن في مقابر باب التين رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن أحمد بن سعيد أبو محمد الرباطي المروزي، صاحب أبا تراب النخشي، وكان الجليل مدحه وبني عليه.

■ عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المعروف بأبي الآذان، كان ثقة ثباتاً. ■ محمد بن الحسين بن الفرج أبو مسيرة الحمداني، صاحب المسند، وكان أحد الثقات المشهورين والمصنفين المصنفين.

■ محمد بن عبد الله أبو بكر الزقاق: أحد أئمة الصوفية وعبادهم، روي عن الجليل أنه قال: رأيت إبليس في المنام وكأنه عريان فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: هؤلاء أناس وأنا أتلقب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة، إنما الناس جماعة غير هؤلاء فقلت له: من هم؟ فقال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضوا قلبي وأتعبوا جسدي، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكد أحرقت. قال: فلما انتهيت وليست ثيابي وقصدت مسجد الشونيزي فإذا فيه ثلاثة جلوس ورؤوسهم في مرفعاتهم، فرفع أحدهم رأسه من جيبه فقال: يا أبا القاسم لا تنتر بجدي الخبيث، وأنت كلما قيل لك شيء تعجل؟ فإذا هم أبو بكر الزقاق وأبو الحسين التوري وأبو حمزة.

■ محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الجرجاني الفقيه الشافعي تلميذ المزني. ذكره ابن الأثير.

مواظع. فقلت: هل حفظت من شعره شيئاً؟ فقال: نعم. ثم أنشدني من شعره فقال:

أيها المذنب المفرط مهلاً كم تمادى وتركب الذنب جهلاً
كم وكـم تُسخط الجليل بفعل سعيح وهو يحزن الصنع فعلاً
كيف تهتد جفون من ليس يدري أرضي عنه من على العرش أم لا

■ عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم القاضي الحنفي، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء، ورعاً نزهاً كثير الصيانة والديانة والأمانة. وقد ذكر له ابن الجوزي في المتظم (٣٨١/٣ - ٤٣) آثاراً حسنة وأفعالا جميلة رحمه الله تعالى ورضي عنه.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فيها التفت على أخي الحسين القرمطي المعروف بذئ الشامة - الذي قلنا ذكر مقتله في السنة الماضية - خلافتي من القرامطة والأعراب واللبصوص وأهل البوادي بطريق الفرات، فعانت بهم في الأرض فساداً، ثم قصد طبرية فامتنعوا من إيوائه فدخلها قهراً وقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال، ثم كر راجعاً إلى البادية، ودخلت فرقة أخرى من القرامطة إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير، فبعث إليهم الخليفة المكتفي جيشاً فقاتلهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه. ونبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقاً من أهلها، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فآثر فيها الفساد وقتل خلقاً من العباد، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه، فالتجأ إلى بعض مدنها، وبعث الخليفة إليها المظفر بن حاج نائباً وخلع عليه، فسار إليها فلم يزل بها حتى مات.

وفي يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة نحو من ثمانمائة إلى الكوفة والناس في عيدهم فنادوا: يا ثارات الحسين يعنون المصلوب ببغداد وشعارهم: يا أحمد يا محمد يعنون الذين قتلوا معه فبادر الناس الدخول من المصلى إلى الكوفة فويلع خلفهم القرامطة فرمتهم العامة بالحجارة وغير ذلك فقتلوا منهم نحواً من عشرين، ورجع الباقيون خاسئين، ولله الحمد والمنة.

وفي هذه السنة ظهر رجل بمصر يقال له الخلنجي فخلع الطاعة واجتمع إليه طائفة من الجند فأمر الخليفة أحمد بن كيخلف نائب دمشق وأعمالها فركب إليه فاقبلاً بظاهر مصر فهزمه الخلنجي هزيمة منكراً، فبعث الخليفة إليه جيشاً آخر فهزموا الخلنجي وهرب فاستتر بمصر فأحضر وسلم إلى الأمير الخليفة وانطقاً بخبره والله الحمد.

واشتغل الجيش بأمر الديار المصرية، فبعث زكرويه بن مهرويه بعد مقتل ابنه الحسين ببغداد جيشاً صحبة رجل كان يعلم الصيادين، قصد بصرى وأذرعات والبثية فحاربه أهلها ثم أمتهم فلما أن تمكن منهم قتل مقاتلة وسبى الذرية، ورام الدخول إلى دمشق فحاربه نائب دمشق أحمد بن كيخلف بدمشق وهو صالح بن الفضل، فهزمه القرمطي وقتل صالح فيمن قتل وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها، فانصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئاً كثيراً كما ذكرنا، ثم ساروا إلى هيت ففعلوا كذلك، ثم جهز الخليفة إليهم جيشاً فأخذ رئيسهم من بينهم ونجا بقيتهم، ثم ساروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحى كما ذكرنا فلم يتجس لهم أمر، والله الحمد

■ القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير، تولى بعد أبيه الوزارة في آخر أيام المعتضد، ثم وُزر لولده المكتفي من بعده، فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون فأطلق من فيها من المظلومين، ثم توفي في ذي القعدة منها، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة، وقد كان حطياً عند الخليفة جداً، وخلف من الأملاك ما يعدل سبعمائة ألف دينار.

■ محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد أبو عبد الله البصري القاضي بواسط، المعروف بالجنوعي، حدث عن مسدد وعن علي بن المديني وابن نمير وغيرهم، وكان من الثقات والقضاة الأجواد العلول الأمانة.

ومن توفي فيها:

■ محمد بن إبراهيم البوشنجي.

■ محمد بن علي الصايغ.

■ قبل أحد مشاهير القراء. وأئمة العلماء.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين

فيها دخل محمد بن سليمان في نحو من عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خارويه، فبرز إليه هارون فاقتلا قهقره محمد بن سليمان وجمع آل طولون فكانوا سبعة عشر رجلاً فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأسلاكهم. وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وكتب بالفتح إلى المكتفي.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي أمير الحاج في السنين المتقدمة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم الكجي أحد المشايخ المعمرين، كان يحضر مجلسه نحو من خمسين ألفاً ممن معه بحبرة، سوى النظارة، ويستملي عليه سبعة مستمليين كلٌّ يبلغ صاحبه، ويكتب بعض الناس وهم قيام وكان كلما حدث بعشرة آلاف حديث تصدق بصدقة. ولا فرغ من قراءة السنن عليه عمل مائة غرم عليها ألف دينار، وقال: شهدت اليوم على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتي وحدي، أفلا أعمل شكرًا لله عز وجل؟.

وروى ابن الجوزي في المتظم (٣٩١/١٣) والخطيب (١٨١٢/٦) عن أبي مسلم الكجي قال: خرجت ذات ليلة من التزل بليس فمررت بحمام وعليّ جنباً فدخلته فقلت للحمامي: أدخل حمامك أحد بعدد؟ فقال: لا، فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قاتل يقول: أبا مسلم أسلم تسلم: ثم أنشأ يقول:

لك الحمد إما على نعمتي وإما على نعمته
تشاء فتعزل ما شئت وتسمع من حيث لا تسمع

قال: فبادرت فخرجت فقلت للحمامي: أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد. فقال: نعم! وما ذاك؟ فقلت: إني سمعت قاتلاً يقول: كذا وكذا فقال: أوسمته؟ قلت: نعم. فقال: يا سيدي هذا رجل من الجان يتبذلي لنا في بعض الأحيان فينشد الأشعاراً ويتكلم بكلام حسن فيه

القمطي، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان، لتلا يمتنع الناس عن الحج بسبب ما وقع، وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم.

وفيها غزا أحمد بن كيخلف نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسلم بعض البطارقة من الروم وجاء معه بنحو من مئتي أسير كانوا في حصنه، فأرسل ملك الروم، رجاء معه بنحو من مئتي أسير كانوا في حصنه فركب هو في جماعة من المسلمين فكبس جيش الروم فقتل منهم مقتلة عظيمة وضم منهم غنيمة كثيرة جداً، ولما قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما غناه.

وفيها ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفاني فأخذ ويحث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان أبو علي المعروف بعميد العجل، كان حافظاً مكثرأً متقناً ثقة مقدماً في حفظ المسندات، توفي في صفر منها.

■ صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي الأسدي أسد خزيمه المعروف بجزرة لأنه قرأ على بعض المشايخ أن أبا أمامة كانت له خزرة يرقى بها المريض فقرأها هو جزرة تصحيحاً منه فلقب بذلك لذلك، وقد كان حافظاً مكثرأً جوالاً رحالاً، طاف الشام ومصر وخراسان، وسكن بغداد ثم انتقل منها إلى بخارى فسكنها، وكان ثقة صدوقاً أميناً وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين، وسؤالات كثيرة كان مولده بالكوفة سنة عشر ومائتين.

وتوفي في هذه السنة:

■ محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بالبياضى لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض، فقال الخليفة: من ذاك البياضى؟ ففرق به وكان ثقة، روى عن ابن الأثيري وابن مقسم. قتله القرامطة في هذه السنة.

■ (محمد بن إسحاق بن راهويه)

محمد ابن الإمام إسحاق بن راهويه، سمع إياه، وأحمد بن حنبل وغيرهما، وكان عالماً بالفقاه والحديث، جميل الطريقة وقدم بغداد فحدث بها وقتله القرامطة فيمن قتلوا من الحجة في هذه السنة.

■ محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي: الفقيه ولد ببغداد ونشأ ببغداد واستوطن سمرقند، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام، في الأحكام، وقد رحل إلى الأفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع وصف الكتب المفيدة الحافلة النافعة، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم فيها خشوعاً، وقد صنف كتاباً عظيماً في الصلاة.

وقد روى الخطيب البغدادي أنه قال: خرجت من مصر قاصداً مكة فركبت البحر ومعى جارية ففرقت السفينة فذهب لي في الماء ألفاً جزء وسلمت أنا والجارية فلجنا إلى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد، فوضعت رأسي على فخذي الجارية وبست من الحياة، فينا أنا كذلك إذا رجل قد

والمئة. وكل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه وهو ختف في بلده بين ظهري قوم من القرامطة، فإذا ألح في طلبه نزل براً قد اقتنحها ليخفي فيها وعلى بابه تور فتقوم امرأة فتسجره وتخبر فيه فلا يشعر به أصلاً، ولا يدري أحد أين هو، فبعث الخليفة إليه جيشاً فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً جداً فقتلوه به واشتد أمره، فندب الخليفة إليه جيشاً آخر كثيراً فكان من أمره وأمرهم ما سذكروه.

وفيها افتتح إسماعيل بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر طائفة كبيرة من بلاد الأتراك.

وفيها أغارت الروم على بعض أعمال حلب فقتلوا ونهبوا وسبوا.

وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أبو العباس الناشي الشاعر عبد الله بن محمد: المعتزلي، أصله من الأتبار وأقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى مصر فمات بها، وكان يعاكس الشعراء ويد على المظفين والعروضيين، وكان شاعراً مطبقاً إلا أنه كان فيه هوس وقد ارتحل إلى مصر فمات بها في هذه السنة وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة.

■ قال ابن خلكان: كان متبحراً في عدة علوم من جملتها علم المنطق وكان ذكياً فطناً وله قصيدة في فنون من العلوم على زوِّي واحد تبلغ أربعة آلاف بيت، وله عدة تصانيف جميلة وأشعار كثيرة.

■ عبيد بن محمد بن خلف أبو محمد الزبار أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثور، وكان عنده فقه أبي ثور، وكان من الثقات النبلاء.

■ نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي الحافظ المعروف بنصر، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين وكان الأمير خالد بن أحمد الذهلي نائب بخارى قد ضمه إليه وصنف له المسند. وكانت وفاته ببخارى في هذه السنة.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

في الحرم من هذه السنة اعترض زكرويه لعنه الله وأصحابه الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم فكان قيمة ما أخذ منهم ألفي دينار، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يظفن بين القتل من الحجاج صفة أنهم يسقين الجرحى، فمن كلمهم من الجرحى قتله وأجهز ن عليه، لعنهم الله وقبح أرواحهم.

ذكر مقتل زكرويه لعنه الله

لما بلغ الخليفة خبر الحجاج وما وقع بهم الخبيث زكرويه جهز إليه جيشاً كثيراً فالتقوا معه فاقتلوا قتالاً شديداً جداً، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك في أول ربيع الأول منها. وضرب زكرويه - لعنه الله - بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام، فشقروا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل ولله الحمد، وأمر الخليفة بقتل أصحاب

أمير خراسان وما وراء النهر، وقد كان عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً كريماً، جواداً ممتحاً وهو الذي كان يحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه، وقد ولي بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وبعث إليه الخليفة المكشي بالله بالولاية والشريف. وقد تذاكر الناس يوماً عند إسماعيل بن أحمد هذا الفخر بالأنساب فقال: ينبغي أن يكون الإنسان عظامياً لا عظامياً. أي ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه ويلده وجده - كما قال بعضهم:

ويجدي سموت لا يجودي

وقال آخر:

حسي فخاراً وشيمتي أدبي - ولست من هاشم ولا العرب
إن الفتي من يقول ما أنا ذا - وليس الفتي من يقول كان أبي
وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت.

وفاة الخليفة المكشي بالله أبي محمد علي بن المعتضد وهذه ترجمته وذكر وفاته

■ (المكشي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل)

أبو محمد علي ابن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله، بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور رحمهم الله، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء العباسيين من اسمه علي سواه بعد علي بن أبي طالب، ولم يكن من الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن علي بن أبي طالب وموسى الهادي وهو المستضيء بأمر الله، وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين، وبيع له بالخلافة بعد أبيه - في حياته - في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين ومائتين، وعمره نحو من خمس وعشرين سنة، وكان رعية من الرجال جيلاً، رفيق اللون حسن الشعر، وافر اللحية عريضها. ولما مات أبوه المعتضد وباشر هو منصب الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فأشده:

أجل الرزايا أن يموت إمام - وأسنى العطايا أن يقوم إمام
فأسقى الذي مات الغمام وجاده - ودامت غيات له وسلام
وأبقى الذي قام الإله وزاده - مواهب لا يفتنى لمن دوام
ومت له الأموال واتصلت بها - فوائد موصول بهن تمام
هو المكشي بالله يكتفيه كلما - عنه بركن منه ليس يرام

فأمر له بمجازة سنة.

وقد كان يقول الشعر، فمن ذلك قوله:

من لي بأن يعلم ما ألقى - فتعرف مني الصبوة والعشفا
ما زال لي عبداً وحبي له - صيرني عبداً له رقا
العتق من شائي ولكنني - من حبه لا املك العتقا

وكان نقش خاتمه: علي متوكل على ربه. وكان له من الولد محمد وجعفر وعبد الصمد وموسى وعبد الله وهارون والفضل وعيسى والعباس

أقبل وفي يده كوز فقال: هاه، فأخذته فشرت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم أدر من أين أقبل ولا إلى أين ذهب ثم إن الله سبحانه أغاثنا فتجاننا من ذلك الغم وقد كان من أكرم الناس وأسماهم نفساً. وكان إسماعيل بن أحمد يصله في كل سنة بأربعة آلاف، ويصله أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف أيضاً، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله، فقيل له: لو ادخرت منها شيئاً لثابتة، فقال: يا سبحان الله أنا كنت في مصر أنفق فيها في كل سنة عشرين درهماً فرأيت إذا لم يحصل لي شيء من هذا لا يتهاى لي في السنة عشرون درهماً.

وكان محمد بن نصر المروزي إذا دخل على إسماعيل بن أحمد الساماني ينهض له ويكرمه، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق، فقال له: تقوم لرجل في مجلس حكمك وأنت ملك خراسان؟ قال إسماعيل: فبت تلك الليلة وأنا مشيت القلب من قول أخي - وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر - قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: يا إسماعيل ثبت ملكك وملكك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد بن نصر.

وقد روي أنه اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر. ومحمد بن جرير الطبري. ومحمد بن المنذر، فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه، فاقترعوا فيما بينهم من يسمى لهم في شيء يأكلونه، ليدفعوا عنهم ضرورتهم، فجاءت القرعة على أحدهم، فنهض إلى الصلاة فجعل يصلي ويدعو الله عز وجل، وذلك وقت القيلولة، فرأى نائب مصر - وأظنه أحمد بن طولون - في منامه في ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له: أنت ههنا، والمحمدون ليس عندهم شيء يقتاتونه فانتبه من ساعته فسأل: من ما هنا من المحدثين؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة، فأرسل إليهم في الساعة الزاهنة بألف دينار، فدخل بها عليهم وأزال الله ضرورتهم ويسر أمرهم، واشترى طولون تلك الدار وبنها مسجداً وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافاً جزيلة.

وقد بلغ محمد بن نصر سنّاً عالية وكان يسأل الله ولداً فأنه يوماً إنسان فيشره بولد ذكر قد ولد له، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه وقال: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل﴾ [إبراهيم: ٣٩] فاستفاد الحاضرون من ذلك عدة فوائد: منها أنه قد ولد له على الكبر السن ولد ذكر بعدما كان يسأل الله عز وجل في ذلك.

ومنها أنه سمّاه يوم مولده كما سمي رسول الله ﷺ ولده إبراهيم قبل السابع، ومنها اقتداؤه بالخليل في تسميته أول ولد له بإسماعيل.

■ موسى بن هارون بن عبد الله أبو عمران المعروف والده بالحمال، ولد سنة أربع عشرة ومائتين وسمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وكان إمام أهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والإتقان، وكان ثقة متقناً شديد الورع عظيم الهبة.

قال عبد الغني بن سعيد الخافظ المصري: كان أحسن الناس كلاماً على الحديث علي بن اللبني ثم موسى بن هارون ثم الدارقطني.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

فيها كانت المفادة بين المسلمين والروم، وكان من جملة من استنقذ من أيدي الروم من نساء ورجال نحو من ثلاثة آلاف نسمة ولله الحمد. وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد الساماني

وعبد الملك.

وفي أيامه فتحت أنطاكية واستنقذت من أيدي الروم وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير، وأخذ المسلمون من غنائمهم شيئاً كثيراً جداً كما تقدم ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد وقد صبح عنده أنه بالغ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد جعل الخلافة إليه من بعده، ولقيه بالمقنن بالله.

وتوفي المكتفي بالله بعد ثلاثة أيام رحمه الله وقيل في آخر يوم السبت بعد المغرب، وقيل بين الظهر والعصر وقيل بعد المغرب ليلة الأحد، لانتني عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر، عن اثنين وقيل: عن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً. وكان قد أوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة ألف دينار، كان قد جمعها وهو صغير، وكان مرضه بلاء الخنازير رحمه الله تعالى.

خلافة المقتدر بالله أمير المؤمنين أبي

الفضل جعفر بن المعتضد

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر أربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة أعني سنة خمس وتسعين ومائتين وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرون يوماً ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر سناً منه، ولما أجلس في منصب الخلافة صلى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة، ثم بايعه الناس بيعة العامة، وكتب اسمه على الرقوم وغيرها: المقتدر بالله، وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار، وفي بيت مال العامة ستمائة ألف دينار وثيف، وكانت الجواهر الثمينة في الخواص من لدن بني أمية وأيام بني العباس، قد تناهى جمعها، فما زال يفرقها في حظياه وأصحابه حتى أنقدها، وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تملاذهم، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات، ولاه ثم عزله بغيره، ثم أعاده ثم عزله بغيره، ثم أعاده، ثم عزله، ثم قتله، وقد نقصى ذكرهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزي.

وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شيء كثير جداً وكان كريماً جداً وفيه عبادة - مع هذا كله وكثرة صلاة وصيام وتطوع. وفي يوم عرفة في أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس، ومن الإبل ألفي بعير، ورد الرسوم والأزواق، والكلف إلى ما كانت عليه في الأوائل العباسيين، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم، فوكل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وكان قد بنيت أبنية في الرجة دخلها في كل شهر ألف دينار، فأمر بهدمها ليوسع على المسلمين الطرقات، وسيأتي ذكر شيء من أيامه ترجمته فيما بعد.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله أبو إسحاق المزكي الحافظ الزاهد، إمام أهل عصره بيسابور، في معرفة الحديث والرجال والعلل، وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الإمام أحمد وذاكره وكان مجلسه

مهيأً، ويقال إنه كان يجاب الدعوة، وكان لا يملك إلا طاره التي يسكنها وحائرتاً يستغله كل شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على نفسه وعياله، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتمد به طول الشتاء، وقد قال أبو علي الحسين بن علي الحافظ البسابوري: لم تر عياني مثله.

■ أبو الحسين النوري أحد أئمة الصوفية: اسمه أحمد بن محمد، ويقال محمد بن محمد والأول أصح أبو الحسين النوري ويعرف بابن البغوي، أصله من خراسان وحدث عن سري السقطي ثم صار هو من أكابر أئمة القوم.

قال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أحداً قط أعبد من أبي الحسين النوري، قيل له: ولا الجنيذ؟ قال: ولا الجنيذ.

وقال غيره: صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيرهم وكانت وفاته في مسجد وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام.

■ إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان الساماني: أحد ملوك خراسان للخلفاء، وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجي، وكتب بذلك إلى الخليفة المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفي الري وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم فأوقع بهم بأساً شديداً، وبني الربط في الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافاً جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل جوهرة منها ما بين السبع مثاقيل إلى العشرة، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع في طاهر فشفعه فيه، ولما مات إسماعيل بن أحمد وبلغ المكتفي موته تمثل يقول أبي نواس:

لئن تخلفَ الدهرُ مثلهم أبداً هيهات هيهات شأنهم عجبُ

■ المقرئ الحافظ: صاحب «عمل يوم وليلة»، وهو الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمرى الحافظ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقاً منهم علي بن المديني ويحيى بن معين، وعنه ابن ساعد والنجاد والخلدي، وكان من محور العلم وحفاظ الحديث، صدوقاً ثباتاً، وقد كان يشك أسنانه بالذهب من الكبر لأنه جاوز الثمانين، وكان يكنى أوالاً بأبي القاسم، ثم بأبي علي، وقد ولي القضاء للبرقي على القصر وأعمالها وإنما قيل له المعمرى بأمة أم الحسن بنت أبي سفيان صاحب معمر بن راشد وقد صنف المعمرى كتاباً جيداً في عمل يوم وليلة، واسمه الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المعمرى، وكانت وفاته ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم من هذه السنة.

■ عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب واسم أبي شعيب عبد الله بن مسلم أبو شعيب الأموي الحراني المؤدب المحدث ابن المحدث. ولد سنة ست ومائتين سمع أباه وجده وعفان بن مسلم وأبي خيثمة، كان صدوقاً ثقة مأموناً. توفي في ذي الحجة من هذه السنة.

■ علي بن أحمد الكوفي بالله بن المعتضد بالله تقدم ذكر ترجمته قريباً من هذه السنة.

■ أبو جعفر الومذي محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الفقيه الشافعي، كان من أهل العلم والزهد، قال الدارقطني: هو ثقة كان مأموناً ناسكاً.

وقال القاضي أحمد بن كامل: لم يكن لأصحاب الشافعي بالعراق

ويعرف بأخي ميمون.

روى عن نصر بن علي الجهضمي وغيره، وروى عنه الطبراني، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه في المذكرات. توفي في شوال منها. أبو بكر الأثرم:

■ أحمد بن محمد بن هاني، أبو بكر الطائي الأثرم تلميذ الإمام أحمد. وقد سمع عفان وأبا الوليد والقعني وأبا نعيم وخلقاً كثيراً، وكان حاذقاً صادقاً قوي الذاكرة، كان ابن معين يقول عنه: كان أحد أبويه جتياً لسرعة فهمه وحفظه وحذقه، وله كتب مصنفه في العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من مجور العلم.

■ خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى: إبر محمد العكبري، سمع الحديث، وكان ظريفاً وكان له ثلاثون خاتماً وثلاثون عكازاً، بليس في كل يوم من الشهر خاتماً ويأخذ في يده عكازاً، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني، وكان له سوط معلق في منزله، فإذا سئل عن ذلك يقول: ليرهب العيال منه.

ابن المعتز الشاعر الذي بويع بالخلافة

■ عبد الله بن المعتز بالله محمد بن الموكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون، يكنى أبا العباس الشاعر الهاشمي العباسي، الفصيح البليغ المطبق، وقرش قادة الناس في الخير ودفع الشر. وقد سمع المبرد وثعلباً وقد روي عنه من الحكم والأدب شيء كثير، فمن ذلك قوله: أنفاس الحبي خطاه. أهل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام. ربما أورد الطمع ولم يصدر. ربما شرب الماء قبل ربه. من تجاوز الكفاف لم ينهه الإكثار. كلما عظم قدر المنافس فيه عظمت الفجعة به. من ارتحلته الحرص أضناه الطلب. وروي أنضاه الطلب أي أضعفه، والأول معناه أمرضه. الحرص يقصص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظه. أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً. من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة. يكفيك من الحاسد أنه يختم وقت سرورك. الفرصة سريعة الفوت بعيدة العود. الأسرار إذا كثرت خزائنها ازدادت ضياعاً. العزل يضحك من تيه الولاية. الجزع أنعب من الصبر، لا تشن وجه العفو بالترقيع، تركه الميت عز للورثة وذل له. إلى غير ذلك من كلامه وحكمه.

ومن شعره في الحكم عما يناسب هذا المعنى الأخير قوله:

سابق إلى مالك وزائسه ما المرء في الدنيا بليّات
كس صامت يخنق أكياسه قد صلاح في ميزان ميرات
وله أيضاً:

يا ذا الغنى والسطة القاهرة والدولة الناهية الأمرة
ويا شياطين بني آدم ويا عبيد الشهوة الفاجرة
انتظروا الدنيا فقد أقربت وعن قليل تلد الآخرة
وله أيضاً:

ابلك يا نفس وهاني توبة قبل الممات
قبل أن يفجعنا الدهر ببسسين وشهوات
لا تخونيني إذا ماتت وقامت ببني نعماتي

أراس منه، ولا أشد ورعاً: وكان من التكلّف في الطعام في حالة عزيمة فقراً وورعاً وصبراً، وكان يتفق في كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحداً شيئاً، وكان قد اختلط في آخر عمره توفي في الحرم من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القواد والجند والأمراء على خلع المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة عوضاً عنه، فأجابهم على أنه لا يسفك بسببه دم، وكان المقتدر قد خرج للعب بالصراجة فقصده إليه الحسين بن حمدان يريد أن يفك به، فلما سمع المقتدر الصيحة بادر إلى دار الخلافة فأغلقتها دون الجيش، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار الخلافة فبايعوا عمه عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة، ولقب بالمرتضي بالله.

وقال الصولي: إنما لقبوه المتصف بالله، واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحويل من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر ليتقل هو إليها، فأجيب بالسمع والطاعة، فركب الحسين بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليلتمها فقاتله الخدم ومن فيها، ولم يسلموها إليه، وهزموه فلم يقدر على تخلص أهله وبعض ماله إلا بالجدد الجهندي، فلما قدر عليهم ارتحل من فوره إلى الموصل وتفرق نظام ابن المعتز وجماعته، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامرا ليزورها فلم يتبعه أحد من الأمراء فدخل إلى دار ابن الجصاص فاستجار به، ووقع النهب في البلد واختلط الناس وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة فجدد البيعة للمقتدر وأرسل إلى دار ابن الجصاص فكسبها وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال جزيل جداً، يقال: إنه وزن ستة عشر ألف ألف درهم، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز، فلما دخل في ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسلمت إلى أهله دفن، وصحف المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تصد نيات الناس.

قال ابن الجوزي: ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد سوى الأمين والمقتدر.

وفي يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد نلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربعة أصابع وهذا يستغرب في بغداد جداً، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس يستقون لأجل تأخر المطر عن إياته.

وفي شعبان منها خلع على مؤنس الخادم وأمر بالمسير إلى طرسوس لغزو الروم.

وفي هذه السنة أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى في الدواوين، وألزموا بيوتهم، وأمروا بليس العسلي وجعل الرقاع بين أظهرهم ليعرفوا بها وألزموا بالذل حيث كانوا.

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمي، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق فإنا لله وإن إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتاب أبو بكر البغدادي الحافظ،

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

فيها غزا القاسم بن سيماء الصائفة، وفادى يونس الخادم الأسارى الذين بأيدي الروم.

وحكى ابن الجوزي عن ثابت بن سنان أنه رأى في أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين، وإنما كذاها ملصقان بكفتيها، لكن لا تعمل بهما شيئاً، وإنما كانت تعمل برجليها ما تعمله النساء بأيديهن من الغزل والقتل ومشط الرأس وغير ذلك.

وفيها تأخرت الأمطار عن بغداد وارتفعت الأسعار بها، وجاءت الأخبار بأن مكة شرفها الله جاءها سيل عظيم بحيث إن أركان البيت غرقت من السيول، وإن زمزم فاضت، ولم يَر ذلك قبل هذه السنة.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن داود بن علي: أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظاهري، كان عالماً بارعاً أدبياً شاعراً فقيهاً ماهراً، وهو مصنف كتاب الزهرة اشتغل على أبيه وتبعه في مذهبه وما كان يسلكه ويختاره من الطرق ويرتضيه، وكان أبوه يحبه ويقربه ويدينه.

قال رويم بن محمد: كنا يوماً عند داود إذ دخل ابنه محمد باكياً فقال: ما لك؟ فقال: إن الصبيان يلقبوني عصغور الشوك. فضحك أبوه فاشتد غضب ولده وقال: أنت أضمر عليّ منهم، فضمه أبوه إليه وقال: لا إله إلا الله ما الألقاب إلا من السماء ما أنت يا بني إلا عصغور الشوك.

ولما توفي أبوه اجلس ابنه محمد هذا في مكانه في الحلقة فاستصغره الناس عن ذلك، فسأله سائل يوماً عن حد السكر فقال: إذ عزبت عنه المعلوم وباح بسره المكتوم، فاستحسن ذلك منه وعظم في أعين الناس.

قال ابن الجوزي في المنظم [٩١/١٣]: وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف فاستعمل العفاف والدين في حبه، ولم يزل ذلك ذاباً فيه حتى كان سبب وفاته في ذلك.

قلت: فدخل في الحديث المروي عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً عنه: من عشق فكم فعم فمات شهيداً [تاريخ بغداد: ١٥٩/٥، ٢٩٢، ٥٠/٩].

وقد قيل عنه إنه كان يبيع العشق بشرط العفاف.

وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشق منذ كان في الكتاب وأنه صنف كتاب الزهرة في ذلك من صخره، وربما وقف أبوه داود على بعض ذلك، وكان يتناظر هو وأبو العباس بن سريج كثيراً بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فيعجب الناس من مناظرتهما وحسنهما، وقد قال له ابن سريج يوماً في مناظرة: أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا. فقال له: تميزني بكتاب الزهرة وأنت لا تحسن تستم قراءته، وهو كتاب جمعه هزلاً فاجمع أنت مثله جدلاً.

وقال القاضي أبو عمر محمد بن يوسف: كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فإذا جارية تنني بشيء من شعره:

أشكو عليل فداود أنت متلفه أشكو عليل إلى ألف بملسه
سُقي زيد على الأيام كثرته وأنت في عظم ما ألقى تنلله

إنما السواقي بعهددي من وفى يعدد وفاتي
قال الصولي: نظر ابن المعتز في حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته فمرض من حبها، فدخل أبوه عليه عائداً فقال له: كيف تجدك؟ فأثا يقول:

أيها العاذلون لا تملؤنني وانظروا حسن وجهها تملؤنني
وانظروا هل ترون أحسن منها إن رأيتهم شبيهاً فاعلموني
قال: ففحص أبوه عن القضية واستعلم خبر الجارية ثم بعث إلى سيدها فاشتراها منه بسبعة آلاف دينار، وبعتها إليه.

وقد ذكرنا أن في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع القواد والأعيان والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى أو المتصف بالله، فما مكث بالخلافة إلا يوماً أو بعض يوم، ثم غالب المقتدر وقتل عامة من خرج عليه واعتقله في دار السلطان ووكل به يونس الخادم فقتل في أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه، ويقال إنه أنشد في آخر يوم من حياته:

يا نفس صبراً لعل الحير عبقاك خاتك من بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحراً طير قلت لها طوباك يا ليتني ليأك طوباك
إن كان قصدك شرقاً فالسلام على شاطي الصراة البغي إن كان مراك
من موثق بالنايلا لا فكاك له يكي الدماء على ألف له باكي
فرب أمنة جاءت منتهها ورب فغانه من بين أشراك
أظنة آخر الأيام من عمري وأوشك اليوم أن يكي لي الباكي
ولما قدم ليقتل أنشأ يقول:

فقل للشامتين بنا رويداً أمامكم المصائب والخطوب
هو الدهر الذي لا يد من أن يكون إليكم منه ذنوب

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الآخر من هذه السنة. وقد ذكر له القاضي ابن خلكان مصفات كثيرة، منها طبقات الشعراء وكتاب اشعار الملوك، وكتاب الآداب وكتاب البلع، وكتاب في الغناء وغير ذلك.

وذكر أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه بالخلافة يوماً وليلة، ثم غزق شمله واختفى في بيت ابن الجصاص الجوهري ثم ظهر عليه فقتل وصودر ابن الجصاص بالقي ألف دينار، وبقي معه سبع مئة ألف دينار.

وقيل: كان أسمر اللون مستون الوجه مخضب بالسواد، عاش خمسين سنة وذكر شيئاً من كلامه وأشعاره رحمه الله.

■ محمد بن الحسين بن حبيب: أبو حصين الوادعي القاضي، صاحب المستد، من أهل الكوفة، قدم ببغداد وحدث بها عن أحمد بن يونس البربروعي ويحيى بن عبد الحميد، وجندل بن والى، وعنه ابن صاعد والنجاد والحاملي، قال الدارقطني: كان ثقة، توفي بالكوفة في هذه السنة.

■ محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله الكاتب عم الوزير علي بن عيسى، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء، له مصنفات في ذلك روى عن عمر بن شبة وغيره، كانت وفاته في ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة.

الله حرم قتلي في الهوى أسفاً وأنت يا قتلي ظلماً تحلله

فقال أبو بكر محمد بن داود كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيئات سارت به الركبان.

كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله في رمضان من هذه السنة، وجلس ابن سريج لعزاه وقال: ما آسى إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود رحمه الله تعالى.

■ محمد بن عثمان بن أبي شيبة أبو جعفر، حدث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني، وخلق، وعنه ابن صاعد والخلدي والباغندي وغيرهم، وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره، وكتبه عبد الله ابن الإمام أحمد فقال: هو كذاب بين الأمر، وتمعجب من يرويه عنه. وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة.

■ محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين بن مصعب بن بيت الإمارة والحشمة، باشر نيابة العراق مدة ثم خراسان ثم ظفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين فأسره وبقي معه يطوف به في الأفاق أربع سنين، ثم نجا في بعض الوقعات بنفسه، ولم يزل مقيماً ببغداد إلى أن توفي في هذه السنة.

■ موسى بن إسحاق بن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري الخطمي، مولده سنة عشر ومائتين، سمع أباه وأحمد بن حنبل وعلي بن الجعد وغيرهم، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرؤوا عليه القرآن، وكان يتحمل مذهب الشافعي، وولي قضاء الري والأهواز، وكان ثقة فاضلاً نبيلاً عفيفاً فصيحاً كثير الحديث. توفي في الحرم من هذه السنة.

■ يوسف بن يعقوب: بن إسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قاتل الحلاج، وكان يوسف هذا من أكابر القضاة وأعيان العلماء، ولد سنة ثمان ومائتين، وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق وهديبة ومسدد وغيرهم، وكان ثقة وقد ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد، وكان ثقة زهواً عفيفاً شديد الحرمة، جاءه يوماً بعض خدم الخليفة المتعصدي فرقع في المجلس فأمره حاجب القاضي أن يساوي خصمه فامتنع إدلالاً بجاهه عنده، فنهزه القاضي وقال: اتزني بدلال النخس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بشفته إلى الخليفة، وجاء حاجب القاضي فآخذه بيده وأجلسه مع خصمه، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المتعصدي فبكى بين يديه فقال له: ما لك؟ فأخبره بالخبر، وما أراد القاضي من بيعه، فقال: والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبداً، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الحكم فإنه عمود السلطان وقوام الأديان، كانت وفاته في رمضان من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

فيها قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الأسارى والعلوج بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب، وخلق من الأسارى.

وفيها قدمت هديا نائب خراسان أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني، من ذلك مائة وعشرون غلاماً بمراكبهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه، وخمسون بازيّاً وخمسون رجلاً تحمل من مرتفع الثياب، وخمسون رجلاً من مسك وغير ذلك.

وفيها فلق القاضي عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي

الشوارب، فقلد مكانه على الجانب الشرقي والكرخ ابنه محمد. وفي شعبان منها أخذ رجلاً يقال لأحدهما: أبو كثيرة والآخر يعرف بالشمري. فذكر أنهما من أصحاب رجل يقال له محمد بن بشر، وأنه يدعي الربوية.

وفيها وردت الأخبار بأن الروم قصدت اللاذقية. وفيها وردت الأخبار بأن ربحاً صفراء هبت بمدينة الموصل فمات من حرها خلق كثير. وفيها حج بالناس الفضل الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن الراوندي الرندي أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين المعروف بابن الراوندي أحد مشاهير الزنادقة الملحدين عليه اللعنة من رب العالمين، كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، ويقال إنه حُرّف في التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتاباً في الرد على القرآن سماه الدامغ. وكتاباً في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمرد. وله كتاب التاج في معنى ذلك، وله كتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول.

وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه، وقد أجاد في ذلك. وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي.

قال الشيخ أبو علي الجبائي: قرأت كتاب هذا الملحّد الجاهل السفه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء.

قال: وقد وضع كتاباً في قدم العالم ونفي الصانع، وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد، ووضع كتاباً في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعاً من كتابه، ونسبه إلى الكذب. يعني النبي ﷺ - وطن على القرآن، ووضع كتاباً لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ، إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام. نقله ابن الجوزي عنه.

وقد أورد ابن الجوزي في منتظمه (١١٢/١١٣ - ١١٢) طرفاً من كلامه وزندقة وطعنه على الآيات والشريعة. ورد عليه في ذلك، وهو أقبل وأخس وأذلّ من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفاهه وخذلانه وعمويه وترويعه وطغيانه.

وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكباثر، منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة، يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق، يتمسحون بالرسول ودينه وكتابه، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ. لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [الحج: ٢٥].

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندي هذا فجهما الله تعالى فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات. وأما ابن الراوندي فهرب ولجا إلى ابن لاري اليهودي، وصفت له في مدة مقامه عنده، كتابه الذي سماه الدامغ للقرآن فلم يلبث بعده إلا أياماً يسيرة حتى مات لعنه الله. ويقال: إنه أخذ وصلب.

قال أبو الوفاء بن عقيل: ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستاً وثلاثين

فاطرت ثم رفعت رأسي إليه فقلت له: أسلم فقد آن وقت إسلامك: قال فأسلم الغلام.

وقال الجنيذ: ما انتفعت بشيء كاتنفاعي بأبيات سمعتها من جارية تنني بها في غرفة وهي تقول:

إذا قلت: أهدى الهجر لي حلل البلى تقولين: لولا الهجر لم يطلب الحب
وإن قلت: هذا القلب أحرقه الجوى تقولين نيران الجوى شرف القلب
وإن قلت: ما أذنب، قلت بجية حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

قال: فصعقت وصحت، فخرج صاحب الدار فقال: يا سيدي مالك؟ قلت: مما سمعت. قال هي هبة مني إليك. فقلت: قد قبلتها وهي حرة لوجه الله. ثم زوجها لرجل فأولدها ولدا صالحا حج على قدميه ثلاثين حجة.

■ سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ: ولد بالري، ونشأ بها، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها، وقد دخل بغداد. ويقال: إنه كان مجاب الدعوة.

قال الخطيب: أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال كرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطه.

وكان أبو عثمان ينشد:

أسأت ولم أحسن، وجئتك هاربا وإين لعبد عن مواليه مهرب؟
يؤمل غفرانا، فإن خاب ظنك فما أحد منة على الأرض أخيب

وروى الخطيب عنه أنه سئل: أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرت وأنا بالري، وكانوا يريدوني على التزويج فامتنع، فجاءني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحبتك حبا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك لئلا تزوجني.

فقلت: لك والد؟ فقالت: نعم فأحضرت فاستدعى بالشهود فتزوجتها فلما خلوت بها إذا هي عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي وكان أهل بيتي يلوموني على تزويجي بها، فكتت أزيدها برا وإكراما، وربما احتسيتي عندها ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئا. فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهي.

■ سمون بن حمزة: ويقال ابن عبد الله، أحد مشايخ الصوفية، كان ورده في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة، وسمى نفسه سمونا الكذاب لدعواه في قوله:

فليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتنحي
فابتلي بعيسار البول فكان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعكم الكذاب. وله كلام متين في الحجة، وقد وسوس في آخر عمره، وله كلام في الحجة مستقيم.

■ صافي الحُرُمي: كان من أكابر أمراء الدولة العباسية. ورؤوس الدولة المقتدرية أوصى في مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شيء فلما توفي حل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعمائة وعشرين منقطة من الذهب مكللة، فاستمر غلامه على امرته ومزله.

■ إسحاق بن حنين بن إسحاق: أبو يعقوب العادي. نسبة إلى قبائل

سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير لعنه الله وقبحه ولا رحم عظامه.

وقد ذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات [٩٤/١] ودلس عليه ولم يجرحه بشيء، ولا كان الكلب أكل له عجينا، على عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم. وأرخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين، وقد وهم وهما فاحشا، والصحيح أنه توفي في هذه السنة كما أرخه ابن الجوزي وغيره.

■ الجنيذ شيخ الصوفية، رحمه الله، الجنيذ بن محمد بن الجنيذ: أبو القاسم الخزاز، ويقال القواريري، أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها. وسمع الحديث من الحسن بن عرفة. وتفق به أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه في «طبقات الشافعية»، واشتهر بصحبة الحارث بن أسد المحاسبي، وخاله سري السقطي، ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوما كثيرة. وتكلم على طريقة الصوفية. وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وثلاثين ألف تسيحة. ومكث أربعين سنة، لا يأوي إلى فراش، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه، وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبرة، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوها كثيرة لم تخطر للعلماء ببال، وكذلك في التصوف وغيره.

ولما حضرته الوفاة جعل ويتلو القرآن، ف قيل له: لو رفقت بنفسك؟ فقال: لا أحد أخرج إلى ذلك مني الآن، وهذا أوان طي صحيفتي.

قال القاضي ابن خلكان: أخذ الفقه عن أبي ثور صاحب الشافعي ويقال: كان يتفق على مذهب سفيان الثوري، وكان ابن سريج يصحبه ويلزمه وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال، ويقال: إنه سأل مرة عن مسألة فأجابها فيها بجوابات كثيرة، فقال: يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت، فأعدها علي، فأعدها بجوابات أخرى كثيرة فقال: والله ما سمعت هذا قبل اليوم، فأعده. فأعده بجوابات أخرى غير ذلك، فقال له: لم أسمع بمثل هذا فأمله علي حتى أكتبه. فقال الجنيذ: لئن كنت أجريه فانا أمليه، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم، وإنما هذا من فضل الله عز وجل يلهمني ويجريه على لساني. فقال: فمن أين استفدت هذا العلم؟ قال: من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة. والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه والله أعلم.

قال: وسئل الجنيذ عن الساروف؟ فقال: من نطق عن شرك وأنت ساكت.

وكان يقول: مذهبا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في مذهبنا وطريقنا.

ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له: أنت مع شرفك تتخذ مسبحة؟ فقال: طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه.

وقال له خاله سري السقطي: تكلم على الناس، فلم ير نفسه لذلك موضعاً، فرأى في المنام رسول الله ﷺ وهو يقول له: تكلم على الناس فعدا على خاله فقال له: لم تصدقنا حتى قيل لك. قال: فتكلم على الناس، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم، فقال له: يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟ [٣١٢٧] قال:

الحيرة- الطبيب بن الطبيب، له ولأبيه مصنفات كثيرة في هذا الشأن، وكان أبوه يعرف كلام أرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان. توفي في هذه السنة.

■ الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا: أبو عبد الله الشيعي، الذي أقام الدعوة للمهدي، وهو عبيد الله بن ميمون الذي يزعم أنه فاطمي وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صباغاً بسلمية.

والمقصود الآن: أن أبا عبد الله الشيعي هذا دخل بلاد إفريقية وحده فقيراً لا مال له ولا رجال، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يدي أبي مضر زيادة الله، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية، واستدعى حيتلاً يخدمه المهدي من بلاد المشرق، فقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شتات طويل، وحبس في أثناء الطريق فاستنقذه الشيعي وسلمه المملكة، فتنعمه أخوه أحمد وقال له: ماذا صنعت؟ وهلا كنت استبددت بالأمر دون هذا؟ فندم وشرع يعمل الحيلة في المهدي، فاستشعر المهدي بذلك فلدس إليهما من قتلها في هذه السنة وكان مقتلها بمدينة رقادة من بلاد القيروان، من إقليم إفريقية. هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

قال ابن الجوزي (المعظم: ١٣/١٢٤): وفيها ظهرت ثلاث كواكب مذنبية. أحدها في رمضان، والثاني في ذي القعدة تبقى أياماً ثم تضمحل. وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات بسببه سبعة آلاف إنسان. وفيها غضب الخليفة على الوزير علي بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وأمر بنهب داره فنهبت أثني نهب، واستوزر أبا علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان، وكان قد التزم لأم ولد المقتدر بمائة ألف دينار، حتى سعت في ولايته.

وفيها وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها، من ذلك خمسمائة ألف دينار من مصر استخرجت من كثر وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة بني آدم حيلة ومكرًا وخديعة ليأكلوا أموال الأغنياء والجهلة الطعام من قليلي العقول والأحلام، وقد وجد في هذا الكثر ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبرًا وعرضه شبر، وذكر أنه من قوم عاد قاله أعلم.

وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبناً. ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي الساج في جملة هداياه، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، عمل في عشر سنين لا قيمة له، وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني من بلاد خراسان كثيرة جداً. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك العباسي أمير الحجيج من مدة طويلة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الحفاف: الحافظ. كان يذاكر بمائة ألف حديث، سمع إسحاق بن راهويه ويطبقه، وكان كثير الصيام سرده نيفاً وثلاثين سنة، وكان كثير الصدقة، سألته سائل فاعطاه درهماً فحمد الله فجعلها خمسة فحمد الله فجعلها عشرة، ثم ما زال يزيده ويحمد السائل الله حتى بلغ مائة فقال: جعل الله عليك واقةً باقية فقال للسائل:

والله لو لزمتم الحمد لأزيدنكم ولو إلى عشرة آلاف درهم. ■ الهلول بن إسحاق بن الهلول: بن حسان بن سنان أبو محمد الصوفي: سمع إسماعيل بن أبي أويس وسعيد بن منصور ومصعب الزبيري وغيرهم، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الحافظ. وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً في خطبه توفي فيها عن خمس وتسعين سنة. رحمه الله آمين.

■ الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الحرلي: صاحب المختصر، في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. كان خليفة للمروزي. توفي يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل.

■ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربي: حج على قدميه سبعاً وتسعين حجة، وكان يمشي في الليل المظلم حافياً كما يمشي الرجل في ضوء النهار، وكان المشاة ياتمون به فيرشدهم إلى الطريق، وقال: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة، وكانت قدماء مع كثرة مشيه كأنها قدما عروس مرتفة، وله كلام مليح نافع ولما مات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه علي بن رزين، فهما على جبل الطور.

قال أبو نعيم: كان أبو عبد الله المغربي من المعمرين، توفي عن مائة وعشرين سنة، وقبره بجبل طور سيناء عند قبر أستاذه علي بن رزين.

■ محمد بن أبي بكر بن أبي خزيمة: أبو عبد الله الحافظ بن الحافظ كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ، وكان فهماً حاذقاً حافظاً، توفي في ذي القعدة منها.

■ محمد بن أحمد بن كيسان النحوي: أحد حفاظه والمكثرين منه، كان يحفظ طريقة البصريين والكونيين معاً.

قال ابن مجاهد: كان ابن كيسان أغنى من الشيخين المبرد وتعلب. ■ محمد بن يحيى: أبو سعيد، سكن دمشق، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهري، وأحمد بن منيع، وابن أبي شيبة وغيرهم، روى عنه أبو بكر النقاش وغيره، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بمجمل كفته، وذلك ما ذكره الخطيب.

قال: بلغني أنه توفي فغسل وكفن وصلي عليه ودفن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفته ففتح عليه قبره فلما حل عته كفته استوى جالساً وفر النباش هارباً من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفته معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبيكون عليه، فلق عليهم الباب فقالوا: من هذا؟ فقال أنا فلان. فقالوا: يا هذا، لا يجلي لك أن تزينا حزننا إلى حزننا فقال: افتحوا والله أنا فلان، فعرفوا صوته فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً وأبدل الله حزنهم سروراً، ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش. وكأنه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته أن يبعث هذا النباش ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين، ثم كانت وفاته في هذه السنة.

■ فاطمة القهرمانة: غضب عليها المقتدر مرة فصادها، وكان في جملة ما أخذ منها مائتي ألف دينار ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية

فيها كثر ماء دجلة وتراكت الأمطار ببغداد، وتناثرت نجوم كثيرة في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة. وفيها كثرت ببغداد الأمراض والأسقام وكلبت الكلاب حتى الذئباب

بالبادية. وكانت تقصد الناس والبهائم بالأنهار فمن عضته أهلكته.

وفيها اغمر جبل بالدينور يعرف بالثل فخرج من تحته ماء عظيم غرق عدة من القرى.

وفيها سقطت شرفة أي قطعة من جبل لبنان إلى البحر.

وفيها حلت بغلة ووضعت مهرة.

وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حي أربعة أيام، يومين في الجانب الشرقي، ويومين في الجانب الغربي، وذلك في ربيع الأول منها.

وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره في السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي أتابه الله وتقبل منه...

وفيها توفي من الأعيان

■ الأحوص بن الفضل بن غسان بن الفضل بن معاوية بن عمرو بن خالد بن غلاب أبو أمية الغلابي القاضي بالبصرة وغيرها، روى عن أبيه التاريخ، استتر عنه مرة ابن الفرات فلما أعيد إلى الوزارة ولاء قضاء البصرة والأمواز وواسط. وكان عفيفاً نزهاً، فلما تكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه.

قال ابن الجوزي: ولا نعلم قاضياً مات في السجن سواه.

■ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخراساني، ولي إمرة بغداد. وحدث عن الزبير بن بكار وعنه الصولي والطبراني، وكان أدبياً فاضلاً شاعراً، ومن شعره:

حق التثاني بين أهل المهوى تكاتبٌ يُسَخِرُ عَيْنَ النوى
وفي التثاني لا انقضَى عُمرُهُ تَزَارُؤُ يَشْفِي غِلِيلَ الجوى

وقد اتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتت ثلجاً. وكانت حظية عنده جداً، فلم يوجد الثلج إلا عند رجل فسأموه وكيه على رطل منه فامتنع من بيعه إلا كل رطل بالعراقي بخمسة آلاف درهم - وذلك لعلم صاحب الثلج بمحاجتهم إليه - فرجع الوكيل ليشاوره فقال: ويحك! اشتريه ولو بما عساه أن يكون فرجع فقال له صاحب الثلج: لا أبيعهم إلا بعشرة آلاف. فاشتراه بعشرة آلاف ثم اشتت الجارية ثلجاً أيضاً - وذلك لموافقته لها - فرجع فاشتريه منه رطلاً آخر بعشرة آلاف. ثم آخر بعشرة آلاف وبقي عند صاحب الثلج رطلان فظنفت نفسه إلى أكل رطل منه ليقول: أكلت رطلاً من الثلج بعشرة آلاف فأكله وبقي عنده رطل فنجاه الوكيل فامتنع أن يبيعه الرطل إلا بثلاثين ألفاً فاشتراه منه فثقت الجارية وتصدقت بمال جزيل فاستدعى سيدها صاحب الثلج فاعطاه من تلك الصدقة مالا جزيلا فصار من أكثر الناس مالا بعد ذلك، واستخدمه ابن طاهر عنده والله أعلم.

ومن توفي في حدود الثلاثمائة من الهجرة تقريباً

■ الصنوبري الشاعر: وهو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبي الصنوبري الحلبي.

قال الحافظ ابن عساكر. كان شاعراً حسناً. وقد حكى عن علي بن سليمان الأخفش، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره فمن ذلك قوله:

لا النور أدري به ولا الأرق يدري بهذين من به رمق
إن دموعي من طول ما استبقت كلت فما تستطيع تتبقت
ولي مليك لم تبد صورته مذ كان إلا صلت له الحديق

نوبت تقييل نثار وجتسه وخفت أدنو منها فاحترق
وله أيضاً:

شمس غدا يشرب شمساً غدت وحدها في النور من حده
تغيب في فيه ولكنها من بعد ذاك تطلع في حده

قد روى الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم عن أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال: أنشدنا أبو بكر الصنوبري فقال:

هدم الشيب ما بناء الشباب والغواني ما عُصْنِ غُضَابُ
قَلْبَ الْإِنْسُونِ عاجاً فللاً عين منه وللقلب انقلاب

وخلال في الراي أن يشنا الـ بازري على حسنه ويُهوى الغرابُ

وله أيضاً وقد أورد ابن عساكر في ابن له فظم فجعل يبكي على ثديه:

منسره أحب شيءٍ إليه من جميع الورى ومن والديه
منسره غنائه ولقد كان مباحاً له وبين يديه

عجيباً منه ذا على صغر السن هوى فاهتدى الفراق إليه

■ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولد، أبو إسحاق الصوفي الواعظ الرقي أحد مشايخها، روى الحديث وصحب أبا عبد الله بن الجلاء الدمشقي، والجند وغير واحد. وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمي. وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله:

لك مني على البعاد نصيب لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف من سواك حجابٌ وعلى القلب من هواك رقيب
زين في ناظري هواك وقلبي والمهوى فيه زائغ ومشوب
كيف يغني قرب الطيب عيلاً أنت أسقمت وأنت الطيب

وقوله:

الصمت أمن من كل نازلة من ناله نال أفضل القِسم
ما نزلت بالرجال نازلة اعظم ضرراً من لفظه بقم
عثرة هذا اللسان مهلكة ليست لدينا كمثرة القدم
احفظ لساناً بليقك في تلف فرب قول أذل ذا كرم

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة

من الهجرة النبوية

فيها غزا الحسين بن حمدان الصائفة ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم وقتل منها أمماً لا يحصى كثرة.

وفيها عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن وزارته وقلدها علي بن عيسى وكان من خيار الوزراء وأتصدعهم للعدل والإحسان. واتباع الحق.

وفيها كثرت الأمراض الدموية ببغداد في تموز وآب، فمات من ذلك خلق كثير وجُمُ غفير من أهلها.

وفيها وصلت هدايا صاحب عمان وفيها بَيْعَةُ بيضاء وغزال أسود.

وفي شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشامسية على الخيل ثم انحدر إلى داره في دجلة وكانت أول ركة ركبها جهرة للعمة.

الذهب والفضة نحو مائة ألف دينار، ومن الخنز ألف ثوب، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس.

■ محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب: يعرف بالأحنف. كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابة عن أبيه حين فُلج، فمات في جمادى الأولى من هذه السنة. وتوفي أبوه في رجب بينهما ثلاثة وسبعون يوماً، ودفنا في موضع واحد. رحمهما الله تعالى.

أبو بكر

■ محمد بن هارون البردعي الحافظ.

■ ابن ناجية.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة

فيها ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأساً شديداً، وإنه قد أسر منهم مائة وخمسين بطريقاً - أي أميراً - ففرح المسلمون بذلك.

وفيها ختن المقتدر خمسة من أولاده ففرم على هذا الختان ستمائة ألف دينار، من ذلك خمسة آلاف ثلثاً ومئة ألف درهم. وقد ختن قبلهم ومعهم خلقاً من النيامي وأحسن إليهم بالمال والكسوى، وهذا صنيع حسن رحمه الله.

وفيها صادر المقتدر أبا علي بن الجصاص ستة عشر ألف دينار غير الآتية والياب الثمينة.

وفيها أرسل الخليفة المقتدر أولاده إلى المكتب فكان يوماً مشهوداً.

وفيها بنى الوزير المارستان بالحريصة من بغداد، وأنفق عليها أموالاً جزيلة جداً جزاء الله خيراً.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي. وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريق على الراجمين من الحجيج، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً وأسروا أكثر من مائتي امرأة حرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بشر بن نصر بن منصور: أبو القاسم الفقيه الشافعي، من أهل مصر ويعرف بغلام عرق، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلي البريد، تقدم معه بهذا الرجل مصر فاقام بها حتى كانت وفاته فيها رحمه الله.

■ بدعة جارية عريب المغنية، بذل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها فعرضت ذلك عليها فكرهت مفارقة سيدتها، فأعتقتها سيدتها في يومها ذلك عليها، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة، وقد تركت من المال العين والأموال ما لم يملكه رجل.

القاضي

■ أبو زرعة محمد بن عثمان الشافعي: قاضي مصر ثم دمشق، وهو أول من حكم بمذهب الشافعي بالشام وأشاعه به، وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة. وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثيرون لم يفارقوه، وكان ثقة عدلاً من سادات القضاة، وكان أصله من أهل الكتاب من اليهود، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه.

وفيها استأذن الوزير علي بن عيسى الخليفة المقتدر بالله في مكاتبته رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فأذن له، فكتب إليه كتاباً طويلاً يدعو فيه إلى السمح والطاعة، ويوجه على ما يتعاطاه من ترك الصلوات والزكوات وارتكاب المنكرات، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويمجده، واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الحرائر، ثم توعدته بالحرب وتهديده بالقتل، فلما سار بالكتاب نحوه قتل أبو سعيد قبل أن يصله، قتله بعض خدمه، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد، فغلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد، فلما قرأ كتاب الوزير أجابه بما حاصله: إن هذا الذي تنسب إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا، وإذا كان الخليفة ينسبنا إلى الكفر بالله فكيف يدعوننا إلى السمح والطاعة له؟.

وفيها جيء بالحسين بن منصور الخلاج إلى بغداد وهو مشهور على جبل وغلام له راكب جملاً آخر، ينادى عليه: هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه، ثم حبس ثم أحضر إلى مجلس الوزير فنظره فلذا هو لا يقرأ القرآن ولا يعرف من الحديث ولا الفقه، ولا اللغة ولا الأخبار ولا الشعر شيئاً، وكان الذي تقوم عليه: أنه وجدت له رفاع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأنواع من الوسموز، يقول في مكاتباته كثيراً: تبارك ذور النور الشعشعاني: فقال له الوزير علي بن عيسى: نعلمك الطهور والقروض أجدي عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها، وما أحوجك إلى الأدب. ثم أمر به فصلب حياً صلب الاشتهار لا القتل، ثم أنزل فأجلس في دار الخلافة، فجعل يظهر لهم أنه على السنة، وأنه زاهد، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة والطغمان، حتى صاروا يتركون به ويتسبحون بيباه وسيأتي ما صار إليه أمره حين قتل بإجماع الفقهاء وأكثر الصوفية.

ووقع في هذه السنة في آخرها ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير، ولا سيما بالحريصة غلقت عامة دورها.

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن هاثي بن خالد الشافعي: جمع العلم والزهد، من تلاميذه أبو بكر الإسماعيلي.

■ جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر القريائي قاضي الدينور، طاف البلاد في طلب العلم، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين، مثل قتيبة وإبي كرب وعلي بن المديني وبنلدار، وعنه أبو الحسين بن المنادي والنجاد وأبو بكر الشافعي وخلق، واستوطن بغداد وكان ثقة حافظاً حجة، وكان عدة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً، والمستملون عنه فوق الثلاثمائة، وأصحاب الخبر نحواً من عشرة آلاف. وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمسة سنين، وكان يأتيه فيقف عنده. ثم لم يقض له الدفن فيه بل دفن بمكان آخر. رحمه الله حيث كان.

■ أبو سعيد الجنابي القرمطي: وهو الحسن بن بهرام قبحه الله وهو رأس القرامطة، والذي يحول عليه في بلاد البحرين وما والاها.

■ علي بن أحمد الراسي: كان يلي بلاد واسط إلى شهرزور وغيرها، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً، من ذلك ألف ألف دينار، ومن آتية

وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية.

أثنى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم في هذا الشأن والحفظ والمعرفة.

قد ولي الحكم بمدينة حمص. سمعته من شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله عليه عن رواية الطبراني في معجمه الأوسط حيث قال: حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بمحمص.

وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة، وكان في غاية الحسن، وجهه كانه قنديل، وكان يأكل في كل يوم ديكاً ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال، وقد قيل عنه: إنه كان ينسب إليه شيء من التشيع. قالوا: ودخل إلى دمشق فساله أهلها أن يمدتهم بشيء من فضائل معاوية فقال: أما يكني معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل؟ فقاموا إليه فجعلوا يطمنون في حُضْنِهِ حتى أخرج من المسجد الجامع، فسار من عندهم قصد مكة فمات بها في هذه السنة، وقبره بها.

هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه [تهذيب الكمال: ٣٣٩/١].

وقال الدارقطني: كان أفعه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا البالغ حسده فخرج إلى الرملة، فقتل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل، فترفي بمكة مقتولاً شهيداً.

وقال الحاكم: مع ما رزق النسائي من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة في تقييده (ص: ١٤٤) نقلت من خط أبي عامر محمد بن سعلون العبدري الحافظ: مات أبو عبد الرحمن النسائي بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس.

وحكى ابن خلكان في الوفيات [٧٨/١] أنه توفي في شعبان من هذه السنة، وأنه إنما صف الخصائص في فضل علي، وأهل البيت، لأنه رأى أهل دمشق حين قلعها في سنة تسعين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي، وسألوه عن معاوية فقال ما قال، فذفَعُوا في حُضْنِهِ فمات.

وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوي: أنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة، وكان مولد النسائي في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريباً عن قوله رحمه الله، فكان عمره ثمانياً وثمانين سنة.

■ الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء، أبو العباس الشيباني السوي، محدث خراسان، والذي كان يضرب إليه أباط الإبل في معرفة الحديث والفقه.

رحل إلى الأفاق وتفق على أبي ثور، وكان يفتي بمذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، وكانت إليه الرحلة بخراسان. ومن غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم لطلب الحديث، فضاقت عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا ياكلون فيها شيئاً، ولا يجلون ما يبيعونه للقرت، واضطروهم الحال إلى تحميم السؤال، وأنفت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع، والحاجة تضطروهم إلى تعاطي ذلك، فاقترعوا فيما بينهم أنهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوفقت القرعة على الحسن بن سفيان هذا فقام عنهم فاختل في زاوية المسجد الذي هم فيه فصلى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الهيئة مليح الوجه فقال: أين الحسن بن سفيان؟ فقلت: أنا. فقال: الأمير

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

فيها وقف المقتدر بالله أموالاً جزيلة وضباعاً على الحرمين الشريفين، واستدعى بالقضاة والأعيان وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك. وفيها قدم إلى بغداد بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد عدوا على الحجيج في تلك السنة، فلم يمالك العامة أن عدت عليهم فقتلهم، فأخذ بعضهم فحرقوا لكونه افتات على السلطان. وفيها وقع حريق شديداً في سوق التجارين ببغداد فاحترق السوق بكماله.

وفي ذي الحجة من هذه السنة مرض المقتدر ثلاثة عشر يوماً، ولم يمرض في مدة خلافته مع طوله إلا هذه المرة.

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي، ولما خاف الوزير على الحاجج من شأن القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها عن أمر الحج فاتهم بعض الكتاب بمراسلة القرامطة، فلما اكتشف أمره وما قصده حظي بذلك عند الناس جداً.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ النسائي أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، الإمام في عصره، والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الأفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة. قد ذكرناهم في كتابنا التكميل والله الحمد والمنة وترجمناه أيضاً هنالك.

وروى عنه خلق كثير وجم غفير، وقد جمع السنن الكبير، وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات. وقد وقع لنا سماع كل منهما. وقد أبان في تصنيفه عن حفظ وإتقان وصدق وإيمان وتوفيق وعرفان.

قال الحاكم عن الدارقطني: أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وكان يسمى كتابه الصحيح.

وقال أبو علي الحافظ: إن للنسائي شرطاً في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج، وكان من أئمة المسلمين. وقال أيضاً: هو الإمام في الحديث بلا منازعة.

وقال أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر، يعترفون له بالتقدم والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والاجتهاد.

وقال غيره: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكانت له أربع زوجات وسريتان، وكان كثير الجماع، حسن الوجه مشرق اللون. قالوا: وكان يقسم للإمام كما يقسم للحرار.

وقال الدارقطني: كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يحدث عن أحد سوى النسائي وقال: رضيت به حجة بني وبين الله عز وجل.

وقال ابن يونس: كان النسائي إماماً في الحديث ثقة ثباتاً حافظاً، كان خروجه من مصر في سنة تسعين وثلاثمائة.

وقال ابن عدي: سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان: أبو عبد الرحمن النسائي إمام من أئمة المسلمين، وكذلك

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح، وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة، فسأل الوزير أن يعفى من الوزارة فعزل ولم يتعرضوا الشيء من أملاكه.

وطلب أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات فاعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين، وخلع عليه الخليفة يوم الترويه سبع خلع، وأطلق إليه ثلاثمائة ألف درهم، وعشرة نخوت ثياب، ومن الخيل والبنال والجمال شيء كثير، وأقطع النار التي بالمخرم فسكنها، وعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقى فيها أربعين ألف رطل من الخلع.

وفي الصيف من هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيواناً عجيباً يقال له الزبب يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأسرة ويعدو على النيام فرما قطع يد الرجل وثدي المرأة وهو نائم. فجعل الناس يضربون على أسطحهم بالنحاس من الماوين والظسوت وغير ذلك يفرغونه عنهم، حتى كانت بغداد بالليل ترتج من شرقتها وغربها، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من السعف وغير ذلك، واغتنمت للصوص هذه الشوشة فكثرت القلوب وأخذ الأموال، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك، ففعلوا فسكن الناس ورجعوا إلى أنفسهم، واستراح الناس من ذلك.

وفيها قلد ثابت بن سنان الطيب المؤرخ أمر المارستانات ببغداد في هذه السنة، وكانت خمسة.

وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبر شهيد قد قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم في رقاع مريضة بأذانهم، وأجسادهم طرية كما هي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح: بن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن ليد بن نعيم بن عطار بن حاجب بن زورارة، أبو الحسن التميمي الملقب فروجة، قدم بغداد وحدث بها، وكان ثقة حافظاً.

■ يوسف بن الحسين بن علي: أبو يعقوب الرازي، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون المصري، وروى عنه أبو بكر النجاد.

روى الخطيب بسنده إليه أنه بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم قصده ليعلمه إياه قال: فلما وردت عليه استهان بي وكانت لي حية طويلة ومعى ركة طويلة فجاءه رجل يوماً فناظر ذا النون فأسكت ذا النون، فناظرت أنا الرجل فأسكته، فقام ذو النون فجلس بين يدي وهو شيخ وأنا شاب، واعتذر لي. فخلعته سنة ثم سأله أن يعلمني الاسم الأعظم، فلم يبعد مني ووعدي، فمكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي طبقاً عليه مكة مشدوداً بمئبل، فقال لي: اذهب بهذا إلى صاحبنا فلان. قال: فجعلت أفكر في الطريق ما هذا الذي قد أرسلني به؟ فلما وصلت الجسر فتحته فإذا فيه فارة تقفزت وذهبت، فاستغلت غيظاً شديداً، وقلت: ذو النون يسخر بي، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لي: ويحك إنما اخترتلك، فإذا لم تكن أميناً على فارة فإن لا تكون أميناً على الاسم الأعظم بطريق الأولى، اذهب عني فلا أراك بعداً.

وقد رثي أبو الحسين الرازي هنا في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل

طولون بقراً عليكم السلام ويعتذر إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم. فقلنا له: ما الحامل له على هذا؟ فقال: إنه أحب أن يختلي اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح فدخل عليه منزله ووضع عقب الرمح في خاصرته فوكزه وقال: قم فاندرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فاندركهم، قم فاندركهم، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياح في المسجد الفلاني. فقال له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان خازن الجنة. فاستيقظ الأمير وخاصرته توله المأ شديداً، فبعث بالنفقة في الحال إليكم ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين إليه من أهل الحديث، جزاه الله خيراً.

وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه، وحفاظه، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن خزيمة وغيره، فقرأوا عليه شيئاً من الحديث وجعلوا يلقبون الأسانيد ليستعملوا ما عنده من العلم فما قلبوا شيئاً من الإسناد إلا ردهم فيه إلى الصواب وعمره إذا ذاك تسعون سنة، وهو في هذا السن حافظ ضابط لا يشذ عنه شيء من حديثه، ومن فوائده: العسي كوفي، والعيشي بصري، والعنسي مصري.

■ رويم بن أحمد: ويقال ابن محمد بن يزيد بن رويم، أبو الحسن ويقال أبو الحسين ويقال أبو محمد، أحد أئمة الصوفية.

كان عالماً بالقرآن ومعانيه، وكان يتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري.

قال بعضهم: كان رويم يكتسب حب الدنيا أربعين سنة، ومعناه أنه تصوف أربعين سنة، ثم لما ولي إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلاً في باب، فترك التصوف ولبس الحز والقصب والثيقي وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور.

■ زهير بن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل: روى عن أبيه وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، قال الدارقطني: كان ثقة، مات وهو شاب.

■ أبو علي الجبائي: شيخ المعتزلة، وهو محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي شيخ الطائفة المعتزلة في زمانه، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، وللجبائي تفسير حافل مطول، له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيه وقال: وكان القرآن نزل بلغة أهل جبال. كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات في هذه السنة.

■ ابن بسام الشاعر أبو الحسن: علي بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامي الشاعر الملقب للهجاء، فلم يترك أحداً حتى هجاء، حتى أباه وأمه أمانة بنت حمون النسيم.

وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من شعره، فمن ذلك قوله في تخريب المتوكل قبر الحسين بن علي، وأمره بأن يزرع ويُمحي رسمه، وكان شديد التحامل على علي وولده. فلما وقع ما ذكرناه، وكان ذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين. قال ابن بسام هنا في ذلك:

نأله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوماً
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهودوماً
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتعبوه رميمًا

حافات دجلة الفيلة والزرافات والسباع والفهود وغير ذلك، ودجلة داخله في دار الخلافة، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السنة. وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي.

وفيهما توفي فيها من الأعيان

■ سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى: النحوي الكوفي المعروف بالخامض، صاحب ثلعا أربعين سنة وخلقه في خلقه، وصنف «غريب الحديث»، و«خلق الإنسان»، و«الوحوش» و«النبات»، وكان ديناً صالحاً، روى عنه أبو عمر الزاهد. توفي ببغداد في ذي الحجة منها، ودفن بباب التين.

و■ عبد الله بن شيرويه الحافظ.

و■ عمران بن مجاشع.

و■ أبو خليفة الفضل بن الحباب.

و■ قاسم بن زكريا بن يحيى المطرز القرقي أحد الثقات الأثبات، سمع أبا كرب، وسويد بن سعيد، وعنه الخلدني وابن الجعاني. توفي ببغداد في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة

في أول يوم من المحرم وهو مستهل هذه السنة فتح المارستان الذي بته السيدة أم المقتدر وجلس فيه سنان بن ثابت الطيب ورتب الأطباء والخدم والقومة، وكانت نفقته في كل شهر ستمائة دينار، وأشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء مارستان، فقبل منه وبني وسمي المقتدري. وفيها وردت الأخبار عن أمراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الروم.

وفيها شغب العامة وأرجفوا بموت المقتدر بالله فركب في الجحافل حتى بلغ الثريا وزجج من باب العامة ووقف طويلاً ليراه الناس، ثم ركب إلى الشمسية وانحدر إلى دار الخلافة في دجلة فسكنت الفتن.

وفيها قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة وخلع عليه وخرج من عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه، وخرج من عنده وخلفه أربع مئة غلام لنفسه، ثم تبن عجزه عن القيام بالأمور فأضيف إليه علي بن عيسى وجعل معه ليفقد الأمور وينظر معه في الأعمال، وكان أبو علي بن مقله من يكتب أيضاً بمحضرة حامد بن العباس الوزير، ثم صارت المنزلة كلها لعلبي بن عيسى، واستقل بالوزارة في السنة الآتية.

وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لما تعرفت بشمل أن تجلس في التربة التي بنتها بالرصافة في كل يوم جمعة وأن تنظر في المظالم التي ترفع إليها في القصص، وحضر في مجلسها القضاة والفقهاء. وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إيواهيم بن أحمد بن الحارث: أبو القاسم الكلابي الشافعي، سمع الحارث بن مسكين وغيره، وكان رجلاً صالحاً ثقة، على مذهب الشافعي، وكان يحب الخلوة والانتباض، توفي في شعبان منها. ■ أحمد بن الحسن الصوفي أحد مشايخ الحديث الكثيرين المعمرين.

الله بك؟ فقال: غفر لي بقولي عند الموت: اللهم إني نصحت الناس قولاً وخنث نفسي فعلاً فب خيانة فعلي لنصح قولي.

■ يموت بن المزروع بن يموت: أبو بكر العبدي من عبد القيس، وهو ثوري، وهو ابن أخت الجاحظ.

قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وكان صاحب أخبار وآداب وملح.

وقد كان غير اسمه بمحمد فلم يقلب عليه إلا الأول، وكان إذا ذهب يعود مريضاً ودق الباب فقيل: من؟ فيقول: ابن المزروع. ولا يذكر اسمه لئلا يتفاهل أهل المريض بسماع ذلك.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة

فيها قدم رسول ملك الروم في طلب المفسدة والمدينة، وهو شاب حدث السن، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً، فلما قدم بغداد شاهد أمراً هائلاً جداً، وذلك أن الخليفة المقتدر بالله أمر بالأحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء، فركب الجيش بكامله يومئذ وكان مائة ألف وستين ألفاً، ما بين فارس وراجل، غير العساكر الخارجة في سائر البلاد مع نوابها، فركبوا في الأسلحة والعدد التامة، وغلمان الخليفة سبعة آلاف، أربعة آلاف يبيض، وثلاثة آلاف سود، وهم في غاية الملابس والعدد، والحجبة يومئذ سبعمائة حاجب، وأما الطيارات التي بدجلة والريزاب والسميريات فثسيه كثير مزينة، وحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمراً أدهشه، ورأى من الحشمة والزينة والحرمه ما يبهز الأبصار، وحين اجتاز بالحاسب ظن أنه الخليفة فقيل له: هذا الحاسب الكبير، فمرس بالوزير في إبهته فظنه الخليفة فقيل له: هذا الوزير.

وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها، كان فيها يومئذ من السطور ثمانية وثلاثون ألف ستر، منها اثنا عشر ألف ستر وخمسمائة مذهب، وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط، وفيها من ألوحوش قطعان متأنسة بالناس، بحيث تأكل من بين أيديهم ومائة سبع من السباع، ثم أدخل إلى دار الشجرة، وهي عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب، وفي الأغصان الشمرايح والأوراق الملونة عليها طيور مصبوغة من الذهب والفضة والألوان واللواقيت، وهي تصوت بأنواع الأصوات من الماء المسلط عليها، والشجرة بكاملها تماثيل كما تتمايل الأشجار بحركات عجيبة تدنش من يراها وينظر إليها ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس، فيه من أنواع المفارش والألات ما لا يحصى ولا يوصف كثرة وحسناً. وفي دهاليزه ثمانية عشر ألف جوشن مذهب. فما زال كلما مر على مكان أدهشه وأخذ يبصره حتى انتهى إلى المكان الذي فيه الخليفة المقتدر بالله، وهو جالس على سرير من آبنوس، قد فُرض بالثبتي المطرز، وعن يمين السرير تسعة عقود معلقة، وعن يساره مثلها وهي جوهر من أفخر الجواهر، كل جوهره يعلو ضوءها على ضوء النهار، ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطيع ثمنها، فأوقف الرسول والذين معه بين يدي الخليفة على نحو من مائة ذراع، والوزير علي بن محمد بن الفرات واقف بين يدي الخليفة، والترجمان دون الوزير فجعل الخليفة يخاطب الوزير، والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما، ثم خلع عليهما وأطلق لهما خسين سقراً في كل سقرق خمسة آلاف درهم، وأخرجهما من بين يديه وطيف بهما في بقية دار الخلافة، وعلى

أبو نصر إزاره، وأعطاه نصفه، ثم مشى خطوتين، ثم رجع إليه فأعطاه النصف الآخر وقال: هذا نذالة.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة

في صفر منها وقع حريق بالكرخ، في الباقلايين، هلك فيه خلق كثير من الناس.

وفي ربيع الآخر منها، دخل بأسارى من الكرخ نحو مائة وخمسين أسيراً، أقدمهم الأمير بدر الحماني.

وفي ذي القعدة منها، انقض كوكب عظيم غلب الضوء وتقطع ثلاث قطع، وسمع بعد انقضاضه، صوت رعد شديد هائل، من غير غيم ذكره ابن الجوزي.

وفيها دخلت القرامطة إلى البصرة، فأكثروا فيها الفساد.

وفيها عزل حامد بن العباس، عن الوزارة، وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات مرة الثالثة.

وفيها كسرت العامة أبواب السجون، فأخرجوا من كان بها، فأدركت الشرطة من أخرجوا من السجن، فلم يفهم أحد منهم، بل ردوا كلهم إلى السجون.

رحج بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس، أخو أم موسى القهرمانة.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ أحمد بن علي بن المثنى: أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور، سمع الإمام أحمد بن حنبل، وطبقته، وكان حافظاً، خيراً، حسن التصنيف ثقة، عدلاً فيما يرويه، ضابطاً لما يحدث به.

■ إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة: أبو يعقوب البزاز الكوفي، رحل إلى الشام ومصر، وكتب الكثير، وصنف المسند، واستوطن بغداد، وكان من الثقات، روى عنه ابن المظفر الحافظ، وكانت وفاته في شوال منها.

■ جعفر بن محمد بن موسى أبو محمد الأعرج النيسابوري الحافظ، قدم بغداد، وروى عنه الطبراني، والأزدي، وغيرهما من الحفاظ، وكان ثقة حافظاً عارفاً، توفي بحلب في هذه السنة.

■ زكريا بن يحيى الساجي: الفقيه المحدث شيخ أبي الحسن الأشعري في السنة والحديث.

■ علي بن سهل بن الأزهر: أبو الحسن الأصهباني، كان أولاً مترفاً، ثم صار زاهداً عابداً يبقى الأيام لا يأكل شيئاً، وكان يقول: الهاني الشوق إلى الله عن الطعام، والشراب وكان يقول: أنا لا أموت، بما يموتون بالآللال والأسقام، إنما هو دعاء، وإجابة، أدعي، فأجيب فكان كما قال، بينما هو جالس في جماعة، إذ قال: لييك، ووقع ميتاً.

و■ محمد بن هارون الروائي صاحب المسند

و■ ابن فزيع العكري

و■ الهيثم بن خلف.

■ أحمد بن عمر بن سريج: أبو العباس القاضي بشيراز، له نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية، كان يلقب بالباز الأشهب وكان قد أخذ الفقه عن أبي قاسم الأغاطي، وعن أصحاب الشافعي، كالزني وغيره، وعنه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه مقنع. توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة أشهر رحمه الله.

قال ابن خلكان: توفي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من ربيع الأول، وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر، وقبره يزار رحمه الله.

■ أحمد بن يحيى أبو عبد الله الجلاء بغنادي سكن الشام، وصحب أبا تراب النخشي، وفا النون المصري.

روى أبو نعيم [حلية الأولياء: ٣١٤/١٠] بسنده عنه قال: قلت لأبوي وأنا شاب: إني أحب أن تهاني لله عز وجل فقالا: قد وهبناك لله فغبت عنهما مدة طويلة، ثم رجعت إلى بلدنا عشاء، في ليلة مطيرة، فانتفيت إلى الباب، فدفقته، فقالا: من هنا؟ فقلت: أنا ولدكما فلان، فقالا: إنه قد كان لنا ولد، وهبناه لله عز وجل، ونحن من العرب، لا نرجع فيما وهبنا ولم يفتحنا في الباب.

■ الحسن بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد: القاضي أبو يعلى، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، كان إليه ولاية القضاء بالأردن.

■ عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد: أبو محمد الجواليقي القاضي، المعروف ببندان، الأهوازي، ولد سنة ست عشرة ومائتين، كان أحد الحفاظ الأثبات، يحفظ مائة ألف حديث، جمع المشايخ والأبواب، روى عن هدبة، وكامل بن طلحة، وغيرهما، وعنه ابن صاعد، والحمالي، وغيرهما.

■ محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصري. سكن بغداد، وحدث بها، عن عبيد الله بن معاذ العبدي، ويشر بن معاذ العبدي، وغيرهما. وفي حديثه غرائب ومناكير، توفي في شوال من هذه السنة.

■ محمد بن الحسين بن شهریار: أبو بكر القطان البلخي الأصل، روى عن الفلاس، ويشر بن معاذ. وعنه أبو بكر الشافعي، وابن الجعابي كلبه ابن ناجية.

وقال الدارقطني: ليس به بأس.

■ محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد: أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع، كان عالماً، فاضلاً، عارفاً بأيام الناس، فقيهاً، قارناً، نحوياً، له مصنفات، منها كتاب «العدد»، ولي القضاء بالأهواز وحدث عن الحسن بن عرفة، والزيبر بن بكار، وغيرهما، وعنه أحمد بن كامل، وأبو علي الصراف، وغيرهما.

ومن شعره قوله:

إذا ساعدت طلبة العلم بتنفي من العلم يوماً ما يخلد في الكتب غلوت بتشهير وجد عليهم وعبرتي أنسي ودفترها قلبي

■ منصور بن إسماعيل بن عمر: أبو الحسن الفقيه، أحد أئمة الشافعية، وله مصنفات في المذهب، وله الشعر الحسن.

قال ابن الجوزي: ويظهر في شعره التشيع، وكان جندياً، ثم كف بصره، وسكن الرملة، ثم قدم مصر حتى كانت وفاته بها.

■ أبو نصر النحسب: أحد مشايخ الصوفية، كان له كرم، وسخاء، ومروءة، ومر بسائل سأل وهو يقول: شفعني إليك رسول الله ﷺ، فشفق

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة

فيها غلت الأسعار في هذه السنة ببغداد فاضطربت العامة، وقصدوا دار حامد بن العباس، الذي ضمن قرايا من الخليفة، فنلت الأسعار، بسبب ذلك وعدوا في ذلك اليوم - وكان يوم الجمعة - على الخطيب، فمنعوه الخطبة، وكسروا المنابر، وذكك الشرط، وحرقوا جسوراً كثيرة، فأمر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان، الذي كان حامد بن العباس ضمنه، فأغطت الأسعار، وبيع الكر بناقص خمسة دنانير، فطابت أنفس الناس بذلك، وسكنوا.

وفي تموز من هذه السنة وقع برد شديد جداً، حتى نزل الناس عن الأسطحة وتدنثروا بالبحف، والأكسية، ووقع في شتاء هذه السنة، ثلج عظيم، وكان فيها برد شديد جداً، بحيث أضر ذلك ببعض التخليل. وحج بالناس في هذه السنة أحمد بن العباس أخو القهرمانة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن محمد بن سفيان القتيبي: راوي صحيح مسلم عنه.

■ أحمد بن الصلت بن المغلس أبو العباس الحماني أحد الوضاعين للأحاديث، روى عن خاله جبرة بن المغلس، وأبي نعيم، ومسلم بن إبراهيم، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم: أحاديث، كلها وضعها هو، في مناقب أبي حنيفة، وغير ذلك.

وحكى عن يحيى بن معين، وعلي بن المديني، ويشر بن الحارث أخباراً كلها كذب.

قال أبو الفرج بن الجوزي: قال لي محمد بن أبي الفوارس: كان أحمد بن الصلت يضع الحديث.

■ وإسحاق بن أحمد الخزازي.

■ الفضل الجندي.

■ عبد الله بن محمد بن وهب الليثوري.

■ عبد الله بن ثابت بن يعقوب: أبو عبد الله التوزي المقرئ النحوي، سكن بغداد، وروى عن عمرو بن شبة، وعنه أبو عمرو بن السماك، ومن شعره:

إنما لم تكن حافظاً واعياً فعلمك في ليست لا ينفع
وتحضر بالجهل في مجلس وعلمك في الكتب مستودع
ومن بك في دعوه حكماً يكن دعوه القهقري يرجع

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

فيها وقع حريق كبير، في نواحي بغداد، وذلك بسبب زلزال، قتل، فالتقي من كان من جهته الحريق، في أماكن كثيرة، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس.

وفي جمادى الأولى منها قلد المقتدر بالله مؤنساً الخادم بلاد مصر والشام، ولقبه المظفر وأمر بكتب ذلك في المراسلات إلى الأفاق.

وفي ذي القعدة، أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله، إلى دار الوزير عيسى بن علي، لمناظرة الحنابلة، في أشياء نقموها عليه، فلم

يخضروا، ولا واحد منهم.

وفيها قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة، يستأنا ببناء، وسماه الناعورة، قيمته مائة ألف دينار، وفرش مسكنه، بأنواع المفارش المتفخرة. وفي هذه السنة كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج، ولنذكر أشياء من ترجمته وسيرته، وكيفية قتله، على وجه الإنجاز، وبينان المقصود بطريق الإنصاف والعدل، من غير تحمل، ولا هوى، ولا جور.

وهذه نبذة من سيرته وأحواله وكشف سريره وأقواله:

■ الحسين بن منصور بن مخي الحلاج أبو منيث، ويقال أبو عبد الله، كان جده مجوسياً، اسمه مخي من أهل فارس، من بلدة يقال لها البيضاء، ونشأ بواسط، ويقال بستر، ودخل بغداد، وتردد إلى مكة مراراً وجاور بها في وسط المسجد، في البرد، والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه، ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد في البرد والحر، ولا يأكل إلا بعض قرص، ويشرب قليلاً من الماء، معه وذلك وقت الفطور، مدة سنة كاملة، ويجلس على صخرة في قبالة الحرم، في جبل أبي قبيس، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري. قال الخطيب البغدادي: والصوفية مختلفون فيه، فآكثهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقبله من متقدمهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصر أبادي النيسابوري، وصححو له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي - واسمه محمد بن الحسين - سمعت إبراهيم بن محمد النصر أبادي، وعوتب في شيء، حكى عن الحلاج، في الروح، فقال لمن عبته: إن كان بعد النبي، والصديقين، موحد فهو الحلاج

قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر، وكنت وقد روى عن الشبلي، من وجه آخر، أنه قال: وقد رأى الحجاج مصلوباً: ألم تنهك عن العالمين؟

قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية، نسبوه إلى الشبنة في فعله، وإلى الزندقة في عقله، قال: وله إلى الآن، أصحاب ينسبون إليه، ويقولون فيه، وقد كان الحلاج حسن العبارة، حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية.

قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج، مختلفين في أمره، فأما الفقهاء، فقد حكى عن غير واحد من العلماء والأئمة، إجماعهم على قتله، وأنه كان كافراً مخمراً عموماً مشعياً، وكذلك قول أكثر الصوفية منهم ومنهم طائفة كما تقدم، أجلوا القول فيه، وغرهم ظاهره، ولم يطلخوا على باطنه، وقد كان في ابتداء أمره، فيه تعبد، وتآله، وسلوك، ولكن لم يكن له علم، ينسلك به في عبادته، فدخل عليه الداخل بسبب ذلك، كما قال بعض السلف من عبد الله بن عمر علم كان ما يفسده، أكثر مما يصلحه.

وعن سفيان بن عيينة أنه قال: من فسد من علمائنا، كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا، كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج باب الحلول، والاتحاد، فصار من أهل الانحلال، والإلحاد.

وقد ورد من وجه أنه تقلبت به الأحوال، وتردد إلى البلدان، وهو في ذلك كله، يظهر للناس، أنه من الدعاة إلى الله عز وجل وصح أنه دخل

إلى الهند، ليتعلم السحر، وقال: ادعوه إلى الله، وكان أهل الهند يكتبونهم، بالمغيب - أي أنه من رجال الغيب - ويكتبه أهل خراسان، بالمميز، وأهل فارس، بأبي عبد الله الزاهد. وأهل خوزستان، بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار. وكان بعض البغاددة، حين كان عندهم، يقولون له: المصطلم. وأهل البصرة يقولون له: الخير.

ويقال إنما سماه الحلاج، أهل الأهواز؛ لأنه كان يكشفهم، عما في ضمائرهم، وقيل لأنه مرة قال لحلاج: اذهب لي في حاجة كنا وكذا، فقال: إني مشغول، فقال: اذهب فانا أسدُ عنك، فذهب، ورجع سريعاً، فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال إنه أشار بالمرود، فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا نظر، وإن كان قد جرى مثل هذا، فالشياطين تعين أصحابها، ويستخلمونهم وقيل: لأن أباه كان حلاجاً وما يدل على أنه كان ذا حلول، في بده أمره، أشياء كثيرة، منها شعره فمن ذلك قوله:

جلبت روحك في روحي كما يجبل المنبر بالمسك الفنسق
فلذا منك شيء مني فلذا أنت أنا لا نفرق
وقوله أيضاً:

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فلذا منك شيء مني فلذا أنت أنا في كل حال
وله أيضاً:

قد تحققتك في سر ي يحاطيك لسان
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن يكمن غيبك التعظيم م عن لحظ العيان
قد صيرك الوجد د من الأحشاء دان
وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاج:

أريدك لا أريدك للشواب ولكني أريدك للعقاب
وكل ما أربي قد نلت منها سوى ملوذ وجدي بالعذاب
فقال ابن عطاء: هذا، مما تزيد به، عذاب الشغف، وهيام الكلف، واحترق الأسف، فإذا صفا ووفى علا إلى مشرب عذب، وهطل من الحق، دائم سكب.

وقد أنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال ابن خفيف: على من يقول هذا لعنة الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحلاج، فقال: ربما يكون مقولاً عليه.

وما ينسب إليه من الشعر قوله:

أولست نسال عني كيف كنت وما لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا لا كنت أدري كيف لم أكن

قال القاضي ابن خلكان: ويروى لسمنون لا للحلاج.

ومن شعره أيضاً قوله:

منى سهرت عيني لغيرك أو بكت فلا أعطيك ما أملت وغنت

وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت رياض النسي من وجيتك وجئت
ومن شعره أيضاً:

دنيا تنالني كأي لست أعرف حالها
حظر المليك حرامها وأنا احتيت حلالها
فوجدتها محتاجة فوجبت لذتها لها

وقد كان الحلاج يتلون في ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية، وتارة يتجرد في ملابس زرية، وتارة في لباس الأجناد، ويعاشر أبناء الدنيا. ولقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة ويده ركوة، وعكاز وهو سائح، فقال له: ما هذه الحالة يا حلاج؟ فأشأ يقول:

لئن أمسيت في نوبي عديم لقد بلبا على حر كريم
فلا يفرزك أن أبصرت حلالا مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستلف أو سترقى لعمرك بي إلى أمر جسيم
ومن مستجاد كلامه، وقد سأله رجل أن يوصيه، بشيء يغنيه الله به فقال: عليك نفسك، إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك عن الحق.

وقال له رجل: عظمي فقال: كن مع الحق، يحكم ما أوجب. وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين، والآخرين، مرجعه إلى أربع كلمات: حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

قلت: وقد أصيب الحلاج في المقامين، الآخرين، فلم يتبع التنزيل، ولم يبق على الاستقامة، بل تحول عنها، إلى الاعوجاج، والبذعة، والضلالة، نسأل الله العافية.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي، عن عمرو بن عثمان المكي: أنه قال: كنت أماشي الحلاج، في بعض أزقة مكة، وكنت أقرأ القرآن، فسمع قراءتي، فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته.

قال الخطيب: وحديثي سمعوه بن ناصر، أنبأنا ابن باكويه الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول: الناس فيه - يعني حسين بن منصور الحلاج - بين قبول، ورد، ولكن، سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعه، ويقول: لو قدرت عليه، لقتلته، بيدي. فقلت له: أيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أولف مثله، وأتكلم به

قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: زوّجت ابنتي من الحسين بن منصور الحلاج، لما رأيت من حسن طريقته، واجتهاده، فبان لي بعد مدة سيرة، أنه ساحر محتل، بحيث كافر.

قلت: كان تزويجه بها بمكة، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع، فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه، كما ساقها من طريقه الخطيب.

وذكر أبو القاسم القشيري في كتاب «الرسالة»، في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان، دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن قال: فدعا عليه فلم يفلح بعدها، وأتكر على أبي يعقوب الأقطع، تزويجه بإياه ابنته. وكتب عمرو بن عثمان إلى الأفاق كتباً كثيرة يلعه فيها ويمرر الناس منه، فشرذ الحلاج في البلاد فمات ميمناً وشمالاً، وجعل يظهر للناس أنه يدعو إلى الله عز وجل، ويستعين بأنواع من الحيل، ولم ينزل ذلك دأبه، وشأنه

وقد قال الحلاج يوماً لرجل: آمن بي، حتى أبعث لك بعصفورة، تأخذ من ذرقها وزن حبة، تقضعه على كذا وكذا رطلاً، من نخاس، فيصير ذهباً فقال له الرجل: آمن بي أنت، حتى أبعث إليك، بفيل إذا استلقى، على قفاه، بلغت قوائمه السماء، وإذا أردت أن تخفيه، وضعت في إحدى عينيك قال: فهبت، وسكت.

ولما ورد بغداد جعل، يدعو إلى نفسه، ويظهر أشياء من المخاريق، وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة، لقلّة عقولهم، وضعف تمييزهم، بين الحق والباطل وقد استدعى يوماً، برئيس من الرافضة، فدعاه إلى الإيمان به، فقال له الرجل: إني رجل أحب النساء وإني أصلع الرأس، وقد شئت، فإن أنت أفضيت عني هذا، وهذا، أمنت بك، وأنتك الإمام المصوم، وإن الحلاج ولم يمر إليه جواباً.

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: كان الحلاج متلوياً كثير التلون نارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبه: إن كانوا أهل سنة، أو رافضة أو معتزلة أو غير ذلك.

ولما أقام بالأهواز جعل ينقش من دراهم، يخرجها، يسميها دراهم القدرة، فسل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال: إن هنا كذا مما يُنال بالخلية، ولكن أدخلوه بيتاً لا مغذ له، ثم سلوه أن يخرج لكم جوزتين من شوك فلما بلغ ذلك الحلاج كلام أبي علي الجبائي فيه تحول من الأهواز.

وقال الخطيب: أنبأ إبراهيم بن غنم، أنبأ إسماعيل بن علي الخطيبي في تاريخه قال: وظهر أمر رجل يعرف بالحلاج، يقال له: الحسين بن منصور،

وكان في حبس السلطان، بسعاية وقعت به، وذلك في وزارة علي بن عيسى الأولى، وذكر عنه ضروب من الزندقة، ووضع الحيل، على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة، والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه علي بن عيسى، عند قبضه عليه، وأنهى خبره إلى السلطان يعني الخليفة المقتدر بالله - فلم

يقر بما رُمي به من ذلك، فعاقبه، وصلبه حياً، أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادي عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به، ثم يجلس، فأقام في الحبس سنين كثيرة، ينقل من حبس إلى حبس، خوفاً من إيصاله أهل كل حبس، إذا طالت ملته عندهم، إلى أن حبس بأخرة في دار السلطان،

فاستنوى جماعة من غلمان السلطان، وموّه عليهم، واستنالمهم، بضروب من حيله، حتى صاروا بمجمونه، ويلغون عنه ويرفونه، ثم راسل جماعة من الكتاب، وغيرهم ببغداد، وغيرها، فاستجابوا له، وتراعى به الأمر، إلى أن ادعى الربوبية، وسمى بجماعة من أصحابه إلى السلطان، فقبض عليهم،

ووجد عند بعضهم، كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بذلك لسانه، وانتشر خبره، وتكلم الناس في قتله، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه، بحضرة القضاة والعلماء، ويجمع بينه، وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوط طوال ثم استيقن السلطان أمره،

ووقف على ما ذكر له عنه، وثبت ذلك على يد القضاة، وأتق به العلماء، فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة، بالجانب الغربي، في يوم الثلاثاء، لسبع بيقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلاثمائة فحضر بالسياط نحواً من ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس، على سور الجسر الجديد، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه.

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي: سمعت إبراهيم بن محمد الرازي يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل، ومعه مخلقة، فما كان يفارقها بالليل ولا بالنهار،

حتى أحل الله به بأسه، السذي لا يرد عن القوم الجرمين، فقتله بسيف الشرع، الذي لا يقع إلا بين كفتي زنديق، والله أعدل من أن يسلمته على صديق، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم، وقد أراد معارضته في البلد الحرام، حيث نزل به جبريل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمِ نُفُوءٍ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ﴾ [الحج: ٢٥] ولا إحداء أعظم من هذا. وقد أشبه الحلاج كفار قريش في معاندتهم، الذي قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا يَبْنُلْ هَذَا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

ذكر أشياء من حيل الحلاج:

روى الخطيب البغدادي، أن الحلاج أتفه رجلاً بين يديه إلى بعض بلاد الجبل، فأقام بتلك البلدة يظهر لهم الصلاح والنسك ويقرأ القرآن، فأقام مدة على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد عمي، فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر أنه قد زمن وكان أولاً يقاد إلى المسجد ثم صار يحمل فمكث سنة كذلك، ثم قال لهم: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: سيروا إلى هذه البلدة رجلٌ صالح، يكون شفاعة على يديه. فما كان عن قريب حتى كان الوقت الذي واعد فيه الحلاج، ودخل الحلاج البلدة مخفياً وعليه ثياب صوفية بيض، فلزم سارية من المسجد يتعبد فيها، لا يلتفت إلى أحد، فابتدر الناس إلى ذلك المتعامي المترام قفيل له: قدم رجل صالح، فهلّم إليه. فحملوه حتى وضعوه بين يديه، فكلّمه ففرقه، فقال له: يا عبد الله إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وهو يقول لي: كذا وكذا، فمضى أن يكون أنت إياه. فرفع يديه ودعا الله عز وجل، والناس حضور متكاثرون ينظرون ماذا يكون من أمره، ففتح الرجل عينيه، وقام قائماً على قدميه، فضج الناس، وعظموا الحلاج تعظيماً زائلاً، وليس ذلك بحق، فأقام عندهم مدة ثم خرج من بين أظهرهم، وبقي ذلك الرجل عندهم عدة شهور، ثم قال: إن من نعمة الله عليّ أن ردّ عليّ بصري، وشفائي، وينبغي أن أجاهد في سبيله بفخر طرسوس، فعزم على ذلك فجمعوا له من بينهم مالا جزيلاً؛ الوفا من الذهب والفضة، ثم ودعهم، وودّعوه، فذهب إلى الحلاج، فاقسموا ذلك المال.

وروي عن بعضهم قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال، وكرامات، فأحببت، أن أختبره، فجتته، فسلمت عليه، فقال لي: نكّته عليّ الساعة شيئاً؟ فقلت: أشتهي سمكاً طرياً. فدخل منزله، فغاب ساعة، ثم خرج معه سمكة تضطرب، ورجلاه عليهما الطين فقال: دعوت الله، فأمرني أن آتي البطائح، لأتيك بهذه السمكة، فحضت الأهواز، وهذا الطين منها. فقلت: إن شئت، أدخلتني منزلك، لأكشف أمرك، فإن ظهرت على شيء، وإلا أمنت بك فقال: ادخل، فدخلت، فلم أجده فيه منفذاً إلى غيره، فتحيرت في أمره، ثم نظرت فإذا تأزير فكشفته فإذا من وراءه باب فدخلت فخرجت منه إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة، والمتعة، قد أحسن إيقالها وإذا أشياء كثيرة، معدة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة، فيها سمك كثير كبير، فدخلتها، فأخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين، كما نال رجليه، فجتت إلى الباب، فقلت: افتح قد أمنت بك فلما خرجت ورأني على مثل حاله، جرى ورائي ليقطني فضرت به بالسمكة في وجهه، وقلت: يا عدو الله، أتعتبي في هذا اليوم ولما خلصت منه، لفتني بعد أيام، فضاحكني، وقال: لا تشش هذا لأحد، أبعث إليك من يقتلك، على فراشك قال: ففكرت أنه يفعل، إن أفشيت عليه، فلم أحدث به أحداً حتى صلب.

السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وزعم لهم، في جملة ما ادعاه، أنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه، ويحضرون له ما يختاره ويشتهي. وقال: إنه أحيأ عدة من الطير.

وذكر علي بن عيسى، أن رجلاً، يقال له محمد بن علي الفسائي الكاتب، يعبد الحلاج، ويدعو الناس إلى ذلك، فطلبه، وكبس منزله، فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منزله، أشياء بخط الحلاج، مكتبة بماء الذهب، في ورق الحرير، مجلدة بأفخر الجلود ووجد عنده سفطاً، فيه من رجيع الحلاج وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده فطلب الوزير من الخليفة المقتدر، أن يتكلم في أمر الحلاج، ففوض أمره إليه فاستدعى جماعة من أصحاب الحلاج، فتهددهم، فاعترفوا له، أنه قد صبح عندهم، أنه إله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك، وروموه به في وجهه، فوجد ذلك، وكذبهم، وقال: أعوذ بالله، أن أدعي الربوبية، أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله، وأكثر الصوم، الصلاة، وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك وجعل لا يزيد على الشهادتين، والتوحيد، ويكرر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فأغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكانت عليه مدرعة سوداء، وفي رجليه، ثلاثة عشر قيداً، وهي واصلت إلى ركبتيه قالوا: وكان مع ذلك يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة.

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه، في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، ما دوناً لمن يدخل إليه، وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب قد افتتن به، وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله، فرفاه من وجع حصل له، فاتفق زواله، وكذلك وقع لوالدته السيدة أم المقتدر، فزالت عنها، فنفق سوقه، وحظي في دار السلطان، فلما انتشر الكلام فيه، سلم إلى الوزير حامد بن العباس، فحبسه، في قيود كثيرة، في رجليه وجمع له الفقهاء، فاجمعوا على كفره، وزندقة، وأنه ساحر مخرق.

ورجع رجلان صالحان، ممن كان اتبعه، أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي، والآخر يقال له العباس، فذكروا من فضائحه، وما كان يدعو الناس إليه، من الكذب، والفجور والمخرقة، والسرح شيئاً كثيراً، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان، فذكرت عنه، فضائح كثيرة من ذلك، أنه أراد أن ينشأها، وهي نائمة، فانتبهت فقال: قومي إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها وأمرتها ابنته بالسجود له، فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله في السماء، وإله في الأرض ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك، ما أحببت، فوجدت تحتها، ذنائب كثيرة مبلورة.

ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس الوزير، دخل عليه بعض الغلمان، وأمه طبق فيه طعام، ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام، ووقع فرعاً شديداً، وألقى ما كان في يده، من ذلك الطبق والطعام ورجع محمواً فمرض عدة أيام.

ولما كان آخر مجلس من مجالسه، أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف، وجمي بالحلاج، وقد أحضر له كتاب، من دور بعض أصحابه وفيه: من أراد الحج، ولم يتيسر له، فليسن في داره بيتاً، لا يتاله شيء من النجاسة، ولا يمكن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج، فليصم ثلاثة أيام، وليطبخ به، كما يطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجاج بمكة، ثم يستدعي بتلاتين يتيماً، فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسومهم قميصاً قميصاً، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج، وإن من صام ثلاثة

فقتلوا مغلته، فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه: من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان يدعوه إلى الضلالة والإيمان به فيبحث بالكتاب إلى بغداد، فسئل الحلاج عن ذلك، فأقر بأنه كتبه، فقالوا له: كنت تدعي النبوة، فصرت تدعي الألوهية، والربوبية؟ فقال: لا، ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكتاب إلا الله، وأنا وليد آلة؟ فقتل له: منك على هذا أحد؟ قال: نعم ابن عطاء، وأبو محمد الحريري، وأبو بكر الشبلي. فسئل الحريري عن ذلك فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلي عن ذلك فقال: من يقول بهذا يمج، وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال يقول الحلاج في ذلك فموجب، حتى كان سبب هلاكه.

ثم روى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الله الرازي أن الوزير حامد بن العباس، لما أحضر الحلاج، سألته عن اعتقاده، فأقر به، فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد، فأنكروا ذلك، وقيل للوزير إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا فقالوا: من قال بهذا فهو كافر ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله، فجاءه، فجلس في صدر المجلس، فسأله عن قول الحلاج فقال: من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد، فقال الوزير لابن عطاء: ويحك، تصوب مثل هذا القول، وهذا الاعتقاد؟ فقال ابن عطاء: مالك ولهذا عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم، فما لك ولكلام هؤلاء السادة من الأكلية فأمر الوزير عند ذلك بضرب شديقه، ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم، من منخره وأمر بسجنه فقتل له: أيها الوزير إن العامة تتشوش بهذا. فحمل إلى منزله، فقال ابن عطاء: اللهم اقله أخبث قتل، واقطع يديه، ورجليه ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام، وقتل الوزير شر قتلة، وقطعت يده، ورجلاه وأحرقت داره.

وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء، على عاداتهم في مراتهم، فيمن أودى، ممن لم معه هوى: بل قد قال ذلك جماعة، ممن ينسب إلى العلم، فيمن يؤذي ابن عربي، أو يحط على حسين الحلاج أو غيره: هذا بتظنية فلان.

وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته واجمعوا على قتله وصلبه.

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري، حين أحضر الحلاج، في المرة الأولى، قبل وفاة أبي بكر وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً وما جاء به حقاً فما يقوله الحلاج باطل. وكان شديداً عليه وقال أبو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج، وخاطبته، فرأيت، جاهلاً يتعالم، وغياً يتبالغ، وخبيثاً مدعي، وراغباً يتزهد، وفاجراً يتعبد.

ولما صلب في أول مرة، ونودي عليه أربعة أيام، سمعه بعضهم وقد جيء به ليصلب، وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقني علي شبيه، وغاب، فلما أدنى إلى الخشبة، ليصلب عليها سمعته يقول: يا معين الفضا علي، أعني على الفضا.

وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب يقول: إلهي، أصبحت في دار الرغائب، أنظر إلى العجايب، إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف بمن يؤذى فيك.

ذكر صفة مقتل الحلاج:

قال الخطيب البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمه، إلى بغداد، فصحب الصوفية، وانتسب إليهم، وكان الوزير، إذ ذاك حامد بن العباس، فيبلغه أن الحلاج، قد أصل خلقاً من الحشيم، والحجاب، في دار

أيام، لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هنبا أجزاء ذلك عن صيام رمضان ومن صلى في ليلة ركنين، من أول الليل، إلى آخره، أجزاء ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء بمقابر قريش، عشرة أيام، يصلي، ويدعو، ويصوم، ثم لا يفطر، إلا على شيء من خبز الشعير، والملح الجريش، اغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة، وليس فيه شيء من هذا فأقبل الوزير حامد بن العباس على القاضي أبي عمر فقال له: قد قلت يا حلال الدم، فكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه، وقدم له الدواء، فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها، وأفضلها الوزير إلى المختار، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى، ودمي حرام، وما يجل لكم، أن تأكلوا علي، ما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة، موجودة في الوراقين، فآله الله في دمي. فلا يلتفتون إلى شيء مما يقول. وهو يكرره وهم يكتبون خطوطهم، بما كان من الأمر، ورد الحلاج إلى محبسه، وتأخر جواب المختار ثلاثة أيام، حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول: إن الحلاج قد اشتهر أمره، ولم يختلف فيه اثنان، وقد افتتن كثير من الناس به، فجاه الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فليضربه ألف سوط، فإن مات، وإلا ضربت عنقه، ففرح الوزير بذلك، وطلب صاحب الشرطة، فسلمه إليه، وبعث معه طائفة من غلمان، يوصلونه معه إلى محل الشرطة، من الجانب الغربي، خوفاً من أن يستعذ من أيديهم وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء، لست بقين من ذي القعدة، من هذه السنة، وركب على بغل، عليه إكاف، وحمله جماعة من أعوان السيادة. على مثل شكله، فاستقر منزله، بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلي في هذه الليلة، ويدعو دعاء كثيراً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول قال أبو الخليل يعني المصري -: لما كانت الليلة، التي قتل في صبيحتها الحلاج، قام من الليل، فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل، قام قائماً، فتغطى بكسائه، ومد يده نحو القبلة، فتكلم بكلام جازع الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك، فلو دلتنا عزتك، لتبدي ما شئت، من شأنك ومشيئت، وأنت الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، تتجلى لما تشاء، مثل تجليك في مشيتك، كاحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة، بالعلم، والبيان، والقدرة، ثم أوعزت إلى شاهدك؛ لأنني في ذاتك المهرى، كيف أنت إذا مثلت بذاتي، عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبليت حقائق علومي، ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عسروش أزيلاتي، عند القول عن برياتي، إنني احتضرت، وقلت، وصلبت، وأحرقت، واحتملت سافياتي الذلليات ولججت في الجواريات، وأن ذرة من ينجج مكان هالوك متجلباتي، لأعظم من الراسيات ثم أنشأ يقول:

أنسى إليك نفوساً طاح شاهداً فيما ورا حيث بل في شاهد القيم
أنسى إليك قلوباً طالما هطلت سحاب الوحي فيها أبحر الحكم
أنسى إليك لسان الحق منك ومن أودى وتذكاره في الروم كالدوم
أنسى إليك ياناً تستكين له أقوال كل فصيح بقول فهم
أنسى إليك إشارات العقول معاً لم يبق مهنن إلا دارس المعلم

أنسى وجبك أخلاقاً لطافتة كانت مطاياهم من مكمد الكظم
مضى الجميع فلا عيب ولا اثر مُفسيّ عاد وقصدان الأول إرم
وخلفوا مشيراً يحذون لبستهم أعمى من البهم بل أعمى من النهم
قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل
أنشد:

طلبت المستخر بكل أرض فلم أر لي بآراض مستقراً
ودقت من الزمان وفاق مني وجدت مذاقه حلواً ومرّاً
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لعشت حراً
وقيل: إنه قال حين قدم إلى الجلع ليصلب عليه، والمشهور ما ذكرناه، ثم مضى وهو يتخير في مشيته، وفي رجله ثلاثة عشر قيداً، وجعل ينشد ويتمايل:

ندمسي غير منسوب إلى شيء من الخيف
سقتني مثل ما يشر ب فعل الضيف بالضيف
فلمما دارت الكسلس دعسا بالطع والسيف
كنا من يشرب الراح مع التين في الصيف
ثم قال: «يَسْتَجِلُّ بِهَا الذِّئْبُ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُتَفَقِّهُونَ فِيهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» [الشورى: ١٨] ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يده ورجلاه، وهو في ذلك كله ساكت، ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول، مع كل سوط: أحد أحد.

وقال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد أفراد الواحد له، فما سمع بهذه الكلمة، أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه.

وقال السلمي: سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا الفاتك البغدادي - وكان صاحب الحلاج - قال: رأيت في النوم، بعد ثلاث من قتل الحلاج، كأني واقف بين يدي ربي عز وجل، وأنا أقول: يا رب، ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى، فلما خلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.

ومنهم من قال: بل جزع عند ذلك جزعاً شديداً، وبكى بكاء كثيراً، فآله أعلم.

وقال الخطيب: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج، ليقول: مضيت في جملة الناس، ولم أزل أراحم، حتى رأيت، فقال لأصحابه: لا يهولكم هذا، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. ثم قتل.

وذكر الخطيب، أنه قال، وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد وإلى الشرطة: ادع بي إليك، فإن عندي نصيحة، تعدل فتح القسطنطينية، فقال له: قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا، وليس لي رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يده، ورجلاه، وحز رأسه، وأحرقت جسده، وألقي برماها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان، وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم، برجوعه إليهم

و■ أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطيب الحاراني

و■ أبو محمد عبد الله بن جندون النديم.

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة

فيها أطلق يوسف بن أبي الساج من الضيق وكان معتقلاً، وردت إليه أمواله، وأعيد إلى عمله، وأضيف إليه بلدان أخرى، ووظف عليه في كل سنة خمسمائة ألف دينار، يحملها إلى الحضرة، فبعث حيثش إلى مؤنس الخادم، يطلب منه أبا بكر بن الأدي الغارقي. وكان قد قرأ بين يديه، حين اعتقل في سنة إحدى وسبعين ومائتين ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ فخاف القارئ سطوته واستعفى من مؤنس الخادم فقال له مؤنس: اذهب وأنا شريك في الجائزة، فلما دخل عليه قرأ بين يديه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ لَتَبْنَى بِهِ أَسْتَخْلُصَهُ لِنَفْسِي﴾ فقال: بل أحب أن تقرأ ذلك العشر الذي قرأته عند إشهاره ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ فإن ذلك كان سبب توبيخ إلى الله عز وجل، وكان ذلك على يديك. ثم أمر له بمال جزيل، وأحسن إليه.

وفيها مرض علي بن عيسى الوزير، فجاءه هارون ابن المقتدر، ليعوده، فبسط له الطريق، فلما اقترب من داره، تحامل، وخرج إليه، فبلغه سلام الخليفة، وجاء مؤنس الخادم معه، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم، على عيادته، فاستعفى من مؤنس الخادم، ثم ركب على جهد عظيم، حتى سلم على الخليفة، لثلا يكلفه الركوب إليه.

وفي هذه السنة، قبض على القهرمانه أم موسى، ومن ينسب إليها، وكان حاصل ما حمل إلى بيت المال من جهتها، ألف ألف دينار.

وفي يوم الخميس منها، لعشر بقين من ربيع الآخر، ولَّى المقتدر منصب القضاء، أبا الحسين عمر بن الحسين بن علي الشيباني، المعروف بابن الأشتاني - وكان من حفاظ الحديث، وفقهاء الناس - ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام، وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد.

وفيها عزل محمد بن عبد الصمد، عن شرطة بغداد، ووليها نازوك، وخلع عليه.

وفيها في جمادى الآخرة فيها ظهر كوكب، له ذنب، طوله ذراعان، وذلك في برج السنبلة.

وفي شعبان منها، وصلت هدايا نائب مصر، وهو الحسين بن المانرائي، وفيها بغلة، معها فلوها، وغلما يصل لسانه، إلى طرف أفه. وفي هذا الشهر قرئت الكتب على المنابر، بما كان من الفتح ببلاد الروم.

وفيها ورد الخبر، بأنه انشق بأرض واسط، فلع من الأرض، في سبعة عشر موضعاً، أكبرها طوله ألف ذراع، وأقلها مائتا ذراع، وأنه غرق من أمهات القرى، ألف وثلاثمائة قرية.

وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو بشر الدولابي:

■ محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد أبو بشر الدولابي، مولى الأنصار، ويعرف بالورواق، أحد أئمة حفاظ الحديث، وله تصانيف حسنة في التاريخ، وغير ذلك، وروى عن جماعة كثيرة

بعد أربعين يوماً.

وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم، وهو راكب على حمار في طريق النهران فقال: لعلك مثل هؤلاء البقر، الذين ظنوا أنني، أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما التي شهبي على رجل، ففعل به ما رأيتم وكانوا يجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال: إن كان هذا الرأي صادقاً فلعل دابة - يعني من الشياطين تبذى، على صورة الحلاج، ليضل به الناس. كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.

قال الخطيب: واتفق أن دجلة زادت في هذا العام، زيادة كثيرة فقالوا: إنما زادت؛ لأن رماد الحلاج خالطها.

وللعوام في مثل هذا، وأشباهه، ضروب من الهذيان، قديماً، وحديثاً. ونودي ببغداد، أن لا يشترى أحد من كتب الحلاج شيئاً، ولا يبيعه.

وكان قتل الحلاج في يوم الثلاثاء، لست بقين من ذي القعدة، من سنة تسع وثلاثمائة، ببغداد. وذكره القاضي ابن خلكان، في الوفيات (١٤٠/٢) - ١٥٦، وحكى اختلاف الناس فيه، ونقل عن الغزالي، في مشكاة الأنوار، أنه كان يتأول كلامه، ويحمله على ما يليق، ثم نقل ابن خلكان، عن إمام الحرمين، أنه كان يلمه، ويقول إنه اتفق هو والجنائي، وابن المقفع، على إفساد عقائد الناس وتفرقوا في البلاد، فكان الجنائي، في هجر، والبحرين، وابن المقفع ببلاد الترك، ودخل الحلاج العراق، فحكم صاحبه عليه بالهلكة، لعدم الخداع أهل العراق بالباطل.

قال ابن خلكان: وهذا لا يتنظم، فإن ابن المقفع، كان قبل الحلاج، بدهر في أيام السفاح والمنصور، ومات سنة خمس وأربعين ومئة أو قبلها ولعل إمام الحرمين، أراد ابن المقفع الحراساني، الذي ادعى الربوبية، وأدنى القمر، واسمه عطاء، وقد قتل نفسه بالسم، في سنة ثلاث وستين ومائة، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً، وإن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين، فنذكر ثلاثة، قد اجتمعوا في وقت واحد، على إضلال الناس، وإفساد العقائد، كما ذكر، فيكون المراد بذلك، الحلاج، وهو الحسين بن منصور، الذي ذكره، وابن التلمغاني - يعني أبا جعفر محمد بن علي - والقرمطي الجنائي، وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام، الذي قتل الحجاج، وأخذ الحجر الأسود، وردم زمزم بالقتلى ونهب أستان الكعبة، فهؤلاء يمكن اجتماعهم، في وقت واحد، كما ذكرنا ذلك مبسوطاً، ذكره ابن خلكان ملخصاً.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية: وهو

■ أحمد بن محمد بن عطاء الأديمي حدث عن يوسف بن موسى القطان، والفضل بن زياد، وغيرهما، وكان أبو العباس هذا، يقرأ في كل يوم وليلة ختمه، فإذا كان شهر رمضان قرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وكانت له ختمة يتلى فيها معاني القرآن، فمكث فيها سبعة عشرة سنة، ومات ولم يجتمعها، وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج، وأظهر موافقته، فعايقه الوزير حامد بن العباس، بالضرب البليغ على شديقه، وأمر بتزج خفيه، وضربه بهما على رأسه، حتى سال الدم من منخره، ومات بعد سبعة أيام من ذلك، وكان قد دعا على الوزير، بأن تقطع يده، ورجلاه، ويقتل شر قتلة. فما مات الوزير إلا كذلك.

الشرطة، حتى يمنعوا السؤال يوم الجمعة، أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع، فأمر الخليفة بذلك. وكان ينفق على نفسه من مغلّ قرية تركها له أبوه بطبرستان.
ومن شعره:

إذا أعسرتُ لم يعلم رفيقي وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبي رفيقي
ولو أني سمحت بيلد وجهي لكنت إلى الغنى سهل الطريق
ومن شعره أيضاً:

خلقنا لا أرضى طريقهما بطر الغنى ومثله الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فبهِ على الدهر

وقد كانت وفاته وقت المغرب، غشية يوم الأحد، ليومين بقيا من شوال، من سنة عشر وثلاثمائة وقد جاوز الثمانين سنة بخمس، أو ست سنين، وفي شعر رأسه، ولحيته سواد كثير، ودفن في داره، لأن بعض الرعايا من عوام الخنابلة منعوا من دفنه نهائياً، ونسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من هذا ومن ذاك أيضاً بل كان أحد أئمة الإسلام في العلم بكتاب الله، وستة رسوله، وإنما تقلدوا ذلك، عن أبي بكر محمد بن داود حيث كان يتكلم فيه، ويرمي بالمظالم، وبالرفض.

ولما توفي، اجتمع الناس، من سائر أقطار بغداد، وصلوا عليه بداره، ودفن بها، ومكث الناس يترددون إلى قبره، شهوراً، يصلون عليه رحمه الله. قلت: وقد رأيت له كتاباً، جمع فيه أحاديث غدير خم، في مجلدين ضخمين، وكتاباً جمع فيه طرق حديث الطير ونسب إليه، أنه كان يقول، يجوز مسح القدمين في الرضوء، وأنه لا يوجب الغسل، وقد اشترعه عنه هذا فمن العلماء، من يزعم أن ابن جرير، إثنان، أحدهما شيعي، وإليه ينسب ذلك، ويترهون أبا جعفر فها نحن هذه الصفات والذي عول عليه كلامه في التفسير أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل لكلهما، ولكنه عبر عن ذلك بالمسح، فلم يفهم كثير من الناس مراده جيداً، فقلدوا عنه، أنه يوجب الجمع بين الغسل، والمسح، والله أعلم.

وقد رثاه جماعة من أهل العلم، منهم ابن الأعرابي حيث يقول:

حدث مقلع وخطب جليل دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعي العلجوم أجمع لما قام ناعي محمد بن جرير
فهسوت أنجم لها زاهرات مؤذنت رسوماً بالدثور
وتغشى ضياءها النير الإشراق راق ثوب الدجاجة الديبور
وغدا روضها الأنيق هشيماً ثم عادت سهولها كالوعور
يا أبا جعفر مضيت حميداً غير وإن في الجسد والتشهير
بين أجر على اجتهدك موفسور ر وسعي إلى القى مشكور
مستحقاً به الخلود لدى جنـة عدن في غبطة وسرور

ولأبي بكر بن دريد رحمه الله فيه مائة طويلة طنانة، وأوردها الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ١٦٧/٢] بتامها، والله سبحانه أعلم.

قال ابن يونس: وكان يضعف، توفي وهو قاصد إلى الحج بين مكة والمدينة، بالعرج، في ذي القعدة.

أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله:

■ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان أسمر، أعين مليح الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان.

روى الكثير عن الجرم الغفير، ورحل إلى الآفاق، في طلب الحديث، وله «التاريخ» الحافل، و«التفسير» الكامل، وغيرهما من المصنفات النافعة، في الأصول، والفروع ومن ذلك «تهذيب الآثار»، ولو كمل، لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية، لكنه لم يتمه.

وقد روى عنه، أنه مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم أربعين ورقة قال الحافظ أبو بكر الخطيب: استوطن ابن جرير بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته، وكان أحد أئمة العلماء، ويحكم بقوله، ويرجع إليه لمعرفة، وفضله، وكان قد جمع من العلوم، ما لم يشاركه فيه أحد، من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكام، عالماً بالسنة، وطرقها، وصحيحها، وسقيمها، وناسخها، ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم، عارفاً بأيام الناس، وأخبارهم، وله الكتاب المشهور، في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير، لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار»، لم أر سواه في معناه، إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه، وفروعه، كتب كثيرة، واختيارات، وفرد بمسائل، حفظت عنه.

قال الخطيب: وبلغني عن الشيخ أبي حامد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير الطبري، لم يكن ذلك كثيراً، أو كلاماً هذا معناه.

وروى الخطيب، عن إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، أنه طالع «التفسير» لابن جرير في سنين من أوله إلى آخره، ثم قال: ما أعلم على أديم الأرض، أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمت الخنابلة، وقال لرجل رحل إلى بغداد يكتب الحديث، عن المشايخ. ولم ينفق له سماع من ابن جرير؛ لأن الخنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد. فقال ابن خزيمة: لو كتبت عنه، لكان خيراً لك، من كل من كتبت عنه.

قلت: وكان من العبادة، والزهادة، والورع، والقيام في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وحسن القراءة على أحسن الصفات، وكان من كبار الصالحين، وهاوئ الحديث، الذين اجتمعوا بمصر، في أيام الأمير طولون، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني ومحمد بن جرير الطبري هذا.

وقد ذكرنا ذلك في ترجمة محمد بن نصر المروزي، وكان الذي قام يصلي محمد بن إسحاق بن خزيمة، وقيل محمد بن نصر، فزفهم الله ببركة صلاته.

وقد أراد الخليفة المقتدر بالله، في بعض الأحيان، أن يكتب كتاب وقف، تكون شروطه متفقاً عليها بين الفقهاء، فقيل له: لا يقدر على استحضر هذا، إلا محمد بن جرير الطبري، فطلب منه ذلك، فكتب له، فاستدعاه الخليفة إليه، وقال له: سل حاجتك، فقال: لا حاجة لي. فقال لابد أن تسألني شيئاً فقال: أسأل من أمير المؤمنين، أن يتقدم أمره إلى

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاث مئة

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي، أمير القرامطة، في ألف وسبعمئة فارس، إلى البصرة ليلاً، نصب السلام الشعر، في سورها فدخلها قومه، وفتحوا أبوابها، وقتلوا من لقوه من أهلها، وهرب أكثر الناس، فآلقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم، ومكث بها سبعة عشر يوماً، يقتل ويأسر من شاء من نساءها، وذريعتها، ويأخذ ما يختاره من أموال أهلها ثم عاد إلى بلده هجر، وذلك لما بعث إليه الخليفة جنداً، من قبله، فرّ، وترك البلد يباباً، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه السنة عزل المقتدر عن الوزارة حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، وردعا، إلى أبي الحسن بن الفرات الولاية الثالثة، وسلم إليه، حامد بن العباس، وعلي بن عيسى، فأما حامد، فإن الحسن بن الوزير ضمنه، من المقتدر، بمئسمائة ألف دينار، فتسلمه، فعاقبه بأنواع العقوبات، وأخذ منه أموالاً جزيلة، لا تحصى، كثرة، ثم أرسل به، مع موكلين عليه، إلى واسط، ليحتاطوا على أمواله، هناك وحواسله، وأمرهم أن يسقوه سماً في الطريق، فسقوه ذلك، في بيض مشوي، كان قد طلبه منهم، فمات في رمضان، من هذه السنة، وأما علي بن عيسى، فإنه صور بثلاثمائة ألف دينار، وصودر قوم آخرون، من كتابه، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء، مع ما كان صودرت به القهرمانة، من الذهب شيئاً كثيراً جداً، آلاف ألف من الدنانير، وغير ذلك وأشار الوزير ابن الفرات، على الخليفة المقتدر بالله، أن يعيد عنه، مؤنساً الخادم ويأمره بالذهاب إلى الشام - وكان قد قدم من بلاد الروم من الجهاد، وقد فتح شيئاً كثيراً من بلداتهم، وغنم مغنم كثيرة جداً - فسأل أن ينظر، إلى سلخ رمضان، وكان قد أعلم الخليفة، بما كان يعتمد ابن الوزير، من تعذيب الناس، ومصادرتهم الأموال فأجاب الخليفة الوزير إلى إبعاد مؤنس فأخرجه إلى الشام.

وفيها كثر الجراد، وأفسد كثيراً من الغلات.

وفي رمضان منها، أمر برد بقة الموارث إلى ذوي الأكرام.

وفيها في رمضان، أحرق على باب العامة، صورة ماني وأربعة أصدال، من كتب الزنادقة، فسقط منها ذهب كثير، كانت عملة به.

وفيها اتخذ أبو الحسن بن الفرات الوزير، ملاستاناً في درب الفضل، ينفق عليه من ماله، في كل شهر، مائتي دينار.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الخلال أحمد بن محمد بن هارون: أبو بكر الخلال، صاحب كتاب «الجامع لعلوم الإمام أحمد»، ولم يصف في مذهب الإمام أحمد، مثل هذا الكتاب، وقد سمع الحديث من الحسن بن عرفة، وسعدان بن نصر وغيرهما وكانت وفاته يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضياً من ربيع الأول منها

أبو محمد الجريري: أحد أئمة الصوفية

■ أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريري، أحد كبار الصوفية، صاحب سراً السقطي، وكان الجنيدي يكرمه، ويحترمه ولما حضرت الجنيد الوفاة، أوصى أن يجالس الجريري، وقد اشتبه على الجريري هنا شأن الحلاج، فكان ممن أجهل القول فيه، على أن الجريري هنا، مذكور بالصلاح، والنبانة، وحسن الأدب مع الله عز وجل

■ الزجاج صاحب معاني القرآن:

■ إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد، وله المصنفات الحسنة، منها كتاب «معاني القرآن»، وغيره من المصنفات، العديدة المفيدة، وقد كان في أول أمره، يخرط الزجاج، فأحب علم النحو، فذهب إلى المبرد، فكان يعطي المبرد كل يوم درهماً، ثم استغنى الزجاج، وكثر ماله، ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم، حتى مات المبرد، وقد كان الزجاج مؤدباً للقاسم بن عبيد الله فلما ولي الوزارة، كان الناس يأتونه بالرفاق، ليقدّمها إلى الوزير، فحصل له بسبب ذلك، ما يزيد على أربعين ألف دينار. وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، وعنه أخذ أبو علي الفارسي النحوي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، نسب إليه لأخذه عنه، وهو صاحب كتاب «الجمّل» في النحو.

■ بدر مولى المعتضد: وهو بدر الحماني، ويقال له: بدر الكبير، كان في آخر وقت على نياحة فارس، وبولي من بعده ولده محمد.

■ حامد بن العباس: الوزير، استوزره المقتدر، في ستة ست وثلاثمائة، وكان كثير المال، والقلمان، كثير الثغقات كريماً سخياً، كثير المروءة وله حكايات، تدل على بذله، وإعطائه الأموال الجزيلة، ومع هذا، كان يجمع شيئاً كثيراً، وُجد له في مطمورة الوف من الذهب، كان في كل يوم، إذا دخل إليها، ألقى فيها ألف دينار، فلما امتلأت طمها، فلما صودر، دل عليها، فاستخرج منها، مال جزيل جداً، ومن أكبر مناقبه، أنه كان من أكبر السعاة، في الحسين بن منصور الحلاج حتى قتل، كما ذكرنا قبل هذا ردهم في ٨٣٣/١٤، ثم كانت وفاة الوزير حامد بن العباس، في رمضان من هذه السنة، مسموماً.

وفيها توفي

■ عمر بن محمد بن بجير الجريري: صاحب «الصحيح».

■ ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، مولى مجشّر بن مزاحم الإمام أبو بكر بن خزيمة، الملقب بإمام الأئمة، كان من أوعية العلم وبحوره وعن طاف البلدان، ورحل إلى الأفاق، في طلب العلم وسماع الحديث، وكسب الكثير، وصفح، وجمع، وله كتاب «الصحيح» من أنفع الكتب، وأجلها، وهو من المجتهدين في دين الإسلام، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، في «طبقات الشافعية» عنه، أنه قال: ما قلدت أحداً، منذ بلغت ست عشرة سنة وقد ذكرنا له ترجمة مطولة، في كتابنا طبقات الشافعية بما فيه كفاية، وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ليستزق الله في صلاته حين أرسل هو ومحمد ابن جرير، ومحمد بن هارون الروياني، وقد أوردنا ابن الجوزي من طريقين في ترجمته وذلك ببلد مصري دولة أحمد بن طولون فرزقهم الله على يديه. وقد ذكرنا نحو ذلك، في ترجمة الحسن بن سفيان.

وفيها توفي:

■ محمد بن زكريا الطيب، صاحب المصنف الكبير في الطب.

ثم دخلت سنة ثني عشرة وثلاثمائة

في الحرم منها اعترض القرمطي، أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي - لعنه الله، ولعن معه أباه - للحجيج، وهم راجعون من بيت الله الحرام، وقد أدوا فرض الله عليهم، فقطع عليهم الطريق، فقاتلوه، دفعا عن أموالهم، وأنفسهم، وحرّجهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، لا يعلمهم إلا الله عز

إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وصنّفه على ذلك طائفة من الأصحاب، والطغاف، والتفرا عليه، وقويت شوكة في شوال، فأرسل إليه الوزير جيشاً، فقاتلوه، فهزموه، وقتلوا خلقاً من أصحابه، وتفرق بقيتهم وهذا المدعي المذكور هو رئيس الإسماعيلية، أولهم وظفر نازوك صاحب الشرطة بثلاثة من أصحاب الخلاج: وهم حيدر، والشرعاني، وابن منصور، فطالهم بالرجوع فلم يرجعوا، فضرب رقابهم، وصلبهم في الجانب الشرقي. ولم ينج في هذه السنة أحد من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة لعنهم الله

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ **إبراهيم بن خُشّ أبو إسحاق** الواعظ الزاهد التسابوري، كان يعظ الناس، فكان من جملة كلامه الحسن، قوله: يضحك القضاء من الحنن، ويضحك الأجل من الأمل، ويضحك التقدير من التبدير، وتضحك القسمة من الجهد والعناء.

■ **علي بن محمد بن الفرات أبو الحسن الوزير**: ولاه المقتدر الوزارة، ثم عزله، ثم ولاه، ثم عزله، ثم ولاه، هذه السنة، وقته، وكان ذا مال جزيل جداً: ملك عشرة آلاف دينار، وكان يدخله من ضياعه في، كل سنة ألفاً ألف دينار، وكان يتفرق على خمسة آلاف من العلماء والعباد، ويمرّ عليهم الأرزاق، في كل شهر، أثابه الله، وكان فيه كفاية ونهضة ومعرفة بالوزارة، والحساب، يقال: إنه نظر يوماً في ألف كتاب، ووقع على ألف رقعة، فتعجب من حضره من ذلك، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة، في ولاياته، غير المرة الثالثة فإنه ظلم وغشم وصادر الناس، عن أموالهم، فأخذ الله أخذ عزيز مقتدر. وقد كان فيه كرم، وسعة في النفقة، ذكر عنه ذات ليلة، أهل الخليل، والصوفية، وأهل الأدب والشعراء والفقهاء، فاطلق من ماله لكل طائفة عشرين ألفاً.

وكتب رجل على لسانه، إلى نائب مصر كتاباً، فيه الوصية به إليه فلما وقف عليه المکتوب إليه استراب به، وقال: ما هنا خطه، وأرسل به إلى الوزير فلما وقف عليه الوزير، عرف أنه كذب، وزور، واستشار الحاضرين عنه في الذي زور عليه، فقال بعضهم: ينبغي أن تقطع يده وقال آخر: يقطع إبهامه، وقال آخر: يضرب ضرباً عنيفاً. فقال الوزير: أو خير من ذلك؟ فأخذ الكتاب، وكتب عليه: نعم هذا خطي، وهو من أخص أصحابي، فلا تترك شيئاً مما تقدر عليه من الإحسان، إلا وصلته به فلما عاد الكتاب أحسن نائب مصر، إلى ذلك الرجل، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار.

واستدعى ابن الفرات يوماً ببعض الكتاب، فقال له: ويحك! إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت، أريد أن أقبض عليك، وأصادرك، مالك، فرأيت في المنام من ليال، وإني قد أمرت بالقبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن يقتل، فجعلوا كلما ضربوك، بشيء من سهام، أو غيرها من السلاح تقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك بسية شيء فأعلمني مانقة هذا الرغيف فقال: أيها الوزير، إن أسي منذ كنت صغيراً، كانت تضع في كل ليلة تحت وسادتي رغيفاً، ثم تصبح فتصدق به عني، ولم يزل ذلك دأبها حتى ماتت ففعلت بعدها فأتا في كل ليلة، أبيت تحت وسادتي رغيفاً، ثم أصبح فأتصدق به، فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك مني سوء أبداً، ولقد حسنت نيتي فيك، وأحببتك،

وجل، وأسر من نسائهم، وأبنائهم، ما اختاروه، واصطفى من أموالهم، ما أراد، فكان مبلغ ما أخذ من الأموال، ما يقاوم ألف ألف دينار، ومن الأمّة، والمتاجر نحو ذلك، وترك بقية الناس - بعدما أخذ جملهم، وزادهم، وأموالهم، ونساءهم، على بعد الديار - في البرية، بلا زاد ولا ماء لا عمل وقد حاجف عن الناس، نائب الكوفة، أبو الهيثم عبد الله بن حمدان، فقهره، وأسرهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون وكان عدة من مع القرمطي ثمانمائة مقاتل، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة قصمه الله.

ولما انتهى خبرهم إلى بغداد، قام نساؤهم، وأهلهم في الناحية، ونشروا شعورهم، ولطمن وجوههم، وانضاف إليهم، نساء الذين نكبوا، على يدي الوزير ابن الفرات فكان ببغداد يوم مشهود، بسبب ذلك في غاية الفظاعة، والشناعة، ولما سأل الخليفة عن الخبر، ذكر له، أنه هذه نسوة الحجاج، ومعهن نساء الذين صادرهم ابن الفرات، وجاءت على يد الحاسب نصر بن القشوري المشورة، على الوزير، وقال: يا أمير المؤمنين، إنما استولى هذا القرمطي، بسبب إبعادك المظفر مؤسساً الخادم المظفر، فطمع هؤلاء في الأطراف، وما أشار عليك بإبعاده، إلا ابن الفرات، وبعث الخليفة المقتدر إلى الوزير ابن الفرات يقول له: إن الناس يتكلمون فيك، لنضحك إياي وأرسل يطيب قلبه، فركب هو وولده إلى الخليفة، فدخل عليه، فأكرمهما، وطيب قلبهما، فخرجا من عنده، فتألفا أذى كثير، من نصر الحاسب، وغيره من كبار الأمراء، وجلس الوزير في دمه، فحكم بين الناس كعادته، وبات ليلته تلك مفكراً في أمره، وأصبح كذلك وهو ينشد:

فأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدامه خير لسه أم وراءه

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة المقتدر، فدخلا عليه داره، إلى بين حرمة، وأخرجوه مكشوفاً رأسه، وهو في غاية المذلة، والإهانة فأركبوه في حراقة إلى الجانب الآخر، وفهم الناس ذلك فرجوا ابن الفرات بالأجر، وتعلّطت الجوامع، وسخّمت العامة المحارب ولم يصل الناس الجمعة فيها وأخذ خطه بالتقي ألف دينار وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار وسلم إلى نازوك أمير الشرطة فاعتقلاً حيناً حتى وخلص منهما الأموال ثم فلما قدم مؤسس الخادم سلم إليه الوزير ابن الفرات فأهانته غاية الإهانة، بالضرب، والفرج له، ولولده الحسن المجرم، الذي ليس بحسن، ثم قتل بعد ذلك. فكانت وزارته هذه الثالثة، عشرة أشهر وأياماً واستوزر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان، وذلك في تاسع ربيع الأول من هذه السنة وكان الخليفة قد أرسل إلى مؤسس الخادم ليحضر، فدخل ببغداد في تجمل عظيم، وسلم إليه ابن الفرات كما ذكرنا، فعاقبه، وشفع إلى الخاقاني في أن يرسل إلى علي بن عيسى - وكان قد صار إلى صنعاء من اليمن مطروداً - فماد إلى مكة، وبعث إليه الوزير، أن ينظر في أمر الشام، ومصر، وأمر الخليفة مؤسساً الخادم، بالمسير إلى ناحية الكوفة، لأجل القرامطة، وأنتفى على خروجه إلى هنالك ألف ألف دينار، وأطلق القرمطي من كان أسره من الحجاج، وكانوا ألفي رجل وخمسمائة امرأة، وأطلق أبا الهيثم نائب الكوفة معهم أيضاً، وكتب إلى الخليفة يسأل منه البصرة، والأهواز، فلم يجب إلى ذلك، وركب المظفر مؤسس الخادم في جحافل إلى بلاد الكوفة، فسكر أمرها، ثم أغدر منها إلى واسط خوفاً عليها من القرامطة، واستتاب على الكوفة ياقوت الخادم، فتمهدت الأمور، وانصلحت.

وفي هذه السنة، ظهر رجل، بين الكوفة وبغداد، فادعى أنه محمد بن

ذكر من توفي فيها من الأعيان

■ علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان: أبو الحسن الفضايري، سمع القواريري، وعباساً العنبري، وكان من العباد الثقات. قال: جئت يوماً إلى السري السقطي، فدققت عليه بابه، فخرج إليّ، ووضع يده على عضدائي الباب، وهو يقول: اللهم، اشغل من شغلني عنك بك. قال: فنالتني بركة هذه الدعوة فحججت على قدمي، من حلب إلى مكة، أربعين حجة ذاهباً وآيلاً.

أبو العباس السراج الحافظ:

■ محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهرا بن عبد الله الثقفي مولاهم، أبو العباس السراج، أحد الأئمة الثقات الحافظ، مولده سنة ثمان مائة عشرة ومائتين، سمع قتيبة، وإسحاق بن راهويه، وخلط كثيراً من أهل خراسان، وبغداد والكوفة، والبصرة، والحجاز، وقد حدث عنه البخاري، ومسلم، وهما أكبر منه، وأقدم ميلاداً، ووفاء، وله مصنفات كثيرة نافعة جداً، وكان يعد من مجايي الدعوة.

وقد رأى في منامه، كأنه يرقى في سُلَّم، فصعد فيه تسعاً وتسعين درجة، فما أُلِّمَ على أحد، إلا قال له: تعيش تسعاً وتسعين سنة، فكان كذلك وقد ولد ابنه أبو عمرو، وعمره ثلاث وثمانون سنة.

قال الحاكم: فسمعت أبا عمرو يقول: فكت، إذا دخلت المسجد، على أبي، والناس عنده، يقول لهم: هذا عمك، في ليلة، ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

كتب ملك الروم وهو اليمسقي لعنه الله إلى أهل السواحل، أن يعملوا إليه الخراج وإلا قاتلهم فأبوا عليه، فركب إليهم، في أول هذه السنة، فغاث في الأرض فساداً، ودخل ملطية، فقتل من أهلها كثيراً وأسر وأقام بها ستة عشر يوماً، وجاء أهلها إلى بغداد، يستنجون الخليفة عليه.

وقع ببغداد حريق في مكانين، مات بسببهما خلق كثير، واحترق في أحدهما ألف دار ودكان، وجاءت الكتب بموت اليمسقي ملك النصارى لعنه الله فقررت الكتب على النابر بذلك. وجاءت الكتب من مكة أن أهلها في غاية الانزعاج، بسبب اقتراب القرمطي إليهم، وقصده إياهم، فرحلوا منها إلى الطائف، وتلك النواحي. وفيها هبت ريح عظيمة، بنصيين، اقتلعت الأشجار وهلمت البيوت.

قال ابن الجوزي [المنظم ٢٥٥/١٣]: وفي يوم الأحد، لثمان ماضين من شوال منها - وهو سابع كانون الأول - سقط ببغداد ثلج عظيم، جداً، وحصل بسببه برد شديد، بحيث أثلث كثيراً من النخيل، والأشجار، وجذبت الأدهان، حتى الأشربة، وماء الورد، والخل والخلجان الكبار، ودجلة، وعقد بعض مشايخ الحديث مجلس التحديث، على متن دجلة، من فوق الجملد، وكتب عنه الحديث هنالك ثم انكسر البرد بمطر، وقع، فأزال ذلك كله والله الحمد.

قدم الحجاج من خراسان، إلى بغداد، فاعتزل إليهم مؤنس الخادم، بأن القرامطة قد قصدوا مكة، فرجعوا، ولم ينها الحجاج في هذه السنة، من ناحية العراق بالكلية.

وفي ذي القعدة عزل الخليفة، وزيره أبا العباس الحفصي بعد سنة

وقد أطال ابن خلكان ترجمته وذكر بعض ما أوردناه ووفيات الأعيان ٤٢١/٣ - ٤٢٩.

■ محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن: أبو بكر الأزدي الواسطي، المعروف بالباغندي، سمع محمد بن عبد الله بن نمير، وابن أبي شبة وشيبان بن فروخ، وعلي بن المثنى، وخلطاً من أهل الشام، ومصر، والكوفة، والبصرة، وبغداد، ورحل إلى الأمصار البعيدة، وعني بهذا الشأن، واشتغل فيه، فأفرط، حتى قيل: إنه كان ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيد، في الصلاة، وهو لا يشعر، فيسبح، حتى يتذكر أنه في الصلاة، وكان يقول: أنا أجيب في ثلثمائة ألف مسألة، من الحديث وقد رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال له: يارسول الله، أيما أثبت في الحديث منصور، أو الأعمش؟ فقال له: منصور منصور وقد كان يعاب بالتدليس، حتى قال الدارقطني: هو كثير التدليس، يحدث بما لم يسمع، وربما سرق بعض الأحاديث.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [المنظم ٢٤٧/١٣]: لليلة بقيت من المحرم، انقصر كوكب من ناحية الجنوب، إلى الشمال قبل مغيب الشمس، فاضاءت الدنيا منه، وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد.

وفي صفر بلغ الخليفة المقتدر بالله، أن جماعة من الرافضة، يجتمعون في مسجد براثا، فيتألون من الصحابة، ولا يصلون الجمعة ويكاتبون القرامطة، ويدعون إلى ولاية محمد بن إسماعيل، الذي ظهر بين الكوفة، وبغداد، ويدعون أنه المهدي، ويتبرمون من المقتدر، وعمن يتبعه فأمر بالاحتياط عليهم، واستغنى العلماء في المسجد المذكور فأقرا بأنه مسجد ضرار يهدم كما هدم مسجد الضرار فضرب من قدر عليه منهم، الضرب المبرح، ونودي عليهم وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور، فهلعه نازوك، وأمر الوزير الحاقاني، فجعل مكانه مقبرة، فدفن فيها جماعة من الموتى.

وخرج الناس للحج في ذي القعدة، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي لعنهما الله، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم، ولم يمكنهم الحج عامهم هذا ويقال: إن بعضهم سأل منه الأمان، لينهبوا، فأمنهم. وقد قاتله جند الخليفة، فلم يقد ذلك فيه شيئاً، لتمرده، وشدة بأس من معه، وانزعج أهل بغداد من ذلك، وترحل أهل الجانب الغربي، إلى الجانب الشرقي، خوفاً من القرامطة ودخل القرمطي إلى الكوفة، فأقام بها ستة أيام، يأخذ من أموالها، ما يحتاج إليه.

قال ابن الجوزي [المنظم ٢٤٩/١٣]: وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد، حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة، وعمل منه، تمر وحمل إلى البصرة. وعزل المقتدر، وزيره الحاقاني عن الوزارة بعد أن ولاه سنة وستة أشهر ويومين، وولي مكانه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحنصلي الحفصي لأجل مال بذله من جهة زوجة الحسن بن القرات وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار، فأمر الحفصي علي بن عيسى، على الإشراف على ديار مصر، وبلاد الشام، وهو مقيم بمكة، يسير إلى إليها في بعض الأوقات فيعمل ما ينبغي عمله، ثم يرجع إلى مكة شرفها الله سبحانه وتعالى.

معظماً مكرماً، وركب أبو العباس ابن المقتدر، والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب في خدمته، لتوحيه، وكبار الأمراء بين يديه مثل الحجة، وكان خروجه يوماً مشهوراً، قاصداً بلاد الثغور لقتال الروم.

وفي جمادى الأولى قبض على رجل خنقاً، قد قتل خلقاً من النساء، لأنه ادّعى أنه يعرف العطف، والتنجيم، فقصدته النساء لذلك فإذا انفرد بالمرأة، قام إليها، فخنقها بوتر وأعانه امرأته على ذلك، ثم حفر لها في داره، فدفنها، فإذا امتلأت تلك الدار انتقل عنها إلى غيرها ولا ظهر عليه، وُجد في داره سبع عشرة امرأة قد خنقهن، ثم تبعت الدور التي سكنها فوجدوه شيئاً كثيراً قد قتل من النساء، ففُضرب ألف سوط ثم صُلب حياً حتى مات قبّحه الله.

في هذه السنة كان ظهور الدليم ببلاد الري، فكان فيهم ملك، غلب على أمرهم، يقال له: مرداويج، يجلس على سرير من ذهب، وبين يديه سرير من فضة، ويقول: أنا سليمان بن داود وقد سار في أهل الري، وقرزين، وأصبهان، سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان في المهود ويأخذ أموال الناس، وهو في غاية الجبروت، والشدة والجسارة على محارم الله عز وجل، فقتلته الأتراك، وأراح الله المسلمين من شره والله الحمد والملة.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن أبي الساج، وبين أبي طاهر القرمطي، عند الكوفة، فسبقه إليها أبو طاهر، فحال بينه وبينها، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج: اسمع، وأطع، وإلا فاستعد للقتال، يوم السبت تاسع شوال من هذه السنة، فقال: هَلُمَّ فلما تراءى الجمعان، استقل يوسف بن أبي الساج، وكان معه عشرون ألفاً جيش القرمطي، وكان معه ألف فارس وخمسمائة راجل فقال: وما قيمة هؤلاء الكلاب؟ وأمر الكاتب، أن يكتب بالفتح، قبل اللقاء إلى الخليفة، فلما اقتتلوا ثبتت القرامطة نباتاً عظيماً، ونزل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله، فحرض أصحابه، وحمل بهم حملة صادقة، فهزموه جند الخليفة، وأمسروا يوسف بن أبي الساج، وقتلوا خلقاً كثيراً، من جند الخليفة، واستحوذ على الكوفة، وجاءت الأخبار بذلك إلى بغداد، وشاع بين الناس أن القرمطي يريد أن يقصد بغداد ليأخذها، فترجع المسلمون لذلك، وظنوا صدقه، فاجتمع الوزير بالخليفة فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأموال إنما تدخر، لتكون عوناً على قتال أعداء الله، وإن هذا الأمر لم يقع بعد زمن الصحابة أظف من، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس، وقتل في المسلمين مرة بعد مرة، وإن بيت المال ليس فيه شيء، فأتى الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيلة - يعني أمه - فإن كان عندها مال ادخرته لشدة، فهذا وقته. فدخل على أمه فكانت هي التي ابتدأته بذلك، وبذلت له خمسمائة ألف دينار، وكان في بيت المال مثلهما، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تنفيذ الجيوش نحو القرامطة، فجهز الوزير جيشاً أربعين ألفاً مع أمير يقال له يلقب، فآخذوا عليه الطرقات، وكان يريد دخول بغداد، ثم التقوا معه فلم يلبث جيش الخليفة أن انهزم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان يوسف بن أبي الساج معهم مقيداً في خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة، فلما رجع القرمطي قال: أردت أن تهرب؟ ثم أمر به ففُضرت عنقه. ورجع القرمطي من ناحية بغداد إلى الأنبار. ثم انصرف إلى هيت فأكثر أهل بغداد الصدقة، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً لله عز وجل على صرفه عنهم هذا الخبيث ولله الحمد والملة.

وفي هذه السنة بعث المهدي المدعي أنه فاطمي الذي ظهر ببلاد

وشهرين، وأمر بالقبض عليه، وحسبه، وذلك لإعماله أمر الوزارة، والنظر في المصالح، لاشتغاله بالخير، في كل ليلة، فيصبح غموراً، لا عقل له، وقد وكل الأمور إلى نوابه، فآخذوا، وعملوا مصالحهم، ووُكّي مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزاني، نياية عن علي بن عيسى، حتى يقدم، ثم أرسل في طلب علي بن عيسى، وهو في دمشق، فقدم بغداد، في أبهة عظيمة، فنظر في المصالح العامة والخاصة، ورد الأمور إلى السداد والاستقامة، وتهدت القواعد واستدعى بالخصي، فتهده، ولامه، وتناقشه على ما كان يعتمده، ويفعله، في خاصة نفسه، وفي الأمور العامة، وذلك بحضرة القضاة والأعيان، ثم رده إلى السجن.

وفيها أخذ نصر بن أحمد الساماني، الملقب بالسعيد ببلاد الري، وسكنها، إلى سنة ست عشرة.

وفيها غزت الصائفة من بلاد طرسوس، بلاد الروم، فغنموا وسلموا ولم ينج ركب العراق خوفاً من القرامطة لعنهم الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سعيد النوبي، صاحب باب الترمي، من دار الخلافة، ببغداد، توفي في صفر من هذه السنة وأقيم أخوه مكانه، في حفظ هذا الباب الذي صار ينسب بعده إليه.

و ■ محمد بن محمد الباهلي

و ■ محمد بن عمر بن لبابة القرمطي.

و ■ نصر بن القاسم الفرائضي الحنفي أبو الليث، سمع القواريري، وكان ثقة عالماً بالفرائض، على مذهب أبي حنيفة، مقرأ جليلاً.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

في صفر منها كان قدم علي بن عيسى الوزير، من دمشق إلى بغداد وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق، فمنهم من لقيه إلى الأنبار، ومنهم دون ذلك. وحين دخل إلى الخليفة المقتدر خاطبه الخليفة، فأحسن مخاطبته، وانصرف إلى منزله، فبعث الخليفة وراءه بالفرش، والقماش، وعشرين ألف دينار، واستدعاه من الغد، فخلع عليه، فأثد وهو في الخلعة:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلب يوماً به انقلبوا يعظمون أخص الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يُستهى وثبوا

وجاءت الكتب، بأن الروم دخلوا سيماسط، وأخذوا جميع ما فيها، ونصبوا فيها خيمة الملك، وضربوا الناقوس في الجامع بها، فأمر الخليفة مؤنساً الحاد، بالتجهيز للمسير إليهم، وخلع عليه خلعة سنية. ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم قتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا غنائم كثيرة جداً، ولله الحمد.

ولما تجهز مؤنس للمسير، جاءه بعض الخدم، فأعلمه، بأن الخليفة، يريد أن يقبض عليه، إذا دخل لوداعه وقد خفرت له زينة في دار الخلافة، مغفلة ليرتد فيها، فأحجم عن الذهاب وجاءت الأمراء إليه، من كل جانب، ليكونوا معه على المقتدر، فبعث إليه المقتدر، رقعة بخطه يخلف له فيها، أن هذا الأمر الذي بلغه ليس بصحيح، فطابت نفسه، وركب إلى دار الخلافة في غلمان قلائل، فلما دخل على الخليفة، خاطبه مخاطبة عظيمة وحلف له أنه طيب القلب عليه، وله عنده الصفاء الذي يعرفه وخرج من بين يديه

المغرب ولده أبا القاسم في جيش، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه خلق كثير.

واختطت في هذه السنة المحمدية.

ولها حاصر عبد الرحمن بن الداخل الأموي مدينة طليطلة، وكانوا مسلمين، لكنهم تقضوا ما كانوا عاهدوه عليه، ففتحتها قهراً وقتل خلقاً من أهلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن الجصاص الجوهري: الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري أبو عبد الله البغدادي، كان ذا مال عظيم وثروة شتعة جداً، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون، كان قد جعله جوهرياً له يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر، فاكسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة جداً.

قال ابن الجصاص: كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة ويدها عقد فيه مائة حبة من الجواهر، تساوي كل واحدة ألف دينار. فقالت: أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم. فلما هذا نافر على ما يريدونه. فأخذته منها ودفعته به إلى المنزل وحصلت جواهر أصغر منها تساوي أقل من عشر قيمة تلك الجواهر بكثير، فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك الذي جاءت به. فكانت قيمته مائتي ألف دينار. وقد اتفق أنه صودر في أيام المقتدر مصادرة عظيمة، أخذ منه ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً. قال بعضهم: دخلت عليه وهو يتردد في منزله كأنه مجنون، فقلت له: ما لك ذا؟ فقال: ويحك! اخذ مني كذا وكذا فأنا أحسن أن روحي ستخرج، فعذرتني ثم أخذت في تسليته فقلت له: إن دارك وساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعمئة ألف دينار، وأصدقني كم بقي عندك من الجواهر والمتاع؟ فإذا هو يساوي ثلاثمئة ألف دينار. فقلت: إن هذا الأمر لا يشاركك فيه أحد من التجار ببغداد مع ما لك من الوجاعة عند الدولة والناس. قال: فسري عنه وتسلى عما كان عليه وأكل - وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً - ولما خلاص من مصادرة المقتدر بشفاقة أمة السيدة فيه حكى عن نفسه قال: نظرت في دار الخلافة إلى مائة خيشة، فيها متاع رث عما حمل إلي من مصر، وهو عندهم بدار مضیعة وكان لي في كل حل منها ألف دينار موضوعة فيه من مصر لا يشعر بها أحد، فاستهبت ذلك من أم المقتدر فكلمت في ذلك ولدها فأطلقه لي فتسلمته فإذا الذهب لم ينقص منه شيء. وقد كان مع ذلك مغفلاً شديد التغفل في كلامه وأفعاله، وقد ذكر عنه أشياء تدل على ذلك، وقيل: إنه إنما كان يفعل ذلك ليظهر أنه مغفل، وقيل: إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدعابة والله تعالى أعلم.

ولها توفي:

■ عبد الله بن محمد القزويني.

و■ علي بن سليمان بن الفضل: أبو الحسن الأخفش، روى عن الميرد وثعلب واليزيدي وغيرهم، وعنه الرزباني والمعافي وغيرهما. وكان ثقة في نقله، فقيراً في ذات يده، توصل إلى أبي علي بن مقله حتى كلم فيه الوزير علي بن عيسى في أن يرتب له شيئاً فلم يجبه إلى ذلك، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللبث فمات فجأة من كثرة أكله وذلك في شعبان من هذه السنة. وهذا هو الأخفش الصغير، والأوسط هو سعيد بن مسعدة تلميذ سيويه. وأما الأكبر فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد، من

أهل هجر، وهو شيخ سيويه وأبي عبيد وغيرهما.

أبو بكر

■ محمد بن السري السراج التحوي صاحب «الأصول» في النحو.

قاله ابن الأثير.

و■ محمد ابن المسيب الأرغواني.

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

فيها عاث القرمطي - لعنه الله - وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي - في الأرض فساداً، حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمعنهم، وبعث سرايا إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقاً أيضاً، حتى صاروا إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه، وقرر على الأعراب إتاحة يحملونها إلى هجر في كل سنة، عن كل رأس دينار. وعاث في نواحي الموصل فساداً، وسنجر، وتلك الديار وقتل وسلب ونهب. فقصده مؤسس الخادم فلم يتوажها بل رجع إلى بلده فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب باني المهديّة. وتفاقم أمره وكثر أتباعه وصاروا يكسبون القرية من أرض السواد فيقتلون أهلها ونهبون أموالها، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يقتل على ذلك وعصمها الله منه. ولما رأى الوزير علي بن عيسى ما يفعل هذا المهجري القرمطي ببلاد الإسلام، والخليفة وجيشه ضعفاء عن مقاومته استعفى من الوزارة، وعزل نفسه عنها، فسمى فيها أبو علي بن مقله الكاتب المشهور، فولبها بشفارة نصر الحاسب وأبي عبد الله الريدي - بلاء الموحدة من البرد -، وقال: اليزيدي لخدمة جده يزيد بن منصور الحميري. ثم جهز الخليفة جيشاً كثيراً مع مؤسس الخادم فاقتلوا مع القرامطة قتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرفهم، ودخلوا مع مؤسس الخادم إلى بغداد والأسارى بين يديه وأعلام من أعلامهم يبيض منكمه مكتوب عليها: «وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» والقصر: هـ. ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، وطابت أنفس أهل بغداد، وانكسر شر القرامطة الذين كانوا قد نشؤا وكثروا وأظهروا رؤوسهم بأرض العراق ونهبوا كثيراً من القرى، وفوضوا أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود لا أسعده الله، ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وبني المهديّة جد الخلفاء الفاطميين، وهم أدعياء فيما ذكروا لهم من النسب، كما نص ذلك غير واحد من أئمة العلماء. كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه.

وفيها وقعت وحشة بين مؤسس الخادم والمقتدر، وسبب ذلك أن نازوك أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن غريب - وهو ابن خال المقتدر - فانتصر هارون على نازوك وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء. فبلغ ذلك مؤسساً الخادم وهو بالرقبة فأسرع الأوبة إلى بغداد واجتمع بالخليفة فتصالحا، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فقيوت الوحشة بينهما، وانضم إلى مؤسس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك. وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها.

وفيها كان مقتل

■ الحسن بن القاسم الداعي العلوي صاحب الري على يد صاحب

الديلم وسلطانهم مرداويج الجرم قبحه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بُنَان بن محمد بن حمدان بن سعيد: أبو الحسن الزاهد، ويعرف بالحلماء، روى الحديث عن الحسن بن عرفة وكان يضرب بزهده المثل. وكانت له كرامات كثيرة، ومنزلة كبيرة عند الناس، وكان لا يقبل من السلطان شيئاً، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات وأمره بالمعروف، فأمر به فالقي بين يدي الأسد، فكان الأسد يشمه ويحجم عنه، فرفع من بين يديه، وعظمه الناس جداً.

وله سأل بعض الناس: كيف كان حالك وأنت بين يدي الأسد؟ فقال: لم يكن عليّ بأس. قد كنت أفكر في سؤر السباع أهو طاهر أم نجس. قالوا: وجاءه رجل فقال له: إن لي على رجل مائة دينار، وقد ذهبت الوثيقة، وأنا أخشى أن ينكر الرجل، فأسالك الدعاء. فقال له: إنني رجل قد كبرت، وأنا أحب الحلواء، فاذهب فاشتر لي منها رطلاً وأتني به حتى أذوق لك. فلذهب الرجل فاشترى ثم جاء ففتح الورقة التي فيها الحلواء فإذا هي حجة بالمائة دينار. فقال له الشيخ: أهذه حجتك؟ قال: نعم. قال: خذها وخذ الحلواء فاطعمها صبيائك. ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيماً لشأنه وإكراماً له.

■ محمد بن خريم.

■ محمد بن عقيل البخاري.

■ أبو بكر بن أبي داود السجستاني الحافظ ابن الحافظ رحمهما الله.

■ أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفراييني، صاحب «الصحیح» المخرج على «صحیح مسلم»، وقد كان من الحفاظ الكثيرين، والأئمة المشهورين.

■ نصر الحاجب للخليفة المقتدر، كان من خيار الأمراء، ديناً عاقلاً، أنفق من ماله في حرب القرامطة مائة ألف دينار. وخرج بنفسه محسباً فمات في أثناء الطريق من هذه السنة.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتض بالله أخيه المقتدر بالله: في الحرم من هذه السنة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة فالتف الأمراء على مؤنس الخادم، وتناقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتولية محمد بن المعتض، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها، ولقبوه القاهر بالله. وذلك ليلة السبت للنصف من المحرم من هذه السنة، وقُدَّ علي بن مُقَلَّة وزارته، ونهبت دار المقتدر، ووُجد منها شيئاً كثيراً جداً، وأخذوا لأم المقتدر ستمائة ألف دينار قد دفنتها في قبر بتريتها - فحملت إلى بيت المال، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواص جواريه من دار الخلافة، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة، وهرب من كان بها من الحجة والخدم منها، وولى نازوك الحجوبة مُضافاً إلى ما بيده من الشرطة، وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان، وسلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فقال لولده أبي الحسين: احتفظ بهذا الكتاب فلا يريته أحدٌ من خلق الله. فلما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه،

فشكره على ذلك جداً وولاه قضاء القضاة. ولما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة، وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مقلة، وكتب إلى العمال بالأفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضاً عن المقتدر، وأطلق علي بن عيسى من السجن، وزاد في أقطاع جماعة من الأمراء الذين قاموا بنصره، منهم أبو الهيجاء بن حمدان.

فلما كان يوم الاثنين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشغبوا، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه - وكان مخموراً - ثم صلبوه. وهرب الوزير ابن مقلة، والحجبة ونادوا يا مقتدر يا منصور، ولم يكن مؤنس يومئذ حاضراً، وجاءت الجنود إلى بابهم يطلبونه بالمقتدر، فأغلق بابهم وحاجف دونه خدمه. فلما رأى مؤنس أنه لا بد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج، فخاف أن يكون حيلة عليه، ثم تجاسر فخرج فحملته الرجال على أعناقهم حتى ادخلوه دار الخلافة، فسأل عن أخيه القاهر وأبي الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أماناً، فما كان عن قريب حتى جاءه خادم ومعه رأس أبي الهيجاء قد احتزته وأخرجه من بين كفيه وجاء المقتدر بالله فجلس في الدُست، واستدعى القاهر فأجلسه بين يديه واستدانه إليه، وقبَّل بين عينيه، وقال: يا أخي أنت لا تذب لك، وقد علمت أنك قُهرت - والقاهر يقول: الله الله! نفسي نفسي يا أمير المؤمنين. فقال: وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك مني سوء أبداً. وعاد ابن مقلة فكتب إلى الأفاق يعلمهم بعود المقتدر، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول ببغداد، واستقر المقتدر في الخلافة كما كان وحُمِّل رأس نازوك وأبي الهيجاء بن حمدان، فتودي عليهما: هذا جزء من عصي مولاة وهرب أبو السرايا بن حمدان إلى الموصل، وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد مُتَكْرِماً فدخل الموصل، ثم صار إلى أرمينية، ثم لحق بمدينة القسطنطينية فنصر مع أهلها لعنه الله وإياهم وأما مؤنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر وإيما وافق جماعة الأمراء مُكرهاً، ولهذا لما أودع المقتدر في داره لم ينله منه سوء، بل كان يطيب قلبه، ولو شاء لقتله لما طلب من داره. فلهذا لما عاد إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده، لثقت به. وقرر أبا علي بن مقلة على الوزارة، وولى محمد بن يوسف أبا عمر قضاء القضاة، وجعل عمداً أخاه - وهو القاهر بالله - عند والدته بصفة مُحَبَّبٍ عندها، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان، وتشترى له السراري وتكرمه غاية الإكرام.

ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم ما كان

منهم إلى الحجيج لعن الله القرامطة

فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين، وتوافت الركوب هناك من كل جانب، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فأنتهب أموالهم واستباح قتلهم، فقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي - لعنه الله - على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، في المسجد الحرام في الشهر الحرام ثم في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول:

أَنَا بِاللَّهِ وَيَاللَّهِ أَنَا تَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأَنْتَهُمْ أَنَا فَكَانَ النَّاسُ يَفْرُونَ فَيَتَعَلَّقُونَ بِاسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَلَا يُجِدِي ذَلِكَ عَنْهُمْ

لا تخبر بهذا الذي قلته لك أحداً. رواه ابن الجوزي في «متنظمه» و«الشم» ٢٨٣/٢٨٢.

وروى «الشم» ٢٨١/٢٨٢ عن بعضهم أنه قال: كنت في المسجد الحرام يوم أقطع الحجر الأسود إذ دخل رجل وهو سكران وراكب على فرسه فصرخ لها حتى بالث في المسجد الحرام في مكان الطواف، ثم حمل على رجل كان إلى جانبي فقتله، ثم نادى بأعلى صوته: يا حير، أليس قُلتُم في بيتكم هذا «ومن دخله كان آمناً» [آل عمران: ٩٧]؟ فأين الأمن؟ قال: قُلتُ له: أسمع جواباً؟ قال: نعم: قلت: إنما أراد الله: فأمّوه. قال: فقتل رأس فرسه وانصرف. وقد سأل بعضهم مهناً سؤلاً: فقال: قد أحلَّ الله عز وجل بأصحاب القيل - وكانوا نصارى وهؤلاء شر منهم - ما ذكره في كتابه العزيز حيث يقول: «لم تترك فِعْلَ رِيكٍ بأصحاب القيل، الم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كمصَفِّ مأكولٍ»، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام، فهَلَّا عوجلوا بالعقوبة، كما عوجل أصحاب القيل؟ وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب القيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت الحرام، ولما يُراد به من التشريف والتعظيم بإرسال النبي الكريم ﷺ، من البلد الذي كان هذا البيت فيه ليعلم شرف هذا الرسول الكريم الذي هو خاتم الأنبياء، فلما أراد هؤلاء إعانة هذه البقعة التي يراد تشريفها عما قريب أهلهم سريعاً عاجلاً غير أجل عما جاء في كتابه، وأما هؤلاء فكان من أمرهم ما كان بعد تقرير الشرائع وتعميد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء من أكبر الملحدين الكافرين، بما تبين من كتاب الله تعالى وستة رسوله ﷺ، فهلذا لم يُخَجَّ الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أحرَمَ الرب جل جلاله ليوم تشخص فيه الأصبار، والله سبحانه وتعالى يُهَيِّل وَيُمِيتُ ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال رسول الله ﷺ «البحاري (٤٦٨٦/٢٥٨٣)» «إن الله ليُمِيتُ للظالم حتى إذا أخذ له يُقَلِّته» ثم قرأ «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذناهم شديد» (هود: ١٠٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم» وقال تعالى: «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار» [إبراهيم: ٤٢] وقال تعالى: «لا يغرنك تقلب الذين كفرُوا في البلاد متاع قليل ثم ماؤاهم جهنم وبئس المهاد» [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. وقال تعالى «نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» [نجم: ٢٤] وقال: «متاع في الدنيا ثم إنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون» [يونس: ٧٠].

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي، وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: «عسى أن يعشرك ربك مقاماً محموداً» [الإسراء: ٢٩]. فقال الحنابلة: يجلسه معه على العرش. وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى فاقتتلوا بسبب ذلك وقُتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد ثبت في «صحيح البخاري» (البحاري (١٤٧٥، ١٥٦٥، ١٧٤٠، ٢٧١٨)) أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى، يشفع عند الله عز وجل في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ويغبط به الأولون والآخرون.

وفيها وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش،

شيئاً، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وقد كان بعض أهل الحديث يرمون بطوف، فلما قضى طوافه أخذته السيوف، فلما وجب أشد وهو كذلك:

نرى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا فلما أمر القرمطي لعنه الله أن تدفن القتلى بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في أماكنهم وحتى في المسجد الحرام - وبأحسنا تلك القتل - وتلك الضجعة - ولم يفسلوا ولم يكفوا ولم يصل عليهم لأنهم شهداء في نفس الأمر، بل من خيار الشهداء وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فأراد أن يقتله، فسقط على أم رأسه فمات لعنه الله وصار إلى أمة الهاوية. فانكف اللعين عند ذلك عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، وجاءه رجل فضرب الحجر بمثقل في يده وقال: أين الطير الأبايل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود شرفه الله وكرمه وعظمه وأخذوه معهم حين راحوا إلى بلادهم، فكان عندهم اثنتين وعشرين سنة حتى ردوه، كما سنذكره في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده تبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر ليوضع في مكانه، وبذلك له جميع ما عنده من الأموال فلم يفعل - لعنه الله - فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهله وجنده، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وأموال الحجيج. وقد أخذ هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازهيه على ذلك الذي «لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد» [التحجر: ٢٦] وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كانوا كفاراً زنادقة، وقد كانوا مائلين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القلاح. وقد كان صابغاً بسلامة، وهوياً قادحاً أنه أسلم ثم سار منها إلى بلاد إفريقية، فادعى أنه شريف فاطمي، فصده على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة، ثم ابنتى مدينة وسماها المهديّة، وكان قرار ملكه بها، وكان هؤلاء القرامطة يرأسونه ويَدْعُونَ إليه، ويترأسون عليه، ويقال: إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له.

وذكر ابن الأثير «الكنز» ٢٠٨/٨ أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر القرمطي يلومه على فعله بمكة حيث سلط الناس على الكلام في عرضهم، وانكشف أسرارهم التي كانوا يظنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح، وأمره برد ما أخذ منها، وعوّده إليها. فكتب إليه بالسمح والطاعة، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك.

وقد أسير بعض أهل الحديث في أيدي القرامطة، فمكث في أيديهم مدة، ثم فرّج الله عنه، وكان يحكي أن الذي أسره كان يستعمله في أشق الخدمة وأشدها وأنه كان يُعْرِيد عليه إذا سكر. فقال لي ذات ليلة وهو سكران: ما تقول في محمدكم؟ فقلت: لا أدري. فقال: كان رجلاً سائماً. ثم قال: ما تقول في أبي بكر؟ فقلت: لا أدري. فقال: كان ضعيفاً مهيناً. وكان عمر فظاً غليظاً. وكان عثمان جاهلاً أحمق. وكان علي مُمَحَرَّقاً ليس كان عنده أحد يُعَلِّمه ما ادّعى أنه في صدره من العلم، أما كان يمكنه أن يُعَلِّم هذا كلمة وهذا كلمة؟ ثم قال: هذا كله غرقة. فلما كان الغد قال لي:

وقال البارقي: كان البغوي قلما يتكلم على الحديث، فإذا تكلم كان كلامه كالسمار في الساج. وقد ذكره ابن عدي في «كامله» (الكامل ١٥٧٨/٤، ١٥٧٩) فتكلم فيه، وقال: حدث بأشياء أنكرت عليه. وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف، وقد انتدب ابن الجوزي للرد على ابن عدي في هذا الكلام (النظم ٢٨٨/٣، ٢٨٩)، وذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر منها. وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والأسنان، بطا الإمام. وكانت وفاته ببغداد ودفن بمقبرة باب التين. رحمه الله وأكرم مثواه.

■ محمد بن أبي الحسين بن محمد بن عمار: الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروي، يعرف بابن أبي سعد، قدم ببغداد وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري. وحدث عنه ابن المظفر الحافظ، وكان من القضاة الأثبات الحفاظ المتقين، له مناقشات على بضعة وثلاثين حديثاً من «صحيح مسلم»، قتله القرامطة يوم الترويه بمكة في هذه السنة في جملة من قتلوا، رحمه الله وأكرم مثواه. وجعل جنات الفردوس مثله ومثواه.

■ الكعي المتكلم: هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعي، نسبة إلى بني كعب، وهو أحد مشايخ المعتزلة، وتنسب إليه الطائفة الكعية منهم.

قال القاضي ابن خلكان (وفيات الأعيان ٤٥/٣): كان من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام. من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة.

هكذا أورده عنه. وقد خالف الكعي نص القرآن في غير ما موضح. قال الله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (قصص: ٦٨). وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُمْ﴾ (الأنعام: ١١٢). وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا﴾ (الجن: ١٣). ﴿وَإِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرِيَةً أَمَرْنَا مَتَرَفَهَا فَفُتِقُوا فِيهَا فَتَقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَفَعَلْنَاهَا تَعْدِيماً﴾ (الأنعام: ١٦) إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة بصريح العقل والنقل.

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا علي بن مقله، فكانت مدة وزارته ستين وأربعة أشهر وثلاثة أيام، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن غلغل، وجعل علي بن عيسى ناظرًا معه.

وفي جمادى الأولى منها أحرقت دار أبي علي بن مقله، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورصاص وغير ذلك، وصادره الخليفة بمائتي ألف دينار.

وفيها طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا يدار الخلافة عن بغداد، وذلك أنهم لما رفقوا المقتدر إلى الخلافة شرعوا يُفسدون بكلام كثير عليه، يقولون: من أعان ظالماً سُلط عليه، ومن أصدق الحمار إلى السطح يقدر أن ينزله. فأمر بإخراجهم عن بغداد، ومن أقام منهم عوقب. فأحرقت دور كثيرة من قرباتهم، واحترق بعض نسايتهم وأولادهم، فخرجوا منها في غاية الإهانة، فزولوا واسطاً وتغلبوا عليها وأخرجوا عاملها منها، فركب إليهم مؤنس الخادم فأوقع بهم بأساً شديداً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فلم تقم لهم بعد ذلك رابة.

وفي ربيع الأول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل، وولى عليها عمه سعيداً ونصراً ابني حمدان. وولاه ديار ربيعة: نصيين

وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا، وجرت بينهم شرور ثم سكنت.

وفيها وقعت فتنه ببلاد خراسان بين بني سامان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بالسعيد.

وخرج في شعبان خارجي بالموصل. وخرج آخر بالبوابرج، فقالتهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم.

وفيها التقى مفلح الساجي وملك الروم اللمستق، فهزمه مفلح وطرد وراه إلى أرض الروم، وقتل منهم خلقاً كثيراً والله الحمد.

وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رملًا أحمر يشبه رمل أرض الحجارة، فامتلات منه البيوت.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن الحسن بن الفرج بن شفيق أبو بكر النحوي، كان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف.

■ أحمد بن مهدي بن رستم: العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلاثمائة ألف درهم ومكث أربعين سنة لا يأري إلى فراش.

وقد روى الحافظ أبو نعيم بسنده عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له: إني قد امتنحت بمحنة أكرمت على الزنى وأنا حُلِي منه، وقد تستر بك وزعمت أنك زوجي، وإن هذا الحمل منك، فاسترني سترك الله ولا تفضحني. فسكت عنها، فلما وضعت جأني أهل الحلة وإمام مسجدهم يهتوني بالولد، فأظهرت البشر وبعثت فاشترت بدينارين شيئاً حلواً وجعلت أرسل إليها مع إمام المسجد كل شهر دينارين صفة نفقة الولد، وأقول: اقترنها مني السلام فإنه قد سبق مني ما يفرق بيني وبينها: فمكثت كذلك ستين، ثم مات الولد فجأوني يعزوني فيه، فأظهرت التغمس والحزن عليه، ثم جاءني المرأة بالدينارين التي كنت أرسل بها إليها قد جعلتها عندها، فقالت لي: سترك الله وجزاك خيراً، وهذه الدينارين التي كنت ترسل بها: فقلت: يا هذه إني إنما كنت أرسل بها صلة للولد فخذوها. فافعلني بها ما شئت.

■ بلز بن الهيثم بن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المذر، أبو القاسم اللخمي القاضي الكوفي. نزل ببغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة، وكان ثقةً نبلاً، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة بالكوفة. ■

■ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المربان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي، ويعرف بابن بنت أحمد بن منيع، ولد سنة ثلاث عشرة، وقيل: أربعة عشرة ومائتين. ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام، ولم يسمع منه، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى ابن معين، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام البزار، وخلق، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه منه موسى بن هارون الحافظ فراه في دجلة، وقال: أتريد أن تجمع بين الثلاثة؟! وقد تفرد عن شيخ وثمانين شيخاً، وكان ثقة حافظاً ضابطاً، روى عنه الحافظ وله مصنفات.

قال موسى بن هارون الحافظ: كان ابن صنع ثقة صدوقاً، فقيل له: إن ههنا ناساً يتكلمون فيه. فقال: يحسدونه، ابن منيع لا يقول إلا الحق.

وقال ابن أبي حاتم وغيره: يَدْخُل في الصحيح.

ينسبها إليه من الخليفة المقتدر بالله، لأنه هو الذي قتله. وأولها:
يا هــر فارتقنا ولم تُـدْ وكنت عندي بمنزل الولد
وهي خمسة وستون بيتاً.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

في المحرم من هذه السنة دخل الحجيج بغداد، وقد خرج مؤنس الخادم للحج في هذه السنة في جيش كثيف، خوفاً من القرامطة، ففرح المسلمون بذلك ورُئيت بغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم، وقد بلغ مؤنس في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه، فعبد بالناس عن جادة الطريق، فأتى بهم في شعاب وأودية فتأهوا هناك أياماً، فشاهد الناس هناك عجائب وغرائب، وأوا عظاماً في غاية الضخامة، وشاهدوا ناساً قد مُسَخُوا حجراً - ورأى بعضهم امرأة واقفة على تَورٍ قد مسخت حجراً، والتسور قد صار حجراً. وحمل مؤنس من ذلك شيئاً كثيراً إلى الحضرة ليُصلِّق ما يخبر به من ذلك. ذكره ابن الجوزي في «متنظمه» [الطبعة ٢٩٩/١٣]. فيقال: إنهم من قوم عاد من ثمود قاله أعلم.

وفيها عزل المقتدر سليمان بن الحسن الوزير بعد سنة وشهرين وتسعة أيام، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوثاني، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً.

وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم، بسبب أن الخليفة ولَّى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت، وكان أميراً على الشرطة أيضاً، فقال مؤنس: إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدل وهذا لا يصلح لها. ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً، واتصل الحال بينهما. ثم تجددت الوحشة بينهما في ذي الحجة من هذه السنة، وما زالت تترابذ حتى آك الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره.

وفي هذه السنة أوقع ثمل متولي طرسوس بالروم وقعة عظيمة جداً، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر نحواً من ثلاثة آلاف، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئاً كثيراً جداً، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك. وكتب ابن الديلمي الأرمني إلى الروم يحضهم على الدخول إلى بلاد الإسلام ووعدهم منه النصر والإعانة، فدخلوا في جحافل كثيرة جداً، وانضاف إليهم الأرمن، فركب إليهم فلاح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبه خلق كثير من المطوعة، فقصدهم أولاً ببلد ابن الديلمي فقتل من الأرمن نحواً من مائة ألف، وأسر خلقاً كثيراً، وغنم أموالاً جزيلاً جداً، وتحصن ابن الديلمي في قلعة له هناك، وجاءت الروم فوصلوا إلى سبياط فحاصروها، فبعث أهلها يستصرخون بسعيد ابن حمدان نائب الموصل، فسار إليهم مسرعاً، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها، فلما علموا بقدومه أجلّوا عنها واجتازوا بمملكة فتهبوا، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم، ومعهم ابن نفيس المنتصر، وقد كان من أهل بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل [في ص ٣٦، ٣٧] وركب ابن حمدان في آثار الروم، فدخل بلادهم، فقتل خلقاً كثيراً منهم، وغنم أشياء كثيرة.

قال ابن الأثير [الكامل ٢٣٥/٨]: وفي هذه السنة في شوال جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شهراً، وغرق بسببه أربعمئة دار، وخلق لا يعلمهم إلا الله، حتى كان المسلمون والنصارى يُدفنون جميعاً، لا يُعرف هذا من هذا. قال [الكامل ٢٣٦/٨]: وفيها حاجت بالموصل

وسنجدار والخابور ورأس العين، ومعها ميثاقين وأرزن، ضمن ذلك من الخليفة مال يجمعه في كل سنة.

وفي جمادى الأولى منها خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له: صالح بن عمود، فاجتمع عليه جماعة من بني مالك، ثم سار إلى سنجدار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر وحث، فقال في جملة ما قال: تنولون الشيوخ وتبترأ من الخبيثين، ولا نرى المسح على الخفين. ثم سار فعات في الأرض فساداً. فانتدب له نصر بن حمدان فقاتله فأسر صالح بن عمود ومعه ابنان له. فحمل إلى بغداد فدخلها وقد اشتهر شهرة فظيعة.

وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبه ألف رجل، فحاصر أهل نصيبين فخرجوا إليه فاقتتلوا معه، فقتل منهم مائة وأسر ألفاً، ثم باعهم نفوسهم وصادر أهلها بأربعمئة ألف درهم، فانتدب إليه ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فظفر به فأمره، وأرسله إلى بغداد أيضاً والله الحمد.

وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش، وأعطاه نياحة فارس وكرمان ومسجستان ومكران، وخلع على ابنه أبي العباس الراضي وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام، ويكون مؤنس الخادم يسد عنه أموره.

وحج بالناس في هذه السنة عبيد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي. وخرج الحجيج مخفارة وبذرة حتى سلموا في الذهاب والإياب من القرامطة والله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إسحاق بن الهلال بن حسان بن أبي ستان أبو جعفر التوحيخي القاضي الحنفي، العدل الثقة الرضي. وكان فقيهاً ثقةً نبيلاً، سمع الحديث الكثير، وروى عن أبي كريب حديثاً واحداً، وكان عالماً بالنحو، فصيح العبارة، جيد الشعر، عموداً في الأحكام. اتفق أن السيدة أم المقتدر وقفت وقتاً وجعل الحاكم هذا عنده نسخة به في سلة الحكم، ثم أرادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقف لتأخذ منه فتقدمه، فلما حضر من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها: لا يمكن هذا، لأنني خازن المسلمين، فإما أن تعزلوني عن القضاء وتولوا على هذا غيبي، وإما أن تتركوا هذا الذي تريدونه، فلا سبيل إليه وأنا حاكم. فشكة إلى ولدها المقتدر فشفع عنده المقتدر بذلك، فذكر له صورة الحال. فرجع إلى أمه فقال لها: إن هذا الرجل ممن يُرغب فيه، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به. فرفضت عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك. فقال: من قدم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرهم. وقد كانت وفاته في هذه السنة. وقد جاوز الثمانين.

■ يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور، رحل في طلب الحديث، وكتب وسمع وحفظ، وكان من كبار الحفاظ وشيوخ الرواية، وكتب عنه جماعة من الأكابر، وله تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه. وكانت وفاته بالكوفة في هذه السنة وله تسعون سنة.

■ الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد: المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني، الشاعر المشهور، وكان أحد سُمّار الخليفة المعتضد بالله وله مرثاة طائفة في هر، قتلته جيرانه؛ لأكلة أفراخ الحمام من أبراجهم. وفيها آداب ورقة، ويقال إنه أراد بها رثاء ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن

ريح فيها حرة ثم اسودّت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه، وظن الناس أن القيامة قد قامت، ثم أغشى ذلك مطر أرسله الله عليهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي قاضي نغور الشام، يعرف بابن الصابوني، وكان ثقة نبيلاً قدم بغداد وحدث بها.

■ علي بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن خَرْبُوتَ، القاضي بمصر، تولى القضاء بمصر مدة طويلة جداً، وكان ثقة عالماً جليلاً من خيار القضاة وأعدلهم، وكان يتفقه على مذهب أبي ثور، وقد ذكرناه في «طبقات الشافعية» بما فيه مقنع وكفاية، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ورجع إلى بغداد فأقام بها حتى مات بها في هذه السنة، في صفر، وصلى عليه أبو سعيد الإصطخري، ودفن بداره.

قال الدارقطني: حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح، ولعله مات قبله بعشرين سنة. وذكر من جلالته وفضله رحمه الله.

■ محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد: حكى عنه أنه مكث أربعين سنة، لم يخط فيها خطوة، لغير الله ولا نظر في شيء، فاستحسنته، حياه من الله عز وجل، وأنه مكث ثلاثين سنة، لم يُنْهَلْ على مَلَكَيْهِ قَبِيحاً.

■ محمد بن سعد بن أبو الحسين الورّاق: صاحب أبي عثمان النيسابوري وكان فقيهاً، يتكلم على المعاملات.

ومن جيد كلامه قوله: من غض بصره عن مُحَرَّمٍ، أورثه الله بذلك حكمة على لسانه، يهتدي بها سامعوه، ومن غض بصره عن شبهة، بنور الله قلبه، بنور يهتدي به، إلى طريق مرضاته.

■ يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا القارسي كتب بمصر عن الربيع بن سليمان، وكان ثقة صدوقاً حسن الصلاة عدلاً عند الحكّام.

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة

فيها كان مقتل الخليفة المقتدر بالله، وكان سبب ذلك، أن مؤنساً الخادم، خرج من بغداد في المحرم من هذه السنة، مغاضباً للخليفة، في عاليكه، وحشمه، متوجهاً نحو الموصل، وردّ من أثناء الطريق مولاة بُشْرَى، إلى المقتدر ليستعلم له، ويبحث معه رسالة، يخاطب بها أمير المؤمنين، فلما وصل أمره الوزير الحسين بن القاسم وكان أكبر أعداء مؤنس- بأن يؤديها إليه، فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة، فأحضره بين يديه، فأمره أن يقولها للوزير، فامتنع، وقال ما أمرني صاحبي بهذا، فشتته الوزير، وشتت صاحبه، وأمر بضربه، ومصادره، ثلاثمائة ألف دينار، وأخذ خطّه بها، وأمر بنهب داره، ثم أمر الوزير بالقبض على أنقطاع مؤنس، وأملاكه، وأملاك من معه فحصل من ذلك مال عظيم، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر، ولقبه عميد الدولة، وضرب اسمه على الدراهم، والدينارين، وتمكّن من الأمور جداً، ف عزل، وولّى، وقطع، ووصل، وفرح بنفسه حيناً قليلاً. وأرسل إلى هارون بن غريب في الحال، وإلى محمد بن ياقوت، يستحضرهما إلى الحضرة، عوضاً عن مؤنس، فصمم المظفر مؤنس في مسيره إلى الموصل، وجعل يقول لأمرأه الأعراب: إن الخليفة قد ولاني الموصل، وديار ربيعة فالتفت عليه خلقٌ كثيرٌ، وجعل يفتق فيهم الأموال الجزيلة، وله إليهم قبل

ذلك أيام سابقة.

وقد كتب الوزير إلى آل حمدان- وهم ولاية الموصل، وتلك النواحي- يأمرهم بمحاربة مؤنس الخادم، فركبوا إليه في ثلاثين ألفاً، وواجههم مؤنس في ثمانمائة من معاليكه وخُصَمَ، فهزمهم، ولم يقتل منهم سوى رجل واحد، يقال له داود كان من أشجعهم، وقد كان مؤنس رثاءً، وهو صغير ودخل مؤنس الموصل، فقصصه العساكر، من كل جانب، يدخلون في طاعته، لإحسانه إليهم قبل ذلك، من أهل بغداد، والشام، ومصر، ومن الأعراب، حتى صار في جحافل من الجنود.

وأما الوزير المذكور، الحسين بن القاسم فإنه ظهرت خيائته، وعجزه فعزله المقتدر في ربيع الآخر، وولى مكانه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، فكان آخر وزراء المقتدر، وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر. ثم ركب في الجيوش في شوال، قاصداً بغداد، ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد، وإنصافهم، فسار- وقد بحث بين يديه الطلائع- حتى جاء، فنزل بباب الشماسية من بغداد، وقابله عنده ابن ياقوت، وهارون ابن غريب، عن كره منه وأشير على الخليفة، بأن يستلين من والدته ما يتفق في الأجناد، فقال: لم يبق عنده شيء، وعزم الخليفة على الحرب إلى واسط، وأن يترك بغداد لمؤنس، حتى يتراجع أمر الناس، ثم يعود إليها فردّه عن ذلك ابن ياقوت وأشار عليه بمواجهة مؤنس وأصحابه، فلإنهم متى راوه كروا كلهم إليه، وتركوا مؤنساً فركب وهو كاره، وبين يديه الفقهاء، ومعهم المصاحف منشرة، وعليه البرد والناس حوله، فوقف على تلّ عالٍ بعيده من المعركة، ونودي في جيشه: من جاء برأس فله خمسة دنانير، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير. ثم بحث إليه أمراؤه، يعزّمون عليه، أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محلة المعركة، ثم ألحوا عليه، فجاءه، بعد تمنع شديد، فما وصل إليهم، حتى انهزموا، وفروا راجعين، ولم يلتفتوا إليه، ولا عطفوا عليه، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس، على بن بَلْتَقٍ، فلما رآه، ترجّل، وقبّل الأرض بين يديه وقال: لعن الله من أشار عليك بالخروج في هذا اليوم. ثم وكل به قوماً من المغاربة البربر، فلما تركهم ولّياه، شهبوا عليه السلاح، فقال لهم: ويلكم أنا الخليفة. فقالوا: قد عرفناك ياسفلة، إنما أنت خليفة إبليس، تنادي في جيشك، من جاء برأس فله خمسة دنانير؟ ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير وضربه أحدهم سيفه، على عاتقه، فسقط إلى الأرض وذبحه آخر، وتركوا جثته، وقد سلبوه كل شيء كان عليه، حتى سراويله، وبقي مكشوف العورة، مُجْدلاً على الأرض، حتى جاء رجل، فغطى عورته، بحشيش، ثم دفنه في موضعه، وعفا أثره، وأخذت المغاربة، رأس المقتدر على خشبة، قد رفعوها، وهم يلعنونه، فلما انتهوا به إلى مؤنس- ولم يكن حاضراً الواقعة- فحين نظر إلى رأس المقتدر، لطم رأسه ووجهه وقال: ويلكم! لم أترككم بهذا، لعنكم الله قتلتموه، والله لقتلتن كلنا. ثم ركب، فوقف عند دار الخلافة، حتى لا تنهب، وهرب عبد الواحد بن المقتدر، وهارون بن غريب وابنا راق إلى المدائن، وكان صنع مؤنس هذا سبباً، لطمع أصحاب الأطراف في الخلفاء، وضعف أمر الخلافة جداً مع ما كان المقتدر يعتمد على التبذير والتفريط في الأموال، وطاعة النساء، وعزل الوزراء حتى قيل إن جملة ما صرفه في الوجوه الفاسدة والتبذير ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار.

ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين

■ (المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن الموكّل)

هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر الموكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يكنى أبا الفضل العباسي، مولده في ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان، سنة ثنتين وثمانين ومائتين، وأمه أم ولد اسمها شغب، ولقيت في خلافة ولدها بالسيدة، يبيع له بالخلافة، بعد أخيه المكتفي يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذي القعدة، سنة خمس وتسعين ومائتين، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام، ولهذا أراد الجند خلعه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين، محتجين بصفه، وعدم بلوغه، وتولية عبد الله بن المعتز، فلم يتم ذلك، وانتفض الأمر في ذلك اليوم، كما ذكرنا ثم لما كان شهر الله الحرام من سنة سبع عشرة وثلاثمائة أحضره مؤنس واجتمع الأمراء والقواد والزموه بخلع نفسه وأحضرُوا أخاه بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة ولقبوه محمد القاهر، فلم يتم ذلك سوى يومين، ثم رجع المقتدر إلى الخلافة كما ذكرنا وقد كان المقتدر بالله ربعة من الرجال، حسن الوجه، والعينين، بعيد ما بين المكيين، حسن الشعر مُنَوَّر الوجه، مشرباً بحمرة، حسن الخلق، قد شاب رأسه، وعارضاه، وقد كان كريماً، جواداً مُعَلِّحاً له عقل جيد، وفهم وافز، وذهن صحيح، وقد كان كثير التحجب، والتوسع في النفقات، وزاد في رسوم الخلافة، وأمور الرئاسة، وما زاد شيء إلا نقص، كان في داره أحد عشر ألف خادم خصي، غير الصقالية، والروم، والسودان، وكان له دار، يقال لها دار الشجرة، فيها من الأثاث، والأمتعة شيء كثير جداً، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس وثلاثمائة حين قدم رسول ملك الروم وقد ركب المقتدر يوماً في حُرَاقَة، وجعل يستعجل الطعام، فابتطو به، فقال للملاح حراقة: وبلك أعنك شيء نأكله؟ قال: نعم، فأناه بشيء من لحم الجدي، وخبز حسن، وملوحات وغير ذلك. فأعجبه ثم استدعاه فقال: هل عندك شيء من الحلواء، فلاني لا أحسن بالشبع حتى أكل شيئاً من الحلواء. فقال: يا أمير المؤمنين، إنما حلاوتنا التمر، والكسب. فقال هذا شيء لا أطيقه ثم جيء بطعامه، فأكل منه، وأتى بالحلواء، فأكل، وأطعم الملاحين، وأمر بترتيب حللوة تعمل في كل يوم تكون في الحراقة بنحو مائتي درهم، إذا اتفق ركوبه فيها يأكل منها، فكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم مدة سنين متعددة ولم يتفق ركوب المقتدر فيها مرة أخرى.

وقد أراد بعض خواصه أن يظهر ولده، فعمل أشياء هائلة، ثم طلب من أم الخليفة، أن يُعار القرية التي عملت في طهور المقتدر، من فضة، لإيراء الناس في هذا المهيم، فطلعت أم المقتدر، عنده، حتى أطلقها له بالكلفة، وكانت صفة قرية من القُرى كلها من فضة، بيوتها، وأهاليها، وأبقارها، وأغنامها وجمالها وخيولها، وزروعها، وثملرها، وأنهاها، وما يتبع ذلك، مما يكون في القرى، الجميع من فضة مصورة، وأمر بنقل سباطة إلى دار هذا الرجل، وأن لا يُكَلَّف شيئاً من المطاعم، سوى سمك طري، فاشترى الرجل ثلاثمائة دينار سمكاً وكان جملة ما أنفق الرجل على سباط المقتدر يومئذ ألفاً وخمسمائة دينار.

وكان كثير الصدقة، والإحسان إلى أهل الحرمين، وأرباب الوظائف، وكان كثير التنقل، بالصلاة، والصيام، والعبادة، ولكنه كان مؤثراً لشهوته، مطعياً لحظياته، كثير التلون والولاية والعزل، وما زال ذلك دأبه، حتى كان

هلاكه على يدي مؤنس الخادم كما ذكرنا، فقتل عند باب الشماسية، لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة - أعني سنة عشرين وثلاثمائة - وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وشهر وخمسة أيام وكانت مدة خلافته، أربعاً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً، وأربعة عشر يوماً، كان أكثر مدة عمره تقدمه من الخلفاء.

خلافة القاهر

لما قتل المقتدر بالله كما ذكرنا، عزم مؤنس الخادم على تولية أبي العباس بن المقتدر، بعد أبيه ليطلب قلب أم المقتدر، فعزل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء، فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل التوحي: بعد التنب، والكذ، نبيع خليفة له أم، وخالات يطيعهن، ويشاورهن؟ ثم أحضر محمد بن المعتضد - وهو أخو المقتدر - فبايعه القضاة، والأمراء، والوزراء، ولقبوه بالقاهر بالله، وذلك في سحر يوم الخميس، لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة عشرين وثلاثمائة واستوزر له أبو علي بن مُقْلَة، ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثم أبو العباس، بن الخصب. وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر، وتبع أولاده، واستدعى بأم المقتدر، وهي مريضة بالاستسقاء، وقد تزايد بها الوجع، من شدة جزعها على ولدها، حين بلغها قتله، وكيف بقي مكشوف العورة. فقيت أياماً، لا تأكل شيئاً، ثم وعظها النساء، حتى أكلت شيئاً يسيراً من الحبز والملح، ومع هذا كله، استدعى بها القاهر، فقررها على أمورها، فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي، والمصاغ، والثياب، ولم تقر بشيء من الأموال، والجواهر، وقالت له: لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي. فأمر بضربها، وعلقت برجليها، وسها بعذاب شديد من العقوبة، وأشهدت على نفسها، ببيع أملاكها، فأخذته الجند، مما يجاسون عليه من أرزاقهم، وأرادها على بيع أوقافها، فامتنعت من ذلك، وأبت أشد الإباء واستدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر، منهم أبو العباس الراضي، وهارون، والعباس، وعلي، والفضل، وإبراهيم، فأمر بمصادرتهم، وحبسهم، وسلمهم إلى حاجبه علي بن يَليّ، وتمكن الوزير أبو علي بن مقلة فعزل، وولى، وأخذ، وأعطى أياماً، ومنع بني البريدي من أعمالهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عمر بن جَوْصاء أبو الحسن الدمشقي: أحد الحديث الحفاظ، والرواة الأيقاظ.

■ إبراهيم بن محمد بن علي بن بطحاء بن علي بن مقلة أبو إسحاق التميمي، المحتسب، ببغداد، روى عن عباس الدوري، وعلي بن حرب، وغيرهما، وكان ثقة فاضلاً، مَرُوماً على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والخصوم عكوف على بابه، والشمس قد ارتفعت عليهم، فيبحث حاجبه إليه، يقول له: إما أن تخرج، فتفصل بينهم، وإما أن تبست، فتعذر إليهم، إن كان لك عنر، حتى يعردوا إليك بعد هذا الوقت.

أبو علي

■ ابن خُروان: الفقيه الشافعي، أحد أئمة المذهب، هو الحسين بن صالح بن خيران أبو علي الفقيه الكبير الورع البارع، عرض عليه منصب القضاء، فلم يقبل فختم الوزير علي ابن عيسى على بابه بقيت كذلك سنة عشر يوماً، ولم يجد أهله ماءً، إلا من بيوت الجيران، وهو مع ذلك كله

بحسه، قبل أن يراه، والاحتياط على دوره، وأملأكـهـ. وكانت فيه عجلة، وجراة، وهوج وخرق شديدـ وجعل في منزلتهـ إمرة الأمراء، ورياسة الجيشـ طريفاً السيكري، وقد كان أحد الأمراء عند مؤنس الخادم، قبل ذلك وقبض على يَلْبَقْ، واخفى ولده علي بن يَلْبَقْ، وهرب الوزير أبو علي بن مقلّة، فاستوزر بدله، أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في مستهل شعبان وخلع عليه، وأمر بتحرق دار أبي علي بن مقلّة، ووقع النهب ببغداد، وهاجت الفتنة، وأمر القاهر، بأن يجعل أبو أحمد المكتفي بين حائلين، ويُسدّ عليه بالأجر والكلس، وهو حي، فمات، وأرسل إلى المختفين فتادى: إن من خُرّت داره. فوقع بعلي فقتله، ذُبَحَ بين يديه، كما تنبّح الشاة، فأخذ رأسه في طست، ودخل القاهر بنفسه على أبيه يلبق، فوضع الرأس بين يديه، فلما رآه بكى، وأخذ يقبله، وترشفه، فأمر بذبحه أيضاً، فذبح، ثم أخذ الرأسين في طستين، فدخل بهما على مؤنس الخادم، فلما رأهما، تشدّ، ولعن قاتلهما فقال القاهر عند ذلك: جُروا برجل الكلب، فآخذ، فذُبَحَ أيضاً، وأخذ رأسه، فوضع في طست، وطيف بالرووس في بغداد، ونودي عليهم: هنا جزء من بخون الإمام، ويسمى في الدولة فساداً ثم أعيدت بالرووس إلى خزان السلاح.

وفي ذي القعدة قبض القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وسجنه، وكان مريضاً بالقولنج، فبقي ثمانية عشر يوماً، ومات فكانت وزارته ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً، واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصمي، ثم قبض على طريف السيكري، الذي وسجنه فلم يزل السيكري فيه، حتى خلع القاهر. وفيها جاء الخبر، بموت تكمين الخاصة بديار مصر، وأن ابنه محمداً، قد قام بالأمر بعده فيها، وسارت الخلع إليه من القاهر بالله تنفيذاً لولايته واستقرارها.

ذكر ابتداء أمر بني بُوَيْه

وظهور دولتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد أبي شجاع بويه بن قباخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزِيل الأصغر بن شيركيد بن شيرزِيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرف بن سستان شاه بن سيس بن فيروز بن شيرزِيل بن سناذَر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي. كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماکولا في «كتابه». وإنما قيل لهم الدليلة؛ لأنهم جاوروا الديلم، وكانوا بين أظهرهم مدة، وقد كان أبوهم، أبو شجاع بُوَيْه، فقيراً، مدقماً، يصطاد السمك، ويحطّب بنوه الحطب، على رؤوسهم، فمات امرأته، وخلفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة، فحزن عليها، فبينما هو ذات يوم عند بعض أصحابه، وهو شهريار بن رستم الديلمي، إذ مر منجم، فاستدعاه، فقال له: إني رأيت متامناً غريباً، رأيت كائناً أبول، فخرج من ذكري نار عظيمة، حتى كادت تبلغ عنان السماء ثم انقرت، ثلاث شعب، ثم انتشرت كل شعبة، إلى شعب كثيرة، فاضاءت الدنيا بتلك النار، ورأيت البلاد، والعباد، قد خضعت لهذه النار. فقال له المنجم: هذا متامٌ عظيم، لا أفسره لك إلا بمال جزيل. فقال: والله لا شيء عندي أعطيك، ولا أملك غير فرسي هذه فقال: هذا يدل على أنه، يملك من صلبك ثلاثة ملوك، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة فقال له: يحك، أنسخر بي؟ وأمر بنيه فصفعوه، ثم أعطاه عشرة

يتمتع عليه وعليهم، ولم يبل لهم شيئاً، فقال الوزير: إنما أردنا أن نعلم الناس، أن ببلندا، وفي مملكتنا، من عُرض عليه قضاء القضاة شرقاً وغرباً، فلم يقبل، وقد كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية رحمه الله.

■ عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الإسزبادي، أحد أئمة المسلمين، والحفاظ المحذّين، وقد ذكرناه أيضاً في «طبقات الشافعية». القاضي أبو عمر المالكي

■ محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو عمر، القاضي ببغداد، ومعاملاتها، في سائر البلاد، كان من أئمة الإسلام، علماً ومعرفاً وفصاحة، وبلاغة وعقلاً ورياسة، بحيث كان يضرب بعقله وجلوه المثل وقد روى الكثير عن المشايخ، وحُدث عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وحمل الناس عنه علماً كثيراً من الفقه والحديث، وقد جمع له قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة. وجمع مسنداً حافظاً، وكان إذا جلس للتحديث، جلس أبو القاسم البغوي عن يمينه، وهو قريب من سن أبيه، وعن يساره ابن صاعد، وبين يديه أبو بكر النيسابوري، وسائر الحفاظ حول سيره، من كل جانب، قالوا: ولم يتقد عليه حكم من أحكامه، أخطأ فيه قط.

قلت: وكان من أعظم صواب أحكامه، قتله الحسين بن منصور الحلاج قيحه الله وأخزاه وذلك في سنة تسع وثلاثمائة كما تقدم. وكان هذا جميل الأخلاق حسن المعاشرة، اجتمع عنده يوماً عنده أصحابه، فجاء ثوب فاخر، ليشتريه، بنحو من خسين ديناراً، فاستحسنه الحاضرون، فدعا بالقلاني، وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس. بعدد الحاضرين. وله مناقب، وعاش رحمه الله تعالى. وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة، وقد رآه بعضهم في المنام، فقال له ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي، بدعوة الرجل الصالح، إبراهيم الحربي رحمهما الله

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

في صفر منها، أحضر الخليفة رجلاً، كان يقطع الطريق بدجلة فضرب بين يديه ألف سوط، ثم ضربت عنقه، وقُطِعَت أيدي أصحابه، وأرجلهم. وفيها أمر القاهر بالله بإبطال الخصور، والمغان، والقيان، وأمر ببيع الجوارى المغنيات، بسوق النخس، على أنهن سواذج. قال ابن الأثير [الكامل ٢٧٣/٨]: وإنما فعل القاهر ذلك، لأنه كان محباً للغناء، فأراد أن يشتري الجوارى بأرخص الأثمان نعوذ بالله من هذه الأخلاق.

وفيها أشاعت العامة بينهم، بأن الحاجب علي بن يَلْبَقْ، يريد أن يلحق معاوية على المنابر. فلما بلغ ذلك الحاجب، بعث إلى رئيس الخنابلة أبي محمد البرهاري الواعظ، ليقابله على ذلك، فهرب، واخفى، فأمر بجماعة من أصحابه، فحلبوا إلى البصرة.

وفيها عظم الخليفة، وزيره علي بن مقلّة، وخاطبه بالاحترام، والإكرام، ثم إن الوزير، ومؤنس الخادم، وعلي بن يَلْبَقْ، وجماعة من الأمراء اشتوروا فيما بينهم، على خلع القاهر بالله، وتولية أبي أحمد بن المكتفي، وبإيعونه فيما بينهم سرّاً، وضيقوا على القاهر بالله في رزقه ومن يجتمع به. ولرأدوا القبض عليه سريعاً، فبلغ ذلك الخليفة على يدي طريف السيكري. فسمى في القبض عليهم، فوقع في غياليه الأمير الكبير المظفر مؤنس الخادم، وأمر

دراهم. فقال لهم المنجم: اذكروا هذا، إذا قدمت عليكم، وأنتم ملوك. وخرج وتركهم وهذا من أعجب الأشياء، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة، كانوا عند ملك يقال له مكاين بن كالي في بلاد طبرستان، فتسلط عليه مرداويج، فضمَّ أمراً ما كان، فشاووره في مفارقتها حتى يكون من أمره خير، فخرجوا عنه، ومعهم جماعة من الأمراء، فصاروا إلى مرداويج، فآكرمهم، واستعملهم على الأعمال في البلدان، فأعطى عماد الدولة علي بن بويه نيابة الكُرَج، فأحسن فيها السيرة، والتف عليه الناس؛ وأحبوه، فحسده مرداويج وبعث إليه يمزله عنها ويستدعيه إليه فامتنع من القدوم عليه وإنما كان معه تسعمائة فارس، فرُدَّ بها عشرة آلاف، وعظم في أعين الناس فلما بلغ ذلك مرداويج، قتل منته، وأرسل إليه جيشاً، فأخرجوه من أصبهان وقصد أَرْجَان، فأخذها من نائنها، وحصل له من الأموال، شيء كثير جداً، ثم أخذ بلداناً كثيرة، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته واجتمع إليه من الجند خلق كثير، وجَمَّ غفير، وقد آل بهم الحال. إلى أن ملكوا بغداد، من أيدي الخلفاء العباسيين، لمس القطع والوصل، والولاية والعزل، واليهيم تجبى الأموال، ويُرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال، على ما ستذكر ذلك مبسوطاً والله المستعان والمحمود على كل حال.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوي: نسبة إلى طحاً وهي قرية بصعيد مصر، الفقيه الحنفي، صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة. وهو ابن أخت الزُّنِّي، رحهما الله. وكانت وفاته في مستهل ذي القعدة من هذه السنة، عن اثنتين وثمانين سنة.

وذكر أبو سعيد السمعاني (الأنساب ٥٣/٤)، أنه ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم.

وذكر ابن خلكان في «الوفايات» (وفيات الأعيان ٧١/١)، أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة، ورجوعه عن مذهب خاله المزني، أن خاله قال له يوماً: والله لا ينجي منك شيء فنفضب، واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي، حتى برع، وقال أهل زمانه وصنف كتباً كثيرة منها «أحكام القرآن»، و«اختلاف العلماء»، و«معاني الآثار» و«التاريخ الكبير». وله في الشروط كتاب، وكان بارعاً فيها. وقد كتب للقاضي أبي عبيد الله محمد بن عبيدة، وعبد الله القاضي أبو عبيد بن خرتوبه، وكان يقول: رحم الله الزنبي، لو كان حيّاً لكفر عن يمينه.

وكانت وفاته في مستهل ذي القعدة. ودفن بالقرافة، وقبره مشهور بها، رحمه الله تعالى. وترجمه ابن عساكر، وذكر أنه قدم دمشق، سنة ثمان وستين ومائتين، وأخذ الفقه عن قاضيهما أبي خازم رحمه الله.

■ أحمد بن محمد بن موسى بن النضر بن حكيم بن علي بن زريق أبو بكر بن أبي حامد، صاحب بيت المال. سمع عباساً الدورى، وخلقاً، وعنه الدارقطني، وغيره. وكان ثقة صدوقاً، جواداً محمداً، اتفق في أيامه أن رجلاً من أهل العلم كانت له جارية، يهبها حباً شديداً، فركبته ديون كثيرة، اقضى الحال أن باع تلك الجارية في الدين، فلما قبض ثمنها، ندم ندماً عظيماً جداً، وبقي متحيراً في أمره فباعها الذي كانت عنده، فبلغ سيدها أن الجارية قد اشتراها ابن أبي حامد صاحب بيت المال، فتشفع إليه ببعض أصحابه أن يردّها إليه يثمنها. فلما قال له ذلك، لم يكن عنده شعور بها

وذلك أن امرأته، كانت اشتريتها له، ولم تعلمه بعد بأمرها، حتى نحل من استرائها، وكان ذلك اليوم آخره فلبسوها الحللي، والمصاغ وصنعوها له، وحين شفع عنده في أمرها، بهت لعدم علمه بها ثم دخل، يستكشف خبرها من منزله، فإذا بها ميتة له، ففرح فرحاً شديداً، إذ وجدها، من أجل ذلك الرجل. فأخرجها معه، وهو يُظهر السرور، فقال لسيدها: هذه جارتك؟ فلما رآها اضطرب كلامه، واختلط في عقله، عما رأى من حسن منظرها وهيئتها وقال: نعم، قال: خذها بارك الله لك فيها ففرح الفتى فرحاً شديداً، وقال: يا سيدي تأمر من يحمل معي المال؟ فقال: لا حاجة لي به، وأنت في حل منه، فإني أخشى إن لم يبق معك شيء أن تبعها ثانية عن لا يردّها عليك. فقال: يا سيدي، فهذا الحللي، والمصاغ الذي عليها؟ فقال: هذا شيء، وهيئتها لما لا تعود فيه أبداً، فاشتد فرح الفتى، وأخذها معه، فلما ودّع ابن أبي حامد، قال للجارية: أيما كان أحب إليك، نحن، أو سيدك هذا؟ فقالت: أمّا أنتم فافغيتوني فجزاكم الله خيراً، وأما سيدي هذا، فلو أني ملكته منه ما ملك مني لم أبعه بالأموال الجزيلة، فاستحسن الحاضرون ذلك من قولها، مع صغر سنّها.

■ شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة: كان دخل أملكها، في كل سنة، ألف ألف دينار، وكانت تصدق بأكثر ذلك، على الحجيج، في أشربة، وأزواد، وأطباء يكونون معهم، وتسهيل الطرقات، والموارد.

وكانت في غاية الحشمة، والرياسة، ونفوذ الكلمة، أيام خلافة ولدها، فلما قتل، كانت مريضة، فزادها قتلها مرضاً إلى مرضها، ولما استقر أمر القاهر في الخلافة، وهو ابن زوجها المعتضد، وأخو ابنها المقتدر، وقد كانت حضته، حين توفيت أمه، وخلصته من ابنها لما كان مؤسس قد بايعه ولم يتم ذلك - عاقبها القاهر عقوبة عظيمة جداً، حتى كان يعلقها برجلها، ورأسها منكرس، فرمى بالث، فينحدر على وجهها، ليقربها على الأموال التي في يدها فلم يجد لها شيئاً، سوى ثيابها، ومصافها وخليها في صناديق لها قيمتها مائة ألف، وثلاثون ألف دينار، وجميع ما كان يدخلها تصدق به، ووقف شيئاً كثيراً، ولكن كان لها أملك، أمر ببيعها، وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها، فامتنع الشهود من أداء الشهادة، حتى، يملوها، فرفع السر بإذن الخليفة فقالوا لها: أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر؟ فبكت بكاء طويلاً، ثم قالت: نعم وكتبو حليتها، عجزوا سمراء اللون، دقيقة الجبين. وبكى الشهود وتفكروا، في تقلب الزمان، وتقلب الحثان، وكانت وفاتها في جمادى الأولى من هذه السنة، ودفنت بالرصافة رحمه الله.

■ عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حوران بن أبان، مولى عثمان بن عفان، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم ابن المتكلم، المعتزلي ابن المعتزلي، وإليه تنسب البهشيّة من المعتزلة، وله مصنفات في الاعتزال، كما لأبيه من قبله، مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، توفي في شعبان من هذه السنة.

قال القاضي ابن خلكان (وفيات الأعيان ١٨٣/٣): وكان له ابن، يقال له: أبو علي، دخل يوماً على صاحب بن عبد، فأكرمه، واحترمه، وسأله عن شيء، فقال: لا أعرف نصف العلم. فقال: صدقت، وسبقك أبوك، إلى بالنصف الآخر.

■ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر بن دريد الأزدي اللغوي النحوي الشاعر صاحب المقصورة، ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وتقل في البلاد، لطلب العلم والأدب، وكان أبوه من

دوي اليسار، وقدم بغداد، وقد أسن فاقام بها، إلى أن توفي روى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم، والرياشي، وعنه أبو سعيد السرياني، وأبو بكر بن شاذان، وأبو عبيد الله بن المرزباني، وغيرهم، ويقال: كان أعلم الشعراء وأشعر العلماء وقد كان مهتكا في الشراب. قال أبو منصور الأزهري: دخلت عليه، فوجدته سكران، فلم أعد إليه.

وسئل عنه الدارقطني فقال: تكلموا فيه. وقال ابن شاهين: كنا ندخل عليه، فنستحي مما نرى، من العبدان المعلقة، والشراب المصفى، وقد جاوز التسعين، وقارب المائة. وكانت وفاته في يوم الأربعاء، لثني عشرة بقية من شعبان.

وفي هذا اليوم كانت وفاة أبي هاشم بن أبي علي، فضلي عليهما معا، ودفنا في مقبرة الخيزرانية، وقال الناس: مات اليوم علم اللغة، وعالم الكلام. وكان ذلك يوما مطيرا ومن مصنفات ابن دريد «الجمهرة» في اللغة في نحو عشر مجلدات، وكتاب المطر، والمقصورة، والقصيد الأخرى في المقصور والمدود، وغير ذلك ساعه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة

فيها قصد ملك الروم ملطية، في خسين ألفا، فحاصرها، ثم أعطاهم الأمان، حتى تمكن منهم، فقتل خلقا كثيرا، وأسر ما لا يحصون كثرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها وردت الأخبار، بأن مرداويج، قد تسلّم أصفهان، وانتزعها من علي بن بويه، وأن علي ابن بويه، توجه إلى أربان فأخذها وقد أرسل ابن بويه إلى الحضرة الخليفية بالطاعة والمعونة، وإن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة، ويحضر بين يدي الخليفة، إن رسم أو يذهب إلى شيراز، فيكون مع ياقوت. ثم اتفق الحال بعد ذلك، أن صار إلى شيراز، وأخذها من نائبها ياقوت، بعد قتال عظيم، ظهر فيه ابن بويه ياقوت وأصحابه، فقتل منهم خلقا وأسر جماعة، فلما تمكن أطلقهم، وأحسن إليهم، وخلع عليهم، وعدل في الناس.

وكانت معه أموال كثيرة، قد استفادها من أصفهان، وقبّلها من الكرج وبن، وهمدان، وغيرها، إلا أنه كان كريما، جوادا، معطاء للجيش، الذين قد التفوا عليه، ثم إنه أملت في بعض الأحيان وهو بشيراز، وطالبه الجند بآرائهم وخاف أن ينحل نظام أمره، فاستلقى يوما على قفاه يوما، مفكرا في أمره، وإذ حية، قد خرجت من سقف المكان، الذي هو فيه، ودخلت في آخر، فأمر بترع تلك السقوف، فوجد هنالك مكانا، فيه من الذهب شيء كثير جدا، نحو من خمسمائة ألف دينار فاتفق في جيشه ما أراد وبقي عنده شيء كثير وركب ذات يوم يتفرج، في خراب البلد، وينظر إلى ما أبينة الأوائل، ويتعظ بمن كان فيه قبله، فانخفضت الأرض من تحت قائمة جواره، فأمر، فحفر هنالك، فوجد من الأموال شيئا كثيرا أيضا، واستعمل عند رجل خياط قماشا، ليلبسه، فاستبطاه، فأمر بإحضاره، فلما وقف بين يديه، تهدده وكان الخياط أصم لا يسمع جيدا فقال: والله، ما لابن ياقوت عندي سوى اثني عشر صنوقا لا أدري ما فيها فأمر بإحضارها، فإذا فيها أموال عظيمة، تقارب ثلاثمائة ألف دينار.

وأطلع على وادع، كانت ليعقوب وعمرو ابني الليث، فيها من الأموال ما لا يحصى ولا يوصف كثرة، فقوي أمره، وعظم سلطانه جدا. وهذا كله من الأمور المقننة، لما يريده الله بهم من السعادة الدنيوية «وربك

يخلق ما يشاء ويختار» [القصص: ٦٨] و«الله الأمر من قبل ومن بعد» [الروم: ٤٤]

وكتب إلى الرازي، ووزيره أبي علي بن مقله، يطلب أن يُقاطَع على ما قبله من البلاد، على ألف ألف في كل سنة، فأجابته الرازي إلى ذلك، وبعث إليه بالخلع، واللواء، وأبهة الملك وفيها قتل القاهر أميرين كبيرين، وهما إسحاق بن إسماعيل التوحجي، وهو الذي كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر وأبو السرايا بن حمدان أصغر ولد أبيه، وكان في نفس القاهر منهما، بسبب أنهما، زايدها قرّة من قبل أن يلي الخلافة، في جارتين مغنيتين فاستدعاهما إلى المسامرة، فطيبيا وحضرا، فأمر بإلقائهما في بئر هنالك، ففزعرا إليه، فلم يرحمهما، بل ألقيا فيها وطنهما عليهما.

ذكر خلع القاهر وسمل عينيه

وكان سبب ذلك، أن الوزير أبا علي بن مقله، كان قد هرب من القاهر، حين قبض على مؤنس الخادم، واختفى في داره، وكان يرأسل الجند، ويكتبهم، ويغريهم بالقاهر، ويخوفهم سطرته، وإقدامه، وسرعة بطشه، وأخبرهم أن، القاهر قد أعد لأكثر الأمراء، أماكن، يسجنهم فيها، فهيجهم ذلك وأشبهم على القبض على القاهر، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم، على مناجزته في هذه الساعة، وركبوا مع الأمير المعروف بسنيسا، وقصلوا دار الخلافة، فأحاطوا بها، ثم هجموا على القاهر، فخرج الوزير الخصيصي، مستترا في زي امرأة، وانهمز القاهر وهو غمور، فاخفى في سطح حمام، فظهروا عليه فقبضوه وحسوه في مكان طريف السبكي، وأخرجوا طريفا، فذهب واضطرت بغداد، ونهبت، وذلك يوم السبت ثلاث خلون من جمادى الأولى من هذه السنة، ثم أحضروه فسملوا عينيه، حتى سالتا على خديه واركتب منه أمر عظيم، لم يسمع بمثله في الإسلام، ثم أرسلوه فكان تارة يحبس، وتارة يخلّى سبيله وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وافتر، حتى قام يوما بجمع المنصور، فسأل، فأعطاه رجل خمسمائة درهم، ويقال: إنه إنما أراد بهنا الصنيع التشيع على المستكفي بالله فالله أعلم. وستأتي ترجمته إذا ذكرنا وفاته.

خلافة الرازي بالله أبي العباس

محمد بن المقتدر بالله

لما خلعت الجند القاهر، وسلموه أحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله، فبايعوه على الخلافة ولقبوه الرازي بالله كان أبو بكر الصولي قد أشار، بأن يلقب بالمرضي بالله فلم يقبل وعُدل إلى هذا اللقب. وذلك يوم الأربعاء، لست خلون من جمادى الأولى من هذه السنة - أعني سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة - وجاؤوا بالقاهر وهو أعمى، قد سملت عيناه، فأوقف بين يديه، فسلم عليه بالخلافة، وسلمها إليه، فقام الرازي بأعبائها، وكان من خيار الخلفاء، على ما ستذكره وأمر بإحضار أبي علي بن مقله، فولاه الوزارة وجعل علي بن عيسى ناظرا، عليه وأطلق كل من كان في حبس القاهر، واستدعى عيسى طبيب القاهر، فصادته بمائتي ألف دينار، وتسلم منه الدويعة، التي كان القاهر أودعها عنده، وكانت جملة مستكثرة، من الذهب، والفضة، والجواهر النفيسة.

وفي هذه السنة عظم أمر مرداويج بأصفهان، وتحدث الناس، أنه يريد

له ذلك، وإنما جري ذلك على يدي، ابن ابنه المعز الفاطمي، الذي بنى القاهرة المعزية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى
قال القاضي ابن خلكان في «الوفيات» [وفيات الأعيان ١١٧/٣]: وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً، فقال صاحب «تاريخ القيروان»: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقال غيره: هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي أحمد بن الرضي، عبيد الله وهؤلاء الثلاثة يقال لهم: المستورون لخوفهم من خلفاء بني العباس والرضي عبد الله، هذا وهو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق: وقيل غير ذلك في نسبه

قال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان ١١٧/٣، ١١٨]: والمحققون يتكرون دعواه في النسب.

قلت: قد كتب غير واحد من الأئمة، منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني، والقاضي الباقلاني، والقنطوري، أن هؤلاء أديعاء، ليس لهم نسب صحيح، فيما يزعمونه، وأن والد عبيد الله هذا، كان يهودياً، صابغاً، بسلمية، وقيل، كان اسمه سعيد، وإنما لقب بعبيد الله وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القلاح، وسمي القلاح؛ لأنه كان كحالاً يقدح العيون وكان الذي وطأ له الأمر، بتلك البلاد، أبو عبد الله الشيعي، كما قدمنا ذلك، ثم استدعاه، فلما قدم من بلاد المشرق، وقع في يد صاحب سجلماسة، فسجنه، فلم يزل الشيعي، حتى استنقذه، وسلم إليه الأمر، ثم ندم الشيعي وهم بقتله ففطن عبيد الله له فقتله وقتل أخاه معه. ويقال: إن الشيعي لما دخل السجن وجد صاحب سجلماسة قد قتله، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً، فأخرجه للناس، وقال: هذا هو المهدي - وروج به الأمر: فهؤلاء من سلالته حكاه القاضي ابن خلكان. وكان مولد المهدي هذا، في سنة ستين ومائتين، وقيل قبلها، وقيل بعدها، بسلمية، وقيل بالكوفة، وأول ما دُعي له، على منابر رقادة، والقيروان يوم الجمعة لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، بعد رجوعه من سجلماسة، وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية - سنة ست وتسعين وزالت دولة بني العباس من تلك الناحية، من هذا الحين إلى أن هلك العاضد في سنة سبع وستين وخمسمائة، وكانت وفاته بالمهدية - التي بناها في أيامه - ليلة الثلاثاء لل نصف من ربيع الأول من هذه السنة، وقد جاوز الستين على المشهور، وإلى الله عاقبة الأمور وسيفصل بين الأمر، والمأمور، يوم البعث والنشور.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر. حدث عن أبيه بكبه الشهورة، وتوفي وهو على قضاء الديار المصرية في ربيع الأول من هذه السنة

■ محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروذباري: وقيل: اسمه أحمد ابن محمد، ويقال: الحسن بن همام، والصحيح الأول. أصله من بغداد، وسكن مصر، وكان من أبناء الرؤساء، والوزراء، والكتبة، وصحب الجفند، وسمع الحديث، وحفظ منه كثيراً، وتفق بإبراهيم الحربي وأخذ النحو عن ثعلب، وكان كثير الصدقة، والبر للفقراء، وكان إذا أعطى الفقير شيئاً، جعله في كفه ثم يتناول الفقير، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده.

قصد بغداد، وأنه ممالى لصاحب البحرين، وقد اتفقا على رد الدولة من العرب، إلى العجم، وأساء السيرة في رعيته، لا سيما في خواصه من الأتراك، فتمالؤوا على، قتله فقتلوه، قبحه الله، وكان القائم بأعباءه ذلك، أخص مماليكه، واحظاهم عنده وهو يحكم بيض الله وجهه، هو الذي استنقذ الحجر الأسود، من أيدي القرامطة، واقتناه منهم بمخمين ألف دينار بلطاً لم حتى رده إلى مكة كما سيأتي. ولما قتل مرداويج بن زيار الديلمي، عظم أمر علي بن بويه، وارتفع قدره بين الناس، وعلا شأنه في الملوك وسبائهم مآل إليه حاله.

ولما خلع القاهرة، وولي الراضي، طمع هارون بن غريب في الخلافة، لكونه ابن خال المقتدر، وكان نائباً على مياه الكوفة والديشور، وماسبذان، فدعا إلى ذلك، واتبعه خلق كثير، من الجنيد، والأمرءاء، وجبى الأموال، واستفحل أمره، وقويت شوكته، وقصد بغداد فخرج إليه محمد بن ياقوت، رأس الحجة، في جميع جيش بغداد، فاقبلوا هنالك، فخرج في بعض الأيام هارون بن غريب، يتقصد، لعله يعمل حيلة، في أسر محمد بن ياقوت، فتقطر به فرسه، فسقط في نهر، فضره غلام له، حتى قتله، وأخذ رأسه وجاء به إلى محمد بن ياقوت، فانهزم أصحاب هارون، ورجع محمد بن ياقوت، فدخل بغداد، ورأس هارون بن غريب يحمل بين يديه على رمح، ففرح الناس بذلك، وكان يوماً مشهوراً.

وفيها ظهر رجل ببغداد يُعرف بأبي جعفر محمد بن علي السلمغاني، ويقال له ابن أبي الغزاق. فذكر عنه، أنه يدعي ما كان يدعيه الخلاج، من الإلهية، وكان قد شُك، في دولة المقتدر، عند حامد بن العباس، وأنهم بأنه يقول بالتناسخ، فأنكر ذلك ولما كانت هذه المرة أحضره الراضي، وادعى عليه بما ذكر عنه، فأنكر، ثم أقر بأشياء، فأنفى قوم أن دمه حلال، إلا أن يترب من هذه المقالة، فضرب ثمانين سوطاً، ثم ضربت عنقه وصلب، وأُلقن بالخلاج، قبحهما الله وقتل معه صاحبه ابن أبي عون، لعنه الله. وكان هذا اللعين من جملة طائفة قد أتبعوه وصدقوه فيما يزعمه من الكفر لعنهم الله.

وقد بسط ابن الأثير في «كامله» [الكامل ٢٩٠/٨-٢٩٤] مذهب هؤلاء الكفرة، بسطاً جيداً، وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية لعنهم الله أجمعين. وادعى رجل، ببلاد الشام، النبوة، وأظهر غرائب، وأشياء كثيرة من الخيل، فجاءته الجيوش، فقاتلوه، فقتلوه، وانطلقاً خبره واضمحله أمره.

وفاة المهدي صاحب إفريقيا

أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا

■ (المهدي)

وفيها مات أبو محمد عبيد الله المدعي أنه علوي الملقب بالمهدي، بباني المهديية بمدينته، عن ثلاث وستين سنة، وكانت ولايته - منذ دخل رقادة وادعى الإمامة - أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، وهو أول الخلفاء الفاطميين.

وقد كان شهماً شجاعاً، ظفر بجماعة عن خلفه، ونلوا، وقاتله، وعاداه، وقد قام بأمر الخلافة من بعده، ولله أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله وحين توفي أبوه، كتم موته سنة، حتى دبّر ما أراد من الأمور، ثم أظهر ذلك، وعزاه الناس فيه وقد كان شهماً شجاعاً كأيّبه: فتح البلاد، وأرسل السرايا إلى بلاد الروم، ورام أخذ الديار المصرية، فلم يتفق

ومن شعره:

لو مضى الكلّ منّي لم يكن عجباً وإنما عجبني في البعض كيف بقي
أدرك بقية روح منك قد تلفت قبل الفراق فهذا آخر الرّسميّ

■ محمد بن إسماعيل: المعروف بخير الساج أبو الحسن الصوفي، من كبار المشايخ، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات المشهورة أدرك سرياً السقّطي، وغيره من مشايخ القوم، وعاش مائة وعشرين سنة ولما حضرته الوفاة، نظر إلى زاوية البيت، فقال: قف رحمك الله، فإنك عبد مأمور، وأنا عبد مأمور، وما أُمِرْتُ به، لا يفوت، وما أُمِرْتُ به، يفوت ثم قام فتوضأ وصلى وتعدّد نعمات، رحمه الله. وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: استرحنا من دنياكم الوصيرة.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

فيها أحضر ابن شُبُوذ المرقئ، فأنكر عليه جماعة من الفقهاء والقراء عليه حروفاً أنفرد بها، فاعتز به بعضها، وأنكر بعضها، فاستيب من ذلك، واستكتب بخطه، بالرجوع عما نقم عليه، وضرب سبع دور، بإشارة الوزير أبي علي بن مقلّة، ونفي إلى البصرة أو غيرها، فدعا علي الوزير، أن تقطع يده، ويشت شمله، فكان ذلك عما قريب، وفيها في جمادى الآخرة، نأدى بدر الخُرَشِي، صاحب الشرطة، في الجانبين، من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البرهاري الواعظ الحنبلي وحبس منهم جماعة، واستر ابن البرهاري، فلم يظهر مدة.

قال ابن الجوزي في «المنتظم» (الطبعة ٣٤٩/١٣): وفي شهر أيار، تكاثفت الغيوم، واشتد الحر جداً، فلما كان آخر يوم منه - وهو الخامس والعشرون من جمادى الآخرة من هذه السنة - هبّت ريح شديدة جداً، وأظلمت الأرض، واسودّت إلى بعد العصر، ثم خضت، ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة.

وفيها استبطا الأجناد أرزاقهم، فقصدوا دار الوزير، أبي علي بن مقلّة، فقبوها، وأخذوا ما فيها.

ووقع حريق عظيم، في طريق البزازين، فاحترق بسببه للناس شيء كثير، فموضع عليهم الراضي بالله، بعض ما كان ذهب لهم.

وفي رمضان، اجتمع جماعة من الأمراء، علي بيعة جعفر بن المكنفي وظهر الوزير على أمرهم، فحبس جعفرًا، ونهبت داره، وحبس جماعة ممن كان بإيمه، وانطفأت ناره.

وخرج الحُجّاج في خفارة الأمير لؤلؤ، فاعتزهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله، فقتل أكثرهم، ورجع من انهزم منهم إلى بغداد، وبطل الحج في هذه السنة، من طريق العراق وكان قتله لهم في ليلة الأربعاء لثنتي عشرة خلت من ذي القعدة.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة بعينها تساقطت كواكب كثيرة، ببغداد، والكوفة، على صفة لم يُرَ مثلها، ولا ما يقاربها، قال: وغلا السعر في هذه السنة، حتى بيع الكر من الحظلة بمائة وعشرين ديناراً.

وفيها على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زيار الديلمي، وكان قبّحه الله سيئ السيرة، والسريرة، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه، وله سرير من ذهب، يجلس عليه، والأتراك بين يديه، يزعم أنهم الجسن الذين سجنوا لسليمان بن داود، وكان يسمي المعاملة لهم، ويحترقهم غاية

الاحتقار، فما زال ذلك دأبه، حتى أمكنهم الله منه، فقتلوه، في حمام، وكان الذي مالا على قتله، غلامه بجكم التركي، جزاه الله عن الإسلام وأمله خيراً وكان ركن الدولة بن بويه، رهيبة عنده، فلما قُتل أطلق من السجن والفدّ فذهب إلى أخيه عماد الدولة وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه والتفت طائفة أخرى من الأتراك على بجكم، فصار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة له في ذلك، ثم صرفوا إلى البصرة، فكانوا بها.

وأما الديلم، فإنهم بعثوا إلى أخيه مرداويج، وهو وشمكير، فلما قدم عليهم، تلقوه إلى أثناء الطريق، حُفّة مشاة، فملكوه عليهم، لثلا يذهب ملكهم، فالتفت إلى لمحاربه، السعيد نصر بن أحمد الساماني، نائب خراسان، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم، فافتزع منه بللانا هائلة.

وفيها بعث القائم بأمر الله الفاطمي، جيشاً من إفريقية، في البحر، إلى ناحية القرنج، فافتتحوا مدينة جنوه، وغنموا غنائم كثيرة، وثروة ورجعوا سالمين غانمين.

وفيها بعث عماد الدولة بن بويه أخاه ركن الدولة إلى أصبهان، فاستولى عليها، وعلى بلاد الجبل، واتسعت ملكة عماد الدولة وقويت شوكرته وعظمت منزلته.

وفيها كان غلاء شديد بخراسان، وفناء كثير، بحيث كان يهملهم أمر دفن الموتى، وفيها قتل ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان، نائب الموصل، عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان؛ لأنه أراد أن يتزعمها منه، فبعث إليه الخليفة، وزيره أبا علي بن مقلّة في جيوش، فهرب منه ناصر الدولة، فلما طال مقام ابن مقلّة بالموصل رجع إلى بغداد، فاستقرت يد ناصر الدولة علي الموصل. وبعث إلى الخليفة يسأل أن يضمن تلك الناحية، فأجيب إلى ذلك، واستمر الحال على ما كان وخرج الحجيج، فلقهم القرمطي، في القادسية فقاتلوه، فظفر بهم، فسألوهم الأسان، فأمنهم، على أن يرجعوا إلى بغداد، فرجعوا، وتمتع عليهم الحج عامهم ذلك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ نفطويرة النحوي: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان ابن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله العنكي المعروف بنفطويه النحوي، له مصنفات فيه وقد سمع الحديث، وروى عن المشايخ، وحدث عنه الثقات من الناس، وكان صدوقاً، وله أشعار حسنة.

وروى الخطيب (الربع بعد ١٦١/٦) عن نفطويه، أنه مر يوماً على بقال، فقال له: أيها الشيخ، كيف الطريق إلى درب الرؤاسين - يعني درب الرؤاسين فالتفت البقال إلى جاره، فقال له: قبح الله غلامي، أبطأ علي بالسائق، ولو كان عندي، لصفقت هذا بجرزة منه فانصرف عنه نفطويه، ولم يرد عليه، توفي نفطويه في شهر صفر، من هذه السنة، عن ثلاث وثمانين سنة وصلى عليه البرهاري رئيس الحنابلة، ودفن بمقابر باب الكوفة. وما أشبه له أبو علي القالي في «الأمالي» (الأمالي ٢٠٩/١).

قلي أرقاً عليك من خليكاً وقوأي أوهى من قوئ جفنيكاً لم لا تسرق لمن يسأب نفسه ظملاً وينطقه هواءه عليكاً

قال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٤٨/١): وفي نفطويه، يقول أبو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي، المتكلم المشهور، صاحب «الإمامة»، وإعجاز القرآن، وغير ذلك:

من سره أن لا يرى فاسقاً فليجهد أن لا يرى نكظويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخاً عليه
قال المتعلي لطائف المعارف ص ٤٧: إنما سمي نكظويه لتمامته وأذنته
وقال ابن خالويه: لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواء.

■ عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله أبو عبد الله الهاشمي
العباسي: حدث عن سيار بن نصر الحلبي وغيره. وعنه الدارقطني وغيره،
وكان ثقة فاضلاً، فقيهاً شافعيًا.

■ عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الإسرايادي: الحديث، الفقيه،
الشافعي أيضاً، توفي عن ثلاث وثمانين سنة.

■ علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخي، كان
من الجوالين في طلب الحديث، وكان ثقة حافظاً، سمع أبا حاتم الرازي
 وغيره وعنه الدارقطني وغيره.

■ محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ، ويعرف بابن البُستَبان،
سمع الزبير بن بكار وغيره، وعنه الدارقطني وغيره جاوز الثمانين سنة.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

فيها جاءت الجند، فأخذوا بدار الخلافة، وقالوا: ليخرج إلينا الخليفة
الراضي بنفسه، فيُصل بالناس فخرج، إليهم فصلّى بهم، وخطبهم. وقبض
الغلمان على الوزير أبي علي بن مقله، وسألوا من الخليفة، أن يستوزر
غيره، فرد الخبر، إليهم فاختاروا علي بن عيسى فلم يقبل وأشار بأخيه
عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره وأحرقت دار ابن مقله، وسلم هو إلى عبد
الرحمن بن عيسى، فغضب غضباً عظيماً، وأخذ خطه بألف دينار، ثم
عجز عبد الرحمن بن عيسى، فعزل بعد خمسين يوماً، وقلد الوزارة أبو
جعفر محمد بن القاسم الكرخي، فصادر علي بن عيسى بمائة ألف دينار،
وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار، ثم عزل بعد ثلاثة
أشهر ونصف، وقلد سليمان بن الحسن، ثم عزل بأبي الفتح الفضل بن
جعفر بن القرات، وذلك في السنة الآتية. وأحرقت داره، كما أحرقت دار
ابن مقله، في اليوم الذي أحرقت تلك فيه، بينهما سنة واحدة، وهذا كله
من تحييط الأتراك والغلمان، ولما أحرقت دار ابن مقله في هذه السنة، كتب
بعض الناس، على بعض جدرانها:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تحف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فاعتزرت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وضعف أمر الخلافة جداً، وبعت الراضي إلى محمد بن رائق - وكان
بواسط - يستدعيه إليه، ليولي إمرة الأمراء ببغداد، وأمر الحجاج، والمعاون في
جميع البلاد، والدواوين، وأمر أن يحظب له على جميع المنابر، وأنفذ إليه
بالخلع فقدم ابن رائق إلى بغداد، على ذلك كله، ومعه الأمير بجكم التركي،
غلام مرداويج وهو الذي ساعد على قتله وأراح المسلمين منه واستحوذ
ابن رائق على أمر العراق بكامله، ونقل أموال بيت المال إلى داره، ولم يبق
للوزير تصرف في شيء بالكلية وهوى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب
الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها
ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء، ولا كلمة تطاع، وإنما يحمل
إليه ابن رائق، ما يحتاج إليه من الأموال، والنفقات، وغيرها وهكذا صار
أمر من جاء بعده من الأمراء الأكابر، ولما بقية الأطراف، فالبصرة مع ابن

رائق هذا، وأمر خوزستان في يدي أبي عبد الله البريدي، وقد غلب ياقوت
في هذه السنة حواصله وأمواله على ما كان بيده من مملكة تستر وغيرها،
واستحوذ على حواصله، وأمواله. وأمر فارس إلى عماد الدولة أبي الحسن
علي بن بويه والري وأصبهان والجليل بيد أخيه ركن الدولة بن بويه
ومنازعه في ذلك وشمكير أخوه مرداويج وكرومان بيد أبي علي محمد بن
إلياس ابن اليسع، وبلاد الموصل، والجزيرة، وديار بكر، ومصر، وربيعة مع
بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد إفريقية، والمغرب في
يد القائم بأمر الله ابن المهدي المدعي أنه فاطمي، وقد تلقب بأمر المؤمنين
والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد، الملقب بالناصر الأموي، وخراسان،
وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني، وطبرستان، وجرجان
في يد الديلم، والبحرين، واليمامة، وهجر، في يد أبي طاهر سليمان بن أبي
سعيد الجنابي القرمطي لعنه الله.

وفيها وقع ببغداد غلاء عظيم، وفناء كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة
أيام، ومات من أهل البلد خلق كثير، وأكثر ذلك كان في الضعفاء، وكان
الموتى يلقون في الطرقات، ليس لهم من يقوم بأمرهم، ويعمل علي الجنازة
الواحدة الاثنان من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة
الواحدة فتوسّع حتى يوضع فيها جماعة ومات من أهل أصبهان نحو من
مائتي ألف إنسان.

ووقع فيها حريق بعمان، أحرقت فيه من السودان ألف، ومن البيضان
خلق كثير، وكان من جملة ما أحرقت فيه أربعمائة حمل كانور.

وعزل الخليفة أحمد بن كبلغ عن نيابة الشام، وأضاف ذلك إلى ابن
طغج نائب الديار المصرية.

وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه
بأصبهان.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ ابن مجاهد المقرئ: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد
المقرئ، أحد الأئمة في هذا الشأن حدث عن خلق كثير، وروى عنه
الدواقطي، وغيره وكان ثقة مأموناً، سكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان
ثعلب يقول: ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه، وكانت وفاته
يوم الأربعاء، وأخرج يوم الخميس، لعشر بقين من شعبان من هذه السنة
وقد رآه بعضهم في المنام، وهو يقرأ، فقال له: أما مت؟ فقال: بلى، ولكن
كنت ادعو الله عقب كل ختمة، أن أكون ممن يقرأ في قبره، فأنما ممن يقرأ في
قبره رحمه الله.

■ جَعْفَةُ الشاعر اليرمكي: أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن
خالد بن برمك اليرمكي، أبو الحسن النديم، المعروف بجعْفَةُ، الشاعر
الماهر، الأديب الإخباري، ذو الفنون في العلوم، والنسود الحاضرة، وكان
جيد الغناء ومن شعره:

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في العالم من يسمع
كم واثق في العمر وإزنته وجامع بددت ما يجمع
وكتب له بعض الملوك رقعة، على صبر في مال أطلقه له، فلم يتحصل
منها على شيء، وتعذر عليه قبضها، فكتب إلى الملك يذكر له صورة الحال:
إذا كانت صلاتكم رقاعاً تحلّط بالأنامل والأكف
ولم تجد الرقاع عليّ نفعاً فما خطي خلوده بألف ألف

ومن شعره يهجو صديقاً له ويثمه على شدة بخله وحرصه:

لنا صاحب من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه وليس بذئ فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للغداء رأيتـه
يرى أنما من بعض أعضائه أكلي
ويتناظ أحياناً ويشتم عبده
وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
أمد يدي سرّاً لأكل لقمة
فيلحظني شزراً فأعقبُ بالبقل
إلى أن جئت كفي ليحيي جنباً
وذلك أن الجوع أعمى عقلي
فأعوت يميني نحو رجل دجاجة
فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي
فأعوت يميني نحو رجل دجاجة
فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي
ومن قوي شعره وجيده قوله:

رحلتم نكس من أمة بعد حنة
مينية للناس حزني عليكم
وقد كنت اعتقت الجفون من البكا
فقد ردها في الرق شوقي إليكم
وما أورد له القاضي ابن خلكان من الشعر الرائق قوله [وفيات الأعيان ١/٣٤٤]:

فقلت لها بخلت عليّ يَفْطُسى
فجودي في المنام لمستهم
فقلت لي وصيرت نمام أيضاً
وتطمع أن أزورك في المنام؟
قال: وإنما لقه بحظّة عبد الله بن المعتز، وذلك لسوء منظره كما قال فيه بعض من هجاه:

بُكِّتُ حِظَّةً يستعير جحوظه
من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحتا لمناديه يحملوا
الم العيون للثقة الأنان
قال ابن خلكان: وكانت وفاته في سنة ست وعشرين وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة وحُيِّل إلى بغداد قال الخطيب: وكان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين.

■ ابن المغلس، الفقيه الظاهري عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس أبو الحسن الفقيه الظاهري المشهور. له المصنفات الفيلة في مذهبه. أخذ الفقه عن أبي بكر بن داود وروى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وعلي بن داود القطري، وأبي قلابة الرقاشي، وآخرين، وكان فقيهاً ثقة فاضلاً، وهو الذي نشر علم داود في تلك البلاد توفي بالسكرية.

■ أبو بكر بن زياد النيسابوري

■ عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون، أبو بكر الفقيه الشافعي النيسابوري، مولى أبيان بن عثمان، رحل إلى العراق، والشام، ومصر، وسكن بغداد، وحدث عن محمد بن يحيى الذهلي، وعباس الدوري، وخلق، وعنه الدارقطني، وغير واحد من الحفاظ.

قال الدارقطني: لم تر في مشايخي أحفظ منه للأسانيد، والمتون. وكان أفتة المشايخ، جالس المزني، والربيع.

وقال عبد الله بن بطة: كنا نحضر مجلس ابن زياد، وكان يجزر من يخضره، من أصحاب الخبر ثلاثين ألفاً.

وقال الخطيب [تاريخ بغداد ١٠/١٢٢]: أخبرنا أبو سعد الماليني، أنا يوسف بن عمر بن مسرور، سمعت أبا بكر بن زياد النيسابوري يقول: أعرف من قام الليل أربعين سنة، ثم يتم إلا جائياً، ويتقوت كل يوم خمس حبات، ويصلي صلاة الغداة بطهارة المشاء، ثم يقول: أنا هو هذا كله، قبل أن أعرف أم عبد الرحمن أيش أقول لمن زوجني! ثم قال في إثر هذا: ما أراد

إلا الخبر توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة.

■ عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن التاجر، أقام بمصر، وأوقف بها أوقافاً، دارّةً على أهل الحديث، وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم، وكان تاجراً موشعاً عليه، مقبول الشهادة عند الحكام، توفي في شعبان من هذه السنة

■ أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن أبي يشر إسحاق ابن سالم بن إسماعيل بن موسى بن بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري قدم بغداد، وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي، وتفقه بآب سريخ وقد ذكرنا ترجمته في «طبقات الشافعية».

وقد ذكر القاضي ابن خلكان في «الوفيات» [وفيات الأعيان ٣/٢٨٤-٢٨٦] أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي، وقد كان معتزلاً، قبل ذلك كتاب منه بالبصرة، فوق المنبر، ثم أظهر فضائحهم، وقاتلهم، وذكر له من التصانيف: الموجز، وغيره، وحكي عن ابن حزم أنه صنف خمسة وخمسون تصنيفاً، وذكر أن مغله، كان في كل سنة كان سبعة عشر درهماً، وأنه كان من أكثر الناس دعابة، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، وقيل سنة ستين ومائتين، ومات في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاثين، وقيل في سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة قاله أعلم.

■ محمد بن الفضل بن عبد الله أبو ذر التميمي، كان رئيس جرجان، سمع الكثير وتفقه بمذهب الشافعي، وكانت داره مجمع العلماء، وله إفضال كثير، على طلبة العلم، من أهل زمانه.

■ هارون ابن المقفل، أخو الخليفة الراضي، توفي في ربيع الأول منها، فحزن عليه أخوه الراضي، وأمر بنفي بختيشوع بن يحيى المتطبب إلى الأتابر لأنه اتهم في علاجه، ثم شغعت فيه أم الراضي فرده.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

في الحرم منها خرج الخليفة الراضي، وأمير الأمراء محمد بن رائق، من بغداد قاصدين واسطاً، لقتال أبي عبد الله البريدي، نائب الأهواز، الذي قد تجبر بها، ومنع الخراج، فلما سار ابن رائق إلى واسط، خرج عليه الحجريّة وقاتلوه فسلط عليهم بجكم، فطحنهم، ورجع فلهم إلى بغداد، فلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة، فاحتاط علي أكثرهم، ونهبت دورهم، ولم يبق لهم رأس يرتفع، وقطعت أوزاقهم من بيت المال بالكلية.

وبعث الخليفة وابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي، يتهددانه، فأجاب إلى حمل كل سنة ثلاثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بحمل كل شهر على حدته، وإلى أن يُجهز جيشاً إلى قتال عضد الدولة بن بويه. فلما رجع الخليفة إلى بغداد، لم يحمل شيئاً، ولم يبعث أحداً، ثم بعث ابن رائق بجكم ويدراً الحرّشي، لقتال البريدي، فجرت بينهم حروب وخطوب، وأمور يطول ذكرها، ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة، واستجار به، واستحوذ بجكم على بلاد الأهواز، وجعل إليه ابن رائق خراجها وكان بجكم هذا شجاعاً فاتكاً.

وفي ربيع الأول خلع الخليفة على بجكم، وعقد له الإمارة ببغداد، وولاه نيابة المشرق إلى خراسان.

وفيهما توفي من الأعيان

■ أبو حامد بن الشرفي، أحمد بن محمد بن الحسن: أبو حامد بن الشرفي، مولده سنة أربعين ومائتين، وكان حافظاً كبير القدر، كثير الحفظ، كثير الحج رحل إلى الأمصار، وجاب الأقطار، وسمع من الكبار نظر إليه ابن خزيمة يوماً فقال: حياة أبي حامد، تحجز بين الناس، وبين الكذب على رسول الله ﷺ.

■ عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز الحوري، حدث عن المبرد، وثعلب، وكان ثقة. له مصنفات في علوم القرآن، غزيرة الفوائد.

■ محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي، ابن الوشاء له مصنفات مليحة في الأخبار وقد حدث عن الحارث بن أبي أسامة والمبرد وثعلب، وغيرهم.

■ محمد بن أحمد بن هارون أبو بكر العسكري الفقيه، على مذهب أبي ثور، روى عن الحسن بن عرفة، وعباس الدوري، وعنه الدارقطني، والأجري، وغيرهما.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

ففيها ورد كتاب من ملك الروم، إلى الخليفة الراضي، مكتوب بالرومية، والتفسير بالعربية، فأما الرومي فبالذهب، والعربي بالفضة، وحاصله، طلب الهدنة، بينه وبينه ووجه مع الكتاب بهدايا، والطاف كثيرة فاخرة، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وفودي من المسلمين ستة آلاف أسير، ما بين ذكر، وأنثى، علي نهر البندون.

وفيهما ترحل الوزير أبو الفتح بن القرات، من بغداد إلى الشام، وترك الوزارة، فولياها أبو علي بن مقلة، وكانت ولايته ضعيفة جداً، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق، وطلب من ابن رائق، أن يفرغ له عن أملاكه، فجعل يماطله، فكتب إلى بحكم، يطمعه في بغداد، وأن يكون عوضاً عن ابن رائق، وكتب ابن مقلة أيضاً إلى الخليفة يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق وابن مقاتل ويضمهم بالثمن ألف دينار فبلغ ذلك ابن رائق، فأخذه، فقطع يده، وقال: هذا أفسد في الأرض ثم جعل يحسن للخليفة، أن يستوزره، وأن قطع يده، لا يمتعه من الكتابة، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة، فيكتب بها، ثم بلغ ابن رائق، أنه قد كسب إلى بحكم بما تقدم، وأنه يدعو عليه، فأخذه فقطع لسانه، وسجنه في مكان ضيق، وليس عنده من يخدمه، فكان يستقي الماء بنفسه، يتناول الحبل من البئر بيده اليسرى، ثم يسكبه فيه، ولقي شدة وعناء، ومات في حبسه هذا وحيداً، فدفن هناك ثم سأل أهله نقله، فدفن في داره، ثم نقل منها إلى غيرها، فاتفق له أشياء غريبة: منها أنه وزر ثلاث مرات، وعزل ثلاث مرات، وولي لثلاثة من الخلفاء، ودفن ثلاث مرات، وسافر في عمره ثلاث سفرات، مرتين متفياً، ومرة في وزارته إلى الموصل، كما تقدم.

وفيهما دخل بحكم بغداد، فقلله الراضي إمرة الأمراء، مكان ابن رائق، وقد كان بحكم هذا من غلمان أبي علي العارض، وزير ماكان ابن كالي الديلمي فاستوهبه ما كان من الوزير، فوهبه له، ثم فارق ما كان، ولحق بمرادويج، وكان في جملة من قتله في الحمام، كما تقدم، (وسكن بحكم بشار مؤنس الخادم، وعظم أمره جداً، وانفصل ابن رائق، وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً).

وفيهما بعث عماد الدولة بن بويه، أخاه معز الدولة، فأخذ بلاد الأهواز لأبي عبد الله البريدي، وانتزعها من يد بحكم، وأعادها إليه.

وفيهما استولى لشكري، أحد أمراء وشمكير الديلمي، علي بلاد أذربيجان، وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكردي، أحد أصحاب ابن أبي الساج، بعد قتال شديد طويل.

وفيهما اضطراب أمر القرامطة جداً، وقتل بعضهم بعضاً، وانكفروا بسبب قتلهم، عن التعرض للفساد في الأرض، ولزموا بلدهم هجر، لا يرومون منه انتقالاً إلى غيره، ولله الحمد والمنة.

وفيهما توفي

■ أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسي، كان أبوه من أصحاب مالك، وهذا الرجل هو أول من أدخل ققه مالك إلى الأندلس، وقد عرض عليه القضاء بها، فلم يقبل.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

في الحرم منها، خرج الراضي بالله أمير المؤمنين من بغداد، إلى الموصل، لحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها، ويسن يديه بحكم أمير الأمراء، وقاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وقد استخلف علي بغداد ولده القاضي أبا نصر يوسف بن عمر، عن أمر الخليفة له بذلك وكان عالماً فاضلاً، ولما انتهى بحكم إلى الموصل والجزيرة، واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان، فهزم بحكم الحسن بن حمدان، وقرّر الخليفة أمر الموصل والجزيرة.

وأما محمد بن رائق، فإنه اغتشم غيبة الخليفة عن بغداد، واستجاش بالث من القرامطة، فدخل بهم بغداد، فأكثر فيها الفساد، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة، ثم بعث إلى الخليفة، يطلب منه المصالحة، والعفو عما جنى، فأجابه إلى ذلك، وبعث إليه قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف، وترحل ابن رائق عن بغداد، ودخلها الخليفة في جمادى الأولى في هذه السنة ففرح المسلمون بذلك.

ونزل عند غروب الشمس، أول ليلة من شهر آذار وذلك في جمادى الأولى، مطر عظيم، وبرد كبار، كل واحدة نحو الأوقيتين، واستمر، فسقط بسببه، دور كثيرة من بغداد، وظهر جراد كثير، في هذه السنة، وكان الحج من جهة درب العراق، قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى هذه السنة، فشفع الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي عند القرامطة، وكانوا يجبرونه، لشجاعته، وكرمه، في أن يُمَكَّنوا الحجيج من الحج، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير، وعلى الحمل سبعة دنانير، فخرج الناس للحج في هذه السنة، علي هذا الشرط، فكان من جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هريرة أحد أئمة الشافعية، فلما اجتاز بهم، طالبوه بالخفارة، فتش راس راحلته، ورجع، وقال: ما رجعت شحاً، ولكن سقط عني وجوب الحج، يطلب هذه الخفارة.

وفي هذه السنة وقعت فتنة بالأندلس، وذلك أن عبد الرحمن الأموي، صاحب الأندلس، الملقب بالناصر لدين الله، قتل وزيره أحمد، ففضب له أخوه أمية بن إسحاق - وكان نائباً على مدينة شترين - فارتدت، ودخل بلاد النصارى، واجتمع بملكهم رُمير، وقُله على عورات المسلمين، فسار إليهم في جيش كثيف من الجلالة، فخرج إليه الأموي، فأوقع به بأساً شديداً، وقتل من الجلالة خلقاً كثيراً، ثم كر الفرنج على المسلمين، فقتلوا

لقد أطلت علينا، قد سبحت في سجودي سبعين مرة. فقال عبد الرحمن: لكني والله ما سبحت إلا ثلاثاً، وتهتم سور بعض بلاد الثغور، فتكلم عبد الرحمن بن أبي حاتم يوماً على الناس: حثهم على عمارته، فقال: من يَغْمُرْ، وأضمن له على الله الجنة؟ فقام رجل من التجار، فقال: أكتب لي بخطك هذا الضمان، وهذه ألف دينار لعمارة فكتب له رقعة بذلك، وعمر ذلك السور، ثم اتفق موت ذلك الرجل عما قريب، فلما حضر الناس جنازته، طارت من كفه رقعة، وهي التي كان كتبها ابن أبي حاتم وإذا في ظهرها مكتوب: قد أمضينا لك هذا الضمان، ولا تعد إلى ذلك.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي في «معتظه» والمنظم ٣٨٢/١٣: في غرة المحرم منها، ظهرت في الجو، حمرة شديدة، من ناحية الشمال، والمغرب، وفيها أعملة بيض، عظيمة، كثيرة العدد.

وفيها وصل الخبر، بأن ركن الدولة، أبا علي الحسن بن بويه الديلمي، قد وصل إلى واسط، فركب الخليفة ويحكم لقتاله فانصرف راجعاً، ورجعاً إلى بغداد.

وفي هذه السنة ملك ركن الدولة بن بويه مدينة أصبهان، أخذها من وشمكير أخي مرداويج، لقلعة جيشه في ذلك الحين.

وفي شعبان زادت دجلة، زيادة عظيمة، وانتشرت في الجانب الغربي، وسقطت دور كثيرة، وانبثقت من نواحي الأنبار، ففرق قرى كثيرة، وهلك بسببه حيوانات وسباع كثيرة في البرية.

وفيها تزوج بحكم بسارة بنت أبي عبد الله البريدي وهو محمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد ثم صُرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن وضمن البريدي بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار.

وفيها توفي قاضي القضاة أبو الحسين

■ عمر بن محمد بن يوسف، وتولى مكانه ولده أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، وخلع عليه الخليفة الراضي، يوم الخميس، لخمس بقين من شعبان منها، ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط، كتب إلى بحكم، يحثه على الخروج إلى بلاد الجبل، ليفتحها، ويساعده هو على أخذ الأهواز، من يد عماد الدولة بن بويه، وإنما كان مقصوده، أن يستغني عن بغداد، لياخذها فلما انفصل بحكم بالجنود، بلغه ما يؤمله أبو عبد الله البريدي من المكيدة، فرجع سريعاً إلى بغداد، وركب في جيش كثيف إليه، وأخذ الطرق من كل جانب لئلا يشعر به، إلا وهو عنده على حافة السفينة فاتفق أنه كان راكباً في زورق، وعنده كاتب له إذ سقطت حاملة على جانب السفينة في ذنبا كتاب، فأخذه بحكم، فقرأه، فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب، إلى أصحاب البريدي، يعلمهم بخبر بحكم، فقال له: ويحك! أهدأ خطك؟ قال: نعم. ولم يقلع على الإنكار، فأمر بقتله، فقتل، والقي في دجلة وحين أحس البريدي، بقدوم بحكم، هرب إلى البصرة، ولم يبق بها أيضاً، فاستولى بحكم على بلاد واسط، وتسلط الديلم على جيشه، الذين خلفهم بالجبل، ففروا سراعاً إلى بغداد.

وفي هذه السنة استولى محمد بن رائق على بلاد الشام، فدخل حمص أولاً، فأخذها، ثم جاء إلى دمشق، وعليها بدر بن عبد الله الإخشيد، المعروف ببليز من جهة الأخشيد، محمد بن طعنع، فأخرجهم ابن رائق منها قهراً، واستولى عليها.

منهم خلقاً، قريباً ممن قتلوا منهم، ثم وإلى المسلمون الغارات، علي بلاد الجلائقة، فقتلوا منهم أمماً لا يحصون كثرة، ثم ندم أمية بن إسحاق على ما صنع، وطلب الأمان من عبد الرحمن، فبعث إليه بالأمان، فلما قدم عليه قبله واحترمه.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ الحسن بن القاسم بن دحيم: أبو علي الدمشقي، من أبناء المحدثين، وكان أخباراً له في ذلك مصنفات، وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروتي، وغيره. وكانت وفاته بمصر في عرم هذه السنة وقد أناف على الثمانين سنة.

■ الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو علي الكوكبي الكاتب، صاحب الأخبار، والأدب، روى عن أحمد ابن أبي خيثمة، وأبي العيلاء، وابن أبي الدنيا. روى عنه الدارقطني، وغيره.

■ عثمان بن الخطاب بن عبد الله أبو عمرو البلوي، المغربي الأشج، ويعرف بأبي الدنيا. قدم هذا الرجل ببغداد بعد الثلاثمائة، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ببلاد المغرب، وأنه وفد هو وأبوه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأصابهم في الطريق عطش شديد، فذهب يتراد لأبيه ماء، فرأى عينا، فشرب منها، واغتسل، ثم جاء لأبيه ليسقيه، فمات أبوه، وقدم هو على علي بن أبي طالب، فأراد أن يقبل ركبته، فصلعه الركاب، فشج رأسه، فكان يعرف بالأشج، صدقه في هذا الزعم طائفة من الناس، ورووا عنه نسخة، فيها أحاديث من روايته عن علي، من صدقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد المفيد، ورواها عنه، ولكن كان المفيد متهما بالتشيع، فسمح له في ذلك، لانتسابه إلى علي، وأما جمهور المحدثين، قديماً، وحديثاً، فكذبوه في ذلك، وردوا عليه كذبه، ونصوا على أن النسخة التي رواها موضوعة، ومنهم الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، وأشيأنا الذين أدركتهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والجهيد أبو الحجاج المزي، والحافظ مؤرخ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، وقد حررت ذلك في كتابي «التكميل»، والله الحمد والمنة.

قال المفيد: بلغني أن الأشج هذا، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وهو راجع إلى بلده.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن سهل: أبو بكر الخرائطي، صاحب المصنفات، أصله من أهل سُرّ من رأى، وسكن الشام، وحدث بها عن الحسن بن عرفة، وغيره.

ومن توفي فيها:

الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد

■ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي: صاحب كتاب «الجرح والتعديل»، وهو من أجل الكتب المصنفة، في هذا الشأن، وله التفسير الحافل، الذي اشتمل على النقل الكامل، الذي يربى فيه على تفسير ابن جرير، وغيره من المفسرين، وله كتاب «العلل» المصنفة المرتبة، على أبواب الفقه، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وكان من العبادة، والزهادة، والورع والحفظ، والكرامات الكثيرة، المشهورة على جانب كبير، رحمه الله تعالى. وأكرم مثواه.

وقد صلى مرة، فلما سلم، قال له رجل، من بعض من صلى معه:

وفي مشايخ الصوفية، آخر يقال له أبو جعفر المزين الكبير، جاور بمكة، ومات بها أيضاً، وكان من العباد.

روى الخطيب عن علي بن أبي علي، عن إبراهيم بن محمد الطبري، عن جعفر الخلدلي قال: ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير، فقلت له: زودني. فقال لي: إذا فقدت شيئاً، فقل يا جامع الناس، ليوم لا رب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، اجمع بيني وبين كذا، فإن الله يجمع بينك، وبين ذلك الشيء. قال: فجئت إلى الكتاني، فودعته، وسأله أن يزودني، فأعطاني خاتماً، على فقهه، فقال: إذا اغتممت، فانظر إلى هذا الفص، يزل غمك. قال: فكت لا أدعو بذلك الدعاء، إلا استجب لي، ولا أنظر في ذلك الفص، إلا زال عني ما أجده، فبينما أنا ذات يوم في سُمريّة، إذ هبت ريح شديدة، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه، فلم أدر كيف ذهب، فجعلت أدعو بذلك الدعاء يومي كله، فلما رجعت إلى المنزل، فتت المتاع الذي في المنزل، فإذا الخاتم في بعض ثيابي، التي كانت بالمنزل.

صاحب كتاب «العقد الفريد»

■ أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم أبو عمر القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. كان من الفضلاء الكثرين، والعلماء بأخبار الأولين، والمتأخرين، وكتابه «العقد»، يدل على فضائل جمّة، وعلوم كثيرة مهمة، ولكنه يدل كثير من كلامه، على تشيع فيه، وميل إلى الحط على بني أمية، وهذا عجب منه، لأنه أحد مواليتهم، وكان الأولي به، أن يكون ممن يواليهم، لا ممن يعاديتهم.

قال القاضي ابن خلكان «وفيات الأعيان»: ١١٠/١: وله ديوان شعر حسن، ثم أورد منه أشعاراً، في التغزل في المردان والنسوان أيضاً. وكان مولده في رمضان سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفي بقرطبة، يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، من هذه السنة.

■ عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو الحسين الأزدي الفقيه المالكي، القاضي ابن القاضي، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفقه على مذهب مالك والقراض، والحساب واللغة والنحو والشعر وصنف مستنداً، ووزّق قوة الفهم، وجودة القرينة، وشرف الأخلاق، وله الشعر الرائق الحسن، وكان مشكور السيرة في القضاء، عدلاً ثقة إماماً.

قال الخطيب «تاريخ بغداد»: ٢٣٢/١١: أخبرنا أبو الطيب الطبري، سمعت المعافى بن زكريا الجريدي يقول: كنا مجلس في حضرة القاضي أبي الحسين فجننا يوماً ننظره على العادة، فجلسنا عند باب، وإذا أعرابي جالس، كأن له حاجة، إذ وقع غراب على نخلة في الدار، فصرخ، ثم طار فقال الأعرابي: إن هذا الغراب يقول، إن صاحب هذا الدار يموت، بعد سبعة أيام. قال: فزبرناه، فقام، وانصرف، ثم خرج الإذن من القاضي إلينا أن هلم فادخلوا، فدخلنا، فإذا به متغير اللون نعته، قلنا: ما الخبر؟ فقال: إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول:

منازل آل خُصَاو بن زبُر - على أهليك والتَّعَم السلام

وقد ضاق لذلك صدري قال: فدعونا له، وانصرفنا فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم، دفن.

وقد كانت وفاته يوم الخميس، لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وصلى عليه ابنه أبو نصر، وولي

ثم ركب في جيش إلى الرملة، فأخذها، ثم قصد عرش مصر ليدخلها، فلقه محمد بن طنج فباقتلا هناك، فهزمه ابن رائق، واشتغل أصحابه بالنهب، ونزلوا في خيام المصريين، فكر عليهم المصريون فقتلوهم قتلاً عظيماً، وهرب محمد بن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه، فدخل دمشق في أسوأ حالة وشرها، وسير إليه محمد بن طنج أخاه نصر بن طنج، في جيش، فاقتلوا عند اللجون، في رابع ذي الحجة، فهزم المصريون، وقتل آخر الإخشيد فيمن قتل، ففسله محمد بن رائق، وكفته، ويعت به إلى أخيه بمصر، وأرسل معه ولده، وكتب إليه، يحلف له أنه ما أراد قتله، وهذا ولدي فاقتد منه فأكرم الإخشيد ولد محمد بن رائق، واصطلحنا، على أن تكون الرملة، وما بعدها إلى ديار مصر للإخشيد، ويعمل إليه الإخشيد، في كل سنة، مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار، وما بعد الرملة يكون لمحمد بن رائق.

ومن توفي في هذه السنة

■ جعفر المرتعش، أبو محمد أحد مشايخ الصوفية، كذا ذكره الخطيب وقال أبو عبد الرحمن السلمي: اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابوري، كان من ذوي الأموال، تخلّى منها، وصحب الجنيّد، وأبنا حفص، وأبنا عثمان، وأقام ببغداد، حتى صار شيخ الصوفية، فكان يقال عجائب ببغداد ثلاث إشارات الشبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخواص.

سمعت أبا الفرج الصائغ يقول: قال المرتعش: من ظن أن أفعاله، تنجيه من النار، أو تبلغه الرضوان، فقد جعل لنفسه، ولفعله، خطراً، ومن اعتمد على فضل الله، بلغه الله أقصى منازل الرضوان.

وقيل للمرتعش: إن فلانا يمشي على الماء. فقال: إن مخالفة الهوى، أعظم من المشي على الماء.

ولما حضرته الوفاة، وهو بمسجد الشونيزية، حسبوا ما عليه من الدين، فإذا عليه سبعة عشر درهماً، فقال: بيعوا خريقتي هذه، واقضوا بها ديني، وأرجو أن يرزقني الله كفتها، وقد سألت الله ثلاثاً: سأله أن يمتني وأنا فقير، وأن يجعل وفاتي في هذا المسجد، فإني صحبت فيه أقواماً، وأن يجعل عندي، من آتس به، وأجبه ثم اغمض عينيه، ومات.

■ أبو سعيد الإصطخري الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار، أبو سعيد الإصطخري أحد أئمة الشافعية، وكان زاهداً ورعاً ناسكاً عابداً، ولي القضاء بقم، ثم حسيه ببغداد، فكان يدور بها، ويصلي على بقلته، وهو سائر بين الأزقة، وكان متقللاً جداً، وقد ذكرنا ترجمته في «طبقات الشافعية»، وله كتاب «القضاء»، لم يصف مثله في بابيه، توفي وقد قابله التسعين رحمه الله تعالى.

■ علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير: أحد مشايخ الصوفية، أصله من بغداد، وصحب الجنيّد، وسهلاً الشترى، وجاور بمكة، حتى توفي بها في هذه السنة، وقال: يحكي عن نفسه، وردت براء، في أرض تبوك، فلما دنوت منها، زلقت فسقطت في البئر، وليس أحد يراني. فلما كنت في أسفلها، إذا فيها مصطبة، فعلوتها وقلت: إن مت، لا أفسد على الناس الماء، وسكنت نفسي، وطابت للموت فبينما أنا كذلك، إذا أفعى، قد تدلت علي، فلفقت علي ذنبها ثم رفعتني، حتى أخرجتني إلى وجه الأرض، وانسابت فلم أدر أين ذهبت، ولا من أين جاءت.

بعده القضاء.

قال الصولي: بلغ القاضي أبو الحسين من العلم، مبلغاً عظيماً، مع حداثة السن وحين توفي، كان الخليفة الراضي يبيكي عليه، بحضرتنا، ويقول: كنت أضيّق بالشئ ذرعاً، فيؤسّعه علي، ثم يقول: والله لا بقيت بعده.

■ ابن شيوة القرقي محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن القرقي المعروف بابن شَبُود روى عن أبي مسلم الكجّي، وبشر بن موسى، وخلق، وكان يختار خروفاً أنكرها أهل زمانه عليه، وصف أبو بكر الأنباري كتاباً في الرد عليه، وقد ذكرنا فيما تقدم، كيف أنه عُقِدَ له مجلس، في دار الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلّة، وأنه ضُرب، حتى رجع عن الكثير من القراءات الشاذة التي أنكرها القراء من أهل عصره عليه. وكانت وفاته في صفر منها، وقد دعا ابن شَبُود على ابن مقلّة، حين أمر بضره، فلم يفلح ابن مقلّة بعدها.

■ ابن مقلّة الوزير أحد الكتاب المشاهير، محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله: أبو علي المعروف بابن مقلّة الوزير، وقد كان في أول عمره ضعيف الحال، ثم آل به الحال، إلى أن ولي الوزارة، لثلاثة من الخلفاء وهم المقتدر، والقاهر، والراضي، وعزل ثلاث مرات، وقطعت يده ولسانه، في آخر أمره، وحبس، فكان يستقي الماء بيده اليسرى، وأسنانه، وكان مع ذلك، يكتب بيده اليمنى بعد قطعها، كما كان يكتب بها، وهي صحيحة. وقد كان خطة من أقوى الخطوط، كما هو مشهور عنه وقد بني له داراً في زمن وزارته، فجمع عند بنائها، خلقاً من المتجنّين، فاتفقوا على أن تبنى في الوقت الفلاني، فأسس جدرانها بين المشاهير، كما أشاروا فما لبث بعد استتمامها إلا سيرا، حتى خربت، وصارت كوماً، كما ذكرنا ذلك، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها. وقد كان له بستان كبير جداً، فيه عدة أجرة - أي فدادين - وعليه جميعه شبكة من إبريسم، وفيه من الطيور من القماري، والحزاز، والبغ، والبلايل، والطواويس والقبيح شيء كثير، وفي أرضه من الغزلان، وقر الحوش وحميره، والنعام، الإبل شيء كثير أيضاً ثم صار هذا كله عما قريب بعد النفرة، والهجرة، والبهاء إلى الهلاك والفناء، وقد أُنشد فيه بعض الشعراء، حين بنى داره.

نل لابس مقلّة: لا تكن عجلاً واصبر فلنك في أنفك أحلام تبني بانقراض دور الناس مجتهداً داراً ستقص أيضاً بعد أيام ما زلت تختار سعد المشتري لها فلم توفق به من غس بهرام إن القرآن وبطليموس ما اجتماعاً في حال نقص ولا في حال إصرام فعزل ابن مقلّة عن وزارته، بغداد، وخربت داره، وأتلفت أشجاره، وقطعت يده، ثم قطع لسانه، وأُغرم بألف دينار، ثم سجن وحده، مع الكبير، والضعف، والضرورة، فكان يستقي الماء لنفسه، من بئر عميق، فكان يد الحبل، بيده اليسرى، ويسكه بفيه، وقاسى جهنماً جهيناً بعنما ذاق عيشاً رغيداً. ومن شعره حين قطعت يده:

مَا سَمِئْتُ الْحَيَاةَ لَكِنْ تَوَقَّعْتُ بِإِمَانِهِمْ قُبَانَتْ يَمِينِي
بَغْتُ يَمِينِي لَمْ يَدِينَايَ حَتَّى حَرَمَنِي دِينَاهُمْ بَعْدَ دِينِي
وَلَقَدْ حُطَّتْ مَا اسْتَطَعْتُ بِمُجْهَدِي جَفِظْتُ أَرْوَاحَهُمْ فَمَا حَيَّطُونِي
لَيْسَ بَعْدَ الْيَمِينِ لَدُنِّي عَيْشٌ يَا حَيَاتِي بِسَاتٍ يَمِينِي فِينِي
وكان يبيكي على يده كثيراً، ويقول: بعنما خدمت بها ثلاثة من الخلفاء وكتب بها القرآن مرتين تقطع، كما تقطع أيدي اللصوص، ثم ينشد:

إذا ما مات بعضك فأنك بعضاً فإن البعض من بعض قريب
وقد مات رحمه الله، في محبة هذا، ودفن في دار السلطان، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول فأجيب، فنيشوه، ودفنه ولده عنده في داره ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية، أن يدفن في دارها، فنيش، ودفن عندها فهذه ثلاث مرات أيضاً مات رحمه الله وله من العمر ست وخمسون سنة.

■ أبو بكر بن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر الأنباري، صاحب كتاب «الوقف والابتداء» وغير المصنفات. وكان من محوّر العلم في اللغة والعربية وغير ذلك، سمع الكندي، وإسماعيل القاضي، وثعلب، وغيرهم، وكان ثقة صدوقاً أميناً، هيناً فاضلاً، من أهل السنة. من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً له «وكانت له من المحافض مجلدات عظيمة كثيرة، أحمال أجمال، وكان لا يأكل إلا الثقال ولا يشرب ماء، إلى قريب العصر، مراعاة لحفظه، ويقال: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً، وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة، وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة.

■ أم عيسى بنت إبراهيم الحربي كانت عالمة فاضلة، تفتي في الفقه، توفيت في رجب منها ودفنت إلى جانب أبيها، رحمهما الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

في منتصف من ربيع الأول، منها كانت وفاة الخليفة الراضي بالله، أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتض بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد بن جعفر بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي استخلف بعد عمه القاهر، لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، وأمه أم ولد رومية تسمى ظلم كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين فكانت خلافته ست سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعصره يوم مات إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر، وكان أسمر، رقيق البشرة، ذُرِّي اللون، أسود الشعر، سبطه، قصير القامة، نحيف الجسم، في وجهه طول، وفي مقدم لحيته تمام، وفي شعرها رقة، هكذا وصفه من شاهده.

قال الخطيب البغدادي [١٤٣/٢]: كان للراضي فضائل كثيرة، وختم الخلفاء في أمور عدة منها أنه كان آخر خليفة له شعر مُدُون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء، ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته، وجوازته، وعطاياه وجرياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه، وحجابه وأمره كل ذلك يجري على ترتيب المتقدمين من الخلفاء، وقال غيره: كان فصيحاً، بليغاً، كريماً، جواداً، عملاً.

ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمد بن يحيى الصولي: لله أقوام، هم مفاتيح الخير، وأقوام مفاتيح الشر، فمن أراد الله به خيراً، قصد به أهل الخير، وجعله الوسيلة إلى ما، فنقضي حاجته، وهو الشريك في الثواب والشكر، ومن أراد الله به شراً، عدل به إلى غيرنا، فهو الشريك في الوزر، والإثم، والله المستعان على كل حال.

ومن الطغف الاعتقادات، ما كتب به الراضي إلى أخيه المتقي، وهما في المكتب - وكان المتقي لله قد اعتدى على الراضي، والراضي هو الكبير

أريد أحداً من الجلساء حسي المصنف ندياً، لا أريد ندياً غيره فقعده عنه الجلساء، والندماء والتضوا على بحكمهم، وكان يجالسهم، فيحادثونه، ويتشاورون عنده الأشعار فكان لا يفهم كثير شيء مما يقولون، لمعجته، وكان في جملتهم، سنان بن ثابت الصائغ المطب، فكان يحكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه، وكان سنان يهذب من أخلاقه، ويسكن جاشه، ويروض نفسه، حتى يسكن عن بعض ما كان يعاطاه، من سفك الدماء، وكان المتقي، حسن الوجه، معتدل الخلق، قصير الأنف، أبيض مشرباً حمرة، وفي شعره شقرة، وجعودة، كث اللحية، أشهل العينين أبي النفس لم يشرب التبيذ قط، فالتقى فيه الاسم والفعل، ولله الحمد.

ولما استقر المتقي في الخلافة، أفند الرسل، والخلق، إلى بحكم وهو بواسط، ونفذت المكاتبات إلى الأفاق بولاية المتقي لله وفي هذه السنة غارب أبو عبد الله البريدي، وبحكم بناحية الأهواز، فقتل بحكم في الحرب، واستظهر البريدي عليه، وقوي أمره، فاحتاط الخليفة على حواصل بحكم، فكان في جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار، ومائة ألف دينار. وكانت أيام بحكم على بغداد ستين وثمانية أشهر وتسعة أيام.

ثم إن البريدي حدثه نفسه ببغداد، فاتفق المتقي أموالاً جيلة في الجند، ليعتموه من ذلك، وركب بنفسه، فخرج إلى أثناء الطريق، ليعمنه من ذلك، فخالفه البريدي، ودخل بغداد في ثاني رمضان، ونزل بالشقي، فلما تحقق المتقي ذلك، بعث إليه بيته، وأرسل إليه بالأطعمة، وخوطف بالوزير، ولم يخاطب بإمرة الأمراء، فأرسل البريدي يطلب من المتقي خمسمائة ألف دينار، فامتنع الخليفة من ذلك، فبعث يهدده، ويتوعده، ويذكره ما حلّ بالمعتر، والمستعين والمهتدي، واختلفت الرسل بينهما، ثم كان آخر ذلك، أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً، ولم يتفق اجتماع الخليفة، والبريدي ببغداد، حتى خرج البريدي منها إلى واسط، وذلك أنه ثارت عليه الديلمة، والتضوا على كبيرهم كورتيكين، ورأوا حريق دار البريدي حين قبض المال من الخليفة ولم يعطهم شيئاً، وكانت البجكية، طائفة أخرى، قد اختلفت معه أيضاً، وهم والديلم قد صاروا حزينين، فانهزم البريدي من بغداد، يوم سلخ رمضان، فاستولى كورتيكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقي، فقلده إمرة الأمراء، وخلع عليه، واستدعى المتقي لله علي بن عيسى، وأخاه عبد الرحمن، ففوض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة، ثم قبض كورتيكين على رئيس الأتراك تكيك، غلام بحكم، وغرقه ثم نظمت العامة من الديلم لأنهم يأخذون منهم دورهم فشكوا ذلك إلى كورتيكين، فلم يشكهم، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا في الجوامع، واقتتل الديلم والعامة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وجم غفير.

وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق صاحب الشام، يستدعيه إليه، ليخلصه من الديلم والبريدي، فركب إلى بغداد، في العشرين من رمضان، ومعه جيش عظيم، وقد صر إليه من الأتراك البجكية خلق كثير، وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان، فتراسلاً، ثم اصطالحا، وحمل ابن حمدان إلى ابن رائق مائة ألف دينار، فلما اقترب ابن رائق من بغداد، خرج كورتيكين في جيشه، ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربيها، ورجع كورتيكين بجيشه، من شرقيها، ثم تصافوا ببغداد للقتال، فساعدت العامة ابن رائق على كورتيكين، فانهزم الديلم، وقتل منهم خلق كثير، وهرب كورتيكين، فاخفى، واستقر أمر ابن رائق على بغداد، وخلع عليه الخليفة، وركب هو وولاه في دجلة، وظفر ابن رائق

منهما - فكتب إليه الراضي: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً، والعبد يذنب والمولى يغفر. وقد قال الشاعر:

يا ذا الذي ينضب من غير شيء أعتب فقبالك حبيب لي
أنت على أنك لي ظالم أعز خلق الله طراً علي
قال: فجاء إليه أخوه المتقي فكتب عليه يقبل يديه وتعانقا واصطالحا.
ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الأثير في «الكامل» (٣١١/٨):

يصفر وجهي إذا تأملته طرفي ويمر وجهه خجلاً
حتى كان الذي بوجته من دم جمى إليه قد نقلاً
قال: وما رثى به أباه المقتدر:

ولو أن حياً كان تبرا لبت لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا
ولو أن عمري كان طويح مشيتي وسافحتي القدر فاستتت العمرا
بغسي ثرى ضابحت في تربه إليسى لقد ضم منك والييث والغيث والبدرا

ومن شعره الذي رواه الخطيب من طريق أبي بكر محمد ابن يحيى الصولي التميم عنه قوله (تاريخ بغداد ١٤٤/٢):

كل صفير إلى كفز كل أنين إلى حنفر
ومصير الشبيب للمو توفيه أو الكمبر
در المشيب من واعظ ينفر البشفر
أيها الأممل السذي تله في لجلة الففر
أين من كان قبلنا؟ درس الممين والأنفر
سيرد المسار من عمره كله خطفر
رب إنني ذخرت عنك أرجوكم مَدْخفر
إنني مؤمن بما بين الوحي في السور
واعترافي بتركك نفي عسي وإشاري الضفر
رب فلا غفر لي الخطير ثة يا خير من غفر

وقد كانت وفاته بعلة الاستسقاء، في ليلة السادس عشر من ربيع الأول من هذه السنة، وكان قد أرسل إلى بحكم، وهو بواسط، ليعهد إلى ولده الأصغر أبي الفضل، فلم يتفق له ذلك، ويابح الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المقتدر، وكان أمر الله قدراً مقديراً.

ذكر خلافة المتقي أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لما مات أخوه الراضي، اجتمع القضاة، والأعيان، بدار بحكم، واشتوروا فيمن يولون عليهم، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي بالله إبراهيم هذا، فأحضره إلى دار الخلافة، وأرادوا بيته، فصلى ركعتين، صلاة الاستخارة، وهو على الأرض، لم يصعد إلى الكرسي بعد، ثم صعد إلى السرير، ويابه الناس، وكان ذلك يوم الأربعاء، لعشر بقين من ربيع الأول من هذه السنة أعني سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فلم يغير على أحد شيئاً، ولا غدر بأحد، حتى ولا على سريته، لم يغيرها، ولم يتسر عليها.
وكان كما سمي المتقي لله، كثير الصلاة والصيام، والتعب. وقال: لا

بكرورتيكن، فأودعه السجن الذي في دار الخلافة.

قال ابن الجوزي (المنظوم ٤/١٤، ٥): وفي يوم الجمعة الثاني عشر من جمادى الأولى، حضر الناس لصلاة الجمعة، بجامع برائنا، وقد كان المقتدر أحرق هذا الجامع؛ لأنه كُسر، فوجد فيه جماعة من الشيعة، يجتمعون فيه للسب والشتم، فلم يزل خراباً، حتى عمره، يحكم في أيام الراضي، ثم أمر المتقي بوضع منبر فيه، كان عليه اسم الرشيد، وصلى الناس فيه هذه الجمعة، قال: فلم يزل تقام فيه إلى ما بعد سنة حسين وأربعمئة.

قال ابن الجوزي (المنظوم ٥/١٤، ٦): وفي جمادى الآخرة في ليلة سابعة، كانت ليلة برد، وبرد، فسقطت القبة الخضراء من قصر المنصور، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد، ومآثرة من مآثر بني العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم، وكان بين بنائها، وسقوطها، مائة وسبعة وثمانون سنة.

وقال ابن الجوزي (المنظوم ٦/١٤، ٧): وخرج التشرينان، والكانونان من هذه السنة، ولم تخطر ببغداد فيها شيئاً، سوى مطرة واحدة، لم يسبل منها ميزاب، فغلت الأسعار ببغداد، حتى بيع الكرم بمائة وثلاثين ديناراً. ووقع الفناء في الناس حتى كان الجماعة، يدفنون في القبر الواحد، من غير غسل ولا صلاة، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار، واشترى بالدرهم، ما كان يساوي الدينار، ورأت امرأة رسول الله ﷺ في منامها، وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء، لصلاة الاستسقاء، فأمر الخليفة بامتثال ذلك، فصلى الناس، واستسقوا، فجاءت الأمطار فزادت الفرات شيئاً لم ير مثله، وغرقت العباسية، ودخل الماء شوارع ببغداد، فسقطت القنطرة العتيقة، والجديدة، وقطعت الأكراد، على قافلة من خراسان الطريق، فآخذوا منها ما قيمته ثلاثة آلاف دينار، وكان أكثر ذلك من أموال يحكم التركي.

وخرج الناس للحج في هذه السنة، ثم رجعوا من أثناء الطريق، بسبب رجل من العلويين، قد ظهر بالمدينة النبوية، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إبراهيم بن نونرّد الفقيه، أحد أصحاب ابن سريج، خرج من الحمام، فسقط عليه، فمات من فوره. رحمه الله

■ يحكم الوكي الذي تولى إمرة الأمراء ببغداد، قبل بني بويه وكان عاقلاً، يفهم بالعربية، ولا يتكلم بها، يقول أخاف أن أخطئ، والخطأ من الرئيس قبيح وكان مع ذلك، يحب العلم، وأهله، وكان كثير الأموال، والصدقات، ابتداءً بعمل ما زستان، ببغداد، فلم يتم، فجلده عضد الدولة ابن بويه.

وكان يقول: العدل أربح للسلطان في الدنيا والآخرة، وكان يدفن أموالاً كثيرة في الصحارى فلما مات، لم يدرك ابنه، وكان ندماء الراضي، قد اغلغروا إلى يحكم، وهو بواسط، وكان قد ضمنها بثمانمائة ألف دينار، فكانوا يسامرونه كالخليفة، فكان لا يفهم أكثر ما يقولون، وراض له مزاجه الطيب ستان بن ثابت الصائري، حتى لا يخلق، وحسنت سيرته، وقلت سطرته، ولكن لم يعمر إلا قليلاً بعد ذلك.

ودخل عليه مرة رجل، فوعظه، فأبكاها، فأمر له بألف درهم، فلحقه بها الغلام، فقال يحكم جلسائنا: ما أغنّه يقبلها، ولا يريدنا، وما يصنع هذا بالدينار؟ هذا رجل مُحَرَّقٌ بالعاقبة، فرجع الغلام، وليس معه شيء، فقال

يحكم: قبلها؟ قال: نعم! فقال يحكم: كلنا صيادون، ولكن الشياك تختلف. وكانت وفاته لسبع بقين من رجب من هذه السنة وسبب موته، أنه خرج يصيد، فلقي طائفة من الأكراد، فاستهان بهم، فقاتلوه فضربه رجل منهم، فقتله وكانت إمرته على بغداد ستين وثمانية أشهر وتسعة أيام وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألف دينار، أخذها المتقي لله كلها.

■ أبو محمد البرهاري الواعظ

■ الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البرهاري: العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ، صاحب المروزي، وسهلا التستري، وتزّه عن ميراث أبيه. وكان سبعين ألف - لأمر كرهه وكان شديداً على أهل البدع، والمعاصي، وكان كبير القدر، عند الخاصة، والعامة، وقد عطس يوماً، وهو يعظ، الناس فشمت الحاضرون، ثم شتمه من سمعهم، حتى شتم أهل بغداد، فأنهت الفضة إلى دار الخلافة، فغار الخليفة من ذلك، وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة، فطلب، فاستر عند أخت توزون شهراً، ثم أخذه القيام فصارت عندها، فأمرت خادماً أن يصلي عليه، فصلى عليه، فامتلات الدار رجالاً، عليهم ثياب بيض فدفنته عندها، ثم أوصت أن تدفن عنده، وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

■ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول: أبو بكر الأزرق - لأنه كان أزرق العينين - التتوخي الكاتب، سمع جده، والزبير بن بكار والحسين بن عرفة، وغيرهم، وكان خشن العيش، كثير الصدقة يقال: إنه تصدق بمائة ألف دينار، وكان أماراً بالمعروف، نهى عن المنكر، روى عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وكان ثقة عدلاً توفي في ذي الحجة من هذه السنة، عن ثنتين وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي (المنظوم ١٩/١٤، ٢٠): في المحرم منها ظهر كوكب بنذب، رأسه إلى المغرب، وذنبه إلى المشرق، وكان عظيمًا جداً، وذنبه مستشرب، وبقي ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل.

قال: وفي نصف ربيع الأول، بلغ الكر من الحنطة مائتي دينار وعشرة فنانين، ومن الشعير مائة وعشرين ديناراً، ثم بلغ كُر الحنطة ثلاثمائة وستة عشر ديناراً، وأكل الضعفاء الميتة، ودام الغلاء، وكثر الموت، وتقطعت السبل، وشغل الناس بالمرض والفقر، وترك دفن الموتى، وشغل الناس عن الملاهي واللعب. قال: ثم جاء مطر، كأقواء القرب، وبلغت زيادة دجلة عشرين ذراعاً وثلاثاً.

وذكر ابن الأثير في «كامله»، أن عماد بن رائق، الذي هو أمير الأمراء ببغداد وقعت بينه وبين البريدي الذي بواسط وحشة بسبب منع البريدي، الخراج الذي عنده فركب إليه ابن رائق، ليستلم ما عنده من المال، فوقع مصالحة، ورجع ابن رائق إلى بغداد، فطالبه الجند بلزاقهم، وضاق عليه حاله، وتحيز جماعة من الأتراك إلى البريدي، فضعف جانب ابن رائق، فكتب البريدي بالوزارة ببغداد، ثم قطع اسم الوزارة عنه، فاشتد حتى البريدي عليه، وعزم على أخذ بغداد، فبعث أخاه أبا الحسين، في جيش، فتحصن ابن رائق مع الخليفة، بدار الخلافة، ونصبت فيها المجانيق، والعرادات وعلى دجلة أيضاً، فاضطربت أهل بغداد، ونهب الناس بعضهم بعضاً، ليلاً ونهاراً، وجاء أبو الحسين، أخو أبي عبد الله البريدي، بمن معه،

فلمّا اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين البريدي، ودخل الخليفة المتقي لله إلى بغداد، ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة، وبذلك في شوال من هذه السنة، ففرح به المسلمون فرحاً شديداً، ويعت إلى أهله - وقد كان أخرجهم إلى سامراء - فردهم، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد، بعد ما كانوا قد رحلوا عنها. ورد الخليفة أبا إسحاق القرابطي إلى الوزارة، وولى توزون شرطة جاني بغداد، ويعت ناصر الدولة أخاه سيف الدولة في جيش، وراء أبي الحسين البريدي، فلقية، عند المدائن فاقتلوا قتالا شديداً، في أيام محاسن، ثم كان آخر الأمر، أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه، بواسط، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه، فنزل المدائن، قوة لأخيه.

وقد انهزم سيف الدولة مرة من أبي الحسين، فردّه أخوه، وزاده جيشاً آخر، حتى كسر البريدي، وأسر جماعة من أعيان أصحابه، وقتل منهم خلق كثير وجم غفير، ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط، لقتال عبد الله البريدي، فانهزم منه البريدي، وأخوه إلى البصرة، وتسلم سيف الدولة واسطاً، وسيأتي ما كان من خبره مع البريدي في السنة الآتية شاء الله تعالى.

وأما ناصر الدولة، فإنه عاد إلى بغداد، فدخلها في ثالث عشر ذي الحجة، وبين يديه الأسارى، على الجمال، ففرح الناس، واطمأنوا، ونظر في المصالح العامة، وأصلح معيار الدينار، وذلك أنه وجده قد غُيّر، عما كان عليه، فضرب فنانيز، سماها الإبريزية، فكانت تباع كل دينار، بثلاثة عشر درهماً، وإنما كان يباع الذي قبلها بعشرة، وعزل الخليفة، بدرّ الخرشني عن الحجابة، وولاه سلامة الطولوني، وجعل بدرّ على طريق الفرات، فسار إلى الإخشيدي، فأكرمه، واستأبته على دمشق، فمات بها.

وفيهما وصلت الروم إلى قريب حلب، فقتلوا خلقاً، وأسروا نحواً من خمسة عشر ألف إنسان، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وفيهما دخل التلميذ من طرسوس إلى بلاد الروم، فقتل، وسبى وغنم وسلم وأسر من بطارتهم المشهورين فيهم خلقاً كثيراً، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسحاق بن محمد بن يعقوب النهرجوري: أحد مشايخ الصوفية، صاحب الجنيدي بن محمد وغيره، من أئمة القوم، وجاور بمكة، حتى مات بها.

ومن كلامه الحسن قوله: مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

■ الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان: أبو عبد الله الضبي القاضي المحاملي، الفقيه، الشافعي المحدث، سمع الكثير، وأدرك خلقاً من أصحاب ابن عيينة، نحواً من سبعين رجلاً. وروى عن جماعة من الأئمة، وعنه الدارقطني، وخلق، وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف. وكان صدوقاً، ديناً فقيهاً، محدثاً، ولي قضاء الكوفة ستين سنة، وأضيف إليه قضاء فارس، وأعمالها، ثم استغنى من ذلك كله، ولزم منزله، واقتصّر على إسماعيل الحديث وسماعه. وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة، عن خمس وتسعين سنة رحمه الله.

وقد تناظر، هو وبعض الشيعة، بحضرة بعض الأكابر، فجعل الشيعي، يذكر مواقف علي، يوم بدر، وأحد، والحنفي، وخير، وحسين، وشجاعته. ثم قال للمحاملي: أتعرفها؟ قال: نعم، ولكن أتعرف أنت، أين كان

فقاتلهم الناس، في البر، وفي دجلة، وتناقم الحال، واشتد الخطب جداً، مع الغلاء والوباء، والقضاء فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إن الخليفة وابن رائق، انهزما، في جمادى الآخرة - ومع الخليفة ابنه أبو منصور - في عشرين فارساً، ففصلوا نحو الموصل، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة، فقتل أصحاب البريدي من وجدوا بدار الخلافة من الحاشية، ونهبوا، حتى وصل النهب إلى الحريم، ولم يتعرضوا للقاهر، وهو إذ ذاك مكفوف، وأخرجوا كورتيكين من الحبس، فبعثه أبو الحسين إلى أخيه أبي عبد الله البريدي، فكان آخر العهد به ونهبوا بغداد، جهاراً علانية، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس، التي كان يسكنها ابن رائق، وكانوا يكسبون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال، فكثرت الجور، وغلت الأسعار جداً، وضرب أبو الحسين المكس على الحنطة والشعير، وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف. وكان مع أبي الحسين في الجيش طائفة كبيرة من القرامطة، فأفسدوا في البلد، فساداً عظيماً، فوقعت أيضاً بينهم، وبين الأتراك، حروب طويلة شديدة، فغلبهم الترك، وأخرجوهم من بغداد، فوقعت الحرب بين العامة، والدليلم أيضاً.

وفي شعبان من هذه السنة، اشتد الحال أيضاً، ونهبت المساكن، وكبس أهلها ليلاً ونهاراً، وخرجت الجند من أصحاب البريدي، فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات، وجرى ظلم، لم يسمع بمثله، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الأثير: وإنما ذكرنا هذا، ليعلم الظلمة، أن أخبارهم، تنقل، وتبقى بعدهم، على وجه الدهر، فرموا تركوا الظلم لهذا، إن لم يتركوه لله عز وجل.

وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد، إلى ناصر الدولة بن حمدان، نائب الموصل، يستمده، ويستحثه على البريدي، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة علياً في جيش كثيف، فلما كان بتكريت، إذا الخليفة وابن رائق، قد هربا، فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه، وخدم سيف الدولة للخليفة المتقي لله خدمة عظيمة في مسيرة هذا ولما وصلوا إلى الموصل، خرج عنها ناصر الدولة، فنزل شرقها، وأرسل التحف والضيافات، ولم يمس إلى الخليفة، خوفاً من الغائلة من جهة ابن رائق نائب العراق وصاحب الشام، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور، ومعه ابن رائق، للسلام على ناصر الدولة، فصارا إليه، فأمر ناصر الدولة، أن ينثر الذهب والفضة، على رأس ولد الخليفة، وجلسا عنده ساعة، ثم قاما، ليرجعا، فركب ابن الخليفة، وأراد ابن رائق أن يركب معه، فقال له ناصر الدولة: اجلس اليوم عندي، حتى تفكر، فيما نصنع، في أمرنا هذا، فاعتذر إليه بابن الخليفة، واستراب بالأمر، فقبض ابن حمدان بكه، فجنده ابن رائق منه فانقطع كهم، وركب سريعاً، فسقط عن فرسه، فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل، وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب من هذه السنة.

فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان، فاستحضره وخلع عليه، ولقبه ناصر الدولة يومئذ، وجعله أمير الأمراء، وخلع على أخيه أبي الحسن، ولقبه سيف الدولة يومئذ، ولما قتل ابن رائق، وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر، الإخشيد محمد بن طنج، ركب إلى دمشق، فسلمها، من محمد بن يزيد نائب ابن رائق ولم يتطع فيها عزازان.

ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد، فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي، لسوء سيرته، وخبت سيرته بوجه الله وقصدوا الخليفة، وابن حمدان في الموصل فقتل بهم ناصر الدولة، وركب هو والخليفة المتقي لله إلى بغداد،

اطلع على ذلك مني أحد إلا الله عز وجل.
ومن كلام أبي صالح: الدنيا حرام على القلوب، حلال على النفوس، لأن كل شيء، يحل لك، أن تنظر إليه بعين راسك فيحرم عليك، أن تنظر إليه بعين قلبك.
وكان يقول: البدن لباس القلب، والقلب لباس الفؤاد، والفؤاد لباس الضمير، والضمير لباس السر، والسر لباس المعرفة.
ولأبي صالح مناقب كثيرة، رحمه الله. وقد كانت وفاته في جمادى الأولى، من هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة دخل سيف الدولة إلى واسط، وقد انهزم عنها أبو عبد الله البريدي، وأخوه أبو الحسين، ثن اختطف الترك على سيف الدولة ومالوا إلى توزون، وهم بالقبض على سيف الدولة، فهرب منهم قاصداً إلى بغداد، وبلغ أخاه ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان الملقب بأمير الأمراء، ببغداد الخبر فخرج من بغداد، إلى الموصل، فهبت داره ببغداد وكانت إمارة ناصر للدولة على بغداد، ثلاثة عشر شهراً، وخمسة أيام. وجاء أخوه سيف الدولة، بعد خروجه منها، فنزل بباب حرب، وطلب من الخليفة، المتقي لله أن يمد به مال، يتقوى به على حرب توزون، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم، ففرقها في أصحابه وحين سمع بقدوم توزون، خرج من بغداد، ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان، فخلع عليه الخليفة، وجعله أمير الأمراء، واستقر أمره ببغداد وعند ذلك، رجع أبو عبد الله البريدي إلى واسط، وأخرج من كان بها من أصحاب توزون، وكان في أسر توزون، غلام لسيف الدولة، يقال له: ثمال، فأرسله إلى مولاه فحسّن موقع ذلك، وعند آل حمدان.
وفيها كانت زلزلة عظيمة، ببغداد نسا، سقط منها عمارات كثيرة، وهلك بسببها خلق كثير.

قال ابن الجوزي [الطبعة ٢٩١/٤]: وكان ببغداد في أيلول وتشيرين حر شديد، يأخذ بالأنفاس. وفي صفر، ورد الخبر، بمرور الروم إلى أروان، وميتافارقين، وأنهم سبوا وأحرقوا، وفي ربيع الآخر من هذه السنة، عقد عقد أبي منصور إسحاق ابن الخليفة المتقي لله، على علوية بنت ناصر الدولة بن محمد بن حمدان، على صداق مائة ألف دينار، وألف ألف درهم، وولي العقد على الجارية، أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي، ولم يحضر ناصر الدولة، وضرب ناصر الدولة سكة، زاد في الكتابة عليها: عبد الله محمد.

قال ابن الجوزي [الطبعة ٢٩١/٤]: وفي آذار من هذه السنة غلغت الأسعار، حتى أكل الناس الكلاب، ووقع الوباء في الناس، ووافى من الجراد شيء كثير جداً، حتى بيع منه كل خمسين رطلاً بدرهم، فارتفق الناس به في الغلاء.

وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه بتبليلاً. بكنيسة الرها، كان المسيح قد مسح وجهه به، فصارت صورة وجهه فيه، ويعتد المسلمون أنه إذا أرمل إليه، يبعث من أسارى المسلمين خلقاً كثيراً، فأحضر الخليفة العلماء، فاستشارهم في ذلك فمن قائل: نحن أحق بعيى منهم، وفي بعثه إليهم غضاضة على المسلمين، ووهن. فقال علي بن عيسى الوزير: يا أمير المؤمنين، إنقاذ أسارى المسلمين، من أيدي الكفار خير، وأنفع للمسلمين

الصديق يوم بلر؟ كان مع رسول الله ﷺ في العريش، بمنزلة الرئيس، الذي يجامى عنه، كما يجامى عن رسول الله وعلي في مقام البارزة، ولو فرض أنه انهزم، أو قتل، لم يهزم الجيش بسببه، فأفحم الشيعي، وقال له المحاملي، وقد قدمه الذين رويوا لنا الصلاة، والزكاة، بعد رسول الله ﷺ، حيث لا مال له، ولا عبيد، ولا عشيرة، تمنحه وتُحاجف عنه وقد كان أبو بكر يمنع عن رسول الله، وإنما قدموه لعلهم، أنه خيرهم. فأفحم أيضاً.
■ علي بن محمد بن سهل: أبو الحسين الصائغ أحد العباد الزهاد، أصحاب الكرامات. روي عن عمشاد الدينوري، أنه شاهد أبا الحسين الصائغ يصلي في الصحراء، في شدة الحر، ونسراً قد نشر عليه جناحه، يُظله من الحر.

قال ابن الأثير: وفيها توفي علي بن إسماعيل الأشعري، المتكلم صاحب المذهب المشهور، وكان مولده سنة ستين ومائتين، وهو من ولد أبي موسى الأشعري.

قلت: والصحيح أن الأشعري توفي سنة أربع وعشرين كما تقدم.

قال [الكامل ٢٩٣/٨]: وفيها توفي

■ محمد بن يوسف بن النضر الهروي الفقيه الشافعي، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي.

قلت: وقد توفي فيها

■ أبو حامد بن بلال.

و ■ زكريا بن أحمد البلخي.

و ■ عبد الغافر بن سلامة الحافظ.

و ■ محمد بن رائق الأمير.

وفيها الشيخ:

■ أبو صالح مقلح الحنبلي: واقف مسجد أبي صالح، ظاهر باب شرقي من دمشق، وكانت له كرامات، وأحوال، ومقامات وهذه ترجمة أبي صالح الدمشقي الذي ينسب إليه المسجد ظاهر باب شرقي بدمشق:

■ مقلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد صاحب الشيخ أبا بكر بن سيّد حَمْدَوْنِ الدمشقي، وتآدب به، وروى عنه الواحد بن إسحاق بن البرقي، وأبو الحسن علي بن القُجَّة قِيمَ المسجد، وأبو بكر محمد بن داود الدينوري الدنقي.

روى الحافظ ابن عساكر [تاريخ دمشق ٨٠/١٩]، من طريق الدقي، عن الشيخ أبي صالح. قال: كنت أطوف بجبل اللكّام، أطلب الزهاد، فمررت برجل، وهو جالس، على صخرة، فقلت له: ما تصنع هنا؟ فقال: أنظر، وأرعى فقلت له: لا أرى بين يديك إلا الحجارة، فقال: أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر ربي، ونحى الذي أظهره علي، إلا جُرّنت عني. فقلت له: كلّمني بشيء، أتضع به، حتى أمضي عنك، فقال: من لزم الباب، أثبت في الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب، أكثر الندم، ومن استغنى بالله، أمن العدم، ثم تركني، ومضى. وعن الشيخ أبي صالح قال: مكثت ستة أيام، أو سبعة أيام، لم أكل، ولم أشرب، ولحقني عطشٌ عظيم، فجئت إلى النهر، الذي وراء المسجد، فجلست، أنظر إلى الماء، فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَكُنْ عَرِشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] فذهب عني العطش، فمكثت تمام العشرة أيام.

وعنه قال: مكثت أربعين يوماً، لم أشرب ماءً فلقيني الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمويه، فأخذ بيدي وأدخلني منزلة، وجاني ماء وقال لي: اشرب فشربت، فأخذ فضلي، وذهب إلى امرأته، وقال لها: اشربي فضل رجل، قد مكثت أربعين يوماً، لم يشرب الماء. قال أبو صالح: ولم يكن

أشهر واحداً وعشرين يوماً.

■ الجنون البغدادي روى ابن الجوزي من طريق أبي بكر الشبلي، قال: رأيت مجنوناً عند جامع الرصافة، وهو غريان، وهو يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله، فقلت له: مالك؟ ألا تستتر، وتدخل الجامع، وتُصلي؟ فأنشأ يقول:

يقولون زُرنا واقض واجباً حقاً وقد أسفطت حالي حقوقهم عني
إذا هم رأوا حالي ولم ياتقوا لها ولم ياتقوا منها انفتحت لهم مني

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة

فيها خرج المتقي لله من بغداد إلى الموصل، مناضباً لتوزون، أمير الأمراء وكان إذا فلك بواسط، وقد زوج ابنته من أبي عبد الله البريدي، وصاراً بدأ واحدة على الخليفة أرسل ابن شيرزاد، في ثلاثمائة إلى بغداد، فافسد فيها، وقطع، ووصل، واستقل بالأمور من غير مراجعة المتقي فغضب المتقي لله، وخرج منها، مناضباً له بأهله، وأولاده، ووزيره، ومن اتبعه من الأمراء وأعيان أهل بغداد، قاصداً بني حمدان، فلقاه سيف الدولة إلى تكريت، ثم جاءه ناصر الدولة، وهو بتكريت أيضاً، وحين خرج المتقي من بغداد، أكثر ابن شيرزاد الفساد، وظلم أهلها، وصادهم، وأرسل يعلم توزون، فأقبل مسرعاً نحو تكريت، فتواقع هو وسيف الدولة فهزم توزون سيف الدولة، وأخذ معسكره، ومعسكر أخيه ناصر الدولة، ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه توزون أيضاً، وانهزم المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة، من الموصل إلى نصيبين، وجاء توزون، فدخل الموصل، وأرسل إلى الخليفة، يطلب رضاه، فأرسل الخليفة يقول: لا سبيل إلى ذلك، إلا أن تصالح بني حمدان، فاصطلحوها، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل، بثلاثة آلاف ومائة ألف، ورجع توزون إلى بغداد، وأقام الخليفة عند بني حمدان.

وفي غيبة توزون عن واسط، أقبل إليها معز الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين، فالحق توزون مسرعاً إلى واسط، فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً، فكان آخر الأمر أن انهزم معز الدولة، ونهبت حواصله، وقتل من جيشه خلق كثير، وأسر جماعة من أشرف أصحابه ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصرع، فشغل بنفسه، فرجع إلى بغداد.

وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف، وكان سبب ذلك، أن أبا عبد الله قل ما في يده من الأموال، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف، فيقرضه القليل، ثم يشتع عليه، ويذم تصرفه فمال الجند، إلى أبي يوسف، وأعرضوا عن أبي عبد الله، فخشي أبو عبد الله أن يسيأوه ويتركوه، فأرسل إليه طائفة من غلمانه، فقتلوه غيلة، ثم انتقل إلى داره، وأخذ جميع حواصله، وأمواله، فكان قيمة ما استحوذ عليه من الأموال، يقارب ثلاثة آلاف دينار. ولم يمُتْ بعده إلا ثمانية أشهر، مرض فيها مرضاً شديداً بالحمى الحادة، حتى كانت وفاته في شوال من هذه السنة، فقام بالأمير بعده أخوه أبو الحسين قبحه الله فأساء السيرة في أصحابه، فثاروا به، فلجأ إلى القرامطة فاستجار بهم، فقام بالأمير من بعده أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي، في بلاد واسط، والبصرة وتلك النواحي من الأهواز، وغيرها.

وأما الخليفة المتقي لله، فإنه لما أقام عند آل حمدان، بالموصل، ظهر له

من بقاء ذلك المنديل، بتلك الكنيسة فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم، وتخليص الأسارى من أيديهم.

قال الصولي: ووصل الخبر بأن القرمطي، ولد له مولود، فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا عظيمة، منها مهد من ذهب، مرصع بالجوهر. وكثر الرضى ببغداد، فتودي بها: من ذكر أحداً من الصحابة بسوء، فقد برئت منه الذمة.

ويعت الخليفة إلى عماد الدولة بن بويه خلعاً قبلها، ولبسها، محضرة القضاة، والأعيان.

وفيها كانت وفاة

■ السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني، صاحب خراسان، وما وراء النهر، وقد مرض قبل موته بالسنة وشهرًا، واتخذ في داره بيتاً، سماه بيت العبادة، فكان يلبس ثياباً نظافاً، ويمشي إليه حافياً، ويصلي فيه، ويتضرع، ويكثر الصلاة. وكان يجتنب المنكرات، والأكاثم، إلى أن مات رحمه الله، فقام بالأمير من بعده ولده نوح بن نصر ولقب بالأمير الحميد، فقتل محمد بن أحمد النسفي - وكان قد طعن فيه عنده - وصلى به.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سنان بن ثابت بن قرة الصائغ: أبو سعيد المصطب أسلم على يد القاهر بالله، ولم يسلم ولده، ولا أحد من أهل بيته، وقد كان مقدماً في الطب، وفي علوم كثيرة، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة، بعلية الذئب، فلم تغن عنه صناعته شيئاً، حين جاءه الموت. وما أحسن ما قال بعض الشعراء في هذا المعنى:

قل للذي صنع السدواء بكفـ أترد مقلوداً عليك إذا جرى
مات المداوى والمداوي والذي صنع السدواء بكفـ ومن اشترى

■ أبو الحسن الأشعري: ذكر ابن الجوزي في «المنتظم» والمنظم ٤٩١/١٤، وفاة الأشعري في هذه السنة، وتكلم فيه وحط عليه، كما جرت عادة الختابة، يتكلمون في الأشعرية، قديماً وحديثاً. وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين، وأنه توفي في هذه السنة وأنه صاحب الجبائي أربعين سنة، ثم رجع عنه، وأنه توفي ببغداد، ودفن بمسحرة الروايا.

■ محمد بن أحمد بن يعقوب بن شبة بن الصلت السلوسي، مولاهم أبو بكر، سمع جده، وعباساً الدوري، وغيرهما، وعنه أبو عمر بن مهدي، وكان ثقة.

روى الخطيب [طبع بغداد ٣٧٤/١]، أن والد محمد هذا، حين ولد، أخذ طالع مولده المتجمون، فحسبوا عمره، وقالوا: إنه يعيش كذا وكذا، فأرصد له أبوه حياً فيه عن كل يوم من عمره، ديناراً، ثم أرصد له حياً آخر، كذلك، ثم آخر كذلك فكان يعمل كل يوم بثلاثة دنائير، على عدد، ومع هذا ما أفاده شيئاً، بل افتقر، حتى صار يستعطي من الناس، وكان يحضر مجلس الشماع، عليه بلا إزار، يتصدق عليه أهل المجلس، بشيء يقرم بأوده والسعيد من أسعده الله.

■ محمد بن محمد بن حفص أبو عمر الدوري العطار، كان يسكن الدور - وهي حلة بطرف بغداد - سمع الحسن بن عرفة، والوزير بن بكار، ومسلم بن الحجاج، وغيرهم، وعنه الدارقطني، وجماعة من الحفاظ، وكان ثقة، فهما واسع الرواية، مشكور الديانة، مشهوراً بالعبادة. وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، وقد استكمل سبعاً وتسعين سنة وثمانية

عقدة من الحفاظ الكبار، سمع الحديث الكثير، ورحل، فسمع من خلائق من المشايخ، وسمع منه الطبراني والدارقطني وابن الجعابي، وابن عدي، وابن المظفر، وابن شاهين.

قال الدارقطني: أجمع أهل الكوفة، على أنه لم ير من زمن ابن مسعود، إلى زمان ابن عقدة، أحفظ منه.

ويقال: إنه كان يحفظ نحواً من ستمائة ألف حديث منها ثلاثمائة ألف في فضائل أهل البيت، بما فيها من الصّحاح والضّعاف، وكانت كُتبه ستمائة حمل جمل، وكان ينسب مع هذا كله إلى الشيخ.

قال الدارقطني: كان رجل سوء.

ونسبه ابن عدي [الكامل ٢٨٠/١، ٢٠٩] إلى أنه كان يعمل النسخ لأشياخ، ويأمرهم بروايتها.

وقال الخطيب [تاريخ بغداد ٢٢٧/٥]: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: سمعت حمزة ابن يوسف، سمعت أبا عمر بن حنيفة يقول: كان ابن عقدة يجلس في جامع براتنا ملي مثالب الصحابة - أو قال الشيخين - فتركت حديثه، لا أحدث عنه بشيء.

قلت: وقد حرّرت الكلام فيه بما فيه كفاية، في كتابي «التكميل» والله الحمد والملة، وكانت وفاته في ذي القعدة منها.

■ أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المروزي: نسبة إلى مرواريد، والروذ، والنهر الفقيه الشافعي، لتعذيب الشيخ أبي إسحاق المروزي - نسبة إلى مرو الشاهجان، وهي أعظم من تلك شرح مختصر المزني، وله كتاب «الجامع» في المنع، وصنف في أصول الفقه، وكان إماماً لا يُشَقُّ غُبارُه توفي في هذه السنة رحمه الله. والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

فيها رجع الخليفة المتقي إلى بغداد، وخُلع من الخلافة، وسُوت عَيناه، كان المتقي وهو مقيم بالموصل قد أُرسل إلى الإخشيد، محمد بن طغج، صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية، فأقبل إليه وقدم عليه، في المتصفح من الحرم، من هذه السنة، وخضع للخليفة، غاية الخضوع، وكان يقوم بين يديه، كما يقوم الغلمان، ويمشي، والخليفة راكب، ثم عرض عليه، أن يسير معه إلى الديار المصرية، أو يقيم ببلاد الشام فأبى عليه ذلك، فأشار عليه بالمقام، بمكانه الذي هو فيه، ولا يذهب إلى توزون ببغداد، وحذّره من توزون ومكره وخديعته، فلم يقبل ذلك، وكذلك أشار على الوزير أبي حسين بن مقله، فلم يسمع فأهدى ابن طغج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة، وكذلك فأهدى إلى الأمراء والكبراء، والوزير، ثم كَرَّ راجعاً إلى بلاده، وقد اجتاز مجلب، فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان وكان ابن مقاتل بها، فأرسله إلى الديار المصرية نائباً عنه، حتى يعود إليها.

وأما الخليفة، فإنه ركب من الرقة، في دجلة، إلى بغداد، وأرسل إلى توزون، فاستوثق منه، ما كان حلف من الأيمان، فأكدّها، وقرّرها، فلما اقترب منها ببغداد خرج إليه توزون، ومعه العساكر، فلما رأى الخليفة، قَبِل الأرض بين يديه، وأظهر له، أنه قد وفّى له بما كان حلف عليه، وأنزله في بصرى، ثم جاء، فأحاط على من معه من الكبراء، وأمر بسمل عيني الخليفة، فسملت عيناه، فصاح صيحة عظيمة، سمعها الحرم، فضجت الأصوات بالبكاء، فأمر توزون، بضرب اللباد حتى لا تسمع أصوات الحرم، ثم انحدر من فورهِ، إلى بغداد، فباع للمستغني بالله فكانت خلافة الحرم،

منهم تضجّر، وأنهم يرغبون في مفارقته. فكتب إلى توزون في الصلح، فاجتمع توزون مع القضاة، والأعيان ببغداد، وقروا كتاب الخليفة، وقابله بالسمع والطاعة، وحلف له، ووضع خطّه بالإقرار له، ولمن معه، بالإكرام، والاحترام والخضوع، فكان من الخليفة، ودخله إلى بغداد، ما سيأتي في السنة الآتية.

وفي هذه السنة أقبلت طائفة من الروس، في البحر، إلى نواحي أذربيجان، فقصدوا بَرْدَعَة فحاصروها، فلما ظفروا بأهلها، قتلهم عن آخرهم، وغنموا أموالهم، وسبوا من استحسبوا من نساءهم، ثم مالوا إلى مُراغة، فوجدوا فيها ثماراً كثيرة، فأكلوا منها، فأصابهم وباءٌ شديد، فمات أكثرهم، وكان إذا مات أحدهم، دفنوا معه سلاحه وماله، فيأخذُه المسلمون، وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقاتلهم قتلهم قتلهم خلقاً كثيراً أيضاً، مع ما أصابهم من الوباء الشديد، وظهر الله تلك البلاد منهم.

وفي ربيع الأول من هذه السنة، جاء النمستق ملك الروم، إلى رأس العين، في ثمانين ألفاً، فدخلها، ونهب ما فيها، وقتل أهلها وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً، وأقام بها ثلاثة أيام، فقصده الأعراب من كل وجه، فقاتلوه قتالاً عظيماً، حتى انجلى عنها.

وفي جمادى الأولى منها، غلت الأسعار ببغداد جدّاً، وكثرت الأمطار جدّاً حتى تهدّم البناء، ومات كثير من الناس، تحت الهدم، وتطلت كثير من الحمامات، والمساجد، من قلة الناس، ونقصت قيمة العقار، حتى كان يباع بالدرهم، ما كان يساوي الدينار، وخلت أكثر الدور. فكان الملاك يعطون من يسكنها أجرة، ليحفظها عليهم من الداخلين إليها لتخريبها. وكثرت الكسبات من اللصوص بالليل، حتى كان الناس، يتحارسون بالبورقات والطبول، وكثرت الفتن من كل جهة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

وفي رمضان من هذه السنة، كانت وفاة أبي طاهر

■ سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنبلي الهجري القرمطي رئيس القرامطة، لعنه الله، وهذا هو الذي قتل الحبيج حول الكعبة، وفيها وسلها ستورها، وبابها وحليتها، وأقتل الحجر الأسود من ركنها، وحمله إلى بلده هَجَر، وهو في هذه المدة كلها عنده من سنة سبع عشرة كما ذكرنا لم يرد له إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي. ولما مات أبو طاهر أبو طاهر هذا، قام بالأمر من بعده، إخوته الثلاثة، وهم أبو العباس الفضل، وأبو القاسم سعيد، وأبو يعقوب يوسف بن أبي سعيد الجنبلي لعنهم الله، وكان أبو العباس ضعيف البدن، مقبلاً على قراءة الكتب، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللعب واللعب، ومع هذا كانت كلمة الثلاثة، واحدة، لا يختلفون في شيء، وكان لهم سبعة من الوزراء مُتَّفِقون أيضاً. قُبِحَهم الله أجمعين.

وفي شوال منها توفي

■ أبو عبد الله الريدي كما ذكرنا، فاستراح المسلمون من هذا وهذا.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو العباس

■ ابن عقدة الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن: أبو العباس الكوفي المعروف بابن عقدة، عقدة أبوه بذلك، من أجل تعقيدته، في التصريف والنحو، وكان أيضاً عقدة ورعاً نكسكاً، وكان أبو العباس بن

عبد الله فضّته توزون، ثم رجع هو، والخليفة إلى بغداد، في شوال من هذه السنة.

وفيها ركب سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب، فتسلها من يأس الموني، ثم سار إلى حصص، ليأخذها، فجاءه جيوش الإخشيد محمد بن طنج، مع مولاة كافور، فاقتلوا فانهزم كافور الإخشيد، واستولى سيف الدولة على حصص، ثم ركب إلى دمشق فحاصرها، فلم يفتحها أهلها، فرجع عنها، وقصده الإخشيد بجيوش كثيفة، فالتقى بقنشرين، فلم يظفر أحد منهما بالآخر، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، ثم عاد إلى حلب، فاستقر ملكه بها، فقصده الروم في جحافل عظيمة، فالتقى معهم، فظفر بهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

في الحرم منها زاد الخليفة في لقبه إمام الحق، وكتب ذلك على سكة العاملة، وقال الخطباء على المنابر أيام الجمع.

وفي الحرم من هذه السنة، مات توزون التركي، في داره ببغداد، وكانت إمارته ستين وأربعة أشهر وعشرة أيام. وكان ابن شيرزاد كاتبه، وكان بهيت، لتخليص المال، فلما بلغه الخبر، أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان، فاضطرت الأجناد، وعقدت الرئاسة لنفسه ودخل بغداد في مستهل صفر، وخرج إليه الأجناد كلهم وحلفوا له وحلف له الخليفة، والقضاة، والأعيان، ودخل على الخليفة، فخطبه بأمر الأمراء، فزاد في أرزاق الأجناد، وبعث إلى ناصر الدولة، يطلبه بالخراج، فبعث إليه بمخمسة ألف درهم، ونظام ففرقه في الناس، وأمر، ونهى، وولى وعزل، وقطع، ووصل، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ثم جاءت الأخبار، بأن معز الدولة بن بويه، قد أقبل إلى الجيوش، قاصداً إلى بغداد، فاخفى ابن شيرزاد، والخليفة أيضاً، وخرج أكثر الأتراك، قاصدين إلى الموصل، ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان.

ذكر أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه، في جحافل فلما اقترب من بغداد، بعث إليه الخليفة المستكفي بالله، الهدايا، والإنذارات، وقال للرسول: أخبره، أنني مسرور به، وأني إنما اخفيت من شر الأتراك، الذين انصرفوا إلى الموصل، وبعث إليه بالخلع والتحف، ودخل معز الدولة بن بويه ببغداد في حادي عشر جمادى الأولى من هذه السنة، فنزل بباب الشماسية، ودخل من الغد إلى الخليفة، فبايعه، وخلع عليه المستكفي، ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن علياً بمعاد الدولة، وأخاه أبا علي الحسن بركن الدولة، وكتب القاهم على الدرهم والدينار.

ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم، ونزل أصحابه من الديلم في دور الناس، فلقى الناس من ذلك كلفة شديدة، وأمن معز الدولة ابن شيرزاد، فلما ظهر استكبه على الخراج، ورثب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف درهم في كل يوم، واستقرت الأمور على هذا النظام.

ذكر القبض على الخليفة المستكفي وخلعه

لما كان اليوم الثاني والعشرون من جمادى الآخرة، حضر معز الدولة إلى

المتقي لله، ثلاث ستين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، وقيل: واحد عشر شهراً وستاتين ترجمته عند ذكر وفاته.

خلافة المستكفي بالله أبي القاسم عبد

الله بن المكفي ابن المعتضد

لما رجع توزون إلى بغداد، وقد خلع المتقي لله وسملته، استدعى بعيد الله بن المكفي، فبايعه على الخلافة ولقب بالمستكفي بالله، وذلك في العشرة الأواخر من صفر من هذه السنة، وجلس توزون بين يديه، وخلع عليه المستكفي، خلعة سنية وكان المستكفي مليح الشكل، ربعة، حسن الجسم، والوجه، أبيض اللون، مشرباً حمرة، أحمل أقرنى الأنف، خفيف العارضتين، وكان عمره يوم بوع بالخلافة، إحدى وأربعين سنة وأحضر المتقي بين يديه، وبايعه، وأخذ منه البردة، والقضيب، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري، ولم يكن إليه من الأمر شيء، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد، وحسب المتقي في السجن وطلب المستكفي أبا القاسم الفضل بن المقتدر، وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك، ولقب المطيع لله، فاخفى عنه، ولم يظهر مدة خلافة المستكفي فأمر المستكفي بهدم داره التي عند دجلة.

وفي رمضان من هذه السنة - والصحيح في شوال من التي بعدها - توفي القائم بأمر الله القاسم بن المهدي وقد قُهد بالأمر من بعده لولده المنصور إسماعيل موت القائم الفاطمي ولاية ولده المنصور فكتب موت أبيه مدة، حتى استقر أمره، ثم أظهره. وقد كان أبو يزيد الخارجي قد حاربهم في هذه السنة، وأخذ منهم مئناً كباراً، وكروهم مراراً متعددة، ثم يثور عليهم، ويجمع الرجال، ويقاتلهم بمن قدر عليه، فانتدب المنصور لقتال أبي يزيد بنفسه، وركب في الجيوش وجرت بينهم حروب، يطول ذكرها، وقد بسطها ابن الأثير في كتابه، وقد انهزم في بعض الأحيان، جيش المنصور عنه، ولم يبق إلا في عشرين نفساً فقاتل بنفسه قتالاً عظيماً، فهزم أبا يزيد بعد ما كاد يقتله، وثبت المنصور ثباتاً عظيماً، فطمع في أعين الناس، وزادت حرمته، وهيبته، واستغذ بلاد الفيروان منه، وما زال يحاربه المنصور، حتى ظفر به، وقتله ولما جيء برأسه، سجد شكرًا لله عز وجل وكان أبو يزيد هذا قبيح الشكل، أعرج، قصيراً، خارجياً شديداً يرى تكفير أهل الملة. قبحه الله في الدنيا والآخرة.

وفي ذي الحجة من هذه السنة، قتل أبو الحسين البريدي، وصُلب، ثم أحرق، وذلك لأنه قدم ببغداد، يستنجد بتوزون، وأبى جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه، فوعده النصر، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد، فعلم بذلك ابن شيرزاد، فأمر بسجنه، وضربه، وأحضر له بعض الفقهاء فتبا عليها خطوط الفقهاء، بإباحة دمه، فاستظهر عليه بذلك وأمر بقتله، وصلبه، ثم أحرقه، وانقضت أيام البريديين، وزالت دولتهم لاجمع الله بهم سملاً.

وفيها أخرج المستكفي بالله القاهرة، الذي كان خليفة ثم سملت عيناه، وأنزله بدار ابن طاهر، وقد افتقر حتى لم يبق له من اللباس من دار الخلافة - سوى قطعة جبة، يلبس بها، وفي رجله قباقيب من خشب.

وفي هذه السنة ركب معز الدولة في رجب منها إلى واسط ليحاصرها، فبلغ خبره إلى توزون، فركب هو والمستكفي بالله، فلما سمع بهم معز الدولة رجع عنها إلى بلاده، وتسلمها الخليفة، وضمها أبو القاسم بن أبي

والسنانير وكان من الناس من يسرق الأولاد فيسويهم، ويأكلهم، وكثر الموت في الناس، حتى كان لا يدفن أحدٌ أحداً بل يُترك على الطرقات، فيأكل كثيراً منهم الكلاب، ويبيع الدور، والعقار بالخير، وانتجع الناس البصرة، فكان منهم من مات في الطريق، ومنهم من وصل إليها بعد مُدِيْنَة. وفيها كانت وفاة

■ القاسم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، وولي الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل، وكان حازم الرأي، شليداً شجاعاً، كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة على الصحيح.

وفيها توفي

■ الإخشيد محمد بن طُغج، صاحب الديار المصرية، والبلاد الشامية، وكانت وفاته بدمشق، وله من العمر بضع وستون سنة، وأقيم ولده أبو القاسم أنوجور - وكان صغيراً - وأقيم كافور الإخشيدى أتابك، فكان يئبر الممالك بالبلاد كلها، واستحوذ على الأمور كلها، وسار إلى مصر، فقصده سيف الدولة بن حمدان دمشق، فأخذها من أصحاب الإخشيد، ففرح بها فرحاً شليداً، واجتمع محمد بن محمد بن نصر الفارابي السرتكي، الفيلسوف بها. وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف العقبي في بعض نواحي دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته، وقال: ينبغي أن تكون هذه كلها لديوان السلطان - كأنه يعرض بأخذها من مُلاكها - فأوعز ذلك العقبي، إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الإخشيدى، يستجلبونه، فأقبل إليهم، في جيوش كثيرة كثيفة، فأجلى عنهم سيف الدولة، وطرده عن حلب أيضاً، واستأب عليها، ثم كرّ راجعاً فاستأب على دمشق، بداراً الإخشيدى، - ويعرف بئبر - فلما صار كافور إلى الديار المصرية، رجع سيف الدولة إلى حلب، فأخذها كما كانت أولاً، ولم يبقَ له في دمشق شيء. وكافور هذا هو الذي هجاه المتني ومدحه أيضاً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحرقى صاحب «المختصر» المشهور في الفقه:

■ عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الحرقى: صاحب «المختصر» في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وقد شرحه القاضي أبو يعلى بن الفراء، والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي، وقد كان الحرقى هذا من سادات الفقهاء، والعباد، كثير الفضائل والعبادة، خرج من بغداد لما كثر بها السب للصحاب، وأودع كتيبه ببغداد، فاحترقت الدار التي هي فيها، وغُلبت مصنفاته، وقصد دمشق، فأقام بها حتى مات في هذه السنة، وقبره باب الصغير، يزار قريباً من قبور الشهداء.

وفي مصنفه هذا «المختصر» في كتاب الحج: ويأتي الحجر الأسود، ويقبله إن كان هناك وإنما قال ذلك، لأن تصنيفه لهذا الكتاب، كان وحال كون الحجر الأسود، بأيدي القرامطة، حين أخذوه من مكانه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما ذكرنا، ولم يرقوه إلا سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي بيانه في موضعه.

قال الخطيب: [ربيع بحد ٢٣٤/١١] قال لي القاضي أبو يعلى: كانت له مصنفات كثيرة، وتخريجات على المذهب، لم تظهر؛ لأنه خرج من مدينة السلام، لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتيبه، فاحترقت الدار التي هي فيها، واحترقت الكتب فيها، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد.

الحضرة، فجلس على سرير بين يدي الخليفة، وجاء رجلا من الديلم فمداً أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسبه، وسجلاه، فتحزبت عمامته في حلقه، ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة، حتى خلص إلى الحريم، وتفاقم الحال، وسبق الخليفة ماشياً، إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر، فبرع بالخلافة، وسلمت عينا المستكفي، وأودع السجن، فلم يزل به مسجوناً، حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة كما سيأتي بيانه وذكر ترجمته هنالك.

خِلافة المطيع لله

لما قدم معز الدولة ببغداد، وقبض على المستكفي، وسُملت عيناه، استدعى بابي القاسم الفضل بن المقتدر بالله، وقد كان خفياً من المستكفي، وهو يحث في طلبه، ويجتهد، فلم يقدر عليه، ويقال إنه اجتمع بمعز الدولة سرّاً فحرّضه على المستكفي، حتى كان من أمره ما كان، ثم أحضر أبو القاسم بن المقتدر فبوع بالخلافة، ولُقب بالمطيع لله، وباعه الأمراء، والأعيان، ومعز الدولة والعامه، وضعف أمر الخلافة جداً، حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهى ولا وزير أيضاً، وإنما يكون له كاتب على اقتطاعه فقط، وإنما مورد أمور المملكة، ومصيرها، راجع إلى معز الدولة، وإنما كان ذلك لأن بني بويه، ومن معهم من الديلم، كان فيهم تشيع شليداً، فكانوا يرون أن بني العباس، قد غصبوا الأمر من العلويين، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم إلى العلويين، واستشار أصحابه، في ذلك فكلهم أشار عليه بذلك، إلا رجلاً واحداً من أصحابه، كان سديد الرأي فيهم، فإنه قال له: لا أرى لك هذا قال: ولم ذاك؟ قال: لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة، فمتى أمرت بقتله قتل أصحابك، ولو وليت رجلاً من العلويين، لكتبت أنت، وأصحابك تعقدون، صحة ولايته فلو أمر بقتلك، لقتلك أصحابك فلما فهم ذلك، صرفه عن رايه الأول، للنسب لا لله عز وجل.

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان، وبين معز الدولة ابن بويه، فركب ناصر الدولة، بعدما خرج معز الدولة، والخليفة، المطيع إلى عكبرا فدخل ببغداد، فأخذ الجانب الشرقي، ثم الغربي، وضعف أمر معز الدولة، والدبالة الذين معه، ثم مكر به معز الدولة، وخدعه، حتى استظهر عليه، وانتصر أصحابه، فنهبوا ببغداد، وما قلدوا عليه من أموال التجار، وغيرهم، فكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة، ومعز الدولة، ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل، واستقر معز الدولة بمدينة السلام ببغداد، ثم شرع في استعمال السعاة، ليلتوا أخاه ركن الدولة أخباره، فنوى العامة في ذلك، وعلموا أبناءهم ذلك، حتى كان من الناس من كان يقطع نيفا وثلاثين فرسخاً في يوم وأعجبه المضارعون، والملاكمون وغير ذلك من أرباب هذه الصناعات، التي لا يتبع بها إلا قليلاً كالسباحة، ونحوها، وكانت تضرب الطبول بين يديه، ويصارع بين الرجال، والكوسات تدق حول سور المكان، الذي هو فيه، هذه رعوته، شليدة وسخافة عقل منه ومن واقفه على ذلك ثم احتاج معز الدولة إلى صرف أموال في أرزاق الأجناد، فسأطعهم البلاد عوضاً عن أرزاقهم، فأتى ذلك إلى تخريبها، وترك عمارتها، إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجلائع.

وفي هذه السنة، وقع غلاء شليد ببغداد، حتى أكلوا الميتة، والكلاب

في داره، وهو يهيج ويقول:

على بُعْدِكَ لَا يَصْبِرُ مَنْ عَادَتْهُ الْقُرْبُ
ولا يَفْزِي عَلَى حَبِّكَ مَنْ ثَمَّهِ الْحَبُّ
فَإِنْ لَمْ تَرْكُ الْعَسِيرَ قَسَدٌ يُصْرِكُ الْقَلْبُ

وقد ذُكر له أحوال، وكرامات، وقد ذكرنا أنه عن أشبه عليه أمر
الحلاج، ووافقه في بعض ما نسب إليه، من الأقوال، من غير تأمل لما تحتها،
بما كان الحلاج يجاوله، من الإلحاد، والاتحاد.

ولما حضرته الوفاة، قال لخادمه: قد كان عليّ درهم من مظلمة،
فتصدّقتُ عن صاحبه، بالوف، ومع هذا ما على قلبي شغل، أعظم منه. ثم
أمره أن يوضّئه، فوضّاه، وترك تحليل لحية فرفع يده - وكان قد اعتقل
لسانه - فجعل يخلل لحيه نفسه.

وذكره القاضي ابن خلكان في «الوفيات» [وفيات الأعيان ٢٧٣/٢] وحكى
عنه، أنه دخل يوماً على الجنيد، فوقف بين يديه، وصنّف وأشد:

عَوْنِي الْوِصَالُ وَالْوَسْلُ عَذْبُ وَتَوْنِي بِالْصَدِّ وَالصَّدُّ صَعْبُ
زَعَمُوا حِينَ لَزِمُوا أَنْ ذَنِبِي فَرَطُ حُبِّي لَمْ وَمَا ذَاكَ ذَنْبُ
لَا وَحَقُّ الْخَفْضِ عِنْدَ التَّلَاقِ مَا جَزَاءُ مَنْ يُحِبُّ إِلَّا يُحِبُّ
وما كان ينشده الثُّبُلِي من الأشعار الرقيقة. وقد أوردته ابن عساكر في
ترجمته من «تاريخه»:

اسألكم عنها فهل من مُخْبِرٍ فَمَا لِي بِتَعْمِي بَعْدَ مُكْتَنَا عِلْمٍ
فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ خَيْمِ أَهْلَهَا وَأَيُّ بِلَادِ اللَّهِ إِذْ ظَلَعْنَا أَثَرَا
إِنَّا لَكُنَّا سَلَكَ الرِّيحَ خَلْفَهَا وَلَوْ أَصْبَحَتْ تُنَمِّي وَمِنْ دُونِهَا التَّجْمُ
ومن ذلك:

أَسْأَلُ عَنْ سَلَمَى فَهَلْ مِنْ مُخْبِرٍ بَأَنَّ لَهُ عِلْمًا بِهَا أَيْنَ تَزَلُّ
ثُمَّ يَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، وَمَا فِي الدَّارَيْنِ عَنْكَ مُخْبِرٌ.
قُلْتُ: وَفِي هَذَا طُغْيَ: قَدْ خَبِرْتُ عَنْهُ تَعَالَى الرَّسُلُ بِالْحَقِّ وَنَطَقُوا
بِالْصَدَقِ. وَكَانَ يَقُولُ: لَيْسَ لِعَارِفٍ عِلْمَةٌ، وَلَا لِحُبِّ شَكْوَى، وَلَا لَعَبْدٍ
دَعْوَى، وَلَا لِحَافِظٍ قَرَارٌ، وَلَا مِنْ اللَّهِ فَرَارٌ.

وكان الثُّبُلِيُّ يَقُولُ: الْعَارِفُ صَدْرُهُ مَشْرُوحٌ، وَقَلْبُهُ مَجْرُوحٌ، وَجَسَدُهُ
مَطْرُوحٌ، وَالْعَارِفُ مِنْ عَرَفِ اللَّهِ، وَعَرَفَ مَرَادَ اللَّهِ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ،
وَأَعْرَضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ، ودعا عباد الله إلى الله، والصوفي من صفى قلبه
من الكدر صفاءً، وسلك طريق المصطفى، ورمى الدنيا خلف القفا، وأفاق
المهوى طعم الحفا.

وقال أيضاً: الصوفي من صفا الكدر، وخلّص من الغير، ومتلا من
الفكر، وتساوى عنده الذهب والمدر.

وما كان ينشده:

أظلت علينا منك يوماً سحابةً أَصَابَتْ لَنَا بَرْقاً وَابْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمَهَا يَجْلُو فَيَاسَ طَامِعٌ وَلَا غَيْثَهَا يَأْتِي فَيُورِي عَاشِشُهَا
وَسُئِلَ: هَلْ يَتَحَقَّقُ الْعَارِفُ بِمَا يَدَّوِي لَهُ مِنَ الْأَثَارِ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَتَحَقَّقُ
بِمَا لَا يَبُتُّ؟ وَكَيْفَ يَطْمَنُ إِلَى مَا لَا يَظْهَرُ؟ وَكَيْفَ يَأْتِي بِمَا يَخْفَى؟ فَهَوِ
الظَّاهِرَ الْبَاطِنَ. ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ:

فَمَنْ كَانَ فِي طُولِ الْمَهْوَى ذَاقَ سُلُوءَةٍ فَنُئِي مَنْ لَيْسَ لَهَا غَيْرُ ذَائِقَةٍ.

ثم روى الخطيب من طريقه عن أبي الفضل بن عبد السميع الهاشمي
عن الفتح بن شخرف قال: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في
المنام، فقال لي: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء! قال: قلت: زدني يا
أمير المؤمنين. قال: وأحسن من ذلك تبة الفقراء على الأغنياء. قال: ورفع لي
كفه فإذا فيها مكتوب:

قَدْ كُنْتُ مَيْتاً فَصُرْتُ حَيّاً وَعَنْ قَلِيلٍ تَصِيرُ مَيْتاً
نَائِبٌ بِدَارِ الْبَقَاءِ بَيْتاً وَدُخٌّ بِدَارِ الْفَنَاءِ بَيْتاً
قال ابن بطّة: مات الحرقني بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وَوُزْتُ
قبره.

■ محمد بن عيسى أبو عبد الله بن أبي موسى، الفقيه الحنفي، أحد
أئمة العراقيين في زمانه، وولي القضاء، ببغداد، للمعتقي، ثم للمستعفي،
وكان ثقة فاضلاً، كَبَسَتْ لِلصُّرُوصِ دَلَرَهُ، فَظَنَرَهُ أَنَّهُ ذُو مَالٍ، فَضَرَبَهُ
بَعْضُهُمْ ضَرْبَةً أَنْخَعَتْهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى السُّطُوحِ فَالَقَى نَفْسَهُ مِنْ شِدَّةِ الْفِرْعِ
إِلَى الْأَرْضِ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَذَلِكَ فِي رِيحِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

■ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي: الوزير
الفقيه المحدث الشاعر، سمع الكثير - وجمع، وصف، وكان يصوم الاثنين
والخميس، ولا يدع صلاة الليل، والتصنيف، وكان يسأل الله الشهادة
كثيراً، فولي الوزارة للسلطان، فقصدته الأجناد، يطالبونه بأبرزاتهم، واجتمع
منهم ببابه خلق كثير، فاستدعى بملاحق، فحلّق رأسه، وتورّ وتطيب، وليس
كفنه، وقام يصلي، فدخلوا عليه، فقتلوه وهو ساجد، رحمه الله، في ربيع
الآخر من هذه السنة. والله تعالى أعلم

■ الإخشيد محمد بن عبد الله بن طُغْجِ بْنِ جُفَّأَ أَبُو بَكْرٍ، الملقب
بالإخشيد، ومعناه ملك الملوك، لقبه بذلك الرازي؛ لأنه كان ملك فرغانة،
وكل من ملكها، كان يسمى بالإخشيد، كما أن من ملك آشروسنة، يسمى
الإشئين. ومن ملك خوارزم، يسمى خوارزم شاه، ومن ملك جرجان،
يسمى صول، ومن ملك أذربيجان، يسمى إصْبَهَيْدُ، ومن ملك طبرستان،
يسمى سالار، قاله ابن الجوزي في «المنتظم» (٥٠١/٤).

قال السهلي: وكانت العرب، تسمي مَنْ مَلَكَ الشَّامَ مَعَ الْجَزِيرَةِ كَافِرَا
قَيْصَرَ، وَمَنْ مَلَكَ الْفَرَسَ يَسْمَى كَسْرَى، وَمَنْ مَلَكَ الْيَمْنَ يَسْمَى تَجْعَا،
وَمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ يَسْمَى التَّجَاشِي، وَمَنْ مَلَكَ الْهِنْدَ يَسْمَى بَطْلِيمُوسَ، وَمَنْ
مَلَكَ مِصْرَ كَافِرَا يَسْمَى فِرْعَوْنَ. وَمَنْ مَلَكَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ الْقَوْسَ. وَذَكَرَ
غَيْرَ ذَلِكَ.

وكانت وفاته بدمشق، ونقل إلى بيت المقدس، فدفن هناك، رحمه الله.

أبو بكر

■ الشبلي: أحد مشايخ الصوفية، اختلفوا في اسمه على أقوال، فقيل:
دلف بن جعفر، ويقال: دُلْفُ بْنُ جَحْزَرٍ، وقيل: جعفر بن يونس، أصله
من قرية، يقال لها: شبليّة، من بلاد آشروسنة، من خراسان، وولد بسمراء،
وكان أبوه، حاجب الحجاب للموفق، وكان خاله نائب إسكندرية، وكانت
توبة الشبلي على يدي خير النجاج، سمعه يعظ، فوقع كلامه في قلبه،
فتاب من فوره، ثم صحب الفقراء والمشايخ، ثم كان بعد ذلك من أئمة
القوم.

قال الجنيد بن محمد: كان الشبلي تاج هؤلاء.

وقال الخطيب [تاريخ بغداد ٣٩٥/١٤]: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمود
الزُّوزَنِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمُثَنَّى التَّمِيمِيَّ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّبْلِيِّ

وأكثر شيء نلتُهُ من وصلها أمانتي لم تصدق كلمحةً بارقي
وكان يقول: الدنيا خيال، وظلُّها وبال، وتزكُّها جمال، والإعراض عنها
كمال، والمعرفة بالله اتصال:

لُحْشِرُنْ عظامي بعد إذ بليت يوم الحساب وفيها حكيم عَلِيُّ
وسئل الثُّبَلِيُّ: هل يتسلى الحبيبُ بشيء من حبيبه دون مشاهدته؟
فأنشد:

واللَّهِ لو أنكَ تَوَجَّسْتِ شاح كسرى ملكاً المشرق
ولو بساموال السورى جُذِنتَ لي أموال من باد ومن قد بقى
وقلت لا نلتقي ساعة اخترت يا مولاي أن نلتقي
وكان يُشَدُّ أيضاً:

إذا لحن أذُنُنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بذكرك هاديا
وكان يُشَدُّ أيضاً:

ولو أن ركباً أمسوك لقادم نسبك حتى يستدل بك الركب
إذا ابصرتك العين من بعد غايبة وعارض فيك الشك أثبتك القلب
وكان يُشَدُّ أيضاً:

ليس تخلو جوارحي منك وقتاً هي مشغولة بمحمل هواكا
ليس يجرى على لساني شيء علم الله ذا سوى ذكراكا
وفُتِلْتُ حيث كنت بعيني فهي إن غبت أو حضرت تراكا
وكان يُشَدُّ أيضاً:

عجبت لمن يقول نسيب إليّ وهل أنسى فأذكر من هويت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا ما أؤمل ما حيث
فاحيا بالئي وأموت شوقاً فكم احيا عليك وكم أموت
جعلت الصمت ستر الحب حتى تكلمت الجفون بما لقيت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نقد الشراب وما رويت

وقال أيضاً: التصوّت ترويع القلب بمراوح الصفاء، وتحليل الخواطر
بأردية الوفاء، والتخلُّق بالسَّخاء، والبشر في اللقاء.
ونظر يوماً إلى جماعة من المتصوفة فأنشأ:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحسي غير نائها
وقال أيضاً:

إذا أردت أن تنظر إلى الدنيا بخلافها، فانظر إلى الميزلة، وإذا أردت أن
تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب؛ فإنك منها خلقت، وفيها تعود، ومنها
تخرج، وإذا أردت أن تعرف ما أنت، فانظر إلى ما يخرج منك عند الخلاء،
فلا تطاول ولا تكبر على من هو بثللك.
وكان يُشَدُّ:

ونحسني حياءً وإنسي لُيْتُ وبعضي من المجران يكي على بعضي
وأنشد أيضاً:

وكذبت طرقي فيك والطُرفُ صادق وأسمعتُ أنبي فيك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التي تسكنونها لكي لا يقولوا إنني بك مولع

فلا كبدي تُهدا ولا فيك رحمة ولا عنك إقصاء ولا فيك مطمع
وأنشد أيضاً:

فيما ساقى القوم لا تسني وبما رثت الخلد غني زمل
خليلي إن دام هذا الصدود على ما أراه سريعاً قتل
وقد كان شيئاً يُسمى السرور قديماً سمعنا به ما فعل
وسئل الثُّبَلِيُّ عن الرجل يسمع الشيء فلا يفهمه، ويتواجد مع ذلك،
فأنشأ يقول:

رُبَّ ورقة مُتَوَفِّدٍ بالضمي ذات شجر صدحت في قسن
ذكرت إلهاً وبعراً صالحاً فبكت حزناً فهاجت حزني
فكسائي رُبما أرتهما وبكاهما رُبما أرلني
ولقد أشكو فما أنهمها ولقد تشكو فما تهمني
ووجد في كلام الثُّبَلِيِّ: ما ظنك بمعانٍ هي شמוש كلها؛ بل
الشموس فيها ظلمة.

وقال أيضاً: الوجد اصطلاح. ثم أنشأ يقول:
الوجد عنى جحود ما لم يكن عنى شهود
وشاهد الحق عندي يُفنى شهود الوجود
وكان يُشَدُّ:

الكل مني بلائسي وراحني في فناءني
وسمع القول يوماً، فتواجد كثيراً والمشايع سكوت لم يتواجد منهم
أحد، فعاتبه بعض المشايخ في ذلك، فأنشأ يقول:

لو يسمعون كما سمعت حديثها غرروا بمرّة وكُما وسجودا
وأنشأ يقول:

لي سكرتان وللنعمان واحدة شيء خصصت به من بينهم وخذي
وكان يقول:

وكنت إذا ما جئتُ جئتُ لعلمة فسأنيبتُ بجلاني فكيف أقول
إذا لم يكن بيني وبينك مرسل فريح الصبا مني إليك رسول
ومنه أيضاً:

وكم كذبتُ لي فيك لا أستقيها أقول لمن القاه إنني صالح
فأي صلاح لي وجسمي نازل وقلبي مُشغوفٌ ودمعي سافح
وأنشد يوماً، وجلس عنده شابٌ أمرؤ، وعليه ثيابٌ حسنة، فطرده من
عنده، ثم قال:

طرَحُوا اللّحم للزُّبُرَاة على فزوتسي عسذ
ثم لاموا الزبارة كم طوّلوا فيهم الرُّسُن
لو أرادوا صلاحنا سرُّروا وجهه الحسن

وقد روى ابن عساكر عن أبي علي بن مقلة الكاتب أنه أنشد له في
المنى هذا بيتين أخطأ فيهما:

يا ربّ تخلّق أقمار ليل وأغصان بسان وكُبان رمل
وتبدع في كل طرفٍ بسحر وفي كل قُد رشيقي بكل

وتنهى عبداً أن يعيشوا أيا حَكَمَ العَدَلُ أَحَكَمَ بَعْدَ
قلت: نعم، إن الله إنما ينهى عن الفحشاء، وهو الحكم بالعدل في كل
ما أمر به وكل ما ينهى عنه.
وللثبلي:

فيوماً ترانا في الخزوز نُجرُّها ويوماً ترانا في الحديد عوابسا
وعاً ترانا للشريد نبهه وعاً ترانا نأكل الخبز يابسا
وسافر الثبلي مرة إلى البصرة، فلما عاد إلى بغداد سمع جارية للخليفة
المقتدر تغني وهو في التاج من دار الخلافة:

ايا قادماً من سفرة المجر مرجحاً ايا فاك لا اناك ما هبت الصبا
قدمت على قلبي كما قد تركه كثيراً حزناً بالصباية منعاً
فصاح الثبلي صيحةً، وخرّ مغشياً عليه في دجلة، فتداركه الناس،
فأخرجوه، وأمر الخليفة بإحضاره، فقال: أنت مجنون. قال: لا، ولكني
قدمت من سفر، فسمعت هذه تغنيك بهذين البيتين، فحصل لي ما حصل.
فبكى الخليفة.

وكان الثبلي يُنشد، وسمعه كثيراً من شيخنا العلامة أبي العباس ابن
تيمية، رحمه الله، يُنشد:

عوى الذئب فاستأنت للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكنت الطير
وله أيضاً:

الناس باليد قد سرُّوا وقد فرحوا وما سرُّرت به والواحد الصمد
لما يُقنَّتْ أنسي لا أعابكم غصت عيني فلا أنظر إلى أحد
وقيل: له إن فلاناً مات فجاءه: فأنشأ يقول:

فضى الله في القتل قصاص دماهم ولكن دماء العاشقين جبار
وله أيضاً:

جئنا على ليلٍ وجئت بغيرنا واخرى بنا مجنونة ما نريدنا
وله أيضاً:

يا راحتي وعذابتي من عذابتي أنت ما بي فكيف أكنم ما بي
وله أيضاً:

فلو قلت طاً في النار بادرت نحوها سروراً لأنسي قد خطرت بيالكا
ولما مرض الثبلي بعث إليه المقتدر طبيباً نصرانياً، فقال له الطبيب: فلو
علمت أن قطع بعض جسدي يشفيك لقطعته. فقال له: يشفي قطع ما هو
أيسر عليك من ذلك. فقال: وما هو؟ قال قطع زنارك. فقطعه وأسلم، فبلغ
ذلك الخليفة فقال: بعثنا طبيباً إلى عليل، فإذا هو عليل إلى طبيب.
قالوا: وما احتضر جعل من عنده يقولون: قل: لا إله إلا الله. فقال:

إن ينيأ أنت ساكنه غير محتاج إلى العُرج
وجهُك المأمول حُجَّتْنا يسوم يأتي الناس بالحجج

وقد ذكر ابن عساكر أنه كان يقول: أخشى أن أموت بين النفي
والإبائ؛ لا إله إلا الله، وإنما ذكره: الله الله، ويحج بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾
(الأنعام: ٩١).

وفيما نحاه نظر، فقد قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد:

١٩) وقال النبي ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وحده لا شريك له».

ذكر عنه إنه قال: رأيت مجنوناً على باب جامع الرصافة، يوم جمعة وهو
عريان، وهو يقول: أنا مجنون الله أنا مجنون الله فقلت: ألا تستر، وتدخل
مع الناس، فتصلي. فأنشأ يقول:

يقولون رُزنا وانقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا ابصروا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أينفت لهم مني
وذكر الخطيب في «تاريخه» [تاريخ بغداد ٣١٥/٦، ٣١٦] عنه أنه أنشد
لنفسه:

مضت الشية والحبيبة فأنبى دمعان في الأجنان يزدحمان
ما انصفتني الحادثات وميئسي بمودعين وليس لي قلبان
وكانت وفاته رحمه الله، ليلة الجمعة، لليلتين بقيا من هذه السنة، وله
سبع وثمانون سنة، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد، والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة استقر أمر الخليفة المطيع لله، في دار الخلافة، واصطلاح
معز الدولة بن بويه، وناصر الدولة بن حمدان، على ذلك، ثم حارب ناصر
الدولة، تكين التركي، فاقتلا مرات متعددة، ثم ظفر ناصر الدولة، بتكين،
فسمله بين يديه، واستقر أمره بالموصل والجزيرة.

وفيها استحوذ ركن الدولة بن بويه على الري، وانتزعها من
الخراسانية، فاستعت مملكة بني بويه، فإنه صار بأيديهم، أعمال الري،
والجل، وأصبهان، وفارس، والأهواز، والعراق، ويعمل إليهم ضمان
الموصل، وديار مُصَرَّة ربيعة من الجزيرة.

ثم اقتل جيش معز الدولة، وجيش أبي القاسم بن البريدي، فهزم
أصحاب البريدي، وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة.

وفيها وقع الغداة بين الروم والمسلمين، على يد نصر الثملي، أمير
الثغور سيف الدولة بن حمدان، فكان عدة الأسارى، نحواً من ألفين
وخمسمائة مسلم، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن حمويه بن الحسين القاضي الإسراهاذي روى الكثير
وحدث، وكان له مجلس للإملاء، وحكم ببلده مدة طويلة، وكان من
المتجهدين بالأسحار، ويضرب به المثل في مروءته ووجاهته وقد مات فجأة
على صدر جاريته عند إنزاله. رحمه الله.

■ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحنطلي، سمع ابن
أبي الدنيا وغيره. وحدث عنه الدارقطني وخلق، وكان ثقة نبأ حافظاً،
حدث من حفظه بمخمسين ألف حديث.

■ عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله ابن
رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلبي، الملقب بديك الحن الشاعر الماجن
الشيبي ويقال: إنه من موالى بني تميم، وكانت له أشعار قوية. خمارية،
وغير خمارية، وقد استجاد أبو نواس من شعره في الخماريات.

■ علي بن عيسى بن داود بن الجراح: أبو الحسن الوزير، وزر

■ محمد بن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي، كان ثقة ثباً فاضلاً، سمع أبا زرعة الدمشقي، وغيره. وعنه الدارقطني، وغيره، وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي وكانت وفاته في شوال من هذه السنة.

■ هارون بن محمد بن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن ثيم بن صبح بن ذُفُل ابن مالك بن بكر بن سعد بن خبة أبو جعفر، والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون.

كان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان، ويزيد بن جابر أدركه الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنزل ببغداد وحدث بها، وروى عنه ابنه، وكان فاضلاً متضللاً من كل فن، وكانت داره مجمع العلماء في سائر الفنون وثقافته دارة عليهم، وكانت له منزلة عالية، ومهابة وافر ببغداد، وقد أثنى عليه الدارقطني ثناء كثيراً، وقال: كان مبرزاً في النحو واللغة والشعر، ومعاني القرآن والكلام.

قال ابن الأثير (الكامل ٤٦٨/٨): وفيها توفي:

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صُول

■ الصولي، وكان عالماً بفنون الآداب والأخبار، وإثماً ذكره ابن الجوزي في التي بعدها (النظم ٦٨/١٤) كما سيأتي.

أبو العباس

■ ابن القاص أحمد بن أبي أحمد الطبري الفقيه الشافعي، تلميذ ابن سريج، له كتاب «التلخيص»، وكتاب «الفتح»، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحنفي، وأبو علي السنجي أيضاً، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار، وأما هو، فتولى قضاء طرسوس، وكان يعظ الناس أيضاً، فحصل له مرة خشوع، فسقط مغشياً عليه، فمات في سنة خمس وثلاثمائة. وقيل: سنة ست وثلاثين. فإله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فيها خرج معز الدولة، والمطيع لله، من بغداد، إلى البصرة، فاستقنعاها من يد أبي القاسم بن البريدي، وهرب هو وأكثر أصحابه، واستولى معز الدولة على البصرة، ويعت يتهذد القرامطة، ويتوعددهم بأخذ بلادهم، وزاد في أقطاع الخليفة ضياعاً، تعمل في السنة مائتي ألف دينار، ثم سار معز الدولة لتلقي أخيه عماد الدولة بالأهواز، فقبل الأرض بين يدي أخيه، وقام مثلاً أيضاً، ويأمره بالجلوس فلا يفعل، ثم عاد إلى بغداد، ورجع الخليفة، إليها أيضاً وقد تمهّدت أمور جيدة.

وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان، وجرجان، وانتزعها من يد وشمكير، أخي مرداويج ملك النيلم، فذهب وشمكير إلى خراسان، يستجد بصاحبها.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الحسين

■ ابن المادي أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن يزيد، سمع جده، وعباساً النوري، ومحمد بن إسحاق الصاعاني وكان ثقة أميناً حجة صادقاً صنف كثيراً، وجمع علوماً جمّة، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير،

للمتقن، والقاهر، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين، وسمع الكثير، وعنه الطبراني، وغيره، وكان ثقة ثباً فاضلاً كثيراً التلاوة والصلاة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم، وكان أصله من القرس، وكان من أكبر القائلين على الحلّاج.

وقد روي عنه أنه قال: ملكْتُ سبعمائة ألف دينار، أنفقت منها في وجوه الخير، ستمائة ألف وثمانين ألفاً.

ولما دخل مكة، حين نفي من بغداد، طاف بالبيت، وبالصفاء والمرورة وكان حرّاً شديداً، فجاءه المنزل، فالتقى نفسه كاليت، وقال: أشتي على الله شربةً بثلج فقال له بعض أصحابه: إن هذا مما لا ينهاها. فقال: أعرف، ولكني استروحتُ إلى الله فلما كان في أثناء النهار، جاءت سحابة، فأمطرت، ثم سقط بردٌ شديد، فجمع له صاحبه ذلك من البرد شيئاً كثيراً، وخياه له وكان الوزير صائماً، فلما أمسى، فلما جاء المسجد، فأقبل إليه صاحبه، بأنواع من الأشربة، كلها بثلج، فجعل يسقيه، من حوله من الصوفية، والمجاورين، ولم يشرب هو شيئاً من ذلك، فلما رجع إلى المنزل، جثه بشيء من ذلك الشراب، كنا قد خيأناه له، وأقسمت عليه ليشربه، فشربه بعد جهد جهيد، وقال: كنت أشتي لو كنت تمنيت المنفرة، رحمه الله وغفر له.

ومن شعر الوزير أبي الحسن علي بن عيسى قوله:

فمن كان عني سائلاً بشماتةٍ لما نابني أو شامتاً غير مسائل
فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة صبوراً على أهوال تلك الزلازل

وقد روى أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي، عن أبيه، عن جماعة، أن عطاراً من أهل الكرخ، كان مشهوراً بالسنة، ركب ستمائة دينار ديناً، فغلق دكانه، وانكسر عن كسبه، ولزم منزله، وأقبل على الدعاء، والتضرع والصلاة ليالي كثيرة، فلما كان في بعض تلك الليالي، رأى رسول الله ﷺ في المنام، وهو يقول: أقصص علي بن عيسى الوزير، فقد أمرته لك بأربعمائة دينار. فلما أصبح الرجل، قصد باب الوزير، فلم يعرفه أحد، فجلس، لعل أحداً يستأذن له عليه، حتى طال عليه المجلس، وهمّ بالانصراف، ثم إنه قال لبعض الحجة، قل للوزير: إني رجل رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأنا أريد أن أقصصه على الوزير. فقال له الحاجب: وأنت الرائي؟ إن الوزير قد أنفذ في طلبك رسلاً متعدّدة. ثم دخل فما كان بأسرع من أن أدخلني عليه، فأقبل عليه الوزير، يستعلم عن اسمه وصفته ومنزله، فذكر ذلك له، فقال له الوزير: إني رأيت رسول الله ﷺ، وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار، فأصبحت لا أدري من أسأل عنك، وقد أرسلت في طلبك، إلى الآن، عدة من الرسل، فجزاك الله خيراً، في قصصك إياي، ثم أمر بإحضار ألف دينار فقال: هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ، وستمائة هبة من عندي فقال الرجل: لا والله، لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ، فإني أرجو الخير، والبركة فيه. ثم أخذ منها أربعمائة دينار، فقال الوزير: هذا هو الصديق، واليقين. فخرج الرجل، فعرض على أرباب الديون أموالهم، فقالوا: نحن نصبر عليك ثلاث سنين، وافتح بهذا الذهب دكانك، ودّم على كسبك فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث، فدفع إليهم مائتي دينار، وفتح الدكان بالمائتين الأخرى، فما حال عليه الحول، حتى كسب ألف دينار.

ولعلي بن عيسى أخبار كثيرة صالحة وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة ويقال: في التي قبلها والله أعلم.

هائل، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان.

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم، فلقبه جمع كثيف من الروم، فاقتلوا قتالاً شديداً، فانهزم سيف الدولة، وأخذت الروم مرعش، وأوقعوا بأهل طرسوس بأساً شديداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي [النظم ٧٧/١٤]: وفي رمضان، انتهت زيادة دجلة، إلى إحدى وعشرين ذراعاً وثلاث فغرت الضياح والدور التي عليها وأشرف الجانب الشرقي على الفرق وهم الناس بالحرب منه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الله بن محمد بن حمدويه: بن نعم بن الحكم أبو محمد السَّجَّع، وهو والد الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، أذن ثلاثاً وثلاثين سنة، وغزا اثنتين وعشرين غزوة، وأتفق على العلماء مائة ألف، وكان يقوم الليل، كثير الصدقة، أدرك عبد الله بن أحمد، ومسلم بن الحجاج، وروى عن ابن خزيمة وغيره، وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة.

■ قدامة الكاتب المشهور: هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له مصنف في الخراج، وصناعة الكتابة، وبه يقتلدي علماء هذا الشأن، وقد سأل ثعلباً عن أشياء.

■ محمد بن علي بن عمر أبو علي: المذكر الواعظ بنيسابور، كان كثير التلخيص، عن المشايخ الذين لم يلقيهم توفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين ساعه الله.

■ محمد بن مطهر بن عبد الله أبو النجاة الفقيه الفَرَّسي الضريع المالكي، له كتاب في الفقه على مذهب مالك، وله مصنفات في القرائن قليلة النظر وكان أدبياً فهِماً فاضلاً صادقاً، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة، وأهل السنة، ونُهِيت الكرخ.

وفي جمادى الآخرة تقلد القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة.

وفيها خرج رجل يقال له: عمران بن شاهين، كان قد استوجب بعض العقوبات، فهرب من السلطان، إلى ناحية البطائح، فكان يقات ما يصيده من السمك والطيور، والتفت عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق فقويت شوكته، واستعمله أبو القاسم بن البريدي على جباية بعض تلك النواحي، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر الصبيري، فهزم الوزير، لكنه دعمه أمر اشتغل به عنه وذلك وفاة عماد الدولة بن بويه.

وهو: أبو الحسن

■ علي بن بويه وهو أكبر أولاد بويه، وأول من تملك منهم، وكان عاقلاً، حازماً، حيد السيرة، رئيساً في نفسه. كان أول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة كما ذكرنا.

فلما كان في هذا العام، قويت عليه الأسقام، وتواترت لديه الآلام، فأحسن من نفسه بالهلاك، ولم يعادل ما هو فيه من، والملك، وكثرة الأموال

وذلك لشراسة أخلاقه، وآخر من روى عنه محمد بن فارس النوري.

ونقل ابن الجوزي [النظم ٦٦/١٤]، عن أبي يوسف القزويني أنه قال: صنف أبو الحسين بن النضائي، في علوم القرآن، أربعمئة كتاب، ونيفاً وأربعين كتاباً، ولا يوجد في كلامه حشو، بل هو نقي الكلام، جمع بين الرواية، والدراية.

وقال ابن الجوزي [النظم ٦٦/١٤]: ومن وقف على مصنفاته، علم فضله وإطلاعه، ووقف على فوائد، لا توجد في غير كتبه، وكانت وفاته في عزم من هذه السنة عن ثمانين سنة.

■ الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر الصولي، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وطبقات الشعراء روى عن أبي داود السجستاني، والمبرد، وثلعب، وأبي العتاه، وغيرهم. وكان واسع الرواية، جيد الحفظ، حاذقاً بتصنيف الكتب وله كتب كثيرة هائلة، ونام جماعة من الخلفاء، وحظي عندهم، وكان جده صول، وأهله ملوكاً بمرجان، ثم كان أولاده من أكابر الكتاب، وكان الصولي هذا جيد الاعتقاد، حسن الطريقة، وله شعر حسن، وقد روى عنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ. ومن شعره قوله:

أحببتُ من أجله من كان يُشبهه وكلُّ شيءٍ من المعشوقِ معشوقٌ
حتى حكيتُ بحسبي ما يُقلِّبه كأنَّ سقعي من عينيه مسروقٌ
خرج الصولي من بغداد، إلى البصرة، لحاجة لُحِقَتْه، فمات بها، في هذه السنة.

■ (بنت أبي الحسن الزاهد المكي)

وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ أبي الحسن الزاهد المكي، وكانت من العابدات، الناسكات، المتقيات بمكة، وإنما كانت تقات من كسب أبيها، بما كان يكتبه من عمل الخوص، في كل سنة ثلاثين درهماً، يرسلها إليها، فاتفق أن أرسلها مرة مع بعض أصحابه، فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً. يريد بذلك برها، وزيادة في نفقتها - فلما اختبرتها، قالت: هل وضعت على هذه شيئاً؟ أصدفتي بحسن الذي حججت له، فقال: نعم، فقالت: أرجع بها، فلا حاجة لي فيها، ولولا أنك قصدت الخير، لدعوت عليك، فلنك أجتعتي عامي هذا، ولم يل بي رزقٌ إلا من الزابل إلى قابل فقلت: ألا تأخذني منها الثلاثين درهماً. فقالت: إنها قد اختلطت بمالك، ولا أدري ما هو، قال الرجل: فرجعت بها إلى أبيها، فأبى أن يقبلها، وقال: شققت يا هذا علي، وضيقت عليها، ولكن اذهب فتصدق بها.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

فيها ركب معز الدولة، من بغداد، إلى الموصل، فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين، فتملك معز الدولة بن بويه الموصل، في رمضان من هذه السنة، فغلب أهلها، وأخذ أموالهم، وكثر الدعاء عليه ثم عزم على أخذ البلاد كلها من يد ناصر الدولة بن حمدان، فجاءه خبر من أخيه ركن الدولة، يستنجد على من يلقه من الخراسانية، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة، على أن يعمل عما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلادها كلها ففعل، وعاد معز الدولة إلى بغداد، وبعث إلى أخيه بجيش

قال بعضهم: صحبه في السفر، والحضر، فما أعلم، أن الملائكة كتبت عليه خطية.

وله تفسير في مائتي جزء وثيبت، دخل الحمام من غير مرض، فتوفي فيه فجأة، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رحمه الله.

■ علي بن محمد بن أحمد بن الحسن: أبو الحسن الواعظ البغدادي، ارتحل إلى مصر، فأقام بها حتى عرف بالمصري، ثم رجع إلى بغداد وقد سمع الكثير، وروى عنه الدارقطني، وغيره، وكان له مجلس وعظ، يحضر فيه الرجال والنساء، وكان يتكلم، وهو متبرقع لثلاً يرى النساء حسنه وجهه، وقد حضر وعظه أبو بكر النقاش، مستخفياً، فلما سمع كلامه، قام قائماً، وشهر نفسه وقال له: القصص بعذك حرام.

قال الخطيب [تاريخ بغداد ١/٢٧١]: وكان ثقة أميناً عارفاً، جمع حديث الليث، وابن لهيعة، وله كتب كثيرة في الزهد، وكتبت وفاته في ذي القعدة منها، وله سبع وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها، رُدَّ الحجر الأسود المكي إلى مكانه، وكانت القرامطة قد أخذوه، في سنة سبع عشرة وثلاثمائة كما تقدم، وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي، ولما وقع ذلك أعظم المسلمون ذلك، وقد بذل لهم الأمير بمحكم التركي خمسين ألف دينار، ليردوه إلى موضعه، فلم يقبلوا، وقالوا: نحن أخذناه بأمر، ولا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره.

فلما كان في هذا العام، حملوه إلى الكوفة، وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها، ليراه الناس، وكتب إخوة أبي طاهر كتاباً فيه: إنا أخذنا هذا الحجر، بأمر، وقد ردناه بأمر من أمرنا بأخذه، ليتم حج الناس ومناسكهم ثم أرسلوه إلى مكة بنبر شيء على قعود، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة، ولله الحمد والمنة، وكان مدة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً.

وقد ذكر غير واحد، أن القرامطة، حين أخذوه، حملوه على عدة جمال، فعبطت تحتها، واعتري أسنمتها القفر، ولما رقدوه، حمله قعود واحد، ولم يصبه بأس ولله الحمد والمنة.

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان، بجيش كثيف، نحو من ثلاثين ألفاً، إلى بلاد الروم، فوغل فيها، وفتح حصوناً، وقتل خلقاً، وأسر أمماً وغنم شيئاً كثيراً ثم رجع، فأخذت عليه الروم الدرب الذي يخرج منه، فقتلوا عامة من معه، وأسرُوا بقيتهم، واستردوا ما كان أخذه، لهم ونحبا سيف الدولة في نفر يسير من أصحابه فانا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها مات الوزير أبو جعفر الصيمري، فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المهدي في جمادى الأولى. فاستفحل أمر عمران بن شاهين الصياد، وتفاقم الحال به، وبعث إليه معز الدولة جيشاً بعد جيش، يهزمهم مرة بعد مرة، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته، واستعماله له، على بعض تلك النواحي.

والرجال، من الديار، والأثراك، ولم يحصلوا له الفكاك ولم يكن له ولد ذكر، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة، يستدعي ولده عضد الدولة، ليجمعه ولي عهد من بعده، فلما قدم عليه، فرح به فرحاً شديداً، وخرج بنفسه، في جميع جيشه لتلقيه، فلما دخل به دار المملكة، أجلسه على السرير، وقام بين يديه، كأحد الأمراء، ليرفع من شأنه، عند أمراءه، ووزرائه، وأعوانه ثم عقد له البيعة، على ما يملكه، من البلدان، والأموال، وتبشير الملك والرجال، وفهم من بعض رؤوس الأمراء كراهية لذلك، فشرع في القبض عليهم، وقتل من شاء منهم، وسجن آخرين، حتى تمهدت الأمور لبعضد الدولة ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز، في هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت مدة ملكه، ست عشرة سنة، وكان من خيال الملوك في زمانه، وكان ممن حاز قصب السبق دون أقرانه، وكان هو في الحقيقة أمير الأمراء، وبذلك كان يكتابه الخلفاء، ولكن أخوه معز الدولة، كان ينوب عنه ببغداد والعراق والسواد.

ولما مات عماد الدولة، اشتغل الوزير أبو جعفر الصيمري عن عارية عمران بن شاهين - وقد كتب إليه معز الدولة، أن يسير إلى شيراز، ويضبط أموراً - فتوفي أمر عمران بعد ضعفه، وكان من أمره ما سيأتي في موضعه.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو جعفر

■ النحاس النحوي أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس: أبو جعفر المرادي المصري النحوي المعروف بالنحاس، اللغوي المفسر الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره، وقد سمع الحديث، ولقي أصحاب المرء.

وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة.

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ١/١٠٠]: خمس خلون منها يوم السبت وكان سبب وفاته، أنه جلس عند المقياس، يقطع شيئاً من العروض، فظننه بعض العامة يسحر النبل لثلاثي يوفي، فرفسه برجله، فسقط ففارق، ولم يدر أين ذهب رحمه الله تعالى.

وكان قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأخفش، وأبي بكر بن الأنباري، وأبي إسحاق الزجاج، ونفطويه، وغيرهم، وله مصنفات كثيرة، مفيدة منها «تفسير القرآن»، «الناسخ والمنسوخ»، وشرح إليات سيويه، ولم يُصنّف مثله، وشرح للمملقات، «والدواوين العشرة»، وغير ذلك، وروى الحديث عن النسائي، وكان محيلاً جداً، واتسع الناس به رحمه الله وفيها كانت:

وفاة الخليفة المستكفي بالله

■ عبد الله بن علي المكفي بالله، وقد ولي الخلافة سنة وأربعة أشهر ويومين، ثم خلع، وسلمت عيناه كما تقدم ذكره. وكانت وفاته في هذه السنة، وهو معتقل في داره، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران.

■ علي بن خضاء بن مخزومي بن نصر: أبو الحسن المعتدل، عدت عصره بنيسابور، رحل إلى البلدان، وسمع الكثير، وحديث، وصنّف مستنداً في أربعمائة جزء، وله غير ذلك مع شدة الإتيان والحفظ وكثرة العبادة، والصيانة، والخشية لله عز وجل.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن داود بن بابشاذ: أبو سعيد المصري قدم بغداد. وكان من أفاضل الناس، وعلمائهم، بذهب أبي حنيفة، مفرط الذكاء، قسوي الفهم، كتب الحديث، وكان ثقة.

مات ببغداد، في هذه السنة، ودفن بمقبرة الشونيزية، ولم يبلغ من العمر أربعين سنة.

■ (القاهر بن المعتضد)

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين ابن المعتضد بالله، ولي الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام، وكان بطاشاً، سريع الانتقام فخاف منه وزيره أبو علي بن مقله، فاستتر، وشرع في العمل عليه عند الأتراك فخلعوه، وسملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن طاهر وقد نالته فاقة وحاجة شديدة، وسأل في بعض الأيام. ثم كانت وفاته في هذا العام، وله ثنتان وخمسون سنة، ودفن إلى جانب أبيه المعتضد.

■ محمد بن عبد الله بن أحمد: أبو عبد الله الصفار الأصبهاني، حدث عصره بخراسان، سمع الكثير، وحدث عن ابن أبي الدنيا ببعض كتبه، وكان مجاب الدعوة، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة. وكان يقول: اسمي محمد واسم أبي عبد الله واسم أمي أمينة، يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب والأم.

■ أبو نصر الفارابي محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف، وكان من أعلم الناس بالموسيقى، بحيث كان يتوسل بصناعته إلى التأثير في الحاضرين، من مستمعيه، إن شاء حرك ما يبغي، أو يضحك، أو ما يؤتم.

وكان حاذقاً في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا.

وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجشائي، ويخصص بالمعاد الأرواح العالة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك، يخالف المسلمين، والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين. بدمشق، فيما قاله ابن الأثير في «كامله»، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه، لنته، وقبحته، قاله أعلم.

سنة أربعين وثلاثمائة

فيها قصد صاحب عُمان البصرة ليأخذها، في مراكب كثيرة، وجاء نصره أبو يعقوب الهجري، فمانعه عنها الوزير أبو محمد المهلب، وصلته عنها، وأمر جماعة من أصحابه، وسى كثيراً من مراكبه، فساقها معه في دجلة، ودخل بها إلى بغداد، في أبهة عظيمة، ولله الحمد.

وفيها رُفِعَ إلى الوزير أبي محمد المهلب، رجل من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العزاق، الذي كان قتل على الزندقة، كما قتل الحلاج، وأن هذا الرجل يدعي ما كان يدعيه ابن أبي العزاق، وقد اتبعه جماعة من الجبهة ببغداد، وصدقه في دعواه الروبية، وأن أرواح الأنبياء، والصلّيقين، انتقلت إليهم ووجد في منزله، كتب تدل على ذلك.

فلما تحقق أنه هالك، ادّعى أنه شيعي، ليحظى عند معز الدولة بن بويه وقد كان يحب الرافضة يجهه الله فلما اشتهر عنه ذلك، لم يتمكن الوزير منه، خوفاً على نفسه من معز الدولة، وأن تقوم عليه الشيعة، فإنا لله وإنا

إليه راجعون غير أنه أحاط على شيء من أموالهم، فكان يسميها أموال الزنادقة.

قال ابن الجوزي [المعظم ٨٤/١٧]: وفي رمضان منها، وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الحسن

■ الكرخي: عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دهم أبو الحسن الكرخي أحد أئمة الحنفية المشهورين، ولد سنة ستين ومائتين، وسكن بغداد، ودرس بها فقه أبي حنيفة، وانتهت إليه رئاسة أصحابه وانتشر أصحابه ببغداد، وكان متعباً كثير الصلاة والصوم، صبوراً على الفقر، عزوفاً عما في أيدي الناس، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال، وقد سمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضي، وروى عنه ابن خثيم، وابن شاهين.

وأصابه الفالج في آخر عمره، فاجتمع عنده بعض أصحابه، واشتوروا فيما بينهم، أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان، ليساعده بشيء يستعين به في مرضه، فلما علم بذلك، رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتي. فمات عقب ذلك، قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة، وهو عشرة آلاف درهم فتصّلّى بها بعد وفاته، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، عن ثمانين سنة، وصلى عليه أبو غمام الحسن بن محمد الزيني، وكان صاحبه ودفن في درب أبي زيد على نهر الواسطيين.

■ محمد بن صالح بن زيد أبو جعفر الوراق سمع الكثير، وكان يفهم، ويحفظ وكان ثقة زاهداً، لا يأكل إلا من كسب يده، ولا يقطع صلاة الليل. وقال بعضهم: صحبته سنين كثيرة، فما رأيته فعل ما لا يرضي الله عز وجل. ولا قال إلا ما يسأل عنه، وكان يقوم أكثر الليل. وفيها كانت وفاة

■ منصور بن قواكين، صاحب الجيوش الخراسانية، من جهة الأمير نوح الساماني، وكانت وفاته لمرض حصل له، وقيل: لأنه أدمن شرب الخمر، أياماً متتابعة فهلك بسبب ذلك، فأتيم بعده في الجيوش أبو علي بن عتاج

■ الزجاجي مصنف «الجمل» وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوي، البغدادي الأصل. ثم الدمشقي، مصنف «الجمل» في النحو، وهو كتاب نافع، كثير الفائدة، صنّفه بمكة، وكان يطوف بعد كل باب منه، ويدعو الله تعالى، أن يضع به. أخذ النحو أولاً عن محمد بن العباس الزبيدي، وأبي بكر بن دريد، وابن الأثير.

وكانت وفاته في رجب سنة سبع، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وقيل: سنة أربعين، توفي في دمشق، وقيل بطبرية. وقد شُرِّحت «الجمل»، بشروح كثيرة، من أحسنها، وأجمعها، ما وضعه ابن عصفور، والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة

فيها ملكت الروم سروج، وقتلوا أهلها، وخرّبوا مساجدها.

اسمه فبنى له باباً وبني لنفسه باباً آخر فوقعت صاعقة على باب عبد الملك، فأحرقت، فكتب إليه الحجاج من العراق، يسليه عما أمته من ذلك، يقول: يا أمير المؤمنين ما أنا وانت، إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قَبْلَنَا فَتَقَبَّلَ مِنْ آخِذِيهَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ الْآخَرِ قَانَ لَآتِلُكَ﴾ [البقرة: ٢٧] فسرى عن الخليفة كانت وفاة المنصور هنا في هذه السنة لما أصابه برد شديد، فمات به.

ثم دخلت سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة

فيها دخل سيف الدولة بن حمدان، صاحب حلب، إلى بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وغنم أموالاً جزيلة، ورجع سالماً غانماً. وفيها اختلف الحجاج بمكة، ووقعت حرب بين أصحاب ابن طنج، وأصحاب معز الدولة، فغلبهم العراقيون، وخطبوا لمعز الدولة، ثم بعد انقضاء الحج، اختلفوا فغلبهم العراقيون أيضاً، وجرت حروب كثيرة وخطوب كثيرة بين الخراسانية والسامانية، تقصى ذكرها ابن الأثير في «كامله» والله تعالى أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ علي بن محمد بن أبي القههم: أبو القاسم التوحي، جد القاضي أبي القاسم التنوخي، شيخ الخطيب، ولد بآنطاكية، وقدم بغداد، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة، ويعرف النجوم، ويقول الشعر، ولي القضاء بالأهواز، وغيرها، وقد سمع الحديث من البغوي، وغيره، وكان فهماً، ذكياً، حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة، قصيدة لدغبل الشاعر، في ليلة واحدة وهي ستمائة بيت، وعرضها على أبيه، صيحتها، فقام إليه، وضمه، وقبل بين عينيه، وقال: يا بني، لا تخبر بهذا أحداً، لئلا تصيبك العين.

وذكر ابن خلكان [وفيات الأعيان ٣/٣٩٦، ٣٩٧] أنه كان ندياً للوزير المهلي، ووفد على سيف الدولة بن حمدان، فأكرمه، وأحسن إليه، وأورد له من شعره أشياء حسنة فمن ذلك قوله في الخمر:

وراح من الشمس مخلوقاً بدت لك في قلدح من نهار
هواً ولكنك جاسد وناء ولكنك غير جار
كأن المدير له باليمن إذا مال للقي أو باليار
تدرك ثوباً من الياسين له فرد كُـم من الجمار

■ محمد بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عبد الحاق أبو الفرج البغدادى الفقيه الشافعي، يعرف بابن سكرية، سكن مصر، وحدث بها، وسمع منه أبو الفتح بن مسرور، وذكر أن فيه لئلاً.

■ محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر، ولي إمرة مكة، في سنة ثمان وستين ومائتين، وقدم مصر، فحدث بها، عن علي بن عبد العزيز البغوي، بموطأ مالك. وكان ثقة مأموناً، توفي بمصر، في ذي الحجة من هذه السنة.

قال ابن الأثير [الكامل ٨/٤٩٦]: وفيها قصد موسى صاحب عمان البصرة، فممنه منها المهلي، كما تقدم.

قال [الكامل ٨/٤٩٩]: وفيها نقم معز الدولة على وزيره، فضربه مائة وخمسين مفرقة، ولم يعزله، بل رسم عليه.

وفيها اختصم المصريون، والعراقيون، بمكة، فخطب لصاحب مصر، ثم غلبهم العراقيون، فخطبوا لركن الدولة بن بويه.

وفيها كانت وفاة المنصور الفاطمي: وهو أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم بن محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً، وكان عاقلاً شجاعاً، فاكناً، قهر أبا يزيد الخارجي، الذي كان لا يطاق شجاعاً، وإقداماً، وصبراً، وكان فصيحاً بليغاً، يرثي الخطبة على البديهة في الساعة الراحة.

وكان سبب موته، ضعف الحرارة الفريزية، كما أورده ابن الأثير في «كامله»، فاختلف عليه الأطباء، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المعز الفاطمي، وهو باني القاهرة المعزية، كما سيأتي بيان ذلك، واسمه مدد، وكان عمره إذ ذاك، أربعاً وعشرين سنة، وكان شجاعاً عاقلاً، أيضاً حازم الرأي، أطاعه من البربر، وأهل تلك الناحية، خلق كثير، وبعث مولاة جوهراً القائد، فبنى له القاهرة، المشاهة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك، وهما القصران اللذان هنالك. وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتي بيانه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن زياد: بن بشر بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي البصري، سكن مكة، وصار شيخ الحرم، وصاحب الجند بن محمد، والنوري، وغيرهما، وأسد الحديث، وصنف كتاباً للصوفية.

■ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح: أبو علي الصفار النحوي، أحد المحدثين، لقبي المبرد، واشتهر بصحبته، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة، وعباساً الدوري، وغيرهما، وروى عنه جماعة منهم الدارقطني.

وقال: صام أربعة وثلاثين رمضان، وقد كانت وفاته، في هذه السنة، عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

■ إسماعيل بن القائم بن المهدي الملقب بالمنصور الغيادي الذي يزعم أنه فاطمي، صاحب بلاد المغرب.

وهو والد المعز باني القاهرة، وهو باني المنصورية، بالمغرب.

كان شجاعاً فصيحاً بليغاً قال أبو جعفر المروزي: خرجت معه، لما كسر أبا يزيد الخارجي، فيمنا أنا أسير معه، إذ سقط رمحه، فتزلت فتاولته يداً، وذهبت أفاكهه، يقول الشاعر:

فالتفت عصاه واستقر بها النوى كما قر غيباً بالإياب المسافر

فقال: هلا قلت كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَيَنْظَرُ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ. فَتَلَوُا مُتَالِئًا وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧ - ١١٩] قال: فقلت له: أنت ابن بنت رسول الله ﷺ، قلت كما علمت، وأنا قلت كما بلغ إليه علمي.

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ١/٢٣٥، ٢٣٤]: وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان، حين أمر الحجاج أن يبني باباً ببيت المقدس ويكتب عليه

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان، وبين الهمستق، فقتل خلقاً من أصحاب الهمستق، وأسر جماعة من رؤساء بطارقه ولله الحمد، وكان في جملة من قتل، قسطنطين بن الهمستق، ومسى خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة، ثم جمع الهمستق خلقاً كثيراً، فالتقوا مع سيف الدولة، في شعبان، فجرت بينهم حروب عظيمة، وقتل شديد، فكانت الدائرة للمسلمين، وخذل الله الكافرين، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر جماعة من الرؤوس، وكان منهم صهر الهمستق، وابن بنته أيضاً.

وفيها حصل للناس أمراض كثيرة، وحميات، وأوجاع في الحلق. وفيها مات: الأمير الحميد بن نوح بن نصر الساماني، صاحب خراسان، وما وراء النهر، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن أحمد: أبو علي الكاتب المصري، صحب أبا علي الروذباري وغيره، وكان أبو عثمان المغربي، يعظم أمره، ويقول: أبو علي الكاتب، من السالكين.

ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبد الرحمن السلمي قوله: روائع نسيم الحبة، تنوح من الحيين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتبلى عليهم وإن ستروها، وأنشد:

إذا ما أسرّت أنفس الناس ذكره تئبته فيهم ولم يتكلموا
تطيب به أنفاسهم فينبها وهل سرٌ منك أدوع الريح يكتم؟

■ علي بن محمد بن محمد بن عقبة بن همام: أبو الحسن الشيباني الكوفي، قدم بغداد، فحدث بها عن جماعة، وروى عنه الدارقطني. وكان ثقة عدلاً، كثير التلاوة، فقيهاً، مكث يشهد على الحكام ثلاثاً وسبعين سنة، مقبولا عندهم، وأذن في مسجد حمزة الزيات، ثباً وسبعين سنة، وكذلك أبوه من قبله.

■ محمد بن علي بن أحمد أبو العباس الكرخي الأديب، كان عالماً زاهداً ورعاً، يحتم القرآن كل يوم، ويلبس الصيام، سمع الحديث من عبدان وأقرانه.

■ أبو الخير التيناني: العابد الزاهد، أصله من المغرب، وكان مقيماً بقرية يقال لها تينات، من عمل أنطاكية، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد، كان قد عاهد الله عهداً، ثم نكثه، فاتفق أن يسك جماعة من اللصوص في الصحراء، وهو هناك فأخذ منهم، فقطعت يده معهم، وكانت له أحوال، وكرامات، وكان ينسج الخوص بيده الواحدة. ودخل عليه بعضهم، فشاهد منه ذلك، فأخذ عليه العهد، إن لا يجرب به أحداً، ما دام حياً، فوفى له بذلك.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [النظم ٩٨/١٤]: فيها شمل الناس ببغداد، وواسط، وأصبهان، والأهواز داء مركب من دم، وصفراء ووباء، مات بسبب ذلك

خلق كثير بحيث كان يموت في كل يوم، قريب من ألف نفس، وجاء فيها جراد عظيم، أكل الخضروات، والأشجار، والشمار.

وفي الحرم عقد مُعز الدولة لابنه أبي منصور بختيار الأمر من بعده بإمرة الأمراء.

وفيها خرج رجل من بأذربيجان، ادّعى أنه يعلم الغيب، وكان يحرم اللحم، وما يخرج من الحيوانات، فأضافه مرة رجل، فجاءه بطعام كشكبة بشحم، فأكله، فقال له الرجل بحضرة من معه: إنك تدعي أنك تعلم الغيب، وهذا الطعام فيه شحم، وأنت تحرمه، فلم لا علمته؟ قال: فتفرق الناس عنه.

وفيها جرت حروب كثيرة، بين المعز الفاطمي، وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي، استصاها ابن الأثير.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق، المعروف بابن السمك، روى عن حنبل بن إسحاق وغيره، وعنه الدارقطني، وغيره، وكان ثقة ثباتاً، كتب المصنفات الكثيرة بخطه، توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب التين، وحضر جنازته خمسون ألفاً.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد: أبو جعفر القاضي السمناني، وُلد سنة إحدى وستين ومائتين، وسكن بغداد، وحدث بها، وكان ثقة، عالماً سخياً، حسن الكلام، عراقياً المذهب، وكانت داره مجمعا للعلماء، ثم ولي قضاء الموصل، وتوفي بها في هذه السنة في ربيع الأول منها.

■ محمد بن أحمد بن بطة بن إسحاق الأصهباني: أبو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان وليس هذا بأبي عبد الله بن بطة الكُتبي وهذا بضم الباء من بطة الفقيه الحنبلي يفتحها وقد كان جدُّ هذا، وهو بطة بن إسحاق أبو سعيد، من محدثين أيضاً، ذكره ابن الجوزي في «مئتمنه» [النظم ١٠٠/١٤].

■ محمد بن محمد بن يوسف بن الحاج: أبو النضر الفقيه الطوسي، كان فقيهاً عالماً ثقة عادلاً، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية، والبلدان النائية، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة.

وقد رآه بعضهم في المنام، بعد وفاته، فقال له: وصلت إلى ما طلبته؟ فقال: إي والله، نحن عند رسول الله ﷺ، وقد عرضت مصنفاتي في الحديث عليه، فقبلها.

أبو بكر بن الحداد: الفقيه الشافعي، هو

■ محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد، أحد أئمة الشافعية، روى عن النسائي، وقال: رضى به حجة بيني وبين الله عز وجل.

وقد كان ابن الحداد فقيهاً فروعياً، ومحدثاً، وغورياً، وفصيحا في العبارة، دقيق النظر في الفروع، له كتاب في ذلك، غريب الشكل، وقد وني القضاء بمصر، نيابة عن أبي عبيد بن حرتومة. وذكرناه في «طبقات الشافعية».

أبو يعقوب الأذري

■ إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب بن إبراهيم النهدي، قال ابن عساکر: من أهل أذرعان، مدينة بالبلقاء، أحد القضاة، من عباد الله

الصالحين. رحل، وحلّت عن جماعة، وعنه آخرون.

وقال غيره: كان من أجلة أهل دمشق، ومحبّاه، وعلمائها.

وقد روى عنه ابن عسّاك أشياء تدلّ على صلاحه، وخرق العادة له، فمن ذلك أنه قال: إنني سألت الله أن يقبض بصري، فعميت، فلما استضررت بالطهارة، سألت الله عوده، فردّه عليّ. توفي بدمشق في هذه السنة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وصحبه ابن عسّاك، وقد يُثَفّ على التسعين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

فيها عصى الروزيهان على معز الدولة، وانحاز إلى الأهواز، ولحق به عامة من كان مع المهلب، الذي كان يجاريه، فلما بلغ ذلك معز الدولة، لم يصدق؛ لأنه كان قد أحسن إليه، ورفع من قدره، بعد الضعة والخمول، ثم ركب إليه لقتاله، فاتبعه الخليفة المطيع لله، خوفاً من ناصر الدولة بن حمدان، فإنه بلغه، أنه قد جهّز جيشاً مع ولده، أبي الرّجّ جبار إلى بغداد ليأخذها حين بلغه أن معز الدولة قد خرج منها، فأرسل معز الدولة، حاجبه، سيّكين إلى بغداد، ليحفظها وقصد معز الدولة إلى الروزيهان فاقبلوا قتالاً عظيماً فهزمه معز الدولة، وفرق أصحابه، وأخذ أسيراً إلى بغداد في أبهة عظيمة فسجنه، ثم أخرجته ليلاً، وغرقه؛ لأن الديلم أرادوا إخراجهم من السجن قهراً. وانطوى ذكر روزيهان وأخوته، وكان قد اشتعل اشتعال النار وحظيت الأتراك عند معز الدولة، وانحطت الديلم عنه، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزيهان وأخوته.

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم، وقتل، ومسى ورجع إلى أذنة، ثم عاد إلى حلب، فحميت الروم، فجمعوا، وأقبلوا إلى ميّافارقين، فقتلوا وسبوا، وحرقوا ورجعوا، وركبوا في البحر إلى طرسوس، فقتلوا من أهلها ألفاً وثمانمائة، وسبوا، وحرقوا قرى كثيرة.

وفيها زلزلت ههنا زلزلاً عظيماً، انهلمت البيوت، وانشق قصر شيرين بصاعقة، ومات تحت المدم خلق كثير لا يُحصى كثرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم، بسبب سب الصحابة من أهل قم فثار عليهم أهل أصبهان، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا أموال التجار، فغضب ركن الدولة لأهل قم، لأنه كان شيعياً، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة والله تعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ غلام ثعلب: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر الزاهد غلام ثعلب، روى عن الكندي وموسى بن سهل الوشاء، وغيرهما، وروى عنه جماعة، وآخر من حدث عنه أبو علي بن شاذان.

وكان كثير العلم والزهد، حافظاً، مُطِيقاً، يُعَلِّم من حفظه شيئاً كثيراً، ضابطاً لما يحفظه.

ولكثره إغرابه، اتهمه بعضهم، ورواه بالكذب، وقد ائتمن له مع القاضي أبي عمر وكان يؤدّب ولده - أنه أملى من حفظ ثلاثين مسألة، بشواهدهما، وأدلتها، من لغة العرب، واستشهد على بعضها ببنتين غريبتين جداً، فعرضهما القاضي أبو عمر على ابن دريد وابن الأنباري، وابن

مقسم، فلم يعرفوا منها شيئاً. حتى قال ابن دريد: هذا ما وضعه أبو عمر من عنده، فلما جاء أبو عمر ذكر له القاضي، ما قاله ابن دريد عنه، فطلب أبو عمر من القاضي أن يحضر له من كبه دواوين العرب فلم يزل يأتيه بشاهد لما ذكره بعد شاهد، حتى خرج من الثلاثين مسألة، ثم قال: وأما البيتان، فإن ثعلباً اتشدّاهما، وأنت حاضر، فكتبتهما في دفترك، فطلب القاضي دفتره، فإذا هما فيه، فلما بلغ ذلك ابن دريد، كفّ لسانه عن أبي عمر الزاهد، فلم يذكره حتى مات.

وتوفي أبو عمرو هذا، يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين، الثالث عشر من ذي القعدة، ودفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي، ببغداد، رحمه الله.

■ محمد بن علي بن أحمد بن رستم: أبو بكر المادرائي الكاتب، كان مولده في سنة سبع وخمسين ومائتين بالعراق، ثم صار إلى مصر، هو وأخوه أحمد مع أبيهما، وكان على الخراج لخمارة بن أحمد بن طولون، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس، وأكابرهم، وقد سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار وطبقته.

وقد روى الخطيب (الربيع بعدد ٨٠٣، ٨١) عنه أنه قال: كان بياني شيخ كبير من الكتاب، قد بطل عن وظيفته، فرأيت والذي في المنام، وهو يقول: يا بني، أما تتي الله؟ أنت مشغول بلمناتك، والناس بيباك، يهلكون من العري والجوع، هذا فلان قد تقطّع سراويله، ولا يقدر على إبداله، فلا تهمل أمره. فاستيقظ مذعوراً، وأنا ناو له الإحسان، غنمت ثم استيقظت وقد أنسيت المنام، فبينما أنا أسير إلى دار الملك، إذا بذلك الشيخ على دابة ضعيفة، فلما رأيته، أراد أن يترجّل، فبدلني فخذه وقد لبس الخفّ بلا سراويل، فلما رأيته، ذكرت المنام، فاستدعى به عند ذلك وأطلق له ألف دينار، وثياباً، ورتب له على وظيفته، مائتي دينار كل شهر، وعده بخير في الأجل أيضاً.

■ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طَبَّاطَ بن إسماعيل ابن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، الشريف الحسني الرّسّبي - قبيلة من الأشراف - أبو القاسم المصري الشاعر - كان تقيب الطالبين بمصر. ومن شعره قوله:

قالت لطيفو خيال زارني ومضَى باللّهِ صِفُهُ ولا تَقْصُ ولا تَزِدُ
نقال ابصرته لو سأت بين ظمراً وقُلْتُ: قِفْ لا تَزِدْ للماء لم يَرِدْ
قالت صَدَقَتْ وفاة الحبِّ عَادَتُهُ يا بَرَّةَ ذَاكَ الذي قَالَتْ عَلَيَّ كَيْدِي

قال ابن خلكان (وفيات الأعيان ١٣٠/١): توفي ليلة الثلاثاء لخمس بقين - من شعبان - من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت فتنة بين أهل الكرخ، وأهل السنة، في المذهب بسبب السبّ، فقتل من الفريقين خلق كثير.

وفيها نقص البحر ثمانين ذراعاً، ويقال: بأعاً فبدت به جبال، وخزائر، لم تكن ترى قبل ذلك.

وفيها كان بالعراق وبلاد الري والجبل وقم، وغموها زلازل كثيرة، مستمرة نحو أربعين يوماً، تسكن، ثم تعود، فتهلّمت بسبب ذلك أبنية كثيرة، وغارت مياه كثيرة، ومات خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون.

صار له بمنزلة الوزير.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الزبير بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم أبو عيد الله الأسدي، رحل وسمع الحديث، وطوف الأقاليم، سمع الحسن بن سفيان، وابن خزيمة وأبا يعلى وخلقا، وكان حافظاً متقناً صدوقاً صنف الشروح، والأبواب.

أبو سعيد

■ ابن يونس: صاحب «تاريخ مصر»: هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي المصري المؤرخ، كان حافظاً، مكثراً، خبيراً بأيام الناس، وتوارى عنهم، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر، ومن رُذِّ إليها. وله ولد يقال له: أبو الحسن علي، كان متجعماً، له زيغ مفيد، يرجع إليه أصحاب هذا الفن، كما يرجع المحدثون إلى أقوال أبيه، وما يؤرخه، وينقله، ويحكيه، وُلِدَ سنة إحدى وثمانين ومائتين، وتوفي في هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة، في القاهرة. رحمه الله تعالى.

■ ابن قُوسْتَوَيْهِ النحوي: عبد الله بن جعفر بن قُوسْتَوَيْهِ ابن المَرْزُبَانِ أبو محمد الفارسي النحوي، سكن بغداد، وسمع عباس الدوري، وابن قتيبة، والمبرد، وسمع منه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وأثنى عليه غير واحد، منهم أبو عبد الله بن منده، وكانت وفاته في صفر من هذه السنة، وذكر له القاضي ابن خلكان، مصنفات كثيرة مفيدة، فيما يتعلق باللغة، والنحو، وغير ذلك.

■ محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي قاضي بغداد، كان حسن الأخلاق، طلياً للحديث، ومع هذا نُسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام، والولايات والله تعالى أعلم بالصواب.

■ محمد بن علي: أبو عبد الله الهاشمي الحاطب الدمشقي وأظنه الذي تنسب إليه حارة الحاطب، من نواحي باب الصغير، كان خطيب دمشق في أيام الإخشيد، وكان شاباً حسن الوجه، مليح الشكل، كامل الخلق. توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول، من هذه السنة، وحضر جنازته نائب السلطنة، وخلق كثير، لا يُحْصَوْنَ كثرة، هكذا أرَّخه ابن عساکر، ودفن بباب الصغير.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت فتنة بين الرافضة، وأهل السنة، قتل فيها خلق كثير، ووقع حريق بباب الطاق، وغرق في دجلة خلق كثير، من الحجاج من أهل الموصل، نحو من ستمائة نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها دخلت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا، وغنموا ورجعوا سالمين لعنهم الله.

وفيها قُلت الأمطار، وغلت الأسعار واستسقى الناس، فلم يسقوا، وظهر جراد عظيم، في آذار، فأكل كل ما بُت من الخضروات، فاشتد الأمر جدًّا، فما شاء الله كان، وعالم يشاء، لم يكن.

وفيها عاد معز الدولة إلى بغداد، من الموصل، وزوج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة، وسيرها معه إلى الري.

وفيها تجهَّز معز الدولة بن بويه، لقتال ناصر الدولة بن حمدان، الذي بالموصل، فراسله ناصر الدولة، والترم له بأموال، يحملها إليه كل سنة، ثم إنه منع حَمْل ما اشترط على نفسه، بقصد معز الدولة في السنة الآتية، كما سيأتي. وفيها في تشرين منها، كُتِر في الناس أوجاع، في الخلق، والمأشراً وكثر فيهم موت الفجأة، حتى إن لصاً، نقب داراً، ليدخلها، فمات وهو في النقب، وليس القاضي خلعة القضاء، ليخرج للحكم بين الناس فلبس إحدى خفيه، فمات قبل أن يلبس الأخرى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عبد الله بن الحسن، أبو هريرة التَّوَيْي، المستملي على المشايخ، كتب عن أبي مسلم الكجني، وغيره، وكان ثقة، توفي في ربيع الآخر منها.

■ الحسن بن خلف بن شاذان: أبو علي الواسطي روى عن إسحاق الأزرق، وي زيد بن هارون، وغيرهما، وروى عنه البخاري في «صحيحه»، توفي في هذه السنة. هكذا رأيت هذه الترجمة في هذه السنة من «المنتظم» لأبي الفرج بن الجوزي، والله أعلم.

أبو العباس الأصم:

■ محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموي مولا محمد أبو العباس الأصم، مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، ورأى الذهلي، ولم يسمع منه، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة وبغداد، وغيرها من البلاد، فسمع الكثير عن الجسم الغفير، ثم رجع إلى خراسان، وهو ابن ثلاثين سنة، وقد صار عدداً كبيراً، ثم طرأ عليه الصمم، واستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، وكان مؤذناً في مسجده سبعين سنة، وحُدِّث ستاً وسبعين سنة، فالُحِقَ الأحفاد بالأجداد، وكان ثقة صادقاً ضابطاً، لما سمعه وسمعه ثم كُفَّ بصره قبل موته بشهر، وكان يحدث من حفظه، بأربعة عشر حديثاً، وسبع حكايات ومات، وقد بقى له سنة من المائة.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

فيها كانت زلزلة ببغداد، في شهر نيسان، وفي غيرها من البلاد الشرقية، فمات بسببها خلق كثير، وخربت دور كثيرة، وظهر في آخر نيسان، وشهر آيار جراد كثير، أُلِف الغلات الصيفية، والثمار. ودخلت الروم آمد، وميافارقين، فقتلوا ألفاً وخمسمائة إنسان، وأخذوا مدينة سُمَيْطَاط، وأخربوها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي الحرم منها، ركب معز الدولة إلى الموصل، فأخذها من يد ناصر الدولة، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين، ثم إلى ميافارقين، ثم لحقه معز الدولة، فصار، إلى أخيه سيف الدولة حُلب، ثم راسل سيف الدولة حَمْل، كل سنة ألفي ألف وتسعمائة ألف، ورجع معز الدولة إلى بغداد، بعد انعقاد الصلح.

وفيها بعث المعز الفاطمي، مولا أبا الحسن جوهر القائد، في جيوش، ومعه زيري بن مَنَاد الصنهاجي، ففتحوا بلاداً كثيرة، من أقصى المغرب، حتى انتهوا إلى البحر المحيط، فأمر جوهر بأن يُصْطاد له منه سمك، فأرسل به في قلال الماء، إلى المعز الفاطمي، وحظي جوهر عنده، وعظم شأنه، حتى

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن شيان القرميستي أبو اسحاق القرميكي: شيخ الصوفية بالجليل، صاحب أبا عبد الله المغربي. ومن جيد كلامه قوله: إذا سكن الخوف القلب، أحرقت مواضع الشهوات منه، وطرد عنه الرغبة في الدنيا. أبو بكر

■ النجاد: أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل ابن يونس، أبو بكر النجاد الفقيه، أحد أئمة الحنابلة، وُلد سنة ثلاث وخمسين ومائتين، سمع عبد الله بن أحمد، وأبا داود، والباغندي، وابن أبي الدنيا، وخلقاً كثيراً، وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً، وقد جمع المسند، وصنف في السنن كتاباً كبيراً، وكان له بجامع المنصور حلقتان، واحدة للفقه، وأخرى للإملاء الحديث.

وحدث عنه الدارقطني، وابن زرقونه، وابن شاهين، وأبو بكر بن مالك القطيعي، وغيرهم، وكان يصوم الدهر، ويفطر كل ليلة على رغيف، ويعزل منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة، أكل تلك القم، وتصلق برغيف ليلة الجمعة.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، لعشر بقين من ذي الحجة، عن خمس وتسعين سنة، ودفن قريباً من قبر بشر بن الحارث الحافي، رحمه الله.

■ جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم: أبو محمد الخواص، المعروف بالخلدي، سمع الكثير، وحدث كثيراً، وحج ستين حجة، وكان ثقة صدوقاً ديناً.

■ محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد: أبو عمرو الزنجاسي النيسابوري، صاحب أبا عثمان، والجنيد، والنوري، والخواص، وغيرهم، وأقام بمكة، وكان شيخ الصوفية بها، وحج ستين حجة، ويقال: إنه مكث أربعين سنة، لم يتخط، ولم يبل، إلا خارج الحرم بالكعبة.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة بن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمي، صاحب الألحان، وكان من أحسن الناس صوتاً بتلاوة القرآن، وربما سمع أهل كلواذا صوته من بغداد في الليل.

وحج مرة مع أبي القاسم البغوي، فلما كانوا بالمدينة، رأوا شيخاً أعمى، يقص على الناس أخباراً موضوعاً، فقال البغوي: ينبغي الإنكار عليه، فقال له بعض الجماعة: إنك لست ببغداد، يعرفك الناس، والجمع كثير ههنا، ولكن نرى أن تأمر أبا بكر الأدمي، فيقرأ لنا، فاستفتح، فقرأ، فأنهّل الناس إليه وتركوا الأعمى فلم يبق عنده أحد، فأخذ الأعمى بيد قائله، وقال له: اذهب بي، هكذا تزول النعم.

وكانت وفاته يوم الأربعاء، للثلاثين بقين من ربيع الأول، من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة.

وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته بمدة فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: أوقفتي بين يديه، وقاسيت شدائد، فقلت له: فذلك الليالي والمواقف والقراءة فقال: ما كان شيء أضرب علي منها، لأنها كانت للدنيا فقلت: فإلى أي شيء انتهى أمرك؟ فقال: قال لي الله عز وجل: آليت على نفسي، أن لا أعذب أبناء الثمانين.

أبو محمد

■ عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم ططاباً بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المصري، كان من ساداتها، وكبرائها، وأجودها لا تزال الحلوة تعقد بداره، ولا يزال

رجل يكسر اللوز بسببها كل يوم بيابه، وللناس عليه رواتب من الحلوة، فمنهم من يهدي إليه كل يوم، ومنهم في الجمعة، وفي الشهر. وكان لكافور الإخشيد في كل يوم جامان، ورغيف من الخوازي، ولما قدم المعز القاطمي إلى القاهرة، تلقاه، وسأله: إلى من يتسب مولانا من أهل البيت؟ فقال: الجواب إلى أهل البلد. فلما دخل القصر، جمع الأشراف، وسَل نصف سيفه، وقال: هذا نسي. ثم نثر عليهم الذهب، وقال: هذا حسي فقالوا: سمعنا وأطعنا، والصحيح أن القاتل للمعز هذا الكلام ابن هذا أو شريف آخر، والله أعلم. فإن وفاة هذا، كانت في هذا العام، عن اثنين وستين سنة، والمعز إنما قدم مصر في سنة اثنين وستين وثلاثمائة كما سيأتي.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

فيها ظهر رجل بأفريجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله، فتلقب بالمستجير بالله، ودعا إلى الرضا من آل محمد، وذلك لفساد دولة المرزيان في ذلك الزمان، فاقتلوا قتلاً كثيراً، ثم انهزم أصحاب المستجير، وأخذ أسيراً فمات واضمحله أمره والله الحمد.

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وفتح حصوناً، وأحرق بلاداً كثيرة، وسبى، وغنم، وكثر راجعاً، فأخذت عليه الروم الدرب، فمنعوه من الرجوع، ووضعوا السيف في أصحابه، فما نجا في ثلاثمائة فارس، إلا بعد جهد جهيد.

وفيها كانت فتنة عظيمة، ببغداد، بين الرافضة، السنة، قُتل فيها خلق كثير.

وفيها في آخرها توفي أنوجور بن الإخشيد صاحب مصر، وقام بالأمر بعده أخوه علي.

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي، الذي كان صاحب الأمواز وواسط.

وفيها رجع حبيج مصر من مكة، فزولوا وادياً، فجاءهم سيل، فأخذهم كلهم، فالتقاهم في البحر عن آخرهم.

وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خركاه، فسُمو ترك إيمان، ثم خفف اللفظ بذلك، فقيل: تَرْكُمان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن حرب الكاتب، كانت له نعمة، وثروة عظيمة، تقارب أئمة الوزارة، فاجتاز يوماً، وهو راكب في موكب له عظيم، فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فصاح: اللهم بلّى. وكرّرها دفعات، ثم بكى، ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل إلى دجلة فاستتر بالماء، ولم يخرج منه حتى فرق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه، وودعها إلى أهلها، وتصديق بالباقي، ولم يبق له شيء بالكلية، فاجتاز به رجل، فتصدق عليه بثوبين، فلبسهما، وخرج فانقطع إلى العلم، والعبادة، حتى مات رحمه الله.

أبو علي الحافظ:

■ الحسين بن علي بن يزيد بن داود أبو علي الحافظ النيسابوي، أحد أئمة الحفاظ الثقاتين الكثيرين المصنفين.

قال الدارقطني: كان إماماً مهذباً.

وكان ابن عُقَدة لا يتواضع لأحد، كتواضعه له، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن اثنين وسبعين سنة. رحمه الله.

■ حسان بن محمد بن أحمد بن هارون، أبو الوليد القرشي الفقيه الشافعي، إمام أهل الحديث، بخراسان، في زمانه، وأزهدهم، وأعبدهم، أخذ الفقه عن ابن سُرَيج، وسمع الحديث من الحسن بن سفيان، وغيره، وله التصانيف المفيدة، وقد ذكرنا ترجمته في «طبقات الشافعيين».

وكانت وفاته ليلة الجمعة، لخمس ماضين من ربيع الأول، من هذه السنة، عن اثنين وسبعين سنة.

■ حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب: أبو سليمان الخطابي، سمع الكثير، وصنّف التصانيف، منها «المعالم»، شرح فيها سنن أبي داود، و«الأعلام»، شرح فيه البخاري، و«غريب الحديث». وله فَهْمٌ مليح وعلم غزير ومعرفة بالغة والمعاني والفقه. ومن أشعاره:

ما دُمْتُ حياً فدلّ الناس كلُّهم فإنما أنست في دار المسداوة
مَنْ يَنْزِرُ دَارِي وَمَنْ لَمْ يَنْزِرْ سَوْفَ يَرِي عما قبليل نديماً للندامات

هكذا ترجمه أبو الفرج بن الجوزي في «معتزله» حرفاً بحرف.

■ عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، كان من أعلم الناس بحروف القرآن ووجوه القراءات، وله في ذلك مصنفات، وكان من الأبناء الثقات، روى عن ابن مجاهد، وإبي بكر بن أبي داود، وعنه أبو الحسن الحُمَاني، توفي في شوال منها، ودفن بمقبره الحنيزران.

أبو أحمد

■ العسال الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان ابن محمد أبو أحمد العسال الأصماني، أحد الأئمة الحفاظ أكابر العلماء سمع الحديث وحَدَّثَ به.

قال ابن منده: كتبت عن ألف شيخ، لم أرَ فيهم أنقن من أبي أحمد العسال توفي في رمضان منها.

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة

في الحرم منها، مرض معز الدولة بن بويه، باحصر البول، فقلق من ذلك، وجمع بين حاجيه سُبُكِيَّين ووزيره المهلب، وأصلح بينهما، ووصّاهما بولده بختيار خيراً، ثم عوفي من ذلك، فعزم على الرحيل إلى الأهواز، واعتقد أن ما أصابه من هواء بغداد، ومائها، فأشير عليه بالمقام بها، وأن يبي بها داراً في أعلاها، حيث الهواء أرق، والماء أصفى، فبني له داراً، غرم عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه، ويقال: اتفق على هذه الدار ألفي ألف دينار، ومات وهو يبني فيها، وقد خرب أشياء كثيرة، من معالم بغداد في بنائها، وكان مما خرب، فيها المشوق من سُر من رأى، وقلع الأبواب الحديد، التي على مدينة المنصور، والرصافة وقصرها وحولها إلى داره هذه، لا تمت فرجة بها.

وفيها مات القاضي أبو السائب، عتبه بن عبد الله، وقبضت أملاكه، وولي بعده القضاء أبو عبد الله الحسن بن أبي الشوارب، وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مائتي ألف درهم، فخلع عليه معز الدولة، وسار معه والنداب، والبوقات إلى منزله، وهو أول من ضمن القضاء، ولم يأذن

له الخليفة المطيع لله، في الحضور عنده، ولا في حضور المركب، لأجل ذلك، ثم ضمن معز الدولة الشرطة، وضمن الحسبة أيضاً.

وفيها سار قَتْلٌ من أنطاكية، يريون طرسوس، وفيهم نائب أنطاكية، فثار عليهم الفرنج، فأخذوهم عن بكرة أبيهم، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً، في مواضع من يده.

وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة، بلاد الروم قتل وسى، وغنم، ورجع سالماً.

وفيها توفي الأمير.

■ عبد الملك بن نوح الساماني: صاحب خراسان، سقط عن فرسه، فمات، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني.

وفيها توفي

■ الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة، وترك أحد عشر ولداً، وكان أبيض، حسن الوجه عظيم الجسم، طويل الظهر، قصير الساقين، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين، من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وتلقب الفاطميين ببلاد المغرب، فتلقب بأمير المؤمنين قبل موته بثلاث وعشرين سنة، ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمستصر، ومن جملة أولاد الناصر عبدُ الله، وكان شافعي المذهب، ناسكاً، شاعراً، ولا يعرف في الخلفاء أطول مدةً من الناصر الأموي - فإنه مكث خمسين سنة - سوى المستصر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر، فإنه مكث ستين سنة، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو سهل بن زياد القَطَّان:

■ أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القَطَّان، كان ثقةً، حافظاً، كثير التلاوة للقرآن، حسن الاتراخ للمعاني منه، فمن ذلك، أنه استدل على تكفير المعتزلة، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عَيْنَيْنِ مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ٩٥].

■ إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الخطَّبي: سمع الحارث ابن أبي أسامة، وعبد الله بن أحمد الكديمي، وغيرهم، وعنه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وكان ثقة، حافظاً، فاضلاً نبلاً، عارفاً بأيام الناس والخلفاء، وله تاريخ مرتب على السنين، وكان أدبياً لبيباً، عاقلاً، صدوقاً، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة. رحمه الله.

■ أحمد بن محمد بن سعيد: بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم أبو بكر القرشي الوراق، ويُعرف بابن فطيس، وكان حسن الكتابة، مشهوراً بها، وكان يكتب الحديث لابن جوصا، ترجمه ابن عساكر، وأرخ وفاته، بثاني شوال، من هذه السنة.

■ غَاف بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو بكر الهاشمي العباسي، حَدَّثَ عن عبد الله بن أحمد، وعنه ابن زَرْقُون، توفي في هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة. أيضاً رحمه الله.

في جباب الزيت الماء، حتى فاض الزيت على وجه الأرض، وملك وكل شيء لا يقدر على حمله، أحرقوه وأقاموا في البلد تسعة أيام، يفعلون هذه المفاسد العظيمة، ثم عزم الدمستى على الانصراف، خوفاً من رجوع سيف الدولة، فقال له ابن أخته: أتذهب وترك القلعة، وراك؟ فقال له: إننا قد بلغنا فوق ما كنا نؤمله، وإن بها مقاتلة، ورجالاً غزاة، فقال: لا بد لنا منها فقال له: اذهب إليها فقصم لها ليحاصرها فرموه بحجر، فقتله في الساعة الراحنة، من بين الجيش كله، فغضب الدمستى عند ذلك الدمستى، وأمر بإحضار من في يديه من أسارى المسلمين، وكانوا قريباً من ألفين، فضربت أعناقهم بين يديه لعنة الله ثم كر راجعاً بقية الله ولعنة الله عليه.

وقد دخلوا عين زربة، قبل ذلك في الحرم من هذه السنة، فاستأنهم أهلها، فأمنهم الملك وأمر بأن يدخلوا كلهم إلى المسجد، ومن بقي في منزله، قتل، فصار أهلها كلهم في المسجد، ومن تأخر منهم قتل، ثم قال: لا يقين أحد من منكم اليوم، إلا ذهب حيث شاء، ومن تأخر قتل، فازدحوا في خروجهم من المسجد، فمات كثير منهم، وخرجوا على وجوههم، لا يدرون، أين يذهبون، فمات في الطرقات منهم خلق كثير. ثم هدم الجامع، وكسر المنبر، وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة، وهدم سور البلد، والمنازل المشار إليها منها، وأقام بها مدة، وفتح حولها أربعة وخمسين حصناً، بعضها بالسيوف، وبعضها بالأمان، وقتل خلقاً كثيراً، وأسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة، وكان شاعراً مطلقاً، له ديوان شعر حسن، وكان مدة مقامه بعين زربة أحدًا وعشرين يوماً، ثم سار إلى قيسارية، فلقى أربعة آلاف من أهل طرسوس، مع نائبها ابن الزيات، فقتل أكثرهم، وأدركه صوم النصارى، فاشتغل به، حتى فرغ منه، ثم هجم على حلب بعتة، وكان من أمره ما ذكرناه أيضاً.

وفي هذه السنة كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد ببغداد: لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن الله من غصب فاطمة حقها، يعنون أبا بكر رضي الله عنه، ومن أخرج العباس من الشورى، يعنون عمر ش ومن نفى أبا ذر - يعنون عثمان ش - ومن منع دفن الحسن عند جده - يعنون مروان بن الحكم، ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره، ولم يغيره، ثم بلغه أن أهل السنة، مَحَوْا ذلك فأمر بأن يكتب لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين، والتصريح باسم معاوية في اللعن، فأمر بكتب ذلك، قبحه الله شيعته من الروافض، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب، فيه تشيع، وميل إلى الروافض، ولا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء، ويدل عليهم أعداءهم، لمسايتهم أهواءهم، وتقليد هم ساداتهم، وكبراءهم، وآباءهم، وترك متابعتهم أنبياءهم، وعلماءهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد الشام، استحوذ على سواحل الشام، وبلاد الشام كلها، حتى بيت المقدس الفرنج، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب، وحمص، و حماة، ودمشق، وبعض أعمالها، وجميع السواحل مع الفرنج، والنواقيس النصرانية، والقسوس الإنجيلية، تضرب في شواطئ الحصون، والقلاع، وتكفر في أماكن المساجد، شريف البقاع.

وفيها وقعت فتنة، بين أهل البصرة، بسبب المذاهب، قُتِل فيها خلق كثير، وجم غفير. وفيها أعاد سيف الدولة بناء عين زربة، وبعث مولاة نجا، فدخل بلاد الروم، فقتل منها خلقاً كثيراً وسبى جمّاً غفيراً، وغنم وسلم وبعث حاجبه مع جيش طرسوس، فدخلوا بلاد الروم، فغنموا، وسبوا ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة.

■ الحسين بن القاسم: أبو علي الطبري الفقيه الشافعي، أحد الأئمة، له «الحرر» في الخلاف، وهو أول مُصَنَّف فيه، وله «الإفضاح» في المنعجب، وكتاب في الجدل، وكتاب في أصول الفقه، وغير ذلك من المصنفات، وقد ذكرناه ترجمته في «الطبقات».

■ عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أبو جعفر الهاشمي الإمام، ويعرف بابن بُزْءٍ ولد سنة ثلاث وستين ومائتين، روى عن ابن أبي الدنيا وغيره، وعنه ابن رزقوة، وكان خطيباً بجامع المنصور مدة طويلة وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمائة وقبلها بمئة سنة خطب فيه الراجست سنة ثلاثين ومائتين وهما في النسب إلى المنصور سواء توفي في صفر منها.

■ غنية بن عبد الله بن موسى بن عبيد الله أبو السائب المملاني القاضي الشافعي، كان فاضلاً بارعاً، تقدم، وولي القضاء، وكان فيه تخليط في الأمور، وقد رآه بعضهم في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وأمر بي إلى الجنة، على ما كان مني من التخليط، وقال لي: إنني أليت، أن لا أعذب أبناء الثمانين.

وهذا الرجل، أول من ولي قضاء القضاة ببغداد، من الشافعية. ■ محمد بن أحمد بن خنيس بن أحمد بن راجيائ: أبو بكر الدهقان، ببغداد، سكن بخارى، وحدث بها، عن يحيى بن أبي طالب، وألحسن بن مكرم، وغيرهما، وتوفي عن سبع وثمانين سنة. ■ أبو علي الخازن: توفي في شعبان منها، فوجد في داره من الدفاتر، وعند الناس من الودائع، ما يقارب أربعمئة ألف دينار والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

دخول الروم إلى حلب

فيها دخل الدمستى ملك الروم لعنة الله إلى حلب، في مائتي ألف مقاتل، وكان سبب ذلك، أنه ورد إليها بعتة، فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان، بمن حضر من أصحابه فقاتله، فلم يقر به، لكثرة جنوده، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً، وكان سيف الدولة قليل الصبر، ففر منهزماً في نفر يسير من أصحابه، فكان أول ما استفتح به أن استحوذ على دار سيف الدولة، ظاهر البلد، فأنخذ ما منها أموالاً عظيمة وحواصل، وعُدداً للحرب لا تحصى كثرة، ثم تدنى فحاصر السور فقاتل أهل البلد دونه، قتالاً عظيماً، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم، وتلصقت الروم بسور حلب ثلثة عظيمة، فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم، فازاحوهم عنها، فلما جن الليل، جد المسلمون في عمارتها، فما أصبح الصباح، إلا وهي كما كانت، وحفظوا السور حفظاً عظيماً، ثم بلغ المسلمون أن رجاله الشرط، قد عاثوا في البلد، ينهبون البيوت، فرجع الناس إلى منازلهم، ودخلوا البلد، يقتلون من لقوه، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً بمنعوتها منهم، وغلبت الروم على السور، وأتتهوا الأموال والأولاد والنساء، وخلصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم، وكانوا ألفاً وأربعمئة، فأنخذوا السيوف، وقاتلوا مع قومههم، وكانوا أضرى على المسلمين، وأسروا نحواً من بضعة عشر ألفاً، ما بين صبي، وصبيّة، ومن النساء شيئاً كثيراً، ومن الرجال ألفين، وخرّبوا المساجد، وأحرقوها، وصبّروا

وتسعين سنة رحمه الله.

■ عبد الباقي بن قانع: بن مرزوق أبو الحسين الأموي مولاهم، سمع الحارث بن أبي أسامة، وعنه الدارقطني، وغيره، وكان من أهل الثقة والأمانة والحفظ، ولكنه تفرغ في آخر عمره.

قال الدارقطني: كان يخطئ، ويصُرُّ على الخطأ، توفي في شوال منها.

أبو بكر

■ النقاش المفسر: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر، أبو بكر النقاش المفسر المقرئ، مولى أبي دُجانة سماك بن خرشة، وأصله من الموصل، كان علماً بالتفسير، والقراءات، وسجع الكثير في بلدان شتى عن خلق من المشايخ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد، والحلدي وابن شاهين وابن زرقويه وخلق، وآخر من حدث عنه أبو علي بن شاذان، وتفرَّد بأشياء منكرة وقد وثقه الدارقطني، على كثير من أخطائه، فرجع عن ذلك، وصرح بعضهم بتكذيبه، والله أعلم، وله كتاب التفسير، الذي سماه «شفاء الصدور»، وقال بعضهم بل هو سقام الصدور.

وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه، عابداً ناسكاً، حكى من حضره، يهود بنفسه، ويدعو بدعاه، ثم رفع صوته يقول: ﴿لَيْتَ هَذَا قَلْبُكُمْ لِقَائِ الْوَلَدِ﴾ [الصفات: ٢٦١] يرددّها ثلاث مرات، ثم خرجت روحه، رحمه الله. وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء، الثاني من شوال من هذه السنة، ودفن بداره، بدار القطن.

■ محمد بن سعيد أبو بكر الحزبي الزاهد، ويعرف بابن الضير، كان ثقة عابداً. ومن قوله: دافعت الشهوات حتى صارت شهرتي المداغلة.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بسن بويه فيحه الله أن تغلق الأسواق، وأن يلبس الناس المسوح من الشعر، وأن تخرج النساء حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن، في الأسواق يطمعن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب فُعل ذلك، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك، لكثرة الشيعة، وظهورهم، وكون السلطان معهم.

وفي ثامن عشر ثامن الحجة منها، أمر معز الدولة بسن بويه، بإظهار الزينة في بغداد، وأن تفتح الأسواق بالليل، كما في الأعياد، وأن تصرف الدبابد والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء، وعند الشرط، فرحاً بعيد الغدير - غدير خم - فكان وقتاً عجيباً ويوماً مشهوراً، وبدعة ظاهرة منكرة.

وفيها أغارت الأرمن على الرها، فقتلوا وأسروا، ورجعوا ومقرين لعنهم الله، ثم ثارت الروم ملكهم، فقتلوه، ولوا غيره، ومات الدمستق ملك الأرمن، واسمه التفقور، وهو الذي أخذ حلب، ولتُكتب ترجمته في آخر الجزء.

وفيها عزل ابن أبي الشوارب عن القضاء، ونُقصت سجلاته، وأبطلت أحكامه مدة أيامه، وولي القضاء أبو بشر عمر بن أكرم بلا رزق، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبي الشوارب في كل سنة والله الحمد.

وفي ذي الحجة استسقى الناس، لتأخر المطر وذلك في كانون الثاني. وحكى ابن الجوزي في «المنتظم»، عن ثابت بن سنان المؤرخ قال: حدثني جماعة من أهل الموصل ممن أثق بهم، أن بعض بطارقة الأرمن، أنفذ في سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة، إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من

وفيها فتح المعز الفاطمي حصن طبرمين من بلاد المغرب - وكان من أحصن بلاد الفرنج - افتحه قسراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف، وقصد الفرنج جزيرة إقريطش، فاستجد أهلها بالمعز، فسير إليهم جيشاً، فانصروا على الفرنج، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن محمد بن هارون: أبو محمد المهلب الوزير لمعز الدولة ابن بويه، مكث في وزارته ثلاث عشرة سنة، وكان فيه حلم وكرم وأناة.

حكى أبو إسحاق الصائغ قال: كنت يوماً عنده، وقد جيء بدواة، قد صُنعت له ومرفع، قد حليا بحلية كثيرة، فقال لي أبو محمد الفضل بن عبد الله الشيرازي - سرا بيني وبينه: ما كان أحوجي إليها، لأبيها، وانتفع بها. قلت: وأي شيء يفعل الوزير؟ فقال: يدخل في حجر أبيه فسمعها الوزير، - وكان مصغ لنا ولا نشعر - فلما أمسى، بعث بالدواة إلى أبي محمد الشيرازي، ومرفعها، وعشرة ثياب، وخمسة آلاف درهم، واصطنع له غيرها فاجتمعنا يوماً آخر عنده، وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة، فنظر إلينا، فقال: هيبه منكم ما يريدكم مع الإغناء من الدخول؟ قال: فاستحيينا وعلمنا أنه كان سمع كلامنا يومئذ وقتنا: بل يجتمع الله الوزير بها ويقبه ليهب ألفاً مثلها.

توفي أبو محمد المهلب في هذه السنة عن أربع وستين سنة.

■ دُخلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن: أبو محمد السجستاني المَعْدَل، سمع بخراسان، وحلوان، وبغداد، والبصرة، والكوفة ومكة، وكان من ذوي اليسار، والمشهورين بالبر والإفضال، وله صدقات، جارية، وأوقاف دارّة، على أهل الحديث، ببغداد، ومكة وسجستان.

وكانت له دار عظيمة ببغداد، فكان يقول: ليس في الدنيا مثلها؛ لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا في بغداد مثل القطيعة، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف، ولا في درب أبي خلف مثل داري.

وصنف الدارقطني له مسنداً وكان إذا شك في حديث، تركه، وكان الدارقطني يقول: لم أر في مشايخنا أثبت منه.

وقد اتفق في أهل العلم وذوي الحاجات، أمواًل جزيلة، كثيرة جداً، اقترض منه بعض التجار عشرة آلاف دينار، فضمن بها ضياعاً، فربح في مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار، فعزل منها عشرة آلاف دينار، وجاءه بها، فأضافه دُخلج ضيافة حسنة، فلما فرغ من شأنها قال: ما شأنك؟ قال له: هذه اللناير التي تفضلت بها، قد أحضرت، فقال: يا سبحان الله! إني لم أعطكها لتردها، فحلّ بها الأهل. فقال: إني قد رحمت ثلاثين ألف دينار. فهذه منها. فقال له دعلج: اذهب بها بارك الله لك، فقال له: كيف يتسع مالك لهذا؟ ومن أين أفدت هذا المال؟ فقال: إني كنت في حادثة سني، أطلب الحديث، فجاءني رجل تاجر، من أهل البحر، فدفع لي ألف ألف درهم، وقال: انجر في هذه، فما كان من ربح بيني وبينك، وما كان من خسارة فعلى دونك، وعليك عهد الله وميثاقه، إن وجدت ذا حاجة، أو خلة، إلا سدتها من مالي هذا. ثم جاءني فقال: إني أريد الركوب في البحر، فإن هلك، فالل في يدك، على ما شرطت عليك فهو في يدي على ما قال لي، ثم قال: لا تخبر بهذا أحداً مدة حياتي، فلم أخبر به أحداً حتى مات.

وقد كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس

إلى نفسه، وتسمى بالمهدي، وكان أصله من بغداد، وعظم شأنه بتلك البلاد، وهرب منه ابن الناصر العلوي.

وفيها قصد ملك الروم، وفي صحبته الدمستق ملك الأرمن، بلاد طرسوس، فحاصروها مدة، ثم غلب عليهم الأسعار، وأخذ فيهم الرياء، فمات كثير منهم فكَرُوا راجعين، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَزَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَأْتَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكان من عزمهم، أنهم يستحذون على البلاد كلها، فرجعوا خاسئين.

وفيها كانت وقعة الحجار ببلاد صقلية؛ وذلك أنه أقبل من الروم خلقٌ كثيرٌ، ومن الفرنج ما يقارب المائة ألف، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستتجدونه، فبعث إليهم بجيوش كثيرة في الأسطول، فكانت بين المسلمين والمشركن وقعة عظيمة، صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر، ثم قتل أمير الروم منويل، وفُرت الروم، وانهزموا هزيمة قبيحة، فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً، وسقط الفرنج في واد من الماء عميق ففرق أكثرهم، وركب الباقيون في المراكب، فبعث الأمير أحمد، صاحب صقلية، في آثارهم مراكب آخر، فقتلوا أكثر المشركن في البحر أيضاً، وغنم المسلمون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة، فكان في جملة ذلك سيف مكروب عليه: هذا سيف هندي، زنته مائة وسبعون مثقالاً، طالما قوتل به بين يدي رسول الله ﷺ، بُعث في جملة تحف، إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية. وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدحهم بمخيد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة وكانت من حديد، حتى أخذ أواقي الباعة وأرسل بذلك كله إليهم، حتى قالوا: اكفيننا.

وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له في دخول دار الخلافة، ليتفرج فيها، فأذنه له، فدخلها، فبعث خادمه وحاجبه معه، فظافوا معه فيها، وهو مُسَرَّعٌ خائفٌ، ثم خرج، وقد خاف من غائلة ذلك، وخشى أن يقتل في بعض الدعايليز، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج، شكرًا لله على سلامته، وازداد حباً في الخليفة المطيع لله من يومئذ، وكان في جملة ما رأى من العجائب فيها صنم من نحاس، على صورة امرأة حسناء جداً، وحوها أصنامٌ صفراء، في هيئة الخدم لها، كان قد أتى به في زمن المعتذر، فأقيم هناك ليتفرج عليه الجوارى والنساء، فهم معز الدولة، أن يطلبه من الخليفة، ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها، خرج رجل بالكوفة، فادّعى أنه علوي، وكان يتبرقع، فسمي المُتَبَرِّق، وغلظت قتيته، وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد، واشتغاله بأمر الموصل، وناصر الدولة بن حمدان، فلما توطدت الأمور وعاد إلى بغداد، اختفى المُتَبَرِّق، وذهب في البلاد، فلم يُعْثَ له أمر بعد ذلك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بكار بن أحمد بن بكار بن بُنان بن بكار بن زياد بن درسويه أبو عيسى المقرئ، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد، وعنه أبو الحسن الحمّامي، وكان ثقة، أقرأ القرآن أَرْبَعًا من ستين سنة، رحمه الله وكانت وفاته في ربيع الأول منها، وقد جاوز السبعين، وقارب الثمانين، ودفن بمقبره

الأرمن، مُلْتَصِقِينَ، سنهما خمس وعشرون سنة، ملتحمين، ومعهما أبوهما، ولهما سرتان، ويطنان، ومعدتان، وجوعهما يختلف وكان أحدهما يميل إلى النساء، والآخر يميل إلى الغلمان، وكان يقع بينهما خصومة، وتشاجر، وربما حلف أحدهما لا يكلم الآخر، فبعث كذلك أياماً، ثم يصطلحان، فومهما ناصر الدولة الذي درهم، وخلع عليهما، ودعاهما إلى الإسلام، فيقال إنهما أسلما. وأراد أن يعينهما إلى بغداد، ليراهما الناس، ثم رجع عن ذلك، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما، مع أبيهما، فاعتل أحدهما ومات، وأنتن ريح، وبقي الآخر، لا يمكنه التخلص منه، وقد كان اتصال ما بينهما من الحاصرتين، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر، وجمع الألباء لذلك، فلم يمكن، فلما مات أحدهما، حار أبوهما في فصله عن أخيه، فاتفق اعتزال الآخر، من غمه، ونفن راحة أخيه، فمات غمًا، فدفنا جميعاً في قبر واحد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عمر بن آكثم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدي الفقيه الشافعي، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين، وولي القضاء في زمن المطيع، نيابة عن أبي السائب عتبة بن عبيد الله، ثم ولي قضاء القضاة، وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشافعية، سوى أبي السائب. وكان محمود السيرة في القضاء، وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين، كما تقدّم في السنة الماضية، فاقبل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتلاً شديداً، وانتهت الأموال.

وفيها عصى نَجَبًا غلام سيف الدولة عليه، وذلك أنه كان في العام الماضي، قد صادر أهل حران، فأخذ منهم أموالاً كثيرة فتمرد بها، وذهب إلى أذربيجان، وأخذ طائفة منها، من يد رجل من الأعراب، يقال له أبو الورد، فقتله، وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً، وقويت شوكته بسبب ذلك، فسار إليه سيف الدولة فأخذه، وأمر بقتله فقتل بين يديه، وألقيت جيفته في الأقدار وحمل الجيف والنتن.

وفيها جاء الدمستق إلى المصيصة في جيش كثيف فحاصرها ونقب سورها، فدافعه أهلها فأحرق رستاقها، وقتل من حولها خمسة عشر ألف إنسان، وعاثوا فساداً في بلاد أذنة وطرسوس، وكروا راجعين إلى بلادهم قتيحهم الله.

وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر، فأخذها من يد ناصر الدولة بن حمدان ثم سار في طلب ناصر الدولة فكَرَّ ناصر الدولة في جيش قد هبّاه، فاسترجع الملك من يد المعز الدولة، فعاد معز الدولة فآخذ الموصل، وأقام بها، فراسله في الصلح صاحبها، فاصطلحا على أن يكون الحمل في كل سنة، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة، ولي عهد أبيه من بعده، فأجاب معز الدولة إلى ذلك وكر راجعاً إلى بغداد، بعد ما جرت له خطوب عظيمة طويلة قد استقصاها ابن الأثير في «كامله» وبسطها.

وفيها ظهر رجل ببلاد الدليم، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسن بن علي، ويُعرف بابن الداعي، فالتف عليه خلقٌ كثيرٌ، ودعا

الحيزوان عند قبر أبي حنيفة.
أبو إسحاق

■ **الْهَجَمِيّ:** وُلِدَ سنة خمسين ومائتين، وسمع الحديث، وكان إذا سئل أن يحدث، يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة، فأبى الله قسمه، وجاوزها فاسمع، توفي عن مائة سنة وثلاث سنين رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها، عملت الشيعة المآثم، على ما تقدّم في الستين الأوائت، وغلقت الأسواق، وعلقت المسوح، وخرجت النساء سافرات، ناشرات، ينحن، ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة، وهذا تكلف لا حاجة إليه في الدين ولا في الدنيا، ولو كان هذا أمراً محموداً لكان صدر هذه الأمة وخيرتها هم أولى به إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه وأهل السنة يقتنون، ولا يتندعون، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض، فكبسوا مسجد بزازا الذي هو عَشْرُ الروافض، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة.

وفيها، في رجب منها، جاء ملك الروم، بجيوش كثيفة إلى المصيصة، ففتحها قسراً، وقتل من أهلها خلقاً، واستاق بقيتهم معه أسارى، وكانوا قريباً من مائتي ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء إلى طرسوس، فسأل أهلها منه الأمان، فأثبهم، وأمرهم بالجلاء عنها، والانتقال منها، فاتخذ الجامع اسطبلًا لخيوله، وحرّق المنبر، ونقل قناديله إلى كنائس بلده، وتصر بعض أهلها معه لعنة الله.

وكان أهل طرسوس، والمصيصة، قد أصابهم قبل هذا البلاء غلاء عظيم، ووباء شديد، بحيث كان يموت منهم في اليوم الواحد ثلاثمائة نفر، ثم دعمهم هذا الأمر الشديد، فانتقلوا من شهادة، إلى شهادة، أعظم منها. وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس، ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين، ثم عَنَ له، فسار إلى القسطنطينية، وفي خدمته الدمستق، ملك الأرمن لعنهما الله.

وفيها جعل أمر تفسير الحجيج إلى نقيب الطالبيين وكتب له منشور بالقنابة والحجيج وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي، وهو والد الرضي المرتضى.

وفيها توفيت أخت معز الدولة، فركب الخليفة في طيّارة، وجاء إليه فعرّاه، فقبل معز الدولة الأرض بين يديه، وشكر له سعيه إليه، وصدقته عليه.

وفي ثامن عشر ذي الحجة عملت الروافض عيد غدير خُم، على العادة الجارية التي ذكرناها.

وفيها تغلب على أنطاكية، رجل يقال له: رَشِيقُ النُّسَيْمِي، بمساعدة رجل يقال له: ابن الأهوازي، وكان يضمّن الطواحين، فأعطاه أموالاً، وأطعمه في أخذ أنطاكية، وأخبره أن سيف الدولة قد اشغل عنه بميفارقين، وعجز عن الرجوع إلى حلب، فتم لهما ما راماه من أخذ أنطاكية، ثم ركبا منها في جيوش إلى حلب، فجرت بينهما، وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة، ثم أخذ البلد، وتحصن النائب بالقلعة، وجاءت النجدة من سيف الدولة إلى حلب، مع غلام له اسمه بشارة، فانهزم رشيق، فسقط عن فرسه، فابتدره بعض الأعراب، فقتله، وأخذ رأسه، فجاء به إلى حلب، واستقل ابن الأهوازي سائرًا إلى أنطاكية، فأقام رجلاً من الروم، اسمه دزير

فسماه الأمير، وأقام آخر من العلويين، لي يجعله خليفة، وسماه الأسناذ، فقصده نائب حلب وهو قرعويه، فاقتلا قتالا شديداً فهزمه ابن الأهوازي واستقر بأنطاكية، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب، لم يبت بها إلا ليلة واحدة، حتى سار إلى أنطاكية، فاقتلوا قتالاً عظيماً، ثم انهزم دزير وابن الأهوازي، وأسرا، فقتلهم سيف الدولة بن حمدان.

وفيها ثار رجل من القرامطة، اسمه مروان، كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة بمحض، فملكها وما حولها، فقصده جيش من حلب، مع الأمير بدر، فاقتلوا معه، فرماه بدر بسهم مسموم، فأصابه، واتفق أن أسر أصحاب مروان بدرًا، فقتله مروان بين يديه صبرًا، ومات مروان بعد أيام، وتفرق أصحابه فيقبحهم الله.

وفيها عصى أهل سجستان أميرهم خلف بن أحمد، وذلك أنه حجّ في سنة ثلاث وخمسين، واستخلف عليهم طاهر بن الحسين، فطمع في الملك بعده، واستمال أهل البلد، فلما رجع من الحج، لم يسلمه البلد، وعصى عليه، فذهب إلى بخارى، إلى الأمير منصور بن نوح الساماني، فاستجده، فبعث معه جيشًا، فاستقذ البلد من طاهر، وسلمها إلى الأمير خلف بن أحمد وقد كان خلف عالمًا محبًا للعلماء - فذهب طاهر، فجمع جوعاً ثم جاء فحاصر خلفًا، وأخذ منه البلد. فرجع خلف إلى الأمير منصور الساماني، فبعث معه من استرجع له البلد ثانية، وسلمها إليه، فلما استقر خلف بها، وتمكن فيها، منع ما كان يحمّله من الهدايا، والتحف، والحلج، إلى الأمير منصور الساماني ببخارى، فبعث إليه جيشًا فتحصّن خلف في حصن، يقال له: حصن أُرْك، فنازله الجيش فيه، تسع سنين، لم يقدروا عليه، وذلك لمناعة هذا الحصن، وصعوبته، وعمق خندقه، وارتفاعه، وسيأتي ما آل إليه أمره بعد ذلك.

وفيها قصدت طائفة من الأتراك بلاد الخزر، فاستنجد الخزر، بأهل خوارزم، فقالوا: لو أسلمتم نصرناكم فأسلموا إلا ملككم، فقاتلوا معهم الترك، فأجلوهم عنهم، ثم أسلم الملك بعد ذلك، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **المتي الشاعر المشهور أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفيّ الشاعر المعروف بالمتي،** كان أبوه يعرف بعيدان السقاء، وكان يستقي الماء لأهل الكوفة، على بعير له، وهو شيخ كبير.

وعبدان هذا، قال ابن مأكولا، والخطيب: هو بكسر العين، وبعدها ياء مثناة من تحت، وقيل: بفتح العين لا كسرًا، فالله أعلم.

كان مولد المتي بالكوفة، سنة ست وثلاثمائة، ونشأ بالشام، بالبادية، وطلب الأدب، ففاق أهل زمانه فيه، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان، وامتداحه، وحظي عنده، ثم صار إلى مصر، فامتدح كافورًا الإخشيدي، ثم هجاء، وهرب منه، وورد بغداد، فامتدح بعض أهلها وقرئ عليه ديوانه فيها.

وقدم الكوفة، فامتدح ابن العميد، فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار، ثم سار إلى فارس، فامتدح عضد الدولة بن بويه، فاطلق له أموالاً جزيلة، تقارب مائتي ألف درهم، وقيل: بل حصل له نحو من ثلاثين ألف دينار، ثم دس إليه من يسأله: أيما أحسن عطايا، عضد الدولة بن بويه، أو عطايا سيف الدولة بن حمدان؟ فقال: هذه أجزل، ولكن فيها تكلف، وتلك أقل، ولكن عن طيب نفس من معطيها، لأنها عن طبيعة، وهذه عن تكلف.

الشعراء المتقلمين، وهو عندني بخط يده، فيما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء، مع تقدم أمره، وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي في «مئتمنه» قطعاً راقية، استحسنتها من ديوانه، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر، شيخ إقليمه حافظ زمانه.

فما استحسنته أستاذ الروعاظ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي قول المتنبي:

عزيز أسمى من داؤه الحنقُ النَجْلُ عيابه مات المَجُون من قبلُ
فمن شاء فليظفر لي فَمَنْظَرِي نذير لي من ظن أن الهوى سَهْلُ
جري حبها مجرى دمي في مفاصلي فاصْبِح لي عن كل شغلٍ بها شغلُ
ومن جسدي لم يترك الشَّغْمُ شغرةً فما فوقها إلا وفيه له فغلُ
كان رقيباً منك سداً ماسمي عن العذل حتى ليس يدخلها العذلُ
كان سهاد الليل يعشق مُقَلَّتي فيهنما في كل هَجَرٍ لنا وحلُ
ومن ذلك قوله:

كشفت ثلاث ذنائب من شعرها في ليلة فارت لبالي أرعها
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقتٍ معاً
ومن ذلك قوله:

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ولا سمعت بحري بابلُ
وإذا أتتكَ مذممتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني فاضلُ
من لي بفهم أهبل عصر يدعي أن يحسب الهندي منهم باقلُ
ومن ذلك قوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقه بُدُ
وقوله:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسامُ
وقوله:

ومن صحب الدنيا طويلاً قلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً
وله أيضاً:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يفيك عن رُحَلٍ
وله في مدح بعض الملوك الذين كانوا يستمتع منهم العطاء

نقصي الموابك والأبصارُ شاخصةً منها إلى الملك اليمون طائرُهُ
قد حزن في بشر في تاجه قمر في دوعه أسد تَدَلَّى أظفارُهُ
حلوا خلاقه شوس حقايقه يحصى الحصى قبل أن تُحصى مآثرُهُ
ومنها قوله:

يا من السود به فيما أومله ومن أعوذ به ما أحانزُهُ
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهبطون عظماً أنت جابرُهُ

وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي، هذه المبالغة، ويقول: إنما يصلح هذا، لجناب الله عز وجل.

واخبرني العلامة شمس الدين بن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ يقول: ربما قلت هذين البيتين في السجود.

فذكر ذلك لعبد الدولة، فتخبط عليه، ودس إليه طائفة من الأعراب، فوقعوا له في أثناء الطريق.

وهو راجع إلى بغداد، ويقال: إنه قد كان هجاً مُقَدَّمهم ابن فاتك الأسدي وقد كانوا يقطعون الطريق فلهاذا أوعز إليهم عضد الدولة، أن يتعرضوا له، فيقتلوه، ويأخذوا ما معه من الأموال، فأتوها إليه وهم ستون ركباً، في يوم الأربعاء، وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام، وقيل: بل قتل في يوم الاثنين، لحمس بقين من رمضان، ويقال: بل كان ذلك في شعبان، وقد نزل عند عين تحت شجرة إجماص، وقد وضعت سفرته ليتغدى، ومعه ولده مُحَسَّدٌ، وخمسة عشر غلاماً له، فلما رآهم قال: هلموا يا وجوه العرب، فلما لم يكلموه، أحس بالشر، فنهض إلى سلاحه وخيله، فتواقفوا ساعة، فقتل ابنه مُحَسَّدٌ، وبعض غلمانه، وأراد هو أن يهزم فقال له مولى له: أين تذهب وأنت القاتل:

فالحيلُ واللبلُ والبيدُ تعرفني والحربُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ
فقال له: ويحك! قتلتني، ثم كرّ راجعاً، فطعن زعيم القرم، برمح في عنقه، فقتله، فاجتمعوا عليه فشجروه بالرماح، حتى قتلوه، وأخذوا جميع ما كان معه من الأموال، وذلك بالقرب من النعمانية، وهو آيب إلى بغداد، ودفن هنالك، وله من العمر ثمان وأربعون سنة.

وذكر ابن عساكر، أنه لما نزل في المنزلة، التي كانت قبل منزلته هذه، سأله بعض الأعراب، أن يعطيهم خمسين درهماً، ويخبرونه، فمنعه الشُّعْ، والكبر، ودعوى الشجاعة من ذلك.

وقد كان المتنبي جعفي النسب صلبُهُ منهم، وقد ادّعى، حين كان مع بني كلب، بأرض السماوة، قريباً من حمص، أنه علوي، ثم حَسَنِي ثم ادعى أنه نبي، فاتبعه جماعة من جهلهم، وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن، فمن ذلك: والتجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي أخطار، امض على ستك واقف أثر من كان قلبك من المرسلين، فإن الله قامع بك من الخد في دينه، وضل عن سبيله، وهذا من خذلاته، وكثرة هذيانه، في قرآنه، ولو لزم قافية مدحه، والهجاء، لكان أشعر الشعراء، وأفصح الفصحاء. ولكن أراد بجهله، وقلة عقله، أن يقول ما يشبه كلام رب الأرض والسماء، الذي لا يشبه شيء من الأشياء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله وأحواله، تعالى الله خالق الأشياء.

ولما اشتهر خبره بأرض السماوة، وأنه قد التف عليه جماعة من أهل النباوة، خرج إليه نائب حمص من جهة بني الإخشيد، وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه، فقاتله، وشرّد شمله، وأسرّه وسجنه دهرًا طويلاً، فمرض في السجن، وأشرف على التلف، فاستحضره، واستأبّه، وكتب عليه كتاباً، اعترف فيه بطلان ما ادّعاء، وأنه قد تاب من ذلك، ورجع إلى دين الإسلام، وأطلق سراحه، فكان بعد ذلك، إذا ذكر بهذا، يبجله إن أمكنه جعده، وإلا اعتز منه، واستحيا، وقد اشتهر بلفظة، تدل على كذبه، فيما كان ادّعاء من الإنفك والبهتان وهي لفظة «المتنبي»، الدالة على الكذب، ولله الحمد والمنة.

وقد قال بعضهم بجهوه:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكثرة وعشياً
عاش حيناً يسع في الكوفة المأوى وحيناً يسع ماء الحيا
وللمتنبي ديوان مشهور في الشعر، فيه أشعار راقية، ومعان ليست بمسبوقة، بل مبتكرة سابقة. وهو في الشعراء المحدثين، كرامئ القيس في

وما أورده الحافظ أبو القاسم بن عساكر من شعر المتني في ترجمته قوله:

وبعين مفتقر إليك رأيتني فهجرتني ونزلت بي من عالي
لست الملووم أنا الملووم لأنسي أنزلت حاجاتي بنير الخالق

قال القاضي ابن خلكان **رويات الأعيان ١/١٢١**: وهذا البيت ليسا في ديوانه، وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه، بسند صحيح.

ومن ذلك قوله:

إذا غامرت في شرفٍ مسرورٍ فلا تنزع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمٍ

ومن ذلك قوله:

وما أنا بالباغي على الحب رشوةً قبيح هوى يرجى عليه نساب
إذا نلت منك الود فالكل هين وكل السذي فوق التراب تراب

وقد تقدم، أنه ولد بالكوفة، سنة ست وثلاثمائة، وأنه قتل في رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

قال ابن خلكان **رويات الأعيان ١/١٢٢**: وقد فارق سيف الدولة بن حمدان، ست وأربعين، لما كان من ابن خالويه، ما كان من ضربه إياه، بمفتاح في وجهه، فأدماه، فصار إلى مصر، فامتدح كافوراً الإخشيد، وأقام عنده أربع سنين، وكان المتني يركب في جماعة من عماليكه، فتوهم منه كافور فجأة، فخاف منه المتني، فهرب، فأرسل في أثره، فأعجزه، فقبل لكافور: ما قيمة هذا حتى توهم منه؟ فقال: هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ﷺ، أفلا يروم أن يكون ملكاً بلبار مصر؟

ثم صار المتني إلى عضد الدولة، فامتدحه، فأعطاه مالا كثيراً، ثم رجع من عنده، فعرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي، فقتله، وابنه محمداً، وغلامه مفلحاً، يوم الأربعاء لست بقين من رمضان وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان. وقيل: يوم الاثنين لثمان - وقيل: لخمس - بقين منه. وذلك بسواد بغداد.

وقد رثاه الشعراء، وقد شرح ديوانه العلماء، بالشعر، واللغة، نحواً من ستين شرحاً، وجزاً، وبسيطاً.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً

أبو حاتم البستي بن حبان صاحب الصحيح.

■ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي، صاحب «الأنواع والتفاسيم»، وأحد الحفاظ الكبار، المصنفين المجتهدين، رحل إلى البلدان، وسمع الكثير من المشايخ، ثم ولي قضاء بلدته، ومات بها، في هذه السنة، وقد حاول بعضهم الكلام فيه، من جهة معتقده، ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة، وهي نزعة فلسفية، والله أعلم بصحتها عنه، وقد ذكرته في «طبقات الشافعية».

■ محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسّم أبو بكر بن مقسّم العطار المقرئ، ولد سنة خمس وستين ومائتين، وسمع الكثير من المشايخ، روى عنه الدارقطني، وغيره، وكان من أعرف الناس بالقراءات، وله كتاب في النحو، على طريقة الكوفيين، سماه كتاب «الأنوار».

قال ابن الجوزي **الخطم ١٤/١٧٠**: ما رأيت مثله، وله تصانيف أخرى، ولكن تكلم الناس فيه، بسبب تفرده بقراءات لا تجوز عند الجميع، وكان يذهب إلى أن كل ما لا يخالف الرسم، ويسوغ من حيث المعنى، واللفظ تصح القراءة به بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتِشِيرُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] أي يتناجون. قال لو قرئ نجيّاً من النجابة لكان قوياً وقد ادّعى عليه، وكتب عليه مكتوب، أنه قد رجع عن مثل ذلك، ومع هذا لم يته، عما كان يذهب إليه، حتى مات قاله ابن الجوزي.

■ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عيّونيه: بن موسى أبو بكر الشافعي، ولد بمجمل سنة ستين ومائتين، وسمع الكثير، وسكن بغداد، وكان ثقة ثباتاً، كثير الرواية، سمع منه الدارقطني، وغيره من الحفاظ، وكان يحدث بفضائل الصحابة، حين منعت الديلم من ذلك جهة في الجامع، بمدينة المنصور، مخالفة لهم، وكذلك في مسجده بباب الشام. توفي في هذه السنة، عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى بمته وكريه.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم عملت الروافض ببغداد بدعتهم الشنعاء، وفتتهم الصلحاء.

وفيها أختت القرامطة المجرىون عمان.

وفيها قصدت الروم آمد، فحاصروها، فلم يقدروا عليها، ولكن قتلوا من أهلها ثلاثمائة، وأسروا منهم أربعمائة، ثم ساروا إلى نصيبين وفيها سيف الدولة فهم بالحرب مع العرب، ثم تأخر مجيء الروم، فثبت مكانه، وقد كادوا يزيلون أركانه.

وفيها وردت طائفة من جيش خراسان في بضعة عشر ألفاً يظهرهم أنهم يريدون غزو الروم، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه، وأمنوا إليهم، فنهضوا إليهم، ليأخذوا الديلم على غرة، فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم، - لأن البغي مضرة - وهرب أكثرهم.

وفيها خرج معز الدولة من بغداد، إلى واسط، لقتال عمران بن شاهين، حيث تقامم الحال بأمره، واشتهر في تلك النواحي صيت ذكره، فقري المرض بمعز الدولة، فاستتاب على الحرب، ورجع إلى بغداد، فكانت وفاته في السنة الآتية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها قوي أمر أبي عبد الله بن الداعي، ببلاد الديلم، وأظهر التسك والعبادة، ولبس الصوف، وكتب إلى الأفاق، حتى إلى بغداد، يدعو إلى الجهاد.

وفيها تم الفداء بين سيف الدولة، وبين الروم، فاستنقذ منهم أسارى كثيرة، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان، وأبو الهيثم بن حصن القاضي، وذلك في رجب منها.

وفي جمادى الآخرة، نودي برفع المواريث الحشرية، وأن ترد إلى ذوي الأرحام.

وفيها ابتداء معز الدولة بن بويه، في بناء مارستان وأرصد له أوقافاً جزیلة.

وفيها قطعت بنو سليم السابلة، على الحجيج من أهل الشام، ومصر، والمغرب، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأعمالها، وكان عليها من الأمراة والأمنعة، ما لا يُقوّم كثرة، وكان لرجل يقال له: ابن الخواشي، قاضي طرسوس، مائة ألف دينار، وعشرون ألف دينار عيناً، وذلك أنه أراد

ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الدُمُسْتَقْ

■ (القفور)

الذي توفي في سنة ثنتين - وقيل: خمس وقيل ست - وخمسين وثلاثمائة لا رحمه الله.

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً، وأشدّهم كُفْراً، وأقوامهم بأساً، وأحدهم شوكاً، وأكثرهم قتالاً للمسلمين في زمانه، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل، أو أكثرها، وانتزعها من أيدي المسلمين قسراً، واستمرّت في يده قهراً، وأضيفت إلى ملكة الروم قدراً، وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم، وكثرة العصيان.

وقد ورد حلب في مائتي ألف مقاتل يبتغي، في سنة إحدى وخمسين، وجال فيها جولة، ففرّ من بين يديه صاحبها سيف الدولة، ففتحتها للعين عنة، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله، وخرب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب، وأخذ أموالها، وحواصلها، وعُدّدها، وبثدّ شملها، وفرّق عُدّدها، واستحل أمر الملعون، فلما لله وإنا إليه راجعون وبالع في الاجتهاد في قتال الإسلام، وأهله، وجد في التشهير، فالحكم لله العلي الكبير، وقد كان لعنه الله لا يدخل في بلد، إلا قتل المقاتلة، وبقية الرجال، وسى النساء والأطفال، وجعل جامعهما إسطبلًا لخيوله، وكسر منبرها، وأسكت مؤنّسها بخيله، ورجله، وطبوله ولم يزل ذلك من دأبه، ودينه حتى سلط الله عليه زوجته فقتلته، بجواربها، في وسط مسكنه وأراح الله منه الإسلام وأهله وأزاح عنهم قتام ذلك الغمام، ومزق شمله، فله النعمة والإفضال، وله الحمد على كل حال.

واتفق في سنة وفاته، موت صاحب القسطنطينية فتكاملت المسرات، وحصلت الأمنية، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتذهب السيئات، ويرحمته تغفر الزلات.

والقصد أن هذا اللعين - أعني النقفور المُلقَّب بالدُمُسْتَقْ ملك الأرمن - كان قد أرسل قصيدة، إلى الخليفة المطيع لله، نظمها له بعض كتبه، ممن كان قد خلّعه الله وأذله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، وصرفه عن الإسلام وأصله. يفتخر فيها بهذا اللعين، ويتعرض لسب الإسلام، والمسلمين، ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام، بأنه سيملكها كلها، حتى الحرمين الشريفين، عما قريب من الأعوام، وهو أقلّ، وأذلّ، وأخس، وأضلّ من الأنعام، ويزعم أنه يتصرّ لدين المسيح عليه السلام ابن البتول، وربما يعرض فيها بجانب الرسول عليه من ربه النحية والإكرام، ودوام الصلاة مدى الأيام. ولم يلبث عن أحد من أهل ذلك العصر، أنه رد عليه جوابه، ربما أنها لم تشتهر، أو أنهم رأوا أنه أقلّ من أن يردوا خطابه، لأنه كالعائد الجاحد. ونفس ناظها يدل على أنه شيطان مارد وقد انتخى للجواب عنها فيما بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري: فأفاد، وأجاد، وأجاب عن كل فصل باطل، بالصواب، والسداد، قبل الله بالرحمة نراه وجعل الجنة مثقله ومثواه.

وها أنا أذكر القصيدة الأرمينية المخنولة الملعونة، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة اليمونة.

قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم، أجمعين، أكتمين، أبتئمن، أبصعين آمين يارب العالمين ومن خط ابن عساكر كتبها، وقد نقلوها من كتاب «صلة الصلة» للفرغاني:

التحول من بلاد الشام، إلى العراق، بعد الحج، وكذلك وقع لكثير من الناس، وحين أخذت الجمال، تركوهم على برد الديار، لا شيء لهم، فقل منهم من سلم، وما أكثر من عطب، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وحج بالناس الشريف أبو أحمد تقيب الطالبين من ناحية العراق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن داود بن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله العلوي الحمصي، قال الحاكم: أبو عبد الله النيسابوري: أكان شيخ آل رسول الله ﷺ، في عصره، بخراسان، وسيد العلوية في زمانه، وكان من أكثر الناس صلاة، وصدقة، وعبة للصحابة، وصحبته مدة، فما سمعته ذكر عثمان إلا قال: الشهيد، وبكى، وما سمعته ذكر عائشة إلا قال: الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله، وبكى.

وقد سمع الحديث من ابن خزيمة، وطبقته، وكان آسؤه بخراسان، وفي سائر بلدانهم، سادات نجباء، حيث كانوا من آل بيت رسول الله منهم لهم دانت رقاب بني معد.

■ محمد بن الحسين بن علي بن الحسن: بن يحيى بن حسان بن الوضاح، أبو عبد الله الأباري الشاعر المعروف بالوضاحي، كان يذكر أنه سمع الحديث من المحاملي، وابن مخلد، وأبي روق. وروى عنه الحاكم أبو عبد الله شيئاً من شعره، كان أشعر من في وقته.

ومن شعره:

سقى الله باب الكرخ رباً ومزلاً ومن حله صوب السحاب المجلجل
فلو أن باكي دمنة النار بالكوى وجارتها أم الرباب بمنسل
رأى عرصات الكرخ أو حل أرضها لأمسك عن ذكر الدُخُول فخرمّل
أبو بكر

■ ابن الجعفي: محمد بن عمر بن محمد بن سلم بن البراء بن سيرة ابن سيار، أبو بكر بن الجعفي، قاضي الموصل، ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، سمع الكثير، وتخرج بسأي العباس بن عقدة، وأخذ عنه علم الحديث، وشيئاً من التشيع أيضاً، وكان حافظاً مكرراً مُطَبِّقاً، يقال: إنه كان يحفظ أربعمئة ألف حديث، بأسانيدها، ومتونها، ويذكر بستمئة ألف حديث، ويحفظ من المراسيل، والمقاطيع، والحكايات قريباً من ذلك، ويحفظ أسماء الرجال، وجرحهم، وتعليقهم، وأوقات وفياتهم، وملأهمهم، حتى تقدم على أهل زمانه، وفاق سائر أقرانه.

وكان يجلس للإملاء، فيزدحم الناس عند منزله، وإنا كان يلمي من حفظه إسناد الحديث، ومثته محرراً جيداً، صحيحاً، وقد نسب إلى التشيع، كاستاذة ابن عقدة، وكان يسكن باب البصرة عندهم.

وقد سئل عنه الدارقطني فقال: خلط.

وقال أبو بكر البرقاني: كان صاحب غرائب، ومذهبه معروف في التشيع، وقد حكى عنه، قلة دين، وشرب خمر، فالله أعلم.

ولما احتضر، أوصى أن تحرق كتبه، فحرق، وحرق معها كتب كثير من الناس، كانت عنده، فبئس ما عمل وحين أخرج بجنازته، كانت سكبنة نائمة الرافضة تنوح عليه في جنازته.

مِنْ الْمَلِكِ الطَّهْرِ الْمَسِيحِيِّ سَالِكًا إِلَى خَلْفَةِ الْأَخْلَاقِ مِنْ آلِ هَانِسِيم
 إِلَى الْمَلِكِ الْفَضْلِ الْمَطِيحِ أَحْمَدِ الْعَلَا وَمَنْ يُرْتَجَى لِلْمُضِلَّاتِ الْعَظَائِمِ
 أَمَا سَمِعْتَ أَنَّكَ مَا أَنَا صَانِعٌ بَلَى فَتَعَالَا الْوَهْنُ عَنْ قَبْلِ خَارِزَمِ
 فَإِنَّ نَفْسَ عَمَّا تَقْلُدْتَ نَالِمًا قَبْلِي عَمَّا هُنْسِي غَيْرِ نَائِمِ
 تُنَوِّرُكُمْ لَمْ يَتَّقْ فِيهَا لَوْ هُنَّكُمْ وَضَعِيكُمْ إِلَّا رُسُومَ الْمَعَالِمِ
 قَدْ خَلَا الثَّغُورُ الْأَرْثُيَّةُ كُلُّهَا بَيْنَانِ صِدْقِ كَالْكِيُوثِ الضَّرَائِمِ
 وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ تَمْلُكُ لُجْنُهَا وَتَلَخَّ مِنْهَا قَضَمُهَا لِلشُّكَاكِمِ
 إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِالسَّيْرِ أَيْمِلْ إِلَى جُنْدٍ قَتْلِيكُمْ فَالْعَوَاصِمِ
 مَلْفِيهِ مِنْ بَعْدِ مَعَ سَيِّئَاتٍ وَكَرَّكَرِ فِي الْبَحْرِ أَضْغَافَ الْفُتُوحِ التَّوَاصِمِ
 وَبِالْحَذِّ الْحَمَامِ جَالَتْ عَسَاكِرِي وَكَيْسُومَ بَعْدَ الْجَعْفَرِيِّ الْمَعَالِمِ
 وَكَمْ قَدْ ذَلَّلْنَا مِنْ أَعْرَءِ أَهْلِهَا فَصَارُوا لَنَا مِنْ تَيْنِ قَيْدٍ وَخَادِمِ
 وَسَدِّ سُرُوجٍ إِذْ خَرْنَا بِجَنِينَا لِمَنْزِلَةِ تَمَلُّرٍ عَلَى كُلِّ قَائِمِ
 وَأَهْلُ الرُّمَّا لَانُوا بِنَا وَتَحَزَمُوا بِبَدِيلِ مَوْلَى جَلٍّ عَنْ وَصْفِ أَدَمِ
 وَصَبَّحَ رَأْسُ الْعَيْنِ بِنَا بِطَارِقِ بِيضٍ غَلَوْنَاهَا بِضَرْبِ الْجَمَاجِمِ
 وَكَارَا وَيَافَرَقِينَ وَارْزُكَا صِحَانَهُمُ بِالْخَيْلِ مِثْلَ الضَّرَائِمِ
 وَأَفْرَطِشَ جَرَتْ إِلَيْهَا مَرَاكِبِي عَلَى ظَهْرِ بَحْرِ مُزِيدِ مِثْلَاطِمِ
 فَزُرْنَهُمْ أَسْرَى وَسَيَقَتْ بِسَاؤُهُمْ قَوَاتِ الشُّعُورِ الْمُنْبِلَاتِ الْفَوَاجِمِ
 هُتَاكُ قَدْ خَلَا عَيْنَ زَبَّةٍ عَنُوءَ نَعْمَ وَأَبْنَا كُلِّ طَائِعٍ وَطَلَامِ
 إِلَى خَلْبٍ حَتَّى اسْتَبَحْنَا خَرَقَهَا وَخَلَّمْ مِنْهَا سُورَهَا كُلِّ هَادِمِ
 أَخَذْنَا الشَّاكِمَ الْبَنَاتِ تَسَوَّفُهُمْ وَصِيَانَهُمْ بِشَلِّ الْمَالِكِ خَادِمِ
 وَقَدْ فَرَّ عَنْهَا سَيْفُ دَوْلَةٍ بَيْنَكُمْ وَانصَرَفُوا بِنَا عَلَى رَغَمِ رَاغِمِ
 وَمِلْنَا عَلَى طَرَسُوسٍ مِثْلَةَ هَاتِلِ أَذْنَا لِمَنْ فِيهَا لِحَزْ الْخَلَاقِمِ
 فَكَمْ فَاتَتْ عِزُّ حُرَّةٍ عُلُوبِيَّةٍ مُنْمَنَةِ الْأَفْرَافِ رَيْبَا الْمَعَاصِمِ
 سَيِّئًا نُسَفْنَا خَاضِعَاتِ خَوَاصِرَا بِغَيْرِ مُهَوَّرٍ لَا وَلَا حُكْمِ حَاكِمِ
 وَكَمْ مَنِ قَبِلَ قَدْ تَرَكْنَا مُجْدَلًا يَصُبُّ دَمًا بَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهَازِمِ
 وَكَمْ وَتَعَةٍ فِي الدُّرْبِ أَقْنَتْ كِمَاتِكُمْ وَسُفْنَانَهُمْ نَشَرَا كَسُوقِ الْبَهَائِمِ
 وَمِلْنَا عَلَى أَرْتَاجِكُمْ وَخَرَّبْنَاهَا مُدَوَّخَةً تَحْتَ الْمَجَالِ السَّوَامِ
 فَأَهَوَتْ أَعَالِيهَا وَذَلَّلَتْ رُسُومَهَا مِنْ الْأَنْسِ وَخُشَا بَعْدَ بِيضِ تَوَاعِمِ
 إِذَا صَاحَ فِيهَا الْيَوْمُ جَلَوْنَهُ الصُّدَى وَأَتَيْتُهُ فِي الرَّجْعِ نَزُوحَ الْحَمَائِمِ
 وَانْطَلَاكُ لَمْ تَبْعِدْ عَلَيَّ وَإِنِّي سَأَزْجِعُ فِيهَا مِثْلَكُنَا تَحْتَ خَائِمِ
 وَمَنْ كُنَّ أَبَايَ بِمَشَقِّ فِلَاسِي وَأَخَذَ أَسْوَالَ بِهَا لِبَهَائِمِ
 وَمِصْرَ سَاتَحَهَا بِسَيْفِي عَنُوءَ بِمَشَقِّ وَمِضْرَاضٍ وَقَصْرٍ تَحَاجِمِ
 وَلَا شَمَّرُوا يَا أَهْلَ حِرَاكٍ شَمَّرُوا أَتَكُمُ جِيُوشَ الرُّومِ بِشَلِّ الْفَعَالِمِ
 فَإِنَّ نَهْرِي سَا تَجْبُوا كِرَامًا وَتَسْلُدُوا مِنْ الْمَلِكِ الضَّرَارِي بِشَلِّ الْمَسَالِمِ
 هُنَاكَ نَصِييْنِ وَمَوْصِلُهَا إِلَى جَزِيرَةِ آبَائِي وَمِثْلِكَ الْأَقَادِمِ
 سَاتَحَ سَامِرًا وَكَوْنِي وَعَكْبَرَا وَتَكْرِيهَا مَعَ مَارِدِينَ الْفَوَاصِمِ
 وَأَقْتُلْ أَهْلِيهَا الرِّجَالِ بِأَمْرِهِمْ وَأَغْنَمْ أَسْوَالَ بِهَا لِكِتَائِمِ

هذا آخرها لعن الله ناظمها واسكنه النار ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
 مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿هـ: ٥٢﴾ يوم يدعو ناظمها نبورا
 ويصلي سعيرا، ويأمر دلا طولا، ﴿وَيَوْمَ يَقْبِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا
 لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِيلًا يَا لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ
 اضْطُرْتُ مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ﴿هـ: ٥٢﴾

لِي لُجَّةَ الْبَحْرِ الْبَعِيدِ الْحَارِمِ
أَبَى اللَّهُ ذَاكُم بِأَقْيَا الْفَرَاثِمِ
بِضَائِعِ نَوَكِي تِلْكَ أَحْلَامُ نَائِمِ
وَيُسْفِرُ مُفْزِعُ الْوُجُوهِ السَّوَاهِمِ
إِذَا صَدَّكُمْ خَيْلُ جَيْشِ مُصَادِمِ
لِيَالِي أَنْتُمْ فِي عِمْدَادِ الْغَنَائِمِ
وَسَيِّئُكُمْ فِينَا كَقَطْرِ الْغَنَائِمِ
وَأَنَّى يَتَمَادَى لِرَيْشِ الْحَمَائِمِ
أَرَأَيْتُمْ أَتَجَلَّسُ قِصَارِ الْمَصَامِ
وَمَا قَدَّرُ مُصَاصِ يَمَاءِ الْحَاجِمِ
عَلَى مَحَلِّ أَرْسَاءِ الضَّرَاجِمِ
حَلَّابِ أَتَيْسَ لِحَزِّ الْحَلَّاقِمِ
سَبَايَا كَمَا سَيَقَتْ ظِلَاءُ الصَّرَائِمِ
لَكُمْ مِنْ مُلُوكٍ مُكَرَّمِينَ قُنَاقِمِ
وَيَقْصِرُكُمْ عَنْ سَيِّئَاتِ الْكِرَائِمِ
وَعَمَّا أَقْبَسَا فَيْكُم مِنْ مَاتِمِ
إِمَاماً وَلَا مِنْ مُحْكَمَاتِ الدَّعَائِمِ
لِي جَبَلٍ تَلْكَمُ أَمَانِي مَلَائِمِ
تَطَائِرُ هَامَاتٍ وَخَزُّ الْفَلَاحِمِ
مَسِيرَةً شَهْرٍ لِقَيْتِي الْقَوَاصِمِ
وَمَنْزَلَةً مُخْتَلِفَةً كُلِّ عَالِمِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ الصَّيِّدِ كُلِّ مُقَادِمِ
سَحَابِي طَيْرٍ تَحْتِي بِالْقَوَادِمِ
كَمَا ضَرَبَ السَّكْبِي بِيضَ الدَّرَاهِمِ
كَقَطْرِ الْغَيْوَتِ الْهَامَلَاتِ السَّوَاغِمِ
وَمِنْ حَيٍّ قَطْطَانٍ كِرَامِ الْعَمَائِمِ
بِهَا يُشْفَى خَرُّ النُّفُوسِ الْخَوَائِمِ
لَقَيْتُمْ ضِرَاماً فِي بَيْتِ الْمَشَائِمِ
فَهَمَّ مَعَكُمْ مِنْ مَارِقٍ مُتَلَاغِمِ
فَجِئْتُمْ ضَمَاناً لَكُمْ فِي الْمَغَائِمِ
تُسَيِّئُكُمْ تَذَكَّارُ أَخَذِ الْمَوَاصِمِ
بِهَا يُشْفَى خَرُّ الصُّدُورِ الْخَوَائِمِ
كَمَا فَعَلُوا دَهراً بِمَدَلِّ الْمَقَاصِمِ
وَشِيرَارٍ وَالرَّيِّ الْقِلَاعِ الْقَوَائِمِ
عَظَمْنَا لَكُمْ: ذَلَّ وَعَضُّ الْأَبَاهِمِ
مَسِيرَةً عَامٍ بِالْخَيُولِ الصَّلَامِ
بِكَاثِلٍ خَلُّوا فِي بِلَادِ الْبَرَاهِمِ
وَفِي أَصْهَرَانِ كُلِّ أَرْوَغِ عَارِمِ

لِي بَيْتِ بَقُورِي وَأَرْيَافِي نَوَسَمَةِ
فَهَلْ سِرْتُمْ فِي أَرْضِنَا قَطُّ جُمُعَةً
فَمَا لَكُمْ إِلَّا الْأَمَانِي وَخَنَاعَا
رَوِيداً يَنْزِدُ خُزَّ الْحِلَافَةِ نَوْرَهَا
وَحَيْثُ تَدْرُونَ كَيْفَ فِرَارُكُمْ
عَلَى سَالِفِ الْعَادَاتِ مَنَا وَمَنْكُمُ
سَيِّئُكُمْ سَبَايَا يَخْصُرُ الْعَدُوَّ دُونَهَا
فَلَوْ رَامَ خَلَقَ عَمَلَهَا رَامَ مُعْجِزاً
بِأَنْبَاءِ حَمْدَانٍ وَكَافُورٍ حَلَّتُمْ
ذِيحِي وَحُجَّامٌ سَطَوْتُمْ عَلَيْهَا
فَهَلَّا عَلَى وَثَائِيهِ قَبْلَ ذَاكَ أَوْ
لِيَالِي قَادُوكُمْ كَمَا اقْتَادَ جَارِزُ
وَسَاقُوا عَلَى رِشْلِ بَنَاتِ مُلُوكِكُمْ
وَلَكِنْ سَلُّوا عَنَّا هِرْقَلًا وَمَنْ خَلَا
يُخْبِرُكُمْ عَنَّا الْمَتَّوِّجُ مِنْكُمْ
وَعَمَّا قَتَحْنَا بَيْنَ مَنَاجِمِ بِلَادِكُمْ
وَدَخَّ كُلُّ نَزَلٍ مُفْزِعٌ لَا تَعْلَمُهُ
فَهَيْهَاتَ سَائِرًا وَتَكْرِيثُ مِنْكُمْ
مَنْ يَتَمَانَاهَا الضَّعِيفُ وَفُوتُهَا
وَمِنْ دُونِ بَغْدَادِ سَيُوفِ حَدِيدَةٍ
مَخْلَةً أَهْلَ الزُّهْدِ وَالْخَيْرِ وَالْقِي
دَعُوا الرُّمْلَةَ الصَّهْبَاءَ عَنْكُمْ فِدُونَهَا
وَدُونَ دِيَشَقِ جَنْعِ جَيْشِ كَانِه
وَضَرَبَ يَلْقَى الْكَفَرُ كُلُّ مَلَلَةٍ
وَمِنْ دُونِ أَكْثَافِ الْحِجَازِ جَحَافِلُ
بِهَا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ كُلِّ سَتِيدِ
وَأَمْوَالِكُمْ جِلُّ لَكُمْ وَدِمَاؤُكُمْ
وَلَوْ قَدْ لَقِيتُمْ مِنْ قَضَاعَةِ كُبَّةٍ
إِذَا صَحَّوَكُمْ ذَكَّرُوكُمْ بِمَا خَلَا
زَمَانٍ يَقُودُونَ الصَّوْافِينَ لِحُوكُمْ
سَيِّئُكُمْ مِنْهُمْ قَرِيبَا عَصَائِبِ
وَأَمْوَالِكُمْ جِلُّ لَكُمْ وَدِمَاؤُكُمْ
وَأَرْضُكُمْ حَقًّا سَيَقْتَسِمُونَهَا
وَلَوْ طَرَقْتُمْ مِنْ خُرَاسَانَ عَصَبَةً
لَمَّا كَانَ مِنْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ غَيْرُ مَا
فَقَدْ طَالَ مَا زَارُوكُمْ فِي دِيَارِكُمْ
وَأَمَّا سِيَجِسْتَانُ وَكُزْمَانُ وَالْأَلَى
وَفِي فَاوِسٍ وَالسُّوسِ جَنْعُ عَزْمَرَمُ

وَهَذَا جَوَابُهَا لَأَيِّ مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمِ الْفَقِيهِ الظَّاهِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ قَالَهَا
أَرْغَبَالَا حِينَ بَلَغَتْ هَذِهِ الْمَعْرُوفَةَ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ كَمَا شَهِدَهُ مِنْ رَأْيِهِ
فَرَحَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَوَاهِدَهُ وَغَفَرَ لَهُ زَلَلَهُ وَخَطِيئَاتِهِ:

مِنْ الْمُخْمَسِي بِاللَّهِ رَبِّ الْعَوَالِمِ
عَمِدِ الْمَادِي إِلَى اللَّهِ بِالتَّقَى
عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ مُرَدَّدَا
لِي قَائِلٍ بِالْإِفْلَاقِ جَهْلًا وَضِلَّةً
دَعَوْتُ إِمَامًا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ آلِهِ
فَعَنَّهُ الدَّوَاهِي فِي خِلَافَتِهِ كَمَا
وَلَا عَجَبٌ مِنْ نَكْبَةٍ أَوْ مِلَّةٍ
وَلَوْ أَنَّهُ فِي حَالِ مَاضِي جُلُودِهِ
عَسَى غَفْلَةً لِلَّهِ فِي أَهْلِ دِينِهِ
فَخَرَّتُمْ بِمَا لَوْ كَانَ فَهَمَّ يُرِيكُمْ
إِذَنْ لَفَرَّقْتُمْ خِجْلَةً عِنْدَ ذِكْرِهِ
سَلْبَانَكُمْ كَرًّا فَزَرْتُمْ بِشِرْوِهِ
فَطَرْتُمْ سُرُورًا عِنْدَ ذَاكَ وَغَوْهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا فِي تَضَاعُفِ غَفْلَةٍ
وَلَمَّا تَلَاغَبَا الْأُمُورَ تَحَادَلَا
وَقَدْ شَغَلَتْ فِينَا الْخِلَافَةُ قِتْنَةً
بِكُفْرِ إِبَادِهِمْ وَجَحْدِ حَقُوقِهِمْ
وَيَكْتُمُ عَلَى أَطْرَافِنَا عِنْدَ ذَاكُمُ
أَلَمْ نَسْتَرْعِ مِنْكُمْ بِأَيِّدٍ وَقِسْوَةٍ
وَمَصْرٍ وَأَرْضٍ الْقَيْزِ وَأَنْ بَاسِرْهَا
أَلَمْ تَتَصِفْ مِنْكُمْ عَلَى ضَعْفِ حَالِهَا
أَحَلَّتْ بِمَنْطِقَتَيْنِ كُلِّ نَكْبَةٍ
شَاهِدٌ تَقْدِيرَاتِكُمْ وَيُؤَيِّنُهَا
أَنَا بَيْتُ لَحْمٍ وَالْقِمَامَةُ بَعْدَهَا
وَكُزْمِيكُمْ فِي أَرْضِ إِسْكَنْدَرِيَّةٍ
ضَمَمْنَاهُمْ قَسْرًا بِرَغْمِ أَوْرُوقِكُمْ
وَكُزْسِي أَنْطَاكِيَّةٍ كَانَ بُرْهَةً
فَلَيْسَ سِوَى كُزْسِي رُومَةٍ فَيْكُمْ
وَلَا بُدَّ مِنْ عَوْدِ الْجَمِيعِ بِأَشْرِهِ
أَلَيْسَ يُزِيدُ خَلَّ وَنَطَّ هَيَارِكُمْ
وَمُسْلِمَةً قَدْ دَابَسَهَا بَعْدَ ذَاكُمُ
وَأَخَذَتْكُمْ بِالذَّلِّ مَسْجِدَنَا الَّذِي
لِي جَنْبِ قَصْرِ الْمَلِكِ مِنْ دَارِ مَلِكِكُمْ
وَأَذَى لِمَارُونَ الرَّشِيدِ مَلِكِكُمْ
سَلْبَانَكُمْ مَشْرَى شُهُورًا بِقِسْوَةٍ

فلو قد اتاكم جمعهم لعدوكم. وبالصخرة الزهراء والكوفة التي جموعُ تسامي الرُّمْلُ جَمْعُ عِدْيُهَا ومن دون بيت الله في مكة التي محلُّ جميع الأرض منها يتقنا دفعا من الرحمن عنها يمحها بها دفع الأبخوش عنها وقبلهم وجنح كَمَوْجِ البحرِ ماضٍ غَرَمٍ ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة يقرنهم جيشُ الملائكة الملا فلو قد لقيناكم لعدنتم زمامنا وباليمن المنصور فينا غارة وفي حلتني أرض اليمامة عصبة مستنكمين والقرطبيين دولة خليفة حتى يصغر الدين حكمه إلى ولد العباس تنسى جوده ملوك جرى بالصر طائر سفيهم مجلتهم في مسجد القدس أو لدى وإن كان من عليا عري وتيها فاعلا وسهلا ثم نغنى ومرجبا هم نصروا الإسلام نصرا مؤزرا رويدا فوعد الله بالصين واد سفتح قنططية وقواتها وغلك أقصى ارضكم وبلادكم وفتح أرض الصين والهند غنوة مواعيد للرحمن فينا صحيحة إلى أن يرى الإسلام قد عم حكمه أقصر يا مخذول دين مثلث تين ليمخلوق بدين عباده أساجلكم مصنوعة بكاذب وعود صليب ما تزالون سجدوا تدينون تضلالا بصلب إليكم إلى ملّة الإسلام توحيد رنا وصديق رسالات الذي جاء بالهدى وأذعن الأملاك طوعا لينيه كما دان في صنعة مالك دولة وسائر أملاك اليمانيين أسلموا اجابوا ليدين الله دون مخافة

فرائس للأساد يفل البهائم سمّت وباني واسط كالقطائم فما أحد ينوي لقاهم بإليم حايا بتجد للزنا مزاجم محلة شغل الخف من فص خاتم فما هو عنها كز طرف برائيم بخصباء طير في ذرا الجور حائم حتى سرة البطحاء ذات المحارم جموع كمنودة من الليل فاجم كفاحا ودفا عن مصل وصائيم بمن في اعالي نجينا والتهائم إذا ما لقوكم كنتم كالطاعم مغاور انجاد طوال البراجم تعود ليمسوا النقيصة حازم ولا يتقي في الله لومة لائم بفخر عيم أو لؤهر البهايم فاعلا بفاض منهم ويقاد منازل بقداد مخسل المكارم ومن اسد اهل الصلاح الحضارم يهم من خيار سالفين اقادم وهم فتحوا البلدان فتح المراجم بتجريح اهل الكفر طمس العلاقم ومجلكم قوت السور القشائم ونلزمكم ذل الجزى والمغارم بجيش لارض الترك والحزر حاطم وليست كاشال العقول القاقم جميع البلاد بالجوش الصوارم بعيدا عن المنقول بادي المائيم فبالك سخفا ليس يخفى لكاتم كلام الأولى فيها آورا بالعظيم لة يا غور الهاملات السورائم بإيدي يهرو أزدلين الأليم فما دين ذي دين لنا بمقادير مخميد الأكسي بفتح المظالم بزمان صلت طاهر في الواسيم واهل عمان حيث رقط الجهاضم ومن بلاد البحرين قوم الهلزام ولا رغبة تحظى بها كف عادم

فحلوا عرى التيجان طوعا ورغبة وحاباه بالنصر المكين إله فقير وحيد لم تينه عنيرة ولا عنده مال عيذ لإنصار ولا وعد الأنصار مالا يخصهم فلم تينه قط قوة أمير كما يقترى إفكا وزورا وخيلة على أنكم قد قلتم هو زكم أبى الله أن يذنى له ابن وصاحب ولكنة عبد نبى مكرم أظلم وجه الرب؟ كيا لؤركم وكم آية إبدى الشئ مخخذ تساوى جميع الناس في نصر حق فعرّب وأخوش وفرس وبربر ويظ وأباط وخزّز وذيلم أبرأ كفر أسلافهم فتحفوا به دخلوا في ملّة الحق كلهم به صخ قصير المنام الذي أوى وسند وهند أسلموا وتديوا وشق لة بذر السموات آية وسالت عيون الماء في وسط كفه وجاء بما تقضي العقول بصيدوه عليه سلام الله ما ذر شارق براهينه كالشمس لا يثل قولكم لنا كل علم من قديم ومخذت أيتهم بشعر بارذ مخاذل فتونكها كالعقد فيه زمرد

بحق يقين بالبراهين ناجم وصير من عادته تحت المناسيم ولا دفعوا عنه شتمة شائم ولا دفع مزهوب ولا لئسالم بلئ كان مقصوما لأقصد عاصم ولا مكنت من جنبه يد لا طيم على وجه عيسى منكم كل أرثم نيا لفضلال في الحماقة عائم ستلقى دماء الكفر حالة نادم من الناس مخلوق ولا قول زاعم لقد فتنم في ظلمكم كل ظالم وكتم علم أبدا للشرك حاطم فليكل في إعطائه حال خادم وكرفهم قد فاز قدح المراجم وزوم زموكم دونه بالفواصم فأبوا يحظ في السادة جاتم وقأنوا لأحكام الإنك اللوازيم به دانيال قبله ختم خاتم بدين الهدى في رفض بين الأعاجم وأشنع من صاع له كل طاعم فازوى به جيشا كثير الهاميم ولا كدعا غير ذات قوائيم تعاقبه ظلماء انحن قاتيم وتخليطكم في جوهر وأقائيم وأنتم خير دايات المحازم ضعيف معاني النظم جم البلاغم وفر وساوت بإحكام حاكم

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة

استهلت هذه السنة، والخليفة المطيع لله، والسلطان معز الدولة ابن بويه الديلمي، وعملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين، على ما ابتدعوه من النوح. ولما كان ثالث عشر ربيع الأول من هذه السنة، توفي معز الدولة أبو الحسن

■ أحمد بن بويه الديلمي - الذي أظهر الرقض، ويقال له: معز الدولة - بعلة الذوب، فصار لا يثبت في معدته شيء بالكلية، ولما أحس بالموت، أظهر التوبة، وأتاب إلى الله عز وجل، ورد كثيرا من المظالم، وتصدق بكثير من أمواله، واعتق خلقا كثيرا من ممالكه، وعهد إلى ابنه

بختيار عز الدولة.

وقد اجتمع بعض العلماء، فكلّمه في السنة، وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، فقال: والله ما سمعتُ بهذا قط. ورجع إلى السنة، ومتابعها، ولما حضر وقت الصلاة، خرج ذلك الرجل إلى الصلاة، فقال له: أما تصلي ههنا؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن دارك مقصورة. فاستحسن منه ذلك.

وكان معز الدولة حليماً، كريماً، عاقلاً، وكانت إحدى يديه مقطوعة، وهو أول من أحدث السعاة بين يدي الملوك، ليبحث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة، إلى شيراز سريعاً، وحظي عنده أهل هذه الصناعة وتعلّم أهل بغداد ذلك، حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد ثيماً وأربعين فرسخاً، وكان في البلد ساعيان ماهران، وهما فضل، وعرعوش، يتعصبُ لهذا عوام أهل السنة، ولهذا عوام أهل الشيعة، وجرت لهما مناصف ومواقف.

ولما مات معز الدولة، دفن بباب التين، في مقابر قريش، وجلس ابنه للعزاء وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام تباعاً، فبعث عز الدولة إلى رؤوس الدولة، في هذه الأيام، بمال جزيل، لئلا يجتمع الدولة على مخالفته، قبل استحكام مبايعته، وهذا من عقله ودعائه.

وكان عمر معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة، وحملة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين، وقد كان نادى في أيامه برؤ الموارث، إلى ذوي الأرحام، قبل بيت المال.

وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفاً يقول:

لمسا بلفست أبا الحسين مراد نفسك في الطلب
وأمنت من حدث الليالي واحتجبت عن النوب
مدت إليك يد الردى وأخذت من بيت الثقب

ولما مات معز الدولة، قام بالأمر بعده ولده عز الدولة، فأقبل على اللهو واللعب والاشتغال بأمر النساء، فنشق شمله، واختلفت الكلمة عليه، وطعم الأمير منصور بن نوح الساماني، صاحب بلاد خراسان، في ملك بني بويه، وأرسل الجيوش الكثيفة، صعبة الملك وشمكير، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه، أرسل إلى ابنه عضد الدولة، وابن أخيه عز الدولة، يستنجدهما، فأرسل إليه بجند كثيرة، فركب فيها ركن الدولة، وبعث إليه وشمكير، يتهدده، ويتوعده، ويقول: لن قدرت عليك، لأفعلن بك، ولأفعلن، فكتب إليه ركن الدولة يقول: لكني إن قدرت عليك، لأحسن إليك، ولأصفرن عنك فكانت العاقبة لهذا، فدفع الله عنه شره، وذلك أن وشمكير ركب فرساً صعبةً فتصيد عليها، فحمل عليه خنزير، ففترت الفرس، فالتقت على الأرض، فخرج الدم من أذنية، فمات من ساعته، وتفرقت العساكر.

وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان، من ركن الدولة، فأثته وأرسل إليه بالمال والرجال، ووفى بما قال، وصرف الله عنه كيد السامانية، وذلك بصدق النية، وحسن الطوية.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الفرج

■ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم الأموي، الأصمهاني صاحب كتاب «الأغاني»، وكتاب «أيام العرب»، ذكر فيه ألفاً

وسبعمئة يوم من أيامهم وقائعهم، وكان شاعراً أديباً كاتباً، عالماً بالأخبار وأيام الناس إلا أنه كان يتشيع.

قال ابن الجوزي (النظم ١٨٥/١٤): ومثله لا يوثق به، فإنه يصرح في كتبه، بما يوجب عليه العشق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب «الأغاني»، رأى فيه كل قبيح ومنكر، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله بن مُطَيَّن، وخلق، وروى عنه الدارقطني، وغيره.

توفي في ذي الحجة من هذه السنة، وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٣٠٨/٣، ٣٠٩): وقيل: في التي بعدها وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومائتين، التي توفي فيها البيهقي الشاعر، وقد ذكر له مصنفات عديدة، منها «الأغاني»، و«الذئبات»، و«أيام العرب» وغير ذلك.

■ سيف الدولة بن حمدان، صاحب حلب، أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله ابن حمدان بن حمدون الظفلي الرعي الملقب بسيف الدولة أحد الأمراء الشجعان، والملوك الكثري الإحسان، على ما كان فيه من تشيع، وقد ملك دمشق في بعض الأوقات، وأتفق له أشياء غريبة، منها أن خطبه كان مصنف «الخطب النبائية»، أحد الفصحاء البلغاء وشاعره المتني، ومطر به أبو نصر الفارابي. وكان كريماً، جواداً معطياً للجزيل.

ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل:

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها وقلت لم يني وبين أخبي فرق
وما كان لي عنها نكول، وإنما تجاوزت عن حقي قم لك الحق
أما كنت ترضى أن أكون مُضلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك
وله أيضاً:

قد جرى في معه دُمُ فلي كم أنت تظلمهُ
رُدُّ عنه الطرف منك فقد جرحته منك أسهُمهُ
كيف يستطيع التجلّد من خطرات الوهم نزلهُ

وكان سبب موته القالج، وقيل عسر البول: وتوفي بحلب، وحمل تابوته إلى ميفارقين، فدفن بها، وعمره ثلاث وخمسون سنة، وقام بملك حلب من بعده، ولده سعد الدولة، أبو المعالي شريف، ثم تقلب عليه مولى أبيه، قرغوبه، فأخرجه من حلب، إلى أمه ميفارقين، ثم عاد إليها كما سيأتي بيانه.

وذكر ابن خلكان، شيئاً كثيراً، مما قاله سيف الدولة، وقيل فيه، قال (وفيات الأعيان ٤٠١/٣): ولم يجتمع بباب أحد من الملوك، بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من الشعراء، وقد أجاز جماعة من الكبار منهم كالنبي الحافلين والسري الرفاء والثامي، والبيغاء، والوآراء، وغيرهم. وذكر ابن خلكان أنه ولد سنة ثلاث، وقيل: إحدى - وثلاثمائة، وأنه ملك حلب بعد الثلاثين وثلاثمائة، وكان قبل ذلك يملك واسطاً، ونواحيها، ثم تقلت به الأحوال حتى ملك حلب - انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي، صاحب الإخشيد ملك دمشق في وقت، وقد قال يوماً لنعماته: أيكُم يجيز قولي؟ وما أظن أحداً يجيزه:

لك جيمي تُولهُ فدمسى لم غلـه

فقال أخوه أبو فراس بديهة:

إن كنت مالكاً فلي الأمر كله

وفيهما توفي

■ **كافور الإخشيدى:** مولى محمد بن طنج الإخشيد، وقد قام بالأمر من بعده، مولاه لصغر أولاده فملك كافور مصر، ودمشق، وناوا سيف الدولة، وغيره.

وقد كتب على قبره:

انظر إلى غير الأيام ما صنعت
أفنت أناساً بها كانوا وما فتئت
ديارهم ضحككت أيام دولتهم
حتى إذا فتئت ناحت لهم ونكتت

■ **أبو علي القالي صاحب «الأمالي»:** إسماعيل بن القاسم بن غيثون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان، أبو علي، القالي، اللغوي، الأموي، مولاهم، لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان، والقالي نسبة إلى قاليقلا. ويقال: إنها أرزن الروم، فإله أعلم.

وكان مولده بمنازل جرد من أرض الجزيرة، من ديار بكر، وسمع الحديث من أبي يعلى الموصلي، وغيره، وأخذ النحو، واللغة عن ابن دريد، وأبي بكر بن الأنباري، ونفطويه، وغيرهم، وصنف «الأمالي»، وهو مشهور، وله كتاب «البارع»، على حروف المعجم، في خمسة آلاف ورقة، وغير ذلك من المصنفات في اللغة.

ودخل بغداد، وسمع بها، ثم ارتحل إلى قرطبة، فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمائة، واستوطنها، وصنف كتاباً كثيرة فيها، إلى أن توفي بها، في هذه السنة، عن ثمان وستين سنة، قاله ابن خلكان.

وفيهما توفي أبو علي

■ **محمد بن إلياس، صاحب بلاد كرمان، ومعاملتها،** فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان، من أولاد محمد بن إلياس وهم ثلاثة البسج، وإلياس وسليمان. الملك الكبير وشمكير، كما قلنا ذكره هذه السنة.

ومن توفي فيها من الملوك.

■ **الحسن بن الفيرزان صاحب بلاد جرجان.**

■ **معز الدولة بن بويه الديلمي** كما تقدم ذكره، وسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب كما قلنا ذكر ذلك.

قال ابن الأثير [الكامل ٥٨٠/٨]: وفيها هلك

■ **النفقور ملك الروم، يعني النمستق،** صاحب بلاد الأرمن، وقد ذكرنا ترجمته وما ورد عنه من الشعر وأوردنا جوابها للإمام العلامة أبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري رحمه الله تعالى.

ومن توفي بها

■ **كافور الإخشيدى** في قول ابن خلكان.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

فيها شاع الخبر ببغداد، وغيرها من البلاد، أن رجلاً ظهر يقال له محمد بن عبد الله، وتلقب بالمهدي، وزعم أنه الموعود به في الحديث الوارد في المهدي، وأنه يدعو إلى الخير، وينهى عن الشر، ودعا إليه ناس ببغداد فإنا دعوا سيئاً قالوا: هو من سلالة البساس، وإن كان المدعو شيعياً قالوا له: هو علوي. وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيماً بمصر، عند كافور الإخشيدى، قبل أن يموت، وكان يكرمه، وكان من جملة المستحسنين له، سبكتكين الحاجب، وكان شيعياً، فظنه علوياً، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد، لياخذ له البلاد، فترحل من مصر، فلقبه سبكتكين إلى قرب الأنبار، فلما رآه، عرفه وإذا هو

محمد بن المستكني بالله العباسي، فلما تحقق أنه عباسي، وليس بعلوي، انتشى رأيه عنه، فضرق شمله، وغزق أصحاب كل تمرق، وحمل إلى عز الدولة بن معز الدولة، فأمته، وتسلمه الطبع لله فجعده أنفه، واخفى أمره، فلم يظهر له خبر بالكلية بعد ذلك.

وفيها وردت طائفة من البروم لعنهم الله، إلى بلاد أنطاكية، فقتلوا خلقاً، من حواضرها، وسبوا اثنين عشر ألفاً من أهلها، ورجعوا إلى بلادهم، ولم يعرض لهم أحد.

عملت الروافض، في عاشوراء، الماتم، وفي يوم غدیر خم المناء والسرور.

وفيها عرض للناس في تشرين فاء الماشتر، فصات به خلق كثير فجأة. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفيها مات أكثر جبال الحميج، في الطريق من العطش، ولم يصل منهم إلى مكة، إلا القليل، ومات أكثر من وصل منهم عامه ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها اقتل أبو المحالي شريف بن سيف الدولة، هو وخاله، وابن عم أبيه، أبو فراس بن سعيد بن حمدان الشاعر عند قرية يقال لها: صَنْدَرُ قَتْلَ أبو فراس في المحركة.

قال ابن الأثير [الكامل ٥٨٨/٨]: وقد صدق من قال: إن الملك عقيم. وفيها أظهرت الشيعة الحزن الشديد يوم عاشوراء من الحرم وعملوا عيد غدیر خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وأظهروا الفرح والسرور.

ومن توفي فيها أيضاً

■ **إبراهيم المقي لله بن جعفر المقتدر،** وكان قد ولي الخلافة، ثم أُلجئ إلى أنه خلع عنها في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة كما ذكرنا، ولزم بيته، فمات في هذه السنة، ودفن بداره، عن ستين سنة.

■ **عمر بن جعفر بن عبد الله بن أبي السري:** أبو جعفر البصري الحافظ، ولد سنة ثمانين ومائتين وكان يتخب على المشايخ حدث عن أبي خليفة الفضل بن الحباب، وغيره، وقد انتقد عليه مائة موضع قال الدارقطني: فنظرت فيها، فإذا الصواب مع عمر بن جعفر.

■ **محمد بن أحمد بن علي بن محمد،** أبو عبد الله الجوهري المحتسب، ويعرف بابن المحرم، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبري، وقد روى عن الكندي، وغيره، وقد اتفق له، أنه تزوج امرأة، فلما أدخلت عليه، جلس يكتب الحديث، فجاءت أمها، فأخذت الدواة، فرمت بها، وقالت: هذه أضر على ابنتي من ثلاثمائة ضربة. وقد توفي في هذه السنة، عن ثلاث وتسعين سنة، وكان يُضَعَّفُ في الحديث.

■ **كافور بن عبد الله الإخشيدى:** كان مولى السلطان محمد بن طنج الإخشيدى، اشتراه من بعض أهل مصر، بثمانية عشر ديناراً، وقربه، وأدناه، واختصه من بين الموالى، واصطفاه، ثم جعله أتابكاً، حين ملك ولدناه، ثم استقل بالأمور بعد موتهما، في سنة خمس وخمسين، واستقرت المملكة باسمه، يُدْعَى له على المنابر، بالديار المصرية، والشامية، وبلاد الحجاز جميعاً، وكان شهماً، ذكياً فاتكاً جيد السيرة، مدحه الشعراء، وفد إليه المتني، حين ذهب مغاضباً على سيف الدولة بن حمدان فأوى إلى كافور وحصل له منه رفد، ثم تغير عليه فابعدته كافور، فهجاء، ورحل عنه، وصار إلى عضد الدولة بن بويه وكان هنالك حقه كما تقدم بيانه وأما كافور فإنه لما

■ كافر الإخشيدى؛ قال ابن الجوزي [الطهم ١٩٩/١٤، ٢٠٠]: وقد رأيت مدح النبي لكافور تَحْمَلُ الذَّم والمُدح وكأنه تَلَبَّثَ به واللَّه تعالى أعلم.

توفي. دفن بقرية المشهورة به، وقام بالملك بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد، ومنه أخذ الفاطميون الأدياء، بلاد مصر، كما سيأتي. وكانت ملكة كافور ستين وثلاثة أشهر رحمه.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

في عاشوراء، عملت الروافض بدعتهم، وفي يوم غدِير خَم، عملوا الفرج، المبتدع.

وحصل بالعراق غلاء عظيم، كان يُؤمَدُ الحيز بالكلية، وعانت الروم في البلاد فساداً، وحرقوا حصص، وأفسدوا فيها فساداً عريضاً، وسبوا من المسلمين، نحواً من مائة ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

دخول جُوهر القائد إلى الدِّيارِ المصريَّة

ودخل أبو الحسن جوهر القائد الرومي، في جيش كثيف، من جهة المعز الفاطمي، إلى ديار مصر، يوم الثلاثاء، لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان، فلما كان يوم الجمعة، خطب للمعز الفاطمي، على منابر الديار المصرية، وسائر أعمالها، وأمر جوهر المؤتسبين بالجامع العتيق وجامع ابن طولون، أن يؤذنوا يحي على خير العمل، وأن يهجر الأئمة بالسلمة، وذلك توفي كافور الإخشيدى، لي تم بمصر من تجتمع القلوب عليه، وأصابهم غلاء شديد، أضعفهم، فلما بلغ ذلك المعز وهو ببلاد إفريقية، بعث جوهرًا القائد الرومي مولى أبيه المنصور في جيش كثيف إلى الديار المصرية. فلما بلغ ذلك أصحاب كافور، هربوا منها، قبل وصول جوهر إليها، فدخلها بلا ضربة، ولا طعنة ولا شمانية، ففعل ما ذكرنا من الأمور واستقرت أيديهم على تلك البلاد بعد كافور الإخشيدى.

وفي هذه السنة شرع جوهر القائد، في بناء القاهرة المعزية، وبناء القصرين عندها، على ما سنذكره. وهما الإقامة لمولاه المعز الفاطمي. وفيها أرسل جوهر جعفر بن فلاح، في جيش كثيف، إلى الشام، فاقتلوا قتالا شديداً. وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي، وكان مطاعاً فيهم، فحاجف عن العباسيين مدة طويلة، ثم آل الحال إلى أن خطب للمعز بدمشق، وحمل الشريف أبو القاسم إلى الديار المصرية، وأمر الحسن بن عبد الله بن طنج، وجماعة من الأسراء، فحملوا إلى الديار المصرية فحملهم جوهر إلى المعز بإفريقية، واستقرت يد الفاطميين على دمشق، في سنة ستين كما سيأتي وأذن بها: حيي على خير العمل، أكثر من سبعين سنة، وكُتِبَ لعنة الشيخين رضي الله عنهما ولعن من لعنهما، على أبواب الجوامع بها، وأبواب المساجد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك كذلك، حتى أزال ذلك دولة الأتراك، على ما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها دخلت الروم إلى حصص، فوجدوا أكثر أهلها قد جَلَّوْا عنها وواتقوا منها، فحرقوها، وأسروا عن بقي فيها، ومن حولها، نحواً من مائة ألف إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي ذي الحجة، نقل عز الدولة والده معز الدولة بن بويه، من داره إلى تربته، بمقابر قرش.

ومن توفي فيها من الأعيان على ما ذكره ابن الجوزي في «مقتظمه»

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

في عاشوراء الحرم منها، عملت الروافض بدعتهم الشعاء، فنقلت الأسواق، وتعتلت الملعيش، ودارت النساء سافرات عن وجوههن، ينحن على الحسين بن علي، ويلطمن وجوههن، والمسوح معلقة في الأسواق، والذين مَنُورُوا فيها.

وفيها دخلت الروم الملاحين أنطاكية، فقتلوا من أهلها الشيخ، والمعاجز، وسبوا من النساء والأطفال، نحواً من عشرين ألفاً، وذلك كله بتبليغ ملك الأرمن، تغفور لعنه الله.

قال ابن الجوزي [الطهم ٢٠١/١٤]: وكان قد قهر، وطغنا، وغمر، قد تزوج مع ذلك بامرأة الملك، الذي كان قبله، ولما منه ابنان، فأراد أن يخصهما، ويجعلهما في الكنيسة، لئلا يصلحا بعد ذلك للملك، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه، وسلَّت عليه الأمراء، فقتلوه وهو نائم، ومُلكوا عليهم أكبر ولد لها. وفي ربيع الأول صرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار، وأعيد إليه أبو محمد بن معروف.

قال ابن الجوزي [الطهم ٢٠٢/١٤]: في هذه السنة نقصت دجلة، حتى غارت الأبار. وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب.

قال: واتقضى تركب في ذي الحجة، فاضأت منه الدنيا، حتى بقي له شعاع كالشمس، ثم سمع له صوت كالرعد.

قال ابن الأثير [الكامل ٥٩١/٨]: وفي الحرم من هذه السنة، خطب للمعز الفاطمي بدمشق، عن امر جعفر بن فلاح، الذي سيره جوهر القائد، من مصر إلى الشام، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طنج بالرملة، فغلبه ابن فلاح، وأسره، وسيره إلى جوهر، فأرسله جوهر إلى المعز، وهو بإفريقية. واستقرت يد الفاطميين على دمشق أيضاً بعد حروب يطول ذكرها تطاول أمرها إلى آخر هذه السنة.

وفي هذه السنة وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان، وبين ابنه أبي تغلب، وسببه، أنه لما مات معز الدولة بن بويه ببغداد، عزم أبو تغلب ومن واقفه من أهل بيته، على الدخول إلى بغداد وأخذ ملكة العراق، فقال لهم أبوهم: إن معز الدولة، قد ترك لابنه، أموالاً جزيلة، فلا تقدرن عليه، ما دامت في يده، ولكن اصبروا، حتى يتفقا، فإنه مبذر، فإذا أفلس، فثروا عليه، فإنكم تغلبونه لا محالة فحقد عليه ولده أبو تغلب، بسبب ذلك، ولم يزل بابيه، حتى سجنه بالقلعة، فاختلف أولاده بينهم، وصاروا أحزاباً، وضغفوا عن حفظ ما بأيديهم، حتى بعث أبو تغلب إلى عز الدولة، فضمن منه بلاد الموصل بألف ألف درهم كل سنة يجعلها إليه، وانفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة، واستقر أبو تغلب بالموصل، وملكها، إلا أنهم فيما بينهم مختلفون متحاربون.

وفي هذه السنة دخل ملك الروم إلى طرابلس، فأحرق كثيراً منها، وملك قلعة عرقة، ونهبها وسبى أهلها وكان في قلعتها صاحب طرابلس، كان لجأ إليها حين أخرجه أهل طرابلس منها، لشدة ظلمه، فأسرته الروم، واستحوذوا على جميع أمواله، وحواصله، وكانت كثيرة جداً. ثم مالوا على السواحل، فملكوا ثمانية عشر صييراً، سوى القرى، وتصر خلق كثير على

أيديهم، لعنهم الله تعالى.

الموسوي بظاهرها للمطيع لله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي الصراف، روى عن عبد الله بن أحمد وطبقته، وعنه خلق منهم الدارقطني. وقال ما رأت عينا مثله، في تحريره، ودينه وقد بلغ تسعا وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ محارب بن محمد بن محارب أبو العلاء القاضي الفقيه الشافعي من ذرية محارب بن دينار، وكان ثقة عالماً فاضلاً روى عن جعفر الفريابي وغيره.

أبو الحسين

■ أحمد بن محمد: المعروف بابن القطان أحد أئمة الشافعية، تفقه بآبائ سريح، ثم بالشيخ أبي إسحاق المروزي، وتفرّد برياسة المذهب، بعد موت أبي القاسم الداركي، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وكانت الرحلة إليه ببغداد، ودرس بها، وكب شيئا كثيرا، وكانت وفاته رحمه الله تعالى في جمادى الأولى من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة

في عاشر محرم منها، عملت الروافض بدعتهم المحرمة، على عادتهم المتقدم ذكرها. وفي ذي القعدة منها، أخذت القرامطة دمشق، وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح من جهة المعز الفاطمي، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام، وقد أمدّه عز الدولة من بغداد بسلاح، وعدد كثيرة، ثم ساروا إلى الرملة، فأخذوها، وتحصّن بها من كان فيها من المغاربة بيافا، فتركوا عليها من يحصرها ثم ساروا نحو الديار المصرية في جمع كثير من الأعراب والإخشيديّة والكافورية، فوصلوا عين شمس فاشتعلوا هم وجنود جوهر قتلاً شديداً، والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصراً عظيماً.

ثم حلت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة إلى الشام فجدوا في حصار يافا فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركباً ميرة لأصحابه، فأخذتها القرامطة سوى مركبين أخذتها مراكب الفرنج. وجرت خطوب كثيرة.

ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة:

زعمت رجال الغرب أنني فيهنّا فدمي إذن ما بينهما مظلون
يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يسوي شرك فلا سقاني التيل
وفيهما تزوج أبو تغلب بن حمدان ابنة تختار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صدق مائة ألف دينار، ووقع العقد في صفر.

وفيهما استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة صاحب أبا القاسم بن عباد فاصلح أمره كلّها وساس دولته جيداً.

وفيهما أذن بدمشق وسائر الشام بحي على خير العمل.

قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق: وأول من تأمر بها عن الفاطميين وهو الذي أمر بذلك نياحة عن المعز الفاطمي صاحب القاهرة، أخبرنا أبو محمد بن الألهاني قال: قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام: وفي يوم الخميس لحسن خلون من صفر سنة ستين

وجاؤا إلى حصص، فحرقوا، ونهبوا، ومكث ملك الروم شهرين، يأخذ ما شاء من البلاد، ويأسر من قدر عليه من العباد، وصارت له مهابة عظيمة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده، ومعه من السبي نحو من مائة ألف صبي وصبية، وكان سبب عوده إلى بلاده، كثرة الأمراض في جيشه، واشتياقهم إلى أولادهم وأهلهم وأوطانهم.

وبعث سرية إلى الجزيرة، فنهبوا، وسبوا، وكان قرعويه غلام سيف الدولة، قد استحوذ على حلب، وأخرج منها ابن أستاذ أبي المعالي شريف بن سيف الدولة، فسار إلى حران، وهي تحت حكمه، فأبوا أن يُدخلوه إليهم، فذهب إلى أمه بميفارقين، وهي ابنة سعيد بن حمدان، فمكث عندهما حيناً، ثم سار إلى حمّة، فملكها، ثم عاد إلى حلب، بعد ستين كما سنذكره فيما بعد.

ولما عاثت الروم في هذه السنة بالشام، صانعهم قرعويه عن حلب، وبعث إليهم بأموال، ونحف، ثم عادوا إلى أنطاكية، فملكوها، وقتلوا خلقاً كثيراً منها، وسبوا عامة أهلها، وركبوا إلى حلب، وأبو المعالي شريف محاصر غلامه قرعويه بها، فحافهم، أبو المعالي فهرب عنها، وحاصرها الروم، فأخذوا البلد، وامتعت القلعة عليهم، ثم اصطلحوا مع قرعويه، على هدنة مؤبّدة، ومال، يحمله إليهم كل سنة، وسلموا إليه البلد، ورجعوا عنه. وفي هذه السنة خرج على المعز الفاطمي، وهو يافريقية، رجل يقال له: أبو خزر، فنهض إليه المعز بنفسه، وجنوده، فهرب منه، فأرسل في طلبه يوسف بن بلكين بن زيري فشرده، وطرده، ثم عاد، فاستأمن، فقبل منه المفرد ذلك، وضح عنه، وجاءه الرسول من جوهر القائد إلى المعز في هذه السنة، يشره بفتح الديار المصرية، وإقامة الدعوة له بها، وطلبه إليها، ففرح بذلك المعز الفاطمي فرحاً شديداً، وامتدحه الشعراء، فكان ممن امتدحه شاعره محمد بن هاني في قصيدة أولها:

يقول بنو العباس هل فيحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر

وذكر ابن الأثير (الكامل) ٦٠٩/٦ - ٦٠٨، أن في هذه السنة توفي الثغفور الذي كان مستقراً، ثم صار ملك الروم، وأراد قتل إبنه الملك الذي كان قبله فغارت أمهما لما فقتله غيلة، قال: وقد كان من أبناء المسلمين، كان أبوه من أهل طرسوس، من خيار المسلمين، يعرف بابن الفقاس، فتتصر ولده هذا، وحظي عند النصارى، حتى صار من أمره ما صار، وكان من أشد الناس على المسلمين، وقد أخذ بلاداً كثيرة عنوة، من ذلك طرسوس، وأقنة، وعين زورية، والمصيصة، وغير ذلك من البلاد، وقتل خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وسى من المسلمين والمسلمات ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وهذا اللعين، وهو الذي بعث تلك القصيدة إلى المطيع لله، وقد أوردناها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ثم انتدب لها فيما بعد ذلك الفقيه الإمام. أبو محمد بن حزم الظاهري، فأجاب عنها جواباً شافياً كافياً، فجزاه الله عن الإسلام خيراً.

وفيهما راح عز الدولة صاحب بغداد، محاصرة عمران بن شاهين، فلم يقدّر عليه، فصالحه، ورجع إلى بغداد.

وفيهما اصطليح قرعويه، وأبو المعالي شريف، فخطب بحلب وله قرعوية بحلب، وخطباً جميعاً في معاملتهما للمعز الفاطمي، حمص، وخطب بمكة للمطيع بالله، وللقرامطة أيضاً، وبالمدية للمعز الفاطمي، وخطب أبو أحمد

وقيل في شوال منها.

■ أحمد بن محمد بن الفتح - ويقال: ابن أبي الفتح - بن خاقان، أبو العباس بن النجاشي، إمام جامع دمشق.

قال ابن عساكر (تاريخ دمشق ٤٣٩/٥): كان عبداً صالحاً، وذكر أن جماعة جاوزوا لزيارته فسمعه يتأوه من وجع كان به، فأتوا عليه، فلما خرج إليهم قال لهم: إن آه اسم من أسماء الله يستروح إليه الأعلاء، فقال: فزاد في أعينهم وعظموه.

قلت: هذا الذي قاله لا يؤخذ عنه مسلماً بلا دليل، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم، فإن أسماء الله تعالى توفيقية على الصحيح والله تعالى أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الروافض ببغداد البدعة التي تقررت من النوح على الحسين بن علي، رضي الله عنه وتبجحهم وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقاً كثيراً من أهل الرها، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن وصلوا نيسابين وفعّلوا كذلك ببلاد بكر، ولم يكن عن أهل تلك النواحي أبو تغلب بن حمدان متولياً شيئاً، ولم يكن عنده دفاع ولا له قوة، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد يستصرون ويستصرخون، فرثي لهم أهل بغداد وأرادوا إدخالهم على الخليفة المطيع لله فلم يمكن ذلك، وكان مختار بن معز الدولة مشغولاً بالصيد فذهبت الرسل وراعه فبعث الحاجب سبكتكين يستنصر الناس، فتجهز خلق كثير من العامة، وكتب إلى أبي تغلب أن يعد الميرة والإقامات، فأظهر السرور بذلك والفرح والابتهاج، ولما تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الروافض والسنة، فأحرقت السنة دور الروافض بالكربخ وقالوا: الشر كله منكم، وصارت العيارون ببغداد يأخذون أموال الناس، وتتقاضى التقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفضل الشيرازي، وأرسل مختار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالاً يستعين بها في هذه الغزوات، فبعث إليه يقول: لو كان الخراج يُجنى إلي لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه، ولكن أنت تصرف منه ما للمسلمين به ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء أبعت به إليك، فترددت البرد بينهما وأغلظ مختار للخليفة في ذلك وتهدهد فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئاً فيباع بعض ثياب بنه وشيئاً من أثائه، وتقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمئة ألف درهم فصرفها مختار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة، فتغنم الناس للخليفة وساءمهم ما فعل به ابن بويه من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد في سبيل الله، فلا جزاء الله خيراً عن المسلمين ولا عن إمامهم.

وفيها تسلم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين فقتل حواصلها وما فيها إلى الموصل.

وفيها اصطالح الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان هو وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على أن يجملا إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وتزوج بانية ركن الدولة، فحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحصى ولا يوصف.

وفي شوال منها خرج المغز الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً البلاد المصرية، بعدما مهّد له مولا جوه

وثلاثمائة أعلن المؤمنون في الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد، ومآذن المساجد يحي على خير العمل بعد حي على الفلاح، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح، ولم يقدروا على مخالفته، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بُدّاً. وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة منها أمر المؤمنون أن يُشعروا الأذان والتكبير في الإقامة مثني مثني. وأن يقولوا في الإقامة: حي على خير العمل، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تبارك وتعالى، والله أعلم.

ومَن توفي فيها من الأعيان

■ الرفاء الشاعر السري بن أحمد بن السري أبو الحسن: الكندي الرقا الشاعر الموصل، أرخ وفاته ابن الأثير في هذه السنة أعني سنة ستين وثلاثمائة، وكانت وفاته ببغداد، ذكر ابن الجوزي (المنظم ٢١٨/١٤) أنه توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي.

■ محمد بن جعفر: بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر البشار أصله أنباري. سمع من أحمد بن الحليل البرجلاني، ومحمد بن أبي العوام الرياحي، وجعفر بن محمد الصائغ، وأبي إسماعيل الترمذي. قال ابن الجوزي (المنظم ٢٠٧/١٤): وهو آخر من روى عنهم. قالوا: وكانت أصوله جيداً يحفظ أبيه، وسماعه صحيحاً، وقد انتفى عليه عُمر البصري وكانت وفاته. فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين.

■ محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الأجرقي: سمع جعفرأ الفريابي، وأبا شعيب الحراني، وأبا مسلم الكجي وخلقاً، وكان ثقة صدوقاً ديناً، وله تصانيف كثيرة مفيدة، منها «الأربعون الأجرية»، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله تعالى.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن مظفر، أبو عمرو الزاهد، سمع الكثير ورحل إلى الأفاق المتتالية، وسمع منه الحفاظ الكبار، وكان فقيراً متقللاً يضرب اللبن لفقير الفقراء، ويتقوت برغيف مجزرة أو بصلة، ويقوم الليل كله. وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة. ■ محمد بن داود أبو بكر الصوفي: ويعرف بالديقي أصله من الدينور وأقام ببغداد، ثم انتقل إلى دمشق، وقد قرأ على ابن مجاهد وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخراطمي، وصحبه ابن الجلاء، والدقاق. وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز المائة رحمه الله تعالى.

■ محمد بن القُرْخَان بن رُوْزْبه أبو الطيب الدوري، دخل بغداد وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكرو، وروى عن الجندب وابن مسروق، قال ابن الجوزي (المنظم ٢٠٩/١٤): وقد كان فيه ظرف ولباقة، غير أنهم كانوا يتهمون بوضع الحديث.

■ الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب: أبو القاسم الطبراني اللخمي الحافظ الكبير صاحب المعاجم الثلاثة: «الكبير»، و«الأوسط»، و«الصغير». وكتاب «السنة» وكتاب «مسند الشاميين»، وغير ذلك، من المصنفات الفريدة، عمر مائة سنة. وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان ودفن على بابها عند قبر حمة الدوسي الصحابي رضي الله عنه، قاله أبو الفرج بن الجوزي في «المنظم» (المنظم ٢٠٦/١٤).

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٤٠٧/٢): وسمع من ألف شيخ، قال: وكانت وفاته في يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة من هذه السنة

وفيها احترق الكرخ ببغداد وكان سببه أن صاحب المعرنة ضرب رجلاً من العامة فمات فثار به العامة وجماعة من الأتراك، فهرب منهم فدخل داراً فآخروجه مسحوا وقلوه وحرقوه، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي - وكان شديد التصبب للسنة - ويحث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى في دورهم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً، وسبعة عشر ألف إنسان، فعند ذلك عزل عز الدين بختيار ابن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة ولأها محمد بن بقية، فتعجب الناس من ذلك كثيراً، وذلك أن هذا الرجل كان وضعياً عند الناس لا حرمة له، كان أبوه فلاحاً بقرية أوانا، وكان هو من يخدم عز الدولة، يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه، إلى أن ولي الوزارة، ومع هذا كان أشد ظمناً للرعية من الذي قبله، وكثر في زمانه العياريون ببغداد، وفسدت الأمور ببغداد. ووقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن.

وفيها كان دخول المعز الفاطمي إلى الديار المصرية وصحبته توايبت أباه، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان منها، وقد تلقاه أعيان مصر إليها، فخطب الناس هناك خطبةً بليغةً أرتجالاً، ذكر فيها فضلهم وشرفهم، وقد كذب فقال فيها إن الله أغاث الرعايا بهم ويدلوهم. وحكى ذلك عنه قاضي بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه فسأله: هل رأيت خليفةً أفضل مني؟ فقال: لم أر أحداً من الخلفاء سوى أمير المؤمنين. فقال له: أحجبت؟ قال: نعم قال: وزرت قبر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قال: وقبر أبي بكر وعمر؟ قال: فتحيرت ماذا أقول ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء قتل: شغلني عنهما رسول الله كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد، ونهضت إليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيري.

ثم سار من الإسكندرية إلى مصر فدخلها في الخامس من رمضان من هذه السنة فتزل، القصرين قليل: إنه أول ما دخل إلى محل ملكه خر ساجداً شكراً لله عز وجل.

ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الإخشيدي تقدمت إليه فذكرت له أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قباه من لولو منسوج بالنهب، وأنه جحد ذلك، فاستحضره وقرره فجدد اليهودي ذلك وأنكره. فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره ويستخرج منها ما فيها، فوجدوا القباء بعينه قد جعله في جحرٍ ودفنها فيها، فسلمه المعز إليها فقدمت إليه وعرضته عليه فأبى أن يقبله منها ورقة عليها فاستحسن منه ذلك الحاضرون من مؤمن وكافر. وقد ثبت في الحديث (البخاري ٤٢٠٣) عن النبي ﷺ: فإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ السري الرفاء الشاعر بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الموصل، الشاعر، له ملائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والأمراء، وقد قدم بغداد فاتفق موته بها في هذه السنة، قال ابن خلكان [رويات الأعيان ٣٩٧/٢]: وقيل: في سنة أربع وقيل: خمس وستين. وقيل: سنة أربع وأربعين. قال [رويات الأعيان ٣٩٦/٢]: وكانت بينه وبين محمد وسعيد ابني هاشم الخالدين معادة، وادعى عليهما سرقة شعره، وكان مُتَعَيِّناً بنسخ ديوان كشاجم الشاعر، وربما زاد فيه من شعر الخالدين ليكثر حجمه

القائد أمرها وأطاعها له وبنى له بها القصرين، واستخلف المعز الفاطمي على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نواباً من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد، واستصحب معه شاعره محمد بن هاتن الأندلسي، فتوفي في أثناء الطريق، على ما سنذكره وكان قد قدم المعز إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية على ما سيأتي.

وفيها حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطالبين كلهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سعيد بن أبي سعيد الجناي، أبو القاسم القرمطي الهجري، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه.

■ عثمان بن عمر بن خفيف، أبو عمرو المقرئ المعروف بالدرّاج، حدث عن أبي بكر بن أبي داود وعنه ابن زرقون، وكان من أهل القرآن والفقه والدرابة والديانة والستر، جميل المذهب، وكان يعد من الأبدال. وكانت وفاته يوم الجمعة في رمضان من هذه السنة رحمه الله.

■ علي بن إسحاق بن خلف، أبو الحسن القطان، الشاعر المعروف بالزاهي، ومن شعره:

قَمِ نُهْنِي عَاشِقَيْنِ أَصْبَحَا مُصْطَحِيَيْنِ
جَمْعًا بَعْدَ فِرَاقٍ فُجِعَا مِنْهُ وَتَبَيْنِ
نَمِ عَادَا فِي سُرُورٍ مِنْ صُدُودِ آبَيْيْنِ
بِهِمَا رُوحٌ وَلَكِنَّ رَكِبَتْ فِي بَذْنَيْنِ

■ محمد بن حميد بن مهلب بن إسماعيل بن شداد أبو بكر المخزومي، سمع أبا خليفة وجعفرأ البرقي، وابن جرير وغيرهم، وعنه الدارقطني وابن خفويه وأبو نعيم، وقد ضعفه البرقاني وابن أبي الفوارس وغيرهما.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة

عملت الروافض بدعتهم في عاشوراء من النياحة وتعليق المسوح وغلز الأسواق.

وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني وابن النفاق الحنبلي بمعز الدولة بختيار بن معز الدولة بنبويه وجرّضوه على غزو الروم فبعث جيشاً لقتالهم فآظفوه الله بهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس والله الحمد والملة.

وفيها سارت الورم مع الدمشق لعنه الله إلى حصار آمد وعليها هزارمرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستصره فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله فلقياه في آخر يوم من رمضان في مكان ضيق لا مجال للخيل فيه، فآقتلوا مع الروم قتالاً شديداً فمزمت الروم على الفرار فلم تقدر فاستحرق فيهم القتل وأخذ الدمشق أسيراً فاودع في السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات في السنة القابلة، وقد جمع له أبو تغلب الأطباء له فلم ينفعه شيء.

ويؤنهما بالكذب.

وكان قد امتدح سيف الدولة فأجرى له رزقاً فلم يزل به الخالداني حتى قطعاً رَسَمَهُ من عنده، فدخل بغداد وامتدح الوزير المهلب، فرحلا وراه فلم يزل في ثلبه عنده حتى هجره وقلاه، فركبه الذين ومات في هذه السنة.

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٣٦٠/٢، ٣٦١]: وللسري الرفاء هذا ديوان شعر كبير جيد فمن شعره قوله:

يلقى الندى يريق وجعاً مسفرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صَفِيحاً
رحب المنازل ما أقام، فإن سَرَى في جفيل ترك الفضاء نَضِيحاً
وقوله:

البستي نعماً رايت بها اللُجى صباحاً وكنت أرى الصباح بهيما
نفذت يميني الصديق وقبَلها قد كان يلقاني العدو رحيماً
وقوله:

بنفسى من أجود له بنفسى ويخَلُّ بالتجربة والسلام
وحضى كامنٍ في مقتلِهِ كُموُن الموت في حدِّ الحسام

■ محمد بن هاني، الأندلسي الشاعر كان قد استصحبه المعز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مدح الديار المصرية، فلما كان ببعض الطريق، وجد محمد بن هاني مقتولاً مجدلاً على حافة البحر وذلك في رجب منها، وقد كان شاعراً مطبقاً قوي النظم إلا أنه كفره غير واحد من العلماء في مبالغته في مدائحه، فمن ذلك قوله بمدح المعز قَبِحَها الله.

ما شئت لا ما شامت الأقدارُ فاحكم فانت الواحدُ القَهَّارُ
وهذا خطأ كبير، وكفر كبير.

وقال أيضاً قبحه الله وأخذه وفضَّه فاه:

ولطالما زاحمتُ تحت ركبائه جَنِيناً
ومن ذلك قوله - قال ابن الأثير - ولم أجد ذلك في ديوانه:

حلُّ برْقادة المسيح جُلُّ بها آدم ونسوحُ
حلُّ بها الله ذو المعالي فكل شيءٍ سواه ربحُ
قال ابن الأثير [الكامل ٦٢١/٨]: وقد شرع بعض المتعصين في الاعتذار عنه. فآله أعلم.

قلت: هذا الشعر إن صح عنه فليس عنه اعتذار، لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار.

ومن تولى ليها:

■ إبراهيم بن محمد بن سَخَوَيْه بن عبد الله المزكي أحد الحفاظ المبرزين اتفق على الحديث وأهله أسوالاً جزيلة وسمع الناس بتخريجه، وعقد له مجلس للإملاء ببسايور، ورحل وسمع من المشايخ شرقاً وغرباً، ومن مشايخه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار الحديث، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه، وكانت وفاته في هذه السنة عن سبع وستين سنة.

■ سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد: أبو عمرو التَزَدَعِي أحد الحفاظ، روى عن الدارقطني وغيره.

■ محمد بن الحسن بن كوفّر بن علي: أبو بحر البرهاري، روى عن

إبراهيم الحري وتمام والباغندي والكديسي وغيرهم، وقد روى عنه ابن رزقويه وأبو نعيم والتخب عليه الدارقطني، وقال: اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده. وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخطئه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب أيضاً.

القاضي

■ الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المُرُوزِي أحد مشايخ المذهب في زمانه وله التعليقة المشهورة تفقه بأبي بكر الفضال المروزي، وأخذ عنه جماعة منهم البغوي صاحب «التهذيب» و«التفسير» و«شرح السنة» و«المصابيح» وغير ذلك، وقد ذكرته في «الطبقات» بما فيه كفاية. قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ١٣٤/٢]: وإذا قال الإمام والغزالي: قال القاضي، فهو هذا، والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

لها عُمِلَت البلدة الشنعا على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والروافض، وكلا الفريقين قليل عقل، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير، وعانت العيارون في البلد بالفساد، ونهب الأموال وقتل الرجال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت النفوس.

ولها أخذ عز الدولة بختيار بن معز الدولة الموصل، وزوج ابنته من أبي تغلب بن حمدان.

ولها وقعت الفتنة بالبصرة، بين الديلم والأتراك، فقويت الديلم على الترك بسبب أن الملك فيهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وحسبوا رؤوسهم ونهبوا كثيراً من أموالهم. وكتب عز الدولة إلى أهله إنني سأكتب إليكم أنبي قذيتُ فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء، فإذا جاء سيكتين للتعزية فاقبضوا عليه فإنه ركن الأتراك ورأسهم. فلما جاء البريد إلى ببغداد بذلك أظهروا النوح والصراخ ففهم سيكتين أن هذه مكيدة فلم يقربهم، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة، وركب من فوره في الأتراك فحاصروا دار عز الدولة ببغداد يومين، ثم أنزل أهله منها ونهب ما فيها وأحدرهم من دجلة إلى واسط مغنيين، وكان قد عزم على بعث الخليفة إليه، فعفا عنه وأقره بداره، وقويت شوكة سيكتين والأتراك ببغداد، ونهبت الأتراك دور الديلم، وخلع سيكتين على رؤساء العامة، لأنهم كانوا معه على الديلم، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ خرقاً ثانياً، وظهرت السنة على أيدي الأتراك، وخلع المطيع وولي ولده الطائع لله على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

خلافة الطائع وخلع أبيه المطيع لله

ذكر ابن الأثير [الكامل ١٣٧/٨] أنه لما كان اليوم الثالث عشر من ذي القعدة، وقال ابن الجوزي في «مستظمه» [النظم ٢٢٥/١٤]: كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه فقتل لسانه، فسأله سيكتين أن يخلع نفسه ويؤتَى من بعده ولده الطائع، فأجاب فعمدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدي الحاجب

الروم بسهم ورميتُ المغاربة - يعني الفاطميين - بسبعة، فسُلخ بين يدي المعز وحشي جلده تَبْناً وصلب بعد ذلك. ولما تفرغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم بن موهوب فقتله إلى ظاهر البلد وأكرمه وأثَرله ظاهر دمشق، فأفسد أصحابه في الغوطة والمرج ونهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات على الناس، ونحوَل أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب، وجيء بمجماعة من القتلَى فالقوا في الجامع فكش الضجيج، وغلقت الأسواق، واجتمعت العامة للقتال، والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانتهزت العامة غير مرة، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفرائيس، فاحترق شيء كثير من الأموال والدور، ولبت الحرب بينهم إلى ستة أربع وستين وأحرق البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتولية جيش بن مصامة ابن أخت أبي محمود بقبحة الله، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد، ومات كثير من الفقراء في الطرقات من كثرة الجوع والعطش، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الطواشي ريان الخادم من جهة المعز، فسكنت الأمور و الله الحمد.

ولما قويت الأتراك ببغداد تحيّر عز الدولة بختيار بن معز الدولة في أمره وما يصنع وهو بالأهواز فأرسل إلى عمّه ركن الدولة يستجده فأرسل إليه بعسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة تباطأ عليه وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان فأظهر نصره وإنما يريد في الباطن أخذ بغداد، وخرجت الأتراك من بغداد في جحفل كثير ومعهم الخليفة الطائع، وأبوه الطمع، فلما انتهوا إلى واسط توفي الطمع لله وبعد أيام توفي سبكتكين أيضاً، فحملوا إلى بغداد فالتفت الترك على أمير يقال له: أفتكين، فاجتمع شملهم والتقوا مع بختيار فضعف أمره جداً وقوي عليه ابن عمه عضد الدولة فأخذ منه ملك العراق ونمقر شمله، وتفرق أمره.

وفيها خطب للمعز الفاطمي بالخرمين مكة والمدينة النبوية.

وفيها خرج جمع من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وعطّلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام. وفي هذا العام انتهى «تاريخ» ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وأوله من أول دولة المقتدر ستة خمس وتسعين ومائتين. وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط.

وحجّ بالناس في هذه السنة الشريف أبو أحمد الموسوي، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة فتم حجهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ العباس بن الحسين: أبو الفضل الشيرازي الوزير لمعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وكان من المتصيين للسنة، عكس غلوه، فزله وولى محمد بن بقية البابا كما تقدم، وحس هذا فقتل في محبة في ربيع الآخر منها، عن تسع وخمسين سنة، وكان فيه ظلم وحيف والله أعلم.

أبو بكر

■ عبد العزيز بن جعفر بن أحمد القتيبي الحنبلي المعروف بسلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان وعن صف وجمع وناظر، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته، وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين. قال ابن الجوزي (المنظوم ٢٣١/١٤): وله «المنقع» في مائة جزء، «والشافعي»

سبكتكين، وخلع أبوه الطمع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة، ولكن تعرض منها بولاية ولده.

واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم بن الطمع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد أبي العباس أبي أحمد بن الأمير أبي أحمد المؤثق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، ولم يزل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواء، ولا من أبوه حي سواء، وسوى أبي بكر الصديق عليه السلام. ولم يزل الخلافة من بني العباس أسن منه حال الولاية، كان عمره ثمانياً وأربعين سنة، وكانت أمه أم ولد اسمها غنم، وكانت تعيش أيضاً يوم يبيع بالخلافة. ولما يبيع الطائع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجيش، ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملك ولقبه نصر الدولة، وعقد له لواء الإمارة. ولما حضر الأضحى ركب الطائع وعليه السواد، فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة.

وحكى ابن الجوزي في «المنظوم» (المنظوم ٢٢٤/١٤) أن الطمع لله كان يسمى بعد خلعهم بالشيخ الفاضل.

ذِكْرُ الحَرْبِ بَيْنَ المَعَزِ الفَاطِمِيِّ

والحسن بن أحمد القرمطي

لما استقر المعز الفاطمي بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتأخذ ملكه، سار إليه الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء في جمع كثير من أصحابه، والتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي، في عرب الشام يكماهم، فلما سمع بهم المعز الفاطمي أسقط في يده لكثرتهم، وكتب إلى القرمطي يستلمه ويقول له: إن دعوة آبائنا إنما كانت إلى آبائي قديماً، فدعوتنا واحدة، ويذكر فيه فضله وفضل آبائه، فرد الجواب: وصل كتابك الذي كثر تفضيله وقل تحصيله ونغن سائرون إليك على إثره والسلام. فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهباً وإفساداً وحار المعز فيما يصنع لكثرة من مع القرمطي وضعف جيشه عن مقاومتهم، فعدل إلى المكيدة والخديعة، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذل بين الناس، فأرسل إليه أن ابعت لي بما التزمت وتعال بمن معك، فإذا التقينا انتهزت بمن معي فأرسل إليه المعز بمائة ألف دينار في أكياس، ولكن أكثرها زغل أكثرها ضرب النحاس ولبسه الذهب وجعله في أسفل الأكياس، ووضع في رؤوس الأكياس الدنانير الخالصة، ولما بعثها إليه ركب في إثرها بجيشه فالتقى الناس ولما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم انتهزم حسان بن الجراح بالعرب فضعف جانب القرمطي وقوي عليه الفاطمي فكسره، وانتهزت القرامطة بين يديه فرجعوا إلى أفرعات في أذل حال وأقله، وبعث المعز في آثارهم القائد أبا محمود بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف فارس، ليحسم مادة القرامطة.

ملك المعز الفاطمي دمشق وانتزاعه إياها من يد القرامطة

لما انتهزم القرمطي وأصحابه بعث المعز سرية عليهم ظالم بن موهوب العقيلي، أميراً على دمشق فتسلها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا النجاشي القرمطي وابنه، واعتقل رجلاً يقال له: أبو بكر من أهل نابلس، كان يتكلم في الفاطميين ويقول: لو كان معي عشرة أسهم لرميت

أبي فراس، وإنما ذكرها ابن الجوزي في «المنتظم» من شعر أبي فراس نفسه، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما.

وذكر من شعر أبي فراس. أشياء حسنة فمن ذلك قوله في قصيدة [المنتظم ٢٢٩/٤]:

سيفقدي قومي إذا جدَّ جلُّهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدرُ
ولو سَدَّ غيري ما سببت اكفوا به وما كان يغلو التبر لو نفع الصُّبرُ
ومن ذلك قوله من قصيدة [المنتظم ٢٣٠/١٤]:

لئلا أشكو إننا في منازل نحكم في أساهن كجلاّب
فلينك نخلو والحياة مريّة ولينك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي ينسى وبينك عامر وينسى وبين المعالين خراب

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، إلى واسط، ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد فهرب منه أفنكين في جماعة الأتراك إلى بغداد فسار وراءهم فنزل في الجانب الشرقي وأمر بختار أن ينزل على الجانب الغربي، وحصر الترك حصراً شديداً، وأمر أمراء الأعراب، أن يغيروا على الأطراف، ويقطعوا الميرة الواصلة إلى بغداد فغلبت الأسعار ببغداد جداً، وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهب وكبس أفنكين البيوت لطلب الطعام واشتد الحال ثم التقت الأنسراك وعضد الدولة، فكسرهم، وهربوا إلى تكريت، واستحوذ عضد الدولة على بغداد، وما والاها من البلاد، وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فردوه عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرماً، ونزل هو بدار الملك، فصَفَّح أمر بختار جداً، ولم يبق معه شيء بالكلية فأغلق بابَه وطرده الحجابة والكعبة عن بابِه، واستغنى عن الإمارة، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة، فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر، وقد أشار عليه في الباطن، أن لا يقبل فلم يقبل.

وترددت الرسل بينهما، فصمم بختار على الامتناع ظاهراً، فألزمه عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزاً منه عن القيام بأعباء الملك، فأمر بالقبض على بختار وعلى أهله وإخوته، فحرق بذلك الخليفة الطائع لله وسر به، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارساً، وجلد دار الخلافة، حتى صار كل محل منها آتساً، وأرسل إلى الخليفة بالأموال الكثيرة والأمتعة الحسنة، وقتل جماعة المفسدين مرّة الترك، وشطّر العيَّارين.

قال ابن الجوزي [المنتظم ٢٣٤/١٤، ٢٣٥]: وفي هذه السنة، عظم البلاء بالعيَّارين ببغداد وأحرقوا سوق باب الشعر وأخذوا أموالاً كثيرة وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد وأخذوا الخضر من الأسواق والدروب، وعظمت الحجة بهم جداً، واستفحل أمرهم كثيراً، حتى إن رجلاً منهم، أسود كان مستضعفاً، نجم فيهم، فكثرت ماله، حتى اشترى جاريةً بألف دينار، فلما حصلت عنده، حاولها عن نفسها، فأبت عليه فقال لها: ما تكرهين مني؟ قالت: أكرهك كلك فقال: فما تحبين؟ قالت: تبيعني، قال: أو خير من ذلك؟ فحملها إلى القاضي، فاعطتها، وأعطاهما ألف دينار، وأطلقها، فتعجب الناس من حلمه، وكرمه، مع فسقه، وتمردّه.

قال: وورد الخبر في الحرم، بأنه خطب للعرز الفاطمي بمكة والمدينة في

في ثمانين جزءاً، «وزاد المسافر» «والخلاف مع الشافعي» وكتاب «القولين» و«مختصر السنة»، وغير ذلك في التفسير والأصول.

■ علي بن محمد: أبو الفتح البستي الشاعر المشهور، له ديوان جيد قوي، وله في المطابقة والمجانسة يد طويلة، ومبتكرات أولى. وقد ذكر ابن الجوزي في «المنتظم» [المنتظم ٢٣١/١٤-٢٣٣] من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم، فمن ذلك قوله:

إذا قُبِضْتُ يَمْسُورُ مِنَ الْقُسُوتِ بَقِيْتُ فِي النَّاسِ حُرّاً غَيْرَ مَمْقُوتِ
يَا قُوتِ يَوْمِي إِذَا مَا دَرَّ خُلْفُكَ لِي فَلَسْتُ أَسَى عَلَى دُرِّ وَيَا قُوتِ
وله:

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُتَعَبِي لِبِقْتَدِي فِيهِ بِمَنْهَاجِي
مَنْهَاجِي الْعَدْلُ وَقَمْعُ الْمَوِي فَهَلْ لِيْ مِنْهَاجِي مِنْ هَاجِي
وله:

أَنْدَ طَبْعُكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً تَجُمُّ، وَعَلَهُ بِشْيءٍ مِنَ الْمَرْجِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تَعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْجِ
وله:

إِذَا خَدِمْتَ الْمَلُوكَ فَالْأَيْسَرُ مِنَ التَّوَقُّسِ اعْزِزْ مَلَبَسَكَ
وَادْخُلْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ أَعْمَى وَاخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسَكَ
وله:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِباً وَقَتْلُهُ وَغَرَقَهُ غَمّاً
فَسَامِ الْعُلَا وَازِدْ مِنَ الْفَضْلِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ فَضْلَا زَادَ حَاسِبُهُ غَمّاً
وله:

إِنْ أَسِيفَانَا الْيُضَابَ الدَّوَامِي صَبَرْتُ مَلَكاً طَوِيلَ الدَّوَامِ
لَمْ نَسْزَلْ نَحْنُ فِي سِلْدَادِ غُفُورٍ وَاصْطِلَامِ الْأَعْدَاءِ مِنْ وَسْطِ لَامٍ
وَاقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامٍ وَاقْتِصَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامٍ
وله:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَنْقُيْ بِخِذَتَيْهِ أَنْتَ طَلِبَ الرِّيحِ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فُضَائِلَهَا فَانْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

■ أبو فراس بن حمدان الشاعر: له ديوان مشهور. استأبه أخوه سيف الدولة على حران ومنبج، فقاتل مرّة الروم فأُسِرَ، ثم استنقذه سيف الدولة، واتفق موته في هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة، وله شعر رائع ومعاني حسنة.

وقد رثاه أخوه سيف الدولة:

المرء نَصَبُ مَصَائِبٍ لَا تَنْقُصِي حَتَّى يَسْوَى جِسْمُهُ فِي رَمِيٍّ
فَمَوْجِلْ يَلْقَى الرَّدَى فِي غَيْرِهِ وَمُعْجِلْ يَلْقَى الرَّدَى فِي نَفْسِهِ
وَاتَّقِ، أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ: قُلْ فِي مَعْنَاهَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

نَنْ يَتَمَنَّ الْعَمْرَ فَلْيُخْذْ صَبْرًا عَلَى قَدِّ أَحْيَالِهِ
وَمَنْ يَعْمُرْ يَلْقَى فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَغْنَائِهِ
كلنا ذكر ابن الساعي هذين البيتين، من شعر سيف الدولة، في أخيه

الموسم، ولم يحطب للطائع.

قال: وفي رجب منها، غلت الأسعار ببغداد، حتى بيع الكُرُّ الدقيق الخَوَّاري بمائة ونيف وسبعين ديناراً.

قال: وفيها اضمحَلَّ أمر عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وتفرق جندته عنه، ولم يبق معه سوى بغداد وحلجها، فبعث إلى أبيه، يشكو له ذلك، فأرسل يلومه على الغدر بآبٍ عمه عز الدولة فلماً بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس، بعثاً أخرج ابن عمه بختيار من السجن، وخلع عليه، وأعادته إلى ما كان عليه، وشرط عليه أن يكون نائباً له بالعراق، يحطب له بها، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور، واستمر ذاهباً إلى بلاد فارس، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك، وغضبه عليه، بسبب غدره بآبٍ عمه، وتكرار مكابته إليه في ذلك.

ولما سار عضد الدولة ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ليحظه بعد ثلاث فتشغل بالقتال مع عز الدولة واللعب واللهو فأوجد ذلك وحشة بين عضد الدولة وبين ابن العميد فكان ذلك سبب هلاك ابن العميد، ولما استقر أمر عز الدولة بختيار ببغداد، وملك العراق لم يبق لابن عمه عضد الدولة بشيء مما كان عاهدته عليه، ولا ما كان التزم له به بين يديه، بل تمادي في ضلاله القديم، واستمر على سنته الذي هو غير مستقيم.

قال: وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة، تزوج الخليفة الطائع لله شاه ناز بنت عز الدولة، على صداق مائة ألف دينار.

وفي سلخ ذي القعدة، عزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح ابن أم شيان وقلده أبو محمد بن معروف.

وأقام الحج في هذه السنة أصحاب المعز الفاطمي، وخطب له بالحرمي الشريفين، دون الخليفة الطائع، والله سبحانه أعلم.

ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابن الأثير في كتابه [الكامل ٢٥٩/٨] أن أفتكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته، كما تقدم، والتف عليه عساكر وجيوش من البيلم، والترك، والأعراب، نزل في هذه السنة على دمشق ليأخذها من أيدي الفاطميين، وكان عليها ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي، فلما نزل بظاهرها، خرج إليه كُبراءها، وشيوخها، فذكروا له ما هم فيه من الظلم، والغشم وخالفته الاعتقاد، بسبب ملك الفاطميين عليهم، وسأله، أن يصمم على أخذ البلد ليستفد منها منهم فعند ذلك صمم على أخذها ولم يزل حتى أخذها وأخرج ريان الخادم منها، واستقل بآمرها وكسر أهل الشر، ورفع أهل الخير، ووضع العدل فيهم، وقمع أهل اللعب واللهو، وكف أيدي الأعراب، الذين كانوا قد عاثوا في الأرض فساداً، وأخذوا عامة المروج، والغوطة، ونهبوا أهلها.

ولما استقامت الأمور على يديه، وصلى أمر أهل الشام عليه، كتب إليه المعز الفاطمي من مصر يشكر سعيه ويطلب إليه ليخلع عليه ويعمله نائباً من جهته فلم يجبه إلى ذلك وخاف غائلته، وقطع خطبته من الشام وخطب للطائع العباسي، وقصد صيدا، وبها خلق من المغاربة، عليهم إسن الشيخ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان نائباً على دمشق للمعز الفاطمي كما تقدم فأساء بها السيرة، فحاصره، ولم يزل حتى أخذ البلد منهم، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف من سرائرهم، ثم قصد طبرية، ففعل بأهلها

مثل ذلك، فعند ذلك، عزم المعز الفاطمي على السير إليه وقتاله، فيمنا هو يجمع له ويرتب الجيوش، إذ توفي المعز بمصر في سنة خمس وستين كما سيأتي، وقام بعده ولده العزيز، فاطماً عند ذلك أفتكين بالشام، واستعمل أمره وقوت شوته، فتشاوروا المصريون في أمره، فاتفق رأيهم على أن يعثوا جوهراً للقائد إليه، وذلك على رأي الوزير يعقوب بن كُلس، فلماً عجز جوهراً القائد لتقصد الشام حلف أفتكين أهل دمشق على مناصرتهم ومناصحتهم، فحلوا له بذلك وجاء جوهراً، فحصر دمشق سبعة أشهر، حصراً شديداً، ورأى من شجاعة أفتكين ما بهره، وحين طال الحال، أشار من أشار من الدماشق على أفتكين أن يكتب إلى الحسن بن أحمد القرمطي وهو بالأحساء ليجيء إليه، فلما كتب إليه، أقبل لنصره، حين سمع به جوهراً يقدمه لم يمكن أن يبقى بين عجلين من داخل البلد ومن خارجها فارتحل قاصداً الرملة، فتبعه أفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفاً، فتراجعوا عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرملة وحاصروا جوهراً بالرملة، فضاقت حاله جداً، من قلة الطعام والشراب، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك سريعاً، فسأل أن يجتمع هو وأفتكين، على ظهور الخيل، فاجابه إلى ذلك، فلم يزل يترقب له، أن يطلقه، ليرجع بمن معه من أصحابه إلى أستاذة شاكراً له، شيئاً عليه الخيرة، ولا يسمع من القرمطي رأي فيه وكان جوهراً داهية فاجابه إلى ذلك، فندم القرمطي، وقال: الراي أنا كنا نحصرهم، حتى يموتوا عن آخرهم، فإنه الآن سيذهب إلى سيده فيخبره، ثم يخرجهم إليها، ولا طاقة لنا به. فكان الأمر كما قال، فإنه لما أطلقه أفتكين من الحصر، لم يكن له دأب، إلا أنه حث العزيز على الخروج إلى أفتكين بنفسه وجيوشه، فاقبل في جيحافل أمثال الجبال، وفي كثرة من الرجال، والعهد والأثقال، والأموال، وعلى مقدمته جوهراً القائد. وجمع أفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب، وساروا إلى الرملة، فالتقوا في محرم، سنة سبع وستين، ولما تواجها، رأى العزيز من شجاعة أفتكين ما بهره، فأرسل إليه، يعرض عليه، إن أطاعه، ورجع إليه، أن يجعله مقدم عساكره، وأن يحسن إليه غاية الإحسان فترجل أفتكين عن فرسه، بين الصفيين، وقبل الأرض نحو العزيز، وأرسل يقول إليه: لو كان هذا قبل هذا لأمكنني، وسارعت، وأطعت، وأما الآن فلا. ثم ركب فرسه، وحمل على اليسرة، ففرق شملها، ويدخل خيلها، ورجلها، فبرز عند ذلك العزيز من القلب، وأمر الميمنة، فحملت حلة صادقة، فانهزم القرمطي، وتبعه بقية الشاميين، وركبت المغاربة أفتكين، يقتلون، ويأسرون من شأؤوا، وتحول العزيز فتزل خيام الشاميين بمن معه من الجيوش وأرسل السرايا وراءهم، وجعل العزيز لا يؤتى بأسير، إلا خلع على من جاء به، وجعل لمن جاءه بأفتكين مائة ألف دينار، فاتفق أن أفتكين عطش وهو منهزم عطشاً شديداً، فاجتاز بمفرج بين دغفل، وكان صاحبه، فاستسقاء فسقاء ماء، وأنزله عنده في بيوته، وأرسل إلى العزيز يخبره، بأن الذي يطلب عنده، فليحمل إليه الذهب، فأرسل إليه بمائة ألف دينار، وجاء من تسلمه منه، فلما أحيط بأفتكين، لم يشك أنه مقتول، فما هو إلا أن حضر عند العزيز أكرمه غاية الإكرام واحترمه غاية الاحترام ورد إليه حواصله، وأمواله، لم يفقد منها شيئاً، وجعله من أخص أصحابه، وأمراته، وأنزله إلى جانب منزله، ورجع به إلى الديار المصرية، مكرماً، معظماً، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة، وأرسل إلى القرمطي يعرض عليه، أن يقدم عليه، ويكرمه، كما أكرم أفتكين، فامتنع، وخاف على نفسه، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار، وجعلها له في كل سنة، يكف بها شره، ولم يزل أفتكين مكرماً عند العزيز حتى وقع بينه وبين

أموالهم وسى فرارهم، فلم ير سبي أحسن اشكالا منهم، فيما ذكره أهل تلك البلاد، في ذلك الزمان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن جعفر بن محمد بن سَلَمَ أبو بكر الحنطلي، له مسند كبير، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي محمد الكنجي، وخلقه، وروى عنه الدارقطني، وغيره، وكان ثقة، قارب التسعين.

■ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصائغ، المؤرخ فيما ذكره ابن الأثير في «الكامل» (الكامل ٦٦٨/٨).

■ الحسين بن محمد بن أحمد: أبو علي الماسرجسي الحافظ، رحل، وسمع الكثير، وصنف مسنداً في ألف وثلاثمائة جزء، بطرقه وعلله، وله «المغازي» و«القبائل»، وخرج على الصحيحين، وغيرهما.

قال ابن الجوزي (المنهاج ٢٩٢/١٤): وفي بيته، وسلفه، تسعة عشر محدثاً، توفي في رجب من هذه السنة.

الحافظ أبو أحمد

■ عبد الله بن عدي بن عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن أبي أحمد الجرجاني الكبير، المقيد، الإمام، العالم، الجوال النقال، الرخال، له كتاب «الكامل» في الجرح والتعديل، لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق في شكله. قال حمزة عن الدارقطني: فيه كفاية، لا يزداد عليه. ولد ابن عدي، في سنة سبع وسبعين ومائتين وهي السنة التي توفي فيها أبو حاتم الرازي، وتوفي ابن عدي في جمادى الآخرة من هذه السنة.

المعز الفاطمي

باني القاهرة المعزية معد بن إسماعيل بن سعيد ابن عبيد الله أبو تميم المدعي أنه فاطمي، صاحب الديار المصرية، وهو أول من ملكها من الفاطميين، وكان ملكهم ببلاد إفريقية، وما والاها من بلاد المغرب، فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، بعث بين يديه جوهرًا القائد، فآخذ له البلاد المصرية، من كافور الإخشيدي، بعد حروب تقدم ذكرها، واستقرت يد جوهر القائد عليها، فبنى بها القاهرة المعزية، ونزل الملك الكنان المسمى بالقصرين ثم أقيمت الحظية للمعز الفاطمي، في سنة ثنتين وستين وثلاثمائة، وقدم المعز كما ذكرنا، في جحافل عظيمة، ومعه الأمراء من المغاربة، والأكابر والقواد، وحين نزل الإسكندرية، تلقاه وجوه الناس إليها، فخطبهم بها خطبة بلغة افتخر فيها بنسبه وملكه وادعى أنه يعدل وينصف المظلوم من ظاله، وأن الله قد رحم الأمة بهم واستغفرهم من أيدي الظلمة إلى عديم وإنصافهم، وهو مع ذلك يذمي ظاهر الرفض، ويظن - كما قال القاضي الباقلاني - الكفر المحض، وكذلك أهل طاعته، ومن نصره، ووالاه واتباعه في مذهبهم، فيحجم الله وياه.

وقد أحضر إلى بين يديه، الزاهد، العابد، التقى، أبو بكر النابلسي، فأوقف بين يديه فقال له المعز: بلغني، أنك قلت: لو كان معي عشرة أسهم، لرميت الروم بسهم، ورميت المغزيين بتسعة، فقال: ما قلت هذا فظن أنه قد رجع، وقال: فكيف قلت؟ قال: قلت ينبغي أن يرميكم تسعة، ثم نرميهم بالعاشر قال: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وادعيتهم نور الإلهية. فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرب بالسياط في اليوم الثاني ضرباً شديداً مبرحاً، ثم أمر بسلخه في اليوم

الوزير يعقوب بن كلس، فعمل عليه، حتى سقاه سُمًا، فمات، وحين علم الخليفة بذلك غضب على الوزير، وحسبه بضماً وأربعين يوماً، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار، ثم رأى أنه لا غنى به عن الوزير، وأعاده إلى الوزارة وذهب أفتكين في حال سبيله. وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير في «كامله».

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ سبكتكين الحاجب الوكي، مولى المعز الدبلي وحاجبه، وقد ترقى في المراتب، حتى آك به الحال، إلى أن قلده الطائع الإمارة، وتخلع عليه، وأعطاه اللواء، ولقبه بنور الدولة، وكانت مدة دولته في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً، ودفن ببغداد، وداره هي دار الملك ببغداد، وهي دار عظيمة جداً، وقد اتفق له، أنه سقط يوماً عن فرسه، فانكسر ضلعه، فداواه الطبيب، حتى استقام ظهره وقدر على الصلاة، إلا أنه لم يستطع الركوع، فأعطاه شيئاً كثيراً من الأموال، وكان يقول للطبيب: إذا ذكرت مرضي، ومداواتك لي، لا أقدر على مكافأتك، ولكن إذا تذكرت، وضعت قلميكم على ظهري، اشتد غيظي منك.

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء، لسبع بقين من الحرم، وقد ترك من الأموال شيئاً كثيراً جداً، من ذلك ألف ألف دينار، وعشرة آلاف درهم، وصندوقان من جوهر، وخمسة عشر صندوقاً من البثور، وخمسة وأربعون صندوقاً من آنية الذهب، ومائة وثلاثون مركباً من ذهب، منها خمسون وزن كل واحد ألف دينار، وستمئة مركب من فضة، وأربعة آلاف ثوب من ديباج، وعشرة آلاف ديبقي وعُتَابِي، وثلاثمائة عُدل معكومة من الفرس، وثلاثة آلاف فرس، وبغل ألف جمل، وثلاثمائة غلام، وأربعون خادماً، وذلك غير ما أودع عند أبي بكر البزار صاحبه والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

فيها قسم ركن الدولة بن بويه مملكه بين أولاده، عندما كبرت سنه، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس، وكرمان، وأرجان، ولولده مؤيد الدولة، الري وأصبهان، ولغير الدولة، مَمَّذَان، والدينور، وجعل ولده أبا العباس، في كثف عضد الدولة، وأوصاه به.

وفيها جلس قاضي القضاة، ببغداد أبو محمد بن معروف، في دار عز الدولة وفي مجلسه، عن أمره له في ذلك لفصل الحكومات، وحكم بين الناس بين يديه، وفيها حج بالناس أمير المصريين من جهة العزيز بن المعز الفاطمي، بعدما حوَصر أهل مكة، ولقوا شدة عظيمة، وغلت الأسعار عندهم جداً.

ذكر ابن الأثير (الكامل ٦٦٥/٨)، أن في هذه السنة ذهب يوسف بلكين - نائب المعز الفاطمي على بلاد إفريقية - إلى سبته، فأشرف عليها من جبل، مطَّلَّ عليها، فجعل يتأمل من أين يحاصرها، نصف يوم، فخافه أهلها خوفاً شديداً، ثم انصرف عنها، إلى مدينة هنالك، يقال لها: بصرة في المغرب، فأمر بهدمها، ونهبها، ثم سار إلى مدينة برغواط، وبها رجل يقال له عيسى ابن أم الأنصار، وهو ملكها، وقد اشتدت الحنة به، لسعره، وشعبته، وادعى أنه نبي، فأطاعوه، ووضع لهم شريعة، يقتلون به فيها قتلتهم بلكين، فهزمهم، وقتل هذا الفاجر و الله الحمد والمثنة، ونهب

وفي منتصف شوال من هذه السنة توفي الأمير منصور بن سوح الساماني، صاحب بلاد خراسان، ببخارى وكانت ولايته خمس عشرة سنة، وقام بالأمير بعده، ولده أبو القاسم نوح، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور.

وفيها توفي الحكيم، ولقبه

■ المستصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد كان هذا من خيار الملوك، وعلمائهم، عالماً بالفقه، والخلاف، والتواريخ، عباً للعلماء، محسناً إليهم، وكانت وفاته وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر، مدة خلافته منها خمسة عشرة سنة وخمسة أشهر، وقام بالأمير من بعده، ولده هشام، وله عشر سنين، ولقب بالمؤيد بالله، وقد اختلف عليه في أيامه، واضطربت الرعايا عليه، وجس مدة، ثم أخرج، وأعيد إلى الخلافة، وقام بأعباء أمره حاجبه المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري، وإنشاء المظفر والناصر، فسلس الرعايا جيداً وعدل فيهم وغزا الأعداء واستقر لهم الحال كذلك نحواً من ست وعشرين سنة. وقد ساق ابن الأثير [الكامل ٦٧٧/٨-٦٨٢] هنا قطعة من أخبارهم وأطال شرحها.

وفيها رجع ملك حلب إلى أبي المعالي شريف بن سيف الدولة ابن حمدان، وذلك أنه لما مات أبوه، وقام من بعده تغلب مولاهم قرعويه عليهم، وأخرجهم منها، خائفاً يترقب، فسار إلى أمه بيمافارقين في سنة سبع وخمسين ثم جاء، فنزل حماة، وكانت الروم قد خربت حمص، فسعى في عمارتها، وترميمها، وسكنها، ثم إن قرعويه استناب في حلب مولى له يقال له: بكجور فتغلب عليه وسجن مولاه قرعويه بقلعتها نحواً من ست سنين فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي، وهو بمحمص، أن يأتي إليهم، فسار فحاصر حلب أربعة أشهر، فافتتحها، وامتنت القلعة عليه، وقد تحصن بها بكجور، ثم اصطاح مع أبي المعالي على أن يؤمنه على نفسه، ويستتيه بمحمص ففعل فتاب له بكجور بمحمص، ثم انتقل في وقت إلى نياية دمشق، وإليه تنسب هذه الزرعة، ظاهر دمشق من غربها التي تعرف بالقصر البكجوري.

ابتداء ملك بني سبكتكين والد محمود صاحب غزنة

وقد كان سبكتكين هذا مولىً للأمير أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وليس هذا بحاجب معز الدولة، ذاك توفي قبل هذه السنة كما تقدم، وأما هذا، فإنه لما مات مولاه، لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده من ولده، ولا من قومه، فاصطاح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا، لخيره فيهم، وحسن سيرته، وكمال عقله، وشجاعته، وديانته، فاستقر الملك يده، واستمر من بعده، في ولده السعيد محمود بن سبكتكين، وقد غزا سبكتكين هذا بلاد الهند، ففتح شيئاً كثيراً من حصونهم، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم، وكسر من أصنامهم، ونذروهم، أمراً هائلاً، وبأمر من معه من الجيوش حروباً شديداً للولدان، وقد قصده جيبال، ملك الهند بنفسه، وجنوده، التي تضم السهول، والجبال، فكسره مرتين، وردهم في بلادهم، في أسوأ حال، وأردأ بال.

وذكر ابن الأثير في «كامله» [الكامل ٦٨٦/٨]، أن سبكتكين، لما التقى مع جيبال، ملك الهند، في بعض الغزوات، كان بالقرب منهم، عين في عقبة غورك، من عاداتهم، أنه إذا وضعت فيها نجاسة، أو قذر، اكثرت السماء، وأرعدت، وأبرقت، وأمطرت، ولا تزال كذلك حتى تظهر تلك العين، من

الثالث، فجاء يهودي، فجعل يسلمه، وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقة عليه، فلما بلغت تلقاه قلبه، طعته بالسكين، فمات رحمه الله تعالى. فقبل له: الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم. وقد كان المعز ذا شهامة، وقوة، وشدة عزم، وله سياسة، ويظهر أنه يمدل، وينصر الحق، ولكنه مع ذلك كان منجماً، يعتمد ما يُرصد من حركات النجوم، قال له منجمه: إن عليك قطعاً في هذه السنة، فتسوار عن وجه الأرض، حتى تقضي هذه المدة لعمل له مسرّداً، وأحضر الأمراء، وأوصاهم بولده نزار، ولقبه بالعزیز، وفوض إليه الأمر، حتى يعود إليهم، فبايعوه على ذلك، ودخل ذلك السرداب، فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة، إذا رأى الفارس منهم سحابة سارية، ترجل عن فرسه، وأومأ إليه بالسلام، ظانين أن المعز في ذلك الغمام: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] ثم برز إليهم بعد مضي سنة، وجلس في مقام الملك، وحكم على عادته، ولكنه لم تطل مدته بعد ذلك، بل عاجله القضاء المحتوم، وأحين المقسوم، فكانت وفاته في هذه السنة، وكانت مدة أيامه في الملك، ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها بمصر ستان وتسعة أشهر، وجملة عمره كله خمس وأربعون سنة وستة أشهر، لأنه ولد بإفريقية في حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكانت وفاته بمصر، في اليوم السابع عشر، من ربيع الآخر، سنة خمس وستين وثلاثمائة، وهي هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

فيها توفي

■ ركن الدولة أبو علي بن بويه، وقد جاوز السبعين سنة، وكانت أيام ولايته ثنيّاً وأربعين سنة، وقبل موته في السنة الماضية، قسم ممالكه بين أولاده، كما ذكرنا، وقد عملت ضيافة في دار ابن العميد بأصبهان حافلة، حضرها ركن الدولة، وبنوه، وأعيان دولته، فمهد في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة، وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقيّة والأكسية على عادة الديلم، وحيّوه بالريحان، على عادتهم أيضاً، وكان يوماً مشهوراً. ثم توفي ركن الدولة بعده بقليل في هذه السنة، وقد كان سائساً حليماً، وقوراً، كثير الصدقات، محباً للعلماء، فيه إشار وكرم كثير، وحسن عشرة، ورياسة على أقاربه ودولته ورجيته.

وحين تمكن ابنه عضد الدولة، قصد العراق، لياخذها من ابن عمه عز الدولة بختياري، لسوء سيرته، ورداءة سيرته، فالتقوا في هذه السنة بأرض الأهواز، فهزمه عضد الدولة، وأخذ أثقاله، وأمواله، وبعث إلى البصرة، فأخذها، وأصلح بين أهلها حسي ربيعية ومضر وقد كان بينهما خلف متقام من نحو مائة وعشرين سنة، وكانت مضر تميل إليه، وربيعه عليه، ثم اتفق الحيان واجتمع عليه الفريقان، وقويت شوكة عضد الدولة فمعزل عز الدولة، وقبض على وزيره ابن بقة لأنه استحوذ على الأمور دونه وجبى الأموال إلى خزائنه، فاستظهر عز الدولة، بما وجده من الخواصل لابن بقة، ولم يبق له منها بقة.

وكذلك أمر عضد الدولة، بالقبض على وزير أبيه، أبي الفتح بن العميد، لموجلة تقدمت منه إليه، وقد سلف ذكرها [فلم يبق لابن العميد أيضاً في الأرض بقية، وقد كانت الأكابر تبقى منهم المتقية. وقد كان ابن العميد من الفسوق والعصيان، بأوفر مكان، فخاتته المقادير، وعاجله غضب السلطان، نموذ بالله من غضب الرحمن.

غُرساً حافلاً.

وفي هذه السنة حجت جملة بنت ناصر الدولة بسن حمدان، في تجمل عظيم، حتى كان يضرب المثل بحجها، وذلك أنها عملت أربعمائة عمل، ولا يُدرى في أيها هي، ولا وصلت إلى الكعبة، نشرت عليها عشرة آلاف دينار، وكست المجاورين بالحرمين كلهم، وأنفقت أموالاً جزيلة في ذهابها وإيابها.

وحج بالناس من العراق الشريف أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسين بن حمد بن عبد الله العلوي، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمائة، وكانت الخطبة في هذه السنة بالحرمين في هذه السنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف بن سالم أبو عمرو السلمي، صاحب الجند، وغيره، وروى الحديث، وكان ثقة.

ومن جِدَّ كلامه: من لم تهذبك رويته، فليس يُهَذَّب.

وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شيء، فسأل أصحابه فيه، فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم، فقبضه منه، وجعل يشكره إلى أصحابه، فقال له ابن نجيد: يا سيدي، إن المال الذي دفعته إليك، كان من مال أمي وهي كارهة، فأحب أن ترده إليها فأعطاه تلك الدراهم، فلما كان الليل جاءه بها، وقال: أحب أن تصرفها في أمرك، من غير أن يعلم بذلك أحد. فكان أبو عثمان يقول: أنا أخشى من همة أبي عمرو بن نجيد، رحمهم الله تعالى.

■ الحسن بن بويه: أبو علي ركن الدولة بن بويه، عرض له قورننج، فمات ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها، وكانت مدة إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة، وكان حليماً كريماً.

■ محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعه بن رافع أبو الحسن الأنصاري الزرقني، كان نقيب الأنصار ببغداد، وقد سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم وأمورهم، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج، سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره، وكان شديد الاجتهاد في العبادة صلى حتى أقعد، ويكي حتى عمي، وكانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة.

القاضي

■ منظر بن سعيد أبو الحكم البلوطي الظاهري مذهباً: قاضي قضاة الأندلس، وكان إماماً فقيهاً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً دينياً كثير الفضل وله مصنفات واختيارات منها أن الجنة التي أدخلها آدم وأخرج منها كانت في الأرض وله في ذلك مصنف مفرد له وقع في النفوس وله تفسير القرآن وغير ذلك.

دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء، وقصورها، وقد بني له فيها قصر عظيم منيف، وزخرف بأنواع الدهانات، والستور، وجلس عنده رؤوس دولته، وأمرأؤه، وجاء القاضي، فجلس إلى جانبه، وجعل الحاضرون يشنون على هذا البناء

ذلك الشيء، الذي لقي فيها، وأن سيكتنن أمر بالقاء نحاسة في تلك العين عند ذلك - وكانت قرية من غر العدو فلم يزوالوا في رعد، ويزوق، وأمطار، وصواعق، حتى ألجأهم ذلك الحال إلى الهرب، والرجوع إلى بلادهم خائنين هارين، وأرسل ملك الهند، يطلب من سيكتنن الصلح، فأجابه بعد امتناع من ولده عمود، على مال جزيل يعمله إليه، وبلاذ كثيرة يسلمها إليه، وخسين فيلاً، ورهائن من رؤوس قومه، يتركها عنده، حتى يقوم بما التزم له من ذلك.

وفيها توفي أبو يعقوب

■ يوسف بن الحسن الجاني، صاحب حجر، ومقدم القرامطة، وقام بالأمر من بعده سنة من قومه، وكانوا يستوثقون بالسادة، وقد اتفقوا على تغيير الأمر من بعده، ولم يختلفوا، فمضى حالهم.

وفيها كانت وفاة

■ الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجاني أبي محمد القرمطي، قال ابن عساكر [تاريخ دمشق ١٣/٦]: واسم أبي سعيد الحسن بن بهرام، ويقال: الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كزوكال يقال أصله من الفرس قال: ويعرف أبو محمد هذا بالأعظم. قال: وولد بالأحساء في سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقد تغلب على الشام، في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ثم عاد إلى الأحساء، بعد سنة، ثم عاد إلى دمشق، في سنة ستين، وكسر جيش جعفر بن فلاح، أول من ناب بالشام عن المعز الفاطمي، وقتله، ثم توجه إلى مصر فحاصرها، في مستهل ربيع الأول سنة إحدى وستين واستمر حاصرها شهراً، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي، ثم عاد إلى الأحساء، ثم رجع إلى الرملة، فترفي بها في هذه السنة، وقد قارب التسعين، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع.

وقد أورد له ابن عساكر [تاريخ دمشق ١٣/٧، ٨] أشعاراً حسنة رافقة فائقة، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح، قبل الحرب بينهما:

الكتب معطرة والرسائل مُخَيَّرَةٌ والحق متبع والخير موجودٌ
والحرب ساكنة والخيل صافئةٌ والسلم مبتذل والظل معدودٌ
فإن أنبتكم فمقبول إن أنبتكم وإن أنبتكم فهذا الكور مشدودٌ
على ظهور النايب أو تَرَدَّدَ بنا دمشق والباب مهلوم وتردودٌ
إني امرؤ ليس من شائي ولا أربي طَبْلُ يرن ولا ناي ولا عودٌ
ولا اعتكاف على خير جمجمةٍ وفات دل لهادل وتفنيدٌ
ولا آيت بطين البطن من سبعٍ ولي رفيق خميص البطن منجهودٌ
ولا تسامت بي الدنيا إلى طَمَحٍ يوماً ولا غربي فيها المواعيدُ
ومن شعره أيضاً:

يا ساكن البلد المنيف تَسْرُزُ بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عَزَّ إلا للعزيز بَقَرَه وبجبله وبرجله وشيروفه
وبقية يضاه قد ضُرِبَتْ على شرف الخيام بجواره وحليفه
قرمٌ إذا اشتدَّ الوغى أَرَدَى العدا وشفى النفوس بضره ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه حتى أشاد تليده بطريفه
وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان، وطبرستان، وتلك

التراحي.

وفيها دخل الخليفة الطائع لله بشاه ناز بنت عز الدولة بن بويه، وكان

أحد من الصحابة، وإنما يقرأ السائل القرآن، فمن أعطاه أخذ منه. فعمل بذلك في البلد، ثم بلغه أن أبا الحسين بن سمعون الواعظ - وكان من الصالحين - قد استمر يعظ الناس على عاداته، فأرسل إليه من جاء به، فأخذ من مجلسه، وقيل له: إذا دخلت على الملك، فقبل التراب وتواضع في الخطاب والجواب فلما دخل دار الملك، وجده السلطان قد جلس في حجرة وحده، لثلاثين من ابن سمعون في حقه كلام بحضرة الناس، يؤثر عنه فدخل الحاجب بين يديه ليستأذن له عليه، فوجده قد دخل ورائه، فإذا الملك جالس وحده، فتشأ ابن سمعون بوجهه نحو دار عز الدولة، ثم استفتح القراءة بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَكذلك أخذ ريك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ (هود: ١٠٢) ثم استأذن نحو الملك وقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظُر كيف تعملون﴾ (يونس: ١٤) ثم أخذ في مخاطبة الملك، ووعظه فبكى عضد الدولة بكاءً كثيراً وجزاه خيراً.

فلما خرج من عنده قال للحاجب: اذهب فخذ ثلاثة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وادفعها إليه، لنفسي أو لنفقة أهله فإن قبلها، جنني براسه، قال الحاجب: فجننته فقلت: هذه أثواب أرسل بها إليك الملك لتلبسها فقال: لا حاجة لي بها، هذه ثيابي من عهد أبي، منذ أربعين سنة كلما خرجت إلى الناس لبستها، فإذا رجعت طويتها، قلت: وهذه نفقة. فقال: لا حاجة لي فيها؛ إن أكل من أجرتها، تركها لي أبي، فأنا في غنية عنها فقلت: فرقها في فقراء أهلك فقال: أهله أحق من أهلي وأقرب إليها منهم فرجعت إلى الملك لأشاوره وأخبره بما قال فسكت ساعة ثم قال: الحمد لله الذي سلمه منا، وسلمنا منه.

ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بقية الوزير لعز الدولة فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتخبطته بأرجلها حتى هلك ثم صلب على رأس الجسر في شوال منها فترأه أبو الحسين بن الأتباري بأبيات يقول فيها:

علسو في الحياة وفي الممات بحق أنت إحدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا وفود نلذك أيام الصلوات
كناك واقف فيهم خطياً وكلهم وقوف للصلوات
سددت يديك غوهم اجفأ كمدعما إليهم المليات
وهي قصيدة طويلة أورد كثيرا منها ابن الأثير في «كامله» (١٦٩٠/٨).

صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معز الدولة

وأخذ عضد الدولة الموصل وأعمالها

لما دخل عضد الدولة بغداد، وتسلمها من عز الدولة وأخرجه منها ذليلاً طريداً في فل من الناس، ومن عزم عز الدولة أن يمضي إلى الشام فيأخذها، وقد حلفه عضد الدولة أن لا يتعرض لأبي تغلب صاحب الموصل وذلك لمودة كانت بينهما، ومكاتبة ومراسلات منهما، فحلف له على ذلك، وحين خرج من بغداد، كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، فحسن لعز الدولة أخذ بلاد الموصل لأنها أطيب، وأكثر مالا، وأقرب إليه الآن، وكان عز الدولة ضعيف العقل، قليل الدين، فلما بلغ ذلك أبا تغلب، أرسل إلى عز الدولة يقول له: لئن بعثت لي بأسخي حمدان بن ناصر الدولة اعتكك بجيشي وبغضبي، حتى أدركك إلى ملك بغداد وأقاتل

والقاضي ساكت، لا يتكلم، فالتفت إليه الملك، وقال: ما تقول يا أبا الحكم؟ فبكى القاضي، وانحدرت دموعه على خديه، وقال: ما كنت أظن، أن الشيطان أخزاه الله تعالى، يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أنك تمكث من قيادك، هذا التمكن مع ما آتاك الله، وفضلك به، حتى أتوك منازل الكافرين. قال الله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لئبؤهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولئبؤهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون ويذخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (الزخرف: ٣٣-٣٥) قال: فوجم الملك عند ذلك، وبكى، وقال: جزاك الله خيراً، وأكثر في المسلمين مثلك.

وقد قسط الناس في بعض السنين، فأمر الملك القاضي منور بن سعيد البلوطي أن يستقي بالنار فلما جاءت الرسالة بذلك ليخرج من الفد قال للرسول: كيف تركت الملك وما حاله؟ فقال: رأيته أخشع ما يكون وأكثره دعاء، فقال القاضي: رحمت وسقيمت والله، إذا خضع جبار الأرض رحم جبار السماء. ثم قال لفلان: أخرج بالمظفر معك فلما خرج الناس، وجاء القاضي صبيحاً، والناس ينظرون إليه، ويستمعون لما يقول، فلما أقبل عليهم، كان أول ما خاطبهم به أن قال: ﴿سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرخصة أنه من عمل ينكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ (الأنعام: ٥٤) ثم أعادها، فأخذ الناس في البكاء والتعجب، والترتبه، والإنابة، فلم يزالوا كذلك، حتى سقوا، ورجعوا يخوضون الماء وقد صنف الحافظ أبو عمر بن عبد البر مصنفاً في مناقبه رحمه الله.

أبو الحسن

■ علي بن أحمد بن المزيان البغدادي الفقيه الشافعي، تفقه بأبي الحسين بن القطان، وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الإسفراييني. قال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢٨١/٣): كان ورعاً زاهداً، ليس لأحد عنده مظلمة، وله وجه في الملعب، وكان له درس ببغداد، توفي في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

في هذه السنة دخل عضد الدولة إلى بغداد، وخرج منها عز الدولة بختيار ابن معز الدولة، وأتبعه عضد الدولة ليقاتله وأخذ معه الخليفة الطائع لله فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه، وسار عضد الدولة ورائه، فأخذه أسيراً، ثم قتل سريعاً، وتصرفت دولته، واستقر أمر عضد الدولة ببغداد، وخلع عليه الخليفة، الخلع السني، والأسورة في يديه، والطوق في عنقه، وأعطاه لوامين أحدهما فضة والآخر ذهب، ولم يكن هذا الثاني يصنعه، إلا لأولياء العهد، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنينة، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالاً جزية من الذهب والفضة، واستقرت يده على بغداد، وما والاها، من البلاد.

وزلزلت بغداد مراراً في هذه السنة.

وزادت دجلة، زيادة كثيرة، وانبتت بُوق كثيرة غرق بسببها خلق كثير وجم غفير.

وقيل لعضد الدولة: إن أهل بغداد، قد قتلوا كثيراً، بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرض، والسنة، وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يُهَيَّج بين الناس في السنة والروافض هؤلاء القصاص والوعاظ ثم رسم أن أحداً لا يقص، ولا يعظ في سائر بغداد، ولا يسأل سائل باسم

علي من أخذ بغداد، بل وأرض العراق، ثم آل من أمره أنه أسره ابن عمه عضد الدولة كما ذكرنا، وأمر بقتله سريعاً، فكانت مدة حياته ستاً وثلاثين سنة، ومدة دولته منها إحدى عشرة سنة وشهور.

■ محمد بن عبد الرحمن: أبو بكر القاضي، المعروف بابن قريعة، ولي القضاء بالسنية، وكان فصيحاً، يأتي بالكلام المسجوع، من غير تكلف ولا تردد، وكان جبل المعاشرة ظريف المحاضرة.

ومن شعره

لي حيلةٌ في مَنْ يَنْسُمُ وليس في الكذاب حيلةٌ
من كان يخلِّقُ مايقو لُ فحيلي فيهِ قَلِيلَةٌ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا غشاه: إذا تغلَّتُ فحاجِبٌ وإن تأخرت فواجِب، وكانت وفاته يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة منها رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة

في شعبان منها أمر الطائع لله أن يُدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد، وأن تضرب الدبابة على بابه، وقت الفجر، وبعد المغرب، وبعد العشاء.

قال ابن الجوزي [المعظم ١٤/٢٦٠]: وهذا شيء لم يتفق لغيره، من بني بويه، وقد كان معز الدولة، سال من الطمع لله، أن يضرب الدبابة على بابه ببغداد، فلم يأذن له في ذلك.

وقد افتتح عضد الدولة في هذه السنة، وهو مقيم بالموصل، أكثر بلاد أبي تغلب بن حمدان، كآمد وميافارقين والرجة وغير ذلك من المدن الكبار والصغار، وحين عزم على العود إلى بغداد استتاب على الموصل أبا الوفاء الحاجب ورجع إلى بغداد فدخلها، في سلع ذي القعدة من هذه السنة، وتلقاه الخليفة، والأعيان، إلى أثناء الطريق وكان يوماً مشهوداً.

ذكر ملك قسام التراب لدمشق في هذه السنة لما أتقع أفتكين مع العزيز بأرض الرملة، وانهزم أفتكين والحسن القرمطي معه، وأسر أفتكين فذهب مع العزيز إلى ديار مصر، نهض رجل من أهل دمشق، يقال له: قسام التراب، كان أفتكين يقربه، ويدينه، ويأمنه على أسراه، فاستحوذ على دمشق، وطاوعه أهلها، وقصدته عساكر العزيز من مصر، فحاصروه بها، فلم يتمكنوا منه بشيء، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان، فحاصره، فلم يمكنه أن يدخل دمشق، فانصرف عنه خائلاً إلى طبرية، فوقع بينه وبين بني عقيل، وغيرهم من العرب، حروب طويلة، آل به الحال إلى أن قتل أبو تغلب، وكانت معه أخته، جميلة وامرأته، وهي بنت عمه سيف الدولة، فردتا إلى سعد الدولة ابن سيف الدولة بحلب، فأخذ أخته، وبعث بجميلة إلى بغداد، فحبست في دار، وأخذ منها أموال جزيلة.

وأما قسام - وهو الحارثي وأصله من بني الحارث بن كعب من اليمن - فأقام بدمشق يسيراً خلها، وقام بمصالحها مدة ستين عديداً، وكان مجلسه بالجامع، يجتمع الناس عنده، فيأمرهم وينهاهم، ويقوم فيمتثلون ما يرسم به.

قال ابن عساكر [تاريخ دمشق ١٤/٤٢٠]: أصله من قرية تليفيا، وكان تريباً.

قلت: والعاملة يقولون قسيم الزبال، وإنما هو قسام، ولم يكن زبالاً، بل

معك عضد الدولة، فأمسك حمدان، وأرسله إلى عمه، أبي تغلب، فسجته في بعض القلاع، وبلغ ذلك عضد الدولة، وانهاها قد اجتمعا على حربه، فركب إليهما بجيشه، وأراد إخراج الخليفة الطائع معه فاستغفاه فأغفاه، واستمر هو ذاهباً إليهما، فالتقى بهما، فكسرهما، وهزمهما، وأخذ عز الدولة أسيراً، فلما جي به لم يأذن له، بل أرسل إليه من قتله في الحال، ثم سار من فورهِ، فأخذ الموصل، ومعاملتها، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة، وتشرَّد أبو تغلب في البلاد، وبعث وراءه السرايا من كل جهة وأقام عضد الدولة بالموصل وضيق على أبي تغلب تلك البلاد، واستحوذ على أكثر تلك الناحية بصرامته وشجاعته وهمته وعزمته، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمان وستين وفتح ميافارقين، وأمد وغيرهما من بلاد بكر وريعية، وتسلم بلاد مصر من أيدي نواب أبي تغلب، وأخذ منهم الرجبة، ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، وتسلم سعد الدولة على بلاد عمه أبي تغلب يسلمها بلداً بلداً، وحين رجع عضد الدولة من الموصل، استتاب عليها أبا الوفاء، وعاد إلى بغداد، فتلقاه الخليفة الطائع لله، ورؤوس الناس إلى ظاهر البلد، وكان يوماً مشهوداً.

وبما وقع من الحوادث في هذه السنة الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمي، وبين أفتكين غلام معز الدولة، صاحب دمشق، فهزموه وأسروه وأخذوه معه إلى الديار المصرية مكرماً، ومعظماً، كما تقدم وتسلم العزيز دمشق وأعمالها، وقد تقدم في سنة أربع وستين. بسط هذه الكائنة بما أغنى عن إعادته.

ولفها خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الري وما تحت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه من البلاد وله مصنفات حسنة منها «دلائل النبوة» و«عمد الأئمة»، وغيرها.

وحجَّ بالناس في هذه السنة نائب المصريين، وهو الأمير باديس بن زيوي آخر يوسف بن بلكين.

ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص وسالوا منه أن يُضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال فأظهر لهم الإجابة إلى ما سألوا، وقال لهم اجتمعوا كلكم، حتى أضمتكم كلكم، فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحللوا له، إنه لم يبق منهم أحد. فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم، ونعم ما فعل وكانت الخطبة في هذه السنة للفاطميين بمكة والمدينيين بالعباسيين.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ عز الدولة بخيار بن مُعز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي: ملك بعد أبيه، وعمره فرق العشرين سنة بقليل، وكان حسن الجسم، شديد البطش، قوي القلب جداً، يقال: إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد، فيلقيه إلى الأرض، من غير أهوان، ويتصدد الأسود في متصدداته، ولكنه كان كثير اللُّهو، والالعب، والإقبال على اللذات.

ولما كسره ابن عمه، بيلاد الأهواز، كان في فيما أخذ من أمواله غلاماً له كان يحبه حباً شديداً، بعث يترقّق لابن عمه فيه حتى يرثه، وأرسل إليه بتحفة عظيمة، وأموال جزيلة، وجاريتين عوانتين، لا قيمة لهما، وبعث نقيب الأشراف في ذلك، فرد عليه الغلام المذكور، فكثر تعنيف الناس لعز الدولة، وسقط من أعين الملوك، فإنه كان يقول: ذهاب هذا الغلام، أشد

ودفن خارج باب الصغير.

قلت: وقد اشترى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس داره، وبناهل مدرسة، ودار حديث، وتربة، وبها قبره، وذلك في حدود سنة سبعين وستمائة كما سيأتي بيانه.

■ أبو سعيد السمراني النحوي: الحسن بن عبد الله بن المزيان أبو سعيد السمراني النحوي القاضي، سكن بغداد، وولي القضاء بها نيابة، وله شرح كتاب سيويه، و«طبقات النحاة».

وروي عن أبي بكر بن دريد، وغيره، وكان أبوه مجوسياً، وكان أبو سعيد السمراني هذا عالماً باللغة، القراءات والنحو والعروض، والقرائن، والحساب، وغير ذلك من فنون العلم.

وكان زاهداً، لا يأكل إلا من عمل يده، وكان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم، تكون منها نفقته وقوته، رحمه الله تعالى وكان من أعلم الناس بنحو البصريين، يتحلل مذهب أهل العراق في الفقه، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على ابن السراج، والمبرمات، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال، وإنكره آخرون.

وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الخيزران.

■ عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الرُّنْجَانِي، ويعرف بالأنثوني، رحل في طلب الحديث إلى الأفاق، ووافق ابن عدي، في بعض ذلك، ثم سكن بغداد، وحلّت بها، عن أبي يعلى، والحسن ابن سفيان، وابن خزيمة، وغيرهم.

وكان ثقة ثباتاً، له مصنفات، زاهداً، روى عنه الرقاني، وأثنى عليه خيراً، وذكر أن أكثر أكله الخبز المأدوم بمرق الباقلاء، وذكر أشياء من تقلده، وزهده، وورعه، وتوفي عن خمس وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن محمد بن ورقاء، الأمير أبو أحمد الشيباني، من أهل البيوتات والحشمة، بلغ التسعين، روى عن ابن الأعرابي، أنه أشد في صفة النساء:

هي الضلعُ العوجاءُ لست تقيها إلا إن تقويم الضلوع أنكسارها أجمعين ضعفاً واقتداراً على الفتى ليس عجباً ضعفاً واقتنارها؟

قلت: وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى من الحديث الصحيح (ج ٣٣١)، م (٦٠-٦٢): «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهب تقيمه كسرت، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج».

وفيها توفي

■ محمد بن عيسى، بن عمرو بن الجلودي، راوي «صحيح مسلم»، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، عن مسلم بن الحجاج، وكان من الزهاد يأكل من كسب يده، من النسخ، وبلغ ثمانين سنة رحمه الله تعالى وإياناً بمه وكرمه.

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في الحرم منها، توفي الأمير عمران بن شاهين، صاحب بلاد البليحة، منذ أربعين سنة، تغلب عليها، وعجز عنه الأمراء والملوك، والخلفاء، ويعتد إليه الجنود، والسرايا، والجيوش غير مرة، فكل ذلك يقلها،

تراها، من قرية تليقيا بالقرب من قرية منين، وكان بلو أمره، أنه اتقى إلى رجل من أحداث دمشق، يقال له: أحمد بن الجسطار، فكان من حزيه، ثم استحوذ على الأمور، وغلب الولاة، والأمراء وصارت إليه أزمة الأحكام، إلى أن قدم بلكين التركي من مصر، في يوم الخميس السابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وثلاثمائة، فأخذها منه ودخلها، وأخضى قسام التراب مدة، ثم ظهر، فأخذ أسيراً، وأرسله مقيداً إلى الديار المصرية، فأطلق، وأحسن إليه، وأقام بها أيضاً مكروماً والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن مالك القطيعي - من قطيعة الدقيق ببغداد - راوي «مسند أحمد» عن ابنه عبد الله، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد، وحدث عن غيره من المشايخ أيضاً، وكان ثقة كثير الحديث، وقد حدث عنه الدارقطني، وابن شاهين، والبرقاني، وأبو نعيم، وإلحاحكم، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا الفتوا إلى ما شغب به بعضهم من الكلام فيه، بسبب غرق بعض كتبه، حين غرقت القطيعة بلاء الأسود، فاستحدث بعضها من نسخ آخر، وهذا ليس بشيء؛ لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت، والله أعلم. ويقال إنه تغير في آخر عمره فكان لا يدري ما قرئ عليه، وقد جاوز التسعين رحمه الله.

■ تميم بن المهر الفاطمي: وبه كان يكنى، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز وفيه كرم وله فضيلة، وقد اتفقت له كاتبة غريبة، وهي أنه أرسل إلى بغداد، فاشتريت له جارية مغنية، بمبلغ جزيل، فلما حضرت عنده، أضاف أصحابه، ثم أمرها، - فغنت وكانت تحب شخصاً ببغداد:

وبنا له من بعد ما اندمل الهوى برق تالقي موهناً لمعاناً
يسلو كحاشية الرداء ودونه صعب اللوى تمنع أركانه
فيذا ينظر كيف لاخ فلم يطق نظراً إليه وصلته أشجانه
فالتار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

ثم غتته بأبيات آخر، فاشتد طرب تميم وقال لها: لا بد أن تسألني حاجة، فقالت: عافيتك فقال: ومع هذا وألح عليها فقالت: تردني إلى بغداد، حتى أغني بهذه الأبيات فوجم، ثم لم يجد بداً من الوفاء، فأرسلها مع بعض أصحابه، فأحجبها، ثم سار بها إلى بغداد على طريق العراق، فلما أصابوا في الليلة التي يدخلون، من صبيحتها ببغداد، ذهبت في الليل، فلم يدر أين ذهبت، فلما راح الخبر إلى مولاهما تألم الما شديداً، وتدم، حيث لا يفعه التدم.

■ العقيقي صاحب الحمام، والدار، التوسيتي إليه، بمحلة باب البريد بدمشق، واسمه أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو القاسم الحسيني العقيقي.

قال ابن عساكر: كان من وجوه الأشراف بدمشق، وإليه تنسب الدار، والحمام، بمحلة البريد، وقد امتدحه الرواء الدمشقي، وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء، لأربع خلون من جمادى الأولى من هذه السنة، وأنه دفن من الغد، وأغلق البلد بسبب جنازته، وحضرها بكجور وأصحابه يعني نائب دمشق

الصدقة بالحرمين، وغيرهما، فلما توفي، اختلف أولاده من بعده، وتمزق شملهم، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم، وقويت شوكته في تلك الأرض.

وفي هذه السنة ركب عضد الدولة في جيوش كثيفة، إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما كان بلغه من مملات عز الدولة، واتفاقهما عليه فلما تفرغ من أعدائه ركب، قسطنطين بلاد أخيه، فخر الدولة، وهمدان، والري، وما بينهما من البلاد، وسلم ذلك إلى أخيه مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة؛ ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسويه الكردي، قسطنطين بلاد، وأخذ حواصله، وذخائره، وكانت جلييلة كبيرة جداً، وحبس بعض أولاده، وأمر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكارية فأخذ منهم بعض بلادهم وعظم شأن عضد الدولة وارتفع صيته وذكره، إلا أنه أصابه في هذا السفر داء الصرع، وكان قد تقدم له مثله في الموصل فكان يكتمه، ولكنه غلب عليه كثرة النسيان، فلا يذكر الشيء، إلا بعد جهد جهيد، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر:

دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً بعداً لها من دار

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي، صاحب كتاب المعجم في اللغة وغيره، ومن شعره قبل موته يومين:

يارب إن فتوي قد أحطت بها علماً وسي وإعلائي وإسراري
أنا الوحش لكسي المقر بها فهب فتوي لتوحيد وإقرارتي
ذكره ابن الأثير [الكامل ١٧/٨].

■ أحمد بن عطاء بن أحمد أبو عبد الله الروفاري ابن أخت أبي علي الروفاري أسند الحديث، وكان يتكلم على مذهب الصوفية، وكان قد انتقل من بغداد، فأقام بصور، وتوفي بها في هذه السنة.

■ الحسن بن علي أبو عبد الله البصري، أحد مشايخ المعتزلة ويعرف بالجليل، سكن بغداد وانتحل مذهب العراقيين فصنف للمعتزلة، وكان اشتغاله في الفروع على أبي الحسين الكرخي وعنده دفن وقد قارب الثمانين.

■ ثابت بن إبراهيم أبو الحسن الحوزاني الصائغ المتطرب. الحاذق في فنه توفي وقد جاوز الثمانين.

■ حسويه بن الحسين الكردي أمير تلك البلاد وكان كثير الصدقات كما قلنا رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي أبو محمد البرزنجي، اسند الكثير وبلغ حساً وتسعين سنة، وكان ثقة ثباتاً. توفي في رجب من هذه السنة.

■ محمد بن صالح بن علي بن يحيى أبو الحسن الهاشمي قاضي بغداد، ويعرف بابن أم شيان، كان عالماً فاضلاً، له تصانيف، وقد ولي الحكم ببغداد فدينا، وكان جيد السيرة، توفي في هذه السنة، وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين رحمه الله وإيانا تمته.

ويكسرهما، وكل ما له في تمكن، وقوة، ومكت كذلك هذه المدة كلها، ومع هذا كله، مات على فراشه، حنط أنفه، فلا نامت أعين الجبناء. وقام بالأمر من بعده، ولده الحسن، فرام عضد الدولة أن يتزعم الملك من يده، فأرسل إليه سرية فيها خلق من الجنود فكسرهم الحسن بن عمران بن شاهين وردهم خائبين، وكاد أن يلتهم بالكلية، حتى أرسل إليه عضد الدولة، فصالحه على مال، يرسله إليه كل سنة، وأخذوها من عضد الدولة على ذلك، وهذا من المعجائب الغريبة.

وفي صفر، قبض على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي، نقيب الطالبيين، اتهم بأنه يفتي الأسرار، وأن عز الدولة أودع عنده عقداً ثميناً، وأتي بكتاب أنه خطه في إفشاء الأسرار، فأنكر أنه خطه، وكان مزوراً عليه، واعترف بالمقد، فأخذ منه، وعزل عن النقابة، وولي غيره فيها، وكان مظلوماً في ذلك.

وفي هذا الشهر أيضاً، عزل عضد الدولة، قاضي القضاة، أبا محمد بن معروف، وولي غيره.

وفي شعبان ورد البريد من مصر، إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة، فرد الجواب بما مضمونه، صلى التوبة، وحسن الطوبى، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجهد عليه الخلع، والجواهر، وأن يزيد في ألقابه تاج الدولة، فأجابته إلى ذلك كله، وخلع عليه من أنواع الملابس، ما لم يتمكن من تقبيل الأرض، من كثرتها، وفوض إليه ما وراء داره من الأمور ومصالح المسلمين، في مشارق الأرض، ومغاربها، وحضر ذلك الرؤساء والأمراء وأعيان الناس، وكان يوماً مشهوداً.

وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيان، وغيرهم، فقرهم، وكسرهم وقهرهم، وكان أميرهم ضب بن محمد الأسدي متحصناً بعين التمر، مدة ثبناً وثلاثين سنة، فأخذت ديارهم وأخذت أموالهم وحالت أحوالهم. والله الحمد والمنة.

وفي يوم الثلاثاء، تسع بقين من ذي القعدة، تزوج الخليفة الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بمحضرة الأعيان والرؤساء وكان عقداً هائلاً حافلاً، على صداق يبلغه مائة ألف دينار ويقال: ماتت ألف دينار، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، صاحب «الإيضاح والتكملة»، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي وكان يوماً مشهوداً.

وفيها كان مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بالشام قريباً من نوى وأعمالها وكانت معه أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة فردتا إلى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب.

قال ابن الأثير [الكامل ٧/٨، ٧٠٥، ٧٠٤]: وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء والأئمة الأرزاق، والجرايات من الفقهاء، والمحدثين والمتكلمين، والأطباء، والحساب، وغيرهم، وأطلق الصلوات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك ببغداد بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهد الطرقات، وأطلق المكوس، وأصلح طريق الحاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات والصلوات للمجاورين بالحرمين. قال: فاذن لوزير نصر بن هارون وكان نصرانياً بعمارة البيع، والثيرة، وإطلاق الأموال لفقراهم.

وفيها توفي

■ حسويه بن الحسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدينور، وهمدان، ونهاوند، مدة خمسين سنة، وكان حسن السيرة، كثير

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، الحافظ الكبير، الرجال الجوال، سمع الكثير، وحدث، وخرج، وصنف، فأفاد، وأجاد، وأحسن الانتقاد والاعتقاد، صنف كتابا على «صحيح البخاري»، فيه فوائد كثيرة، وعلوم غزيرة.

قال الدارقطني: كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه، فلم أرزق. وكانت وفاته يوم السبت، عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وهو ابن أربع وسبعين سنة، رحمه الله.

■ الحسن بن أحمد بن صالح، أبو محمد السبيعي، سمع ابن جرير، وقاسما المطرز، وغيرهما، وعنه الدارقطني، والبرقاني، وكان ثقة حافظا مكثرا، وكان عسر الرواية رحمه الله.

■ الحسن بن علي بن الحسن بن المهيم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد، المعروف بالبادي، سمع الحديث، وكان ثقة، عُمر سبعا وتسعين سنة، منها خمس عشرة سنة مقعدا، أعمى رحمه الله.

■ عبد الله بن الحسين، بن إسماعيل بن محمد أبو بكر الضبي القاضي، ولي الحكم بعدة بلاد كثيرة، وكان عفيفا زهبا صينا دينيا.

عبد العزيز بن الحارث: بن أسد بن الليث أبو الحسن التميمي الفقيه الخبلي. له كلام ومصنف في الخلاف، وسمع الحديث، وروى عنه غير واحد.

وقد ذكر الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد: ٤٦١/١٠، ٤٦٢] أنه وضع حديثا. ورد ذلك أبو الفرج بن الجوزي، وقال: ما زال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل. قال: وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا هو أبو القاسم عبد الواحد بن أسد العكبري، لا يعتمد على قوله، فإنه كان معتزليا، وليس من أهل الحديث، وكان يقول بأن الكفار لا يخلدون في النار.

قلت: وهذا غريب، فإن المعتزلة يقولون بوجود تخليد أصحاب الكاثر. فكيف لا يقول هذا بتخليد الكفار. قال: وعنه حكى الكلام في ابن بطة أيضاً.

■ علي بن إبراهيم أبو الحسن الحصري، الصوفي الواعظ شيخ المتصوفة ببغداد، أصله من البصرة وكان قد صحب الشبلي، وغيره، وكان يعظ الناس بالجامع، ثم لما كبرت سنه، بني له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عرف بصاحبه الزُّوزني، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة، وله كلام جيد في التصوف على طريقهم.

وما نقله ابن الجوزي عنه أنه قال [النظم: ٢٨٦/١٤]: ما عليّ مني؟ رأي شيء لي في؟ حتى أخاف وأرجو، إن رحم رحم ماله، وإن عذب عذب ما له.

توفي في ذي الحجة، وقد نيف على الثمانين، ودفن بمقبرة باب حرب من بغداد.

■ علي بن محمد الأحمد المزور، كان قري الخط، له ملكة على التزوير، لا يشاء يكتب على كتابة أحد، إلا فعل، فلا يشك ذلك المزور عليه. أنه خطه، وبلا الناس بلاء عظيم، وختم السلطان على يده مرارا، فلم يفد، ثم كانت وفاته في هذه السنة.

الشيخ أبو زيد

■ محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد المروزي الشافعي، شيخ

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة

فيها ورد صاحب بن عباد، من جهة مؤيد الدولة، إلى أخيه عضد الدولة، فتلقاء عضد الدولة إلى ظاهر البلد، وكرمه، وأمر الدولة باحترامه، وخلع عليه، وزاده في أقطاعه، ورد معه هدايا كثيرة جدا.

وفي جمادى الآخرة منها، رجع عضد الدولة إلى بغداد، فتلقاء الخليفة الطائع، وضربت له القباب، وزينت الأسواق. وفي هذا الشهر دخل الخليفة بزوجه بنت عضد الدولة وحمل معها من الجهاز شيء عظيم.

وفي هذا الشهر أيضاً، وصلت هدايا من صاحب اليمن، إلى عضد الدولة، وفيها أشياء حسنة، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لصاحب مصر، وهو العزيز بن المعز الفاطمي.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ أحمد بن علي أبو بكر الفقيه الحنفي الرازي، أحد أئمة أصحاب الرأي، وله من المصنفات المثيلة كتاب «أحكام القرآن»، وهو تلميذ أبي الحسن الكرخي، وكان عبدا زاهدا ورعا، انتهت إليه رئاسة الحنفية في وقته، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، وقد سمع الحديث من أبي العباس الأصم، وأبي القاسم الطبراني وغيرهما، وقد أراده الطائع لله، على أن يولية القضاء، فلم يقبل.

وكانت وفاته في ذي الحجة من هذا العام، وصلى عليه أبو بكر بن محمد بن موسى الخوارزمي.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق، ويلقب بفنلدر أيضاً، كان جوالا رحالا، سمع الحديث الكثير ببلاد فارس وخراسان، وسمع الباغندي، وابن صاعد، وابن دريد، وغيرهم، وعنه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، وكان ثقة حافظا رحمه الله تعالى.

■ ابن خالويه: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، النحوي اللغوي، صاحب المصنفات، أصله من همدان، ثم دخل بغداد، فأدرك بها مشايخ هذا الشأن: كأي بكر بن الأنباري وابن دريد، وابن مجاهد، وأبي عمر الزاهد، واشتغل على أبي سعيد السيرافي، ثم صار إلى حلب، فعظمت مكانته عند آل حمدان، وكان سيف الدولة يكرمه، وهو أحد جلسائه، وله مع المتنبّي مناظرات.

وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة، منها «كتاب ليس» لأنه كان يكثر أن يقول فيه: ليس في كلام العرب كذا و«كتاب الآل»، تكلم فيه على أقساقه، وترجم فيه الأئمة الاثني عشر، وأعراب ثلاثين سورة من القرآن، وشرح الدرردينية، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان فردا في زمانه رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

في ربيع الأول منها، وقع حريق عظيم بالكرخ من بغداد. وفيها سرق شيء يقيس لعضد الدولة، فعجب الناس من ذلك، لشدة هبة عضد الدولة، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد، فلم يُعرف من أخذه. ويقال: إن صاحب مصر، بعث من فعل ذلك، فالله أعلم.

السلامي أيضاً، وهو قوله:

لقينه فرايت الناس في رجل والنهر في ساعة والأرض في دار
قال ابن خلكان [وفيات الأعيان/٥٤]: وكسب إليه أفكين، مولى أخيه
صاحب دمشق، يستمد بجيش، يقاتل به الفاطميين، فكسب إليه عضد
الدولة فزك عزك، فصار قصار ذلك، فاشش فاحش فلكك، فمَلَكَ بهنا
تهداً. قال ابن خلكان [وفيات الأعيان/٥٤]: ولقد أبدع فيها كل الإبداع.
وقد جرى له من التعظيم من الخليفة، ما لم يقع لأحد من كان قبله،
وقد ذكرنا أنه كان ذا همة وصرامة وعزم، اجتهد في عمارة بندگان،
والطرق، وأجرى النفقات والصدقات على المجاورين بالحرمين وأهل
البيوت، وحفر الأنهار وزين المارستان العسدي، وأدار السور على مدينة
الرسول ﷺ، وهذا كله في مدة ملكه على العراق، وكانت خمس سنين،
وقد كان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، شديد الهمة بعيد المهمة، إلا أنه
كان يتجاوز في سياسته الأمور الشرعية، كان يحب جارية، فاهته عن تدبير
المملكة، فأمر بتفريقها.

وبلغه أن غلاماً له، أخذ لرجل بطيخة، فضربه بسيف، فقطعه نصفين
وهذه مبالغة. وكان سبب موته داء الصرع وحين أخذه حلة موته، لم يكن
له كلام، سوى تلاوة قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي. هَلْكَ عَنِّي
سُلْطَانِي﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

وحكى ابن الجوزي [النظم/٢٩٣/١]، أنه كان يحب العلم والفضيلة،
وكان يقرأ عنده «كتاب إقليدس»، وكتاب النحو لأبي علي الفارسي، وهو
«الإيضاح والتكملة» الذي صنفه له وغير ذلك.

وقد ذكر أن له شعراً، فمنه قوله وقد خرج مرة إلى بستان له، فقال:
أود لو جاء المطر، فنزل المطر فأنشأ يقول:

ليس شرب الكأس إلا في المطر وغناء من جوار في البحر
غائبات سألنا للنهسى ناعمات في تضاعيف الوتر
راقصات زاهرات نحمل رافلات في أفنانين الحبر
مطربسات عسكات مجن رافضات المهم إيمان الفكر
مبرزات الكأس من غزنها مسقيات الحمر من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها سالك الأملاك غلاب القدر
سهل الله له بُنيته في ملو ك الأرض ما دار القمصر
وأراه الخبر في أولاده وليساس المللك فيهم بالفر

قال [النظم/٢٩٤/١]: إنه منذ قال: غلاب القدر، لم يفلح بعدها.
وذكر غيره أن الأبيات آخر ما أُنشدت فيه يديه، ثم كانت وفاته عقب
ذلك، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة، عن سبع أو ثمان وأربعين
سنة، وحمل إلى مشهد علي، فدفن فيه.

وقد كتب على قبره في التربة التي بنيت له عند مشهد علي: هنا قبر
عضد الدولة، وتاج المملكة، أبي شجاع بن ركن الدولة، أحب مجاورة هذا
الإمام المتقي، لطمعه في الخلاص ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾
[النحل: ١١١] والحمد لله، وصلواته على محمد، وعترته الطاهرة.
وقد غفل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله:

قتلت صنابير الرجال فلم أدع عدواً ولم أهمل على ظنه حلقة
وأخليت دور الملك من كل نازل فشردهم غرباً وشردهم شرقاً

الشافعية في زمانه، وإمام أهل عصره في الفقه، والزهد، والعبادة، والورع،
سمع الحديث، ودخل بغداد، وحدث بها فسمع منه الدارقطني، وغيره.

قال أبو بكر البزار: عادت الشيخ أبا زيد في طريق الحج، فما أعلم أن
اللائكة كتبت عليه خطيئة.

وقد ذكرت ترجمته بتمامها في «طبقات الشافعية». قال الشيخ أبو نعيم:
توفي بمرور يوم الجمعة، الثالث عشر من رجب من هذه السنة رحمه الله
وأكرم مثواه.

■ محمد بن خفيف أبو عبد الله الشيرازي أحد مشاهير الصوفية،
صاحب الجبري، وابن عطاء، وغيرهما. قال ابن الجوزي [النظم/٢٨٨/١]:
وقد ذكرت في كتابي المسمى بـ «تأليس إيليس»، عنه حكايات، تدل على
أنه كان يذهب مذهب الإباحية.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [النظم/٢٨٩/١]: في الحرم، جرى الماء الذي ساقه
عضد الدولة إلى داره وبستانه.

وفي صفر، فتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي
من بغداد، وقد رتب فيه الأطباء والحفد، ونقل إليه من الأدوية والأشربة،
والعقاقير شيئاً كثيراً.

وقال [النظم/٢٨٩/١]: وفيها توفي عضد الدولة، فكنم أصحابه وفاته،
حتى أحضروا ولده مصصام الدولة، قولوه الأمر، وراسلوا الخليفة، فبعث
إليه بالخلع والولاية.

ذكر شيء من أخبار عضد الدولة

■ (عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي)

أبو شجاع بن ركن الدولة أبو علي الحسن ابن بويه الديلمي، صاحب
العراق وملك بغداد وغيرها.

وهو أول من تسمى «شاهنشاه»، ومعناه: ملك الملوك. وقد ثبت في
الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوضح اسم وفي رواية: أختع اسم
عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل». وهو أول
من ضربت له الدباب بندگان، وأول من خطب له بها مع الخليفة.

وذكر ابن خلكان [وفيات الأعيان/٥٧/١] أنه امتدحه الشعراء بمدائح
هائلة، كالمتني وغيره، فمن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله
السلامي في قصيدة له:

إليك طوى عرض البسطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر
وشرت أسالي بملك هو السورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ثم قال ابن خلكان [وفيات الأعيان/٥٣/١] وهذا هو السحر الحلال.

المتني:

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ومترك الدنيا وأنت الخلائق

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان/٥٣/١]: وليس في الطلاوة كقول السلامي
ولا استوفى المعنى كله فإنه لم يذكر الدهر.

وقال أبو بكر أحمد الأرجاني القاضي في قصيدة له يتنا فلم يلحق

مؤيد الدولة هذا بزييلة بنت عمه معز الدولة، فغرم على عرسه سبعمئة ألف دينار، وهذا سرف عظيم.

■ **بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي**، ويسمى أيضاً يوسف، وكان من أكابر أمراء المعز وقد استخلفه على بلاد إفريقية، حين سار إلى القاهرة، وكان حسن السيرة، له أربعمئة حظية، وقد بُشِّرَ في ليلة واحدة بسبعة عشر ولداً وهو جد باديس المغربي.

■ **مسعد بن سلام: أبو عثمان المغربي**، أصله من بلاد القيروان، ودخل الشام، وصحب أبا الحفير الأقطع، وجاور بمكة مدة سنين، وكان لا يظهر في المواسم، وكانت له كرامات، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره، وروى له أحوال صالحة رحمه الله تعالى.

■ **عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطي**، يعرف بابن السقا، سمع عبدان وأبا يعلى الموصلي، وابن أبي داود، والبخاري، وكان فهماً حافظاً، دخل بغداد، فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه، وكان يحضره الدارقطني، وغيره من الحفاظ، فلم يتكروا عليه شيئاً، غير أنه حدث مرة عن أبي يعلى بحديث أنكروه عليه، ثم وجدوه في أصله بخط الصُّبَّاء، كما حدث به سواء، فبرئ من عهده رحمه الله تعالى والله أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

فيها جرى الصلح بين صمصام الدولة الملقَّب بشمس الدولة وبين عمه فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه، فأرسل الخليفة لفخر الدولة خلعا سيئاً وتحفاً.

قال ابن الجوزي [المطبعة: ٣٠٦/١]: وفي رجب منها، عمل عرس في درب رياح، فسقطت الدار على من فيها، فهلك أكثر النساء بها، ونبت من تحت الرُدم، فكانت القصية عامة.

وفيها كانت وفاة

الحافظ أبي الفتح

■ **محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين الأزدي الموصلي**، المصنف في الجرح والتعديل، وقد سمع الحديث من أبي يعلى وطبقته، وضعفه كثير من حفاظ زمانه، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه، حين قدم عليه بغداد، فساق، بإسناده عن النبي ﷺ أن جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير. فأجازه، وأعطاه دواهم كثيرة. والعجب إن كان هذا صحيحاً، كيف راج على أحد ممن له أدنى فهم وعقل، وقد أُرِخَ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة، وقد قيل إنه توفي سنة تسع وستين.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الخطيب أبو يحيى

■ **عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نائلة بطن من قضاعة**، وقيل: من زياد الفارقي، خطيب حلب، أيام سيف الدولة بن حمدان، ولهذا أكثر ديوانه الخطب الجهادية، ولم يسبق إلى مثل ديوانه هذا، ولا يلحق فيه إلا أن يشاء الله لأنه كان فصيحاً، بليغاً، ديناً، ورعاً، روى الشيخ تاج الدين الكندي عنه، أنه خطب يوم الجمعة، بخطبة المنام، ثم رأى في ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه، بين المقابر، فلما أقبل عليه، قال له: مرحباً بخطيب الخطباء، ثم أوما إلى القبور، فقال لابن نباتة: كيف تقول؟

فلما بلغت النجم عزاً ورفعة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقاً رماني الردى سهماً فأخذ جرتي فها أنا ذا في حفرتي عاطلاً ملقى فأذهت دنياي وديني سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى ثم جعل يكرر هذه الآية: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْيَ مَالِي. هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ إلى أن مات كما ذكرنا.

واجلس ابنه صمصام الدولة على الأرض، وعليه ثياب السواد، وجاءه الخليفة الطائع معزياً، وناح النساء عليه في الأسواق، أياما كثيرة، ولما انقضى الغزاء، ركب صمصامة إلى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سيج خلع، وطوقاً وسوراً، وألبسه التاج، ولقبه شمس الدولة، وولاه ما كان يتولاه أبوه من قبله، وكان يوماً مشهوداً.

■ **محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الحويزي**، المعروف بزوج الحرة، سمع ابن جرير، والبخاري، وابن أبي داود، وغيرهم، وعنه ابن رزقويه، وابن شاذان، والبرقاني، وقال: كان جليلاً أحد العدول الثقات.

قال الخطيب وابن الجوزي [تاريخ بغداد: ١٥٣/٢، المصنف: ٢٩٧/١]: سبب تسميته بزوج الحرة، أنه كان يدخل إلى مطبخ ابنة بلو مولى المعتضد، التي كانت زوجة المعتز بالله، فلما توفي المعتز، بقيت هذه المرأة سالمة من الكتات، والمصادرات، كثيرة الأموال، وكان هذا وهو غلام شاب، حدث السن، يحمل شيئاً من حوائج الطعام على رأسه، فيدخل به إلى مطبخها، مع جملة الخدم، وكان شاباً رقيقاً حركاً، فنفق على القهرمان، فقدمته حتى جعلته كاتباً على المطبخ، ثم ترقَّت به الحال، إلى أن صار وكيلاً، ينظر في الضعيف والعقار، ثم أكل به الحال، حتى صارت الست تحمسه من وراء حجاب، فعلقته به، وأحبته، وسألته أن يتزوج بها، فاستصغر نفسه، وخاف من غائلة ذلك، فشحجه وأعطته مالاً جزيراً، ليظهر من الحشمة والسعادة، ما يناسبها ليتأهل لذلك، ثم شرعت تهادي القضاة والأكابر، ثم عزمت على تزويجه، ورضيت به عند حضور القضاة، واعترض أولياؤها عليها، فغلقتهم بالكرامات والهدايا، ودخل عليها فمكثت معه دهرًا طويلاً، ثم توفيت قبله، فورث منها نحو ثلاثمئة ألف دينار، وطال عمره بعدها، حتى كانت وفاته في هذه السنة رحمه الله وإيانا بمنه وكرمه.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

فيها غلت الأسعار ببغداد، حتى بلغ الكرم من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة، ومات كثير من الناس من الضعف في الطرقات جوعاً، ثم تساهل الحال في ذي الحجة منها، وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة، وأن أبا القاسم بن عباد الوزير، بعث إلى أخيه فخر الدولة، فولاه الملك مكان أخيه، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ما كان عليه وخلع عليه وأحسن إليه، ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة، قصدوا البصرة، ليأخذوها مع الكوفة، فلم يتم لهم ذلك، ولكن صولحوا على مال كثير، فأخذوه وانصرفوا.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة**، كان ملكاً على بعض ما كان أبوه يملكه، كما تقدم وكان صاحب أبو القاسم بن عباد وزيره، وقد تزوج

عنه، أنه كان يسأل عن الفتوى، فيجيب بعد تفكير طويل، فرمما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعي، وأبى حنيفة، فيقال له في ذلك، فيقول: وبلكم! روى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا، فالأخذ به أولى من الأخذ بمذهب الشافعي وأبى حنيفة، ومخالفتها أسهل من مخالفة الحديث.

وقال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان ٣/١٨٩]: وله في المذهب وجوه جيدة، دالة على مائة علمه، وكان يتهم بالاعتزال، وكان قد أخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق المروزي، والحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي، وهو أحد مشايخ الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد، وغيرهم من أهل الأفاق، وكانت وفاته في شوال، وقيل في ذي القعدة من هذه السنة، وقد نيف على السبعين رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن حسويه، أبو سهل النيسابوري، ويعرف بالحسنوي، كان فقيهاً شافعيّاً، أدبياً، محدثاً، مشغولاً بنفسه عما لا يعنيه رحمه الله تعالى.

■ محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح، أبو بكر الفقيه المالكي، سمع من ابن أبي غريرة، والباغندي، وأبى بكر بن أبي داود، وغيرهم، وعنه البرقاني، وله تصانيف في شرح مذهب مالك، وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك، وعرض عليه القضاء، فباه، وأشار أبى بكر الرازي الحنفي، فلم يقبل الآخر أيضاً. توفي في شوال منها، عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [المنظوم ١/٣١٧، ٣١٨]: في الحرم منها، كثرت الحميمات في بغداد، فهلك خلق كثير. ولسبع خلون من ربيع الأول وهو العشرون من تموز وقع مطر كثير، ببرق. وفي رجب غلت الأسعار جلاء ببغداد، وورد الخبر فيه، بأنه كانت بالموصل زلزلة عظيمة، سقط منها عمران كثير، ومات من أهلها أمة عظيمة.

وفيها وقع بين صمصام الدولة، وبين أخيه شرف الدولة، فانتقلا فقلبه شرف الدولة، وأسره ودخل ببغداد، فتلقاه الخليفة، وهناه بالسلامة، ثم استدعى شرف الدولة بفراش، ليكحل صمصام الدولة، فاتفق موته، فكحل بعد موته، وهذا من غريب ما وقع.

وفي ذي الحجة، قبل قاضي القضاة أبو محمد بن معروف شهادة الحافظ أبي الحسن الدارقطني، وأبى محمد بن عقيّة، فذكر أن الدارقطني ندم على ذلك، وقال: كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وحدي، فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع غيري فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

في صفر منها، عقد مجلس بحضرة الخليفة، فيه القضاء، وأعيان الدولة، وجددت البيعة بين الطائع لله وبين شرف الدولة بن عضد الدولة، وكان يوماً مشهوداً.

ثم في ربيع الأول منها، ركب شرف الدولة من داره في طيار إلى دار الخليفة، وزينت البلد، وضربت الطبول، والدبابت، فخلع عليه الخليفة

قال: فقلت: كأنهم لم يكونوا للعين قرّة ولم يعلوا في الأحياء مرة تسم الكلام ابن نباته حتى انتهى إلى قوله «وَيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» وأشار إلى الصحابة «وَيَكُونُوا الرُّسُلَ عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ» وأشار إلى رسول الله ﷺ فقال: أحسنت أحسنت، ادنه، فقبل رسول الله ﷺ وجهه، وتقبل في فيه وقال وفقك الله. فاستيقظ، وبه من السرور أمر كبير، وعلى وجهه نور وبهاء، ولم يعيش بعد ذلك إلا ثمانية عشر يوماً، لم يستطع فيها طعاماً، يوجد منه فيه مثل رائحة المسك، حتى مات رحمه الله.

قال ابن الأزرق الفارقي [وفيات الأعيان ٣/١٥٧]: ولد ابن نباته في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في سنة أربع وسبعين وهي هذه السنة رحمه الله وإليانا. حكاه ابن خلكان.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

فيها خلع الخليفة على صمصام الدولة، وسوره وطوقه وأركب على فرس يسرج ذهب، وبين يديه جنيب مثله.

وفيها ورد الخبر، بأن اثنين من سادة القرامطة، وهما إسحاق، وجعفر، دخلا الكوفة، في جحفل كبير، فأنزعجت النفوس بسبب ذلك، وذلك لصراحتهم، وشهادتهم، ولأن عضد الدولة مع شجاعته، قد كان يصانهم، وأقلعهم أراضي من واسط، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً. فجهز إليهم جيش من بغداد، فظردوهم عن تلك النواحي، التي قد أكثروا فيها الفساد، وبطل ما كان في النفوس منهم، والله الحمد والملة.

وفيها عزم صمصام الدولة على أن يضع مكسا على الثياب الإبريسميات فاجتمع الناس بجامع المنصور، وهموا بتبطل الجمعة، وكادت الفتنة تقع بينهم، فأعفوا من ذلك.

وفي ذي الحجة، ورد الخبر بموت ابن مؤيد الدولة، فجلس صمصام الدولة للزعزعة، وجاء إليه الخليفة الطائع في ثياب السواد والقراء والأولياء بين يديه، فقام إليه صمصام الدولة، وقبّل الأرض بين يديه، وتخطب في الزعزعة بالفاظ حسنة. وانصرف الخليفة راجعاً إلى داره وكان وقتاً مشهوداً.

وفيها توفي الشيخ

■ أبو علي بن أبي هرويرة، واسمه الحسن بن الحسين، وهو أحد مشايخ الشافعية، وله اختيارات كثيرة غريبة، وقد ترجمناه في «الطبقات» بما فيه كفاية والله الحمد.

■ الحسين بن علي، بن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابوري، المعروف بحسينك، كانت تربيته عند ابن خزيمة، وتلميذا له، وكان يقدمه على أولاده، ويقراء له ما لا يقرأه لغيره، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان، بعث حسينك مكانه. ولما توفي ابن خزيمة، كان عمر حسينك ثلاثاً وعشرين سنة، ثم عمر بعده دهرًا طويلاً، وكان من أكثر الناس عبادة، وقراءة، لا يترك قيام الليل، في حضر ولا سفر، ولا صيف ولا شتاء كثير الصدقات والبر، والصلوات، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة، وصلاته، ولم يكن في الأغنياء أحسن صلاة منه، رحمه الله وأكرم مثواه، وصلى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابوري.

أبو القاسم الداركي:

■ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركي، أحد أئمة الشافعية في زمانه، نزل نيسابور، ثم سكن بغداد، إلى أن مات بها، قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني: ما رأيت أفقه منه، وحكى الخطيب البغدادي

وطوقه، وسوره، وأعطاه لواعين، وعقد له على ماوراء داره، واستخلفه على ذلك، وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، فلما رآه الخليفة قال:

مرحباً بالأحبة القادميننا أوحشونا وطألمنا آتسونا

فقبل الأرض بين يدي الخليفة، ولما قضيت البيعة، دخل شرف الدولة إلى عند اخته امرأة الخليفة، فمكث عندها إلى العصر، والناس ينتظرونه، ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة. وحاه الخاصة والعامة يهتونه. وفي هذه السنة اشتد الغلاء جلاء، ثم لحقه فناء كثير. وفيها توفيت أم شرف الدولة وكانت تركية أم ولد فجاءه الخليفة فمزاه فيها.

وفيها ولد لشرف الدولة إبنان توأمان فهني بهما، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن الحسين بن علي، أبو حامد المروزي، ويعرف بابن الطبري، كان حافظاً للحديث، مجتهداً في العبادة، متقناً بصيراً بالأثر متقناً، ففيها حنفاً، درس على أبي الحسن الكرخي، وصنف كتباً في الفقه والتاريخ، وولي قضاء القضاة بمخارسان، ثم دخل بغداد، وقد علت سنة، فحدث بها، وكتب الناس عنه، بإتخاب الدارقطني.

■ إسحاق بن المقتدر بالله، كانت وفاته ليلة الجمعة، لسيح عشرة من ذي الحجة، عن ستين سنة، وصلى عليه ابنه القادر بالله، وهو إذ ذاك أمير، ودفن في تربة جدته شغب أم المقتدر، وحضر جنازته الأمراء والحجّاب، والأعيان من جهة الخليفة، ومن جهة شرف الدولة، وأرسل شرف الدولة من عزي الخليفة فيه، واعتز إلى من عدم الحضور لوجع حصل له. ■ جعفر بن المكفي بالله، وكان فاضلاً توفي في هذه السنة أيضاً رحمه الله تعالى.

■ أبو علي القارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي النحوي، صاحب المصنفات، منها: «الإيضاح والتكملة»، ولد ببغداد، ثم دخل بغداد، وخدم الملوك، وحظي عند عضد الدولة، بحيث كان يقول: أنا غلام أبي علي في النحو، وحصل له الأموال، وقد اتهمه قوم بالاعتزال، وفضله قوم من النحاة من أصحابه على الميرد، ومن أخذ عنه: أبو الفتح عثمان بن جني، وغيره، وكانت وفاته في هذه السنة عن بضع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

■ ستيعة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الخاملي، وتكنى أمة الواحد، قرأت القرآن، وحفظت الفقه، والفرائض، والحساب، والدور، والنحو، وغير ذلك، وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة، وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارة إلى فعل الخيرات، وقد سمعت الحديث وحكّنت أيضاً، وكانت وفاتها في رمضان عن بضع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

في الحرم منها، كثر الغلاء، والفناء، ببغداد، وفي شعبان، كثرت الرياح العواصف، بحيث هلمت شيئاً كثيراً من الأبنية، وغرقت سفناً كثيرة،

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن علي بن ثابت: أبو عبد الله المقرئ، ولد أعمى، وكان يحضر مجلس ابن الأتباري، فيحفظ ما يملئه كله، وكان ظريفاً حسن الزي، وقد سبق الشاطبي إلى قصيدة عملها في القراءات السبع، وذلك في حياة النقاش الحضري، وكانت تعجبه وتُعجب شيوخ زمانه.

■ الخليل بن أحمد القاضي، شيخ الحنفية في زمانه، وكان مقلداً في الفقه والحديث، سمع ابن خزيمة، والبيهقي، وابن صاعد، وغيرهم، وهذا سمي النحوي المتقدم.

■ زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم، أبو العباس الخرخاني بخامين معجمتين نسبة إلى قرية من قرى قومس، ولهم الخرجاني بجمين، وهم جماعة، ولهم الخرجاني بخاء ثم بيم. وقد حرر هذا الموضع الشيخ ابن الجوزي في «منتظمه» [المطبعة ٣٣٠/١٤، ٣٣١] رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة، عن إشارة الأطباء لصحة الهواء، وذلك لشدة ماكان يجهده من الداء، فلما كان في جمادى الأولى، تزايد به المرض ومات في هذا الشهر، وقد عهد إلى ابنه أبي نصر، وجاء الخليفة في طيار لتعزية أبي نصر في والده شرف الدولة، فتلقاه أبو نصر، والترك والديلم بين يديه، فقبل الأرض بين يدي الخليفة، وكذلك بقية العسكر، والخليفة في الطيار، وهم يقبلون الأرض إلى ناحيته وجاء الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز من عند الخليفة، إلى أبي نصر، فبلغه تعزية الخليفة له، فقبل الأرض ثانية، وعاد الرسول إلى الخليفة، فبلغه شكر أبي نصر، ثم عاد الرسول من جهة الخليفة، لترديد أبي نصر، فقبل الأرض ثالثاً، ووجع الخليفة في طيارة إلى داره.

فلما كان يوم السبت، عاشر هذا الشهر، ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف، والأعيان، والقضاة والأمراء، وجلس الخليفة في الرواق، فلما وصل الأمير أبو نصر، بن شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه خلع عليه الخليفة سبع خلع، أعلامه السواد، وعمامة سوداء، وفي عنقه طوق، وفي يده سواران، ومشى الحجاب بين يديه بالسيف والمناطق، فلما حصل بين يدي الخليفة قبل الأرض فأولاً إليه بالجلوس فقبل الأرض ثانية، ووضع له كرسي، فجلس عليه، وقرأ الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز عهده، وقدم إلى الطائع لواءه، ففقد يده، ولقيه بهاء الدولة، وضياء الملة، ثم خرج من بين يديه، والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة، وأقر الوزير أبا منصور بن صالحان على الوزارة، وخلع عليه.

وفي هذه السنة بني جامع القطيعة قطيعة أم جعفر بالجانب الغربي من بغداد، وكان أصل بناته مسجداً، أن امرأة زات في المنام رسول الله ﷺ، في ذلك المكان يصلي، ووضع يده في جدار هناك، فلما أصبحت تذكرت

العزير ووصاه الوزير فيما يتعلق بمملكته، ولما مات، دفنه في قصره، وتولى دفنه بيده، وحزن عليه كثيراً، وأغلق الديوان أياماً من شدة حزنه عليه.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله، وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله، وكان ذلك في يوم السبت، التاسع عشر من شعبان من هذه السنة، وذلك أنه جلس الخليفة على عاتقه في الرواق، وقعد الملك بهاء الدولة على السرير، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بمخاض سيفه عن السرير، ولقوه في كساء، وحملوه إلى الخزانة، بدار المملكة، وتشاغل الناس بالنهب، ولم يدر أكثر الناس ما الخطب، ولما لا الخبر، حتى إن كثيراً منهم يظن أن الملك بهاء الدولة، هو الذي مسك، فنهبت الخزانين، والخواص، وشيء كبير من أثاث دار الخلافة، حتى أخذت ثياب الأعيان، والقضاة، والشهود، وجرت كائنة عظيمة جداً، ورجع بهاء الدولة إلى داره، وكتب على الطائع كتاباً بالخلع، وشهد عليه الأشراف، والقضاة، أنه قد خلع نفسه عن الخلافة، وسلمها إلى القادر بالله، ونودي بذلك في الأسواق، وتشغيت الديلم والأتراك، وطالبرا برسم البيعة، وأرسلوا بهاء الدولة في ذلك، وتطاول الأمر في يوم الجمعة، فلم يتمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه، بل قالوا: اللهم اصلح عبدك وخليفك القادر بالله ولم يُسم. ثم أرضى وجوههم وأكبرهم، وأخذت البيعة على الجماعة، وافقت الكلمة، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والفرش، والأثاث، وغير ذلك إلى داره، وأبيحت للعامة والخاصة، فقلعوا أبوابها وشبابيكها وشعثوا أبنيتها ثم منعوا بعد ذلك، هذا كله والخليفة القادر بالله قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع لله، حين كان يطلبه، ولما ركب إلى بغداد، منتهى الديلم من الدخول إليها، حتى يعطيهم رسم البيعة، وجرت بينهم خطوب طويلة، ثم رضوا عنه، ودخل بغداد، وكان يوماً مشهوداً وكانت مدة هربه إلى أرض البطيحة قريباً من ثلاث سنين، جلس في اليوم الثاني من مقدمه جلوساً عاماً للتهنئة وسماع المديح، والقصائد فيه، وذلك في العشر الأخير من رمضان، وفي العشر الأخير من شوال اجتمع الناس لبيعة بهاء الدولة وتقويض الخليفة ما وراء يابه، وكان يوماً مشهوداً.

وقد كان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء، وسادات العلماء في أهل زمانه وأقرانه، رحمه الله، وكان كثير الصلقة، حسن الاعتقاد، وصنف عقيدة فيها فضائل الصحابة، وغير ذلك، فكانت تقرأ في حلل أصحاب الحديث، كل جمعة في جامع المهدي، وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته، وكان ينشد هذه الآيات يترجم بها وهي لسابق البربري:

سبق القضاء بكل ما هو كائن والله يا هذا لرزقك ضامن
تتسنى بما تكفى وتترك ما به تتسنى كائنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصراع أهلها فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بأنك لا أبداً لك في الذي أصبحت تجعبه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتممر متزلاً لم يسبق فيه مع النية ساكن
الموت شسيء أنت تعلم أنه حق وأنت بذكره متهاون
إن النية لا تؤامر من أتت في نفسه يوماً ولا تسأذن

ذلك المنام، فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع، فبني مسجداً ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي، جدد هذا المسجد فوسعه وجعله جامعاً، واستأذن الخليفة الطائع لله في عقد جمعة فيه فأذن له، وصلى بالناس فيه في هذه السنة.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، تملك بغداد بعد أبيه، وكان يحب الخير، ويغض الشر، وأمر بترك المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء، فتزايد به حتى كانت وفاته، ليلة الجمعة، الثاني من جمادى الآخرة، عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة ملكه ستين وثمانية أشهر، وحمل تابوته إلى تربة أبيه، بمشهد علي، وكلهم له تشيع.

■ محمد بن جعفر بن العباس بن جعفر، أبو بكر النجار، ويلقب غندراً أيضاً، روى عن أبي بكر النسابوري وطبقته، وكان فهماً، يحفظ القرآن حفظاً حسناً، ومن ثقات الناس.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم، بن بديل أبو الفضل الخزاعي الجرجاني، قدم بغداد، وحديث بها. قال الخطيب (تاريخ بغداد ١٥٨/٢): كانت له عناية بالقراءات، وصف أسانيدها، ثم ذكر لي أنه كان يخطئ، ولم يكن مأموناً على ما يرويه، وأنه وضع كتاباً في الحروف، ونسب إلى أبي حنيفة، فكتب الدارقطني، وجماعة، أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له، فافتضح، وخرج من بغداد إلى الجبل، فاشتهر أمره هناك، وحبط منزلته، وكان يسمى نفسه أولاً كميلاً، ثم غيره إلى محمد.

■ محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس، أبو الحسين البركاز الحافظ، ولد في محرم سنة ثلاثمائة، ورحل إلى بلاد شتى، وروى عن ابن جرير، والبخاري، وخلق، وروى عنه جماعة من الحفاظ - منهم الدارقطني - شيئاً كثيراً، وكان يعظمه، ويعجله، ولا يستند بمحضته، وكان ابن مظفر ثقة ثباتاً، وكان قديماً ينتهي على المشايخ، ثم كانت وفاته يوم الجمعة ودفن يوم السبت، لثلاث خلون من جمادى الأولى، أو الآخرة من هذه السنة.

ثم استهلست سنة ثمانين وثلاثمائة من الهجرة

فيها قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي، نقابة الأشراف الطالبين، والنظر في المطالم، وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك، واستخلف له ولده المرتضى أبو القاسم، والرضى أبو الحسن، على النقابة، وخلع عليهما من دار الخلافة، وفيها تفاقم أمر العيارين ببغداد، وصار الناس أحزاباً في كل حلة أمير مقدم، واقتتل الناس، وأخذت الأموال، واتصلت الكبسات، وأحرقت الدور الكبار، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج، فاحترق بسببه شيء كثير للناس.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ يعقوب بن يوسف، أبو الفرج بن كلث، وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي، وكان شهماً فهماً، ذا همة عالية، وتبدير جيد، وكلمة نافذة عند مخدومه وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته، ولما مرض عاد

سريعاً، وخطب به في سنة إحدى وستين، وهو الذي يقال له: جامع الأزهر، ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام، فأخذها للمعز، وقدم مولاه المعز في سنة اثنين وستين كما تقدم، فزل بالقيصرين ولم تزل منزلته عالية عنده، ثم كانت وفاته في هذه السنة، وقام منصبه وعظمته ابنة الحسين، الذي كان يقال: له قائد القواد، وهو أكبر أمراء الحاكم بن العزيز بن المعز، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمئة، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان، وأظن هذا القاضي هو منصف كتاب «البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم»، الذي فيه من الكفر، ما لم يصل إليس إلى مثله، وقد رد على هذا الكتاب القاضي أبو بكر الباقلائي، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها، رسم الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي - ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على أمور السلطان لأهل الكرخ، وباب الطاق من الرافضة، بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع، التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء: من تعليق المسوح، وتعليق الأسواق، والنجابة على الحسين، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك والله الحمد.

وكان هذا الرجل من أهل السنة، إلا أنه كان طماعاً، رسم بأن لا يقبل استحدثت من الشهود، من استحدثت عدلته بعد ابن معروف، وكان كثير منهم قد بذل أموالاً جزيلة في ذلك، فاحتاجوا إلى أن يجمعوا له شيئاً فوقهم لهم بالاستمرار.

ولما كان في جمادى الآخرة سعت الديلم، والترك على ابن المعلم هذا، وخرجوا بمجاهمهم إلى باب الشماسية، وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم، لسوء معاملته إياهم، فدافع عنه السلطان مدافعة عظيمة في مرات متعددة ولم يزالوا يرأسونه في أمره، حتى خنق أبا الحسن بن المعلم في جبل، ومات، ودفن بالمحرم.

وفي رجب من هذه السنة سلم الخليفة الطائع لله الذي خلع، إلى أمير المؤمنين خليفة الوقت أبي العباس القادر بالله، فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة، وأمر أن تجرى عليه الأرزاق، والتحف، والألطاف، مما يستعمله الخليفة القادر، من مأكول وملبس، وطيب، وكل به من يحفظه ويحميه، وكان يتعتب ويتعجب على القادر في تقلبه في المأكول والملبس، فرتب من يحميه ويحضر له ما يشتهي من سائر الأنواع، ولم يزل كذلك حتى توفي وهو في السجن. وفي شوال منها، ولد للخليفة القادر ولد ذكر، وهو أبو الفضل محمد بن القادر بالله، وقد واه العهد من بعده، وسماه الغالب بالله، فلم يتم له الأمر.

وفي هذا الوقت غلت الأسعار ببغداد، حتى بيع رطل الخبز بلربعين درهماً، والحريرة ب درهم.

وفي ذي القعدة، قدم صاحب الأضيضر الأعرابي، والتزم بحراسة الحاجب في ذهابهم وإيابهم، وشرط أن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة، فاجيب إلى ذلك، وأطلقت له الخلع والأموال والألوية.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر الخزاز المعروف بابن حيويه، سمع البغوي والباغندي وابن صاعد، وخلقاً

وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من هذه السنة وهو يوم غدیر خم - جبرت فتنة بين الروافض، والسنة، واقتتلوا، فقتل خلق كثير، واستظهر أهل باب البصرة، وحرقوا أعلام السلطان، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك، وصلبوا على القطر، ليرتدع أمثالهم.

وفيها السنة ظهر أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة، وادعى أنه خليفة، وسمى نفسه الراشد بالله، فمالأه أهل مكة، وحصل له أموال من رجل أوصى له بها، فانتظم أمره بسببها، وتقلد سيفاً، وزعم أنه ذو الفقار، وأخذ يده قضييا، زعم أنه كان لرسول الله ﷺ، ثم قصد بلاد الرملة، ليستعين بعرب الشام، فتلقوه بالرحب، وقبلوا له الأرض، وسلموا عليه بأمر المؤمنين، وأظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود. ثم إن الحاكم صاحب مصر وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز في هذه السنة بعث إلى عرب الشام مطلقاً، ووعدهم من الذهب بالوف ومئات، وكذلك إلى عرب الحجاز، واستتاب على مكة أميراً، وبعث إليه بجارية وخمسين ألف دينار، فانتظم أمر الحاكم، وتمزق شمل الراشد، وتسحب إلى بلاده، كما بدأ منها، وعاد إليها وكان عوده إليها كما رحل عنها، واضمححل حاله، وانتفضت حياله، وتفرق عنه رجاله والله يفعل ما يشاء ويختار.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن الحسين بن مهران: أبو بكر المقرئ، وكانت وفاته في شوال منها عن ست وثمانين سنة، واتفق له أنه مات في يوم وفاته أبو الحسن العامري الفيلسوف، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسين هذا في المنام، فقال له: يا أستاذ أي شيء فعل الله بك؟ فقال: أقام أبا الحسن العامري إلى جاني، وقال: هذا فداؤك من النار.

■ عبيد الله بن أحمد بن معروف، أبو محمد قاضي قضاة ببغداد، روى عن ابن صاعد، وعنه الخلال، والأزهري، وغيرهما، وكان من العلماء الثقات، الألباء العقلاء، الفطاء حسن الشكل، جميل الملبس، عفيفاً عن الأموال، وكان عمره يوم توفي خمساً وسبعين سنة، وصلى عليه أبو أحمد الموسوي، فكبر عليه خمساً، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور، فكبر عليه أربعاً، ثم دفن في داره، رحمه الله تعالى.

■ جوهر بن عبد الله، القائد باني القاهرة المعزية، أصله رومي، ويعرف بالكتاب، أرسله مولاه المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي المدعي أنه فاطمي من إفريقية لأخذ مصر عند اضطراب جيشها بعد موت كافور الإخشيدي، فاقاموا عليهم أحمد بن علي بن الإخشيد، فلم يجتمعوا عليه فأرسل بعضهم إلى المعز يستنجد به فأرسل مولاه جوهر هذا في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فوصل إلى القاهرة في شعبان منها، في مائة ألف مقاتل، ومعه من الأموال ألف ومائتا صندوق، لينفقه في ذلك، فازرعج الناس وأرسلوا يطلبون منه الأمان فأنهم، فلم يرض الجيش بذلك، وبرزوا لقتاله، فكسروهم، وجدد الأمان لأهلها، ودخلها يوم الثلاثاء، لثمان عشرة خلت من شعبان، فشق مصر، ونزل في مكان القاهرة اليرم، وأسس من ليته القصرين، وخطب يوم الجمعة الآتية، فقطع خطبة بني العباس وعوض بمولاه، وذكر الأئمة الاثني عشر، وأذن بحي على خير العمل، وكان يظهر الإحسان إلى الناس، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير جعفر بن الفرات والقاضي، واجتهد في تكميل القاهرة. وفرغ من جامعها

هم عليه من أخذ الأموال، وقتل الرجال، وإرعاب النساء والأطفال، في سائر المحال. فلما تفاقم الحال بهم، تطلبهم السلطان بهاء الدولة، وألح في طلبهم، فهربوا من بين يديه، واستراح الناس من شرهم.

وفي ذي القعدة، عزل الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي وولده اللذان كانا وليي عهده من بعده عن نقابة الطالبين.

ورجع ركب العراق في هذه السنة من أثناء الطريق بعد ما فاتهم وقت الحج، وذلك أن الأصفهري الأعرجي، الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في أثناء الطريق، وذكر لهم أن اللناتير التي أطلقت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية، وأنه يريد بدلها من الحجيج، وإلا لم يتركهم يجاوزوا هذا الموضع، فماتوه، وراجموه، فحبسهم عن المسير، حتى ضاق الوقت، ولم يبق منه ما يلحقوا الحج فيه، فرجعوا إلى بلادهم؛ ولم ينجح منهم أحد، وكذلك لم ينجح من الركب الشامي ولا أهل اليمن، أحد، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة.

وفي يوم عرفة، قلد الشريف أبو الحسن الزيني محمد بن علي بن أبي تمام الزيني نقابة العباسيين، وقرئ عهده بين يدي الخليفة، بمحضرة القضاة والأعيان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حيون الحارثي الكاتب الصائغ، صاحب التصانيف والرسائل للخليفة، ولعز الدولة بن بويه، وكان على دين الصابئة إلى أن مات، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه، وكان يحفظه حفظا حسنا، ويستعمل منه في رسائله، وكانوا يحرضون على أن يسلم فلم يفعل، وله شعر جيد قوي. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة وقد جاوز السبعين، وقد رثاه الشريف الرضي وقال: إنما رثيت فضائله.

■ عبيد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البشني الزاهد، ورت من آياته أموالا كثيرة، فأنفقها كلها في وجوه الخير، والقرابات، وكان كثير العبادة، يقال: إنه مكث سبعين سنة لا يستند إلى حائط ولا إلى شيء، ولا يتكئ على وسادة، وحج من نيسابور ماشيا حافيا، ودخل الشام، وأقام ببيت المقدس شهرا، ثم دخل مصر، وبلاد المغرب، وحج من هناك، ثم رجع إلى بلده بُشْت، وكانت له بقية أموال وأملاك، فتصدق بها، ولما حضرته الوفاة، جعل يتألم، ويتوجع، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أرى بين يدي أمورا هائلة، ولا أدري كيف أغوي منها.

وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة، عن خمس وثمانين سنة، وليلة موته رأت امرأة أمها بعد وفاتها، وعليها ثياب حسان، وزينة، فقالت: يا أمه، ما هذا؟ فقالت: نحن في عيد، من قدوم عبيد الله الزاهد علينا. رحمه الله تعالى.

■ علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي، المعروف بالرماني، روى عن ابن دريد، وكانت له يد طولى في النحو واللغة والمنطق والكلام، وله تفسير كبير، وشهد عند ابن معروف، قبله، وروى عنه الترخي، والجوهري توفي عن ثمان وثمانين سنة، ودفن في الشونيزية، عند قبر أبي علي الفارسي.

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢٩٩/٣]: والرماني نسبة إلى بيع الرمان أو إلى قصر الرمان بواسط.

كثيرا، وانتقي عليه الدارقطني، وسمع منه الأعيان، وكان ثقة ديناً متيقظاً ذا مروءة، وكتب من الكتب الكبار كثيرا بيده، وكانت وفاته في ربيع الآخر منها، وقد قارب التسعين رحمه الله.

■ الحسن بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكري أحد الأئمة في اللغة، والأدب، والنحو والنواصر، وله في ذلك تصانيف مفيدة، منها «التصحيح»، وغيره، وكان الصاحب بن عباد، يود الاجتماع به فسافر إلى عسكر مكرم، حتى اجتمع به، فأكرمه وراسله بالأشعار توفي فيها وله تسعون سنة. كنا أرخه القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان ٨٣/٢]. وذكره ابن الجوزي فيمن توفي في سنة سبع وثمانين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

لها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحرية وكسوته، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطب، وغيرها، وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك فلما أقره به فعله وأقره.

قال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد ١١١/١]: أدركت الجمعة، تقام ببغداد في مسجد المدينة، ومسجد الرصافة، ومسجد دار الخلافة، ومسجد براءنا، ومسجد قطعة أم جعفر، ومسجد الحرية. قال: ولم يزل الأمر على هذا، إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، فتعلت في مسجد براءنا.

وفي جمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين، واجتاز عليه هو بنفسه، وقد زين المكان وأحفل به. وفي جمادى الآخرة، شُغِبَ الديال، والأتراك، لتأخر العطاء عنهم، وغلاء الأسعار، وراسلوا بهاء الدولة فآذيت أعذارهم وعلمهم.

وفي يوم الخميس الثاني من ذي الحجة من هذه السنة، تزوج الخليفة سكية بنت بهاء الدولة، على صداق مائة ألف دينار، وكان وكيل أبيها الشريف أبو أحمد الموسوي، ثم توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة بها.

وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أردشير داراً بالكرك، وجدد عمارتها وبيضاها، ونقل إليها كتباً كثيرة، ووقفها على الفقهاء، وسماها دار العلم، وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء، والله أعلم. وارتفعت الأسعار في أواخر هذه السنة جداً، وضاق الحال، وجاع العيال.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران، أبو بكر البرزاني، سمع الكثير من البغوي، وابن صاعد وابن دريد، وابن أبي داود، وعنه الدارقطني، والبرقاني، والأزهري، وغيرهم، وكان ثقة نبشاً، صحيح السماع، كثير الحديث، متحريراً ورعاً. توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فبعاعظم الخطب بأمر العيارين، وعاثوا ببغداد فساداً، وأخذوا العملات الثقال، ليلا ونهاراً، وحرقوا أماكن كثيرة، وأخذوا من الأسواق الجبايات، وتطلبهم الشرط، فلم يقد ذلك شيئا، ولا فكروا فيهم، بل استمروا على ما

زي الفقهاء، وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة عما يعانيه من أمور السلطان. وذكر للناس أنه إنما يأكل من حين نشأ وإلى يومه هذا من أموال أبيه. وجده، ولكن يخالف السلطان، وهو تائب عما مارسه في شؤونته، واتخذ بيتاً في داره، سماه بيت التوبة، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته، وحين حدث استلم عليه جماعة، لكثرة مجلسه، فكان من جملة من يكتب ذلك اليوم من الطلبة، القاضي عبد الجبار الهمداني، من شابهه من رؤوس الفضلاء، وسادات محدثين والفقهاء.

وقد بحث إليه قاضي قزوین بهدية كتب كثيرة، وكتب معها: الثميري، عبد كافي الكفاة وإن اعتل في وجوه الفضلاء خدم المجلس الرفيع بكسب مفعمات من حسناتها مترعات فلما وصلت إليه، أخذ منها كتاباً واحداً، ورد باقيها، وكتب تحت البيت.

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات لست أستغنم الكثير وطبعي قول خذ، ليس مذهبي قول هات وجلس الوزير ابن عباد مرة في مجلس شراب، فتأوله الساقى كأساً، فلما أراد شربها، قال له بعض خدامه: يا سيدي إن هذا الذي في يدي مسموم. قال: وما الشاهد على صحة قولك؟ قال: تجرب. قال: فيمن؟ قال: في الساقى. قال: ويحك! لا أستحل ذلك. قال: ففي دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز. ثم أمر بصب ماني ذلك القدح، وقال للساقى: لا تدخل داري بعد هذا، ولم يقطع عنه معلومه.

وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح بن ذي الكفيلين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة، وباشرها عوضه، واستمر مدة فينما هو ليلة في بعض أيامه قد اجتمع عنده أصحابه وتُدماؤه، وهو في أتم سرور، قد هبى له مجلس حافل بأنواع اللذات من المأكول والملابس والتحف، وقد نظم أبياتاً، والمغنون يُحَوِّثُونَهَا لَهُ، وهو في غاية الطرب، والسرور، والفرح، وهي هذه:

دعوت لها ودعوت الملا فلما أجابا دعوت القلح
وقلت لأيام شرخ الشباب لي، فهنا أوان القلح
إذا بلغ المسر آماله فليس له بعدا منترح

ثم قال لأصحابه: باكروني غدا إلى الصبح. ونهض إلى بيت منامه، فما أصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة، وأخذ جميع ما في داره من الحواصل، والأموال، وجعله مثله في العباد، وأعاد إلى وزارته صاحب بن عباد.

وقد ذكر ابن الجوزي المنظم ٣٧٧/١٤ أن صاحب بن عباد، حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن مؤيد الدولة، يسوده، ليوصيه في أموره، فقال له: إني موصيك أن تستمر في الأمور على ما تركها عليه، ولا تغريها، فإنك إن استغررت بها، نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره، وإن غيرتها، وسلكت غيرها، نسبت هي والخير المتقدم إلي لا إليك، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك، وإن كنت أنا المشير بها عليك فأعجب منه ذلك، واستمر بما أوصاه به من الخير، وكانت وفاته في عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر منها.

قال: ابن خلكان (وفيات الأعيان ٢٢٩/١) وهو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب، ثم استعمل بعده فيهم، وإنما سمي بذلك، لكثرة صحبته الوزير أبا الفضل بن العميد، فكان يقال له: صاحب ابن العميد ثم

■ محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن القرات، أبو الحسن الكاتب، المحدث، الثقة المأمون. قال الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ١٢٢/٣، ١٢٣): كان ثقة، كتب الكثير، وجمع ما لم يجمعه أحد في وقته، بلغني أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً، أكثرها بخطه، سوى ما سرق منه، وكان خطه في غاية الصحة، ومع هذا كانت له جارية تعارض معه ما يكتبه - رحمه الله تعالى.

■ محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله أبو عبيد الله الكاتب المعروف بابن الرزيان، روى عن البغوي، وابن دريد، وغيرهما، وكان صاحب أخبار، وأدب وصنف كتباً كثيرة في فنون مستحسنة، وكان مشابجه، وغيرهم، يحضرون عنده، ويبيتون في داره في فرش وأطعمة، وغير ذلك، وكان عضد الدولة إذا مر بداره، لا يجتاز، حتى يرسل إليه ليخرج فيسلم عليه، وكان أبو علي الفارسي، يقول: هو من عاسن الدنيا. وقال العتيقي: كان ثقة. وقال الأزهري: ما كان ثقة. وقال ابن الجوزي والمنظم ٣٧٢/١٤: لم يكن من الكذابين، وإنما كان فيه تشيع، واعتزال، ومخلط السماع بالإجازة وبلغ ثمانية وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فيها استوزر فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، الملقب بالكافي، وذلك بعد وفاة صاحب إسماعيل بن عباد، وكان من مشاهير الوزراء.

وفيها قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار، وصادره بأموال جزيلة، فكان من جملة ما بيع في المصادرة، ألف طيلسان وألف ثوب مغربي.

وحج بالناس في هذه السنة، وما قبلها، وما بعدها، المصريون، والخطبة في الحرمين لهم القاطمين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ صاحب بن عباد، وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني، أبو القاسم الوزير الشهر الملقب بكافي الكفاة، وزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، وقد كان من العلم، والفضيلة، والبراعة، والكرم، والإحسان إلى العلماء، على جانب عظيم، كان يبعث في كل سنة إلى بغداد خمسة آلاف دينار، لتفرق على أهل العلم، وله اليد الطولى في الأدب، وله مصنفات في فنون العلم، واقتنى كتباً كثيرة، وكانت تعمل على أربعمئة بعير، ولم يكن في وزراء بني بويه الديلمة مثله، ولا قريب منه، في مجموع فضائله، وقد كانت دولة بني بويه مائة وعشرين سنة وكانت وزارته ثمانية عشر سنة وأشهرها، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة، وابنه فخر الدولة، لأصرامته وشهامته، وحسن تدبيره، وجودة آرائه، وكان يحسب العلوم الشرعية، ويغض الفلسفة، وما يشبهها من الآراء البديعة، وقد مرض مرة بالإسهال، فكان كلما قام عن المظهرة، وضع عندها عشرة دنائير، لثلاث يترى به الفراشون، فكانوا يردون أن لو طالت علته، ولما عوفي، أنهب داره الفقراء، وكان قيمة ما تحتوي عليه نحواً من خمسين ألف دينار، وقد سمع الحديث من المشايخ الجيادات عوالي الإسناد، وعقد له في وقت مجلس للإملاء، فاحتفل الناس لحضوره، فلما خرج لبس

لا يصح، وأنت تنسخ. فقال الدارقطني: فمحي خلاف فهمك اتخفظ كم أملى حديثاً؟ فقال: لا. فقال: إنه أملى ثمانية عشر حديثاً إلى الآن، فالحديث الأول منها عن فلان عن فلان ثم ساقها كلها، بأسانيدها، وألفاظها، فتعجب الناس منه.

وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري: لم ير الدارقطني مثل نفسه، وقال ابن الجوزي [المنظوم ٣٨٠/١]: وقد اجتمع له مع معرفة الحديث، العلم بالقراءات، والنحو، والفقه والشعر، مع الأمانة، والعدالة، وصحة العقيدة، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء، السابع من ذي القعدة في هذه السنة، وله من العمر تسع وسبعون سنة ويومان، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي. رحمه الله تعالى.

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢٩٧/٣، ٢٩٨]: وقد رحل إلى الديار المصرية، فأكرمه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل ابن خنزابة، وزير كافور الإخشيدي، وساعده هو والحافظ عبد الغني على إكمال «مسنده»، وحصل للدارقطني منه مال جزيل. قال [وفيات الأعيان ٢٩٨/٣، ٢٩٩]: والدارقطني: نسبة إلى دار القطن، وهي عملة كبيرة ببغداد.

وقال عبد الغني بن سعيد المصري: لم يتكلم على الأحاديث، مثل علي بن المنيني في زمانه، وموسى بن هارون في زمانه، والدارقطني في زمانه. وسئل الدارقطني: هل رأى مثل نفسه؟ قال: أما في فن واحد فربما رأيت من هو أفضل مني، وأما فيما اجتمع في من القنن فلا.

وقد روى الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد ١٤/١٤٤]: عن الأمير أبي نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن مأكولا قال: رأيت في المنام، كاني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني، وما آل إليه أمره في الآخرة، فقبل لي: ذلك يدعى في الجنة الإمام رحمه الله ورضي عنه.

■ عباد بن عباس بن عباد، أبو الحسن الطالقاني، والد الوزير إسماعيل بن عباد، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب، وغيره من البغداديين، والأصفهانيين، والرازيين، وغيرهم، وحدث عنه ابنه الوزير أبو القاسم، وأبو بكر بن مردويه، ولعباد هذا، كتاب في أحكام القرآن، وقد اتفق موته، وموت ابنه، في هذه السنة، رحمهما الله.

■ عقيل بن محمد بن عبد الواحد، أبو الحسن الأحنف العكبري، الشاعر المشهور، له ديوان مفرد، ومن مستجاد شعره ما ذكره الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في [المنظوم ٣٨٠/١٤] قوله:

أقضى علي من الأجل عذلي العذول إذا عذلي
واشد من عذلي العذول لصدود الإفوق وصل
واشد من هذا وفا طلب النوال من السفلى
ومن شعره الجيد أيضاً قوله أيضاً:

من أراد الملك والسر حة من هم طویل
فليكن فسرنا من التنا س ويرضى بالقيل
ويرى أن قليلاً نافعاً غير قليل
ويرى بالحزم أن السد حزم في ترك الفضول
ويلاوي مرض الوحدة بالصبر الجميل
لا يغاري أحداً ما عاش في قبال وقيل
يلزم الصمت فإن الصمت تهذيب العقول

أطلق عليه أيام وزارته. وقال الصايغ في كتابه «التاجي»: إنما سماه صاحب مؤيد الدولة بن بويه، لأنه كان صاحبه من الصغر، فكان يسميه صاحب، فلما ملك، واستوزره، سماه صاحب، فاشتهر به، وتسمي به الوزراء بعده، ثم ذكر ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢٩٩/١-٢٣١] قطعة صالحة من مكارمه، وفضائله، وثناء الناس عليه، وعدد له مصنفات كثيرة، منها كتابه «المحيط» في اللغة في سبعة مجلدات، يحتوي على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها قوله وهو صنيح لطيف:

رق الزجاج ورقست الحمر وتشاها فتشاكل الأضر
كناها خسر ولا قدح كناها قدح ولا خسر

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢٣١/١]: توفي بالري في هذه السنة، وله نحو ستين سنة ونقل إلى أصبهان، رحمه الله.

■ الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد أبو محمد الأديب، كان شاعراً مُمولاً، كثير المكارم، روى عن علي بن محمد بن سعيد الموصلي وعنه الصوري، وكان صدوقاً. وهو الذي أنزل المتنبي في داره، حين قدم ببغداد، وأحسن إليه وأجرى عليه الفقات، حتى قال له المتنبي: لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك، وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً، فمن جيد شعره قوله:

شريت المعالي غير متظير بها كساداً ولا سوقاً يقام لها أخرى
وما أنا من أهل المكاسب كلما توفرت الأثمان كنت لها أخرى

■ ابن شاهين الواعظ عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أردان، أبو حفص بن شاهين الواعظ المشهور، سمع الكثير، وحدث عن الباغدني، وأبي بكر بن أبي داود، والبخوي، وابن صاعد، وخلق. وكان ثقة أميناً، يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكانت له المصنفات العديدة المفيدة. ذكر عنه أنه صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفًا، من ذلك «التصير» في ألف جزء، و«المسند» في ألف وخمسمائة جزء، و«التاريخ» في مائة وخمسين جزءًا، و«الزهد» في مائة جزء. توفي وكانت وفاته في ذي الحجة منها، وقد قارب التسعين، رحمه الله تعالى.

الحافظ

■ الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطني، الحافظ الكبير، استأذ هذه الصناعة، في زمانه، وقبلها بمدة وبعدما إلى زماننا هذا، سمع الكثير، وجمع، وصنف، وألف، وأجاد، وأفاد، وأحسن النظر، والتعليل، والانتقاء، والانتقاد، والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام أهل دهره، في أسماء الرجال، وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف، والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية، له كتاب «السنن الكبير» المشهور من أحسن المصنفات في باب، له يسبق إلى مثله، ولا يلحق في شكله، إلا من استمد من بحره، وعمل كعمله، وله كتاب «العلل» بين فيه الصواب من الزلل، والمتصل من المرسل، والمنقطع، والمفضل، وكتاب «الأفراد»، الذي لا يفهمه، فضلاً عن أن ينظمه، إلا من هو من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة الجياد، وله غير ذلك من المصنفات، التي هي كالعمود في الأجياد.

وقد كان الدارقطني من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر، جلس مرة في مجلس إسماعيل الصغار، وهو يملئ على الناس الأحاديث، والدارقطني ينسخ في جزء حديث، فقال له بعض المحدثين في أثناء المجلس: إن سماعك

وحج بالناس في هذه السنة الأمير الذي من جهة المصريين، والخليفة لهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن إبراهيم، بن محمد بن يحيى بن سخويه أبو حامد بن أبي إسحاق المزكي النيسابوري، سمع الأصم، وطبقته، وكان كثير العبادة، من صغره إلى كبره، وصام من دهره سرّاً تسعاً وعشرين سنة، قال الحاكم: وعندي أن الملائكة لم تكتب عليه خطيئة، توفي في شعبان من هذه السنة، عن ثلاث وستين سنة.

■ أبو طالب المكي: صاحب «قوت القلوب»، محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الواعظ المذكر، الزاهد المجتهد، الرجل الصالح، سمع الحديث، وروى عنه غير واحد. قال العتيقي: كان رجلاً صالحاً، مجتهداً في العبادة. وصنف كتاباً سماه «قوت القلوب»، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، وكان يعظ الناس في جامع بغداد.

وحكى ابن الجوزي (المنظم ٣٨٥/١٤)، أن أصله من الجليل، وأنه نشأ بمكة، وأنه دخل البصرة، بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فالتقى إلى مقالته، ودخل بغداد، فاجتمع عليه الناس، وعقد له مجلس الوعظ، فنلظ في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فبدعه الناس، وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس. وقد كان أبو طالب ممن يبيع السماع، فدخل عليه عبد الصمد بن علي، فعاتبه على ذلك، فأنشد أبو طالب:

فيا ليل كم فيك من متعة — وبأصبح ليلتك لم تقرب
فخرج عبد الصمد مغضباً.

وقال أبو القاسم بن بشران: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي، وهو يموت، فقلت: أوصني فقال: إذا ختم لي بخير، فأنثر على جنازتي لوزاً وسكراً، فقلت: كيف أعلم ذلك؟ فقال: اجلس عندي، ويديك في يدي، فإن قبضت على يدك، فاعلم أنه قد ختم لي بخير. قال: فجلست عنده ويدي في يده، فلما حان فراقه، قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما رفع على جنازته، نثرت اللوز والسكر على نعشه. قال ابن الجوزي: توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، وقبره ظاهر بالقرب من جامع الرصافة وألله أعلم.

العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مصر

■ نزار بن المعز معد أبي قحيم، ويكنى نزار هذا بأبي منصور، ويلقب بالعزيز، توفي عن ثنتين وأربعين سنة، منها ولاته بعد أبيه إحدى وعشرون سنة، وخمسة أشهر وعشرة أيام، وقام بالأمر من بعده، ولده الحاكم والحاكم، هو الذي تسبب إليه الفرقة الضالّة، المضلّة، الزنادقة، الحاكمة، وإليه ينسب أهل وادي التيم من الدرزية، أتباع هستكين، غلام الحاكم، الذي بعث إليهم، يدعوهم إلى الكفر الخوض، فأجابوه، لعنه الله وإياهم، وأما العزيز هذا، فإنه كان قد استوزر رجلاً نصرانياً، يقال له: عيسى بن نسطورس، وآخر يهودياً اسمه ميثا، فمز بسببهما أهل هاتين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين، حتى كبت إليه امرأة قصة في حاجة لها تقول فيها: بالذي أعز النصراري يعيسى بن نسطورس، واليهود بميثا، وأذل

يذل الكبير لأهلي — سه ويرضى بالحمول
أي عيش لا مري يصب — يح في حال ذليل
بين قصد من عمو — ومندارة جهول
واعتلال من صديق — ونجمن من ملول
واحتراس من ظنون الس — وع مع عذل العنول
ومعاشاة بغيض — ومقاساة فقير
أف من معرفة النسا — س على كل سليل
ونمام الأمير لا يع — رف سمحاً من بجيل
فلما أكمل هذا — كان في ملكك جليل

■ محمد بن عبد الله بن سكوة: أبو الحسن الهاشمي، من ولد علي بن المهدي بالله، كان شاعراً أديباً خليفاً ظريفاً، وكان ينوب في نقابة الهاشمين. فترافق إليه رجل اسمه علي، وامرأة اسمها عائشة، يتحاكمان في جمل، فقال: هذه قضية لا أحكم فيها بشيء، لتلا يعود الحال خدعة. ومن مستجاد شعره ولطيفه قوله:

في وجه إنسانة كلفت بها — أربعة ما اجتمعن في أحد
الوجه بدروالصدع غالبية — والريق خر، والثغر من برد
ومن مجون شعره قوله وقد دخل حماماً فسرق نعله فماد إلى منزله حافياً، فقال:

إليك أذم حمام ابن موسى — وإن فاق المنسى طيباً وحراً
تكاثر اللصوص عليه حتى — ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوباً ولكن — دخلت محمداً وخرجت بشراً

■ يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس، سمع البغوي، وابن أبي داود، وابن صاعد، وغيرهم، وعنه الخلخال، والعشاري، والتنوخي، وغيرهم، وكان ثقة نبيلاً، يعد من الأبدال. قال الدارقطني: كنا نترك به وهو صغير. وكانت وفاته ثلاثين من ربيع الآخر، عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى.

■ يوسف بن أبي سعيد، السيرافي أبو محمد النحوي بن النحوي، وهو الذي تمم شرح أبيه لكتاب سيويه، وكان يرجع إلى علم ودين، وكانت وفاته في ربيع الأول منها، عن خمس وخمسين سنة رحمه الله تعالى وإيانا بمه وكرمه.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

في الحرم من هذه السنة، كشف أهل البصرة عن قبر عتيق، فيأذا هم بميت طري، عليه ثيابه وسيفه، فظنوه الزبير بن العوام، فأخرجوه، وكفنوه، ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً، ووقفت عليه أوقاف كثيرة، وجعل عنده خدام، وقوام، وفرش، وتنوير. وفيها ملك الحاكم العبيدي بلاد مصر، بعد أن هلك أبوه العزيز بن المعز الفاطمي، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وقام بتدبير المملكة معه أرجوان الخادم وأمين الدولة الحسن بن عمّار شيخ كتامة، فلما تمكن الحاكم قتلها، وأقام غيرهما، ثم قتل خلقاً، حتى استقام له الأمر على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

يركب الإسناد، ويضع الحديث على الرجال فالله أعلم. وكانت وفاته في ربيع الأول فجأة.

■ ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي ابن خلف بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق، أبو محمد المصري الحافظ، صنف كتاباً في قصة مصر، ذيل به على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي في ذلك انتهى الكندي إلى سنة ست وأربعين ومائتين وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وميلناً به أيام محمد بن النعمان قاضي العيين، وأظنه مُصَنَّف كتاب «البلاغ» الذي انتصب للرد عليه القاضي الباقلائي، أو هو مُصَنَّفه عبد العزيز بن النعمان، والله أعلم.

وكانت وفاة ابن زولاق في أواخر ذي القعدة من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ ابن بطة عبيد الله بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العسكري، المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله التصانيف الكثيرة، الحافلة، في فنون من العلم، سمع الحديث من البغوي، وأبي بكر النيسابوري، وابن صاعد، وخلق في أقاليم متعددة، وعنه جماعة من الحفاظ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس، والأزجي، والبرمكي، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة، وكان ممن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وقد رأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد اختلفت علينا المناصب. فقال: عليك بأبي عبد الله بن بطة، فلما أصبح ذهب إليه ليشهه بالنام، فعين رآه ابن بطة، تسم إليه، وقال له قبل أن يخاطبه صدق رسول الله ﷺ ثلاث مرات. وقد تصدى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة، والطعن فيه، بسبب ادّعاءه سماع «السنن» لرجاء بن مَرْجِيٍّ و«معجم البغوي»، وأسند بعض الجرد إلى شيوخه عبد الواحد بن علي الأسدي، المعروف بابن برهان اللغوي، فانتدب ابن الجوزي [النظم ٣٩١/١٤-٣٩٢] لرد على الخطيب، والطعن عليه أيضاً، بسبب بعض مشايخه، والانتصار لابن بطة، فحكى عن أبي الوفاء بن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذنب مرجحة المعتزلة في أن الكفار لا يخلدون في النار دائماً، وقالوا: لأن دوام ذلك ممن لا يتشقى، ولا معنى له هنا، مع أنه قد وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين، ثم شرع ابن عقيل يرد على ابن برهان. قال ابن الجوزي: فكيف يقل الجرح والتعديل من مثل هذا؟ ثم روى ابن الجوزي بسنده، عن ابن بطة، أنه سمع «المعجم» من البغوي، قال: والبت مقدم على الثاني.

قال الخطيب [تاريخ بغداد ٣٧٥/١٥]: وحدثني عبد الواحد بن برهان، قال: حدثنا محمد بن أبي الفوارس: روى ابن بطة، عن البغوي، عن أبي مصعب، عن مالك، عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

قال الخطيب: وهذا باطل من حديث مالك، والحمل فيه على ابن بطة. قال ابن الجوزي: وجواب هذا من وجهين: أحدهما: أنه وجد بخط ابن برهان أن ماحكاه عن الخطيب من القلع في ابن بطة باطل، وهو شيعي، أخذت عنه العلم في البداية. الثاني: أن ابن برهان قد تقدم القبح فيه، بما خالف فيه الإجماع، فكيف قبلت منه القول في رجل قد حكيت عن مشايخ العلماء، أنه رجل صالح، مجاب الدعوة، نعوذ بالله من الهوى.

■ علي بن عبد العزيز بن مَرْدَك، أبو الحسن البردعي، روى عن ابن أبي حاتم وغيره، وكان كثير المال، ترك الدنيا، وأقبل على الاعتكاف في المسجد، وكثرة الصلاة والعبادة.

المسلمين بك، إلا ما كشفت ظلامي. فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين، وأخذ من النصراني ثلاثمائة ألف دينار. وفيها توفيت

■ بنت عضد الدولة، التي كانت زوجة الطائع لله، فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة، وكان فيها جوهرٌ كثيرٌ ونحف ولطائف وغير ذلك والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

فيها توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه، ورُتِّب ولده رستم في الملك بعده، وكان عمره أربع سنين، وقام خواص أبيه، بتبديل الممالك والراعايا.

من توفي فيها من الأعيان

أبو أحمد

■ العسكري اللغوي وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد العسكري اللغوي، العلامة في فنه وتصانيفه، المقيمة في اللغة وغيرها، ويقال: إنه كان يميل إلى المعتزلة، ولما قدم الصاحب بن عباد، هو وفخر الدولة، البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري وقد كبر وأسن بعث إليه الصاحب بن عباد برقعة، فيها هذه الأبيات:

ولما أبيت أن تزوروا وقتلتم ضعننا فما تقوى على الوجدان
أيتاكم من بعد أرض تزورككم فكم منزل بكر لنا وعوان
ناشدكم هل من قرى لزيادكم بطول جوار لا يمل جفان
فكتب العسكري الجواب في ظهرها:

أروم نهوضاً ثم يشي عزمي تموءُ أعضائي من الرُجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما تمعد تشيبي به وعناني
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والسرزان
ثم تحامل وركب بفلته، وسار إلى الصاحب، فوجده مشغولاً في خيمته، بأبهة الوزارة، فصعد أكمة ثم نادى بأعلى صوته متمثلاً بقول أبي تمام:

ما لي أرى القبة الفيحاء مقفلة دوني وقد طال ما استفتحت
كانها جنة الفردوس معرضة وليس لي عمل زاكٍ فادخلها
فلما سمع الصاحب صوته ناداه: ادخلها يا أبا أحمد، فلك السابقة الأولى، فلما صار إليه، وقدم عليه أكرمه وعظمه وأحسن إليه.

توفي العسكري يوم التروية من هذه السنة، قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٨٤/٢]: وُلِدَ سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وتوفي سنة ثنتين وثمانين.

■ عبد الله بن محمد بن عبد الله، بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران، أبو القاسم، الشاهد، المعروف بابن الثلاث؛ لأن جده أهدى لبعض الخلفاء تلجأ، فوقع منه موقعا، فعرف عند الخليفة بالثلاث، وقد سمع أبو القاسم هذا، من البغوي، وابن صاعد، وابن أبي داود، وحدث عنه الترخي، والأزهري، والعتيقي، وغيرهم من الحفاظ، قال ابن الجوزي [النظم ٣٨٩/١٤]: وقد اتهمه المحدثون، منهم الدارقطني، ونسبوه إلى أنه كان

الساماني، ملك خراسان، وغزنة، وما وراء النهر، ولي الملك وله ثلاث عشرة سنة، واستمر في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا أخاه عبد الملك مكانه فقصدهم عمود بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم، وقد كان لهم في الملك مائة سنة وستين شهوياً، فباد ملكهم في هذا العام، ولله التقص والإبرام.

أبو الطيب

■ سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي إمام أهل نيسابور، وشيخ أهل تلك الناحية، كان يحضر مجلسه نحو من خمسمائة بحيرة، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور. وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في «الإرشاد» [الإرشاد ٨٦٧/٣]: إنه مات في سنة ثنتين وأربعمئة فآله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [المعظم ٨/١٠٩]: في ذي الحجة من هذه السنة سقط في بغداد برد شديد، بحيث جمد الماء في الحمامات، ويول الدواب في الطرقات.

وفيها جاءت رسل أبي طالب رستم بن فخر الدولة فبايعه الخليفة وأمره على معاملته ببلاد الري ولقبه عبد الدولة وكهف الأمة، وبعث إليه بالخلع والألوية، وكذلك لبس بن حسويه ولقبه ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصدقات.

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب، المشتب إلى جده الطائع، من السجن بدار الخلافة، إلى البطيحة، فأواه صاحبها مهذب الدولة، ثم أرسل القادر بالله في أمره فجاء به مضيقاً عليه فاعتقله، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان فادعى أنه الطائع لله، فصدقه وبايعوه وأدوا إليه العشر، وغير ذلك من الحقوق، ثم اتفق بجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فإذا به ليس له صحة ولا حقيقة، فرجعوا عنه واضمحل أمره وفسد حاله، فانهمز عنهم.

وحج بالناس في هذه السنة أمير المصريين، والخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي قبحه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو سليمان حمد ويقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب

■ الخطابي البستي، أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المحدثين المكثرين له من المصنفات «معالم السنن» و«شرح البخاري»، وغير ذلك. من التصنيف النافعة المفيدة. وله شعر حسن. فمته قوله:

مادمت حياً قنار الناس كلهم فأنما أنست في دار المدارة
من يدر داري ومن لم يدر سوف عما قليل نديك للناسات

وكانت وفاته بمدينة بست في ربيع الأول من هذه السنة. قاله ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢/١١٥].

■ الحسين بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن بكر أبو عبد الله الصيرفي الحافظ المطبق، سمع إسماعيل الصفار وابن السماك والنجاد، والخلدي، وأبا بكر الشافعي، وعنه ابن شاهين، والأزهري، والتوتخي، وحكى الأزهري أنه دخل عليه، وبين يديه أجزاء كبار، فجعل إذا ساق

■ فخر الدولة علي بن ركن الدولة بن بويه الدلمي، ملك بلاد الري ونواحيها، وحين مات أخوه مؤيد الدولة كتب إليه صاحب بن عباد بالإسراع إليه فولاه الملك بعد أخيه، واستوزر ابن عباد على ما كان عليه في أيام أخيه مؤيد الدولة. توفي عن ست وأربعين سنة، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً، وترك من الأموال شيئاً كثيراً من ذلك من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف دينار، ومن الجواهر نحواً من خمسة عشر ألف قطعة، يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار. وغير ذلك من أواني الذهب زنته ألف ألف دينار، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف دره، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل، وخزانة السلاح ألفا حمل، ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل، ومن الأمتعة ما يليق بالملك، ومع هذا ليلة توفي لم يكن لهم وصول إلى شيء من المال ولم يحصل له كفن إلا ثوب رجل من المجاورين في المسجد، واشتغلوا عنه بالملك حتى تم لولده رستم من بعده، فأنقذ الملك ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه في حبال وجروه على درج القلعة، فتقطع، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

■ ابن سمعون الواعظ: محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن سمعون الواعظ، أحد الصلحاء والعلماء، وكان يقال له الناطق بالحكمة، روى عن أبي بكر بن داود وطبقته، وكان له يد طولى في الوعظ، والتدقيق في المعاملات، وكانت له كرامات، ومكاشفات، كان يوماً وهو يعظ الناس على المنبر، وتحت أبو الفتح بن القواس، وكان من الصالحين المشهورين، فتعس ابن القواس، فأمسك ابن سمعون عن الوعظ، حتى استيقظ، فحين استيقظ، قال ابن سمعون: رأيت رسول الله ﷺ في منامك؟ قال: نعم! قال: فلهاذا أمسكت عن الوعظ، حتى لا أزعجك عما كنت فيه.

وكان لرجل ابنة مريضة منقعة، فرأى أبوها رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: اذهب إلى ابن سمعون، ليأتي منزلك، فيدعو لابتك، وهي تبرا بإذن الله تعالى. فلما أصبح، ذهب إلى ابن سمعون ليأتي، فلما رآه، نهض ولبس ثيابه، وخرج معه، فظن الرجل، أنه يذهب إلى مجلس وعظ، فقال: أقول له في أثناء الطريق فلما مر بدار الرجل، دخل إليها الشيخ، فأحضر إليه ابنته، فدعا لها، وانصرف فبرات من ساعتها.

ويعد إليه الخليفة الطائع لله، من أحضره، وهو مغضب، فخيف على ابن سمعون منه، فلما جلس بين يدي الخليفة، أخذ في الوعظ، وكان أكثر ما أورده من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فيكى الخليفة حتى سمع شهيقه، ثم خرج من بين يديه، وهو مكرم، فقيل للخليفة: رأيتك طلبته وأنت غضبان، فقال: بلغني أنه يتقص عليا، فأردت أن أعاقبه، فلما حضر، أكثر من ذكر علي، فعلمت أنه موفق، قد كوشف بما كان في خاطري عليه.

ورأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ، وإلى جانبه عيسى ابن مريم عليه السلام، وهو يقول: ليس من أمي الأحبار، ليس من أمي الرهبان ليس من أمي أصحاب الصوامع. فينما هما كذلك إذ دخل ابن سمعون، فقال له رسول الله ﷺ: أفي أمك مثل هذا؟ فسكت عيسى عليه السلام.

كان مولد ابن سمعون في سنة ثلاثمائة، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة، في هذه السنة، ودفن بداره، قال ابن الجوزي [المعظم ٨/١٠٩]: ثم أخرج بعد سنين إلى مقبرة أحمد، واكفانه لم تبل، رحمه الله تعالى.

آخر ملوك السامانية

■ نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، أبو القاسم

ومن توفي فيها من الأعيان

■ زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ عصره بخراسان، قرأ على ابن مجاهد، وتفقه بأبي إسحاق المروزي، إمام الشافعية، وأخذ علم اللغة، والأدب، والنحو، عن أبي بكر بن الأبياري، وكانت وفاته في ربيع الآخر، عن ست وتسعين سنة.

■ عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن مخلد بن إبراهيم ابن مروان أبو القاسم المعروف بابن حبان، روى عن أبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود، وطبقتهما، وكان ثقة مأمونا مستنسا، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، عن تسعين سنة، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الإسفراييني، شيخ الشافعية، ودفن في مقابر جامع المنصور رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة

في هذه السنة ظهر بأرض سجستان، معدن من ذهب، كانوا يجفرون فيه مثل الآبار، ويخرجون منه ذهباً أحمر.

وفيهما قتل الأمير أبو نصر بن بختيار، صاحب بلاد فارس، واستولى عليها بهاء الدولة.

وفيهما قتل القادر بالله القضاء بواسط، وأعمالها، لأبي خازم عماد بن الحسن الواسطي، وقرئ عهده بدار الخلافة، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة، أوردتها بحروفها أبو الفرج بن الجوزي في "مظنمه" [المظنم ١٨/١٥]، وفيها مواعظ، وأوامر، ونواهي، حسنة جداً والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن أبي موسى أبو بكر الهاشمي، الفقيه المالكي، القاضي بالملائن، وغيرها، وخطب بجامع المنصور، وسمع الكثير، وروى عن الجهم الغفيري، بانتخاب أبي الحسن الدارقطني الحافظ الكبير، وكان عفيفاً، زهواً، ثقة ديناً. توفي في محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة.

■ عبيد الله بن عثمان بن يحيى، أبو القاسم الدقاق، ويعرف بابن جنيق، قال العلامة القاضي أبو يعلى بن الفراء - وهذا جده - : بالصواب جليلاً باللام لا بالنون. وقد سمع الحديث سمعاً صحيحاً، وروى عنه الأزهرى والعتيقي. قال ابن أبي الفوارس: وكان ثقة مأمونا، حسن الخلق، ما رأينا مثله في معناه.

■ الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، والد القاضي أبي يعلى، وكان صالحاً، فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، أسند الحديث، وروى عنه ابنه أبو حازم محمد بن الحسين.

■ عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي طالب البغدادي، نزيل مصر، وحدث بها، فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري.

■ عمر بن إبراهيم بن أحمد أبو حفص المعروف بالكتاني المقرئ، ولد سنة ثلاثمائة، روى عن البغوي، وابن مجاهد، وابن ساعد، وعنه الأزهرى، وغيره، وكان ثقة صالحاً.

■ محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون، أبو الحسين الدقاق، المعروف بابن أخي ميمى، سمع البغوي، وغيره، وعنه جماعة، ولم

يسناد، أورد منه من حفظه، وإذا سرد متناً، ساق إسناده. قال: وفعلت هذا معه مراراً، كل ذلك يورد الحديث، إسناداً، ومتناً، كما في كتابه. قال: وكان ثقة، فحسدوه. وتكلموا فيه. وحكى الخطيب [تاريخ بغداد ١٤/٨] أن ابن أبي الفوارس، اتهمه بأنه يزيد في سماع الشيخ، ويلحق رجلاً في الأسانيد، ويصل المقاطيع، وكانت وفاته في ربيع الآخر منها عن إحدى وستين سنة.

■ صمصام الدولة ابن عضد الدولة، صاحب بلاد فارس، خرج عليه ابن عمه أبو نصر بن بختيار، فهرب منه، ولجأ إلى جماعة من الأكراد، فلما غلوا به في بلادهم، نهبوا خزائنه، وحواصله، ولحقه أصحاب ابن بختيار، فقتلوه، وحلوا رأسه في طست، فلما وضع بين يدي ابن بختيار قال: هذه سنة سنها أبوك. وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان عمره يوم قتل خساً وثلاثين سنة، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر.

■ عبد العزيز بن يوسف الجكرك، أبو القاسم، كاتب الإنشاء لعضد الدولة، ثم وزير لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر، وكان يقول الشعر. توفي في شعبان من هذه السنة.

■ محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المعروف بسلام الشينودي، كان عالماً بالقرارات، وتفسيرها، يقال إنه كان يحفظ خسين ألف بيت من الشعر، شواهد للقرآن، ومع هذا تكلموا في روايته عن أبي الحسين بن شنبوذ، وأساء الدارقطني القول فيه. توفي في صفر من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاثمائة.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

في هذه السنة قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان، فاستلب ملكها من أيدي السامانية، وواقعهم مرات متعددة، في هذه السنة، وما قبلها، حتى أزال اسمهم، ورسمهم عن البلاد بالكلية، وانقرضت دولتهم على يديه، ثم صمد لقتالهم إيلك ملك الترك، بما وراء النهر، وذلك بعد موت الخان، الذي يقال له: فاتق، وجرت له معهم حروب، وخطوب.

وفيهما استولى بهاء الدولة على بلاد فارس، وخوزستان.

وفيهما أرادت الشيعة أن تعمل ما كانوا يصنعونه، من الزينة يوم غدِير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المستنيرين للسنّة، فادعوا أن في مثل هذا اليوم حصر النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ في الغار، فامتنعوا من ذلك، وهذا أيضاً جهل من هؤلاء، فإن هذا إما كان أوائل شهر ربيع الأول من أول سني الهجرة، فإنهما أقاما فيه ثلاثاً، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلها بعد ثمانية أيام أو نحوها، وكان دخولهما المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهذا أمر معلوم مقرر. ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء ما، يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة، فادعوا أن في اليوم الثامن عشر من الحرم، قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له ما، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما يزار قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة وبالله التوفيق.

وفيهما وقع برد شديد مع غيم مطبق، وريح قوية جداً، بحيث أتلفت شيئاً كثيراً من النخيل ببغداد، فلم يتراجع حملها إلا بعد سنين.

وحج بركب المراق الشريهان الرضوي والمرضى، فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح، فافتديا منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما، فاطلقهما.

■ ابن فارس: صاحب «المجلد»، وقيل: إنه توفي في سنة خمس وتسعين كما سيأتي.

■ أمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أم الفتح، سمعت من محمد بن إسماعيل البصري وغيره، وعنها الأزهرى، والتونجي، وأبو يعلى بن الفراء، وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد في دينها، وفصلها، وسيادتها، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت في رجب أيضاً من هذه السنة، عن ثنتين وتسعين سنة، رحما الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فيها بايع الخليفة القادر بالله، لولده أبي الفضل، بولاية العهد من بعده، وخطب له، ولقب بالغالب بالله، وكان عمره حينئذ ثمانين سنين وشهوراً، ولم يَمُتْ له ذلك، وكان سبب هذه العجلة، أن رجلاً يقال له عبد الله بن عثمان الرائي، ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد الترك، وادعى أن القادر بالله، جعله ولي عهده من بعده، فخطبوا له هنالك، فلما بلغ القادر أمره، بعث يطلبه، فهرب منه في الأنفاق، وتمزق شمله، ثم أخذه بعض الملوك، فسجنه في قلعة إلى أن مات، فلهاذا بادر القادر إلى هذه البيعة. وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة، ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة، وهو القائم بأمر الله.

وفيها قتل الأمير حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة، ببلاد الأنبار، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد، ورام المملكة، فجاءه القدر المحتوم، فقتله بعض غلمانه الأتراك، وقام بالأمر من بعده، ولده قرواش. وحج بالناس المصريون.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن القرات أبو الفضل، المعروف بابن حنابلة الوزير، ولد سنة ثمان وثلاثمائة ببغداد، ونزل الديار المصرية، ووزر بها لأمرها كافور الإخشيدي، وكان أبوه وزيراً للمقتدر، وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي، وطبقته من البغداديين، وكان قد سمع مجلساً من البغوي، ولم يكن عنده، فكان يقول: من جامعي به أغنيته، وكان له مجلس لإملاء الحديث بديار بمصر، وسيب رحل الدارقطني إلى هناك، فزُلَّ عنده، وخرج له مستنداً، وحصل له منه مال جزيل، وحدث عنه الدارقطني، وغيره من الأكابر. ومن مستجاد شعره قوله:

من أحلّ النَّفسَ أحياءاً وروحها - ولم يَبْتَ طاولاً منها على ضَجْرِ
إن الرِّيحَ إذا اشتدَّتْ عواصفها - فليس ترمي سوى العالي من الشجر

قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ٣٤٩/١]: كانت وفاته في صفر. وقيل: في ربيع الأول من هذه السنة، عن ثنتين وثمانين سنة، وفقن بالقرافة، وقيل: بداره، وقيل: إنه كان قد اشترى داراً بالمدينة النبوية، فجعلها تربة له، فلما نقل إليها، تلقته الأشراف لإحسانه إليهم، فحملوه، وحجروا به، وأوقروه به بعرفات، ثم أعادوه إلى المدينة، فدفنوه بربته.

■ ابن الحجاج الشاعر، الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر الماجن، المقذع في نظمه، بالفاظ يستنكف اللسان عن التلفظ بها،

يزل مع كبر سنه، يكتب الحديث، إلى أن توفي، وله تسعون سنة، وكان ثقة مأموناً، ديناً، فاضلاً، حسن الأخلاق، توفي وكانت وفاته ليلة الجمعة، لثمان وعشرين من شعبان هذه السنة.

■ محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الشريف أبو الحسن العلوي، الكوفي، ولد سنة خمس عشرة، وسمع من أبي العباس بن عقدة، وغيره، وسكن بغداد، وكانت له أموال كثيرة، وضياع ودخل عظيم، زحمة وإفارة، وهمة عالية، وكان مقدماً على الطالبين في وقته، وقد صادره عضد الدولة في وقت، واستحوذ على جمهور أمواله، وسجنه، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار، ثم سجنه، ثم أطلقه، واستنابه على بغداد. ويقال إن غلاله، كانت تساي في كل سنة ألفي ألف دينار، وله وجهة كبيرة جداً. ورياسة باذخة.

الأستاذ

■ أبو الفتح يرجوان، الناظر في الأمور بالديار المصرية في الدولة الحاكمية، وإليه تنسب حارة يرجوان بالقاهرة المعزية، كان أولاً من غلمان العزيز بن المعز، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر، مطاعاً، كبيراً في الدولة، ثم أمر بقتله في القصر، فضربه الأمير ريدان - الذي تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح - بسكين في بطنه فقتله. وقد ترك شيئاً كثيراً من الأثاث والثياب، من ذلك ألف سراويل تبيتي بألف تكة من حرير، قاله ابن خلكان في كتابه [وفيات الأعيان ٣٧٠/١، ٢٧٩]. وولى الحاكم بعده في منصبه، الأمير حسين ابن القائد جوهر.

الجزيري المعروف بابن طرارا اسمه

■ المعافي بن زكريا بن يحيى ابن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهرواني القاضي لأنه نائب في الحكم - المعروف بابن طرارا الجزيري لا شغاله على ابن جرير الطبري، وسلوكه وراءه في مذهبه، سمع الحديث من البغوي، وابن صاعد، وخلت، وروى عنه جماعة، وكان ثقة، عالماً، فاضلاً، كثير الآداب، والتفنن في أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة، منها كتابه المسمى بـ «الجلس والأيس»، فيه فوائد جمة كثيرة.

وكان الشيخ أبو محمد الباقي أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعافي، فقد حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلاث ماله لأعلم الناس، لوجب أن يصرف إليه.

قال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء، في دار بعض الرؤساء، وفيهم المعافي، فقالوا: هلم تذاكر في فن من العلوم فقال المعافي لصاحب المنزل - وكانت عنده كتب كثيرة في خزنة عظيمة -: مر غلامك هذا أن يأتي بكتاب من هذه الكتب، أي كتاب، فتذاكر فيه. فتعجب الحاضرون من هذا التمكن، والتبحر.

وقال الخطيب البغدادي [درر بغداد ١٣/٢٣٠]: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبري، أنشدنا المعافي بن زكريا لنفسه:

الا نل لمن كان لي حاسداً - أتدري على من أسات الأدب
أسات على الله في فعله - لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زانسي - وسد عليك وجوه الطلب
وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله.

وفي هذا الشهر، قتل الحجاج من خراسان إلى بغداد، ليسيروا إلى الحجاز، فبلغهم عث الأعراب بالفساد، وأنه لا قاهر لهم، ولا ناظر ينظر في أمورهم، فرجعوا إلى بلادهم، ولم ينج من بلاد المشرق أحد في هذه السنة.

وفي يوم عرفة، ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان، فمات أحدهما بعد سبع سنين، وبقي الآخر حتى قام بالأمر من بعده، ولقب مشرف الدولة، وحج المصريون فيها بالناس.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الفتح عثمان

■ ابن جني الموصل، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف الفارقة المتناولة في النحو واللغة، وكان أبوه جني عبدا روميا، ملكوا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصل، ومن شعره في ذلك قوله:

فإن أصبح بلا نسب فعلمي في الورى نسي
على أنني أولو إلى قروم سادة محجب
قبصرة إذا نطقوا أرى الدعاء ذو الخطب
أولاك دعاء النبي لهم كفى شرفاً دعاء نبي

وقد أقام ببغداد، ودرس بها العلم، إلى أن توفي ليلة الجمعة، للثنتين خلثا من صغرهما، قال القاضي ابن خلكان [وفيات الأعيان ٢٤٦/٣]: ويقال: إنه كان أعور. وله في ذلك:

صدورك عني ولا تنس لي يذل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيك خشيت على عيني الواحدة
ولولا غافلة أن لا أراك لما كسان في تركها فائده
ويقال: إن هذه الأبيات لغيرة.

وله في ملوك حسن الصورة أعور:

له عين أصابت كل عين وعين قد أصابتها العيون

أبو الحسن

■ علي بن عبد العزيز الخرجي: القاضي بالري، الشاعر الماهر، سمع الحديث، وترقى في العلوم، حتى أقر له الناس بالتفرد، وله أشعار حسان من ذلك قوله:

يقولون لي فيك انقباض وإغا رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من دناهم هان عندهم ومن أكرته عزه النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما بسا طمع صيرته لي سلما
إنا قبل هذا مهتل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة إنا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لظما
ولكن أهانوه، فهان، ودُسروا عياه بالأطماع حتى تحما
ومن مُتجاد شعره أيضاً قوله:

ما تظمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليلا

والأذنان عن الاستماع إليها، وقد كان أبوه من كبار العمال، وولي هو حبة بغداد في أيام عز الدولة بن معز الدولة بن بويه، فاستخلف عليها نوابا سنة، وتشاغل هو بالشعر السخيف، والرأي الضعيف، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ، وفيه قوة جيدة تدل على تمكن واقتدار على سبك المعاني الفصيحة، التي هي في غاية الفضيحة، في الألفاظ الفصيحة، وله غير ذلك من الأشعار المستجادة، وقد امتلح مرة صاحب مصر، فبعث إليه بالف دينار.

وقول القاضي ابن خلكان: ويقال: إنه عزل عن حبة بغداد، بأبي سعيد الإصطخري، قول ضعيف، لا يباح بمثله القاضي، فإن أبا سعيد توفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فكيف يعزل به ابن الحجاج؟! وهو لا يمكن عادة أن يلي الحبة بعد أبي سعيد الإصطخري، ولكن قلل ابن خلكان في هذه الصناعة ناقضه، فإنه أرخ وفاة هذا الشاعر بهذه السنة، ووفاء الإصطخري بما تقدم. وقد جمع الشريف الرضي أشعاره الجيدة على حدة، في ديوان مفرد، ورثاه حين توفي هو وغيره من الشعراء.

■ عبد العزيز بن أحمد أبو الحسين الخوزي: القاضي بالخرم، وحريم دار الخلافة، وغير ذلك من الجهات، وكان ظاهريا على مذهب داود، وكان لطيفا ظريفا، تحاكم إليه وكيلان، فبكى أحدهما في أثناء الخصومة، فقال له القاضي: أرني وكالتك فنوله، فقرأها، ثم قال له: لم يجعل إليك أن تبكي عنه فاستضحك الناس، ونهض الوكيل خجلا.

■ عيسى ابن الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو القاسم البغدادي، كان أبوه من كبار الوزراء، وكتب هو للطائع أيضاً، وسمع الحديث الكثير، وكان صحيح السماع، كثير العلوم، وكان عارفاً بالمتن، وعلم الأوائل، فرموه بشيء من مذهب الفلاسفة، ومن جيد شعره قوله:

رب ميت قد صار بالعلم حياً وميت قد مات جهلاً وغياً
فاتقوا العلم كي تتالوا خلوداً لا تمدوا الحياة في الجهل شيئاً

كان مولده سنة ثنتين وثلاثمائة، وتوفي في هذه السنة، عن تسع وثمانين سنة، ودفن في داره ببغداد.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة

في الحرم منها، غزا بين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند، فصمد له ملكها جيال، في جيش عظيم، فاقتلوا قتالا شديداً، ففتح الله على المسلمين، وانهزم الهند، وأسر ملكهم جيال، وأخذوا من عنقه، قلادة قيمتها ثمانون ألف دينار، وغنم المسلمون منهم أموالا عظيمة وفتحوا بلادا كثيرة، ثم أطلق محمودا ملك الهند احتقارا له، واستهانة به، ليراه أهل مملكته، في لباس، المذلة، فحين وصل جيال لعنه الله إلى بلاده، ألقى نفسه في النار، التي يعبدونها من دون الله، فاحترق، لعنه الله.

وفي ربيع الآخر منها، ثارت العوام على النصاري، ببغداد، فنهبا كنيسهم التي بقطيعة الرتيق، وأحرقوها، فسقطت على خلق، فماتوا، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان وفي رمضان منها، قوي أمر العيارين، وكثرت العملات، والنهب ببغداد، وانتشرت الفتنة.

قال ابن الجوزي [المعظم ٣٢٥/١]: وفي ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، انتقض كوكب، أضاء كضوء القمر ليلة التمام، ومضى الضياء، وبقي جرمه، يتنوع نحو ذراعين في ذراع، برأي العين، ثم توارى بعد ساعة.

ليس شيء أغرُّ عندي من العلد
م فما ابتغني سواء أتيها
إنما اللذل في غالطة النسا
س فدعهم وعش عزيزاً رئيساً
ومن شعره أيضاً:

إذا شئت أن تستقرض المال متفقاً
على شهرات النفس في زمن العسر
فصل نفسك الإنفاق من كثر صبرها
عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلت كنت الغني وإن أبست
فكل منسوع بعدها واسع العذر
توفي رحمه الله في هذه السنة، وحمل تابوته إلى جرجان، فدفن بها.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

فيها كانت وفاة الطائع لله، على ماسنذكره.

وفيها منع عميد الجيوش، الشيعة من التوج على الحسين، في عاشوراء، ومنع جملة السنة، بباب البصرة، وباب الشعر، من النباحة على مصعب بن الزبير، بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع الفريقان، والله الحمد والمنة. وفي أواخر المحرم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة، وصاحره بمائة ألف دينار قاسانية.

وفي أوائل صفر منها، غلت الأسعار ببغداد جدًّا، وعلمت الخنطة حتى بيع الكر منها مائة وعشرين ديناراً.

وفيها برز عميد الجيوش إلى سورا، واستدعى سيد الدولة أبا الحسن، علي بن مزيد، وقرر عليه في كل ستة أربعين ألف دينار، فالتزم ذلك، وقرره على بلاده.

وفيها هرب أبو العباس الضبي، وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري، إلى بلد بن حسويه، فأكرمه، وولي بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو علي الخطير.

وفيها استتاب الحاكم على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود، ثم بلغه أنه عزز رجلاً مغربياً، على حبه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وطاف به في البلد، فخاف من مرة ذلك، فبعث إليه، فغزله مكرًا وخديعة. وانقطع الحج في هذه السنة من العراق بسبب الأعراب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن أحمد بن محمد، أبو إسحاق الطبري، الفقيه المالكي، مقدم المعدلين ببغداد، وشيخ القراءات، وقد سمع الكثير من الحديث، وخرج له الدارقطني خمسمائة جزء حديث، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم رحمه الله تعالى.

■ الطائع لله عبد الكريم بن المطيع، تقدم كيف خلمه، بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة وأنه أودع في غرفة بدار الخلافة وأجرى عليه أرزاق كثيرة والظاف غزيرة إلى أن توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة، عن ست وسبعين سنة، وقد باشر الخلافة سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام، وصلى عليه القادر بالله، فكبر عليه خمساً، وشهد جنازته الأكابر، والأعيان ودفن بالرصافة.

■ محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا، أبو طاهر المخلص، شيخ كبير كثير الرواية، سمع البغوي، وابن صاعد، وخلقا، وعنه البرقاني، والأزهري، والخلال، والتوخي، وكان ثقة من الصالحين. توفي في

رمضان من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله. ■ محمد بن عبد الله: أبو الحسن السلامي، الشاعر المجيد، له شعر مشهور، ومدايح في عضد الدولة وغيره.

■ ميمونة بنت شاقولة، الراعبة التي هي للقرآن حافظة، ذكرت يوماً في وعظها، أن ثوبها الذي عليها، وأشارت إليه في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة، وما تغير، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوب إذا لم يعض الله فيه، لا يتخرق سريعاً وقال ابنها عبد الصمد: كان في دارنا حائط، يريد أن ينقض، فقلت لها: ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار؟ فأخذت رقعة، فكتبت فيها شيئاً، ثم أمرتني أن أضربها في موضع من الجدار، فوضعتها، فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت، أردت أن أستعلم ما كتبت في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] بسم الله يا ممسك السموات والأرض أمسكه.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

وفيها ولي بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي، قضاء القضاء، والحج، والمظالم، وتقابة الطالبين، ولقب بالطاهر الأوحده ذي المناقب، وكان التقليد له بشيراز، فلما وصل الكتاب إلى بغداد، لم يأن له الخليفة القادر في قضاء القضاء، فوقف حاله بسبب ذلك. وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة، وأخرج منها مهذب الدولة، فقصده زعيم الجيوش، ليأخذها منه، فهزمه ابن واصل، ونهب أمواله، وحواصله، وكان في جملة ما أصاب في خيمة الخزانة ثلاثون ألف دينار، وخمسون ألف درهم.

وفيها خرج الركب العراقي إلى الحجاز، في جحفل كبير، وتجمل كثير، فاعترضهم الأسير أمير الأعراب ليتبهم، فبعثوا إليه بشاين، قارئين مجيدين، كانا معهم يقال لهما: أبو الحسن بن الرقاع، وأبو عبد الله بن الدجاجة وكانا من أحسن الناس قراءة، ليكلما في شيء يأخذ من الحجيج، ويطلق سراجهما، ليبركوا الحج، فلما جلسا بين يديه، قرأ جميعاً عشرين بأصوات هائلة، مطبوعة، فأدهشه ذلك، وأعجبه جدًّا، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: بخير، لا يزال الناس يكرمونا، ويعشرون إلينا بالذهب والفضة والتحف. فقال: هل أطلق لكما أحد منهم ألف ألف دينار فقالا: لا، ولا ألف دينار في يوم واحد. قال: فإني أطلق لكما ألف ألف دينار. فاطلق بسببهما الحجيج فلم يعرض لأحد منهم، وذهب الناس إلى الحج وهم سالون شاكرون لتلك الرجلين القارئتين. ولما وقف الناس بعرفات، قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة، على جبل الرحمة، فضج الناس من سائر الركوب لقراءتهما، وقالوا لأهل العراق: ما كان ينبغي، أن تخرجوا بهذين الرجلين في سفرة واحدة، لاحتمال أن يصابا جميعاً، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما، فإذا أصيب سلم الآخر. وكانت الحجة، والخطبة في هذه السنة، للمصريين، كما هي لهم من سنين متقدمة.

وقد كان أمير العراقيين، عزم على العود سريعاً إلى بغداد، على طريقهم التي جازوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية، خوفاً من الأعراب، وكثرة الحفارات، فشك ذلك على الناس، فوقف هذان الرجلان، القارئان، على جادة الطريق، التي منها يعدل إلى المدينة النبوية، وقرأ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا

من كبارهم، وحج مرات على الوحلة، وكانت وفاته في محرم هذه السنة.
 ■ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، صاحب «المجمل» في اللغة، وكان مقبلاً بهمنان، وله رسائل حسن، أخذ عنه البليغ صاحب «المقامات»، ومن رائق شعره قوله:
 مرت بنا هيفاء مجلولة تركيبة تنمّي لتركبي
 ترنو بطرف فاطر فئاتن أضصف من حجة نحوي
 وله أيضاً:

إذا كنت في حاجة مرسلًا وأنت بها كلف مفرم
 فارسل حكيمًا ولا توصه وذلك الحكيم هو الدرهم
 قال ابن خلكان [وفيات الأعيان ١/١٩٩]: توفي سنة تسعين وثلاثمائة، وقبل سنة خمس وتسعين. والأول أشهر.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة

قال ابن الجوزي [الظلم ١/٤٩]: في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره ضوؤه عن يسرة القبلة يتموج، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر، وثبت إلى النصف من ذي القعدة ثم غاب.
 وفيها ولي محمد بن الأكتاني قضاء جميع بغداد. وفيها جلس القادر للأمير قرواش بن أبي حسان وأقره في إمارة الكوفة ولقبه بمعتمد الدولة.
 وفيها قلد الشريف الرضي نقابة الطالبين، ولقب بالرضي ذي الحسين، ولقب أخوه المرتضي ذا المجدين. وفيها غزا بين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدناً كبيراً منها، وأخذ أموالاً جزيلة، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما اقتتعا، وكسر أصنامها، فألبسه نطقاً وشدها على وسطه بعد تمنع شديد وقطع خصره ثم أطلقه إهانة له، وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله.

وفيها كانت الخطبة بالخرميين للحاكم المبيدي، وتجدد في حل الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم، وكذلك بديل مصر مع زيادة السجود، وكانوا يسجدون عند ذكره، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الأسواق أيضاً يسجدون لسجودهم، لعنهم الله سبحانه وتعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو سعد

■ إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجاني، المعروف بالإسماعيلي، ورد بغداد والدارقطني حيّ وحديث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي والأصم وابن عدي، وحدث عنه الخلال والتوخي، وكان ثقة فاضلاً فقيهاً، على مذهب الشافعي، عارفاً بالعريّة، سخياً جواداً على أهل العلم، وله ورع والرياسة إلى اليوم في بلده في ولده. قال الخطيب البغدادي [تاريخ بغداد ١/٣١٠]: سمعت الشيخ أبا الطيب الطبري يقول: ورد أبو سعد الإسماعيلي بغداد ففقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الإسفراييني، وتولى الثاني أبو محمد الباقي، فبعث الباقي إلى القاضي المعافي بن زكريا الجرجي يستدعيه إلى حضور المجلس ليتجمل بحضوره، وكانت الرسالة مع ولده أبي الفضل، وكتب على يده هذين البيتين:

يَرْعَوُوا بِأَفْئِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ [القومة: ١٢٠] الآيات فضج الناس بالبكاء، وأمالت النوى أعناقها نحوهما، فمال الناس والأمير بأجمعهم ميلاً واحدة إلى المدينة النبوية، فزاروا، وعادوا سائلين إلى بلادهم، والله الحمد والمنة.

ولما رجع هذان القارنان، رتبهما ولي الأمر مع أبي بكر بن البهلول وكان مقرناً جيداً أيضاً ليصلوا بالناس صلاة التراويح في رمضان، فكثر الجمع وراءهم، لحسن تلاوتهم، وكانوا، يتناوبون في الإمامة.

وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحج: ١٦] فنهض إليه رجل صوفي، وهو يتمایل، فقال: كيف قلت؟ فأعاد الآية، فقال الصوفي: بلى والله وسقط ميتا، رحمه الله. قال ابن الجوزي [الظلم ١/٤٤]: وكذلك وقع لأبي الحسن بن الخشاب، شيخ ابن الرفا، وكان تلميذاً لأبي بكر بن الأمامي المتقدم ذكره، وكان جيد القراءة حسن الصوت أيضاً، قرأ ابن الخشاب ليلة في جامع الرصافة، في الإحياء، هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحج: ١٦] فتواجد رجل صوفي، وقال: بلى قد آن وجلس، وبكى بكاء طويلاً، ثم سكنت سكنة، فحركوه فإذا هو ميت رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن محمد بن إسماعيل أبو علي الإسكافي: ويلقب بالموفق، وكان مقدماً عند بهاء الدولة، فولاه بغداد، فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود، ثم هرب إلى البطيحة، فأقام بها ستين، ثم قدم بغداد، فولاه بهاء الدولة الوزارة، وكان شهماً، منصوراً في الحروب، ثم عاقبه بعد ذلك، وقتله في هذه السنة، عن تسع وأربعين سنة.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

فيها عاد مذهب الدولة إلى البطيحة، ولم يمانعه ابن واصل، وتقرر عليه في كل سنة لبهاء الدولة خمسون ألف دينار. وفيها كان غلاء عظيم وفناء ببلاد إفريقية، بحيث تعطلت المخازن والحامات، وذهب خلق كثير من القلاء، وهلك آخرون من شدة الغلاء، فلهذا الأمر من قبل ومن بعد وهو المشتول المأمول أن يحسن العاقبة.

وفيها أصاب الحجيج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم. وكانت الخطبة للمصريين كما تقدم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن جعفر: أبو نصر البخاري، المعروف باللاحمي، أحد الحفاظ، قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري، وروى عن الهيثم بن كليب وغيره، وحدث عنه الدارقطني، وكان من أعيان أصحاب الحديث. توفي ببخارى في شعبان من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين.

■ محمد بن أبي إسماعيل: علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبو الحسن العلوي، ولد بهمنان ونشأ ببغداد، وكتب الحديث عن جعفر الخلدني، وغيره، وسمع بنبساور من الأصم وغيره، ودرس فقه الشافعي على أبي علي بن أبي هريرة، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار

إذا أكرم القاضي الجليل وليه وصاحبه ألفاه للشكر موضعاً
ولي حاجة يأتي بسني بذكرها ويساله فيها التطول أجمعاً
فاجابه الحريري مع ولد الشيخ:

دعا الشيخ مطوعاً سمياً لأمره يواتيه باعاً حيث يرسم أصباً
وها أنا غاد في غد نحو داره أبادر ما قد حله لي مسرعاً

وكانت وفاة أبو سعد الإسماعيلي فجأة بجرجان في ربيع الآخر وهو
قائم يصلي في المغرب، في صلاة المغرب، فلما قرأ: ﴿إياك نعبد وإياك
 نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] فاضت نفسه فمات رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بحر أبو
عمرو المزكي، الحافظ النيسابوري، ويعرف بالبحري، رحل إلى الآفاق في
طلب العلم، وكان حافظاً جيد المذاكرة، ثقة ثبات، حدث ببغداد وغيرها من
البلاد، وتوفي في شعبان هذه السنة عن ثلاث وستين سنة.
أبو عبد الله

■ ابن منده الحافظ: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو
عبد الله الأصفهاني الحافظ، من بيت الحديث والحفظ، رحل إلى البلاد
الشاسعة، وسمع الكثير وصف «التاريخ» و «الشيخ»، قال أبو العباس
جعفر بن محمد الحافظ: ما رأيت أحفظ من أبي عبد الله بن منده، توفي في
باصفهان في صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى وإليانا برحمته.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فيها كان خروج أبي ركوته على الحاكم العيدي صاحب مصر.
وملخص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان
الأموي، واسمه الوليد، وإنما لقب بأبي ركوته لركوته كان يستصحبها في
أسفاره على طريقة الصوفية، وكان قد سمع الحديث بالديار المصرية، ثم
أقام بمكة باليمن ثم دخل الشام، وهو في غضون ذلك يبيع من انتقاد له،
عن يرى عنده همة ونهضة للفتاوى من في نصرة ولد هشام بن عبد الملك
الأموي، ثم إنه أقام ببعض بلاد مصر في حلة من حلال العرب، يعلم
الصبيان ويظهر النسك والتقشف والعبادة والورع، ويخبر بشيء من
الغيبات، حتى خضعوا له وعظموه جداً، ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه
الذي يدعو إليه من الأمويين، فاستجابوا له وخضعوا، وخاطبوه بأمر
المؤمنين، ولقب بالناظر بأمر الله المتصر من أعداء الله، ودخل برقة في
جففل، فجمع له أهلها نحواً من مائتي ألف دينار، وأخذ رجلاً من اليهود
اتهم بشيء من الودائع، فأخذ منه مائتي ألف دينار أيضاً، وتقشوا الدراهم
والدنانير بالقباء، وخطب بالناس يوم الجمعة، ولعن الحاكم في خطبته،
ونعماً فعل، فالتف على أبي ركوته من الجنود نحو من ستة عشر ألفاً، فلما
بلغ الحاكم أمره وما أكل إليه حاله بعث بمخمسة ألف دينار وخمسة آلاف
نوب إلى مقدم جيوش أبي ركوته وهو الفضل بن عبد الله يستميله إليه
ويشبهه عن أبي ركوته فحين وصلت الأموال إليه رجع عن أبي ركوته وقال:
إنا لا طاقة لنا بالحاكم، وما دمت بين أظهرنا فتحن مطلوبون بسبيك،
فاختار لنفسك بلداً تكون فيها. فقال أن يعيشوا معه فارسين يوصلونه إلى
النوبة فإن بينه وبين ملكها مودة وصحبة، فأرسله، ثم بعث وراءه من رده
إلى الحاكم بمصر، فلما وصل إليه أركبه جملاً وأشهره، ثم قتله في اليوم
الثاني، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعه أقطاعاً كثيرة. واتفق مرض الفضل

فداه الحاكم مرتين، فلما عوفي قتله والحقه بصاحبه أيضاً. وكافاه مكافأة
التمساح.

وفي رمضان عزل قرواش عما كان بيده ووليه أبو الحسن علي بن
مزيد، ولقب بسند الدولة.

وفيها هزم عين الدولة عمود بن سبكتين أئلك ملك الترك عن بلاد
خراسان وقتل من الأتراك خلقاً كثيراً.

وفيها قتل أبو العباس بن واصل صاحب البصرة، وحمل رأسه إلى بهاء
الدولة فطيف به بخراسان وفارس.

وفيها ثارت على الحبيج وهم بالطريق ربح سوداء مظلمة جداً،
واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهب فقاتهم الحج في
هذا العام ورجعوا إلى بغداد فدخلوها في يوم التروية. وكانت الخطبة
بالحرمين للمصريين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الدينوري
الواعظ الزاهد، قرأ القرآن ودرس على مذهب الشافعي على أبي سعيد
الإصطخري، وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن سلمان النجاد، وروى
عنه الأزجي والصيمري، وكان ثقة صالحاً، يضرب به المثل في مجاهدة
النفس، واستعمال الصدق المحض، والتقشف والتقشف، والأسر بالعرف
والنهي عن المكر، وحسن وعظه ووقعه في القلوب.

جاءه يوماً رجل بمائة دينار فقال: أنا غني عنها، قال: خذها ففرقها على
أصحابك هؤلاء، فقال: ضعها على الأرض. فوضعها ثم قال للجماعة:
لأخذ كل واحد منكم حاجته منها، فعملوا يأخذون بقدر حاجاتهم حتى
انقذوها، وجاء ولده بعد ذلك فشكى إليه حاجتهم، فقال: اذهب إلى البقال
فخذ عليّ ربع رطل تمر.

ورآه رجل وقد اشترى دجاجة وحلوا فتعجب من ذلك فأتبعه فأنتهى
إلى دار فيها امرأة ولها أيتام فدفعها إليهم. وقد كان يدق السعد للطارين
بالأجرة ويقنات منه، ولما حضرته الوفاة جعل يقول: سيدي لهذه الساعة
خيأتك. كانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة،
وصلي عليه بجامع المنصور، ودفن بمقبرة الإمام أحمد.

أبو العباس

■ ابن واصل صاحب سيراك والبصرة وغيرهما من البلاد، كان أولاً
يخدم بالكرخ، وكان متصوراً له أنه سيملك، كان أصحابه يهزؤون به،
ومعجنون عليه، فيقول أحدهم: إذا ملكت فاستخمني، ويقول الآخر: اخلع
عليّ. ويقول الآخر: عاقني فقدر له أنه تقلبت به الأحوال حتى ملك
سيراك ثم البصرة، وأخذ بلاد البطيحة من مذهب الدولة، وأخرجه منها
طردياً، بحيث إنه احتاج في بعض الطريق إلى أن ركب بقرة واستحوذ ابن
واصل على ما هناك من الأموال والحواصل، وقصد الأهواز وهزم بهاء
الدولة بها، ثم ظفر به بهاء الدولة فقتله في شعبان من هذه السنة، وطيف
برأسه في البلاد.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

فيها غزا بين الدولة عمود بن سبكتين بلاد الهند، ففتح حصراً

المقدس، وأباح للامة ما كان فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك، وكان سبب ذلك ما أنهى من البهتان الذي يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التي يمتثلون لها، وهي التي يوهمون جهلهم أنها نزلت من السماء، وإنما هي مصنوعة بدهن اللسان في خيوط الإبريسم والرفاع المدهونة بالكبريت وغيره، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطعام منهم والعوام، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه. وكذلك أمر بهدم في هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر، ونودي في النصارى بمصر: من أحب الدخول في دين الإسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمنًا، ومن أقام منهم على دينه فليترجم بما شرط عليهم من الشروط التي زاد فيها على العمرة، من تعليق الصليبان على صدورهم، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرتال، وعلى اليهود تعليق رأس المعجل زنته ستة أرتال. وفي الحمام يكون في عتق الواحد منهم قرية زنة خمسة أرتال، وأجراس، وأن لا يركبوا خيلا. ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه. وقال نثره مساجدنا أن يدخلها من لا نية له، ولا يعرف باطنه، فبحه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو محمد الباقي: اسمه

■ عبد الله بن محمد الباقي البخاري الخوارزمي؛ أحد أئمة الشافعية في وقته، تفقه على أبي القاسم الداركي ودرس مكانه، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشعر.

جاءه مرة ليزور بعض أصحابه فلم يجده في المنزل فكتب إليه:

قد حضرنا وليس يقضى التلاقي نال الله خبر هذا الفراق
إن تغب لم أغب وإن لم تغب غبت كأن افتراقنا باتفاق
وقد كانت وفاته في محرم هذه السنة، وقد ذكرنا ترجمته في «طبقات الشافعية».

■ عبيد الله بن أحمد بن علي بن الحسين، أبو القاسم المقرئ المعروف بالصيدلاوي، وهو آخر من حدث عن ابن صاعد من الثقات، وروى عنه الأزهرى، وكان ثقة مأموناً صالحاً. توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.

■ البهاء الشاعر: عبد الواحد بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزومي، الملقب بالبهاء، توفي في شعبان من هذه السنة، وكان أديباً فاضلاً مترسلاً شاعراً جيداً، فمن ذلك قوله:

يا من تشابه منه الخلق والخلق فما تسافر إلا نحو الخلق
توريد دمي من خديك تغتسل وسقم جسي من جفنيك مسترق
لم يسبق لي رمق أشكو هواك به وإنما يتشكى من به رمق

■ محمد بن يحيى، أبو عبد الله الجرجاني، أحد العلماء الزهاد العباد، المناظرين لأبي بكر الرازي، وكان يدرس في قطيعة الربيع، وقد فليح في آخر عمره، وحين مات دفن مع أبي حنيفة.

■ بديع الزمان: صاحب المقامات، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الحمطاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري، وأقضى أثره وشكر تقدمه، وأعترف بفضلته، وكان قد أخذ اللغة عن ابن فارس، ثم يبرز، وكان أحد

كثيرة، وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة، وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً علوه فضة، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الأموال كلها في صحن داره وأذن لرسلك الملوك فدخلوا عليه فأروا ما بهرهم وهالمهم.

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الآخر وقع ببغداد تلج عظيم، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً، ومكث أسبوعاً لم يذب، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعبادان والنهرانات. وفي هذا الشهر كثرت العملات جهرة وخفية، حتى من المساجد والمشاهد ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثير منهم فقطعوا أيديهم وكحلوهم وشهروهم فخدمت الفتنة ولله الحمد والمنة.

قصة مصحف عبد الله بن

مسعود رحمته الله وتحريقه عن فنيا

الشيخ أبي حامد الإسفراييني

ما ذكره ابن الجوزي في «مئتمنه» [المطبعة ٥٨/١، ٥٩]

وفي عاشر رجب جرت فتنة بين السنة والرافضة، سبها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم وكان فقيه الشيعة في مسجده بدرب رباح، فعرض له بالسب فخار أصحابه له واستغفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد بن الأكفاني والشيخ أبي حامد الإسفراييني، وجرت فتنة طويلة، وأحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو يخالف المصاحف كلها، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء يوم جمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الإسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحض منهم، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن، وصاحوا: يا حاكم يا منصور، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوط شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد ليضفي عنها ابن المعلم، فأخرج منها ثم شفع فيه، ومنعت القصاص من التعرض للفتن والسؤال باسم أحد من الصحابة، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته.

وفي شعبان منها زلزلت الدينور زلزالاً شديداً، وسقطت منها دور كثيرة، وهلك تحت الهدم ستة عشر ألفاً غير من ساخت به الأرض وهلك للناس شيء كثير من الأثاث والأمتعة.

وهبت ريح سوداء بدقوقاء وتكرت وشيراز، فقلعت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون، وقتلت خلقاً كثيراً.

وسقط بعض شيراز ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم.

ووقع ببغداد في رمضان وذلك في أيار مطر عظيم سالت منه المزاريب.

ذكر تخريب قمامة في هذه السنة

وفيها أمر الحاكم العبيدي بتخريب قمامة وهي كنيسة النصارى ببيت

فمن رآه ضحك منه، وكان يدخل على الحاكم صاحب مصر فيكرمه
ويذكر من تغلبه ما يدل على عدم اعتنا به أمر نفسه، وكان شاهداً معدداً،
وله شعر جيد، فتمت ما ذكره ابن خلكان:

أحبل نشر الريح عند هبوبه
بنفسي من تحيا التفرس بقره
وجدد وجدي طائف منه في الكرى
لعمري لقد عطلت كأسه بعمده

■ توفي أم أمير المؤمنين القادر بالله مولاة عبد الواحد بن المقتر، وكانت من العابدات الصالحات، ومن أهل الفضل والدين توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان من هذه السنة، وصلى عليها ابنها القادر، وحملت بعد العشاء إلى الرصافة.

سنة أربعمئة من الهجرة النبوية

في ربيع الآخر قصص دجلة تقصاً كثيراً، حتى ظهرت جزائر لم نعرف، واتسع سبر السفن في أماكنها من أوانا والراشدية، فأمر بكري تلك الأماكن ولم تكن قبل ذلك.

وفيها كمل السور على المشهد بالحائر، وكان الذي بتاه أبو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان عن غلر نذره حين زاره.

وفي رمضان أرحف الناس بالخليفة القادر بالله فجلس للناس يوم
جمعة بعد الصلاة وعليه البردة ويديه القضيب، وجاء الشيخ أبو حامد
الإسفرائيني فقبل الأرض بين يديه وقرأ: «لَيْتَنِي لَمْ يَتَّهَمُوا الْقَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِيُّونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتُفْرِكَنَّهُمْ ثُمَّ لَمْ يَجِئُوا بِكَ فِيهَا إِلَّا
قَلِيلًا» ملعونين أينما تنقوا أخذوا وقتلوا قتيلًا ﴿الأحزاب: ٦٠-٦١﴾ فساكني
الناس ودعوا وانصرفوا.

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفا وآلات كانت بها، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذه المدة، وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحريرة وسرير، حمل ذلك كله جماعة من العلويين إلى الديار المصرية، فأطلق لهم الحاكم أنعاما كثيرة ونفقات زائدة، ورد السرير وأخذ الباقي، وقال: أنا أحق به، فردوا وهم ذامون له دأبون عليه.

وبنى الحاكم في هذه السنة داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقاً كثيراً ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة.

وفيها عمر الجامع المنسوب إليه بمصر وهو جامع الحاكم، وتأنق في بنائه في هذه السنة. وفي ذي الحجة منها أعيد المؤيد هشام بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعوه وحبه مدة طويلة.

وكانت الخطبة بالحرمين هذه السنة للحاكم العيدي صاحب مصر
والشام.

وَمَنْ توفى فيها من الأعيان

أبو أحمد الموسوي النقيب،

■ الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر أبو أحمد الموسوي النخعي، والد الرضا، والمقتضى، ولى نقابة الطالبين مرات

الفضلاء الفصحاء، ويقال إنه سُمِّ وأخذته سكتة، فدفن سريعاً، ثم عاش في قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فإذا هو قد مات وهو أخذ على لحيته من هول القبر، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، رحمه الله تعالى وعفى عنه وسامحه وإيانا بمنه.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

فيها قتل أبو علي بن شمال نائب الرجة من جهة الحاكم العبيدي، قتله عيسى بن خلّاط العقيلي، وملكها، فأخرجها منها عباس بن مرداس صاحب حلب وملكها.

وفيهما صُرف عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبي الشوارب، فذهب الناس يهنئون هذا ويعزون هذا، فقال في ذلك العصفري:

عندي حديث طريف
من قاضين يعزى
فإننا يقول اكرهونا
ويكذب ان ونه لنرى

بملا به يتغنى
هنا وهنا بهنا
وذا يقول اسـترحنا
فمن يصدق منا

وفي شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فألقت رملا أحمر في طرقات بغداد.

وفيهما هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوهم عن السبيل، وأعاقوهم حتى فاتهم الحج في هذه السنة أيضاً ورجعوا، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة غزواً من ستمائة واحد، وأخذوا منهم غزواً من ألف ألف دينار، وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين.

وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

■ عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين، أبو أحمد الطبراني، سمع
بينناد ومكة وغيرهما من البلاد، وكان مكثرًا، سمع منه الدارقطني وعبد
الغني بن سعيد ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله تعالى
إلى أن مات في ربيع الأول من هذه السنة.

■ محمد بن أحمد بن علي بن الحسين، أبو مسلم كاتب الوزير ابن حنظلة، روى عن البغوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود وابن عرق وابن مجاهد وغيرهم، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم، وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لأن أصوله كان غالبها مفسودا. وذكر الصوري أنه خلط في آخر عمره والله أعلم.

أبو الحسن

■ علي بن أبي سعيد، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ابن عبد الأعلى الصديقي المصري، صاحب كتاب «الزيج الحاكمي» في أربع مجلدات، كان أبوه من كبار المحدثين من الحفاظ، وقد وضع لمصر تاريخاً ناقصاً يرجع العلماء إليه فيه، وأما هذا فاشتغل في علم النجوم فقال منه مثلاً جيداً، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلاً سيئ الحال، رث الثياب، طويلاً يتعمم على طرطور طويل، وتطلس فوقه، ويكس حماراً،

واستمرت الزيادة إلى رمضان، وبلغت أحدا وعشرين ذراعاً وثلاثاً، ودخل الماء إلى أكثر دور بغداد.

وفيها رجع الوزير أبو غالب بن خلف إلى بغداد ولقب فخر الملك بعد عميد الجيوش.

وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي ودعا إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله. ولم ينج في هذه السنة أحد من أهل العراق أيضاً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان والأشراف

■ أبو مسعود الدمشقي إبراهيم بن محمد بن عبيد، أبو مسعود الدمشقي، الحافظ الكبير، مصنف كتاب «الأطراف على الصحيحين» رحل إلى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط والاهواز وأصبهان وخراسان، وكان من الحفاظ الصادقين، والأمناء الضابطين، ولم يرو إلا اليسير، روى عنه أبو القاسم الطبري وأبو ذر الهروي، وحزرة السهمي، وغيرهم. وكانت وفاته ببغداد في رجب وأوصى إلى الشيخ أبي حامد الأسفرائيني فصرى عليه، ودفن في مقبرة جامع المنصور قريبا من السكك رحمه الله. وقد ترجمه ابن عسكار وأثنى عليه والله أعلم.

■ عميد الجيوش: الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز أبو علي الملقب بعميد الجيوش وزير بهاء الدولة، ولد سنة خمسين وثلاثمائة، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة، وولاه بهاء الدولة النظر في وزارته سنة اثنين وتسعين، والشورور كثيرة منتشرة، فمهد البلاد وأخاف العيارين واستقامت به الأمور، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وأن يدخل بها في جميع الأزقة، فإن اعترضه أحد فليذهب إليه وليعرف ذلك المكان، فذهب الغلام فلم يعترضه أحد، والله الحمد والمثنة، ومنع الروافض مما كانوا يتعاطونه من النباحة في يوم عاشوراء، وإقامة العيد المبتنع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي يقال له: عيد غير ختم، وكان عادلا متصفا رحمه الله.

■ خلف بن محمد بن علي بن حمدون، أبو محمد الواسطي، رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد، ثم رحل إلى الشام ومصر، وكسب الناس عنه بانتخابه، وصنف أطرافاً على الصحيحين، وكانت له معرفة تامة، وحفظ جيد، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم حتى توفي في هذه السنة رحمه الله وسامحه. ومن روى عنه الأزهر.

■ أبو عبيد الهروي، صاحب «الغريبين» أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد الهدي، اللغوي البارع، كان من علماء الناس في الأدب واللغة، وكتابه «الغريبين» في معرفة غريب القرآن والحديث، يدل على اطلاعه وتبحره في هذا الشأن، وكان من تلامذة أبي منصور الأزهر.

قال ابن خلكان: وقيل كان يحب البذلة ويتناول في الخلوة ويعاشر أهل الأدب في مجلس اللذة والطرب، سامحه الله تعالى.

قال: وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة.

وذكر ابن خلكان أن في هذه السنة أو التي قبلها كانت وفاة أبي الفتح البستي الشاعر وهو:

■ علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز الكاتب: صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس، البديع التأسيس، والحذاقة والنظم والنثر، وقد ذكرناه، وما أورد له ابن خلكان قوله: من

ببغداد نحواً من خمس مرات، يعزل ويعاد، ثم أضر في آخر عمره، وتوفي عن سبع وتسعين سنة، وصلى عليه ابنه المرتضى، ودفن في مشهد الحسين. وقد رثاه ابنه المرتضى هذا بقصيدة حسنة قوية المنزج والمطلع فمنها قوله:

سلام الله تنقله الليالي وتهديه الندى إلى الرواح
على جدت تشب من لؤي ينبوع العبادة والصلاح
فتى لم يرو إلا من حلال ولم يك زاده غير المباح
ولا ضمنت له إزور بوزر ولا علقت له راح براح
خفيف الظهر من ثقل الخطايا وعريان الجوانح من جناح
مشوق في الأمور إلى علامها ومنلول على باب النجاش
من القوم الذين لهم قلوب بذكر الله عامرة النواح
بأجسام من التقوى مراض لمصرها وأديان صحاح

رحمه الله تعالى ورضي عنه ونجاوز بمنه وكرمه.

■ الحجاج بن هرمز أبو جعفر نائب بهاء الدولة على العراق، وكان يتدب له قتال الأعراب والأكراد، وكان من المقلدين على عهد عضد الدولة، وكانت له خبرة تامة بالحرب، وحرمة شديدة، وشجاعة تامة وافرة، وهمة عالية وآراء سليمة. ولما خرج عن بغداد في سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة كثرت بها الفتن والشورور. وكانت وفاته بالاهواز في هذه السنة وله من العمر مائة سنة وخمس سنين. رحمه الله.

أبو عبد الله

■ القمي المصري التاجر كان ذا مال جزيل جداً، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار، من سائر أنواع المال. وكانت وفاته بارض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي، عليه السلام.

أبو الحسين

■ ابن الرقاء المقرئ: المتقدم ذكره كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن وأحلام أداء رحمه الله تعالى وقد تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، [بما أغنى عن إعادته هنا.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

في يوم الجمعة الرابع من المحرم منها خطب بالموصل للحاكم العبيدي عن أمر صاحبها قرواش بن مقلد أبي منيع، وقهر رعيته على ذلك، وقد سرد ابن الجوزي صيغة الخطبة مجروفاً. وفي آخرها صلوا على آبائه من الخلفاء المهدي ثم ابنه القائم ثم ابنه المنصور، ثم ابنه المعز، ثم ابنه العزيز، ثم ابنه الحاكم صاحب الوقت، وبالغوا في الدعاء لهم ولا سيما للحاكم المذكور، وكذلك ببقية أعمالها من الأتبار والمندان وغيرهما. وكان سبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قرواش يستميله إليه، وليقبل بوجهه عليه، حتى فعل ما فعل ما ذكرنا، فلما بلغ الخبر القادر بالله العباسي كتب يعاتب قرواش بن مقلد على ما صنع، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لحاربة قرواش. فلما بلغ ذلك قرواشاً رجع عن رأيه وندم على ما كان منه، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده، خطب للقادر العباسي على عادته.

قال ابن الجوزي: وخمس بقين من رجب زادت دجلة زيادة كثيرة

وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير، فمن العلويين: المرتضى والرضى وابن الأزرقي الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمر، وابن أبي يعلى. ومن القضاة أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الخزري، وأبو العباس بن السوري. ومن الفقهاء أبو حامد الإسفراييني وأبو محمد بن الكنفلي، وأبو الحسن القنوري، وأبو عبد الله الصميري، وأبو عبد الله البضاوي، وأبو علي بن حكان. ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير منهم. وكتب فيه خلق كثير. هذه عبارة أبي الفرج بن الجوزي.

قلت: وما يدل على أن هؤلاء أدياء كذبة، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء، والأئمة الفضلاء، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى فاطمة كما يزعمون، قول عبد الله بن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر: لا تلعب إليهم فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدك قد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تناهوا أنت ولا أحد من أهل بيتك. فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى ابن مريم، من السماء إلى الأرض كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في أحاديث الملاحم. ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا دينار مصر مدة طويلة، فدل ذلك دالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل بيت النبوة، كما نص عليه سادة القضاة والشهود والفقهاء والكبراء. وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء القوم المستبين إلى الفاطميين وسماه «كشف الأسرار وهتك الأستار» نشر فيه فضائحهم وقبائحهم، ووضح أمرهم لكل أحد، يفهم شيئاً من مطاوي أفعالهم، وأقوالهم، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم: هؤلاء قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض.

وفي رجب وشعبان ورمضان أجرى الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمقابر، وزار بنفسه المساجد والمشاهد وغير ذلك، وأخرج خلقاً من المحبوسين وأظهر نسكاً كثيراً، وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق هائلة.

وفي شوال عصفت ريح شديدة سوداء، فقصفت كثيراً من النخل وغيره أكثر من عشرة آلاف غلة.

وورد كتاب من بين الدولة عمود بن سبكتكين صاحب غزنة أبه الله تعالى بأنه ركب بجيشه إلى أرض العدو فجازوا بمسافة فأعوزهم فيها الماء حتى كادوا يهلكون عن آخرهم عطشاً، فبعث الله لهم سحابة فأمطرت عليهم حتى شربوا وسقوا واستقروا، ثم توافواهم وعلوهم، ومع عدوهم نحو من ستمائة فيل، فهزموا العدو وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال ولله الحمد.

وفيها عملت الشيعة يوم غدیر خم وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بالبدعة التي ابتدعوها لا لابتغاء وجه الله، وزينت الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكناً كثيراً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن الحسين بن علي بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل نوبخت أبو محمد النوبختي الكاتب، ولد سنة عشرين وثلاثمائة، وروى عن

أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أديه. من سعادة جلدك وقوفك عند حدك. النية تضحك من الأمانة. الرشوة رشاء الحاجات. حد العفاف الرضى بالكفاف. ومن شعره:

إن هز أقالمه يوماً ليعملها أنساك كل كمي هز عامله
وإن أقصر على رق أنامله أقصر بالرق كتاب الأنامله
وله:

إذا تحدثت في قوم لتؤنهم بما تحدث من ماض ومن آت
فلا تعد لحديث إن طبعهم موكل بمعادة المعادات

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعمائة

في الحزم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلحاء، من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، يلطمن خلودهن، كفعل الجاهلية الجاهلاء، على الحسين بن علي، فلا جزاء الله عن السنة خيراً، وسود الله وجهه يرم الجزء، إنه سمع الدعاء رب الأرض والسماء.

وفي ربيع الآخر أمر القادر بالله بعمارة مسجد الكف بقطيعة الدقيق، وأن يعاد إلى أحسن ما كان، ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جداً.

ذكر الطعن في نسب الفاطميين من أئمة

بغداد وغيرها من البلاد

وفي ربيع الآخر من هذه السنة كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى ريسان بن سعيد الخرمي، وكسب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والأشراف والأمثال والمعتكبن، والصالحين، وشهدوا جميعاً أن الحاكم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار: والخزري والدمار والنيكال والاستصال، ابن معد بن إسماعيل ابن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعميد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه من الأغصان والأرجاس، عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، أدياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون منه بسبب، وأنه متزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب متشراً انتشاراً يمنع من أن يلبس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم بما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كثر فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحلون، ولذهب المجوسية والثوية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية. وكتب في ربيع الآخر سنة ثنتين وأربعمائة.

الماضي وغيره، وعنه البرقاني وقال: وكان شيعياً معتزلياً، إلا أنه تبنّى إلى أنه كان صدوقاً، وروى عنه الأزهرى وقال: كان رافضياً، رديء المذهب. وقال العتبي: كان ثقة في الحديث، ويذهب إلى الاعتزال.

■ عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاحي، أحد الزهاد الكبار المشهورين، كانت له مخلات يأكل منها ويعمل بيده في البواري، ويأكل من ذلك، وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة، وكان لا يخرج من مسجده إلا من يوم الجمعة إلى الجمعة، يصلي في الجامع ثم يعود إلى مسجده، وكان لا يجد شيئاً يشغله في مسجده، فطلب منه بعض الأمراء أن يقبل شيئاً ولو زيتاً يشغله في قناديل مسجده، فأبى الشيخ ذلك.

لما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيران قبره فسأله عن جواره فقال: وأين هو؟! لما مات ووضعه في قبره، سمعنا قاتلاً يقول: إلى الفردوس الأعلى، إلى الفردوس الأعلى أو كما قال. وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن ستة وثلاثين سنة.

■ محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة بن ناجية أبو الحسن النحوي المعروف بابن التجار التميمي الكوفي قدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولي ونفطوية وغيرهم وكانت وفاته في جمادى الأولى منها عن تسع وتسعين سنة.

أبو الطيب
■ سهل بن محمد الصعلوكي النيسابوري، قال أبو يعلى الخليلي توفي هذه السنة وقد قدمنا في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمئة

في سادس عشر محرماً قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي نقابة الطالبين في سائر الممالك وقرئ تقليده في دار الوزير فخر المملك، بمحضر القضاة والأعيان، وخلع عليه السواد وهو أول طالبي خلع عليه السواد. وفيها جيء بأمير بني خضاعة أبو فليتة، فبجّه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى، وكانوا قد اعترضوا الحجيج في السنة الماضية وهم راجعون، وغرروا الناهل التي يردها الحجاج، ووضعوها فيها الخنفل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً، وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لمواشيهم في أسوأ حال، وأخذوا جميع ما كان معهم من الأحمال والجمال، فحين حضروا عند دار الوزير فخر الملك سجنهم ومنعهم الماء، ثم صلبهم تلقاء دجلة يرون صفاء الماء ولا يقدرّون على شيء منه، حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً، وقد أحسن في هذا الصنيع اقتداء بحديث أنس في الرعاء الذين اعتقلوا في زمن النبي ﷺ والحديث في «الصحيحين». ثم بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا في بلاد بني خضاعة من الحجاج فجيء بهم، وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم والله الحمد والمنة.

قال ابن الجوزي: وفي رمضان منها انتقض كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر، وتقطع قطعاً وبقى ساعة طويلة.

قال: وفي شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى، فخرجت التوائع والصلبان معها جهرة، فأتكر ذلك بعض المشائمين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصراني بدبير في رأسه فتجبه، فثار المسلمون بهم فانهزموا ولجؤوا إلى كنيسة لهم هناك، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها، وما قرب منها من دور النصارى، وتبعوا النصارى في البلد، وقصوا دار

وفيها هلك شمس المعالي قابوس بن وشمكير، أدخل بيتاً بارداً في الشتاء وليس عليه ثياب حتى مات كذلك، وولي الأمر من بعده ولده منوچهر، ولقب فلك المعالي، وخطب لمحمود بن سبكتكين، وقد كان شمس المعالي قابوس عالماً فاضلاً أديباً شاعراً، فمن شعره قوله:

قل للذي بصروف الدهر عيرنا
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف
هل عائد الدهر إلا من له خطر
ويستقر بأقصى قعره السدر
فإن تكن نشبت أيدي الخطوب بنا
ففي السماء لمحمود غير ذي عدد
ومن شعره المستجاد الحسن قوله:

خطرات ذكرك تستثير مودتي
فأحس منها في الفسزاد ديباً
لا عسري إلا وفيه صباية
فكان أعضائي خلقن قلوباً

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن علي أبو الحسن البقي، كان يكتب للقادر وهو بالطبيعة، ثم كتب له علي ديوان الخبر والبريد، وكان يحفظ القرآن حفظاً حسناً، مليح الصوت والتلاوة، حسن المجالسة، لطيف النادرة والمجانة، خرج في بعض الأيام هو والشريفان الرضي والمرتضى وجماعة من رؤوس الأكابر لتلقي بعض الملوك، فخرج عليهم بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحذافات ويقولون: يا أزواج القحاب، فقال البقي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين، فقالوا: ومن أين علمت هذا؟ فقال: ولأنا من أين علموا أننا أزواج قحاب.

■ الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الوراق الخنيلي، كان مدرس أصحاب أحمد وقيهم في زمانه، وله المصنفات المشهورة، منها كتاب «الجامع» في اختلاف العلماء في أربعمئة جزء، وله في أصول الفقه

والدين، وعليه اشتغل القاضي أبو يعلى بن الفراء، وكان معظماً في النفوس، مقرباً عند السلطان، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه من النسخ، وروى الحديث عن أبي بكر الشافعي، وابن مالك القطيعي، وغيرهما،

وخرج من هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحر الشديد فجاهه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد: من أين لك هذا؟ فقال: ما هذا وقت سؤلك اشرب، فقال: بلى هذا وقته عند لقاء الله عز وجل، فلم يشرب ومات من فوره رحمه الله.

■ الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبد الله الحلبي، صاحب «المنهاج» في أصول الديانة، كان أحد مشايخ الشافعية، ولد بمرجان وحمل إلى بخارى، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رئاسة الحديث في عصره، وولي القضاء ببخارى. قال ابن خلكان: انتهت إليه الرئاسة فيما وراء النهر، وله وجوه حسنة في المذهب، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله رحمه الله تعالى.

■ فيروز أبو نصر الملقب بيهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي، صاحب بنگاد والعراق وغيرها، وهو الذي قبض على الطائع وولى القادر، وكان يجب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد من قبله من بني بويه، وكان بخيالاً جذاً، توفي بمرجان في جمادى الآخرة من هذه السنة عن اثنين وأربعين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً وكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أيام، وكان مرضه الصرع، ودفن بمشهد علي إلى جانب أبيه.

■ قابوس بن وشمكير: كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوه ابنه منوچهر وقتلوه كما ذكرنا، وكان قد نظر في النجوم فرأى أن ولده يقتله، وكان يتوهم أنه ولده دارا، لما يرى من مخالفته له، ولا يخطر بباله منوچهر لما يرى من طاعته له، فكان هلاكه على يد منوچهر، وقد قدمنا شيئاً شعره

الحسن الجدي في الحوادث.

القاضي أبو بكر الباقلائي: محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي، رأس المتكلمين على مذهب الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة في مدة طويلة من عمره، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة، من جيلها كتاب «التبصرة»، «ودقائق الحقائق»، و«التمهيد» في أصول الفقه، و«شرح الإبانة»، وغير ذلك من الجامع الكبار والصغار، ومن أحسن تصانيفه كتابه في الرد على الباطنية، الذي سماه «كشف الأسرار وهتك الأستار»، وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع: فقليل شافعي وقيل مالكي، حكى ذلك عنه أبو زر الهروي، وقد قيل إنه كان يكتب على الفتاوى: كتبه محمد بن الطيب الحنجلي، وهذا غريب جداً، وقد كان في غاية الذكاء والفطنة.

ذكر الخطيب البغدادي وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصر كهية الراكع، ففهم الباقلائي أن مراده أن يخني الداخل عليه له كهية الراكع لله عز وجل، فلما است إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه القهقري، فلما وصل إليه انقل فسلم عليه، فعرف الملك ذكاه ومكانه من العلم والفهم، فعظمه.

ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل، ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلائي خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك، ففعل لا يالو جهداً أن جرح رجله حتى خرج منها الدم

الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة، فعجب الملك من كمال عقله، ثم إن الملك استكشف عن أمره فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب، فتحقق الملك وفور علمه وعلو فهمه.

وقد سأل بعض الأساقفة محضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان من أمرها بما رمت به من الإفك؟ فقال الباقلائي جيباً له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عز وجل، وكانت هذه ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليهما السلام، فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال رية إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما محمد الله مترهتان مبرأتان من السماء بوحى من الله عز وجل رضي الله عنهما

وقد سمع الباقلائي الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهما، وقد قبله الدارقطني يوماً بين عينه وقال: هذا يرد على أهل الأهواء بالظلم، ودعا له. وكانت وفاة الباقلائي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب.

■ محمد بن موسى بن محمد: أبو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقههم، أخذ العلم عن أبي بكر أحمد بن علي الرازي، وانتهت إليه رئاسة الحنفية ببغداد، وكان معظماً عند الملوك، ومن تلامذته الرضى والصيمري، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره، وكان ثقة دينا على طريقة السلف، ويقول في الاعتقاد: ديننا دين العجائز، لنا من الكلام في شيء، وكان فضيلاً حسن التدريس، دعي إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل، كانت وفاته ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمئة، ودفن بداره من درب عبدة.

الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي مصنف «التلخيص» أصله قروي وإنما غلب عليه القابسي لأن عمه كان يتعمم قابسية، فقليل لهم ذلك، وقد كان حافظاً بارعاً في علم الحديث، رجلاً صالحاً جليل القدر، ولما توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرؤون القرآن ويدعون له، وجاء الشعراء من كل أوب يرثون ويرثمون.

ولما اجلس للمناظرة أشد لغزبه:

لعمري أليك ما نسب الملعنى إلى كرم وفي الدنيا كرم ولكن البلاد إذا اقتشعرت وصوح نبتها رعي المشيم ثم بكى وأبكى، وجعل يقول: أنا المشيم أنا المشيم. رحمه الله تعالى.

الحافظ ابن القرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرظي، قاضي بلسية، سمع الكثير وجمع وصف «التاريخ»، وفي المؤلفات والمختلف، ومشتهب النسبة وغير ذلك، وكان علامة زمانه، قتل شهيداً على يد البربر فسمع وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذي في الصحيح [٢٨٠٣، ١٠٣-١٨٧٦]: «ما يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدي، اللون لون الدم، والريح ريح المسك». وقد كان سأل الله تعالى الشهادة عند استر الكعبة فأعطاه الله ذلك، ومن شعره قوله:

أسير الخطايا عند بابك واقف على وجل مما به أنت عارف بخاف ذنوباً لم يغب عنك غيرها ويرجوكم فيها فهو راج وخائف

الدوران ليلاً في البلد. في طلب ذلك، وغرق خلقاً من الرجال والنساء والصبيان بمن يطلع على فسقهم، فضاقت النطاق على النساء الفساق، ولم يتمكن أحد أن يصل إلى أحد إلا نادراً، حتى أن امرأة ناددت القاضي القضاة بالديار المصرية وهو مالك بن سعيد الفارقي وحلفته بحق الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها، فرحمها فوقها لما فبكت إليه بكاء شديداً، وقالت له: إن لي أخا ليس لي غيره، وهو في السياق وإنني أسألك لما أوصلتني إلى منزل، لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا. فرق لها القاضي رقة شديدة وأمر رجلين كانا معه يكرنان معها حتى يبلغاتها إلى المنزل الذي تريده، فأسفلت بابها وأعطت المفتاح لجاريتها، وذهبت معها حتى وصلت إلى منزل، فطقت ودخلت وقالت لهما: اذهبا راشدين فإذا هو منزل رجل تهواه ويهواها. فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي فأعجبه ذلك، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقاً، فسأل الجيران عن امرأها فذكرت له جارتها ما صنعت فاستغاث على القاضي، وذهب إليه وقال له: ما أريد امرأتي إلا منك، فإن امرأتي ليس لها أخ بالكلية، وإنما ذهبت إلى معشوقها، فخاف القاضي من مرة هذا الأمر، فركب إلى الحاكم ويكي لديه، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر مع المرأة، فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين سارا بها من جهة القاضي من يحضر المرأة والرجل جميعاً، على أي حال كانا عليه فوجدوهما متعلقين سكارى، فسألها الحاكم عن امرأها فأخذتا يعتبران بما لا يجدي شيئاً، فأمر بتحريق المرأة في بارية وضرب الرجل ضرباً مبرحاً، ثم ازداد احتياطاً على النساء حتى مات. ذكره ابن الجوزي.

وفي رجب منها في أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبي محمد بن الأكفاني.
وفيها عمّر فخر الدولة مسجد الشريعة ونصب عليه الشيبانك من الخليلد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بكر بن شاذان بن بكر: أبو القاسم القرقي الواعظ، سمع أبا بكر الشافعي، وجعفر الخليلي، وعنه الأزهرى والخلال، وكان ثقة أميناً صالحاً عبداً زاهداً، له قيام ليل، وكرهم أخلاق. مات في هذه السنة وقد نيف على الثمانين، ودفن بباب حرب.

■ بلر بن حسويه بن الحسين: أبو النجم الكردي، كان من خيار الملوك بولاية النينور وهمدان، وله سياسة وصدقة كثيرة، وكانه القادر بالله أبا النجم، ولقبه ناصر الدولة، وعقد له لواء وأنفذه إليه وكانت أعماله في غاية الأمن، بحيث إذا أعيا جمل أحد من المسافرين فكره بما عليه في البرية رد عليه، ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء، ولما عاثت امرأوه في الأرض فسأداً عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز، فلما طال ذلك سألوا عنه فقال لهم: إذا كنتم تهلكون الحرث، فمن أين توتون بالخبز؟ ثم قال لهم: لا أسمع بأحد أفسد في الأرض إلا أرقط دمه.

واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو يكي فقال له: مالك؟ فقال: إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوت بهما، فأخذهما مني بعض الجند، فقال له: أتعرفه إذا رأيته؟ قال: نعم. فوقف به في مضيق حتى مر عليه الجند، فلما اجتاز به ذلك الرجل الذي أخذ

ومن ذا الذي يرجي سواك ويتقي وما لك في فضل القضاء مخالف نيا سيدي لا تخزني في صحفي إذا نشرت يوم الحساب الصحاف وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما يهد ذوو القربى ويجفؤ الموالف لن ضاق عني عفوك الواسع الذي أرجي لإسرافي فلاني تالف

ثم دخلت سنة أربع وأربعمئة

في يوم الخميس غرة ربيع الأول منها جلس الخليفة القادر بالله في أبهة الخلافة وأحضر بين يديه فخر الدولة والحجة بين يديه. فخلع عليه سبع خلع على العادة، وعممه بعمامة سوداء، وقلد سيفاً وتاجاً مرصعاً، وسوارين وطوقاً، ولواوين عقدتهما الخليفة بيده، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم: قلده به، فهو شرف له ولعقبه، يفتح به شرق الأرض وغربها، وكان ذلك يوماً مشهوداً، بمحضر من القضاء والأمراء والوزراء والأمثال والأعيان والكبراء بدار الخلافة.

وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم، وسلم، وكتب إلى الخليفة القادر بالله أن يوليّه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد، فأجابته إلى ما سأل.

وفيها عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد فراقعهم فقتل منهم خلقاً وأمر محمد بن شمال وجماعة من رؤوسهم، وانهزم الباقون، فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأهلكتهم منهم خمسةة إنسان.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحسن محمد بن الحسن الأتقاسي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن أحمد بن جعفر بن عبد الله المعروف بابن الهمداني، سمع الحديث، وكان زاهداً عبداً كثير المجاهدة، لا ينأى إلا عن غلبة، وكان لا يدخل الحمام ولا ينسل ثيابه إلا بالماء وحده رحمه الله.
■ الحسين بن عثمان بن علي أبو عبد الله المقرئ الضمير المجاهدي، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير، وكان آخر من بقي من أصحابه، كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة وقد جاوز المائة سنة، ودفن في مقابر القرائس.

■ علي بن سعيد الإصطخري أحد شيوخ المعتزلة، صنف للقداد بالله «الرد على الباطنية» فأجرى عليه جناية سنية، وكان يسكن درب رياح، كانت وفاته في شوال وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعمئة

فيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهن، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من الطاقات، ومنع الخفافين من عمل الأخفاف هن، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك، وهدم بعض الحمامات عليهن، وجهز عجائز يطلعن في البيوت يستعملن أحوال النساء من منهن تمسّق أو تمسّق، بأسمائهن وأسماء من يتعرض هن، فمن وجد منهن كذلك أطفأها وأهلكها، ثم إنه أكثر من

ورغفيه، قال: هذا هو، فأمر به أن يتزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي

احتفظها حتى يبلغ بها إلى المدينة، فأراد أن يقتدي من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه، حتى تأدب به الجيش كله.

وكان يصرف في كل جمعة عشرة آلاف درهم على الفقراء والأرامل والأيتام، وفي كل شهر عشرين ألف درهم في تكفين الموتى، ويصرف في كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفساً يجمعون عن والديه وعن عضد الدولة، لأنه كان السبب في تملكه، وثلاثة آلاف دينار في كل سنة إلى الخدادين والخدماء للمتقنين بين همدان وبغداد، يصلحون لهم الأذنوية ونعال دوابهم، ويصرف في كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين، وعمارة المصانع، وإصلاح المياه في طريق الحجاز وإطلاقاً لأهل المنازل وحفر الآبار وإصلاحها، وما اجتاز في طريقه وأسفاره بماء اجبار إلا بنى عنده قرية، وعمر في أيامه من المساجد والخانات ما ينيف على ألفي مسجد وخان، هذا كله خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات، والنفقات والصدقات، والبر والصلات، على أصناف الناس، من الفقهاء والقضاة والمؤذنين والأشراف، والشهود والفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء. وكان مع هذا كثير الصلاة والذكر له من الدواب المرتبطة في سبيل الله وفي الحشر ما ينيف على عشرين ألفاً. وكانت وفاته في هذه السنة ومدة إمارته اثنتان وثلاثون سنة، ودفن في مشهد علي، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بكرة، ونيفاً وأربعين بكرة، البكرة عشرة آلاف، رحمه الله تعالى.

■ الحسن بن الحسين بن هكمان: أبو علي الهمداني، أحد الفقهاء الشافعيين ببغداد، عني أولاً بالحديث فسمع شيئاً كثيراً حتى قيل: إنه كتب بالبصرة عن نحو من خمسمائة شيخ ثم اشتغل بالفقه على أبي حامد المروزي، وروى عن الأزهرى، وقال: كان ضعيفاً ليس بشيء في الحديث.

■ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم: أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكتاني، قاضي قضاء بغداد، ولد سنة ست عشرة وثلثمائة وروى عن القاضي الحاملي، ومحمد بن مخلد، وابن عقدة وغيرهم، وعنه البرقاني والتتوخي، يقال إنه أتقن على طلب العلم مائة ألف دينار، وكان عفيفاً زهواً صين العرض. وكانت وفاته في هذه السنة عن خمس وثلاثين سنة، ولي الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالاً، رحمه الله تعالى.

■ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس أبو سعد الحافظ الإسزبادي، المعروف بالإدريسي، رحل في طلب العلم والحديث، وعني به وسمع الأصم وغيره، وسكن سمرقند، وصنف لها تاريخاً وعرضه على الدارقطني فاستحسنه، وحدث ببغداد فسمع منه الأزهرى والتتوخي، وكان ثقة حافظاً رحمه الله تعالى.

أبو نصر

■ عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نبالة السعدي، الشاعر المشهور، امتدح سيف الدولة بن حمدان وغيره من الأكابر والوزراء وشعره الموصوف بالجودة والإحسان وهو القائل البيت المطروق المشهور:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تصدعت الأسباب والداء واحد ومن شعره أيضاً قوله:

وإذا عجزت عن العدو فسادره وامزح له إن المزاح وفناق فإساء بالشار الذي هو ضلعا تمطي التضاح وطبعها الإحراق

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة، رحمه الله. ■ عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري، الفقيه السفياني، وهو آخر من كان بقي بمذهب سفيان الثوري ببغداد، في جامع المنصور، وكان إليه النظر في الجامع والقيام بأمره.

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن خلف الجامع رحمه الله. ■ الحاكم النيسابوري، صاحب «المستدرک»، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبي الحافظ ويعرف بابن البيه، من أهل نيسابور، وكان من أهل العلم والحفظ للحديث، ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وأول سماعه في سنة ثلاثين وثلثمائة، فسمع الكثير وطوف في الأفاق، وصنف الكتب الكبار والصغار، فمن ذلك «المستدرک على الصحيحين»، «علوم الحديث» و«الإكمال» و«تاريخ نيسابور»، وقد روى عنه من مشايخه الدارقطني وابن أبي الفوارس وغيرهما، وقد كان من أهل العلم والحفظ والأمانة والديانة والصيانة والضبط، والثقة، والتحرز، والورع رحمه الله لكن قال الخطيب البغدادي: كان ابن البيه يميل إلى التشيع، فحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموي، قال: جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، يلزمهما إخراجها في «صحيحهما»، فمنها حديث الطبري، ومن كنت مولاه فعلي مولاه، فانكر عليه أصحاب الحديث ولم يلتفتوا إلى قوله ولا صوبوه في فعله.

وقال محمد بن طاهر المقدسي: قال الحاكم: حديث الطبري لم يخرج في «الصحيح» وهو صحيح، قال ابن طاهر: بل هو موضوع لا يروى إلا عن سقاط أهل الكوفة من الجاهل، عن أنس: فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل، وإلا فهو معاند كذاب.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم، فقلت له: لو خرجت فأمليت حديثاً في فضائل معاوية لاسترحت بما أنت فيه، فقال: لا يجيء من قلبي، لا يجيء من قلبي توفي في صفر من هذه السنة عن أربع وثلاثين سنة.

■ يوسف بن أحمد بن كنج أبو القاسم القاضي، أحد أئمة الشافعية، وله وجوه غريبة يحكيها في المذهب، وكانت له نعمة عظيمة جداً، وولي القضاء بالدينور لبلد بن حسويه فلما تغيرت البلاد بعد موت بلد وثب عليه جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وأربعمئة

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم من هذه السنة وقمت فتنة بين أهل السنة والروافض، فسكن الفتنة الوزير فخر الملك، على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق السروج والنوح.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين والناس عن دفن موتاهم، وأنه أظلت البلد سحابة في حزيران، فأمطرتهم مطراً شديداً كثيراً.

وفي يوم السبت ثالث صفر قلد الشريف المرتضى أبو القاسم نقابة الطالبين والمظالم والحج، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضي، وقرئ تقليده بمحضر من الوزير فخر الملك والقضاة والأعيان، وكان يوماً مشهوداً. وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة

القرآن كثيرا، ثم يسمع الحديث، وكان معظمًا جليلا إذا قدم على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، نهض إليه حافيا فلقاه إلى باب المسجد، توفي وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

■ الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ابن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن العلوي، لقبه بهاء الدولة بالراضي، ذي الحسين، ولقب أخاه بالمرتضى ذي الجدين، وتلى نقابة الطالبين ببغداد بعد أبيه، وكان فاضلا دينيا قرأ القرآن بعد ثلاثين سنة من عمره، وحفظ طرفا جيدا من الفقه وفنون العلم، وكان شاعرا مطبقا، سخيًا جوادا ورعًا.

وقال بعضهم: كان الشريف الرضي في كثرة شعره أشعر قرشي، فمن شعره المستجاد قوله:

اشتر العسر بما شئت ت فمسا العز بفصال
بالقصصار الصغر إن شئت ت أو السمر الطويل
ليس بالمغبون عقلا من شئ عسرًا بمسال
إنما يذخر المال الحاجات الرجال
والقني من جمل الأم وال أثمان المعالي
ومن شعره رحمه الله تعالى:

يا طائر البان غريدا على فنن ما هاج نوحك يا طائر البان
هل أنت مبلغ من هام الفؤاد به إن الطليق يؤدي حاجة العاني
جناية ما جناها غير مقلته يوم السواد وواشوقي إلى الجاني
لولا تذكر أيام بني سلم وعند رامة أوطاري وأوطاني
لما فطحت بنار الوجد في كبدي ولا بللت بماء الدمع أجفاني

وقد نسب إلى الرضي قصيدة. يترامى فيها على الحاكم العبيدي ويود لو كان يبلده وفي حوزته، وبأيت أن ذلك كان حتى يرى كيف تكون منزلته عنده، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضي أمره، ويعلم الناس كيف حاله لكن علم العباسيين غزير. يقول في هذه القصيدة:

أليس الذل في بلاد الأعادي ويهصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولوا ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرتي بقرقه سيد النبا من جميعا عمده وعلى
إن خوفي بذلك الربيع أمن وأوامسي بذلك السورد ردي

فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة، انزعج وبعث إلى أبيه الشريف الطاهر أبي أحمد الموسوي يعاتبه، فأرسل إلى ابنه الرضي، فأنكر أن يكون قالها بالمرّة، والروافض من شأنهم التقية. فقال له أبوه: فإذا لم تكن قلتها فقل آياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعني لا نسب له فقال: إني أخاف من غائلة ذلك، وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه، وترددت الرسل من الخليفة إليهم في ذلك، وهم يتكبرون ذلك، حتى بعث الشيخ أبا حامد الإسفراييني والقاضي أبا بكر إليهما، فأحلفاه بالله وبالأيمان المؤكدة أنه ما قالها، والله أعلم بحقيقة الحال.

وكانت وفاته في خامس المحرم منها، عن سبع وأربعين سنة، وحضر جنازته الوزير والقضاة والأعيان وصلى عليه الوزير فخر الملك، ودفن بداره مسجد الأنبار، وولي أخوه الشريف المرتضى ما كان يليه، وزيد على

عشر ألفا، وسلم ستة آلاف، وأنهم شربوا بول الجمال من العطش.

في هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فسلك به الأدلاء على بلاد غريبة فانتهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاص بنفسه الماء أياما، حتى خطصوا بعد ما غرق كثير من جيشه، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد.

ولم يذهب الركب في هذه السنة من العراق، لفساد البلاد من الأعراب والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ أبو حامد الإسفراييني أحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو حامد: إمام الشافعية في زمانه، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وهو صغير، سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة، فدرس الفقه على أبي الحسن بن المزيان، ثم على أبي القاسم الداركي، ولم يزل يترقى به الأحوال، حتى صارت إليه رئاسة الشافعية، وعظم جماعه عند السلطان والعوام، وكان ثقة إماما فقيها، جليلا نبیلا، شرح المزني في تعليقه حافلة نحوًا من خمسين مجلدًا، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه، وروى عن أبي بكر الإسماعيلي وغيره.

قال الخطيب البغدادي: ورايته غير مرة، وحضرت تدرسه بمسجد عبد الله بن المبارك، في صدر قطيعة الربيع، وحلثنا عنه الأرجي والحلال، وسمعت من يذكر أنه كان يحضر تدرسه سبعمئة متفقه، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به.

وقال أبو الحسين القندوري: ما رأيت في الشافعيين أفقه من أبي حامد رحمه الله. وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في «طبقات الشافعية» والله الحمد. وذكر ابن خلكان في «الوفيات» وفات الأعيان ٣٧١/١ أن القندوري كان يقول: هو أفقه وأنظر من الشافعي، قال الشيخ أبو إسحاق: وليس هذا سُلماً إلى القندوري، فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر:

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء أبعد منزل
قال ابن خلكان: وله من المصنفات: «التعليقة الكبرى»، وله كتاب «البيتان»، وهو صغير فيه غرائب؛ قال: وقد اعترض إليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات، فأثنى الشيخ أبو حامد يقول:

جفاء جرى جهرا لدي الناس وانبط وعذر أئسى سرا فأكدم فرط
ومن ظن أن محمو جلبي جفاته خفي اعتذار فهر في أعظم الغلط

كانت وفاته ليلة السبت، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة، ودفن بداره بعدما صلي عليه بالصمصاء، وكان الجميع كثيرا، والبكاء غزيرا، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب، في سنة عشر وأربعمئة.

قال ابن الجوزي: ويبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهرًا رحمه الله تعالى.

أبو أحمد

■ القرظي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران، أبو أحمد بن أبي مسلم القرظي المقرئ سمع الحاملي، ويوسف ابن يعقوب، وحضر مجلس أبي بكر بن الأتباري، وكان إماما ثقة، ورعا وقورا، كثير الخير، يقرأ

■ **أحمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير:** كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفياً، فنقلت به الأحوال إلى أن ورَّز لبهاء الدولة بن عضد الدولة، وقد اقتنى أموالاً جزيلة، وبني داراً عظيمة تعرف بالفخريّة، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله، فأنفق عليها أموالاً كثيرة ونفقات غزيرة وكان كرمياً جواداً بذلاً، كثير الصدقات، كسا في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضاً، وهو أول من فرق الخلاوة ليلة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد قتله سلطان الدولة في هذه السنة بالأهواز، وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً من ذلك أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجاً عن الأملاك والأثاث والمتاع، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرها، وقد قيل: إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه، فاستعدت امرأة الرجل عليه إلى الوزير، ورفعت إليه قصتها، وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم: أيها الوزير، أرايت القصص التي رفعتها إليك فلم تلتفت إليها، قد رفعتها إلى الله عز وجل، وأنا أنتظر التوقيع عليها، فلما مسك الوزير قال: قد والله خرج توقيع المرأة؛ فكان من أمره ما كان.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد، قتل فيها خلق كثير من الفريقين.

وفيها ملك أبو المظفر أرسلان خان بلاد ما وراء النهر وغيرها، وتلقب بشرف الدولة، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً، يحب أهل العلم والدين، وقد غزا الترك مرة، فقتل منهم مائتي ألف مقاتل، وأسر منهم مائة ألف، وغنم من أواني الذهب والفضة وأواني الصين شيئاً لم يبعد لأحد مثله، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية.

وفي جمادى الأولى منها ولي أبو الحسين أحمد بن مذهب الدولة أبي الحسن علي بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه، فقاتله ابن عمته، فغلبه عليها وضربه حتى قتله، ثم لم تطل مدته فيها، حتى قتل، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد.

وفي هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة، فتنزلوا إلى واسط فقاتلهم أهلها مع الترك أيضاً.

وفيها ولي نور الدولة أبو الأغر ديس بن أبي الحسن علي بن مزيد بعد وفاة أبيه.

وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات، ولم تجر بذلك عادة، وعقد عقده على بنت قرواش على صداق خمسين ألف دينار.

ولم ينجح أحد من أهل العراق لفساد البلاد، وعيث الأعراب وضعف الدولة.

قال أبو الفرج بن الجوزي في «المنظوم» ١٢٥/١٥، ١٢٦: أخبرنا سعد الله بن علي البرزاني، أنبأ أبو بكر الطريشني، أنبأ هبة الله بن الحسين الطبري قال: وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقاتل المخالفة للإسلام، وأخذت خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يعطش به أمثالهم، وامتل بين الدولة وأمين الملة أبو القاسم محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك، واستن به

ذلك مناصب آخر، وقد رثاه أخوه رحمه الله تعالى بمرثاة حسنة المطلع.

■ **باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري أبو المعز مناد بن باديس نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها، لقبه الحاكم بنصر الدولة، كان ذا هبة وسطوة وحرمة وافر، كان إذا هز رجلاً كسره، توفي فجأة ليلة الأربعاء، سلخ ذي القعدة من هذه السنة، ويقال: إن بعض الصالحين دعي عليه تلك الليلة، وقام بالأمر من بعده ولده المعز.**

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

في ربيع الأول منها، احترق مشهد الحسين بن علي بكريلاء وأروقته، وكان سبب ذلك أن القومة أشعلوا شمعتين كبيرتين، فمالتا في الليل على التآزير فاحترق، وتعدت النار منه إلى غيره حتى كان منه ما كان. وفي هذا الشهر أيضاً احترق دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة، واحترق جامع سامرا.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بتشيعت الركن اليماني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها.

وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف.

وفيها كان امتداد دولة العلويين ببلاد الأندلس، ولها علي بن حمود بن أبي العيش العلوي، فدخل قرطبة في الحرم من هذه السنة وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضاً، وكان شيخاً صالحاً، وبايعه الناس، وتلقب بالتركلي على الله، ثم قتل في الحمام في ثامن عشر ذي القعدة من هذه السنة، عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود، وتلقب بالأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم كان ابن أخيه يحيى ثم إدريس آخر يحيى، ثم ملك الأمويون ثم أجانب حتى ملك أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين.

وفي هذه السنة ملك عمود بن سبكتكين عيين الدولة بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون.

وفيها استوزر سلطان الدولة أبو شجاع أبا الحسن علي بن الفضل الماهرزمي، عوضاً عن فخر الملك، وخلع عليه خلع الوزارة. ولم ينجح أحد في هذه السنة من بلاد العراق، لفساد البلاد والطرقات وعيث الأعراب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست أبو عبد الله البرزاني، أحد حفاظ الحديث وأحد الفقهاء على مذهب مالك، كان يذكر بمحضرة الدارقطني، ويتكلم في علم الحديث، فيقال: إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب، وقد تكلم فيه غيره، بما لا يقدح فيه كبير شيء.** قال الأزهري: رأيت كتبه كلها طرية، وكان يذكر أن أصوله العتق غرقت، وقد أملى الحديث من حفظه والمخلص وابن شاهين حيان موجودان. وكانت وفاته في رمضان عن أربع وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

الوزير فخر الملك

لما استجار به ونزل عنده بالطائع فارا من الطائع لله، فأواه وأحسن إليه، وكان في خدمته حتى ولي إمرة المؤمنين، فكانت له بها عنده اليد البيضاء، وقد ولي البطائع ثنتين وثلاثين سنة وشهورا، وتوفي في هذا العام عن ثنتين وسبعين سنة، وكان سبب موته أنه اقتصد فانتفخ ذراعه حتى مات رحمه الله تعالى.

الحافظ

■ عبد الغني بن سعيد بن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز: أبو محمد الأزدي المصري الحافظ، كان عالما بالحديث وفنونه، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة.

قال أبو عبد الله الصوري الحافظ: ما رأيت عينا مثله في معناه. وقال الدارقطني: ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له: عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره.

وقد صنف الحافظ عبد الغني هذا كتابا فيه أوهام الحاكم، فلما وقف عليه الحاكم جعل يقرؤه على الناس، ويعترف لعبد الغني بالفضل، ويشكره على ذلك، ويرجع إلى ما أصاب فيه من الرد عليه رحمه الله ولد الحافظ عبد الغني لليلتين بقيتا من ذي القعدة، سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في صفر من هذه السنة، رحمه الله تعالى.

■ (محمد بن القادر بالله)

محمد بن أمير المؤمنين القادر بالله، ويكنى بأبي الفضل، كان أبوه قد جعله ولي عهده من بعده، وضربت السكة باسمه، وخطب له الخطباء على المنابر، ولقب بالغالب بالله، فلم يقدر ذلك. وتوفي في هذه السنة عن سبع وعشرين سنة.

■ محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد: أبو الفتح البزاز الطرسوسي، ويعرف بابن البصري، سمع الكثير من المشايخ، وسمع منه الصوري ببيت المقدس حين أقام بها، وكان ثقة مأمونا رحمه الله تعالى ورحمنا أجمعين بمناهج وكرمه.

ثم دخلت سنة عشر وأربعمئة

فيها ورد كتاب من بين الدولة محمود بن سبكتكين، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الحالية، وفيه أنه دخل مدينة وجد بها زهاء ألف قصر مشيد وألف بيت للأصنام. وفيها من الأصنام شيء كثير، وبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار، وبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم، وعندهم صنم معظم، يؤرخون مدته بجهالتهم ثلاثمائة ألف عام، وقد عم الجاهلون هذه المدينة بالإحراق، فلم يتركوا منها إلا الرسوم، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفا، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفا، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثا وخمسين ألفا، واستعرض من الأفيال ثلاثمائة وست وخمسون فيلا، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم.

وفي ربيع الآخر منها، جلس القادر بالله وقرئ عهد الملك أبي الفوارس، ولقب قوام الدولة، وخلع عليه خلعا حملت إليه بولاية كرمنا، ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق لفساد الأعراب في الطرقات.

في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها، في قتل المعتزلة والرافضة، والإسماعيلية والقرامطة، والجمهية والمشيبة، وصلبهم وحسبهم وتقامهم، وأمر بلعنهم على المنابر، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع، وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحاجب الكبير

■ شهابي أبو طاهر: مولى شرف الدولة، ولقب بهاء الدولة بالسعيد، وكان كثير الصدقات والأوقاف على وجوه القربات، فمن ذلك أنه وقف ديارا على المارستان، وكانت تغل شيئا كثيرا من الزروع والثمار والخراج، وبني قطرة الخندق، والياسرية، وغير ذلك، ولما مات دفن بمقبرة الإمام أحمد، وأوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه فعمدوا قبة عليه، فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة، واجتمع نسوة عند قبره ينحن ويبكين، فلما رجعن رأيت عجوز منهن كانت هي المقدمة فيهن في المنام كان تركيا خرج إليها من قبره، ومعه ديوس فحمل عليها، وزجرها، وإذا هو الحاجب السعيد، فانتبهت مذعورة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعمئة

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرئ بدار الخلافة في الموكب كتاب في مذاهب أهل السنة، وفيه أن من قال: القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم.

وفي النصف من جمادى الأولى من هذه السنة فاض ماء البحر المالح ووافى الأبله، ودخل البصرة بعد يومين.

وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند، وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالا عظيما، ثم انحلت عن هزيمة عظيمة على الهند، وأخذ المسلمون منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة، وأخذوا منهم مائتي فيل، واقتصوا آثار المنهزمين منهم، وهدموا معازل كثيرة. ثم عاد إلى غزنة مؤيدا منصورا.

وفيها استوزر سلطان الدولة ذا السعادتين أبا غالب الحسن ابن منصور ولم يحج في هذه السنة أحد من أهل العراق لفساد البلاد، وعبث الأعراب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصاري: نسبة إلى قرية من قري مصر، يقال لها: أنصا، قدم بغداد فحدث بها، وسمع منه الحفاظ، وكان ثقة، فقيها مالكا، عدلا مقبولا عند الحكام، مرضيا فرضيا. ثم عاد إلى بلده، وتوفي بها في هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن محمد بن أبي علان: أبو أحمد قاضي الأهواز، كان ذا يسرة كثيرة، وله مصنفات، منها كتاب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، جمع فيه ألف معجزة، وكان من كبار شيوخ المعتزلة، توفي فيها عن تسع وثمانين سنة.

■ علي بن نصر أبو الحسن: مهذب الدولة، صاحب بلاد البطيحة، كانت له مكارم كثيرة، وكان الناس يلجئون إليه في الشدائد، فيؤويهم ويحسن إليهم، ومن أكبر مناقبه في ذلك إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر بالله

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الأصغر المتفق: الذي كان يغفر الحجاج.

■ أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك أبو بكر الحافظ الأصبهاني: توفي في رمضان من هذه السنة.

■ هبة الله بن سلامة: أبو القاسم الضرير المرقئ المفسر، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير، وكانت له حلقة في جامع المنصور.

روى ابن الجوزي بسنده إليه، قال: كان لنا شيخ نقرأ عليه، فمات بعض أصحابه، فرآه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: فما كان حالك مع منكر وتكير؟ قال: لما أجلساني وسألاني الهمني الله تعالى أن قلت: بحق أبي بكر وعمر دعائي، فقال أحدهما للآخر: قد أقسم علينا بعظيمين فدعه، فتركاني وذهب.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمئة

فيها عدم الحاكم العيدي صاحب مصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال، فقد الحاكم بن العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان قبحه الله كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله، جائرا، في كيفية بلوغه ما يأمله من ضميره الملعون، لأنه كان يروم أن يدعي الألوهية، كما ادعاه فرعون في زمان موسى عليه السلام.

فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوا، إعظاما لذكره واحتراما لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه، حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص، إذا قاموا عند ذكره، خروا سجدا له، حتى أنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من العامة وغيرهم.

وأمر في وقت أهل الكباين بالدخول في دين الإسلام كرهاً، ثم أذن لهم في العود إلى أديانهم، وخرّب كتابهم، ثم عمرها، وخرّب القمامة، ثم أعادها، وابتنى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخربها. وألزم الناس بخلق الأسواق نهراً، وفتحها ليلاً، فامتلتوا ذلك دهرًا طويلاً، حتى اجتاز مرة برجل يعمل التجارة في أثناء النهار، فوقف عليه، فقال: ألم تنهكم عن هذا؟ قال: يا سيدي، لما كان الناس يتعشون بالنهار، كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعشون بالليل سهروا بالنهار، فهذا من جملة السهر؛ فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختيار لطاعة العامة له، ليرقى في ذلك إلى ما هو أشد وأعظم منه لعنه الله. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه، فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له وكان لا يركب إلا حماراً فمن وجده قد غش في معيشته، أمر عبداً أسود معه، يقال له مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى جهاراً، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن، وقطع شجر الأعتاب حتى لا يتخذ الناس منها خيراً، ومنعهم من طبخ اللزخية، وأشياء من الرعونات، التي لا تنضبط ولا تنحصر وكانت العامة موتورين منه يتبعض كثيراً، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه في صورة قصص، فإذا قرأها ازداد غيظاً وحقاً عليهم، حتى إن

أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق يخفيها وإزارها، وفي يدها قصة من الشتم واللعن والمخالفة له شيء كثير، فلما رأها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها، وأخذ القصة من يدها، فقرأها، فرأى ما فيها، فأغضب ذلك جداً، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققت من ورق لزداد غيظاً إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا، فامتلأوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالاً شديداً ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم وهو في كل يوم قبحه الله يخرج، فيقف من بعيد، وينظر ويكسي، ويقول: من أمر هؤلاء العيد بهذا؟ ثم اجتمع الناس في الجوامع، ورفعوا المصاحف، وصاروا إلى الله عز وجل، واستغاثوا به، ففرق لهم الترك والمشاركة واشتازوا إليهم، وقتلوا معهم عن حريمهم ودورهم وتناقم الحال جداً، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففضل بين الفريقين، وكف العيد عنهم، وكان يظهر التنصل مما فعله العيد، وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه، وكان ينفذ إليهم السلاح، ويحتمل على ذلك في الباطن لعنه الله تعالى، فما انجلي الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها، ونهب قريب من نصفها، وسييت نساء وبنات كثيرات، ففعل بهن الفواحش والمكرات، حتى إن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة، واشترى الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم من أيدي العيد.

قال ابن الجوزي: ثم ازداد ظلم الحاكم، حتى عن له أن يدعي الربوبية، فصار قوم من الجهال إذا راوه يقولون: يا واحد، يا أحد، يا عبي يا عيت. قبحهم الله جميعاً.

صفة مقتله لعنه الله:

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته، وكان يتهمها بالفاحشة، ويسمها أغلظ الكلام، فتبرمت منه، وعملت على قتله، فرأست فيه أكبر الأمراء، أميراً يقال له ابن دواس، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره، وتواطأ على ذلك، فجهر من عنده عبلين أسودين من عبيده شهمين، فقالت لهما: إذا كانت الليلة الفلانية، فكونا في جبل المقطم، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل، لينظر في النجوم، وليس معه أحد إلا ركابي وصبي، فاقتلاه واقتلاههما معه؛ واتفق الحال على ذلك وتقرر. فلما كانت تلك الليلة، قال الحاكم لأمه: علي في هذه الليلة قطع عظيم، فإن نحوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة، ومع هذا فانقلي حواصلني إليك، فإن أخوف ما أخاف عليك من أختي، وأخوف ما أخاف على نفسي منها، فنقل حواصله إلى أمه، وكان له في صناديق قريب من ثلاثمائة ألف دينار وجواهر آخر، فقالت له أمه: يا مولانا، إذا كان الأمر كما تقول فارحمي ولا تركب في ليلتك هذه إلى موضع، وكان يجبهها. فقال: أفضل؛ وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة، فدار ثم عاد إلى القصر، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير، فاستيقظ، وقال: إن لم أركب الليلة فاضت نفسي. فثار، فركب فرساً وصحبه صبي، وصعد الجبل المقطم، فاستقبله ذلك العبدان، فأنزله عن مركوبه، وقطعا يديه ورجليه، وقرأ بطنه، وحملاه فأتيا به مولاهما ابن دواس، فحمله إلى أخته، فدفنته في مجلس دارها، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير، وقد أطلعت على الحيلة فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن علي، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكان بدمشق، فاستدعت به وجعلت تقول للناس: إن الحاكم قال لي: إنه يغيب

عند الذكر رحمه الله تعالى.

■ محمد بن عمر: أبو بكر العبري الشاعر، كان أدبياً ظريفاً، حسن الشعر، فمن ذلك قوله:

إنني نظرت إلى الزمان وأهله نظراً كفضائي
فعرفته وعرفتهم وعرفت عزي من هواني
فلذلك أطرح الصدي ق فلا أراه ولا يراني
وزهدت فيما في يدي ودونته نيل الأمان
فتمججوا لمقالب وهب الأقاصي للأمان
وانسل من بين الزحاما فماله في الكون ثاني

قال ابن الجوزي: وقد كان متصوفاً، ثم خرج عنهم، وذهم بقصائد ذكرتها في «تليس إيليس». كانت وفاته يوم الخميس، ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد ابن خالد، أبو الحسن البزاز، المعروف بابن رزقويه.

قال الخطيب: هو أول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي، وكان ثقة صدوقاً، كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، مديباً لتلاوة القرآن، شديداً على أهل البدع، وأكب دعواً على الحديث، وكان يقول: لا أحب الدنيا إلا لذكر الله، وتلاوة القرآن، وقراءتي عليكم الحديث، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء بذهب، فقبلوا كلهم غيره، فإنه لم يقبل منه شيئاً، وكانت وفاته يوم الاثنين، السادس عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، عن سبع وثمانين سنة، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي رحمه الله تعالى.

■ أبو عبد الرحمن السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري، روى عن الأصم، وغيره، وعنه مشايخ البغدادية، كالأزهري، والشمري، وغيرهما، وروى عنه البيهقي، وغيره.

قال ابن الجوزي: كانت له غاية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم، وسنناً وتاريخاً، وجمع شيوخاً وتراجم أبواباً، وله بنبابور دار معروفة، وفيها صوفية، وبها قبره، ثم ذكر كلام الناس في تضعيفه في الرواية، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال: لم يكن بثقة، ولم يكن سمع من الأصم شيئاً كثيراً، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً، وكان يضع للصوفية الأحاديث، قال ابن الجوزي: وكانت وفاته في ثالث شعبان منها.

أبو علي

■ الحسن بن علي الدقاق النيسابوري، كان يعظ الناس، ويتكلم على الأحوال والمعركة، فمن كلامه: من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنه خضع له لسانه ولركانه، فلو خضع له بقلبه، ذهب دينه كله. وقال في قوله تعالى: «فَذَكِّرْ نِي أذْكُرْكُمْ» [الفرقة: ١٥٢] أذكروني وأنتم أحياء أذكركم وأنتم أموات تحت التراب.

وقال: البلاء الأكبر أن تريد ولا تراه وتدنو فتد إلى الطرد والإبعاد. وأشد عنه قوله تعالى: «وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ»

[يوسف: ٨٤].

جنتا بلبلى وهي جنت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

عنكم سبعة أيام ثم يعود؛ فاطمان الناس بذلك، وجعلت ترسل ركبائين إلى الجبل، فيصعدونه، ثم يرجعون، فيقولون: تركناه في الموضع القلاني؛ ويقول الذين بعدهم لأمه: تركناه في موضع كذا وكذا. حتى اطمأن الناس، وقدم ابن أخيها واستصحب معه من تيس ألف ألف دينار، وألقي ألف درهم، فحين وصل البستة تاج المزجد أبيه، وحلة عظيمة، وأجلسته على السرير، ولباه الأمراء، والرؤساء، وأطلق لهم الأموال، وخلعت على ابن دواس خلعة سنوية هائلة، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقوفاً في خدمته، ثم أمرتهم أن يقولوا له في بعض الأيام: أنت قاتل مولانا؛ ثم يهرونه بسيوفهم، ففعلوا ذلك، وقتلت كل من أطلع على سرها في قتل أخيها، فغظمت هيبتها، وقويت حرمتها، وثبت دولتها. وقد كان عمر الحاكم حين قتل سبعا وثلاثين سنة، وكانت مدة ملكه من ذلك خمسا وعشرين سنة لعنه الله تعالى.

ثم دخلت سنة اثني عشرة وأربعمائة

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناني الحسبة والمواثيق ببغداد، وخلع عليه بالسواء.

وفيها قال جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير عمن الدولة عمود بن سبكتكين: أنت أكبر ملوك الأرض. وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر، وهذه طريق الحج قد تعطلت من مدة سنين، وفتحك لها أوجب من غيرها. فنقدم إلى قاضي القضاة بعمله أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة، ويعت معه ثلاثين ألف دينار للأعراب، غير ما جهز معه من الصدقات إلى الحرمين، فسل الناس صحبته، فلما كانوا ببيد، اعترضهم الأعراب، فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار فامتنعوا، وصمم كبير الأعراب وهو جاز بن عدي على أخذ الحجيج، وركب فرسه، وجال جولة واستنفض من معه من شياطين العرب، فنقدم إليه غلام من أهل سمرقند فرماه بسهم، فوصل إلى قلبه، فسقط ميتاً، وانتهزت الأعراب، وسلك الحجيج الطريق، فحججوا، ورجعوا سالمين، ولله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو سعد الماليني: أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن حفص، أبو سعد الماليني الصوفي، ومالين قرية من قرى هراة، كان من الحفاظ المكثرين، الرحالين في طلب الحديث إلى الآفاق، وكتب كثيراً، وكان ثقة صدوقاً صالحاً، كانت وفاته بمصر في شوال من هذه السنة.

■ الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن وامين القاضي، أبو محمد الإسماعيلي، نزل ببغداد، وحدث بها عن الإسماعيلي وغيره، وكان من كبار الشافعية، فاضلاً صالحاً رحمه الله تعالى.

■ الحسن بن منصور أبو غالب، الوزير الملقب ذا السعادتين، ولد بسيراف، سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة وانتقلت به الأحوال حتى وزر ببغداد، ثم قتل، وصور ابنه على ثمانين ألف دينار.

■ الحسين بن عمر، أبو عبد الله الغزال، سمع التجاد، والخلدي، وابن السماك، وغيرهم. قال الخطيب: كتبت عنه، وكان ثقة صالحاً، كثير البكاء

الخط المنسوب، صاحب أبا الحسين بن سمعون الراءظ، وكان يقص بجامع المدينة وقد أتى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته، وأما خطه وطريقته فيه فاشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريفا من خط أبي علي بن مقله، ولم يكن بعد ابن مقله أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل.

قال ابن الجوزي: كانت وفاته يوم السبت ثاني جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله:

فللقلوب التي أبهجها حزن وللعيون التي أقرتها سهر
فما لعيش وقد ودعته أرج وما لليل وقد فارقت سحر

قال ابن خلكان: ويقال له ابن السري، لأن أباه كان ملازما لستر الباب، ويقال له: ابن البواب، وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد ابن علي بن سعيد الزبار، وقد سمع ابن أسد هذا على النجاد وغيره، وتوفي سنة عشر وأربعمائة، وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وقد رثاه بعضهم فقال:

استشعر الكتاب قسك سألنا وقضت بصحة ذلك الأيام
فلذاك سودت السدي كآبة أسفا عليك وشقت الأتلام

ثم ذكر القاضي ابن خلكان أول من كتب بالعربية، فقيل إسماعيل عليه السلام، وقيل أول من كتب بالعربية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس، أخذنا من بلاد الحيرة عن رجل يقال له: أسلم بن سدره، وسأله عن اقتبسها؟ فقال: من وأضعها، رجل يقال له: مرمر بن مرة، وهو رجل من أهل الأنبار، فاصل الكتابة في العرب من أهل الأنبار. وقال الميثم بن عدي: وقد كان لخمير كتابة يسمونها السند، وهي حروف متصلة غير منفصلة، وكانوا يتعون العامة من تعلمها، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صفاء، وهي العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقطيية، والبربرية، والهندية، والأندلسية، والصينية. وقد اندرس كثير منها، فقل من يعرف كثيرا منها.

■ علي بن عيسى بن سليمان بن محمد بن أبان، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر، وكان يحفظ القرآن، ويعرف القراءات، وصحب القاضي أبا بكر الباقلاني، وأكثر شعره في مديح الصحابة وذم الرافضة. وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، ودفن بالقرب من قبر معروف الكرخي، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله:

نفس يا نفس كم تماديت في الفسي وتأتيت في الفعالم المييب
راقبي الله واحذري موقف العر ض وخافي يوم الحساب العصيب
لا تفرسك السلامة في العسي ش فإن السليم رهن الخطوب
كل حي فللمنون ولا يد فع كأس النون كيد الأريب
واعلمي أن للمنية وقتبا سوف يأتي عجلان غير هيب
إن حب الصديق في موقف الحش ر أمان للخائف المطلب

■ محمد بن أحمد بن محمد بن منصور: أبو جعفر البيع، ويعرف بالعتيقي، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بطرسوس مدة، وسمع بها، وبغيرها، وحدث بشيء يسير رحمه الله تعالى.

وقال في قوله صلى الله عليه وسلم: «حفت الجنة بالمكاره» إذا كان هذا المخلوق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق، فما الظن بمن لم يزل؟

■ صريع الدلاء الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الواحد، الفقيه البغدادي الشاعر الماجن، المعروف بصريع الدلاء، قتل الفواشي، ذي الرقاعين، له قصيدة مقصورة في المزمل عارض بها مقصورة ابن دريد، يقول فيها:

وآلف حمل من متاع تستر أنفع للمسكين من لقط النوى
من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر إلى حيث انتهى
من أدخلت في عينه مسلة فله من ساعته كيف العمى
والنقن شعر في الوجوه طالع وإنما القصص من خلف القفا
من أكل الكرش ولا يفسله سال على لحيته شبه الخرا
إلى أن ختمها بالبيت الذي حد عليه وهو قوله:

من فاته العلم وأخطأ الغنى فذاك والكلب على حد سوا

قدم مصر في سنة ثني عشرة وأربعمائة، وامتدح فيها خليفته الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم، واتفقت وفاته بها في رجب هذه السنة سألحه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

فيها جرت كاتبة غرية، ومصيبة عظيمة، وهي أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء، وذلك أنه لا كان يوم الجمعة وهو يوم النضر الأول طاف هذا الرجل بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليلقه، فضره بلبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات، وقال: إلى متى نعبد هذا الحجر؟ ولا محمد ولا علي بمعنى فما أفعله، فإني أهدم هذا البيت، وجعل يرتعد، فاتقاه أكثر الحاضرين، وتأخروا عنه، وذلك لأنه كان رجلا طوالا، جسيما، أحمر اللون، أشقر الشعر، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه عن يريد منه من هذا الفعل وأراده بسوء، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر، فوجه بها، وتكاثرت عليه الناس، فقتلوه وقطعوه قطعاً وحرقوه بالنار، وتبعوا أصحابه، فقتلوا منهم جماعة، ونهيت أهل مكة الركب المصري، وتعدى النهب إلى غيرهم، وجرت خبطة عظيمة وفتنة كبيرة جدا، ثم سكن الحال بعد أن تبع أولئك النفر الذين تمالؤوا على الإلحاد في أشرف البلاد، غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فلق مثل الأظفار، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة، محيا مثل الخشخاش، فاخذ بنو شيبه تلك الفلق فمجنوها بالمسك والملك، وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت، فاستمسك الحجر، واستمر على ما هو عليه الآن، وهو ظاهر لمن تأمله.

في هذه السنة فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك أبو علي الحسن الرخمي، وزير شرف الملك بواسط، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والمقايير، وغير ذلك مما يحتاج إليه. والله تعالى أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن البواب الكاتب: علي بن هلال أبو الحسن بن البواب، صاحب

وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى.

■ علي بن عبد الله بن جهضم: أبو الحسن الجهمي الصوفي المكي، صاحب «بهجة الأسرار»، كان شيخ الصوفية بمكة، وبها توفي في هذه السنة.

قال ابن الجوزي: وقد ذكر أنه كان كتاباً، ويقال: إنه الذي وضع حديث صلاة الرغائب.

■ القاسم بن جعفر بن عبد الواحد: أبو عمر الهاشمي البصري، قاضي البصرة، سمع الكثير، وكان ثقة أميناً، وهو راوي سنن أبي داود، عن أبي علي اللؤلؤي، توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار: أبو الفرج القاضي الشافعي، ويعرف بابن سمكة، روى عن التجاد وغيره، وكان ثقة، توفي في ربيع الأول منها، ودفن بمقبرة باب حرب.

■ محمد بن أحمد: أبو جعفر النسفي، عالم الحنفية في زمانه، وله طريقة في الخلاف والجدل، وكان فقيراً مترهداً، بات ليلة قلقاً لما عنده من الفقر والحاجة، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان يشكل عليه، فأتاح له، فقام يرقص، ويقول: أين الملوك وأبناء الملوك؟ فسأله امرأته عن خبره، فأعلمها بما حصل له فتعجبت من شأنه رحمه الله، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة.

■ هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان، أبو الفتح الحفاري، سمع إسماعيل الصفار، والتجاد، وابن السماك وابن الصواف، وكان ثقة، توفي في صفر منها، عن اثنين وتسعين سنة رحمه الله وإيانا بمنه.

ثم دخلت سنة خمسة عشرة وأربعمائة

فيها أزم الوزير المغربي جماعة من الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب والشهود، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينهاهم عن الحضور، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة، واصطلحا، وتضافيا وجددت البيعة لكل منهما من الآخر.

ولم ينجح في هذه السنة من ركب خراسان أحد، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم في هذه السنة، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود بن سبكتكين، فلما رجع بها إلى أستاذه الملك محمود أرسل بها إلى بغداد فحرقته بالنار على باب النوري للخليفة القادر بالله العباسي رحمه الله تعالى وجازاه خيراً عن قصده وسيرته الحسنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمرو ابن خالد بن الوكيل أبو الفرج المحدث المعروف بابن المسلمة، ولد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وسمع أبيه وأحد بن كامل والتجاد والخطي، ودعج بن أحمد، وغيرهم، وكان ثقة. يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وكان يملئ في أول كل سنة مجلساً في الحرم، وكان عاقلاً فاضلاً، كثير المعروف، داره

■ محمد بن محمد بن النعمان أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، شيخ الإمامية الروافض، والمصنف لهم، والهامي عن حوزتهم، وكانت له وجاعة عند ملوك الأطراف ليل كثير منهم إلى التشيع، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف، وكان من جملة تلاميذه الشريف المرتضى، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في رمضان من هذه السنة، منها قوله:

من لفضل أخرجت منه حساماً ومعان فضضت عنها ختاماً؟
من يشير العقول من بعد ما كن هموماً ويفتح الأفهاماً؟
من يعير الصديق رأياً إذا ما سله في المخطوب كان حساماً

ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة

فيها قدم الملك مشرف الدولة إلى بغداد، فخرج الخليفة في الطيار لتلقيه، وصحبته الأمراء والقضاة والفهاء والوزراء والرؤساء، فلما واجه مشرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات، والجيش واقف برمته، والعامّة من الجانبين والخليفة يبعث الرسل إليه بالسلام عليه، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة، يذكر فيه أنه دخل بلاد الهند أيضاً، وأنه فتح بلاداً، وقتل خلقاً منهم، وأنه صالحه بعض ملوكهم، وحمل إليه هدايا سنية، منها فيول كثيرة، ومنها طائر على هيئة القمري، إذا وضع عند الخزان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منها ماء، وتحجر، ويحك ويؤخذ ما تحصل منه، فيطلي به الجراحات ذات الأنفواء الواسعة، فيلحمها، وغير ذلك.

وحج الناس من أهل العراق في هذه السنة ولكن رجعوا على طريق الشام، لاحتياجهم إلى ذلك والله تعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن الفضل بن سهلان: أبو محمد الراهمزي، وزير سلطان الدولة، وهو الذي بنى سور الحائر عند مشهد الحسين، قتل في شعبان من هذه السنة.

■ الحسين بن محمد بن عبد الله: أبو عبد الله الكشغلي الطبري، الفقيه الشافعي، ثقة على أبي القاسم الداركي، وكان فهماً فاضلاً صالحاً زاهداً، وهو الذي درس بعد الشيخ أبي حامد الإسفراييني في مسجده، مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، وكان الطلبة عنده مكرمين، اشتكى بعضهم إليه حاجة، وأنه قد تأخرت عنه نفقته التي ترد إليه من أبيه، فأخذ يده، ودعّب إلى بعض التجار بقطيعة الربيع، فاستقرض له منه خمسين ديناراً. فقال التاجر: حتى تأكل شيئاً فمد السباط، فأكلوا، وقال: يا جارية هاتي المال فأحضرت شيئاً من المال، فوزن منها خمسين ديناراً ودفعها إلى الشيخ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تنفر، فقال له الكشغلي: ما لك؟ فقال: يا سيدي، قد سكن قلبي حب هذه الجارية فرجع به إلى التاجر، فقال له: وقد وقعنا في فتنة أخرى فقال: وما هي؟ فقال: إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج، فتسلمها الفقيه، وقال: ربما أن يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذي وقع في قلبه منها. فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض، وذلك بسفارة الشيخ أبي محمد الكشغلي.

ويستغث أحدهم فلا يثا، واشتد الحال، وهربت الشرط من بغداد، ولم تكن الأتراك شيئا، وعملت الشرايع على أفواه السكك، فلم يفد ذلك شيئا، وأحرقت دار الشريف المرتضى، فانتقلت منها، وغلت الأسعار. ببغداد جدا، ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة واللّه أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **سايور بن ازدشير:** وزر لبهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة ثلاث مرات ووزر لمشرف الدولة أيضا وكان كاتباً سديداً، عفيفاً عن الأموال، كثير الخير، سليم الباطن، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجعل فيها كتباً كثيرة جداً، ووقف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة، ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة، وكانت عائلتها بين السورين، وقد كان حسن المعاشرة، إلا أنه كان يعزل عماله سريعاً، توفي في هذه السنة وقد قارب التسعين.

■ **عثمان النيسابوري:** الحر كوشي الواعظ، قال ابن الجوزي: صنف كتاباً في الوعظ من أبرد الأشياء، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة، وكلمات مرذولة، إلا أنه كان خيراً صالحاً، وكانت له وجاعة عند الخلفاء والملوك، وكان الملك عمود بن سبكتكين إذا رآه قام له، وكانت عائلته حياً يمتنى بها من الظلمة، وقد وقع في بلده نيسابور موت، وكان ينسل الموتى مؤخرًا، فنسل نحواً من عشرة آلاف ميت، رحمه الله تعالى.

■ **محمد بن الحسن بن صالحان:** أبو منصور الوزير لمشرف الدولة، ولبهاء الدولة أيضاً، كان وزير صدق جيد المباشرة، حسن الصلاة، محافظاً على أوقاتها، وكان محسناً للشرعاء، والعلماء، توفي في هذه السنة عن ست وسبعين سنة.

■ (مشرف الدولة بن بهاء الدولة)

الملك مشرف الدولة: أبو علي بن بهاء الدولة، أبي نصر بن عضد الدولة بن يويه الديلمي، صاحب ببغداد وغيرها من البلاد، أصابه مرض حاد، فتوفي منه لثمانين يومين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة، وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً.

■ **التهامي الشاعر:** علي بن محمد التهامي أبو الحسن، له ديوان مشهور، وله مرثاة في ولد له صغير، أولها:

حكم التنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
ومنها:

أنني لأرحم حاسدي حرم ما ضمن صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فيؤنهم في جنة وقلوبهم في نار
ومنها في ذم الدنيا وكل هذه القصيدة مليح مختار:

طبت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأتذار والأكذار
ومكلف الأيام ضد طباعها مطلب في الدنيا جنوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإني تبني الرجاء على شفير هار
ومنها قوله في ولده بعد موته:

جاورت أعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

مألف لأهل العلم، وتفقه بأبي بكر الرازي، وكان يصوم الدهر، ويقرأ في كل يوم سبعاً، ويعبد بعينه في تهجد، كانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ **أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي، أبو الحسن المحاملي،** نسبة إلى بيع المحامل، تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وبرز في الفقه، حتى إن الشيخ أبو حامد كان يقول: هو أحفظ للفقه مني. وله المصنفات المشهورة، منها «اللباب»، و«الأوسط»، و«المختص»، وله في الخلاف، وعلق على أبي حامد تعليقة كبيرة قاله ابن خلكان.

ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وتوفي في يوم الأربعاء تسع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة، وهو شاب رحمه الله تعالى.

■ **سلطان الدولة بن بهاء الدولة،** توفي بشيراز، عن اثنين وثلاثين سنة وخمسة أشهر.

■ **عبد الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم الحظاف، المعروف بابن النقيب،** كان من أئمة السنة، وحين بلغه موت ابن المعلم، جلس للتهنئة وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم. ومكث دهرًا طويلًا يصلي الفجر بوضوء العشاء.

قال الخطيب البغدادي: وسألته عن مولده، فقال: في سنة خمس وثلاثمائة. وأذكر من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي والمتقي لله والمستنفي والطبع والطاهر والقادر والغالب بالله، الذي خطب له بولاية المهدي، وكانت وفاته في سلخ شعبان من هذه السنة، عن مائة وعشرين سنة رحمه الله تعالى.

■ **عمر بن عبد الله بن عمر بن تميم أبو حفص الدلال،** قال: سمعت الشبلي يشهد قوله:

وقد كان شيء يسمى السرور قديماً سمعنا به ما فعل
خيليني إن دام هم النفوس قليلاً على ما نراه قتل
يؤمل دنياه لثيقاً له فمات المؤمل قبل الأمل

■ **محمد بن الحسن، أبو الحسن الأقسام العلو،** نائب الشريف المرتضى في إمرة الحج، حج بالناس في سنين متعددة، وله فصاحة وشعر جيد، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين.

ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها قوي أمر العيارين ببغداد، ونهبوا الدور جهرة، واستهانتوا بأمر السلطان، وفي ربيع الأول منها توفي مشرف الدولة بن يويه الديلمي صاحب ببغداد والعراق وغير ذلك، فكثر الشرور ببغداد، ونهبت الخزائن، واستقر الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر، وخطب له على المنابر، وهو إذ ذاك على البصرة، وخلع على مشرف الملك أبي سعيد بن مأكولا وزيره، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة مشرف الملك، وهو أول من لقب باللقاب الكثيرة، ثم طلب من الخليفة أن يبيع لأبي كاليبجار إذ كان ولي عهد أبيه سلطان الدولة، الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم، فتوقف في الجواب، ثم وافقهم على ما أرادوا، وأقيمت الخطبة للملك أبي كاليبجار يوم الجمعة سادس عشر شوال من هذه السنة، ثم تفاقم أمر العيارين ببغداد، وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون،

سمع ابن نجيذ، والإسماعيلي، وخلقا، وسمع منه الخطيب وغيره، وكان الناس ينتفعون بإفادته واتخاذه، توفي في يوم عيد الفطر منها.

■ علي بن أحمد بن عمر بن حفص: أبو الحسن المقرئ المعروف بالحمامي، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم، وكان صدوقا فاضلا حسن الاعتقاد، وتقرّد بأسانيد القراءات، وعلوها، توفي في شعبان من هذه السنة، عن تسع وثمانين سنة.

■ صاعد بن الحسن ابن عيسى الربيعي البغدادى اللفوي، صاحب كتاب «الفصوص» في اللغة، على طريقة القالي في «الأمالي»، صنفه للمصور بن أبي عامر، فأجازته عليه خمسة آلاف دينار، ثم قيل له إنه كذب متهم فيما ينقله فأمر بإلقاء الكتاب في النهر، فقال في ذلك بعض الشعراء:

قد غاص في الماء كتاب الفصوص وهكذا كل ثقل بنصوص
فلما بلغ صاعداً هذا البيت قال:

عاد إلى عصره إثمًا خرج من فمر الحور النصوص
قلت: كأنه سعى هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به «الصحاح» للجوهري، لكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهما بالكذب فيما يرويه وينقله، فلها رفض الناس كتابه، ولم يشتهر بينهم وقد كان ظرفيا، ماجنا سريع الجواب، سأله رجل أعمى على سبيل التهمك بمضرة جماعة فقال له: ما الجرفل؟ فأطرق ساعة، وعرف أنه ائتمل هذا من عند نفسه، ثم رفع رأسه إليه، فقال: هو الذي يأتني نساء العميان ولا يتعداهن إلى غيرهن. فاستحى ذلك الأعمى، وضحك الحاضرون. وقد كانت وفاته في هذه السنة، ساعه الله والله أعلم بالصواب.

■ القفال المروزي: هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله القفال أحد أئمة الشافعية الكبار علما وزهدا وحفظا وتصنيفا وورعا، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني، والقاضي حسين، وأبو علي السنجي، قال ابن خلكان: وأخذ عنه إمام الحرمين، وفيما قاله نظر. لأن من إمام الحرمين لا يمتثل ذلك، فإن القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة، ودفن بسجستان، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمئة بعد وفاة القفال بستين ومات سنة ثمان وسبعين كما سيأتي، وإنما قيل له القفال، لأنه كان أولا يعمل الأقفال، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة، ثم أقبل على الاشتغال بعد ذلك رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمئة

في ربيع الأول منها، وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار، وقتل خلقا كثيرا من الغنم والوحوش.

قال ابن الجوزي: وقد قيل: إنه كان في كل بردة رطلان وأكثر، وفي واسط بلغت البردة أرطالا، وفي بغداد بلغت قدر البيض.

وفي ربيع الآخر سالت الإفسهسلارية والغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليبجار، لتهانه بامرهم، وفساده وفساد الأمور في أيامه، ويولى عليهم جلال الدولة، الذي كانوا قد عزلوه عنهم، فمأظمهم الخليفة في ذلك، وكتب إلى أبي كاليبجار أن يتشارك أمره، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد قبل أن يفوت الأمر. وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة، وأقاموا له الخطبة ببغداد، وتفاقم الحال، وفسد النظام.

وقد ذكر القاضي ابن خلكان، أن بعضهم رآه في النوم في هيئة حسنة، فقال: لم نلت هذا؟ فقال: بهذا البيت توفي بحبس خزانة البند من القاهرة في هذه السنة، رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمئة

في العشرين من محرمها، وقعت فتنة بين الأسفهلارية وبين العيارين، وركبت لهم الأتراك بالدبابات، كما يفعل في الحرب، وأحرقت أبواب كثيرة من الدور التي احتوى فيها العيارون، وأحرق من الكرخ جانب كبير، ونهب أهله، وتعدى النهب إلى غيرهم، كانت الفتنة هائلة شنيعة ثم خمدت في اليوم الثاني، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار مصادرة، لإثارتهم الفتنة والشور.

وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب، بعدما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال.

وفي رمضان منها، انقض كوكب سمع له دوي كدوي الرعد، ووقع في سلخ شوال برد لم يعهد مثله، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة، وجمد الماء طول هذه المدة، حتى حافات دجلة والأنهار الكبار وقاسى الناس شدة عظيمة، وتأخر المطر. وزيادة دجلة، وقلت الزراعة، وامتنع كثير من الناس عن التصرف. ولم يخرج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة، لفساد البلاد والطرقات، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

قاضي القضاة

■ ابن أبي الشوارب أحمد بن محمد بن عبد الله ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشي الأموي، قاضي قضاة بغداد بعد ابن الألفاني بثني عشرة سنة، وكان عفيفا نزها، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد، وعبد الباقي بن قانع، إلا أنه لم يتحدث. قاله ابن الجوزي.

وحكى الخطيب البغدادى عن شيخه أبي العلاء الواسطي أن أبا الحسن هذا كان آخر من ولي الحكم ببغداد من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وقد ولي الحكم من سلالة أربعة وعشرون منهم ثمانية ولوا قضاء قضاة بغداد. قال أبو العلاء: وما رأينا مثل أبي الحسن هذا، جلاله، ونزاهة وصيانة وشفرا.

وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقا وصاحباً، وأن رجلا من خيار الناس أوصي له بمائتي دينار، فحملها إليه الماوردي، فأبى القاضي أن يقبلها، فجهد عليه كل الجهد فلم يفعل، وقال له: سألتك بالله، لا تذكر هذا لأحد ما دمت حيا. ففعل الماوردي، فلم يخبر عنه إلا بعد موته، وكان ابن أبي الشوارب فقيرا إليها، وإلى ما هو دونها، فلم يقلها، رحمه الله. توفي في شوال من هذه السنة.

■ جعفر بن بى: أبو مسلم الجليلي، سمع ابن بطّة، ودرس فقه الشافعي، على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وكان ثقة دينا فاضلا، توفي في رمضان من هذه السنة.

■ عمرو بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه: أبو حازم الهللي النيسابوري،

ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائة، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه، وقصد مكة، ثم الشام، ووزر في عدة أماكن وقد وزر لشرف الدولة بعد الرخعي، وكان يقول الشعر الحسن وقد تذاكر هو وبعض الصالحين، فأنشده ذلك الرجل الصالح شعرا:

إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها
فاعزل المناصب والسلطان، فقال له بعض أصحابه: تركت المناصب في عتوان شبابك؟ فأنشأ يقول:

كنت في سفرة البطالة والجهل ل زمانا فحان مني القيد
تبت من كل مائم فعسى بم حى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمس وأربعين لقدما طلست إلا أن الغريم كريم
وقد كانت وفاته بميفارقين، في رمضان من هذه السنة، عن خمس وأربعين سنة، ودفن بمشهد علي بحيلة احتالها قبل وفاته رحمه الله تعالى.

■ محمد بن الحسن بن إبراهيم: أبو بكر الوراق، المعروف بابن الخفاف، روى عن القضيبي وغيره، وقد اتهموه بوضع الأسانيد والأحاديث، قاله الخطيب وغيره.

أبو القاسم

■ اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، وهو طبري الأصل، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفراييني، كان يفهم، ويحفظ، وعني بالحديث، فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المني قبل أن تستشر كتبه، وله كتاب في السنة وشرحها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وقع لنا سماعه على الحجار عاليا عنه، وقد كانت وفاته بالدينور في رمضان من هذه السنة، ورأه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، قال: بماذا؟ قال: بشيء قليل من السنة أحبته رحمه الله تعالى.

■ (أبو القاسم بن القادر بالله)

أبو القاسم ابن أمير المؤمنين القادر بالله، توفي ليلة الأحد الثاني من جمادى الآخرة، وصلي عليه غير مرة، ومضى الناس في جنازته، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا، وقطع الطبل أياما.

■ ابن طباطبا الشريف كان شاعرا مجيدا وله شعر حسن.

الأستاذ

■ أبو إسحاق الإسفراييني إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهرا، الشيخ أبو إسحاق الإمام العلامة، ركن الدين الفقيه الشافعي، المتكلم الأصولي، صاحب التصانيف في الأصولين، منها «جامع الجلي» في خمس مجلدات، وتعليقه نافعة في أصول الفقه، وغير ذلك، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الإسماعيلي ودعبلج وغيرهما، وأخذ عنه البيهقي، والشيخ أبو الطيب الطبري، والحاكم النيسابوري وأثنى عليه، وكانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة بنيسابور، ثم نقل إلى بلده، فدفن في مشهده رحمه الله تعالى.

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري الفقيه الحنفي، صاحب المصنف المختصر الذي يحفظ، كان إماما بارعا عالما، دينا مناضرا، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الإسفراييني من الحنفية وكان القدوري يطريه ويقول: هو أعلم من الشافعي وأنظر منه كانت وفاته يوم الأحد الخامس من رجب هذه السنة، عن ست وخمسين سنة، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي.

في هذه السنة ورد كتاب من بين الدولة عمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا، وأنه كسر الصنم الأعظم، الذي لهم، المسمى بسومات، وقد كانوا يقدون إليه من كل فج عتيق، كما يقد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، ويتفقون عنده التفتات، والأموال الكثيرة، التي لا توصف، ولا تعد، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالا، وعنده ألف رجل يخدمونه وثلاثمائة رجل يحملون رؤوس حبيجه، وثلاثمائة وخمسون رجل يغنون ويرقصون على باب الصنم وقد كان العبد يعني الملك عمود بن سبكتكين يتمنى قلع هذا الصنم، وكان يعرفه طول المقاوز، وكثرة الموانع والأوقات، ثم استخار الله تعالى السلطان عمود، لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده، وكثرة الهند في طريقه والمقاوز المملوكة، والأرض الخطرة، في تجشم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأحوال إليه، فندب جيشه لذلك، فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة، عن اختارهم لذلك، سوى المتطوعة، فسلمهم الله، حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسر من أن ملكناه، وقتلنا من أهله خمسين ألفا، وقلعنا هذا الوثن، وأوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غير واحد أن الهند بدلوا أموالا جزيلة للملك عمود بن سبكتكين ليرك لهم هذا الصنم الأعظم، فأنشأ من أشار من الأمراء على السلطان عمود بأخذ الأموال، وإيقاع هذا الصنم لهم فقال: حتى أستخير الله عز وجل. فلما أصبح، قال: إني فكرت في الأمر، الذي ذكر، فرايت أنه إذا نوديت يوم القيامة: أين عمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال: أين عمود الذي ترك الصنم؟ ثم عزم فكسره رحمه الله، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللاقي والذهب والجواهر النفيسة، ما ينيف على ما يذلو له بأضعاف مضاعفة، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل، الذي يقال دائق منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من النشاء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت، ثالث رمضان، دخل جلال الدولة إلى بغداد، فلقاه الخليفة في دجلة في الطيار، ومعه الأكابر، والأعيان، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعت، ثم سار إلى دار الملك، وعاد الخليفة إلى داره، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة، وصمصامها، وشرفها، وبهاتها، فكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الخمس، فأراد جلال الدولة ذلك، فقتل: لا يحسن مساواة الخليفة في ذلك، ثم صمم على ذلك في أوقات الصلوات الخمس.

قال ابن الجوزي: وفيها وقع برد شديد، حتى أجد الخلل والنيذ وأبواب الدواب، والمياه الكبار، وحافات دجلة.

ولم ينجح في هذه السنة أحد من أهل المشرق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، أبو عبد الله الشاهد، خطب له في جامع المنصور، في ستة ست وثمانين وثلاثمائة، ولم يخطب إلا بخطبة واحدة في كل جمعة فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء، وخشعوا لصوته.

■ الحسين بن علي بن الحسين: أبو القاسم الوزير المغربي، ولد بمصر في

وله أيضا في بحيل نزل عنده:

واخ منه نزلوني بقصر
بت ضيقاً له كما حكم الله
فايتداني يقول وهو من الله
لم تغربت؟ قلت قال رسول الله
"سافروا تغتموا" فقال وقد قسا
مثل ما سني من الجوع قرع
ر وفي حكمه على الحر قبح
سكر بالهم طافع ليس يصحو
والقول منه تصح ونجس
ل تمام الحديث "صوموا تصحوا"

ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار، قال ابن الجوزي: حزرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلا، وغاصت في الأرض نحواً من ذراع.

وفيها ورد كتاب من بين الدولة محمود بن سبكتكين، أنه أحل بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً، وصلبا شنيعاً، وأنه انتهب أموال رئيسهم، رستم بن علي الديلمي، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حياته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثاً وثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفي رجب منها، انقضت كواكب كثيرة، شديدة الضوء، شديدة الصورت.

وفي شعبان منها، كثرت العملات، وضفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر منه، غار ماء دجلة، حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء عن الطحن، وتعتذر ذلك. وفي هذا اليوم، جمع القضاة، والعلماء، في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه أمير المؤمنين القادر بالله، فيه مواظ، وتفاصيل مذاهب أهل السنة، وفيه الرد على أهل البدع، من المعتزلة وغيرهم.

وفي العشرين من رمضان جمعوا أيضاً، وقرئ عليهم كتاب آخر. جمعه الخليفة أيضاً في أخبار ومواظ، والرد على أهل البدع وتقصي من قال بمخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي، وعبد العزيز ابن أحمد الكتاني من المناظرة، ثم ختم القول بالوعظ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه.

وفي يوم الاثنين، غرة ذي القعدة، جمعوا أيضاً كلهم، وقرئ عليهم كتاب آخر طويل، يتضمن بيان السنة، والرد على أهل البدع، ومناظرة بشر المريسي، والكتاني أيضاً، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوا. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء غيرهم من أهل السنة، ولله الحمد والمنة على ذلك وغيره.

وجرت فتنة عظيمة بمسجد برثاء، وضربوا الخطيب السني بالأجر، حتى كسروا أنفه، وخلعوا كفه، فانصهر له الخليفة، وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤوا يعتذرون عما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم.

ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة، ونهبوا دار وزيره، وجرت له أمور طويلة آل الحال فيها إلى أنهم اتفقوا على إخراجهم من البلد، فهيس له زيزب رث، فخرج وفي يده طبر نهاراً، فجعلوا لا يلتفتون إليه، ولا يفكرون فيه، فلما عزم على الركوب في ذلك الزيزب الرث رثوا له ورقوا له ولهيته، وقلوا الأرض بين يديه، وانصلحت قضيته بعد فسادها.

وفي هذه السنة قل الرطب جدلاً بسبب هلاك النخل، في السنة الماضية بالبرد، فيبع الرطب كل ثلاثة أرطال دينار جلابي، ووقع برد شديد أيضاً، فأهلك شتياً كثيراً من النخل أيضاً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يحج أحد من أهل المشرق، ولا من أهل الديار المصرية في هذه السنة، إلا أن قرماً من خراسان، ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا إلى جلة فحجوا رضي الله عنهم ورحمهم بمنه وكرمه.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ حمزة بن إبراهيم، أبو الخطاب النجم، حظي عند بهاء الدولة وعلمه النجوم، وكان له بذلك وجهة عنده، حتى إن الوزير والأمراء كانوا يكارمونهم ويراسلونهم، ويتوسلون به إليه في أمورهم ثم صار حار امره، حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريباً فقيراً مفلوجاً، قد ذهب ماله وجاهه.

■ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الحسن التاجر، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين، وتفرد بعلم الإِسْنَاد، وكان ذا مال جزيل، فخاف من المصادرة ببغداد، فانتقل إلى مصر، فأقام بها سنة، ثم عاد إلى بغداد، فاتفق مصادرة أهل محله، فحسب عليه ما أفقره، ومات حين مات ولم يوجد له كفن رحمه الله.

■ مبارك الأنطاقي، كان ذا مال جزيل، خلف يوم توفي ثلاثمائة ألف دينار ولم يترك وارثاً سوى بنت واحدة ببغداد وكانت وفاته بمصر.

■ أبو القوارس بن بهاء الدولة، كان ظالماً مارداً، إذا سكر، يضرب الرجل من أصحابه، أو وزيره مائتي مفرقة، بعد أن يخلفه بالطلاق أنه لا يتأوه، ولا يغير بذلك أحداً. فيقال إن حاشيته سموه، فلما مات نادوا بشعار ابن أخيه أبي كاليبجار.

أبو محمد

■ ابن باشاذ، وزير أبي كاليبجار، لقبه معز الدولة، فلك الدولة، سيد الأمة، وزير الوزراء، عماد الملك، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة، فاعتقله، ومات في هذه السنة.

■ أبو عبد الله المشكلم، توفي في هذه السنة، هكذا رأيت ابن الجوزي ترجمه مختصراً.

■ ابن غليون الشاعر، أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب ابن غليون الشامي، ثم الصوري، الشاعر المطبق، له ديوان شعر مليح بليغ، كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء، ثم أشدها لرئيس آخر يقال له ذو الحقيتين، وزاد فيها بيتاً واحداً يقول فيه:

ولك المناب كلها فلم اقتصر على اثنين
فأجازته جائزة سنية، فقبل له: إنها ليست فيك، فقال: إن هذا البيت وحده بقصيدة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن أبي الهيثم، أبو علي الزاهد، أحد العباد، والزهاد، وأصحاب الأحوال، دخل على بعض الوزراء فقبل يده، فعتوب الوزير بذلك، فقال: كيف لا أقبل يدا ما امتدت إلا إلى الله عز وجل.

■ علي بن عيسى بن الفرج بن صالح: أبو الحسن الرهيمي النحوي، أخذ العربية أولا عن أبي سعيد السمراني، ثم عن أبي علي الفارسي، ولازمه عشرين سنة، حتى كان يقول: قولوا له: لو سار من المشرق إلى المغرب، لم يجد أحدا أغنى منه. كان يوما يمشي على شاطئ دجلة، إذ نظر إلى الشريفين الرضي والمرتضى في سفينة، ومعهما عثمان بن جني، فقال لهما مداعبا: من أعجب الأشياء أن عثمان معكما، وعلي بعيد منكما، يمشي على شاطئ دجلة. توفي في الحرم منها، عن ثنتين وتسعين سنة، ودفن بباب اللير، ويقال إنه لم يشيع جنازته إلا ثلاثة أنفس.

■ أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلبي، أول ملوك بني مرداس بحلب، انتزعها من يدي نائبها، الظاهر بن الحاكم العبيدي، في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة، ثم جاءه جيش كثيف من مصر، فاقتلوا، فقتل أسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة، وقام حفيده نصر.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة

لما كان في ربيع الأول من هذه السنة، توفي الملك العادل الكبير المشاهر المرباط، المؤيد المنصور، بمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين، صاحب بلاد غزنة، ومالك تلك الممالك الكبار، وفتح أكثر بلاد الهند قهرا، وكاسر بدورهم، وأوثانهم كسرا، وقاهر وهنودهم، وسلطانهم الأعظم قهرا، وقد مرض رحمه الله نحو من ستين، لم يسطع فيهما على فراش، ولا تومد سادا، بل كان يتكى جالسا، حتى مات وهو كذلك، وذلك لشهاته وصرامته وقوة عزمه، وله من العمر ستون سنة رحمه الله. وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد، فلم يتم أمره حتى غافسه أخوه مسعود ابن محمود، فاستحوذ على ممالك أبيه، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار، من الراسيات الكبار والصغار، فاستقرت له الممالك شرقا وغربا في تلك النواحي في أواخر هذا العام، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية، ومن كل ملك همام، وبالنحية والإكرام، وبالحضوع الشام، وسيأتي ترجمة أبيه في الوفيات.

وفيها استحوذت السرية التي كان بعثها الملك محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهند، وأكبرها مدينة وهي المدينة المسماة نرسي، دخلوها في نحو من مائة ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، فنهبوا سوق العطر والجواهر بها نهارا كاملا، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب، والمسك، والجواهر واللاكي، والياقوت، ومع هذا لم يدر أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لاتساعها، وذلك أنها كانت في غاية الكبر: طولها مسيرة منزلة من منازل الهند، وعرضها كذلك، وأخذوا منها من الأموال والتحف والأثاث ما لا يحصى ولا يوصف، حتى قيل: إنهم اقتصموا الذهب والفضة بالكيل، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط، لا قبل هذه السنة ولا بعدها.

وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء، وحادثهم الصلعاء في يوم

عاشوراء، من تعليق المسوح، وتعليق الأسواق، والنسوح والبكاء في الأزقة والأرجاء، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد، فاقتلوا قتالا شديدا، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة وجرت بينهم فتن وشروار مستطيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه السنة مرض أمير المؤمنين القادر بالله، وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله، محضر من القضاة والوزراء والأمراء والكبراء، وخطب له بذلك على المنابر، وضرب اسمه على السكة التعامل بها في البادي والحاضر.

وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في ثلاثمائة ألف مقاتل، فسار حتى بلغ بلاد حلب، وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، فزولوا على مسيرة يوم منها، ومن عزم ملك الروم قبحه الله، أن يستحوذ على بلاد الشام كلها، وأن يستردها إلى دين النصرانية، وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» وقيصر هو من ملك الشام من الروم، مع بلاد الروم، فلا سبيل لملك الروم إلى هذا، فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليهم عطشا شديدا، وخالف بين كلمتهم، وذلك أنه كان معه الدمشقي، فعامل طائفة من الجيش على قتله، ليستقل هو بالأمر من بعده، ففهم الملك ذلك، ففكر من فوره راجعا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا [الأحزاب: ٢٥]، ولما كروا راجعين إلى بلادهم اتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلا ونهارا، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة بغل، محملة مالاوثيايا للملك، وهلك أكثر الروم جوعا وعطشا، ونهبهم الأعراب من كل جانب، ولله الحمد والمنة.

وفيها ملك جلال الدولة واسطا، واستتاب عليها ولده، وبعث وزيره أبا علي بن ماکولا إلى الباطن فتحفتحها، وسار في الماء إلى البصرة، وعليها نائب أبي كالجيار، فهزمهم البصريون، فسار إليهم جلال الدولة بنفسه، فدخلها في شعبان هذه السنة. ودقت الباشائر فرحا ببغداد، فرحا بنصره. وفيها جاء سيل عظيم بغزنة، فأهلك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار. وفي رمضان منها، تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم، وأجرى أرزاقا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاده، على عادة أبيه من قبله، وفتح بلدانا كثيرة، واتسعت ممالكه جدا، وعظم شأنه، وقويت أركانه، وكثرت جندته وأعوانه.

وفيها دخل خلق كثير من الأكراد، إلى بسلدا يسرقون خيل الأتراك ليلا، فتحصن الناس منهم، وحصنوا خيولهم حتى خيل السلطان.

وفيها سقط جسر بغداد، وهو الذي عند الزبائين على نهر عيسى.

وفيها وقعت فتنة، بين الأتراك النازلين بباب البصرة، وبين الهاشميين، فرغوا المصاحف، ورمتهم الأتراك بالنشاب، وجرت خبطة عظيمة ثم اصطلحت الحال بين الفريقين.

وفيها كثرت العملات ببغداد، وأخذت الدور جهرة، وكثر العيارون، ولصوص الأكراد.

وفيها تطل الحبح أيضا من بلاد العراق وخراسان لفساد البلاد ولم يحج، سوى سرية من أهل العراق، ركبوها من جمال البادية مع الأعراب غاطرة ففازوا بالحبح والله أعلم.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان

■ أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن الواعظ، المعروف بابن المران، صاحب كرامات، ومعاملات، كان من أهل الجزيرة، فسكن دمشق، وكان يعظ الناس بالرفادة القليلة، حيث كان يجلس القصاص. قاله ابن عساكر. قال: وصف كتباً في الوعظ، وحكى حكايات كثيرة، قال: سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول سمعت أبا طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر يقول: سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله المران، الواعظ، ينشد أبياتاً:

أنا ما أصنع بالذلِّا ت شغلي بالذنوب
أنا العبد لمن فـا ز بوصل من حبيب
أصبح الناس على رو ح وريحان وطبيب
ثم أصبحت على نو ح وحرزن ونحيب
فرحوا حين أهلكوا شهرهم بعد الغيب
وهلالي مشوار من ورا حجب التيوب
فلما يا خليلي قلت للذات غيبي
وجعلت الهـم والحـز ن من الدنيا نصيبي
يا حياتي وعماتي وسقامي وطبيبي
جد لصيب ينظـى منك بالرحب الرحيب

ثم أرح وفاته لعشر بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بمسجد القدم.

■ الحسين بن محمد الخالغ: الشاعر، له ديوان شعر حسن مليح، عمر طويلاً، توفي في هذه السنة عن سن عالية.
الملك الكبير الشهر العادل:

■ محمود بن سبكتكين، أبو القاسم الملقب بيمين الدولة، وأمين الملة، وصاحب بلاد غزنة وما والاها، وجيشه يقال لهم السامانية، وكان أبوه قد تملك عليهم، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، تملك عليهم بعده ولده محمود هذا، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة، وقام بأعباء الإسلام قياماً تاماً، وفتح فتوحات كثيرة، في بلاد الهند وغيرها، وعظم شأنه في العالمين، واتسعت مملكته، وامتدت رعاياه، وطالت أيامه، لعنله، وجهاده و لله الحمد والمنة، وكان يحظ في سائر ممالكه للخليفة العباسي القادر بالله، وكانت رسل الفاطميين من مصر تقد عليه بالكتب والهدايا والتحف، لأجل أن يكون من جهنهم، فيحرق بهم، ويحرق كتبهم وهداياهم، ويحرق حللهم وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة لم يتفق لغيره من الملوك، لا قبله ولا بعده، وغنم مغنم منهم كثيرة، لا تحصر ولا تنضب، من الذهب والألغى والسبي، وكسر من أصنامهم وأبدانهم شيئاً كثيراً، بيض الله وجهه وأكرم مثواه وقد تقدم ذلك مفصلاً متفرقاً في السنين المتقدمة من أيامه ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقال له: سومنات، بلغ ما تحصل من حلته من الذهب عشرين ألف ألف دينار، وكسر ملك الهند الأكبر الذي يقال له: جيبال، وقهر ملك الترك الأعظم الذي يقال له إيلك خان، وأباد ملك السامانية وقد ملكوا بخراسان مائة سنة بلاد سمرقند وما حولها، ثم هلكوا. وبنى على جيحون جسراً تعجز الملوك والخلفاء عنه، غرم عليه ألفي ألف دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره من الملوك، وكان في جيشه أربعمائة فيل تقاتل، وهذا شيء عظيم هائل، وجرت له فصول

يطول تفصيلها، وكان مع هذا في غاية الديانة، والصيانة، يحب العلماء والمحدثين، ويكرمهم، ويجالسهم ويمسح إليهم. وكان حفيواً، ثم صار شافعيًا على يدي أبي بكر الففال الصغير، على ما ذكره إمام الحرمين، وغيره. وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد، وكان من جملة من يجالسهم محمد ابن الهيثم. وقد جرى بينه وبين أبي بكر بن فورك مناظرات بين يدي السلطان محمود بن سبكتكين، في مسألة العرش، ذكرها ابن الهيثم في مصنف له، فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهيثم، ونقم على ابن فورك كلامه، وأمر بطرده وإخراجه، لموافقة رأي الجمهرة.

وكان عادلاً جيداً، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه وعلى أهله في كل وقت فيخرجه من البيت ويغتلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكا لأحد من أولي الأمر، لا يسر أحد عليه، خوفاً وهيبة للملك. فلما سمع الملك ذلك، غضب غضباً شديداً، وقال للرجل: ويحك! متى جاءك فانتني فأعلمني، ولا تسمع من أحد منعك من الوصول إلي، ولو كان في الليل تقدم إلى الحجة أن هذا لا يمنعه أحد متى جاء من ليل أو نهار فذهب الرجل مسروراً داعياً، فما كان إلا ليلة أو ليلتان، حتى هجم عليه ذلك الشاب، فأخرجه واختل بأمهله، فذهب باكياً إلى دار الملك، فقبل له إن الملك نائم، فقال: قد تقدم إليكم، بما سمعتم فنهوا الملك، فخرج معه بنفسه، وليس معه أحد، حتى جاء إلى منزل الرجل، فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تقد تقدم الملك، فأطفا الضوء، ثم جاء فاحت راس الغلام، وقال للرجل: ويحك! الحق بشربة ماء، فأتاه بها فشرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل: سألتك بالله لم أطفأت الشمعة؟ قال: ويحك، إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حالة الذبح فقال: ولم طلبت الماء سريعاً؟ فقال الملك: إني أليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أقوم بحمك، فكنت عطشاناً هذه الأيام كلها، حتى كان ما كان مما رأيت. فدعا له الرجل، وانصرف رحمه الله.

وكان مرض الملك محمود هذا بسوء المزاج، اعتراه معه انطلاق البطن ستين، فكان فيهما لا يضطجع على فراش، ولا يتكى على شيء، لقوة بأسه، وسوء مزاجه، وكان يستند على تخاد، توضع له، ويحضر مجلس الملك، ويفصل على عادته بين الناس، حتى مات كذلك، في يوم الخميس، لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة، ملكه منها ثلاث وثلاثين سنة، وخلف من الأموال شيئاً كثيراً، من ذلك سبعون رطلاً من جواهر، ساعه الله تعالى. وقام بالأمر من بعده ولده محمد، ثم صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود، فأشبه أباه، وقد صنف بعض العلماء مصنفًا في سيرته وأيامه وأحكامه وفتوحاته وممالكه فأفاد.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة، وخلافة ابنه القائم بأمر الله، على ما سبأني تفصيله وبیان.

وفيها وقعت فتنة عظيمة، بين السنة والروافض، فقامت عليهم السنة، وقتلوا خلقاً منهم ونهبوا الكرخ، ودار الشريف المرتضى، ونهبت العامة دور اليهود، لأنهم نسبوا إلى معاونته أهل الكرخ من الروافض، وتعدى النهب إلى دور كثيرة، وانتشرت الفتنة جداً، ثم سكنت بعد ذلك. وفيها كثرت العملات، وانتشرت المحبة بأمر العيارين، في أرجاء البلد،

وقاتلوه دونها فأسروه فسأل أن يذهب به إلى الملك أبي كالجبار فعفا عنه وأطلقه، فلما صار إلى الأهواز تعامل عليه غلام له وجارية، فقتلناه في ذي الحجة من هذه السنة، عن ست وخمسين سنة.

■ عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون ابن مالك بن طوق، صاحب الرحبة، التغلبي البغدادي، أحد أئمة المالكية، ومصنفهم، له كتاب «التلحين» يحفظه الطلبة، وله غيره في الفروع والأصول، وقد أقام ببغداد دهرا، وولي قضاء باداريا وبكساي، ثم خرج من بغداد لضيق حاله بها، فلما دخل مصر، أكرمه المغاربة، وأعطوه ذهباً كثيراً، وتعمل وسعد جدا، فأثنا يقول متشوقاً إلى بغداد ومعالها:

سلام على بغداد في كل موقف وحق لها مني السلام مضاعف
فوالله ما فارتقتها عن قلبي لها وإنني بشطي جانبها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأسرها ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
فكانت كمنخل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنسأى به وتحالف

قال الخطيب البغدادي: سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك وكُتبت عنه، وكان ثقة، ولم نر في المالكية أحداً أفقه منه.

وقال القاضي ابن خلكان في «الرويات» عنه [وفيات الأعيان ٢٢٠/٣]: وعندما وصل إلى الديار المصرية حصل له شيء من المال، وحسن حاله، مرض من أكلة اشتهاها، فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول: لا إله إلا الله، عندما عشنا متنا. قال: وله أشعار راقية طريقة فمن ذلك قوله:

ونائمة قبلتها فتبتهت وقالت تعالوا واطلبوا اللص
فقلت لها إنني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب يسرى
خذيها وكفي عن أثيم ظلامه وإن أت لم ترضي فألقا على العد
فقلت قصاص يشهد العقل أنه على كبد الجاني الذ من الشهد
فباتت يميني وهي هميان خصرها وباتت يساري وهي واسطة العقد
فقلت ألم أخبر بأنك زاهد فقلت بلى ما زلت أزهد في الزهد

وما أنشده ابن خلكان للقاضي عبد الوهاب:

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفائيس دار الضحك والضحيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها كائن مصحف في دار زنديق

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

في سادس المحرم منها، استسقى أهل بغداد، لتأخر الأمطار عن إبانها، فلم يسقوا، وكثر الموت في الناس.

ولما كان يوم عاشوراء، عملت الروافض البدعة والشعاع، وكثر النوح والبكاء، وامتلات بذلك الطرقات والأسواق والأرجاء.

ثم في صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء لقعوط البلاد، فلم يخرج من أهل بغداد مع اتساعها مائة إنسان في الجوامع كلها.

وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة، فاتفق على خروجه إلى البصرة، ورد كثيراً من جواريه إلى أستاذته قبله واستبقى بعضهم معه، وخرج من بغداد ليلة الاثنين، سادس ربيع الأول من هذه السنة. وكتب الغلمان الإسفهلارية إلى الملك أبي كالجبار ليقدم عليهم، فلما قدم، تمهدت البلاد، ولم يبق أحد من أهل العناد والإحاد، ونهبوا دار جلال

ونجسوا على أمور كثيرة، ونهبوا دوراً وأماكن سراً وجهرًا، ليلاً ونهاراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خلافة القائم بالله

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله، يبيع له بالخلافة، لما توفي أبوه ■ القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، في ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة، عن ست وثمانين سنة، وعشرة أشهر، وأحد وعشرين يوماً، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله، هذا العمر، ولا بعده، مكث من ذلك خليفة إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد في ذلك، وأمه أم ولد اسمها غنى، مولاة عبد الواحد بن المقتدر، وقد كان رحمه الله حليماً كريماً، عاباً لأهل العلم والدين والصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس، وكان أبيض، حسن الجسم، طويل اللحية، عريضها، يخضبها، وكان يقوم الليل، كثير الصدقة، عاباً للسنة، وأهلها، مبغضاً للبدعة وأهلها، وكان يكثر الصوم، وير الفقراء من أقطاعه، يبعث منه إلى المجاورين بجامع المنصور وجامع الرصافة، وكان يخرج من داره في زي العامة فيزور قبور الصالحين، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من سيرته، عند ذكر ولايته، في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وجلسوا في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به، ولتوطيد البيعة لولده القائم بالله أبي جعفر عبد الله بن القادر، وأمه قطر الندى، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة. وكان مولده في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ثم يبيع له بحضرة القضاة والأمرء والكبراء والأعيان في هذه السنة، وكان أول من بايعه الشريف المرتضى، وأنشده أبياتاً:

فإما مضى جبل وانقضى فمفك لنا جبل قد رسا
وإما فجعلنا ييدر التمام فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن في محل السرور فكم ضحك في خلال البكا
فيا صارما أغمدته يد لنا بعنك الصارم المتضى
ولما حضرناك عقد اليعاق عرفنا بهديك طرق الهدى
فقابلتنا بوقصار المشيب كمالا وسلك سن القنى

طالبه الأتراك، برسم البيعة، فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم، لأن أباه لم يترك حالها، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة ما لا جزيل لهم، غنوا من ثلاثة آلاف ألف دينار، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب، واستقضى ابن ماکولا.

ولم ينج أحد من أهل المشرق، سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فحجوا.

ومن توفي فيها من الأعيان والكبراء غير الخليفة رحمه الله

تعالى

■ الحسن بن علي بن جعفر، أبو علي بن ماکولا الوزير لجلال الدولة وقد تقدم أنه بعث إلى البطيحة ففتحها ورام أخذ البصرة فلم يمكنه ذلك

ثلاث وعشرين وأربعمائة.

■ علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن البصري، المعروف بالنعيمي، الحافظ الشاعر، المتكلم الفقيه الشافعي قال البرقاني: هو كامل في كل شيء، لولا بأوة فيه، وقد سمع على جماعة.

ومن شعره الحسن قوله:

إذا أظفأتك أكف اللثام كتفك القناعة شجبا وريسا
فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همتك في الثريا
أيضا لنائل ذي ثروة نراه بما في يديه أيما
فلان إراقة ماء الحيا ة دون إراقة ماء الحيا

■ محمد بن الطيب بن سعيد بن موسى، أبو بكر الصايغ، حدث عن التجاد، وأبي بكر الشافعي، وكان صدوقا، وقد حكى الخطيب البغدادي أنه تزوج تسعمائة امرأة، وتوفي عن خمس وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

■ علي بن هلال، الكاتب المشهور، ذكر ابن خلكان أنه توفي في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما قلنا ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة

فيها تفاقم الحال بأمر العيارين، وتزايد أمرهم، وأخذوا العملات الكثيرة، وقوي أمر مقدمهم البرجمي، وقتل صاحب الشرطة غيلة، وتواترت النهبات في الليل والنهار، وحرس الناس دورهم، حتى دار الخليفة منه، وكذلك سور البلد، وعظم الخطب بهم جدا، وكان من شأن هذا البرجمي أنه لا يؤذي امرأة، ولا يأخذ مما عليها شيئا، وهذه مروءة في الظلم فيقال له كما قال الشاعر:

حنانك بعض الشر أهون من بعض

وفيها أخذ جلال الدولة البصرة، وأرسل إليها ولده العزيز، فأقام بها الخطبة لأبيه، وقطعت منها خطبة أبي كاليجار في هذه السنة والتي بعدها، ثم استرجعت من يد جلال الدولة، وأخرج منها ولده ورجعت الخطبة لأبي كاليجار.

وفيها ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة، ليأخذوا أرزاقهم، وأخرجوه من داره، ورسوموا عليه في مسجده، وأخرجت حرمة، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى، فزها، ثم اصطلحت الأتراك معه، وحلفوا له بالسمع والطاعة، ورجع إلى داره، وكثر العيارون ببغداد، واستطالوا على الناس ليلا ونهارا وإسرارا وإجهارا. ولم ينجح أحد من أهل العراق، وخراسان، لفساد البلاد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، وسمع جعفرًا الخلدني، وغيره، وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدي ويتكلم على طريق التصوف، وقد تكلم بعض الأئمة فيه، ونسب إليه الكذب. توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، ودفن بباب حرب والله تعالى أعلم.

الدولة وغيرها، وتأخر مجيء أبي كاليجار، وذلك أن وزيره العادل بن مافنة أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد، ففكر العيارون ببغداد، وتفاقم الحال بهم، وفسد البلد، وافترق جلال الدولة، بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه في الأسواق، وجعل أبو كاليجار يتهمهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن، فلم يفتق ذلك، وطال الفصل، فرجعوا إلى مكتبة جلال الدولة، وأن يرجع إلى بلده، وشرعوا يعتنزون إليه، وخطبوا له في البلد على عادته ثم رجع بعد ثلاث وأربعين ليلة إلى بغداد، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك أبي كاليجار، وكان ممن بعث إليه القاضي أبو الحسن الماوردي، فسلم عليه مستوحشا منه، فدخلوا عليه وقد تحمل أمرا عظيما، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان المعظم، مالك الأمم، فقال الماوردي: هذا ما لا سيل إليه، لأن السلطان المعظم هو الخليفة، وكذلك مالك الأمم، ثم اتفقوا على تليقه بملك الدولة، فأرسل مع الماوردي بتحفة عظيمة، منها ألف ألف دينار سابورية، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة، والتحف والألطفات، واجتمع الجند على طلب أرزاقهم من الخليفة، فتعذر ذلك، فراموا أن يقطعوا خطبته، فلم تصل الجمعة في هذا الوقت، ثم خطب له من الجمعة القابلة، وتحبب البلد جدا، وكثر العيارون.

ثم في ربيع الآخر من هذه السنة حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وصفاتها، وأنه على ما يجب، من الصدق، وصلاح النية والسرية. ثم وقع بينهما بسبب لعب جلال الدولة، وشره النيذ، وتهتكه به. ثم اعتذر إلى الخليفة، واصطلحا على فساد.

وفي رجب غلت الأسعار جدا ببغداد وغيرها من أراضي العراق. ولم ينجح أحد منهم.

وفي هذه السنة وقع موتان عظيم، ببلاد الهند، وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة. وفي نواحي الموصل، والجيل وبغداد طرف قوي من ذلك بالجلدي، بحيث لم تخل دار من مصاب به، واستمر ذلك في حزيران، وعوز، وو آب، وأيلول، وتشرين الأول، والثاني، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف. قاله ابن الجوزي في «المنتظم» (الطبعة ٢٣٠/١٥). وقد رأى رجل في منامه، من أهل أصبهان، في هذه السنة، مناديا ينادي بصوت جهوري: يا أهل أصبهان سكت، نطق، سكت، نطق، فأنته الرجل مذعورا، فلم يدر أحد تأويلها حتى قيل ذلك لرجل لبيت أبي، فقال: احزنوا يا أهل أصبهان، فإني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله:

سكت الدهر زماننا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

فما كان إلا قليل، حتى جاء الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين، فقتل منهم خلقا كثيرا، حتى قتل الناس في الجوامع.

وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليجار بالخدام صندل فقتله، وكان قد استحوذ على مملكته، ولم يبق معه سوى الاسم، فاستراح منه.

وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر، واسمه ■ قلدرخان. والله تعالى أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ روح بن محمد بن أحمد، أبو زرعة الرازي. قال الخطيب: سمع جماعة، وقدم علينا حاجا، فكُتبت عنه، وكان صدوقا فهما، أديبا، يتفقه على مذهب الشافعي، وولي قضاء أصبهان. قال: وبلغني أنه مات بالكرك، سنة

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بن سيكتكين بلاد الهند، وفتح حصونا كثيرة، فكان من جللتها، أنه حاصر قلعة حصينة، فخرجت من السور عجز كبيرة ساحرة، فأخذت مكنته فبلتها ورشتها على ناحية جيش المسلمين، فمرض السلطان مسعود تلك الليلة مرضا شديدا، فارتحل عن تلك القلعة، فلما استقل ذاهبا عنها عوفي عافية كاملة، ورجع إلى غزنة سالما.

وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الغربي من بغداد، لما تقاسم أمر العيارين وكثر سوءهم وفسادهم.

وفيها ولي سنان بن سيف الدولة غريب بن محمد بن مقن، بعد وفاة أبيه، فقصده قرواشا، فأقره، وساعده على استقامة أموره.

وفيها هلك ملك الروم أرماتوس، فملكهم من بعده رجل ليس من بيت ملكهم، قد كان صيرفيا في بعض الأحيان، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين باني المدينة التي لهم.

وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام، فهلكت شيئا كثيرا، ومات تحت الردم خلق كثير، وانهدم من الرملة ثلثها، وتقطع جامعها تقطيعا، وخرج أهلها منها هارين، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ثم سكن الحال فعادوا إليها، وسقط بعض حائط بيت المقدس، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة، ومن مسجد إبراهيم قطعة، وسلمت الحجرة، وسقطت منارة عسقلان، ورأس منارة غزة، وسقط نصف بنيان نابلس، وخسف بقرية بلزاتها وبأهلها وبقرها، وغنمها، وساحت في الأرض. وكذلك قرى كثيرة هنالك، ذكر ذلك ابن الجوزي.

ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية، وعصفت ريح سوداء بنصيبين، فأتلفت شيئا كثيرا من الأشجار، كالتوت، والجوز، والعناب، واقتلعت قصرا مشيدا بمحارة وأجر وكلس، ثم سقط مطر معه برد أمثال الأكف والزند والأصابع، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ، فذهب الناس خلف السمك، فرجع الماء عليهم، فهلك منهم خلق كثير.

وفيها كثر الموت بالحوادث، حتى كان يغلغ الباب على من في الدار، كلهم قد مات، وكان أكثر ذلك كان ببغداد، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفا.

وفيها وقعت الفتنة بين السنة والروافض، حتى بين العيارين من الفريقين ومنع ابنا الأصهباني، وهما مقدما عياري أهل السنة، منع أهل الكرخ من ورود ماء دجلة، فضاقت عليهم الحال، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة. ولم ينج أحد من أهل العراق في هذه السنة والله تعالى أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وسمع الكثير، ورحل إلى البلاد، وجمع كتب كثيرة جدا، وكان عالما بالقرآن، والحديث، والفقه، والنحو، وله مصنفات في الحديث، حسنة نافعة، قال الأزهري: إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن، وما رأيت أثقن منه، وقال غيره: ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث. توفي يوم الخميس، مستهل رجب، وصلى عليه أبو علي بن أبي

موسى الهاشمي، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد، وقد أورد له الحافظ ابن عساكر من شعره قوله:

أعلل نفسي بكتب الحديث وأهل فيه لها الموعد
وأشغل نفسي بتصنيفه وتخريجيه ذاتما سرمد
فظورا أصنفه في الشيوخ وطفورا أصنفه مستنا
وأفقر البخاري فيما غناه وصفه جاهدا مجهدا
ومسلم إذ كان زين الأنعام بتصنيفه ملما مرشدا
ومالي فيه سوى أنسي أراه سوى صادف المقصدا
وأرجوا الثواب بكتب الصلاة على السيد المصطفى أحسدا
وأسأل ربي إله العباد دجريا على ما به عودا

■ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد: أبو العباس الأيوودي، أحد أئمة الشافعية، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وكانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا: وكان يدرس في قطعة الربيع، وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكتاني، وقد سمع الحديث، وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، فصيح اللسان، صبوراً على الفقر، كما قال له، وكان يقول الشعر الجيد، وكان كما قال الله تعالى عز وجل: ﴿يَخْبِئُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءً مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: 273) توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة باب حرب.

أبو علي

■ البندنجي، الحسن بن عبد الله بن يحيى، الشيخ أبو علي البندنجي، أحد أئمة الشافعية، وتلاميذ أبي حامد أيضاً ولم يكن في أصحابه مثله، ثقة، ودرس، وأفتى، وحكم ببغداد، وكان ديناً ورعاً. توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة أيضاً رحمه الله تعالى.

■ عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو الفرج الصميمي، الفقيه الحنبلي الواعظ، سمع من أبيه أثراً مسلسلاً عن علي الحنان: الذي يقل على من أعرض عنه، والمنان: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل.

■ غريب بن محمد بن مقن بن سيف الدولة أبو سنان، كان قد ضرب السكة باسمه، وكان ملكاً متمكناً في الدولة، وخلف خمسمائة ألف دينار، وقام ابنه سنان بعده، وتقوى بعمه قرواش، فاستقامت أموره به، كانت وفاته بخرخ سابور عن سبعين سنة رحمه الله وإيانا بمنه وكرمه.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة

في عمرها، كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه، واستفحل أمر الغيلرين ببغداد وكثرت شرورهم وأفسادهم.

وفي مستهل صفر، زادت دجلة، بحيث ارتفع الماء على الضياع فزاعين، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة أيام نحو من ألفي دار.

وفي شعبان منها، ورد كتاب من مسعود بن محمود بن سيكتكين، بأنه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند، وقتل منهم خمسين ألفاً، وأسر تسعين ألفاً، وغنم شيئا كثيرا والله الحمد والمنة.

مي السلام ثم انصرف الشاب، فيكى الشيخ، وقال: ما أعلم لي عملاً استحق به هذا، غير صبري على إسماع الحديث، وصلاتي على رسول الله ﷺ كلما ذكر. ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها، عن سبع وثلاثين سنة، ودفن بباب اللير رحمه الله تعالى.

■ الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سورة، أبو عمر الواعظ المعروف بابن القلو، سمع الحديث عن جماعة، قال ابن الجوزي: وكان يعظ، وله بلاغة، وفيه كرم وكان ثقة بآمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ومن شعره:

دخلت على السلطان في دار عزه بفقر ولم أجلب بحبل ولا رجل
وقلت: انظروا ما بين فقري بمقدار ما بين الولاية والعزل
توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين، ودفن بمقبرة باب حرب إلى جانب ابن السماك رحمهما الله.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في الحرم منها، تكاملت عمارة قطرة عيسى التي كانت قد سقطت، وكان الذي ولي مشاركة الإتفاق عليها الشيخ أبو الحسين القنوري الحنفي. وفي الحرم وما بعده تقام أمر العيارين وكبسوا اللور وتزايد شهرهم جدا.

وفيها توفي صاحب مصر

■ الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز القاطمي، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وأشهر وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وتسعة أشهر وكانت سيرته جيدة، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين، واسمه معد، وكنيته أبو نعيم، وتكفل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش، واسمه بلر بن عبد الله الجمالي، وكان الظاهر هذا قد استوزر صاحب أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني، وكان مقطوع اليدين من المرفقين، في سنة ثمان عشرة، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر، ثم لولده المستنصر، حتى توفي الوزير الجرجاني المذكور في سنة ست وثلاثين، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة، وكان الذي يعلم عنه القاضي أبو عبد الله القضاعي صاحب كتاب «الشهاب»، وكانت علامته عنه: الحمد لله شكراً لنعمة، وكان الذي قطع يديه من المرفقين الحاكم، بحيانة ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة، ثم استعمله في بعض الأعمال سنة تسع، فلما فقد الحاكم لعنه الله في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة، ثم تملك من بعده ولده الظاهر المذكور تنقلت بالجرجاني المذكور الأحوال، حتى استوزر سنة ثمان عشرة كما ذكرنا وقد هجاه بعض الشعراء، فقال:

يا أحقاً إسمع وقل ودع الرقاعة والنحام
أقمت نفسك في القفا ت وهبك فيما قلت صادق
أمن الأمانة والتقوى قطعت يدك من المرافق؟

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن إبراهيم الصالبي، ويقال: الثعلبي أيضاً وهو لقب أيضاً وليس بنسبة النيسابوري المفسر المشهور، له «التفسير الكبير»، وله

ووقت فتنة بين البغادة والعيارين، ووقع حريق كثير في أماكن متعددة من بغداد، واتسع الحرق على الراقع ولم يحج أحد من أهل العراق وغراسان في هذا العام.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن كليب الشاعر: وهو أحد من هلك بالعشق، روى ابن الجوزي في «المنتظم» [المصنف ٢٤٦/٢٤٩] بسنده، من طريق أبي عبد الله الحميدي بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين العربي عشق غلاماً يقال له أسلم بن أبي الجعد من بني خالد وكان فيهم وزارة، وحجاجة، فأنشد فيه أشعاراً تحدث الناس بها، وكان أسلم هذا الشاب يطلب العلم في مجالس المشايخ، فاستحيا من الناس، وانقطع في داره، وكان لا يجتمع بأحد من الناس فازداد غرام ابن كليب به، حتى مرض من ذلك مرضاً شديداً، بحيث عاده الناس منه، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء، فسأله عن مرضه، فقال: أنتم تعلمون دائي ودوائي لو زارني أسلم ونظر إلي نظرة ونظرتة نظرة واحدة، لبرئت وإلا فأتا هالك فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة غتفيا، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته، فانطلقا إليه، فلما دخلا دبره وعلمته تغير الغلام واستحيا من الدخول عليه ورجع فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه، فأبى وانصرف راجعاً إلى دارهم، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدم معشوقه عليه، ففرح بذلك جداً؛ فلما تحقق رجوعه عنه، اختلط كلامه، واضطرب في نفسه، ثم قال لذلك الرجل: اسمع يا أبا عبد الله مني، واحفظ عني ما أقول، ثم أنشأ يقول:

أسلم يسأ راحة العليل رفقا على المائم النجيل
وصلك أنسى إلى فسوادي من رحمة الخالق الجليل
فقال له الرجل: ويحك اتق الله تعالى، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان: فخرج الرجل من عنده، فما توسط الدراب حتى سمع الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا.

وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وذهابية دهباء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الأبواب، وتنبية لذوي البصائر والعقول أن يسألوا الله رحمة ولطفه بهم، وأن يستعينوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات، إنه كريم جواد.

قال الحميدي: وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، قال: أنشدني عماد بن عبد الرحمن النحوي، لأحمد بن كليب، وقد أهدى إلى أسلم كتاب «الفصيح» لتلعب وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
وهبته لك طوعاً كما وهبتك روحني

■ الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران أبو علي بن شاذان البزاز، أحد مشايخ الحديث، سمع الكثير، وكان ثقة صلوقاً، جاءه يوماً شاب غريب فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: اذهب إلى أبي علي بن شاذان، فسلم عليه، وأقرته

وهو النسخ يقال: إنه كان يكتب ديوان النبي في ثلاث ليال، فيبعية بمائتي درهم، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك، وكان قد أوصى بثلاث ماله في نفقة الخنابلة، فلم تصرف.

■ **لطف الله** بن أحمد بن عيسى: أبو الفضل الهاشمي، ولي القضاء والخطابة ببلدريجان، وكان ذا لسان، وقد أضر في آخر عمره، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه، توفي في صفر منها.

■ **محمد بن أحمد** بن محمد بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن العباس بن عبد المطلب، أبو علي الهاشمي القاضي، أحد أئمة الخنابلة وفضلائهم.

■ **محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن موسى أبو الحسن الأهوازي**، ويعرف بابن أبي علي الأصهباني، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعماني أجزاء من حديثه، فسمع منه البرقاني، إلا أنه بان كذبه، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب، أقام ببغداد سبع سنين، ثم عاد إلى الأهواز فمات بها في هذه السنة.

■ **مهيبار الديلمي** الشاعر: مهيبار بن مرزويه أبو الحسن الكاتب الفارسي، ويقال له: الديلمي، كان مجوسياً فأسلم، إلا أنه سلك سبيل الرافضة، وكان ينظم الشعر القرني الفحل في مذهبهم من سب الصحابة وغير ذلك، حتى قال له أبو القاسم بن برهان: يا مهيبار، انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار، كنت مجوسياً فأسلمت وصرت نسب الصحابة. وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ، وله ديوان شعر كبير مشهور منه قوله:

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغي عندكم قلباً سمحت به وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم حتى هجرتم وبغض المجر تأديب
ولمهيبار أيضاً قوله:

أجارتنا بالفور والركب منهم أعلم خال كيف بسات التيم
رحلتهم عمر القلب فينا وفيكم سواء ولكن ساهرون ونوم
بنا انتم من طاعين وخلفوا قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما جلا التوديع عما حذرته ولم يبق إلا نظيرة لي تغنم
بكيت على الوادي فحزمت ماءه وكيف يحمل الماء أكثره دم
قال ابن الجوزي: ولما كان شعره أكثره جيذاً، اقتضت على هذا القدر.
وكانت وفاته في جمادى الآخرة.

■ **هبة الله بن الحسن**، أبو الحسين المعروف بالحاجب، كان من أهل الفضل، والأدب، والدين، وله شعر حسن، فمته قوله:

يا ليلة سلك الزمان ن بطيها في كل مسلك
إذ أرتسي روض المسرور م مدرك ما ليس يدرك
والبدر قد فضح الظلام م والستر فيه مهتك
وكان زهر النجوم م بلمعها شعل تحرك
والنجم أحياتاً يلوم ح كائنه ثوب ممك
وكان نعيم الريح ح لدجلة ثوب مفرك
وكان نشر المسك ن فصح في النسيم إذا تحرك

كتاب «العرائس» في قصص الأنبياء عليهم السلام وغير ذلك، وكان كثير الحديث، واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في «تاريخ نيسابور»، وأثنى عليه، وقال: هو صحيح النقل، موثوق به، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وقال غيره: توفي يوم الأربعاء، لسبع بقين من المحرم منها، ورثت له مناصات صالحة، رحمه الله، وقال السمعاني: ونيسابور كانت مقصبة، فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة و «نبي» هو القصب بالفارسية. والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها خلق الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة.

وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة، وقطعوا خطيته وخطبة الملك أبي كاليبجار، ثم أعادوا الخطبة، ولما وصلحت حال جلال الدولة وحلف الخليفة له وعزل وزيره ابن ماكولا واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم، وكان جلال الدولة قد جمع خلقاً كثيراً معه، منهم الباسيري، وديبس بن علي بن مزيد، وقرواش بن مقلد العقيلي، ونازل ببغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهراً، واصطاح هو وأبو كاليبجار نائب جلال الدولة على يدي قاضي القضاة الماوردي، وتزوج أبو منصور بن أبي كاليبجار، بانية جلال الدولة على صديق خسين ألف دينار، واتفقت كلمتهما، وحسن حال الرعية.

وفيها نزل مطر بيلاد فم الصلح ومعه سمك، وزن السمكة رطل ورطلان.

وفيها بعث ملك مصر بمال لإصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك، فجمع القائم بالله الفقهاء وسأله عن هذا المال، فأفتوا بأن هذا المال فيه للمسلمين يصرف في مصالحهم. فأذن في صرفه في مصالح المسلمين.

وفيها غار العيارون ببغداد، وفتحوا السجن بالجانب الشرقي وأخذوا منه رجلاً، وقتلوا من رجال الشرطة سبعة عشر رجلاً، وانتشرت الفتن والشور في البلد جداً.

وفيها ولي عبد الله بن الحسين بن سلامة إمارة تهامة بعد أبيه وفيها ولي عمان القاسم بن علي بن الحسين بن مكرم بعد وفاة أبيه أيضاً. ولم يخرج أحد من أهل العراق في هذه السنة لفساد البلاد واختلاف الكلمة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **القنوري الحنفي أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر**، أبو الحسين القنوري قال الخطيب: سمع الحديث من عبيد الله بن محمد الحوشبي، ولم يحدث إلا بشيء يسير كبت عنه وكان صدوقاً وكان ممن أنجب في الفقه لذكائه وانتهت إليه في العراق رياسة أصحاب أبي حنيفة وارتفع جاهه وكان مبرزاً في القراءات توفي يوم الأحد الخامس من رجب من هذه السنة عن ست وستين سنة ودفن بداره، في درب خلف رحمه الله تعالى.

■ **الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي أبو علي العكبري**، الفقيه الحنبلي الشاعر، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة سمع من أبي بكر بن مالك وغيره، وكان ثقة أميناً كما قال البرقاني، وكان يسترزق من الوراقة

وفيهما قتل جيش المصريين لصاحب حلب، وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس، واستولوا على حلب وأعمالها.

وفيهما سال جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة، فأجابته إلى ذلك بعد غنم.

وفيهما استدعى الخليفة القضا الفقهاء، وأحضر جاثليق النصارى، ورأس جالوت اليهود، وألزموا بالنيار.

وفي رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، بأمر الخليفة، وخطب له بذلك على المنابر، ففرغت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالأجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك، واستتروا القضاة والفقهاء

في ذلك، فأفتى أبو عبد الله الصيمري أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] وقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض لتفاضلهم في القوة والإمكان وجزا أن يكون بعضهم أعظم من بعض، وليس في ذلك ما يوجب التكبر والمائلة بين الخالق والمخلوق. وكتب القاضي أبو الطيب الطبري، إن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون معناه ملك ملوك الأرض، وإذا جاز أن يقال كافي الكفاة، وقاضي القضاة، جاز أن يقال ملك الملوك، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة، ومنه قولهم: اللهم أصلح الملك، فيصرف الكلام إلى المخلوقين. وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك أيضاً، وأما الماوردي صاحب «الحاوي الكبير»، فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضاً والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو عمرو بن الصلاح في «أدب المفتي» أنه منع من ذلك، وأصر على المنع من ذلك، مع صحته للملك جلال الدولة، وكثرة ترداده إليه، ووجاهته عنده، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد، فلما دخل عليه دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكروها، فلما واجهه قال له جلال الدولة: قد علمت أنه إما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي، ووجاهتك عندي دينك واتباعك الحق، ولو حايبت أحدا من الناس لحاييتي، وقد زادك ذلك عندي صحة وحبية وعلو مكانة.

قلت: والذي صار إليه القاضي الماوردي من المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه.

قال الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده»:

حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. عن النبي ﷺ أنه قال: «أخضع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك»

قال أحمد: سألت أبا عمرو الشيباني عن أخضع اسم قال: أوضع. وقد رواه البخاري عن علي بن المديني، عن ابن عينة، وأخرجه مسلم من طريق همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخشيه رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل».

وقال الإمام أحمد حدثني محمد بن جعفر. حدثنا عوف عن خلاص عن أبي هريرة، قال قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على من قتله نبي، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله عز وجل» والله تعالى أعلم بالصواب.

وكانت المشورة مصداقاً لفر السرى ذهب سببك والنور يسيم في الريا ض فبان نظرت إليه سرك شارطت نفسي أن أقرو م بمقتها والشرط أملك حتى تولى الليل من هزماً وجاء الصبح بضحك واه الفتى لوائه في ظل طيب العيش يترك والدمع يحسب عمره فلما أتاه الشيب فذلك وكان وفاته في رمضان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

أبو علي

■ ابن سينا: الطبيب الفيلسوف، الحسين بن عبد الله بن سينا الشيخ الرئيس، الذي كان نادراً في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها ابن سينا، فقرأ القرآن وأتقن علومه وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب، والجبر، والمقابلة، و«إقليدس»، و«المجسطي»، ثم اشتغل على أبي عبد الله التاتلي الحكيم فبرع فيه، وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه، واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وقد عالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنينة، وحكمه في خزانة كنيه، فرأى فيها من العجائب، فيقال: إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلهيات، والطبيعات كتب كثيرة.

قال ابن خلكان: له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها «القانون» و«الشفاء» و«النجاة» و«الإشارات»، و«سلامان»، و«ليسال»، و«حي بن يقظان»، وغير ذلك. قال: وكان من فلاسفة الإسلام، ثم أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها:

هبطت إليك من المقام الأرفع ورقاء ذات تعزز وغمغ
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سمرت ولم تسبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تججع
وهي طويلة وله أيضاً:

اجعل غداءك كل يوم مرة وحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منك ما استطعت فإنه ماء الحياة يراق في الأرحام
وذكر أنه مات بالقولنج في همدان وقيل بأصبهان، والأول أصح، يوم الجمعة في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة عن ثمان وخمسين سنة.

قلت: قد لخص الغزالي كلامه في «مقاصد الفلاسفة»، ثم رد عليه في «تهافت الفلاسفة» في عشرين مسألة، كثره في ثلاث منها، وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجسماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، ويدعه في الباقى، ويقال إنه تاب عند الموت، فألله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها كان بدو ملك السلاجقة.

وفيهما استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق على نيسابور وجلس على سرير ملكها، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان، فملكها، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **الثعالبي صاحب «بيتمة الدهر»** أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، كان إماماً في اللغة، والأخبار، وإيام الناس، بارعاً مفيداً، له التصنيفات الكبار، في النظم، والنثر، والبالغة، والفصاحة، وأكبر كتبه «بيتمة الدهر»، في محاسن أهل العصر». وفيها يقول بعضهم:

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذلك سميت اليتيمة

وإنما سمي الثعالبي لأنه كان فراءً يخط جلود الثعالب، وله أشعار كثيرة مليحة، ولد سنة خمسين وثلاثمائة، ومات في هذه السنة.
الأستاذ أبو منصور:

■ **عبد القاهر بن طاهر بن محمد، البغدادي الفقيه الشافعي**، أحد الأئمة في الأصول والفروع، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم، منها علم الحساب والفرائض، وكان ذا مال وثروة، أنفق كله على أهل العلم، وصنف، ودرس في سبعة عشر علماً، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الإسفرائيني، وأخذ عنه ناصر المروزي، وغيره.

ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمئة

فيها التقى الملك مسعود بن محمود سبكتكين، والملك طغرلبيك السلجوقي ومعه أخوه داود في شعبان، فهزمهما مسعود، وقتل من أصحابهما خلقاً كثيراً. وفي هذه السنة خطب شبيب بن وثاب للقائم العباسي بجران والركة، وقطع خطبة المستنصر العبيدي.

وفيها خطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز، وهو مقيم بواسط، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه، لما طغروا، وتمردوا، وبغروا، وتسمروا بملك الأملاك، فسلهم الله ما كان أنهم به عليهم، وجعل الملك في غيهم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ٦١] الآية.

وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن مأكولا خلعة تشريف.

وفيها وقع تلج عظيم ببغداد مقدار شبر على الإسطحة حتى جرمه الناس.

قال ابن الجوزي: وفي جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق بلاد خراسان، والجليل، وتقسوا الأطراف، وهو أول ملك السلجوقية، ولم يجح أحد فيها من العراق، وخراسان، ولا من أهل الشام، ولا مصر إلا القليل.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ

■ **أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني**، الحافظ الكبير، ذو التصنيفات المفيدة، الكثيرة الشهرة، منها «حلية الأولياء»، في مجلدات كثيرة، دلت على اتساع روايته، وكثرة مشائخه، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وتشعب طرقه، وله «معجم الصحابة» وهو عندي بخطه وله «صفة الجنة»، و «دلائل النبوة»، وكتاب في الطب النبوي، وغير ذلك من المصنفات المفيدة.

وقد قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي كان أبو نعيم يخط السموع له بالجزاز، ولا يوضح أحدهما من الآخر.

وقال عبد العزيز النخشي: لم يسمع أبو نعيم «مسند الحارث بن أبي أسامة» من أبي بكر بن خلاد بتمامه، فحدث به كله.

وقال ابن الجوزي: سمع الكثير، وصنف الكثير، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلاً كثيراً، وكانت وفاته في الثامن عشر من الحرم من هذه السنة، عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله، لأنه ولد فيما ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. قال: وله «تواريخ أصبهان» وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم، وأن ولدهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. وذكر أن معنى أصبهان، وأصله بالفارسية شياهان، أي جمع العساكر، وأن الإسكندر بناها قاله السمعاني.

■ **الحسن بن حفص: أبو الفتح العلوي، أمير مكة**

الحسن بن الحسين، أبو علي الرخجي، وزر لشرف الدولة أبي علي بن بهاء الدولة ستين، ثم عزل، وكان عظيم الجاه في زمانه، وهو الذي بني المارستان بواسط، ورتب فيه الأشربة، والأطباء، والأدوية وغير ذلك مما يحتاج إليه، ووقف عليه كفايته. كانت وفاته في هذه السنة، وقد قارب الثمانين رحمه الله تعالى.

■ **الحسين بن محمد بن الحسن بن علي أبو عبد الله المؤدب، وهو أبو محمد الحلال، سمع «صحيح البخاري»، من إسماعيل بن محمد**

الكشمي، وسمع غيره، كانت وفاته في جمادى الأولى، ودفن بباب حرب. ■ **عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن بشران مهران، أبو القاسم الواعظ، سمع التجاد، ودعبلج بن أحمد، والأجري، وغيرهم، وكان ثقة صدوقاً، وكان يشهد عند الحكام، ترك ذلك رغبة عنه، ومات في ربيع الآخر من هذه السنة، وقد جاوز التسعين، وصلي عليه في جامع الرصافة، وكان الجمع كثيراً حافلاً، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي، وكان قد أوصى بذلك.**

■ **محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء، أبو خازم القاضي أبو يعلي الخنيلي، سمع الدارقطني وابن شاهين.**

قال الخطيب: كان لا بأس به، ورأيت له أصولاً سماعه فيها، ثم بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر، واشترى من الوراقين صحفاً، فروى منها، وكان يذهب إلى الاعتزال. وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة بتتيس من بلاد مصر.

■ **محمد بن عبيد الله: أبو بكر الدينوري الزاهد، كان خشن العيش، وكان ابن القزويني يثني عليه، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكس الملح، وكان في السنة مبلغه ألفي دينار، فتركه من أجله، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لحنازته، وصلي عليه مرات، ودفن بباب حرب، رحمه الله تعالى.**

■ **الفضل بن منصور أبو الرضئ، ويعرف بابن الظريف، وكان شاعراً ظريفاً ومن شعره الفائق ونظمه الرائق قوله:**

يا قالة الشعر قد نصحت لكم ولست أدعى إلا من النصيح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي ذاك أمور طويلة الشرح
وتطلبون السؤال من رجل قد طبع نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظفر ف وجوهاً في غايبة القبح
من أجل ذا تحرمون رزقكم لأنكم تكذبون في المدح

بني حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه، وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال: كان صدوقا صالحا دينيا توفي يوم عيد القطر منها. رحمه الله تعالى.

■ محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي، وأصله من قم الصلح، سمع الحديث، وقرأ القراءات، ورواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث، فآله أعلم. توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها عظم شأن السلجوقية، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك محمد وأخيه جفريك داود، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، وقد كان جدعم دقاق هذا من مشايخ الترك القدماء، الذين لهم الرأي والمكيدة والمكانة عند ملكهم الأعظم، ونشأ ولده سلجوق نجيبا شهما، فقدمه الملك ولقبه سباش، فأطاعته الجيوش، وانتقلت له الناس، بحيث تخوف منه الملك، وأراد قتله، فهرب منه إلى بلاد المسلمين، فأسلم، فزاد عزاء وعلوا، ثم توفي عن مائة وسبع سنين، وخلف أرسلان وميكائيل، وموسى فاما ميكائيل، فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك حتى قتل شهيدا، وخلف ولديه طغرل بك محمد، وجفريك داود، فعظم شأنهما، في بني عهدهما، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين، وهم ترك الإيمان، الذين يقال لهم اليوم تركمان، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدعم هذا، ففتحوا بلاد خراسان بكملها بعد موت محمود بن سبكتكين، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف، فلما وتوفي قام ولده مسعود من بعده، قاتلهم وقاتلوه مرارا، فكانوا يهزمون في أكثر المواقف، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها، ثم قصدهم مسعود في جنود يضيق بهم القضاء فكسروهم فيها، وكبسه مرة داود، فانهزم منه مسعود، فاستحوذ على حواصله وخيامه، وجلس على سرير، وفرق الغنائم على جيشه، ومكث جيشه على خيولهم لا يتزلون عنها ثلاثة أيام، خوفا من دمه العدو، وبمثل هذا الاحتراس تم لهم ما راموه، وكمل لهم جميع ما أملوه، ثم كان من سعادتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند ليشتي بها، وترك مع ولده مودود جيشا كثيفا بسبب قتال السلاجقة، فلما عبر الجسر الذي على سيحون، نهبت جنوده حواصله، واجتمعوا على أخيه محمد وخلصوا مسعودا، فرجع إليهم مسعود، فقاتلهم، فهزموه وأسروه، فقال له أخوه: والله لأقاتلنك على شر صنعك لي، ولكن اختر لنفسك أي بلد تكون فيه أنت وعيالك، فاختار قلعة كبرى، وكان بها، ثم إن الملك محمدا أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده، ويأبى الجيش له، وكان ولده اسمه أحمد، هوج وكان فيه هوج وقلعة عقل، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفوا لهم الأمر ويتم لهم الملك، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه عتبا شديدا، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك، حتى كان ما كان. فكتب إليه مودود بن مسعود: رزق الله وملكك الممتوه عقلا يعيش به، فقد ارتكب أسرا عظيما، وأقدم على إراقة دم مثل والدي، الذي لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين، وستعلمون أي حيف تورطتم، وأي شر تابطتم ﴿وَسَيَعْلَمُ أَلْبَنِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ثم سار إليهم في جنود، فقاتلهم، ففهرهم، وأسرههم، فقتل عمه محمدا وابنه أحمد وبني عمه كلهم إلا

صونوا القوافي فما أرى أحدا يعثر فيه الرجاء بالنجح
فإن شككم فيما أقول لكم فكذبوني بواحد سمح

■ هبة الله بن علي بن جعفر، أبو القاسم بن مأكولا، وزير لجلال الدولة مرارا، وكان حافظا للقرآن، عارفا بالشعر والأخبار، حتى بهيت، في جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ أبو زيد الدبوسي: عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي، أول من وضع علم الخلاف، وأبرزه إلى الوجود.

قاله ابن خلكان، قال: وكان يضرب به المثل، والدبوسي نسبة إلى قرية من أعمال بخارى، قال: وله كتاب «الأسرار»، و«التقويم الأدلة»، وغير ذلك من التصانيف والتعليق، قال: وروى أنه ناظر فيها الفقهاء، فبقي كلما ألزمه أبو زيد إلزاما تيسم أو ضحك، فأنشد أبو زيد في ذلك:

مالي إذا ألزمتني حجة قلابني بالضحك والفقهفة
إن كان ضحك المرء من قهقهه فالدب بالصحاء ما أفتقهه

■ الحوفي صاحب «إعراب القرآن» أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، له كتاب في النحو كبير، و«إعراب القرآن» في عشر مجلدات، وله «تفسير القرآن» أيضا، وكان إماما في العربية، والنحو، والأدب، وله تصانيف كثيرة انتفع بها الناس.

قال ابن خلكان: والحوفي نسبة لناحية بمصر، يقال لها الشرقية، وقصبتها مدينة بليس؛ فجميع ريفها يسمون حوف، وأصلهم حوفي، وهو من قرية يقال لها شبر اللجة، من أعمال الشرقية المذكورة، رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة، بحيث حملت الجسر ومن عليه، فآلقتهم بأسفل البلد، وسلموا.

وفيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق كثير، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض، واتسع الخرق على الراقع، ونهبت الأتراك دور الناس ولم يبق للملك عندهم حرمة ببغداد جدا ولا كلمة، وغلت الأسعار.

وفيها بعث الملك أبو كاليجار وزيره العادل بن مافنة إلى البصرة فملكها له.

وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد علي ومشهد الحسين، ومشى حافيا في بعض تلك الزيارات.

ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الحويزي، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والفتاح الأماء، قدم بغداد حاجا، في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع «صحيح البخاري» في ثلاث مجالس يرواياته له عن أبي الهيثم الكشميهني، وعن الفريري، عن البخاري، توفي في هذه السنة وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.

■ بشري الفاتني: وهو بشري بن مسيس، من سبي الروم، أهله أمراء

البغدادى: هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم، وكان يجيد القول ومن شعره:

يا ويسع قلبي من قلبه أبدا يحسن إلى معذبه
قالوا: كمت هواه عن جلد لسوان لي جلدًا لبحث به
بأي حبيب غير مكثرت عني ويكثر من تعبه
حسي رضاه من الحياة يا قلقي وموتي من تغضبه

■ مسعود الملك بن الملك محمود ابن الملك سيكتكين، صاحب غزنة، وابن صاحبها، قتل ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود، فقتل عمه وابن عمه وأهل بيته من أجل أبيه، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه، كما تقدم.

■ (بنت المقي الله)

بنت أمير المؤمنين المقي لله، تأخرت مدتها حتى توفيت في هذه السنة في رجب منها، عن إحدى وتسعين سنة، بالحريم الطاهري، ودفنت بالرصافة رحمها الله وليأتينا بمنه وكرمه لا إله إلا هو.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها أمر الملك جلال الدولة أبو طاهر بجباية أموال الجوالي، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها، فأنزعج لذلك الخليفة القائم بأمر الله، وعزم على الخروج من بغداد وأرسل الفقهاء والقضاة والأعيان في التأهب للخروج صحبة وارتمت بغداد بسبب ذلك.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز، فهلكت قلعتها، وسورها، وأسواقها ودورها حتى من دار الإمارة عامة قصورها، ومات تحت الهدم خمسون ألفا، وليس أهلها السوح لشدة مصابهم.

وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية، من ذلك مدينة خوارزم، ودهستان، وطبس، والري، وبلاد الجبل، وكرمان، وأعمالها، وقزوين، وخطب له في تلك النواحي كلها، وعظم شأنه جدا، واتسع صيته.

وفيها ملك سمالك بن صالح بن مرداس حلب، أخذها من الفاطميين، فبعث إليه المصريون من حاربه.

ولم يخرج أحد من أهل العراق وغيرها، في هذه السنة ولا في فيما قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبو ذر الهروي: عبد بن أحمد بن محمد الحافظ الفقيه المالكي، سمع الكثير، ورحل إلى الأقاليم، وخرج إلى مكة، ثم تزوج في العرب وأقام بالسروات، وكان يهج كل سنة، ويقم بمكة أيام الموسم، ويسمع الناس، عليه وأخذ عنه المغاربة مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، عن القاضي الباقلاني وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن الباقلاني، وقد كان ثقة حافظا ضابطا، توفي في ذي القعدة من هذه السنة.

■ محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر، أبو الفتح الشيباني العطار، ويعرف بقطيط، سافر الكثير إلى البلاد الشاسعة، وسمع الكثير، وكان شيخا ظريفا، يسلك طريق التصوف، وكان يقول: لما ولدت سميت قطيطا، على أسماء البادية، ثم سمني بعض أهلي محمدا.

عبد الرحيم، وخلقا من رؤوس أمرائهم، وابتنى قرية هنالك، وسماها فتحا بدا، ثم سار إلى غزنة، فدخلها في شعبان، فأظهر العدل، وسلك سيرة جده محمود، فأطاعه الناس، وكبب إليه أصحاب الأطراف، بالانقياد، والاتباع، والطاعة، غير أنه أهلك قومه بيده، وهذا من جملة سمادة السلاجقة.

وفيها خلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية، فسار إليهم، فحاصرهم قريبا من ستين، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر الأمطار عنهم.

ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ، وأهل باب البصرة، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين، ولم ينجح في هذه السنة أحد من أهل العراق وخراسان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن الحسين بن الفضل بن العباس، أبو يعلى البصري الصوفي، أذهب عمره في السفر والغرب، وقدم ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحليد الدمشقي، وأبي الحسين بن جميع النيسابري، وكان ثقة صدوقا أدبيا حسن الشعر.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

فيها ملك طغرل بك جرجان وطبرستان، ثم عاد إلى نيسابور مؤيدا منصورا.

وفيها ولي ظهر الدولة أبو منصور بن بن علاء الدولة أبي جعفر ابن كاكويه بعد وفاة أبيه، فوقع الخلاف بينه وبين أخويه أبي كاليجار وكرشاسف.

وفيها دخل أبو كاليجار همدان ودفع الغز عنها. وفيها شغبت الأتراك ببغداد لسبب تأخر المعطاء عنهم. وفيها سقطت قطرة بني زريق على نهر عيسى، وكذا القطرة العتيقة التي تقاربها.

وفيها دخل ببغداد رجل من البلخ، يريد الحج، وذكر أنه من كبارهم، فأنزل بدار الخلافة، وأجرى عليه الأرزاق، وذكر أنهم مولعون من الترك والصقالبة، وأنهم في أقصى بلاد الترك، وأن النهار يقصر عندهم، حتى يكون ست ساعات، وكذلك الليل، وعندهم عيون، وزروع، وثمار، على غير المطر والسقي. وفي هذه السنة قرئ الاعتقاد القادري، الذي جمعه الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين، ومن خالفه كفر وفسق، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني، ثم كتب بعده العلماء، وقد سرده الشيخ أبو الفرج بن الجوزي بتمامه في «مئتمنه» [النظم ٢٧٩/١٥، ٢٨٠]، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ بهرام بن منالية، أبو منصور الوزير لأبي كاليجار، كان عفيفا نزها صينا، عادلا في سيرته، وقد وقف خزنة كتب بمدينة فيروز آباد، تشتمل على سبعة آلاف مجلد من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبد الله أبي مقله.

■ محمد بن جعفر أبو الحسين، المعروف بالجهري قال الخطيب

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

ففيها ردت الجوالي إلى نواب الخليفة. وفيها ورد كتاب من جلال الملك طغرل بك، إلى جلال الدولة يأمره بالإحسان إلى الرعايا والوصاة بهم.

ذكر ملك أبي كاليبجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة

بن بهاء الدولة

وفيها توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليبجار بن بهاء الدولة، وخطب له بها عن عمالة أمرائها، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة، فنتقل في البلاد، تشرد من مملكته إلى غيرها، حتى توفي سنة إحدى وأربعين، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قرش.

وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكريا كثيفا إلى خراسان، فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، في عسكر آخر فاقتلا قتالا عظيما.

وفيها في صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خركاء، وضحووا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم، وتفرقوا في البلاد، ولم يسلم من الخطأ والتسر أحد، وهم بنواحي الصين.

وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية، كل غريب له فيها دون العشرين سنة.

وفيها خطب المعز أبو تميم بن باديس صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسي، وقطع خطبة الفاطميين، وأحرق أعلامهم، وأرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله الخلع، واللواء والمنشور، وفيه تعظيم له، وثناء عليه.

وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله أقصى القضاة، أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، قبل وفاة جلال الدولة، إلى الملك المظفر طغرل بك، ليصلح بينه وبين جلال الدولة، وأبي كاليبجار، فسار إليه، فالتقاه بمرجان، فتلقه الملك على أربعة فراسخ، إكراما للخليفة، وأقام عنده إلى السنة الثالثة. فلما قدم على الخليفة، أخبره بطاعته، وإكرامه واحترامه من أجل الخليفة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن عثمان بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، أبو سعد، أحد الرحالين في طلب الحديث، إلى البلاد الثمانية، ثم أقام ببغداد مدة، وحديث بها، وروى عنه الخطيب، وقال: كان صدوقا متنبها. ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة، فأقام بها، حتى مات في شوال من هذه السنة.

■ عبد الله بن أبي الفتح، أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر، أبو القاسم الأزهر، الحافظ المحدث المشهور، ويعرف بابن السوادي، سمع من أبي بكر بن مالك، وخلق يطول ذكرهم، وكان ثقة صدوقا، دينيا، صحيح الاعتقاد حسن السيرة، كانت وفاته ليلة الثلاثاء، التاسع عشر من صفر من هذه السنة، عن ثمانين سنة وعشرة أيام.

■ جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة

الملك جلال الدولة: أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه النبطي، صاحب بغداد وغيرها من البلاد، كانت فيه عجة عظيمة للعباد، ويوزرهم، ويلتصم دعائهم، وقد نكب مرات عديدة، وخالفه الأتراك غير مرة وأخرج من داره، وتارة أخرى من بغداد بالكلية، ثم يعود إليهم ويروضون عنه، حتى اعتراه وجع كبده في هذه السنة، فمات من ذلك، في ليلة الجمعة خالص شعبان من هذه السنة، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأشهر، وولي بغداد من ذلك، ستة عشرة ست وأحد عشر شهرا، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

فيها دخل الملك أبو كاليبجار بغداد، وأمر بضرب الطبل، في أوقات الصلوات الخمس، ولم تكن الملوك تفعل ذلك، إنما كان يضرب لبعض الدولة ثلاثة أوقات، وما كان يضرب في الأوقات الخمس إلا للخليفة، وكان دخوله إليها في رمضان، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار، وخلع على مقدمي الجيوش، وهم البساسيري، والشاويري، والحمام أبو اللقاء، ولقبه الخليفة بحمي الدولة، وخطب له في بلاد كثيرة، بأمر ملوكها، وخطب له بهمدان، ولم يبق لنواب طغرل بك فيها أمر.

وفيها استوزر طغرل بك أبا القاسم علي بن عبد الله الجوني، وهو أول وزير وزر له.

وفيها وزر أبو نصر أحمد بن يوسف لصاحب مصر، وكان يهوديا، فأسلم بعد موت الجرجاني.

وفيها ولي نقابة العلويين الشريف أبو أحمد بن علنان بن الشريف الرضي، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى أبي القاسم علي. وستأتي ترجمته.

وفيها ولي القضاء أبو الطيب الطبري، قضاء الكرخ، مضافا إلى ما كان يتولاه، من القضاء، بباب الطاق، وذلك بعد موت القاضي أبي عبد الله الصميري.

وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة، في كتابة ديوان الخلافة، وكان عنده بمنزلة عالية.

ولم ينجح في هذه السنة أحد من أهل العراق لفساد الطريق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصميري، نسبة إلى نهر البصرة يقال له: الصمير، عليه عدة قري، أحد أئمة الحنفية، ولي قضاء المدائن، ثم قضاء ريع الكرخ، وحدث عن أبي بكر المقيد، وابن شاهين، وغيرهما، كان صدوقا وافر العقل، جميل المعاشرة، حسن العبارة، عارفا بحقوق العلماء، توفي في شوال، عن خمس وثمانين سنة.

■ عبد الوهاب بن منصور بن أحمد، أبو الحسين المعروف بابن المشتري الأهوازي، كان قاضيا بالأهواز ونواحيها، شافعي المذهب، كان له منزلة كبيرة عند السلطان، وكان صدوقا كثير المال، حسن السيرة ورحمة الله تعالى.

■ الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الشريف الموسوي، الملقب بالمرتضى، ذي الجدين، كان أكبر من أخيه

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

فيها بعث السلطان طغرل بك السلجوقي، أخاه إبراهيم، إلى بلاد الجبل، فملكها، وأخرج عنه صاحبها كرشاف بن علاء الدولة، فالتحق بالأكرد ثم سار إبراهيم يتال إلى الدينور فملكها أيضاً، وأخرج منها صاحبها وهو أبو الشوك، فسار إلى حلوان، فتبعه إبراهيم، فملكها عليه قهراً، وأحرق داره وغنم أمواله، فعند ذلك نهج الملك أبو كاليجار صاحب بغداد لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخليل، فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فارس، بحيث جافت بغداد من جيف الخليل.

وفيها وقع ببغداد بين الروافض والسنة، ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود، وأحرقوا الكنيسة العتيقة التي لهم، واتفق في هذه السنة موت رجل من أكابر النصاري بواسط، فجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك، وأخرجوا جنازته جهره، ومعهما طائفة من الأتراك يحرسونها، فحملت عليهم العامة، وأخذوا الميت منهم، واستخرجوه من أكفانه، فأحرقوه، ورموا رماده في دجلة، ومضوا إلى الديار فنهبوه وعجز الأتراك عن دفعهم.

لم يحج فيها أحد من أهل العراق في هذا العام.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ فارس بن محمد بن عمار صاحب الدينور وحلوان وغيرهم، كانت وفاته في هذا الأوان.

■ خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظ، وتعرف ببنت البقال، وتكنى أم سلمة.

قال الخطيب: كتبت عنها، وكانت فقيرة، صالحة، فاضلة.

■ أحمد بن يوسف المنازي: الشاعر الكاتب، وزير أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميفارقين وديار بكر، كان فاضلاً، بارعاً، لطيفاً، تردد في الترسل إلى القسطنطينية غير مرة، وحصل كتباً كثيرة أوقفها على جامعي آمد، وميفارقين، ودخل يوماً على أبي العلاء المعري، فقال له: إنني معتزل الناس، وهم يؤذوني، فقال: ولم وقد تركت لهم الدنيا والآخرة؟! وله ديوان قليل النظر، عزيز الوجود، حرص عليه القاضي الفاضل، فلم يقدر عليه، كانت وفاته في هذه السنة فيها ومن شعره في وادي يزعا:

وقانا لقحمة الرمضاء واد وقاه مضاعف الغيث الميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الوالدات على القطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا لذ من المدامة للنديم
يراعى الشمس أني قابلته فيحبها وياذن للتسيم
تروع حصاه حالية العنلاري قتل من جانب العقد العظيم
قال ابن خلكان: وهذه الأبيات بديعة في بابها.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

استهلت هذه السنة والموتان كثير في الدواب كثيراً جداً، حتى جافت بغداد.

الرضي ذي الحسين، نقيب الطالبين وكان جيد الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال، بناظر على ذلك، وكان ينظر عنده في كل المذهب، وله تصانيف في التشيع، أصولاً وفروعاً، وقد نقل ابن الجوزي في ترجمته أشياء من تفرده في التشيع، فمن ذلك، أنه لا يصح السجود إلا على الأرض، أو ما كان من جنسها، وأن الاستجمار إنما يجرى من الغائط لا من البول، وأن الكتائب حرام، وكذا ذبائح أهل الكتاب، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها، ويجب عليه أن يصبح صائماً، كفارة لما وقع منه، ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ، ومن شق ثوبه في مصيبة، وجب عليه كفارة البين، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم، وأن قطع السارق من أصول الأصابع.

قال ابن الجوزي: نقلته من خط أبي الوفاء بن عقيل. قال: وهذه مذاهب عجبية، تحرق الإجماع، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم. ثم سرد من كلامه شيئاً قبيحاً في تكفير عمر بن الخطاب، وعثمان، وعائشة، وحفصة رضي الله عنهم، وقبحه وأمثاله، إن لم يكن قد تاب، فقد روى ابن الجوزي قال: أنبأنا ابن ناصر، عن أبي الحسن بن الطيوري، قال: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه، وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار، وهو يقول: أبو بكر وعمر وليا فعدا واسترحا فرحما فانا أقول: ارتدنا، بعدما أسلمنا؟ قال: فممت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه. توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة. وقد ذكره ابن خلكان، وأورد شيئاً من أشعاره الرائقة. قال: ويقال: إنه هو الذي وضع كتاب «نهج البلاغة» تجاوز الله عنه ورحمه.

■ محمد بن أحمد بن شعيب بن عبد الله بن الفضل، أبو منصور الروياني، صاحب الشيخ أبي حامد الإسفراييني.

قال الخطيب: سكن بغداد، وحدث بها، وكتبنا عنه، وكان صدوقاً، يسكن قطعة الربيع. توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بباب حرب.

■ أبو الحسين البصري المعتزلي، محمد بن علي بن الطيب، أبو الحسين البصري المتكلم، شيخ المعتزلة، والمتصّر لهم، والحامي عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة كانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري، ودفن في الشونيزية ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه: حدثنا محمد بن علي بن الطيب قري على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي، بالبصرة وأنا اسمع، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجي، وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، والغلابي، والمازني، والزريقي قالوا: حدثنا القعني، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن أبي مسعود البصري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والغلابي اسمه محمد، والمازني اسمه محمد بن حيان، والزريقي أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصري.

نفسا.

وفيها وقع غلاء شديد أيضا، ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد، قتل فيها خلق كثير.
ولم يخرج فيها أحد من ركب العراق في هذا العام فلا قوة، إلا بالله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد: أبو الفضل القاضي الهاشمي، الرشدي، من ولد الرشيد، ولي القضاء بسجستان، وسمع الحديث من الغطريفي. قال الخطيب: أنشدني لنفسه:

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف عدل وذو الإنصاف ليس يجوز
فأجبتهم إنني سلالة معشر لهم لواء في السدى منشور
تأله إنني شائد ما قدموا بني جدي الرشيد وقبله المنصور
■ عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالطرز، ومن شعره:

يا عبدكم لك من ذنب ومعصية إن كنت ناسيها فآلله أحصاها
لا بد يا عبد من يسوم تقوم له ووقفه لك يدعي القلب ذكرها
إذا عرضت على قلبي تذكرها وساء ظني أقول استغفر الله
■ محمد بن الحسن بن علي بن عبد الرحيم أبو سعد الوزير، وزير للملك أبي طاهر ست مرات، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة.

■ محمد بن أحمد بن موسى: أبو عبد الله الواعظ الشيرازي.
قال الخطيب: قدم بغداد، وأظهر الزهد، والتقشف، والورع، وعزوف النفس عن الدنيا، فافتن الناس به، وكان يحضر مجلسه خلق كثير، ثم إنه بعد حين كان يعرض عليه فيأبى قبوله، فكثرت أمواله، ولبس الثياب الناعمة، وجرت له أمور، وكثرت أتباعه، وأظهر أنه يريد الغزو، فاتبعه خلق كثير، فمسك بظاهر البلد، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات، وسار إلى ناحية أفريجان، فالتف عليه خلق كثير، وضأى أمير تلك الناحية، وكانت وفاته هنالك في هذه السنة.

قال الخطيب: وقد حدث ببغداد، وكتب عنه أحاديث يسيرة، وحدثني بعض أصحابنا عنه، بشيء يدل على ضعفه في الحديث، وأنشد هو لبعضهم:

إذا ما أطعت النفس في كل لغة نسبت إلى غير الحجاج والتكرم
إذا ما أجبت النفس في كل دعوة دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

■ محمد بن الحسين، بن عمر بن يرهان، أبو الحسن الغزالي، سمع محمد بن المظفر وغيره، وكان صدوقا رحمه الله تعالى.

■ محمد بن علي بن إبراهيم، أبو الخطاب الحنبلي الشاعر، ومن شعره قوله:

ما حكم الحب فهو محمل وما جنه الحبيب محتمل
يهوى ويشكو الضنى وكل هوى لا ينحل الجسم فهو متحل
وقد سافر إلى الشام، فاجتاز بمصرة النعمان، فامتدحه أبو العلاء المعري بأبيات، فأجابته مرتجا لها. وقد كان حسن العينين حين سافر، فما رجع إلى

قال ابن الجوزي: وربما أحضر بعض الناس الأطباء لأجل دوابهم، فيسقونها ماء الشعير، ويطلبونها.

وفيها حاصر السلطان بن طغرل بك أصبهان، فصالحه أهلها على مال يمولونه إليه، وأن يخطب له بها، فأجابوه إلى ذلك.

وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور. وفيها تآمر على بني خفاجة رجل يقال له: رجب بن أبي منيع بن ثمال بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال وهؤلاء الأعراب هم أكثر من يصد الحجيج عن البيت الحرام فلا جزاهم الله خيرا وقبحهم يوم تقوم الأشهاد «يوم لا يتنع الظالمين معزرتهم ولهم اللعنة وسوء الدار».

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ أبو محمد

■ عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن حيويه الشيخ أبو محمد الجويني، إمام الشافعية في زمانه، وهو والد إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك بن أبي محمد، وأصله من قبيلة يقال لها: سنسب، وجوين من نواحي نيسابور، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة، وقرأ الأدب على أبيه، وتفق بأبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ثم خرج إلى مرو، إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد الففال، ثم عاد إلى نيسابور، وعقد مجلس المناظرة، وكان مهيبا، لا يجري بين يديه إلا الجدل، وصف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم، وكان ورعا زاهدا شديدا احتياط لدينه، حتى ربما أخرج الزكاة مرتين. وقد ذكرته في «طبقات الشافعية»، وذكر ما قاله الأئمة في مدحه، توفي في ذي القعدة منها.

قال ابن خلكان: «صنف التفسير الكبير، المشتغل على أنواع العلوم، وله في الفقه «البصرة» و «التذكرة»، وصف «مختصر المختصر»، و «الفرق والجمع»، و «السلسلة» وغير ذلك، وكان إماما في الفقه والأصول والأدب والعربية. توفي في هذه السنة وقبل سنة أربع وثلاثين. قاله السمعي في كتابه «الأنساب» وهو في سن الكهولة رحمه الله وأيانا بفضل ورحمته.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها اصطالح الملك طغرل بك، وأبو كاليجار صاحب بغداد، وتزوج طغرل بك بآبنة كاليجار، وتزوج أبو منصور بن أبي كاليجار بآبنة الملك داود أخي طغرل بك.

وفيها أسرت الأكراد خان أخا أبي الشوك، وأحضره، بين يدي إبراهيم نبال، فأمر بقلع إحدى عينيه.

وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة، ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه. وفيها ظهر رجل يقال له: الأصغر التغلي، وأدعى أنه من المذكورين في الكتب، فاستغوى خلقا من الناس، وقصد بلاد الروم، فغنم منها أموالا فتقوى بها وعظم أمره. ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر فاعتقله، وسد عليه باب السجن.

وفيها كان وء شديد بالعراق والجزيرة، بسبب جيف الدواب التي ماتت، فمات فيها خلق كثير حتى خلت الأسواق، وغلت الأسعار التي يحتاج إليها المرضى، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلي الجمعة من أهلها، إلا نحو أربعمائة، وأن أهل النعمة لا يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين

وخسين وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بباب حرب رحمه الله.

■ علي بن الحسن بن محمد بن المتاب أبو محمد القاسم، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق، قال الخطيب: سمع القطيعي، وغيره، وكان شيعيا صالحا، صدوقا دينيا، حسن المذهب.

■ محمد بن جعفر بن أبي القزح بن لسانجس الوزير أبو القزح، الملقب بلذي السعادات، وزر لأبي كالجبار بفارس وبغداد وكان ذا مروءة غزيرة، مليح الشعر والترسل، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار، فإن رأى الوزير أن يقتصر من الحين إلى حين بلوغ الطفل. فكتب الوزير على ظهر الورقة: المتوفى رحمه الله، والطفل جبره الله، والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام. اعتقل، ثم قتل في رمضان في هذه السنة، عن إحدى وخسين سنة.

■ محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان بن عبد الله بن غيلان ابن حكيم بن غيلان، أبو طالب الزائر، روى عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي، وكان صدوقا، دينيا، صالحا، قوي النفس على كبر السن، كان يملك ألف دينار، وكان يصعبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردّها إلى موضعها وقد خرج له البارظني الأجزاء الغيلانيات، وهي سماعتنا. وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال من هذه السنة، عن أربع وتسعين سنة، ويقال إنه بلغ مائة وخمس سنين، فإله أعلم.

الملك أبو كالجبار واسمه

■ المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة، وكانت وفاته في هذه السنة عن أربعين سنة وأشهر، وقد ولي العراق نحو من أربع سنين، ونهبت له قلعة كان فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

في عاشر المحرم، تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح، فجرى بينهم، وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد من الجراح، والقتل.

وفيها بنى أهل الكرخ سورا على الكرخ، وبنى أهل السنة سورا على سوق القلائن، ثم نقض كل من الفريقين أبنية الآخرين، وحملوا الأجر إلى مواضعهم، بالطبول، والمزامير، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك، وسخف لا تتحصر ولا تضبط. ثم وقعت بينهم فتن يطول أمرها، وأحرقوا دورا كثيرة جدا فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرل بك، وأخيه إبراهيم يناد فأمر طغرل بك بضربه وسمل إحدى عينيه وقطع شفتيه فسار إبراهيم، فجمع جموعا كثيرة، واقتتل هو وأخوه طغرل بك، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها، بعد محاصرة أربعة أيام، فاستنزله منها مقهورا. فأحسن إليه، وأكرمه، وأقام عنده مكروما.

وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم، عن كان أسره إبراهيم نبال، وبذل له مالا كثيرا، فبعثه إليه مجانا من غير عرض اشترطه عليه، فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ونحفا غزيرة، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية، وأقيمت فيه الصلاة، والجمعة، وخطب فيه للملك طغرل بك، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك، فعظموا الملك طغرل بك

بغداد إلا وهو أعمى. توفي في ذي القعدة منها، ويقال إنه كان شديد الرفض، فإله أعلم.

الشيخ أبو علي

■ السنجي: الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه، أخذ عن أبي بكر القفال، وشرح «الفروع» لأبن الحداد، وقد شرحها قبله شيخه، ويعده القاضي أبو الطيب الطبري، وشرح أبو علي السنجي كتاب التلخيص لأبن القاص شرحا كبيرا، وله كتاب «المجموع»، أخذ منه الغزالي في «الوسيط».

قال ابن خلكان: وهو أول من جمع بين طريقي العراقيين وخراسان. كانت وفاته سنة بضع وثلاثين وأربعمائة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها مرض الملك أبو كالجبار، صاحب بغداد، وهو في بركة، ففقد في يوم ثلاث مرات، وحمل في حفة، فمات ليلة الخميس، ونهبت الغلمان الخزائن، وأحرق الجوّاري الخيام، سوي الحيمة التي هو فيها، واختركا التي كان بها، وولي بعده ابنه أبو نصر، وسموه الملك الرحيم، ودخل دار الخلافة في يوم مشهود وخلع عليه الخليفة سبع خلع، وسوره، وطوقه، وجعل على رأسه التاج، والعمامة السوداء الرصافية، ووصاه الخليفة، ورجع إلى داره، وجاء الناس لهيئته.

وفيها دار السور على شيراز، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع، وعرضه ستة أذرع، وفيه أحد عشر بابا.

وفيها غزا إبراهيم بن يثاق بلاد الروم، فغنم مائة ألف رأس، وأربعة آلاف درع، وقيل: تسع عشرة ألف درع. ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوما، وحمل ما حصل له من المغنم على عشرة آلاف عجلة.

وفيها خطب للخليفة الدين أبي العباس أحمد ابن الخليفة القائم بأمر الله على المنابر بولاية العهد بعد أبيه وحَيَّ بذلك.

وفيها اقتتل الروافض والسنة، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها، ولم يخرج أحد من أهل العراق في هذا العام أيضا.

ومن توفي فيها من الأعيان

السيد الكبير

■ الحسن بن عيسى بن المقنن بالله: أبو محمد العباسي، ولد في المحرم، سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور الشكري، وأبي الأزهري عبد الوهاب بن عبد الرحمن الكاتب، وكان فاضلا دينيا، حافظا لأخبار الخلفاء، عالما بأيام الناس، صالحا، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها وأثر بها القادر بالله. كانت وفاته في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة. وأوصى أن يدفن بباب حرب بغير تابوت، فدفن قريبا من قبر الإمام أحمد بن حنبل وكان يوم جنازته مشهودا، بشئ الأمراء والوزراء والباسيري إلى المقبرة وجلس رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة للعرزاء من الغد.

■ عبيد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان: أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين، سمع من أبي بكر بن مالك، وابن ماسي، وأبي بحر البربري وابن المظفر، قال الخطيب: كبت عنه، وكان صدوقا، ولد في سنة إحدى

تعظيمًا زائدا، وخطب له نصر الدولة بن مروان بالجزيرة.

وفيه ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سيككين الملك بعد وفاة أبيه، وكان صغيرا، فمكث أياما، ثم عدل عنه إلى عمه علي بن مسعود ثم نازعه عمه عبد الرشيد بن محمود فاستقر الملك بيده واتعزل علي بن مسعود، وهذا أمر غريب جدا، فلهذا الأمر من قبل ومن بعد.

وفيه ملك المصريون مدينة حلب، وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس.

وفيه كان بين الباسيري، وبين بني عقيل حرب.

وفيه ملك الباسيري الأنبار من يد قرواش، فأصلح أمورها.

وفي شعبان منها، سار الباسيري إلى طريق خراسان، وقصد ناحية الزدار وملكها، وغنم مالا كثيرا كان فيها، وقد كان سعدى ابن أبي الشوك قد حصنها.

قال ابن الجوزي: وفي ذي الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء ليلا، فزادت على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء، كالنار المضرة فأتزعج الناس لذلك، وخافوا، وأخذوا في الدعاء والتضرع، فانكشف في باقي الليل بعد ساعة، وكانت قد هبت ريح شديدة جدا قبل ذلك، فأتلفت شيئا كثيرا من الأشجار، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة.

ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

وفيه توفي من الأعيان

■ **أحمد بن محمد بن أحمد بن منصور:** أبو الحسن المعروف بالحققي، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقا سمع من ابن شامين وغيره، وكان صدوقا. توفي في صفر منها، وقد جاوز السبعين.

■ **علي بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم العلوي،** ويعرف بابن الشيبه، قال الخطيب: سمع من ابن مظفر، وكتب عنه، وكان صدوقا، دينا، حسن الاعتقاد يورق بالأجرة ويأكل منه، ويتصلق. توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين.

■ **عبد الوهاب بن أفضى القضاة أبي الحسن الماوردي،** يكنى أبا القائر، شهد عند ابن ماکولا، في سنة إحدى وثلاثين، فأجاز شهادته، احتراماً لأبيه، كانت وفاته في الحرم من هذه السنة.

الحافظ أبو عبد الله

■ **محمد بن علي بن عبد الله بن محمد الصوري الحافظ،** طلب الحديث بنفسه بعد ما كبر وأسن، فرحل في طلب الحديث إلى الآفاق، وكتب الكثير، وصنف، واستفاد على الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري، وكتب عنه شيخه عبد الغني شيئا في تصانيفه، وكان من أعظم أهل الحديث، همه في الطلب وهو شاب، ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمته، كان يبرد الصوم كل يوم إلا يومي العيدين وأيام التشريق، وكان مع ذلك حسن الخلق، جميل المعاشرة، وقد ذهبت إحدى عينيه، وكان يكتب بالأخرى المجلد في جزء، قال أبو الحسن بن الطبري: يقال إن عامة كتب الخطيب، سوى «التاريخ»، مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري؛ كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عددا عند أخيه، فلما صار الخطيب إلى الشام أعطى أخاه شيئا، وأخذ بعض تلك الكتب فحونها في كتبه.

ومن شعر أبي عبد الله الصوري:

تولى الشباب برعانه
قلبى لفققدان ذا مؤلم
وان كان ما جبار في سيره
ولكن اتى مؤذنا بالرحيل
ولولا نكوب تحملتها
ولكن ظهري ثقيل بما
فمن كان يكي شيبا مضي
فليس بكائي وما قد ترو
ولكن لما كان قد جره
فويلي وعنوني إن لم يجد
ولم يتعمد فتويسي وما
ويجعل مصيري إلى جنة
فإن كنت مالي من قرينة
وإنني مقرر بتوحيده
أخالف في ذاك أهل الجحود
وأرجو به الفوز في منزل
ولن يجمع الله أهل الجحود
فهذا ينجي به إيمانته
وهذا ينعم في جنة
ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى:

وأتى المشيب بأحزانه
كتيب بهنا ووجنانه
ولا جاء في غير إيانته
فويلي من قرب إيانته
لما راعني حال إيانته
جناه شباي بطيانته
ويندب طيب أزمانه
ن مني لوحشة فقدايه
عسى بوثبات شيطانه
عسى مليكي يرزوانه
جيت بواسع غفرانه
يحل بها أهل قربانه
سوى حسن ظني بإحسانه
عليهم بعزة سلطانته
وأهل القسوق وعدوانته
مقر لأعين مكانه
ومن قد أقر بإمانته
وهذا يسوء بخمرانه
وذاك في قمر نيرانته

قل لمن عائد الحديث وأضحى
أبعلم تقول هذا ابن لي
أبواب الذين هم حفظوا الدين
ولم قولهم وما قد روه
كان سبب وفاته رحمه الله، أنه اقتصد فورث به، لأنه على ما ذكر كانت ريشة الحاجم مسمومة لغیره، فغلط فقصده بها، فكانت فيها منيته بإذن الله وقدره، فحمل إلى المارستان، فمات به في يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بمقبرة جامع المدينة، وقد نيف على الستين، أسأل الله تعالى أن يرحمه وإليانا بمنه وكرمه آمين.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة

فيها فتح السلطان طغرل بك أصبهان، بعد حصار سنة، فنقل إليها حواصله من الري وجعلها دار إقامته، وخرب قطعة من سورها، وقال: إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته، وإنما حصني عساكري وسيفي. وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة، أبي جعفر بن كاكويه، فأخرجه منها، وأقطعه بعض بلادها.

وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز، وأطاعه عسكر فارس وملك عسكر مكرم.

وفيها استولت الخوارج على عمان، وأخربوا دار الإمامة منها، وأسروا

وانتشرت الفتنة، وتجاوزوا الحدود، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضا بمقاسد كثيرة، فأحرقوا محال كثيرة ويمشروا قبورا قديمة وأحرقوا من فيها من الصالحين، حتى هموا بقتل الإمام أحمد، فمتمعهم النقيب، وخاف من غائلة ذلك، وتسلبت على الرافضة، عيار يقال له: الطقيطي، وكان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهارا، وغيلة، وعظمت الحنة بسببه جدا، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة، والبأس، والمكر، ولما بلغ ذلك ديبس بن علي بن مزيد وكان رافضيا قطع خطبة الخليفة القائم بأمر الله، ثم روهل فأعادها. وفي رمضان منها، جاءت الهدايا من الملك طغرل بك رسل شكر للخليفة، على إنعامه إليه وإحسانه إليه، بما كان يعث له من الخلع، والتقليد، وأرسل إلى الخليفة، بعشرين ألف دينار، وإلى الحاشية بمخمسة آلاف، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار، وقد كان طغرل بك حين عمر الري، وخرب فيها أماكن، ليصلحها وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجواهر، فعظم شأنه بذلك، وقوي ملكه بسببه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن الشاعر البصري، نسبة إلى قرية دون عكر، يقال لها: بصرى، باسم المدينة التي هي أم حوران، وقد سكن بغداد، وكان متكلمًا مطبوعًا، له نوار، ومن شعره الذي رواه عنه الخطيب قوله:

ترى الدنيا وزهرتها فصبو وما يخلو من الشهوات قلب
فضول الميش أكثرها موم وأكثر ما يضربك ما غيب
فلا يضربك زخرف ما تراه وعيش لين الأعطاف رطب
إذا ما بلفسة جهاتك عفوا فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم فلا ترد الكثير وفيه حرب

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت محاضرة بذكر الخلفاء المصريين، وأنهم أدعياء كذبة، لا نسب لهم صحيحا إلى رسول الله ﷺ وكتب فيها الفقهاء، والقضاة، والأشراف.

وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان، والأهواز، وتلك البلاد تهدم بسببها شيء كثير من العمران، والدور وشرفات القصور، وحكى بعض من يعتد قوله، أنه انفجر إيوانه وهو يشاهد ذلك، حتى رأى السماء منه، ثم عاد إلى حاله لم يتغير.

وفي ذي القعدة منها، تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض، وأحرقوا أماكن كثيرة، وقتل من الفريقين خلقات، وكتبوا على مساجدهم: محمد وعلي خير البشر، وأنذوا جي على خير العمل، واستمرت الحرب بينهم، وتسلبت الطقيطي العيار على الروافض، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار، وهذا من جملة ما جرت به الأقدار.

وفيها توفي من الأعيان

■ الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شيل ابن فروة بن واقد، أبو علي الميممي الواعظ، المعروف بابن المذهب، ولد سنة

أبا المظفر بن أبي كاليجار.

وفيها دخلت العرب بإذن المستنصر الفاطمي بلاد إفريقية، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة، وعاثوا في الأرض فسادا عدة سنين.

وفيها اصطلع الروافض والسنة، ببغداد، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ، على الصحابة كلهم، وترحموا عليهم، وهذا عجيب جدا، إلا أن يكون من باب التقية. وروخصت الأسعار ببغداد جدا، ولم يجمع أحد من أهل العراق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الحرابي، المعروف بالقزويني، ولد في سنهله الحرم، في سنة ستين وثلاثمائة، وهي الليلة التي توفي فيها أبو بكر الأجري، وسمع أبا بكر بن شاذان، وأبا حفص ابن الزيات وابن حيويه، وكان وافر العقل، من كبار عباد الله الصالحين، له كرامات كثيرة، وكان يقرئ القرآن، ويروي الحديث، ولا يخرج إلا إلى الصلاة. كانت وفاته في شعبان من هذه السنة، فغلقت بغداد لموته يومئذ، وحضر الناس جنازته، وكان يوما مشهودا رحمه الله.

■ عمر بن ثابت الثماني، النحوي الضريع، شارح «اللمع»، كان في غاية العلم بالنحو، وكان يتأخر عليه.

وذكر ابن خلكان، أنه اشتغل على ابن جني، وشرح كلامه، وكان ماعرا في صناعة النحو، قال: ونسبت إلى قرية من نواحي جزيرة ابن عمر، عند الجبل الجودي، يقال لها: ثمانين، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة والله أعلم.

■ قرواش بن مقلد: أبو المنيع، صاحب الموصل، والكوفة، وغيرها، كان من الجبارين، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر، في بعض الأحيان، فاستماله إليه، فخطب له ببلا، ثم تركه، واعتز إلى القادر، فعنره، وقد جمع هذا الجبار بين أختين في النكاح، فلامته العرب، فقال: وأي شيء نعمله عما هو مباح في الشريعة، وقد نكب في أيام المعز الفاطمي، ونهبت حواصله، وحين توفي، قام بالأمر من بعده، ابن أخيه قريش بن بدران بن مقلد.

■ مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة: توفي في هذه السنة، وقام بالأمر من بعده، عمه عبد الرشيد بن محمود ابن سبكتكين والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

في صفر منها، وقع الحرب بين الروافض والسنة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجا، وكتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة إقتران علي مع محمد ﷺ في هذا، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم، إلى ربيع الأول، فقتل رجل هاشمي، فدفن عند الإمام أحمد، ورجع السنة من دفته، فنهرو مشهد موسى بن جعفر وأحرقوه، وأحرقوا ضريح موسى، ومحمد الجواد، وقبور ملوك بني بويه، من هناك من الوزراء، وأحرق قبر جعفر بن المنصور، ومحمد الأمين، وأمه زبيدة، وقبور كثيرة جدا،

قال: فاستوفته، وقلت: أضف إليه أيضاً:

على قتلبي الأوبة بالثـ مادي في الجفـا غلبوا
وبالمهجران طيبب النـو م من عيني قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلبي فهان عليّ ما طلبوا

■ إسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زنجويه، أبو سعد الرازي، المعروف بالسمان، شيخ المعتزلة، سمع الحديث الكثير، وكتب عن أربعة آلاف شيخ، وكان عالماً عارفاً بارعاً فاضلاً، مع اعتزاله، ومن كلامه: من لم يكتب الحديث، لم يتغرغر بحلاوة الإسلام. وكان حنفي المذهب، عالماً بالخلاف، والفرائض، والحساب، وأسماء الرجال، وقد ترجمه ابن عساكر في «تاريخه»، قاطنب في شكره، والثناء عليه.

■ (عمر بن أبي طالب المكي)

عمر ابن الشيخ أبي طالب المكي، محمد بن علي بن عطية، سمع أباه، وابن شاهين، وكان صدوقاً، يكتن بأبي حفص.

■ محمد بن أحمد بن عثمان بن الفرّج بن الأزهر، أبو طالب المعروف بابن السوادي، وهو أخو أبي القاسم الأزهرى، توفي عن نيف وثمانين سنة.

■ محمد بن محمد بن أبي تمام، أبو غام الزبني نقيب النقباء، وقام ابنه، مكانه بالنقابة.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها غزا السلطان طغرل بك بلاد الروم، بعد أخذه بلاد أذربيجان، فغنم من بلاد الروم، وسبى، وعمل أشياء حسنة، ثم عاد سالماً، إلى أذربيجان فقام بها سنة.

وفيها أخذ قرش بن بردان الأنبار، وخطب بها وبالموصل للسلطان طغرل بك، وأخرج منها نواب الباسيري.

وفيها دخل أبو الحارث المظفر الباسيري بفساد، مع بني خفاجة، منصرفه من الوقعة، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة، فرأسله الخليفة لتطبيق نفسه، وخرج في ذي الحجة إلى الأنبار، فأخذها، وكان معه ديبس بن علي بن مزهد، وخرب أماكن، وحرق غيرها، ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت التوبة، ليخلع عليه، فجاء إلى أن حاذى بيت التوبة، فخدم وانصرف، ولم يعبر، ففوت الوحشة.

ولم ينجح أحد من أهل العراق في هذه السنة أيضاً والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود، أبو عبد الله المسلماني، سمع ابن شاهين، وابن حيوة، والدارقطني، وكان ثقة أميناً، مشهوراً باصطناع المعروف، وفعل الخير، واقتاد الفقراء، وكثرة الصدقة، وكان قد أريد على الشهادة، فأبى ذلك، وكان له في كل شهر عشرة دنائير نفقة لأهله.

■ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن: أبو عبد الله الأصهباني، المعروف بابن اللبان، أحد تلامذة أبي حامد الإسفراييني، وولى قضاء لينخ، وكان يصلي بالناس السراويلج، ثم يقوم بعد انصرافهم، فيصلي إلى أن يطلع

خمس وخمسين وثلاثمائة، وسمع «مسند الإمام أحمد» من أبي بكر بن مالك القطيعي، عن عبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه، وقد سمع الحديث من أبي محمد بن ماسي، وابن شاهين، والدارقطني، وخلق، وكان ديناً خبيراً، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لـ «مسند أحمد» من القطيعي، غير أنه ألحق اسمه في أجزاء. قال ابن الجوزي: وليس هذا بقدر في سماعه، لأنه إذا تحقق سماعه، جاز أن يلحق اسمه الذي غفل عنه الكتاب، والعجب أن يجاز قول الشيخ: أخبرني فلان. ولا يسمع منه إلحاقه اسمه فيما تحقق سماعه له، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها رحمه الله تعالى.

■ علي بن الحسين بن محمد، أبو الحسن المعروف بالشياش البغدادي، وقد أقام بالبصرة، واستحوذ هو وعمه عليها وعلى أهلها، وعمل أشياء من الخيل، يومم بها أنه من ذوي الأحوال والمكاشفات، وهو في ذلك كاذب فاجر، قبحه الله، وقبح عمه، وقد كان مع هذا رافضياً، خبيثاً، قرمطياً، لا كثر الله من أمثاله في العالمين كانت وفاته في هذا العام، فله الحمد والشكر على الإندام.

القاضي

■ محمد بن محمد بن أحمد أبو جعفر السمناني القاضي، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري، وقد سمع الحديث من الدارقطني وغيره، وكان عالماً، فاضلاً، سخيّاً، تولى القضاء بالموصل، وكان له في داره مجلس للمناظرة، وتوفي لما كلف بصره بالموصل، وهو قاضيهما، في ربيع الأول منها، وقد بلغ خسا وثمانين سنة، ساعه الله.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

فيها تجدد الشر، والقتال، والحريق، بين السنة والروافض، وسرى الأمر، وقوي وتفاقم الحال.

وفيها وردت الأخبار بأن الغز على قصد العراق.

وفيها نقل إلى الملك طغرل بك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكنا وكذا، وذكر أشياء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة، فأمر بلعنه، وصرح أهل نيسابور، بتكفير من يقول ذلك، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك، وصنف رسالة سماها «شكاية أهل السنة، لما نالهم من المحنة»، واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشاعرة، منهم القشيري، فسأله عما أنهى إليه من ذلك. فأنكروا ذلك، وأن يكون الأشعري قال ذلك. فقال السلطان: نحن إنما لنا من يقول هذا. وجرت فتنة عظيمة طويلة.

وفيها استولى فولاستون أبو منصور بن الملك أبي كاليجار على شيراز، وأخرج منها أخاه أبا سعد.

وفي شوال سار الباسيري إلى أكراد، وأعراب، أنسلوا بالبرازيح فقهرهم، وأخذ أموالهم، ولم ينجح فيها أحد من أهل العراق أيضاً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عمر بن روح: أبو الحسين النهرواني، كان ينظر في العيار بدار الضرب، وله شعر حسن، قال: كنت يوماً على شاطئ النهروان، فسمعت رجلاً يتغنى في سفينة متحلدة يقول:

وما طلبوا سوى قتلبي فهان عليّ ما طلبوا

بأمر الله، وهو ولي عهد أبيه، فغطمت الرزية به وجلس رئيس الرؤساء للعزاء، وجاء الناس، وقد أمروا بمزيت ثيابهم ونشر عمائمهم والتخفي، وقطعت اللباد أيام العزاء بدار الخلافة ودار الملك على ولي عهد الخلافة.

وفيها استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي المهداني، على أكثر أعمال اليمن، وخطب للفاطمين، وقطع خطبة العباسيين.

وفيها كثر فساد الغز، ونهبهم، فثاروهم العوام واقتتلوا، ونهبوا العامة، حتى بيع الثور بخمسة قرايط والخمار بقراتين إلى خمسة قرايط.

وفيها اشتد الغلاء بمكة، وعمت الأقوات، وأرسل الله عليهم جرادا، ملء الأرض فتعوضوا به عن الطعام.

ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة أيضاً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف المعجلي قاضي القضاة أبو عبد الله، المعروف بابن ساكولا الشافعي أصله من أهل جرباذقان، وقد ولي القضاء بالصرة، ثم ولاة القادر بالله قضاء القضاة ببغداد، ستة وعشرين وأربعمائة، وأقره ابنه القائم بأمر الله إلى أن مات في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة منها في القضاء سبع وعشرون سنة، وكان صينياً، ديناً، لا يقبل من أحد هدية، ولا من الخليفة، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منه، وله شعر حسن فمه:

تصابي برهة من بعد شيب فما أغنى مع المشيب التصابي
وسود عارضيه بلون خضب فلم يفعه تسويد الخضاب
وأبى لأحبة كل لطف فما زادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عوداً بعد بده على أيام ريمان الشباب
تولى غير مذموم وأبى بقلبي حيرة تحت الحجاب

■ علي بن الحسن بن علي، بن محمد بن أبي القهم أبو القاسم التوخي، قال ابن الجوزي: وتوخ اسم لعدة قبائل، اجتمعوا بالبحرين، وتحالفوا على التناصر والتأزر، فسماؤا توخا. ولد بالصرة سنة خمس وستين وثلاثمائة، وسمع الحديث سنة سبعين، وقيل شهادته عند الحكام في حديثه، وولي القضاء بالمدائن وغيرها، وكان صدوقاً محتاطاً، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم، عقد عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرل بك وقيل: ابنة أخيه داود، واسمها خديجة، الملقبة أرسلان خاتون - على صداق مائة ألف دينار، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندري، وتقيب العلويين وزير طغرل بك، وتقيب الهاشميين، وقاضي القضاة الدماغاني، وأقصى القضاة الماوردي، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة وهو الذي خطب الخطبة وقبل الخليفة العقد. فلما كان شعبان، ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرل بك، وقال له: أمير المؤمنين يقول لك: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقد أمرني أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة، فقال: السمع والطاعة. فذهبت أم

القجر، وربما انقضى الشهر عنه، ولم يضطجع إلى الأرض، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها ملك طغرل بك ببغداد، وهو أول ملوك السلجوقية، لبلاد العراق وآخر ملك بني بويه.

وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والساسيري، واشتكت الأتراك منه، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه، وذكر قبيح أفعاله، وأنه كاتب المصريين بالطاعة وخلع ما كان عليه من بيعة العباسيين، وقال الخليفة: وليس إلا إهلاكه.

وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار.

وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة، على العادة، فاقتتلوا قتالاً شديداً مستمراً، ولا تمكن الدولة أن يمحجزوا بين الفريقين.

وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوي جانب الحنابلة قوة عظيمة، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة، أن يشهد الجماعات قاله ابن الجوزي في «المنتظم» [الطبعة ٣٤٧/١٥].

قال الخطيب: كان أرسلان التركي، المعروف بالساسيري قد عظم أمره واستفحل لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك، واستولى على البلاد، وطار اسمه، وخافته أمراء العرب والعجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية، والأهواز ونواحيها وجبي الأموال، ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله قطع ولا وصل دونه، ثم صبح عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك عرفهم وهو بواسط أنه عازم على نهب دار الخلافة، وأنه يريد القبض على الخليفة، فعند ذلك كاتب الخليفة أبا طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، الملقب بطغرل بك، يستنهضه على المسير إلى العراق، فاتفق أكثر من كان مع الساسيري، وعادوا إلى بغداد سريعاً، ثم أجمع رأيهم على قصد دار الساسيري، وهي في الجانب الغربي، فأحرقوها، وهدموا أبنيتها.

ووصل السلطان طغرل بك إلى بغداد، في رمضان سنة سبع وأربعين، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء، والوزراء، والحجاب، فدخل بغداد في أبهة عظيمة جداً، وخطب له بها، ثم بعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم في أواخر شهر رمضان، ورفع إلى القلعة معتقلاً، وكان آخر ملوك بني بويه، وكانت مدة ولايته لبغداد ست سنين وعشرة أيام وطغرل بك أول ملوك السلجوقية، ونزل وطغرل بك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الأتراك، وكان معه ثمانية أفيلة، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة، ونهب الجانب الشرقي بكماله، وجرت خطوب وخبطة عظيمة. وأما الساسيري فإنه فر من الخليفة إلى بلاد الرعية، وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوة له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرعية، ونيابته بها، ليكون على أهبة التمكن من الأمر الذي يحاوله قبحها الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء، عاشر ذي القعدة، قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدماغاني، قضاء القضاة، وخلع عليه به، وذلك بعد موت أبي عبد الله الحسين بن علي بن مأكولا، ثم خلع الخليفة على الملك طغرل بك بعد دخوله ببغداد بيوم، ورجع إلى داره وبين يديه اللباد والبوقات. وفي هذا الشهر، توفي ذخيرة الدين، أبو العباس محمد بن الخليفة القائم

فخطب بها للمصريين الفاطميين، وأخرج كاتبه من السجن، وقد كان أظهر الإسلام، ظنا منه أنه يبعثه، فلم يبعثه، وقتل، وكذلك خطب للمصريين في هذه السنة بالكوفة، وواسط، وغيرها من البلاد. وعزم طغرل بك الملك على السير إلى الموصل، لمانجة الباسيري، فهذه الخليفة عن الخروج، ذلك لضيق الحال، وغلاء الأسعار، فلم يقبل، فخرج بجيشه قاصدا الموصل في جحافل عظيم، ومعه القيلة والمنجنيقات، وكان جيشه لكثرتهم يهون القري، وربما سطوا على بعض الحرمين، فكسب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك، فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه، وافق أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فسلم عليه، فأعرض عنه وقال له: يحكمك الله في البلاد، ثم لا تترقب بخلقه، ولا تخاف من جلال الله عز وجل!؟ فاستيقظ مذعورا، وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعبد، وأن لا يظلم أحد أحدا. ولما اقترب من الموصل، فتح دونها بلدا، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود، ثم سار منها إلى بلاد بكر، ففتح أماكن كثيرة هناك.

وفيها ظهرت دولة الممّثين ببلاد المغرب، وأظهروا إغزاز الدين، وكلمة الحق، واستولوا على بلاد كثيرة بالمغرب، منها سجلماسة، وأعمالها، والسوس، وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها، وأول ملوك الممّثين رجل يقال له أبو بكر بن عمر، وقد أقام بسجلماسة، إلى أن توفي سنة ثنتين وستين، كما سيأتي بيانه، ثم ولي بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين، وتلقب بأبى المصطفى، وقوي أمره، وعلا قدره ببلاد المغرب.

وفيها أُلزم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد، عن أمر السلطان طغرل بك ببيض الله وجهه.

وفيها ولد للذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله.

وفيهما كان الغلاء، والفناء أيضاً، مستمرين على الناس ببغداد، وغيرها من البلاد، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولم ينج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

■ علي بن أحمد بن علي بن سلك، أبو الحسن المؤدب، المعروف بالفاقي صاحب «الأمال» وقالة قرية قريبة من إيدج، أقام بالصرة مدة، وسمع بها من أبي عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره، وقدم بغداد فاستوطنها، وكان ثقة في نفسه، كثير الفضائل. ومن شعره الحسن:

ما تبدلت المجالس أوجها
ورأيتهما عفوفاً بسوى الأولى
أنشدت بيتاً سائراً مقدماً
أما الخيام فأنها كخيامهم
ومن شعره أيضاً قوله:

تصدر للتدريس كل مهوس
بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يمثلوا
بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بنا من هالها
كلاها وحتى سماها كل مفلس

■ محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الصباغ، الفقيه الشافعي، وليس بصاحب «الشامل»، ذلك متأخر، وكان هذا من تلاميذ الشيخ أبي حامد الإسفراييني، كانت له حلقة للفتوى بجامعة المدينة، وشهد عند قاضي القضاة

الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس، فجاءت معها، وفي خدمتها الوزير عميد الملك، والخشم، فدخلوا داره، وشافه الخليفة ابن عمها، وسأله اللطف بها، والإحسان إليها فلما دخلت إليه، قبلت الأرض مرارا بين يديه، فأذاها إليه، وأجلسها إلى جانبه، وأفاض عليها خلعا سنية، وتاجا من جوهر نمين وأعطاهما من الغندم مائة ثوب ديباجا وقصبات من ذهب، وطاسة من ذهب قد رصع فيها الجواهر والياقوت والفيروزج، وأقطعهما في كل ستة من عمل الفرات اثني عشر ألف دينار.

وفي هذه السنة أمر السلطان طغرل بك ببناء دار الملك العضدية، فخرت محال كثيرة في عمارتها، ونهبت العامة أخشابا كثيرة بسببها من دور الأتراك والجانب الغربي، وباعوه على الخبازين، وغيرهم.

وفيها وقع غلاء شديد على الناس، وخوف، ونهب كثير ببغداد، ثم أعقب ذلك فناء كثير، بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغلت الأشرطة وما تحتاج إليه المرضى كثيرا، واغبر الجو، وفسد الهواء وكثر الذباب.

قال ابن الجوزي في "مظنمه" (النظم ٥/١٦) وعم هذا الوباء، والغلاء مكة والحجاز، وديار بكر، والموصل، وبلاد الروم، وخراسان، والجبال، والدنيا كلها. هنا لفظة في "المظنم". قال: وورد كتاب من مصر، أن ثلاثة من اللصوص تقبوا بعض الدور، فوجدوا عند الصباح موتى، أحدهم على باب القبة، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الباب المكمورة.

وفيها أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ، فأنزع أهلها لذلك، وكان كثير الأذى للرافضة، وإنما كان يذاع عنهم عميد الملك الكنتري وزير طغريك.

ولفها هبت ريح شديدة، وارتفعت سحابة ترابية، فأظلمت الدنيا، واحتاج الناس في الأسواق إلى السرج في النهار.

قال ابن الجوزي في «المنظوم» (الطبعة ١٦/٧) وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة، ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة، طولها في رأي العين نحو من عشرة أذرع، وفي عرض غو الذراع، ولبث على هذا الحال إلى النصف من رجب، ثم اضمحل. وذكروا أنه طلع مثله بمصر، فملكته. وكذلك بغداد، لما طلع فيها، ملكته، وخطب بها للمصريين.

وفيها أزم الروافض بترك الأذان بحمي على خير العمل، وأمروا أن ينادي مؤذنهم في أذان الصبح بعد الحيلتين: الصلاة خير من النوم، مرتين، وأنزل ما كان على أبواب مساجدهم ومشاهدهم وأبوابهم من كتابة: محمد وعلي خير البشر، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ يشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة، وذلك أن النوء الأول اضمحل، لأن بني بويه كانوا حكاما، وكانوا يقولونهم، وينصرونهم، فزالوا، وبادوا، وذبحت دولتهم، وجاء بعدهم قوم آخرون، من الأتراك السلجوقية، الذين يجيئون أهل السنة، ويؤاخذونهم، ويرفعون قدرهم، والله الحمود أبدا على طول المدى.

وأمر رئيس الرؤساء وزير الخلافة للوالي بقتل أبي عبد الله ابن الجلاب شيخ البراز بباب الطاق، لما كان نظاهر به من الرفض والعلو فيه، فقتل وصلب على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي، ونهبت داره والله الحمد والمنة.

وفيها جاء البساسيري فبحه الله إلى الموصل، ومعه نور الدولة دبيس في جيش كثيف، فاقبل مع صاحبها قريش، ونصره قتلش ابن عم ظنربك، وهو جد ملوك الروم، فهزهما البساسيري، وأخذ البلد قهرا،

أبي عبد الله ابن الدامغاني الحنفي، فقبله، وقد سمع الحديث من ابن شامين، وغيره، وكان ثقة جليل القدر رحمه الله تعالى.

■ **هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال**، أبو الخير الكاتب الصايغ، صاحب «التاريخ»، وجده أبو إسحاق الصايغ صاحب الرسائل، وكان أبوه صابئاً أيضاً، أسلم هلال هذا متأخراً، وحسن إسلامه، وقد سمع في حال كفره، من جماعة من المشايخ، وذلك أنه كان يتردد إليهم، يطلب العلم والأدب، فلما أسلم، نفعه ذلك، وكان ذلك سبب إسلامه، على ما ذكره ابن الجوزي في «منتظمه» [المطبعة ١٣/١٦] مطولاً، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مراراً، يدعو له إلى الله عز وجل، ويأمره بالدخول في الإسلام، ويقول له: أنت رجل عاقل، فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل؟ وأراه آيات في المنام، شاهدها في اليقظة، فمنها أنه قال له: إن امرأتك حامل بولد ذكر، فسمه عمداً. فولدت ذكراً، فسماه عمداً، وكناه أبا الحسن، في أشياء كثيرة سرد بها ابن الجوزي مطولة، فأسلم وحسن إسلامه، وكان صدوقاً رحمه الله تعالى. توفي في هذه السنة وله تسعون سنة، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة تخمده الله برحمته.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور. وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، وصار المار في الطريق لا يلقى إلا الواحد بعد الواحد، وأكل الناس الخيف والميتات من قلة الطعام، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد أخضر، وأروح وشوى رجل صية في الأتون وأكلها، فقتل: وسقط طائر ميت من سطح، فاتحوشه خمسة أنفس، فاقسموه، وأكلوه، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان، وأحصى من مات في هذا الواء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب، يعني الوارد من بخارى بألف ألف وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان، والناس يمرون في هذه البلاد، فلا يرون إلا أسواقاً فارغة، وطرقاً خالية، وأبواباً مغلقة، حكاه ابن الجوزي. قال: وجاء الخبر من أذربيجان، وتلك البلاد، بالواء العظيم، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جداً. قال: ووقع وباء بالأهواز وأعمالها، وبواسط والنيل والكوفة، وطبق الأرض، وكان أكثر سبب ذلك الجوع، حتى كان الفقراء يشرون الكلاب، وينشون القبور، ويشرون الموتى ويأكلونهم، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم، وقد كانت تحفر الحفيرة فيلغ فيها العشرون والثلاثون، وكان الإنسان بينما هو جالس، إذ انشق قلبه عن دم المهجة، فيخرج منه إلى الفم قطرة، فيموت الإنسان من وقته، وتاب الناس، وتصديقوا بأكثر أموالهم، وأراق الناس الخضور وكسروا آلات اللهو وتصالحوا، ولزموا المساجد للعبادة، وقراءة القرآن، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ودخل على مريض له سبعة أيام في الترع، فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خالية من خمر، فأراقوها فمات من فورهم بسهولة، ومات رجل في مسجد، فوجدوا معه خمسين ألف درهم، فعرضت على الناس، فلم يقبلها أحد، فتركت في المسجد تسعة أيام، لا يريد أحداً، فلما كان بعد ذلك، دخل أربعة ليأخذوها، فماتوا عليها، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حي، بل ماتوا جميعاً.

وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد، يشتغل عليه سبعمائة

متفقه، فمات، وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرًا منهم رحمهم الله تعالى. ولما اصططح السلطان ديبس بن علي مع الملك طغرل بك، رجع إلى بلاده فوجدها خراباً لقلعة أهلها، فأرسل رسولاً منهم، إلى بعض النواحي، فنفقاه طائفة فقتلوه وأكلوه.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة، احترقت قطعة عيسى، وسوق الطعام، والكنيس، وأصحاب السقط، وباب الشعير، وسوق العطارين، وسوق العروس، والأمناء، والخشابين، والجزارين، والتمارين، والقطيعة، وسوق محول، ونهر الدجاج، وسوقة غالب، والصفاين، والصباغين، وغير ذلك من المواضع، وهذه مصيبة أخرى، إلى ما بالناس من الغلاء، والفناء.

وفيه كثرة العيارون ببغداد، وأخذوا الأموال جهاراً، وكبوا الدور ليلاً ونهاراً، وكسبت دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة، وأحرقت كتبه، ومنابرهم، ودفنوا، التي كان يستعملها في ضلالتهم، وبدعتهم، ويدعو إليها أهل، وغلغلة، ولله الحمد.

وفيها دخل الملك طغرل بك ببغداد عائداً إليها من الموصل وقد تسلمها واستعادها من البساسيري وسلمها إلى أخيه إبراهيم بنك، فأحسن فيهم السيرة وحسنت منه العلانية والسريّة، فله الحمد. فنفقاه إلى أثناء الطريق، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة فرجة بجموهر، فلبسها، وقبل الأرض، ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة، وقد ركب إليها فرساً من مراكب الخليفة، فلما دخل على الخليفة، إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع، وعلى كفه البردة النبوية، ويديه القضيب، فقبل الأرض، وجلس الملك على سرير دون سرير الخليفة، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له أمير المؤمنين جامد لسعيك، شاكر لفضلك، آتس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده، فائق الله فيما ولاك، واجتهد في عمارة البلاد، وإصلاح العباد، ونشر العدل، وكف الظلم، فقرر له عييد الدولة ما قال الخليفة، فقام وقبل الأرض، وقال: أنا خادم أمير المؤمنين وعبد، ومتصرف على أمره ونهيه، ومتشرف بما أهني له، واستخفني فيه، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق. ثم أمره الخليفة أن ينهض لبس الخلعة، فقام إلى بيت في ذلك البهو، فأفيض عليه سبع خلع وتاج، ثم عاد فجلس على السرير بعدما قبل يد الخليفة، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التاج، فأخرج الخليفة سيفاً فقلده إياه، وخوطب بملك الشرق والغرب، وأحضرت ثلاثة ألوية، فقدم منها الخليفة لواء بيده يقال له: لواء الحمد، وأحضر العهد إلى الملك، وقرئ بين يديه بحضرة الملك، وأوصاه الخليفة بتقوى الله تعالى، والعدل في الرعية؛ ثم نهض فقبل يد الخليفة، ثم وضعها على عينيه، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره، وبين يديه الحجاب والجيش بكامله، وجاء الناس للسلام عليه والتهنئة له، وأرسل إلى الخليفة بتحفة عظيمة، منها خمسون ألف دينار، وخمسون غلاماً أتراكاً، بمراكبهم، وأسلحتهم، ومناطقهم، وخمسمائة ثوب أنواعاً، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار، وخمسين قطعة قماش.

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري، وأخذ خطه بثلاثة آلاف ألف دينار، وأحيط على ثمانين من أصحابه، وقد كان هذا الوزير فقيهاً حنيفاً، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثني عليه ويمدحه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (أبو العلاء المعري التوخي الشاعر)

■ أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود بن المظهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنسور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان ابن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، أبو العلاء المعري التوخي الشاعر، المشهور بالزندقة، اللغوي، صاحب النوادر والمصنفات في الشعر واللغة، ولد يوم الجمعة، عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وأصابه جدري وله أربع سنين أو ست أو سبع، فذهب بصره، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم خرج منها طريدا منهزما لأنه قال شعرا، يدل على قلة دينه، وعلمه وعقله وهو قوله:

تناقص ما لنا إلا السكوت له وإن نعوذ بملاننا من النار
يد تجمس مئين عسجد فديت ما بالها قطعت في ربيع دينار

وهذا من إفكه يقول: اليد ديتها خمسمائة دينار، فما لكم تقطعونها إذا سرقت ريع دينار، وهذا من قلة عقله، وعمى بصيرته. وذلك أنها إذا جني عليها، يناسب أن يكون ديتها كثيرة، لينتجر الناس عن العدوان، وأما إذا جنت هي بالسرقة، فيناسب أن تقل قيمتها، لينتجر الناس عن أموال الناس، وتصاب أموالهم، ولهذا قال بعضهم: كانت ثمنية لما كانت أمينة، فلما خانت هانت. ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب، ورجع إلى بلده، ولزم منزله، فكان لا يخرج منه.

وكان يوما عند الخليفة، وكان الخليفة يكره المتني ويضع منه، وكان أبو العلاء يحب المتني ويرفع من قدره، ولمدحه، فجرى ذكر المتني في ذلك المجلس، فلزمه الخليفة، فقال أبو العلاء: لو لم يكن للمتني إلا قصيدته التي أولها:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكناه ذلك. فغضب الخليفة، وأمر به فسحب برجله على وجهه، وقال: أخرجوا عني هذا الكلب. وقال الخليفة: أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة؟ وذكره لها؟ أراد قول المتني فيها:

إذا أتتك لمنعتي من ناقص فهي الدليل على أنني كامل

وإلا فالتتي له قصائد أحسن من هذه، وإنما أراد هذا. وهذا من فرط ذكاء الخليفة، حيث تنبه لهذا. وقد كان المعري أيضا من الأذكياء، ومكث المعري خمسا وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم، ولا اللبن، ولا البيض، ولا شيئا من حيوان، على طريقة البراهمة من الفلاسفة ويقال: إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع، في مجيئه من بعض السواحل، آواه الليل عنده، فشككه في دينه، وكان يتقوت بالنبات وغيره، وأكثر ما كان أكله العسل، ويتحلى بالدبس والبتن. وكان لا يأكل محضرة أحد، ويقول: أكل الأعمى عوردة وكان في غاية الذكاء المفرط، على ما ذكر، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهم، فقال: إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم، أو ارتفعت الأرض مثل ذلك. فهذا ما لا أصل له وهو كذب عليه. وكذلك يذكرون عنه، أنه مر في بعض

أسفاره بمكان، فطأ رأسه، فقيل له في ذلك، فقال: أما هنا شجرة؟ قالوا: لا. فنظروا، فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأ رأسه فيه، وقد قطعت، وكان قد اجتاز بها قديما مرة فأمره من كان معه بمطاطة رأسه هناك فاستحضره في هذه المرة، فهذا لا يصح وهو كذب. وكذلك ما شاكل هذا من الكذب البحت ولكن كان ذكيا، ولم يكن زكيا، وله مصنفات كثيرة، أكثرها في الشعر، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته، وإحلاله من الدين، ومن الناس من يعتلذ عنه ويقول: كان في الباطن مسلما، وإنما يقول زلل بلسانه، قال ابن عقيل: وما الذي الجاه أن يقول في دار الإسلام ما يكفره به الناس؟ قال: والمتناقض مع قلة عقلهم وعلمهم ودينهم أجود سياسة منه، لأنهم حافظوا على قبيلتهم في الدنيا، وسترها، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس، وزندقوه، والله يعلم أن باطنه كظاهره.

قال ابن الجوزي: وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتابا سماه «الفصول والغايات، في معارضة السور والآيات»، على حروف المعجم في آخر كلماته، وهو في غاية الركاكة والبرودة، فسبحان من أعمى بصره وبصيرته. قال: وقد نظرت في كتابه المسمى «لزوم مالا يلزم»، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الإسلام أشياء كثيرة فمن ذلك قوله:

إذا كان لا يحظى برزقك عسائل وتسرّق بجنونا وتسرق أحقنا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهي فترنقنا
ومن ذلك أيضا قوله:

وهيهات البرية في ضلال وقد نظر الليب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى وأوقع في الخسار من اقتراها
فقال رجاله وحسي أثناء وقال الناظرون بسل اقتراها
ومما حجبني إلى أحجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذواها
إذا رجع الحليم إلى حجابه تهاون بالمناهب وأزدهاها
ومن ذلك أيضا قوله:

هفت الخيفة والنصاري ما اهتدت ويهود حازت والجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر ذو دين لا عقل له
ومن ذلك أيضا قوله:

فلا تحب مقال الرسل حقبا ولكن قبول زور سطره
فكان الناس في ميش رغيد فجاؤوا بالغسل فكثروه
وقلت أنا في معارضة هذا:

فلا تحب مقال الرسل كذباً ولكن قول حق بلفظه
وكان الناس في جهل عظيم فجاؤوا بالبيان فأنذروه
ومن ذلك أيضا قوله:

إن الشرائع ألقت بيتنا إحنا وأورثنا أقبانين المدلوات
وهل أبيع نساء الروم عن عرض للمرب إلا بأحكام النبوات
وقوله:

وما حدي لأدم أو بنييه وأشهد أن كلهم خبيس
ومن ذلك أيضا قوله:

سنة لا يأكل اللحم، على طريقة الحكماء، وأنه أوصى أن يكتب على قبره: هذا جناه أبسي عليّ وما جئت على أحد

قال ابن خلكان: وهذا أيضا متعلق باعتقاد الحكماء، فإنهم يقولون: إيجاد الولد، وإخراجه إلى هذا الوجود، جناية عليه، لأنه يتعرض للحوادث، والآفات.

قلت: وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده، وهو ما يعتقده الحكماء، إلى آخر وقت، وأنه لم يقلع عن ذلك، كما ذكره بعضهم، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها. وذكر ابن خلكان أن عينة اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض، وعينه اليسرى غائرة، وكان نحيفا. ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتا، فمنها قوله:

لا تطلن بألسة لسك رتبة قلم البليغ بغير جد مفزل
سكن السما كان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل
الأستاذ أبو عثمان

■ الصابوني: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد البسابوري، الحافظ الواعظ المفسر، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج، فسمع بها، وذكر الناس، وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة عظيمة، وأورد له أشياء حسنة، من أقواله وشعره، فمن ذلك قوله:

إذا لم أصب أموالكم ونوالكم ولم أمل المعروف منكم ولا البرا
وكنتم عبيدا للذي أنا عبده فمن أجل ماذا اتعب البدن الحر؟
وروى ابن عساکر عن إمام الحرمين أنه قال: كنت أتردد، وأنا بمكة في المذاهب، فرأيت النبي ﷺ وهو يقول: عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني. رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة حسين وأربعمائة من الهجرة

النوبة

فيها كانت فتنة الحثيث البسابيري، وهو أرسلان التركي قبحة الله تعالى، وذلك أن إبراهيم بن نبال أخا الملك طغرلک، ترك الموصل، الذي كان قد استعمله أخوه عليها، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل، فاستدعاه أخوه، وخلع عليه، وأصلح أمره، ولكن في غضون ذلك، ركب البسابيري، ومعه قریش بن بلدان أمير العرب، إلى الموصل، فأخذها، وأخرب قلعها، فسار إليه الملك طغرلک سريعا من بغداد إلى الموصل، فاستردها، وهرب منه البسابيري وقریش خوفا منه، فتبعهما إلى نصيبين، وفارقه أخوه إبراهيم، وعصى عليه، وهرب إلى همدان، وذلك بإشارة البسابيري عليه، فسار الملك طغرلک، وراء أخيه، وترك عساكره وراءه، ففارقوا، وقتل من لحقه منهم، ورجعت زوجته الخاتون، ووزيره الكندي إلى بغداد، ثم جاء الخبر بأن أخاه قد استظهر عليه، وأن طغرلک محصور بهمدان، فاتزعج الناس لذلك، واضطربت بغداد، وأرجف الناس بأن البسابيري عازم على قصد بغداد، وأنه قد أقرب من الأنبار، فقوي عزم الكندي على المقام ببغداد، فأرادت الخاتون أن تقيض عليه، فتحول عنها إلى الجانب الغربي، ونهبت داره، وقطع الجسر بين الجانبين، وركبت الخاتون في جمهور الجيش، وذعبت إلى همدان لتنصر زوجها، وسار الكندي، ومعه أنوشروان بن تومان وأمه

أنيقوا أنيقوا بسا غواة فأنسا دبائناكم مكر من القدماء
ومن ذلك أيضا قوله:

سرف الزمان مفرق الإلفين فاحكم إلهي بين ذاك وبين
أنهت عن قتل النفوس تمعدا وبعثت أنت لقبضها ملكين
وزعمت أن لها معادا ثانيا ما كان أغناها عن الحالين

ومن ذلك أيضا قوله:

ضحكتنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
نطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومن ذلك أيضا قوله:

أمور تستخف بها حلوم وما يدري الفتى لمن الثبور
كتاب محمد وكتاب موسى وإخميل ابن مريم والزبور
وقوله:

قالت معاشر لم يعش إلهكم إلى البرية عساها ولا موسى
وإنما جعلوا الرحمن مأكلة وصيروا دينهم في الناس ناموساً

وذكر له أشياء غير ذلك، بل كل قطعة من هذه الأشياء، تدل على كفره، وزندقته، وإغلاله، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جناه أبسي عليّ وما جئت على أحد
معناه أن أباه يتوجه لأمه أوقعه في هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك، إلى ما إليه صار، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله وقد زعم بعضهم أنه أطلع عن هذا كله وتاب منه، وأنه قال قصيدة يعتز فيها من ذلك كله ويتصل منه، وهي القصيدة التي يقول فيها:

يا من يرى مد اليموض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقهها في غرها والمخ في تلك النظام التحل
انسن عليّ نبوة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأول

وقد كانت وفاته في ربيع الأول، من هذه السنة بمجرة النعمان، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوما، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة، حتى قال بعضهم في رثاءه:

إن كنت لم ترق السماء زهادة فلقد أرتت اليوم من جفني دما
قال ابن الجوزي: وهؤلاء الذين رثوه، والذين اعتقدوه، إما جهال بأمره، وإما ضلال على مذهبه وطريقته. وقد رأى بعضهم في النوم رجلا ضريراً، على عاتقيه حبتان مديتان على صدره، رافعتان رؤوسهما إليه، وهما ينهشان من لحمه، وهو يستغيث، وقائل يقول: هذا المعري الملحد. وقد ذكره القاضي ابن خلكان في «الوفيات»، فرجع في نسبه، كما ذكرنا. وقد ذكر له من المصنفات كتب كثيرة، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بـ «الأيك والغصون»، وهو المعروف بـ «الهزم والردف»، وأنه أخذ العربية عن أبيه، واشتغل بطلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن الحسن التتوخي، والخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي وذكر أنه مكث خمسا وأربعين

وربح الجفاء، قال: سمعت قتالا على شاطئ الفرات يقول: نعم نعم. فقلت: هذا رجل يخاطب آخر، ثم أخذت في السؤال والالتماس، فسمعت ذلك الصائح يقول: إلى الحول إلى الحول؛ فعلمت أنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه. وكان كذلك، خرج من دار الخلافة، في ذي القعدة من هذه السنة ورجع إليها في ذي القعدة من السنة المقبلة، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة شعرا، يذكر فيه حاله فتمت قوله:

سأمت ظنونني فيمن كنت آمله ولم يحل ذكر من واليت في خلدي
تعلموا من صروف الدهر كلهم فما رأى احدا ينجو على أحد
ومن ذلك أيضا قوله:

ما لي من الأيام إلا موعد فمتى أرى ظفيرا بذلك الموعد
يومي يمر وكلما قضيت به عللت نفسي بالحديث إلى غد
أحيا بنفس تترجى إلى المنى وعلى مطامعها تروح وتتندي

وأما الباسيري، وما اعتمده في بغداد؛ فإنه ركب يوم عيد الأضحى واللبس الخطباء والمؤذنين البياض، وكذلك أصحابه، وعلى رأسه الألوكة المستنصرية والمطارد المصرية، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، والروافض في غاية السرور، والأذان في سائر بلاد العراق يمي على خير العمل، وانتقم الباسيري من أعيان أهل بغداد انتقاما عظيما، وغرق خلقا ممن كان يعاديه، وسقط على آخرين الأرزاق، والعطايا وأظهر العدل.

ولما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة، أحضر إلى بين يديه الوزير أبا القاسم بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، وعليه جبة صوف، وطرطور من لبد أحمر، وفي رقبته خنفة من جلود كالتعاويذ، فأركب جملا، وطيف به في البلد، وخلفه من يصفعه بقطعة من جلد، وحين اجتاز بالكرخ ثروا عليه خلقان المداسات، وبصقوا في وجهه، ولعنوه، وسبوه، وأوقف بإزاء دار الخلافة، وهو في ذلك كان يتلو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُلُ الْخَيْرَ بِكُلِّ شَيْءٍ فَفِيهِمْ﴾ (آل عمران: ٢٦) ثم لما فرغوا من التطواف به في محال البلد أعيد إلى المعسكر فالبس جلد ثور بقرنيه وعلق بكلوب في شلقيه ورفع إلى الخشبة حيا فجعل يضرب إلى آخر النهار فمات رحمه الله تعالى. وكان آخر كلامه أن قال: الحمد لله الذي أحياني سعيًا وأماني شهيدًا.

في هذه السنة وقع برد بأرض العراق، أهلك كثيرا من الغلات، وقتل بعض الفلاحين، وزادت دجلة زيادة كثيرة، وزلزلت بغداد في شوال قبل الفتة بشهر، زلزالا شديدا، فهلكت دور كثيرة، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمدان، وواسط، وعانة وتكريت، وذكر أن الطواحين وقفت من شلتهن.

وفي هذه السنة كثر النهب ببغداد، حتى كانت العمائم تحطف جهرة من الرؤوس، حتى إن الشيخ أبا نصر بن الصباغ خطفت عمامته وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة.

وفي أواخر السنة، خرج السلطان طغرل بك من همدان، فقاتل أخاه، وانتصر عليه و لله الحمد والمنة، فتباشر الناس، بذلك وكثر سرورهم وفرحهم، ولم يظهروا ذلك خوفا من الباسيري، واستنجد طغرل بك بأولاد أخيه داود - وكان قد مات ومن معهم من الجنود - على أخيه إبراهيم ينال، فغلبوه، وأسروه وذلك، في أوائل سنة إحدى وخمسين، واجتمعوا

الخاتون المذكورة، ومعهما بقية الجيش إلى بلاد الأهواز، وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة، فعزم الخليفة على الترحل عن بغداد إلى غيرها، وليته فعل، ثم أحب داره، والمقام مع أهله، فمكث فيها، اغترارا ودعة، ولما خلا البلد من المقاتلة، قيل للناس: من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء، فانتزع الناس، ويكي الرجال، والنساء، والأطفال، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي، وبلغت المعبرة ديارا، وديارين، لعدم الجسر.

قال ابن الجوزي: وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات، يصحن صياحا مزعجا، وقيل لرئيس الرؤساء: من المصلحة أن الخليفة يرتحل من بغداد لعدم المقاتلة بها فلم يقبل.

وشعروا في استخدام طائفة من العوام، ودفع إليهم السلاح من دار المملكة، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة، من هذه السنة، دخل الباسيري إلى بغداد، ومعه الرايات البيض المصرية، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها: الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين، فتلقا أهل الكرخ فتضرعوا إليه، وسأله أن يمتن من عندهم، فدخل الكرخ، وخرج إلى مشرقة الروايا فخيّم بها، والناس إذ ذاك في جماعة، وضر شديد ونزل قريش بن بدران في نحو من مائتي فارس، على مشرقة باب البصرة، وكان الباسيري قد جمع العيارين، وأطعمهم في نهب دار الخلافة، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغاني، وهلك أكثر السجلات والكتب الحكيمة، وبيعت للمطارين، ونهبت دور المتعلقين بجمعة الخليفة، وأعاد الروافض الأذان يمي على خير العمل، وأذن به في سائر جوامع بغداد، في الجمععات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العيلدي، الذي يقال له الفاطمي، على منابرها وغيرها، وضربت له السكة على الذهب والفضة، وحوصرت دار الخلافة، فحاجف الوزير أبو القاسم بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، بمن معه من المستخدمين دونها، فلم يقد ذلك شيئا، فركب الخليفة بالسواد، والبردة على كتفيه، وعلى رأسه اللواء، ويده سيف مصلت، وحوله زمرة من الهاشميين، والجواري حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن، معهن المصاحف على رؤوس الرماح، وبين يديه الخدم بالسيف المسلولة. ثم إن الخليفة أخذ فاما من أمير العرب قريش، لينمعه وأهله ووزيره ابن المسلمة، فقامت على ذلك كله، وأنزل في خيمة، فلما الباسيري على ذلك، وقال: قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك، من أنك لا تستبد برأي دوني، ولا أنا دونك، ومهما ملكنا قبضي وبينك. ثم إن الباسيري أخذ القاسم بن مسلمة، فوجّهه، ولما له لوما شديدا، ثم ضربه ضربا مبرحا، واعتقله مهانا عنده، ونهبت العامة دار الخلافة، فلا يمحى ما أخذوا منها من الجواهر، والنفائس، والديباغ، والذهب، والفضة، والثياب والأثاث، والدواب، وغير ذلك، مما لا يحصى ولا يوصف. ثم اتفق رأي الباسيري، وقريش، على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة، وهو مهارش بن مجلي البدوي، وهو من بني عم قريش بن بدران، وكان رجلا فيه دين وله مروءة. فلما بلغ ذلك الخليفة، دخل على قريش، أن لا يخرج من بغداد، فلم يقد ذلك شيئا، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة، فكان عند مهارش أميرها حولا كاملا، وليس معه أحد من أهله، فحكى عن الخليفة القائم بأمر الله، أنه قال: لما كنت بحديثة عانة، قمت ليلة إلى الصلاة، فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة، ثم دعوت الله عز وجل، بما سنع لي، ثم قلت: اللهم أعطني إلى وطني، واجمع بيني وبين أهلي وولدي، ويسر اجتماعنا، وأعد روض الأانس زاهرا، وربع القرب عامرا، فقد قل العزاء

صار أحد المعدلين، ثم استكتبه الخليفة القائم بأمر الله، واستوزره، ولقبه: رئيس الرؤساء، شرف الوزراء، جمال الوري، كان متضلعا بعلوم شتى مع سداد رأي، ووفور عقل، وقد مكث في الوزارة اثني عشرة سنة وشهرا، ثم قتله الباسيري. بعدما شهده ثم صلبه معلقا بشذيقه كما تقدم، وله من العمر ثمان وخمسون سنة وخمسة أشهر.

■ عبد الواحد بن الحسين بن شيطا، المسند للحديث وكان ثقة بصيرا بالعربية ووجوه القراءات ومذاهب القراء. بلغ الثمانين وله كتاب في التجويد رحمه الله تعالى.

■ منصور بن الحسين، أبو القوارس الأسدي، صاحب الجزيرة، كانت وفاته في هذه السنة فاجتمعت العشرة على إقامة ولده صدقة من بعده والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

استهلت هذه السنة وبغداد في قبضة الباسيري، يخطف فيها للمستنصر الفاطمي، والخليفة العباسي بمخيلة عانة، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر، أحضر الباسيري قاضي القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان من العلويين والعباسيين، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه، وأمر بنقض تاج دار الخلافة، فنقضت بعض الشرايف، ثم قيل له: إن القبح في هذا أكثر من المصلحة. فتركه، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة، وعزم على حفر نهر يساق إلى الحائر لوفاء لنذر كان عليه، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحرم الطاهري، وأن تصب على دجلة. وكتب إليه أم الخليفة وكانت عجوزا كبيرة، قد بلغت التسعين، وهي غثيفة في مكان تشكو إليه الحاجة، والفقر، وضيق الحال، فأرسل إليها من نقلها إلى الحرم، وأخذها جاريتين، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلا من خبز، وأربعة أرطال من لحم ولا يفي هذا قيراطا عما فعله بولدها وبأهل السنة.

فصل

ولما خلاص السلطان طغرل بك من حصره بهمنان، وقتل أخاه إبراهيم بنال، وأسره وقتله، وتمكن في أمره، وطابت نفسه واستقر حاله، ولم يبق له في تلك البلاد منازع، كتب إلى قريش بن بدران أمير الأعراب، يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه وداره، وتوعده، على ترك ذلك، بأسا شديدا، فكتب إليه قريش يتلطف به، ويدخل عليه، ويقول: أنا معك على الباسيري، بكل ما أقدر عليه، حتى يمكنك الله منه، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة، أو تبذل إليه بادرة سوء يكون علي عارها، ولكن سأعمل على ما أمرتي به، بكل ما يمكنني، وأمر برد امرأة الخليفة الحاتون المظلمة أرسلان خاتون إلى دارها وقرارها، ثم إنه راسل الباسيري وأشار عليه يعود الخليفة إلى داره، وخوفه من جهة الملك طغرل بك، وقال له فيما قال: إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد، قريب منا، وقد جاءني من الملك طغرل بك كتاب عنوانه: إلى الأمير الجليل، علم الدين، أبي المعالي

على عمهم طغرل بك، فسار بهم نحو العراق، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره، في السنة الآتية، إن شاء الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن محمد أبو عبد الله الوتي: القرضي، وهو شيخ الخبري، وكان شافعي المذهب، قتل ببغداد في فتنه الباسيري، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها رحمه الله تعالى.

■ داود أخو طغرل بك الأكبر: كان مقبلا يبلغ بلإزاء أولاد محمود بن سبكتكين توفي في هذه السنة وقام أولاده مقامه.

■ أبو الطيب الطبري: طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبري الفقيه، شيخ الشافعية، ولد بأمل طبرستان، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، سمع الحديث بجرجان، من أبي أحمد الفطري، وينسابور من أبي الحسن الماسرجسي، وعليه درس الفقه وتفقه أيضا، على أبي علي الزجاجي، وأبي القاسم بن كج، ثم اشتغل ببغداد، على والشيخ أبي حامد الإسفراييني، وشرح «المختصر»، و «فروع ابن الحنابلة»، وصنف في الأصول، والجدل، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة، وسمع ببغداد من البارقي، وغيره، وولي القضاء بربيع الكرخ، بعد موت أبي عبد الله الصيمري، وكان ثقة دينا ورعا، عالما بأصول الفقه وفروعه وله المصنفات الباهرة في ذلك، حسن الحديث، سليم الصدر، مواظبا على تعليم العلم، ليلا ونهارا. وقد ترجمته في «طبقات الشافعية».

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه وكان شيخه، وقد أجلسه بعده في الحلقة أن أبا الطيب أسلم خفا له عند خفاف ليصلحه له، فأبطأ عليه، فكان كلما مر عليه أخذه قممته في الماء، وقال: أيها الشيخ الساعة الساعة. فقال الشيخ: إنما أسلمته لك لتصلحه، ولم أسلمه، لتعلمه السباحة. وحكى ابن خلكان، أنه كان له ولأخيه عمامة واحد، وقميص إذا لبسهما هذا، جلس الآخر في البيت وقد قال في ذلك أبو الطيب:

تسوم إذا غسلوا ثياب جملهم لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

وكان قد بلغ من العمر مائة سنة وستين، وهو صحيح العقل، والفهم، والأعضاء، يفتي ويشغل، إلى أن مات في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

■ علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي البصري، شيخ الشافعين، صاحب التصانيف الكثيرة، في الأصول، والفروع، والتفسير، و «الأحكام السلطانية»، و «أدب الدنيا والدين». قال: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة. يعني «الحاوي الكبير» واختصرته في أربعين ورقة يعني «الإقناع». وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة، وكان حليما، وقورا، أدبيا، لم ير أصحابه ذراعا يوما من العصر، من شدة تحزه وأدبه، وقد استقصيت ترجمته في «الطبقات»، كانت وفاته في هذه السنة عن ست وثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

وقد أشد له ابن خلكان أشعارا منها قوله:

جربى قلم القضاء بما يكون فبيان التحسرك والسكون
جنون منك أن تسمى لسرق ويسرق في غشاوته الجنين
رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة:

■ علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر، أبو القاسم وزير القائم بأمر الله، كان أولا قد سمع الحديث من أبي أحمد القرضي وغيره، ثم

أحرق درب الزعفران وفيه ألف ومائتا دار لكل منها قيمة جلية عظيمة وترحل قريش بن بدران إلى أرض الموصل ويبعث إلى حديثه عانة يقول لأميرها مهارش بن جلبي، الذي عنده الخليفة، يقول له: إن المصلحة تقتضي تسليم الخليفة لي حتى نستأن لأفئتنا بسببه، ولا تسلمه حتى تستأن لنا وتأخذ أماناً في يدك دون يدي فامتنع عليه مهارش، وقال: قد غررسي الباسيري، ووعدي بأشياء لم أرها، ولست بمرسله إليك أبداً، وله في عني أيمان كثيرة لا أغلرها. وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً ثقة أميناً رحمه الله، فقال للخليفة: إن المصلحة تقتضي أن نسير إلى بلد بدر بن مهلهل، ونظر ما يكون من أمر السلطان طفرليك، فإن ظهر دخلنا بغداد، وإن كانت الأخرى، نظرنا لأنفسنا، فإني أخشى من الباسيري، أن يأتيانا، فيحضرنا. فقال له الخليفة: افعل ما فيه المصلحة. فسار في الحادي عشر من ذي القعدة إلى أن حصل بقلعة تل عكبرا، فقلعته رسل السلطان طفرليك، بالمدايا التي كان أنفذها، إليه وهو مشوق إليه كثيراً وجاءت الأخبار بأن السلطان طفرليك قد دخل بغداد، وكان يوماً مشهوداً، غير أن الجيش نهبا البلد، سوى دار الخليفة، وصودر خلق كثير من التجار، وأخذت منهم أموال كثيرة وشرعوا في عمارة دار الملك وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول، وغيرها، وسراق عظمى، وملابس سنية، وما يليق بالخليفة في السفر، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكلداني، ولما انتهوا إلى الخليفة، أرسلوا بتلك الآلات إليه، قبل أن يصلوا إليه، وقالوا لمن حوله: اضربوا السراق، وليلبس الخليفة ما يليق به، ثم نجيء نحن، ونستأذن عليه، فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه قبلوا الأرض بين يديه، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته، وبما حصل من العود إلى بغداد واشتياقه إليه جداً، وأخبروا مهارشاً بشكر السلطان له ونيتة له بما ينبغي لثله من الإكرام. وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يعلمه بصفة ما جرى الأمر عليه، وأحب أن يأخذ خط الخليفة في أعلى الكتاب، ليكون أثر لعين السلطان، وأحضر الوزير دواته، ومعها سيف، وقال: هذه خدعة السيف، والقلم، فأعجب الخليفة ذلك، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين، فلما وصلوا النهروان، خرج السلطان لتلقي الخليفة، فلما وصل السلطان من بغداد إلى سراق الخليفة، قبل الأرض سبع مرات بين يدي الخليفة، فأخذ الخليفة مخدة، فوضعا بين يديه، فأخذها الملك قبلها، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة، وقدم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر، الذي كان لبني بويه، فوضعه بين يديه، وأخرج اثني عشرة حبة من لؤلؤ كبار، وقال: أرسلنا خاتون يعني زوجة الخليفة تخدم. وتساءل أن تسبح بهذه المسبحة، وجعل يعتلن من تأخره عن الحضرة، بسبب عصيان أخيه إبراهيم: فقتلته، واتفق موت أخي الأكبر داود أيضاً، فاشتغل بترتيب أولاده من بعده، وكنت عزمت على أن أصمد إلى الحديثة لأصون المهجة الشريفة، ولكن بلغني بحمد الله أمر مولاي أمير المؤمنين الخليفة فرحت بذلك، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة أمير المؤمنين، وأنا ذاهب إن شاء الله أمض خلف هذا الكلب الباسيري فآتاه إن شاء الله، ثم أدخل الشام، وأقبل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقاتلة بما كان من فعل الباسيري ها هنا. فدعا له الخليفة وشكره على ذلك كل ذلك بترجمه عميد الملك بين الخليفة والملك طفرليك، وأعطى الخليفة للملك سيقاً كان معه، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة، ففرغت الأستار عن جوانب الخراقة، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ثم

قريش بن بدران، مولى أمير المؤمنين، من شاهنشاه العظيم، ملك المشرق والمغرب طفرليك، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان. حسبي الله. وكان في الكتاب: والآن قد سرت بنا المقادير إلى قتال كل عدو للدين والملك، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين، وإطلاع أبهة إمامته على سرير عزه، فإن الذي يلزمنا ذلك، ولا فسحة في الضجيج فيه ساعة من الزمان، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخيوها، إلى هذا المهم العظيم، ونريد من الأمير الجليل علم الدين، إتمام السعي النجح الذي وفق له وتفرده به، وهو أن يتم وفاءه، من أمثاته، وخدمته، في باب سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين من أحد وجهين، إما أن يقبل به مكرماً إلى وكر عزخ: ومثوى إمامته، وموقف خلافته، من مدينة السلام، ويتمثل بين يديه، متولياً أمره، ومتفناً حكمه، وشاهراً سيفه وقلمه، وذلك المراد، وهو خليفتنا، وتلك الخدمة المقروضة، ونحن نوليك العراق بأسرها، ونصفي لك مشارع برها، وبهرها، ولا يظوها حافر خيل من خيول العجم، شبرا من أراضي تلك المملكة، إلا ملتصقا لمعاوتك، ومظاهرتك، وإما أن نحافظ على شخصه الغالي، بتحويله من القلعة إلى حلقه أو في القلعة إلى حين لحاقنا بخدمته، فتكفل بإعادته، ويكون الأمير الجليل غيراً بين أن يلقانا، أو يقيم حيث شاء، فنولية العراق كلها، ونستخلفه في الخدمة الإمامية، ونصرف اعتنا إلى الممالك الشرقية، فممتنا لا تقتضي إلا هذا الغرض المفترض ولا تسف إلا ملكة من تلك الممالك بل المهمة دينية وهو آدام الله تمكنه يتقن ما ذكرنا ويعلم أن توجهنا إثر هذا الكتاب بهذا الغرض المعلوم ولا غرض سواه فلا يشرعن قلوب عشائره رهته فإنهم كلهم إخواننا وفي ذمتنا وعهدنا وعلينا به عهد الله وميثاقه ما داموا موافقين للأمير لأجل في موالينا ومن اتصل به من سائر العرب والعجم والأكراد فإنهم مقررون في جملتهم وداخلون في عهدنا وذمتنا وعهده وذمتهم ولكل مجرم في العراق عفونا وأماناً بما يتر منه إلا الباسيري فإنه لا عهد له ولا أمان منا وهو موكول إلى الشيطان وأقاويله وقد ارتكب في دين الله عظيماً وهو إن شاء الله مأخوذ حيث وجد ومعذب على ما عمل فقد سعى في دماء خلق كثير بسوء دخيله ودلت أفعاله على فساد عقيدته وكتب في رمضان من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة وبعث بهذا الكتاب مع رسولين من أهل العلم وبعث معهمما بتحف عظمى للخليفة وأمرهما أن يخدموا الخليفة نياية عنه جزاء الله عن الإسلام خيراً.

ولما وصل الكتاب إلى قريش بن بدران استعلم عن أخبار طفرليك من الرسل وغيرهم، فإذا معه جنود عظيمة فخاف من ذلك خوفاً شديداً وبعث إلى البرية فأمر بحفر أماكن للما وتجهيز علوفات كثيرة إلى هناك، ونفذ الكتاب والأخبار إلى الباسيري فآزرع لذلك الباسيري قبحه الله فخارت قوته وضعف أمره وبعث إلى أهله فنقلهم إلى بغداد وأرصد له إقامات عظيمة بواسطة، وجعلها دار مقره، ووافق على عود الخليفة إلى بغداد، ولكن اشترط شروطاً كثيرة لتذهب خجله. ولما انتقل أهل الباسيري من بغداد وصحبهم أهل الكرخ والروافض بقبحهم الله تعالى، وانحدروا في دجلة إلى واسط، كان خروجهم من بغداد في سادس ذي القعدة من هذه السنة. وفي مثله من العام الماضي دخلوا بغداد وعند ذلك ثار الهاشميون وأهل السنة من باب البصرة إلى الكرخ فنهرو وأحرقوا منه محال كثيرة جفا واحترق من جملة ذلك دار العلم التي كان وقتها الوزير أردشير من مدة سبعين سنة وفيها من الكتب شيء كثير، وكان من جملة ما

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أرسلان أبو الحارث الباسيري الركني، وكان من عماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة، وكان أولا مملوكا لرجل من أهل مدينة بسرا، فنسب إليه، فقيل له: الباسيري، وتلقب المظفر، ثم كان مقدما كبيرا عند الخليفة القائم بأمر الله، لا يقطع أمرا دونه، وخطب له على منابر العراق كلها، ثم طفا، ويغنى، وتمرد، وعتا، وخرج على الخليفة والمسلمين، ودعا إلى خلافة الفاطميين، فتم له ما رامه من الأمل الفاسد واستدراج، ثم كان في هذه السنة، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذي القعدة من سنة خمسين وأربعمائة، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذي القعدة أيضا من سنة ستة إحدى وخمسين بعد سنة هلاية كاملة، ثم كان خروج الخليفة من بغداد، في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول، واتفق قتل الباسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول بعد سنة شمسية، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة.

■ الحسن بن أبي الفضل: أبو علي الشرمقاني، المؤدب، المقرئ، الحافظ وللقرءاءات، واختلافها، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها، فأعلم ابن المسلمة بحاله، فأرسل ابن المسلمة غلاما له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده، فيتخذ لها مفتاحا غير مفتاحه، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد، ودجاجة، وحلاوة السكر، فظن أبو علي الشرمقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة، فكتمه زمانا وجعل ينشد:

من اطلعوه على سر فباح به لم يامنوه على الأسرار ما عاشا فلما كان في بعض الأيام، ذكره ابن العلاف في أمره، وقال له فيما قال: أراك قد سمت فما هذا الأمر، وأنت رجل فقير؟ فجعل يلوح ولا يصرح، ويكني، ولا يفصح، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفي، فقال له: ادع لابن المسلمة، فإنه الذي يفعل معك ذلك، وشرح له صورة الحال، فانكسر ولم يعجبه ذلك.

■ علي بن محمود بن إبراهيم بن ماهرة أبو الحسن الزوزني، شيخ الصوفية. وإليه ينسب رباط الزوزني، وقد كان بني لأبي الحسن الحصري شيخه، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي، وقال: صحبت ألف شيخ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية، توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة.

■ محمد بن علي، بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب الحربي، المعروف بالعثاري وإنما قيل له ذلك لطول جسده، وقد سمع الدارقطني وغيره، وكان ثقة، دينيا، صالحا، كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، وقد نيف على الثمانين.

■ الوئي القرصي: الحسين بن محمد أبو عبد الله الوئي، نسبة إلى ون قرية من أعمال قهستان، الفرضي شيخ الخبري، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم، كان الوئي إماما في الحساب والفرائض، واتفق الناس به، توفي في هذه السنة، ببغداد شهيدا، في فتنه الباسيري، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة

في يوم الخميس السابع عشر من صفر، دخل السلطان بغداد، مرجعه

دخلوا بغداد يوم الاثنين، لخمس بقين من ذي القعدة، وكان يوما مشهودا: الجيش كله معه، والقضاة، والأعيان بين يديه والسلطان أخذ بلجام بقلته، إلى أن وصل باب الحجرة، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته، استأذنه السلطان في الذهاب وراء الباسيري فأذن له، وكان قد عزم على أن يمضي معه فقال: يا أمير المؤمنين أنا أكتفيك ذلك إن شاء الله. وأطلق الملك لمهارش عشرة آلاف دينار فلم يرض، وشرع السلطان في ترتيب الجيوش للمسير وراء الباسيري، فأرسل جيشا من ناحية الكوفة، ليمتنعوه من الدخول إلى الشام، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر. وأما الباسيري فإنه مقيم بواسط، في جمع غلات، وتمور يهيشها لقتال أهل بغداد ومن فيها من الغز، وعنده أن الملك طغربك، ومن معه، ليسوا بشيء يخاف منه، وذلك لما يريد الله تعالى من إهلاكه، على يدي الملك طغربك، جزاء الله عن الإسلام خيرا. آمين.

صفة أخذ الباسيري قبحة الله تعالى

لما سار السلطان نحوه، وصلت إليه السرية الأولى، فلقوه بأرض واسط، ومعه ابن مزيد، فاقتلوا هنالك، وانهزم أصحابه عنه، ونجا الباسيري بنفسه على فرس، فقبه بعض العلمان، فرمى فرسه بنشابة فالتقه إلى الأرض، ففجا الغلام فضره على وجهه، ولم يعرفه، وأسره واحد منهم يقال له: كمشكتين، فحز رأسه، وحمله إلى السلطان وأخذت الأتراك من جيش الباسيري من الأموال فاعجزوا عن حمله.

ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد، وأن يرفع على قنطرة، وأن يطاف به في الحال، البياض، والبوقات، والنشاطون معه، وأن يخرج الناس، والنساء، للفرجة عليه، ففعل ذلك، ثم نصب على الطيار، تجاه دار الخلافة ولله الحمد والمثلة، وقد كان مع الباسيري خلق من البغادة، خرجوا معه، ظانين أنه سيعد إلى بغداد محبة فيه، فهلكوا، ونهبت أموالهم، ولم ينج من أصحابه إلا القليل، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة، ومعه أولاد الباسيري وأمههم، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئا فوردوا البطيحة مسلوبين عرويين. ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان، ودخل معه بغداد، وقد نهبت العساكر السلطانية ما بين واسط والبصرة، والأهواز، وذلك لكثرة الجيش، وانتشاره، وكثافته، وأما الخليفة، فإنه لما عاد إلى دار الخلافة، جعل لله عليه أن لا ينام على وطاء، ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائما، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه، وعاهد الله أن لا يؤدي أحدا من آذاه، وأن يصفح عمن ظلمه، وكان يقول: ما عاقبت من عصى الله فيك، بأكثر من أن تطيع الله فيه.

وفيها ولي الملك ألب أرسلان بن داود جعفريك بن ميكائيل بن سلجوق بلاد خراسان بعد وفاة أبيه، بتقرير عمه الملك طغربك، وكان له من الإخوة ثلاثة، سليمان، وقاروتيك، وياقوتي، فتزوج طغربك بأم سليمان. هنا وأوصى له بالملك من بعده.

وكان في هذه السنة بمكة رخص، لم يسمع بمثله، بيع التمر، والبر، كل مائتي رطل بدينار.

ولم ينج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

تعالى وأكرم مثواها بمنه وكرمه، آمين.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فيها خطب الملك طغرل بك ابنة الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك، وقال: هذا شيء لم نجر العادة بمثله، ثم طلب شيئا كثيرا كهيشة الفرار. من ذلك ما كان لزوجته، التي توفيت من الإقطاعات بأرض واسط، وصداق ثلاثمائة ألف دينار، وأن يقيم الملك ببغداد، لا يترحل عنها، ولا يجيد عنها يوما واحدا، فوقع الاتفاق على بعض ذلك، وأرسل إليها بمائة ألف دينار، مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة أرسلان خاتون، وأشياء كثيرة، من آنية الذهب، والفضة، والتار والجواري والكرع، ومن الجواهر آفان وماني قطعة، من ذلك سبعة قطع من جوهر، وزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المثقال، وأشياء أخرى. فتمنع الخليفة لقنات بعض الشروط، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومه السلطان، وجرت شرور طويلة، اقتضت أن أرسل السلطان كتابا، يأمر فيه، بانتزاع ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك، حتى تنفصل هذه القضية، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد، وأصلح الطيار فانزعج الناس لذلك، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشق، يأمره بعدم المراقبة، وكثرة العسف في مقابلة رد أصحابه بالحرمان، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار الملكة، وأرسل من يحملها إلى البلد التي هو فيها، كل ذلك غضبا على الخليفة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الجوزي: وفي رمضان منها، رأى إنسان من الزمنى، رسول الله ﷺ في المنام، وهو قائم، ومعه ثلاثة أنفس، فجاءه أحدهم فقال له: ألا تقوم؟ فقال: لا أستطيع، أنا رجل مقعد. فأخذ بيده فقال: قم فقام، وانتبه، فإذا هو قد برأ، وأصبح يمشي في حوائجه.

وفي ربيع الآخر، استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي، وخلع عليه، وجلس في مجلس الوزارة.

وفي جمادى الآخرة، لليلتين بقيتا منه، كسفت الشمس كسوفاً عظيماً، جميع القرص، فمكث الناس أربع ساعات، حتى بدت النجوم، وأوت الطيور إلى أوكارها، وتركت الطيران لشدة الظلمة.

وفيها ولي أبو نعيم بن معز بن باديس بلاد إفريقية بعد وفاة أبيه صاحبها. وفيها ولي نصر بن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر بعد أبيه أيضاً.

وفيها ولي شرف الدولة بن قريش بن بردان بلاد الموصل، ونصيبين بعد أبيه، وفيها خلع على طراد ابن محمد الزينبي، الملقب بالكامل وولي نقابة العباسيين. وخلع على أسامة بن أبي عبد الله بن علي، وقلد نقابة الطالبين، ولقب المرتضى. وفيها ضمن أبو إسحاق إبراهيم بن علان اليهودي، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوانا، كل سنة بستمائة ألف دينار، وسبعة عشرة ألف كر من غلة. ولم يجح أحد من أهل العراق هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن مروان: أبو نصر الكردي، صاحب بلاد بكر، وميفارقين، لقبه القادر بالله نصر الدولة، وملك هذه البلاد، ثنتين وخمسين سنة، وتنع

من واسط، بعد قتل البساسيري، وفي يوم الحادي والعشرين منه جلس الخليفة بدار الخلافة، وحضر الملك طغرل بك، ومد سماً عظيماً بين يديه، فأكل الأمراء منه، والعامّة، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول، عمل الملك طغرل بك سماً عظيماً أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة، قدم الأمير علة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله. وجدته وعمته، وله من العمر يومئذ أربع سنين، صحبه أبي الغنائم بن الحلبيان، فتلقاء الناس إجلالاً لجلده، وقد ولي الخلافة بعد ذلك، وسمي المقتدي بأمر الله.

وفي رجب، وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتايي دار كتب، وهي دار بشار ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام، ونقل إليها ألف كتاب، عوضاً عن دار ازديش التي أحرقته بالكرخ. وفي شعبان، ملك محمود بن نصر حلب، وقلعتها، فامتدحه الشعراء.

وفيها ملك عطية بن صالح بن مرداس الرجة، وذلك كله يتزع من أيدي الفاطميين.

وفيها عاد الملك طغرل بك إلى الجبل وعقد بغداد على العميد بمائة ألف دينار في السنة وستين بعدما بثلاثمائة ألف دينار فشرع العميد في عمارة الكرخ وأسواقه.

ولم يجح أحد من أهل العراق في هذه السنة، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة، وذعبوا مع طائفة من الخفر.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ باي بن جعفر بن باي أبو منصور الحلبي: من تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفراييني، ولي القضاء بباب الطاق، وبجرم دار الخلافة، وسمع الحديث من جماعة، قال الخطيب: وكتبنا عنه، وكان ثقة رحمه الله تعالى.

■ الحسن بن محمد بن أبي الفضل أبو محمد النسوي الوالي، سمع الحديث، وكان ذكياً في صناعة الولاية، ومعرفة التهم، من بين الغرماء، بلطيف من الصنيع، كما نقل عنه، أنه أوقف بين يديه جماعة، اتهموا بسرقة، فأتى بركوز ليشرّب منه، فرمى به، فانزعج الواقفون إلا واحداً، فأمر به أن يقرر، وقال: السارق يكون جريئاً قوياً، فوجد الأمر كذلك.

وقد قتل مرة رجلاً، في ضرب بين يديه فادعى عليه، عند القاضي أبي الطيب الطبري، فحكم عليه بالقصاص ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلص من القتل.

■ محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمرو، أبو الفضل البزار، انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكيين ببغداد، وكان من القراء المجريدين، وأهل الحديث المستندين، مع ابن حبان، والمخلص، وابن شاهين، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغاني، وكان أحد المعدلين.

■ قطر الندى، ويقال: بدر الدجي، ويقال: علم، أم الخليفة القائم بأمر الله، كانت عجوزاً كبيرة، وقد بلغت التسعين وكانت أرمية، وهي التي احتاجت في زمان البساسيري والحائث الحاجة حتى كتبت إليه رقعة تشكو فقرها وحاجتها، فأجرى عليها رزقاً، وأخذها جليوتين وهذا كان من أحسن ما صنع، ثم لم تم، حتى أقر الله عنها بولدها وأهلها، ورجوعهم إلى دار الخلافة، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه، ثم توفيت في رجب من هذه السنة، فحضر ولدها الخليفة جنازتها، وكانت حافلة جداً رحمها الله

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **ثمال بن صالح:** معز الدولة، صاحب حلب، كان كريماً، حليماً، وقوراً. ذكر ابن الجوزي، أن الفراهي تقدم إليه ليسل يده، فصدمت ببلبة الإبريق ثنيته، فسقطت في الطست، فعفا عنه رحمه الله تعالى.

■ **الحسن بن علي بن محمد، أبو محمد الجوهري،** ولد في شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وسمع الحديث على جماعة، وتفرد بمشايع كثيرين، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي، وهو آخر من حدث عنه، توفي في ذي القعدة منها.

■ **الحسين بن أبي زيد:** أبو علي الدباغ، قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجيئني على الإسلام، فقال: وعلى السنة وعلى السنة، وعلى السنة رحمه الله تعالى.

■ **سعد بن محمد بن منصور:** أبو الحسن الحرجاني، كان من الرؤساء القداماء، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين، في حدود سنة عشر، وكان من الفقهاء العلماء تخرج به جماعة، وروى الحديث عن جماعة، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة، وقتل ظلماً، بإسطنبول، في رجب من هذه السنة، رحمه الله تعالى وليآتينا به وكرمه.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها دخل السلطان طغرل بك بغداد، وهزم الخليفة على تلقيه، ثم ترك ذلك، وأرسل وزيره أبا نصر عرضاً عنه، وكان من جيش الملك، أذية كثيرة للناس، في الطريق، وتعرضوا للحريم، حتى هجموا على النساء في الحمامات، فخلصهن منهم العامة، بعد جهد جهيد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

دخول الملك طغرل بك علي بنت الخليفة

لما استقر السلطان طغرل بك ببغداد، أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة، يطلبه بنقل السيدة من الدار العزيزة النبوية إلى دار المملكة، فتمنع الخليفة من ذلك، وقال: إنكم إنما سألتم أن يعقد العقد فقط لحصول التشريف، والتمنم لنا بعدم المطالبة بها. فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك، وأرسل الملك زيادة على القدر مائة ألف دينار، ومائة وخمسين ألف درهم، وتحفاً أخرى، وأشياء لطيفة، فلما كان ليلة الاثنين، الخامس عشر من صفر، زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة، فضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة، وضربت البادب والبوقات عند دخولها إلى الدار وكانت ساعة عظيمة، فاجلس على سرير مكلل بالذهب، وعلى وجهها برقع، ودخل الملك طغرل بك، فوقف بين يديها، وقبل الأرض، ولم يقم له، ولم تره، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار، والحجاب والأترك يرقصون هناك فرحاً وسروراً، وبعث لها مع الخاتون أرسلان ابنة أخيه زوجة الخليفة عقدين فاخرين، وقطعة باقوت حمراء كبيرة هائلة، ودخل من الغد فقبل الأرض، وجلس على سرير مكلل بالفضة بإزائها ساعة، ثم خرج، وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة، وفرجية نسيج بالذهب مكللة باللؤلؤ، وما زال كذلك كل يوم، يدخل، وقبل الأرض، ويجلس على سرير بإزائها، ثم يخرج، ويبعث بالتحف والهدايا، ولم يكن منه إليها شيء

تبعاً لم يقع لأحد من أهل زمانه، ولا أدركه فيه أحد من بعده، وكان عنده خمسمائة سريّة، سوى من يخدمه، وعنده خمسمائة خادم، وكان عنده من المغنيات شيء كثير، كل واحدة مشترها خمسة آلاف دينار، وأكثر، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللّهُو والأواني ما يساوي مائتي ألف دينار، وتزوج بعده من بنات الملوك، وكان كثير المهادة للملوك. إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يرغبه على حربه ويصالحه بذلك فيرجع عنه.

وقد أرسل إلى الملك طغرل بك بهدية عظيمة، حين ملك العراق، من ذلك جبل من باقوت، كان لبني بويه، اشتراه منهم بشيء كثير، ومائة ألف دينار شيئاً، وغير ذلك، وقد وزر له أبو القاسم المغربي مرتين، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن جهر فخر الملك وكانت ببلاده من أمن البلاد، وأطيبها، وأكثرها عدلاً، وقد بلغه أن الطيور تنجم، فتجتمع في الشتاء في الجبال إلى القرى، فيصطادها الناس، فأمر بفتح الأهراء، وإلقاء ما يكفها من الغلات في مدة الشتاء، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره، توفي في هذه السنة، وقد قارب الثمانين.

قال ابن خلكان: قال ابن الأَرزقي «تاريخه»: إنه لم يصادر أحداً من رعيته، سوى رجل واحد، ولم تقته صلاة مع كثرة مباشرته للذات، وكانت له ثلاثمائة وستون حظية، يبيت عند كل واحدة ليلة من السنة، وخلف أولاداً كثيرة، ولم يزل على ذلك الحال إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرل بك، تشكو من قلة إتصاف الخليفة، وعدم موافقته له، ويذكر ما أسداه إليه من الخير والتعم إلى ملوك الأطراف وقاضي القضاة الدماغي، فلما رأى الخليفة ذلك، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط، على أموال الخليفة، كتب إلى الملك يبيح له ما سأل، فلما وصل ذلك إلى الملك، فرح فرحاً شديداً، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة فلما انتهت الركابية بذلك إلى بغداد، دقت البشائر بدار الخلافة، وطيف بالركابية وبين أيديهم الدبابد والبوقات، وفرح الناس بإجابة الخليفة إلى ذلك وافقت الكلمة، بعد أن كادت تفرق، فوكل الخليفة في العقد، وكتب بذلك وكالة فوق العقد بمدينة تبريز، بحضرة الملك طغرل بك، وعمل سمطاً عظيماً، فلما جيء بالوكالة، قام لها الملك، وقبل الأرض عند رؤيتها، ودعا للخليفة دعاء كثيراً، ثم أوجب العقد على صدق أربعمائة ألف دينار، وذلك في يوم الخميس، الثالث عشر من شعبان، من هذه السنة، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون أرسلان خاتون زوجة الخليفة في شوال بنحف كثيرة، وجوهر، ونهب كثير، وجواهر عديدة ثمينة، وهدايا عظيمة لأم العروس وأهلها كلهم، وقال الملك جهره للناس: أنا عبد قن للخليفة ما بقيت، لا أملك شيئاً سوى ما عليّ من الثياب.

وفيها عزل الخليفة وزيره. واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جهير، استقلعه من ميفارقين.

وفيها عم الرخص جميع الأرض، حتى بيع بالبصرة، كل ألف رطل تمر بشمان قراريط والله أعلم.

■ سعيد بن مروان، صاحب آمد، ويقال: إنه سم، فانتقم سعيد صاحب ميفارقين عن سمه، فقطعه قطعاً.

الملك الكبير أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب

■ طغرل بك، كان أول ملوك السلاجقة، وكان خيراً مصلحاً، محافظاً على الصلوات في أول أوقاتها، يديم صيام الاثنين والخميس، حليماً عمن أساء إليه، كرمياً للأسرار، سعيداً في حركاته وتقليباته، ملك في أيام مسعود بن محمود سبكتكين عامة بلاد خراسان، واستتاب أخاه داود، وأخاه لأمه إبراهيم بن ينال، وأولاد إخوته، على كثير من البلاد. ثم استدعاه الخليفة الملك العراق حين فسد الحال ببغداد من الباسيري وضعف الملك الرحيم فقدمها وجلس له الخليفة وخلع عليه سبع خلع ولقبه بملك المشرق والمغرب ثم اشتغل بقتال أخيه إبراهيم حتى كان من أمر الباسيري ما ذكرناه في سنة خمسين والتي تليها ثم ظفر بأخيه إبراهيم فقتله ثم عاد إلى بغداد فاستعاده وأعاد الخليفة من حليته عانة إلى دار خلافة ومقر سعادته ثم سعى في الترويح ببنت الخليفة فتزوجها بعد ثمن من الخليفة ودخل بها في هذه السنة ففرح فرحاً شديداً كما ذكرنا ولكنه لم يتمتع بها فإنه عرض له مرض متلف واستمر به حتى كانت وفاته في ثامن رمضان من هذه السنة، وله من العمر سبعون سنة، وكان له في الملك مدة ثلاثين سنة، منها في مملكة العراق، ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزير عمه عميد الملك الكنتري، وسجنه بعض القلاع سنة، ثم أرسل إليه من قتله، واعتمد في الوزارة على نظام الملك، وكان وزير صدق، يكرم العلماء والفقراء ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلش، وخرج عن الطاعة، وطمع في أخذ الملك من ألب أرسلان وكان من بني عم طغرل بك فجمع وحشد واحتفل له ألب أرسلان فقال له الوزير: أيها الملك، لا تخف، فإني قد استخلفت لك جنداً ليلاً يدعون لك، ويصرونك، بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء، والصلحاء. فطابت نفس الملك بذلك، فحين التقى مع قتلش، لم ينظره أن كسره، وقتل خلفاً من جنوده، وقتل قتلش في المعركة، واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان.

وفيها أرسل ولده ملكشاه، ووزيره نظام الملك هذا، في جنود عظيمة، إلى بلاد الكرج، ففتحوا حصوناً كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة، وفرح المسلمون بنصرهم، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم، صاحب ما وراء النهر، وزوج ابنه الآخر بابتة صاحب غزنة، واجتمع شمل البيت السلجوقي، والمحمودي.

وفيها أذن ألب أرسلان للسيدة ابنة الخليفة في الرجوع إلى بغداد، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء، فدخلت بغداد، في نجل عظيم، وخرج الناس لينظروا إليها، فدخلت ليلاً في أبهة عظيمة، ففرح الخليفة وأهلها بذلك، وأمر الخليفة بالدعاء للملك ألب أرسلان على المنابر في الخطب، فقيل في الدعاء: اللهم، وأصلح السلطان المعظم، عضد الدولة، وتاج الملة ألب أرسلان، أبا شجاع محمد بن داود. وجلس الخليفة للناس جلوساً عاماً وبابهم للملك ألب أرسلان ثم أرسل الخليفة إلى الملك، بالخلع، والتقليد، مع الشريف تقيب التقياء، طراد بن محمد الزينبي، وأبي محمد التميمي، وموفق الخادم ولقب الوزير نظام الملك قوام الدين والدولة

مقدار سبعة أيام، وبعد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماً طائلاً، وخلع في يوم السابع على جميع الأمراء، ثم عرض له سفر، واعتراه مرض، فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد مدة قريبة ثم يعود بها، فأذن له الخليفة، بعد تمنع شديد، وحزن عظيم، فخرج بها، وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة، وبسهم خدمتها، وقد تألت والدتها لفقدائها ألماً شديداً لا يعبر عنه، وخرج السلطان وهو مريض مدنف، مأبوس منه مقل لا ترجى منه العافية. فلما كانت ليلة الأحد، الرابع والعشرين من رمضان، جاء الخبر بأن الملك طغرل بك توفي في ثامن الشهر رحمه الله تعالى، فثار العيارون بهمنان، قتلوا العميد والشحنة، وسبعمائة من أصحابه، ونهبوا الأموال، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتلى نهراً، حتى انسلخ الشهر لنهم الله وقبحهم، وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان ابن داود، وكان طغرل بك قد نص عليه، وأوصى إليه، لأنه كان قد تزوج بأمة بعد أبيه، وانفقت الكلمة عليه وانفقت في الأمراء والأترار الأموال والخلع، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخيه سليمان وهو الملك عضد الدولة، ألب أرسلان، محمد بن داود، فإن الجيش كانوا يميلون إليه ويقبلون عليه، وقد خطب له أهل الجبل، ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره، ولما رأى الكنتري قوة أمره، خطب له بالري، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود.

وقد كان الملك طغرل بك عاقلاً حليماً، كثير الاحتمال، شديد الكتمان للسر، محافظاً على الصلوات، وعلى صوم الاثنين والخميس، مواظباً على لبس البياض، وكان عمره يوم مات سبعين سنة، ولم يترك ولداً، وكان مدة ملكه بمحضرة القائم بأمر الله سبع سنين، وإحدى عشر شهراً، وإثني عشر يوماً، ولما مات، اضطربت الأحوال، وانتقضت الأمور بعده، جندا، وعائت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق، ينهبون الأموال ويشلحون الرجال، وتعدون الزراعة إلا على المخاطرة، فازرعج الناس لذلك.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام، فهدمت قطعة من سور طرابلس.

وفيها وقع بالناس موتان بالجندي والنجاة، ووقع بمصر وباء شديد، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة.

وفيها ملك الصليحي صاحب اليمن مكة، وجلب الأقوات إليها، وأحسن إلى أهلها.

وفي أوائل هذه السنة طلبت الست أرسلان خاتون، زوجة الخليفة، النقلة من عنده إلى عمها، وذلك لما هجرها بالكلية، وبارت عنده، فبعثها مع الوزير الكنتري إلى عمها، فلما وصلت إليه، كان مريضاً مفلجاً مقللاً، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في تهاورها بها، فكتب الخليفة إليه ارجعاً:

تعبت شررتي وولي الغرام وإرتجاع الشباب ما لا يرام
أفعبت مني الليالي جديداً والليالي يضعفن والأيام
فعلى ما عهدته من شباهي وعلى الغائيات مني السلام

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير

■ زهير بن علي بن الحسن بن حذام أبو نصر الحذامي، ورد ببغداد، فتفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وسمع بالبصرة «سنن أبي داود»، على القاضي أبي عمر، وحدث بالكثير، وكان يرجع إليه في الفتاوى وحل المشكلات، وكانت وفاته بسرخص في هذه السنة.

أولا، قد تضلع من علم المنطق، أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكنتاني القرطبي، ذكره ابن ماكولا، وابن خلكان رحمه الله تعالى، ففسد بذلك حاله في باب الصفات.

■ عبد الواحد بن برهان بن علي بن هاني: أبو القاسم النحوي، كان شريف الأخلاق جدا، لم يلبس سراويل قط، ولا غطي رأسه، ولم يقبل غطاء لأحد، وذكر عنه أنه كان يقبل الرد من غير رية.

قال ابن عقيل: وكان على مذهب مرجئة المعتزلة، وينفي خلود الكفار في النار، ويقول: دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشنف، لا وجه له، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة، ويتأول قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الطه ١٠٠) أي أبدا من الآباد. قال ابن الجوزي: وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد، ويخالف اعتقاد المسلمين، لأنه قد خالف الإجماع، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فيها سار جماعة للحج بخفارة، فلم يمكنهم المسير، فعدلوا إلى الكوفة، ورجعوا.

وفي ذي الحجة منها، شرع في بناء المدرسة النظامية ببغداد، ونقض لأجلها دور كثيرة، من مشرعة الزوايا، وباب البصرة.

وفيها كانت حروب كثيرة، بين نجم بن المعز بن باديس، وأولاد حماد والعرب، والمغاربة، بصنهاجة، وزناتة.

وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم.

وفيها كان مقتل عبيد الملك الكنتري، وهو محمد بن منصور بن محمد أبو نصر الكنتري، وزير طغرلبيك، وكان مسجوناً له ستة تامة، ولما قتل، حمل فدفن عند أبيه، بقرية كنذر من عمل طرطيث وليست بكنذر التي هي بالقرب من قزوين واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله، وقد كان ذكياً، فصيحاً، شاعراً، لديه فضائل جمة، حاضر الجواب، سريع. ولما أرسله طغرلبيك إلى الخليفة يخطب إليه ابنته، وامتنع الخليفة من ذلك، وأنشد مثملاً يقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

فتمنه الوزير:

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فسكت الخليفة، وأطرق.

وكان عمر الكنتري حي. قتل نيّاً وأربعين سنة. ومن شعره الجيد قوله:

إن كان في الناس ضيق عن منافستي فالوت قد وسع الدنيا على الناس مضيت والشامت للغبون يبعني كل لكاس المتأبى شارب حاسي

وقد كان الملك طغرلبيك بعثه مرة ليخطب له امرأة خوارزم شاه، فتزوجها هو، فخصاه وأقره الملك، على عمله، فدفن ذكره بخوارزم، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ، ودفن جسده بكنذر، وحمل رأسه، فدفن بتيسابور، ونقل حقه رأسه إلى كرمان.

رضي أمير المؤمنين، وإنما كان يقال له قبل ذلك: خواجا بزرگ. وأرسل الملك ألب أرسلان بالهدايا والتحف النفيسة المتخرة. واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على بغداد وجميع بلاد العراق.

قال ابن الجوزي: وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوما من الأكراد خرجوا يتصيدون، فأروا في البرية خياما سودا، سمعوا بها لطما شديدا، وعويلا كثيرا، وقتلا يقول: قد مات سيدك ملك الجن، وأي بلد لم يلطم به عليه، ولم يقم له ماتم فيه قلع أصله وأهلك أهله. قال: فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر، يلطمن ثلاثة أيام، ويقرن ثيابهن، وينشرون شعورهن، وخرج رجال من السفهاء يفعلون ذلك، وفعل هذا بواسط، وخوزستان، وغيرها من البلاد، قال: وهذا من الحمق، لم يقل مثله.

قال ابن الجوزي: وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان، هجم قوم من أصحاب عبد الصمد، علي أبي علي بن الوليد، المدرس للمعتزلة فسبوه، وشتموه، لامتناعه من الصلاة في الجامع، وتدرسه للناس بهذا المذهب وأهائوه، وجروه، ولعنوا المعتزلة في جامع المنصور، وجلس أبو سعيد بن أبي عمارة، وجعل يلعن المعتزلة. وفي شوال، ورد الخبر أن السلطان غزا بلدا عظيما، فيه سبعمائة ألف دار وألف بيعة، وقتل منهم خلقا كثيرا، وأسر خمسمائة إنسان.

وفي ذي القعدة، حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق، وغلت أسعار الأدوية، وقتل التمرهندي، وزاد الحر في تشارين، وفسد الهواء. وفي هذا الشهر، خلع على أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي بتقاية الطالبين، وولاية الحج، والمظالم، ولقب بالظاهر ذي المناقب وقرئ تقليده في الموكب. وحج أهل العراق في هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن حزم الظاهري: هو الإمام الحافظ العلامة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ابن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، أصل جده من فارس، أسلم، وخلف المذكور، وهو أول من دخل منهم بلاد المغرب، وكانت بلدتهم قرطبة، فولد ابن حزم هذا بها، في سلخ رمضان، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، فقرأ القرآن، واشتغل بالعلوم الشرعية، فبرز فيها، وفاق أهل زمانه، وصنف الكتب المفيدة الشهيرة، يقال: إنه صنف أربعمائة مجلد، في قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان أدبيا، طيبا شاعرا، فصيحاً، له في الطب، والمنطق اليد العالية، وكان من بيت وزارة، ورياسة، ووجاهة، ومال، وثروة، وكان مصاحبا للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري، ومناوئا للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وقد جرت بينهما مناظرات يطول شرحها. وكان ابن حزم كثير الوقعة في العلماء بخالفون الأحاديث الصحيحة، بلسانه، وقلمه، فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم، فطردوه عن بلاده، حتى كانت وفاته في قرية له، في ثاني شعبان من هذه السنة، وقد جاوز التسعين.

والعجب كل العجب منه، أنه كان ظاهريا حائرا في الفروع، لا يقول بشيء من القياس، لا الجلي، ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيرا في نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلا، في باب الأصول، وآيات الصفات، وأحاديث الصفات، لأنه كان

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

في يوم عاشوراء، أغلق أهل الكرخ دكاكينهم، واحضروا نساء ينحن على الحسين، كما جرت به عادتهم السالفة، في بدعتهم المتقدمة المخالفة، فحين وقع ذلك، أنكرته العامة، وطلب الخليفة أبا الغنائم نقيب الطالبين، وأنكر عليه ذلك. فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به، وأنه حين علم به أزاله، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك، ويتصلون منه وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع.

قال ابن الجوزي: في ربيع الأول، ولد بيباب الأزج صبية لها راسان، ووجهان، ورقبتان وأربع أيد، على بدن كامل، ثم ماتت.

قال: وفي جمادى الآخرة، كانت بمخراسان زلزلة مكثت أياماً، تصدعت منها الجبال، وهلك جماعة، وخسف بعدة قري، وخرج الناس إلى الصحراء، وأقاموا هنالك، ووقع حريق بنهر معلى من بغداد فأحرق مائة دكان، وثلاثة دور، وذهب للناس شيء كثير، ونهب بعضهم بعضاً.

قال ابن الجوزي: وفي شعبان، وقع قتال بدمشق، فاضربوا داراً كانت قرية من الجامع، فأحرق جامع دمشق. كنا قال ابن الجوزي. والمشهور، أن حريق جامع دمشق، إنما كان في سنة إحدى وستين وأربعمائة، بعد ثلاث سنين. وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة وهي الخضراء فأحترقت، وتعدى حريقها حتى وصل إلى الجامع، فسقطت سقفه، وبادت زخرفته، وتلف رخامه، وبقي كأنه خربة، وبادت الخضراء، فصارت كوما من تراب، بعد ما كانت في غاية الإحكام، والإنقان، وطيب الغناء وحسن البناء، فهي إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداء مكانها إلا سفلة الناس وسقاطهم، بعد ما كانت دار الملك والإمارة، منذ أسسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه.

وأما الجامع الأموي، فإنه لم يكن على وجه الأرض، بناء أحسن منه، ولا أبهى منظراً، إلى أن احترق، بقي خراباً مدة طويلة، ثم شرع المملوك في تجديده وترميمه، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب، ولم يزل في تحسين معالنه إلى زماننا هذا، فتمائل حاله بعض التماثل، وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصري، في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وما قبلها، وما بعدها يسير رحمه الله.

وفيها رخصت الأسعار ببغداد، رخصاً شديداً، ونقصت دجلة نقصاً ظاهراً.

وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد، بالملك من بعده، لولده ملكشاه، ومشي بين يديه بالغاوية، والأمراء بين يديه يتماشون بالخلع، وكان يوماً مشهوداً.

وحج بالناس في هذه السنة، نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزيني، وجاور بمكة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ الكبير أبو بكر: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى بكر

■ البيهقي، أحد الحفاظ الكبار له التصانيف التي سارت بها الركبان في سائر الأمصار والأقطار، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكان واحد

زمانه، في الإنقان، والحفظ، والفقه، والتصنيف كان فقيهاً، محدثاً، أصولياً. أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، وسمع على غيره شيئاً كثيراً، وجمع أشياء كثيرة نافعة جداً لم يسبق إلى مثلها، ولا يدرك فيها، من ذلك كتاب السنن الكبير، ونصوص الشافعي، كل في عشرة مجلدات، والسنن، والأثر، والمدخل، والأدب، وشعب الإيمان، والخلافيات، ودلائل النبوة، والبعث والنشور، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة، التي لا تسامى، ولا تنانى، وكان زاهداً، متقللاً من الدنيا، كثير العبادة والورع رحمه الله تعالى.

وكانت وفاته بنيسابور، ونقل تابوته إلى يهق في جمادى الأولى من هذه السنة.

■ الحسن بن غالب بن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك، أبو علي التميمي، ويعرف بابن المبارك المقرئ، صاحب ابن سمعون، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه، وجرب عليه الكذب، إما عمدًا وإما خطأ، واتهم في روايات كثيرة، وكان أبو الحسن القزويني ممن ينكر عليه، وكتب عليه محضر وألزم بعدم الإقرار.

قال أبو محمد بن السمرقندي: كان كذاباً وكانت وفاته في هذه السنة عن اثنين وثمانين سنة، ودفن عند إبراهيم الحربي.

قال ابن خلكان: أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، ثم غلب عليه الحديث، وأشتهر به، ورحل في طلبه.

القاضي

■ أبو يعلى الخبلي: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن القراء القاضي أبو يعلى شيخ الحنابلة، ومعه مذهبهم في الفروع، ولد في عزم، سنة ثمانين وثلاثمائة، وسمع الحديث الكثير، وحدث عن ابن حبان.

قال ابن الجوزي: وكان من سادات العلماء الثقات، وشهد عند ابن ماكولا، وابن الدائماني، قبلاه، وتولى النظر في الحكم بحريم دار الخلافة، وكان إماماً في الفقه، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد، ودرس، وأفتى سنين، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وانتشرت تصانيفه، وأصحابه، وجمع الإمامة، والفقه، والصدق، والعفة وحسن الخلق، والتعب، والتشفي، والخشوع، وحسن السم، والصمت عما لا يعي.

كانت وفاته في العشرين من رمضان من هذه السنة، عن ثمان وسبعين سنة، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان من الفقهاء والشهود، وكان يوماً حاراً، فأفطر بعض من اتبع جنازته ذلك اليوم، وترك من البين عبيد الله أبا القاسم، وأبا حازم وأبا الحسين.

ورآه بعضهم في المنام، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال له: رحمني، وغفر لي، وأكرمني، ورفع منزلتي وجعل يعد ذلك بأصبعه، فقال: أبا العلم؟ فقال: بل بالصدق رحمه الله تعالى.

■ ابن سيده اللغوي: أبو الحسين علي بن إسماعيل المروزي، كان إماماً حافظاً للغة، وكان ضريب البصر، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه، وكان أبوه ضريباً أيضاً، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي، وله المحكم في مجلدات عديدة، وله شرح الحمامة في ستة مجلدات، وغير ذلك، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطلمنكي كتاب الغريب لأبي عبيد سردا من حفظه، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب فسمع الناس بقرائه من حفظه وتعجبوا لذلك.

توفي في ربيع الأول منها، وله ستون سنة، وقيل إنه توفي في سنة ثمان

وأربعين، والأول أصح، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها بنى أبو سعد المستوفى، الملقب بشرف الملك، مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد، وعقد عليه قبة، وعمل بإزائه مدرسة، وأزله المنزلة والفقهاء فدخل أبو جعفر بن أبياسي زائرا لأبي حنيفة، فأنشد ارمجالا:

لم تر أن العلم كان مضيعا فجمعه هذا المغيث في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشروها جود العميد أبي السعود

وفي شعبان هبت ريح حارة، فمات بسببها خلق كثير، ودواب ببغداد وأتلفت شجر كثير من الليمون والأترج.

وفيها احترق قبر معروف الكرخي، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه، فتعدت النار إلى الأخشاب، فاحترق المشهد بكماله.

وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق، وحلب، وحران، وأعمال خراسان بكمالها، وقع الفناء في الدواب وكانت تنفخ رؤوسها، وأعينها، حتى كان الناس يأخذون حر الوحش بالأيدي، ولكن يأنفون من أكلها.

قال ابن الجوزي في المنتظم [١٠٧/١٦]: وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة، جمع العميد أبو سعد القاضي الناس لحضور الدرس النظامية ببغداد، وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، فلما تكامل اجتماع الناس، وجاء أبو إسحاق ليدرس، لقيه فقيه شاب، فقال: يا سيدي، تذهب تدرس في مكان مغصوب؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور، ورجع إلى بيته، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباح، فدرس، فلما بلغ نظام الملك ذلك، تغيط على العميد، وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق، فرده إلى التدريس بالنظامية، في ذي الحجة من هذه السنة، وكان لا يصلي فيها مكتوبة، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيؤدي المكتوبة، لما ذكر من كونها في بعض أرضها غضب، وقد كان مدة تدريس ابن الصباح فيها عشرين يوما، ثم عاد أبو إسحاق إليها.

وفي ذي القعدة، من هذه السنة، قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة، قتله بعض أمراء اليمن، وخطب بها للقائم بالله العباسي. وفيها حج بالناس في هذه السنة أبو الغنائم النقيب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن إسماعيل بن محمد: أبو علي الطوسي، ويقال له العراقي، لظرفه، وطول مقامه بها.

سمع الحديث من أبي طاهر المخلص، وتفقه على أبي محمد الباقي، ثم على الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وولي قضاء بلدة طوس، وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

قال ابن الجوزي: في جمادى الأولى، كانت زلزلة شديدة بأرض فلسطين، أهلكت بلد الرملة، ومرت شرافتين من مسجد رسول الله ﷺ

ولحقت وادي الصفر وخيبر، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة، وجاء كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة، يقول: إنها خسفت الرملة جميعا، حتى لم يسلم منها إلا داران فقط، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة، وانشقت الصخرة التي ببيت المقدس، ثم عادت فالتأمت، بقدره الله تعالى وغار البحر مسيرة يوم، وساخ في الأرض، وظهر مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها، ودخل الناس إلى أرضه يلتقطون، فرجع عليهم، فأهلك كثيرا منهم، أو أكثرهم.

وفي يوم السبت النصف من جمادى الآخرة، قرئ الاعتقاد القادري، الذي فيه مذهب أهل السنة، والجماعة والإنكار على أهل البدع، وقرأ أبو مسلم الليثي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين وذكر محضر من الوزير ابن جهر، وجماعة الأعيان من الفقهاء، وأهل الكلام، واعتزفوا بالموافقة، ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المهدي بالله باب البصرة، وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه.

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر بن محمد بن محمد بن جهر، الملقب بفخر الدولة، وبعث إليه يعاتبه في أشياء كثيرة، فاعتذر منها، وأخذ في الترفق، والتذلل، فأجيب بأن يرسل إلى أي الجهات شاء، فاختر حلقة ابن مزيد، فباع أصحابه أموالهم وأملأهم، وطلقوا نساءهم، وأخذ أولاده وأهله، وجاء ليركب في سُميرية، لينحدر منها إلى الحلقة، والناس حوله يتباكون لبكائه، فلما اجتاز بدار الحلقة، قبل الأرض دفعات، والخليفة في الشباك، والوزير يقول: يا أمير المؤمنين، أرحم شيعتي وغربي، وأولادي وعيالي. فأعيد إلى الوزارة، بشفاعه ديبس بن مزيد في السنة الآتية، وامتدحه الشعراء، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة، وكان يوم دخوله ببغداد يوما مشهودا بكثرة الناس وتباكيهم فرحا بقدومه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور: الملقب بالشيخ الأجل، كان أوجده زمانه، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمبادرة إلى فعل الخيرات، واصطناع الأيادي عند أهلها من أهل السنة مع شدة القيام على أهل البدع وقمعهم، واقتصاد المستورين، بالبر والصدقة على المحايير، وإخفاء ذلك جهده وطاقته، ومن غريب ما وقع له: أنه كان يبرئ إنسانا في كل سنة بعشرة دنانير، يكتب له بها على رجل يقال له ابن رضوان، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان، فقال: ادفع لي ما كان يصرف لي الشيخ فقال له ابن رضوان: الذي كان يكتب لك عليّ قد مات ولا أقدر أن أصرف لك شيئا فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل، فقرأ شيئا من القرآن، ودعا له، وترحم عليه، ثم التفت، فإذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير، فأخذها، وجاء بها إلى ابن رضوان، فذكر له ذلك، فقال له ابن رضوان: هذه سقطت مني اليوم عند قبره، فخذها، ولك عليّ في كل يوم مثلها.

كانت وفاته في منتصف من محرم من هذه السنة، عن خمس وستين سنة، وكان يوم موته يوما مشهودا، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، فرحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

أبو جعفر

■ محمد بن الحسن الطوسي: فقيه الشيعة توفي في هذه السنة، ودفن بمشهد علي، وكان مجاورا به حين احترقت داره بالكرك، وكتبه سنة ثمان

وأربعين إلى الحرم من هذه السنة، فتوفي، ودفن هناك.

■ خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظ المعروفة بالشاهجانية ولدت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وكانت صالحة صادقة وكانت قد صحبت ابن سمعون وروت عنه وعن ابن شاهين ودفنت إلى جانب ابن سمعون رحمها الله

عمورية، فقتل خلقا، وغنم أموالا كثيرة.

وفيهما كان رخص عظيم في الكوفة، حتى بيع السمك كل أربعين رطلا بحبة.

في هذه السنة حج بالناس أبو الغنائم العلوي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الفوراني: أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني، الروزي، أحد أئمة الشافعية، ومصنف الإبانة، التي فيها من الثغور الغريبة، والأقوال، والأوجه، التي لا توجد إلا فيها، كان بصيرا بالأصول، والفروع، وأخذ الفقه عن أبي بكر الفقال، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير فلم يلتفت إليه، فصار في نفسه منه، فهو يحفظ كثيرا في النهاية.

قال القاضي ابن خلكان: فمضى قال في النهاية: وقال بعض المصنفين كذا، وغلط في ذلك، وشرع في الوقوف فيه، فمراده أبو القاسم الفوراني. وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة بمرو، عن ثلاث وسبعين سنة، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المعري مدرسا بالطائفة، بعد الشيخ أبي إسحاق، وقبل ابن الصباغ، ويعد أيضا، كتابا على الإبانة، فسماه تمة الإبانة، انتهى فيه إلى كتاب الحدود، ومات قبل إتمامه، فتممه أسعد العجلي، وغيره، فلم يلحقوا شأوه، ولا حاسوا حوله، وسموه تمة التمة رحمهم الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وأربعمئة

قال ابن الجوزي: فمن الحوادث فيها، أنه كان على ثلاث ساعات من يوم الثلاثاء، الحادي عشر من جمادى الأولى، وهو الثامن عشر من آذار، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها، فذهب أكثرها، وانهدم سورها، وعم ذلك بيت المقدس، وتيسر، وانخفض أيلة، وانجفل البحر حتى انكشفت أرضه، ومشي ناس فيه، ثم عاد وتغيرت، إحدى زوايا جامع مصر، وتبعث هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان.

وفيهما توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلاثمائة ألف مقاتل، فقتل على منبج، وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم، وقتل رجالهم، وسبى نساءهم وأولادهم، وفزع المسلمون محلها، وغيرها فزعا عظيما، فأقام ستة عشر يوما، ثم رده الله خاسئا، وذلك لقلة ما معهم من الميرة، وهلاك أكثر جيشه بالجوع، ولله الحمد والمنة.

وفيهما ضاقت يد أمير مكة، فأخذ الذهب من أستار الكعبة، والميزاب وباب الكعبة، ففرض كل ذلك دراهم ودينارين، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام.

وفي هذه السنة كان غلاء شديد وقحط عظيم ببلاد مصر، بحيث إنهم أكلوا الجيف، والميتات، والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دينارين، وماتت الفيلة، فأكلت، وأقيت الدواب، فلم يبق لصاحب مصر، سوى ثلاثة أفراس، بعد العدد الكثير منها.

ونزل الوزير يوما عن بغلته، ففعل الغلام عنها، لضغفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر، فذبحوها، وأكلوها، فأخذوا، فصبوا، فأصبحوا فإذا عظامهم بادية قد أكل الناس لحومهم، وظهر على رجل يقتل الصياني

ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمئة

في ليلة النصف من شعبان من هذه السنة، كان حريق جامع دمشق، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فيما بينهم، فالتقت نار بدار الملك، وهي الحضراء، الناطقة للجامع، من جهة القبلة، فاحتترق، وسرى الحريق إلى الجامع، فسقطت سقفه، وتناثرت فصوصه المذهبة التي على جدرانها وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه، وعلى جدرانها، وتغيرت معالمه ومحاسنه وتبدلت بهجته بضدها، وقد كانت سقفه مذهب مبطنة كلها، والجمالونات من فوقها، وجدرانها بالفصوص المذهبة الملونة، مصور فيها جميع بلاد الدنيا، بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يفرج في إقليم، أو بلد، وجده في الجامع مصورا كهيمته، فلا يسافر إليه، ولا يبنى في طلبه، فقد وجده من قرب، الكعبة، ومكة في الحراب، والبلاد كلها، شرقا، وغربا، كل إقليم في مكانه اللائق به، ومصور فيه كل شجرة مثمرة، وغير مثمرة، مشكلة مصور في بلدانه، وأوطانه، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن، وعلى أصول الحيطان، إلى مقدار الثلث منها وباقي الجدران بالفصوص الملونة، وأرضه كلها بالفصوص، ليس فيها بلاط، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه، لا قصور الملوك، ولا دور الخلفاء فضلا عن غيرها، ثم لما وقع هذا الحريق فيه، تبدل الحال الكامل بضده، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء، وغبارا في زمن الصيف، محصورة مهجورة، ولم يزل كذلك حتى بلط أرضه في زمن العادل أبي بكر بن أيوب بعد الستمائة سنة من الهجرة، وكان جميع ما سقط منه من الرخام وغيره من الأخشاب مودعا في المشاهد الأربعة، شرقية وغربية حتى فرغها من ذلك القاضي كمال الدين الشهرزوري، في زمن الملك العادل نور الدين عمود بن زنكي، حين ولاه نظره، مع القضاء، ونظر الأوقاف كلها، ونظر دار الضرب، وغير ذلك، ولم تزل الملوك تجدد في محاسن إلى زماننا هذا، فتقارب حاله في زمن الأمير سيف الدين تانكر بن عبد الله الناصري نائب الشام أثابه الله تعالى، وقد أרך الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم [٩٦/٩٧] هذا الحريق في سنة ثمان وخمسين، وتبعه ابن الساعي في تاريخه، والصواب أنه في هذه السنة كما ذكره ابن الساعي أيضا في هذه السنة وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي مؤرخ الإسلام في تاريخه، وغير واحد والله أعلم.

وفيهما تقممت الختابة، على الشيخ أبي الوفاء بن عقيل، وهو من كبارهم، بترده إلى أبي علي بن الوليد، المتكلم، المعتزلي، واتهموه بالاعتزال، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بمذهبه، ولكن سرقة الهوى، وصارت فيه نزعة منه، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة، وتآذى بسببها جماعة منهم، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين، ثم اصطلحوا فيما بينهم بعد اختصام كثير.

وفيهما زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعا، حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة ومشهد النور.

وفيهما ورد الخبر بأن الأفشين، دخل بلاد الروم، حتى انتهى إلى

طلبت صديقا في البرية كلها فاعيا طلابي أن أصيب صديقا
بلى من تسمى بالصديق مجازة ولم يكن في معنى السواد صدوقا
فطلقت ود العالمين صرعة وأصبحت من أسر الحفاظ طليقا

ثم دخلت سنة ثلاث وستون وأربعمئة

وفيها أقبل ملك الروم أرماتوس، في جحافل أمثال الجبال، من الروم،
والكرج، والفرنج، وعُدَّ عظمه، وتَجَمَّلَ هائل، ومعه خمسة وثلاثون ألفا
من البطارقة، مع كل بطريق ما بين ألفي فارس إلى خمس مئة فارس، ومعه
من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا، ومن الغز الذين يكونون وراء القسطنطينية
خمسة عشر ألفا، ومعه مائة ألف نقاب، وحفار، وألف روزجاري، ومعه
أربعمئة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسرورج
والعرادات والمجانيق، منها متجنق بمئة ألف ومائتا رجل، ومن عزمه قبحة
الله أن يجتث الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقه البلاد حتى بغداد،
واستوصى نائبه بالخليفة خيرا، فقال له: أرفق بذلك الشيخ، فإنه صاحبنا.
ثم إذا استرسقت ممالك العراق وخراسان لهم، مالوا على الشام وأهله ميلة
واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين واستغنوه فيما يزعمون، والقدر
يقول: ﴿لَتَمُرَّكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالتقاء السلطان
أب أرسلان في جيشه، وهم قريب من عشرين ألفا، بمكان يقال له الرهوة،
في يوم الأربعاء، نحس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة
جند ملك الروم، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري،
بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال، حين يكون الخطباء يدعون
للمجاهدين، فلما تواجه القتتان، نزل السلطان عن فرسه، وسجد لله عز
وجل، ومرغ وجهه في التراب، ودعا الله تعالى، واستصره، فأنزل نصره
على المسلمين، ومنجهم أكثاف المشركين، فقتلوا منهم خلقا لا يحصون
كثرة، وأسر ملكهم أرماتوس، أسره غلام رومي فأمره السلطان وأعطاه
شيئا كثيرا وقد كان هذا الغلام عرض على نظام الملك الوزير في جملة
تقدمة فلم يقبله فقال له سيد: إنه... وإنه... بشي عليه فرد وقال كهيشة
السهزئي به: لعله يجيئنا بملك الروم أرماتوس أسيرا فوقع الأمر كما قال
ولله الحمد والمنة.

فلما أوقف أرماتوس بين يدي الملك أب أرسلان ضربه بيده ثلاث
مقارع، وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك، ماذا كنت تفعل؟ قال: كل
قيح. قال: فما ظنك بي؟ فقال: تقتلني أو تشهرني في بلادك، وأما العفو
وأخذ الفداء فبعيد. قال: ما عزمت على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه
منه بألف ألف دينار، وخمسمائة ألف دينار. وأن يُطْلَقَ كل أسير في بلاد
الروم، وعلى هلنة خمسين سنة، يحمل فيها عن كل يوم ألف دينار فقام بين
يدي الملك، وسقا شربة من ماء، وقبل الأرض بين يديه، وإلى نحو جهة
الخليفة إجلالا وإكراما، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها،
وأطلق معه جماعة من البطارقة، وشيعه فرسخا، وأرسل معه جيشا يخدمونه
ومحفوظونه ويحفظونه إلى بلاده، ومعه راية مكتوب عليها لا إله إلا الله
محمد رسول الله، فلما انتهى إلى بلاده، وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره،
فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب، والجواهر ما يقارب
ثلاثمائة ألف دينار، وتزهد، وليس الصوف، ثم استضاف ملك الأرمن،
فأخذه، وكحله، وأرسل إلى السلطان فأعلمه بذلك، يترب إليه به.

والنساء، ويدفن رؤوسهم، وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقتل.

وكانت الأعراب يقدمون بالطعام، يبيعونه في ظاهر البلد، لا
يتجاسرون يدخلون، لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن
يدفن ميتة نهارا، وإنما يدفنه ليلا خفية، لئلا ينشب فيؤكل. واحتاج صاحب
مصر، حتى باع أشياء كثيرة من نفائس ما عنده، من ذلك أحد عشر ألف
درع، وعشرون ألف سيف على، وثمانون ألف قطعة بلور كبار، وخمسة
وسبعون ألف قطعة من اللبياج القديم، وبيعت ثياب النساء والرجال،
وسجف اليهود بأرخص الأثمان، وكذلك الأملاك وغيرها، وقد كان بعض
هذه النفائس الخليفة، مما نهب من بغداد في أيام الساسي.

وفيها وردت الخدم والتحف والهدايا من الملك أب أرسلان إلى الخليفة
القائم بأمر الله.

وفيها ضرب اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدراهم،
وسمى الأميري ومنع التعامل بغيرها.

وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك أب أرسلان، وهو بخراسان،
يخبره بإقامة الخطبة، للقائم بأمر الله، وللسلطان بمكة، وقطع الخطبة
للمصريين، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار، وخلعة سنية، وأجرى له في كل
سنة عشرة آلاف دينار.

وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهير، بابتة نظام الملك بالري ثم عاد إلى
بغداد.

وحج بالناس أبو الغنائم العلوي.

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير

■ الحسن بن علي بن محمد بن ياري أبو الجواز الواسطي، سكن بغداد
دهرا طويلا، وكان أديبا، شاعرا، ظريفا، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة،
ومات في هذه السنة، عن مائة وعشر سنين. ومن مستجاد شعره قوله:

واخترتني من قولها قد خان عهدني ولمّا
وحق من صبرني وقفا عليها ولمّا
ما خطرت بخاطري إلا كسبتي ولمّا

■ محمد بن أحمد بن سهل: المعروف بابن بشران النحوي الواسطي،
ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان عالما بالأدب، وانتهت إليه الرحلة في
اللغة، وله شعر حسن، فمنه قوله:

يا شائلا للقصور مهلا أقصر قصور الفتى المات
لم يمنع شمل أهل قصر إلا وقصاراتهم الشكيات
وأما العيش مثل ظل متقل ما له ثبات ومن قوله:

ودعهم ولي الدنيا مودعة ورحت ما لي سوى ذكراهم وطير
وقلت يا للفتي يبي لينهم كان صفو حياتي بعدهم كندر
لولا تعلق قلبي بالرجاء لهم ألفتني إن حننا بالعين بنظر
يأليت عيهم يوم النوى نحررت أو ليتها للضواري بالفلا جزر
يا ساعة البين أنت الساعة اقترت يا لوعة البين أنت النار تستمر
وقوله:

ورواية الصحابة عن التابعين، واقتضاء العلم والعمل، والفقيه، والمتفقه، وغير ذلك. وقد سردها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في المتظم (١٣٠/١٦)، [١٣٩].

قال: ويقال: إن هذه الصفات، أكثرها ابتدأها أبو عبد الله الصوري، فتمتها الخطيب.

وقد كان الخطيب حسن القراءة، فصيح اللفظ، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، وقد كان أولاً يتكلم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد، ويقدم فيهم ما أمكنه، وله دلائل عجبية في ذمهم، ثم شرع ابن الجوزي يتنصر لأصحاب أحمد، بما يطول ذكره، وقد أورد ابن الجوزي من شعر الخطيب قصيدة من خطه جيدة المطلع، حسنة المتن، أولها قوله:

لعمرك ما شجاني رسم دار وقفت به ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعني لأجل تذكري عهد الفواني
ولا ملك الهوى يوما قيادي ولا عاصية فتسى عنائي
عرفت فعالة بلوي الصلبي وما يلقون من ذل الهوان
فلم أطمع في وكم قيل له في الناس ما يحصى رعان
طلبت أخا صحيح الود عضا سليم الغيب عفو لسان
فلم أعرف من الإخوان إلا نفاقا في الباعد والتداني
وعالم دهرنا لا خير فيهم ترى صوراً تروق بلا معاني
ووصف جميعهم هنا فما أن أقول سوى فلان أو فلان
ولما أجد حراً يواتني على ما ناب من صف الزمان
صبرت تكراً لقرع دهرني ولم أجزع لما منه دهاني
ولم أك في الشدائد مستكيناً أقول لها ألا كفي كفاني
ولكني صليب العود عوداً ريب الجاش مجتمع الجنان
أبسي النفس لا اختار رزقاً يحني بغير سيفي أو سنان
فعرز في لظي باغيه يُشوي أئذ من المكلة في الجنان
وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٣٧٥/٥) ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعره قوله:

لا تغبطن أخا الدنيا لزخرفها ولا للنة وقت عجلت فرحها
فالدهر أسرع شيء في قلبه وفعله يُبين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته وكم مقلد سيفاً من به ذمها

وقد كانت وفاته يوم الاثنين، ضحى السابع من ذي الحجة من هذه السنة، وله ثنتان وسبعون سنة، في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة، جوار المدرسة النظامية، واحتفل الناس بمنازته، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافي، في قبر رجل كان قد أعد له نفسه، فسل أن يتركه للخطيب فشحّت به نفسه، حتى قال له بعض الناس: بالله عليك لو قدمت أنت والخطيب إلى بشر، أيكما كان يجلس إلى جانبه؟ فقال: الخطيب. فقيل له: فاسمع له به فوهبه له، فدفن فيه، رحمه الله، وأكرم مثواه وهو ممن يُنشد له قول الشاعر:

ما زلت تداب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وفيهما خطب صاحب حلب محمود بن صالح بن مرداس للقائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان، فبعث إليه الخليفة بالخلق، والهدايا، والتحف، والمهد مع الشريف طراد الزيني.

وفيهما حج بالناس نور الهدى أبو طالب الزيني، وخطب بمكة للخليفة للقائم بأمر الله، وقطعت خطبة المصريين منها، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة، فانقطع ذلك في هذه السنة والله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ أبو بكر

■ الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي:

أحد مشاهير الحفاظ، وصاحب تاريخ بغداد، وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، نحو من ستين مصنفًا، ويقال بل مائة مصنف. قاله أعلم. ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وقبل سنة ثنتين وتسعين.

وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمئة، ونشأ ببغداد، وتفق على القاضي أبي الطيب الطبري، وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الإسفراييني. وسمع الحديث الكثير، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز.

وسمي الخطيب، لأنه كان يخطب بلرزيجان، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، فحظي عند الوزير أبي القاسم بن مسلمة.

ولما ادعى اليهود الخيابة أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية عنهم، أوقف ابن المسلمة الخطيب على هذا الكتاب. فقال: هذا كذب. فقيل: وما الدليل على كذبه؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم يوم خير، وقد كانت خبير في سنة سبع من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد كان توفي، عام الخندق سنة خمس. فأعجب الناس ذلك. وقد سبق الخطيب إلى هذا النقد، سبقه محمد بن جرير، كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد.

ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين، خرج منها إلى الشام، فأقام بدمشق، بالماننة الشرقية من جامعها، وكان يقرأ على الناس الحديث النبوي، وكان جهوري الصوت، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها، فاتفق أنه قرأ يوماً على الناس يوماً فضائل العباس، فثار عليه الروافض وأتباع الفاطميين، فأرادوا قتله، فتشفع بالشريف الزيني، فأجاره، وكان مسكنه بدار العقيقي، ثم خرج من دمشق، فأقام بمدينة صور، فكسب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري، بخطه، كان يستعيرها من زوجته. فلم يزل مقيماً بالشام إلى سنة ثنتين وستين، ثم عاد إلى بغداد، فحدث بإشياء من مسموعاته، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور، وأن يموت ببغداد، فيدفن إلى جانب بشر الحافي، فيقال: إنه حدث بالتاريخ بجامع المنصور، وإنه ملك ذهباً يقارب ألف دينار، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار، فأوصى بها لأهل الحديث، وسأل السلطان أن يمضي له ذلك، فإنه لا يترك وارثاً فأجيب إلى ذلك.

وله مصنفات كثيرة مفيدة، منها كتاب التاريخ، وكتاب الكفاية، والجامع، وشرف أصحاب الحديث، والمثقف والمفروق، والسابق واللاحق، وتلخيص المشابه في الرسم، وفضل الوصل، ورواية الأبناء عن الأبناء،

عباد، حتى أخذ ابن تاشفين قرطبة من يده، في سنة أربع وثمانين، فقتل يومئذ. قال ابن خلكان في الوفيات [١٣٩/١].

■ كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزي: كانت عالة سالحة، سمعت صحيح البخاري على الكشمي، وقرأ عليها الأئمة، كالخطيب، وأبي المظفر السمعاني، وغيرهما.

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على الفسدين، والذين يبيعون الخمور، وفي إبطال المؤاجرات وهن البنايا وكتبوا إلى السلطان في ذلك، فجاءت كبة بالإنكار.

وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد، أرغمت لها الأرض ست مرات.

وفيها كان غلاء شديد، وموتان ذريع في الحيوانات، بحيث إن بعض الرعاة يخرسان، قام وقت الصباح، ليسرح بغنمه، فإذا هن قد متن كلهن، وجاء سيل عظيم، وبرد كبار، أئلف شيئا كثيرا من الزروع، والثمار، يخرسان.

وفيها تزوج الأمير عُدَّة الدين، ولد الخليفة بآبنة السلطان الب أرسلان من سُفْرى خاتون، وذلك بنيسابور، وكان وكيل السلطان نظام الملك، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهر، وحين عقد العقد، نشر على الناس جواهر نفيسة وكان يوما مشهودا زيت الأفيال والحيول وضربت الدبابد والبوقات.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ زكريا بن محمد بن جيد: أبو منصور النيسابوري، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب، وكان ثقة. توفي في الحرم من هذه السنة، وقد قارب الثمانين.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، أبو الحسن الهاشمي، خطيب جامع المنصور. كان ممن يلبس القلائس الطوال، حدث عن ابن رزقويه وغيره، وروى عنه الخطيب، وكان ثقة عدلا، شهد عند ابن الدماغي وابن مأكولا، قبلاه، وتوفي في هذه السنة عن ثمانين سنة، ودفن بقرب بشر الحافي رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن شاذي: روى الحديث عن أبي عمر بن مهدي، القضاء بدجيل، وكان شافعيًا، وروى الحديث عن أبي عمر بن مهدي، وكانت وفاته ببغداد، ونقل إلى دجيل من عمل واسط، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

في يوم الخميس، حادي عشر المحرم، حضر إلى الديوان أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي، وقد كتب على نفسه كتابا، يتضمن توبته من الاعتزال ومخالطة أهله، وأنه رجع عن اعتقاده كون الحلاج من أهل الحق والخير، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك، وأن الحلاج قد قتل، بإجماع علماء أهل عصره، على زندقته، وأنهم كانوا مصيبين في قتله، وما رموه به، وهو مخطئ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب، ورجع من الديوان، إلى دار الشريف أبي جعفر، فسلم عليه، وصالحه،

وحكى ابن خلكان عن السمعاني أنه توفي في شوال وأنه تصدق بجميع أمواله ووَقَفَ كُتُبَهُ.

■ حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي النخعي، كان في شبابه يجمع بين الزهد والتجارة، حتى ساد أهل زمانه، ثم ترك ذلك، وأقبل على العبادة، والزهد، والبر، والصلة، والصدقة، والإحسان إلى الخلق، وبناء المساجد، والرباطات، وكان السلطان يأتي إليه ويتبرك به، ولما وقع الغلاء كان يعمل في كل يوم شيئا كثيرا من الخبز، والأطعمة، ويتصدق به، وكان يكسو في كل سنة، قريبا من ألف فقير ثيابا، وجبايا، وكذلك كان يكسو الأرمال، وغيرهن من النساء، وكان يجهز البنات الأيتام، وبنات الفقراء، وأسقط أشياء كثيرة من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور وقراها، وهو مع ذلك في غاية التبذل، والثياب الأظمار، وترك الشهوات، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة، في بلدة مرو الروذ، تغمد الله برحمته آمين.

■ محمد بن الحسين بن حمزة: أبو علي الجعفري، فقيه الشيعة في زمانه.

■ محمد بن وشاح بن عبد الله أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزيني، سمع الحديث، وكان أدبيا شاعرا، وكتب لنقيب النقباء الكامل وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض، ومن شعره قوله:

حلت المصلا لا الضمف اوجب حلها علي ولا اشي تخيبت من كثيره
ولكنني التزمت نفسي بمحلها لأعلمها ان القيسم على سفر

الشيخ أبو عمر

■ ابن عبد البر النمرى الحافظ:

صاحب التصانيف، منها التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، وغيرها.

■ ابن زيدون:

الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد، الشاعر الماهر، الأندلسي، القرطبي، اتصل بالأمير المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية، فحظي عنده، وصار عند مشاورا في منزلة الوزير، ووزر له ولده أبو بكر بن أبي الوليد، وهو صاحب القصيدة الفراقية المشهورة التي يقول فيها:

يتسم وينا فما ابتلت جواغنا شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناسجكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لهدمكم أيامنا فغسدت سودا وكانت بكم يضا لبالينا
بالأس كسا ولا يُخشى تفرقنا واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي قصيدة طويلة، وفيها صنعة قوية، مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها، لأنه ما من أحد من أبناء الدنيا إلا وقد قَدَّ خلا، أو حببا، أو قريبا، أو نسيا.

ومن شعره:

يبني وينك ما لو شئت لم يضع سر إذا فاعت الأسرار لم يذع
يا بائعا حظي ولو بثلث لي الحياة يحظني منه لم أبع
يكفيك أنك إن حلت قلبي ما لا تستطيع قلوب الناس يستطع
يَهْ احتل واستطل أصبر وعز أمن وول أقبل وقل أسمع ومسر أطمع
توفي في رجب من هذه السنة، واستمر ولده أبو بكر وزيرا للمعتد بن

واعترى إليه، وعظمه ولله الحمد والمنة.

وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه

كان السلطان، قد سار في أول هذه السنة في متي ألف مقاتل، يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر، فاتفق في بعض المنازل، أنه غضب على رجل، يقال له يوسف الخوارزمي، فأوقف بين يديه، فشرع يعاتبه، في أشياء صدرت منه، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد، ويصلب بينها، فقال للسلطان: يا غث، أمثلي يقتل هكذا؟ فاحتد السلطان، وأمر بإرساله، وأخذ القوس، فرماه بهم، فأخطأ وأقبل يوسف نحو السلطان، فنهض السلطان عن السرير، خوفاً منه، فترل فمتر، فوقع، فأدركه يوسف، فضربه بخنجر كان معه، في خاصرته، فقتله، وأدركه الجيش قتلوه، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً، فتوفي في يوم السبت، عاشر ربيع الأول، من هذه السنة، ويقال: إن أهل بخارى، لما اجتاز بهم، ونهب عسكره أشياء كثيرة لهم، فدعوا عليه، فهلك.

ولما توفي، جلس ولده ملكشاه على سرير الملك، وقام الأمراء بين يديه، فقال له الوزير نظام الملك: تكلم أيها السلطان. فقال: الأكبر منكم أبي، والأوسط أخي، والأصغر ابني، وسأعمل معكم، ما لم أسبق إليه، فأمسكوا فأعاد القول، فأجابوه بالسمع والطاعة. وقام بأعباء أمره، الوزير نظام الملك، فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار، وساروا إلى مرو، فدفنوا بها السلطان، وسيأتي ذكر شيء من ترجمته في الوفيات.

ولما بلغ موته أهل بغداد، أقام الناس له العزاء، وغلقت الأسواق، وأظهر الخليفة الجزع عليه، وتسلبت ابنته الخاتون زوجة الخليفة، وجلست على التراب، وجاءت الكتب من السلطان في رجب، إلى الخليفة، يتأسف فيها على والده، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق، وغيرها. ففعل الخليفة ذلك، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك، خلعة سنية، وأعطاه تحفا كثيرة، من جلته عشرون ألف دينار، ولقبه أتاك الجيوش، ومعناه الأمير الكبير الوالد، فسار سيرة حسنة، ولما بلغ قاورت بك موت أخيه ألب أرسلان، ركب في جيوش كثيرة، فأصلد قتال ابن أخيه ملكشاه، فالتقى، فاقتلا، فانهزم أصحاب قاورت، وأسر هو، فأبته ابن أخيه، ثم اعتقله، ثم أرسل إليه من قتله.

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ، وباب البصرة، والقلائين، فاقتتلوا، فقتل منهم خلق كثير، واحترق جانب كبير من الكرخ، فانقم المثلوي لأهل الكرخ، من أهل باب البصرة، فأخذ منهم أموالاً كثيرة، جنابة لهم على ما صنعوا.

وفيها أقيمت الدعوة العباسية، ببيت المقدس.

وفيها ملك صاحب سمرقند، وهو محمد ألتكين مدينة ترمذ.

وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان

■ ألب أرسلان: الملقب بسلطان العالم، ابن داود بن جعفري بك بن ميكايل بن سلجوق بن ثقاق التركي، صاحب الممالك المتسعة، وقد ملك بعد عمه طغرل بك سبع سنين وستة أشهر وأياماً، وكان عادلاً، يسير في الناس سيرة حسنة، كريماً، رحيماً، شفوفاً على الرعية، رفيقاً على الفقراء،

باراً بأهله، وأصحابه، وعاليكه، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه، كثير الصدقات، يتصدق في كل رمضان، بخمسة عشر ألف دينار، ولا يعرف في زمانه جنابة، ولا مصادرة، بل كان يقنع من الرعايا، بالخراج في قسطنطين، رفقاً بهم.

كتب إليه بعض السعاة، في نظام الملك، فاستدعاه، فقال له: إن كان هذا صحيحاً، فهذب أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإن لم يكن صحيحاً فاعف عنهم زلتهم بمهم يشغلهم عن السعاية بالناس وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا، بلنه، أن غلاماً من غلمته، أخذ إزاراً لبعض التجار، فصلبه، فارتدع سائر المالك به، خوفاً من سطوته.

وترك من الأولاد ملكشاه الذي قام بالأمر من بعده، وإلياز، وتكش، وبوري برس، وأرسلان، أرغون وسارة، وعائشة، وبثا أخرى.

كانت وفاته في هذه السنة، عن إحدى وأربعين سنة، ودفن عند والده بالري، رحمه الله تعالى.

أبو القاسم

■ القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة، وأمه من بني سليم، توفي أبوه، وهو طفل، فقرأ الأدب، والعريّة، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك، وصنف الكثير، وله التفسير الكبير والرسالة، التي ترجم فيها جماعة من المشايخ والصالحين، وحج صحبة إمام الحرمين، وأبي بكر البيهقي الحافظ، وكان يعظ الناس.

توفي ببنيسبور، في هذه السنة، عن سبعين سنة، ودفن إلى جانب شيخه، أبي علي الدقاق، ولم يدخل أحد من أهله، بيته بيتاً كتبه إلا بعد سنين، احتراماً له، وكانت له فرس يركبها، قد أهليت له، فلما توفي، لم تاكل علماً، حتى نفقت، بعده يسير. ذكره ابن الجوزي [التلخيص: ١٦/١٤٩].

وقد أثنى عليه القاضي ابن خلكان في الوفيات (٢٠٧/٣)، ثناء كثيراً، وذكر شيئاً من شعره، من ذلك قوله:

سقى الله وقتاً كنت اخلو بوجهكم وثغر الهوى في روضة الأتس ضاحك
أمننا زماناً والعميون قريرة وأصبحت يوما والجفون سوانك
وقوله أيضاً رحمه الله تعالى:

لو كنت ساعة يتشا ما يتشا وشهدت حين نكرّر التوديعا
أيقنت أن من الدعوى عذبا وعلمت أن من الحديث دموعا
ومن ذلك قوله

ومن كان في طول الهوى فاق سلوة فبني من ليلي لها غير فائق
وأكثر شيء نلت من وصلها أماني لم تصدق كخطفة بارق

■ ابن صرّير: الشاعر، اسمه علي بن الحسن بن علي بن الفضل، أبو منصور الكاتب، المعروف بابن صرير، وكان نظام الملك يقول له: أنت صرّير لا صرير، وقد هجاه بعضهم فقال:

لئن نيز الناس قلما أباك وسئوه من شحه صريرعا
فلنك تشتر ما صرره عقوقا له وتسميه شعرا

قال ابن الجوزي: وهذا ظلم فاحش، فإن شعره في غاية الحسن، ثم أورد له قطعاً حسناً من شعره، فمن ذلك قوله:

إيه أحاديث نعمان وسكاكته إن الحديث عن الأحباب أسمار

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد أحمد أبو الحسين السمناني: الحنفي الأشعري.
قال ابن الجوزي: وهذا من الغريب، تزوج قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني ابنته، وولاه نيابة القضاة، وكان ثقة نبيلاً، من ذوي الهيئات، جاوز الثمانين.

■ عبد العزيز بن أحمد بن علي بن سليمان، أبو محمد الكتاني الحافظ الدمشقي، سمع الكثير وكتب كثيراً وصنف فأجاد وأفاد وله في الفضائل أشياء كثيرة غريبة وبعض ما يرويه موضوع ولا ينبه عليه مع أنه كان ثقة ضابطاً حافظاً صلوقاً مستقيم الطريقة والاعتقاد سلفي المذهب، وقد كتب عنه الحافظ أبو بكر الخطيب رحمه الله تعالى.

■ محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم جعفر أبو بكر العطار الأصبهاني الحافظ مستملي على أبي نعيم سمع الكثير وكان يلي من حفظه، وكتب عنه الخطيب حديثاً واحداً، وكان عظيمياً في بلده ببلده، ثقة نبيلاً جليلاً كانت وفاته في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ الماوردي: ذكر ابن الجوزي، أنها كانت عجوزاً سالحة، من أهل البصرة، تعظ النساء بها، وكانت تكتب، وتقرأ، ومكنت حسين سنة من عمرها، لا تظفر نهاراً، ولا تنام ليلاً، وتقتات بخبز البقال، وتأكل من التين اليابس، لا الرطب، وشيئا يسيراً من العنب، والزبيب، وربما أكلت من اللحم اليسير، وحين توفيت، تبع أهل البلد جنازتها، ودفنت في مقابر الصالحين.

ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة

في صفر منها، مرض الخليفة القائم بأمر الله، مرضاً شديداً، انتفخ منه حلقه، وامتنع من القصد، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه، حتى اقتصد، فسلح الحال، وكان الناس قد انزعجوا، ففرحوا بعافيته.

وجاء في هذا الشهر، سيل عظيم، قاسى الناس منه شدة عظيمة، ولم تكن أكثر أبنية بغداد، تكاملت من الغرق الأول، فخرج الناس إلى الصحراء، فجلسوا على رؤوس التلّول تحت المطر.

ووقع وباء عظيم بالرحبة، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف، وكذلك وقع بواسط، والبصرة، وخوزستان، وأرض خراسان، وغيرها، والله أعلم.

صفة موت الخليفة القائم بأمر الله

اقتصد في يوم الخميس، الثامن والعشرين من رجب، من مائتين، كانت تتعاده، من عام الغرق، ثم نام بعد ذلك، فاستنجز فصاده، فاستيقظ، وقد سقطت قوته، وحصل الإياس منه، فاستدعي بحفيده، وولي عهده من بعده، علة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، وأحضر إليه القاضي والقباء، وأشهدهم عليه ثانياً، بولاية العهد له من بعده، فشهدوا، ثم كانت وفاته ليلة الخميس، الثالث عشر من شعبان، عن أربع وسبعين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وكانت مدة خلافته، أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة، فكان مجموع أيامهما خمسا

أفئد الريح عنكم كلما نفحت من نحو أرضكم نكباء معطراً قال: وقد حفظ القرآن، وسمع الحديث، عن ابن بشران، وغيره، وحدث كثيراً، وركب يوماً دابة، فتردى هو والدابة، في بئر فماتوا ودفن بباب أربز، وذلك في صفر، من هذه السنة.

قال ابن الجوزي: قرأت بخط ابن عقيل كان صريعاً خائناً بالرصافة، وكان ينز بالإلحاد، وقد أورد له ابن خلكان، شيئا من أشعاره، وأثنى عليه في فنه، والله أعلم بحاله.

■ محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، أبو الحسين، ويعرف بابن الغريق، ولد سنة سبعين وثلاثمائة، وسمع الدارقطني، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا، وابن شاهين، وتفرّد عنه، وسمع خلقاً آخرين، وكان ثقة، ديناً، كثير الصلاة، والصيام، وكان يقال له راهب بني هاشم.

وكان غزير العلم، والعقل، كثير التلاوة، رقيق القلب، غزير الدمعة، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق، ثم ثقل سمعه، فكان يقرأ على الناس، وذهبت إحدى عينيه، وخطب وله ست عشرة سنة، وشهد عند الحكم سنة ست وأربعمائة، وو لي الحكم سنة تسع وأربعمائة، وأقام خطيباً بجامع المنصور، وجامع الرصافة، ستاً وسبعين سنة، وحكم ستاً وخمسين سنة، وتوفي في سلخ ذي القعدة، من هذه السنة وقد جاوز تسعين سنة، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، ورثت له منامات سالحة.

ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

في صفر منها، جلس الخليفة جلوساً عاماً، وعلى رأسه حفيده، الأمير علة الدين، أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله، وعمره يومئذ ثمانين عشرة سنة، وهو في غاية الحسن، وحضر الأمراء، والكبراء، فمعد الخليفة بيده، لواء السلطان ملكشاه، وكان يوماً مشهوداً، وكثر الزحام يومئذ، حتى هنا الناس بعضهم بعضاً بالسلامة.

صفة غرق بغداد

في جمادى الآخرة، جاء مطر عظيم، وسيل قوي كثير، وزادت دجلة، حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد، وحتى خلص ذلك إلى دار الخلافة، فخرج الجوارى حاسرات، حتى صرن إلى الجانب الغربي، وهرب الخليفة من مجلسه، فلم يجد طريقاً يسلكه، فحملته بعض الخدم إلى الساج، وكان ذلك يوماً عظيماً، وأمراً هائلاً، وهلك للناس أموال كثيرة جداً. ومات خلق كثير تحت الردم، من أهل بغداد، والقرباء، وجاء على وجه السيل، من الأخشاب، والوحوش، والحيات، شيء كثيراً جداً، وسقطت دور كثيرة في الجانبين، وغرقت قبور كثيرة، من ذلك مقبرة الخيزران، ومقبرة الإمام أحمد بن حنبل. ودخل الماء من شبايك المارستان العضدي، وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً، وصدم سور سنجار، فهلّقه: وأخذ بابه من موضعه، إلى مسيرة أربعة فراسخ.

وفي ذي الحجة منها جاءت ريح شديدة بأرض البصرة، فانجرفت منها نحو من خمسة آلاف نخلة.

من غير صراخ، ولا نوح، فصلى عليه، وحمل إلى المقبرة، وقد كان المقتدي بالله شهماً، شجاعاً وأياماً كلها مباركة، والرزق دار، والخلافة معظمة جداً، وتصاغر الملوك له، وتضاعفوا بين يديه، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس، والشامات كلها، واسترجع المسلمون الرها، وأنطاكية، من أيدي العدو، وعمرت بغداد، وغيرها من البلاد، واستوزر ابن جهمير، ثم أبا شجاع، ثم أبا عبد الله بن جهمير، وقاضيه الدامغاني، ثم أبو بكر الشامي، وهؤلاء من خيار القضاة، والوزراء، ولله الحمد.

وفي شعبان منها، أخرج المفسدات من الخواطر من بغداد، على حُمَرات ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة، وخرب دورهن وأسكنهن الجانب الغربي، وخرب أبرجة الحمام، ومنع من اللعب بها، وألزم الناس بالمآزر في الحمامات، ومنع أصحاب الحمامات، أن يصرفوا فضلها إلى دجلة، وألزمهم بمجر آبار، لتلك المياه القلرة، صيانة لماء الشرب.

وفي شوال منها، وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد، حتى في دار الخلافة، فأحرقت شيتا كثيراً من النور والدكاكين.

ووقع بواسط، حريق في تسعة أماكن، وأحرق بها أربعة وثمانون داراً، وستة خانات، وأشياء كثيرة غير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان النجسين، وأتفق عليه أموالاً كثيرة، وبقي الرصد دائراً، حتى مات السلطان، فبطل.

وفي ذي الحجة منها، أعيدت الخطب بمكة للمصريين، وقطعت خطبة العباسيين، وذلك لما قوي أمر صاحب مصر، بعدما كان ضعيفاً، بسبب غلاء بلده، فلما أرخصت، تراجع الناس إليها، وطاب العيش بها، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة، أربع سنين وخمسة أشهر، واستمر كما كانت، على ما سيأتي بيانه، في موضعه.

وفي هذا الشهر، انجفل أهل السواد، من شدة الوفاء، وقلّة ماء دجلة ونقصها.

وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي، وأخذ البيعة للخليفة المقتدي.

ومن توفي فيها من الأعيان

الخليفة

■ القائم بأمر الله عبد الله، وقد ذكرنا شيتاً من ترجمته عند وفاته رحمه الله تعالى.

■ الداودي: راوي صحيح البخاري، عبد الرحمن بن محمد بن المقطر بن محمد بن داود، أبو الحسن، بن أبي طلحة الداودي، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، سمع الكثير، وتفق على الشيخ أبي حامد الإسفرائيني، وأبي بكر القفال، وصحب أبا علي الدقاق، وأبا عبد الرحمن السلمي. وكتب الكثير، ودرس، وأفتى، وصنف، ووعظ الناس. وكانت له يد طويلة في النظم والشعر، وكان مع ذلك كثير الذكر، لا يفسر لسانه عن ذكر الله تعالى، دخل عليه يوماً الوزير نظام الملك، فجلس بين يديه، فقال له الشيخ: إنا الله قد سلطك على عباده، فانظر كيف نعيمه، إذا سألك عنهم. وكانت وفاته ببوشنج، في هذه السنة وقد جاوز التسعين، ومن شعره قوله:

كان في الاجتماع بالناس نور فمضى النور وادهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً فعلى الناس والزمان السلام

وثمانين سنة وأشهرًا، وذلك مقارب لدولة بني أمية كلها، وقد كان القائم بأمر الله، جليلاً، مليحاً، حسن الوجه، أبيض، مشرباً حُمرة، فصيحاً، ورعاً زاهداً، أدبياً، كاتباً، بليغاً، شاعراً، كما تقدم ذكر شيء من شعره، وهو بحديثه عانة سنة خمسين، وكان عادلاً، كثير الإحسان إلى الناس، رحمه الله.

وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي، عن وصية الخليفة بذلك، فعرض على الشريف أبي جعفر ما هنالك من الأثاث، والأموال، فلم يقبل منه شيئاً، وصلى على الخليفة، في صبيحة يوم الخميس المذكور، ودفن عند أجداده، ثم نقل إلى الرصافة، فقبّره بزار إلى الآن، وغلفت الأسواق لموته، وعلقت المسوح، وناحت عليه نساء الهاشميين، وغيرهم، وجلس الوزير ابن جهمير، وابنه للزماء على الأرض، وخرق الناس ثيابهم، وكان يوماً عصيباً، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام، وقد كان من خيار بني العباس، ديناً، واعتقاداً، ودولة، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيري، التي اقتضت إخراجه، من داره، ومفارقة أهله، وأولاده، ووطنه، فأقام بحديثه عانة سنة كاملة، ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته، وخلافته كما قال الشاعر:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم وأدّهم قريش وإذا ما ملتهم بشر
وقد تقدم له في ذلك، سلف صالح، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَتَلْنَا سُلَيْمَانَ وَآلَفَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المقسرون في سورة ص، وبسطنا الكلام في هذه القصة العباسية، والفتنة البساسيرية في سنة خمسين، وإحدى وخمسين وأربعمائة.

خلافة المقتدي بأمر الله:

وهو أبو القاسم عُلّة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله بن القادر العباسي، وأمه أرمنية، تسمى أرجوان، وتدعى قرة العين، وقد أدركت خلافة ولدها هذا، وخلافة ولديه من بعده، المستظهر، والمسترشد. وقد كان أبوه توفي، وهو حمل، فحين ولد ذكرًا، فرح به جده، والمسلمون به فرحاً شديداً، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري، لأن من عداهم يتنزلون في الأسواق مع العوام، وكانت القلوب تنفر، من تولية، مثل أولئك الخلافة على الناس، ونشأ هذا في حجر جده، القائم بأمر الله، يربيه بما يليق بأمثاله، ويديره على أحسن السجايا، ولله الحمد والمنة.

وقد كان عمر المقتدي، حين ولي الخلافة، عشرين سنة، وهو في غاية الجمال، خلقاً، وخلقا، وكانت بيعته يوم الجمعة، الثالث عشر من شعبان، من هذه السنة، وجلس في دار الشجرة، بقميص أبيض، وعمامة بيضاء لطيفة، وطرحه قصب ذُرِّيَّة، وجاء الوزراء، والأمراء، والأشراف، ووجوه الناس، فبايعوه، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي، وأثنى قول الشاعر:

إذا سيد منا مضى قام سيد

ثم أرتج عليه، فلم يدر ما بعده، فقال الخليفة:

فؤول لما قال الكرام فؤول

وبايعه من شيوخ العلم، الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، والشيخ أبو نصر ابن الصباغ، الشافعيان، والشيخ أبو محمد التميمي الحنبلي، وبرز فصلى بالناس العصر، ثم بعد ساعة، أخرج تابوت جده بسكون، ووقار،

أبو الحسن

■ علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الباعري الشاعر المشهور، اشتغل أولا على الشيخ أبي محمد الجويني، ثم عدل إلى الكتابة، والشعر، ففاق أقرانه، وله ديوان شعر مشهور، فمته:

وإني لأشكو لسع أصداغك التي عقاربها في وجتيك تحوم
وأبكي لسر الثغر منك ولي أب فكيف نديم الضحك وهو يتيم

ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

قال ابن الجوزي: جاء جراد في شعبان، بعدد الرمل، والخصى، فاكل الغلات، وأكدى الناس، وجاعوا، فطحن الحروب بدقيق الدخن، فأكلوه، ووقع الوباء، ثم منع الله الجراد من الفساد، فكان يمر، ولا يضر، فرخصت الأسعار.

قال: ووقع غلاء شديد بدمشق، واستمر ثلاث سنين.

وفيها ملك نصر بن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج، وأجلى عنها الروم، ولله الحمد والمنة.

في ذي القعدة من هذه السنة ملك الأقبس مدينة دمشق، وانهزم عنها الملعي بن حيدرة، نائب المستنصر العبيدي، إلى مدينة بابناس، وخطب فيها للمعتدي، وقطعت خطبة المصريين عنها، إلى الآن فاستدعي المستنصر نائبه، فحبسه عنده، إلى أن مات في السجن.

قلت: الإقبس هذا، هو أتمز بن أوف الخوارزمي، ويلقب بالملك المعظم، وهو أول من استعاد بلاد الشام، من أيدي الفاطميين، وأزال الأذان منها يحي على خير العمل، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام مائة وست سنين. كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم، فأمر هذا السلطان، المؤذنين، والخطباء، أن يترضوا عن الصحابة أجمعين، ونشر العدل، وأظهر السنة. وهو أول من أسس القلعة بدمشق، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو، فبناها في غلقتها هذه، التي هي فيها اليوم، وكان موضعها بباب البلد، يقال له باب الحديد، وهو تجاه دار رضوان منها، وكان ابتداء ذلك في السنة الآكية، وإنما أكملها بعده الملك المظفر، تشب بين ألب أرسلان السلجوقي، كما سيأتي بيانه.

وحج بالناس في هذه السنة مقطع الكوفة. وهو الأمير ختلع بن كتكين التركي، ويعرف بالطويل، وكان قد شرد خفاجة في البلاد، وقهرهم، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا، فوصل سالما إلى مكة، ولما نزل ببعض دورها، كبسه بعض العبيد. فقتل فيهم مقتلة عظيمة، وهزمهم هزيمة شنيعة، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر. قاله ابن الساعي في تاريخه، ثم أعيدت الخطبة في هذه السنة، للعباسيين، في ذي الحجة منها، وقطعت خطبة المصريين، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي موسى، أبو تمام بن أبي القاسم بن القاضي أبي علي الهاشمي، نقيب الهاشمين، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الخليلي، روي الحديث، وسمع مع أبو بكر بن عبد الباقي، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى.

■ محمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس، أبو بكر الصفار. من أهل نيسابور، سمع الحاكم، وأبا عبد الرحمن السلمي، وخلقا، وتفق على الشيخ أبي محمد الجويني، وكان يخلفه في حلقة.

■ محمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البضاوي الشافعي، حنن أبي الطيب الطبري على ابنته، سمع الحديث، وكان ثقة خيرا، توفي في شعبان منها، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباح، وحضر جنازته أبو عبد الله الدماغاني مأموما، ودفن بداره، في قطعة الكرخ.

■ محمد بن نصر بن صالح أمير حلب، وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين، وكان من أحسن الناس شكلا وفعلا رحمه الله تعالى.

■ مسعود بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البضاوي الشاعر ومن شعره:

ليس لي صاحب معين سوى الليـ لـ إذا طال بالصلود عليا
أنا أشكو بعد الحبيب إليه وهو يشكو بعد الصباح إليا
وله أيضا:

يا من لبست لهجرة ثوب الفتى حتى خفيت به عن العواد
وأنت بالسهر الطويل فأنبت أجفان عيني كيف كان رقاوي
إن كان يوسف بالجمال مقطوع الـ أيدي فأنت مفتت الأكباد
■ الواحدي المقر أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن مؤيه الواحدي.

قال ابن خلكان: ولا أدري هذه النسبة إلى ماذا، وهو صاحب التفسير الثلاثة: البسيط، والوسيط، والوجيز.

قال: ومته أخذ الغزالي أسماء كتبه.

قال: وله أسباب النزول، والتجوير في شرح الأسماء الحسنى، وقد شرح ديوان المتنبي، وليس في شروحه مع كثرته مثله.

قال: وقد رزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنه، وذكرها المدرسون في دروسهم، وقد أخذ التفسير عن العمالي، وقد مرض الواحدي مرة، ثم كانت وفاته بنيسابور، في جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ ناصر بن محمد بن علي أبو منصور الركي المضافري، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر، قرأ القراءات، وسمع الكثير، وهو الذي تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور، وكان ظريفا صبيحا، مات شابا دون الثلاثين سنة، في ذي القعدة منها، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة، أوردها كلها ابن الجوزي في المنتظم (١٧٧/١٦ - ١٧٩).

■ يوسف بن محمد بن يوسف بن الحسن: أبو القاسم الهمداني، سمع، وجمع، وصنف، وانتشرت عنه الرواية، توفي في هذه السنة وقد قارب التسعين رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق، وذلك أن الملك المعظم اتسز بن أوف الخوارزمي، لما انتزع دمشق من أيدي العبيديين في السنة الماضية، شرع في بناء هذا الحصن المتين بدمشق، في هذه السنة، وكان في مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد، باب يعرف بباب الحديد، وهو الباب المقابل لدار

وفيهما تزوج الأمير علي بن أبي منصور بن فرامرز بن علاء الدولة بن كالويه، الست أرسلان خاتون، بنت داود عمه السلطان ملكشاه، وكانت زوجة القائم بأمر الله.

وفيهما، حاصر الأقيس صاحب دمشق مصر، وضيق على صاحبها المستنصر بالله، ثم كر راجعا إلى دمشق.

وحج الناس فيها الأمير خنق التركي مقطع الكوفة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أسهذوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي: الشاعر، لقي أبا عبد الله بن الحجاج، وعبد العزيز بن نباتة، وغيرهما من الشعراء، وكان شيعيا فتاب، وقال قصيدة في ذلك منها:

وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد صديقهم وأئيبهم في الفسار
ثم الثلاثة بعده خير السورى أكرم بهم من سادة أهلدار
هذا اعتقادي والذي أرجو به فوزي وعقبي من عذاب النار

■ طاهر بن أحمد بن بابشاذ: أبو الحسن المصري النحوي، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر، فمات من ساعته، في رجب من هذه السنة.

قال القاضي ابن خلكان: لم يوجد مثله كان بمصر، إمام عصره في النحو، وله المصنفات الفريدة، من ذلك مقدمته، وشرحها، وشرح الجمل للزجاجي. قال: وكانت وظيفته بمصر، أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الإنشاء إلا عرضت عليه، فيصلح منها ما فيه خلل، ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد.

قال: فاتفق أنه كان يأكل يوما مع بعض أصحابه طعاما فجاء قط، فرموا له شيئا، فأخذه، وذهب سريعا، ثم أقبل، فرموا له شيئا آخر فانطلق به سريعا، ثم جاء، فرموا له شيئا أيضا فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتبعوه، فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى، في سطح هناك، فتمججوا من ذلك، فقال الشيخ: يا سبحان الله، هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره، أفلا يرزقي، وأنا أبعده. ثم ترك ما كان له من الراتب، وجمع حواشيه وأقبل على العبادة، والاشتغال، والملازمة، في غرفة في جامع عمرو بن العاص، إلى أن مات وقد جمع تعليقه في النحو قريبا من خمسة عشر مجلداً، فأصحابه كابن بري وغيره، ينقلون منها، ويتفتنون بها، ويسمونها «تعليق الغرفة» رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن المجمع بن حبيب بن محمد بن بحر بن معد بن هزارمرد، أبو محمد الصريفي، ويعرف بابن المعلم، أحد مشايخ الحديث المستنيرين، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ، لطول عمره، وهو آخر من حدث بالجلعديات، عن ابن حبان، عن أبي القاسم البغوي، عن علي بن الجعد، وهو سماعت، ورحل إليه الناس بسببه، وسمع عليه جماعة من الحفاظ، منهم الحفاظ أبو بكر الخطيب، وكان ثقة محمود الطريقة، صافي الطوية، توفي بصريين في جمادى الأولى من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي، وبني أمية، صاحب تاريخ المغرب في ستين

رضوان منها اليوم، داخل البركة البرانية منها، وقد أرتفع بعض أبرجتها، فلم يكامل، حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تش بن الب أرسلان السلجوقي، فأكملها، وأحسن عمارتها، وابتنى بها دار رضوان للملك، واستمرت على ذلك البناء في أيام نور الدين محمود بن زنكي، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب، جدد فيها شيئا، وابتنى له نائيه ابن مقدم فيها دارا هائلة للمملكة، ثم إن الملك العادل أحيا صلاح الدين، أقمتم هو وأولاده أبرجتها، فبنى كل ملك منهم برجاً منها، جده، وعلاء، وأطه، وأكده. ثم جدد الملك الظاهر يبرس منها البرج الغربي القبلي، ثم ابتنى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور، نائيه الشجاع، الطارمة الشمالية، والقبه الزرقاء، وما حولها.

وفي الحرم منها مرض الخليفة مرضاً شديداً، فأرجف الناس به، فركب حتى رآه الناس جهره، فسكنوا.

وفي جمادى الآخرة منها، زادت دجلة زيادة كثيرة جداً، إحدى وعشرين ذراعاً ونصفاً، فقتل الناس أموالهم، وخيف على دار الخلافة، فقتل تابوت القائم بأمر الله ليلاً إلى التراب بالرصافة.

وفي شوال منها، وقعت الفتنة بين الخنابلة والأشعرية. وذلك لأن ابن القشيري قدم بغداد، فجلس يتكلم في المدرسة النظامية، وأخذ يذم الخنابلة، وينسبهم إلى التجسيم، وساعده أبو سعد الصوفي، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الخنابلة، ويسأله المعونة عليهم، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى، شيخ الخنابلة، وهو في مسجده، فدافع عنه آخرون، وقتل رجل غياط من سوق الثلاثاء، وجرح آخرون، وثارت الفتنة، وكتب الشيخ أبو إسحاق، وأبو بكر الشاشي إلى نظام الملك، فجاء كتابه إلى فخر الدولة، يكر ما وقع، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التي بناها شيء من ذلك. وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضباً مما وقع من الشر، فأرسل إليه الخليفة يسكنه، ثم جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر وأبي سعد الصوفي، وأبي نصر بن القشيري، عند الوزير، فأقبل الوزير على أبي جعفر، يعظمه في الفعال والمقال، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق، فقال: أنا ذلك الذي كنت تعرفه وأنا شاب، وهذه كبي في الأصول، أقول فيها خلافاً للأشعرية، ثم قبل رأس أبي جعفر، فقال له أبو جعفر: صدقت، إلا أنت لما كنت فقيراً، لم تظهر لنا ما في نفسك، فلما جاء الأعوان، والسلطان، وخوارجاً بززك - يعني نظام الملك -، أبديت ما كان مخفياً في نفسك. وقام الشيخ أبو سعد الصوفي، وقبل رأس الشريف أبي جعفر أيضاً، وتلفظ به، فالتفت إليه مغضباً، وقال: أيها الشيخ، أما الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول، فلهم فيها مدخل، وأما أنت، فصاحب هو وسماع وتعبير، فمن زاحك منا على باطلك؟ ثم قال: أيها الوزير، أي صلح بيننا؟ ونحن نوجب ما نعتقد، وهم يجرمون؟! وهذا جدد الخليفة القائم والقادر، قد أظهرنا اعتقادهما للناس على مذهب أهل السنة، والجماعة، والسلف، ونحن على ذلك، كما وافق عليه العراقيون، والخراسانيون، وقرئ على الناس في الدواوين كلها، فأرسل الوزير إلى الخليفة، يعلم بما جرى، فجاء الجواب بشكر الجماعة، وخصوصاً الشريف أبا جعفر، ثم استدعي إلى دار الخلافة للسلام عليه، والتبرك بدعائه.

قال ابن الجوزي: وفي ذي القعدة منها، كثرت الأمراض في الناس، ببغداد، وواسط، والسواد، وورد الخبر بأن الشام كذلك.

وفي هذا الشهر، أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد، وهرب الفساق منها. وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس، بعد وفاة أبيه.

أحد المستندين المعمرين، تفرّد بنسخ كثيرة، عن ابن حنبل، عن الثوري، عن أشياخه، كنسخته هذبة، وكامل بن طلحة، وعمر بن زرارة، وأبي زرارة وأبي السكن البلدي، وكان مكثراً متحريراً، وكان يأخذ على إسماعيل حديث طالوت بن عباد دينار، وقد أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بمجواز أخذ الأجرة على إسماعيل الحديث، لاشتغاله به عن الكسب. توفي عن تسع وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد، بن صالح المؤذن النيسابوري الحافظ، كتب الكثير، وجمع، وصنف وكتب عن ألف شيخ ألف حديث، وكان يعظ، ويؤذن، مات وقد جاوز الثمانين.

■ عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن، أبو القاسم بن أبي محمد الخلال، آخر من حدث عن أبي حفص الكتاني، وقد سمع الكثير، وروى عنه الخطيب، ووفته، توفي عن خمس وثمانين سنة، ودفن بباب حرب رحمه الله.

■ عبد الرحمن بن منده بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبي عبد الله الإمام بن الإمام، سمع أباه، وابن مردويه، وخلفاً في أقاليم شتى، سافر إليها، وجمع شيئاً كثيراً، وكان ذا وقار، وسمت حسن، واتباع للسنة، وفهم جيد، كثير الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان سعد بن محمد الزنجاني يقول: حفظ الله الإسلام به، ويعبد الله الأنصاري الهروي. توفي ابن منده هذا بأصبهان، عن سبع وثمانين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، لا يعلمهم إلا الله عز وجل رحمه الله تعالى.

■ عبد الملك بن عبد الغفار بن محمد بن المظفر بن علي أبو القاسم الهمداني، أحد الحفاظ، الأولياء، والفقهاء، وكان يلقب بنجير، وقد سمع الكثير، وكان يكتب للطلبة، ويقرأ لهم، توفي بالري، في المحرم من هذه السنة، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص.

الشريف أبو جعفر الحنبلي

■ عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن أبي موسى الحنبلي الباسي كان أحد الفقهاء، العلماء، العبادة، الزهاد، المشهورين بالديانة، والفضل، والعبادة، والقيام في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء، وزكاه شيخه عند ابن الدامغان، قبله، ثم ترك الشهادة بعد ذلك، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله، أوصى أن يفسله الشريف أبو جعفر هذا، وأوصى له بشئ كثير، ومال جزيل، فلم يقبل من ذلك شيئاً.

وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية بسبب ابن القشيري، اعتقل هو في دار الخلافة، مكرماً معظماً، يدخل عليه الفقهاء، وغيرهم، ويقبلون يده ورأسه، ولم يزل هناك حتى اشتكى، فأذن له في المسير إلى أهله، فتوفي عندهم، ليلة الخميس النصف من صفر في هذه السنة، ودفن إلى جانب الإمام أحمد، فالتحقت العامة قبره سوقاً كل ليلة أربعاء، يترددون إليه، ويفرّزون الحنات عند، حتى جاء الشتاء، وكان جملة ما قرئ عنده عشرة آلاف ختمة، من كثرة القراءة، رحمه الله تعالى.

■ محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله: أبو الحسن البضاوي، أحد الفقهاء الشافعيين، توفي القضاء بريح الكرخ، ودفن عند والده رحمه الله

جلداً، أنشأ عليه الحافظ أبو علي النسائي، في فصاحته، وصلته، وبلاغته. وقال سمعته يقول انتهت بعد ثلاث استخفاف بالمودة، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة.

قال ابن خلكان: توفي في ربيع الأول منها، ورآه بعضهم في المنام، فسأله عن حاله، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. وأما التاريخ، فنعتت عليه، ولكن الله بلطفه أناني، وعفا عني.

■ عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السجزي الوائلي: نسبة إلى قرية من قرى سجستان، يقال لها وإبل، سمع الكثير، وجمع وصنف، وخرّج، وأقام بالحرم وله كتاب الإبانة في الأصول، وله يد في الفروع أيضاً. ومن الناس من كان يفضلُه في الحفاظ، على الصوري رحمه الله.

■ محمد بن علي بن الحسين: أبو عبد الله الأنماطي، المعروف بابن سيكينة، ولد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان كثير السماع، وكانت وفاته في هذه السنة عن تسع وسبعين سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة النبوية

قال ابن الجوزي: في ربيع الأول منها، وقعت صاعقة بمحلة التوتة، من الجانب الغربي، على ثغلتين في مسجد، فأحرقت أعاليهما، وصعد الناس فاطفؤوا النار، وتزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً. قال: وورد كتاب من نظام الملك، إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة. ثم سرده ابن الجوزي، ومضمونه: أنه لا يمكن تغيير المذاهب، ولا نقل أهلها عنها، والغالب على أهل تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد، وعمله معروف عند الأئمة والناس، وقدره معلوم في السنة. في كلام طويل. قال: وفي شوال منها، وقعت فتنة بين الحنابلة وبين بعض فقهاء النظامية، وحمل لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً، وجرح آخرون، ثم سكنت الفتنة.

قال: وفي تاسع عشر شوال، ولد للخليفة المقتدي ولده المستظهر بالله أبو العباس أحمد، وزين البلد وجلس الوزير للهناء، ثم في يوم الأحد، السادس والعشرين من شوال، ولد للخليفة ولد آخر، وهو أبو محمد هارون.

قال ابن الجوزي: وفيها، ولي تاج الدولة تش بن ألب أرسلان الشام، وحاصر حلب.

وحج بالناس في هذه السنة مقطع الكوفة ختلف، وذكر ابن الجوزي أن الوزير ابن جهر، كان قد عمل متبراً هائلاً، لتقام عليه الخطبة بمكة، فحين وصل إليها، إذ الخطبة قد أعيدت للمصريين، فكسر ذلك المنبر، وأحرق. والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب، ابن خنْدُو، أبو بكر الرُّزَّاز المقرئ، آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون، وقد كان ثقة، متعبداً، حسن الطريقة، كتب عنه الخطيب، وقال: وكان صدوقاً. توفي في هذه السنة، عن تسع وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن القصور البزاز،

تعالى.

ومائة فرس في كل سنة.

وفيها فتح عيد الله بن نظام الملك تكريت.

وحج بالناس خُتْلَع التركي، وقطعت خطبة المصريين بمكة، وخطب فيها للمقتدي، والسلطان ملكشاه السلجوقي.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربع مائة

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق، وقتل ملكها أقيس، وذلك أن أقيس بعث إليه يستنجد على المصريين، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه، فأمر بقتله، فقتل لساعته. ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر، وزنه سبعة عشر مثقالا، وستين حبة لؤلؤ، كل حبة منها أزيد من مثقال، وعشرة آلاف دينار، ومائتي سرج ذهب، وغير ذلك. وقد كان أقيس هذا هو أُنْسَر بن أوف الخوارزمي، كان يلقب بالمعظم، وكان من خيار الملوك، وأجودهم سيرة، وأصحهم سيرة، أزال الرفض عن أهل الشام، وأبطل الأذان بمجي على خير العمل، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين، وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الإسلام بالشام المحروس، فرحه الله، وبلى بالرحمة شراه، وجعل جنة الفردوس ماواه.

وفيها عزل الوزير ابن جهير، بإشارة نظام الملك، بسبب ممالأته على الشافعية، ثم كاتب المقتدي نظام الملك، في إعادته، فأعيد ولده، وأطلق هو. وفيها قدم سعد الدولة كورماتين أميرا إلى بغداد، وضربت الطبول على بابيه في أوقات الصلوات، وأساء الأدب على الخلافة، وضرب طوالات الحيول، على باب الفردوس، فكتب السلطان في أمره، فجاء الكتاب من السلطان بالإنكار عليه. وحج بالناس في هذه السنة مقطع الكوفة خُتْلَع التركي أثابه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني، رحل إلى الأفاق، وسمع الكثير، وكان إماما، حافظا، متعبدا، ورعا ثم انقطع في آخر عمره بمكة، وكان الناس يتركون به.

■ قال ابن الجوزي: ويقبلون يده، أكثر مما يقبلون الحجر الأسود.

■ سليم الحوري: نسبة إلى قرية من قرى دجيل، كان عابدا، زاهدا، يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزيبة، وقد سمع الحديث، وقرأ عليه، رحمه الله.

■ عبد الله بن سبيون: أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني، توفي ببغداد، ودفن بباب حرب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حرون: أبو نصر، سمع الكثير، وكان زاهدا عابدا، يسرد الصوم، ويحتم في كل ليلة ختمة، رحمه الله.

■ محمد بن محمد بن أحمد ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكري، سمع هلالا الحفار، وابن رزقويه، والحمامي، وغيرهم وكان فاضلا جيد الشعر، فمن شعره قوله:

أطبل تفكري في أي ناس مضوا قدما وفيمن خلفونا
هم الأحياء بعد الموت ذكرا ونحن من الحمول الميتونا

توفي في رمضان من هذه السنة، وله تسعون سنة رحمه الله تعالى.

■ هياج بن عبيد الخطيبي الشامي، سمع الحديث، وكان أرواح زمانه، زهدا، وفقها، واجتهادا في العبادة، أقام بمكة مدة، يفتي أهلها، ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه، ولم يلبس نعلًا منذ أقام بمكة، وكان يزور قبر النبي ﷺ، مع أهل مكة ماشيا، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف، وكان لا يدخر شيئا، ولا يلبس إلا قميصا واحدا، ضربه بعض أمراء مكة، في بعض فتن الرافض، فاشتكى أياما، ومات، وقد نيف على الثمانين رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة

فيها استولى تكش، آخر السلطان ملك شاه، على بعض بلاد خراسان. وفيها أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ، وكانوا قد منعوا من وقت فتنة ابن القشيري.

وفيها قبض على جماعة من الفتيان، كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له عبد القادر الهاشمي، وقد كاتبوه من الأقطار، وكان الساعي له رجلا يقال له ابن رسول، وكانوا يجتمعون عند جامع برثاء، فخيف من أمرهم أن يكونوا مائلين للمصريين، فأمر بالقبض عليهم.

وحج بالناس خُتْلَع التركي. والله أعلم

ومن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث، سمع علي بن شاذان، وكان على مذهب الظاهرية، وكان كثير التلاوة، حسن السيرة، منقلا من الدنيا، قرعا، رحمه الله.

■ الصليحي: المطلب علي اليمن، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي، كان أبوه قاضيا باليمن، وكان سنيا، ونشأ هذا، فتعلم العلم، ويرى في أشياء كثيرة من العلوم، وكان شيعيا على مذهب القرامطة، ثم كان يدل بالحبيص، مدة خمس عشرة سنة، وكان قد اشتهر أمره بين الناس، أنه سيملك اليمن، فنجم ببلاذ اليمن بعد قتله نجاحا صاحب تهامة، واستحوذ على بلاد اليمن بكماها في أقصر مدة، واستوثق له الملك

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربع مائة

فيها ملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، قلعا كثيرة، حصينة، من بلاد الهند، ثم عاد إلى بلاده، سالما غافلا.

وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدي بأمر الله، وزينت له بغداد.

وفيها ملك صاحب الموصل، الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه.

وفيها ملك منصور بن مروان، بلاد ديار بكر بعد أبيه.

وفيها أمر السلطان بتفريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة، وأخذ من ذخائره أربع مائة ألف دينار، فضمن خمارتين البصرة بمائة ألف دينار،

بها، سنة خمس وخمسين وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر، فلما كان في هذا العام، خرج إلى الحج في ألفي فارس، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم، في نفر يسير، فقاتلهم، فقتل هو وأخوه، واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله، ومن شعر الصليحي هذا قوله:
أنكحت بيض الهند سمر رماحهم فرووسهم عوض الشار تشار
وكذا الملا لا يستباح نكاحها إلا بمجيئ تطلق الأعمار

■ محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشُّيل، أبو علي الشاعر البغدادي، أسند الحديث، وله الشعر الرائع فمنه قوله:
لا تظهرن لعاذل أو عاثر حالك في السراء والضراء
لنرحمة الخوجمين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وله أيضا:

بفني البخيل يجمع المال مدته وللحوادث والوارث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يخنقها وغيرها بالذي تبنيه يتفزع

■ يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن، أبو القاسم الضُّكُّوري، من أهل زنجبار، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتنفق على مذهب الشافعي ودرس الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان من أكبر تلاميذه، وكان عابدا، ورعا، خاشعا، كثير البكاء عند الذكر، مقبلا على العبادة، وكانت وفاته في هذه السنة وقد قارب الثمانين.

■ ديس بن علي بن مزيد: الملقب نور الدولة، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة: مكث منها أميرا نبيا وستين سنة، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل، ولقب بهاء الدولة.

■ عبد الله بن أحمد بن رضوان: أبو القاسم البغدادي، كان من الرؤساء، ومرض بالشيقة ثلاث سنين، فمكث في بيت مظلم لا يرى ضوءا، ولا يسمع صوتا.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها قدم مؤيد الملك، بن نظام الملك فتول في مدرسة أبيه، وضربت الطبول على بابيه في أوقات الصلوات الثلاث.

وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه، والوزير نظام الملك، فكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج إليه أهلها يتلقونه بأولادهم، ونساءهم، يتبركون به، ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا من تراب حافر بقلته. ولما وصل إلى ساوة، خرج إليه أهلها، وما مر بسوق منها، إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم، حتى اجتاز بسوق الأساكفة، فلم يكن عندهم إلا مداسات الصغار، فثروها عليه، فجعل الشيخ يتمتع بذلك.

وفيها جددت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار للرضاع وأن يكون الصداق مائة ألف دينار.

وفيها حارب السلطان أخاه تش فأسره، ثم أطلقه، واستقرت يده على دمشق وأعمالها.

وحج بالناس في هذه السنة خُلق.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، أبو عمرو الحافظ من بيت الحديث، رحل إلى الآفاق، وسمع الكثير، وتوفي بأصبهان في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ ابن ماكولا: الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي الأمير سعد الملك، أبو نصر ابن ماكولا، أحد أئمة الحديث، وسادات الأمراء، رحل، وطواف، وسمع الكثير، وصنف الإكمال في المشتبه من أسماء الرجال، وهو كتاب جليل، لم يسبق إليه، ولا يلحق فيه، إلا ما استتركه

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة ديس ما كان يليه أبوه من الأعمال، وخلع عليه السلطان، والخليفة.

وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران، وصالح صاحب الرها.

وفيها فتح تش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة أنططوس.

وفيها أرسل الخليفة ابن جوير إلى السلطان ملك شاه يخطب له ابنته عنه فأجابته أنها إلى ذلك، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية سواها، وأن يكون مبيتها عندها، فوقع الشرط على ذلك.

وفيه توفي من الأعيان

داود بن السلطان ملكشاه: فوجد عليه أبوه وجدا عظيما، بحيث إنه كاد أو هم أن يقتل نفسه، فمنعه الأمراء من ذلك، وانتقل إلى غير ذلك البلد، وأمر النساء بالنوح عليه، ولما وصل الخبر لبغداد، جلس وزير الخليفة للعزاء.

القاضي أبو الوليد

■ الباجي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، الأندلسي، الباجي الفقيه، المالكي، أحد الحفاظ الكثيرين، في الفقه، والحديث، سمع الحديث، ورحل فيه إلى بلاد المشرق، سنة ست وعشرين وأربعمائة، فسمع هناك الكثير، واجتمع بأئمة ذلك الوقت، كالقاضي أبي الطيب الطبري، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وجاور بمكة ثلاث سنين، مع الشيخ أبي ذر الهروي، وأقام ببغداد ثلاث سنين أيضا، وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمتاني قاضيها، فأخذ عنه الفقه والأصول، وسمع الخطيب البغدادي،

عليه ابن نقطة، في كتاب سماه الاستبراك.

قتله عماليكه في كرمان، في هذه السنة، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة، وعاش خمسا وخمسين سنة.

قال ابن خلكان: وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين، وقيل في سنة خمس وثمانين. قال: وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله، وعمه عبد الله بن الحسين بن علي، ولي قضاء بغداد.

قال: ولا أدري لم سمي الأمير، إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف، وأصله من جرباذقان، وولد في عكبرا، في شعبان، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

قال: وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف، جمع فيه بين كتابي الداروقي، وعبد الغني بن سعيد، في المؤتلف والمختلف، فجاء ابن ماکولا وزاد على كتاب الخطيب، وسماه الإكمال، وهو في غاية الإفادة، ورفع الالتباس، والوضبط. ولم يوضع مثله، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى ذكر فضيلة أخرى، فيه دلالة على كثرة اطلاعه، وضبطه، وتحريه، وإتقانه، ومن الشعر المنسوب إليه قوله:

فوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب النذل إن النذل يمتنب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالنذل الرطب في أوطانه حطب

ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

فيها عزل عميد الدولة بن جبير عن وزارة الخلافة، فسار بأهله وأولاده إلى السلطان، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان، فعقد لولده فخر الدولة على بلاد ديار بكر، فسار إليها، بالخلع، والكوسات، والعاسكر، وأمر أن يتزعمها من ابن مروان، وأن يختب لنفسه، وأن يكتب اسمه على السكة، فما زال حتى اتزعمها من أيديهم، وبإد ملكهم على يديه، كما سيأتي بيانه، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، ثم عزل في شعبان، واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين، ولقب ظهير الدين. وفي جمادى الآخرة، ولي مؤيد الملك أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون، المتولي تدريس النظامية، بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله. وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش، فجاءه فحاصرها، ففتحها، وهدم سورها، وصلب قاضيها ابن جلبة، وابنيه، على السور.

وفي شوال منها، قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا، وذلك لأنه وشى إلى السلطان، في نظام الملك، وقال له: سلمهم لي، حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار؛ فعمل نظام الملك سباطاً هائلاً، واستحضر غلمانه، وكانوا ألوفاً من الأتراك، وشرع يقول للسلطان: هذا كله من أموالك، وما وقفه من المدارس والربط، فكله شكره لك في الدنيا، وأجره لك في الآخرة، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك، وأنا أقتع، بمرقة، وزاوية، فعند ذلك، أمر السلطان بقتل أبي المحاسن، وقد كان خطياً عنده، وخصيصاً به، وجهها لديه، وعزل أباه عن كتابة الطغراء، وولاهها مؤيد الملك بن نظام الملك. وحج بالناس في هذه السنة الأمير ختلف التركي، مُقَطَّع الكوفة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ أبو إسحاق الشيرازي:

■ إبراهيم بن علي بن يوسف، الشيرازي الفيرزآبادي، وهي قرية من قرى فارس، وقيل هي مدينة جُور، شيخ الشافعية، ومدرس النظامية ببغداد، ولد سنة ثلاث وقيل: خمس؛ وقيل: ست وتسعين وثلاثمائة، وتلقاه بفارس، على أبي عبد الله البضاوي، ثم قدم بغداد، سنة خمس عشرة وأربعمائة، فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث من ابن شاذان، والبرقاني، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً كبير القدر، معظماً، محترماً، إماماً في الفقه، والأصول، والحديث، وفنون كثيرة، وله المصنفات الكثيرة النافعة، كالمهذب في المذهب، والتنبيه، والتكت في الخلاف، واللمع في أصول الفقه، والتبصرة، والمعونة وطبقات الشافعية، وغير ذلك.

قلت: وقد ذكرت ترجمته، مستقصاة ومطولة، في أول شرح التنبيه، وتوفي ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، في دار أبي المظفر بن رئيس الرؤساء، وغسله أبو الوفا بن عقيل الحبلي، وصلى عليه بباب الفردوس، من دار الخلافة، وشهد الصلاة عليه القتيبي بأمر الله، وتقدم للصلاة عليه، أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء، وكان نائب الوزارة، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر، ودفن بباب أبرز، في تربة مجاورة للناحية، رحمه الله تعالى.

وقد امتدحه الشعراء في حياته، وبعد وفاته، وكان هو نفسه له شعر رائق، فمما أشده ابن خلكان من شعره قوله:

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما لي هذا سليل
تمسك إن ظفرت بنيل حر فإن الحر في النبال فيل

قال ابن خلكان: ولما توفي، عمل الفقهاء عزاءه بالمدرسة النظامية. وعين مؤيد الملك أبا سعد التبرلي مكانه، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك، كتب يقول: كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه.

■ طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القواس، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقّه على القاضي أبي الطيب الطبري، وأتقى، ودرس، وكانت له حلقة بجامع المنصور، للمناظرة، والفنوى، وكان ثقة ورعاً، زاهداً، ملازماً لمسجده خمسين سنة، وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وثمانين سنة، ودفن قريباً من الإمام أحمد رحمه الله ولياناً.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل: أبو طاهر الأنباري الخطيب، ويعرف بابن أبي الصقر، طاف البلاد، وسمع الكثير، وكان ثقة، صالحاً، فاضلاً، عابداً، وقد سمع منه الخطيب البغدادي، وروى عنه مصنفاته، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة، عن نحو من مائة سنة، رحمه الله.

■ محمد بن أحمد بن الحسين بن جردة: أحد الرؤساء ببغداد، وهو من ذوي الثروة والمروءة، كان يُعزَّر ماله بثلاثمائة ألف دينار، وكان أصله من عكبرا، فسكن ببغداد، وكانت له بها دار عظيمة، تشتمل على ثلاثين مسكناً مستقلاً، وفيها حمام، وبستان، ولها بابان على كل باب مسجد، إذا أذن المؤذن من أحدهما، لا يسمع الآخر، من اتساعها، وقد كانت زوجة الخليفة القائم - حين وقعت فتنة البساسيري، في سنة خمسين وأربعمائة - نزلت عنده، في جواره، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار، ليحتمي له داره، وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس، وكان لا يفارق زي التجار. وكانت وفاته في عاشر ذي القعدة، من هذه السنة، ودفن في التربة المجاورة لتربة القزويني، رحمه الله ولياناً أمين.

النفسية، وكان حسن الخط، صحيح النقل حافظاً ضابطاً، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

في الحرم منها، زلزلت أرجمان، فهلك خلق كثير من الروم ومواسيهم. وفيها كثرت الأمراض بالحمى والطاعون، بالعراق، والحجاز، والشام، وأعقب ذلك موت الفجأة، ثم ماتت الوحوش في البرية، ثم تلاه موت الهائم، حتى عزت الألبان والحمان، ومع هذا كله، وقعت فتنة عظيمة، بين الراضية والسنة، فقتل خلق كثير.

وفي ربيع الأول، هاجت ريح سوداء، وسفت رملا، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها، ووقعت صواعق في البلاد، حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، ثم انجلى ذلك، ولله الحمد.

وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين، وزينت بغداد، وضربت الطبول، والبوقات، وكثرت الصدقات.

وفيها استولى فخر الدولة بن جهير، على بلاد كثيرة، منها آمد، وميافارقين، وجزيرة ابن عمر، وانقرضت دولة بني مروان على يده في هذه السنة.

وفي ثاني عشر شعبان منها، قُتل أبو بكر محمد بن المظفر الشامي، قضاء القضاء ببغداد، بعد وفاة أبي عبد الله الدماغاني، وخلع عليه في الديوان. وحج بالناس الأمير خنطل التركي، وزار النبي ﷺ ذاهباً وآيياً. قال: أظن أنها آخر حجاجي، فكان كذلك.

وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله، بتجديد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في كل محلة، والأمر بإلزام أهل النعمة بالخير، وكسر الملاهي، وإراقة الخمر، وإخراج أهل الفساد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب، أبو بكر الفوركي، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك، استوطن بغداداً وكان متكلماً، يعظ الناس في النظامية، فوُقت بسببه فتنة بين المذاهب.

قال ابن الجوزي: وكان مؤثراً للدنيا، لا يتحاشى من لیس الحرير وذكر أنه كان يأخذ مكس الفحم، وكانت وفاته في هذه السنة، وله نيف وستون سنة، ودُفن إلى جانب قبر الأشعري، بمسرة الروايا.

■ الحسن بن علي: أبو عبد الله المردوسي، كان رئيس أهل زمانه، وأكملهم مروءة، كان قد خدم في أيام بني بويه، وتأخر إلى هذا الحين، وكانت الملوك تعظمه، وتكاتبه، وكان كثير الصدقة، والصلات، والبر، وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبراً وكفناً قبل موته بخمسين سنين.

■ أبو سعد المتولي: عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي: مصنف الثمّة، ومدرس النظامية بعد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان فصيحا بليغا، ماهرا بعلوم كثيرة، كانت وفاته في شوال، من هذه السنة، عن اثنين وخمسين سنة، رحمه الله وإيانا، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشامي، ودُفن بباب أبرز.

■ إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن محمد بن حيويه، أبو المعالي الجويني، وجوين من قرى نيسابور،

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فيها كانت الحرب بين فخر الدولة بن جهير، وزير الخليفة، وبين ابن مروان، صاحب ديار بكر، فاستولى ابن جهير، على ملك العرب، وسعى حرهم، وأخذ البلاد، ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن يزيد الأسدي، فافتدى خلقاً من العرب، فشكره الناس على ذلك، وامتحده الشعراء.

وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير، في جيش كثيف ومعه قسيم الدولة آق سقر جد بني أتابك ملوك الشام والموصل، فسار إلى الموصل فملكوها.

وفي شعبان منها، ملك سليمان بن قتلش أنطاكية، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستقلها منه، فهزمه سليمان، وقتله، وكان مسلم هذا من خيار الملوك له سيرة، له في كل قرية وال وقاض، وصاحب خير، وكان يملك من السندية إلى منبج. وولي بعده أخوه إبراهيم بن قريش، وكان مسجوناً من سنين، فأطلق، وملك.

وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه، في العشرين من رجب بسنجار. وفيها عصى تكش، أخو السلطان، فأخذه السلطان، فسلّمه وسجنه.

وحج بالناس في هذه السنة، الأمير خوارنكن الحسائي، وذلك الشكوى الناس من شدة سير خنطل بهم، وأخذه المكوسات منهم، سار مرة من الكوفة إلى مكة في تسعة عشر يوماً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن دوست: أبو سعد النيسابوري، شيخ الصوفية، له رباط بمدينة نيسابور، يدخل من بابه الجمل براكبه، وحج مرات على التجريد على البحرين، حين انقطعت طريق مكة، وكان يأخذ جماعة من الفقهاء، ويتوصل من قبائل العرب، حتى يصل مكة، توفي في هذه السنة، وقد جاوز التسعين، رحمه الله وإيانا، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل، فأجلس في مشيخة الرباط وله ثنتا عشرة سنة، وهو الذي وقف الأوقاف على الرباط.

■ ابن الصباغ: صاحب الشامل، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر، الإمام أبو نصر بن الصباغ، ولد سنة أربعمائة، وتفقّه ببغداد على أبي الطيب الطبري، حتى فاق الشافعية بالعراق وصنف المصنفات المفيدة، منها كتاب الشامل في المذهب، وهو أول من درس بالنظامية، وكانت وفاته في هذه السنة، ودُفن بداره في الكرخ، ثم نقل إلى باب حرب، رحمه الله.

قال القاضي ابن خلكان: كان فقيه العراقيين. وكان يقاس بالشيخ أبي إسحاق، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب، وإليه الرحلة، وقد صنف الشامل في الفقه، والعلمة في أصول الفقه، وتولى تدريس النظامية أولاً، ثم عزل بعد عشرين يوماً بالشيخ أبي إسحاق، فلما مات الشيخ أبو إسحاق، تولاهما أبو سعد المتولي، ثم عزل بآب الصباغ، ثم عزل ابن الصباغ بآب المتولي وكان ثقة، حجة، صالحاً، ولد سنة أربعمائة، وأضر في آخر عمره، رحمه الله تعالى.

■ مسعود بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل، أبو سعيد السجزي الحافظ، رحل في طلب الحديث، وسمع الكثير، وجمع الكتب

هذا الحديث، كالواظ له، والترمذ أن لا يحدّثه بغيره.

وقيل: لأن شعبة مر على القعني قبل أن يشتغل بعلم الحديث - وكان إذ ذاك يُعاني الشراب - فسأله أن يحدّثه، فامتنع، فسل سكيناً، وقال: إن لم تحدّثني، وإلا قتلتك. فروى له هذا الحديث، فتاب، وأتاب، ولزم مالكا، ثم فاته السماع من شعبة، فلم يتفق له غير هذا الحديث، قاله أعلم.

أبو عبد الله

■ **الدامغاني:** محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغاني، قاضي القضاة ببغداد، مولده في سنة ثمان وتسعين وثلاث مئة وتفقّه ببلده ثم قدم بغداد في سنة ثمان عشرة وأربعمائة، تفقّه بها على أبي عبد الله الصميري، وأبي الحسن القدوري، وسمع الحديث منهما، ومن ابن القور، والخطيب، وغيرهم، ويرى في الفقه، وكان له عقل وافر، وتواضع زائد، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء، وكان فصيح العبارة، وكان فقيراً في ابتداء طلبه، عليه أطمار رثة، ثم صارت إليه الرياسة، والقضاء، بعد ابن مأكولا، في سنة تسع وأربعين، وكان القائم يأمر الله يكرمه، والسلطان طغريك يعظمه، ويأمر الحكم ثلاثين سنة، في غاية السيرة الحسنة والأمانة، والديانة والصيانة، مرض أياماً يسيرة، ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب، من هذه السنة، وقد ناهز الثمانين، ودفن بداره، بدرب القتلاتين، ثم نقل إلى مشهد أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى.

■ **محمد بن علي بن المطلب:** أبو سعد الأديب، كان قد قرأ النحو، والأدب، واللغة، والسير، وأخبار الناس، ثم أقلع عن ذلك كله، وأقبل على كثرة الصلاة، والصلوة، والصوم، إلى أن توفي في هذه السنة، عن ست وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.

■ **محمد بن طاهر العباسي:** ويعرف بابن الرّجحي، تفقّه على ابن الصباغ، وناب في الحكم، وكان عمود الطريقة، وشهد عند ابن الدامغاني، قبله.

■ **منصور بن ديس بن علي بن يزيد:** أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة، صدقة توفي في رجب من هذه السنة، وقد كان له شعر، وأدب، وفيه فضل، فمن شعره قوله:

فإن أنا لم أحمل عظيماً ولم أقصد هاما ما ولم أصبر على كل معظم
ولم أجبر الجساني وأمنع حوزة غداة أنادي للفخار فأنتمى
فلا نهضت لي همة عريضة إلى المجد تبلي لي ذرى كل عرم

■ **هبة الله بن عبد الله بن أحمد السبي:**

قاضي الحرمين بنهر معل، ومؤدب الخليفة المقتدي بأمر الله، سمع الحديث، وتوفي في محرم هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وله شعر جيد فنه قوله:

رجوت الثمانين من خالقي لما جاء فيها عن المصطفى
فَبَغْتُهُ فَشَكَرَا لَهُ وَزَادَ ثَلَاثًا بِهَا أَرْدَفَا
وَأَنَسِي لَتَنْظُرَ وَعَدَهُ لِيَنْجِزَهُ لِيَفْعَلَ أَهْلَ الْوَفَا

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

فيها كانت الوقعة بين تشر، صاحب دمشق، وبين سليمان بن قتلش، صاحب حلب، وأنطاكية، وتلك الناحية، فانهزم أصحاب

الملقب بإمام الحرمين، لجأروته بمكة أربع سنين، كان مولده في سنة تسع عشرة وأربعمائة، سمع الحديث، وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني، ودّرس بعده في حلقته، وتفقه على القاضي حسين، ودخل بغداد، وتفقه بها، وروى بها الحديث، وخرج إلى مكة، فجاور فيها أربع سنين، ثم عاد إلى نيسابور، فسلم إليه التدريس، والخطابة، والوعظ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب، والبرهان في أصول الفقه، وغير ذلك من علوم شتى، واشتغل عليه الطلبة، ورحلوا إليه من الأقطار، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، وقد استقصيت ترجمته في «الطبقات».

وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بداره، ثم نقل إلى جانب والده رحمه الله تعالى.

قال ابن خلكان: كانت أمه جارية، اشتراها والده من كسب يده، من النسخ، وأمرها أن لا يرضعه غيرها، فانفق أن امرأة دخلت عليها، فأرضعته مرة، فأخذها الشيخ أبو محمد، فنكسه، ووضع يده على بطنه، ووضع أصبعه في حلقه، ولم يزل به حتى استقاء كل ما في بطنه من لبن تلك المرأة.

قال: فرما حصل لإمام الحرمين في بعض مجالس المناظرة فتور، ووقفه، فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة.

قال: ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور، سلم إليه المحراب، والمنبر والخطابة، والتدريس، وجلس التذكير يوم الجمعة، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم، ولا مدافع، وصنف في كل فن، من ذلك النهاية الذي ما صنف في الإسلام مثله.

قال الحافظ أبو جعفر: سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأئمة.

ومن تصانيفه: الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، وتلخيص التريب، والإرشاد، والعقيدة النظامية، وغياث الأسم، وغير ذلك، مما عاينه وما لم يته. وصلى عليه ولده أبو القاسم، وغلفت الأسواق، وكسر تلاميذه أقالهم وعمايرهم - وكانوا أربع مئة - ومكثوا كذلك سنة، وقد رثي بمراث كثيرة، فمن ذلك قول بعضهم:

قلوب المسالين على المقتالي وإمام السورى شبه الليالي
أشمر غصن أهل العلم يوما وقد مات الإمام أبو المسالي

■ **محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي،** شيخ المعتزلة، كان يدرس لهم، فأنكر أهل السنة عليهم، فلزم بيته خمسين سنة، إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة، ودفن في مقبرة الشونيزية، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزويني المعتزلي، المفسر، في إباحة الولدان في الجنة، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما، وكان حاضرهما، فقال هذا إلى إباحة ذلك، لأن مأمون المفسدة هنالك، وقال أبو يوسف: إن هذا لا يكون، ومن أين لك أنهم يكون لهم أديار؟ وهذا العضو إنما خلق في الدنيا، خرجاً للأذى، وليس في الجنة شيء من ذلك، فلا يحتاجون إليه، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية.

وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً، عن شيخه أبي الحسين البصري، بسنده المتقدم، من طريق شعبة، عن منصور، عن ربيع بن حراش، عن أبي سعور البصري، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

وقد رواه القعني، عن شعبة، ولم يرو عنه سواه، فقيل: لأنه لما رحل إليه، دخل عليه، وهو يول في البالوعة، فسأله أن يحدّثه، فامتنع، فروى له

بكماله، وانصرف، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير

■ جعفر بن سابق القشيري: الملقب بسابق الدين، كان قد تملك قلعة جعفر مدة طويلة، فنسبت إليه، وإنما كان يقال لها قبل ذلك الدوسرية، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر، ثم إن هذا الأمير كبر، وعمي، وكان له ولدان يقطعان الطريق، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، وهو ذاهب إلى حلب، لياخذها فاستزله منها وقتله، وأخذها منهم في هذه السنة.

الأمير

■ خلع: أمير الحاج كان مقطعا الكوفة، وله وقعات مع العرب، أعريت عن شجاعته، وأرعبت قلوبهم، وشردتهم في البلاد شرد مذر، وقد كان حسن السيرة، محافظا على الصلوات، كثير التلاوة وله آثار حسنة بطريق مكة، في إصلاح المصانع، والأماكن التي يُحتاج إليها وله مدرسة على الخفية، بمشهد يونس بالكوفة، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد، على دجلة، بمسرة الكرخ.

وكانت في جمادى الأولى منها، رحمه الله تعالى، ولما بلغ نظام الملك وفاته، قال: مات ألف رجل. والله أعلم.

■ علي بن فضال الجاشعي: أبو الحسن النحوي المغربي، له المصنفات الدالة على علمه، وغزارة فهمه، وأسند الحديث. توفي في ربيع الأول منها، ودفن بباب أبرز رحمه الله.

■ علي بن أحمد التسوي: كان مقدم أهل البصرة في المال والخفة، وله مراكب تعمل في البحر، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفرّد برواية سنن أبي داود. وكانت وفاته في رجب من هذه السنة.

■ يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسيني: كان فقيها على مذهب زيد بن علي وعنده معرفة بالأصول والحديث.

ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

في الحرم منها، نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة المكرمة على مائة وثلاثين جملا، مجلّة بالديباج الرومي، عليها أوانس الذهب والفضة، وعلى أربع وسبعين بغلة، مجلّة بأنواع الديباج الملكي، وأجراسها، على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة، فيها أنواع الجواهر، والحلي، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا، عليها مراكب الذهب، مرصعة بأنواع الجواهر، ومهد عظيم، مجلّل بالديباج الملكي، عليه صفائح الذهب، مرصع بالجواهر، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أبا شجاع، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية، غير المشاعل، لخدمة الست خاتون، امرأة السلطان تركان خاتون، حمة الخليفة، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة، فأجابت إلى ذلك، فحضر الوزير نظام الملك، وأعيان الأمراء، وبين أيديهم من الشموع والمشاعل ما لا يحصى وجاءت نساء الأمراء كل واحدة منهن في جماعتها وجواربها وبين أيديهن الشموع والمشاعل، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع في عفة مجلّة، وعليها من الذهب والجواهر ما لا تحصى قيمته، وقد أحاط بالحفّة مائتا جارية تركية، بالمراكب

سليمان، وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب، فملكها، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها، وهي حران، والزها، وقلعة جعبر، وكان جعبر شيخا كبيرا، أعمى، وله ولدان، وكان قطاع الطريق يلجؤون إليها، فيحتصنون بها، فراسل السلطان جعبر بن سابق في تسليمها، فامتنع عليه، فنصب عليها الجانيق والعمرادات، ففتحها وأمر بقتل سابق، فقالت زوجته: لا تقتله حتى تقتلني معه، فألقاه من ورائها، فتكسر، ثم أمر بتوسيطه بعد ذلك، فألقت زوجته نفسها وراءه، فسلمت، فلامها بعض الناس في ذلك، فقالت: كرهت أن يصل إلي التركي، فيبقى ذلك عارا علي، فاستحسن منها ذلك، واستتاب السلطان على حلب قسيم الدولة آق سنقر التركي، وهو جد نور الدين الشهيد، واستتاب على الرحبة، وحران والرقّة، وسروج، والخابور: محمد بن شرف الدولة مسلم، وزوجه بأخته زليخا خاتون، وعزل فخر الدولة بن جعبر عن ديار بكر، وسلمها إلى العميد أبي علي البلخي، وخلع على سيف الدولة صدقة بن ديبس الأسدي، وأقره على عمل أبيه، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة، وهي أول دخلة دخلها، فزار المشاهد، والقبور، ودخل على الخليفة، فقبل يده، ووضعها على عينيه، وخلع عليه الخليفة خلعا سنيّة، وفوض إليه أمور الناس، واستعرض الخليفة أمراءه، ونظام الملك واقف بين يدي الخليفة يعرفه بالأمراء، واحدا بعد واحد، باسمه، وكم جيشه، وأقطعه، ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنيّة، خرج من بين يديه، فنزل بمدرسته النظامية، ولم يكن رها قبل ذلك، فاستحسنها، إلا أنه استصغرها، واستحسن أهلها ومن بها من الجماعة، وحمد الله على ذلك، وسأل الله أن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم، ونزل بمخزاة كتبها، وأملى جزءا من مسموعاته، فسمعه المحدثون منه.

وورد الشيخ أبو القاسم علي بن أبي يعلى الحسيني الدبوسي، إلى بغداد، في تمجل عظيم، فرتب مدرسا بالنظامية، بعد أبي سعد المتولي. وفي ربيع الآخر، فرغت المئارة بجامع القصر، وأذن فيها. وفيها كانت زلازل هائلة، بالعراق، والجزيرة، والشام، فهلعت شيئا كثيرا من العمران، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء، ثم عادوا. وحج بالناس الأمير حارث بن الحسين الحسائي، وقطعت خطبة المصريين من مكة، والمدينة، وقلعت الصفائح التي على باب الكعبة، التي عليها ذكر الخليفة المصري، وجدده غيرها عليها اسم المقتدي.

قال ابن الجوزي: وظهر رجل بين السندية، وواسط، يقطع الطريق، وهو مقطوع اليد اليسرى، يفتح القفل، في أسرع مدة، ويغوص دجلة في غوصتين، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا، ويتسلق الحيطان الملس، ولا يقدر عليه أحد، وخرج من العراق سالما.

قال وفيها توفي فقير يسأل الناس بجامع المنصور، فوجد في مرعته ستمائة دينار مغربية.

قال: وفيها عمل سيف الدولة صدقة، سماطا للسلطان جلال الدولة، أبي الفتح ملكشاه، اشتمل على ألف رأس من الغنم، ومائة من الجمال، والخيول، ودخله عشرون ألفاً من السكر، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش المنفوخة من السكر شيء كثير، فتناول السلطان منه شيئا يسيرا، ثم أشار فانتهب عن آخره، ثم انتقل من ذلك المكان، إلى سرداق عظيم، لم ير مثله، من الحرير، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة، والأوان من تماثيل الند والمسك، والعنبر وغير ذلك، فمد فيه سماطا خاصا، فأكل السلطان حيثنّ، وجعل إليه عشرين ألف دينار، وقدم له ذلك السرداق

المصادرة، فلما ربيت في النعيم، فكتبت أقول: إن مثلي لا بد أن يتلى. ثم منعه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله في القلعة فأخرجوه فدفنوه هناك بقرية يزار أكرم الله مشواه.

■ محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم: أبو الحسن بن الصالح، الملقب بفرس النعمة، سمع أبيه، وأبا علي بن شاذان، وكانت له صدقة كثيرة، ومعروف، وقد ذيل على تاريخ أبيه، الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري، وقد أنشأ داراً ببغداد، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد، في فنون من العلوم، وترك حين مات سبعين ألف دينار، ودفن بمشهد علي عليه السلام رحمه الله.

■ هبة الله بن علي بن محمد بن أحمد بن المحلى أبو نصر، جمع خطيباً ووعظاً، وسمع الحديث على خلق من المشايخ، وتوفي شاباً قبل أوان الرواية رحمه الله.

■ أبو بكر بن عمر أمير المؤمنين: كان في أرض فرغانة، اتفق له من التاموس ما لم يتفق لغيره من الملوك، وكان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل، كال معتقد طاعته، وكان مع هذا يقيم الحدود، ويحفظ عارم الإسلام، ويسير في الناس سيرة شرعية، مع صحة معتقده، ومرواة الدولة العباسية، أصابته نشابة في بعض حروب، في حلقة، فقتله في هذه السنة.

■ فاطمة بنت علي: المؤدبة الكاتبة، وتعرف ببنت الأقرع، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره، وكانت تكتب الخط المنسوب على طريقة ابن البواب، ويكتب الناس عليها، ويخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندي رقعة، فأعطاهما ألف دينار، توفيت في الحرم، من هذه السنة ببغداد، ودفنت بباب أبرز.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

فيها كانت فتن عظيمة، ببغداد بين الروافض والسنة ببغداد، وجرت خطوب كثيرة.

وفي ربيع الآخر: أخرجت الأتراك من حريم الخلافة، وهذا فيه قوة للخلافة.

وفيها ملك مسعود بن الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة، بعد أبيه.

وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند.

وحج بالناس الأمير خارتكين.

ومن حج فيها الوزير أبو شجاع واستتاب ولده أبو منصور وطراد بن محمد الزيني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن السلطان ملكشاه: وكان ولي عهد أبيه. توفي وعمره إحدى عشرة سنة، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام، لم يركب أحد فرساً، والنساء ينحن عليه في الأسواق، وسود أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم.

■ عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، روى الحديث، وصنف، وكان كثير السهر بالليل، وكانت وفاته بهراة، في ذي الحجة، عن ست وثمانين سنة.

الزينة يهرن الأبصار، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة، وقد زين الحريم الطاهر، وأشعلت فيه الشموع، وكانت ليلة مشهودة هائلة جنا.

فلما كان من الغد، أحضر الخليفة أمراء السلطان، ومد سماطاً لم ير مثله، عم الحاضرين، والغائبين، وخلع على الخاتون زوجة السلطان، وكان يوماً مشهوداً، وكان السلطان متغنياً في الصيد، ثم قدم بعد أيام، وكان الدخول بها في أول السنة، فولدت من الخليفة في ذي القعدة، ولداً ذكراً، زينت له بغداد.

وفي هذه السنة ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محموداً، وهو الذي ملك بعده.

وفيها جعل السلطان ولده أبا شجاع أحمد ولي العهد من بعده، ولقبه: ملك الملوك، عضد الدولة، وتاج الملة، عدة أمير المؤمنين، وخطب له بذلك على منابر بغداد وغيرها، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه.

وفيها شرع في بناء التاجية في باب أبرز، وعملت مئذنة، وغرست النخيل والفلوكة هنالك، وعمل سور بأمر السلطان ملك شاه.

وحج بالناس في هذه السنة نجم الدولة خارتكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعيد، أبو القاسم الساي، رحل في الحديث إلى الآفاق، حتى جاوز ما وراء النهر، وكان له حظ وافر في الأدب، ومعرفة العربية، توفي بنيسابور في جمادى الأولى هذه السنة.

■ طاهر بن الحسين البندنجي: أبو الوفاء الشاعر المبرز، له قصيدتان في مدح نظام الملك، إحداهما معجزة، والأخرى غير منقوطة، أولها:

لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا ورد لومهم فــــم وآلام

وكانت وفاته ببغداد في رمضان، عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله: عرض له جدري، فمات من هذه السنة وله تسع سنين، فحزن عليه والده والناس، وجلسوا للعزاء، فأرسل إليهم يقول: إن لنا في رسول الله أسوة حسنة حين توفي ابنه إبراهيم، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة ١٥٦] ثم عزم على الناس، فأنصرفوا راجعين إلى منازلهم.

■ محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الحسيني، الملقب بالمرتضى ذي الشرفين، ولد سنة خمس وأربعمائة ببغداد ونشأ بها، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه على الشيخ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب، فصارت له معرفة جيدة بالحديث، وسمع عليه الخطيب شيئاً من مروياته، ثم انتقل إلى سمرقند، وأملى الحديث بأصبهان، وغيرها، وكان يرجع إلى عقل كامل، وفضل ومروءة، وكانت له أموال جزية، وأملاك متسعة، ونعمة وافرة، يقال إنه ملك أربعين قرية، وكان كثير الصدقة، والبر والصلة للعلماء، والفقراء، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار، غير زكاة العشور، وكان له بستان ليس للملك مثله، فطلبه منه ملك ما وراء النهر، واسمه الخضر بن إبراهيم، عارية لبيتته فيه، فأبى عليه، وقال: أعيرته إياه، ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين؟ فأعرض عنه وحقد عليه، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة، فلما حصل عنده، قبض عليه، وسجنه في قلعته، واستحوذ على جميع أملكه، وحراسه وأمواله فكان يقول: ما تحققت صحة نسي، إلا بهذه

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة

في الحرم: درس أبو بكر الشامي في المدرسة التاجية، بباب أبرز، التي أنشأها صاحب تاج الملك أبو الغنم على الشافعية.

ولها كانت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، ورفضوا المصاحف، وجرت حروب طويلة، وقتل فيها خلق كثير؛ نقل ابن الجوزي في المنتظم (٢٨٣/١٦)، من خط ابن عقيل، أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل، قال: وسب أهل الكرخ الصحابة، وأزواج النبي ﷺ، فلعنة الله على أهل الكرخ الذين فعلوا ذلك، وإنما حكيت هذا، ليعلم الواقف عليه ما في طوايا الروافض، من الخيث، والبغض لدين الإسلام وأهله، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم لله، ولرسوله، وشرعته.

ولها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر، وطائفة كبيرة من تلك الناحية، بعد حروب عظيمة، ووقعات هائلة.

ولها استولى جيش المصريين على عدة من بلاد من الشام.

ولها عمرت منارة جامع حلب.

ولها أرسلت الخاتون بنت السلطان، امرأة الخليفة، تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها، فبعث إليها أبوها الطواشي صواباً، والأمير بزّان، ليرجعها إليه. فأجاب الخليفة إلى ذلك، وبعث معها بالنتيب، وجماعة من أعيان الأمراء، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل، والوزير، فشيّعاهما إلى النهروان، وذلك في ربيع الأول، فلما وصلت إلى عند أبيها، توفيت في شوال من هذه السنة بأصبهان، فعمل عزاءها ببغداد سبعة أيام، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيتة فيها.

وحج بالناس في هذه السنة خارتكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الصمد بن أحمد بن علي: المعروف بظاهر، النيسابوري الحافظ، رحل وسمع الكثير، وخرج، وعاجله الموت في هذه السنة بهمدان وهو شاب رحمه الله.

■ علي بن أبي يعلى بن زيد: أبو القاسم اللبوسي، مدرّس النظامية بعد التولي، وقد سمع شيئا من الحديث، وكان فقيها ماهراً، وجليلاً باهراً.

■ عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران، أبو الحسين العاصمي، وهو من أهل الكرخ، سكن باب الشعير، ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، وكان من أهل الفضل، والأدب، وسمع الحديث من الخطيب، وغيره، وكان ثقة حافظاً، ومن شعره الجيد قوله:

نفسي على قوم بكافمة ودعتهم والركب معترض
لم تترك العبرات مُذْ بُدُّوا لي مقلّة تنسو وتغضض
رحلوا فدمعي واكف هطل جار وقلبي حشوه مرض
وتعوضوا لا ذقت فقلدهم عني ومالي عنهم عرض
أقرضتهم قلبي على قلة منهم فما ردوا الذي اقترضوا

■ محمد بن أحمد بن حماد بن عبيد، أبو جعفر البخاري، المتكلم، المعتزلي، أقام ببغداد، ويعرف بقاضي حلب، وكان حنفي المذهب في الفروع، معتزلياً في الأصول، مات ببغداد في هذه السنة، ودفن بباب حرب.

■ محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأصبهاني، المعروف

بسمكويه، أحد الحفاظ، الجوالين، الرحالين، سمع الكثير وجمع الكتب، وأقام بهرة، وكان رجلاً صالحاً، كثير العبادة، توفي رحمه الله بنيسابور، في ذي الحجة من هذه السنة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

في الحرم منها، ورد الفقيه أبو عبد الله الطبري بمشور نظام الملك بالتدريس بالنظامية ببغداد، فدرس بها، ثم في ربيع الأول ورد الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي، بمشور آخر بالتدريس بها، فاتفق الحال على أن يدرس هذا يومًا، وهذا يومًا.

وفي جمادى الأولى، دهم أهل البصرة رجل يقال له تليبا، كان ينظر في النجوم، فاستغوى خلقاً من أهلها، وزعم أنه المهدي، وأحرق من البصرة شيئا كثيراً، من ذلك دار كتب كانت أول دار كتب وقفت في الإسلام، وأتلف شيئا كثيراً من الدوايب، والمصانع، وغير ذلك.

ولها خلع على أبي القاسم علي بن طراد الزيني بقابة العباسيين بعد أبيه.

ولها استغنى على معلمي الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها، ولم يستثن منهم سوى رجل كان فقيها شافعيًا، يدري كيف تصان المساجد، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام: «سَلُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ» (ج ٤٩٧).

وحج بالناس فيها خارتكين على العادة.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الوزير

■ أبو نصر بن جهر بن محمد بن محمد بن جهر فخر الدولة أحد مشاهير الوزراء، وزر للقائم، ثم لولده المقتدي، ثم عزل ملكشاه السلطان، وولاه ديار بكر وغيرها، مات بالموصل، في هذه السنة وهي بلده التي ولد بها.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

في الحرم منها، كتب النجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوه إلى طاعته، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان، الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويهدي الخلق إلى الحق، فإن أطعتم، استم من العذاب، وإن عدلتم عن الحق خسف بكم، فأمنوا بالله، وبالإمام المهدي.

ولها أزم أهل الذمة بلبس الغيار، وبشد الزنار، وكذلك نسائهم، في الحمامات، وغيرها.

وفي جمادى الأولى، قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية بها، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة.

قال ابن الجوزي: وكان كلامه معسولاً، وذكاؤه شديداً.

وفي رمضان منها، عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة، فأنشد عند عزله:

تولاهما وليس له عدو وفارقهما وليس له صديق

■ محمد بن أحمد بن علي بن حامد أبو نصر المروزي، كان إماماً في القراءات، وله فيها المصنفات، وسافر في ذلك كثيراً، وانتقل إلى أنه غرق في البحر في بعض أسفاره، فبينما الموج يرفعه ويضعه، إذ نظر إلى الشمس قد زالت فتوى الضوء، وانغمس في الماء، ثم صعد، فلما خشب، فركبها، وصلى عليها، ورزقه الله السلامة، ببركة الصلاة وعاش بعد ذلك دهرًا، وتوفي في هذه السنة، وله نيف وتسعون سنة رحمه الله.

■ محمد بن عبد الله بن الحسن: أبو بكر الناصح، الفقيه الحنفي، المناظر، المتكلم، المعتزلي، ولي القضاء بنيسابور، ثم عزل بخيانة وكلائه وأخذهم الرشا، وولي قضاء الري، وقد سمع الحديث، وكان من أكابر العلماء. توفي في رجب منها.

■ أرتق بن أكسب الوكماني: جد الملك الأرتقية، الذين هم اليوم ملوك ماردین، كان شهما، شجاعا، عالي المهمة، تغلب على بلاد كثيرة، وقد ترجمه ابن خلکان، واورخ وفاته، في هذه السنة.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سوق المدينة المعروفة بطغربك إلى جانب دار الملك، وجدد خاناتها وأسواقها، ودورها وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يدي هارون الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسائة، ووقف على نصب قبلته بنفسه، ومنجمه إبراهيم حاضر ونقلت إليه أخشاب جامع سامراء، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة. وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم، شرع في بناء دار هائلة أيضا، واستوطنوا البلد فطابت لهم بغداد. وفي جمادى الأولى، وقع حريق عظيم ببغداد، في أماكن شتى، فما أطفئ حتى هلك للناس شيء كثير، فما عمروا بقتل ما حرق وما غرموا. وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر، ثم عاد إلى بغداد في رمضان، فبينما هو في الطريق، يوم عاشره، عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك بعد أن أفطر، فضربه بسكين، قفضى عليه، وأخذ الصبي الديلمي قتل، وقد كان من كبار الوزراء، وخيار الأمراء، وسنذكر شيئا من سيرته، عند ذكر ترجمه.

وقدم السلطان ببغداد، في رمضان، بنية غير سالحة، فلقاه الله في نفسه ما تمناه لأعدائه، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد، وجاء الناس للسلام عليه، والتهنئة بقدومه، وأرسل إليه الخليفة يهته، بعث إلى الخليفة يقول له: لا بد أن ترك لي ببغداد، وتحول إلى أي البلاد شئت. فأرسل إليه الخليفة يستظنه شهرا، فقال: ولا ساعة واحدة، فأرسل يتوسل إليه في إنظاره عشرة أيام، فأجاب إلى ذلك بعد تمسح شديد، فما استم الأجل، حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد، فأصابته حمى شديدة، فافتصد فما قام منها، حتى مات قبل العشرة أيام، والله الحمد والمنة.

فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش، وضبطت الأموال والأحوال جيدا، وأرسلت إلى الخليفة، تسأل منه أن يكون ولدعا محمود ملكا بعد أبيه، وأن يخطب له على المنابر، فأجابها إلى ذلك، وأرسل إليه بالخلع، وبعث يحنئها، ويهتها، مع وزيره عبيد الدولة بن جهير، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين، ثم أخذته والدته في الجيوش، وسارت به نحو أصبهان، ليتوطد له الملك، فدخلوها وتم لهم مرادهم وخطف له في جميع البلدان حتى في الحرمين واستوزر له تاج الملك أبو الغنائم المربان بن خسرو، وأرسلت أمه إلى الخليفة، تسأل له من الخليفة أن

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له فزمز على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه، فبعث إليه يسأله أن يكون عدليه في ذلك، ونواب ابن الموصلاني في الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة.

وفي رمضان منها، دخل السلطان ملكشاه بغداد، ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشامي، وابن الموصلاني المسلماني، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تش صاحب دمشق، وأتابكة قسيم الدولة آق سقر صاحب حلب. وفي ذي القعدة، خرج السلطان ملكشاه، وابنه، وابن ابنته من الخليفة، في خلق كثير إلى الكوفة.

وفيها استوزر أبو منصور بن جهير، وهي التوبة الثانية لوزارته للمقتدي، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك، فهناه في داره بياب العامة. وفي ذي الحجة، عمل السلطان الميلاذ في دجلة، واشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة، طيف بالخيث الداعي المدعي أنه المهدي، تليا النجم على جبل ببغداد، وجعل يسب الناس، والناس يلعنونه، وعلي رأسه طرطور بدوع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به ببغداد، ثم صلب بعد ذلك.

وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بهامرة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور.

وفي هذه السنة، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب، كثيرا من بلاد الأندلس، وأمر صاحبها المعتمد بن عباد، وسجنه وأهله بأغماط، وقد كان المعتمد هنا موصوفا بالكرم، والأدب، والعلم والحلم، وحسن السيرة، والعشرة، والإحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن الناس عليه، وقال في مصابه الشعراء، فأكثروا.

وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلية من بلاد المغرب، ومات ملكهم، فقام من بعده ولده فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين، وأحسن إليهم كأنه منهم.

وفيها كانت زلازل كثيرة، بالشام، وغيرها، فهدمت بناينا كثيرا، وكان من جملة ذلك تسعون برجاً من سور أنطاكية، وهلك تحت الهدم خلق كثير.

وحج بالناس فيها لخارنك.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الرحمن بن أحمد بن علك: أبو طاهر ولد بأصبهان، وتفقه بسمرقند، وهو الذي كان سبب فتحها، على يد السلطان ملك شاه، وكان من رؤساء الشافعية، وقد سمع الحديث الكثير.

قال عبد الوهاب بن منه: لم نر قفيا في وقتنا أنصف منه ولا أعلم. وكان فصيح اللهجة، كثير الروعة، غزير النعمة، وكانت وفاته ببغداد، ومشي الوزراء، والكبراء في جنازته، غير أن نظام الملك ركب، واعتز بكرير السن، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان يوماً مشهوداً. وجاء السلطان ملك شاه إلى التربة.

قال ابن عقيل: جلست بكرة الغزاء إلى جانب نظام الملك، والملوك قيام بين يديه، اجترأت على ذلك بالعلم، حكاة ابن الجوزي.

علي فقالا: أنت، وأنت، فأزادتا تهماً، وأما الفارمزي يذكر لي عوبي، وظلمي، فأفكر، فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه.

وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها، وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس، وله الأوقاف الدائرة، والصدقات البائرة.

وكان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً، فعوتب في ذلك، فقال: إني كنت أخدم بعض الأمراء، فجاءني يوماً إنسان، فقال لي: أخدم من تفعلك خدمته، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً. فلم أفهم ما يقول، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة، فخرج في أثناء الليل وهو ثمل، وكانت له كلاب تفترس الغرياء بالليل، فلم تعرفه، ومزقته، فاصبح وقد أكلته الكلاب، قال: فانا أطلب مثل ذلك الشيخ.

وقد سمع الحديث في أماكن شتى، ببغداد، وغيرها، وكان يقول: إني لأعلم بأنني لست أهلاً للرواية، ولكي أحب أن أربط في قطار نقلة حديث رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: رأيت في المنام إبليس، فقلت له: وبمك، خلقك الله، وأمرك بالسجود له مشافهة، فأبى، وأنا لم يأمرني بالسجود، وأنا أسجد له في كل يوم مرات، فأنشأ يقول:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل إحسانه ذنوبٌ
وقد أجلسه المقتدي مرة بين يديه، وقال له: يا حسن، رضي الله عنك، برضا أمير المؤمنين عنك. وقد ملك الوفا من الترك.

وكان له بنون كثيرة، وزر منهم خمسة، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله.

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً ببغداد في مستهل رمضان، من هذه السنة، فلما كان اليوم العاشر، اجتاز في بعض طريقه، بقرية بالقرب من نهاوند، وهو يسايره في محفة، فقال: قد قتل ههنا خلق من الصحابة زمن عمر رضي الله عنه، فطوبى لمن يكون عندهم. فاتفق أنه لما أظفر، جاءه صبي في هيئة مستغيث به، ومعه قصة، فلما انتهى إليه، ضربه بسكين في فؤاده، وهرب، فعثر بطنب الخيمة، فأخذ، وقتل، ومكث الوزير ساعة، وجاءه السلطان بعمده، فمات وهو عنده، وقد اتهم السلطان في أمره، أنه هو الذي مالا عليه، فلم تطل مدته بعده، سوى خمسة وثلاثين يوماً، وكان في ذلك عبرة لأولي الألباب.

ولما بلغ أهل بغداد موت النظام، حزنوا عليه، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام، ورتاه الشعراء بقصائد، منهم مقاتل بن عطية فقال:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة يثيمة صاغها الرحمن من شرف عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيره منه إلى الصدف وأثنى عليه ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله.

■ عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن نايقا، أبو القاسم الشاعر، من أهل الحريم الطاهري، ولد سنة عشر وأربعمائة وسمع الحديث وكان أدبياً شاعراً، ماهراً، غير أنه رماه بعضهم برأي الأواطل، وأنه قال: في السماء نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل، وما يسقط من ذلك قطرة إلى الأرض، إلا هنا الذي هو يجرب البيوت، ويهدم السقوف، وهذا الكلام كفر من قتاله، لعنه الله نقله عنه ابن الجوزي في المنتظم [٣٠٧/١٦].

وحكى بعضهم أنه وجد في كفه مكتوباً حين مات هذين البيتين:

يؤيه الملك وأن يجعل ولايات العمال إليه، فقال الخليفة: هذا لا يسيغه الشرع وواقفه الغزالي على ذلك، وأقنط المشطّب بن محمد الحنفي بجواز ذلك، فلم يعمل إلا بقول الغزالي، ونحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركياروق، فبايعوه، وخطبوا له بالري، وانتشرت الختاتون، وولدها، ومعهم شزمة قليلة من الجيش، والخاصكية، فاتفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار، لقتال بركياروق بن ملكشاه، فالتقوا في ذي الحجة، فكانت الختاتون هي المنهزمة، ومعها ولدها. وقد ثبت في صحيح البخاري [٤٢٥]، [٧٠٩٩] «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَهْرَمُوا أَرْثَاءَ».

وفي ذي القعدة، اعترضت بنو خفاجة للحجيج، فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتين، فهزموهم، ونهبت أموال الأعراب، ولله الحمد والمنة.

وفيها جاء برد شديد، عظيم، بالبصرة، وزن البردة الواحدة منه خمسة أرطال، إلى ثلاثة عشر رطلاً، فالتفت شيئا كثيراً من الأشجار، وجاء ريح عاصف، قاصف، فألقى عشرات الألوف من النخيل أيضاً فلما لله ولنا إليه راجعون ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠].

وفيها ملك تاج الدولة، تش صاحب دمشق، مدينة حمص، وقلعة عرق، وقلعة أممية، ومعه قسم الدولة آق سقر، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن، صلبة سعد كوهرايين الدولة، وأمير آخر من التركمان، فدخلها، وأساء فيها السيرة، فترقي سعد كوهرايين، يوم دخوله إليها، في مدينة عدن، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو الفضل التميمي، المعروف بابن الحكام المكي، رحل في طلب الحديث إلى الشام، والعراق، وأصبهان، وغير ذلك من البلاد، وسمع الكثير، وخرج الأجزاء، وكان حافظاً متقناً، ضابطاً أدبياً، ثقة خيراً صدوقاً، وكان يتراسل مع صاحب مكة، وكان من ذوي الهيئات، والمروءات، قارب الثمانين، رحمه الله.

■ نظام الملك الوزير: هو الحسن بن علي بن إسحاق، أبو علي، الوزير نظام الملك، وزر للملك ألب أرسلان، وولده ملكشاه تسعاً وعشرين سنة، كان من خيار الوزراء. ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة، وكان أبوه ممن يخدم أصحاب محمود بن سبكتكين، وكان من الدهاقين، فاشغل ولده هذا، بقرأة القرآن وله إحدى عشرة سنة، واشغله بعلم، القراءات، والتفقه على مذهب الشافعي، وسمع الحديث، واللغة، والنحو، وكان عالي الهمة، فحصل من ذلك طرفاً صالحاً، وترقى في الراتب، حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم من بعده لولده ملكشاه، تسعاً وعشرين سنة، لم ينكب في شيء منها.

وبنى المدارس النظامية ببغداد، ونيابور، وغيرها، وكان مجلسه عامراً، بالفقهاء، والعلماء، بحيث يقضي معهم عامة أوقاته، فقبل له: إن هؤلاء قد شغلوك عن كثير من المصالح. فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ولو اجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك.

وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري، وأبو المعالي الجويني، قام لهما، وأجلسهما معه في المسند، فإذا دخل عليه أبو علي الفارمزي، قام، وأجلسه مكانه، وجلس بين يديه، فعوتب في ذلك، فقال: إنهما إذا دخلا

فقلت: كان نية سلطاننا تغيرت علينا، فتعسر عليّ اعتصاره وهي لا تعرف أنه السلطان فقال: اذهبي، فإنك الآن تقدرين. وغير نيته لي غيرها، فذهبت، وجاءته بشرة أخرى سريعا، فشرها، وانصرف. فقال له السلطان ملك شاه: هذه تصلح لي، ولكن قص على الرعية حكاية كسرى الأخرى، حين اجتاز بيستان، فطلب من ناظوره عتقوا من حصرهم فإنه قد أصابته صفراء وعطش فقال له الناظر: إن السلطان لم يأخذ حقه منه! فلا أقدر أن أعطيك منه شيئا. قال: فعجب الناس من ذكاء الملك، وحسن استحضاره، هذه في مقابلة تلك.

واستعده رجلا من الفلاحين، على الأمير خارتكين، أنه أخذ منهما مالا جزيلا، وكسر ثيتهما، وقال: سمعنا ببدلك في العالم، فإن اقتننا منه كما أمرك الله، وإلا استدينا عليك الله يوم القيامة. وأخذنا بركابه، فنزل عن فرسه، وقال لهما: خسنا بكمي، فاستجابني إلى دار نظام الملك فهابا ذلك، فعزم عليهما، ففعلا ما أمرهما به، فلما بلغ النظام عجيء السلطان إليه خرج مسرعا من خيمته، فقال له الملك: إني إنما قلدتك الأمر، لتتصف المظلوم بمن ظلمه، فكتب من فوره فعزل خارتكين، وحل أنطاخه، وأن يرد إليهما أموالهما، وأن يقلعا ثنيتيه إن قامت عليه البيعة، وأمر لهما الملك من عنده بمائة دينار.

واسقط مرة بعض المكوس، فقال رجل من المستوفين: يا سلطان العالم، إن هذا يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر. فقال: ويحك، إن المال مال الله، والعباد عبيده، والبلاد بلاده، وإنما يبقى هذا لي، ومن نازعي في هذا ضريت عتقه.

وغتته امرأة حسنة، فطرب، وتاقت نفسه إليها، فهم بها، فقالت: أيها الملك، إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة فاستدعي بالقاضي، فزوجه بها.

وقد ذكر ابن الجوزي، عن ابن عقيل، أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته بعض الباطنية، ثم اتصل من ذلك، وراجع الحق.

وذكر أن ابن عقيل كتب له شيئا في الدليل على إثبات الصانع، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد عزم على الخليفة أن يخرج منها، فاستنظره عشرة أيام، فمرض السلطان، ومات قبل انقضاء العشرة أيام.

وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وكانت مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرًا، ودفن بالشويزية، ولم يُصل عليه أحد لشدة كتمان الأمر، وكان مرضه بالحمى وقيل إنه سم، والله أعلم.

باني التاجية بغداد:

■ المرزبان بن خسرو، تاج الملك، الوزير أبو الغنائم باني التاجية التي درس فيها أبو بكر الشاشي، وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك، فمات سريعا، فاستوزر لولده محمود، فلما قهره أخوه بكريارق، قتله غلمان النظام، وقطعوه إربا إربا في ذي الحجة من هذه السنة.

■ هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد بورقي، أبو القاسم الشيرازي، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق، كان حافظا ثقة، دينًا ورعًا، حسن الاعتقاد، والسريرة، له تاريخ حسن، ورحل إليه الطلبة من بغداد، وغيره رحمه الله.

نزلت بجار لا يخيب ضيفه أرجي نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفي من الله واثق بإتعامه والله أكرم منعم

■ مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد الله الباتياشي الشامي، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه، علي أبو الحسن، فغلب عليه ما سماه به أبوه، وما كناه به، سمع الحديث على مشايخ كثيرة، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت، هلك في حريق سوق الرجمانيين، وله ثمان وثمانون سنة، كان ثقة عند المحدثين.

السلطان:

■ ملكشاه السلطان الكبير جلال الدولة، أبو الفتح ملكشاه، بن أبي شجاع الب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تغلق التركي، ملك بغداد - كما ذكرنا -، وامتدت ملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن، وراسله الملوك من سائر الأقاليم والأقطار، حتى ملك الروم، والحزر، واللان، وكانت دولته صارمة، والطرقا في أيامه آمنة، وكان مع عظمتها يقف للمسكين، والضعيف، والمرأة، فيقضي حوائجهم.

وقد عمر العمارات الهائلة، وبنى القنطرة، واسقط المكوس، والضرائب، وحضر الأنهار الكبار الخراب، وبنى مدرسة أبي حنيفة، والسوق، وبنى الجامع، الذي يقال له جامع السلطان ببغداد، وبنى منارة القرون من صيدوه بالكوفة، ومثلها فيما وراء النهر، وضبط ما صاده بنفسه في صيدوه، فكان نحوًا من عشرة آلاف صيد، فتصدق بعشرة آلاف درهم، وقال: إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهدت نفس حيوان لغير مأكله.

وقد كانت له أفعال حسنة، وميرة صالحة، من ذلك أن فلاحا أنهى إليه أن غلمانا له أخذوا له حمل بطيخ هو رأس ماله فقال: اليوم أرد عليك حملك ثم قال لقيمه أريد أن تأتوني اليوم ببطيخ، ففتشوا، فإذا في خيمة الحاجب بطيخ، فحملوه إليه، فاستدعي الحاجب فقال: من أين لك هذا البطيخ؟ قال: جاء به الغلمان. فقال: أحضرهم. فذهب، فمهرتهم، فأرسل إليه، فأحضره، وسلمه إلى الفلاح، وقال: خذ بيده، فإنه مملوكي، ومملوك أبي، ولياك أن تغرقه، فرد إليه محله فخرج الفلاح يحمل، ويده الحاجب، فاستغدى نفسه منه بثلاثمائة دينار.

ولما توجه لقتال أخيه تكش، اجتاز بطوس، فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضى، ومعه نظام الملك، فلما خرجا قال للنظام: بم دعوت الله؟ قال: دعوت الله أن يظفرك على أخيك. فقال: لكبي قلت: اللهم إن كان أخي أصلح للمسلمين فظفري به، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفري به.

وقد سار ملكشاه هذا بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية، فسا عرف أن أحدا من جيشه ظلم أحدا من الرعية واستدعى إليه مرة تركماني أن رجلا اقتض بكاره ابنته وهو يريد أن يمكته من قتله فقال له: يا هذا إن ابتك لو شئت ما مكته من نفسها، فإن كنت لا بد فاعلا، فاقتلها معه. فسكت الرجل، ثم قال الملك: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: فإن بكارتها قد ذهبت، فزوجها من ذلك الرجل، وأمهرها من بيت المال كفايتها. ففعل. وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يربما في بعض أسفاره بقرية، وكان مفتردا من جيشه، فوقف على باب دار، فاستسقى، فأخرجت إليه جارية إناء فيه ماء قصب السكر بالثلج، فشرب منه، فأعجبه، فقال: كيف تصنعين هذا؟ فقالت: إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا. فطلب منها شربة أخرى، فذهبت لتأتيه بها، فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم، ويعوضهم عنه فأطاحت عليه، ثم خرجت وليس معها شيء. فقال: مالك؟

ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي، مرجعه من الحج، فنزل النظامية، فوعظ الناس، وحضر مجلسه الغزالي مدبر المكان، فازدحم الناس في وعظه، وكثروا في المجالس بعد ذلك، وترك كثير من الناس معاشهم، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان قريب من ثلاثين ألفاً، من الرجال، والنساء، وتاب كثير من الناس، ولزموا المساجد، وأريقوا الخمر، وكسرت الملاهي، وكان الرجل في نفسه صالحاً له عبادات، وفيه زهد وافر، وله أحوال صالحة، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها للبركة.

وتقل ابن الجوزي، أنه اشتهى مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً، وتلجأ، فطاف البلد بكماله، فلم يجده، فرجع فوجد الشيخ في خلوته، فسأل: هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد؟ فقبل له: جاء امرأة، فقالت: إني غزلت بيدي غزلاً وبعته، وأنا أحب أن أشتري للشيخ طرفة. فامتنع من ذلك، فبكته، فرحمها، وقال: ادعي فاشتريني. فقالت: ماذا تشتهي؟ فقال: ما شئت. فذهبت، فأتته بتوت شامي، وتلج، فأكله.

وقال بعضهم: دخلت عليه وهو يشرب مرقاً، فقلت في نفسي: ليت أعطاني فضله، لأشربه، لحفظ القرآن. فتأولي فضله، فقال: اشربها على تلك النية. قال: فرزقي الله حفظ القرآن.

وكانت له عبادات، ومجاهدات، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة بالصحيح، فمنع من الجلوس، وأخرج من البلد.

وفي هذه السنة خطب تش بن ألب أرسلان صاحب دمشق لنفسه بالسلطنة، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق، فحصل التوقف عن ذلك، بسبب ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه، فسار إلى الرحبة، وفي صحبته وطاعته آق سنقر، قسيم الدولة صاحب حلب، وموران صاحب الرها، ففتح الرحبة ثم سار إلى الموصل، فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن فريش بن بدران، وهزم جيوشه من بني عقيل، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً، وكذلك أخذ ديار بكر، واستوزر الكافي بن فخر الدولة بن جبير، وكذلك أخذ همدان وخلاط، وفتح أذربيجان، واستفحل أمره، ثم فارقه الأميران آق سنقر وموران، فسارا إلى الملك بركياروق، وبقي تش وحده، فطمع فيه ابن أخيه بركياروق، فرجع تش، فلهقه قسيم الدولة آق سنقر وموران بباب حلب، فكسرهما، وأسر بوزان وآق سنقر، فصلهما، وبعث برأس بوزان، فطيف به حران، والرها، وملكها من بعده.

وفيها وقعت الفتنة بين الروافض، والسنة وانتشرت بينهم شرور كثيرة. وفي ثاني شعبان ولد الخليفة المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس، أحمد المستظهر، ففرح الخليفة وولي عهده بالولد السعيد.

وفي ذي القعدة، دخل السلطان بركياروق بغداد وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جبير، وهناه عن الخليفة بالقنوم.

وفيها أخذ المستنصر العيني مدينة صور من أرض الشام.

ولم ينجح أحد من أهل العراق في هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن المقتدي بامر الله: من الخاتون بنت السلطان ملكشاه، في

جمادى الأولى، وجلس الوزير للغزاة للدولة ثلاثة أيام.

■ سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أبو مسعود الأصبهاني، سمع الكثير، وصف، وخرج على الصحيحين، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، سمع ابن مردويه، وأبا نعيم، والبرقاني، وكتب عن الخطيب، وغيره، وكانت وفاته في ذي القعدة، عن تسع وثمانين سنة.

■ عبد الواحد بن أحمد بن الحصين: الدسكري، أبو سعد الفقيه الشافعي، صاحب الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وروى الحديث، وكان يقول: ما عصى بلني هنا في ليلة قط.

توفي في رجب من هذه السنة، ودفن بباب حرب رحمه الله.

■ علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر: أبو الحسن الهكاري، قدم ببغداد ونزل في رباط الزوزني، وكانت له أربطة قد ابتاعها، سمع الحديث، وروى عنه غير واحد من الحفاظ، وكان يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، في الروضة، فقلت: يا رسول الله، أوصني. فقال: عليك باعتقاد أحمد بن حنبل، ومذهب الشافعي، وإليك وبجسالة أهل البدع. وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة.

■ علي بن محمد بن محمد: أبو الحسن الخطيب الأنباري، المعروف بابن الأخضر، سمع أبا محمد الفرضي، وهو آخر من حدث عنه، وكانت وفاته في شوال منها، عن خمس وتسعين سنة رحمه الله.

أبو نصر

■ ابن مأكولا علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف الأمير أبو نصر: ولد سنة ثنتين وأربعمائة، وسمع الكثير، وكان من الحفاظ، وله كتاب الإكمال في المؤلفات والمختلف، جمع بين كتاب عبد الغني بن سعيد، وكتاب الدارقطني، وغيرهما، وزاد عليهما أشياء كثيرة، مهمة حسنة مفيدة نافعة، وكان نحوياً مبرزاً، فصيح العبارة، حسن الشعر.

قال ابن الجوزي: وسمعت شيخنا عبد الوهاب، يطمعن في دينه، ويقول: العلم يحتاج إلى دين. وقتل في خوزستان، في هذه السنة، أو السني بعدها، وقد جاوز الثمانين. كذا ذكره ابن الجوزي.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدي، وخلافة ولده المستظهر بالله.

صفة موته (المقتدي)

لما قدم السلطان بركياروق ببغداد، سأل من الخليفة، أن يكتب له بالسلطنة، كتاباً فيه العهد إليه، فكتب ذلك، وهبته الخلع، وعرضت على الخليفة، وكان الكتاب يوم الجمعة، الرابع عشر من المحرم، ثم قدم إليه الطعام، فتناول منه على العادة، وهو في غاية الصحة، ثم غسل يده، وجلس ينظر في العهد، بعد ما وقع عليه، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار، قالت: فنظر لي، وقال: من هؤلاء الأشخاص، الذين قد دخلوا علينا، بغير إذن؟ قالت: فالتفت، فلم أر أحداً ورأيت قد تغيرت حالته، واسترخت يده، ورجلاه، وانحلت قواه، وسقط إلى الأرض. قالت: فظننت أنه غشي عليه، فحللت أزرار ثيابه، فإذا هو لا يبيج ذاعياً، فأغلقت عليه الباب، وخرجت، فأعلمت ولي العهد بذلك، وجاء الأمراء ورؤوس الدولة

يعزونه بأبيه، ويهتونه بالخلافة، فبايعوه. والله تعالى أعلم.

شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله

■ (المقتدي بأمر الله)

هو أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله، أبو عبد الله بن الذخيرة، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله، بن القائد بالله العباسي، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرضية، أدركت خلافة ولدها، وخلافة ولده المستظهر، وولد ولده المسترشد أيضا.

وكان المقتدي أيضا حلوا الشماثل، عمرت في أيامه محال كثيرة ببغداد، ونفى عن بغداد الفتيات، وأرباب الملاهي والمعاصي، وكان غيوراً على حريم الناس، أمراً بالعرف، ناهياً عن المنكر، حسن السيرة والسريّة، تغمد الله برحمته.

وكانت وفاته في يوم الجمعة، رابع عشر المحرم من هذه السنة، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمانية شهور وتسعة أيام، خلافة من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين، وأخفي موته ثلاثة أيام، حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر، ثم صلى عليه، ودفن في تربتهم، والله أعلم.

خلافة المستظهر بالله أبي العباس أحمد

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضره، وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، فبرع له بالخلافة، فكان أول من بايعه الوزير أبو منصور بن جوير، ثم أخذت البيعة له من الملك ركن الدولة بركياروق بن السلطان ملكشاه. ثم من بقية الأمراء، والرؤساء، وصلّى على الخليفة الأمراء والوزراء، ومن العلماء حضرة الغزالي، والشاشي، وابن عقيل، وبايعوه يوم ذلك، وقد كان المستظهر بالله كريم الأخلاق، حافظاً للقرآن العظيم، فصيحاً بليغاً شاعراً، مطبقاً ومن لطيف شعره قوله :

أنا حر الجوى في القلب ما خندا يوما مدت على رسم الوداع بدا
تكيف أسلك نهج الإصطبار وقد لوى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الرعد بدر قد شغفت به من بعد ما قد وفى دهما بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي من بعد هذا فلا عايتة أبدا

وفرض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جوير، فديرها أحسن تدبير، ومهد الأمور أتم تمهيد، وساس الرعايا، وكان من خيار الوزراء.

وفي ثالث عشر شعبان، عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء، وفوضه إلى أبي الحسن بن الدمغاني.

وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض، فأحرقت محال كثيرة، وقتل ناس كثيرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم ينجح أحد في هذه السنة لاختلاف السلاطين. وكانت الخطبة للسلطان بركياروق ركن الدولة، يوم الجمعة، الرابع عشر من المحرم، وهو اليوم الذي توفي فيه الخليفة المقتدي، بعدما علم على توقيعه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ آق سقز الأتابك: الملقب قسيم الدو السلجوقي، ويعرف بالحاجب، صاحب حلب، وديار بكر، والجزيرة. وهو جد الملك نور الدين

عمود بن زنكي بن آق سقز، كان أولاً من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي، ثم ترقّت منزلته عنده، حتى أعطاه حلب وأعمالها، بإشارة الوزير نظام الملك، وكان من أحسن الملوك سيرة، وأجودهم سريرة، وكانت الرعية معه في أمن، ورخص، وعدل، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تشش صاحب دمشق، وذلك أنه استعان به، وبصاحب حران، والرها، على قتال ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه، فقرا عنه وتركاه، فلما تمكن، قاتلها بباب حلب، وقتلها، وأخذ بلادها، إلا حلب، فإنها استقرت لولد آق سقز زنكي فيما بعد، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وخمسة، كما سيأتي بيانه.

وذكر ابن خلكان، أنه كان ملوكاً للسلطان ملكشاه، هو ويزان صاحب الرها، فلما ملك تشش حلب، استابها بها، فقصص عليه فقصد، وكان قد ملك دمشق أيضاً، فقاتله، وقتله في هذه السنة في جمادى الأولى منها، فلما قتل، دفنه ولده عماد الدين زنكي، أدخله إليها من فوق السور بالدرسة الزجاجية.

أمير الجيوش

■ بدر الجمالي: صاحب جيوش مصر، ومدير الممالك الفاطمية، كان عاقلاً، كريماً، عجا للعلماء، ولهم عليه رسوم دارة، تمكن في أيام المستر تمكننا عظيمة، ودارت أزمة الأمور على أرائه، وفتح بلداً كثيرة، وامتدت أيامه، حياته، وبعد صيته امتدحتة الشعراء. ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل.

الخليفة المقتدي: وقد تقدم شيء من ترجمته.

الخليفة

■ المستنصر الفاطمي: أبو تميم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم، استمرت أيامه ستين سنة، ولم يتفق هذا خليفة قبله ولا بعده، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالي، بعد موت أبيه. وبايع أبا القاسم أحمد بن المستنصر أخاه، ولقبه بالمستعلي، فهرب نزار إلى الإسكندرية، فجمع الناس عليه، وبايعوه، وتولى أمره قاضي الإسكندرية: جلال الدولة بن عمار، فقصدته الأفضل، فقصدته الأفضل فقاتله مراراً، فهزمهم وأسر القاضي ونزاراً، وقتل القاضي، وحبس نزاراً حتى مات، واستقر المستعلي في الخلافة، وعمره إحدى وعشرون سنة.

■ محمد بن أبي هاشم: أمير مكة، كانت وفاته في هذه السنة عن نيف وتسعين سنة.

■ محمود بن السلطان ملكشاه: كانت أمه قد عقدت له الملك، وأنفقت بسببه الأموال، فقاتله بركياروق، فكسره، ولزم بلده أصبهان، فمات بها في هذه السنة، وحمل إلى بغداد، فدفن بها بالترية النظامية، كان من أحسن الناس وجهاً، وأطرفهم شكلاً، توفي في شوال منها، وقد توفيت أمه الخاتون ترکان شاه في رمضان هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فيها ورد يوسف بن إبن التركماني، من جهة تاج الدولة أبي سعيد تشش بن ألب أرسلان صاحب دمشق إلى بغداد، لإقامة الدعوة له ببغداد، وكان تشش قد توجه لقتال ابن أخيه بناحية الري، فلما دخل رسوله إلى بغداد، هابوه، وخافوه، واستدعاه الخليفة، فقربه، وقبل الأرض بين يدي الخليفة، وتأنب أهل بغداد له، وخافوا أن ينهبهم، فبينما هو كذلك، إذ قدم

أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته، وخرج إليه أئسز، أمر بمسكه، وقتله، واستحوذ هو على دمشق، وأعمالها، في سنة إحدى وسبعين، ثم تخارب هو وأخوه بركياروق ببلاد السري، فكسره ابن أخيه، وقتل هو في المعركة، وتلك ابنة رضوان حلب، وإليه تنسب بنو رضوان بها، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، سمته أمه في عتقود عنب، فقام بالأمر من بعده، ولده تاج الملك بورى أربع سنين، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين، ثم قتله أمه أيضاً، وهي زمرد خاتون بنت جاولي، وثم أجلس أخاه شهاب الدين محمود بن بورى، فمكث أربع سنين، ثم ملك أخوه محمد بن بورى طغركين سنة، ثم ملك محي الدين ابن من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود بن زنكي كما سيأتي. وكان أتابك الساكر بدمشق، أيام ابن معين الدين، الذي تنسب إليه المعينية بالغور، والمدرسة المعينية بدمشق.

■ رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز، أبو محمد التميمي، أحد أئمة الفراء، والفقهاء - على مذهب أحمد - والحديث، وكان له مجلس للوعظ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور، ثم بجامع القصر، وكان حسن الشكل، محباً إلى العامة، له شعر حسن، وكان كثير العبادة، فصيح العبارة، حسن المناظرة.

وقد روى عن آبائه، حديثاً سلسلاً، إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: هتف العلم العمل، فإن أجابه وإلا حل.

وقد كان ذا وجهة عند الخليفة، بعثه في مهام الرسل إلى السلطان. وكانت وفاته يوم الثلاثاء، النصف من جمادى الأولى، من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بداره بباب الراتب، بإذن الخليفة، وصلى عليه ابنه أبو الفضل رحمه الله.

أبو يوسف

■ القزويني: عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار، شيخ المعتزلة، قرأ على عبد الجبار بن أحمد المصماني، ورحل إلى مصر فأقام بها أربعين سنة، وحصل كتباً كثيرة، وصنف تفسيراً في سبعمئة مجلد.

قال ابن الجوزي: جمع فيه العجب، وتكلم فيه على قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [القرة ١٠٢] في مجلد كامل. وقال ابن عقيل: كان طويل اللسان بالعلم تارة وبالشعر أخرى وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة. وما تزوج إلا في آخر عمره.

■ أبو شجاع الوزير: محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم، أبو شجاع، الملقب بظهر الدين، الروذراوري الأصل، الأهوازي المولد، كان من خيار الوزراء، كثير الصدقة، والإحسان إلى العلماء، والفقهاء، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وغيره، وصنف كتباً، منها كتابه الذي قبله على «غرائب الأمم». وزر للخليفة المقتدي بأمر الله، وكان يملك ستمائة ألف دينار، فألفقها في سبيل الخيرات، والصدقات، ووقف الوقوف الحسنة، وبنى المشاهد، وأكثر الإنعام على الأراذل والأيتام. قال له رجل: إلى جانبنا أرملة، لها أربعة أيتام، وهم عراة، وجياع، فبعت إليهم مع رجل من خاصته، نفقة، وكسوة، وطعاماً، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد، وقال: والله لا ألبسها حتى ترجع إلي بخبرهم، فذهب الرجل مسرعاً، فقضى حاجتهم، وأوصلهم ذلك الإحسان، ثم عاد الوزير يركض من البرد، فلما أخبره عنهم بما سره لبس ثيابه.

وجيء إليه مرة بقطائف سكر، فلما وضعت بين يديه، تنفص عليه بمن

عليه أخوه، فأخبره أن تش قتل في أول من قتل في الوقعة، وكانت وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة، فاستفحل أمر بركياروق، واستقل بالأمور. وكان دقاق بن تش مع أبيه حين قتل، فسار إلى دمشق فتسلمها من الأمير ساونكين الذي استأبته أبوه، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تش مدينة حلب، ودير أمر ملكته جناح الدولة الحسين بن إيتكين، ورضوان بن تش صاحب مدينة حلب، وإليه تنسب بنو رضوان بها.

وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها، خطب لولي العهد أبي منصور الفضل بن المستظهر، ولقب بذخيرة الدين.

وفي ربيع الآخر، خرج الوزير عميد الملك بن جهمير، فاخطت سورا على الحرم، وأذن للعوام في العمل، والتفرج، فاطهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، وبعث إليه ابن عقيل رقعة، فيها كلام غليظ، وإنكار بغض.

وفي رمضان خرج السلطان بركياروق، فعدا عليه فداوي، فلم يتمكن منه، فمسل، فمقوب، فأقر على آخرين، فلم يقرأ، فقتل الثلاثة، وجاء الطواشي من جهة الخليفة، مهتاً له بالسلامة.

وفي ذي القعدة منها، خرج أبو حامد الغزالي من بغداد، متوجهاً إلى بيت المقدس، تاركا لتدريس النظامية، زاهداً في الدنيا، لباساً خشن الثياب، بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس، وعاد في السنة الثالثة من خروجه ثم حج ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه المدّة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير، كل يوم في الرباط، فيسمعون.

وفي يوم عرفة، خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاء، ورؤً إلى ولاية القضاء بالحريم، وغيره. وفي هذه السنة اصططح أهل الكرخ من السنة والرافضة، مع بقية الحال، وتزاووا، وتواكلوا وتشابروا، وكان هذا من المعجائب.

ولمها قتل أحمد خان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة، فقتل، وولي مكانه ابن عمه مسعود.

وفيها دخل الأتراك إفريقية، وغلدوا يحيى بن عجم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكو بلادهم، وقتلوا خلقاً، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر، وخدم بها، ثم هرب إلى المغرب ففعل ما ذكرنا. ولم ينج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن الحسن بن أحمد بن عيون: أبو الفضل، المعروف بابن الباقلائي، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني، ثم صار أميناً له، ثم ولي إشراف خزنة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

■ تش أبو المظفر: تاج الدولة بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، صاحب دمشق، وغيرها من البلاد، وقد كان تزوج أمره على ابن أخيه بركياروق بن ملكشاه بن ألب أرسلان، ولكن قدر الله وما شاء فعل، وقد قال المتنبي:

ولمسه سر في علاك وإنما كلام المدي ضرب من الهذيان
قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية، فاستجده أئسز في محاربة

فقال له ابنه ذات يوم: يا أبت، إنك قد أكثر الأوبة، والأدعية، ولله في اختيار، فدعني، واختيار الله تعالى. قال أبوه: فعملت أنه لم يوفق هذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم [٣١/١٧]: في هذه السنة، حكم جهلة المنجمين بأنه سيكون فيها طوفان قريب من طوفان نوح، وشاع الكلام بذلك بين العوام، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عيوش المنجم، فسأله عن هذا الكلام، فقال: إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في برج الحوت الطوالع السبعة، والآن فقد اجتمع فيه ستة، ولم يجتمع معها زحل، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد والأقرب أنها بغداد. فتقدم الخليفة إلى وزيره، بإصلاح المُنْشِآت والمواضع التي يجشى انقجار الماء منها، وجعل الناس ينتظرون، فجاء الخبر، بأن الحاج حصلوا بوادي المياقت بعد غلظة، فأتاهم سيل عظيم، فما نجا منهم، إلا من تعلق بركوس الجبال، وأخذ الماء الرجال والرحال، فخلع الخليفة على ذلك المنجم، وأجرى له جارية. وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقتل عمه بن شرف الدولة مسلم بن قريش، وغرقه بعد حصار سبعة أشهر. وفيها ملك تميم بن المعز المغربي مدينة قابس، وأخرج منها أخاه عمراً، فقال خطيب سوسة في ذلك أبياتاً:

ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت محمد سيفك قاسا
وأتيتها بكراً وما أمهرتها إلا قنا وصوارما وفوارسا
الله يعلم ما جئيت ثمارها إلا وكان أبوك قبل الفارسا
من كان في رُرق الأسنة خاطبا كانت له قلل البلاد عرائسا

وفي صفر منها، درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية، ولاد إياها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركياروق. وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس، وقصدوا مشهد الحسين بالخافر، وتظاهروا فيه بالمكرات والفساد، فكبهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى عند الضريح. ومن العجائب أن أحدهم القى نفسه وفرسه من فوق السور، فسلم، وسلمت فرسه. وحج بالناس في هذه السنة الأمير خوارنكن الحنساني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله: أبو حكيم الحيري وخبر: إحدى بلاد فارس سمع الحديث، وتفقّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض، والأدب، واللغة، وله مصنفات، وكان مرضي الطريقة، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده، واستند وقال: والله لئن كان هذا موتاً إنه لطيب، ثم مات رحمه الله.

■ عبد المحسن بن محمد بن علي بن أحمد الشيعي: التاجر، ويعرف بابن شهدانكة، ببغداد، سمع الحديث الكثير، ورحل، وأكثر عن الخطيب وهو بصور، وهو الذي حمله إلى العراق، فلها أهدى إليه الخطيب تاريخ

لا يقدر عليها، فأرسلها كلها إلى المساجد، وكانت كثيرة جداً، فاطمعتها الفقراء، والعيان.

وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه، فحكم بما يفتنه، وكان كثير التواضع مع الناس، خاصتهم، وعامتهم، ثم عزل عن الوزارة، فسار إلى الحج، وجاور بالمدينة، ثم مرض، فلما ثقل في المرض، جاء إلى الحجرة النبوية، فقال: يا رسول الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاوَوْكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَّهُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [الفصل ٦٤] وما أنا قد جئتك، استغفر الله من ذنوبي، وأرجو شفاعتك يوم القيامة، ثم مات من يومه ذلك، رحمه الله، ودفن في البقيع.

القاضي أبو بكر الشامي:

■ محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشامي، ولد سنة أربعمائة، وتفقّه ببلده، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وقدم بغداد، فتفقّه على الشيخ أبي الطيب الطبري، وسمع بها الحديث، وشهد عند ابن الدماغاني، قبله، ولزم مسجده خمساً وخمسين سنة، يقرئ الناس، ويفقههم، ولما مات أبو عبد الله الدماغاني، أشار به أبو شجاع الوزير، فولاه الخليفة المقتدي القضاء، وكان من أنزه الناس، وأعفهم، لم يقل من سلطان عطية، ولا من صاحب هدية، ولم يغير ملبسه، ولا مأكله، ولم يأخذ على القضاء أجراً، ولم يستب أحداً، بل كان يباشر القضاء بنفسه، ولم يحب مخلوقاً، وقد كان يضرب بعض المتكرين حيث لا بينة، إذا قامت عنه قرائن للثمة، حتى يقرؤا، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا.

وقد صف أبو بكر الشامي كتاباً في الرد عليه في ذلك، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطى من الحكم بالفرائض، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قِصَصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف ٢٦] الآية.

وشهد عنه رجل من كبار الفقهاء، والمناظرين، يقال له المشطب بن محمد بن أسامة الفرغاني، فلم يقبله، لما رأى عليه من الحرير، وخاتم الذهب، فقال له المدعي: إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب، فقال القاضي الشامي: والله لو شهدا عندي على باقة بقل، ما قبلت شهادتهما.

وشهد عنه مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه، فلم يقبله، فقال: لأي شيء ترد شهادتي، وهي جائزة عند كل حاكم، إلا أنت؟ فقال له: لا أقبل لك شهادة، فإني رأيتك تغتسل في الحمام عريانا غير مستور العورة، فلا أقبلك.

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء، عاشر شعبان، من هذه السنة، عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالقرب من ابن سريج.

أبو عبد الله

■ الحميدي: محمد بن أبي نصر، فرح بن عبد الله بن حميد الحميدي، الأندلسي، من جزيرة يقال لها ميروقة، قريبة من الأندلس، قدم ببغداد، فسمع بها الحديث، وكان حافظاً مكثراً، دقياً بآهراً، عفيفاً، زهاً، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين، وله غير ذلك من المصنفات، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء، السابع عشر من ذي الحجة، وقد جاوز السبعين، وقره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد.

■ هبة الله بن الشيخ أبي الوفا بن عقيل: كان قد حفظ القرآن، وتفقّه، وظهرت منه نجابة، ثم مرض، فاتفق عليه أبوه أموالاً جزيلة، فلم يفد شيئاً،

فجرى على سيرة أبيه، وأظهر العدل، فحفظي عند السلطان سنجر، وأحبه الناس، وارتفعت منزلته.

وفيها خطب الملك رضوان بن تاج الدولة تشش، للخليفة الفاطمي المستعلي.

وفي رمضان قُتل بُرْسَق أحد أكابر الأمراء، وكام أول من تولى شحنة بغداد. وفي شوال قتل رجل باطني، عند باب النوبي، كان قد شهد عليه عدلان، أحدهما ابن عقيل، أنه دعاها إلى مذهبه، فجعل يقول: **أَتَتَلُونِي، وَأَنَا أَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! فَقَالَ ابْنُ عَقِيلَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَنَّتْ كَفَرْنَا بَمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَفْعَلُهُمْ إِلَّا نُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾** [طاهر: ٨٤، ٨٥].

وحج الناس في هذه السنة حارثيين الحسناي.

وفي يوم عاشوراء، كبست دار بهاء الدولة، أبي نصر بن جلال الدولة أبي طاهر بن بويه، لأمرؤ ثبت عليه عند القاضي، فأريق دمه، ونقضت داره، وعمل مكانها مسجداً للحنية والشافعية، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن، ودير عاقول، وغيرها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن زكريا بن دينار، أبو يعلى العبيدي البصري،** ويعرف بابن الصواف، ولد سنة أربعمائة، وسمع الحديث، وكان زاهداً متصوفاً، وفقها مدرساً، ذا سمت ووقار، وسكينة ودين، وكان علامة في عشرة علوم، توفي في رمضان من هذه السنة عن تسعين سنة، رحمه الله.

■ **المعمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسبي،** النقيب للطالبيين.

سمع الحديث، وكان حسن الصورة، كريم الأخلاق، كثير التعبد، لا يعرف أنه أذى مسلماً، ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان منها نقياً ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قرقيش، وتولى بعده ولده أبو الفتح حيلرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورثاه الشعراء بلياً، ذكرها ابن الجوزي.

■ **يحيى بن أحمد بن محمد بن علي السهمي،** سمع الحديث، ورحل إليه الطلبة وكان ثقة صالحاً، صدوقاً، ديناً، عمر مائة سنة، وثنى عشرة سنة، وثلاثة أشهر، وهو في ذلك صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن، والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

في جمادى الأولى منها، ملك الفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد بمواطاة من بعض المستحقين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها ياغيسان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطريق ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشي عليه، وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه؛ وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل، جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق بن تشش صاحب دمشق، وجنّاح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج، فالتقوا معهم بأرض إنطاكية، فهزمهم

بغداد بخطه، وقد روى عنه في مصنفاته، وكان يسميه عبد الله، وكان ثقة. ■ **عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل،** المعروف بالهمذاني، تفقه على الماوردي، وكانت له يد طولى في العلوم الشرعية، والحساب، وغير ذلك، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد، والمجمل لابن فارس، وكان عفيفاً، زاهداً، طلبه المعتدي ليوليه قاضي القضاة، فأبى أشد الإباء، واعتذر بالعجز، وعلو السن.

وكان ظريفاً لطيفاً، كان يقول: كان أبي، إذا أراد أن يؤدبني أخذ العصا بيده ثم يقول: نويت أن أضرب ولدي تأديباً كما أمر الله؛ ثم يضربني. قال: وللي أن ينوي ويتمم النية كنت أهرّب. توفي في رجب من هذه السنة، ودفن عند قبر ابن سريح.

■ **محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور،** أبو بكر الدقاق، ويعرف بابن الخاضبة، كان معروفاً بالإفادة، وجودة القراءة وحسن الخط، وصحة النقل، وجمع بين علم القراءات والحديث، وأكثر عن أبي بكر الخطيب وأصحاب المخلص.

قال: لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي، فلم يبق لي شيء، فاحتجت إلى النسخ، فكتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فتمت، فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت، وقائل يقول: أين ابن الخاضبة؟ فجلست فدخلت الجنة، فلما دخلتها، استلقيت على قفائي، ووضعت إحدى رجلي على الأخرى، وقلت: استرح من النسخ؛ ثم استيقظت، والقلم في يدي والنسخ بين يدي.

أبو المظفر

■ **السمعماني: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، أبو المظفر السمعماني،** الحافظ، من أهل مرو، تفقه أولاً على أبيه في مذهب أبي حنيفة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، حين أخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصباغ، وكانت له يد طولى في فنون كثيرة، وصنف التفسير، وكتاب الانتصار في الحديث، والرهان والقواطع في أصول الفقه، والاصطلاح، وغير ذلك، ووعظ في مدينة نيسابور، وكان يقول: ما حفظت شيئاً فنيته، وسئل عن أخبار الصفات، فقال: عليكم بدين المعجّز، وصبيان الكتائب. وسئل عن الاستواء، فقال:

**جَسَّائِي إِنَّمَلَمَا سِرُّ سُمْنِي تَجَلَّائِي بِسِرِّ سُمْنِي شَحِيحًا
إِنْ سُمْنِي لَمُنِيَةُ الْمُتَنَسِّي جَمَعَتِ عِفَّةً وَوَجْهًا صَيِّحًا**

توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في مقبرة مرو، رحمه الله تعالى، وإيانا آمين

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية، وذلك أن السلطان بركياروق ملك فيها بلاد خراسان، بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن الب أرسلان، وسنهما إلى أخيه المعروف بالملك سنجر، وجعل أتابكه الأمير قماج، ووزيره علي بن الحسين الطغرثي. واستعمل على خراسان الأمير حبشي بن التوتاق، فولى مدينة خوارزم شاباً يقال له محمد بن أنوشكين، وكان أبوه من عمالكم أمراء السلجوق، ونشأ هو في أدب، وفضيلة، وحسن سيرة، ولا ولي مدينة خوارزم، لقب خوارزم شاه، فكان أول ملوكهم، فأحسن السيرة، وعامل الناس بالجميل، وحين مات قام من بعده ولده، أنسر،

الفرنج، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأخذوا منهم أموالا كثيرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم صارت الفرنج إلى مرة النعمان، فأخذوها بعد حصار، فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفطيع إلى الملك بركياروق، شق عليه ذلك، وكتب إلى الأمراء ببغداد، أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهمير لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي، ثم انقضت هذه العزيمة، لأنه بلغهم أن الفرنج في ألف ألف مقاتل، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وحج بالناس فيها خارتكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ طراد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن الإمام محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولد عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ابن محمد بن عبد الله بن عباس.

سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، ورحل إليه من الأفاق، وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادة، وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه، ويأمر نقابة العباسيين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، في هذه السنة ودفن في مقابر الشهداء، رحمه الله تعالى.

■ المظفر أبو الفتح بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة، كانت داره جمعا لأهل العلم والدين والأدب، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ولما توفي أبو الفتح، دفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة

وفيها أخذت الفرنج خذلهم الله تعالى بيت المقدس لما كان ضحى يوم الجمعة، لسبع بقين من شعبان، سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، استحوذ الفرنج لنعم الله على بيت المقدس شرفه الله وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من سبعين ألف قتيل من المسلمين، فجاجسوا خيالات الديار وكان وعدا مفعولا.

قال ابن الجوزي: وأخذوا من حول الصخرة اثنتين وأربعين قنديلا من فضة، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنورا من فضة، زنته أربعون رطلا بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب، وذهب الناس على وجوههم هازعين من الشام إلى العراق، مستغيثين على الفرنج، إلى الخليفة والسلطان، ومنهم القاضي بدمشق أبو سعد الهروي.

فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفطيع هالهم ذلك، وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلاما قرئ في الديوان، وعلى المنابر، فجهش الناس بالبكاء، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل، وغير واحد من أعيان الفقهاء، فساروا في الناس، فلم يقد ذلك شيئا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي:

فَرَجْنَا دِيَارَ الْدُّعُوعِ الشَّوَابِجِ
وَشَرُّ مِصْلَاحِ السَّرِّ دَمْعُ نَيْفِضَةٍ
فَإِذَا خَرَّبَتْ شَيْتَ نَارَهَا بِالصُّوَارِمِ
وَقَاتِلِجِ الْيُجُنِّ السُّزَّى بِالنَّاسِمِ
عَلَى مَضَارِثِ أَيْقُظَتْ كُلُّ نَائِمٍ
ظُهُورُ الْمَذَاكِمِ أَوْ يَطْرُونُ الْقَشَاعِمِ
تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَضِرِ فَيَنْقُلُ الْمَسَالِمِ
تَقْلُ لَهَا الْوِلْدَانُ شَيْبَ الشَّوَادِمِ
لَيْسَلَمُ يَفْرَعُ بَغْدَادَ مِنْ نَادِمِ
سَتَفْعُدُ مِنْهُمْ فِي الطَّلَى وَالْجَنَاحِمِ
يُنَادِي بِأَعْلَى الصُّرُودِ يَا آلَ هَاشِمِ
أَرَى أَتَيْتَنِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعِدَا
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ خَوْفًا مِنَ السُّرُودِ
أَتَرَضَى ضَلَايِلَ الْأَعْرَابِ بِالْأَذَى
فَلْيَتَحَمَّرُوا إِذْ لَمْ يَكُونُوا حَيْثُ
وَأَنْ زَهَدُوا فِي الْأَجْرِ إِذْ حَمَى الْوَعَى

وفيها كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه، واستفحل أمره إلى أن صار من أمره أن خطب له ببغداد في ذي الحجة من هذه السنة.

وفيها سار إلى الري فوجد زبيدة خاتون، أم أخيه بركياروق، فأمر بمخفها، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة، في ذي الحجة من هذه السنة، وكانت له مع بركياروق خمس وقعات هائلة.

وفي هذه السنة غلت الأسعار جلاء ببغداد، حتى مات كثير من الناس جوعا، وأصابهم وباء شديد، حتى عجزوا عن دفن الموتى، لكثرتهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (إبراهيم بن محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين)

السلطان إبراهيم بن السلطان محمود ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين، صاحب غزنة، وأطراف الهند، وغير ذلك.

كانت له حرمة وأبهة عظيمة جدا.

حكى الكيا الهراصي، حين بعثه السلطان بركياروق إليه في رسالة عما شاهده عنده من أمور السلطنة، في ملبسه، ومجلسه، وما عنده من الأموال والسعادة الدنيوية.

قال: رأيت شيئا عجيبا، وقد وعظه بحديث «لَمَّا تَوَلَّى سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا» فبكي.

قال: وكان لا يبني لنفسه منزلا حتى يبني قبله مسجدا، أو مدرسة، أو رباطا.

توفي رحمه الله تعالى في رجب من هذه السنة، وقد جاوز التسعين، وكانت مدة ملكه ثنتين وأربعين سنة.

■ عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح، أبو تراب الراغي، ولد سنة إحدى وأربعمائة، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث عليه، وعلى غيره من المشايخ ببلدان شتى ثم أقام بنيسابور، وكان يحفظ شيئا كثيرا من مسائل الخلاف نحواً من أربعة آلاف مسألة بأدلتها

الدولة، واقف الأمانة بدمشق وببصرى، لا التي ببلبك، فهزم الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرا، بحيث لم ينسج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى يعني الثلاثة آلاف وذلك في ذي القعدة من هذه السنة، ولحقهم إلى ملطية، فملكها، وأسر ملكها، والله الحمد.

وحج بالناس الأمير التوتاش التركي وكان شافعي المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **عبد الرزاق الغزنوي الصوفي:** شيخ رباط عتاب، حج مرات على التجريد، مات في هذه السنة وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفتا، وقد قالت له امرأته وهو في الإحتضار: إنك ستُنصَح اليوم. لا يوجد لك كفن فقال لها: لو تركت كفتا، لاقتضت.

وعكسه أبو الحسن البسطامي، شيخ رباط بن الحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف، شاة وصيفا، ويظهر الزهد. وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة فتعجب الناس من تفاوت حالهما، واتفاق موتهما في هذه السنة فرحم الله الأول، وسامح الثاني.

الوزير

■ **عميد الدولة بن جبير:** محمد بن أبي نصر بن محمد بن جبير الوزير الكبير، أبو منصور الملقب عبيد الدولة أحد رؤساء الوزراء، وسادات الكبراء. خدم ثلاثة من الخلفاء، وزر لاثنتين منهم، وكان حليما، قليل العجلة، إلا أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبير، وقد ولي الوزارة مرات، يعزل، ثم يعاد، ثم كان آخرها هذه المرة، حبس بدار الخلافة، فلم يخرج من السجن إلا ميتا، في شوال هذه السنة.

■ **ابن جزلة الطيب:** يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب، كان نصرانيا، وكان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد، المعتزلي، يشتمل عليه في المنطق، وكان أبو علي يدعو إلى الإسلام ويوضح له الدلالات، حتى أسلم، وحسن إسلامه، واستخلفه أبو عبد الله الدامغاني قاضي القضاة في كتب السجلات، ثم كان يُطِيبُ الناس بعد ذلك بلا أجر، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعا، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفا في مشهد الإمام أبي حنيفة، رحمه الله، وإيانا آمين.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية، فقتل السلطان منهم خلقا كثيرا، وأبيحت ديارهم، وأمواهم، للعامه، كلٌّ من يقدرون عليه، فله قتله وماله وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين، وكان الذي ملكها الحسن بن الصباح، أحد دعائهم، وكان قد دخل مصر، وتعلم من الزنادقة، الذين كانوا بها، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصفهان، وكان لا يدعو إلا غيا، لا يعرف بميته من شماله، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز، حتى يحترق مزاجه، ويفسد دماغه، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال، أنهم ظلموا، ومنعوا حقهم ثم يقول له: فإذا كانت الخوارج، تقاتل مع بني أمية لعلي، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إسماعك علي بن أبي طالب، ولا يزال يسقيه من هذا وأمثاله، حتى يستجيب له، ويصير أطوع له من أمه وأبيه، ويظهر له أشياء كثيرة من المخرفة،

والمناظرة عليها وغير ذلك من الحكايات والملح والأدب، وكان صبوراً، متقللاً من الدنيا، على طريقة السلف.

جاءه منشور بقضاء همدان، فقال: أنا منتظر منشورا من الله عز وجل على يدي ملك الموت بالقدوم عليه، والله جلوس ساعة في هذا المسجد على راحة القلب، أحب إلي من ملك العراقين، وتعليم مسألة لطالب، أحب إلي عما على الأرض من شيء، والله لا أفلس قلب يعلق بالدنيا وأهلها، وإنما العلم دليل، فمن لم يبدله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها، لم يحصل على طائل من العلم، ولو علم ما علم، فإنما ذلك ظاهر من العلم، والعلم النافع وراء ذلك، والله لو قطعت يدي ورجلي وقطعت عيني، أحب إلي من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة، وما هو سبب فوز المتقين وسعادة المؤمنين حكاه ابن الجوزي في المنتظم [١٧/٥١]. توفي رحمه الله في ذي القعدة من هذه السنة، عن ثلاث وتسعين سنة، رحمه الله آمين.

■ **أبو القاسم ابن إمام الحرمين:** قتله بعض الباطنية، ببغداد رحمه الله، ورحم أباه بمته وكرمه.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

في صفر منها دخل السلطان بركياروق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة ببغداد، وقطعت خطبة أخيه محمد بن ملكشاه، وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه السلطان محمد، لإقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جبير، فالتجأ إلى الخليفة، فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه السلطان محمد بمكان قريب من همدان، فهزموه أخوه محمد، ونجا هو بنفسه في خمسين فارسا، وقتل في هذه الوقعة سعد الدولة كورائين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليما حسن السيرة، لم يعتمد ظلم أحد، ولم ير خادما ما رأى، من الحشمة والحرمه، وكثرة الخفمة، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته، ولم يصعد قط، ولما جرى ما جرى في هذه الوقعة، ضعف أمر السلطان بركياروق، ثم تراجع إليه جيشه، وانضاف إليه الأمير داود حبشي في عشرين ألفا، فالتقى مع أخيه الآخر سنجر، فهزموه سنجر أيضا، وهرب في شرمه قليلة، وأسر الأمير داود، فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف جانب بركياروق، وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد، في رابع عشر رجب، وأعيدت خطبة السلطان محمد.

وفي رمضان منها، قبض على الوزير عميد الدولة بن جبير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكسافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة، حتى مات في شوال من هذه السنة.

وفي ليلة السابع والعشرين منه، قتل الأمير بلكبايك سرزم، رئيس شحنة أصفهان، ضربه باطني بسكين في خاصرته، وقد كان يتحرز منهم طول مباشرته، ويدع تحت ثيابه، سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جنات من صبيحتها.

وفيها أقبل ملك الفرنج، في ثلاثمائة ألف مقاتل، فالتقى معه كمشكين بن النائمند طابلو، أتاك الجيوش بدمشق، الذي يقال له أمين

الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري، وكان ثقة صالحاً، كتب الكثير رحمه الله.

■ محمد بن الحسن: أبو عبد الله الرازي، نزل أوانا، وكان مقرناً، فقيهاً صالحاً، له أحوال وكرامات، ومكاشفات، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث، وغيره.

قال ابن الجوزي: بلغني أن ابناً له صغيراً، طلب منه غزلاً، وألح عليه، فقال له: يا بني، غدا يأتيك غزال. فلما كان الغد، أتى غزال، فجعل ينطح الباب بقرنيه، حتى يفتحه، فقال له أبوه: يا بني، أتاك الغزال رحمه الله تعالى.

■ محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان، أبو نصر الموصلي القاضي، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعه الهاشمي، فركب لها أسناده إلى من بعد زيد بن رفاعه، وهي موضوعة كلها، وإن كان في بعضها معان صحيحة، والله أعلم.

■ محمد بن منصور: أبو سعد السعدي شرف الملك الخوارزمي، جليل القدر، وكان متعصباً لأصحاب أبي حنيفة، ووقف لهم مدرسة بمرو، ووقف فيها كتباً كثيرة، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة، وبنى أربطة في المفاوز، وعمل خيراً كثيراً، وكان من أطيب الناس، مأكلاً، ومشرباً، وأحسنهم ملبساً، وأكثرهم مالاً، ثم ترك العمالة بعد هذا كله، وأقبل على العبادة، والاشتغال بنفسه، إلى أن مات رحمه الله تعالى.

■ محمد بن منصور القشيري: المعروف بمعيد خراسان، قدم بغداد أيام طغرل بك، وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور، وكان كثير الرغبة في الخير، ووقف بمرو مدرسة على أبي بكر بن أبي الظفر السمعاني وذريته.

قال ابن الجوزي: فهم يتولونها إلى الآن. وبنى بنسباور مدرسة، وفيها تربة. وكانت وفاته في شوال من هذه السنة رحمه الله.

■ نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر أبو الخطاب، البزاز، القاري. ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وسمع الكثير، وتفرد عن ابن روقيه، وغيره، وطال عمره، ورحل إليه من الأفاق، وكان رحمه الله تعالى صحيح السماع.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

في ثالث الحرم منها، قبض على أبي الحسن علي بن محمد، المعروف بالكياهمراسي، وعزل عن تدريس النظامية، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطني، فشهد له جماعة من العلماء منهم ابن عقيل ببراءته من ذلك، وجاءت الرسالة من دار الخلافة، يوم الثلاثاء، بخلاصه.

وفيها، في يوم الثلاثاء، الحادي عشر من الحرم، جلس الخليفة المستظهر بالله، بدار الخلافة، وعلى كتفيه البردة، والقضيب بيده، وجاء الملكان الأخوان، محمد، وسنجر، ابنا السلطان ملشكاه، قتيلاً الأرض، فخلع عليهما الخلع السلطانية، على محمد سيفاً، وطوقاً، وسواراً، ولواءً، وأفراساً من مراكبه، وعلى سنجر دون ذلك، وأولى الخليفة السلطان عمداً الملك، واستتابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة، دون ما أغلق عليه الخليفة أباه، ثم خرج السلطان محمد، في تاسع عشر الشهر، فأرجف الناس، بقدم بركياروق، ثم اصطلحو على أمور، فركب السلطان محمد، فالتقوا، وجرت

والترغبات، والحيل، التي لا تروج إلا على الجهال، حتى ألف عليه بشر كثير، وجم غفير، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه، يهذه ويتعدة، وينهاه عن بعث الفداوي إلى العلماء، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول، قال لمن حضره من الشباب: إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه. فاشترأت وجوه الحاضرين منهم، ثم قال لشاب منهم: اقتل نفسك. فاستخرج سكيناً، فضرب بها غلصمته، فسقط ميتاً، وقال لآخر منهم: ائت نفسك من هذا الموضع، فرمى نفسه من رأس القلعة، إلى أسفل خندقها، فتقطع. فقال للرسول: هذا الجواب. فمنها امتنع السلطان من مراسلته. هكذا أورده ابن الجوزي [المستطعم: ١٧/٦٣، ٦٤]، وسيأتي أن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس، جرى له مع سنان صاحب الإيوان، مثل هذا، إن شاء الله تعالى.

وفي شهر رمضان، أمر الخليفة المستظهر بالله، بفتح جامع القصر، وأن يبني، وأن يصلى فيه التراويح وأن يجر بالبسملة، وأن يمنع النساء من الخروج ليلاً للفرجة.

وفي أول هذه السنة، دخل السلطان بركياروق، إلى بغداد فخطب له بها، ثم لحقه أخواه محمد، وسنجر، فدخلاهما، وهو مريض، فمهر في الجانب الغربي، فقطعت خطبته، وخطب لهما بها، وهرب بركياروق إلى واسط، ونهب جيشه، ما اجتازوا به من البلاد، والأراضي، فنهاه بعض العلماء عن ذلك، ووعظه، فلم ينفذ شيئاً.

وفي هذه السنة، ملك الفرنج قلاعاً كثيرة، منها: قيسارية، وسروج، وسار ملك الفرنج كندفري وهو الذي أخذ بيت المقدس إلى عكا، فحاصرها، فجاءه سهم في عنقه، فمات من فوره، إلا لعنه الله عليه وعلى أجناده.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ، أبو منصور، سمع الحديث، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، ثم على عمه أبي نصر بن الصباغ، وكان فقيهاً، فاضلاً، كثير الصلاة، يصوم الدهر، وقد ولي القضاء بربع الكرخ، والحبسة بالجانب الغربي رحمه الله تعالى.

■ عبد الله بن الحسن بن أبي منصور أبو محمد الطوسي، رحل وجمع وصنف، وكان أحد الحفاظ الكثيرين، ثقة، صدوقاً، عارفاً بالحديث، ورعا حسن الخلق رحمه الله.

■ عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد أبو الفرج الزاز السرخسي، نزل مرو، وسمع الحديث، وأملى، ورحل إليه العلماء، وكان حافظاً لمذهب الشافعي، متديناً ورعاً، رحمه الله.

■ عزيز بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي الجيلي، القاضي، الملقب بشذلة، كان شافعيًا في الفروع، أشعريًا في الأصول، وكان حاكماً بباب الأرج، وكان بينه وبين أهل باب الأرج من المخالفة شأن كبير، سمع رجلاً ينادي على حمار له ضائع، فقال: يدخل باب الأرج، ويأخذ بيد من شاء.

وقال يوماً للقيب طراد الزنبي: لو حلف إنسان أنه لا يرى إنساناً، فرأى أهل باب الأرج، لم يجنث، فقال له الشريف: من عاشر قوماً أربعين يوماً فهو منهم. ولهذا لما مات، فرحوا بموته كثيراً.

■ محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق، أبو الفضائل الربيعي الموصل، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وسمع

صاحب المصنفات في علوم القراءات، كان ثقة ثباتاً مأموناً علماً بهذا الشأن وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى.

■ أبو المعالي: أحمد الصلحاء الزهاد، ذوي الكرامات والمكاشفات، وكان كثير العبادة متقلداً من الدنيا، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قميصاً واحداً، فإذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزرًا، وذكر أنه أصابه فاقة شديدة في شهر رمضان، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئاً، قال: فينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفي، وقال: يا أبا المعالي أنا الملك الفلاني، لم تحض إليّ نحن نأتيك به، قال: فبكر لي الرجل. رواه ابن الجوزي في متظمه (٨٢/١٧) من طريقين عنه.

كانت وفاته في هذه السنة، ودفن قريباً من قبر أحمد.

■ السيدة بنت القمام بأمر الله: أمير المؤمنين التي كانت تزوجها الملك طغرل بك، توفيت في هذه السنة ودفنت بالرصافة، وكانت كثيرة الصدقة والإنثار، وجلس لعزائنها في بيت التوبة الوزير، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً، «وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِطَيْبَتِهِمْ لَمْ يَسْأَلُوا خَيْرًا» (الأحزاب: ٢٥) وقد أسر في هذه الرقعة بردويل صاحب الزها.

وفي هذه السنة سقطت منارة واسط، وقد كانت من أحسن المنائر، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقية الحجاج، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد لم يسمع بمثله، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر.

وفي هذه السنة تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركياروق وعمد، واقتسما البلاد فقطعت الخطبة ببغداد لمحمد واستمرت للملك بركياروق ويُسَّتَرُ إليه بالخلع وإلى الأمير إياز.

وفي هذه السنة أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل.

وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط.

وفيها توفي الملك

■ دقاق بن تتش صاحب دمشق، فأقام مملوكه طنككين ولدا له صغيراً مكانه، وأخذ البيعة له، وصار هو أتابك فتيماً الملك بدمشق مدة.

وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغراني ونفاه إلى غزنة.

وفيها ولي أبو نصر نظام الحضرمين ديوان الإنشاء.

وفيها قتل الطبيب الماهر الحافظ أبو نعيم، وكانت له إصابات عجيبة جداً.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير خوارنكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أردشير بن منصور: أبو الحسن العبادي الواعظ، قدم ببغداد فوعظ بها فاجتبه العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم.

■ إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد أبو الفرج القومساني. من أهل همدان، سمع من أبيه وجده وجماعة. وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال

حروب كثيرة، وانهزم محمد، وجرى عليه مكروه شديد، كما سيأتي بيانه. وفي رجب منها قبل القاضي أبو الحسن بن الدامغانى شهادة أبي الحسين وأبي خازم أبي القاضي أبي يعلى بن القراء. وفيها قدم عيسى بن عبد الله الغزنوي فوعظ الناس وكان شافعياً أشعرياً، فوُقت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد. وفيها وقع حريق عظيم ببغداد.

وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي، صاحب الحلة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (المستطلي)

أبو القاسم صاحب مصر: الملقب بالمستطلي، كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، وقام بالأمر من بعده ابنه أبو علي وله تسع سنين، ولقب بالأمر بأحكام الله.

■ محمد بن هبة الله: أبو نصر القاضي البندنجي الضريس الشافعي، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ثم جاور بمكة أربعين سنة، يفني ويدرس ويروي الحديث وكان من نواذر الزمان، ومن شعره قوله: عَذِمْتُكَ نَفْسِي مَا تَمَلَّيْتُ بِطَنَائِي وَقَدْ سَرَّ إِخْوَانِي وَأَفْلَسَ مَوْثِقِي أَصْحَابُ رَيْسِي ثُمَّ أَتَقَفَضُ عَنْهُمْ وَأَتَرْكُ عَزْمِي جَبِينٌ تَعْرِضُ شَهْرَتِي وَزَادِي فَلَيْلٌ مَا أَرَاهُ يَمْلِكُنِي الْهَزَادُ أَبْكِي أَمْ لَطُولُ مَسَائِفِي؟

ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها حاصر السلطان بركياروق أخاه محمداً بأصبهان، فضاقت على أهلها الأرزاق، واشتد الغلاء عندهم جداً، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد، فاجتمع عليهم الخوف والجوع، والنقص من الأموال والأنفس والثمرات، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز، فلم يتمكن من القبض عليه، ونجا بنفسه سالماً.

قال ابن الجوزي: وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاء أبي الحسن الدامغانى تاج الإسلام.

وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد واقتص على ذكر الخليفة فيها والدعاء له، ثم التقى الأخوان بركياروق ومحمد فانهزم محمد أيضاً ثم اصطلحا.

وفيها ملك الملك دقاق بن تتش بن ملكشاه صاحب دمشق مدينة الرحبة.

وفيها قتل أبو المظفر الحنجندي الواعظ بالري وكان فقيهاً شافعياً مدرساً، قتله رافضي علوي في الفتنة، وكان عالماً فاضلاً، كان نظام الملك يزوره ويعظمه.

وحج بالناس خوارنكين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار، أبو طاهر القرقي،

والثون وأنواع الفنون، ثقة مأموناً رحمه الله تعالى.

■ العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا، سعد الدولة، كاتب الإنشاء ببغداد، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فمكث في الرئاسة مدة طويلة، نحواً من خمس وستين سنة، وكان في الوزارة مرات، وكتب الإنشاء مدة فصيح العبارة، كثير الصدقة، توفي في هذه السنة عن عمر طويل رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن عمر: أبو عمر النهاوندي، قاضي البصرة مدة طويلة، وكان فقيهاً عالماً، سمع الحديث من أبي الحسن الماوردي وغيره كان من تلامذة الماوردي. مولده في سنة عشر، وقيل: سبع، وأربعمائة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

فيها توفي السلطان بركياروق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه، وعمره أربع سنين وشهور وخطب له ببغداد، ونشر عند ذكره النانير والدرهم ولقب بجلال الدولة، وجعل أتباعه الأمير إياز ثم جاء السلطان ابن ملكشاه إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليلقوه وصالحوه، وكان الذي أخذ البيعة بالصلح الكيالهراسي، مدلس النظامية وخطب له بالجانب الغربي، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدمست، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيالهراسي، في درس النظامية، ليرغب الناس في العلم.

وفي ثاني عشر رجب منها أزيل الغيار عن أهل النعمة الذين كانوا الزموا في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولا يعرف ما سبب ذلك. وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً، ثم أديل عليهم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً أيضاً.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان

■ بركياروق بن ملكشاه: ركن الدولة السلجوقي، جرت له خطوب كثيرة وحروب هائلة، وأحوال متباينة خطب له ببغداد ست مرات، وعزل عنها ست مرات، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهور، ثم قام من بعده ولده ملكشاه، فلم يتم له الأمر بسبب منازعة عمه محمد له.

■ عيسى بن عبد الله بن القاسم أبو المؤيد الغزنوي الأشعري: كان واعظاً كاتباً شاعراً، ورد ببغداد فوعظ بها، فنفق على أهلها، وكان أشعري المذهب متصباً له، فخرج من بغداد قاصداً بلده فتوفي بإسفرايين.

■ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصهباني، أبو أحمد، وكان شيخاً عفيفاً ثقة، سمع الكثير، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ رحمه الله تعالى.

الحافظ

■ أبو علي الجبائي الحسين بن محمد بن أحمد الفسائي الأندلسي، مصنف تنقيح المجل على ألفاظ «الصحيحين»، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً باللغة والشعر والأدب، وكان يسمع في جامع قرطبة، توفي ليلة الجمعة لثني عشرة ليلة خلت من شعبان من هذه السنة، عن إحدى وسبعين سنة رحمه الله.

■ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر: أبو الحسن الواسطي، سمع الحديث وثقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، قرأ الأدب وقال الشعر. من ذلك قوله:

مَنْ قَالَ لِي جَاءَ وَلِي جَسَمَةٌ وَلِي يُكُونُ عِنْدَ مَوْلَانَا
وَلَمْ يُمْدْ ذَلِكَ بِنَفْسٍ عَلَى صَلِيقِهِ لَا كَانَ مَنْ كَانَا

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

في الحرم منها ادعى رجل النبوة بتواحي نهاوند، وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلي فاتبه على ضلالتهم خلق من الجهلة الرعاع، ويأمرهم أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه، وكان كريماً يعطي من قصده ما عنده ثم إنه قتل بتلك الناحية لعنه الله.

ورام رجل من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره، فقبض عليه في أقل من شهرين، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك، فما كان بأسرع من زوالهما.

وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة، فأتلفت شيئاً كثيراً من الغلات، وغرقت دور كثيرة ببغداد.

وفيها كسر طغتكين أتباعك العساكر بدمشق الفرنج، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق، وزينت البلد سبعة أيام، سروراً بكسره الفرنج.

وفيها في رمضان حاصر الملك رضوان بن تشش صاحب حلب مدينة نصيبين.

وفيها ورد إلى بغداد ملك من ملوك المثلثين وصحبه رجل يقال له الفقيه، فوعظ في جامع القصر وهو ملثم ثم عاد إلى مصر وله حروب كثيرة مع الفرنج استشهد في بعضها.

وحج بالناس في هذه السنة من العراق رجل من قرائب الأمير سيف الدولة صدقة.

ومن توفي فيها من الأعيان

سهل بن أحمد بن علي الأرخاني أبو الفتح الحاكم: سمع الحديث من البيهقي وغيره، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك، وكان قد تفقه أولاً على الشيخ أبي علي السنجي، وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بمحضته، واستجاده وولي قضاء بلده مدة ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن.

وقال ابن خلكان: وبنى للصوفية رباطاً من ماله، ولزم التعبد إلى أن مات في مستهل الحرم من هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق: أبو منصور الخطاط، أحد القراء والصلحاء، ختم الوفاء من التخصات وختم عليه الوف من الناس، وأسمع الحديث الكثير، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعاً لم يُعهد مثله، في جنازة بتلك الأزمان. وكان عمره يوم توفي سبعمائة وتسعين سنة رحمه الله، وقد رثاه الشعراء، ورآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي بتعليمي الصبيان الفاتحة.

■ محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين: أبو الفرج البصري قاضيها، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما، ورحل في طلب الحديث، وكان عابداً خاشعاً عنه الذكر رحمه الله.

الفرنج.

وفي يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك، وكان أكبر أولاده، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور، وكان صائماً، قتله باطني، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو يقول له: عجل إلينا وأطفر عندنا الليلة، فأصبح متعجباً، فنوى الصوم ذلك اليوم، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل، فما خرج إلا في آخر النهار فرأى شاباً يتظلم وفي يده رقعة فقال: ما شأنك؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرأها إذ ضربه بمنجنيق بيده فقتله، فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان فقررته فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروهم بذلك، وكان كاذباً، فقتل وقتلوا أيضاً.

وفي صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم علي بن جهر وخرب داره التي كان قد بناها أبوه، من خراب بيوت الناس، فكان في ذلك عبرة وموعظة لنوعي البصائر والنهي، واستتب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغان.

وحج بالناص في هذه السنة الأمير تركماني واسمه اليرن، من جهة السلطان محمد بن ملكشاه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد أبو المظفر: الخوافي الفقيه الشافعي.

قال ابن خلكان: كان أنظر أهل زمانه، تفقه على إمام الحرمين، وصار أوجه تلامذته، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم. قال والخوافي بفتح الحاء والواو نسبة إلى خوفاء وهي ناحية من نواحي نيسابور وتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج، أبو محمد القارئ البغدادي، ولد سنة ست عشر وأربعمائه، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الكثير من الأحاديث النبوية، من المشايخ والشيخات في بلدان متبنيات، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء من مسموعاته، وكان صحيح الثبوت، جيد الذهن، أديباً شاعراً، حسن التنظيم، نظم كتاب المبتدأ في القراءات، وكتاب التبيين والخزقي وغير ذلك، وله كتاب مصارع العشاق وغير ذلك، ومن شعره قوله:

قُلْ لِلنَّاسِ يَجْهَلُونَ
وَالْحَافِلِينَ لَهَا مِنَ الْأَيْدِي
لَسَوْلا الْغَابِرِ وَالْمَقَالِمِ
وَالْحَافِلُونَ شَرِيعَةَ الْ
وَالنَّافِلُونَ حَيْثُ عَنْ
لَزَابِتٍ مِنْ شَرِيعِ الضَّلَا
كُلُّ يَفْهَمُ يَجْهَلُونَ
سَيِّئُهُمْ أَفْهَلُ الْخَلْقِ
حَتَّى رَوَى أَفْ لَكُمْ
مِمَّ حَتَّى جَنَّاتِ النِّعَمِ
رُقُوسًا أَحْمَدُ كُلُّهُمْ
أَضْحَكُوا يَعْشُرُونَ الْخَابِرِ
بِمُجْتَمَعِ الْأَسْوَارِ
وَالصَّخَايِفِ وَالذُّفَايِرِ
خَبْرُوتٍ مِنْ خَيْرِ الْعَشَائِرِ
كَبِيرُ كِبَرٍ وَكَبِيرُ
لِغَايِرٍ تَلَوَّ غَايِرُ
وَاللَّهُ لِلنَّظْمِ نَاصِرُ
أَبْلَى النَّهْيِ وَأَبْلَى الْبَصَائِرِ
وَلَمَنْ يَتَقَبَّضُهُمْ يَبْصَارُ
عَلَى الْأَمِيرَةِ وَالْمَنَائِرِ
عَنْ خَوْضِهِ زَيْتَانُ صَائِرِ

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائعة منها قوله:

■ مهارش بن مجلي أمير العرب: بمدينة وعانة، وهو الذي أودع عنده الخليفة القائم بأمر الله، حين كانت فتنة الباسيري ببغداد، فأكرم الخليفة حين ورد عليه، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى وكان الأمير مهارش هذا كثير الصلاة والصدقة، وكانت وفاته في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة النبوية:

قال أبو داود في سنته [٤٣٤٩]: حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُعْجِزَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ نَصْفِ يَوْمٍ».

حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤْخَرَهَا نَصْفُ يَوْمٍ». قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: «خمسمائة سنة» [٤٣٥٠].

وهذا من دلائل النبوة. وذكر هذه المدة لا ينبغي زيادة عليها، كما هو الواقع، لأنه ﷺ ذكر شيئاً من أشراف الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء. وسأيتي ذكرها فيما بعد زماننا، وبالله المستعان.

وما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر في هذه السنة قلاعاً كثيرة من حصون الباطنية، فانفتح منها أماكن كثيرة، وقتل خلقاً منهم، من ذلك قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان في رأس جبل منيع هناك، وكان سبب بنائه ما أنه كان مرة في بعض صيوده فهرب منه كلب فاتبه إلى رأس الجبل فوجده، وكان معه رجل من رسل الروم، فقال الرومي: لو كان هذا الجبل ببلادنا لاتخذنا عليه قلعة، فحلب هذا الكلام السلطان على أن ابنتي في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار، ومائتي ألف دينار، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبد الملك بن عطاش، فتعب المسلمون بسببها، فحاصرها السلطان محمد سنة حتى افتتحها، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تيناً وقطع رأسه، فطيف به في الأقاليم، ثم نقض هذه القلعة حجراً حجراً، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلقت، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة، وكان الناس ينشامون بهذه القلعة، يقولون: كان دليلها كلباً، والمشير بها كافر، والمتحصن بها زنديقاً.

وفيهما كانت حروب كثيرة بين بني خفاجة وبين عبادة، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت منها.

وفيهما استحوذ سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي على مدينة تكريت بعد قتال كثير.

وفيهما أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاووا إلى الموصل وأقطعهم إياها، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قتله وهزم أصحابه وأسره، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلاً وإحساناً، ثم أقبل قلع جاولي أرسلان بن قتلش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي، فصار جاولي إلى الرحبة، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلع فكسره وألقى قلع نفسه في النهر الذي للخابور فهلك.

وفيهما نشأت حروب كثيرة بين الروم والفرنج فاقتلوا قتالاً عظيماً وقتل من الفريقين طائفة كبيرة، ثم كانت الهزيمة بعد كل حساب على

إكراما زائدا، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **نجم بن المعز بن باديس:** صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك خلقاً وكرماً، وإحساناً، ملك ستاً وأربعين سنة، وعمر تسعاً وسبعين سنة، وترك من البنين أكثر من مائة، ومن البنات ستين بنتاً، وملك من بعده ولده يحيى، ومن أحسن ما مدح به الأمير نجم قول الشاعر:

أَصَحُّ وَأَعْلَى مَا سَجَنَتْهُ فِي الشُّذَى مِنْ الْحَسْرِ الْمَسْرُوي مُنْذُ قَدِيمِ
أَخَابِيهِ تَرْبِيهَا السُّيُوفُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَصِمِ

■ **صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن يزيد الأسدي،** الأمير سيف الدولة، صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها، كان كريماً عفيفاً ذا فنام، ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده، وتحت جناحه، وكان يحسن يقرأ الكتب ولا يحسن الكتابة، وقد اقتنى كتاباً نفيسة جداً، وكان لا يتزوج على امرأة قط، ولا يتسرى على سرية حفاظاً للذمام، ولشلا يكسر قلب أحد، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً. قتل في بعض الحروب، قتله غلام اسمه برغش، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة ولى منها الإمارة إحدى وعشرين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله بالختون بنت ملكشاه أخت السلطان محمد، على صداق مائة ألف دينار، وثر الذهب، وكتب العقد بأصهبان.

وفيهما كانت حروب كثيرة بين الأتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج.

وفيهما ملك سعيد بن حميد العمري الحلة السيفية.

وفيهما زادت دجلة زيادة كثيرة ففرقت الغلات وزاد غلاء الأسعار بسبب ذلك غلاء شديداً.

وحج بالناس الأمير قيمان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **الحسن العلوي:** أبو هاشم رئيس همدان، وكان ذا مال جزيل، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسعمائة ألف دينار، فلم يبع فيها عقاراً ولا غيره.

■ **الحسين بن علي:** أبو الفوارس بن الخازن، الكاتب المشهور بالخط المنسوب. كانت وفاته في ذي الحجة منها.

قال ابن خلكان: كتب بيده خمسمائة ختمة، وكانت وفاته فجأة رحمه الله تعالى.

■ **الرويانى صاحب البحر:** عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد، أبو الحسن الرويانى، من أهل طبرستان، أحد أئمة الشافعية، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة، ورحل إلى الأنفاق حتى بلغ ما وراء النهر، وحصل علوماً جمة، وسمع الحديث الكثير، وصنف كتباً في المذهب، من ذلك البحر في الفروع، وهو كتاب حافل شامل للفرائب وغيرها، وفي المثل

وَمُذِيعُ شَرْخِ الشَّبَابِ وَقَدْ غَشَمَتِ الشَّيْبَ عُلَى وَفَرَّتْهُ
يُخَضَّبُ بِالْوَضْمَةِ عَثْوَتُهُ يَكْنُيهِ أَنْ يَكْنُزِبَ فِي لَحْيَتِهِ

■ **عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي القارسي،** سمع الحديث الكثير، وثقة وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد، في سنة ثلاث وثمانين فدرس بها مدة، وكان يلمي الأحاديث، وكان كثير التصحيف، روى مرة حديث «صلاة في إثر صلاة» كَتَابَ فِي عَلَيْنَ ٩ ج (١٢٨٨، ٥٥٨)، أحد: ٢٦٣/٥، ٢٦٤، ٢٦٨. فقال: كنار في غلس. ثم نشر ذلك بأنه أكثر لإضاعتها.

■ **محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأسدي الشاعر،** لقي أبا الحسن التهامي، وكان مغرباً بما يعارض شعره، وقد أقام باليمن وبالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان، ومن شعره:

قُلْتُ قَتَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مَرَاراً نَسَا قَتَلْتُ كَأَهْلِي بِالْأَهَادِي
قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالاً لَا يَبْلُ تَطَوَّلْتُ وَأَبْرَمْتُ قَالاً حَبْلُ السُّودَادِ

■ **يوسف بن علي:** أبو القاسم الزجاجي الفقيه، كان من أهل الديانة، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب، قال: كنا يوماً بمجامع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المصرة (١٥٢٤) فقال الشاب: هذا الحديث غير مقبول، فما استم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حبة فنفض الناس هارين وتبعته الحية ذلك الشاب من بينهم، فقيل له: تب تب. فقال: تب، فذهبت تلك الحية فلا يدرى أين ذهبت.

رواه ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا بالنظم: ١٠٦/١٧ والله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة

ففيها جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب، وأكرمه وعظمه.

وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقياه الوزير والأعيان، وأحسن إلى أهلها، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء. وتغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي صاحب الحلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرخاب الديلمي، صاحب ساوة، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة. وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل، وقتل صدقة في المعركة، وأسر جماعة من رؤوس أصحابه وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار وجواهر نفيسة.

قال ابن الجوزي: وظهر في هذه السنة صياع عمياء تكلم على أسرار الناس ويألف الناس في الخيل ليعلموا حالها فلم يعلموا.

قال ابن عقيل: وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام، حتى إنها كانت تسأل عن نقوش الخواتيم المقلوقة الصعبة، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في داخل البنادق من الشمع والطين والخبث المختلف والخرز، ويألف أحدهم حتى ترك يده على ذكره فقتل لها: ما الذي في يده فقالت: يجمعه إلى أهله وعياله.

وفيهما قدم القاضي فخر الملك علي بن عمار صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

في أوائل هذه السنة تجهز جماعة من الفقهاء البغدادية وغيرهم، وفيهم ابن الزاغوني، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد، وقُتل الفرنج، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا ملتان عدة، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول، وكنا غيرها من المدن ثم رجح كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج.

وفيهما قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فترلت في دار أخيها السلطان محمد، ثم حل جهازها على مائة وإثنين وستين رجلاً، وسبعة وعشرين بغلاً وزينت ببغداد لقدمها، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان، وكانت ليلة مشهودة.

وفي شعبان درس أبو بكر الشافعي بالنظامية مع التاجية، وحضر عنده الوزير والأعيان من الدولة وغيرهم.

وحج بالناس الأمير قيمان، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من كثرة العطش وقلة الماء.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إدريس بن حمزة: أبو الحسن الشافعي الرملي العثماني، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي، تفقه أولا على نصر بن إبراهيم، ثم ببغداد على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر، وأقام بسمرقند ودرس بمدرستها إلى أن توفي بها في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ علي بن محمد بن علي عماد الدين، أبو الحسن الطوسي، ويعرف بالكياهماسي، أحد الفقهاء الكبار، من رؤوس الشافعية، ولد سنة خمسين وأربعمائة، واشتغل على إمام الحرمين، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهوري الصوت جميلاً، وكان يكرر الدرس على كل مراقبة من مراقبي دوج النظامية بنيسابور سبع مرات، وكانت المراقبي سبعين مراقبة، وقد سمع الحديث الكثير، وناظر وأتقى ودرس، وكان من أكابر العلماء وسادات الفقهاء، وله كتاب يرد فيه على ما اتفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجلد، وله غيره من المصنفات.

وقد اتهم في وقت بانه يمالئ الباطنية، فترج منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل، فأعيد إليه توفي في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله.

وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به، وهو القائل: إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح، طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح.

وحكى السلفي عنه أنه استفتى في كسبه الحديث هل يدخلون في الرخصة للفقهاء؟ فأجاب: بنعم لقوله ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أَمْرِي أَرْبَعِينَ حَتِيئَةً بَنَى اللَّهُ فِيهَا عَالِماً».

وأنه استفتى في يزيد بن معاوية فذكر عنه ثلباً وفسقاً، وسوغ شتمه، وأما الغزالي فإنه خالف في ذلك، ومنع من شتمه ولعنه، لأنه مسلم، ولم يثبت بانه رضي بقتل الحسين، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً للعنه، لأن القاتل لا يلعن، لا سيما وباب التوبة مفتوح، وهو الذي يقبل التوبة عن

حدث عن البحر ولا حرج. وكان يقول: لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي، قتل ظلماً يوم جمعة، وهو يوم عاشوراء في الجامع بطبرستان.

قال ابن خلكان: وقد أخذ الفقه من ناصر المروزي وعلق عنه، وكان للرويات الجاه العظيم، والحرمة الوافرة في تلك الديار وكان نظام الملك كبير التعظيم له، وقد صنف كتباً في الأصول والفروع، منها بحر المذهب، وكتاب مناصيص الإمام الشافعي، وكتاب الكافي، وحلية المؤمن، وله كتب في الخلاف أيضاً رحمه الله تعالى.

■ يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام، الشيباني التبريزي، أبو زكريا، أحد أئمة اللغة والنحو، قرأ على أبي العلاء وغيره، وتخرج به جماعة منهم أبو منصور بن الجواليقي.

قال ابن ناصر: وكان ثقة في الثقل، وله المصنفات الكثيرة. وقال ابن خيرون: لم يكن مرضي الطريقة توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فيها أخذت الفرنج لعنهم الله مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحرم والأطفال، وغنموا الأمتعة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال. وقد هرب منهم فخر الملك بن عسار، قصد صاحب دمشق فطنكين فأكرمه وأقطعهم بلداً كثيرة.

وفيهما وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقى الخمر فاعترف على جماعة من الباطنية فأخذوا فقتلوا.

وحج بالناس الأمير قيمان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن علي بن أحمد، أبو بكر العطفي: كان يعمل في تحصيل الحيطان، ولا ينقص صروره، ولا يأخذ من أحد شيئاً، وكانت له أملاك يبيع منها ويتقوت، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى، وتفقه عليه شيئاً من الفقه، وكان إذا حج يزور القبور بمكة، وإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطأ بمصاه ويقول يا رب ههنا. فقُتل أنه حج في هذه السنة فوقف بعرقا محرمات في آخر ذلك اليوم، ففسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخط بمصاه، ولما بلغ الناس وفاته ببغداد اجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

■ عمر بن عبد الكريم بن سلعود أبو الفتيان الدهستاني، رحل في طلب الحديث، ودار الدنيا، وخرج وانتخب، وكان له فهم بهذا الشأن، وكان ثقة، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين. وكانت وفاته بسرخرس في هذه السنة.

■ (محمد أخو حمادي) محمد ويعرف بأخي حمادي: وكان أحد الصلحاء الكبار، كان به مرض مزمن، فرأى النبي ﷺ في المنام فعوفي، فلزم مسجداً له أربعين سنة، لا يخرج إلا إلى الجمعة، وانقطع عن مخالطة الناس، وكانت وفاته في هذه السنة، ودفن في زاوية بالقرب من مشهد أبي حنيفة رحمه الله.

عباده. قال الغزالي: وأما الترحم عليه فجائر، بل مستحب، بل نحن نترحم عليه في جملة المؤمنين والمسلمين عموماً في الصلوات.
ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا المراسي هذا والوفيت: ٢٨٨٣، ٢٨٨٩، قال: والكياء معناه كبير القدر المقدم المعظم. والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

عليه أبو الفرج ابن الجوزي (الطبع: ١٢٥/١٧، ١٢٦٩)، ثم ابن الصلاح، في ذلك تشيماً كبيراً، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين، وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فأحياء علومه كتاب الله وستة رسوله. كما قد حكيت كلامه في ترجمته من طبقات الشافعية، وقد زيف ابن منكر مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد، وقد كان الغزالي يقول: أنا مزجى البضاعة في الحديث. ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث، والتحف للصححين.
وقد وصف ابن الجوزي كتاباً على الإحياء، وسماه علوم «إعلام الأحياء» بأغاليط الإحياء.

قال ابن الجوزي: ثم أزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور، فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس، وابتنى بها رباطاً، واتخذ داراً حسنة، وغرس فيها بستاناً أثيقاً، وأقبل على تلاوة القرآن، وحفظ الأحاديث الصحاح.

وكانت وفاته يوم الاثنين، الرابع عشر من جمادى الآخرة، من هذه السنة، ودفن بطوس رحمه الله تعالى، وقد سأل بعض أصحابه، وهو في السياق، فقال: أوصني. فقال: عليك بالإخلاص. فلم يزل يكررها، حتى مات، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

في جمادى الآخرة منها، جلس ابن الطبري، مدلساً بالنظامية، وعزل عنها الشاشي.

وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن أيوب إلى بغداد، فوعظ الناس، وكان له القول التام، وكان قفيها شافعيًا، تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ثم اشتغل بالعبادة، والزهادة، وكانت له أحوال صالحة، جلاها مرة رجل يقال له ابن السقاء في مسأله، فقال له: اسكت، فإني أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام. فاتفق بعد مدة، أنه خرج إلى بلاد الروم في حاجة، فنصرت منك، فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا.

وقام إليه مرة، وهو يعظ الناس، ابنا أبي بكر الشاشي، فقالا له: إن كنت تكلم على مذهب الأشعري، وإلا فاسكت. فقال: لا متمتسا بشيأكما. فماتا ولم يلبغا سن الكهولة.

وحج بالناس في هذه السنة، أمير الجيوش نظر الخادم، ونالهم عطش شديد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، أبو العللاء الخطيب النيسابوري، سمع الحديث الكثير، وولي الخطابة بعد أبيه، والتدريس، والتذكير، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه، وقد ولي قضاء خوارزم.

■ محمد بن موسى بن عبد الله: أبو عبد الله البلاغوني الرقي الحنفي، ويعرف باللامشي، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً، وذكر أنه ولي قضاء بيت المقدس، فشكوا منه، فعزل عنها، ثم ولي قضاء دمشق، وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة، وهو الذي رتب الإقامة مثنى مثنى، قال: لي أن أزال الله ذلك، بدولة الملك صلاح الدين.

فيها بعث السلطان غياث الدين محمد جيشاً كثيفاً، صحة الأمير مودود بن الترتكين بكين صاحب الموصل ومنهم سكران القطبي، صاحب تبريز، وأحمد بن صاحب مراغة، والأمير إيلغازي صاحب ساردين، والمقدم على الجميع الأمير مودود صاحب الموصل، لقتال الفرنج بالشام، فاستنزعوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً والله الحمد.

ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاهه باطني في زي سائل يطلب منه شيئاً، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته، فلعلته الله على هذا الباطني، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع يبغداد ومعه سكين مسموم فقتل إنه كان يريد قتل الخليفة.

وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد ذكر فضررت الدياب والبرقات، وجلس الوزير يباب الفردوس للثناء. وفيها توفي أخو الخليفة، فقطع الطيل أياماً، وجلس الوزير يباب الفردوس للعزاء، وهكذا الدنيا قرض؛ هذا يُعزى وهذا يُهنى.

وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهراً.

وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور، وكانت بأيدي المصريين، عليها عز الملك الأعز من جهتهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، ومنعها منعاً جليداً، حتى فني ما عنده من الشباب والعدد، فأمدد طنكين صاحب دمشق، ولرسل إليه العدد، والآلات، فقوي جانب، وترحلت عنه الفرنج، في شوال منها. وحج بالناس أمير الجيوش نظر الخادم، وكانت سنة غصبة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي: ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات مشتهرة، في فنون متعددة، فكان من أذكاء العالم، في كل ما يتكلم فيه، وساد في شيبته حتى إنه درس بالنظامية ببغداد، في سنة أربع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء في ذلك الوقت، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب، وابن عقيل، وهما من رؤوس الخنابلة، فتمجبروا من فصاحته، وإطلاعه.

قال ابن الجوزي: وكتبوا كلامه في مصنفاتهم، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية، وأقبل على أعمال الآخرة، وكان يرتزق من النسخ، ورحل إلى الشام، فأقام بدمشق وبيت المقدس مدة، ثم إنه صف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، ومزج بأشياء لطيفة من التصوف، وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة، غرائب، ومكرات، ومنها ما هو موضوع، كما يوجد في غيره من كتب الفروع، التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرفائق، والترغيب، والترهيب، أسهل أمراً من غيره، وقد شنع

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: سمع الكثير وتنفق في البلاد، ودرس بمدينة خوارزم، وكان فاضلاً من أهل الحديث، مرضي الطريقة، وكانت وفاته ببلده يهتق في هذه السنة.

■ شجاع بن أبي شجاع: فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الدهلي الحافظ، سمع الحديث الكثير، وكان فاضلاً في هذا الشأن، وشرع في تجميع تاريخ الخطيب، ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار، والتوبة، لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات، توفي في هذا العام، عن سبع وسبعين سنة.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، الأموي أبو المظفر بن أبي العباس الأيوودي الشاعر، كان عالماً باللغة، والأنساب، سمع الكثير، وصنف تاريخ أبيورد، وأنساب العرب، وله كتاب في المؤلف والمختلف، وغير ذلك.

وكان ينسب إلى الكبر، واليه الزائد، حتى كان يدعو في صلاته فيقول: اللهم ملكي مشارق الأرض ومغاربها.

وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعالي، فكشط الخليفة اليوم، فبقت المعالي، ومن شعره قوله:

تَكْرُرُ لِي فُغْرِي وَلَمْ يَدُرْ أَتُنْسِي إِعْزَ وَأَحْذَاتُ الزُّنَانِ تَهْوُونَ
وَقُلُّ بُرَيْجِي الْخَطْبُ كَيْفَ اعْتَدَاهُ وَبِئْسَ أَرَبُ الصَّيْرِ كَيْفَ يَكُونُ

■ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد: أبوه الفضل المقدسي الحافظ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وأول سماعه سنة ستين، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع كثيراً، وكانت له معرفة جيدة بهذه الصناعة، وصنف كتباً مفيدة، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع، وفي التصوف، وساق فيه أحاديث منكورة جداً، وأورد أحاديث صحيحة في غير كتبها، وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة.

وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه صفة التصوف وقال: يضحك منه من رآه قال: وكان داودي المذهب، فمن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث، وإلا فما يجرّح به أولى.

قال: وذكره أبو سعد السمعاني، وانتصر له بغير حجة، بعد أن قال: سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحي، فأساء الشاء عليه. وكان سعي الرأي فيه.

قال: وسمعنا أبا الفضل ابن ناصر يقول: محمد بن طاهر لا يجتنب به، صنف في جواز النظر إلى المرد، وكان يذهب مذهب الإباضية، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الآيات:

دَعِ النَّصْرَةَ وَالزُّمَّةَ الَّذِي اسْتَنْتَلَتْ بِهِ جَوَارِحُ أُنْثَرَامٍ بَيْنَ النَّاسِ
وَشَجَّ عَلَى قَسِرٍ فَارْتَأَى قَبْلَ بَيْتِهِ رُفْعَةً لَا تَبِينُ قَيْسٍ وَشَسْأَسِ
وَانْتَرَبَ مُنْقَعَةً بَيْنَ كَفِّ كَافِرَةٍ تَسْلِيكُ حَمْرَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمِنْ كَأْسِ
ثُمَّ اسْتَبْعَ رُتَّةَ الْأَوْتَارِ مِنْ زَسْلٍ مَهْفَهْفٍ طَرَفُهُ انْفَضَى مِنْ الْمَاسِ
غَشَى بِشَرِّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرٌ مُنْذِرٌ عَقَبَتْهُ فِي صَنْدَرٍ قِرْطَاسِ
لَوْلَا نَيْسِمٌ بِذِكْرِكُمْ يَرُوحُ نَيْسِي لَكُنْتُ مُحَرَّقاً مِنْ حَرِّ أَفْئَاسِي

ثم قال السمعاني: لعله قد تاب من هذا كله.

قال: وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع، فامتنع أهل دمشق من ذلك، وامتنعوا من الصلاة خلفه، وصلوا بأجمعهم في دار الخيل، وهي التي يُقَالُ للجامع، مكان المدرسة الأمية، وما يجاورها، وحذّرها الطرقات الأربعة، وكان يقول: لو كانت لي الولاية، لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية، وكان مبنضاً لأصحاب مالك أيضاً.

قال: ولم تكن سيرته في القضاء محمودة. وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها.

قال: وقد شهدت جنازته، وأنا صغير في الجامع.

■ المعمر بن علي بن المعمر: أبو سعد بن أبي عمامة الراعظ، كان فصيحاً، بليغاً، ماجناً ظريفاً، ذكياً، له كلمات في الوعظ حسنة، ورسائل مسموعة مستحسنة، توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بباب حرب. ■ أبو علي المغربي: كان زاهداً، عابداً، ورعاً يتقوت بأذى شيء، ثم عَنَ له، أن يشتغل بعلم الكيمياء. فأخذ إلى دار الخلافة، فلم يظهر له خبر بعد ذلك.

■ زهدة: أم ولد الخليفة المستظهر بالله المقتضي لأمر الله، كانت سوداء محتشمة، كريمة النفس، توفيت يوم الجمعة، ثاني عشر شوال من هذه السنة. ■ أبو سعد السمعاني: مصنف الأنساب، وغيره، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور بن عبد الجبار السمعاني، المروزي، الفقيه الشافعي، الحافظ المحدث، قوام الدين، أحد الأئمة المصنفين المصنفين.

وحل، وسمع الكثير، حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ، وصنف التفسير، والتاريخ، والأنساب، والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي، وذكر له ابن خلكان، مصنفات عديدة جداً، منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث، عن مائة شيخ، وتكلم عليها إسناداً ومتناً، وهو مفيد جداً، رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فيها كانت وقعة عظيمة، بين المسلمين والفرنج، في أرض طبرية، كان فيها ملك دمشق، الأتابك طغتكين، وفي خدمته صاحب سنجار، وصاحب ماردين، وصاحب الموصل، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وغنموا منهم أموالاً جزيلة، وملكوا تلك النواحي كلها، ولله الحمد والمنة.

ثم رجعوا إلى دمشق، فذكر ابن الساعي في تاريخه، مقتل الملك مودود صاحب الموصل، في هذه السنة، قال: صلى هو، والأتابك طغتكين، يوم الجمعة، بالجامع، ثم خرجا إلى الصحن، ويد كل واحد منهما، في يد الآخر، فظفر باطني على مودود، فقتله، رحمه الله، فيقال إن طغتكين، هو الذي مالا عليه، فالله أعلم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين، وفيه: إن أمة قتلت عبيدها، في يوم عيدها، في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها.

وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تتش بعد أبيه، وقام بأمر السلطنة بين يديه لزلو الخادم، فلم يبق معه سوى الرسم. وفيها فتح المارستان، الذي أنشأ كمشتكين الخادم، ببغداد. وحج بالناس زنكي بن برسق.

قال ابن الجوزي: وهذا غير مرضي، أن يذكر جرح الأئمة له، ثم يعتذر عن ذلك، باحتمال توبته.
وقد ذكر ابن الجوزي، أنه لما احتضر، جعل يردد هذا البيت.
وَمَا كُنْتُ تَعْرِفُونَ الْجَفَا فَمِمَّنْ نَرَى قَدْ تَلَأْتُمْ
ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد، في ربيع الأول من هذه السنة.
أبو بكر
■ الشافعي: صاحب المستظهري محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشافعي، أحد أئمة الشافعية في زمانه، ولد في الحرم، سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وسمع الحديث على أبي يعلى بن القراء، وأبي بكر الخطيب، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وتفق عليه، وعلى غيره، وقرأ الشامل على مصنفه ابن الصباغ، واختصره في كتابه، الذي جمعه للمستظهر بالله، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء، ويعرف بالمستظهري، وقد درس بالناظمة ببغداد، ثم عزل عنها، وكان يشدد:

تَنَلِّمْ يَا قَتَى وَالْعَوْدُ غَضْرٌ وَطِئْتُكَ لَيْكِنَّ وَالطَّبْعُ قَابِلٌ
فَتَسْبِكُ يَا قَتَى شَرْقًا وَقَهْرًا سَكُوتُ الْحَاضِرِينَ وَأَنْتَ قَائِلٌ
توفي سحر يوم السبت السادس عشر من شوال من هذه السنة، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، بباب أبرد.
■ المؤمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله، أبو نصر الساجي المقدسي، سمع الحديث الكثير، وخرج، وكان ثقة صحيح النقل، حسن الخط، مشكور السيرة، لطيف النفس، واشتغل في الفقه، على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مدة، ورحل إلى أصبهان، وغيرها، وهو معدود من جملة الحفاظ، لا سيما للمتون، وقد تكلم فيه ابن طاهر.

قال ابن الجوزي: وهو أحق منه بذلك، وابن التريا من الثرى؟
توفي المؤمن يوم السبت، ثامن عشر صفر من هذه السنة، ودفن بباب حرب، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه، صاحب العراق، جيشا كثيفا مع الأمير برستق بن برستق بن إيلغازي، صاحب ماردين، وإلى طنكئين صاحب دمشق، ليقاتلها على ثنائهما على عصيان السلطان، وقطع خطيته، وإذا فرغ منهما عهد لقتال الفرنج. فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه، وتحجرا إلى الفرنج، وجاء الأمير برستق إلى كفرطاب، فقتلها عنوة، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية، وجاء صاحب أنطاكية روجيل، في خمسمائة فارس، وألفي راجل، فكبس المسلمين، قتل منهم خلقا كثيرا، وأخذ أموالا جزيلة، وهرب برستق في طائفة قليلة، وتمزق الجيش الذي كان معه شذوذا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.
وفي ذي القعدة منها، قدم الملك غياث الدين محمد إلى بغداد، وجاء إليه طنكئين صاحب دمشق، معتذرا إليه، فخلع عليه، ورضي عنه، ورده إلى عمله.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ إسماعيل بن محمد بن أحمد بن علي ملة أبو عثمان الأصهبالي، أحد الرحالين في طلب الحديث، وقد وعظ في جامع المنصور، ثلاثين مجلسا، واستلم عليه محمد بن ناصر، وتوفي بأصبهان.
■ فتجب بن عبد الله المستظهري: أبو الحسن الخادم، كان كثير العبادة، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر، وقال: وقف على أصحاب الحديث.
■ هبة الله بن المبارك بن موسى، أبو البركات السقطي، سمع الكثير، ورحل فيه، وكان فاضلا، عارفا باللغة، ودفن بباب حرب.
■ يحيى بن قيم بن المعز بن باديس: صاحب إفريقية، كان من خيار الملوك، عارفا حسن السيرة، عبا للفقراء، والعلماء، وله عليهم أرزاق، مات وله ثنتان وخمسون سنة، وترك ثلاثين ولدا، وقام بالأمر من بعده ولده علي رحمه الله تعالى آمين.

ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

فيها وقع حريق عظيم ببغداد، احترقت فيه دور كثيرة، منها دار نور الهدى الزينبي، ورباط بهروز، ودار الكتب النظامية، وسلمت الكتب، لأن

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

فيها وقع حريق عظيم ببغداد.
وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة، هلمت منها ثلاثة عشر برجاً، ومن الرها بيوتا كثيرة، وبعض سور حران، ودور كثيرة في بلاد شتى، فهلك أكثرها، وفي بالس نحواً من مئة دار، وقُلب بنصف قلعة حران، وسلم نصفها، وخسف بمدينة سميح، وهلك تحت الردم خلق كثير فإنا لله وإنا إليه راجعون.
وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تشر، قتله غلمان، وقام من بعده، أخوه سلطان شاه بن رضوان.
وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غزنة، وخطب له بها بعد مقاومة عظيمة، وأخذ منها أموالا كثيرة، من ذلك خمس تيجان، قيمة كل تاج منها ألف دينار، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة، فأقام بها أربعين يوماً، وقرر في ملكها بهرام شاه، من بيت بني سبكتكين، ولم يخطب بغزنة قبل السلطان سنجر من السلجوقية لأحد. وإنما كان هاهنا ملوك سادة، أهل جهاد وستة، لا يجسر

هجم الفرنج على ريش حماة، قتلوا خلقا كثيرا، ورجعوا لعنهم الله إلى بلادهم.

وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد، سقط منها دور كثيرة، بالجانب الغربي، وغلت الغلات في هذه السنة ببغداد جدا.

وفيها قتل لؤلؤ الخادم، الذي كان استحوذ على مملكة حلب، بعد موت أستاذة وضوان بن تشش، قتله جماعة من الأتراك، وكان قد خرج من حلب متوجها إلى جعبر، فتأذى جماعة من عماليكه، وغيرهم في أثناء الطريق: أرنب أرنب، فرموه بالسهام، موهمين أنهم يصيدون صيدا، فقتلوه.

وفيها كانت وفاة السلطان

■ غياث الدين محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ملك بلاد العراق، وخراسان، وغير ذلك من البلاد الشاسعة، والأقاليم الواسعة. وكان من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، عادلا رحيم القلب، سهل الأخلاق، محمودة العشرة، رحمه الله ولما حضرته الوفاة، استدعى ولده محمودا، وضمه إليه، وبكى كل منهما، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة، وعمره إذ ذاك أربع عشرة سنة، فجلس عليه التاج والسرور، وحكم، ولما توفي أبوه صرف الخزان إلى العساكر، وكان فيها أحد عشر ألف دينار، واستقر الملك له وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد، وكان عمر أبيه السلطان محمد تسعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياما، وقد كان يخطب له ببغداد عدة مرات وتنازعه أخوه بركياروق ثم استقر الملك له، إلى هذه السنة رحمه الله وأكرم مثواه.

وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سقر، صاحب حلب ودمشق.

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي المرتضى: أبو محمد

■ عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري، والد القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، قاضي دمشق في أيام نور الدين، اشتغل ببغداد، وتفق بها، وكان شافعي المذهب، بارعا دينيا، حسن النظم، ثم عاد إلى بلده، فكان يعظ ويتكلم على القلوب وله قصيدة في علم التصوف، أوردتها القاضي ابن خلكان بتمامها، لحسنها، وفصاحتها:

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَشَرَ الْأَيَّامُ سَلَّ وَهَلَّ الْحَادِي وَخَارَ الْكَلِيلُ
فَتَأَمَّنَتْهَا وَيَكْفُرِي مِنَ التَّيْسِ مِنْ غِيلِلْ وَلَغَطْ غَيْسِي كَلِيلُ
وَفُؤَادِي ذَاكَ الْفُؤَادُ الْمُتَنَسَّى وَغَرَابِييِ ذَاكَ الْغَرَامُ الْأَخِيلُ

ومن شعره:

يَا لَيْلُ مَا جِئْتُكَ زَائِرًا إِلَّا وَجَدْتُ الْأَرْضَ تَطْلُوِي فِي
وَلَا تَبَيْتُ الْغَزَمَ عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا تَقَسَّرْتُ بِأَثَرِي

ومن شعره دوبت:

يَا قَلْبُ لَا يَفِيدُ النَّصْحُ دَفْعَ مَرْحَلِكُ كَمْ جَنَى عَلَيْكَ الْمَرْحُ
مَا جَارِحَةٌ مِنْكَ عَكَفَا جُرْحُ مَا تَنْشُرُ بِالْخَمَارِ خَشَى تَنْصُرُ

كانت وفاته في هذه السنة.

قال ابن خلكان: زعم العماد، في الحريدة [٣٢١/٢] أنه توفي بعد العشرين وخمسمائة، قاله أعلم.

الفقهاء نقلوها.

وفيها قتل صاحب مراغة، في مجلس السلطان محمد، قتله الباطنية. وفي يوم عاشوراء، وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، بمشهد علي بن موسى الرضا، بمدينة طوس، فقتل فيها خلق كثير.

وفيها سار السلطان إلى فارس، بعد موت نائبها، خوفا عليها من صاحب كرمان.

وحج بالناس أمير الجيوش أبو الحسن نظر الخادم، وكانت سنة خصبة آمنة، ولله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ البغوي المفسر المحدث الفقيه، وقيل: في سنة ست عشرة، كما سيأتي والله أعلم.

■ عقيل بن الإمام أبي الوفا: علي بن عقيل الحلي، كان شابا قد برع وحفظ القرآن، وكتب مليحا، وفهم المعاني جيدا، ولما توفي، نصبر عليه أبوه، وشكر، وأظهر التجلد، فقرأ قارئ في العزاء: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَخَذَنَا مَكَانَهُ﴾ الآية [يوسف ٢٨]، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا.

■ علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز، آخر من حدث عن ابن غنل بجزء الحسن بن عرفة، وتفرّد بأشياء غيره أيضا. توفي في هذه السنة عن سبع وتسعين سنة.

■ محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر السمعاني، سمع الكثير، وحدث، وعظ بالنظامية ببغداد، وأملى بمرو مائة وأربعين مجلسا، وكانت له معرفة تامة بالحديث، وكان أدبيا، شاعرا، فاضلا، له قبول عظيم في القلوب، توفي بمرو، عن ثلاث وأربعين سنة.

■ محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد، أبو منصور الخازن، فقيه الإمامية، ومفتيه بالكرخ، وقد سمع الحديث من التنوخي، وابن غيلان، توفي في رمضان منها.

■ محمد بن علي بن محمد: أبو بكر النسوي، الفقيه الشافعي، سمع الحديث، وكانت إليه تزكية الشهود بنسا، وكان فاضلا دينيا ورعا.

■ محفوز بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب الكلوثاني، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيه، سمع الكثير، وتفق بالقاضي أبي يعلى، وقرأ الفرائض على الوزي، ودرس، وأفتى، وناظر، وصنف في الأصول والفروع، وله شعر حسن، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه، يقول فيها:

دَعْنَا عَنْكَ تَذَكُّرَ الْخَلِيطِ الْمَجْدِ وَالشُّوقَ نَحْوَ الْإِيْمَانِ الْحُرْدِ
وَالشُّوقَ فِي تَذَكُّرِ سَعْدِي إِيمَا تَذَكُّرُ سَعْدِي شَغْلٌ مَنْ لَمْ يَسْعُدْ
وَأَسْمَعُ مَقَالِي إِنْ أَرَدْتُ تَخَلُّصًا يَوْمَ الْحِسَابِ وَخَذَ بَهْزَبِي تَهْنُدْ

ودكر تمامها، وهي طويلة.

كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة، عن ثمان وسبعين سنة، وصلي عليه بجامع القصر، وجامع المنصور، ودفن بالقرب من الإمام أحمد.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

في رابع عشر صفر منها، انكسف القمر كسفا كبيرا، وفي تلك الليلة،

قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني، ولما استقرت البيعة للمسترشد هرب أخوه أبو الحسن في سفينة، ومعه ثلاثة نفر، وقصد ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن يزيد الأسدي بالحلة، فأكرمه، وأحسن إليه، فقلق أخوه الخليفة المسترشد بالله من ذلك، فراسل ديبسا في ذلك، مع نقيب النقباء الزنبي، فهرب أخو الخليفة من ديبس، فأرسل إليه جيشا، فألجؤوه إلى البرية، فلحقه عطش شديد، فلقبه بدويان، فسقى ماء، وحمله إلى بغداد، فأحضره أخوه إليه، فاعتنق وتبأه، وأرسله الخليفة دارا كان يسكنها قبل الخلافة، وأحسن إليه، وطيب نفسه، وكانت مدة غيبته عن بغداد إحدى عشر شهرا، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد.

وفي هذه السنة كان غلاء شديد ببغداد، وانقطع الغيث، وعلمت الأقوات، وتفاقم أمر العيارين، ونهبوا الدور نهارا جهارا، ولم يستطع الشرط لذلك تغييرا ولا إنكارا. وحج بالناس في هذه السنة نظر الخادم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الخليفة

■ المستظهر: كما تقدم ذكر ذلك آنفا في هذا العام.

وتوفيت بعده جدته، أم أبيه المقتدي بأمر الله.

■ أروجان الأرمينية: وتدعى قرة العين، كان لها بر كثير، ومعروف وصدقات، وقد حجت ثلاث حججات، وأدركت خلافة ابنها المقتدي بأمر الله، وخلافة ابنه المستظهر، وخلافة ابنه المسترشد، ورأت للمسترشد ولدا وكانت وفاتها في هذه السنة رحما الله تعالى.

■ بكر بن محمد بن علي بن الفضل أبو الفضل الأنصاري، روى الحديث، وكان يضرب به المثل في حفظ مذهب أبي حنيفة، وكان قد تفقه على عبد العزيز بن أحمد الحلواني، وكان يذكر الدروس من أي موضع سئل، من غير مطالعة، ولا مراجعة، وربما كان في ابتداء طلبه، يكرر المسألة أربع مائة مرة. وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة.

■ الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الزنبي، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه على أبي عبد الله الدامغاني، فبرع، وأفتى، ودرس بمشهد أبي حنيفة، ونظر في أوقافها، وانتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة، ولقب نور الهدى، وسار في الرسالة إلى الملوك، وولي نقابة الطالبين، والعباسيين، ثم استعفى بعد شهر، فولي أخوه طراد نقابة العباسيين. وكانت وفاته يوم الاثنين، الحادي عشر من صفر، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي، وحضر جنازته الأعيان، والعلماء، ودفن عند قبر أبي حنيفة، داخل القبة رحمه الله. يوسف بن أحمد أبو طاهر: ويعرف بابن الحرزي، صاحب المخزن في أيام المستظهر، فكان لا يوفي المسترشد حقه من التعظيم، وهو ولي العهد، فلما صارت إليه الخلافة، صادرة بمائة ألف دينار، ثم استقر غلاما له، فلوأا إلى بيت، فوجد فيه أربع مائة ألف دينار، فأخذها الخليفة، ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل، في هذا العام.

■ أبو الفضل بن الخازن: كان أدبيا لطيفا، شاعرا فاضلا، فمن شعره قوله:

وَأَتَيْتُ مَرْثَلُهُ فَلَمْ إِزْ صَاحِبًا إِلَّا تَلَقَّاهُ بِوَجْهِ ضَاحِكٍ
وَالْبُشْرِ فِي وَجْهِهِ السَّلَامُ نَتِيجَةٌ لِمُقْتَسَمَاتِ ضِيَاءِ وَجْهِ الْمَلِكِ

■ محمد بن سعد بن بهان، أبو علي الكاتب، سمع الحديث، وروى، وعمر مائة سنة، وتغير قبل موته، وله شعر حسن، من ذلك قوله في قصيدة له:

إِنِّي أَجِلُّ قَدْرَةَ اللَّهِ نَعَمَ وَرِزْقَ آتَوْنَاهُ
حَتَّى إِذَا اسْتَوَيْتُ مِنْهُ أَلْيَ قُلُوبِي لَا أَتَمْنَاهُ
فَالْكَرَامُ كُنْتُ أَغْنَاهُمْ فِي مَجْلِسٍ قَدْ كُنْتُ أَغْنَاهُ
صَارَ ابْنُ بُهَانَ إِلَى رَيْسِهِ يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَلِيَاهُ

أمر الحاج:

■ عمن بن عبد الله أبو الخير المستظهري، كان جوادا، كريما، مدحا، ذا رأي، وفطنة ثابتة، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة النعماني، بإفادة أبي نصر الأصهباني، وكان يؤم في الصلوات، ولما قدم رسولا إلى أصبهان، حدث بها. توفي في ربيع الآخر، من هذه السنة، ودفن هناك، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وخمسمائة

فيها خطب للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، بأمر الخليفة المستظهر بالله.

وفيها سأل ديبس بن صدقة بن منصور الأسدي من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها، بما كان أبوه يتولاه من الأعمال، فأجابه إلى ذلك، وولاه ما كان أبوه يتولاه من ذلك فمظم، وارفع شأنه.

وفاة الخليفة المستظهر بالله

■ (المستظهر بن المقتدي)

وهو أبو العباس أحمد بن أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله: كان خيرا، فاضلا، ذكيا، بارعا، كتب الخط المنسوب، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد، وكان راغبا في البر والخير، مسارعا إلى ذلك، لا يرد سائلا، وكان جميل المعاشرة، لا يضيئي إلى أقوال الوشاة في الناس، ولا يشق بالمباشرين، وقد ضبط أمور الخلافة جيدا، وأحكمها، وعرفها وعلمها، وكان لديه علم كبير وفضل كبير وله شعر حسن. قد ذكرناه أولا عند ذكر خلافته بعد والده وقد ولي غسله الإمام ابن عتيل، وابن السني، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل، وكبر أربعة، ودفن في حجرة كان يسكنها، والعجب، أنه لما مات السلطان ألب أرسلان، مات بعده الخليفة القائم بأمر الله ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده الخليفة المقتدي بأمر الله، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده الخليفة المستظهر بالله رحمه الله.

وكانت وفاة المستظهر بالله، في سادس عشر ربيع الآخر من هذه السنة، وله من العمر إحدى وأربعون سنة، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما.

خلافة المسترشد أمير المؤمنين:

أبو منصور الفضل بن المستظهر:

لما توفي أبوه كما ذكرنا ببيع له بالخلافة، وخطب له على المنابر، وقد كان ولي العهد من مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان الذي أخذ البيعة له

وَدَخَلَتْ جَنَّتُهُ وَرَزَتْ جَنَّتِيهَ فَشَكَّرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةً مَالِكٍ

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان عمود بن محمد بن ملكشاه وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه فكان النصر فيها لسنجر، فخطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى، من هذه السنة، وقطعت خطبة السلطان عمود ثم وقع الصلح بينهما ورسم السلطان سنجر أن يخطب لابن أخيه عمود في سائر أعماله بعده.

وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب، ففتحوها عنوة، وملكوها، فسار إليهم صاحب ماردين، إيلغازي بن ارتق في جيش كثيف، فهزمهم عندها، ولحقهم إلى جبل قد حصنوا فيه، فقتل منهم هناك مقتلة عظيمة، والله الحمد والمنة، ولم يفلت منهم إلا اليسير، وأسر من مقلتهم نيفا وتسعين رجلا، وقتل فيمن قتل سيرخال صاحب أنطاكية، وحمل رأسه إلى بغداد لعنه الله، فقال بعض الشعراء في ذلك، وقد بالغ بمبالغة فاحشة:

قُلْ مَا نَشَأُ قَوْلُكَ الْمُبْسُورُ وَعَلَيْكَ بِسَدِّ الْحَصَانِ التَّغْوِيلُ
وَسَبِّحْشَرَّ الْفَرَّانِ حِينَ نَصَرْتَهُ وَيَكْسِي لِقَدْوِ رِجَالِهِ الْإِنْجِيلُ
وفيها قتل الأمير منكبرس الذي كان شحنة ببغداد، وكان ظالما، غاشما، سعي السيرة، قتله الملك عمود بن محمد بن ملكشاه صبيرا بين يديه لأمر: منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه فيحه الله، فما كان أظلمه، وأغشمه.

وفيها تولى قضاء قضاء ببغداد الأكمل أبو القاسم بن علي بن أبي طالب الحسين بن محمد الزنبي، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن بن الدامغانى.

وفيها ظهر قبر الخليل إبراهيم، وقبر إسحاق ويعقوب عليهم السلام، وشاهد ذلك الناس، ولم تبل أجسادهم، وعندهم قتاديل من ذهب وفضة، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه، وأظنه نقله من المتظم لابن الجوزي، والله أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن عقيل علي بن عقيل بن محمد بن عقيل أبو الوفاء شيخ الحنابلة ببغداد، وصاحب الفنون، وغيرها من التصنيفات المفيدة.

ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقرأ القرآن علي بن شطة، وسمع الحديث الكثير، وتفق بالقاضي أبي يعلى بن الفراء، وقرأ الأدب على ابن برهان، والفرافض على عبد الملك المهناتى، والوعظ على أبي طاهر بن العلاف، صاحب ابن مسعود، والأصول على أبي الوليد المعتزلي، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فرما لاه بعض أصحابه، فلا يلوي عليهم، فلها برز على أقرانه، ويذ أهل زمانه في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة، وحسن صورة وكثرة اشتغال، وقد وعظ في بعض الأحيان، فوقعت فتنة، فترك ذلك، وقد تمتع الله بجميع حواسه إلى حين موته.

وكانت وفاته في بكرة الجمعة، ثاني جمادى الأولى، من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وكانت جنازته حافلة جدا، ودفن قريبا من قبر الإمام أحمد، إلى جانب الخادم مخلص، رحمه الله.

■ علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه أبو الحسن الدامغانى قاضي القضاة، ابن قاضي القضاة، ولد في رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة، واشتغل بسرع وتولى قضاء القضاة بعد أبيه، ثم عزل بأبي بكر الشاشي، ثم أعيد إلى الحكم. قال ابن الجوزي: ولا يُعرف حاكم ولي الحكم أصغر سنا منه - يعني ببغداد - من قضاة القضاة.

وقال: ولا يعرف حاكم ولي الحكم لأربعة من الخلفاء غيره إلا شريح، ثم ذكر من أماته وديانته، وصيانته ما يدل على تحريه وتوقيه وقوته رحمه الله وقد ولي الحكم أربعاً وعشرين سنة كذلك.

وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وستة أشهر، وقبره عند مشهد أبي حنيفة رحمه الله.

■ الماركة بن علي بن الحسين أبو سعد المخرمي، سمع الحديث، وتفق على مذهب الإمام أحمد، وناظر، وأتى ودرس، وجمع كتب كثيرة، لم يسبق إلى مثلها، وناب في القضاء، وكان حسن السيرة، جميل الطريقة، سديد الأقضية، وقد بنى مدرسة بباب الأزج، وهي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي، ثم عزل عن القضاء، وصودر بأموال جزيلة، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة، ودفن إلى جانب أبي بكر الخلال، عند قبر أحمد.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

في النصف من ربيع الأول منها، كانت وقعة عظيمة، بين الأخوين، السلطانين محمود، ومسعود، ابني محمد بن ملكشاه، عند عقبة أسدباباذ، فانهزم عسكر مسعود، وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل، فقتل وله نيف وستون سنة، وله تصانيف في صناعة الكيمياء. ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان، واستقدمه عليه، فلما اجتمعا اعتقنا ويكيا واصطالحا.

وفيها نهب ديبس بن صدقة صاحب الحلة البلاد، وركب بغسه إلى بغداد، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة، وأظهر ما في نفسه من الضغائن، وذكر كيف طيف برأس أبيه في البلاد، وتهدد المسترشد، فأرسل إليه الخليفة يسكن جائته، ويعد أن سيصلح بينه وبين السلطان عمود، فلما قدم السلطان عمود ببغداد، أرسل ديبس يستأمن، فأمنه، وأجره على عادته، ثم إنه نهب جيش السلطان، فركب السلطان عمود بغسه لقتاله، واستصحب معه ألف سفينة ليعبر بها، فهرب ديبس من بين يديه، والتجأ إلى إيلغازي، فأقام عنده سنة، ثم عاد إلى الحلة، وأرسل إلى الخليفة، والسلطان يعترف إليهما بما كان منه، فلم يقبلأ منه، وجهز السلطان إليه جيشا، فحاصروه، وضيقوا عليه، قريبا من سنة، وهو في منيع بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه.

وفيها كانت الوقعة العظيمة، بين الكرج والمسلمين، بالقرب من تفلين، ومع الكرج كتار الففجاق قتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وغنموا أموالا جزيلة وأسروا نحواً من أرومة آلاف أسير. فإنا لله وإنا إليه راجعون. ونهبت الكرج تلك النواحي، وفعلوا أشياء منكورة، وحاصروا تفلين مدة، ثم ملكوها عنوة، بعد ما أحرقوا القاضي، والخطيب، حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان، وقتلوا عامة أهلها، وسبوا النرية، واستحرقوا على الأموال، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ونصب العداوة لابن تاشفين صاحب مراكش، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين، فمات ابن تاشفين، فقام ولده تاشفين من بعده، فمات في سنة تسع وثلاثين، ليلة سبع وعشرين من رمضان، فولي أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين، فسار إليه عبد المؤمن، فملك تلك النواحي، وقطع مدينة مراكش، فقتل هنالك أمرا لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل، وقتل ملكها إسحاق، وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين، فكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين، وكان مدة ملكهم سبعين سنة. والذين ظلكوا منهم أربعة: علي ووالده يوسف، وولده تاشفين وإسحاق ابنا علي المذكور، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش، واستقر ملكه بتلك النواحي، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بذكره، وهي قبيلة عظيمة، نحو مئتي ألف راجل، وعشرين ألف فارس مقاتل، وهم من الشجعان الأبطال، فقتل منهم خلقا كثيرا، وجما غفيرا، ووسى ذراريهم، وغنم أموالهم، حتى إنه أبتعت الجارية الحسنة، بدينار معدودة، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلدا في أحكامه، وأيامه، وكيف ظلم بلاد المغرب، وما كان يتطاوله من الأشياء، التي توهم أنها أحوال برة، وهي مَحَالٌ لا تصدر، إلا عن فجرة، وما قتل من الناس، وأزق من الأتس.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عبد الوهاب بن السبي: أبو البركات، أسند الحديث، وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد، ولاه المخزن، وكان كثير الأموال، والصدقات، يتعاهد أهل العلم، ويخلف مالا كثيرا حزر مائة ألف دينار، أوصى منه من ذلك بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة، وكانت وفاته في هذه السنة عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة، ودفن بباب حرب.

■ عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو نصر القشيري، قرأ على أبيه، وإمام الحرمين، وروى الحديث عن جماعة، وكان ذا ذكاء، وفطنة، وله خاطر حاضر جريء، ولسان ماهر فصيح، وقد دخل بغداد، فوعظ بها فوقع، بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى، وأمر ابن القشيري بالخروج من بغداد لإطفاء الفتنة، فعاد إلى بلده، وكانت وفاته في هذه السنة.

■ عبد العزيز بن علي بن عمر أبو حامد الدينوري، كان كثير المال، والصدقات، ذا حشمة، ومروءة، ووجاعة عند الخليفة، وقد روى الحديث، ووعظ، وكان مليح الإيراد، حلو المنطق، وكانت وفاته بالري في هذه السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

فيها أقطع السلطان محمود الأمير يلغازي مدينة ميفارقين، فبقيت في يد أولاده، إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب، في سنة ثمانين وخمسمائة.

وفيها أقطع أيضاً آق سقر البرسقي مدينة الموصل وأمره، لقتال الفرنج.

وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي يلغازي مدينة الرها، فأسر

وفيها أغار جوسلين القرنجي صاحب الرها على خلق من العرب، والتركمان فقتلهم، وغنم أموالهم.

وفيها تمردت العيارون ببغداد، فأخذوا الدور جهارا، ليلا ونهارا، فحبسنا الله ونعم الوكيل.

وفي هذه السنة كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب، كان ابتداء أمر هذا الرجل، أنه قدم في حادثة سنة من ببلاد المغرب، إلى بغداد فسكن النظامية، واشتغل بالعلم، فحصل جانباً جيداً، من القروع والأصول، على الغزالي وغيره، وكان يظهر التعبد، والزهد، والورع، وربما أنكر على الغزالي حسن ملابسه، ولا سيما حين لبس خلعة للتدريس بالنظامية، أظهر الإنكار عليه جداً، وكذلك على غيره، ثم إنه حج، وعاد إلى بلاده، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقرى الناس القرآن، ويشرحهم في الفقه، فطاف ذكره في الناس، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية، فعظمه وأكرمه وسأله الدعاء، فاشتهر أيضاً بذلك، وتعدّ صيته، وليس معه إلا ركوة وعصا، ولا يسكن إلا المساجد، ثم جعل يقتل من بلد إلى بلد، حتى دخل مراكش، ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي، وقد كان توسم فيه النجاسة والشهامة، فرأى في مراكش من المتكررات أضعاف ما رأى في غيرها من ذلك، أن الرجال يتشبهون، والنساء يشبهن حاسرات عن وجوههن، فأخذ في إنكار ذلك، حتى إنه اجتاز به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين، علي بن يوسف بن تاشفين ملك مراكش وما حولها، ومعها نسائه، وإكبات، حاسرات عن وجوههن، فشرع هو وأصحابه يكررون عليهن، وجعلوا يضربون الدواب فسقطت أخت الملك عن دابعتها، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء، فظهر عليهم بالحجة، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه، حتى أبكاه، ومع هذا فشاء الملك عن بلده، فشرع يشع عليه، ويدعو الناس إلى قتاله، فتابعه على ذلك خلق كثير، فجهز إليه ابن تاشفين جيشا كثيفا، فهاجمهم ابن تومرت، فعظم شأنه وارتفع أمره وقويت شوكرته، وتسمى بلههدي، وسمى جيشه جيش الموحدين، وألف كتابا في التوحيد، وعقيلة تسمى المرشدة.

ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش، فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً، وذلك بإشارة أبي عبد الله النورسي، وكان ذكر أنه نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر سماء، فلما اجتاز به، وكان قد أروى فيه رجلا، فلما سالمه الناس يسمعون، شهدوا له بذلك، فأمر حيثن بطم البئر عليهم، فماتوا عن آخرهم، ولها يقال من أعان ظلالا سلط عليه.

ثم جهز ابن تومرت، الذي لقب نفسه بالههدي، جيشا عليهم أبو عبد الله النورسي، وعبد المؤمن، لمحاصرة مراكش، فخرج إليهم أهلها، فاقتلوا قتالا شديدا، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله النورسي هذا، الذي زعم أن الملائكة تخاطبه، ثم اقتدوه في القتلى، فلم يجدوا، فقالوا: رفعت الملائكة وقد كان عبد المؤمن دفته، والناس في المركة، وقتل من أصحاب الههدي خلق كثير، وقد كان حين جهز الجيش مريضا ملتفا، فلما جاءه الخبر، ازداد مرضا إلى مرضه، وساء قتل أبي عبد الله النورسي، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي، ولقبه أمير المؤمنين. وقد كان شايبا، حسنا، حازما، عاقلا، ثم مات ابن تومرت، وقد أثبت عليه إحدى وخمسون سنة، ومدة ملكه عشر سنين.

وحين صار الأمر إلى عبد المؤمن بن علي أحسن إلى الرعايا، وظهرت له سيرة جبيلة، فأجبه الناس، واتسعت مملكه، وكثرت جيوشه، وورعته،

ملكها جوسلين الأفريقي، وجماعة من رؤوس أصحابه، وسجنهم بقلعة خرتبرت.

وفيها هبت ريح سوداء، فاستمرت ثلاثة أيام، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب والأنعام.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز، فتضعض بسببها الركن اليماني زاده الله شرقا وتهدم بعضه وتهدم شيء من حرم رسول الله ﷺ.

وفيها ظهر رجل علوي بمكة، كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فاتبعه ناس كثير، فقتله أصحابها ابن أبي هاشم إلى البحرين.

وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان، فلم يبق فيها شيء من الأثاث والقماش، والجواهر، والذهب، والفضة، سوى الباقوت الأحمر فلما الله وإنا إليه راجعون، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان، وكان جامعاً عظيماً، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف ألف دينار، وفي جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف، من جللتها مصحف بخط أبي بن كعب رضي الله عنه، فلما لله وإنا إليه راجعون.

وفي شعبان منها، جلس الخليفة المسترشد في دار الخلافة، في أبهة الخلافة، الثروة على كثيفه، والفضيب بين يديه وجاء الأخوان الملكان عمود ومسعود، فوقفا بين يديه، وقبلا الأرض فخلع على محمود سبع خلع، وطوقاً، وسوارين، وتاجاً، وأجلس على كرسي، ووعظه الخليفة، وتلا عليه قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وأمره بالإحسان إلى الرعايا، وعقد له الخليفة لواوين بيده، وقلده الملك، وخرج من بين يديه مطاعين معظمين، والجيش بين أيديهما إلى دارهما في أبهة عظيمة جداً.

وحج بالناس نظر الحاد.

ومن توفي فيها

■ ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب: السعدي الصقلي، ثم المصري، اللغوي، مصنف كتاب الأفعال، الذي برز فيه على ابن القوطية، وله مصنفات كثيرة، وقد قدم مصر في حدود سنة خمسمائة، لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية، فأكرمه المصريون، وبالفوا في إكرامه، وكان ينسب إلى الساحل في الرواية، وله شعر جيد قروي، أورد له القاضي ابن خلكان مئة قطعة جيدة وقد جاوز الثمانين.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أبو القاسم

■ شاهنشاه الأفضل بن أمير الجيوش بلسر الجمالي، مدير دولة الفاطميين بمصر، وإلى أبيه تنسب قيسارية أمير الجيوش، والعامية تقول مرجيوش، وأبوه بائي الجامع الذي بشار الإسكندرية، يسوق العطارين، ومشهد الرأس بمسقلان أيضاً، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور، وقيل على عكا، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء، فركب البحر، فاستنابه على ديار مصر، فسدد الأمور بعد فسادها، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقام في الوزارة، بعده ولده الأفضل هذا، وكان كاليه في الشهامة، والصرامة.

ولما مات المستنصر، أقام المستعلي، واستمرت الأمور على يديه، وكان

عادلاً حسن السيرة، موصوفاً بمجودة السيرة، قاله أعلام.

ضربه فلداوي، وهو راكب، قتلته في رمضان، من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، وكانت إمارته من ذلك، بعد أبيه، ثمان وعشرين سنة.

وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر، وقد وجد له أموال عظيمة جداً، تفوق العد والإحصاء، من القطاير المقتطرة من الذهب، والفضة، والخيال المسومة، والأنعام، والحراث، والنفاس، فانقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي، فجعل في خزائنه، وذهب جامعه إلى سواء الحساب، على القتيل من ذلك، والتغير والقطمير، واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطائحي، ولقبه المأمون.

قال ابن خلكان: ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة، ومن الدراهم مائتين وخمسين إردبا، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي، ودواة ذهب فيها جوهرة باثني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب، زنة كل مسمار مائة مثقال، في عشرة عجاس على كل مسمار منديل مشدود بذهب، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه وخمسمائة صندوق كسوة للبس بذهب، وخلف من الرقيق، والخل، والبنغال، والمراكب، والمسك، والطيب، والخلي ما لا يعلم قدره، إلا الله عز وجل، وخلف من البقر، والجواميس، والغنم، ما يستحي الإنسان من ذكره، وبلغ ضمان ألبائها في السنة وفاته ثلاثين ألف دينار، وترك صندوقين كبيرين مملوئين إير ذهب يرسم النساء.

■ عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي، ابن أخيه نظام الملك، تفقه بإمام الحرمين، وأقضى، ودرس، وناظر بووزر للملك سنجر.

وتوفي في هذه السنة:

■ خاتون السقرية حظية السلطان ملكشاه، وهي أم السلطنتين محمد وسنجر، وكانت كثيرة الصدقة، والإحسان إلى الناس، لما في كل سنة سيل يخرج مع الحجاج. وفيها دين وخير، ولم تنزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها، فبعت الأموال الجزيلة، حتى استحضرتهم، ولما قلمت عليها أمها، كان لها عنها أربعين سنة لم ترها، فأجبت أن تستعمل فهمها، فجلست بين جواربها، فلما سمعت أمها كلامها عرفتها، فقامت إليها، فاعتنقا، وبكى، ثم أسلمت أمها على يديها، جزاها الله خيراً. وقد تفردت بولادة ملكين في دولة الأتراك والعجم، ولا يعرف لها نظير إلا اليسير في ذلك، من ذلك: وهي ولادة بنت العباس، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان، وشاهفرند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم، وقد وليا الخلافة أيضاً، والخييزان ولدت للمهدي المهدي والرشد.

■ الطغراني ناظم لامية المعجم، الحسين بن علي بن عبد الصمد، مؤيد الدين الأصهباني، العميد فخر الكتاب، المشي الشاعر، المعروف بالطغراني، وقد ولي الوزارة بأربل مدة، أورد له ابن خلكان قصيدته الالامية التي أنقها في سنة خمس وخمسمائة ببغداد، يشرح فيها أحواله وأمره وتعرف بلامية المعجم، أولها:

أصالة الرأي صلتني عن الخطل

وحلية الفضل زاتني لدى المطل

عجدي أخيراً وعجدي أولاً شمر

والشمس رأء الضحى كالشمس في الطفل

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني

بها ولا نأقني فيها ولا جلبي

أخو أبي القاسم، وكان من حفاظ الحديث، وقد زعم أن عنده ما ليس عند أبي زرعة الرازي، صاحب الخطيب مكة، وجمع، وألف وصنف، ورحل إلى الآفاق، وكانت وفاته يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة، عن ثمانين سنة.

■ علي بن أحمد أبو طالب السمرقني نسبة إلى قرية بأصبهان، كان وزير السلطان محمود، وكان مجاهرًا بالظلم، والفسق، وأحدث على الناس مكوسًا، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت، من مدة متطاولة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة.

ولما عزم على الخروج إلى همدان، أحضر النجمين، ففرضوا له نحت رمل، لساعة خروجه، ليكون أسرع لعوده، فخرج في تلك الساعة، وبين يديه السيوف المسلولة والمماليك بالعقد الباهرة، وضع هذا جاء باطمي، فضره، فقتله، في الساعة الرابعة بعدما ضربه غير ما مرة في مقاتله ثم دبحه كما تلعب الشاه، والمماليك يضربون بالسيوف والنبال في ظهره ولا يبالي بشيء من ذلك حتى قتل ثم مات بعده ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب، حاسرات عن وجوههن قد أبدطن الله الفلّة بعد العزة، والحرق بعد الأمن، وكان ذلك يوم الثلاثاء، سلبخ صفر، وما أشبه حاملن بقول أبي المتعافى في الخيزران وجوارها حين مات المهدي:

رحن في الوشي عليهم المسرح كل نطّاح من الناس له يوم نطرح لتوتن ولو عمرت ما عسر نوح فعلى نفسك نح إن كنت لابد تنوح

■ الحريري صاحب المقامات القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، فخر الدولة أبو محمد الحريري البصري مؤلف المقامات، التي سارت بفصاحتها الركبان، وكاد يروى فيها على سحبان.

ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث، واشتغل باللغة، والنحو، وصنف في ذلك كله، وفاق أهل زمانه، وبرز على أقرانه، وأقام ببغداد، وعمل صناعة الإنشاء مع الكتاب في باب الخليفة، ولم يكن عن تنكر بديته، ولا تتعكر فكرته وقريحته.

قال ابن الجوزي: صنف، وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه، بالذكاء، والفظنة، والفصاحة، وحسن العبارة، وصنف المقامات المعروفة، التي من تأملها عرف ذكاء منشئها، وقدره وقصاحته، وعلمه.

توفي في هذه السنة بالبصرة. وقد قيل إن أبا زيد، والحارث بن همام المظهر، لا وجود لهما، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأشمال. ومنهم من يقول أبو زيد المظهر بن سلاّر السروجي، كان له وجود وكان فاضلاً، وله علم، ومعرفة باللغة، فإله أعلم.

وذكر القاضي ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المظهر بن سلاّر، وكان بصرياً فاضلاً في النحو واللغة، وكان يشتغل على الحريري بالبصرة، وأما الحارث بن همام فإسماعيلي به نفسه، لما جاء في الحديث: «كلكم حارث، وكلكم همام». كذا قال ابن خلكان.

وإنما اللفظ المحفوظ «أصدق الأسماء حارث وهمام» إجماع ابن وهب م ٧ وبخرو د (٤٩٥٠) لأن كل أحد إما حارث، وهو الفاعل، أو همام من المهم، وهو المزم والمخطرة، وذكر أن أول مقامة عملها، الثالثة والأربعون، وهي الحرامية، وكان سببها، أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان، فاستمعه فقال: أبو زيد السروجي. فعمل فيه هذه المقامة، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد وهو جلال الدين، عميد الدولة،

وقد سردهما ابن خلكان بكاملها، وأورد له غير ذلك من الشعر، أيضاً.

ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

في الحرم منها، رجع السلطان طغرل إلى طاعة أخيه محمود، بعد ما كان قد خرج عنها، وأخذ بلاد أنزرجيان.

وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط وأعمالها لآق سقتر، مضافاً إلى الموصل، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آق سقتر. فحسب السيرة بها، وإبان عن حزم وكفاية.

وفي صفر منها، قتل وزير السلطان محمود أبو طالب السمرقني، قتله باطمي، وكان قد برز للسير إلى همدان، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات، حاسرات عن وجوههن، قد هُنَّ بعد العز، واستوزر السلطان بعده شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك.

وفيها أُنقح آق سقتر وديس بن صدقة، فهزموه ديس، وقتل خلقاً من جيشه، فاستوثق السلطان منصور بن صدقة أخا ديس وولده، ورفعهما إلى قلعة، فعند ذلك، أذى ديس تلك الناحية، ونهب البلاد، وجز شعره، وليس السواد، ونهبت أموال الخليفة أيضاً، فنودي في بغداد للخروج لقتاله، وبرز الخليفة في الجيش، وعليه قباء أسود، وطرحه، وعلى كتفيه البردة، وبهده القضب، وفي وسطه منقطة حرير صيني، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك، وتقيب القباء علي بن طراد الزنبي، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل، وتلقاه آق سقتر البرسقي، ومعه الجيش، فقبلوا الأرض، ورتب البرسقي الجيش، ووقف القراء بين يدي الخليفة، وأقبل ديس، وبين يديه الإسماء يضربن بالدنوف، والمخانيث بالملاهي، والتقى الفريقان، وقد شعر الخليفة سيفه، وكبر واقترب من المعركة، فحمل عنبر بن أبي العسكر على ميمته الخليفة، فكسرها، وقتل أميراً، ثم حمل ثانية، فكشفهم كالأولى، فحمل عليه عماد الدين زنكي بن آق سقتر، فأسر عنتر، وأسر معه بديل بن زائدة، ثم انهزم عسكر ديس، وألقوا أنفسهم في الماء، فغرق كثير منهم، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبرا بين يديه، وحصل نساء ديس وسراريه في السبي، وعاد الخليفة إلى بغداد، فدخلها في يوم عاشوراء، من السنة الآتية، وكان يوماً مشهوداً، وكانت غيته عن بغداد ستة عشر يوماً، وأما ديس، فإنه نما بنفسه، وقصد غزوة، ثم إلى المنتفق، فصحبهم إلى البصرة، فدخلها، ونهبها، وقتل أميرها، ثم خاف من البرسقي، فخرج منها، وسار إلى البرية، والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، ثم فارقهم، والتحق بالملك طغرل أخيه السلطان محمود.

وفيها ملك السلطان حسام الدين غمراش بن يلغازي ابن أرتق قلعة ماردين، بعد وفاة أبيه، وملك أخوه سليمان ميافارقين.

وفيها ظهر معدن نحاس، بديار بكر، قريبا من قلعة ذي القرنين. وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد، فوعظوا بها، وحصل لهم قبول تام من العوام.

وحج بالناس نظر الخادم.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، أبو محمد السمرقندي،

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة العلبي المعروف بابن الحياطة، الشاعر، الدمشقي، الكاتب الماهر، له ديوان شعر مشهور. قال الحافظ ابن عساكر: ختم به ديوان الشعراء بدمشق، وكان شاعراً ماهراً، محسناً جيداً، مكثرأً، حَفَظَ لأشعار المتقدمين واختارهم. وأورد ابن خلكان جيدة من شعره الرائق قطعاً، من ذلك قصيدته، التي لو لم يكن لها سواها، لكفته، وهي التي يقول فيها:

خذنا من صبا نجد أماتا لقلبه فقد كاد رياهها يطير بلبه
وليكما ذلك النسيم فأتته متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلسي لمر أحييتنا لعلمتنا عل الهوى من مفرم القلب صبه
بذكر والذكرى تشوق وفو الهوى يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على ياس الهوى ورجائه وشوق على بعد المزار وقره
وفي الركب مطوي الضلوع على جوى متى يدعه داعي الغرام يلبه
إذا خطر من جانب الرمل نفخة تضئ منها داؤه دون صبه
وعجب بين الأسنة معرض وفي القلب من إعراسه مثل حبه
أغار إذا أتت في الحسي أنه حذراً وخروفاً أن تكون لحبه
وقد كانت وفاته في رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة عن سبع وستين سنة بدمشق.

ثم دخلت سنة ثمان عشر وخمسمائة

فيها ظهرت الباطنية بأمد، فقاتلهم أهلها، فقتلوا منهم سبعمائة و لله الحمد.

وفيها ردت الشسحنة ببغداد إلى سعد الدولة يرتقش الزكوي، وسلم إليه منصور بن صدقة آخر ديبس، ليسلمه إلى دار الخلافة، وورد الخبر بأن ديبسا قد التجأ إلى طبرل، وقد انتفى على أخذ ببغداد، فأخذ الناس في التآهب لقتالهما، وأمر آق سقر بالعود إلى الموصل، فاستتاب على البصرة عماد الدين زنكي بن آق سقر.

وفي ربيع الأول، دخل الملك حسام الدين ترمشاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب حلب، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام بن أرتق وكان قد حاصر قلعة منيخ، فجاءه سهم في حلقه، فمات، فاستتاب ترمشاش بحلب، ثم عاد إلى ماردين، فأخذت منه بعد ذلك، أخذه آق سقر، مضافة إلى الموصل.

وفيها أرسل الخليفة القاضي أباسعد الهروي، ليخطب له ابنة السلطان سنجر، وشرع الخليفة في بناء دار، على حاقة دجلة، لأجل العروس. وكمل بناء المئمة في هذه السنة. وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن علي بن برهان أبو الفتح، ويعرف بابن الحماصي، تفقه على أبي الوفاء بن عقيل، ويرى في مذهب الإمام أحمد، ثم تقم عليه أصحابه

أبو علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة.

قال ابن خلكان: كنا رأيته في نسخة بخط المصنف، على حاشيتها، وهذا أصح عن قال: هو الوزير شرف الدين أبو نصر أبو شروان بن خالد بن محمد القاشاني، وهو وزير المسترشد أيضاً، ويقال إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة، فلما قدم ببغداد، ولم يصدق في ذلك، وامتنحه بعض الوزراء أن يعمل مقامة، فأخذ الدواة، والقرطاس، فجلس ناحية، فلم يتيسر له حتى عاد إلى بلده، فعمل عشرة أخرى، فأتمها بها، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلاح الشاعر، وكان من جملة المكذبين له فيها:

شيخ لنا من ربيعة الفرس يتف عثونه من الموس
أنطقه الله بالشان كما رماء وسط الديوان بالخرس
ومعنى قوله بالشان، هو مكان بالبصرة، ويذكر أنه كان صدر ديوان المشان، ويقال إنه كان دميم الخلق، فاتفق أن رجلاً رحل إليه، فلما رآه، أزدراه، ففهم الحريري ذلك، فأشأ يقول:

ما أتت أول سار غره قمر ورائد أعجبت خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعدي فاسمع بي ولا ترني
ويقال إن المعدي اسم حصان جواد كان في العرب، دميم الخلق، والله أعلم.

■ البهوي الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البهوي، صاحب التفسير، وشرح السنة، والتذهيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين، والمصابيح في الصحاح والحسان، وغير ذلك، اشتغل على القاضي حسين، ويرى في هذه العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان ديناً، ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً.

توفي في شوال من هذه السنة، وقيل في سنة عشر، فالله أعلم. ودفن مع شيخه القاضي حسين، بالطاقان، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

في يوم عاشوراء منها، عاد الخليفة من الحلة بعد أن كسر جيش ديبس ومزق شمله وقطع وصله في أول هذا الشهر ثم عاد إلى بلده ببغداد، مؤيداً، منصوراً، ورجع إلى أهله مسروراً.

وفيها عزم الخليفة على طهور أولاده وأولاد أخيه، وكانوا اثني عشر، فزينت ببغداد سبعة أيام بزيته لم ير مثلاً. أظهر الناس من الخلفي والمصالح والثياب ما لم ير مثلاً.

وفي شعبان منها، قدم أسعد المهيني مدرّس النظامية ببغداد، ناظراً عليها، وصرف الباقرحي عنها، فوقع بينه وبين بعض الفقهاء بسبب أنه قطع منهم جماعة، واكتفى بمائتي طالباً منهم، فلم يهن ذلك على كثير منهم. وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج، وقد وقع بينهم وبين الفتنجاق خلف، فقاتلهم، فهزمهم، و لله الحمد ثم عاد إلى همدان.

وفيها ملك طفتكين صاحب دمشق مدينة حماة، بعد وفاة صاحبها محمود بن قراجا، وقد كان ظالماً غاشماً.

وفيها عزل تقيب العلويين، وهلمت دار علي بن أفلاح، لأنهما كانا عينا لديس، وأضيف إلى علي بن طراد الزينبي نقابة العلويين مع نقابة العباسيين.

ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة من الهجرة

فيها ترأس السلطان محمود، والخليفة، على السلطان سنجر، وأن يكونا عليه، فلما علم بذلك سنجر، كتب إلى ابن أخيه محمود، ينهيه ويستميله إليه، ويغفره من الخليفة، وأنه لا تؤمن غائلته، وأنه متى ما فرغ منه تفرغ له وربب عليه، فاضى إلى قول عمه، ورجع عن عزمه وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك، فكتب إليه الخليفة ينهيه عن ذلك، لقلعة الأقوات بها، فلم يقبل منه، وأقبل إليه، فلما أرف قدمه، خرج الخليفة من داره، وتجهز إلى الجانب الغربي، فشق عليه ذلك، وعلى الناس، ودخل عيد الأضحى، فخطب الخليفة الناس بنفسه، خطبة عظيمة، بليغة، فصيحة جدا، وكبر وراه خطبه الجوامع، وكان يوما مشهودا. وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم [٢٣٣/١٧ - ٢٣٥]، بطولها، ورواها عن من حضرها من الخليفة، مع قاضي القضاة الزيني، وجماعة من العدول ولما أراد الخليفة أن يتزل عن المنبر ابتثره أبو المظفر محمد بن أحمد بن عبد العزيز الهاشمي، فأنشده:

عليك سلام الله يا خير من علا على منبر قد حفاً أعلامه النصر
وأفضل من لم الأنام وعههم بغيرته الحسنى وكان له الأمر
لقد شئت اسماعيا منك خطبة وموعظة فصلت بين لها الصخر
ملأت بها كل القلوب نهابةً قد رجحت من خوف تحريكها يضرب
سما لفظها فضلاً على كل قائل وجلت علها أن يلتم بها خسر
اشدت بها سامي للنابر رفعةً تقاصر عن إدراكها الأنجم الزهر
وزدت بها غنجان جماً مؤثلاً فاضى لها بين الأنام بك الفخر
قلله عصر أنت فيه إمائه والله دين أنت فيه لنا الصبر
بقيت على الأيام والليل كلما تقدم عصر أنت فيه أتى عصر
وأصبحت بالعبد السعيد مهتأ يمشقنا فيه صلاتك والنحر

ولما نزل الخليفة عن المنبر، ذبح البدينة بيده، ودخل السراوق، وتباكى الناس، ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد، يوم الثلاثاء، الثامن عشر من ذي الحجة فزلوا في بيوت الناس، وحصل للناس أذى كبير في حرمهم، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح، فأبى الخليفة، وركب في جيشه، وقاتل الأتراك ومعه شرفمة قليلة من المقاتلة، ولكن العامة كلهم معه، فقتل من الأتراك خلق كثير، ثم جاء عماد الدين زنكي، في جيش كثيف من واسط، في السفن، إلى السلطان نجدة، فلما استشعر الخليفة ذلك، دعا إلى الصلح، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة، وأخذ الملك يبشّر بذلك جدا، ويعتذر إلى الخليفة عما وقع، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همدان لمرض حصل له.

وفيها، كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر، يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى البلخي وكان شجاعاً، علمه كلمات، ثم أصعبه المنبر، فقلها، وكان يوما مشهودا.

قال ابن الجوزي وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفاً، والله أعلم. وفيها أقتل طغتكين صاحب دمشق، وأعداؤه من الفرنج، قتل منهم خلقا كثيرا، وغنم منهم أموالا جزية والله الحمد والمنة.

أشياء، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعي، فاشتغل على الغزالي والشافعي، ويرع، وساد، وشهد عند القاضي الزيني، قبله، ودرس في النظامية شهرا.

وتوفي في جمادى الأولى، ودفن بباب أبرز.

■ عبد الله بن محمد بن علي بن محمد، أبو جعفر اللامعاني، سمع الحديث، وشهد عند أبيه، وناب في ريع الكرخ عن أخيه، ثم ترك ذلك كله، وولي حجابة باب النوى، ثم عزل، ثم أعيد. وكان دمث الأخلاق وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة.

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميواني: صاحب كتاب الأمثال، وليس له مثله في بلده، وله شعر جيد.

قال ابن خلكان: توفي يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من شهر رمضان، من هذه السنة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها قصد دبّيس والسلطان طغرل بغداد، ليأخذها من يد الخليفة، فلما اقتريا منها، برز إليهما الخليفة، في جحفل عظيم، والناس مشاة بين يديه وعليه السواد والبرد ويده القضيب إلى أول منزله، ثم ركب الناس بعد ذلك، فلما أمست الليلة، التي يقتلون في صبيحتها، ومن عزمهم أن ينهسوا بغداد، أرسل الله مطرا عظيما، ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة، ففرقت تلك الجموع، ورجعوا على أعقابهم، خائفين، خاضعين، والتجأ دبّيس قبحه الله وطغرل إلى الملك سنجر، وسأله الأمان من الخليفة، والسلطان محمود، فحبس دبّيساً في قلعة، ووشى واث إلى الملك سنجر أن الخليفة، يرد أن يستأثر بالملك، وقد خرج من بغداد إلى اللان، لمحاربة الأعداء، فوقع في نفس سنجر من ذلك شيء، وأضر سوءاً، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة.

وليها قتل القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان، قتله الباطنية، وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته. وحج بالناس نظر الحاد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ آق سقر الومقي صاحب حلب، قتله الباطنية في مقصورة جامعها في يوم جمعة، وقد كان رحمه الله تركيا، جيد السيرة، صحيح السرية، محافظا على الصلوات في أوقاتها، كثير البر والصدقات إلى الفقراء، كثير الإحسان إلى الرعايا، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود، وأقره السلطان محمود على عمله.

■ هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح، مؤذن رسول الله ﷺ رحل، وجال في البلاد، وكان شيخا جهوري الصوت، حسن القراءة، طيب النعمة، توفي في هذه السنة، بسمرة رحمه الله تعالى.

القاضي أبو سعد

■ الهروي محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي، أحد مشاهير الفقهاء، والسادة الكبراء، قتله الباطنية بهمدان حين ذهب في الرسالة عن الخليفة إلى السلطان سنجر في خطبة ابنته. والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الطوسي الغزالي، أخو أبي حامد الغزالي، كان واعظاً مفوهاً، ذا حظ من الكلام، والزهّد، وحسن التّأني، وله نكت جيدة، ووعظ مرة في دار الملك محمود، فأطلق له ألف دينار، وخرج، فإذا على الباب فرس الوزير، بسرجهما الذهب، وسلاسلها، وما عليها من الحلّى، فركبها، فبلغ ذلك الوزير، فقال: دعوه، ولا يرد عليّ الفرس. تسن، فألقى عليها ردهاء، فتمزق قطعاً.

قال ابن الجوزي: وقد كانت له نكت، إلا أن الغالب على كلامه التخليط، ورواية الأحاديث الموضوعة المصنوعة، والحكايات الفارغة، والمعاني الفاسدة. ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكّرة من كلامه، فألّله أعلم، من ذلك أنه كان كلما اشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في البقعة، فسأله عن ذلك، فدلّه على الصواب، قال: كان يتعصب، لإبليس ويعدّ له، وتكلم فيه ابن الجوزي، بكلام طويل كثير.

قال: ونسب إلى حبة المردان، والقول بالمشاهدة، فألّله أعلم بصحة ذلك.

قال ابن خلكان: كان واعظاً، مليح الوعظ، حسن المنظر، صاحب كرامات، وإشارات، وكان من الفقهاء، غير أنه مال إلى الوعظ، فغلب عليه، ودرس بالنظامية نياحة عن أخيه، لما تزهد، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه آداب الإحياء وله ذخيرة في علم البصيرة، وطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه، وكان مثالا إلى الانقطاع والعزلة، والله أعلم بحاله.

■ أحمد بن علي بن محمد الوكيل، المعروف بابن برهان، أبو الفتح الفقيه الشافعي، تفقه على الغزالي، وعلى الكيا المراسي، وأبي بكر الشاشي، وكان بارعا في الأصول، وله فيه كتاب الوجيز في أصول الفقه، وكانت له فنون جيدة يتقنها جيداً. وولي تدريس النظامية ببغداد، دون شهر. وكانت وفاته في هذه السنة كما ذكره ابن خلكان رحمه الله.

■ بهرام بن بهرام أبو شعاع البسح، سمع الحديث، وبنى مدرسة لأصحاب الإمام أحمد بكلوازي، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء.

■ صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو العلّاء الإسحاعي الهروي الخافض، أحد المتّقين، سمع الحديث، وتوفي بغورج، قرية على باب هراة. في هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود يتحاربان، والخليفة في السراق في الجانب الغربي، فلما كان يوم الأربعاء، رابع المحرم، توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة، فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح، فنهبوا الأموال، وخرج الجواردي وهن حاسرات يستثنن، حتى دخلن دار الخاتون.

قال ابن الجوزي: وأنا رأيتهن كذلك، فلما وقع ذلك، ركب الخليفة في جيشه، وجيء بالسفن، فركب فيها الجيش وانتقلت ببغداد بالصراخ، حتى كان الدنيا قد زلزلت، وثارت العامة مع جيش الخليفة، فكسروا جيش السلطان، وقتلوا خلقاً من الأمراء، وأسروا آخرين، ونهبوا دار السلطان، ودار وزيره، ودار طيحه أبي البركات، وأخذوا ما كان في داره من الودائع، ومرت خبطة عظيمة جداً، حتى إنهم نهبوا الصوفية، برياط بهروز.

وجرت أمور طويلة وخطوب جليلة، ونالت العامة من السلطان، وجعلوا يقولون له يا باطني، ترك قتال الفرنج والروم وتقاتل الخليفة؟! ثم إن الخليفة انتقل إلى داره، في صباح المحرم، فلما كان في يوم عاشوراء، تماثل الحال، وطلب السلطان من الخليفة الأمان، والصلح، فلان الخليفة إلى ذلك، وتباشر الناس بالصلح، فأرسل إليه الخليفة تقيب النقباء، وقاضي القضاة، وشيخ الشيوخ، وبضعا وثلاثين شاهداً، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى، وكان يرتش الزكوي شحنة ببغداد يغري السلطان بأهل بغداد، لينهب أموالهم، فلم يقبل منه، ثم أذن لأولئك الجماعة، فأدخلوا عليه وقت المغرب، فصلى به القاضي، وقرأوا عليه كتاب الخليفة، فقام قائماً، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه، ووقع الصلح والتحليف، ودخل جيش السلطان إلى بغداد، وهم في غاية الجهد، من قلة الطعام عندهم في العسكر، وقالوا: لو لم يصلح لمتنا جوعاً. وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام.

وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند، وأن من كتم شيئاً يبسح دمه. وبعث الخليفة علي بن طراد الزيني التقيب، إلى السلطان سنجر، ليعد عن بابه ديساً، وأرسل معه الخلع والألوية، فأكرم سنجر رسول الخليفة، وأذن بضرب الطبول على بابه في ثلاثة أوقات، وظهر منه طاعة كبيرة.

ثم مرض السلطان محمود ببغداد، فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همدان، فسار في ربيع الآخر وفوض شحنة ببغداد إلى عماد الدين زنكي، فلما وصل السلطان إلى همدان، بعث على شحنة ببغداد بجياد الدين بهروز، وجعل إليه الحلة، وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها.

وفيها درس الحسن بن سلمان بالنظامية ببغداد. وفيها ورد أبو الفتح الإسفرائيني، فوعظ ببغداد، فأورد أحاديث كثيرة منكّرة جداً، فاستبب منها، وأمر بالانتقال منها إلى غيرها، فشد معه جماعة من الأكابر، وردوه إلى ما كان عليه، فوقع بسببه فتنة كثيرة بين الناس، ورجعه بعض العامة في الأسواق، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها، فغرت منه قلوب العامة، وأبغضوه وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي، فتكلم على الناس، فأعجبهم، وأحبوه، وتركوا ذلك. وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية نحو من اثني عشر ألفاً. وحج بالناس نظر الحاد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني القرظي، صاحب التاريخ من بيت الحديث والأئمة.

وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب، أنه طعن فيه. توفي فجأة في شوال من هذه السنة، ودفن إلى جانب ابن سريج.

■ فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضالويه سمعت الخطيب، وابن المسلمة، وغيرهما، وكانت واعظاً، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، وقد سمع عليها ابن الجوزي، مسند الشافعي، وغيره.

أبو محمد عبد الله بن محمد:

■ ابن السيد البطيوسي، ثم البنسي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها، جمع الملك في مجلدين، وزاد فيه على قطرب شيئاً كثيراً جداً، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء، أحسن من شرح المصنف، وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، ومن شعره الذي أورده القاضي ابن خلكان:

الخليفة عن ديس، وأن يسلم إليه بلاد الموصل، فامتنع الخليفة من ذلك، وأبى أشد الإباء، هذا وقد تأخر ديس عن الدخول إلى بغداد، ثم دخلها، وركب بين الناس، فلعمرو، وشمرو في وجهه، وقدم عماد الدين زنكي بن آق سقر، فيلذ للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار، وهديا وتحفا، والترم للخليفة للسلطان بمظله، على أن لا يولي ديسا شيئا، وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل، فأقره على ذلك، وخلع عليه، ورجع إلى عمله، فملك حلب، وحما، وأمر صاحبها سونج بن تاج الملوك، فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار.

وفي يوم الاثنين، سلخ ربيع الآخر، خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالاً، ولا يعرف أحد من العباسيين بأمر الوزارة غيره.

وفي رمضان منها، جاء ديس في جيش إلى الحلة، فملكها، ودخلها في أصحابه، وكانوا ثلاثمائة فارس، ثم إنه شرع في جمع الأموال، وأخذ الغلات من القرى، حتى حصل نحواً من خمسمائة ألف دينار، واستخدم قريبا من عشرة آلاف مقاتل، وتفاقم الحال بأمره وسيه، وبعث إلى الخليفة يسترضيه، فلم يرض عليه، وعرض عليه أموالا كثيرة جداً، فلم يقبلها، الخليفة، وكتب الخليفة إلى السلطان فبعث إليه السلطان جيشا، فانتهزم إلى البرية جمع الله به شمالاً، ثم أغار على البصرة، فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة، ثم دخل البرية، فانقطع خبره.

وفي هذه السنة، قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف، وعلق رأس كبيرهم على باب القلعة، وأراح الله الشام منهم. وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق، فخرج إليهم أهلها، فقاتلهم قتالا شديدا، وبعث أهل دمشق عبد الوهاب الواعظ، ومعه جماعة من التجار، يستغيثون بالخليفة، وهوما بكسر ميم الجماعة، حتى وعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليعت لهم جيشا يقاتلون الفرنج، فسكت الأمور فلم يبعث لهم جيشا، حتى نصرهم الله من عنده، فإن المسلمين هزموهم، وقتلوا منهم عشرة آلاف، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفسا، ولله الحمد والمنة. وقتل يميند القرخي صاحب أنطاكية.

وفيها تحبط الناس في الحج، حتى ضاق الوقت، بسبب فتنة ديس، فحبسه الله حتى حج بهم أحد ممالك يرتقش الزكوي، وكان اسمه بغاجس.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أسعد بن أبي نصر: المهني أبو الفتح، أحد أئمة الشافعية في زمانه، تفقه على أبي المظفر السمعاني، وساد أهل زمانه، ورسع، وتفرّد من بين أقرانه، وولي تدريس النظامية ببغداد، وحصل له وجاهة، عند الخاص، والعام، وعلق عنه تعليقة الخلاف. ثم عزل عن النظامية، فسار إلى همدان، فمات بها في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق، تهلمت بسببها دور كثيرة ببغداد. ووقع بأرض الموصل مطر عظيم، فسقط بعض ناراً تاجج فأحرق دورا كثيرة وخلقا من ذلك المطر، وتهارب الناس. وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكان، فخاف الناس منها خوفا شديدا.

انصر العلم حين خالده بعد موته وأوصاله تحست السرتاب ديمس وفو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن من الأحياء وهو عديم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة

في أولها، قدم رسول منجر إلى الخليفة، يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد، وكان يخطب له في كل جمعة بجامع المنصور.

وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة، واستيب في الوزارة نقيب النقباء. وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه منجر، واصطلحا بعد خشونة، وسلم منجر ديسا إلى السلطان محمود، على أن يسترضي عنه الخليفة، ويمزل زنكي عن الموصل ويلاهما، وسلم ذلك إلى ديس، واشتهر في ربيع الأول ببغداد، أن ديسا أقبل إلى بغداد في جيش كثيف، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود: لئن لم تكف ديسا عن قدوم بغداد، وإلا أخرجنا إليه، ونقتضنا ما بيننا وبينك، من اليهود، والصلح.

وفيها ملك الأتابك زنكي بن آق سقر مدينة حلب، وما حولها من البلاد.

وفيها ملك تاج الملوك بورى بن طفتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه، وقد كان أبوه من عماليك آب أرسلان، وكان عاقلا، حازما، عادلا خيرا، كثير الجهاد للفرنج، رحمه الله.

وفيها عمل ببغداد مصلى للعبد، ظاهر باب الحلية، وحوط عليه، وجعل فيه قبلة.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير نظر الخادم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن علي بن صدقة أبو علي وزير الخليفة المسوّد، توفي في رجب منها. ومن شعره الذي أورده ابن الجوزي مما بالغ فيه قوله:

وجدت السورى كالماء طعما ورقة وأن أمير المؤمنين زلاله
وصورت معنى العقل شخصا مصورا وأن أمير المؤمنين مثاله
فلولا مكان الدين والشرع والتقى لقلت من الإعظام جل جلاله

■ الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي، من أهل سمرقند، روى الحديث، وتفقه، وكان يضرب به المثل في المناظرة، وكان خيرا، دينيا، على طريقة السلف، مطرحا للتكلف، أمارا بالمعروف، قدم من عند الخاقان، ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة، فقبل له: ألا تنجح عامك هذا؟ فقال: لا أجهل الحج تبعاً لرسالتهم. فعاد إلى بلده فمات في رمضان، من هذه السنة، عن إحدى وثمانين سنة، رحمه الله.

■ طفتكين الأتابك صاحب دمشق التركي، أحد غلمان تاج الدولة تنش بن ألب أرسلان السلجوقي، كان من خيار الملوك، وأعلمهم، وأكثرهم جهادا للفرنج، وكانت وفاته في هذا العام وقام في الملك من بعده ولده تاج الملوك بورى.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

في الحرم منها، دخل السلطان محمود إلى بغداد، واجتهد في إرضاء

الشاعر، المعروف بالبارع، قرأ القراءات، وسمع الحديث، وكان عارفاً بالنحو، واللغة، والأدب، وله شعر رائق، توفي في هذه السنة، وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

■ محمد بن سعدون بن مرجا: أبو عامر العبدي القرشي الحافظ، أصله من بيروقة من بلاد المغرب، ودخل بغداد، وسمع بها على طراد الزيني، والحبيدي، وغير واحد، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، وكان يذهب في الفروع مذهب الظاهرية. توفي في بغداد في ربيع الآخر في بغداد.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها ضل ديبس عن الطريق، في البرية، فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طغتكين، فباعه من زنكي بن آق سقر صاحب الموصل، بخمسين ألف دينار، فلما حصل في يده، لم يشك ديبس أنه سيهلكه، لما بينهما من العداوة، فأكرمه زنكي، وأعطاه أموالاً جزيلة، وقدمه، واحترمه، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه، فبعثه معهم، فلما وصل إلى الموصل، حبس في قلعتها.

وفيها وقع بين الأخوين عمود ومسعود، فتواجهوا للقتال، ثم اصطلحا. وفيها كانت وفاة الملك عمود بن ملكشاه بن ألب أرسلان، فأتيت في الملك مكانه ابنه داود، وجعل له أتابك ووزير، وخطب له بأكثر البلاد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن عبد القاهر أبو نصر الطوسي: سمع الحديث، وتفق بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان شيخاً لطيفاً، عليه نور العبادة والعلم.

قال ابن الجوزي أنشدني:

على كل حال فاجعل الحزم عدة تقدمه بين النواصب والدعير
فإن نلت خيراً نلت به بزيمة وإن قصرت عنك الخطوب فمن عذر

قال وأنشدني أيضاً:

لست ثوب الرجا وأناس قد رقدوا وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا عدتي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعمد
وقد مددت يدي والضر مشتمل إليك يا خير من مددت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة فيحر جودك يروى كل من يرد

■ الحسن بن سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن القتي، أبو علي الفقيه، مدرس النظامية، وقد وعظ بجامع القصر، وكان يقول: أنا في الفقه متبهي، ولا في الرعظ مبتدئ.

وقد توفي في هذه السنة، وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي، ودفن عند أبي إسحاق.

■ حماد بن مسلم: الرحبي الدياس، كان يذكر له أحوال، ومكاشفات، وإطلاع على منيات، وغير ذلك من المقامات، وروایت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: كان غريباً من العلوم الشرعية، وإنما كان يتفق على الجهال.

وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر الناس عنه.

وكان حماد الدياس يقول ابن عقيل عدي.

قال ابن الجوزي: وكان الناس يتنرون له، فيقبل ذلك، ثم ترك ذلك،

وفيها ملك السلطان سنجر، مدينة سمرقند، وكان بها محمد خان. وفيها ملك عماد الدين زنكي بلداً كثيرة من الجزيرة، ومن بلاد الفرنج، وجرت له معهم حروب طويلة، وخطوب جلية نصر عليهم في تلك المواقف كلها، ولله الحمد والمثنة. وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا إلى الشام، ومدحه الشعراء على ذلك.

قتل خليفة مصر الفاطمي:

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بن المستعلي صاحب مصر، قتله الباطنية، وله من العمر أربع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف، وكان هذا الرجل هو العاشر من الفاطميين، والعاشر من ولد عبيد الله المهدي ولما قتل الأمر، تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمسي، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام، حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم ابن المستنصر بالله، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه، وحصره في مجلسه، لا يدع أحداً يدخل إليه، إلا من يريد هو، ونقل الأموال من القصر إلى داره، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن عثمان بن محمد: أبو إسحاق الكلبي، من أهل غزة، جاوز الثمانين، وله شعر جيد ومن شعره في الأتراك. قوله

في فية من جيوش الترك ما تركت لارعد كراتهم صوتاً ولا صيتاً
قوم إذا قوبلوا كانوا ملانكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتاً
وله:

ليت الذي بالمشق دونك خصني يا ظالمي قسم الحبة بيتنا
ألقى المزير فلا أخاف وثوبه ويروعي نظير الغزال إذا رننا
وله:

إنما هذه الحياة متاع والسفيه الغفوي من يصطفها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
وله أيضاً:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي منقلى
خلت البلاد فلا كريم يرجئني منه السؤال ولا مليح يشق
ومن العجائب أنه لا يشترى ويحان فيه من الكساد ويسرق

وما أشده ابن خلكان: في الوفيات [٥٩١/١] من شعره الرائق قوله:

إشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بسالمن
حتى إذا طاح عنها المرط من دهمش وانغل بالضم سلك العمد في الظلم
تبست فأضاء الليل فالتقطت حبات متثر في ضوء متظلم

وكانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن فيها رحمه الله.

■ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدياس أبو عبد الله

وفاة أبيه، واستوزر يوسف بن فيروز، وكان خيرا، ملك بلدا كثيرة، واطاعه أخوه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعيد بن عتبة بن فرقد السلمي، ويعرف بابن كادش الكبير، أبو العز البغدادي.

سمع الحديث الكثير، وكان يفهمه، ويرويه، وهو آخر من روى عن الماوردي، وقد أثنى عليه غير واحد، منهم أبو محمد بن الحشاش، وكان محمد بن ناصر يهتمه، ويريه بأنه اعترف بوضع حديث، قاله أعلم.

وقال عبد الرهاب الأنطاقي: كان غلطاً، توفي في جمادى الأولى من هذه السنة.

■ محمد بن محمد بن الحسين بن محمد أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى بن القراء الخليلي، ولد في شعبان، سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، سمع أباه وغيره، وتفقه وناظر وأثنى ودروس، وكان له بيت فيه مال، فعدي عليه من الليل، فقتل، وأخذ ماله، ثم أظهر الله عز وجل على قاتليه، فقتلوه رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في صفر منها، دخل السلطان مسعود إلى بغداد، فخطب له بها، وخلع عليه الخليفة، وولاه السلطة، ونثر الدنانير والدراهم على الناس، وخلع على السلطان داود بن محمود.

وفيهما جمع ديبس جمعا كثيرا بواسطة، وانضم إليه جماعة فأرسل إليه السلطان جيشا، فكسروه، وفرقوا شمله، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل، ليأخذها من يد زنكي، فخرج في جيش كثيف وخلق من الأمراء والأكابر والوزراء، فلما اقترب منها بعث إليه عماد الدين زنكي يعرض عليه من الأموال والتحف شيئا كثيرا، ليرجع عنه، فلم يقبل، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطلع مع ديبس، وخلع عليه، ففكر راجعا سريعا إلى بغداد سالما معظما.

وفيهما مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة، فطلب حلقته ابن الجوزي، وكان شابا، فحصلت لنفره، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد، وكثرت مجالسه، وازدحم عليه الناس.

وفيهما ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه، وكانت بيد زنكي.

وفي ذي الحجة، نهب التركمان مدينة طرابلس، وخرج إليهم القومص لعنه الله الفرخي، فهزموه، وقتلوا خلقاً من أصحابه، وحاصروه فيها مدة طويلة، حتى طال عليهم الحصار، فانصرفوا.

وفيهما رُمي مكة قاسم بن أبي فليتة بعد أبيه. وفيها قتل شمس الملوك أخاه سونج.

وفيهما اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام، فسكنوها، وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج.

وفيهما اقتتل الفرنج فيما بينهم قتالا شديداً، فمحق الله بسبب ذلك

وصار يأخذ من المنامات، ويثقف على أصحابه. وكانت وفاته في رمضان، ودفن بالشونيزية.

■ علي بن المستظهر بالله: أخو الخليفة المسترشد، توفي في رجب من هذه السنة، وله من العمر إحدى وعشرون سنة، فترك ضرب الطبول، وجلس الناس للعزاء أياما.

■ محمد بن أحمد بن أبي الفضل الماهباني، أحد أئمة الشافعية، تفقه بإمام الحرمين، وغيره، ورحل في طلب العلم والحديث، إلى بلاد شتى، درس وأثنى، وناظر، وتوفي في هذه السنة وقد قارب التسعين، ودفن بقرية ماهيان، من بلاد مرو رحمه الله.

■ محمود السلطان ابن السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق كان من خيار الملوك، وكان فيه حلم، وأناة، وير وصلاية، وجلسوا لعزائه به ثلاثة أيام، ساعه الله.

■ هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين، أبو القاسم الشيباني، وراي المسند، عن أبي علي بن المذهب، عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه، وقد سمع قديما، لأنه ولد في سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة، وياكر به أبوه، فاسمعه، ومعه أخوه عبد الواحد، على جماعة من عليّة المشايخ، وقد روى عنه ابن الجوزي، وغير واحد، وكان ثقة، ثبات، صحيح السماع، توفي بين الظهر والمصر، يوم الأربعاء رابع شوال من هذه السنة، وله ثلاث وتسعون سنة، رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة

لها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد، وقدمها قراجا الساسي، ومعه سلجوق شاه بن محمد، وكل منهما يطلب الملك لنفسه، وقدم عماد الدين زنكي بن آق سنقر، لينضم إليهما، فتلقاه قراجا الساسي، فهزمه، فهرب منه إلى تكريت، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب، والد الملك صلاح الدين الذي فتح القدس فيما بعد حتى عاد إلى بلاده، وكان هذا هو السبب، في مصير نجم الدين أيوب إليه وهو مجلب، فخدم عنده، ثم كان من الأمور ما سيأتي بيانه مما قتره الله تعالى.

ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتماعا، فاصطلحا، وركبا إلى الملك سنجر، فاقبلا معه، وكان جيشه مائة وستين ألفا، وكان جيشهما قريبا من ثلاثين ألفا، وكان جملة من قتل بينهم أربعين ألفا، وأسر جيش سنجر قراجا الساسي، فقتله صبرا بين يديه، ثم اجلس طغرل بن محمد على سرير الملك، وخطب له على المنابر، ورجع سنجر إلى بلاده، وكتب طغرل إلى ديبس وزنكي، لينها إلى بغداد، ليأخذها، فأتبلا في جيش كثيف، فبرز إليهما الخليفة، فهزماه، وقتل خلقا من أصحابهما، وأزاح الله شرهما عنه، ولله الحمد.

وفيهما قتل أبو علي بن الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي، فقتل الحافظ الأموال التي كان أخذها إلى داره، واستوزر بعده أبا الفتح، يانس الحافظي، ولقبه أمير الجيوش، ثم احتال له فقتله، واستوزر الحافظ ولده حسنا، وخطب له بولاية العهد.

وفيهما عزل المسترشد وزيره علي بن طراد الزينبي، واستوزر أبو شروان بن خالد بعد فتح.

وفيهما ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طغتكين، بعد

بساكر إلى اللذات واركب لها سوابق اللهو فوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الشواهد من نفوس الأبحار
ومن جملة معانيه النادرة:
زادت على كحل الجفون تحكلا وتُسم نصل السهم وهو فتول

خلقا كثيراً، وغزاهم فيها عماد الدين زنكي، قتل منهم ألف قتيل، وغنم
أموالا جزيلة، يقال لها غزوة أسوار.
وحج بالناس فيها نظر الخادم، وكذا في التي بعدها، وقبلها.

وتوفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو العباس بن
الوطي، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد، وبأصبهان على محمد
بن ثابت النجدي، ثم ولي الحكم ببغداد بالحريم، والحبة ببغداد، وكان
يؤدب أولاد الخليفة، وتوفي في رجب من هذه السنة، ودفن عند قبر الشيخ
أبي إسحاق.

■ أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل: أبو الفتح الميمني مجد الدين، أحد
أئمة الشافعية، وبصاحب الطريقة في الخلاف المطروقة، وقد درس بالنظامية
ببغداد في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث عشرة، فعزل
عنها، واشتهر أصحابه هنالك ومُدَّ صيته وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه
وليها، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين.

وقال ابن خلكان: توفي سنة سبع وعشرين.

■ الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي أبو نصر اليوناني، من
قراء أصبهان، سمع الحديث، ورحل وخرج وله تاريخ، وكان يكتب حسنا
ويقرا فصيحاً، توفي بأصبهان في هذه السنة.

■ ابن الزاغوني الحنبلي: علي بن عبيد الله بن نصر بن السري
الزاغوني، الإمام المشهور، قرأ القراءات وسمع الحديث، واشتغل بالفقه
والتحقيق، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع، وله يد في
الوعظ، واجتمع الناس في جنازته، وكانت حافلة جداً.

■ علي بن يعلى بن عوض، أبو القاسم العلوي الهروي، سمع مسند
أحمد بن ابن الحصين، والترمذي من أبي عامر الأزدي، وكان يحفظ الناس
بنسابة، ثم قدم بغداد، فوعظ بها، فحصل له القبول التام من أهل بغداد،
وجمع أمراؤها وكتبها.

قال ابن الجوزي: وهو أول من سلك في الوعظ، وتكلمت بين يديه
وأنا صغير، وتكلمت عند انصرافه.

■ محمد بن أحمد بن يحيى أبو عبد الله الغماني الديلمي، وكان ببغداد
يعرف بالقلدي، تفقه وكان أشعري الاعتقاد، ووعظ الناس ببغداد.

قال ابن الجوزي: سمعته يشد في مجلسه قوله:

دع جفوني يحسني أن أنوحا لم تدع لي الذنوب قلبا صحيحا
أخلقت بهجتي أكف المعاصي وتعلمني المشيب نيا نصيحيا
كلما قلت قد برا جرح قلبي عاد قلبي من الذنوب جريحا
إثما الفوز والنسيم لعبد جاء في الحشر أنا مستريحا

■ محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف أبو خازم بن
أبي يعلى بن القراء، الفقيه ابن الفقيه، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة،
سمع الحديث، وكان من الفقهاء، الزاهدين، الأخيار، توفي في صفر منها.
أبو محمد

■ عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي، الصقلي،
الشاعر المشهور، أورد له ابن خلكان أشعرا رائعة، فمنها قوله:

قم هاتها بن كف ذات الوشاح فقد نعى الليل بشير الصباح

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها اصطلاح الخليفة وزنكي.
وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة، وقتل خلقاً من الفرنج.
وفيها فتح شمس الملوك شقيف تيرون، ونهب بلاد الفرنج.
وفيها قدم سلجوق شاه بغداد، فقتل بدار المملكة، وأكرمه الخليفة،
وأرسل إليه عشرة آلاف دينار، ثم قدم السلطان مسعود، وأكثر أصحابه
ركاب على الجمال لقلة الخيل.
وفيها تولى إمرة بني عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي، إكراما
لجدهم.

وفيها أعيد بن طراد إلى الوزارة، وفيها خلع على إقبال المسترشدي
خلع الملوك، ولقب ملك العرب سيف الدولة، ثم ركب في الخلع، وحضر
الدنيان.

وفيها قوي أمر الملك طغرل، وضعف أمر الملك مسعود.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن علي بن إبراهيم: أبو الوفا القفوزي أبادي، أحد مشايخ
الصفوية، سكن رباط الزوزني، وكان كلامه يستحلى وكان يحفظ من سير
الصفوية، وأشعارهم، شيئا كثيراً.
أبو علي

■ الفارقي: الحسن بن إبراهيم بن يرهون أبو علي الفارقي، ولد سنة
ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وتفق بها على أبي عبد الله محمد بن بيان
الكاظمي، صاحب الحاملي، ثم على الشيخ أبي إسحاق، وابن الصباغ،
وسمع الحديث، وكان يكرر على المذهب والشامل، ثم ولي القضاء بواسط،
وكان حسن السيرة، جيد السريرة، متعباً بعقله وحواسه، إلى أن توفي في
حرم هذه السنة، عن ست وتسعين سنة.

■ عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين، أبو محمد بن أبي بكر
الشاشي، سمع الحديث، وتفق على أبيه، وناظر، وأتقى، وكان فاضلاً،
واعظاً، فصيحاً، مفهماً، شكر ابن الجوزي من وعظه، وحسن نظمه، وتثره،
ولفظه.

توفي في الحرم وقد قارب الخمسين، رحمه الله، ودفن عند أبيه.

■ محمد بن أحمد بن علي أبو بكر القطان، ويعرف بابن الخلاج
البغدادى، سمع الحديث، وقرأ القراءات، وكان خيراً، زاهداً، عابداً، يتبرك
بدعائه، ويزار رحمه الله.

■ محمد بن علي بن عبد الواحد الشافعي: أبو رشيد، من أهل أمل
طبرستان، ولد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وحج وأقام بمكة، وسمع
الحديث وروى شيئاً يسيراً، وكان زاهداً، متقطعاً عن الناس مشتغلاً بنفسه،
ركب مرة مع تجار في البحر، فأوفوا على جزيرة. فقال: دعوني في هذه

فأذن له فقبلها، وأمرها على وجهه وصدرو. وسأل العفو عنه، وعما كان منه، واستقر الأمر على ما ذكرنا، وطار هذا الخبر في الأفاق، وفرح الناس بذلك وطابت قلوبهم.

فلما كان مستهل ذي القعدة، جاءت الرسل من جهة الملك مستنجر إلى ابن أخيه، يستحثه على الإحسان إلى الخليفة وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه، وأرسل مع الرسل جيشاً، ليكونوا في خدمة الخليفة إلى بغداد، فصحب الجيش عشرة من الباطنية، قتل: من حيث لا يشعرون وقيل: بل كانوا مجهزين. فالله أعلم إلا أنهم حالة وصولهم إلى هنالك حملوا على الخليفة، وقتلوه في خيمته، وقطعوه قطعاً، ولم يلحق الناس منه إلا الرسوم، وقتلوا معه جماعة من أصحابه منهم عبيد الله بن سكين، ثم أخذ أولئك الرهط، فأخرجوا قبحهم لله وسارت بذلك الركباني في البلدان، فما من أهل بلدة إلا وهم أشد حزنًا على الخليفة المسترشد من الأخرى، لا سيما أهل بغداد، وخرجت النساء في الطرقات ينحن عليه وينبته، وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي ما كُنَّ يقلن من النياحة على الخليفة، رحمه الله، وكان مقتله على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة، فحمل إلى بغداد، ولما استقر خبر موته ببغداد عمل له العزاء ثلاثة أيام بعدما بويح لولده الراشد.

ذكر شيء من ترجمة المسترشد، رحمه الله

■ (المسترشد)

كان المسترشد شجاعاً مقداماً، بعيد الهمة، فصيحاً، بليغاً، عذب الكلام، حسن الإيراد، مليح الخط، كثير العبادة، يحيا إلى العامة والخاصة، وهو آخر خليفة رُئي خطياً، قتل وعمره ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، وكانت أمه أم ولد من الأتراك رحمه الله.

خلافة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد

كان أبوه قد أخذ له العهد، ثم أراد أن يخلعه، فلم يقدر على ذلك، لأنه لم يقدر. فلما قتل أبوه بباب مراغة، في يوم الخميس، السابع عشر من ذي القعدة، من سنة تسع وعشرين وخمسمائة، بايعه الناس، والأعيان، وخطب له على المنابر ببغداد، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد، وكان أبيض، جسيماً، حسن اللون، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة، جيء بالمسترشد، - قد نُقل من هناك إلى بغداد - فصلى عليه ببيت النبوة، وكثر الزحام، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد، وقد ظهر الرضا قليلاً في أول أيام الراشد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي، تفقه بآبيه، واختارته المنية بعد أخيه، ولم يبلغ سن الرواية.

■ إسماعيل بن عبد الملك بن علي أبو القاسم الحاكمي، تفقه بإمام الحرمين، وكان رفيق الغزالي، في الاشتغال وأسن منه فلهذا كان الغزالي يحترمه، ويكرمه، وكان فقيها بارعاً، وعابدا ورعاً، وكانت وفاته في هذه السنة بطوس، ودفن إلى جانب الغزالي.

■ ديس بن صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد، أبو الأغبر

أعبد الله فيها. فمانعوه، فأبى إلا المقام بها. فتركوه، وساروا، فرددتهم الريح إليه، فرأودوه فانتقم، فساروا، فرددتهم الريح إليه، فقالوا إنه لا يمكن أن تسير إلا بك، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها. فسار معهم، ثم رجع إليها، فأقام بها مدة، ثم ترحل عنها، ويقال: إنه كان بها ثعبان يتلعب الإنسان، ويها عين ماء، يشرب منها ويترواً ثم رجع إلى بلده أمل فمات بها في هذا العام، وبقبره شهر يأمّل زيار.

■ (أم المسترشد) أم الخليفة المسترشد: توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة، تاسع عشر شوال من هذه السنة، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

لها كانت وفاة المسترشد، وولاية الراشد، وكان سبب ذلك، أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة وقائع كثيرة، فاتفق الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد، فاتفق موت أخيه فطرل بن محمد بن ملكشاه، فسار إلى البلاد، فملكها، وقوي جانب، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ ببغداد من يد الخليفة، فلما علم الخليفة بذلك اتزعج واستعد لذلك، وقفر جماعة من رؤوس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك مسعود، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة، فيهم القضاة ورؤوس الدولة، من جميع الأصناف، فمشوا بين يديه أول منزلة، حتى وصل إلى السراوق، وبعث بين يده مقدمة، وأرسل الملك مسعود مقدمته ديس بن صدقة بن منصور، الذي كان صاحب الحلة، فجرت خطوب كثيرة، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين، فالتقوا قتالاً كثيراً، ولم يقتل من الصفيين سوى خمسة أنفس، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم، ثم تراجعوا، فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم، وقتلوا منهم خلقاً، وأسروا الخليفة، ونهبت أمواله وحواصله، من جملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والحلج والأكنة والقماش، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وطار الخبر في الأقاليم وحين بلغ الخبر إلى بغداد، اتزعج الناس لذلك، وزلزلوا زلزلاً شديداً، صورة ومعنى، وجاءت العامة إلى المنابر، فكسروها، وافتتحوها من حضور الجماعات، وخرج النساء في البلد حاسرات، ينحن على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير من أهل البلاد، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم، واستمر الحال على ذلك إلى مستهل شهر ذي القعدة، والشناعة في الأقاليم متشرة، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يحنوه غب ذلك، ويصبره بما وقع من الأمر العظيم، والخطب الجسيم ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مستقر عرشه، ودار خلافته، فامتثل الملك مسعود ذلك، وضرب للخليفة سراق عظيم، ونصب له في قبة عظيمة، وتحته سرير هائل، والبس الخليفة السواد على عادته، وأركبه بعض ما كان يركبه من مركبه، وجاء الملك مسعود، فقبل الأرض بين يديه وأمسك لجام الفرس، ومشى في خلعتيه، والجيش كله مشاة، حتى اجلس الخليفة على سريره، ووقف الملك مسعود بين يديه، وخلع الخليفة عليه، وجيى بديس مكثراً وعن يمينه أميران، وعن يساره أميران، وسيف مسلول، وشقة بيضاء، فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم فيه تطييباً لقلبه، فأقبل السلطان، يشفع في ديس وهو ملقى يقول: العفو يا أمير المؤمنين، أنا أخطأت، والعفو عند القدرة. فأمر الخليفة بإطلاقه وهو يقول: لا تثريب عليكم اليوم. فنهض قائماً، واتمس أن يقبل يد الخليفة،

خلافة المقتضي لأمر الله أبي عبد الله

محمد بن المستظهر بالله

وأمه صفراء تسمى نسيم، ويقال لها ست السادة، وله من العمر يومئذ أربعون سنة، بويج بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين، وخطب له على المنابر يوم الجمعة، العشرين من ذي القعدة، ولقب بالمقتضي، لأنه يقال إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام، وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك، فاقبض بي. فصار إليه بعد ستة أيام، فلقب بذلك.

فائدة حسنة ينبغي التنبيه عليها

ولي المقتضي والمسترشد، الخلافة، وكانا أخوين. وكذلك السفاح والمنصور، وكذلك الهادي والرشد. إنا المهدي. وكذلك الواثق والموكل، إنا المعتصم، أخوان. وأما ثلاثة إخوة، فالأمين، والمأمون، والمعتصم، بنو الرشد. والمتنصر، والمعتز، والمتمد بن المتوكل. والمقتضي، والمقتدر، والقاهر، بنو المعتضد، والراضي، والمقتضي، والطبيع، بنو المقتدر، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم، الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، بنو عبد الملك بن مروان. ولما استقر المقتضي في الخلافة، استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل، صحبة صاحبها عماد الدين زنكي، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن حنويه بن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني. روى الحديث، وكان صدوقا، مشهورا بالعلم والزهد، وله كرامات، دخل إلى بلد، فلما ودعهم أشدهم:

لئن كان لي من بعد عود إليكم قضية لبائت الفواد لديكم وإن تكن الأخرى وفي الغيب عيرة وحال فقضاء فالسلام عليكم

■ محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب، أبو بكر العامري، المعروف بابن الخبازة، سمع الحديث، ورحل في طلبه، وكانت له معرفة بالفقه والحديث، وقد شرح كتاب «الشهاب» وكان يعظ الناس على طريقة التصوف، وكان ابن الجوزي فمن تأدب به، وقد أثنى عليه، وأشهد ومن شعره:

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي والشوق أملك بي من عند عذلي وكيف أسلو وفي حبي له شغل يحول بين مهماتي وأشغالي

وقد ابتهى رباطا وكان عنده جماعة من المتعبدين والزهاد، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل، والإخلاص لله والدين، فلما فرغ، شرع في النزاع وهرق جبينه، فمد يده، ثم قال:

ها قد بسطت يدي إليك فردما بالفضل لا بشماته الأعدا

ثم قال: أرى المشايخ بين أيديهم الأطبق، وهم يتظرونني. ثم مات، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان، ودفن برياطه، ثم غرق رباطه وقبره، في سنة أربع وخمسين وخمسمائة. رحمه الله

■ محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي القراوي، كان أبوه من ثغر فزارة، وسكن نيسابور، فولد له بها

الأسدي، الأمير من بيت الإمرة، وسادة الأعراب، كان شجاعا بطالا، فعل الأنفاعيل وتمزق في البلاد، من خوفه من الخليفة، ثم استرضي عنه الخليفة المسترشد كما ذكرنا فلما قتل الخليفة، عاش بعده أربعة وثلاثين يوما، ثم اتهم عند السلطان مسعود بأنه قد كاتب زنكي ينهيه عن القدوم على السلطان، وبأمره أن ينجو بنفسه، فبعث إليه السلطان غلاما أرمنيا فوجده منكسا رأسه، يفكر في أمره، فما كلمه، حتى شهر سيفه، فضربه فأبان رأسه عن جسده، ويقال بل استدعاه، السلطان إليه فقتله صبرا بين يديه، فأنه أعلم.

■ طغرل السلطان ابن السلطان محمد بن ملكشاه توفي بهمنان، يوم الأربعاء، ثالث الحرم من هذه السنة.

■ علي بن الحسن البرزنجياني كان عابدا زاهدا، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول، بأن القدرة تتعلق بالاستحبال، ثم أنكر عليه ذلك، وعذره لعدم تعقله لما يقول، ولجله.

■ الفضل أبو منصور أمير المؤمنين المسترشد، بالله كان من خيار الخلفاء العباسيين شهما شجاعا يباشر الحروب بنفسه وقد أسلفنا ذلك فيما تقدم.

قتله الباطنية بباب مراغة يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة ثم نقل إلى بغداد فدفن بها رحمه الله وويل بالرحمة ثراه وجعل الجنة منزله ومأواه.

ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود، بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كبه له والده المسترشد حين أسره، التزم له بأربعمئة ألف دينار، فامتنع من آداء ذلك وقال: ليس بيننا وبينكم إلا السيف. فوقع بينهما الخلف، فاستجاش السلطان بالمسافر، واستنهض الخليفة الأمراء، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء، والتف على الخليفة خلاصا، وجاء في غيوبة ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فخطب له الخليفة ببغداد، وخلع عليه، وبايعه على الملك، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد، ومضى الجيش بين يديه كما كانوا يعاملون به أباه قبله، وذلك يوم الأربعاء سابع شعبان، وخرج السلطان داود من جانب آخر، فلما بلغهم كثرة الجيوش مع السلطان مسعود، حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل، واتفق دخول السلطان مسعود إلى بغداد في غيبتهم، يوم الاثنين، رابع شوال، فاستحوذ على دار الخلافة، بما فيها جميعه، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي، والمصاغ، والثياب التي للزينة، وغير ذلك، وجمع القضاء، والفقهاء، وأبرز لهم خط الراشد، أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان، فقد خلع نفسه من الخلافة، فأنقذت من أفتى من الفقهاء بجلعه، فخلع في يوم الاثنين، سادس عشر شهر ذي القعدة، بحكم الحاكم، وقتيا أكثر الفقهاء، وكانت خلافته أحد عشر شهرا وأحد عشر يوما، واستدعى السلطان بعمه المقتضي بن المستظهر، فبيع بالخلافة، عوضا عن ابن أخيه الراشد بالله.

صدقة بن ديس وولي أخاه عمدا مكانه على الحلة، وهرب الخليفة الراشد المخلوع، فدخل أصبهان، فقتله رجل عن كان يخدمه من الخراسانية، وكان قد برا من وجع أصابه، فقتله في الخامس والعشرين من رمضان، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان. وقد كان حسن اللون، مليح الوجه شديد القوة مهيا، إله أم ولد.

وفيهما كسى الكعبة رجل من التجار، يقال له راسد الفارسي، بشمانية عشر ألف دينار، وذلك لأنه لم تأتاه كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك.

وفيهما كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة، والعراق، فاتهدم شيء كثير من البيوت، ومات تحت الهدم خلق كثير وجثم غفير.

وفيهما كان بغراسان غلاء شديد حتى أكلوا الكلاب.

وفيهما أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص، في الحرم، وتزوج في رمضان بالسنة زمرد خاتون، أم صاحب دمشق، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية.

وفيهما ملك صاحب الروم مدينة بزاعة، وهي على ستة فراسخ من حلب، فجاء أهلها الذين نغوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد، فتمت الخطبة ببغداد، وجرت فتن طويلة.

وفيهما تزوج السلطان مسعود، سفري بنت ديس بن صدقة، وزينت ببغداد لذلك سبعة أيام.

قال ابن الجوزي: فحصل بسبب ذلك فساد عريض، طويل، منتشر. ثم تزوج ابنة عمه، زينت ببغداد ثلاثة أيام أيضا.

وفيهما ولد السلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب بن شاذي بقلعة تكريت.

وفيهما حج بالناس الأمير نظر الحاد، وكذا في السنوات التي قبلها، أثابه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الخبلي، سمع الحديث، وتفقه على أبي الخطاب الكلواني، وأفتى، ودرس، وناظر، وكان أسعد المهية يقول: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلعه. وقد تخرج به ابن الجوزي، وأشد عنه قوله:

تميت أن تسمي فقيها مناظرا بغير عناء فالجنون قسود وليس اكتساب المال دون مشقة تلقينا، فالعلم كيف يكون

■ عبد المعمر بن عبد الكريم بن هوازن، أبو المظفر القشيري، آخر من بقي منهم، سمع أباه، وأبا بكر البيهقي، وغيرهما، وسمع منه عبد الوهاب الأنماطي، وأجاز ابن الجوزي، وقارب التسعين.

■ محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر، أبو الحسن الكرجي، سمع الكثير في بلاد شتى، وكان فقيها شافعيًا، تفقه بأبي إسحاق، وغيره من أئمة الشافعية، وكان أدبًا شاعرًا فصيحًا، وله مصنفات كثيرة، منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة، وله تفسير، وكتاب في الفقه وكان لا يقنت في الفجر، ويقول: لم يصح ذلك في حديث، وقد كان إمامنا الشافعي يقول: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي هذا الحافظ. وقد كان حسن الصورة، جميل المعاشرة، ومن شعره قوله:

عمد هذا، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق، وتفقه، وأفتى، وناظر، ووعظ، وكان ظريفا، حسن الوجه، جميل المعاشرة، كثير التبسم، وأمل أكثر من ألف مجلس، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، حتى كان يقال: الفراوي ألف راوي. وقيل: إن ذلك كان مكتوبا في خاتمة. وقد أسمع صحيح مسلم قريبا من عشرين مرة. توفي في شوال من هذه السنة، عن تسعين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها كثر موت الفجأة بأصبهان، فمات الوف من الناس، وأغلقت دور كثيرة.

وفيهما تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه، على صداق مائة ألف دينار، فحضر أخوها السلطان مسعود المعقد، وجماعة من أعيان الدولة، والوزراء، والأمراء، وثر على الناس أنواع النثار.

وفيهما صام أهل بغداد رمضان، ثلاثين يوما، ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين، مع كون السماء كانت مصحبة.

قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يقع مثله.

وفيهما هرب وزير صاحب مصر، وهو تاج الدولة بهرام النصراني، وقد كان تمكن في البلاد، وأساء السيرة، فطلبه الخليفة الحافظ، حتى أخذه، فسجنه، ثم أطلقه، فترهب، وترك العمل، فاستوزر بعده رضوان بن الرنجي، ولقبه الملك الأفضل، ولم يلقب وزير بذلك قبله، ثم وقع بينه وبين الخليفة، فلم يزل به الخليفة حتى قتله، واستقل بتدبير أموره وحده.

وفيهما ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان.

وفيهما ظهر بالشام سحب أسود، أظلمت له الدنيا، ثم ظهر بعده سحب آخر، كأنه نار أضاءت له الدنيا، ثم جاءت ريح عاصف، ألقت أشجارا كثيرة، ثم وقع مطر شديد، وسقط برد كبار.

وفيهما قصد ملك الروم بلاد الشام، فآخذ بلدا كثيرة من أيدي الفرنج، وأطاعه الكيون بن ملك الأرمن.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن أبو سعد الحنجلي، تفقه على والده الإمام أبي بكر الحنجلي الأصبهاني، وولي تدريس النظامية ببغداد مرارا ويعزل عنها، وقد سمع الحديث، ووعظ، وتوفي في غرة شعبان منها وقد قارب التسعين.

■ هبة الله بن أحمد بن عمر الحروي، يعرف بابن الطبر، سمع الكثير، وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحر، وقد حدث عنه أبو بكر الخطيب، وكان ثباتا، صحيح السماع، كثير الذكر والتلاوة، عتقا بحواصه وقراء، إلى أن توفي في جمادى الأولى في هذه السنة، عن ست وتسعين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها قتل الخليفة الراشد المخلوع، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود، وجماعة من كبار الأمراء، فقصدوا قتال السلطان مسعود بارض مراغة، فهزمهم، وبدد شملهم، وقتل منهم خلقا صبرا، بين يديه منهم

ولست أرى تذكارهم بعد خيركم بمكرمة، حسي امتزازكم حسي

تسامت داره عني ولكن خيال جلاله في القلب ساكن
إذا امتلأ الفؤاد به فساداً يضر إذا خلت منه الأماكن

توفي رحمه الله، وقد جاوز التسعين.

الخليفة

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت زلزلة عظيمة، بمدينة جزرة، فمات بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفاً، وصار مكانها ماء أسود، عشرة فراسخ، في مثلها، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة.

وفيها وضع السلطان مسعود مكوساً كثيرة عن الناس، وكثرت الأدمية له.

وفيها كانت وقعة عظيمة، بين السلطان سنجر، وخوارزم شاه، فهزمه سنجر، وقتل ولده في المعركة، فحزن عليه والده حزناً شديداً.

وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين، قتل ثلاثة من خواصه ليلاً، وهربوا من القلعة، فأدرك اثنتان، فسلبا، وأفلت واحد وملك بعده أخوه كمال الدين محمد بن تاج الملوك، وكان يعلي بك قبل ذلك، فملك بعده يعلي بك عماد الدين زنكي، واستتاب عليها الأمير نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين والملك المعادل أبي بكر وذرتهما.

وفيها صرف اليهود والنصارى عن المباشرات، ثم أعيدوا قبل شهر. وحج بالناس فيها نظر الخادم.

وفيها توفي من الأعيان

■ زاهر بن طاهر بن محمد، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الشحامى: المحدث، المكش، الرجال الجوال، سمع الكثير، وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس، ويقال: إنه كان به مرض يكثر بسببه الجمع بين الصلوات فتكلم فيه أبو سعد السمعاني، وقال: إنه كان يخل بالصلوات. وقد رد ابن الجوزي على السمعي بغير المرض، فإله أعلم.

ويبلغ حساً وثمانين سنة، وكانت وفاته بنيسابور، في ربيع الآخر، ودفن بمقبرة يحيى بن يحيى.

■ علي بن الملح، أبو القاسم الكاتب، وقد خلع عليه المسترشد، ولقبه جمال الملك، وأعطاه أربعة دور، وكانت له دار إلى جانبهم، فهدمهم كلهن، واتخذ مكانهن داراً هائلة، طوله ستون ذراعاً في عرض أربعين وأطلق له الخليفة اخشاباً وأجرّاً وذهباً فبناها، وعزم عليها ابن أفلح ماله جزيلاً، وكتب على أبوابها وطرزاتها أشعاراً حسنة، من نظمه، ونظم غيره، فمن ذلك ما هو على باب الدار

إن عجب الراؤون من ظاهري فباطني لـ علموا أعجب
شئني من كفه مزنة يحمل منها العارض الصيب
وذمعت روضة أخلاقه في ديار نورها منعيب
صلو كسا صدي من نوره شمساً على الأيام لا تعرب
وعلى الطراز مكتوب:

ومن المروءة للفتى ما عاش دار فـ آخره
فائق من الدنيا بها وأعمل لدار الآخرة
هاتيك وانيسة بما وعدت وهذي ساحره

■ الراشد منصور بن المسوشد ولي الخلافة بعد أبيه ثم خلع فذهب مع العماد زنكي إلى أرض الموصل ثم جمع جمعاً قاتل مع الملك مسعود في هذه السنة فهزمهم فذهب إلى أصبهان، فقتل بها بعد مرض أصابه. فقبل إنه سم، وقيل قتله الباطنية وقيل قتله الفراهيون الذين كانوا يلون أمره، فإله أعلم.

وقد حكى ابن الجوزي، عن أبي بكر الصولي، أنه قال: الناس يقولون: كل سادس يقوم بأمر الناس، من أول الإسلام، لا بد أن يخلع.

قال ابن الجوزي: فنامت ذلك، فرايته عجبا، قام رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن فخلع، ثم معاوية ويزيد، ومعاوية بن يزيد، ومروان، وعبد الملك، ثم عبد الله بن الزبير فخلع، وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد، وهشام، ثم الوليد بن يزيد فخلع، وقتل ولم ينتظم ليني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي، ثم أخوه المنصور، ثم المهدي، ثم الهادي، ثم الرشيد، ثم الأمين فخلع، وقتل ثم المأمون، والمعتصم، والواثق، والمعتز، ثم المستعبر، ثم المستنصر، ثم المستعبر فخلع وقتل ثم المعتز، والمعتصم، والمعتز، ثم المعتز فخلع ثم أعيد، فقتل ثم القاهر، والراضي، والمقي، والمستنصر، والمطيع، ثم الطائع فخلع ثم القادر، والقائم، والمقتدي، والمستنصر، والمسترشد، ثم الراشد فخلع، وقتل.

■ أنو شروان بن خالد ابن محمد القاشاني القيني، من قرية فين من قاشان، الوزير أبو نصر، وزير للسلطان محمود، وللخليفة المسترشد، وكان عاقلاً، مهيباً، عظيم الخلق، وهو الذي ألزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات، وكان سبب ذلك، أن أبا محمد الحريري كان جالساً ذات يوم في مسجد بني حرام من محال البصرة، فدخل عليهم شيخ ذو طمرين، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا رجل من سروج، يقال لي أبو زيد. فعمل الحريري المقامة الحرامية، واشتهرت في الناس، فلما طالعها الوزير أنو شروان أعجب بها، وكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها، فعمل عليها تمام خمسين مقامة، فهي هذه الشهيرة المتناولة بين الناس، وقد كان الوزير أنو شروان كريماً عفوياً غير أنه كان يُنسب إلى الشيع وقد ملحه الحريري فقال:

ألا ليت شعري والتمني نيلة وإن كان فيه راحة لأخي الكرب
أشدرون أني منذ تساءت دياركم وشط اقتلني من جنبكم الرحب
أكابد شرقاً ما يزال أواره يقلبي بالليل جنباً على جنب
وأذكر أيام التلاقي فأتني لتذكاريما بادي الأسى طائر اللب
ولي حنة في كل وقت إليكم ولا حنة الصادي إلى البلاد المذب
فوالله لـ أني كنت هواكم لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
وعما شجا قلبي المعنى وشفه وضامك بإهمال الإجابة عن كسي
وقد كنت لا أخشى مع الذنب جفوة فقد صرت أخشاهما وما لي من ذنب
ولما سرى الوفد العراقي نحوكم وأعوذني المسرى إليكم مع الركب
جعلت كتابي نائي عن ضرورة ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب
وشذت أيضاً بضعة من جوارحي تتيكم عن سر حالي وتستبي

وفي موضع آخر مكتوب:

وناد كان جنان الخلود
وأعطته من حادثات الزمان
فأضحى بيته على كل ما
تظلل الوندود به عكفاً
بقيت له يا جمال الملوك
وسالته فيك ريب الزمان
وأعارته من حسنها روتقا
أن لا تلسم به موتقا
بنى مغرباً كان أو مشرقا
ونمسي الضيق به طرقتا
وقا الفضل مهما أرادت البقا
ووقيت فيه السني يتقى

فما صدقت هذه الأمانى، بل عما قريب - بعد نيلها - اتهم الخليفة بأنه يكتب ديسا، فأمر بتخريب هذه الدار فلم يبق فيها جدار، وصارت خربة، بعد ما كان قد حُسن منها المقام والقرار، وهذه حكمة من قلب الليل والنهار، وتجري بمشيئة الأقدار، وقد أورد له ابن الجوزي أشياء حسنة من نظمه، فمن ذلك قوله:

دع المسوى لأناس يعرفون به
بلوت نفسك فيما لست تحبوه
أقن اصطباراً وإن لم تستطع جلدا
أحني الضلوع على قلب يحبرني
تساحو الریح من تجدد يهبجه
ومن ذلك قوله:

هذه الخيف وهاتيك منى
واحبس الركب علينا ساعة
فلما الموقف أعددنا البكا
زمناً كانوا وكنا جيرة
يتسايسوم أثيلات النقا
كان من غير تراض يتسا

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها حاصر زنكي دمشق، فحاصها الأتابك معين الدين أنر مملوك طغتكين، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمد بن بوري بن طغتكين، فأرسل معين الدين إلى أخيه جيمر الدين أبى، وهو يعلبك، فملكه دمشق، فذهب زنكي إلى يعلبك، فأخذها، واستاب عليها نجم الدين أيوب. وفيها دخل الخليفة المقتضي لأمر الله على الخاتون فاطمة أخت السلطان مسعود، وأغلقت بغداد أياماً وكان وقتاً مشهوراً. وفيها تزوج السلطان بنت أمير المؤمنين، وكان يوماً مشهوراً. وفيها نودي للصلاة على رجل صالح، فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر، فاتفق أن الرجل عطس فأفاق، وحضرت جنازة رجل آخر غيره، فصلى عليه ذلك الجمع الكثير. وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا.

وفيها ولد صاحب حماء تقي الدين عمر بن شهنشاہ بن أيوب بن شاذي.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن جعفر بن القراج أبو العباس الحربي، أحد العباد الزهاد، سمع الحديث، وكانت له أحوال صالحة، حتى كان يقال: إنه كان يرى في بعض السنين يعرفات، ولم يكن حج في تلك السنة.
■ عبد السلام بن الفضل أبو القاسم الجليبي، سمع الحديث، وتفقه على إلكيا المراسي، وبرع في الأصول، والفروع، وغير ذلك، وولي قضاء البصرة، وكان من خيار القضاة. رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد، وكانا قد أخلا مع المسترشد، سنة تسع وعشرين وخمسمائة فحفظهما السلطان سجنر عنده، حتى ردهما في هذه السنة.

وفيها كملت المدرسة الكمالية، ببغداد المنسوبة إلى كمال الدين، أبي الفتح حمزة بن طلحة، صاحب المخزن، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن بن الحفل، وحضر عنده الأعيان والرؤساء، رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد أبو القاسم الطلحي الأصهباني، سمع الكثير، ورحل، وكتب، وأملى بأصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس، وكان إماما في الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة، حافظا متقنا، توفي ليلة عيد الأضحى، وقد قارب الثمانين، ولما أراد الغسل تنحية الحرقه عن فرجه ردها بيده، وقيل: إنه وضع يده على فرجه.

■ محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجع بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، سمع الحديث، وتفرغ عن جماعة من المشايخ، وأملى الحديث في جامع القصر، وكان مشاركا في علوم كثيرة، وقد أسر في صفره، في أيدي الروم، فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر، فلم يفعل، وتعلم منهم خط الروم، وكان يقول: من خدم الخباير خلدته المناير. ومن شعره الذي أورد له ابن الجوزي عنه، وسمعه منه، قوله:

أحفظ لسائك لا تبح بثلاثة سن وسال إن سئلت، ومنع
فعلنى الثلاثة تنلى بثلاثة بمكفر وبماسد ومكذب
ومن ذلك قوله:

لي مدة لا يسد أبلنها فإذا انقضت وتصرفت مت
لو عاندني الأسد ضاربة ما ضرني ما لم يمي الوقت
ومن ذلك قوله:

بغداد دار لأهل العلم طيبة وللنفائس دار الضنك والضيقة
ظلللت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق
قال ابن الجوزي: بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة لم تتغير حواسه، ولا عقله.

وكانت وفاته في ثاني رجب من هذه السنة. وحضر جنازته الأعيان

والناس، ودفن قريبا من قبر بشر.

■ يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسن بن وهرة أبو يعقوب الفهماني، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وبيع في الفقه، والمناظرة، ثم اشتغل بالتعب، وصحب الصالحين، وأقام بالجلال، ثم عاد إلى بغداد، فوعظ بها، وحصل له قبول. توفي في ربيع الأول، ببعض قرى هراة.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها كانت حروب كثيرة، بين السلطان سنجر وبين السلطان خوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم شاه على مرو بعد هزيمة سنجر، فقتل بها، وأساء التبرير، بالنسبة إلى الفقهاء الحنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم شاه ثلاثمائة ألف مقاتل.

وفيها كُمل عمل شقّ النهروان، وخلع بهروز الشحنة بغداد شحنة بغداد على الصنّاع جباب الحريز الرومي، وركب هو والسلطان مسعود، في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار.

وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن، وعاد فترده، وترك العمل، ولزم داره.

وفيها عقدت الجمعة، بمسجد العباسيين، بإذن الخليفة.

وحج بالناس نظر الخادم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي، الدمشقي، ثم البغدادى، سمع الكثير، وتفرّد بمشايخ، وكان سماعه صحيحا، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة، نحو ثلاثمائة مجلس، وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

■ يحيى بن علي بن محمد بن علي، أبو محمد بن الطراح المدير، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير، وسمع، وكان شيخا حسنا، مهيبا، كثير العبادة، توفي في رمضان منها عن مئة وسبع سنين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها ملك عماد الدين زنكي الجديدة، وتقل آك مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نوابا من جهته.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من عماد زنكي، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود.

وفيها ملك عماد الدين زنكي بعض بلاد بكر.

وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه.

وفيها وجد رجل يفسق بصبي، فالتقى من رأس منارة.

وفي ليلة الثلاثاء، الرابع والعشرين من ذي القعدة، زلزلت الأرض. وحج بالناس نظر الخادم أتابه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد، أبو البركات الأنطاقي، الحافظ سمع الكثير وحدث وكان ثقة، ديناً، ورعاً، طليق الوجه، سهل الأخلاق، توفي في الحرم، عن ست وتسعين سنة.

■ علي بن طراد بن محمد بن علي الزيتي، الوزير، العباسي أبو القاسم، نقيب النقباء، على الطائفتين، في أيام المستظهر، ووزر للمسترشد، والمتنفي ثم عزل وأعيد ولم يلي الوزارة من العباسيين غيره، وقد سمع الكثير وأسمع، وتوفي في رمضان، عن ست وسبعين سنة رحمه الله تعالى.

■ الزنجشري محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم الزنجشري، صاحب الكشف في التفسير، والمفصل في النحو، وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وقد سمع الحديث، وطاف البلاد، في طلب العلم وجاور بمكة مدة، وكان يظهر مذهب الاعتزال، ويصرح بذلك في تفسيره، وينظر عليه، وكانت وفاته بخوارزم، ليلة عرفة من هذه السنة، عن ست وسبعين سنة رحمه الله ورضي عنه.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها أخذ العماد زنكي الرها، وغيرها من حصون الجزيرة، من أيدي الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم أموالا جزييلة، وأزاح عن المسلمين كربا شديدة كثيرة جزاء الله خيرا.

وحج بالناس أمير الجيوش نظر الخادم، وتنافس هو وأمير مكة، فذهب الحجاج وهم يطوفون.

وفيها توفي من الأعيان

■ إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر أبو البلور الكرخي، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وأبي سعد التتولي، حتى صار أوجده زمانه، فقها وصلاحاً، ومات في هذه السنة.

■ سعيد بن محمد بن عمر أبو منصور الرزاز، سمع الحديث، وتفقه بالزفالي، والشاشي، والمتولي، وإلكياهراسي، وأسعد الميهني وولي تدريس النظامية، وكان له سمت حسن، ووقار، وسكون، وكان يوم جنازته مشهوداً، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق.

■ عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الطوسي، أبو البركات الكوفي، ثم البغدادى، سمع الكثير، وكتب كثيرا، وأقام بدمشق مدة، وكانت له معرفة جيدة بالفقه، والحديث، والتفسير، واللغة، والأدب، وله تصانيف في النحو، وكان خشن العيش، صابرا تحسبا، توفي في شعبان من هذه السنة، عن سبع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة

فيها حصر علي بن ديبس أخاه محمدا، ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة، وملكها.

وفي رجب منها، دخل السلطان مسعود بغداد، خوفا من اجتماع عباس، صاحب الري، وعمد شاه بن عمود، ثم خرج منها في رمضان. وحج بالناس قايماز الأرجواني، مملوك أمير الجيوش، بسبب ما كان وقع بين نظر وأمير مكة في السنة الماضية.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن سليمان، أبو سعد الأسبهاني، ثم الغندادي، سمع الحديث، وكان على طريقة السلف، حلوا الشامل، مطرحا الكلفة، ربما خرج إلى السوق بقميص، وقلنسوة. وحج إحدى عشرة حجة، وكان يملئ الحديث، ويكثر الصوم، وتوفي بنهائون، في ربيع الأول، من هذه السنة، وقد قارب الثمانين.

■ علي بن أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو الحسن البزدي، تفقه بأبي بكر الشاشي، وسمع الحديث، وأسمعه، وكان له ولأخيه قميص وعمامة، إذا خرج هذا جلس الآخر في البيت، وكذا الآخر.

■ موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر، أبو منصور الجواليقي، شيخ اللغة في زمانه، باشر مشيخة اللغة بالنظامية، بعد شيخه أبي زكريا التبريزي مدة، وكان يوم بالمقضي، وربما قرأ عليه الخليفة شيئا من الكتب، وكان عاقلا، متواضعا في ملبسه، طويل الصمت، كثير التفكير، وكانت له حلقة يجامع القصر، أيام الجمع، وكانت فيه لكة، وكان يميل إلى جانب المغربي، معبر الملمات وكان فاضلا، لكنه كان كثير التعاس في مجلسه، فقال فيها بعض الأدباء:

بغداد عندي ذنبها لن يفيرا وعيوبها مكشوفة لن تسترا
كون الجواليقي فيها عليا لغة وكون المغربي معبرا
ماسور لكته يقول فصاحة والنورم يظننه معبر فسي الكرا

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

في مستهل ليلة ربيع الأول منها، احترق القصر الذي كان يبناء المسترشد، وكان في غاية الحسن، وكان الخليفة المقضي قد انتقل بجوارحه وحظاياه إليه، ليقم فيه ثلاثة أيام، فضا هو إلا أن انما، احترق عليهم القصر، بسبب أن جارية أخضت في يدها شمعة، فعلق لها يعض الأخشاب، فاحترق القصر، وسلم الله الخليفة وأهله، فأصبح تصالح بأشياء كثيرة، وأطلق خلقا من الحبسين.

وفي رجب منها، وقع بين الخليفة وبين السلطان مسعود واقع، فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد، فأغلقت ثلاثة أيام، حتى اصطلحا.

وفي يوم الجمعة المنتصف من ذي القعدة، جلس ابن العبدلي الواعظ، فتكلم والسلطان مسعود حاضر، وكان قد وضع على الناس مكسا في البيع فاحشا، فقال في جملة وعظه، يا سلطان العالم، أنت تطلق في بعض الأحيان للمعني إذا طرقت قريبا عما وضعت على المسلمين من هذا المكس، فهبني

مفنيا، وقد طرقت، فهب لي هذا المكس، شكرا لنعم الله عليك وأسقطه عن الناس، فأشار السلطان يده، أن قد فعلت، فضح الناس بالدعاء له، وكتب بذلك مسجلات، ونودي في البلد، بإسقاط ذلك المكس، ففرح الناس بذلك، ولله الحمد والمنة.

وفي هذه السنة قل المطر جدا، وقلت مياه الأنهار، وانتشر جراد عظيم، وأصاب الناس داء في حلوقهم، فمات بذلك خلائق كثيرة، فلنا لله وأنا إليه راجعون.

وفيها قتل الملك عماد الدين زنكي، بن قسيم الدولة آق سقر التركي، صاحب الموصل، وحلب، وغيرها من البلاد الشامية، والجزيرة، وكان عاصرا قلعة جعبر. وفيها سالم بن مالك العقيلي، فبرطل بعض عماليك زنكي، حتى قتلوه، في الليلة الخامسة من ربيع الأول، من هذه السنة. قال العماد الكاتب: وكان سكران فآله أعلم.

وقد كان زنكي من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، وشكلا، وكان شجاعا، مقدما حازما، خضعت له ملوك الأطراف، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية، وأجود الملوك معاملة، وأرقهم بالعمامة، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدين غازي، وبحلب نور الدين عمود، فاستعاد الملك نور الدين هذا مدينة الرها، وكان أبوه قد فتحها. ثم عصوا، فقهرهم نور الدين.

وفي هذه السنة ملك عبد المؤمن صاحب المغرب، جزيرة الأندلس، بعد حروب طويلة.

وفيها ملكت الفرنج، مدينة طرابلس الغرب. وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك وفيها الأمير نجم الدين أيوب من جهة زنكي فسلمه القلعة، وأعطاه إمرته عنه بدمشق.

وفيها قتل السلطان مسعود حاجه عبد الرحمن بن طغئرك، وقتل عباسا صاحب الري، وألقى رأسه إلى أصحابه، فازعج الناس، ونهبوا خيام عباس وقد كان عباس هذا من الشجعان المشهورين، قتلت الباطنية مخلومه جوهر، فلم يزل يقتل منهم، حتى بنى مأذنة من رؤوسهم بمدينة الري.

وفيها مات تقيب التقياء ببغداد، محمد بن طراد الزيني، فتولى بعده علي بن طلحة الزيني.

وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة، وكانت قد بلغت مبالغ النساء، فماتت. فحضر جنازتها الأعيان.

وحج بالناس نظر الحادم.

وحج في هذه السنة نظام الدين بن جيهان الوزير

ومن توفي فيها من الأعيان

■ زنكي بن آق سقر تقدم ذكر شيء من ترجمته، في الحوادث وقد أطلب الشيخ أبو شامة في الروضتين [١١٨ - ١١٩/٩] في ترجمته، وما قيل فيه من نظم ونثر، رحمه الله.

■ سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد، أبو الحسن المغربي الأندلسي الأنصاري، رحل من الأندلس إلى الصين وسمع الحديث وتفقه بالقرطبي وحصل كتب نفيسة، وروى عنه ابن الجوزي، وغيره، وقد أوصى عند وفاته ببغداد أن يصلي عليه الغزنوي، وأن يدفن إلى جانب قبر عبد الله بن الإمام أحمد، وحضر جنازته خلائق من الناس.

أبو محمد

■ عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي، الرشاشي الحافظ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأذهار، في أسباب الصحابة ورواة الآثار، وهو من أحسن المصنفات الكبار، قتل شهيدا، صبيحة يوم الجمعة، العشرين من جمادى، بالرية.

■ نصر الله بن محمد بن عبد القوي، أبو الفتح اللاذلي، المصيصي، الشافعي، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقتضي، بصور، وسمع بها منه، ومن أبي بكر الخطيب، وسمع ببغداد، والأنبار، وكان من مشايخ الشام، فتيها في الأصول والفروع، وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز التسعين بارب سنين رحمه الله

■ هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة أبو السعادات بن الشجري النحوي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وسمع الحديث، وانتهت إليه رئاسة النحاة.

قال: ما سمعت بيتا في الذم، أبلغ من قول مسكويه

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم بضيع وعند الأكثرين يضيع

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق، بالملك نور الدين عمود، صاحب حلب، على الفرنج، فركب سريعا، فالتقام بأرض بصرى، فهزمهم، ورجع، فنزل على الكسرة، وخرج ملك دمشق مجير الدين أبقي، فخنقه، واحترمه، وشاهد الدماشة حرمة نور الدين.

وفيها ملكت الفرنج المهدية، وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المزم بن باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بن زيري بأمله، وخاف على أمواله، فتمزقت في البلاد، ونزق هو أيضا في البلاد، واكتنهم الأقطار، وكان آخر ملوك بني باديس، كان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فدخل الفرنج إليها، وخزانتها مشحونة بالحواصل، والأموال، والعدد، وغير ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل، ومعهم ملك الألمان، في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل، دمشق، وعليها مجير الدين أبقي، وأتابك معين الدين، وهو مدير المملكة، وذلك يوم السبت، سادس ربيع الأول، فخرج إليهم أهلها، في مائة ألف وثلاثين ألفا، فاقتلوا معهم قتالا شديدا، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون، واستمرت الحرب مدة، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع، واجتمع الناس حوله، يدعون الله عز وجل، والنساء والأطفال مكشفي الرؤوس، يدعون، ويبكون، والرماد مفروش في البلد، فاستغاث أبقي بنور الدين عمود صاحب حلب، وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل، فقصدها سريعا في نحو من سبعين ألفا، بمن انضاف إليهم من الملوك، وغيرهم.

فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش، غوهم أجلاوا عن البلد، فلحقهم الجيش، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وجما غفيرا، وقتلوا فيمن قتلوا معهم قيسا اسمه إلياس، وهو الذي أغراه بدمشق، وذلك أنه اقترى مناما عن المسيح، أنه وعده فتح دمشق، فقتل لعنه الله وقد كدأوا يأخذون البلد، ولكن الله سلم، وحماها بحوله وقوته. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

■ شافع بن عبد الرشيد بن القاسم، أبو عبد الله الجليلي الشافعي، تفقه على إلكيا المراسي وعلى الغزالي، وكان يسكن الكرخ، وله حلقة بجامع المنصور، في الرواق.

قال ابن الجوزي، وكنت أحضر حلقة.

■ عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد سبط أبي منصور الزاهد، قرأ القراءات، وصنف فيها، وسمع الحديث الكثير، واقتنى الكتب الحسنة، وأم في مسجده نيفا وخمسين سنة، وعلم خلقا القرآن.

قال ابن الجوزي: ما سمعت أحدا أحسن قراءة منه، وحضر جنازته خلق كثير.

■ عباس شحنة الري توصل إلى أن ملكها، ثم قتله السلطان مسعود كما ذكرنا وقد كان كثير الصدقات، والإحسان إلى الرعية، وقتل من الباطنية خلقا، وابتنى من رؤوسهم منارة بالري، وتأسف الناس عليه رحمه الله

■ محمد بن طراد بن محمد التزنجي، أبو الحسن نقيب الهاشميين وهو آخر علي بن طراد الوزير، سمع الكثير من أبيه، وعنه أبي نصر، وغيرهما، وقلوب السبعين.

■ وجهه بن طاهر بن محمد أبو بكر الشحام، آخر زاهر، وقد سمع الكثير من الحديث، وكانت له معرفة به، وكان شيخا حسن الوجه، سريع اللمعة، كثير الذكر، صحيح السماع، صدوق للهجة، توفي ببغداد في هذه السنة رحمه الله تعالى ورضي عنه أمين

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها ملكت الفرنج، عدة حصون، من جزيرة الأندلس.

وفيها ملك نور الدين عمود بن زنكي عدة حصون من أيدي الفرنج بالسواحل وغيرها.

وفيها خطب للمستجد بالله بولاية العهد، من بعد أبيه المقتني.

وفيها ولي عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام، وولي زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرة المخزن المعمور.

وفيها اشتد الغلاء بإفريقيا، وهلك بسببه أكثر الناس، حتى خلت المنازل، وأقفلت المعامل.

وفيها تزوج سيف الدين غازي بنت صاحب ماردتين، حسام الدين غمراش بن ارتق، بعد أن حاصره، فصالحه على ذلك، فحملت إليه، إلى الموصل، بعد ستين، وهو مريض، قد أشرف على الموت، فلم يدخل بها، حتى مات، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب الدين مودود، فتزوجها.

قال ابن الجوزي: وفي صفر، رأى رجل في المنام، قائلا يقول: من زار قبر أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم يبق خاص، ولا عام، إلا زاره.

قال ابن الجوزي: وعقدت يومئذ مجلسا، فاجتمع فيه ألوف من الناس.

وعن توفي فيها من الأعيان

■ أسعد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، أبو منصور سمع الحديث الكثير، وكان خيرا، صالحا، عمتا بحواسه، وقواه، إلى حين الوفاة، وقد جاوز المائة، بنحو من سبع سنين رحمه الله

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة القاضي

■ عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السقي، قاضيها، أحد مشايخ العلماء المالكية، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، الشهيرة منها الشفا، وشرح مسلم، ومشارك الأتوار، وغير ذلك، وله شعر حسن، وكان إماما في علوم كثيرة، كاللغة، واللغة، والحديث، والأدب، وأيام الناس، ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة، وتوفي يوم الجمعة، في جمادى الآخرة، وقيل في رمضان من هذه السنة، بمدينة سبتة. رحمه الله.

وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي، صاحب حلب بلاد الفرنج، فقتل منهم خلقا كثيرا وحما غفيرا وكان فيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم، ولله الحمد.

وكان قد استجد بمعين الدين بن أتابك دمشق، فأرسل إليه، بفريق من جيشه، صعبة الأمير مجاهد الدين بن مزان بن مامين، نائب صرخد، فابلوا بلاء حسنا، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعارا كثيرة، منهم ابن القيسراني، وغيره، وقد سردها أبو شامة في الروضتين (١٥٢/١).

وفي يوم الأربعاء، ثالث ربيع الآخر، استوزر للخلافة أبو المظفر يمين بن هيرة، ولقب عون الدين، وخلع عليه.

وفي رجب قصد ملكشاه بن محمود بشار، ومعه خلق من الأمراء، ومعه علي بن دبيس، وجماعة من التركمان، وغيرهم، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له، فامتنع من ذلك، وتكررت المكاتبات، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم، فتعادى عليه، وضاق النطاق، واتسع الحرق على الرافع، وكذب الملك سنجر إلى ابن أخيه مسعود يستحثه إن لم يسرع المشي إلى الخليفة، فما جاء إلا في أواخر السنة، فانقضت تلك الشرور كلها، وتبدلت سرورا أجمعها.

وفي هذه السنة، زلزلت الأرض زلزلا شديدا، وعموجت الأرض عشر مرات، وتقطع جبل بجلوان، وانهدم الرباط البهروزي، وهلك خلق كثير بالبرسام، لا يتكلم المرضى حتى يموتوا.

وفيها مات سيف الدين

■ غازي بن زنكي، صاحب الموصل، وملك بعده أخوه قطب الدين مردود بن زنكي، وتزوج بامرأة أخيه، التي لم يدخل بها، فاحتوت بنت تمرناش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين، فولدت له أولادا، كلهم ملوكا الموصل، وكانت هذه الحاتون، تضع حمارها بحضرة عشرة ملوكا. وفيها مار الملك نور الدين محمود إلى سنجار، ففتحها، فجهز إليه أخوه قطب الدين مردود جيشا، ليرده عنها، ثم اصطالحا، فموضه منها الرحبة، وحصن، واستمرت سنجار لقطب الدين، وعاد نور الدين إلى بلده. وغزا في هذه السنة الفرنج، فقتل منهم خلقا، وأمر البرنس صاحب أنطاكية، فمدحه الشعراء، منهم الفتح القيسراني، بقصيدة طنانة يقول في آخرها:

هذي المزاليم لا ما تضي القضب وني المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه المسم اللاتي متى خطبت تشرت خلفها الأشعار والخطب
صانعت يا ابن عماد الدين فروتها براحة للمسامي دونها تمب
ما زال جدك يسي كل شامقة حتى بنى قبة أوتادها الشهب

بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴿الفرقة: ٢٥١﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُرَاتُكُمْ وَيَتَّعِصَلُوا وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠) ومدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها، لأنها الحلة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها معقل الإسلام عند الملاحم والفتن، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وقد قتل الفرنج خلقا كثيرا من أهل دمشق، ومن قتلوا الفقيه الكبير، الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها، أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي، بأرض النيرب، ودفن بمقابر باب الصغير، وكان مجير وقد صالح معين الدين الفرنج عن دمشق بانياس، فرحلوا عنها، وتسلموا بانياس.

وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمرائه، ففارقوه، وقصلوا بغداد، فاقتلوا مع العامة، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، من الصغار، والكبار، ثم اجتمعوا قبالة التاج، وقبلوا الأرض، واعتزلوا إلى الخليفة بما وقع، وساروا نحو النهروان، ففارقوا في البلاد، ونهبوا أهلها، ففلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك.

وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدماغماني، بعد وفاة الزنبي.

وفيها ملك سوري بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم، من أولاد سبكتكين، إلى فرغانة، فاستغاث بملكها، وجاء بجيوش عظيمة، فالتقت غزنة من يد سوري، وأخذته أسيرا، فصلبه، وقد كان كريما جوادا، كثير الصدقات.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن محمد بن لبهان بن حمز الغوري الرقي، سمع الحديث، وتفقه بالشافعي، والغزالي، وكتب شيئا كثيرا من مصنفاته، وقرأها عليه، وصحبه كثيرا، وكان حسنا مهيا، كثير الصمت، بهي السمت توفي في ذي الحجة من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين.

■ شاهان شاه بن أيوب بن شادي، استشهد مع نور الدين، وهو والد الست عذراء، واقفة المنراوية، وتقى الدين عمر، واقف التوقية وغير ذلك.

■ علي بن الحسين بن محمد بن علي الزنبي، أبو القاسم الأكميل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي، قاضي القضاة ببغداد وغيرها، سمع الحديث، وكان فقيها، رئيسا، وقررا، حسن الهيئة والسمت، قليل الكلام، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل، وجرت له فصول، ثم عاد إلى بغداد، فمات بها في هذه السنة، وقد جاوز الستين، وكانت جنازته حافلة رحمه الله رحمة واسعة.

أبو الحجاج

■ يوسف بن دوناس الفندلاوي شيخ المالكية بدمشق، قتل يوم السبت، سادس ربيع الأول، قريبا من الروبة، في أرض النيرب، هو والشيخ عبد الرحمن الحلحول أحد الزهاد، قلا معا رحمهما الله تعالى.

وفيهما فتح نور الدين حصن أقمية، وهو قريب من حماة.

وفيهما مات صاحب مصر

■ الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر، فقام بالأمر من بعده ولده الظاهر إسماعيل، وقد كان أحد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ، وخطب بمصر للقيام آخر الزمان وأذن بحي على خير العمل، وللحافظ وضع طبل القولنج، الذي إذا صرعه من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذي به.

وخرج بالحجيج الأمير نظر الخادم، فمرض بالكوفة فرجع، واستخلف عليهم مولاه قيمانز، وحين وصوله إلى بغداد توفي بعد أيام، فطمعت العرب في الحجيج، فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون، فضعف قيمانز عن مقاومتهم، فأخذ لنفسه أماناً وهرب، وأسلم إليهم الحجيج، فقتلوا أكثرهم، وأخذوا أموال الناس، وقل من سلم فيمن نجوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيهما مات معين الدين أنز أتاك العساكر بدمشق، وكان أحد مماليك طغتكين، ثم كان بعد ذلك أتاك الملوك بدمشق وهو والد الست عصمة الدين خاتون زوجة الملك نور الدين، وهو واقف المدونة المعينية، داخل باب الفرج، وقبره في قبة قيس الشامية البرانية، بمحلة العونية، عند دار البطيخ.

ولما مات معين الدين، قرئت شوكة الوزير الرئيس، مؤيد الدولة على ابن الصوفي، وأخيه زين الدولة حيدرة، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أبى وحشة، اقتضت أن حشداً من العامة والغوغاء ما يقاومه، فاقتلوا، فقتل خلق من الفريقين. ثم وقع الصلح بعد ذلك وامتدحه الشعراء.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي أبو نصر الوزير للمسترشد، والسلطان محمود، وقد سمع الحديث، وكان من خيار الوزراء رحمه الله.

■ أحمد بن محمد بن الحسين الأراجاني، قاضي تستر، روى الحديث، وكان له شعر حسن يتكرر معاني حسنة، فمن ذلك قوله:

ولما بلوت الناس اطلب منهم
أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تعلمت في حالي رغاء وشدة
وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت
ولم أر فيما سرني غير حاسد
فطلعت ود المالبين جميعهم
ورحت فلا الهوى على غير واحد
تمتعت بما ناظرني بنظرة
وأوردنا قلبي أمراً للسلواد
أعيبني كفا عن فساد فأنه
من البني سعي اثنين في قتل واحد

■ عيسى بن هبة الله بن عيسى، أبو عبد الله النقاش، سمع الحديث، ومولده سنة سبع وخمسين وأربعمئة.

قال ابن الجوزي: وكان ظريفاً خفيف الروح، له نوادر حسنة، قد رأى الناس، وعاشر الأكياس، وكان يحضر مجلسي، ويكاتبني، وأكاتبه، كتب إليه مرة، فعمدته في الكتابة، فكتب إلي:

قد زدني في الخطاب، حتى
حسبت نقصاً من الزيادة
فاجعل خطابي خطاب مثلي
ولا تغير علي عاده

وله:

إذا وجد الشيخ في نفسه
نشاطاً فذلك موت خفي
أنت ترى أن ضوء السراج
له لمب قبل أن ينطفئ

■ غازي بن آق سقر الملك سيف الدين صاحب الموصل، وهو آخر نور الدين محمود، صاحب حلب، ثم دمشق، فيما بعد، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، وأجودهم سريرة، وأصبحهم صورة، شجاعاً كريماً، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم، وللمالك ثلاثين رأساً، وفي يوم العيد ألف رأس، سوى البقر، والدجاج، وهو أول من حمل على رأسه سنق من ملوك الأطراف، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف، وديوس، وبني مدرسة بالموصل، ورباطاً للصوفية، وامتدحه الحيف بيصر، فأعطاه ألف دينار عيناً، وخلعة.

ولما توفي بالحمل، في جمادى الآخرة من هذه السنة، دفن في مدرسته المذكورة، وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً، رحمه الله.

■ نظر الخادم أمير الحاج، مدة عشرين سنة وأكثر، سمع الحديث، وقرأ على ابن الزاغوني، وكان يحب العلم، والصدقة والبر، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة، والأمن، وذلك لشجاعته، ووجاهته عند الخلفاء، والملوك والأمراء.

توفي ليلة الثلاثاء، الحادي عشر من ذي القعدة، ودفن بالرصافة.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

فيها فتح نور الدين محمود حصن أقمية، وهو من أحصن القلاع، وقيل فتحه في التي قبلها.

وفيهما قصد دمشق، لياخذها، فلم يفتق له ذلك، فخلع على ملكها مجير الدين أبى وعلى وزيره الرئيس ابن الصوفي، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة، والسلطان، وكذلك السكة.

وفيهما فتح نور الدين حصن عزاز، وأسر ملكها ابن جوسليق، ففرح المسلمون بذلك، ثم أسر بعده والده جوسليق الملك الفرنجي، فتزايدت الفرحة بذلك، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده.

وفي الحرم منها، حضر يوسف الدمشقي تدريس النظامية، وخلع عليه، وحضر عنده الأعيان ولما لم يكن ذلك بإذن الخليفة، بل بمرسوم السلطان، وابن نظام الملك، منع من ذلك، فلزم بيته، ولم يعد إلى المدرسة بالكلية، وتولاهما الشيخ أبو النجيب، بإذن الخليفة، ومرسوم السلطان.

قال ابن الجوزي: وفي هذه السنة وقع مطر باليمن، كله دم، حتى صبغ ثياب الناس.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن ذي النون بن أبي القاسم، بن أبي الحسن، أبو المفاخر النيسابوري، قدم بغداد، فوعظ بها، وجعل ينال من الأشاعرة، فأجبت الخنابلة، ثم اختبروه، فإذا هو معتزلي، فقتل سوقه، وجرت بسية فتنة ببغداد، وقد سمع منه ابن الجوزي شيئاً من شعره من ذلك:

مات الكرام ومروا واتقصوا ومضوا
وقضوا ومات من يعلم تلك الكرامات
وخلفوني في قسوم ذوي سلفه
لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

إلى بغداد مؤيداً منصوراً، فزيت له البلد والله الحمد.
ولفها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بجاية، وهي بلاد بني حماد، فكان آخر ملوكهم، يحيى بن عبد العزيز بن حماد، ثم بعث جيشاً إلى صنهاجة، فحاصرها، وأخذ أموالها.
ولفها كانت وقعة عظيمة، بين نور الدين محمود، وبين الفرنج، فكسروهم، وقتل منهم خلقاً، ولله الحمد.

ولفها أقتل السلطان سنجر، وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسين أول ملوكهم، فكسره سنجر وأسر، فلما أحضره بين يديه قال له: ماذا كنت تصنع بي لو أسرني؟ فأخرج قيدا من فضة، وقال: كنت أريدك بهذا. فعفا عنه، وأطلقه إلى بلاده، فسار إلى غزنة، فأتزعتها من يد صاحبها، بهرام شاه السبكيني، واستخلف عليها أخاه سيف الدين، فغدر به أهل البلد وسلموه إلى بهرام شاه، فصلبه، ومات بهرام شاه قريبا، فسار إليه علاء الدين، فهرب خسرو بن بهرام شاه عنها، فدخلها علاء الدين، فنهبا ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشرا كثيرا، وسخر أهلها، فحملوا ترابا في غسال إلى محلة هناك، بعيدة عن البلد، فمعر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن. وبذلك انقضت دولة بني سبكين عن بلاد غزنة، وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلاثمائة، إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهادا في الكفرة، وأكثرهم أموالا، ونساء، وعددا، وعددا، وقد كسروا الأصنام، وأبادوا الكفار، وجعروا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد، وأكثرها ريفا، ومياها، ففي جميعه، وزال عنهم ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدُلُ الْخَيْرَ لَكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] ثم ملك الغور، والهند، وخراسان، واتسعت ممالكهم، وعظم سلطنتهم وحكى ابن الجوزي (في النظم: ٨٣/١٨) أن في هذه السنة، باض ديك بيضة واحدة، ثم باض باز يبيضتين، وياضت نعامه ليس لها ذكر، وهذا شيء عجيب!

ومن توفي فيها من الأعيان

■ المظفر بن أردشير أبو منصور العبادي، الراعظ، سمع الحديث، ودخل إلى بغداد، فأمل، ووعظ، وكان يكتب ما يعظ الناس به، فاجتمع له من ذلك مجلدات.

قال ابن الجوزي: لا تكاد تجد في المجلد خمس كلمات جيدة. وتكلم فيه، وأطال الخط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، فقرأ الناس إلى ما تحت الجدران، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحب نعمة، ولكن فروا من شرار نار اقتدح من زناد الغضب. توفي وقد جاوز الخمسين بقليل.

■ مسعود السلطان بن محمد بن ملكشاه بن ألب وعلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق الزكي السلجوقي صاحب العراق وغيرها، وحصل له من الثمك والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوب كثيرة وحروب طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسر في بعض تلك الحروب الخليفة المسترشد، كما تقدم، وكانت وفاته يوم الأربعاء، سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة.

■ يعقوب الخطاط الكاتب توفي بالنظامية، فجاء ديوان الخشيرية ليأخذوا ميراثه، لبيت المال فمتهم الفقهاء، فجرت فتنة عظيمة، أكل الحال

■ عبد الملك بن عبد الوهاب الخليلي القاضي بهاء الدين، كان يعرف مذهبي أبي حنيفة وأحمد، وينظر عنهما، ودفن مع أبيه وجده، بقبور الشهداء.

■ عبد الملك بن أبي نصر بن عمر أبو المعالي الخليلي، كان فقيها، صالحا، ديناً متعبدا، فقيرا، ليس له بيت يسكنه، وإنما بيت في المساجد المهجورة، وقد خرج مع الحجيج، فأقام بمكة يعبد ربه، ويفيد العلم، فكان أهلها ينتون عليه خيرا.
الفيقي أبو بكر

■ ابن العربي المالكي، شارح الترمذي، كان فقيها عالما، وزاهدا عابدا، وسمع الحديث بعد اشتغاله في الفقه، وصحب الغزالي وأخذ عنه، وكان يتهمه برأي الفلاسفة، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

فيها أغار جيش السلطان على بلاد الإسماعيلية، فقتلوا خلقا، ورجعوا سالمين.

وفيها حاصر نور الدين دمشق شهراً، ثم ترحل عنها إلى ديارب، وكان الصلح على يدي البرهان البلخي.

وفيها أقتل الفرنج، وجيش نور الدين محمود، فانهزم المسلمون، وقتل منهم خلق، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولما وقع هذا الأمر، شق ذلك على نور الدين، وترك الترفة، وهجر اللذة حتى يأخذ بالثار، وأغرى بهم جماعة من التركمان، فترصدوا للملكهم جوسلين الإفريقي، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيداته، فأرسل نور الدين فكبس التركمان، وأخذ منهم جوسلين أسيرا، وكان من أعنى الكفرة، وأعظم الفجرة، فلوقة بين يديه في أذل حال، ثم سجنه. ثم سار نور الدين إلى بلاده، فأخذها كلها بما فيها.

وفي ذي الحجة، جلس ابن العبادي في جامع المنصور، وتكلم وعنده جماعة من الأعيان، فكادت الحنابلة يسيرون فتنة ذلك اليوم، لكونه غير حنبلي ولكن لطف الله وسلم.
وحج بالناس فيها قانماز الأرجواني.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ برهان الدين أبو الحسن علي البلخي شيخ الحنفية بدمشق، درس بالبلخية، ثم بالحنفية البرانية، وكان عالما عاملا، ورعا زاهدا، ودفن بمقابر باب الصغير.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها توفي السلطان مسعود، وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود، ثم جاء السلطان محمد، وأخذ الملك، واستقر له، وقتل الأمير خاص بك، وأخذ أمواله، وألقاه للكلاب، فاختبعت ببغداد واضطربت الأمور وتغيرت القواعد وبلغ الخليفة أن واسطاً قد تحببت أيضا، فركب إليها في الجيش، في أبهة عظيمة، وأصلح شأنها، وكر على الكوفة، المحلة، ثم عاد

إلى عزل مدرستها الشيخ أبي النجيب، وضربه في الديوان تعزيراً.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، ببلاد بلخ قتلوا من جيشه خلقاً كثيراً، بحيث صارت القتلى مثل التلال العظيمة، وأسروا السلطان سنجر، وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً، ولما أحضره، قاموا بين يديه، وقبلوا الأرض له، وقالوا نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار، فأقام شهرين، ثم أخذوه، وساروا به، فدخلوا مرو، وهي كرسي مملكة خراسان، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً، فقال سنجر: هذا لا يمكن، هذه كرسي المملكة. فضحكوا منه، وأضرب به بعضهم فتزل عن سرير المملكة، ودخل خاتمه، وصار فقيراً، من جملة أهلها، وتاب عن الملك، واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد، فنهبوا، وتركوها قاعاً صفصفاً، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً، وأقاموا سليمان شاه ملكاً، فلم تطل أيامه، حتى عزلوه، ولولا ابن أخت سنجر الخاقان محمود بن محمد بن كوخان، وتفرقت الأمور، واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك، وصارت الدولة دولا.

وفيها كانت حروب كثيرة، بين عبد المؤمن، وبين العرب ببلاد المغرب. وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من السواحل. وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل، فأصلح شأنها، وعاد إلى بغداد.

وحج بالناس فيها قايمز الأرجواني.

وفيها كانت وفاة الشاعرين، القرنين، المشبهين، في الزمان الأخير بالفرزدق وجبرير وهما:

أبو الحسن

■ أحمد بن منير الجوني بجلب.

وأبو عبد الله

■ محمد بن نصر بن صغير القيسرائي الحلبي بدمشق رحمه الله.

و■ علي بن السلال الملقب بالمعالذ وزير الظافر صاحب مصر، وهو باني المدونة بالإسكندرية للشافية، للحافظ أبي طاهر السلفي، وقد كان المعالذ هذا ضد اسمه، كان ظلوماً غشوماً، حظوماً، وقد ترجمه ابن خلكان.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها ركب الخليفة المقتضي، في جيش كثيف، إلى تكريت، فحاصر قلعتها، ولقي هناك جمعا من الأتراك، والتركمان، فأظفرو الله بهم، وهزمهم له، وأعلى كلمته عليهم ثم عاد إلى بغداد مؤيداً منصوراً. وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفته الظافر، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس سنين، وقد ولوه عليهم، ولقبوه الفائز، فكتب الخليفة عهداً للملك نور الدين محمود بن زنكي، بالولاية على بلاد الشام، والديار المصرية، وأرسله إليها.

وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار، فخاف الناس أن تكون الساعة، وزلزلت الأرض، وتغير ماء دجلة إلى الحمرة، وظهر بأرض واسط

بالأرض دم لا يعرف سببه، وجاءت الأخبار أن الملك سنجر في أسر الترك، وهو في غلبة الذل والإهانة، وأنه يبكي على نفسه في كل وقت.

وفيها التزع الملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق من يد ملكها مجير الدين أبق بن محمد بن بوردي بن طغتكين، وذلك لسوء سيرته، وضعف دولته، ومحاصرة العامة له في القلعة غير مرة مع وزيره الرئيس مؤيد الدولة المسيب بن الصوفي، وتغلب الخادم عطاء على المملكة، مع ظلمه، وغشمه، وكان الناس يدعون الله ليلاً ونهاراً أن يدهم بالملك نور الدين، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان، فحزن فتحرق نور الدين على ذلك، ولا يمكنه الوصول إليهم، لأن دمشق بينه وبينهم، ويخشى أن يحاصروا دمشق، يتسبم فينبعث ملكها إلى الفرنج فينجذونه كما جرى غير مرة، لأن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق، لأنه بها عليهم، ولا يطبقونه، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه، في ألف فارس، في صفة طلب الصلح، فلم يلتفت إليه مجير الدين، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد، فكتب إلى نور الدين بذلك، فركب الملك نور الدين في جيشه، فتزل عيون الفاسرياء من أرض دمشق، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي، ففتحها قهراً، ودخل البلد بعد حصار عشرة أيام، وكان دخوله في يوم الأحد، عاشر صفر، من هذه السنة، وتحصن مجير الدين في القلعة، فأنزله منها، وعوضه مدينة حصص ودخل نور الدين القلعة، واستقرت يده على دمشق، ولله الحمد. فنادى في البلد بالأمان، والبشارة بالخير، ثم وضع عنهم المكوس، وقرئت عليهم التواقيع على المنابر، ففرح الناس بذلك، وأكثروا الدعاء له، وكتب ملوك الفرنج إليه، يهتونه بدمشق، ويتربسون إليه، ويخضعون له.

ومن توفي فيها من الأعيان

الرئيس مؤيد الدولة

■ المسيب بن الصوفي وزير دمشق مجير الدين، وقد ثار على الملك غير مرة، ويستفحل أمره، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم.

■ عطاء الخادم أحد أمراء دمشق، وقد تغلب على الأمور أيام مجير الدين، وكان يتوب بعبك في بعض الأحيان، وقد كان ظالماً غاشماً وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم.

ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية

فيها خرج الخليفة المقتضي لأمر الله في تحمل عظيم إلى دقوقا، فحاصرها، فخرج إليه أهلها فسألوه أن يرحل عنهم، فإن أهلها قد ملكوا بين الجيشين، فأجابهم، ورحل عنهم، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف، ثم خرج نحو الحلة، والكوفة، والجيش بين يديه، وقال له سليمان شاه: أنا ولي عهد سنجر، فإن قررت لي ذلك، وإلا فأنا كاحد الأمراء. فوعده خيراً، وكان يحمل الغاشية بين يدي الخليفة على كاهله، فهدد الأمور، وسلم علي مشهد على، إشارة بأصبعه، وكان قد عزم على دخول المشهد فنهاه الوزير ابن هبيرة عن ذلك كانه خاف عليه من غائلة الروافض، والله أعلم.

وفيها افتتح نور الدين بعلبك، عوداً على يده، وذلك أن نجم الدين أيوب، كان نائباً بها على البلد، والقلعة، فسلمه إلى رجل، يقال له الضحاك البقاعي، فكتب نجم الدين لنور الدين، ولم يزل نور الدين يتلطف، حتى

أخذ القلعة أيضاً، واستدعى بنجم الدين أيوب إليه، إلى دمشق، فاقطعه إقطاعاً حسناً، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين، فإنه كانت له اليد الطولى، في فتح دمشق، للملك العادل نور الدين وجعل الأمير شمس الدولة توران شاه بن نجم الدين، شحنة دمشق، ثم من بعده، جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة، وجعله من خواصه، لا يفارقه، حضراً، ولا سفراً، لأنه كان حسن الشكل، حسن اللعب بالكرّة، وكان نور الدين، يحب لعب الكرة، لثمرتين الخيل، وتعليمها، الكر، والفر، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة الشاعر:

وريدكم يا لصوص الشام فإني لكم ناصح في مقال
فليحكم وسمي النبي يوسف رب الحجج والجمال
فذاك مقطع أيدي النساء وهذا مقطع أيدي الرجال
وقد ملك توران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك، وكان يلعب شمس الدولة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ، أبو الفضل البغدادي، ولد ليلة النصف من شعبان، سنة سبع وستين وأربعمائة، وسمع الكثير، وتفرد بمشايخ، وكان حافظاً، ضابطاً، مكثرًا من أهل السنة، كثير الذكر، سريع النعمة.

وقد تخرج به جماعة، منهم الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي، سمع بقراءته مسند الإمام أحمد، وغيره من الكتب الكبار، وكان يثني عليه كثيراً، وقد رُذِّ على أبي سعد السمعاني، في قوله في محمد بن ناصر: يجب أن يقع في الناس.

قال ابن الجوزي: والكلام في الجرح والتعديل، ليس من هذا القبيل، وإنما ابن السمعاني، يجب أن يتصعب على أصحاب الإمام أحمد، نعوذ بالله، من سوء القصد والتعصب.

كانت وفاة محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء، الثامن عشر من شعبان من هذه السنة، عن ثلاث وثلاثين سنة، وصلى عليه مرات، ودفن بباب حرب رحمه الله.

■ مجلي بن جميع بن نجى أبو المعالي المخزومي الأرسولي، ثم المصري، قاضيهما، الفقيه الشافعي، مصنف للخاتر، في المذهب وفيها غرائب كثيرة، وهي من الكتب المفيدة رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في الحرم منها، دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية، فلقاه الوزير ابن هبيرة، وأدخله على الخليفة قبلل الأرض، وحلفه على الطاعة، وصفاء النية، والمناصحة، والمودة، وخلع عليه خلع الملوك، وتقرر أن للخليفة العراق، ولسليمان شاه ما يقطعه من خراسان، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر، ثم خرج منها في ربيع الأول، فاقتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه، فهزموه محمد، وهزم عسكره، فلحق هارباً، فلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكي، صاحب الموصل، فأسره، وحجبه بقلعة

الموصل، وأكرمه مدة حبسه وخلعه، وهذا من أغرب الاتفاقات. وفيها ملكت الفرنج المهديّة من بلاد المغرب بعد حصار شديد. وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حارم، واقتلها من أيدي الفرنج، وكانت من أحسن القلاع، وأمنع البقاع، وذلك بعد قتال عظيم، ووقعة هائلة، كانت من أكبر الفتوحات، وامتدحه الشعراء عند ذلك.

وفيها هرب الملك سنجر من الأسر، وعاد إلى ملكه بمرو، وكان له في أيديهم نحو من خمس سنين. وفيها استعمل عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده، استتاب كل واحد في بلد كبير.

ذكر حصار بغداد

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى القاضي، بأمر الله يطلب منه أن يخطب له ببغداد، فلم يجبه إلى ذلك، فسار من همدان إلى بغداد ليحاصرها، فاستغل الناس، وحسن الخليفة البلد، وجاء السلطان محمد، فحصر بغداد، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم، ورموا نحوه بالنشاب، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالاً شديداً، بالنفط، وغيره، واستمر القتال مدة، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه، قد خلفه في همدان، فاشمر عن بغداد واحلاً إلى همدان، في ربيع الأول، من سنة اثنين وخمسين، وتفرقت عنه المساكن الذين كانوا معه في البلاد، وأصاب الناس بعد هذا القتال مرض شديد، وموت ذريع، واحترقت محال كثيرة من بغداد، واستمر ذلك فيها مدة شهرين.

وفيها أطلق أبو البلر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت، وكان له فيها معتقلاً ثلاث سنين، فلقاه الناس إلى أثناء الطريق، وامتدحه الشعراء، وكان من جملتهم الأبله الشاعر، أشد الوزير قصيدة يقول في أولها:

بأي لسان للوشاة الأم وقد علموا أنني سهوت وناموا؟

إلى أن قال:

ويستكثرون الوصل لي منك ليلة وقد مر عام بالصمود وعام
فطرب الخليفة عند ذلك. وخلع عليه ثيابه، وأطلق له خمسين ديناراً.
وحج بالناس قائماً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ علي بن الحسين أبو الحسن الغزنوي الواعظ، كان له قبول كثير من العامة، وبت له الخاتون زوجة المستظهر رباطاً بباب الأزج، ووقفت عليه أوقافاً كثيرة، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان، وكان حسن الإيراد، مليح العظة، يحضر مجلسه خلق كثير، وجم غفير من أصفاء الناس. وقد استملح ابن الجوزي أشياء من وعظه، قال: وسمعت يوماً يقول: حزمة حزن خير من أعمال أعمال. ثم أشد:

كم حسرة لي في الحشا مسن رلسد إذا نشأ
أملت فيه رشده فما نشأ كما أشأ
قال وسمعت يوماً ينشد:

يحدني قومي على صنعي لأنني في صنعي فارس

الشام، حتى أن مكتبا في مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار، فهلكوا عن آخرهم، فلم يأت أحد يسأل عن أحد منهم. وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة، في كتاب الروضتين [٢٦١/١ - ٢٦٨] مستقصى، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك.

وفيها ملك السلطان محمود بن زنكي حصن شيزو، بعد حصار شديد، وأخذ مدينة بعلبك، وكان بها الضحّاك البقاعي، وقد قيل، إن ذلك كان في سنة خمسين، كما تقدم، فآله أعلم.

وفيها مرض نور الدين، فمرض الشام بمرضه، ثم عوفي، وفرح المسلمون فرحا شديدا، واستولى أخوه قطب الدين مودود، صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر.

وفيها عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحا بالذهب، وأخذ بابها الأول، فجعله لنفسه تابوتا.

وفيها أغارت الإسماعيلية على حجاج خراسان، فلم يبقوا منهم على أحد، لا زاهدا ولا عالم.

وفيها كان غلاء شديد بخراسان، حتى أكلوا الحشرات، وذبح إنسان منهم رجلا علويا، فطبخه، وباعه في السوق، فحين ظهر عليه قتل.

وذكر أبو شامة أن فتح باتياس كان في هذه السنة، على يد نور الدين بنفسه، وقد كان معين الدولة سلمها إلى الفرنج، صلحا عن دمشق، فمروضهم بها، وقيل ملكها، وغنم شيئا كثيرا.

وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، فسمع عليه البخاري، في دار الوزير ببغداد. وحج بالناس قايماز.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو الليث التلبي من أهل سمرقند، سمع الحديث وتفقه ووعظ، وكان حسن السمعة، قدم ببغداد، فوعظ الناس، ثم عاد إلى بلده، فقتله قطاع الطريق، رحمه الله تعالى.

■ أحمد بن بخيار بن علي بن محمد، أبو العباس، المدائني، الواسطي، قاضيا، سمع الحديث، وكانت له معرفة تامة بالأدب واللغة، وصنف كتباً في التاريخ، وغير ذلك، وكان ثقة، صدوقا، توفي ببغداد، وصلي عليه بالنظامية.

السلطان

■ سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، أبو الحارث، واسمه أحمد، ولقب بسنجر، مولده في رجب، سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وأقام في الملك نيفا وستين سنة، من ذلك استقللاً إحدى وأربعين سنة، وقد أسره الغزنوي من خمس سنين، ثم هرب منهم، وعاد إلى ملكه مجزوا، ثم كانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في قبة بناها، سماها دار الآخرة، رحمه الله.

■ محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت، أبو بكر الحنفي، النقي، الشافعي، ولي تدريس النظامية ببغداد، وكان ينظر حسنا، ويعظ الناس، وحوله السيوف مسللة.

قال ابن الجوزي: ولم يكن ماهرا في الوعظ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء، وتقدم عند السلاطين، حتى كانوا يصعدون عن رأيه، توفي

سهرت في ليلي واستتموا وهل يستوي الساهر والناسح؟ قال: وكان يقول: تولون اليهود والنصارى، فيسيبون نبيكم في يوم عيذك، ثم يصبحون، يميلون إلى جانبكم؟ ثم يقول: ألا هل بلغت؟

قال: وكان يتشيع، ثم سعي في منعه من الوعظ، ثم أذن له، ولكن ظهر للناس أمر العبادي، وكان كثير من الناس يميلون إليه، وقد كان السلطان مسعود يعظمه، ويحضر مجلسه، فلما مات السلطان مسعود ذلّ الغزنوي بعده، وأمين إهانة بالغة، فمرض، ومات في الحرم من هذه السنة.

قال ابن الجوزي: ويلغني أنه كان يعرق في نزع، ثم يفيق وهو يقول: رضى وتسليم. ولما مات دفن في رباطه الذي كان فيه.

■ محمود بن إسماعيل بن فادوس أبو الفتح الدماطي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، وهو شيخ القاضي الفاضل، وكان يسميه ذا البلاغتين، وذكره العماد الكاتب في «الغريدة». وأثنى عليه ومن شعره فيمن يكرر التكبير في أول الصلاة:

وفسّر التَّجْبِرةَ عَيْنَهَا مع كثرة الرعدة والهزّة
يَكْبُرُ السَّبعين في مرة كأنه يصلّي على جمرة
■ (ابن الحوراني).

الشيخ أبو البيان بن محمد المعروف بابن الحوراني، الفقيه، الزاهد، العابد، الناسك، الخاشع قلس الله روحه، قرأ القرآن، وكتاب التنبية على مذهب الشافعي، وكان حسن المعرفة باللغة، كثير المطالعة، وله كلام يؤثر عنه، ورأيت له كتابا بخطه، فيه النظام الذي له، يقول أصحابه وأتباعه، بلهجة غريبة، وقد كان من نشأته إلى أن توفي على طريقة صالحة، وقد زاره الملك نور الدين محمود في رباطه داخل درب الحجر، ووقف عليه شيئا، وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث ربيع الأول، من هذه السنة، ودفن بمقابر باب الصغير، وكان يوم جنازته يوما مشهودا. وقد ذكرته في طبقات الشافعية، رحمه الله.

■ عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد، الفارسي الخافط، تفقه بإمام الحرمين، وسمع الكثير على جده لأمه، أبي القاسم القشيري، ورحل إلى البلاد، وأسمع الكثير وصنف المفهم في غريب مسلم، وغيره، وولي خطابة نيسابور، وكان فاضلا، بارعا، دينيا، حافظا.

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

استهلت هذه السنة، ومحمد شاه بن محمود محاصر ببغداد، والعامية والجند من جهة الخليفة المتقي يقاتلون أشد القتال، والجمعة لا تقام لعذر القتال، والفتنة كبيرة، ثم يسر الله، بذهاب السلطان، كما تقدم ذكر ذلك في السنة التي قبلها، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة، فطول.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، هلك بسببها خلق كثير، لا يعلمهم إلا الله، وتهدم أكثر حلب، وحما، وشيزو، وحمص، وكفرطاب، وحصن الأكراد، واللاذقية، والمرة، وأفامية وأنطاكية، وطرابلس.

قال ابن الجوزي: وأما شيزو، فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك الباقون، وأما كفرطاب فلم يسلم من أهلها أحد، وأما أفامية فساخت قلعتهما، وتل جران انقسم نصفين، فأبدي نواويس، وبيوتا كثيرة في وسطه. قال: وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير وتهدم أسوار أكثر مدن

بأصبهان فجأة في هذه السنة.

■ محمد بن المبارك بن محمد بن الحل أبي الحسن بن أبي البقاء، سمع الحديث، وتفقّه على الشافعي، ودرس، وافتى، وتوفي في عرم هذه السنة، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الحل الشاعر في ذي القعدة منها.

■ يحيى بن عيسى بن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقّه، وعظ الناس على طريقة الصالحين، وكان يبيح من أول صعوده إلى حين نزوله، وكان زاهدا، عابدا ورعا، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ورزق أولادا صالحين، سماهم بأسماء الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحفظهم القرآن كلهم وتضمّن خلقا كثيرا، وكان هو وزوجه يصومان الدهر، ويقومان الليل، ولا يفطران إلا بعد العشاء، وكانت له كرامات، ومنامات صالحة، ولما مات قالت زوجته: اللهم لا تحني بعدي، فمات بعده بخمسة عشر يوما، وكانت من الصالحات، رحمها الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فيها كثر فساد التركمان، من أصحاب ابن بركة الإيواني، فجهز إليهم الخليفة منكرورس المسترشد في جيش كثيف، فالتقوا معهم، فهزمهم أقيح هزيمة، وجاؤوا بالأسارى والرؤوس إلى بغداد.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الفز، فكسروه وقتلوا من أصحابه وغيره خلقا كثيرا ونهبوا البلاد، وأقاموا بهرو، ثم طلبوه إليهم، فخاف على نفسه، فأرسل ولده بين يديه، فأكرموه، ثم قدم السلطان عليهم، فاجتمعوا عليه، وعظموه.

وفيها وقعت فتنة كبيرة بهرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين، وبين تقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن، فقتل بينهم خلق كثير، وأحرقت المدارس، والمساجد والأسواق، وانهزم المؤيد الشافعي إلى بعض القلاع.

وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله.

وفيها خرج المقتضي نحو الأنبار متصيّدا، وعبر الفرات، وزار الحسين، ومضى إلى واسط، وعاد إلى بغداد، ولم يكن معه الوزير.

وفيها كسر جيش مصر الفرنج، بأرض عسقلان، كسرة فظيعة صعبة الملك الصالح أبي الفرات، فارس الدين طلائع بن رزيك، وامتدحه الشعراء.

وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق، وقد شفي من المرض، ففرح به المسلمون، وخرج إلى قتال الفرنج، فانهزم جيشه، وبقي هو في شردمة قليلة من أصحابه، في لجة العدو، فرمهم بالسهم الكثيرة، ثم خافوا، أن يكون وقوفه في هذه الشردمة القليلة، خديعة، فجمي كمين إليهم، ففروا منهزمين، ولله الحمد.

وحج بالناس فيها قايماز الأرجواني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عيد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي، راوي البخاري، ومسنن الدارمي، والمتخب من مسند عبد بن حميد، قدم بغداد، فسمع عليه الناس هذه الكتب، وكان من

خير المشايخ، وأحسنهم سمتا، وأصبرهم على قراءة الحديث.

قال ابن الجوزي: أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي، قال: أسندته إلي فمات، وكان آخر ما تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا قَرِيبِي يَتَلَمَّذُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ» (ص: ٢٧).

■ نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الحاق الطار، أبو القاسم الحراني، كان كثير المال، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة، ويكثر تلاوة القرآن، ويحافظ على الصلوات في الجماعة، ورثت له منامات صالحة، وقارب الثمانين، رحمه الله.

■ يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الشافعي، الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا، كان إماما في علوم كثيرة، من الفقه، والآداب، ناظما ناثرا، غير أنه كان ينسب إلى النفلو في التشيع وقد أورد له ابن الجوزي قطعة من نظمه، فمن ذلك قوله في جملة قصيدة له.

تقاسموا يوم الوداع كبدي فليس لي منذ تولوا كبدي
على الجفون رحلوا وفي الحشا تَنَكَّلُوا وماء عيني وردوا
فأدعني مسفوحة وكبدي مقروحة وغلّتي ما ترد
وصوتني دائمة ومقلبي تيمني منهم غزال أغيد
حسامه مجرد وصرحه يسا حبلا ذاك الغزال الأغيد
وصدغه فوق احمرار خده عمرد وخدله عمورد
كأنما تكهته وريقه مبلبل معسرب محمد
يقعده عند القيام ردفه مك وخمر والثنايا يرد
له قوام كضبيب بانة وفي الحشا منه المقيم المقعد
وهي طويلة جدا، ثم خرج من هذا الغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله تعالى، ونقّنا بهم، حيث يقول:

وسألني عن حب أهل البيت هل أقدر إعلاتاً به أم أجحد؟
هيهات عمزج بلحسي ودمي جهم وهو الهدى والرشد
حيلة والخشان بعده ثم علي وابنه محمد
وجعفر الصادق وابن جعفر موسى ويتلوه علي السيد
أعني الرضى ثم ابنه محمد ثم علي وابنه المسدد
والحسن الثاني ويتلو تلو محمد بن الحسن المقتد
فإنهم أئمتي وساداتي وإن لحاتي معشر وفندوا
أئمة أكرم بهم أئمة أسماؤهم مبرورة تأسرد
هم حجج الله على عباده وهم إليه منهج ومقصد
توم لهم فضل ومجد باذخ يعرّنه الشرك والموحد
توم لهم في كل أرض مشهد لا بل لهم في كل قلب مشهد
توم منى والمشران لهم والروتان لهم والمسجد
توم لهم مكة والأبطح والحجف وجمع والبقيع والفرقد

ثم ذكر مقتل الحسين بالطّف إلى أن قال:

يا أهل بيت المصطفى يا عدتي ومن على جهم أحمّد

أنتم إلى الله غداً وسيلقي
وليكم في الخلد حي خالد
ولست أهواكم بيفضي غيركم
فلا يظن رافضي أنني
عمد والخلفاء بعده
هم أسوا قواعد الدين لنا
ومن يخن أحد في أصحابه
هذا اعتقادي نالزمه تفلحوا
والشافعي منهبي منعبه
أتبعه في الأصل والفرع معاً
إني بإذن الله نجاح سابق
وله أيضاً:

إذا قل مالي لم تحدني ضارعاً
كثير الأسى مغرى بعض الأنامل
ولا بطراً إن جدد الله نعمة
ولو أن ما أوتي جميع الأنامل
توفي رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة بميفارقين.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فيها مرض الخليفة المقتفي مرضاً شديداً، ثم عوفي منه فزيت له بغداد أياماً، وتصدق بصدقات كثيرة.
وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهديّة من أيدي الفرنج، وقد كانوا أخنوها من المسلمين، في سنة ثلاث وأربعين.
وفيها قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً ببلاد الغرب، حتى صارت عظام القتلى هناك كاتل العظيم فإنا لله وإنا إليه راجعون.
وفي صفر منها، سقط برد بالعراق كبار، زنة البردة قريب من خمسة أرتال، ومنها ما هو تسعة أرتال بالبنغادي، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات، وخرج الخليفة إلى واسط، فاجتاز بسوقها، ورأى جامعها، وسقط عن فرسه فشج جبينه، ثم عوفي.
وفي ربيع الآخر، زادت دجلة زيادة عظيمة، ففرقت بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد، حتى صار أكثر الدور بها تلوأ، وغرقت تربة الإمام أحمد، ونحست هنالك القبور، وطفت الموتى على وجه الماء. قاله ابن الجوزي.
وفي هذه السنة، كثر المرض والموت.

وفيها أقبل ملك الروم في جحافل كثيرة، قاصداً بلاد الشام، فردّه الله خائباً خاسثاً، وذلك لضيق حالهم من الميرة، وأسر المسلمون ابن أخته، ولله الحمد والمآلة.
وحج بالناس في هذه السنة قائماز الأروجاني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن معالي بن بركة الحربي، فقهه بأبي الخطاب الكلوزاني الحنبلي، وبيع، وناظر، ودرس، وأفتى، ثم صار بعد ذلك شافعيًا، ثم عاد حنبليًا، ووعظ ببغداد، وتوفي في هذه السنة، وذلك أنه دخلت به دابته في مكان ضيق، فدخل قريوس سرجه في صدره، فمات رحمه الله.

السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان: لما رجع من محاصرة بغداد إلى همدان أصابه مرض السل، فلم ينجح منه، بل توفي في ذي الحجة من هذه السنة، وقبل وفاته بأيام، أمر أن يعرض عليه، جميع ما ملكه، ويقدر عليه، وهو جالس في المنظر، فركب الجيش بكماله، وأحضرت أمواله كلها، وماليكه، حتى جواربه، وحظاياه، فجعل يكي ويقول: هذه العساكر، لا يدفعون عني مقال ذرة من أمر ربي، ولا يزيهون في عمري لحظة. ثم ندم، وتأسف، على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي، وأهل بغداد، وحصارهم، وأذيتهم، ثم قال: وهذه الخزانة، والأموال، والجواهر، لو قبلهم ملك الموت مني فداء، لجدت بذلك جميعه له، وهذه الخطايا، والجواري الحسان، والماليك، لو قبلهم فداء مني لكتبت بذلك سمحا له. ثم قال ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي مَلَكٌ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ [الحاقة: ٢٨].
[٢٩] ثم فرق شيئا كثيرا من ذلك، من تلك الخواصل، والأموال، وتوفي عن ولد صغير، واجتمعت العساكر، والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان مسجوناً بالموصل، فأفرج عنه، واتخذت له السلطنة، وخطب له على منابر تلك البلاد، سوى بغداد، والعراق. والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الخليفة المقتفي بأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله، وأمه نسيم، المدعوة ست السادة، سمراء من خيار الجواروي، مرض بالترقي وقيل بمثل خرج في حلقه، فمات ليلة الأحد، ثاني ربيع الأول منها، عن ست وستين سنة، إلا ثمانية وعشرين يوما، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى التربة، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً وكان شهيداً شجاعاً، مقداماً، يباشر الأمور بنفسه، ويشاهد الحروب، ويبدل الأموال الكثيرة لأصحابه الأخيار، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن السلطان، من أول أيام التيلم إلى أيامه، وتمكن في الخلافة، وحكم على العسكر، والأمراء، وقد وافق أباه في أشياء: من ذلك مرضه بالترقي، وموته في ربيع الأول، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر، وكذلك المستظهر، مات قبله محمد بثلاثة وبعد غرق بغداد بسنة مات القائم، وكذلك هذا.

قال غيف الناسخ: رأيت في المنام قائلاً يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاتمات مات المقتفي يعني خمسا وخمسين وخمسمائة.

خلافة المستعجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي

لما توفي أبوه كما ذكرنا ببيع بالخلافة، في صبيحة يوم الأحد، ثاني ربيع الأول، من هذه السنة، بايعه أشرف بني العباس، ثم الوزير، والقضاة، والعلماء، والأمراء، وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة، وكان رجلاً صالحاً، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة، ثم عمل عزاء أبيه، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة ثرت الدراهم والدنانير على الناس، وفرح المسلمون به بعد أبيه، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه، ووعده بذلك إلى الممات، وعزل قاضي القضاة ابن الدامغاني، وولي مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد الثقفي، وكان شيخاً كبيراً، له سماع بالحديث، وياشر الحكم بالكوفة، ثم توفي في ذي الحجة منها فولي مكانه ابنه جعفر.

كانت وفاته بداره في صفر من هذه السنة، فحمل إلى الجامع، وصلي عليه، ثم أعيد إلى مدرسته، ودفن بها، داخل باب القرايس، وتأسف الناس عليه رحمه الله ورضي الله عنه.

الشيخ

■ عذبي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري، شيخ الطائفة العلوية، أصله من البقاع، غربي دمشق، من قرية بيت فار، ثم رحل إلى بغداد، فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس، والشيخ عقيل المنجي، وأبي الوفا الحلواني، وأبي النجيب السهروردي، وغيرهم، ثم انفرد عن الناس، وتخلّى بجبل الهكارية، وبني له هناك زاوية، واعتقد فيه أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً، حتى إن منهم من يغلو غلواً كثيراً منكراً. ثم كانت وفاته في هذه السنة بزوايته وله تسعون سنة.

■ عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن حمزة، أبو جعفر الثقفي، قاضي قضاة بغداد، ولها بعد عزل أبي الحسن بن الدائماني، في أول هذه السنة، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك، ثم كانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، وقد نازح الثمانين، وولي بعده ولده جعفر.

■ القاتر صاحب مصر وقهاز تقدماً في الحوادث.

الخليفة

■ القضي أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد المستظهر، تقدمت ترجمته عند وفاته.

■ محمد بن يحيى بن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي، مولده بمدينة زيد باليمن، سنة ثمانين، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة، فوعظ، وكانت له معرفة بالنحو، والأدب، وكان صبوراً على الفقر، لا يشكو حاله إلى أحد، وكانت له أحوال صالحة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان عنده تهور، وقلة مبالاة بالدين، يمدن شرب الخمر حتى في رمضان، فنار عليه مدبر مملكته كردبازو الخادم، فقتله، ويبيع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه.

وفيها قتل الملك الصالح قارس الدين، أبو الغارات، طلائع بن رزيك الأرمي، وزير العاضد صاحب مصر، ووالد زوجته، وكان قد حجر على العاضد لصغره، واستحوذ على الأمور فقتلته الحاشية، ووزر بعده ولده رزيك، ولقب بالعاذل، وقد كان أبوه الصالح كريماً أديباً، يحب أهل العلم، ويحسن إليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء.

قال ابن خلكان: كان أولاً متولياً بمنية بني الخصيب، ثم آل به الحال إلى أن وزر للقاتر، وذهبت له وزارة عباس في سنة تسع وأربعين، ثم لما هلك في هذه السنة قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور، كما سيأتي. قال: والصالح هذا هو باتي الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة. قال: ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر، وقتل في تاسع عشر شهر. ونقل من دار الوزارة إلى القرائة في تاسع عشر شهر آخر وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال: ومن شعره ما رواه عنه الراعظ زين الدين علي بن نجا الحنبلي، وهو

وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همدان على خلع سليمان شاه، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل.

وفيها توفي

■ القاتر بنصر الله الفاطمي صاحب مصر: وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر، وكانت وفاته في صفر منها، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران، وكان مدبر دولته أبو الغارات. ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ، ولم يكن أبوه خليفة، وكان يومئذ قد نازح الاحتلام، فقام بتبديل مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير، أخذ له البيعة، وزوجه بابته، وجهازها بجهاز عظيم، وقد عصرت بعد زوجها العاضد، ورأت زوال دولة الفاطميين، على يد الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، في سنة أربع وستين، كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة:

■ خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن مسكنين، من بيت ملك، ورياسة باذخة، يرثونها كابراً عن كابر، وكان من سادات الملوك، وأحسنهم سيرة، يحب العلم وأهله، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة، وقام من بعده ولده ملكشاه، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغور، فحاصر غزنة مدة، فلم يقدر عليها، فرجع خائباً.

وفيها مات

■ ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي بأصبهان سمسوماً، يقال إن الوزير عون الدين بن هيرة دس إليه من سقاء إياه، والله أعلم.

وفيها مات أمير الحاج

■ قايماز بن عبد الله الأرجواني: سقط من فرسه وهو يلعب بالكوفة بميدان الخليفة، فسال دماغه من أذنه، فمات من ساعته، رحمه الله، وقد كان من خيار الأمراء، فتأسف الناس عليه، وحضر جنازته خلق كثير، مات في شعبان من هذه السنة، فحج بالناس فيها الأمير أرغش، مُقطّع الكوفة. وحج في هذه السنة الأمير الكبير شيركوه بن شاذي، مقدم عساكر الملك نور الدين محمود بن زنكي، وتصلق بأموال كثيرة.

وفيها استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي من القضاء بدمشق، فأعفاه نور الدين، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري، وكان من خيار القضاة، وأكثرهم صدقة، وله صدقات جارية بعده، وكان عالماً بارعاً، وإليه ينسب الشياك الكمالي، الذي يجلس في المحاكم بعد صلاة الجمعة، من الشاهد الغربي بالجامع الأموي، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير مجاهد الدين:

■ بزان بن مامين الكردي، أحد مقدمي جيش الشام قبل الملك نور الدين وبهده، وقد ناب في مدينة صرخد مدة، وكان شهماً، شجاعاً، كثير البر والصدقات والصلوات، وهو واقف المدرسة المجامعية، بالقرب من النورية، وله أيضاً المدرسة المجامعية، التي داخل باب القرايس البراني، وبها قبره. وله السبع المجامعي، داخل باب الزيادة من الجامع، بمقصورة الخضر،

كانت لك الدنيا فلم ترضها ملكاً فدخلت إلى الأخرى

قوله:

مشيك قد نضاً صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان يقضى وما ناب الزائب عنك ناب
وكيف بقاء عمرك وهو كثر وقد انقفت منه بلا حساب
وقوله:

كم فا يرينا النهر من أحداثه عبراً وفيما الصد والإعراض
ننسى المات وليس يجزي ذكره فينا فتذكرنا به الأمراض
ومن شعره الجيد أيضاً قوله:

أبى الله إلا أن يدين لنا النهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تغنى الورنه ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالباس حتى كنا سحاب لديه البرق والرعد والقطر
وله أيضاً وهو مما نظمته قبل موته بثلاث ليال:

نحن في غفلة ونسوم وللمو ت عيون بقطانة لا تنام
قد رحلنا إلى الحمام سنياً ليت شعري متى يكون الحمام؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار، غيلة، وله إحدى وستون سنة، وخلع على ولده العادل بالوزارة، ورواه عمارة التميمي بقصائد حسان، ولما نقل إلى تربته بالقرافة، سار العاضد معه، حتى وصل إلى قبره في التابوت. قال القاضي بن خلكان: فعمل الفقيه عمارة في ذلك قصيدة طويلة فأجاد فيها فمن ذلك في صفة التابوت قوله:

وكانه تابوت موسى أودعت في جانيه سكينه ووقار
وفيها أوقعت بنو خفاجة، بأهل الكوفة، وقعة عظيمة فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً، منهم الأمير قيسر، وجرحوا أمير الحاج أرغش جراحات، فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هيرة، في جيش فتبعهم، حتى أوغل خلفهم في البرية، في جيش كثيف، فبعثوا يطلبون الفوف. وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، وقيل قاسم بن أبي فليتة بن قاسم بن أبي هاشم. وفيها أمر الخليفة المستجد بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرصة الطرقات، لئلا يضر ذلك بالمارة. وفيها وقع رخص عظيم ببغداد جدا.

وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشمحل في المأمونية، ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني الخبلي، وقد توفي من آخر هذه السنة، ودرس بعده فيها أبو الفرج بن الجوزي، وقد كان عنده معياد، ونزل له عن تدريس آخر بياب الأرج عند موته.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ حمزة بن علي بن طلحة: أبو الفتح الحاجب، وكان خصيصاً عند المسترشد والمتنفي أيضاً، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره، وحج، فرجع مترهما، فلزم بيته معظماً نحواً من عشرين سنة، وكانت وفاته في هذه السنة وقد امتدحه بعضهم فقال:

يا عضد الإسلام يا من سمت إلى العلا همته الفاخرة

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين، فقتلوا خلقاً من الرجال، وأسروا من الذراري أماً، فاجتمع لحربهم ملوك تلك الناحية: إيلدكز صاحب أفريجان، وابن سكمنا صاحب خلاط، وابن آق سنقر صاحب مراغة، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية، فنهبوا، وأسروا ذراريهم، والتقوا معهم، فكسروهم كسرة فظيمة منكراً، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام.

وفي رجب أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية، بعد عزل ابن نظام الملك، بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها، فأنكر، ثم اعترف، فعزل عن التدريس.

وفيها كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هيرة بباب البصرة، ورتب فيها مدرسا، وفقها. وحج بالناس أمير الكوفة أرغش.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ شجاع شيخ الحنفية: بمشهد أبي حنيفة، كان جيد الكلام في النظر، أخذ عنه الحنفية ودفن عند المشهد.

■ صدقة بن وزير الواسطي: دخل بغداد، ووعظ بها، وأظهر تقشفاً، وكان يميل إلى التشيع وعلم الكلام، ومع هذا كله راج على العوام، وبعض الأمراء، وحصل له فتوح كثيرة، ابنتى منه رباطاً، ودفن فيه، ساعه الله تعالى.

■ زمرد خاتون: بنت جاولي، أخت الملك دقاق بن تنش لأمه، وهي بانية الخاتونية، ظاهر دمشق، عند قرية صنعاء، يمكن يقال له تل الثعالب، غربي دمشق، على جانب الشرق القبلي، بصنعاء الشام، وهي قرية معروفة قديماً، وأوقفها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي، المتقدم ذكره، وكانت زوجة الملك بورى بن طنتكين، فولدت له ابنيه شمس الملوك إسماعيل المذكور، وقد ملك بعد أبيه، وسار سيرته، ومالاً الفرنج على المسلمين، وهم يتسلم البلد والأموال إليهم، فقتلوه، وغلبك أخوه، وذلك بعد مراجعتها، ومساعدتها، وقد كانت قرأت القرآن، وسمعت الحديث، وكانت حنفية المذهب، تحب العلماء، والصالحين، وقد تزوجها الأنابكي زكي صاحب حلب، طمعا في أن يأخذ بسبيلها دمشق، فلم يظفر بذلك، بل ذهبت إليه إلى حلب، ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته، وقد دخلت بغداد، وسارت من هناك إلى الحجاز، وجاورت بمكة سنة، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية، حتى ماتت بها، ودفنت بالبقيع في هذه السنة، وقد كانت كثيرة البر، والصدقات، والصلاة، والصوم.

قال السبط: ولم تمت حتى قل ما يدها، وكانت تغربل القمح، والشعير، وتتقوت بأجرته. وهذا من تمام الخير، والسعادة، وحسن الخاتمة، رحمها الله تعالى، والله أعلم.

الطرف كما عهدت بك
ما ضرك أن تعليني
أهواك وأنت حظ غيري
أيام هنائي فيك سود
العذل فيك يملوني
يا ملزمي السلو عنها
والقول بتركها صواب
طلقت تجلدي ثلاثاً

والجسم كما تزين بال
بالوصل بموعده الخصال
يا قاتلي فما احتيالي
ما أشبههن بالليالي
عن حبك ما لم وما لي
الصب أنا وأنت سالي
ما أحسن لو استرني لي
والصبوة بعد في خيالي

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها قدم شاور بن مجير الدين، أبو شجاع السعدي، الملقب بأمير الجيوش، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية، بعد آل رزيك، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع، وقام في الوزارة بعده، واستفحل أمره فيها، فثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار، وجمع له جموعاً كثيرة، واستظهر عليه، وقتل ولديه: طياً، وسليمان، وأسر الثالث، وهو الكامل بن شاور، فسجنه، ولم يقتله، ليد كانت لأبيه عنده، واستوزر ضرغام بعده، ولقب بالنصور، فخرج شاور من الديار المصرية، هارباً من العاضد ومن ضرغام، ملتجئاً إلى نور الدين محمود، فأمر له نور الدين بجوسق الميدان الأخضر، فأحسن ضيافته وكرامته، وأزله بالجوسق المذكور، وطلب منه شاور عسكرياً، ليكونوا معه، ليفتح بهم الديار المصرية، ويكونوا لنور الدين ثلث مغلها، فأرسل معه جيشاً عليه أسد الدين شيركو بن شادي، فلما دخلوا بلاد مصر، خرج إليهم الجيش الذي بها، فاقتتلوا أشد القتال، فهزمهم أسد الدين، وقتل منهم خلقاً، وقتل ضرغام بن سوار، وطيف برأسه في البلاد، واستقر أمر شاور في الوزارة، وتمهد حاله، ثم اصطلح العاضد وشاور على أسد الدين، ورجع شاور عما كان عاهد عليه نور الدين، وأمر أسد الدين بالرجوع، فلم يقبل منه، وعات في البلاد، وأخذ أموالاً كثيرة، وافتتح بلداناً كثيرة، من الشرقية، وغيرها، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذي بعثوا، واسمه مري، فأقبل إليه في خلق كثير، فتحول أسد الدين إلى بليس، وقد حصنها، وشحنها بالعدد، والآلات، وغير ذلك، فحصره فيها ثمانية أشهر، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع، فبينما هم على ذلك، إذ جاءت الأخبار، بأن الملك نور الدين قد اغتتم غيبة الفرنج، فسار بالساكن إلى بلادهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وفتح حارم، وقتل من الفرنج بها خلقاً، وسار إلى باتياس، فضعف أمر الفرنج بديار مصر عند ذلك، وطلبوا من أسد الدين الصلح، فأجابهم إلى ذلك، وقبض من شاور ستين ألف دينار، وخرج أسد الدين وجيشه، فساروا إلى الشام في ذي الحجة.

وقعة حارم

كان فتح حارم في رمضان من هذه السنة، وذلك أن نور الدين استغاث بعاكر المسلمين، فجأؤوه من كل فج عميق، ليأخذ بشأره من الفرنج، فالتقى معهم بثل حارم، فكسرهم كسرة فظيعة، وأسر البرنس صاحب أنطاكية، والقرمص صاحب طرابلس، والدوك مقدم الروم، وابن جوسلق، وقتل منهم عشرة آلاف، وقيل عشرين ألفاً.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها مات صاحب المغرب، عبد المؤمن بن علي تلميذ ابن التورمت، وخليفته من بعده، في الملك بمعية سلا حضرة ابنه يوسف، وحمل أباه إلى مراکش، في صفة أنه مريض، فلما وصلها أظهر موته، فعزاه الناس، وبايعوه على الملك من بعد أبيه، ولقبوه أمير المؤمنين، وقد كان عبد المؤمن هنا حازماً شجاعاً، جواداً، معظماً للشرعية، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل، ولكن كان سفاكاً للدماء، حتى على الذنب الصغير، فأمره إلى الله، يحكم فيه بما يشاء.

وفيها قتل الملك سيف الدين محمد بن علاء الدين النوري قتله الغز، وكان عادلاً.

وفيها كبست الفرنج نور الدين، وجيشه، فانهزم المسلمون، لا يلوي أحد على أحد، ونهض الملك نور الدين، فركب فرسه، والشجعة في رجله، فزل رجل كردي فقطعها، فسار نور الدين فنجسا، وأدركت الفرنج ذلك الكردي، فقتلوه، رحمه الله، فأحسن نور الدين إلى فريقته، وكان لا ينسى ذلك له.

وفيها أمر الخليفة بإجلاء بني أسد عن الحلة، وقتل من تخلف منهم؛ وذلك لإفسادهم، ومكائبتهم السلطان محمد شاه، وتخريضهم له على حصار بغداد، فقتل من بني أسد أربعة آلاف، وخرج الباقيون منها، وتسلم نواب الخليفة الحلة المزلية.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير أرغش.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان الكبير أبو محمد

■ عبد المؤمن بن علي: القيسي الكومي تلميذ ابن التورمت، كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً، فحين وقع نظر ابن التورمت عليه، أحبه، وتفرس فيه أنه سعيد، فاستصحبه، فمظم شأنه، والفتت عليه العساكر، التي جمعها ابن التورمت، من المصامدة، وغيرهم، وحاربوا صاحب مراکش علي بن يوسف بن تاشفين، ملك المثلثين، واستحوذ عبد المؤمن على وهران، وتلمسان، وفاس، وسلا وسبتة، ثم حاصر مراکش، أحد عشر شهراً، فافتتحها في ستة ثنتين وأربعين وخمسمائة، وتمهدت له الممالك هنالك، وصفا له الوقت، وكان عاقلاً، حازماً وقوراً، شكلاً، حسناً، عباً للخير، توفي في هذه السنة، ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين، رحمه الله.

■ طلحة بن علي بن طراد، أبو أحمد الزيني، نقيب النقباء، مات فجأة، رحمه الله، وولي النقباء من بعده، ولده أبو الحسن علي، وكان أمرد، فعزل، وصودر في هذه السنة.

■ محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم، بن عبد الكريم أبو عبد الله المعروف بابن الأباري، كاتب الإنشاء ببغداد، كان شيخاً، حسناً ظريفاً، وانفرد بصناعة الإنشاء، وبعث رسولاً إلى الملك سنجر وغيره، وخدم الملوك، والخلفاء، وقارب التسعين، ومن شعره قوله:

يا من هجرت فما تبالي هل ترجع دولة الوصال
ما أطمح يا صواب قلبي أن نعم في هواك بالي

ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة

في صفر منها، وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء، بسبب المذاهب، جاءت أباها، وقتل فيها خلق كثير.

وفيهما كان حريق عظيم ببغداد، فاحترقت عمال كثيرة جدا.

وذكر ابن الجوزي أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير أرغش الكبير أثابه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عمر بن بهليقا: الطحان الذي جدد جامع العقبة ببغداد، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه، فأذن له في ذلك، وكان قد اشترى ما حوله من القبور، فأضاف ذلك إليه، وبنش الموتى منها، فقبض الله له من نبش من قبره بعد دفنه، جزاء وفاقا وما ريك بظلام للعبيد.

■ محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد: أبو عبد الله الحاراني، كان آخر من بقي من الشهود القبرلين عند أبي الحسن الدامغانى، وقد سمع الحديث، وكان لطيفا ظريفا، جمع كتابا سماه روضة الأدياء، فيه نصف حصة.

قال ابن الجوزي: زرته يوما، فأطلت الجلوس عنده، فقلت: أقوم فقد ثقلت، فأثني:

لئن سميت إرميا وتغلا زيارات رفعت بهن قلدي
فما أبرمت إلا جبل ودي ولا ثقلت إلا ظهر شكري

■ مرجان الخادم: كان يقرأ القرآن، وتفق لمذهب الشافعي، وكان يتعصب على الحنابلة، ويكرههم، ويعادي الوزير ابن هبيرة وابن الجوزي معادة شديدة، ويقول لابن الجوزي: مقصودي قلع المذهب. ولما توفي ابن هبيرة في هذه السنة قري أمره على ابن الجوزي، وخافه ابن الجوزي، فلما توفي في هذه السنة فرح ابن الجوزي فرحا شديدا، وكانت وفاته في ذي القعدة منها.

■ ابن الطلميذ الطيب، الماهر، الحاذق، اسمه هبة الله بن صاعد: كانت وفاته في هذه السنة عن خمس وتسعين سنة، وكان موسعا عليه في الدنيا، وله عند الناس وجهة كبيرة، وقد توفي قبضه الله على دينه، ودفن بالبيعة العتيقة، لا رحمه الله إن كان مات نصرانيا، فإنه كان يزعم أنه أسلم، ثم مات على دينه.

الوزير

■ ابن هبيرة: يحيى بن محمد بن هبيرة، أبو المظفر الوزير للخليفة العظيمة، مصنف كتاب الإنصاح، وقد قرأ القراءات، وسمع الحديث، وكانت له معرفة جيدة بالنحو، واللغة والعروض، وتفق على مذهب الإمام أحمد، وصنف كتابا جيدة مفيدة، من ذلك الإنصاح في مجلدات، شرح فيه الحديث، وتكلم على مذاهب العلماء، وكان على مذهب السلف في الاعتقاد، وقد كان قتيلا لا مال له، ثم تعرض للخدمة، فتقدم إلى أن وزير للمقتني، ثم لآلئ المستجد، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة، وأبعدهم عن الظلم، وكان لا يلبس الحرير، وكان المقتني يقول: ما وزر لبني العباس مثله. وكذلك ابنه المستجد، وكان المستجد معجبا به، قال مرجان الخادم: سمعت أمير المؤمنين الخليفة المستجد ينشد لابن هبيرة وهو

وفي ذي الحجة منها، فتح نور الدين مدينة باتياس، وقيل إنه إنما فتحها في ستة ستين، فآله أعلم. وكان معه أخوه نصر الدين أمير أربل، فأصابه سهم في إحدى عينيه، فذهبها، فقال له الملك نور الدين: لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر في الآخرة، لأحببت أن تذهب الأخرى. وقال لابن معين الدين أثر: إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم؛ لأنه كان سلما للفرنج، صلحا عن دمشق.

وفي شهر ذي الحجة، احترق قصر جيرون حريقا عظيما، فحضر في تلك الليلة الأمراء، منهم أسد الدين شيركوه، بعد رجوعه من مصر، وسعى سعيًا عظيما في إطفاء هذه النار، وصون حوزة الجامع منها جزاء الله خيرا وأثابه دار القرار.

ومن توفي فيها من الأعيان

جمال الدين: وزير صاحب الموصل.

■ محمد بن علي بن أبي منصور، أبو جعفر الأصهباني، الملقب بالجواد، وزير قطب الدين مودد بن زنكي، كان كثير الصدقة والبر، وقد أثر آثارا حسنة، بمكة، والمدينة، من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات، وعمل هناك مصانع، وبنى مسجد عرفات، ودرجه، وأكمل أبواب الحرم، وبنى مسجد الخيف وبنى الحجر، وزخرف الكعبة وذهبها وعملها بالرخام، وبنى على المدينة النبوية سوراء، وبنى جسرا على دجلة، عند جزيرة ابن عمر، بالحجر المنحوت، والحديد، والرصاص. وبنى الربط الكثيرة، وكان يتصدق كل يوم على بابه بمائة دينار، ويفتدي من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار. ولا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء، والفقراء، حيث كانوا من بغداد، وغيرها من البلاد. وقد حبس في سنة ثمان وخمسين، فذكر ابن الساعي في تاريخه، عن شخص كان معه في السجن، أنه نزل إليه طائر أبيض، قبل موته، فلم يزل عنده وهو يذكر الله عز وجل، حتى توفي في شعبان من هذه السنة، ثم طار عنه، ودفن في رباط بناء لنفسه بالموصل، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شاذي مواخاة وعهد، أيهما مات قبل الآخر، أن يجعله إلى المدينة النبوية، فاستأجر له أيد الدين شيركوه رجلا فقتلوه إلى المدينة، فما مروا به على بلدة إلا صلوا عليه، وترحموا عليه وأثنوا خيرا فصلوا عليه بالموصل، وتكرمت، وبغداد والحلة، والكوفة، وفيد ومكة، وطيف به حول الكعبة، ثم حمل إلى المدينة النبوية، فدفن بها في رباط بناء، شرقي مسجد النبي ﷺ.

قال ابن الجوزي وابن الساعي: ليس بينه وبين حرم النبي ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعا.

قال ابن الساعي: ولما صلوا عليه بالحلة، صعد شاب نشرا فأنشد:

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على السوادى تشنى رماله عليه وبالناسي تشنى أرامله

ومن توفي فيها بعد الخمسين:

■ ابن الحازن الكاتب: أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الحائق أبو الفضل المعروف بابن الحازن الكاتب البغدادي الشاعر. كان يكتب جيدا فافقا، اعتنى بكتابة الحتمات، وأكثر ابنه أبو الفتح نصر الله من كتابة المقامات، وجمع لأبيه ديوان شعر، أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة.

بين يديه من شعره مادحاً:

صف نعمتان خصتك وعمتا فذكرهما حتى القيامة يذكر
وجودك والدينيا إليك قسيرة وجودك والمعروف في الناس ينكر
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ويحيى لكنا عنه يحيى وجعفر
ولم لمر من ينوي لك السوء يا أبا الد مظفر إلا كنت أنت المظفر

وقد كان يبالغ في إقامة الدولة العباسية، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن، حتى استمرت الخلافة في العراق كله؛ ليس للملوك معهم حكم بالكلية، ولله الحمد والمنّة. وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة، يحنثون فيه، ويتناظرون عنده، يستفيد منهم، ويستفيدون منه، فاتفق يوماً أنه كلم رجلاً من الفقهاء، كلمة فيها بشاعة، قال له: يا حمار. ثم ندم، فقال: أريد أن أقول لي، كما قلت لك. فامتنع ذلك الرجل، فصاحه على مائتي دينار. مات فجأة، يقال إنه سمع طيب، فسم ذلك الطيب بعد ستة أشهر، وكان الطيب يقول: سمعته، سمعته. مات يوم الأحد، الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة، عن إحدى وستين سنة، وغسله ابن الجوزي، وحضر جنازته خلق كثير، وجم غفير جداً، وغلقت الأسواق، وتباكى الناس عليه، ودفن بالدرسة التي أنشأها بباب البصرة، رحمه الله. وقد رثاه الشعراء بمراثٍ كثيرة.

وأبو القاسم.

■ عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البرزقي، شيخ الشافعية بها، وكان يلقب زين الدين جمال الإسلام، دخل بغداد، فأخذ عن إلكيا المراسي، والفرائي، والشاشي صاحب «المستظهر»، وجمع كتاباً على «المذهب»، وذكر فيه إشكالات ما سواه، وأسماء رجاله ولغته، وهو في مجلد، على ما ذكره ابن خلكان، ورحلت إليه الطلبة من كل ناحية، وكان أحفظ الناس في وقته للمذهب الشافعي. توفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة

فيها فتح الملك نور الدين محمود بن زنكي حصن الميظرة من الشام وقتل عنده خلق كثير من الفرنج، وغنم أموالاً جزية.

وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن، ومعه علبوك تركي، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار، ومن وجد عنده هدمت داره، وصلب على بابها، وذبحت أولاده بين يديه، فدلهم رجل من الأعراب عليه، فأخذ من بستان، فضرب ضرباً شديداً، منكراً وأعيد إلى السجن، وضيق عليه.

وفيها أظهر الروافض سب الصحابة، وتظاهروا بأشياء منكورة، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة، خوفاً من ابن هبيرة، ووقع بين العوام كلام، فيما يتعلق بخلق القرآن. وحج بالناس أرغش.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسن بن العباس بن أبي الطيب بن رستم، أبو عبد الله الأصبهاني، كان من كبار عباد الله الصالحين والبالغيين، قال: حضرت يوماً مجلس ابن ماشاذ، وهو يتكلم على الناس، فرأيت رب العزة في تلك الليلة، وهو

يقول لي: وقتت على مبتدع، وسمعت كلامه؟ لأحرمك النظر في الدنيا. قال فأصبح لا يبصر، وعينه مفتوحتان، كأنه بصير.

■ عبد العزيز بن الحسين بن الجباب الأغلب السعدي القاضي، أبو المعالي المصري، المعروف بالجليس، لأنه كان يجالس صاحب مصر، وقد ذكره العماد في إتحافه: ١٨٩/١، ١٩٠، وقال: وله فضل مشهور، وشعر ماثور. فمن ذلك قوله:

ومن عجب أن السيوف لديهم تخيض دماء والسيوف ذكور
وأعجب من ذا أنها في أكفهم تاجع ناراً والأكف بحور

الشيخ

■ عبد القادر الجيلي، عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي، ولد سنة سبعين وأربعمئة، ودخل بغداد، فسمع الحديث، وتفق على أبي سعيد المخرمي الخبلي، وكان قد بني مدرسة، فقوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، ويعظمهم، ويتبع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت، من غير الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة، ومكاشفات، ولأتباعه، وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً، وأفعالا، ومكاشفات، أكثرها مفالة، وقد كان صالحاً، ورعاً، وقد صنف كتاب الغيبة، وفتوح الغيب، وفيهما أشياء حسنة، ولكن ذكر فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ، الكبار قدس الله روحه ونور ضريحه، كانت وفاته ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر من هذه السنة وله تسعون سنة، ودفن بالدرسة التي كانت له.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة

فيها أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة، إلى الديار المصرية، وساعدتهم المصريون، فتصرفوا في بعض البلاد، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه، فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها، وكان كثير الحقن على الوزير شاور، فأذن له، فسار إليها في ربيع الآخر، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد وقع في الفرس أنه سيملك الديار المصرية، وفي ذلك يقول عرقلة السمي بحسان الشاعر.

أقول والأتراك قد أزمعت مصر إلى حرب الأعراب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من أولاد يعقوب
ملكها في عصرنا يوسف الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا حقاً وضراب العرايب

ولما بلغ الوزير شاور قدم أسد الدين والجيش معه، بعث إلى الفرنج، فجاءوا من كل فج عميق، ولما بلغ أسد الدين ذلك من شأنهم، وإثماً معه ألفا فارس، فاستشار من معه من الأمراء، فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى الملك نور الدين، لكثرة الفرنج، إلا أميراً واحداً يقال له شرف الدين بزغش، فإنه قال: من خاف القتل، والأسر، فليقم في بيته، عند زوجته، ومن أكل من أموال الناس، فلا يسلم بلادهم إلى العدو. وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي، فعزم الله لهم، فساروا نحو الفرنج، فاقتلوا هم وإياهم قتلاً عظيماً، فكسروا الفرنج وهزمهم، وقتلوا منهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله عز

وجل، ولله الحمد والمآلة على كل حال.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة

فتح الإسكندرية على يد أسد الدين شيركوه

ثم أشار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج والمصريين إلى الإسكندرية فملكها، وجبى أموالها، واستأب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف، وعاد إلى الصعيد، فملكه، وجمع منه أموالاً جزية جداً.

ثم إن الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر، ليتزعموها من يد الملك صلاح الدين، وذلك في غيبة عمه في الصعيد، وامتنع بها صلاح الدين ومن معه أشد الامتناع، ولكن ضاقت عليهم الأقوات، وضاق عليهم الحال جداً، فسار إليهم أسد الدين شيركوه أيداً الله، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية، فخمسين ألف دينار، فأجاب إلى ذلك، وخرج صلاح الدين منها، وسلمها إلى المصريين، وعاد إلى الشام في منتصف شوال وذو القعدة، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل عام مائة ألف دينار، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة، وعاد الفرنج إلى بلادهم، بعد أن كان الملك نور الدين محمود بن زنكي قد أعقبهم في بلادهم، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة، وقتل منهم خلقاً من الرجال، وأسراً جماً غفيراً من النساء والأطفال، وغنم شيئاً كثيراً من الأمعة والأموال، ولله الحمد. وكان معه أخوه قطب الدين مردود، فاطلق له الرقة، فسار، فتسلمها.

وفي هذه السنة، في شعبان منها، كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبغاني، صاحب الفتح القدسي، والبرق الشامي، والحريدة، وغير ذلك من المصنفات، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية، داخل باب الفرج، فنسب إليه، لسكانها بها، فيقال لها العمادية، ثم ولي تدريجها، في سنة سبع وستين، بعد الشيخ الفقيه ابن عبد، وأول من جاء للسلاسل عليه، نجم الدين أيوب، كانت له به معرفة من تكريت، فامتدحه العماد، بقصيدة ذكرها الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وكان أسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بمصر، فبشره فيها، بولاية صلاح الدين الديار المصرية، حيث يقول: ويستقر بمصر يوسف وبه تقر بعد التناهي عين يعقوب ويلتقي يوسف فيها بإخوته والله يجمعهم من غير تشرب ثم ولي العماد كتابة الإنشاء، للملك نور الدين محمود.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أرغش أمير الحاج ستين متعددة: كان مقلداً على العساكر، خرج من بغداد لقتال شملة التركمان، فسقط عن فرسه، فمات.

■ أبو المعالي الكاتب: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، صاحب التذكرة الحمدونية، وقد ولي ديوان الزمام مدة، وكانت وفاته في ذي القعدة، ودفن بمقابر قريش.

■ الرشيد الصوفي كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي، كانت له شبيهة حسنة وسمت ووقار، وكان يئمن حضور السماع، فاتفق أنه مات، وهو يرقص، في بعض السماع ساعه الله تعالى.

في صفر منها، وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي، من واسط، إلى بغداد، فخرج الجيش لتلقيه، والقيان، والقاضي، ومشى الناس بين يديه، إلى الديوان، فجلس في دست الوزارة، وقرئ عهده، وكان يوماً مشهوراً ولقب بالوزير، شرف الدين، جلال الإسلام، معز الدولة، سيد الوزراء، صدر الشرق، والغرب.

وفيها أفسدت خفاجة في البلاد، ونهبوا القرى، فجهز إليهم جيش من بغداد، فهربوا في البراري فأنحسر الجيش عنهم، خوفاً من العطش، فكروا على الجيش، فقتلوا منهم خلقاً، وأسروا آخرين، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً، فصلبوا على الأسوار.

وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود بن زنكي إلى بغداد، تريد الحج من هناك، وهي الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أتر، فتلقيها الجيش وفيهم صندل الحاد، وحملت لها الإقامات، وأكرمت غاية الإكرام.

وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر بن عبد الواحد الثقفي، فشنقر البلد عن حاكم ثلاثة وعشرين يوماً، حتى ولي روح بن الحليشي قاضي القضاة في رابع رجب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جعفر بن عبد الواحد: أبو البركات الثقفي، قاضي القضاة ببغداد بعد أبيه، ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة، وكانت وفاته، في هذا العام، وسبب وفاته أنه طلب منه مال، وكلمه الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً، فخاف، فرمى الدم، ومات. رحمه الله.

■ أبو سعد السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور، أبو سعد السمعاني، رحل إلى بغداد، نصح بها، وذبل على تاريخها، للخطيب البغداد، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم [١٨/١٧٩]، وذكر عنه، أنه كان يتعصب على أهل مذهبه، ويطعن في جماعة منهم، وأنه يترجم بعبارة عامية، مثل قوله عن بعض الشيوخ، إنها كانت عفيفة. وعن الشاعر المشهور بالحبيب بيص، إنه كانت له أخت، يقال لها دخل خرج، وغير ذلك.

■ عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عمويه أبو النجيب السهروردي، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق، عليه السلام، سمع الحديث، وثققه، وأتى، ودرس بالنظامية، وأبى لنفسه ملوسة، ورباطاً، وكان مع ذلك متصوفاً، يعظ الناس، ودفن بمدرسته.

■ محمد بن عبد الحميد بن أبي الحسن أبو الفتح الرازي، المعروف بالعلاء العالم، وهو من أهل سمرقند، وكان من الفحول في المناظرة، وله طريقة في الخلاف والجدل، يقال لها التعليقة العالمية.

قال ابن الجوزي: وقد ورد بغداد، وحضر مجلسي. وقال أبو سعد بن السمعاني: كان يذم شرب الخمر. وقال: وكان يقول: ليس في الدنيا أطيب من كتاب أطلعه، وباطية من الخمر، أشرب منها.

قال ابن الجوزي: ثم بلغني عنه، أنه أطلع عن شرب الخمر، والمناظرة، وأقبل على النسك، والخير رحمه الله.

والكرامات، وخرج وجوه الناس إلى تخيم أسد الدين، وكان فيمن جاء إليه المخيم، الخليفة العاضد حاكمه، فأسر إليه أموره مهمة، منها قتل الوزير شاور، وقرر معه ذلك، وأعظم أمر الأمير أسد الدين بمصر، ولكن شرع بمائل، بما كان التزمه للملك نور الدين، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين، ويركب معه، وعزم على عمل ضيافة له، فنهأ أصحابه عن الحضور، خوفاً عليه من غائته، وشاوروه في قتل شاور، فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك، فلما كان في بعض الأيام، جاء شاور إلى منزل أسد الدين، فوجدوه قد ذهب لزيارة قبر الشافعي، وإذا ابن أخيه صلاح الدين هنالك، فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاور، ولم يمكنه قتله، إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين، وانهزم أصحابه، فاعلموا العاضد، لعله يبعث يفتقه، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه، فقتل شاور، وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر، فصرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاور، فنهبت، ودخل أسد الدين على العاضد، فاستورزه، وخلع عليه خلعة عظيمة، ولقبه الملك المنصور، فسكن دار شاور، وعظم شأنه هنالك.

وقال ابن أبي طي: ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك، وقصدته الشعراء بالتهنئة، غير أنه لم ينشر، لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد، وكذلك لما انتهت الوزارة، إلى ابن أخيه صلاح الدين، فشرع نور الدين في إعمال الحيلة في إزالة ذلك، فلم يتمكن، ولا قدر عليه، ولا سيما، حين بلغه، أن صلاح الدين، استحوذ على خزائن العاضد، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله، والله أعلم.

وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً، فأرسلوا إليه بالقاضي الفاضل، وجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون، وبعت أسد الدين العمال في الأعمال، وأقطع الإقطاعات، وولى الولايات، وفرح بنفسه أياماً معلولات، فأدركه حمى في يوم السبت، الثاني والعشرين، من جمادى الآخرة، من هذه السنة، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام، فلما توفي أسد الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه، فولاه العاضد الوزارة، وخلع عليه خلعة سنية، ولقبه الملك الناصر.

صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ فيما ذكره الشيخ شهاب الدين في الروضتين، [٤٢٩/١] عمامة بيضاء تيسي بطرف ذهب، وثوب فيقي، بطراز ذهب، وجبة، بطراز ذهب، وطيلسان مطرز بذهب، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار، وسيف على بخمة آلاف دينار، وحجر بثمانية آلاف دينار، وعليها طوق ذهب، وسرفسار ذهب مجوهر، وفي رأسها مانتا حبة جوهر وفي قوائمها أربعة عقود، وفي رأسها قصبة ذهب، فيها تدة بيضاء، بأعلام بيض، ومع الخلعة عدة بقع، وخيل، وأشياء أخرى، ومنشور الوزارة، ملفوف في ثوب، أطلس أبيض، وكان ذلك في يوم الاثنين، الخامس والعشرين من جمادى الآخرة، من هذه السنة، فكان يوماً مشهوداً، وسار الجيش بكامله في خدمته، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة البيروقي، وقال: لا أخدم يوسف بعد نور الدين. ثم سار بجيشه إلى الشام، فلامه نور الدين على ذلك، وأقام الملك صلاح الدين بمصر، بصفة نائب للملك نور الدين، فخطب له على المنابر بالديار المصرية، ويكتبه بالأمير الأسفلسار صلاح الدين، ويتواضع له صلاح الدين في الكتب والعلامه، لكن قد التفت عليه القلوب، وخضعت له النفوس، واضطهد العاضد في أيامه، غاية الاضطهاد، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد في تلك البلاد، وزاد

■ يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي، مدرّس النظامية ببغداد، تفقه على أسعد الميمني، وبرع في المناظرة، وكان يتعصب للأشعرية، وقد بعث رسولا في هذه السنة، إلى شملة التركماني، فمات في تلك البلاد رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسة

فيها كان فتح مصر، على يد الأمير أسد الدين شيركوه، وفيها طفت الفرنج بالديار المصرية، وذلك لما جعل لهم شحنة بها، وتحكوا في أمورها، وسكنها أكثر شجعانها ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها، ويخرجوا منها أهلها من المسلمين، فعند ذلك ركب أمداد الفرنج من كل ناحية وساروا صيحة، مرى ملك عسقلان، في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بليس، فقتلوا من أهلها خلقاً، وأسروا آخرين، ونزلوا بها، وتركوا فيها أثقالهم، وجعلوها موطئاً ومقلاً لهم، ثم ساروا، فنزلوا على القاهرة، من ناحية باب البرقية، فأمر الوزير شاور الناس أن يخرجوا مصر، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة، فهربوا البلد، وذهب للناس أموال كثيرة جداً، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً، فعند ذلك، أرسل الخليفة العاضد يستغيث بنور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه يقول: أدركني، واستغذ نسايتي من أيدي الفرنج. والتزم له بثلك خراج مصر، على أن يكون أسد الدين، مقيماً بها عندهم، والستزم له بإقطاعات زائدة على الثلث، فشرع نور الدين، في تجهيز الجيوش إلى مصر، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين، أرسل إلى ملك الفرنج، يقول له: قد عرفت محبي ومودتي، ولكن العاضد، والمسلمين، لا يوافقوني على تسليم البلد، وصالحهم، ليرجعوا عن البلد بألف دينار، وعجل لهم من ذلك بمئة ألف دينار، فانشمروا راجعين إلى بلادهم، خوفاً من وصول الملك نور الدين، وطمعاً في العودة إليها مرة ثانية، «ومكروا، ومكر الله، والله خير الماكرين». [٥٤]

ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج، وتحصيله، وضيق على الناس، مع ما نالهم من الحريق، والخوف، فجزى الله مصابهم، وأحسن مأجبهم واستدعى الملك نور الدين الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب، فساق في يوم واحد، من حمص بعد أن صلى الصبح، ثم دخل منزله، فأصاب فيه شيئاً من الزاد، ثم ركب وقت طلوع الشمس، فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم، ويقال إن هذا لم يتفق لغیره، إلا للصحابه، فسر بذلك نور الدين، وتشاء به فقلعه على العساكر، وأنعم عليه بمائتي ألف دينار، وأضاف إليه من الأمراء الأعيان جماعة، كل منهم يتفني بسميره ذلك رضى الرحمن، والجهاد في سبيله، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، ولم يكن منشراحاً لخروجه هذا، بل كان كارهها له، وقد قال الله تعالى: ﴿وَوَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان وسار هو وإليه من حلب، إلى دمشق، فجهزهم من دمشق إلى الديار المصرية، وجلبوا الفرنج، قد انشمروا عن القاهرة، وراجعين إلى بلادهم، بالصفقة الخاسرة، وكان وصوله إليها في سابع ربيع الآخر، فدخل الأمير أسد الدين، على العاضد في ذلك اليوم، فخلع عليه خلعة سنية، فلبسها، وعاد إلى تخيمه بظاهر البلد، وفرح المسلمون بقدومه، وأجريت عليهم الجرايات، وحملت إليهم التحف

الدولة تورثناه، أخو الملك صلاح الدين الجزيرة، قتل أكثرهم أيضا، ولم يبق منهم إلا القليل، «فتلك بيوتهم خاوية، بما ظلموا» [المن: ٥٢].

وفيها انتزع الملك نور الدين بن محمود بن زنكي، قلعة جعبر، وانتزعها من يد صاحبها، شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي، وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه.

وفيها احترق جامع حلب، فجدده نور الدين.
وفيها مات ياروق، الذي تنسب إليه الحلة، بظاهر حلب.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاني: أبو الحسن الراعي الحنبلي، ولد في سنة ثمانين وأربعمائة، وسمع الحديث، وتفقه، ووعظ، وكان لطيف الوعظ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك، وذكر أنه سئل مرة، عن أحاديث الصفات، فنهى عن التعرض لذلك، وأثنى:

أبى العاتب الغضبان يسا نفس أن وأنت التي صيرت طاعته فرضا
فلا تهجري من لا تطيقن هجره وإن قُسم بالمجران خديك والأرضا
وذكر ابن الجوزي عنه، أنه قال: خفت مرة من الخليفة، ففتت بي هاتفي في المنام وقال لي: اكتب:

ادفع بصيرك حادث الأيام وترج لطف الواحد العلام
لا تأسن وإن تضايق كربها وروماك ريب صروفها بهام
فله تعالى بين ذلك فرجة تخفى على الأبصار والأوهام
كم من غما من بين أطراف القنا وفريسة سلمت من الضرغام
توفي في شعبان من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة، ودفن إلى جانب رباط الزوني ثم نقل إلى مقبرة الإمام أحمد.

■ شاور بن مجير أبو شجاع السعدي الملقب أمير الجيوش، وزير الديار المصرية أيام العاضد، وهو الذي انتزع الوزارة من أبيدي زريك، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل، استدعى به من إسكندرية، من باب السدرة، فحظي عنه، وانحصر منه الكتاب بالقصر، ولما رأوا من فضله وفضيلته. وقد امتدحه الشعراء، منهم عمارة اليمني، حيث يقول:

ضجر الحنيد من الحنيد وشاور في نصر آل محمد لم يضجر
حلف الزمان لبائين مثله حثت عينك يا زمان فكفر

ولم يزل أمره قائما، إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار، فالتجأ إلى نور الدين، فأرسل معه الأمير أسد الدين شيركوه، فنصروه على عدوه، فنكت عهده، فلم يزل أسد الدين حقا عليه، حتى كان قتله في هذه السنة وعلى يدي ابن أخيه صلاح الدين يوسف ضرب عنقه بين يديه الأمير جرديك في السابع عشر من ربيع الآخر، واستوزر بعده أسد الدين، فلم تطل مدته بعده، إلا شهرين وخمسة أيام.

قال ابن خلكان: هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشار بن شاس بن معيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن يحنس بن أبي ذؤيب عبد الله، وهو والد حليلة السعيدة، كذا قال وفيما قال نظر، لقصر هذا النسب، لبيد الله، والله أعلم.

■ شيركوه بن شاذي: أسد الدين الكردي الروادي، وهم أشرف شعوب الأكراد، وهو من قرية يقال لها دوين، من أعمال أنزيبجان، خدم

في إقطاعات الدين معه، فأحبهوه، واحترموه، وعلموه، وكتب إليه نور الدين يعنه على قبول الوزارة بدون مرسومة وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك، وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك: ملك ابن أيوب. وأرسل صلاح الدين إلى الملك نور الدين يطلب منه أهله، وإخوته، وقرابته، فأرسلهم إليه، وشرط عليهم السمع والطاعة له، فاستقر أمره بمصر، وتوطأت دولته بذلك، وكمل أمره، وتمكن سلطانه، وقويت أركانه.

وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير:

هنيئاً لحصر حور يوسف ملكها بأمر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورا بمائل إلا قتل داود جالوتا

قال أبو شامة [الروحيين: ٤٥٥/١]: وقتل العاضد في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطاري الملقب بالمعظم، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين، وطيف يرؤوسهم ببلاد مصر.

ذكر قتل الطواشي مؤمن الخلافة، وأصحابه، على يد

الملك صلاح الدين

وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج، ليقدموا إلى الديار المصرية، ليخرجوا منها الجيوش الشامية، والساكنة النورية وكان الذي نفذ الكتاب إليهم الخادم، مؤمن الخلافة، مقدم العساكر بالقصر، وكان حبشيا، وكان قد أرسله مع إنسان آمن إليه، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله، فحملة إلى الملك صلاح الدين، فقرره، فأخرج الكتاب، ففهم صلاح الدين الحال، فكتمه، واستشعر، مؤمن الخلافة الخادم، أن صلاح الدين قد أطلع على الأمر، فلازم القصر مدة طويلة، خوفا على نفسه، ثم عثر له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد، فأرسل الملك صلاح الدين إليه من قبض عليه، وقتله، وحمل رأسه إليه، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراوش، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور، صفارها، وكبارها.

وقعة السودان

وذلك أنه لما قتل الطواشي، مؤمن الخلافة الخادم الحبشي، وعزل بقية الخدام، غضبوا لذلك، واجتمعوا قريبا من حسين ألفا، فاقتلوا، هم وجيش الملك الناصر صلاح الدين، بين القصرين، قتل خلق كثير من الفريقين، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة، وجاءهم منه سهام، فقبل كان ذلك بأمر العاضد، وقبل لم يكن بأمره.

ثم إن أخا الناصر، شمس الدولة تورثناه وكان حاضرا للحرب، قد بعث نور الدين إلى أخيه، ليشد أزره أمر يحرقوا مظلة العاضد، ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم، ومن بلادكم قسوي الشاميون، وضعف جأش السودان جدا، وأرسل الملك الناصر إلى ملتحهم، المعروفة بالنصرة، التي فيها دورهم، وأهلهم وأولادهم، بباب زويلة فأحرقها، فولوا عند ذلك ملبرين، وركبهم السيف، قتل منهم خلقا كثيرا، ثم طلبوا الأمان من الملك صلاح الدين فأجابهم إلى ذلك، وأخرجهم إلى الجزيرة، ثم خرج إليهم شمس

فجزاه الله عن الإسلام خيرا.

ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرك، فحاصرها وكانت من أمنع البلاد فكاد أن يفتحها، ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلوا نحو دمشق، فخاف أن يلف عليها الفرنج، فترك الحصار وأقبل إلى دمشق فحضرها، ولما أجلت الفرنج عن دمياط، فرح نور الدين والمسلمون فرحا شديدا، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيدا، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام، فوي الاهتمام بذلك، حتى إنه قرأ عليه بعض طلبة الحديث، جزءا فيه حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه أن يتبسم، ليصل التسلسل، فامتنع من ذلك، وقال: إني لأستحي من الله، أن يراني متبسما، والمسلمون يحاصرون الفرنج، بشرف دمياط.

وقد ذكر الشيخ أبو شامة (الروعي: ٤٥٩/١) أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلعة المنصورة، رأى في تلك الليلة التي اجلس فيها الفرنج عن دمياط، رسول الله ﷺ وهو يقول له: سلم على نوري الدين، وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط، فقلت يا رسول الله، بأي علامة؟ فقال: بعلامة ما سجد يوم تل حارم، وقال في سجوده: اللهم انصر دينك، ولا تنصر عموداً ومن هو عمود الكلب حتى يُنصر؟ فلما صلى نور الدين عنده الصبح، بشره بذلك، وأخبره بالعلامة وكشفوا تلك العلامة فإذا هي هي.

قال العماد الكاتب: وفي هذه السنة، عمر الملك نور الدين جامع داريا، وعمر مشهد الشيخ أبي سليمان الناراني بها، ورشى بدمشق. وفيها حاصر نور الدين الكرك أربعة أيام، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، متوجها إلى ابنه بمصر، وقد وصاه الملك نور الدين، أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستجد بالله العباسي، وذلك أن الخليفة بعث يعباته في ذلك. وفيها قدم الفرنج من السواحل، ليمتعوا الكرك، مع قريب بن الرقيق، وابن هنري، وكانا أشجع فرسان الفرنج، فقصدهما نور الدين ليقابلهما، فحادا عن طريقه.

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام، والجزيرة، وعمت أكثر الأرض، فتهدمت أسوار كثيرة بالشام، وسقطت دور كثيرة على أهلها، ولا سيما بدمشق وحمص، وحماة، وحلب، وبلبل، سقطت أسوارها، وأكثر قلعتها، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهذه الزلزلة.

وفيها توفي:

الملك قطب الدين

■ مودود بن زنكي: أخو نور الدين محمود صاحب الموصل، وله من العمر أربعون سنة، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة، وكان من خيار الملوك، عييا إلى الرعية، عطوفا عليهم، عسنا إليهم، حسن الشكل. وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي بن الست خاتون، بنت غرناش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردين، وكان مغير مملكته والمتحكم فيها فخر الدين عبد المسيح، وكان ظالما، غاشما.

وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس، وكذلك كانت حروب كثيرة، بين ملوك الشرق أيضا.

وحج بالناس في هذه السنة، وفيما قبلها، الأمير أرغش الكبير، ولم أر أحدا من أكابر الأعيان توفي فيها.

هو، وأخوه نجم الدين أيوب وكان الأكبر الأمير مجاهد الدين بهروز الخادم شحنة العراق، فاستتاب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكي، هاربا من قراجا الساسي، فاحسنا إليه، وخدمناه، ثم اتفق أن قتل رجلا من العامة، فأخرجهما بهروز من القلعة، فصارا إلى زنكي مجلب، فاحسنا إليهما، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود، فاستتاب أيوب على بعلبك، وأقره ولده نور الدين، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمراءه، وأخصهم عنده، وكان قد أقطعته الرحبة، وحمص، مع ما له عنده من الإقطاعات، وذلك لشهامته، وشجاعته، وصرامته، وجهاده في الفرنج، في أيام معلودات، ووقعات معتبرات، ولا سيما يوم فتح دمشق، وأعجب من ذلك ما فعله بديار مصر، بل الله بالرحمة شرا، وجعل الجنة مأواه.

وكانت وفاته يوم السبت، فجأة، بخناق حصل له، وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، من هذه السنة، رحمه الله.

قال أبو شامة: وإليه تنسب الخانقة الأسيدي، داخل باب الجابية بدرب الهاشميين بالشرق القلبي. ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف، ثم استوسق له الملك وأطاعته الممالك هنالك ولله الحمد.

■ محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف بابن البيهقي، سمع الحديث الكثير، وأسمع، ورحل إليه، وقارب التسعين رحمه الله.

محمد

■ القارقي: أبو عبد الله الواعظ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة، ويعبر الفاظه، وكان فصيحاً، بليغاً، يكتب كلامه، ويروي عنه كتاب، يعرف بالحكم الفارقة.

و■ معمر بن عبد الواحد بن رجاء أبو أحمد الأصهباني، أحد الحفاظ، الوعاظ، روى عن أصحاب أبي نعيم، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية، رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة

في صفر منها، حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر، خمسين يوما، بحيث ضيقوا على أهلها، وقتلوا منهم خلقاً في أم لا يحصون كثرة قد تجمعوا من البر، والبحر، رجاء أن يملكوا الديار المصرية، وخوفا من استيلاء المسلمين على القدس، فكتب صلاح الدين، إلى الملك نور الدين، يستجده عليهم، ويطلب منه أن يرسل إليه بإمداد من الجيوش، فإنه إن خرج من مصر، خلفه أهلها بسوء، وإن غفل عن الفرنج، أخذوا دمياط، وجعلوها معقلا لهم، يتقنون بها على أخذ مصر. فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة، يتبع بعضها بعضا.

ثم إن نور الدين، اغتم غية الفرنج، عن بلادهم، فصمد إليهم في جيوش كثيرة، فجاس خلال ديارهم، ونظم من أموالهم، وقتل، وسعى شيئا كثيرا، وكان من جملة من أرسل إلى صلاح الدين أخوه الأمير نجم الدين أيوب في جيش من تلك الجيوش، ومعه بقية أولاده، فتلقاء الجيش من مصر، في رجب وخرج المعاضد لتلقيه، إكراما لولده صلاح الدين، وأقطعته الإسكندرية، ودمياط، وكذلك لبقية أولاده، وقد أمد المعاضد صلاح الدين، في هذه الكاتبة، بألف دينار، حتى انفصلت الفرنج عن دمياط، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم، وقتل خلقا من رجالهم، وسعى كثيرا من نساءهم، وأطفالهم، وغنم مالا جزيلا،

ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة المستجد، وخلافة ابنه المستضيء، وذلك أن الخليفة المستجد كان قد مرض في أول هذه السنة، ثم عوفي، فيما يبدو للناس، فعملت ضيافة عظيمة بسبب ذلك، وفرح الناس بذلك، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد، فمات في الحمام، رحمه الله. ويقال: إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب، استعجالاً لموته، توفي يوم السبت، بعد الظهر ثامن ربيع الآخر، عن ثمان وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً، وكان من خيار الخلفاء، وأعدلهم، وأرقهم بالرعایا، وضع عنهم المكوس والضرائب، ولم يترك بالعراق مكساً، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شريف، فبذل فيه عشرة آلاف دينار، فقال له الخليفة: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، واتني بمثل، لأربع المسلمين من شره، وكان المستجد أسمر، طويل اللحية، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين، وذلك في الجمل لام باء، ولهذا قال فيه بعض الأدباء:

أصبحت لبـ بني العباس كلهم إن عدلت بحساب الجمل الخلفا

وكان أماراً بالمعروف، نهأ عن المنكر رحمه الله، وقد رأى في المنام رسول الله ﷺ، غير مرة فكانت آخرهن قبل أن يلي بأربعة أيام وهو يقول له «قل اللهم اهمني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت»، دعاء القنوت بتمامه [د (٤٦٤)، ت (٤٦٤)، م (١٧٤٤)، ج (١١٧٨)].

وصلي عليه يوم الأحد، قبل الظهر، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى التراب من الرصافة، رحمه الله تعالى.

خلافة المستضيء

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستجد بن المتضيء، وأمه أرمينية، تدعى غضة، وكان مولده في شعبان، سنة ست وثلاثين وخمسمائة. بويج بالخلافة يوم مات أبوه، بكرة الأحد، تاسع ربيع الآخر، وبإيعه الناس، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا، وواقفه في الكنية أيضاً، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة، وكان يوماً مشهوداً، وولى قضاء قضاء بغداد لروح بن الحلبي، يوم الجمعة، رابع عشر ربيع الآخر، وخلع على الوزير خلعة عظيمة، وهو الأستاذ عضد الدين، وضربت على باب نوبه في ثلاثة أوقات، الفجر، والمغرب، والعشاء، وأمر سبعة عشر أميراً من المالك، وأذن للوعاظ فنكلموا بعد ما كانوا قد منعوا مدة طويلة، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة، ثم كثر احتجاجهم، وبما نظمهم العماد الكاتب حين جاءتهم البشارة بخلافة المستضيء وهم بأرض الموصل:

قد أضاء الزمان بالمستضيء وارث البرد وابن عم النبي
جاء بالحق والشريعة والعد ل فيما مرجباً بهذا الجعي
فهنيئاً لأهل بغداد فآزوا بعد بؤس بكل عيش هني
ومضي^١ إن كان في الزمن المنظر لم فالعود في الزمان المضي

وفيها سار الملك نور الدين، محمود بن زنكي إلى الرقة، فأخذها، وكذلك نصيبين، والخابور، وسنجار، وسلمها لزوج ابنة ابن أخيه عماد الدين زنكي بن مودود، ثم سار إلى الموصل، فأقام بها أربعة وعشرين يوماً، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مردود مع

الجزيرة، وزوجه ابنة الأخرى، وأمر بعمارة جامعها، وتوسعته، ووقف على تأسيسه بنفسه، وجعل له خطيباً، ومدرسا للفق، وولى التدريس للفق أبي بكر النوقاني، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وكتب له منشورا بذلك، ووقف على الجامع، قرية من قرى الموصل، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملاء، وقد كانت له زاوية، يقصد فيها، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد، يحضر فيها عنده الملوك، والأمراء، والعلماء، والوزراء، ويجتفل بذلك، وقد كان الملك نور الدين صاحبه، وكان يستشير به أموره، ومن يعتمد في مهماته، وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل، بجميع ما فعله من الخيرات، فلهاذا، حصل بقدمه لأهل الموصل كل مسرة، واندفعت عنهم كل مضرة، وأخرج من بين أظهرهم، الظالم، الغاشم، فخر الدين عبد المسيح، وسماه عبد الله، وأخذ معه إلى دمشق، فأقطعه إقطاعاً حسناً، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً، فأظهر الإسلام، وكان يقال إن له كنيسة في جوف داره، وكان سعى السيرة، حيث السيرة في حق العلماء، والمسلمين خاصة، ولما دخل نور الدين الموصل، كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملاء، وحين دخل نور الدين الموصل، خرج إليه ابن أخيه، فوقف بين يديه، فأحسن إليه وأكرمه، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة، فدخل فيها إلى البلد، في أبهة عظيمة، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوي الشتاء، فأقام بها، كما ذكرنا أربعة وعشرين يوماً فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها، رأى رسول الله ﷺ في المنام يقول له: طابت لك بلدك، وتركت الجهاد، وقتل أعداء الله؟ فنهض من فوره إلى السفر، وما أصبح إلا وهو سائر إلى الشام، واستقضى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون، وكان معه على سنجار، ونصيبين، والخابور، فاستتاب فيها ابن أبي عصرون نواباً وأصحاباً.

وفيها عزل الملك صلاح الدين يوسف قضاء مصر، لأنهم كانوا شيعية، وولى قضاء القضاء بها لصدور الدين عبد الملك بن دراس المراتي الشافعي، فاستتاب في سائر المعاملات قضاء شافعية، وبنى مدرسة للشافعية، وأخرى للملكية، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهان داراً، كانت تعرف بمنزل العز، وجعلها مدرسة للشافعية، وأوقف عليها الروضة، وغيرها. وعمر الملك صلاح الدين أسوار البلد، وكذلك أسوار إسكندرية، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً، وركب فاغار على بلاد الفرنج، بنواحي عسقلان، وغزة، وخرب قلعة كانت لهم على أيلة، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام، واجتمع شمله بهم بعد فرقة طويلة. وفيها قطع صلاح الدين الأذان بمجي على خير العمل، من دينار مصر كلها، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ طاهر بن محمد بن طاهر: أبو زوعة المقدسي الأصل، الرازي المولد، المهناني الدار، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير، وما كان يرويه مسند الشافعي، وكانت وفاته بهمدان يوم الأربعاء، سابع ربيع الآخر، وقد قارب التسعين.

يوسف القاضي:

■ أبو الحجاج بن الحلال، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن، اشتغل عليه فيه، وبرح، حتى قدر أنه صار مكانه، حين ضعف الشيخ عن القيام بأعباء الوظيفة، لكبره، فكان

وانطفأت جهرة الغشوة وقد
وصار شمل الصلاح ملتصاً
لما غدا معلناً شجار بني الد
ويات فاصي التوحيد متصراً
وظل أهل الضلال في ظلل
وارتكس الجاهلون في ظلم
وعاد بالمستضيء ممتهداً
واعتلّت الدولة التي اضطهدت
واهتر عطف الإسلام من جُدَد
واستشرت أوجه الهدى فرحاً
عاد حريم الأعداء متهك الد
قصور أهل القصور آخرها
أزعج بعند السكوت ساكنها
ومما قيل من الشعر ببغداد يشير الخليفة المستضيء بأمر الله بالخطة له
بمصر:

ليهنك يا مولاي فتح تباغت إليك به خوص الركائب توجف
أخذت به مصرأ وقد حال دونها من الشرك بأس في لها الحق يُمْنَف
ضادت محمد الله باسم إماننا تيه على كل البلاد وتشرّف
ولا غرو إن ذلت ليوسف مصره وكسات إلى عليائه تشرف
تلكها من قبضة الكفر يوسف وخلصها من عصبة الرنفس يوسف
يشابهه خلقاً وغلقاً وعفة وكل عن الرحمن في الأرض يثلّق
كشفت بها عن آل هاشم سبة وعلا أبى إلا بسيفك يكشف

وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين [٥٠١/١]،
وهي أطول من هذه، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن تركان
حاجب ابن هيرة أشدّها للخليفة المستجد قبل موته، عند تأول منام رآه،
بعض الناس للخليفة في هذا المعنى وأراد يوسف الثاني المستجد، وهكذا
ذكر ابن الجوزي: أنها أُنشئت في حياة المستجد، ولم يُخطب بها إلا لابنه
المستضيء، فجرى المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
أيوب.

وقد أرسل الخليفة المستضيء بأمر الله إلى الملك نور الدين، خلعة سنّية
سنّية وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية، ومعها أعلام سود،
ولواء معقود، ففرقت على الجوامع بالشام وبمصر فله الحمد على ما منح
من العز والنصر.

قال ابن أبي طي في كتابه [الروضتين: ٥٠١/١]: ولما تفرغ صلاح الدين
من توطيد المملكة، وإقامة الخطة العباسية والتعزية بانقضاء الدولة العبيدية
الزاعمة أنها فاطمية استعرض حواصل القصرين، فوجد فيهما من
الحواصل، والأمتعة، والألات، والملابس، والمفارش، شيئا باهرا، وإمرا
هائلا، من ذلك سبعمائة بتيمة من الجوهر، وقضيب زمرّد، طوله أكثر من
شبر، وسمكه نحو الإبهام، وحبل من ياقوت، وليريق عظيم من الحجر
المانع، وطبل للقرنح، إذا ضرب عليه أحد، يحصل له خروج ريح من
دبره، ويصرف عنه ما يجده من القرنح، فاتفق أن بعض أمراء الأكراد،

القاضي الناضل يقوم به ويأمله حتى مات، ثم كان بعد موته، كثير
الإحسان إلى أهله، ورحمهم الله.
يوسف الخليفة:

■ المستجد بالله بن المقضي بن المستظهر، تقدم ذكر وفاته، وترجته في
الحوادث، وقد توفي بعده عمه أبو نصر بن المستظهر بأشهر، ولم يبق بعده
أحد من ولد المستظهر، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي
القعدة منها.

ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة

فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر في أول جمعة منها، أمر الملك
صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية
بالقاهرة، وكان ذلك يوما مشهودا، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين
بالشام، أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك، مع ابن أبي عسرون وهو شهاب
الدين أبي المعالي، بالشام فزيت بغداد، وغلقت الأسواق، وعملت القباب،
وفرّح المسلمون فرحا شديداً، وكانت الخطبة قد قطعت لبني العباس من
ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي، حين
تغلب الفاطميون على مصر، أيام المعز الفاطمي، باني القاهرة، إلى هذا
الأوان، وذلك مائة وستة وثمان سنين.

قال ابن الجوزي: وقد ألفت في ذلك كتابا سمّيته النصر على مصر.

موت العاضد آخر الخلفاء العبيديين

والعاضد في اللغة القاطع «لا يعضد شجرها» [١٨٣٢]، م (١٣٥٤):
فيه قطعت دولتهم. واسمه عبد الله، ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ
بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور
بن القائم بن المهدي أول ملوكهم، وكان مولد العاضد في سنة ست
وأربعين، فعاش إحدى وعشرين سنة، وكانت سيرته مذمومة، وكان شجاعا
خييا، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة، واتفق أنه لما استقر
أمر الملك صلاح الدين، رسم بالخطة لبني العباس، عن مرسوم الملك نور
الدين، له بذلك لمعاينة الخليفة المستجد إياه قبل وفاته، وكان المستجد إذ
ذاك ملنفا مريضا، فلما مات، تولى بعده ولده، فكانت الخطبة بمصر له، ثم
إن العاضد مرض، فكانت وفاته في يوم عاشوراء، فحضر الملك صلاح
الدين جنازته، وشهد عزاءه، وبكى عليه، وتأسف، وظهر منه حزن كثير
عليه، وقد كان مطيعا له، فيما يأمر به، وكان العاضد كريما، جوادا، محدّثا
ساعه الله.

ولما مات، استحوذ الملك صلاح الدين على القصر بما فيه، وأخرج منه
أهل العاضد، إلى دار، أفردوا لهم، وأجرى عليهم الأرزاق، والنفقات المنية،
والعيشة الرضية، عوضا عما فاتهم من الخلافة، وكان صلاح يتنم على
إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة العاضد، وهلا صبر بها إلى بعد
وفاته، ولكن كان ذلك قدرا مقدورا وفي الكتاب مسطورا. ومما نظمته العماد
الكتاب في ذلك.

توفي العاضد الدمي فما يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انتفضى وغدا يوسفها في الأمور محكما

اغنى الخلفاء، وأكثرهم مالا، وكانوا من أغنى الخلفاء، وأجبرهم، وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع، والمكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد، وكثر بمرض الشام النصرية، والذرية، والخشيشية، وتقلب الفرنج على سواحل الشام بكماله، حتى أخذوا القدس الشريفة، ونابلس، وعجلون، والغور، وبلاد غزة، وعسقلان، وكرك الشوك، وطبرية، وبانياس، وصور، وعثلى وعكا، وصيدا، ويروت، وصفد، وطرابلس، وأنطاكية، وجميع ما ولى ذلك، إلى بلاد آياس وسيس، واستحوذوا على بلاد آمد، والزها، وراس العين، وبلاد شتى غير ذلك، وقتلوا من المسلمين خلقا، وأما لا يحصيهم إلا الله، وسبوا ذراري المسلمين، من النساء والولدان، ما لا يحصى ولا يوصف، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها، وصارت دار إسلام، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحصى ولا يوصف، وكادوا أن يغلبوا على دمشق، ولكن الله صانها الله بعنايته وسلمها برعايته، وحين زالت أيامهم، وانتقض إيرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها على أهلها من السادة المسلمين، ورد الله الكفرة خائين وأركسهم بما كسبوا في هذه الدنيا ويوم الدين، وقد قال حسّان الشاعر المدعو بقرقلة.

أصبح للملك بعدد آل علي مشرقاً بالملوك من آل شاذي
وغدا الشرق يحسد الفخر ب للفرم ومصر تزهو على بغداد
ما حووها إلا بعزم وحزم وصليل القولا في القولا
لا كفرعون والعزيز ومن كان بها كالخشب والأكباد

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله: يعني بالأستاذ كافور الإخشيدي، وقوله آل علي يعني الفاطميين، على زعمهم، ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا أدياء يتسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيدا، وكان يهودياً حاداً بسلامية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم، وطعنهم في نسبهم.

قال: وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق، في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر في الروضتين (٥١٤/١) في هذا الموضع، أشياء كثيرة في غيبن ما مشقته من سيرتهم في السنين المتقدمة عما يسد الأسماع ويفر الطباع.

قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سميت كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر الكذب والمكر والكيد وقد صف العلماء في الرد عليهم، كتب كثيرة، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبي بكر الباقلائي، الذي سماه كشف الأسرار وهناك الأستار وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب، يمدحهم على ما فعلوه بلبار مصر:

الستم مزياني دولة الكفر من بني عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية مجوس وما في الصالحين لهم أصل
يسرون كفرا يظهرن تشيما ليستروا شيئاً وغنم الجهل

وفي هذه السنة أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس، والضرائب، وقرئ المشور بذلك على رؤوس الأشهاد، يوم الجمعة، بعد الصلاة، ثالث صفر.

وفيها وقعت نفرة بين نور الدين والملك الناصر صلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة، بلاد الفرنج، في السواحل، فأحل بهم بأساً شديداً، وقرر في أنفسهم منه نفقة ووعيدا، ثم عزم على محاصرة الكرك،

أخذه في يده، ولم يدرك ما شأه، ف ضرب عليه، فحبس أي شرط قاله من يده على الأرض، فكسره، فبطل أمره. وأما القضيبي الزمرد، فإن صلاح الدين كسره ثلاث فلق، فقسمه بين نسائه، وقسم بين الأمراء شيئا كثيرا من قطع البلخش والياقوت، والذهب، والفضة، والأثاث، والأمتعة، وغير ذلك، ثم باع ما فضل عن ذلك، وجمع عليه أعيان التجار، فاستمر البيع فيما بقي هنالك، من الأثاث، والأمتعة، نحو من عشر سنين، وأرسل إلى الخليفة ببغداد، من ذلك، هدايا سنية، نفيسة، وكذلك إلى الملك نور الدين، أرسل إليه من ذلك جانباً كثيرا، صالحا، ولم يدخر لنفسه شيئا، مما حصل له من الأموال، بل كان يعطي ذلك من حوله من الأمراء، والوزراء والملوك والأصحاب رحمهم الله، فكان مما أرسله إلى نور الدين، ثلاث قطع بلخش، زنة الواحدة إحدى وثلاثون مثقالا، والأخرى ثمانية عشر مثقالا، والثالثة دونهما مع لآلء كثيرة، وستون ألف دينار، وعطر لم يسمع بمثله، ومن ذلك حمارة، غنائية وقيل عظيم جدا، فأرسلت الحمارة إلى الخليفة، في جملة هدايا ونحف هائلة.

قال ابن أبي طي: ووجد خزنة كتب ليس لها في مدائن الإسلام نظير، تشتمل على ألفي ألف مجلد.

قال: ومن عجائب ذلك، أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري. وكلنا قال العماد الكاتب: وكانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد.

وقال ابن الأثير: كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، وقد تسلمها القاضي الفاضل، فأخذ منها شيئا كثيرا مما اختاره واتخذه.

قال: وقسم القصر الشمالي، بين الأمراء، فسكنوه، وأسكن أبيه نجم الدين أيوب، في قصر عظيم على الخليج، يقال له للؤلؤة، الذي فيه بستان الكافوري، وسكن أكثر الأمراء، في دور من كان يتسمى إلى الفاطميين، ولا يلقى أحد من الأتراك، أحدا من أولئك الذين كانوا بها، من الأكابر، إلا شلحوا ثيابه، ونهبوا داره، حتى تمزق كثير منهم في البلاد، وتفرقوا شذرا منرا، وصاروا يهادي سباً.

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسرا، فصاروا كأمس الزاهب، كان لم يبقوا فيها.

وكان أول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حاداً اسمه سعيد، وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب، وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه إنه المهدي، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء، والأئمة، بعد الأربعمائة، كما قد بسطنا ذلك، فيما تقدم.

والمقصود أن هذا الدعي المذمى الكذاب، راج له ما افتراه في تلك البلاد، ووازره جماعة من جهلة السبّاد، وصارت له دولة وصوله، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه، وصار ملكاً مطاعاً، يظهر الرفض، وينظري على الكفر الحفص.

ثم كان من بعده ابنه القائم ثم ابنه المنصور ثم ابنه المعز وهو أول من دخل ديار مصر منهم، وبنيت له القاهرة ثم ابنه العزيز ثم ابنه الحاكم ثم ابنه الظاهر ثم ابنه المستنصر ثم ابنه المستعلي ثم ابنه الأمر ثم ابن عمه الحافظ ثم ابنه الظافر ثم الفائز ثم العاضد وهو آخرهم، فجللته أربعة عشر ملكا، ومدتهم مائتان وثلاثون سنة، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً، ولكن كانت مدتهم نيفا وتسعين سنة، وقد نظمت أسماء هؤلاء، بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس، عند انقضاء دولتهم ببغداد، في سنة ست وخمسين وستائة، كما سيأتي. وقد كان الفاطميون

ببتاد رحمه الله.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وفيها توفي:

■ نصر الله بن عبد الله أبو الفتح: الإسكندري، المعروف بابن قلاهدس، الشاعر بميلاد، توفي عن خمس وثلاثين سنة.

والشيخ أبو بكر

■ يحيى بن معلون القرطبي، نزيل الموصل، المقرئ، النحوي رحمه الله.

قال: وفيها ولد العزيز، والظاهر، ابنا صلاح الدين، والمتصور محمد بن تقي الدين عمر.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها أرسل الملك نور الدين، إلى الملك صلاح الدين وكان الرسول الموفق خالد بن القيسراني ليقم له حساب الديار المصرية، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه، من خزان العاضد، ومقصوده أن يقرر له على الديار المصرية خراجا منها في كل عام.

وفيها حاصر الملك صلاح الدين الكرك، والشوك، فضيق على أهلها، وخرب أماكن كثيرة من معاملاتها، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك.

وفيها اجتمعت الفرنج بالشام، لقصص مدينة زوع، فوصلوا إلى سمين، فبرز إليهم نور الدين، ففروا منه إلى الفوار، ثم إلى السواد، ثم إلى الشلالة، فبعث سرية إلى طبرية، فعاثروا هناك، وسبوا، وقتلوا، وغنموا، وعادوا سالمين، ورجع الفرنج خائنين لنعمهم الله أجمعين، وقد امتدحه العماد الكاتب بقصيدة طائفة في هذه الغزوة.

فتح بلاد النوبة

وفيها أرسل السلطان صلاح الدين، أخاه شمس الدولة تورانشاه، إلى بلاد النوبة، فانتحزها، واستحوذ على مقلها، وهو حصن يقال له إيريم، ولما رآها بلداً قليلة الجسوى لا يفي خراجها بكلفتها، استخلف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد، يقال له إبراهيم، فجعله مقنعا مقرراً بحصن إيريم، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين، فكثرت أموالهم، وحسنت أحوالهم هناك، وشنوا الغارات، وحصلوا على الغنائم والمسرقات، والله الحمد الذي ينعمت به الصالحات.

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، سقط عن فرسه فمات، وسنأتي على ترجمته في الوفيات.

وفيها سار الملك نور الدين، إلى بلاد عز الدين قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان بن سليمان السلجوقي ملك الروم، واقتد في طريقه ببلاد وأصلح ما وجده فيها من الخلل. ثم سار، فافتتح مرعش ويهنا وعمل في كل منهما بالحسن.

قال العماد: وفيها وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري، وهو فقيه عصره، ونسب وحده، فسر به نور الدين، وأنزله بحلب، بمدرسة باب العراق، ثم أتى به إلى دمشق، فدرس بزاوية الجامع الغريبة، المعروفة بالشيخ نصر المقدسي، ونزل بمدرسة الجاروخية، وشرع نور الدين في إنشاء مدرسة كبيرة للشافعية، فأدركه الأجل قبل ذلك.

قال أبو شامة: هي العادلية الكبيرة، التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب.

وكتب إلى صلاح الدين أن يلتقيه بالساكن المصرية إلى بلاد الكرك، ليجتمعا هناك، ويتفقا على المصالح التي يعود نفعها على المسلمين، فترهم من ذلك صلاح الدين، وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له، من التمكن، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر، لأجل امتثال المرسوم، فسار أياماً، ثم كر راجعاً متلاً بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور، إذا بعد عن مصر، واشتغل عنها، وأرسل يعتذر بذلك إلى السلطان الملك العادل نور الدين. فوقع في نفسه منه، واشتد غضبه عليه، وعزم على الدخول إلى مصر، وانتزاعها من صلاح الدين، وتوليها غيره، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين، ضاق بذلك ذروعه، وذكر ذلك بحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر، وقال: والله لو قصدنا نور الدين لنقاتله. فقتله الأمير نجم الدين أيوب، والد صلاح الدين، وأسكته، ثم قال لابنه: اسمع ما أقول لك، والله ما ههنا أحد أشق عليك مني، ومن خالك هذا يعني شهاب الدين الحسامي ولو رأينا الملك نور الدين، لبادرنا إليه، ولقلنا الأرض بين يديه، وكذلك بقية هؤلاء الأمراء، ولو كتب إلي أن أبعثك إليه مع نجاب لقلعت، ثم أمر من هناك بالانصراف والنحاب، فلما خلا بابنه قال: أما لك عقل؟ تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء، فيقول عمر مثل هذا الكلام، فقره عليه، فلا يبقى عند نور الدين، أهم من قصدك، وتالك، وخراب ديارنا، وأعمالنا، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين، لم يبق معك واحد منهم، ولذهبوا كلهم إليه، ولكن أبعث إليه، وترفق له، وتواضع عنده، وقل له: وأي حاجة إلى مجيء مولانا؟ أبعث إلي بنجاب حتى أجيء معه، إلى بين يديك. فبعث إليه بذلك، فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام، لأن قلبه له، وانصرفت همة عنه، واشتغل بغيره، وكان أمر الله قدرنا مقدورا.

وفيها اتخذ نور الدين الحمام الموحدي، وذلك لامتداد ملكته، واتساعها، فإنه ملك من حد النوبة إلى همذان، لا يتخللها إلا بلاد الفرنج، لعنهم الله، وكلهم تحت قهره، وهنته، فلذلك اتخذ في كل قلعة، وحصن، الحمام التي تحمل الرسائل إلى إلى الأفاق، في أسرع مدة، وليس عنة، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل: الحمام ملائكة الملوك. وقد أظنب في ذلك العماد الكاتب، وأطرب، وأعجب، وأغرب رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الحشاش، قرأ القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بال نحو واللغة، حتى ساد أهل زمانه فيهما، وشرح الجمل لعبد القاهر الجرجاني، وكان رجلاً صالحاً، متطوعاً، وهذا نادر في النحاة، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة، ودفن قريباً من الإمام أحمد، ورثي في المنام. فقليل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأدخلني الجنة، إلا أنه أعرض عني، وعن جماعة من العلماء، تركوا العمل، واشتغلوا بالقول.

قال القاضي ابن خلكان: كان مطرحاً للكلفة، في مأكله، وملبسه، وكان لا يبالي بمن شرق أو غرب.

■ محمد بن محمد بن محمد: أبو المظفر البروي، قرأ الفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وناظر، ووعظ ببغداد، وكان يظهر مذهب الأشعري، ويتكلم في الحنابلة، مات في رمضان منها.

■ ناصر بن الحوئي الصوفي: كان يمشي في طلب الحديث حافياً، توفي

نجم الدين أيوب عاقب، رجلاً نصرانياً، فقتله، وقيل إنما قتله أخوه أسد الدين شريكوه.

وهنا بخلاف الذي ذكره القاضي ابن خلكان، فإنه قال: رجعت جارية من بعض الخدم، فذكرت له، أنه تعرض لها أسفسلار، الذي بياب القلعة، فخرج إليه أسد الدين، شريكوه قطعته بحجرة، فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين، أيوب وكتب إلى مجاهد الدين بهروز، يخبره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن أياكم كانت له عليّ خدمة، وكان قد استتابه في هذه القلعة، قبل ابنه نجم الدين أيوب، وإنني أكره أن أسوءكم، ولكن انتقل منها. فأخرجهما بهروز من قلعتهم. وفي ليلة خروجه منها، ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف. قال: فتشامت به لفقدي بلدي، ووطني. فقال في بعض الناس: قد نرى ما أنت فيه، من التشاؤم بهذا المولود، فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت كبير؟ فكان كما قال، فانتصلاً بخدمة الملك عماد الدين زنكي، ثم كاتا عند ابنه نور الدين محمود الملك العادل وتقدموا عنده، وارتفعت منزلتهما، وعظما، فاستتابه نور الدين بيلبك، ولما تسلم بيلبك، أقام مدة طويلة، وولد له فيها أكثر أولاده، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية وصريرة الأمير نجم الدين إلى ابنه بها في ستة أربع وستين ثم اتفق أنه في ذي الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام، في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة، من هذه السنة، وكان ابنه صلاح الدين محاصراً للكرك والشولك غائباً عنه، فلما وصله الخبر تألم لعدم من حضوره، وأرسل يتحرق، ويتحزن، وأشد يقول: وتحطفه يد الردى في غيبي هني حضرت، فكتت ماذا أصنع؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة، والصدقة، والصيام، كريم النفس، جواداً، ملحاً.

قال ابن خلكان: وله خاتناه بالديار المصرية، ومسجد، وقناة، خارج باب النصر من القاهرة، وقفا في سنة ست وستين.

قلت: وله بدمشق خاتناه أيضاً، تعرف بالنجبة، وقد استتابه ابنه على الديار المصرية، حين خرج إلى الكرك، وحكمه في الخزانين، وكان من أكرم الناس، وقد امتدحه الشعراء، كالعماد الكاتب وعرقلة وعمار البيه وغير واحد، ورثوه حين مات بمراث كثيرة، وقد ذكر ذلك مستقصى الشيخ أبو شامة، في الروضتين (١/٥٤٠)، ودفن مع أخيه أسد الدين، بدار الإمارة، ثم نقل إلى المدينة النبوية، في سنة ثمانين، فدفن بترية الوزير جمال الدين الموصلي، الذي كان مؤاخياً لأسد الدين شريكوه.

قال شهاب الدين أبو شامة: وفي هذه السنة توفي ملك النجاة.

■ الحسن بن صالي يزدن التركي: كان من أكابر أمراء بغداد، المتحكمين في الدولة، ولكنه كان رافضياً خبيثاً، متعصباً للرافض، وكانوا في خفارتهم وجهاء، حتى أراح الله المسلمين منه، في هذه السنة، في ذي الحجة منها، ودفن بداره، ثم نقل إلى مقابر قرشي، ولله الحمد والملة.

وحين مات، فرح أهل السنة بموته، فرحاً شديداً، وأظهروا الشكر لله، فلا نجد أحداً منهم، إلا يمجّد الله، ففضب الشيعة من ذلك، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك. وذكر ابن الساعي في تاريخه، أنه كان في صفه شاباً، حسناً، مليحاً، معشوقاً، للأكابر من الناس. قال: ولشيخنا أبي اليمن الكندي فيه، وقد رمدت عينه:

بكل صباح لي وكل عشية وقوف على أبوابكم وسلام
وقد قيل لي يشكو سقماً بعينه فما نحن منها نشكي ونضام

وفيهما رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد، حين سار بالهند بالخطبة العباسية بالديار المصرية، ومعه توقيع من الخلافة بإقطاع درب هارون وصريفين لنور الدين، وقد كاتنا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي، فأراد نور الدين أن يبنّي ببغداد مدرسة، على دجلة، ويجمع هذين المكانين وقفاً عليها فعاقه القدر عن ذلك.

وفيهما وقعت بناحية خولرزم حروب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه، تقصّها ابن الأثير وابن الساعي.

وفيهما هزم ملك الأرمن مليح بن ليون بمساكر الروم، وغنم منهم شيئاً كثيراً، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثلاثين رأساً من رؤوس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستنفي.

وفيهما بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقوش، ملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه، إلى بلاد إفريقية، فملكوا طائفة كثيرة منها، من ذلك مدينة طرابلس الغرب، وعدة مدن معها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ يلدكرك الوكي الأتابكي: صاحب أذربيجان، وغيرها، كان مملوكاً للكمال السمرمي، وزير السلطان محمود، حظي يلدكرك هنا عند السلطان ثم علا أمره، وتمكن، حتى ملك بلاد أذربيجان، وبلاد الجبل، وغيرها، وكان عادلاً، منصفاً شجاعاً، عسناً إلى الرعية، توفي بهمدان.

الأمير نجم الدين أبو الشكر

■ أيوب بن شاذي: والد الملك بني أيوب الكردي الروادي وهم خيار الأكراد الذين نسبة إلى دوين شمالي بلاد أذربيجان مما يلي الكرخ، ومنهم من يقول أيوب بن شاذي بن مروان، زاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شاذي أحد في نسبهم، وأغرب بعضهم، فزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو الملك أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شاذي ويعرف بابن سيف الإسلام، وقد ملك اليمن بعد أبيه، فتعاطف في نفسه، وادعى الخلافة، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله أمير المؤمنين، وزعم أنه أموي، ومدحه الشعراء، وأطروه ولهجوا بذلك، وقال هو في ذلك أيضاً:

وأنا الهادي الخليفة والذي أدوس رقاب الغلب بالضر الجرد
ولا يد من بغداد أطوي ربوعها وأشرها نشر المسامر للبرد
وأصب أعلامي على شرفاتها وأحيي بها ما كان أسه جدي
ويطلب لي فيها على كل منبر وأظهر دين الله في الشور والتجد
وهذا الادعاء ليس بصحيح، ولا أصل له يعتمد عليه، ولا مستند يستند إليه.

والمقصود أن الأمير نجم الدين، كان أسن من أخيه أسد الدين شريكوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمير نجم الدين شجاعاً، خدم الملك محمد بن ملكشاه، فرأى فيه شهامة، وأمانة، فولاه قلعة تكريت، فحكم فيها، فعبدل، وكان من أكرم الناس، ثم أعطاه الملك مسعود، لمجاهد الدين بهروز، شحنة الرقاق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان، الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساعي، فأراه، وخدمه خدمة بالغة ثامة، ودأوى جراحه، وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً، ثم ارتحل إلى بلده الموصل، ثم اتفق أن

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم [٢٠٤/١٨]: إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار، كالنارنج، ومنه ما وزنه سبعة أروطال، ثم أعقب ذلك سيل عظيم، وزيادة عظيمة بدجلة، لم يعهد مثلها أصلاً، فخرت أشياء كثيرة من العمران والقرى، والمزارع، حتى القبور، وخرج الناس إلى الصحراء، وكثر الضجيج، والابتهاال إلى الله، حتى فرج الله عز وجل، وتناقصت زيادة الماء، بحمد الله ومنه:

قال: وأما الموصل، فإنه كان بها نحو ما كان ببغداد، وانهدم بالماء نحو من ألفي دار، واستهدم بسببه مثل ذلك، وهلك تحت المدم خلق كثير، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة أيضاً، فهلك بسببها شيء كثير من القرى، وغلت الأسعار بالعراق في هذه السنة، في الزروع، والثمار، ووقع الوفاء في الغنم، وأصيب شيء كثير من أكل منها بالعراق، وغيرها.

قال ابن الساعي: وفي رمضان منها، توالى الأمطار بليار بكر، والموصل، أربعين يوماً، وليلة، لم يروا الشمس فيها سوى مرتين، لحظتين يسيرتين، فهلكت بيوت كثيرة، ومساكن على أهلها، وزادت الدجلة بسبب ذلك، زيادة عظيمة، وغرق كثير من ساكني بغداد، والموصل، ثم تناقص الماء بإذن الله عز وجل.

قال ابن الجوزي: وفي رجب، وصل ابن الهروي من عند نور الدين، ومعه ثياب مصرية، وحمار ملونة، جلدها مخطط، مثل الثوب المتاني.

قال: عزل ابن الشاشي عن تدريس النظامية، وولياها أبو الخير القزويني.

قال: وفي جمادى الآخرة، اعتقل الحجير الفقيه، ونسب إلى الزندقة، والانحلال، وترك الصلاة، والصوم، ثم تعصب له أناس. وزكوه، فأخرج، وذكر أنه وعظ بالحرية ذات يوم، فاجتمع عنده قريب من ثلاثين ألفاً.

قال ابن الساعي: وفيها سقط أبو العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء، من قبة شافعة، إلى الأرض، فسلم، ولكن نبت يده اليمنى، وساعده اليسرى، وانسلخ شيء من أنفه، وكان معه خادم أسود، يقال له نجاح، فلما رأى سيده قد سقط، ألقى هو نفسه أيضاً خلفه، وقال: لا حاجة لي فيه الحياة بعده، فسلم أيضاً، فلما صارت الخلافة إلى أبي العباس الناصر وهو هذا الذي سقط لم ينسها لنجاح هذا، فحكمه في الدولة، وأحسن إليه، وقد كانا صغيرين لما سقطا.

وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم، وفي خدمته الجيش، وملك الأرمن وصاحب ملطية، وخلق من الملوك والأمراء، وافتتح عدة من حصونهم ولله الحمد، وحاصر قلعة الروم، فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية، ثم عاد إلى حلب، وقد وجد النجاح في كل ما طلب، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً محبوراً.

وفي هذه السنة كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان سبب ذلك، أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلاً يقال له عبد النبي بن مهدي، وقد تغلب عليها، ودعا إلى نفسه، وتسمى بالإمام، وزعم أنه سيملك الأرض كلها، وقد كان أخوه علي بن مهدي، قد تغلب قبله عليها، وانتزعها من أيدي أهل زيد، ومات سنة ستين، فملكها بعده أخوه هذا، وكل منهما كان سعي السيرة، والسرية، فعزم صلاح الدين، لكثرة جيشه، وقوته، على إرسال سرية إليه، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعاً، مهيباً، بطلاً، وكان ممن يجالس عمارة اليمني الشاعر، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن، وحسنها، وكثرة خيرها، فحده ذلك على أن يخرج في

تلك السرية، في رجب من هذه السنة، فورد مكة، فاعتمر بها، ثم سار منها إلى زيد، فخرج إليه عبد النبي، فقاتله، فهزم تورانشاه جيشه، وأسر زوجته الحرة، وكانت ذات أموال جزيلة، فاستقرها على أشياء نفيسة، وذخائر جليلة، ونهب الجيش زيد، ثم توجه إلى عدن، فقاتله بأسر ملكها، فهزمه، تورانشاه وأسر، وأخذ البلد يسير من الحصار، ومنع الجيش من نهبها، وقال: ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لعمارتها وملكها. ثم سار في الناس سيرة حسنة، عادلة، فأجوه، ثم تسلم بقية الحصون، والمقاتل، والمخالفين، واستوسق له ملك اليمن بخذافيره، وألقى إليه بأفلاذ كبده، ومطاميره، وخطب فيها للخليفة العباسي المستضيء، وقتل الدعوى المسمى بعبد النبي، وصفت اليمن من أكتارها، وعادت إلى ما سبق من مضامرها، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر صلاح الدين يخبره بما فتح الله عليه، وأحسن إليه، فكتب الملك صلاح الدين بذلك، إلى نور الدين فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة، يشيره بفتح اليمن، والخطبة بها له.

وفيها خرج الموفق خالد بن القيسراني من الديار المصرية، وقد أقام بها الملك الناصر، حساب الديار المصرية، وما خرج من الخواصل، حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم، وقد كاد صلاح الدين، لما جاءته الرسالة بذلك، يظهر شق العصا ويواجه بالمخالفة والإباء لكنه عاد إلى طباعه الحسنة، وأظهر الطاعة المستحسنة، وأمر بكتابة الحساب، وتحرير الكتاب والجواب، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين، والحساب، والكتاب، ويث مع ابن القيسراني بهدية سنية، وتحف هائلة هنية. فمن ذلك خمس ختمات شريفات، مغطات بخطوط مستويات، ومائة عقد من الجواهر النفيسة، خارجاً عن قطع البلخش، والياقوت، والفصوص، والياقوت، الفاسخرات، والأواني، والأباريق، والصحاف الذهبية، والفضيات، والخيول المسومات، والغلمان، والجواري الحسان، والحسنات، ومن الذهب عشرة صناديق، مقفلات، غنومات، بما لا يدرى كم عدة ما فيها، من مئين ألوف ومئات، من الذهب المصري المدل للنفقات. فلما فصلت العير من الديار المصرية، لم تصل إلى الشام، حتى كان وفاة الملك نور الدين رحمه الله، رب الأرضين والسماوات، فأرسل صلاح الدين من ردها عليه وأعادها إليه، ويقال إن منها ما عدي عليه، وعلم بذلك حين وضعت بين يديه.

مقتل

■ عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي من قحطان، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني، الفقيه، الشاعر، الشافعي، وسبب قتله، أنه اجتمع جماعة من رؤوس الدولة الفاطمية، الذين كانوا فيها حكاماً، فاتفقوا فيما بينهم أن يعينوا الدولة الفاطمية، فكتبوا إلى الفرنج، يستدعونهم إليهم، وعينوا خليفة من ذرية الفاطميين، ووزيراً وأمراً، وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك، ثم اتفق بجبة فحرض عمارة اليمني، شمس الدولة توران شاه، على السير إلى اليمن، ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج إذا قدموا لنصرة الفاطميين، فخرج توران شاه، ولم يخرج معه عمارة اليمني، بل أقام بالقاهرة، يفيض في هذا الحديث، ويدخل التكلمين فيه، ويصافيه، وكان من أكابر الدعاة إليه، والمحرزين عليه هذا، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين، وذلك من قلة عقلمهم وكثرة جهلهم، فخانهم أحوج ما كانوا إليه، وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ، جاء إلى السلطان فأخبره بما تآلأ القوم عليه وما انتهى أمرهم إليه، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة، وأفاض عليه حلالاً جميلة، ثم استدعاهم السلطان

ملك إذا آتاه قاهلته بشر جيني
وإذا تفتت يمينه وغرخت يمن
فأزقه والبشر فرق جيني
أبراهم لثم الملوكة يميني
ومن ذلك قوله يتنزل:

لي في حوى الرضا العذري اعتذار
لي في القنود وفي لثم الخنود وفي
لما اختارني فوافني إن رضى به
ولا فتغني لي أكرى وأختار

وما أنشد الشيخ تاج الدين الكندي في عمارة اليميني حين صلب:
عمارة في الإسلام أبى خيانة
وأنتى شريك الشركى بنى
وأصبح في حب العليسي صليبا
وكان خيبت للمضى إن عجمته
سبقتى غدا ما كان ينمى لأجله
وتنقى صليبا في لطفى وصليبا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: فالأول صليب النصراني، والثاني
بمعنى مصلوب. والثالث بمعنى القوي، والرابع ذلك العظام.
ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت، الثاني من شهر رمضان،
من هذه السنة، بين القصرين من القاهرة، كتب إلى الملك نور الدين، يعلمه
بما وقع منهم، وما أوقع بهم، من الحزني، والنعالي.

قال العماد: فوصل الكتاب بذلك الأمر يوم توفي الملك نور الدين،
رحم الله تعالى. وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الإسكندرية،
يقال له قديد القفاص كان قد افتتن به الناس، وجعلوا له جزءا من
أكسابهم، حتى النساء من أمهاتهن، فأحبط به، فأراد الخلاص، ولات حين
مناص، فقتل أسوة بمن سلف، ولقد كان يش الخلف وما وجد من شعر
عمارة، يرثي العاضد، ودولته، وإياه.

أنسى على زمن الإسماعيل
جالت من وزيه وصيحت من
يا ابن النبي من لأدحام الزايد
كأنوا كالأراجيح الخفيم الزايد
نكبا وقصر عن صلاح القاصد
ما عودكم من جيل عزيد
أشفي على الإسماعيل
جالت من وزيه وصيحت من
يا ابن النبي من لأدحام الزايد
كأنوا كالأراجيح الخفيم الزايد
نكبا وقصر عن صلاح القاصد
ما عودكم من جيل عزيد

وله في قصيدة:

يا عافني في حوى أبنا فاطمة
بالله دز ساحة القصرين ولبك ميسي
وكل لأهلها والله ما التختت
منا نرى كانت الإفرنج فاعلة
للك اللاتة إن قصرت في عذلي
عليها لا على صوتين والجمل
فيكم فوجي ولا جرجي يتنزل
في نسل آل أمير المؤمنين علي

وقد أورد له الشيخ أبو شامة، في الروضتين، أشعارا كثيرة، من مئانحه
في الخلفاء الفاطميين، وكذا ابن خلكان.

■ ابن قرقول إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن
القائد الحمزي أبو إسحاق بن قرقول الأندلسي: صاحب كتاب مطالع
الأنوار، الذي وضعه على مثال كتاب مشارق الأنوار، للقاضي عياض،
وكان من علماء بلاده، وفضلائهم المشهورين، مات فجأة بعد صلاة
الجمعة، سادس شوال من هذه السنة عن أربع وستين سنة، قاله ابن

واحدا واحدا فقررهم، فأقروا له بذلك، فاعتقلهم، ثم استغنى الفقهاء في
أمرهم، فأقره بقتلهم وتبديد شملهم فعند ذلك، أمر بصلب رؤوسهم،
وأعيانهم، دون أتباعهم، وعلمانهم، وأمر بنفي من بقي من جيش الميادين
إلى أقصى البلاد، وأمر ذرية العاضد، وأهل بيته في دار، فلا يصل إليهم
إصلاح، ولا إفساد، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق، والسياب،
وكان عمارة معالدا للقاضي الفاضل، فلما أحضر عمارة بين يدي السلطان
قام القاضي الفاضل فاجتمع بالسلطان، ليشفع فيه عنده، فتوهم عمارة أنه
يتكلم فيه، فقال: يا مولانا السلطان لا تسمح منه. فغضب القاضي
الفاضل، وخرج من التصر، فقال له السلطان: إنه إنما كان قد شفع فيك.
فندم ندما عظيما. ولما ذهب به ليصلب اجتاز بدار القاضي، فطلبه، فتنيب
عنه، فأنشد عند ذلك:

عبد الرحيم قد احتجب إن الخلاص هو العجب
قال ابن أبي طي: وكان الذين صلبوا:

■ المفضل بن كامل القاضي، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن
كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين، ويلقب بفخر الأمناء،
وكان أول من صلب فيما قاله العماد الكاتب، وقد كان ينسب إلى فضيلة
وأدب، وله شعر رائق، فمن ذلك قوله في غلام وفاء.

يا رافيا خرق كل ثوب ويا رشا جبه اعتقادي
عسى يكف الرصا ترفو ما مزق الحجر من فؤادي

■ ابن عبد القوي داعي الدعاة، وكان يعلم بلغات القصر، فموقب

ليعلم عليها، فامتنع من ذلك، فمات، واندرست.

■ العويس وهو ناظر الديوان، وتولى مع ذلك القضاء.

■ شبرا وهو كاتب السر.

■ عبد الصمد القشة، وهو أحد أمراء المصريين.

■ لجاح الحمامي، ورجل منجم نصراني أرمني كان قد بشرهم بأن

هذا الأمر يتم بعلم النجم.

■ عمارة اليميني الشاعر: وقد كان شاعرا، مطبقا بليغا فصيحاً، لا

يلحق شأوه في هذا الشأن، وله ديوان شعر مشهور، وقد ذكرته في طبقات

الشافعية، لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعي، وله تصنيف في الفرائض،

وكتاب الوزراء الفاطميين، وكتاب جمع فيه سيرة نفيسة، التي كان يعتقد

عوام مصر، وقد كان أديبا، فاضلا، فقيها، غير أنه كان ينسب إلى موالاة

الفاطميين، وله فيهم، وفي وزيانهم، وأمرانهم، مدائح كثيرة جدا، وأقل ما

كان ينسب إلى الرض، وقد اتهم بالزندقة، والكفر المحض، وذكر العماد في

الحريدة (رقم الشعراء: ١٠٤/٣)، أنه قال في قصيدته، التي يقول في أولها:

البلم شذ كان محتاج إلى العلم وشفرة الشيفر تستغني عن القلم

وهي طويلة جدا، فيها كفر وزندقة كثيرة. قال فيها:

قد كان أولك هذا الدين من رجل سنى إلى أن دعوه سيء الأسم

قال العماد: فأتى أهل العلم من أهل مصر، بقتله، وحرصوا السلطان

على المثلة به، ومثله. قال: ويجوز أن يكون هذا البيت، معمولا عليه، والله

أعلم.

وقد أورد ابن الساعي، شيئا من رقيق شعره فمن ذلك قوله، يلحج

بعض الملوك:

خلكان، والله سبحانه وتعالى اعلم.

فصل في وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن

آق سنقر التركي السلجوقي في هذه السنة رحمه الله

وذكر شيء من سيرته العادلة وأيامه الكاملة

■ (نور الدين بن زنكي).

هو الملك العادل، نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدولة، عماد الدين، أبي سعيد زنكي، الملقب بالشهيد، ابن الملك آق سنقر الأتابك، الملقب بقسيم الدولة، التركي، السلجوقي، مولاهم، ولد وقت طلوع الشمس، من يوم الأحد، السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسة مئة، ونشأ في كفالة والده صاحب حلب، والموصل، وغيرهما من البلدان، الكثيرة الكبيرة. وتعلم القرآن، والفروسيّة، والرمي، وكان شهماً، شجاعاً، ذا همة عالية، وقصد صالح، وحرمة وافرة، وديانة متينة، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين، وهو محاصر جبر، كما ذكرنا، صار الملك مجلب إلى ابنه نور الدين هذا، وأعطى أخوه سيف الدين غازي الموصل، كما تقدم، ثم اقتنع الملك نور الدين دمشق في سنة تسع وأربعين، فأحسن إلى أهلها، وبني لهم المدارس، والمساجد، والربط، ووسع لهم الطرق على المارة، وبني عليها الرصافات، ووسع الأسواق، ووضع المكوس ببلد الغنم، والبطيخ، والعروة، وغير ذلك.

وكان حفي المذهب، يحب العلماء والفقراء، ويكرمهم، ويعتزمهم، ويحسن إليهم، وكان يقوم في أحكامه بالعدل، الحسنة، واتباع الشرع الطهور، ويعقد مجالس العدل، ويتولاهم بنفسه، ويجتمع إليه في ذلك القاضي، والفقهاء، والمفتون من سائر المذاهب، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد العلوي، الذي بالكشك، ليصل إليه كل أحد من المسلمين، وأهل الذمة، حتى يسأولهم، وأحاط السور على حارة اليهود، وكان خراباً، وأغلق باب كيسان، وفتح باب الفرج، ولم يكن قبله هناك باب بالكلية، وأظهر بيلاده السنة، وأمات البدعة، وأمر بالتأذين بحمي على الصلاة، حمي على الفلاح، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده، وإنما كان يؤذن بحمي على خير العمل، لأن شعار الروافض، كان ظاهراً بها، وأقام الحدود، وفتح الحصون، وكسر الفرنج غير مرة واستنقذ من أيديهم معازل كثيرة، من الحصون النبعة، التي كانوا قد استحوذوا عليها، من بلاد المسلمين، كما تقدم بسط ذلك، في الستين المتقدمة في أيامه، وأقطع الأمراء العرب إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجيج، وبني بدمشق مارستاناً حسناً، لم يكن في الشام قبله مثله، ولا بعده أيضاً، ووقف وقفاً، على من يعلم الأيتام الخط والقرآن، وجعل لهم نفقة، وكسوة، وعلى من يكرم الأيتام وعلى المجاورين بالخرمين، وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير، وعلى الأراميل، والمجاويز وكان الجامع دائراً، فولي نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصل، الذي قدم به، فولا قضاء قضاء دمشق فأصلح أموره، وفتح المشاهد الأربعة، وقد كانت حواصل الجامع بها، من حين احترق، في سنة إحدى وستين وأربعمائة، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعروفة، الأوقاف التي لا يعرف واقفوها، ولا يعرف شروطهم فيها، وجعلها قلماً واحداً، وسماه مال المصالح، ورتب عليه لنوي الحاجات الفقراء، والمساكين والأراميل والأيتام وما أشبه ذلك.

وقد كان الملك نور الدين، حسن الخط، كثير المطالعة للكتب الدينية، متبعاً للأثر النبوية، محافظاً على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة، عجا لنقل الخبرات، عفيف البطن، والفرج، مقتصدًا في الإنفاق على نفسه، وعياله، في المطعم، والملبس، حتى قيل: إنه كان أدنى الفقراء في زمانه، أعلى نفقة منه، من غير اكتناز، ولا استتار بالدنيا، ولم تسمع منه كلمة فحش قط، في غضب، ولا رضى، صموتاً وقوراً.

قال ابن الأثير: لم يكن من ملوك الإسلام بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين، ولا أكثر تحريراً، للعدل والإنصاف منه، وكانت له دكاكين بمحصر قد اشتراها بما ينحصر من المغام، فكان يقتات منها، وزاد امرأته من كرامها على نفقتها عليها، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال، فكان يتناول، ولا يزيد عليه شيئاً ولو مات جوعاً، وكان يكثر اللعب بالكرة، فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك، فقال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بذلك تحمين الخيل على الكر والفر، وتعليمها ذلك، ونحن لا نترك الجهاد. وكان لا يلبس الحرير، وكان يأكل من كسب يده، بسيفه ورمحه.

وركب يوماً مع بعض أصحابه، والشمس في ظهورهما، والظل بين أيديهما، لا يدركانه، ثم رجعا، فصار الظل وراءهما، فساق الملك نور الدين وجعل يلتفت، وظله يتبعه، ثم قال لصاحبه: قد شئت ما نحن فيه بالدنيا، تهرب عن يطلبها، وتطلب من يهرب منها. وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى:

نَسَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ نَسَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ
أَنْتَ لَا تَذَرُكُهُ مُتَبِعاً فَإِذَا وُيِّتَ عَنْهُ تَبَكُّنْ

وكان قتيها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث، وأسمعه، وكان يكثر الصلاة بالليل، من وقت السحر إلى أن يركب:

جَنَحَ الشَّجَاعَةِ وَالْحُشْرَى لَدَيْهِ مَا أَحْسَنَ الْمَرْبَابِ فِي الْخِرَابِ

وكذلك كانت زوجته، عصمت الدين خاتون، بنت الأتابك معين الدين أثر تكثر قيام الليل، فنامت ذات ليلة عن ودها، فأصبحت وهي غصبي، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فوت عليها ودها، فأمر نور الدين عن ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر، لتوقظ النائم ذلك الوقت، لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة اجرا جزيلًا، وجراية كثيرة.

فَالْبَيْتُ اللَّهُ مَاتَيْكَ الْعِظَامُ وَإِنْ بَلَيْنَ نَحْتِ الشَّرَى غَسْرًا وَغَفْرًا
سَقَى شَرَى أَوْزَعَهُ رَحْمَةً ثَلَاثَ شَوَى يُورِجُهُمْ رَوْحًا وَرِيحًا

وذكر ابن الأثير، أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة، إذ رأى رجلاً يحدث آخر، ويومئ، إلى نور الدين فبعت الحاجب ليسأله ما شأنه، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً، يريد أن يحاكمه عند القاضي، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك، ألقى الجروكان من يده، وأقبل مع خصمه، ماشياً إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري، وأرسل نور الدين إلى القاضي، أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم، فحين وصلا، وقف نور الدين مع خصمه، بين يدي القاضي حتى انفصلت الخصومة والحكومة، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل، فلما تبين ذلك قال السلطان: إنما جئت معه، لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا

فأله أعلم.

وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات، والأبراج، وربت الحفر في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحمام الموادي، التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة، وبنى الربط، والختافات، وكان يجتمع الفقهاء عنده للبحث والمشايع والصوفية للزيارة ويكرمهم ويعظمهم، وكان يحب الصالحين، وقد نال بعض الأمراء عنده من بعض العلماء وهو قطب الدين النيسابوري، فقال له نور الدين: ويحك، إن كان ما تقول حقاً، فله من الحسنات الكثيرة، الماحية لذلك، ما ليس عندك، بما يكفر عنه سيئات ما ذكرت، إن كنت صادقاً، على أبي وأله لا أصدقك، وإن عدت ذكرته، أو أحداً غيره بسوء لأجبتك. فقال تكف عنه، ولم يذكره بعد ذلك.

وقد ابتنى بدمشق داراً لسماع الحديث، وإسماعه.

قال ابن الأثير: وهو أول من بنى دار حديث، وقد كان مهياً، وقوراً، شديد الهية في قلوب أمراءه لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن، سوى الأمير نجم الدين أيوب، وأما أسد الدين شيركوه، ومجد الدين بن الداية، نائب حلب، وغيرهما من الأكابر، فكانوا يقفون بين يديه، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء والفقراء، قام له، ومشى خطوات، وأجلسه معه على سجاده وشرع يجاذبه في وقار وسكون، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكراً، يقول: هؤلاء لهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيتهم فإذا رضوا منا ببعض حقهم، فلهم المنة علينا.

وقد شمع عليه جزء حديث وفيه فُخرج رسول الله ﷺ متقلداً السيف فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس، وكيف يربط الأجناد السيف في أوساطهم، ولا يفعلون هذا، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيف إلا متقلديها، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف، وجميع الجيش كذلك، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ، فرحه الله.

وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسراني الشاعر، أنه رأى في منامه، أنه يغسل ثياب الملك نور الدين، فأمره أن يكتب منشير يوضع المكوس، والضرائب عن البلاد، وقال له: هذا تأويل رؤياك.

وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم، ويقول: إنما صرف ذلك، في قتال أعدائكم، من الكفرة، قبحهم الله ولعنهم.

وكتب بذلك إلى سائر ممالكه، وبلدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار لنور الدين وكان يقول في سجوده: اللهم ارحم العشار، المكاس، وقيل: إن برهان الدين البلخي، أنكر على الملك نور الدين، في استعائته في الحروب، بأموال المكوس، وقال له مرة: كيف تصرون وفي عساكركم، الخمر، والطبول، والزمرور؟ ويقال: إن سبب وضعه المكوس عن الناس، أن الواعظ أبا عثمان المتجب، ابن أبي محمد الواسطي وكان من الصالحين الكبار، أشد نور الدين:

مثل وقوفك أيها الغرور يوم القيامة والسماء تمور إن قيل نور الدين رحمت مسلماً فاحلو بأن تسعى وما لك نور أنهت عن شرب الخمر وأنت من كأس المظالم طافع خمرور عطلت كاسات المدام تنففاً عليك كاسات الحرام تسدور ماذا تقول إذا قلبت إلى البلى فرباً وجاءك منكسر ونكسر؟

دعي إليه، فلما نحن شحنتكة بين يديه، وأنا أعلم، أنه لا حق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم، أبي قد ملكته ذلك الذي ادعى به، ووجهه له.

وأرسل القاضي تاج الدين رسولاً من جهته يقال له سويد ليحضر الملك نور الدين إلى مجلس الحكم لسماع دعوى من رجل عليه فبلغ سويد الرسالة إلى الحاجب فدخل عليه وهو يضحك ويقول: ليقم المولى إلى القاضي لسماع دعوى وكأنه يستهزئ بذلك، فقال له الملك: وما لك تستهزئ بذلك؟ ثم قال: اتوني بفرسي فنهض وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (البر: ٥٩). وذهب إلى الحاكم وكان يوماً مطراً كثير الوحل رحمه الله تعالى.

قال ابن الأثير: وهو أول من ابتنى داراً للعدل، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين، وقيل أربع مرات، وقيل خمس. ويحضر القاضي، والفقهاء من سائر المذاهب، ولا يحجبه يومئذ حاجب، ولا غيره، بل يصل إليه القوي والضعيف، فكان يكلم الناس، ويستفهمهم، ويخاطبهم بنفسه، فيكشف الظالم، وينصف المظلوم من الظالم، وكان سبب ذلك، أن أسد الدين شيركوه بن شاذي كان قد عظم شأنه عند نور الدين، حتى صار كأنه شريكه في المملكة، واقتنى الأملاك، والأموال، والمزارع، والقرى، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضي، وكان القاضي كمال الدين ينصف كل من استعده على جميع الأمراء، إلا أسد الدين هذا، فلما ابتنى نور الدين دار العدل، تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يتعدوا لأحد عنده ظلامة، وإن كان عظيماً، فإن زوال ما له عنده أحب إليه أن يراه نور الدين بعين ظالم، أو يوقفه مع خصم من العامة، ففعلوا ذلك، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متواصلة، ولم ير أحداً يستعدي على أسد الدين، سأل القاضي عن ذلك، فأعلمه بصورة الحال، فسجد نور الدين عند ذلك شكراً لله، وقال: الحمد لله الذي أصحابنا، ينصفون من أنفسهم.

وأما شجاعته فكان يقال: إنه لم ير على ظهر فرس أحسن ولا أثبت منه، وكان حسن اللعب بالكرة، وكان ربما ضربها، ثم يسوق وراءها، ويأخذها من الهواء بيده، ثم يرميها إلى آخر الميدان، ولم ير جوكاته يعلو على رأسه، ولا يرى الجوكان في يده، لأن الكم سائر لها، ولكنه استهانة بلعب الكرة.

وكان شجاعاً، صبوراً في الحرب، يضرب به المثل في ذلك، وكان يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة، فلم يبق لي ذلك.

وقال له يوماً الفقيه قطب الدين النيسابوري: بالله يا مولانا السلطان، لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قتلت، قتل جميع من معك، وأخذت البلاد، فقال له: اسكت يا قطب الدين، من هو محمود؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي، غير الله الذي لا إله إلا هو؟ قال فبكى من كان حاضراً، رحمه الله.

وقد أسر بنفسه، في بعض الفزوات بعض ملوك الفرنج، فاستشار الأمراء فيه، هل يقتله، أو يأخذ ما يذل له من المال في الفداء، فاختلفوا عليه، ثم حسن في رأيه إطلاقه، وأخذ الفداء فحين جهز يثت الفداء مات ببلده، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه. وابتنى نور الدين من ذلك المال اليمارستان الذي بني بدمشق، وهو أحسن ما بني من البارستانات بالبلاد ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ومن جاء مستوصفاً فلا يمنع من شربه ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله.

قلت: ويقول بعض الناس: إنه لم تحمد منه النار منذ بني إلى زماننا هذا،

بجبل قاسيون، وجامع القلعة، ومسجد عطية، ومسجد ابن لييد بالفسقار، ومسجد الرماحين المعلق، والمسجد العباسي، والمسجد المعلق بالصاغة، ومسجد دار البطيخ المعلق، والمسجد الذي جده نور الدين، جوار بيعة اليهود، لكل من هذه المساجد، جزء من إحدى عشر جزءاً من النصف. ومناقبه، ومآثره كثيرة جداً. وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما عداها.

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروشتين [٩/١] كثيراً من عايشته، وذكر ما مدح به من القصائد، وقد أوردنا في غبرون دولته طرفاً صالحاً من عدله وقصده الصالح وذكرنا أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات، ثم تولى صلاح الدين، هم بعزله عنها، واستأبته غيره فيها غير مرة، ولكن يعوقه عن ذلك القدر ويصد، اقتراب أجله وقصر عمره، فلما كان في هذه السنة أعني سنة تسع وستين وخمسمائة وهي آخر مدته، أضر على الدخول إلى الديار المصرية، وصمم عليه، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل، وغيرها، ليكونوا ببلاد الشام، ويركب هو في جمهور جيشه إلى مصر، وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً، فلما كان يوم عيد الفطر، من هذه السنة، وهو في الميدان الأخضر القلبي، وصلى به الخطيب فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى القيق في الميدان الأخضر الشمالي، والقدر يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سماً طافلاً، وأمر بانتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزينت له البلد، وضربت البشار للعيد والختان، ثم ركب في يوم الاثنين، في المركب على العادة، ثم لعب بالكرة في يومه ذلك اليوم، فحصل له غيظ من بعض الأمراء ولم يكن ذلك من سجيته فبادر إلى القلعة، وهو كذلك في غلبة الغضب، وحصل له الزعاج، ودخل في حيرة سوء المزاج، واشتغل بنفسه، وإزعاجه، وتكررت عليه جميع حواسه، وطباعه، واحتبس أسبوعاً عن الناس، والناس في شغل عنه، بما هم فيه من اللعب والانشراح، بالزينة التي نصبوها لأجل طهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يروح مجوده، سروروا بذلك، فانتعشت تلك الأنفراح بالأتراح، ونسخ الجد ذلك المزاج، وحصلت للملك خواتين في حلقة، منته من أداء النطق، وهذا شأن أوجاع الحنق، وكان قد أشير عليه بالفصد، فلم يفعل، وكان أمر الله قدراً مقدوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

فلما كان يوم الأربعاء، الحادي عشر من شوال من هذه السنة، قبض إلى رحمة الله تعالى، عن ثمان وخمسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة، رحمه الله، وصلى عليه بجامع القلعة ودفن بها ثم حول إلى تربة بنيت له بباب المدرسة التي أنشأها للحنفية رحمه الله ويل بالرحمة ثراه وجعل الجنة مأواه.

وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة، قد أوردنا أبو شامة في الروشتين [٥٨١/١]، وما أحسن ما قاله العماد:

عجبت من الموت كيف احتدى إلى ملك في سجايا ملك
وكيف شوى الفلك المستدير في الأرض وسط الفلك

وقال حسان الشاعر الملقب بالمرقلة في مدرسة نور الدين حين دفن فيها رحمه الله تعالى:

ومدرسة سيدرس كل شيء وتبقى في حنى علم ونسك

ذليلاً والحساب عسير
يرم الحساب مسح مجرور
ضيق اللحد مودد مقبور
يوماً ولا قال الأنعام أمير
في عالم الموتى وأنت حدير
قلقا وما لك في الأنعام مجير
عاني الخراب وجسمك المعمور
أبداً وأنت بعد مهجور
يوم العاد لعلمك المصور
مهد لنفسك حجة تنجو بها

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات، بكى بكاء شديداً، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر بلاده.

وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل وكان قد أمر الولاة والأمراء بها، أن لا يفصلوا بها أمراً، حتى يعلموه، فما أمرهم به من شيء امتثلوه، وكان من الصالحين الزاهدين، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفطر عليه، وكان يرسل إليه، بفتيت، ورقاق، فيفطر عليه - كتب إليه: إن المسلمين قد كروا، ويحتاج إلى نوع سياسة، ومثل هذا لا يجي إلا بقتل، وصلب، وضرب، وإذا أخذ مال إنسان في البرية، من يجي فيشهد له؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتبه: إن الله خلق الخلق، وشرع لهم شريعة، وهو أعلم بما يصلحهم، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة، لشرعها، فما لنا حاجة إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى، فمن زاد، فقد زعم أن الشريعة ناقصة، فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله، وعلى ما شرعه والعقول الظلمة لا تهتدي، والله سبحانه يهدينا وليأكل إلى صراط مستقيم. فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا، جمع الناس بالموصل، وقرأ عليهم الكتاب، وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك، وكتاب الملك إلى الزاهد.

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان، يستعليه على رجل، أنه يسبه، ويرميه، بأنه مرء متانس وجعل يبالغ في الشكاية عليه، فقال له السلطان: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٢٣] ففككت الشيخ، ولم يجر جواباً. وقال الفقيه أبو الفتح الأشعري - معيد النظامية ببغداد، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين، قال: وكان نور الدين حافظاً على الصلوات في أوقاتها في جماعة، بتنام شروطها، والقيام بها، بأركانها، والطمأنينة في ركوعها، وسجودها، وكان كثير الصلاة بالليل، كثير الابتهاج في الدعاء، والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها.

قال: وبلغنا عن جماعة من الصوفية، ممن يعتمد على قولهم، أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة، أيام الفرنج. فسمع الكفار يقولون ابن القسيم يمتون نور الدين له مع الله سر، فإنه ما يظفر علينا بكثرة جنده، وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء، وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل، ويرفع يده إلى الله، ويدعو، فإنه يستجيب له، ويعطيه سؤله، وما يرد يده خائباً فيظفر علينا. قال: فهذا كلام الكفار في حقه. رحمه الله.

وحكى الشيخ أبو شامة، أن نور الدين وقف بستان الميدان، سوى الغيبة التي تليه، نصفه على تطيب جامع دمشق، والنصف الآخر يقسم أحد عشر جزءاً، جزاًن منها على تطيب المدرسة التي أنشأها للحنفية، والتسعة أجزاء الباقية على تطيب المساجد التسعة، وهي مسجد الصالحين

دمشق، إلى حلب وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة، من هذه السنة، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكتها، واحتاطوا على بني النوبة، شمس الدين علي بن النوبة، أخو مجد الدين، الذي كان رضيع نور الدين، وإخوته الثلاثة، وقد كان شمس الدين علي بن النوبة، يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فريسه؛ لأنه أحق الناس بذلك، فخيروا ظنه، وسجنوه وإخوته في الحب، فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء يلومهم على ما فعلوا، من نقل الولد، من دمشق إلى حلب، ومن حبسهم بني النوبة، وهم من خيار الأمراء، ورؤوس الكبراء، ولم لا يسلمون الولد إلى مجد الدين بن النوبة، الذي هو أحظى عند نور الدين، وعند الناس منهم. فكتبوا إليه، يسيئون عليه الأدب، وكل ذلك يزيد حقا عليهم، ويحرضه على القلوم بجيش إليهم، ولكنه في هذا الوقت، في شغل شغل، لما دعه ببلاد مصر من الأمر الهائل، كما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالى، في أول السنة الآتية.

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير

■ الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد العطار، أبو العلاء الهمداني الحافظ، سمع الكثير، ورحل إلى بلدان كثيرة، واجتمع بالمشايخ، وقدم ببلاد، وحصل الكتب الكثيرة، واشتغل بعلم القراءات واللغة، حتى صار أوجد زمانه في علمي الكتاب والسنة، وصف الكتب الكثيرة المفيدة، وكان على طريقة السلف مرضي الطريقة عابدا زاهدا، صحيح الاعتقاد، حسن السمعة، له ببلدة المكانة، والقبول التام، وكانت وفاته ليلة الخميس، الحادي عشر من جمادى الآخرة، من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام.

قال ابن الجوزي: وقد بلغني، أنه رثي في المنام، أنه في مدينة جميع جلدانها كتب، وحوله كتب لا تحصى، وهو مشغول بمطالعتها، فقيل له: ما هذا؟ فقال: سألت الله أن يشغلني بما كنت اشتغل به في الدنيا فأعطاني.

■ الأهواري: خازن كتب مشهد أبي حنيفة ببغداد، توفي فجأة، في ربيع الأول، من هذه السنة وكذلك توفي أبوه وأخوه فجأة كان مات رحمه الله تعالى.

■ محمود بن زكي بن آق سقر: السلطان الملك العادل نور الدين، صاحب بلاد الشام، وغيرها من البلدان الكثيرة وقد تقدم في ذكر الحوادث، رحمه الله.

قال ابن الجوزي: انتزع نور الدين محمود بن زكي رحمه الله تعالى من أيدي الكفار، نيما وخسين مدينة، وقد كان يكتاتي، وأكاتبه، قال: ولما حضرته الوفاة، أخذ العهد على الأمراء، من بعده لولده - يعني الصالح إسماعيل - وجعل العهد مع صاحب طرابلس، أن لا ينير على الشام، في المدة التي كان مائة عليها، وذلك، أنه كان قد أسره، في بعض غزواته، وأسر معه جماعة من أهل دولته، فافتدى نفسه منه، بثلاثمائة ألف دينار، وخمسمائة حصان، وخمسمائة زربية، ومثلها أتراس، وقنطريات، وخمسمائة أسير من المسلمين، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين، إلى سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام، وأخذ منه رهائن على ذلك، مائة من أولاد أكابر الفرنج، وبطارقتهم، فإن نكت أراق دماهم، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس، شرفه الله، فوافته النية في شوال من هذه السنة، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهر، وقد تقدم ذلك. وهذا مقتضى ما ذكره ابن

تضوع ذكرها شرقا وغربا بنور الدين محمود بن زكي يقول وقوله حق وصلح بغير كتابية وبغير شك دمشق في الدائن بيت ملكي وهندي في المدارس بيت ملكي

صفة نور الدين رحمه الله تعالى

كان طويل القامة، أسمر اللون، حلو العينين، واسع الجبين، حسن الصورة، تركي الشكل، ليس له لحية، إلا في حنكه، مهيبا متواضعا، عليه جلالة ونور الإسلام وتعظيم قواعد الشرع رحمه الله:

فصل

لما مات نور الدين، في شوال، من هذه السنة، بويع من بعده بالملك لولده الملك الصالح إسماعيل، وكان صغيرا، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم، فاختلف الأمراء، وحادث الأكرام، وظهرت الشرور، وكثرت الخفورات، وانتشرت الفواحش، وظهرت، حتى إن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود، صاحب الموصل، لما تحقق موت عمه وكان محصورا منه نادى مناديه بالبلد، بالساعة باللعب، واللغو، والشرب، والطرب، ومع المنادي دُف، وقُدح ومزمار الشيطان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان ابن أخيه هذا، وغيره من الملوك، والأمراء، الذين له حكم عليهم، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئا من النادر والفواحش، فلما مات، مرج أمرهم، وعاثوا في الأرض فسادا، وتحقق حيثئذ قول الشاعر:

الا فاستقي خيرا وقل لي هي الخمر ولا تسقي سرا إذا أمكن الجهر وطعت الأعداء من كل جانب في المسلمين، وعزم الفرنج على قصد دمشق، وانتزعها من أيدي المسلمين، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك، فواقهم عند بانياس، فضعف عن مقاومتهم، فهادنهم مدة، ودفع إليهم أموالا جزيلة، عجلها لهم، ولولا أنه خوفهم بقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه. ولما بلغ ذلك السلطان الملك صلاح الدين، كتب إلى الأمراء، وخاصة ابن مقدم، يلومهم على ما صنعوا من المهانة، ودفع الأموال إلى الفرنج، وهم أقل، وأذل، وأخبرهم أنه عزم على قصد البلاد الشامية، ليحفظها من الفرنج، فردوا إليه كتابا فيه غلظة، وكلام فيه بشاعة، فلم يلتفت إليهم، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم، لينفذوا به الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر، فلم يفعل؛ لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي، سعد الدولة كمشكين، الذي كان قد جعله عنده الملك نور الدين عينا عليه، وحافظا له، من تعاطي ما لا يليق من الفواحش، والخمر، واللعب، والألوه. فلما مات نور الدين، ونادى في الموصل تلك المنادة القبيحة، خاف منه الطواشي المذكور أن يمسه، فهرب منه سرا، فلما تحقق غازي موت عمه، بعث في إثر هذا الخادم، فثافته، فاستحوذ على حواصله، ودخل الطواشي حلب، ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا أستاذه الملك الصالح إسماعيل إلى حلب، ففريه هنالك، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم، والقلمة إلى الطواشي جمال الدين ريمان.

فلما سار الملك الصالح من دمشق، خرج معه الكبراء، والأمراء من

الجوزي ومنا.

■ الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربلي، الفقيه، الشافعي، أول من درس بإربل، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وكان فاضلاً، ديناً، انتفع به الناس، وكان قد اشتغل على الكياهمراسي، وغيره، ببغداد، وقدم دمشق، فلأخيه ابن عساكر في هذه السنة، وترجمه القاضي ابن خلكان في الوفيات، وقال: قبره بزار، وقد زرت غير مرة، ورأيت الناس يتسابون قبره، ويتركون به. وهذا الذي قاله ابن خلكان عما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله من عظم القبور.

وفيها ملك الفرنج، مري، لعنه الله، وأظنه ملك عسقلان، ونحوها من البلاد، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية، لولا فضل الله، ورحمته بعباده المؤمنين.

ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة

استهل هذه السنة والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام، ليحفظه من أيدي الفرنج المخول، ولكن دعمه أمر شغله عنه، وذلك أن الفرنج، قلعوا إلى الساحل المصري، في أسطول لم يسمح بمثله، في كثرة مراكبه وما فيه من آلات من الحرب، والحصار، والمقاتلة، من جملة ذلك متاسخي، في كل منها مائة وخمسون مقاتلاً، وأربعة قطعاً أخرى، وكان قدامهم من صقلية إلى ظاهر إسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام، فصبوا المنجنقات، والدبابات حول البلد، وبرز إليهم أهلها، فقاتلهم دونها قتالاً شديداً، واستمر القتال أياماً وقتل من كل من الفريقين خلق كثير، ثم اتفق أهل البلد على تحريق ما نصوبه من المنجنقات، والدبابات، ففعلوا ذلك، فاضعب ذلك قلوب الفرنج، ثم كبسهم المسلمون، فقتلوا منهم جماعة، وغنموا ما أرادوا، فانهزم الفرنج في كل وجه، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر، أو القتل، أو الأسر، واستحوذ المسلمون على أموالهم، وأتقاهم وخولهم، وما ضربوه من الخيام، وبالجملة قتلوا خلقاً من الرجال، وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال وركب من بقي منهم في الأسطول راجعين إلى بلادهم خائفين لم يفوزوا بالمأمول.

وما عرق الملك الناصر عن الشام أيضاً، أن رجلاً يعرف بالكتر، سماه بعضهم عباس بن شادي، وكان من مقدمي الديار المصرية، ومن الدولة الفاطمية، وإنما هي العبيدية، كان قد انتزع إلى بلد يقال له أسوان، وجعل يجمع عليه الناس، فلجئهم عليه خلق كثير من الرعا، الحاضرة، والعريان، والرعيان، وكان يزعم لهم، أنه سيعيد الدولة الفاطمية، ويحضر الأتابكة التركية، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير، ثم قصد قوص وأعمالها، وقتل طائفة من أمرائها، ورجلها، فجرد إليه الملك صلاح الدين طائفة من الجيش المصري وقدم عليهم أخاه الملك العادل سيف الدين أبا بكر الكردي، فلما التقيا هزمه أبو بكر، وأسر أهله وقتله كما جرى لمقدم بني حنيفة، ولهذا جعل الله دولة بني أيوب عالية منية.

فصل

لما تمهدت البلاد المصرية، ولم يبق بها رأس من بقية الدولة العبيدية، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في الجيوش التركية، قاصداً البلاد الشامية، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكي،

وأخيف سكاتها، وتضعفت أركانها، واختلف حكامها، وفسد تقضا وإيرامها، وقصد، رحمه الله، جمع شملها والإحسان إلى أهلها وأمن سهلها وجبلها، ونصرة الإسلام، ودفع الطغمان، وإظهار القرآن، وإخفاء سائر الأديان، وتكسير الصليبان في رضى الرحمن، وإرغام الشيطان. فخرج من الديار المصرية إلى البركة في مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر وقد استتاب على مصر أخاه سيف الدين أبا بكر، ثم سار إلى بليس في الثالث عشر من ربيع الأول، ثم ساق حتى اجتاز بمدينة بصرى فسار في خلمته صاحبها صليق بن جساوي فدخل مدينة دمشق، في يوم الاثنين، سلخ ربيع الأول، ولم يتطع فيها عزازن، ولا اختلف عليه سفيان، وذلك أن نائبه شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولاً، فأغلظ له في الكتاب، فلما رأى أمره متوجهاً، جعل يكتابه، ويستحثه على القدوم إلى دمشق، ويعدّه تسليم البلد، فلما رأى الجدد، لم يمكنه المخالفة، فسلمه البلد إليه بلا مدافعة، فنزل السلطان أولاً في دار والده، وهي دار العقيلي، التي بنيت مدرسة للملك الظاهر، وجاء القاضي وأعيان البلد الدماشقة للسلام عليه، فأروا منه غاية الإحسان، وكان في القلعة إذ ذاك الطواشي رعيان، فكتابه، وأجزل نواله، حتى سلمها إليه، ثم نزل إليه، فأكرمه، واحترمه، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بترية ولد نور الدين، لما أنور الدين عليهم من الإحسان المتين، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية، وضرب باسمه السكة ثم إن السلطان عامل الناس بالإحسان، وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين، من المكوس، والضرائب، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ولله عاقبة الأمور.

فصل

فلما استقرت له دمشق بمخافيرها لم يلبث أن، نهض إلى حلب، مسرعاً لما فيها من التخييط، والتخليط، فاستتاب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب، الملقب بسيف الإسلام، فلما اجتاز بمحصى، أخذ رضها، ولم يشتغل بقلعتها لعلمه بمصونها، ثم سار إلى حماة فآخذ المدينة، سلمها إليه صاحبها، عز الدين جردك، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين، فاجابه إلى ذلك، فسار إليهم، فحزهم بأس صلاح الدين، فلم يفتروا إليه ولم يعولوا عليه، بل أمروا بسجنه واعتقاله، فجمعوا بينه وبين البداية في البئر الذي هم فيه، فأبوا الجواب على صلاح الدين فكتب إليهم كتاباً يليناً، يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف، وعدم الائتلاف، فردوا عليه أسوأ جواب، وأحد من الحراب فارسل إليهم، يذكرهم أيامه، وأيام أبيه، وعمه، في خدمة نور الدين في المواقف المحموده التي شهد لهم بها أهل الدين، ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن، فخاف من سطوته كل ذي جوشن ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق، فاجتمعوا، فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين، فتودد إليهم، وتباكى لئيمهم، وحرضهم على قتال صلاح الدين، وذلك عن إشارة الأمراء المؤمنين، فاجابه أهل البلد، بوجود طاعته على كل أحد، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز، وأن يكبروا على الجنائز خمساً، وأن تكون عقود انكحهم إلى الشريف أبي الطاهر بن أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسني، فاجابوا إلى ذلك كله، فأنذ في الجامع وسائر البلد بحي على خير العمل، وعجز أهل البلد عن مقاومة

يلحقونه، حتى قال لهم في جملة ما قال: أنا أقتع بدمشق وحدها، وأقيم بها الحطبة للملك الصالح إسماعيل، وأترك ما عدلها من أرض الشام. فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كمشكين، إلا أن يجعل لهم الرحبة، التي هي بيد ابن عمه ناصر الدين ابن أسد الدين، فقال ليس لي ذلك، ولا أقدر عليه، فأبوا الصلح، وأقعدوا على القتال، فجعل جيشه كردوساً واحداً، وذلك يوم الأحد، التاسع عشر من رمضان، عند قرون حماة فصبر صبرا عظيماً، وجاء في أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه، ومعه أخوه فروخ شاه، في طائفة من الجيش، وقد ترجع دمه عليهم، وخلص رعيه إليهم، فولوا هنالك هاربين، وتولوا منهزمين، فأسر من أسر من رؤوسهم، ونادى، أن لا يتبع مدبر، ولا يذف على جريح، ثم أطلق من وقع في أسره، منهم وسار على الفور إلى حلب، فانعكس عليهم الحال، وأكروا إلى شر مآل، فبالأسر كان يطلب منهم المصالحة والمسألة، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع، على أن المرأة، وكفر طاب، وبارين، له زيادة على ما بيده، من أراض حماة، وحمص، وبلعبك مع دمشق قبيل ذلك، وكف عنهم، وحلف على أن لا يغزو بعدها الملك الصالح، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده، وممالكه، وشفع في بني الداية أخوه مجد الدين، على أن يخرجوا من السجن ففعل ذلك، ثم رجع مؤيداً منصوراً مسلماً محبوراً.

فلما كان بحماة، وصلت إليه رسل الخليفة المستضيء بأمر الله، بالخلع السنية، والتشريفات العباسية، والأعلام السود، والتوقيع من الديوان بالسلطنة، ببلاد مصر، والشام، وأقيضت الخلع على أهله، وأقاربه، وأصحابه وأصهاره، وأعوانه، وأنصاره وكان يوماً مشهوداً. واستتاب على حماة ابن خاله، وصهره، الأمير شهاب الدين محمود، ثم سار إلى حمص، فأطلقها ابن عمه ناصر الدين، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه، أسد الدين، ثم إلى بلعبك ثم إلى البقاع ورجع إلى دمشق، في ذي القعدة.

وفي هذه السنة ظهر رجل من قرية مشغرا، من معاملة دمشق، وكان مغربياً، فادعى النبوة، وأظهر شيئاً من المخاريق، والمخايل، والشبهة والأبواب النيرغية، فافتتن به طوائف من أهل تلك الناحية من الطغام والهمج والعوام، فطلبه السلطان، فهرب في الليل من مشغرا إلى معاملة حلب، فالتفت عليه كل مقطوع الذنب، وأضل خلقاً من الفلاحين لا المفلحين، وتزوج امرأة أجبها، وكانت من أهل تلك البطاح فعلمها أن ادعت النبوة، فأشبهها قصة مسيعة وسجاح. فلعنهما الله كلما غب الحمام وهدر، وكلما ضب الغمام وقطر.

ولها هرب وزير الخليفة، ونهبت داره.

ولها درس الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنابلة، فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانى، والفقهاء، والكبراء، وكان يوماً مشهوداً، وخلعت عليه خلعاً سنّية.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ روح ابن أحمد: أبو طالب الحلبي، قاضي القضاة، ببغداد، في بعض الأحيان، وكان ابنه في أرض الحجاز، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده، فمات بعد أيام، وكان يبذل بالرفض.

■ شملة التركماني: كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعاً، وتغلب على السلجوقية، وانتظم له اللمست نحواً من عشرين سنة، ثم

الناصر، وأعملوا في مكيدته كل خاطر، فأرسلوا أولاً إلى سنان، صاحب الخنثية، فأرسل نفرًا من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه، فلم يظفروا منه بشيء، بل قتلوا بعض الأمراء، ثم ظهر عليهم، فقتلوا عن آخرهم، فأرسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس القرني، ووعده بأموال جزيلة، إن هو رحل عنهم السلطان الملك الناصر، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين، ثم اتدنى نفسه بمائة ألف دينار، وألف أسير من أسارى المسلمين، فكان لا ينساها لنور الدين، رحمه الله، فركب القومص - لعنه الله - من بلده طرابلس في جيشه، فلم يتجاسر على مقاتلة السلطان بل قصد حمص ليأخذها بقتة فركب إليه السلطان الناصر، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس، سرية، فقتلوا، وأسرُوا، وغنمُوا، فلما اقترب الناصر منه، تكص على عقيقه، راجعاً إلى بلده، ورأى أنه قد أجابه إلى ما أرادوا منه، فلما فصل الناصر صلاح الدين إلى حمص، لم يكن قد أخذ قلعتها في ذهابه، فتصدى لأخذها، فنصب عليها المنجنيقات التي ملكتها إياها قسراً، وهزمت ساكنيها قهراً، ثم كر راجعاً إلى حلب، فأناله الله في هذه الكرة ما طلب.

فلما نزل بها، كتب إليهم القاضي الفاضل، على لسان السلطان، كتاباً بلغياً، فصيحاً، فاتحاً، راتقاً، على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه: «فإذا قضى التسليم، حق اللقاء، فاستدعى الإخلاص جهد الدعاء، فليُجَدَّ وليُجَدَّ حوادث ما كانت حديثاً يفتري، وجواري أمور إن قال فيها كثيراً، فأكثر منه ما قد جرى، وليشرح صدرها منها، لعله يشرح منها صدرها، وليوضح الأحوال المسترسّة، فإن الله لا يعبد سراً.

ومن الغرائب أن تسير غرائب في الأرض لم يعلم بها المأمول كالغيب أقتل ما يكون لها الصدى والماء فوق ظهورها محمول

فإن كان نقبى النار باكفنا، وغربنا يستير، ونستببط الماء بأيدينا، وسوانا يستير، ونلقى السهام بنحورنا، وغربنا يعتمد التصوير، وتصافح الصفاح بصدورنا وغربنا يدعي التصدير ولا بُدَّ أن تسترد بضاعتنا، بموقف العدل، الذي ترد به الغصوب، وتظهر طاعتنا، فنأخذ بحظ الألسن كما أخذنا بحظ القلوب، وكان أول أمرنا أننا كنا في الشام، نتفح الفتوح، بمباشرتنا أنفسنا، ونجاهد الكفار، متقدمين بعساكرنا، نحن ووالدنا، وعمنا، فأي مدينة فتحنا، أو أي معقل ملك للعدو، أو عسكر كسر، أو مصاف للإسلام، معه ضرب؟ ولم تكن فيه فما يجمل أحد صنعنا، ولا يجحد عدونا أنا نصطلي الجمرة، ونملك الكرة، ونقدم الجماعة، وترتب المقاتلة، وندير التبعة، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجراها، ولا يضرنا أن يكون لغربنا ذكراه ثم ذكر ما صنعوا بمصر، من كسر الكفر، وإزالة المنكر، وقمع الفرنج، وهدم البدع، وما بسط من العدل، ومُدَّ من الفضل، وما أقامه من الخطب العباسية، ببلاد مصر، واليمن، والنوبة، وإفريقية، وغير ذلك، بكلام بسيط حسن.

فلما وصلهم الكتاب، أسأوا الجواب، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل، سيف الدين غازي بن مودود، أخي نور الدين محمود بن زنكي، فبعث إليهم أخاه مسعود عز الدين في عساكره، وأقبل عليهم في دساكره، فانضاف إليهم الحلييون، وقصدوا حماة في غيبة السلطان الناصر، واشتغاله بقلعة حمص وعمارته، فلما بلغه خبرهم، سار إليهم في قل من الجيش، فأنهز إليهم وهم في جحافل كثيرة، فوافقوه، وطعموا فيه، لقلعة من معه، وهموا بمناجزته، فجعل يداريهم، ويدعوهم إلى المصالحة، لعل الجيش

حاربه بعض التركمان، فقتلوه.

■ قايماز بن عبد الله: قطب الدين المستجدي، وزر للخليفة المستضيء، وكان مقدما على العساكر كلها، ثم خرج على الخليفة، وقصد أن ينهب دار الخلافة، فصعد الخليفة فوق سطح في داره، وأمر العامة بنهب دار قايماز، فنهبت، وكان ذلك بإلقاء الفقهاء، فهرب، فهلك وهلك من كان معه في المهمة، والفقار.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين، - وكان قد أقام بدمشق في مرج الصفر - أن يهاندنهم، فأجابهم إلى ذلك، لأن الشام كان مجديا ويحتاج إلى ذلك، وأرسل جيشه صحة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية، ليستغلوا المقل، ثم قبلوا، وعزم هو على المقام بالشام، واعتمد على كاتبه العماد عروضا عن أنصح العباد بتلك البلاد وهو القاضي الفاضل قدوة العلماء والأفاضل ورحلة الطالبين وزين المحافل زين الإسلام ومن لسانه أحد من الحسام ولكن احتاج السلطان إلى إرساله إلى الديار المصرية ليكون عيناً وعونا له بها ولساناً فصيحاً يعبر عنها فاحتاج إلى أن يتعوض عنه، ولم يكن أحد أعز عليه ولا أحب إليه منه:

وما عن رضى كانت سليبي بديلة بليلى ولكن للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام، وإرسال الجيش صحة القاضي الفاضل، هو غاية الحزم والتدبير والإلزام، ليحفظ ما استجد من الممالك، خوفاً عليه من سطوة من هنالك.

فلما أرسل الجيوش إلى مصر، وبقي هو في طائفة قليلة من عسكره، والله قد تكفل له ولهم بالنصر، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي بن أخي نور الدين إلى جماعة الحليين، يلومهم على ما وقع بينهم وبين الملك صلاح الدين من المصالحة، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاصرة أخيه، عماد الدين زنكي بسنجار، وليست هذه بفعلة صالحة، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا اتماؤه إلى طاعة الملك الناصر وذويه، فاصطاح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصريه، ثم حرض الحليين على نقض المهود، إلى الملك إصلاح الدين فأرسلوا إليه بالمهود التي عاهدوه عليها، ودعوه إليها، فاستعان عليهم بالله، وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا إليه، فأقبل صاحب الموصل في عساكره ومشواره، وسار في عشرين ألف مقاتل، على الخيول الضمير، الجرد، الأبايل، وسار نحوهم الناصر، وهو كالحزير الكاسر، وإنما معه ألف فارس من الحماة، و (هم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله) [القرة: ٢٤٩]، ولكن الجيوش المصرية، قد خرجت من الديار المصرية، في جحافل كالجبال وعدة وعدو كالرمال، فاجتمع القريقات، وتلاحوا إلى للززال، وذلك في يوم الخميس، العاشر من شوال، فاقبلوا قتالا هائلا، حتى حمل السلطان بنفسه الكرمة، فكانت بإذن الله الغزوة، فقتلوا خلقا من الحليين والموصل، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي، وحواصله، وأسروا جماعة من رؤوسهم، فأطلقهم السلطان، بعدما أفاض الخلع على أبدانهم، ورؤوسهم، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج، في حال القتال، وهذا ليس من صنيع الصناديد الأبطال، وقد وجد السلطان في غيم السلطان غازي شيئا من الأقفاس التي فيها الطيور المطربة، وذلك في مجلس

شرايه السكر، وكيف يتصر من كان هذا مسلكه ومذهبه، فأمر السلطان بردهما عليه وتسييرهما إليه، وقال للرسول: قل له بعد وصولك إليه، وسلامك عليه: اشتغلك بهذه الطيور، أحب إليك مما وقعت فيه من الخذور. وغتم السلطان من أموالهم شيئا كثيرا، ففرقه على أصحابه وأجابه وأنصاره غنيا، كانوا أو حضرا، وأنعم بجيمة الملك سيف الدين غازي، على ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين، ورد ما كان في وطاقه من الجواربي، والملفات، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية، ورد الأقفاس وآلات اللهو واللعب إلى حلب، وقال: قولوا له: هذا أحب إليكم، من الحرب ووجد عسكر الموصل كالحلابة، من كثرة الخصور، والبرابط والملاهي، وهذا سبيل من هو عن طريق الخبر، ساء، لا.

فصل

لما رجع الحليون إلى حلب، وقد انقلبوا شر مقلب، وندموا على نقضهم الأيمان، وغالقة طاعة الرحمن وشقهم العصا على السلطان، حصنوا البلد خوفاً من وثوب الأسد، وأسرع صاحب الموصل، فوصلها، وما صدق حتى دخلها، وأما السلطان صلاح الدين فإنه لما فرغ من قسمة ما غنم مما تركه من عطب ومن سلم أسرع المسير إلى حلب، الشهاء وهو في غاية السطوة القوة والعزة القعساء، فوجدهم قد حصنوها، والقلة قد أحكموها فقال: من المصلحة، أن نبادر إلى فتح الحصون، التي حول البلد، ثم نعود إليهم، فلا يمتنع علينا منهم أحد. فشرع بفتح الحصون حصنا حصنا، ثم يعود إليهم ويهدم من أركان دولتهم ركنا ركنا، ففتح بُراعة، ومنبج، ثم سار إلى عزاز، فأرسل الحليون إلى سنان، فأرسل جماعة من أصحابه ليقنلوا صلاح الدين، فدخل طائفة منهم في جيشه، في زي الجنود، فقاتلوا أشد القتال، حتى اختلطوا بهم، فوجدوا فرصة ذات يوم، والسلطان ظاهر للناس، فحمل عليه واحد منهم، فضره بالسكين على رأسه، فإذا هو محترس منهم بالامة، فسلمه الله، غير أن السكين مرت على خده، فجرحته جرحا هينا، ثم أخذ الفداوي رأس السلطان، فوضعه على الأرض لينجه، ومن حوله قد أخذتهم دهشة، ثم ثاب إليهم عقلمهم، فبادروا إلى الفداوي، فقتلوه، وقطعوه، ثم هجم عليه آخر في الساعة الراهنة على السلطان فقتل، ثم هجم آخر على بعض الأمراء، فقتل أيضا، وهرب الرابع، فأدرك فقتل، وبطل القتال ذلك اليوم، ثم صمم السلطان على البلد، ففتحه وأقطعه ابن أخيه، تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وقد اشتد حنقه على أهل حلب. لما فعلوا ولما أرسلوا من الفداوية إليه وإقدامهم عليه، فجاء فنزل تجاه البلد، على جبل جوشن، وضربت خيمته على رأس البادية، وذلك في خامس عشر ذي الحجة، وجبى الأموال، وأخذ الخراج من القرى، ومنع أن يدخل البلد شيء، أو يخرج منه شيء، واستمر حصاره إياها، حتى استسلمت السنة.

وفي ذي الحجة من هذه السنة، عاد شمس الدولة تورانشاه أخو السلطان من بلاد اليمن وذلك من كثرة اشتياقه إلى أخيه ونوحيه وإلى الشام وطيه وظلاله لأنه ضجر من حر اليمن، وإن كان حصل على أموال جزيلة، ففرح به أخوه الملك الناصر، واشتد أثره بسببه، فلما اجتمعوا، قال الناصر للناصح المبر الوفي: أنا يوسف، وهذا أخي، وقد استتاب شمس الدولة على بلاد اليمن، وإنما استتاب على خاليفته من لا يخالفه من ذي قرباته ومن له سالف الجن، فلما استقر عند أخيه، استتابه على دمشق

كأني بقسي على غرة وخطب المنون بها قد نزل
فياليت شعري ممن أكون وما قدر الله لي في الأزل

قال: وقد التزم فيها ما لا يلزم، وهو الزاي قبل اللام.

قال: وكان أخوه صائغ الدين هبة الله بن الحسن، محدثاً فيها، اشتغل
ببغداد على أبي أسعد الميمني، ثم قدم دمشق، فدرس بالغزالية، وتوفي بها
في سنة ثلاث وستين رحهما الله تعالى وإيانا بمنه.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين محاصر حلب، وقد أشرف
منها على نيل الطلب فسألوه، وتوسلوا إليه أن يصالحهم، فصالحهم، على
أن تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط، فكتب بذلك الكتاب وأبرم
الحساب، فلما كان المساء، بعث السلطان الملك الصالح إسماعيل، إلى
الملك الناصر يسأل منه زيادة قلعة عزاز، على ما شرفه به من العزاز،
وأرسل باحث له صغيرة، وهي الخاتون بنت نور الدين، ليكون ذلك ادعى
له قبول السؤال، وانجح حصول النوال، فعين وأما السلطان الناصر قام
قلما كالقضيض الناصر، وقبل الأرض، وأجابها إلى سؤالها، وأطلق لها من
الجواهر والتحف ما أرى أنه عليه فرض، ثم ترحل عن حلب، فقصده
الإسماعيلية الذين اعتلوا عليه، فحاصروهم مصياف، فقتل، وسمى،
وضرب، وأخذ أبقارهم، وخرب ديارهم، وقصر أعمالهم حتى شفع فيهم
خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماة، لأنهم جيرانه، فقبل
شفاعته، وقد أحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن عبد
الملك بن مقدم، الذي كان نائب دمشق، جماعة من أسارى الفرنج، الذين
عاثوا بالبقاع، في غيبة السلطان، فجدد له العزم على غزو الفرنج
والانبات، فصالح الفداوية الإسماعيلية، أصحاب سنان، ثم كر راجعا إلى
دمشق في حراسة الرحمن، فتلقا أخوه شمس الدولة توران شاه، فسالما
وتعانقا وتناشدا الأشعار، ولما دخل السلطان إلى دمشق في سابع عشر صفر
فوضها إلى أخيه شمس الدولة توران شاه ولقبه الملك المظلم، وعزم الناصر
على دخول مصر، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرورزي قد توفي في
الساس من الحرم، من هذه السنة، وقد كان من خيار القضاة، وأخص
الناس بنور الدين الشهيد، فوض إليه نظر الجامع، ودار الضرب، وعمارة
الأسوار، والنظر في المصالح العامة.

ولما حضرته الوفاة، أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج
الدين الشهرورزي، فأمضى ذلك السلطان الملك الناصر صلاح الدين؟
رعاية لحق الكمال الشهرورزي، مع أنه كان يجد عليه، لما كان بينه وبينه
حين كان صلاح الدين شيخاً بدمشق، وكان يعاكسه، ويخالفه، ومع هذا
أمضى وصيته لابن أخيه، فجلس في مجلس القضاء، على عادة عمه
وقاعدته ورسمه، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعد
عبد الله بن أبي عصرون الحلبي، وكان قد هاجر إلى السلطان، إلى دمشق،
فوعده أن يوليئه قضاءها، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل، فأشار القاضي
الفاضل على الضياء أن يستعفي من القضاء، فاستعفى، فاعفني، وترك له
وكالة بيت المال، وولي السلطان ابن أبي عصرون، على أن يستيب القاضي
محيي الدين أبا المعالي محمد بن زكي الدين، والأوحد، ففعل ذلك، ثم بعد
سنوات استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون، عوضا عن

وأعمالها، وقيل إن قدومه، كان قبل وقعة الموصل، وكان من أكبر أسباب
الظفر والنصر، لشجاعته، وفروسيته، ورسالته.

وفيها أنشد تقي الدين عمر بن أخي الناصر، مملوكه بهاء الدين
قراقوش، في جيشه، إلى بلاد المغرب، ففتح بلدا كثيرة هنالك، وغنم أموالا
جزيلة، ثم عاد إلى مصر. وطابت له وترك تلك البلاد.

وفيها قدم إلى دمشق الواعظ الكبير أبو الفتح عبد السلام بن يوسف
بن محمد بن مقلد التنوخي، الدمشقي الأصل، البغدادي المنشأ، ذكره العماد
في الحريدة (شهره العراق ٣٠٨/١/٣ - ٣٢٢). وقال: وكان صاحب، وجلس
للوعظ، وحضر عنده السلطان صلاح الدين، وأورد له مقطعات أشعار،
فمن ذلك ما كان يقول في مجلسه:

يا مالكا مهجتي يا منتهى أملتي يا حاضرا شلعدا في القلب والفكر
خلقتني من تراب أنت خالقته حتى إذا صرت تمثالا من الصور
أجريت في قبالي روحاً منورة تمر فيه كجري الماء في الشجر
جمعت بين من صفا روح منورة وهيكلا صفته من معدن كدر
إن غبت فيك فيا فخري ويا شرفي وإن حضرت فيا سمعي ويا بصري
إن احتجبت نسري فيك في وله وإن خطرت قلبي منك في خطر
تبدو فتمحو رسومي ثم تبتهوا وإن تغيب عني عشت بالأثر

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ الكبير أبو القاسم

■ ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، أبو القاسم،
الدمشقي، أحد أكابر حفاظ الحديث، ومن عني به، سماعا، وجمعا،
وتصنيفا، وإطلاعا، وحفظا لأسانيد، ومترنه، وإتقاناً لأساليه، وفنونه،
صنف «تاريخ الشام»، في ثمانين مجلدة، فهي باقية بعده، خلدة، وقد برز
على من تقدمه من المؤرخين، وأتمم من يجيء بعده من المتأخرين، فحاز
فيه قصب السبق، وجاز حداً يأمن فيه للحاق، ومن نظر فيه، وتامله رأى،
ما وصفه فيه، وأصله، وحكم بأنه فريد دهره، في التاريخ، وأنه النروة
العليا من الشاربخ، هذا مع ما له في علوم الحديث، من الكتب المفيدة،
وما هو مشتمل عليه، من العبادة، والطرائق الحميدة، فله «أطراف الكتب
السة»، و«الشيخ الثبل»، و«تبيين كذب المفتري على أبي الحسن
الأشعري»، وغير ذلك من المصنفات الكبار، والصغار، والأجزاء،
والأسفار، وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال، والأسفار، وجاب
المدن، والأقاليم، والأمصار، وجمع من الكتب، ما لم يجمعه أحد من
الحفاظ، نسخا، واستساخا، ومقابلة، وتصحيحاً للألفاظ، وكان من أكابر
بيوتات المعاشقة، ورياسته فيهم عالية باسقة، من ذوي الأقدار، والهيات،
والأموال الجزيلة، والصلوات، والهيات.

كانت وفاته في الحادي عشر من رجب، وله من العمر ثنتان وسبعون
سنة، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته، ودفن بمقابر باب الصغير،
رحمه الله تعالى. وكان الذي صلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابوري.

قال ابن خلكان: وله أشعار كثيرة منها:

إيا نفس ويحك جاء المشيب فماذا التصالي وماذا الغزل؟
تولى شيباي كان لم يكن وجاء المشيب كان لم يزل

ومن توفي فيها من الأعيان

علي بن عسكار بن الرحّب بن العوام أبو الحسن.

■ البطاحي، المقرئ، اللغوي، سمع الحديث، وأسمعه، وكان حسن المعرفة بالنحو، واللغة، ووقف كته بمسجد ابن جريرة ببغداد، وكانت وفاته في شعبان، وقد نيف على الثمانين رحمه الله تعالى.

■ محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل، قاضي القضاة بدمشق، كمال الدين الشهرزوري، الموصل، وله به مدرسة على الشافعية، وأخرى بصعين، وكان فاضلاً، ديناً أميناً، ثقة، ورعاً، ولي القضاء بدمشق، لنور الدين محمود بن زنكي، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي.

قال: وكان يبعث في الرسائل. كتب مرة على أعلى قصة إلى الخليفة المقتني: محمد بن عبد الله الرسول، فكتب الخليفة تحت ذلك **بسم الله**.

قلت: وقد فوض إليه نور الدين، نظر الجامع، ودار الضرب، والأسوار، وعمر له المدارس، والمدارس، وغير ذلك من الأمور المهمات وكانت وفاته في الحرم، من هذه السنة، بدمشق.

■ الخطيب شمس الدين بن الوزير أبي الضياء، خطيب الديار المصرية، وابن وزيرها، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، بأمر الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب ثم حظي عنده، حتى جعله سفيراً بينه وبين الملوك والخلفاء، وكان رئيساً مطاعاً كريماً، مدحاً، يقرأ عليه الشعراء والأدباء. ثم جعل الناصر مكانه في السفارة، وأداء الرسائل ضياء الدين بن قاضي القضاة الشهرزوري بمرسوم سلطاني، وكانت وظيفة مقررة رحمه الله تعالى وإياناً بته وكرمه.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

فيها: أمر السلطان ببناء قلعة الجبل، وإحاطة السور على القاهرة ومصر يشلها جميعاً، فعمرت قلعة للملك، لم يكن في الديار المصرية مثلاً، ولا على شكلها، وولي عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش، بمركب تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين.

وفي جمادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين يوسف من الديار المصرية، قاصداً غزو الفرنج، فأنهى إلى بلاد الرملة، فسبى، وسلب وغنم وقتر وكسر وكسب، ثم تشاغل جيشه بالفنائم، وتفرقوا في القرى والأحبال تفرق الهائم، وبقي السلطان في طائفة من الجيش منفرداً، فهجمت عليه الفرنج، في جحفل من المقاتلة، فما سلم إلا بعد جهد جهيد، والله الحمد. ثم تراجع الجيش بعد تفرقهم، واجتمعوا عليه بعد أيام، ووقعت الأراجيف في الناس، بسبب ذلك، وما صلت أهل مصر، برويته بعدما بلغهم من الإرجاف والإرهاب وصار الأمر كما قيل:

رضيت من الغنيمة بالإيباب

ومع هذا، دقت البشار في البلدان فرحاً بسلامة السلطان، ولم تجر مثل هذه الوقعة، إلا بعد عشر سنين. وذلك يوم حطين، وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتاً عظيماً، وأسر للملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان ولده شاهنشاه، بقي عندهم سبع سنين، وقتل ابنه الآخر، وكان شاباً قد طرّ شاربه فحزن على المقتول، والمفقود، وصبر تأسياً بأيوب، وناح

إليه شرف الدين، بسبب ضعف بصره.

وفي صفر من هذه السنة، وقف الملك الناصر، قرية حزم، على الزاوية الغزالية، ومن يشتغل بها في العلوم الشرعية، أو ما يحتاج إليه الفقيه، وجعل النظر لقطب الدين التيسابوري مدرسه.

وفي هذا الشهر، تزوج السلطان صلاح الدين بالست خاتون، عصمة الدين بنت معين الدين أثر، وكانت زوجة الملك نور الدين محمود، فأقامت بعده في القلعة محترمة مكرمة، وولي تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن أثر، وحضر القاضي ابن أبي عصرون العقد، وسن معه من العدول، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين، من الدخول بها فركب يوم الجمعة، قبل الصلاة، فنزل مرج الصفر، ثم سار، فمشا قريباً من الصنمين، ثم أبعد السير حتى كان دخوله إلى الديار المصرية يوم السبت، سادس عشر ربيع الأول، من هذه السنة في أهدأ الملك. وقد تلقاه أخوه، ونائبه عليها، الملك العادل سيف الدين أبو بكر، إلى عند بحر القلزم، ومعه من الهدايا والتحف شيء كثير، ولا سيما المأكّل المتروحة، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك، فشرع يذكر محاسنها، وما اختصت به من بين البلدان، ووصف الهرمين، وشبهها بأنواع من التشبهات، وبالف في ذلك، حسب ما ذكر في الروضتين [٦٨٥/١].

وفي شعبان منها، ركب السلطان الناصر بن أيوب إلى الإسكندرية، فاسمع ولديه الأفضل علياً والعزیز عثمان على الحافظ السلفي، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام، الخميس، والجمعة، والسبت، رابع رمضان، وعزم السلطان على الصيام بها، وقد كمل عمارة السور على البلد، وأمر بتجديد الأسطول، وإصلاح مراكبه وسفنه، وشحنه بالرجال والمقاتلة، وأمرهم بغزو جزائر البحر، وأقطعهم الإقطاعات الجزيلة على ذلك، وأرصد لصالح الأسطول من بيت المال ما يكفيهم لجميع شؤونهم، ثم عاد السلطان إلى القاهرة في أثناء رمضان، فأكمل صومه بها.

وفيها، أمر السلطان صلاح الدين يوسف ببناء مدرسة للشافعية، على قبر الإمام الشافعي، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرسه، وناظرها. وفيها أمر ببناء المدارس بالقاهرة، ووقف عليه أوقافاً كثيرة.

وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قايمز، نائب قلعة الموصل، جامعاً حسناً، ورباطاً، ومدرسة، ومارستاناً، متجاورات، بظاهر مدينة الموصل، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله. وله عدة مدارس، وخاناتها، وجوامع، غير ما ذكرنا، وكان ديناً، خيراً فاضلاً، حنفي المنصب، يذاكر في الأدب، والأشعار، والفقه، كثير الصيام، وقيام الليل قسماً لله وروحه.

وفيها أخرج الجنود من أهل بغداد إلى ناحية منها، ليميزوا عن أهل العافية، نسأل الله العافية بفضلهم وكرمه.

وذكر ابن الجوزي، في المنظم [٢٣١/١٨]، عن امرأة أنها قالت: كنت أمشي في الطريق، وكان رجل يعارضني كلما مرت به فقلت له: إني لا سبيل لي هذا، الذي ترويه مني، إلا بكتاب وشهود، فتزوجني عند الحاكم، فمكثت معه مدة، ثم اعتراه انتفاخ يبطنه، فكانت نظراً ألبه استسقاء، فناداه لذلك، فلما كان بعد مدة، ولد ولداً، كما تلد النساء، وإذا هو خشي مشكل، وهذا من أغرب الأشياء.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **صدقة بن الحسين أبو الفرج بن الحداد**، قرأ القرآن، وسمع الحديث، وتفقه، وأفتى، وقال الشعر، وقال في الكلام، وناظر وله تاريخ، ذيل فيه على شيخه ابن الزاغوني، وفيه غرائب، وعجائب.

قال ابن الساعي: كان شيخا، عالما فاضلا، وكان فقيرا، يأكل من أجرة النسخ، وكان يأوي إلى مسجد ببغداد، عند البدرية، يوم فيه، وكان يعتب على الزمان وبنيه.

ورأيت ابن الجوزي في المنتظم [٢٤٣/١٨، ٢٤٤] ينميه ويرميه بالعظام، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي، في الزندقة، فالله أعلم. توفي في ربيع الآخر، من هذه السنة، عن خمس وسبعين سنة، ودفن بباب حرب، ورويت له منامات غير صالحة، نسأل الله العافية، في الدنيا، والآخرة.

■ **محمد بن أحمد بن عبد الجبار بن المظفر**: الخلفي المعروف بالمشطَب كان من الفضلاء المشاهير. تفقه ودرس وأفتى وناظر، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

■ **محمد بن أسعد بن محمد**: أبو منصور العطار، المعروف بمفَقْدَة، سمع الكثير، وتفقه، وناظر، وأفتى، ودرس، وقدم ببغداد، فمات بها في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ **محمود بن تكش شهاب الدين الحارمي**: خال السلطان صلاح الدين، كان من خيار الأمراء، وشجعانهم، وقد أقطع ابن أخته حمة حين فتحها، وقد حاصره الفرنج بها في هذه السنة وهو مريض، فأخذوا حمة، وقتلوا بعض أهلها، ثم تناخى أهلها، فردوهم خائبين.

■ **فاطمة بنت نصر بن العطار**: كانت من سادات النساء، وهي من سلالة أخت صاحب المخزن، وكانت من العابدات، المتورعات، المخشرات يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات، وقد أئسى عليها الخليفة، وغيره، والله أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل، من مصر إلى الناصر، وهو بالشام، يهنيه بسلامة أولاده، الملوك الاتني عشر، يقول في بعضه: وهم محمد الله، بهجة الدنيا، وزينتها، وريانة الحياة، وزهرتها، إن فؤانا وسع فراقهم، لواسع، وإن قلبا، قنع بأخبارهم، لقانع، وإن طرفا نام عن البعد عنهم لاجع، وإن ملكا ملك تصيره عنهم لحازم، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم، أما يشاق جيد المولى، أن يتطوق بذرهم؟ أما نظما عينه أن تروى أن ينظروهم؟ أما يحن قلبه إلى قلبه؟ أما يلتقط هذا الطائر بتقيلهم من خرج من حبه وللمولى أبقاه الله أن يقول:

وما مثل هذا الشوق يحمل مضفة ولكن قلبي في الهوى يتقلب
وفيها أسقط السلطان صلاح الدين المكوس، والضرائب، عن الحججاج بمكة، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير، ومن عجز عن أدائه، حبس، فرما فاته، الرقرف بعرقة، وعوض أمير مكة بمال، أقطعه إياه بمصر، وأن يحمل إليه في كل سنة، ثمانية آلاف إردب غلة، إلى مكة، ليكون عوناً له، ولأتباعه، ووفقا بما تيسر على المجاورين من إتباعه، وقرر للمجاورين

كما ناح داود، وأسر الفقهاء، الأخوان، ضياء الدين عيسى، وظهير الدين، فاقندانها السلطان بعد ستين بسعين ألف دينار.

وفيها تحبط الدولة لحلب، وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كمشكين، وألزمه بتسليم قلعة حارم، وكانت له، فأبى من ذلك، فعلقه متكوسا، ودخن تحت أفنه، حتى مات من ساعته.

وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج، يروم أخذ الشام، لغنية السلطان، واشتغال نوابه بلذاته.

قال العماد الكاتب: ومن شرط هدنة الفرنج، أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه، أنهم يقاتلون معه، ويؤازرونه، وينصرونه، فإذا انصرف عنهم، عادت الهدنة كما كانت، فقص هذا الملك وجملة الفرنج معه مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون بالقتال، فكادوا يأخذون البلد، ولكن هزمهم الله، بعد أربعة أيام، فانسرفوا إلى حارم، فلم يتمكنوا من أخذها، وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرى ما طلبوه.

وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود بن تكش، خال السلطان الناصر، وتوفي قبله ولده تش بثلاثة أيام رحمهما الله.

ولما سمع الملك الناصر بتزول الفرنج على حارم، خرج من مصر، قاصدا بلاد الشام لغزو الفرنج - لعنهم الله تعالى - فدخل دمشق، في الرابع والعشرين من شوال، وصحبته العماد الكاتب، وتأخر القاضي الفاضل بمصر، لأجل الحج.

وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر، يهته بمولود، له، وهو أبو سليمان داود، وبه كمل له اثني عشر ذكرا، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور، فإنه توفي عن سبعة عشر ذكرا، وابنة صغيرة، اسمها مؤسسة، التي تزوجها ابن عمها، الملك الكامل محمد بن العادل، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة جرت فتنة عظيمة بين اليهود، والعامه، ببغداد، وكانت بسبب أن مؤذنا أذن عند كنيسة، اليهود فقال منه بعض اليهود، بكلام أغلظ له فيه، فشتمه المسلم، فاقْتلًا، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان، فضاقت الحال، وكثرت العوام، وأكثروا الضجيج، فلما حان وقت الجمعة، تمتعت العامة الخطباء في بعض الجوامع، وخرجوا من فورهم، فنهبوا سرق العطارين، الذي فيه اليهود، وذهبوا إلى كنيسة اليهود، فنهبوا، ولم يتمكن الشرط من رددهم، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة، فأخرج في الليل جماعة من الشطار، الذين كانوا في الحبوس، وقد وجب عليهم القتل، فصلبوا، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكاتبة، فسكنت الفتنة، والله الحمد.

وفيها خرج وزير الخليفة، عضد الدولة، ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصدا الحج، وخرج الناس في خدمته ليردوه، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية، في صورة فقراء، ومعهم قصص، فتقدم أحدهم ليتاوله قصة، فاعتقته وضربه بالسكين ضربات، وهجم الثاني وكذا الثالث، فهبروه، وجرحوا جماعة حوله، وقتل الثلاثة من فورهم وحرقوا، ورجع الوزير إلى منزله، محمولا، فمات من يومه، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدي الوزير ابن هبيرة، وأعدمهما فسلط الله عليه من قتله، وكما تدلن تلان، جزاء وفاقا ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [صلى: ٤٦].

أيضا، غلات، تحمل إليهم وصلات، فرحة الله عليه في سائر الأوقات.
وفيها عصى الأمير شمس الدين بن مقدم ببعليك، ولم ينجح إلى خدمة
السلطان، وهو نازل على ظاهر حصن، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان،
توران شاه، طلب ببعليك منه، فاطلقه له، فامتنع ابن المقدم، من الخروج
منها، حتى جاء السلطان بنفسه، فحصره فيها، من غير قتال حتى جاءت
الأمطار والبرد، فعاد إلى دمشق في رجب، وركل بالبلد من يحصره من غير
قتال ثم عوض ابن المقدم عنها، بتعويض كثير، خير مما كان يبلده، فخرج
منها، وتسلمها، وسلمها توران شاه.

قال ابن الأثير: وكان في هذه السنة غلاء شديد، بسبب قلة المطر، عم
العراق، والشام، وديار مصر، واستمر إلى سنة خمس وسبعين، فجاء المطر،
ورخصت الأسعار، ولكن تعقب ذلك، وباء شديد، وعم البلاد مرض
آخر، وهو السَّرَّام فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين، فمات بسبب
ذلك خلق كثير، وأما لا يعلم عددهم إلا الذي خلّفهم.

وفي رمضان منها، وصلت خلق الخليفة، إلى الملك صلاح الدين، وهو
بدمشق، وكانت سنة عظيمة جداً وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين، وخلع
أيضاً على أخيه توران شاه، ولقب بمصطفى أمير المؤمنين.

وفيها جهز الناصر ابن أخيه، فرّخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب بين يديه
لقتال الفرنج، الذين عزموا على قتال المسلمين وعاثوا في نواحي دمشق
وقراها، فتهبوا ما حولها، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد، ولا
يقاتلهم، حتى يقدم عليه، فلما التقوا، عاجلوه بالقتال، فكسروهم، وقتل من
ملوكهم صاحب الناصرة المنفري، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم، لا
ينتهه اللقاء، فكتبه الله في هذه الغزوة، ثم ركب الناصر، في إثر ابن أخيه،
فما وصل إلى الكسرة، حتى تلقته الرؤوس على الرماح، والغنائم،
والأسارى والجيش في سمره ويضيه من البنادق والصّماح.

وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان، للداوية، فجعلوها مرصدا
لحرب المسلمين، وقطع طريقهم، ونقضت ملوكهم العهود، التي كانت بينهم
وبين صلاح الدين، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب، ليشغلوا
المسلمين عنهم، وتفرقت جيوشهم، فلا تجتمع في بقعة واحدة، فرتب
السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر على حماة، ومعه شمس الدين بن مقدم،
وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب، بناحي البقاع، وغيرها، وبشر حصن
ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه، وبعث إلى أخيه سيف الدين
أبي بكر وهو الملك العادل، نائبه بمصر، أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس،
يستعين بهم، على قتال الفرنج، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا
الحصن، الذي بنوه للداوية، فامتنعوا، إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه، فبذل
لهم ستين ألف دينار، فلم يقبلوا، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار فأبوا،
فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر: أبذل هذه في أجناد المسلمين، ومسر إلى
هذا الحصن، فخره، فأخذ بقلوه في ذلك، وخربه في السنة الآتية، كما
سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها أمر الخليفة المستضيء بكتابة لوح على قبر الإمام أحمد بن حنبل،
فيه آية الكرسي، وبعدها: هذا قبر تاج السنة، وحيد الأمة، العالي الهمة،
العالم، العابد، الفقيه، الزاهد، وذكر تاريخ وفاته، رحمه الله تعالى.

وفيها احتبط ببغداد، على شاعر ينشد للروافض يقال له ابن قرايا يقف
في الأسواق ويذكر أشعارا يضمنها ذم الصحابة رضي الله عنهم وسبهم،
وتهجين من يجهلهم، فعدله مجلس بأمر الخليفة، ثم استنطق، فإذا هو
رافضي، جلّد داهية فأنتى الفقهاء بقطع لسانه، ويديه، فعمل به ذلك، ثم

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أسعد بن بلدرك أبو أحمد الجبريلي:

سمع الحديث، وكان شيخا، ظريفاً حسن المذاكرة، جيد النادرة، سريع
المبادأة. توفي في هذه السنة عن مائة سنة وأربع سنين رحمه الله تعالى.

■ محمد بن نعيم بن عبد الله، أبو عبد الله الحياط، عتيق الرئيس أبي
الفضل بن عيشون، سمع الحديث، وقارب الثمانين، سقط من درجة
فمات.

قال: أنشدني مولى والدي، يعني ابن أعلى الحكيم أبا الفضل بن
عيشون:

القارئ الشريح أجدرُ بالثقى من رامب في ذيره متقوس
ومراقب الأضلاك كانت نفسه بعبادة الرحمن أحمرى الأنفوس
والماسح الأرضين وهي فسيحة أولى بمسح في أكف المُنس
أولى بمخشيته ربه من جاهل بمثلث ومثلث ومثلث

■ الحبيب يحيى: سعد بن محمد بن سعد الملقب شهاب الدين، أبو
القوارص الصفي، الشاعر، له ديوان شعر مشهور، توفي يوم الثلاثاء، خامس
شهر شعبان، من هذه السنة، وله ثمان وثلاثون سنة، وصلي عليه
بالنظامية، ودفن بباب التين، ولم يعقب، ولم يكن له في المراسلات ببديل،
كان يتقعر فيها، ويتفاح جذا، فلا تواتيه إلا وهي معجزة وكان يزعم أنه
من بني تميم، فسلّ أبوه عن ذلك، فقال: ما سمعته إلا منه. فقال بعض
الشعراء يهجو، فيما ادعاه من ذلك:

كم تبادي وكم تطول طرؤو رك وما فيك شعرة من تميم
فكل الضبّ وأبلع الحظلل البيا بس واشرب إن شئت بول الظليم
ليس ذا وجه من يضيف ولا يقد ري ولا ينفخ الأذى عن حريم
ومن شعر الحبيب يحيى الجيد:

سلامة المرء ساعة عجب وكل شيء لحظه سبب
يفر والحادثات تطالبه يفر منها ونحوها المحرب
فكيف يقى على تقلبه مسلماً من حياته العطب
ومن شعره أيضاً:

لا تلبس الدهر على غرة فما لموت الحسي من بد
ولا يخادعك طويل البقا فتحبب التطويل من الخلد
يقرب ما كان لنا آخر ما اقرب المهد من اللحد
ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد وهو أبو عمر أحمد بن محمد
بن عبد ربه الأندلسي في عقده [العقد الفريد: ١٧٥/٣]:

إلا أنما الدنيا غصارة أيكمة إذا اخضر منها جانب جف جانب
وما الدهر والأمال إلا فجاج عليها وما اللذات إلا مصائب

فلا تكحل عينك منها بمسيرة على ناهب منها فإلك ناهب قد ذكر أبو سعد السمعاني حصص بيص هذا في ذيله، وأثنى عليه، وسمع عليه ديوانه ورسائله، وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان، وقال: كان فيه تيه، وتماظم، ولا يتكلم إلا معرباً، وكان قفيها، شافعي المذهب، واشتغل بالخلاف، وعلم النظر، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب، واختلاف لغاتهم. قال: وإنما قيل له الخيص بيص، لأنه رأى الناس في حركة واختلاط، فقال: ما للناس في حصص بيص أي في شدة وهرج، فغلبت عليه هذه الكلمة، وكان يزعم أنه من ولد أكنم بن صيفي طيب العرب، ولم يترك عقبا كانت له حوالة بالحلة، فذهب يتقاضاها، فتوفي ببغداد، في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

وفيها كانت وقعة مرج عيون

استهلت هذه السنة، والسلطان صلاح الدين الناصر، نازل بجيشه، على تل القاضي بانياس، ثم قصده الفرنج بجمعهم، فنهض إليهم نهوض الأسد فما هو إلا أن التقى الفريقان، واصطدم الجندان، فأنزل الله نصره، وأعز جنده، وهزم الأعداء وحده، ففرت ألوية الصليبان ذاهبة، وخيل الله لرقابهم راکبة، فقتل منهم خلق كثير، وأسر من ملوكهم جماعة، وأنبأوا إلى السمع والطاعة، منهم مقدم الداوية، ومقدم الإسماعيلية، وصاحب الرملة، وصاحب طبرية، وقسطلان يافا، وآخرون من ملوكهم، وخلق من شجعانهم، وأبطالهم، ومن فرسان القدس جماعة كثيرون، تقريباً من ثلاثمائة أسير، من أشرفهم، يتهادون في قيودهم، كأنهم سكارى وما هم بسكارى. قال العماد الكاتب: فاستعرضهم السلطان في الليل، حتى أضاء الفجر، على الظلماء وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء، وكان جالساً ليلتذ، في نحو العشرين، وهم في هذه الخلقة، فسلمه الله منهم، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها، وليكونوا في كف دولتها فافتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، وإطلاق ألف أسير من بلاده، فأجيب إلى ذلك، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة، ونُحِفَ جليلة، ومنهم من مات في السجن فانتقل منه إلى سجين، وهكذا يفعل الله بالكارفون.

وأثنى أنه في اليوم الذي ظهر فيه السلطان بالفرنج، مرج عيون، ظهر أسطول المسلمين، على بطسة للفرنج في البحر، وأخرى معها، فغنموا منها ألف رأس من السبي، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدايح كثيرة، وكتب بذلك إلى بغداد، فذقت البشائر بها فرحاً وسروراً بظهور المسلمين على أعداء الله الملحدين.

وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة، مشغولاً بما هو أعظم منها، وذلك أن ملك الروم قلع أرسلان، بعث يطلب حصن رعيان، وزعم أن نور الدين اختصه منه، وأن ولده قد أغضى له عنه، فلم يجبه السلطان تقي الدين عمر إلى ذلك. فبعث صاحب الروم عشرين ألف مقاتل يحاصرونه، فأرسل السلطان تقي الدين عمر، في ثمانمائة فارس، منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، فالتقوا معهم، فهزمهم بإذن الله

تعالى، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعيان، وقد كان مما عرض به ابن مقدم عن بعلبك، وكان تقي الدين عمر، يفتخر بهذه الوقعة، ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً بثمانمائة فارس، وكان السبب في ذلك أنه يبيتهم، وأغار عليهم وهم غارون، فما لبثوا أمامه، بل فروا منهزمين عن آخرهم، فأكثر فيهم القتل، واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم، ويقال إنه كسرهم، يوم كسر السلطان الفرنج، مرج عيون، والله أعلم.

تخريب حصن الأحزان وهو قريب من صفد

ثم ركب السلطان في جهافله إلى الحصن، الذي كانت الفرنج قد بنوه، في العام الماضي، وحفروا فيه بئراً عيناً معيناً، وسلموه إلى الداوية، فقصده السلطان، فحاصره، وتقى من جميع جهاته، وألقى فيه النيران فجعله دكاً، وخربه إلى الأساس، وغنم جميع ما فيه من الخواص، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح، ومن المأكول شيء كثير، وأخذ منه سبعمائة أسير، فقتل بعضاً، وأرسل إلى دمشق الباقيين، ثم عاد إلى دمشق، مؤيداً، منصوراً، غير أنه مات من امرأته عشرة، بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار، وكانت أربعة عشر يوماً، وعاد إن الناس زيارة مشهد يعقوب على عاداتهم، وقد امتدح الشعراء فقال بعضهم:

بجذك أعطاف القنا تتمطف وطرف الأعاصيد دون مجذك يطرف
شهاب هدى في ظلمه الشرك ثاقب وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن المخاض وإنه لوقوف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه رجال كأساد الشرى وهي ترحف
وجرداء سلهوب ودع مضاعف وأبيض هندي ولدن متحف
وما رجعت أعلامك الصُفُر ساعة إلا غدت أكبادها السود ترجف
كنائس من أعاليه صليب وبيعة وشاد به دين حنيف ومصحف
صليب وغياذ الصليب ومزل التزال قد غادرتوه وهو صفف
اتسكن أوطان اليبين عسبة ثمين لدى إيمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف
وقال آخر:

هلاك الفرنج أتى عاجلاً وقد آن تكبير صليانها
ولم يكن قد دنا حنفيها لما عمرت بيت أحزانها

ومن كتاب فاضلي إلى بغداد في وصف هذا الحصن الذي خربه صلاح الدين. وقد عرضوا حائطه إلى أن زاد على عشرة أذرع، وقطعت له عظام الحجارة، كل قص منها من سبعة أذرع، إلى ما فوقها، وما دونها وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر، لا يستقر الحجر في مكانه ولا يستقل في بنيانه، إلا بلوثة دنائير، فما فوقها، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الضخمة الصم، الرغم بها أنوف الجبال الشم، وقد جعلت مسقيته بالكلس الذي إذا أحاطت بالحجر، مزجه بمثل جسمه، وصاحبه بأوتق وأصلب من جُرمه، وأوعز إلى خصمه من الحليد بأن لا يتعرض لمدحه.

وفيها أقطع السلطان صلاح الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب مدينة بعلبك. وأغار فيها على صفد وأعمالها فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ورجالها وكان فرخشاه من الصناديد الأبطال

الشهورين المشكورين في النزال.

ولفها حج القاضي الفاضل من دمشق، وعاد إلى مصر، فقام في الطريق أهوالاً، ولقي بَرَحاً، وتعباً، وكلالاً، وكان في العام الماضي قد حج من مصر، وعاد إلى الشام، ولكن كان أمره فيه أسهل من هذا العام. ولفها كانت زلزلة عظيمة، أنهدم بسببها قلاع، وقرى، ومات خلق كثير فيها من الررى، وسقط من رؤوس الجبال صخور كبار، وصادت بين الجبال، في البراري، والقفار، مع بُغْد ما بين الجبال من الأقطار. ولفها أصاب الناس غلاء شديد، وفناء شديد، وجهد جهيد، فمات خلق كثير من الخلاق بهذا وهذا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله وشيء من ترجمته

كان ابتداء مرضه في أواخر شوال من هذه السنة، فأرادت زوجته أن تكتب ذلك، فلم يمكنها، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد، ونهبت العامة دورا كثيرة، وأموا لا جزيلة، فلما كان يوم الجمعة، الثاني والعشرين من شوال، خطب لولي العهد، أبي العباس أحمد بن المستضيء، وهو الخليفة الناصر لدين الله، وكان يوما مشهودا، ثر الذهب فيه على الخطباء، والمؤذنين، ومن حضر ذلك، عند ذكره على المنبر والتنويه باسمه في العشر. فلما كان يوم السبت سلخ شوال مات الخليفة المستضيء بأمر الله وكان مرضه بالحمى، ابتداء فيها يوم عيد الفطر، ولم يزل الأمر يتزايد به، حتى استكمل في مرضه شهرا فمات رحمه الله سلخ شوال، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، وغسل، وصلي عليه من الغد. ودفن بدار النصر التي بناها وذلك عن وصيته التي أوصاها، وترك من بعده ولدين، أحدهم ولي العهد، وهو علة الدين والدنيا، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله، والآخر أبو منصور هاشم، وقد وزر له جماعة من الرؤساء، وكان من خيار الخلفاء، أئمة بالمعروف، نهأة عن المنكر، وضع عن الناس المكوسات والضرائب، ودرأ عنهم البيع والمصائب، وكان حليما، وقورا، كريما، فرحمه الله تعالى ويل ثراه وجعل الجنة مأوا، ويوبخ بالخلافة من بعده لولده الناصر.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن علي: أبو إسحاق، الفقيه، السلمي الشافعي، المعروف بابن الفراء الأموي، ثم البغدادى، كان فقيهاً بارعاً فاضلاً، مناضراً، فصيحاً، بليغاً، شاعراً، مُطَبِّقاً توفي عن أربع وسبعين سنة، وصلى عليه أبو الحسن الفزوي مدرس النظامية رحمه الله تعالى.

■ إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر أبو محمد بن الجواليقي، الملقب بحجة الإسلام، أحد أئمة اللغة في زمانه، والمشار إليه من بين أقرانه، بحسن الدين، وقوة اليقين، وعلم اللغة، والنحو، وصدق اللهجة، وخلوص النية، وحسن السيرة، في مرباه، وممشاه، ومتهناه، وقد سمع الحديث، ورواه وفهم الأثر، واتبع سبيله، ومغزاه، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

■ المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد أبو محمد بن الطباخ البغدادى، نزيل مكة، وجاورها، وحافظ الحديث بها، والمشار إليه بالعلم فيها. كان يوم جنازته يوما مشهودا رحمه الله تعالى.

خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء

لما توفي أبوه في سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة بايعه الأمراء والوزراء، والخاصة، والعامة، وكان قد خطب له على المنابر، في حياة أبيه، قبل موته بسير، فقبل: إنه إنما عهد إليه قبل موته بيوم. وقيل: بأسبوع. ولكن قدر الله عز وجل، أنه لم يختلف عليه انسان بعد وفاة أبيه، ولقب بالخليفة الناصر، ولم يل الخلافة من بني العباس قبله أطول مدة منه، فإن خلافته امتدت إلى سنة وفاته، في سنة ثنتين وعشرين وستمئة، وكان ذكيا، شجاعا مهيبا، وما سيأتي ذكر سيرته عند وفاته إن شاء الله تعالى.

وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار، وأهين غاية الإهانة هو وأصحابه، وقتل كثير منهم، وشهروا في البلد، وتمكن أمر الخليفة الناصر، وعظمت هيبة في البلاد، وقلوب العباد وقام بأعباء الخلافة على ما ينبغي في جميع أموره وشؤونهم. ولما حضر عيد الأضحى، أقيم على ما جرت به العادة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج، وسار إلى بلاد الروم، فأصلح بين ملوكها، من بين أرتق، وكر على بلاد الأرمن، فأهان ملكها، وفتح بعض حصونها، وأخذ منها غنائم كثيرة جدا، من أواني الفضة والذهب، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركمان، أوزا إلى بلاده، ثم صالحه على مال يجمله إليه، وأسارى يطلقهم من أسره، وآخرين يستقدمهم من أيدي الفرنج، ثم عاد السلطان مؤيدا، منصورا، فدخل حماة، في أواخر جمادى الآخرة، وامتدحه الشعراء على ذلك.

ومات صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وكان شابا، حسنا، مليح الشكل، تام القامة، مدور اللحية، مكث في الملك عشر سنين، ومات عن ثلاثين سنة، وكان عفيفا في نفسه، مهيبا، وقورا، لا يلتفت إذا ركب ولا إذا جلس، وكان غيورا، لا يدع أحدا من الخدم الكبار يدخل على النساء، وكان لا يقدم على سفك الدماء، وكان ينسب إلى شيء من البخل، ساعه الله، توفي في ثالث صفر، وكان قد عزم على أن يجعل الملك، من بعده، لولده عز الدين سنجرشاه، فلم يوافقوه الأمراء، خوفا من صلاح الدين، لصغر سنه، فاتفقوا كلهم على أخيه، فأجلس مكانه في المملكة الدين مسعود، وجعل مجاهد الدين قائما نائبه، ومدير مملكته.

وجاءت رسل الخليفة، يلتمسون من صلاح الدين أن يقيى سروج، والرها، والركة، وحران، والخابور، ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه، فامتنع السلطان من ذلك، وقال: هذه البلاد، هي حفظ نفور المسلمين، وإنما كنت تركتها في يده، ليساعدنا على غزو الفرنج، فلم يكن يفعل ذلك، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في كونها بيده.

وفاة تورانشاه أخي السلطان

فيها توفي أخو السلطان الأكبر الملك المظلم شمس الدولة

■ تورانشاه بن أيوب، أخي الملك صلاح الدين، الذي افتتح بلاد اليمن، عن أمر أخيه، فمكث فيها حيناً، واقتنى منها أموا لا جزيلة، ثم

حولها، واستحوذ على أكثرها، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاما أمرد، فأراد قتله، فقال له أهل الحصن: لا تقتله، وخذ لك دينه، عشرة آلاف دينار. فأبى فوصلوه إلى مائة ألف، فأبى إلا قتله، فقتله، فلما قتله، نزل صاحب الحصن، وهو شيخ كبير، ومعه مفتاح ذلك الحصن، فقال له: خذ هذه، فأبى شيخ كبير، وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتله، ولي أولاد أخ، أكره أن يملكوه بعدي فافقه فيه، وأخذ منه أموالا كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ

■ أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الحافظ الكبير المعمر، أبو طاهر السلفي الأصبهاني، وإنما قيل لجلده إبراهيم سلفه، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين، فكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم بذلك.

قال القاضي ابن خلكان: وكان السلفي يلقب بصدر الدين، وكان شافعي المنهج، ورد بغداد، واشتغل بها على إلكيا المراسي، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، وسمع الحديث الكثير، ورحل في طلبه إلى الأفاق، ثم نزل ثغر الإسكندرية، في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظاهر مدرسة، وفوض أمرها إليه، فهي معروفة به إلى الآن.

قال ابن خلكان: وأما أماليه، وتعاليقه، كثيرة جدا، وكان مولده فيما ذكر المصريون، سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة.

ونقل الحافظ عبد الغني القدسي عنه، أنه قال: أذكر مقتل نظام الملك في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد، وأنا ابن عشر تقريبا.

ونقل عنه الحافظ أبو القاسم الصفراوي أنه قال: مولدي بالتخمين، لا باليقين، سنة ثمان وسبعين فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة، لأنه توفي ليلة الجمعة، خامس ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة، بثمر الإسكندرية، والله أعلم، ودفن بوعلة، وفيها جماعة من الصالحين رحمه الله تعالى، وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوي، قال: ولم يبلغنا من نحو ثلاثمائة سنة أن أحدا جاوز المائة، إلا القاضي أبا الطيب الطبري رحمه الله. وقد ترجمه الحافظ بن عساكر في تاريخه [٢٠٨/٥] ترجمة حسنة، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين، فذكر رحلته في طلب الحديث، ودورانه في الأقاليم، وأنه كان يتصرف أولا، ثم أقام بثمر الإسكندرية، وتزوج بامراة ذات يسار، فحسنت حاله، ووقفت عليه مدرسة هناك، وذكر طرفا من أشعاره فمن ذلك رحمه الله تعالى قوله:

انسان لمسلم النية بقتة وأمن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يحايي الدهر في دورانه أردد أعلية ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبي وصحه وأزواجه طُرا وفاطمة الزهرا
ومن شعر الحافظ السلفي الذي أورد ابن عساكر قوله:

يا تاصدا علم الحديث يذنه إذا ضل عن طرق الهداية وهمه
وأجلها قه الحديث وعلمه إن العلوم كما علمت كثيرة
من كان طالبا وفيه تيقظ نأتم سهم في المعالي سهمه
لولا الحديث وأمله لم يستقم دين النبي ونشد عنا حكمه

استتاب فيها، وأقبل نحو أخيه إلى الشام، شوقا إليه، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعرا عمله له شاعره ابن المنجم، وكانوا قد وصلوا إلى تيماء:

وهل لأخي بل مالكي علم أنسي إليه وإن طال التردد راجس
وانسي يسوم واحد من لقائه للمكي على عظم المزية بائع
ولم يبق إلا دون عشرين ليلة ونجني أنسى أبصارنا والمسامع
لدى ملك تمنو الملوك إذا بدا وتخشع إعظاما له وهو خاشع
كتبت وأشواقني إليك ببعضها تعلمت النوح الحمام السواجع
وما الملك إلا راحة أنت زندها تضم على الدنيا ونحن الأصابع

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، فشهد معه مواقف مشهودة وغزوات عمودة، واستتابه على دمشق مدة، ثم سار إلى مصر، فاستتابه على الإسكندرية، فلم توافقه، وكان يعثره القولنج، فمات في هذه السنة، ودفن بقصر الإمارة فيها، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب، فدفنته بترتها، التي بالشامية البرانية، فقبره القبلي، والوسطاني قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، صاحب حمص، والرحبة، والمؤخر قبرها، رحمه الله تعالى وأجزل ثوابها والترية الحسامية منسوبة إلى والدها حسام الدين عمر بن لاجين، وهي إلى جانب المدرسة من غربها، وقد كان الملك تورانشاه هذا، كرما شجاعا، بإسلا عظيم الهبة، كبير النفس، واسع الصدر، قال فيه ابن سعدان الحلبي:

هو الملك إن تسمع بكسرى وقيصر فإنهما في الجرد والبأس عبده
وما حاتم ممن يقاس بمثله فخذ ما رأيناه ودع ما رويناه
ولذ بذراه مستجيرا فأنه يجيرك من جور الزمان وعدواه
ولا تتحمل للسحاب بنة إذا هطلت جودا سحاب جدواه
ويوسل كفيه بما اشتق منهما فليمن بمناء وليبر يراه

ولما بلغ خبر موته إلى أخيه صلاح الدين بن أيوب، وهو غيم بظاهر حمص، حزن عليه حزنا شديدا، وجعل ينشد باب المراثي من الحماسة، وكانت محفوظة رحمه الله تعالى.

وفي رجب منها، قدمت رسل الخليفة الناصر وخلعه وهداياه إلى الملك الناصر صلاح الدين، فلبس السلطان خلعة الخليفة بدمشق، وزينت له البلد، وكان يوما مشهودا.

وفي رجب أيضا منها، سار السلطان من الشام إلى الديار المصرية، لينظر في أحوالها وأمورها، ويصوم بها رمضان، ومن عزمه أن يخرج عامه ذلك إلى بيت الله الحرام، واستتاب على الشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب.

قال العماد الكاتب: وكان عزيز المثل، غزير الفضل، فكتب القاضي الفاضل، عن الملك العادل أبي بكر نائب مصر إلى أهل اليمن، والبتيق، ومكة، يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج في هذا العام واستصحب صدر الدين أبا القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد، الذي قدم في الرسلية من جهة الخليفة، ليكون في خدمته إلى الديار المصرية، وفي صحبته إلى الحجاز الشريف، فدخل السلطان مصر، وتلقاه الجيش وكان يوما مشهورا وأما صدر الدين فإنه لم يبق بها إلا قليلا، حتى توجه إلى الحجاز الشريف في البحر، فأدرك الصيام في المسجد الحرام.

وفيها سار قراقوش التتوي إلى المغرب، فحاصر قابس، وقلاع كثيرة

وإذا استرأب بقولنا متحذلق فأكُلْ فهم في البسيطة فهمه

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

استهلت والملك الناصر صلاح الدين مقيم بالقاهرة، مواظب على سماع الحديث، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فرخشاه، يخبره فيه بما قرأه الله به على الناس، من ولادة النساء من الثوام، جبراً لما كان أصابهم في العام الماضي من الوباء، والفناء، وبأن الشام غصبه بإذن الله لما كان أصابهم من الجذب الغلاء.

وفي شوال، توجه الملك صلاح الدين إلى الإسكندرية، لينظر ما أمر به من تحصين سورها، وعمارة أبراجها، وقصورها، وسمع بها موطأ الإمام مالك، على الشيخ أبي طاهر بن عرف، عن الطرطوشي، وسمع معه العماد الكاتب، وأرسل القاضي الفاضل إلى السلطان رسالة، يشهه بهذا السماع، والله تعالى اعلم.

ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل بن الملك نور الدين

الشهيد صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور

كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب، من هذه السنة، بقلعة حلب، ودفن بها، وكان سبب وفاته، فيما قيل، أن الأمير علم الدين سليمان بن جندب سقاه سما في عقود عنب في الصيد وقيل بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب وقيل: في خشكتانجة فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات رحمه الله وهو شاب حسن الصورة بهي المنظر، ولم يبلغ عشرين سنة، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستقى بعض الفقهاء في شرهها، تداوياً، فأفاته بذلك، فقال له: أيزيد شرهها في أجلي أو ينقص منه تركها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فوالله لا أشربها فألقى الله وقد شربت ما حرمه علي ولما يش من نفسه استدعى الأمراء فحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل، لقوة سلطانه، وتمكنه ليعتصم من صلاح الدين، وخشي أن يبايع لابن عمه الآخر، عماد الدين زنكي، صاحب سنجار، وهو زوج أخته وتربية والده فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين، فلما مات، استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين، صاحب الموصل، فجهأ إليهم، فدخل حلب في أبهة عظيمة، وكان يوماً مشهوداً، وذلك في العشرين من شعبان، فتسلم خزانها، وحواصلها وما فيها من السلاح، وكان تقي الدين عمر بمبينة منبج، فهرب إلى حماة، فوجد أهلها، قد نادوا بشعار عز الدين صاحب الموصل، وأطعم الحلبيون عز الدين مسعود، في أخذ دمشق، لنفية صلاح الدين بالديار المصرية، وأعلموه عجة أهل الشام، لهذا البيت الأتابكي نور الدين، فقال لهم: يتنا وبين صلاح الدين، إيمان، وعهود، وأنا لا أغدر به، فأقام حلب شهوراً، وتزوج بأم الملك الصالح، في شوال، ثم سار إلى الرقة، فزها، وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي، يطلب منه، أن يقايضه من حلب، إلى سنجار، وألح في ذلك، وتمنع أخوه، ثم فعل على كره منه، فسلم إليه حلب، وسلمه عماد الدين سنجار، والخابور، والرقة، ونصيبين، وسروج، وغير ذلك من البلاد.

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور، ركب من الديار المصرية،

في عساكره، فسار حتى أتى القرارت، فغيرها، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل، فتقهقروا عن لقاءه، فاستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكاملها، وهم بمحاصرة الموصل، فلم يتسنى له ذلك، ثم جاء إلى حلب، فنزلها من عماد الدين زنكي لضغفه منه عاتيتها، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة، وآلات القتال وذلك في السنة الآتية كما سذكروه.

وفي هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك، على قصد تيماء من أرض الحجاز، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق، تكون حاجزة بينه وبين أرض الحجاز، فصدده ذلك عن قصده والله الحمد والمآلة.

وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب نيابة اليمن، فملكه عليها وأرسله إليها، وذلك لاختلاف نوابها، واضطراب أصحابها، بعد وفاة المعظم تورانشاه أخي السلطان الذي كان افتتحها، فلما وقعت الفتنة بها، وكثر التخليط والتخبيط، سمت نفس أخيه طغتكين إليها، فأرسله أخوه إليها وولاه عليها، فسار فوصلها، في سنة ثمان وسبعين، فسار فيها أحسن سيرة، واحتاط على أموال حطان بن مقذ صاحب زيد، وكانت تقارب زهاء ألف دينار أو أكثر، وأما نائب عدن، فخر الدين عثمان الزنجيلي، فإنه خرج من اليمن، قبل قدوم طغتكين، فسكن الشام، وله أوقاف مشهورة باليمن، ومكة، وإليه تسبب المدرسة الزنجيلة، خارج باب توما، تحاه دار الطعام، وكان قد حصل من اليمن أموالاً جزيلة جداً.

وفيها غدرت الفرنج، ونقضت عهدها، وقطعوا السبل على المسلمين، براً، وبحراً، وسراً، وجهاً، فأمكن الله من بطشة عظيمة، لهم فيها نحو من ألفين وخمسمائة، نفس من رجالهم المعدودين، ألقاها الموج إلى نشر دمياط، قبل خروج السلطان من مصر، فأحبط بها، ففرق بعضهم، وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة.

وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية، ففتح بلاداً كثيرة، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن، صاحب المغرب، واستفحل أمره هناك، وقرأقوش مملوك تقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين، ثم عاد إلى مصر، فأمره صلاح الدين أن يتم السرور المحيط بالقاهرة، ومصر، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة، وكان ذلك آخر عهده بها، حتى توفاه الله عز وجل، بعد أن أراه الله بلوغ مناه، قبل حلول الوفاة، فآقر عينه من أعداءه، وفتح على يده بيت المقدس وما حواه، ولما خيم بارزاً، من مصر وأولاده حوله، جعل يشمهم، ويقبلهم، ويضمهم، فأنشد بعضهم في ذلك:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
وكان الأمر كما قال، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام، بل كان مقامه بالشام.

وفي هذه السنة ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه، والملك المحسن أحمد، وكان بين ولادتهما سبعة أيام، فزيت البلاد، واستمر الفرح أربعة عشر يوماً.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ كمال الدين أبو الركات:

■ عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات، عيد الله بن محمد بن عيد

عليه من الفترحات برأً ومجرأً وما هو متقلب فيه من أنعم الله وإحسانه سرأً وجهراً والحمد لله رب العالمين.

فصل في وفاة الملك المنصور عز الدين

■ فروخشا بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، ونائب دمشق لعمه الناصر صلاح الدين، وهو والد الملك الأحمدي بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه، وإليه تنسب المدرسة القرو خشاية بالشرق الشمالي، بدمشق، وإلى جانبها التربة الأحمدي لولده، وهما وقف على الحنفية، والشافعية، وقد كان فروخ شاه، شجاعاً، شهماً، عاقلاً، ذكياً، ممدحاً، امتدحه الشعراء لفضله، وجوده، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي، عرفه من مجلس القاضي الفاضل، له وللعماد الكاتب فيه منافع بدائع، وله شعر رائق لطيف من ذلك قوله:

أنا في أسر السقام من هوى هذا الفلام
رشأ ترشق عينا ه فؤادي بسهام
كلما ارشفتي فا على حر الأوام
فقت منه الشهد في التلج المصفى ملاقات المدام

وكان ابنه الأحمدي شاعراً جيداً، ولاه عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه، واستمر فيها مدة طويلة، ومن محاسن فروخشا صحبته لتاج الدين الكندي وقد دخل يوماً الحمام، فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال، وقد نزل به الحال، حتى إنه كان يستتر ببعض يديه، لئلا تبذره عورته، فرق له، وأمر غلامه أن ينقل بقجة، وساطلاً إلى موضع الرجل، وأمره فأحضر ألف دينار، وبغلة، وتوقيعه له في كل شهر، بعشرين ديناراً، دخل الرجل الحمام فقبراً، وخرج وهو من أغنى الناس، فرحة الله على الأجواد الجياد.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ أبو العباس:

■ الرفاعي أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد، المعروف بابن الرفاعي، شيخ الطائفة والأهلية والرفاعية والبطائحية، لسكنه أم عبيدة، من قرى البطائع، وهي بين البصرة، وواسط، كان أصله من العرب، فسكن هذه البلاد، والتف عليه خلق كثير، ويقال: إنه حفظ التتبية في الفقه وقد ذكرته في طبقات الشافعية.

قال ابن خلكان: ولاتباعه أحوال عجبية، من أكل الحيات وهي حية، والدخول في النار في التناير وهي تضطرم فيطفئونها، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود.

وذكر ابن خلكان: أنه قال: وليس للشيخ أحمد عقب، وإنما النسل لأخيه، وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد. قال: ومن شعر الشيخ أحمد على ما قيل:

إذا جن لي لي هام قلبي بذكركم أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يطر المم والأسى ونعني بحمار بالأسى تندق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول فقي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق

الله الأتباري، النحوي، الفقيه، العابد، الزاهد، الناسك الخاشع الورع، كان خشن العيش، ولا يقبل من أحد شيئاً، ولا من الخليفة، وكان يحضر نوبة الصوفية، بدار الخلافة، ولا يقل من جوائز الخليفة ولا فلساً، وكان مثابراً على الاشتغال، وله تصانيف مفيدة، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

قال ابن خلكان: له كتاب أسرار العربية، مفيد جداً، وكتاب طبقات النحاة، مفيد جداً، وكتاب الميزان في النحو أيضاً، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

في خامس الحرم، كان بروز السلطان من الديار المصرية، قاصداً بلاد الشام لمناجزة الأعداء والإحسان إلى الأواباء، وكان ذلك آخر عهده بمصر ولم يعد إليها بعد ذلك. وقد أغار في طريقه على أطراف بلاد الفرنج، بأرض الكرك، وجعل إخاء تاج الملوك بوري بن أيوب على المينة، يسير ناحية عنه ليتمكنوا من بلاد المدو فالتقوا على الأردن بعد سبعة أيام، وقد أغار نائب دمشق عز الدين فروخشا على بلاد طبرية، وما حولها وافتتح حصونا جيدة، وأسر منهم ألفاً، وغنم عشرين ألف رأس من الأنعام بيض الله وجهه.

وكان دخول السلطان إلى دمشق، سابع عشر صفر، ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول، فالتقى مع الفرنج، في نواحي طبرية، ويسان، تحت حصن كوكب، فقتل خلق من الفريقين، وكانت الدائرة للمسلمين على الفرنج، ورجع مؤيداً منصوراً.

ثم ركب السلطان في جحافلهم وعساكره قاصداً حلب، وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصله والخليبيين قد كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين حتى ينزوا على بعض أطراف البلاد، ليشغلوا الناصر بنفسه عنهم، فكان مسيره على بلاد البقاع ثم إلى حماة ثم إلى حلب، فحاصرها ثلاثاً، ثم رأى المدلول عنها إلى غيرها أولى، فسار حتى قطع الفرات، واستحوذ على بلاد الجزيرة، والخابور وحوران والرها، والرقه، ونصيبين، وغير ذلك وخضعت له الملوك، ثم عاد إلى حلب، فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي، وقد كان قابض أخاه عز الدين مسعود بها إلى سنجار كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية فاستوسقت له الممالك شرقاً وغرباً، ويعداً وقرباً وتمكن حينئذ من قتال أعدائه من الفرنج لعنهم الله وأمكنه الله من نواصيهم فله الحمد على ما أولاه.

فصل

ولما عجز إيرنس الكرك، لعنه الله عن إيصال الأذى للمسلمين في البر، عمل مراكز في بحر القلزم، ليقطعوا الطريق على الحجاج، والتجار، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم، فأمر الملك العادل أبو بكر نائب مصر للأمير حسام الدين لؤلؤ، صاحب الأسطول، أن يعمل مراكز في بحر القلزم، ليحارب أصحاب إيرنس، ففعل ذلك، فظفروا بهم في كل موطن، فقتلوا منهم، وحرقوا، وغرقوا، وسبوا وقهروا وأسرروا في مواطن كثيرة، ومواقف هائلة، وأمن البر والبحر، بإذن الله تعالى الذي بيده النفع والضرب، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه، وأرسل إلى ديوان الخلافة، يعرفهم بذلك بما أنعم الله

ومن شعره قوله:

أغار عليها من أيها وأمها ومن كل من يلبس إليها وينظر
واحذر للمرّة أيضاً بكفها إذا نظرت مثل الذي أنا أنظر

قال: ولم يزل على تلك الحال، إلى أن توفي، يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى، من هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال: أبو القاسم القرطبي، الحافظ، المحدث، المؤرخ، صاحب التصانيف، له كتاب الصلاة، جعله ذبيلاً على تاريخ أبي الوليد بن الفريسي، وله كتاب المستفيين بالله، وله مجلد في تعيين الأسماء المبهمة في الروايات، على طريق الخطيب، وله أسماء من روى الموطأ، على حروف المعجم، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلاً، وكانت وفاته في رمضان، عن أربع وثلاثين سنة رحمه الله تعالى ورضي عنه.

العلامة قطب الدين أبو المعالي:

■ مسعود بن محمد بن مسعود التيسابوري، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي، قدم دمشق، ودرس بالغزالية، والمجاهدية، وبجلب بحدرة نور الدين، وأسد الدين، ثم بهمدان، ثم رجع إلى دمشق ودرس بالغزالية، وانتهت إليه رئاسة المذهب، ومات بها في سلخ رمضان، يوم العيد، سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، عن ثلاث وتسعين سنة، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره وهو الذي صلى على الحافظ ابن عساكر، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة

في الرابع عشر من محرمها، تسلم السلطان صلاح الدين مدينة آمد، صلحاً بعد حصار طويل، من يد صاحبها ابن نيسان، بعدما حل ما أمكنه من حواصله، وأمواله وأتقاه مدة ثلاثة أيام، ولما تسلم السلطان البلد، وجد فيه شيئاً كثيراً من الخواصل، وآلات الحرب، والسلاح حتى إنه وجد برجاً، مملوفاً بصلب الشباب، وبرجاً آخر فيه مائة ألف شعبة، وأشياء يطول شرحها، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد، وأربعين ألف مجلد، فورها كلها للقاضي الفاضل، فانتخب منها حل سبعين حمارة. ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان وكان قد وعده بها فقيل له: إن الخواصل لم تدخل في وعده، فقال: لا أجعل بها عليه، وكان في خزانها ثلاث آلاف ألف دينار وقد صار من أصحابنا وأنصارنا، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع الحسن الجميل وهو حقيق بالثناء والجزاء الجزيل. ومن أحسن ذلك قول بعضهم في ذلك من جملة قصيدة له في السلطان:

قل للملوك تحسوا عن ممالككم فقد أسي أخذ الدنيا ومعطيتها

ثم سار السلطان في بقية الحرم إلى حلب فتألفها وحاصرها، وقتله أهلها قتلاً شديداً، فخرج أخو السلطان تاج الملوك بوري بن أيوب جرحاً بليداً، فمات منه بعد أيام، وكان أصغر أولاد أيوب، ولم يبلغ عشرين سنة، وقيل إنه جاوزها بستين، وكان ذكياً فهما، له ديوان شعر لطيف، فحزن عليه أخوه الملك صلاح الدين حزناً شديداً، ودفنه بحلب، ثم نقله إلى دمشق، ثم اتفق الحال بين السلطان، وبين صاحب حلب، عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي آق سقر، على عوض أطلقه له الناصر، بأن يرد عليه سنجار، ويسلمه حلب، فخرج عماد الدين زنكي، وجاءه إلى خدمة

الناصر، وعزاه في أخيه، ونزل عنده في المخيم، ونقل أثقاله إلى سنجار، وزاده السلطان الخابور، والرقه، ونصيبين، وسروج، واشترط عليه إرسال العسكر في الحملة، لأجل الغزاة في الفرنج، ثم سار، وودعه السلطان، ومكث السلطان في المخيم، أياماً، غير مكثرت بحلب، ولا مستكثراً لها ولا بها، ثم صعد إلى قلعتها، يوم الاثنين، السابع عشر من صفر، وعمل له الأمير طمان وليمة عظيمة، وكان يوماً مشهوراً مشهوراً فسمعه بعضهم وهو داخل يتلو هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ تَالِكَ الْمُلْكُ﴾ قال عمران: ٢٦. ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنْتُكُمْ أَرْضَهُمْ وَفِيَارْتُمْ وَأَنزَلْتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧] الآية. ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين، وأطال السجود به، والدعاء، والتضرع إلى الله، ثم شرع في عمل وليمة عظيمة، وقد ضربت الباشرا، وخلع على الأسراء، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء، وألقت الحرب أوزارها وقضت القلوب أوطارها.

وألقت عصاماً واستقر بها كما قرعناً بالإياب للسان
وقد امتدحه الشعراء عند فتح حلب بمدائح حسان. ثم إن القلعة وقتت منه بموقع عظيم، ثم قال: ما سررت بفتح قلعة أعظم سروراً من فتح مدينة حلب، وأسقط عنها، وعن سائر بلاد الجزيرة، المكوس، والضرائب، وكذلك عن بلاد الشام، ومصر.

وقد غارت الفرنج في غيبتها في الأرض فساداً، فأرسل إلى عساكره، فاجتمعوا إليه، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس، حين فتح حلب، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جيهل الشافعي، رأى في تفسير أبي الحكم بن بَرْجَان المغربي، عند قوله: ﴿قُلْ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١] الآية، البشارة بفتح بيت المقدس، في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، واستدل على ذلك بأشياء، فكتب ذلك في ورقة، وأعطاهما للفقهاء عيسى الهكاري، ليشرح بها السلطان، فلم يتجاسر على ذلك، خوفاً من عدم المطابقة، فأعلم بذلك القاضي محيي الدين بن الزكي، فنظم معناها في قصيدة، يقول فيها:

وفتحكم حلب الشهباء في صفر قضى لكم بانتتاح القدس في رجب
وقدماها السلطان، فقريت همتي إلى ذلك، فلما افتتحها كما سيأتي أمر القاضي، فخطب يومئذ، وكان يوم الجمعة، ثم بلغه بعد ذلك أن ابن جيهل هو الذي أطلع على ذلك أولاً، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً، فأجزل له العطاء، وأحسن عليه الثناء.

فصل

ثم رحل السلطان من حلب، في أواخر ربيع الآخر، بجيوشه وعساكره وقد جعل فيها ولده الظاهر غازي، وولى قضاءها لمحلي الدين بن الزكي، فاستتاب له فيها نائباً، وسار مع السلطان، في خدمة فاجتاز بحماه ثم بمحص ثم على بعلبك ثم دخل دمشق، في ثالث جمادى الأولى، وكان ذلك يوماً مشهوداً، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج، في أول جمادى الآخرة في جحافلها، فاصدا نحو القدس الشريف، فأتته إلى بيسان، فنهبا، ونزل على عين جالوت، وأرسل بين يديه سرية هائلة، فيها جرديك، وطائفة من النورية، وجاءه ملوك عمه أسد الدين، فوجدوا جيش الكرك من الفرنج قاصلين إلى أصحابهم نخبة لهم، فالتقوا معهم، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً، وأسروا مائة أسير، ولم يفتقد من المسلمين سوى شخص واحد، ثم عاد في آخر ذلك اليوم، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله،

وفي هذه السنة مات ابن عمه صاحب ماردين وميفارقين وتلك الأعمال وهو قطب الدين يلغازي بن البي بن تمرشاش بن يلغازي بن أرتق فقام في الملك بعده ولده وله من العمر عشر سنين.

وفيها مات صاحب المغرب، يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وقام في الملك بعده ولده يعقوب.

وفي أواخرها بلغ السلطان صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل إربل، فبعث صاحبها يستصرخ بالسلطان، فركب من فورهِ إليه، في جنوده وعساكره فسار إلى بعلبك، ثم إلى حمص ثم إلى حماه، فأقام بها أياماً ينتظر وصول العماد الكاتب إليه، وذلك لأنه حصل له ضعف، فأقام ببعلبك، ريثما استبَلَّ من مرضه وقد أُرسل إليه القاضي الفاضل، من دمشق طبيبا، يقال له أسعد بن إلياس المطران، فعالجه معالجة من طب لمن حب.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والسلطان غيِمَ بظاهر حماه، ثم سار إلى حلب، وتلقاه أخوه العادل واجتمعت إليه العساكر فخرج منها في صفر قاصداً الموصل فقطع الفرات، وجاء إلى حران، فقبض على صاحبها مظفر الدين بن زين الدين، وهو أخو زين الدين صاحب إربل، ثم رضي عنه، وأعادته إلى مملكته، حتى يبين حيث طوبته، ثم سار منها إلى الموصل، فتلقاه الملوك من كل ناحية، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان، فطلب دستوراً، ليأخذ مملكته فأعطاه وسار السلطان، فنزل على الإسماعيليات، قريبا من الموصل، وجاءه صاحب إربل زين الدين، الذي خضعت له ملوك تلك الناحية، ثم أُرسل صلاح الدين ضياء الدين بن كمال الدين الشهرزوري إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل وإنما مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة، ونصرة الإسلام، فحاصرها مدة، ثم رحل عنها في أواخر ربيع الأول، ولم يفتحها، وسار إلى خلاط، واستحوذ على بلدان كثيرة، وأقاليم جمة، ببلاد الجزيرة، وديار بكر، وجرت أمور كثيرة قد استقصاها ابن الأثير في الكامل (٥١١/٥١٠)، وصاحب الروضتين (٢٦١/٢٦٠)، ثم وقع الصلح بينه وبين الموصلية، على أن يكونوا من جنده، إذا ندبهم لقتال الفرنج، وعلى أن يحطب له، وتضرب السكة باسمه، ففعل ذلك في تلك البلاد كلها، وانقطعت خطبة السلاجقة، والأزقية، بتلك البلاد كلها. وانفق الحال وزال الإشكال.

ثم اتفق أنه مرض السلطان بعد ذلك مرضا شديدا، فكان يتجلد، ولا يظهر شيئا من الألم، حتى قوي عليه الأمر، وتزايد الحال، حتى وصل إلى حران، فخيِمَ هنالك من شدة ألمه، وشاع ذلك في البلاد، وخاف الناس عليه، وأرجف الكفرة والملاحدون وخاف أهل البر والمؤمنون، وقصده أخوه أبو بكر العادل من حلب، بالأطباء والأدوية، فوجده في غاية الضعف، وأشار عليه بأن يوصي ويعهد، فقال: ما أبالي، وأنا أترك من بعدي أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يعني أخاه العادل، صاحب حلب وتقي الدين عمر، صاحب حماه، وهو إذ ذاك نائب مصر، وهو بها مقيم وابنيه العزيز عثمان، والأفضل عليا ثم نذر لئن شفا الله من مرضه هذا، ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج، ولا يقاتل بعد ذلك مسلما، وليجعلن أكبر همه فتح بيت المقدس، ولو صرف في سبيل ذلك جميع ما يملكه، من الأموال، والذخائر، وليقتل البرنس صاحب الكرك بيده، لأنه نقض العهد، الذي عاهد السلطان عليه ففند بقاءة من تجار مصر، فأخذ أموالهم، وضرب رقابهم،

فقصدهم، وتصدى لهم لعلمهم يصفونه، فنكلوا عنه، فقتل منهم خلقا كثيرا، من أطرافهم وجرح مثلهم، فرجعوا ناكسين على أعقابهم، خائفين منه غاية المخافة، لكثرة جيشه وهو خلفهم، يقتل، ويسار، حتى غوزوا في بلادهم، فرجع عنهم مؤبداً منصوراً، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة، يعلمه بما من الله عليه، وعلى المسلمين من نصرة الدين، وكان لا يفعل شيئا، ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة، أدبا، واحتراما، وطاعة، واحتشاما.

فصل

وفي رجب، سار السلطان إلى الكرك، فحاصرها، وفي صحبته تقي الدين عمر بن أخيه، وقد كتب إلى أخيه العادل أبي بكر ليحضر إليه ليوليه حلب، وأعمالها، وفق ما كان طلبه منه، واستمر الحصار على الكرك، مدة شهر رجب، فلم يظهر منها بطلب، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم، ليمنعوا منه الكرك فكر راجعا إلى دمشق ليقامهم وذلك من أكبر همتهم وأعظم طلبه، وأرسل ابن أخيه تقي الدين عمر إلى مصر نائبا، وفي صحبته القاضي الفاضل، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها، واستقدم ولده الظاهر إليه، وكذلك نوابه ومن يمز عليه، وإنما أعطى السلطان أخاه العادل حلب ليكون قريبا منه، فإنه كان لا يقطع أمرا دون مشورته، واقترض الناصر من أخيه أبي بكر العادل مائة ألف دينار، وتكلم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب، وكانت إقامته الأولى بها ستة أشهر، ولكن لا يقدر أن يظهر ما في نفسه لوالده لكن يظهر ذلك، على صفحات وجهه، وقلبات لسانه.

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة

في هذه السنة أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية، والجزيرية، والمصرية، أن يقدموا عليه، لقتال الفرنج، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر، ومعه القاضي الفاضل، وجاء من حلب أبو بكر العادل، وقدمت ملوك الجزيرة، وسنجار، وغيرها، وتلك النواحي والأقطار وأخذهم كلهم مع جيشه فسار إلى الكرك، فأحذقوا بها، في رابع عشر جمادى الأولى، وركب عليها المجانيق، وكانت تسعة، وأخذ في حصارها، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجيج والتجار في البراري والبحار، فبينما هو كذلك، إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم، فارسهم، وراجلهم، ليمنعوا منه الكرك، فانشمر عنها، وقصدهم فنزل على حسان تجاههم، ثم صار إلى ماء عين، فانهمزت الفرنج، قاصدين الكرك، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة، وأمر السلطان الجيوش بالإغارة على السواحل، لخلوها من المقاتلة، فنهبت نابلس، وما حولها من القرايا والرساتيق، ثم عاد السلطان إلى دمشق، فأنذ للساكن في الانصراف إلى بلدانهم الشئ، وأمر ابن أخيه تقي الدين عمر، الملك المظفر، أن يعود إلى مصر بمسكرو، وكذلك أخاه العادل أن يعود إلى الشهباء، وأقام السلطان بدمشق، ليؤذي فرض الصيام، ولتجَمَّ الخيل، ويحد الحسام، وقدمت على السلطان خلق الخليفة، فلبسها، وألبس أخاه العادل، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه، ثم خلع السلطان خلعتهم على ناصر الدين بن قرا أرسلان، صاحب حصن كيفا، وغربت وأمد، التي أطلقها له السلطان.

■ مسعود بن معين الدين، كان من الأمراء الكبار، أيام نور الدين، وصلاح الدين، وهو أخو الست خاتون، وحين تزوجها صلاح الدين، تزجه أخته، الست ربيعة خاتون بنت ليوب، التي تنسب إليها المدرسة الصلاحية، بالسفح على الخنابلة، وقد تأخرت مدتها، فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وستمئة، فكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه، وكانت وفاته بدمشق، في جمادى الآخرة، من جرح أصابه وهو في حصار ميافارقين.

■ الست خاتون عصمة الدين: بنت معين الدين، نائب دمشق، وأتابك عسكراها، قبل نور الدين، كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين رحمه الله، ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين، في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة، وكانت من أحسن النساء، وأعفهن، وأكثرهن صدقة، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، وخالقها خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانيس، ودفت بترتها، في سفح قاسيون، قريبا من قباب السركسية، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والأتابكية، ولما أوفات كثيرة غير ذلك، وأما الخاتونية البرانية، التي على القنرات، بمحلة صنعاء الشام، ويعرف ذلك المكان التي هي فيه، بتل الثعالب، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جالوي، وهي أخت الملك دقاق لأمه، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين محمود، صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين، كما تقدم، رحمه الله تعالى.

الحافظ الكبير

■ أبو موسى المديني: محمد بن عمر أحمد الأصبهاني الحافظ، أبو موسى، المديني، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين، له مصنفات عديدة، وشرح أحاديث كثيرة، رحمه الله تعالى.

أبو القاسم: وأبو زيد

■ عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن بن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن قنوح هو الداخل إلى الأندلس الخصمي السهيلي.

حكى القاضي ابن خلكان عن ابن دحية، أنه أملى عليه نسبه كذلك، قال ابن خلكان: والسهيلي نسبة إلى قرية، بالقرب من مالقة، اسمها سهيل، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد، إلا من رأس جبل شاقق عندها، وهي من قرى المغرب، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسمائة، وقرأ القراءات، واشتغل، وحصل حتى برع، وساد أهل زمانه، بقوة القريحة، وجودة الذهن، وحسن التصانيف، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته، وكان ضريرا مع ذلك، له كتاب الروض الأتف يذكر فيه نكاح حسنة على السيرة لم يسبق إلى أشياء كثيرة منها، وله كتاب الإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، وله كتاب نتائج الفكر، ومسألة في الفرائض بديعة، ومسألة في السر في كون الدجال أعور، وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة، وله أشعار حسنة، وكان عفيفا فقيرا، وقد حصل له مال كبير، في آخر عمره من صاحب مراكش، وكانت وفاته في هذه السنة يوم الخميس، السادس والعشرين من شعبان، وله قصيدة كان يدعو الله بها، ويرتقي الإجابة ببركتها وهي قوله:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت للمعد لكل ما يتوقع
يا من يرجئ للشائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن امنن فلان الخير عندك أجمع

صبرا بين يديه وهو يقول: أين محمدكم ينصركم؟ وكان هذا التنفر كله، بإشارة القاضي الفاضل، رحمه الله وهو أرشده إليه، وحثه عليه، حتى عقده مع الله عز وجل، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذي كان فيه كثرة للنوب ورفع لدرجته ونصرة للإسلام وأهله، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية، فدفقت الشائز، وزينت البلاد.

وكتب الفاضل من دمشق، وهو مقيم بها، إلى المظفر تقي الدين عمر، أن العافية الناصرية، قد استقامت، واستفاضت أخبارها، وطلعت بعد الظلمة أنوارها، وظهرت بعد الاختفاء آثارها، وولت العلة، ولله الحمد والمئة، وطفئت نارها، وانجلي غبارها، وخذ شرارها، وما كانت إلا فلتنة، وقي الله شرها، وعظيمة كفى الله الإسلام أمرها، وتوتيت امتحن الله بها نفوسنا، فرأى أقل ما عندها صبرها، وما كان الله ليضيق الدعاء، وقد أخلصته القلوب، ولا ليقف الإجابة، وإن سدت طريقها الذنوب، ولا ليخلف وعد فرج، وقد أيسر صاحب والمصحب.

نصي زاد فيه الدهر ميمًا فاصبح بعد يؤساه نعيما
وما صدق النذير به لأنسي رأيت الشمس تطلع والنجوم

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر العافية غضة جليدة، والعزمة ماضية حديدية، والنشاط إلى الجهاد، والتوبة لرب العباد، والجنة مبسطة البساط، وقد انقضى الحساب، وجزنا الصراط، وعرضنا نحن على الأحوال، التي من خوفها، كاد الجمل يلج في سم الخياط.

ثم ركب السلطان من حران، بعد العافية، فدخل حلب، ثم اجتاز بحماة وحمص ودخل إلى دمشق، وقد تكاملت عافيته، وقد كان يوم دخوله إليها يوما مشهودا وصباحا محمودا ولله المنة.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

القيقه مهلب الدين:

■ عبد الله بن أسعد الموصل: مدرس حمص، وكان بارعا في فنون، ولا سيما في الشعر والأدب، وقد أثنى عليه العماد، والشيخ شهاب الدين أبو شامة.

الأمير ناصر الدين

■ محمد بن أسد الدين شيركوه: صاحب حمص، والرحبة، وهو ابن عم السلطان صلاح الدين، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب، توفي بمحمص، فنقلته زوجته ست الشام إلى تربتها، بالمدرسة الشامية البرانية، فقبه هو الأوسط، بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن، وقد خلف ناصر الدين محمد من الأموال، والذخائر شيئا كثيرا، ينف على ألف ألف دينار، وكانت وفاته يوم عرفة فجأة فولد من بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين أيده الله تعالى.

■ محمود بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيخ جمال الدين أبو النشاء الحمودي بن الصابوني، لأن جد أمه الشيخ أبو عثمان الصابوني، كان أحد الأئمة المشاهير، وإنما يقال له الحمودي لصحبة جده السلطان عمود بن محمد بن ملكشاة، فقدم الشيخ جمال الدين هذا الشام في أيام نور الدين محمود بن زنكي فأكرمه واحترمه، ثم سار إلى مصر، فترها، وكان صلاح الدين يكرمه أيضا، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضا، فهي لهم إلى الآن.

الأمير الكبير سعد الدين

ما اتى الشرح ولا جاء
فبقية ضحكة يضج
حككم خرباً وعصاراً
ثم ما اطعمكم في الد
ليت إذ لم يحسنوا في الد
نعلس اصطرباب بطليح
وعليه الحزري ما جاء
مت بهذا الأنبياء
حك منها العلماء
ما يقول الشعراء
حكهم إلا الأمراء
يسن ظناً ما أساموا
محروس والزيج الغناء
وت على الأرض السماء

ما لي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فسأي باب أقرع؟
ومن ذا الذي ادعو واعتف باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك منح؟
حاشا لمجدك أن يفتنط عاصياً
الفصل اجزول والمواهب أوسع

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة

في ثاني ربيع الأول منها، كان دخول السلطان صلاح الدين إلى دمشق بعد عافيته، وكان يوماً مشهوراً كما جرت بمثل ذلك عادات الملوك واجتمع بالقاضي الفاضل وزاره واستأثره وفاوضه، واستأثره، وكان لا يقطع أمراً دونه ولا يخفى، عنه مكتونه ولا ضميره ومضمونه ثم السلطان في ملك دمشق، ولده الأفضل علياً، ونزل العادل أبو بكر عن حلب لصوره زوج ابنة الملك الظاهر غازي بن الناصر، وأرسل السلطان أخاه العادل صحة ولده عماد الدين عثمان، الملك العزيز، على ملك مصر، ويكون الملك العادل أتاكبه، وله أقطاع عظيمة جداً، وعزل عن نيابته تقي الدين عمر، فعزم على الدخول إلى إفريقية، فلم يزل الناصر يكتبه ويتلطف به، ويتفرق له، حتى أقبل بمجنوده نحو، فأكرمه، واحترمه وعظمه، وأقطعه حماة، وبلدا كثيرة معها، وقد كانت له قبل ذلك، بسنين وزاده وزاد له على ذلك مدينة ميفارقين، وامتدحه العماد الكاتب بقصيدة سينية سينة مذكورة في الروضتين [٧١/٢].

وفيها هادن قورص طرابلس السلطان، وصالحه، وصافاه، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال، وسعى منهم النساء والأطفال، وكاد أن يسلم، ولكن صده شيطانه ورواه بالخيال، وكانت مصالحة القورص من أقوى أسباب نصرة السلطان على الفرنج، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم وديناهم.

قال العماد الكاتب: وكان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان، بطوفان الريح، في سائر البلدان، وذكر أن ناساً من الجهلة، تأهبوا لذلك، بحفر مغارات في الجبال، ومدخلات، وأسراب في الأرض، خوفاً من ذلك.

قال العماد: فلما كانت تلك الليلة، التي أشاروا إليها، واجمعوا عليها، لم ير ليلة مثلها، في كودها وركونها، وهدونها وهدونها ذلك غير واحد من الناس، في سائر أقطار الأرض، وقد نظم الشعراء في تكتيب المنجمين في هذه الواقعة، وغيرها، أشعاراً كثيرة حسنة فمن ذلك قول عيسى بن مردود:

مـزق التفويـم والزيمـ ج فقد بان الخفاء
إنما التفويـم والزيمـ ج هباء وهـواء
قلت للسـجعة إـسـرا م ومنسـع وعطـواء
ومتى يـتزلن في المـبـ زان يـستولي المـواء
ويشير الرـمـل حـتى يتلـسـي منه القـضاء
ويعمم الأرض خـسـف وخـسـراب ويسـلـاء
ويصير القـنـاع كالقـفـف وكـالطود العـراء
وحكمتهم قـلـى الحـا كـسـم إلا ما يشـاء

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير

أبو محمد

■ عبد الله بن أبي الوحش: يري بن عبد الجبار بن يري القلديسي، ثم المصري، أحد أئمة اللغة، والنحو، في زمانه، وعليه كانت تعرض الرسائل، بعد ابن بابشاد، وكان كثير الاطلاع، عالماً بهذا الشأن، مطرحاً للتكلف في كلامه، لا يلتفت، ولا يهرج على الإصراب فيه إذا خاطب الناس، وله التصانيف المقيمة، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين، رحمه الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وقعة حطين، التي كانت أمانة، ومقدمة، وشارة، لفتح بيت المقدس، على المؤمنين واستنفاذه من أيدي الكافرين.
قال ابن الأثير: في الكامل [٥٣٤/١١] كان أول يوم منها يوم السبت، وكان يوم التبروز، وذلك أول سنة الفرس، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم أيضاً، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً.

قال وهذا شيء يعيد وقعه مثله.
ويرز السلطان من دمشق يوم السبت، مستهل محرم، وقيل: في أثنائه في جيشه، فسار إلى رأس الماء، فنزل ولده الأفضل هناك، في طائفة من الجيش، وتقدم السلطان بقية الجيش إلى بصرى، فخيم على قصر أبي سلامة، ينتظر قدوم الحجاج، وفيهم أخته ست الشام، وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن عمر بن لاجين، ليسلوا من مرة إيرنس الكرك، الذي غدر ونقض العهد وفجر فلما اجتاز الحجاج سالمين، سار السلطان، فنزل الكرك، وقطع ما حوله من الأشجار، ورعى الزرع، وأكلوا الثمار، وجاءت العساكر المصرية، وتوافت الجيوش الشرقية بالرماح الخطية والسيوف المشرقة، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج، فقتلت، وغنمت، وسلمت، وكسرت وأسرت ورجعت، فبشر بمقدمات الفتح، والنصر، وجاء السلطان بمحافل، فالتفت عليه جميع العساكر البادية منهم والحاضر ربّ الجيوش والأطلاب، فرتب الجيوش، وسار قاصداً بلاد الساحل، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المطرعة، فتسامعت الفرنج بقومهم، فاجتمعوا كلهم، وتصلحوا فيما بينهم، ودخل معهم قورص أطرابلس الغادر وإيرنس الكرك الفاجر، وجاؤوا بقضهم وقضيضهم وأهل أوجهم وحضيضهم واستصحبوا معهم صليب الصليوت، يحمله منهم عباد الطاغوت، وضلال الناسوت واللاهوت، في

الحقبة، وقال: إن هذا تمرض لسب رسول الله ﷺ. فقتلته ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والإسماعيلية صبرا، وأرواح المسلمين من هذين الجنتين الحيتين و الله الحمد، ولم يسلم عن عرض عليه الإسلام إلا القليل، فيقال إنه بليت القتل ثلاثين ألفا، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفا، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفا، وكان ممن سلم منهم مع قتلهم أكثرهم جرحى، فماتوا ببلادهم، ومن مات كذلك، قوس طرابلس، فإنه انهزم جرحا، فمات بها، بعد مرجعه، ثم أرسل السلطان برؤوس أعيان الفرنج، ومن لم يقتل من رؤوسهم، وبصليب الصليبيات، صيحة القاضي ابن أبي عصرون، إلى دمشق، ليودعوا في قلعتها، فدخل بالصليب منكوسا، وكان يوما مشهودا و الله الحمد والمث.

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية، فأخذها، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران، والبقعاء، وما حولها من الجولان، وتلك الأراضي كلها بالنصف، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة، وتوفرت عليهم ثم سار السلطان إلى حطين، فزار قبر شعيب، ثم ارتفع منه إلى إقليم الأردن، فنزل تلك البلاد كلها، وهي قرى كثيرة، كبار وصغار، ثم سار إلى عكا، فنزل عليها يوم الأربعاء، سلخ ربيع الآخر، فافتتحها صلحا، يوم الجمعة، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك، وأموالهم، وذخائرهم، ومتاجر، وغيرها، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين، فوجد فيها أربعة آلاف أسير، ففرج الله عنهم و الله الحمد. وأمر بإقامة الجمعة بها، فكانت أول جمعة أقيمت بالساحل، بعد أخذه الفرنج، من سبعين سنة.

ثم سار منها إلى صيدا، وبيروت، وتلك النواحي من السواحل، يأخذها بلدا بلدا، لخلوها من المقاتلة، والملوك، ثم رجع سائرا نحو غزة، وعسقلان، ونابلس، ويسان، وأراضي الغور، فملك ذلك كله بحول الله وقوته، واستأب على نابلس ابن اخته حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين، وهو الذي افتتحها، وكان جملة ما افتتحه السلطان، في هذه المدة القريبة، خمسين بلدا، كل بلد له مقاتلة، وقلعة، ومنعة فله الحمد.

وغنم الجيش والمسلمون، من هذه الأماكن، شيئا كثيرا، وسوا شيئا كبيرا لا يُحَدُّ ولا يُوصَف، واستبشر الإسلام وأهله شرقاً وغرباً بهذا النصر العظيم والفتوحات الماثلة.

ثم إن السلطان، أمر جيوشه أن ترتع في هذه الأساكين، مدة شهور، ليستريحوا، ويجمعوا أنفسهم، ويخولهم، ليتأهبوا لفتح بيت المقدس، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس، فقصده العلماء، والصالحون، تطوعا، وجازوا إليه من كل فج عميق، ووصل أخوه العادل، بعد وقعة حطين، وفتح عكا، ففتح بنفسه بلداً كثيرة، فاجتمع من عباد الله، ومن الجيوش المتطورة، خلق كثير وجنم غفير، فعند ذلك، قصد السلطان، بمن معه كما سيأتي بيانه.

وقد امتدحه الشراء، بسبب وقعة حطين، فقالوا، وأكثروا، وأطابوا وأظنوا وكتب إليه القاضي الفاضل، - من دمشق وهو مقيم بها لمرض اعتره - ليهن المولى، أن الله قد أقام به الدين القيم، وأنه كما قيل: أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. وأنه قد أسبغ عليه النعمتين، الباطنة والظاهرة، وأورثه الملكين؛ ملك الدنيا وملك الآخرة كتب المملوك الخدمة والرووس إلى الآن لم ترتع من سجودها، والدعوى لم تمنح من خلودها، وكلما فكر المملوك أن البيع تعود وهي مساجد، والمكان الذي كان يقال فيه، إن الله ثالث ثلاثة، يقال فيه إله واحد، جدد لله شكرا، تارة يفيض من لسانه، وتارة يفيض من أجفانه، سرورا بتوحيد الله تعالى الملك الحق

خلق لا يعلم عندهم إلا الله عز وجل، يقال كانوا خسين ألفا، وقيل ثلاثا وستين ألفا، وقد خوفهم صاحب طرابلس بأس المسلمين، فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك، فقال له: لا أشك أنك تحب المسلمين، وتخوفنا كثرتهم، والثار لا تخاف من كثرة الخطب. فقال القومص لهم: ما أنا إلا منكم، وسترون غب ما أقول لك. فتقدموا نحو المسلمين، وأقبل السلطان، ففتح طبرية، وتقوى بما فيها من الأطعمة، والأمنعة، وغير ذلك، وتحصنت عت القلعة، فلم يعبأ بها، وحاز البحيرة في حوزته، ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قفزة، حتى صاروا في عطش عظيم فبرز السلطان، إلى سطح الجبل الغربي، من طبرية، عند قرية يقال لها حطين، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام، وجاء العدو المخنول، وكان فيهم صاحب عكا، وكفرنكا، وصاحب الناصرة، وصاحب صور، وغير ذلك من جميع ملوكهم، فتواجه الفريقان، وتقابل الجيشان، وأسفر وجه الإيمان، واغبر وأقم وأظلم وجه الكفر والطغيان، ودارت دائرة السوء، على عبدة الصلابان، وذلك عشية يوم الجمعة، فبات الناس على مصافهم، وأسفر الصباح عن يوم السبت، الذي كان يوما صعبا، على أهل يوم الأحد، وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر في شدة الحر، فطلعت الشمس على وجوه النصارى، وهم من شدة الحر سكارى وما هم بسكارى، وكان تحت أقدام خيرهم هشيم حشيش. فأمر السلطان النفاطة، أن يرموه بالنفط، فرموه، فتأجج نارا، تحت ستابك خيولهم، فاجتمع عليهم حر الشمس، وحر العطش، وحر النار، وحر السلاح، وحر رشق النبال، وتبارز الشجعان في حومة الوغى، ثم أمر السلطان بالتكبير، والحملة الصادقة، فحملوا، وكان النصر من الله عز وجل، فمَنَحهم الله أكثاف الكفرة المفجرة، فقتل منهم ثلاثون ألفا، في ذلك اليوم، وأسرا ثلاثون ألفا من شجعانهم، وفرسانهم، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم، سوى قومص طرابلس، فإنه انهزم في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليهم الأعظم، وهو الذين يزعمون أنه الذي صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب، واللآلئ، والجواهر النفيسة، وكان يوماً على الكافرين عسيرا ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله، ودمع الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم وهو يقود نيفا وثلاثين أسيرا من الفرنج، وقد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيرا، بتل ليليسها في رجله، وجرت أمور لم يسمع بمثلها، ولا وقعت العيون على شكلكها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فله الحمد دائما، أبدا، حمدا كثيرا طيبا.

ولما تمت هذه الوقعة العظيمة والنعمة العميقة الجسيمة، أمر السلطان بضرب غنيم عظيم، وجلس فيه على سرير المملكة، وعن يمينه أسرة، وعن يساره مثلها، وجيء بالأسارى تنهادى في قيودها، فصرخت أعتاق جماعة من مقدمي الداوية والإسماعيلية بين يديه صبرا، ولم يترك منهم، من كان يذكر الناس عنه شرا، ثم جيء بملوكهم، فأجلسوا عن يمينه، ويساره، على مراتبهم، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه، وتحت أرنأط إيرنس الكرك، تبعه الله تعالى وبين يديه بقية الملوك وعن يساره، فجيء السلطان بشراب مثلوج، من الجلاب، فشرب، ثم ناول الملك، فشرب، ثم ناول ملكهم أرنأط فشرب، صاحب الكرك، فغضب السلطان، وقال له: إنما ناولتك، ولم آذن لك أن تسقيه، هذا لا عهد له عندي، ثم تحول السلطان إلى خيمة، داخل تلك الحقبة، واستدعى أرنأط صاحب الكرك، فلما أوقف بين يديه، قام إليه بالسيف، فقال له: نعم، أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمتي. ثم دعاه إلى الإسلام فامتنع فقتله، وأرسل برأسه إلى الملوك، وهم في

صغير وصغيرة، دينارين، ومن عجز عن ذلك، كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات، والأسلحة، والدور للمسلمين، وأنهم يتحولون منها إلى مأماتهم، وهي مدينة صور. فكتب الصلح على ذلك، وأن من لم يبدل ما شرط عليه، إلى أربعين يوماً، فهو أسير، فكان جملة من أسر بهذا الشرط، ستة عشر ألف أسير، من رجال، ونساء، وولدان، ودخل السلطان، والمسلمون، البلد يوم الجمعة، قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب.

قال العماد: وهي ليلة الإسراء برسول الله ﷺ، من المسجد الحرام، إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلى.

قال أبو شامة: وهو أحد الأقوال في الإسراء، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ، خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكروا من إقامتها يومئذ، لضيق الوقت، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب القاضي محيي الدين عماد بن علي القرشي بن الزكي، كما سيأتي قريباً.

ولكن نظفوا المسجد الأقصى عما كان فيه من الصليبان، والرهبان، والخنزير، وخربت دور للدواية، وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب حشاً لنعمهم الله، فنظف من ذلك كله، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، والدولة الحميدية وغسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الوردة، والمسك الفاخر، وأبرزت للناظرين، وقد كانت مستورة، خبوة عن الزائرين، ووضع الصليب عن قبتها، وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج، قلعوا منها قطعاً، فباعوها من أهل البحور الجوانية، بزنتها من الذهب، فتعذر استعادة ما نقص منها وما ذهب.

ثم قبض من الفرنج، ما كانوا يبلوه، عن أنفسهم، من الأموال، وأطلق السلطان خلقاً، منهم بنات الملوك، بمن مهن من النساء، والصبيان، والرجال، ووقعت المساعة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير، فعفا عنهم، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم، من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئاً، مما يقتنى، ويدخر، وكان رحمه الله، حليماً، كريماً، مقدماً، شجاعاً، رحيماً، أسأل الله تعالى أن يجدد رحمته عليه وأن يقبل بوجهه الكريم إليه.

ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه

لما نزه البيت المقدس، بما كان فيه، من الصليبان والنواقيس، والرهبان والخنزير والقسايس، ودخله أهل الإيمان، ونودي بالأذان وهرب الشيطان وقرئ القرآن، وطهر المكان، فكان إقامة أول جمعة فيه في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بشبان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب الطاهر، وسطت البسط الرفيعة في تلك العراض الوسيعة، وعلقت القناديل وتلى التزليل عوضاً عما كان يقرأ من التحريف في الإنجيل، وجاء الحق وطلت تلك الأباطيل، وصفت السجادات، وكثرت السجدة، وتنوعت العبادات، وأدبت الدعوات، ونزلت البركات، وأجلت الكربات، وأقيمت الصلوات، ونطق الأذان، وخرس الناقوس، وحضر المؤمنون وغساب القسوس، وطابت الأنفاس، واطمأنت النفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس، وحضر العباد والزهاد والأبدال والأقطاب والأوتاد، وعبد الواحد، وكثر الرامع والساجد، والقائم والقاعد، وامتلا الجامع، وسالت لركة القلوب المدامع، وقال الناس: هذا يوم كريم وفضل عظيم وموسم وسيم، وهذا يوم نجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسيل العبرات

المين، وأن يقال عماد رسول الله، الصادق الوعد الأمين، وجزى الله يوسف خيراً، عن إخراجه من سجنه، والممالك ينتظرون أمر المولى، وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق، قد عول على دخول حمام طبرية.

تلك المكارم لا تقبى من لبن وذلك الفتح لا عمن واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذي يزن

ثم قال: «وللأسنة بعد في هذا الفتح، سبح طويل، وقول جليل».

ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة واستنقاذه من أيدي

النصارى، بعد ثنتين وتسعين سنة

لما افتتح السلطان ما حول بيت المقدس من الأماكن المباركة وما يقرب من تلك السواحل المتقدم ذكرها، والإشارة إليها، أمر المساك، فاجتمعت، ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس، في الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس، أو يزيدون، «وما كانوا أولياءه إن أوليائه إلا المتقون» وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له باليان بن بارزان، ومعه من سلم من وقعة حطين، يوم التقى الجمعان، من الدواية، والاستبارة، أتباع الشيطان عليهم لعائن الله أجمعين، وعبد الصليبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور، خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور، وأبراه، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشمال لأنه رأها أوسع للمجال، والجلا، والتزلا، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً، وبذلوا أنفسهم، وأموالهم، في نصرة قمامة والقيامة بذلاً طائلاً، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال، بكل خطي وحسام وقد نصب المجائيق، والعراذات على البلد، وغنت السيوف، وعملت الشهيرات، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حقاً، وشدة للتشمير، وكان ذلك يوماً عسيراً، على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور، فقبها، وعلقها، وحشاها بالتيار فأحرقها، فسقط ذلك الجانب، وخر البرج برمته، فإذا هو واجب، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المولم لهم الموجه، قصد أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه بكل إنسان أن يعطيهم الأمان، فامتنع من ذلك، وقال: لا أفتحها إلا، كما افتحتموها عنوة، ولا أترك بها أحداً من النصارى، إلا قتلته، كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها باليان بن بارزان الأمان، ليحضر عنده، فأمته، فلما حضر، ترقق للسلطان، ودل ذلاً عظيماً، وتشفع إليه بكل ما أمكنه، فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان، رجنا، فقتلنا كل أسير بآلينا وهم قريب من أربعة آلاف وقتلنا ذراريها، وأولادها، ونساءها، وخرينا الدور، والأماكن الحسة، وأحرقنا المتاع، وأتلفنا ما بآلينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة، وحرقتنا ما نقدر عليه، ولا نبقى ممكناً في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج، فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا، حتى يقتل أعدائنا منكم، فمأذا ترنجي بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان ذلك، أجاب إلى الصلح، وأجاب، على أن يبذل كل رجل منهم، عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل

والحاكم (٣٠/١)، وغيرهم، وسأل سليمان عليه السلام الله، عند فراغه منه، خللاً ثلاثاً، حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا يبغي لأحد من بعده وأنه لا يأتي أحد إلى هذا المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه، كيوم ولدته أمه.

ثم ذكر الخطيب تمام الخطيبين، ودعا للخليفة العباسي، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين. وبعد الصلاة، جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي بن أحمد المصري على كرسي الوعظ، بإذن السلطان، فوعظ الناس وكان وقتاً مشهوراً وحالاً محموداً، فله الحمد والمئة، واستمر القاضي يحيى بن ابن الزكي، يخطب بالناس في أيام الجمع، أربع جمعات، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً، وأرسل إلى حلب، فاستحضر المنبر، الذي كان الملك العادل نور الدين محمود قد استعمله لبيت المقدس، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه بعد وفاته رحمه الله تعالى.

نكتة غربية

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين (١١٣/٢): وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، في تفسيره الأول، فقال: وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي يعني ابن بركان في أول سورة الروم، إخبار عن فتح بيت المقدس، وأنه يتزع من أيدي النصارى، سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

قال السخاوي: ولم أره اتخذ ذلك من علم الحروف، وإما أخذه فيما زعم من قوله ﴿أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَقْسَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَوْنُونَ﴾ في بفتح سين ﴿الروم: ١ - ٣﴾ فبني الأمر على التاريخ، كما يفعل النجمون، ثم ذكر أنهم يَخْلِقُونَ في سنة كذا، على ما تقتضيه دوائر التقدير، ثم قال: وهذه لحاجة وافقت إصابة، إن صح أنه، قال ذلك قبل وقوعه، وكان في كتابه قبل حدوثه، قال: وليس هذا من قيل علم الحروف، ولا من باب الكرامات، لأنها لا تتال بحساب. قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر، أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن، لعلم الوقت الذي يرفع فيه.

قلت ابن بركان ذكر هذا في تفسيره، في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة، ويقال إن الملك نور الدين، أوقف على ذلك، فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، لأن مولده في سنة إحدى عشرة وخمسمائة، فتها لأسباب ذلك، حتى إنه أعد منبراً هائلاً لبيت المقدس، إذا فتحه الله على يديه، والله أعلم.

وأما الصخرة المعظمة، فإن السلطان أزال ما حولها وعندها من المنكرات، والصور، والصليان، وطهرها بعد ما كانت خفية، مستورة غير مرئية، وأمر الفقيه ضياء الدين عيسى المكارني، أن يعمل حولها شبابيك من حديد، ورب لها إماماً راتباً، ووقف عليه رزقاً جيداً، وكذلك على إمام عراب الأقصى، وعمل للشافعية المدرسة، الصلاحية، ويقال لها الناصرية أيضاً، وكان موضعها كنيسة على صند حنة أم مريم عليها السلام، ووقف على الصوفية رباطاً، كان داراً للبرك إلى جنب القمامة، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجامكيات، وأرصد الحنم، والربعات، في أرجاء المسجد الأقصى، والصخرة، ليقرا فيها القميون، والزاوون.

وتنافس بنو أيوب، فيما يفعلونه ببيت المقدس، وغيره من الخيرات، إلى

وتقال العشرات، فأذن المؤذنون للصلاة وقت الزوال، وكادت القلوب تطير من الفرح بتلك الحال، ولم يكن السلطان إلى تلك الساعة حين خطيباً، وقد تهيأ لها خلق من العلماء خوفاً أن يدهي إليها أحدهم فلا يكون نجياً، فبرز للخطباء المرسوم السلطاني الصلاحية، وهو في قبة الصخرة الغراء، أن يكون القاضي يحيى الدين بن الزكي اليوم خطيباً، فليس الخلة السوداء وصعد المنبر، وقد كساه الله البهاء، وأكرمه بكلمة التقوى وأعطاه السكنة والوقار والثناء، فخطب بالناس خطبة عظيمة سبَّه فصيحة بليغة، ذكر فيها شرف البيت المقدس، وما ورد فيه من الفضائل والترغيات، وما فيه من الدلائل والأمارات، وما من الله به على الحاضرين من هذه النعمة التي تعدل الكثير من القربات، وقد أوردنا الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «الروضتين» بطولها، فكان أول ما قال حين تكلم: ﴿فَقَطِّعْ قَابُ الْقَيْنِ ظِلْمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥).

ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: (الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستنجد الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولا بعمله، وجعل العاقبة للمتقين، بفضله، وأفاض على عباده من ظله وأظهر دينه على الدين كله، الفاهر فوق عباده، فلا يمنع، والظاهر على خلقه، فلا ينزاع، والأمر بما يشاء، فلا يراجع، والحاكم بما يريد، فلا يدافع، أحمله على إنظاره، وإظهاره، وإعزازه لأوليائه، ونصرة لأتباعه، ومظهر بيت المقدس، من أدناس الشرك، وأوضاره حمد من استشرع الحمد، باطن سره، وظاهر جهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رافع الشك، وداحض الشرك، وراخص الإفك، الذي أسرى به من المسجد الحرام، إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سيرة المنتهى، عندنا جنة المأوى، إذ ينشئ السُّدرة ما ينشئ، ما زاع البصر، وما طفى بالعلم، وعلى خليفته الصديق، السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ذي النورين، جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، منزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان).

ثم ذكر الموعظة، وهي مشتملة على تنقيط الحاضرين، على ما يسره الله على أيديهم، من فتح بيت المقدس، الذي من شأنه كذا وكذا، فذكر فضائله، ومآثره، وأنه أول القبيلتين، وثاني المسجلتين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجلين إلا إليه، ولا تقعد المختاصر بعد الموطنين إلا عليه، وإليه أسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، وصلى فيه باللائكة والمقرين والأنبياء والرسل الكرام ومنه كان المراج إلى السموات، ثم عاد إليه، ثم سار منه إلى المسجد الحرام، على البراق، وهو أرض المحشر، والمنشر يوم التلاق، وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، وقد أسس على التقوى من أول يوم.

قلت: ويقال: إن الذي أسسه، أولاً يعقوب عليه السلام، بعد أن بنى الخليل عليه السلام المسجد الحرام، بأربعين سنة، كما جاء في الصحيحين (ع) (٣٣٦٦، ٣٤٢٥، ٥٢٠)، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام، كما ثبت به الحديث في المسند (١٧٦/٢) والسنن (١٧٧٢)، ج (١٤٠٨)، وصحيح ابن خزيمة (١٣٣٤)، وابن حبان (الإحسان) (١٦٣٣)،

بالتاصر، فهو من أيام الخليفة المستضيء، ومع هذا، فمهما لقيتني به أمير المؤمنين، فلا أعدل عنه، وتادب مع الخليفة، غاية الأدب، مع غناه عنه رحمه الله تعالى.

ولفها كانت وقعة عظيمة، يبلاذ الهند، بين الملك شهاب الدين الغوري، صاحب غزنة، وبين ملك الهند الكبير، فأقبلت الهند، في عدد كثير، من الجنود، ومعهم أربعة عشر فيلاً، فالتقوا، واقتتلوا، قتالا شديداً، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فقبل للملك اتج بنفسك، فما زاده ذلك إلا إقداماً، فحمل على الفيلة، فجرح بعضها وجرح الفيل لا يتحمل فرماه بعض الفيلة بحرية في ساعده، فخرجت من الجانب الآخر، فخر صريماً، فحملت عليه الهند ليأخذه، فحاجف عنه أصحابه، فالتقوا، فقتلوا قتالا شديداً، وجرت حرب عظيمة، لم يسمع بمثلها بموقف، فغلب المسلمون الهند، وخلصوا أصحابهم، وحملوه على كواهلهم، في عفة عشرين فرسخاً، وقد نزفه الدم، فلما تراجع إليه جيشه، أخذ في تأنيب الأمراء، وحلف لياكلن كل أمير عليقة فرسه، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة حفاة.

وفي هذه السنة ولدت امرأة من سواد بغداد، بتا لها أسنان.

ولفها قتل الخليفة التاصر استاذ داره، أبا الفضل بن الصباح، وكان قد استحوذ على الأمور، ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع، ومع هذا، كان عفيفاً عن الأموال، جيد السيرة، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الخواص، والأموال.

ولفها استرزد الخليفة أبا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين، ومشي أهل الدولة في ركابه، حتى قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانى، وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عنه فكان القاضي، يقول وهو يمشي في ركابه: لعن الله طول العمر، فمات القاضي في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى، وقد حكم في أيام عدة من الخلفاء وهو من بيته.

ومن توفي في هذه السنة أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة من الأعيان الشيخ

■ عبد الملتح بن زهير الحروي: كان من صلحاء الخنابلة، وكان يزور، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية، أتى فيه بالغرائب، والعجائب، وقد رد عليه أبو الفرج بن الجوزي في هذا الكتاب، فأجاد، وأصاب، ومن أحسن ما اتفق لعبد الملتح هذا، أن بعض الخلفاء وأظنه التاصر جاءه زائراً، مستخفاً، فعرفه الشيخ عبد الملتح، ولم يعلم بأنه قد عرفه، فسأله الخليفة عن يزيد، أبلعن، أم لا؟ فقال: لا أسوغ لعنه، لأنني لو فتحت هذا الباب، لَلَعَنَ الناس خليفتنا. فقال الخليفة: ولم؟ قال: لأنه يفعل أشياء منكورة كثيرة، منها كذا وكذا. ثم شرع يعدد على الخليفة أفعاله القبيحة، وما يقع منه من المنكر، ليتجزع عنها، فتركه الخليفة، وخرج من عنده، وقد أثر كلامه فيه، وانتقم به. ثم كانت وفاته في الحرم من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ولفها توفي الشيخ

■ علي بن خطاب بن ظفر: العابد الناسك، أحد الزهاد، وذوي الكرامات، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر.

قال ابن الأثير في الكامل (٥٩٣/١١): ولم أو مثله، في حسن خلقه وسمت، وكراماته، وعبادته.

الأمير شمس الدين

■ محمد بن عبد الملك بن مقدم: أحد نواب صلاح الدين، لما افتتح الناصر بيت المقدس، أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام،

كل أحد، فجزاهم الله خيراً أجمعين وعزم السلطان على هدم قمامة، وأن يجعلها دكا، لتتحسم مادة النصارى من بيت المقدس، فقبل له إنهم لا يتركوا الحج إلى هذه البقعة ولو كانت قاعاً صافياً، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وترك هذه الكنيسة بأيديهم، ولك في ذلك أسوة. فأعرض عنها، وتركها على حالها، نأسيا بعمر بن الخطاب أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها، وحال بين النصارى وبينها، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة، وعفى آثارها، وهدم ما كان هناك من القباب وعجل دمارها.

وأما أسارى المسلمين، الذين كانوا بالقدس، فإن السلطان أطلقهم جميعهم، وأحسن إليهم، وأطلق لهم إعطافات هينة، وكساهم حلالاً سنية، وانطلق كل منهم إلى وطنه وعاد إلى أهله ومسكنه، فله الحمد على نعمه ومته.

فصل

لما قرّر السلطان صلاح الدين بالقدس الشريف ما ذكرناه، انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان، وأمر ولده العزيز بالرجوع إلى مصر، وسار السلطان بجيشه قصد مدينة صور بالساحل، وكان فتحها قد تأخر، وقد استحوذ عليها، بعد وقعة حطين، رجل من تجار الفرنج، يقال له المركيس، فحصبها، وضبط أمرها، وحفر حولها خندقاً من البحر إلى البحر، وجمهورها في البحر فجاء السلطان، فحاصرها مدة، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر، فأحاط بها براً وبحراً، فعدت الفرنج في بعض الليالي، على خمس شوان من أسطول المسلمين، فملكها، فأصبح المسلمون واجبين، حزناً، وتأسفاً، وقد دخل عليهم فصل البرد، وقلت الأزواد، وكثرت الجراحات، وكلّ الأمراء من المحاصرات، فسألوا السلطان أن يتصرف بهم إلى دمشق، حتى يستريحوا، ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين، فأجابهم إلى ذلك، على منعه منه، وذلك أن السور من صور كان قد مُدِم أكثره ولم يبق إلا الفتح والنجاح، فتوجه بهم نحو دمشق، واجتاز في طريقه على عكا، وتفرقت العساكر إلى بلادها.

وأما السلطان، فإنه لما وصل إلى عكا، نزل بقلعتها، وأسكن ولده الأفضل برج الداوية، وولي نيابتها عز الدين جرديك، وقد أشار بعضهم على السلطان، بتخريب مدينة عكا، خوفاً من عود الفرنج إليها، فكاد، ولم يفعل، وليته فعل، بل وكل بعمارتها، وتجديد عمارتها، بهاء الدين قراقوش التقوي، ووقف دار الإسيار بصفين، على الفقهاء، والفقراء، وجعل دار الأسقف مارستاناً، ووقف على ذلك كله أوقافاً داراً، وولى نظره ذلك، لقاضيه جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب وهو في جميع ذلك بآرائه مصيب.

ولما فرغ السلطان من هذه الأشياء، وعاد إلى دمشق، مؤيداً، منصوراً، أبهج العيون وسد القلوب وجاءته رسل الملوك بالتهاني، والتحف، والهدايا، من سائر الأقطار، والأمصار، وكتب الخليفة إلى السلطان، يعتب عليه في أشياء، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح، بوقعة حطين، شاباً بفنانيا، كان وضيعاً عندهم، لا قدر له، ولا قيمة، وأرسل بفتح القدس الشريف مع نجاب، ولقب نفسه بالملك الناصر مضاهية للخليفة الناصر. فتلقى ذلك بالبشر، واللطف، ولم يُظهر له إلا السمع، والطاعة، وأرسل يعتذر عما وقع. وقال: الحرب كانت شغلته عن التروي، في كثير من ذلك، وأما لقبه

والفرق الآخر، حتى لا يزال القتال مستمرا، ليلا، ونهارا، صباحاً ومساءً، فكان فتحها في نوبة السلطان، رحمه الله فأنزلها عنوة، في أيام معدودات، ونهب جميع ما فيها، واستولى على حواصلها، وأموالها، وقتل حماتها، ورجالها، وسب ذرايعها وأطفالها، ثم عدل عنها، ففتح حصن دريساك، وحصن بغراس، كل ذلك يفتحه عنوة، فيضم ويسلم ولله الحمد والمنة.

ثم سمى به همة العالية، إلى فتح أنطاكية، وذلك لأنه أخذ جميع ما حولها، من القرى، والمدن، واستظهر عليها بكثرة الجنود، فراسله صاحب أنطاكية، يطلب منه الهدنة، على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين، فأجابته إلى ذلك، لعلهم يتضح من معه من المقاتلة والأعران، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر، ومقصود السلطان أن تستريح الجيوش من تعبها، وتطمئ النفس من نصيبها وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى، وقد ظلت دولة النصارى.

ثم سار، فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب، فأجابته إلى ما طلب، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه، إلى حماة، فنزل عنده ليلة واحدة، وأقطعته جبلة، واللاذقية، ثم سار، فنزل بقلعة بعلبك، ودخل حماتها، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان، وكان يوما مشهودا، وجاءته البشائر، بفتح الكرك على المسلمين الذين كانوا له عاصرين الفرنج، وأراح الله منهم تلك الناحية، وسهل حزنهما على السالكين من التجار، والحجاج والزعماء، والمعتمرين: «نقطع ذابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» [الأعام: ٤٥].

فصل في صفة فتح صفد وحصن كوكب

لم يبق السلطان بدمشق، إلا أياما معدودة، حتى خرج بجيشه قاصدا بلاد صفد، فنزلها في العشر الأوسط من رمضان، وحاصرها بالمتجنيقات والشجعان، وكان البرد شديدا، يصبح الماء فيه جليدا، فما زال حتى فتحها صلحا في ثامن شوال والله الحمد على كل حال.

ثم سار إلى صور، فألقت إليه بقيادها، وتبرأت من أنصارها، وأجنادها، وقوادها، وتحقت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها.

ثم سار منها إلى حصن - كوكب وهي معقل الاستبارة، كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكانوا أبغض أجناس الفرنج إلى الملك الناصر صلاح الدين، لا يكاد يترك منهم أحدا إلا قتله إذا وقع في المأسورين. فحاصر قلعة كوكب، حتى قهرها، وقتل من بها، وأراح المارة من شر ساكنيها، وتمهدت تلك السواحل، واستقر بها منازل قاطنيها. هذا والسماء تصب، والرياح تهب، والسيول تعب، والأرجل في الأحوال تحب، والسلطان في كل ذلك، صابر مصابر محتسب، وكان القاضي الفاضل معه في هذه المواقف شاهدا ومرتبيا، وكتب القاضي الفاضل عن السلطان إلى أخيه سيف الإسلام، صاحب اليمن، يستدعيه إلى الشام، لنصرة الإسلام وقتل الكفرة اللثام، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية، ويكون تقي الدين عمر محاصرا طرابلس إذا انسلخ هذا العام.

ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى فيه الجمعة وعيد فيه عيد الأضحى ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ثم أقطع أخاه الكرك عوضا عن عسقلان، وأمره بالانصراف، ليكون حونا لابنه العزيز على حوادث الزمان، وعاد السلطان، فأقام بمدينة عكا، حتى انسلخت هذه السنة.

وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة، فلما وقف بعرفة، ضرب الدباب، ونشر الألوية، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة، فزجره عن ذلك، فلم يسمع، فاقترلا، ففرح ابن مقدم، ومات في اليوم الثاني بمنى، ودفن هنالك، وجرت خطوب كثيرة، ولیم طاشتكين على ما فعل، وخاف معرفة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة، وعزل الخليفة عن منصبه.

■ محمد بن عبيد الله بن عبد الله سبط ابن الصاويدي الشاعر، أضر في آخر عمره، وقد جاوز الستين، سنة وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شوال من هذه السنة.

وفي خامس توفي الفقيه أبو الفتح

■ نصر بن فتيان بن مطر: الحنبلي، المعروف بابن النسي، وكان زاهدا، عابدا، مولده سنة إحدى وخمسمائة، وعين ثقة عليه من المشاهير، الشيخ موفق الدين بن قدامة، والحافظ عبد الغني، وعبد بن خلف بن راجع، والناصر عبد الرحمن بن النجم بن عبد الوهاب الحنبلي، وعبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي، وغيرهم.

وليها لولي قاضي القضاة ببغداد أبو الحسن

■ ابن الدامغاني: وقد حكم في أيام المغني، ثم المستنجد، ثم عزل، وأعيد في أيام المستضيء، وحكم للناصر حتى توفي في هذه السنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

في عزمها، حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب، فرآه منبعا صعبا، ووقته مشغول بغيره فوكل به الأمير قايماز النجمي، في خمسمائة فارس، يضيّقون عليه المسالك، وكذلك وكل بصفد وكانت للداوية خمسمائة فارس، مع طفرل الجانداز، يمتعون وصول الميرة والتقاوي وبعث إلى الكرك والشوبك جيشا آخر يحاصرونه يضيّقون على أهلها، ليتفرغ من أموره، لقتال هذه الأماكن وحصارها.

ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق، وجد الصفي بن الفايض، وكيل الخزانة، قد بنى للملك دارا بالقلعة، هائلة، مطلة على الشرف القلبي، فغضب عليه، وعزله، وقال: إنا لم نخلق للمقام بدمشق، ولا بغيرها من البلاد، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل، والجهاد في سبيله، وهذا الذي عملته، مما يبطئ النفوس، ويقعدها عما خلقت له.

وجلس السلطان بدار العدل، فحضر عنده القضاة، وأهل الفضل، وزار القاضي الفاضل، في بستانه، على الشرف في جوسق بن الفراش، وحكى له ما جرى من الأمور، واستشاره فيما يفضل في المستقبل، من المهمات، والغزوات، ثم خرج من دمشق، فسلك على نبوس، وقصد البقاع، وخيم على بعلبك وسار إلى حمص، وحماة، وجاءت الجيوش من الجزيرة، وهو على العاصي، فسار إلى السواحل الشامية، ففتح انطربوس، وغيرها من الحصون، وجبلة، واللاذقية، وكانتا من أحصن المدن عمارة، ورخاما، ومخالا، وفتح صهيون، ويكاس، والشفر، وهما قلعتان على العاصي، حصيتان، فتحهما عنوة، وفتح حصن برزبه، وهي قلعة عظيمة، على جبل شامق، منيع، تحمها أودية عميقة، يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين، فحاصرها أشد حصارا، وركب عليها المجانيق الكبار، وفرق الجيش ثلاث فرق، كل فريق يقاتل، فإذا كلوا، وتعبوا، خلفهم

بالحديث، وله فيه تصانيف حسنة رحمه الله تعالى.

قال الشيخ شهاب الدين: وفيها توفي
الحافظ أبو بكر

■ محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهملاني، ببغداد، صاحب التصانيف، على صغر سنه، منها العجالة في النسب، والناسخ والمنسوخ، في الحديث وغيرهما. ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان، يعلمونه بولاية العهد لأبي نصر محمد الملقب بالظاهر بن الخليفة الناصر فأمر السلطان خطيب دمشق، أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على المنبر، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا عظيمة، وهديا سنية، وأرسل بأسارى من الفرنج، على هيتهم، في حال حربهم، وأرسل بصلب الصلبوت، فدفن تحت عتبة باب النوى من دار الخلافة، فكان بالأقدام يدا، بعدما كان يقبل ويواس وصار يُصق عليه بعدما كان يُسجد له، والصحيح أن هذا الصليب، إنما هو الذي كان منصوبا على قبة الصخرة، وكان من نحاس مطليا بالذهب، وقد انحط إلى أسفل الرتب

قصة عكا وما كان من أمرها

لما كان شهر رجب، اجتمع من كان بصور من الفرنج، وساروا إلى مدينة عكا، فأحاطوا بها، يحاصرونها فتحصن من فيها من المسلمين وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه وبلغ السلطان خبرهم فزار إليهم من دمشق مسرعا، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الحاتم بالخنصر، فلم يزل يدافعهم عنها، ويمنعهم منها، حتى جعل طريقا إلى باب القلعة، يصل إليه كل من أراد، من جندي، وسوقي، وامرأة، وصبي، ثم أدخل إليها ما أراد، من الآلات والأمتعة والمقاتلة، ودخل هو بنفسه الكربة، فعلا سورها، ونظر إلى الفرنج، وجيشهم، وكثرة عددهم، وعندهم، والميرة تدف إليهم من البحر، في كل وقت، وكل ما لم لهم في ازدياد، وفي كل حين تصل إليهم الأمداد، وعاد إلى تخيمه والجند تدف إليه، وتقدم عليه من كل جهة ومكان، منهم رجالة، وفرسان.

وقعة مرج عكا

فلما كان في العشر الأخير من شعبان، برزت الفرنج من مراكبها، إلى مراكبها، في نحو من ألفي فارس، وثلاثين ألف راجل، فبرز إليهم السلطان، فيمن معه من الشجعان، فاقتلوا بمرج عكا، قتالا عظيما، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار، ثم كانت الدائرة على الفرنج في آخره «والعاقبة للمتقين» [الأعراف: ١٢٨] فقتل من المسلمين قريب المئتين. وأما الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل، ولما تناهت هذه الوقعة، تحول السلطان عن مكانه الأول، إلى موضع بعيد، من راحة القتلى، خوفا من الوحش والأذى، وليستريح الخيالة والخيول، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر مصالح العدو المخدول، فأنهم اغتتموا هذه الفرصة، فحضرها حولهم غيهم خندقا في البحر، محذقا بجيشهم، واتخذوا من ترابه سورا شامقا،

وفي هذه السنة خرجت طائفة من الرافضة بمصر، يريدون أن يعيدوا دولة الفاطميين، واغتموا غيبة العادل عن مصر، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين، فبعثوا أثني عشر رجلا، يتادون في الليل، يا لعلني يا لعلني، بناء على أن العامة تجهيم، إلى ما عزموا عليه فلم يجهم أحد، ولا التفت إليهم، أحد ولا تبعم من الناس واحد فلما راوا ذلك، انهزموا، فأدركوا، وأخذوا، وقيدوا، وحبسوا، ولما بلغ أمرهم إلى السلطان صلاح الدين، ساء ذلك، واهتم له، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه، فقال له: أيها الملك، ينبغي أن تفرح، ولا تحزن، حيث لم يصغ إلى دعوة هؤلاء الجهلة أحد من رعيك، ولا تغتروا إليهم ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك، يخبرون الناس، لسرك ما بلك عنهم. فسري عنه ما كان يجيد، ورجع إلى قوله، وأرسله إلى مصر، ليكون له عينا وعونا.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين الشيرزي، مؤيد الدولة، أبو الحارث، وأبو المظفر

■ أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مقلد أحد الشعراء المشهورين، الأمراء المشكورين، بلغ من العمر ستا وتسعين سنة، وكان عمره تاريخا مستقلا وحده، وكانت داره بدمشق، مكان العزيزية، وكانت معقلا للفضلاء، ومنزلا للعلماء، وله أشعار رائقة، ومعان فائقة، ولديه علم غزير، وعنده جود، وفضل كثير، وكان من أولاد ملوك شيرز، ثم أقام بدار مصر مدة، في أيام الفاطميين، ثم عاد إلى الشام، فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين دمشق وأثبته.

حدثت على طول عمري المشيا وإن كنت أكثر فيه الذنوبا لأنني حييت إلى أن لقيت بعد العدو صديقا حبيبا وله في سن قلعهما وقد نفعا:

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقى لنفمي ويسى سعي مجتهد لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا لناظري افترقنا فرقة الأبد

وله ديوان شعر كبير، وكان صلاح الدين يفضل على سائر الدواوين. وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين ولربعمائة، وكان في شبته شهما شجاعا، فاتحاً قتل الأسد مواجهة، وحده ثم عمر إلى أن توفي في هذه السنة. قال ابن خلكان ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان، ودفن شرقي جبل قاسيون قال: وزرت قبره، وقرأت عنده، وأهليت له، رحمه الله تعالى.

وعما أثبته له قوله:

لا تستعرج جلدنا على هجرانهم ففواك تضعف عن صلود دائم واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعا وإلا عدت عودة راغم وقوله في قتل الأسد وكبره:

فأعجب لضغف يدي عن حملها قلما من بعد حطم القنا في بُتِ الأسد وقل لمن ينسى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد

قال ابن الأثير: وفي هذه السنة توفي شيخنا:

أبو محمد

■ عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي، كان عالما

إلى مصر وحظي عنده، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى توفي في ركابه بمنزله الحربية، قريباً من عكا، فقتل إلى القدس الشريف، فدفن به، وكان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن السبزي الجزيري، وكان الفقيه عيسى من الفضلاء والنبلاء، والأمرء الكبراء رحمه الله تعالى.

■ المبارك بن المبارك الكرخي: مدرّس النظامية، تفقه بآبن الخليل، وكانت له مكانة عند الخليفة والعامّة، وكان يضرب بمسح خطه الخليل. وقد ذكرته في الطبقات رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا، وأمداد الفرنج تقد إليهم من البحر في كل وقت حتى إن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهم من تأتي بنية راحة الغرياء، في الغربة، قدم إليهم مركب، فيه ثلاثمائة امرأة، حسنة بهذه النية، حتى إن كثيراً من فسقة المسلمين تخيروا إليهم من أجل هذه النسوة، واشتهر الخبر بذلك. وشاع بين المسلمين، والفرنج، بأن ملك الألمان، قد أقبل بثلاثمائة ألف مقاتل، من ناحية القسطنطينية، يريد أخذ الشام، وقبل أهله، انتصاراً لبيت المقدس فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيمًا، وخافوا غائلة ذلك، مع ما هم فيه من الشغل، والحصار المائل، وقويت قلوب الفرنج بذلك، واشتدوا للحصار والقتال، ولكن الله لطف وأهلك عامة جنده في الطرقات بالبرد والجوع والفضال في المهالك، على ما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله تعالى.

وكان سبب قتال الفرنج، وخروجهم من بلادهم، وتغيرهم، ما ذكره ابن الأثير في كامله [٤٤/١٢]، أن جماعة من الرهبان، والقسيسين، الذين كانوا يبيت المقدس وغيره ركبوا من صور في أربعة مراكب وخرجوا بطورون ببلدان الصاري البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يخرجون الفرنج، ويخونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل، من القتل، والسبي، وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح قالوا: هذا نبي العرب، يضربه، وقد جرحه، ومات. فيتعجبون لذلك، ويحتمون، ويكفون، ويخزون، ويخرجون من بلادهم، لنصرة دينهم، ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول، حتى النساء المخدرات، والأبناء الذين هم عند أهلهم، ممن أعز الثمرات وأخص الخدرات.

وفي نصف ربيع الأول، تسلم السلطان شقيف أرنون بالأمان، وكان صاحبه مأسوراً، في الذل، والهوان، وكان من أدهى الفرنج، وأخبرهم بأيام الناس، وربما قرأ في كتب الحديث، وتفسير القرآن، وكان مع هذا غليظ الجلد، كافر القلب، تحبّه الله تعالى.

ولما انفصل فصل الشتاء، وأقبل الربيع، جاءت ملوك الإسلام من بلدانها، بخيولها، وشجعانها، ورجالها، وفرسانها، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحلاماً من النفط، والراح الخطية، وتفاطة، وتقاين، كل منهم متن في صنعة غاية الإقنان، ومرسوما بعشرين ألف دينار، لاجل نصرة أصحابهم، يملونهم بالقوة، والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة، من خشب، وحديد، عليها جلود مسقا بالخل، لتلثا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على

وجعلوا له أبواباً، يخرجون منها إذا أرادوا، وتمكنوا في منزلهم ذلك، الذي اختاروا، وارتادوا، وتناطروا الأمر على المسلمين، وقوي الخطب، وصار الداء عضالاً، وازداد الحال وبالا، اختياراً من الله، وامتناناً، وكان رأي السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً، ولا يتركوها، حتى يطيب البحر، فتأتيهم الأمداد من كل صوب، هريماً، فاعتز الأمرء إليه بالليل الجيش، والضجر، وكل لأمر الفرنج قد احتقر، ولم يدرك ما قد حتم في القلعة، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك، يستغفر، ويستعصر، وكتب إلى الخليفة باليث، وبث الكتب بالتحريض، والحث السريع، فجاءته الأمداد، جماعات، وأحادي، وأرسل إلى مصر، يطلب أخاه العادل، فقدم عليه ويستعجل الأسطول، فوصل إليه خمسون قطعة في البحر، مع الأمير حسام الدين لؤلؤ، وقدم العادل في عسكر المصريين، فلما وصل الأسطول، حادت مراكب الفرنج عنه، بمنة ويسرة، وخافوا منه، واتصلت بالبلد الميرة، والعدد، والعدد، وانتشرت الصدور بذلك، وانسلخت هذه السنة، والحال على ما هو عليه، ولا ملجأ من الله إلا إليه والله أعلم بالصواب.

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي شرف الدين أبو سعد:

■ عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون، أحد أئمة الشافعية، له كتاب الانتصار، وقد ولي قضاء القضاة بدمشق، ثم أضر قبل موته بمرض سنين، فجعل ولده يحيى الدين مكانه، تطبيقاً لقلبه، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ونصفاً، ودفن بالمدرسة العسرونية، التي أنشأها عند سريقة باب البريد، قبالة داره، بينهما عرض الطريق، وكان من الصالحين، والعلماء العاملين، رحمه الله. وقد ذكره ابن خلكان، فقال: كان أصله من حديثة الموصل، ورحل في طلب العلم، إلى بلدان شتى، وأخذ عن أسعد الميهني، وأبي علي الفارقي، وجماعة، وولي قضاء سنجار، وحران، وباشر في أيام نور الدين تدريس الغزالية، ثم انتقل إلى حلب، فبني له نور الدين بحلب مدرسة، وبمخصص أخرى، ثم قدم دمشق، في أيام صلاح الدين، فولي قضاءها، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، إلى أن توفي في هذه السنة، وقد جمع جزءاً في قضاء الأعمى، وأنه جازر، وهو خلاف المنصب، وقد حكاه صاحب البيان، وجها لبعض الأصحاب. قال: ولم أره في غيره، ولكن حبك الشيء يعمي ويصم، وقد صنف كتباً كثيرة، منها صفوة المذهب في نهاية المطلب، في سبع مجلدات، والانتصار في أربع، والخلاف في أربع، والذريعة في معرفة الشريعة، والمرشد، وكتاب سماه مآخذ النظر، وغنصها في الفرائض وغيرها، وقد ذكره ابن عسكار في تاريخه، والعماد، فأتى عليه، وكذلك القاضي الفاضل.

وأورد له العماد أشعاراً كثيرة، وابن خلكان، منها:

أؤمل أن أحيأ وفي كل ساعة غمر بسى الموتى تهز نعوشها
وما أنا إلا مثلهم غير أن لسي بقايا ليل في الزمان أعيشها

■ أحمد عبد الرحمن بن وهبان: أبو العباس المعروف بآبن أفضل الزمان. قال ابن الأثير: كان عالماً، متبحراً في علوم كثيرة، من الفقه، والأصول، والحساب، والفرائض، والنجوم، والهيئة، والمنطق، وغير ذلك، وقد جاور بمكة، وأقام بها إلى أن مات بها، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقا.

الفتية الأمير ضياء الدين

■ عيسى الهكاري: كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، دخل معه

بالسكرك الفرنجي، فصادم به جيش المسلمين، فجهت جيوش المسلمين برمتها إليه، فقتلوا من الكثرة خلقا كثيرا، وبما غفيرا، وهجموا مرة على غيم السلطان بنته، فنهوا شيئا كثيرا من الأمتة، فنهض إليهم الملك العادل أبو بكر وكان رأس المينة فركب في أصحابه، وأهل الفرنج، حتى توغلوا بين الخيام، ثم حمل عليهم بالرمح والحسام، فهربوا بين يديه، فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة حتى كسروا وجه الأرض منهم حلا، أزهى من الرياض الباسمة، وأحب إلى النفوس من الخلود الناعمة، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف، وزعم العباد وغيره أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف، والله أعلم.

هنا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى، ولا درى، بل هم نائمون وقت القيلة في خيامهم.

وكان الذين ساقوا وراءهم وأسروهم أقل من ألف، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم، وهذه نعمة عظيمة، ونصرة عيمة وقد أوهن هذا جيش الفرنج، وأضعفهم، وكادوا يطلبون الصلح، وينصرفون عن البلد، فاتفق قديم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كندمري لعنه الله تعالى، ومعه أموال كثيرة، فاتفق فيهم، وغرم عليهم، وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال السلطان صلاح الدين، ونصب على عكا منجنيقين، غرم على كل واحد منهما ألفا وخمسمائة دينار، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد، وجاءت كتب صاحب الروم، من القسطنطينية، يعتذر لصلاح الدين، من جهة ملك الألمان، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ولذلك بشر السلطان بأن الله سيهلكهم في كل مكان، وكذلك وقع، والله الحمد القديم الإحسان وأرسل إلى السلطان يخبره، بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة، وخطبا، فأرسل السلطان مع رسله، خطيبا، ومنبرا، وكان يوم دخولهم إليه يوما مشهورا، ومشهدا عمودا، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية، ودعى للخليفة العباسي، واجتمع فيها من هناك من المسلمين، والتجار، والمسافرين، والحمد لله رب العالمين.

فصل

وكتب متولي عكا، من جهة السلطان صلاح الدين، وهو الأمير بهاء الدين قراقوش، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: إنه لم يبق عندهم في المدينة، من الأقوات، إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، خوفا من إشاعة ذلك، فبلغ العدو، فيقروا على المسلمين، وتضعف القلوب، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول، بالديار المصرية، أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطس، ليلة النصف، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الأمير الحاجب لؤلؤ، فلما أشرفت على البلد، نهض إليها أسطول الفرنج، ليحول بينها وبين البلد، وتلف ما فيها، فقاتلوا في البحر قتالا شديدا، والمسلمون في البر، يتهولون إلى الله عز وجل في سلامتها، والفرنج تصرخ أيضا برا وبحرا، وقد ارتفع الضجيج، فنصر الله المسلمين، وسلم مراكزهم، وطابت الرياح للبطل، فسارت، فاحتزقت المراكب الفرنجية المحيطة بالمنايا، ودخلت البلد سالمة، ففرح بها أهل البلد، والجيش فرحا شديدا والله الحمد.

وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطس الثلاث بطسة كبيرة، من بيروت، فيها أربعمائة غرارة، وفيها من الجبن، والشحم، والقديد،

عجل، بحيث يدبرونها كيف شاؤوا، وعلى ظهر كل برج منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها، وخافوا على البلد، ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره في إحراقها، وأحضر الفناطين، وودعهم بالأموال الجزيلة، إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس، من دمشق، يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها وإهلاكها، فأخذ النض الأبيض، وخلطه بادوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس، حتى صار نارا تاجج، ورمى كل برج منها، بقدر من تلك القلور، بالمجنيق من داخل عكا، فاحتزقت الأبرجة الثلاثة، حتى صارت نارا ياذن الله، لها السنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل والتكبير، واحترق في كل برج منها سبعون كسورا، وكان يوما على الكافرين عسيرا [إفرقان: ٢٦]، وذلك يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وكان الفرنج، قد تعبوا في عملها، سبعة أشهر، فاحتزقت في يوم واحد، [وقد ينشأ إلى ما عولوا من عمل فجعلته مية متوزرا] [إفرقان: ٢٣] ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بطبعة سنية، وأموال كثيرة، فامتنع أن يقتل شيئا من ذلك. وقال: إنما عملت هذا ابتغاء وجه الله، ورجاء ما عنده سبحانه، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا.

وأقبل الأسطول المصري، وفيه الميرة الكثيرة، لأهل البلد، فعلى الفرنج أسطولهم، ليقاتلوا أسطول المسلمين، نهض السلطان بجيشه، ليشغلهم عنهم، وقاتلهم أهل البلد أيضا، واقتل الأسطولان في البحر، وكان يوما مشهورا عظيما، وحربا في البر والبحر، فظفرت الفرنج بشي واحد، من الأسطول الذي للمسلمين، وسلم الله الباقي، فوصل إلى البلد، بما فيه من الميرة، وكانت حاجتهم قد اشتدت إلى عشرها وحمدوا الله تعالى على يسرها بعد عسرها.

وأما ملك الألمان، المتقدم ذكره، فإنه أقبل في عدد، وعدد كثير وجم غفير، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيت خراب البلد، وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليما بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئا، بعون الله، وقوته، بل أهلكهم الله عز وجل، في كل مكان وزمان فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية، فدعت نفسه أن يسبح فيه، فلما صار فيه، حمله الماء إلى شجرة، فشجرت رأسه، وأخذت أنفاسه، وأراح الله منه العباد، والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، بعده وقد تمزق شملهم، وقتل منهم العدة، ثم أقبلوا، لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم، الذين على عكا، إلا في ألف فارس، فلم يعرفوا بهم رأسا، ولا لهم قدرا، ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم، ولا غيرهم، وهكذا سة الله فيمن أراد مخالفة الإسلام وأهله في إهلاكه وتمزيق شمله، والله الحمد والمنة على إحسانه وفضله.

وزعم العباد [الروضة: ٢/١٦١] في سياق أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف، مقاتل وأن ملوك الإفرنج كلهم، كرهوا قدومه عليهم، لما يخافون من سطوة ملكهم، وزوال دولتهم ببولته، ولم يفرح به إلا الرئيس صاحب صوره، الذي أنشأ هذه الفتنة، وأثار هذه الحنة، لعنه الله فإنه تقوى به ويحييه وكيد، فإنه كان خبيرا بالحروب، والقتال وقد قدم بأشياء كثيرة، من آلات الحرب، لم تحظر لأحد ببال، نصب دبابات أمثال الجبال، تسير بعجل، ولها زلوم من حديد تنطح السور فتخرقه وتثلج جوانبه، فمن الله العظيم بإحراقها وتلافها، وأراح الله المسلمين منها، ونهض صاحب الألمان

هذا التطويل في الحصار إنما هو بسبب كثرة الذنوب، وارتكاب المحرم بين الناس، ويقول في بعضها: فإن الله لا يئال ما عنده إلا بطاعته، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، وامتنال أمره، فكيف لا يطول الحصار، والمعاصي في كل مكان بادية، والمظالم في كل موضع فاشية، وقد صعد إلى الله منها، ما لا يتربع بعدها إلا ما يُستعاض منه وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة.

ومنها كتاب يقول فيه، إنما أتينا من قبل أنفسنا، ولو صدقنا، لعجل الله لنا عواقب صدقنا، ولو أظعننا لما عاقبنا بعنونا ولو فعلنا ما تقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا تقدر عليه إلا به، فلا يستخصم أحد إلا نفسه وعمله ولا يرج إلا ربه ولا يفتخر بكثرة المساكين والأعوان، ولا فلان، الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان الذي يتظر أن يسير، فكل هذه مشاغل عن الله، ليس النصر بها، وإنما النصر من عند الله، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها، والنصر به، واللطف منه والمعادة الجميلة، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا، فولوا أنها تسد طريق دعائنا، لكان جواب دعائنا قد نزل، وفيض دموع الحاشعين قد غسل، ولكن في الطريق عائق، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق.

ومن كتاب آخر، يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف، في جسمه، بسبب ما حل على قلبه، مما هو فيه من الشدائد، أثابه الله تعالى يقول فيه: وما في نفس المملوك شائنة، إلا بقية هذا الضعف، الذي في جسم مولانا، فإنه بقلوبنا، ونقله باسماعنا، وإبصارنا.

بنا معشر الخدام ما بك من أذى وإن أشفقوا عما أقول في وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين، في الروضتين (١٦٧/٢) في هذا المكان كتابا عدة من الفاضل إلى السلطان، فيها فصاحة، وبلاغة، ومواعظ، وتخفيض على الجهاد، يعجز عن مثلها شجعان، وهي جديرة أن تكتب على بقاء الذهب على قلائد العقيان فرحه الله من إنسان، ما أنصحه، ومن وزير، ما كان أنصحه، ومن عقل ما كان أرجحه.

فصل

وكتب القاضي الفاضل كتابا بليغا عن السلطان إلى ملك المغرب أمير المسلمين وسلطان جيش الموحدين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، يستجده، فمن إرسال مراكب في البحر، تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرغية فمنه عبارة طويلة، فصيحة، بليغة، مليحة، حكاها أبو شامة بطولها. وحسنتها ويعد السلطان صلاح الدين، مع الكتاب، سنة من التحف، والألطف، صحة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن منقذ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة، فدخل على سلطان المغرب يعقوب، في العشرين من ذي الحجة، فأقام عنده إلى عاشره من المحرم، من ستة ثمان وثمانين، ولم يقد ذلك الإرسال شيئا، لأنه تغضب، إذ لم يلقب بأمر المؤمنين، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه والتعويل عليه، ولكن وقع ما وقع، بمشيئة الله تعالى.

فصل

وفيها حصل للناصر صلاح الدين، سوء مزاج، من كثرة ما يكابه من الأمور، التي هي أمر من الأجاس قطع العدو المخذول لنعمهم الله، في

والنشاب، والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطسة من بطس الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من البحارة، أن يلبسوا زي الفرنج، حتى إنهم حلقوا لحاهم، وشدوا الزناتير، واستصحبوا في البطسة معهم شيئا من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج، فاعتقدوا أنهم منهم، وهي سائرة كأنها السهم، إذا خرج من كبد القوس، فحزنهم الفرنج غائلة المنياء، من ناحية البلد، فاعتنقوا بأنهم مغلوبون عنها، والريح قوية ولا يمكنهم أن يبقوا ولا ينصرفوا، وما زالوا كذلك، حتى ولجوا المنياء، فأغرقوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت المنياء، وعين الكفر عبرى فامتلا الثغر بها خيرا، فكفتهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطس الثلاث المصرية، وكانت البلد يكتنفها برجان، يقال لأحدهما برج النبان، فامتدنت الفرنج بطسة عظيمة لما خرطوم وفيه محركات، إذا أرادوا أن يضعمه على شيء من الأسوار، والأبرجة، قلبوه فوصلوا، إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطسة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها عتالين، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار، فأحرقها، وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا، وحطبها جزلا، وأخرى خلفها، فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على المنياء، أرسلوا النفط على بطسة الحطب، فاحترقت وهي سائرة بين بطس المسلمين واحترقت الأخرى وكان في بطسة أخرى لهم مقاتلة تحت قبر، قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج النبان، انعكس الأمر عليهم، بقدرة الله تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطستهم، فاحترقت، وتعدى الحريق إلى الأخرى ففرقت، ووصل إلى بطسة المقاتلة تلتفت، وهلكت بمن فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين، في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ يُؤَيِّدُهُمْ بِأَيِّدِيهِمْ وَيُؤَيِّدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢٢].

فصل

وفي ثالث رمضان، اشتد حصار الفرنج للمدينة، حتى نزلوا إلى الخندق فبرز إليهم أهل البلد، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وتمكنوا من حريق الكيش الذي اتخذوه لحصار، الأسوار، وسرى حريقه إلى السور، وارتفعت له لجة عظيمة، في عنان السماء، ثم اجتنبه المسلمون إليهم بكلايب من حديد في سلاسل، فحصلوه عندهم، وألقوا عليه الماء البارد، فبرد بعد أيام، فكان فيه من الحديد مائة قطار، بالدمشقي ولله الحمد والمنة.

وكان مع السلطان في الثامن والعشرين من رمضان، الملك زين الدين، صاحب إربل فتوفي، في عكا، فأنسف الناس عليه، لشبابه، وغرسته، وجودته، وعزى أخاه مظفر الدين فيه، وهو الذي قام في الملك من بعده، وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور، ويترك حران والرها، وميساط، وغيرها، وتعمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا، فأجيب إلى ذلك، وكتب له تقليدا، وعقد له لواء، وأضيف ما تركه إلى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين.

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ويهيئ إلى السلطان ما يحتاج إليه منها من الأموال، وغنم الأسطول، والكتب السلطانية وأرادة إليه في كل حين، ويستشير فيما يصلح به أمور المسلمين، وكذلك الكتب الفاضلة قادمة على السلطان في كل أوان، فمنها كتاب يذكر فيه أن سبب

ألف مقاتل من أقصى بلاده فاجتاز بالقسطنطينية وما بعدها من البلدان يريد انتزاع بلاد الشام فهلكوا في الطرقات، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة آلاف، وقيل في القتي مقاتل، وكان قد عزم على دمار الإسلام، واستنقاذ البلاد بكاملها، من أيدي المسلمين، انتصاراً في زعمه لبيت المقدس الذي استنقذه الملك صلاح الدين من أيدي المشركين فلم يزل اللعين يتناقص جيشه ويتفانون في كل موطن وموضع وقدّر الله هلاكه بالفرق، كما أهلك فرعون، لعنة الله تعالى، وذلك أنه نزل يسبح في بعض الأنهار فاحتمله الماء فقرأ فأنجاه إلى جذع شجرة هناك فشدت رأسه ومات من ساعته، لعنة الله، ثم ملك بعده ولده الأصغر، فأقبل بمن بقي معه من الجيش إلى الفرنج، وهم في حصار عكا، في خمسة آلاف مقاتل، وقيل: في ألف مقاتل. وكان المسلمون قد حملوا من قلوبهم هماً عظيماً وخافوا خوفاً شديداً، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً، ثم توفي ابنه في أواخر هذه السنة، فله الحمد والمنة.

■ محمد بن محمد بن عبد الله: أبو حامد قاضي القضاة بالموصل، عيى الدين بن قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري الشافعي، أثنى عليه العماد الكاتب، وأشهد له من شعره قوله:

قامت بإثبات الصفات أدلة قصمت ظهور أئمة التعطيل
وطلائع التزيه لما أقبلت هزمت فوي التشيه والتثييل
فالحق ما صرنا إليه جميعاً بأدلة الأخبار والتثييل
من لم يكن بالشرع مقتدياً فقد ألقاه فرط الجهل في التضييل

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

فيها قدم ملك الإفرنيس، وملك انكلترا، وغيرهما من ملوك البحر الفرنج، على أصحابهم الفرنج إلى عكا، وتمازوا على أخذ عكا في هذه السنة، كما سيأتي تفصيله.

وقد استهلت هذه السنة والحصار الشديد على عكا على حاله من الجانبين، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد، والملك العادل نجيم إلى جانب البحر، ليتكامل دخولهم، ودخول ميرتهم.

وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون من عكا فهجموا على نجيم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وسبوا، وغنموا شيئاً كثيراً، سبوا اثنتي عشرة امرأة، وانكسر مركب عظيم للفرنج، ففرق ما فيه منهم، وأسر باقيهم.

وأغار صاحب حصص أسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الخيول، والأبقار، والأغنام، وظفر الزك بخلق كثير من الفرنج فقتلهم، ولم يقتل من المسلمين سوى طواشي صغير عثر به فرسه.

وفي ثاني عشر ربيع الأول، وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين فليب في ست بطس ملمونة، مشحونة بعبدة الصليب، وحين وصل إليهم، وقدم عليهم، لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم، لعظمتهم عندهم، وقدم معه باز عظيم أبيض، وهو الباز الأشهب، هائل، فطار من يده، فوقع على سور عكا فأسكه أهلها، وبعثوا به إلى السلطان صلاح الدين، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار، فلم يجاب إلى ذلك، وقدم بعده كند فرير، وهو من أكابر ملوكهم أيضاً، ووصلت سفن ملك الإنكليز، ولم يجيء ملكهم،

حوزة الإسلام، فتجرد جماعة منهم للقتال، وثبت آخرون على الحصار، فأقبلوا في عدد كثير، وعدد، فرتب السلطان الجيوش، بمئة، وسيرة، وقلبا، وجناحين، فلما رأى العدو الجيش الكثيف، فروا، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجما غفيرا والله الحمد.

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانتشرت مراكب الفرنج عن البلد، خوفاً من الهلاك، بسبب اغتلام البحر، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يرجمهم عما هم فيه من الحصر العظيم، والقتال ليلاً ونهاراً، وأن يرسل إلى البلد بدلهم، فرق لهم السلطان، وعزم على ذلك، وكانوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير، ومأمور، فجهز جيشاً آخر غيرهم، قالوا ولم يكن ذلك براً جيد، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً، وأن هؤلاء يدخلون البلد وهم جند الحيم، ولم عزم قوي، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك، ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد، وخرجوا منه، كانت لهم خبرة بالبلد، وبالقتال، وكان لهم صبر، وجلد، وقد تمونوا فيها مونة تكفيهم سنة فأنعمت بسبب ذلك وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة فقدر الله العظيم وله الأمر من قبل ومن بعد أنها لا توسط البحر، واقرت من الميناء، هاجت عليها ريح عظيمة، فقلعت تلك البطس على عظمها فاخبطت، واضطربت، وتصادمت، ففكست، وغرقت، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين، واشتد الأمر جداً، ومرض السلطان، وازداد مرضاً إلى مرضه عافاه الله وكان ذلك عوناً للعدو المخدول على أخذ البلد ولا قوة إلا بالله، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب أبه الله.

وفي اليوم السابع من ذي الحجة سقطت ثلثة عظيمة من سور عكا فبادر الفرنج إليها، فسبقهم المسلمون إلى سدها بصنوبرهم، وقتلوا دونها بنحورهم، وما زالوا يمانعون عنها، حتى نبوها أشد عما كانت، وأقوى، وأحسن.

ووقع في هذه السنة، وباء عظيم في المسلمين، والكافرين، فكان السلطان يقول في ذلك.

اتلونسي ومالكاً واتلونسا مالكا معي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنة الله في ثاني ذي الحجة من هذه السنة، وجماعة من كبراء الكندهرية، وسادات الفرنج لعنة الله، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان، حزناً عظيماً وأوقدوا ناراً عظيمة، في كل خيمة، وصار كل يوم، يهلك من الفرنج المائة، والمائتان، واستأمن إلى السلطان جماعة منهم، من شدة ما هم فيه من الجوع، والضيق، والحصار، وأسلم خلق كثير منهم فله الحمد والمنة.

في هذا الشهر قدم القاضي الفاضل من الديار المصرية على السلطان وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين. وقدم وزير الصدق على السلطان الموفق والأمير المؤيد رحمهما الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ملك الألمان: الذي أتل في مائتي ألف مقاتل ويقال في ثلاثمائة

من يده.

ويبعث ملك الإنكليز إلى السلطان صلاح الدين، يذكر له أن عنده جوارح، قد جاء بها من البحر، وهو على نية إرسالها إليه، ولكنها قد ضعت، وهو يطلب لها دجاجا وطيرا لتقوى به، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه، يتلطف، فأرسل إليه شيئا كثيرا من ذلك كرما وسجية وحشة، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلج، فأرسل إليه أيضا، فلم يقد معه الإحسان، بل لما عوفي، عاد إلى شر مما كان، واشتد الحصار ليلا ونهارا، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئا غدا، وإلا طلبنا من الفرنج الصلح، والأمان، فشق ذلك على السلطان، وذلك لأنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام، والديار المصرية، وسائر السواحل، وما كان غنمه من رقة حطين، ومن القدس فهي مشحونة بذلك فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو، فلما أصبح، ركب في جيشه، فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم، والرجالة منهم قد ضربوا سورا حول الترسان، وهم قطعة من حديد صماء، لا ينفذ فيهم شيء، فأحجم عنهم، لما يعلم من نكول جيشه عما يريد، وتحدوه عليه شجاعته رحمه الله تعالى.

هنا، وقد اشتد الحصار على البلد جدا، ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق، وعلقوا بدنة في السور، وحشوها، وأحرقوها، ودخلت الفرنج إلى البلد، فماتهم المسلمون، وقتلهم أشد القتال، وقتلوا من رؤوسهم ستة أنفس، فاشتد حتى الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك.

وجاء الليل، فحال بين الفريقين، فلما أصبح الصباح، خرج أمير المسلمين بالبلد سيف الدين المشطوب، فاجتمع بملك الافرنسين، وطلب منهم الأمان على أنفسهم، وتسلمون منه البلد، فلم يجيبهم إلى ذلك، وقال: بعدما سقط السور جنت تطلب الأمان؟ فأغلظ له الأمير المشطوب في الكلام، ورجع إلى البلد في حالة الله بها عليهم، فلما أخبر أهل البلد بما وقع، خافوا خوفا شديدا، وأرسلوا إلى السلطان، يعلمونه بما وقع، فأرسل إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر، ولا يتأخروا عن هذه الليلة، ولا يبقوا بها مسلم، فتشاغل كثير عن كان بها في جمع الأمتعة، والأسلحة، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان، فهربا إلى قومهما، فأخبراهم بذلك، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة، ولا يخرج منها شيء، بالكلية، وهذان المملوكان، كانا أسيرين، قد أسرهما السلطان، من أولاد الفرنج، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة، فلم يرافقه الجيش على ذلك، وقالوا لا نخاطر بعسكر المسلمين، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد، على أن يطلق عدتهم من الأسرى، الذين تحت يده من الفرنج، ويزيدهم على ذلك صليب الصليوت، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده، ويعيد لهم جميع البلاد الساحلية، التي أخذت منهم، وبيت المقدس، فأبى من ذلك، وترددت المراسلات في ذلك، والحصار يتزايد على أسوار البلد. وقد تهدمت منه ثلم كثيرة، وأعاد المسلمون كثيرا منها، وسلبوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم، ورحمهم الله، وصبروا صبرا عظيما، وصابروا العدو، ثم كان آخر أمرهم الشهادة صبرا، وقد كتبوا إلى السلطان، في آخر أمرهم، يقولون له: يا مولانا لا تخضع لهؤلاء الملاحين، الذين قد أبوا عليك الإجابة، إلى ما عدوهم فينا، فإنا قد بايعنا الله على الجهاد، حتى تقتل عن آخرنا، وبالله المستعان.

فلما كان وقت الظهر، في اليوم السابع عشر، من جمادى الآخرة، من

لاشتغاله بجزيرة قبرص، وأخذها من يد صاحبها.

وتواصلت ملوك الإسلام أيضا من بلدانها، في أول فصل الربيع، إلى خدمة السلطان الناصر.

قال العماد: وقد كان للمسلمين لصوص، يدخلون إلى خيام الفرنج، فيسرقون، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال، فاتفق أن بعضهم أخذ صيبا رضيا من مهد ابن ثلاثة أشهر فوجدت عليه أمه وجدا شديدا، واشتكت إلى ملوكهم، فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب، وقد أدنا لك أن نذهبي إليه، فتشكي أمرك إليه. قال العماد: فجاءت إلى السلطان، وأنا واقف معه فبكى بكاء شديدا وجعلت ترمخ وجهها على الأرض، فسألها عن أمرها فأنتهت إليه حالما فرق لها رقة شديدة، حتى دمعت عينه. ثم أمر بإحضار ولدها، فإذا هو قد بيع في السوق، فرسم يدفع ثمنه إلى المشتري، ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام، فأخذته أمه، وأرضعته ساعة، وهي تبكي من شدة فرحها، وشوقها إليه، ثم أمر بحملها إلى قومها، على فرس مكreme، رحمه الله تعالى، وعفا عنه.

فصل في كيفية أخذ العدو المخدول مدينة عكا من يدي

السلطان قسراً

لما كان شهر جمادى الأولى، اشتد حصار الفرنج، لعنهم الله، لمدينة عكا، وقاتلوا عليها، من كل فج عميق، وقدم عليهم ملك الإنكليز، في جم غفير، وجمع كثير، في خمس وعشرين قطعة، مشحونة بالقاتلة، وابتلي أهل الثغر منهم، بيلا لا يشبه ما قبله، فعند ذلك حركت الكوسات في البلد، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان، فحرك السلطان كوساته، فاقترب من البلد ونحو إلى قريب منه ليشتغلهم عن البلد وقد أحاطوا به من كل جانب، ونصروا عليه سبعة مجاميع وهي تضرب في البلد ليلا ونهارا، ولا سيما على برج عين البرق، حتى أثرت به أثرا بينا، وشرعوا في ردم الخندق، بما أمكنهم من دواب مينة، ومن قتل منهم، ومن مات أيضا ردوا به، وكان أهل البلد يلقون ما القوه فيه إلى البحر. وظفر ملك الإنكليز ببطسة عظيمة للمسلمين، قد أقبلت من بيروت، مشحونة بالأمتعة، والأسلحة، فأخذها، وكان واقفا في البحر، في أربعين مركبا، لا يترك شيئا يصل إلى البلد بالكلية، وكان بالبطسة ستمائة من المقاتلين الصناديد الأبطال، فهلكوا عن آخرهم، ورحمهم الله. فإنه لما أحيط بهم، من الجوانب كلها وتحققوا إلى الفرق، أو القتل، خرقوا جدرانها كلها، فغرت، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها، لا من الميرة، ولا من الأسلحة، وحزن المسلمون على هذا المصائب، حزنا عظيما، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء، بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم للفرنج دبابة كانت أربع طبقات، الأولى من الخشب، والثانية من رصاص، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، وهي مشرقة على السور، والمقاتلة فيها، وقد قلق أهل البلد منها، بحيث حدثهم أنفسهم، من خوفهم من شرها، بأن يطلبوا الأمان من الفرنج، ويسلموا البلد، ففرج الله عن المسلمين، وأمكنهم من حريقها، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم، الذي غرقت فيه البطسة المذكورة، فأرسل أهل البلد يشكون إلى السلطان شدة الحصار، وقوته عليهم منذ قام ملك الإنكليز لعنه الله ومع هذا قد مرض هو وجرح ملك الافرنسين أيضا، ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة، وعتوا وغييا، وفارقهم المركيس، وسار إلى بلدة صور خوفا منهم أن يخرجوا ملكها

وقد كان الجيش فر عن السلطان، في أول الرقعة، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً، وهو ثابت صابر، والكوس تلقى لا تقتر، والأعلام منشورة، ثم تراجع الناس، فكانت النصر للمسلمين، والكثرة على الكافرين والحمد لله رب العالمين.

ثم تقدم السلطان بحساكره، فقتل ظاهر عسقلان، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان، خشية أن يتملكها الكفار، ويجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس، صانه الله تعالى، أو يجري عندها من الحرب والقتال، نظير ما كان عند عكا، أو أشد، فبات السلطان ليلته مفكراً في ذلك، فلما أصبح، وقد أرقع الله في قلبه، أن خرابها هو المصلحة، فذكر ذلك لمن حضره، وقال لهم: والله، لموت جميع أولادي، أهون عليّ من تخريب حجر واحد منها، ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين، فلا بأس به.

ثم طلب الولاة، وأمرهم بتخريب البلد، سريعاً، قبل وصول العدو المخول إليها، فشرع الناس في خرابه، وأهله ومن حضره يتباكون على حسنه، وطيب مقيله، وكثرة زروعه وثمراره، وغزارة أنهاره ونضارته، وأزهاره، وكثرة رخامه وحسن بنائه. وألقيت الثيران في سقره، وأتلف ما فيه من الغلات، التي لا يمكن تحمليها، ولا نقلها، ولم يزل الخراب، والحريق فيه، من جمادى الآخرة، إلى سلخ شعبان من هذه السنة.

ثم رحل عنها السلطان في ثاني رمضان، وقد تركها قاعاً صفصفاً ليس فيها معلّم لأحد، ثم اجتاز بالرملة، فهدم حصنها، وخرب كنيسة لد، وزار بيت المقدس، وعاد إلى المخيم سريعاً، تقبّل الله منه وبعث ملك الإنكليز إلى السلطان، يقول له: إن الأمر قد طال، وهلك الفرنج والمسلمون، وإثما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها: رد الصليب، وبلاد الساحل، وبيت المقدس، لا ترجع عن هذه الثلاثة، ونا عين تطرف، فأرسل إليه السلطان جواب ذلك أشد جواب، وأسوأ خطاب، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس، فقدم السلطان بجيشه إلى القدس، وسكن في دار القساقس، قريباً من قمامة، في ذي القعدة، وشرع في تحصين البلد، وتعميق خنادقه، وعمل فيه بنفسه، وأولاده، وعمل فيه الأمراء، والقضاة، والعلماء، والصوفية بأنفسهم، وكان وقتاً مشهوداً، واليزك حول البلد من ناحية الفرنج، وفي كل وقت يستظهرون على الفرنج، ويقتلون، ويسرون، ويفتنمون منهم، ولله الحمد والملة، واتقضت هذه السنة. والأمر على ذلك.

وفي هذه السنة فيما ذكره العماد الكاتب تولى القضاء محيي الدين محمد بن الزكي قضاء دمشق.

ولها على أمير مكة، داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن أبي قاسم الحسيني، فأخذ أموال الكعبة، حتى انتزع طرقاً من فضة، كان على دائرة الحجر الأسود، كان قد لم شعثه، حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله، وولى أخاه مكشراً، ونقض القلعة، التي كان بناها أخوه على جبل أبي قبيس، وأقام داود بنخلة حتى توفي بها سنة تسع وثمانين.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ المظفر: تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، كان عزيزاً عند عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين، استاب به مصر، وغيرها من البلاد، ثم

هذه السنة، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت، وصلبانهم، وناهم على أسوار البلد، وصاح الفرنج صيحة واحدة، فغطت عند ذلك المصيبة على المسلمين، واشتد حزن الموحدين، والمحصن كلام العقلاء من الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون، وغشي الناس بهتة عظيمة، وحيرة شديدة، ووقع في عسكر السلطان الصباح والعويل، ودخل المكيك لعنه الله، وقد عاد إليهم من صور بهدايا، بهدايا إلى الملك، فدخل في هذا اليوم عكا، بأربعة أعلام للملك، فنصبها في البلد، واحداً على المأذنة يوم الجمعة، وآخر على القلعة، وآخر على برج الداوية، وآخر على برج القتال، عوضاً عن أعلام السلطان، وتحيز المسلمون الذين بها، إلى ناحية من البلد معتقلين، محتاط بهم، مضيق عليهم، وقد أسرت النساء والأبناء، وغنمت منهم أموال، وقيدت الأبطال، وأهين الرجال، ولكن الحرب سجال، والحمد لله على كل حال.

فعدت ذلك أمر السلطان أيده الله الجيش بالتأخر عن هذه المنزلة المضافة إلى التي بعدها وتأخر هو جريدة، لينظر ماذا يصنعون، وما عليه يعملون، والفرنج بالاستيلاء على البلد مشغولون وتحصيل الأموال جملة وتفصيلاً، مدهوشون، ثم سار السلطان إلى العسكر، وعنده من المم من لا يعلمه إلا الله، وجاءت الملك الإسلامية، والأمراء، وكبراء الدولة، يعزونه فيما وقع، ويسلونه على ذلك، ثم راسل ملك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عتقهم من أسراهم، ومائة ألف دينار، وصليب الصلבות إن كان باقياً، فأرسل فأحضر المال والصليب، ولم يتهمها له من الأسارى إلا ستامة أسير، فطلب الفرنج منه أن يرهم الصليب من بعيد، فلما رفع لهم سجدوا له، وألقوا أنفسهم إلى الأرض، وعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال، والأسارى، والصليب فامتنع، إلا أن يرسلوا إليه من بأيديهم من الأسارى، أو يعثوا له برهائن على ذلك، فقالوا: لا، ولكن أرسل لنا ذلك، وأرض بآمانتنا، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر، فلم يرسل إليهم شيئاً من ذلك، وأمر برد الأسارى إلى أهلهم بدمشق، ورد الصليب إلى دمشق مهاناً، وأبرزت الفرنج خيامهم، إلى ظاهر البلد، وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين في صعيد واحد، رحمهم الله، فأوقفوهم بعد العصر، وحلوا عليهم حملة رجل واحد فقتلهم رحمهم الله، وأكرم مئواهم، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميراً، أو سرياً، أو من يرويه في علمهم قوياً، أو امرأة أوصياً. وجرى الذي كان، وقضى الأمر الذي فيه تستفتيان. وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا، صابراً، مصابراً، مرابطاً، سبعة وثلاثين شهراً، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً.

فصل فيما جرى من الحوادث بعد أخذ الفرنج عكا:

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان، والسلطان بجيشه يسلمهم، ويعارضهم منزلة منزلة، والمسلمون يتخطفونهم، ويسلبونهم في كل مكان، وكل أسير أتى به إلى السلطان، يأمر بقتله في مكانه، وجرت بين الجيشين، وقعات متعددة، ثم طلب ملك الإنكليز أن يجتمع بالملك العادل، أخيه السلطان، يطلب منه الصلح والأمان، على أن يعاد لأهلها بلاد السراجل، فقال له العادل: إن دون ذلك تقتل كل فارس منكم وراجل. فغضب اللعين، ونهض من عنده وهو متغضب، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان، عند غابة أرسوف، فكانت النصر للمسلمين، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف، ألف بعد ألف، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً،

والفرنج لعنهم الله حول البلد، من ناحية عسقلان، وما والاها، لا يتجاسرون أن يقرىروا البلد، من الحرس واليزك الذين للسلطان حول القدس، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون، ولكيد الإسلام مجمعون، وهم الحرس تارة يغلبون، وتارة يغلبون، وتارة يهزمون، وتارة يهزمون.

وفي ربيع الآخر، وصل إلى السلطان، الأمير سيف الدين الشطوب إلى السلطان وهو بالقدس من الأسر، وكان نائباً على عكا حين أخذت، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها، واستأبته على مدينة نابلس فتوفي بها في شوال من هذه السنة.

وفي ربيع الآخر، قتل المريكس صاحب صور، لعنه الله، أرسل إليه ملك الإنكليز، اثنين من القداوة، فقتلوه: أظهرها التنصر، ولزما الكنيسة، حتى ظفروا بالمريكس، فقتلوه، وقتل أيضاً، فاستأب ملك الإنكليز عليها ابن أخته لأمه الكندهرى، وهو ابن أخت ملك الإفرنجس لأبيه، فهما خالاه، ولما صار إلى صور، بنى بزوجة المريكس، بعد موته بليلة واحدة، وهي جبلى أيضاً، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الإنكليز، وبينه، وقد كان السلطان صلاح الدين ييغضهما، ولكن المريكس، كان قد صانعه بعض شيء، فلم يهن عليه قتله.

وفي تاسع جمادى الأولى، استولى الفرنج، لعنهم الله، على قلعة الداروم، فخربوها، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وأسروا طائفة من الذرية، فزنا لله وإننا إليه راجعون، ثم أقبلوا بخليلهم ورجلهم جملة، نحو القدس الشريف، فبرز إليهم السلطان، في حزب الإيمان وهو مشتمل على الرجالة والفرسان والأبطال والشجعان، فلما تراءى الجمعان، تكصص حزب الشيطان على عقبه وانقلبوا راجعين، فراروا من قبل القتال، والفرار، وعاد السلطان إلى القدس الشريف. ﴿وَرَزَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ثم إن ملك الإنكليز، لعنه الله، وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين ظفر ببعض قوتل المسلمين، فكبسه ليلاً، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم خمسمائة أسير، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال، والجمال، والخيول، والبغال، فكان جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير، فتقوى الفرنج بذلك شيئاً كثيراً وساء ذلك السلطان مساة عظيمة جداً، وخاف من غائلة ذلك، واستخدم الإنكليز الجمالة على الجمال، والخرنبدية على البغال، والساسة على الخيل، وأقبل وقد قويت نفسه جداً، وصمم على محاصرة القدس، وأرسل إلى ملوك الفرنج، الذين بالساحل، فاستحضرهم، ومن معهم من المقاتلة، فتعباً السلطان لهم، ونهياً، وأكمل السور، وعمر الخنادق، ونصب الآلات والمتجانيق، وأمر بتوفير ما حول القدس من المياه، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة: وفيهم أبو الهيجاء السمين، والمنشوط، والأسلدية بكماهم، واستشارهم، فيما قد دهمه، من هذا الأمر القطيع، الموجه المؤلم، فالتأصوا في ذلك، وأشاوروا كل براهيه، وأشار العمد الكاتب، بأن يتحالفوا على الموت، عند الصخرة، كما كانت الصحابة يفعلون، فأجابوا إلى ذلك. هذا كله، والسلطان ساكت، واجم، مفكر، فسكت القوم كأنما على رؤوسهم الطير، ثم قال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله: أعلموا أنكم جند الإسلام اليوم، ومنتمى، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين، وأموالهم، وذرياتهم معلقة في ذمكم معلقة، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه، عن العباد، والبلاد غيركم، فإن وليتم

أقطعه حماة، ومدنا كثيرة حولها، ومن بلاد الجزيرة، وكان مع عمه السلطان على عكا ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للفرات، فلما صار إليها، اشتغل بها، وامتدت عينه إلى أخذ غيرها، من أيدي الملوك المجاورين له، فقاتلهم، فافتق موت، وهو في كذلك، والسلطان صلاح الدين متغضب عليه، بسبب اشتغاله بذلك عنه، وحملت جنازته، حتى دفن بحماة، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة، وعليها أوقاف كثيرة مبرورة، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمد، فأقره صلاح الدين على ذلك، بعد جهد جهيد، ووعد ووعيد، ولولا السلطان الملك العادل آخر صلاح الدين، تشفع فيه، لما أقره في مكان أبيه، ولكن الله سلم، وكانت وفاة تقي الدين الجمعة، تاسع عشر رمضان، من هذه السنة، وكان شجاعاً باسلاً وشهماً فاتكاً كريماً كاملاً رحمه الله.

الأمير حسام الدين محمد بن عمر

■ ابن لاجين: أمه ست الشام بنت أيوب، واقفة الشاميتين بدمشق، توفي في ليلة الجمعة، تاسع عشر رمضان أيضاً، ففجع السلطان ببلين أخيه، وابن أخته، في ليلة واحدة، وقد كانا له من أكبر الأعوان، وأعز الإخوان ودفن حسام الدين في التربة الحسامية، وهي التي أنشأها أمه، بمحلة العونية، وهي الثامنة البرانية.

الأمير علم الدين

■ سليمان بن جندار الحلبي: كان من أكابر الأمراء في الدولة الصلاحية، وفي خدمة السلطان حيث كان، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان، واتفق مرضه بالقدس، فاستأذن في أن يمرض بدمشق، فأذن له، فسار حتى وصل إلى غياغب فمات بها، في أواخر ذي الحجة. وفي رجب منها، توفي الأمير الكبير نائب دمشق حرسها الله تعالى: ■ الصفي بن القايض: وقد كان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك، ثم استأبته على دمشق، حتى توفي بها، في هذه السنة رحمه الله.

وفي ربيع الأول توفي:

الطبيب الماهر الحاذق

■ أسعد بن المطران: وقد شرف بالإسلام، وشكره على طبه الخاص والعام رحمه الله.

الشيخ نجم الدين

■ الخوشتاني: الذي بنى تربة الشافعي بمصر، بأمر السلطان صلاح الدين، ووقف عليها الأوقاف السنية، وولاه تدريسها، ونظرها، وقد كان السلطان يحترمه، ويكرمه، وقد ذكرته في طبقات الشافعية، وما صنفه في المذهب، من شرح الوسيط، وغيره.

ولما توفي الخوشتاني، طلب التدريس جماعة، فشجع الملك العادل عند أخيه، لشيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه، فولاه إياها، ثم عزله عنها، بعد موت السلطان، واستمرت عليها أيدي بني السلطان، واحداً بعد واحد، ثم خلعت بعد ذلك عادت إليها الفقهاء، والمدرسون والله تعالى أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

استهلت والسلطان صلاح الدين غيم بالقدس الشريف، وقد قسم السور بين أولاده، وأمرائه، وهو يعمل فيه بنفسه، ويحمل الحجر بين القرويين وبينه، والناس يقتنون به وبالعلماء، والفقراء يعملون بأنفسهم،

وغنم جيشه منها شيئاً كثيراً وامتنعت القلعة، فبالغ في أمرها حتى هانت ولانت وذات وكادوا أن يبعثوا إليه بأقاليدها، وبأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها، فبينما هم كذلك، إذ أشرفت عليهم مراكب الإنكليز، على وجه البحر، فقويت رؤوسهم، واستعصت نفوسهم، فهجم اللعين، فاستعاد البلد، وقتل من تأخر بها من المسلمين صبرا بين يديه، وتقهقر السلطان عن منزلة الحصار، إلى ما وراءها، خوفاً على الجيش من معرة الفرنج، فجعل ملك الإنكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين، ولكن ما ظننت، أنه مع شهامته، وصرامته، يتأخر من منزلته، بمجرد قديمي، وأنا ومن معي لا نخرج من البحر، إلا جرائد، بلا سلاح، ثم ألح في طلب الصلح، على أن تكون عسقلان داخلية في صلحهم، فامتنع السلطان أشد الامتناع، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الإنكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً، وحوله قليل من الرجال، فأكب بجيشه حوله، وحصره حصراً لا يبق له معه نجاة، لو صمم معه الجيش، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة، فلا قوة إلا بالله، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض، فكلهم يمتنع كما يمتنع المريض من شرب الدواء.

هذا وملك الإنكليز قد ركب في أصحابه، وأخذ عدة قتاله، وأهبة نزاه، واستعرض اليمنة إلى آخر الميسرة، يعني يمينة المسلمين وميسرته، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان، ولا بهش في وجهه بطل من الشجعان فعند ذلك كر السلطان راجعاً، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعاً، ولا سامعاً فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولو أن له بهم قوة، لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً.

ثم حصل لملك الإنكليز بعد ذلك مرض شديد، فبعث إلى السلطان، يطلب فاكهة، وثلجاً، فأمد به بذلك، من باب الفتوة والإحسان وأظهر القوة والامتنان، ثم عوفي لعنه الله، وتكررت الرسل منه، يطلب من السلطان المصالحة، لكثرة شوقه إلى أولاده وولاده، وطواع السلطان على ما يقول، وترك طلب عسقلان، ورضي بما رسم به السلطان، وكتب كتاب الصلح بينهما في ثامن عشر شعبان، وأكدت العهد، والمواثيق من كل ملك من ملوكهم، وأسقف وجائليق وحلف الأمراء من المسلمين، وكتبوا خطوطهم، واكتفى من السلطان بالقول المجرد، كما جرت به عادة السلاطين، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً، وأظهروا سروراً كثيراً، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاث سنين وثمانية أشهر، وعلى أن يقرهم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية، وما بينهما من المعاملات تقسم على النصف، وأرسل السلطان مائة نقاب صلبة أمير، لتخريب سور عسقلان، وإخراج من بها من الفرنج والأمان.

وعاد السلطان إلى القدس الشريف، فرتب أحواله، ووطنها، وسدد أموره، وأكدها، وزاد وقف المدرسة سوقاً بدكاكينها، وأرضا بساتينها، وزاد وقف الصوفية، وعزم على الحج عامه ذلك، فكتب إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والشام، ليعلموا بذلك، ويتأهبوا له، فكتب إليه القاضي الفاضل ينأه عن ذلك خوفاً على البلاد ويذكر له أن النظر في أحوال المسلمين، وإصلاح أمرهم الذي قد تداعى إلى الفساد وسد نفوهم ومصابرة أعدائهم في هذا الوقت أفضل لك مما عزمته عليه عامك هذا، والعهد المخذول غيم بعد بالشام لا يقلع منه بركب إلى بلادهم خير لك عامك هذا، والعدو غيم بعد بالشام، وأنت تعلم أنهم يهانون، ليقروا، ويكثروا، ثم يمكروا، ويغدروا، فسمع السلطان منه، وشكر نصحه، وترك ما عزم عليه، وكتب به

أعظكم والعباد بالله، طوى البلاد، كطي السجل للكتاب وأهلك العباد، وأخذ الأموال، والأطفال، والنساء، وعبد الصليب في المساجد، وعزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في دعمك، فإنكم أنتم تصديتم لهذا كله، وأكلتم بيت مال المسلمين، لتدفعوا عنهم عدوهم، وتنصروا ضعيفهم، فالسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام. فانتدب لجوايه سيف الدين المشطوب وقال: يا مولانا، نحن ممالكك، وعبيدك، وأنت الذي أعطيتنا، وكبرتنا، وعظمتنا وليس لنا إلا رقابتنا، ونحن بين يديك والله ما يرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت. فقال الجماعة مثل ما قال، ففرح السلطان بذلك، وطاب قلبه، ومد لهم سماًطاً حافلاً، وانصرفوا من بين يديه على ذلك.

ثم بلغه بعد ذلك، أن بعض الأمراء أنه قال: إنا نخاف، أن يجري علينا في هذا البلد، كما جرى على أهل عكا، ثم يأخذون بلاد الإسلام بلداً بلداً، والمصلحة، أن نلتقيهم بظاهر البلد، فإن هزمتهم، أخذنا بقية بلادهم، وإن تكن الأخرى، سلم العسكر، ومضى بحاله، ويأخذون القدس وتحفظ بقية بلاد الإسلام، بدون القدس مدة طويلة، وبعثوا إلى السلطان، يقولون له: إن كنت تريدنا، نقيم بالقدس، تحت حصار الفرنج، نكن أنت معنا، أو بعض أهلنا، حتى يكون الجيش تحت أمرك، فإن الأكراد لا تطيع الترك، والترك لا تطيع الأكراد. فلما بلغه ذلك، شق عليه مشقة عظيمة، ويات ليته أجمع، مهموماً، كئيباً، يفكر فيما قالوا، ثم المنجلج الأمر، وانفق الحال، على أن يكون الملك الأبعد، صاحب بعلبك، مقيماً عندهم، نائباً عنه بالقدس، وكان ذلك نهار الجمعة، فلما حضر إلى صلاة الجمعة، وأذن المؤذن للظهر، قام فصلى ركعتين بين الأذنتين، وسجد، وابتهل إلى الله تعالى، ابتهالاً عظيماً، وتضرع إلى ربه، وتوسكّن، وسأله فيما بينه وبينه، كشف هذه الضائقة العظيمة.

فلما كان يوم السبت، من الغد، جاءت الكتب من الحرس، الذين حول البلد، بأن الفرنج قد اختلوا فيما بينهم في محاصرة القدس، فقال ملك الإفرنجيس: إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة، وأفنينا الأموال العديدة، في تخليص بيت المقدس، ورده إلينا، وقد بقي بيننا وبينهم مرحلة. فقال الإنكليز: إن هذا البلد، يشق علينا حصاره، لأن المياه حوله قد عذمت، ومضى بعثنا من يأتينا بالماء، من المشقة البعيدة، يعطل الحصار، وتلف الجيش. ثم اتفق الحال بينهم، على أن يحكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم، فردا أمرهم إلى ثلاثة منهم، فباتوا ليلتهم ينظرون، ثم أصبحوا، وقد حكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم مخالفتهم، فسحبوا وراجعين، لنعم الله أجمعين.

فساروا حتى نزلوا على الرملة، وقد طالعت عليهم الغربة والرملة وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس، وسار نحوهم خوفاً أن يسبوا إلى مصر لكثرة ما معهم من الظهر والأموال، وكان الإنكليز يلهج بذلك كثيراً، فخلعهم الله عن ذلك، وترددت الرسل من الإنكليز إلى السلطان، في طلب الأمان، ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين، وعلى أن يعيد لهم عسقلان، ويهب لهم كنيسة بيت المقدس، وهي القمامة، وأن يمكن النصارى من زيارتها، وحجها بلا شيء، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان، وأطلق لهم قمامة، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم فامتنع الإنكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان، ويعمر سورها كما كانت، فصمم السلطان على عدم الإجابة...

ثم ركب السلطان، حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً، فافتتحها،

يكتب صلاح الدين بن أيوب بالقدوم إلى العراق ليأخذها فإنه ليس يرده أحد وقد كان مكنوزا عليه في ذلك، ومع هذا، أهين، وحبس، وصودر.

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي شمس الدين

■ محمد بن محمد بن موسى: المعروف بابن القراش، كان قاضي العسكار بدمشق، وورثه السلطان في الرسائل إلى ملوك الآفاق، وتوفي بمطية عائداً من بني قلعج.

سيف الدين

■ علي بن أحمد المشطوب: كان من أصحاب أسد الدين شيركوه، حضر معه الرقعات الثلاث بديار مصر، ثم صار من أكابر أمراء صلاح الدين، وهو الذي كان على نيابة عكا حين أخذها الفرنج، فأُسروه في جملة من أسروا، فافتدى نفسه بمخمسين ألف دينار، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس، فأعطاه أكثرها، وولاه نابلس. وكانت وفاته يوم الأحد، الثالث والعشرين من شوال، بالقدس الشريف، ودفن في داره.

صاحب بلاد الروم عز الدين

■ قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده، طمعا في طاعتهم له، فخالفوه، ونجبروا، وعتوا عليه، وخضفوا قدره، حتى ارتفعوا، ولم يزل كذلك، حتى توفي في عامه هذا.

وفي ربيع الآخر، توفي الأديب

الشاعر أبو المرفه

■ نصر بن منصور العمري: سمع الحديث، واشتغل بالأدب، وكان قد أصابه جدري، وهو ابن أربعة عشرة سنة، فنقص بصره جدا، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة، ويرى القريب منه، ولكنه لا يحتاج إلى قائد، فارتحل إلى العراق، للمداواة عينه، فأبسته الأطباء من ذلك، فاشتغل بحفظ القرآن، ومصاحبة الصالحين والزهاد، فأفلق، وله ديوان شعر كبير حسن، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأشأ يقول:

أحب عليا والبتول وولدها ولا أجحد الشيخين فضل التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى كما أتبرأ من ولاء ابن ملجم
ومعجني أهل الحديث لصدهم فلست إلى قوم سواهم بمتمهي
توفي ببغداد، ودفن بمقابر الشهداء، بباب حرب، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وفاة السلطان الناصر

■ صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى.

استلقت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة، وخرج هو وأخوه العادل إلى الصيد، شرقي دمشق، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعد ما يفرغ من أمر الفرنج يسير هو إلى بلاد الروم، ويبحث أخاه إلى خلاط، فلما فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد أذربيجان، ببلاد العجم، فإنه ليس دونها أحد يمنع عنها، فلما قدم الحجيج من الحجاز في يوم الاثنين، حادي عشر صفر، خرج السلطان لتلقهم، وكان معه ابن أخيه سيف الإسلام، صاحب اليمن، فأكرمه والتزمه، وعاد إلى القلعة المنصورة فدخلها من باب

إلى سائر الممالك، واستمر مقيماً بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة، وقرآن، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة، فعل معه غاية الأكرام، تاليفاً لقلوبهم وتأكيداً لما حلقوه من الإيمان ورغبة أن يدخل في قلوبهم شيء من الإيمان، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متكرراً، ويحضر سباط السلطان، فيمن حضر من جمهورهم، بحيث لا يرى والسلطان يعلم ذلك جملة لا تفصيلاً، ولهذا كان يعاملهم بالإكرام، ويعرهم صفحا جيلا، وبراً جزيلاً وظلاً ظليلاً.

فلما كان في خامس شوال، ركب السلطان في العساكر، فبرز من القدس، قاصداً دمشق، واستأب على القنس عز الدين جورديك، وعلى قضائها بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الشافعي، فاجتاز على وادي الجب، ويات على بركة الداوية، ثم أصبح في نابلس، فنظر في أحوالها، ثم ترحل عنها، فجعل يمر بالقلاع، والمحصور، والبلدان فينظر في أحوالها، ويكشف المظالم عنها، وفي أثناء الطريق، جاء إلى خدمته يميند صاحب أنطاكية فأكرمه، وأحسن إليه، وأطلق له أموالاً جزيلة، وخلعاً، وكان العماد الكاتب في صحبته، فأخبر عن منزله، منزلة، منزلة، مرحلة مرحلة إلى أن قال: وعبر يوم الاثنين، عين الجر إلى مرج بيوس، وقد زال البوس، وهناك وفد عليه أعيان دمشق، وأمثالها، وأفاضلها وفواضلها ونزلنا يوم الثلاثاء على العرادة، جرى المثلقون في بالطرف والتحف على العادة، وأصبحنا يوم الأربعاء، سادس عشر شوال بكرة، إلى جنة دمشق داخلين، بسلام آمنين، لولا أننا غير خالدين وكانت غيبة السلطان عنها طالت أربع سنين، فأخرجت دمشق أنفاسها، وأبرزت نساءها، وأطفالها، ورجالها، وكان يوم الزينة، وخرج كل من في المدينة، وحضر الناس ضحىً وأشاعوا استبشاراً وفرحاً، واجتمع بأولاده الكبار، والصغار، وقدم عليه رسل الملوك، من سائر الأمصار، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد، وحضور دار العدل للفصل، والعمل بالإحسان، والفضل.

ولما كان عيد الأضحى، امتدحه بعض الشعراء، بقصيدة يقول فيها:

وأبها لولا تغزل عبيد ها لما قلت في التغزل شعرا
ولكانت مدائح الملك لنا صر أولى ما فيه أعمل نكرا
ملك طبق الممالك عدلاً مثلما أوسع البرية برا
فتحلل الأعياد صوما ونظرا وتلقى المناء برا وبحرا
يسا مسر الطاعات الله إن أضحى عليك على الهنات مصرا
نلت ما تبتغي من الدين والدنيا فتهيا على الملوك وفخرا
قد جمعت المجدين أصلا وفرعا وملكت العاريس دنيا وأخرى

وما وقع في هذه السنة من الحوادث، غزوة عظيمة، بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها البكتيكي، وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين، فأظفرو الله بهم هذه السنة فكسروهم، وقتل خلقاً منهم، وأسر خلقاً، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم، وثمانية عشر فيلاً، من جملة التي كان جرحه، ثم أحضر الملك بين يديه، فأهانها، ولم يكرمها، واستحوذ على حصنها، وأخير بما كان فيه من كل جليل، وحقير، ثم قتله بعد ذلك، وعاد إلى غزنة، مؤيداً، منصوراً، مسروراً، محبوراً.

وفي هذه السنة اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين وقد كان على إمرة الحجيج من مدة عشرين سنة، وكان في غاية حسن السيرة، واتهم بأنه

شمل الهدى والملك عم شتاته والهدى ساء وأقلعت حناته
 أين الذي مذ لم يزل غشية مرجوة رهباته وهباته؟
 أين الذي كانت له طاعتنا مبنولة ولربه طاعاته؟
 بالله أين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته؟
 أين الذي ما زال سلطانا لنا يرجى نداء وتتقى سطواته؟
 أين الذي شرف الزمان بفضلته وسمت على الفضلاء تشريفاته؟
 أين الذي عنت القرنج لبسه ذلاً، ومنها أدركت ثاراته؟
 أغلال أعناق أطواق أجياد السورى مناته
 وللعقاد الكاتب في الملك الناصر يرثيه:

من للملى من للذرى من للهدى يحبه من للبأس من للنائل؟
 طلب البقاء للكله في أجل إذا لم يشق بقاء ملك عاجل
 بحر أعناد البر بحراً برة وسيفه فتحت بلاد الساحل
 من كان أهل الحق في أيامه ويعزه يردون أهل الباطل
 وفترحه والقدس من أبقارها أبقت له فضلاً بغير مجالل
 ما كنت أمتقي لقبرك وإبلا ورأيت جودك نخجلاً للوابل
 فسفكاً رضوان الإله لأنسي لا أرتضي سقيا الغمام الماطل

ذكر تركته وشيء من ترجمته

قال العماد وغيره: لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد أي دينار واحد صوري وستة وثلاثين درهماً، وقال غيره: سبعة وأربعين درهماً، ولم يترك داراً، ولا عقاراً، ولا مزرعة ولا بستاناً، ولا شيئاً من أنواع الأملاك.

هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة، وتوفي له في بعض حياته غيرهم، والذين تأخروا بعده ستة عشر ذكراً، أكبرهم الملك الأفضل نور الدين علي، ولد بمصر سنة خمس وستين، ليلة عيد الفطر، ثم العزيز عماد بن أبو الفتح عثمان، ولد بمصر أيضاً في جمادى الأولى سنة سبع وستين، ثم الظاهر مظفر الدين أبو العباس الخضر، ولد بمصر في شعبان سنة ثمان وستين، وهو شقيق الأفضل، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي، ولد بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين، ثم المعز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق، ولد بدمشق في ربيع الأول سنة سبعين، ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين، وهو شقيق العزيز أيضاً، ثم الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب، ولد بمصر سنة ثنتين وسبعين، وهو شقيق العزيز أيضاً، ثم الزاهر مجير الدين أبو سليمان داود، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر، ثم أبو الفضل قطب الدين موسى، وهو شقيق الأفضل، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً، ثم لقب بالمظفر أيضاً، ثم الأشرف معز الدين أبو عبدالله محمد، ولد بالشام سنة خمس وسبعين، ثم المحسن ظهر الدين أبو العباس أحمد، ولد بمصر سنة سبع وسبعين، وهو شقيق الذي قبله، ثم المعظم فخر الدين أبو منصور تورانشاه، ولد بمصر في ربيع الأول سنة سبع وسبعين، وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستمئة، ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب، ولد سنة ثمان وسبعين، وهو شقيق للمعز، ثم الغالب ونصرة الدين أبو الفتح

الحديد، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا، ثم إنه اعتراه حمى صفراوية ليلة السبت سادس عشر صفر، فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الأفضل، فاخذ يشكو إليهم كثرة قلقه البارحة، وطاب له الحديث، وطال مجلسهم عنده، ثم تزايد به المرض واستمر، وقصده الأطباء في اليوم الرابع، ثم اعتراه يسس، حصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض، ثم قوي اليسس، فأحضر الأمراء من الأكابر والرؤساء، فوبيع لولده الأفضل نور الدين علي، نائباً على دمشق، وذلك عندما ظهرت مخايل الضعف الشديد، وغيبوبة الذهن في بعض الأوقات، وكان الذين يدخلون عليه في هذه الحال القاضي الفاضل، وابن شداد، وقاضي البلد ابن الزكي، ثم اشتد به الحال ليلة الأربعاء، السابع والعشرين من صفر، واستدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكلاسة، ليبيت عنده يقرأ القرآن، ويلقنه الشهادة إذا جد به الأمر، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في غمرات الموت فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، عليه وهو في آخر رمق، فلما قرأ القارئ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والرعد: ٣٠ ﴿تَسْمُ وَتَهْلُ وَجْهَهُ، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ إِلَى رَبِّهِ سَبْحَانَهُ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأَكْرَمَ مَوْتَهُ، وَجَعَلَ جَنَّتَ الْفَرْدُوسِ مَأْوَاهُ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعَمْرِ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، لِأَنَّهُ وَلَدَ بِكُرَيْتٍ فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ كَانَ رَدْمًا لِلْإِسْلَامِ، وَحِرْزًا وَكُهْفًا مِنْ كَيْدِ الْكُفْرَةِ الثَّامِ، وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ، وَكَانَ أَهْلُ دِمَشْقَ لَمْ يَصْبَاهُوا بِمِثْلِ مَصَابِيهِ وَوَدَّ كُلُّ مَنْهُمْ لَوْ فَدَاهُ بِأَوْلَادِهِ وَأَحِبَّائِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ غَلَقَتْ الْأَسْوَاقُ، وَاحْتَفَظَ عَلَى الْحَوَاصِلِ، ثُمَّ أَخْلَوْا فِي تَجْهِيزِهِ، وَحَضَرَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى غَسْلَهُ خَطِيبُ الْبَلَدِ الْفَقِيهَ الدُّوْلَمِيَّ، وَكَانَ الَّذِي أَحْضَرَ الْكُفْنَ وَمُزْنَةَ التَّجْهِيزِ الْقَاضِي الْفَاضِلُ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ الْحَلَالِ، هَذَا وَأَوْلَادُهُ الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ يَتَاكُونَ وَيَنَادُونَ، وَآخِذَ النَّاسُ فِي الْعَوِيلِ، وَالِاتِّحَابِ وَالِدَعَاءِ لَهُ وَالِاتِّهَالِ، ثُمَّ ابْرَزَ جِسْمُهُ فِي نَعْشِهِ فِي تَابُوتٍ، بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَمَّ النَّاسُ عَلَيْهِ الْقَاضِي ابْنُ الزَّكِيِّ، ثُمَّ دُفِنَ فِي دَارِهِ، بِالْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ، ثُمَّ شَرَعَ ابْنُهُ فِي بِنَاءِ تَرْتِيقٍ لَهُ، وَمَدْرَسَةٍ لِلشَّافِعِيَّةِ، بِالْقُرْبِ مِنْ مَسْجِدِ الْقَدَمِ، لَوْصِيَتِهِ بِذَلِكَ قَدِيمًا، فَلَمْ يَكْمَلْ بِنَاؤُهَا، وَلَمْ يَسْمُ وَذَلِكَ حِينَ قَدِمَ وَلَدُهُ الْعَزِيزُ، وَكَانَ حَاصِرًا لِأَخِيهِ الْأَفْضَلِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ، ثُمَّ اشْتَرَى لَهُ الْأَفْضَلُ دَارًا، شِمَالِي الْكَلَّاسَةِ فِي زَوَانٍ مَا زَادَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي الْكَلَّاسَةِ، فَجَعَلَهَا لَهُ تَرْتِيقًا، هَطَلَتْ سَحَابُ الرَّحْمَةِ عَلَيْهَا، وَوَصَلَتْ الْلطَافُ الرَّافَةُ إِلَيْهَا، وَكَانَ نَقْلُهُ إِلَيْهَا فِي يَوْمٍ عَاشُورَاءَ سَنَةِ ثَمْنَيْنِ وَتَسْعِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ تَحْتَ النَّسْرِ قَاضِي الْقَضَاءِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقُرَشِيُّ بْنُ الزَّكِيِّ، عَنْ إِذْنِ الْأَفْضَلِ لَهُ، وَدَخَلَ فِي لَحْدِهِ وَلَدُهُ الْأَفْضَلُ، فَدَفَنَتْهُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سُلْطَانُ الشَّامِ، وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْخِدْمَةِ وَالْإِكْرَامِ. وَيَقَالُ إِنَّهُ دُفِنَ مَعَهُ سَيْفُهُ، الَّذِي كَانَ يَحْضِرُ بِهِ الْجِهَادَ وَالْجِلَادَ، وَذَلِكَ عَنْ أَمْرِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ، أَحَدِ الْأَجْوَادِ وَالْأَجَادِ وَتَضَاعَلُوا بِأَن يَكُونَ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتْرُكًا عَلَيْهِ، حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ أَنْصَحْ عَلَيْهِ مِنْ كَسْرِ الْأَعْدَاءِ وَنَصْرِ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَعْظَمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْمُنَّةَ.

ثم عمل عزاءه بالجامع الأموي ثلاثة أيام، يحضره الخاص والعام، والرعية والحكام، وقد عمل الشعراء فيه مرثي كثيرة، من أحسنها ما عمله العماد الكاتب، في آخر كتابه البرق السامي، وهي مثنان واثنان وثلاثون بيتاً، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة، في الروضتين (٢١٤/٢)، منها قوله:

وكان رحمه الله سخيّاً حَيّاً ضحوك الوجه، كثير البشر لا يتعجز عن خير يفعله، شديد المصابرة على الحفريات والطاعات، فرحه الله، وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة (الروحيتين: ٢١١/٢ وما بعدها) طرفاً صالحاً من سيرته وإيمانه، وعذله في سريره وعلايته، وأحكامه.

فصل

وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين قد قسم البلاد بين أولاده، فالدليار المصرية لولده العزيز عماد الدين عثمان أبي الفتح، وبلاد دمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي وهو أكبر أولاده، والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين، ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الفرات، وحماة ومعاملة أخرى معها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن أخي السلطان، وحمص والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شريكه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شريكه الكبير عم صلاح الدين أخي أبيه نجم الدين أيوب رحمه الله، واليمن بمقاتله وغالبه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الإسلام طفتكين بن أيوب، أخيه السلطان صلاح الدين، ويعلي وأعمالها للأبجد بهرام شاه بن فروخ شاه، وريصرى وأعمالها للظاهر بن الناصر، ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف وتتضام في جميع هذه الأحوال، حتى آل الأمر إلى ما واستقرت الممالك، واجتمعت المحافل على أخي السلطان الملك العادل أبي بكر صلاح الدين، وصارت المملكة في أولاده، الأماجد الأفاضل كما سنوضحه قريباً قريباً إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة جدد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد، ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة الثمينة.

وفي الحرم منها جرت ببغداد كاتبة غريبة، وهي أن ابنة لرجل من التجار في الطحين تعثقت لغلام أبيها فلما علم أبوها بامرأها طرد الغلام من داره، فواعده البنت ذات ليلة أن يأتيها، فجاء إليها مخفياً، فتركته في بعض الدار، ونزل في أثناء الليل فقتل أباه مولاه، وأمرته الجارية بقتل أمها فقتلها وهي حبلى، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفي دينار، فأصبح أمره عند الشرطة، فمسك وقتل، قبضه الله وإياها، وقد كان سيده من خيار الناس، وأكثرهم صدقة ويراً، وكان شاباً رضي الله وجهه رحمه الله.

وفيهما درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو علي النوقاني، وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل بها دعوة حافلة.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان صلاح الدين

■ يوسف بن أيوب بن شاذي، وقد تقدمت ذلك مبسوطاً.

الأمير

■ بكتمر صاحب خلاط: قتل في هذه السنة، وكان من خيار الملوك وأشجعهم، وأكرمهم وأحسنهم سيرة، رحمه الله.

الأتابك عز الدين

■ مسعود بن مودود بن زنكي، صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة، وكان من خيار الملوك، وأحسنهم سيرة، كان يتشبه بالملك العادل نور الدين الشهيد عمه رحمه الله، ودفن بترته عند ملوسة أنشأها بالموصل أثابه الله تعالى.

ملكشاه، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق المعظم، ثم المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه، ولد بجران بعد وفاة السلطان، ثم عماد الدين شادي لأم ولد، ونصير الدين مروان لأم ولد أيضاً، وأما البنت فهي مؤسسة خاتون، تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، رحمه الله تعالى.

وإنما لم يخلّف أموالاً ولا أملاكاً لكثرة عطايه وهباته وصدقاته، وإحسانه إلى أمراه ووزرائه وأوليائه، حتى إلى أعدائه، وقد كثير أسلفنا ما يدل على كثير من ذلك، رحمه الله.

وقد كان متقللاً في ملبسه، وماكله ومشربه ومركبه، وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروهاً بعد أن أنعم الله عليه بالملك، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصر الإسلام، وكسر أعدائه الثام، وكان يعمل فكره في ذلك وحده، ومع من يتق به ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفواصل والفوائد الفرائد، في اللغة والأدب وأيام الناس، حتى قيل إنه كان يحفظ الحماسة بتمامها وختامها وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في جماعة، يقال إنه لم تفته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل، حتى ولا في مرض موته، كان يدخل الإمام فيصلي به، فكان يتجشم القيام مع ضعفه، رحمه الله.

وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة، وإن لم يكن بالعبارة المصطلح عليها، وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من أولاده، وكان يجب سماع القرآن والعظيم، ويواظب على سماع الحديث، حتى إنه يسمع في بعض المصافات جزءاً وهو بين الصفيين فكان يتبجح بذلك ويقول: هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً وكان ذلك بإشارة العماد الكاتب.

وكان رفيق القلب سريع الدعة عند سماع الحديث، كثير التعميم لشرائع الدين، كان قد لجأ إلى ولده الظاهر وهو يجلب شاب يقال له الشهاب السهروردي وكان يعرف الكيمياء وشيئا من الشعبة والأبواب النيرغيات، فافتن به ولد السلطان الظاهر، وقربه وأحبه، وخالف فيه حيلة الشرع، فكتب إليه أن يقتله لا محالة، فصلبه عن أمر والده وشهره، ويقال بل حبسه بين حائطين حتى مات كمدماً، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وكان السلطان صلاح الدين من أشجع الناس وأقوامهم بلدناً وقلباً، مع ما كان يمتري جسمه من الأمراض والأسقام، ولا سيما وهو مرابط مصابر مثابر عند عكا، فإنه كان مع كثرة جموعهم وأمنادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل، ويقال ستمائة ألف وكان من جملة من قتل منهم مائة ألف مقاتل.

ولا انفصل الحال وتسلموا عكا وقتلوا أكثر من كان بها من المسلمين وساروا برمتهم إلى القدس جعل يساهرون منزلة منزلة، ومرحلة مرحلة. وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه، ومع هذا نصره الله وخذلهم، وسبقهم إلى البيت المقدس، فصاته وحماه منهم، وشيد بنيانه، وأطد أركانه، وصان حماه ولم يزل بجيشه مقيماً به، يرهيم ويرعهم ويقبلهم ويسلبهم، حتى تضرعوا إليه وخضعوا لديه، ودخلوا عليه في الصلح، وإن تضع الحرب أوزارها بينهم وبينه، فأجابهم إلى ما سألوا، على الوجه الذي أراد، لا على ما يريدونه، وكان ذلك من جملة الرحمة التي خص الله بها المؤمنين، فإنه ما انقضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه أبو بكر العادل، فمز به المسلمون، وذل به الكافرون.

ثم اضحوا كأنهم ورق جف — ست قالت بها الصبا والنبور
غير أن الأيام يلعبن بالمرء — وفيها لعمري العظمت والتفكير

ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق، بعث بهدايا سنية إلى باب الخليفة الناصر، من ذلك سلاح أبيه، وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات، وأشياء كثيرة ومنها صليب الصليبيات الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلا مرصعاً بالجوهر النفيسة، وأربع جوار من بنات ملوك الفرنج، وأنشأ له العماد الكاتب كتاباً حافلاً يذكر فيه التزينة بآبائه، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده، فأجيب إلى ذلك.

ولما كان شهر جمادى الأولى قدم العزيز صاحب مصر إلى دمشق، ليأخذها من أخيه الأفضل فخيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى، وحاصر البلد، فماتته أخوه ودافعه عنها، فقطعت الأنهار، ونهبت الثمار، واشتد الحال، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل عمهما، فأصلح بينهما، ورد الأمر للأئمة، بعد اليمين على أن يكون للعزيز القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضاً، وعلى أن يكون جيلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب، وأن يكون لعمهما العادل إقطاعه الأول ببلاد مصر، مضافاً إلى ما بيده من الشام والجزيرة كحوران والرها وجعبر وما جاور ذلك، فاتفقوا على ذلك، وتزوج العزيز بانية عمه العادل، ومرض ثم عوفي وهو غيم مرمج الصفرة، وخرجت الملوك انتهت بالعافية والتزويج والصلح، ثم كر راجعاً إلى مصر، لطول شوقه إلى أهله وأولاده.

وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير، فأبعد أمراء أبيه وخوادمه، وقرب الأجانب، وأقبل على شرب المسكر، واللغو واللعب، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير الجزري، وهو الذي كان يحلوه إلى ذلك، قتل وأتلفه، وفضل وأضله، وزالت النعمة عنهما كما سيأتي.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفتار الهند، أقبلوا إليه في ألف ألف مقاتل، ومعهم سبعمائة فيل، منها فيل أبيض لم ير مثله، فالتقوا فانتلوا قتالاً شديداً لم ير مثله، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له: ماجون، وقتل ملكهم، واستحوذ على حواصله وحواصل بلاده، وغنم فيلهم، ودخل بلد الملك الكبرى، فحمل من خزائنه ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة جمل، ثم عاد إلى بلاده سالماً منصوراً.

وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكتش - ويقال له ابن الأصباغي - بلاد الري وغيرها، واصطلم مع السلطان طغرل السلجوقي، وكان قد تسلم بلاد الري وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه، وعظم شأنه، ثم التقي هو والسلطان طغرل في ربيع الأول من هذه السنة، فقتل السلطان طغرل، وأرسل رأسه إلى الخليفة، فنصب على باب النوبة عدة أيام، وأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خوارزم شاه، وملك همدان وغيرها من البلاد المتسعة.

وفيها تقم الخليفة على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وتنصّب عليه، ونفاه إلى واسط، فمكث بها خمسة أيام لم يأكل طعاماً، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه، ويستقي لنفسه الماء، وكان شيخاً كبيراً، قد بلغ ثمانين

■ جعفر بن محمد بن قطيرا: أبو الحسن أحد الكتاب بالعراق، كان ينسب إلى الشيع، وهذا كثير في أهل تلك البلاد، لا أكثر الله في المسلمين أمثالهم ولا أشكالهم. جاءه رجل ذات يوم فقال له: رايت البارحة أمير المؤمنين علياً في المنام، وهو يقول لي: اذهب إلى ابن قطيرا، فقل له يعطيك عشرة دنانير، فقال له ابن قطيرا: متى رأيته؟ قال: أول الليل، فقال ابن قطيرا: وأنا رأيته آخر الليل، فقال لي: إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا، فطلب منك شيئاً فلا تعطه، فادبر الرجل مولياً، فاستدعاه ووجهه شيتاً، ومن شعره فيما أورده ابن الساعي وقد تقدم ذلك لغیره:

ولما سبرت الناس أطلب منهم — أخا ثقة عند اعتراض الشدايد
وفكرت في يومي سروري وشدتي — وتاديت في الأحياء هل من مساعد؟
فلم أر فيما سادني غير شامت — ولم أر فيما سرني غير حاسد

■ يحيى بن سعيد بن غازي: أبو العباس البصري صاحب المقامات، كان شاعراً أدبياً فاضلاً بليغاً، له اليد الطولى في اللغة والنظم، ومن شعره قوله:

غناء خرد ينساب لطفًا — بلا عناء في كل إذن
ما رده قسط باب سمع — ولا أتسى زائراً بسؤن
السيدة

■ زبيدة بنت الإمام القاضي لأمر الله: أخت المستجد، وعمه المستضيء، كانت قد عمرت دهرًا طويلاً، ولها صدقات كثيرة فارة وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود، على صداق مائة ألف دينار، فتوفي قبل أن يدخل بها، وقد كانت كارهة لذلك، فحصل مقصودها وطلبها.

الشيخة الصالحة

■ فاطمة خاتون: بنت محمد بن الحسن العميد، كانت صالحة عابدة زاهدة، عمرت مائة سنة وست سنين، كان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش نظر وهي بكر، فبقيت عنده إلى أن توفي، ولم تتزوج بعده، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة، ورحمها الله.

وفي هذه السنة انتد الخليفة الناصر لدين الله العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، يطلب منه أن يزيد على أبيات عدي بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات، وهي هذه الأبيات:

أيها الشامت المصير بالدحر — أئتت المصير المرفسور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام — بل أئتت جاهل منفرور
من رأيت المنون خلدن أم من — فاعليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أبو سا — سان أم أين قبله سابور؟
وينو الأصغر الملوك ملوك — الروم لم يسق منهم مذكور
وأخو الحضرة إذ بناء وإذ دجلة — تجبسى إليه والخايبور
شاده مرمرا وجلله كلسا — فللطير في ذراه وكسور
لم تهبه ريب المنون فزال الملك — عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنسك إذ أشرف — يوما وللهدي تكفير
سره حاله وكثرة ما يملك — والبحر معرضاً والبدل
فارعى قلبه وقال وما غبطة — حيي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والإامة — وارتهنهم هناك القبور

ثلاثة وأربعون خيمة، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس، ومن البغال مائة ألف بغل، ومن الحمر مثله، ومن السلاح الثمان سبعون ألفاً، ومن العدد شيء كثير، وملك عليهم من حصونهم شيئاً كثيراً، وحاصر مدينتهم طليطلة مدة، ثم لم يفتحها فانفضل عنها راجعاً إلى بلاده.

ولما حصل للفنش ما حصل خلق لحية ورأسه، ونكس صليبه، وركب حماراً، وحلف لا يركب فرساً، ولا يتلذذ بطعام، ولا ينام مع امرأة حتى تنصره النصرانية، ثم طاف على ملوك الفرنج، فجمع من الجنود ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فاستعد له السلطان يعقوب، فالتقى فاقبلا قتالا عظيماً لم يسمع مثله، فانهزم الفرنج اتجعت من هزيمتهم الأولى، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر، واستحوذ السلطان على كثير من معاقهم وقلاعهم، والله الحمد والملة، حتى قيل: إنه بيع الأسير بدرهم، والحصان بخمسة دراهم، والخيمة بدرهم، والسيف بنصف درهم، ثم قسم السلطان هذه الغنائم على الوجه الشرعي، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد، ثم طلبت الفرنج من السلطان الأمان، فهاذهم على وضع الحرب خمس سنين، وإنما حمله على ذلك أن رجلاً يقال له علي بن إسحاق الميروي، الذي يقال له المثلث، ظهر ببلاد إفريقية، فأحدث أموراً فظيعة في غيبة السلطان، واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين، فأحدث هذا المارق الميروي بالبادية حوادث، وعات في الأرض فساداً، وقتل خلقاً كثيراً، وتملك بلاداً.

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على كثير من بلاد الري وأصبهان وهمدان وخوزستان وغيرها من البلاد، وقوي جانب الخلافة على الملوك والممالك.

وفيها خرج العزيز من مصر قاصداً دمشق، ليأخذها من يد أخيه الأفضل، وكان الأفضل قد تاب وأتاب، وأقلع عما كان فيه من الشراب واللغو واللعب، وأقبل على الصيام والصلاة، وشرع بكتابة مصحف يده، وحسنت طريقته، غير أن وزيره الضياء الجزري يفسد عليه دولته، ويكدر عليه صفوته، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوره، سار سريعاً على عمه العادل، وهو يجبر فاستجده، فسار معه وسبقه إلى دمشق، وراح الأفضل أيضاً إلى أخيه الظاهر بجلب، فساروا جميعاً نحو دمشق، فلما سمع الوزير بذلك، وقد اقترب من دمشق، كسر راجعاً سريعاً إلى مصر، وركب وراءه العاطل والأفضل ليأخذاً منه مصر، وقد اتفقا على أن يكونا ثالث مصر للعادل وثلاثهما للأفضل، ثم بدا للعادل في ذلك، فلزسل للعزيز ريثه، وأقبل على الأفضل يبطه، وأقاما على بلبس أياض حتى خرج إليهما القاضي الفاضل من جهة العزيز، فوقع الصلح على أن يرجع القليس ومعاملتها للأفضل، ويستقر العادل مقيماً بمصر على إقطاعه القديعة، فأقام العادل بها طمعاً فيها، ورجع الأفضل إلى دمشق، بعد ما خرج العزيز لترديدته، وهي هتنة على قدي، وصلح على دحق.

وفيها توفي من الأعيان

■ علي بن حسام بن مسافر: أهر الحسن، الكاتب البغلاوي، كان أديباً شاعراً، من شعره قوله:

نفسى رقلادي ومضى بسوق يسلم ومضى
لاح كما سلت يد الـ أسود عقباً أبيضاً
كانه الأنسهب في النقع إذا ما ركضاً

سنة، وكان يتلو في كل يوم وليلة ختمه، قال: ولم أقرأ سورة يوسف لوجدني على ولدي يوسف، إلى أن فرج الله، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي من الأعيان

■ أحمد بن إسماعيل بن يوسف: أبو الخير القزويني، الشافعي المفسر، قدم بغداد ووعظ بالنظامية، وكان يذهب إلى قول الأشعري في الأصول، وجلس في يوم عاشوراء فقبل له: العن يزيد بن معاوية، فقال: ذاك إمام مجتهد، فرماه الناس بالأجر فاخفى، ثم هرب إلى قزوين.

■ الشاطبي ناظم الشاطبية: أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيشي الشاطبي الضريس، مصنف الشاطبية في القراءات السبع، فلم يسبق إليها، ولا يلحق فيها، وفيها من الرموز كنوز لا يهتدي إليها إلا كل ناقد بصير، هذا مع أنه ضريب.

ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسة، وبلده شاطبة قرية شرقي الأندلس كان فقيراً، وقد أريد على أن يلي خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المناير في وصف الملوك.

خرج الشاطبي إلى الحج، فقدم الإسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسة، وسمع على السلفي، وولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته، وزار القدس الشريف، وصام به شهر رمضان، ثم رجع إلى القاهرة، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الفاضلية، وكان ديناً خاشعاً ناسكاً، كثير الزقار، لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات، وهي لغز في التعش، وهي لغيرة:

أتحرف شيئاً في السماء يطير إذا سار هاج الناس حيث يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً وكل أمير يعتليه أسير
يبحث على التقوى ويكره قربه وتفر منه النفس وهو نذير
ولم يسترد عن رغبة في زيارة ولكن على رغم المزور يسوزر

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسة

فيها كانت وقعة الزلاقة ببلاد الأندلس شمالي قرطبة، بين الخليفة، كانت وقعة عظيمة، نصر الله فيها الإسلام، وخلق فيها عيلة الصليان، وذلك أن الفنش ملك الفرنج ببلاد الأندلس، ومقر ملكه بمدينة طليطلة، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب، يستخيه ويستدعيه ويستحثه إليه، ليكون من بعض من يتحضر له في مثابه وفي قتاله، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد، وعيد شديد فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه «أرجع إليهم فلتأنيبهم بجزو لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون» (جمل: ٢٧) ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس، فالتقوا في المكان المذكور، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين، فقتل منهم عشرون ألفاً، ثم كانت أخيراً على الكافرين، فهزمهم الله وكسرهم وخذلهم أجمع كسرة، وشر هزيمة وأشنعها، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفاً، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً، من ذلك مائة ألف خيمة

يبدو كما تختلف السر
فتحسب الزغبي أبدا
أو شملة النار علا
آه له من بشارق
أذكرني عهداً مضى
فقال لي قلبي أتسو
يطلب من مرضه
يا عرض القلب لقد
لأمهم كائنات
فبنت لا أرتبب في
حتى قفا الليل وكاد
وأقبل الصبح لأط
وسل في الشرق على

يسح على جمر الغضا
ي نظراً وغمضا
ليهما والخفضا
ضاء على ذات الأضا
على الغويسر وانقضى
صي حاجنة وأعرضا
فديست ذلك المرضا
غادرت قلبي غرضاً
يرسلها صرف النضا
أن رقادي قد قضى
الليل أن يقرضاً
راف الدجى ميضاً
الغرب ضياء وانقضى

وفيهما توفي:

الفخر

■ محمود بن علي: النوفاني الشافعي، عائداً من الحج.

والشاعر:

أبو الغنالم

■ محمد بن علي بن المعلم الحرلي، من قرى واسط، عن إحدى وتسعين سنة، وكان شاعراً فصيحاً، وكان ابن الجوزي في مجالسه يشهد بشيء من لطائف أشعاره، وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الحسن المليح.

وفيهما توفي:

القيقه أبو الحسن

■ علي بن سعيد بن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف، ويلقب بالبيع الفاسد، كان حنبلياً، ثم اشتغل شافعيًا على أبي القاسم بن فضلان، وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة بين الشافعية والحنفية، ويقال إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الإمامية فآله أعلم.

وفيهما توفي:

الشيخ أبو شعاع:

■ محمد بن علي بن شعيب بن الدهان القروزي الحاسب المؤرخ البغدادي، قدم دمشق، وامتدح الكندي أبا اليمن زيد بن الحسن فقال:

يا زيد زائد ربي من مواهبه نعماً يقصر عن إدراكها الأصل
لا بدل الله حالاً قد حبك بها ما دار بين النحاة الحال والبذل
النحو أنت أحق العالمين به ليس باسمك فيه يضرب الكل

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

ففيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة، أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة، وبرق خاطفة، ورياح عاصفة، فقوي طوبها، واشتد هبوبها، فتنافست لها أفعنة مطلقات، وارتفعت لها صمقات، فرجفت لها الجدران واصطفقت، وتلاقت على بعدلها واعتقت، وثار بين السماء والأرض عجاج، حتى قيل لعل هذه على هذه قد انطبقت، ولا يحسب إلا أن آلهن قد سال منها واد، وعدا منها عاد، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سرج النجوم، ومزقت أديم السماء، وحثت ما فوقه من الرقوم، فكنا كما قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي أَنْفِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ﴾ (البقرة: ٩١) وكما قلنا: يردون أبيهم على أعينهم من البوارق، لا عاصم من الخطف للأبصار ولا ملجأ من الخطب إلا معالق الاستغفار، وفر الناس نساء ورجالا وأطفالا، ونفروا من دورهم خفافا وثقالا، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فاعتصموا بالمساجد الجامعة، وأذعنوا للنزلة بأعناق خاضعة، بوجوه عاتية، ونفوس عن الأهل والمال سالية، ينظرون من طرف خفي، ويتوقعون أي خطب جلي، قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرقهم، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون، وقاموا إلى صلاتهم وودوا لو كانوا من الذين هم عليها دائمون، إلا أن يأذن الله في الركود، وأسعف الماجدين بالموجود، فأصبح كل مسلم على رقيقه، ويهنيه سلامة طريقه، ويسرى أنه قد بعث بعد الفخة، وأفاق بعد الصيحة والصرخة، وإن الله قد رد له الكرة، وأحياء بعد أن كاد يأخذ على غرة، ووردت الأخبار بأنها قد كسرت

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

في رجب منها أقبل العزيز من مصر صحبه عمه الملك العادل في العساكر، ودخلا دمشق قهرا، وأخرجوا منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح الدين، وخطب له بدمشق، ودخل إلى القلعة المنصورة في يومه، وجلس في دار العدل للحكم والفصل، وكل هذا وأخوه الأفضل حاضر عنده في الخدمة، وأمر القاضي يحيى الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية، إلى جانب تربة أبيه، وكانت داراً للامير عز الدين شامة، ثم استتاب على دمشق عمه الملك العادل، ورجع إلى مصر يوم الاثنين تاسع شعبان، والسكة والخطبة له، وصولح الأفضل عن دمشق على صرخد، وهرب وزيره ابن الأثير الجزري إلى جزيرته، وقد أثلف نفسه وملكه، بجريزته، وانتقل الأفضل إلى صرخد بأهله وأولاده، وأخيه قطب الدين.

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مدلحة، بأرض العراق، ومعها رمل أحمر، حتى احتاج الناس إلى السرج بالنهار.

وفيهما ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كتاب الإنشاء ببغداد، وكان بليغا، وليس هو كالفاضل.

وفيهما درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك بالنظامية، وكان فاضلا متاظرا.

وفيهما قتل رئيس الشافعية بأصبهان صدر الدين

■ محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت عبد اللطيف بن الخجندي، قتله فلک الدين سقر الطويل، وكان ذلك سبب زوال ملك أصفهان عن الديوان.

وفيهما مات الوزير وزير الخلافة: مؤيد الدين أبو الفضل:

■ محمد بن علي بن القصاب، وكان أبوه يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد، فتقدم ابنه وساد أهل زمانه، توفي بهمنان، وقد أعاد رسائيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها، إلى ديوان الخلافة، وكان ناهضاً ذا همة، وله صرامة وشهامة وشعر جيد.

وفيها توفي

ملك اليمن سيف الإسلام

■ طغتكين: أخو السلطان صلاح الدين، وكان قد جمع أموالاً جزيلة جداً، وكان يسبك الذهب مثل الطواحين ويدخره كذلك، وقام في الملك بعده ولده إسماعيل، وكان أهرج قليل التدبير، فحمله جهله على أن ادعى أنه قرشي أموي، وتلقب بالهاذي، فكتب إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك، ويهدده بسبب ذلك، فلم يقبل منه ولا التفّت إليه، بل عمّادى وأساء التدبير إلى الأمراء والرعية، فقتل، وتولى بعده ملوك من عماليك أبيه.

وفيها توفي:

الأمير الكبير

■ أبو الهيثم السمين الكردى: كان من أكابر أمراء صلاح الدين وهو الذي كان نائباً على عكا، وخرج منها قبل أخذ الفرنج، ثم دخلها بعد المطر، فأنزلت منه واستنابه صلاح الدين على القدس، ثم لما أخذها العزيز عزل عنها، فطلب إلى بغداد فآكرم إكراماً زائداً، وأرسله الخليفة مقدماً على العساكر إلى همدان، فمات هناك.

وفيها توفي:

قاضي بغداد أبو طالب

■ علي بن علي بن هبة الله بن محمد ابن البخاري، سمع الحديث على أبي الوقت وغيره، وتفقّه على أبي القاسم بن فضال، وتولى نيابة الحكم ببغداد، ثم استقل بالنصب، وأضيف إليه في وقت نيابة الوزارة، ثم عزل عن القضاء، ثم أعيد، ومات وهو حاكم، نال الله العاقبة، وكان فضلاً بارعاً، من بيت فقه وعدالة، وله شعر:

تسح عن القيح ولا تردُّه ومن أوليته حسناً فزده
سكنى من عدوك كل كيدٍ إذا كاد العدو ولم تكده

وفيها توفي:

السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد: أبو محمد

■ الحسن بن علي بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن أبي طالب، العلوي الحسيني، المعروف بابن الأقباسي، الكوفي مولداً ومنشأً، كان شاعراً مطلقاً، امتدح الخلفاء والوزراء، وهو من بيت مشهور بالأدب والرياسة والمروءة، قدم ببغداد، فامتدح المتضي، والمستجد وابنه المستضيء وابنه الناصر، فولاه النجاة، كان شيخاً مهيباً، جاوز الثمانين، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها:

اصبر على كيد الزمان فما يدوم على طريقه
سبق القضاء فكان به راض ولا تطلب حقيقه
كم قد تغلب مرةً وأراك من سعة ضيقه
زال في أولاده يجري على هذي الطريقه

وفيها توفيت:

الست

■ علراء بنت شاهنشاه بن أيوب، دفنت بمدرستها داخل باب النصر.

والست

■ خاتون والدة الملك العادل، دفنت بدارها بدمشق المجاورة للدار أسد

الراكب في البحار، والأشجار في القفار، وأتلفت خلقاً كثيراً من السفار، ومنهم من فر فلم ينفعه الفسار... إلى أن قال: فلا يحسب المجلس أنني أرسلت القلم عرفاً، والقول جزئاً، فالأمر أعظم، ولكن الله سلم، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا، ونبينا بما وفنا، فما من عباده إلا من رأى القيامة عياناً، ولم يلتبس عليها من بعد ذلك برهاناً، إلا أهل بلدنا فما قص الأولون مثلها في الثلاث، ولا سبقت لها سابقة في المضلات، والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نغير عنها، ولا نغير عنها، ونسال الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور، إذا عنا.

وفيها كتب القاضي الفاضل من مصر إلى الملك العادل بدمشق يخبره على قتال الفرنج، ويشكره على ما هو يصده من محاربتهم، وحفظ حوزة الإسلام، فمن ذلك قوله في بعض الكتب: «هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأعمار، وهذه التفقات التي تجري على أيديكم مهوور الحور في دار القرار، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه، فتلك نعم الله عليه، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه، وسواد العجاج في هذه المواقف بياض ما سودته الذنوب من الصحائف، فما أسعد تلك الوقعات وما أعود بالطمأنينة تلك الرجفات».

وكتب أيضاً: «أدام الله ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر والطروس وحياء للدين وما فيها من الأجساد والنفوس، وعرف المملوك من الأمر الذي اقتضته المشاهدة، وجرت به العاقبة في سرور، ولا مزيد على تنسيه الحال بقوله:

الم تر أن المرّة تدوى بمنى فيقطعها عندنا ليسلم سائر
ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه، ومن قلم من الأصبع ظفراً فقد جلب إلى الجسد بفعله نفعاً، ودفع عنه ضرراً.

ونحشم الكروه ليس بضائر إذا كان ما جلبيه سياً إلى المحمود

وأخر كل شقرة أول كل غزوة، فلا يسام مولانا نيّة الرباط وفعلها، ونحشم الكلف وحملها، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله، صرف الله إليه الوجه كلها «والذين جَاهَلُوا فِينَا لَنَهَيَيْنَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَنَعَ الْمُحْسِنِينَ». (الصافات: ٦٩)

وفي هذه السنة انقضت مدة الهدنة التي كان عقدها الملك صلاح الدين للفرنج، فأقبلوا بقضهم وقضيضهم، فتلقاهم الملك العادل بمرج عكا فكسرهم وغنمهم، وفتح يافا عنوة ولله الحمد والمنة.

وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس، فقدر الله هلاكه سريعاً، وأخذت الفرنج في هذه السنة بيروت من نائبها عز الدين شامة، من غير قتال ولا نزاع، ولهذا قال بعض الشعراء في الأمير شامة:

سلم الحصن ما عليك ملاحه ما يلام الذي يروم السلامة
فعماء الحصون من غير حربٍ سنة سنها يسيرون شامه

ومات فيها ملك الفرنج كندهري، سقط من شامق فمات، فبقيت الفرنج كالغنم بلا راعٍ، حتى ملكوا عليهم صاحب قبرص، وزوجوه بالملكة امرأة كندهري، وجرت خطوب كثيرة بينهم وبين العادل أبي بكر بن أيوب، ففي كلها يستظهر عليهم ويكسرهم، ويقتل خلقاً من مقاتلتهم والله الحمد. ولم يزالوا كذلك معه حتى طلبوا الصلح والمهادنة فماقدم على ذلك في السنة الآتية.

الدين شيركوه.

وكفنا الماء راكد فلما حرك ثارت من تعره الأتلاء وله أيضاً:

قد سلوت الدنيا ولم يسألها من علقت في أماله والأراجي
فلما ما صرفت وجهي عنها فذفوني في بحرهما العجاج
يستضيئون بي وأهلك وحدي فكأنني ذبالة في سراج
توفي في هذه السنة من الحجة، وله اثنتان وسبعون سنة، وحضر جنازته خلق كثير، ودفن عند موسى بن جعفر.
القاضي أبو الحسن

■ علي بن جابر بن زهير بن علي البطاحي، قدم بغداد ففقه بها، وسمع الحديث، وأقام برجة مالك بن طوق مدة يشتغل علي أبي عبد الله بن النيه الرضي، ثم ولي قضاء العراق مدة، وكان فقيهاً أدبياً، وقد سمع من شيخه أبي عبد الله بن النيه، ينشد نفسه معارضاً للحريري، في بيته اللذين زعم أنهما لا يُعززان بثلث لهما، وهما قوله:

سِمَ سَمَةً يُحَسِّدُ آثارها واشكر لمن أعطى ولو سبحة
والمكر مهما استطلعت لا تأنسو لتفتني السؤدد والكرمة
فقال ابن النيه:

ما الأمة الركام بين الوري أحسن من حر أنس ملائمة
فمه إذا استجدت عن قول لا فالحر لا يملأ منها فمة
الأمر

■ عز الدين جرديك: كان من أكابر الأمراء في زمان نور الدين، وكان ممن شرك في قتل شاور، وحظي عند الملك صلاح الدين وقد استتابه على القدس حين افتتحها، وكان يستندبه للمهمات الكبار فيبذلها بنفسه وشجاعته، ولما ولي الأفضل عزله عن بيت المقدس، فترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل، فمات بها في هذه السنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وفاة الملك العزيز صاحب مصر

وذلك أنه خرج إلى الصيد، ولما كان ليلة الأحد العشرين من المحرم، ساق خلف ذئب، فكبأ به فرسه فسقط عنه فمات بعد أيام، ودفن بداره، ثم حول إلى عند تربة الشافعي، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة.
ويقال: إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الخنابلة من بلده، ويكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد، وشاع ذلك عنه ذائع، وسمع ذلك منه وصرح به وكل ذلك من معلية وخطاؤه وعشوائه من الجهمية، وقلة علمه بالقرآن والحديث، فلما وقع ما وقع عظم قدر الخنابلة بين الخلق بمصر والشام، عند الخاص العام. وقيل: إن بعض صالحهم دعا عليه، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد، فكان هلاكه سريعاً قاله أعلم.

وكتب الفاضل كتاب التنزية بالعزيز لعمه العادل، وهو محاصر مازدين ومعه العساكر، وولده محمد الكامل، وهو نائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة، وصورة الكتاب «إدام الله سلطان مولانا الملك العادل، وبارك في عمره، وأعلا أمره بأمره، وأعز نصر الإسلام بنصره، وقدت الأنفس

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة

فيها جمعت الفرنج جموعها وأقبلوا فحاصروا تبين فاستدعى العادل بني أخيه لقتالهم، فجاءه العزيز من مصر، والأفضل من صرخد، فاقبلت الفرنج عن الحصن، وبلغهم موت ملك الألمان، فطلبوا من العادل الهدنة والأمان، فهادنهم، ورجعت الملوك إلى أمكناتها، وقد عظم المظم عيسى بن العادل في هذه المرة، واستتابه أبوه على دمشق، وسار إلى ملكه بالجزيرة، فأحسن فيهم السيرة.

وكان قد توفي في هذه السنة السلطان صاحب سنجار وغيرها من المدن الكبار، وهو

■ عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي الأتابكي، كان من خيار الملوك، وأحسنهم شكلاً وسيرة، وأجودهم طوية وسريرة غير أنه كان ييخل، وكان شديد المحبة للعلماء، ولا سيما الحنفية، وقد ابنتي لهم مدرسة بسنجار، وشرط لهم طعاماً يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم، وهذا نظر حسن، والفقهاء أولى بهذه الحسنة من الفقير لاشتغال الفقهاء بتكراره ومطالعة عن الفكر فيما بقيته، فعلى على أولاده ابن عمه صاحب الموصل، فأخذ الملك منهم، فاستغاث بنوه بالملك العادل، فرد فيهم الملك ودرا عنهم الضيم، واستقرت المملكة لأولده قطب الدين محمد، ثم سار العادل إلى مازدين فحاصرها في شهر رمضان، فاستولى على ريفها ومعاملاتها، وأعجزته قلعها، فصاف عليها وشتا، وما ظن أحد أنه تملكها، حتى هت الشعراء بذلك؛ لأن ذلك لم يكن مثبوتاً ولا مقترأ.

وفيها ملكت الغور مدينة بلخ وكسروا الخطا وقهرهم، وهزمهم، وتوقعوا بإرسال الخليفة إليهم أن يمتنعوا خوارزم شاه من دخول العراق، فإنه كان يروم أن يخطب له ببغداد.

وفيها حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى ففتحها بعد مدة، وقد كانت امتنعت عليه دهرًا ونصرهم الخطا، فقهرهم جميعاً وأخذها عنوة، وعفا عن أهلها وصفح، وقد كانوا ألبسوا كلباً أعور قباء وسموه خوارزم شاه، ورموه في التجنيق إلى الخوارزمية، وقالوا هذا ملككم، وكان خوارزم شاه أعور، فلما قدر عليهم عفا عنهم، جزاه الله خيراً.

وفيها توفي من الأعيان

■ القوام بن زبادة: كاتب الإنشاء بباب الخلافة، وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زبادة، قوام النمين انتهت إليه رئاسة الترسل، والإنشاء، والبلاغة، والفصاحة في زمانه بالعراق، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي، أخذ عنه ابن فضلان، وله معرفة جيدة بالأصليين والحساب واللغة، وله شعر جيد، وقد ولي عدة مناصب كان مشكوراً في جميعها، ومن مستجاد شعره قوله:

لا تحقرن عدواً تردى فكـم قد أتمس الدهر جد الجدد باللمب
فهذه الشمس يروها الكسوف لها على جلالها بالراس والذنب
وقوله:

باضطراب الزمان ترتفع الأنـ ذال فيه حتى يمم البلاء

بنفسه الكريمة، وأصدر الله العظام نعمه فيه العظيمة، وأحياه الله حياة طيبة هو والإسلام في مواقف الفتح الجسيمة، ويتقلب عنها بالأمور المسلمة والعواقب السليمة، ولا نقص له رجالا، ولا علدا، ولا أعلمه نفسا ولا ولدًا ولا قصر له ذيلا ولا يندأ، ولا أسخن له عينا ولا كيدا، ولا كدر له خاطرا ولا موردا، ولما قدر الله ما قدر في الملك العزيز رحمه الله ونحياته مكررة إليه من انتضاء مهله وحضور أجله كانت بديهة المصاب عظيمة، وطالعة المكروه البيمة فرحم الله ذلك الوجه ونضرة، ثم إلى سبيل الجنة يسره.

وإذا حاسن الوجه بليست نفى الشرى عن وجهه الحسن

فأعزى على الملوك وعلى الأولياء بل على قلب مولانا، لا سبيل ثياب الغزاء، لسرعة مصرعه وانقلابه إلى مضجعه، وليأسه ثوب البلى قبل أن يلبى ثوب الشباب، وزفه إلى التراب وسريه محضوف بالذات والتراب، وكانت مدة المرض بعد العود من الفؤوم أسبوعين، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد العشرين من الحرّم، والمملوك في حال تسطيرها مجموع بين مرض قلب وجسد ووجع وغليل كبّد وقد فجع بهذا المولى والعهد بوالده غير بعيد، والأسى عليه في كل يوم جليد.

ولما توفي العزيز خلف من الولد عشرة ذكور، فعمد أمراؤه فملكوا عليهم ولده عمدا، ولقبوه بالنصور، وجعلوا الأمراء في الباطن سائلون إلى تملك العادل، ولكنهم يستعملون مكانه، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد، فأحضروه على البريد سريعا، فلما حصل عندهم منع رقدتهم، ووجدوا الكلمة مختلفة عليه، ولم يتم له ما صار إليه، وخامر عليه أكابر الأمراء الناصرية، وخرجوا من مصر، فأقاموا ببيت المقدس، وأرسلوا يستحثون الجيوش العادلية، فأقر ابن أخيه على السلطنة، ونوه باسمه على السكة والخطة في سائر بلاد مصر، لكن استفاد الأفضل في سفرته هذه أن أخذ جيشا كثيفا من المصريين، وأقبل بهم ليسترد دمشق في غيبة عمه بمحاصرة ماردين، وذلك بإشارة أخيه صاحب حلب، وابن عمه ملك حصص أسد الدين، فلما انتهى إليها ونزل حوالها، قطع أنهارها وعقر أشجارها، وأكل ثمارها، ونزل بمخيمه على مسجد القدم، وقد لحقه الأسف والندم وجاء إليه أخوه الظاهر وابن عمه الأسد الكاسر وجيش حماه، ففكر جيشه وقوى بأسه، وقد دخل جيشه إلى البلد، وندادوا بشعاره، فلم يتابعهم من العامة أحد، وأقبل العادل من ماردين بعساكره، وقد انشف عليه أمراء أخيه وطائفة بني أخيه، وأمد له مصر بأكابر، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين فحصبها وحفظها من كل حاسد وذئ عيين، وقد استتاب على ماردين ولده محمدا الكامل رئيس السلاطين.

ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المصريين وغيرهم، وضعف أمر الأفضل، ويش من برهم وخبرهم، فأقام محاصرا البلد بمن معه حتى انسلخ الحول، وهو كذلك ثم انتقل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وفيها شرع في بناء سور بغداد بالآجر والكلس، وفرق على الأمراء، وكملت عمارته بعد هذه السنة، فأمنت بغداد من الغرق والحصار، ولم يكن لها سور قبل ذلك.

وفي هذه السنة توفي

السلطان أبو محمد

■ يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب بلاد المغرب والأندلس

وفيها ادعى رجل أعجمي بلعشق أنه عيسى ابن مريم، فأمر الأمير صادم الدين برغش نائب القلعة بصلبه عند حمام العماد الكاتب، خارج باب الفرج، مقابل الطاحون التي بين البابين، وقد باد هذا الحمام قديما، وبعد صلبه بيومين ثارت العامة على الروافض، وعمدوا إلى قبر رجل منهم باب الصغير يقال له وثاب فنبشوه وصلبوه مع كلبين، وذلك في ربيع الآخر منها.

وفي هذه السنة وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان، وكان سببها أن فخر الدين محمد بن عمر الرازي، أستاذ المتكلمين في زمانه وقد إلى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة، فأكرمه واحترمه وبنى له مدرسة بهراة، وكان أكثر الغورية كرامة، فأنقضوا الفخر الرازي وأحبوا إيماده عن الملك، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية، وخلقا من الشافعية، وحضر ابن القدوة وكان شيخا معظما في الناس، وهو على مذهب ابن كرام وابن المهيصم، فتناظر هو والرازي، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم، فلما كان من الغد اجتمع الناس في المسجد الجامع، وقام واعظ فتكلم، فقال في خطبته:

أيها الناس، إنا لا نقول إلا ما صرح عندنا عن رسول الله ﷺ، وأما علم أرسطاطا ليس وكفریات ابن سینا وفلسفة الفارابي وما تلبس به الرازي فإنا لا نعلمها ولا نقول بها، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله، ولاي شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة رسوله، على لسان متكلم ليس معه على ما يقول دليل، قال: فبكى الناس وضجوا، وبكت الكرامية واستغاثوا، وأعانهم على ذلك قوم آخرون من الخاصة، وأنهوا إلى الملك صورة ما وقع، فأمر بإخراج فخر الدين الرازي من البلد، وعاد إلى هراة، فلهاذا أشرب قلب الرازي بغض الكرامية، وصار يلجح في كلامه في كل موطن وكلما هبّ الصبا.

وفي هذه السنة رضي الخليفة عن أبي الفرج بن الجوزي شيخ الرعاظ في زمانه وبعثه، وقد كان أخرج من بغداد إلى واسط، فأقام بها خمس سنين فانتفع به أهلها، واشتغلوا عليه واستغاثوا منه، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة، وأذن له في الوعظ على عادته، عند التربة الشريفة المجاورة لقبر معروف الكرخي، ففكر الجميع جددا، وحضر الخليفة، وأخذ في العتاب وأنشد يومئذ فيما يخاطب به الخليفة:

لا تطفش الروض الذي بُشّه بصوب إتمامك قد روضا
لا تبر عودا أنت قد رشته حاشى لباني المجد أن يقضيا
إن كان لي ذنب ولم آتكم فاستأنف العفو وهب لي الرضا
فكنت أرجوك لنيل المنى فاليوم لا أطلب إلا الرضا

وما أشده يومئذ:

وإذا أردت منازل الأشراف فليكن بالإسفاف والإنصاف
وإذا بغى باغ عليك فخله والدمر فهو له مكاف كفاف

شقيتا بالنوى زمنا قلما تلاقينا كأنما ما شقيتا
سخطنا عند ما جنت الليالي وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يحي بعد الموت يوما فإنا بعد ما متنا حينما

وفي هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضي الموصل ضياء الدين بن الشهرزوري، فولاه قضاء قضاء بغداد.

وفي هذه السنة وقعت فتنة بدمشق، بسبب الحافظ عبد الغني المقدسي، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الخائبة بالجامع الأموي، فذكر يوما شيئا من العقائد، فاجتمع القاضي يحيى الدين بن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولعي بالسلطان المعظم، والأمير صارم الدين برغش، فعد له مجلسا فيما يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والتزول والحرف والصوت، فوافق النجم الحنبلي بقية الفقهاء، واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه، واجتمع بقية الفقهاء عليه، وألزموه بالزمام شتية لم يلتزمها، حتى قال له الأمير برغش: كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحلك على الحق؟ قال: نعم، فغضب الأمير عند ذلك وأمر ببقية من البلد؛ فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره، وأرسل برغش الأسارى من القلعة، فكسروا منبر الحافظ، وتعطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الخائبة، وأخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة، فارتحل الحافظ عبد الغني إلى بعلبك، ثم سار إلى مصر، فأواه المحدثون، فحنوا عليه وأكرموه.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الأمير مجاهد الدين

■ قايماز الرومي: نائب الموصل المستولي على مملكته أيام ابن أستاذه نور الدين أرسلان، وكان عاقلا ذكيا، فيها حنفا، وقيل شافعيا، يحفظ شيئا كثيرا من التواريخ والحكايات، وقد ابتنى عدة جوامع ومدارس، وربط وخانات، وله صدقات كثيرة داره،
قال ابن الأثير: وقد كان من عمامس الدنيا.

أبو الحسن

■ محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العامري الهاشمي، قاضي القضاة ببغداد، بعد ابن التجاري، كان شافعيا، تفقه على أبي الحسن بن الحل وغيره، وقد ولي القضاء والخطابة بمكة، وأصله منها، ولكن ارتحل إلى بغداد، فنال منها ما نال من الدنيا، وآل به الأمر إلى ما آل، ثم إنه عزل عن القضاء، بسبب محضر رقم خطه عليه، وكان فيما قبل مزورا عليه، قاله أعلم، فجلس في منزله حتى مات.

الشيخ جمال الدين أبو القاسم:

■ يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان، شيخ الشافعية ببغداد، تفقه أولا على سعيد بن محمد الرزار مدرّس النظامية، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدي تلميذ الغزالي، وعاد إلى بغداد، وقد اتقن علم المناظرة والأصولين، وساد أهل بغداد، وانتظم به الطلبة والفقهاء، وبيت له مدرسة، فدرس بها وبعد صيته، وكثرت تلاميذه، وكان كثير التلاوة وسماع الحديث، وكان شيخا حسنا، لطيفا ظريفا، ومن شعره:

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

استهلت هذه السنة والملك الأفضل بالجيش المصري محاصر لعمه العادل بدمشق، وقد قطع عنها الأنهار والميرة، فلا خبز ولا ماء إلا قليلا، وقد تطاول الحال، وقد خندقوا من أرض اللوان إلى بلدنا خندقا لئلا يصل إليهم جيش دمشق، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأوحال، فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن العادل على أبيه بخلق من التركمان، وعساكر من بلاد الجزيرة والرها وحران، فعند ذلك انصرفت العساكر المصرية، وتفرقوا أيادي سبأ، فرجع الظاهر إلى حلب، والأسد إلى حمص، والأفضل إلى مصر، وسلم العادل من كيد الأعادي، بعدما كان قد عزم على تسليم البلد واستسلم، ولكن الله سلم.

وسارت الأمراء الناصرية خلف الأفضل ليمنعوه من الدخول إلى القاهرة، وكتبوا العادل أن يسرع السير إليهم، فنهض إليهم سرعيا سامعا لشورتهم مطيعا، فتحصن الأفضل بالقلعة من الجبل، وقد اعتراه الضعف والفشل، ونزل العادل على البركة واستبد بملك مصر آنفا من الشركة، ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعا ذليلا بعدما كان مهيبا جليلا فاقطعه بلادا من الجزيرة، ونقاه عن الشام لسوء السيرة، ودخل العادل إلى دار السلطان بالقاهرة، وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الكردي، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور، والعادل مستقل بالأمور، واستوزر الصاحب صفى الدين بن شكر لصرامته وشهامته، وسيادته وديانته، وكتب العادل إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة، ليملكه على مصر ويستريحه، فقدم عليه، فأكرمه واحترمه وعانقه والزمه، وأحضر الملك الفقهاء واستفتاهم في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز، وأنه صغير ابن عشر سنين، فآفقا بأن ولايته لا تصح، لأنه متولى عليه، فعند ذلك طلب الأمراء، ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا، فأرغهم وأرهبهم، وقال فيما قال: قد سمعتم ما أفتى به العلماء، والأئمة والفقهاء وقد علمتم أن تغور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار، وإنما يحرسها الملوك الكبار، فاذعنوا عند ذلك وبإيعاره، ثم من بعده لولده الكامل، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما، وضربت السكة باسميهما، واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى بن العادل، ومصر باسم الكامل.

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير فلك الدين أبو منصور سليمان بن شروة بن خلنك، وهو أخو الملك العادل لأمه، وهو واقف المدرسة الفلكية داخل باب الفرائيس، وبها قبره فأقام بها محترما معظما إلى أن توفي في هذه السنة.

ولفها وفي التي بعدما كان بليار مصر غلاء شديد، فهلك بسببه الغني والفقر، وفي وعم الجليل والحقير، وهرب الناس منها نحو الشام، فلم يصل إليها إلا القليل، وتحفظهم الفرنج من الطرقات، وغروهم من أنفسهم، واغتالوهم بالقليل من الأقوات وأما بلاد العراق فإنه كان مرخصا.

قال ابن الساعي: وفي هذه السنة باض ديك ببغداد، فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان علاء الدين

■ **خوارزم شاه:** تكش بن ألب رسلان من ولد طاهر بن الحسين، وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والري وغيرها من الأقاليم المتسعة، وهو الذي قطع دولة السلاجقة، كان عادلاً، حسن السيرة، له معرفة جيدة بالموسيقى، حسن المعاشرة، فقيهاً على مذهب أبي حنيفة، ويعرف الأصول، وبنى للحنفية مدرسة عظيمة، ودفن بقرية بناها بخوارزم، وقام في الملك من بعده ولده علاء الدين محمد، وكان قبل ذلك يلقب بقطب الدين.

وفيهما قتل وزير السلطان خوارزم شاه المذكور.

■ **نظام الدين مسعود بن علي:** وكان حسن السيرة، شافعي المذهب، له مدرسة عظيمة بخوارزم، وجامع هائل، وبنى بمرو جامعاً عظيماً للشافعية، فحسنتهم الحنابلة، وشيخهم بها يقال له شيخ الإسلام، فيقال: إنهم أحرقوه، وهذا إنما يصدر من قلة الدين والعقل واحترام معابد الإسلام، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه على ما غرم الوزير على بنائه.

وفيهما توفي الشيخ المسند العمر رحلة الوقت:

■ **أبو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن الحضر بن كليب،** الحارثي الأصل، البغدادى المولد والدنار والوفاء، عن ست وتسعين سنة، سمع الكثير وأسمع، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، وكان من أعيان التجار، وذوي الثروة رحمه الله.

الفيحي

■ **مجد الدين:** أبو محمد بن طاهر بن نصر الله بن جهيل، مدرس القدس الشريف، أول من درس بالصلاحية، وهو والد الفقهاء بني جهيل الدين، كانوا بالمدرسة الجاروخية، ثم صاروا إلى العمادية والدماعية في أيامنا هذه، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم.

الأمير صادم الدين

■ **قائماز بن عبد الله التجمي،** كان من أكابر الدولة الصلاحية، كان عند الملك صلاح الدين بمنزلة الأستاذ، وهو الذي تسلم القصر حين مات العاضد، فحصل له أموال جزيلة جداً، وكان كثير الصدقات والأوقاف، وقد تصدق في يوم بسبعة آلاف دينار عينا، وهو واقف المدرسة القيمانية، شرقي القلعة المنصورة، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير، وله بها حمام، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد، موسى بن العادل وبناتها دار حديث، وأخرب الحمام وبناته مسكناً للشيخ المدرس بها، ولما توفي قيماز ودفن في قبره، نبشت دوره وحواصله، وكان متهماً بمال جزيل، فتحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار، وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك، وكان يدين أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقراباه، فسأعه الله ويلٌ بالرحمة ثراه.

الأمير الكبير

■ **لؤلؤ:** أحد الحجاب بالديار المصرية، كان من أكابر الأمراء في أيام الدولة الصلاحية، وهو الذي كان مسلم الأسطول في البحر، فيكون كالشجا في في حلق الفرنج والنحر في البحر، فكم من شجاع قد أسر، وكم من مركب قد كسر، وكم من لهم أسطول قد فرق شمله، ومن بطسة وقارب قد غرق أهله، وقد كان مع كثرة جهاده دار الصدقات، كثير التفات في كل يوم، وقع غلاء بمصر غلاء شليد فتصدق بأثنى عشر ألف رغيف، لأثنى عشر ألف نفس فجزاء الله خيراً ورحمة في قبره، ويص

وجهه يوم محشره ومنشرة، آمين.
الشيخ الإمام الفقيه العلامة

■ **شهاب الدين الطوسي:** أحد مشايخ الشافعية بديار مصر، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، التي يقال لها منازل العز، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، كان له قدر ومترلة عند ملوك مصر، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، توفي في هذه السنة، فازدحم الناس على جنازته، وتأسفوا عليه.

الشيخ

■ **ظهير الدين عبد السلام الفارسي:** شيخ الشافعية بحلب، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ الغزالي، وتلمذ للفخر الرازي، ورحل إلى مصر، وعرض عليه أن يدرس بقرية الشافعي فلم يقبل، فصار إلى حلب، فأقام بها إلى أن توفي في هذه السنة.

الشيخ العلامة

■ **بهر الدين بن عسكرو:** رئيس الحنفية بدمشق، قال أبو شامة: ويعرف بابن العقادة.

الشاعر الماهر المهام العبدى، وهو أبو الحسن

■ **علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي بن عبد القيس بن ربيعة** وهو بغدادي، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ومعه ديوان شعر له فيه درر حسان، وفرائد عقائد وعقبات وقد تصدى لمذبح الملك الأجدد صاحب بعلبك ومن قبله وله:

وما الناس إلا كامل الحظ ناقص وآخر منهم ناقص الحظ كامل
وإني لشر من خيلار وعفنة وإن لم يكن عندي من المال طائل

وفيهما توفي:

■ **القاضي الفاضل، الإمام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء:** أبو علي عبد الرحمن بن القاضي الأشرف: أبي المجدد علي بن الحسن بن اليساني المولى لأجل القاضي الفاضل، كان أبوه قاضياً بمسقلان، فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية، فاشتغل بها بكتابة الإنشاء، على الشيخ أبي الفتح قادوس وغيره، فسأه أهل البلاد حتى يغددا، ولم يكن له في زمانه نظير ولا عديد، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا عائل ولا منظر ولا نليد.

ولما استقر الملك صلاح الدين بالديار المصرية، جعله كاتبه وصاحبه، ووزيره، ومشره وجليسه وأمينه، وكان أعز عليه من أهله وأولاده، وأكرم عليه من طريقه وتلاذه وتساعدوا حتى فتح الأقاليم والبلدان والحصون والمعقل، هذا بحسامه وسنانه، وهذا بقلمه ولسانه وريانه.

وقد كان القاضي الفاضل من كثرة أمواله ووجاهته ورياسته كثير الصدقات والصلوات، والصيام والصلاة، وكان يواطئ كل يوم وليلة على ختمة كاملة، مع ما يزيد عليها من نافلة، رحيم القلب، حسن السيرة، طاهر القلب والسريرة، له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية، وأوقف على تخليص الأسارى من أيدي النصارى، وقد اقتنى من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب، وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء ولا الملوك ولا الكتاب.

كان مولده في سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة، وقد كانت وفاته يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم الثلاثاء سادس ربيع الآخر، واحتفل الناس بمجنازته، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل، وتأسف

عليه، ويقال: إنه استوزر الملك العادل صفى الدين بن شكر، فلما سمع الفاضل بذلك دعا الله أن لا يحميه إلى هذه الدولة، لما بينهما من المنافسة، فمات، رحمه الله، ولم يتله أحد بضميم ولا أذى، ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه، وقد رئاه الشعراء بأشعار حسنة، منها قول القاضي هبة الله بن سناء الملك:

عبد الرحيم على البرية رحمة أنت بصحتها حلول عقابها
يا سائلا عنه وعن أسبابه نال السماء فله عن أسبابها
والدهر يعلم أن فيصل خطبه بخطا يراعه وفصل خطابها
ولقد علت ربّ الأجل عن الورى بموْ منصبها وطيب نصابها
وأنته خاطبة إلى وزارة ولطالما أعيت على خطابها
ما لقبره بها لأن يعلم بها أسماؤه أغتته عن القابها
قال الزمان لنبره إذ رامها تربت يمينك لت من أثارها
اذهب طريقك لت من أربابها وراجع وراك لت من أصحابها
ويعزّ سيدنا وسيد غيرنا دلت من الأيام شمس صباحها
وأنت معادته إلى أبوابه لا كالذي يسمى إلى أبوابها
تنعو الملوك لوجهه بوجهها لا بل تفاق لبابه برقابها
شغل الملوك بما يزول ونفسه مشغولة بالذكر في عرابها
في الصوم والصلوات اتعب نفسه وضمان راحته على أتعابها
وتعجل الإقلاع عن لذاته ثقة بحسن مالها ومأبها
فلتفخر الدنيا بآئس ملكها منه ودارس علمها وكتابها
صوامها فوامها علاها عاملها بلذامها وهابها

والعجب أن الفاضل مع براعته وفصاحته التي لا تُداني ولا تجارى لا يُعرف له قصيدة طويلة طنانة وإثما له ما بين البيت والبيتين في أثناء رسائله وغيرها شيء كثير جداً، فمن ذلك قوله:

سبقتم بإسداء الجميل تكوما وما مثلكم فيمن يحدث أو حكى
وكان ظني أن أسألكم به ولكن بكت قلبي فهيج لي بكت
ومن ذلك قوله:

ولي صاحب ما خفت من جور من الدهر إلا كان لي من ورائه
إذا عضني صرف الزمان فإني براياته أسطو عليه ورائيه
وله في بدو أمره:

أرى الكتاب كلهم جميعاً يارزاق تمهم سسني
ومالي بينهم رزق كائي خلقت من الكرام الكاتين
وله في التحلة والزلفطة:

ومرديسن تجاروا في مجلس متاعها لأذامها الأتوام
هذا يجود بكس ما يأتي به هذا فيحمد ذا وذاك يذم
وله:

بتنا على حال تسرّ الهوى لكنّه لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له إن غبت عنا هجم الصبح

وسأله الملك العزيز عثمان بن الناصر عن جارية من حظاياه أرسلت إليه زراً من ذهب مغلف بعنبر أسود، فأثأ الفاضل يقول:

أهدت لك العنبر في وسطى زراً من التبر رقيق اللحام
فالزر في العنبر متاعهما زراً مكننا غنفاً في الظلام
قال ابن خلكان: وقد اختلف في لقبه، فقيل: محي الدين، وقيل: مجير الدين.

وحكي عن عمارة اليميني أنه ذكره بذكر جميل، وأن العادل بل الصالح بن رزيق هو الذي استقدمه من الإسكندرية، واستخدمه وقد كان معدوداً في حسنته، وقد بسط ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا، وفي هذه زيادة كثيرة، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الغلاء بأرض مصر جداً، فهلك خلق كثير جداً من الفقراء والأغنياء، ثم أعقبه فناء عظيم، حتى حكى الشيخ أبو شامة في النيل (إبل الروتين: ص ١٩٠): أن العادل كف من ماله في مدة شهر من هذه السنة نحواً من مائتي ألف، وعشرين ألف ميت، وأكلت الكلاب والميتات فيها بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير، يشويه والده والدة ويأكلانه، وكثر هذا في الناس جداً حتى صار لا ينكر بينهم ثم صاروا يحتالون على بعضهم بعضاً فيأكلون من يقدرون عليه، ومن غلب من قوي ضعيفاً ذبحه وأكله، وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى، فكانوا يذبحون ويؤكلون، كان الرجل يستدعي الطبيب ثم يذبحه ويأكله، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً، وكان الرجل موسراً من أهل المال، فذهب الطبيب معه على وجل وخوف، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر الله ويسبحه، ويكثر من ذلك، فارتاب به الطبيب ونجّل منه، ومع هذا حله الطمع على الاستمرار معه حتى دخل داره، فإذا هي خربة، فارتاب الطبيب أيضاً، فخرج صاحبه فقال له: ومع هذا البطء جئت لنا بصيد، فلما سمعها الطبيب هرب، فخرجاً خلفه سراعاً، فما خلاص إلا بعد جهد جهيد.

وفيها وقع وباء شديد ببلاد عترة بين الحجاز واليمن، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فبادت منها ثمان عشرة، لم يبق فيها دينار ولا نافع نار، وبقيت أنعامهم وأموالهم لا قاني لها، ولا يستطيع أحد أن يسكن تلك القرى ولا يدخلها، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون. أما القرطبان الباقيتان فإنهما لم يمت منهما أحد، ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم، بل هم على ما كانوا عليه لم يفقد منهم أحد، فسبحان الحكيم العليم.

واتفق باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جداً، وهي أن رجلاً يقال له عبدالله بن حمزة العلوي، كان قد تغلب على كثير من بلاد اليمن، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس، ومن الرجال جمعاً كثيراً، وخافه ملك اليمن المعز بن إسماعيل بن سيف الإسلام بن طغتكين بن أيوب، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا الرجل، وأيقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته، واختلاف أمرائه معه في المشورة، فأرسل الله صاعقة، فزلت عليهم، فلم يبق منهم أحد، سوى طائفة من الخيالة والرجالة، فاختلف

وفي هذه السنة توفي من الأعيان والمشاهير

الشيخ أبو الفرج

■ ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي - نسبة إلى فرضة نهر بالبصرة - ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي، القرشي التيمي البغدادي الحنلي.

أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب يده نحواً من ألفي مجلد، وتفرّد بفن الوعظ، الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقتة وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبة كلامه وحلاوة ترصيعه، وبقرّده وعظه وعذوبه على اللسان البليغة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة.

هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها، من التفسير، والحديث والتاريخ، والحساب، والنظر في النجوم، والطب، والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيّق هذا المقام عن تعدادها، وحصر أفرادها، منها كتابه في التفسير المشهور بزد المسير، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور، وله جامع المسانيد، استوعب به غالب مسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، وله كتاب المتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلداً، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً من حوادثه وتراجمه، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخاً، وما أحقه بقول الشاعر:

مازلت تدلّ في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً
وله مقامات وخطب، وله الأحاديث الموضوعة، وله العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، وغير ذلك.

ولد سنة عشر وخمسمائة، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين، وكان أهله تجاراً في النحاس، فلما ترعرع جادت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ، فآزم الشيخ قرأ عليه، وسمع عليه الحديث، وتفقّه بابن الزاغوني، وحفظ الوعظ، ووعظ وهو دون العشرين، وأخذ اللغة عن أبي منصور الجواليقي، وكان صبيّاً ديناً، مجموها على نفسه لا يخالف أحداً، ولا يأكل مما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء، والملوك والأمراء، والعلماء والفقهاء، ومن سائر صنوف بني آدم، وأقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون، وربما تكلم من خطاطره على البليهة نظماً ونثراً، رحمه الله.

وبالجملّة كان أستاذاً فرداً في الوعظ له مشاركات حسنة في بقية العلوم، وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه، ويسمو بنفسه أكثر من مقامه، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه، فمن ذلك قوله:

ما زلت أدرك ما غلب بل ما علا
وأكابد النهج السير الأطول
تجري بي الأمل في حباته
طلّق السعيد جرى مدى ما أملا
يفضي بي التوفيق فيه إلى الذي أعيا
مسوي توصلًا وتغلّفاً

جيشه فيما بينهم، فغشيهم المعز قتل منهم ستة آلاف، واستقر في ملكه أمناً.

وفيها تكتب الأخوان الأفضل من صرخد والظاهر من حلب، على أن يجتمعا على حصار دمشق، ويزعما من المظلم بن العادل، وتكون للأفضل، ثم سيرا إلى مصر، فيأخذها من العادل وابنه الكامل، اللذين نقضا العهد وأبطلا خطبة المنصور بن العزيز، ونكثا الموائق، فإذا استقر لهما ملك مصر كانت للأفضل، وتصر دمشق مضافاً إلى الظاهر مع حلب، فلما بلغ العادل ما تمّألاً عليه، أرسل جيشاً مدداً لابنه المظلم عيسى إلى دمشق، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه إليها، وكان وصولهما إليها في ذي القعدة من ناحية بعلبك، فتزلا بجيشهما على مسجد القدم، واشتد الحصار للبلد، وتسلى كثير من الجيش من ناحية خان ابن المقدّم، ولم يبق إلا فتح البلد، لولا هجوم الليل، ثم إن الظاهر بدا له فيما كان عاهد أخاه عليه من كون دمشق تكون للأفضل، فرأى أن تكون له أولاً، ثم إذا فتحت حصر تسلمها للأفضل، فحسب إليه في ذلك فكم يقبل الأفضل، فاختصا وتفرقت كلمتهما، وتنازعا الملك بدمشق، ففرقت الأمراء عنهما، وكتب العادل في الصلح، فأرسل يبيح إلى ما سالا، من إقطاعهما شيئاً من بلاد الجزيرة، وبعض معاملة المرأة. وتفرقت العساكر عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين، وسار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد التي أقطعها، وجرت خطوب يطول شرحها، وقد كان الظاهر وأخوه كتباً إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي، أن يحاصر مدن الجزيرة التي مع عمهما العادل، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة، قصدت العساكر حران، وبها الفاتح بن العادل، فحاصروه مدة، ثم لما بلغهم وقوع الصلح بين العادل وابني أخيه الظاهر والأفضل عدلوا إلى المصالحة، وذلك بعد طلب الفاتح ذلك منهم، وتمهدت الأمور واستقرت على ما كانت عليه ولله الحمد والمنة.

وفي هذه السنة ملك غياث الدين وأخوه شهاب الدين الغوريان جميع ما كان يملك خوارزم شاه من البلدان والحواسل والأموال، وجرت لهم خطوب طويلة جداً.

وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة، وبلاد الروم والعراق، وكان جمهورها وعظمها بالشام تهدمت منها دور كثيرة، وتخرّبت محال كثيرة، وخسف بقرية من أرض بصرى، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء كثير، وأخرت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس، ولم يبق بنابلس سوى حجارة السامرة، ومات بها وقرأها ثلاثون ألفاً تحت الردم، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بجامع دمشق وأربع عشرة شرفة منه، وغالب الكلاسة والمارستان النوري، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون، وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقه وبنائها، وانفرد البحر إلى قبرص، وقد حذف بالمرابك إلى ساحله، وتمدد إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أمد لا يحصون ولا يعدون، حتى قال صاحب مرآة الزمان [٤٧٨/٢/٨]: إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان نقله في ذيل الروضتين عنه [ص ٢٠].

لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً وسأله هل زرت مثلي قال: لا ومن شعره، وقيل: هو لغيرة:

إذا قنعت بميسور من القوت أصبحت في الناس حراً غير عمقوت
يا قوت نفسي إذا ما در خيلك في فلست آسى على در وياتوت
وله من النظم والثر شيء كثير لا ينضبط، وله كتاب مفرد سماه لقط الجمان في كان وكان.

ومن لطائف كلامه قوله في الحديث «أَعْمَارُ أُمِّي ما بين السنين إلى السنين» إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل لهم حثوا المطي.

وقال له رجل: أيهما أفضل؟ أجلس أسبوع أو استغفر؟ فقال: الشوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

وسئل عمن أوصى وهو في السياق فقال: هذا طين سطوحه في كانون. والثنت يوماً إلى ناحية الخليفة المستضيء وهو في الوعظ فقال: يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك، وإن سكنت خفت عليك، وإن قول القاتل لك اتق الله خير لك من قوله لكم إنكم أهل بيت مغفور لكم، وكان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني عن عامل لي أنه ظالم، فلم أغبره فأنا الظالم، يا أمير المؤمنين، وكان يوسف لا يشع في زمن القحط حتى لا ينسى الجائع، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قُرْقرْ أو لا تُقرقر، والله لا سمناً ولا سميناً حتى يخبص الناس، قال: فبكي المستضيء، وتصدق بمال جزيل، وأطلق الخابيس، وكسى خلقاً من الفقراء.

ولد ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسمائة كما تقدم، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العشاءين، الثاني عشر من رمضان من هذه السنة، وله من العمر سبع وثمانون سنة، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد، وكان يوماً مشهوداً، حتى قيل: إنه أظفر جماعة من الناس من كثرة الزحام، وشدة الحر رحمه الله، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الآيات:

يا كبير العفو عمن كثُر الذنوبُ لديه
جامدُ المُنْزَبِ يرجو الص فح عن جُرم يديه
أنسا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

وقد كان للشيخ جمال الدين بن الجوزي من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز - وهو أكبرهم - مات شاباً في حياة والده، في سنة أربع وخمسين، ثم أبو القاسم علي، وقد كان عاقلاً لوالده إلماً عليه في زمن الحنة وغيرها، وقد تسلط على كتبه في غيته بوساطة باعها بأخمس الثمن، ثم يحيى الدين يوسف، وكان ألحج أولاده وأصغرهم، ولد سنة ثمانين، ووعظ بعد أبيه، واشتغل وحرر، وأتقن وساد أقرانه، ثم باشر حبة بغداد، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد، ولا سيما بني أيوب بالشام، وقد حصل منهم من الأموال والكرامات ما أبنت به المدرسة الجوزية التي بالنشابين بدمشق، وما أوقف عليها، ثم حصل له من سائر الملوك أموالاً جزيلة، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين ستمائة، واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هولاكو بن تولي بن جنكيزخان.

وكان لأبي الفرج عدة بنات، منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن قزاوغلي صاحب مرآة الزمان، وهي كتاب من أجمع التواريخ وأكثرها

فائدة، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات، فأنشئ عليه، وشكر تصانيفه وعلمه.

■ العماد الكاتب الأصهباني: محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله - بشديد اللام وضمها - المعروف بالعماد الكاتب الأصهباني، صاحب المصنفات والرسائل والشعر، وهو قرين القاضي الفاضل، واشتهر في زمنه، ومن اشتهر في زمن الفاضل فهو فاضل.

ولد بأصبهان في سنة تسع عشر وخمسمائة، وقدم بغداد، فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرّس النظامية، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام، فحظي عند الملك نور الدين محمود بن زنكي، وكتب بين يديه، وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية، نسبة إلى العماد هذا لكثرة سكناه بها، وإقامته فيها، وتدرسه بها، لا أنه أنشأها، وإنما أنشأها نور الدين محمود، ولم يكن هو أول من درس بها، بل قد سبقه إلى تدرّسها غير واحد، كما تقدم في ترجمة نور الدين، ثم صار العماد كاتباً في الدولة الصلاحية، وكان القاضي الفاضل يشي عليه ويشكره.

قالوا: وكان منطوقه يعتريه جود وفرة، وقريحته في غاية الجودة والحدة، وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً: قولوا فنكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقبلها القاضي، وقال: هو كالزناد ظاهره بارد وداخله نار.

وله من المصنفات: خريدة القصر في شعراء العصر، والفتح القدسي، والبرق الشامي وغير ذلك من المصنفات المسجعة، والعبارات المصرعة، والقصائد المطولة، والمعاني والألفاظ المؤتلة. ومن لطيف تروكه قوله هذه الآيات: -

كيف قلت في مقتلته فتور وأراهـ بلا فتور تجور
لو بصرت بطرفه كيف يسى قلتـ فاك كاسر لا كـبر
موتـر قوس حاجبيه لإصـا فـؤادي كأثـه موتـور
لا تلني عن العقار فعلى طافـح من عقارهن عقير
كيف يصحو من سكره مستهام مزجت كأسه الحان الحصور
أورثه سقامها الحلق النـجـل وأهدت له التحول الحصور
ما تصيد الأسد الحوراد إلا ظليات كناسهن الحـدور
كل غصينة الموشح هيفاً عـلى البدر جيهـا مـزور
وجنات تجنى الشقائق منها وثايها كأثـها المشـور

وقد كانت وفاته في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة، رحمه الله، ودفن بمقابر الصوفيّة.

الأمير بهاء الدين

■ قرأورش: الفحل الحضي، أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية، كان شهماً شجاعاً فائقاً، تسلم القصر لما مات العاضد، وعمر سور القاهرة محيطاً على مصر أيضاً، وانتهى إلى المقسم، وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة ما غنموا من الديار المصرية، وبني قلعة الجبل، وكان صلاح الدين سلمه عكاً ليعمر فيها أماكن كثيرة فوق الحصار وهو بها، فلما خرج البدل منها كان هو من جملة من خرج، ثم دخلها ابن المشطوب، وقد ذكر أنه أسر، فاقنطى نفسه بعشرة آلاف دينار، وعاد في حياة الملك صلاح الدين

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

فيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي في بناء المسجد الجامع بالجليل، فاتفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي، حتى بلغ البناء مقدار قامة ففقد ما عنده، وما كان معه من المال، فأرسل الملك المظفر كوكبوري بن زين الدين صاحب إربل مالا جزيلًا ليمته به، فأكمل، وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من بزة، فلم يمكن من ذلك الملك المعظم صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا يشوش قبورًا كثيرة للمسلمين، فصنع له بئر ويغل يدور، ووقف عليه وقتًا لذلك.

وفيها كانت حروب كثيرة، وخطوب طويلة بين الخوارزمية والغورية ببلاد المشرق، بسطها ابن الأثير [الكامل: ١٧٣/١٢]، واختصرها ابن كثير. وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع، وخلع عليه خلعة سنية سوداء، وطرحه كحلية، وحضر عنده العلماء والأعيان. وفيها تولى قاضي القضاة بندگان أبو الحسن علي بن سليمان الجيلي، وخلع عليه أيضًا.

وفيها توفي من الأعيان

القاضي

■ ابن الزكي: محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي، محيي الدين قاضي قضاة دمشق، وكل منها كان قاضيا أبوه وجده وأبو جده يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم، وكان جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه، وقد ترجمه ابن عساكر في التاريخ ولم يزد على القرشي.

قال الشيخ أبو شامة: ولو كان أمويًا عثمانيا كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجلده، وخاليه محمد وسلطان، فلو كان ذلك صحيحًا لما خفي على ابن عساكر.

اشتمل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، وناب عنه في الحكم، وهو أول من ترك النيابة، وهو أول من خطب بالقدس لما فتحه الملك صلاح الدين كما تقدم بيان ذلك في سنة ثلاث وثماتين، ثم ولاه قضاء دمشق، وأضاف إليه قضاء حلب أيضًا، وكان ناظر أوقاف الجامع، وعزل عنها قبل وفاته بشهور، وولياها شمس الدين بن البيه ضمانا.

وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمتنق وعلم الكلام، ويحزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالدراسة التقوية، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالصباح للغزالي، ويحفظها أولاده أيضًا، وكان له درس في التفسير، يذكره بالكلاسة، تجاه تربة الملك الناصر صلاح الدين، وكان قد وقع بينه وبين الإسماعيلية فأرادوا قتله، فانفذ له بابا من داره إلى الجامع، ليخرج منه إلى الصلاة، ثم إنه غرط في عقله، فكان يعتريه شبه الصرع، إلى أن توفي في سابع شعبان من هذه السنة، ودفن في تربة بسفح.

■ الخطيب الدولمي: ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الطنجي الدولمي، نسبة إلى قرية بالموصل، يقال لها الدولمية، ولد بها في سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وتفق ببغداد على مذهب الشافعي، وسمع الحديث، فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروخي، والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد الزدي، ثم قدم دمشق فولي بها الخطابة وتدرّس

ففرح به فرحًا شديدًا، ولما توفي في هذه السنة احتاط العادل على تركه، وصارت أقطاعه وأملاكه للملك الكامل محمد بن العادل.

قال ابن خلكان: وقد نسب إليه أحكام عجيبة، حتى صنف بعضهم جزءًا لطيفًا سماه كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش، فذكر أشياء كثيرة جدا، وأظنها موضوعة عليه، فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه، وما كان ليفعل ذلك وهو بهذه المثابة والله أعلم.

■ مكلبة بن عبد الله المستجدي: كان تركيًا عابدا زاهدا، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة:

يا رجال الليل جدوا رب صوت لا يـ
ما يقوم الليل إلا من له عزم وجد
فبكى مكلبة وقال للمؤذن: يا مؤذن زدني، فقال المؤذن:

قد مضى الليل ولى وحياي قد تجلّسى
فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حتفه، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابيه، فالتسيد منهم من وصل إلى نعشه، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه. ■ (ابن نقطة).

أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع: المزلکش ببغداد، ويعرف بابن نقطة، كان يدور في أسواق ببغداد بالهار ينشد كان وكان والمواليا، ويسحر الناس في ليالي رمضان، وكان مطبوعا ظريفا خليعا، وكان أخوه الشيخ عبد الغني الزاهد من أكابر الصالحين، له زاوية ببغداد يزار فيها، وكان له أتباع ومریدون، ولا يدخر شيئا يحصل له من الفتح، تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام لم يدخر منها شيئا لمشائهم، وزوجته أم الخليفة بجارية من خوارصها، وجهزتها بمائة ألف دينار إليه، فما حال الحول وعندهم من ذلك شيء بل جميع ذلك يؤثر به ويتصدق به حتى لم يبق عندهم سوى هاون، فوقف سائل بابيه فالح في الطلب فأخرج إليه الهاون فقال: خذ هذا وكل به ثلاثين يوما، ولا تسأل الناس ولا تشنع على الله عز وجل. وكان من خيار الصالحين.

والمقصود أنه قال لأخيه أبي منصور هذا: ويحك أنت تدور في الأسواق، وتنشد الأشعار، وأخوك من قد عرفته؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة:

قد خاب من شبه الجزعه إلى الدوة وشابه قبحه إلى مسجته حسره
أنا مفني وأخي زاهد إلى مره في الدار بشرين ذي حلوه وذو مره

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل عثمان وعلي حاضر بالمدينة، فأنشأ يقول كان وكان، ومن قتل في جواره مثل ابن عفان فاعتذر، يجب عليه أن يقبل في الشام عز يزید، فأرادت الروافض قتله، فاتفق أنه في بعض الليالي يسحر الناس في رمضان، إذا مر بدار الخليفة، فنعطس الخليفة في الطارقة فشمته أبو منصور هذا من الطريق في نظم ترجمه على البديهة هواليا يقول في آخره: أي من عطس في المظفر يرمحك الله، فأرسل إليه مائة دينار، ورسم بمعايته من الروافض، إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله.

وفيها توفي مسند الشام: أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر: ■ الخشوعي، شارك ابن عساكر في كثير من مشيخته، وطالت حياته بعد وفاته سبع وعشرين سنة، فالحق فيها الأحفاد بالأجداد.

ومن شعره الرائع له أيضاً:

أصاب وصف الخمر في إهابها يا حبذا ما كان من مهابها
حبا بها الساقى وقد أقمده سكر فزاد السكر إذا حبا بها
خطبا بها وثيقة شرعية على الذي يفلس من خطا بها
دعا بها في صدر كل باخل وغلبا من كل من دعا بها
فتا بها قلب الحود واشكروا كل قسى في الناس قد فتا بها
اعن بها يا أيها الفخرى بها وأسلف النصارى في اعتابها
شوى بها كل السرور عندنا وإثمها أكبر من ثوابها

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

قال سبط بن الجوزي في المرآة (إمارة الزمان: ٥١٣/٢): في ليلة السبت سلخ الحرم، هاجت النجوم في السماء، وماسجت شرقاً وغرباً، وتطارت كالجراد المتشر بيننا وشمالاً، قال: ولم ير مثل هذا إلا في عام المبعث، وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين.

وفي هذه السنة شرع في عمارة سور قلعة دمشق، وابتدئ ببرج الزاوية الغربية القبلية، المجاور لباب النصر. وفيها أرسل الخليفة الناصر الخلع، وسراويلات القنطرة إلى الملك العادل وبنيه.

وفيها بعث العادل ولده موسى الأشرف لمحاصرة ماردین، وساعده جيش سنجان والوصل، ثم وقع الصلح على يدي الظاهر، على أن يحمل صاحب ماردین للعادل في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار، وأن تكون السكة والخطة للعادل، وأنه متى طلبه بجيشه يحضر إليه.

وفيها كمل بناء رباط المرزبانة، ووليه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهرودي، ومعه جماعة من الصوفية، ورتب لهم من المعلوم والجراية ما يبنين لثلاثهم من إقامتهم بالديار المصرية.

وفيها احتجز الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته، وسيرهم إلى الرها خوفاً من آفاتهم بالديار المصرية.

وفيها استحوذت الكرج على مدينة دوين قتلوا أهلها ونهبوها، وهي من بلاد آذربيجان، لاشتغال ملكها بالفلسق وشرب الخمر قبحه الله فتحكمت الكفرة في رقاب المسلمين بسببه، وذلك كله غل في عنقه يروم القيامة.

الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين: فقام بالملك بعده ولده محمود، وتلقب بلقب أبيه، وكان غياث الدين عاقلاً، حازماً شجاعاً، لم تكسر له راية مع كثرة حروبه، وكان شافعي المذهب، ابنتى مدرسة هائلة للشافعية، وكانت سيرته حسنة في غاية الجودة وكذا سيرته، رحمه الله.

وفيها توفي من الأعيان

الأمير الكبير للدين أبو منصور:

■ سليمان بن شروة بن خلدك، أخو الملك العادل لأمه، وكانت وفاته في التاسع والعشرين من الحرم، ودفن بداره التي جعلها مدرسة في داخل باب الفارديس في محلة الأفترس، ووقف عليها الجمان بكماها، تقبل الله منه.

القاضي ضياء الدين

الغزالية، وكان زاهداً متورعاً، حسن الطريقة، مهيباً في الحق.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الأول، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، وتولى بعده الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعا وثلاثين سنة، وقيل: وقد كان ابن الزكي ولي ولده الزكي الطاهر، فصلى صلاة واحدة، فتشفع جمال الدين بالأمير فلك الدين أخي العادل، فولاها إياها، فبقي فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وستمئة.

الشيخ

■ علي بن علي بن غليس: اليمني العابد الزاهد، كان مقيماً شرقي الكلاسة، وكانت له أحوال وكرامات، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه، ساقها أبو شامة عنه في الذيل (ص: ٣٠).

الصدر أبو الفداء

■ حماد بن هبة الله بن حماد الحوامي، النابج، ولد سنة إحدى عشرة عام ولد نور الدين بن زنكي، وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرها من البلاد وحديث، وتوفي في ذي الحجة. ومن شعره قوله:

تَقَلَّ السَّوْدَ فِي الْأَنْصَاقِ يَكْبِيهُ عَاسَانًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا يَلْدُنِي
أَمَا تَرَى الْيَدِيقَ الشَّطْرَنَجَ أَكْبَهُ حَسَنُ التَّنْقِلِ حَسَنًا فَوْقَ زَيْتِي

الست الجليلة

■ بنفش بنت عبد الله: عتيقة المستضي، كانت من أكبر حظاياها، ثم صارت بعده من أكثر النساء صدقة وبراً، وإحساناً إلى العلماء والفقراء، لها بطريق الحجاز معروف، ووقت مدرسة على الحنابلة وأوقافاً داراً، ودفنت ببغداد عند تربة معروف الكرخي.

■ ابن المختصب الشاعر أبو الشكر: محمود بن سليمان بن سعيد الموصل، يعرف بابن المختصب، تفقه ببغداد، ثم سافر إلى البلاد، وصحب ابن الشهرزوري وقدم معه، فلما ولي قضاء بغداد ولاه نظر أوقاف النظامية، وكان فاضلاً يقول الشعر الرائع، فمن ذلك:

أسلف لنا في سلافة العنب جميع ما يقتنى من الذهب
وانشعب مع النفس في معاملة فيها بما عندنا من النشوب
جميع ما في الميمان يحقره الـ محاسن في لثم ريقها النشوب
لا سيما إن أتتك كسالذهب قد قلدها عقداً من الحبيب
تحرق كسف المير إن وقف الدُّور بها ساعة من اللهب
إذا بدا هُنا لِسْتَرْقُ السَّمْعَ يرفق للهُو واللَّعْسَب
تبعه من سماء راووقها الرُّائِقُ رجاً بالأعجم الثَّهَب
ما قطُّ بُتت يد لشاربها وحقُّ بُتت يد أبي لُهب
أمرُ بالكرم خلف حائله تاخني نشوة من الطُّرب
أسكر بالأس إن عزمت على الشُّرب غداً إن ذا من العجب
جنُّها سكرها وصحبها وتحريم شرع لسيد العرب
تركها جانباً ولعلت إلى ظلِّ إمام منج من النُّوب
الطاهر الطاهر وابن خير قسى وطاهر الخلق طاهر النُّوب
ماذا يقول المسكاح في رجل خليفة الله وابن عمّ نبي

صالحة عابدة، كثيرة البر والإحسان والصلوات والأوقاف، عمرت المصانع بطريق الحجاز الشريف وأصلحت الطرقات وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف الكرخي، وكانت جنازتها مشهورة جداً، واستمر العزاء بسببها شهراً، عاشت في خلافة ولدها أربعة وعشرين سنة، نافذة الكلمة مطاعة الأوامر.

وفي هذه السنة كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة، قد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في الذيل [ص: ٣٧]، ترجمة مطولة، فينقل إلى سنة وفاته رحمه الله، وذكر بدو أمره، واشتغاله، ومصفاته، وشيئا كثيراً من أشعاره، وما روي له من النماذج المشرقة.

وفي هذه السنة كان ابتداء ملك جنكيز خان، ملك التتار، عليه من الله ما يشق، وهو صاحب الياسق، وضعها ليتحكموا إليها - يعني التتار ومن معهم من أمراء الترك - عن يتنفي حكم الجاهلية وهو والد تورلي، وجد هولاكو بن تورلي - الذي قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

سنة ستمائة من الهجرة النبوية

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقاً منهم ليستبدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين، فيما كانوا زاعمين فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية، فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم، فحاصروها حتى فتحوها قسراً، وأباحوها ثلاثة أيام قتل وأسراً، وأحرقوا أكثر من ربعها، وما أصبح أحد من الروم في هذه الأيام الثلاثة إلا قتلاً أو قتيلاً أو مكبلاً أو أسيراً، ولما عامة من بقي منها إلى كنيسة العظمى المسماة بـ (صوفيا)، فقصدتهم الفرنج، فخرج إليهم القيسيون بالأناجيل، ليتوسلوا إليهم، وتلوا عليهم، فما انتفضوا إلى شيء من ذلك، بل قتلهم أجمعين، أكتنبت أبصعين. وأخذوا ما كان في الكنيسة من الخلى والأذهاب والأموال التي لا تحصى ولا تعد، وأخذوا ما كان على الصلبان والحيطان، والحمد لله الرحيم الرحمن، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ثم اقترع ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة، وهم دوقس البنادقة، وكان شيخاً أعمى تقاد فرسه، ومركيس الافرنسيس، وكند أفلند، وكان أكثرهم عدداً، وعندما فخرجت القرعة له ثلاث مرات، فولره ملك القسطنطينية، وأخذ الملكان الآخران بعض البلاد، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] ولم يبق بأيدي الروم هنالك إلا ما وراء الخليج استحوذ عليها رجل منهم يقال له لشكري، ولم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفي، لعنة الله عليه إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقروا بملكهم القسطنطينية، فنزلوا عكا، وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي، فقتلوا وسبوا، فنهب إليهم العادل وكان بدمشق، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية، ونالهم بالقرب من عكا، فكان بينهم قتال شديد ومصابرة عظيمة، ثم وقع الصلح بينهم والمدينة، وأطلق لهم السلطان شيئا من البلاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه السنة جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها.

■ ابن الشهرزوري: أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصل، قاضي قضاة بغداد، وهو ابن أخي قاضي قضاة دمشق كمال الدين الشهرزوري، أيام نور الدين، ولما توفي سنة ست وسبعين في أيام الدولة الصلاحية أوصى لولد أخيه هذا بالقضاء فوليه، ثم عزل عنه بآين أبي عصرون، وعرض بالسفارة إلى الملوك، ثم تولى قضاء بلدة الموصل، ثم استدعي إلى بغداد فوليه ستين وأربعة أشهر، ثم استقال الخليفة فلم يلقه الخليفة لحظوته عنده، فاستشفع في زوجته ست الملوك على أم الخليفة، وكان لها مكانة عندها، فأجيب إلى ذلك، فصار إلى قضاء حماة لحبة إياها، وكان يعاب عليه ذلك، وكانت لديه فضائل، وله أشعار راقية، كانت وفاته في حماة في نصف رجب رحمه الله.

■ عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة: أبو بكر البغدادي، المعروف بن المرتانية، أحد الفضلاء المشهورين، سمع الحديث وجمعه، وكان طبيباً متجعماً، يعرف علوم الأوائل، وأيام الناس، وصنف ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام ورتبه على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر، وجمع سيرة ابن هبيرة، وقد كان يزعم أنه من سلالة الصديق، فنكلموا فيه بسبب ذلك، وأشد بعضهم:

دع الأنساب لا تعرض لقيم فإن المجن من ولد الصمم
لقد أصبحت من تيم دعياً كدعوى حميص يبص إلى تميم

■ ابن التجا الواعظ: علي بن إبراهيم بن نجا زين الدين أبو الحسن الدمشقي، الواعظ الخليلي، وسبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي قدم بغداد ففقه بها، وسمع الحديث، ثم رجع إلى بلده دمشق، ثم عاد إليها رسولاً من جهة نور الدين في سنة أربع وستين، وحدث بها، ثم كانت له حظوة عند الملك الناصر صلاح الدين، وهو الذي تم على عمارة اليميني وذويه فضلياً، وكانت له مكانة بمصر، وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس الشريف بعد الفراغ من الجمعة، وكان وقتاً مشهوداً، وكان يعيش عيشاً أطيب من عيش الملوك في الأطعمة والملابس، وكان عنه أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء، كل واحدة بألف دينار، فكان يطوف عليهن ويشاهن، وبعد هذا كله مات فقيراً لم يخلف كفتاً، وقد أئند وهو على منبره للوزير طلائع بن رزيك:

مشيك قد قضى صبح الشباب وحل البأ في وكر الغراب
تنام ومقلعة الحلدان يقضى ومناكب النواكب عنك نواب
فكيف بقاء عمرك وهو كثر وقد أفقت منه بلا حساب؟
الشيخ أبو البركات:

■ محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي يعرف بالزويد، كان أديباً شاعراً، وما نظم في الوجيه النحوي حين كان حنبلياً فانتقل حنفيًا، ثم صار شافياً، نظم ذلك في حلقة النحو بالنظامية:

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي لديه الرسائل
تمنعت للثمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعوزت المأكلاً
وما اخترت رأي الشافعي تدنياً ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر إلى مالك فانظن إلى ما أنت قاتل؟

الست الجليلة المصونة

■ زمرد خاتون: أم الخليفة الناصر لدين الله بن المستضي، كانت

وكتب الكثير، وأسمع وصنف كتابا عدة، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموي، ودار الحديث الثورية.

وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر، ودفن بعد العصر على أبيه، بمقابر باب الصغير شرقي قبور الصحابة، خارج الحظيرة رحمهما الله.

■ (عبد الغني بن عبد الواحد القدسي).

الحافظ عبد الغني القدسي بن عبد الواحد بن علي بن مرور الحافظ أبو محمد القدسي، صاحب التصانيف المشهورة، من ذلك: الكمال في أسماء الرجال، والأحكام الكبرى والصغرى، وغير ذلك.

ولد بجماعيل في ربيع الآخر، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وهو أسن من ابن خاله الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة القدسي، بأربعة أشهر، وكان قدومهما مع أهلهما من بيت المقدس إلى مسجد أبي صالح خارج باب شرقي أولا، ثم انتقلوا إلى السفح، ففرت علة الصالحة بهم، فقبل لها الصالحة، فسكنوا اللير.

وقرأ الحافظ عبد الغني القرآن، وسمع الحديث، وارتحل هو والموفق إلى بغداد سنة ستين وخمسمائة، فأتىهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة، وكان لا يترك أحدا يزول عنده، ولكن توسم فيهما الخير والتجاسة والصلاح، فأكرمهما وأسمعهما، ثم توفي بعد مقدمهما بخمسين ليلة رحمه الله.

وكان ميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال، وميل الموفق إلى الفقه، واشتغلا على الشيخ أبي علي الشيخ أبي الفتح بن المني، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين، فدخل عبد الغني إلى مصر وإسكندرية، ثم عاد إلى دمشق، ثم ارتحل إلى الجزيرة وبغداد، ثم رحل إلى أصبهان، فسمع بها الكثير، ووقف على مصنف للحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة.

قلت: وهو عندي بخط أبي نعيم.

فأخذ في مناقشته في أماكن من الكتاب، في مائة وتسعين موضعاً، فغضب بنو الخجند من ذلك، فبغضوه، وأخرجوه منها مخفياً في إزار، ولا دخل في طريقه إلى الموصل سمع كتاب العقيلي في الجرح والتعديل، فثار عليه الحنفية بسبب أبي حنيفة، فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب.

فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة، برواق الخنايلة من جامع دمشق، فاجتمع الناس عليه وإليه، وكان رقيق القلب، سريع الدمعة، فحصل له قبول من الناس جداً، فحسده الدعاشقة، وجهزوا الناصح ابن الحبلي، فتكلم تحت قبة النسر، وأمره أن يجهر بصوته مهما أمكنه، حتى يشوش عليه، فحول عبد الغني ميعاده إلى بعد العصر، فذكر يوماً عقيدته على الكرسي، فثار عليه القاضي محيي الدين ابن الزكي، والمخطيب وضياء الدين الدولي، وعقدوا له مجلساً في القلعة، يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمسة وتسعين، وتكلموا معه في مسألة العلو ومسألة النزول، ومسألة الحرف والصوت، وطال الكلام، وظهر عليهم بالحجة، حتى قال له الصارم بزغش والي القلعة: كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم. فغضب بزغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك، ثم إلى الديار المصرية، فأواه الطحانون، فكان يقرأ الحديث بها، فثار عليه الفقهاء بمصر أيضاً، وكتبوا إلى الوزير صفي الدين بن شكر، فآثر بنفيه إلى المغرب، فمات قبل وصول الكتاب، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، وله تسع وخمسون سنة، ودفن بالقرافة، عند قبر الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمهما الله.

ولها محارب صاحب الموصل نور الدين وقطب الدين بن عماد زكي صاحب سنجار، وساعد الأشرف بن العادل القطب، ثم اصطلموا، وتزوج الأشرف أخت نور الدين، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مردود بن زكي، واقفة الأتابكية التي بالسفح، وبها تربتها. وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص، وغيرها من البلاد، قاله ابن الأثير في كامله (١٢/١٩٨).

ولها تغلب رجل من التجار يقال له محمود بن محمد الحميري على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستمئة وما بعدها.

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي القضاة ببغداد، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سليمان الحلبي بدار الوزير، وثبت عليه عضو بأنه يتناول الرشا، فنزل في ذلك المجلس، وفستق، وتزعجت الطرحة عن رأسه، وكانت مدة ولايته ستين وثلاثة أشهر.

ولها كانت وفاة الملك

■ ركن الدين بن قلع أرسلان، صاحب بلاد الروم ما بين ملطية وقونية، وكانت فيه شهامة وصرامة غير أنه كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة، وكان كهفاً لمن ينسب إلى ذلك، وملجأ لهم، وظهر منه قبل موته نجهم عظيم، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه - وكان صاحب أنكورية، وتسمى أيضاً أنقرة - مدة ستين، حتى ضيق عليه الأقوات بها، فسلمها إليه قسراً، على أن يعطيه بعض البلاد، فلما تمكن منه ومن أولاده، أرسل إليهم من قتلهم، غدرًا وخديعة ومكرًا فلم ينظر بعد ذلك إلا حسة إسماء، فغضبه الله تعالى بالفولنج سبعة أيام ومات ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانَا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] وقام بالملك من بعده ولده قلع أرسلان، وكان صغيراً فبقي سنة واحدة، ثم نزع منه الملك، وصار إلى عمه كنخسرو.

ولها قتل خلق كثير من الباطنية بواسطة والله الحمد.

قال ابن الأثير: في رجب منها اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدهم الحادي، وهو الجمال الحلبي:

عُوذَلِي أَتَصْـرِي كَفَى بِمَشْـيِي عِـذْكَ
شَابِبٌ كَان لَمْ يَكُنْ وَشَبِيبٌ كَان لَمْ يَزَلْ
وَحَقُّ لَيْلِ الرِّصَالِ أَوَاخِرُهُمُ الْوَالِدُ
وصفيرة لسون المحب عند استماع الغسل
لئن عاد عيشي بكم حلا لي العيش لي واتصل

قال فتحرر الصوفية على العادة، فتواجد من بينهم رجل يقال له أحمد بن إبراهيم الرازي، فخر مشياً عليه، فحركوه فإذا هو ميت، قال: وكان رجلاً صالحاً.

وقال ابن الساعي كان شيخاً صالحاً، صاحب الصدر عبد الرحيم شيخ الشيخ، فشهد الناس جنازته، ودفن بباب أبرز.

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو محمد القاسم بهاء الدين: الحافظ ابن الحافظ أبي القاسم علي بن هبة الله

■ ابن عساكر، كان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسمائة، أسمعه أبوه الكثير، وشارك أباه في أكثر مشايخه، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه،

أم الصبح بالليل البهيم موشح حكي ابنوساً في صحيفة عجاج
لقد غار صدغاه على ورد خده فسبحه من شعره بسبيح

■ الطاوسي صاحب الطريقة العراقي بن محمد بن العراقي: ركن الدين
أبو الفضل القزويني ثم المهندي، المعروف بالطاوسي، كان بارعا في علم
الخلافة والجدل والمناظرة، أخذ هذا الشأن عن الشيخ رضي الدين
السيابوري الحنفي، وصنف في ذلك ثلاث تعاليق.

قال ابن خلكان: أحسنهن الوسطى، وكانت إليه الرحلة بهمدان، وقد
بنى له بعض الأمراء الحجة بها مدرسة تعرف بالحاجية، وكانت وفاته في
هذه السنة ويقال: إنه منسوب إلى طاوس بن كيسان التابعي قاله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وستمائة

فيها عزل الخليفة الناصر ولده محمد الملقب بالظاهر عن ولاية العهد،
بعدما خطب له بذلك سبع عشرة سنة، وولي العهد ولده الآخر عليا،
فمات علي عن قريب، فعاد الأمر إلى الظاهر، فبيع له بالخلافة بعد أبيه
الناصر، كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزائن السلاح، فاحترق من
ذلك شيء كثير، من السلاح والأمتعة والمسكنين، ما يقارب قيمته أربعة
آلاف دينار، وشاع خبر هذا الحريق في الناس، فأرسلت الملوك من
سائر الأنظار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضا عن ذلك، وفوقه من ذلك
شيئا كثيرا.

وفيها عاثت الكرج ببلاد المسلمين قتلوا خلقا، وأسروا آخرين.

وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسيني، وبين أمير المدينة سالم
بن قاسم الحسيني، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالما فيها، فركب إليه
سالم بعد ما صلى عند الحجرة النبوية، فاستنصر الله على قتادة، ثم برز إليه
فكسره، وساق وراءه إلى مكة فحصره بها، ثم إن قتادة أرسل إلى أمراء سالم
فانفسدهم عليه، فكر سالم راجعا إلى المدينة سالما.

وفيها ملك غياث الدين كينسر بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع
أرسلان بن سليمان بن قتلش بلاد الروم، واستلبها من ابن أخيه، واستقر
هو بها، وعظم شأنه، وقويت شوكته، وكثرت عساكره، وأطاعه الأمراء
وأصحاب الأطراف، وخطب له الأفضل بن صلاح الدين بسمياط،
وسار إلى خدمته.

واتفق في هذه السنة أن رجلا ببغداد نزل إلى دجلة يسبح فيها، وأعطى
ثيابه لغلامه، ففرق في الماء، فوجد في ورقة بعمامة هذه الأبيات:

يا أيها الناس كان لي أملٌ فصر بـي عن بلوغه الأجلُ
فلينق الله ربه رجلاً أمكنه في زمانه العملُ
ما أنا وحدي تقلتُ حيث ترى كلُّ لي مثله سـيتقلُّ

ومن توفي فيها من الأعيان

أبو الحسن

■ علي بن الحسن بن عتار بن ثابت الحلبي: المعروف بشميم، كان
شيخا أدبيا، فاضلا لغويا شاعرا، جمع من شعره حماسة كان يفضلها على
حماسة أبي تمام، وله خريات يزعم أنها أفضل من التي لأبي نواس.

قال السبط امرأة الزمان: ٥٢١/٢/٨: كان عبد الغني ورعا زاهدا عابدا،
يصلي كل يوم ثلاثمائة ركعة كرد الإمام أحمد، ويقوم الليل، ويصوم عامة
السنة، وكان كريما جوادا لا يدخر شيئا، ويتصدق على الأرامل والأيتام
حيث لا يراه أحد، وكان يرقع ثوبه ويؤثر بشن الجليد، وكان قد ضعف
بصره من كثرة المطالعة واليكاء وكان أوحد زمانه في علم الحديث والحفظ.
قلت: وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي تغمده الله برحمته
كتابه الكمال في أسماء الرجال - رجال الكتب الستة - بتعليقه الذي
استترك عليه فيه أماكن كثيرة، نحواً من ألف موضع، وذلك أنه الإمام
المزي الذي لا يملأ ولا يجارى، وكتابه التهذيب لم يسبق إلى مثله، ولا
يلحق في مثل شكله، فرحم الله صاحبي التهذيب والكمال، فلقد كانا
نادرين في زمانيهما في أسماء الرجال حفظا وإتقاناً، وسماعاً وإسماعاً
وسرداً للمتون وأسماء الرجال.

قال ابن الأثير في الكامل [١٩٩/١٢] وفيها توفي.

أبو الفتح

■ أسعد بن محمود العجلي: صاحب تمة التمة، أسعد بن أبي الفضل
بن محمود بن خلف العجلي الفقيه الشافعي الأصبهاني، الواعظ متجرب
الدين، سمع الحديث، وتفقه وبرع، وصنف تمة التمة لأبي سعد المروزي.
كان زاهدا عابدا، وله شرح مشكلات الوسيط والوجيز.

قال ابن خلكان توفي في صفر سنة ستمائة.

■ البستاني الشاعر: أبو عبد الله محمد بن المهنا، الشاعر المعروف
بالبستاني، مدح الخلفاء والوزراء والأمراء وغيرهم، كبر وعلت منه، وكان
وقح الشعر لطيفة، فمن قوله:

ظلما ترى مفرأ في الحب تزجره وغيرةً بالهوى أمسيت تنكره
يا عاذل الصب لو عابيت قتله لوجنة وعذار كنت تمنده
أندي الذي سحر عينه يعلمني إذا تصدى لقتلي كيف أسره
يستمتع الليل في نوم وأسهره إلى الصباح وبستاني وأذكوره
وله أيضاً:

بكرت تيسر على العواذلُ وتجرُّ ذبلاً في الخمائلُ
وتهرُّ في ثسى الفلا تل زلفها هزّ النوايلُ
وتقول للفضن الرطـب ب إذا تمائل أو تمائل
يضاء صبغة خلعتا تسمى وصبغ السورد حائل
شهُد الحياء وصلها وصدورها سم القواتل
أبو سعيد

■ الحسن بن عماد بن المبارك بن محضر النصراني الماردني، الملقب
بالوحيد، اشتغل في حياته بعلم الأوائل وأقنعه، وبرز فيه وكانت له يد
طولى في الشعر الرائق، فمن ذلك قوله قتله الله:

أتاني كتاب أنشأته أنامل حوت أبحراً من قبضها يفرق البحر
فوا عجا أرى التوت نفوق طرسه وما عودت بالقبض أثله العشر
وله أيضاً لعنه الله:

لقد أثرت صدغاه في لسون خده ولاحا كفى من وراء زجاج
نرى عسكرياً للروم في الزنج قد بدت طلائمه تسمى ليوم هياج

فوا حسرتا لو يرفع الموت حسرة ووالسفالو كان يجدي التأسف وكانت على الأرزاء نفسي قوية ولكنها من حل فالرزاء تصصف

■ أبو الفضل بن إلياس بن جامع بن علي الإربلي: تفقه بالنظامية وسمع الحديث، وصف التاريخ وغيره، وتفرّد بحسن كتابة الشروط، وله فضل ونظم، فمن شعره:

أمرض قلبي، ما لهجرك آخر ومهر طرفي، هل خيالك زائر
ومستعذب التعذيب جوراً بصله أما لك في شرع المحبة زاجر؟
هيناً لك القلب الذي قد وقفته على ذكر إلياسي وأنت مسافر
فلا فارق الحزن المبرح خاطري لبعذك حتى يجمع الشمل قادر
فإن مت فالتليم متي عليكم بماودكم ما كبر الله فأكبر
■ أبو السعادات الحلبي: التاجر البغدادي الرافضي، كان في كل جمعة يلبس لأمة الحرب، ويقف خلف باب داره، وهو يجاف عليه، والناس في صلاة الجمعة، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب سامرا - يعني محمد بن الحسن العسكري - ليميل سيفه في الناس نصرة للمهدي.

■ أبو غالب بن كمونة اليهودي: الكاتب، كان يزور على خط ابن مقلّة من قوة خطه، توفي لعنه الله بمطمرة واسط، ذكره ابن الساعي تاريخه [١٩٥/٩].

ثم دخلت سنة ثنتين وستمائة

فيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الغوري، صاحب غزنة، وبين بني كوكر أصحاب الجبل الجودي، وكانوا قد ارتدوا عن الإسلام، فقاتلهم وكسروهم، وغنم منهم شيئاً كثيراً لا يعد ولا يوصف، فاتبه بعضهم حتى قتله غيلة في ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء، وكان رحمه الله من أجود الملوك سيرة، وأعقلهم وأثبتهم في الحرب، ولما قتل كان في صحبته فخر الدين الرازي وكان يجلس للوعظ بحضرة الملك ويعظه، وكان السلطان يكي حين يقول في آخر مجلسه يا سلطان سلطانك لا يبقى، ولا تلبس الرازي أيضاً، وإن مررنا جميعاً إلى الله، وحين قتل السلطان اتهمه بعض الخاصكية بقتله، فخاف من ذلك، والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا، فسيره إلى حيث يأمن، وتلك غزنة بعده أحد مماليكه تاج الدين النزر، وجرت بعد ذلك خطوب يطول ذكرها، قد استقصاها ابن الأثير وابن الساعي.

وفيها أغارت الكرج على بلاد المسلمين، فوصلوا إلى خلاط، وقتلوا وسبوا، وقاتلهم المقاتلة والعامّة.

وفيها سار صاحب إربل مظفر الدين كوكبوري وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان، وهو أبو بكر بن البهلوان، وذلك لتكوله عن قتال الكرج، وإيقاله على السكر ليلاً ونهاراً، فلم يقدروا عليه، ثم إنه تزوج في هذه السنة بنت ملك الكرج، فلتكف شرهم عنه.

قال ابن الأثير: وكان كما يقال أحمد سيفه وسلّ أمره.

وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي ناصر العلوي الحسني، وخلع عليه بالوزارة، وضربت الطبول بين يديه وعلى يابه في أوقات الصلوات.

وفيها أغار صاحب بلاد الأرمن وهو ابن لاون على بلاد حلب، فقتل

قال أبو شامة في النيل (ص: ٢٥٢): كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة وخلاعة، وله حماة ورمائل.

قال ابن الساعي: قدم بغداد فأخذ التحو عن ابن الخشاب، حصل منه طرفاً صالحاً، ومن اللغة وأشعار العرب، ثم أقام بالموصل حتى توفي بها، ومن شعره في حماة:

لا تشرعن الطرف في بقر المها فمصارع الأجمال في الأجمال
كم نظرة أردت وما أخذت يد المصممي بمن قتلت ألة قتال
سنحت وما سمحت بتسليم وإقلال التحية فعلة المتقال
ومن خبراته قوله:

أمنزج بمسبوك اللجين دماً حكته دمئوع عيني
لما نعى ناعي الفيرا ق بين من أهوى وييني
خفقت لنا شمان من لألاهما في الخفافين
وبدت لنا في كاسها من لونها في خلجين
وله في التجنيس:

ليست من طبول بالشام نواه وثوى به
جعل العود إلى الزو راء من بحض ثوابه
أثرى يوطئني الدهر ثرى مسك ترابسه
وأرى أي نسود عيني موطننا لي وتري به

أبو نصر

■ محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجة، كان سخياً بهياً، واعظاً جنياً، فاضلاً شاعراً فمن قوله:

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها كان لي نيل المنى أحوى لها
وإن تراها سددت أحوالها كان على حمل العلى أقوى لها
فإن تبليت حال من لها لها في قبره عند البلى لها لها

أبو العباس

■ أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض، والنحو واللغة، والعروض والطب، وله تصانيف حسان، وشعر رائق منه قوله:

وفي الرجنات ما في الروض لكن لرونق زهرها معنى عجيب
وأعجب ما التعجب عنه أني لتيسار يحملنه قضيب

أبو القداء

■ إسماعيل بن برقش السنجاري: مولى صاحبها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي، وكان جندياً، حسن الصورة، مليح النظم كثير الأدب، ومن شعره ما كتب له إلى الأشرف موسى بن المعادل يعزبه في أخ له اسمه يوسف:

دموع المال والمكارم ذرف ربيع البلى ناع لتفدك صفصف
غدا الجود والمصروف في اللحد ناريا غداة ثوى في ذلك اللحد يوسف
نقى خطفقت يد النية روحه وقد كان للارواح بالبيض ينظف
سفته ليالي الدهر كاس حمامها وكان بسقي الموت في الحرب يصرف

علي لوصيته بذلك، هكذا ترجمه ابن الساعي في تاريخه [١٨٦/٩].
 وذكر أبو شامة في الذيل [ص: ٥٢]: أنه جدير طاشكين بن عبد الله
 المقتضوي أمير الحاج، حج بالناس ستا وعشرين سنة، كان يكون في الحجاز
 كأنه ملك، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكتب صلاح الدين فحبه
 الخليفة، ثم تبين له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان، ثم أعاده
 إلى إمرة الحج، وكانت الحلة السيفية إقطاعه، وكان شجاعاً جواداً، سمحاً،
 قليل الكلام، مضي عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة، وكان فيه حلم
 واحتمال، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه، فقال له الرجل
 المستغث: أحمار أنت؟ فقال: لا. وفيه يقول ابن التعاويذي:

وأسير على البلاد مولى لا يجيب الشاكي بنير السكوت
 كلما زاد رفعة حطنا الله بتغليته إلى البهموت

وقد سرق فراشه حياصة له فأرادوا أن يستقره عليها، وكان قد رآه
 الأمير طاشكين حين أخذها فقال: لا تعاقبوا أحداً، قد أخذها من لا
 يردّها، ورأه حين أخذها من لا يتم عليه، وقد كان بلغ من العمر تسعين
 سنة، واتفق أنه استاجر أرضاً مدة ثلاثمائة سنة للوقوف، فقال فيه بعض
 المضحكين: هذا لا يوقن بالموت، عمره تسعون سنة واستاجر أرضاً
 ثلاثمائة سنة، فاستضحك القوم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستمئة

فيها جرت أمور طويلة ببلاد المشرق، بين الغورية والخوازرية،
 وملكمهم خوارزم شاه محمد بن تكتش بيلاد الطالقان.
 وفيها ولي الخليفة الناصر القضاء ببغداد لعماد الدين أبي القاسم عبد
 الله بن الدماغي.

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد
 القادر الجليلي، بسبب فسقه وفجوره، وأحرق كبه وأمواله قبل ذلك، لما
 فيها من كتب الفلاسفة، وعلوم الأوائل، وأصبح يستعطي من الناس، وهذا
 بخطبة قيامه على الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، فإنه هو الذي كان وشى
 به إلى الوزير ابن القصاب، حتى أحرقت بعض كتب ابن الجوزي، وختم
 على بقيتها، ونفى إلى واسط خمس سنين، والناس يقولون: في الله كفاية
 وفي القرآن، «وجزاء سيئة سيئة مثلها» [النور: ٤٠] والصوفية يقولون:
 الطريق تأخذ حقها، والأطباء يقولون: الطبيعة مكافئة.

وفيها نازلت الفرنج حصص فقاتلهم ملكها أسد الدين شيركوه، وأعانه
 بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب، فكف الله شرهم. ولله الحمد والمنة.
 وفيها اجتمع شايان ببغداد على الخمر فضرب أحدهما الآخر بسكين
 فقتله وهرب، فأخذ فقتل، فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمهم أمر أن
 تجعل بين أكتافه:

قدمت على الكريم بغير زاد من الأعمال بالقلب السليم
 وسوء الظن أن تعتد زاداً إذا كان القدوم على كريم

وفيها توفي من الأعيان

الفيقهِ العالم أبو منصور:

■ عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان البجلي، الملقب بالقاضي شريح

وسى ونهب، فخرج إليه الملك الظاهر غازي بن الناصر، فهرب ابن لاون
 بين يديه، فهدم الظاهر قلعة كان قد بناها ودكها إلى الأرض.

وفي شعبان منها هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي، ونشرت
 حجارتهما ليلط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر،
 وزير العادل، وكمل تليطه في سنة أربع وستمئة.

وفيها توفي من الأعيان

شرف الدين أبو الحسن:

■ علي بن محمد بن علي جمال الإسلام الشهرزوري، بمدينة حمص،
 وقد كان أخرج إليها من دمشق، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة
 بالجامع تجاه البرادة، وكان لديه علم جيد بالذهب والحلاف.
 الظفي

■ عيسى بن يوسف بن أحمد العراقي الفراءى الضري، مدرس الأمينية
 أيضاً، كان يسكن المارة الغربية، وكان عنده شاب يتعلمه ويقود به، فعدم
 للشيخ دراهم فاتهم هذا الشاب بها، فلم يثبت له عنده شيئاً، واتهم به
 الشيخ، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيء، فضع المال واتهم
 عرضه، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذي القعدة مشقوقاً بيته بالثلثة
 الغربية، فامتنع الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه، فقدم الشيخ فخر
 الدين عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه، فاتهم به بعض الناس.

قال أبو شامة: وإنما حله على ما فعله ذهاب ماله، والوقوف في عرضه،
 قال: وقد جرى لي أخت هذه القضية فعصمني الله سبحانه بفضل.

قال: وقد درس بعده في الأمينية الجمال المصري وكيل بيت المال.

■ أبو الغانم الركبيلار البغدادي: كان يجتمع مع عز الدين نحاح
 الشراي، وحصل أموالاً جزيلة، كان كلما تيسر له مال اشترى به ملكاً
 وكبه باسم صاحب له يعتمد عليه، فلما حضرته الوفاة أوصى ذلك
 الرجل أن يتولى أولاده، ويتفق عليهم من ميراثه مما تركه لهم، فمرض
 الموصى إليه بعد قليل، فاستدعى الشهود ليشهدهم على نفسه أن ما في يده
 لورثة أبي الغانم، فتصادى ورثته بإحضار الشهود وطولوا عليه، وأخذته
 سكة فمات فاستولى ورثته على تلك الأموال والأموال، ولم يسطوا أولاد
 أبي الغانم منها شيئاً مما تركه أبوه.

أبو الحسن

■ علي بن سعاد الفارقي: تفقه ببغداد، وأعاد بالنظامية وناب في
 تدريسها، واستقل بتدريس المدرسة التي أنشأها أم الخليفة، وأريد على نيابة
 القضاء عن أبي طالب علي بن علي البخاري فامتنع، فلأزم به فباشره
 قليلاً، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه مئزر صوف، وأمر
 الركلاء والجلاوذة أن ينصرفوا عنه، وأشهد على نفسه بعزها عن نيابة
 القضاء، واستمر على الإعادة والتدريس رحمه الله.

وفي يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول توفيت.

■ الحاتون: أم السلطان الملك العظيم عيسى بن العادل، فدغنت بالقبة
 بالمدرسة العظمى بسفح قاسيون.

الأمير غير الدين

■ طاشكين المستجدي: أمير الحاج، وزعيم بلاد خوزستان، كان
 شيخاً خيراً، حسن السيرة، كثير العبادة، غالباً في التشيع، توفي بستر ثاني
 جمادى الآخرة، سنة ثنتين وستمئة وحمل تابوته إلى الكوفة، فدفن بمشهد

لذكائه وفضله، وبرايعته وعقله وكمال أخلاقه، ولي قضاء بلدته، ثم قدم بغداد فندب إلى المناصب الكبار فأباهما، فحلف عليه الأمير طاشتكين أن يعمل عنده في الكتابة فخدمه عشرين سنة، ثم وُشى به الوزير ابن مهدي إلى الخليفة، فحبسه في دار طاشتكين إلى أن مات في هذه السنة، ثم إن الوزير الواشي عما قريب حبس بها أيضاً، وهذا من العجب الغريب.

■ (عبد الرزاق بن عبد القادر الجليلي).

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر: كان ثقة، عابداً زاهداً ورعاً، لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجليلي خير منه، لم يدخل فيما دخلوا فيه من المناصب والولايات، بل كان متقلاً من الدنيا، مقبلاً على أمر الآخرة، وقد سمع الكثير وسمع عليه أيضاً.

أبو الحرم

■ مكى بن زيان بن شبة بن صالح الماكسي، من أعمال سنجار، ثم الموصل النحوي، قدم ببغداد وأخذ عن ابن الخشاب وابن القصار، والكمال الأنباري، وقدم الشام فأنشج به خلق كثير، منهم الشيخ علم الدين السخاوي وغيره، وكان ضريراً، وكان يتعصب لأبي العلاء المصري، لما بينهما من القدر المشترك في الأدب والعلم، ومن شعره:

إذا احتاج النّـوَالُ إلى شَفِيعٍ فلا تَقْبَلْهُ تَضْحِي قَرِيرَ عَيْنٍ
إذا عَـيِفَ النّـوَالُ يَفْرُدُ مِنْ فَاوِلَى أن يَمُـالِفَ لِمَتَيْنِ
ومن شعره أيضاً:

نَفْسِي فَنَادَ لِأَعْيَدْ غُنْجَ قَال لَنَا الْحَقُّ يَوْمَ دَعَا
مَنْ وَدَّ شَيْئاً مِنْ حَبِّ طَعْمَا فِي قُبْلَةِ لِلدَّوْعِ وَدَّ عَنَّا

■ إقبال الحادم: جمال الدين أحد خدام صلاح الدين، واقف الإقبالين الشافعية والحنفية، وكانتا دارين له فجعلهما مدرستين، ووقف عليهما وقفاً كبيراً للشافعية وعليها ثلثا الوقف والصنيرة للحنفية، وعليها ثلثا الوقف. وكانت وفاته بالقدس الشريف رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وستمئة

فيها رجع الحاج إلى العراق، وهم يدعون الله ويشكون إليه ما لقوا من صدر جهنم البخاري الحنفي، الذي كان قدم ببغداد في رسالة فاحتفل به الخليفة، وخرج إلى الحج في هذه السنة، فضيّق على الناس في المياه والميرة، فمات نحو من ستة آلاف من حجاج العراق، وكان فيما ذكر يأمر غلمانه تنسّق إلى الناهل فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونه حول خيمته في قيظ الحجاز، ويسقونه للبقولات التي كانت تحمل معه في ترابها، ويمتنعون منه الناس وابن السبيل، والأمين البيت الحرام، يتغنون فضلاً من ربهم ورضواناً، فلما رجع مع الناس لعت العامة، ولم تحتمل به الخاصة، ولا أكرم الخليفة ولا أرسل إليه أحداً، وخرج من بغداد والعامة من ورائه يرمونه ويلعنونه، وسماه الناس هذه السنة صدر جهنم، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأل أن يزيدنا شفقة ورحمة لعباده، فإنه إنما يرحم من عباده الرحماء.

وفيها قبض الخليفة على وزيره ابن مهدي العلوي، وذلك أنه نسب إليه لأنه يروم الخلافة، وقيل غير ذلك من الأسباب، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين حتى مات بها، وكان جباراً عتيلاً، حتى قال بعضهم فيه:

خيلني قسراً للخليفة أحمر
تروق وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أرمين فيها
صنيعك يا خير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالة حيدر
فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما يدعي غير صادق
فأصعب ما كانت لديه الصنائع
وقيل: إنه كان عفيفاً عن الأموال، حسن السيرة جيد المباشرة، فآلته أعلم بحالة.

وفي رمضان منها رتب الخليفة ببغداد عشرين داراً للضيافة، يفتقر فيها الصائمون من الفقراء، يطبخ لهم في كل يوم طعام كثير، فجزاه الله خيراً ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شيء كثير، وهذا الصنيع يشبه ما كانت قريش تفعله من الرفادة في زمن الحج، وكان يتولي ذلك عمه أبو طالب، كما كان جده العباس يتولى السقاية، وقد كانت فيهم السفارة واللواء والتدولة له، كما تقدم بيان ذلك في مواضعه، وقد صارت هذه المناصب كلها على أتم الأحوال في الخلفاء العباسيين.

وفيها أرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين السهروردي وفي صحبته ستر السلحدار إلى الملك العادل بالخلعة السنية وفيها الطوق والسواران، وإلى جميع أولاده بالخلع أيضاً.

وفيها ملك الأوحد بن العادل صاحب ميافاارقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها شرف الدين بن بكتمر وكان شاباً جميل الصورة جداً، قتله بعض عماليكهم، ثم قتل القاتل أيضاً، فخلا البلد عن ملك فأخذها الأوحد بن العادل كما ذكرنا.

وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكتش بلاد ما وراء النهر من الخطا بعد حروب طويلة.

اتفق له في بعض الأيام أمر عجيب، وهو أن المسلمين انهزموا عن السلطان خوارزم شاه، في بعض المواقف وبقي معه عصابة قليلة من أصحابه، فقتل منهم كثر الخطا من قتلوا، وأسروا خلقاً منهم، وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا، أسره رجل وهو لا يشعر به ولا يدري أنه الملك، وأسر معه أميراً يقال له ابن مسعود، فلما وقع ذلك وتراجعت العساكر الإسلامية إلى مقرها، فقدوا من بينهم السلطان فاختطروا فيما بينهم، واختلطوا اختلافاً كثيراً، وانزعجت خراسان بكملها، ومن الناس من ظن أن السلطان قد قتل.

وأما ما كان من أمر السلطان وذاك الأمير، فقال الأمير للسلطان: إني أرى من المصلحة أن تترك اسم الملك عنك في هذه الحالة، وتظهر أنك غلام لي، فقبل منه ما قال وأشار به، ثم جعل الملك يخدم ذلك الأمير يلبسه ثيابه، ويسقي الماء، ويضع له الطعام، ويضعه بين يديه، ولا يألو جهداً في خدمته، فقال الذي أسرهما: إني أرى هذا يخدمك فمن أنت؟ فقال: أنا ابن مسعود الأمير، وهذا غلامي، فقال: والله لو علم الأمراء أنني قد أسرت أميراً لأطلقتك، فقال له: إني إنما أخشى على أهلي، فإنهم يظنون أنني قد قتلت ويقومون المأتم، فإن رأيت أن تقاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيراً، فقال: نعم، فعين رجلاً من أصحابه فقال له الأمير ابن مسعود: إن أهلي لا يعرفون هنا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي هذا فعلت ليسرهم بجاتي فإنهم يعرفونه، ثم يسعى في تحصيل المال، فقال: نعم، فجهز معهما من يحفظهما إلى مدينة خوارزم.

فلما دنوا من مدينة خوارزم سبق الملك إليها، فلما رآه الناس فرحوا به فرحاً شديداً، ودقت البشائر في سائر بلاده، وعاد الملك إلى نصابه، واستقر

من الأمراء الخَلِجَ السنية الخليفة، ودخلوا القلعة وقت صلاة الظهر من باب الحديد، وقرأ التقليد الوزير وهو قائم، وكان يوماً مشهوداً وفيها ركبت الساعات بمننة العروس بالجامع الأموي، وشروعاً في بناء اللُزْج التي تجاه المدرسة القيمانية.

وفيها درس الشيخ شرف الدين عبدالله بن زين القضاة عبد الرحمن بالمدرسة الرواحية بدمشق.

وفيها انتقل الشيخ ابن الحُبَيْر البغدادي من الحنبلية إلى مذهب الشافعية، ودرس بمدرسة أم الخليفة، وحضر عنده الأكابر من سائر المذاهب.

وفيه توفي من الأعيان

الأمير

■ إيتامش بن عبدالله: أحد أمراء الخليفة الناصر، كان من سادات الأمراء عقلاً وعفة وزاهة، وشرفاً سقاء بعض الكتاب من النصارى سما فمات رحمه الله، وكان اسم الذي سقاء ابن ساوى، فسلمه الخليفة إلى غلمان بنيامين، فشفع فيه ابن مهدي الوزير وقال: إن النصارى قد بئلوا فيه خسين ألف دينار، فكتب الخليفة على رأس الورقة:

إن الأسود أسود الغلاب همتها يوم الكريمة في المسلوب لا السلب
فسلمه غلمان إيتامش فقتلوه وحرقوه، وقبض الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي كما تقدم.

■ حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرضائي الحنبلي، المكبر بجامع المهدي، راوى مسند أحمد عن ابن الحصين عن ابن المذهب عن ابن مالك عن عبد الله عن أبيه.

عمر تسعين سنة، وخرج من بغداد فأسعده بابل، واستقله ملوك دمشق إليها، فسمع الناس بها عليه المسند، وكان المعظم يكرمه، ويأكل عنده على السباط من الطيبات، فتصميه التخمعة كثيراً، لأنه كان فقيراً ضيق الأمعاء من قلة الأكل، خشن العيش ببغداد وكان الكندي إذا دخل على المعظم يسأل عن حنبل فيقول المعظم: هو متخوم، فيقول: أطعمه العنص، فيضحك المعظم، ثم أعطاه المعظم مالا جزيلا، ورده إلى بغداد فتوفي بها في هذه السنة، وكان مولده سنة عشر وخمسائة، وكان معه ابن طبرزد، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستمئة.

■ عبدالرحمن بن عيسى بن أبي الحسن الميزوري، الواعظ البغدادي، سمع من ابن أبي الوقت وغيره، واشتغل على ابن الجوزي بالوعظ، ثم حدثه نفسه بمضاهاته وسمخت نفسه، واجتمع عليه طائفة من أهل باب البصرة، ثم تزوج في آخر عمره، وقد قارب السبعين فاغتسل في يوم بارد فانفتح ذكره فمات في هذه السنة.

الأمير زين الدين

■ قراجا الصلاحي: صاحب صرخد، كانت له دار عند باب الصغير عند قناة الزلاقة. وترته بالسفح في قبة على جادة الطريق، عند تربة ابن تمرك وأقر العادل ولده يعقوب على صرخد.

■ عبد العزيز الطيب: توفي فجأة، وهو والد سعد الدين الطيب الأشرفي، وفيه يقول ابن عنين:

فُرادى ولا خلف الخطيب جاحصة وموت ولا هيد العزيز طيب

السرور بلبابه، وأصلح ما كان وهي من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله، وحاصر مرارة وأخذها عنوة.

وأما الذي كان قد أسر، فإنه قال يوماً للأمير ابن مسعود إن الناس ينوحون أن خوارزم شاه قد قتل، فقال: لا، هو الذي كان في أسرك، فقال له: فهلا أعلمتني به حتى كنت أردته موقراً معظماً؟ فقال: خضت عليك، فقال سر بنا إليه، فسار إليه فآكرهما إكراماً زائداً، وأحسن إليهما.

وفيها غدر صاحب سمرقند فإنه قتل كل من كان في أسره من الخوارزمية، حتى كان الرجل يقطع قطعتين ويعلق في السور كما تعلق الأغنام، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه، ثم رجع عن قتلها وحبسها في قلعة وضيق عليها، فلما بلغ الخبر إلى الملك خوارزم شاه سار إليه في الجنود، فتنازله وحاصر سمرقند فأخذها قهراً، وقتل من أهلها نحواً من مائتي ألف وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه، ولم يترك له نسلاً ولا عقباً، واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك.

وفيها تحارب الخطا وملك التار كشلي خان الشاخم لمملكة الصين، فكتب ملك الخطا لخوارزم شاه يستجده على التار ويقول: متى غلبونا خلصوا إلى بلادك، وكنا وقع، وكتب التار أيضاً يستصرونه على الخطا ويقولون: هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك، فكن معنا عليهم، فكتب خوارزم شاه إلى كل من الفريقين يطيب قلبه، وحضر الورقة بينهم وهو متحيز عن الفريقين، وكانت الدائرة على الخطا، فهلكوا إلا القليل منهم، وغدر التار ما كانوا عامدوا عليه خوارزم شاه، فوعت بينهم الرحمة الأكيدة، وتواعدوا للقتال، وخاف منهم خوارزم شاه، وخرب بلاداً كثيرة متاخة لبلاد كشلي خان، خوفاً عليها أن يملكها، ثم إن جنكيز خان خرج على كشلي خان، فاشتغل بمحاربه عن محاربة خوارزم شاه، ثم إنه وقع من الأمور الغريبة ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكرياً قواه بهم على الفرنج.

وخرج الملك العادل من الديار المصرية في العساكر الإسلامية، وأرسل إلى جيوش الجزيرة المصرية فوافوه على عكا فحاصرها، لأن القبارصة أخذوا من أسطول المسلمين قطعاً فيها جماعة من المسلمين، فطلب صاحب عكا الأمان والصلح على أن يرد الأسارى، فأجابته إلى ذلك، وسار العادل فقتل على بحيرة قدس قريباً من حمص، ثم سار إلى بلاد طرابلس، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويغنم، وخرب تلك البلدان الأطرابلسية حتى جنح الفرنج إلى المهاتنة ثم عاد إلى دمشق مؤيداً متصوراً مسروراً محبوراً.

وفيها ملك صاحب أنزيريجان الأمير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان مدينة مراغة لذلك لخلوها عن ملك قاهر، لأن ملكها مات وقام بالملك بعده ولد له صغير، فبدر أمره خادم له.

وفي غرة ذي القعدة شهد محي الدين أبو محمد يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغاني، قبله وولاه حبة جاني ببغداد، وخلع عليه خلمة سنية سرداء بطرحة كحلية، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج يباب بدر الشريف، وحضر عنده خلق كثير، وبعد أيام من يومئذ درس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي، وحضر عنده الأعيان والأكابر.

وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة إلى العادل بالخلع، فلبس هو وولده المعظم والأشرف، ووزيره صفى الدين بن شكر، وغير واحد

وفيهما توفي.

■ العفيف بن الدرجي: إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع دمشق.

أبو محمد

■ جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الإربلي، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على مذهب الشافعي، والحساب والفرائض، والمهندسة والأدب والنحو، وما يتعلق بعلوم القرآن العزيز، وغير ذلك، ومن شعره الحسن الجيد قوله:

لا يدفع المرء ما يأتي به القدرُ وفي الخطوب إذا فكرتُ معتبرُ
فليس ينبغي من الأقدار أن تزلت رأي وحزَم ولا خوف ولا حذرُ
فاستعمل الصبر في كل الأمور تنجز لشيء فعقبى صبرك الظفرُ
كم منا مرةً عسرَ فصرُّهُ صرفُ الزمان ووالى بعده يُسرُ
لا يأس المرء من روح الإله فما يأس منه إلا عصاة كفروا
إنسي لأعلم أن الدمر ذو دول وأن يوميه ذا آمنٍ وذو خطرُ

ثم دخلت سنة خمس وستمائة

في حرّمها كمل بناء دار الضيافة ببغداد، التي أنشأها الناصر لدين الله، بالجانب الغربي منها للحجاج والمارة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها، فإذا أراد أحدهم السفر منها زود وكسي وأعطى بعد ذلك كله ديناراً للسفر، جزاه الله خيراً.

وفيهما عاد أبو الخطاب بن دحية الكلبي من رحلته العراقية فاجتمع بالشام، فاجتمع في مجلس الوزير صفي الدين بن شكر هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي شيخ اللغة والحديث، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى (قول) إبراهيم عليه السلام: «إنما كنت خيلاً من وراء وراء» [١٩٥٨×٣٢٩] بفتح اللفظتين، فقال الكندي: من وراء وراء؟ يضمهما، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر: من ذا؟ فقال: هذا الشيخ أبو اليمن الكندي، فقال منه ابن دحية، وكان جريشاً، فقال الكندي: هو من كلب فنيح.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وكتلتا الروايتين عكشاً، وحكى فيها الجر أيضاً.

وفيهما عاد فخر الدين بن تيمية خطيب حران من الحج إلى بغداد، وجلس بباب بدر للوعظ، مكان محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج، فقال في كلامه ذلك:

وابن اللبون إذا ما لزي قرن لم يستطع صولة السيزل القناعيس
كانه يعرض بالحجي الجزوي، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة والله أعلم.

وفي يوم الجمعة تاسع محرم دخل مملوك إفريقي من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران، وفي يده سيف مسلوك، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر، فمال على الناس يضربهم بسيفه، فقتل اثنين أو ثلاثة، وضرب المنبر بسيفه فانكسر سيفه، فأخذ وأودع المارستان، وشنق في يومه ذلك على جسر البابين.

وفيهما عاد الشيخ شهاب الدين السهورودي من دمشق بهدايا الملك العادل، فتلّقا الجيش ومعه أموال كثيرة أيضاً لنفسه، وكان قبل ذلك فقيراً

زاهداً، فلما عاد منع من الوعظ، وأخذت منه الربط التي يباشرها، ووكل إلى ما بيده من الأموال، شرع في تفريقها على الفقراء والمساكين، فاستغنى عنه خلق كثير من الفقهاء وغيرهم، فقال الحجي بن الجزوي في مجلس ما معناه: لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها، ولو ترك على ما كان تركها أولى به من تناولها، وإنما أراد أن ترتفع منزلة بيدها، أو يعود إلى حاله كما كان ولو ترك على ما كان يباشره لما بذلها، فليجلز العبد الدنيا، فإنها خداعة غرارة، تسترق فحول العلماء والعباد فضلاً عن العوام والقواد، وقد وقع ابن الجزوي فيما بعد فيما وقع فيه السهورودي وأعظم.

وفيهما قصدت الفرنج حمص، وعبروا على العاصي بمصر أعدوه في بلادهم، فلما عرف بهم الساكر ركبو في آثارهم فهربوا، فقتلوا خلقاً كثيراً منهم، وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة والله الحمد.

وفيهما قتل صاحب الجزيرة، وكان من أسوأ الناس سيرة، وأخبثهم سريرة، وهو الملك

■ منجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقستقر الأتابكي، ابن عم نور الدين صاحب الموصل، وكان الذي تولى قتله ولده غازي، توصل إليه حتى دخل عليه وهو في الحلاء سكران، فضره بسكين أربع عشرة ضربة، ثم ذمعه، وذلك كله ليأخذ الملك من بعده فخرمه الله إياه، فبوع بالملك لأخيه محمود، وأخذ غازي هذا العاق لوالده فقتل من يومه، فسلبه الله الملك والحياة، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم أبيه وغشمه وفسقه قال تعالى: ﴿وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وفيهما توفي من الأعيان

أبو الفتح

■ محمد بن أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن إبراهيم بن جعفر الواسطي، المعروف بابن الندائي، آخر من روى المسند عن الإمام أحمد عن ابن الحصين وكان من بيت فقه وقضاء وديانة، وكان ثقة عدلاً متورعاً في النقل، ومما أشهد به حفظه:

ولو أن ليلى مطلع الشمس دونها وكنت من وراء الشمس حين

لحدثت نفسي بانتظار نواها وقال المنى لي: إنها لقربُ
قاضى قضاء بالديار المصرية: صدر الدين
■ عبد الملك بن درباس الماراني الكرودي والله أعلم.

ثم دخلت سنة ست وستمائة

في المحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرسالة عن العادل، ومعه هدايا كثيرة، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال اليتيم والمجنون، وأخذ الحنفي يستدل على عدم وجوبها، فاعترض عليه الشافعي فأجاد كل منهما في الذي أورده، ثم خلع على الحنفي وأصحابه بسبب الرسالة، وكانت المناظرة بمحضرة نائب الوزير ابن أسيتا.

وفي يوم السبت خامس جمادى الآخر وصل الجمال يونس بن بدران المصري رئيس الشافعية بدمشق إلى بغداد في الرسالة عن الملك العادل،

بالمذهب، وله تفسير في أربع مجلدات كان يدرس منه، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السمعاتي وقارب الثماني رحمه الله.

■ ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية:

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي، المعروف بابن الأثير.

وهو أخو الوزير وزير الأفضل ضياء الدين نصر الله، وأخو المحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ.

ولد أبو السعادات هذا في إحدى الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمئة، وسمع الحديث الكثير، وقرأ القرآن الكريم وأتقن علومه وحرر علوماً جمّة، وكان مقامه بالموصل، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة، منها جامع الأصول الستة: الموطأ، والصحيحان، وسنن أبي داود، والنسائي والترمذي ولم يذكر ابن ماجه فيه، وله كتاب النهاية في غريب الحديث، وله شرح مسند الشافعي، والتفسير في أربعة مجلدات، وغير ذلك في فنون شتى.

وكان رحمه الله معظماً عند ملوك الموصل، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مردود بن زنكي، أرسل إليه ملوكه لولوا يعرض عليه أن يستوزره فأبى، فركب السلطان إليه بنفسه فامتنع أيضاً وقال له: قد كبرت سني، واشتهرت بنشر العلم، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من السيف والظلم، ولا يليق بي ذلك، فأعفاه.

قال أبو السعادات: كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان، وكان يأمرني بصناعة الشعر، فكتبت لا أقدر عليه، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي، فأمرني بذلك، فقلت له: ضح لي مثلاً أحمل عليه فقال:

جُبد الفُلا معنا إن فُتاك التُفُسرُ

فقلت أنا:

وخذ خد الشرى والليل معتكر

فألغز في صهوات الخيل مركبه والمجد يتجسه الإسراء والسهر

فقال: أحسنت ثم استيقظت فأمتمت عليها نحواً من عشرين بيتاً.

كانت وفاته في سلخ ذي الحجة من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة رحمه الله، وقد ترجمه أخوه في الكامل [١٢/٢٨٨] فقال: كان عالماً في عدة علوم منها الفقه، وعلم الأصول، والنحو، والحديث، واللغة، وتصانيف مشهورة في التفسير، والحديث والفقه، والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة، وكان كاتباً مقلداً يضرب به المثل، ذا دين متين، ولزم طريقة مستقيمة رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزمان.

قال ابن الأثير: وفيها توفي:

المجد:

■ المطرزي الحوي الخوارزمي: كان إماماً في النحو، له فيه تصانيف حسة.

قال أبو شامة: وفيها توفي:

الملك

■ المني: فتح الدين عمر بن الملك العادل، ودفن في تربة أخيه الملك

بفتح قاسيون.

والملك المؤيد

■ مسعود بن صلاح الدين: بمدرسة رأس العين فحمل إلى حلب

فدفن بها.

فتلقاه الجيش مع حاجب الحجاب، ودخل معه ابن أخي صاحب إربل مظفر الدين كوكبري، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل، والسؤال في الرضا عنه، فأجيب إلى ذلك.

وفيهما ملك العادل الخابور ونصيبين، وحاصر مدينة سنجار مدة فلم يتمكن منها، ثم صالح صاحبها ورجع عنها.

وفيهما توفي من الأعيان

القاضي

■ الأسعد بن عمالي: أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مذهب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة بن أبي مليح عمالي المصري الكاتب الشاعر، أسلم في الدولة الصلاحية وتولى نظر الدواوين بمصر مدة.

قال ابن خلكان: وله فضائل عديدة، ومصنفات كثيرة، ونظم سيرة صلاح الدين، وكليلة ودمنة، وله ديوان شعر، ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب فمات بها، وله ثمان وستون سنة، فمات شعره في ثقبيل رآه بدمشق:

حكى نهرين ما في الأر ض من يحكيهما أبدا

حكى في خلقه نُزُوري وفي أخلاقه — سردى

أبو يعقوب

■ يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللمغاني، أحد الأعيان من الحنفية ببغداد، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان، وكان معتزلياً في الأصول، بارعاً في الفروع، اشتغل على أبيه وعمه، وأتقن الخلاف وعلم المناظرة، وقارب التسعين رحمه الله.

أبو عبد الله

■ محمد بن محمد بن الحسين: المعروف بابن الخراساني، المحدث الناسخ، كتب كثيراً من الحديث وجمع خطباً له ولغيره، وخطه جيد مشهور رحمه الله.

أبو المواهب

■ معوي بن منيع بن مواهب الخطيب البغدادي، قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب، وجمع خطباً كان يخطب منها، وكان شيخاً فاضلاً أديباً، له ديوان شعر، فمات قوله:

ولا ترج الصداقة من عدوٍ يعادي نفسه سرّاً وجهراً
فلو اجددت مودته انتفاعاً لكان النفع منه إليه أحراً

■ ابن خروف: شارح كتاب سيويه، علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن بن خروف، الأندلسي النحوي، شرح سيويه، وقدم إلى صاحب المغرب، فأعطاه ألف دينار، وشرح جمل الزجاجي، وكان ينتقل في البلاد، ولا يسكن إلا في الخانات، ولم يتزوج قط، ولا تسرى، ولذلك علة تغلب على طابع الأراذل، وقد تغير عقله في آخر عمره، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس، وكانت وفاته في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة.

أبو علي

■ يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز الواسطي ثم البغدادي، اشتغل بالنظامية على ابن فضال وأعاد عنده، وسافر إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته في الخلاف، ثم عاد إلى بغداد، ثم صار مدرساً بالنظامية، وناظراً على أوقافها، وقد سمع الحديث وكان لديه علوم كثيرة، ومعرفة حسنة

وليفها توفي:

قال أئندنا:

تمة أبواب السعادة للخلقي
بذكر جلال الواحد الأحد الحق
مدير كل الممكنات بأسرها
ومدها بالعدل والقصد والصدق
أجل جلال الله عن شبه خلقه
وانصر هذا الدين في الغرب
إله عظيم الفضل والعدل والعلى
هو المرشد المفوي هو السعد
وما كان ينشده في بعض مصنفاته:

نهاية إقدام المقول عقلا
وأرواحنا في وحشة من جومنا
وأكثر سعي العالمين ضلال
وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستغ من مجنا طول عمرنا
سوى أن جعنا فيه قيل وقالوا
ثم يقول: لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فلم أجدها
تروي غليلا ولا تشفي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرا في
الإتيان «الرَّحْمَنُ عَلَى الْغَرْثِ اسْتَوَى» [طه: ٥] «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ» [فاطر: ١٠] وفي النفي «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]
«هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» [مريم: ٦٥].

ثم دخلت سنة سبع وستمئة

ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل (ص: ٧٥، ٧٦) أن من هذه
السنة تمآلات ملوك الجزيرة: صاحب الموصل، وصاحب ستجار وصاحب
إربل ومعهم ابن أخيه الظاهر صاحب حلب، وملك الروم أيضاً، على
مخالفة العادل، ومنايذته ومقاتلته واصطلام الملك من يده، وأن تكون الخطبة
في بلادهم بذلك للملك كخيخرو بن قليج أرسلان صاحب الروم،
وأرسلوا إلى الكرج ليقدموا لحصار خلط، وأخذها من يد الملك الأوحده
نجم الدين بن العادل، ووعدهم النصر والمعاونة عليه.
قلت: وهذا بني وعدوان ينهى الله عنه.

فاقبلت الكرج بملكهم إيواني، فحاصروا خلط فضاق بهم الأوحده
ذرعاً وقال: هذا يوم عصيب، فقدّر الله تعالى أن في يوم الاثنين تاسع عشر
ربيع الآخر اشتد حصارهم للبلد، وأقبل ملكهم إيواني وهو راكب على
جواده وهو سكران، فسقط به جواده في بعض الحفر التي قد أعدت مكيدة
حول البلد، فبادر إليه رجال، فأخذوه أسيراً حقيراً، فأسقط في أيدي
الكرج، فلما أوقف بين يدي الأوحده أطلقه، ومنّ عليه وأحسن إليه، وفاداه
على مائتي ألف دينار، وألّف أسير من المسلمين، وتسليم إحدى وعشرين
قلعة متاخمة لبلاد الأوحده، وأن يزوجه ابنته من أخيه الملك الأشرف موسى،
وأن يكون عوناً له على من يجاربه، فأجابه إلى ذلك كله، فأخذت منه
الأمان بذلك، وبعث الأوحده إلى أبيه يستأذنه في ذلك كله، والعادل نازل
بظاهر حرّان في أشد حيرة بما قد دمه من هذا الأمر الفظيع، فبينما هو
كذلك إذ أتاه هذا الخبر، والأمر الهائل والتدبير من عزيز حكيم، لم يكن
في ياله ولا في حسابه، فكاد يذهل من شدة الفرح والسرور، ثم أجاز جميع
ما شرطه ولده، وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك، ففخضوا وذلوا عند
ذلك، وأرسل كل منهم يعتزل عما نسب إليه ويحل على غيره، فقبل منهم
اعتذاراتهم، وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عقداً جديداً، ووفى
ملك الكرج الأوحده بجميع ما شرطه عليه، وتزوج الأشرف بابنته.
ومن غريب ما ذكره الشيخ أبو شامة في هذه الكاتبة، أن قيس الملك

■ الفخر الرازي: المتكلم صاحب التفسير والتصانيف، محمد بن عمر
بن الحسين بن علي القرشي النخعي البكري، الإمام أبو المعالي. وأبو عبد الله
المعروف بالفخر الرازي، ويقال له ابن خطيب الري، أحد الفقهاء الشافعية
المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف فمن ذلك:
التفسير الحافل والمطالب العالية، والمباحث المشرقية، والأربعين، وشرح
الإشارات وغيرها في علم الكلام ومذاهب الأوائل وأقوال الناس وله في
أصول الفقه المحصول وغيره، وصف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد، وفيه
غرائب لا يوافق عليها، وينسب إليه أشياء عجبية، وقد استقصيت ترجمته
في طبقات الشافعية.

وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبيت له مدارس كثيرة
في بلدان شتى، وملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار، وغير ذلك من
الأمعة، والمراكب، والأثاث والملابس، وكان له خسون ملوكاً من الترك.
وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء، والعلماء والأمراء،
والفقهاء العامة، والغوغاء وكانت له عبادات وأوراد، وقد وقع بينه وبين
الكرامية في أوقات شتى فكان يبتعضهم ويبغضونه ويصالح في ذمهم،
ويبالغون في الخط عليه، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم.

وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان
هو الفائز، وقد ذكرت وصيته عند موته، وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها
إلى طريقة السلف، وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله
سبحانه.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل (ص: ٦٨) في ترجمته: كان
يعظ ويتال من الكرامية، ويتالون منه سباً، وتكفراً، وقيل: إنهم وضعوا
عليه من سقاء سما فمات، ففروحا بموته، وكانوا يرمونه بالكبائر.

قال: وكانت وفاته في ذي الحجة، ولا كلام في فضله، ولا فيما كان
يتعامله، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً،
وليس ذلك من صفة العلماء، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه وقامت
عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها، مثل قوله: قال محمد
التائي، يعني العربي، يريد به النبي ﷺ، نسبة إلى البادية، وقال محمد
الرازي: يعني نفسه.

ومنها أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بعبارات كثيرة، ويجيب
عن ذلك بأدنى إشارة، وغير ذلك.

قال: ويليني أنه خلف من الذهب العين ثمانين ألف دينار، غير ما
كان يملكه من الدواب والثياب، والمغار والآلات، وخلف ولنين أخذ كل
واحد منهما أربعين ألف دينار، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان
محمد بن تكتش.

وقال ابن الأثير في الكامل (١٢/٢٨٨): وفيها توفي فخر الدين الرازي
محمد بن عمر بن خطيب الري، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف
المشهوره، والفقه والأصولين، كان إمام الدنيا في عصره، بليني أن مولده
سنة ثلاث وأربعين وخمسة.

ومن شعره قوله:

إليك إله الخلق وجهي ووجهي وأنت الذي ادعوه في السر والجهر
وأنت غياني عند كل ملصة وأنت ملائي في حياتي وفي قبري
ذكره ابن الساعي عن ياقوت الحموي عن ابن لفخر الدين عنه وبه

وأذاكر، ليحصل لهم أماكن من شدة الزحام، فإذا فرغ من وعظه خرجوا إلى أماكنهم، وليس لهم كلام إلا فيما قال يومهم ذلك أجمع، يقولون: قال الشيخ، وسمعنا من الشيخ، فيحثهم ذلك على العمل الصالح، والكف عن المسارء.

وكان يحضر عنده الأكابر، حتى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو وولي البلد المعتمد وولي البر ابن تميرك وغيرهم.

والمقصود أنه لما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول بالجامع كما ذكرنا حث الناس على الجهاد، وأمر بإحضار ما كان تحصل عنده من شعور الثائنين، وقد عمل منه شكالات يحملها الرجال، فلما رأها الناس ضجوا ضجة واحدة، وكوا بكاء كثيراً، وقطعوا من شعورهم نحوها، فلما انقضى المجلس، ونزل عن المنبر، فتلقاه الولي مبارز الدين المعتمد بن إبراهيم، وكان من خيار الناس، فمشى بين يديه إلى باب الناطقانيين بعضه حتى ركب فرسه، والناس من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فخرج من باب الفرج، وباب المصلى، ثم ركب من الغد في الناس إلى الكسوة، ومعه خلائق كثيرون خرجوا بنية الجهاد إلى بلاد القدس، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من جهة زملكا، بالعدد الكثيرة التامة.

قال: فجتنا عقبه أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم، قال: لم أكن اجتمعت به قبل ذلك، فلما رأى الشكالات من شعور الثائنين جعل يقبلها، وعرفها على وجهه ويكي، وعمل أبو المظفر ميعاداً بنابلس، وحث على الجهاد، وكان يوماً مشهوداً، ثم سار هو ومن معه وصحبته المعظم نحو الفرنج فقتلوا خلقاً وخربوا أماكن كثيرة، وغنموا وعادوا سالمين وشرع المعظم في تحصين جبل الطور، وبنى قلعة فيه ليكون إلباً على الفرنج، ففرم أموالاً كثيرة في ذلك، فبعث الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة، فهادنهم، وبطلت تلك العمارة، وضح ما كان المعظم غرم عليها والله أعلم.

وفيها توفي من الأعيان

الشيخ أبو عمر: باني المدونة بسفح قاسيون للفقراء رحمه الله.

■ محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي، باني المدونة التي بالسفح، يقرأ بها القرآن العزيز، وهو أخو الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، وكان الشيخ أبو عمر ابن منه، لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، بقرية الساويا، وقيل بجماعيل، والشيخ أبو عمر روى الشيخ موفق الدين، وأحسن إليه وزوجه، كان يقوم بمصالحه، فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح، خارج باب شرقي، ثم انتقلوا منه إلى السفح، وليس به من العمارة شيء سوى دير الخوراني، قال فقيل لنا الصالحون نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون، وسميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا.

فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو، وحفظ مختصر الخرق في الفقه، ثم إن أخاه الموفق شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده، وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعيم والابانة لابن بطة وكتب مصاحف كثيرة بيده للناس ولأمله بلا آخرة، وكان كثير العبادة، والزهادة والتهجد، ويصوم الدهر حسن الشكل، نحيل الجسم، عليه أنوار العبادة، وكان لا يزال متبسماً، وكان يقرأ كل يوم سبعاً بين الظهر والعصر، ويصلي الضحى

كان خزانة ينظر في النجوم، فقال للملك قبل ذلك يوم: أعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط، ولكن يزي غير ذلك، فوافق دخوله إليها أسيراً أذان العصر.

ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين

أرسل الملك

■ نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخطب ابنة السلطان الملك العادل، وأرسل وكيله لقبول العقد على ثلاثين ألف دينار، فاتفق موت نور الدين ووكيله سائر في أثناء الطريق، فعقد العقد بعد وفاته رحمه الله، وقد أثنى عليه ابن الأثير في كامله كثيراً، وشكر منه ومن عدله وشهامته، وهو أعلم به من غيره، وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً.

وأما أبو المظفر السبط فإنه قال: كان جباراً ظالماً مجيلاً سفاكاً للدماء، فالله أعلم به.

وقام بالملك من بعده ولده القاهرة عز الدين مسعود، وجعل لابنه عماد الدين زنكي وكان الأصغر بعض البلاد، وجعل تدير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ، الذي صار الملك إليه فيما بعد كما سيأتي.

قال أبو شامة: وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى وبني له أربعة جدر مشرفة، وجعل له أبواب صونا لمكانته من الميقات، ونزول القوافل، وجعل في قبلة محراب من حجارة، ومنبر من حجارة، وعقدت فوق ذلك قبة، ثم في ستة ثلاث عشرة عمل في قبلة رواقان، وعمل له منبر من خشب، ورتب له خطيب وإمام واتبان، ومات العادل ولم يتم الرواق الثاني منه، وذلك كله على يد الوزير صفى الدين بن شكر.

قال وفي حادي عشر شوال من هذه السنة جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر، وركبت في أماكنها. وفي شوال أيضاً شرع في إصلاح القنطرة والشارفان والبركة، وعمل عندها مسجد، وجعل له إمام واتبان وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري، وكان يقال له بوق الجامع، لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير المصدر، فيجتمع عليه الناس الكثيرون.

وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا في البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرص المسمى الببال، لعنه الله، فدخل الثغر ليلاً، فأغار على بعض البلاد، وقتل وسبى، وغنم وكر واجعا فركب مراكبه ولم يدركه الطلب، وقد تقدمت له مثلها قبل هذه، وهذا شيء لم يتفق لغيره لعنه الله.

وفي هذه السنة عانت الفرنج بنواحي القدس الشريف، فبرز إليهم الملك المعظم، في عساكره وجلس الشيخ شمس الدين أبو المظفر بن زُغلي الخنفي وهو سبط بن الجوزي ابن ابنته رابعة، وهو صاحب مرآة الزمان وكان فاضلاً في فنون كثيرة، حسن الشكل، طيب الصوت، وكان يتكلم في الوعظ جيداً، ونجبه العامة على صيته جده، وقد رحل من بغداد فترل دمشق وأكرمه ملوكها، وولي التدريس الكبار بها، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين إلى السرية التي يجلس عندها الرعاظ في زمانها هذا، فكان يكثر الجمع عنده، حتى يكونوا من باب الناطقانيين إلى باب المشهد وإلى باب الساعات، الجلوس غير الوقوف، فحضر جمعه في بعض الأيام ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجامع ويدعون البساتين، يبيتون في قراة ختمات

الصالح، ستمائة وهديا، وكان حسن العقيدة، متمسكا بالكتاب والسنة، والأثار الروية، يمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين، وكان ينهي عن صفة المتدعين، ويأمر بصحة الصالحين، الذين هم على سنة سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وربما أنشدني لنفسه في ذلك:

أوصيكم بالقول في القرآن بقول أهل الحق والإيمان
ليس بمخلوق ولا بفان لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المصاني متلوة لله باللسان
عقوفة في الصدر والجنان مكتوبة في الصحف بالبيان
والقول في الصفات يا إخواني كالذات والعلم مع البيان
إمرارها من غير ما كفران من غير تشييع ولا عطلان
قال وأنشدني لنفسه:

الم بك ملهة عن اللهو أني بدلي شيب الرأس والضمف والألم
الم بي الخطب الذي لو بكيت حياتي حتى يذهب الدمع لم ألم

قال: ومريض أياما، فلم يترك شيئا مما كان يعمل من الأوراد، حتى كانت وفاته وقت السحر، في ليلة الثلاثاء، التاسع والعشرين من ربيع الأول، فسل في الليل، وحمل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته، وكان يوماً مشهوداً، وكان الحضر شديداً، فأظلت الناس سحابة من الحر، كان يسمع منها كدوي النحل، وكان الناس يتهبون أكفانه، وقد رثاه الشعراء بمراث حسنة، ورثيت له منامات صالحة رحمه الله، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور: عمر، وبه كان يكتي، والشرف عبد الله، وهو الذي ولي الخطابة بعد أبيه وهو والد العز وأحمد.

ولما توفي الشرف عبد الله صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر، وكان من أولاد أبيه الذكور، فهؤلاء أولاده الذكور، وترك من الأنثى بنات كما قال الله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٌ مُؤْمِنَاتٌ قَانِتَاتٌ تَائِبَاتٌ عَابِدَاتٌ سَائِحَاتٌ طَيَّباتٌ وَابْكَارَاتٌ﴾ [الصحرم: ٥]
قال: وقبره في طريق منارة الجوع في الزقاق المقابل للدير الحوراني رحمه الله وليانا.

■ ابن طبرزد شيخ الحديث: عمر بن محمد بن محمد بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي الدارقيزي، ولد سنة عشر وخمسمائة، سمع الكثير وأسمع، وكان خليفاً ظريفاً ماجناً، وكان يؤدب الصبيان بدار القنز، قدم مع حنبل بن عبد الله الكبير إلى دمشق، فسمع أهلها عليهما، وحصل لهما أموال، وعادا إلى بغداد، فمات حنبل سنة ثلاث، وتأخر هو إلى هذه السنة في تاسع شهر رجب فمات وله سبع وتسعون سنة، وترك مالا جيدا، ولم يكن له وارث إلا بيت المال، ودفن بباب حرب.

السلطان الملك العادل أرسلان شاه: نور الدين أبو الحارث

■ أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، وهو ابن أخي نور الدين الشهيد، وقد ذكرنا بعض سيرته في الحوادث، كان شافعي المذهب، ولم يكن بينهم شافعي سواه، وبنى للشافعية مدرسة عظيمة بالموصل، وبها تربته.

وقال ابن خلكان كانت وفاته في صفر ليلة الأحد التاسع والعشرين من هذه السنة.

■ ابن سكتة عبد الوهاب بن علي: ضياء الدين أبو محمد المعروف

ثماني ركعات، يقرأ فيه ألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، وكان يزور مغارة الدم، في كل يوم اثنين وخمسين، ويجمع في طريقه الشيخ فيعطيه الأراميل والمساكين، ومهما تها له من فريح وغيره يؤثر به أهله والمساكين، وكان متقللا في الملبس، وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصاً، وكان يقطع من عمامته قطعاً يتصدق بها أو في تكميل كفن ميت، وكان هو وأخوه وابن خاله الحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد لا ينتظنون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج، وقد حضروا معه فتح القدس الشريف، والسواحل وغيرها، وجاء الملك العادل يوماً إلى خيمتهم، أي خصهم لزيارة الشيخ أبي عمر وهو قائم يصلي، فما قطع صلاته ولا أوجزها، واستمر أبو عمر في صلاته، ولم يلتفت إليه حتى قضى صلاته، رحمه الله، والشيخ أبو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولاً بمال رجل من الناس، ففقد ما عنده وقد ارتفع البناء قائم، فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكبري مالا فكمّل به، وولي خطابته الشيخ أبو عمر، فكان يخطب به، وعليه لباسه الضعيف، وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف من الله عز وجل، والسك كيف خبايته ظهر عليك وبان، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراقي والرابعة للجولوس كما كان المنبر النبوي.

وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوماً عنده الجمعة، وكان الشيخ عبدالله اليونيني حاضراً هناك، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال: اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب، فلما قال ذلك نهض الشيخ عبدالله اليونيني، وأخذ نعليه وخرج من الجامع، وترك صلاة الجمعة، فلما فرغنا ذهب إلى اليونيني فقلت له: ماذا قممت عليه في قوله؟ فقال: يقول لهذا الظالم: العادل؟ لا صليت معه، قال: فينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال: الصلاة، ثم قال قال النبي ﷺ: «بعثت في زمن الملك العادل كسري» [الشعب للبيهقي ٥١٩٥] فقسم الشيخ عبدالله، ومد يده فأكل، فلما فرغوا قام الشيخ أبو عمر فذهب، فلما ذهب قال لي:

ياسيدنا صا ذا إلا رجـل صاـلـح

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: كان الشيخ أبو عبد الله من الصالحين الكبار، وقد رأيته، وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين، فلم يسمع الشيخ أبا عمر في تساهله مع ورعه، ولعله كان مسافراً، والمسافر لا جمعة عليه، وعذر الشيخ أبي عمر أن هنا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه، كما يقال سالم، وغنام، ومسعود، وعمود، وقد يكون المسمى بذلك على الضد، من هذه الأسماء فلا يكون سالماً، ولا غانماً، ولا مسعوداً، ولا عموداً، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم، والتجار وغيرهم، كما يقال شمس الدين، ويدر الدين، وعز الدين، وتاج الدين، ونحو ذلك قد يكون معكوساً على الضد والانتقال، ومثله الشافعي، والحنبلي، وغيرهم، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول، من الزهد والعبادة ونحو ذلك وكذلك العادل يدخل إطلاقه على المشرك، فهذا أول.

قلت: هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة، وعجيباً له ولأبي المظفر، ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا، وأخذه منه مسلماً؛ والله أعلم.

ثم شرع أبو المظفر في ذكر مناقب الشيخ أبي عمر، ومناقبه وكراماته، وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة، قال: وكان على مذهب السلف

كان يعامل في الأموال بمسألة العينة، كما قيل: تصفون العوض من شرايكم، وتستريطون الجمال بأحماهم، ولو عكس الأمر لكان خيراً له فلقبه يوماً قضيّب البان المولّد فقال له: يا شيخ، بلخني عنك أنك تغسل العضو من أعضائك بإبريق من الماء، فلم لا تغسل اللقمة التي تأكلها لتستظف قلبك وباطنك؟ فهم الشيخ ما أشار إليه، وترك المعاملة وكانت وفاته بالموصل في رجب عن ثلاث وسبعين سنة.

■ ابن حمدون تاج الدين: أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون، صاحب التذكرة الحمدونية، كان فاضلاً بارعاً، اعتنى بجمع الكتب النسوبة وغيرها، وولاه الخليفة المارستان العضيدي، توفي بالمدائن، وحمل إلى مقابر قريش دفن بها.

صاحب الروم

■ خسرو شاه بن قليج أرسلان، مات فيها وقام بالملك بعده ولده كيكافوس، فلما توفي في سنة خمس عشرة ملك أخوه كيقباز صارم الدين بزغش العادلي، نائب القلعة بدمشق، مات في قصر، ودفن بترته غربي الجامع المظفري، وهذا الرجل هو الذي نفى الخافظ عبد الفتي المقدسي إلى مصر، وبين يديه كان عقد المجلس، وكان في جملة من قام عليه ابن الزكي، والخطيب الدولي، وقد توفوا أربعتهم وغيرهم، ممن قام عليه، واجتمعوا عند ربهم بالحكم العدل سبحانه.

الأمير فخر الدين

■ سرکس: ويقال له جهارکس: أحد أمراء الدولة الصلاحية، وإليه تنسب قباب سرکس بالسفح، تجاه تربة خاتون وبها قبره.

قال القاضي ابن خلكان: هو الذي بني القيسارية بالقاهرة النسوبة إليه، وبني في أعلاها مسجداً معلقاً وربعاً، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في البلدان، في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها.

قال: وجهارکس يعني أربعة أنفس.

قلت: وقد كان نائباً للعادل على بانياس وتبنين وهونين، فلما توفي ترك ولداً صغيراً فأقره العادل على ما كان يليه أبوه، وجعل له مدبراً، وهو الأمير صارم الدين خطيباً التبنيني، ثم استقل بها بعد موت الصبي إلى سنة خمس عشرة.

الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح:

■ منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري، سمع أباه وجد أبيه وغيرهما، وعنه ابن الصلاح وغيره، توفي بنيسابور في شعبان في هذه السنة، عن خمس وثمانين سنة.

■ قاسم الدين الزكمانى العقيبي: والد والي البلد، كانت وفاته في شوال منها والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وستمائة

فيها اجتمع العادل وأولاده: الكامل، والمعظم، والفتّز، بدمياط من بلاد مصر، في مقابلة الفرنج، فاغتنم غيتهم سامة الجلي، أحد أكابر الأمراء، وكانت بيده قلعة عجلون وكوكب، فسار مسرعاً إلى دمشق ليستلم البلدين، فأرسل العادل في إثره ولده المعظم، صاحب دمشق فسبقه إلى القدس، وحمل عليه، فرسم عليه في كنيسة صهيون، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه القرس، فشرع يردّه إلى الطاعة بالملاطفة فلم يقنع فيه، فاستولى على حواصله وأملأه وأمواله، وأرسله إلى قلعة الكرك فاعتقله بها، وكان قيمة

بابن سكية الصوفي، كان يعد من الأبدال، سمع الحديث الكثير وأسمعه ببلاد شتى، ولد في سنة تسع عشرة وخمسة، وكان صاحباً لأبي الفرج بن الجوزي، ملازماً لمجلسه، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً لكثرة الخلق، ولكثرة ما كان فيه من الخاصة والعامة، رحمه الله.

■ مظفر بن شاسير: الواعظ الصوفي البغدادى، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسة، وسمع الحديث، وكان يعظ في الأعزبة والمساجد والقرى، وكان طريقاً مطبوعاً، قام إليه إنسان فقال له: فيما بينه وبينه: أنا مريض جائع، فقال: أحمد ريك فقد عوفيت، واجتاز مرة على قصاب يسيع لحماً ضعيفاً وهو يقول: أين من حلف لا يغبن، فقال له: حتى تحمته، قال: وعملت مرة جالساً يبيعوناً، فجعل هذا يقول: عندي للشيخ نصفية، وهذا يقول: عندي للشيخ نصفية، وهذا يقول مثله، حتى عدوا نحواً من خمسين نصفية، فقلت في نفسي: استغثت الليلة، فأرجع إلى البلد تاجراً، فلما أصبحت إذا بصرة من شمر في المسجد فقيل لي: هذه النصافي التي ذكر الجماعة، وإذا هي مكيلة يسمونها النصافي.

وعملت مرة مجلساً يبايسرنا فجمعوا لي شيئاً لا أدري ما هو، فلما أصبحنا إذا شيء من صوف الجواميس وقرونها، فقام رجل ينادي كم في صوف الشيخ وقرونها، فقلت: لا حاجة لي بهذا، وأثم في حل منه. ذكره أبو شامة.

ثم دخلت سنة ثمان وستمائة

استهلت والعادل مقيم على الطور لعمارة حصنه، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن ابن عبد المؤمن قد كسر الفرنج بطليلة كسرة عظيمة، وربما فتح البلد عنوة، وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة، هدمت منها دوراً كثيرة، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتها أبراجاً، ومات خلق كثير من الصييان والنسوان تحت الهدم ورثي دخان نازل من السماء، فيما بين المغرب والعشاء، عند قبر عاتكة غربي دمشق.

وفيها أظهرت الباطنية الإسلام، وأقامت الحدود على من تعاطى الحرام، وبنوا الجوامع والمساجد وكثروا إلى إخوانهم بالشام بمصيبيات وأمثالها بذلك، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج، فآكرموا وعظمووا بسبب ذلك، ولكن لما كان بعرفات ظفر واحد منهم على قريب لأمر مكة قتادة الحسيني فقتله، ظاناً أنه قتادة، فثار فتنة بين سودان مكة وركب العراق، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير.

وفيها اشتري الملك الأشرف جوسق الرئيس من النيرب من ابن عم الظاهر حضر بن صلاح الدين، وبناه بناء حسناً وهو المسمى بزماتنا بالدمشقة.

وفيها توفي من الأعيان

الشيخ عماد الدين

■ محمد بن يونس: الفقيه الشافعي الموصل، صاحب التصانيف والفنون الكثيرة، كان رئيس الشافعية بالموصل، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة، ويقال: إنه

الملك الناصر صاحب دمشق، واقف الناصريتين داخل دمشق، إحداهما داخل باب القرايس، والأخرى بالسفح ذات الحائط المائل والعمارة المثينة، التي قيل إنه لا يوجد مثلها إلا قليلاً، وهو الذي أسره هلاوون ملك التار. وفيها قدم بالقيلى من مصر، فحمل هدية إلى صاحب الكرج، فتعجب أهل دمشق منه ومن بديع خلقه.

وفيها قدم الملك الظاهر خضر بن السلطان صلاح الدين من حلب قاصداً الحج، فتلقيه الناس، وأكرمه ابن عمه المعظم، صاحب دمشق فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر، وصدوه عن دخول مكة، وقالوا: إنما جئت لأخذ اليمن، فقال لهم: قتلوني وفروني أقضي المناسك، فقالوا: ليس معنا مرسوم، وإنما أمرنا ببردك وصدقك، فهم طائفة من الناس بقتلهم، فخاف من وقوع فتنة، فتحلل من حجه، ورجع إلى الشام، وتأسف الناس على ما فعل به وتباكوا لما ودعهم، تقبل الله منه.

وفيها وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي، يخبر به أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر في ثلاثة نفر من أصحابه، ودخل بلاد التتر، ليكشف أخبارهم بنفسه، فأنكروهم فقبضوا عليهم، فضربوا منهم اثنين حتى ماتا ولم يقرأ بما جازوا فيه، واستوثقوا من الملك وصاحبه الآخر أسرا، فلما كان في بعض الليالي هربا، ورجع السلطان إلى مملكته، قلت: وهذه المكاتبه غير ما تقدم من أسره في المعركة، مع ابن مسعود والله أعلم.

وفيها ظهرت بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب، فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلاً، ومن النفضة خمسة وعشرون بالرطل الخليلي.

ومن توفي فيها من الأعيان

شيخ الحنفية: مدرس مشهد أبي حنيفة بغداد، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي التركستاني، وكان إليه المظالم، ودفن بالمشهد المذكور.

والشيخ أبو محمد

■ إسماعيل بن علي بن الحسين فخر الدين الحنبلي، يعرف بابن الماشطة، ويقال له الفخر غلام ابن المنى، له تعلية في الخلاف، وله حلقة بجامع الخليفة، وكان يلي النظر في قرابا الخليفة، ثم عزله فلزم بيته فقيراً لا شيء له إلى أن مات رحمه الله، وكان ولده محمد مدبراً شيطاناً مريباً كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل فقطع لسانه وحبس إلى أن مات.

والوزير معز الدين أبو المعالي:

■ سعيد بن علي بن أحمد بن حديد، من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديد الأنصاري ولي الوزارة للناصر في سنة أربع وثمانين، ثم عزله عن سفارة ابن مهدي فهرب إلى مراغة، ثم عاد بعد موت ابن مهدي، فأقام ببغداد معظماً محترماً، وكان كثير الصدقات والإحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله.

■ سنجر بن عبد الله الناصري: الخليفة، كانت له أموال كثيرة، وأملاك وأقطاعات متسعة، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً، ساقط النفس، اتفق أنه خرج أمير الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسائة، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير، وكان مع سنجر خمسمائة فارس فدخله الذل من

ما أخذه منه قريباً من ألف دينار، من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة، وداره هي التي جعلها البادراني مدرسة للشافعية، وخرب حصن كركب، ونقلت حواصله إلى حصن الطور، الذي استجده العادل وولده المعظم.

وفيها عزل الوزير صفى الدين ابن شكر، واحتيط على أمواله، ونفى إلى الشرق، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنفى الحافظ عبد الغني إلى المغرب، فتوفي الحافظ عبد الغني رحمه الله قبل أن يصل الكتاب، وكتب الله عز وجل بنفى الوزير إلى الشرق.

وفيها استولى صاحب قبرص على مدينة أنطاكية فحصل بسببه شر عظيم، وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين، لا سيما على التراكين الذين حول أنطاكية، قتل منهم خلقاً كثيراً، وغنم من أغنامهم شيئاً كثيراً، فقدر الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه، وطافوا برأسه في تلك البلاد، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك العادل إلى مصر فطيف به هنالك، وهو الذي كان أغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين، فقتل وسبى وعجز عنه الملوك.

وفي ربيع الأول منها توفي الملك الأوحده.

■ نجم الدين أيوب بن العادل صاحب خلاط، يقال إنه كان قد سفلك الدماء، وأساء السيرة، فقصف الله عمره، وولياها بعده أخوه الملك الأشرف موسى بن العادل، وكان عمود السيرة، جيد السريرة، فأحسن إلى أهلها، فأحبوه كثيراً.

وفيه توفي من الأعيان

فقيه الحرم الشريف بمكة:

■ محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني.

وأبو إسحاق

■ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصي المقرئ الحنثي، كتب كثيراً، وسمع الكثير، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله.

أبو الفتح

■ محمد بن سعد بن محمد الدياجي: من أهل مرو، له كتاب المحصل في شرح المفصل للزغشري في النحو، كان ثقة عالماً، سمع الحديث، توفي في هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة.

الشيخ الصالح الزاهد العابد: أبو النساء

■ محمود بن عثمان بن مكارم النعال الحنبلي، كان له عبادات، ومجاهدات وسياحات، وبنى رباطاً بباب الأزج بأيدي إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن، وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. وكانت وفاته في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة عشر وستمائة

فيها أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطرق إلى الجامع لتلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم، ولتلا يضيقوا على المارين إلى الصلاة.

وفيها ولد الملك العزيز ابن الظاهر غازي صاحب حلب، وهو والد

وإلى حدود بلاد السند، وخطب له بلك النواحي، وكان خوارزم شاه لا يصيف إلا بنواحي سمرقند، خوفاً من التار وأصحاب كشلى خان أن يشوا على أطراف تلك البلاد التي تتأخهم. قال أبو شامة: وفيها شرع في تليط داخل الجامع الأموي، وبدؤوا من ناحية السبع الكبير، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً، فاستراح الناس بتليطه.

وفيها وسع الخندق مما يلي القمبازة فأخربت دور كثيرة، وحمم قنماز، وفرن كان هناك وقفا على دار الحديث النورية وغير ذلك.

وفيها بنى المعظم الفندق المنسوب إليه بناحية قبر عاتكة ظاهر باب الجانية.

وفيها أخذ المعظم قلعة صرخند من ابن قراجا وعوضه عنها وسلمها إلى ملوكه عز الدين أيبك المعظم، فثبتت في يده إلى أن انتزعها منه غم الدين أيوب سنة أربع وأربعين.

وفيها حج الملك المعظم ابن العادل، ركب من الكرك على الهجن في حادي عشر ذي القعدة، ومعه ابن موسك، وملوكه أيبك، عز الدين أستاذ داره وخلق، فساروا على طريق تبوك والعلاء، وبنى المعظم البركة المنسوبة إليه، ومصانع أخرى، فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم، وسلم إليه مفتاحها، وخدمه خدمة تامة.

وأما صاحب مكة قتادة فلم يرفع به رأساً، ولهذا لما قضى نسكه، وكان قارناً وأنفق في المجاورين ما حمله إليهم من الصدقات وكرراً راجعاً واستصحب معه سالماً صاحب المدينة، وتشكى إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة عنها، فأرسل العادل مع سالم جيشاً يطردون صاحب مكة، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري، وقد أثر المعظم في حجة هذه آثاراً حسنة بطريق الحجاز أثناء الله.

وفيها تعامل أهل دمشق بالقراطيس السود العادلية، ثم بطلت بعد ذلك وفيت.

وفيها مات صاحب اليمن ابن سيف الإسلام وتولاها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بإتفاق الأمراء عليه، فأرسل العادل إلى ولده الكامل أن يرسل إليها ولده أقيس ابن الكامل فأرسله فتملكها، فظلم بها وفك وغشم، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمائة، وأما من عداهم فكثير، وكان من أفسد الملوك وأكثرهم فسقاً، وأقلهم حياة وديناً، وقد ذكروا عنه ما تقشعر منه الأبدان وتنكره القلوب، نسأل الله العافية.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الفقيه الخليلي، أئسى وناظر، وعدل عند الحكام، ثم انسلك من هذا كله وصار شرطياً بباب النوبي، يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى، ثم بعد ذلك ضرب إلى أن مات، وألقي في دجلة، وفرح الناس بموته، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً.

الركن

■ عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، كان أبوه صالحاً، وكان هو متهماً بالفلسفة ومخالطاً للنجوم ووجد عنده كتب في ذلك، وقد ولي عدة ولايات، وفيه وفي أمثاله يقال: نعم الجدود ولكن يش ما نسلاوا. ورأى عليه أبوه يوماً ثوباً بخاريّاً فقال: سمعنا بالبخاري ومسلم، وأما بخاري وكافر فهذا شيء عجب، وقد كان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ

الأعرابي فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار فجبها ساجر من الحجيج ودفعها إليه، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار ودفعها إلى أصحابها، وعزله وولى طاشتكين مكانه.

قاضي السلامة: ظهير الدين أبو إسحاق

■ إبراهيم بن نصر بن عسكرو، الفقيه الشافعي الأديب، ذكره العماد في الفخريّة ٣٤٦/٢، وابن خلكان في الوفيات (٣٧١/١)، وأثنى عليه، وأشهد من شعره، في شيخ زاوية، وأصحابه يقال له مكي:

ألا فل لكلي قول التصريح فحقّ النصيحة أن تستمع
منى سمع الناس في دينهم بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير ويرتص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاووي الحشا جاعاً لما دار من طرب واستمع
وقالوا: سنكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القمع
كلناك الحمير إذا اخضبت يُقرّها ربهما والشبع
تراهم يهزّون لحاهم إذا ترم حادهم بالبدع
فيسرخ هذا وملنا ينن ويس لو تلبث ما انصنع

وتاج الأبناء: أبو الفضل

■ أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، من بيت الحديث والرواية، وهو أكبر من إخوته زين الأبناء والفخر عبد الرحمن، سمع عمه المحافظ أبي القاسم والصان، وكان صليفاً للشيخ تاج الدين الكندي، وكانت وفاته يوم الأحد، ثاني رجب، ودفن قبلي محراب مسجد القدم رحمه الله.

وتاج العلى النسابة الحلبي الحسني، اجتمع بآمد بابن دحية، وكان ينسب إلى دحية الكلبي، فقال له: تاج العلى إن دحية الكلبي لم يعقب، فرماه ابن دحية بالكذب في مسائله الموصلية.

قال ابن الأثير: في الكامل (٣٠٢/١٢) وفي الحرم منها توفي.

المهذب الطيب المشهور: وهو

■ علي بن أحمد بن هبل الموصلي، سمع الحديث، وكان أعلم أهل زمانه بالطب، وله فيه تصنيف حسن، وكان كثير الصدقة، حسن الأخلاق.

■ ابن خروف شارح سيويه وجمل الزجلجي هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الأندلسي الإشبيلي: أحد المشاهير في هذه الصناعة وكتبه تدلّ على تقلّده وعلمه وفضله، وكان شيخه فيها ابن طاهر، المعروف بالحنّ الأندلسي.

■ الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون: وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي بطن من البربر ثم اليزيديين النحوي المغربي، مصنف المقدمة المشهورة البديعة، شرحها هو وتلامذته، وكلهم يعترفون بتقصيرهم عن فهم مراده في أماكن كثيرة منها، قدم مصر، وأخذ عن ابن بري، ثم عاد إلى بلاده، وولى خطابة مراکش، وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل قبلها فآله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستمائة

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أنصاه أمرائه عنده، وكان قبل ذلك سبزوياً فصار أميراً خاصاً، فبعثه في جيش، ففتح له كرمان ومكران

الخليفة وعلى أستاذة إلى بغداد، فطيف به فيها، ولم يسم فرحه ذلك اليوم لموت ولده وولي عهده، والدنيا لا تسر بقدرة ما تضر، وترك ولدين: أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسن، والموفق أبو الفضل يحيى.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحافظ عبد القادر الرهاوي:

■ عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ الكبير المحدث المخرج المقيد الحر المقتن البارع المصنف كان مولى لبعض المواصل، وقيل لبعض الجرائين، اشتغل بدار الحديث بالموصل، ثم انتقل إلى حران، وقد رحل إلى بلدان شتى، وسمع الكثير من المشايخ، شرقاً وغرباً وأقام بمران إلى أن توفي بها، في هذه السنة وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة، كان ديناً خيراً رحمه الله.

الوجه الأعمى: أبو بكر المبارك بن سعيد

■ ابن الدهان، النحوي الواسطي، الملقب بالوجه، ولد بواسط وقدم بغداد فاشتغل بعلم العربية والنحو، فائق ذلك، وحفظ شيئاً كثيراً من أشعار العرب، وسمع الحديث، وكان حنبلياً ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثم صار شافعيًا، وولي تدريس النحو بالنظامية، وفيه يقول الشاعر:

ألا مبلغاً عني الوجبة رسالةً وإن كان لا تجدي لديه الرسائلُ
ثم لعبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعوزتكم المأكَل
وما اخترت رأي الشافعي تدبُّراً ولكنما تهوى الذي هو حاصلُ
وعما قليل أنت لا شك صائرٌ إلى مالكٍ فاضن لما أنا قاتلُ
وقد ذكرناه في سنة تسع وتسعين وخمس مئة كان يحفظ شيئاً كثيراً من الحكايات والأمثال والملح، ويعرف العربية، والتركية، والعجمية، والرومية، والحبشية، والزنجية، وكانت له يد طولى في نظم الشعر، فمن ذلك قوله:

ولو وقعت في لجة البحر قطرةً من المزن يوماً ثم شاء لمازها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها عبيداً له في الشرق والغرب ما زها
وله في التجنيس:

أطلت ملاسي في اجتبابي لمشر طغام لثام جودهم غير مرجى
ترى بلبهم لا ببارك الله فيهم على طالب المعروف إن جاء مرجى
حوا ما لهم والدين والعرض منهم مباح، فما يخبثون من هجو من هجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهمجاً لهم شرعوا في البخل سبعين منهجا
وله ملاحح حسنة، وأشعار راقية، ويتكر معاني فائقة، وربما عارض شعر البحري بما يقاربه ويدانيه.

قالوا: وكان الوجه لا يقضب قط، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبته كان له كذا وكذا فجاه إليه فسأله عن مسألة في العربية، فأجابها فيها بالجواب، فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ، فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى، فقال له: أخطأت أيضاً فأعاد ثالثة بعبارة أخرى، فقال: كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو، فقال الوجه: أيها الرجل فلعلك لم تفهم ما أقول لك، فقال: بلى ولكنك تخطئ في الجواب، فقال له: فقل أنت ما عندك لنستفيد منك، فأغلظ له السائل في القول، فتبسم ضاحكاً وقال له الوجه: إن كنت رامنت فقد غلبت وإنما مثلك في هذا كمثل البقرة - يعني الناموسة

أبي الفرج بن الجوزي، وكان الآخر مديراً فاسقاً، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان بجهما الله.
أبو محمد

■ عبد العزيز بن محمود بن المبارك: البزاز المعروف بابن الأخضر البغدادى، المحدث الكثير، الحافظ المصنف الحر، له كتب مفيدة متقنة، وكان من الصالحين، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله.
الحافظ أبو الحسن

■ علي بن الأنجب: أبى المكار المفضل اللخمي المقدسي، ثم الإسكندراني المالكي، سمع السلفي وعبد الرحيم المنذري، وكان مدرسا للملكية بالإسكندرية، ونائب الحكم بها، ومن شعره قوله:

أبا نفس! بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالفت في نشر دينه بما طاب من نشر له أن تمسكي
وخافي غداً يوم الحساب جهنماً إذا لفتت نيرانها أن تمسكي
وكانت وفاته بالقاهرة في هذه السنة قاله ابن خلكان.

ثم دخلت سنة ثني عشرة وستمائة

فيما شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق.

وفيها عزل القاضي الزكي بن يحيى الدين ابن الزكي، وفوض الحكم إلى القاضي جمال الدين بن الحرستاني، وهو ابن ثنتين تسعين سنة، فحكم بالعدل، وقضى بالحق، ويقال: إنه كان يحكم بالمدرسة الجاهدية قريبا من النورية عند باب القواسين.

وفيها أبطل العادل ضمان الخمر والقيان جزاء الله خيراً، فنزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر كثير.

وفيها حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة النبوية، وقطع نخلا كثيراً، فقاتله أهلها، فكر خائباً خاسراً حسيراً، وكان صاحب المدينة بالشام، فطلب من العادل نجدة على أمير مكة، فأرسل معه جيشاً، فأسرع في الأوبة، فمات في أثناء الطريق، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جواز، فقصد مكة، فالتقاه أميرها بالصفراء، فقاتلوا قتالا شديداً، فهرب الكيون، وغنم منهم جواز شيئاً كثيراً، وهرب قتادة إلى البيع فساروا إليه، فحاصروه بها وضيّقوا عليه.

وفيها أغارت الفرنج على بلاد الإسماعيلية قتلوا ونهبوا وسبوا. وفيها أخذ ملك الروم كيكاوس مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج، ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن، ثم أخذها منه إيرس طرابلس. وفيها ملك السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة بغير قتال.

وفيها كانت وفاة الملك المعظم أبي الحسن علي بن الخليفة الناصر لدين الله الذي كان قد جعله ولي عهده من بعده، وعزل عن ذلك أخاه الأكبر، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزناً عظيماً، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس، حتى قيل إنه لم يبق بيت يبغداد إلا حزنوا عليه، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، وناح أهل البلد عليه ليلاً ونهاراً، ودفن عند جبلته بالقرب من قبر معروف الكرخي، توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة، وصلي عليه بعد صلاة العصر. وفي هذا اليوم قدم بغداد برأس منكلي الذي كان قد عصى على

وكان حيتز ابن ثلاث سنين، وكان له أولاد كباد ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه كان من بنت عمه العادل وأخواله الأشرف والمعظم والكامل، وجده العادل لا يتازعونه، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه، وهكذا وقع سواه، بايع له جده العادل وخاله الأشرف صاحب حران والرُّها وخلاط، وهم المعظم يتنقض ذلك ويأخذ الملك منه فلم يتنقض له ذلك، وقام بتدبير ملكه الطواشي شهاب الدين طغرل الرومي الأبيض، وكان ديناً عاقلاً عادلاً.

وفيها توفي من الأعيان.

الشيخ تاج الدين

■ أبو اليَمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، الشيخ الإمام العلامة، وحيد عصره ونسيج وحده تاج الدين أبو اليمن الكندي. ولد ببغداد ونشأ بها، واشتغل وحصل، ثم قدم دمشق فأقام بها، وفاق أهل زمانه شرقاً وغرباً في اللغة والنحو، وغير ذلك من فنون العلم، وعلو الإسناد، وحسن الطريقة والسيرة، وصحة العقيدة، وانتفع به علماء زمانه، وأثروا عليه وخضعوا له، وكان حنبلياً ثم صار حنفياً، ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمئة، ققرا القرآن بالروايات وعمره عشر سنين وسمع الكثير من الحديث العالي على الشيخ الثقات، وعنى به، وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك، ثم دخل الشام في سنة ثلاث وستين وخمسمئة، ثم سكن مصر، واجتمع بالقاضي الفاضل. ثم انتقل إلى دمشق، فسكن بلرب المعجم منها، وحظى عند الملوك والوزراء والأمرء، وتردد إليه العلماء والملوك وإنباؤهم.

كان الأفضل بن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله، وكذلك أخوه الحسن والمعظم ملك دمشق، كان يتزل إليه إلى درب المعجم يقرأ عليه في الفصل للزخشري، وكان المعظم يعطي لمن حفظ الفصل ثلاثين ديناراً جائزة، وكان يحضر مجلسه بلرب المعجم جميع المصدرين بالجامع، كالشيخ علم الدين السخاوي، ويحيى بن معطي الوجيه البرني، والفخر التركي وغيرهم، وكان القاضي الفاضل في أيامه يثني عليه. قال السخاوي: كان عنده من المعلوم ما لا يوجد عند غيره، ومن العجب أن سيرويه قد شرحت عليه «كتابه» كان واسم الشيخ أبي اليَمن عمرو، واسمه زيد، فقلت في ذلك.

لم يكن في عهد عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر فهما زيد وعمرو إنما بني النحو على زيد وعمرو قال أبو شامة: وهذا كما قال فيه ابن الدمان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسمئة:

يازيد زائدك ربي من مواهبه نعماً يقصر عن إدراكها الأمل
النحو أنت أحق العالمين به ليس باسمك فيه يضرب المثل

وقد مدحه السخاوي بقصيدة حسنة، وأثنى عليه أبو المظفر سبط بن الجوزي، فقال: قرأت عليه وكان حسن العقيدة، ظريف الخلق، لا يسأم الإنسان من مجالسته، وله النوادر العجيبة، والخط المليح، والشعر الرائق، وله ديوان شعر كبير، وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال من هذه السنة، وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وستة عشر يوماً، وصلي عليه بجامع دمشق، ثم حمل إلى الصالحية فدفن بها رحمه الله.

وكان قد وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهي سبعمئة وإحدى وستون

- سقطت على ظهر الفيل فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسست بك حين سقطت، فما أحتاج أن استمسك إذا طرت.

كانت وفاته رحمه الله في شعبان منها، ودفن بالوردية.

أبو الفتح

■ محمد بن علي بن المبارك: التاجر المعروف بابن الجلاجلي، كان يسكن بلد الخلافة ببغداد، قرأ القرآن على الروايات، وسمع الحديث الكثير، ورجل إلى البلدان المتباعدة، بلغ ثلاثاً وستين سنة، وكانت وفاته بالقدس الشريف في رمضان، رحمه الله.

أبو محمد

■ عبد العزيز بن العالي بن غنيمه بن الحسن المعروف بابن منبيا وولد سنة خمس عشرة وخمسمئة، وسمع الكثير وأسمعه، وكانت وفاته في ذي الحجة منها، عن سبع وتسعين سنة.

الشيخ الفقيه كمال الدين

■ مودود بن الشاغوري الشافعي، كان يقرئ بالجامع الأموي الفقه وشرح التنبيه للطلبة، ويثني عليهم حتى يفهموا، احتساباً نجاه المقصورة، ودفن بمقابر باب الصغير شمالي قبور الشهداء، وعلى قبره شعر، ذكره أبو شامة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمئة

قال أبو شامة: فيها أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة نسر الجامع، طول كل واحد اثنان وثلاثون ذراعاً بالنجار.

وفيها شرع في تجديد خندق باب السر المقابل لدار الطعام العتيقة إلى جانب باناس.

قلت: هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان، وقد نقل السلطان بنفسه التراب، وماليكه تحمل بين يديه على قريوس السروج القفاف من التراب، فيفرغونها في الميدان الأخضر، وكذلك أخوه الصالح إسماعيل وماليكه يعمل هذا يوماً وهذا يوماً.

وفيها وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل العقية، فاعتكفوا بالرجبة والصيارف، فركب الجيش إليهم لمبسين، وجاء السلطان المعظم بنفسه فمسك رؤوسهم وحبسهم.

وفيها رتب بالمصلى خطيب مستقل، وأول من بأشره الصدر معيد الفلكية، ثم خطب به بعد بهاء الدين بن أبي اليسر، ثم بنو حسان وإلى الآن.

وفيها توفي من الأعيان

صاحب حلب الملك الظاهر:

■ غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان من خيار الملوك وأستعم سيرة، ولكن كان فيه عصف ويعاقب على الذنب شديداً، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء.

أقام في الملك ثلاثين سنة، وحضر كثيراً مع الغزوات مع أبيه، وكان ذكياً، له رأي جيد، وعبرة سديدة، وفطنة حسنة، وعمر أربعاً وأربعين سنة. لما حضرته الوفاة جعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد،

أبكي لديه فإن أحس بلوعة وتشهق أرمأ بطشرف مققه
أنا من عاسته وحالي عنده حيران بين تفكر وتفكره
ضدان قد جمعاً بلفظ واحد لي في هواء بمعنيين موجه
أو لست رب فضائل لو حاز أد ناهما وما أزهى بها غيري زهي
والذي أشهد تاج الدين الكندي في قتل عمارة اليمني، حين كان مالا
الكفرة والملاحين على قتل الملك صلاح الدين، وأرادوا عودة دولة
الفاطمين، فظهر على أمره فصلب مع من صلب في سنة تسع وتسعين
وخسمائة.

عمارة في الإسلام أبدى خيانة وحالف فيها يعمة وصلياً
وأسى شريك الشرك في بغض أحد وأصبح في حب الصليب صلياً
وكان خيبت الملتقى إن عجمته تجدد منه عوداً في الفراق صلياً
سيلقي غداً ما كان يسعى لأجله وسقى صديقاً في لظى وصلياً
وله:

صحبنا الدهر أياماً حسناً نغوم بهن في اللذات عوما
وكانت بئدما ولت كاني لد نقصاتها حلمأ ونوما
أنشأ بي المشيب فلا براح وإن أوسمته عتبأ ولروما
نزول لا يزال على التناهي يسوق إلى الردى يوماً فيوما
وكنتم أعداء في عامأ فعامأ فصرت أعداء في يوماً فيوما
■ (محمد بن عبد الغني المقدسي).

المر محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي: ولد سنة ست وستين
وخسمائة، وأسمعه والده الكثير، ورحل بنفسه إلى بغداد، وقرأ بها مستند
أحمد، وكانت له حلقة بجامع دمشق، وكان من أصحاب المعظم، وكان
صالحاً ديناً، ورعا حافظاً رحمه الله ورحم أباه.

أبو الفتح

■ محمد بن علي بن المبارك: الجلاجلي البغدادي، سمع الكثير، وكان
يتردد في الرسالة بين الخليفة والملك الأشرف بن العادل، وكان عاقلاً ديناً،
ثقة صدوقاً.

الشريف أبو جعفر:

■ يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي العلوي الحسني،
نقيب الطالبين بالبصرة بعد أبيه، كان شيخاً أديباً، فاضلاً، عالماً بفنون
كثيرة، لا سيما علم الانساب، وأيام العرب وأشعارها، يحفظ كثيراً منها،
وكان من جلساء الخليفة الناصر، ومن لطيف شعره قوله:

لهنك سمح لا يلائمه العذل وقلب قريح لا يمل ولا يسلو
كان علي الحب أضحى فريضة فليس لقلبي غيره أبداً شغل
وإني لأهوى المجر ما كان أصله دلالة ولولا المجر ما عذب الوصل
وأما إذا كان الصدود ملالة فأيسر ما هم الحبيب به القتل

أبو علي

■ يزيد بن علي بن مزيد المعروف بابن الحشكري، الشاعر المشهور،
من أهل النعمانية، جمع لنفسه ديواناً، أورد له ابن الساعي قطعة من
شعره، فمن ذلك قوله:

جهداً، على معتقه نجيب الدين ياقوت، ثم على ولده من بعد ثم على
العلماء في الحديث والفقه واللغة وغير ذلك، وجعلت في خزنة كبيرة، في
مقصورة ابن سنان الحنفية، المجاورة لشهد علي بن زين العابدين، ثم إن
هذه الكتب تفرقت، وبيع كثير منها، ولم يبق بالخزنة المشار إليها إلا القليل
الرث، وهي بمقصورة الحنفية، وكانت قديماً يقال لها مقصورة ابن سنان.
وقد ترك الشيخ شهاب الدين رحمه الله نعمة وافرة وأموالاً جزيلة
ومعاليك متعددة من الترك، وقد كان رقيق الحاشية، حسن الأخلاق، يعامل
الطلبة معاملة حسنة من القيام والتعظيم، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ
يقول:

تركت قيامي للصديق يزورني ولا ذنب لي إلا الإطالة في عمري
فإن بلغوا من عشر تسعين نصفها تين في ترك القيام لهم عندي
وقد أسلفنا شيئاً من قبله في قتل عمارة اليمني في الدولة الصلاحية، في
سنة تسع وستين وخمس مئة، وهو في غاية القوة والفصاحة والجناس، وقد
أورد ابن الساعي في ترجمته من «تاريخه» أشعاراً حسنة، فمن ذلك قوله
يمدح الملك المظفر شاهنشاه.

وصال الغواني كان أروى وأروجا وعصر التناهي كان أبهى وأبهجا
ليلي كلل الدهر أحسن خلخف تولى دكان الدهر أوفى مهنجا
بدا الشيب فأنجابت طماعية الصبا وقبح لي ما كان يستحسن الحجبا
بلهنية ولست كان لم أكن بها بها أجلي وجه النعيم مسرجا
ولا اختلت في دبر الشباب مجرراً ذبولي إعجاباً به وترجبا
أغنازك غيداه المعاطف طفلة وأغيد معسول المرائش أدعجا
تقضت لياليها بطيب كائنه لتقصيره مهنه يخطف الدجى
فإن أمس مكروب الفؤاد حزينه أعاقه من دذ الصباية منهجا
وحيداً على أني بفضلتي مقيم مروعاً بأعداء الفضائل مزعجا
فيا رب ذي ود سررت وسرني وأبهجته بالصالحات وأبهجا
وبار ناد قد شهدت وماجد شهدت وخصم رعته فتلجلجا
صدعت بفضلتي نقصه فتركه وفي قلبه شجر وفي حلقه شجي
كان يساني في سامع حسدي وقد ضم أبكار المعاني وأدرجا
حسام تقى الدين في كل مارق يقد إلى الأرض الكمي المدججا
وقال يمدح أخاه معز الدين فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب:

هل أنت راحم عبدة وتدلّه ويجير صب عند ما منه كُهي
هيهات يرحم قاتل مقتوله وسنائه في القلب غير مهنه
من بل من داء الغرام فلاني مذ حل بي مرض الهوى لم أنقه
إنني بليت يحجب أغيد ساحر بلحاظه رخص البنان بزهره
أبني شفاء تدلّهي من دلّه ومنى يرق مدلل للدلّه
كم آفة لي في هواء وائنة لو كان ينفعني عليه تلوهي
ومأرب في وصله لو أنها تقضى لكنت عند مبمه الشهوي
يا مفرداً بالحسن إنك متة فيه كما أنا في الصباية متهسي
قد لا م فيك معاشر أفانهي بالولم عن حب الحياة وائنة هي

سألتك يوم النوى نظمرة فلم تسمعي غُفراً لا سلم
فأعجب كيف تقولين لا ووجهك قد خط فيه نعم
أما النون يا هذه حاجب أما العين عين أما الميم فسم
أبو الفضل

■ رشوان بن منصور بن رشوان الكردي، المعروف بالثقف، ولد
بإربل، وخدم جندياً، وكان أديباً شاعراً، خدم مع الملك العادل، ومن شعره
قوله:

سلي عني الصوامر والرماحا وخيلا تبج المسوج الرياحا
واسأدا جيشها سمر العسوالي إذا ما الأسد حاولت الكفاحا
فلتي ثابت عقلا ولباً إذا ما صائح في الحرب صاحا
وأورد مهجتي لجسج النايبا إذا ما جت ولم أخف الجراحا
وكم ليل سهوت وبث فيه أراعني النجم أرتقب الصباحا
وكم في فغد فرسي ونفسي بقائلة المهجير غدا وراحا
لعيذك في المعاجاة ما الاتي واثبت في الكريهة لا براحا

■ محمد بن يحيى بن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطي كتب إلى
السيط من شعره:

وقائلة لما عمرت وصار لي ثمانون عاماً عش كذا وابتى واسلم
ودم وانتش روح الحياة فإنه لأطيب من بيت بصعدة مظلم
فقلت لما عذري لديك محمد بيت زهير فاعلمي وتعلمي
سنت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا لا عالية يام

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمئة

في ثالث الحرم منها كمل تبليط داخل الجامع الأموي، وجاء المتمد
مبارز الدين إبراهيم المتولي بدمشق، فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب
الزيادة فرحاً بذلك.

وفيها زادت دجلة ببغداد زيادة عظيمة، وارتفع الماء حتى ساوى القبور
إلا مقدار أصبعين، ثم طغى الماء من فوقه، وأبقى الناس بالهلكة، واستمر
ذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً، ثم من الله فتناقص الماء، وذعبت
الزيادة، وقد بقيت ببغداد تلولاً، وتهدمت أكثر البنايات فإننا لله وإنا إليه
راجعون.

وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضالان، وحضر عنده القضاة
والأعيان.

وفيها سار الصدر بن حمويه في الرسالة إلى بغداد من العادل إلى
الخليفة.

وفيها قدم ولده الفخر بن الكامل إلى أخيه المعظم فخطب منه ابته على
إبنة أنيس صاحب اليمن، فمقد العقد بدمشق على صداق مائل.

وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكتش من
همذان قاصداً إلى بغداد في أربعمائة ألف مقاتل، وقيل في ستمائة ألف،
فاستعد له الخليفة، واستخدم الجيوش، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن
يكون بين يديه على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة، وأن يخطب له

ببغداد، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين
السهروردي، فلما وصل شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه
وهو جالس في خرواه من ذهب على سرير ساذج، وعليه قباء بخاري ما
يساوي خمسة دراهم، وعلى رأسه جلدة ما تساوي درهماً، فلم عليه فلم
يرد عليه من الكبر، ولم يأن له في الجلوس فقام إلى جانب السرير وأخذ في
خطبة هائلة، فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم وأورد حديثاً في النهي
عن أذاهم، والترجمان يعيد على الملك، فقال الملك: أما ما ذكرت من فضل
الخليفة فإنه ليس كذلك، ولكني إذا قلمت ببغداد أقمت من يكون بهذه
الصفات، وأما ما ذكرت من النهي عن أذاهم فلاني لم أورد منهم أحداً،
ولكن الخليفة في سجنه منهم طائفة كثيرة يتناسلون في السجون، فهو
الذي أتى بني العباس، ثم تركه ولم يرد عليه جواباً بعد ذلك، وانصرف
السهروردي راجعاً، وأرسل الله تعالى على الملك وجنوده ثلجاً عظيماً ثلاثة
أيام، حتى طم الخراكي والحياض، ووصل إلى قريب رؤوس الأعلام،
وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم، وعمهم من البلاء ما لا يجد ولا يوصف،
فردهم الله خائنين، والحمد لله رب العالمين.

وفيها انقضت الهدنة التي كانت بين العادل والفرنج، واتفق قدوم
العادل من مصر فاجتمع هو وابنه المعظم بيسان، فركبت الفرنج من عكا
ومقتداهم وصحبهم ملوك السواحل كلهم، وساقوا كلهم قاصدين منافضة
العادل، فلما أحس بهم فر منهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه، فقال ابنه
المعظم إلى أين يا أبا؟ فشنه أبوه بالعجمية، وقال له: أقطعت الشام عمالك
وتركت من ينفعي أبناء الناس، ثم توجه العادل إلى دمشق، وكتب إلى
والها المعتمد ليصنعها من الفرنج، وينقل إليها من الغلات من داريا إلى
القلعة، ويرسل الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور، ففرغ
الناس من ذلك، وابتهلوا إلى الله بالدعاء، وكثر الضجيج بالجامع، وأقبل
السلطان فنزل مرج الصفر، وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج
فكان أول من قدم صاحب حمص أسد الدين شيركوه، فتلقاه الناس فدخل
من باب الفرج، وجاء فسلم على ست الشام ببارها عند المارستان، ثم عاد
إلى داره.

ولما قدم أسد الدين سري عن الناس، فلما أصبح توجه نحو السلطان
بمرج الصفر.

وأما الفرنج فإنهم قدعوا بيسان فنهبوا ما كان بها من الغلات والدواب
وقتلوا وأسروا شيئاً كثيراً، ثم عاثوا في الأرض فساداً يقتلون وينهبون
ويأسرون ما بين بيسان إلى بانياس، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى نوى
وخصين وغيرها، وسار الملك المعظم فنزل على عقبة الدين بين القدس
وبانياس خوفاً على القدس منهم، فإنه هو الأهم الأكبر، ثم حاصر الفرنج
حمص الطور حصاراً هائلاً، ومنع عنه الذين به من الأبطال عمامة هائلة،
ثم كر الفرنج راجعين إلى عكا، ومعهم الأسارى من المسلمين، وجاء الملك
المعظم إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وطيب نفوسهم، ثم اتفق هو
وأبوه على هدمه كما سيأتي.

وفيها توفي من الأعيان

الشيخ العماد: أخو الحافظ عبد الغني، أبو إسحاق

■ إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ عماد الدين
المقدسي أصغر من أخيه الحافظ عبد الغني بستين، وقدم مع الجماعة إلى

الأشرفية يتوب عنه، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية، وكان السلطان قد أرسل إليه طراحة ومستلة لأجل أنه شيخ كبير، وكان ابنه يجلس بين يديه، فإذا قام أبوه جلس في مكانه، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه، واستتاب شمس الدين بن الشيرازي، وكان يجلس تجاهه في شرقي الإيوان، واستتاب معه شمس الدين بن سني الدولة، ونُبت له دكة في الزاوية القبلية بغرب المدرسة واستتاب شرف الدين بن الموصلي الحنفي، فكان يجلس في محراب المدرسة، واستمر حاكما ستين وسبعة أشهر، ثم مات يوم السبت رابع ذي الحجة وله من العمر خمس وتسعون سنة، وصلي عليه بجامع دمشق، ثم دفن بسفح قاسيون.

الأمير بدر الدين

■ محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري باني المدرسة التي بالقدس، كان من خيار الأمراء، وكان يتمنى الشهادة دائما فقتله الفرنج بمحسن الطور، ونقل إلى القدس الشريف ودفن بترته بمالا وترته تزار إلى الآن رحمه الله.

■ (الدماغ).

الشجاع محمود المعروف بالدماغ: كان من أصدقاء العادل بضحكه، فحصل أموالا جزية منهم، كانت داره داخل باب الفرج، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية، ووقفت عليها أوقافا دارة.

■ (دهن اللوز).

الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة: شيخة العالقات بدمشق، وتلقب بدهن اللوز.

وفيها توفيت

■ بنت بورجهان وهي آخر بناته وفاة، وجعلت أموالها وقفا على تربة اختها بنت صفية المشهورة.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمئة

استهلت والعادل نازل بمرج الصفر لمناجزة الفرنج، وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور فأخبره ونقل ما فيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفا من الفرنج.

وفي ربيع الأول نزلت الفرنج على دمياط، وأخذوا برج السلسلة في جمادى الأولى، وكان حصنا منيعا، وهو قفل بلاد مصر فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها التقى المعظم والفرنج على القيمون، فكسروهم وقتل منهم خلقا وأسر من الدواية مائة، فأدخلهم إلى القدس منكرة أعلاهم.

وفيها جرت خطوط كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحداً بعد واحد، وتغلب ملوك ليبيا بدر الدين لؤلؤ على الأمور، ويُذكر أنه هو الذي كان يقتلهم في الباطن يستحوذ هو على الأمور، فآله أعلم.

وفيها أقبل ملك الروم كيكارس بن كيكسرو يريد أخذ مملكة حلب، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط، فصدّه عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه، وردّه خائباً.

وفيها تملك الأشرف مدينة سنجان مضافاً إلى ما بيده من الممالك هنالك.

دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسمئة، ودخل بغداد مرتين، وسمع الحديث، وكان عابدا زاهداً ورعا كثير الصلاة كثير الصيام، يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان فقيهاً مقنياً، وله كتاب «الفروق»، وصنف أحكاماً ولم يتمه، وكان يؤم بمحارب الخابطة مع الشيخ الموفق، وإنما كانوا يصلون بغير محراب، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستمئة، وكان أيضاً يؤم بالناس لقضاء الفواتي، وهو أول من فعل ذلك، صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً، ثم رجع إلى بيته بدمشق، فأفطر ثم مات فجأة، فصلي عليه بالجامع الأموي، صلى عليه الشيخ الموفق عند مصلاهم، ثم صعدوا به إلى السفح، وكان يوم موته يوماً مشهوداً من كثرة الناس.

قال سبط بن الجوزي: كان الخلق من الكهف إلى مغارة الدم إلى المطور لو بذر السمسم ما وقع إلا على رؤوس الناس، قال: فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهداها وقتل: هذا كان رجلاً صالحاً، ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره، ومر بذهني آيات الثوري التي أنشدها بعد موته في المنام:

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي هنيئاً رضي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا أنظم الدجى بمسرة مشنقاً وقلب عبيد
فلونك فاختر أي قصر أردته وزرني فلاني منك غير بعيد
ثم قلت: أوجز إن يكون العماد رأى ربه كما رآه سفيان الثوري،
فمنعت فرأيت الشيخ العماد في المنام وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء
وهو في مكان مشع كأنه روضة، وهو يرقى في درج متسعة، فقلت: يا
عماد الدين، كيف بت؟ فإني والله مفكر فيك؟ فنظر إلى وتبسم على عاتقه
التي كنت أعرفه فيها في الدنيا ثم قال:

رأيت لمي حين أنزلت حفرتي وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي
وقال جزيت الخير عني فسألتى رضيت فها عفوي لديك ورحمتي
دأبت زمناً تأمل الفوز والرضا فوئيت نيراني ولقيت جنبي

قال: فأنبتت وأنا مذخور وكتب الأبيات والله أعلم.

القاضي جمال الدين بن الحرستاني:

■ عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري بن الحرستاني، قاضي القضاة بدمشق ولد سنة عشرين وخمسمئة، وكان أبوه من أهل حرستا، فنزل داخل باب توما، وأم بمسجد الزينبي، ونشأ ولده هذا نشأة حسنة، سمع الحديث الكثير، وشارك الحافظ بن عساكر في كثير من شيوخه، وكان يجلس للإسماع بمقصورة الحضرة، وعندها كان يصلي دائماً، لا تنوته الجماعة بالجامع، وكان منزله بالحرورية، ودرس بالجاهلية، وعمر دهرًا طويلاً على هذا القدم الصالح والله أعلم. وناب في الحكم عن ابن أبي عسور، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع، ثم عزل العادل القاضي بن الزكي الطاهر بن يحيى الدين على القرشي والأزم القاضي جمال الدين بن الحرستاني هنا بولاية القضاء وله ثثان وتسعون سنة، وأعطاه تدريس العزيزية، وأخذ الثغرة أيضاً من ابن الزكي، وولاهما فخر الدين بن عساكر.

قال ابن عبد السلام: ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني، كان يحفظ الوسيط للغزالي.

وذكر غير واحد أنه كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق، وولي مشيخة

وفيها توفي السلطان الملك

صفة أخذ الفرنج دمياط

لما انتهى الخبر بموت العادل، ووصل إلى ابنه الكامل وهو بنصر دمياط مرائب الفرنج، أضعف ذلك أعضاء المسلمين وقتلوا، ثم بلغ الكامل خبر آخر أن الأمير أحمد بن علي ابن المشطوب وكان أكبر أمير بمصر، قد أراد أن يبيع للفرنج عوضاً عن الكامل، فساق وحده جريدة من دمياط قاصداً إلى مصر لاستدراك هذا الخطب الجسيم، فلما فقه الجيش من بينهم انحس نظامهم، واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر من موت العادل، فركبوا وراءه، فدخلت الفرنج بأمان إلى الديار المصرية، واستحوذوا على معسكر الكامل وأقاله، فوقع خبط عظيم جداً، وذلك تقدير العزيز العليم، فلما دخل الكامل مصر لم يقع عما ظنه شيء، وإنما هي خديعة من الفرنج، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام، ثم ركب من فوراً في الجيش إلى الفرنج فإذا الأمر قد تزايد، وتمكنوا من البلدان، وقتلوا خلقاً، وغنموا كثيراً، وعاثت الأعراب التي هنالك على أموال الناس ببلاد دمياط، فكانوا أضرب عليهم من الفرنج فإنما لله وإنا إليه راجعون، فترك الكامل تجاه الفرنج يمانهم عن دخولهم إلى القاهرة، بعد أن كان يمانهم عن دخول النهر، وكتب إلى إخوانه يستحثهم ويستجدهم، ويقول: الرجاء الرجاء، العجل العجل، أدركوا المسلمين قبل تلك الفرنج جميع الديار المصرية، فأقبلت العساكر الإسلامية إليه من كل مكان، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف موسى صاحب الجزيرة بيض الله وجهه، ثم المعظم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره بعد هذه السنة.

وفيها ولي حبة بغداد صاحب محي الدين يوسف بن أبي الفرج بن الجزري، وهو مع ذلك يعمل ميعاد الرعظ على قاعدة أبيه، وشكرت في مباشرته للحسبة.

وفيها فوض إلى المعظم النظر في التربة البدوية، تجاه مدرسة الشبلية، عند الجسر الذي على ثوري، ويقال له جسر كجبل، وهي منسوبة إلى بدر الدين حسن بن الداية، كان هو وإخته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي.

قلت: وقد جعلت في حدود الأربعين وستمائة جامعاً، يخُطب فيه يوم الجمعة.

وفيها أرسل السلطان علاء الدين محمد بن تكتش إلى الملك العادل وهو غيم بمرج الصفر رسولاً، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق جمال الدين محمد بن عبد الملك الدوملي، واستناب عنه في الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار، فأقام بالعززية يباشر عنه، حتى قدم وقد مات الطول رحمه الله.

وفيها توفي الملك

■ القاهرة صاحب القوسل، فأنقذ ابنه الصغير مكانه، ثم قتل، وتشتت شمل البيت الأتليكي، وتقلب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيهم نور الدين أرسلان.

وفيها كان عود الوزير صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر من من آمد إلى دمشق بعد موت العادل، فعمل فيه الشيخ علم الدين السخاوي مقامة بالغ في مدحه فيها، وقد ذكروا أنه كان متواضعاً يحب الفقراء والنقهاء، ويسلم على الناس إذا اجتاز بهم وهو راكب في أبهة وزاته ثم إنه نكب في هذه السنة وذلك أن الكامل هو الذي كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه، فاحتاط على أمواله وحواصله، وعزل ابنه عن

■ العادل أبو بكر بن أيوب، فأخذت الفرنج لعنهم الله، نثر دمياط، ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر من نثر دمياط، فحاصروه مدة أربعة شهور، والملك الكامل محمد يقاتلهم ويمانهم، فتملكوا برج السلسلة، وهو كالقفل على ديار مصر، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ومن هذا البرج إلى دمياط، وهو على شاطئ البحر وحافة النيل سلسلة منه إلى الجانب الآخر، وعليه الجسر وسلسلة أخرى لمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل، فلا يمكن الدخول، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه لذلك تأوها شديداً، ودق يده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وولادها، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريد الله عز وجل. فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية عاتقن، فجاه ولده المعظم مسرعاً، فجمع حواصله وأرسله في عفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض، وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلغهم الطواشي عنه، أي أنه ضعيف، عن الرد عليهم، فلما انتهى به إلى القلعة المنصورة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بالعادلية الكبيرة، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شاذي من خيار الملوك وأجودهم سيرة، ديناً عاقلاً، صبوراً وقوراً، أبطل المحرمات والخمور والمعازف من مملكته كلها، وقد كانت متمدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها أخذها بعد أخيه صلاح الدين، سوى حلب فإنه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي، لأنه زوج ابنة صفية الست خاتون، وكان العادل حليماً، صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه، ومع أخيه حضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج، وكانت له في ذلك اليد البيضاء، وكان ماسك اليد، وقد اتفق في عام الغلاء بمصر أموالاً كثيرة على الفقراء، وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً كثيراً جداً، ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد عام الغلاء في القناء ثلاثمائة ألف إنسان من الغراء والفقراء وكان كثير الصدقة في أيام مرضه، حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه، وكان كثير الأكل متمماً بصحة وعافية مع كثرة صيامه، كان يأكل في اليوم الواحد أكالات جيدة، ثم بعد هذا يأكل عند النوم رطلاً بالدمشقي من الحلوى السكرية اليابسة، وكان يعتريه مرض في أنفه في زمن الورد، وكان لا يقدر على الإقامة بدمشق حتى يفريغ زمن الورد فكان يضرب له الوطاق بمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك.

توفي عن خمس وسبعين سنة، وكان له من الأولاد جماعة: محمد الكامل صاحب مصر، وعيسى المعظم صاحب دمشق، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة وصلاح وحران وغير ذلك، والأرواح أيوب مات قبله، والفاتر إبراهيم، والمظفر غازي صاحب الرها، والعزيم عثمان والأبجد حسن وهما شقيقا المعظم، والميثم محمود والحافظ أرسلان صاحب جعبر، والصلاح إسماعيل، والقاهر إسحاق، وعجير الدين يعقوب، وقطب الدين أحمد و خليل وكان أصغرهم، وتقي الدين عباس وكان آخرهم وفاة بقي إلى سنة ستين وستمائة، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون، زوجة الظاهر غازي صاحب حلب، وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذي ملك دمشق، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق، والأخرى بالجبل، وهو الذي قتله هولاو كما سيأتي.

النظر من الدواوين، وقد كان ينوب عن أبيه في مدة غيبته.

وفي رجب منها أعاد المعظم ضمان القيان والخمور والمفنيات، وغير ذلك من الفواشش والمنكرات، التي كان أبوه قد أبطلها، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل ملء كف خر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية، فجزى الله العادل خيراً، ولا جزى المعظم خيراً على ما فعل، واعتذر المعظم في صنعه هذا المنكر لقلّة الأموال على الجند، واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج، وهذا من جهله وقلة دينه، وعدم معرفته بالأمور، فإن هذا الصنيع يدل على عدم الأعداء ويتضررهم عليهم، ويتمكن منهم الدماء، ويشيط الجند عن القتال، فيولون بسية الأديبار، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويدبيل الدول، كما في الأثر إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني، وهذا ظاهر لا يخفى على فطن.

ومن توفي فيها من الأعيان.

السلطان الملك

■ العادل أبو بكر بن أيوب، كما تقدم.

■ (عبد الله بن عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى).

■ القاضي شرف الدين: أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى بن علي القرشي الدمشقي، من بني عمّ ابن الرزي، وكان أول من درس بالشامية البركية وبالرواحية أيضاً وناب في الحكم عن ابن عمه يحيى الدين بن الرزي، وتوفي في شعبان من هذه السنة ودفن عند مسجد القدم.

أبو سليمان

■ داود بن أبي الغنام أحمد بن يحيى الملهمي الضرير البغدادي، كان ينسب إلى علم الأوائل، ولكنه كان يستر بمذهب الظاهرية، قال فيه ابن الساعي: الداودي مذهبا، المري أدبا واعتقادا، ومن شعره:

إلى الرحمن أشكو ما الاقي غداة غلوا على هوج النياق
سألتكم بمن زم المطايا أمر بكم أمر من الفراق؟
وهل داء أشد من التنائي وهل عيش ألد من التلاقي؟

قاضي قضاة بغداد عماد الدين أبو القاسم:

■ عبد الله بن الحسين بن الدامغاني الحنفي، سمع الحديث، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وولي القضاء ببغداد مرتين، نحواً من سبع عشرة سنة، وكان مشكور السيرة، عارفاً بالحساب، والفرائض وقسمة التركات.

■ أبو اليمن نجاح بن عبد الله الحبشي: الشرائي نجم الدين، مولى الخليفة الناصر، كان يسمى سلمان دار الخلافة، وكان لا يفارق الخليفة، فلما مات وجد عليه الخليفة وجداً كثيراً، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، كان بين يدي نعشه مائة بقرة، وآلف شاة، وأحمال من الثمر والخبز والمالود، وقد صلى عليه الخليفة بنفسه تحت التاج، وتصدق عنه بمشطرة آلاف دينار على المشاهد، ومثلها على المجاورين بالحرمين، واعتق ماله، ووقف عنه خمسمائة مجلد.

أبو المظفر

■ محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصل، تفقه بالنظامية، وسمع الحديث، ثم عاد إلى الموصل، فساد أهل زمانه بها، وتقدم في الفتوى والتدريس بملسة بلر الدين لؤلؤ وغيرها وكان صالحاً ديناً.

أبو الطيب

■ رزق الله بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن رزق الله بن غانم بن غنام الماحوزي، المحدث الجوال الرحال، الثقة الحافظ، الأديب الشاعر.

أبو العباس

■ أحمد بن بونفش بن عبد الله العمادي، كان من أمراء سنجان، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكي صاحبها، وكان أحمد هذا أديباً شاعراً، ذا مال جزيل، وأملاك كثيرة، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي، وأودعه سجنًا، فمسي فيه ومات كمدًا، ومن شعره:

تسول وقد دعتها ودموعها على غمرها من خشية البين تلتقي
مضى أكثر العمر الذي كان نافعاً رويك فاعمل صاحباً في الذي بقي

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة

فيها أمر الشيخ يحيى الدين بن الجوزي عتسب ببغداد بإزالة المنكر وكسر الملاهي ففعل ذلك في مستهل هذه السنة ولله الحمد والمث.

ظهور جنكيزخان وجنوده وعبورهم نهر جيحون

وفيها عبرت التار نهر جيحون صحبة ملكهم جنكيزخان من بلادهم، وكانوا يسكنون جبال طمناج من أرض الصين، ولغتهم مخالفة للغة سائر التار، وهم من أشجعهم، وأصبرهم على القتال، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنزخان بعث تجاراً له، ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه، يتبضعون له ثياباً للكسوة، فكتب نائبها إلى السلطان خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم، ففعل ذلك، فلما بلغ جنكيز خان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلاً جيداً، فلما تهدد أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلي خان، فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم، فأقبلوا إليه محرومين فاقتلوا معه أربعة أيام قتالاً لم يسمع بمثله، أولئك يقاتلون عن حرمهم والمسلمون عن أنفسهم، يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم، فقتل من الفريقين خلق كثير، حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء، وكان جملة من قتل من المسلمين نحواً من عشرين ألفاً، ومن التار أضعاف ذلك، ثم تجاوز الفريقان، وولى كل منهم إلى بلاده، ولجا خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند، فحضرها وبالق في كثرة من ترك فيها من المقاتلة، ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة، فقصدت التار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكيز خان ثلاثة أيام، فطلب منه أهلها الأمان فأمّنهم ودخلها، فأحسن السيرة فيهم مكرراً وخديعة، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها، واستعمل أهل البلد في طم خندقها، وكانت التار يأتون بالنسابر والريعات فيطرحونها في الخندق يطمون بها، ففتحوها قسراً في عشرة أيام، فقتل من كان بها، ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأهلها لجنده، فقتلوا من أهلها خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وأسروا الذرية والنساء، وفعلوا معهم الفواشش بمحضرة أهلهم، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل، ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال، ثم ألفت التار النار في دور بخارى

ومن توفي فيها من الأعيان

ست الشام: واقفة المدرستين البرانية والجوانية، الست الجليلة المصونة

خاتون

■ ست الشام بنت أيوب بن شادي، أخت الملوك وعمة أولادهم، وأم الملوك، كان لها من الملوك الحارم خمسة وثلاثون ملكاً، منهم شقيقها المعظم توران شاه ابن أيوب صاحب اليمن، وهو مدفون عندها في القبر القبلي من الثلاثة، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حمص، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وهي وابنها حسام الدين محمد بن عمر في القبر الثالث، وهو الذي يلي مكان الدرس، ويقال للترية والمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين، وكانت ست الشام من أكثر النساء صدقة، وإحساناً إلى الفقراء والمخوحي، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة، وأدوية، وعقاقير، وغير ذلك، وتفرقه على الناس.

وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار، السادس عشر من ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة، وهي عند المارستان، وهي الشامية الجوانية، ونقلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية، وكانت جنازتها حافلة رحمة الله.

أبو البقاء صاحب الإعراب واللباب: عبد الله بن الحسين بن عبد الله، الشيخ أبو البقاء

■ العكبري، الضرير النحوي الحنبلي، صاحب «إعراب القرآن العزيز»، وكتاب «اللباب» في النحو، وله حواش على المقامات، ومفصل الزعشري وديوان المتنبي وغير ذلك، وله في الحساب وغيره. وكان صالحاً ديناً، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله.

وكان إماماً في اللغة والحساب والنحو، فقيها منظاراً، عارفاً بالأصلين والفقه.

وحكى القاضي ابن خلكان عنه أنه ذكر في شرح المقامات أن عفا مُغرباً كانت تأتي إلى جبل شامق عند أصحاب الرس، فرمى اختلطت بعض أولادهم فشكوها إلى نعيم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت. قال: وكان وجهها كوجه الإنسان، وفيها شبه من كل طائر.

وذكر الزعشري في كتابه ربيع الأبرار أنها كانت في زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان، وفيها شبه كثير من سائر الحيوان، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسي الذي كان في الفترة فدعا عليها فهلكت والله أعلم.

وذكر ابن خلكان أن المعز الفاطمي جيء إليه بطائر غريب الشكل جداً من الصعيد، يقال له عفا مغرب.

قلت: وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة، وكان صالحاً ولم يكن نبياً لقرول رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس ببيسى ابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي» [٣٤٤٧] وقد تقدم ذلك.

■ (علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمعشي).

الحافظ عماد الدين أبو القاسم: علي بن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن

ومدارسها ومساجدها، فاحترق حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها، ثم كروا راجعين عنها قاصدين سمرقند، وكان من أمرهم ما سنذكره في السنة الآتية.

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس عمره الله بذكره، أمر بذلك المعظم خوفاً من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك، فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه، فشرع في تخريب السور في أول يوم من الحرم، فهرب منه أهله خوفاً من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهاراً، وتركوا أموالهم وأثاثهم، وتمزقوا في البلاد كل تمزق، حتى قيل: إنه بيع القنطار من الزيت بعشرة دراهم، والرطل النحاس بنصف درهم، وضج الناس، وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى وهي أيضاً فعلة شتاء من المعظم، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي، فقال بعضهم يهجو المعظم بذلك:

في رجب حلال المحرم وأخرب القدس في المحرم وفيها استحوذت الفرنج على مدينة دمياط، ودخلوها بالأمان، فغلبوا بأهلها، وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها، وفجروا بالنساء، ويمثروا بمنبر الجامع والريعات ورؤوس القتلى إلى الجزائر، وجعلوا الجامع كنيسة «ولر شاه ربك ما فعلوه» [الأنام: ١١٢].

وفيها غضب المعظم على القاضي زكي الدين بن يحيى الدين بن الزكي، وسببه أن عمته ست الشام بنت أيوب مرضت في دارها التي جعلتها بعداً مدرسة، فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه، فذهب إليها بشهود معه، فكتب الوصية كما قالت، فقال المعظم: يذهب إلى عمتي بدون إذني، ويسمع هو والشهود كلامها؟ وافق أن القاضي طلب من جانيه العززية حسابها، وضره بين يديه بالمقارع، وكان المعظم ينفذ هذا القاضي من أيام أبيه العادل، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي بيقظة فيها قباء وكلوتة، القباء أبيض والكلوتة صفراء، وقيل: بل كانا حراوين مدرتين، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهما ويحكم بين الخصوم فيهما، وكان من لطف الله أن جاءته الرسالة بهذا وهو في دمعليز داره التي بباب البريد، وهو متصب للحكم، فلم يستطع إلا أن يلبسهما وحكم فيهما، ثم دخل داره واستقبل مرض موته، وكانت وفاته في صفر من السنة الآتية بعدهما، وكان الشرف بن عنين الزعري الشاعر قد أظهر النسك والتعب، ويقال: إنه اعتكف بالجامع أيضاً، فأرسل إليه المعظم بمخمر ونرد ليشغل بهما، فكتب إليه ابن عنين:

يا أيها الملك المعظم سنة أحدثها تقى على الأباد تجري الملوك على طريقك بعدما خلع القضاة وخففة الزهاد وهذا من أقبح ما يكون أيضاً.

وقد كان نواب ابن الزكي أربعة: شمس الدين بن الشيرازي إمام مشهد علي، كان يحكم بالمشهد بالشباك، وربما برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء، وشمس الدين بن سني الدولة، كان يحكم في الشباك الذي في الكلاسة تجاه تربة صلاح الدين عند باب الغزالية، وجمال الدين المصري، وكيل بيت المال، كان يحكم في الشباك الكمالي بمشهد عثمان، وشرف الدين الموصلي الحنفي كان يحكم بالمدرسة الطرخانية بجبرون والله تعالى أعلم.

لعنه الله تعالى، ومن معه من التار قبهم الله أجمعين، واستفحل أمرهم، واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها، حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها، فملكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق، والجزيرة، والشام، ومصر، وقهرروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الحوارزمية، والقفجاق والكرج واللان والحزر وغيرهم، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار وصغار ما لا يحصى ولا يوصف.

وبالجملية فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال، وكثيراً من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه، وبالخرق إن لم يحتاجوا إليه، حتى إنهم كانوا يجمعون الخربير الكثير الذي يعجزون عن حمله فيقتلون فيه النار فيحرق وهم ينظرون إليه، ويغربون المنازل، وما عجزوا عن تحريقه أحرقوه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقتلون بهم ويحاصرون بهم، وإن لم ينصحوا في القتال قتلهم.

وقد بسط ابن الأثير في كامله (٣٥٨/٢-٣٩٨) خبرهم في هذه السنة بسطاً حسناً مفصلاً، وقدم على ذلك كلاماً هاملاً في تعظيم هذا الخطب العجيب.

قال فتقول: هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى، التي عمقت الليالي والأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلهما لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربه ولا يلائمه، ومن أعظم ما يذكر من الحوادث، ما فعل تحت نصر بني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن يعرض العالم، وتفسى الدنيا، إلا بأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبق على من أتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، فإن الله وإنما إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استبدته الريح، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصلوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعمر طائفة منهم إلى خراسان، فيفرون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً، ثم يجاوزونها إلى الري، وهمدان، وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أفريجيان، وأران، وتخربونها، ويقتلون أكثر أهلها، ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم ساروا إلى دريد شروان فملكوا منه، ولم يسلم غير قلعة التي بها ملكهم، وعبروا عنها إلى بلد اللان واللكز، ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة، فأوسعهم قتل ونهباً وتخريباً، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم، وهرب الباقون إلى الغياض وملكوا عليهم بلادهم، وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أعمال هؤلاء وأشد.

عساكر الدمشقي، سمع الكثير، ورحل فمات ببغداد في هذه السنة، ومن لطيف شعره قوله في المروحة:

ومروحة تروح كل هم ثلاثة أشهر لا يبد منها
حزيران وعشور وآب وفي أيلول يغني الله عنها

■ ابن الدوامي الشاعر: وقد أورد له ابن الساعي جملة صالحة من شعره.

و ■ سعيد بن الرزاز وكان أحد المعدلين ببغداد، وسمع «البخاري» من أبي الوقت.

وأبو سعيد

■ محمد بن محمود بن محمد بن عبد الرحمن المروزي الأصل، الهمداني الولد، البغدادى المنشأ والوفاء، كان حسن الشكل، كامل الأوصاف، له خط حسن، ويعرف فنونا كثيرة من العلوم، شافعي المذهب، يتكلم في مسائل الخلاف، حسن الأخلاق، ومن شعره قوله:

أرى قسماً الأرزاق أعجب
لذي دعة شُر ومُكد به الكد
وأحسن ذو مال وأحسن معدم
وعقل بلا حظ وعقل له جد
يغم الغني والفقر ذا الجهل والحجا
ولله من قبل الأمور ومن بعد

أبو زكريا

■ يحيى بن القاسم بن الفرج بن درع بن الحضر الشافعي، شيخ تاج الدين التكريتي قاضياً، ثم درس بنظامية ببغداد، وكان متقناً لعلوم كثيرة منها التفسير، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، وله المصنفات في ذلك كله، وجمع لنفسه تاريخاً حسناً، ومن شعره قوله:

لا بد للمرء من ضيق ومن سعة
والله يطلب منه شكر نعمته
فكن مع الله في الحالين متمتعا
فرضيك هنيئاً في سر وفي علن
فما على شدة يقي الزمان فكن
جلداً ولا نعمة تبقي على الزمن
ومن ذلك قوله:

لو كان قاضي الهوى على ولي
ما جار في الحكم من علي ولي
يا يوسف الجمال عبدك لم
تبق له حيلة من الخيل
إن كان قد القيص من دبّر
فبيك قد الفؤاد من قبل

صاحب الجواهر: الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد

■ عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عثالث بن عبد الله بن محمد بن شاس، الجذامي السعدي المالكي الفقيه، مصنف كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، وهو من أكثر الكتب فوائد في الفروع، رتب على طريقة الوجيز للغزالي.

قال ابن خلكان: وفي دلالة على غزارة علمه وفضله، والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه، لحسنه وكثرة فوائده وكان مدرساً بمصر، ومات بدمياط رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة

في هذه السنة عم البلاء، وعظم الغزاء بجنكيز خان، المسمى بتجوجين

وقد كان خوارزم شاه فقيها حنفيًا فاضلاً، له مشاركات في فنون من العلم، يفهم جيداً، وملك بلاداً متسعة، وملك متعددة، إحدى وعشرين سنة وشهوراً، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكبر حرمة، ولا أعظم ملكاً منه، لأنه إنما كانت همته في الملك لا في اللذات والشهوات، ولذلك قهر الملوك تلك الأراضي، وأحل بالخطأ بأساً شديداً، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر وكذلك عراق العجم وغيرها من الممالك سلطان سواه، وجميع البلاد تحت أيدي نوابه.

ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع، بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين في أيام سليمان بن عبد الملك، ففتحها هؤلاء في أيسر ملة، ونهبوا ما فيها، وقتلوا أهاليها كلهم، وسبوا وأحرقوا، ثم ترحلوا عنها نحو الري، فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جداً، فأخذوها وفيها كل غريب ونقيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها.

ثم قصدوا الري، فدخلوها على حين غفلة من أهلها، فقتلوه وسبوا وأسروا، ثم ساروا إلى همدان فملكوها، ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا، ثم قصدوا قزوین فنهبوا وقتلوا من أهلها نحو من أربعين ألفاً، ثم تيمموا بلاد أذربيجان، فصالحهم ملكها أرتك بن البهلوان على مال حله إليهم، لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات، فتركوه وساروا إلى مرقان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل، فلم يبقوا بين أيديهم طريقة عين حتى انتهزتهم الكرج وقتلت التار منهم خلقاً كثيراً، ثم قصدوا قتلنس وهي أكبر مدن الكرج واجتمعت عند ذلك الكرج، فأقبلوا إليهم بدمهم وحديدهم، فكسرتهم التار وقعة ثانية أتبع هزيمة وأشتتها.

وهنا قال ابن الأثير (الكامل: ٣٧٥/١٧): ولقد جرى لهؤلاء التار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية، ويجاوزون العراق من ناحية همدان، وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدا، والحق بيده، فمتى استبعد ذلك فليظن أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها، يسر الله للمسلمين والإسلام أن يحفظهم ويحفظهم، فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تعدى همته بطله وفرجه، وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه. قال: وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج، فلما رأوا منهم عاتمة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم، وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز، فصالحهم أهلها بمال.

قال: ثم ساروا إلى مراغة فحاصروها، ونصبوا عليها المجانيق، وتترسوا بالأسارى من المسلمين، وعلي البلد امرأة ولن يقلع قوم ولوا أمرهم امرأة ففتحوا البلد بعد أيام، وقتلوا من أهله خلقاً لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، وغنموا منه شيئاً كثيراً، وسبوا وأسروا على عادتهم لنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم، وقد كان الناس يخافون منهم خوفاً عظيماً جداً، حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مائة رجل، لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع، ولم يرفع منهم أحد يده إليه، ونهب ذلك الدرب وحده. ودخلت امرأة منهم في زي رجل بيتا فقتلت كل من في ذلك البيت

هنا ما لم يطرُق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً بل رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة، وأكثره أهلاً وأعدلهم أخلاقاً وسيرة، في نحو سنة، ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرُقوها بقاء إلا وهو خائف مترقب وصولهم، وهم مع ذلك يسجلون للشمس إذا طلعت، ولا يحرمون شيئاً، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والنباتات لنهم الله تعالى.

قال: وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع، لأن السلطان خوارزم شاه كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقل بالأمور، فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم ساقوا وراءه، فهرب فلا يدرى أين ذهب، وهلك في بعض جزائر البحر، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وبلي الله ترجع الأمور.

ثم شرع في تفصيل ما ذكره جملاً، فذكر أولاً ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بعث جنكيزخان أولئك التجار بمال له ليأثونه بشئ كسرة ولباس، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال ففتح عليه جنكيزخان، وأرسل يهده، فسار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده، فوجد التار مشغولين بقتال كشلي خان، فنهب أثقالهم ونساءهم وأطفالهم، فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم، وازدادوا حقاً وغيظاً، فتوافقوا هم وإياه وابن جنكيزخان ثلاثة أيام، فقتل من الفريقين خلق كثيراً ثم تحاجزوا، ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده فحصنها، ثم كر راجعاً إلى مقره وملكته بمدينة خوارزم شاه، فأقبل جنكيزخان فحصر بخاري كما ذكرنا، فافتتحها صلحاً، وغدر بأهلها حتى افتتح قلعتها قهراً وقتل الجميع، وأخذ الأموال، وسبى النساء والأطفال، وخرب الدور والحداد، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل، فلم يبق منهم شيئاً.

ثم سار إلى سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هذه السنة، وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكروا، وبرز إليهم سبعون ألفاً من العامة، فقتل الجميع في ساعة واحدة، وألقى إليه الخمسون ألف السلم، فسلحهم سلاحهم وما يمتنعون به، وقتلهم في ذلك اليوم، واستباح البلد، فقتل الجميع، وأخذ الأموال، وسبى الذرية، وحرقه وتركه بلاق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأقام لعنة الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فبعث سرية إلى بلاد خراسان، وتسميها التار المعربة، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه، وكانوا عشرين ألفاً قال أطلوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء، فساروا وراءه فأدركوه، وبينهم وبينه نهر جيحون وهو آمن بسببه، فلم يجلوا سفناً فعملوا لهم أحواضاً يحملون عليها الأسلحة، ويرسل أحدهم فرسه ويأخذ بلذنها فتجره الفرس بالماء وهو يمر الحوض الذي فيه سلاحه، حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه، فهرب منهم إلى نيسابور، ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهرونه يجمع لهم، فصار كلما أتى بلداً ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته، وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره، بل ذهب فلا يدرى أين ذهب ولا كيف سلك، ولا إلى أي مفر هرب، وملك التار حواصله، فوجدوا في خزانته عشرة آلاف ألف دينار، وألف حمل من الأطلس وغيره وعشرين ألف فرس وبغل، ومن الغلمان والجواري والخيام شيئاً كثيراً، وكان له عشرة آلاف مملوك، كل واحد مثل ملك، فتمزق ذلك كله في أقل من سنة.

وحدها، ثم استنصر أسير معها أنها امرأة قتلها لعنه الله.

ثم فصلوا مدينة إربل فضاقت المسلمون لذلك ذرعا، وقال أهل تلك النواحي: هذا أمر عظيم. وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول: إني قد جهزت عسكريا فكونوا معه لقتال هؤلاء التار، فأرسل الأشرف يعتزل إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية، بسبب ما قد دهم المسلمين هناك من الفرنج، واخذهم دمياط الذي قد أشرفوا بأخذها على أخذ الديار المصرية قاطبة، وكان أخوه المعظم قد قدم عليه إلى حران يستجده لأخيهما الكامل ليتحاجزوا الفرنج بدمياط، وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية، فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العسكار التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل، فلم يقدم عليه منهم غير ثمانمائة فارس، ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولكن الله سلم بأن صرف همة التار إلى ناحية همدان، فصالحهم أهلها، وترك التار عندهم شحنة، ثم اتفقوا على قتل شحتهم، فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسراً، وقتلوا أهلها عن آخرهم، ثم ساروا إلى أذربيجان، ففتحو أريدل ثم تبريز، ثم إلى بيلقان فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وجماً غفيراً، وحرقوها، وكانوا يفجرون بالنساء، ثم يقتلونهن ويشقون بطونهن عن الأجنة.

ثم عادوا إلى بلاد الكرج، وقد استعدت لهم الكرج فاقتلوا معهم فكسروهم أيضاً كسرة عظيمة، ثم فتحوا بلداناً كثيرة يقتلون أهلها، ويسبون نساءها، ويسرون من الرجال ما يقتلون بهم الحصون، يجعلونهم بين أيديهم ترساً يتقون بهم الرمي وغيره، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقفجاق فاقتلوا معهم قتالاً عظيماً، فكسروهم وصدلوا أكبر مدائن القفجاق، وهي مدينة سرداق وفيها من الأمتعة والثياب والتجائر من البرطاسي والقنزل والسنجاب شيء كثير جداً، ولجأت سرداق إلى بلاد الروس، وكانوا نصارى، فاتفقوا معهم على قتال التار، فالتقوا معهم، فكسرتهم التار كسرة عظيمة منكزة جداً. ثم ساروا نحو بلغار في حدود المشرقيين وستماعة، ففرغوا من ذلك كله، ورجعوا نحو ملكهم جنكيزخان لعنه الله وليأمرهم.

هَذَا مَا فعلته هذه السرية المرفوعة، وكان جنكيزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى ترمذ فأخذتها وأخرى إلى فرغانة فملكوها، وجهز جيشاً آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها، وكذلك صالحوا مدناً كثيرة أخرى، حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعتهما، وكانت حصينة، فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا، فكتبوا إلى جنكيزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهراً، ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكما له من الخاصة والعامة.

ثم فصلوا مدينة مرو مع جنكيزخان، فقد عسكر بظاهرها نحو سائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم، فاقتلوا معه قتالاً عظيماً حتى أنكرس المسلمون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم حصروا البلد خمسة أيام، واستزلوا نائبها خديعة، ثم غدروا به وبأهل البلد، فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم، وعاقبوهم بأنواع العذاب، حتى إنهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو، ثم إلى طوس فقتلوا وخربوا مشهد علي بن موسى والرشيدي فتركوه خراباً، ثم ساروا هراً فقتلوا خلقاً واستأثروا عليها، ثم ساروا إلى غزنة، فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه، فكسروهم فعادوا إلى هرة، فإذا أهلها قد نقصوا فقتلهم عن آخرهم، ثم عادوا إلى ملكهم جنكيزخان لعنه الله وليأمرهم، وأرسل

جنكيزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها، حتى فتحوا البلد قهراً، فقتلوا من فيها قتلاً ذريعاً، ونهبوها وسبوا أهلها، وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون عنها، ففرقت دورها، وهلك جميع أهلها.

ثم عادوا إلى جنكيزخان وهو غيم على الطالقان، فجهز منهم طائفة إلى غزنة، فاقتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسروهم جلال الدين كسرة عظيمة، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين، ثم كتب إلى جنكيزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله فقصده جنكيزخان فتواجهوا، وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من القتال، فاقتلوا ثلاثة أيام لم يعهد قبلها مثلها من قتالهم، ثم ضعفت أصحاب السلطان جلال الدين فذهبوا فركبوا في بحر الهند، فسارت التار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا عاناة، كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة.

وفي هذه السنة أيضاً ترك الأشرف موسى بن العادل لأخيه شهاب الدين غازي ملك خلاط وميفارقين وبلاد أرمينية، وحانئ واعتاض عن ذلك بالرها وسروج، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لنعم الله تعالى.

وفي الحرم منها هبت رياح ببغداد، وجاءت بروق وسمعت رعدود شديدة، وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لغزو معين فثلثتها، ثم أصلحت، وغلرت الصاعقة في الأرض.

وفي هذه السنة نصب محراب الخبابة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق، بعد عمانية من بعض الناس لهم، ولكن ساعدهم بعض الأمراء في نصبه لهم، وهو الأمير ركن الدين المعظمي، وصلي فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة.

قلت: ثم رفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وعوضوا عنه بالحراب الغربي عند باب الزيارة، كما عوض الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالحراب المجدد لهم شرقي باب الزيارة، حين جدد الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية، على يدي ناظر الجامع تقي الدين بن مراجل، أثابه الله تعالى، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى. وفيها قتل صاحب سنجان أخاه، فملكها مستقلاً بها الملك الأشرف بن العادل.

وفيها ناقض الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل له حين أراد أن يبيع للقاتل، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة، فسجنه الأشرف حتى مات كمدناً ودلاً وغريباً.

وفيها أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً، فقتل منهم عشرة آلاف، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم والله الحمد.

وفيها عزل المعظم المعتمد ببارز الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاهما للعزير خليل، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المعتمد، فحصل به خير كثير، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحاج، بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر وأخصهم عنده، وذلك لأنه قدم معه بخلع للأمير حسن بن أبي عزيز قتادة ابن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لإمرة مكة بعد أبيه، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، فنزع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة، وقال لا يتأمر عليها غيري، فوَقعت فتنة، أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً، وقد كان قتادة من أكابر الأشراف الحسينيين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منعماً، نعمة على

همة عالية في الزهد والورع، بحيث إنه كان لا يقبض شيئاً ولا يملك مالا ولا ثياباً، بل يلبس عاريته ولا يتجاوز قميصاً في الصيف وفروقة في الشتاء، وعلى رأسه قبعاً من جلود المعز، شعره إلى ظاهره، وكان لا ينقطع عن غزاة من الغزوات، ويرمي عن قوس زنته ثمانون رطلاً، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان، ويأتي في الشتاء إلى عيون الفاسيريا في سفح الجبل المطل على قرية دومة شرقي دمشق، لأجل سخونة الماء، فيقصده الناس للزيارة هناك، ويحيي تارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند المقادسة وكانت له أحوال زمكاشفات صالحة، وكان يقال له أسد الشام.

حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان: ١١٣/٨) عن القاضي جمال الدين يعقوب الحاكم بذكر البقاع أنه شاهد مرة الشيخ عبد الله وهو يتوضأ من نورا عند الجسر الأبيض إذ مر نصراني ومعه حمل بغل خراً فعثرت الدابة عند الجسر فسقط الحمل فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه، واستعان به على رفع الحمل فاستدعاني الشيخ فقال: تعال يا فقيه، فتساعدنا على تحميل ذلك الحمل على الدابة وذهب النصراني فتعجبت من ذلك وتبعته الحمل وأنا ذاهب إلى المدينة، فالتفتي به إلى القبة فأورده إلى الخمار بها فإذا خل فقال له الخمار: ويحك هذا خل، فقال النصراني: أنا والله أعرف من أين أتيت، ثم ربط الدابة في خان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فعرفه فجاء إليه فأسلم على يديه. وله أحوال وكرامات كثيرة جداً، وكان لا يقوم لأحد دخل عليه ويقول: إنما يقوم الناس لرب العالمين.

وكان الأجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له: يا مجتهد فعلت كذا وكذا وأمره بما يأمره وينهاه عما ينهاه عنه، وهو يمثل جميع ما يقوله له، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه، وكان يقبل الفتنج، وكان لا يذخر منه شيئاً لنفسه، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق اللوز ففركه واستشفه ويشرب فوقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

وذكروا أنه كان ينجح في بعض السنين في الهواء، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجمي، وكان من أصحاب الحسن البصري، ثم من بعده من الصالحين رحمه الله تعالى عليهم أجمعين.

فلما كان يوم جمعة من عشر ذي الحجة من هذه السنة صلى الشيخ عبد الله اليوناني صلاة الجمعة بجامع بعلبك، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو سوي صحيح، فلما انصرف من الصلاة قال للشيخ داود المؤذن، وكان يغسل الموتى: انظر كيف تكون غداً، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك الليلة ويذكر أصحابه، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم، فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة، فمات وهو كذلك جالس لم يسقط، ولم تسقط السبحة من يده، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأجد صاحب بعلبك جاء إليه فعابته كذلك فقال لو بنينا عليه بيتاً هكذا يشاهد الناس منه آية، فقيل له: ليس هذا من السنة، فنحي وغسل وكفن وصلي عليه ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى، رحمه الله ونور ضريحه.

وكانت وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين سنة رحمه الله وأكرم مثواه، وكان الشيخ محمد الفقيه اليوناني من جملة تلاميذه، ومن يلوذ به وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك.

أبو عبد الله

■ الخمين بن محمد بن أبي بكر: الجلي الموصل، ويعرف بابن الجهني،

عبد مكة والمسلمين بها، ثم عكس هذا السير فظلم وجدد الكوس، ونهب الحاج غير مرة، فسلط الله عليه ولده حسناً فقتله وقتل عمه وإخاه أيضاً، فلها لم يجهل الله حسناً أيضاً، بل سلبه الملك وشرده في البلاد، وقيل: بل قتل كما ذكرنا، وكان قتادة شيخاً طويلاً مهيباً لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد، وكان الخليفة يود لو حضر عنده ليكرمه، وكان يأبى من ذلك ويمتنع عنه أشد الامتناع، ولم يقد إلى أحد قط، ولا ذل خليفة ولا ملك، وكتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه:

ولي كف ضرغام أذل يطشها واشري بها بين السورى وابيع وكل مسوك الأرض تشم ظهراً وفي بطنها للجلبين ريسع أجعلها تحت الرحي ثم ابتغي خلاصاً لها إنسي إذا لرقيع وما أنا إلا المسك في كل بقعة يضروع وأما عندكم فيضيع وقد بلغ قتادة من السنين سبعين سنة، وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ثمانى عشرة فإله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ الفاتح: غياث الدين إبراهيم بن العادل، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار المصرية، على يدي الأمير عماد الدين بن المشطوب، لولا أن الكامل تدارك ذلك سريعاً، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف موسى، يستحثه في سرعة السير إليهم بسبب الفرنج، فمات بين سنجار والموصل، وقد ذكر أنه سم فرد إلى سنجار فدفن بها، رحمه الله تعالى.

شيخ الشيوخ صدر الدين: أبو الحسن محمد بن شيخ الشيخ عماد الدين عمر

■ ابن حمويه الجويني من بيت رئاسة وإمرة عند بني أيوب، وقد كان صدر الدين هذا فقيهاً فاضلاً، درس بترية الشافعي بمصر، وعشهد الحسين وولي مشيخته سعيد السعداء والنظر فيها، وكانت له حرمة وإفرة عند الملوك، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فمات بالموصل بالإسهال، ودفن بها عند قضيب الباب عن ثلاث وسبعين سنة.

■ (محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب).

صاحب حماة: الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وكان فاضلاً له تاريخ في عشر مجلدات سماه المضممار، وكان شجاعاً فارساً، فقام بالملك بعده ولده الناصر قليج أرسلان، ثم عزله عنها الكامل وحجبه مات رحمه الله تعالى وولى أخاه المظفر بن المنصور.

صاحب آمد: الملك الصالح ناصر الدين

■ محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق، وكان شجاعاً محباً للعلماء، وكان مصاحباً للأشرف موسى بن العادل يجيء إلى خلعتة مزاراً، وملك بعده ولده الملك المسعود، وكان بخيلاً فاسقاً، فأخذ الكامل آمد وحجبه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وصار إلى التار، فأخذته منه.

الشيخ عبد الله

■ اليوناني: الملقب أسد الشام رحمه الله ورضي عنه من قرية بعلبك يقال لها يونين، وكانت له زاوية يقصد فيها الزيارة، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياسة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له

الشاب فاضل ولي كتابة الإنشاء لبلد الدين لؤلؤ زعيم الموصل، ومن شعره:
نفسى فداء الدين فذكرت فيه وقد غدوت أغرق في بحر من المعجب
يبدو بلبل على صبح على قمر على قضيب على وهم على كتب

شباب فاضل ولي كتابة الإنشاء لبلد الدين لؤلؤ زعيم الموصل، ومن شعره:
نفسى فداء الدين فذكرت فيه وقد غدوت أغرق في بحر من المعجب
يبدو بلبل على صبح على قمر على قضيب على وهم على كتب

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ياقوت الكاتب الموصل: رحمه الله، أمين الدين المشهور بطريقة ابن

البراب.

قال ابن الأثير: لم يكن في زمانه من يقاربه في خطه، وكانت لديه فضائل جمة، والناس متفقون على الثناء عليه، وكان نعم الرجل، وقد قال فيه نجيب الدين الراسطي قصيدة يمدح بها:

جامع شارد العلوم ولولا • لكنت أم الفضائل تكلسى
ذو سراع تحاف رئيسه الأس • د وتعتوا له الكتاب ذلا
وإذا افتر ثمره عن سواد • في ياض فاليض والشمر خجلى
أنت بدر والكاتب ابن هلال • كأيبه لا فخر فيمن تولى
إن يكن أولى فذلك بالتفض • يل أولى فقد سبقت وصلى

■ جلال الدين الحسن: من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الإسماعيلية، وكان قد أظهر في قومه شعائر الإسلام، وحفظ الحدود والمجرات، والقيام بالزواجر الشرعية.

الشيخ الصالح شهاب الدين

■ محمد بن خلف بن راجع المقدسي الحنبلي، الزاهد العابد الناسك، كان يقرأ على الناس يوم الجمعة الحديث النبوي، وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المظفري، وقد سمع الحديث الكثير، ورحل وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة، وكانت له فنون كثيرة، وكان ظريفا مطبوعا رحمه الله.

والخطيب موفق الدين أبو عبد الله

■ عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسي، خطيب بيت الآبار، وقد ناب بدمشق عن الخطيب جمال الدين الدولعي، حين سار في الرسالة إلى خوارزم شاه، حتى عاد.

المحدث البارع تقي الدين أبو طاهر

■ إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي، قرأ الحديث ورحل وكبه، وكان حسن الخط، متقنا في علوم الحديث، حافظا له، وكان الشيخ تقي الدين بن الصلاح يثني عليه ويمدحه، وكانت له كتب بالبيت الغربي من الكلاسة، الذي كان للملك الحسن بن صلاح الدين، ثم أخذ من ابن الأنماطي، وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الدكائي، واستمر بيد أصحابه بعد ذلك، وكانت وفاته بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية، وصلى عليه بالجامع الشيخ موفق الدين، وبياب النصر الشيخ فخر الدين بن عساكر، وبالقبرة قاضي القضاة جمال الدين المصري، رحمه الله تعالى.

أبو الفيث

■ شبيب بن أبي طاهر بن كليب بن مقبل الضريمر، الفقيه الشافعي، أقام ببغداد إلى أن توفي، وكانت لديه فضائل، وله رسائل، ومن شعره قوله:

إذا كتّم للناس أهل سياسة • فوسوا كرام الناس بالجلود والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا • عليه، فإن الذل أصلح للنذل

أبو العز

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة

فيها استولت التار علي كثير من البلدان كمرآغة وحمضان وأردبيل وتبريز وكنجة، وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها، وأستأسروا ذراريها، وأقتربوا من بغداد، فازرعج الخليفة لذلك، وحسن بغداد، واستخدم الأجناد، وقت الناس في الصلوات والأوراد.

وفيها قهروا الكرج واللان، ثم قاتلوا القفجاق فكسروهم، وكذلك الروس، وينهبون ما قدروا عليه، ثم قاتلهم وسبوا نساءهم وذريتهم.

وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف، فاستعطفه علي أخيه الكامل، وكان في نفسه مودة عليه فازالها، وسارا جميعا نحو الديار المصرية، لمعاونة الكامل علي الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط، واستحكم أمرهم هنالك من ستة أربع عشرة، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس، وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتروكا دمياط، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا، فقدر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأوقات، فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم، فأخذها الأسطول البحري، وأرسلت المياه على أراضي دمياط من كل ناحية، فلم يتمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى اضيق الأماكن، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة، فجاء مقدمومهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف، وكانا قائمين بين يديه، وكان يوما مشهودا، وأمرأ محموداً فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه، وملوك الفرنج والساكن كلها واقفة بين يديه، ومد سماما عظيما، فاجتمع عليه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقام راجع الحلي الشاعر فأنشد:

هنيئاً فإن السعد راح غلداً • وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخلق فتحاً بدا لنا • مينا وإنعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الدهر بعد فطوبى • وأصبح وجه الشوك بالظلم أسوداً
ولما طفى البحر الخضم بأمله الط • غاة واضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه • صقيلا كما سل الحسام مجربدا
فلم ينج إلا كل شلو مجدل • ثوى منهم أو تسراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا • عقبرته في الحقائق ومنشدا
أعبداً عيسى إن عيسى وحزبه • وموسى جميعا يخدمون محمداً

قال أبو شامة: ويلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى، والأشرف موسى، والكامل محمد قال: وهذا من أحسن شيء أتفق. وكان ذلك يوم الأربعاء تاسع عشر رجب من هذه السنة، وتراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها من البلدان، ورجع المعظم إلى الشام، واصطلح الأشرف والكامل على أخيهما المعظم.

وفيها ولي الملك المعظم قضاء دمشق لجمال الدين المصري، الذي كان وكل بيت المال بها، وكان فاضلا بارعا، يجلس في كل يوم جمعة قبل

ولكن كان مع هذا كله مهياً محترماً، والبلاد به أمنة مطمئة، وقد كاد يرفع سنجد أبيه يوم عرقة على سنجد الخليفة، فيجري بسبب ذلك فتنة عظيمة، وما مكن من طلوعه وصعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد.

وفيها كان بالشام جراد كثير أكل الزرع والشمار والأشجار.

وفيها وقعت حروب كثيرة بين الفججاق والكرج، وقتال كثير بسبب ضيق بلاد الفججاق عليهم.

وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو عبد الله محمد بن فضلان، ولبس

الخلعة في دار نائب الوزارة مؤيد الدين محمد بن محمد القمي بمحضرة الأعيان والكبراء، وقرئ تقليده بمحضرتهم، وساقه ابن الساعي بحروفه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ عبد القادر بن داود: أبو محمد الواسطي، الفقيه الشافعي، الملقب بالحب، استقل بالنظامية دهرًا، واشتغل بها، وكان فاضلاً، ديناً صالحاً، ومما أنشده من الشعر:

الفرقدان كلاهما شهدا له والبدر ليلة تمه بهاده
دفن إذا اعتبق الظلام تضمرت نار الجوى في صدره وفواده
فجرت مدامع جفنه في خدّه مثل المسيل يسيل من أطواده
شوقاً إلى مضيئه لم أر هكذا مشتاق مضيئ جسمه يعباده
ليت الذي أضناه سحر جفونه قبل الممات يكون من عواده

أبو طالب

■ يحيى بن علي: البغدادي الفقيه الشافعي، أحد المعيلين ببغداد، كان شيخاً مليح الشية، جميل الوجه، كان يلي بعض الأوقاف، ومما أنشده لبعض الفضلاء:

لحمل نهامة وجمال أحده وماء البحر ينقل بالزليل
وقتل الصخر فوق الظهر يوماً لأهون من بحالة التليل
ولبعضهم أيضاً، وهو ما أنشده المذكور:

وإذا مضى للمرء من أحواله خسون وهو إلى التقى لا يمنح
عكفت عليه المخزيات بقولها حلفتنا، فاقم كذا لا تبرح
وإذا رأى الشيطان غيرة وجهه حياً، وقال قديت من لا يفلح
اتفق أنه طولب بشيء من المال فلم يقدر عليه، فاستعمل شيئاً من الأفيون المصري، فمات من يومه ودفن بالوردية.

وفيها توفي

■ قطب الدين بن العادل: بالفيوم ونقل إلى القاهرة.

وفيها توفي إمام الحنابلة بمكة.

الشيخ

■ نصر بن أبي القرج: المعروف بابن الحصري، جاور بمكة مدة لم يسافر، ثم ساقته المنية إلى اليمن، فمات بها في هذه السنة، وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ.

وفيها في ربيع الأول توفي بدمشق الشهاب

■ عبد الكريم بن نجم بن الحنبلي، آخر البهاء والناسح، وكان فقيهاً مناظراً، بصيراً بالحكامات، وهو الذي أخرج مسجد الوزير من يد الشيخ علم الدين السخاوي، رحمه الله تعالى بمنه وكرمه.

■ مشرف بن علي بن أبي جعفر بن كامل الخالصي، المقرئ الضريع، الفقيه الشافعي، تفقه بالنظامية، وسمع الحديث ورواه، وأنشد عن الحسن بن عمرو الحلبي:

تعتلّم لي والديار بعيدة فخيّل لي أن الفؤاد لكسم معنى
وناجاك قلبي على البعد ينشأ فأوحشتم لفظاً وأنتم معنى

أبو سليمان

■ داود بن إبراهيم الحلبي، أحد المعيلين بالمدرسة النظامية، ومما أنشده:

أيا جامعا أمك عنانك مقصراً فلان مطايا الدهر تكبو وتقصر
سفرغ سنا أو تعض ندامة إذا خان الزمان وتبصر
ويلناك رشد بعد غيك واعظ ولكنه يلناك والأمر مدبر

أبو المظفر

■ عبد الوفود بن محمود بن المبارك بن علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الأصل، البغدادي الدار والمولد، كمال الدين المعروف والده بالخير، تفقه على أبيه، وقرأ عليه علم الكلام، ودرس بمدرسته عند باب الأرح، ووكله الخليفة الناصر، واشتهر بالديانة والأمانة، وياشر مناصب كباراً، وحج مراراً عديدة، وكان متواضعاً، حسن الأخلاق وكان يقول:

وما تركت ست وستون حجة لنا حجة أن نركب اللهو مركبا
وكان ينشد:

العلم يائي كل ذي خوف ض وياي كل آبي
كالباء يترل في الوها د وليس يصمد في الروابي

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها نقل تابوت العادل من القلعة إلى ترته العادلية الكبيرة، فصلي عليه أولاً تحت النسر بالجامع الأموي، ثم جاوزوا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها، ولم تكن المدرسة كملت بعد، وقد تكامل بناؤها في السنة الآتية أيضاً. وذكر المدرس بها القاضي جمال الدين المصري، وحضر عنده السلطان المعظم فجلس في الصدر، وعن شماله القاضي، وعن يمينه جمال الدين الحصري شيخ الحنفية، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح إمام السلطان، والشيخ سيف الدين الأسدي إلى جانب المدرس، وإلى جانبه شمس الدين بن سني الدولة، ولبه النجم خليل قاضي العسكر، وتحت الحصري شمس الدين بن الشيرازي، وتحت يحيى الدين بن الزكي، وفيه خلق من الأعيان والأكابر، وفيهم فخر الدين بن عساكر.

وفيها أرسل الملك المعظم الصلح البكري محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه علي أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تمألاً عليه فأجاباه إلى ذلك بالسمع والطاعة، ولما عاد البكري أضاف إليه مشيخة الشيخوخ.

وحج في هذه السنة الملك المسعود أقيس بن الكامل صاحب اليمن، فبذت منه أفعال ناقصة بالحرم الشريف، من سكر ورشق حمام المسجد بالبنق من أعلى قبة زمزم، وكان إذا نام في دار الإمارة يضرب الطائفون بالمسي بأطراف السيوف ثلاثاً يشوشوا عليه وهو نريم سكر قبحة الله،

ثم دخلت سنة عشرين وستمئة

فيها عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر إلى الشام، فتلقاء أخوه المعظم وقد فهم أنهما شاملاً عليه، فبات ليلة بدمشق، وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك، فسار إلى بلاده، فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خلاط وميفارقين وقد قوئ رأسه، وكتبه المعظم صاحب إربل، وحسنوا له مخالفة الأشرف، فكتب إليه الأشرف ينهيه عن ذلك فلم يقبل، فجمع له العساكر ليقاتله.

وفيها سار أقيس الملك المسعود صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة شرفها الله تعالى، فقاتله حسن بن قتادة بطن مكة بين الصفا والمروة، فهزمه أقيس وشرده، واستقل ملك مكة مع اليمن، وجرت أمور فظيمة، وتشرّد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه في تلك الشعاب والأودية.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام موفق الدين:

■ ابن قدامة المقدسي مصنف المغني في الفقه عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشيخ موفق الدين أبو محمد المقدسي إمام عالم بارع. لم يكن في عصره، بل ولا قبل دهره بملة أفقه منه، ولد ببجمايل، في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسائة، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين، وقرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، ورحل مرتين إلى العراق، إحداها في سنة إحدى وستين مع ابن خالته الحافظ عبد الغني، والأخرى سنة سبع وستين، وحج في سنة ثلاث وسبعين، تفقه ببغداد علي مذهب الإمام أحمد، وبرع وأفتى، وناظر وتبحر في فنون كثيرة، مع زهد وعبادة، وورع وتواضع، وحسن أخلاق، وجود وحياء، وحسن سمع، ونور وبهاء، وكثرة تلاوة، وصلاة وصيام وقيام، وطريقة حسنة، واتباع للسلف الصالح، وكانت له أحوال ومكاشفات، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: إن لم يكن العلماء العاقلون أولياء الله فلا أعلم لله ولياً.

وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الخنايلة هو والشيخ العماد، فلما توفي العماد استقل هو بالوظيفة، فإن غاب صلى عنه أبو سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني، وكان ينتقل بين العشامين بالقرب من محرابه، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرب الدواعي بالرصيف، وأخذ معه من الفقهاء من تيسر يأكلون معه من طعامه، وكان منزله الأصلي بقاسيون، فينصرف في بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل، فاتفق في بعض الليالي أن خطف رجل عمامته، وكان فيها كاغد فيه رمل، فقال له الشيخ: خذ الكاغذ وألق العمامة، فظن الرجل أن في الكاغذ مالا، فأخذه وألقى العمامة، فأخذه وألقى العمامة فأخذها الموقف ثم ذهب. وهذا يدل على ذكاء مفرط، واستخصار حسن في الساعة الراهنة، حتى خلص عمامته من يده بتلطف.

وله مصنفات عديدة مشهورة، منها المغني في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات، و «الكافي» في أربعة مجلدات، والمقنع للحفظ، والروضة في أصول الفقه، وغير ذلك من التصنيفات الفريدة.

وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة، وقد بلغ الثمانين، وكان يوم سبت، وحضر جنازته خلق كثير، ودفن بترتبه المشهورة، ورؤيت له

منامات صالحة رحمه الله تعالى، وكان له أولاد ذكور وإناث، فماتوا في حياته، ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين، ثم ماتا وانقطع نسله، قال أبو المظفر البسط:

نقلت من خط الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى:

لا تَحْلِسَنَّ بِبَابِ مَنْ يَلْبِي عَلَيْكَ دُخُولَ دَارِهِ
وَتَقُولُ حَاجَتِي إِلَيْهِ ————— يَمُوتُ هَا إِنَّ لِمِ آدَارِهِ
وَأَتْرَكَهُ وَأَقْصَدَ رَهْبًا تَقْفُصُ رَبُّ الدَّارِ كَارَهُ

وما أشدّه الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه قوله:

أبعد بياض الشعر أعمار سكناً سوى القبر، إني إن فعلت لأحرق
يُخْرِقُ عَمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَشَيْكَا، فَيَنْعَلَانِي إِلَيَّ وَيَصْدُقُ
يُخْرِقُ عَمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَهَلْ اسْتَطِيعَ رَقْعَ مَا يَخْرِقُ
كَأَنِّي بِحِمِي فَوْقَ نَعْشِي مُمَدِّداً فَمَنْ سَاكَتَ أَوْ مَعُولٍ يَتَحَرَّقُ
إِذَا سَلُّوا عَنِّي أَجَابُوا وَعَوْلُوا وَأَدْمَعْتُمْ تَهْلُ هَذَا الْمَوْقِعُ
وَعَيْتُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ وَيَسْلُمُنِي لِلْقَبْرِ مَنْ هُوَ مُشْفِقُ
فِيَا رَبِّ كُنْ فِي مَوْسَأَ يَوْمٍ وَحْشِي فَبَنِي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لِمَصْدُقِ
وَمَا ضَرْنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرُ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبْرَ وَأَرْفُقُ

فخر الدين ابن عساكر

■ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر: فخر الدين أبو منصور الدمشقي، شيخ الشافعية بها، وأمه اسمها أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القرشي، المعروف والدعا بأبي البركات بن الراتبي، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسائة، وبه قبره وقبرها، ودفن هناك طائفة كبيرة من العلماء، وهي أخت أمته والدّة القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي.

اشتمل الشيخ فخر الدين من صفه بالعلم الشريف، علي شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري، فتزوج بابنته، ودرس مكانه بالجاروخية، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين اللتين أنشأهما، وبها توفي غربي الإيوان، ثم تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقدس الشريف، ثم ولاء العادل لتدريس التقوية، وكان عنده أعيان الفضلاء ثم تفرغ فلزم الجاورة في الجامع في البيت الصغير إلى جانب محراب الصحابة، يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفنّاء، وكانت الفتاوى تفتد إليه من الأقطار، وكان كثير الذكر، حسن السمع، وكان يجلس تحت قبة النسر، في كل اثنين وخميس مكان عمه، لإسماع الحديث بعد العصر، فيقرأ عليه دلائل النبوة وغيره، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة أول ما فتح، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه زكي الدين فأجلسه إلى جانبه وقت السحاط، وسأل منه أن يلي القضاء بدمشق، فقال: حتى أستخير الله تعالى، ثم امتنع من ذلك، فشق على السلطان امتناعه، وهم أن يؤذيه فقبل له: أحد الله الذي فيه مثل هذا.

ولما توفي العادل وأعاد ابنه المعظم الخمر أنكر عليه الشيخ فخر الدين، فبقي في نفسه منه، فانترع منه تدريس الصلاحية التي بالقدس وتدريس التقوية، ولم يبق معه سوى الجاروخية، ودار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة.

وكان العدل أن أصلى ججيما تعطف بالكماسم والكرامه
وناداني لسان العفو منه ألا يسا عبد تهنيك السلامه
أبو علي

■ الحسن بن أبي المحاسن: زهرة بن الحسن بن زهرة العلوي الحسيني
الحلي، تقب الأشراف بها، كان لديه فضل وعلم بالأدب والعريفة وعلم
بأخبار الناس والتاريخ والسير والحديث، ضابطاً حافظاً للقرآن المجيد، وله
شعر جيد فمنه قوله:

لقد رايت الممشوق وهو من الهجـد سر بحال تبو النواظر عنه
أثر الدهر فيه آثار سوء وأدالت يد الحوادث منه
عاد مستبدلاً ومستبدلاً عزاً بـذل كائنه لم يصنه

أبو علي

■ يحيى بن محمد بن علي بن المبارك بن الجالجلي من أبناء التجار،
سمع الحديث، وكان جميل الهيئة يسكن بدار الخلافة، وكان عنده علم وله
شعر حسن، فمنه قوله:

خير إخوانك المـشارك في المـر وأبـن الشـريك في المـر أينـا
الذي إن شهدت سرك في القوم وإن غيت كان أدنا وعينا
مثل سرّ العيـان إن مـه النـا ر جـلاء الجـلاء فـازاد زينا
وأخـو السـوء إن يغـب عـنك يـشـاك وإن يـحـضـر يـكـسـن ذاك شـينا
جيسه غير ناصح ومنه أن يصب الخليل إكساً ومينا
فانـش منه ولا تـلهـف عـليه إن غـرما لـه كـفـكـد دينا

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة

فيها وصلت مرة من جهة جتكيزخان غير الأولين إلى الري، وكانت
قد عمرت قليلاً، فقتلوا أهلها أيضاً، ثم ساروا إلى ساوه، ثم إلى قم
وقاشان، ولم تكونا طرقاً إلا هذه المرة، ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل
والسي، ثم ساروا إلى همدان فقتلوا أيضاً وسبوا، ثم ساروا إلى خلف
الخوارزمية إلى أذربيجان، فكسروهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فهربوا منهم
إلى تبريز فلققوهم، وكتبوا إلى ابن البهلوان: إن كنت مصالحاً لنا فابعت لنا
بالخوارزمية وإلا فانت مثلهم، فقتل منهم خلقاً وأرسل برؤوسهم إليهم،
مع تحف وهدايا كثيرة، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف،
والخوارزمية وأصحاب البهلوان أضعاف أضعافهم، ولكن الله تعالى ألقى
عليهم الخذلان والقتل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها ملك غياث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده من
ملكة أصفهان وهمدان.

وفيها استعاد الملك الأشرف مدينة خلط من أخيه شهاب الدين
غازي، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية، وميافارقين وحاني،
وجبل جبر، وجعله ولي عهده من بعده، فلما عصى عليه وتشعب دماغه
بما كتب إليه معظم من تحسبه له مخالفته، فركب إليه وحاصره بخلاط
فسلمت إليه، وامتنع أخوه في القلعة، فلما كان الليل نزل إلى أخيه معتزلاً
فقبل عنقه، ولم يعاقبه، بل أقره على ميافارقين وحدها، وكان صاحب إربل
والعظيم متفقين مع الشهاب غازي على الأشرف، فكتب الكامل إلى أخيه

وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر، عاش رجب من هذه السنة،
وله خمس وستون سنة، وصلى عليه بالجامع، وكان يوماً مشهوداً، وحملت
جنازته إلى مقابر الصوفية فدفن في أولها، قريباً من قبر شيخه قطب الدين
مسعود بن عروة.

شرف الدين

■ محمد بن عروة الموصلية: المنسوب إليه مشهد ابن عروة ويقول
الناس مشهد عروة بالجامع الأموي، لأنه أول من فتحه، وقد كان مشحوناً
بالخواصل الجامعية، وبنى فيه البركة، ووقف فيه على الحديث درساً،
ووقف خزائن كتب فيه، وكان مقبلاً بالقدس الشريف، ولكنه كان من
خوارج أصحاب الملك العظيم، فانتقل إلى دمشق حين خرب سور بيت
القدس إلى أن توفي بها، وقبره عند قباب أثابك طغتكين قبلي المصلي رحمه
الله تعالى.

الشيخ أبو الحسن

■ الروزبهاري: دفن بالمكان المنسوب إليه بين السورين عند باب
الفراديس.

الشيخ

■ عبد الرحمن اليمني: كان مقبلاً بالمتارة الشرقية، كان صالحاً زاهداً
ورعاً، ودفن بمقابر الصوفية.

الرئيس عز الدين

■ المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي بن القلاتسي، أحد رؤساء دمشق
وكبرائها، وجده أبو علي حمزة له تاريخ، ذيل به على ابن عساكر، وقد
سمع عز الدين هذا الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وغيره،
ولزم مجلسه الكندي واتضح به.

الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة

■ محمد بن سليمان بن قلمش بن تركاشاه أبو منصور السمرقندي،
وكان من أولاد الأمراء، وولي حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفة،
وكان يكتب جيداً، وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة، منها: الأدب، وعلوم
الرياضة، وعمر دهر، وله حظ من نظم الشعر الحسن، ومن شعره قوله:

سنت تكاليف هذي الحياة وكـد الصـباح بـها والمـساء
وقـد كـنت كـالطـفل في عـقله قـليل الصـواب كـثير المـراء
أنا م إذا كنت في مجلس وأسهر عـند دـخول الفـناء
وقـصر خـطري قـيد المـشيب وطـال عـلي ما عـاني عـناء
وغـودت كـالفرخ في عـشه وخـلفـت حـلمـي وراة وراة
وما جـر ذـلك غـير البـقاء فكـيف تـرى نـعل سـوء البـقاء
وله أيضاً، وهو من شعره الحسن رحمه الله:

إلهي يا كثير العفو غفرا لما أسلفت في زمن الشباب
فقد سودت في الأثام وجها ذليلاً خاضعاً لك في التراب
فيضيه بحسن العفو عني وساعني وخفف من حلامي
ولما توفي صلي عليه بالنظامية، ودفن بالشوتيزية، ورآه بعضهم في المنام
فقال ما فعل بك ربك؟ فقال:

غاشيت اللقاء لسوء فعلتي وخوفاً في المعاد من التناصه
فلما إن قنمت على إلهي وحائق في الحساب على قلامه

الموازن، يخترع أشياء غريبة عجبية، من ذلك أنه ثقب حبة خشخاش سبعة نقوب، وجعل في كل ثقب شعرة، وكانت له حظوة عند الدولة.

■ أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد أبو العباس الليثي البيع الواسطي، شيخ أديب فاضل، له نظم ونثر، عارف بالأخبار والسير، وعنده كتب جيدة كثيرة، وله شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاثة مجلدات، وقد أورد له ابن الساعي شعرا حسنا، فصيحاً حلواً للذلي في السمع، لطيفاً في القلب.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وستمائة

فيها عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مهجورين من التار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق، فأفسدوا فيه، وحاصروا مدنه، ونهبوا قراه.

وفيها استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان، وكثيراً من بلاد الكرج، وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة، واستفحل أمره جداً، وعظم شأنه، وفتح تفليس فقتل منها ثلاثين ألفاً.

وزعم أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة، وقتل من تفليس تمام المائة ألف.

وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد، وذلك أنه لما حاصر دوقا سبه أهلها، ففتحها قهراً، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وخرب سورها، وهزم على قصد الخليفة ببغداد، لأنه فيما زعم عمل على أبيه حتى هلك، واستولت التار على البلاد، وكتب إلى المعظم بن العادل يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك، فامتنع المعظم من ذلك، ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم شاه ببغداد أنزعج لذلك، وحصن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد، وأتفق في الناس ألف ألف دينار، وكان جلال الدين قد بعث جيشاً إلى الكرج، فبعثوا إليه أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا، وبغداد ما توتت، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفيها كان غلاء شديداً بالمرق والشام، بسبب قلة الأمطار، وانتشار الجراد، ثم أعقب ذلك فناء كثير بالعراق والشام أيضاً، فمات بسببه خلق كثير في البلدان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر

لما كان يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة، توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسين بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتضي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي عبد العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله، أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله، أبي العباس أحمد بن الموفق، أبي أحمد بن محمد التوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله، أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين.

المعظم يتهدده لئن ساعد على الأشرف لياخذن بلادهم، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع الأشرف، فركب إليه صاحب إربل فحاصره بسبب قلة جنده، لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا ندم صاحب إربل، والمعظم بدمشق أيضاً.

وفيها أرسل المعظم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه على مخالفة الأشرف، وأرسل صوفيا من السيماسية يقال له الملقى إلى جلال الدين بن خوارزم شاه - وكان قد أخذ أذربيجان في هذه السنة وقوي جأشه - يتفق معه على أخيه الأشرف، فوعده النصر والرفادة،

وفيها قدم الملك المسعود أقيس ملك اليمن على أبيه الكامل بالديار المصرية، ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف، من ذلك مائتا خادم، وثلاثة أفيلة هائلة، وأحمال عود وند ومسك وعنبر، وخرج أبوه الكامل لتلقيه، ومن نية أقيس أن يتزع الشام من يد عمه المعظم.

وفيها كمل عمارة دار الحديث الكاملية بمصر، وولى مشيختها المحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي، وكان مكتسراً كثير الفنون، وعنده فوائد وغرائب وعجائب، رحمه الله.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أحمد بن محمد بن علي القادسي، الضرير الحنبلي، والد صاحب النيل على تاريخ ابن الجوزي، وكان القادسي هذا يلزم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، ويظهر لما يسمعه من الغرائب ويقول: والله إن ذا ملبح، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه، وصار يحضر ولا يتكلم، فقال الشيخ مرة: هذا القادسي لا يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا ملبح؟ رحمهم الله تعالى.

وقد طلب القادسي مرة إلى دار المستضيء ليصلي بالخليفة التراويح فقبل له والخليفة يسمع: ما مذهبك؟ فقال: حنبلي، فقال له: لا تصل بدار الخلافة وأنت حنبلي، فقال: أنا حنبلي ولا أصلي بكم، فقال الخليفة: اتركوه لا يصلي بنا إلا هو صلى بهم.

أبو الكرم

■ المظفر بن المبارك بن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي شيخ مشهده أبي حنيفة وغيره، ولي الحسبة بالجانب الغربي من بغداد، وكان فاضلاً ديناً شاعراً، ومن شعره:

فصن يجميل الصبر تفكك واغتم شريف الزايب لا يفتك ثوابها
تتش سالماً والقول فيك مهذب كرمياً وقد هانت عليك صعايبها
وتسدرج الأيام والكل ذاهب يمرّ ويفنسى عندها وعذابها
فما الدهر إلا مريوم وليلة وما العمر إلا طيبها وذعابها
وما الحزم إلا في إخاء عزيمة فيل المعالي صفوها ولبابها
ودع عنك إلصام الأماني فإنك سيسفر يوماً غيها وصوابها

■ محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة: الشيخ فخر الدين أبو المعالي الموصل، قدم بغداد، واشتغل بالنظامية وأعاد بها، وكانت له معرفة بالفراءات، وصنف كتاباً في غرارج الحروف، وأسند الحديث، وله شعر لطيف.

أبو بكر

■ ابن حلية الموازيني البغدادي: كان فرداً في علم الهندسة، وصناعة

ولد ببغداد عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ويومعه له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين وخمسمائة وتوفي في هذه السنة، وله من العمر تسع وستون سنة، وشهران، وعشرون يوماً.

وكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً، ولم يقم أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي.

أقام بمصر حاكماً ستين سنة، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة، وولي عهد على ما رأيت، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبني عمه، وكان مرضه قد طال به، وجهوده من عسار البول، مع أنه قد كان يجلب له الماء من مراحل عن بغداد ليكون أصفى، وشق ذكره مرات بسبب ذلك، ولم يغن عنه هذا الحذر شيئاً، وكان الذي ولي غسله يحيى الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وصلى عليه، ودفن في دار الخلافة، ثم نقل إلى التراب من الرصافة، في ثاني ذي الحجة من هذه السنة، وكان يوماً مشهوداً.

قال ابن الساعي: أما سيرته فقد تقدمت في الحوادث.

وأما ابن الأثير في كامله (٤٤٠/١٢) فإنه قال: وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكوفة، وقد ذهبت إحدى عينيه، والأخرى يصير بها إيصاراً ضعيفاً، وآخر الأمر أصابه دوسطارية عشرين يوماً ومات، وزر له عدة وزراء، وقد تقدم ذكرهم، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحدثه من الرسوم الجائرة.

وكان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً لهم، فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملأهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دوراً للإفطار في رمضان، ودوراً لضيافة الحجاج، ثم أبطل ذلك، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها، وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة.

قال ابن الأثير: وإن كان ما ينسب العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التار في البلاد وراسلهم فهو الظامة الكبرى التي يصنر عندها كل ذنب عظيم.

قلت: وقد ذكر عنه أشياء غريبة، من ذلك أنه كان يقول للورسل الوافدين عليه: فاعلمتم في مكان كذا وكذا، وفعلتم في الموضع الفلاني كذا، حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه كان يكاشف أو أن جنباً يأتيه بذلك، والله أعلم.

خلافة الظاهر بن الناصر

لما توفي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر، وخطب له على المنابر، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي، فتوفي في حياة أبيه سنة ثنتي عشرة، فاحتاج إلى إعادة هذا الولاية العهد، فخطب له ثانياً، فحين توفي أبوه بويح له بالخلافة، وعمره يومئذ ثمان وخسون سنة، فلم يزل الخلافة من بني العباس أسن منه.

وكان عاقلاً وقوراً ديناً، عادلاً محسناً، رد مظالم كثيرة، وأسقط مكوساً كان قد أخذها أبوه، وسار في الناس سيرة حسنة، حتى قيل: إنه لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أعدل منه لو طالعت مدته، لكنه لم يزل عليه الحول، بل كانت مدته تسعة أشهر، أسقط الخراج الماضي عن الأراضي التي قد تمطلت، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي بعقوبا سبعين ألف دينار كان

أبوه قد زادها عليهم في الخراج، وكانت صنجة المخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار في كل مائة إذا قبضوا، وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد، فكتب إلى الديوان: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْعَالِينَ﴾ [المطففين: ١-٦] فكتب إليه بعض الكتاب يقول يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام الماضي خمسة وثلاثون ألفاً، فأرسل ينكر عليه ويقول: هذا يترك وإن كان تفاوته ثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً، رحمه الله، وأمر للقاضي: أن كل من ثبت له حق بطريق شرعي يوصل إليه بلا مراجعة.

وأقام في النظر على الأموال الخشوية رجالاً صالحاً، واستخلف على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي، في يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة، فكان من خيار المسلمين، ومن القضاة العادلين، رحمهم الله أجمعين، ولما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط أن يورث ذوي الأرحام، فقال: أعط كل ذي حق حقه، وأتق الله ولا تتق سواه، وكان من عادة أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب في كل صباح بما كان عندهم في المحال من الاجتماعات الصالحة والطالحة، فلما ولي الظاهر أمر بتبطل ذلك كله وقال: أي فائدة في كشف أحوال الناس وهتك أستارهم قليل له: إن ترك ذلك يفسد الرعية، فقال: نحن ندعو الله لهم أن يصلحهم، وأطلق من كان في السجون معتقلاً على الأموال الديوانية، ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم، وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجنونه من المدنيين الذين لا يجلدون وفاء، وفرق في العلماء بقية المائة ألف، وقد لاه بعض الناس في هذه التصرفات، فقال: إنما فتحت الدكان بعد العصر، فلزوني أعمل صالحاً وأفعل الخير، فكم مقدار ما بقيت أعيش.

ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي، ورخصت الأسعار في أيامه، وقد كانت قبل ذلك في غاية الشدة والغلاء، حتى إنه فيما حكى ابن الأثير: أكلت الكلاب والسنابر والميتات ببلاد الجزيرة والموصل، فزال ذلك والحمد لله.

وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل، مليح الوجه، أبيض مشرباً، حلو الشمائل، شديد القوى.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (نور الدين بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب)

أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل: نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب، كان ولي عهد أبيه، وقد ملك دمشق بعده مدة ستين، ثم أخذها منه عمه العادل، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز عثمان، فأخذها منه عمه العادل أبو بكر، ثم اقتصر على ملك صرخد، فأخذها منه أيضاً عمه العادل، ثم آل به الحال أن ملك سميحاً ورهباً توفي في هذه السنة.

وكان فاضلاً شاعراً، جيد الكتابة، وينقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها رحمه الله تعالى.

وقد ذكر ابن خلكان أنه كتب إلى الخليفة العادل لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر، وأخاه عثمان، وكان الناصر شيعياً مثله فقال:

مولاي إن أبا بكر وصاحب عثمان قد غصبا بالسيف حتى علي

أبو إسحاق

وهو الذي كان قد ولاه والده عليهما فاستقام الأمر حين ولي فخالفاه وحسلا عقد بيعته والأمر بينهما والنصر فيه جلي فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر ما لاقى من الأول

الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين بن سليمان

■ ابن جندر، كان من أكابر الأمراء جليل، وله الصدقات الكثيرة، ووقف بها مدرستين: إحداهما على الشافعية، والأخرى على الحنفية، وبني الخانات والمقابر، وغير ذلك من سبل الخيرات والغزوات، رحمه الله.

الشيخ

■ علي الكردي: الموله المقيم بظاهر باب الجابية:

قال الشيخ أبو شامة: وقد اختلفوا فيه فيفض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات، وأنكر ذلك آخرون، وقالوا: ما رأه أحد يصلي ولا يصوم، ولا لبس مداما، بل كان يدوس النجاسات، ويدخل المسجد على حاله. وقال آخرون: كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه، حكى السبط عن امرأة قالت: جاء خبر عن أُمِّي باللاذقية أنها ماتت، وقال لي بعضهم: إنها لم تمت، قالت: فررت به وهو قاعد عند المقابر، فوفقت عنده، فرفع رأسه وقال لي: ماتت ماتت إيش تعملين؟ فكان كما قال. وحكى لي عبد الله صاحبي قال: جمعت يوماً وما كان معي شيء، فاجتزته به فدفعت لي نصف درهم وقال: يكفي هذا للخبز والعنبريس. وقال: دخل يوماً على الخطيب جمال الدين الدولي فقال له: يا شيخ علي، أكلت اليوم كسرات يابسة، وشربت عليها الماء فكفتني، فقال له الشيخ علي الكردي: وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا؟ قال: لا، فقال: يا مسكين من يقنع بكسرة يابسة يجبس نفسه في هذه المقصورة، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج.

القصر

■ ابن تيمية: محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ فخر الدين أبو عبيد الله بن تيمية الحراني، عالمها وميتها وخطيبها وواعظها، اشتغل على مذبح الإمام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل، وجمع تفسيراً حافلاً في مجلدات كثيرة، وله الخطب المشهورة السنوية إليه، وهو عم الشيخ محمد الدين صاحب «المنتقى» في الأحكام، قال أبو المظفر سبط بن الجوزي: سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس ينشد:

أحبنا قد نذرت مقلستي ما تلتقي بالزوم أو تلتقي
رقباً بقلب منفرم واعطفوا على سقام الجسد المحرق
كم تملونسي بليالي الفسا قد ذهب العمر ولم تلتقي
وقد ذكرنا أنه قدم بغداد حاجاً بعد وفاة شيخه أبي الفرج بن الجوزي، ووعظ بها في مكان شيخه.

الوزير ابن شكر: صفى الدين أبو محمد

■ عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر، ولد بالديار المصرية بدميرة، بين مصر وإسكندرية، سنة أربعين وخمسائة، ودفن بترته عند مدرسته بمصر، وقد وزر للملك العادل، وعمل أشياء في أيامه منها تليط جامع دمشق، وأحاط سور المصلى عليه، وعمل الفؤارة ومسجدها، وعمارة جامع المزة، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وستمائة، وبقي معزولاً إلى هذه السنة فكانت فيها وفاته، وقد كان مشكور السيرة، ومنهم من يقول: كان ظالماً. فإله أعلم.

■ إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم بن علي المعروف بابن البرني، الواعظ البغدادي، أخذ الفن عن شيخه أبي الفرج بن الجوزي، وسمع الحديث الكثير، ومن شعره قوله في الزهد:

ما هذه الدنيا بدار مسرة تخوفي مكرها وخداها
بيننا الفتى فيها يسر بنفسه وبماله يستمتع استمتاعا
حتى سقته من النية شريرة وحته منه بعد ذاك رضاعا
فقدما بما كسبت يده رهينة لا يستطيع لما عراه دفاعا
لو كان ينطق قال من تحت الثرى فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

أبو الحسن

■ علي بن الحسن: الرازي ثم البغدادي الواعظ، عنده فضائل، وله شعر حسن، فمنه قوله في الزهد:

استدي يا نفس للموت واسمي لتجاة فالخازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحبي خلود ولا من الموت بد
إنما أنت مستمرة ما سر ف تردين والمواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا ت سهو وتلهين والمنايا تجمد
لا ترجي البقاء في معدن المر ت وفار حوتها لك ورد
أي ملك في الأرض لم أي حظ لامرئ حظه من الأرض لحد
كيف يهوى امرؤ لذات أيا م عليه الأنفاس فيها تعد
■ البهاء السنجاري: أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى، الفقيه الشافعي الشاعر.

قال ابن خلكان: كان فقيها، وتكلم في الخلاف، إلا أنه غلب عليه الشعر، فأجاد فيه، واشتهر بنظمه، وخدم به الملوك، وأخذ منهم الجوائز، وطاف البلاد، وله ديوان بالترية الأشرفية بدمشق، ومن رقيق شعره ورائقه قوله:

وهواك ما خطر السلو بياله ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ومتى وشى واش إليك بأنه سال هواك فذاك من عزاله
أو ليس للكلف المنسى شاهد من حاله يفتيك عن تآكاه
جددت ثوب سقامه وتمكت ست و غرامه وصرمت جبل وصاله
وهي قصيدة طويلة امتدح فيها القاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري وله:

للّه إمامي على رامة وطيب أوقاتي على حاجر
تكاد للسرعة في مرها أولها يعثر بالأختر

وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة رحمه الله بمنه وفضله.

■ عثمان بن عيسى بن درباس بن فخر بن جهم بن عبدوس، الملباني الماراني، ضياء الدين أخو القاضي صدر الدين عبد الملك، حاكم الديار المصرية في الدولة الصلاحية، وضياء الدين هذا هو شارح المهذب وصل فيه إلى كتاب الشهادات، في نحو من عشرين مجلدا، وشرح للمع في أصول الفقه، والنتية للشيرازي، وكان بارعا عالما بالذهب رحمه الله تعالى.

أبو محمد

■ عبد الله بن أحمد بن الزيعوني: البوازجي ثم البغدادى، شيخ فاضل له رواية، وما أنشده:

ضيق العذر في الضراعة أنا لو قنعنا بقسما لكفنا
ما لنا نعيذ العباد إذا كان إلى الله فقرنا وغنا

أبو الفضل

■ عبد الرحيم بن نصر الله بن علي بن منصور بن الكيال، الواسطي، من بيت الفقه والقضاء، وكان أحد المدلين ببغداد، ومن شعره:

تنبأ لدينا لا يدوم نعيمها تر يسيراً ثم تبدي المساوي
تربك جمالا في الثقاب وزخرفا وتسفر عن شوهاء طحباء عاميا

ومن ذلك قوله:

إن كنت بعد الثاعين ناعحت بالغمض أجفاني فما أجفاني
أو كنت من بعد الأحبة ناطراً حناً يأنسني فما أنسني
الدمر مغفور له زلاته إن حاد أوطاني على أوطاني

أبو علي

■ الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فهر بن وقاح الياسري، نسبة إلى عمار بن ياسر، شيخ ببغدادى فاضل، له مصنفات في التفسير والفرائض، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة، وكان مقبول الشهادة عند الحكام.

أبو بكر

■ محمد بن يوسف بن الطباخ: الواسطي البغدادى الصوفي، باشر بعض الولايات ببغداد، وما أنشده:

ما وهب الله لا سرى هبة أحسن من عقله ومن أدبه
ما جال الفتى فإن قدما تفقد له الحياة أجمل به

■ ابن يونس شارح التنبيه: أبو الفضل أحمد بن الشيخ العلامة كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الإربلي الأصل، ثم الموصل، من بيت العلم والرياسة، اشتغل على أبيه في فنونه وعلومه، فبرع وتقدم، وقد درس وشرح كتاب التنبيه، واختصر إحياء علوم الدين للغزالي مرتين صغيرا وكبيرا، وكان يدرس منه.

قال ابن خلكان: وقد ولي بإربل مدرسة الملك المظفر، بعد موت والدي في سنة عشر وستمائة، وكنت أحضر عنده وأنا صغير ولم أر أحدا يدرس مثله، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة، ومات في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة، عن سبع وأربعين سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج، فكسرهم كسرة عظيمة، وصعد إلى أكبر معاقلتهم تقليس ففتحها عنوة، وقتل من فيها من الكفرة، وسبى ذراريهم، ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها، واستقر ملكه عليها، وقد كان الكرج أخلوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وهي بأيديهم إلى الآن، حتى استقدها منهم

جلال الدين هذا، فكان فتحاً عظيماً والله الحمد والمنة.

وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف، فلم يتمكن من أخذها، وقتله أهلها قتالا عظيماً، فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعميان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له، فسار إليه وتركهم.

وفيها اصطلح الملك الأشرف مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق، وكان المعظم عائداً عليه مع جلال الدين، وصاحب إربل، وصاحب ماردين، وصاحب الروم، وكان مع الأشرف أخوه الكامل، وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته يقوي جانيه.

وفيها كان قتال كبير بين إيرنس أنطاكية وبين الأرمن، وجرت خطوط كثيرة بينهم.

وفيها أوقع الملك جلال الدين بالتركمان الإريانية بأساً شديداً، وكانوا يقتطعون الطرق على المسلمين.

وفيها قدم يحيى الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسالة إلى الملك المعظم بدمشق، ومعه الخلع والتشريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله، ومضمون الرسالة: نهي عن مولاة جلال الدين بن خوارزم شاه، فإنه خارجي من عزمه قتال الخليفة، وأخذ ببغداد منهم، فأجاب به إلى ذلك، وركب القاضي يحيى الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر، وحصل له جوائز كثيرة من الملوك، منها كان بناء مدرسته الجوزية بالشامين بدمشق.

وفيها ولي تدريس الشيلية بالسفح شمس الدين يوسف بن قرظلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك للمعظم، وحضر عنده أول يوم القضاة والأعيان.

وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر

كانت وفاة الخليفة رحمه الله يوم الجمعة، ضحى الثالث عشر من رجب من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة، فدعا له الخطباء يومئذ على المنابر علي عادتهم، فكانت خلافته تسعة أشهر، وأربعة عشر يوماً، وعمره اثنتان وخمسون سنة. وكان من أجود بني عباس سيرة وأحسنه وسيرة، وأكثرهم عطاء، وأحسنهم منظراً ورواء، ولو طالت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه، ولكن أحب الله تقريبه ولزلافه لديه، فاختر له ما عنده، وأجزل له إحساناً ورفقه، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية، ورد المظالم وإسقاط المكوس، وتخفيف الخراج عن الناس، وأداء الديون عن عجز عن أدائها، والإحسان إلى العلماء والفقراء، وتولية ذوي الديانة والأمانة، وقد كان كتب كتاباً لولاء الرعية فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، اعلموا أنه ليس إيماننا إيمالا، ولا إغضاؤنا احتمالا، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا، وقد غفرت لكم ما سلف من إخراج البلاد، وتشريد الرعايا، وتقيح السمعة، وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي، حيلة ومكيدة، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكاً لأغراض انتهت فرصها غشلت من برائن ليث باسل، وأنياب أسد مهيب، تتفوق بالفاظ مختلفة على معنى واحد، وأنتم أمناؤه وثقاته، فتنبيلون رأيي إلى هواكم، وتزجون باطلكم بحقه، فيطيعكم وأنتم له عاصون، ويوافقكم وأنتم له مخالفون، والآن قد بدل الله سبحانه مخوفكم

الخلافة إلى التُّرب من الرصافة، وكان يوماً مشهوداً، وبعث الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاماً جزيلاً إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد، علي يدي يحيى الدين بن الجوزي.

وذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة، هدمت شتياً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم، وذكر أنه ذبح رجل شاة يبلدهم فوجد لحمها مراً حتى رأسها وأكارعها ومعاليقها وجميع أجزائها.

ومن توفي فيها من الأعيان

الخليفة

■ الظاهر كما تقدم.
الجمال المصري:

■ يونس بن بردان بن فيروز جمال الدين المصري، قاضي القضاة بدمشق في هذا الحين، اشتغل وحصل، وبيع واختصر كتاب الأم للإمام الشافعي، وله كتاب مطول في الفرائض، وولي تدريس الأمانة بعد التقي صالح الضير، الذي قتل نفسه، ولاه إياه الوزير صفى الدين بن شكر، وكان معتباً بأمره، ثم ولي وكالة بيت المال بدمشق، وترسل إلى الملوك والخلفاء عن صاحب دمشق، ثم ولاه المعظم قضاء القضاة بدمشق بعد عزله الزكي بن الزكي، وولاه تدريس العادلة الكبيرة، حين كمل بناؤها، فكان أول من درس بها وحضره الأعيان كما ذكرنا، وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى أكمل التفسير إلى آخره، ثم توفي عقب ذلك ويقول درس الفقه بعد التفسير، وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً، وهو أنه كان يجلس في كل جمعة بكرة ويوم الثلاثاء، ويستحضر عنده في إيوان العادلة جميع شهود البلد، ومن كان له كتاب يثبته حضر، واستدعى شهوده فادعوا على الحاكم، وثبت ذلك سريعاً، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر بمشهد عثمان، فيحكم حتى يصلي المغرب، وربما مكث حتى يصلي العشاء أيضاً.

وكان كثير المذاكرة للعلم، كثير الاشتغال، حسن الطريقة، لم يتقم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد.

قال أبو شامة: وإنما كان يتقم عليه أنه كان يشير على بعض الورثة بمصالحة بيت المال، وأنه استتاب ولده التاج محمداً ولم يكن مرضي الطريقة، وأما هو فكان غنياً في نفسه، نزهاً مهيباً.

قال أبو شامة: وكان يدعي أنه قرشي شيب، فتكلم الناس فيه بسبب ذلك، وتولى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليلي الحنفي.

قلت: وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بداره التي في رأس درب الریحان من ناحية الجامع، ولترته شبك شرقي المدرسة الصلرية اليوم، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاء.

ما أنقصر المصري في فعله إذ جعل التريسة في داره أرواح للأحياء من رجمه وأبعد الأموات من نلاره

■ المعتمد والي دمشق: البارز إبراهيم العروف بالمتعمد والي دمشق. من خيار الولاة وأعفهم، وأحسنهم سيرة، وأجودهم سيرة، أصله من الموصل، وقدم الشام فخدم فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، ثم استتابه البدر مودود آخر فروخشاه، وكان شحنة دمشق، فحمدت سيرته في ذلك، ثم صار هو شحنة دمشق أربعين سنة، فجرت في أيامه عجائب وغرائب. وكان كثير السر علي ذوي الهبات، ولا سيما من كان من أبناء الناس

أمناء، ويفترقهم غنى، ويباطلكم حقاً، ورزقكم سلطاناً يقبل العشرة، ولا يؤخذ إلا من أصر، ولا يتنقم إلا عن استمر، يأمركم بالعدل وهو يريد منكم، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم، يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته، فإن سلكتكم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمانته علي خلقه، وإلا هلككم والسلام.

ووجد في داره رقايع غنومة لم تنفتح فيها سعابيات إليه بسبب أناس كثيرة من الولاة وغيرهم لم يفتحها ستراً للناس، ودرءاً عن اعراضهم رحمه الله.

وقد خلف من الأولاد عشرة ذكوراً وإناثاً، منهم ابنه الأكبر الذي بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور، ولقب بالمستنصر بالله، وخسله الشيخ محمد الخطاط الواعظ، ودفن في دار الخلافة، ثم نقل إلى الترب من الرصافة رحمه الله تعالى.

خلافة المستنصر بالله العباسي أمير المؤمنين أبي جعفر

منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد

بويع بالخلافة يوم مات أبوه، يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة، سنة ثلاث وعشرين وستمائة، استدعاه به من التاج قبايحه الخاصة والعامة من أهل الحل والعقد، وكان يوماً مشهوداً، وكان عمره يومئذ خساً وثلاثين سنة، وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان من أحسن الناس شكلاً، وأبهاماً منظرًا، وهو كما قال القائل:

كان الثريا علق في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه
وفي نسه الشريف خمسة عشر خليفة، منهم خمسة من آبائه ولوا نسقا،
وتلقى هو الخلافة عنهم، وراثة كابراً عن كابر، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله.

وسار في الناس كسيرة أبيه الظاهر في الجود، وحسن السيرة، والإحسان إلى الرعية، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها، وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه، ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله علي المنابر، ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه، وكان يوماً مشهوداً، وأشد الشعراء الملائح والمرائي، وأطلقت لهم الخلع والجوايز، وقدم رسول من صاحب الموصل يوم غرة شعبان من الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن الأثير، فيها التهنة والتعزية بعبارة فصيحة بليغة.

ثم إن المستنصر بالله كان يواظب علي حضور الجمعة، وراكباً ظاهراً للناس، وإلحاً معه خادمان وركب دار، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال: ما هذا؟ قيل له التائين، فترجل عن فرسه وسعى ماشياً، ثم صار يلمن المشي إلى الجمعة رغبة في التواضع والتخشع، ويجلس قريباً من الإمام ويستمع الخطبة، ثم أصلح له التطبيق فكان يمشي فيه إلى الجمعة، وركب في الثاني والعشرين من شعبان وركباً ظاهراً للناس عامة، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصلى بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والتفقات على العلماء والفقراء والمجاويع، إعانة لهم على الصيام، وتقوية لهم على القيام.

وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت أبيه الظاهر من دار

■ محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي الحنفي الموصل، وله بها مدرسة تعرف به، وكان من أئمة الترك، وصار من مشايخ العلماء، وله دين متين، وشعر حسن جيد، فمته قوله:

من أذعى أن له حالة تُخرجهُ عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحباً فإنه خسر بلا نفع

كانت وفاته بالموصل، في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، وله نحو من ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله: نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي، وقد وقف عليه الشيخ البزجاني، بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق، وكانت سبعة وأحدى وستين مجلداً، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء، فتمتحت هذه الكتب، وبيع أكثرها، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب، وشعر جيد، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها كانت عامة أهل تفلح الكرج، فجاءوا إليهم فدخلوها، فقتلوا العامة والخاصة، ونهبوا وسبوا، وخربوا وأحرقوا، وخرجوا على حية، وبلغ ذلك جلال الدين، فسار سريعا ليردكم فلم يدرهم.

وفيها قتلت الإسماعيلية أميرا كبيرا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه، فسار إلى بلادهم، فقتل منهم خلقا كثيرا، وخرب مدينتهم، وسبى ذراريهم، ونهب أموالهم، وقد كانوا يقيهم الله من أكبر العون على المسلمين، لما قدم التار إلى الناس، وكانوا أضر على الناس منهم.

وفيها توقع جلال الدين وطفاته كبيرة من التار فهزمهم، وأتبعهم قتلا وأسرا، وساق ورامهم أياما يقتلهم، حتى وصل إلى الري، فبلغه أن طائفة قد جاءوا لقصد فقام يبطهم، وكان من أمره وأمرهم ما سيأتي في سنة خمس وعشرين.

وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف بن العادل إلى أذربيجان، فملكوا منها مدنا كثيرة، وغنموا أموالا جزيلة، وخرجوا معهم بزوجات الملك جلال الدين بنت طغرل، وكانت تبغضه وتعاديها، فأنزلوها مدينة خلط، وسيأتي ما كان من خبرهم في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيها قدم رسول الأتور ملك الفرنج في البحر إلى المعظم، يطلب منه ما كان فتحه عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل، فأغلظ لهم المعظم في الجواب، وقال له: قل لصاحبك ما عندني إلا السيف. والله أعلم.

وفيها جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في محمل عظيم، يحمل ثقله ستمائة جبل، ومعه خمسون هجيناً، على كل هجين مملوك، فسار من ناحية العراق، وجاءته هدايا من الخليفة إلى أثناء الطريق، وعاد على طريقه التي حج منها.

وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقلب الواسطي، وخلع عليه كما هي عادة الحكام، وكان يوماً مشهودا.

وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة، وقل اللحم حتى حكى ابن الأثير: أنه لم ينجح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في

وأهل البيوتات، واتفق في أيامه أن رجلا حائكا كان له ولد صغير في آذانه حلق، فعدا عليه رجل من جيرانهم فقتله غيلة، وأخذ ما عليه من الحلبي، ودفنه في بعض المقابر، فاشتكوا عليه فلم يقر بشي، قتلت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها، فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل الذي قتل ولدها وسأله أن يتزوجها، وأظهرت له أنها قد أحبتة فتزوجها، ومكثت عنده حيناً، ثم سأته في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه فقال: نعم أنا قتله، فقالت: أشتكي أن تربني قبره حتى أنظر إليه، فذهب بها إلى قبر خشاشة فتفتحه فنظرت إلى ولدها فاستعبرت، وقد أخذت معها سكيناً أعدتها لهذا اليوم، فضرته حتى قتله ودفته مع ولدها في ذلك القبر، فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالي المتعمد هذا، فسألها، فذكرت له خبرها، فاستحسن ذلك منها، وأطلقها وأحسن إليها.

وحكى هو للسبط قال: بينما أنا يوماً خارج من باب الفرج وإذا برجل يعمل طبا وهو سكران، فأمرته به فضرب الحد، وأمرتهم فكسروا الطبل، وإذا بكرة كبيرة خراً فشتوها وكان العادل قد منع أن يعصر خر ويعمل إلى دمشق شيء منه بالكيلة، فكان الناس يتحيلون بأنواع الحيل ولطائف المكر، قال السبط: فسألته من أين علمت أن في الطبل شيئاً؟ قال: رأيته يمشي ترجف ساقاه، فعرفت أنه يعمل شيئاً ثقيلاً في الطبل.

وله من هذا الجنس غرائب، وقد عزله المعظم وكان في نفسه منه وسجنه في القلعة نحواً من خمس سنين، ونادى عليه في البلد فلم يجبه أحد، ذكر أنه أخذ منه حبة خردل.

ولما مات رحمه الله دفن بترته المجاورة للمدرسة أبي عمر من شامها قبلي السوق، وله عند تربته مسجد يعرف به رحمه الله.

واقف الشبلية التي بطريق الصالحية.

■ شبل الدولة كافور الحسامي: نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين، ولد ست الشام، وهو الذي كان مستحاً على عمارة الشامية البرانية لولائه ست الشام، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية، والخاصة على الصوفية إلى جانبها، وكانت منزله، ووقف القناة والمصنع والسبايط، وفتح للناس طريقاً من عند المقبرة غربي الشامية البرانية إلى طريق عين الكرشي، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالعقبة رحمه الله تعالى، وكانت وفاته في رجب، ودفن إلى جانب مدرسته، وقد سمع الحديث على الكندي وغيره، رحمه الله تعالى.

واقف الرواحية بدمشق وحلب: أبو القاسم

■ هبة الله بن محمد بن عبد الواحد المعروف بابن رواحة، كان أحد التجار، وفوزي الثروة والمقدار، ومن المعدلين بدمشق، وكان في غاية الطول والعرض، ولا حية له، وقد ابتنى المدرسة الرواحية داخل باب الفرائيس ووقفها على الشافعية، وفوض نظرها وتدرسيها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري، وله بمبلى مدرسة أخرى مثلها، وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق، وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق، ورغب فيما بعد أن يدفن فيه إذا مات فلم يمكن من ذلك، بل دفن بمقابر الصوفية، وبعد وفاته شهد عجي الدين بن عربي الطائي الصوفي، وتقي الدين خزعل النحوي المصري المقدسي ثم الدمشقي إمام مشهد علي، شهدا على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة، فجرت خطوب طويلة، ولم ينتظم ما راموه من الأمر، ومات خزعل في هذه السنة أيضاً فبطل ما سلكوه.

أبو محمد

وذكر الجويني: أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة، فسمع قائلاً يقول له: إنا قد ملكنا جنكيز خان وقرينه وجه الأرض.

قال الجويني: فمشايخ المغول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلماً.

ثم ذكر الجويني تنافس من الياساق من ذلك: أنه من زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعدد الكذب قتل، ومن سحر قتل، ومن تجسس قتل، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيراً أو سقاء أو كساه بغير إذن أهله قتل، ومن وجد هارباً ولم يرده قتل، ومن أطعم أسيراً أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل، بل يتناول من يده إلى يده، ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً، ولو كان المطعم أسيراً لأسير، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل، ومن فزع حيواناً فذبح مثله، بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً.

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزل علي عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياساق قدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿أَنفُكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَتَرَوْنَ مَنَ اللَّهِ حُكْمًا يُقْرَمُ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَفْسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥] صدق الله العظيم.

ومن آدابهم: الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة، وأن يعرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهم، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه، ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان، ولا يخطى موقد النار ولا طبق الطعام، ولا يقف على أسكفة الحركاء ولا يفسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها، ولا يكلفون العلماء من كل ما ذكر شيئا من الجنايات، ولا يتعرضون لمال ميت.

وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفاً كبيراً من أخبار جنكيز خان، ومكازم كان يفعلها لسجيته، وما أذاه إليه عقله، وإن كان مشركاً بالله، يعبد معه غيره، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البداية من خوارزم شاه، فإنه لما أرسل جنكيز خان نجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فأتوها إلى إيران، فقتلهم نائبا من جهة خوارزم شاه، وهو والد زوجته كشلي خان، وأخذ جميع ما كان معهم فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يعلم به، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه: من المهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم، وهم الذين يعملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك، فإن كان أسراً أمرت به طلبنا بدعائهم، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك. فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيز خان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التنكير، وقد كان خرق وكبرت سنة، وقد ورد الحديث: «اتركوا الترك ما تركوكم» [٤٣٠٢]، مر [٣١٧٦] فلما بلغ ذلك جنكيز خان تجهز لقتاله وأخذ بلاده، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع.

فكما ذكره الجويني عنه أنه قدم له بعض الفلاحين بالصيد ثلاث

زمن الربيع.

قال: وسقط فيها عاشر آذار نلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين، فأهلك الأزارم وغيرها، وقال: وهذا شيء لم يعهد مثله، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ جنكيز خان: السلطان الأعظم عند التتار، والد ملوكهم اليوم، يتسبون إليه، ويقولون: ومن عظم القاتن إنما يريد هذا الملك، وهو الذي وضع لهم الياساق التي يتحكمون إليها، ويحكمون بها، وأكثرها مخالفة لشرائع الله تعالى وكتبه، وهو شيء اقترحه من عند نفسه، وتبعوه في ذلك، وكانت أمه تزعم أنها حملته من شعاع الشمس، فلهاذا لا يعرف له أب، والظاهر أنه مجهول النسب، وقد رأيت مجلداً جمعه الوزير بيغداد علاء الدين الجويني في ترجمته، فذكر فيه سيرته، وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي، والكرم والشجاعة، والتدبير الجيد للملك والرعايا، والحروب، فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصباً عند الملك أزيك خان، وكان إذ ذاك شاباً حسناً، وكان اسمه أولاً غرجي، ثم لما عظم سعى نفسه جنكيز خان، وكان هذا الملك قد قربه وأذانه، فحسده عظماء الملك، ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه، وهم يقتله، ولم يجد له طريقاً في ذنب يسقط عليه به، فهو في ذلك إذ تغضب الملك على ملوكين صغيرين فهربا منه ولجأ إلى جنكيز خان، فأكرمهما وأحسن إليهما، فاختاره بما يضرعه الملك أزيك خان من قتله، والهلم به، فأخذ حذره، وتحيز بدولة، واتبه طوائف من التتار، وصار كثير من أصحاب أزيك خان يفترون إليه، ويقولون عليه فيكرههم ويعطيه، حتى قويت شركته، وكثرت جيوشه، ثم حارب بعد ذلك أزيك خان فظفر به وقتله، واستحوذ على مملكته وملكه، وانضاف إليه عدده وعدده، وعظم أمره وبعد صيته، وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمناج كلها، حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل، وأكثر القبائل قبيلة التي هو منها يقال لهم قيات، ثم أقرب إليه بعدهم قبيلتان كثيرتا العدد وهما أويرات وققورات، وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر، والباقي للحرب والحكم.

قال الجويني: وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر، ثم تضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحصى كثرة، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك جلال الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك من الأقاليم والممالك، فقهرة جنكيز خان وكسره وغلبه وسلبه، واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث، وكان ابتداء ملك جنكيز خان سنة تسع وتسعين وخمسة، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمئة، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا، فاستحوذ حيثنذ على الممالك بلا منازع ولا مناهج.

وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمئة، فجعلوه في تابوت من حديد، ووطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك، وأما كتابه الياساق فإنه يكتب في مجلدين بخط غليظ، ويعمل على بعير معظم عهدهم وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يعمي ويقع مثنياً عليه، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حيثنذ، فإن كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها.

ومتى قربتها نقصت منزلي عندك، فقال: لا بأس عليك، وأحضر ابن عم له وكان مثله، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان: أنشأ قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بجل جزيل.

قال: ولما احتضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق، وضرب لهم في ذلك الأمثال، وأحضر بين يديه نشأ وأخذ سهماً أعطاه لواحد منهم فكسره، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يطبقوا كسرها، فقال: هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلقتم. قال: وكان له عدة أولاد ذكور وإناث، منهم أربعة هم عظماء أولاده، أكبرهم تولى، وهم: تولى، وياتو، وبركة وتركجار، وكان كل منهم له وظيفة عنده.

ثم تكلم الجويني على ملك ذريته إلى زمان هولاكو خان، وهو يقول في اسمه بأشياء زاده هولاكو، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد، والأمور المزججة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم.

السلطان الملك المعظم:

■ عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، ملك دمشق والشام، كانت وفاته يوم الجمعة، سلخ ذي القعدة من هذه السنة، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه ستة وخمس عشرة.

وكان شجاعاً عاقلاً، عالماً فاضلاً، اشتغل في الفقه على منذهب أبي حنيفة، على الحصري مدرّس النورية، وفي اللغة والنحو على تاج الدين الكندي، وكان محفوظه مفصل الزخشي، وكان يصل من حفظه بثلثين ديناراً، وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري، والجمهرة لابن دريد، والتذهيب للأزهري وغير ذلك، وأمر أن يرتب له مسند الإمام أحمد، وكان يحب العلماء ويكرمهم، ويمتهد في متابعة الخير. ويقول: أنا علي عقيدة الطحاوي، وأوصى عند وفاته أن لا يكفن إلا في البياض، وأن يلحد له، ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه.

وكان يقول: واقعة دمايط أدرها عند الله تعالى، وأرجو أن يرحمني بها يعني أنه أبلى بها بلاء حسناً رحمه الله تعالى.

وقد جمع له بين الشجاعة والسماحة والبراعة، والعلم ومحبته أهله، وكان يميّ في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً، ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين فيصلي فيها الجمعة.

وكان قليل التعاطف، يركب في بعض الأحيان وحده، ثم يلحقه بعض غلمان سوقاً.

وقال فيه بعض أصحابه، وهو محب الدين بن أبي السعود البغدادى:

لئن غودرت تلك الحاسن في الشرى بوال فما وجدي عليك يبال

ومذ غبت عني ما ظفرت بصاحب أخى ثقة إلا خطرت ببالي

وملك بعده دمشق ولده الناصر داود بن المعظم، وبايعه الأمراء.

أبو المعالي

■ أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب، الفقيه الشافعي السنجاري، شيخ أديب، فاضل خير، له نظم ونثر طريف، وله نادر حسنة، وجاوز التسعين، قد استوزره صاحب حماة في وقت، وله شعر وائق، أورد منه ابن الساعي قطعة جيدة، فمن ذلك قوله:

وهواك ما خطر السلو بباله ولأنت أعلم في الغرام بحاله

فمتى وشى واش إليك بأنسه سائل هواك فذاك من عُنْاله

بطيخات، فلم يتفق أن عند جنكيز خان أحد من الخزندارية، فقال لزوجته خاتون أعطيه هذين الفرطين اللذين في أذنك، وكان فيهما جوهرتان نفستان جيداً، فشحت المرأة بهما وقالت: أنظره إلى غد، فقال: إنه بيت هذه الليلة مقلقل خاطر، وربما لا يحصل له شيء بعد هذا، وإن هذين لا يمكن أحد إذا اشتراهما إلا جاء بهما إليك، فانتزعتهما فدفعتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد التجار بألف دينار، ولم يعرف قيمتهما، فحملهما التاجر إلى الملك فردهما على زوجته، ثم أنشد الجويني عند ذلك:

ومن قال إن البحر والقطر أنسبها نداء فقد أنسى على البحر والقطر

قالوا: واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عتابة، فأعجبه لونه ومالت نفسه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه ببالس، فاشتري الحاجب بربع ببالس، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال: هذا كله ببالس؟ قال: وبقسي منه هنا وأشار إلى ما بقي معه من المال فقبض وقال: من يجد من يشتري منه مثلي تمحو له عشرة بوالس.

قالوا: وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فاستحسنه جنكيز خان فوهن أمره عند بعض خواصه وقال: خوند هذا زجاج لا قيمة له، فقال: اليس قد حله من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالماً؟ أعطوه مائتي ببالس.

قال وقيل له: إن في هذا المكان كنزاً عظيماً إن فتحته أخذت منه ما لا كثيراً، فقال: الذي في ألبينا يكفيني، ودع هذا يفتحه الناس ويأكلونه فهم أحق به منا، ولم يتعرض له.

قال: واشتهر عن رجل في بيلده يقول: أنا أعرف موضع كنز، ولا أقول إلا للقان، والحق عليه الأمراء أن يعلمهم فلم يفعل، فذكروا ذلك للقان فأحضره على خيل الأولاق يعني البريد سريعاً، فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال: إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك، فلما رأى تغير كلامه غضب وقال له: قد حصل لك ما قلت، وردة إلى موضعه سالماً ولم يعطه شيئاً.

قال الجويني: وهذا غريب.

قال: وأهدى له إنسان رمانة، فكسرها وفرق حبها على الحاضرين، وأمر له بعدد حبها بوالس ثم أنشد:

فلنالك تزدحم الوفود ببابه مثل ازدحام الحب في الرمان

قال: وقدم عليه رجل كافر يقول: رأيت في النوم جنكيز خان يقول: قل لأبي: يقتل المسلمين، فقال له: هذا كذب، وأمر بقتله.

قال: وأمر بقتل ثلاثة قد قبضت «الياسق» بقتلهم، فإذا امرأة تبكي وتلطم، فقال: ما هذه؟ أحضرها، فقالت: هذا ابني، وهذا أخى وهذا زوجي، فقال: اختاري واحداً منهم حتى أطلقه لك، فقالت: الزوج يميّ مثله، والابن كذلك، والأخ لا عوض له، فاستحسن ذلك منها، وأطلق الثلاثة لها.

قال: وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة، وقد اجتمع عنده منهم جماعة، فذكر له إنسان بخراسان فأحضره، فصرخ جميع من عنده، فأكرمه وأعطاه، وأطلق له بنتاً من بنات المغول حسنة، فمكثت عنده مدة لا يتعرض لها، فاتفق مجيئها زائرة بيت القان فجعل السلطان يمازحها ويقول: كيف رأيت المستعرب؟ فذكرت له أنه لم يقرها، فتعجب من ذلك، وأحضره فسأله عن ذلك، فقال: يا خوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة،

المقدس عن الفرنج لمنهم الله.
واجتمع إلى الملك جماعة من ملوكهم، كإخيه الأشرف وأخيهما
الشهاب غازي بن العادل وأخيهما الصالح إسماعيل بن العادل، وصاحب
حصص أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين وعمد بن شيركوه، وغيرهم،
واتفقوا كلهم على نزع الناصر داود عن ملك الشام وتسليمها إلى الأشرف
موسى لأجل حفظ الشام من الفرنج وسيأتي تنفيذ ذلك في السنة المقبلة
إن شاء الله تعالى.

وفيها عزل الصدر البكري عن حبة دمشق ومشيخة الشيوخ وولي
فيهما أثنان غيره.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وفي أوائل رجب توفي الشيخ
الصالح الفقيه أبو الحسن
■ علي بن المراكشي المقيم بالمدرسة المالكية، ودفن بالمقبرة التي وقفها
الرئيس خليل بن زوزيان قبلي مقابر الصوفية، وكان أول من دفن بها رحمه
الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائه

استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا
أحزاباً وفرقاً، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو
المقيم بنواحي القدس الشريف، فقرت نفوس الفرنج لمنهم الله بكثرتهم
ومن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك،
فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم،
فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى
بأيديهم بقية البلاد، فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم
أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جداً وحصل بسبب ذلك وهن وهن
شديد وإرجاف عظيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيق على أهلها فقطع الأنهار
ونهب الخواص وغلط الأسعار، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها
ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم، على أن يقيم ملكاً
بمدينة الكرك والشوبك ونابلس وقرايا من النور والبلقاء ويكون الأمير عز
الدين إيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخه، ثم تقايض الأشرف وأخوه
الكامل فآخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرها والرقه وراس
العين والسروج، ثم سار الكامل فحاصر حماة وكان صاحبها الملك المنصور
بن تقي الدين عمر قد توفي وعهد بالأمر من بعده إلى أكبر ولده المظفر
محمد، وهو زوج بنت الكامل، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين
فليج أرسلان فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه
المظفر محمد، ثم سار فتسلم البلاد التي قايض بها دمشق من أخيه الملك
الأشرف كما ذكرنا، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل في أيام
الملك ناصر داود وكان يماني ذلك وقديماً نسب بعضهم إلى نوع من
الانحلال فالله أعلم، فتأدى الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس
بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه، وكان سيف الدين
الأمدي مدرساً بالعزيزة فعزله عنها وبقي ملازماً منزله حتى مات في سنة
إحدى وثلاثين كما سيأتي.

وفيها كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة شمس الدين بن
الحونيم القاضي محي الدين أبا الفضائل محيي بن محمد بن علي بن الزكي،

من حاله يغنيك عن تساهله
غرامه وصرمت جبل وصاله
يفدي الطليق بنفسه وبماله
وله أيضاً:

لام العوائل في هواك فأكثروا هيهات ميعاد السلو الخشرو
جهلوا مكانك في القلوب فظكروا لو أنهم وجدوا كوجدي أقصروا
صبرا على عذب الهوى وعذابه وأخو الهوى أبدا يلام ويعذر
أبو القاسم

■ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان الطليهي المعروف بالصائغ،
أحد المعينين بالنظامية، ودرس بالثنية، وكان عارفاً بالمنهج والفرائض
والحساب، صنف شرحاً للثنية، ذكره ابن الساعي.

■ محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي: الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد
على أبي القاسم بن فضال ثم أعاد بالنظامية ودرس ببغداد، وكان يشتغل
كل يوم عشرين درساً، ليس له دأب إلا الاشتغال، وتلاوة القرآن ليلاً
ونهاراً، وكان بارعاً كثير العلوم، قد أثقن المنهج والخلاف، وكان يفتي في
مسألة الطلاق الثلاث بواحدة، فتنبه عليه قاضي القضاة أبو القاسم عبد
الله بن الحسين الدامغاني، فلم يسمع منه، ثم أخرج إلى تكريت فأقام بها،
ثم استدعي إلى بغداد، فعاد إلى الاشتغال، وأعاد قاضي القضاة نصر بن
عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية، وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال
والفتوى والوجاهة إلى أن توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى، وهذا ذكره
ابن الساعي.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائه

فيها كانت الحروب كثيرة بين جلال الدين والتتار، كسروه غير مرة،
ثم بعد ذلك كله كسروهم كسرة عظيمة، وقتل منهم خلقاً وأما لا يحصون،
وكان هؤلاء التتار قد انغردوا وعصوا على جنكيز خان فكتب جنكيز خان
إلى جلال الدين يقول له: إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدها، ولكن سترى
منا ما لا قبل لك به.

وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية صقلية فنتزلوا عكا
وصور وحلوا على مدينة صيدا فانتزعوها من أيدي المسلمين وعبروها
وقويت شوكتهم وجاء الانبروز ملك الجزيرة القبرصية ثم سار فنتزل عكا
فخاف المسلمون من شره وبالله المستعان.

وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس
الشريف فدخله، ثم سار إلى نابلس فخاف الناصر داود بن المعظم من عمه
الكامل، فكتب إلى عمه الأشرف فقدم عليه جريدة، وكتب إلى أخيه الكامل
يستعطفه ويكفنه عن ابن أخيه، فأجاباه الكامل بأنني إنما جئت لحفظ بيت
المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه، وحاشي لله أن أحاصر
أخي أو ابن أخي، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأتت تخلفها وأنا راجع
إلى الديار المصرية، فخشي الأشرف وأهل دمشق إن رجع الكامل أن تمتد
أطماع الفرنج إلى بيت المقدس، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فنبطه عن
الرجوع، وأقاما جميعاً هنالك جزامهما الله خيراً، يحوطان جناب بيت

هذه الأبيات نثار وترب وهواء رطب وماء يرو
سوف تقضى كما فتننا فلا يقى من الخلق والد ووليد
لا الشقي الغري من نوب الأيا م يتجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلمت النايبا سيوفاً فمالولي حصيدا والعبيد

ومن توفي فيها:

أبو الفتح

■ نصر بن علي البغدادي: الفقيه الشافعي ويلقب بشعلب، اشتغل في المذهب والخلاف ومن شعره قوله:

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن
فليعجب الناس مني أن لي بدنأ لا روح فيه ولي روح بلا بدن

أبو الفضل

■ جبرائيل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها، أسلم - وكان نصرانياً - فحسن إسلامه، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة، ومن ذلك قوله: «خير أوقاتكم ساعة صفت لله، وخلعت من الفكرة لغيره والرجاء لسواه وما دمت في خدمة السلطان فلا تقترب بالزمان، اكفف كفف وأصرف طرفك وأكثر صومك وأقلل نومك يؤمنك، واشكر ربك يحمّد أمرك.

وقال: زاد السفر مقدّم على رحيله، فأعد الزاد تبلغ بالمداد المراد.

وقال: إلى متى تتمادى في الغفلة وكأنك قد أمنت عواقب المهلة عمر
اللّهر مضى وعمر الشبيبة انتقضى، وما حصلت من ربك على ثقة بالرضى
وقد انتهى بك الأمر إلى سنّ التخاذل وزمن التكاسل، وما حظيت بباطل.

وقال: روحك لا تخضع وعينك لا تلمع وقلبك لا يمشع ونفسك لا
تشبع، وتظلم نفسك وأنت لما ترجع، وتظهر الزهد في الدنيا وفي المال
تطمع، وتطلب ما ليس لك بحق وما وجب عليك من الحق لا تدفع، وتروم
فضل ربك وللمعاون تمنع، وتغيب نفسك الأمانة وهي عن اللّهر
لا ترجع، وتوقظ الغافلين بإنذارك وتتوهم عن سهوك وتهجع، وتخص
غيرك بخيرك ونفسك الفقيرة لا تنفع، وتعمد على الحق وأنت بالباطل
مولع، وتتمتر في المضائق وطريف النجاة مهيع، وتهجم على الذنوب وفي
الجرمين تشفع، وترتكب إلى دار السلامة وأنت بالمعطف مروّع، وتحرص على
زيادة الإكتساب وحسابك في كفل غيرك يوضع وتظهر الفتاعة بالقليل
وبالكثير لا تشبع، وتعمد الدار الفانية ودارك الباقية خراب بلقع، وتستوطن
منزل الرحيل وكأنك إلى ربك لا ترجع، وتظن أنك بلا رقيب وأعمالك
إلى المراقب ترفع، وتقدم على الكبار وعن الصغار تتورع، وتؤمل الغفران
وأنت عن الذنوب لا تقنع وترى الأحوال عيطة بك وأنت في ميدان اللّهر
ترتع وتستفتح أفعال الجهال وباب الجهل تقرع، وقد آن لك أن تأتف من
التعسف وعن الدنيا تترفّع، وقد سار المخوف وتخلّفت فماذا توقع؟.

وقد أورد ابن الساعي له شعراً حسناً فنه:

إن سهرت عينك في طاعة فذاك خير لك من النوم
أمسك قد فأت بعلاجه فاستدرك الفاتت في اليوم

وله:

فحكم أياماً بالشباك، شرقي باب الكلاسه، ثم صار الحكم بداره، مشاركاً
لابن الخوئي.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك المسعود

■ أقيس بن الكامل: صاحب اليمن، وقد ملك مكة سنة تسعة عشر
فأحسن بها المصلحة، ونفى الزيدية منها، وأمنت الطرقات والحجاج ولكنه
كان مسرفاً على نفسه، فيه عسف وظلم أيضاً، وكانت وفاته بمكة ودفن
بباب المعلى.

■ محمد السبي التجاري: كان يمدّه بعضهم من الأبدال.

قال أبو شامة: وهو الذي بنى المسجد غربي دار الوكالة عن يسار المار
في الشارع من ماله، ودفن بالجبل. وكان جنازته مشهودة رحمه الله تعالى.
أبو الحسن

■ علي بن سالم بن يزيد بن محمد بن مقلد العبادي الشاعر من
الحديثة، قدم بغداد مراراً وامتدح المستظهر وغيره وكان فاضلاً شاعراً بكسر
التفzul.

أبو يوسف

■ يعقوب بن صابر الحراني: ثم البغدادي المتجني، كان فاضلاً في
فنه، وشاعراً مطبقاً لطيف الشعر حسن المعاني، قد أورد له ابن الساعي
قطعة صالحة، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تعزية عظيمة لجميع
الناس وهي:

هل لمن يرغمي البقاء خلود وسوى الله كل شيء يبيد
والذي كان من تراب وإن عاش طويلاً للتراب يعود
فمصير الأنعام طراً إلى ما صار فيه آبائهم والجدود
أين حواء أين آدم إذ فسا تهم الخلد والثوى والخلود؟
أين هابيل أين قابيل إذ ه سنا لهذا معاند وحسود؟
أين نوح ومن نجى معه بالفلك ك والعالمون طراً فقيد
أسلمته الأيام كالطفل للمو ت ولم يكن عمره المملود
أين عاد بل أين جنة عاد أم ترى أين صالح وثمود؟
أين إبراهيم الذي شاد يب ست الله فهو المظم المقصود
حسدوا يوسف أخاهم فكادو ه ومات الحسود والمحسود
وسليمان في النبوة والملك قضي مثل ما قضى داود
فعدوا بعد ما أطيع لنا الخلد سق وهذا له السين الحديد
وابن عمران بعد آياته التسع وسق الخضم وهو صعيد
والسج ابن مريم وهو روح الل ه كادت تقضي عليه اليهود
وقضى سيد النيسين والمسا دي إلى الحق أحمد الحمود
وينوره وأله الطاهرور ن الزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء متثرات بعد حين وللهمواء ركسود
ولنار الدنيا التي ترقد الصخر سر حمود وللبياه حمود
وكنا للشرى غداة يؤم ساس منها تزلزل وهمسود

إن رباً هلك بعد ضلال سبل الرشيد مستحق العباد
تعبده له تجده منه عتقاً واستمد فضله بطول الزهادة
وله:

إنما تنفست عن حرام عرضت بالطيب الحلال
فانتعجده في الحرام حلاً فضلاً من الله ذي الجلال

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأشرف بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلط في الماضي وخربها وشرد أهلها، وحاربه علاء الدين كيقيباذ ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحبه على القدوم عليه ولو جريده وحده، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تبقى من عسكر خلط، فكانوا خمسة آلاف مقاتل صليبة، معهم العدة الكاملة، والخيول المائلة، فالتقوا بجلال الدين بأذربيجان وهو في عشرين ألف مقاتل، فلم يبق لهم ساعة واحدة، ولا صبر فتقهقر وانهمز واتبعوه على الأثر، ولم يزالوا في طلبهم إلى مدينة خوين وعاد الأشرف إلى مدينة خلط فوجدها خاوية على عروشها، فمهدا وأطدها، ثم تصالح وجلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه بدمشق حرصاً الله تعالى وإياه.

وفيها تسلم الأشرف قلعة بعلبك من الملك الأمير بهرام شاه بعد حصار طويل، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل، ثم سار إلى الأشرف بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خلط وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهب أموالاً كثيرة فالتقى معه الأشرف واقتلوا قتالاً عظيماً فهزمه الأشرف هزيمة منكورة، وهلك من الخوارزمية خلق كثير، ودقت البشائر في البلاد فرحاً بنصرة الأشرف على الخوارزمية، فإنهم كانوا لا يفتحون بلداً إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم، فكسرهم الله تعالى. وقد كان الأشرف رأى النبي ﷺ في المنام قبل الوقعة وهو يقول له: يا موسى أنت منصور عليهم. ولما فرغ من كسرهم عاد إلى بلاد خلط فرمى شعبها وأصلح ما كان فسد منها.

ولم ينج أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها، وكذا فيما قبلها أيضاً، فهذه ثلاث سنين لم يسر من الشام أحد إلى الحج. وفيها أخذت الفرنج جزيرة ميروقة وقتلوا بها خلقاً وأسروا آخرين، فقدموا بهم إلى الساحل فاستقبلوا المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج.

ومن توفي فيها من الأعيان

زين الأمان الشيخ الصالح: أبو البركات

■ الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمان بن عساكر الدمشقي الشافعي، سمع الحديث على عمه الحافظ أبي القاسم والصابان وغير واحد، وعمر وتفرّد بالرواية وجاوز الثمانين بنحو من ثلاث سنين، وأقعد في آخر عمره فكان يحمل في عفة إلى الجامع وإلى دار الحديث النورية لإسماع الحديث وانتفع به الناس مدة طويلة، ولما توفي حضر الناس جنازته ودفن عند أخيه الشيخ فخر الدين بن عساكر بمقابر الصوفية رحمهما

الله تعالى.
الشيخ

■ يوم الماردني: كان صالحاً مقطوعاً محباً للعزلة عن الناس، وكان مقبياً في الزاوية الغربية من الجامع، وهي التي يقال لها الزاوية، وتعرف بزاوية الدولي وبزاوية القطب النيبابوري، وبزاوية الشيخ نصر المقدسي، قاله الشيخ شهاب الدين أبو شامة.
وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وعفا عنه بمته وكرمه.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل ببلاد الجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أسفه من بلاده، وقد قدمت التار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فاثاروا بالفساد ميناً وشمالاً، فقتلوا ونهبوا وسبوا على عاداتهم خذلهم الله تعالى.
وفيها رتب إمام بمشهد أبي بكر من جامع دمشق وصليت فيه الصلوات الخمس.

وفيها درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري الشافعي في المدرسة الشامية الجوانية في جوار المارستان في جمادى الأولى منها.
وفيها درس الناصح بن الخنبلني بالصالحية بسفح الجبل التي أنشأها الخاتون ربيعة بنت أيوب أخت ست الشام.

وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ علي الحريري بقلعة عزتا.
وفيها كان غلاء شديد بليار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى: ﴿وأنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة: ٢١٥].

وذكر ابن الأثير كلاماً طويلاً مضمونه خروج طائفة من التار مرة أخرى من بلاد ما وراء النهر، وكان سبب قدومهم هذه السنة أن الإسماعيلية كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه وأنه قد عادى جميع الملوك من حوله حتى الخليفة، وأنه قد كسره الأشرف بن العادل مرتين، وكان جلال الدين قد ظهرت منه أفعال ناقصة تدل على قلة عقله، وذلك أنه توفي له غلام خصي يقال له قلعج، وكان يحبه، فوجد عليه وجداً عظيماً بحيث إنه أمر الأمراء أن يمشوا بجنازته فراسخ إلى تربته، وأمر أهل البلد أن يخرجوا يحزن وتعداد عليه فتوانى بعضهم في ذلك فهم يقتلهم حتى تشفع فيهم بعض الأمراء ثم لم يسمح بدفن قلعج فكان يحمل معه بحفة، وكلما أحضر بين يديه الطعام يقول أحملوا هذا إلى قلعج فقال له بعضهم: أيها الملك إن قلعج قد مات، فأمر بضرب عنقه فقتل، فكانوا بعد ذلك يقولون: قبله وهو يقتل الأرض، ويقول هو الآن أصلح مما كان عليه - يعني أنه مريض وليس يميت - فيجد الملك بذلك راحة من قلة عقله ودينه قبحه الله تعالى.

فلما جاءت التار اشتغل بهم وأمر بدفن قلعج وهرب من بين أيديهم وامتلأ قلبه خروفاً منهم، وجعل كلما سار من قطر لحقوه إليه وخربوا ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وماردين وأمد، يقصدون ما قدروا عليه قتلاً ونهباً وأسراً، وتغزق

قال ابن الأثير: وفيها توفي: القاضي أبو غانم

■ ابن العديم: الشيخ الصالح وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة، من العاملين بعلمهم، ولو قال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً، فرضي الله تعالى عنه وأرضاه، فإنه من جماعة شيوخنا، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه.

قال: وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا: أبو القاسم

■ عبد المجيد بن العجمي الحلبي: وهو وأهل بيته مقدمو السنة بحلب، وكان رجلاً ذا مروءة غزيرة، وخلق حسن وحلم وافر ورواية كثيرة، يحب إتمام الطعام، وأحب الناس إليه من أكل من طعمه ويقبل يده، وكان يلقي أضيافه بوجه منبسط، ولا يقعد عن إيصال راحة أو قضاء حاجة، فرحه الله تعالى رحمة واسعة.

قلت وهذا آخر ما وجد من الكامل [٥٠٥/١٢] في التاريخ للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالى.

أبو إسحاق

■ إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات بن كرم الموصل، أحد الفقهاء الخفئين، شرح قطعة كبيرة من القدوري، وكتب الإنشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ ثم استقال من ذلك، وكان فاضلاً شاعراً، من شعره:

دعوه كما شاء الغرام يكون فلت وإن خان اليهود أخون
ولينوا له في قولكم ما استطعت عسى قلبه القاسي علي يلين
وشرأ صابغاتي إليه وكسرروا حديثي عليه فالحديث شجون
بنفس الأولى بانوا عن العين خفية وحبهم في القلب ليس يبين
وسلوا على العشاق يوم تحملوا سيوفاً لها وطف الجفون جفون

■ المجد البهسي: وزير الملك الأشرف ثم عزله وصاحده، ولما توفي دفن بترته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كبه فيها وقفاً، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى.

جمال الدولة

■ خليل بن زوزان: رئيس قصر حجاج، كان كيساً ذا مروءة، له صدقات كثيرة، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلية، ودفن بترته عند مسجد فلوس رحمه الله تعالى.

الملك

■ الأجد: واقف المدرسة الأجدية بالشرف. وفيها كانت وفاته.

■ بهرام شاه بن فروغشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك، بهمه له لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فملكها في سنة ست وعشرين، فانتزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه، فلما كان شهر شوال من هذه السنة علا عليه مملوك من مماليكه تركي قتلته ليلاً، وكان قد اتهمه له بجياصة له وحبيه، فغلب عليه في بعض الليالي قتلته وقتل المملوك بعده، ودفن الأجد في ترفته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرف الشمالي رحمه الله تعالى.

وقد كان شاعراً فاضلاً له ديوان شعر، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائع الفائق، وترجمته في طبقات الشافعية ولم يذكره أبو شامة في الذيل وهذا عجيب منه وما أورد له ابن الساعي قوله في شاب رآه يقطع قضباناً بأن فأنشأ على البديهة يقول:

شمل جلال الدين وتفرق عنه جيشه، فصاروا شزراً منور، ويدلوا بالأمن خوفاً، وبالعز ذلاً، وبالا اجتماع تفرقاً، فسبحان من بيده الملك لا إله إلا هو.

واقطع خبر جلال الدين فلا يدري أين سلك، ولا أين ذهب وتمكنت التار من الناس في سائر البلاد لا يجلبون ما يمنهم ولا من يردعهم وألقى الله تعالى الوهن والضعف في قلوب الناس منهم، كانوا كثيراً يقتلون الناس فيقول المسلم لا بالله لا بالله فكانوا يلعبون الخيل ويغنون ويحكون الناس لا بالله لا بالله، وهذه طامة عظيمة وداهية كبرى فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان من حج فيها تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والحرق من التار والفرنجة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها تكامل بناء المدرسة التي بسوق العجم ببغداد المنسوبة إلى إقبال الشرايبي، وحضر الدرس بها، وكان يوماً مشهوداً، اجتمع فيه جميع المدرسين والمثنيين ببغداد، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيهاً لهم الجوامك الدارة في كل شهر، والطعام في كل يوم والحلوى في أوقات المواسم، والقواكه في زمانها، وخلق على المدرس والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم، وكان وقتاً حسناً تقبل الله تعالى منه.

وفيها سار كل يوم الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرسلية عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فأكرم وأعيد معظماً.

وفيها دخل الملك المظفر أبو سعيد كركري بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قط، فتلقاء المركب وشافهه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين، وكان ذلك شرفاً له غبطه به سائر ملوك الأفاق وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك، فلم يمكنوا لحفظ الثغور، ورجع إلى مملكته معظماً مكرماً.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن معطي النحوي يحيى بن معطي بن عبد النور: النحوي صاحب الألفية وغيرها من المصنفات النحوية المقيمة ويلقب زين الدين، أخذ عن الكندي وغيره، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضاً، وأنه دفن قريباً من قبر المرني بالقرافة في طريق الشافعي عن يسرة المار رحمه الله.

■ الدخوار الطيب، واقف الداخورية مذهب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق، وقد وقف داره بلرب العميد بالقرب من الصاغة المتينة على الأطباء بدمشق الخروسة مدرسة لهم.

وكانت وفاته بصفر من هذه السنة، ودفن بسفح قاسيون، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركنية، وقد ابتلى بسنة أمراض متعاسة منها ربح اللقوة، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة.

الدين أحمد بن محمد القمي وأصحابهم وجسوا واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار شمس الدين أبا الأزهري، أحمد بن محمد بن الناقذ، وخلع عليه خلمة سنة وفتح الناس بذلك.

وقد أقبلت طائفة من التتار فوصلوا إلى شهزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكيري بن زين الدين، وأضاف إليه عساكر من عنده، فساروا نحوهم فهربت منهم التتار، والله الحمد، وأقاموا في مقابلتهم مدة شهر ثم حمّض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل، وتراجعت العساكر إلى بلادها.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن نقطة الحافظ محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي، أبو بكر بن نقطة الحافظ المحدث الفاضل، صاحب الكتاب النافع المسمى بـ «التقييد» في تراجم رواة الكتب والمشاهير من المحدثين وكان أبوه فقيهاً فقيراً مقطوعاً في بعض مساجد بغداد، يؤثر أصحابه بما يحصل له، ونشأ ولده هذا فُتني بعلم الحديث وسماعه والرحلة فيه إلى الآفاق شرقاً وغرباً حتى برز فيه على الأقران، وفاق أهل زمانه، ولد سنة تسع وسبعين وخمسمائة وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة، رحمهم الله تعالى.

■ (عبد الله بن عبد الغني المقدسي).

الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي: كان فاضلاً كريماً حياً، سمع الكثير، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل بن العادل، وهو الذي كُفنه ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

أبو علي

■ الحسن بن أبي بكر المبارك بن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي ثم البغدادي، كان شيخاً صالحاً فقيهاً حنفياً فاضلاً ذا فنون كثيرة ومن ذلك علم الفرائض والعروض، وله فيه أرجوزة حسنة، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين، وسرد ذلك في تاريخه.

أبو القتح

■ مسعود بن إسماعيل بن علي بن موسى السلماسي، فقيه أديب شاعر، له تصانيف، وقد شرح المقامات والجمال في النحو، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالى.

أبو بكر

■ محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري بن الشرجي الدمشقي، أحد المعلمين بها، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة سمع الحديث وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب، وفوضت إليه أمر أوقافها.

قال السبط: وكان ثقة أميناً كياساً متواضعاً.

قال: وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة، وكانت وفاة فخر الدين في يوم عيد الأضحى ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وعفا عنه.

■ حسان بن غزي بن يونس عماد الدين أبو الناقب الحلبي المصري، ثم الدمشقي، كان شيخاً صالحاً فاضلاً فقيهاً شافعياً حسن المحاضرة وله أشعار حسنة.

قال أبو شامة: وله في معجم القوصي ترجمة حسنة، وذكر أنه توفي

من لي بأليف قال حين عتبه في قطع كل قضيب بان رائق تحكي شمائله الرشاء إذا اتشنى ريان بين جداول وحلائق سرقت غصون البان لين شمائلي فقطعتها والقطع حد السارق ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى قوله:

يؤرقني حنين وادكار وقد خلت المراتع والديار تنادي الظاعنون ولي فؤاد يسير مع المودج حيث ساروا حنين ملهما شاء التثاني وشوق كلما بعد المزار وليلي بعد بينهم طويل فأن مضت ليلالي القصار؟ وقد حكم السهاد على جفوني تاروي الليل عندي والنهار ونومي بعد ما رحلوا غرار سهادي بعد ناييم كثير تمام وهل تسرى عنياً تمار فلا ليلي له صبح منير ولا وجدي يقال له عثار يحجب ظننه النقع المثار وكمن من قائل والحلي غاد وقوفك في الديار وأنت حي وقد رحل الخليلط عليك عار وله:

كم يذهب هذا العمر في الخسران ما اغفلني فيه وما أثناني ضيعت زماني كله في لعب يا عمر هل بملك عمر ثنائي؟ وقد رآه بعضهم في المنام فقال له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال:

كنت من ذنبي على وجل زال عني ذلك الوجمل أنت نفسي بواقتهما عثت لما مت يا رجل رحمه الله وعفا عنه

■ جلال الدين ككش: وقيل محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن ككش الخوارزمي وهم من سلالة طاهر بن الحسين، وككش جدتهم هو الذي أزال دولة السلجوقية. كانت التتار قهرها أباه حتى شردوه في البلاد فمات في بعض جزائر البحر، ثم ساقوا وراه جلال الدين هذا حتى مزقوا عساكره شذر منذر وتفرقوا عنه أيدي سبأ، وانفرد هو وحده فلقية فلاح من قرية بأرض ميفارقين فأنكره لما عليه من الجواهر والذهب، وعلى فرسه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا ملك الخوارزمية - وكانوا قد قتلوا للفلاح إخساً - فأنزله وأظهر إكرامه، فلما نام قتله بفأس كانت عنده، وأخذ ما عليه، فبلغ شهاب الدين غازي بن العادل صاحب ميفارقين فاستدعى الفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر والحلي، وأخذ القرس أيضاً، وكان الملك الأشرف يقول: هو سد ما بيننا وبين التتار، كما أنّ السد بيننا وبين ياجوج وماجرج.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة

فيها عزل القاضيان بدمشق: شمس الدين الخوئي وشمس الدين بن سني الدولة، وولي قضاء القضاة عماد الدين بن الحرستاني، ثم عزل في سنة إحدى وثلاثين وأعيد شمس الدين بن سني الدولة كما سيأتي.

وفي سابع عشر شوالها عزل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه فخر

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمئة

فيها باشر خطابة بغداد وبقابة العباسيين العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الله المنصور. وخلع عليه خلمة سنية، وكان فاضلاً قد صحب الفقراء والصوفية وتزهده برهة من الزمن، فلما دعي إلى هذا الأمر أجاب سريعاً وأقبلت عليه الدنيا بزهرتها وخلعه الخلمان الأتراك، وليس لباس المترفين وقد عاتبه بعض تلامذته بقصيدة طويلة وعنفه على ما صار إليه، وسردها ابن الساعي بطولها في تاريخه.

وفيها سار القاضي محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي في الرسالة من الخليفة إلى الكامل صاحب مصر، ومعه كتاب هائل فيه تقليد الملك، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد، سرده ابن الساعي أيضاً بكامله، وقد كان الكامل غيماً بظاهر آمد من أعمال الجزيرة، قد اقتحمها بعد حصار طويل وهو مسرور بما نال من ملكها.

وفيها فتحت دار الضيافة ببغداد للحجيج حين قدموا من حجهم، وأجريت عليهم النفقات والكساوي والصلات ولله الحمد والمثنة.

وفيها سارت العساكر المستنصرية صحبة الأمير شرف الدين أبي الفضائل إقبال الخاص المستنصري إلى مدينة إربل وأعمالها، وذلك لمرض مالكا مظفر الدين كركيري بن زين الدين، وأنه ليس له من بعده من يملك البلاد، فحين وصلها الجيش منعه أهل البلد فحاصروه حتى اقتحوه عنوة في السابع عشر من شوال في هذه السنة، وجاءت البشائر بذلك فضررت الطبول ببغداد بسبب ذلك، وفرح أهلها، وكسب التقليد عليها لإقبال المذكور، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرة جيدة، وامتدح الشعراء هذا الفتح من حيث هو، وكذلك مدحوا فاتحها إقبالاً، ومن أحسن ما قال بعضهم في ذلك:

يا يوم سابع عشر شوال الذي رزق السماعة أولاً وآخرها
هبت فيه بفتح إربل مثلاً هبت فيه وقد جلست وزيرا
يعني أن الوزير نصير الدين بن الملقمي، قد كان وزر في مثل هذا اليوم من العام الماضي.

وفي مستهل رمضان من هذه السنة شرع في عمارة دار الحديث الأشرفية بنعش، وكانت قبل ذلك داراً للأمير قايمآز وبها حمام فهدمت وبنيت الدار عوضها.

وقد ذكر السبط في هذه السنة أن في ليلة النصف من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية لمجاورة لقلمة دمشق، وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث، ووقف عليها الأشرف الأوقاف، وجعل بها نعل النبي ﷺ.

قال: وسمع الأشرف صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي.

قلت: وكذا سمعوا عليه بالدار وبالصالحية.

قال: وفيها فتح الكامل آمد وحصن كيفاً ووجد عند صاحبها خمسمئة حرة للفراش فعذب الأشرف عذاباً أليماً.

قال: وفيها قصد صاحب ماردین وجيش بلاد الروم الجزيرة فقتلوا وسبوا وفعلوا ما لم يفعله التتار بالمسلمين.

عاش ربيع الآخر ودفن في مدافن الصوفية.

قال السبط: وكان مقيماً بالمدرسة الأمينية، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا للسلطان، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كفه شيء يأكله، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه.

وحكى عنه قال: خلع علي الملك العادل ليلة طيلساناً فلما خرجت مشى بين يدي نفاط يحسبي القاضي، فلما وصلت باب البريد عند باب سيف خلعت الطيلسان وجعلته في كمي وتباطأت في المشي، فالتفت فلم ير وراءه أحداً فقال لي أين القاضي؟ فاشترت ناحية النورية وقلت ذهب إلى داره، فلما أسرع إلى ناحية النورية هزلت إلى المدرسة الأمينية واسترحت منه.

قال ابن الساعي: كان مولده سنة ستين وخمسمئة، وخلف أموالاً كثيرة ورثها عصبته.

قال: وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس، مع دين وصلاح وورع، وأورد له ابن الساعي قطعاً من شعره فمن ذلك قوله:

قيل لي من هربت قد عبث الشر حر في بخدي. قلت ما ذك عاره
جُثر خدي أحرقته عنبر الحما ل فمن ذاك الدخان علّاه
وله:

شوقي إليكم دون أشواقكم لكنه لا بد ما يشرح
لأنني عن فليكم غائب وأنتم في القلب لن تبرحوا
أبو عبد الله

■ محمد بن علي بن محمد بن الجارود الماراني: الفقيه الشافعي، أحد الفضلاء، ولي القضاء بإربل وكان ظريفاً وخليعاً، وكان من حاسن الأيام، وله أشعار رائقة ومعان فائقة فمن شعره قوله:

مشيب أنسى وشباب رحل فحل العناء به حيث حل
وعمر تقضى بلا طاعة فومحك يا نفس ما ذا الزل
ونبئك جم الافرارجي وعودي قد حان وقت الأجل
وديني الإله ولا تقصري ولا يخذعنك طول الأمل
فمالك عندي غير التقى مستعد ولا صاحب غير حسن العمل

أبو الشتاء

■ محمود بن زكري بن علي بن محيي الطائي الرقي تزيل إربل، وولي النظر بها للملك مظفر الدين، وكان شيخاً أدبياً فاضلاً، ومن شعره قوله:

وأهيف ما الخطي إلا قوامه وما النصفن إلا ما يثنيه لينه
وما الدعص إلا ما تحمل خصره وما النبيل إلا ما تريش جفونه
وما الخمر إلا ما يروق ثنره وما السحر إلا ما تكن عينه
وما الحسن إلا كله فمن الذي إذا ما رأه لا يزيد جنونه

■ ابن معطي النحوي محي: ترجمة أبو شامة في السنة الماضية، وهو أضيف لأنه شهد جنازته بمصر.

أما ابن الساعي فإنه ذكره في هذه السنة، وقال: إنه كان حظيلاً عند الكامل محمد صاحب مصر، وإنه كان قد نظم أرجوزة في القراءات السبع، ونظم الفاظ الجمعة، وكان قد عزم على نظم صحاح الجوهري.

ومن توفي فيها من الأعيان المشاهير

■ (علي بن أبي الفرج بن الجوزي).

أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي: كان شبيهاً لطيفاً ظريفاً سمح الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة، ثم ترك ذلك، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الأخبار والنوادر والأشعار، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة.

وقد ذكر البسط وفاة الوزير

■ صفى الدين بن عبد الله بن علي بن شكر في هذه السنة، وأثنى عليه وعلى محبته للعلم وأهله، وإن له مصنفات سماه البصائر، وأنه تغضب عليه العادل ثم رضاه الكامل وأعاده إلى وزارته وحرمة، ودفن في مدرسته المشهورة في مصر، وذكر أن أصله من قرية يقال لها دميرة بمصر.

الملك

■ ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن عماد الدين بن زنكي أقتصر صاحب الموصل، كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة، وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكة، ثم حجر عليه فكان لا يصل إلى أحد من الجوارى ولا شيء من السراري، حتى لا يعقب، وضيّق عليه في الطعام والشراب، فلما توفي جده لأمه مظفر الدين كوكبري صاحب إربل منعه حيثنّذ من الطعام والشراب ثلاثة عشر يوماً حتى مات كمداً وجوعاً وعطشاً رحمه الله، وكان من أحسن الناس صورة، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي.

القاضي شرف الدين

■ إسماعيل بن إبراهيم: أحد مشايخ الحنفية، وله مصنفات في القرائن وغيرها، وهو ابن خالة القاضي شمس الدين بن الشيرازي الشافعي وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرساني وكان يدرس بالطرخانية. وبها مسكنه، فلما أرسل إليه المعظم أن يفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الرمان امتنع عن ذلك وقال أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك، والرواية عن أبي حنيفة شاذة، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك، ولا الأثر عن عمر أيضاً. فغضب عليه المعظم وعزله عن التدريس وولاه لتلميذه الزين بن العتال، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات رحمه الله تعالى.

قال أبو شامة: ومات في هذه السنة جماعة من السلاطين منهم

■ المغيث بن المغيث بن العادل، والعزیز عثمان بن العادل، ومظفر الدين صاحب إربل.

قلت: أما صاحب إربل فهو: الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بككين أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأجداد، له آ ثار حسنة وقد عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون، وقد كان قد هم بسياقة الماء إليه من ماء برزة فمنعه المعظم من ذلك واعتل بأنه قد يمر على مقابر المسلمين بالسفوح، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلا عاقلاً عاملاً عادلاً رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

وقد صف الشيخ أبو الخطاب بن دحية له جليداً في المولد النبوي سماه التنوير في مولد السراج النير، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية، وقد كان محاصراً عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسيرة.

قال البسط: حكى بعض من حضر سباط المظفر في بعض الموالد أنه مدّ في ذلك السباط خمسة آلاف رأس شوي. وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى.

قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيدخل عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سمعاً من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة. وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما، ويستفك من الفرج في كل سنة خلقاً من الأسارى، حتى قبل إن جملة من استفك من أيديهم سترن ألف أسير، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان زوجها إياها أخوها صلاح الدين لما كان معه على عكا - قالت: كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم من خام فعاتبته بذلك فقال: ليسي ثوباً بخمسة وأتصدق بالباقي خير من البس ثوباً مثناً وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وفي ثمن الأسارى في كل سنة مئتي ألف دينار. وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار. وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى الصدقات السر، رحمه الله تعالى، وكانت وفاته بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد علي.

والملك

■ العزيز بن عثمان بن العادل فهو شقيق المعظم، كان صاحب باتياس وتلك الحصون التي هنالك، وهو الذي بنى الصبيبة. وكان عاقلاً قليل الكلام مطيعاً لأخيه المعظم، ودفن عنده وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان يستأنه الناعمة من لها ساعه الله وعفا عنه.

■ ابن عتير الشاعر أبو الحسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري، المعروف بابن عتير الشاعر.

قال ابن الساعي: أصله من الكوفة وولد بدمشق ونشأ بها، وسافر عنها سنين، فجاب الأقطار شرقاً وغرباً ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبغداد، ومدح أكثر أهل هذه البلاد، وحصل أموالاً جزيلة.

وكان ظريفاً شاعراً مطيعاً مشهوراً، حسن الأخلاق جميل المعاشرة، وقد رجع إلى بلدة دمشق فكان بها حتى مات هذه السنة في قول ابن الساعي.

وأما البسط وغيره. فلأخوه وفاته في ثلاث وثلاثين وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم.

والمشهور أن أصله من حوران مدينة زرع، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبلها الجامع، وكان هجاء له قدرة على ذلك وصنف كتاباً سماه مقراض الأعراض، مشتمل على نحو خمسمائة بيت، قل من سلم من الدماشة من شره، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل، وقد كان يزن بترك الصلاة المكتوبة فأنه أعلم.

وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فامتدح ملوكهم وحصل أموالاً جزيلة، وصار إلى اليمن فيقال إنه وزر لبعض ملوكها، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ولما ملك المعظم استوزره فأساء السيرة واستقال هو من تلقاء نفسه فزله، وكان قد كتب إلى الدماشة من بلاد الهند:

فسلام أبعدتم أخا ثقة لم يجرم ذنباً ولا سرقا
أنفروا المؤذن من بلادكم إن كان ينفي كل من صدقا

وما هجا به الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى:

لبعضهم كما تقدم بيانه، وأقام بها في آخر عمره موقراً معظماً إلى أن توفي في شعبان في هذه السنة، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله.

وأما أخوه مجد الدين أبو السعادات المبارك فهو مصنف كتاب جامع الأصول وغيره، وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله كان وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فاتح بيت المقدس، صاحب دمشق كما تقدم، وجزيرة ابن عمر، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر من أهل برفعيد، وقيل بل هي منسوبة إلى ابنا عمر وهما أوس وكامل ابني عمر ابن أوس الثعلبي، فالله أعلم. حرر ذلك القاضي ابن خلكان رحمه الله.

■ ابن المسوي الإربلي: مبارك بن أحمد بن مبارك بن موهوب بن غنمة بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات اللخمي الإربلي، كان إماماً في علوم كثيرة كالحدِيث وأسماء الرجال والأدب والحساب، وله مصنفات كثيرة وفضائل غزيرة، وقد بسط ترجمته القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات [١٤٧/٤]، فأجاد وأفاد رحمه الله.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة

وفيها عمّر الأشرف مسجد جراح طاهر باب الصنّير.

وفيها قدم رسول الأتورود ملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا، منها دبّ أبيض، شعره مثل شعر الأسد، ذكروا أنه يتزل إلى البحر، فيخرج السمك فيأكله، ومنها طاووس أبيض أيضاً.

وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قلميّ الثُحاسين، وحول إليها سوق الصاغة، وشجر سوق اللؤلؤ الذي كان فيه الصاغة العتيقة عند الخلدّادين.

وفيها جدّدت الذكاكين التي بالزيادة.

قلت: وقد جدّدت شرقيّ هذه الصاغة الجديدة قيساريّان في زماننا، وسكنها الصوّاغ وتجار الذهب والجوهر، وهما جستان، والجميع وقف الجامع المعمور.

وفيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ولم تبن مدرسة قبلها مثلاً، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام وقرر للجميع من الخبز والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرّة لكل واحد.

ولما كان يوم الخميس خامس رجب حضرت الدروس بها وحضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفيّة والشعراء، ولم يتخلّف أحد من هؤلاء، وعمل سباط عظيم بها أكل منه الحاضرون، وحمل منه إلى سائر دواب بغداد من بيوتات الخواص والعوام، وخلع على جميع المدرّسين بها والحاضرين فيها، وعلى جميع الدولة والفقهاء والمعيدين، وكان يوماً مشهوراً، وأمرأ عموداً، وأنشدت الشعراء الخليفة المادائح الفاتحة والقصائد الرائقة، وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخه مطولاً مبسوطاً شافياً كافياً، وقرر لتدريس الشافعية بها الإمام محيي الدين أبو عبد الله بن فضال، وللحنفية الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني، وللحنابلة الإمام العالم محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ودرس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابةً لنيته في بعض الرسالات إلى الملوك ودرس للملكية

سلطاناً أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير متحذب والدولعي الخطيب معتكف وهو على فشر بيضة يشب ولابن باقة وعظ يفرّ به النـ ساس وعبد اللطيف عتـب وصاحب الأمر خلقه شرس وعارض الجيش داؤه عجب وقال في السلطان الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالى وعفا عنه:

إن سلطاناً الذي نرغميه واسع المال ضيق الإنفاق هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسموم والأرزاق وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس، فجاءت حمامة خلفها جارح فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به، فأنشأ ابن عتير يقول:

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلـمـع من جناحي خاطف تـرم لسواه الجوع حتى ظله يـزائنه ويـكـل قلب واجف من أعلم الورقاء أن علكـم حـرم وأنك ملجأ للخفاف

الشيخ شهاب الدين

■ السهروردي: صاحب عوارف المعارف، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عتير، واسمه عبد الله البكري البغدادي، الشيخ شهاب الدين أبو حفص السهروردي.

شيخ الصوفية ببغداد، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين، وتردد في الرسالة بين الخلفاء والملوك مراراً، وحصلت له أموال جزيلة ففرقها بين الفقراء والمحتاجين، وقد حج مرة وفي صحبه خلق من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وكان فيه مروءة وإغاثة للملهوفين وإعانة للمحتاجين، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وكان يعظ الناس وعليه ثياب البذلة، قال مرة في هذا البيت:

ما في الصحاب أخو وجد تطارحه حديث بخد ولا صبب فجارية فقام شاب وكان في المجلس فأنشده:

وجمل يكره ويتواجد، فقام شاب عليه قبّاه وكُلّوته من الحاضرين، فقال: يا شيخ كم تشطح بالقوم، والله إن فهم من لا يرضى أن يُجاريك ولا يصل فهمك إلى ما يقول، هلا أنشدت:

كا في الصحاب وقد سارت حولهم إلا عجب في الركـب عـجـوب كائـما يـوسف في كل راحـلة والـحي وفي كل بيت يعقوب

فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب ليعتذر إليه فلم يجده ووجد مكانه حفرة فيها دم كثير من كثرة ما كان يفحص برجليه عند إنشاء الشيخ البيت.

وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة من أنشيدته وأثنى عليه خيراً وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى.

■ ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكامل: هو الإمام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلّي المعروف بابن الأثير:

مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة وكتاب الكامل في التاريخ وهو من أحسنها حوادث، ابتداءً من المبتدأ إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة، وقد كان يتردد إلى بغداد خصيصاً عند ملوك الموصل، ووزر

حمل إليها رحمه الله تعالى.

الشيخ الإمام العالم رضي الدين أبو داود

■ سليمان بن المظفر بن غثالم الجلي الشافعي، أحد فقهاء الشافعية ببغداد والمفتين بها والمشتغلين للطلبة فترة طويلة، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلداً يحكي به الرجوع الغريبة والأقوال المستغربة وكان لطيفاً ظريفاً، توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد.

والخافظ أبو الحسن

■ بن الأثير الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، والجزيري الوصلي، صاحب التصانيف الفائقة منها كتاب «الكامل في التاريخ» من أحسن الكتب في هذا الفن وأسطها في الحوادث، وأما وفاته فليست مبسطة بسط حوادثه، وبالجملة فهو من عيون التواريخ وأمتها، وله من المصنفات المشهورة.

الشيخ

■ طي المصري أقام مدة بالشام له زاوية بدمشق، عند الرحبة التي يساع فيها الصناديق عند دار بني القلانسي شرقي حمام سامة وكان لطيفاً كيساً زاهداً، يتردد إليه الأكابر ودفن بزاويته المذكورة رحمه الله تعالى.

الشيخ

■ عبد الله الأرمي: أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والرهاد، واجتمعوا بالأقطاب والأبدال والأوتاد، ومن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتاب القدوري على مذهب أبي حنيفة، ثم اشتغل في المعاملات والرياضات، ثم أقام آخر عمره بدمشق حتى مات بها ودفن بسفح قاسيون.

وقد حكى عنه أشياء حسنة ومنها أنه قال اجتزت مرة في السياحة بلدة قطاليتي نفسي بدخولها فكأنت أن لا أستطعم منها بطعام، ودخلتها فمررت برجل غسال فنظر إلي شزراً فنفخت منه وخرجت من البلد هارباً فلحقني ومعه طعام فقال: كل فقد خرجت من البلد فقلت له: وأنت في هذا المقام وتسل الثياب في الأسواق؟ فقال لا ترفع رأسك وتنظر إلى شيء من عملك، وكن عبداً لله ولو استعملك في الحش فاراض به، ثم قال رحمه الله:

ولو قلت لي مت قلت سمعاً وطاعةً وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً

وقال اجتزت مرة في سياحي براهب في صومعته فقال لي: يا مسلم ما أقرب الطرق عندكم إلى الله عز وجل؟ قلت: غائقة النفس قال فرد رأسه إلى صومعته فلما كنت في مكة زمن الحج إذا برجل يسلم علي عند الكعبة فقلت من أنت؟ فقال: أنا الراهب، قلت بم وصلت إلى هاهنا؟ قال بالذي قلت لي.

وفي رواية أنه قال: له عرضت الإسلام على نفسي فأبت، فعلمت أنه حق فأسلمت وخالفته، فأفطح وأنجح.

وقال بينا أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية الفرنج فأخذوني فقيدوني وشدوا وثاقني فكنت عندهم في أضيق حال فلما كان النهار شربوا وناموا، فبيناً أنا مثوق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا نحوهم فأنهبهم فلعجوا إلى مغارة هنالك فسلموا من أولئك المسلمين فقالوا كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم فقلت: إنكم أطعمتموني فكان من حق الصحبة أن

يومتد الشيخ الصالح العالم أبو الحسن الغربي المالكي نيابة أيضاً، حتى يعين شيخ غيره، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها.

وكان المتولي لمعارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي الذي وزر بعد ذلك، وقد كان إذ ذاك أستاذاً دار الخلاف، وخلع عليه يومتد وعلى الوزير نصير الدين. ثم عزل مدرّس الشافعية في الرابع عشر ذي القعدة بقاضي القضاة أبي المعالي عبد الرحمن بن مقبل، مضافاً إلى ما بيده من القضاء، وذلك بعد وفاة عجمي الدين بن فضلان، وقد ولي القضاء مدة ودرس بالنظامية وغيرها، ثم عزل ثم رضي عنه ثم درس آخر الوقت بالمستنصرية كما ذكرنا، فلما توفي ولها بعده ابن مقبل رحمه الله تعالى.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

السيف

الأمدى أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الظلي، الشيخ سيف الدين الأمدى، ثم الحموي ثم الدمشقي، صاحب المصنفات في الأصولين وغير ذلك، من ذلك إبتكار الأفكار في الكلام، ودقائق الحقائق في الحكمة، وإحكام الأحكام في أصول الفقه.

وكان حنبلي المذهب فصار شافعيّاً أصولياً منطقياً جليلاً خلاقياً، وكان حسن الأخلاق سليم الصدر كثير البكاء وقيت القلب، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم بصحتها، والذي يغلب على الظن أن ليس لغالبيتها صحة، وقد كانت ملوك بني أيوب كالمعظم والكامل يكرمونه وإن كانوا لا يجربونه كثيراً، وقد فوض إليه المعظم تدريس العزيزية، فلما ولي الأشرف دمشق عزله عنها ونادى بالمدرّس أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بعلوم الأوائل فنيته، فإقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفي بدمشق في هذه السنة في صفر، ودفن بترتبه بسفح قاسيون.

وذكر القاضي ابن خلكان أنه اشتغل ببغداد على الشيخ أبي الفتح نصر بن قتيان بن المني الحنبلي، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن ابن فضلان وغيره، وحفظ طريقة الخلاف الشريف وزوائده طريقة أسعد المهدي، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم المقسول، ثم إلى الديار المصرية فأعاد بمدرسة الشافعية بالقرافة الصغرى، وتصدر بالجامع الظافري، واشتهر فضله وانتشرت فضائله، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم باتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال، فطلبوا من بعضهم أن يوافقهم فكتب:

حدسوا الفتنى إذ لم ينالوا سعيه فسألقوم أعداء له وخصوم

فانتقل سيف الدين إلى حماة ثم تحول إلى دمشق فدرس بالعزيزية، ثم عزل عنها ولزم بيته إلى أن مات في هذه السنة، وله ثمانون عاماً رحمه الله تعالى وعفا عنه.

واقف الركنية الحنفية الأمير الكبير ركن الدين منكورس الحنفي الفلكي: غلام فلك الدين أخي الملك العادل، لأنه وقف الفلكية كما تقدم، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء، يتزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوافه ويواظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة، وكان قليل الكلام كثير الصدقات، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ووقف عليها أوقافاً كثيرة وعمل عندها تربة وحين توفي في بقرية جرود

الشيخ شهاب الدين

■ السهروردي صاحب عوارف المعارف في هذه السنة، وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وأنه جاوز التسعين. وأما السبط فأنما أُرُخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدم.

قاضي القضاة مجلب أبو الحسن

■ يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصلبي الشافعي، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقرأً ذا وجاعة عند الملوك، أقام مجلب وولي القضاء بها ونظر الأرواق، وله تصانيف وشعر، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

■ ابن القارض: ناظم النائية في السلوك على طريقة المتصوفة المتسوين إلى الاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والرفاة، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها، وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه [٢١٤/٣] وحط عليه. مات في هذه السنة وقد قارب الستين.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

فيها قطع الكامل وأخوه الأشرف الفرات وأصلحها ما كان أفسده جيش الروم من بلادهما، وغرب الكامل قلعة الرها وأحل بنييسر بأساً شديداً، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأن التار أقبلوا بمائة طلب كل طلب بخمسمائة فارس، فرجع الملكان إلى دمشق سريعاً وعاد جيش الروم إلى بلادهما بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان، ورجعت التار عنهم ذلك إلى بلادهم والله تعالى أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير

■ ابن عتير الشاعر وقد تقدمت ترجمته في سنة ثلاثين.

■ الحاجري الشاعر: صاحب الديوان المشهور وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خماركين بن طاشنكين الإربلي شاعر مطبق، ترجمه ابن خلكان وذكر أشياء من شعره كثيرة، وذكر أنه كان صاحبهم وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يستوحش منه:

الله يعلم نسا أبقي سوى رمتني مني فراقك يا من قربه الأمل
فابحت كتابك واستودعه تعزيبه فرما مت شوقاً قبل ما يصل
وذكر له في الحال رحمه الله تعالى:

ومنهف من شعره وجينه أسى السورى في ظلمة وضياه
لا تنكروا الحال الذي في خدك كل الشقيق بنقطة سوداء

■ ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن خلف بن قورس بن مزلال بن ملال بن بدر أحمد بن - دحية بن خليفة الكلبي المغربي السبتي كان قاضياً ثم سار إلى مصر، شيخ الديار المصرية في الحديث، وهو أول من باشر ميثخة دار الحديث الكاملية بها.

قال السبط: وقد كان كابن عتير في ثلب المسلمين والوقية فيهم، ويتزبد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وقد كان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأمانته، وتوفي في ربيع

لا أغشكم، فمرضوا علي شيئاً من متاع الدنيا فابيت وأطلقوني.

وحكى السبط قال: زوته مرة وهو ببيت المقدس وكنت قد أكلت سمكاً مالحاً فلما جلست عنده أخذني عطش شديد وإلى جانبه إيريقي فيه ماء بارد فجعلت أستحي منه، فمد يده إلى الإيريقي وقد احمر وجهه وناولني وقال خذ، كم تكاسر، فشربت.

وذكر أنه لما أرحل من بيت المقدس كان سورهما قائماً جديداً على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخرجه المعظم، فوقف لأصحابه يودعهم ونظر إلى السور وقال: كأي بالمعاول وهي تعمل في هذا السور عما قريب، فقبل له: معاول المسلمين أو الفرنج؟ فقال بل معاول المسلمين، فكان كما قال.

وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة.

ويقال إن أصله أرمي وأنه أسلم على يدي الشيخ عبد الله اليونيني وقيل: بل أصله رومي من قونية وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليونيني وعليه برنس كيرانس الرهبان، فقال له أسلم فقال أسلمت لرب العالمين. وقد كانت أمه داية امرأة الخليفة، وقد جرت له كاتنة غريبة فسلمه الله بسبب ذلك وعرفه الخليفة فأطلقه.

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وستمائة

فيها غرب الملك الأشرف موسى بن العادل خان الزنجاري الذي كان بالتقيية فيه خواطى وغمر ومتكرات متعددة، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سمي جامع الثوبة، تقبل الله تعالى منه.

وفيها توفي القاضي بهاء الدين

■ يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي، أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك، وقد سمع الكثير وحديث.

والشيخ شهاب الدين

■ عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عصفرون الحلبي أيضاً، كان قفياً زاهداً عابداً كانت له نحو من عشرين سرية، وكان شيخاً يكثر من الجماع، فاعتزته أمراض مختلفة فائتقته ومات بدمشق ودفن بقاسيون، وهو والد قطب الدين وتاج الدين.

والشيخ الإمام العالم صائق الدين أبو محمد

■ عبد العزيز الحلبي الشافعي أحد الفقهاء المقتنين المشتغلين بالمدرسة النظامية ببغداد، وله شرح على التتبية للشيخ أبي إسحاق، توفي في ربيع الأول رحمه الله تعالى.

والشيخ الإمام العالم الخطيب الأديب أبو محمد

■ حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي الدينسري، الخطيب بها والمفتي لأهلها، الفقيه الشافعي، تفقه ببغداد بالنظامية، ثم عاد إلى بلده المشار إليها، وقد صنف كتباً. وأشهد عنه ابن الساعي سماعاً منه:

روت لي أحاديث الفسرام صبايني بإستادها عن بآسة العلم الفرد
وحديثي مرر التسيم عن الحمسى عن الدوح عن وادي الفضا عن ربي نجيد
بأن غراسي والأسى قد تلازما فلن يرحما حتى أوسد في لحدي
وقد أُرُخ الشيخ شهاب الدين أبو شامة في النبيل [ص: ١٦٣] وفاة

الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر.

وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو الشامة: وللشيخ السخاوي فيه آيات حسنة.

وقال القاضي ابن خلكان بعد سياق نسبه كما تقدم، وذكر أنه كتبه من خطه.

قال: وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن البسام بن موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فلهذا كان بخطه ذو النسين بين دحية والحسين.

قال ابن خلكان: وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به، عارفاً بالحق واللغة وأيام العرب وأشعارها اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم إلى العراق واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي، فعمل له كتاب التنوير في مولد السراج المنير وقرأه عليه بنفسه، فأجازه بألف دينار.

قال: وقد سمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس سنة خمس وعشرون وستمائة.

قلت: وقد وقفت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة.

قال ابن خلكان وكان مولده في سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل ست أو سبع وأربعين وخمسمائة، وتوفي في هذه السنة.

وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث الكاملية بمصر، وتوفي بعده بسنة.

قلت: وقد تكلم الناس فيه بأنواع الكلام، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على إسناده لتعلم كيف رجاله، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بكمه.

وقد وقفت على جزء جمعه المحدث المتقن المقيّد أبو صادق محمد بن الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي العطاردی في ترجمة شيخه أبي الخطّاب بن دحية هذا، جمع فيه أقوال الناس في ثلثه والكلام في مراه ومثنته واشتغاله وطلبه، وذكر بعضهم أنه ولي القضاء بسبته، قاله أعلم، وذكر طعن الناس في أدعائه نسبه إلى دحية الكلبي، وأنه انقطع نسله من بعد ثلاثمائة، وأشدّ لابن عتيق فيه - قاتل البيهقيين الشهيرين وهما - قوله:

دحية لم يعقب فكم تفترى إليه بالبهتان والإفك
ما صبح عند الناس شيء سوى أشك من كلب بلا شك

وإن من أقبح ما رأيته في هذا الجزء ما ذكره عن شيخه الحافظ المؤرخ ابن النجار، عن الحافظ علي بن الفضل أنه قال: اجتمعت أنا وابن دحية في مجلس السلطان، فسألي السلطان عن حديث فاجتبه فيه، فقال لي: من وراء؟ فلم يحضرنی: إسناده فافضلنا، فاجتمع بي ابن دحية وقال لي: يا فقيه، لما سالك السلطان عن إسناده ذلك الحديث، لم لم تذكر له أي إسناده شئت؟ فإنه ومن حضر مجلسه لا يعلمون هل هو صحيح أم لا فعظمت في أعينهم.

فعلمت أنه يتهاون بأمور الدين، جرى على الكذب.

ثم قال: وحديثي الفقيه تقي الدين عبيد بن محمد بن عباس الإسعدي،

عن شيخنا الفقيه الإمام العالم أوحّد الأنام مفتي المسلمين بهاء الدين أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي، يعني ابن الجُمَيزي، أنه قال: كان السلطان الملك الكامل قد خرج إلى الشام، فخرج أبو الخطّاب عمر ابن دحية معه، وولد الشيخ معين الدين بن شيخ الشيخ، فحضرت صلاة المغرب، فقدم السلطان ابن دحية فصلّى بهم المغرب، فلما أن فرغ من الصلاة، قال ابن شيخ الشيخ: ما أعلم أحداً من الأئمة يجوز قصر صلاة المغرب في السفر.

فقال ابن دحية: كيف لا وقد أخبرنا فلان غن فلان. وسرد إسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قصر المغرب في السفر. فلم يجب ابن شيخ الشيخ ومكث على حاله.

قلت: هذا وضع فاحش غالف لما أجمع عليه العلماء، كما ذكره ابن المنذر وغيره، ومثل هذا الإسناد لا يحفظ؛ لأن سامعه لم يضبطه، وواضعه لا يقدر على إعادته ثانياً، والله أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم، وامتنعت عليهم القلعة مدّة، وفيها النائب من جهة الخليفة، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانثروا إلى بلادهم، وقيل إن الخليفة جهز لهم جيشاً فانهمز التتار.

وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تقبوا من جيش جلال الدين وانفصلوا عن الرومي، فقوي جاش الصالح أيوب.

وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة لتكون قوة له وعلفاً لدوابه إذا جاز الفرات مع أخيه في البواكير، فقال الكامل أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بني أمية؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين بن المسيري إلى الكامل في ذلك فأغظله له الجواب وقال: إيش يعمل بالملك؟ يكفيه عشيرته للمعاني وتعلمه لصناعاتهم. فغضب الأشرف عند ذلك ويدت الوحشة بينهما، وأرسل الأشرف إلى حماة وحلب وبلاد الشرق فحالف أولئك الملوك على أخيه الكامل، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه، وذلك لكثرة ميل الملوك إليه وشجاعته وشجع أخيه الكامل، ولكنه أدركته منيته في أول السنة الداخلة رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ العزيز بن الظاهر: صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف، وهو أبوه وابنه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر، وكانت أم العزيز الحاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان حسن الصورة كريماً غنياً، توفي وله من العمر أربع وعشرون سنة، وكان ملقب دولته الطراشي شهاب الدين، وكان من أعدل الأمراء رحمه الله تعالى. وقام في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف، والله سبحانه وتعالى أعلم

صاحب الروم:

■ كيقباد الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم، كان من أعدل الملوك

وخمسائة، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير فخر الدين عثمان الزنجاري، وكان أبوه يميح، وكان أخوه المعظم ثم استتابه أبوه على مدن كثيرة منها الرها وحران، ثم اتسعت مملكته حتى ملك خلاط، وكان من أصف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة، لا يعرف غير نسائه وجواريه، مع أنه كان يعاني الشراب، وهذا من أعجب الأمور.

حكى السبط عنه قال: كنت يوماً بهذه المنطرة من خلاط إذ دخل الخادم فقال: بالباب امرأة تستأذن، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها، ولأنها هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي، فذكرت أن الحاسب علياً قد استحوذ على قرية لها وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكراه، وأنها إنما تتقوت من عمل النقوش للنساء فأمرت برد ضيعتها إليها وأمرت لها بديل تسكنها، وقد كنت قمت لها حين دخلت وأجلسها بين يدي وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه، ومعها عجوز، فحين قصت شغلها قلت لها انفضي على اسم الله تعالى، فقالت العجوز: يا خوند إنما جاءت لتحتلني بمخيمتك هذه الليلة فقلت: معاذ الله لا يكون هذا. واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه فقالت وهي تقول بالأرمني: سترك الله مثل ما سترتي، وقلت لها: مهما كان لك من حاجة فأتيني إلى أقضها لك، فدمت لي وانصرفت، فقلت في نفسي: ففي الحلال مندوحة عن الحرام، فتزوجها، فقلت: لا والله لا كان هذا أبداً، أين الحياء والكرم والمروءة؟

قال ومات مملوك من ممالكي وترك ولداً ليس يكون في الناس بئلك البلاد أحسن شباباً، ولا أحلى شكلاً منه، فأحبته وقرنته، وكان من لا يفهم أمري يتهمني به، فاتفق أنه عدا على إنسان فضره حتى قتله، فاشتكى عليه أولياء المقتول، فقلت أثبتوا أنه قتله، فأتيتوا ذلك فحاجت عنهم ماليكي وأرادوا إرضاءهم بعشر ديات فلم يقبلوا، ووقفوا لي في الطريق وقالوا قد أثبتنا أنه قتله، فقلت خذوه فسلموه فقتلوه، ولو طلبوا مني ملكي فداء له لدفعته إليهم، ولكن استحييت من الله تعالى أن أعارض شرعه بحظ نفسي رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وستمائة نادى مناديه فيها أن لا يشغل أحد من الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه، ومن اشتغل بالملطق وعلوم الأوائل تقي من البلد. وكان البلد به في غاية الأمن والعدل، وكثرة الصدقات والخيرات، كانت القلعة لا تغلق في ليالي رمضان كلها، وصحون الحلالات خارجة منها إلى الجامع والخوانق والربط، والصالحية وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جده وزخرفه بالقلعة، وكان ميمون النقية ما كسرت له راية قط، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى سمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره، وكان له ميل كثير إلى الحديث وأهله.

ولما توفي رحمه الله رآه بعضهم وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين، فقال: ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا؟ فقال ذلك البدن الذي كنا نعمل به ذاك عندكم وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم، وقد صدق رحمه الله، قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب» [خ (١٦٦٨-١٦٧٠)، (٢٤٠٠)، (٢٤٦١)]

وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل، فلما توفي أخوه ركب في أبهة الملك ومشى الناس بين يديه، وركب إلى جانبه صاحب حمص وعز الدين أيك المعظمي حامل الغاشية على رأسه، ثم أنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إنهم مع الكامل، منهم العالم تعاسيف

وأحسنهم سيرة، وقد زوجه العادل ابنته وأولدها، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل عمده، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى رحمه الله.

■ الناصح الحنبلي: في ثالث المحرم توفي الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الشيرازي، وهم يتسبون إلى سعد بن عبادة رحمته الله، ولد الناصح سنة أربع وخمسين وخمسائة، وقرأ القرآن وسمع الحديث، وكان يعظ في بعض الأحيان. وقد ذكرنا قبل أنه وعظ في حياة الشيخ الحافظ عبد الغني، وهو أول من درس بالصالحية التي بالجبل، وله بيت، وله تصانيف. وقد اشتغل على ابن المسي بيفداد، وكان فاضلاً صالحاً، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله.

■ الكامل بن مهاجر: التاجر كان كثير الصدقات والإحسان إلى الناس، مات فجأة في جمادى الأولى بدمشق فدفن بقاسيون، واستحوذ الأشرف على أمواله، فبلغت التركة قريباً من ثلاثمائة ألف دينار من ذلك سبعة فيها مائة حبة لؤلؤ، كل واحدة مثل بيضة الحمامة.

الشيخ الحافظ أبو عمرو

■ عثمان بن دحية: أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية، كان قد ولي دار الحديث الكاملية حين عزل أخوه عنها، حتى توفي في عامه هذا، وكان نذر في صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالى.

القاضي

■ عبد الرحمن التكريفي: الحاكم بالكرك، ومدرس مدرسة الزيداني، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق، فكان ينوب بها عن القضاة، وكان فاضلاً نزهةً عفيفاً دينياً رحمه الله تعالى ورضي عنه.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة

فيها كانت وفاة الأشرف ثم أخيه الكامل.

أما ■ الأشرف موسى بن العادل باني دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح، فإنه توفي في يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة، بالقلعة المنصورة، ودفن بها حتى نحزت تربته التي بنيت له شمالي الكلاسة، ثم حول إليها رحمه الله تعالى، في جمادى الأولى، وقد كان ابتداء مرضه في رجب من السنة الماضية، واختلفت عليه الأدوية حتى كان الجرائحي يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض واعتراه إسهال مفروط فخارت قوته فشرع في التهؤ للقاء الله عز وجل، فأعنت ماتي غلام وجارية، ووقف دار فروخشاه التي يقال لها دار السعادة، وبستانه بالنيرب على ابنته، وتصدق بأموال جزيلة، وأحضر له كفنًا كان قد أعدّه من ملابس الفقراء والمشايع الذين لقيهم من الصالحين. وقد كان رحمه الله تعالى شهماً شجاعاً كريماً جواداً عاباً للعلم ولأهله لا سيما أهل الحديث، ومقاسدة الصالحية، وقد بنى لهم دار حديث بالسفح والمدينة للشافعية أخرى، وجعل فيها نعل النبي ﷺ الذي ما زال حريصاً على تحصيله من النظام ابن أبي الحديد التاجر وقد كان النظام ضيقاً به فعزم الأشرف أن يأخذ منه قطعة، خوفاً من أن يذهب بالكلية فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق فأوصى للملك الأشرف به، فجعله الأشرف بدار الحديث، ونقل إليها كتاباً سنين نفيسة، وبنى جامع التوبة بالنقية، وقد كان خاتماً للزنجاري فيه من المنكرات شيء كثير، وبنى مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين

الحلبية، نقل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومن شعره يستحث أخاه الملك الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان عاصراً بدمياط:

يا مسعفي إن كنت حقاً مسعفي فأرحل بغير قيد وتوقف
وأطو المنازل والديار ولا تنخ إلا على باب المليك الأشرف
قبل يديه لا علمت وقيل له عني بحسن تعطف وتلطف
إن تأت صنوك عن قريب تلقه ما بين حد مهند ومثقف
أو تبسط عن إجماده فلقاؤه يوم القيامة في عراض الموقف
ذكر ما جرى بعسده

كان قد عهد لولده العادل وكان صغيراً بالديار المصرية، وبالبلاد الشامية، ولولده الصالح أيوب بلاد الجزيرة، فأمضى الأمراء ذلك، فأما دمشق فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن المظفر، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل، فكان ميل عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد، وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن يخرج من البلد فركب من دار أسامة والعامية من داره إلى القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة فلما جاوز العمادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لا.. لا.. لا، فسار حتى نزل القايون عند وطأة برزة. فعزم بعض الأمراء الأشرقية على مسكه فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراه فتقدم إلى عجلون فتحصن بها وأمن.

وأما الجواد فإنه ركب في أبهة الملك واتفق الأموال والخلع على الأمراء.

قال البيهقي: فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلمة وأبطل المكوس والخمور، ونفى الحواطى واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من عجلون نحو غزة وبلاد الساحل فاستحوذ عليها، فركب الجواد في طلبه ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرقية كاتبه وأطعموه، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس فقصده الجواد وهو نازل على جبين، والناصر على بسطة فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأثقاله. فاستنوا بها واقتفر بسببها قسراً مذقماً، ورجع الناصر إلى الكرك جريئة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا، وتلك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم ونهبا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قصص إلى الحليفة، وكان أهل الناحية يكرهون مجاورته لتكبره وقوة سطوته، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل، فكتب الخوارزمية واستنجد بهم ووعدهم بأشياء كثيرة، فقدموا إليه الجرائد ليمنعوه من البدر لؤلؤ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأثقاله فوجدوا فيها أشياء كثيرة لا يحصى ولا يوصف، ورجع إلى بلده الموصل جريئة خائباً، وسلم الصالح أيوب بما كان فيه من الشدة.

وأولاده ابن مزهر وجسهم بصري، وأطلق الحريري من قلعة عزتاً، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليهم الناصر داود صاحب الكرك ونابلس والقدس، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً، وقد حصنها الصالح إسماعيل، وقطع المياه ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا، وأحرق القلعة وقصر حجاج، فافتقر خلق كثير واحترق آخرون، وجرت خطوب طويلة، ثم أم الحلال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل، على أن له بعلبك وبصرى وسكن الأمر، وكان الصالح بينهما على يدي القاضي محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسالة من جهة الخليفة إلى دمشق فجزاه الله تعالى خيراً.

ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك بن السيري من سجن الحيات بالقلعة الذي كان أودعه فيه الأشرف، ونقل الأشرف إلى تربته، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصلي أحد منهم المغرب سوى الإمام الكبير، لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم بوقت واحد، ولتعم ما فعل رحمه الله.

وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح، اجتمع الناس على قرائ واحد وهو الإمام الكبير في غراب المقدم عند المنبر، ولم يبق به إمام حيثئذ سوى الذين بالحلبية عند مشهد علي ولو ترك لكان حسناً والله أعلم.

ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل

تملك الكامل مدة شهرين ثم أخذه أمراض مختلفة، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه، ونقرس في رجله، فاتفق موته في بيت صغير من دار القصة، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته من شلة هيته، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالى.

وقد كان مولده في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وكان أكبر أولاد العادل بعد موت مودود، وإليه أوصى العادل لعلمه بباته وكمال عقله، ووفور معرفته وقد كان جيد الفهم يحب العلماء ويسألهم أسئلة مشككة، وله كلام جيد على صحيح مسلم، وكان ذكياً مهيئاً بأبأس شديد، عادلاً منصفاً له حرمة وافر، وسطوة قوية، ملك مصر ثلاثين سنة كاملة، وكانت الطرقات في زمانه آمنة، والرعايا متناصفة، لا يتجاسر أحد أن يظلم أحداً، شق جماعة من الأجناد أخذوا شعيراً لبعض الفلاحين بأرض آمد، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذهم استعمله سنة أشهر بلا أجر، فأحضر الجندي وألبسه ثياب الركبدارية، وألبس الركبداري ثياب الجندي، وأمر الجندي أن يتقدم الركبدار ستة أشهر على هذه الهيئة، ويحضر الركبدار الموكب والحفلة حتى ينقضي الأجل فتأدب الناس بذلك غاية الأدب رحمه الله تعالى.

وكانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لعنهم الله، فإربطهم أربع سنين حتى استقله منهم، وكان يوم أخذه له واسترجاعه إياه يوماً مشهوداً، كما ذكرناه مفصلاً والله الحمد والمنة.

وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة، ودفن بالقلعة حتى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان، وهي الكتلية التي عند

ومن توفي فيها من الأعيان

الخطيب

■ **الدولعي محمد بن زيد بن ياسين الخطيب جمال الدين الدولعي** نسبة إلى قرية بأصل الموصل، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً، وكان ملوساً بالغزالية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الإفتاء فعاتبه السبط، في ذلك، فاعتذر بأن شيوخ بلده هم الذين أشاروا عليه بذلك، لكثرة أخطائه في فتاويه، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد لا يفارق بيت الخطابة، ولم ينج قط مع أنه كانت له أموال جزيلة، وقف مدرسة بجميرون وسبعاً في الجامع. ولما توفي ودفن بمدنسته التي بجميرون ولي الخطابة بعده أخ له وكان جاهلاً، ولم يستقر فيها وتولاها الكمال بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصبي، وولي تدريس الغزالية الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام.

القاضي شمس الدين

■ **ابن الشيرازي محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن قميل:** الشيخ أبو نصر بن الشيرازي، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وسمع الكثير على الحفاظ ابن عساكر وغيره، واشتغل في الفقه وأقضى ودرس بالشامية البرانية، وناب في الحكم عدة سنين، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً كيباً حسن الأخلاق عارفاً بالأخبار وأيام العرب والأشعار، كريم الطباع حميد الآثار، وكانت وفاته ليلة الخميس الثالث من جمادى الآخرة، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى.

القاضي

■ **شمس الدين بن سني الدولة أبو البركات بن يحيى بن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضياً،** كان عالماً عفيفاً فاضلاً عادلاً منصفاً زهياً كان الملك الأشرف يقول: ما ولي دمشق مثله، وقد ولي الحكم ببيت المقدس وناب بدمشق عن القضاة، ثم استقل بالحكم، وكانت وفاته ليلة الأحد السادس ذي القعدة، وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى وتولى بعده الشيخ شمس الدين بن الحفوي.

القاضي زين الدين

■ **عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي** عرف بابن الأستاذ الحلبي قاضياً بعد بهاء الدين بن شداد، وكان رئيساً عالماً فاضلاً، حسن الخلق والسمت، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالى.

الشيخ الصالح المعمر أبو بكر

■ **محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي** ظهر سماعه من أبي الوقت من سنة خمس عشرة وستمئة فاشكال الناس عليه يسمعون منه، وتفرد بالرواية عنه في الدنيا بعد الزبيدي وغيره توفي ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى.

■ **الأمير الكبير المجاهد المرباط:**

صارم الدين:

■ **خطباً بن عبد الله** ملوك سركس ونائبه بعده مع ولده علي تبين وتلك الحصون، وكان كثير الصدقات والإحسان، ودفن مع أستاذه بقباب سركس، وهو الذي بناها بعد أستاذه، وكان خيراً قليل الكلام كثير النزو مرابطاً مدة سنين رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها قبض الملك الجواد على الصفي بن مرزوق وصاد به بربعمائة ألف دينار وحبيه بقلعة محص، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء. وكان ابن مرزوق عسناً إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً، وسلط الجواد خادماً لزوجه يقال له الناصح فصادر النماشقة وأخذ منهم نحواً من ستمئة ألف دينار، ومسك الأمير عماد الدين ابن الشيخ الذي كان سبب عمليته دمشق، ثم خاف من أخيه فخر الدين ابن الشيخ الذي بديار مصر، وقلق من ملك دمشق، وقال إيش أعمل بالملك؟ باز وكلب أحب إلي من هذا. ثم خرج إلى الصيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، فقاظيا من حصن كيفا وسنجا وما تبع ذلك إلى دمشق، فملك الصالح أيوب دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة والجواد بين يديه بالغاشية، ثم حملها المظفر صاحب حماة وكان يوماً مشهوداً ثم نزل الجواد بدار السعادة وندم على ما كان منه، فأراد أن يستدرك الفاتح فلم يفتق له وخرج من دمشق والناس يلغونونه بوجهه بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات، وأرسل إليه الصالح أيوب ليرد إلى الناس أموالهم فلم يلتفت إليه، وسار وبيقت في ذمته.

ولما استقر الصالح أيوب في ملك مصر كما سيأتي جيس الناصح الخادم، فمات في أسوأ حالة، من القلة والقمل، جزاء وفاقاً «وما ريك بظلام للمعبد» (وصلت: ٤٦).

وفيها ركب الصالح أيوب من دمشق في رمضان قادماً إلى الديار المصرية ليأخذها من ابن أخيه العادل لصغره، فزل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ليقدم عليه ليكون في صحته إلى الديار المصرية، وكان قد جاء إليه إلى دمشق وبايعه فجعل يسوف به ويعمل عليه ويخالف الأمراء بدمشق ليكون ملكهم، ولا يتجاسر أحد من الصالح أيوب لجبروته أن يخبره، وانتقضت السنة وهو مقيم بنابلس يستدعي إليه وهو بماطلة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **جمال الدين الحصري الحنفي:** عمود بن أحد العلامة جمال الدين الحصري شيخ الحنفية بدمشق، ومدرس النورية، أصله من قرية يقال لها حصير من معاملة بخاري، تفقه بها وسمع الحديث الكثير وصار إلى دمشق فأنتهت إليه رسالة الحنفية بها، لا سيما في أيام المعظم، كان يقرأ عليه الجامع الكبير، وله عليه شرح، وكان يحترمه ويعظمه ويكرمه، وكان رحمه الله غزير النعمة كثير الصدقات، عاقلاً زهياً عفيفاً، توفي يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية تضمه الله برحمته.

توفي وله تسعون سنة، ولول درسه في النورية في سنة إحدى عشرة وستمئة بعد الشرفه داود الحفي تولاها بعد البرهان مسعود، وأول مدوسها رحمهم الله تعالى.

■ **الأمير عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ صدر الدين علي**

■ **ابن حمويه**، كان سبياً في ولاية الجواد دمشق ثم سار إلى مصر فلامه صاحبها العادل بن الكامل بن العادل فقال الآن أرجع إلى دمشق وأمر الجواد بالمسير إليك، على أن تكون له إسكندرية عوض دمشق، فإن امتنع عزله عنها وكنت أنا نائبك فيها، فنهاه أخوه فخر الدين بن الشيخ عن

دينار، فما أجابه إلى ذلك، بل عكس ما طلب منه بإخراج الصالح من سجنه والإفراج عنه وإطلاقه مع الجيش يركب ويتزل، فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرهما الناصر داود، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلييس قاصداً قتال الناصر داود، فاضطرب الجيش عليه واختلعت الأمراء، وقبِلوا العادل واعتقلوه في خركاه، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونه إليهم.

فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشق ومحض وحلب وبلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصف مملكة مصر، ونصف ما في الخزائن من الحواصل والأموال والجواهر. قال الصالح أيوب: فاجبت إلى ذلك مكرهاً، ولا يُقَدَّر علي ما اشترط علي ملوك الأرض، وسرنا فأخذته معي خائفاً أن تكون هذه الكائنة من المصريين مكيدة، ولم يكن لي به حاجة، وذكر أنه كان يسكر ويحبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة، فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم ودخل الديار المصرية سالماً مزيئاً منصوراً مظفراً محبوراً مسروراً، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فرحها عليه ولم يقبلها منه. واستقر ملكه بمصر.

وأما الملك الجواد فإنه لَمَّاء السيرة في سنجار وصادر أهلها وعسفهم، فكتبوا بئر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ققصدهم - وقد خرج للصيد - فأخذ البلد بغير شيء وصار الجواد إلى عانة، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك.

وفي ربيع الأول درس القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد الجيلي بالشامية البرانية.

وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر ولي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي خطابة جامع دمشق، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم ببلد دمشق وغيرها، لأنه حالفه على الصالح أيوب.

قال أبو شامة: وفي حزيران أيام المشمش جاء مطر عظيم هدم كثيراً من الحيطان وغيرها، وكنت يومئذ بالمرّة.

ومن توفي فيها من الأعيان

صاحب حمص الملك المجاهد أسد الدين

■ شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي، ولأهله إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة فمكث فيها سبعاً وخمسين سنة، وكان من أحسن الملوك سيرة، طهر بلاده من الخمر والمكرس والمنكرات، وهي في غاية الأمن والعديل، لا يتجاسر أحد من الفرنج ولا العرب يدخل بلاده إلا أمانه غاية الإمانة، وكانت ملوك بني الأيوبي يتقونه لأنه يرى أنه أحق بالأمر منهم، لأن جده هو الذي فتح مصر، وأول من ملك منهم، وكانت وفاته رحمه الله بمحصر، وعمل عزاءه بجامع دمشق عفا الله عنه بمنه.

القاضي

■ الخوئي شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر الخوئي قاضي القضاة بدمشق يومئذ، وكان عالماً بفنون كثيرة من الأصول والفروع وغير ذلك، وكانت وفاته يوم السبت بعد ظهر السابع من شعبان، وله خمس وخمسون سنة بالمرسة العادلة، وكان حسن الأخلاق جميل المعاشرة، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقها.

تعاطي ذلك فلم يقبل، ورجع إلى دمشق فتلقاه الجواد إلى المصلى وأنزله عنده بالقلعة بدار المسرة، وخادعه عن نفسه ثم دس إليه من قتله جهرة في صورة مستغيث به، واستحوذ على أمواله وحواصله، وكانت جنازته حافلة، ودفن بقباسيون.

الوزير جمال الدين

■ علي بن جريز: وزير للأشرف واستوزره الصالح أيوب أياماً، ثم مات عقب ذلك، كان أصله من الرقة، وكان له أملك يسيرة يعيش منها، ثم آل أمره إلى أن وزر للأشرف بدمشق، وقد هجاه بعضهم، وكانت وفاته بالخواتين في جمادى الآخرة، ودفن في مقابر الصوفية.

■ جعفر بن علي بن أبي بركات بن جعفر بن يحيى المملاني، راوية السلفي، قدم إلى دمشق صحبة الناصر داود، وسمع عليه أهلها، وكانت وفاته بها ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى، وله تسعون سنة.

الحافظ الكبير زكي الدين: أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرز فيه، وأفاد الطلبة، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة، ثم سافر إلى حلب، فتوفي بحمة في ربيع عشر رمضان من هذه السنة وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمد البرزالي، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة، وقد ذيل أنا على تاريخه بعون الله تعالى وقدرته.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

استهلت هذه السنة وسلطان دمشق نجم الدين الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل غنيم عند نابلس، يستدعي عمه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى صحبة الصالح أيوب بن نابلس، فهما يتفانان الأموال في الأمراء ويحلفانهم على الصالح أيوب بن الصالح إسماعيل، فلما تم الأمر وتمكن الصالح إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه بعلبك، ويسير هو إلى خدمته، فأرسله إليه وهو لا يشعر بشيء مما وقع، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطبب وزير الصالح - وهو الأمين واقف الأمانة بعلبك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل وفي صحبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق، فدخله بغتة من باب الفرائيس، فنزل الصالح إسماعيل بداره من درب الشعارين، ونزل صاحب حمص بداره، وجاء نجم الدين بن سلام فهنا الصالح إسماعيل وركض بين يديه وهو يقول: إلى بيتك جئت. وأصبحوا فحاصروا القلعة وبها المغني عمر بن الصالح نجم الدين أيوب، ونفروا القلعة من ناحية باب الفرج، وهتكوا حرماتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المغني في برج هنالك.

وقال أبو شامة: واحترقت دار الحديث وما هنالك من الخوانيت والدور حول القلعة. ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفاً على أهلهم من الصالح إسماعيل، وبقي الصالح أيوب وحده بمماليكه وجاريته أم ولده خليل، وطمع فيه الفلاحون والنزارة، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من يأخذه من نابلس مهاناً على بقله بلا مهماز ولا مفرقة، فاعتقله عنده سبعة أشهر، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب أخاه الصالح أيوب ويعطيه مائة ألف

له مصنفات منها عروض قال فيه أبو شامة:

أحمد بن الخليل أرشد الله له لما أرشد الخليل بن أحمد
ذاك مستخرج العروض وهذا لنا مظهر السر منه والموعد أحمد

وقد ولي القضاء بعد رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي الجيلي مع تدريس العادلية، وكان قاضياً بعلبك. فاحضره إلى دمشق الوزير أمين الدين الذي كان سامرياً فأسلم، وزر للصالح إسماعيل، واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل.

قال أبو شامة ظهر منه سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة في الأموال.

قلت: وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد الكعالي بالشبك وهو سكران، وأن قناني الخمر كانت تكون على بركة العادلية يوم السبت، وكان يعتمد في التركات اعتماداً سيئاً جداً وقد عامله الله تعالى بتقبض مقصوده، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة

فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن شقيف أرنون لصاحب صيدا الفرنجي، فاشتد الإنكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب البلد، والشيخ أبي عمرو بن الحاسب شيخ المالكية، فاعتقلهما مدة ثم أطلقهما وألزهما منزلهما، وولي الخطابة وتدرس الغزالية لعماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسي خطيب بيت الأبار، ثم خرج الشيخان من دمشق فقصده أبو عمرو الناصر داود بالكرك، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية، فلقاه صاحبها الصالح أيوب بالاحترام والإكرام، وولاه خطابة القاهرة وقضاء مصر، واشتغل عليه أهلها فكان بمن أخذ عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى.

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيز خان إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم. وعنوان الكتاب: من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب خاقان. وكان مالكاب ع رجل سلم من أهل أصبهان لطيف الأخلاق، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بميفارقين، وقد أخبره بعجائب في أرضهم غريبة، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أعينهم في منابهم، وأنواعهم في صدورهم، يأكلون السمك وإذا راوا أحداً من الناس هربوا. وذكر أن عندهم بزرأ بنيت منه الفغم يعيش الحشروف منها شهرين وثلاثة، ولا يتناسل. ومن ذلك أن بامزندان عيناً يطلق فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة، فتقيم طول نهار فلذا غلبت الشمس غابت في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت، وأن بعض الملوك احتال ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها فغارت وقطعت السلاسل، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل، وهي إلى الآن كذلك.

قال أبو شامة: وفيها قلت المياه من السماء والأرض، وفسد كثير من الزرع والثمار والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير

عحي الدين

■ ابن عربي: صاحب القصص وغيره. محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتاب المسمى بفضوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وله كتاب العبادات وديوان شعر رائع، وله مصنفات آخر كثيرة، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتغال وبه احتضال ولجميع ما يقوله احتمال.

قال أبو شامة: وله تصانيف كثيرة وكانت عليه سهلة، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف، وكانت له جنازة حسنة، ودفن بمقبرة القاضي عحي الدين بن الزكي بقاسيون، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة.

وقال السبط: كان يقول إنه يحفظ الاسم الأعظم، ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب، وكان فاضلاً في علم التصوف، وله تصانيف كثيرة.

القاضي نجم الدين أبو العباس:

■ أحمد بن محمد بن خلف بن راجع المقدسي الحنبلي الشافعي، المعروف بابن الحنبلي، كان شيخاً فاضلاً ديناً بارعاً في علم الخلاف، ويحفظ الجمع بين الصحيحين للحميدي، وكان متواضعاً حسن الأخلاق، قد طاف البلدان يطلب العلم ثم استقر بدمشق ودرس بالعنبرانية والصارمية والشامية البرانية وأم الصالح، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها، وهو نائب الرفيع الجيلي، وكانت وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون.

■ ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرومي: منسوب إلى ولاء أتابك، قدم بغداد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ.

قال ابن الساعي: اجتمعت به وهو شاب أديب فاضل، يكتب خطاً حسناً في غاية الجودة، وينظم شعراً جيداً، ثم روى عنه شيئاً من شعره، قال وتوفي في جمادى الآخرة محبوساً.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها قصد الملك الجواد أن يدخل مصر ليكون في خدمة الصالح أيوب فلما وصل إلى الرمل تروهم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كمال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف، وبعث معه جيشاً فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأسروه فوجّهه الناصر داود ثم أطلقه، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى تروهم منه فقبضه وأرسله تحت الحوطة إلى بغداد، فأطلقه بطن من العرب عن قوة فلجأ إلى صاحب دمشق مدة، ثم انتقل إلى الفرنج، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بعزتا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي.

وفيها شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر، وبنى قلعة بالجزيرة غرم عليها شيئاً كثيراً من بيت المال، وأخذ أملاك الناس وخرب نيفاً

ببغداد للشافعية، وكان أحد المدلين بها، تولى مباشرات كثيرة، وكان فقيهاً أصولياً عالماً بالخلاف، وتقدم ببلده وعظم كثيراً، ثم استتابه ابن فضال بن بدار الخريم، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه ببغلة، وحضر عنده الأعيان، وما زال بها حتى توفي عن ثمانين سنة، ودفن بباب حرب.

قاضي القضاة ببغداد أبو المعالي

■ عبد الرحمن بن مقبل بن علي الواسطي الشافعي، اشتغل ببغداد وحصل وأعاد في بعض المدارس، ثم استتابه قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر في أيام الخليفة الظاهر بن الناصر، ثم ولي قضاء القضاة مستقلاً، ثم ولي تدريس المستنصرية بعد موت أول من درس بها يحيى الدين محمد بن فضال، ثم عزل عن ذلك كله وعيّن مشيخة بعض الربط. ثم كانت وفاته في هذا العام، وكان فاضلاً دينياً متواضعاً رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ثم دخلت سنة أربعين وستمائة

فيها توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة ولده المستنصر بالله، فكانت وفاة الخليفة أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة، وله من العمر إحدى وخمسون سنة، وأربعة أشهر وسبعة أيام، وكم موته حتى كان الدعاء له على المنابر ذلك اليوم، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، ودفن بدار الخلافة، ثم نقل إلى التربة من الرصافة.

وكان جميل الصورة حسن السيرة، جيد السيرة كثير الصدقات والبر والصلوات، محسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة، فكان يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أملاها، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول: أترى أعيش حتى أنفقا كلها.

فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات، وقد عمل بكل عملة من محال ببغداد دار ضيافة للفقراء، ولا سيما في شهر رمضان، وكان يتصدق الجوارى اللاتي قد بلغن الأربعين فيشتريهن له فيعتقن ويجهزن ويزوجن، وفي كل وقت يبرز صلاته ألف متعددة من الذهب، تنسرق في محال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم، تقبل الله تعالى منه وجزاه خيراً.

وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث ومارستاناً وحماماً ودار طب، وجعل لمستحقها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة ما يحتاجون إليه في أوقاته، وأوقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن الثين من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها. ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير، فكانت هذه المدرسة جمالا لبغداد وسائر البلاد.

وقد احترقت في هذه السنة المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى علي الهادي والحسن العسكري، وقد كان بناه أرسلان الباسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي، في حدود سنة خمسين وأربعمائة، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه، وقد تكلمت الروايف في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له، وصنفوا فيه الأخبار وأنشدوا أشعاراً كثيرة لا معنى لها، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنظر الذي لا حقيقة له، فلا عين ولا أثر، ولو لم يكن أجود، وهو الحسن

وثلاثين مسجداً، وقطع ألف نخلة. ثم أخربها الترك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه.

وفيها ركب الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص والحلبين، فاقتلوا مع الخوارزمية بأرض حران، فكسروهم ومزقوهم كل ممزق، وعادوا منصورين إلى بلادهم، فاصطلع شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين مع الخوارزمية وآوأم إلى بلده ليكونوا من حزبه.

قال أبو شامة: وفيها كان دخول الشيخ عز الدين إلى الديار المصرية فأكرمها صاحبها وولاه الخطابة بالقاهرة وقضاء القضاة بمصر، بعد وفاة القاضي شرف الدين الموقّع ثم عزل نفسه مرتين وانقطع في بيته رحمه الله تعالى وقدس روحه.

قال وفيها توفي بالموصل الشمس بن الخباز النحوي الضرير في سابع رجب والكمال بن يونس الفقيه في النصف من شعبان، وكانا فاضلي بلدهما في فنهما.

قلت: أما: الشمس

■ ابن الخباز: فهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي، الضرير النحوي الموصل المصلي المعروف بابن الخباز، اشتغل بعلم العربية وحفظ المفصل والإيضاح والتكملة والعروض والحساب، وكان يحفظ الجمل في اللغة وغير ذلك، وكان شافعي المذهب كثير النوازل والملح، وله أشعار جيدة، وكانت وفاته عاشر رجب وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالى.

وأما: الكمال بن يونس: فهو

■ موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الغليلي، أبو الفتح الموصل شيخ الشافعية بها، ومدرس بعدة مدارس فيها، وكانت له معرفة تامة بالأصول والفروع والمقولات والمنطق والحكمة، ورحل إليه الطلبة من البلدان، وبلغ ثمانية وثمانين عاماً، وله شعر حسن. فمن ذلك ما امتنع به البدر لؤلؤ صاحب الموصل وهو قوله:

لئن شُرِّفت أرضٌ ممالكُ رُفها فملكها الدنيا بكم تشرف
بقيت بقاء الدهر امرُك نافذ وسعيك مشكور وحكمك منصف
كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وتوفي للنصف من شعبان هذه السنة، رحمه الله تعالى.

قال أبو شامة: وفيها توفي بدمشق:

■ عبد الواحد الصوفي: الذي كان قساً راهباً في كنيسة مريم سبعين سنة، أسلم قبل موته بأيام، ثم توفي شيخاً كبيراً بعد أن أقام بخانقاه المسيطانية أياماً ودفن بمقابر الصوفية، وكانت جنازته حافلة، حضرت دفة والصلاة عليه رحمه الله تعالى.

أبو الفضل

■ أحمد بن اسفنديار بن الموفق بن أبي علي البوشنجي الواعظ، شيخ رباط الأرجوانية.

قال ابن الساعي: كان جميل الصورة حسن الأخلاق كثير التودد والتواضع، متكلماً مفزهاً منطقياً حسن العبارة جيد الوعظ طيب الإنشاد عذب الإيراد، له نظم حسن، ثم ساق عنه قصيدة بلح الخليفة المستنصر.

أبو بكر

محمد بن يحيى بن المظفر بن علم بن نعيم المعروف بابن الحبير السلمي، شيخ صالح عالم فاضل، كان حنبلياً ثم صار شافعيّاً، ودرس بعدة مدارس

استدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبوع بالخلافة ولقب المستعصم، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور، وقد اتفق في شيعته تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً، واتفق العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ شمس الدين أبي المظفر علي بن محمد بن النيار أحد أئمة الشافعية في زمانه، وقد أكرمه وأحسن إليه في خلافته، وكان المستعصم على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت، يظهر عليه خشوع وإتابة، وقد نظر في شيء من التفاسير وحل المشكلات، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستعصم جهده وطاقته.

وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة محمد الله، وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستصري، فبايعه أولاً بنو عمه وأهله من بني العباس، ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهائ ومن بعدهم من أولي الحل والعقد والعامه وغيرهم، وكان يوماً مشهوداً وجمعاً عموداً ورأياً سعيماً وأمرأً حميداً، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأنطار والبلدان والأمصار، وخطب له في سائر البلدان، والأقاليم والرساتيق، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً، بدءاً وقرباً، كما كان أبوه أجداره، رحمهم الله أجمعين.

وفيها وقع من الحوادث في هذه السنة أنه كان بالعراق ورساء شليد في آخر أيام المستعصم وغلا السكر والأدوية فتصدق الخليفة المستعصم بالله رحمه الله بسكر كثير على المرضى، تقبل الله منه.

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين لأبي الفرج عبد الرحمن بن محي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي - وكان شاباً طريفاً فاضلاً - في الوعظ بباب البلدية، فتكلم وأجاد وأفاد وامتدح الخليفة المستعصم بقصيدة طويلة جليلة فصيحة، سردها ابن الساعي بكاملها، ومن يشابه أباه فما ظلم، والشيل في الخبر مثل الأسد.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الحليين والخوارزمية، ومع الخوارزمية شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين، فكسرهم الحلييون كسرة عظيمة منكزة، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً، ونهيت نصيبين مرة أخرى، وهذه سابع عشر مرة نهيت في هذه السنين فإننا لله وإنا إليه راجعون. وعاد غازي إلى ميفارقين وتفرقت الخوارزمية يفسدون في الأرض صحبة مقدمهم بركات خان، لا بارك الله فيه، وقدم على شهاب الدين غازي مشور بمدينة خلاط قتلها وما فيها من الحواصل.

وفيها هزم الصالح أيوب صاحب مصر على دخول الشام فقتل له إن العساكر مختلفة فجهز عسكراً إليها وأقام هو بمصر يدبر مملكته.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ المستعصم بالله: أمير المؤمنين كما تقدم.

والحرمة المصونة الجليلة

■ بركات خاتون بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن أقيسقر الأتابكية واقفة المدرسة الأتابكية بالصالحية، وكانت زوجة السلطان الملك الأشرف رحمه الله. وفي ليلة وفاتها كانت وقفت مدرستها وترتتها بلجل قاله أبو شامة. ودفت بها رحمه الله تعالى وتقبل منها.

بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكربلاء ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وقبح من يغلو فيهم ويغض بسببهم من هو أفضل منهم.

وكان المستعصم رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق بهي المظهر عليه نور بيت النبوة ﷺ وأرضاه.

وحكى أنه اجتاز ركباً في بعض أزقة بغداد قبل غروب الشمس، من رمضان، فرأى شيخاً كبيراً ومعه إناء فيه طعام قد حمله من حلة إلى حلة أخرى، فقال: أيها الشيخ لم لا أخذت الطعام من حلتك؟ أو أنت محتاج تأخذ من الحلتين؟ فقال لا والله يا سيدي - ولم يعرف أنه الخليفة - ولكني شيخ كبير، قد نزل بي الوقت وأنا أستحي من أهل حليتي أن أراهم وقت طعامهم، فيشتت بي من كان يغضني، فأننا ذهب إلى غير حليتي فأخذ الطعام وأتيت وقت كرون الناس في صلاة المغرب فدخل بالطعام إلى منزلي بحيث لا يراي أحد. فبكى الخليفة رحمه الله وأمر له بالف دينار، فلما دفعت إليه فرح الشيخ فرحاً شديداً حتى قيل إنه اشتق قلبه من شدة الفرح، ولم يعيش بعد ذلك إلا عشرين يوماً، ثم مات فحملت الألف دينار إلى الخليفة، لأنه لم يترك وارثاً. وقد اتفق منها ديناراً واحداً، فتعجب الخليفة من ذلك وقال: شيء قد خرجنا عنه لله لا يعود إلينا، تصدقوا بها على فقراء حلتك، فرحه الله تعالى.

وقد خلف من الأولاد ثلاثة، اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذي ولي الخلافة بعده أبو أحمد عبد الله، والأمير أبو القاسم عبد العزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها.

وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة. ولم يستورز أحداً بل أقر أبا الحسن محمد بن محمد القمي على نيابة الوزارة، ثم كان بعده نصير الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذي كان أستاذ دار الخلافة، والله تعالى أعلم بالصواب.

خلافة المستعصم بالله: أمير المؤمنين

وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد وهو الخليفة الشهيد الذي قتله التتار بأمر هلاوو بن تولي ملك التتار بن جكنج خان لعنهم الله، في ست وخمسين وستمئة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله الإمام أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين المستعصم بالله أبي جعفر المنصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستجد بالله أبي المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المتقي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين الخليفة المتقدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس في ترجمة جده الناصر.

وهؤلاء الذين ذكرناهم كلهم ولي الخلافة يتلو بعضهم بعضاً، ولم يتفق هذا لأحد قبل المستعصم، أن في نسبه ثمانية ولوا الخلافة نسقاً لم يتخللهم أحد، وهو التاسع رحمه الله تعالى بمته.

لما توفي أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستمئة

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة

ففيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على أن يرث إليه ولده المنيع عمر بن الصالح أيوب المنتقل في قلعة دمشق وتستقر دمشق في يد الصالح إسماعيل، فوقع الصلح على ذلك، وخطب للصالح أيوب بدمشق، فخاف الوزير أمين الدولة أبو الحسن غزال المسلماني، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر، فقال لمخدومه لا ترد هذا الغلام لأبيه تخرج البلاد من يدك، هذا خاتم سليمان يديك للبلاد، فعند ذلك أبطل ما كان وقع من الصلح ورد الغلام إلى القلعة، وقطعت الخطبة للصالح أيوب، ووقعت الوحشة بين الملكين، وأرسل الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت الخوارزمية قد فتحوا في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين، وكان قليل العقل يلعب بالكلاب والسيب، ويسلطها على الناس، فاتفق أنه عضه سبع فمات فتغلبوا على البلاد حيثئذ.

وفيهما احتيط على أعوان القاضي الرفيع الجليلي، وضرب بعضهم بالمقارع وصودروا وروسم على القاضي الرفيع بالمرسة المقدنية داخل باب الفرائيس ثم أخرج ليلاً وذهب به فسجن بمغارة أقمه من نواحي البقاع، ثم انقطع خبره.

قال أبو شامة: وذكروا أنه توفي لا رحمه الله تعالى، ومنهم من قال أنه أُلقي من شاطئ، ومنهم من قال خنق، وذلك كله بذني الحجة من هذه السنة.

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ منشور ولاية القضاء بدمشق لحجي الدين يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي، بالشباك الكمالي من الجامع، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة. وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة الآتية، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له: إنه قد أورد إلى خزانته من الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس. فأنكر الصالح ذلك، ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى ألف ألف درهم، فأرسل القاضي يقول فأتنا أحقق الوزير وكان الصالح لا يخالف الوزير، فأشبار حيثئذ على الصالح بعزله لتبرا ساحة السلطان من شاعات الناس، فعزله وكان من أمره ما كان. وفوض أمر مدرسه إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح فعين العادلية للكمال الفيلسي، والمنارورية لحجي الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده، والأمنية لابن عبد الكافي، والشامية البرانية للثقي الحموي، وتغيب القاضي الرفيع واسقط عالة شهوده.

قال السبط: أرسله الأمين مع جماعة على بغل يكااف لبعض النصاري إلى مغارة أقمه في جبل لبنان من ناحية الساحل، فاقام بها أياماً ثم أرسل إليه عذلين من بعلبك ليشهدوا عليه بيع أملاكه من أمين الدولة، فذكروا أنهما شاهدها وعليه تحققة وقندورة، وأنه استطعمهما شيئاً من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً، فاطعمهما من زواتهما وشهدا عليه وانصرفا، ثم جاءه داود النصراني فقال له قم فقد أمرنا بحملك إلى بعلبك، فأيقن بالهلاك حيثئذ، فقال دعوني أصلي ركعتين، فقال له قم، فقام يصلي فأطال الصلاة فرفسه النصراني فآلقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي الذي هناك فما وصل حتى تقطع، وحكى أنه تعلق ذيله بسن الجبل فما زال

داود يرميه بالحجارة حتى آلقاه إلى أسفل الوادي، وذلك عند الشقيف المطل على نهر إبراهيم.

قال السبط: وقد كان فاسد العقيدة دهرياً مستهزئاً بأمور الشريعة، يخرج إلى المجلس سكراناً ويحضر الجمعة كذلك، وكانت داره كالحانات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال وأخذ الموفق الواسطي أحد أمتائه - وكان من أكبر البلايا - أخذ لنفسه من أموال الناس ستمائة ألف درهم، فعوقب عقوبة عظيمة حتى أخذت منه، وقد كسرت ساقه ومات تحت الضرب، فآلق في مقابر اليهود والنصارى، وأكلته الكلاب.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ شمس الدين أبو الفرج:

■ عمر بن أسعد بن المتجا التوخي المعري الحنبلي، قاضي حران قديماً، ثم قدم دمشق ودرس بالمسارية وتولى خدماً في الدولة المظمية، وكانت له رواية عن ابن صابر والقاضين الشهرزوري وابن أبي عصرون، وكانت وفاته في سابع عشر ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى. وتوفي أخوه العزيز بعده في ذي الحجة ودفن بمدرسته التي بالجبل رحمه الله تعالى.

الشيخ الحافظ الصالح: تقي الدين أبو إسحاق

■ إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي، كان يدري الحديث وله به معرفة جيدة، أثنى عليه أبو شامة وصلي عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله.

واقف الكروية:

■ محمد بن عقيل بن كروم، جمال الدين محسب دمشق، كان كيساً متراضعاً، توفي بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسة، وله دار الحديث رحمه الله تعالى وعفا عنه.

الملك الجواد

■ يونس بن محمود بن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد، وكان أبوه أكبر أولاد العادل، تقلب به الأحوال وملك دمشق بعد عمه الكامل محمد بن العادل، وكان في نفسه جيداً غياً للصالحين، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه، فأبغضته العامة وسبوه وأجؤوه إلى أن قايس بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفاً، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده، ثم آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بمصن عزتاً، حتى كانت وفاته في هذه السنة، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون، وكان عنده ابن يغمور معتقلاً فحوله الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق، فلما ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية وشقه مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل، على قلعة القاهرة، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالى.

أما ابن يغمور فإنه عمل عليه حتى حول عنه ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل. وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتمت منهما بهذا، وهو معذور في ذلك.

■ مسعود بن أحمد بن مسعود بن سازه البخاري أحد فقهاء الحنفية الفضلاء، وله علم بالتفسير وعلم الحديث، ولديه فضل غزير قدم ببغداد صحبة رسول التثار للحج، فحسب مدة سنين ثم أفرج عنه، فحج ثم عاد، فمات ببغداد في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

أبو الحسن

■ عمر بن الصالح أيوب: كان الصالح إسماعيل قد أسره وسجنه في برج قلعة دمشق، حين أخذه في غيابة الصالح أيوب. فاجتهد أبوه بكل يمكن في خلاصه فلم يقدّر، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني، وأقف المدرسة الأمينية التي يعلبك، فلم يزل الشاب محبوساً في القلعة من سنة ثمان وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة، فأصبح ميتاً في عيبه غماً وحزناً، ويقال إنه قتل فإله أعلم.

وكان من خيار أبناء الملوك، وأحسنهم شكلاً، وأكملهم عقلاً. ودفن عند جده الكامل في تربته شمالي الجامع، فاشتد حتى أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق.

ومن توفي فيها.

شيخ شيوخ بدمشق: تاج الدين أبو محمد

■ عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه: أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين، له كتاب في ثمانية مجلدات ذكر فيه الأصول، وله السياسة المملوكية صنفها للكامل محمد وغير ذلك، وسمع الحديث، وحفظ القرآن، وكان قد بلغ الثمانين، وقيل إنه لم يبلغها، وقد سافر إلى بلاد المغرب في السنة ثلاث وتسعين، واتصل بمراكش عند ملكها المتصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فأقام هنالك إلى سنة ست مائة، فقدم إلى ديار مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه رحمه الله تعالى.

الوزير

■ نصير الدين أبو الأزهر: أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناصر البغدادي وزير المستنصر ثم ابنه المستعصم.

كان من أبناء التجار، ثم توصل إلى أن وزر لهذين الخليفين، وكان فاضلاً بارعاً حافظاً للقرآن كثير التلاوة، نشأ في حشمة باذخة، ثم كان في وجاعة هائلة، وقد أقعد في آخر أمره، وهو مع هذا في غاية الاحترام والإكرام، وله أشعار حسنة كثيرة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة، توفي في هذه السنة وقد جاوز الخمسين رحمه الله تعالى.

نقيب النقباء خطيب الخطباء: وكيل الخلفاء أبو طالب

■ الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن علي ابن الخليفة المهدي بالله العباسي، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين، وخطباء المؤمنين، استمرت أحواله على السداد والصلاح، لم ينقطع عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه، فسقط من فمه دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل، فمات وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة

وهي سنة الخوارزمية، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحة معين الدين ابن الشيخ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح إسماعيل أبا الجيش صاحب دمشق، وحرق قصر حجاج، وحكر السماق، وجامع جراح خارج باب الصغير، ومساجد كثيرة، ونصب المتجنق عند الباب الصغير وعند باب الجابية، ونصب من داخل البلد متجنقات أيضاً، وترامى

■ علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد الطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي، ثم الواسطي، ثم البغدادي، الكاتب الشاعر الشيعي، فقيه الشيعة، أقام بدمشق مدة وامتدح كثيراً من الأمراء والملوك، ومنهم الكامل صاحب مصر وغيره، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظم والشعر، لكنه غنول محبوب عن الحق. وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره في «الكامل» وغيره.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن العلقمي المشهور على نفسه، وعلى أهل بغداد، الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صديق ولا مرضي الطريقة، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء وجنوده قبحه الله وإياهم.

وقد كان ابن العلقمي قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة، فلما مات نصر الدين محمد بن الناصر استوزر ابن العلقمي وجعل مكانه في الاستادارية الشيخ محيي الدين يوسف بن أبي الفرج الجوزي، وكان من خيار الناس رحمه الله، وهو واقف الجزية التي بالشائين بدمشق تقبل الله منه.

وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد، وخلع عليه، ووكّل الخليفة بهاء الدين عبد الوهاب بن الطهر وكالة مطلقة، وخلع عليه.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق، فنزلوا على غرة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقمشة والعساكر، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك، والمتصور صاحب حمص، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكّرة فظيعة، هزمت الفرنج بصلبائها وراياتها العالية، على رؤوس أطلاب المسلمين، وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فتابت كؤوس النور عن كؤوس الخمر، فقتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألفاً، وأمسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم، وخلعوا من أسراء المسلمين، ويعشروا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر، وكان يومئذ يوماً مشهوداً وأمرأ محموداً، ولله الحمد.

وقد قال بعض أمراء المسلمين: قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح وغنمت الخوارزمية من الفرنج عن كان معهم شيئاً كثيراً وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها، فحاصرها الصالح إسماعيل وخرب من حولها ريعاً كثيرة، وكسر جسر باب توما فصار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلام، ففرق جميع ما كان بينهما من العمران، واقتفر كثير من الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك المغيث

في جمع الجيوش من الحلبيين والتركمان والأعراب لاستتقاذ دمشق من الخوارزمية، وحصارهم إياها، فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من غائلة ذلك، وقالوا دمشق ما تفوت، والمصلحة قتاله عند بلده، فساروا إليه عند بحيرة حمص، وأرسل الناصر داود جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية، وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص، والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص، وكان يوماً مشهوداً قتل فيه عامة الخوارزمية وقتل ملكهم بركات خان، وجيء برأسه على رمح، ففرق شملهم وتمزقوا شتراً منيراً، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلمها الصالح أيوب، وجاء إلى دمشق فترل بستان سامة خدمة للصالح أيوب، ثم حلتشه نفسه بأخذها فاتفق مرضه، فمات رحمه الله في السنة الآتية، ونقل إلى حمص، فكانت مدة ملكه بعد أبيه عشر سنين، وقام من بعده فيها ابنه الأشرف مدة ستين، ثم أخذت منه على ما سيأتي وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلد يأوي إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال، بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية، وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن عبد العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب، فأواه وأكرمه وقال الأتراك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذة الناصر، وكان شاباً صغيراً: انظر إلى عاقبة الظلم.

وأما الخوارزمية فأنهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها، وأحسن إليهم وصارهم وأنزلهم بالصلت فأخذوا معها نابلس، فأرسل إليهم الملك الصالح أيوب جيشاً مع فخر الدين بن الشيخ فكسرهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد، وحاصر الناصر بالكرك وأهانته غاية الإهانة، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أبهة عظيمة، وأحسن إلى أهلها، وتصدق على الفقراء والمساكين، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى وإلى صرخد، فتسلمها من صاحبها عز الدين أليك المعظمي، وعوضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً مسروراً. وهنا كله في السنة الآتية والله الحمد والمئة.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيوش الخليفة وبين التار لعنهم الله، فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم، وهزموا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكروهم وعملاً بقوله ﷺ «اتركوا الترك ما تركوكم» (٤٣٠٢) (٤٣١٧).

وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان على شق جبل داخله من الأبنية الغريبة العجيبة ما يحار الناظر وقد قيل إن ذلك من بناء الجن، وأورد صفته ابن الساعي في تاريخه.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الشيخ تقي الدين

■ ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشيخ الإمام العلامة، مفتي الشام ومعدنها، الشهير زوري ثم الدمشقي، سمع الحديث ببلاد الشرق وتفقه هناك بالموصل وحلب وغيرها، وكان أبوه مدرساً بالأسدية بحلب، وواقفها أسد الدين شيركوه بن شاذي، وقدم الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار. وأقام بالقدس الشريف مدة ودرس بالصلاحية، ثم تحول منه إلى دمشق، ودرس بالرواحية ثم ثم بالشامية الجوانية، بدار الحديث الأشرفية، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث، وهو الذي صنف كتاب فقها، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث، والنقح

الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإيريق وأرسل يقول: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك، فأرسل إليه معين بزمز وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر، وأرسل يقول له: أما السجادة فإنها تصلح لي، وأما فهذا أولى بك.

ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق، وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل، وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقية فاحترق بأسرها، وقطعت الأنهار وغلّت الأسعار، وأخفيت الطرق وجري بدمشق أمور بشعة جداً، لم تتم عليها قط، وامتد الحصار شهوراً من هذه السنة إلى جمادى الأولى، فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن معين الدين ابن الشيخ شيئاً من ملابسه، فأرسل إليه بفرجة وعمامة وقيص ومنديل، فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين، فاجتمع به بعد العشاء طويلاً، ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجاً إلى بعلبك ودخل معين الدين في دار أسامة، فولى وعزل وقطع ووصل، وفرض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سني الدولة، وعزل القاضي محيي الدين بن الزكي، واستتاب ابن سني الدولة التخليسي الذي ناب لابن الزكي والعزير السنجاري، وأرسل معين الدين بن الشيخ أمين الدولة غزال بن المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية.

وأما الخوارزمية فأنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهروها وساروا نحو بلاد الشرق، وكتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب، فصرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه، وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق، وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاقت الحال على الدماشقة فعدمت الأقوات وغلّت الأسعار جداً، حتى إنه بلغ ثمن الفرارة ألف وستمئة، وقطار الدقيق بسبعمئة، والخبز كل وقيتين إلا ربع بدرهم، ورطل اللحم بسبعة ويصع الأملأك بالدقيق، وأكلت القطاط والكلاب والبيات والجففات، وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التنفيل والتكفين والإقبار، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار، حتى أتت المدينة وضجر الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه الأيام توفي الشيخ

■ تقي الدين بن الصلاح، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس، فما أخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد، ودفن بالصوفية رحمه الله قال ابن السبط: ومع هذا كانت الخمور دائرة والفسق ظاهراً، والمكوس مجالها.

وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جداً، وهلك الصالحين بالطرقات، كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لباية ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به غلالة يبلونها ويأكلونها، كالدهان قال: وأنا شاهدت ذلك. وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها، ثم زال هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى والله الحمد.

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل، كاتب الملك المنصور لإبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، فاستماله إليه وقوي جانب نائب دمشق معين الدين حسن بن الشيخ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات. ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالة الصالح إسماعيل شرع

الحافظ

■ ضياء الدين المقدسي: صاحب «الأحكام» ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن المقدسي.
سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً وطوف وجمع وصنف وألف كثيراً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد، من ذلك كتاب الأحكام ولم يتمه، وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حنيشة، وهي أجود من مستدرک الحاكم لو كمل، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه وإطلاعه وتضلعه من علوم الحديث متناً وإستاداً.
وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير، وقد وقف كتاباً كثيرة عظيمة لحزنة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابها من أهل الحديث والفقهاء، وقد وفقت عليها أوقاف أخر كثيرة بعد ذلك.

الشيخ

■ علم الدين أبو الحسن السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب المملوكي المصري، ثم الدمشقي شيخ القراء بدمشق، ختم عليه البوف الناس، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته، وله شرح المفصل وله تفاسير وتصانيف كثيرة، ومدايح في رسول الله ﷺ وكانت له حلقة بجامع دمشق، وولي مشيخة الإقراء بترية أم الصالح، وبها كان مسكنه وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة، ودفن بقاسيون.
وذكر القاضي ابن خلكان أن مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وذكر من شعره قوله:

قالوا غداً نأتي ديار الحمى ويترزل الركيب بمغناهم
وكل من كان مطيعاً لهم أصبح سروراً بليقاهم
قلت فلي ذنب فما حيلتي بأي وجه ألقاهم
قالوا أليس الغزو من شأنهم لا سيما ممن ترجاهم

■ ربيعة خاتون واقفة صاحبة بقاسيون ربيعة خاتون بنت أيوب: أخت السلطان صلاح الدين، زوجها أخوها أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين أثر وتزوج هو بأخته عصمة الدين خاتون التي كانت زوجة الملك نور الدين واقفة الخاتونية الجوانية، والخاتفة، ثم لما مات الأمير سعد الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل، فأقامت عنده بإربل أزيد من أربعين سنة حتى مات، ثم قدمت دمشق فكنت بدار العقيقي حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد تجاوزت الثمانين، ودفنت بقاسيون، وكانت في خلعتها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي، وكانت فاضلة، ولها تصانيف، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة، ووقفت أمة اللطيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرقي الرباط الناصري، ثم لما ماتت الخاتون وقعت العالمة في المصادرات وحسبت مدة ثم أفرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص، وسافرت معه إلى الرحبة وتل باشر، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسون، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة، تقارب ستمائة ألف درهم، غير الأملاك والأوقاف ورحمها الله تعالى.

■ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ: وزير الصالح نجم الدين أيوب، أرسله إلى دمشق فحاصرها مع الخوارزمية أول الأمر حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل، وأقام بها نائباً من جهة الصالح أيوب، ثم مالا الخوارزمية مع الصالح إسماعيل عليه فحاصروه بدمشق، ثم كانت وفاته

وله تعاليف حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي يرحل إليها.
وكان ديناً زاهداً ورعاً ناسكاً، على طريقة السلف الصالح، كما هي طريقة متأخري أكثر المحدثين، مع الفضيلة التامة في فنون كثيرة، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرافية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وصلي عليه بجامع دمشق وشيعه الناس إلى داخل باب القرج، ولم يمكنهم البروز لظاهرة لحصار الخوارزمية، وما صحبه إلى جبهة الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله تعالى وتغمده برضوانه.
وقد أثنى عليه القاضي شمس الدين بن خلكان وكان من شيوخه.
وقال السبط أئشندي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح من لفظه رحمه الله:
أحضر من الروايات أربعة فمن من الخشوف
وأو الوصية والوديعة والوكالة والوقوف
وحكى ابن خلكان عنه أنه قال: ألهمت في المنام هؤلاء الكلمات: ادفع المسألة ما وجدت التجمال يمكنك فإن لكل يوم رزقاً جديداً، والإلحاح في الطلب ينهب البهاء، وما أقرب الصنيع من الملهوف، وربما كانت الخير نوعاً من آداب الله، والحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة قبل أن تدرك فإنك ستالها في أوقاتها، ولا تعجل في حوائجك فتضيع بها ذرعاً، وينشاك القنوط.
■ ابن التجار الحافظ صاحب التاريخ: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن التجار، أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير، سمع الكثير ورحل شرقاً وغرباً، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وشرح في كتابة التاريخ وعمره خمس عشرة سنة، والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيراً حتى حصل نحواً من ثلاثة آلاف شيخ، من ذلك نحو من أربعمائة امرأة، وتغرب ثمانياً وعشرين سنة، ثم جاء بغداد وقد جمع أشياء كثيرة، من ذلك القمر المنير في المسند الكبير يذكر لكل صحابي ما روى. وكتر الأيام في معرفة السنن والأحكام والمختلف والمؤتلف والسابق واللاحق والمتفق والمفترق وكتاب الألقاب، ونهج الإصابة في معرفة الصحابة والكافي في أسماء الرجال وغير ذلك مما لم يتم أكثره، وله كتاب الزيل على تاريخ مدينة السلام، في سنة عشر مجلدات، وله أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس، وغرر الفوائد في خمسة مجلدات، وأشياء كثيرة جداً سردها ابن الساعي في ترجمته.
وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الإقامة في المدارس فأبى وقال: معي ما أستغني به عن ذلك فاشترى جارية وأولدها وأقام برهة يفتق مدة على نفسه من كسبه، ثم احتاج إلى أن نزل محدثاً في جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين وضعت، ثم مرض شهرين وأوصى إلى ابن الساعي في أمر تركه.
وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة، وله من العمر خمس وسبعون سنة وصلي عليه بالمدرسة النازمية، وشهد جنازته خلق كثير وكان ينادي حول جنازته هذا حافظ حديث رسول الله ﷺ الذي ينفي الكذب عنه. ولم يترك وارثاً، وكانت تركته عشرين ديناراً وثياب بدنه، وأوصى أن يتصدق بها، ووقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار، فأمضى ذلك الخليفة المستعصم، وقد أثنى عليه الناس ورثوه بمرات كثيرة، سردها ابن الساعي في آخر ترجمته.

في العشر الأخير من رمضان هذه السنة، عن ست وخمسين سنة، فكانت مدة ولايته بدمشق أربعة أشهر ونصف. وصلي عليه بجامع دمشق، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين.

وفيهما كانت وفاة القليجية الحفوية. وهو الأمير:

■ سيف الدين بن قليج: ودفن بترته التي بمدرسته المذكورة، التي كانت سكنه بدار فلوس تقبل الله تعالى منه.

وخطيب الجبل

■ شرف الدين عبد الله ابن الشيخ أبي عمر رحمه الله.

والسيف

■ أحمد بن عيسى ابن الإمام موفق الدين بن قدامة.

وفيهما توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن

■ محمد بن أبي جعفر مسند وقته، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلاً رحمه الله تعالى.

والخندان الكبيران الخلفاظان المقيدان شرف الدين

■ أحمد بن الجوهري

وتاج الدين

■ عبد الجليل الأهيري.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

ففيها كسر المنصور الخوارزمية عند بحيرة حصص واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبعليكم وبصرى، ثم في جمادى الآخرة كسر فخر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلح كسرة فرق بقية شملهم، ثم حاصر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق، وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسن إلى أهلها وتسلم هذه المدن المذكورة، وانتزع صرخد من يد عز الدين أيك، وعوضه عنها، وأخذ الصلح من الناصر داود بن المعظم وأخذ حصن الضبية من السعيد بن العزيز بن العادل، وعظم شأنه جداً، وزار في رجوعه بيت المقدس وتقصد أحواله وأمر بإعادة أسواره أن تعمر كما كانت في الدولة الناصرية، فاتح القدس، وأن يصرف الخراج وما يتحصل من غلات بيت المقدس في ذلك، وإن عاز شيئاً صرفه من عنده.

وفيهما قدمت الرسل من عند البابا الذي للنصارى تخبر بأنه إباح دم الأنبرور ملك الفرنج لتهوانه في قتال المسلمين، وأرسل طائفة من عنده ليقتلوه، فلما انتهوا إليه كان قد استعد لهم وأجلس مملوكاً له على السرير فاعتقدوه الملك فقتلوه، فعند ذلك أخذهم الأبدور فصلبهم على باب قصره بعد ما ذبحهم وسلخهم وحشي جلودهم تناً، فلما بلغ ذلك البابا أرسل إليه جيشاً كثيفاً لقتاله فوقع الله بينهم الخلاف بسبب ذلك، وله الحمد والمنة وبه التوفيق والصحة.

وفيهما هبت ريح عاصفة شديدة بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر، فألقت ستارة الكعبة المشرقة، وكانت قد عتقت، فلإنها من سنة أربعين لم تجدد لعدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة، فما سكنت الريح إلا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد، وكان هذا فالاً على زوال دولة بني العباس، ومنزلاً بما سيقع بعد هذا من كائنة التار لنعمهم الله تعالى. فاستأذن نائب اليمن عمر بن رسول شيخ الحرم العفيف منصور بن منعة في أن يكسو الكعبة، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة، ولم يكن

عنده مال فاقترض ثلاثمائة دينار واشترى ثياب قطن وصبغها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسى بها الكعبة ومكثت الكعبة ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة.

وفيهما فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقي بدار الوزارة، وكانت في نهاية الحسن، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير، وامتدحها الشعر بأبيات وقصائد حسناً.

وفي أواخر ذي الحجة ظهر الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين ولديه الأميرين أبا العباس أحمد، وأبا الفضال عبد الرحمن، وعملت ولائم فيها كل أفراح ومسرّة، لا يسمع بمثلها من أزمان متطوّلة، وكان ذلك وداعاً لسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان.

وفيهما احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن حسكر، وكان من خيار الأمراء الأجواد الأجداد، واصطفى أمواله كلها وسجنه عنده في الكرك، فشفّع فيه فخر الدين بن الشيخ لما كان محاصره في الكرك فأطلقه، فخرجت في حلقه خراجة بقطها فمات ودفن عند قبر جعفر والشهداء بمؤتة رحمه الله تعالى.

وفيهما توفي ملك الخوارزمية قبلاً بركات خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حصص كما تقدم ذكره.

وفيهما توفي

الملك

■ المنصور: ناصر الدين إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصص بدمشق، بعد أن سلم بعلبك للصالح أيوب، ونقل إلى حصص، كان نزوله أولاً بيتان سامة، فلما مرض حمل إلى الدعشة بستان الأشرف بالتيّرب فمات فيها.

وفيهما توفي: الصالح

■ محمد بن حسان بن واقع العامري الخطيب، وكان كثير السماع مسنداً وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالى.

وفيهما توفي: الفقيه العلامة

■ محمد بن محمود بن عبد النعم: المراتبي الحنبلي وكان فاضلاً ذا فنون، أثنى عليه أبو شامة قال: صحبته قديماً ولم يترك بعده بدمشق مثله في الحنابلة، وصلي عليه بجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله.

والضياء

■ عبد الرحمن المعادي: المالكي الذي ولي وظائف الشيخ أبي عمرو بن الحاجب حين خرج من دمشق سنة ثمان وثلاثين وجلس في حلقاته ودرس مكانة بزاوية المالكية.

والفقيه تاج الدين

■ إسماعيل بن جهيل مجلب، وكان فاضلاً ديناً سليم الصدر رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

ففيها كان عود السلطان نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية، وزار بيت المقدس وفرق في أهله أموالاً كثيرة، وأمر بإعادة سورته كما كان في أيام عمه الملك الناصر فاتح القدس. ونزل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبريا في عاشر صفر وفتحت عسقلان في أواخر

جاءى الآخرة.

وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الآبار عن الخطابة بالجامع الأموي وتدرّس الغزالية، وولي ذلك للقاضي عماد الدين بن عبد الكريم بن الحرستاني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح. وفيها أرسل الصالح أيوب يطلب جماعة من أعيان الدماشقة اتهموا بمالأة الصالح إسماعيل، منهم القاضي عيسى الدين بن الزكي، وبنو صصري وابن العماد الكاتب، والحكيم مملوك الصالح إسماعيل، والشهاب غازي والي بصرى، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شيء من القربى والإمانات، بل خلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ الحسين بن الحسين بن علي بن حجة العلوي الحسيني، أبو عبد الله الأقسامى القبط قطب الدين، أصله من الكوفة وأقام ببغداد، وولي القباة، ثم اعتقل بالكوفة، وكان فاضلاً أدبياً شاعراً مطبقاً، أورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة رحمه الله.

■ الشلوين النحوي: هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي، أبو علي الأنلسي الإشبيلي المعروف بالشلوين، وهو بلغة الأندلسيين الأبيض الأشقر.

قال ابن خلكان: ختم به أئمة النحو، وكان فيه تغفل، وذكر له شعراً ومصنفات، منها شرح الجزولية وكتاب التوطئة وأرخ وفاته بهذه السنة. وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى وعفا عنه.

■ (الحريري).

الشيخ علي المعروف بالحريري: علي بن أبي الحسين بن منصور البصري أصله من قرية بسر شرقي زرع، وأقام بدمشق مدة يعمل صناعة الحرير، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل الفقيري على يد الشيخ علي المغربي، تلميذ الشيخ رسلان التركماني الجعبري، فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم الحريرية وابتنى له زاوية على الشرف القبلي، وبلدت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، والشيخ أبي عمرو بن الحناجب شيخ المالكية وغيرهم. فلما كانت الدولة الأشرافية حبس في قلعة عزتاً مدة سنين ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق، فلزم بلد بسر مدة حتى كانت وفاته في هذه السنة.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل (ص: ١٨٠): وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري المقيم بقرية بسر في زاويته، وكان يتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من القراء وهم المعروفون بالحريرية أصحاب المنافي للشرعية، وباطنهم شر من ظاهرهم، إلا من رجع إلى الله منهم.

وكان عند الحريري من الاستهزاء بأسواق الشريعة والتهاون فيها من إظهار شحات أهل الفسوق والعصيان شيء كثير، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه خليع العذار، يجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان، وترك الإنكار على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات وكثرة التفقات، فاضل خلقاً كثيراً وأفسد جداً كثيراً، ولقد أفتى في قتله مراراً جماعة من علماء الشريعة، ثم أراح الله تعالى منه. هذا لفظه مجروح.

واقف العزية الأمير

■ عز الدين أيك: استاذ دار المعظم، كان من العقلاء الأجواد الأعباد،

استابه المعظم على صرخد وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد، ووقف العزتين الجوانية والبرانية، ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى عليه بأنه يكاتب الصالح إسماعيل فاحتبط عليه وعلى أمواله وحواصله فمرض وسقط إلى الأرض، وقال هذا آخر عهدي. ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحمه الله تعالى، ثم نقل إلى تربته التي فوق الوراقة.

وإنما أرخ السبط وفاته في سنة سبع وأربعين فإله أعلم
الشهاب

■ الغازي بن العادل: صاحب ميفالقرين وغلط وغيرهما من البلدان، كان من عقلاء بني أيوب وفضلاتهم، وأهل الديانة منهم، وما أشد قوله:

ومن عجب الأيام أنك جالس على الأرض في الدنيا وأنت تسير
فسيرك يا هذا كسير سفينة بقرم جلوس والقلسر تلسير

ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية إلى دمشق وجهز الجيوش والجناحين إلى حمص، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف موسى بن المنصور بن أسد الدين شيركوه قد قايض بها إلى تل باشا لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز، ولما علمت الحليون بخروج الدماشقة برزوا أيضاً في جيش عظيم ليتمروا حمص منهم، واتفق الشيخ نجم الدين عبد الله البادراني مدرّس النظامية ببغداد في رسالة فاصلح بين الفريقين، ورد كلا من الفتيين إلى مستقرهما والله الحمد.

وفيها قتل ملوك تركي شاب صبي سبّه على دفعه عنه لما أراد به من القاحشة، فسلب الغلام مسراً، وكان شاباً حسناً جداً فتأسف الناس له لكونه صغيراً ومظلوماً وحسناً، ونظموا فيه قصائد، ومن نظم فيه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل، وقد أطال قصته جداً.

وفيها سقطت قنطرة رومية قنعة البناء بسوق الدقيق من دمشق، عند قصر أم الحكيم، فهدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين، وكان سقوطها نهاراً.

وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالشارقة الشرقية فأحرق جميع حشوها، وكانت سلامها سقالات من خشب، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها، وسلم الله الجامع وله الحمد. وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت.

قلت: ثم احترقت وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمائة وأعيدت عملتها أحسن مما كانت والله الحمد. ويقت حيثئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عليها، كما سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى.

ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضاً في حجة إلى الديار المصرية وهو ثقيل مثنت، شغل ما هو فيه عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بخنقه فخنق ودفن بترية شمس الدولة، فما عمر بعده إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حال وأشد مرض، فسبحان من له الخلق والأمر.

وفيها كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية.

■ أفضل الدين الحونجي: الحكيم المنطقي البارع في ذلك، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه.

قال أبو شامة: أتى عليه، أكثر من واحد.

■ علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن البغدادي المخزومي: كان شاباً فاضلاً أديباً شاعراً ماهراً، صنف كتاباً مختصراً وجيزاً جامعاً لفنون كثيرة في الرياضة والعقل وذم الهوى، وسماه نتائج الأفكار. قال فيه من الكلم المستفادة الحكمية: السلطان إمام متبوع، ودين مشروع فإن ظلم جارت الحكام لظلمه، وإن عدل لم يجر أحد في حكمه، من مكنه الله في أرضه وبلاده، واتمته على خلقه وعباده، وبسط يده وسلطانه، ورفع محله ومكانه، فحقق عليه أن يؤدي الأمانة، ويخلص الديانة، ويحبل السريرة، ويحسن السيرة، ويعمل العدل دأبه المهود، والأمن غرضه المقصود، فالظلم يزل القدم، ويزيل النعم، ويجلب النقم، ويهلك الأمم.

وقال أيضاً: معارضة الطبيب توجب التعذيب، وب حيلة أنفع من قبلة، الموت في طلب الثأر خير من الحياة في العار، سمين الغضب مهزول، ووالي الغدر معزول، قلوب الحكمة تستشف الأسرار من لحات الأبصار، أرض من أخيك في ولايته بعشر ما كنت تعمله في مودته، التواضع من مصائد الشرف، ما أحسن حسن الظن لولا أن فيه العجز. ما أقبح سوء الظن لولا أن فيه الخزم.

وذكر في غصون كلامه أن خادماً لعبد الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال: يا سيدي أما لك ذنب تخاف الله تعالى منه؟ قال: بلى، قال بالذي أمهلك لما أمهلتني، ثم أذنب العبد ثانية فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك ففما عته، ثم أذنب الثالثة فعاقه وهو لا يتكلم فقال له ابن عمر: ما لم تغفل مثلما قلت في الأوليتين؟ فقال: يا سيدي حياء من حلمك مع تكرار جرمي. فبكى ابن عمر وقال: أنا أحق بالحياء من ربي، أنت حر لوجه الله تعالى. ومن شعره يمدح الخليفة.

يا من إذا ضنَّ السحاب بمائه هطلت يده على البرية عسجدا
جسور كسرى يا مبخل حاتم فغلت بنو الأسال نحوك سجدا
وقد أورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة حسنة رحمه الله تعالى.

الشيخ أبو عمرو

■ ابن الحاجب: المالكي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني ثم المصري العلامة أبو عمرو بن الحاجب شيخ المالكية كان أبوه حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحى، واشتغل هو بالعلم فقرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً، وتفقه وساد أهل عصره، ثم كان رأساً في علوم كثيرة، منها الأصول والفروع والعربية والنحو والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك.

وقد كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستمائة، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في سنة ثمان وثلاثين، فصار إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالإسكندرية، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وكان من أذكى الأئمة قريحة، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير الحياء متصفاً بحباً للعلم وأهله، ناشراً له محتملاً للأذى صبوراً على البلوى، قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة، فأقام بها مدرساً للمالكية وشيخاً للمستفيدين عليه في علمي

القراءات والعربية، وكان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل، بارعاً في العلوم متقناً للعب مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

وقد أتى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً، وذكر أنه جاء إليه في أداء شهادة حين كان نائباً في الحكم بمصر وسأله عن مسألة اعترض الشرط على الشرط، كـ «إذا» قال إن أكلت إن شربت فانت طالق لم كان لا يقع الطلاق حتى شربت أولاً؟ وذكر أنه أجاب عن ذلك في تودة وسكون.

قلت ومختصره في الفقه من أحسن المختصرات، انتظم فيه جواهر ابن شاش، ومختصره في أصول الفقه، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الأمازي، وقد من الله تعالى علي بحفظه وجمعت كرايس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية، ولله الحمد والمثنة.

وله شرح المفصل والأسالي في العربية والمقدمة المشهورة في النحو، اختصر فيها مفصل الزخشرى وشرحها، وقد شرحتها غيره أيضاً وله التصريف وشرحه وله العروض على وزن الناطية رحمه الله ورضي عنه.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب، وقتل ابنه توران شاه وتولية العزيز الدين أيوب التركماني على ما سيأتي.

وفي ربيع المحرم يوم الاثنين توجه السلطان الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية بمحفة. قاله السبط.

وكان قد نادى في دمشق: من له عندنا شيء فليأت، فاجتمع خلق كثير بالقلعة، فدفعت إليهم أموالهم.

وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فتزل بدرب الشعارين داخل باب الجابية.

وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين الحديثة وسط باب الريد، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانيته إلى جانب الحائطين القبلي والشمالي، وما في الوسط يهدم.

قال أبو شامة: وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور، والمرجو استمراره على هذه الصفة.

وفيها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى نائبه بدمشق جمال الدين بن يغمور بخراب دار سامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق، وستانه الذي بالقابون، وهو بستان القصر، وأن تطلع أشجاره ويحرق القصر، وتسلم الصالح أيوب الكرك من الأجد حسن بن الناصر، وأخرج من كان بها من بيت المعظم، واستحوذ على حواصلها وأموالها، فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار وأقطع الصالح الأجد هذا إقطاعاً جديداً.

وفيها طغى الماء ببغداد حتى أتلغ شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة، وتغلزت الجمع في أكثر الجوامع بسبب ذلك سوى ثلاثة جوامع، وتقلت توابيت جماعة من الخلفاء إلى التراب من الرصافة خوفاً عليهم من أن تغرق محالهم، منهم المعتضد ابن الأمير أبي أحمد بن التوكل، وذلك بعد دفنه بنيف وخمسين سنة وثلاثمائة سنة، وكذا نقل ولده المكفي وكذا المتقي بن المعتز بالله ورحمهم الله تعالى.

وفيها هجمت الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها من الجنود والعامة واستحوذوا الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيرة من المسلمين.

وكذا في ربيع الأول منها، فنصب السلطان المقيم نجاة العدو بجميع

الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه.

تحريك الملك المعز عز الدين أيك التركماني مصر بعد بني أيوب وتداول دولة الأتراك

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحة ابن أستاذهم المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب، وكان ملكه بعد أبيه شهرين كما تقدم بيانه، ولما قتل انفصل أمره نادوا فيما بينهم لا بأس لا بأس واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيك التركماني، فملكوه عليهم وبايعوه ولقبوه بالملك المعز، وركبوا إلى القاهرة، ثم بعد خمسة أيام أقاموا لهم صبياً من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف بن السمعد إقبس بن الكامل، وجعلوا المعز أتابكته فكانت السكة والخطبة باسمهما، وكتبوا أمراء الشام بذلك، فمات لهم الأمر بالشام، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة إلا على الديار المصرية، وكل ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حظية الصالح أيوب، فتزوجت بالمعز، وكانت الخطبة والسكة باسمها، يدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها، وكذا ضربت السكة باسمها أم خليل، والعلامة على المناشير والترايع بخطها واسمها، مدة ثلاثة أشهر قبل المعز، ثم أكل أمرها إلى ما سنذكره من الهوان والقتل.

ذكر الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر فاتح

القدس صاحب حلب لدمشق حرسها الله تعالى

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم توران شاه بن الصالح أيوب ركب الحلبيون معهم ابن أستاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس، ومن كان عندهم من ملوك بني أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل، وكان أحق الموجودين بالملك، من حيث السن والعقل والحرمة والرياسة، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه، الذي كان صاحب حصص وغيرهم، فجاؤوا إلى دمشق فحاصروها فملكوها سريعاً ونهبت دار ابن يغمور وجس في القلعة وتسلموا ما حولها كعبلك وبصرى والصلت وعجلون وصرخد، وامتنعت عليهم الكرك والشوبك بالملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل، كان قد تغلب عليهما في هذه السنة حين قتل المعظم توران شاه، فطلبه المصريون ليملكوه عليهم فخاف عما حل بآب عمه، فلم يذهب إليهم.

ولما استقرت يد الحلبين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيب قلوب الناس، ثم ركبوا إلى غزة ليسلموا الديار المصرية، فبرز إليهم الجيش المصري فاقتتلوا معهم أشد القتال، فكسر المصريون أولاً بحيث إنه خطب للناصر بها ذلك اليوم، ثم كانت الدائرة على الشاميين فانتهزوا وأسر من أعيانهم خلق كثير، وعدم من الجيش الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى، وقد أشد هنا الشيخ أبو شامة لبعضهم:

ضَيَّعَ إِسْمَاعِيلُ أَمْوَالَنَا وَخَرَّبَ الْمَغْنَى بِلَا مَعْنَى
وَرَأَى مَنْ جَلَسَ هُنَا جِزَا مَنْ أَقْرَبَ النَّاسَ وَمَا اسْتَنْى

الجيش، وشتن خلقاً من حرب من الفرنج، ولا مهم على ترك المصاهرة قليلاً ليرهبوا عدو الله وعدوهم، وقوي المرض وتزايد بالسلطان جداً فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفي رحمه الله تعالى بالمنصورة، فأخفت جاريته أم ولده خليل المدعوة شجر الدر موته وأظهرت أنه مريض مُتَزَيِّف لا يُوصَلُ إليه، وبقيت تُعلم عنه بعلامته سواء، وأعلمت إلى أعيان الأمراء، فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم توران شاه وهو بمحصر كيفا، فأقدموه إليهم سريعاً، وذلك بإشارة أكابر الأمراء منهم فخر الدين ابن الشيخ، فلما قدم عليهم ملكوه إليهم وبايعوه أجمعين، فركب في عصابة الملك وقاتل الفرنج فكسروهم وقتل منهم ثلاثين ألفاً، وذلك في أول السنة الداخلة. ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه، ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيك التركماني، فضربه في يده فقطع بعض أصابعه فهرب إلى قصر من خشب في المخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه، فخرج من بابيه مستجيراً برسول الخليفة فلم يقبلوا منه، فهرب إلى النيل فانتقم فيه ثم خرج قتل سريعاً شر قتلة وداسوه بأرجلهم ودفن كالجيفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان فيمن ضربه البندقاري على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر وهو يستغيث فلا يفتاح.

ومن قتل في هذه السنة

فخر الدين

يوسف ابن الشيخ

■ بن حمويه وكان فاضلاً ديناً مهيباً وقوراً خليفاً بالملك، وكانت الأمراء تعظمه جداً، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح أيوب لما اختلف عليه اثنان، ولكنه كان لا يرى ذلك حماية لجانب بني أيوب، قتله الدائرة من الفرنج شهيداً قبل قدوم المعظم توران شاه إلى مصر، في ذي القعدة ونهبت أمواله وحواصله وخيوله، وخربت داره، ولم يتركوا شيئاً من الأفعال الشنيعة البشعة إلا صنعوه به، مع أن الذين تعاطوا ذلك من الأمراء كانوا معظمين له غاية التعظيم. ومن شعره:

عصيت هوى نفسي صغيراً فعندما رميتي الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني خلقت كبيراً وانتقلت إلى الصغر

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط، فقتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مائة ألف، وغنموا شيئاً كثيراً والله الحمد، ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا، وكان فيمن أسر ملك الإفرنجيس وأخوه، وأرسلت غفارة ملك الأفرنجيس إلى دمشق، فلبسها ثابها في يوم الموكب، وكانت من سقر لاط أحر تحتها فروستجاب، فأنشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع، ودخل الفقراء كنيسة مريم فأقاموا بها سمعاً فرحاً بما نصر الله تعالى على النصارى، وكادوا أن يجربوها وكانت النصارى يبعلك فرحوا حين أخذت النصارى دمياط، فلما كانت هذه الكسرة عليهم سخموا وجوه الصور، فأرسل نائب البلد فجناتهم وأمر اليهود فصغفهم، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم توران شاه، ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الأخرى رحمه

ذكر شيء من ترجمة الصالح أبي الخيش إسماعيل واقف

تربة أم الصالح

وقد كان الصالح رحمه الله تعالى ملكاً عاقلاً حازماً ثقيلت به الأحوال أطواراً كثيرة، وقد كان الأشرف موسى أوصى له بدمشق من بعده، فملكها شهوراً ثم انتزعها منه أخوه الكامل، ثم ملكها من يد الصالح أيوب خليعة ومكرراً، فاستمر فيها لأزيد من أربع سنين، ثم استعادها منه الصالح أيوب عام الحوازمية سنة ثلاث وأربعين، واستقرت بيده بلداه بعلبك وبصرى، ثم أخذتا منه كما ذكرنا، ولم يبق له بلد يأوي إليه، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحب حلب، فلما كان في هذه السنة ما ذكرنا عدم بالديار المصرية في المعركة فلا يدري ما فعل به والله تعالى أعلم. وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والإقراء بدمشق رحمه الله تعالى.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان والمشاهير

الملك

■ المعظم توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل، كان أولاً صاحب حصن كيفا في حياة أبيه، وكان أبوه يستدعيه في أيامه فلا يجيبه، فلما توفي أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم، ثم قتلوه كما ذكرنا، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم، وقد قيل إنه كان متخلفاً لا يصلح للملك، وقد رثي أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول:

قتلوه شرّاً قتلوه صار للعالم مثله
لم يرأعوا فيه إلا لا ولا من كان قبله
سأترهم عن قريب لأقل الناس أكله

فكان كما ذكرنا من اقتال المصريين والشاميين وعن عدم فيما بين الصغين من أعيان الأمراء والمسلمين قتلهم:

■ الشمس لؤلؤ مدبر ممالك الحلبيين، وكان من خيار عباد الله الصالحين الأكرمين المعروف الناهين عن المنكر.

وفيها كانت وفاة واقفة الحافظية:

■ الخاتون أرغون الحافظية سميت الحافظية لخلفتها وتربيتها الحافظ، صاحب قلعة جعبر، وكانت امرأة عاقلة مليرة عصرت دهرها ولها أموال جزيلة عظيمة، وهي التي كانت تصلح الأطعمة للمغيث عمر بن الصالح أيوب، فصادرها الصالح إسماعيل فأخذ منها أربعمائة صندوق من المال، وقد وقفت دارها، بدمشق على خدامها، واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خدام الشيخ تاج الدين الكندي، وجعلت فيه تربة ومسجداً، ووقفت فيه عليها أوقافاً كثيرة جيدة رحمها الله.

■ واقف الأمينية التي يعلبك:

أمين الدولة أبو الحسن غزال المطالب وزير الصالح إسماعيل أبي الخيش الذي كان مشروباً على نفسه، وعلى سلطانه، وسبياً في زوال النعمة عنه وعن خدمه، وهذا هو وزير السوء، وقد اتهمه السبط بأنه كان متسترأ بالدين، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين، فأراح الله تعالى منه عامة المسلمين، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بديار مصر،

عمد من عمد من الأمراء إليه وإلى ابنه يغمرور ناصر الدين فشقرهما وصلبوهما على القلعة بمصر، وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والتحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار، وعشرة آلاف مجلد بخط منسوب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفاخرة.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدمت عساكر المصريين فحكموا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردهم حتى ردوهم إلى الديار المصرية، وقصروهم عليها. وتزوجت في هذه السنة أم خليل شجرة الدر بالملك المعز عز الدين أيبك التركماني، علوك زوجها الصالح أيوب.

وفيها نقل تابوت الصالح أيوب إلى تربته بمدنسته، ولبست الأتراك ثياب الغزاة، وتصدقت أم خليل عنه بأموال جزيلة.

وفيها خربت الترك دمياط ونقلوا الأهالي إلى مصر وأخلوا الجزيرة أيضاً خوفاً من عود الفرنج.

وفيها أكمل شرح الكتاب المسمى بهنج البلاغة في عشرين مجلداً مما ألفه عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني، الكاتب للوزير مزيد الدين بن العلقمي، فاطلق له الوزير مائة دينار وخلعة وفرساً، وامتنحه عبد الحميد بقصيدة، لأنه كان شيعياً معتزلياً.

وفي رمضان استدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة النهرولي مدرس النظامية ببغداد فولي قضاء القضاة ببغداد مع التلويح المذكور، وخلع عليه.

وفي شعبان ولي تاج الدين عبد الكريم بن استاذ دار الشيخ عجي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حسبة ببغداد بعد أخيه عبد الله الذي تركها ترهنا عنها، وخلع عليه بطرحة، ووضع على رأسه غاشية، وركب الحجاب في خدمته.

وفي هذه السنة صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر، وهذا اتفاق غريب.

وفيها وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن صلاح الدين بن يوسف بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادعى الخلافة، وأنه أنشد إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنعاء وهرب هو بنفسه في شرمدة قليلة عن بقي من أصحابه.

وفيها أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد.

وفيها كانت وفاة:

بهاء الدين

■ علي بن هبة الله بن سلامة الجصيزي خطيب القاهرة، رحل في صغره إلى العراق فسمع شهلة وغيرها، وكان فاضلاً قد اتقن معرفة مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير البر، قل أن يقدم عليه أحد إلا أطلععه شيئاً، وقد سمع الكثير على السلفي وغيره، وأسمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة، وله تسعون سنة، ودفن بالقراة رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان:

أقضى القضاة أبو الفضل

■ عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ عبد العزيز بن علي بن عبد الجبار المغربي، أبوه ولد ببغداد، وسمع بها الحديث، وعني بطلب العلم، وصنّف كتاباً في مجلدات على حروف المعجم في الحديث، وحرر فيه حكاية مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى. الشيخ أبو عبد الله

■ محمد بن غانم بن كريم الأصباهي، قدم ببغداد، وكان شاعراً فاضلاً، فتلمذ للشيخ شهاب الدين السهروردي، وكان حسن الطريقة، له يد في التفسير، وله تفسير على طريقة التصوف، وفيه لطافة.

ومن كلامه في الوعظ: العالم كالذرة في فضاء عظمته، والذرة كالعالم في كتاب حكمته، الأصول فروع إذا تجلّى جمال أوليته، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفي الوسائط شمس آخريته، أستاذ الليل مسدولة، وشموع الكواكب مشعولة، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل مطرودة معزولة، ما هذه الوقعة والحبيب قد فتح الباب؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب؟

وتوفي بأكثاف العقيق عسوق إذا لم أرد والشمع فيه عقيق وإن لم أمت شوقاً إلى ساكن الحمى فما أنا فيما أقمه صدوق أيا ربح ليلى ما المحبون في الهوى سواء ولا كلّ الشراب رحيق ولا كلّ من تلقاه يلقاك قلبه ولا كلّ من يمنو إليك مشوق تكاثرت الدوى على الحب فاستوى أسير صبايات الهوى وطلّيق

أيها الأمنون، هل فيكم من يصعد إلى السماء؟ أيها المحبسون في مطامر مسمياتهم، هل فيكم سليمان الفهم لفهم رموز الوحوش والأطيار؟ هل فيكم موسي الشوق يقول بلسان شوقه أرني أنظر إليك، فقد طال الانتظار؟

وقال بعد الاستسقاء: لما صعدت إلى الله عز وجل نفس المشتاق بكت آماق الأفاق، وجادت بالدر مرضمة السحاب، فامتنص لئن الرحمة رضيع التراب وخرج من اخلاف الغمام نطاف الله النعيم، فاهتمت به الهامدة، وقرت عيون الغدير، وتزينت الرياض بالسندس الأخضر، فحبر الصبغ حبرها أحسن تحبير، وانفلق بالملحة الصبا أكامم الأنوار، وانثقت بفحات أنفاسه جيوب الأزهار، ونطقت أجزاء الكائنات بلغات صفاتها، وعادات عيرها.

أيها النائمون تيقظوا، أيها المستعدون تعرضوا ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بُعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الزمر: ٥٠).

أبو الفتح

■ نصر الله بن هبة الله من عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن بصافة الغفاري الكناشي المصري ثم الدمشقي كان من أخصاء الملك المعظم، وولده الناصر داود، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وكان أديباً ملجأ المحاضرة رحمه الله تعالى ومن شعره قوله:

ولما أبيت سادتي عن زيارتي وعوضتموني بالبعد عن القرب ولم تسمحوا بالوصل في حال غيظي ولم يصطبر عنكم لرتك قلبي نصبت لصيد الطيف جني حباله فادركت خفض العيش بالثوم والتصب

اللغواني الخفي في بيت العلم والقضاء، درس بمشهد أبي حنيفة وناب عن قاضي القضاة ابن فضال الشافعي، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق الخبلي، ثم عن قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي، ثم بعد وفاته في سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضي عبد الرحمن اللغواني بولاية الحكم ببغداد، ولقب أقضى القضاة، ولم يخاطب بقاضي القضاة، ودرس للحنفية بالمستصرية في سنة خمس وثلاثين، وكان مشكور السيرة في أحكامه ونقض وإبرامه.

ولما توفي تولى بعده قضاء القضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النهرقلي رحمه الله تعالى ونجاوز عنهما بمنه وكرمه آمين.

ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية

فيها وصلت التار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا فإن الله وإن إليه راجعون ووقعوا بتجار يسرون بين حران ورأس العين، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية، وستمائة ألف دينار، وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرة آلاف قتيل، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك، فإن الله وإن إليه راجعون.

قال البسط: وفيها حج الناس من بغداد، وكان لهم عشر سنين لم يجعوا من زمن المستنصر.

وفيها وقع حريق مجلب احترق بسببه ستمائة دار، ويقال إن الفرنج لنعمهم الله ألقوه فيه قصداً.

وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النهرقلي أمر المدرسة الناجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام، وجعلوها كالتيسارية يتابعون فيها مدة طويلة، وهي مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية، وقد كان ياتها يقال له تاج الملك، وزير ملك شاه السلجوقي، وأول من درس بها الشيخ أبو بكر الشاشي.

وفيها كانت وفاة: جمال الدين

■ ابن مطروح وقد كان فاضلاً رئيساً كيباً شاعراً من خيال المتعممين، ثم استأبته الملك الصالح أيوب في وقت على دمشق فلبس لبس الجند.

قال البسط: وكان لا يلقى في ذلك ومن شعره في الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفرنج حين سلمت إليهم في سنة ست وثلاثين في الدولة الكاملية فقال هذا الشاعر، ابن مطروح رحمه الله:

المسجد الأقصى له عبادة سارت فصارت مثلاً سائرا
إذا غدا للكفر مستوطناً أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولاً ونناصر طهره آخره

ولما عزله الصالح عن النيابة أقام خاملاً وكان كثير البر بالفقراء والمساكين، وكانت وفاته بمصر.

وفيها توفي: شمس الدين

■ محمد بن سعد المقدسي: الكاتب الحسن الخط، كان كثير الأدب، وسمع الحديث كثيراً، وخدم السلطان الصالح إسماعيل والناصر داود، وكان ديناً فاضلاً شاعراً له قصيدة ينصح فيها السلطان الصالح إسماعيل وما يلقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما، من حواشيه وكانت وفاته بدمشق ودفن بقامبون.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها دخل الشيخ نجم الدين البادراني رسولاً للخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام، وأصلح بين الجيشين، وكانوا قد اشتدت الحرب بينهم ونشبت، وقد مالا الجيش المصري الفرنج وعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصرهم على الشاميين، وجرت خطوب كثيرة، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية، منهم أولاد الصالح إسماعيل، وبنو الأشرف، وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم، جزاه الله خيراً.

وفيها فيما ذكر ابن الساعي كان رجل ينفذ على راسه زيادي قاشاني فزلق فتكسرت ووقف يكي، فنام الناس له لتفقره وحاجته، وأنه لم يكن يملك غيرها. فأعطاه رجل من الحاضرين ديناراً، فلما أخذه نظر فيه طويلاً ثم قال: والله هذا الدينار أعرفه، وقد ذهبني مني في جملة دنائير عام أول، فشتمه بعض الحاضرين فقال له ذلك الرجل: فيما علامة ما قلت؟ قال زنة هذا كذا وكذا، وكان معه ثلاثة وعشرون ديناراً، فوزنوه فوجدوه كما ذكر، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين ديناراً، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه، فتعجب الناس لذلك.

قال: ويقرّب من هذا أن رجلاً بمكة تزج ثيابه لينتسل من فاء زمزم وأخرج من عضده مملجاً زنته خمسون مثقالاً فوضعه مع ثيابه، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسي الدملج ومضى، وصار إلى بغداد وبقي مدة ستين بعد ذلك وأيس منه، ولم يبق معه سوى شيء يسير فاشتري به زجاجاً من القوارير ليبيعها ويتكسب بها، فبينما هو يطوف بها إذ تمس فسقطت القوارير فتكسرت، فوقف يكي واجتمع الناس عليه يتألمون له، فقال في جملة كلامه: والله يا جماعة لقد ذهب مني من مدة ستين دملج من ذهب عند بئر زمزم زنته خمسون ديناراً، ما تألت لفقدته كما باليت لتكسب هذه القوارير، وما ذاك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك، فقال له رجل من الجماعة: فانا والله لآتيك ذلك الدملج، وأخرجه من عضده فدفعه إليه فتعجب الناس والحاضرون والله أعلم بالصواب.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة

قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان [٧٩٣/٨، ٧٩٤]: فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى بأن ناراً ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شرورها إلى البحر في الليل، وتصد منها دقان عظيم في أثناء النهار، فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي ﷺ أنها تظهر في آخر الزمان، فتاب الناس وأقنعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات.

وفيها قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهب أموال المسلمين وأسر بعضهم، ومعه جماعة من البحرة المسلمين في الأرض، وقد بنوا وظفروا وتجبروا، ولا يلتفتون إلى الملك العزيز التركي، ولا إلى زوجته شجر الدر، فشاور العزيز زوجته شجر الدر في قتل أقطاي، فأذنت له، فعمل عليه حتى قتله. في هذه السنة بالقلعة المنصورة بمصر، فاستراح المسلمون من شره.

وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب

بين القصرين.

وفيها قدمت بنت ملك الروم في تحمل عظيم وإقامات ماثلة إلى دمشق زوجة لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر، وجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها.

ومن توفي فيها من المشاهير

■ الحسروشاوي المتكلم: عبد الحميد بن عيسى: الشيخ شمس الدين الحسروشاوي، أحد مشاهير المتكلمين، ومن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن المعظم وحظي عنده.

قال أبو شامة: وكان شيخاً مهيباً فاضلاً متواضعاً حسن الظاهر رحمه الله تعالى.

قال السبط: وكان متواضعاً كيساً محض خيراً، لم ينقل عنه أنه أذى أحداً فإن قدر على نفع وإلا سكت.

توفي بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالى.

الشيخ مجد الدين

■ ابن تيمية صاحب الأحكام عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحضرمي بن محمد بن علي بن تيمية الحارثي الحلبي، جد الشيخ تقي الدين بن تيمية، ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفق في صفه على عمه الخطيب فخر الدين، وسمع الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بحران.

الشيخ

■ كمال الدين بن طلحة: الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الدولعي، ثم عزل وصار إلى الجزيرة فولي قضاء نصيبين، ثم صار إلى حلب فتوفي بها في هذه السنة.

قال أبو شامة: وكان فاضلاً عالماً طلب أن يلي الوزارة فامتنع من ذلك، وكان هذا من التأيد، رحمه الله تعالى.

■ السليد بن علان: آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر سماعاً بدمشق.

الناصح

■ فرج بن عبد الله الحيشي: كان كثير السماع مستنداً خيراً صالحاً مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدمشق الحديث التورية بدمشق رحمه الله.

■ النصرة بن صلاح الدين يوسف بن أيوب النصرة ابن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب: توفي بحلب في هذه السنة. وآخرون رحمهم الله أجمعين.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة

قال السبط: فيها عاد الناصر داود من الأتيل إلى دمشق، ثم عاد وحج من العراق وأصلح بين العراقيين، وأهل مكة، ثم عاد معهم إلى الحلة.

قال أبو شامة: وفيها في ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفي بحلب الشيخ الفقيه.

ضياء الدين

■ صقر بن يحيى بن سالم وكان فاضلاً ديناً، ومن شعره قوله رحمه الله تعالى:

من ادعى أن له حالةً تخرجه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحباً فإنه ضارباً تقصع

وهو واقف القوصية.

أبو العرب

■ إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري القوصي: واقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره، وكان مدرساً بملقة جمال الإسلام تجاه البرادة، عرفت به، وكان ظريفاً مطبوعاً حسن المحاضرة، وقد جمع له معجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة.

قال أبو شامة: وقد طالعت بخطه فرأيت فيه أغاليط وأوهاماً في أسماء الرجال وغيرها، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عباد بن ديلم فقال سعد بن عباد بن الصامت وهذا غلط فاحش.

وقال في مستد خرقه التصوف فغلط وصحح حياً أبا محمد حسياً؟.

قال أبو شامة: رأيت ذلك بخطه، توفي يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله.

وقد توفي الشريف المرتضى تقيب الأشراف بحلب، وكانت وفاته بها، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أصابت لها أعناق الإبل ببصرى، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه (ج ١٧١٨)، م (٢٩٠٢)، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه النيل (ص: ١٩٠) وشرحه، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معلنة، وكيفية خروجها وأمرها، وهذا محرم في كتاب: دلائل النبوة من السيرة النبوية، في أوائل هذا الكتاب ولله الحمد والمئة.

وملخص ما أورده أبو شامة رحمه الله تعالى، أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بمحرم رجب عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة، وكتب الكتاب في خامس رجب، والنار بجبالها، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ورد إلى مدينة دمشق حرسها الله تعالى في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين (ج ١٧١٨)، م (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى». فأخبرني بعض من أتى به عن شاهداً أنه بلغه أنه كتب بتيماه على ضروفها الكتب.

قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكان في دار كل واحد منا سراجاً، ولم يكن لها حر ولفع على عظمها، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل».

قال أبو شامة: وهذه صورة ما وقعت عليه من الكتب الواردة فيها.

فما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة

ظهر بالمدينة - يعني النبوية - دوي عظيم، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة بنصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة إشعاعها أكثر من ثلاث منائر، وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادي شطا مسيل الماء، وقد مدت مسيل شطا وما عاد يسيل، والله لقد طلعتنا جماعة بنصرها فإذا الجبال تسيل نيراناً، وقد صدت الحرة طريق الحاج العراقي، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعدما أشفقنا أن نحى إلينا ورجعت تسير في الشرق فخرج من وسطها سهول وجبال نيران تاكل الحجارة، فيها الممزوج عما أخبر الله تعالى في كتابه: «إنها ترمي بشرير كالفقر كأنه جملة صخر» (الرسائل: ٣٢، ٣٣)، وقد أكلت الأرض.

وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تنيرت، وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق المعبر للحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل بنصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حرراً وألأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك، والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أصف هذه النار.

قال أبو شامة: فوفي كتاب آخر: ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ووقع في شرقي المدينة المشرقة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم: انفجرت من الأرض، وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد، ثم وقعت وعادت إلى الساعة، ولا ندرى ماذا تفعل؟ ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستفتين تائبين إلى ربهم تعالى، وهذه دلائل القيامة.

قال: فوفي كتاب آخر: لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وستمائة وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة، أقام على هذه الحال يومين، فلما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلزل فقيم على هذه الحال ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة، فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انتهجت الحرة بنار عظيمة يكون قلرها مثل مسجد رسول الله ﷺ، وهي برأي العين من المدينة، نشأها وهي ترمي بشرير كالقصر، كما قال الله تعالى: «وهي بموضع يقال له أحيلى»، وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف، وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمهاد وجبال صغار، ويسير على وجه الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآل، فإذا جد صار أسود، وقبل الجفود لونه أحمر، وقد حصل بطريق هذه النار إقلاع عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة «ومن كتاب الشيخ شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن غيلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة النبوية اضطرب لها الخبر إلى أن أوجسنا منه صوتاً للحديد الذي فيه، واضطربت قناديل الحرم الشريف، وتمت الزلزلة إلى يوم الجمعة صبحي، ولها دوي مثل

الصبح، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها ويوم الخميس وليلة الجمعة، وصبح يوم الجمعة ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم، وأشفق الناس من ذنوبهم، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ثم ظهرت عندها بالحرارة وراء قريظة على طريق السواريقة، بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض، فارتاع لها الناس روعة عظيمة، ثم ظهر لها دقان عظيم في السماء يتعقد حتى يبقى كالسحاب الأبيض، فيصل إلى قبل غروب الشمس من يوم الجمعة، ثم ظهرت النار لها لسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها الحلقة، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤوسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنيه عليه الصلاة والسلام، وآتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل، وخرج النساء من البيوت والصبان واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله، وغطت حرمة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء القمر، وبقيت السماء كالعلكة، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب، ويات الناس تلك الليلة بين مصلّ وتال للقرآن وراكم وساجد، وداع إلى الله عز وجل، ومتصل من ذنوبه ومستغفر وتائب، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيها، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس وأعتق مالهيكه كلهم وعييله، ورد علينا كل ما لنا تحت يده، وعلى غيرنا، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهايب، وهي كالجليل العظيم والمدينة ارتفاعاً وعرضاً، يخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها ويخرج منها كالجليل العظيم نار ترمي كالرعد، وبقيت كذلك أياماً ثم سالت سيلاناً إلى وادي أحيانٍ تتحد مع الوادي إلى الشظاة، حتى لحق سيلانها بالبحر بحرة الحاج، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض، ثم سكنت ووقفت أياماً، ثم عادت النار تخرج وترمي بحجارة خلفها وأمامها، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً، ثم إنها عظمت الآن وسناها إلى الآن، وهي تنقد كاعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال، وإنما هذا طرف منها كبير يكفي. والشمس والقمر، كأنهما منكسفان إلى الآن وكبت هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر.

وقد قال فيها بعضهم آياتاً:

يا كاشف الضرّ صفحاً عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا تطيق لها حلا ونغن بها حقاً أحقّاء
لزالل تخضع الصمّ الصلاب لها وكيف يقوى على الزلزال شمّاء
أقام سبعاً يربّج الأرض فأتصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن من الهضاب لها في الأرض إرساء
يُرى لها شرر كالقصر طائشة كأنها دومة تنصب هطلاه
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت رعباً وترعد مثل السيف أضواء
منها تكاثف في الجوّ الدّكان إلى أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثّرت سفة في البدر لفتحها فليلة التّم بعد النور ليلاء
تحدثت النّيرات السّبع السنّها بما يلاهي بها نحت الثرى الماء

دوي الرعد القاصف، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرّة في رأس جبلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة، وما باتت لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفتا خوفاً عظيماً، وطلعت إلى الأمير كلّته وقلّت له: قد أحاط بنا العذاب، أرجع إلى الله تعالى، فاعتق كل مالهيكه ورد على جماعة أموالهم، فلما فعل ذلك قلت: اهبط الساعة معنا إلى النبي ﷺ فهبط ويتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم، وما بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ، وأشفقنا منها، وظهر ضوؤها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها ثم سال منها نهر من نار، وأخذ فيه وادي أجيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاج وهو بحر نار يجري، وفوقه جمر يسر إلى أن قطعت الوادي وادي الشظا، وما عاد يجري في الوادي سيل قط لأنها حفرته بحر قامين وثلاث علوها، وبالله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدره والمدينة قد تاب جميع أهلها، ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب، وتمت النار تسير إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحرة الحاج، وجاء في الوادي إلينا منها قنبر، وخفتا أنه يبيتنا فاجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وياتوا عنده جميعهم ليلة الجمعة، ولما قترها الذي ما يلينا فقد طفى بقدره الله وأنها إلى الساعة وما نقصت إلا ترى مثل الجمال حجارة ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا ناكل ولا نشرب وما أقدر أصف لك عظمتها ولا ما فيها من الأهوال، وأبصرها أهل ينبع، وندبوا قاضيه ابن أسعد وجاء وعدا إليها، وما أصبح يقدر يصفها من عظمتها، وكتب الكتاب يوم خامس رجب، وهي على حالها، والناس منها خائفون، والشمس والقمر من يوم طلعت ما يظلمان إلا كاسفين، فنسأل الله العافية.

قال أبو شامة: وبان عندها بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان، وكنا حيارى من ذلك أبش هو؟ إلى أن جانا الخبر عن هذه النار. قلت: وكان أبو شامة قد أرخ قبل عجيء الكتب بأمر هذه النار، فقال: وفيها في ليلة الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل، وكان شديد الحمرة ثم انجلي، وكسفت الشمس، وفي غده احمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياماً متغيرة اللون ضعيفة النور، والله على كل شيء قدير.

ثم قال: واتضح بذلك ما صورته الشافعي من اجتماع الكسوف والعيد، واستبعده أهل النجامة.

ثم قال أبو شامة: فومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجاة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى دخل الماء من أعلى أسوار بغداد إلى البلد، وغرق كثير من البلد، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير، وثلاثمائة وثمانون داراً، وانهدم غزن الخليفة، وهلك من خزنة السلاح شيء كثير، بل تلف كله وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة، وتغرق أركة بغداد.

قال: وأما نحن فإنه جرى عندها أمر عظيم: لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها يومين، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد، ساعة بعد ساعة - وما في السماء غيم حتى تقول: إنه منه - يومين إلى ليلة الأربعاء، ثم ظهر صوت الرعد حتى سمعه الناس وترزلت الأرض ورجفت بنا رجفة لها صوت كدوي الرعد فاتزعج لها الناس كلهم، وانتبهوا من مراقبهم وضج الناس بالاستغفار إلى الله تعالى، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى

وقد أحاط نظامها بالبروج إلى أن كاد يلحظها بالأرض أهواء
فيا لها آية من معجزات رسول
فباسمك الأعظم المكنون إن عظمك
منّا الذنوب وماء القلب أسواء
نسمع وهب وتفضل وامع واعف
واصفح فكلّ لفرط الجهل خطاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف
العذاب عنهم وعَمِ القوم نعماء
ومحن أمة هذا المصطفى
ولنا منه إلى عفوك المرجو دعاء
هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت
محجة في سبيل الله يضاء
فارحم وصل على المختار ما خطبت
على علا منبر الأرواق وورقاء

قلت: والحديث الوارد في أمر هذه النار مخرج في الصحيحين (٧١٨)، (٢٩٠٢) م طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى». وهذا لفظ البخاري.

وقد وقع هذا في هذه السنة - أعني سنة أربع وخمسين وستمائة - كما ذكرنا، وقد أخبرني قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم التميمي الحنفى الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة، وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال: سمعت رجلاً من الأعراب يجبر والذي ببصرى في تلك الليالي أنهم رأوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز.

قلت: وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وستمائة، وكان والده مدرساً للحنفية يصيرى وكذلك كان جده، وهو قد درس بها أيضاً ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادية وبالقدسية، ثم ولي قضاء القضاة الحنفية، وكان مشكور السيرة في الأحكام. وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثني عشرة سنة، ومثله ممن يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي، وصلوات الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وغرق بغداد قوله:

سبحان من أصبحت مشيئة جارئة في السورى بمقدار
أغرق بغداد بالياو كما أحرق أرض الحجاز بالنار
قال أبو شامة: والمصواب أن يقال:

في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار
وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وستمائة: وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحة قاصد يعرف بقبيل العلوحي الحسني المنفي، فناراه الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى لوتج المنبر الشريف النبوي، وسمع صرير الحديد، وتحركت السلاسل، وظهرت نار على مسيرة أربعة فراسخ من المدينة، وكانت ترمي بشرر كأنه رؤوس الجبال، ودامت خمسة عشر يوماً.

قال القاصد: وحدثت ولم تنقطع بعد، بل كانت على حالها، وسأله إلى أي الجهات ترمي؟ فقال: إلى جهة الشرق، واجتزت عليها أنا ونجاة اليمن وربنا فيها سعة فلم تحرقها، بل كانت تحرق الحجارة وتنهبها وأخرج قبيل المذكور شيئاً من الصخر المحرق وهو كالقمح لوناً وخفة.

قال: وذكر في الكتاب وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤوسهم واستغفروا وأن نائب المدينة أعتق جميع عياله، وخرج من جميع المظالم، ولم يزالوا مستغفرين متضرعين حتى سكنت الزلزلة، إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع، وجاء القاصد المذكور ولها خسة عشر يوماً وإلى الآن.

قال ابن الساعي: وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الأمعاني شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يقول: إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة، فالسعيد من انتهز الفرصة قبل الموت، وهذه النار في أرض ذات إصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت، وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبت، وهي تأكل بعضها بعضاً إن لم تجد ما تأكله، وهي تحرق الحجارة وتنهبها، حتى تعود كالطين المبلول، ثم يضربه الهواء حتى يعود كغيبث الحديد الذي يخرج من الكبر قاله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين بمحمد وآله الطاهرين.

قال أبو شامة: وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، ابتداء حريق من زاوية الغربية من الشمال، وكان دخل أحد القومة إلى خزنة ثم، ومعه نار فعلقت في الآلات ثم، واتصلت بالسقف بسرعة، ثم جبت في السقف، وأخذت قبلة فأعجلت الناس عن قطعها، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقف المسجد أجمع، ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها، وكل ذلك قبل أن ينال الناس، واحترق سقف الحجرة النبوية ووقع ما وقع منه في الحجرة، وبقي على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وأصبح الناس فزعوا موضعاً للصلاة، وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحرق المسجد من جملة الآيات وكأنها كانت منكرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة.

وقد قال أبو شامة في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعراً وهو قوله:

بعد ست من المشين وخمسين لدى أربع جرى في العام
نار أرض الحجاز مع حرق المسجد معه تفرق دار السلام
ثم أخذ النار بغداد في أول عام، من بعد ذاك وعام
لم يمن أهلها للكفر أعوان عليهم، يا ضيعة الإسلام
وانقضت دولة الخلافة منها صار مستعصم بغير اعتصام
فحننا على الحجاز ومصر وسلاماً على بلاد الشام
رب سلم وصن وعاف بقايا المدن، يا ذا الجلال والإكرام

وفي هذه السنة كملت المدرسة الناصرية الجروانية داخل باب الفرائيس، وحضر فيها الدروس واقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس، ودرس فيها قاضي البلد صدر الدين ابن سني الدولة، وحضر عنده الأمراء والدولة والعلماء ومجهور أهل الحل والعقد بدمشق.

ولها أمر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الشيخ عماد الدين

■ عبد الله بن الحسن بن النحاس ترك الخدم وأقبل على الزهادة والتلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع بمسجده بسفح قاسيون نحواً من ثلاثين سنة، وكان من خيار الناس. ولما توفي دفن عند مسجده بترية مشهورة به، وحمام ينسب إليه في مساريق الصالحية، وقد أثنى عليه السبط، وأرخوا وفاته كما ذكرنا.

■ يوسف ابن الأمير حسام الدين قرظلي بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هيرة الخنيلي رحمه الله تعالى الشيخ شمس الدين أبو المظفر الحنفي البغدادى ثم الدمشقي.

■ سبط ابن الجوزي، أمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الرعظي، وقد كان حسن الصورة طيب الصوت حسن الرعظ كثير الفضائل والمصنفات، وله «مراة الزمان» في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ، نظم فيه المنيظم جلده، وزاد عليه وذيل إلى زمانه، وهو من أحسن التواريخ وأبهجها قدم دمشق في حدود الستائة وحظي عند ملوك بني أيوب، وقدموه وأحسنوا إليه، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التي يقوم عند الوعظ اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين، وقد كان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين في الصيف حتى يسمعون ميعاده، ثم يسرعون إلى بساتينهم فيبتذكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن، على طريقة جده.

وقد كان الشيخ تاج الدين الكندي، وغيره من المشايخ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد، التي عند باب المشهد، ويستحسنون ما يقول ودرس بالعزبة البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيك المعظمي، أستاذ دار المعظم، وهو واقف العزبة الجوانية التي بالكشك أيضاً، وكانت قديماً تعرف بدور ابن مقصد ودرس السبط أيضاً بالشبلية التي بالجلبل عند جسر كحيل، وفوض إليه البلدية التي قبالتها، فكانت سكنه، وبها توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة وحضر جنازته سلطان البلد الملك الناصر بن العزيز فمن دونه وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في علومه وفضائله ورياسته وحسن وعظه وطيب صوته ونضارة وجهه، وتواضعه، وزهده وتورده، لكنه قال: وقد كنت مريضاً ليلة وفاته فرايت وفاته في المنام قبل القطة، ورايته في حالة منكورة، ورأه غيبي أيضاً كذلك، فسأل الله العافية، ولم أقدر على حضور جنازته، وكانت جنازته حافلة حضرها خلق كثير السلطان فمن دونه، ودفن هناك.

وقد كان فاضلاً عالماً ظريفاً منقطعاً متكرراً على أرباب الدول ما هم عليه من المنكرات، وقد كان مقتصداً في لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف، منصفاً لأهل العلم والفضل، مهابتاً لأهل الجيرة والجهل، وتأتي الملوك وأرباب المناصب إليه زائرين وقاصدين، ورُبِّي في طول زمانه في حياة طيبة وجاء عريض عند الملوك والعموم نحو خمسين سنة، وكان مجلس وعظه مطرباً، وصوته فيما يورده حسناً طيباً، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قلت: وهو ممن يُشَدُّ له عند موته قو الشاعر:

ما زلت تدبُّ في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً
وقد ستل يوم عاشوراء زمن الملك الناصر صاحب حلب أن يذكر

للناس شيئاً من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم، ثم وضع المنديل على وجهه ويكى ثم أنشأ يقول وهو يكي شديداً:

ويل لمن شفعاه خصماؤه والصَّور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ
ثم نزل عن المنبر وهو يكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله.

واقف مرستان الصالحية الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن

■ يوسف بن أبي القوارس بن موسك القيحي الكردى أكبر أمراء القيمرية، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان الذي بسفح قاسيون، وكانت وفاته ودفنه بالسفح في القبة التي تجاه المارستان المذكور، وكان ذا مال كثير وثروة رحمه الله تعالى
■ مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب دفن عند والده بترية العادلية.

الأمير

■ مظفر الدين إبراهيم ابن صاحب صرخد عز الدين أيك أستاذ دار المعظم واقف العزبتين البرانية والجوانية على الحنفية، ودفن عند والده بالترية تحت القبة عند الوراقه رحمهما الله تعالى.

الشيخ شمس الدين

■ عبد الرحمن بن نوح المقدسي الفقيه الشافعي مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين ابن الصلاح، ودفن بالصوفية، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله.

قال أبو شامة: وكثر في هذه السنة موت الفجأة: فمات خلق كثير بسبب ذلك.

ومن توفي فيها

■ زكي الدين بن الغورية أحد المعدلين بدمشق.

و ■ بدر الدين بن التنبيني أحد رؤسائها.

وعز الدين

■ عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار الظفري بن الخنوي، وهو سبط القاضي جمال الدين بن الحرستاني، ورحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها أصبح الملك المعز صاحب مصر عز الدين أيك التركماني بداره ميتاً وقد ولي الملك بعد أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب بشهور. كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح، ثم خلفته شجرة الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو في الملك، ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس بن الكامل مدة، ثم استقل بالملك بلا منازعة، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل الفارس أقطاي في سنة اثنين وخمسين، وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده، ثم تزوج بشجرة الدر أم خليل، وكان كريماً شجاعاً حكيماً ديناً، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة المعزية بمصر وجازها من أحسن الأشياء، وهي من داخل ليست بتلك الفاخرة. وقد قال بعضهم فيها: هذه مجاز لا حقيقة له ولما قتل رحمه الله اتهم

الرحمن، وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية على ما سيأتي بيانه وتفصيله - وبالله المستعان.

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

■ الباذرائي واقف البادرانية التي بدمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى.

والشيخ تقي الدين

■ عبد الرحمن بن أبي القهم اليلداني بها في ثامن ربيع الأول ودفن فيها، وكان شيخاً صالحاً مشغلاً بالحديث سماعاً وكتابة وإسماعاً، إلى أن توفي وله نحو مائة سنة.

قلت: وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من الكتلة، وقد رأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله ما أنا رجل جيد؟ قال: بلى أنت رجل جيد، رحمه الله وأكرم مثواه.

الشيخ شرف الدين

■ محمد بن أبي الفضل المرسى، وكان شيخاً فاضلاً متقناً محققاً للبحث كثير الحج، له مكانة عند الأكابر، وقد اقتنى كتباً كثيرة، وكان أكثر مقامه بالحجاز، وحيث حل عظمه رؤساء تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره، وكانت وفاته رحمه الله بالزُّعْفَة بين العريش والداروم في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى.

الملك الناصر

■ داود بن العظيم عيسى بن العادل، ملك دمشق بعد أبيه، ثم انتزعت من يده وأخذها عمه الأشرف واقتصر على الكرك ونابلس، ثم نقلت به الأحوال وجرت له خطوب طوال حتى لم يبق معه شيء من الحال، وأودع وديعة تقارب مائة ألف دينار عند الخليفة المستنصر فأنكره إياها ولم يردّها عليه، وقد كان له فصاحة وشعر جيد، ولديه فضائل جمّة، واشتغل في علم الكلام على الشمس الخورشامي تلميذ الفخر الرازي، وكان يعرف علوم الأوائل جيداً، وحكوا عنه أشياء تدلّ إن صحّت على سوء عقيدته قاله أعلم.

وذكر أنه حضر أول درس ذكر بالمستنصرية في سنة اثنين وثلاثين وستمائة، وأن الشعراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة، فقال بعضهم في جملة قصيدة له:

لو كنتُ في يوم السَّقيفة شاهداً كنتُ المقتدّم والإمام الأعظم
فقال الناصر داود للشاعر: اسكت فقد أخطأت، قد كان جد أمير المؤمنين العباس شاهداً يومئذ، ولم يكن المقدم، وما الإمام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال الخليفة: صدق، فكان هذا من أحسن ما نقل عنه رحمه الله تعالى.

وقد ناقض أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويضا التي لعمه مجير الدين يعقوب حتى توفي بها في هذه السنة، فاجتمع الناس بجنازته، وحمل منها فصلّي عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون.

الملك المعز

■ عز الدين أيلك التركماني، أول ملوك الأتراك، كان من أكبر عماليك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وكان ديناً صينياً عفيفاً كريماً، مكث في الملك نحواً من سبع سنين ثم قتلته زوجته شجر الدر أم خليل، وقام في الملك من بعده ولده نور الدين علي، ولقب بالملك المنصور، وكان ملبس

عماليكه زوجته أم خليل شجرة الدر به، وقد كان عزم على تزوج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جوارياها أن يمسكته لها فما زالت تضربه بقباقيها والجواري يرمكن في معاربه حتى مات وهو كذلك، ولما سمعوا عماليكه أقبلوا بصحبة ملوكه الأكبر سيف الدين قطز، فقتلوهما وألقوا على مزبلة غير مستورة العورة، بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع، وقد علّمت على المناشير والتواقيع، وخطب الخطباء باسمها، وضربت السكة برسمها، فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ يَذُوقُ الْعَذَابَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦٦] وأقامت الأتراك بعد استأنفهم عز الدين أيلك التركماني، بإشارة أكبر عماليكه الأمير سيف الدين قطز، ولده نور الدين علياً ولقبوه الملك المنصور، وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وجرت الأمور على ما يجتاز به برأيه ورسمه.

وفيهما كانت فتنة عظيمة بينداد بين الراضية وأهل السنة، فنهت الكرخ ودور الراضية حتى دور قربات الوزير ابن الملقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في عماله للتلار.

وفيهما دخلت الفقراء الحيليرة الشام، ومن شعارهم لبس القراجي والطراير ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، تركوها لتابعة شيخهم حيدر حين أسره الملاحدة فقصوا لحته وتركوا شواربه، فاعتدوا به في ذلك [نظر: البعاري (٥٨٩٢، ٥٨٩٣)، م (٢٥٩، ٢٦٠)]، وهو معذور ماجور وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وليس لهم في شيخهم قنوة وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من العونية.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة المباركة عمل عزاء واقف البادرانية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادراني البغدادي مدرّس النظامية، ورسول الخلافة إلى ملوك الأناق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال الملهمّة، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً، وقد ابنتى بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة، وشروط على المقيم بها العزوة وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس، وإنما أراد بذلك توفر خاطر الفقيه وجمعيته على طلب العلم، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشرب لبعضهم كبير.

وقد كان شيخنا الإمام العلامة، شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ تاج الدين الفزاري مدرّس هذه المدرسة وابن مدرّسها، يذكر أنه لما حضر الواقف في أول يوم درس بها وحضر عنده السلطان الناصر، قرأ كتاب الوقف وفيه: ولا يدخلها امرأة. فقال السلطان ولا صبي؟ فقال الواقف: يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بعضاتين. فإذا ذكر هذه الحكاية تيسر عندها رحمه الله تعالى.

وكان هو أول من درس بها ثم ولده كمال الدين من بعده، وجعل نظرها إلى وجه الدين بن سويد، ثم صار في ذريته إلى الآن وقد نظر فيه بعض الأوقات القاضي شمس الدين بن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر، وقد أوقف البادراني على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دارة، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافعة وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولّي بها قضاء القضاة كرهاً منه، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة ودفن بالشويزية رحمه الله تعالى. وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادراني بأيام قلائل نزلت التار على بغداد مقدمة للملكهم هولاو بن توي بن جنكرقان عليهم لعائن

فصادفت رحماً رؤوفاً وأثماً جاني بها قتيلاً لما كنت أحذر
ومن كان حسن الظن في حال موته جيلاً بعفو الله فاعفو أجدر

■ بشاره بن عبد الله الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب مولى شبل
الدولة المعظمي، سمع الكندي وغيره، وكان يكتب خطاً جيداً وأسند إليه
مولاه النظر في أوقافه وجعله في ذريته، فهم إلى الآن ينظرون في الشبليتين،
وكانت وفاته في النصف من رمضان من هذه السنة.

القاضي

■ تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة جمال الدين المصري
ناب عن أبيه ودرس بالشامية، وله شعر فنه قوله:

صبرت فسي لفيه بالثمن لثام عمداً ورشفت من ثناياه سدام
فازود وقال أنت في الفقه إسام ربي خسر وعسلك الخمر حرام

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة

فيها أخذت التار بغداداً وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة، وانقضت دولة
بني العباس منها.

استقلت هذه السنة وجنود التار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين
الذين على مقعدة عساكر سلطان التار، هولاكو قان، وجاءت إليهم أمداد
صاحب الموصل يساعدهم على البغداد وميرته وهداياه وتحفه، وكل
ذلك خوفاً على نفسه من التار، ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى، وقد
سرت بغداد ونصبت فيها المناجيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة
التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئاً، كما ورد في الأثر: «لن ينجي
حذر عن قدر» [المسند: ٤٩٧/١] وكما قال تعالى: ﴿إِنْ أَجَلَ اللّٰهِ إِذَا جَاءَ
لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤٤] وقال تعالى: ﴿إِنْ لَّا لَّهُ لَ يُعَيَّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَتَغَيَّرُوا مَا
يَتَغَيَّرُونَ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾
[الزمر: ٦١].

وأحاطت التار بدار الخلافة يرشقونها بالنشاب من كل جانب حتى
أصبحت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة
حظاياه، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبايك فقتلها
وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفرغ فرغاً شديداً،
وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ
قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة
الاحتراز، وكثرة السائر على دار الخلافة - وكان قدوم هولاكو قان مجزوه
كلها، وكانوا نحو مائتي ألف، مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من
هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر
الذي قدره الله وقضاه وأقضاه وأمضاه، وهو أن هولاكو لا كان أول برونزه
من همنان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي
على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنينة ليكون ذلك مداراة له عما يريد من
قصد بلادهم ففعل الخليفة عن ذلك دويداره الصنير أليك وغيره، وقالوا
إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التار بما يبعثه إليه من الأموال،
وأشاروا بأن يبعث إليه بشيء يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها
هولاكو قان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، وسليمان شاه،
فلم يبعثهما إليه ولا بالي به حتى أرفق قدومه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة
الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر،

ملكته علكو أبيه سيف الدين قطز، ثم عزله واستقل بالملك بعده نحواً من
سنة وتلق بالظفر، فقهر الله كسرة التار على يديه بعين جالوت وقد
بسطن هذا كله في الحوادث فيما تقدم وما سيأتي والله الحمد.

■ شجر النثر بنت عبد الله أم خليل الروكية، كانت من حظايا الملك
الصالح نجم الدين أيوب، وكان ولدها منه خليل من أحسن الصور، فمات
صغيراً، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضراً ولا سقراً من شدة محبته
لها وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه،
فكان يحيط لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة
أشهر، ثم قتل المزمع كما ذكرنا، ثم تزوجها بعد تملكه الديار المصرية
بسنوات، ثم غارت عليه لما بلغها أنه يريد أن يتزوج بنت صاحب الموصل
بدر الدين لؤلؤ فعملت عليه حتى قتله كما تقدم ذكره، فتعالم عليها
نمايكه المزية فقتلوهما وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام، ثم نقلت إلى تربة لها
بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحما الله تعالى.

وكانت قوية النفس، لما علمت أنه قد أحيط بها أثلفت شيئاً كثيراً من
الجواهر النفيسة والأكلام الثمينة، كسرت في الماوان لا لها ولا لغيرها، وكان
وزيها في دولتها صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف
بأبن حنّاه وهو أول مناصبه.

الشيخ الأسعد

■ هبة الله بن صاعد شرف الدين القاتزي خدمت قديماً الملك الفائز
سابق الدين إبراهيم ابن الملك العادل، وكان نصرانياً فأسلم، وكان كثير البرّ
والصدقات والبر والصلات، استوزره المعز وكان حظياً عنده جليلاً، لا يفعل
شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته، وكان قبله في الوزارة القاضي تاج الدين
ابن بنت الأعز، وقبله القاضي بدر الدين السنجاري، ثم صارت بعد ذلك
كله إلى هذا الشيخ الأسعد المسلماني، وقد كان الفائز يكتابه المعز
بالمملوك، ثم لما قتل المعز أمين الأسعد حتى صار شقياً، وأخذ الأمير
سيف الدين قطز خطه بمائة ألف دينار، وقد هجاه بهاء الدين زهير بن علي،
فقال:

لَمَنْ أَلَّيْتُ صَاعِدًا وَأَبَاهُ فَصَاعِدًا
وَبَنِيهِ فَتَسَاوَزَا وَاحِدًا نَسَمَ وَاحِدًا

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالرافقة، وقد رثاه القاضي ناصر الدين ابن
المثير، وله فيه مدائح وأشعار حسنة فصيحة رائعة.

■ ابن أبي الحديد العراقي الشاعر عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن
محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر
المطبق الشيعي الغالي، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً، ولد بالمداين
سنة ست وثمانين وخمسة مائة، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب
والشعراء بالديوان الخلفي، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، لما بينهما
من المناسبة والمقاربة والمشاكلة في التشيع والأدب والفضيلة، وقد أورد له
ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائحه وأشعاره الفاحشة الرائقة وكان أكثر
فضيلة وأدباً من أخيه أبي المعالي موفق الدين أحمد بن هبة الله وإن كان
الأخر فاضلاً بارعاً أيضاً، وقد ماتا في هذه السنة رحمهما الله تعالى.

المشد الشاعر الأمير سيف الدين

■ علي بن عمر بن قزل مشد الديوان بدمشق، وكان شاعراً مطبقاً له
ديوان مشهور، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأئشده:

تقلت لي رمس القبور وضيقها وخسوف قنوسها أنها بسي تعثر

وعادت بغداد بعد ما كانت آس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها أحد إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة.

وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أسهمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قرياً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالمملوك الأكبر، فلم يزل يجتهد في تقليصهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطعمهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وجلس لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكيفية، وأن يظهر البعثة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأقله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشاً للتتار بعدما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسما.

وقد جرى على بني إسرائيل بيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز، حيث يقول: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَرَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤-٥]. وقد قتل من بني إسرائيل خلق من الصلحاء وأسر جماعة من أولاد الأنبياء، وخرب بيت المقدس بعدما كان معموراً بالعباد والزهاد والأخبار والأنبياء فصار خاوياً على عروشه واهي البناء.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة فقبل ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف.

وقيل بلغت القتلى اثني ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دخوله إلى بغداد في أواخر الحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحاً، وكان قتل الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعقبي قبره، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبطال ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وكان عدو الوزير، وقتل أولاده الثلاثة: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد، منهم الديوبندار الصغير مجاهد الدين أليك، وشهاب الدين سليمان شاه، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه وجواريه فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنطرة فيذبح كما تنبئ الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن التتار، وقتل الخطباء والأئمة، وحلقة القرآن، وتعلت المساجد والجامعات والجمعات مدة شهور ببغداد وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل

فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غلبة القلة ونهاية الذلة، لا يلبثون عشرة آلاف فارس، وهم في غلبة الضعف وبقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويمزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي.

وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب شديدة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير فاشتد حنقه على ذلك فكان هذا مما أمججه على أن يدبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يورث أشبع منه منذ بنيت ببغداد، وإلى هذه الأوقات، ولما كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج في أهله وأصحابه وخدومه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هولاكو تان لعنه الله، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والتول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصف للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن يخرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو قان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأل عن أشياء كثيرة فقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى ببغداد وفي صحبته خواجه نصير الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلبي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المشائين - لعنة الله عليهم - على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو علمين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسبوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأكرت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس وأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العيليني. وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهب من قتل الخليفة هون عليه الوزيران ذلك فقتلوه رفساً، وهو في جوارق لثلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق، ويقال غرق فأله أعلم، فباؤوا بإثمهم وإنهم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحيل والعقد بيلا - وستأتي ترجمة الخليفة في الوفيات - ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قلدوا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، ونفثي الرسوخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرهم، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى القناتن ويفلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهبون منهم إلى أعمالي الأمكنة فيقتلونهم في الأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكذلك في المساجد والجموع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم.

أبي عبد الله محمد ابن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقنن بالله أبي القاسم عبد الله بن الأمير الذخيرة أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقنن بالله أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي.

مولده سنة تسع وستمئة، وبويع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخمسين وستمئة فيكون عمره يوم قتل سبعاً وأربعين سنة رحمه الله تعالى.

وقد كان رحمه الله تعالى حسن الصورة جيد السيرة صحيح السيرة صحيح العقيدة مقتنياً بأبيه المستنصر في المصلحة وكثرة الصدقات، وإكرام العلماء والعباد، وقد استجاز له الحافظ ابن التاجر من جماعة من مشايخ خراسان، منهم المؤيد الطوسي، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الحروري وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصفار وغيرهم، وحدث عنه جماعة منهم مؤيد شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيار، وأجاز هو للإمام محيي الدين بن الجوزي، وللشيخ نجم الدين البادراني، وحدثنا عنه بهذه الإجازة.

وقد كان رحمه الله تعالى سنياً على طريقة السلف واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ وعية للمال وجمعه، ومن جملة ذلك أنه غلّ الدويعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المعظم، وكانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار فاستيقظ هذا من مثل الخليفة، وهو مستقبح عن هو دونه بكثير، بل من أهل الكتاب من إن تأمته بقطار يؤده إليك، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُمْ يَبِينْ أَيْدِيَهُمْ إِلَى مَا يَدْعُونَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (آل عمران: ٧٥).

قتله التاجر مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة، وله من العمر ست وأربعون سنة وأربعة أشهر. وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً، فرحمه الله وأكرم مثواه، ويلّ بالرحمة ثراه. وقد قتل بعده ولده، وأسر ابنه الثالث مع بنات ثلاث من صلبه، وشغل منصب الخلافة بعده، ولم يبق في بني العباس من سد سده، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكمين بالعدل بين الناس، ومن يرغب منهم الزوال ويخشى منهم اليأس، وختموا بعبد الله المستنصر كما فتحوا بعبد الله السفاح وكان عدة خلفاء بني العباس إلى المستنصر سبعة وثلاثين خليفة، فكان أولهم عبد الله السفاح، وبويع له بالخلافة وظهر ملكه وأمره في سنة تنتين وثلاثين ومائة، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه، وآخروهم عبد الله المستنصر وقد زال ملكه وانقضت خلافته في هذا العام أعني سنة ست وخمسين وست مئة، فجعلته أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة، وزال ملكهم عن العراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام الباسيري بعد الخمسين وأربعمئة، ثم عادت كما كانت وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله ولله الحمد.

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار، فإنه خرج عن بني العباس بلاد

المساجد والجوامع والمدارس والربط وبغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرضف، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها وعليها، فلم يقدره الله تعالى على ذلك، بل زال نعمته عنه وقصفت عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وتبعه بولده فاجتمعا والله أعلم في الدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمد الأمر المقدور وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقنلى في الطرقات كأنها التلويح، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت البلد من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوياء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فزنا لله وإننا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من كان تحت الأرض بالمطامير والقنبي والمناير كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، واخذهم الوياء الشديد فتصانوا ولحقوا بمن سلف من القنلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، والله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنی وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو قان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه وفرض أمر ببغداد إلى الأمير علي بهادر، ففوض إليه الشحنة بها وإلى الوزير ابن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله بعد، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر، في مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة، وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب، ولكنه كان شيعياً جليلاً رافضياً خبيثاً، فمات كسداً وغماً وحزناً ونداماً، إلى حيث ألفت رحلها أم قطعهم، فوولي بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل محمد، فالحقه الله بأبيه في بقية هذا العام، ولله الحمد والمنة.

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين البونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد، وذكرنا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو، فسد من كثرة القنلى ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فآله أعلم.

وفي هذه السنة اقتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل بن أبي بكر بن العادل الكبير، وكان في جيشه جماعة من أمراء البحرية، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري، فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال، وأسروا جماعة من رؤوس الأمراء، فقتلوا صبراً، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشدته، وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد، فأرسل إليهم الناصر صاحب دمشق جيشاً ليكنهم عن ذلك، فكسرهم البحرية واستصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطروا أطبان خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور، وجرت حروب وخطوب يطول بسطها وبالله المستعان.

ومن توفي في هذه السنة من المشاهير والأعيان

خليفة الوقت

■ المستنصر بالله: أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله، وهو أبو أحمد عبد الله ابن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي محمد الحسن ابن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن أمير المؤمنين المقنن لأمر الله

المغرب، ملكها في أوائل الأمر بعض بني أمية ممن بقي منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ثم تغلب عليه الملوك بعد دهور متطاولة كما ذكرنا، ودارن بني العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب، وما هنالك، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر، وتداولتها الملوك دولا بعد دول، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات.

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية المقتضية كما ذكرنا، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً متخلفاً، ومدة ملكهم نحو ثمانين سنة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة كما نطق بها الحديث الصحيح (المسند ٢٢٠/٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣)، فكان فيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم ابنه الحسن بن علي ستة شهور حتى كملت بها الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة.

ثم كانت ملكاً فكان أول ملوك الإسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، ثم ابنه يزيد، ثم ابن ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية، وانقرض هذا البطن المنتهج بمعاوية، المختتم بمعاوية.

ثم ملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ثم ابنه عبد الملك، ثم الوليد بن عبد الملك، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضاً، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار، وكان آخرهم، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان، ثم انقرضوا من أولهم إلى خاتمهم.

وكان أول خلفاء بني العباس السفاح، واسمه عبد الله وكان وآخرهم عبد الله المستعصم واسمه عبد الله.

وكذلك أول خلفاء الفاطميين، فالأول اسمه عبد الله المهدي وآخرهم عبد الله العاضد، وهذا اتفاق غريب جداً قل من يتنبه له، والله سبحانه أعلم.

وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء فيها ذكر جميع الخلفاء:

الحمد لله العظيم	عرشه	القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام	والنعمور	وجامع الأنعام للنشور
ثم الصلاة	بهدوم الأبد	على النبي المصطفى محمد
وأله وصحبه	الكرام	السادة الأئمة الأعلام
وبعد هذا	هذه أرجوزة	نظمها لطيفة وجيزة
نظمت فيها	الرأشدين الخلفاء	من قام بعد النبي المصطفى
ومن تلاهم	وهلم جراً	جملتها تبصرة وذكرى
ليعلم العاقل	ذو التصوير	كيف جبرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة	وملك	معرضون للفناء والمهلك

وفي اختلاف الليل والنهار
والملك للجبار في بلاده
وكل غلوق غلفناه
ولا يلدوم غير ملك الباري
منفرد بالعز والبقاء
أول من يوسع بالخلافة
أعني الإمام العادل الصديق
ففتح البلاد والأمصارا
وقام بالعدل قياماً يرضي
ورضي الناس بسني التورين
ثم أنت كساب مع الحسن
فأصلح الله على يديه
واجتمع الناس على معاوية
فمهد الملك كما يريد
ثم ابنه وكان براً راشداً
فترك الإمرة لا عن غلبه
وابن الزبير بالحجاز يداب
وبالشام بسايعوا مرواناً
ولم يدم في الملك غير عام
واستوسق الملك لعبد الملك
وكل من نازعه في الملك
قتل المصعب بالعراق
إلى الحجاز بسيف النقم
فجاء بعد قتله بصلبه
وعندما صفت له الأمور
ثم أتى من بعده الوليد
ثم استفاض في الروى عدل عمر
وكان يدعى بأشج القوم
فجاء بالعدل والإحسان
مقتبياً بسنة الرسول
فجرع الإسلام كأس قتله
ثم يزيد بعده هشام
ثم يزيد وهو يدعى الناقصا
ولم تطل ملكة إبراهيم
واسند الملك إلى مروان
وانقرض الملك على يديه
وقتل قد كان بالصعيد
وكان فيه حشف آل الحكم

تبصرة لكل ذي اعتبار
يورثه من شاء من عباده
وكل ملك فإلى انتهاء
سبحانه من ملك قهار
وما سواء فإلى انقضاء
بعد النبي ابن أبي جحافه
ثم ارتضى من بعده الفاروقا
وستاصلت سيره الكفار
بذاك جبار السما والأرض
ثم علي والسد السجلين
كادوا بأن يمحذوا بها الفتن
كما عزا نبينا إليه
وتقل القصة كل راويه
وقام فيه بعده يزيد
أعني أبا ليلى وكان زاهداً
ولم يكن منه إليها طلبه
في طلب الملك وفيه نصب
بحكم من يقول كن فكانا
وعاضته أسهم الحمام
ونار نجيم سمعه في القلص
حر صريعاً بسيف الملوك
وسير الحجاج ذا الشقاق
وابن الزبير لاند بالحرم
ولم يخف في أمره من ربه
تقلبت لحينه النعمور
ثم سليمان الفتى الرشيد
تابع أمر ربه كما أمر
وذي الصلاة والتقوى والصوم
وكف أهل الظلم والطغيان
والرأشدين من ذوي العقول
ولم يروا مثلاً له من بعده
ثم الوليد نبت منه الهام
فجاء حاميه معانصا
وكان كل أمره سقيما
فكان من أموره ما كانا
وحادث النعم سطا عليه
ولم تغد كثرة العبيد
واستترعت عنهم ضروب النعم

ثم أتى ملك بني العباس وجاءت البيعة من أرض العجم وكل من نازعهم من أمم وقد ذكرت من تولى منهم أولهم نعمت بالسفاح ثم أتى من بعده المهدي وجاء هارون الرشيد بعده وقام بعد قتله المأمون واستخلف الواثق بعد المعتصم وأخلص النية في التوكل فادحض البدعة في زمانه ولم يبق فيها بدعة مضله فرحة الله عليه أبداً وبعده استولى وقام المعتمد وعندما استشهد قام المتعصر وجاء بعد موته المعتز وبعده استولى وقام المعتمد والكتفي في الصحف العلما سطر واستوسق الملك بعز القاهرة والمقتفي من بعد المستنفي والطائع الطائع ثم القادر والمقتدي من بعده المستظهر وبعده الراشد ثم المقتفي المستضي العادل في أفعاله والناصر الشهم الشهد الباس ثم تلاه الظاهر الكريم ولم تطل أيامه في الملكة وعهده كان إلى المستنصر دام يسوس الناس سبع عشرة ثم توفي عام أربعيناً وباب الخلائق المستعصا يبعث نجيب الرسل في الأفاق وشرفوا بذكره المنابر وسار في الأفاق حين سيرته قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى: ثم قلت أنا بعد ذلك آياتاً:

ثم أتى ملك بني العباس وجاءت البيعة من أرض العجم وكل من نازعهم من أمم وقد ذكرت من تولى منهم أولهم نعمت بالسفاح ثم أتى من بعده المهدي وجاء هارون الرشيد بعده وقام بعد قتله المأمون واستخلف الواثق بعد المعتصم وأخلص النية في التوكل فادحض البدعة في زمانه ولم يبق فيها بدعة مضله فرحة الله عليه أبداً وبعده استولى وقام المعتمد وعندما استشهد قام المتعصر وجاء بعد موته المعتز وبعده استولى وقام المعتمد والكتفي في الصحف العلما سطر واستوسق الملك بعز القاهرة والمقتفي من بعد المستنفي والطائع الطائع ثم القادر والمقتدي من بعده المستظهر وبعده الراشد ثم المقتفي المستضي العادل في أفعاله والناصر الشهم الشهد الباس ثم تلاه الظاهر الكريم ولم تطل أيامه في الملكة وعهده كان إلى المستنصر دام يسوس الناس سبع عشرة ثم توفي عام أربعيناً وباب الخلائق المستعصا يبعث نجيب الرسل في الأفاق وشرفوا بذكره المنابر وسار في الأفاق حين سيرته قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى: ثم قلت أنا بعد ذلك آياتاً:

ثم ابتلاه الله بعد بالطارح صجة ابن ابن له هولاءو

فمزقوا جسوده وشملوه ودمروا بغداد والبلايا وانهبوا المال مع الحرير وغرهم إظهاره وحلمه وشغرت من بعده الخلفاء ثم أقام الملك أعني الظاهر ثم ولي من بعد ذاك الحاكم ثم ابنه الخليفة المستنفي ثم ولي من بعده جماعه ثم خليفة الوقت المعتضد في حسن خلق واعتقاد وحلى سادوا البلاد والعباد فضلاً أولاد عم المصطفى محمد صلى عليه الله ذو الجلال

فصل

والفاطميون قليلو العدد فملكوا بضعاً وستين سنة والعدة أربع عشرة المهدي أعني به المعز باني القاهرة والظاهر المستنصر المستنفي والظاهر الفاتح ثم العاضد أهلك بعد البضع والستين وقد رقت العمر فوق الاسم وقد بسطنا ذاك فيما سلفنا

فصل

وهكذا خلفا بني أمية ولكن المدة كانت ناقصة وكلهم قد كان ناصياً معاوية ثم ابنه يزيد مروان ثم ابن له عبد الملك ثم استقل ببعده بالملك ثم الوليد النجل باني الجامع ثم سليمان الجواد وعمر أعني الوليد بن يزيد الفاسقا بلقب الناقص وهو كامل عدتهم كمدة الرضا عنه مائة من السنين خالصة إلا الإمام عمر التيا وابن ابنه معاوي السديد منابذ لابن الزبير حتى هلك في سائر الأرض بغير شك وليس مثله شكله من جامع ثم يزيد وهشام وغندر ثم يزيد بن الوليد فاتها ثم بنت إبراهيم وهو عاتل

بلقب الناقص وهو كامل

■ **البهاء زهير** صاحب الديوان: وهو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبى العتكي المصري، ولد بمكة ونشأ بقوص، وأقام بالقاهرة، الشاعر المطبق الكاتب الجواد في حسن الخط له ديوان مشهور، وقدم على السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وكان غزير المروءة حسن التوسط في إيصال الخبر إلى الناس، ودفع الشر عنهم، وقد أثنى عليه ابن خلكان وقال: أجاز في رواية ديوانه، وهو مشهور وقد بسط ترجمته الشيخ قطب الدين اليوناني.

الحافظ زكي الدين

■ **المثري** عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد، الإمام العلامة الحافظ أبو محمد أبو زكي الدين المثري الشافعي المصري، أصله من الشام وولد بمصر، وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة، إليه الوفاة والرحلة من ستين متطورة.

وقيل: إنه ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

وسمع الكثير ورحل وطلب وعي بهذا الشأن، حتى فاق أهل زمانه فيه، وصنف وخرج، واختصر صحيح مسلم، وسنن أبي داود، وهو أحسن اختصاراً من الأول، وله اليد الطولى في اللغة والفقه والتاريخ. وكان ثقة حجة متحرراً زاهداً، توفي يوم السبت رابع ذي القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

الثور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رستم

■ **الإسعدي** الشاعر المشهور الخليل، كان القاضي صدر الدين بن سني الدولة قد أجلسه مع الشهود تحت الساعات، ثم استدعاه الناصر صاحب البلد فجعله من جلسائه وندمائه، وخلع عليه خلع الأجناد، فانسلك من هذا الفن إلى غيره، وجمع كتاباً سماه «الزرجون في الخلاعة والمجون». وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلاعة، ومن شعره الذي لا يحمد:

لئلا العمر خسة فاقتيها من خلع غدا أدياً قتيها
في نديم وقينة وحبيب ودمام وسبب من لام فيها

الوزير

■ **ابن العلقمي الرافضي** قبحه الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب، الوزير مؤيد الدين أبو طالب بن العلقمي، وزير المستعصم البغدادي، وخدمه في أيام المستعصم، أستاذ دار الخلافة مدة طويلة، ثم صار وزير المستعصم ولم يكن وزير صدق، فإنه كان من الفضلاء الأدباء في الإنشاء والأدب، وكان رافضياً خبيثاً رديء الطوية على الإسلام وأهله، وقد حصل له من التعظيم والرجاحة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء، ثم مالاً على الإسلام وأهله التثار أصحاب هولاكو حتى جاؤوا فجاسوا خلال الديار، وكان أمراً مفعولاً ثم حصل له بعد ذلك من الإهانة واللذ على أيدي التثار الذين مأسأهم وزال عنه ستر الله، وذاق الخزي في الحياة الدنيا، ولعلنا بالآخرة أشد وأبقى. وقد رآه امرأة وهو في الذل والموان وهو راكب في أيام التثار برذونا وهو، وسائق يسوق به ويضرب فرسه، فوفقت إلى جانبته وقالت له: يا ابن العلقمي هكنا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقع كلمتها في قلبه وانتطع في داره إلى أن مات كمدماً وضيقاً، وقلة وذلة، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة، وله من العمر ثلاث وستون سنة.

ودفن في قبور الروافض، وقد سمع بأذنيه، ورأى بعينه من الإمامة من

ثم مروان الحمار الجعدي آخرهم فانظر بنا من بعدي
والحمد لله على التمام كذلك محمد على الإتمام
ثم الصلاة مع تمام العدد على النبي المصطفى محمد
وألكه وصحبه الأخيار في سائر الأوقات والأعصار
وهذه الأبيات نظم الكاتب ثمانية تمة المناف

■ (يوسف بن جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي).

ومن قتل مع الخليفة وألف الجوزية بدمشق أستاذ دار الخلافة صاحب محيي الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي الخبلي المعروف بابن الجوزي. ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة، ونشأ شاباً حسناً، وحين توفي أبوه وعظ في موضعه فأحسن وأجاد وأفاد، ثم تقدم فولي حبة بغداد مع الوعظ الرائق والأشعار الحسنة الرائقة، ثم ولي تدريس الحنابلة بالمستصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وكانت له تدريس آخر، ولي أستاذ دار الخلافة، وكان رسولا للملوك من بني أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء ثم لما ولي مؤيد الدين بن العلقمي الوزارة وشعر عنه الأستاذ دارية ولها محيي الدين هذا، وانتصب ابنه عبد الرحمن مكانه للحسبة والوعظ فأجاد فيها، وشعر أيضاً حسناً، ثم كانت الحسبة تنقل في بني الثلاثة جمال الدين عبد الرحمن، وأشرف الدين عبد الله، وتاج الدين عبد الكريم. وقد قتلوا معه في هذه السنة رحمه الله.

ومحيي الدين هذا مصنف في مذهب الإمام أحمد، وقد ذكر له ابن الساعي أشعاراً حسنة يهني بها الخليفة في المواسم والأعياد، تدل على فضيلة تامة وفصاحة بالغة، وقد وقف المدرسة الجوزية بدمشق وهي من أحسن المدارس وأوجها، تقبل الله منه وأثابه برحمته.

■ **الصرصري** المادح يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الشيخ الإمام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم، جمال الدين أبو زكريا الصرصري، الشاعر المادح الخبلي الضرير البغدادي، معظم شعره في مدح رسول الله ﷺ وديوانه في ذلك مشهور معروف غير منكر، ولد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وسمع الحديث وحفظ الفقه واللغة ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهري بتمامه في اللغة. وصحب الشيخ علي بن إدريس تلميذ الشيخ عبد القادر.

وكان ذكياً، يتوقد نوراً، وكان ينظم على البليغة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة، وقد نظم الكافي الذي ألفه موفق الدين بن قدامة، ومختصر الخزقي.

وأما مدائحه في رسول الله ﷺ فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء، ولما دخل التثار إلى بغداد دعي إلى دار بها فرمان من هولاكو فأبى أن يجيب إليه، وأعد في داره حجارة فعين دخل عليه التثار ومأهم بتلك الأحجار فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعاكزه أحدهم، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى وله من العمر ثمان وستون سنة.

وقد أورد له الشيخ قطب الدين اليوناني من ديوانه قطعة صالحة في ترجمته في النيل (في أول مرة الرمان: ٢٥٨/١-٣٣٢)، استوعب حروف المعجم، كلها وذكر غير ذلك قصائد طوالاً كثيرة حسنة.

معدته، وقد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازه عليه وأحسن إليه، وكان يعطي لبعض الشعراء ألف دينار. وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل.

وقد كان بدر الدين لؤلؤ هذا أرمينياً اشتراه رجل خياط، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب الموصل، وكان مليح الصورة، فحفظه عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه ثم إنه أخفى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة واحدة إلى أن لم يبق معه أحد منهم، فاستقل هو بالملك، وصفت له الأمور، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد علي قتيلًا ذهباً زنته ألف دينار، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة، وكان شاباً حسن الشباب من نضارة وجهه، وحسن شكله، وكانت العامة تلقبه قضيبي الذهب، وكان ذا همة عالية وداهية شديد المكر بعيد الغور ويهتد إلى مشهد علي بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه والله أعلم.

الملك

■ الناصر داود بن المعظم ترجمه الشيخ قطب الدين البيهقي في تنزيله على المرأة (١٢٧١) في هذه السنة، ويوسط ترجمته جداً وما جرى له من مبتدأ أمره إلى آخر زمانه، وأورد من أشعاره وأقواله شيئاً كثيراً، وأفاد أشياء حسنة رحمه الله تعالى. وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث، والله أعلم، وقد مَلَكَ بعد أبيه مدينة دمشق وأعمالها مدة، ثم عمالاً عليه عمه الكامل والأشرف وانتزعاها من يده، وعوضاه منها الكرك والصلت وعجلون ونابلس، ثم ذهب ذلك كله من يده وصار إلى العراق، فاسترد الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مائة ألف دينار فجعلها الخليفة، ففكر وفوده إليه، وتوسله بالناس في ردها إليه، فلم يقد من ذلك شيئاً، وتقدم أنه قال لذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله:

لو كنت في يوم السقيفة حاضراً كنت المقدم والإمام الأروعا
فقال له الناصر داود: أخطأت فقد كان جد أمير المؤمنين العباس حاضراً يوم السقيفة ولم يكن مقدماً، وهو أفضل من أمير المؤمنين، وإنما كان المقدم أبو بكر الصديق، فقال الخليفة صدق وخلع عليه، ونفى الشاعر - وهو الوجه القبرواني - إلى مصر، فدرس في مدرسة الوزير صفى الدين بن شكر وكانت وفاة الناصر داود بقرية البريضا مرسماً عليه وشهد جنازته صاحب دمشق.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة

استهلّت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين فاتح بيت المقدس وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أبيك التركماني ولقبوه بالناصر، وقد أرسل الملك الغاشم هولاكو قان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستدعيه إليه، فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة ونحف، فلم يحتفل به هولاكو قان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه، وأخذ ابنه وقال أنا أسير إلى بلاده بنفسي، فانزعج الناصر لذلك، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحفظهم بها وخاف أهل دمشق خوفاً شديداً، ولا سيما لما بلغهم أن

التار والمسلمين ما لا يجد ولا يوصف. وتولى بعده ولده الخبيث الوزارة، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظالة سريعاً، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه:

يا فرقة الإسلام نوحوا وانديبوا أسفاً على ما حلّ بالمستعصم
دمست الوزارة كأن قبل زمانه لابن الفرات قصار لابن العلقمي

■ محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدر: فتح الدين أبو عبد الله بن العدل عتسب دمشق، كان مشكوراً حسن الطريقة، وجده العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدر، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني في سنة تسعين وخمسمائة تقبل الله تعالى منه وجزاء خيراً.

■ القرطبي صاحب المقهم في شرح مسلم: أحد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث المدرس بالإسكندرية، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع الكثير هناك، واختصر الصحيحين، وشرح صحيح مسلم بكتابه المسمى المقهم، وفيه أشياء حسنة مفيدة عمرة رحمه الله.

الكمال

■ إسحاق بن أحمد بن عثمان: أحد مشايخ الشافعية، أخذ عنه الشيخ محي الدين النروي وغيره، وكان مدرساً بالرواحية، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة.

العماد

■ داود بن عمر بن يوسف بن محي بن عمر بن كامل: أبو المالبي وأبو سليمان الزبيدي المقدسي ثم الدمشقي خطيب بيت الأبرار، وقد خطب بدمشق ست سنين بعد انفصال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ودرس بالقرطبية، ثم عاد إلى الأبرار فمات بها.

■ علي بن محمد بن الحسين: صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد، وكان أولاً مؤيداً للإمام المستعصم، فلما صارت الخلافة إليه برهة من الدهور رفعه وعظمه وصارت له وجاعة عنده، ولأه مشيخة الشيوخ ببغداد وانضمت إليه أزمة الأمور، ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما تنبئ الشاة على أيدي التار.

الشيخ

■ علي العابد الحجازي: كان له أصحاب وأتباع ببغداد، وله زاوية يزار فيها، قتله التار وألقي على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى اكملت الكلاب لحمه، ويقال إنه أخبر بذلك عن نفسه في حال حياته رحمه الله تعالى.

■ محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح أبو عبد الله المقدسي: خطيب مردى، سمع الكثير، وعاش تسعين سنة، وقدم في سنة ثلاث وخمسين فسمع الناس عليه الكثير بدمشق، ثم عاد فمات ببلده في هذه السنة رحمه الله.

■ البلر لؤلؤ صاحب الموصل الملقب بالملك الرحيم، كانت وفاته في شعبان من هذه السنة عن مائة سنة وقد ملك الموصل نحواً من خمسين سنة، وكان ذا عقل ودعاه ومكر، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه حتى إبادهم، وأزال الدولة الأتابكية عن الموصل، ولما انتفضل هولاكو عن بغداد بعد الوقعة العظيمة - سار إلى خدمته متاقياً له، ومعه الهدايا والتحف، فأكرمه واحترمه، ورجع من عنده فمكث بعد مرجعه بالموصل أياماً يسيرة، ثم مات ودفن بمدرسته البلرية، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة

وفيها توفي من الأعيان

واقف الصلوية الرئيس صدر الدين

■ أسعد بن عثمان بن أسعد بن المتجا بن بركات بن مؤمل التوحي المصري ثم الدمشقي الحنبلي أحد المعللين، فوي الأموال، والمرومات والصدقات الدارة البارة، وقف مدرسة للحنابلة، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في رأس درب الریحان من ناحية الجامع الأموي، وقد ولي نظر الجامع مدة، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبلي الجامع، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن، وقد كانت قبل ذلك في الصاغة العتيقة، وجدد الدكاكين التي بين أعمدة الزيادة، وشر الجامع أموالاً جزيلة، وكانت له صدقات كثيرة، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صح معه عمل الفضة، وعندي أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم.

الشيخ

■ يوسف القعني كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد، وكان يلبس ثياباً طوالاً تحف على الأرض، ويبول في ثيابه، ورأسه مكشوفة، ويؤمنون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح، ولا يعلمون أن الكشف قد تصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، كالرهبان وغيرهم، وكذلك الحال وابن صياد وغيرهم، فإن الجن تسترق السمع وتلقي على أذن الأنبياء، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كاشف أو لم يكشف، ومن لم يوافق فليس برجل صالح سواء كاشف أم لا.

قال الشافعي: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغربوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

ولما مات هذا الرجل دفن بترية بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقي تربة أبي عمر المقدسي الرواحية، وهي مزخرفة قد اعتنى بها بعض العوام ممن كان يعتقد، فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة، وهذا كله من البدع، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة، وكان الشيخ إبراهيم بن سعيد جيعانة لا يتجاسر فيما يزعم أن يدخل البلد والأقميني حي، فيوم مات الأقميني دخلها، وكان بالشاغور وكانت العوام معه فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد، وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، فقيل لجيعانة: ما منعك من دخولها قبل اليوم؟ فقال: كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضاً فيه فلا أستطيع الدخول، وقد كان سكن الشاغور، وهذا كذب واحتيال ومكر وشبهة، وقد دفن جيعانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال العباد.

الشمس

■ علي بن الشبي المحدث: ناب في الحسبة عن الصدر البكري في أيامه، وقرأ الكثير بنفسه، وسمع وأسمع، وكتب بخطه كثيراً رحمه الله تعالى.

■ أبو عبد الله القاسي شارح الشافية: اشتهر بالكنية، وقيل إن اسمه القاسم، وكانت وفاته محلب، وكان عالماً فاضلاً في العربية والقراءات وغير ذلك، وقد أجاد في شرحه للشافية وأفاد، واستحسنه الشيخ شهاب الدين

التار قد قطعوا الفرات، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء، فمات ناس كثير منهم ونهبوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقبل هولاكو قان فقصده الشام بجنوده وعساكره، وقد امتعت عليه مياقارفين مدة سنة ونصف، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسراً وأنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو عاصر حلب فقتله بين يديه، واستتاب عليها بعض عمالِكَ الأشرف، وطيف برأس الكامل في البلاد، ودخلوا برأسه إلى دمشق، فنصب على باب القرائيس البراني، ثم دفن بمسجد الرأس داخل باب القرائيس الجواني، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده، وشبهه بالهسين في قتله مظلوماً، ودفن رأسه عند رأسه.

وفيها عمل الخواجه نصير الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة، ونقل إليه شيئاً كثيراً من كتب الأوقات التي كانت ببغداد، وعمل دار حكمة فيها فلاسفة، ورتب لكل واحد في اليوم واللييلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم.

وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر ابن أبي جراحة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التار، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها، وقد جاز أشموط بن هولاكو الفرات وقرب من حلب، فعند ذلك عقدوا مجلساً بين يدي المنصور بن المعز التركماني، وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأفاضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقت أموال حوائض الذهب وغيرها من الفضة والزينة، وتساولتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجند سوى فرسه التي يركبها، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء عنهم، لأنه إذا دهم العدو البلاد، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم.

ولاية الملك المظفر قطز

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من محالِك أبيه وغيرهم في الصيد، فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر، وكان هذا من رحمة الله تعالى بالمسلمين، فإن الله جعل على يديه كسر التار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم، فإنه قال: لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل التار، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة.

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاة برزة في حجاجل كثيرة من الجيش والمتطوعة والأعراب وغيرهم، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المول إرفض ذلك الجمع، ولم يسر لا هو ولاهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أخذ التار حلب ودمشق

وبينما الناس على هذه الحال وقد تواترت الأخبار بقصد التار بلاد الشام إذ دخل جيش المغول صلبة ملكهم هولاكو وجزأوا الفرات على جسور عملوها، ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام ثم افتحروها بالأمان، ثم غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بفسلاد، فجاسوا خلال الديار وجعلوا أهزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وامتعت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها بالأمان، وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة وبقيت حلب كأنها حمار أجرب، وكان نائها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً حازماً، لكنه لم يوافقه الجيش على المصلحة، ولكن سرعوا، وكان أمر الله قدره مقدروراً.

وقد كان أرسل هولاكو يقول لأهل حلب: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، فاجعلوا لنا عندكم شحنة، فإن كانت النصره لنا فبالبلاد كلها في حكمنا، وإن كانت علينا فإن شتمت قلعتكم الشحنة وإن شتمنا أطلقتموه فأجابوه ما لك عندنا إلا السيف، فتعجب من ضعفهم وجوابهم، فزحف جيتذ إليهم وأحاط بالبلد، وكان ما كان بقدر الله سبحانه. ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماه بمفاتيحها إلى هولاكو، فاستأب عليها رجلا من العجم يدعي أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسروشاه، فخرّب أسوارها كملينة حلب.

صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم عنها سريعاً

أرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له كتيبا نوبن، فورودوا دمشق في آخر صفر فأخبروها سريعاً من غير عناية ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة، وقد كتب السلطان هولاكو أماتا لأهل البلد، فقرأ بالبيدان الأخضر ونودي به في البلد، فأمن الناس على وجل من الغنم، كما فعل بأهل حلب، هذا والقلعة بمنعة مستورة، وفي أعاليها المجانيق منصوبة والحال شديدة، فأحضرت التار مجانيق تحمل على عجل والخيل تجرها، وهم راكبون على الخيل وأسلمتهم على أبقار كثيرة، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها، وخربوا حيطاناً كثيرة وأخذوا حجارتها ورموا بها القلعة رمياً متواتراً كالطير المتدارك، فهدموا كثيراً من أعاليها وشرفاتها وتداغت للسقوط فأجابهم متولياً في آخر ذلك النهار للمصالحة، ففتحوها وخربوا كل بلدة فيها، وأعالي بروجها، وذلك في نصف جمادى الأولى من هذه السنة، وقتلوا المتولي بها بدر الدين بن قراجا، وتقيها جمال الدين بن الصيرفي الحلبي، وسلموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له إيل سبان، وكان لعنه الله معظماً لدين النصارى، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم، فعظّمهم جداً، وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وصولة بسببه، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم هدايا وتحفاً، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته، ودخلوا البلد من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون: ظهر الدين الصحيح دين المسيح ويؤمنون دين الإسلام وأمله، ومعهم أواني فيها خر لا يمرّون على باب مسجد إلا رشوا عنه خمراً، وقامق مائة خراً يرشون منها على وجوه الناس، ويأمرون كل

أبو شامة شارحها أيضاً.

■ النجم أخو بدر مفضل: وكان شيخ الفاضلية بالكلاسة، وكان له إجازة من السلفي خطيب العقبة بدر الدين يحيى ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ودفن بباب الصغير على جده، وكانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى.

■ سعد الدين محمد ابن الشيخ يحيى الدين بن عربي: ذكره أبو شامة وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره، هذا إن لم يكن من أتباع أبيه وقد ذكر أبو شامة وفاة الناصر داود في هذه السنة وقد قلعنا ترجمته في الي قبل.

■ سيف الدين بن صبرة: متولي شرطة دمشق، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حية فنهشت أفخاذها، وقيل: إنها التفت في أكفانه، وأعىى الناس دفعها.

قال: وقيل: إنه كان نصيراً رافضياً خيثاً مدمن خمر، نسأل الله الستة والعافية.

■ النجيب بن شقيقه الدمشقي أحد الشهود بها، له سماع حديث ووقف داره بدار البناياري دار حديث، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزي قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرقية.

قال أبو شامة وكان ابن شقيقه وهو النجيب أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك، وهو أحد الشهود المقلوح فيهم، ولم يكن بأهل أن يؤخذ عنه، قال وقد أجلسه أحمد ابن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق، فأثد فيه بعض الشعراء:

جلس الشقيقة الشقي ليشهدا بآيكما، ماذا عدا فيما بدا؟
هل زلزل الزلزال؟ أم قد أخرج الدجال أم عدم الرجال نور الهدى؟
عجباً لحلّول العقيدة جسامه بالشرع قد أنفوا له أن يقعدا

قال أبو شامة: في سنة سبع وخمسين وستمائة توفي شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم الأوائل، وكان يسكن مدارس المسلمين، وقد أقصد عقائد جماعة من الشبان المشتغلين فيما بلغني، وكان يتجأهر باستقصا الأنبياء عليهم السلام وهو يُعرف بابن الفخر بن البديع البندقي، وكان أبوه يزعم أنه من جملة تلامذة ابن خطيب الري الرازي صاحب المصنفات. حية ولد حية.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقيون وخراسان وغيرها من بلاد المشرق للسلطان هولاكو قان ملك التار، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز، مملوك المعز أيلك التركماني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي بن الناصر فاتح القدس، ويلاذ الكرك والشوك للملك المغني بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وهو حزب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ مصر منهم.

فأغاروا على خيل جيشهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها، فساخت وراهم النار فلم يدركوا منهم الثبار ولا استردوا منهم فرساً ولا حماراً، وما زال النار وراء الناصر حتى أخذوه وأسروه عند بركة زيزاء وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو وهو نازل على حلب، فما زالوا في أسرهم حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر النار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تهديد ملكهم بالشام، بادروهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم - أيده الله تعالى - وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه، فخرج في العسكار المصرية وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبنا نون، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشراف صاحب حصص والقاضي جدير ابن الزكي، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو فأبى إلا أن يتأجزه سريماً، فساروا إليه وسار المظفر إليهم، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصر لله الحمد للإسلام وأهله، ففازهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبنا نون وجماعة من بني، وقد قبل إن الذي قتل كتبنا نون الأمير جمال الدين آقوش الشمسي، واتبههم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وفي كل مأزق وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماء مع الملك المظفر قتالاً شديداً، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتاكب العسكر، وقد أسر من جماعة كتبنا نون الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه، واستأن الأشراف صاحب حمص، وكان مع النار، وقد جعله هولاكو نائباً على الشام كله، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص، وكذلك رد حماء إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها، وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مائع أمير العرب، واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان النار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب، وهرب من يدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان، صيحة النصر الذي جاءت به البشارة بالنصرة على عين جالوت فتبهم المسلمون من دمشق، يقتلون ويسرون وينهبون الأموال فيهم ويستكون الأسارى من أيديهم، قهراً ولله الحمد والمنن على جيره الإسلام ومعاملته إياهم بلفظه فجاءتها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً، وأيد الله الإسلام وأهله تأييداً وكُتبت أعداء الله النصارى واليهود والمتأفقون وظهر دين الله وهم كارهون، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة للنصارى التي خرج منها الصليب فانهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة النصارى، وملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة، وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم إنه لم يكن منهم من الطنيان كما كان من عبدة الصليبان، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانعاً للنار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف الكتنجي كان خيبت الطوية مشرقاً مائلاً على أموال المسلمين فتحه الله، وقتلوا جماعة مثله من المتأفقين الممالئين على المسلمين ﴿فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقد كان هولاكو أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع الملائن: الشام، والجزيرة، والموصل، وماردين، وميافارقين والأكرداد وغير ذلك، للقاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي. وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة من مدة

من يجتازون به في الأثرة والأسواق أن يقوم لصليهم، ودخلوا من درب الحجر فوقوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشوا عنده خراً، وكذلك على باب مسجدي درب الحجر الصغير والكبير، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه، فكثرت عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم، فوقفت خطيهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى ودم دين الإسلام وأهله، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم وكانت بعد عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها والله الحمد.

وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرأة أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فالله أعلم.

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع فغمر وكان في نيهم إن طال مدة النار إن يغربوا كثيراً من المساجد وغيرها، فكفى الله شرهم ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة يشكون هذا الحال إلى مسلمها ليل سببان فأهينوا وطردوا، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وهنا كان في أول هذه السنة وسلطان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطاة برزة، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء، وأبناء الملوك ليناجزوا النار إن قدموا عليهم، وكان في جملة من معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة، لما يريد الله عز وجل وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الملك الناصر وسجنه ومبايعه أخيه شقيقه الملك الظاهر علي، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العسكار شذر منر وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه، وأقطعته قليب، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه، وإنما كان حظه على يديه.

وقعة عين جالوت

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على النار بعين جالوت، والله الحمد وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن النار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وقد عزموا على الدخول إلى مصر، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر، وليته فعل، وكان في صحبتته الملك المنصور صاحب حماة وخلق من الأمراء وأبناء الملوك، وقد وصل إلى قطية، وتنهأ الملك المظفر لقلته وأرسل إليه وإلى المنصور مستحقين، وأرسل إليه يقول: تقدم حتى نكون كشفاً واحداً على النار فتخيل من ذلك وخاف أن يتصر عليه، فكر راجعاً إلى ناحية تيه بني إسرائيل، ودخل عامة من كان معه إلى مصر، وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماة ووعده ببلده ووفاه له، ولم يدخل الملك الناصر مصر ولو دخل كان أسر عليه عما صار إليه، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فعدل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها، ولكنه قلق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب، فقصصه النار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخربوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وجمعوا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً وسبوا من نسلهم ونسائهم، وقد أقص منهم العرب بعد ذلك،

المملك، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المعز الترمكاني إلى هذه المدة، وهي أواخر ذي القعدة نحواً من سنة، رحمه الله وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً.

وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله، فلما وصل إلى هذه المدة ضرب دمهليزه وساق خلفه أرنب، وساق معه أولئك الأمراء فشق عنه ركن الدين بيبرس البندقداري في شيء فشفعه، فأخذ يده ليقبلها فأمكسها وحمل عليه أولئك الأمراء فضربوه بالسيف، والقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتلوه رحمه الله، ثم كروا راجعين إلى الخيم وبأيديهم السيف مصلته، فأخبروا من هناك بالحبر، فقال بعضهم: من قتله؟ فقال: ركن الدين بيبرس. أنا قتل له أنت الملك، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم فيمن يولون الملك، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك، وأن يصيبه ما أصاب غيره سريعاً، فاتفقت كلمتهم على أن يبيعوا بيبرس البندقداري، ولم يكن هو من أكابر المقدمين فيهم، ولكن أرادوا أن يجربوا فيه، ولقبوه الملك الظاهر، فجلس على سرير المملكة وحكمه، ودقت البشائر وضربت الطبول والبوقات وصغرت الشباة، وزعقت الشاوشية بين يديه، وكان يوماً مشهوداً وتوكل على الله واستعان به، ثم دخل مصر والعساكر في خدمته، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها، فحكم وعدل وقطع ووصل وولى وعزل، وكان شهياً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير، وكان أولاً لقب نفسه بالملك القاهر، فقال له الوزير: إن هذا اللقب لا يخلع من يلقب به. تلقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه حتى خلع وسلمت عيناه، ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم فمات، فعُدل عنه حيثن إلى الملك الظاهر، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك كما يريد، والله على كل شيء شهيد.

وقد كان هولوكو قان لما بلغه ما جرى على جيشه من المسلمين يعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستبدوا الشام من أيدي المسلمين، فحبل بينهم وبين ما يشتهون فرجعوا وهم خائبون خاسرون، وذلك أنه نهض إليهم المزيبر الكاسر والسيف الباتر السلطان الملك المؤيد الظاهر، فقدم دمشق وأرسل العساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة، فلم يقدروا التنازل على اللغو إليه، ولا القدوم عليه ووجدوا الدولة قد تغيرت، والسواعد قد شمست، والسيف الباتر قد سُلّت، والرمح الخطية قد اعتقلت. والقسي قد وُتّرت، والنبال قد حصلت، والحيل قد ضمّرت والطبول قد حصلت وعناية الله بالشام وأهله قد تنزلت، ورحمته بهم قد تداركت، فعند ذلك تكسبت شياطينهم على أعقابها، وكروا راجعين القهقري، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكمل المسرات، في هذه الدنيا وبعد المعات.

وقد كان الملك المظفر قطز رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي أحد الأتراك، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا لنفسه وتسمى بالملك المجاهد، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر ثانياً وضرت السكة باسمهما معاً، ثم ارتفع المجاهد هنا من البين كما سيأتي.

وقد اتفق في هذا العام أمور عجيبة، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر بن العزيز، ثم في النصف من صفر صارت لهولوكو ملك التار، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قطز ثم في أواخر ذي

خمس عشرة سنة، فعين وصل التقليد في سادس عشرين ربيع الأول قرى بالميدان الأخضر فاستقل بالحكم في دمشق وقد كان فاضلاً، فسار القاضي المنزولان صدر الدين بن سني الدولة ومحيي الدين بن الزكي إلى خدمة هولوكو قان إلى حلب، فدخل ابن الزكي لابن سني الدولة وبذل أموالاً جزيلة، وتولى القضاء بدمشق ورجعا، فمات ابن سني الدولة بعلبك، وقدم ابن الزكي على القضاء ومعه تقليد وخلعة مذهبة فلبسها وجلس في خدمة إيل سنان تحت قبة النسر عند الباب الكبير، وبينهما الخاتون زوجة إيل سنان حاضرة عن وجهها، وقرئ التقليد هناك والحالة كذلك، وحين ذكر اسم هولوكو نثر الذهب والفضة فوق رؤوس الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، قبح الله ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان.

وذكر أبو شامة أن ابن الزكي استحوذ على مدارس كثيرة في مدته هذه القصيرة، فإنه عزل قبل رأس الحول، فأخذ في هذه المدة العلراوية والسلطانية والفلكية والركنية والقيصرية والعزيرية مع المدرستين اللتين كانتا بيده التقوية والعزيرية، وأخذ لولده عيسى تدرّس الأمانة ومشيخة الشيخوخ، وأخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو العماد المصري، وأخذ الشامية البرانية لصاحب له، واستناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن جيش في القضاء وولاه الرواحية والشامية البرانية.

قال أبو شامة: مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينهما وبين غيرها. ولما رجعت دمشق وغيرها إلى المسلمين، سعى في القضاء وبذل أموالاً ليستمر في القضاء والمدارس، التي استولى عليها في مدة هذه الشهور فلم يستمر بل عزل بالقاضي نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن سني الدولة، فقرأ توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادي والعشرين من ذي القعدة عند الشباك الكعالي من مشهد عثمان من جامع دمشق والله الحمد.

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة وفرح به الناس فرحاً شديداً ودعوا له دعاء كثيراً، وأقر صاحب حصص الملك الأشرف عليها، وكذلك المنصور صاحب حماه، واسترد حلب من يد هولوكو، وعاد الحق إلى نصابه ومهد القواعد، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التار عن حلب ويصلحها ووعد ببنائها، فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً، والله الأمر من قبل ومن بعد.

فلما فرغ المظفر من الشام عزم على الرجوع إلى مصر واستناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير والأمير عجم الدين بن الحسين بن آقشتمر، وعزل القاضي ابن الزكي عن قضاء دمشق، وولى نجم الدين بن سني الدولة ثم رجع إلى الديار المصرية والعساكر الإسلامية في خدمته، وعيون الأعيان تنظر إليه شزراً من شدة هيئته.

ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري بيبرس

البندقداري

وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد قاصداً مصر، وصل إلى ما بين الترابي والصالحية، عدا عليه الأمراء فقتلوه هنالك، وقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة في الجماعة، ولا يتماطى المسكر ولا شيئاً مما يتماطاه

التار كان معهم وردوا عليه بلاده، فلما كانت وقعة عين جالوت أتى به أسيراً إلى بين يدي المظفر قطر فضرب عنقه، لأنه كان قد لبس سرقوج التار وناصحهم على المسلمين.

■ عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، شرف الدين بن العجمي الحلبي الشافعي، من بيت العلم والرئاسة بحلب، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها، كانت وفاته حين دخلت التار حلب في صفر، فغذوه وصبروا عليه ماء بارداً في الشتاء فتشنج حتى مات رحمه الله تعالى.

الملك المظفر

■ قطر بن عبد الله: سيف الدين الرومي، أخص عماليك الملك المعز بن الدين أيك التركماني، أحد عماليك الصالح أيوب ثم ابنه. لما قتل أستاذه المعز قام في تولية ابن أستاذه المنصور نور الدين علي، فلما سمع بأمر التار خاف أن تختلف الكلمة لصغر ابن أستاذه فعزله ودعا إلى نفسه، فبرع في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة كما تقدم.

ثم سار إلى التار فجعل الله على يديه نصرة الإسلام كما ذكرنا بعين جالوت، وقد كان شجاعاً بطلاً كثير الخير ناصحاً للإسلام وأهله، وكان الناس يحبه ويدهون له كثيراً.

ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحداً في الساعة الراحنة من الرشاقي الذين معهم الجنائب، فترجل وبقي واقفاً في محل المعركة وموضع السلطنة من القلب، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبها فامتنع وقال لذلك الأمير: ما كنت لأحرم المسلمين تفعل. ولم يزل كذلك حتى جاءته الرشاقي بالخيول فركب، فلامه بعض الأمراء، وقال: يا خوند لم لا ركب فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لتقتلك وهلك الإسلام بسببك، فقال: أما أنا فكنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه، قد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقاً من الملوك، فاقام للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضيع الإسلام، رحمه الله.

وكان حين سار من مصر في خدمته خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم، ومعه المنصور صاحب حماه وجماعة من أبناء الملوك. فأرسل إلى صاحب حماه يقول له لا تتعنى في مد سباط في هذه الأيام، ولكن مع الجندي لحمه في سولقه يأكلها، والعجل العجل.

وكان اجتماعه بعلوه كما ذكرنا في العشر الأخير من رمضان يوم الجمعة، وهذه بشارة عظيمة، فإن وقعة بدر كانت يوم الجمعة في رمضان، وكان فيها نصر الله للإسلام نصراً عزيزاً ولما قدم دمشق في شوال أقام بها العدل وربت الأمور، وأرسل بيبرس خلف التار ليخرجهم، ويطردهم عن حلب، ووعده ببنابته فلم يف له لما رآه من الصلحة، فوقعت الوحشة بينهما بسبب ذلك، فلما عاد إلى مصر تملاً عليه الأمراء مع بيبرس فقتلوه بين الغرابي والصلحية ودفن بالقصر وكان قبره يزوره فلما تمكن الظاهر من الملك بعث إلى قبره فغيبه عن الناس، وكان لا يعرف بعد ذلك، قتل يوم السبت سادس عشر من ذي القعدة، رحمه الله.

وحكى الشيخ قطب الدين البونيني في الذيل على المرأة (١/٣٨١-٣٨٣، ٣٠/٢، ٣٢) عن الشيخ علاء الدين بن غاث عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير كاتب السر في أيام الناصر صاحب دمشق، قال: لما كنا مع الناصر بوطاة برزة جاءت البريدية بخبر أن قطر قد تولى السلطنة بمصر، فقرأت

القعدة صارت للظاهر بيبرس، وقد شركه في دمشق الملك الجهاد علم الدين سنجر، وكذلك كان القضاء في أوطا بالشام لابن سني الدولة، ثم صار للكمال عمر التليسي ثم لابن الزكي ثم لنجم الدين بن سني الدولة وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني من سنين متطاولة، فمزل في شوال منها بالعماد الإسعدي، وكان صينياً قارناً جيداً. ثم أعيد العماد الحرستاني في أول ذي القعدة منها. فسبحان من يبدل الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وفيه توفي من الأعيان

قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة:

■ أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي يحيى بن صدقة بن الخياط، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس بن سني الدولة التليسي الدمشقي الشافعي، وسني الدولة هي الحسين بن يحيى المذكور كان كاتباً لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسمائة، وله أوقاف على ذريته.

■ ابن الخياط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التليسي هو عم سني الدولة. ولد القاضي صدر الدين سنة تسع وخمسين وخمسمائة وسمع الخشوعي وابن طبرزد، والكندي وغيرهم، وحدث ودرس في عدة مدارس وأقضى، وكان فاضلاً عارفاً بالذهب مشكور السيرة، ولكن الشيخ شهاب الدين أبو شامة ينال منه فالله أعلم.

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى هذه السنة وسافر حين عزل بالكمال التليسي هو والقاضي يحيى الدين بن الزكي، وقد سافر هو وابن الزكي إلى هولاكو لما أخذ حلب فولى ابن الزكي القضاء، فاجتاز ابن سني الدولة بملك ققدمها وهو متعرض فمات بها ودفن عند الشيخ عبد الله البونيني، وقد كان الملك الناصر يثني عليه كما كان الملك الأشرف يثني على والده قاضي القضاة شمس الدين ابن سني الدولة. ولما استقر أمر السلطان الملك الظاهر بيبرس ولي القضاء ولده نغم الدين أبا بكر بن قاضي القضاة صدر الدين القضاء بدمشق وعزل ابن الزكي ثم عزله بعد سنة وثني بابن خلكان على ما سيأتي بيانه وبالله المستعان. والقاضي صدر الدين ابن سني الدولة هذا هو الذي حدث في زمن الشمس بطلاة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السهم، فكان يشق عليه والتزول إلى المدارس فبطل الناس هذه الأيام واتبعوه في ذلك.

وفيه توفي:

صاحب مازدين الملك السعيد:

■ نجم الدين إيل غازي بن المنصور أرتق أرسلان بن إيل غازي بن ألي بن قرقاش بن إيل غازي بن أرتق وكان شجاعاً ملك يوماً، في قلعة تسوران شاه ابن الملك صلاح الدين كان نائباً للملك الظاهر بن العزيز ابن الناصر بن الناصر صاحب دمشق على حلب، وقد حصن حلب من أيدي المنول مدة شهر، ثم تسلمها بعد محاصرة شديدة صلحاً. كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدعليز داره.

وفيه قتل:

الملك السعيد

■ حسن بن العزيز ابن العادل أبي بكر بن أيوب، وكان صاحب الصبية ويأتياس بعد أبيه، ثم أخذنا منه وحس بقلعة البيرة، فلما جاءت

يلحقها في حلقة ياذنه، وكان مهيباً شديد السطوة.

قال: وقد دخل الجامع فصعد المنارة ليتأمل القلعة منها. ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً فقضى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة، فلما فرغ من حاجته مسحه بعض أصحابه بقطن ملبد مسحة واحدة.

قال ولما بلغه خروج المظفر إليه بالساكر من مصر تلوم في أمره وحار ماذا يفعل، ثم حملته نفسه الأبية على لقائه، وظن أنه منصور على جاري عاداته، فحمل يومئذ على الميرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين ونبتهم في المعركة ففعلوا حيلة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تجبر أبداً وقتل أميرهم كتيباً نوبين في المعركة. وأسر ابنه، وكان شاباً حسناً، فأحضر بين يدي المظفر فطر فقال له: أهرب أبوك؟ قال: إنه لا يهرب، فظلموه فوجدوه بين القتلى، فلما رآه ابنه صرخ وبكى، فلما تحققه المظفر مسجد لله تعالى، ثم قال: أنام طيباً. كان هذا سعادة التتار وقتله ذهب سعدهم، وهكذا كان كما قال ولم يقلحوا بعده أبداً، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان لعنه الله تعالى. وكان الذي قتله الأمير جمال الدين آقوش الشمسي رحمه الله.

الشيخ محمد الفقيه

■ **اليوناني:** الحنبلي العليكي الحافظ، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق، كنا نقل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليوناني من خط أخيه الأكبر أبي الحسين علي وأخبره أن والده قال له نحن من سلالة جعفر الصادق، قال وإنما قال له هذا عند الموت ليتخرج من قبول الصدقات.

أبو عبد الله بن أبي الحسن

■ **اليوناني الحنبلي:** تقي الدين الفقيه الحنبلي الحافظ المقيد البارع العابد الناسك، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة، وسمع الخشوعي وحبلاً والكندي والحافظ عبد النبي المقدسي وكان يثني عليه، وتفقه على الشيخ الموفق، ولزم الشيخ عبد الله اليوناني فانتفع به، وكان الشيخ عبد الله يثني عليه ويقدمه ويقتدي به في الفتاوى الشرعية، وقد لبس الخرقه من شيخ شيخه عبد الله البطائحي، وسرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو، وحفظ قطعة صالحة من مسند الإمام أحمد، وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي، وكتب مليحاً حسناً، وكان الناس يستمعون بفنونه الكثيرة، ويأخذون عنه الطرق الحسنة.

وقد حصلت له وجاعة عظيمة عند الملوك.

توضاً مرة عند الملك الأشرف بالقلعة حال سماع البخاري على الزبيدي، فلما فرغ من الرضوء نفخ السلطان تخفيفاً وسطها على الأرض ليطا عليها، وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطأ برجليه ففعل ذلك.

ولما قدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق فانزله القلعة وعمول الأشرف لدار السعادة وجعل يذكر للكامل محاسن الشيخ الفقيه، فقال الكامل: أحب أن أراه، فأرسل إليه إلى بعلبك بطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة، فزّل الكامل إليه وتحادشا وتذاكرا شيئاً من العلم، فجرت مسألة القتل بالقتل، وجري ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله ﷺ بقتله [خ (٢٤١٣)، م (١٩٧٢)]، فقال الكامل: إنه لم يعترف. فقال الشيخ الفقيه: في صحيح مسلم «فاعترف»

ذلك على السلطان، فقال: اذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا، قال فلما خرجت عنه لغني بعض الأجناد، فقال لي جاءكم الخبر من مصر بأن قطز قد تمملك؟ فقلت: ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا؟ فقال بلى والله سبلي المملكة وبكر التتار، فقلت: من أين تعلم هذا؟ فقال: كنت أخدمه وهو صغير وكان عليه قمل كثير فكنت أفليه وأمينه وأذمه، فقال لي يوماً: ويلك إيش تريد أعطيك إذا ملكت الديار المصرية؟ فقلت له أنت مجنون؟ فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: أنت تملك الديار المصرية وتكرس التتار، وقول رسول الله ﷺ حق لا شك فيه، فقلت له حيثن - وكان صادقاً - أريد منك إمرة خمسين فارساً، فقال نعم أبشر.

قال ابن الأثير: فلما قال لي هذا قلت له هذه كتب المصريين بأنه قد تولى السلطنة، فقال والله ليكرس التتار، وكان كذلك.

ولما رجع الناصر إلى ناحية الديار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحاكلي في جملة من دخلها، فأعطاه المظفر إمرة خمسين فارساً، ووفى له بالوعد، وهو الأمير حسام الدين البركة خاني.

قال ابن الأثير: فلقيني بمصر بعد أن تأمر فذكرني بما كان أخبرني عن المظفر، فذكرته ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسروهم وطردوهم عن البلاد.

وقد روى عنه أنه لما رأى عصاب التتار قال للأمرء والجيوش الذين معه: لا تقنطروهم حتى تزول الشمس وتغى الظلال وتهب الرياح، ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم، رحمه الله تعالى والله الحمد والمنة. وفيها هلك كتيباً نوبين نائب هولاءكو على بلاد الشام لعنه الله، ومعنى نوبين يعني أمير عشرة آلاف.

وكان هذا الحثيث قد فتح لأستاذة هولاءكو من أقصى بلاد العجم إلى الشام، وقد أدرك جنكيز قان جد هولاءكو، وكان كتيباً هذا يعتمد في حروبه للمسلمين ببلاد خراسان والعراق أشياء لم يسبقه أحد إليها، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يأووا هؤلاء إليهم، فإن فعلوا حصل مقصوده في تضييق الأطمعة والأشربة عليهم، فتصر مدة الحصار عليه لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى يفنى هؤلاء، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء، ثم استأنف قتالهم بمن عنده حتى يفتح، وكان يبعث إلى الحصن يقول: إن ماءكم قد قل فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً فيقولون له: إن الماء عندهنا كثير فلا تحتاج إلى ماء: فيقول لا أصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فإن كان كثيراً انصرفت عنكم، فيقولون: ابعث من يشرف عليه، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رماح معروفة محشوة سمّاً، فإذا دخلوا الحصن الذي قد أعياه ساطوا ذلك الماء بتلك الرماح فيفتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لعنه الله لعنة تدخل معه في قبره.

وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه الخروج عن حكم جنكيز قان في الياساق.

قال الشيخ قطب الدين اليوناني: وقد رأيت بعلبك حين حاصر قلعتها، وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد ضفرها مثل الدبوق، وتارة

بالشاعر وكان فيه صلاح ودين وإيثار للقراء والمحاويج والمجائيس، وكانت له حال غريبة لا يأكل إلا بأجرة، وكان أهل البلد يترامون عليه ليأكل لهم الأشياء المنفخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة، وكلما امتنع من ذلك حلني عند الناس وأحبوه ومالوا إليه يأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك فيرد عليهم عروض ذلك أجرة جيدة مع ذلك، وهذا غريب جداً، رحمة الله تعالى ورضي عنه بمنه وكرمه آمين.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة

استهلت يوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو غني بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسيني، وعمره إدرس بن علي شريكه، وصاحب المدينة الأمير عز الدين جواز بن شبيحة الحسيني.

وصاحب مصر والشام السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وشريكه في دمشق وبعليق والصبيبة وبانياس الأمير علم الدين سنجر الملقب بالملك المجاهد، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي.

والكرك والشوبك للملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل سيف الدين أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب.

وحصن صهيون وبارزيا في يد الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكوروس.

وصاحب حمص الملك المنصور بن تقي الدين محمود، وصاحب حمص الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر.

وصاحب الموصل الملك الصالح إسماعيل بن البلر لؤلؤ، وأخوه الملك الجاهد صاحب جزيرة ابن عمر.

وصاحب ملردين الملك السعيد نجم الدين إيل غازي بن أرتق.

وصاحب بلاد الروم ركن الدين فليح أرسلان بن كخشرو

السلجوقي، وشريكه في الملك أخوه كيكلاوس. والبلاد بينهما نصفين.

وسائر بلاد المشرق من خراسان والعراق بأيدي التتار أصحاب

هولاكو.

وبلاد اليمن تملكها غير واحد من الملوك، وكذلك بلاد المغرب في كل

قطر منها ملك.

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب والمجفل الناس وحصل لهم

رعب شديد، والتقى التتر مع نائب حلب الأمير صاحبها حسام الدين

الجوكندار العزيزي، والمنصور صاحب حمص، والأشرف صاحب حمص،

وكانت الوقعة شمالي حمص قريباً من قبر خالد بن الوليد، والتتار في سنة

آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة فهزمهم الله عز وجل، وقتل المسلمون

أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحاصروها أربعة أشهر وضيقوا عليها

الأقوات، وقتلوا من الغزاة خلقاً كثيراً صبراً فإنا لله وإنا إليه راجعون،

والجيوش الذين كسروهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل

ساقوا إلى مصر، فتلقاهم الملك الظاهر في أبهة السلطنة وأحسن إليهم،

ويقت حلب معاصرة لا ناصر لها في هذه المدة ولكن مسلم الله سبحانه

وتعالى.

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبهة الملك ومشى الأمراء

فقال الكامل: أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجد هذا فيه، فقال: بلى فأرسل الكامل فأحضر خمسة مجلدات اختصاره لمسلم، فأخذ الكامل جليداً والأشرف آخر وعماذ الدين بن موسك آخر والملك الصالح جليداً وأخذ الشيخ الفقيه جليداً فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه، فتعجب الكامل من استحضاره وسرعة كشفه، ولو أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف سريعاً إلى بعليق، وقال للكامل: إنه لا يؤثر ببعليق شيئاً، فأرسل له الكامل ذهباً كثيراً.

قال ولده قطب الدين: كان والدي يقبل بر الملوك ويقول أنا في بيت المال أكثر من هذا، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه، ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء.

وذكر أنه كثر ماله وأثرى، وصار له سعة من المال كثيرة، وذكر له أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية يونين وأعطاه لحمي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة، فلما شعر والذي بذلك أخذ الكتاب ومزقه وقال: أنا في غنية عن ذلك.

قال: وكان والدي لا يقبل شيئاً من الصدقة ويزعم أنه من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شيء له، وكان للشيخ عبد الله زوجة ولها ابنة جميلة، وكان الشيخ يقول لها: زوجيها من الشيخ محمد، فتقول: إنه فقير وأنا أحب أن تكون ابنتي سعيدة، فيقول الشيخ عبد الله كأي أنظر إليهما إياه وإياها في دار فيها بركة وله رزق كثير والملوك يترددون إلى زيارته، فزوجتها منه فكان الأمر كذلك، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى.

وكانت الملوك كلها يحترمونه ويعظمونه ويحترمون إلى مدينته، بنو العادل وغيرهم، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح، وابن عبد السلام، وابن الحاجب، والحصري، وشمس الدين بن سني الدولة، وابن الجوزي، وغيرهم يعظمونه ويرجعون إلى قوله لعلمه وعمله وديانته وأمانته.

وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله، وزعم بعضهم أنه قطب منذ ثنتي عشرة سنة فإله أعلم.

وذكر الشيخ الفقيه قال: كنت عزمست مرة على الرحلة إلى حران، وكان قد بلغني أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً، فلما كانت الليلة التي أريد أن أسافر في صبيحتها جاءتني رسالة الشيخ عبد الله اليوناني يعزم علي إلى القدس الشريف، وكأني كرهت ذلك وفتحت المصحف فطلع قوله ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة يس: ٢١] فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحراني بالقدس الشريف، فأخذت عنه علم الفرائض حتى خيل لي أي صرت أبيع فيه منه.

وقال الشيخ أبو شامة: كان الشيخ الفقيه رجلاً ضخماً، وحصل له قبول من الأمراء وغيرهم، وكان يلبس قبعاً صوفياً إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليوناني.

قال: وقد صنف شيئاً في المراج فرددت عليه في كتاب سميت الراضح الجلي في الرد على الحنبلي، وذكر ولده قطب الدين أنه مات في التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

■ محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بيدر: أبو عبد الله البيطار الأكال، وأصله من جبل بني هلال، وولد بقصر حجاج، وكان مقيماً

بوقع بالخلافة بمصر بايعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء، وركب في دست الخلافة بديار مصر والأمراء بين يديه والناس حوله، وشق القاهرة وكان يوماً مشهوداً وذلك في الثالث عشر من رجب من هذه السنة، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً، وكان أول من بايعه القاضي تاج الدين عندما ثبت عنده نسبه، ثم السلطان الملك الظاهر ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء والدولة والله الحمد والمئة.

وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكان منصب الخلافة قد شغل منذ ثلاث سنين ونصفاً، لأن المستنصر قتل في أول سنة ست وخمسين وستمائة، وبوقع هذا في يوم الاثنين في ثالث عشر رجب من هذه السنة - أعني سنة تسع وخمسين وستمائة.

وكان أسمر وسيما شديد القوى عالي الهمة له شجاعة وإقدام، وقد لقبه بالمستنصر كما كان أخاه باتي المدوسة ببغداد تلقب وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين آخرين يلقب كل منهما بالآخر، وبالي خلافة أخوان كهذين السفاح وأخوه المنصور، ولدا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، والهادي والرشد ابن المهدي ابن المنصور، والواثق والمتوكل ابن المستنصر بن الرشد، والمسترشد والمقتني ولدا المستظهر.

وأما ثلاثة فالأمين والمأمون والمستنصر أولاد الرشيد، والمتنصر والمعتز والمعتد أولاد المتوكل.

وأما أربعة فالوليد عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وقد ولي هذا الخلافة بعد ابن أخيه المستنصر ابن المستنصر ولم يكن هذا قبله إلا في خلافة الكفخي ابن المستظهر فإنه وليها بعد ابن أخيه الراشد بن المسترشد بن المستظهر، والله أعلم وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً، وكان أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس.

وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وإبراهيم بن الوليد سبعين يوماً، وأخيه يزيد بن الوليد خمسة أشهر وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً.

وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام، وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المتنصر بن المتوكل ستة أشهر، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً، وقد أنزل الخليفة المستنصر هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه فلما كان يوم سابع عشر رجب ركب في أبهة السواد وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب بالناس خطبة ذكر فيها شرف بني العباس، ثم استفتح فقرأ صدراً من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم رضى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر، ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه، وكان وقتاً حسناً ويوماً مشهوداً.

تولية الخليفة المستنصر بالله للملك الظاهر السلطنة

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والعقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت بظاهر القاهرة فجلسوا فيها، فلبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء، وطوقاً في عنقه، وقبلاً في رجليه وهما من ذهب، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبراً فقرأ على الناس تقليد السلطان، وهو من إنشائه ويخط نفسه، ثم ركب السلطان بهذه الأبهة والقيد في رجليه والطوق

والأجناد بين يديه، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة.

وفي الحادي عشر من صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر الحلبي فقاتلوه فهزموه، فدخل القلعة فحاصروه فيها فهرب منها إلى قلعة بعلبك، وتسلم قلعة دمشق الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، وكان مملوكاً لجمال الدين بن عمروس ثم للصالح أيوب بن الكامل وإليه ينسب الملك الظاهر، فأرسله الظاهر ليسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر، فأخذها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر، ثم حاصروا الحلبي ببعلبك حتى أخذه فأرسلوه إلى الظاهر على بغل إلى مصر، فدخل عليه ليلاً فعاتبه ثم أطلق له أشياء وأكرمه.

وفي يوم الاثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا.

وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوثوب عليه وفيه أرسل إلى الشريك فتسلمها من أيدي نواب المنيث صاحب الكرك.

وفيها جهز الظاهر جيشاً إلى حلب ليطردوا التتار عنها، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب الفرنج إلى التتار يتدنونهم، فرحلوا عنها مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم، وقدم إليهم الجيش الظاهري فازالوا ذلك كله، وصادروا بعض أهلها بألف ألف وستمائة ألف، ثم قدم الأمير شمس الدين أقرش البري من جهة الظاهر فاستلم البلد واستحوذ عليها فقطع ووصل وحكم ولكن ما عدل.

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى بأمر القضاء بمصر العلامة الشيخ تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن القاضي رشيد الدين أبي التثاء عمود بن بدر العلامي، وذلك بعد شروط ذكرها للظاهر شديدة، فدخل تحتها الملك الظاهر وعزل عن القضاء بدر الدين أبو الحسان يوسف بن علي السنجاري ورسم عليه أياماً، ثم أفرج عنه.

ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد ابن

أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن أمير

المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي وهو

عم المستنصر

وكان معتقلاً ببغداد فأطلق، وكان مع جماعة الأعراب بأرض بالعراق، ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمير ناصر الدين مهنا في ثامن رجب، فخرج السلطان ومعه الوزير والقاضي تاج الدين والشهود والمؤننون فلقوه، وكان يوماً مشهوداً، وخرج أهل التزرة بتزراتهم، والنصارى بإنجيهم، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة والله الحمد والمئة.

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالإريوان بقلعة الجبل، والوزير والقاضي والأمراء على طبقاتهم، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باتي المستنصرية، وعم المستنصر.

سني الدولة، وولى قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجاري، فأضاف إليه مع القضاء نظر الأوقاف والجامع والمارستان وتدرّس سبع مدارس؛ العادلية والناصرية والعزراوية والفلكية والركنية والإقبالية والهنسية، وقرأ تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك الكمال من جامع دمشق، وسافر القاضي المغزول مرشماً عليه، وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة، وذكر أنه خان في ودعية ذهب جعلها فلوساً، فالله أعلم. وكانت مدة ولايته سنة وأشهرها، وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان بالساكن المنصورة واجتمع إلى الديار المصرية، وقد كان رسول الإسماعيلية قدم على السلطان بمدشيت يتنهله ويتوشه ويظنون منه إقطاعات كثيرة، فلم يزل يوقع بينهم حتى استأصل شأنتهم واستولى على بلادهم، نصره الله تعالى، ومكن به البلاد، ونصر به عباده المؤمنين، آمين.

وفيها في السادس والعشرين من ربيع الأول عمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس، وكان عمل هذا العزاء بقلعة الجبل من الديار المصرية بأمر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيترس، وذلك لما بلغهم أن هولاكو ملك التتار قتله، وقد كان في قبضته، كما تقدم ذكره، فلما بلغه كسره أصحابه بعين جالوت طلبه إلى بين يديه، وقال له: أنت أرسلت الجيوش إلى الديار المصرية حتى اقتتلوا مع المغول، فكسروهم. ثم أمر بقتله، ويقال: إنه اعتذر إليه، وذكر أن المصريين كانوا أعداءه، وبينه وبينهم شئان وقِتل، فأقاله ولكنه انحطت رُبته عنده، وقد كان مكرماً في خدمته، وقد وعده أنه إذا ملك الديار المصرية استتابه في الشام، فلما كانت وقعة حمص في هذه السنة، وقُتل فيها أصحاب هولاكو مع مقدمهم بيلة غضب وقال له: أصحابك من العزيزية أمراء أيبك والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا. ثم أمر بقتله، وقد ذكر أنه رماه بالثَّباب وهو واقف بين يديه، وهو يسأل العفو، فلم يفعل حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الملك الظاهر علياً، وأطلق ولعظيمه العزيز محمد ابن الناصر وزبالة بن الظاهر، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم، فاما العزيز فإنه مات هناك في أسر التتار، وأما زبالة فإنه صار إلى الديار المصرية، فكان أحسن من بها، وكانت أمه أم ولد يقال لها: وجه القمر. فتزوجها بعض الأمراء بعد استاذها المذكور.

ويقال: إن هولاكو لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات، فجُمعت رموسها بجبال، ثم رُسط الناصر في الأربع بأريته، ثم أطلقت الحبال، فرجعت كل واحدة إلى مركزها بعض من أعضاء الناصر، رحمه الله تعالى. وقد قيل: إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب، ولما توفّي أبوه في سنة أربع وثلاثين بوبع بالسلطنة بحلب، وعمره سبع سنين، وقام بتدبير مملكته جماعة من مالكي أبيه العزيز، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم أبيه صبغة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فلما توفيت في سنة أربعين وستمائة استقل الناصر بالملك، وكان جيد السيرة في الرعايا محبوباً إليهم، كثير النفاذ، ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وعلبك وحران وطائفة كثيرة من بلاد الجزيرة، فيقال: إن سمامة كان كل يوم يشتمل على أربعمائة رأس غنم سوى الدجاج والإوز وأنواع الطير مطبوخة بأنواع الأطعمة والقلويات، وكان مجموع ما يفرغ على السماط في كل يوم عشرين

في عهده، والوزير بين يديه، وعلى رأسه التقليد والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير، فشق القاهرة وقد زينت له، وكان يوماً مشهوداً، يقصر اللسان عن وصفه وقد ذكر الشيخ قطب الدين هذا التقليد بتمامه، وهو مطول والله أعلم.

ثم إن الخليفة لما طلب من السلطان ذلك أن يجهزه إلى بغداد، فرتب السلطان له جنداً هائلة وأقام له من كل ما ينبغي للخلفاء والملوك من الحشم والخدم والطلبخانة وغير ذلك.

ثم سار السلطان صحبته قاصدين دمشق المحروسة في أبهة عظيمة وكان سبب خروج السلطان من مصر إلى الشام، أن البرلي كما تقدم كان قد استحوذ على حلب، فأرسل إليه الظاهر الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد تغلب على دمشق فطرده عن حلب وتسلمها، وأقام بها نائباً عن السلطان، ثم لم يزل البرلي حتى استعاده منها وأخرجه منها هارباً واستولى عليها كما كان. فاستتاب السلطان في الديار المصرية عز الدين أيدمر الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنا، اصطحب ولده فخر الدين ابن الحنا وزير الصحة وجعل تدبير الساكن والجيش إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار. ثم كان دخول السلطان صحبة الخليفة إلى دمشق ثم ساروا فدخلوا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً، وصلى الجمعة بجامع دمشق، وكان دخول الخليفة من باب البريد، ودخل السلطان من باب الزيادة. وكان يوماً مشهوداً أيضاً، ثم جهز السلطان الخليفة إلى بغداد ومعه أولاد صاحب الموصل، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقتل الله من الذهب العين ألف ألف دينار، وأطلق له وزاده فجزاه الله خيراً، وقدم إليه صاحب حمص الملك الأشرف فخلع عليه وأطلق له وزاده تل باشر، وقدم صاحب حماه المنصور فخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً بيلاده، ثم جهز جيشاً صحبة الأمير علاء الدين البندقداري إلى حلب لمحاربة البرلي المتغلب عليها القسدي فيها، وقد أقام البرلي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم، فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق، وأتفق على المصلحة وإنفاذ الحاكم للمستنصر؛ لكونه أكبر منه، والله الحمد. لكن خرج عليهما في آخر السنة طائفة من التتار، ففروا شملهما، وقتلوا خلقاً ممن كان معهما، وعُد المستنصر، وهرب الحاكم مع الأعراب. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد كان المستنصر هذا فتح بلبلانا كثيرة في مسيره إلى العراق، ولما قتله بهادر علي شحنة بغداد كسره المستنصر، وقتل أكثر أصحابه، ولكن خرج كمين من التتار، فهرب الغزبان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر، وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك، فقتل كثير منهم أو أكثرهم، وفقد هو من بين، ونجا الحاكم في طائفة، وكان هذا في أول المحرم من سنة ستين وستمائة. رحمه الله وأكرم مثواه. وهذا هو الذي أنبأ الحسين بن علي في توشه في أرض العراق مع كثرة جنودهما، وكان الأولى لهذا أن يستقر في بلاد الإسلام حتى تتمهد الأمور وتصفو الأخوال، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

وجهر السلطان الملك الظاهر جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج، فأغاروا وقتلوا، وسبوا ووجعوا سائين، وطلبت الفرنج من السلطان الصلح، فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها، وكان قد عزل في شوال عن قضاء مصر وحدثا تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، وولى عليها برهان الدين الحفزي بن الحسن السنجاري، وعزل قاضي دمشق نجم الدين أبا بكر بن صدر الدين أحمد ابن شمس الدين يحيى بن هبة الله بن

وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجيب عن استأذاريته واستبدل به غيره وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتي.

وفي يوم الثلاثاء تاسع رجب حضر السلطان الملك الظاهر إلى دار العدل في عاكمة في بئر إلى بين يدي القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعر فقام الناس إلا القاضي فإنه أشار عليه أن لا يقوم وتداعيا وكان الحق مع السلطان وله بيعة عادلة، فانتزعت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء..

وفي شوال استتاب السلطان الملك الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابي وحيثما حماز عسكر سيس على القوعة من أرض حلب فركب إليهم الشهابي فكسروهم وأسر منهم جماعة فبعثهم إلى مصر فوسطوا.

وفيهما استتاب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيب، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طيرس الوزير وحمل إلى القاهرة..

وفي ذي القعدة خرج مرسوم السلطان الملك الظاهر إلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعر أن يستتب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستتاب من الخفية صدر الدين سليمان الحنفي، ومن الخنابلة شمس الدين محمد ابن الشيخ العماد، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي المالكي..

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التار على الملك الظاهر مستأمنين فآكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لإخوانهم رواتب كافية..

وفي هذه السنة أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو ألف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا، وضاعت بها الأقوات..

وفيهما أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى التبرلي يستجده فقدم عليه فهزمت التار ثم ثبثوا والتقوا معه، وإنما كان معه تسع مئة مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البيرة وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية، ثم دخل هو إلى بين يدي السلطان الملك الظاهر فأنعم عليه وأحسن إليه وأقطعته تسعين فارساً، وأما التار فأنهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزوا أصحابها الملك الصالح إليهم وندادوا في البلد بأمان حتى أطبأ الناس ثم مالوا عليهم فقتلوا تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين وخربوا أسوار البلد وتركوها بلاقع ثم كروا راجعين فيحهم الله أجمعين.

وفيهما وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة ابن عمه، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذه من الأموال والأسرار، على ما جرت به عادة ملوكهم، فقتل رسله فاشتد غضب بركة، وكتب الظاهر لينفا على هولاكو.

وفيهما وقع غلاء شديد بالشام فبيع القمح الغرارة بأربعمائة وخمسين والشعير بمائتين وخمسين، واللحم الرطل بستة وسبعة.

وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التار فجهز كثير من الناس إلى مصر، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء، ورسم ولاية الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى بلاد مصر، ووقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم، ويقال إنه حصل لبلاد التار خوف

ألفاً، وعائته يخرج من بين يديه كما هو كانه لم يؤكل منه شيء، فباع على باب القلعة بأرخص الأمان حتى إن كثيراً من أهل البيوت لا يطبخون في بيوتهم شيئاً من الطرף والأطعمة بل يشترون ذلك برخص، وكانت الأرزاق كثيرة دارة في زمانه وإيامه، وقد كان خليعاً ظريفاً حسن الشكل، أديباً يقول الشعر المتوسط، القوي بالنسبة إليه. وقد أورد له الشيخ قطب الدين في «الذيل» قطعة صالحة من شعره، وهي راقية لاهة، قتل ببلاد المشرق، ودفن هنالك. وقد كان أعز له تربة برياطه الذي بناه بسفح قاسيون، فلم يقدر دفعه بها، والناصرية الترابية بالسفح من أغرب الأبنية وأحسنها بيتاً من الموكد المحكم قبله جامع الأفوم، وقد بنى بعدها بمدة طويلة وكذلك الناصرية الجوية التي بناها داخل باب القرايس هي من أحسن المدارس، وبنى الحان الكبير تجاه الزنجاري وخولت إليه دار الطعم، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في إصطبل السلطان اليوم، رحمه الله. وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً.

ثم دخلت سنة ستين وستمائة

في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي ببيع له في رجب في السنة الماضية بمصر، وكان قتله بأرض العراق بعد ما هزم من كان معه من الجنود فإنا لله وإنا إليه راجعون.

واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التبرلي فإنه ذهب إلى البيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هنالك.

وفي اليوم الثالث من المحرم من هذه السنة خلع السلطان الملك الظاهر ببلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعر وعزل عنها برهان الدين السنجاري.

وفي أواخر المحرم أعرس الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على بنت الأمير لؤلؤ صاحب الموصل، واحتفل الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالغا.

قال ابن خلكان: وفي هذه السنة اصطاد بعض أمراء الظاهر بجرود حمار وحش فطبخوه فلم يضيغ ولا أثر فيه كثرة الوقت، ثم انتقدوا أمره فإذا هو موسوم على أذنه بهرام جور، قال: وقد أحضره إلى قرائته كذلك، وهو يقتضي أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمائة سنة، فإن بهرام جور كان قبل المبعث بمدة متطاولة، وحمر الوحش تعيش دهرًا طويلاً.

قلت: يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأجد، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطيد هذه المدة الطويلة، ويكون الكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه فكتب بهرام جور فحصل اللبس من هنا والله أعلم..

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد ابن الأمير أبي علي القتيبي ابن الأمير علي ابن الأمير أبي بكر ابن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد، وقد كان شهد القوعة صعبة المستنصر، وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم، فلما كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر السرور له والاحتفال به، وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل، وأجريت عليه الأرزاق الدارة والإحسان.

كمال الدين

■ ابن العديم الخفي: عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جراحة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الخفي كمال الدين أبو القاسم بن العديم، الأمير الوزير الرئيس الكبير.

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة، سمع الحديث وحدث وتفقه وأفتى ودرس وصنف، وكان إماماً في فنون كثيرة، وقد ترسل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة، وصنف لطلب تاريخاً مفيداً قريباً في أربعين مجلداً، وكان جيد المعرفة بالحديث، حسن الظن بالفقراء والصالحين كثير الإحسان إليهم، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة.

توفي بمصر ودفن بسفح المقطم بعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام بشرة أيام، وقد أورد له قطب الدين إشعاراً حسنة.

■ يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد القافاني الزيني بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، يحيى الدين أبو المعز، ويقال: أبو المحاسن الهاشمي العباسي الموصلية المعروف بابن زبلاق الشاعر، قتله التتار لما أخذوا الموصل في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة، ومن شعره قوله:

بعث لنا من سحر مقتلك الوُسنى سهادا يلذو الجفن أن يالغ الجفنا
وابصر جسمي حسن خصرك ناحلاً فحاكاه لكن زاد في دقة المعنى
وابرز وجهاً أنجل الصبح طالماً وملت بقصد علم الحيف الغصن
حكيت أخاك البدر ليلة تمه سنا وسناه إذ تشابهما سنا
وقال أيضاً وقد دعي إلى موضع، فبعث يعتلر بهذين البيتين:

أنا في متزلي وقد وهب الله نديماً وقينسة وعقاراً
فأبسطوا العسر في التأخر عنكم شغل الحلى أهله بان يعاراً

قال أبو شامة: وفيها في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي:
■ البدر الراعي الخلافي: المعروف بالطويل، وكان قليل الدين تاركاً للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين، راضياً بما لا يفيد رحمة الله تعالى وجميع المسلمين.

وفيهما توفي:
■ محمد بن داود بن ياقوت الصارمي: المحدث. كتب كثيراً الطبقات وغيرها، وكان ديناً خيراً يعير كتبه ويداوم على الاشتغال بسماع الحديث رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة

استهلت وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وعلى الشام نائبه جمال الدين آقوش النجفي، وقاضيه شمس الدين ابن خلكان والوزير بها عز الدين بن وداعة، وليس للناس خليفة، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذي قتل في السنة الماضية.

شديد أيضاً، فسبحان الفعال لما يريد ويده الأمر.

وكان الأمر لأهل دمشق بالتحول منها إلى الديار المصرية نائبها الأمير علم الدين طبريس الوزير، فأرسل السلطان إليه في ذي القعدة فأمسكه وعزله واستتاب عليها جمال الدين آقوش النجفي، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة.

وفي هذه السنة نزل القاضي شمس الدين ابن خلكان عن تدريس الركنية للشيخ شهاب الدين أبي شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول مختصر الزني أثابه الله تعالى.

وفيهما توفي من الأعيان

الخليفة

■ المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسي الذي يابعه الظاهر بمصر في رجب من هذه السنة كما ذكرنا، وكان قتله في ثالث المحرم من هذه السنة، وكان شهماً شجاعاً، بطلاً فائكاً، وقد أنفق الظاهر عليه حتى أقام له جيشاً بألف دينار وأزيد، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل، وكان الملك الصالح إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر فأرسله صحة الخليفة، فلما كانت الورقة قد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده فجاءته التتار فحاصروه كما ذكرنا، وقتلوه وخربوا بلاده وقتلوا أهلها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

العز الضمير الحيوي اللغوي واسمه

■ الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا من أهل نصيبين ونشأ بإربل فاشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل، وكان يشتغل عليه أهل الذمة وغيرهم، ونسب إلى الانحلال وقلة الدين، وترك الصلوات، وكان ذكياً، وليس بذكي، عالم اللسان جاهل القلب، ذكي القول خبيث الفعل، وله شعر جيد رائق أوردته الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته، وهذا الضمير شبيه بأبي العلاء المعري قبحهما الله.

ابن عبد السلام:

■ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب، الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله، وله مصنفات حسان، منها التفسير، واختصار النهاية، والقواعد الكبرى والصغرى، وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلية وغير ذلك.

ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع كثيراً واشتغل على فخر الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب، وعلوم كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولي خطبتها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وقصد بالفتاوى من الأفاق.

وكان لطيفاً طريفاً يستشهد بالأشعار، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح إسماعيل تسليمه صفد والشقيف إلى الفرنج، ووافقه الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي، فأخرجهما من بلده فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه واحترمه، وسار ابن عبد السلام إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق، ثم انتزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية، فلما حضره الموت أوصى بها للقاضي تاج الدين ابن بنت الأعز.

وتوفي في عاشر جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين، ودفن من الغد بسفح المقطم، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى.

المقتدر، والمقتدي بن الذخيرة بن القائم بأمر الله.

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

أبي العباس أحمد ابن الأمير أبي علي القمي ابن الأمير علي ابن الأمير أبي بكر ابن الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل ابن الإمام المستظهر بالله أبي العباس أحمد العباسي الهاشمي.

لما كان يوم الخميس ثاني المحرم، جلس السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وأمرأؤه وأهل الحل والعقد في الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكباً حتى نزل عند الإيوان، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسيبه، ثم قرئ نسيبه على الناس ثم أقبل عليه الملك الظاهر فبايعه وبايعه الناس بعده، وكان يوماً مشهوداً.

فلما كان يوم الجمعة ثمانية خُطب الخليفة بالناس فقال في خطبته: والحمد لله الذي أقام لأهل العباس ركناً ظهيراً، وجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً، أحده على السراء والضراء، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء، وأستنصره على دفع الأعداء، وإشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه نجوم الاعتناء وأئمة الاقتداء الأربعة، وعلى العباس عمه كاشف غمه أبي السادة الخلفاء الراشدين وأئمة المهديين وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أيها الناس اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سبب الحرم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم، فلو شاهدتم أعداء الإسلام لما دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والأموال وقتلوا الرجال والأطفال، وسبوا الصبيان والبنات، وأيتهم من الآباء والأهملات، وعتكوا حرم الخلافة والحريم. وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات باليكاء والعويل وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل، فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبيكاته، ففسحوا عباد الله عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَنْقِصُوا خَيْراً لَأَنْفُسِكُمْ وَفَرِّقْ بَيْنَ يَدَيْكَ﴾ ﴿سُورَةُ طه: ١٦﴾ فلم يبق معذرة في القعود عن أعداء الدين، والمخافة عن المسلمين، وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المريد ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرذ جيش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار، وأصبحت البيعة بهمته منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة، وأخلصوا نياتكم تصروا، وقتلوا أولياء الشيطان تظفروا، ولا يروعنكم ما جرى فلاحرب سجال والعاقبة للمتقين، والدمر يومان والأجر للمؤمنين، جمع الله على الهدى أمركم، وأعز بالإيمان نصركم، وأستغفر الله العظيم لي وللسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

ثم خطب الثانية ونزل صلى.

وكتب يبعثه إلى الأفاق ليخطب له وضررت السكة باسمه.

قال أبو شامة: فخطب له بجامع دمشق وسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة.

وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس، ولم يل الخلافة من بني العباس من ليس والده وجده خليفة بعد السفاح والمنصور سوى هذا، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم، والمعتضد بن طلبة بن المتوكل، والقادر بن إسحاق بن

ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها

وفيها ركب الظاهر من مصر في العساكر المنصورة قاصداً ناحية بلاد الكرك، واستدعى صاحبها الملك المنبث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل، فلما قدم عليه بعد جهد أرسله إلى مصر معتقلاً فكان آخر العهد به، وذلك أنه كاتب هولاء وحته على القدوم إلى الشام مرة أخرى، وجاءته كتب التار بالثبات ونيابة البلاد، وأنهم قادمون عليه عشرون ألفاً لفتح الديار المصرية، وأخرج السلطان قنارى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان، وكان قد استدعاه من دمشق، وعلى جماعة من الأمراء، ثم سار فسلم الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أبهة الملك، ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً.

وفيها قدمت رسل بركة قان إلى الظاهر يقول له: قد علمت محبتي للإسلام، وعلمت ما فعل هولاءو بالمسلمين، فأركب أنت من ناحية وآتبه أنا من ناحية حتى نصلطه أو نخرجه من البلاد وأياً ما كان أعطيتك جميع ما كان بيده من البلاد، فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرمهم.

وفيها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها.

وفي رمضان جهز الظاهر صناعات وأخشاباً وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ بعد حريقه فظيف بتلك الأخشاب والآلات بمصر فرحة بها وتعظيماً لشأنها، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية.

وفي شوال سار الظاهر إلى الاسكندرية، فنظر في أحوالها وأمورها، وعزل قاضيه وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير وولى غيره.

وفيها التقي بركة قان وهولاءو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتلوا فهزم الله هولاءو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي وهرب هو في شرملة بسيرة والله الحمد. ولما نظر بركة إلى كثرة القتل قال: يزع علي أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكيز خان؟! ثم أغار بركة على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة وتحفاً كثيرة هائلة.

وفيها توفي من الأعيان

■ محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر اليعمرى الأندلسي الخافظ ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة وسمع الكثير، وحصل كتباً عظيمة، وصنف أشياء حسنة، وختم به الحفاظ في تلك البلاد، توفي بمدينة تونس في الرابع والعشرين رجب من هذه السنة.

■ عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسعي المحدث المقر، سمع الكثير، وحدث وكان من الفضلاء والأدباء، له مكانة عند البدر لؤلؤ صاحب الموصل، وكذلك عند صاحب سنجار، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين، ومن شعره:

نَسِبَ النَّسْرَابُ فذلنا بنيعي
أن الحبيب ذنبا أوأنا منيعي
يا سائلي عن طيب عيشي بدمع
جُدي في بعيش ثم سل عن طيب

■ محمد بن أحمد بن عترة السلمي الدمشقي: محتسبها، ومن عدولها

وفيها قدمت رسل الملك بركة قان إلى الملك الظاهر ومعهم الأشرف ابن شهاب الدين غازي بن العادل، ومعهم من الكتب والمشافات ما فيه سرور للإسلام وأمله بما حل بهولاكو وأمله.

وفي جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي بدار الحديث الأشرفية، بعد وفاة القاضي عماد الدين بن الحرساني، وحضر عنده القاضي شمس الدين بن خلكان وجماعة من الفضلاء والأعيان، وذكر خطبة كتابه المبعث. وأورد الحديث بسنده ومثله لا يستكثر ذلك عليه والله أعلم.

وفيها قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة السلطان هولاكو، فنظر في الأرقاف وأحوال البلد، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحملها إلى الرُّشد الذي بناه بمرجة، ثم انحدر إلى واسط والبصرة. وفيها كانت وفاة:

الملك

■ الأشرف: موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير، كانوا ملوك حصص كائناً عن كائناً إلى هذا الحين، وقد كان من الكرماء الموصوفين، وكبراء المناشقة المترفين، متعباً بالماكل والمشرب والملابس والمراكب وقضاء الشهوات والمآرب وكثرة التمتع بالمغاني والحجائب، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كاضغاث أحلام، أو كظل زائل، وبقيت تبعاته وعقوباته وحسابه وعاره.

ولما توفي وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة، وصار ملكه إلى الدولة الظاهرية.

وتوفي معه في هذه السنة الأمير

■ جناسم الدين الجوكندار نائب حلب.

وفيها كانت كسرة التار على حصص وقتل مقدمهم بيدرة بقضاء الله وقدره الحسن الجليل.

وفيها كانت وفاة:

■ الرشيد العطار: المحدث بمصر. والذي حضر مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل.

والتاجر المشهور الحاج

■ نصر بن نزوس وكان ملازماً للصلاوات بالجامع، وكان من ذوي اليسار والخير.

الخطيب عماد الدين

■ ابن الحرساني: عبد الكريم ابن قاضي القضاة جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرساني، كان خطيباً بدمشق ونائباً في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية، بعد ابن الصلاح إلى أن توفي في دار الخطابة في التاسع والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة، وصلى عليه بالجامع ودفن عند أبيه بسفح قاسيون، وكانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى، وقد جاوز الثمانين بخمس سنين، وتولى بعده الخطابة والغزالية ولده بجير الدين، وياشر مشيخة بعده دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة.

محبي الدين

■ محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الحافظ المحدث الأنصاري الشافعي أبو بكر المغربي، عالم فاضل دين أقام بحلب مدة، ثم اجتاز بدمشق قاصداً مصر. وقد تولى دار الحديث الكاملية بعد زكي

وأعيانها. وله بها أملاك وأوقاف، توفي بالقاهرة ودفن بالمقطم.

■ (القاسم بن أحمد بن الموقف اللورقي).

علم الدين محمد أبو محمد القاسم بن أحمد بن الموقف بن جعفر المرسى اللورقي اللغوي الحنوي المقرئ، وشرح الشاطبية شرحاً مختصراً، وشرح المفصل في عدة مجلدات، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها، وكان ذا فنون عديدة حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وزرة وجمال، وقد سمع الكندي وغيره.

الشيخ أبو بكر

■ اللبثوري: وهو باني الزاوية بالصالحية، وكانت له فيها جماعة يريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة رحمه الله.

مولد الشيخ تقي الدين

■ ابن تيمية شيخ الإسلام: قال الشيخ شمس الدين الذهبي: وفي هذه السنة ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة.

الأمير الكبير مجير الدين: أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتين الأركشي الكردي الأموي، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر التار، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الوقعة جعله مع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائباً على دمشق مستشاراً ومشاركاً في الرأي والمراسيم والتبدير، وكان يجلس معه في دار العدل وله الإقطاع الكامل والرزق الواسع، إلى أن توفي في هذه السنة.

قال أبو شامة: ووالده الأمير حسام الدين توفي في حبس الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب رحمهما الله تعالى.

قلت: وولده الأمير عز الدين تولى هذه المدينة أعني دمشق مدة، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب سقرون بالصاغة العتيقة، يقال: درب ابن أبي الهيجاء لأنه كان يسكنه وكان يعمل الولاية فيه ففرف به، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قدما من حوران وأنا صغير فختمت فيه القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة ونسأله أن يتوفانا على الكتاب والسنة.

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وسلطان الإسلام النابغ عن حوزته الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري - أيد الله وشده عضده -، ونائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجفي وقاضيه شمس الدين بن خلكان.

وفيها في أولها كملت المدرسة الظاهرية التي بين القصرين، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن زين، ولتدريس الحنفية عبد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر بن العديم، ولشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الديماطي.

وفيها عمر الظاهر بالقدس الشريف قانا ووقف عليه أوقافاً للنازلين به من إصلاح نعلهم وأكلهم وغير ذلك، وبني به طاحوناً وفراناً.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة

فيها جهز السلطان الملك الظاهر عسكراً جماً كثيراً إلى ناحية الفرات لطرد التار التازلين بالبرية، فلما سمعوا بالعاكس الظاهرة قد أقبلت ولوا مديري، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد بها والخوف، فعمرت وأمنت والله الحمد.

وفيها خرج الملك الظاهر في عساكر أخر عظيمة فقصده بلاد الساحل لحصار الفرنج ففتح قيسارية في ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى وهو يوم نزوله عليها، وتسلم قلعتها في يوم الخميس الآخر خامس عشر فهدمها وانتقل إلى غيرها، والله الحمد والمئة، ثم جاء الخبر بأنه فتح مدينة أرسوف وقتل من بها من الفرنج وجنات البريدية بذلك، فهدت البشار في بلاد المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً.

وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألفاً، وأسروا عشرة آلاف، واسترجعوا منهم ثنتين وثلاثين بلدة منها شريش وإشبيلية وقرطبة ومرسية، وكانت النصر في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة اثنين وستين.

وفي رمضان من هذه السنة شرع في تليط باب البريد من باب الجامع إلى القناة التي عند الدرج وعمل في الصف القلبي منها بركة وشافروان. وكان في مكائنها قنات من القنوات ينتفع الناس بها عند انقطاع نهر باتياس فغيرت وعمل الشافروان.

قلت: ثم غيرت وعمل مكانه دكاكين.

وفيها استدعى الظاهر نائبه على دمشق الأمير جمال الدين آقوش، فسار إليه سامعاً طمئناً، وناب عنه الأمير علم الدين الحصني حتى عاد مكراً معزراً.

وفيها ولي السلطان الملك الظاهر من بقية المناهب قضاة في مصر مستقلين بالحكم يولون من جهتهم في البلدان أيضاً كما يولي الشافعي، فكان للشافعية تاج عبد الوهاب ابن بنت الأعرز، والحنفية شمس الدين سليمان، وقضاة المالكية شمس الدين السبكي، والحنابلة شمس الدين محمد المقدسي، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعرز في أمور تخالف مذهب الشافعي، وتوافق غيره من المذاهب، فأشار الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضي قضاة مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه، فاجابه إلى ذلك، وكان يحب رايه ومشورته، وبعث بأخشاب وروصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ وأرسل متبراً فصب هنالك.

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتهم النصارى فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة.

وفيها جاءت الأخبار بأن سلطان التار هولاكو هلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع بمدينة مراغة ودفن بقلعة تلال وبنيت عليه قبة واجتمعت التار على ولده أبغا، فقصده الملك بركة قان فكسره وفرق جموعه، ففرح الملك الظاهر بذلك فرحاً شديداً، وعزم على جمع العساكر ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الإقطاعات.

وفيها في ثاني عشر شوال سلطان الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة قان، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشي الأمراء بين يديه،

الدين عبد العظيم المنزي، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد، وقد جاوز التسعين.

الشيخ الصالح

■ محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الإسكندراني: كان مقيماً ببغيط له يقات منته ويعمل فيه ويصله، ويتورع جداً ويطلع الناس من ثماره. وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة بالإسكندرية وله خمس وسبعون سنة، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسمعون منه ويطيعونه لزمه، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راضون منه بذلك.

ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل، فلما كان بعد أيام جاءه الرجل الذي اشتراها فقال: يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندي شيئاً، فنظر إليه الشيخ فقال له: ماذا تعاني من الصنائع؟ فقال رقاص عند الوالي، فقال له إن دابتي لا تأكل الحرام، ودخل منزله فأعطاه دارمه ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز، فاشتري الناس من الرقاص كل درهم بثلاثة لأجل البركة، وأخذ دابته، ولما توفي ترك من الأثاث ما يساوي خمسين درهماً فبيع بمبلغ عشرين ألفاً. قال أبو شامة: وفي الثامن والعشرين من ربيع الآخر توفي:

محيي الدين

■ عبد الله بن صفى الدين: إبراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى.

قلت: داره هذه هي التي جعلت مدرسة للشافعية وقنها الأمير جمال الدين آقوش النجفي التي يقال لها النجبية تقبل الله منه وبها إقامتنا جعلها الله داراً تعقها دار القرار في الفوز العظيم.

وقد كان أبوه صفى الدين وزير الملك الأشرف، وملك من الذهب ستمائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والأثاث والبضائع، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين، ودفن بترينه عند جبل المقطم.

قال أبو شامة: وجاء الخبر من مصر بوفاة

■ الفخر عثمان المصري المعروف بعين عين.

وفي ثامن عشر ذي الحجة توفي الشمس.

■ الويار الموصل، وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب وخطب بجامع المزة مدة، فأنشئ نفسه في الشيب وخضابه قوله:

وكنْتُ وِلياً مَذْ أخطأ عارضِي كروحيْنِ في جسمٍ وما تقضت عهدا فلما أتاني الشيبُ يقطعُ بيتنا توهمتُ سباً فالبستُ غمداً

وفيها استنصر الملك هولاكو ملك التار الزين الحافظي وهو سليمان بن المؤيد بن عامر المغربي المعروف بالزين الحافظي، وقال له قد ثبت عندي خيانتك، وقد كان هذا المغر لما قدم التار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وأآدهم ودل على عورتهم، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والمثلثات ﴿وَكَذَلِكَ تَوَكَّلْ بِغَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الاسم: ١٢٩].

وفي الجملة من أعان ظالماً سلط عليه، فإن الله يتقم من الظالم بالظالم ثم يتقم من الظالمين جميعاً، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده.

الدرج الشمالية.

وفيها قدم السلطان الملك الظاهر بيساكره ونازل مدينة صفد واستدعى بالمجانيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى اقتتحتها، ونزل أهلها على حكمه، فسلم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال، وقتل المقاتلة وسعى النورية، وقد كان الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب اقتتحتها في شوال أيضاً في أربع وثمانين وخمسة، ثم استعادها الفرنج فانتزعها الظاهر منهم قهراً في هذه السنة ولله الحمد، وكان السلطان الظاهر في نفسه منهم شيء كثير، فلما توجه إلى فتحها طلبوا الأمان، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري، وجاءت رسلهم فحلفوه وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم المهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة، فلما خرجت الاستبارية والدأوية من القلعة، وقد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل القبيحة، فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم، وجاءت البشائر إلى البلاد بذلك، فدقت البشائر وزينت البلاد، ثم بث السرايا بمينا وشمالاً في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصناً، وأسروا قريبا من ألف أسير ما بين امرأة وصبي، وغنموا شيئا كثيرا ودقت البشائر في البلدان وفرح المسلمون بنصر الله وتأنيده.

وفيها قدم ولد الخليفة المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر العباسي واسمه علي، فأكرم وأنزل بالدار الأسدية تجاه العزيزية، وقد كان أسيراً في أيدي التتار، فلما كسرهم بركة قان تخلص من أيديهم وسار إلى دمشق، ولما فتح السلطان صفد أخبره بعض من كان فيها من أسرى المسلمين أن سبب أسرهم أن أهل قرية قاراً كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم، فعند ذلك ركب السلطان قاصداً قاراً فأوقع بهم بأساً شديداً وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسّر من أبنائهم ونسائهم أخذاً ينثر المسلمين جزاءه الله خيراً، ثم أرسل السلطان جيشاً هائلاً إلى بلاد سبب، فنجاسوا خلال الديار وفتحوا سبب عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهروها، وقتلوا أهلها وأخذوا بنار الإسلام وأهله منهم، وذلك أنهم كانوا أضر شيء على المسلمين زمن التتار، لما أخذوا مدينة حلب وغيرها أسروا من نساء المسلمين وأطفالهم خلقاً كثيراً، ثم كانوا بعد ذلك يغيرون على بلاد المسلمين في زمن هولاكو فكتبه الله وأهاته على يدي أنصار الإسلام، هو وأميره كبتفا، وكان أخذ سبب يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة، وجاءت الأخبار بذلك إلى البلاد وضررت البشائر.

وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان الملك الظاهر دمشق الخروسة وبين يديه ابن صاحب سبب وجماعة من ملوك الأرمن أسرى أذلاء صفرة، والعساكر صحبته وكان يوماً مشهوداً. ثم سار إلى مصر مؤيداً منصوراً، محبوراً، و لله الحمد وطلب صاحب سبب أن يفاذي ولده، فقال السلطان لا نفاذي إلا بأسير لنا عند التتار يقال له ستر الأشقر، فذهب صاحب سبب إلى ملك التتار فقتل له وبمسكن وخضع له، حتى أطلقه له، فلما وصل ستر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سبب.

وفيها عمر الظاهر الجسر المشهور بين قراوا ودامية، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن نهار ويدر الدين محمد بن رحال والي نابلس والأغوار، ولما تم بنؤه اضطرب بعض أركانه فقلق السلطان من ذلك وأمر بتأكيده فلم يستطيعوا من قوة جري الماء حيثن، فافتق بإذن الله أن أنالس على النهر أكمة من تلك الناحية، فسكن الماء بمقدار ما أصلحوا ما يريدون، ثم

وحمل والده الغاشية بنفسه والأمير بدر الدين يسري الشمسي حامل الجتر، والقاضي تاج الدين ابن بنت الأعز والوزير بهاء الدين بن حنا راكبان بين يديه، وأعيان الأمراء ركباً وبقيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك وكان يوماً مشهوداً.

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السعيد المذكور، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان يوماً مشهوداً.

ومن توفي فيها:

الزين

■ خالد بن يوسف بن سعد النابلسي: الشيخ زين الدين الحافظ شيخ دار الحديث النورية بدمشق، وكان عالماً بصناعة الحديث حافظاً لأسماء الرجال، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النواوي وغيره، وتولى بعده مشيخة دار الحديث النورية الشيخ تاج الدين الفزاري وكان الشيخ زين الدين حسن الأخلاق فكه النفس كثير المزاح على طريقة المحدثين، رحل إلى بغداد واشتغل بها، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة، وكانت جنازته حافلة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

الشيخ أبو القاسم

■ الخوارزمي: هو أبو القاسم يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الشيخ المشهور صاحب الزاوية محواري، توفي ببغداد، وكان خيراً صالحاً له أتباع وأصحاب يمجونه، وله مريدون كثير من قرايا حوران في الجليل والبشنة وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف بل بالكف، وهم أمثل من غيرهم.

القاضي

■ بدر الدين الكردي السنجاري: الذي باشر القضاء بالديار المصرية مراراً توفي بالقاهرة.

قال أبو شامة: وكانت وسيرته معروفة في أخذ الرشا من قضاة الأطراف والشهود والمتحاكمين إليه، إلا أنه كان جواداً كريماً ثم صودر هو وأهله.

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم العباسي وسلطان المسلمين الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة،

وفيها استجد بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول وسبائي تفصيله.

ونائب الشام أقوش النجبي، وفيها وردت الولايات لقضاء القضاة من المذاهب فصار كل مذهب فيه قاضي قضاة، فكان في منصب الشافعية ابن خلكان، والحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، والمالكية عبد السلام بن الزواوي، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه، ثم ألزم بها فقبل بشرط أن لا يباشر أوقافاً ولا يأخذ جامكية على أحكامه، وقال: نحن في كفاية فاعني من ذلك أيضاً رحمهم الله.

وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم، واستقرت الأحوال على هذا النوال و لله الحمد.

وفيها كمل عمارة الخوض الذي شرقي قناة باب البريد وعمل له شاذروان وفيه وأنايب يجري منها الماء من القناة التي هي غربية إلى جانب

عاد الماء كما كان وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة.

وفيه توفي من الأعيان

■ أيدغلدي بن عبد الله: الأمير جمال الدين العزيزي، كان من أكابر الأمراء واحظاهم عند الملك الظاهر، لا يكاد الظاهر يخرج عن رايه، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاض على سبيل الاستقلال وكان رحمه الله متواضعاً لا يلبس حرماً، كريماً وقوراً رئيساً معظمياً في الدولة، أصابته جراحة في حصار صفد فلم يزل مريضاً منها حتى مات ليلة عرفة، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون من صلاحية دمشق رحمه الله.

■ هولاكو قان بن تولي قان خان بن جنكيز خان: ملك التتار ابن ملك التتار، ابن ملك التتار وهو والد ملوكهم، والعامه يقولون هولاوون مثل قلاوون.

وقد كان هولاكو ملكاً جباراً فاجراً عنيداً كفاراً لعنه الله، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجزيه على ذلك شر الجزاء، كان لعنه الله، لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق، وكان لعنه الله، هو يترامى على محبة المقلولات، ولا يتصور منها شيئاً، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة هم عنده وجامعة ومكانة، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئاً فشيئاً. حتى إبادته الله في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله، وقام في الملك من بعده ولده أبنا في المملكة وكان أبنا أحد إخوة عشرة ذكور وألله سبحانه أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة

في يوم الأحد ثاني المحرم توجه الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية وصحبته العساكر المنصورة، وقد استولت الدولة الإسلامية على بلاد سبب بكماها، وعلى كثير من معاقل الفرنج في هذه السنة، وقد أرسل العساكر بين يديه إلى غزة، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها، فلما كان عند بركة زيزي تصيد هنالك فسقط عن فرسه فأنكسرت فخذه، فأقام هناك أياماً يتداوى حتى أمكنه أن يركب في الخفة، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس ودخل القاهرة في أبهة عظيمة، وتجميل هائل، وقد زينت البلد، واحتفل الناس له احتفالاً عظيماً، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحاً كثيراً.

ثم في رجب منها رجع من القاهرة إلى صفد، وحفر خندقاً حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمراته وجيشه وأغار على ناحية عكا، فقتل وأسر وغنم وسلم وضربت لذلك البشارة بدمشق.

وفي ثاني عشر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة، ولم يكن تقام به الجمعة من زمن المماليك إلى هذا الحين، مع أنه أول مسجد بني بالقاهرة، بناء جوهر القائد وأقام فيه الجمعة، فلما بنى الحاكم جامعاً حول الجمعة منه إليه، وترك الأزهر لا جمعة فيه فصار في حكم بقية المساجد وشعث حاله وتغيرت أحواله، فأمر السلطان بعمارة وبياضه وإقامة الجمعة وأمر بعمارة جامع الحسينية وكمل في سنة سبع وستين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وفيه أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر بإخراج الخزان من منه، والمقاصير التي كانت فيه، فكانت قريباً من ثلاثمائة خزانة ومقصورة، ووجدوا فيها قوايرير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين.

وفيه أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها، وأن يكتب عليها ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]

وفيه التقى أبغا ومنكوغر الذي قام مقام بركة قان فكسره أبغا وغنم منه شيئاً كثيراً.

وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال: بلغنا أن رجلاً بليز أبي سلامة من ناحية بصرى، كان فيه مجون واستهتار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاذك إلا في المخرج - يعني دبره - فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج فوضع ولداً على صفة المخرجان له أربع قوائم، ورأسه كراس السمكة، وله أربعة أتياب بارزة، وذناب طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر كبير الأرنب. ولما وضع صاح ذلك الحيوان ثلاث صبيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلي وقطع أعماي، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً قبل أن يموت، ومنهم من رآه بعد موته.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان

■ بركة خان بن تولي بن جنكيز خان بن خاقان: وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفرق جنوده، وكان ينصيح الملك الظاهر، ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئاً كثيراً، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكوغر بن طغان بن بابو بن تولي بن جنكيز قان، وكان على طريقته ومنواله ولله الحمد.

قاضي القضاة بالديار المصرية: تاج الدين

■ عبد الوهاب بن خلف بن بلز ابن بنت الأغر الشافعي، كان ديناً عفيفاً نزهاً لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يقبل شفاعة أحد، وجمع له قضاء الديار المصرية بكماها، والخطابة، والحسبة ومشيشة الشيوخ، ونظر الأحياس، وتدرس قبة الشافعي والصالحية وإمامة الجامع، وكان بيده خمس عشرة وظيفة، وياشر الوزارة في بعض الأوقات.

وكان السلطان يعظمه، والوزير ابن حنا يخاف منه كثيراً، وكان يجب أن ينكب عند السلطان ويضعه فلا يستطيع ذلك، وكان يشتهي أن يأتي داره ولو عائداً، ففرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائداً، فقام إلى تلقية لوسط الدار، فقال له القاضي: إنما جئت لعيافتك فإذا أنت سوري صحيح، سلام عليكم، فرجع ولم يجلس عنده وكان مولده في سنة أربع وستمائة، وتولى بعده القضاء تقي الدين بن رزين.

والقف القهريمة الأمير الكبير ناصر الدين: أبو المعالي

ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة

استهلت هذه السنة والحاكم العباسي خليفة، وسلطان البلاد الملك الظاهر.

وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان من الديار المصرية بالساكن المنصورة، فنزل على مدينة يافا بنة فأتخذا عتوة، وسلم إليه أهلها فقلعتها صلحا، فأجلاهم منها إلى عكا وخرب القلعة والمدينة أيضاً، وقد كان الفرنج اعتدوا بعمادتها وتحصينها فجعلها بلقماً لئلا يكون لهم إليها عودة. وسار منها في رجب قاصداً حصن الشقيف، وفي أثناء الطريق أخذ من بعض بريلة الفرنج كتاباً من أهل عكا إلى أهل الشقيف يعلمونهم قدوم السلطان عليهم، ويأمرونهم بتحسين البلد، والمبادرة إلى إصلاح أماكن يخشى على البلد منها. ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين تزكك الكفت، واستدعى من فورهم رجلاً من الفرنج فأمره أن يكتب ببله كتاباً على السهم إلى أهل الشقيف، يحذر الملك من الوزير، والوزير من الملك، ويرمي الخلف بين الدولة. فوصل إليهم فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته، وجاء السلطان فحاصره، ورامهم بالمتجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلاهم إلى صور، وبعث بالأكتمال إلى دمشق، ثم ركب جريفة فيمنشط من الجيش فشن الغارة على طرابلس وأعمالها، فنهب وقتل وأرعب وكر راجعاً، مؤيداً منصوراً، فنزل على حصن الأكراد تحته في المرح، فحمل إليه أهله من الفرنج الإقامة فابى أن يقبلها وقال أنتم قتلتهم جندياً من جيشي وأريد دية مائة ألف دينار، ثم سار فنزل على حصن، ثم منها إلى حماة، ثم إلى أفاية ثم سار منزلة أخرى، ثم سار ليلاً وتقدم العسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية.

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر رحمه الله

تعالى

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخير، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بروجها مائة وستة وثلاثون برجاً، وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألف شرفة.

كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان، فخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان، وشرطوا شروطاً له عليهم فابى أن يجيبهم، وردهم خائبين وصمم على حصارها، ففتحها يوم السبت رابع شهر رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره، وغنم منها شيئاً كثيراً، وأطلق للأمرأه أموالاً جزيلة، ووجد من أسارى المسلمين من الحلبين فيها خلقاً كثيراً، كل هنا في مقدار أربعة أيام. وقد كان الأفرنسي صاحبها وصاحب طرابلس، من أشد الناس أذية للمسلمين، حين ملك التار حلب وفر الناس منها، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام ناصراً وللصليب دافعاً كاسراً، ولله الحمد والمنة.

وجاءت البشارة بذلك مع البريدية، فجاءتها البشائر من القلعة المنصورة، وأرسل أهل ويغراس حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يتسلمها، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقسنقر الفارقاني في ثالث عشر رمضان فتسلمها، وتسلموا حصونها كبيرة وقلاعاً كثيرة، وعاد السلطان مؤيداً منصوراً، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أبهة عظيمة وهيبة هائلة، وقد زينت له البلد ودقت له البشائر فرحاً بنصرة الإسلام على الكفرة الطغام، لكنه كان قد

■ الحسين بن العزيز بن أبي القوارس القيمري الكردي، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك، وهو الذي سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر، وهو واقف المدرسة القيمرية عند منلة فيروز، وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثلها، ولا عمل على شكلها، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم.

الشيخ شهاب الدين

■ أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الأشرفية، ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة القليلة، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة، وله شرح الشاطبية، وله الرد إلى الأمر الأول، وله في البعث وفي الإسراء، وكتاب الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية، وله الذيل على ذلك، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والفرائد التي هي كالعقيان.

ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وذكر لنفسه ترجمة في هذه السنة في الذيل، وذكر مرياه ومشاه، وطلبه العلم، وسماعه الحديث، وتفقهه على الفخر بن عساكر وابن عبيد السلام، والسيف الأملدي، والشيخ موفق الدين بن قدامة، وما رثي له من النامات الحسنة.

وكان ذا فنون كثيرة، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري، أنه كان يقول: بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد، وقد كان ينظم أشعاراً في أوقات، فمنها ما هو مستحلى، ومنها ما لا يستحلى، فآله يغفر لنا وله.

وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته، وعفته وإمانته.

وكانت وفاته بسبب جماعة البوا عليه، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزل له بطواحين الأشنان، وقد كان اتهم بأمر الظاهر براءته منه، وقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم: إنه كان مظلوماً، ولم يزل يكتب في التاريخ حتى وصل إلى رجب من هذه السنة، فذكر أنه أصيب بمحنة في منزله بطواحين الأشنان، وكان الذين قتلوه جاوزوه قبل فضربوه ليموت فلم يمت، فقيل له: ألا تنتكي عليهم، فلم يفعل وأشأ يقول:

فَلَسْتُ لِمَنْ قَالَ إِلَّا تَشْتَكِي مَا قَدْ جَرَى فَهَوَ عَظِيمٌ جَلِيلٌ
يَقْرِضُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنْ يَأْخُذُ الْحَقَّ وَيُضِيهِ الْغَلِيلُ
إِذَا تَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ كَفَى فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

وكانهم عادوا إليه مرة ثانية وهو في المنزل المذكور فقتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان رحمه الله. ودفن من يومه بمقابر دار الفرائيس، وبأشرفه شيخ دار الحديث الأشرفية الشيخ محيي الدين النووي.

وفي هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي، وقد ذيل على تاريخ الشيخ أبي شامة لأن مولده في سنة وفاته، فحذا حذوه وسلك غوره، ورتب ترتيبه وهذب تهذيبه وهذا ممن يقال فيه وفي أمثاله في تراجمهم

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً
ويناسب أن ينشد هنا قول الشاعر:

إِذَا سَيِّدٌ مَنَا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قَوَّوْلاً لَنَا قَالِ الْكَرَامُ فَعَوَّلُ

قال حتى استعلم ما عنده، فإذا هو زنديق، فلما ركب قال لإنسان معه: استفرده في أثناء الطريق واقتله، فسايره ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه: أنزلوه عن فرسه كالملابح له، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم، ثم قال: أنزعوا عنه ثيابه فسلبوا وهو يخاضعهم، ويقول إنكم أجلاف، وإن هذا لعب بارد، ثم قال: اضربوا عنقه، فتقدم إليه أحدكم فضربه بسيفه فأبان رأسه.

وفيها توفي

الشيخ عفيف الدين

■ يوسف بن البقال: شيخ رباط المريزانية، كان صالحا ورعا زاهدا حكي عن نفسه قال: كنت بمصر فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فترة التار، فأنكرت في قلبي وقلت: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟ فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذه فقرأه فإذا فيه هذه الآيات فيها الإنكار علي:

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض بجة بحر هلك
إليه تصير أمور العباد دغ الاعتراض فما أجهلك
ومن توفي فيها من الأعيان.

الحافظ أبو إبراهيم

■ إسحاق بن عبد الله بن عمر المعروف بابن قاضي اليمن، عن ثمان وستين سنة، ودفن بالشرف الأعلى، وكان قد تفرد بروايات جيدة وانتفع الناس به.

وفيها ولد

الشيخ شرف الدين

■ عبد الله بن تيمية أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية.

و ■ الخطيب القزويني.

ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة

في صفر منها جدد السلطان الظاهر البيعة لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة قان، وأحضر الأمراء كلهم والقضاة والأعيان وأركبه ومشي بين يديه، وكتب له ابن لقمان تقليدا هائلا بالملك من بعد أبيه، وأن يحكم عنه أيضا في حال حياته.

ثم ركب السلطان في عساكره في جمادى الآخرة قاصدا الشام، فلما دخل دمشق جاءته رسل من أبنا ملك التار معهم مكاتبات ومشافهات، فمن جملة المشافهات: أتت مملوك أبعثت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض؟ وأعلم أنك لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني فأعمل لنفسك على مصالحة السلطان أيضا. فلم يلتفت إلى ذلك ولا عده شيئا بل أجاب عنه أتم جواب، وقال لرسله: أعلموه أي من ورائه بالمطالبة ولا أزال حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة، وسائر أقطار الأرض.

وفي جمادى الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر بإقامة الخمر وتبطل المفسدات والخراطع بالبلاد كلها، فنهت الخراطع وسلبن جميع ما كان

عزم على أخذ أراضي كثيرة من القرى والبساتين التي بأيدي ملاكها بزعم أنه قد كانت التار استحوذوا عليها ثم استخذها منهم، وقد افتاه بعض الفقهاء من الخفية بذلك تغريعا على أن الكفار إذا أخذوا شيئا من أموال المسلمين ملكوها، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها، وهذه المسألة مشهورة للناس فيها قولان:

(أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث العضاء ناقة رسول الله ﷺ، حين استرجعها رسول الله ﷺ، وقد كان أخذها المشركون بعد ٢٨٥/٢ استدلوا بهذا وأمثاله على أبي حنيفة.

وقال بعض العلماء: إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموا وهي في أيديهم استقرت على أملاكهم، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «وهل ترك لنا عقيل من رباع» (١٥٨٨، ٤٢٨٢)، م (١٣٥١) وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهي في يده، فلم تتزع من يده، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل، فإنها ترد إلى أربابها لحديث العضاء.

والمقصود أن الظاهر عقد مجلسا اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا في ذلك وصمم السلطان على ذلك اعتمادا على ما بيده من الفتاوى، وخاف الناس من غائلة ذلك فتوسط الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين بن الحنفيا، وكان قد درس بالشافعي بعد ابن بنت الأعر، فقال يا خوند أهل البلد يصالحونك عن ذلك كله بألف درهم، تقسط كل سنة مائتي ألف درهم، فأبى إلا أن تكون معجلة بعد أيام، وخرج متوجها إلى الديار المصرية، وقد أجاب إلى تقسيطها، وجاءت الإشارة بذلك فقررت على المنبر ففرح الناس بذلك، ورسم أن يعجلوا من ذلك أربعمائة ألف درهم، وأن تعاد إليهم الغلات التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسم والثمار، وكانت هذه الفعلة مما شعثت خواطر الناس على السلطان.

ولما استقر أمر أبنا على التار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسي، واستتاب على بلاد الروم البروانة وارتفع قدره عنده جدا واستقل بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها.

وفيها كتب صاحب اليمن إلى الظاهر بالخضوع والانتماء إلى جانبه وأن يتخط له بلاد اليمن، وأرسل إليه هدايا وتحفا كثيرة، فأرسل إليه السلطان هدايا وخلعا وسنجا وتقليدا.

وفيها رافع ضياء الدين بن الفقاعي للصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن الحنا، فسلمه الظاهر إليه، فلم يزل يضربه بالمقارح ويستخلص أمواله إلى أن مات، فيقال: إنه ضربه قبل أن يموت سبعة عشر ألف مفرقة وسبعمائة فאלله أعلم.

وفيها عمل البروانة على قتل الملك علاء الدين صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين مكانه وهو ابن عشر سنين وتمكن البروانة في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم.

وفيها قتل الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ابن الخشكري النعماني الشاعر، وذلك أنه اشتهر عنه أشياء عظيمة، منها أنه يعتقد فضل شعره على القرآن المجيد، واتفق أن الصاحب أحمد إلى واسط فلما كان بالنعمانية حضر ابن الخشكري عنده وأثله قصيدة قد قالها فيه، فبينما هو يشدها بين يديه إذ أذن المؤذن فاستتمت الصاحب، فقال ابن الخشكري: يا مولانا اسمع شيئا جليدا، وأعرض عن شيء له سنون، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه، ثم باسطه وأظهر أنه لا ينكر عليه شيئا مما

■ أيدمر بن عبد الله الخلي الصالح، كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك، ثم عند الملك الظاهر، كان يستنيه إذا غاب، فلما كانت هذه السنة أخذته معه وكانت وفاته بقلعة دمشق، ودفن بترتبه بالقرب من اليعنورية، وخلف أموالاً جزية، وأوصى إلى السلطان في أولاده، وحضر السلطان عزاءه بجامع دمشق.

شرف الدين أبو الطاهر: محمد ابن الحافظ أبي الخطاب عمر

■ ابن دحية المصري، ولد سنة عشر وستمائة وسمع أباه وجماعة، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملة مدة، وحدث وكان فاضلاً. القاضي تاج الدين أبو عبد الله:

■ محمد بن ولاب بن رافع البجلي الحنفي، درس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق، ومات بعد خروجه من الحمام على مساطب الحمام فجأة ودفن بقباسيون.

الطيب الماهر شرف الدين أبو الحسن:

■ علي بن يوسف بن حملة الرحي شيخ الأطباء بدمشق، ومدرس الدخاوية عن وصية واقفها بذلك وله التقلعة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه، ومن شعره قوله:

يساقُ بنو الدنيا إلى الخسفِ عنوةً ولا يشعرُ الباقي بحالِهِ من يمضي كأنهمُ الأنعامُ في جهلٍ بعضها بما تم من سفكِ الدماء على بعض

الشيخ نصير الدين:

■ المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبو البركات بن الطياخ الشافعي، العلامة في الفقه والحديث، درس وأفتى وصنف وانتفع به، وعمر ثمانين سنة، وكانت وفاته في حادي عشرة جمادى الآخرة من هذه السنة، رحمه الله تعالى.

الشيخ أبو الحسن:

■ علي بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المغربي النحوي الملقب بسبيويه في وقته، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة النحو، توفي بمارستان القاهرة في هذه السنة عن سبع وستين سنة رحمه الله ومن شعره:

علبت قلبي بهجر منك متصل يا من هواه ضميرٌ غير متصل فما زادني غير تأكيد صدك لي فما عدولك من عطف لي بدل وفيها ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن علي الأنصاري بن الزملكاني شيخ الشافعية.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة

في ثاني المحرم منها دخل السلطان من الحجاز على المهن فلم يرع الناس إلا وهو في البنان الأخضر يسير، ففرح الناس بذلك، وأراح الناس من تاليه بالهدايا والتحف وهذه كانت عادته، وقد عجب الناس من سرعة سيره وعلو همة، ثم سار إلى حلب، ثم سار إلى مصر فدخلها في ثالث الشهر مع الركب المصري، وكانت زوجته أم الملك السعيد في الحجاز هذه السنة، ثم خرج في ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الإسكندرية قصد هناك، وأطلق للأمراء الأموال الكثيرة والخلع، ورجع مؤيداً منصوراً.

وفي المحرم منها قتل صاحب مراکش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن

معين وحُبس حتى يتزوجن، وكتب إلى جميع البلاد بذلك، وأسقط المكوس التي كانت مرتبة على ذلك، وعرض من كان محالاً على ذلك بغيرها ولله الحمد والملة.

ثم عاد السلطان بمساكره إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة اللصوص تعرضت له امرأة فذكرت له أن ولدها دخل مدينة صور، وأن صاحبها الفرنجي غدر به وقتله وأخذ ماله، فركب السلطان وشن الغارة على صور فأخذ منها شيئاً كثيراً، وقتل خلقاً، فأرسل إليه ملكها ما سبب هذا؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ثم قال السلطان لقدم الجيوش: أوهم الناس أنني مريض وأني بالخفة وأحضر الأطباء واستوصف لي منهم ما يصلح لمرض به كنا وكنا، وإذا وصفوا لك فأحضر الأشرية إلى الخفة وأنتم سائرون.

ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعاً حتى دخل الديار المصرية. فكشف أحوال ولده وكيف الأمر بالديار المصرية بعده، ثم عاد مسرعاً إلى الجيش فجلس في الخفة وأظهروا عافيته وتباشروا بذلك. وهذه جراحة عظيمة، وإقدام هائل.

وفيها حج السلطان الملك الظاهر وفي صحبته الأمير بدر الدين الخزندار، وقاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي، وفخر الدين بن لقمان وتاج الدين ابن الأثير وغو من ثلاثمائة مملوك، وأجناد من الحلقة المنصورة، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالها ثم منها إلى المدينة النبوية، فأحسن إلى أهلها ونظر في أحوالها، ثم منها إلى مكة فتصلق على الجاورين ثم وقف بعرفة وطاف طواف الإفاضة وتحت له الكعبة ففسلها بماء الورد وطيبها يده، ثم وقف بياب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم كأحدهم، ثم رجع فرمى الجمرات ثم تعجل النحر فعاد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف، مرة ثانية على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آلِه وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام أجمعين إلى يوم الدين.

ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والعشرين من ذي الحجة، وأرسل البشير إلى دمشق بقدومه سالماً، فخرج الأمير جمال الدين آقوش النجفي نائبا ليتلقى البشير في ثاني المحرم، فإذا هو السلطان نفسه يسير في الميدان الأخضر، وقد سبق الجميع، فتعجب الناس من سرعة سيره وصبره وجلده، ثم سار من فوره حتى دخل حلب في سادس المحرم ليتفقد أحوالها، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله.

وفي أواخر ذي الحجة هبت ريح شديدة أغرقت مائتي مركب في النيل، تملك فيها خلق كثير، ووقع هناك مطر شديد جداً، وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت النصارى، فإذا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها أوقع الله تعالى الخلاف بين التتار من أصحاب أينا وأصحاب ابن منكوتر ابن عمه وتفرقوا واشتغلوا ببعضهم بعضاً، ولله الحمد.

وفيها خرج أهل حران منها وقلموا الشام، وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية صحبة أبيه وعمره ست سنين، وأخوه زين الدين عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله، وهما أصغر منه.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير عز الدين

■ ابن الزكي، توفي قضاء دمشق غير مرة، وكذلك أبائوه من قبله، كل قد وليها، وقد سمع الحديث من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرساني وجماعة، وحدث ودرس في مدارس كثيرة، وقد ولي قضاء الشام في الدولة المملوكية فلم يحمده على ما ذكره أبو شامة.
توفي بمصر في الرابع عشر من رجب، ودفن بالمقطم وقد جاوز السبعين، وله شعر جيد قوي.

وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله بعد ما نسب ما ذكرنا عن والده القاضي بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل علي على عثمان موافقة لشيخه محيي الدين بن عربي، ولشأنه رأه بجامع دمشق معرضاً فيه يعني بسبب ما كان من بني أمية إليه في أيام صفين، فأصبح فنظم في ذلك قصيدة يذكر فيها ميله إلى علي، وإن كان هو أموي:

أدين بما فان الوصي ولا أرى سواء وإن كانت أمية معندي
ولو شهدت صفين خيلي لأعذرت وساء بني حرب هنالك مشهدي
لكنت أسن البيض عنهم مواضيا وأروي أرماعي ولما تقصّد
واجلبها خيلاً ورَجُلًا عليهم وأمنهم نيل الخلافة باليد

ومن شعره:

قالوا ما في جلتى زهرة تسليك عن أنث به مفرى
يا عائلي دونك في لحظة سهما وقد عارضه سطرا

■ (محمد بن علي بن محمد بن سليم بن الحنا المصري).

الصاحب فخر الدين محمد ابن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن الحنا المصري، كان وزير الصحة، وقد كان فاضلاً، بنى رباطاً بالفراقة الكبرى، ودرس بملزمة والده بمصر، وبالشافعي بعد ابن بنت الأعر.

توفي في سبعين ودفن بسفح المقطم، وفوض السلطان وزارة الصحة لولده تاج الدين.

الشيخ

■ أبو نصر بن أبي الحسن: الحراز الصوفي البغدادي الشاعر، له ديوان حسن، وكان جميل المباشرة حسن المذاكرة، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشده قوله:

نهض القلب حين أقبلت إجلالا لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى من نهوض الأجساد للأجساد

ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة

في مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية في طائفة من العسكر إلى عسقلان فهدم ما بقي من سورها مما كان أهمل في الدولة الصلاحية، ووجد فيها هدم كوزين فيهما ألفا دينار ففرقهما على الأمراء، وجاءته البشارة وهو هنالك بأن متوكل كسر جيش أبنا ففرح بذلك، ثم عاد إلى القاهرة.

وفي ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب من في أيديهم من أسرى المسلمين صبرا بظاهر عكا، فأمر بمن كان في يده من أسرى أهل

محمد بن يوسف الملقب بالرائق، قتله بنو مرين في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مراكش.

وفي ثالث عشر ربيع الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيشه، وقد لقوا في الطريق مشقة كثيرة من البرد والوحل، فنجح على الزنقية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصد جيش المسلمين، فركب إليه سريعا فوجده قريبا من عكا فدخلها خوفا منه.

وفي رجب تسلم نواب السلطان مصياف من الإسماعيلية، وهرب منها أميرهم الصارم مبارك بن الرضي، فتحيل عليه صاحب حماة حتى أسر وأرسله إلى السلطان فحبسه في بعض الأبرجة في القاهرة.

وفيها أرسل السلطان الدرازينات إلى الحجرية البنية، وأمر أن تقام حول القبر صيانة له، وعمل لها أبواباً فتشع وتتلق من الديار المصرية، فركب ذلك عليها.

وفيها استفاضت الأخبار بقصد الفرنج بلاد الشام، فجهز السلطان العساكر لقتالهم، وهو مع ذلك مهتم بالإسكندرية خوفا عليها، وقد حصنها وعمل جسوراً إليها إن دهمها العدو، وأمر بقتل الكلاب منها.

وفيها انقرضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف صاحب مراكش، قتله بنو مرين في هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الصاحب زين الدين

■ يعقوب بن عبد الرزاق بن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيري كان فاضلاً رئيساً، وزر للملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس في أول دولته، ثم عزله وولى بهاء الدين بن الحنا، فلزم منزله حتى أدركته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة، وله نظم جيد.

الشيخ موفق الدين:

■ أحمد بن القاسم بن خليفة الحزرجي الطيب، المعروف بابن أبي أصيبعة، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات لطاف، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموي، توفي يصرخد وقد جاوز السبعين.

الشيخ زين الدين

■ أحمد بن عبد المائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير، أبو العباس المقدسي النابلسي، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى، وكان فاضلاً يكتب سريعا.

حكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الخزفي في ليلة واحدة، وخطه حسن قوي حلوه، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين، واختصره لنفسه أيضاً، وأضر في آخر عمره أربع سنين، وله شعر أورد منه قطب الدين في تنزيهه.

توفي بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب، وقد جاوز التسعين رحمه الله تعالى.

القاضي محيي الدين بن الزكي: أبو الفضل محيي ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي بن محمد بن محيي بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي.

عكا فضريت رقابهم في صبيحة واحدة، وكانوا قريباً من مائة أسير.

وفيها كمل جامع المنشية وأقيمت فيه الجمعة في الثاني والعشرين من ربيع الآخر.

وفيها جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج، ثم تصالحوا بعد ذلك على الهدنة، ووضع الحرب، بعد ما قتل من الفريقين خلق لا يحصرون.

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهر دمشق وفي صحبته، ولده الملك السعيد وابن الحنا الوزير وجمهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالسلح ليشنوا الغارة على جبله واللاذقية ومرقب وعرقا وما هنالك من البلاد، فلما اجتمعوا فتحوا صافيتا والجندل، ثم ساروا فتزلا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب، وله ثلاثة أسوار، فنصبوا عليها المنجنيقات ففتحها قهراً يوم نصف شعبان، فدخل الجيش، وكان الذي يحاصره ولد السلطان الملك السعيد، فأطلق السلطان أهله ومن عليهم واجلاهم إلى طرابلس، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح، فأجلى أهلها أيضاً وجعل كنيسة البلد جامعاً، وأقام فيه الجمعة، وولى فيها نائباً وقاضياً وأمر بعمارة البلد، وبعث صاحب انطربوس، بمفاتيح بلده يطلب منه الصلح على أن يكون نصف مغل بلاده للسلطان، وأن يكون له بها نائباً فأجابيه إلى ذلك، وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه أيضاً على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين.

وبلغ السلطان وهو نجيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان، فأراد السلطان أن يقتنم هذه الفرصة فبعث جيشاً كثيفاً في شعبة عشر شيئاً ليأخذوا جزيرة قبرص في غية صاحبها عنها، فسارت المراكب مسرعة فلما قاربت الجزيرة جأمتها ربح قاصف فصدم بعضها بعضاً فانكسر منها أربعة عشر مركباً بإذن الله ففرق خلق وأسر الفرنج من الصنّاع والرجال قريبا من ألف وثمانمائة إنسان، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سار السلطان فنصب المتاجيق على حصن عكا فسأله أهلها الأمان على أن يجلبهم فأجابهم إلى ذلك، ودخل البلد يوم عيد الفطر فتسلمه، وكان الحصن شديد الضرر على المسلمين، وهو واد بين جبلين.

ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول: ما مراد السلطان في هذه الأرض؟ فقال جئت لأرعى زروعكم وأحرب بلادكم، ثم أعود إلى حصاركم في العام الآتي. فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجاب به إلى ذلك، وأرسل إليه الإسماعيلية يستعطفونه على والدهم، وكان مسجوناً بالقاهرة، فقال: سلموا لي العليقة وانزلوا فدخلوا إقطاعات بالقاهرة، وتسلموا أبابكم. فلما نزلوا أمر بحبسهم بالقاهرة واستأب بحسن العليقة.

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئا كثيرا، وغرق بسية ناس كثير، لا سيما الحجاج من الروم الذين كانوا نزولا بين النهرين، أخذهم السيل وجأهم وأحالمهم، فهلكوا وغلفت أبواب البلد، ودخل الماء إلى البلد من مرابي السور، ومن باب الفرائس ففرق قان ابن المقدم، وأتلف شيئا كثيرا، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام الشمس، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوال فعزل القاضي ابن خلكان، وكان له في القضاء عشر سنين، وولى القاضي عز الدين بن الصائغ، وخلع عليه، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا، فسار ابن خلكان في ذي القعدة إلى

مصر.

وفي حادي عشر شوال دخل خضر الكردي شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصولاً فيها وأزالوا ما فيها من شعائر اليهود، وملوا فيها سباطا وعملوا سماها، ويقوا على ذلك أياماً، ثم أعيدت إلى اليهود، ثم خرج السلطان إلى السواحل فافتتح بعضها وأشرف على عكا وتاملها ثم سار إلى الديار المصرية، وكان مقدار غرمه في هذه المدة وفي الغزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار، وأخلفها الله عليه، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة.

وفي اليوم السابع عشر من وصوله أسكب على جماعة من الأمراء منهم الحلبي وغيره بلغه أنهم أرادوا مسكه على الشقيف.

وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة أمر بإراقة الخمر من سائر بلاده وتهديد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل، وأسقط ضمان ذلك، وكان ذلك بالقاهرة وحدها كل يوم ألف دينار، ثم سارت البرد بذلك إلى الآفاق. وفيها قبض السلطان على العزيز بن القيث صاحب الكرك، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطته.

ومن توفي فيها من الاعيان

■ (عاس بن العادل بن أيوب شاذي).

الملك تقي الدين عاس ابن الملك العادل: أبي بكر بن أيوب بن شادي، وهو آخر من بقي من أولاد العادل، وقد سمع الحديث من الكندي وابن الحرستاني، وكان عتراً عند الملوك لا يرفع عليه أحد في المجالس والمواكب، وكان لين الأخلاق حسن العشرة، لا غل مجالته.

توفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة بدمشق بدمشق، ودفن بترته بسفح قاسيون.

قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص:

■ عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكي المالكي، ولد سنة خمس وثمانين وخمسة، وسمع الحديث وثقة وأفتى ودرس بالصلاحيّة، وولي حبة القاهرة ثم ولي القضاء سنة ست وستين، لما ولوا من كل مذهب قاضياً، وقد امتنع أشد الامتناع ثم أجاب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية، وكان مشهوراً بالعلم والدين، روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة وغيره. توفي لخمس بقين من ذي القعدة.

الطواشي شجاع الدين

■ مرشد المظفري الحموي: كان شجاعاً بطلاً من الأبطال الشجعان، وكان له رأي سليم، كان أستاذه لا يخالفه، وكذلك الملك الظاهر، توفي بحماة ودفن بترته بالقرب من مدرسته بحماة.

■ ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي، نسبة إلى رقطة بلدة قريبة من مرسية.

ولد سنة أربع عشرة وستائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد، وصنف فيه، وكان يعرف السيميا، وكان يلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء، وزعم أنه حال من أحوال القوم، وله من المصنفات: كتاب البذل وكتاب الهوى، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبه أبو نعي، وجاور في بعض الأوقات بفار حراء بترجي فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحي كما أتى النبي ﷺ، بناء على ما يعتقد من

وفيهما توفي

الشيخ كمال الدين:

■ سلال بن حسن بن عمر بن سعيد الإربلي الشافعي، أحد مشايخ المذهب، وقد اشتغل عليه الشيخ يحيى الدين النووي، وقد اختصر البحر للروائي في مجلدات عديدة هي عندي بخط يده وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق، توفي في عشر السبعين، ودفن بباب الصغير، وكان مفيداً بالبادائية من أيام الواقف، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة.

وجيه الدين

■ محمد بن علي بن أبي طالب ابن سويد الفكريني التاجر الكبير بين التجار ابن سويد ذو الأموال الكثيرة، وكان معظماً عند الدولة، ولا سيما عند الملك الظاهر، كان يجله ويكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جبلاً في حال إمرته قبل أن يلي السلطنة، ودفن برباطه وترثه بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك، حتى ملوك الفرنج في السواحل. وفي أيام التتار في أيام هلاوون، وكان كثير الصدقات والبر.

نجم الدين

■ يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي: واقف اللبودية التي عند حمام الفلك المسيري على الأطباء، ولديه فضيلة بمعرفة الطب، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق، ودفن بترته عند اللبودية.

الشيخ

■ علي الكاء: صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه السلام، كان مشهوراً بالصلاح والعبادة، والإطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار، وكان الملك المنصور قلاوون يتي عليه ويذكر أنه اجتمع به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقعت جميعها، ومن جللتها أنه سيملك. نقل ذلك قطب الدين اليوناني.

وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلاً كانت له أحوال وكرامات، وأنه خرج معه من بغداد فاتتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة، وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت القلاني، فاشهني في ذلك الوقت في البلد القلاني قال: فلما كان في ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق، وقد استدار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال: لا تعب فإني لا أموت إلا على هذه الجهة، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجننا به إلى دير هناك فوجدناه في حزن عظيم، فقلنا لهم: ما شأنكم؟ فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة، فلما كان اليوم مات على الإسلام، فقلنا لهم: خذوا هذا بله وسلمونا صاحبنا، قال: فوليناه فنسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين، وولوا هم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى، نسال الله حسن الحاققة مات الشيخ علي في رجب من هذه السنة.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة

في خامس المحرم دخل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها، وركب في أواخر الشهر إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في ربيع صفر.

العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك. وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحمر حول اللدار، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فאלله يحكم فيه وفي أمثاله.

وقد نقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة.

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي، وسلطان الإسلام الملك الظاهر.

وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لالتقاء الشواني التي عملت عوضاً عما غرق بجزيرة قبرص، وهي أربعون شيناً، فركب في شبي منها ومعه الأمير بدر الدين الحزنندار، فمالت به فسقط الحزنندار في البحر فغاص في الماء فالتقى إنسان نفسه وراءه. فأخذ بشعره وأنقذه من الغرق، فخلع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه.

وفي أواخر المحرم ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك، واستصحب نائبها معه إلى دمشق، فدخلها في ثاني عشر صفر، ومعه الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك، فولاء نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجبي في رابع عشر صفر، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام.

وفي ربيع الأول وصلت الخفأة من حلب وحماة ومحص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار، وجفل خلق كثير من أهل دمشق.

وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر، فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور بن سار إلى حلب، فخيّم بالبلدان الأخضر بها، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمعوا نحواً من عشرة آلاف فارس وعشوا طائفة منهم فأغاروا على عين تاب، ووصلوا إلى قسطنطين ووقعوا على طائفة من التركمان بين حارم وأنطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه العساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد قاقون ونهبوا طائفة من التركمان، فقبض على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتموا بحفظ البلاد وعادوا إلى الديار المصرية.

وفي ثالث شعبان أمسك السلطان قاضي الخنابلة بمصر شمس الدين محمد بن العماد المقدسي، وأخذ ما عنده من الرذائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أربابها، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين.

وكان الذي وشى به رجل من أهل حران يقال له شبيب، ثم تبين للسلطان نزاعة القاضي وبراءته فأعاده إلى منصبه في سنة ثنتين وسبعين، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضي عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهاتمة فأجابته إلى ذلك نهاده عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وعاد إلى دمشق فقرأ بدار السعادة كتاب الصلح، واستمر الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الإسماعيلية فأخذ عامتها.

قال قطب الدين: وفي جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل، وأرضعت من بقرة. قال وهذا شيء لم يعهده مثله.

وهي الكهف والقدموس والمبقة، وعوضوا عن ذلك بإقطاعات، ولم يبق بالشام شيء لهم من القلاع، واستتاب السلطان فيها. وفيها أمر السلطان بعمارة جسورة في السواحل، وغرم عليها مالا كثيراً، وحصل للناس بذلك رفق كبير.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ تاج الدين أبو الفضل

■ يحيى بن محمد بن أحمد بن حجة علي بن هبة الله بن الحويطي الصليبي الدمشقي، كان من أعيان أهل دمشق، ولي نظر الأيتام والحسبة، ثم وكالة بيت المال، وسمع الكثير وخرج له ابن بليان مشيخة قراها عليه الشيخ شرف الدين الفزاري بالجامع، قسمها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله.

الخطيب فخر الدين أبو محمد

■ عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحارثي الخطيب بها، وبته معروف بالعلم والخطابة والرياسة، ودفن بمقبرة الصوفية وقد قارب الستين رحمه الله. وقد سمع الحديث من جده فخر الدين صاحب ديوان الخطب المشهورة، توفي بقتائه القصر ظاهر دمشق.

الشيخ

■ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي: شيخ الملك الظاهر بيبرس، كان حظياً عنده مكرماً لديه، له عنده المكاة الرفيعة.

كان السلطان يتزل بنفسه إلى زوايته التي بناها له في الحسينية، في كل أسبوع مرة أو مرتين، وبني له عندها جامعاً يخطب فيه للجمعة، وكان يعطيه مالا كثيراً، ويطلق له ما أراد، ووقف على زوايته شيئاً كثيراً جداً، وكان معظماً عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتعظيمه له، وكان يمازحه إذا جلس عنده.

وكان فيه خير ودين وصلاح، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالمقدس فذبح قسيسها بيده، وهب ما فيها لأصحابه، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالإسكندرية وهي من أعظم كنائسهم، نهبا وحولها مسجداً ومدسة أنفق عليها أموالاً كثيرة من بيت المال، وسماها المدرسة الخضراء، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة، ومد فيها سباطاً، واتخذها مسجداً مدة ثم سحوا إليه في ردها إليهم وليقائها عليهم.

ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء انكرت عليه وحرقت عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه، ثم أمر بإعدامه وهلاكه وكانت وفاته في هذه السنة، ودفن بزاويته ساعة الله، وقد كان السلطان يحبه محبة عظيمة، حتى أنه سمى بعض أولاده خضراً موافقة لاسمه، وإليه تسب القبة التي على الجبل غربي الریوة التي يقال لها قبة الشيخ خضر.

مصنف التصحيز: العلامة تاج الدين

■ عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصلی، من بيت الفقه والرياسة والتدريس، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسمع واشتغل وحصل وصف واختصر الرجز من كتابه التصحيز، واختصر المحصول، وله طريق في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطائوسي، وكان جده عماد الدين بن يونس شيخ المذهب في

وفي الحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عذاب فنهب تجارها وقتل خلقاً من أهلها، منهم الوالي والقاضي، نسا إلى الأمير علاء الدين أيدغدي الخزندار فقتل خلقاً من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد، وأخذ بالثار ولله الحمد والمنة.

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون، ودفن في تربة والده في عشر السبعين، وكان له في ملك صهيون وبرزيه إحدى عشرة سنة، وتسلمها بعده ولده سابق الدين، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له، فلما حضر أقطعه خبزاً وبعث إلى البليدين نواباً من جهته.

وفي خامس جمادى الأولى وصل السلطان بمسكركه إلى الفرات لأنه بلغه أن طائفة من التتار هنالك فخاص إليهم الفرات بنفسه وجنده، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقاً كثيراً، وكان أول من اقتحم الفرات يوشذ الأميران سيف الدين قلاوون ويذر الدين يسري وتبعهما السلطان، ثم فعل بالتتار ما فعل، ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأثقالهم، ودخل السلطان إلى البيرة في أبهة عظيمة وفرق في أهلها أموالاً كثيرة، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى. وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية، وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة، وكان يوماً مشهوراً.

وعما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب، وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود، في خوض السلطان الفرات بالجيش:

سر حيث شئت لك الميمن جار واحكم فطروح مرادك الأقدار
لم يستل للبين الذي أظهرته يا ركنه عند الأعادي ثار
لما تراقصت الرؤوس تحركت من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات بسابع أقصى به موج الصبا من فعله الآثار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى محراً سواك تنقله الأنهار
وتقطعت فرقاً ولم يك طودها إذ ذاك إلا جيشك الجرار
وقال بعض من شهد ذلك:

ولما تزامنا الفرات بخيلنا سكرناه منا بالقنا والصوارم
فأوقفت التيار عن جريانه إلى حين عنا بالثنى والفتائم
وقال آخر ولا بأس به:

الملك الظاهر سلطاننا تنفيذ به بالأموال والأهل
اقتحم الماء ليطفي به حرارة القلب من المغل
وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب خلق على جميع الأمراء من حاشيته ومقدمي الحلقة وأرباب الدولة وأعطى كل إنسان ما يليق به من الخيل والذهب والحوايص، وكان مبلغ ما أنفق بذلك نحو ثلاثمائة ألف دينار.
وفي شعبان أرسل السلطان إلى منكورم هدايا عظيمة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضراً الكردي إلى بين يديه إلى القلعة وحوقن على أشياء كثيرة رُمي بها وعلى منكرات كثيرة ارتكبها، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحسبه، ثم أمر باغتياله وكان آخر العهد به.

وفي ذي القعدة سلمت الإسماعيلية ما كان بقي بأيديهم من الحصون

وقته كما تقدم.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وستمائة

في صفر منها قدم الملك الظاهر إلى دمشق وقد بلغه أن أبغا وصل إلى بغداد فتصيد بتلك الناحية، فأرسل إلى العساكر المصرية أن يتأهبوا للحضور، واستعد السلطان لذلك.

وفي جمادى الآخرة أحضر ملك الكرج لين يديه بدمشق، وكان قد جاء متكررا لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فحمل إلى بين يديه فسجنه بالقلعة.

وفيها كمل بناء جامع دير الطين ظاهر القاهرة. وصلى فيه الجمعة.

وفيها سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب.

وفي أواخر رمضان دخل الملك السيد بن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش، فأقام بها شهرا ثم عاد.

وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان ولده خضر الذي سماه باسم شيخه، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء، وكان وقتا هائلا.

وفيها غرض ملك التار إلى علاء الدين صاحب الديوان ببغداد النظر في أمر تستر وأعمالها، فسار إليها ليتصفح أحوالها فوجد بها شابا من أولاد التجار يقال له «لي» قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه والإشارات لابن سينا، ونظر في النجوم، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم، وصدقه على ذلك جماعة من جهة تلك الناحية، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة، فاستحضره وسأله عن ذلك فرأه ذكيا، إنما يفعل ذلك عن قصد، فأمر به فقتل بين يديه جزاء الله خيرا، وأمر العوام فنهبوا أمتعة وأمتعة العوام عن كان أتبعه.

ومن توفي فيها من الأعيان

مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس:

■ أسعد بن غالب المظفر الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي بن القلاسي، جاوز التسعين وكان رئيساً كبيراً واسع النعمة، لا يغفل أن يباشر شيئا من الوظائف وقد ألزموه بعد ابن سويد بمباشرة مصالح السلطان فباشرها بلا جأمية.

وكانت وفاته ببستانه، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء، ثالث عشر المحرم. والد الصدر عز الدين حمزة رئيس البلدين دمشق والقاهرة، وجدهم مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير كان وزيرا للملك الأنفصل علي بن الناصر فاتح القدس، كان رئيساً فاضلا له كتاب الوصية في الأخلاق المرضية وغير ذلك، وكانت له يد جيدة في النظم، فمن ذلك قوله:

يا ربّ جد لي إذا ما ضمني جلنبي برحمة منك تنجي من النار
أحسن جوارِي إذا أسيت جارك في لحدي فإني قد أوصيت بالجار

وأما والد حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي فهو العميد، وكان يكتب جيدا وصنف تاريخا فما بعد سنة أربعين وأربعمئة إلى سنة وفاته في خمس وخمسين وخمسمائة.

الأمير الكبير فارس الدين

■ أقطاي المستعرب أنابك العساكر المصرية، كان أولا مملوكا لابن من، ثم صار مملوكا للصالح أيوب فأثره، ثم عظم شأنه في دولة المظفر وصار

أنابك العساكر، فلما قتل امتدت أطماع أكابر الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فتبعه الجيش على ذلك، وكان الظاهر يعرفها له ولا ينسأها، ثم قبل وفاته بقليل انهضم عند الظاهر، ومات في هذه السنة بالقاهرة.

الشيخ

■ عبد الله بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي، له زاوية بنابلس، وله أشعار رائعة، وكلام قوي في علم التصوف، وقد طول اليوناني ترجمته وأورد من أشعاره شيئا كثيرا.

قاضي القضاة كمال الدين: أبو الفتح

■ عمر بن بندار بن عمر بن علي القليسي الشافعي، ولد بغليس سنة إحدى وستمائة، وكان فاضلا أصوليا مناضرا، ولي نيابة الحكم مدة ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون وكان عفيفا زهرا لم يرد منصب ولا تدريسا مع كثرة عياله وقلة ماله، ولما انقضت أيامهم تغضب عليه بعض الناس ثم ألزم بالسير إلى القاهرة، فأقام بها يفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن بالقراة الصغرى.

■ إسماعيل بن إبراهيم بن شاكور بن عبد الله التوخي، وتوخ من قضاة، كان صدرا كبيرا، وكتب الإنشاء للناصر داود بن المعظم، وتولى نظر المارستان النوري وغيره، وكان مشكور السيرة، وقد أثنى عليه غير واحد، وقد جاوز الثمانين، ومن شعره قوله:

خاب رجاء امرئ له أمل بنير وب السماء قد وصله
ايتنسي غيره نحو ثقة وهو يطن الأحشاء قد كفله
وله أيضا:

خرس اللسان وكل عن أوصانكم ما يقول وأنتم ما أنتم
الأمر أعظم من مقالة قاتل قد تساء عقل أن يسير عنكم
العجز والتقصير وصفني دائما والبر والإحسان يعرف منكم

■ ابن مالك صاحب الألفية: الشيخ جمال الدين ابن مالك محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجبائي النحوي، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، منها الكافية الشافية وشرحها، والتسهيل وشرحه، والألفية التي شرحها ولده بدر الدين شرحا مفيدا.

ولد بجيان سنة ستمائة وأقام مجلس مدة، ثم بدمشق وكان كثير الاجتماع بابن خلكان وأثنى عليه غير واحد، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة، وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالي.

توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء ثاني عشر رمضان، ودفن بقرية القاضي عز الدين بن الصالح بقاسيون.

■ النصور الطوسي: محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله الطوسي، كان يقال له المولى نصير الدين، ويقال: الخواجا نصير الدين.

اشتغل في شيبته وحصل علم الأوائل جيدا، وصف في ذلك في علم الكلام، وشرح الإشارات لابن سينا، ووزر لأصحاب قلاع الموت من الإسماعيلية، ثم وزر لهولاكو، وكان معه في واقعة بغداد، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هولاكو أن يقتل الخليفة فإله أعلم.

وعندي أن هنا لا يصدر من عاقل ولا فاضل.

وقد ذكره بعض البغاداة فائتي عليه، وقال: كان عاقلا فاضلا كريم الأخلاق ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أعد للخليفة

لبن سنجل الذي تملك طرابلس من ابن عمار في حدود الخمسمائة، وكانت يمتعة تسكن بعض جزائر البحر، فتغلب هذا على البلد لبعدها عنه، ثم استقل بها ولده ثم حفيده هذا، وكان شكلاً مليحاً.

قال قطب الدين البويني: رأيت بعلبك في سنة ثمان وخمسين وستمائة حين جاء مسلماً على كتبنا نون، ورام أن يطلب منه بعلبك، فشق ذلك على المسلمين، ولا توفي دفن في كنيسة طرابلس، ولما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمائة نبش الناس قبره وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابيل للكلاب.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة

لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة نزل التار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل، خمسة عشر ألفاً من المغول، وخمسة عشر ألفاً من الروم، والمقدم على الجميع البرواناه بامر أبنا ملك التار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والأكراد، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً، فخرج أهل البيرة في الليل فكبوا عسكر التار وأحرقوا المنجنيقات ونهبوا شيئاً كثيراً، ورجعوا إلى بيوتهم سالين، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور، ثم رجعوا عنها بغيظهم لم يتألوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

ولما بلغ السلطان نزول التار على البيرة اتفق في الجيش ستمائة ألف دينار، ثم ركب سريعاً وفي صحبته ولده السعيد، فلما كان في أثناء الطريق بلغه رحيل التار عنها فعاد إلى دمشق.

ثم ركب في رجب إلى القاهرة فدخلها في ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولا من جهة ملوك الأرض ينتظرونه فتلقوه وحشدوه وقبلوا الأرض بين يديه ودخل القلعة في أبهة عظيمة.

ولما عاد البرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود أبنا الخطير، وأمين الدين ميكائيل، وحسام الدين بيجار، ولده بهاء الدين، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر ويتأبنوا أبناً، فحلفوا له على ذلك، وكتب إلى الظاهر بذلك، وأن يرسل إليه جيشاً ويعمل له ما كان يعمل إلى التار، ويكون غيات الدين كينخرو على ما هو عليه، يجلس على تحت علكة الروم.

وفي هذه السنة استسقى أهل بغداد ثلاثة أيام فلم يسقوا.

وفيها في رمضان منها وجد رجل وامرأة في نهار رمضان على فاحشة الزنى، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرجماً، ولم يرجم ببغداد قبلهما قط أحد منذ بنيت وهذا غريب جداً.

وفيها استسقى أهل دمشق أيضاً مرتين في أواخر رجب وأوائل شعبان - وكان ذلك في آخر كانون الثاني - فلم يسقوا أيضاً.

وفيها أرسل السلطان جيشاً إلى دنقلة فكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقاً وأسروا شيئاً كثيراً من السودان بحيث يبع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم، وهرب ملكهم داود إلى صاحب النوبة فأرسله إلى الملك الظاهر عطا عليه، وقرر الملك الظاهر على أهل دنقلة جزية تحمل إليه في كل سنة، كل ذلك كان في شعبان من هذه السنة.

وفيها عقد الملك السعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي، في الإيوان بمضرة السلطان والدولة على صديق خمسة آلاف دينار، تعجل منها ألف دينار، وكان الذي كتبه وقراه عبي الدين بن

الناصر لدين الله، وهو الذي كان قد بني الرصد بمراغة، ورتب فيه الأحكام من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء. وبني له فيه قبة عظيمة، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً.

توفي في بغداد في ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة، وله خمس وسبعون سنة، وله شعر جيد قوي وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدران بن علي المصري المعتزلي الشيعي، فترع فيه عروق كثيرة منه، حتى أفسد اعتقاده.

الشيخ

■ مسلم البرقي البغدادي: صاحب الرباط بالقرافة الصغرى، كان صالحاً متعباً يقصد للزيارة والتبرك بدمعائه، وله اليوم أصحاب معروفون على طريقه.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها أطلع السلطان على ثلاثة عشر أميراً من المصريين منهم قبحقار الحموي، وقد كانوا كاتبوا التار يدعونهم إلى بلاد المسلمين، وأنهم معهم على السلطان، فأخذوا فاقروا بذلك، وجاءت كتبهم مع البريدية وكان آخر المهد بهم.

وفيها أقبل السلطان بالعساكر فدخل بلاد سبسي من ناحية الدريندات فملكها وملك إياس والمصيصة وأذنه. وكان دخوله إلى سبسي يوم الاثنين الحادي والعشرين من رمضان، فقتلوا خلقاً لا يعلمهم إلا الله وغنموا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأقتال والدواب والأنعام، فبيع ذلك بأرخص ثمن، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً في شهر ذي الحجة فأقام بها حتى دخلت السنة.

وفيها تار على أهل الموصل رمل حتى عم الألق وخرجوا من دورهم يتهلون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم، والله تعالى أعلم.

ومن توفي من الأعيان

■ ابن عطاء الحنفي: قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأذري الحنفي.

ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وتاب في الحكم عن الشافعي مدة، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما وليت القضاة من المذاهب الأربعة.

ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم بها بمقتضى مذهبه، فنضب من ذلك فقال: هذه أملاك بيد أصحابها، وما يحل لمسلم أن يتعرض لما ثم نهض من المجلس فذهب، فنضب السلطان من ذلك غضباً شديداً، ثم سكن غضبه فكان يشني عليه بعد ذلك ويمدحه، ويقول: لا تتبوا كتاباً إلا عتده.

كان ابن عطاء من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا، روى عنه ابن جماعة وأجاز للبرزالي.

توفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

■ يميند بن يميند: لرئيس طرابلس القرطبي، كان جده نائباً

عظيما حضره الخاص والعام، والشارد والوارد، وجلس فيه رسل التار ورسل الفرنج وعليهم كلهم الخلع المائلة، وكان وقتا مشهودا، وحمل صاحب حماه هدايا عظيمة وركب إلى مصر للتهته.

وفي حادي عشر شوال طيف بالمحمل ويكسو الكعبة المشرفة بالقاهرة، وكان يوماً مشهوداً.

وقعة البلستين وفتح قيسارية

ركب السلطان من مصر في العساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال، فأقام بها ثلاثة أيام، ثم سار حتى دخل حلب في مستهل ذي القعدة، فأقام بها يوماً ورسم لئائب حلب أن يقيم بعسكر حلب على الفرات لحفظ المعابر. وسار السلطان فقطع الدريند في نصف يوم، ووقع سقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس تاسع ذي القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطأة البلستين فرأوا التار قد رتبوا عسكرهم وكانوا أحد عشر ألف مقاتل، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفاً من غماتهم.

فلما تراءى الجمعان حلت مسيرة التار فصلمت سنانج السلطان، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها، وسأقت إلى الميمنة، فلما رأى السلطان ذلك أورد المسلمين بنفسه ومن معه، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تحطم فأمر جماعة من الأمراء بإردافها، ثم حمل العسكر جميعه حلة واحدة على التار فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم، وقتلوا المسلمين قتلاً شديداً، وصبر المسلمون صبراً عظيماً، فأنزل الله نصره على المسلمين، فأحاطت بالتار العساكر من كل جانب، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقتل من المسلمين أيضاً جماعة.

وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين بن الخطير، وسيف الدين قيمانز، وسيف الدين قنجهق الجاشنكير، وعز الدين أيك الشقيفي.

وأسر جماعة من أمراء المغول، ومن أمراء الروم، وهرب البرواناه فنجاً بنفسه، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التار على البلستين، وأشار عليهم بالهزيمة فانهمزوا منها وأخلوها، فدخلها الملك الظاهر وصلى بها الجمعة سابع ذي القعدة، وخطب له بها، ثم كر راجعاً مؤيداً منصوراً وسارت بذلك البشائر إلى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله.

ولما بلغ خبر هذه الواقعة أبغا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه، وشاهد مكان المعركة ومن فيها من قتلى المغول، فغاضه ذلك وأعظمه وحنق على البرواناه إذ لم يعلمه بجملة الحال، وكان يظن أن أمر الملك الظاهر دون هذا كله، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك الناحية، فقتل منهم قريباً من مائتي ألف، وقيل قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزون الروم، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان:

■ (عيسى بن عبيد الخاقاني).

الشيخ أبو الفضل عيسى ابن الشيخ عبيد بن عبد الخاقاني الدمشقي: ودفن بالقرب من الشيخ رسلان.

قال الشيخ علم الدين: وكان يذكر أن مولده كان سنة أربع وستين

عبد الظاهر، فأعطي مائة دينار، وخلع عليه، ثم ركب السلطان مسرعاً فوصل إلى حصن الكرك فجمع القيمرية الذين به فإذا هم ستمائة نفر، فأمر بشنقهم فشنق فيهم عنده فاطلهم وأجلاهم منه إلى مصر، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل من فيه ويقيموا ملكاً عليهم، وسلم الحصن إلى الطواشي شمس الدين رضوان السهيلى.

ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر. وفيها كانت زلزلة بأخلاط واتصلت ببلاد بكر.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام الأديب العلامة: تاج الدين أبو التاء

■ محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي. كان مشهوراً بالفقه والأدب، والعفة والصلاح، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق.

ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع الحديث وروى، ودفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها، وله ست وتسعون سنة رحمة الله تعالى.

الشيخ الإمام عماد الدين

■ عبد العزيز بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد الأنصاري الدمشقي، المعروف بابن الصانع، كان مدرساً بالعزيزية وشاهداً بالخرقة بالقلعة يعرف الحساب جيداً، وله سماع ورواية، ودفن بقاسيون.

■ ابن الساعي المؤرخ: تاج الدين بن الختصب المعروف بابن الساعي البغدادي، ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث وأعتنى بالتاريخ، وجمع وصف، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المثقن وقد أوصى إليه ابن النجار حين توفي، وله تاريخ كبير عندي أكثره، ومصنفات أخر مفيدة، وآخر ما صنف كتاباً في الزهاد، كتب في حاشيته زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب:

ما زال تاج الدين طول المدى من عمره يعتق في السير في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا غير علا علي بتصانيفه وهذه خاتمة الخبر

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق العساكر إلى بلاد حلب، فلما تراءت إليه أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الأتابكي بألف فارس إلى البلستين، فصادف بها جماعة - من عسكر الروم فركبوا إليه وحلوا إليه الإقامات، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الإسلام فأذن لهم، فدخل طائفة منهم بيجار وابن الخطير، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر.

وفي خامس جمادى الأولى عمل السلطان عرس ولده الملك السعيد علي بنت قلاوون، واحتفل السلطان به احتفالاً عظيماً، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتظاهرون، ويعمل بعضهم على بعض، ثم خلع على الأمراء وأرباب المناصب، وكان مبلغ ما خلع ألف وثلاثمائة خلعة بمصر، وجاءت مراسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها، ومد السلطان سماًطا

وخسمائة.

■ الطواشي من الحشفي: شيخ الخدام بالحرم النبوي الشريف، كان ديناً عاقلاً عدلاً صادق اللبغة، مات في عشر السبعين رحمه الله.

الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس:

■ أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصللي، ثم الدمشقي الصوفي، سمع الكثير وكتب الكتب الكبار بخط رفيع جيد واضح، جاوز السبعين ودفن بباب القرايس.

الشاعر شهاب الدين أبو المكارم:

■ محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني الطغفري، صاحب ديوان الشعر، جاوز الثمانين، توفي بحماة، وكان الشعراء مقرين له معترفين بفضلته وتقدمه في هذا الفن ومن شعره قوله:

لساني طري منك يا غايمة النسي ومن لمحي أمني خطيب وشاعر
فهذا لمعني حسن وجهك ناظم وهذا للمعني في تحريك ناسر

القاضي شمس الدين:

■ علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري الدمشقي، مدرس القيسرية بشرط واقفها له ولنريته من بعده التدريس من تأمل منهم، فدرس بها إلى أن توفي في هذه السنة، ودرس بعده ولده صلاح الدين، ثم ابن ابنه بعد ابن جماعة، وطالت مدة حفيده.

وقد ولي شمس الدين على نيابة ابن خلكان في الولاية الأولى، وكان فقيها جليلاً نقالاً للمذهب، رحمه الله وقد سافر مع ابن العليم لبغداد فسمع بها ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح.

الشيخ الصالح العالم الزاهد: أبو إسحاق

■ إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكنائي الحموي له معرفة بالفقه والحديث، ولد سنة ست وتسعين بحماة، وتوفي بالقدس الشريف ودفن بمملأ، وسمع من الفخر ابن عساكر، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة.

الشيخ الصالح

■ جندل بن محمد النقي: كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة، وكان الناس يترددون إلى زيارته بمنين وزاره الملك الظاهر مرات كثيرة وكذلك الأمراء.

كان يتكلم بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين، بالفاظ غريبة. وحكى عنه الشيخ تاج الدين أنه سمعه يقول: ما تقرب أحد إلى الله بمثل ذلك له والتضرع إليه، وسمعه يقول: الموله منفي من طريق الله يعتقد أنه واصل ولو علم أنه منفي رجع عما هو فيه، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها إلا ذوو العقول الثابتة.

وكان يقول: السماع وظيفة أهل البطالة.

قال الشيخ تاج الدين: وكان الشيخ جندل من أهل الطريق وعلماء التحقيق.

قال: وأخبرني في سنة إحدى وستين وستمائة أنه قد بلغ من العمر خساً وتسعين سنة.

قلت: فعلى هذا فيكون قد جاوز المائة، لأنه توفي في رمضان من هذه السنة، ودفن في زاوية المشهورة بقرية منين، وتردد الناس إلى قبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها أياماً كثيرة رحمه الله.

■ محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن

القوية السلمي الحنفي، اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء وفي النحو على ابن مالك، وحصل وريح ونظم ونثر، ودرس في الشبلة والقصاعين، وطلب نيابة القضاء فامتنع، وكتب الكتبة المنسوبة.

رأه بعض أصحابه في المنام بعد وفاته. فقال: ما فعل الله بك؟ فأثراً يقول:

ما كان لي من شافع عنده غير اعتقادي أنسه واحد
وكانت وفاته في جمادى الأولى ودفن بظاهر دمشق رحمه الله.

■ محمد بن عبد الوهاب بن منصور شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي تلميذ الشيخ محمد الدين بن تيمية، وهو أول من حكم بالدينار المصرية من الخبالة نيابة عن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز، ثم ولي شمس الدين ابن الشيخ العماد القضاء مستقلاً فاستجاب به، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشغل ويفتي إلى أن توفي وقد نيف على الستين رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك الظاهر ركن الدين.

■ بيبرس، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة قان الملقب السعيد من بعده.

وفاة الشيخ محي الدين

■ النووي إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها.

ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البلستين، ورجع مؤيداً منصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، فنزل بالقصر الأبلق، الذي بناه غربي دمشق بين الميدانين الأخضرين، وتواترت الأخبار إليه بأن أبناً جاء إلى المعركة ونظر إليها وتأسف على من قتل من المغول وأمر بقتل البروانه وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام، فأمر السلطان بجميع الأمراء وضرب مشورة فاتفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان، وتقدم بضرب الدهلج على القصر، ثم جاء الخبر بأن أبناً قد رجع إلى بلاده فأمر برد الدهلج وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أسر حال، وأنهم باله، وأما أبناً فإنه أمر بقتل البروانه - وكان نائيه على بلاد الروم - وكان اسمه معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن، وإنما قتله لأنه اتهمه بممالأته للملك الظاهر، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول بلاد الروم، وكان البروانه شجاعاً حازماً كريماً جواداً، وله ميل إلى الملك الظاهر، وكان قد جاوز الخمسين لما قتل.

وفاة

■ القاهر ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، عن أربع وستين سنة.

وكان رجلاً جليلاً سليم الصدر كريم الأخلاق، لين الكلمة كثير التواضع، يعاني ملابس العرب ومراكمهم، وكان معظماً في الدولة شجاعاً مقداماً، وقد روى عن ابن التلي وأجاز للسبزي قال السبزي: ويقال: إنه سُمِّ، وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر سمه في كأس ثم ناوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفع ثم عاد وأخذ الساقى الكأس من يد القاهر فملأه وناوله السلطان الظاهر والساقى لا يشعر بشيء مما جرى، وأنسى

وفرنأ ويستأنأ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم رحمه الله.

وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عمتنا مشهداً، ووقف عليه أشياء للواردين إليه، وعمر جسر دامية، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك، ووقف على الزايفين له شيئاً كثيراً، وجدد قلعة صفد وجامعها، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها، وبني بحلب داراً ماثلة، ويلمشق القصر الأبلق والمدرسة الظاهرية وغيرها.

وضرب الدراهم والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس، فرحمه الله.

وله من الآثار الحسنة والأماكن ما لم يبق في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله واستخدم من الجيوش شيئاً كثيراً، ورد إليه نحو من ثلاثة آلاف من المغول فاقطعهم وأمر كثيراً منهم، وكان مقتصدًا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه.

وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد ذورها، وبقي الناس بلا خليفة نحوًا من ثلاث سنين.

وهو الذي أقام من كل مذهب قاضياً مستقلاً قاضي قضاء.

وكان رحمه الله متيقظاً شهماً شجاعاً لا يفتر عن الأعداء ليلاً ولا نهاراً، بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله، ولم شعث واجتماع شمله.

وبالحكمة أقامه الله تعالى في هذا الوقت المتأخر عوناً ونصراً للإسلام وأهله، وشجراً في حلق المارقين من الفرنج والتار، والمشركين.

وأبطل الخمر ونفى القساق من البلاد، وكان لا يرى شيئاً من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته. وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طوبته وسريته، وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة، وكذلك ابن شداد أيضاً.

وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبع إناث ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين، وله أوقاف وصلات وصدقات، تقبل الله منه الحسنات، وتجاوز له عن السيئات والله سبحانه أعلم.

وقام في الملك بعده ولده السعيد بمبايعة أبيه له في حال حياته، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال.

وفي صفر وصلت الهدايا من الفتنش مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا السلطان قد مات، وقد أقيم ولده الملك السعيد مقامه والدولة لم تتغير، والمعرفة بعده ما تتكرت، ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل أسدّها وأشدها، بل الذي بلغ أشدها، وإذا انفتحت ثغرة من سور الإسلام سدها، وكلما انحلت عقدة من عرى الغزائم سدها، وكلما رامت فرقة مارقة من طوائف الطغاة أن تلج إلى حومة الإسلام سدها وردّها، فسأحه الله، وسلّ بالرحمة ثراه، وجعل الجنة مقبله ومثواه.

وكانت العساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومعهم حفنة يظهرهن أن السلطان فيها مريض، حتى وصلوا إلى القاهرة فوجدوا البيعة للسعيد بعد ما أظهروا موت الملك السعيد الذي هو إن شاء الله شهيد.

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد، وصلى على والده الملك الظاهر واستهلّ عيانه بالدموع.

وفي منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة

الله السلطان ذلك الكاس، أو ظن أنه غيره لأمر يريده الله ويقضيه، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم، فشرب الظاهر ما في الكأس ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته، ووجد الوجع والحرق والكرب الشديد من فوره، وأما القاهرة فزانه حمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته.

وتعرض الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر، في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأبلق، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيمن وكبار الأمراء والدولة، فصلوا عليه سرا وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من السور وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته، وهي دار العقبيقي تجاه العادلية الكبيرة، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة، وكنم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول، وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً، وترحموا عليه ترحماً كثيراً، وجددت البيعة أيضاً بدمشق وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيمن نائبها.

وقد كان الملك الظاهر شهماً شجاعاً عالي الهمة بعيد الغور مقدماً جسوراً معنياً بامر السلطنة، مثقفاً على الإسلام، متحلياً بالملك، له قصد صالح في نصرة الإسلام وأهله، وإقامة شعار الملك.

واستمرت أيامه من يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين إلى هذا الحين.

فتفتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية، وأرسون، ويافا، والشقيف، وأنطاكية، وبغراس، وطبرية، والقصور، وحصن الأكراد، وحصن عكار والقرين وصافيا وغير ذلك من الحصون النبعة التي كانت بأيدي الفرنج، ولم يدع مع الإسماعيلية شيئاً من الحصون، وناصف الفرنج على المرقب، وبناتياس وبلاد أنطارطوس، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون، وولي في نصيبه عما ناصفهم عليه التواب والعمال وتفتح قيسارية من بلاد الروم.

وأوقع بالروم والمغول على البليستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة، واستعاد من صاحب سيس بلادا كثيرة، وجاس خلال ديارهم وحصرهم، واسترد من أيدي المغتلبين من المسلمين بعلبك، ويصري، وصرخد، وحصن، وعجلون، والأصلى، وتدمر، والرحبة، وتل باشر، وغيرها، والكرك، والشوك، وفتح بلاد النوبة بكاملها من بلاد السودان، وانتزع بلادا من التار كثيرة، منها شيرزور والبيرة.

واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة، وعمر شيئاً كثيراً من الحصون والمعالم والجسور على الأنهار الكبار، وبني دار الذهب بقلعة الجبل، وبني قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة، وصور فيها صور خاصيته وأشكالهم.

وحفر أنهاراً كثيرة وخلجانا ببلاد مصر، منها نهر السرداس.

وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة، وجدد بناء مسجد رسول الله ﷺ حين احترق، ووضع الدوابزينات حول الحجرة الشريفة، وعمل فيه منبراً وسقفة بالذهب، وجدد المارستان بالمدينة، وجدد قبر الخليل عليه السلام، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين، وبني على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلي أريجاً، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة، ورسم سقف الصخرة وغيرها، وبني بالقدس قناتاً هائلة بمائلاً، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر، وعمل فيه طاحوناً

ومكاشفات، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير: إنه سيلي الملك، فلعلنا كان الملك الظاهر يعتقه ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة، ويعظمه تعظيماً زائداً، وينزل عنده إلى زوايته في الأسبوع مرة أو مرتين، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره، ويكرمه ويحترمه ويستشير فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة، إما رحمانية أو شيطانية، أو حال أو استعادة، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء، وكان لا يحتاج منه، فوقع في الفتنة. وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الاحتجاب، فلا يسلم العبد البتة منهن.

فلما وقع فيما وقع فيه حرق عند السلطان ويسري وقلارون والفارس أقطاي الأتابك، فاعترف فهُم بقتله فقال له: إنما بيني وبينك أيام قلائل، فأمر بسجنه فسجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين، وقد هدم بالقدس كنيسة عظيمة وذبح قسيسها وعملها زاوية وقد قعدنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم.

ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدفن في تربة أنشأها في زاويته. مات وهو في عشر السنين، وقد كان يكاشف السلطان في أشياء، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غربي الربوة، وله زاوية بالقدس الشريف.

الشيخ محيي الدين

■ النووي يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم، محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه.

ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ونوى قرية من قرى حوران، وقدم دمشق سنة تسع وأربعين، وقد حفظ القرآن فشرح في قراءة التتبية، فيقال: إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع العبادات من المذهب في بقية السنة، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً، فكان يقرأ في كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله:

فما كمل شرح مسلم والروضة والمنهاج والرياض والأذكار والتبيان، وتحرير التتبية وتصحيحه، وتهذيب الأسماء واللغات، وطبقات الفقهاء، وغير ذلك.

وما لم يتممه ولو كمل لم يكن له نظير في بابيه: شرح المذهب الذي سماه المجموع، وصل فيه إلى كتاب الربا، فأبدع فيه وأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاد، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره، وحرر فيه الحديث على ما ينبغي، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه، وقد جملة نغمة على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزداد فيه وتضاف إليه.

وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتجري والانجماع عن الناس على جانب كبير، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين، وكان غالب قوته بما يجمله إليه أبوه من نوى، وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن ابن خلكان، وكذلك ناب في الفلكية والركنية، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، وكان لا يضيغ شيئاً من أوقاته، وحج في مدة إقامته بدمشق، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم.

والده وبين يديه الجيش بكماله المصري والشامي، حتى وصل إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة، وعليه أبهة الملك ورياسة السلطة.

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير شمس الدين آتسقر الفارقاتي بالقاهرة بحجرة الوزارة على مذهب أبي حنيفة. وعمل فيها مشيخة حديث وقارئ.

وبعد يوم عقد عقد ابن الخليفة المستمك باله بن الحاكم بأمر الله، على ابنة الخليفة المستنصر بن الظاهر، وحضر والده السلطان ووجوه الناس.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي، تجاه العاذلية، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً للعقيقي، وهي المجاورة لحمام العقيقي، وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة وأسست المدرسة أيضاً.

وفي رمضان طلعت سحابة عظيمة بمدينة صفد لمع منها برق شديد، وسطع منها لسان نار، وسمع منها صوت شديد هائل، ووقع منها على منارة صفد صاعقة شقتها من أعلاها إلى أسفلها شفا يدخل الكف فيه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ البروانة في العشر الأول من المحرم.

والملك

■ الظاهر في العشر الأخير منه، وقد تقدم شيء من ترجمتهما.

الأمير الكبير بدر الدين.

■ يملك بن عبد الله: الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر، كان جواداً ممدحاً له لإلمامه بمعرفة أيام الناس، والتواريخ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية، ويقال إنه سَم فمات، فلما مات انتقض بعده حبل الملك السعيد، واضطرت أموره.

■ (محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي).

قاضي القضاة شمس الدين الخيلي: محمد ابن الشيخ العماد أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي، أول من ولي قضاء قضاء الحنابلة بالديار المصرية، سمع الحديث حضوراً على ابن طبرزد وغيره، ورحل إلى بغداد واشتغل بالفقهاء، وتفنن في علوم كثيرة، وولى مشيخة سعيد السعداء.

وكان شيخاً مهيباً حسن الشية كثير التواضع والبر والصدقة، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامعية يقوم في الناس بالحق في حكمه، وقد عزل الظاهر عن القضاء سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع التي كانت عنده، ثم أطلقه بعد ستين فلزم منزله واستقر بتدريس الصالحية إلى أن توفي في أواخر المحرم، ودفن عند عمه المحافظ عبد الغني بسفح جبل المقطم، وقد أجاز للبرزالي.

قال المحافظ البرزالي: وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخبر بموت سنة أمراء من الديار المصرية: سقر البغداد، ووسط البلدي التتري، وبدر الدين الوزيري، وسقر الرومي، وآق سقر الفارقاتي رحمهم الله. الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر.

■ خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي المهراني العدوي، ويقال: إن أصله من قرية الحمضية من جزيرة ابن عمر، كان ينسب إليه أحوال

بنفسه، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى، وفتحت القانقاه النجبية، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحوطة إلى الآن.

وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زينت له وعملت له قباب ظاهرة وخرج أهل البلد لتلقيه وفرحوا به فرحاً عظيماً لغبتهم والده، وصلى عيد النحر بالميدان، وعمل العيد بالقلمنة المنصورة، واستوزر بدمشق صاحب فتح الدين عبد الله بن القيسراني، وبالديار المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب برهان الدين بن الحضرمي بن الحسن السنجاري.

وفي العشر الأخير من ذي الحجة جهز السلطان العساكر إلى بلاد سبب صعبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي، وأقام السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والخاصة والحواص، وجعل يكسر التردد إلى الزنقية.

وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة جلس السلطان بدار العدل داخل باب النصر، وأسقط ما كان حده والده على بسايتين أهل دمشق، فتضاعفت له منهم الأدعية وأجوره لذلك جبا شديداً، فإنه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك، وود كثير منهم لو تخلص من ملكه جملة بسبب ما عليه.

وفيها طلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار ضربت أجرة على أملاكهم مئة شهرين، وجيبت منهم على القهر والعسف.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أقووش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجبي أبو سعيد الصالحي: اعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وجعله من أكابر الأمراء، وولاه أستاذ داريته، وكان يثق إليه ويعتمد عليه، وكان مولده في سنة تسع أو عشر وستمائة، وولاه الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته، ثم استأبته بالشام تسع سنين، فانخذل فيها المدرسة النجبية ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة، لكن لم يقر للمستحقين قدر ما يناسب ما وقفه عليهم، ثم عزله السلطان واستدعاه إلى مصر فأقام بها مدة بطالا، ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عاده في بعضها الملك الظاهر ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب ملوخيا، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بقرته التي أنشأها بالقرافة الصغرى، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجبية، وفتح لها شباكين إلى الطريق، فلم يقدر دفنه بها.

وكان كثير الصدقة عبا للعلماء عسناً إليهم، حسن الاعتقاد. شافعي المذهب، متغاليا في السنة ومحبة الصحابة وبغض الروافض، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والأراضي التي أوقفها على المسورة التي قبلي جامع كريم الدين اليوم، وعلى ذلك أوقاف كثيرة، وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان.

■ أبديكين بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهباني، واقف القانقاه الشهبانية، داخل باب الفرج. كان من كبار الأمراء بدمشق، وقد ولاه الظاهر النيابة بحلب مدة، وكان من خيار الأسراء وشجعانهم، وله حسن ظن بالفقراء والإحسان إليهم، ودفن بقرية الشيخ عثمان الرومي بسفح قاسيون، في خامس عشر ربيع الأول، وهو في عشر الخمسين، وقانقاه داخل باب الفرج، وكان لها شباك إلى الطريق. والشهباني نسبة إلى الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير الصالحي.

توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه.

■ علي بن علي بن أسفنديار نجم الدين الواعظ بجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة، وكان شيخ القانقاه المجاهدية وبها توفي في هذه السنة، وكان فاضلاً بارعاً، وكان جده يكتب الإنشاء للخليفة الناصر، وأصلهم من بوشنج ومن شعر نجم الدين هذا قوله:

إذا زارَ بالجثمانِ غيبري نَبَنيْ
أزورُ مع الساعاتِ ريمَكْ بالقلبِ
وما كل ناء عن ديار بنسازح ولا كل نانٍ في الحقيقة ذو قسربو

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وسلطان البلاد شاما ومصرًا وحلبا الملك السعيد.

وفي أوائل المحرم اشتهر بدمشق ولاية ابن خلكان قضاء دمشق عودا على بده في أواخر ذي الحجة، بعد عزل سبع سنين، فامتنع القاضي عز الدين بن الصالح من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتلقي ابن خلكان فمنهم من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم، فخرج نائب السلطنة عز الدين أيلمر بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه، وفرح الناس بذلك، ومدحه الشعراء، وأشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعوان:

لما تولى قضاء الشام حاكمه قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداد قال خادمه ذا العام فيه يفاث الناس بالتمم
وقال سعد الله بن مروان الفارقي:

أذنت الشام سبع سنين جدبا غداة هجرته هجرا جيلا
فلما زرت من أرض مصر مددت عليه من كفيك نبلا
وقال آخر:

رايت أهل الشام طرا ما فيهم قط غير راضي
نالهم الخير بعد شر فالوقت بط بلا انقباض
وعرضوا فرحة بمحزن قد أنصف الدهر في التقاضي
وسرهم بعد طول غم بدور قاض وعزل قاضي
وكلهم شاكر وشاك بحال مستقبل وماض

قال اليوناني: وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر الدرس بالظاهرية وحضر نائب السلطنة أيلمر الظاهري وكان دوسا حافلا حضره القضاة، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود بن إسماعيل الفارقي، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي، ولم يكن بناء المدرسة كامل.

وفي جمادى الأولى باشر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عرضا عن مجد الدين بن المديم، بمحكم وفاته، ثم توفي صدر الدين سليمان المذكور في رمضان وتولى بعده القضاء حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي، الذي كان قاضياً بملطية قبل ذلك. وفي العشر الأول من ذي القعدة فتحت المدرسة النجبية، وحضر تدريسها ابن خلكان

قاضي القضاة صدر الدين

■ سليمان بن أبي العز بن وهيب أبو الربيع الحنفي شيخ الحنفية في زمانه، وعالمهم شرقاً وغرباً، أقام بدمشق مدة يقني ويدرس، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية، وولي القضاء بعد مجد الدين بن العديم ثلاثة أشهر، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان، ودفن من القد بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون، وله ثلاث وثمانون سنة، ومن لطيف شعره في مملوك تزوج جارية للملك المعظم:

يا صاحبي فقل لي وانظرا عجباً أتى به الدهر فينا من عجابيه
البدر أصبح فوق الشمس منزلة وما العلو عليها من مراتبه
أضحى بمائلها حسنا صار لها كفروا وسار إليها في مواكبه
فأشكال الفرق لولا وشي ثمنمة بصدغه واخضرار فوق شاربته

■ طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهلباني الإربلي الشافعي، كان أديبا فاضلا شاعرا، له قدرة في تصنيف دويت، وقد أقام بالقاهرة حتى توفي في جمادى الأولى من هذه السنة، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب، فجعل يتكلم في علم النجوم فأنشده على البديهة هذين البيتين:

دع النجوم لطرقتي يعيش بها والزعزعة فانهبس إليها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا
وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يستزيه بعد رمد أصابه فبرأ منه:

يقول في الكحال عينك قد مُدَّتْ فلا تشغلن قلباً وطب بها نفسا
ولي مدة يا شمس لم أركم بها وآية بره العين إن تبصر الشمسا

■ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عثمان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين الباذراني البغدادي ثم الدمشقي، درس بمدرسة أبيه من بعده حتى حين وفاته يوم الأربعاء سادس رجب، ودفن بسفح قاسيون، وكان رئيسا حسن الأخلاق جاوز خمسين سنة.

قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر بن أحمد

■ ابن العديم، الحلبي، ثم الدمشقي ثم الحنفي، ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق، وكان رئيسا ابن رئيس، له إحسان وكرم أخلاق، وقد ولي الخطابة بجامع القاهرة الكبير، وهو أول حنفي وليه، توفي بجهوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بالترية التي أنشأها عند زاوية الحريري على الشرف القبلي غربي الزيتون.

الوزير

■ ابن الحنا علي بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلبخ ذي القعدة، وهو جد جد وكان ذا رأي وعزم وتبدير ذا تمكن في الدولة الظاهرية، لا تمضي الأمور إلا عن رأيه وأمره، وله مكاترم على الأمراء وغيرهم، وقد امتدحه الشعراء، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحة، وقد صدر في الدولة السعيدية.

الشيخ

■ محمد بن الظهير اللغوي محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الإربلي الحنفي المعروف بابن الظهير، ولد

ياربل سنة ثنتين وستمائة، ثم أقام بدمشق ودرس بالقامازية وأقام بها حتى توفي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر.

ودفن بمقابر الصوفية، وكان بارعا في النحو واللغة، وكانت له يد طول في النظم وله ديوان مشهور، وشعر رائق، فمن شعره قوله:

كل حي إلى الملمات مأبىه ومدى عمره سريع نعلبه
ثم من قبره سيحشر فرداً واقفاً وحده يؤقى حسابة
مع سائق له وشهيد وعلى الحرص وتنه إكبابة
يخرب البدر وهي دار بقاء ثم ينس عفا قريب خرابه
عجا وهو في التراب غريق عجا وأمره طيبه وعلايه
كل يوم يزيد تقصا وإن عم سر حلت أوصاله أوصابه
والورى في مراحل الدهر ركب دائم السير لا يرجى إلبابه
فسترد إن التقى خير زاد ونصيب الليب منه لبابه
وأخو العقل من يقضى بصدق شيه في صلاحه وشبابه
وأخو الجهل يستلذ هوى النفس فيفسد شهنا لديه مصابه

وهي طويلة جداً قرية من مائة وخمسين بيتا، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئا كثيراً من شعره الحسن الفائق الراق.

■ ابن إسرائيل الحريري: محمد بن سوار بن إسرائيل بن الحضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي.

ولد في ضحى يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور البصري الحريري، في سنة ثمان عشرة، وكان قد لبس الحرقه قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردي، وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قبلوا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق.

وكان أديبا فاضلا في صناعة الشعر، بارعا في النظم، ولكن في كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع الحلول والاتحاد على طريقة ابن عربي وابن الفارض وشيخه الحريري، والله أعلم بحاله وحقيقه أمره.

توفي بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة، عن أربع وسبعين سنة، ودفن بقرية الشيخ رسلان معه داخل القبة، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ علي المغربي الذي تخرج على يديه الشيخ علي الحريري شيخ ابن إسرائيل، فمن شعره قوله:

لقد عاذني من لاجع الشوق عائذ فهل عهد ذات الحال بالسفح عائذ
وهل نارها بالأجرع القرد تتلني لتفرد شاب الدجى وهو شاهد؟
ندعي من سحلى أديرا حديثها فذكرى هواها والمدامة واحد
منعمة الأطراف رقت عاسنا كما جل في حبي لها ما أكابد
فلبلد ما لائت عليه خارها وللشمس ما جالت عليه القلائد
وله:

أيها المتأض بالنوم السهر ذاهلا يسبح في بحر الفكر سلم الأمر إلى مالكة واصطبر فالصبر عقبه الظفر

لا تكوننن آيسا من فرج إنما الأيام تأتي بالفتور
كدر يحدث في وقت الصفا وصفا يحدث في وقت الكدر

وإذا ما ساء دهر مرة سر أهليه ومهما ساء سر
فأرض عن ريك في أقداره إنما أنت أسير للقدر
وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمعها الشيخ كمال الدين
بن الزمكاني وأصحابه على الشيخ أحمد الأعف عنه، وأورد له الشيخ
قطب الدين البونيني أشعاراً كثيرة. فمنها قصيدته الدالية المطولة التي أولها:

وفى لي من أهواء جهرا لموعدي وأرغم عنذلي عليه وحُدي
وزار على شحط المزار مطسولا على مغرم بالوصل لم يتعود
فيا حسن ما أبذى لعيني جماله وبأ برد ما أهدى إلى قلبي الصُدي
وبأ صدق أحلامي يشرى وصاله وبأ نيل آمالي وبأ نجح مقصدي
تجلى وجودي إذ تجلى لباطني بمجد سعيد أو بسعد مجدد
لقد حق لي عشق الوجود وأهله وقد علقت كفاي جمعا بموجدني

ثم تغزل فاطمال إلى أن قال:

فلما تجلى لي على كل شاهد وسامري بالرمز في كل مشهد
تجنبت تقييد الجمال ترفعا وطالمت أسرار الجمال المبدد
وصار سماعي مطلقا منه بدوه وحاشي لثلي من سماع مقيد
فقي كل مشهود لقلبي شاهد وفي كل مسموع له لحن معبد
أراه بأوصاف الجمال جميعها بنير اعتقاد للحلول المبدد
فقي كل هيفاء المعاطف غادة وفي كل مصقول السوالف أغيد
وفي كل بدر لاح في ليل شعره على كل غصن مائس العطف أمدد
وعند اعتناقي كل قد مهفوف ورشفي رضابا كالرحيق المبرد
وفي الدر والياقوت والطيب والخلى على كل ساجي الطرف لدن القلبد
وفي حلل الأثواب راقئت لناظري بيزرجها من مذهب ومورد
وفي الرياح والريحان والسمع والفا وفي سجع ترجيع الحمام المفرد
وفي الدوح والأنهار والزهر والندى وفي كل بستان وقصر مشيد
وفي الروضة الفيحاء تحت سمانها يضحك نور الشمس نوارها الندي
وفي صفو رقرق الغدير إذا حكى وقد جعلته الريح صفحة مبرد
وفي اللهو والأنراح والغفلة التي تمكن أهل القرق من كل مقصد
وعند انتشاء الشرب في كل مجلس بهيج بأنواع الثمار المنضد
وعند اجتماع الناس في كل جمعة وعيد وإظهار الرياش المجدد
وفي لمعان المشرفيات بالوغي وفي ميل أعطاف القنا المتأود
وفي الأعوجيات العناق إذا انبرت سابق وقد الريح في كل مطرد
وفي الشمس تجلي وهي في برج نورها لدى الأفق الشرقي مرة عجد
وفي البدر بدر الأفق ليلة غمه جلته سماء مثل صرح عمرد
وفي النجم زانت دجاءها كأنها ثمار لآل في بساط زيرجند
وفي النيث روى الأرض بعد همودها فبال نداء منهم بعد منجد
وفي البرق ينفذ موهنا في سحابه كباسم نقر أو حسام مجرد
وفي حسن تنسيق الخطاب وسرعة الجواب وفي الخط الأنيق المجدود
وفي رقة الأشعار راقئت لسماع بلائها من مقصر ومقصد

وفي عود عيد الوصل من بعد جفوة وفي أمن أحشاء الطريد المشرود
وفي رحمة المشوق شكوى محبه وفي رقة الألفاظ عند التودود
وفي أريجيات الكريسم إلى الندى وفي عاطفات العفو من كل سيد
وحالة بسط العارفين وأنهم وتحريكهم عند السماع المقيد
وفي لطف آيات الكتاب التي بها تتسم روح الوعد بعد التواعد
كذلك أوصاف الجلال مظاهر أشاهده فيها بنير تردد
فقي صولة القاضي الجليل وسُمته وفي سطوة الملك الشديد التمرد
وفي حدة الغضبان حالة طيشه وفي نخوة القمر المهيّب المسود
وفي صولة الصهباء جاز مديرها وفي بؤس أخلاق التلبم المريد
وفي الحر والبرد اللذين تقسما الزمان وفي إيلام كل محمد
وفي سر تسلط النفوس بشرها علي وتحمين التمدي لمتدي
وفي عسر العادات يستعرف بالقضا وتكحل عين الشمس منه بإئد
وعند اصطدام الخيل في كل موقف يمش فيه بالوشيج المنضد
وفي شدة الليث الصرول وبأسه وشدة عيش بال مقام منكبد
وفي جفوة المحبوب بعد وصاله وفي غدره من بعد عهد مؤكد
وفي روعة البين المسمى وموقف السواد لحران الجوانح مكبد
وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم وفي كل تشتيت وشمل مبدد
وفي كل دار أقفرت بعد أنساها وفي طلل بال ودارس معبد
وفي هول أمواج البحار ووحشة القفار وسيل بالزايب مزبد
وعند قيامي بالفرائض كلها وحالة تسليم لسر التبعبد
وعند خبثي في الصلاة لعمرة المناجى وفي الإطراق عند التهجبد
وحالة إهلال الحجيج بمجموع وأعمالهم للعيش في كل فذند
وفي عسر تخليص الحلال وفرة الملل لقلب الناسك المتبعبد
وفي ذكريات العذاب وظلمة الحجاب وقبض الناسك المستزهد
ويبدو بأوصاف الكمال فلا أرى برؤيته شيئا تيحاً ولا ردي
فكل مسمي لي لي كمحسن وكل مضل لي لي كمرشد
فلا فرق عندي بين أنس ووحشة ونور وإظلام ومدن ومبمد
وسيان إيطاري وصومي وفترتي وجهدي ونومي وأدعاء تهجدي
أرى تارة في حانة الخمر خالعا عناري وطورا في حية معبد
تجلى لسري بالحقيقة مشرب فوقتي بمزج بكشف مسرمد
تممرت الأوطان بي وتحققست مظاهرها عندي ببني ومشهدي
وقلبي مع الأشياء أجمع قلب وسرّي مقسوم على كل مورد
فهيكل أوئسان ودير لراهب بيت لنيران وقلبة مسجد
ومسرح لغزلان وحانة قهوة وروضة أزهار ومطلع أسمد
وأسرار عرفان ومفتاح حكمة وأنفاس وجدان وفيض تيلد
وجيش لقرغام وغدر لكاعب وظلمة حيران ونور لمهتدي
تقابلت الأضداد عندي جميعها كمحنة جهود ومنحة مجتدي
وأحكمت تقرير المراتب صورة ومعنى ومن عين التفرد موردي

الصالحى - وهو المشار إليه حيثئذ - أن يترك الملك السعيد الملك ويتعرض بالكرك والشوك ويكون في صحبة أخوه نجم الدين خضر وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكهم.

ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل

سلامش

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر، وهو ربيع الآخر، وحضر القضاة والدولة من أولي الحل والعقد، فخلع السعيد نفسه من السلطة وأشهدهم على نفسه بذلك، وبلغوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل، وعمره يومئذ سبع سنين، وجعلوا أتابكهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى، وخطب له الخطباء ورسمت السكة باسمهما، وجعل للسعيد الكرك وأخيه خضر الشوك، وكسبت بذلك مكاتيب، ووضع القضاة والفقهاء خطوطهم بذلك، وجاءت البريدية إلى الشام بالتحليف لهم على ما حلف عليه المصريون، ومُنيك الأمير أيمن نائب الشام الظاهري، واعتقل بالقلعة عند نائبها، وكان نائبها إذ ذاك علم الدين سنجر الدوادري، وأحيط على أموال نائب الشام وحواصله، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سقتر الأشقر في أبهة عظيمة، وتحكم مكن، فنزل بدار السعادة وعظمه الناس وعاملوه معاملة الملوك، وعزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي، وولوا القضاء صدر الدين عمر ابن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعر عوصاً عن الشافعي، وهو تقي الدين بن رزين وكانهم إنما عزلوه لأنه توقف في خلع الملك السعيد والله أعلم.

ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى

لما كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلعوا الملك العادل سلامش بن الظاهر، وأخرجوه من بين وبينهم وكانوا قد بايعوه صورة ليسكن الشر عند خلع الملك السعيد، ثم اتفقوا على بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى، ولقبوه بالملك المنصور، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق الأمراء وحلفوا، وذكر أن الأمير شمس الدين سقتر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع، وكأنه داخله حسد من المنصور، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر وخطب للمنصور على المنابر في الديار المصرية والشامية، وضربت السكة باسمه، وجرت الأمور في البلاد بمقتضى رأيه فعزل وولى ونفذت مراسيمه في سائر البلاد بذلك، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجاري وولى مكانه فخر الدين بن لقمان كاتب السر، وصاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية. وفي يوم الخميس الحادي عشر من ذي القعدة من هذه السنة توفي الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك وسياتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى.

وفيها حمل الأمير أيمن الذي كان نائب الشام في عفة لمرض لحقه إلى الديار المصرية، فدخلها في أواخر ذي القعدة، واعتقل بقلعة مصر.

فما موطن إلا ولي فيه موصف على قدم قامت بحق التفرد فلا غرو إن قت الأنام بها وقد علق بجبل من جبال عمدة عليه صلاة الله تشفع قائماً بروح نجيات السلام المردد

■ ابن العود الرافضى: أبو القاسم بن الحسين بن العود نجيب الدين الأسدي الحلبي، شيخ الشيعة وإمامهم وعالمهم في أنفسهم، كانت له فضيلة ومشاركة في علوم كثيرة، وكان حسن المحاضرة والمناظرة، لطيف النادرة، وكان كثير التعبد بالليل، وله شعر جيد.

ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وتوفي في رمضان من هذه السنة عن ست وتسعين سنة، والله أعلم بأحوال عياده ورسائلهم ونياتهم

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها، وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة، وذلك أنه وقع الخلاف بين الممالك كلها، اختلفت التار فيما بينهم واقتتلوا قتل منهم خلق كثير، واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضاً، وكذلك الفرنج الذين في داخل البحور وجزائرها، فاختلوا واقتتلوا، واقتتل قبائل الأعراب بعضها في بعض قتالا شديداً، وكذلك وقع الخلاف بين العشير من الحوارة وقامت الحرب بينهم على ساق.

وكذلك وقع الخلاف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بعث الجيش إلى سويس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللهو واللعب والانسياط مع الخاصكية، وتغنىوا من الأمور، وبعد عنه الأمراء الكبار، فعصت طائفة منهم وتابؤوه وفارقوه وأقاموا بطريق العساكر الذين توجهوا إلى سويس وغيرهم، فرجعت العساكر إليهم فلما اجتمعوا شعروا قلوبهم على الملك السعيد، ووحشوا خواطر الجيش عليه، وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلعب ولا أن ويلهو، وإنما هممة الملوك في العدل ومصالح المسلمين والذب عن حوزتهم، كما كان أبوه وصدقوا فيما قالوا، فإن لعب الملوك والأمراء، وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك، وفساد الرعية.

ثم راسله الجيش في إبعاد الخاصكية عنه ودنو ذوي الأحلام والنهي إليه كما كان أبوه، يفعل فلم يقبل، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخاصكية وكثرتهم، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر، ولم يمكنهم العبور على دمشق بل أخذوا من شرقها، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل السلطان أمه إليهم فتلقوها وقبلوا الأرض بين يديها، فأخذت تأنفهم وتصلح الأمور، فأجابوها واشترطوا شروطاً على ولدها السلطان، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنه الخاصكية من ذلك، فسارت العساكر إلى الديار المصرية، فساق السلطان خلفهم ليتلافى الأمور قبل تفاقمها وانفراطها، فلم يلحقهم وسبقوه إلى القاهرة، وقد كان أرسل أولاده وأهله ونقله إلى الكرك فحصبهم فيها، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا معه والخاصكية قاصداً الديار المصرية، فلما اقترب منها صدوه عنها وقتلوه قتل من الفريقين نفر يسير، فأخذ بعض الأمراء فتش به الصفوف وأدخله قلعة الجبل ليسكن الأمر، فما زادهم ذلك إلا نفوراً، فحاصروا حيثئذ القلعة وقطعوا عنها الماء، وجرت خطوب طويلة وأحوال صعبة.

ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الألفى

ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة ركب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من دار السعادة بعد صلاة العصر وبين يديه جماعة من الأمراء والجند مشاة، وقصد باب القلعة الذي يلي المدينة، فهجم منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه على السلطنة، ولقب بالملك الكامل، وأقام بالقلعة ونادت المنادية بدمشق بذلك، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والعلماء والأعيان ورؤساء البلد إلى مسجد أبي الدرداء بالقلعة، وحلفهم وحلف له بقية الأمراء والعسكر، وأرسل العساكر إلى غزة لحفظ الأطراف وأخذ الغلات، وأرسل الملك المنصور إلى الشوك فتسلمها نوابه ولم يجانهم نجم الدين خضر.

وفيها جددت خمسة أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية. وفيها عزل فتح الدين بن القيسراني من الوزارة بدمشق ووليها تقي الدين بن توبة الكركي.

ومن توفي فيها من الأعيان

عز الدين بن غانم الواعظ:

■ عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أبو محمد الأنصاري المقدسي، الواعظ المطبق الملقب الشاعر الفصيح، الذي نسج على متوال ابن الجوزي وأمثاله، وقد أورد له قطب الدين أشياء حسنة كثيرة مليحة، وكان له قبول عند الناس، تكلم مرة تجاه الكعبة المعظمة، وكان في الحضرة الشيخ تاج الدين بن الفزاري والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وابن العجل من اليمن وغيرهم من العلماء والشُّبَّاد، فاجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن. نقل هذا المجلس الشيخ شرف الدين الفزاري، وأنه كان في سنة خمس وسبعين.

الملك

■ السعيد بن الملك الظاهر: بركة قان ناصر الدين محمد بن بركة قان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر. ركن الدين يبرس البندقاري، بايع له أبوه الأمراء في حياته، فلما توفي أبوه بويع له بالملك وله تسع عشرة سنة، ومشت له الأمور في أول الأمر على السعادة، ثم إنه غلبت عليه الخاصية فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هُروبٍ، فرمما جاءت النوبة عليه فينزل لهم، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان، ويجعل نفسه كأحدهم، فراسلوه في ذلك ليرجع عما هو عليه فلم يقبل، فخلعوه كما ذكرنا، ولولا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم. ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادي عشر من ذي القعدة، يقال: إنه سم فآله أعلم.

وقد دفن أولا عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بموتة، ثم نقل إلى دمشق دفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة، وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر وتلقب بالملك المسعود، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة

كان أولها، يوم الخميس ثالث أيار، والخليفة الحاكم بأمر الله أحمد

العباسي وملك مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالح، وبعض بلاد الشام أيضاً، وأما دمشق وأعمالها فقد ملكها سنقر الأشقر، وصاحب الكرك الملك المسعود بن الظاهر، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود، والعراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وزيزل وأذربيجان وبلاد بكر وخلاط وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضاً، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين، ولا حكم له سوى الاسم، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبي نَمي الحسني، وصاحب المدينة عز الدين جواز بن شحيه الحسني.

لفي مستهل السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان وبين يديه الأمراء ومقدمو الحلقة العاشية، وعليهم الخلع والقضاة والأعيان ركاب معه، فسير في الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملك العرب، فقبل الأرض بين يديه، وجلس إلى جانبه وهو على السباط، وقام له الملك الكامل، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحجاز، وأمر الكامل سنقر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضي شمس الدين بن خلكان، وولاه تدريس الأمانة وانتزعها من ابن سني الدولة.

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سنقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشاً كثيراً فهزموا عسكر سنقر الأشقر الذي كان قد أرسله إلى غزة، وساقوهم بين أيديهم حتى وصل جيش المصريين إلى قريب دمشق، فأمر الملك الكامل أن يضرب دعليزه بالأسيرة، وذلك في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، ونهض بنفسه وعين معه فترل هنالك واستخدم خلقاً كثيراً وأتفق أمراً جزيلة، وانضاف إليه حرب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، وشهاب الدين أحمد بن حجي، وجاءته ونجدة حلب ونجدة حماة ورجال كثيرة من جبال بعلبك.

فلما كان يوم الأحد السادس عشر من صفر أقبل الجيش المصري صحبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي، فلما تراءى الجمعان وتقابل الفريقان تقاتلوا إلى الرابعة في النهار، فقتل نفر كثير وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتاً جيداً، ولكن خاسر عليه الجيش فنهم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه، وتفرق عنه أصحابه فلم يسعه إلا الانهزام على طريق المرج في طائفة يسيرة، وفي صحبة عيسى بن مهنا، فسار بهم إلى بركة الرحبة فأنزلهم في بيوت من شعر، وأقام بهم وبدوا بهم مدة مقامهم عنده، ثم بعث الأمراء الذين انهزموا عنه فأخذوا لهم أماناً من الأمير سنجر، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلقة، فراسل نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار، وفتحت القلعة من داخل البلد فتسلمها للمنصور وأفرج عن الأمير ركن الدين يبرس العجمي المعروف بالجائق، والأمير لاجين حسام الدين المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سنقر الأشقر، وأرسل سنجر البريدية إلى الملك المنصور يعلمونه بصورة الحال، وأرسل سنجر بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر.

وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليسلم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو القاتقاء الجيبية، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر، ورسم للقاضي نجم الدين بن سني الدولة بالقضاء فباشره، ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور بالعتب على طوائف الناس، والغنو عنهم كلهم، فتضاعفت له الأدعية، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام

وجاء السلطان فزل بمساركه تجاه مدينة عكا، فخافت الفرنج منه خوفاً شديداً وراسلوه في طلب تجليد الهدنة، فإنه كان قد انتهى أمد ما كان قبلها، فأقام بهذه المنزلة إلى أول سنة ثمانين، فكانت فيها الهدنة. وجاء الأمير عيسى بن مهنا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور، وهو بهذه المنزلة فتلقاه السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وعامله بالصفح والعفو والإحسان.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير الكبير جمال الدين

■ آقوش الشمسي أحد أمراء الإسلام، وهو الذي باشر قتل كتيبا نون أحد مقدمي التار، وهو الطاع فيهم يوم عين جالوت، وهو الذي سلك عز الدين أيلمر الظاهري في حلب من السنة الماضية، وكانت وفاته بها.

الشيخ الصالح

■ داود بن حام بن عمر الحبال، كان حنبلي المذهب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة، وأصل أبياته من حران، وكانت إقامته بيبليك، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه البونيني.

الأمير الكبير نور الدين

■ علي بن عمر أبو الحسن الطوسي كان من أكابر الأمراء، وله السمي المشكور في قتال الفرنج وله عندهم ذكر عظيم وموقع كبير مات مات وقد نيف على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصاف سقر الأشقر تحت سنايك الحبل، فمكث بعد ذلك متعرضاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون.

■ الجزار الشاعر يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري، الشاعر الماجن، المعروف بالجزار.

مدح الملوك والوزراء والكبراء، وكان ماجناً طريفاً حلوا المحاضرة، ولد في حدود ستمائة بعدما بسنة أو ستين، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة. ومن شعره:

أدركوني نسي من البرد هم ليس ينسى وفي حشاي التهاب
أبستي الأطعمة وعماً فها جسي عار ولي قرئ وثياب
كلما أزرق لون جسي من البرد تخيلت أنه سنجاب
وقال وقد تزوج أبيه بعجوزة:

تزوج الشيخ أبي شيخة ليس لها عقل ولا ذهن
كانها في فرشها رمة وشعرها من حولها قطن
وقال قال لي كم سنها قتل ما ليس في فها سن
لو سفرت غرتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجن

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة من الهجرة

استهلت والخليفة الحاكم وسلطان البلاد الملك المنصور قلاوون. وفي عاشر المحرم انعقدت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان، وكان نازلاً على الروحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء عن كان معه،

الدين لاجين السلحدار المصري، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرتبه بدار السعادة، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحول من المدرسة العالدية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سني الدولة، وألح عليه في ذلك، فاستدعى جملاً ليقبل أهله وثقله عليها إلى الصالحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه، وذكر خدمته المتقدمة، ومعه خلمة سنية له، فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموه وعظموه، وفرح الناس به وبما وقع من الصفح عنه.

وأما سقر الأشقر فإنه لما خرجت المسارك في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا وسار إلى السواحل فاستحوذ منها على حصون كثيرة، منها صهيون، وقد كان بها أولاده وحواصله، وحصن بلاطس وبرزية وعكار وجبله واللاذقية، والشفر وكاس وشيز واستاب فيها الأمير عز الدين أذمر الحاج فأرسل السلطان المنصور لحصار شيز طائفة من الجيش، فينها هم كذلك إذ أقبلت التار من كل فج لا سمعوا بتفريق كلمة المسلمين، فانجفل الناس من بين أيديهم من سائر البلاد إلى الشام، ومن الشام إلى مصر، فوصلت التار إلى حلب فقتلوا خلقاً كثيراً، ونهبوا شيئاً كثيراً، وظنوا أن جيش سقر الأشقر يكون معهم على المنصور، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك، وذلك أن المنصور كتب إلى سقر الأشقر: إن التار قد أقبلوا إلى المسلمين، والمصلحة أن تنق عليهم لتلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحداً.

فكتب إليه سقر بالسبع والطاعة وبرز من حصنه فخيم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجا، ونزلت نوابه من حصرنهم وبقوا مستعدين لقتال التار، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر جمادى الآخرة ومعه العساكر.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد بالملك إلى ولده علي، ولقب بالملك الصالح، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التار من حلب إلى بلادهم، وذلك ما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين، ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة، أراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان.

وفي جمادى الآخرة أعيد برهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر ورجع فخر الدين بن لقمان إلى كتابة الإنشاء.

وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين وعزل ابن بنت الأعر، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي، ومعين الدين الحفصي، وتولى قضاء الحائبة عز الدين المقدسي.

وفي ذي الحجة جاء تقليد ابن خلكان بإضافة المعاملة الحالية إليه يستيب فيها من شاء من نوابه.

وفي مستهل ذي الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصداً الشام، واستاب على مصر ولده الملك الصالح علي بن المنصور إلى حين رجوعه.

قال الشيخ قطب الدين [في ملأ الزمان: ٥٧/٤]: وفي يوم عرفة وقع بمصر برد كبار أثلث شيئاً كثيراً من الفلوات، ووقعت صاعقة بالإسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها، فأتخذ ذلك الحديد فسبك فخرج منه أواني بالرطل المصري.

ورتب له الإقامة، وتكاملت الجيوش كلها في صحبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لا محالة لخصيص في ذلك، واجتمع الناس بعد خروج الملك في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالى في نصرة الإسلام وأهله على الأعداء، وخرجوا كذلك والمصحف على رؤوسهم إلى المصلى يدعون ويبتهلون ويكونون، وأقبلت التار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة أحرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن، والسلطان المنصور غيم بمحص في عساكر من الأتراك والتركمان وغيرهم في جحفل كثير جداً، وأقبلت التار في مائة ألف مقاتل أو يزيدون، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقعة حمص

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس وعسكر التتر في مائة ألف فارس، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن، فاقبلوا قتالا عظيما لم ير مثله من أعصار متطولة، فاستظهر التار أول النهار، وكسروا البصرة واضطربت المينة أيضاً وبالله المستعان وانكسر جناح القلب الأيسر وبثت السلطان ثباتا عظيما جدا في جماعة قليلة، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين، والتار في آثارهم حتى وصلوا وراءهم إلى بحيرة حمص ووصلوا حمص وهي مغلقة الأبواب، فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم، وأشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تذاوموا فيما بينهم مثل سقر الأشقر ويسري وطيرس الوزيري وبدر الدين أمير سلاح وأبتمش السعدي وحسام الدين لاجين وحسام الدين طرغظاي والودادري وأمثالهم، لما رأوا ثبات السلطان ردوا إلى السلطان وحلوا حملات متعددة صادقة، ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتر، وجرح منكوتر، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا من ناحية العرض فصدم التتر فاضطربت الجيوش لصدته، وتمت الهزيمة ولله الحمد، وقتلوا من التار مقتلة عظيمة جدا، ورجعت الطائفة من التار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين فوجدوا أصحابهم قد كسروا، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق، والكوسات تضرب خلفه وما معه إلا نحو ألف فارس، فطمعوا فيه فقاتلوه فبثت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلحقهم قتل أكثرهم، وكان ذلك تمام النصر. وكان انهزام التار قبل الغروب، وافتروا فرقتين أخذت فرقة منهم إلى ناحية سلمية والبرية، والأخرى إلى ناحية حلب والغرات، فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالباشرة بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب، فدفنت البشائر وزينت البلد، وأوقدت الشموع وفرح الناس.

فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المنهزمين منهم يليلك الناصري والجائق وغيرهم، فأخبروا الناس بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر، ولم يكونوا شاهدا ما بعد ذلك، فبقي الناس في قلق عظيم، وخوف شديد، ونهاي ناس كثير للهروب، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخروه فراجع الناس وفرحوا فرحا شديداً ولله الحمد والمنة.

وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سقر الأشقر، ودخل المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم فنزل القلعة وقد زينت له البلد. وفي التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ وعزل ابن خلكان.

وفي أول صفر باشر قضاء الخبابة نجم الدين ابن الشيخ شمس بن أبي عمر، وقد كان المنصب شافراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء، وتولى قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي. وجلس الملك المنصور بدار العدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من الظالم، وقدم عليه صاحب حماة فتلقا المنصور بنفسه في موكبه، ونزل بداره بباب الفرديس.

وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سقر الأشقر الملك الكامل على أن يسلم للسلطان شيزر ويعوض عنها بأطاكية وكفر طاب وشفر ويكاس وغير ذلك، وعلى أن يقيم على ما ييله ستمائة فارس، وتغالفا على ذلك، ودفعت البشائر لذلك، وكذلك صالح صاحب الكرك الملك خضر بن الظاهر على تقرير ما ييله ونودي بذلك في البلاد. وفي العشر الأول من هذا الشهر ضمن الحمر والزنى بدمشق، وجعل عليه ديوان ومُثبداً، فقام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصلحاء والعباد، فأبطل بعد عشرين يوماً، وأريقحت الحمور وأقيمت الحدود ولله الحمد والمنة.

وفي تاسع عشر ربيع الآخر وصلت الخاتون ابنة بركة قان زوجة الملك الظاهر ومعها ولدها الملك السعيد قد نقلته من قرية المساجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالثيرة الظاهرية، فرفع بحال من السور ودفن عند والده الظاهر، ونزلت أمه بدار صاحب حمص، وحيث لها الإقامة، وعمل عزاء ولدها يوم الحادي والعشرين من ربيع الآخر بالثيرة المذكورة، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ.

وفي أواخر ربيع الآخر عزل التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق وباشرها بعده تاج الدين السهوري.

وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعي الجيوش لأجل اقتراب مجيء التار، فدخل أحمد بن حنبلٍ ومعه بشر كثير من الأعراب، وجاء صاحب الكرك الملك السعيد نجدة للسلطان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة، وقدم الناس عليه ووقدوا إليه من كل مكان، وجاءته التركمان والأعراب وغيرهم، وكثرت الأراجيف بدمشق، وكثرت العساكر بها وانجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي، وتركوا الغلات والأموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التار، ووصلت التتر صحبة منكوتر من هولوكو إلى عين تاب، وسارت العساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً، ونازلت التار بالرحبة في أواخر جمادى الآخر جماعة من الأعراب، وكان فيهم ملك التار أبشاً تخفيها ينظر ماذا يفعل أصحابه، وكيف يقتلون أعداءه، ثم خرج الملك المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر جمادى وقتت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد في الصلوات وجاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل الذمة من الدواوين والكنية. ومن لا يسلم يصلب، فأسلموا كرها، وكانوا يقولون آمنا وحكم الحاكم بإسلامنا بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخيل، وجعلت الحبال في أعناقهم، فاجابروا والحالة هذه.

ولما انتهى السلطان الملك المنصور إلى حمص كتب إلى الملك الكامل سقر الأشقر يطلبه إليه نجدة فجاءه إلى خدمته فآكرمه السلطان واحترمه

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أبغا ملك التار بن هولكو كان بن توي بن جنكيزخان، كان عالي الهمة بعيد الغور له رأي وتبدير، وبلغ من العمر خمسين سنة، ومدة ملكه ثمانين عشرة سنة، ولم يكن بعد والده في التبدير والحزم مثله، ولم تكن وقعة حصص هذه برأيه ولا عن مشورته، ولكن أخوه منكوتغر أحب ذلك فلم يخالفه.

ورأيت في بعض تاريخ البغادة أن قدوم منكوتغر إلى الشام إنما كان عن مكتبة ستر الأشقر إليه فإله أعلم. وقد جاء أبغا هذا بنفسه فنزل قريبا من الفرات ليري ماذا يكون من الأمر، فلما جرى عليهم ما جرى ساءه ذلك ومات غما وحزنا.

توفي بين العيلين من هذه السنة، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد. وفيها توفي: قاضي القضاة نجم الدين أبو بكر ابن قاضي القضاة صدر الدين أحمد ابن قاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي الشافعي

■ ابن سفي الدولة، ولد سنة ست عشرة وستمائة، وسمع الحديث ويرع في الملعب، وناب عن أبيه فشكرت سيرته، واستقل بالقضاء في الدولة المظفرية فحمد أيضاً، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه. وقال البرزالي: كان شديداً في الأحكام متحرراً، وقد أزم بالمقام بمصر فدرس بجامع مصر، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالأمينية والركنية، وناشر قضاء حلب، وعاد إلى دمشق، وولاه سنجر قضاء دمشق، ثم عزل بابن خلكان كما تقدم، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء ثامن المحرم، ودفن من الغد يوم تاسوعاء بترية جده بقاسيون.

وفي عاشر المحرم توفي: قاضي القضاة صدر الدين عمر ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم القلّامي.

ابن بنت الأعرص المصري، كان فاضلاً بارعاً عارفاً بالملعب، متحرراً في الأحكام كأيّاه، ودفن بالقرافة.

الشيخ

■ إبراهيم بن سعيد الشاغوري الموله المعروف بالجعة، كان مشهوراً بدمشق ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقلونه.

توفي يوم الأحد سابع جمادى الأولى ودفن بترية المولدين بسفح قاسيون عند الشيخ يوسف القمني، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة، وكان الشيخ يوسف يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد بالبرزورين، وكان يجلس على النجاسات والقذر، وكان يلبس ثياباً بداوة تحجف على النجاسات في الأرقعة، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة، وكان العوام يذالون في محبة واعتقاده، وكان لا يصلي ولا يتقي نجاسة، ومن جاءه زائراً جلس عنده بالقمين على النجاسة، وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولجين.

ولما مات الشيخ يوسف القمني خرج خلق في جنازته خلق كثير من العوام وغيرهم، وكانت جنازته حافلة بهم، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون، وبين يديه غوغاه وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام، حتى جاؤوا به إلى ترسة المولدين بقاسيون فدفنوه بها، وقد

ثم دخل السلطان إلى دمشق يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شعث رؤوس القتلى منهم، وكان يوماً مشهوداً، ومع السلطان طائفة من أصحاب ستر الأشقر منهم علم الدين الدوداري، فنزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوراً، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان ستر الأشقر ودع السلطان من حصص ورجع إلى صهيون، وأما التتر فلأنهم انهزموا في أسوأ حال وأتمسه يتخطفون من كل جانب، ويقتلون من كل فج، حتى وصلوا إلى الفرات ففرق أكثرهم، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا آخرين، والجيش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس.

وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء، منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدرد الجمدار، وهو الذي جرح ملك التار يومئذ منكوتغر، فإنه خاطر بنفسه وأوهم أنه مقفر إليه وقلب رجمه حتى وصل إليه فطعنه فجرحه فقتله رحمه الله، ودفن بالقرب من مشهد خالد.

وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدعون له، وخرج معه علم الدين الدوداري، ثم عاد من غزة وقد ولاء الشد في الشام والنظر في المصالح، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان.

وفي سلخ شعبان ولي قضاء مصر والقاهرة للقاضي وجيه الدين البهني الشافعي.

وفي يوم الأحد سابع رمضان فتحت المدرسة الجوهريّة بدمشق في حياة منتهى، ووافها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبي المكارم التميمي الجوهري، ودرس بها قاضي الحنفية حسام الدين الرازي.

وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقعت مئذنة مدرسة أبي عمر بقاسيون على المسجد العتيق فمات شخص واحد، وسلم الله تعالى بقية الجماعة.

وفي عاشر رمضان وقع بدمشق ثلج عظيم وبرد كثير مع هواء شديد، بحيث إنه ارتفع عن الأرض غواً من فراع، وفسدت الخضراوات، وتعلت على الناس معاش كثيرة.

وفي شوال وصل صاحب سنجان إلى دمشق مقفراً من التار داخلًا في طاعة السلطان بأهله وماله، فتلقاه نائب البلد وأكرمه وسيره إلى مصر معزراً مكرماً.

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل الذمة من الكتاب الذين كانوا قد أسلموا كرها وقد كتب لهم جماعة من المفتين بأنهم كانوا مكرهين فلهم الرجوع إلى دينهم، وأثبت الإكراه بين يدي القاضي جمال الدين بن أبي يعقوب المالكي، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا، سود الله وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. وقيل: إنهم غرموا مالا جزيلاً جملة مستكررة على ذلك، قبحهم الله.

وفي ذي القعدة قبض السلطان على أئمة السعدي وسجنه بقلعة الجبل، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بلبان الماروني وسجنه بقلعتها.

وفي بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذي القعدة، وهو العاشر من آذار، استسقى الناس بالمصلى بدمشق فسقوا بعد عشرة أيام.

وفي هذه السنة أخرج الملك المنصور جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخدام من الديار المصرية إلى الكرك ليكونوا في كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر.

وثمانين سنة رحمهم الله جميعا.

الشيخ صفى الدين

■ أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التميمي الحنفي، شيخ الحنفية ببصرى، ومدرس الأمانة بها مدة ستين كثيرة، كان بارعا فاضلا عالما عابدا منقطعاً عن الناس، وهو والد قاضي القضاة صدر الدين علي، وقد عمر دهرًا طويلاً، فإنه ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسائة، وتوفي ليلة نصف شعبان من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

استقلت والخليفة الحاكم بأمر الله تعالى والسلطان الملك المنصور قلاوون.

وفيها أرسل ملك التار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقق الدماء فيما بينهم، وجاء في الرسالة الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلامذة التصير الطوسي، فأجاب المنصور إلى ذلك وكُتبت المكتابات إلى ملك التار بذلك.

وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين يسري السعدي، وعلى الأمير علاء الدين السعدي الشمسي أيضاً.

وفيها درس القاضي بدر الدين بن جماعة بالقيصرية، والشيخ شمس الدين بن الصفى الحريري بالقرنخشاوية، وعلاء الدين بن الزملكاني بالأمانة.

وفي يوم الاثنين الحادي عشر من رمضان وقع حريق بالبادين عظيم، وحضر نائب السلطنة إذا ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الأمراء، وكانت ليلة هائلة جداً وقى الله شرها، واستندرك بعد ذلك أمرها القاضي يحيى الدين بن النحاس ناظر الجامع، فأصلح الأمر وسد وأعاد البناء أحسن مما كان ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (برهان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي بن الرضى).

الشيخ الصالح بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق ابن الشيخ صفى الدين أبي القلا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي بن الرضى الحنفي إمام الغزية بالكشك. وسمع من جماعة منهم الكندي بن الحرساني ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته، وقد أجاز له أبو جعفر الصيدلاني، وعقيفة الفارقانية، وابن المنادي.

وكان رجلاً صالحاً محباً لإسماع الحديث، كثير البر بالطلبة له، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزني معجم الطبراني الكبير، وسمعه منه بقراءة الحافظ البرزالي وجماعة كثيرون.

وكان مولده في سنة تسع وتسعين وخمسائة وتوفي يوم الأحد سابع صفر، وهو اليوم الذي قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحججاز، وكان هو معهم فمات بعد استقراره بدمشق.

القاضي أمين الدين

■ الأشوري أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشوري الشافعي، المحدث، سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرفية توفي بالحفاظه الأندلسية

اعتنى بعض العوام بقره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سفلاً مقرناً بالدعان وأنواعه، وعمل عليه مقصورة وأبوابا، وغالى فيه مخالاة زائدة، ومكث هو وجماعة مجاورون عند قبره مدة في قراءة وتهليل، ويطبخ لهم الطبخ فياكلون ويشربون هناك.

والمقصود أن الشيخ إبراهيم الجيعانة لما مات الشيخ يوسف القميني جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه، وهم في صراخ وضجة وغوش كثير، وهم يقولون: أذن لنا في دخول البلد أذن لنا في دخول البلد، يكررون ذلك، فقيل له في ذلك فقال: لي عشرون سنة ما دخلت سور دمشق، لأنني كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجد هذا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع الدخول خوفاً منه، فلما مات أذن لنا في الدخول، وهذا كله ترويح على الطغام والعوام من المصحح الرعاع، الذين هم أتباع كل ناعق.

وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجيعانة عما يأتيه من الفتح والله سبحانه أعلم بأحوال العباد، وإليه المقلب والمآب، وعليه الحساب. وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدهر السلحدار عن نحو من ستين سنة، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية ينبغي أن ينال بها مكاناً عالياً في الجنة.

قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله

■ محمد بن الحسين بن رزيق بن موسى العامري الحموي الشافعي، ولد سنة ثلاث وستمائة، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح، وأم بدار الحديث مدة، ودرس بالشامية، وولي وكالة بيت المال بدمشق، ثم سار إلى مصر فدرس بها بعدة مدارس، وولي الحكم بها، وكان مشكوراً، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها، ودفن بالمقطم.

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة توفي:

الملك

■ الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك الزاهر يحيى الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن الناصر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي ابن صاحب حمص، ودفن بقرنتهم بقاسيون.

ولي ذي القعدة توفي:

الشيخ

■ جمال الدين الإسكندر الحاسب بدمشق، وكان له مكتب تحت منارة فيروز، وقد انتفع به خلق كثير، وكان شيخ الحساب في وقته رحمه الله.

■ (محمد بن الحسين بن عتيق بن عبد الله بن رشيقي).

الشيخ علم الدين أبو الحسن محمد ابن الإمام أبي علي الحسين بن عتيق بن عبد الله بن رشيقي الربيعي المالكي المصري، ودفن بالقرافة، وكانت له جنازة حافلة، وقد كان فقها مفتياً، سمع الحديث وبلغ خمسا وثمانين سنة.

ولي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة توفي الفصير الكبير شمس الدين أبو الغنام المسلم بن محمد بن المسلم بن مكى بن خلف

■ ابن علائق، القيسي الدمشقي، مولده سنة أربع وتسعين، وكان من الرؤساء الكبار، وأهل البيوتات، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق وغير ذلك، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وكتابة الحديث، وكان يكتب سريعاً يكتب في اليوم الواحد ثلاث كراريس وقد أسمع مسند الإمام أحمد ثلاث مرات، وحدث بصحيح مسلم وجامع الترمذي وغير ذلك، وسمع منه البرزالي والمزي وابن تيمية، ودفن من يومه بسفح قاسيون عن ست

بعده بهاء الدين يوسف بن محيي الدين بن الزكي، وحكم يوم الأحد ثالث وعشرين وجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ، وسعى في إثبات محضر آخر أن عنده ودعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار للمصالح إسماعيل بن أسد الدين، وقام في ذلك ابن الشاكري والجمال بن الحموي وآخرون، وتكلموا في قضية ثالثة، ثم عقد له مجلس ناله فيه شدة شديدة، وتمصبوا عليه ثم أعيد إلى اعتقاله، وقام في صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين، وجماعة من الأمراء، فكلّموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله، وجاء الناس إلى تهنته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان، وانتقل من العادلية إلى داره بدرب النقاش، وكان عامة جلوسه في المسجد تجاه داره.

وفي رجب باشر حبة دمشق جمال الدين بن صَفَرَى. وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين بن عبد الكافي بالغزالية عوضاً عن الخطيب ابن الحرستاني، وأخذ منه الدولة لجمال الدين بن النجار، الذي كان وكيل بيت المال، ثم أخذ شمس الدين الأربلي تدرّس الغزالية من ابن عبد الكافي المذكور.

وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي أحد أئمة الفضلاء، وسادات العلماء المصنفين، ولما توفي أخوه شمس الدين محمد في شوال ولي مكانه تدرّس الشامية البرانية، وأخذت منه العادلية الصغيرة، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن صصري التغلبي في ذي القعدة، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين البيهقي نائب الحكم رحمهم الله أجمعين.

ومن توفي فيها من الأعيان

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل محمد ابن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله

■ ابن الشيرازي، صاحب الطريقة النسوية في الكتابة، سمع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفي في صفر منها.

■ (عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة).

شيخ الجيل الشيخ العلامة شيخ الإسلام: شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الخبلي، أول من ولي قضاء الحنابلة بدمشق ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين، وتدرّس الأشراف بالجيل، وقد سمع الحديث الكثير، وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره، مع هذني صالح وسمت حسن، وخشوع ووقار.

توفي ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، ودفن بمقبرة والده رحمهم الله.

■ ابن جفّوان: العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس بن جفّوان الأنصاري الدمشقي المحدث الفقيه الشافعي البارع في النحر واللغة.

سمعت شيخنا تقي الدين بن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول كل منهما للآخر: إن هذا الرجل قرأ مستند الإمام أحمد وهما يسمعان فلم تضبط عليه لحة متفقا عليها، وناهيك بهنئين ثناء على هذا وهما هما. الخطيب محيي الدين محمد بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم ابن قاضي القضاة جمال الدين

■ ابن الحرستاني الشافعي خطيب دمشق ومدرس الغزالية، كان فاضلاً

يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الأول عن ست وستين سنة وكان الشيخ محيي الدين النوري يثني عليه ويوصل إليه الصبيان ليقرأوا عليه في بيته لأمانته عنده، وصيانته ودينته.

الشيخ برهان الدين أبو النشاء

■ محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن الراغب الشافعي، مدرّس الفلكية، كان فاضلاً بارعاً، عرض عليه القضاء فلم يقبل، وتوفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة، وسمع الحديث وأسمعه، ودرس بعده بالفلكية القاضي بهاء الدين بن الزكي.

القاضي الإمام العلامة شيخ القراء زين الدين أبو محمد

■ عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي، قاضي قضاة المالكية بدمشق، وهو أول من باشر القضاء بها، وعزل نفسه عنها تورعاً، وزهاداً، واستمر بلا ولاية ثمان سنين، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة، وقد سمع الحديث واشتغل على السخاوي وابن الحاجب.

■ (محمد بن علي بن محمود بن علي الشهرزوري).

الشيخ صلاح الدين محمد ابن القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي الشهرزوري، مدرّس القيصرية وابن مدرّسها، توفي أواخر رجب، وتوفي أخوه شرف الدين بعده بشهر، ودرس بالقيصرية بعد صلاح المذكور القاضي بدر الدين بن جماعة.

■ ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إيوهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء، والسادة العلماء، والصدور الرؤساء، وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب، فاستقلوا بالأحكام بعدما كانوا نواباً له، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولا يمزل هذا تارة ويوتئ هذا، ويعزل هذا ويوتئ هذا.

وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الأمانة، ويبد ابنه كمال الدين موسى النجيبة.

توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبة المذكورة بليوانها يوم السبت آخر النهار، في السادس والعشرين من رجب، ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة.

وقد كان ينظم نظماً حسناً واثقاً، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن، وله التاريخ المفيد الذي رسمه بوفيات الأعيان من أبدع المصنفات، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وستمئة

فيها قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أبهة عظيمة، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها ولي الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضاً عن محيي الدين بن الحرستاني الذي توفي فيها كما سيأتي، وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة.

ولي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلة وأثبت ابن الحصري نائب الحنفية محضراً يتضمن أن عنده ودعة بمقدار ثمانية آلاف دينار، من جهة ابن الإسكاف، وكان الذي أشار بذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجاري، وولي القضاء

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ طالب الرفاعي بقصر حجاج: وله زاوية مشهورة به، وكان يزور بعض المريدين فمات.

■ (محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق).

القاضي الإمام عز الدين أبو المهاجر: محمد بن شرف الدين عبيد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الأنصاري الدمشقي. ولي القضاء بدمشق مرتين، عزل بآب خلكان، ثم عزل ابن خلكان ثم عزل بابن خلكان به ثانية، ثم عزل وسجن وولي بعده بهاء الدين بن الزكي، وبقي معزولا إلى أن توفي بيستائه في تاسع ربيع الأول، وصلي عليه بسوق الخيل، ودفن بسفح قاسيون.

وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمئة، وكان مشكور السيرة، له عقل وتبدير واعتقاد كثير في الصالحين، وقد سمع الحديث وخرّج له ابن بلبان مشيخة قراها ابن جعوان عليه، ودرس بعده بالمعزواية الشيخ زين الدين عمر بن مكّي بن المرحل، وكل بيت المال، ودرس ابنه محيي الدين أحمد بالعمادية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق، ثم توفي ابنه أحمد هذا بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب، فدرس بالعمادية والدماغية الشيخ زين الدين بن الفارقي شيخ دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصالح بدر الدين وعلاء الدين.

وليفها توفي.

الملك

■ السعيد فتح الدين: عبد الملك ابن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل، وهو والد الملك الكامل ناصر الدين محمد، في ليلة الاثنين ثالث رمضان، ودفن من الغد بترية أم الصالح، وكان من خيار الأمراء عزمًا كبيراً رئيساً، روى الموطأ عن يحيى بن بكير عن مكرم بن أبي الصقر، وسمع ابن أبي وغيره.

القاضي نجم الدين

■ عمر بن نصر بن منصور: البستاني الشافعي، توفي في شوال منها، وكان فاضلاً، ولي قضاء زرع ثم قضاء حلب، ثم ناب في دمشق ودرس بالرواحية وياشرها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي، يوم عاشر شوال.

وفي هذا اليوم توفي بحماة ملكها:

الملك

■ المنصور ناصر الدين: محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه، بن أيوب، ولد سنة ثنتين وثلاثين وستمئة، وتملك حماة سنة ثنتين وأربعين، وله عشر سنين، فمكث في الملك أزيد من أربعين سنة، وكان له بر وصدقات، وقد اعتق في بعض موته خلقاً من الأرقاء، وقام في الملك بعده ولده الملك المظفر بتقليد الملك المنصور له بذلك.

القاضي جمال الدين أبو يعقوب:

■ يوسف بن عبد الله بن عمر الزواوي، قاضي قضاء المالكية، ومدرسهم بعد القاضي زين الدين الزواوي الذي عزل نفسه، وقد كان يتوب عنه فاستقل بعده بالحكم، توفي في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحجاز، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكلف، وقد شغل المنصب بعده ثلاث سنين ودرس بعده للمالكية الشيخ جمال الدين

بارعا أفتى ودرس وولي الخطابة والغزالية بعد أبيه، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير، توفي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة، ودفن بقاسيون.

وفي خامس رجب توفي:

الأمير الكبير ملك عرب آل مرّ:

■ أحمد بن حنّ بملّية بصرى، وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب.

■ (عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني).

الشيخ الإمام العالم شهاب الدين: عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة محمد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، والد شيخنا العلامة المعلم تقي الدين بن تيمية، مفتي الفرق، الفارق بين الفرق، كان له فضيلة حسنة، ولديه فوائد كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصعين، وبها كان مسكنه، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين بها بعده في السنة الآتية كما سيأتي، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمئة

في يوم الاثنين ثاني المحرم منها درس الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني بدار الحديث السكرية التي بالقصعين، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي الشافعي، والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية، والشيخ زين الدين بن المرحل، وزين الدين بن المنجاء الحنبلي، وكان درساً هائلاً حافلاً، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده، وكثرة ما استحسنته الحاضرون. وقد أظنّ الحاضرون في شكره على حدثائه سنة وصفره، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين.

ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضاً يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هبّئ له لتفسير القرآن العزيز، فابتدأ من أوله في تفسيره، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجمع الغفير من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة ساوت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة.

وفيها قدم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة، فجاء صاحب حماة الملك المنصور إلى خدمته فتلّقه السلطان في موكبه وأكرمه.

فلما كان ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق، وورعد وسرق، وجاء سيل عظيم جداً حتى كسر أفعال باب القرايس، وارتفع الماء ارتفاعاً كثيراً، بحيث أغرق خلقاً كثيراً، وأخذ جمال الجيش المصري وأقلامهم، فخرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام، وتولى شدّ الدواوين الأمير شمس الدين سقر عوضاً عن الدوداري علم الدين سنجر.

وفيها اختلف التار فيما بينهم على ملكهم السلطان أحمد فعزلوه عنهم وقتلوه، وملكو عليهم السلطان أرغون بن أبنا، نادوا بذلك في جيشهم، وتآطفت أحوالهم، ومشت أمورهم على ذلك، وبيات دولة السلطان أحمد وقامت دولة أرغون بن أبنا.

القاضي عماد الدين:

■ داود بن يحيى بن كامل القرشي البصري الحنفي، مدرس العزبة بالكشك، وناب في الحكم عن مجد الدين بن العليم، وسمع الحديث وتوفي ليلة النصف من شعبان، وهو والد الشيخ نجم الدين الحفازي، شيخ الحنفية، وخطيب جامع تنكر.

الشيخ

■ حسن الرومي: شيخ سعيد السعداء بالقاهرة وقد وليها بعده شمس الدين الأيكي.

الروشد

■ سعيد بن علي بن سعيد. الشيخ رشيد الدين الحنفي مدرس الشبلية، وله تصانيف مفيدة كثيرة، ونظم حسن فمن ذلك قوله:

قل لمن يحزن أن تتركه تكبات الدهر لا ينسي الحذر
أفعب الحزن اعتقادي أنه كل شيء بقضاء وقدر
ومن شعره قوله:

إلمي لك الحمد الذي أتت أهله على نعم منها الهداية للحمد
صحيحا خلقت الجسم مني مسلماً ولطفك بي ما زال مذ كنت في الهد
وكتبت يتيما قد أحاط بي الردي فأوتيت واستقلت من كل ما يُردي
وهبت لي العقل الذي بضياته إلى كل خير يهتدي طالب الرشد
ووثقت للإسلام قلبي ومنطقي فيا نعمة قد حل موقعها عندي
ولو رمت جهدي أن أجزي فضيلةً فضلت بها لم يجز أطرافها جدي
ألت الذي أرجو جنابك عندما بخلفني الأهلون وحدي في لحدي
فجد لي بلطف منك يهدي سريري وقلبي وينيني إليك من الهد
توفي يوم السبت ثالث رمضان، وصلي عليه بعد العصر بالجامع المظفري، ودفن بالسفح.

أبو القاسم

■ علي بن بليان بن عبد الله: الناصري المحدث المقيد الماهر، توفي يوم الخميس من شهر رمضان.

الأمير مجير الدين:

■ محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن نجم الحموي الشاعر، صاحب الديوان في الشعر، فمن شعره قوله:

عابنت ورد الروض يطمم خدّه ويقول قولاً في البفسج يحنّ
لا تقربوه وإن تضوّع نشره ما ينكم فهو العدو الأزرق
■ (محمد بن عثمان بن علي الرومي).

الشيخ العارف شرف الدين: أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عثمان بن علي الرومي، ودفن بترتيم بسفح قاسيون، ومن عندهم خرج الشيخ جمال الدين محمد الساجي وحلق ودخل في ذي الجوالقية وصار شيخهم ومقدمهم.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد، والسلطان الملك المنصور قلاوون، ونائبه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصور،

الشرشي، ويعدله أبو إسحاق اللوري، ويعدله بدر الدين أبو بكر التونسي، ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان حاكماً درس بالمندارس والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة

في أواخر الحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش وجاء إلى خدمته صاحب حماة الملك المظفر بن المنصور فلقاه بجميع الجيوش، وخلع عليه خلعة الملوك، ثم سافر السلطان بالعساكر المصرية والشامية فنزل الرقب ففتح الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق فدفعت البشارة وزينت البلد وفرح المسلمون بذلك، لأن هذا الحصن كان مضرة على المسلمين، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، وفتح حوله بكتياس ومزقية وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر منجنيق، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه تقريباً إلى السلطان الملك المنصور، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين، الذين كانوا عند الفرنج، ولله الحمد. ثم عاد المنصور إلى دمشق، ثم سافر بالعساكر المصرية إلى القاهرة.

وفي أواخر جمادى الآخرة ولد للمنصور ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وفيها عزل يحيى الدين بن النحاس عن نظر الجامع ووليه عز الدين بن يحيى الدين بن الزكي، وياشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن التقي توبة التكريتي، وطلب التقي توبة إلى الديار المصرية وأحيط على أمواله وأملاكه. وعُزل سيف الدين طوغان عن ولاية المدينة، وياشرها عز الدين بن أبي الهيجاء.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عز الدين

■ محمد بن علي بن إبراهيم بن شلداد، توفي في صفر، وكان فاضلاً مشهوراً، له كتاب «سيرة الملك الظاهر»، وكان معتمداً بالتاريخ.

■ البندقدار: أستاذ الملك الظاهر بيبرس، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين البندقدار الصالح، كان من خيار الأمراء سامحه الله.

توفي في ربيع الآخر منها، وقد كان الصالح نجم الدين صادر البندقدار هذا، وأخذ منه ملوكه بيبرس فأضافه إليه لشهامته ونهضته، فتقدم عنده على أستاذه وغيره.

الشيخ الصالح العابد الزاهد: شرف الدين أبو عبد الله

■ محمد بن الحسن بن إسماعيل الإجمي، كانت له جنازة هائلة، ودفن بقاسيون رحمه الله.

■ ابن عامر المقرئ: الذي ينسب إليه الميعاد الكبير، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر القسولي الحنبلي، سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره، وكان يعمل الميعاد ليلة الأحد، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم توفي يوم الأربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بالرقب من تربة الشيخ عبد الله الأرمي.

قاضي القضاة: يوسف ابن قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الوليد بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان، القرشي الدمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي، كان فاضلاً مبرزاً، وهو آخر من ولي القضاء من بني الزكي إلى يومنا هذا.

ولد في سنة أربعين وسمع الحديث، توفي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجة، ودفن بقاسيون، وتولى بعده ابن الخوئي شهاب الدين.

■ يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم الدمشقي الشافعي الكاتب للعروف بابن المهتار، كان فاضلاً في الحديث والأدب، يكتب كتابة حسنة جداً، وتولى مشيخة دار الحديث النورية، وقد سمع الكثير وانتفع الناس به ويكتابه، توفي عاشر ذي الحجة ودفن بباب الفراديس.

الشاعر الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله

■ محمد بن عبد المصم بن محمد المعروف بابن الخيمي، كانت له مشاركة في علوم كثيرة، ويد طول في النظم الرائق الفاسق، جاوز الثمانين وقد تنازع هو ولجم الدين بن إسرائيل في قصيدة بائية، فتحاكما إلى ابن الفارض فأمرهما بنظم أبيات على وزنهما فنظم كل منهما فأحسن، ولكن لابن الخيمي يد طول عليه، وكذلك فعل ابن خلكان، وامتحده على وزنهما بأبيات حسن، وقد أطال ترجمته الجزري في كتابه.

وفيها كانت وفاة:

الحاج

■ شرف الدين بن مري، والد الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله.

■ يعقوب بن عبد الحق: أبو يوسف المربني سلطان بلاد المغرب، خرج على الرائي بالله أبي دبوس فسلمه الملك بظاهر مراكش، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء، في سنة ثمان وستين وستمائة، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة، وزالت على يديه دولة الموحدين بها.

■ البيضاوي صاحب التصانيف: هو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، قاضياً وعالمها وعالم أندلس وملك النواحي، مات بربيع سنة خمس وثمانين وستمائة.

ومن مصنفاته المنهاج في أصول الفقه، وهو مشهور، وقد شرحه غير واحد، وله شرح التبيين في أربع مجلدات، وله الغاية القصوى في دراية الفتوى، وشرح المنتخب والكافية في المنطق، وله الطوابع وشرح المحصول أيضاً، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه ببريز والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة

في أول المحرم ركب العساكر صحبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة صهيون وحصن برزي، فماتهم الأمير سيف الدين مستقر الأشقر، فلم يزلوا به حتى استزلوه وسلمهم البلاد، وسار إلى خدمة السلطان الملك المنصور، فخلقه بالإكرام والاحترام، وأعطاه تقدمة ألف فارس، ولم يزل معظماً في الدولة المنصورية إلى آخرها، وانقضت تلك الأحوال.

والأمير بدر الدين الصواني محاصر مدينة الكرك في أواخر السنة الماضية، وقدم عليه من مصر عسكر صحبة الأمير حسام الدين طرطاي، فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المنصور خضر ابن الملك الظاهر، في مستهل صفر، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق، فدفعت البشارة ثلاثة أيام، وعاد طرطاي بالملك خضر وأهل بيته إلى الديار المصرية كما فعل الملك الظاهر أبوه بالملك النغي عمر بن العادل، كما تقدم ذلك. واستأب في الكرك نائباً عن أمر المنصور، ورتب أمورها وأجلوا منها خلقاً من الكركيين، واستخدموا بقلعة دمشق.

ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاهم المنصور فآكرم لقيامهم وأحسن إلى الأخوين نجم الدين خضر، وبدر الدين سلامش، وجعلهما يركبان مع ابنه علي والأشرف خليل، وجعل عليهما عونا يرصدون ما يفعلان، وأنزلوا الدور بالقلعة وأجرى عليهم من الرواتب والنفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة.

وكتب الأمير بدر الدين بكتور العلاني وهو مجرد بمحمص إلى نائب دمشق لاجين، أنه قد انعقدت زوبعة في يوم الخميس سابع صفر بارض حمص ثم ارتفعت في السماء كهيئة العمود والحية العظيمة، وجعلت تختطف الحجارة الكبار، ثم تصعد بها في الجو كأنها سهام النشاب وحملت شيئاً كثيراً من الجمال بأحمالها، والأثاث والخيام والدواب، ففقد الناس من ذلك شيئاً كثيراً، من الرجال والأمتعة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في دمشق وجاء سيل كثير ولا سيما بالصالحية.

وفيها أعيد علم الدين الدوداري إلى شدّ الدواوين بدمشق، والصاحب تقي الدين بن توبة إلى الوزارة بدمشق.

وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي خلوف النميري عوضاً عن القاضي تقي الدين بن شاس الذي توفي بها.

وفيها درس بالزغالية بدر الدين بن جماعة أنزهها من يد شمس الدين إمام الكلاسة، الذي كان يتوب عن شمس الدين الأيكي، والأبيكي شيخ سعيد السعداء، بأشرها شهراً ثم جاء مرسوم بإعادتها إلى الأيكي، وأنه قد استأب عنه جمال الدين الباجريقي، فبأشرها الباجريقي في ثالث رجب.

ومن توفي فيها من الأعيان

أحمد بن شيان بن تغلب الشيباني أحمد مشايخ الحديث المستنلين المعمرين بدمشق، توفي في صفر عن ثمان وثمانين سنة، ودفن بقاسيون.

الشيخ الإمام العالم البار: الشيخ جمال الدين أبو بكر

■ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن فتحان البكري الشريشي المالكي، ولد بشرش سنة إحدى وستمائة، ورحل إلى العراق فسمع بها الحديث من المشايخ القطيعي وابن زوربة وابن اللّتي وغيرهم، واشتغل وحصل وساد أهل زمانه، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم، ثم جاء إلى دمشق فولى مشيخة الحديث بترية أم الصالح، ومشيخة الرابطة الناصري بالفسح، ومشيخة المالكية، وعرض عليه القضاء فلم يقبل.

توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون، ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية وكانت جنازته حافلة جداً.

■ (ابن الزكي).

شرف الدين سليمان بن بَيْمَان: الشاعر المشهور، له ديوان. مات في صفر منها.

الشيخ الصالح عز الدين:

■ عبد العزيز بن عبد المعصم بن الصيقل الحارثي، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وسمع الكثير، ثم استوطن مصر حتى توفي بها أربع عشر رجب، وقد جاوز التسعين.

وقد سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين، وحكى عنه أنه شهد جنازة في بغداد فتبعهم نباش، فلما كان الليل جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت، وكان الميت شاباً قد أصابته سكة، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً فسقط النباش ميتاً في القبر، وخرج الشاب من قبره إلى أهله.

وحكى له قال: كنت مرة بقلوب وبن يدي صبرة قمح، فجاء زنبور فأخذ واحدة ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مرات، قال: فاتبته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك.

قال: وحكى لي الشيخ عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد أسود معنا، فلما صلى الناس عليها لم يصل، فلما حضرنا الدفن نظر إلي وقال: أنا عمله، ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت، قال: فظننت فلم أر شيئاً.

الحافظ أبو اليمن: أمين الدين

■ عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي ترك الرياسة والأملاك، وجاور بمكة ثلاثين سنة، مقبلاً على العباداة والزهادة، وقد حصل له قبول من الناس شامهم ومصرهم وغيرهم، توفي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها قدم الشجاعى من مصر إلى الشام بنية المصادرة لأرباب الأموال من أهل الشام.

وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف، ونظر الخاص، ومعه تقاليد وخلع فتردد الناس إلى بابه وتكلم في الأمور وأذى الناس، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشجاعى المتكلم في الديار المصرية، توسل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكى وبابن الوجيه الكاتب، وكانا عنده لهما صورة.

وقد طلب جماعة من أعيان الدماشق في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطربوا بأموال كثيرة، فدفع بعضهم بعضاً، وهذا مما يخفف عقوبته من ظلمهم، وإلا فلو صبروا لعوجل الظالم بالعقوبة، ولزال عنهم ما يكرهون سريعاً.

ولما قدم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بترية أم الصالح، والناس يترددون إليه ويخافون شره، وقد استجد باشورة باب الفرائس ومساطب باب الساعات للشهود، وجدد باب الجابية الشمالي ورفعها، وكان متواطئاً، وأصلح الجسر الذي تحته، وكذلك أصلح جسر باب الفرائس تحت السوق التي جلدعها عليه من الجانبين.

وهذا من أحسن ما عمله ابن المقدسى، وقد كان مع ذلك كثير الأذية للناس ظلوماً غشوماً، ويفتح على الناس أبواباً من الظلم لا حاجة إليها.

وفي النصف من المحرم حكم القاضي جلال الدين الحنفى نيابة عن أبيه حسام الدين الرازى.

وفي الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضي شهاب الدين محمد ابن القاضي شمس الدين بن الخليل الخوئى من القاهرة على قضاء قضاة دمشق، وقرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر، واستمر نيابة شرف الدين المقدسى.

وفي يوم الأحد ثالث شوال درس بالرواحية الشيخ صفى الدين الهندى، وحضر عنده القضاة والشيخ تاج الدين الفزاري، وعلم الدين الدوادري، وتولى قضاء قضاة القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعر، عوضاً عن برهان الدين الحضر السنجاري، وقد كان وليها شهراً بعد ابن الخوئى فاجتمع حينئذ إلى ابن بنت الأعر بين القضاء كله بالديار المصرية، وذلك في أوائل صفر منها.

وفيها استدعى سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربيع خَرْزَمَة الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى، فذكر لهم أنه وقفه، وكان التكلم في ذلك علم الدين الشجاعى، وكان ظالماً، وكان قد استأبه الملك المنصور بديار مصر، وجعل يتقرب إليه بتحصيل الأموال، ففقت لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسى أن السامري اشترى هذا من بنت الأشرف، وهي غير رشيدة، وأثبت سفهها علي زين الدين بن مخلوف الجائر الجاهل، وأبطل البيع من أصله، واسترجع على السامري بمثل مدة عشرين سنة مائتي ألف درهم، وأخذوا منه حصّة من الزنبيقة قيمتها سبعون ألفاً وعشرة آلاف مكملة وتركوه فقيراً على برد الديار، ثم أثبتوا رشدها واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوه، ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشق واحداً بعد واحد، ويصادرونهم، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح وأن من ظلم بمصر أفلح وطالت ملته، وكانوا يطالبونهم إلى مصر أرض الفراغة والظلم، فيقبلون معهم ما أرادوا.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (القسطلاتي).

الشيخ الإمام العلامة: قطب الدين أبو بكر محمد ابن الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني القيسي التُّوزَرِيّ المصري، ثم المكى الشافعي المعروف بالقسطلاتي، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة.

ولد سنة أربع عشرة وستمائة، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير وحصل علوماً، وكان يفتي على مذهب الشافعي، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولى مشيخة دار الحديث، وكان حسن الأخلاق عيباً إلى الناس.

توفي في آخر المحرم ودفن بالقراة الكبرى، وله شعر حسن أورد منه ابن الجزري قطعة صالحة.

عماد الدين:

■ محمد بن العباس الدينسري الطيب الماهر، والحاظق الشاعر، خدم الأكابر والوزراء وعمر ثمانين سنة وتوفي في صفر من هذه السنة بدمشق. قاضي القضاة: برهان الدين

■ الحضر بن الحسن بن علي السنجاري تولى الحكم بديار مصر غير مرة، وولي الوزارة أيضاً، وكان رئيساً وقوراً مهيباً، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين ابن بنت الأعر.

الحكيم الرئيس علاء الدين

■ ابن أبي الحزم بن نفيس: شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه، وكان اشتغاله على ابن الدخاري، وتوفي بمصر في ذي القعدة.

■ محمد بن جمال الدين بن مالك النحوي.

الشيخ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوي، شارح الألفية التي عملها أبوه، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً، توفي في يوم الأحد الثامن من المحرم، ودفن من الغد بباب الصغير. والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها كان فتح مدينة طرابلس: وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيش المنصور المصرية في صحته إلى دمشق، فدخلها في الثالث عشر من صفر، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصحبه خلق كثير من المتطوعة، منهم القاضي نجم الدين الحنبلي، قاضي الخناينة، وخلق من المقادسة وغيرهم، فنزل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول، وحاصرها بالمجانق حصاراً شديداً، وضيقوا على أهلها تضيقاً عظيماً، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً.

فلما كان يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخرة فتحت طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة، وشمل القتل والأسر جمع من فيها، وغرق كثير من أهل الميناء ونهب الأموال وسييت النساء والأطفال، وأخذت الذخائر والحواصل، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسة إلى هذا التاريخ كان الملك صنجيل الفرنج حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا، وقد كانت قبل ذلك في أيدي المسلمين من زمان معاوية، فقد فتحها سفيان بن مجيب لمعاوية، فأسكنها معاوية اليهود، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد عمارتها وحصنها وأسكنها المسلمين، وصارت أمنة عامرة مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإن بها الجزر والموز والتلج والقصب، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلداً واحداً، ثم حوت من موضعها كما سيأتي الآن. ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشائر وزينت البلاد وفرح الناس فرحاً شديداً ولله الحمد والمنة.

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمار والدور والأسوار الحصينة التي كانت عليها، وأن ينشئ على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك، فهي هذه البلدة التي يقال لها طرابلس، التي جعلها الله تعالى دار أمان وإيمان.

ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً مسروراً محبباً، فدخلها يوم النصف من جمادى الآخرة، ولكنه فوض الأمور والكلام في الأموال إلى علم الدين الشجاع، فصادر جماعة وجمع أموالاً كثيرة، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق، ويشن هذا الصنيع فإن ذلك تعجل لنمار الظالم وهلاكه، فلم يرض عن المنصور ما جمع له الشجاع من الأموال شيئاً، فإنه لم يرض بعد ذلك إلا السير حتى أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، كما سيأتي.

ثم سافر السلطان في ثاني شعبان بجيشه إلى الديار المصرية، فدخلها في أواخر شعبان.

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضاً قاضي القضاة حسام الدين الحنفي، والصاحب تقي الدين توبة التكريتي، وقاضي القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوي المالكي على قضاء المالكية بعد شفوئه عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف، فأقام شعار المنصب ودرس ونشر المذهب وكان له مؤود ورياسة.

وفي ليلة الجمعة رابع شعبان توفي الملك الصالح علاء الدين ابن الملك المنصور قلاوون بالدوسنطارية فوجد عليه أبوه وجداً شديداً، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له على المنابر من مدة سنين، فدفنه في تربته وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل وكتب بذلك إلى الأفاق، ولما جاءت البريدة في شوال بولاية الأشرف خليل، من بعد أبيه، وخطب له معه على المنابر من بعد ذكر أبيه يوم الجمعة، ودقت البشائر وزين البلد سبعة أيام، ولبس الجيش الخلع وركبوا، وأظهر الناس سروراً لشهاتهم، مع ما في قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعي.

وفي رمضان بأمر حبة دمشق شمس الدين بن السلجوس، عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجي.

وفيه توجه الشيخ بدر الدين بن جماعة إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين، فباشر بعده تدریس القيمرية علاء الدين أحمد ابن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أخو قاضي مصر، ثم بعد ثلاث سنين أخذ ابن جماعة قضاء الديار المصرية عوضاً عن ابن بنت الأعز.

وفي شهر رمضان كبس نصراني وعنده مسلمة وهما يشربان الخمر في نهار رمضان، فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجين بتحرير النصراني فبذل في نفسه أموالاً جزيلة فلم يقبل منه، وأحرق بسوق الخيل، وعمل الشهاب محمود في ذلك آياتاً في قصيدة مليحة، وأما المرأة فجلدت الحد.

ومن توفي فيها من الأعيان

الخطيب الإمام قطب الدين أبو الزكاه

■ عبد النعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، القرشي، الزهري، خطيب بيت المقدس أربعين سنة، وكان من الصلحاء الكبار محبباً عند الناس، حسن الهيئة مهيباً عزيز النفس، يفتي الناس ويذكر التفسير من حفظه في المحراب بعد صلاة الصبح، وقد سمع الكثير وكان من الأخيار، ولد سنة ثلاث وستمائة، وتوفي ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة.

الشيخ الصالح العابد

■ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعفري: تقي الدين أبو إسحاق، أصله من قلعة جبر، ثم أقام بالقاهرة، وكان يعظ الناس وكان الناس يتصفون بكلامه كثيراً: توفي بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم، ودفن في تربته بالحسينية، وله نظم حسن، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله تعالى.

الشيخ الصالح

■ ياسين بن عبد الله المقرئ الحجام: شيخ الشيوخ محيي الدين النواوي، وقد حج عشرين حجة، وكانت له أحوال وكرامات.

■ الخوند غازی خاتون بنت الملك المنصور قلاوون: زوجة الملك السعيد.

وشرح الحصول للرازي، وصنف القواعد في أربعة فنون أصول الفقه، وأصول الدين، والمنطق، والخلاف. وله معرفة جيدة في المنطق والنحو والأدب، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما، ورحل إليه الطلبة، توفي في العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة.

■ (محمد بن سليمان بن علي التلمساني).

الشمس محمد بن العفيف: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني، الشاعر المطبق، كانت وفاته في حياة أبيه قتالاً له ووجد شديداً، ورثاه بأشعار كثيرة، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب، وصلي عليه بالجامع، ودفن بالصوفية فمن رائق شعره قوله:

وإن ثائباً محجوراً لبدنه وهن لعقد الحسن فيه فرائد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل وكم يتحلى ثغره وهو بارد
وله يذم الحشيشة:

ما للحشيشة فضل عند أكلها لكنه غير مصروف إلى رشد
صفراء في وجهه خضراء في فمه حمراء في عينه سوداء في كبده
ومن شعره أيضاً:

بدا وجهه من فوق ذابل خده وقد لاح من سود النوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى وقد طلعت شمس النهار على رمح
وله في جملة أبيات:

ما أنت عندي والقضي ب اللدن في حد سوى
هناك حركه المسواء وأنت حركت المسوى
الملك

■ المنصور شهاب الدين: محمود ابن الملك الصالح إسماعيل بن العادل، توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب، وصلي عليه بالجامع، ودفن من يومه بترية جده، وكان ناظرها، وقد سمع الحديث الكثير، وكان يحب أهله، وكان فيه لطف وتواضع.

الشيخ فخر الدين أبو محمد:

■ عبد الرحمن بن يوسف البليكي الحبلي، شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة، وشيخ الصدرة، كان يقضي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة، وتوفي في رجب منها.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك المنصور قلاوون، وكان الخليفة الحاكم العباسي، ونائب مصر حسام الدين طرُنتاي، ونائب الشام حسام الدين لاجين، وقضاة الشام شهاب الدين بن الحوفي الشافعي، وحسام الدين الحنفي، ونجم الدين بن شيخ الجبل الحبلي، وجمال الدين الزواوي المالكي، وجاء البريد بطلب شمس الدين سقز الأعسر إلى الديار المصرية، فأكرمه السلطان وقواه وشد يده وأمره باستخلاص الأموال، وزاده شد الجيوش، والكلام على الحصون إلى البيرة وكخنا وغير ذلك، فقويت نفسه وزاد نجده ولكن كان يرجع إلى مروءة وستر وينفع من يتمي إليه، وذلك مودة

وفيها فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب: كركر، وتلك النواحي، وكسرت طائفة من التتر هناك وقتل ملكهم خربندا نائب التتر على ملطية. وفيها تولى الحسبة بدمشق جمال الدين يوسف بن التقي تومة التكريتي ثم أخذها بعد شهر تاج الدين الشيرازي.

وفيها وضع منبر عند محراب الصحابة بسبب عمارة كانت في المقصورة، فصلى برهان الدين الإسكندري نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر، الجماعات والجمعات، ابتدؤوا ذلك من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخة

■ فاطمة بنت الشيخ إبراهيم بنت الرعي: زوجة النجم بن إسرائيل، كانت من بيت الفقر، لما سلطنة وإقدام وترجة وكلام في طريقة الحريرية وغيرهم، وحضر جنازتها خلق كثير، ودفنت عند الشيخ رسلان.

العالم ابن الصاحب: الشيخ المايجن هو الشيخ القاضي علم الدين

■ أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر، كان من بيت علم ورياسة، وقد درس في بعض المدارس، وكانت له وجهة ورياسة، ثم ترك ذلك كله وأقبل على الحرفشة وصحبة الحرافيش والتشب بهم في اللباس والطريقة، وأكل الحشيش واستعمل ما كان من إلفهم في الخلاعة والجون والزوائد الرائقة الفاخرة التي لا يلحق في كثير منها، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول.

ولما ولي القضاة الأربعة كان ابن خالته تاج الدين ابن بنت الأعرز مستقلاً في القضاء قبل ذلك، فقال له ابن الصاحب المذكور: ما مت حتى رأيتك صاحب ربيع، فقال له: تسكت وإلا خليتهم يسقونك السم، فقال له: في قلة دينك تعمل، وفي قلة عقولهم يسمعون منك، وقال يمدح الحشيشة الحشيشة:

في خمار الحشيش معنى مرامي يا أهمل العقول والأنهام
حرموها عن غير عقل ونقل وحرام تحريم غير الحرام
وله أيضاً:

يا نفس ميلي إلى النصايي فاللهو منه النفس يعيش
ولا تغلي من سكر يرموم إن أعوز الخمس فالخشيش
وله أيضاً:

جمعت بين الحشيش والخمر فرحت لا اعتدي من السكر
يا من يريني لباب مدرستي يربح والله غاية الأجر

وقال يهجو الصاحب بهاء الدين بن الحنا:

اتخذ بها وتنهسا لا يمد أن تمننسي
تكتب على ابن محمد من أين لك يا ابن حنا
فاستداع فضربه ثم امر به إلى المارستان فمكت فيه سنة ثم أطلق.

شمس الدين الأصمهاني: شارح الحصول:

■ محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني العلامة، قدم دمشق بعد الحسين وستمائة، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله، وسمع الحديث

ابن الخوئي ليصلح بين الفريقين، ولما استقر عند أبي نجي رحل الركوب وبقى هو في الحرم وحده وأرسل معه أبو نجي من أخيه بهم سالماً معظماً وجاء الخبر بموت المنصور إلى الناس وهم بعرفات وهذا شيء عجيب. وجاء كتاب يستحث الوزير ابن السلوس في المسير إلى الديار المصرية، وبين الأسطر بخط الملك الأشرف: يا شقيق يا وجه الخير احضر لتسلم الوزارة فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر المحرم، فتسلم الوزارة. كما قال السلطان.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان الملك المنصور

■ قلاوون بن عبد الله الوكي الصالحى الألفي، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، بألف دينار، وكان من أكابر الأمراء عنده وبعده، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بلبته غازية خاتون، عظم شأنه جداً عند الظاهر، وما زال يرتفع في الدولة حتى صار أتاك سلام من الظاهر، ثم رفعه من بين واستقل بالملك في سنة ثمان وسبعين وكسر التار على حصص في سنة ثمانين فأجبه الناس وفتح الرقية في سنة أربع وثمانين، وفتح طرابلس سنة ثمان وثمانين، وعزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية في السادس والعشرين من ذي القعدة، ودفن بترته بمدرسته الهائلة التي أنشأها بين القصرين، التي ليس بديار مصر ولا بالشام مثلاً. وفيها دار حليث ومارستان: وعليها أوقاف دارة كثيرة عظيمة.

مات عن قريب من ستين سنة، وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة، وكان حسن الصورة مهيباً، عليه أبهة السلطنة ومهابة الملك، تام القامة حسن اللحية عالي الهمة شجاعاً وقوراً ساعه الله.

الأمير

■ حسام الدين طرطاي: نائب السلطنة المنصورية بمصر، أخذه الأشرف فسجنه بقلعة الجبل، ثم قتله وبقى ثمانية أيام لا يدري به، ثم لف في حصير وألقي على مزبلة، وحن عليه بعض الناس، فكفن كأحد الفقراء بعد النعيم الكثير، والدنيا المتسعة، والكلمة النافذة، وقد أخذ السلطان من حواصله ستمائة ألف دينار وسبعين قطاراً بال مصري فضة، ومن الجواهر شيئاً كثيراً، سوى الخيل والبغال والجمال والأمتعة والبسط الجياد، والأسلحة الثمينة، وغير ذلك من الخواص والأملأك بمصر والشام، وترك ولدين أحدهما أعمى، وقد دخل هنا الأعمى على الأشرف فوضع المنديل على وجهه وقال شيء لله وذكر له أن لم أباماً لا يجحدون شيئاً يأكلونه، فرك له وأطلق لهم الأملأك يأكلون من ريعها، فسبحان الله المتصرف في خلقه بما يشاء، يمز من يشاء وينزل من يشاء.

الشيخ الإمام العلامة: رشيد الدين

■ عمر بن إسماعيل بن مسعود القفاري الشافعي، مدرس الظاهرية، توفي بها وقد جاوز السبعين، وجد نحوفاً في الحرم، ودفن بالصوفية، وقد سمع الحديث وكان منفرداً في فنون من العلوم كثيرة، منها علم النحو والأدب وحل المترجم والكتابة والإنشاء وعلم الفلك والنجوم وضرب الرمل والحساب وغير ذلك، وله نظم حسن.

الخطيب جمال الدين أبو محمد:

■ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربيعي، توفي بدار الخطابة

في الدنيا في أيام قلاوون.

وفي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي وكيل بيت المال، وناظر الخاوص والأوقاف، فظهرت عليه مخاز من أكل الأوقاف وغيرها، فرسم عليه بالعراوية وطولب بتلك الأموال وضيق عليه، وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامري قصيدة يتشفى فيها لما كان أسدى إليه من الظلم والإيذاء، مع أنه راح إليه وتنعم له وتمازحاً هنالك، ثم جاء البريد بطلبه إلى الديار المصرية فخاف التواب من ذهابه إليها وفضله وشره فأصبح يوم الجمعة ثالث شعبان وهو مشنوق بالمدرسة العنراوية، فطلبت القضاة والشهود فشاهدوه كذلك، ثم جهز وصلي عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر الصوفية عند أبيه، وكان مدرساً بالرواحية وتربة أم الصالح، مع الركايتين والنظر.

وجاء البريد بعمل مجانيق لحصار عكا فركب الأعسر إلى أراضي بعلبك لما هنالك من الأخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلها بدمشق، وهي تصلح لذلك، فكترت الجنائيات والجبايات والسُخر، وكلفوا الناس تكليفاً كثيراً، وأخذوا أخشاب الناس، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة وشدة كثيرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الملك المنصور قلاوون

بينما الناس في هذا المم والمصادرات وأشغال ذلك إذ وردت بريدة فأخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذي القعدة من هذه السنة، بالمخيم ظاهر القاهرة، ثم حمل إلى قلعة الجبل ليلا وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له، وحلف له جميع الأمراء، وخطب له على المنابر، وركب في أبهة الملك، والعساكر كلهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخيل، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع، وعلى القضاة والأعيان، ولما جاءت الأخبار بذلك حلف له الأمراء بالشام، وقبض على حسام الدين طرطاي نائب أبيه وأخذ منه أموالاً جزيلة أتفق منها على العساكر.

وفيها ولي خطابة دمشق زين الدين عمر بن مكسي بن المرحل عوضاً عن جمال الدين بن عبد الكافي وكان ذلك بمساعدة الأعسر.

وتولى نظر الجامع الرئيس وجه الدين بن المنجي الخبلي، عوضاً عن ناصر الدين بن المقدسي، وثمر وقفه وعمره وزاد مائة وخمسين ألفاً.

وفيها احترقت دار صاحب حماة، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد يدخلها، فعملت النار فيها يومين فاحترقت واحترق كل ما فيها.

وفي شوال درُس بترية أم الصالح بعد ابن المقدسي القاضي إمام الدين القونوي.

وفيها باشر الشرف حسن بن أحمد ابن الشيخ أبي عمر قضاء الختابة عوضاً عن ابن عمه نجم الدين ابن شيخ الجبل، عن مرسوم الملك المنصور قبل موته.

وحج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الزوباسي، وحج قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوئي، وشمس الدين بن السلوس ومقدم الركب الأمير عتبة، فتوهم منه أبو نجي، وكان بينهما عداوة، فأغلق أبواب مكة ومنع الناس من دخولها فأحرق الباب وقتل جماعة ونهب بعض الأماكن، وجرت خطوب فظيمة، ثم أرسلوا القاضي

بعده القضاء الشيخ شرف الدين حسن بن عبد الله بن أبي عمر، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة

فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطولة، ولم يبق لهم فيها حجر واحد والله الحمد والمنة.

استقلت هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسي.

وسلطان البلاد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون.

ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيدرا.

ووزيره ابن السلوس صاحب شمس الدين.

ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحدار المنصور.

وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها.

وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور

الدين عمر بن علي بن رسول.

وصاحب مكة نجم الدين أبو نجي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة

الحسيني.

وصاحب المدينة عز الدين جواز بن شحنة الحسيني.

وصاحب الروم غياث الدين كيوخسرو، وهو ابن ركن الدين قليج

ارسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور

ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمد.

وسلطان بلاد العراق وخراسان، وتلك النواحي أرغون بن أبنا بن

هولاكو بن تولى بن جنكيزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور

بأموال كثيرة جداً من الذهب والفضة، وأُنزل السلطان إلى تهرته في ليلة

الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا، وعلم الدين

الشفاعي، وقرئت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم صاحب شمس الدين

بن السلوس من الحجاز خلع عليه للوزارة، وكتب تقليده بها القاضي

محبي الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بيده، وركب الوزير في أبهة الوزارة

إلى داره، وحكم.

ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سقر الأشقر وسيف

الدين جرمك الناصري، وأفرج عن الأمير زين الدين كنيغا وكان قد قبض

عليه مع طرنتاي، ورد عليه أنقطاعه، وأعيد تقي توبة إلى وزارة دمشق مرة

أخرى.

وفيها أئب ابن الخوئي محضراً يتضمن أن يكون تدريس الناصرية

للقاضي الشافعي وانتزعها من زين الدين القارقي.

ذكر فتح عكا وبقية السواحل

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات

الحصار لعكا، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل

عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار المسلمين فقتلهم

وأخذوا أموالهم، فأبرزت المجائيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العامة

والمنطوعة يبرون في المعجل حتى الفقهاء والمدرسين والصلحاء، وتولى

سياقتها الأمير علم الدين الدوداري، وخرجت العساكر بين يدي نائب

وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سلخ جمادى الأولى، وحمل إلى السفح فدفن إلى جانب الشيخ يوسف الفقاعي.

فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل ابن عز القضاء أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد

■ ابن أبي اليمن، الشيخ الزاهد المتقيل من متاع الدنيا، توفي في

العشرين من رمضان، وصلي عليه في الجامع، ودفن بترية بني الزكي

بقاسيون عجة في محبي الدين بن عربي، فإنه كان يكتب من كلامه كل يوم

ورقتين، ومن الحديث ورقتين وكان مع هذا يحسن الظن به، وكان يصلي

مع الأئمة كلهم بالجامع، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه

وقد صحح على «عينه» وإنما الصحيح المروي عن أنشد هذا الشعر

أولاً:

تدل على أنه واحد

وله شعر فمته:

والنهر قد جُنَّ في الفصون هوى فراح في قلبه يملها

فغار منه النسيم عاشقها فجاء عن وصله يملها

وله أيضاً:

لما تحقق بالإمكان فوقكم وقد بدا حكمه في عالم الصور

تميز الجمع عنه وهو متحد فلاح فوقكم في عالم الصور

وله:

لي سادة لا أرى سواهم هم عين معنای عين جوفي

لقد احاطوا بكل جزه سني وعزوا عن درك طرني

هم نظروا في عموم فقري وطول ذي وفرط ضعفي

فما ملوني بيجت جود وصرف بر وعرض لطف

فلا تلم إن جردت ذيلي فخرا بهم أو ثيت عطفني

وله:

مواهب ذي الجلال لدي تترى فقد أخرستي ونطقن شكرا

فنعسى إنسر نعسى إنسر نعسى وشرى بعد بشرى بعد بشرى

لها بده وليس لها انتهاء يعم مزبدها دنيا وأخرى

الحاج

■ طبرس بن عبد الله: علاء الدين الوزيري: صهر الملك الظاهر، كان

من أكابر الأمراء ذوي الحل والعقد، وكان ديناً كثير الصدقات، له قان

بدمشق أوقفه، وله في فكك الأسرى وغير ذلك، وأوصى عند موته

بثلاثمائة ألف تصرف على الجند بالشام ومصر، فحصل لكل جندي

خسرون درهما، وكانت وفاته في ذي الحجة، ودفن بترية بسفح المقطم.

■ أحمد بن شمس الدين بن أبي عمر المقدسي.

قاضي القضاة: نجم الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شمس الدين بن

أبي عمر المقدسي، توفي ثاني عشر جمادى الآخرة منها وحضر جنازته خلق

كثير ونائب السلطنة ودفن بقاسيون وله أربعون سنة سواً، وكان فاضلاً

بارعاً خطياً مدرساً بأكثر المدارس، وهو شيخ الحنابلة وابن شيخهم، وتولى

الشام، وخرج هو في آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية بعسكره قاصدا عكا، فتوافت الجيوش هنالك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها الجنائق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخاري، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري، فحضر القضاة والفضلاء والأعيان.

وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخييط من نائب الشام حسام الدين لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذي يقال له أبو خرس، فركب هاربا فرده علم الدين البوداري بالمسابه وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه ثم أمسكه بعد ثلاثة أيام وبعثه إلى قلعة صفد واحتاط على حواصله، ورسم على أستاذ داره بلر الدين بكداش، وجرى ما لا يليق وقومه هنالك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلاثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس، وطلع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السانجق الإسلامية فوق أسوار البلد، فولت الفرنج عند ذلك الأدبار، وركبوا هارين في مراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يعلمه إلا الله تعالى، وغنما من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئا كثيرا جدا، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها، بحيث لا يتبقى بها بعد ذلك، فبسر الله فتحها نهار جمعة، كما أخذتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلمت صور وصيدا قيادتهما إلى الأشرف، فاستوسق الساحل للمسلمين، وتنظف من الكافرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون، ودقت البشائر في سائر الحصون، وزينت البلاد ليتزهر فيها الناظرون والمتفرجون، وأرسل السلطان إلى صور أميراً فهدم أسوارها وعفا آثارها. وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسة.

وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج، ثم إن الفرنج جاوروا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة، ثم جاء صلاح الدين ليمنعهم عنها مدة سبعة وثلاثين شهراً، ثم في آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين، كما تقدم ذلك.

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصدا دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة، وفي صحبته وزيره ابن السلوس والجيوش المنصورة.

وفي هذا اليوم استأبب بالشام الأمير علم الدين سنجر الشجاع، وسكن بدار السعادة، وزيد في إقطاعه حرسا ولم تقطع لغيره، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة، وجعل له في كل يوم ثلاثمائة على دار الطعام، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقي بها برج عاص، ففتحه ودقت البشائر بسببه، ثم عاد سريعا إلى السلطان فودعه، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت، وسلمت عثليث وأنطربوس وجبل. ولم يبق بالسواحل ولله الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين، وأراح الله منهم البلاد والعباد.

ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جدا، وكان يوما مشهودا. وأفرج عن بلر الدين بيسري بعد سجن سبع سنين.

ورجع علم الدين سنجر الشجاعى نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يبق لهم بها حجر.

وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صفد ومعه جماعة أمراء، ورد عليهم إقطاعاتهم، وأحسن إليهم وأكرمهم.

وفي أوائل رمضان طلب القاضي بلر الدين بن جماعة من القدس الشريف وهو حاكم به، وخطيب فيه، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشرة وأظفر ليلتذ عند الوزير ابن السلوس وأكرمه جدا واحترمه، وكانت ليلة الجمعة، فصرح الوزير بعزل تقي الدين ابن بنت الأعر وتولية ابن جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة، وجاء القضاة إلى تهته وأصبح الشهود في خدمته، ومع القضاء خطابة الجامع الأزهر، وتدرس الصالحية، وركب في الخلعة والطرحة ورسوم لبقية القضاة أن يستمروا بلبس الطرحات، وذهب فخطب بالجامع الأزهر، وانتقل إلى المدرسة الصالحية ودرس بها في الجمعة الأخرى، وكان درساً حافلاً، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي السلطنة للأشرف خليل بن المنصور، فلبس خلعة سوداء وخطب الناس بالخطبة التي كان يخطب بها في الدولة الظاهرية وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي، في سنة ستين وستمئة، فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة، وذلك بجامع قلعة الجبل ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان، وكان يستتيب في الجامع الأزهر.

وأما ابن بنت الأعر فثاله من الوزير إخراج ومصادرة وإهانة بالغة، ولم يترك له من مناصبه شيئا، وكان يبدله سبعة عشر منصبا، منها القضاء والخطابة ونظر الأحاس ومشيخة الشيوخ، ونظر الخزانة وتدارس كبار، وصادره بنحو من أربعين ألفاً، غير مراكبه وأشياء كثيرة، ولم يظهر منه استكانة له ولا خضوع، ثم عاد فرضي عنه وولاه تدريس الشافعي.

وعملت ختمة عند قبر الملك المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة، حرض الناس على غزو بلاد العراق واستغناها من أيدي التتر، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجبا فرأه الناس جهرة، وركب في الأسواق بعد ذلك.

وعمل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق، فقرئت ختمات كثيرة ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين الفاروقي، ثم ابن البرزوري، ثم تكلم من له عادة بالكلام وجاءت البريلية بالتهنئ لغزو العراق، ونودي في الناس بذلك، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على دجلة بغداد، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود، وحصل لبعض الناس أذى بسبب ذلك.

وفيها نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عمامة كبيرة، وخرب الأبنية التي على نهر بانيس والجداول كلها والمسالخ والسقايات التي على الأنهار كلها، وأخرب جسر الزلاية وما عليه من الدكاكين، ونادى أن لا يمشي أحد بعد العشاء الأخيرة، ثم أطلق لهم هذه فقط، وأخرب الحمام الذي كان بناه الملك السعيد ظاهر باب النصر، ولم يكن يبعث أحسن منه، ووسع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سدسه، ولم يترك بينه وبين النهر إلا مقدارا يسيرا، وعمل هو بنفسه والأمراء في حيطانه.

عنه السلطان أحمد بن هولكو، فعظم في أعين المغول.

فلما كان في هذه السنة مات من شراب شره فيه سم، فاتهت المغول اليهود به - وكان وزيره سعد الدولة بن الصيني يهودياً - قتلوا من اليهود خلقاً كثيراً، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً في جميع بلدان العراق، ثم اختلّفوا فيمن يقيمونه بعده، فمالت طائفة إلى كيختر فأجلسوه على سرير المملكة، فبقي مدة، قيل سنة وقيل أقل من ذلك، ثم قتلوه وملكوا بعده بيلرا.

وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك الأشرف وهو محاصر عكا ففرح بذلك كثيراً، وكانت مدة ملك أرغون ثمان سنين، وقد وصفه بعض مؤرخي العراق بالعدل والسياسة الجيدة.

المسند المعمر الرحالة فخر الدين بن البخاري

وهو أبو الحسن

■ علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الخليلي المعروف بابن البخاري، ولد في سلخ سنة خمس أو مستهل سنة ست وتسعين وخمسة، وسمع الكثير ورحل مع أهله، وكان رجلاً صالحاً عابداً، زاهداً ورعاً ناسكاً، تفرّد بروايات كثيرة لطول عمره، وخرجت له مشيخات وسمع منه الخلق الكثير والجم الغفير، وكان منصوباً لذلك حتى كبر وأسنّ وضعف عن الحركة، وله شعر حسن، منه قوله:

تكررت السنون علي حسي بليت وصرت من سقط المتاع
وقل النفع عندي غير أني أعلل بالرواية والسماع
فإن بك خالصاً فله جزاء وإن بك مالفاً فلي خياع
وله أيضاً:

إليك اعتلاري من صلاتي قاعداً وعجزني عن سعي إلى الجمعات
وتركي صلاة القرى في كل مسجد تجمع فيه الناس للصلوات
فيا رب لا تمقت صلاتي ونجسي من النار واصفح لي عن المفوات
توفي ضحى نهار الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة، عن خمس وتسعين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، ودفن عند والده الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

الشيخ تاج الدين القزاري:

■ عبد الرحمن بن إبراهيم سباع بن ضياء الدين أبو محمد القزاري، الإمام العلامة العالم، العلم شيخ الشافعية في زمانه، حاز قصب السبق دون أقرانه، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين.

كان مولد الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمئة، وتوفي ضحى يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة، بالمدرسة البادرانية وصلي عليه بعد الظهر بالأمر، تقدم للصلاة عليه قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوري، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقي، ودفن عن والده بباب الصغير، وكان يوماً شديد الزحام وقد كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة، والأخلاق اللطيفة، وفصاحة المنطق، وحسن التصنيف، وعلو الهمة، وفقه النفس، وكتابه الإقليد الذي جمعه على أبواب التبيه وصل فيه إلى باب الغصب، دليل على فقه نفسه وعلو قدره، وقوة همته ونفوذ نظره، واتصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ما سطره، وقد انتفع به الناس، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو والشيخ محيي الدين الشوري، وله اختصار الموضوعات لابن الجزري، وهو عندي بخطه، وقد سمع الخليلي

ولها حبس جمال الدين آقوش الأفرم المنصورى وأمير آخر معه في القلعة.

وفيها حمل الأمير علم الدين الدواداري إلى الديار المصرية مقيداً. وقد نظم الشيخ شهاب الدين عمود قصيدة في فتح عكا.

الحمد لله زالت دولة الصليب وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت رؤياه في النوم لاستجبت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدهما في البحر للشرك عند البر من أرب
لم يبق من بعدهما للكفر إذ خربت في البحر والبر ما ينجي سوى الحرب
أم الحروب فكم قد أنشأت تنشأ شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
يا يوم عكا لقد أنيت ما سبقت به الفتوح وما قد خط في الكتب
لم يبلغ النطق حد الشكر فبك فما عسى يقوم به ذو الشعر والأدب
أغضبت عباد عيسى إذ أبنتهم لله أي رضى في ذلك الغضب
وأشرف المصطفى المهدي البشير على ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
فقر عيناً لهذا الفتح وإبتججت يشره الكعبة الغراء في الحجب
وسار في الأرض سيرا قد سمعت به فالبر في طرب والبحر في حرب
وهي طويلة جداً، وله ولغيره في فتح عكا أشعار كثيرة.

ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلوس جميع ملابسه التي كانت عليه، ومركوبه الذي كان تحته، فركبه ورسوم له بشمانية وسبعين ألفاً من خزاة دمشق، ليشتري له بها قرية قرحا من بيت المال.

وفي هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الحراب الذي أصابها من هولاء وأصحابه عام ثمانية وخمسين.

وفيها شوال منها شرع في عمارة قلعة دمشق وبناء الدور السلطانية والطامرة والقبّة الزرقاء، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لثائبه علم الدين سنجر الشجاع.

وفيها في رمضان أعيد إلى نيابة القلعة الأمير أرجواش وأعطي، إقطاعات سنية. وفيها أرسل الشيخ الرجيجي من ذرية الشيخ يونس مضيافاً عليه محصوراً إلى القاهرة.

وفيها درس عز الدين الفاروقي بالمدرسة النجبية عوضاً عن كمال الدين بن خلكان.

وفي ذلك اليوم درس نجم الدين بن مكى بالرواحية عوضاً عن ناصر الدين بن المقدسي.

وفيه درس كمال الدين الطيب بالمدرسة الدخاوية الطيبة.

وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الحجازي بالخطونية البرانية، وجمال الدين بن البجربقي بالقلجية، وبرهان الدين الإسكندردي بالقوصية التي بالجامع، والشيخ نجم الدين الدمشقي بالشريفية عند حارة الغرباء. وفيها أعيدت الناصرية إلى الفارقي.

وفيه درس بالأمنية القاضي نجم الدين بن مصرى بعد ابن الزملكاني، وأخذت منه العادلية الصغيرة لكمال الدين بن الزملكاني.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ أرغون بن أبغا ملك التار: كان شهماً شجاعاً سفاكاً للدماء، قتل

الفري وشرح أسماء الله الحسنى، وله ديوان مشهور، ولولده محمد ديوان آخر.
وقد نسب هذا الرجل إلى عظامم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض، وشهرته تنفي عن الإطباب في ترجمته.
توفي يوم الأربعاء خامس رجب ودفن بالصوفية، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعين يوماً متتابعة فإله أعلم.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة

فيها فتحت قلعة الروم وسُلطان البلاد من دنقلة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكمالها وسواحلها بلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف خليل.
ووزيره شمس الدين بن السلعوس، وقضاته بالشام ومصر هم المذكورون في التي قبلها.
ونائب مصر بدر الدين بندار ونائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي.

وسُلطان التتر بيكو بن أرغون بن أبغا، والعمارة في الطارمة وفي الدرر السلطانية بالقلعة. وفي ربيع عشرين الحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض الخزائن أُلُف شيتا كثيراً من الذخائر والثقات والكُتب.
وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول خطب الخليفة الحاكم وحث في خطبته على الجهاد والفير، وصلى بهم الجمعة وجهر بالسملة.
وفي ليلة السبت ثالث عشر صفر جيء بهذا الجزر الأحمر الذي يباب البرادة من عكا، فوضع في مكانه.
وفي ربيع الأول كمل بناء الطارمة وما عندها من الأثر والقبة الزرقاء، وجاءت في غاية الحسن والكمال والارتفاع.
وفي يوم الاثنين ثاني جمادى ذكر الدرس بالظاهرة الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، عوضاً عن علاء الدين ابن بنت الأغر.

وفي هذا اليوم درس بالدولية كمال الدين بن الزكي.
وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالنجبية الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الطوسي، بمقتضى نزول الفاروق له عنها، والله أعلم بالصواب.

فتح قلعة الروم

وفي ربيع الآخر توجه السلطان الأشرف بالعاسكر نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن السلعوس فاستعرض الجيوش وأُنقِص فيهم أموالاً جزيلة، ثم سار بهم نحو بلاد حلب، ثم سار إلى قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً في يوم السبت حادي عشر رجب، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق، وزينت البلد سبعة أيام وبارك الله لخمس المسلمين في سبقهم، وكان يوم السبت ألباً على أهل يوم الأحد، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً، مدة ثلاثة وثلاثين يوماً، وكانت المنجنيقات تزيد على ثلاثين منجنيقاً، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير، وقد قتل من أهل البلد خلق كثير وغنم المسلمون منها شيتا كثيراً، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشجاعي بقلعة الروم يعمرون ما وهى من قلعتها بسبب رمي المنجنيقات عليها وقت الحصار، وكان دخوله إلى دمشق بكرة يوم الثلاثاء تاسع عشر

الكثير وحضر عند ابن الزبيدي صحيح البخاري، وسمع من ابن اللثي وابن الصلاح واشتغل عليه، وعلى ابن عبد السلام وانتفع بهما، وخرج له الحافظ علم الدين البرزالي أحد تلاميذه شيخه في عشرة أجزاء عن مائة شيخ فسمعها عليه الأعيان وكان له شعر جيد فمته قوله:

لله أيام جمع النشمل ما يرحت بها الحوادث حتى أصبحت سَمَرا
وميتا الحزن من تاريخ مسائي عنكم، فلم ألقَ عينا ولا أنرا
يا راحلين قد رمت فالتجة لكم ونحن للعجز لا نستعجز القلدا

وقد ولي الدرس بعده بالبادرية والحلقة والفتيا بالجامع ولده شيخنا برهان الدين، فمضى على طريقة والده وهدى به وسمته رحمه الله.

وفي ثالث شعبان توفي الطبيب الماهر عز الدين

■ إبراهيم بن محمد بن طوقان: السويدي الأنصاري، ودفن بالسفح عن تسعين سنة، وروى شيتا من الحديث، وفاق أهل زمانه في صناعة الطب، وصنف كتباً في ذلك، وكان يرمى بقلعة الدين وترك الصلوات والخلل في العقيدة، وإنكار أمور كثيرة مما يتعلق باليوم الآخر، والله يحكم فيه وفي أمثاله بأمره العدل الذي لا يجوز ولا يظلم.

وفي شعره ما يدل على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه، واعتراضه على تحريم الخمر، وأنه قد طال رمضان عليه في تركها وغير ذلك.

■ (علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني).

الشيخ الإمام العلامة علاء الدين أبو الحسن علي ابن الإمام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، مدوس الأمانة وهو والد شيخنا الإمام العلامة كمال الدين بن أبي المعالي محمد بن علي الزملكاني وقد درس بعد أبيه المذكور بالأمانة، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء، التاسع والعشرين من ربيع الآخر، بالأمانة، ودفن بمقابر الصوفية عند والده.

الأمير الكبير بدر الدين

■ يُعَلِّق بن عبد الله الناصري، ناظر الرباط بالصالحية، عن وصية أستاذه، وهو الذي ولي الشيخ شرف الدين الفزاري مشيخة الرباط بعد ابن الشريشي جمال الدين، وقد دفن بالترية الكبيرة داخل الرباط المذكور.

الشيخ الإمام أبو حفص

■ عمر بن يحيى بن عمر الكرجي: صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح، وأحد تلاميذه، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ومات يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن إلى جانب ابن الصلاح.

الملك العادل بدر الدين

■ سلامش بن الظاهر: الذي كان قد بوع بالملك بعد أخيه الملك السعيد، وجعل الملك المنصور قلاوون أتايكه، ثم استقل قلاوون بالملك، وأرسلهم إلى الكرك ثم أعادهم إلى القاهرة ثم سفرهم الأشرف خليل في أول دولته إلى بلاد الأشكري من ناحية اصطبل، فمات سلامش هناك وبقي أخوه نجم الدين خضر وأهلوه بتلك الناحية.

وقد كان سلامش من أحسن الشباب شكلاً وأبهامهم نظراً، وقد افتتن به خلق كثير، من الناس، وشبب به الشعراء وكان عاقلاً رئيساً مهيباً وقوراً.

■ الغيف الطمساني: أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين العابدي الكوفي ثم التمساني الشاعر المتفنن المتفنن في علوم منها: النحو والأدب والفقه والأصول، وله في ذلك مصنفات، وله شرح مواقف

شعبان، فاحتل الناس لدخوله ودعوا له وأحبروه، وكان يوماً مشهوراً بسط له، كما يسط له إذا قدم من الديار المصرية، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلجوس، فهو أول من بسط له، وقد كسر أبوه التتر على حمص ولم يسط له، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البليتين، وفي غير موطن ولم يسط له، وهذه بدعة شعاع قد أحدثها هذا الوزير للملوك، وفيها إسراف وضياح مال وأشر ويطر ورياء وتكليف للناس، وأخذ أموال ووضعها في غير مواضعها، والله سبحانه سائله عنها، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم، فليتب العبد ربه ولا يحدث في الإسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سبب مقت الله له، وإعراضه عنه، فإن الدنيا لا تدوم لأحد، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم.

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيراً، وكذلك رؤوس أصحابه، فدخل بهم دمشق وهم يحملون رؤوس أصحابهم على رؤوس الرماح، وجهر السلطان طائفة من الجيش نحو جبل كسروان والجرد بسبب عماليتهم للفرنج قديماً على المسلمين، وكان مقدم العساكر بيدرا وفي صحبته ستر الأشقر، وأقر ستر المصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بليان الطباخي المصوري، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهله حلوا في الليل إلى بيدرا حلاً كثيراً فقتل في قضيبتهم، ثم انصرف بالجيش عنهم وعادوا إلى السلطان، فتقامم السلطان وترجل السلطان للأمير بيدرا وهو نائبه على مصر، ثم ابن السلجوس نبه السلطان على فعل بيدرا فلامه وعنه، فمرض من ذلك مرضاً شديداً أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات، ثم عوفي فعمل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان، وأشعل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك بقية الضمان عن أرباب الجهات السلطانية، وتصدق عنه بشيء كثير، وتزل هو عن ضمانات كثيرة كان قد حاف فيها على أربابها، وقد امتدح الشهاب عمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة أولها:

لك الراهبة الصفراء يقدمها النصر فمن كَيْفَ بَازٍ إن رَأَى وَكَيْخَسِرُو
إذا خَفَت في الأَنْفِ هَدَّت بِزُورِهَا هوى الشُّرك واستلمى الهدى والْجَلَى
وإن نَشَرْتَ مِثْلَ الْأَصَابِيلِ في وَغَى جلا النِّقع من لَأَلَاءِ طَلَعَتِهَا الْبِدْرُ
وإن يَمِثْ زُرْقُ الْعَدَى سَارَ مَحْتَهَا كاتِبَ خَضِرَ دُوحِهَا الْبَيْضُ وَالسُّرُ
كَانَ مِثَارَ النِّقَعِ لَيْلٌ وَخَفَقَهَا بِرُوقٍ وَأَنْتَ الْبِدْرُ وَالْفَلَكُ الْجَمْرُ
وَفَتَحَ أُنْسِي في إِتْرَ فَتَحَ كَأَنَّمَا سماءُ بَدَتْ تَتَرَى كَوَاكِبُهَا الزَّهَرُ
فَكَمْ قَطَمْتَ طَوْعاً وَكَرْهاً مِثْلَ قَطَمِ مَضَى الدَّعْرِ عَنْهَا وَهِيَ عَانَةُ بَكْرِ
بَنَلَتْ لَهَا عِزْماً فَلَسُوا مِهَابَةَ كَسَاها الْحَيَا جَاءَتْكَ تَسْعَى وَلَا مَهْرُ
قَصَدْتَ حَمِي مِنْ قَلْعَةِ الرُّومِ لَمْ يُبَيِّحْ لِفَيْرِكِ إِذْ غَرْتَهُمُ الْمَغْلُ فَاغْتَرُوا
وَوَالُوهُمْ سِرّاً لِيُخْفُوا أَذَاهُمْ وفي آخِرِ الْأَمْرِ اسْتَوَى السَّرُّ وَالْجَهْرُ
صَرَفْتَ إِلَيْهِمْ هِمَةً لَوْ صَرَفْتَهَا إِلَى الْبَحْرِ لَاسْتَوَى عَلَى مَدَى الْجَزْرِ
وَمَا قَلْعَةُ الرُّومِ الَّتِي حَزَتْ فَتَحَهَا وَإِنْ عَظُمْتَ إِلَّا إِلَى غَيْرِهَا جَسْرُ
طَلِبَةُ مَا يَبْتَاي مِنْ الْفَتْحِ بَعْدَهَا كَمَا لَاحَ قَبْلَ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ النُّجُورُ
نَصَبَتْهَا بِالْجَيْشِ كَالرُّوْضِ بِهَجَةٍ صَوَارِمِهِ أَنْهَارُهُ وَالْقَنَا الزَّهْرُ

وأبعدت بل كالبحر والبيض موجه وأغربت بل كالليل عوج سيوفه
وأخطأت لا بل كالنهار شموسه ليوت من الأتراك أجامها القنا
فلا الريح تمحري بينهم لاشتباها عيون إذا الحرب العوان تعرضت
ترى الموت معقوداً بهذب نباهم ففي كل سرخ غصن بان مُهْفَهِفُ
إذا صدموا شَمَّ الْجِبَالِ تَزَلْزَلَتْ ولو وردت ماء الفرات خيولهم
أَنَارُوا بِهَا سُوراً فَأَضَاعَتْ كَخَضِرٍ أَدَارُوا بِهَا سُوراً فَأَضَاعَتْ كَخَضِرٍ
وَأَرْخُوا إِلَيْهَا مِنْ مِجَارٍ أَكْفَهُمُ كَانَ الْجَانِيقُ الَّتِي قَسَمْنَ حَوْلَهَا
أَقَامَتْ صَلَاةَ الْحَرْبِ لَيْلًا صَخْرُهَا وَدَارَتْ بِهَا تِلْكَ الثُّقُوبُ فَاشْرَفَتْ
فَأَضَاعَتْ بِهَا كَالصَّبِّ يَخْفَى غِرَامَهُ وَدَارَتْ بِهَا تِلْكَ الثُّقُوبُ فَاشْرَفَتْ
وَشَبَّتْ بِهَا النِّبْرَانِ حَتَّى تَمُزَّقَتْ فَلَاذُوا بِذَيْلِ الْعَصَى مِنْكَ فَلَمْ يَحْبُ
وَمَا كَرِهَ الْمَغْلُ اسْتِغْنَاكَ عَنْهُمْ فَاحْرَزْتَهَا بِالسَّيْفِ قَصْراً وَهَكُنَا
وَأَضَاعَتْ بِمَحْمَدٍ اللَّهُ تَسْراً مَتَمّاً فَاخْرَزْتَهَا بِالسَّيْفِ قَصْراً وَهَكُنَا
فِيَا أَشْرَفَ الْأَمْثَلِكِ قَزَتْ بِغَزْوَةٍ لِهَيْتِكَ عِنْدَ الْمُصْطَفَى أَنْ دِينَهُ
وَيَشْرَاكَ أَرْضَيْتَ الْمَسِيحَ وَاحِداً فَاخْرَزْتَهَا بِالسَّيْفِ قَصْراً وَهَكُنَا
فَرَّ حَيْثُ مَا تَحْتَارُ فَالْأَرْضُ كُلُّهَا فَرَّ حَيْثُ مَا تَحْتَارُ فَالْأَرْضُ كُلُّهَا
وَدَمَ وَابِقٌ لِلدُّنْيَا لِيَحْيِيَ بِكَ الْهَدَى وَدَمَ وَابِقٌ لِلدُّنْيَا لِيَحْيِيَ بِكَ الْهَدَى
حَذَفَتْ مِنْهَا أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ.

وفيها تولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروئي الواسطي، بعد وفاة زين الدين بن المرحل، وخطب واستسقى بالناس فلم يسقوا، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم، فلم يسقوا ثم ابتهل الناس من غير دعائه واستغاثته فسقوا.
ثم عزل الفاروئي بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبي المعالي محمد بن محمد بن محمد بن عبد المتعم بن حسن المهراني الحموي، كان خطيب حماة ثم انتقل إلى دمشق في هذه السنة، فقام وخطب وتأم الفاروئي لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه، فإذا هو قد شعر بذلك واعتزل بأنه إنما عزله لضعفه، فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مائة ركعة بمائة «قل هو الله أحد»، فلم يقبلوا ذلك منه واستمروا بالحموي. وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروئي، وأصاب السلطان في عزله.

وفي هذا اليوم قبض السلطان على الأمير ستر الأشقر وغيره فهرب

كل ما يكتبه، فقال: هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم، وأبصروا لكم غيري يكون معكم بهذه النابة، فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه منه وإزادات عنده منزلته.

توفي يوم السبت نصف رمضان، وأخرجت في تركته قصيدة قد رثا بها تاج الدين بن الأثير وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فعوفي فبقيت بعده، وتولى ابن الأثير عنده ورثاه تاج الدين كما رثاه وتوفي ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام.

■ **يونس بن علي بن رضوان بن بوقش:** الأمير عماد الدين، كان أحد الأمراء المطلقة في الدولة الناصرية، ثم حمل وبطل الخنية بالكلية في الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة، وكان الظاهر يكرمه، توفي في شوال ودفن عند والده بقرية الخزيين رحمه الله.

جلال الدين الحيازي:

■ **عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخجندي** أحد مشايخ الخفية الكبار، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة، واشتغل ودرس بخوارزم، وأعاد ببغداد، ثم قدم دمشق فدرس بالعزبة والخاتونية البرانية، وكان فاضلاً بارعاً مصنفاً في فنون كثيرة، توفي لخمس بقين من ذي الحجة منها، وله ثنتان وستون سنة، ودفن بالصوفية.

الملك المظفر:

■ **قرا أرسلان الأرتقي،** صاحب ماردين، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة

في تاريخ ظهر الدين الكازروني ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفحتها إلا أن هذه النار كان يعلو فيها كثيراً، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف، واستمرت ثلاثة أيام.

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي.

وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بلدر الدين بيدرا، وبالشام عز الدين أيبك الحموي.

وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها، والوزير شمس الدين بن السلجوس.

وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر، وجهر الجيوش ونهياً لغزو بلاد سبسي، وقدم في غبون ذلك رسل صاحب بلاد سبسي يطلبون الصلح، فشفع الأمراء فيهم فسلموا بهسنا وتل حمود ومرعش، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها، وهي في قم الدريند.

ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين، فأضافه الأمير مهنا بن عيسى، فلما انتقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين، وكان عنده، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى، وولى مكانه محمد بن علي بن حنيفة، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية صجة نائبه بيدرا، ووزيره ابن السلجوس، وتأخر هو في خاصيته ثم لحقهم.

وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرزازي الحضي بالتشريك

هو والأمير حسام الدين لاجين السلحدار، فنادت عليه المنادية بدمشق من أحضره فله ألف دينار، ومن أخضاه شتى، وركب السلطان وعاليكه في طلبه، وصلى الخطيب بالناس في الميدان الأخضر، وعلى الناس كآبة بسبب تفرق الكلمة، واضطراب الجيش، واختلط الناس، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سقر الأشقر فردوه على السلطان فأرسله مقيداً إلى مصر.

وفي هذا اليوم ولى السلطان تيابة دمشق عز الدين أيبك الحموي، عوضاً عن الشجاعى، وقدم الشجاعى من الروم في هذا اليوم الثاني من عزله فلقاه الفاروقى فقال: قد عزلنا من الخطابة، فقال ونحن من النيابة، فقال الفاروقى: «عَسَى رَيْكُم أَنْ يُهْلِكَ عُلُوكُمُ وَيَسْتَحْلِفَكُمُ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» [الأمراء: ٢١٢٩].

فلما بلغ ابن السلجوس تغضب عليه وكان قد عين له القيصرية فترك ذلك.

وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها في أبهة الملك، وفي يوم دخوله أقطع قرا سقر مائة فارس بمصر عوضاً عن تيابة حلب.

وفي هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشرفى قيسارية القطن المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال، بمرسوم من السلطان، وكان حظاً عنده، ونقل سوق الحريين تلك المدة إليها، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدوفاري بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة، وأقطعه مائة فارس، وولاه مشد الدواوين مكرها.

وفي ذي القعدة استحضر السلطان سقر الأشقر وطقصوا فعاتبها فاعتزفا بأنهما أراحا قتله، فسالهما عن لاجين فقالا: لم يكن معنا ولا علم له بهذا، فخنقهما وأطلقه بعد ما جعل الوتر في حلقه، وكان قد بقي له مدة لا بد أن يلقها، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي ذي الحجة عقد الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضي القضاة شهاب الدين ابن الخوي بالبرازيلية، وكان حافلاً.

وفيها دخل الأمير سقر الأعرس على بنت الوزير شمس الدين بن السلجوس على صداق ألف دينار، وعجل لها خمسمائة.

وفيها قفز جماعة من الترنحوا من ثلاثمائة إلى الديار المصرية فأكرموا.

ومن توفي فيها من الأعيان

الخطيب زين الدين أبو حفص

■ **عمر بن مكى بن عبد الصمد الشافعي** المعروف بابن المرحل، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل، سمع الحديث ويرى في الفقه وفي علوم شتى، منها علم الهيئة وله فيه مصنف، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول، وصلى عليه من الغد بياب الخطابة.

الشيخ

■ **عز الدين الفاروقى:** ولي الخطابة قليلاً ثم عزل ثم مات ودفن بياب الصغير عفا الله عنا وعنه.

الصاحب فتح الدين أبو عبد الله

■ **محمد بن محي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر:** كاتب الأسرار في الدولة المنصورية بعد ابن لقمان وكان ماهراً في هذه الصناعة، وحظي عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف، وقد طلب منه ابن السلجوس أن يقرأ عليه

شريكوه صاحب حصص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المعظم، توفي بستانه عن ثمانين سنة، وصلي عليه بالجامع المظفري، ودفن بترته بالسفح، وكان ديناً كثير الصلاة في الجامع، وله إجازة من المؤيد الطوسي وزينب الشعرية وأبي روح وغيرهم. توفي في جمادى الآخرة.

الشيخ تقي الدين الواسطي: أبو إسحاق

■ إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين، شيخ الحديث بالظاهرة بدمشق، توفي يوم الجمعة آخر النهار رابع عشرين جمادى الآخرة عن تسعين سنة، وكان رجلاً صالحاً عابداً، تفرد بعلوم الرواية، ولم يخلف بعده مثله، وقد تفقه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالصاحبة مدة عشرين سنة، وبمدرسة أبي عمر، وولى في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرة بعد سفر الفاروق.

وكان داعية إلى مذهب السلف والصدر الأول، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله، وقد درس بعده بالصاحبة الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القوي المرادي، وبنار الحديث الظاهرة شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناسح.

ابن صاحب حمزة الملك

■ الأفضل: نور الدين علي ابن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، توفي بدمشق وصلي عليه بمجامعها، وخرج به من باب الفرائيس عمولاً إلى مدينة أيبه وترتبهم بها، وهو والد الأميرين الكبيرين بندر الدين حسن وعماد الدين إسماعيل الذي تملك حماة بعد جده.

■ ابن عبد الظاهر: محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه، وسبق سائر أقرانه، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده.

وقد كانت له مصنفات منها سيرة الملك الظاهر، وكان ذا مروءة، وله النظم الفائق والشر الرائع.

توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد تجاوز السبعين، ودفن بترته التي أنشأها بالقرافة.

الأمير علم الدين

■ سنجر الحلبي: الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جامته بيعه الظاهر دعا لنفسه فبوع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوضر وهرب إلى بعلبك فحوضر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف، واحترمه وأكرمه، بلغ الثمانين سنة، وتوفي في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة

في أولها كان مقتل الأشرف، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث الحرم، فلما كان بأرض يروجة بالقرب من الإسكندرية ثلثي عشر الحرم، حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفراد عن جمهور الجيش، فأول من ضربه نائبه بيلدا، وتم عليه لاجين المنصور، ثم اختفى إلى رمضان، ثم ظهر يوم العيد، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بندر

بين العلويين والجمعيين في الديباجة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشرين الحرم، بدار العدل، ولم يوافق ابن الخوي ولا غيره، وحكم للأعتاكين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار.

ولمّا رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوك فهدمت، وكانت من أحصن القلاع وأمنها وأثمنها، وإنما خربها عن رأي عتبة العقبي، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين، لأنها كانت شجى في حلق الأعراب الذين هناك.

ولمّا أرسل السلطان الأمير علم الدين الدواداري إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة جداً، فلم يفتن خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق.

وفي عاشر جمادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرة البرانية. وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة يوم الاثنين طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور، وعمل مهم عظيم ولعب الأشرف بالقبض وتمت لهم فرحة هائلة، وكانت كالوداع لسلطته من الدنيا.

وفي أول الحرم درس الشيخ شمس الدين بن غانم بالمصرية.

وفي مستهل صفر درس الشيخ كمال الدين بن الزمكاني بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكى بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة، ودخل الركب الشامي في خامس صفر.

وكان من حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وكان أميرهم الباسطي ونالهم في معان ريع شديدة جداً مات بسببها جماعة، وحملت الريح جمالا عن أماكنها، وطارت العمائم عن الرؤوس، واشتغل كل أحد بنفسه.

وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أفسد شيئاً كثيراً من المغلات بحيث بيع القمح كل عشر أواق بدينهم، ومات شيء كثير من الدواب. وفيه زلزلت ناحية الكرك وسقط من قلعتها أماكن كثيرة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ الأرموي: الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف بن يونس بن إبراهيم بن سلمان بن البكو الأرموي، المقيم بزوايته بسفح قاسيون، كان فيه عبادة وانقطاع وله أوراد وأذكار، وكان عيباً إلى الناس، توفي بالحرم ودفن عند والده بالسفح.

■ ابن الأعمى صاحب القامة: كمال الدين علي بن الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى، ولد سنة عشر وستمائة، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً، له قصائد يمتدح بها رسول الله ﷺ سماها الشفعية، عدد كل قصيدة اثنا عشر وعشرون بيتاً.

قال البرزالي: سمعته وله القامة البحرية المشهورة، توفي في الحرم ودفن بالصورية.

الملك

■ الزاهر مجير الدين: أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين

الدين يسري وشمس الدين قراستقر المنصورى.

فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تمليك يلدرا، وسموه الملك القاهر أو الأوحى، فلم يتم له ذلك، فقتل في اليوم الثاني بأمر كتبنا، ثم اتفق زين الدين كتبنا، وعلم الدين سنجر الشجاعى على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم، وكان الوزير ابن السلجوس بالإسكندرية، وكان قد خرج في صحبة السلطان وتقدم هو إلى الإسكندرية فلم يشعر إلا وقد أحاط به البلاء، وجاءه العذاب من كل ناحية، وذلك أنه كان يعامل الأمراء الكبار معاملة الصغار، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعى فغضب غضباً عظيماً، وقرر على الأموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته في عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله كلها.

وأحضر جسد الأشرف فدفن بربته، وتأم الناس لفقده وأعظموا قتله، وقد كان شهماً شجاعاً عالي الهمة حسن المنظر، كان قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار، واستعد لذلك ونادى به في بلاده، وقد فتح في مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل، ولم يترك للفرنج فيها معلماً ولا حجراً، وفتح قلعة الروم وبهنا وغيرها.

فلما جاءتبيعة الملك الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر، واستقر الحال على ذلك، وجعل الأمير كتبنا أتاكبه، والشجاعى مشاوراً كبيراً، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل، وحمل رأسه إلى كتبنا فأمر أن يطاق به في البلد، ففرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا، ولم يبق لكتبنا منازع، ومع هذا كان يشاور كبار الأمراء تطبيقاً لقلوبهم.

وفي صفر بعد موت ابن السلجوس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين ابن بنت الأعز واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر في كفاية ورياسة.

وتولى الوزارة بمصر الصاحب تاج الدين بن الحنا.

وفي ظهر يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صفر رتب إمام بمحارب الصحابة، وهو كمال الدين عبد الرحمن ابن القاضي محيي الدين بن الزكي، وصلى بعدئذ بعد الخطيب، ورتب بالمكتب الذي بباب الناطفانيين إمام أيضاً، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الإسكندري، وبأشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عنان، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه، وأخلوا قيسارية القطن الذي كان نواب طنجسي ألزموهم بسكانها، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي، بعد عزل موفق الدين الحموري دعوه إلى حماة فخطب المقدسي يوم الجمعة نصف رجب، وقرئ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر، وكان قصيحا بليغا عالماً بارعا. وفي أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كتبنا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون، وسارت البيعة بذلك في سائر المدن الماقل.

واقعة عساف النصراني

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حجي أمير آك علي، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلوا على الأمير عز الدين أبيك الحموري نائب السلطنة فكلماه في أمره

فاجابهما إلى ذلك، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس، فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه، فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم - يعني النصراني - فرجعهما الناس بالحجارة، وأصابا عسافا ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فغضبهما بين يديه، ورسوم عليهما في العنراوية وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة، فحقق دمه، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريبا من مدينة رسول الله ﷺ قتل ابن أخيه هنالك، وصف الشيخ تقي الدين بن تيمية في هذه الواقعة كتابه الصارم السلول على ساب الرسول.

وفي شعبان منها ركب الملك الناصر في أبهة الملك وشق القاهرة، وكان يوما مشهوداً، وكان هذا أول ركوبه، ودقت الباشائر بالشماء وجاء المرسوم من جهته، فقرأ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطي الظلم، وإبطال ضمان الأوقاف والأموال إلا برضى أصحابها.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان درس بالمرسورية القاضي جمال الدين القزويني، أخو إمام الدين، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين بن الحوي، والشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان دوسا حافلا.

قال البرزالي: وفي شعبان اشتهر أن في النغطة بمجرين تبتا عظيما ابتلع رأسا من المزر كبيراً صحيحاً.

وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين، وكان غنظيا منذ قتل الأشرف فاعتزله عند السلطان قبله وخلع عليه وأكرمه، ولم يكن قتله باختياره.

وفي شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر، وانحاز إلى التتر.

وفي يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة درس بالغزالية الخطيب شرف الدين المقدسي عروضا عن قاضي القضاة شهاب الدين بن الحوي، لما توفي وترك الشامية البرانية، وقدم على قضاء الشام القاضي بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجة، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكما له لتلقيه، وامتدحه الشعراء، واستتاب ناج الدين الجعبري نائب الخطابة وبأشر تدرس الشامية البرانية، عروضا عن شرف الدين المقدسي، الشيخ زين الدين الفارقي، وانتزعت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة.

وبالعادلية في العشرين من ذي الحجة، وفي هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى الفلاة بأمر واليها جمال الدين أقباي، وشدد على الناس والبرابرين بذلك.

ومن توفي فيها من الاعيان

الملك الأشرف

■ خليل بن قلاوون المنصور.

و ■ يلدرا.

و ■ الشجاعى.

و ■ شمس الدين بن السلجوس.

الشيخ الإمام العلامة: تاج الدين

■ موسى بن محمد بن مسعود المراغي، المعروف بابي الجواب الشافعي،

وزير الملك الأشرف، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقربة، في عاشر صفر من هذه السنة، ودفن بالقراة، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك.

وكان ابتداء أمره تاجراً، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين توبة، ثم كان يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولاه الوزارة، وكان يتعامل على أكابر الأمراء، ويسميهم بأسمائهم، ولا يقوم لهم، فلما قتل استأذنه الأشرف تسلموه بالضرب والإهانة وأخذ الأموال، حتى أعدموه حياتهم، وصبروه وأسكنوه الثرى، بعد أن كان عند نفسه قد بلغ الثرى، ولكن حفا على الله أنه ما رفع شيئاً إلا وضعه.

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله. وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وأشهرها، ومدير الممالك وأتابك العساكر الأمير زين الدين كتبغا، ونائب الشام الأمير عز الدين أيبك الحموي، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي، وشأ الدواوين شمس الدين الأعسر، وقاضي الشافعية ابن جماعة، والخفية حسام الدين الرازي، والمالكية جمال الدين الزواوي، والحنابلة شرف الدين حسن، والمختبب شهاب الدين الحنفي، وتقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، ووكيل بيت المال وناظر الجوامع تاج الدين الشيرازي، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي.

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من مالكي الأشرف وغرقوا حرمة السلطان وأرادوا الخروج عليه، وجاؤا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه، ثم احتيط عليهم، فممن من صلب ومنهم من شق، وقطع أيدي آخرين منهم والستهم، وجرت خبطة عظيمة جداً، وكانوا قريباً من ثلاثمائة أو يزيدون.

ذكر سلطنة الملك العادل كتبغا

وأصبح الأمير كتبغا في اليوم الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور، وألزمه بيت أهله، وأن لا يخرج منه، وبايعه الأمراء على ذلك، وهنؤوه ومد سباطاً حافلاً، وسارت البريدية بذلك إلى الأقاليم، فبوع له وخطب له مستقلاً وضربت السكة باسمه، وتم الأمر وزينت البلاد، ودقت البشائر، ولقب بالملك العادل، وكان عمره إذ ذاك نحواً من خمسين سنة، فإنه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين جالوت، وكان من التُوريانية، وهم طائفة من التتر، واستتاب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصور، وكان بين يديه مدير المالكي.

وقد ذكر ابن الجزري في تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو قان قد سال منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذي يملك الديار المصرية، فضرب وحسب وقال له: أجده رجلاً يملكها اسمه كتبغا فظنه كتبغا نون، وهو صهر هولاكو، فقدمه على العساكر فلم يكن هو، فقتل في عين جالوت كما ذكرنا، وأن الذي ملك مصر هذا الرجل وهو من خيل الأمراء وأجودهم سيرة ومعلقة، وقصدا في نصرة الإسلام.

درس بالإقبالية وغيرها وكان من فضلاء الشافعية، له يد في الفقه والأصول والنحو وفهم جيد، توفي فجأة يوم السبت، ودفن بمقابر باب الصغير، وقد جاوز السبعين.

الحاتون

■ مؤسدة بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب: وتعرف بدار القطبية، وبدار إقبال، ولدت سنة ثلاث وستمئة، وروت بالإجازة عن عفيفة الفاروقية، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة، ودفنت بباب زويلة.

الساحب الوزير فخر الدين: أبو إسحاق

■ إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني المصري رأس المؤمنين، وأستاذ الوزراء المشهورين، ولد سنة ثنتي عشرة وستمئة، وروى الحديث، وتوفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة.

الملك الحافظ غياث الدين محمد: الملك

■ السعيد معين الدين ابن الملك الأجد بهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب، وكان فاضلاً بارعاً، سمع الحديث وروى البخاري، وكان يحب العلماء والفقهاء، توفي يوم الجمعة سادس شعبان، ودفن عند جده لأمه ابن المقدم، ظاهر باب الفرائيس.

قاضي القضاة شهاب الدين

■ ابن الخوي: أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى بن محمد الشافعي، أصلهم من خوي.

اشتغل وحصل علوماً كثيرة، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً، وله نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغير ذلك، وقد سمع الحديث الكثير، وكان عباً له ولأهله، وقد درس وهو صغير بالدماقية، ثم ولي قضاء القدس، ثم المحلة، ثم بهتاء، ثم لي قضاء حلب، ثم عاد إلى المحلة، ثم ولي قضاء القاهرة، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والغزالية وغيرهما.

وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام، عفيفاً نزهاً بارعاً عباً للحديث وعلمه وعلمائه، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزي أربعين حديثاً متبينة الإسناد، وخرج له تقي الدين بن عتبة الإسعري مشيخة على حروف المعجم، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيخاً.

قال البرزالي: وله نحو ثلاثمائة شيخ لم يذكروا في المعجم.

توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان، عن سبع وستين سنة، وصلي عليه ودفن من يومه بترية والده بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

الأمير

■ علاء الدين الأعمى: ناظر القدس وباني كثيراً من معالمه اليوم، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيدكين بن عبد الله الصالحي النجمي، كان من أكابر الأمراء، فلما أضر أقام بالقلاوس الشريف وولى نظره فمصره ونمّره وكان مهياً لا تخالف مراسيمه، وهو الذي بنى القاهرة قريباً من مسجد النبي ﷺ فانتفع الناس بها في الرضوء وغيره، ووجد بها الناس تيسيراً، وابتنى بالقلاوس ربطاً كثيرة، وأثأراً حسنة، وكان يباشر الأمور بنفسه، وله حرمة وافرة، توفي في شوال منها.

الوزير شمس الدين

■ محمد بن عثمان بن أبي الرجال التنوخي المعروف بابن السلوس،

السبح والمياكل مع التار والحمد لله وحده.

وفيها توفي من الأعيان

الشيخ

■ أبو الرجال المنيني: الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مري من بخت المنيني، كانت له أحوال ومكاشفات، وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده، وكان يريثا من هذه السماعات الشيطانية، وكان تلميذ الشيخ جندل، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً.

وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة، وتوفي بمنين في منزله في عاشر الحرم، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فممنهم من أدركها ومن الناس من لم يدرك فصلى على القبر ودفن بزاوية رحمه الله تعالى.

وفيها في أواخر ربيع الأول جاء الخبر بأن عصف بن أحمد بن حجي الذي كان قد أجاز ذلك النصراني الذي سب الرسول عليه السلام قتل ففرح الناس بذلك.

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع: بقية السلف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد

■ ابن الحرساني ابن قاضي القضاة، وخطيب الخطباء، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد.

سمع الحديث وناب عن أبيه في الإمامة وتدرّس الغزالية، ثم ترك المناصب والدنيا، وأقبل على العبادة، وكان للناس فيه اعتقاد حسن صالح، يقولون يده وسألوته الدعاء، وقد جاوز الثمانين، ودفن بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر.

الشيخ

■ محب الدين الطبري المكي الشافعي: سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة، من ذلك كتاب الأحكام في مجلدات كثيرة مفيدة، وله كتاب على ترتيب جامع المسائد أسمعه لصاحب اليمن.

وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وست مئة، ودفن بمكة، وله شعر جيد فمته قصيدته في المنازل التي بين مكة والمدينة تزيد على ثلاثمائة بيت، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الديماطي في معجمه.

الملك

■ المظفر صاحب اليمن يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول: أقام في مملكة اليمن بعد أبيه سبعا وأربعين سنة، وعمر ثمانين سنة، وكان أبوه قد ولي أزيد من مئة عشرين سنة بعد الملك أقيس بن الكامل محمد.

وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقيس، فلما مات أقيس وثب على الملك فتم له الأمر وتسمى بالملك المنصور، واستمر أزيد من عشرين سنة، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة، ثم قام من بعده في الملك ولده الملك الأشرف محمد الدين فلم يمكث سنة حتى مات، ثم قام أخوه المؤيد هزير الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مدة، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة، وقد جاوز الثمانين، وكان يحب الحديث وسماعه، وقد جمع لنفسه أربعين حديثا.

وفي يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول ركب كتبنا في إبهة الملك، وشق القاهرة ودعا له الناس وعزل صاحب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة وولى فخر الدين بن الخليلي، واستبقى الناس بدمشق عند مسجد القدم، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسي، وكان مريضاً فعزل نفسه عن القضاء، وخطب الناس بعد ذلك، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، فلم يسقوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور، وخطب بهم الشيخ شرف الدين المقدسي الخطيب وكان الجمع أكثر من أول، فلم يسقوا.

وفي رجب حكم جمال الدين بن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة.

وفيه درس بالمعظمية القاضي شمس الدين بن العز، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق.

وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحده بن الملك الناصر داود بن المعظم.

وفي رمضان رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الإمام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث عراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعا في وقت واحد، فحصل تشويش بسبب ذلك، فاستقرت القاعلة على أن يصلوا قبل الإمام الكبير، في وقت صلاة مشهد علي بالصحن عند عرابهم في الرواق الثالث الغربي.

قلت: وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعمائة كما سيأتي.

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن صصري من الديار المصرية على قضاء العساكر بالشام.

وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال صلى القاضي بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماما وخطيبا عوضا عن الخطيب المدرس شرف الدين المقدسي، ثم خطب من الغد وشكرت خطبته وقراءته، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره.

وفي أواخر شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدرّس الغزالية لابن صصري عوضا عن الخطيب المقدسي وتوقيع بتدرّس الأمانة لإمام الدين القزويني عوضا عن نجم الدين بن صصري، ورسم لأخيه جلال الدين بتدرّس الظاهرية البرانية عوضا عنه.

وفي شوال كملت عمارة الحمام الذي أنشأه عز الدين الحموي بمسجد القصب، وهو من أحسن الحمامات، ويأشر مشيخة دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن المطار عوضا عن شرف الدين المقدسي.

وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك العادل كتبنا، وتصدقوا بصداقات كثيرة في الحرمين وغيرهما.

ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل النعمة خيلا ولا بغالا، ومن رأى من المسلمين أحدا من أهل النعمة قد خالف ذلك فله سلبه.

وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بديار مصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفا.

وفيها ملك التار، قازان بن أرغون بن أبغا بن تولي بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الإسلام على يد الأمير نوروز رحمه الله، ودخلت التار أو أكثرهم في الإسلام ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد، وظهرت

وكان قد درس بالنجبية ودار الحديث الظاهرية، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه، فمات بكرة يوم الأربعاء مستهل ذي الحجة، وكان يوم موته يوماً مشهوراً بواسط، وصلي عليه بدمشق وغيرها رحم الله، وكان قد لبس خرقة التصوف من السهروردي، وقرأ القراءات العشرة وخلف الذي مجلد وماتني مجلد، وحدث بالكثير.

وسمع منه البزالي كثيراً صحيح البخاري وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند عبد بن حيد، ومعجم الطبراني الصغير، ومسند الدارمي وفضائل القرآن لأبي عبيد، وثماني جزءاً وغير ذلك. الجمال المحقق

■ أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي، ورحل فيه وأفتى وأعاد، وكان فاضلاً في الطب، وقد ولي مشيخة الدخاوية لتقدمه في صناعة الطب على غيره، وعاد المرضي بالمرستان الثوري على قاعدة الأطباء، وكان مدرسا للشافعية بالفرخاشية، ومعيذا بعدة مدارس، وكان جيد الذهن مشاركاً في فنون كثيرة ساعه الله.

■ الست خاتون بنت الملك الأشرف: موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل، وهي التي أثبت سفهها زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها خَزْماً وأخذت الزنبية من زين الدين السامري.

الصدر جمال الدين

■ يوسف بن علي بن مهاجر التكريتي: أخو الصاحب تقي الدين توبة، ولي حبة دمشق في وقت، ودفن بقرية أخيه بالسفح، وكانت جنازته حافلة، وكان له عقل وافر، وثروة ومروءة، وخلف ثلاث بنين: شمس الدين محمد، وعلاء الدين علي، وبدر الدين حسن.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي. وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كيتفا، وثانيه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحدر المنصور، ووزيره فخر الدين بن الخليلي. وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام عز الدين الحموي، ووزيره تقي الدين توبة. وشاد الدواوين الأعسر، وخطيب البلد وقاضيا ابن جماعة. وفي المحرم ولي نظر الأيتام نجم الدين بن هلال، عوضاً عن شرف الدين بن الشرجي.

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بليار مصر شديداً جداً، وقد ثفاني الناس إلا القليل، وكانوا يحضرون الحفيرة فيدفعون فيها الفئام من الناس، والأسعار في غاية الغلاء، والأقوات في غاية القلة والغلاء، والموت عَمَل، فمات بها في شهر صفر مائة ألف وغو من ثلاثين ألفاً.

وروق غلاء بالشام، فبلغت الفرارة إلى مائتين، وقدمت طائفة من التتر الثيرانية لما بلغهم سلطة كيتفا إلى الشام لأنه منهم، فتلقاهم الجيش بالرحب والسمة، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسقر المنصور.

وجاء الخبر باشتداد الغلاء والفناء بمصر، حتى قيل إنه بيع القروج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهماً، وبالقاهرة بتسعة عشر، والبيض كل ثلاثة بدرهم، وأفتيت الحمر والحيل واليغال والكلاب من أكل الناس لها، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه.

■ شرف الدين المقدسي: الشيخ الإمام الخطيب المدرس المصفي، شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي.

ولد سنة ثنتين وعشرين وستمائة، وسمع الكثير وكتب حسناً وصنف فأجاد وأفاد، وولي القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق، وكان مدرس الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة.

ودرس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية، وكان يفخر بذلك ويفرح به ويقول: أنا أئنت لابن تيمية بالإفتاء.

وكان يقن فنونا كثيرة من العلوم، وله شعر حسن، وصنف كتاباً في أصول الفقه جمع فيه شيئاً كثيراً، وهو عندي بخط الحسن، توفي يوم الأحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه، وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الغزاري خطيب جامع جراح ثم جاء المرسوم لابن جماعة بالخطابة.

ومن شعر الخطيب شرف الدين بن نعمة المقدسي:

احجج إلى الزهر لتسمى به وارم جمار الهم مستفرا
من لم يطف بالزهر في وقته من قبل أن يجلت قد قصرا

واقف الجهورية الصدر نجم الدين أبو بكر

■ محمد بن عياش بن أبي المكارم العمري الجوهري، واقف الجهورية على الخنفة بدمشق توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين، وكانت له خدم على الملوك، فمن دونهم.

الشيخ الإمام العالم المقي الخطيب الطيب، مجد الدين أبو محمد

■ عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحون الترخي الحنفي: خطيب النيرب ومدرس الدماغة للحنفية، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً، توفي بالنيرب وصلي عليه بجامع الصالحية، وكان فاضلاً وله شعر حسن، وروى شيئاً من الحديث، توفي ليلة السبت خامس ذي القعدة عن خمس وسبعين سنة.

■ الفاروقي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محي الدين إبراهيم بن عمر بن الفرج بن سايور بن علي بن غنيمه الفاروقي الواسطي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث ورحل فيه، وكانت له فيه يد جيدة، وفي التفسير والفقه والوعظ والبلاغة. وكان ديناً ورعاً زاهداً، قدم إلى دمشق في دولة الظاهر فأعطى تدريس الجاروخية وإمام مسجد ابن هشام، ورتب له فيه شيء على المصالح، وكان فيه إيثار وله أحوال صالحة، ومكاشفات كثيرة.

تقدم يوماً في حراب مسجد ابن هشام ليصلي بالناس فقال - قبل أن يكبر للإحرام والتفت عن يمينه - فقال: أخرج فاغسل، فلم يخرج أحد، ثم كرر ذلك ثانية وثالثة، فلم يخرج أحد، فقال: يا عثمان أخرج فاغسل فخرج رجل من الصف فاغسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذر إليه، وكان الرجل صالحاً في نفسه، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل، فلما قال الشيخ ما قال: اعتقد أنه يخاطب غيره، فلما عينه باسمه علم أنه المراد.

ثم قدم الفاروقي مرة أخرى في أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب بجامع دمشق مدة شهر، ثم عزل بموفق الدين بن الحموي، وتقدم ذكر ذلك.

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولي قضاء القضاة بمصر الشيخ الإمام العلامة تقي الدين بن دقيق العيد، عوضاً عن تقي الدين ابن بنت الأعر، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة ولله الحمد.

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقلمية، عوضاً عن صدر الدين بن رزين الذي توفي.

قال البرزالي: وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام، مؤذن المسجد الحرام، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة، وكان قد روى شيئاً من الحديث.

وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الأشكري إلى دمشق في أواخر رمضان، فبعت إليها نائب البلد بالهدايا والتحف، ورتبت لها الرواتب والإقامات، وكان قد تفاهم خليل بن المنصور لما ولي السلطنة.

قال ابن الجزري: وفي رجب درس كمال الدين بن القلانسي بالظاهرة البرانية عوضاً عن جلال الدين القزويني.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الحارثي بالمدرسة الحنبلية، عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجي توفي إلى رحمة الله، ونزل ابن تيمية عن حلقة العماد بن التجنا لشمس الدين بن الفخر الجلبكي.

وفي آخر شوال ناب القاضي جمال الدين الزرعي الذي كان حاكماً بزرع، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرمي عن ابن جماعة بدمشق، فشكرت سيرته.

وفيها خرج السلطان كتباً من مصر قاصدا الشام في أواخر شوال، ولما جاء البريد بذلك ضربت البشائر بالقلعة، ونزلوا بالقلعة السلطان ونائبه لاجين، ووزيره ابن الخليلي.

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي عوضاً عن شرف الدين مات رحمه الله تعالى وخلع عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات الكبار وأكابر الأمراء.

وولي نعم الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال، عوضاً عن ابن الشيرازي، وخلع عليه مع الجماعة، ورسم على الأعسر وجماعة من أصعابه، وخلق من الكنية والولاة، وصودروا بمال كثير، واحتيط على أموالهم وحواصلهم، وعلى ابن السلغوس وابن عدنان وخلق.

وجرت خبطة عظيمة، وقدم ابنا الشيخ علي الحريري حسن وشيخ من بسر لزارة السلطان فصل لهما منه رفق وإسعاف وعادا إلى بلدهما، وضيف القلندرية السلطان بسفح جبل الزرة، فأعطاهم نحواً من عشرة آلاف، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان، ولعب معه الكرة بالميلان، واشتكت الأشراف من تقيهم زين الدين بن عدنان، فرفع الصاحب يده عنهم، وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي.

فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتباً بمقصورة الخطابة، وعن يمينه صاحب حماة، وتحت يده الدين أمير سلاح، وعن يساره أولاد الحريري حسن وأخوانه، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي، وتحت يده الدين بيسري، وتحتهم قراستقر، وإلى جانبه الحاج بهادر، وخلعهم أمراء كبار، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية.

ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان، وزار السلطان المصحف

العثماني، ثم أصبح يوم السبت فلبس الكرة بالميدان على العادة. وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام، وعاتبه السلطان عتاباً كثيراً على أشياء صدرت منه، ثم عفا عنه، وأمره بالمسير معه إلى مصر، واستتاب بالشام الأمير سيف الدين غرلو العادلي، وخلع على المولى وعلى الموزل أيضاً، وحضر السلطان دار العدل، وحضر عنده الوزير والقضاة والأمراء، وكان عادلاً كما سمي وفيه تولى الوزارة شهاب الدين الحفني عوضاً عن تقي ابن البيح التكريتي، وولى تقي الدين بن شهاب الدين الحسبة عوضاً عن أبيه وخلع عليهما. ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذي الحجة واجتاز على جوسية، ثم أقام بالبرية أياماً، ثم عاد فزل محص، وجاء إليه نواب البلاد، وجلس الأمير غرلو نائب دمشق بدار العدل فحكم وعدل، وكان محمود السيرة، سيد الحكيم، رحمه الله تعالى.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ زين الدين

■ ابن شُجَا: الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين، الصدر الكامل، زين الدين أبو البركات بن شُجَا بن الصدر عز الدين أبي عمرو عثمان بن أسعد بن النجاشي بن يركات بن المؤمل التوخي، شيخ الحنابلة وعالمهم، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث وتفقه، فبرع في فنون من العلم كثيرة، من الأصول والفروع، والعربية، والتفسير وغير ذلك، وانتهت إليه رياسة المذهب، وصنف في الأصول، وشرح المقنع، وله تعليقات في التفسير.

وكان قد جمع له بين حسن السمعة، والديانة والعلم، والوجاهة، وصحة الذهن والعقيدة، والمناظرة، وكثرة الصدقة، ولم يزل يواظب الجامع للاشتغال متبرعاً، حتى توفي في يوم الخميس رابع شعبان، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البهاء، بنت صدر الدين الحنجلندي، وصلى عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق، وحملهما جميعاً إلى سفح قاسيون، شمالي الجامع المظفري تحت الروضة، فدفنا في تربة واحدة، رحمهما الله تعالى، وهو والد قاضي القضاة علاء الدين، وكان شيخ المسماة، ثم وليها بعده ولده شرف الدين وعلاء الدين، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بعده الشيخ تقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث.

■ المسعودي صاحب الحمام بالزرة: أحد كبار الأمراء، الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي، أحد الأمراء المشهورين بخدمة الملوك، توفي ببستانه بالزرة يوم السبت سابع عشرين من شعبان، ودفن صبح يوم الأحد بترته بالزرة، وحضر نائب السلطنة جنازته، وعمل عزاءه تحت السر بجامع دمشق رحمه الله تعالى.

الشيخ الخالدي: الشيخ الصالح

■ إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي، له زاوية خارج باب السلامة، كان يقصد فيها للزيارة، وكان مشتغلاً على عبادة وزهاده، وكان لا يقوم لأحد من الناس، ولو كان من كان، وعنده سكون وخشوع، ومعرفة بالطريق، وكان لا يخرج من منزله إلا للجمعة، حتى كانت وفاته في النصف من رمضان، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى.

الشرف حسن المقدسي: هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الشيخ الإمام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن

صعد في هذا اليوم إلى مغارة الدم لزيارتها، ودعا هنالك، وتصدق بجملة من المال، وحضر الوزير فخر الدين بن الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء، فجلس عند شبك الكاملية، وقرأ القرآن بين يديه، ورسم بأن يكمل داخل الجامع بالقرش ففعلوا ذلك، واستمر ذلك نحواً من شهرين، ثم عاد إلى ما كان عليه.

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي شمس الدين بن الحريري بالقيمازية، عوضاً عن ابن النحاس باتفاق منهم، وحضر عنده جماعة، ثم صلى السلطان الجمعة بالمقصورة، ومعه وزيره ابن الخليلي، وهو ضعيف من مرض أصابه.

وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل ابن الملك السعيد بن الصالح إسماعيل بن العادل بطليقانة، ولبس الشروش، ودخل القلعة، وضربت له الكوسات على يابه، ثم خرج السلطان العادل كتباً بالعاكر المصورة من دمشق بكرة الثلاثاء، ثاني عشرين المحرم، وخرج بعده الوزير، فاجتاز بدار الحديث، وزار الأثر النبوي، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي، وشافه بتدريس الناصرية، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية، فولها القاضي كمال الدين بن الشريشي، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ زين الدين شيئاً من حطام الدنيا قبله، وكذلك أعطى خدام الأثر وهو المعين خطاب، وخرج الأعيان والقضاة مع الوزير لتدريسه.

ووقع في هذا اليوم مطر جيد، استشفى الناس به، وغسل آثار العساكر من الأسواخ وغيرها، وعاد التي تربة من توديع الوزير، وقد فوض إليه نظر الخزانة، وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس، ودرس الشيخ زين الدين بالناصرة الجوانية، عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الأربعاء آخر يوم من المحرم.

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخييط بين العساكر، وخلف وتشوش، ففتح باب القلعة الذي يلي المدينة، ودخل الصاحب شهاب الدين إليها من باب الخوخة، وتبعها النائب والأمراء، وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقفوا هنالك، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتباً إلى القلعة، في خمسة أنس أو ستة من مماليكه، فدخل القلعة، فجاه إليه الأمراء، وأحضر ابن جماعة، وحسام الدين الحنفي، وتحدث تخييط الأمراء ثانية فحلّفوا، وخلع عليهم وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام، وكان الخلف الذي وقع بينهم بؤادي فحة يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل، وتوثق منهم، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة، وذلك لئلا يبقى بدمشق شيء من المال يتقوى به العادل إن فاقهم ورجع إلى دمشق، ويكون قوة له في الطريق على ما عزم عليه من الغدر، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين بتغصان، ويكنى الأوزق العادلين، وأخذ الخزانة من بين يديه والعسكر، وقصودوا الديار المصرية، فلما سمع العادل بذلك خرج من الدهليز، وساق جريئة إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا، وتراجع إليه بعض مماليكه كزين الدين غلبك وغيره، ولزم شهاب الدين الحنفي القلعة لتدبير المملكة، ودرس كمال الدين ابن الشريشي بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر، وتقلب أمور كثيرة في هذه الأيام، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها، وأطلق كثيراً من المكوس، وكتب بذلك توقيعه، وقرئت على الناس، وغلا السعر جداً

الشيخ أبي عمر المقدسي، سمع الحديث وتفقه، وسرع في الفروع واللغة، وفيه أدب وحسن محاضرة، مليح الشكل، تولى القضاء بعد نجم الدين ابن الشيخ شمس الدين في أواخر سنة تسع وثمانين، ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال، وقد قارب الستين، ودفن من الغد بمقبرة جده بالسفح، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته، وعمل من الغد عزاءة بالجامع المظفري، وباشر القضاء بعد تقي الدين سليمان بن حمزة، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح، وقد وليها شهاب الدين العابر الحنبلي النابلسي مدة شهر، ثم صرف عنها، واستقرت بيد قاضي القضاة تقي الدين سليمان المقدسي.

الشيخ الصالح الإمام العالم البارح الناسك:

■ أبو محمد بن أبي حزة المغربي المالكي، توفي بالديار المصرية في ذي القعدة، وكان قولاً بالحق، أماراً بالمعروف، نهياً عن المنكر. صاحب

■ محيي الدين بن النحاس: أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن مبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب، واشتغل وبرع، وسمع الحديث، وأقام بدمشق مدة، ودرس بها بمندرس كبار، منها الظاهرية والزاغرية، وولي القضاء بحلب، والوزارة بدمشق، ونظر الخزانة، ونظر الدواوين والأوقاف، ولم يزل مكرماً معظماً، معروفاً بالفضيلة، والإنصاف في المناظرة، محباً للحديث وأهله على طريقة السلف، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته، توفي ببستانه بالزعة عشية الاثنين سلخ ذي الحجة، وقد جاوز الثمانين، ودفن يوم الثلاثاء مستهل المحرم سنة ست وتسعين بمقبرة له بالزعة، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة.

■ (عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت القاضي الأعز).

قاضي القضاة: تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن بنت القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن بدر الملاي الشافعي، توفي في جمادى الأولى، ودفن بالقرافة بترتهم رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتباً وهو في نواحي حمص يتصيد، ومعه نائب الديار المصرية حسام الدين لاجين السلحداري المنصور، وأكابر الأمراء، ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين غرلو العادل، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير الخليلي فإنه تقي الدين سليمان بن حمزة والوزير شهاب الدين الحنفي وابنه المحتسب وخطيب البلد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي.

فلما كان يوم الأربعاء ثاني المحرم دخل السلطان كتباً إلى دمشق، من نواحي حمص وصلى الجمعة بالمقصورة، وزار قبر هود وصلى عنده، وأخذ من الناس قصصهم بيده، وجلس بدار العدل في يوم السبت، ووقع على القصص هو ووزيره فخر الدين الخليلي.

وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيي الدين بن النحاس في مدرستي أبيه الرجانية والظاهرية، وحضر الناس عنده، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء، وجاء يوم الجمعة فصلى الجمعة بالمقصورة، ثم

الدين الحنفي، أخي شهاب الدين الذي كان وزيراً ودخل الأمير سيف الدين قبيق المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت، السادس عشر من ربيع الأول، ونزل دار السعادة، عوضاً عن سيف الدين غرلو العادلي، وقد خرج الجيش بكماله لتلقيه، وحضر يوم الجمعة إلى المقصورة، فقصلى بها، وقرأ بعد الجمعة كتاب السلطان بإبطال الضمانات من الأوقاف والأملاك بغير رضى أصحابها، قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء، ونودي في البلد من له مظلة فليات يوم الثلاثاء إلى دار العدل، وخلع على الأمراء والمقدمين وأرباب المناصب من القضاة والكتبة، وغيرهم وخلع على ابن جماعة خلعين واحدة للقضاء، والأخرى للخطابة.

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني قضاء القضاة بالشام، عوضاً عن بدر الدين بن جماعة، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة، وأضيف إليه تدريس القيعرية التي كانت بيد إمام الدين، وجاء كتاب السلطان بذلك، وفيه احترام وإكرام له، فدرس بالقيصرية يوم الخميس ثاني رجب، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر، يوم الأربعاء الثامن من رجب، فجلس بالعادلية، وحكم بين الناس، وامتدحه الشعراء بقصائد، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها:

تبدلت الأيام من بعد عسرهما يسراً فاضحت نغور الشام تغتر بالشرى
وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان، ومعه القاضي جمال الدين الزواوي، قاضي قضاة المالكية، وعليه خلعة أيضاً، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل، ودرس بالعادلية بكرة الأربعاء منتصف رجب، وأشهد عليه بعد الدرس بتولية أخيه جلال الدين نيابة الحكم، وجلس في الإيوان الصغير وحكم عليه الخلعة، وجاء الناس يهتفون، وقرئ تقليده يوم الجمعة بالشباك الكمالى بعد الصلاة، بحضور نائب السلطنة وبقية القضاة، قرأه شرف الدين الغزاري.

وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الأعرس تولى بالديار المصرية شدّ الدواوين والوزارة، وياشر المصنيين جميعاً، وياشر نظر الدواوين بدمشق فخر الدين بن الشيرجي، عوضاً عن نجم الدين بن مصر، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفارقي مع الناصرية، بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشي بالقاهرة ودرس فيها في شهر رمضان يوم اثنين بعد العصر.

وفي الرابع عشر من ذي القعدة سيك الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري نائب الديار المصرية للاجين هو وجماعة من الأمراء معه، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين متوكرم الحسامي، وهؤلاء الأمراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعتاهو ويايعوه على العادل كتبنا، وقدم الشيخ كمال الدين الشريشي من الديار المصرية ومعه توقيع بتدريس الناصرية، عوضاً عن الشامية البرانية، ودرس فيها يوم السبت يوم عرفة وأمسك الأمير شمس الدين سستقر الأعرس وزير مصر وشادّ الدواوين، يوم السبت الثالث والعشرين من ذي الحجة، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام أيضاً، ونودي بمصر في ذي الحجة أن لا يركب أحد من أهل النعمة فرساً ولا بغلاً، ومن وجد منهم راكباً ذلك أخذ منه.

وفيه ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هزير الدين داود بن الملك

قفلت الفرارة سائتين، واشتد الحال، وتضام الأمر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سلطنة الملك منصور لاجين السلحدار

وذلك أنه لما استاق الخزانة وذهب بالجيش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار، ويايعوه وملكوهم عليهم، وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر، ودقت بمصر البشائر، وزينت البلد، وخطب له على المنابر، وبالقلمس والخليل، ولقب بالملك المنصور، وكذلك دقت له البشائر بالكرك ونابلس وصفد، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق، وقدمت الجريدة من جهة الرحبة صحة الأمير سيف الدين كجككن، فلم يدخلوا البلد، بل نزلوا بميدان الحصى، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر، وركب إليه الأمراء طائفة بعد طائفة، وفوجاً بعد فوج، فضعف أمر العادل جداً، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء: هو خشنلشي وأنا وهو شيء واحد، وأنا له سامع مطيع، وأنا أجلس في أي مكان من القلعة أريد، حتى تكتتبوه وتنتظروا ما يقول.

وجاءت البريدية بالكتابات، بأمر الاحتياط على القلعة وعلى العادل، وبقي الناس في هرج، وأقوال مختلفة، وأبواب القلعة مغلقة، وإبواب البلد سوى باب النصر إلا الخوخة، والعامية حول القلعة قد ازدحموا حتى سقطت طائفة منهم في الخندق فمات بعضهم، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين، ودقت البشائر بذلك بعد العصر، ودعا له المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق، وتلوا قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ نُؤْيِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء، وفيهم غرلو العادلي بدار السعادة، فحلفوا للمنصور لاجين، ونودي بذلك في البلد، وأن يفتح الناس دكاكينهم، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب، فعمل الوالي ابن الشياحي حصة البلد، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته. وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين، وسافر الأمير سيف الدين غرلو والأمير جاغان إلى الديار المصرية، يعلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة عاشر صفر، وشق القاهرة في سادس عشرة في أبهة المملكة، وعليه الخلعة الخليفة، والأمراء بين يديه مشاة، وأنه قد استتاب بمصر الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري، وخطب للمنصور لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول، وحضر المقصورة القضاة وشمس الدين الأعرس وكجككن، وأستدعر وجماعة من أمراء دمشق، توجه القاضي إمام الدين القزويني، وحسام الدين الحنفي، وجمال الدين المالكي إلى الديار المصرية مطلوبين، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان، وسيف الدين جاغان من جهة السلطان فحلفوا الأمراء ثانية، ودخلوا على العادل إلى القلعة ومعهم القاضي بدر الدين بن جماعة وكجككن فحلفوه إيماناً مؤكدة، بعدما طال بينهم الكلام بالتركي، وذكر في خليفه أنه راض بما يُؤتيه من البلدان أي بلد كان، فوقع التعيين بعد اليمين على قلعة صرخد، وجاءت المراسيم بالوزارة لتقي الدين توبة، وعزل شهاب الدين الحنفي، وبالحسبة لأمين الدين يوسف الأرمني الرومي صاحب شمس الدين الأيكي، عوضاً عن زين

الظفر المتقدم ذكره في التي قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان

قاضي قضاة الحنابلة بمصر: عز الدين

■ عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي الحنبلي، سمع الحديث، وبيع في المنع، وحكم بمصر، وكان مشكورا في سيرته وحكمه، توفي في صفر، ودفن بالمقطم، وتولى بعده شرف الدين عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحراني بديار مصر.

الشيخ الإمام الحافظ القدوة: عفيف الدين أبو محمد

■ عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصري الحنبلي، توفي بالمدينة النبوية، في أواخر صفر، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، وجاور بالمدينة النبوية خمس سنين، وحج فيها أربعين حجة متوالية، وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله.

الشيخ

■ شيث بن الشيخ علي الحريري: توفي بقرية بسر من حوران، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر، وتوجه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك، لتمزية أخيهم حسن الأكبر فيه.

الشيخ الصالح المقرئ: جمال الدين

■ عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصري، ثم الدمشقي، تقيب السبع الكبير، والغزالية، كان قد قرأ على السخاوي، وسمع الحديث، توفي في أواخر رجب، وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان.

واقف السامرية: الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس

■ أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري، واقف السامرية التي إلى جانب الكروسية بدمشق، وكان داره التي يسكن بها، ودفن بها، ووقفها دار حديث وقائمه، وكان قد انتقل إلى دمشق، وأقام بها بهذه الدار مدة، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قروم، بناها من حجارة منحوتة كلها.

وكان السامري كثير الأموال، حسن الأخلاق، معظما عند الدولة، جميل المعاشرة، له أشعار رائقة، ومبتكرات فائقة، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان.

وقد كان يبتدأ له حظوة عند الوزير ابن العلقمي، وامتدح المستعصم، وخلع عليه خلمة سوداء سنين، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فحظي عنده أيضاً، فسمى فيه أهل الدولة فئصف فيهم أرجوزة، فتح عليهم بسببها بابا، فصادروهم الملك بعشرين ألف دينار، فمظموه جدا، وتوسلوا به إلى أغراضهم، وله قصيدة في مدح النبي ﷺ، وقد كتب عنه الحافظ الديماطي شيئاً من شعره.

واقف النفيسية التي بالرصيف: الرئيس نفيس الدين أبو الفداء

■ إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة بن علي بن صدقة الحراني، كان أحد عدول القسمة بدمشق، وولي نظر الأيتام في وقت، وكان ذا ثروة من المال، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، وسمع الحديث، ووقف دار حديث، توفي يوم السبت بعد الظهر، الرابع من ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون، بكرة يوم الأحد بعد ما صلي عليه بالأموي. ■ (الشاروت الدمشقي).

الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاروت الدمشقي: يلقب بنجم الدين، ترجمه الحريري فاطب، وذكر له كرامات وأشياء من علم الحروف وغيرها، والله أعلم بحاله.

وفيهما قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعا للإسلام فأسلم، وأسلم معه أكثر التتر، فإن التتر شؤشوا خاطر قازان عليه، واستمالوه منه وعنه، فلم يزل به حتى قتله، وقتل جميع من ينسب إليه، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان، وكان ذا عبادة وصلق في إسلامه، وأذكارة وتطوعاته، وقصده الحسن رحمه الله وعفا عنه، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، واتخذوا السبح والهيكل، وحضروا الجمع والجماعات، وقرؤوا القرآن، والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي وسلطان البلاد الملك المنصور حسام الدين لأجين السلحدار المنصوري، وثانية بمصر منكر، ودمشق سيف الدين جبقي، وقاضي الشافعية إمام الدين القزويني وقاضي الحنفية حسام الدين الرازي، ثم ولي ابنه جلال الدين مكانه بدمشق في عاشر صفر، وركب بالخلعة والطرحه وهنأه الناس، وكُبت في الإسجالات قاضي القضاة، وقاضي المالكية جمال الدين الزراوي، وقاضي الحنابلة تقي الدين سليمان بن حمزة بن الشيخ أبي عمر وخطيب البلد بدر الدين بن جماعة وطلب قاضي القضاة الحنفية بمصر عن عوضا عن شمس الدين السروجي، واستقر ولده جلال بدمشق قاضي قضاة الحنفية، ودرس بملدرستي آية الخاتونية والمقدمية، وترك مدرسة القضاة والصليبة.

وجاء الخبر على يدي البريد بعافية السلطان، من الوقعة التي كان وقعها فدفقت البشائر، وزينت البلد، فإنه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فكان كما قال الشاعر:

حويْتُ بطلْماً وإحساناً ومعرفةً وليس يحملُ هذا كلهُ الفرسُ

وجاء على يديه تقليد وخلمة لثاب السلطنة، فقرأ التقليد ورأس العتبة. وفي ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان، وحضر عنده إمام الدين الشافعي، وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه، بإذنه له في ذلك.

وفي ربيع الأول غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً، ثم استرضى عاد، وشرطوا عليه أن لا يستيب ولده المحب.

وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة المعظمية، وخطب فيها مدرستها القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي، واشتهر في هذا الحين القبض على بدر الدين يسري، واحتيط على أمواله بديار مصر. وأرسل السلطان بجريدة صحة علم الدين الدوداري إلى تل حمدون، ففتحها بحمد الله ومنه، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق في الثاني عشر من رمضان. وضربت به الخليفة وأذن بها الظهر، وكان أخذها يوم الأربعاء سابع رمضان، ثم فتحت مرعش بعدها فدفقت البشائر، ثم انتقل الجيش إلى قلعة حصن، فاصيب جماعة من الجيش، منهم الأمير علم الدين سنجر طقصبا، أصابه زَيارٌ في فخذه، وأصاب الأمير علم الدين الدوداري حجر

في رجله.

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعاداً في الجهاد، وحرص فيه ويبلغ في أجور المجاهدين، وكان وقتاً مشهوراً وميعاداً حافلاً جليلاً.

وفي هذا الشهر عاد الملك المسعود نجم الدين بن خضر بن الظاهر من بلاد الأشكري إلى ديار مصر، بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور، وتلقاه السلطان بالموكب، وأكرمه وعظمه، وحج الأمير خضر بن الظاهر في هذه السنة مع المصريين، وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي.

وفي شهر شوال جلس المنصورون بالمدرسة التي أنشأها نائب السلطنة بمصر وهي المنكوترية، داخل باب القنطرة.

وفيها دقت البشائر لأجل أخذ قلعتي حيمص ونجيمة من بلاد سيس.

وفيها وصلت الجريسة من بلاد مصر قاصدين بلاد سيس مددا لأصحابهم، وهم نحو من ثلاثة آلاف مقاتل و الله الحمد.

وفي منتصف ذي الحجة أمسك الأمير عز الدين أيك الحموي الذي كان نائب الشام، هو وجماعة من أهله وأصحابه من الأمراء.

وفيها قتل المياه بدمشق جداً حتى بقي ثورا في بعض الأماكن لا يصل إلى ركة الإنسان، وأما بردى فإنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر حشرين، وغلا سعر الثلج بالبلد. وأما نيل مصر فإنه كان في غاية الزيادة والكثرة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (حسن بن علي الحروري).

الشيخ حسن ابن الشيخ علي الحروري: توفي في ربيع الآخر بقرية بسر، وكان من كبار الطائفة، وللناس إليه ميل لحسن أخلاقه، وجودة معاشرته، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة.

الصدر الكبير شهاب الدين: أبو العباس

■ أحمد بن عثمان بن أبي الرواء بن أبي الزهر التوخي، المعروف بابن السلوس، أخو الوزير شمس الدين، قرأ الحديث، وسمع الكثير، وكان من خيار عباد الله، كثير الصدقة والبر، توفي بداره في جمادى الأولى، وصلي عليه بالجامع، ودفن بباب الصغير، وعمل عزاءه بمسجد ابن هشام، وقد ولي في وقت نظر الجامع، وشكرت سيرته، وحصل له وجاهة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى، وشهد جنازته خلق كثير من الناس.

الشيخ شمس الدين الأيكي:

■ محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي، المعروف بالأيكي، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات، المفسرين للمضلات، لا سيما في علم الأصول والمنطق، وعلم الأوائل، باشر في وقت مشيخة الشيخ بمصر، وأقام مدرس الغزالية قبل ذلك.

توفي بقرية المزة يوم جمعة، ودفن يوم السبت، بعدما صلي عليه بجامع المزة ومشى الناس في جنازته، منهم قاضي القضاة إمام الدين القزويني، وذلك في الرابع من رمضان، ودفن بمقابر الصوفية، إلى جانب الشيخ شملة، وعمل عزاءه بقائقه السيساطية، وحضر جنازته خلق كثير، وكان

معظما في نفوس كثير من العلماء وغيرهم.

الصدر

■ ابن عقبة: إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصري الحنفي، درس وأعاد، وولي في وقت قضاء حلب، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر، فجاء بتوقيع فيه قضاء قضاء حلب، فلما اجتاز بدمشق توفي بها، في رمضان من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة، فيشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص، وطول الأمل.

الشهاب العابر

■ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد النعم بن نعمة المقدسي الحنيلي شهاب الدين عابر الرؤيا، سمع الكثير، وروى الحديث. وكان عجباً في تفسير المنامات، وله فيه اليد الطولى، وله تصنيف فيه ليس كالألذي يؤثر عنه من الغرائب والعجائب، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، توفي في ذي القعدة، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة

[فيها كان الحكام هم المذكورين في التي قبلها]

استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد المنصور لاجين، ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي حسام الدين الرازي، والمالكي والحنلي كما تقدم، ونائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة.

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سيس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك، ونصب مشاتق لمن تأخر بغيره أو بغيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجق وصحبته الجيوش، وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة، وتجهل هائل فدعت له العامة وكاترا يجوبونه، واستمر الجيش سائرين قاصدين بلاد سيس، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الأمراء أن السلطان متقلب الخاطر بسبب سعي منكوتمر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لحيته له، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والتجاة بأنفسهم، فساقوا من حمص فيمن أطاعهم، وهم قبجق ويزلي ويكتمر السلحدار البكي، واستمروا ذاهبين، فرجع كثير من الجيش إلى دمشق، وتخبط الأمور، وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته فيهم، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد

بن قلاوون

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من الريدية، وأخبروا بمقتل السلطان الملك المنصور لاجين، ونائبه سيف الدين منكوتمر، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادي عشرة، على يد الأمير سيف الدين كرجي الأشرفي، ومن وافقه من الأمراء، وذلك بحضور القاضي حسام

الفضلاء، وبخشوا في الحموية وناقشوه في أماكن منها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال وكان القاضي إمام الدين معتقده حسن، ومقصده صالح.

وفيها وقف علم الدين سنجر الدوادار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولي مشيخته الشيخ علاء الدين بن المطار، وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قراستر.

وفي يوم السبت حادي عشر شوال فتح مشهد عثمان، الذي جلدته ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخفام من شماليه، وجعل له إماماً راتباً، وحاكى به مشهد علي بن الحسين زين العابدين.

وفي العشر الأولى من ذي الحجة عاد القاضي حسام الدين الرازي إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام. وفيها في ذي القعدة كثرت الأراجيف بقصد التشر ببلاد الشام وبالله المستعان.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (أحمد بن محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصري).

الشيخ نظام الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصري الحنفي: مدرس النورية، توفي ثامن المحرم، ودفن في تاسعة يوم الجمعة في مقابر الصوفية، كان مفتياً فاضلاً، ناب في الحكم في وقت، ودرس بالنورية بعد أبيه، ثم درس بعده بها الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان في يوم الأربعاء رابع عشر المحرم.

■ ابن التقي القسّر الشيخ العالم الزاهد جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي، ثم المقدسي الحنفي: ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقدس، واشتغل بالقاهرة، وأقام مدة بالجامع الأزهر، ودرس في بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القدس، فاستوطنه إلى أن مات في المحرم منها، وكان شيخاً فاضلاً في التفسير، وله فيه مصنف حافل كبير، جمع فيه خمسين مصنفًا من التفسير، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به.

الشيخ

■ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقدس: كان الناس يمتنعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه: هو على طريقة ابن عربي، وابن سبعين، توفي في المحرم من هذه السنة.

الضي

■ توبة الوزير: صاحب الكبير الصدر الوزير تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الربيعي الكركي، ولد سنة عشرين وستمائة، يوم عرفة بعرفة، وتقل في الخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة، وصلي عليه غلوة بالجامع وسوق الخيل، ودفن بترته تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح، وحضر جنازته القضاة والأعيان، رحمه وياشر بعده نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة.

الأمير الكبير شمس الدين

■ يسري: كان من أكابر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك، من زمن

الدين الحنفي، وهو جالس في خدمته يتحلشان، وقيل: كانا يلعبان بالشرطنج، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهما، فبادروا إلى السلطان بسرعة، جهره ليلة الجمعة فقتلوه، وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة، وألقي على مزيلة، واتفق الأمراء على إعادة ابن استأذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأرسلوا وراه، وكان بالكرك ونادوا له بالقاهرة، وخطب له على المنابر قبل قتلومه، وجاءت الكتب إلى نائب الشام قبجق، فوجدوه قد قفز خوفاً من غائلة لاجين، فسارت إليه البريلية وراه فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمنزل عند رأس العين، من أعمال مardin، وتفرط الحال ولا قوة إلا بالله.

وكان الذي شمر العزم وراهم وساق ليردهم الأمير سيف الدين بلبان، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش، والأمير سيف الدين جاغان، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة، فكان منهم جمال الدين يوسف الرومي عتسب البلد، وناظر المارستان، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه، واحتيط أيضاً على سيف الدين جاغان، وحسام الدين لاجين والي البر، وأدخل القلعة، وقتل بمصر الأميران سيف الدين طنجي، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام، وكرجي الذي تولى قتل لاجين وقتلا وألقيا على الزابل، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طنجي، وكان جميل الصورة جداً، ثم بعد الدلال والمال والملوك ولزتهم هناك قبور، فدفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه وعملوكه متكورتم، ودفن بالقبور في مضاجعهم هنالك.

وجاءت البشارة بدخول الملك السلطان الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الأولى، وكان يوماً مشهوداً، وضربت البشائر، ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة، ربوع بمحضرة علم الدين أرجواش، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها، بمحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة، وعليه خلع الخليفة، والجيش معه مشاة، بين يديه، وكان يوماً مشهوداً وضربت البشائر أيضاً، وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة، وفيها الرفق بالرعايا، والإحسان إليهم، فدعوا له، وقدم الأمير جمال الدين أفراس الأفرم نائباً على دمشق، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر، ثاني عشرين جمادى الأولى، فنزل بدار السعادة على العادة، وفرح الناس بقدمه، وأشعلوا له الشموع، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له ما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة، وبعد أيام أفرج عن جاغان ولاجين والي البر من القلعة، وعادوا إلى ما كانا عليه، واستقر الأمير حسام الدين الاستاد أنابكاً للساكن المصرية، والأمير سيف الدين سلاز نائباً بمصر، وأخرج الأعسر في رمضان من الحبس، وولي الوزارة بمصر، وأخرج قراستر المنصور من الحبس، وأعطى نيابة الصبيبة، ثم لما مات صاحب حماة الملك المظفر نقل قراستر إليها.

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية، قام عليه جماعة من الفقهاء، وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي، فلم يحضر، فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سألها عنها عليه أهل حماة السمة بالحموية، فانتصر له الأمير سيف الدين جاغان، وأرسل يطلب الذين قاموا عليه، فاخفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة، فسكت القابور.

فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَنُتْلِي عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [٤]، ثم اجتمع بالقاضي إمام الدين القزويني صبيحة يوم السبت، واجتمع عنده جماعة من

مطر شديد ووحل كثير، ومع هذا خرج الناس لتلقيه، وكان قد أقام بغزة قريباً من شهرين، وذلك لما بلغه قدوم التتر إلى الشام، تهباً لذلك، وجاء فدخل دمشق فتنزل بالطارمة، وزينت له البلد، وكثرت له الأديعة، وكان وقتاً شديداً، وحالاً صعباً، وأما البلد من الجافلين التازحين عن بلادهم، وجلس الأعرس وزير الدولة وطلاب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش.

وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من المطوعة، وأخذ الناس في الدعاء، والقنوت في الصلوات بالجماع وغيره، ونصرعوا واستغاثوا، وابتهلوا إلى الله بالأديعة.

وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزنندار عند وادي سلمية، التقى التتر هناك يوم الأربعاء، السابع والعشرين من ربيع الأول، فالتقوا معهم فكسروا المسلمين، وولى السلطان هارباً فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم، ومن العوام خلق كثير، وفقد في المعركة قاضي قضاة الحنفية، حسام الرازي وقد صبروا وأبلوا بلاء حسناً، ولكن كان أمر الله قديراً مقدوراً، فولى المسلمون لا يولي أحد على أحد، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمؤمنين، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها إلى الديار المصرية، واجتاز كثير منهم على دمشق، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهلهم وأموالهم، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر.

ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع، وأبواب دمشق مغلقة، والقلعة محصنة، والغلاء شديد، والحال ضيق، وفرج الله قريب، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر، كالقاضي إمام الدين الشافعي، وقاضي المالكية جمال الدين الزواوي، وتاج الدين بن الشيرازي، وعلم الدين الصواني والي البر، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة، والمختب وغيرهم من التجار والعوام، وبقي البلد شاغراً ليس فيه حاكم ولا زاجر ولا وادع سوى نائب القلعة علم الدين أوجوش وهو مشغول عن البلد بالقلعة.

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبسون بحبس باب الصغير باب السجن، وخرجوا منه على حية، وتفرقوا في البلد، وكانوا قريباً من مائتي رجل، فنهبوا ما قدروا عليه، وجاؤوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب الجواني وأخذوا من الباشورة ما شاؤوا ثم كسروا أقفال الباب البراني، وخرجوا منه إلى بر البلد، فتفرقوا حيث شاؤوا، لا يقدر أحد على ردهم، ولا صدّهم وصالت الحرافشة في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين، وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان.

هذا وسلطان التتر قد قصد دمشق بعد الوقعة، فاجتمع أعيان البلد، والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد علي، واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه، وأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجهوا يوم الاثنين، ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند النيك، وكلمه الشيخ تقي الدين بن تيمية كلاماً قوياً شديداً، فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد. ودخل المسلمون ليلتد من جهة قازان فقتلوا بالباغراتية، وغلقت أبواب

قلاوون وهلم جرا، توفي في السجن، بقلعة مصر، وعمل له عزاء بالجامع الأموي، وحضره نائب السلطنة الأفرم، والقضاة والأعيان.

السلطان الملك

■ المظفر تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب: صاحب حماة، وابن ملوكها كابراً عن كابر، توفي يوم الخميس، الحادي والعشرين من ذي القعدة، ودفن في ليلة الجمعة.

الملك الأوحّد

■ نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم ناظر القدس الشريف: توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة، ودفن برياطه عند باب حطة، عن سبعين سنة، وحضر جنازته خلق كثير، وكان من خيار أبناء الملوك دينا وفضيلة، وإحساناً إلى الضعفاء رحمه الله.

القاضي شهاب الدين يوسف بن صاحب محي الدين

■ ابن النحاس: أحد رؤساء الحنفية، ومدرس الرحمانية والظاهرية، وقد ولي نظر الخزانة ونظر الجامع في وقت وكان صداراً كبيراً كافياً توفي ببستانه بالمزة، ثالث عشر ذي الحجة، ودرس بعده بالرحمانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين.

الصنبر الكبير الرئيس صاحب أمين الدين أبو الغنّام:

■ سالم بن الحسن بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن حصري الظلي، كان أحسن حالا من أخيه القاضي نجم الدين، وقد سمع الحديث وأسمعه، كان صداراً معظماً، ولي نظر الدواوين، ونظر الخزانة، ثم ترك المنصب وحج وجاور بمكة، ثم قدم دمشق فاقام بها دون السنة، ومات. توفي يوم الجمعة، ثامن وعشرين ذي الحجة، وصلي عليه بعد الجمعة بالجامع، ودفن بترتهم بسفح قاسيون، وعمل عزاءه بالصاحبة.

■ ياقوت بن عبد الله: أبو الدر المستصفي الكاتب، لقبه جمال الدين، وأصله رومي، كان فاضلاً، مليح الخط مشهوراً بذلك، كتب ختما حسناً، وكتب الناس عليه ببغداد، وتوفي بها في هذه السنة، وله شعر رائق، فمنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه:

تَجَدَّدَ الشَّمْسُ شَرْقِيَّ كَلَمًا ظَلَمْتُ إِلَى مُنَيَّاكَ يَا سَمْعِي وَيَا بَصِيرِي
وَأَسَهَرَ اللَّيْلُ فِي أَنْسٍ يَلَا وَتَسْرِي إِذْ طَيْبُ ذِكْرِكَ فِي ظُلُمَاتِي سَمِيرِي
وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى لِي لَا أَوَاكَ بِهِ فَلَسْتُ مُخْتَبِياً مَضِيهِ مِنْ عُمْرِي
يَلِي نَهَارِي إِذَا مَا فُزْتُ فِي خَلْدِي لِأَنَّ ذِكْرَكَ نُورُ الْقَلْبِ وَالْبَصِيرِ

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة

وفيها كانت وقعة قازان، وذلك أن هذه السنة استهلت والخليفة الحاكم العباسي، وسلطان البلاد الشامية والمصرية وما يتبعها من الممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، ونائب مصر سلا، ونائب الشام أقرس الأفرم، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها، وقد تواترت الأخبار بقصد التار إلى بلاد الشام، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة، وبلغ كراه الجمل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم.

فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام.

فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق، في

في الجامع بداريا ففتحوه قسراً، وقتلوا منهم خلقاً، وسبوا نساءهم وأولادهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية في جماعة من أصحابه يوم الخميس، العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر، وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه بقازان، حجه عه الوزير سعد الدين، والرشد مشير الدولة المسلماني ابن يهودي، والتزما له بقضاء الشغل، وذكر له أن التتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن، ولا بد لهم من شيء.

واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق، فانزعج الناس لذلك، وخافوا خوفاً شديداً، وأرادوا الخروج منها، والهرب على وجوههم، وأبى الفرار ولات حين مناص، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف قتلاً أموال كثيرة على البلد، موزعة على أهل الأسواق، كل سوق بحسب من المال، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع، ليرموا بها القلعة من صحن الجامع، وغلقت أبوابه، ونزل التتر في مشاهد يجرسون أخشاب المجانيق، وينهبون ما حوله من الأسواق، وأحرق أرجواش ما حول القلعة من الأبنية كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك، إلى حد العادلية الكبيرة، وأحرق دار السعادة، لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها، ولزم الناس منازلهم، لئلا يسخروا في طم الخندق، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل، والجامع لا يصلي فيه أحد إلا البير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصنف الأول وما بعده إلا بمجهود جهيد، ومن خرج من منزله في ضرورته يخرج بلباس زهيم ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، وأهل البلد قد أذاتهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف، كالجامع وغيره، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع، وتوفير أوقافه، وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح إلى الحجاز، وقرئ ذلك المرسوم يوم الجمعة بعد الصلاة بالجامع، في تاسع عشر جمادى الأولى، وفي هذا اليوم توجه السلطان قازان إلى بلاده وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل، ومن عزمنا العود إليها في زمن الحريف، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها والله الحمد.

وخرج الأمير سيف الدين قبچق لتوديع فطلو شاه نائب قازان، ومسار وراه، فضرت البشائر بالقلعة فرحاً برحيلهم، ولم تفتح القلعة، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبچق لتوديع فطلو شاه القلعة إلى الجامع، فكسروا أخشاب التنجنيقات المنصوبة به، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالين، واستصحبوا معهم جماعة ممن كان يلوذ بالتتر فهراً إلى القلعة، منهم الشريف القمي، وهو شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي، وجاءت الرسل من قبچق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا قلوبكم وافتحوا دكاكينكم، وتهيؤوا غداً لتلقي سلطان الشام سيف الدين قبچق، فخرج الناس إلى أماتهم، فأشرفوا عليها، فأروا ما بها من الفساد والفساد، وانفق رؤساء البلد من التراسيم بعد ما وزنوا شيئاً كثيراً.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا، أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل، وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء، وأن

البلد سوى باب تومسا، وخطب الخطيب يوم الجمعة بالجامع ولم يذكر سلطاناً في خطبته وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن، وحضر الفرمان بالأمان، وطيف به في البلد، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة، ونثر شيء من الذهب والفضة، وفي اليوم الثاني من المصادرة بالأمان طلبت الخيول والسلاح والأموال المخبأة عند الناس من جهة الدولة، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية فإنا لله وإن إليه راجعون.

وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبچق المتصورى، فنزل بالمدائن، واقترب جيش التتر، وكثر العيث في ظاهر البلد، وقتل جماعة، وغلت الأسعار بالبلد جدّاً، وضاق الحال جدّاً وأرسل قبچق إلى نائب القلعة أن يسلمها إلى التتر، فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع، فجمع له قبچق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجهجهم إلى ذلك، وصمم على ترك تسليمها إليهم وفيها عين تطرف، فإن الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك، فاشتد عزمه على ذلك وقال له: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام، فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمقل، الذي جعله الله حرزاً لأهل الشام، التي لا تزال دار إيمان وستة، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم.

وفي يوم دخول قبچق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلازل مصر كما جاءت البطائق بذلك إلى القلعة، ودقت بها البشائر، فقوي جأش الناس بعض قوة، ولكن الأمر كما يقال:

كَيْفَ الشَّيْلُ إِلَى سَعَادَ وَكُونَهَا قُلُّ الْجَيْشِ وَكُونَهُنَّ خُوفُ الرَّجُلِ خَافَةً وَمَا يَ مَرْكَبُ وَالْكَفُّ صَفَرُ الطَّرِيقِ مَخُوفُ

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق، بحضور المغول بالمقصورة، ودعي له على السنة بعد الصلاة، وقرئ عليها مرسوم ببناء قبچق على الشام، وذهب إليه الأعيان فهزؤوه بذلك، فأظهر الكرامة، وأنه في تعب عظيم مع التتر، ثم شرع في طلب الخيول التي عند الناس والأموال لأجل النفقة على التتر ونزل شيخ المشايخ نظام الدين محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة، وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التار وصاحب سبب في نهب الصالحية، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً من الغلات وقلعو الأبواب والشبابيك وخربوا الأماكن الكثيرة كالرباط الناصري وغيره من الأماكن الحسنة والمارستان بالصالحية، ومسجد الأسدية، ومسجد خاتون، ودار الحديث الأشرفية بها، واحترق جامع التوبة بالثقيفة، وكان هذا من جهة الكرج، والأرمن من النصارى الذين هم مع التتر قبّحهم الله، وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً، وجمّاً غفيراً، ولجا أكثر الناس إلى رباط الخنابلة، فاتحاطت به التتر، فحماء منهم شيخ الشيخ المذكور، وأعطى في الساكن مال له صورة، ثم قحموا عليه فسبوا منه خلقاً كثيراً من بنات المشايخ وأولادهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما تكب دير الخنابلة في ثاني جمادى الأولى، قتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من النساء كثيراً، ونال قاضي القضاة تقي الدين منهم أذى كثيراً، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريباً من أربعمئة، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصري والضيائية، وخزانة ابن البزوري، فكانت تباع وهي مكتوب عليها بالوقفية، وفعلوا بالمرّة مثل ما فعلوا بالصالحية، وكذلك بداريا وغيرها وتحصن الناس منهم

حواشي البلد منهم أحد، وقد أزاح الله عز وجل شرهم عن العباد والبلاد، ونادى قبيجق في الناس قد أمّنت الطرقات ولم يبق بالشام من التتر أحد.

وصلى قبيجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقصي والتراكيش فيها الشباب، وأمّنت البلاد ونواحها، وخرج الناس للفرجة في غياض السفرجل على عادتهم، فعاتت عليهم طائفة من التتر، فلما رأوهم إلى البلد هاربين مسرعين، ونهب بعض الناس بعضاً، ومنهم من القى نفسه في النهر، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار، وتلقى قبيجق من البلد، ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين بن القلانسي، ليلتقوا الجيش المصري، وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في تاسع رجب، وجاءت البريكية بذلك والله الحمد والمنة، وبقي البلد ليس به أحد، ونادى أروحاوش في البلد: أن احفظوا الأسوار، وأخرجوا ما كان عندكم من الأسلحة، ولا تهملوا الأسوار والأبواب، ولا يبيت أحد إلا على السور، ومن بات في داره شق، فاجتمع الناس على الأسوار لحفظ البلاد، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة فوق الأسوار يعرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط.

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر الناصر محمد بن قلاوون، ففرح الناس بذلك، وكان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء.

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الحمامات والحانات فكسروا آنية المحمور، وشقوا الظروف، وأراقوا المحمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخنة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك.

ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن ترين البلد لقدوم العساكر المصرية، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر، يوم الأحد تاسع عشر رجب، ففرح الناس بذلك وانفرجوا، لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر.

وقدم الجيش الشامي صحبة نائب دمشق جمال الدين أقوش الأفرم إلى دمشق يوم السبت عاشر شعبان، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراستق المنصوري، وسيف الدين قطلبك في تحمل. وفي هذا اليوم فتح باب الفراديس، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالأمينية، عرضاً عن أخيه قاضي القضاة إسماعيل الدين توفي بمصر كما سيأتي بيانه.

وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر المصرية صحبة نائب مصر سيف الدين سلاار، وفي خدمته الملك المعادل كتبها، وسيف الدين الطباخي في تحمل باهر، ونزلوا بالمرج، وكان السلطان قد خرج عازماً على المحي فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر.

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين، وليس الخلعة وليس معه في هذا اليوم الدين العجمي خلعة الحسبة.

وفي يوم سابع عشرة ليس خلعة نظر الدواوين تاج الشيرازي، عرضاً عن فخر الدين بن الشيرجي، وليس أقبحاً خلعة شدّ الدواوين في باب الوزير شمس الدين سقرا الأعسر، وباشر الأمير عز الدين أبيك الدودار النجبي ولاية البر، بعدما جعل من أمراء الطلبة، ودرس الشيخ كمال

شيخ المشايخ حصل له نحو من مئاة ألف درهم، والأصيل بن النصير الطوسي مئاة ألف، والصفي السنجاري مئاة ألف، وعاد الأمير سيف الدين قبيجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر، خامس عشرين جمادى الأولى، ومعه الأيكي وجماعة، وبين يديه السيوف مسللة، وعلى رأسه عصاية، فنزل بالقصر، ونودي بالبلد: أن نائيكم قبيجق قد جاء، فافتحوا دكايتكم، واعملوا معاشكم، ولا يغفر أحد بنفسه، هذا والأسعار في غاية الغلاء والمقلة، قد بلغت الغزارة إلى أربعمئة، واللحم الرطل بنحو العشرة، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين، والخبز الأوقية بدرهم، والبيض كل خمسة بدرهم، ثم فرج الله تعالى عنهم في أواخر الشهر.

ولما كان يوم في أواخر الشهر نادى قبيجق بالبلد أن يخرج الناس إلى فراهم، وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد، وكثرت الأراجيف على باب، وعظم شأنه، ودقت الباشائر بالقلعة وعلى باب قبيجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة، وركب قبيجق بالمصائب في البلد والشاوشية بين يديه، وجهاز نحو ألف فارس نحو خربة اللصوص، ومضى مئاة الملوك في الولايات، وتامبر الأمراء والمراسيم العالية النافذة، وصار كما قال الشاعر:

يَا لَكَ مِنْ قَسْرَةٍ بِمَعْمَرٍ
خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَيُضِي واصفري
وَتَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَقْرِي

ثم إنه ضمن الحمامات ومواضع الزنى من الحانات وغيرها، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خارة وحانة أيضاً، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم، وهي التي دمرته وعقت آثاره، وأخذ أموالاً آخر من أوقاف المدارس وغيرها، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فساداً، ونهب البلاد وسبى وخرّب، ومعه طائفة كثيرة من التتر، وقد خربوا قرى كثيرة، وقتلوا من أهلها، وسبوا خلقاً من أطفالها، وجبى بولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوهم، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر، ورسم قبيجق لخطيب البلد وجماعة معه من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيتكلّموا مع نائبها في المصالحة، فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشرين جمادى الآخرة، فكلّموه وبالفعل معه، فلم يجب إلى ذلك، وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض وجهه.

وفي ثاني عشرين رجب طلب قبيجق القضاة والأعيان فحلفهم على المناصحة للدولة الحمودية - يعني قازان - فحلفوا له.

وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى خيم بولاي، فاجتمع به في تكاك من كان معه من أسارى المسلمين، فاستقذ كثيراً منهم من أبيدهم، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق، ثم عادوا من عنده فشدّوا عند باب شرقي، وأخذت نياهم وعمائمهم ورجعوا في شر حالة، ثم بعث في طلبهم، فاستخفى أكثرهم وتنبهوا عنه.

ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر، وانتشروا عن دمشق، وقد أراح الله منهم، وساروا من على عقبة دُمر فعائوا في تلك النواحي فساداً، ولم يأت سابع الشهر وفي

عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجماعة، ولم تطل مدته إلا شهراً، ثم عاد الحموي إلى بلده، وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن والله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (الحسن بن أحمد بن الحسن بن أبو شروان الرازي).

القاضي حسام الدين أبو الفضائل الحسن ابن القاضي تاج الدين أبي الفakhir أحمد بن الحسن بن أبو شروان الرازي الحنفي ولي قضاء مطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فوليها مدة، ثم انتقل إلى مصر فوليها مدة، وولاه جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بورادي الخزندار عند وادي سلمية خرج معهم ففقد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين.

وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده بأق سرا من بلاد الروم.

في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمئة، فقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل عنده يومئذ عدة من سادات الأمراء، ثم ولي بعده القضاء شمس الدين الحريري.

■ (غفر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحد القزويني).

القاضي الإمام العالم إمام الدين أبو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقرر في تداريس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاء بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وتسعين، وناب عنه أخوه.

وكان جبل الأخلاق، كثير الإحسان رئيساً، قليل الأذى، ولما أوف قدوم التار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يبق بها سوى أسبوع، وتوفي ودفن بالقرب من قبة الشافعي، عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافاً إلى ما بيده من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمينية.

المسند المعمر الرحلة شرف الدين أبو الفضل

■ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي، ولد سنة أربع عشرة وستمئة، وسمع الحديث وروى، توفي خامس عشر جمادى الأولى، عن خمس وثلاثين سنة.

الخطيب الإمام العالم موفق الدين أبو المعالي

■ محمد بن محمد بن الفضل البهراني، القضاء الحموي، خطيب حقة، ثم خطب بدمشق عوضاً عن القاروني كما ذكرنا، ودرس بالجزائرية، ثم عزل بابل جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها.

الصدر شمس الدين

■ محمد بن سلمان بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة، ودرس بالمصرية، توفي وقد جاوز الثمانين، كان من الكتاب المشاهير المشكورين، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم.

الشيخ جمال الدين أبو محمد

■ عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجري الشافعي، أقام مدة بالمرسل يشتغل وبقي، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها، وكان قد أقام

الدين بن الزملكاني بأم الصالح، عوضاً عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادي والعشرين من شعبان.

وفي هذا اليوم ولي من قضاء الحنفية شمس الدين بن الصفي الحريري، عوضاً عن حسام الدين الرازي، فقد يوم المعركة وجاءه بعد ذلك تدريس الحاتونية عوضاً عن حسام الدين الرازي في ثاني رمضان، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان.

وفي مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلال بلدار العدل في الميدان الأخضر وعند القضاء والأمراء يوم السبت.

وفي يوم السبت الآخر خلع على عز الدين بن القلانسي خلعاً سنينة، وجعل ولده عماد الدين عبد العزيز شاهداً في الخزانة.

وفي هذا اليوم رجع سلال بالعساكر إلى مصر، وانصرف العساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها.

وفي يوم الاثنين عاشر رمضان درس صدر الدين علي بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفي بالمدرسة القديمة.

وفي شوال منها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتر ويؤذي المسلمين، وشنت منهم طائفة، وسمر آخرون، وكحل بعضهم، وقطعت السن، وجرت أمور كثيرة.

وفي منتصف شوال درس بالدولية قاضي القضاء جمال الدين الزرعي نائب الحكم، عوضاً عن جمال الدين بن الباجري.

وفي يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأقرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروهم التتر وهربوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبوهم، وأخذوا أسلحتهم وخيولهم، وقتلوا كثيراً منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستأبهم، وبين لكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالاً كثيرة يجعلونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وأموالهم، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند، ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يحرمون ما حرم الله تعالى ورسوله.

وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذي القعدة، وتلقاه الناس بالشمع إلى طريق بعلبك وسط النهار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر نودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالداكين، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الأماجات في أماكن كثيرة من البلد، وعلقت الأسلحة بالأسواق، ورسم قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بعمل الأماجات في المدارس، وأن يتعلم الفقهاء الرمي، ويستعدوا لقتال العدو إن حضر، وبالله المستعان.

وفي الحادي والعشرين من ذي القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه، وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سرقه.

وفي الخميس رابع عشره عرضت الأشراف مع نقيهم نظام الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوداً.

وما كان من الحوادث في هذه السنة أنه جلد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده ظهر يوم

وخرج كثير من الناس خفافاً وتقالاً، يتحملون بأهلهم وأولادهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقة على السواب والرقاب، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف، مع كثرة الأمطار والزلزل والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واستهل جمادى الأولى والناس على خطة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقترب العدو.

وشنة الأمر والحال وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر، وكان يوم السبت إلى نائب الشام وعساكره بالرج فتيهم، وقوى جاشهم وطيب قلوبهم، ووعدهم النصر والظفر على الأعداء، وتلا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لِيُصْرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَمَعُوْ غَفُوْرٌ﴾ [الحج: ٢٥].

وبات عند المعسكر ليلة الأحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأل النائب والأمراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء، فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل، فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتفرط الحال، ولكنه استحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيما قال: إن كنتم عرضتم عن الشام وحمايت أمتنا له سلطاناً يحوط ويحميه، ويستغله في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، ثم قال لهم: لو قدر أنكم لستم بحكام الشام ولا ملوكه، واستصرمكم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكماء وسلطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم، وقوى جاشهم، وضمن لهم النصر في هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام.

فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً، بعد أن كانوا قد يشعرون من أنفسهم وأهلهم وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر، وتحقق أهل الشام عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس متولي دمشق في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق، فتصايح النساء والولدان، ورحق الناس ثلة عظيمة وخمدة، وزلزلوا زلزلاً شديداً، وغلقت الأسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الحرب؟ ويقولون: ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو، ودخل كثير من الناس القلعة وامتنع الناس من الترم والقرار وخرج كثير من الناس إلى البراري والقفار والمفر بأهلهم من الكبار والصغار، ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلق بالجيوش، فقد اقترب وصول التتر، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل، وسافر القاضي ابن جماعة وشمس الدين بن الحريري، ونجم الدين ابن صصري ووجيه الدين ابن منجا، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر، وجاءت الأخبار بوصول التتر إلى سمرين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي، والشيخ إبراهيم الرقي، وابن قوام وشرف الدين بن تيمية، وابن خبارة إلى نائب السلطنة الأفرم، فقصوا عزمه على ملاقات العدو، واجتمعوا بمهنا أمير العرب فحضره على قتال العدو، فأجابهم بالسمع والطاعة، وقويت نياتهم على ذلك، وخرج طلب سلا من دمشق إلى ناحية الجيش بالرج، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة.

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد، وأقام بقلعة مصر ثمانية أيام يجهش على الجهاد والخروج إلى العدو، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج، وقد غلت الأسعار بدمشق جداً، حتى إنه بيع

بها مسدة كذلك. ودرس بالفتحية والدولعية، وناب في الخطابة، ودرس بالفرائي، نبابة عن الشمس الأيكي، وكان قليل الكلام، مجموعاً عن الناس، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والامحلال، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه، ويعكفون على ما كان يعكف عليه، وقد حدث جمال الدين المذكور بجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير، وله نظم ونثر حسن، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية:

استهلّت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بها هم المذكورون في التي قبلها، غير الشافعي والحنفى.

ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص اجرة أربعة أشهر من جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق، فهرب أكثر الناس من البلد، وجرت خطبة قوية، وشق ذلك على الناس مشقة عظيمة جداً.

وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر، فاستزعج الناس لذلك، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وبآبهم، وشرع الناس في الحرب إلى بلاد مصر والكرك والشوك والحصون المنيع، فبلغت الحارة إلى مصر خمسمائة، وبيع الجمل بآلف والحمار بخمسمائة، وبيعت الأمتعة والياب والغلات بأرخص الأثمان.

وجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع، وحرص الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما يصرف في اجرة الحرب إذا اتفق في سبيل الله تعالى كان خيراً، وأوجب جهاد التتر حتماً في هذه الكرة، وتابع المجالس في ذلك، ونودي في البلدان لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة، فتوقف الناس عن المسير، وسكن جاشهم، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر المصورة، ودقت البشائر لخروجه، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كيت ابن صصري، وبيت ابن فضل الله، وابن منجا، وابن سويد، وابن الزملكاني، وابن جماعة.

وفي أول ربيع الآخر قوي الإرجاف بأمر التتر، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة، ونودي في البلدان أن تخرج العامة مع المعسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر، فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدة والأسلحة على قدر طاقتهم، وقت الحظيبي ابن جماعة في الصلوات كلها، واتبه أئمة المساجد، وأشاع المرجفون أن التتر قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تقهر إلى حماة، ونودي في البلد بتطبيب قلوب الناس، وإقبالهم على معاشهم، وأن السلطان والعساكر واصله، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به، وبقيت بواقى على الناس الذين قد اختفوا فعني عما بقي، ولم يرد ما سلف، لا جرم أن عواقب هذه الأفعال خسر ونكر أن أصحابها لا يفلحون.

ثم جاءت الأخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى مصر، بعد أن خرج منها قاصداً الشام، فكثرت الخوف، واشتد الحال، وكثرت الأمطار جداً، وصار بالطرقات من الأحوال والسيول ما يحول بين المرء وما يريد، من الانتشار في الأرض والنهب فيها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ أقروش الشرفي: والي الولاية بالبلاد القبلية، توفي في شوال، وكانت له هبة وسطورة وحرمة.

ثم دخلت سنة إحدى وسبعمئة

استهلت والخليفة الحاكم العباسي. وسلطان البلاد والناصر محمد بن قلاوون، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلا، وبالشام الأمير جمال الدين أقروش، والأفم نائب دمشق، وفي أولها عزل الأمير قطبك عن نيابة البلاد الساحلية، وتولاهما الأمير سيف الدين أسندمر، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر، وتولى سيف الدين أقجبا المنصور نيابة غزة، وجعل عوضه بالقلة الأمير سيف الدين بهادر السنجري، وهو من البرجية.

وفي صفر رجعت رسل ملك التتر من مصر إلى دمشق، فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامه.

وفي نصف صفر ولي تدريس التورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الحنفي، عوضاً عن الشيخ ولي الدين السمرقندي، وإنما كان وليها ستة أيام، ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان، توفي وكان من كبار الصالحين، يصلي كل يوم مائة ركعة.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالقائمه السيساطية شيخ الشيخ بها عن طلب الصوفية له في ذلك، ورغبهم فيه، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي، وفرحت الصوفية به، وجلسوا حوله، ولم تجتمع هذه المناصب قبله لغيره، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا: القضاة، والخطباء، ومشيخة الشيخ.

قلت: قد اجتمعت بعد موت المؤلف لجماعة منهم برهان الدين بن جماعة وبعده شرف الدين وعلاء الدين بن أبي البقاء وشهاب الدين الباعوني، وبقوله الغزي شهاب الدين، وشمس الدين الأخنائي وشهاب الدين بن حجي وغيرهم.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن البقي بالديار المصرية، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تفصيله للشريعة المطهرة، واستهزته بالآيات المحكمات، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض، ويذكر عنه أنه كان يحمل الحرمان من اللواط والحمر وغير ذلك، لمن كان يجتمع به من الفسقة من الترك وغيرهم من الجهلة.

هذا وقد كان له فضيلة، وله اشتغال وهمة جميلة في الظاهر، ويزته ولبسته جيدة، ولما أوقف عند شبك دار الحديث الكاملية بين القصرين استناعت بالقاضي تقي الدين بن دقيق العيد وقال: ما تعرف مني؟ فقال: إنما أعرف منك الفضيلة، ولكن حكمك إلى القاضي زين الدين فامر القاضي للوالي أن يضرب عقه، فغضب عقه، وطيف برأسه في البلد، ونودي عليه هذا جزء من طعن في الله ورسوله.

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيه يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام يبارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى، منها سباع وحيات، وعقارب وطيور، ومعز، وتلثون ورجال في أوساطهم حوائص، وأن ذلك ثبت بمحض عند قاضي الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة.

خارواون تخمسائة درهم، واشتد الحال جداً، ثم جاءت الأخبار بأن ملك التار قد خاض الفرات راجعاً عامه ذلك، لضعف جيشه وقلة عددهم، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين والحمد لله رب العالمين.

ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق، وكان غيميا في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة، وهو من أعظم الرباط، وتراجع الناس إلى أوطانهم. وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لغنية مدرستها كمال الدين بن الشريشي بالكرك هارباً ثم عاد إليها في رمضان، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولية عوضاً عن جمال الدين الزري لغنيته.

وفي يوم الاثنين قرئت شروط النعمة عليهم وألزموا بها، واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات، وأخذهم بالصغار، ونودي بذلك في البلد، وألزم التصاري بالمعائن الزرق، واليهود بالصفر، والسامرة بالحمر، فحصل بسبب ذلك خير كثير، وتميزوا عن المسلمين.

وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بين مشاركة أرجواش والأمير سيف الدين أقجبا في نيابة القلة، وأن يركب كل واحد منهما يوماً، ويكون الآخر بالقلة يوماً، فامتنع أرجواش من ذلك.

وفي شوال درس بالإقالية الشيخ شهاب الدين بن المجدد، عوضاً عن علاء الدين القونوي، بحكم إقامته بالقاهرة.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرين من ذي القعدة عزل شمس الدين بن الحريري عن قضاء الحنفية، بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدته أبيه، وذلك باتفاق من الوزير الأمير شمس الدين سقر الأعسر، ونائب السلطان الأفم، وفيها وصلت رسل ملك التار إلى دمشق، في أواخر الشهر فأنزلوا بالقلة ثم ساروا إلى مصر.

ومن توفي من الأعيان

الشيخ الصالح

■ حسن الكردي: المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته، ويطعم من ورد عليه، وكان يزار، فلما احتضر اغتسل، وأخذ من شعره، واستقبل القبلة وركع ركعات، ثم توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين الرابع من جمادى الأولى، وقد جاوز المائة سنة.

الطواشي صفى الدين

■ جوه الفيلسي: المحدث، اعتنى بسماع الحديث، وتحصيل الأجزاء، وكان حسن الخلق صالحاً، لين الجانب، رجلاً جيداً مباركاً صالحاً، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين.

الأمير عز الدين

■ محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهذلي الإرملي: متولي دمشق، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر، وربما جمع شيئاً في ذلك، وكان يسكن ببلد سقر فعرف به، فيقال دوب ابن أبي الهيجاء، وهو أول منزل نزلته حين قدمنا دمشق في ستة ست وسبعمئة، ختم الله لنا بخير في عافية آمين.

توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة، وكان مشكور السيرة، حسن المحاضرة.

الأمير جمال الدين

وأمر أن يركب بخلة، وخلفه الدباب تضرب والبوقات إلى داره، وعمل ليلته في داره ختمة عظيمة، حضرها القضاة والعلماء، وأسلم على يديه جماعة كثيرة من اليهود، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين، وأكرمهم الناس إكراماً زائلاً.

وقدمت رسل ملك التتر في سابع عشر ذي الحجة فتنزلوا بالقلعة، وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام، وبعد مسيرهم يومين مات أرجواش، وبعد موته يومين قدم الجيش من بلاد سبب وقد فتحوا جانباً منها، فخرج نائب السلطة والجيش لتلقيهم، وخرج الناس للفرجة على العادة، وفرحوا بقدمهم ونصرهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

أمير المؤمنين الخليفة

■ الحاكم بأمر الله: أبو العباس أحمد بن المسعود بالله الهاشمي العباسي البغدادي المصري، بويع بالخلافة في الدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستمائة، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة، وتوفي ليلة الجمعة، ثامن عشر جمادى الأولى، وصلي عليه وقت صلاة العصر بسوق الخيل بمصر، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة، ودُفن قريباً من الست نفيسة وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبي الربيع سليمان ولقب بالستكفي بالله أمير المؤمنين.

خلافة الستكفي بالله

أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي

لما عهد إليه أبوه كتب تقليده بذلك، وقرئ بحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وخطب له على المنابر بالديار المصرية والشامية، وسارت بذلك البردية إلى جميع البلاد الإسلامية.

وتوفي فيها:

الأمير عز الدين:

■ أيك بن عبد الله النجبي الدوادار: والي دمشق، وأحد أمراء الطليخان بها، وكان مشكور السيرة، ولم تطل مدته ودفن بقاسيون، توفي يوم الثلاثاء، سادس عشر ربيع الأول.

الشيخ الإمام العالم شرف الدين أبو الحسن: علي بن الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد

■ اليوناني العليكي، وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه.

ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة، فأسعاه أبوه الكثير، وتفقه واشتغل، وكان عبداً عاملاً، كثير الخشوع، دخل عليه إنسان وهو بخانة الكتب، فجعل يضربه بعضاً في رأسه، ثم بسكين، فبقي مريضاً أياماً، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس حادي عشر رمضان ببعلبك، ودفن بباب سطحا، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله، وحفظه الأحاديث، وتودده إلى الناس، وتواضعه، وحسن سمته ومروءته، تلمذه الله تعالى برحمته.

الصدر ضياء الدين

وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شق الشيخ علي الحوراني بواب الظاهرية على بابها، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمركندي. وفي النصف منه حضر القاضي بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجرائية، عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي، وذلك أنه ثبت حضر أنها لقاضي الشافعية بدمشق، فاتزعها من يد ابن الشريشي.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلاسي على أهله من بلاد التتر بعد أسر ستين وإياماً، وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف، حتى تخلص منهم ورجع إلى أهله ففرحوا به.

وفي سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي، وأن ولده ولي الخلافة من بعده، وهو أبو الربيع سليمان، ولقب بالستكفي بالله، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة، ودفن بالقرب من الست نفيسة، وله أربعون سنة في الخلافة، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين بن الحريري الحنفي، وينظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر، واستمرت الخاتونية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلطة.

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة الستكفي بالله، وترجم على والده بجامع دمشق، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشي، وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة.

وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والشمار، وجرد الأشجار، حتى صارت مثل العصي، ولم يعهد مثل هذا.

وفي هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخبايرة، والزمو بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله عليه الصلاة والسلام بوضع الجزية عنهم، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكتوب مفتعل، لما فيه من الألفاظ الركيكة، والتواريخ المخيطة، واللحن الفاحش، وحاققهم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وبين لهم خطاهم وكذبهم، وأنه مزور مكتوب، فأنابوا إلى أداء الجزية، وخافوا من أن يستعاد عليهم بالسنين الماضية.

قلت: وقد وقتت أنا على هذا الكتاب فرايت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خير، وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من ثلاث سنين وشهادة معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن أسلم إذ ذاك وإنما أسلم بعد ذلك بنحو من ستين، وفيه: وكتب علي بن أبي طالب. وهذا لحن لا يصدر عن أمير المؤمنين علي، لأن علم النحر إنما أسند إليه من طريق أبي الأسود الدؤلي عنه، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردي، وكبار أصحابنا في ذلك العصر، وقد ذكره في الحاوي وصاحب الشامل في كتابه وغير واحد، وبينوا خطاه ولله الحمد والمنة.

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية، وشكروا منه أنه يقيم الحدود، ويعزر ويحلق رؤوس الصبيان، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك، وبين خطاهم، ثم سكنت الأمور.

وفي ذي القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سبب عنوة، ففتحها المسلمون ولله الحمد.

وفيه قدم عز الدين بن ميسر على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر. وفي يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل، ومعه أولاده فأسلموا كلهم، فأكرمهم نائب السلطة،

قاصدين بلاد مصر.

وباشر الشيخ شرف الدين الفزاري مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر، عوضاً عن شرف الدين الناسخ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إسماعيل الفارسي، توفي بها عن سبعين سنة، وكان فيه بر ومعرفة، وله أخلاق حسنة، رحمه الله تعالى.

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور دوماً مفيداً، وحضر عنده جماعة من الأعيان.

وفي يوم الجمعة حادي عشرين جمادى الأولى خلع على قاضي القضاة نجم الدين بن صَنْزَرَى قضاء الشام، عوضاً عن ابن جماعة، وعلى الفارقي بالخطابة، وعلى الأمير ركن الدين بيرس التلادي بشد الدواوين وهنأهم الناس، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة، ثم جلس في الشباك الكمالى وقرئ تقليده مرة ثانية.

وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور، فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية، والقاضي شمس الدين بن الحريري، وجماعة من الأمراء والخوارج الذين يباب السلطنة يناصون التتر ويكتبونهم ويريدون تولية قبجق على الشام، وأن الشيخ كمال الدين بن الزمكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين أقروش الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل، ففحص عن واضعه، فإذا هو فقير كان مجاور باليت الذي كان مجاوراً عراب الصحابة، يقال له اليمزوري، وآخر معه يقال له: أحمد الفناري، وكانا معروفين بالشر والفضول، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب، فتحقق نائب السلطنة ذلك، فعزروا تعزيراً عتيفاً، ثم وسطا بعد ذلك في مستهل جمادى الآخرة وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب، وهو التاج ابن المناديلي.

وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نياية القلعة عوضاً عن أرجواش.

عجبية من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة، أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة، ظهرت دابة من البحر عجبية الخلقة، من بحر النيل إلى أرض المتوفية، بين بلاد منية: مسود واصطباري والراهب، وهذه صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وأقنانها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة، ورقبتها مثل غلظ التلييس، المحشو تبناً، وفمها وشفاتها مثل الكريال، ولها أربعة أنياب اثنتان من فوق واثنتان من أسفل، طول كل واحد دون الشبر في عرض إصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون فترساً، وسنّاً مثل يداق الشطرنج، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتيها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر جعد، ودور حافرها مثل السكرجة، بأربعة أظافر مثل أظافر الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً، وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك، وطعمه ك لحم الجمل، وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمّل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة أجمال في مقدار ساعة من نقله على جمل بعد

■ أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامية، والد القاضي قطب الدين موسى الذي تولى فيما بعد نظار الجيش بالشام وبمصر أيضاً، توفي يوم الثلاثاء عشرين ذي القعدة ودفن بقاسيون، وعمل عزاءه بالرواحية.

الأمير الكبير المجاهد المرباط علم الدين

■ أرجواش بن عبد الله المنصوري، نائب القلعة بالشام، كان ذا هيئة وهمة، وشهامة وقصد صالح، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين، لما ملكت التتار الشام أيام قازان، وعصت عليهم القلعة، ومنعها الله منهم على يدي هذا الرجل، فإنه التزم أن لا يسلمها إليهم ما دام بها عين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فصلي عليه، وحضر نائب السلطنة فمن دونه جنازته، ثم حمل إلى سفح قاسيون، ودفن في تربته رحمه الله تعالى.

■ الأبرقوهي المسند المعمر المصري: هو الشيخ الجليل المسند الرحلة، بقية السلف شهاب الدين أبو المال أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب، الأبرقوهي الهمداني ثم المصري، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان، سنة خمس عشرة وستمئة، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين، وخرجت له مشيخات، وكان شيخاً حسناً، لطيفاً متيقظاً، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله تعالى.

ولمها توفي:

■ (محمد بن حسن بن علي لقادة الحسني).

صاحب مكة الشريف أبو نَمَى محمد ابن الأمير أبي سعد حسن بن علي بن لقادة الحسني: صاحب مكة منذ أربعين سنة، وكان حليماً وقروراً، ذا رأي وسياسة، وعقل ومروءة.

ولمها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي البصري، الشافعي عفا الله عنه، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعمائة من الهجرة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي يوم الأربعاء ثاني صفر منها فتحت جزيرة لرواد بالقرب من أنطوطوس، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل، فجاءتها مراكب من الديار المصرية في البحر، وأرد فيها جيوش طرابلس، ففتحت ولله الحمد إلى نصف النهار، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين، وأسروا قريبا من خمسمائة، ودقت البشار بدمشق ثلاثة أيام سرورا وفرحاً وكان فتحها من تمام فتح السواحل، وأراح الله المسلمين من شر أهلها.

وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاة قاضي القضاة ابن دقيق العيد، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، فيه تعظيم له واحترام وإكراه، يستدعيه إلى قريه لياشر وظيفة القضاء بمصر على عادته، فتهيب لذلك، ولما عزم خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد، وأعيان الناس ليودعوه، وستأتي ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات.

ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراماً زائلاً، وخلع عليه خلعاً صوف، وبغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول، ووصلت رسل التتار في أواخر ربيع الأول

العدو فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون على التتر، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِبُيُوتِ مَا غُرِبَ بِوَيْتٍ بَنِي عَلَيْهِ لِيَصْرِئَهُ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَتَغْفِرَ غُفُورًا﴾ [الحج: ٦٠]. وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيرون على المسلمين، ما وهم متلبسون به من المعاصي والظلم، هم متلبسون بما هو أعظم منه أضعاف مضاعفة، فتظن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: إذا رأيتهم مني ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتر، وقويت قلوبهم ونياتهم، ولله الحمد.

ولما كان يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية فخيبت على الجسورة من ناحية الكسوة، ومعهم القضاة، فصار الناس فيهم فريقين فريق يقولون إنما ساروا ليخربوا موضعاً للقتال، فإن المرجح فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال، وقال فريق: إنما ساروا إلى تلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان، فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة، فقيت ظنون الناس في هربهم، وقد وصلت التتر إلى قنطرة، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيفة، فالتزعج الناس لذلك انتزاعاً شديداً، ولم يبق حول البلد من القرى والخواضر أحد، وامتألت القلعة والبلد، وازدحمت المنازل والطرقات، واضطرب الناس.

وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه، فظنوا أنه إنما خرج هارباً فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت متعنتا من الجفل، وها أنت هارب من البلد؟ فلم يرد عليهم، وبقي البلد ليس فيه حاكم، وعانت اللصوص والخرافيش فيه وفي بساين الناس، يخربون وينهبون ما قدروا عليه، ويقطعون الممشى قبل أوانه، وكذلك البقلاء والقمح والشعير وسائر الخضراوات، وحل بين الناس وبين خبر الجيش، وانقطعت الطرق إلى الكسوة، وظهرت الوحشة على البلد والخواضر، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن، ينظرون ميمناً وشمالاً، وإلى ناحية الكسوة، قنطرة يقولون: رأينا غيرة فيخافون أن تكون من التتر، ويتعجبون من خبر الجيش مع كثرتهم وجودة عنيتهم وغددهم وغددهم، أين ذهبوا؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم، فانقطعت الأمال، والحق الناس في الدعاء والابتهاال، وفي الصلوات وفي كل حال، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبر عنه، لكن كان الفرج من ذلك قريباً، ولكن أكثرهم لا يعلمون، كما جاء في حديث أبي رزين: «عجب ركب من قنوط عباده، وقرب غيره، ينظر إليكم أترلين قنطين، فيظن يضحك يعلم أن فرجكم قريب» [ج (١٨١)، مستد احمد: ١١/٤، ١٢].

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير فخر الدين إلياس المرقبي أحد أمراء دمشق، فبشر الناس بخير، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية، وقد أرسلي أكتشف هل طرق البلد أحد من

جل، وأحضروه إلى بين يدي السلطان بالقلعة، وحشوه تبناً، وأقاموه بين يديه والله أعلم.

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتر على دخول بلاد الشام، فالتزعج الناس لذلك، واشتد خوفهم جداً، وقتت الخطيب في الصلوات، وقرئ البخاري وشرع الناس في الجفل إلى الديار المصرية، والكرك والحصون النبعة، وتأخر عيى العساكر المصرية عن أوانها، فاشتد لذلك الخوف.

وفي شهر رجب باشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة، عوضاً عن الصدر أمين الدين بن هلال، توفي إلى رحمة الله تعالى وباشر نظر الجامع جمال الدين بن الصدر سليمان عوضاً عن شرف الدين بن الشيرجبي.

وفي يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين بن عبد السلام، وكان جمال الدين الزرعي يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ.

وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة والطليخان على أبواب الأمراء، بمخرج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتر المخولين. وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الإسلام فيهم أسندمر وبهادرأص وكجكن وغرلو المعادلي، وكل واحد منهم سيف من سيوف الملة والدين في ألف وخمسمائة فارس، مع التتر، وكان التتر في سبعة آلاف، فاقتلوا وصبر المسلمون صبراً جيداً، فنصرهم الله وخذل التتر، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين، وولوا عند ذلك مديرين، وغنم المسلمون منهم غنائم، وعادوا سالين، لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله تعالى بالشهادة، ووقعت البطاقة بذلك، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان، وكان يوم خيس التصارى.

أوائل وقعة شقحب

وفي ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين، فيهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير حسام الدين لاجين المعروف بالاستادار المنصوري، والأمير سيف الدين كراي المنصوري، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأبيك الخزندار فقويت القلوب واطمان كثير من الناس، ولكن الناس في جفل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي، وتقهر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص، ثم خافوا أن تدمعهم التتر فجاؤوا فقتلوا المرجح في يوم الأحد خامس عشرين شعبان.

ووصل التتر إلى حمص وبعيلك، وعاثوا في تلك الأراضي فساداً، وقلق الناس قلقاً عظيماً، وخافوا خوفاً شديداً، واختلط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وقال الناس لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتر لكثرتهم، وإنما سيبلغهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، وتحدث الناس بالأراجيف، فاجتمع الأمراء يوم الأحد المذكور بالبيدان الأخضر وتحالفوا على لقاء العدو، وشجعوا أنفسهم، ونودي بالبلد أن لا يرحل أحد منه، فسكن الناس، وجلس القضاة بالجامع، وحلفوا جماعة من الفقهاء، والعامّة على القتال.

وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم في القطيفة، فاعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء

تقف إلا معهم، وحرّض السلطان على القتال ويشره بالنصر، وجعل يحلف له بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وأقضى الناس بالقطر مدة قتالهم وأقفر هو أيضاً، وكان يندور على الأطلاب والأمراء، فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إظهارهم ليقفوا على القتال أفضل، وكان يتأول في الشامين قوله **تَحَلُّوا**: «إِنكُمْ مُلَاقُوا الْعُوْ غَدًا، وَالْفَطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فعزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري (١١٢٠)، د (٢٤٠٦)، وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان، ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثابتاً عظيماً، وأمر بجواده فقيّد حتى لا يهرب، وباعه الله تعالى في ذلك الموقف، وجرت خطوب عظيمة، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي، أستاذ دار السلطان، وثمانية من الأمراء المقدمين معه، وصالح الدين بن الملك الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل، وخلق من كبار الأمراء ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ، واستظهر المسلمون عليهم ولله الحمد والمثنة.

فلما جاء الليل لجأ التتر إلى احتكام التلول والجبال والأكام، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب، ويومنونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل، وجعلوا يجيئون بهم في الحبال، فتضرب أعناقهم، ثم اقتحم منهم جماعة للهزيمة فنجوا منهم قليل، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهالك، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة، ولله الحمد والمثنة.

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان، وبين يديه الخليفة، وزينت البلد وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد، فتنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان، ثم إنه تحول إلى القلعة يوم الخميس، وصلى بها الجمعة، وخلع على نواب البلاد، وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم، واستقرت الخواطر، وذهب اليأس، وطابت قلوب الناس، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة، وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدغدي أمير علم، وعزل صارم الدين إبراهيم وإلى الخاص عن ولاية البر، وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال، بعد أن صام رمضان وعيّد بدمشق.

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأفرم أن يولي عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ ضفي الدين الهندي، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال، عوضاً عن ناصر الدين بن عيد السلام.

ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، وكان يوماً مشهوداً، وزينت القاهرة.

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس، بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة، وكان جمهورها بالديار المصرية، تلاطمت بسببها البحار، فكسرت المراكب، وتهدمت الدور، ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله، وتشقت الحيطان ولم ير مثلها في هذه الأعصار، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها.

وفي ذي الحجة باشر الشيخ أبو الوليد ابن الحاج الأشيلي المالكي إمام عراب المالكية بجامع دمشق، بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصنهاجي.

التتر، فوجد الأمر كما يجب، لم يطرقها أحد منهم، وذلك أن التتر عرجوا عن دمشق إلى ناحية العساكر المصرية، ولم يشتغلوا بالبلد، وقد قالوا إن غلبنا فإن البلد لنا، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به، ونودي بالبلد في تطيب الخواطر، وأن السلطان قد وصل، فاطمان الناس، وسكنت قلوبهم، وثبت الشهر ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الخبيلي، فإن السماء كانت مغيمة، فعلقت القتائل، وصليت التراويح، واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس، فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو المعالي فاجتمع بنائب القلعة، ثم عاد سريعاً إلى العسكر، ولم يدر أحد ما أخبر به، ووقع الناس في الأراجيف والخروض.

وقعة شقحب

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من شدة الخوف وضيق الأمر، فراوا من المآذن سواً وغبرة من ناحية العسكر والعدو، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم، فابتهلوا إلى الله عز وجل، بالدعاء في المساجد والبلد، وطلع النساء والصغار على الأسطحة، وكشفوا رؤوسهم وضح البلد ضجة عظيمة، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير، ثم سكن الناس.

فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة، والتحرز على الأسوار، فدعا الناس في المآذن والبلد، وانقضى النهار، وكان يوماً مزعجاً هائلاً.

وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر، وخرج ناس إلى ناحية الكسوة، فرجعوا ومعهم شيء من المكاسب، وروّوس التتر، وصارت كسرة التتر تقرى وتترابد قليلاً قليلاً حتى اتضحت جملة، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولي القلعة، يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين أقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلاً ونهاراً وأنهم هربوا وفروا واعتصموا بالجبال والتلال، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم، وتباشروا بهذا الفتح العظيم، والنصر المبارك، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور، ونودي بعد الظهر بإخراج الجفأ من القلعة، لأجل نزول السلطان بها، وشرعوا في الخروج.

وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق، فبشروا الناس بالنصر.

وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد، ففرح الناس به ودعوا له، وهنّوه بما يسر الله على يديه من الخير، وذلك أنه نذبه العسكر الشامي أن يسير إلى السلطان، يستحثه على السير إلى دمشق، فسار إليه فحطه على المحيى إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر، فجاء هو وإياه جميعاً، فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال، فقال له الشيخ: السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن دقيق العيد: الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، القشيري المصري، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان، سنة خمس وعشرين وستمائة، بساحل مدينة بنج من أرض الحجاز.

سمع الحديث الكثير، ورحل وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة، مفيدة فريدة، وانتهت إليه رئاسة العلم في زمانه، وفاق أقرانه، ورحل إليه الطلبة، ودرس في أماكن كثيرة، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة، ومشيخة دار الحديث الكاملية.

وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه: ما أظن بقي يخلق مثلك.

وكان وقوراً، قليل الكلام، غزير الفوائد، كثير العلوم في ديانة وزمالة، وله شعر رائق.

توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر، وصلي عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخليل، وحضر جنازته نائب السلطان والأمراء، ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله تعالى.

الشيخ برهان الدين السكندري:

■ إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم، سمع الحديث وتفقه ودرس بالقوصية وأعاد وأتى وناب في الخطابة مدة، وفي الحكم عن ابن جماعة وكان ديناً فاضلاً، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة.

ويعد شهر سوي كانت وفاة. الصدر

■ جمال الدين بن العطار: كاتب الدرج منذ أربعين سنة. أبو العباس أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتیان الشيباني، كان من خيار الناس وأحسنهم نية، ودفن بترية لهم تحت الكهف، بسفح قاسيون، وتأسف الناس عليه لإحسانه إليهم رحمه الله تعالى.

الملك

■ العادل زين الدين كيتبا: توفي بحماة نائباً عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الأضحى، ونقل إلى ترته بسفح قاسيون، غربي الرباط الناصري، يقال لها العادلية، وهي تربة مليحة، ذات شبايبك وبوابة ومثنية، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك، وكان من كبار الأمراء المنصورية.

وقد ملك البلاد بعد مقتل الأشرف خليل بن المنصور، ثم انتزع الملك منه لاجين، وجلس في قلعة دمشق، ثم تحول إلى صرخد، وكان بها حتى قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون، فاستأبى بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا، وكان من خيار الملوك وأعلمهم، وأكثرهم برأ، وكان من خيار الأمراء والنواب رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي صفر توفي الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي، وخلع عليه، وبأشهر مباشرة مشكورة، وسأوى بين الناس، وعزل نفسه في

رجب منها.

وفي شهر صفر توفي الشيخ شمس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأقام بها.

ولما توفي الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الأسور، فلما قدم تكلموا معه في وظائف الفارقي، فعين الخطابة لشرف الدين الفزاري، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزمكاني، ورسم بكتابة التواقيع بذلك، وبأشر الشيخ شرف الدين الإمامة والخطابة، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته، وجودة سيرته.

فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وصل البريد من مصر صجة الشيخ صدر الدين بن الوكيل، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي، مضافاً إلى ما بيده من التدريس، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر، وخرج من عنده إلى الجامع، ففتح له باب دار الخطابة فزها، وجاءه الناس يهتونه، وحضر عنده القراء والمؤذنون، وصلى بالناس العصر، وبأشر الإمامة يومين، فأظهر الناس التألم من صلاته وخطبته، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة، وأقره على التدريس ودار الحديث، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وخلع عليه بطرحة، وفرح الناس به، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزمكاني، تدريس الشامية البرانية من بيد ابن الوكيل، وبأشهرها في مستهل جمادى الأولى، واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرسته الأولين، وأظنهما العذراوية والشامية الجوانية.

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعادة السنجرى إلى نيابة القلعة، وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندار نيابة حصص، عوضاً عن عز الدين الحموي، توفي.

وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر، وأضيف إليها ألفان من دمشق، وساروا وأخذوا معهم نائب حصص الجوكندار ووصلوا إلى حماة، فقصدهم نائبها الأمير سيف الدين قبجق، وجاء إليهم أسدندر نائب طرابلس، وانضاف إليهم قراستقر نائب حلب، وانفصلوا كلهم عنها فانفردوا فرقتين فرقة سارت صحبة قبجق إلى ناحية ملطية، وقلعة الروم والفرقة الأخرى صحبة قراستقر حتى دخلوا الدبرينات، وحاصروا تل حملون فسلموه عنوة في ثالث عشر ذي القعدة بعد حصار طويل، فدفقت البشائر بدمشق لذلك ووقع مع صاحب سيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ما وراء النهر إلى ناحيتهم لهم، وأن يعجلوا حمل ستين، ووقعت الهدنة على ذلك، بعد ما قتل خلق من أمراء الأرمن وروؤسائهم، وعادت العساكر إلى دمشق مؤبدلين منصورين، ثم توجهت العساكر المصرية صحبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر.

وفي أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا، وهو ملك التار قازان، واسمه محمود بن أرغون بن أبنا، وذلك في رابعه أو حادي عشره بالقرب أو ثالث عشره، بالقرب من همدان، ونقل إلى ترته بتبريز بمكان يسمى الشام، ويقال إنه مات مسموماً، وقام في الملك بعد أخوه خربندا محمد بن أرغون، ولقبوه الملك غياث الدين، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك النواحي والبلاد.

وكانت له همة، وشهامة وصرامة، وكان يبشر الأوقاف جيداً، وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها زمن قازان، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة، من بعد النروي إلى حين وفاته، وكانت معه الشامية البرانية، وخطابة الجامع الأموي تسعة أشهر، باشر به الخطابة قبل وفاته، وقد انتقل إلى دار الخطابة، وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر، وصلى عليه ضحوة يوم السبت، ابن صصري عند باب الخطابة، ويسوق الخيل قاضي الخفية شمس الدين بن الحريري، وعند جامع الصالحية قاضي الخنابلة تقي الدين سليمان، ودفن بترية أهله شمالي تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزاري ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل، والشامية البرانية ابن الزملكاني وقد تقدم ذلك.

الأمير الكبير

■ عز الدين أيك الحموي: ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخند، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نياحة حمص، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر، ونقل إلى تربته بالسفح غربي زاوية ابن قوام، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب، الذي يقال له حمام الحموي، عمره في أيام نيابته.

الوزير فتح الدين: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير القرشي المخزومي

■ ابن القيسراني، كان شيخاً جليلاً، أديباً شاعراً مجيداً، من بيت رئاسة ووزارة، ولي وزارة دمشق مدة، ثم أقام بمصر موقماً مدة، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه وإسماعه، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين، وأورد شيئاً من أحاديثهم في جملتين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى، وقد خرج عنه الحافظ الدماطي، وهو آخر من توفي من شيوخه، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر، وأصلهم من قيسارية الشام، وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد، وكان من الكتاب الجيدين المتقين، له كتابة جيدة محررة جداً، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسائة، وأبوه محمد بن نصر بن صغير ولد بعكا قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، فلما أخذت بعد التسعين وأربع مائة انتقل أهلهم إلى حلب فكانوا بها، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك.

وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص

■ عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زوع القرشي من بني حصة، وهم يتسبون إلى الشرف، ويأيدهم نسب، وقف على بعضها شيخنا المزي، فأعجبه ذلك وإتبع به، فصار يكتب في نسي بسبب ذلك: القرشي من قرية يقال لها الشركوين غربي بصرى، بينها وبين أذعات، ولد بها في حدود سنة أربعين وست مائة، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة بصرى فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة، وحفظ جمل الزجاجي، وعني بالنحو والعربية واللغة، وحفظ أشعار العرب، حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق، في المديح والمراثي، وقليل من المجاه، وقرر في مدارس بصرى بمرك الناقة شمالي البلد حيث يزار، وهو المبرك المشهور عند الناس، والله أعلم بصحة ذلك.

ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقي بصرى، وتذهب للشافعي، وأخذ عن النواوي، والشيخ تاج الدين الفزاري، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني، فأقام بها نحواً من اثني عشرة سنة،

وحج في هذه السنة الأمير سيف الدين سلاز نائب مصر، وفي صحبه أربعون أميراً، وجميع أولاد الأمراء، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادى، وتولى مكانه بالبركة الأمير ناصر الدين محمد الشيباني، وخرج سلاز في أبهة عظيمة جداً، وأمير ركب المصريين الحاج أناق الحسامي، وترك الشيخ صفى الدين مشيخة الشيوخ فولياها القاضي عبد الكريم ابن قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي، وحضر الخاتمة يوم الجمعة حادي عشرين من ذي القعدة، وحضر عنده ابن صصري، وعز الدين بن القلاسي، والصاحب ابن ميسر، والمحتسب وجماعة.

وفي ذي القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الإسلام، وهو الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، وفي صحبته نحو من عشرة، فحضروا الجمعة في الجامع، وتوجهوا إلى مصر، فأكرم وأعطى إمرة ألف، وكان مقامه ببلاد آمد، وكان يناصح السلطان ويكتبه ويطلعه على عورات التتر، فلها عظم شأنه في الدولة الناصرية.

ومن توفي فيها من الأعيان

ملك التتر

■ قازان بن أرغون بن أبغا، تقدم.

الشيخ القدوة العابد الزاهد الورع أبو إسحاق

■ إبراهيم بن أحمد بن محمدي بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي الحنبلي، كان أصله من بلاد الشرق، ومولده بالرقية، في سنة سبع وأربعين وست مائة، واشتغل وحصل، وسمع شيئاً من الحديث، وقدم دمشق فسكن بالمنزة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع، وكان معظماً عند الخاص والعام، فصيح العبارة، كثير العبادة، خشن العيش، حسن المجالسة، لطيف الفكاهة، كثير التلاوة، قوي التوجه من أفراد العالم، عارفاً بالتفسير والحديث، والفقه والأصول، وله مصنفات، وخطب، وله شعر حسن، توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم، وصلي عليه عقيب الجمعة، ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي هذا الشهر توفي: الأمير زين الدين

■ قراجا، أستاذ الأفرم، ودفن بترية بميدان الحصا عند النهر.

والشيخ شمس الدين

■ محمد بن إبراهيم بن عبد السلام: عرف بابن الحيلي، كان من خيار الناس، يتردد إلى عكا أيام كانت الفرنج، في فكك أسارى المسلمين، جزاه الله خيراً، وعقته من النار، وأدخله الجنة برحمته.

■ (عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي).

الخطيب ضياء الدين: أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي، خطيب بعلبك نحواً من ستين سنة بعد والده، ولد سنة أربع عشرة وست مائة، وسمع الكثير، وتفرغ عن القزويني، وكان رجلاً جيداً، حسن القراءة، من كبار العدول، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر، ودفن بباب سطحا.

الشيخ زين الدين

■ الفارقي: عبد الله بن مروان بن عبد الله، بن فهر بن الحسن، أبو محمد الفارقي، شيخ الشافعية ولد سنة ثلاث وثلاثين وست مائة، وسمع الحديث الكثير، واشتغل ودرس في عدة مدارس، وأفتى مدة طويلة،

ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الولادة، فأقام بها مدة طويلة، في خير وكفاية، وتلاوة كثيرة، وكان يخطب جيداً، وله قبول عند الناس، ولكلامه وقع لبيانه وفصاحته وحلاوته، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق وجود الحلال له ولعيله.

وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها، أكبرهم إسماعيل، ثم يونس وإبريس، ثم من الوالدة عبد الوهاب، وعبد العزيز، ومحمد، وأخوات عدة، ثم أنا أصغرهم، وسميت باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده، وقرأ مقدمة في النحو، وحفظ التبتية، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري، وحصل المنتخب في أصول الفقه، قاله في شيخنا ابن الزمكاني، ثم إنه سقط من سطح الشامية الرابية فمكث أياماً ومات، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً، ورنه بأبيات كثيرة، فلما ولدت أنا له بعد ذلك سماني باسمه، فأكثر أولاده إسماعيل، وأخروهم وأصغرهم إسماعيل، فرحم الله من سلف، وختم بخير لن بقي.

وكانت وفاة الوالد في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمئة، بقرية مجيدل القرية، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون، وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها، لا أدرك إلا كالحلم، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعمئة إلى دمشق، صحبة الأخ كمال الدين عبد الوهاب، وقد كان لنا شقيقاً، وبنا رقيقاً شرفاً، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين، فاشتغلت على يديه في العلم، فيسر الله تعالى منه ما يسر، وسهل منه ما تعسر، والله أعلم.

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه، فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي عرجه له، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت، وكذلك وقتت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار: قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية، وهي قرية من أعمال بصرى، رجل فاضل، له نظم جيد، ويحفظ كثيراً من اللزغ، وله همة وقوة، كتب عنه من شعره بمضور شيخنا تاج الدين الفزاري، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمئة بمجيدل القرية من عمل بصرى، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي، خطيب القرية بها نفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وستمئة: الطويل

نأى النور عن جنبي فبت شنهذا أنا كلفو حلف المنيبة موحدا
سير النور والشجور مثلها فمن ولهي غلت الكواكب ركذا
طربعا على فرش المنية والأسي فسا شروكم لو كتم لبي غرضا
تلكي لبي الغرام بلزعة أرى النور بين يلقاها لبي لبردا
وسرق سيري بنه جيران خلجيز سمير غرام بأت في القلب مرقدا
فانظره فني لعل زفيره يعل ففظة النور نوقدا
فبت بالليل نلبي ولا أرى على الشاي من بنه الأحيه شجدا
جا لك من كيل باعده فجرة غلبي إلى أن غلته قد تخلصدا
غراما وبنه لا يحد أكله باميت منشرك المزييف أقيدا
لعل طنة قلابد زان جتالها بطرة شمر خاللك النور أنشودا
نهر من القدر الرضين مفعلا ونسهر من جنبيو سيقا مهندا

ويشي دود غلبي وآس غلته ونسي كل حزن ففظة مخلصدا
إذا ما ربا وانفرد عند لقلبي وبكراة ونجدة إندلا لا وكراة
ورب الحبي تقدر تائل خنة ورب الحبي تقدر تائل خنة
لما كتبه الحزن لبي لسان غلها ليا كتبه الحزن لبي لسان غلها
فبت بكفوي من خبالك طابري فبت شفي شوق نجاة خنة
سائق إلا ما سرت بختنا سائق إلا ما سرت بختنا
لعل جنوبي أن تبيض ثمرها رنكن قلبك قد خجرت فسا خنا
غلطت بهجرتي ولو كتبت ماينا لنا صلك الراشون غلبي ولا غلنا
وعدتنا ثلاثة وعشرون بيتا والله يغفر له ما صنع من الشعر.

ثم دخلت سنة أربع وسبعمئة

استهلت والخليفة والسلطان والحكام والمباشر هم المذكورون في التي قبلها.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري بجامع الحاكم بعد أن جده من خرابه بالزلزلة التي طرقت ديار مصر، في آخر سنة تين وسبعمئة، وجعل القضاة الأربعة هم المدرسين للمذاهب، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي، وشيخ النحو أمير الدين أبو حيان، وشيخ القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطوني، وشيخ إفادة العلوم الشيخ علاء الدين القنوي.

وفي جمادى الآخرة باشر الأمير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بكتمر، وصارا حاجين كبيرين في دمشق. وفي رجب منها أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس ولقا كبراً متصاعاً جداً، يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك اللق، فتأبه الناس من كل جانب، وقطعوه حتى لم يدعوا منه شيئاً، وأمر بخلق رأسه، وكان ذا شعر، وقلم أظفاره وكانوا طوالاً جداً، وحف شارب السبل على فمه المخالف للسنة، واستأبه من كلام الفحش، وأكل ما لا يجوز أكله من المحرمات وبما يغير العقل من الحشيشة وغيرها، وبعده استحضر الشيخ محمد الحجاز البلاسي، فاستأبه أيضاً عن أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعيير النمامات، ولا في غيرها بما لا علم له به.

وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد النارنج، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينزل لها، قطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً وبهذا وأمثاله حسدوه وإبرزوا له العداوة، وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه، فحسد على ذلك وعرودي، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم، ولا بالي، ولم يصلوا إليه بمكرهه، وأكثر ما نالوا منه الحبس، مع أنه لم يقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام، ولم

■ عمر بن أبي القاسم بن عبد المعصم بن محمد بن الحسن بن أبي الكاتب بن محمد بن أبي الطيب، وكيل بيت المال، وناظر الخزانة، وقد ولي في وقت نظر المارستان التوري وغير ذلك، وكان مشكور السيرة، رجلاً جيداً، وقد سمع الحديث وروى أيضاً، وتوفي ليلة الثلاثاء، الخامس عشر من جمادى الآخرة، ودفن بترتهم باب الصغير.

ثم دخلت سنة خمس وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون فيما مضى، وجاء الخبر في أولها أن جماعة من التتر كمروا لجيش حلب، وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك.

وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين الغزويني أخو قاضي القضاة إمام الدين نيازة عن ابن صصري.

وفي ثمانية خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية، وقد كان تقدم بين يديه طائفة منهم بعد خروج ابن تيمية في ثاني المحرم، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض واليمنية، فخرج نائب السلطنة الأقدم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوهم فنصرهم الله عليهم، وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقهم الضالة، ووطئوا أراضي كثيرة من منيع بلادهم، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق، في صحة الشيخ تقي الدين بن تيمية والجيش، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير، وأبان الشيخ علماً وشجاعة في هذه الغزوة، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً.

وفي مستهل جمادى الأولى قدم القاضي أمين الدين أبو بكر بن القاضي وجيه الدين عبد العظيم بن الرقاقي المصري من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق، عوضاً عن عز الدين بن ميسر.

ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية

مع الأحمدية، وكيف عقدت له المجالس الثلاثة

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقهاء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق، وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية، فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إنكاره عليهم، وأن يسلم لهم حالهم، فقال الشيخ: هذا ما يمكن، ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة، قولاً وفعلًا، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه وعلى كل أحد. فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعتهم، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام، وليفضل جسده غسلًا جيداً، وبذلكه بالخل والأشنان، ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقاً، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يتنسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته، بل حاله من أحوال الدجاجة المخالفة للشرعة المحمدية إذا كان صاحبها على السنة، فما الظن بخلاف ذلك! فابتدر شيخ الميع الشيخ صالح وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة وكثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج على الكتاب والسنة ضربت عنقه، وصنف الشيخ جزءاً في طريقة

يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجلاء كما سيأتي، وإلى الله إياهم الخلق وعليه حسابهم.

وفي رجب جلس قاضي القضاة نجم الدين بن صصري بالمدرسة العادلية الكبيرة، وعملت التخوت بعدما جدت عمارة المدرسة، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها، وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزاري بوكالة بيت المال فلم يقبل، وللشيخ كمال الدين بن الزملاكتي بنظر الخزانة قبله وخلع عليه بطرحة، وحضر بها يوم الجمعة، وهاتان الوظيفتان كانتا مع نجم الدين بن أبي الطيب توفي إلى رحمة الله.

وفي شعبان سعى جماعة في تبديل الوعيد ليلة النصف، وأخذوا خطوط العلماء في ذلك، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يفتق ذلك، بل أشعلوا وصليت صلاة ليلة النصف أيضاً.

وفي خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر بوكالة بيت المال، وليس الخلة يوم الجمعة سابع رمضان، وحضر عند ابن صصري بالمشايك الكماي.

وفي سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيخ، وقطع إقطاعه، ورسم عليه وعوقب إلى أن مات في ذي القعدة، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا وخلع عليه.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة حكم قاضي القضاة جمال الدين الزواوي بقتل الشمس محمد بن جمال الدين عبد الرحيم الباجري، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم، بعد إثبات محضر عليه يتضمن كفر الباجري المذكور، وكان ممن شهد عليه فيه الشيخ عبد الدين التونسي التحوي الشافعي، فهرب الباجري إلى بلاد الشرق، فمكث بها مدة سنين، ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتي.

وفي ذي القعدة كان نائب السلطنة في الصيد فقصدهم في الليل طائفة من الأعراب، فقاتلهم الأمراء، وقتلوا من العرب نحو النصف، وتوغل في العرب أمير يقال له سيف الدين بهادر سمر احتقاراً بالعرب، فضره واحد منهم برمح فقتله، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقاً أيضاً، وأخذوا واحداً منهم زعماً أنه هو الذي قتله، فصلب تحت القلعة، ودفن الأمير المذكور بقر الست وفي ذي القعدة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة من الفقهاء في الفتاوى الصادرة من الشيخ علاء الدين بن العطار، شيخ دار الحديث النورية والقروية، وأنها مخالفة للمذهب الشافعي، وفيها تخييط كثير، فتوهم من ذلك، وراح إلى الحنفي فحقن دمه وأبقاه على وظائفه، فبلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه، ورسم عليهم ثم اصطلموا، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء.

وفي مستهل ذي الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية وجماعة من أصحابه، إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان، فاستأبوا خلقاً منهم، وألزموهم بشرائع الإسلام، ورجع مؤيداً منصوراً.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي: شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة عديدة، وعنه تكتب إجازات الفقهاء، ودفن هناك عند سلفه بالطائغ. الصدر نجم الدين

وحتى أصبح به في غيبته، فتألم النائب لذلك، ونادى في البلد أن لا يتكلم أحد في العقائد، ومن عاد تكلم في ذلك حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته، فسكت الأمور، ولقد رأيت فصلا من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات.

ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر، واجتمع الجماعة على الرضا بالعقيدة المذكورة، وفي هذا اليوم عزل ابن صصري نفسه عن الحكم، بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين في المجلس المذكور، وهو الشيخ كمال الدين بن الزمكاني، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن صصري إلى القضاء، وذلك بإشارة النجبي، وفي الكتاب: إنا كنا وسعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس، وأنه على مذهب السلف، وإنا أردنا بذلك براءة ساحتها مما نسب إليه.

ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين، وفيه الكشف عما وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جافان والقاضي إمام الدين القرظي، وأن يجعل هو والقاضي ابن صصري إلى مصر، فتوجه على البريد نحو مصر، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه، وبكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأشار عليه نائب السلطنة الأفرم بترك الذهاب إلى مصر، وقال له أنا كاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا، فامتنع الشيخ تقي الدين من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة ومضائق كثيرة، فلما توجه إلى مصر ازدحم الناس لوداعه، ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكوس، وهم ما بين باك وحزين، ومتفرج ومتزهد ومزاحم متفال فيه.

فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غرة، فعمل بجماعها مجلساً عظيماً، ثم رحلوا معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخل مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل إنهما دخلها يوم الخميس. فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ تقي الدين مجلس بالقلعة، اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة، وأراد أن يتكلم على عادته فلم يمكن من البحث والكلام، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصماً احتساباً، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه، فأخذ الشيخ في حمد الله، والشأن عليه، فقل له أجب ما جئت بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم في؟ فقل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ كيف تحكم في؟ وأنت خصمي فنضب غضباً شديداً وانزعج، وأقيم مرشداً عليه، وحسب في برج إياما، ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن صصري فإنه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له مائة، والتفوس منه نائرة، وقرئ تقليده بالجامع، وبعده قرئ كتاب فيه الخط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادي بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنجي، وساعدتهم جماعة من الفقهاء كثيرة والفقراء، وجرت فتن كثيرة متشعبة، نعد باله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحارثي، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم.

الأحمية، وبين فيه فساد أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومرود بالكتاب والسنة، وأظهر الله السنة على يديه وأخذ بدعتهم ولله الحمد والملة.

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على علاء الدين بن معبد وعز الدين خطاب، وسيف الدين بكتمر عمود بكشاش الحسامي بالإمرة ولبسوا التشاريف، وركبوا بها وسلموا إليهم جبل الجرد والكسروان والباق.

وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة، ونصبوا هناك منبراً، وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء، وكان مشهداً هائلاً، وخطبة عظيمة فصيحة، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك.

أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء، وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر، وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية، وحصل بحث في أماكن منها، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة، ثاني عشر الشهر المذكور، وحضر الشيخ صفى الدين الهندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً، ولكن ساقته لاطمت بجراً، ثم اصطلحوا على أن يكون الشيخ كمال الدين بن الزمكاني هو الذي يحافقه من غير مساع، فتناظرا في ذلك، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزمكاني، وجودة ذهنه، وحسن مجته، حيث قاوم ابن تيمية في البحث، وتكلم معه، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة، وعاد الشيخ إلى منزله معظماً مكرماً، وبلغني أن العامة حملوا له الشعم من باب النصر إلى القضاة على جاري عاداتهم في أمثال هذه الأشياء.

وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك، كان الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف، والشيخ نصر المنجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه، وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنجي، وينسب إلى اعتقاد ابن عربي، وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه، لتقدمه عند الدولة، وانفراذه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له ومحبتهم له، وكثرة أتباعه، وقيامه في الحق، وعلمه وعمله.

ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة، في الصيد وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعز بعضهم.

ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلاً في الرد على الجهمية من كتاب «خلق أفعال العباد» للبخاري تحت قبة النسر، بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين، وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن صصري، وكان عدو الشيخ فسجن المزي، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين فتألم لذلك، وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه، وراح إلى القصر فوجد القاضي هناك، فتقاولا بسبب الشيخ جمال الدين المزي، فحلف ابن صصري لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه، فأمر النائب بإعادته تطبيقاً لقب القاضي، فحبسه عنده في القوسية أياماً ثم أطلقه.

ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ما جرى في حقه

آخر العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن، ولد سنة ثلاثين، وسمع الحديث الكثير، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح والسخاوي وغيرهما، وتفقه وأفتى، وناظر ويرع، وساد أقرانه، وكان أستاذًا في العربية واللغة، والقرآن، وإيراد الأحاديث النبوية، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم، وكان فصيح العبارة، حلو المحاضرة، لا تحمل مجالسته، وقد درس بالطيبة وبالرباط الناصري مدة، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارقي في سنة ثلاث، ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء، عشية التاسع من شوال، عن خمس وسبعين سنة، وصلي عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله، وولي الخطابة بعده ابن أخيه.

شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير

■ **الدمياطي:** وهو الشيخ الإمام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي.

حامل لواء هذا الفن - أعني صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبر السن والقدر، وعلو الإسناد، وكثرة الرواية، وجودة النوبة، وحسن التصنيف، وانتشار التأليف، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق، مولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستمئة، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالإسكندرية، سمع الكثير على المشايخ، ورحل وطاف، وحصل وجمع فأوعى، ولكن ما منع ولا يحل، بل بكل وصنف، ونشر العلم، وولي المناصب بالديار المصرية، وانتفع الناس به كثيراً، وجمع معجماً لشايخه الذين لقيهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق، وديار مصر يزيلون على ألف وثلاثمئة شيخ، وهو مجلدان وله الأربعون المتبينة الإسناد وغيرها، وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أجاد فيه وأفاد، وجمع ما لم يسبق إليه، وله كتاب الذكر والتسبيح عقيب الصلوات، وكتاب التسلي في الاغتباط شراب من تقدم من الأفراط، وغير ذلك من الفوائد الحسان، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدركه وفاته، وهو صائم في مجلس الأمراء، غشي عليه فحمل إلى منزله، فمات من ساعته يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة بالقاهرة، ودفن من الغد بمقابر باب النصر، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ست وسبعمئة

استهلته والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجلب من قلعة الجبل.

وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة، وذلك في ربيع الأول، وهنئ بذلك فظاهر التكره لذلك والضعف عنه ولم تحصل له مباشرة لغنية نائب السلطنة في الصيد، فلما حضر أذن له فباشر يوم الجمعة العشرين من الشهر، فأول صلاة صلاحها الصبح يوم الجمعة، ثم خلع عليه وخطب يومئذ.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي الشافعي نغم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي، عوضاً عن تاج الدين صالح بن ثامر بن حامد بن علي الجميري، وكان معمرًا قديم الهجرة كثير الفضائل، ديناً ورعاً، جيد المباشرة، وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخمسين وستمئة، فلما تولى ابن صَـنْـرَى كره نيابة.

وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوي، يستأذن السلطان في بيع طاقة من قناديل الحرم النبوي ليفتق ذلك في بناء متنفذة عند باب السلام الذي عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان في جملة القناديل قنديلان من ذهب زهتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع في بنائها، وولى سراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة، فشق ذلك على الروافض.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذري الحنفي قضاء الحنفية، عوضاً عن ابن الحريري معزولاً، وتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزاري الخطابة عوضاً عن عمه الشيخ شرف الدين توفي إلى رحمة الله، وخلع عليهما بذلك، وباشر في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر، وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة، حضرها الناس والأعيان، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة، وأثر بقاءه على تدريس البادرية حتى بلغه أنها طلبت لتأخذ منه، فبقي منصب الخطابة شاغراً، ونائب الخطيب يصلي بالناس ويخطب ودخل عيد الأضحى وليس للناس خطيب، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بإلزامه بذلك، وفيه: لعلنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرية، فباشرها معها مرة ثانية، ثم إن كمال الدين بن الشيرازي، سعى في البادرية فأخذها، وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني، فعزل الفزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته، فراسله نائب السلطان في ذلك، فصمم على العزل وأنه لا يعود إليها أبداً، وذكر أنه عجز عنها، فلما تحقق ذلك نائب السلطنة أعاد إليه مدرسته، وكتب له بها توقيعاً في العشر الأول من ذي الحجة، وخلع على شمس الدين بن الخطيري بنظر الخزانة، عوضاً عن ابن الزملكاني.

وحج بالناس الأمير شرف الدين حسين بن جندر.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرُّجَيجِي بن سابق بن الشيخ يونس القُصِّي، ودفن بزاويتهم التي بالشرف الشمالي بدمشق غربي الرواق والعزية، يوم الثلاثاء سابع الحرم.

الملك

■ **الأوحد ابن الملك تقي الدين شاذي بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي، توفي بجبل الجرد، في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر، وله من العمر سبع وخمسون سنة، فقلل إلى تربتهم بالسفح، وكان من خيار الدولة، معظمًا عند الملوك والأمراء، وكان يحفظ القرآن، وله معرفة بعلوم، ولديه فضائل.**

الصدر علاء الدين:

■ **علي بن معالي الأنصاري الحراني الحاسب، يعرف بابن الوزير، وكان فاضلاً، بارعاً في صناعة الحساب، انتفع به جماعة، توفي في أواخر صفر من هذه السنة فجأة، ودفن بقاسيون، وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيوري عنه.**

الخطيب شرف الدين أبو العباس

■ **أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري، الشيخ الإمام العلامة**

أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة، وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه في ذلك، فامتنع من الحضور وصمم، وتكررت الرسل إليه ست مرات، فصمم على عدم الحضور، ولم تلتفت إليهم ولم يعدهم شيئاً، فطال عليهم المجلس، ففرقوا وانصرفوا غير ماجورين.

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأرقم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس، ويخطب بجامع دمشق، عوضاً عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفي، فصلى الظهر يومئذ، وخطب الجمعة، واستمر في الإمامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة في مستهل ذي القعدة وحضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته.

وفي مستهل ذي القعدة كمل بناء الجامع الذي أنشأه وبناء وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأرقم بالسفح شمالي الرباط الناصري بالصالحية، ورتب فيه خطيباً يخطب به يوم الجمعة، وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي، وحضر نائب السلطنة والقضاة، وشكرت خطبة الخطيب به، ومد صاحب شهاب الدين الحنفي سماطاً بعد الصلاة بالجامع المذكور، وهو الذي كان الساعي في عمارته، والمستحث عليها، فجاه في غاية الإقتان والحسن، تقبل الله منهم.

وفي ثالث ذي القعدة استتاب ابن صصري القاضي صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعفري خطيب دارياً في الحكم، عرضاً عن جلال الدين القزويني، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم.

وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي ابن الشيخ صفى الدين أبي القاسم محمد الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة متولياً قضاء الحنفية، عوضاً عن الأذري، مع ما بيده من تدريس التورية والمقدمة، وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه، وحكم بالتورية، وقرئ تقليده بالمقصورة الكتبية في الزاوية الشرقية، من جامع بني أمية.

وفي ذي الحجة ولَّى الأمير عز الدين بن صبرة على الصفقة القبلية والي الولاية، عوضاً عن الأمير جمال الدين أقروش الرستمي، بحكم ولايته شد الدواوين بدمشق، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكتالته لرئيس عز الدين بن حمزة بن القلاسي، عوضاً عن ابن عمه شرف الدين، فكره ذلك. وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الحب، فأرسل في طلبه فجاء به، فقرأ على الناس، وجعل يشكر الشيخ ويثني عليه، وعلى علمه، وديانته، وشجاعته وزهده، وقال ما رأيت مثله، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله، وأنه لم يقبل من أحد شيئاً لا من الفقات السلطانية، ولا من الكسوة، ولا من الإدرات ولا غيرها، ولا تدنس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخو الشيخ تقي الدين - شرف الدين وزين الدين - من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلا، وحضر نائب السلطنة ابن مخلوف المالكي، وجرى بينهم كلام كثير، فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة، وخطأ في مواضع ادعى فيها دعواى باطلة، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام، وفي مسألة الزلول.

وفي يوم الجمعة أحضر شرف الدين أخو الشيخ تقي الدين وحده في مجلس نائب السلطنة سلا وحضر ابن عذلان وتكلم معه الشيخ شرف

وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجييد توقيع للقاضي شمس الدين الأذري الحنفي، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريري فذهبوا لهيشوه مع البريدي إلى الظاهرية، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة، فشرع الشيخ علم الدين البرزالي في قراءته، فلما وصل إلى الاسم تبين أنه ليس له وأنه للأذري، فبطل القارئ وقام الناس مع البريدي إلى الأذري، وحصلت كسرة وخلة على الحريري والحاضرين، ووصل مع البريدي أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزمكاني إلى القاهرة، فتوهم من ذلك، وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، فلطفت به نائب السلطنة، ودارى عنه حتى أعني من الحضور إلى مصر والحمد لله.

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ بُراق إلى دمشق، وفي صحبته مائة فقير، كلهم مخلوقون قد وفروا شوايرهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤوسهم قرون لبايد، وعليهم أجراس وكعاب، وجواكين خشب، فنزلوا بالنبيع وحضروا الجمعة برواق الخنابلة، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا، ثم استأنفوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم، فعادوا إلى دمشق فاصموا بها رمضان، ثم اتشمروا راجعين إلى بلاد الشرق، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا، ولا متراً ولا مقيلاً. وقد كان شيخهم براق المذكور رومياً، من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة، وذلك أنه سلط عليه نمرأ فزجره فهرب منه وتركه، فحظي عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفاً ففرقها كلها فأجبه، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة، ومن ترك صلاة ضربه أربعين جلدة، وكان يزعم أن طريقه الذي سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه، ويرى أنه زبي المسخرة، وأن هذا هو الألبق بالدنيا، والمقصود إنما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك، ونحن إنما نحكم بالظاهر، والله أعلم بالسرائر.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر تدريس التجيبية القاضي بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز المعجمي الحلبي، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين الطوسي توفي، وحضر عنده قاضي ابن صصري وجماعة من الفضلاء.

وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب والنصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيرس العلائي، ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليتذد، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات، وحصل للناس أذى كثير، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط.

وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلي بمقتن دم محمد بن الباجريقي، وأثبت عنده محضراً بعداوة ما بينه وبين الشهود السنة الذين شهودوا عليه عند المالكي، حين حكم بإراقه دمه، وعن شاهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام، وزين الدين بن الشريف عدنان، وقطب الدين ابن شيخ السلامة وغيرهم.

وفيها باشر كمال الدين بن الزمكاني نظر ديوان ملك الأمراء، عوضاً عن شهاب الدين الحنفي، وذلك في آخر رمضان وخلع عليه بطليسان وخلعة، وحضر بها دار العدل.

وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلا نائب مصر القضاة الثلاثة، وجماعة من الفقهاء، فالقضاة المالكي والشافعي والحنفي، والفقهاء الباجي والجزري والنراوي، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس، فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطاً في ذلك، منها

العبادة عليه سكن ووقار، بأمر إمعة الكلاسة قريبا من أربعين سنة، ثم خطب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع، من غير سؤال منه ولا طلب، فبأمرها ستة أشهر ونصفاً أحسن مباشرة، وكان حسن الصوت، طيب النعمة، عارفاً بصناعة الموسيقى، مع ديانة وعبادة، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن اثنين وستين سنة، وصلي عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس، ثم صلي عليه بسوق الخيل، وحضر نائب السلطنة والأمراء والعامة، وقد غلقت الأسواق، ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله.

الدين ونساظره وبجث معه وظهر عليه أيضا . وفي يرم الجمعة الثامن والعشرين ذي الحجة وصل على البريد من مصر نجم الدين محمد ابن الشيخ فخر الدين ابن أخي قاضي القضاة البصري، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق، عوضاً عن جمال الدين يوسف العجمي، وخلع عليه بيلسان، ولبس الخلعة ودار بها في البلد، في مستهل سنة سبع وسبعمائة. وفي هذه السنة عمر في حرم مكة نحو مائة ألف. وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المنجون.

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي تاج الدين:

■ صالح بن ثامر بن حامد بن علي الجعيري الشافعي، نائب الحكم بدمشق، ومعيد الناصرية. كان ثقة ديناً، عدلاً مريضاً زاهداً، حكم من سنة سبع وخمسين وستمئة، له فضائل وعلوم، وكان حسن الشكل والمينة، توفي في ربيع الأول، عن ست وسبعين سنة، ودفن بالسفح وناب في الحكم بعلمه نجم الدين الدمشقي.

الشيخ ضياء الدين الطوسي:

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي، مدرّس النجبية، شارح الحاروي وتخصّر ابن الحاجب. كان شيخاً فاضلاً بارعاً، وأعاد في الناصرية أيضاً، توفي يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عشرين من جمادى الأولى، وصلي عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان، ودفن بالصوفية، ودوس بعلمه بالمدرسة بهاء الدين العجمي.

الشيخ جمال الدين

■ إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي: المعروف بابن الساملي، والسوالم: الطاسات، كان معظماً ببلاد الشرق جداً، كان تاجراً كبيراً، توفي هذا الشهر المذكور.

الشيخ الجليل سيف الدين

■ الرجحي بن سابق بن هلال بن يونس، شيخ البونسية بمقامهم، صلي عليه سادس رجب بالجامع، ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان، والقضاة والأمراء، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفتها، وكان ضخم الهامة جداً، علقو الشعر، وخلف أموالاً وأولاداً.

الأمير الكبير

■ فارس الدين الرضائي: توفي في العشر الأخير من رمضان، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له: أنت مغفور لك، ونحو هذا، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

الشيخ القدوة العابد

■ أبو عبد الله بن مطرف توفي بمكة في شهر رمضان مكث بمجاورا ستين سنة وكان يطوف كل يوم ليلة خمسين أسبوعاً، وتوفي عن تسعين سنة، رحمه الله.

■ (محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي).

الشيخ الإمام العابد الزاهد خطيب دمشق شمس الدين: محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي، إمام الكلاسة، كان شيخاً حسناً، بهي المنظر، كثير

ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل بالجلب من قلعة الجبل بمصر.

وفي أوائل المحرم منها أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير ابن سلا، والجاشنكير وانتع من العلامة، وأغلق القلعة، وتخصّن فيها، ولزم الأميران بيوتهما، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء، وحوصرت القلعة، وجرت خبطة عظيمة، وغلقت الأسواق ثم راسلوا السلطان، فتأطّدت الأمور، وسكنت الشرور على دخن، وتنافر قلوب، وقوي الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك، وركب السلطان، ووقع الصلح على دخن. وفي المحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يعملوا ببلادهم طريقاً لعسكره، فامتنعوا من ذلك، فأرسل إليهم ملك التتر خريندا جيشاً كثيفاً ستين ألفاً من المقاتلة، أربعين ألفاً مع قتلوشاه، وعشرين ألفاً مع جوبان، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسطوا ببلادهم، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر، ورموهم بالنفط، ففرق كثير منهم، واحترق آخرون، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة، فلم يفلت منهم إلا القليل، وكان فيمن قتل أمير التتر الكبير قتلوشاه، فاشتد غضب خريندا على أهل كيلان، ولكنه فرح بقتل قتلوشاه، فإنه كان يريد قتل خريندا ثم كف أمره عنهم، ثم قتل بعلمه بولاي، ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ برآقاً الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان، يلغهم عنه رسالة، وفتلوه وأراحوا الناس منه ببلادهم من أحسن البلاد وأطيها لا تستطاع، وهم أهل سنة، وأكثرهم حنابلة، لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم.

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين بن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل، وطال بينهما الكلام، ثم تفرقا قبل الصلاة، والشيخ تقي الدين بن تيمية مصمم على عدم الخروج من السجن.

فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه، وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه، فلما خرج أقسم عليه ليأتين معه إلى دار سلا، فاجتمع به بعض الفقهاء بدار سلا، وجرت بينهم بحوث كثيرة، ثم فرقت بينهم الصلاة، ثم اجتمعوا إلى المغرب، وبات الشيخ تقي الدين عند سلا، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار، ولم يحضر أحد من القضاة، بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير من كل يوم، منهم الفقيه نجم الدين بن رفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعز الدين النمرائي، وشمس الدين بن غذلان، وجماعة من الفقهاء، وطلبوا

ووقع في أواخر رمضان مطر قوي شديد وكان الناس لهم مدة لم يمتطروا، فاستبشروا بذلك ورخصت الأسعار، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر، فصلوا في الجوامع، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمقصورة، وخرج الحمل، وأمير الحج عامتد الأمير سيف الدين بلبان البردي التتري.

وفيها حج القاضي شرف الدين البارزي من حماة. وفي ذي الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية. مبدؤه من الفرن تجاهها الذي يقال له فرن الصوفية، ثم لطف الله، وكف شرها وشرها.

قلت: وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد، وكان أول ما سكتا به حريق عظيم بالقرب من الظاهرية. مبدؤه من أحياء بالصاغة العتيقة عند الطيورين، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير الكبير

■ ركن الدين يبريس العجمي الصالح، المعروف بالجاتي، كان رأس الجندارية في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمره الملك الظاهر، كان من أكابر الدولة، كثير الأموال، توفي بالرملة، لأنه كان في قسم إقطاعه في نصف جمادى الأولى، ونقل إلى القلنس دفن به.

الشيخ

■ صالح الأحمدي الرافعي: شيخ المنيح، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق، ولما جاء قتلوشاه نائب التتر نزل عنده وهو الذي قال للشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر: نحن ما يَنْفُحُ حالنا إلا دعا التتر، وأما عند الشرع فلا.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلما واستفتاء وغير ذلك.

وفي مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر، فأخرج من البرج، وأسكن دار الأفرم بالقاهرة، ثم كانت وفاته في خامس رجب من هذه السنة.

وفي أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء الشريف زين الدين بن عذنان، عوضاً عن ابن الزملكاني، ثم أضيف إليه نظر الجوامع أيضاً، عوضاً عن ابن الحظيري، وتولى نجم الدين الدمشقي نظر الأيتام، عوضاً عن نجم الدين بن هلال.

وفي رمضان عزل صاحب أمين الدين بن الرقاعي عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر.

وفيه عزل كمال الدين بن الشريشي نفسه عن وكالة بيت المال، وصمم على الاستمرار على العزل، وعرض عليه العود فلم يقبل، وحملت إليه الخلة لما خلع على المباشرين فلم يلبسها، واستمر معزولاً إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية، فجدد له تقليد وخلع عليه في الدولة الجديدة.

القضاة فاعتزلوا بأعذار، بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره، لمعرفتهم بما ابن تيمية منظر عليه من العلوم والأدلة، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه، فقبل علوهم نائب السلطنة، ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير، ويات الشيخ عند نائب السلطنة، وكان الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يتصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق، فأشار سلاار بإقامة الشيخ مدة بمصر عنده، ليرى الناس فضله وعلمه، ويتفعوا به ويستغلوا عليه، وكتب الشيخ كتاباً إلى الشام يتضمن ما وقع له من الأمور.

قال البرزالي: وفي شوال منها شكا الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، ففقد له مجلس، وادعى عليه ابن عطية بأشياء، فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال إنه لا يستغاث إلا بالله، ولا يستغاث بالني صلى الله عليه وسلم استغاثه بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله ببعض الحاضرين قال: ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة، فقال القاضي قد قلت له ما يقال لئله. ثم إن الدولة خبروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الإسكندرية بشروطه أو الحبس، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً ما شرط، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لحواظهم، فركب خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال، ثم أرسلوا خلفه من الغد بريداً آخر، فردوه وحضر عند قاضي القضاة ابن جماعة، وعنده جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: إن الدولة ما ترضى إلا بالحبس، فقال القاضي وفيه مصلحة له واستتاب شمس الدين التونسي المالكي، وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيء، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحرير، فلما رأى الشيخ توقعهم في حبسه قال: أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال نور الدين الزواوي: يكون في موضع يصلح لئله، فقبل له: الدولة ما ترضى إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القضاة وأجلس في المكان الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز حين سجن، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه، وكان ذلك كله بإشارة نصر المتبحي ووجهاته في الدولة، فإنه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلمن فيما بعد، وغيره من الدولة والسلطان مقهور معه.

واستمر الشيخ في الحبس يستغني، ويقصده الناس ويزورونه، وتأثبه الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس، ويكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة.

ثم عُقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً.

وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكاني نظر ديوان المارستان عوضاً عن يوسف العجمي توفي، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بستة أشهر، وكان العجمي موصوفاً بالأمانة والكفاءة.

وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف، لكونها بدعة، وصين الجامع من الغرغاء والرعاع، وحصل بذلك خير كثير ولله الحمد والمنة.

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع ينظر الخزانة، عوضاً عن شمس الدين الحظيري، مضافاً إلى ما بيده من الحبسة.

تدريس الشريفة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح

■ عثمان الحلوبلي: أصله من صعيد مصر، فأتاه من بقرية حليون وغيرها من تلك الناحية، ومكث مدة لا يأكل الخبز، واجتمع عليه جماعة من المريدين، وتوفي بقرية برزة في أواخر الحرم، ودفن بها، وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان.

الشيخ الصالح أبو الحسن

■ علي بن محمد بن كثير الحارثي الحلبي: إمام مسجد عطية، ويعرف بابن المقرئ وروى الحديث، وكان فقيها بمدارس الحنابلة، ولد بجران سنة أربع وثلاثين وستمائة، وتوفي بدمشق في العشر الأخير من رمضان، ودفن بسفح قاسيون.

وتوفي قبله الشيخ

■ أمير الدين بن سعد الحارثي بغزة، وعمل عزازوه بدمشق، رحمهما الله.

■ السيد الشريف زين الدين أبو علي

■ الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني، تقيب الأشراف: كان فاضلاً، بارعاً، فصيحاً متكلماً، يعرف طريقة الاعتزال ويبالغ في الإمامية، وينظر على ذلك بحضرة القضاة وغيرهم، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظر الجامع، ونظر ديوان الأفرم، توفي يوم الخامس من ذي القعدة، عن خمس وخمسين سنة، ودفن بترتهم بباب الصغير.

الشيخ الجليل ظهير الدين: أبو عبد الله

■ محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه غيف الدين منصور بن منعة، وقد سمع الحديث، وأقام ببغداد مدة طويلة، ثم سار إلى مكة بعد موت عمه، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي بها.

ثم دخلت سنة تسع وسبعمئة

استهلت وخليفة الوقت المستكفي أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين سلا، وبالشام أقوش الأفرم، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي ليلة سلخ صفر توجه الشيخ تقي الدين بن تيمية من القاهرة إلى الإسكندرية صحة أمير مقدم، فادخله دار السلطان، وأنزله في برج منها، فسبح متسع الأكتاف، فكان الناس يدخلون عليه، ويشغلون في سائر العلوم، ثم كان بعد ذلك يحضر الجمعيات، ويعمل المواعيد على عادته في الجوامع، وكان دخوله إلى الإسكندرية يوم الأحد، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق، فحصل للناس عليه تألم، وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه نصر المنجي، فضاغف له الدعاء، وذلك أنهم لم يكونوا أحدًا من أصحابه أن يخرج معه إلى الإسكندرية، فضاقت له الصدور، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنجي. وكان سبب عدائته له أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان يتال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنجي، ويقول: زالت

وفيهما خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصدا الحج، وذلك في السادس والعشرين من رمضان، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فرجعهم، ولما اجتاز إلى الكرك عدل إليها، فنصب له الجسر، فلما توسطه كبير به، فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فسلم، وسقط من كان وراءه، وكانوا خمسين فمات منهم أربعة وتهشم أكثرهم في الوادي الذي تحت الجسر، وبقي نائب الكرك الأمير جمال الدين أقوش خجلاً، يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد، وكان قد عمل للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفاً فلم تقع الموقع لاشتغال السلطان بهمهم وما جرى له ولأصحابه، ثم خلع على النائب وأذن له في الانصراف إلى مصر فسافر، واشتغل السلطان بتدبير المملكة في الكرك وحدها، وكان يحضر دار العدل ويأمر الأمور بنفسه، وقدمت عليه زوجته من مصر، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات.

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير

لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الإقامة بها كتب كتاباً إلى الديار المصرية، يتضمن عزل نفسه عن المملكة، فأبى ذلك على القضاة بمصر، ثم نفذ على قضاة الشام، وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة، في الثالث والعشرين من شوال، يوم السبت بعد العصر، بدار الأمير سيف الدين سلا، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم، وبأيعوه وخاطبوه بالملك المظفر، وركب إلى القلعة، ومشوا بين يديه، وجلس على سرير المملكة بالقلعة، ودقت البشائر، وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان.

وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادي إلى دمشق، فاجتمع بنائب السلطنة، والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الأبلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه، فأبى القضاة، وامتنع الحلبي من إثباته وقال: ليس أحد يترك الملك غتاراً، ولولا أنه مضطهد ما تركه، فعزل وأقيم غيره، ثم استحلهم للسلطان الملك المظفر، وكبت العلامة على القلعة، وألقاه عليها وعلى محال المملكة، ودقت البشائر، وزين البلد، ولما قرئ كتاب السلطان الملك الناصر على الأمراء بالقصر، وفيه: إني قد صبحت الناس عشر سنين، ثم اخترت المقام بالكرك، تباكي جماعة من الأمراء ثم بأيعوا كالكركيين، وتولى مكان بيبرس الأمير سيف الدين بركلي، ومكان بركلي سيف الدين بتخاص، ومكان بتخاص الأمير جمال الدين أقوش الذي كان نائب الكرك. وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة وجماعت الخلع وتقليد نائب السلطنة في التاسع عشر ذي القعدة، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضي محيي الدين بن فضل الله بالقصر، بحضرة الأمراء، وعليهم الخلع كلهم، وركب المظفر، بالخلعة السوداء الخليفة، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع، يوم السبت سابع ذي القعدة، والصاحب ضياء الدين الشاشي حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة في كيس أطلس أسود وأوله: ﴿إني من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [المنق: ٣٠]، ويقال إنه خلع في القاهرة قريب ألف خلعة ومائتي خلعة، وكان يوماً مشهوداً، وفرح بنفسه أياماً يسيرة وكان شيخه المنجي، ثم أزال الله عنهما نعمته سريعاً.

وفيهما خطب ابن جماعة بالقلعة، وياشر الشيخ علاء الدين القونوي

للأمير سيف الدين بكتر الحاجب، عوضاً عن الرستمي فلم يقبل، وينظر الخزانة للأمير عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن القلائسي، فباشرها وعزل عنها البصري محسب البلد.

وفي هذا الشهر باشر قاضي القضاة ابن جماعة مشيخة سعيد السعداء بالقاهرة بطلب الصوفية له، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الأتلي، لأنه عزل منها الشهود، فأثروا عليه، وكتبوا في حقه حاضر بأشياء قاذحة في الدين، فرسم بصرفه عنهم، وعومل بنظر ما كان يعامل به الناس، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الإسلام ابن تيمية، واقتراؤه عليه الكذب، مع جهله وقلة ورعه، فعجل الله له هذا الجزاء على يدي أصحابه وأصدقائه جزاءً وفاقا.

وفي شهر رجب كثرت الخوف بدمشق، وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك، وقد ماله جماعة من الأمراء، وكتبوه في الباطن وناصحوه، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين، وتحدث الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة، ليكون مع الجسم الغفير، فاضطرب الناس، ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار، وتغطت الأسور، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر، وجددوا البيعة للملك المظفر.

وفي آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر، وازدحم الناس بباب النصر، وحصل لهم تعب عظيم، وازدحم البلد بأهل القرى، وكثر الناس بالبلد، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الحمان، فانزعج نائب الشام لذلك، وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد، وقفز إليه الأميران ركن الدين بيبرس المجنون، وبيبرس العلاتي، وركب إليه الأمير سيف الدين بكتر الحاجب، يشير عليه بالرجوع، ويخبره بأنه لا طاقة له بقتال المصريين، ولحقه الأمير سيف الدين بهادر أص يشير عليه بمثل ذلك، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب، وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى الكرك، فسكن الناس، ورجع نائب السلطنة إلى القصر، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم، واستقروا بها.

صفة عود الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون،

وزوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس وخذلانه وخذلان

شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلولي

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدم الملك الناصر إلى دمشق، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلووك، والحاج بهادر إلى الكرك، وحضاه على ذلك واضطرب نائب دمشق وركب في جماعة من أتباعه على الهجن، في سادس عشر شعبان، ومعه ابن صبح إلى شقيق أرنون، وهبت بدمشق أهبة السلطنة، والإقامات اللائقة به، والعصائب والكوسات، وركب من الكرك في أهبة عظيمة، وأرسل الأمان إلى الأفرم، ودعا له المؤذنون في الليلة الثلاثين، سابع عشر شعبان، فضج الناس له بالدعاء والسرور يذكرونه ونودي في الناس بالأمان، وأن يفتحوا دكاكينهم ويأمروا في أوطانهم، وشرع الناس في الزينة، ودقت الباشائر، ونام الناس في الأسطحة ليلة الثلاثاء، ليخرجوا على السلطان حين يدخل البلد، وخرج القضاة، والأمراء والأعيان لتلقية وكان دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أهبة عظيمة، وبسط له من عند المصلى إلى القلعة.

أيامه، وانتهت رياسته، وقرب انقضاء أجله، ويتكلم فيها وفي ابن عربي وأتباعه، فأرادوا أن يسروه إلى الإسكندرية كهية المنفي، لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة، فيستريحوا منه فما زاد ذلك الناس إلا عبة فيه، وقرباً منه، وانتفاعاً به، واشتغالاً عليه، وحنواً وكرامة له، وجاء كتاب من أخيه يقول فيه: إن الأخ الكريم قد نزل بالشر المحروس على نية الرباط، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيّدونه بها، ويكيّدون الإسلام وأهله، فكانت تلك كرامة في حقنا، ونظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الحية، وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند عباده العارفين سود الوجوه، ينقطعون حشرات وتدما على ما فعلوا، وانقلب أهل الشر أجمعون إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له، وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين، وذلك شجى في حلق الأعداء، وانفق أنه وجد بالإسكندرية إنليس قد باض فيها وفرخ، وأضل بها فريق السبينة والعربية، فمزق الله بقدمه عليهم شملهم، وشنت جموعهم شلر منتر، وهتك أستارهم وفضحهم، واستاب جماعة كثيرة منهم، وتوئب رئيساً من رؤسائهم، واستقرت عند عامة المؤمنين وخواصهم - من أمير وقاض وفقه، ومفتي وشيخ وجماعة المجتهدين، إلا من شذ من الأغمار الجهال، مع الذلة والصغار - عبة الشيخ وتعظيمه ويقول كلامه، والرجوع إلى أمره ونهيه، فقلت كلمته بها على أعداء الله ورسوله، ولعنوا سرّاً وجهراً، وباطناً وظاهراً، في جميع الناس بأسمائهم الخاصة بهم، وصار بذلك عند نصر المنبجي المقيم المقعد، وتزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه، وذكر كلاماً كثيراً.

والمقصود أن الشيخ تقي الدين أقام بغير الإسكندرية ثمانية أشهر، مقيماً ببرج متسع مليح نظيف، له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة، فكان يدخل عليه من شاء، ويتردد إليه الأعيان والأكابر والأعيان والفقهاء، يقرؤون عليه، ويستفيدون منه، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر.

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عن نظر المارستان، بسبب ائتمانه إلى ابن تيمية بإشارة النجبي، وياشره شمس الدين عبد القادر بن الحظري.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر وفي قضاء الحنايلة بمصر الشيخ الإمام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد بن مسعود بن زين الدين الحارثي، شيخ الحديث بمصر، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الخراشي.

وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى نواب البلاد الساحلية بإبطال الخمور، وتخريب الحانات ونفي أهلها، ففعل ذلك، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً.

وفي مستهل جمادى الآخرة وصل بريدي بتولية قضاء الحنايلة بدمشق للشيخ شهاب الدين أحمد بن شرف الدين حسن ابن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي، عوضاً عن قاضي القضاة التقي سليمان بن حمزة، بسبب تكلمه في نزول الملك الناصر عن الملك، وأنه إنما نزل عنه مضطهداً في ذلك، ليس بمختار، وقد صلت فيما قال.

وفي العشرين من جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين

كاتب الممالك نظر الجيوش بمصر، بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن علي المظفر بن الحلبي، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال، وكان من صدور المصريين «أحيان الكبار، وقد روى شيئا من الحديث، وصرف الأمير جمال الدين أقروش الأفرم إلى نيابة صرخدا، وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبنا رأس نوبة الجندارية مشد النواوين، وأستاذ دار الأستاتارية، عوضا عن سيف الدين آفجيا، وتغيرت الدولة، وانتقلت قبة عظيمة.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر، لم يكن له داب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الإسكندرية معززا مكرما مبعجلا، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر، وخرج مع الشيخ خلق من أهل الإسكندرية يودعونه، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه، وتلقاه ومشى إليه في مجلس حافل، فيه قضاة المصريين والشاميين، وأصلح بينه وبينهم، ثم نزل الشيخ إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند وجماعة كثيرة من الفقهاء والقضاة منهم من يعتد إليه ويتصل بما وقع منه، فقال أنا قد حائلت كل من آقاني.

قلت: وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلاطسي بتفاصيل هذا المجلس، وما وقع فيه من إكرام الشيخ تقي الدين حصل له من الشكر والمدح، من السلطان والحاضرين من الأمراء، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة صدر الدين الحنفي، ولكن إخبار ابن القلاطسي أكثر تفصيلا، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي العساكر، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول ما رآه، ومشى له إلى طرف الإريوان، واعتنقا هناك هنيئة، ثم أخذ بيده فذهب به إلى صفة فيها شبك إلى بستان، فجلسا ساعة يتحدثان، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر، وعن يساره ابن الخليلي الوزير، وتحت ابن صصري، ثم صدر الدين علي الحنفي، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته، وتكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمامات البيضاء بالعلماء، وأنهم قد التزموا للديوان السلطاني بسبعماية ألف في كل سنة، زيادة على الجالية، فسكت الناس، وكان فيهم قضاة مصر والشام، وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جلنهم ابن الزملكاني.

قال ابن القلاطسي: وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة، فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فجاء الشيخ تقي الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ، ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا، وجعل يرفع صوته، والسلطان يتلناه وسكته بترق وتودد وتوقير، وبلغ الشيخ في الكلام وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا يقرب منه، وبلغ في التشجيع على من يوافق على ذلك. وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك، فذكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائباً لك، فاعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك، وجرت فصول يطول ذكرها، وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين، ويعلمه وبينه وقيامه بالحق وشجاعته، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين

قال كاتبه ابن كثير: وكنت في من شاهد دخوله وعليه أبهة الملك، والبسط تحت أقدام فرسه، كلما جاوز شقة طويت من ورائه، والجرتر على رأسه، والأمراء السليحية عن يمينه وشماله، وبين يديه، والناس يدعون له، ويضجون بذلك ضجيجا عالياً، وكان يوماً مشهوراً.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء، وكلوة حمراء، وكان الذي حمل العاشية على رأسه يومئذ الحاج بهادر، وعليه خلعة معظمة مذهبة بفرو قاقم، ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر، ونزل إليه نائبه الأمير سيف الدين السنجري، فقبل الأرض بين يديه، فأشار إليه أنسي الآن لا أنزل ههنا، وسار بفرسه إلى جهة القصر الأبلق، والأمراء بين يديه، فنزل بالقصر وخطب له يوم الجمعة.

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين أقروش الأفرم نائب دمشق مطعياً للسلطان، فقبل الأرض بين يديه، فترجل له السلطان وأكرمه، وأذن له في مباشرة النيابة على عادته، وفرح الناس بطاعة الأفرم له، ثم وصل إليه الأمير سيف الدين جيقق نائب حماة، والأمير سيف الدين أسدندر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من الشهر، وخرج الأمراء لتلقيهما، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأفرم.

وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الخابلية، وعوده إلى تقي الدين سليمان وهنأه الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلم عليه، ومضى إلى الجزيرة فحكم بها ثلاثة أشهر، وأقيمت الجمعة الثانية بالبيدان، وحضر السلطان والقضاة إلى جانب، وأكابر الأمراء والدولة وكثير من العامة.

وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الأمير قراستقر المنصوري نائب حلب، وخرج السلطان لتلقيه أيضاً، ووصل جيش حلب يوم الأربعاء ثالث رمضان، وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان، ومعه القضاة والقراء وقت العصر، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالبيدان أيضاً، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان، وفي صحبته ابن صصري، وصدر الدين الحنفي قاضي العساكر، والخطيب جلال الدين، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني، والموقمون، وديوان الجيش، وجيش الشام بكامله، قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بنزاه وأمراته، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أبهة عظيمة، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر آص وجماعة من أمراء المصريين، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من الملك، ثم تواتر قنوم الأمراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك، فطابت قلوب الشاميين واستبشروا بذلك، ودقت البشائر، وتآخر مجيء البريد بصورة ما جرى.

واتفق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالمقصاتي في الساجق إلى المصلي على العادة، واستتاب في البلد الشيخ مجد الدين التونسي، فلما وصلوا إلى المصلي وجنوا خطيب المصلي قد شرع في الصلاة، فنصبت الساجق في صحن المصلي، وصلى بينهما تقي الدين المقصاتي ثم خطب، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلي فغعد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ، ولم يتق مثل هذا فيما فعله.

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة، ورسم لسلار أن يسافر إلى الشوك، واستتاب بمصر الأمير سيف الدين بكمر الجوكندار، الذي كان نائب صفد، وبالشام الأمير شمس الدين قراستقر المنصوري، وذلك في العشرين من شوال، واستوزر صاحب فخر الدين الحلبي بعدها بيومين، وباشر القاضي فخر الدين

القلاسي أتم.

ذكر مقتل الجاشنكير

كان قد فر الخيـث في جماعة من أصحابه، فلما خرج الأمير سيف الدين قراستق المتصوري من مصر متوجها إلى نياية الشام عوضا عن الأفرم، فلما كان في غزة في سابع ذي القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد، فوقع في وسطها الجاشنكير في ثلاثمائة من أصحابه، فأحيط بهم، وتفرق عنه أصحابه، فأمسكوه ورجع معه قراستق وسيف الدين بهادر أص على المهجن، فلما كان بالخطارة تلقاهم أسندم فسلمه منهم، ورجعا إلى عسكرهم، ودخل به أسندم على السلطان فعاتبه ولامه، وكان آخر العهد به، قتل ودفن بالقرافة ولم ينفعه شيخه النجفي ولا أموره، بل قتل شر قتلة، ودخل قراستق دمشق يوم الاثنين، الخامس والعشرين من ذي القعدة فزل بالقصر، وكان في صحته ابن صـنـرى وابن الزمـلكاني وابن القلاسي، وعلاء الدين بن غام، وخلق من الأمراء المصريين والشاميين، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قبلهم يوم الخميس، الثاني والعشرين من الشهر، وخطب يوم الجمعة على عادته.

فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر، خطب بجامع دمشق القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حنـد الحنبلي، عن أمر نائب السلطنة، وقرأ تقليده على المنبر بعد الصلاة، بمحضرة القضاة والأكابر والأعيان، وخلع عليه عقيب ذلك خلعة سنية، واستمر يباشر الإمامة والخطابة اثنين وأربعين يوما، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني، وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الآتية.

وفي ذي الحجة درس كمال الدين بن الشيرازي بالمدرسة الشامية البرانية، انترعها من يد الشيخ كمال الدين بن الزمـلكاني، وذلك أن أسندم ساعده على ذلك.

ولفـها أظهر ملك النـتر خربنا الرفض في بلاده، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وولديه وأهل بيته، ولما وصل خطيب بلاد الأرج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديدا، وبكى الناس معه، ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة، فأقيم من أممها عنه، وصلى بالناس، وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يحج فيها أحد من أهل الشام بسبب تحييط الدولة، وكثرة الاختلاف.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (أحمد بن يحيى بن عز الدين بن عبد السلام).

الخطيب ناصر الدين أبو الهدى: أحمد ابن الخطيب بدر الدين يحيى ابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، خطيب العقبة بداره بها، وقد باشر ناظر الجامع الأموي وغير ذلك، توفي يوم الأربعاء النصف من المحرم وصلي عليه بجامع العقبة، ودفن عند والده بباب الصغير، وقد روى الحديث، وباشر الخطابة بعده ولده بدر الدين، وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان.

قاضي الحنابلة بمصر: شرف الدين أبو محمد

السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وإن السلطان استغنى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً، وأخذ يحث بذلك على أن يغتبه في قتل بعضهم، وإنما كان حقه عليهم بسبب ما كانوا سعرا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، فقهـم الشيخ مراد السلطان، فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء ويترك أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجحد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك وآرادوا قتلك مراراً، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله يتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حـلـم عنهم السلطان وصـفـح.

قال: فكان قاضي المالكية ابن غلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرصنا عليه فلم نقدر عليه، وقد عرفنا فصـح عـنا وحاجج عـنا.

ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة، وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الحلق على عليه، ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه، ويحييهم بالكتابة والقول، وجاء الفقهاء يعشرون عما وقع منهم في حقه فقال: لقد جعلت الكل في حل، وبعت الشيخ كتابا إلى أهله، يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير، ويطلب منهم جملة من كتب العلم التي له، ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزري، فإنه يدرى كيف يستخرج له ما يريده من الكتب التي أشار إليها، وقال في هذا الكتاب: والحق كل ما له في علو وازدياد وانتصار، والباطل في الخفض وسفول واضمحلال، وقد أذل الله رقاب المحصور، وطلب أكابرهم من السـلـم ما يطول وصفه، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الإسلام والسنة، وما فيه قمع الباطل، والبدعة، وقد دخلوا تحت ذلك كله، وامتنعنا من قبول ذلك منهم، حتى يظهر إلى الفعل، فلم نثق لهم بقول ولا عهد، ولم نجيبهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولا، والمذكور مفعولا، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنة التي تحموا سيئاتهم، وذكر كلاما طويلا يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وذهم، وتركهم على ما هم عليه من النلة والصغار، والله سبحانه أعلم.

وفي شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميرا. وفي سادس عشر شوال، وقع بين أهل حوران من قيس وبين قتل منهم مقتلة عظيمة جداً، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء، وهم يسمونها يوم السوداء، ووقعة السوداء، وكانت الكسرة على يمن، فهربوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق في أسوأ حال وأضعف، وهرت قيس خوفا من الدولة، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الأربعاء سادس ذي القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المتصوري نائبا على حلب، فزل القصر ومعه جماعة من أمراء المصريين، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد.

واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهبا إلى نياية طرابلس والفتوحات الساحلية، عوضا عن الأمير سيف الدين أسندم، ووصل جماعة عن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر في ذي القعدة، منهم قاضي قضاة الحنفية صدر الدين، ويحيى الدين بن فضل الله وغيرهما.

قلت: وجلس يوما إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر فقال لي أتحب ابن تيمية؟ قلت: نعم، فقال لي وهو يضحك: والله لقد أحببت شيئا مليحا. وحكى قريبا مما ذكر ابن القلاسي، لكن سياق ابن

الوكيل بسبب إقامته بمصر، وكان قد وفد إلى المظفر، فأكرمه ورتب له رواتب لانتدائه إلى نصر المنجي، ثم عاد بتوقيع سلطاني بمدرسته، فأقام بهما شهرا أو سبعة وعشرين يوماً، ثم استأدهما منه، ورجعنا إلى المدوسين الأولين: الأمين سالم، والصدر الكردي، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر الحرم، وعزل عنها البدر بن الحداد، وياشر صاحب شمس الدين نظر الجامع، والأسرى، والأوقاف قاطبة يوم الاثنين، وخلع عليه، ثم أضيف إليه شرف الدين بن صُصْرَى في نظر الجامع، وكان ناظره مستقلاً به قبلهما.

وفي يوم عاشوراء قدم أسندمر إلى دمشق متولياً نيابة حماة، وسافر إليها بعد سبعة أيام.

وفي الحرم ياشر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان، عوضاً عن شمس الدين بن الخطيري، ووقعت منازعة بين صدر الدين بن الوكيل وبين الصدر سليمان الكردي، بسبب العنواوية، وكتبوا في ابن الوكيل حضراً يتضمن أشياء من القبايح والفضائح والكفريات على ابن الوكيل، فإد ابن الوكيل إلى القاضي تقي الدين بن سليمان الحنبلي، فحكم بإسلامه، وحقق دمه، وحكم بإسقاط التعزير عنه، والحكم بعذابه واستحقاقه للمناصب، وأشهد عليه بذلك في شهر الحرم المذكور، وكانت هذه مفوة من الحنبلي، ولكن خرجت عنه المدوسان العنواوية لسليمان الكردي، والشامية الجوانية للأمين سالم، ولم يبق معه سوى دار الحديث الأشرفية.

وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصراوي من مصر متولياً الوزارة بالشام، ومعه توقيع، بالحسبة لأخيه فخر الدين سليمان، فباشرا المنصيين المذكورين بالخلع، ونزلاً بدرب سقون الذي يقال له دواب ابن أبي الهيجاء، ثم انتقل الوزير إلى دار الأعسر عند باب البريد، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلاسي أخي الشيخ جلال الدين.

وفي مستهل ربيع الأول ياشر القاضي جمال الدين الزرعي قضاء القضاة بمصر، عوضاً عن بدر الدين بن جماعة، وكان قد أخذ منه قبل ذلك مشيخة الشيخ في ذي الحجة، وأعيدت إلى الكريم الأملي، وأخذت منه الخطابة أيضاً، وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضي شمس الدين بن الحريري لقضاء الديار المصرية، فسار في العشرين من ربيع الأول، وخرج معه جماعة لتوديعه، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه، وولاه قضاء الحنفية، وتدرّس الناصرية والصالحية، وجامع الحاكم، وعزل عن ذلك القاضي شمس الدين السروجي، فمكث أياماً ثم مات.

وفي نصف هذا الشهر مُيِكَ من دمشق سبعة أمراء، ومن القاهرة أربعة عشر أميراً.

وفي ربيع الآخر احتسم السلطان بطلب الأمير سيف الدين سلا، فحضر هو بنفسه إليه فمات، ثم استخلص منه أمواله وحواصله في مدة شهر، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحيوان والأموال والأسلحة والممالك والبغال والخمير أيضاً والرياح شيئاً كثيراً، وأما الجواهر والذهب والفضة فشيء لا يحصى ولا يوصف في كثرة، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال، وأموال المسلمين تجري إليه، ويقال إنه كان مع هذا كثير المعطاء كريماً، محباً إلى الدولة والريعية والله أعلم.

وقد باشرا نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر، ودفن بترتبه ليلة الخميس بالقرافة، ساعه

■ عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي: ولد بمران، سنة خمس وأربعين وستمئة، وسمع الحديث، وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدرّس الصالحية، ثم أضيف إليه القضاء، وكان مشكور السيرة، كثير المكارم، توفي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول، دفن بالقرافة، وولي بعده سعد الدين الحارثي كما تقدم.

الشيخ نجم الدين:

■ أيوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بمؤذن النجيب، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق، وتقيب الخطباء، وكان حسن الشكل، رفيع الصوت، استمر في ذلك نحواً من خمسين سنة، إلى أن توفي في مستهل جمادى الأولى.

وفي هذا الشهر توفي:

الأمير شمس الدين

■ سقر الأعسر المنصوري: تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معاً، وياشر شد الدواوين بالشام مرات، وله دار وستان بدمشق مشهوران به، وكان فيه نهضة، وله همة عالية، وأموال كثيرة، توفي بمصر.

الأمير جمال الدين

■ أقوش بن عبد الله الرمثي: شاد الدواوين بدمشق، وكان قبل ذلك والي الولاية بالصفقة القبلية بعد الشرفي، وكانت له سطوة، توفي يوم الأحد ثاني وعشرين جمادى الأولى، ودفن ضحوة بالقبة التي بناها تجاه قبة الشيخ رسلان، وكان فيه كفاية وخبرة، وإنما ولي الشد بدمشق مدة يسيرة وياشر بعده شد الدواوين أقبجا.

وفي شعبان أو في رجب توفي

التاج

■ ابن سعيد الدولة: وكان مُسلمانياً، وكان مشير الدولة، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحته لنصر المنجي شيخ الجاشنكير، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل، ولما توفي تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير.

الشيخ شهاب الدين:

■ أحمد بن محمد بن أبي المكارم بن نصر الأصمهاني: رئيس المؤذنين بالجامع الأموي، ولد سنة ثنتين وستمئة، وسمع الحديث، وياشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين، إلى أن توفي ليلة الثلاثاء، خامس ذي القعدة، ودفن بباب الصغير، وكان رجلاً جليلاً، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة

استهلت وخليفة الوقت المستكني بالله أبو الربيع سليمان العباسي، وسلطان البلاد الناصر محمد بن المنصور قلاوون، والشيخ تقي الدين بن تيمية مقيم بمصر معظماً مكرماً، والنائب بمصر الأمير سيف الدين بكتر أمير جاندنار، وقضاة هم المذكورون في التي قبلها، سوى الحنبلي فإنه سعد الحارثي، والوزير بمصر فخر الدين بن الحنبلي، وناظر الجيوش فخر الدين كاتب الممالك، ونائب الشام قراسقر المنصوري، وقضاة دمشق هم هم، ونائب حلب قبيق، ونائب طرابلس الحاج بهادر، والأقرم بصرخد.

وفي حرم منها ياشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر وكييل بيت المال إمام مسجد ابن هشام تدرّس الشامية الجوانية، والشيخ صدر الدين سليمان بن موسى الكردي تدرّس العنواوية، كلاهما انتزعاها من ابن

ومن توفي فيها من الأعيان

قاضي القضاة الإمام العلامة شمس الدين أبو العباس:

■ أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي، شارح الهداية، كان بارعاً في علوم شتى، وولي الحكم بمصر مدة، وعزل قبل موته بأيام، توفي يوم الخميس، ثاني عشرين ربيع الآخر ودفن بالقرب من الشافعي، وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام، أضحك فيها على نفسه، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات، وأبطل حججه.

وفيها توفي

■ سلاز مقترلاً كما تقدم.

■ (ابن الرقائي).

والصاحب أمين الدين أبو بكر ابن الوجيه عبد العظيم بن يوسف: المعروف بابن الرقائي.

والحاج

■ بهادر نائب طرابلس مات بها.

والأمير سيف الدين

■ قبجق: نائب حلب مات بها، ودفن بترتبه بمحمة، في ثاني جمادى الآخرة، وكان شهماً شجاعاً، وقد ولي نيابة دمشق في أيام لاجين، ثم قفز إلى التتر خوفاً من لاجين، ثم جاء مع التتر، وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قلاز، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب، ثم وليها بعده أسندمر، ومات أيضاً في آخر السنة.

وفيها توفي:

الشيخ كريم الدين أبو القاسم

■ عبد الكريم بن الحسين الأملي: شيخ الشيوخ بمصر، كان له وُصلة بالأمراء، وقد عزل مرة عن المشيخة بابن جماعة، توفي ليلة السبت سابع شوال، بخناقاه سعيد السعداء، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم.

الفقيه عز الدين

■ عبد العزيز بن عبد الجليل: النمرائي الشافعي، كان فاضلاً بارعاً، وقد صحب سلاز نائب مصر، وارتفع في الدنيا بسببه.

■ ابن الرفعة: هو الإمام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبيه، وله غير ذلك، وكان فقيهاً فاضلاً، وإماماً في علوم كثيرة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، غير الوزير بمصر فإنه عزل، وولي سيف الدين بكتمر ووزير دمشق النجم البصراوي عزل أيضاً بجز الدين القلانسي، وقد انتقل الأفرم إلى نيابة طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل على قاعدة أسلافه فيها، وقد مات نائب حلب أسندمر، وهي شافرة عن نائب، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتفسير قراستقر منها إلى نيابة حلب، وإحضار سيف الدين كراي إلى نيابة دمشق، وغالب العساكر بحلب، والأعراب محدة بأطراف البلاد، فخرج قراستقر المتصوري من دمشق في ثالث المحرم، بجميع حواصله وحاشيته وأتباعه. وخرج الجيش

الله.

وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي بالظاهرية، عوضاً عن شمس الدين الحريري، وحضر عنده خاله الصلح على قاضي قضاة الحنفية، وبقية القضاة والأعيان.

وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين أسندمر قد قدم دمشق لبعض أشغاله، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدريس العذراوية، فلم يباشر ذلك حتى سافر أسندمر، فاتفق أنه وقعت له بعد يومين كاتبة بدار ابن درباس بالصالحية، من الختابة وغيرهم وذكر أنه وجد عنده شيء من المنكرات، واجتمع عليه جماعة من أهل الصالحية مع الختابة وغيرهم، وبلغ ذلك نائب السلطنة فكتب فيه، فورد الجواب بعزله عن المناصب الدينية، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقي بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك، فلما كان في آخر رمضان سافر إلى حلب، فقرر له نائبها أسندمر شيئاً على الجامع، ثم ولاء تدريساً هناك وأحسن إليه، وكان الأمير أسندمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جمادى الآخرة، عوضاً عن سيف الدين قبجق توفي، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل علي بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخند إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الحاج بهادر.

وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية، عوضاً عن ابن الوكيل، وأخذ في التفسير والحديث والفقه، فذكر من ذلك دروساً حسنة، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً، حتى انتزعها منه كمال الدين ابن الشريشي، فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضان.

وفي شعبان رسم قراستقر نائب الشام بتوسعة المقصورة، فاخترت سدة المؤذنين الركنين المؤخرين تحت قبة النسر، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً، ثم أذن في دخولهم.

وفي خامس رمضان قدم فخر الدين إلياس الذي كان نائباً بقلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين، عوضاً عن زين الدين كتيبا المنصوري وولي بعده وزارة مصر الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب عوضاً عن فخر الدين ابن الحلبي.

وخرج الركب الشامي في شوال وأميرهم الأمير زين الدين كتيبا المنصوري الذي كان شاد الدواوين.

وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي مشيخة الشيخ بالديار المصرية، عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الأملي توفي، وكان له تجريد وله همة، وخلع على القونوي خلعة سنية، وحضر سعيد السعداء بها.

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة خلع على صاحب عز الدين بن القلانسي خلعة الوزارة بالشام، عوضاً عن النجم البصراوي، بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر ذي القعدة عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدريس الشامية البرانية، وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن صاحب شمس الدين بن السلغوس خلعة النظر على الجامع الأموي، ومسك الأمير سيف الدين أسندمر نائب حلب في ثاني ذي الحجة، وحمل إلى مصر، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضوغان بعده بليال.

لترديعه، وسار معه أرغون لتقريره، فحلب، وجاءه المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجري أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيها نائب، فحضر عنده الوزير والموصون، وياشر النيابة، وقرئت شوكته، وقرئت شوكته الوزير إلى أن ولي ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرى، واستمر في يده، وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين كراي المنصوري إلى دمشق نائباً عليها، في يوم الخميس الحادي عشرين من الحرم خرج الناس لتلقيه، وأوقدوا الشموع، وأعيدت المقصورة إلى مكانها يوم الأحد رابع عشرين الحرم، وانفجر الناس، وليس النجم البصري في خلعة الإمرة يوم الخميس، ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة، وركب مع المقدمين الكبار، وهو أمير عشرة بإقطاع يضاهي إقطاع كبار الطلخاناه.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الأربعة بالجامع لإنفاذ أمر الشهود، بسبب تزوير وقع من بعضهم، فاطلع عليه نائب السلطنة فغضب وأمر بذلك، فلم يكن منه كبير شيء ولم يتغير حال. وفي هذا اليوم ولي الشريف تقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن عدنان نظر الدواوين، عوضاً عن شهاب الدين بن الواسطي، وأعيد تقي الدين بن الزكي إلى مشيخة الشيخ.

وفي هذا الشهر ولي ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة، وضيء الدين النشائي تدريس الشافعي، والمعاد العام بمجمع طولون، ونظر الأحباس أيضاً. وولي الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحاجب في ربيع الآخر.

وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين بن القلاسي بدمشق، ورسم عليه مدة شهرين، وكان نائب السلطنة كثير الحقن عليه، ثم أفرج عنه، وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر، في حادي عشرين ربيع الآخر، مع تدريس دار الحديث الكاملية، وجامع طولون والصالحية والناصرية، وحصل له إقبال كثير من السلطان، واستقر جمال الدين الزرعي على قضاء العسكر، وتدریس جامع الحاكم، ورسم له أن يجلس مع القضاة، بين الحنفي والحنبلي بدار العدل عند السلطان.

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضي نجم الدين الدمشقي نائب ابن صصرى على نفسه، بالحكم بطلان البيع في الملك الذي اشتراه عز الدين بن القلاسي من تركة المنصوري في الرمثا والتوجة والفضالية، لكونه بدون ثمن المثل، ونفذه بقية الحكام، وأحضر ابن القلاسي إلى دار السعادة، وأدعى عليه بربع ذلك، ورسم عليه بها، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع، وبنقض ما حكم به الدمشقي، ثم نفذ بقية الحكام ما حكم به الحنبلي.

وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم، وضربت على الأملاك والأوقاف، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيماً، وسعوا إلى الخطيب جلال الدين فسعى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر، واحتفلوا في الاجتماع، وأخرجوا معهم المصحف الضماني والأثر النبوي والسناجق الخليفة، ووقفوا في المركب، فلما رآهم كراي غيظ عليهم، وشتم القاضي والخطيب، وضرب مجد الدين التونسي ورسم عليهم، ثم أطلقهم بضمائم وكفالة، فتألم الناس من ذلك كثيراً، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام، فجاءه الأمر فجأة فعزل وحبس، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً، ويقال إن

الشيخ تقي الدين لما بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام، فأخبر السلطان بذلك، فبعث من فورهِ فمسكه شر مسكة، وصفة مسكه أن قدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار فتمزق القصر.

فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراي خلعة سنية، فلبسها وقبل العتبة، وحضر المركب ومد السماط، فقيده بحضرة الأمراء، وحمل على البريد إلى الكرك صحة غرلو العادلي، ويبرس المجنون، وخرج عز الدين بن القلاسي من الترسيم من دار السعادة، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره، وقد أوقدت له الشموع، ودعا له الناس، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرافية، فجلس فيها نحواً من عشرين يوماً، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك. وفي هذا الشهر مسك نائب صفد الأمير سيف الدين قطلوبك وقيد وحمل إلى الكرك أيضاً ومسك نائب مصر سيف الدين بكتمر أمير جاندان، وعرض عنه بالكرك يبرس الدوادار المنصوري، ومسك نائب غزة، وعرض عنه بالجاولي، فاجتمع في حبس الكرك أسنلر نائب حلب، وبكتمر نائب مصر، وكراي نائب دمشق، وقطلوبك نائب صفد، وقطلمتر نائب غزة ويتحاص، وقدم جمال الدين أقروش المنصوري الذي يقال له: نائب الكرك على نيابة دمشق إليها، في يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الآخر، وتلقاه الناس واشتعلت له الشموع، وفي صحبته الخطيري ليقرؤه في النيابة، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وستمئة إلى سنة تسع وسبعمئة، وله بها آثار حسنة، وخرج عز الدين بن القلاسي لتلقي النائب، وقرأ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة، بحضرة النائب والقضاة والأعيان وفيه الأمر بالإحسان إلى الرعية، وإطلاق البراق التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراي، فكثر الأدعية للسلطان وفرح الناس.

وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادر آص نيابة صفد، فقبل العتبة، وسار إليها يوم الثلاثاء، وفيه لبس الصلر بدر الدين بن أبي القوارس خلعة نظر الدواوين بدمشق، مشاركاً للشريف بن عدنان، وبعد ذلك يومين قدم تقليد عز الدين بن القلاسي بوكالة السلطان على ما كان عليه، وأنه أعني عن الوزارة لكرامته ذلك. وفي رجب باشر تقي الدين بن السلوس نظر الأوقاف، عوضاً عن شمس الدين غبريال.

وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون، فاطلق المحبوسين بنفسه، فتضاعفت له الأدعية في الأسواق وغيرها، وفي هذا اليوم قدم صاحب عز الدين بن القلاسي من مصر، فاجتمع بالنائب، وخلع عليه، ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه، واستمراره على وكالة السلطان، ونظر الخاص، والإنكار لما ثبت عليه بدمشق، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخاص السلطاني، وأمير سيف الدين أرغون الدوادار.

وفي شعبان منع ابن صصرى الشهود والعقاد من جهته، وامتنع غيرهم أيضاً، وردهم المالكي.

وفي رمضان جاء البريد بتولييه زين الدين كتبنا المنصوري حجوبة الحجاب، والأمير بدر الدين بكوت القرماني شد الدواوين، عوضاً عن طوغان، وخلع عليهما معاً.

وفيها ركب بهادر السنجري نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر، وتولاها سيف الدين بلبان البدري، ثم عاد السنجري في آخر الشهر على نيابة البيرة، فسار إليها، وجاء الخبر في آخر رمضان أنه قد احتيط على

جماعة من قضاة المسلمين ببغداد، قُتِل منهم ابن العقاب وابن البدر، وتخلص عبيدة وجاء سالماً.

وخرج الحمل في شوال، وأمير الحاج الأمير علاء الدين طينغا آخر بهادر آص.

وفي آخر ذي القعدة جاء الخبر بأن الأمير قراستقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيزاء، وأنه لحق بمهما بن عيسى فاستجار به خائفاً على نفسه، ومعه جماعة من خواصه، ثم سار من هناك إلى التتر بعد ذلك كله، وصحبه الأفرم والزردكاش.

وفي العشرين من ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق، ثم توجهوا إلى ناحية حصص، وتلك النواحي.

وفي سابع ذي الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر مستمراً على وكالة بيت المال، ومعه توقيع بقبضه العسكر الشامي، وتخلع عليه في يوم عرفة.

وفي هذا اليوم وصل ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين قلبي من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية.

وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشغري الشريف من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيخ، فترل في الخانقاه، وياشرها بمحضرة القضاة والأعيان، وانفصل ابن الزكي عنها.

وفيها باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابه السر بمصر، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله إلى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن أخيه محيي الدين، واستمر محيي الدين على كتابة الدست بمعلومه أيضاً والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (محمد بن إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري).

الشيخ الرئيس بدر الدين: محمد ابن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري، من سلالة سعد بن معاذ السويدي، من سويلاء حوران، سمع الحديث، وسرع في الطب، توفي في ربيع الأول بسبستانه بقرب الشبلية، ودفن في تربة له في قبة فيها، عن سبعين سنة.

■ (شعبان بن أبي بكر محمد بن عمر الإربلي).

الشيخ شعبان بن أبي بكر محمد بن عمر الإربلي: شيخ الحلبية بجامع، بني أمية، كان صالحاً مباركاً، فيه خير كثير، كان كثير العبادة، وإيجاد الراحة للفقراء، وكانت جنازته حافلة جداً، صلى عليه بالجامع، بعد ظهر يوم السبت، تاسع عشرين رجب، ودفن بالصوفية، وله سبع وثمانون سنة، وروى شيئاً من الحديث، وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله.

وقبله يوم توفي الشيخ

■ العريان،

ونائب إسكندرية

■ بكوت أمير شكار.

الشيخ ناصر الدين

■ يحيى بن إبراهيم ابن محمد بن عبد العزيز العثماني، خادم المصحف العثماني نحرأ من ثلاثين سنة، وصلي عليه بعد الجمعة، رابع رمضان، ودفن بالصوفية، وكان نائب السلطنة الأفرم فيه اعتقاد ووصله منه افتتاد، ويبلغ خسا وستين سنة.

■ (محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأرموي).

الشيخ الصالح الجليل القدوة: أبو عبد الله محمد ابن الشيخ القدوة إبراهيم ابن الشيخ عبد الله الأرموي، توفي في العشرين من رمضان، بسفح قاسيون، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته، وصلي عليه بالجامع المظفري، ثم دفن عند والده، وغلق يومئذ سوق الصالحية، وكانت له وجاعة عند الناس، وشفاة مقبولة، وكان عنده فضيلة، وفيه تردد وجمع أجزاء في أخبار جيدة، وسمع الحديث، وقارب السبعين رحمه الله.

■ ابن الوحيد الكاتب: هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعي، المعروف بابن الوحيد، كان موقفاً بالقاهرة، وله معرفة بالإنشاء، ويبلغ الغاية في الكتابة في زمانه، وانتفع الناس به، وكان فاضلاً، مقدماً شجاعاً توفي بالمرستان المنصوري بمصر، يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان.

■ (محمد بن حسن بن النسائي).

الأمير ناصر الدين: محمد بن عماد الدين حسن بن النسائي، أحد أمراء الطبلخاناه، وهو حاكم البندق وفي ذلك بعد سيف الدين بلبان، توفي في العشر الأواخر من رمضان.

■ التميمي الداري: توفي يوم عيد الفطر، ودفن بالقرافة الصغرى، وقد ولي الوزارة بمصر، وكان خبيراً كافياً، مات معزولاً، وقد سمع الحديث، وسمع عليه بعض الطلبة.

وفي ذي القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير أسدندر ويتخاص في السجن، بقلعة الكرك.

■ القاضي الإمام العلامة الحافظ: سعد الدين

■ مسعود الحارثي الخبلي، الحاكم بمصر، سمع الحديث، وجمع وخرج وصنف، وكانت له يد طول في هذه الصناعة في الأسانيد والمتون، وشرح قطعة من سنن أبي داود، فأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاد، رحمه الله تعالى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثني عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي خامس المحرم توجه الأمير عز الدين أيمن الزردكاش وأميران معه إلى الأفرم، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراستقر وهو عند مهنا، وكتبوا السلطان، ثم ساروا نحو التار فكانوا كالمتسجرون من الرمضاء بالنار، وجاء البريد في صفر بالاخطايط على حواصل الأفرم، وقراستقر، والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم، وقطع خبز مهنا، وجعل مكانه في الإمرة أخاه عمداً، وعادت العساكر صعبة أرغون من البلاد الشمالية، وقد حصل للناس من قراستقر وأصحابه هم وغم وحزن، وقدم سودي من مصر على نيابة حلب، فاجتاز بدمشق، فخرج النائب والجيش لتلقيه، وحضر السباط، وقرى مرسوم السلطان بطلب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر، فركب من ساعته على البريد إلى مصر، وتكلم في نيابة الغيبة قرالاجين.

وطلب في هذا اليوم قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة ناظر الجيش إلى مصر، فركب في آخر النهار، وسار إليها فتولى بها نظار الجيش، عوضاً عن فخر الدين الكاتب، كاتب المال يكس بمحكم عزله، ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه، في عاشر ربيع الأول.

وفي الحادي عشر منه باشر الحكم للحنبالة بمصر القاضي تقي الدين

الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك بإشارة قراستقر وفويه قاله أعلم.

وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لا يمضي أحد عليه، بل يُبْع القاتل حتى يقتض منه بمقتضى حكم الشرع الشريف، فقرأه ابن الزملاكني على السدة، بحضرة نائب السلطنة تنكرز وسبيه ابن تيمية هو أمر بذلك وبالكاتب الأول قبله.

وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة، فحاصروها عشرين يوماً، وقتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأركشي خمسة أيام قتالا عظيماً، ومنهم منها، فأشار رشيد الدولة بأن يسزلوا إلى خدمة السلطان خربندا، ويهدلوا له هدية، ويطلبوا منه العفو، فخرّل القاضي نجم الدين إسحاق وجماعة، وأهدلوا له خمسة رؤوس خيل، وعشرة أباليج سكر، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده، وكانت بلاد حلب وحماة ومحص قد أجلا منها وخرب أكثرها، ثم رجعوا إليها لما تحققوا رجوع التتر عن الرحبة، وطابت الأخبار، وسكنت النفوس، ودقت البشائر، وتركت الأئمة القنوت، وخطب الخطيب يوم العيد، وذكر الناس بهذه النعمة، وكان سبب رجوع التتر قلة العلف، وغلاء الأسعار، وموت كثير منهم، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجويان.

وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق، بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقة التتر، وخرج الركب في نصف شوال، وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير، الذي كان والي البر، وقدمت العساكر المنصورة المصرية أرسالا، وكان قد قدم السلطان ودخله دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، واحتفل الناس لدخوله، فتنزل بالقلمة، وقد زين البلد، وضربت البشائر، ثم انتقل بعد ليلته إلى القصر، وصلى الجمعة بالجامع بالمنصورة، وخلع على الخطيب، وجلس في دار العدل يوم الاثنين، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء عشرين الشهر.

وقدم صحة السلطان الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية إلى دمشق، يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبت عنها سبع سنين كوامل، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسروا بقدومه وعافيته ورويته، واستبشروا به حتى خرج خلق من النساء أيضاً لرؤيته، وقد كان السلطان صجبه معه من مصر، فخرج معه بنية الغزاة، فلما تحقق عدم الغزاة وأن التتر قد رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة، وزار القدس وأقام به أياماً، ثم سافر على عجلون وبلاد السواد وذُرْع، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى الحجاز الشريف في أربعين أميراً من خواصه وجماعته يوم الخميس ثاني ذي القعدة.

ثم إن الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقراه بها لم يزل ملازماً، لاشتغال الناس في سائر العلوم، ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة، والاجتهاد في الأحكام الشرعية، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهداه من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أتى فيها بما أدى إليه اجتهداه، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والسلف.

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام، وترك أرغون بدمشق.

وفي يوم الجمعة لبس الشيخ كمال الدين بن الزملاكني خلعة وكالة

أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن العماد، أول قضاة الحنابلة، وقدم الأمير سيف الدين عمر على نيابة طرابلس، عوضاً عن الأفرم، بحكم هربه إلى التتر. وفي ربيع الآخر مسك بيبرس العلاني نائب حمص، ويسيرس المجنون، وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء ستة في نهار واحد، وسيروا إلى الكرك معتقلين بها.

وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس السوادار المنصوري، وولي بعده أرغون الدوادار، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك، وشمس الدين سقر الكمالي، حاجب الحجاب بمصر، وخمسة أمراء آخرون، وحبسوا كلهم بقلعة الكرك، في بوج هناك.

وفيه وقع حريق داخل باب السلامة، احترق فيه دور كثيرة، منها دار ابن أبي الفوارس، ودار الشريف القباني.

نيابة تنكرز على الشام

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكرز بن عبد الله المالكي الناصري نائباً على دمشق، بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من عماليك السلطان، منهم الحاج أرطقي على خُزَيْر بيبرس العلاني، وخرج الناس لتلقيه، وفرحوا به كثيراً، ونزل ببلد السعادة، ووقع عند قدومه مطر عظيم، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمنصورة، وأشعلت له الشموع في طريقه، وجاء توقيع لابن صَصْرَى بإعادة قضاء العسكر إليه، وأن ينظر الأوقاف، فلا يشاركه أحد في الاستئابة في البلاد الشامية، على عادة من تقدمه من قضاة الشامية.

وجاء مرسوم لشمس الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش، عوضاً عن ابن شيخ السلامة بحكم إقامته بمصر، ثم بعد أيام وصل الصلر معين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش، وجعل ابن حميد في وظيفة ابن البلد، وسافر ابن البلد على نظر جيش طرابلس، وتولى أرغون نيابة مصر، وعاد فخر الدين كاتب الممالك إلى وظيفته، مع استمرار قطب الدين ابن شيخ السلامة أيضاً مباشراً معه.

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محاضر، تتضمن استهاتته بالمصحف، وأنه يتكلم في أهل العلم، فأحضر إلى دار العدل، فاستسلم وحقق دمه، وعزز تمزيقاً بلبغا عنيفاً، وطيف به في البلد باطنه وظاهره، وهو مكشوف الرأس ووجهه مقلوب، وظهره مضروب، ينادي عليه هنا جزء من يتكلم في العلم بغير معرفة، ثم حبس، وأطلق فهرب إلى القاهرة، ثم عاد على البريد في شعبان، ورجع إلى ما كان عليه.

وفيه قدم بهادر آص من نيابة صفد إلى دمشق، وهناه الناس.

وفيه قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد بمال ولا برشوة، فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل، فقرأه ابن الزملاكني على السدة، وبلغه عنه ابن صُيُيح المؤذن، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله.

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق، بسبب أن التتر قد تحركوا للمجيء إلى الشام، فانزعج الناس من ذلك وخافوا، وتحول كثير منهم إلى البلد، وازدحموا في الأبواب وذلك في شهر رمضان، وكثرت

كان بارعاً فاضلاً درس وأتقن، وولي قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشيلية مدة، ثم سافر إلى مصر، فأقام بسعيد السعداء خمسة أيام، وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشرين رجب فآله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمئة

استهلت والحكام هم هم، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد، وقد قدم الأمير سيف الدين قنقليس يوم السبت، مستهل المحرم من الحجاز، وأخبر بسلامة السلطان، وأنه فارقه من المدينة النبوية، وأنه قد قارب البلاد، فدقت البشائر فرحاً بسلامة، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني المحرم يوم الأحد.

فلما كان يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على العادة، وقد رأيته مرجعه من هذه الحجة على شفته ورقة قد الصقها عليها، فنزل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمقصورة الخطابة، وكذلك الجمعة التي تليها، ولعب في الميدان بالكرة يوم السبت النصف من المحرم، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الأحد سُدس عشر المحرم وشد الدواوين لفخر الدين ليأس الأعصر عوضاً عن القرماني، وسافر القرماني إلى نيابة الرجة وخلع عليهما وعلى وزيره، وخلع على ابن صَهرى وعلى الفخر كاتب الماليك، وكان مع السلطان في الحج، وولى شرف الدين بن صَهرى حجابة الديوان وياشر فخر الدين ابن شيخ السلامة نظر الجامع وياشر بهاء الدين بن عليمه نظر الأوقاف، والمتكرسي شد الأوقاف فتوجه السلطان راجعاً إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه.

وفي أواخر صفر اجتاز على البريد في الرسالة إلى مهنا الشيخ صدر الدين ابن الوكيل وموسى بن مهنا والأمير علاء الدين الطنطا فاجتمعوا به في تدمر ثم عاد الطنطا وابن الوكيل إلى القاهرة ثم عاد صدر الدين إلى مهنا ورجع من عنده في رجب إلى القاهرة.

وفي أواخر جمادى الآخرة مسك أمين الملك وجماعة من الكتاب معه وصودروا بأموال كثيرة وأقيم عرضه بدر الدين بن التركماني الذي كان والي البحرية.

وفي رجب كملت أربعة مجازيق واحد لقلعة دمشق وثلاثة تحمل إلى الكرك، ورمي باثنين عند باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكر والعامه.

وفي شعبان تكامل حفر النهر الذي عمله سودي نائب حلب بها، كان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع في عرض ذراعين وعمق ذراعين، وغرم عليه ثلاثمائة ألف درهم، وعمل بالمدل ولم يظلم فيه أحداً.

وفي يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلبان التري.

وحج صاحب حماة في هذه السنة وخلق من الروم والغرباء وغيرهم.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي الحجة وصل القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك.

وراح معين الدين بن الحشيش إلى مصر في رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت المناشير بمقتضى إراكة الإقطاع الشامية على ما رآه السلطان بعد نظره في ذلك

بيت المال، عوضاً عن ابن الشريشي، وحضر بها الشباك، وتكلم الوزير أمين الملك في البلد، وطلب من الناس أموالاً كثيرة، وصادر وضرب بالمقارع، وأهان جماعة من الرؤساء، منهم الصدر عجي الدين بن فضل الله، وفيه عين الشيخ شهاب الدين بن جهيل لتدريس الصلاحية بالقدس، عوضاً عن نجم الدين داود الكردي توفي، وقد كان مدرساً بها من نحو ثلاثين سنة، فسافر ابن جهيل إلى القدس، بعد عيد الأضحى.

وفيها مات ملك دُمست القفجاق المسمى طقطاي خان، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة، وكان عمره يوم مات ثلاثين سنة، وكان شهماً شجاعاً، على دين التتر في عبادة الأصنام والكواكب، يعظم الجسمة والحكماء والأطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف، وكان جيشه هائلاً لا يجسر أحد على قتاله لكثرة جيشه، وقوتهم وعددهم وعددهم، ويقال إنه جرد مرة تجريدية من كل عشرة من جيشه واحداً، فبلغت التجريدية مائتي ألف وخمسين ألفاً.

توفي في رمضان منها، وقام في الملك من بعده ابن أخيه أزيك خان، وكان مسلماً، فأظهر دين الإسلام ببلاده، وقتل خلقاً من أمراء الكفر، وعلت الشريعة المحمدية على سائر الشرائع هناك، ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

الملك

■ المنصور صاحب ماردین: وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر، قرأ أرسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي ابن الملك المنصور ناصر الدين أرتق بن غازي بن آلي بن تمرتاش بن غازي بن أرتق الأرتقي صاحب ماردین من عدة سنين، كان شيخاً حسناً مهيباً، كامل الخلقة، بديناً سميناً، إذا ركب يكون خلفه حفرة، خوفاً من أن يمس له نوب فيركب فيها.

توفي في تاسع ربيع الآخر، ودفن بمدرسته تحت القلعة وقد بلغ من العمر فوق السبعين، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة، وقام من بعده في الملك ولده العادل علي، لمكث سبعة عشر يوماً، ثم ملك أخوه الصالح بن المنصور.

وفيها مات:

الأمير سيف الدين

■ قطلوبك الشیخی: كان من أمراء دمشق الكبار.

الشيخ الصالح: نور الدين أبو الحسن

■ علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الصليبي الدمشقي، قارئ الحديث بالقاهرة، ومستنداً، روى عن ابن الزبيد، وابن اللثمي، وجعفر المصنعي، وابن الشيرازي وخلق، وقد خرج له الإمام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة، وكان رجلاً صالحاً، توفي بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر، وكانت جنازته هائلة حافلة.

الأمير الكبير الملك

■ المظفر: شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم، سمع الحديث، وكان رجلاً متواضعاً، توفي بمصر ثاني عشر رجب، ودفن بالقاهرة.

قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله

■ محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرمي الحنفي:

بنفسه أربعة أشهر.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام المحدث: فخر الدين أبو عمرو

■ عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزري بمكة، يوم الأحد حادي عشر ربيع الآخر، وقد سنع الكثير، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها، وقرأ صحيح البخاري أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله.

■ (محمد بن أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي).

عز الدين محمد بن العدل: شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوي، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك، وكان من أخصاء أمين الملك، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعنبراية ليحضر على البريد، فمرض فمات بالمدرسة العنبراية، ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة، وله من العمر خمس وثلاثون سنة.

وكان قد سمع من ابن طبرزد والكندي، ودفن من الغد بباب الصغير، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد، وعز الدين.

الشيخ الكبير المقرئ: تقي الدين

■ المقصاتي، هو أبو بكر بن عمر بن الشيخ الجزري، المعروف بالمقصاتي، نائب الخطابة وكان يقرأ الناس القراءات من نحو خمسين سنة بالعراق والشام، وكان شيخاً عارفاً بالقراءات السبع وغيرها من الشوارد، وله إلمام بالنحو، وفيه ورع واجتهاد، توفي ليلة السبت حادي عشر جمادى الآخرة، ودفن من الغد بسفح قاسيون، تجاه الرباط الناصري، وقد جاوز الثمانين رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبع مائة

استهلت والحكام هم في التي قبلها، إلا الوزير أمين الملك فمكاته بدر الدين بن التركماني.

وفي رابع المحرم عاد صاحب شمس الدين غريال من مصر على نظر الدواوين، وتلقاه أصحابه.

وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة، بحضور نائب السلطنة والقضاة والأمراء، يتضمن بإطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وستمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، فتضاعفت الأدعية للسلطان، وكان القارئ جمال الدين بن القلاسي، وبلغه بدر الدين بن صبيح المؤذن، ثم قرئ في الجمعة الأخرى مرسوم آخر فيه الإفراج عن المسجونين، وأن لا يؤخذ من كل واحد سوى نصف درهم، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر والقصب وغيره عن الفلاحين، قرأه ابن الزملكاني وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجبي.

وفي المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين علي البكري وهم بقتله، شفع فيه الأمراء، ففاه ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى، وشفع فيه أيضاً، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله، شفع فيه الأمراء، ففاه ومنعه من الكلام والفتوى، وذلك لاجترأه وتسرعه على التكفير والقتل، والجهل الحاصل له على هذا وغيره.

وفي يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا سلطانيا على السدة، بحضور نائب السلطان والقاضي، وفيه الأمر بإطلاق ضمان القواسين وضمان النيذ وغير ذلك، فدعا الناس للسلطان.

وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر في أمر اليهود، ونهروهم عن الجلوس في المساجد، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين، وأن لا يتولوا ثبات الكتب، ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة، وأن لا يفتابوا أحداً، وأن يتصافوا في العيشة، ثم جلسوا مرة ثانية لذلك، وتواعدوا ثلاثة فلم يفتق اجتماعهم، ولم يقطع أحد من مركزه.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه عقد المجلس في دار ابن صخرى لبدر الدين بن بصخان، وأتكر عليه شيء من القراءات، فالتزم بترك الإقراء بالكلية، ثم استأذن بعد أيام في الإقراء فأذن له، فجلس بين الظهر والعصر بالجامع، وصارت له حلقة على العادة.

وفي منتصف رجب توفي نائب حلب الأمير سيف الدين سودي، ودفن بترته، وتولى مكانه علاء الدين الطنبغا الصالح الحجاب بمصر، قبل هذه النوبة.

وفي تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنقابة الأشراف، بعد والده أمين الدين جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني، بحكم وفاة أبيه في الشهر الماضي، وقد كان رئيساً كبيراً.

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دويج بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بترته المشهورة بسفح قاسيون، وكان قد قصد الحج في هذا العام، فلما كان بغياض أدركه منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان، فحمل إلى دمشق، وصلي عليه، ودفن في هذه التربة، اشترت له وغممت، وجاءت حسنة، وهي مشهورة عند الكارية شرقي الجامع المظفري، وكان له في مملكة كيلان خمس وعشرون سنة، وعمر أربعاً وخمسين سنة، وأوصى أن يحج عنه جماعة ففعل ذلك، وخرج الركب في ثالث شوال، وأميره سيف الدين سقر الإبراهيمي، وقاضيه محيي الدين قاضي الزيداني.

وفي يوم الخميس سابع ذي القعدة قدم القاضي بدر الدين بن الحداد من القاهرة متولياً حبة دمشق فخلع عليه، عوضاً عن فخر الدين سليمان البصراوي، عزل فسافر سريعاً إلى البرية، ليشتري خيلاً للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور، فاتفق موته في البرية في سابع عشر من الشهر المذكور، وحل إلى بصرى فلدفن بها عند أجداده، في ثامن ذي القعدة. وكان شاباً حسناً، كريم الأخلاق، حسن الشكل.

وفي أواخره مسك نائب صفت بلبان طرناً المنصوري، وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلبان البدري.

وفي سادس ذي الحجة باشر ولاية البر الأمير علاء الدين علي بن محمود بن معبد البعلبكي، عوضاً عن شرف الدين عيسى بن البرطاسي.

وفي يوم عيد الأضحى وصل الأمير علاء الدين بن صبح من مصر، وقد أفرج عنه، فسلم عليه الأمراء وفرحوا به وهنؤوه بالسلاطة.

وفي هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر، وخلع عليه وعلى صاحب بهاء الدين النشائي بنظر الخزانة، عوضاً عن سعد الدين حسن بن الأقاضي.

وفي وردت البريدية بأمر السلطان للجيش الشامية بالمسير إلى حلب، وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكر نائب الشام، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل، عليهم الأمير سيف الدين بكتر أبو بكر، وفيهم قبليس وبدر الدين الوزيري، وكشلي وابن طبرس وساطي وابن سلال وغيرهم،

فتقدموا إلى البلاد الحلية بين يدي نائب الشام تنكز.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ **سودي** نائب حلب في رجب: ودفن بترته، وهو الذي كان سببا في إجراء النهر إليها، غرم عليه ثلاثمائة ألف درهم، وكان مشكور السيرة، حميد الطريقة، رحمه الله.

وفي شعبان توفي:

الصاحب شرف الدين:

■ **يعقوب بن مضر**، وكان باراً بأهله وقربائه، رحمه الله.

والشيخ رشيد الدين أبو القلاء

■ **إسماعيل بن محمد القرشي الحفي**، المعروف بابن المعلم، كان من أعيان الفقهاء والمفتين، ولديه علوم شتى، وقوائد وفرائد، وعنده زهد، وانقطاع عن الناس، وقد درس بالبلخ مدة، ثم تركها لولده وسار إلى مصر فآقام بها، وقد عرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل، وقد جاوز التسعين من العمر، توفي سحر يوم الأربعاء، خامس رجب، ودفن بالقرافة، رحمه الله تعالى.

وفي شوال توفي:

الشيخ

■ **سليمان التركماني**: الموله الذي كان يجلس على مصطبة بالعليين، وكان قبل ذلك مقيماً بطهارة باب البريد، وكان لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقيها، ولا يصلي الصلوات ولا يأتيها، وكان بعض الناس من المممج له فيه عقيدة وهذه قاعدة المممج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق من الموليين والمجانين، ويزعمون أنه يكشف، وأنه رجل صالح، ودفن بباب الصغير في يوم كثير التلج.

وفي يوم عرفة توفيت:

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة:

أم زينب

■ **فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح** بن محمد البغدادية بظاهر القاهرة، وشهدتها خلق كثير، وكانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحذية في مؤاخاتهم النساء والمردان، وتنكر أحوالهم وأحوال أهل البدع وغيرهم، وتعمل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية، فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثني عليها، وبصفتها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من الغني أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها، وهي التي ختمت نساء كثيراً القرآن، منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المري، وهي التي أقرأت ابنتها زوجي أمة الرحيم زينب ورحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين.

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام في البلاد هم المذكورون في الي قبلها.

فتح ملطية

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج الأمير سيف الدين تنكز بالجيش قاصداً ملطية، وخرجت الأطلاب على راياتها، وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب، وكان يوماً مشهوداً، وخرج مع الجيش ابن صَنْزَرِي، لأنه قاضي المسامر، وقاضي القضاة الشافعية، فساروا حتى دخلوا حلب، في الحادي عشر من الشهر، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية، فشرعوا في محاصرتها يوم الحادي والعشرين من المحرم، وقد حصنت ومنعت، وغلقت أبوابها، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضيه وطلبوا الأمان، فأمنوا المسلمين ودخلوها، وقتلوا من الأرمن خلقاً ومن النصراني، وأسروا ذرية كثيرة، وتعدى ذلك إلى بعض المسلمين، وغنموا شيئاً كثيراً وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام، يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم إلى عين تاب إلى مرج دابق، وزينت دمشق، ودقت البناشز.

وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان.

وفي نصف الشهر وصل قاضيه الشريف شمس الدين ومعه خلق كثير من المسلمين من أهلها.

وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول وصل إلى دمشق نائبها الأمير تنكز الناصري، أعزّه الله تعالى، وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية، وخرج الناس للفرجة عليه على العادة، وأقام المصريين قليلاً ثم ترحلوا إلى القاهرة، وقد كانت ملطية إقطاعاً للجويان، أطلقها له ملك التتر، فاستتاب بها رجلاً كردياً، فتعدى وأساء وظلم، وكتب أهلها السلطان الملك الناصر، وأحبوا أن يكونوا من رعيته، فلما ساروا إليها وأخذوها وفعلوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجويان فعمرها، ورد إليها خلقاً كثيراً من الأرمن وغيرهم.

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمسك بكمصر الحاجب، وأيدغدي شقير وغيرهما، وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر، وذلك لأنهم اتفقوا على السلطان، فبلغه الخبر فمسكهم، واحتبط على أموالهم وحواصلهم، وظهر لبكمصر أموال كثيرة وأمتعة، وأخشاب وحواصل كثيرة، وقد قدم فجليس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس، ثم قدم سريعا ومعه الأمير سيف الدين عمر نائب طرابلس تحت الحوطة، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر أص المصوري، فحمل الأول إلى القاهرة، وجعل مكانه في نياة طرابلس كستاني، وحمل الثاني إلى الكرك وحزن الناس عليه ودعوا له.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن ميسر دمشق محتسباً وناظر الأوقاف، وانصرف ابن الحداد عن الحسبة، وبهاء الدين بن عليمه عن نظر الأوقاف.

وفي ليلة الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشباشي داخل باب الصغير، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضي ملطية الشريف شمس الدين بالدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضي القضاة الحنفي البصري، وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة، وخلق حسن، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة،

الدين فأكرمه، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فاقام بها، واستوطنها، ودوس بالرواحية والدولية والظاهرية والأتابكية، وصنف في الأصول والكلام، وتصدى للاشتغال والإفتاء، ووقف كعبه بدار الحديث الأشرية، وكان فيه بر وصلة.

توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرين صفر، ودفن بمقابر الصوفية، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات، فلدس بعده فيها ابن الزملكاني، وأخذ ابن صَصْرَى الأتابكية.

القاضي المسند المعمر الرحلة: تقي الدين

■ سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق، ولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمئة، وسمع الحديث الكثير، وقرأ بنفسه، وتفقه وسمع، وولي الحكم وحدث، وكان من خيار الناس، وأحسنتهم خلقاً، وأكثرهم مروءة.

توفي فجأة بعد مرجعه من البلد وحكمه بالجزوية، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله، ومات عقيب صلاة المغرب، ليلة الاثنين حادي عشرين ذي القعدة، ودفن من الغد بقرية جده، وحضر جنازته خلق كثير، وجم غفير رحمه الله.

■ (علي بن علي الحريري).

الشيخ علي ابن الشيخ علي الحريري: كان مقدما في طائفته، مات أبوه وعمره ستان، توفي في قرية بسر في جمادى الأولى.

الحكيم الفاضل البارح: بهاء الدين

■ عبد السيد بن المهلب إسحاق بن يحيى الطيب الكحال، التشرف بالإسلام، ثم قرأ القرآن جميعه، لأنه أسلم على بصيرة، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم، وكان مباركا على نفسه وعليهم، وكان قبل ذلك ديان اليهود، فهداه الله تعالى.

وتوفي يوم الأحد سادس جمادى الآخرة، ودفن من يومه بسفح قاسيون، أسلم على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية، لما بين له بطلان دينهم وما هم عليه، وما بدلوهم من كتابهم وحرفوه من الكلام عن مواضعه رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمئة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في السنة الماضية.

وفي المحرم تكملت تفرقة المثلثات السلطانية بمصر بمقتضى إراكة الأبخاز، وعرض الجيش على السلطان، وأبطل السلطان الكس بسائر البلاد القبلية والشامية.

وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية ببعلبك بسبب العقائد، وترافعوا إلى دمشق، فحضرها بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكر، فاصلح بينهم، وانفصل الحال على خير من غير عاقلة ولا تشويش على أحد من الفريقين، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم.

وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد قاضي القضاة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مسلم ابن مالك بن مزروع الحنبلي، بقضاء الحنابلة والنظر في أوقافهم، عوضاً عن التقي سليمان بحكم وفاته رحمه الله، وتاريخ التقليد من سبامس ذي الحجة، وقرئ بالجامع الأموي، بحضور القضاة والضاحب والأعيان، ثم مشوا معه وعليه الخلعة إلى دار السعادة،

واستمر ابن ميسر ناظر الأوقاف.

وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة دوس ابن صَصْرَى الأتابكية، عوضاً عن الشيخ صفى الدين الهندي.

وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزملكاني درس الظاهرية الجوانية، عوضاً عن الهندي أيضاً، بحكم وفاته كما ستاتي ترجمته.

وفي أواخر رجب أخرج الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من سجن القاهرة، وأعيد إلى الإمرة بها.

وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على ببلاد آمد، وفتحوا بلدانا كثيرة، وقتلوا وسبوا، وعادوا سالمين، وخسوا ما سبوا، فبلغ سهم الخمس أربعة آلاف رأس وكسور.

وفي أواخر رمضان وصل قراستقر المنصوري إلى بغداد، ومعه زوجته الحاتون بنت أبغا ملك التتر، وجاء إلى خدمة خربند، واستأنفه في النارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له، ووثب عليه رجل فلداوي من جهة صاحب مصر، فلم يقتل عليه وقتل الفلداوي.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرين رمضان درس بالمعادية الصغيرة الفقيه الإمام فخر الدين محمد بن علي المصري، المعروف بابن كاتب قطلوبك، بمقتضى نزول مدرستها كمال الدين بن الزملكاني له عنها، وحضر عنده الشهر كملت عمارة القيسارية، المعروفة بالدهشة عند

الوراقين واللبادين، وسكنها التجار، فتميزت بذلك أوقاف الجامع، وذلك بمباشرة صاحب شمس الدين.

وفي ثامن شوال قتل أحمد الروس شهد عليه بالعظام من ترك الواجبات، واستحلال الحرمات، واستهانت وتقصه بالكتاب والسنة، فحكم المالكي بإراقة دمه وإن أسلم، فاعتقل ثم قتل لعنة الله.

وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامي، وأميره سيف الدين طقتمر الموساي، وقاضيه قاضي ملطية.

وحج فيه قاضي حماة وحلب وماردين، وعيى الدين كاتب ملك الأمراء تنكر، وصهره فخر الدين المصري، وتقي الدين الفاضلي. وفي ثامن ذي الحجة ولد للسلطان ولد ذكر فزيت البلاد له.

ومن توفي فيها من الأعيان

شرف الدين أبو عبد الله: محمد بن العدل عماد الدين محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي

■ ابن القلانسي، ولد سنة ست وأربعين وستمئة، وياشر نظير الخاص، وقد شهد قبل ذلك في القيمة ثم تركها، وقد ترك أولاداً وأموراً جمة، توفي ليلة السبت، ثاني عشر صفر، ودفن بقاسيون.

الشيخ صفى الدين الهندي: أبو عبد الله

■ محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأموي، الشافعي المتكلم، ولد بالهند سنة أربع وأربعين وستمئة، واشتغل على جده لأمه، وكان فاضلاً، وخرج من دهلي في رجب، سنة سبع وستين، فحج وجاور بمكة أشهراً، ثم دخل اليمن، فأعطاه ملكها المظفر أربعمئة دينار، ثم دخل مصر، فأقام بها أربع سنين، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية، فأقام إحدى عشرة سنة بقوة خسا وسيواس خسا، وبقيسارية سنة، واجتمع بالمقاضي سراج

جماعة، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله، وكان قد رأس وعظم شأنه.

وفي ذي القعدة سار الأمير سيف الدين تنكرز إلى زيارة القدس، فساب عشرين يوماً.

وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتر الحاجب إلى دمشق من مصر، وقد كان معتقلاً في السجن فأطلق وأكرم وولي نيابة صفد، فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق، ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق، فولى فيها ابن صصرى شرف الدين النهاوندي، وكان متولياً طرابلس قبل ذلك، ووصل مع بكتر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزري، متولياً الخزانة بالقلة، عوضاً عن الطواشي ظهير الدين مختار إليسي توفى.

وفي هذا الشهر أعني ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التتر خربندا محمد بن أرغون بن أبنا بن هولاكوتان ملك العراق وخراسان وعراق المعجم والروم وأذربيجان والبلاد الآرانة وديار بكر، توفي في السابع والعشرين من رمضان، ودفن بترتة بالمدينة التي أنشأها، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر.

وكان موصوفاً بالكرم، وعجا للهو واللعب والعمارة، وأظهر الرفض في بلاده، أقام سنة على السنة، ثم تحول إلى الرفض، فأقام شعائره، في بلاده، وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلبي، تلميذ نصير الدين الطوسي، وأقطع عدة بلاد، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة، وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام، فأراح الله منه العباد والبلاد.

وقام في الملك بعده ولده بو سعيد، وله إحدى عشرة سنة، وملبس الجيوش والممالك له الأمير جويان، واستمر في الوزارة على شاه التبريزي، وأخذ أهل دولته بالصادرة، وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموماً، ولعب كثير من الناس به في أول دولته، ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة، فأمر بإعادة الخطبة بالترضي عن الشيخين أولاً، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ففرح الناس بذلك، وسكنت بذلك الفتن والشذور، والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد بهرة وأصبهان وبغداد وإربل وسواه وغير ذلك، وكان صاحب مكة الأمير حمضة بن أبي نسي الحسني، قد قصد ملك التتر خربندا، لينصره على أهل مكة، فساعدته الروافض هناك، وجهزوا معه جيشاً كثيراً من خراسان لأجل ذلك، فلما مات خربندا بطل ذلك بالكلية، وعاد حمضة خائباً خاسثاً، وفي صحبته أمير من كبار الروافض من التتر يقال له الدلقندي، وقد جمع لحمضة أموالاً كثيرة، ليقيم بها الرفض بذلك في بلاد الحجاز، فوقع بهما الأمير محمد بن عيسى أخو منها، وقد كان منها في بلاد التتر أيضاً ومعه جماعة من العرب، فقهرهما ومن كان معهما، ونهب ما كان معهما من الأموال، وتفرق الرجال، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة الإسلامية، فرضي عنه السلطان الملك الناصر وأهل دولته، وغسل ذلك ذنبه عنه، فاستدعى به السلطان إلى حضرته، فحضر سامعاً مطيعاً، فأكرمه نائب الشام، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضاً، ثم إنه استفتى الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التي أخذت من الدلقندي، فأنهاتهم بأنها تصرف في المصالح التي يعود نفعها على المسلمين لأنها كانت معدة لعناد الحق، ونصرة أهل البدعة على السنة.

فسلم على النائب، وراح إلى الصالحية، ثم نزل من الغد إلى الجوزية، فحكم بها على عادة من تقدمه، واستتاب بعد أيام الشيخ شرف الدين ابن الحافظ.

وفي يوم الاثنين سابع صفر المذكور وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر على البريد، ومعه توقيع يعود الوكالة إليه، فخلع عليه، وسلم على النائب والخليفة عليه.

وفي هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلاطسي، واعتقل بالعذراوية، ووصل بخمسين ألفاً، ثم أطلق له ما كان أخذ منه، وانفصل من ديوان نظر الخاص.

وفي ربيع الآخر وصل من مصر الأمير فضل بن عيسى ومعه تقليد بإمرة العرب عوضاً عن أخيه مهنا بن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات جيدة، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التتر، واجتماعهم بملكهم خربندا.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين جمادى الأولى باشر ابن صصرى مشيخة الشيخ بالمسيحية بسؤال الصوفية وظلمهم له من نائب السلطة، فحضرها وحضره عنده الأعيان في هذا اليوم، عوضاً عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق، وهو الكاشغري، توفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية.

وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى المعروف بابن علمية الخنفي وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين، عوضاً عن شمس الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن المظفر بن صدقة بن الخطيري الخاسب الكاتب توفي، وقد كان مباشراً عدة من الجهات الكبار، مثل نظر الخزانة، ونظر الجامع، ونظر المارستان وغير ذلك، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي ناظر ديوان نائب السلطة من كان، وصارت عادة مستمرة.

وفي رجب نقل نائب حمص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير سيف الدين التركستاني بحكم وفاته، وولي الأمير سيف الدين إرقتاي إلى نيابة حمص، وسار إليها من دمشق في يوم الأحد سابع رجب وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصري، عوضاً عن سيف الدين بيضا.

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب درس بالنجبية القاضي شمس الدين الدمشقي، عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن الظاهر العجمي الحلبي، سبط صاحب كمال الدين بن العليم، توفي ودفن عند خاله ووالده بترية العليم.

وفي أواخر شعبان وصل القاضي شمس الدين بن عز الدين يحيى الحراشي أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغني، إلى دمشق متولياً نظر الأوقاف بها، عوضاً عن صاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن ميسر، توفي في مستهل رجب بدمشق، وقد باشر نظر الدواوين بها وبمصر، والحسبة وبالإسكندرية وغير ذلك، ولم يكن بقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق، مات وقد قارب الثمانين، ودفن بقاسيون.

وفي تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري، الساكن عند دار الطراز بدمشق.

وحج من مصر سيف الدين أرغون الدواوير، وقاضي القضاة ابن

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي محب الدين: أبو الحسن علي ابن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، استتابه أبوه في أيامه، وزوجه بابنة الحاكم بأمر الله، ودرس بالكهكارية ورأس بعد أبيه، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشر رمضان، وقد فارب الستين، ودفن عند أبيه بالقرافة.

الشيخة الصالحة المحمرة

■ ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحوانية، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية، عمرت فوق السبعين سنة، وكانت من الصالحات ولدت تسعة بنين ولم ترزق بنتاً قط، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال، ودفنت بالصوفية، وحضر جنازتها خلق كثير، وجم غير رحمها الله.

الشيخ نجم الدين

■ موسى بن علي بن محمد: الحلبي ثم الدمشقي، الكاتب الفاضل، المعروف بابن البصيص، شيخ صناعة الكتابة في زمانه، لا سيما في المزوَّج والمثلث، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة، وأما عن كتب عليه أثابه الله الجنة، وكان شيخاً حسناً، بهي المظهر، شعر جيداً، توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة، ودفن بمقابر الباب الصغير، وله خمس وستون سنة.

الشيخ

■ تقي الدين الموصلي: أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند غراب الصحابة، وشيخ معاذ بن عامر مدة طويلة، وقد انتفع الناس به نحواً من خمسين سنة في التلقيح والقراءات، وختم خلقاً كثيراً، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليألي ختمهم وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً، توفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي القعدة، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

■ (محمد بن سلامة بن سالم الماليني).

الشيخ الصالح الواهد المقرئ: أبو عبد الله محمد ابن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن يثوب الماليني، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق، سمع الحديث، وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة، وكان يفصح الأولاد في الحروف الصعبة، وكان مثلي في فمه، يحمل طامة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الريايل وغيره، وقد جاوز الثمانين بأربع سنين، توفي بالمدوسة الصارمية، يوم الأحد ثاني عشرين ذي القعدة، ودفن بباب الصغير بالقرب من القلندرية، وحضر جنازته خلق كثيراً جداً نحو من عشرة آلاف رحمه الله تعالى.

■ (ابن المرحل).

الشيخ صدر الدين بن الوكيل: هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد، المعروف بابن المرحل، وابن الوكيل، شيخ الشافعية في زمانه، وأشهرهم في وقته بالفضيلة، وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل، والافتنان بالعلوم العديدة، وقد أجاد معرفة المذهب والأصلين، ولم يكن بالنحو بذلك القوي، يقع منه اللحن الكثير، مع أنه قرأ فيه المفصل للزخشري، وكانت له محفوظات كثيرة.

ولد في شوال سنة خمس وستين وستمائة، وسمع الحديث على المشايخ، من ذلك مستد الإمام أحمد علي بن علان، والكتب الستة، وقرأ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث، عن الأمير الإربلي والعامري والمزي.

وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة، من الطب

■ غريدا ملك التار كما تقدم

و■ عز الدين بن ميسر.

و■ الشهاب الكاشغري شيخ الشيخ.

و■ شمس الدين بن الخطيري.

و■ البهاء العجمي مدرس النجبية:

وفيهما قتل خطيب المزة قتل رجل جبلي، ضربه بفأس اللجام في رأسه في السوق، فبقي أياماً ومات، وأخذ القاتل فشتق في السوق الذي قتل فيه، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن هناك، وقد جاوز الستين.

الشرف

■ صالح بن محمد بن عريشاه بن أبي بكر المملداني، مات في جمادى الآخرة، ودفن بمقابر النرب، وكان مشهوراً بطيب القراءة، وحسن السيرة، وقد سمع الحديث، وروى جزء صاحب التذكرة الكندية.

الشيخ الإمام، المقرئ المحدث، النحوي الأديب، علاء الدين

■ علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الإسكندراني، ثم الدمشقي، سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ، وقرأ القراءات السبع، وحصل علوماً جيدة، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق، وجمع كتاباً في نحو من خمسين مجلداً، فيه علوم جمّة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية، وقفها بالسيماطية، وكتب حسناً، وحسب جيداً، وخدم في عدة خدم، وولي مشيخة دار الحديث النيسية في مدة عشر سنين، وقرأ صحيح البخاري مرات عديدة، وأسمع الحديث، وكان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتوفي بستانه عند قبة المسجف، ليلة الأربعاء سابع عشر رجب، ودفن بالزرة عن ست وسبعين سنة.

■ الطواشي ظهير الدين مختار: البليسي الخزندار بالقلة، وأحد أمراء الطبلخاناه بدمشق، كان ذكياً، خيراً فاضلاً، يحفظ القرآن ويؤديه بصوت طيب، ووقف مكتبة للآتيام على باب قلعة دمشق، ورتب لهم الكسوة والجلابية، وكان يتجنهم بنفسه، وفرح بهم، وعمل له تربة خارج باب الجابية، ووقف عليها المقرئين وبنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بإمام، وهي من أوائل ما عمل من التربة، بذلك الخط، ودفن بها في يوم الخميس عاشر شعبان رحمه الله.

وقد كان حسن الشكل والأخلاق، عليه سكة، ووقار وهيبة، وله وجاعة في الدولة ساعه الله، وولي بعده الخزانة سُمي ظهير الدين مختار الزرعي.

الأمير بلر الدين:

■ محمد بن الوزيري: كان من الأمراء المقدمين، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر، وكان حاجب المسيرة، وتكلم في الأوقاف، وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين، ثم نقل إلى دمشق فمات بها، في سادس عشر شعبان، ودفن بميدان الحصى، فوق خان النجيبى، وخلف تركة عظيمة.

الشيخة الصالحة

■ ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المجا راوية صحيح البخاري وغيره، جاوزت التسعين سنة، وكانت من الصالحات، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان، ودفنت بترتهم، فوق جامع المظفرى بقاسيون.

■ (علي بن تقي الدين بن دقيق العيد).

وفي صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من الناس، وخرب دوراً وعمائر كثيرة، وذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر.

وملخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم رعد وبرد عظيم معهم مطر ويرد، فسالت الأودية، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال بشرق مقدار أربعين ذراعاً، مع أن سمك الحائط خمسة أذرع، وحمل برجاً صحيحاً، ومعه من جانيه، بعض بلنيتين، فحمله كما هو، حتى مر وحفر في الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعاً، وحمل السيل ذلك إلى غربي البلد، لا يمر على شيء إلا أتلفه، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فأتلف ما يزيد على ثلثها، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف، ثم قوى على حائطه الغربي فأخربه، وأتلف جميع ما فيه من الخواص، والكتب والمصاحف، وأتلف شيئاً كثيراً من ريع الجامع، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وغرق في الجامع الشيخ علي بن محمد ابن الشيخ علي الحريري، هو وجماعة معه من الفقهاء، ويقال كان من جملة من هلك بالغرق في هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون نفساً سوى الغرباء، وجملة الدور التي خربها والخوانيت التي أتلفها نحو من ستمائة دار وحانوت، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستاناً، ومن الطواحين ثمانية، وسرى الجامع والأمنية، وأما الأماكن التي دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جداً.

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثليها من مدد، وغرق بلاداً كثيراً، وهلك فيها ناس كثيراً أيضاً، وغرق مئة الشريح فهلك للناس فيها شيء كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي مستهل ربيع الآخر جلس السلطان أبو سعيد بن خريندا علي تحت المملكة بالمدينة السلطانية.

وفي ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فنهبوا وسبوا وعادوا سالمين.

وفي يوم السبت تاسع عشرين منه قدم قساضي المالكية إلى الشام من مصر، وهو الإمام العلامة فخر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الإسكندراني المالكي، على قضاء دمشق، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين الزواوي، لضعفه واشتداد مرضه، فالتقاء القضاة والأعيان، وقرئ تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله، وهو مؤرخ بشاني عشر الشهر، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاري درس بالجامع في مستهل جمادى الأولى، وحضر عنده الفقهاء والأعيان والقضاة، وشكرت فضائله وعلومه، ونزاعته وصرامته وديانته.

وبعد ذلك بتسعة أيام توفي الزواوي المغزول، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك، وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان، وكان سجنه بها مطاوعة لإشارة نائب الشام، بسبب ما كان وقع بينهما بملطية، وخرج المحمل في يوم الخميس تاسع شوال، وأمير الحج سيف الدين كجكن المنصوري، ومن حج قاضي القضاة نجم الدين بن صصري، وابن أخيه شرف الدين، وكمال الدين بن الشيرازي، والقاضي جلال الدين الحنفي، والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق.

وفي سادس هذا الشهر درس بالجواروخية القاضي جمال الدين محمد ابن

والفلسفة وعلم الكلام، وليس ذلك بعلم، وعلوم الأوائل، وكان يكثر من ذلك.

وكان يقول الشعر جيداً، وله ديوان مجموع، مشتمل على أشياء لطيفة، وكان له أصحاب يمسكونه ويحبونه، وآخرون يمسكونه ويغضونه، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء، ويرمونه بالعظائم، وقد كان مسرفاً على نفسه، قد ألقى جلابيب الحياة فيما يتعاطاه من القاذورات والفراش.

وكان ينصب العداوة للشيخ تقي الدين بن تيمية وينظره في كثير من المحافل والمجالس، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة وبشيء عليه، ولكنه كان يحاف من مذهبه وناحيته وهواه، ويتنافع عن طائفته.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يبني عليه، وعلى علومه وفضائله، ويشهد له بالإسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة، وكان يقول: كان غلطاً على نفسه، متبعاً مراد الشيطان منه، يميل إلى الشهوة والمحاضرة، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يسلمه ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معتاه.

وقد درس بعملة مدرّس بمصر والشام، ودرس بدمشق بالشاميتين، والعنبرية، ودار الحديث الأشرية، وولي في وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم، ثم قام الخلق عليه وأخرجوه من يده، ولم يرق منها بها.

ثم خالط نائب السلطنة الأقرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن، ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب، لاستحواذه على قلب نائبها، فأقام بها ودرس، ثم تردد في الرسالة بين السلطان ومهنا صحبة أرغون والطنغا، ثم استقر به المنزل بمصر، ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها، بكرة نهار الأربعاء رابع عشرين ذي الحجة، بداره قريباً من جامع الحاكم، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي حمزة، بترية القاضي ناظر الجيش بالقراقة، ولما بلغت وفاته دمشق صلي عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة، ثالث الحرم من السنة الآتية، ورتاه جماعة منهم ابن غانم علاء الدين، والقحطازي، والصفدي، لأنهم كانوا من عشرائه.

وفي يوم عرفة توفي:

الشيخ عماد الدين

■ إسماعيل القوعي: وكيل قجليس، وهو الذي بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية، وكانت فيه نهضة وكفاية، وكان من بيت الرفض، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة، فضره بين يديه، وقام النائب إليه بنفسه، فجعل يضره بالهاميز في وجهه، فرجع من بين يديه وهو تالف، فمات في يوم عرفة، ودفن من يومه بسفح قاسيون، وله دار ظاهر باب الفرائيس.

ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي صفر منها شرع في عمارة الجامع الذي أنشأه ملك الأمراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر، تجاه حكر السماق، على نهر بانياس بدمشق، وتردد القضاة والعلماء في تحرير قبلته، فاستقر الحال في أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية في يوم الأحد الخامس والعشرين منه، وشرعوا في بنائه بأمر السلطان، ومساعدته لنائبه في ذلك.

وحملا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقاً كثيرة من أهلها، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وسبوا الشيخين، فصاح أهل البلد وإسلاماه، واسلطناه وإميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجذ وجعلوا ييكون، ويتضرعون إلى الله عز وجل، فجمع هذا الضال تلك الأموال، قسّمها على أصحابه وأتباعه، فبجهم الله أجمعين، وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة، ولو لم يبق معي سوى عشرة أنفس لملكنا البلاد كلها. ونادى في تلك البلاد أن المقاسمة بالشر لا خير ليرغب الفلاحين فيه وأمر أصحابه بخراب المساجد، واتخاذها خارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل لا إله إلا علي، واسجد للإمام المهدي، الذي يجيئ وعيت، حتى تحقن دمك، ويكتب لك فرمان، وتجهزوا، وعملوا أمراً عظيماً جداً، فجدرت إليهم العساكر فهزمهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وجأ غفيراً وقتل المهدي الذي أضلهم، وهو يكون يوم القيامة مقدمهم وهاديهم إلى عذاب السعير، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَاتَّخِذْهُ يَهْدِي وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (الحج: ٣ - ٤).

وفيهما حج الأمير حسام الدين منها، وولده سليمان في سنة آلاف، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف، ولم يجمع مهناً بأحد من المصريين ولا الشاميين، وقد كان في المصريين قجلس وغيره، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح: أبو الحسن

■ علي بن محمد بن عبد الله الحنفي كان فاضلاً، وكتب حسناً، ونسخ التنية، والعمدة، وغير ذلك، وكان الناس يتبعون به، ويقابلون معه، ويصححون عليه، ويميلون إليه عند صندوق كان له في الجامع، توفي ليلة الاثنين، سادس المحرم، ودفن بالصوفية، وقد صححت عليه في العمدة وغيرها.

الشيخ شهاب الدين الرومي:

■ أحمد بن محمد بن إبراهيم الراعي، درس بالمعينة، وأم بمحارب الحنفية بمقصودتهم الغريبة، إذ كان محرابهم هناك، وتولى مشيخة الخاتونية، وكان يؤم بنائب السلطنة الأفرم، وكان يقرأ حسناً بصوت مليح، وكانت له مكانة عنده، وربما راح إليه الأفرم ماشياً حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأها بالشرف الشمالي على الميدان الكبير، ولما توفي بالمحرم ودفن بالصوفية قام ولده عماد الدين وشرف الدين بوظائفه.

الشيخ الصالح العدل: فخر الدين

■ عثمان بن أبي الوفا بن لعملة الله الأعزاري، كان ذا ثروة من المال، كثير المروءة والتأدب، أدى الأمانة في ستين ألف دينار وجواهر، حيث لا يعلم بها إلا الله عز وجل، بعد ما مات صاحبها مجرداً في الغزاة، وهو عز الدين الجراحي نائب غزة، أودعه إياها فادأها إلى أهلها أثاب الله، ولها لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى، حتى قيل إنهم لم يجمعوا في مثله قبل ذلك، ودفن بباب الصغير رحمه الله.

قاضي القضاة: جمال الدين أبو عبد الله

■ محمد بن سليمان بن سומר الزواوي قاضي المالكية بدمشق، من سنة سبع وثمانين وستمائة.

الشيخ كمال الدين الشريفي بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام، وحضر عنده الأعيان.

وفي التاسع عشر منه درس ابن الزملاكني بالمعزوية، عوضاً عن ابن سلام.

وفيهما درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له في ذلك، بعد وفاة أخيهما لأمهما بدر الدين قاسم بن محمد بن خالد، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج، وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية الدرس بنفسه، وحضر عنده خلق كثير من الأعيان وغيرهم حتى عاد أخوه، وبعد عودته أيضاً، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الخمرور والقواش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك، وبيت بقرى النصرية في كل قرية مسجد ولله الحمد والمئة.

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الإمام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي على البريد من مصر إلى دمشق متولياً كتابة السرباء، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله تعالى.

وفي ذي القعدة يوم الأحد درس بالصمصامية التي جدت للمالكية وقد وقف عليها صاحب شمس الدين غريال درساً ودرس بها فقهاً، وعين تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين علي بن عبد النصير المالكي، وحضر عنده القضاة والأعيان، ومن حضر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان يعرفه من إسكندرية.

وفيه درس بالدخورية الشيخ جمال الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال، ورتب في رياسة الطب عوضاً عن أمين الدين سليمان الطيب، بمرسوم نائب السلطنة تنكر، واختاره لذلك.

واتفق أنه في هذا الشهر تجمع جماعة من التجار بمباردين وانضاف إليهم خلق من الجفال من الغلا قاصدين بلاد الشام، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستون فارساً من التار فمالوا عليهم بالنشاب وقتلوه من رأس آخرهم، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبياً، فقالوا من يقتل هؤلاء؟ فقال واحد منهم: أنا بشرط أن تغلوني بمال من النسيمة، فقتلهم كلهم عن آخرهم، وكان جملة من قتل من التجار ستمائة، ومن الجفال ثلاثمائة من المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وودعوا بموتاهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركماني، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع، فاجتهد مسلم ديار بكر سوتاي في طلب أولئك التتر حتى أهلكهم عن آخرهم، ولم يبق منهم رجل واحد، لا جمع الله بهم شملاً ولا بهم مرحباً ولا أهلاً، آمين يا رب العالمين.

صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة

وفي هذه السنة خرجت النصرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله، وتارة يدعي أنه علي بن أبي طالب فاطر السماوات والأرض، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وتارة يدعي أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وصرح بكفر المسلمين، وأن النصرية على حق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصرية الضلال، وعين لكل إنسان منهم مقدمة ألف، وبلاد كثيرة وتيابة القلعة،

توفي يوم الجمعة آخر النهار سابع ذي الحجة، ودفن ضحى يوم السبت، بمقبرة الحجون، رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمئة

الخليفة والسلطان هما هما، وكذلك النواب والقضاة، سوى المالكي بدمشق فإنه العلامة فخر الدين بن سلامة، بعد القاضي جمال الدين الزواوي رحمه الله.

فيها وصلت الأخبار في الحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق وسنجان والموصل وصاردين وتلك النواحي بغلاء عظيم، وفناء شديد وقلة الأمطار وجور التار، وعدم الأقوات، وغلاء الأسعار، وقلة النفقات، وزوال النعم، وحلول النقم، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات، والحيوانات، والنباتات، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك، حتى إن كثيرا من الناس كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين تأثما، فكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها لتتفع بثمنه، ويحصل لها من طعامه فيعيش، وتأمين عليه من الهلاك، فإن الله وإنا إليه راجعون، وجرى في تلك البلاد أحوال صعبة يطول ذكرها، وتنبو الأسماع عن وصفها، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلكهم عن آخرهم، وصحبت طائفة منهم فرقة من التار، فلما انتهوا إلى عبة صعدوا التار ثم منعوم أن يصعدوا لئلا يتكفروا بهم فماتوا عن آخرهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وفي بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخاص السلطاني بالبلاد جميعها، قدم إلى دمشق فنزل، بدار السعادة، وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيات، الذي يقال له جامع كريم الدين، وراح لزيارة بيت المقدس، وتصلق بصداقات كثيرة وافرة، وشرع ببناء جامع بعد سفره.

وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على بيوت مقدم تركمان، فأهلكتهم شيا كثيرا من الأمتعة، وقتل أميراً منهم يقال له طرلي، وزوجته، وابنته، وابني ابنته، وجارته وأحد عشر نفساً، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها، وكسرت الأمتعة والأثاث، وكانت ترفع البعير في الهواء مقدار عشرة أرامح ثم تلقيه مقطعا، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم، بحيث أثلث زروعا كثيرة في قرى عديدة، نحو من أربع وعشرين قرية، حتى إنها لا ترد بدارها.

وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الخاصكي إلى نياية صفد فاقبم بها شهرين سك، والصاحب أمين الملك إلى نظر الدواوين بطرابلس على معلوم واثر.

قال الشيخ علم الدين وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الإمام العلامة تقي الدين بن تيمية، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الخلف بالطلاق، فقبل الشيخ نصيحته، وأجاب إلى ما أشار به، رعاية لحظاره وخواطر الجماعة المفتين، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الإفتاء في مسألة الخلف بالطلاق، وعقد في ذلك مجلس، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان، ونودي به في البلد، وكان قبل قديم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الخنيلي جماعة من المفتين الكبار، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الإفتاء، في مسألة الطلاق، فلمع

قدم مصر من المغرب، واشتغل بها، وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم قدم دمشق قاضياً في سنة سبع وثمانين وستمئة، وكان مولده تقريباً في سنة تسع وعشرين وستمئة وأقام شعاعاً مذهب مالك، وعمر الصمصامية في أيامه، وجدده عمارة النورية، وحدث بصحيح مسلم، وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك، وكتاب الشفا للقاضي عياض، وعزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء، وهذا من خبره حيث لم يمّت قاضياً.

توفي بالمدسة الصمصامية، يوم الخميس، التاسع من جمادى الآخرة، وصلي عليه بعد الجمعة، ودفن بمقابر باب الصغير نجاء، مسجد النارينج، وحضر الناس جنازته، وأثنوا عليه خيراً، وقد جاوز الثمانين رحمه الله كماله، ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً.

القاضي الصدر الرئيس رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن مجلي القرشي، العدوي العمري، ولد سنة تسع وعشرين وستمئة، وسمع الحديث، وخدم وارفعت منزلته، حتى كتب الإنشاء بمصر، ثم نقل إلى كتابة سر دمشق، إلى أن توفي في ثاني رمضان، ودفن بقاسيون، وقد قارب التسعين، وهو ممتع بحواصيه وقواه، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء، ولا سيما في ابن تيمية، وفي الصلحاء رحمه الله، وقد رثاه الشهاب محمود كاتب السر بعده بدمشق، وعلاء الدين بن غانم، وجمال الدين بن نباتة.

■ (الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي).
الفقيه الإمام العالم الماخر شرف الدين أبو عبد الله الحسين ابن الإمام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمئة، واشتغل وبيع، وحصل ودرس بالجوارخية والعنواوية، وأعاد بالظاهرية، وأفتى بدار العدل، وكان واسع الصدر، كثير الهمة، كريم النفس، مشكوراً في فهمه، وخطه وحفظه، وفصاحته ومناظرته، توفي في رابع عشرين من رمضان، وترك أولاداً، ودينياً كثيراً، فوفته عنه زوجته بنت زوزان، تقبل الله منها، وأحسن إليها.
الصاحب أنيس الملوك: بدر الدين

■ عبد الرحمن بن إبراهيم الإربلي، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمئة، واشتغل بالأدب، فحصل على جانب جيد منه، وارتقى عند الملوك، به، فمن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله:

وَمَدَامَ حَمْرَاءَ تُشْجَى جَدُّ مَنْ أَهْوَى وَدُنِي
يَنْمَى بِهَا قَمَرُ أَعْمُرُ عَلَيَّ مِنْ تَنْظِيرِي وَسَمْنِي
وقوله في منية:

وغيره هَيْفَاءَ نَاعِمَةِ السَّنَا طُوبَى الْوَنَاقِ مَرِيضَةِ الْأَجْفَانِ
عَثَّ وَنَاسَ قِيَامُهَا فَكَأَنَّمَا الدَّ وَزَفَاءُ تَشَجُّ قُرُوقِ غُصْنِ الْبَنَانِ

■ (محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن سالم بن صصري).
الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم ابن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصري بأمر عدة جهات، وخرج مع خاله قاضي القضاة ابن صصري إلى الحج، فلما كانوا يبرؤ اعتراه مرض، ولم يزل به حتى مات، توفي بمكة وهو محرم ملب، فشهد الناس جنازته، وغطوه بهذه المونة.

الشيخ نصيحته، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشرب.

وفي عاشره جاء البريد إلى صفد بمسك سيف الدين طغاي، وتولية بدر الدين القرمانلي نياية حصص.

وفي هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمناني، كان أصله يهودياً عطاراً، تقدم بالطب، وشملتة السعادة، حتى صار عند خربندا الجزء الذي لا يتجزأ، وعلت رتبته وكلمته، وتولى مناصب الوزراء، وحصل له من الأموال والأموال والسعادة ما لا يحصى ولا يوصف، وكان قد أظهر الإسلام، وكانت لديه فضائل جمة، وقد فسر القرآن، وصنف كتباً كثيرة، وكان له أولاد وثرثرة عظيمة، وبلغ الثمانين من العمر، وكانت له يد جيدة يوم الرحلة، فإنه صانع عن المسلمين، وأثقت القضية في رجوع ملك التار عن البلاد الشامية، سنة ثني عشرة كما تقدم، وكان ينصح الإسلام، ولكن قد نال منه خلق كثير من الناس، وانهموا على الدين، وتكلموا في تفسيره هذا، ولا شك أنه كان غمطاً غلطاً، وليس لديه علم نافع، ولا عمل صالح، ولما تولى أبو سعيد المملكة عزله، وبقي مدة خاملاً، ثم استدعاه جوبان وقال له: أنت سقيت السلطان خربندا سماً؟ فقال لهم: أنا كنت في غاية الحفاوة والذلة، فصرت في أيامه وأيام أبيه في غاية العظمة والعزة، فكيف أعمد إلى سقيه والحالة هذه؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خربندا وصفته، وأن الرشيد أشار بإسباله لما عنده في باطنه من الحواصل، فاطلق باطنه نحواً من سبعين مجلساً، فمات فاعترف بذلك على وجه أنه أخطأ في الطلب، فقال: فأنت إذا قتلت، فقتله وولده إبراهيم، واحتيط على حواصله وأمواله، فبلغت شيئاً كثيراً، وقطعت أعضائه، وحمل كل جزء منها إلى بلدة، ونودي على رأسه بتبريز هذا رأس اليهودي، الذي بدل كلام الله، لعنة الله، ثم أحرقت جسده، وكان القائم عليه على شاه.

وفي هذا الشهر - أعني جمادى الأولى - تولى قضاء المالكية بمصر تقي الدين الإخنائي، عوضاً عن زين الدين بن مخلوف، توفي عن أربع وثلاثين سنة، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة.

وفي يوم الخميس عاشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحى خلعة الإمرة بمرسوم السلطان.

وفي آخر رجب جاء سيل عظيم بظاهر حمص، خرب شيئاً يسيراً، وجاء إلى البلد ليدخلها فمنعه المحتنق.

وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمره تنكز ظاهر باب النصر، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الحنفي المعروف بالحقاضي، من مشاهير الفضلاء، ذوي الفنون المتعددة، وحضر نائب السلطنة، والقضاة والأعيان، والقراء والمشدون، وكان يوماً مشهوراً.

وفي يوم الجمعة التي يليها خطب بجامع القبيبات النقيش أنشأه كريم الدين وكيل السلطان، وحضر فيه القضاة والأعيان، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الوزير الحارثي، الأسدي الحنبلي، وهو من الصالحين الكبار، ذوي الزهادة والعبادة، والتسكك والتوجه، وطيب الصوت، وحسن السم.

وفي حادي عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين بن القتيب إلى حمص حاكماً بها مطلوباً، مسؤولاً مرغوباً فيه، وخرج الناس لتوديعه.

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلمية ومثله بالشوك، وخرج الحمل في تاسع شوال، وأمير الركب الأمير علاء الدين بن معبد والي البر،

وقاضيه زين الدين ابن قاضي الخليل الحاكم بحلب.

ومن حج في هذه السنة من الأعيان: الشيخ برهان الدين الفزاري، وكمال الدين بن الشريشي، وولده، وبدر الدين بن العطار.

وفي الحادي عشر من ذي الحجة انتقل الأمير فخر الدين إلياس الأعصري من شد الدواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً.

وفي يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذي أنشأه صاحب شمس الدين غريال، ناظر الدواوين بدمشق، خارج باب شرقي، إلى جانب ضرار بن الأزور رضي الله عنه بالقرب من محلة القعايلة، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التلمري، المعروف بالتيرباني، وهو من كبار الصالحين، ذوي العبادة والزهادة، وهو من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، وحضره صاحب المذكور، وجماعة من القضاة والأعيان.

وفي يوم الاثنين العشرين من ذي الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ مشيخة الحديث بترية أم الصالح، عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي، توفي بطريق الحجاز في شوال، وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة، وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة.

وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا الدرس أحضر الفقيه زين الدين بن عبيدان الحنبلي من بعلبك، وحوق على منام رآه، زعم أنه رآه بين الشام واليقظان، وفيه تخليط وتخبط، وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج، كان كتبه مخطئة، وبمته إلى بعض أصحابه، فاستسلمه القاضي الشافعي وحقق دمه وعزره، ونودي عليه في البلد، ومنع من الفتوى وعقود الأئكة، ثم أطلق.

وفي يوم الأربعاء بكرة باشر بدر الدين محمد بن بصخان مشيخة الإقراء بترية أم الصالح، عوضاً عن الشيخ مجد الدين التونسي توفي، وحضر عنده الأعيان والفضلاء، وقد حضرته يومئذ، وقبل ذلك باشر مشيخة الإقراء بالأشرفية، عوضاً عن الشيخ محمد بن خروف الموصل.

وفي يوم الخميس ثالث عشر من ذي الحجة باشر الشيخ الإمام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزني مشيخة دار الحديث الأشرفية، عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي، ولم يحضر عنده كبير أحد، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه، ولا أحفظ منه، وما عليه منهم؟ إذا لم يحضروا عنده فإنه لا يوحشه إلا حضورهم عنده، وبمدهم عنه أنس، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام بن علي البالسي).

الشيخ الصالح العاليد التمسك: الورع الزاهد القدوة بقية السلف والقدوة الخلف أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة التمسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي، ولد سنة خمسين وستمئة ببالس، وسمع من أصحاب ابن طبرزد.

وكان شيخاً جليلاً، يشوش الوجه، حسن السم، مقصدا لكل أحد كثير الموقار عليه سيما العبادة والخير، وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين بن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ

والفراخ من الدنيا، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر، ودفن بالسفح، وقد أورد الشيخ علم الدين البرزلي في ترجمته قطعة من شعره فمن ذلك قوله:

أَسْكَانُ الْمَسَاهِدِ مِنْ قُرْأَيْ
أَكْرَرُ فِيكُمْ أَبَدًا حُدَيْي
فِيحْلُوَ وَالْحُدَيْثُ لَهُ شَجُونُ
وَأَنْظُلُهُ عَقُودًا مِنْ دُجُوعِي
وَأَبْكِي الْمَلَكَاتِي فِي مَوَاطِنِ
وَفِيكُمْ كُلُّ قَانِيَةٍ تَهْجُونُ
وَأَسْأَلُ عَنْكُمْ الْيَاكِينَ مِرًّا
وَسِرُّ هَوَاكُمُ سِرُّ نَصُونُ
وَاعْتَبِرْتُ النَّسِيمَ لِأَنِّي فِيهِ
شَمَاتِلٌ مِنْ مَعَاطِفِكُمْ تَبَيُّنُ
فَكَمْ لِي فِي مَشْيِكُمْ غُرَامٌ
وَكَمْ لِي فِي الْغُرَامِ بِكُمْ قَتُونُ؟

قاضي القضاة زين الدين

■ علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي، الحاكم بالديار المصرية، ولد سنة أربع وثلاثين وستمئة، وسمع الحديث، واشتغل وحصل، وولي الحكم بعد ابن شاس سنة خمس وثمانين، وطالت أيامه إلى هذا العام، وكان غزير المروءة والاحتمال، والإحسان إلى الفقهاء والشهود، ومن يقصده.

توفي ليلة الأربعاء، حادي عشر جمادى الآخرة، ودفن بسفح المقطم بمصر، وتولى بعده الحكم بمصر تقي الدين الأخنائي المالكي.

الشيخ

■ إبراهيم بن أبي العلاء: المقرئ الصيت المشهور، المعروف بابن شعلان، وكان رجلاً جليلاً في شهود المسامرة، ويقصد للخدمات لطيب صوته، توفي يوم الجمعة وهو كهل، ثالث عشر جمادى الآخرة، ودفن بسفح قاسيون.

■ (محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف الإشبيلي). الشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم بن أبي عيسى ابن الحاج التحيي القرطبي، ثم الإشبيلي، ولد بإشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمئة، وقد كان أهله بيت العلم، والخطابة، والقضاء بمدينة قرطبة، فلما أخذوا الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمسكت أمهاتهم وكتبهم، وصادروا ابن الأحمر جند القاضي بعشرين ألف دينار، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمئة، ونشأ يتيمًا، ثم حج، وأقبل إلى الشام، فأقام بدمشق من سنة أربع وثمانين، وسمع من ابن البخاري وغيره، وكتب بيده نحوًا من مائة مجلد إعانة لولده أبي عمرو وأبي عبد الله على الاشتغال.

ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان، ثامن عشر رجب، وصلي عليه بعد العصر، ودفن عند القنلاوي، بباب الصغير بدمشق، وحضر جنازته خلق كثير.

■ (أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سحمان الشريشي).

الشيخ كمال الدين بن الشريشي: أحمد ابن الإمام العلامة جمال الدين أبي بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان البكري الوائلي الشريشي، كان أبوه مالكيًا كما تقدم، واشتغل هو في مذهب الشافعي فبرع، وحصل علومًا كثيرًا، وكان خيرًا بالكتابة مع ذلك، وسمع الحديث، وكتب الطبايع وقرأه بنفسه، وأقضى ودرس وناظر وياشر بعدة مدارس

الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجراته عليه، وأنه قال لرجائه قل للقان: أنت ترعك أنك مسلم، ومعك مؤثرون، وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجلك هولاء كانوا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا فوفوا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، قال وجرت له مع قازان وقطولشاه وبولاي أمور ونسب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق، ولم يخش إلا الله عز وجل.

قال: وقرب إلى الجماعة طعامًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له ألا تأكل؟ فقال: كيف أكل من طعامكم، وكله مما نهيتهم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس.

قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: «اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا وليفشل الإسلام وأهله، فأخذله وزلزله ودمره واقطع دابره».

قال: وقازان يؤمن على دعائه، ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تلتوث بدمه إذا أمر بقتله.

قال: فلما خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبهكم.

قال: فانطلقنا عصبه، وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواكين والأمراء من أصحاب قازان، فاثروا يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه.

قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر، فسلحهم عن آخرهم، هذا الكلام أو نحوه، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره، وقد تقدم ذلك.

توفي الشيخ أحمد بن قوام ليلة الاثنين الثاني والعشرين من صفر، بالزاوية المعروفة بهم غربي الصالحية والثانوية والعادية، وصلي عليه بها، ودفن فيها، وحضر جنازته ودفنه خلق كثير، وجم غفير، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، لأنه كان يحبه كثيراً، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة، ولا لزاويته مرتب ولا وقف، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل، وكان يزار، وكان لديه علم، وفضائل جمة، وكان فهمه صحيحاً، وكانت له معرفة تامة، وكان حسن العقيدة، وطوبته صحيحة، وكان محبا للحديث وآثار السلف، كثير التلاوة والجمعة على الله عز وجل، وقد صنف جزءاً فيه أخبار جيدة، رحمه الله، ويل تراه بوابل الرحمة آمين.

■ (عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان التلي).

الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد تقي الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان التلي، ثم الصالح الحنبلي، أخو الشيخ محمد بن تمام، ولد سنة خمس وثلاثين وستمئة، وسمع الحديث، وصحب الفضلاء، وكان حسن الشكل والخلق، طيب النفس، مليح المجاورة والمجالسة، كثير المفاكهة، أقام مدة بالحجاز، واجتمع بابن سبعين وبالتقي الحوراني، وأخذ النحو عن ابن مالك، وابنه بدر الدين وصحبه مدة، وقد صلبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة، وكان يتي عليه بالزهد

وفي هذا اليوم نودي بالبلد أن يصوم الناس، لأجل الخروج إلى الاستسقاء، وشرع في قراءة البخاري، وتبأ الناس لذلك، ودعوا عقب الصلوات، وبعد الخطب، وإبتهلوا إلى الله في الاستسقاء، فلما كان يوم السبت منتصف صفر، وكان سابع نيسان، خرج أهل البلد برمتهم إلى عند مسجد القدم، وخرج نائب السلطنة والأمراء مشاة ليكون يتضرعون، واجتمع الناس هنالك، وكان مشهداً عظيماً، وخطب بالناس القاضي صدر الدين سليمان الجعفري، وأمن الناس على دعائه، ورجعوا فلما أصبح الناس من اليوم الثاني جاءهم الغيث بإذن الله، ورحمته ورافقه، لا يحولهم ولا بقوتهم، ففرح الناس فرحاً شديداً، وعم البلاد كلها ولله الحمد والمنة وحده لا شريك له.

وفي أواخر الشهر شرعوا بإصلاح رخام الجامع وترميمه، وجلي أبوابه وتحسين ما فيه.

وفي رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية الجوانية ابن الشيرازي بتوقيع سلطاني، وأخذنا من ابن صغرى وباشرها إلى أن مات.

وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شيخ السلامة فخر الدين أخو ناظر الجيش الحسبة بدمشق، عوضاً عن ابن الحداد، وباشر ابن الحداد نظر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامة، وخلع على كل منهما. وفي بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضي القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكي الدين ظافر المهدلاني المالكي، على قضاء المالكية بالشام، عوضاً عن ابن سلامة توفي، فكان بينهما ستة أشهر، ولكن تقليد هذا مؤرخ بآخر ربيع الأول، وليس الخلع، وقرئ تقليد بالجامع.

وفي هذا الشهر درس بالحنفية البرانية القاضي بدر الدين بن الفورية الحنفي، وعمره خمس وعشرون سنة، عوضاً عن القاضي شمس الدين محمد قاضي ملطية توفي.

وفي يوم السبت، خامس رمضان وصل إلى دمشق سيل عظيم، أثلف للناس شيئا كثيراً، وارتفع حتى دخل من باب الفرج، ووصل إلى العقبية، واتزعج الناس له، وانتقلوا من أماكنهم، ولم تطل مدته، لأن أصله كان مطراً وقع بأرض آبل السوق والحسينية.

وفي هذا اليوم باشر طرقي شذ الدواوين، بعد موت جمال الدين الرحبي، وباشر ولاية المدينة صارم الدين المكوندل، وخلع عليهما.

ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب من السلطان، يتضمن منع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الفتيا في مسألة الطلاق، وانفصل المجلس على تأكيد المنع، من ذلك.

وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضي صدر الدين الداراني، عوضاً عن بدر الدين بن ناصر الدين بن عبد السلام، بجامع جراح، وكان فيه خطيباً قبله، قتولا بدر الدين حسن العقرباني، واستمر ولده في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده.

وفي يوم السبت عاشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيبك المنصوري أمير علم.

وحج فيها صدر الدين قاضي القضاة الحنفي، وبرهان الدين بن عبد الحق، وشرف الدين بن تيمية، ونجم الدين الدمشقي وهو قاضي الركب، ورضي الدين المتطقي، وشمس الدين ابن الوزير خطيب جامع القييات، وأبو عبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم.

ومناصب كبار، أول ما باشر مشيخة دار الحديث بترية أم الصالح، بعد والده، من سنة خمس وثمانين وستمئة إلى أن توفي، وناب في الحكم عن ابن جماعة، ثم ترك ذلك وولي وكالة بيت المال، وقضاء العسكر، ونظر الجامع مرات، ودرس بالشامية البرانية، ودرس بالناصرية عشرين سنة، ثم انتزعها من يده ابن جماعة وزين الدين الفارقي، فاستعادها منهما وباشر مشيخة الرباط الناصري بقاسيون مدة، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين، وكان مشكور السيرة فيما تولاها من الجهات كلها، وقد عزم في هذه السنة على الحج، فخرج بأهله، فأدركته منيته بالحسا في سلخ شوال من هذه السنة، ودفن هناك رحمه الله، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسي، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازي، وبدار الحديث الأشرفية المحافظ جمال الدين المزني، ويام الصالح الشيخ شمس الدين الذهبي، وبالرباط الناصري ولده جمال الدين.

الشهاب المرقى

■ أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي، نقيب الأشراف المتعممين، كان عنه فضائل جمة، مما يناسب الوقائع، وما يحضر فيه من التهاني والتعازي، ويعرف الموسيقى والشعبية، وضرب الرمل، ويحضر المجالس المشتملة على اللهو والمسكر، واللعب والبسط، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر سنه، وهو مما يقال فيه وفي أمثاله:

نعبتُ عن توبتِهِ سالِلا وجَدتهَا توبَةً إنْ لاسِ
وكان مولده بدمشق، سنة ثلاث وثلاثين وستمئة، وتوفي ليلة السبت، خامس ذي القعدة، ودفن بمقابر باب الصغير، في قبر أعمه لنفسه، عن خمس وثمانين سنة، ساعه الله.

■ أحمد بن سلامة بن أحمد بن سلامة الإسكندري.

قاضي القضاة فخر الدين أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبي الخير سلامة بن زين الدين أبي العباس أحمد بن سلامة الإسكندري المالكي، ولد سنة إحدى وسبعين وستمئة، وبرع في علوم كثيرة، وولي نيابة الحكم في الإسكندرية، فحمدت سيرته وديانته وصرامته، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية في السنة الماضية فباشرها أحسن مباشرة ستة ونصف، إلى أن توفي بالصمصامية بكرة الأربعاء، مستهل ذي الحجة، ودفن إلى جانب الهندلاوي بباب الصغير، وحضر جنازته خلق كثير، وشكروه الناس، وأثنوا عليه، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها.

وفي ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق، سقط بسببها شيء كثير من الجدران، وأقتلت أشجارا كثيرة.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرين محرم خلع على جمال الدين بن القلانسي بوكالة بيت المال، عوضاً عن ابن الشريشي.

وفي يوم الأربعاء الخامس من صفر درس بالناصرية الجوانية ابن صغرى عوضاً عن ابن الشريشي أيضاً، وحضر عنه الناس على العادة.

وفي عاشره باشر شذ الدواوين جمال الدين بن أقوش الرحبي، عوضاً عن فخر الدين أيبك، وكان أقوش متولي دمشق من سنة سبع وسبعمئة، وولي مكانه بالبلاد الأمير علم الدين طرقي، الساكن العقبية.

للإسلام وأهله، مات في عشر السنين.

الأمير جمال الدين

■ **آقوش: الرعي المنصوري،** والي دمشق مدة طويلة، كان أصله من قرى إربل، وكان نصرانياً، فسبي وبيع من نائب الرحبة، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره، وتولى الولاية بدمشق نحواً من إحدى عشرة سنة، ثم انتقل إلى شد النواوين مدة أربعة أشهر قبل وفاته وكانت وفاته ليلة الخميس حادي عشرين جمادى الآخرة ودفن بمقابر الصوفية، وكان محبوباً إلى العامة مدة ولايته.

الخطيب صلاح الدين

■ **يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المغيزل الحموي:** له تصانيف وفوائد، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة، وسمع من أصحاب ابن طبرزد، توفي في جمادى الآخرة.

العلامة فخر الدين أبو عمرو

■ **عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصاري الشافعي،** المعروف بابن بنت أبي سعد المصري: سمع الحديث، وكان من ثقات العلماء، وناب في الحكم بالقاهرة، وولي مكانه في ميعة جامع طولون الشيخ علاء الدين القونوي شيخ الشيوخ، وفي ميعة الجامع الأزهر شمس الدين بن علان، كانت وفاته ليلة الأحد، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ودفن بمصر، وله من العمر تسعون سنة.

الشيخ الصالح العابد: أبو الفتح

■ **نصر بن سليمان بن عمر المنجي** له زاوية بالحسينية يزار فيها، ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة، سمع الحديث، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر، السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزاويته المذكورة رحمه الله.

الشيخ الصالح المعمر الرحلة

■ **عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطاء بن مبارك بن علي بن أبي الجيوش اللقديسي،** الصالح المطعم: روى صحيح البخاري وغيره، وقد سمع الكثير من مشايخ عدة، وترجمه الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه، توفي ليلة الثلاثاء، رابع عشر ذي الحجة، وصلى عليه بعد الظهر من اليوم المذكور بالجامع المظفري، ودفن بالساحة بالقرب من تربة المولعين، وله أربع وتسعون سنة، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة عشرين وسبع مائة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، وكان السلطان في هذه السنة في الحج، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثاني عشر المحرم، ودقت البشائر، ورجع صاحب شمس الدين على طريق الشام، وصحبه الأمير ناصر الدين الحازندر، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة، وأنعم عليه السلطان، ولقبه بالملك المؤيد، ورسم أن يخطب له على منابر حماة وأعمالها، وأن يخطب بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي، على ما كان عليه عه المنصور.

وفيها عمر ابن المرجاني شهاب الدين مسجد الحيف، وأتفق عليه نحواً من عشرين ألفاً.

وفي المحرم استقال أمين الملك من نظر طرابلس وأقام بالقنس.

وفي آخر صفر باشر نياحة الحكم المالك القاضي شمس الدين محمد بن

وفيها حج سلطان الإسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومعه جمع كثير من الأمراء، ووكيله كريم الدين، وفخر الدين كاتب المال، وكتاب السر ابن الأثير، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وصاحب حماة الملك عماد الدين، والصاحب شمس الدين غبريال، في خدمة السلطان، وكان في خدمته خلق كثير من الأعيان.

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتر، بسبب أن سلطانهم بو سعيد كان قد ضاق ذرعاً بجويان، وعجز عن مسكه، فانتدب له جماعة من الأمراء عن أمره، منهم أبو يحيى خال أبيه، ودقماق، وقرمشي وغيرهم من أكابر الدولة، وأرادوا كس جويان فهرب، وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهم، وفي صحبته الوزير على شاه، ولم يزل بالسلطان حتى رضي عن جويان، وأمد بجيش كثيف، وركب السلطان معه أيضاً، والتقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم، وتحكم فيهم جويان، فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ المقرئ شهاب الدين أبو عبد الله

■ **الحسين بن سليمان بن فزارة بن بدر الكفري الحنفي:** ولد تقريباً في سنة سبع وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث، وقرأ بنفسه كتاب الترمذي، وقرأ القراءات، وتفرّد بها مدة يشتغل الناس عليه، وجمع عليه السبع أكثر من عشرين طلباً، وكان يعرف النحو والأدب، وفنونا كثيرة، وكانت مجالسته حسنة، وله فوائد كثيرة، ودرس بالطرخانية أكثر من أربعين سنة، وناب في الحكم عن الأذرع مدة ولايته، وكان خيراً مباركاً، أضر في آخر عمره، وانقطع في بيته، مواظباً على التلاوة والذكر، وإقراء القرآن إلى أن توفي يوم الاثنين، ثالث عشر جمادى الأولى، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق، ودفن بقباسيون، رحمه الله.

وفي هذا الشهر جاء الخبر بموت: الشيخ الإمام تاج الدين

■ **عبد الرحمن بن محمد بن أبي حامد التبريزي الشافعي،** المعروف بالأفطلي، بعد رجوعه من الحج، ببغداد في العشر الأول من صفر، وكان صالحاً، فيها، مباركاً، وكان ينكر على رشيد الدولة، ويحط عليه، ولما قتل قال: كان قتله أنفع من قتل مائة ألف نصراني، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضاه فلم يقبل، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، ولما توفي دفن بترية الشونيزي، وكان قد قارب الستين، رحمه الله.

محي الدين

■ **محمد بن مفضل بن فضل الله المصري** كاتب ملك الأمراء، ومستوفي الأوقاف، كان مشكور السيرة، محباً للعلماء والصلحاء، فيه كرم وخدمة كثيرة للناس، توفي رابع عشرين جمادى الأولى، ودفن بترية ابن هلال، بسفح قباسيون، وله ست وأربعون سنة، وياشر بعده في وظيفته أمين الدين بن النحاس.

الأمير الكبير

■ **غزلو بن عبد الله العادلي** كان من أكابر الدولة، ومن الأمراء المقدمين الألو، وقد ناب بدمشق عن استاذة الملك العادل كنيهاً نحواً من ثلاثة أشهر، في سنة خمس وتسعين وستمائة، وأول سنة ست وتسعين، واستمر أميراً كبيراً إلى أن توفي سلخ جمادى الأولى، يوم الخميس، ودفن بترية، بشمالى جامع المظفري بقباسيون، وكان شهيداً شجاعاً، ناصحاً

أحمد القضي، وكان قد قدم مع قاضي القضاة شرف الدين من مصر.

وفي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من ربيع الأول، ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومي، وكان غلاماً لبعض التجار، وكان قد لزم الجامع، ثم ادعى النبوة، فاستيب فلم يرجع، فضربت عنقه، وكان أشقر، أزرق العينين، جاهلاً، وكان قد خالطه شيطان، حسن له ذلك، واضطرب عقله في نفس الأمر، وهو في نفسه شيطان إنسي.

وفي يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر عُقِدَ عَقْدُ السلطان على المرأة التي قدمت من بلاد القيقاق، وهي من بنات الملوك، وخلع على القاضي بندر الدين بن جماعة، وكاتب السر، وكريم الدين، وجماعة الأمراء، ووصلت العساكر في هذا الشهر إلى بلاد سبيس، وغرق في بحر جاهان من عساكر طرابلس نحو من ألف فارس، وجاءت مراسيم السلطان في هذا الشهر إلى الشام في الاحتياط على أخباز آل مهنا، وإخراجهم من بلاد الإسلام، وذلك لغضب السلطان عليهم، لعدم قدوم والدعم مهنا على السلطان.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالركنية الشيخ محي الدين الأسمر الحنفي، وأخذت منه الجهرية لشمس الدين الرثمي الأعرج، وتدرّس جامع القلعة لعماد الدين بن محي الدين الطرسوسي، الذي ولي قضاء الحنفية بعد هذا، وأخذ من الرقي إمامة مسجد نور الدين بحارة اليهود، لعماد الدين بن الكيال، وإمامة الربوة للشيخ محمد الصّبي.

وفي جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الإسلامية بأرض حلب، نحواً من عشرين ألفاً، عليهم كلهم نائب حلب الطنطا، وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطاي، فدخلوا بلاد الأرمن من باب إسكندرون، ففتحوا الثغر، ثم تل حملون، ثم خاضوا جاهان، ففرق منهم جماعة، ثم سلم الله من وصلوا إلى سبيس فحاصروها وضيقوا على أهلها، وأحرقوا دار الملك التي في البلد، وقطعوا أشجار البساتين، وساقوا الأبقار والجواميس والأغنام، وكذلك فعلوا بطرسوس، وخربوا الضياع والأماكن، وأحرقوا الزروع، ثم رجعوا فحاصروا النهر المذكور، فلم يفرق منهم أحد، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم، وساقوا خلقه إلى عانة وحديثة، ثم بلغ الجيوش موت صاحب سبيس، وقيام ولده من بعده، فشنوا الغارات على بلاده وتابعوها، وغنموا وأسروا وسلموا إلا في المرة الرابعة، فإنه قتل منهم جماعة.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب، بين المسلمين والفرنج، فنصر الله المسلمين على أعدائهم، فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأكثر، وأسروا خمسة آلاف، وكان في جملة القتلى خمسة وعشرين ملكاً من ملوك الإفرنج، وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال، يقال كان من جملة ما غنموا سبعون قطاراً من الذهب والفضة، وإنما كان جيش الإسلام يومئذ ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة، ولم يقتل منهم سوى أحد عشر قتيلاً، وهذا من غريب ما وقع، وعجيب ما سمع.

وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة، للشيخ تقي الدين بن تيمية، بمحضرة نائب السلطنة، واجتمع فيه القضاة والمفتون من المذاهب، وحضر الشيخ، وعاتبوه على العود إلى الإفتاء بمسألة الطلاق، ثم حبس في القلعة، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء، من سنة إحدى وعشرين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوقاف إلى الأمير علاء الدين بن معبد إلى ما بيده من ولاية البر، وعزل بندر الدين المنكوسري عن الشد.

وفي أواخر شعبان مسك الأمير علم الدين الجاولي نائب غزة وحمل إلى الإسكندرية، لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى بلاد اليمن، واحتيط على حواصله وأمواله، وكان له بر وإحسان ومعروف وأوقاف، وقد بنى بغزة جامعاً حسناً مليحاً.

وفي هذا الشهر أراق ملك التتار سعيدها الخمر، وأبطل الخانات، وأظهر العدل والإحسان إلى الرعايا، وذلك أنه أصابهم برد عظيم، وجاءهم سيل هائل، فلجؤوا إلى الله عز وجل، وابتهلوا إليه، فسلموا فتابوا وأتابوا وعملوا الخير عقيب ذلك.

وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكرمي، الذي اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفاً، وأجره إلى جندول إلى جامعته بالقبيبات، فعاش به الناس، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية، ونصبت عليه الأشجار والبساتين، وعمل حوض كبير، تجاه الجامع من الغرب، يشرب منه الناس والدواب، وهو حوض كبير، وعمل مطهرة، وحصل بذلك نفع كثير، ورفق زائد أنابه الله.

وخرج الركب في حادي عشر شوال، وأميره الملك صلاح الدين بن الأحمد، وفيه زين الدين كتبنا الحاجب، والشيخ كمال الدين ابنس الزمكاني، والقاضي شمس الدين بن العز، وقاضي حماة شرف الدين البارزي، وقطب الدين بن شيخ السلامة، وبندر الدين بن العطار، وعلاء الدين بن غانم، ونور الدين السخاوي، وهو قاضي الركب، ومن المصريين قاضي الحنفية ابن الحريري، وقاضي الحنابلة، ومجد الدين حرمي، والشرف عيسى المالكي، وهو قاضي الركب.

وفيه كملت عمارة الحمام الذي عمره الجليفا غربي دار الطعام، ودخله الناس.

وفي أواخر ذي الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتار الخواجة مجد الدين إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلافي، وفي صحبته هنديا وتحف لصاحب مصر، من ملك التتار، واشتهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتار، فتلقاه الجند والدولة، ونزل بدار السعادة يوماً واحداً، ثم سار إلى مصر.

وفيها وقف الناس بعرفات موقفاً عظيماً لم يعهد مثله، أتوه من جميع أقطار الأرض، وكان مع العراقيين عامل كثيرة، منها عمل قوم ما عليه من الذهب واللاكن بالآل ألف دينار مصرية، وهذا أمر عجيب.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ إبراهيم الدهستاني: وكان قد أسن وعمر، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتار بفغاند أربعين سنة، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزاوية، التي عند سوق الخيل بدمشق ودفن بها، وله من العمر مائة وأربع سنين، كما قال، فآله أعلم.

الشيخ

■ محمد بن محمود بن علي: الشحام المقرئ شيخ ميعاد بن عامر، كان شيخاً حسناً بهياً مواظباً على تلاوة القرآن، إلى أن توفي في ليلة توفي الدهستاني المذكور أو قبله ببيلة رحهما الله تعالى.

الشيخ

مشقة عظيمة من ذلك، وقتوا في الصلوات، ثم كشفوا عن القضية، فإذا هو من فعل النصارى، بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهدم، فقتل السلطان بعضهم، وألزم النصارى أن يلبسوا الزرق على رؤوسهم وثيابهم كلها، وأن يحملوا الأجراس في الحمامات، وأن لا يستخدموا في شيء من الجهات، فسكن الأمر وطمأن الحريق.

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار بو سعيد البازارات، وزوج الخواطر، وأراق الخمر، وعاقب في ذلك أشد العقوبة، وفرح المسلمون بذلك، ودعوا له رحمه الله وساعه.

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بمسجد القصب، وخطب به الشيخ علي المناخلي.

وفي يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأه تنكز تجاه جامع، وأكري في كل يوم باربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه وورخامه.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب خرجت كنيسة القرائين التي تجاه حارة اليهود، بعد إثبات كونها محدثة، وجاءت المراسيم السلطانية بذلك.

وفي أواخر رجب نفذت الهدايا من السلطان إلى بو سعيد ملك التتار، صعبة الخواجا مجد الدين السلامي، وفيها خمسون جملًا، وخيول وحمار عتابي.

وفي منتصف رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكرسي بالقابون، وشهدا يومئذ القضاة والصاحب، وجماعة من الأعيان.

قال الشيخ علم الدين: وقدم دمشق الإمام قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الإسماعيلي الفارابي، مدلس مشهد الإمام أبي حنيفة ببغداد، في أول رمضان، وقد حج في هذه السنة، وتوجه إلى مصر، وأقام بها أشهرًا، ثم مر بدمشق متوجهًا إلى بغداد، فنزل بالخطاتونية الحنفية، وهو ذو فنون ومحدث، وأدب وقته.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين عاشر شوال، وأميره شمس الدين حزة التركماني، وقاضيه نجم الدين الدمشقي.

وفيها حج تنكز نائب الشام، وفي صبحته جماعة من أهله، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، لينوب عنه في غيبته إلى أن يرجع، فنزل بالنجبية البرانية.

ومن حج فيها الخطيب جلال الدين القزويني، وعز الدين حمزة بن القلاسي، وابن العز شمس الدين الحنفي، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفي، وبهاء الدين بن عليمه، وعلم الدين البرزالي.

ودرس ابن جماعة بزاوية الشافعي يوم الأربعاء، ثامن عشر شوال، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصاري، لسوء تصرفه، وخلع على ابن جماعة، وحضر عنده من الأعيان والعامة، ما يشابه جميعة الجمعة، وأشعلت له شموع كثيرة فرحاً بزوال المغرول.

قال البرزالي ومن خطبه نقلت: وفي يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر الدرس الإمام العلامة تقي الدين السبكي، المحدث بالمدرسة الكهارية، عوضاً عن ابن الأنصاري أيضاً، وحضر عنده جماعة منهم القنوي، وروى في الدرس حديث المتابعين بالخيار [٢١٠٧]، عن قاضي القضاة ابن جماعة.

وفي شوال عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البر وشد الأوقاف، وتولى ولاية الولاية القبلية بحوران، عوضاً عن بكتمر، لسفره إلى الحجاز، وبأمر أخوه بدر الدين شد الأوقاف، والأمير علم الدين الطرقي

شمس الدين بن الصائغ اللغوي: هو أبو عبد الله محمد بن حسن سبع بن أبي بكر الجذامي، المصري الأصل، ثم انتقل إلى دمشق، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستمائة بمصر، وسمع الحديث، وكان أديباً فاضلاً بارعاً في النظم والنثر، وعلم العروض والبديع، والنحو واللغة، وقد اختصر صحاح الجوهري، وشرح مقصورة ابن دريد، وله قصيدة ثانية، تشتمل على ألفي بيت فأكثر، ذكر فيها العلوم والصنائع، وكان حسن الأخلاق، لطيف المحاور، والمحاضرة، وكان يسكن بين درب الحباليين والفراس عند بستان القط، توفي بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير.

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها. وفي أول يوم منها فتح حمام الزيت الذي في رأس درب الحجر، جدد عامته رجل سامري بعد ما كان قد درس ودثر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة، وهو حمام جيد متسع.

وفي سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار بو سعيد إلى السلطان صناديق وتحف ودقيق.

وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من السجن بالقلعة، بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر، وثمانية عشر يوماً رحمه الله.

وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان، فنزل بدار السعادة، وقدم قاضي القضاة تقي الدين بن عوض الحنبلي الحاكم بمصر، وهو ناظر الخزانة أيضاً، فنزل بالعادلية الكبيرة التي للشافعية، فأقام بها أياماً، ثم توجه إلى مصر: جاء في بعض إشغال السلطان وزار القدس.

وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريباً من الميدان، وكان في جوارها كنيسة، فأمر الوالي بهدمها، فلما هدمت تسلط الخرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا عليه، فازرعج السلطان لذلك، وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاطى ذلك منهم؟ فقالوا: يعز، فأخرج جماعة من السجن ممن وجب عليه قتله فقطع وصلب، وخزّم وعاقب، موهماً أنه إنما عاقب من تعاطى تخريب ذلك، فسكن الناس، وأمنت النصارى، وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أياماً.

وفيه ثارت الحرامية ببغداد، ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر، فثار الناس وراءهم وقتلوا منهم قريباً من مائة، وأسروا آخرين.

قال الشيخ علم الدين البرزالي ومن خطبه نقلت: وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتون إلى القابون ووقفوا على قبلية الجامع الذي أمر ببنائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور، وحرروا قبلته، واتفقوا على أن تكون مثل قبلية جامع دمشق.

وفيه وقعت مراجعة بين الأمير جويان أحد المقدمين الكبار بدمشق، وبين نائب السلطنة تنكز، فمسك جويان ورفع إلى القلعة ليلتين، ثم حول إلى القاهرة فعوتب في ذلك، ثم أعطي خبزاً يليق به.

وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة، في الدور الحسنة، والأماكن المليحة المرتفعة، وبعض المساجد، وحصل للناس

ولاية البر مع شد الدواوين وتوجه ابن الأنصاري إلى حلب متولياً وكالة بيت المال عوضاً عن تاج الدين أخي شرف الدين يعقوب ناظر حلب، بحكم ولاية التاج المذكور نظر الكرك.

وفي يوم عيد الفطر ركب الأمير قمرتاش بن جويان نائب بو سعيد على بلاد الروم في قيسارية، في جيش كثيف من التتار والتركماني والقرمان، ودخل بلاد سيس، فقتل وسبي، وحرق وخرب، وكان قد أرسل لنائب حلب الطنطا ليجهز له جيوشاً يكون عوناً له على ذلك، فلم يمكنه ذلك بغير مرسوم السلطان.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح المقرئ بقية السلف عفيف الدين أبو محمد

■ عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد بن علي القرشي، المخزومي الدلاصي، شيخ الحرم بمكة، أقام فيه أزيد من ستين سنة، يقرئ الناس القرآن احتساباً، وكانت وفاته ليلة الجمعة، الرابع عشر من محرم، بمكة، وله أزيد من تسعين سنة، رحمه الله.

الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله

■ محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم المهنلي، أبوه الصالح المعروف بالسكاكيني، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة بالصالحية، وقرأ بالروايات، واشتغل في مقلة النحو، ونظم قوياً، وسمع الحديث، وخرج له ابن الفخر البعلبكي جزءاً عن شيوخه، ثم دخل في التشيع، فقرأ على أبي صالح الحلبي شيخ الشيعة، وصحب ابن عتسان وقرأ عليه أولاده، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن جبار فأقام عنده نحواً من سبع سنين، ثم عاد إلى دمشق، وقد ضعف وقل سمعه، وله سؤال في الجبر، أجابه به الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكل في عنه غيره، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة، ففسله تقي الدين السبكي لما قدم دمشق قاضياً، وكان بخطه، ولما مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين بن مسلم.

توفي يوم الجمعة، سادس عشرين صفر، ودفن بسفح قاسيون، وقتل ابنه فيما بعد على قلعة أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضي الله عنهم وقبح قاذفهم.

وفي يوم الجمعة استهل رمضان صلي بدمشق على غائين، وهم: الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصهباني، توفي بمكة، أحد العبّاد والزهاد الذين يقصدون للزيارة وعلى الشيخ محمد الزيلي توفي بمكة أيضاً وهو من الصالحين أيضاً وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم: أبو عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها، والشيخ يحيى الكردي، والشيخ حسن المغربي السقا.

الشيخ الإمام العالم

■ علاء الدين بن علي بن سعيد بن سالم الأنصاري، إمام مشهود علي من جامع دمشق، كان بشوش الوجه، متواضعاً حسن الصوت بالقراءة، ملازماً لإقراء الكتاب العزيز بالجامع، وكان يؤم نائب السلطنة وهو والد العلامة، بهاء الدين محمد بن علي مدرّس الأينية، ومحبب دمشق، توفي ليلة الاثنين، رابع رمضان، ودفن من الغد بسفح قاسيون.

الأمير حاجب الحجاب زين الدين

■ كعبا المنصور، حاجب دمشق، كان من خيار الأمراء، وأكثرهم

وكان يبيع ويتصدق، توفي يوم الجمعة آخر النهار ثامن عشر شوال، ودفن من الغد بقرية قبلي القبيات، وشهد خلق كثير، وأثنوا عليه رحمه الله.

والشيخ

■ بهاء الدين بن المقدسي.

والشيخ

■ سعد الدين أبو زكريا يحيى المقدسي، والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدث المشهور، رحمه الله.

وفيهما توفي

■ سيف الدين الناصح المنادي على الكتب،

والشيخ

■ أحمد الحرام المقرئ على الجنائز، وكان يكرر على التتية، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن، ومنها ما ليس بحسن.

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها، سوى والي البر بدمشق فإنه علم الدين طرقيشي، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران، لشهامته وصرامته، وديانته وأمانته.

وفي المحرم حصلت زلزلة شديدة بدمشق، وقى الله شرها، وقدم نائب السلطنة تنكر من الحجاز ليلة الثلاثاء، حادي عشر المحرم، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر، وقدم ليلاً ثلثاً يتكلف أحد لقدمه، وسافر نائب الغيبة عنه قبل وصوله بيومين، لثلاً يكلفه بهدية ولا غيرها، وقدم منططاي عبد الواحد الجمندار أحد الأمراء بمصر بمخلة منية من السلطان لتتكز، فلبسها وقبل العتبة الشريفة على العادة.

وفي يوم الأربعاء سادس صفر درس الشيخ نجم الدين القحفازي بالظاهرية للحنفية، وهو خطيب جامع تنكر، وحضر عنده القضاة والأعيان، ودرس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرْكُمُ أَنْ تَزُولُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء: ٥٨] وذلك بعد وفاة القاضي شمس الدين بن العز الحنفي، توفي مرجعه من الحجاز، وباشر بعده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسي وهو زوج ابنته وكان ينوب عنه في حال غيبته، فاستمر بعده، ثم ولي الحكم بعد مستتبه فيها.

وفيه قدم الحوارزمي حاجباً، عوضاً عن كتبها.

وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمد بن الشيخ شرف الدين محمد الكرمانلي الحنفي، فترق بالقصاعين، وتردد إليه الطلبة، ودخل إلى نائب السلطنة، واجتمع به وهو شاب، مولده سنة إحدى وسبعمائة، وقد اجتمعت به، وكان عنه مشاركة في الفروع والأصول، ودعواه أوسع من محصله، وكانت لأبيه وجده مصنفات، ثم صار بعد مدة إلى مصر، ومات بها كما سيأتي.

وفي ربيع الآخر تكامل فتح آيلاس ومعاملتها، وانتزعها من أيدي الأرمن، وأخذ البرج الأطلس، وبينه وبينها في البحر رمية ونصف، فأخذه

قلائل، يوم الخميس سلخ الحرم، وصلي عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم، ودفن عند المعظمية عند أقاربه، وكانت جنازته حافلة، وشهد له الناس بالخير، وغطوه بهذه الموتة رحمه الله، ودرس بعده بالظاهرية نجم الدين القحفازي، وفي المعظمية والقليجية والخطابة بجامع الأفرم ابنه علاء الدين، ويأشر بعده نيابة الحكم القاضي عماد الدين الطرسوسي، مدرس القلعة.

الشيخ الإمام العالم بركة السلف رضي الدين أبو إسحاق

■ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري، المكي الشافعي، إمام المقام أكثر من خمسين سنة، سمع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها، ولم يكن له رحلة، وكان يفتي الناس من مدة طويلة، ويذكر أنه اختصر شرح السنة للبغوي رحمه الله تعالى.

توفي يوم السبت بعد الظهر، ثامن ربيع الأول بمكة، ودفن من الغد، وكان من أئمة المشايخ.

شيخنا الزاهد الورع ركن الدين: بركة السلف ركن الدين أبو يحيى

■ زكريا بن يوسف بن سليمان بن حامد البجلي الشافعي، نائب الخطابة، ومدرس الطيبة والأسدية، وله خلفة للاشتغال بالجامع، يحضر بها عنده الطلبة، كان يشتغل في الفرائض وغيرها، مواظبا على ذلك.

توفي يوم الخميس، الثالث والعشرين من جمادى الأولى، عن سبعين سنة، ودفن قريبا من شيخه العلامة تاج الدين القفاري رحمه الله.

■ (عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي التكريتي).

نصير الدين أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي بن محمد بن أبي بكر الربيعي التكريتي، أحد صدور دمشق، قدم أبوه قبله إليها وعظم في أيام الظاهر وقبله، وكان مولده في حدود سنة خمسين وستمئة، ولهم الأموال الكثيرة، والنعمة الباذخة.

توفي يوم الخميس عشرين رجب، ودفن بترتهم بسفح قاسيون، رحمه الله.

وفي يوم الأحد حادي عشر شوال توفي: شمس الدين

■ محمد بن المغربي: التاجر السفار، باني خان الصنمين، الذي على جادة الطريق للسبيل، رحمه الله وتقبل منه، وهو في أحسن الأماكن وانفعها.

الشيخ الجليل الزاهد نجم الدين أبو عبد الله

■ الحسين بن محمد بن إسماعيل المقدسي، المعروف بابن

عبود المصري، كانت له وجاعة وإقدام على الدولة، توفي بكرة

الجمعة ثالث عشرين شوال، ودفن بزاوخته، وقام بعده فيها ابن

أخيه. شمس الدين محمد بن الحسن.

■ (أحمد بن أبي شامة).

الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدى أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة، فاسمعه أبوه على المشايخ، وقرأ القرآن، واشتغل بالفقه، وكان ينسخ، ويكثر التلاوة. ويحضر المدارس والسبع الكبير، توفي في سابع عشرين شوال، ودفن عند والده بمقابر باب الفرائس.

■ (ابن القلاسي).

المسلمون بإذن الله وخبروه، وكانت حجارته مطلية بالحديد والرصاص، وعرض سوره ثلاثة عشر ذراعا بالتجاري، وغشم المسلمون غشائم كثيرة جدا، وحاصروا كواره، فقوي عليهم الحر والذباب، فرسم السلطان بعردهم، فحرقوا ما كان معهم من المجانيق، وأخذوا حديداهم وأقبلوا سالمين غانمين، وكان معهم خلق من المتطوعين.

وفي يوم الخميس، الثالث والعشرين من جمادى الأولى، كمل بسط داخل الجامع، فاتسع على الناس، ولكن حصل حرج بجمل الأمتعة على خلاف العادة، فإن الناس كانوا يهرون وسط الرواقات، ويخرجون من باب البرادة، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بتعليه، ولم يكن ممنوعا سوى المقصورة، لا يمكن أحداً الدخول إليها بالمناصات، بخلاف باقي الرواقات، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه، بإشارة نظاره ابن مراحل.

وفي جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سبى، ومقدمهم أتوش نائب الكرك.

وفي أواخر رجب باشر القاضي محيي الدين إسماعيل بن جهيل نيابة الحكم عن ابن صغرى عوضاً عن الداراني الجعفري، واستغنى الداراني بخطبة جامع العقبة عنها.

وفي ثالث عشر رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان، فأكرمه وخلع عليه، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس.

وفي رجب كملت عمارة الحمام، الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبح، جوار داره شمالي الشامية البرانية.

وفي يوم الاثنين تاسع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرغون نائب السلطنة عقده على ابنة السلطان الملك الناصر، وبخت في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه، ومد سماً عظيماً، ونثرت الفضة على رؤوس المطهرين، وكان يوماً مشهوداً.

ورسم السلطان في هذا الشهر بوضع المكس عن المأكولات بمكة، وعرض صاحبها عن ذلك بإقطاع في بلاد الصعيد.

وفي أواخر رمضان كملت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن عليم، بزقاق الماجية من قاسيون بالقرب من سكنه، وانفع به أهل تلك الناحية ومن جاورهم.

وخرج الركب الشامي يوم الخميس ثامن شوال، وأميره سيف الدين بلطي نائب الرحبة، وكان سكنه داخل باب الجابية ببلد ابن صبرة وقاضيه شمس الدين بن القتيب قاضي حصص.

ومن توفي فيها من الأعيان

القاضي شمس الدين

■ ابن العز الحنفي: أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز بن صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطلة بن جبير بن وهيب الأفرعي الحنفي.

أحد مشايخ الحقيقة وأئمتهم، وفضلاتهم في فنون من العلوم متعددة، حكم ثيابة نحواً من عشرين سنة، وكان سيد الأحكام، محمود السيرة، جيلة الطريقة، كريم الأخلاق، كثير البر والصلة والإحسان إلى أصحابه وغيرهم، وخطب بجامع الأفرم مدة، وهو أول من خطب به، ودرس بالمعظمية، واليفمورية، والقليجية، والظاهرية، وكان ناظر أوقافها، وأذن للناس بالإفتاء، وكان كبيراً، معظماً مهياً، توفي بعد مرجعه من الحج بأيام

الله، فولي الوزارة بمصر، وخلع عليه عوداً على بده، وفرح العامة بذلك، وأشعلوا له الشموع، وطلب الصاحب شمس الدين غبريال من دمشق، فركب معه أموال كثيرة، ثم خول أموال كريم الدين الكبير، وعاد إلى دمشق مكرماً، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيش على نظر الجيوش الشامية، عوضاً عن القطب بن شيخ السلامة عزل عنها، ورسم عليه في المنراوية نحواً، من عشرين يوماً، ثم أذن له في الانصراف إلى منزله مصروفاً عنها.

وفي جمادى الأولى عزل طرقيش عن شد الدواوين، وتولاها الأمير بكتمر والي الولاية.

وفي ثاني جمادى الآخرة باشر ابن جهيل نيابة الحكم عن الزرعي، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الأيتام، عوضاً عن ابن هلال.

وفي شعبان أعيد الطرقيش إلى الشد، وسافر بكتمر إلى نيابة الإسكندرية، فكان بها إلى أن توفي.

وفي رمضان قدم جماعة من حجاج الشرق، وفيهم بنت الملك أبغا بن هولاكور، وأخت أرغون، وعمه قازان، وخربند، فأكرمت وأنزلت بالقصر الأبلق، وأجريت عليها الإقامات والنفقات إلى أوّل الحج.

وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال، وأميره قطليغا الأبو بكري، الذي بالقصعين، وقاضي الركب شمس الدين قاضي القضاة ابن مسلم الحنبلي، وحج معهم جمال الدين المزي، وعماد الدين بن الشيرجي، وأمين الدين الراقي، وفخر الدين البلبيكي، وجماعة، وفوض الكلام في ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نجيج، كذا أخبرني به شهاب الدين الظاهري، ومن المصيرين قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، ولده عز الدين، وفخر الدين كاتب الماليك، وشمس الدين الحارثي، وشهاب الدين الأذري، وعلاء الدين الفارسي.

وفي شوال باشر تقي الدين السبكي مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة، بعد وفاة زكي الدين المتادي، ويقال له عبد العظيم ابن الحافظ شرف الدين النياطي، ثم انتزعت من السبكي لفتح الدين ابن سيد الناس اليعمري، باشرها في ذي القعدة.

وفي يوم الخميس استهل ذي الحجة خلع على قطب الدين بن شيخ السلامة، وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحشيش، ثم بعد مدة منيلة استقل قطب الدين بالنظر وحده، وعزل ابن حشيش.

ومن توفي فيها من الأعيان

الإمام المؤرخ كمال الدين بن القوطي أبو الفضل

■ عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي الشيباني البغدادي، المعروف بابن القوطي، وهو جده لأمه، ولد سنة اثنين وأربعين وستة مائة ببغداد، وأسر في واقعة التتر، ثم تخلص من الأسر، فكان مشارفاً على الكتب بالمستصرية، وقد صنف تاريخاً في خمسة وخمسين مجلداً، وآخر في نحو عشرين، وله مصنفات كثيرة، وشعر حسن، وقد سمع الحديث الحسن من عبيد الدين بن الجوزي، توفي ثالث المحرم، ودفن بالشونيزية.

قاضي القضاة نجم الدين

■ ابن صمّرتي: أبو العباس أحمد ابن العدل عماد الدين بن محمد ابن العدل أمين الدين سالم ابن الحافظ أجدت بهاء الدين أبي المواهب الحسن بن

الشيخ الصالح العابد جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلي، المعروف بابن القلانسني، ولد سنة أربع وخمسين وستة مائة، وسمع على ابن عبد النائم جزء ابن عرفة، ورواه غير مرة، وسمع على غيره أيضاً، واشتغل بصناعة الكتابة والإتشاء، ثم انقطع وترك ذلك كله، وأقبل على العبادة والزهادة، وبنى له الأمراء بمصر زاوية، وترددوا إليه، وكان فيه بشاشة وفصاحة، وكان ثقیل السمع، ثم انتقل إلى القدس، وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه، وحدث بها، ثم عاد إلى القدس.

وتوفي بها ليلة الأحد، ثالث ذي القعدة، ودفن بمقابر ماملې رحمه الله، وهو خال المحتسب عز الدين القلانسني، وهذا خال الصاحب تقي الدين بن مراحيل.

الشيخ الإمام قطب الدين

■ محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي المصري، اختصر الروضة، وصنف كتاب تصحيح التعجيز، ودرس بالفاضلية، وناب في الحكم بمصر، وكان من أعيان الفقهاء، توفي يوم الجمعة، رابع عشر ذي الحجة، عن سبعين سنة، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المتادي، نائب الحكم بالقاهرة، وحضر عنده ابن جماعة، والأعيان والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعماية

استهلت يوم الأحد في كانون الأصم، والحكام هم المذكورون في التي قبلها، غير أن والي البر بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني، باشرها في صفر من السنة الماضية.

وفي صفر من هذه السنة باشر ولاية دمشق الأمير شهاب الدين بن برق، عوضاً عن صارم الدين الجوكندار.

وفي صفر عوفي القاضي كريم الدين وكيل السلطان من مرض كان قد أصابه، فزيت القاهرة، وأشعلت الشموع، وجمع الفقهاء، بالارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته، فمات بعضهم من الزحام.

وفي سلخ ربيع الأول، ودرس الإمام العلامة المحدث ليأخذوا تقي الدين السبكي الشافعي بالمنصورة بالقاهرة، عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي، بمقتضى انتقاله إلى دمشق، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القنوي الشافعي، ودرس بعده بجامع الحاكم شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان بالعزبة وكانت ولاية القاضي جمال الدين الزرعي لقضاء الشام عوضاً عن النجم ابن صمّرتي، في يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأول، وخلع عليه بمصر وكان قد قدم إلى دمشق آخر نهار الأربعاء رابع جمادى الأولى فنزل بالعادية، وقد قدم على القضاة، ومشيخة الشيوخ، وقضاء العساكر، وتدريس العادية والغزالية والأتابكية.

وفي ربيع الآخر مسك القاضي كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السند وكيل السلطان، وكان قد بلغ من منزلة والمكانة عند السلطان ما لم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار، واحتيط على أمواله وحواصله، ورسم عليه عند نائب السلطة، ثم رسم له أن يكون بترته التي بالرافقة، ثم تقي إلى الشوك وأنعم عليه بشيء من المال، ثم أذن له بالإقامة بالقدس الشريف برباطه، ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين، وأخذت أمواله، وحبس في برج، وفرح العامة بذلك، ودعوا للسلطان بسبب مسكهما، ثم أخرج إلى صفت، وطلب من القدس أمين الملك عبد

الزرعي، فمات بالمدرسة البادرانية، ليلة السبت سابع جمادى الأولى، ودفن بقاسيون، وله من العمر سبعون سنة أضغاث حلم.

الشيخ المعمر المسن جمال الدين

■ عمر بن إلياس بن الرشيد البلعكي التاجر، ولد سنة ثنتين وعشرين وستمئة، وتوفي في ثاني عشر جمادى الأولى، عن مائة وعشرين سنة، ودفن بباب سطحا رحمه الله.

الشيخ الإمام المحدث اللغوي المقيّد: صفى الدين أبو التاء

■ محمود بن أبي بكر بن محمد بن حامد بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن الحسين الأموي، الصوفي، ولد سنة سبع وأربعين وستمئة، وسمع الكثير، ورحل وطلب، وكتب الكثير، وذيل على النهاية لابن الأثير، وكان قد قرأ التنبيه، واشتغل في اللغة، فحصل منها طرفاً جيداً، ثم اضطرب عقله في سنة سبع وتسعين، وغلبت عليه السوداء، وكان يفتي منها في بعض الأحيان فيذاكر صحيحاً، ثم يترعرع المرض المذكور، ولم يزل كذلك حتى توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة، في المارستان النوري، ودفن بباب الصغير.

الحاتون المصولة

■ خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل بن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شادي، بدارها، وتعرف بدار كافور، كانت رئيسة محترمة، ولم تتزوج قط، وليس في طبقتها من بني أيوب غيرها في هذا الحين، توفيت يوم الخميس، الحادي والعشرين من شعبان، ودفنت بقرية أم الصالح رحمهما الله.

■ (القاسم بن المظفر بن محمود بن أحمد بن عساكر الدمشقي).

شيخنا الجليل المسند المعمر الرحلة بهاء الدين أبو محمد القاسم بن الشيخ بليز الدين أبي غالب المظفر بن نجم الدين بن أبي التاء محمود ابن تاج الأمناء أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي، الطبيب المعمر، ولد سنة تسع وعشرين وستمئة، سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة، سمعناها عليه في سنة وفاته، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين العلائي عوالي من حديثه، وكتب له المحدث المقيّد ناصر الدين بن طغريل مشيخة في سبع مجلدات، تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخاً، سماعاً وإجازة، وقرئت عليه فسمعها الحفاظ وغيرهم.

قال البرزالي: وقد قرأت عليه ثلاثة وعشرين مجلداً بحذف المكررات، ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات.

قال: وكان قد اشتغل بالطب، وكان يعالج الناس بغير أجر، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث، والحكايات والأشعار، وله نظم وخدم في عدة جهات الكتابة، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث، وتفرّد في آخر عمره بأشياء كثيرة، وكان سهلاً في التسميع، ووقف آخر عمره داره دار حديث، وخص الحافظ البرزالي والمزي بشيء من بره، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر، خامس عشرين شعبان، ودفن بقاسيون رحمه الله.

■ (محمود بن عثمان بن أبي القاسم البصري).

الوزير ثم الأمير نجم الدين محمد بن الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي القاسم البصري الحنفي، درس بصرى بعد عمه القاضي صدر الدين الحنفي ثم ولي الحسبة بدمشق، ونظر الخزانة، ثم ولي الوزارة، ثم سأل الإقالة منها، فعوض بإمرة عشرة عنها بإقطاع هائل، وعومل في ذلك

هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صمّوئيل العلبي الرعي الشافعي، قاضي القضاة بالشام.

ولد في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمئة، وسمع الحديث، واشتغل وحصل، وكتب عن القاضي شمس الدين بن خلكان وفيات الأعيان، وسمعها عليه، وتفقه بالشيخ تاج الدين الفزاري، وعلى أخيه شرف الدين بن النحر.

وكان له يد في الإنشاء، وحسن العبارة، ودروس بالعدلية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين، وبالأمنية سنة تسعين، وبالغزالية سنة أربع وتسعين، وتولى قضاء العساكر في دولة العادل كنيافاً، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعمئة، بعد ابن جماعة حين طلب لقضاء مصر، بعد ابن دقيق العيد، ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس العدلية والغزالية والأتابكية، وكلها مناصب نبوية اتسلخ منها وانسلخت منه، ومضى عنها وتركها لغيره، وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاهما وهي متاع قليل من حبيب مفارق. وقد كان رئيساً عتسماً، وقوراً، كريماً، جميل الأخلاق، معظماً عند السلطان والدولة.

توفي فجأة يستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول، وصلي عليه بالجامع المظفري، وحضر جنازته نائب السلطنة، والقضاة والأمراء والأعيان، وكانت جنازته حافلة، ودفن بترتهم عند الركبة.

علاء الدين

■ علي بن محمد بن عثمان بن أحمد بن أبي المكي بن محمد بن نخلة الدمشقي الشافعي، ولد سنة ثمان وخمسين وستمئة، وقرأ الحرر، ولازم الشيخ زين الدين الفارقي، ودروس بالدولية والركنية، وكان ناظر بيت المال، وابتى داراً حسنة إلى جانب الركبة، ومات وتركها في ربيع الأول، ودروس بعده بالدولية القاضي جمال الدين بن جملة، وبالركنية القاضي ركن الدين الخراساني.

وفي ربيع الأول قتل: الشيخ ضياء الدين

■ عبد الله الدرندي النحوي، كان قد اضطرب عقله، فسافر من دمشق إلى القاهرة، فأشار شيخ الشيوخ القونسي أن يؤدّع بالمرستان فلم يوافق، ثم دخل إلى القلعة ويده سيف مسلور يقتل نصرانياً، فحمل إلى السلطان وظنوه جاسوساً، فأمر بشقة فشق، وكنت عن اشتغل عليه في النحر.

الشيخ الصالح المقرئ الفاضل: شهاب الدين

■ أحمد بن الطبيب بن عبد الله الحلبي الغزي الفوارسي، المعروف بابن الحلبي، سمع من خطيب مردا بن عبد النائم، واشتغل وحصل، وأقرأ الناس، وكانت وفاته في ربيع الأول، عن ثمان وسبعين سنة، ودفن بالسفح.

شهاب الدين

■ أحمد بن محمد بن قُطَيْبة الزُّوعِي، التاجر المشهور بكثرة الأموال، والبضائع والتاجر، قيل بلغت زكاة ماله في سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة، ودفن بقرية التي بباب بستانه المسمى بالمرقع عند ثورا، في طريق القابون، وهي تربة هائلة، وكانت له أملاك.

القاضي الإمام جمال الدين

■ أبو بكر بن عباس بن عبد الله الحايثوري، قاضي بعلبك، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزاري، قدم من بعلبك ليتقي بالقاضي

الكاية.

■ (علي بن محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبي).

الأمير علاء الدين علي بن شرف الدين محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبي، أحد أمراء الطليخان، كان والده تاجراً ببعلبك، فنشأ ولده هنا واتصل بالدولة، وعلت منزلته، حتى أعطي طليخانته، وباشير ولاية البريد بدمشق، مع شد الأرقاف، ثم صرف إلى ولاية الولاة بحوران، فاعتراه مرض، وكان سيط البدن عليه، فسأل أن يقال فأجيب، فأقام بيستانه بالزرة إلى أن توفي، في خامس عشرين ذي الحجة، وصلي عليه هناك، ودفن بمقبرة المزة، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم، مع ديانة وخير، ساعه الله.

وفي هذا اليوم توفي الفقيه العابد الناسك شرف الدين أبو عبد الله

■ محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عبد الأحد بن عمر الحارثي، المعروف بابن النجيب، توفي في وادي بني سالم، فحمل إلى المدينة ففصل، وصلي عليه في الروضة، ودفن بالبقع شرقي قبر عقيل، فغبط الناس بهذه الموتة وهذا القبر، رحمه الله، وكان ممن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضي الخنابلة، فمات بعده، ودفن عنده، وذلك بعلة ثلاث سنين رحهما الله، وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين محمد المذكور شرف الدين بن أبي العز الحنفي قبل ذلك بجمعة، مرجعه من الحج، بعد انفصاله عن مكة بمرحلتين، فغبط الميت المذكور بتلك الموتة، ففرق مثلها بالمدينة.

وقد كان شرف الدين بن نجيب هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين بن تيمية، وكان معه في مواطن كبار صعبة، لا يستطيع الإقدام عليها إلا الأبطال الخالص الخواص، وسجن معه، وكان من خدامه، وخواص أصحابه، يتال فيه الأذى، وأوذي بسببه مرات، وكل ما له في ازدياد محبة فيه، وصبر على أذى أعدائه.

وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة، جيد العقل والفهم، عظيم الديانة والزهد، ولهذا كانت عاقبة هذه الموتة عقيب الحج، وصلي عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ، ودفن بالبقع - بقع الغرقد - بالمدينة النبوية، فتمت له بصلاح عمله، وقد كان كثير من السلف يمتنى أن يموت عقيب عمل صالح يعمل، وكانت له جنازة حافلة، رحمه الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبع مائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها: الخليفة المستنفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله البهاسي، وسلطان البلاد الملك الناصر، ونائبه بمصر سيف الدين أرغون، ووزيره أمين الملك، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها، ونائبه بالشام الأمير سيف الدين تنكر، وقضاة الشام الشافعي جمال الدين الزرعي، والحنفي الصدر علي البصري، والمالكي شرف الدين المهداني، والحنبلي شمس الدين بن مسلم، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني، ووكيل بيت المال جمال الدين بن القلانسي، ومحتسب البلد فخر الدين بن شيخ السلامة، وناظر الدواوين شمس الدين غريال، ومشد الدواوين علم الدين طرقي، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامة، ومعين الدين بن الحشيش، وكتاب السر شهاب الدين محمود، ونقيب الأشراف شرف الدين بن عدنان، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي، ووالي

معاملة الوزراء في حرمة ولبسته، حتى كانت وفاته بيسري، يوم الخميس، ثامن عشرين شعبان، ودفن هناك، وكان كريماً، مدحاً، وهاباً نهاباً كثير الصدقة والإحسان إلى الناس، ترك أموالاً وأولاداً، ثم تضافوا كلهم بعده، وتفرقت أمواله، ونكحت نسائه، وسكنت منازل.

الأمير صارم الدين

■ إبراهيم بن قراستق الجوكندار: مشد الخاص، ثم ولي دمشق ولاية، ثم عزل عنها قبل موته بستة أشهر، توفي تاسع رمضان، ودفن بترتبه المشرفة الميضية، شرقي مسجد التاريخ، كان قد أعد لها لنفسه.

الشيخ أحمد الأعف الحريري: شهاب الدين

■ أحمد بن حامد بن سعيد التوخي الحريري، ولد سنة أربع وأربعين وستمئة، واشتغل في صباه على الشيخ تاج الدين القزاري في التنبيه، ثم صحب الحريرية وخدمهم، ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل، وسمع الحديث، وحج غير مرة، وكان مليح الشكل، كثير التودد إلى الناس، حسن الأخلاق، توفي يوم الأحد، الثالث والعشرين من رمضان بزاويته بالزرة، ودفن بمقبرته بالزرة، وكانت جنازته حافلة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلي بدمشق على غائب، وهو الشيخ

■ هارون المقدسي، توفي ببعلبك، في العشر الأخير من رمضان، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقهاء.

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة توفي الشيخ المقرئ أبو عبد الله

■ محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غصن الأنصاري القصري ثم السبي بالمقدس، ودفن بمامل، وكانت له جنازة حافلة، حضرها كريم الدين والناس مشاة.

ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة، وكان شيخاً مهيباً، أحر اللحية من أئمناء، اجتمعت به، وبجئت معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف، وهي أول زيارة زرت، وكان مالكي المذهب، قد قرأ الموطأ في ثمانية أشهر، وأخذ النحو عن الأستاذ ابن أبي الربيع شارح الجمل للزجاجي من طريق شريح.

■ (محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى الشوزي).

شيخنا الأصيل شمس الدين أبو نصر محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بشار بن قميل الشوزي، مولده في شوال، سنة تسع وعشرين وستمئة، وسمع الكثير وأسمع وأفاد في علته شيخنا المزي، فتمده الله برحمته، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه آتاه الله، وكان شيخاً حسناً، خيراً مباركاً متواضعاً، يذنب الريمات والمصاحف، له في ذلك يد طولى، ولم يتنس بشيء من الولايات، ولا تنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات، إلى أن توفي في يوم عرفة بيستانه من المزة، وصلي عليه بجامعها، ودفن بترتها رحمه الله.

الشيخ الصالح العابد الناسك

■ أبو بكر بن أيوب بن سعد الزوعي الحنبلي، قيم الجوزية، كان رجلاً صالحاً متعبداً، قليل التكلف وكان فاضلاً، وقد سمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيد العامري، توفي فجأة ليلة الأحد، تاسع عشر ذي الحجة، بالمدرسة الجوزية، وصلي عليه بعد الظهر بالجامع، ودفن بباب الصنبر، وكانت جنازته حافلة، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله، وهو والد العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، صاحب المصنفات الكثيرة النافعة

كثيرة.

وفي شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة، لم ير مثلهما من نحو مائة سنة أو يزيد منها، ومكث على الأراضي نحو ثلاثة أشهر ونصف، وغرق أقصبا كثيرة، ولكن كان نفعه أعظم من ضرره.

وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان استتاب قاضي القضاة جلال الدين القزويني نائين في الحكم، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجي الصالح، وقد ولي القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتي، ومحمد بن علي بن إبراهيم المصري، وحكما يومئذ بالمعادية، ومن الغد جاء البريد، ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كمال الدين بن الزملكاني، فاستدعاه نائب السلطنة، وفاروضه في ذلك فامتنع، فراجعته النائب، ثم راجع السلطان، فجاء البريد في ثاني عشر رمضان بإمضاء الولاية، فشرع للتأهب لبلاد حلب، وتماذى في ذلك كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس، رابع عشر شوال.

ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال، فأكرم إكراماً زائداً، ودرس بها، وألقى علوماً أكبر من تلك البلاد، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة النافعة، وما أحسن ما قال الشاعر، وهو شمس الدين عماد الحياطي في قصيدة له مطولة أولها قوله:

أَيْفَتْ لِفَقْدِكَ جُلُسُ الْفَيْحَاءِ وَتَبَاثُرَتْ بِقُدُومِكَ الشَّهَاءُ

وفي ثامن عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر، وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي، أستاذ دار السلطان.

وفي أواخر رمضان طلب صاحب شمس الدين خبريال إلى القاهرة، وتولى بها نظر الدواوين، عوضاً عن كريم الدين الصغير، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق، مباشراً بها نظر الدواوين قدمها في شوال فترل بدار العدل من القضاة.

وولى سيف الدين قديدار ولاية مصر، وهو شهم سفك للدما، فأراق الخمر، وأحرق الحشيشة، وأمسك الشطار، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر، وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدة مقامه بمصر.

وفي رمضان قدم إلى دمشق الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشحام الموصل من بلاد السلطان أزيك، وعنده فنون من علم الطب وغيره، ومعه كتاب بالصومية به، فأعطي تدريس الظاهرية البرانية، نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي، فباشرها في مستهل ذي الحجة، ثم درس بالجوارخية.

وخرج الركب في تاسع شوال، وأميره كركنجيار المحمدي، وقاضيه شهاب الدين الظاهري، ومن خرج إلى الحج برهان الدين الفزاري، وشهاب الدين قرطاي الناصري نائب طرابلس، وصاروجا وشهري وغيرهم.

وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة الفقهاء بمدرسته الناصرية، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب، وزادهم في الجوامك أيضاً.

وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شئت نفسه داخل خزنة له، قد أغلقها عليه من داخل: وربط حلقه في جبل، وكان تحت رجله قصص، فدفع الققص برجليه، فمات في مدينة أسوان، وستاتي ترجمته.

وفي سابع عشر ذي القعدة زيت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت.

البر علاء الدين بن الروائي، وولي دمشق شهاب الدين بن برق.

وفي خامس عشر ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسي الحسبة، عوضاً عن فخر الدين ابن شيخ السلامة وباشر ابن القلانسي الحسبة مع نظر الخزانة.

وفي هذا الشهر حل كريم الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل، ثم أخذت منه أموال وذخائر كثيرة، ثم نفى إلى الصعيد، وأجرى عليه نفقات سلطانية له، ولمن معه من عياله، وطلب كريم الدين الصغير وصودر بأموال جمّة، وحبس ثم أطلق.

وفي يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالقاهرة من الجامع الأسوي، بمحضرة نائب السلطنة والقضاة، يتضمن إطلاق مكس الغلة بالشام المحروس جميعه، فكثرت الأدعية للسلطان من الخواص والعوام والله الحمد والمئة.

وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة، خامس عشرين ربيع الآخر، بعزل قاضي الشافعية الزُّرعي، فبلغه ذلك ففتح بنفسه من الحكم، وأقام بالمعادية بعد العزل خمسة عشر يوماً، ثم انتقل منها إلى الأنابكية، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ، وتدريس الأنابكية، واستدعى نائب السلطان شيخنا الإمام الزاهد برهان الدين الفزاري، فعرض عليه القضاء فامتنع، فألح عليه بكل ممكن فلم يقبل، وخرج من عنده، فأرسل في أثره الأعيان الناس إلى المدرسة، فدخلوا عليه بكل حيلة، فامتنع من قبول الولاية، وصمم أشد التصميم، جزاء الله خيراً عن مروءته.

فلما كان يوم الجمعة قدم البريد من الديار المصرية بطلب الخطيب جلال الدين القزويني إلى الديار المصرية لتولية قضاء الشام.

وفي هذا اليوم خلع على الصدر تقي الدين سليمان بن مراجل بنظر الجامع، عوضاً عن بدر الدين بن الحداد توفي، وأخذ من ابن مراجل بنظر المارستان الصغير ليدر الدين بن العطار.

وخسف القمر ليلة الخميس، للنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع سور: ق، واقترت، والواقعة، والقيامة، ثم صلى العشاء، ثم خطب بعدها للكسوف، ثم أصبح فصلى بالناس الصبح، ثم ركب على البريد إلى مصر، فرزق من السلطان، قبولاً وولاه بعد أيام القضاء، ثم كر راجعاً إلى الشام، فدخل دمشق في خامس رجب على القضاء، مع الخطابة وتدريس المعادية والغزالية، فباشر ذلك كله، وأخذت منه الأمانة، فدرس فيها جمال الدين بن القلانسي، مع وكالة بيت المال، وأضيف إليه قضاء العساكر، وخوطف بقاضي القضاة جلال الدين القزويني.

وفيها قدم ملك التكرور إلى القاهرة بسبب الحج، في خامس عشرين رجب، فترل بالقرافة، ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفاً، ومعهم ذهب كثير، بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين في كل مثقال، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر.

وهو شاب جميل الصورة، له مملكة متسعة، مسيرة ثلاث سنين، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكاً، كل ملك تحت يده خلق وعساكر، ولما دخل إلى قلعة الجبل ليسلم على السلطان، أمر بتغيير الأرض فامتنع من ذلك فأكرمه السلطان ولم يمكن من الجلوس أيضاً، حتى خرج من بين يدي السلطان، فأحضر له حصان أشهب بُزْئاري أطلس أحمر، وحيث له هجن وآلات كثيرة تليق بمثله، وأرسل هو إلى السلطان أيضاً بهدايا كثيرة، من جعلها أربعون ألف دينار، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار، ونحف

وفي هذا اليوم توفي بمصر: الشيخ

■ **أيوب السعودي:** وقد قارب المائة، أدرك الشيخ أبا السعود، وكانت جنازته مشهودة، ودفن بترية شيخه بالقاهرة، وكتب عنه قاضي القضاة تقي الدين السبكي في حياته، وذكر الشيخ أبو بكر الرحي أن له ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله.

الشيخ الإمام الزاهد نور الدين: أبو الحسن

■ **علي بن يعقوب بن جبريل البكري، المصري الشافعي،** له تصانيف، وقرأ مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا، ثم إنه أقام بمصر، وقد كان من جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية، فأراد بعض الدولة قتله، فهرب واختفى عنده كما تقدم، لما كان ابن تيمية مقيماً بمصر، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كبراة لا طمعت بحراً عظيماً صافياً، أو رملة أرادت زوال جبل، وقد اضحك العقلاء عليه، وقد أراد السلطان قتله، فشفع فيه بعض الأمراء، ثم أنكر مرة شتياً على الدولة، ففني من القاهرة إلى بلدة يقال لها دهروط، فكان بها حتى توفي، يوم الاثنين سابع ربيع الآخر، ودفن بالقاهرة، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية، ويقول له أنت لا تحسن أن تكلم.

الشمس

■ **محمد الباجنقي:** الذي تسبب إليه الفرقة الضالة الباجنقية، والمشتهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله، وتقدمت أسماؤه، وقد كان والده جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الموصلي رجلاً صالحاً، من علماء الشافعية، ودرس في أماكن بدمشق، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء، واشتغل بعض شيء، ثم أقبل على السلوك ولازمه جماعة يعتقلون فيه ويؤزرونه عن هو على طريقته، وآخرون لا يفهمونه، ثم حكم القاضي المالكي بإرافة دمه، فهرب إلى الشرق، ثم إنه أثبت عدواة بينه وبين الشهود، فحكم الخليلي بحرق دمه فأقام بالقابون مدة ستين، حتى كانت وفاته ليلة الأربعاء، سادس عشر ربيع الآخر، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قلسيون، في قبة أعلى ذيل الجبل تحت المغارة، وله من العمر ستون سنة.

■ **(يحيى بن إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني).**

شيخنا القاضي المعمر الفقيه: يحيى الدين أبو زكريا يحيى بن الفضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي، اشتغل على النواوي، ولازم المقدسي، وولي الحكم بزرع وغيرها، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع، ودرس في الصارمية، وأعاد في مدارس عدة، إلى أن توفي في سلخ ربيع الآخر، ودفن بقاسيون، وقد قارب الثمانين رحمه الله، وسمع كثيراً وخرج له الذهبي شيئاً، وسمعنا عليه الدارقطني وغيره.

الفقيه الكبير الصدر الإمام العالم الخطيب بالجامع: بدر الدين أبو عبد الله

■ **محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد، الأمدي الحنبلي،** سمع الحديث، واشتغل، وحفظ الحر في مذهب الإمام أحمد، وسرع على ابن حبان، وشرحه عليه في مدة ستين، وقد كان ابن حمدان يثني عليه كثيراً، وعلى ذمته ودكاته، ثم اشتغل بالكتابة، ولزم خدمة الأمير قراستقر بعلب، فولاه نظر الأوقاف، وخطابة حلب بجامعها الأعظم، ثم لما صار إلى دمشق ولاه خطابة الأموي، فاستمر خطيباً فيها اثنين وأربعين يوماً، ثم أعيد إليها جلال الدين القزويني، ثم ولي نظر المارستان، والحسبة، ونظر الجامع الأموي، وعين لنقضاء الخنايلة في وقت، ثم توفي ليلة الأربعاء سابع جمادى الآخرة، ودفن بباب الصغير رحمه الله.

وفي ذي القعدة درس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية، عوضاً عن ابن الزمكاني، سافر على قضاء حلب، وحضر عنده القاضي القزويني.

وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس الدين بن سنان، يذكر فيه أن الأمير جويان أعطى الأمير محمد حسينا قنداً فيه خمر ليشربه، فامتنع من ذلك أشد الامتناع، فآلح عليه وأقسم فأبى أشد الإباء، فقال له: إن لم تشربها كلفت أن تحمل ثلاثين تومناً، فقال: نعم أحمل ولا أشربها، فكتب عليه حجة بذلك، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بلي، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين تومناً، فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة تومين، فاتفقا على ذلك، فبعث بلي إلى جويان يقول له: المال الذي طلبته من حسينا عندي، فإن رسمت حملته إلى الخزنة الشريفة، وإن رسمت تفرقه على الجيش، فأرسل جويان إلى محمد حسينا، فأحضره عنده فقال له: تزن أربعين تومناً ولا تشرب قلحاً من خمر؟ قال: نعم، فأعجبه ذلك منه، ومزق الحجة المكتبة عليه، وحظي عنده، وحكمه في أموره كلها، وولاه ولايات كباراً، وحصل لجويان إقلاق وإنابة ورجوع عن كثير مما كان يتعاطاه، رحم الله حسينا.

وفي هذه السنة كانت قننة بأصبهان، قتل بسببها الوف من أهلها، واستمرت الحرب بينهم شهراً.

وفيها كان غلاء مفرط بدمشق، بلغت الغرارة مائتين وعشرين، وقلت الأقوات، ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصر لاشتد الغلاء، وزاد أضعاف ذلك، وكان مات أكثر الناس، واستمر ذلك مدة شهر من هذه السنة، وإلى أثناء ستة وخمسين وعشرين، حتى قدمت الغلات، ورخصت الأسعار، ولله الحمد والمنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

توفي في مستهل الحرم: بدر الدين

■ **محمد بن مملود بن أحمد الحنفي:** قاضي قلعة الروم بالحجاز الشريف، وقد كان عبداً صالحاً، حج مرات عديدة، وربما أحرم من قلعة الروم وأحرم من بيت المقدس، وصلي عليه بدمشق صلاة الفائب، وعلى شرف الدين بن العز، وعلى شرف الدين بن نجيج، توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز، بعد فراغهم من الحج، وذلك أنهم غبطوا ابن نجيج صاحب الشيخ تقي الدين بن تيمية بتلك الموة كما تقدم، فرزقوها، فماتوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج.

الجهة الكبيرة

■ **خوتند بنت نو كاي:** زوجة السلطان الملك الناصر، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف، ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة، وكانت جنازتها حافلة، ودفنت بتريتها التي أنشأتها.

الشيخ

■ **محمد بن جعفر بن فرعوش:** ويقال له اللباد، ويعرف بالمولد، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة، وقد قرأت عليه شيئاً من القرآن، وكان يعلم الصغار والحروف المشقة كالراء ونحوها، وكان متقللاً من الدنيا، لا يفتني شيئاً، وليس له بيت ولا خزانه، إنما كان يأكل في السوق، وينام في الجامع، توفي في مستهل صفر، وقد جاوز السبعين، ودفن بباب الفرائيس رحمه الله.

الكتاب المفيد قلب الدين

■ أحمد بن مفضل بن فضل الله المصري، آخر محبي الدين كاتب تنكر، والد الصاحب علم الدين، كان خبيراً بالكتابة، وقد ولي استيفاء الأوقاف بعد أخيه، وكان أسن من أخيه، وهو الذي علمه صناعة الكتابة وغيرها، توفي ليلة الاثنين، ثاني رجب، وعمل عزاءه بالشميساطية، وكان مباشر أوقافها.

الأمير الكبير ملك العرب:

■ محمد بن عيسى بن مهنا آخر مهنا توفي بسلمية، يوم السبت سابق رجب، وقد جاوز الستين، كان مليح الشكل، حسن السيرة، عاملاً عارفاً، رحمه الله تعالى.

وفي هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشق بموت: الوزير الكبير

■ تاج الدين علي شاه بن أبي بكر التبريزي: وزير بو سعيد، بعد قتل سعد الدين الساوي، وكان شيخاً جليلاً، فيه دين وخير، وحمل إلى تبريز، فدفن بها في الشهر الماضي، رحمه الله.

الأمير سيف الدين

■ بكتمر: والي الولاية، صاحب الأوقاف في بلدان شتى: من ذلك مدرسته بالصلت، وله درس بمدرسة أبي عمر وغير ذلك، توفي بالإسكندرية، وهو نائبها، خالص رمضان رحمه الله.

■ (محمد بن زين الدين بن المنجا بن عثمان التوخي).

شرف الدين أبو عبد الله: محمد بن الشيخ الإمام العلامة زين الدين بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التوخي الحلي، آخر قاضي القضاة علاء الدين، سمع الحديث، ودرس وأفتى، وصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان فيه دين، ومودة وكرم، وقضاء حقوق كثيرة، توفي رحمه الله ليلة الاثنين ربيع شوال، وكان مولده في سنة خمس وسبعين وستمئة، ودفن بربتهم بالصالحية.

الشيخ

■ حسن الكردي لؤلؤه: كان يخالط النجاسات والقاذورات، ويمشي حافياً، وربما تكلم بشيء من الهذيان التي تشبه علم المنيات، ولبعض الناس فيه اعتقادات كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات، مات في شوال.

كريم الدين الذي كان وكيل السلطان:

■ عبد الكريم بن العلم هبة الله المسلماني، حصل له من الأموال والتقدم والمكانة والحظوة عند السلطان ما لم يحصل لغيره في دولة الأتراك، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القبيبات والخوض الكبير الذي تجاه باب الجامع، واشترى له نهر ماء بمخمين ألفاً، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، ووجدوا رفقاً. والثاني الجامع الذي بالقابون.

وله صدقات كثيرة، تقبل الله منه وعفا عنه، وقد مسك في آخر أمره فصور ثم نفي إلى الشوك، ثم إلى القدس، ثم الصعيد، فخنق نفسه كما قيل بعمامته، بمدينة أسوان، وذلك في الثالث والعشرين من شوال، وقد كان حسن الشكل، تام القامة، ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة ساعه الله.

الشيخ الإمام العالم علاء الدين:

■ علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار، شيخ دار الحديث النورية، ومدرس القرصية بالجامع.

ولد يوم عيد الفطر، سنة أربع وخمسين وستمئة، وسمع الحديث واشتغل على الشيخ محي الدين النواوي ولزمه، حتى كان يقال له مختصر

النواوي، وله مصنفات وفوائد، ومجاميع وتخاريج، وباشر مشيخة النورية، من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة، مدة ثلاثين سنة.

توفي يوم الاثنين منها، مستهل ذي الحجة، فولي بعده النورية علم الدين البرزالي، وتولى القوصية شهاب الدين بن حرز الله، وصلي عليه بالجامع، ودفن بقاسيون، رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمئة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، وأولها يوم الأربعاء.

وفي خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ شمس الدين محمود الأصهباني، بعد مرجعه من الحج، وزيارة القدس الشريف.

وهو رجل فاضل، له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح التجريد وغير ذلك، ثم إنّه شرح الحاجية أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر، ولما قدم إلى دمشق أكرم، واشتغل عليه الطلبة، وكان حظياً عند القاضي جلال الدين القزويني.

ثم إنّه ترك الكل وصار يتردد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، وسمع عليه من مصنفاته وردّه على أهل الكلام، ولأزمه مدة، فلما مات الشيخ تقي الدين تحول إلى مصر، وجمع التفسير.

وفي ربيع الأول جرد السلطان تجريدة نحو خمسة آلاف إلى اليمن، صحبه الأمير ركن الدين يبرس الحاجب وسيف الدين طينال الحاجب أيضاً نجدة لصاحب اليمن لخروج عمه عليه، وصحبتهم خلق كثير من الحجاج، منهم الشيخ فخر الدين النوري.

وفيهما منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية، وعززه القاضي المالكي، بسبب مسألة الاستغاثة، وحضر المذكور بين يدي السلطان، وأثنى عليه جماعة من الأمراء، ثم سُرّ إلى الشام بأهله، فترى بلاد الخليل، ثم انترح قدم دمشق إلى بلاد الشرق، وأقام بسنجر وماردين ومعاملتهما، يتكلم ويصط الناس، إلى أن مات رحمه الله كما سذكروه.

وفي ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر، وقد أكرمه السلطان والأمراء.

وفي جمادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله، بحيث زاد النيل بسببه أربعة أصابع، وتغير أياما.

وفيه زادت دجلة ببغداد، حتى غرقت ما حول بغداد، وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها، ويقت مثل السفينة في وسط البحر، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم، وتلف للناس ما لا يعلم قيمته إلا الله عز وجل، وودع أهل البلد بعضهم بعضاً، ولجؤوا إلى الله تعالى، وحملوا المصاحف على رؤوسهم وحمل الناس في سدّ السكور بأنفسهم حتى القضاة والأعيان، وكان وقفاً عجيباً، ثم لطف الله بهم، فغيض الماء، وتناقص، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائزة وغير الجائزة، وذكر بعضهم أنه غرق بالجنب الغربي نحو من ستة آلاف وستمئة بيت، وإلى عشر سنين لا يرجع ما غرق.

وفي أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خانقاه سرياقوس التي أنشأها، وساق إليها خليجا، وبني عندها عملة، وحضر بها، ومعه القضاة والأعيان والأمراء وغيرهم، ولولها مجد الدين الأقصراني، وعمل السلطان بها وليمة

■ إبراهيم بن متى البعلبيكي، كان مشهوراً بالصلاح، مقيماً بالثنية الشرقية، توفي ليلة الأربعاء مستهل الحرم، ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة، وحمله الناس على رؤوس والأصابع، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية.

■ إبراهيم المولّي: الذي يقال له القمني، لإقامته بالقمامين خارج باب شرقي، وربما كاشف بعض شيء، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة، وقد استتابه الشيخ تقي الدين بن تيمية، وضربه على ترك الصلوات ومخالطة القاذورات، وجمع الرجال والنساء حوله في الأماكن النجسة، توفي كهلاً في هذا الشهر.

الشيخ عفيف الدين

■ أحمد بن محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي، إمام مسجد الرأس، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي، سمعنا عليه شيئاً منها، توفي في صفر.

الشيخ الصالح العابد الزاهد الناصك

■ عبد الله بن موسى بن أحمد الجزيري، الذي كان مقيماً بمشهد أبي بكر من جامع دمشق، كان من الصالحين الكبار، مباركاً خيراً، عليه سكينه ووقار، وكانت له مطالعة كثيرة، وله فهم جيد، وعقل صحيح، وكان من الملازمين لمجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها، يعجز عنها كبار الفقهاء.

توفي يوم الاثنين سادس عشرين صفر، وصلي عليه بالجامع، ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة بمحمودة.

■ الشيخ الصالح الكبير المعمر: الرحلة الصالح تقي الدين بن الصالح، القريء المصري، الشافعي، آخر من بقي من مشايخ القراء، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الحائق بن علي بن سالم بن مكّي، توفي في صفر، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة، قارب التسعين، ولم يبق له منها سوى سنة واحدة، وقد قرأ عليه غير واحد. وهو من طال عمره وحسن عمله.

الشيخ الإمام صدر الدين أبو زكريا

■ يحيى بن علي بن تمام بن موسى الأنصاري السبكي الشافعي، سمع الحديث، وبرع في الأصول والفقه، ودرس بالسيفية وبأشهره بعده ابن أخيه تقي الدين السبكي، الذي تولى قضاء الشام فيما بعد.

■ الشهاب محمود هو الصدر الكبير، الشيخ الإمام، العالم العلامة، شيخ صناعة الإنشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله في صنعة الإنشاء، وله خصائص ليست للفاضل، من كثرة النظم، والقصائد الطويلة الحسنة البليغة، فهو شهاب الدين أبو الشا

■ محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي، ولد سنة أربع وأربعين وستمئة بجلب، وسمع الحديث، وهي باللغة والأدب والشعر، وكان كثير الفضائل، بارعاً في علم الإنشاء نظماً ونثراً، وله في ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة، وقد مكث في ديوان الإنشاء نحواً من خمسين سنة، ثم ولي كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين، إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان، في منزله قرب باب الناطقين، وهي دار القاضي الفاضل، وصلي عليه بالجامع، ودفن بقرية له، أنشأها بالقرب من اليمورية، وقد جاوز الثمانين سنة رحمه الله تعالى.

شيخنا المسند المعمر الرحلة: عفيف الدين

■ إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدّي، ثم الدمشقي الحنفي، شيخ دار الحديث الظاهرية، ولد في حدود الأربعين

كيرة، وهي في الحقيقة وكيرة وسمع على قاضي القضاة ابن جماعة عشرين حديثاً، بقرأة ولده عز الدين، بحضرة الدولة منهم أرغون النائب، وشيخ الشيوخ القنوي وغيرهم، وخلع على القارئ عز الدين، وأثروا عليه ثناء زائداً، وأجلس مكرماً، وخلع أيضاً على والده ابن جماعة، وعلى المالكي وشيخ الشيوخ، وعلى مجد الدين الأقصري شيخ الحانقاه المذكورة وغيرهم.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية في الحديث الشيخ زين الدين بن الكثاني الدمشقي، بإشارة نائب الكرك وأرغون، وحضر عنده الناس، وكان فيها جيداً، وأما الحديث فليس من فته ولا من شغل.

وفي أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين محمد بن عبد الله بن المرحل من مصر، على تدريسي الشامية البرانية، وكانت بيد ابن الزمكاني فانتقل إلى قضاء حلب، فدرس بها في خامس شعبان، وحضر القاضي الشافعي وجماعة.

وفي سلخ رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده، وفي صحبته الشيخ جمال الدين الدبائطي، وجماعة من الطلبة، بسبب سماع الحديث، قرأ بنفسه، وقرأ الناس له، واعتنوا بأمره، وسمعنا معهم وبقراءته شيئاً كثيراً، فنعهم الله بما قرؤوا وما سمعوا، ونفع بهم.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ شمس الدين بن الأصبهاني بالرواحية، بعد ذهاب ابن الزمكاني إلى حلب، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وجرى يومئذ بحث في العام إذا خص، وفي الاستثناء بعد النفي، ووقع انتشار وطال الكلام في ذلك المجلس، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهت الحاضرين.

وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد، فلما ثبت دقت البشائر وصلى الخطيب العيد من الغد بالجامع، ولم يخرج الناس إلى المصلّى، وتغضب النائب على المؤذنين وسجن بعضهم، وخرج الركب في عاشره، وأميره صلاح الدين بن أيك الطويل، وفي الركب صلاح الدين بن أوحّد، والمنكوري، وقاضيه شهاب الدين الظاهري.

وفي سابع عشرة درس بالرباط الناصري بقاسيون حسام الدين القرني، الذي كان قاضي طرابلس، قايض بها جلال الدين بن الشريشي إلى تدريس المسروية، وكان قد جاء توقيعه بالعزائرية والظاهرية، فوقف في طريقه قاضي القضاة جمال الدين، ونائبه ابن جملة والفخر المصري، وعقد له ولكمال الدين بن الشيرازي مجلساً، ومعه توقيع بالشامية البرانية، فمطل الأمر عليهما، لأنهما لم يظهرا استحقاقهما في ذلك المجلس، فصارت المدرستان العزائرية والشامية لابس المرحل كما ذكرنا، وعرض القرني بالمسروية، فقايض منها لابن الشريشي إلى الرباط الناصري، فدرس به في هذا اليوم، وحضر عنده القاضي جلال الدين، ودرس بعده ابن الشريشي بالمسروية، وحضر عنده الناس أيضاً.

وفيه عادت التجريدة اليمنية، وقد فقد منهم خلق كثير من الغلمان وغيرهم، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين بيبرس، لسوء سيرته فيهم.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ إبراهيم الصياح: وهو

وستماتة، وسمع الحديث على جماعة كثيرين، منهم يوسف بن خليل، ومجد الدين بن تيمية.

وكان شيخاً حسناً، بهي المنظر سهل الاستماع، يحب الرواية، ولديه فضيلة، توفي ليلة الاثنين، ثاني عشرين رمضان، ودفن بقاسيون، وهو والد فخر الدين ناظر الجيوش والجامع.

وقبله بيوم توفي الصدر معين الدين

■ يوسف بن زغبى الرحيمي، أحد كبار التجار الأمناء.

وفي رمضان توفي: البدر العوام: وهو

■ محمد بن علي البابا الحلبي، وكان فرداً في العزم، وطيب الأخلاق، انتفع به جماعة من التجار في بحر اليمن، كان معهم فغرق بهم المركب، فملجؤوا إلى صخرة في البحر، فكانوا عليها فخلصهم الله عز وجل على يديه واحداً واحداً إلى الساحل وكانوا ثلاثة عشر، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالاً من قرار البحر، بعد أن أفلسوا وكانوا أن يهلكوا، وكان فيه ديانة وصيانة، وقد قرأ القرآن، وحج عشر مرات، وعاش ثمانياً وثمانين سنة رحمه الله، وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيراً.

وفيه توفي: الشهاب

■ أحمد بن عثمان الأمشاطي: الأديب في الأرزجال والموشحات والموايا والدوبيت والباليت، وكان أستاذ أهل هذه الصناعة، مات في عشر السنين.

القاضي الإمام العالم الزاهد: صدر الدين

■ سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصب الجعفري الشافعي، المعروف بخطيب داريا، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمئة، بقرية بسرا من عمل السواد، وقدم مع والده فقرأ بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد، وسمع الحديث، وتفق على الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ تاج الدين الفزاري، وتولى خطابة داريا، وأعاد بالناصرية، وتولى نيابة القضاء لابن صصرى مدة، وكان متزهداً، لا يتعمم بحمام ولا كتان ولا غيره، ولم يغير ما اعتاده في البر، وكان متواضعاً، وهو الذي استقى بالناس في سنة تسع عشرة فسقوا كما ذكرنا، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار، بينهما ثلاثة عشر أباً ثم ولي خطابة العقبة، فترك نيابة الحكم وقال: هذه تكفي، إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ذي القعدة، ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته مشهودة رحمه الله، وتولى بعده الخطابة ولده شهاب الدين أحمد.

■ ابن صبيح المؤذن: الرئيس بالعروس بجامع دمشق مع البرهان وهو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التقيسي مولاهم المقرئ المؤذن، كان من أحسن الناس صوتاً في زمانه، وأطيبهم نغمة، ولد سنة اثنتين وخمسين وستمئة تقريباً، وسمع الحديث في سنة سبع وخمسين، وعن سمع عليه ابن عبد الدائم وغيرهم، من المشايخ، وحدث، وكان رجلاً حسناً، أبوه مولى لأمارة اسمها شامة بنت كامل الدين التقيسي، امرأة فخر الدين الكرخي، وباشر مشاركة الجامع، وقرائة المصحف، وأذن عند نائب السلطنة مدة، وتوفي في ذي الحجة بالطواويس، وصلي عليه بجامع العقبة، ودفن بمقابر باب الفارديس.

■ خطاب يائي حسان خطاب: الذي بين الكسوة وغياغب، الأمير الكبير عز الدين خطاب ابن محمود بن مرتعش العراقي، كان شيخاً كبيراً، له ثروة من المال كبيرة، وأملاك وأموال، وله حمام يحكر السماق، وقد عمر الخان المشهور به بعد موته إلى ناحية الكتف المصري، بما يلي غياغب، وهو برج الصفر، وقد حصل الكثير من المسافرين به رفق، توفي ليلة سابع عشر ربيع الآخر، ودفن بقرية بسفح قاسيون، رحمه الله تعالى.

■ (خطاب بن أحمد بن أخت ابن الخطاب الرومي السيواسي).

وفي ذي القعدة منها توفي رجل آخر اسمه: ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين: أحمد ابن أخت ابن الخطاب الرومي السيواسي، له خاتناه ببلد سيواس، عليها أوقاف كثيرة، وبر وصدة توفي وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكرك ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمؤنة رحمه الله.

■ (ابن العطار الشيباني).

وفي العشر الأخير من ذي القعدة توفي: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن كمال الدين أحمد بن أبي القتيح بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فقيان الشيباني المعروف بابن العطار، ولد سنة سبعين وستمئة، وسمع الحديث الكثير، وكسب الخطب النسوب، واشتغل بالتيب، ونظم الشعر، ولي كتابة الدرج، ثم نظر الجيش، ونظر الأشراف، وكانت له حظوة في أيام الأفرم، ثم حصل له خول قليل، وكان مترفاً متعمداً، له ثروة ورياسة، وتواضع، وحسن سيرة، ودفن بسفح قاسيون بقرية رحمه الله.

القاضي محيي الدين: أبو محمد

■ الحسن بن محمد بن عمار بن مرج الحارثي، قاضي الزيداني مدة طويلة، ثم ولي قضاء الكرك، وبها مات في العشرين من ذي الحجة، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستمئة، وقد سمع الحديث واشتغل، وكان حسن الأخلاق، متواضعاً، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضي الزيداني، مدلس الظاهرية رحمه الله.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، سوى كاتب سر دمشق شهاب الدين محمود، فإنه توفي وولي المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين.

ولمها تحول التجار في قماش النساء المخيط من الدهشة التي للجامع إلى دهشة سوق علي.

وفي يوم الأحد ثامن المحرم بأشرف مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهيل، بعد وفاة العفيف إسحاق، وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف، واختار دمشق، وحضر عنده القضاة والأعيان. وفي أولها فتح الحمام الذي بناه الأمير سيف الدين جويان، بجوار داره، بالقرب من دار الجالحق، وله بابان أحدهما إلى ناحية مسجد الوزير، وحصل به نفع.

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من صفر قدم صاحب غريال من مصر على البريد، متولياً نظر الدواوين بدمشق على عادته، وانفصل عنها الكريم الصنبر، وفرح الناس به.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرين ربيع الأول بكرة النهار ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن المهيبي بسوق الخيل على كفره، واستهاته واستهاته بآيات الله، وصحته الزنادقة كالتجم بن خلكان، والشمس محمد الباجريقي، وابن المعمار البغلاطي، وكل منهم فيه انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: وربما زاد هذا المذكور المضروب العنتق عليهم بالكفر، والتلاعب بدين الإسلام، والاستهانة بالنبوة والقرآن.

قال: وحضر قلة العلماء، والأكابر وأعيان الدولة.

قال: وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التبييه في أول عمره وكان

فقبل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجواتية الشيخ شهاب الدين أحمد بن جهيل، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة، عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر إمام مسجد ابن هشام توفي، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضان.

وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأمره سيف الدين جويان، وحج عامته القاضي شمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الخابطة، وبلد الدين بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني، ومعه تحف وهدايا، وأمور تتعلق بالأمر سيف الدين أرغون نائب مصر، فإنه حج في هذه السنة، ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان، وحج فخر الدين بن شيخ السلامة، وصدر الدين المالكي، وفخر الدين البعلبكي وغيرهم.

وفي يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة درس بالحنبلية برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي، بدلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وحضر عنده القاضي الشافعي، وجماعة من الفقهاء، وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين، وكان ابن الخطير الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا يوم، فاجتمع به، وسأله عن أشيائه بأمر نائب السلطنة، ثم يوم الخميس دخل إليه القاضي جلال الدين بن جلة، وناصر الدين مشد الأوقاف، وسأله عن مضمون قوله في مسألة الزيارة، فكسب ذلك في درج، وكسب تحته قاضي الشافعية بدمشق: فأبالت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصيح إلى أن قال: وإنما الحز جعله زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالإجماع، مقطوعاً بها، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الإسلام، فإن جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحال والسفر إلى مجرد زيادة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل مجرد الزيارة مسألة أخرى، والشيخ لم يمنع الزيارة الحالية عن شد رحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة على هذا الوجه في الفتا، ولا قال إنها معصية، ولا حكى الإجماع على المنع منها، ولا هو جاهل بقول الرسول: «زُورُوا القبور، فإنها تذكركم الآخرة» (٩٧٦) بلطف «تذكركم الموت»، والله سبحانه لا يخفى عليه شيء، ولا يخفى عليه خافية، «وَسَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». (الشعراء ٢٢٧).

وفي يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة فتحت المدرسة الحمصية تجاه الشامية الجواتية، ودرس بها محي الدين الطرابلسي وكان قاضي حصن عكار ويلقب بأبي رياح وحضر عنده القاضي الشافعي.

وفي ذي القعدة سافر القاضي جمال الدين الزرعي من الأتابكية إلى مصر، ونزل عن تدريسها لمحبي الدين بن جهيل.

وفي ثاني عشر ذي الحجة درس بالحجبية ابن قاضي الزيداني، عوضاً عن الدمشقي نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ ابن المطهر الشيعي جمال الدين: أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلي العراقي الشيعي، شيخ الروافض بترك النواحي، وله التصانيف الكثيرة، يقال: إنها تزيد على مائة وعشرين مجلداً، وعلمتها خمسة وخمسون

يقراً في الحتم بصوت حسن، وعنده نباعة وفهم، وكان متزلاً في المدارس والترب، ثم إنه انسلك من ذلك جميعه، وكان قتله عزراً للإسلام، وذلاً للزنادقة وأهل البدع.

قلت: وقد شهدت قتله، وكان شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية حاضراً يومئذ، وقد أثاره، وقرعه على ما كان يصدر منه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا مشاهد ذلك.

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج الكلاب من مدينة دمشق، فجعلوا في الخندق ظاهر باب الصغير من ناحية باب شرقي، المذكور على حدة، والإناث على حدة، وألزم أصحاب الدكاكين بذلك، وشددوا في أمرهم أياماً.

وفي ربيع الآخر ولي الشيخ علاء الدين المقدسي معبد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف، وسافر إليها.

وفي جمادى الآخرة عزل قرطاي عن نيابة طرابلس، ووليه طينال وأمر قرطاي على خبز القرماني بدمشق، بحكم سجن القرماني بقلعة دمشق.

قال البرزالي: وفي يوم الاثنين بعد العصر سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشد الأوقاف، وابن الخطير أحد الحجاب بدمشق، واختاره أن مرسوم السلطان ورد بذلك، وأحضرا معه مركوباً ليركبه، فأظفر السرور والفرح بذلك، وقال: أنا كنت منتظراً لذلك، وقال هذا فيه خير كثير، ومصلحة كبيرة، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة، وأخلت له قاعة، وأجري إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين بخدمة بإذن السلطان، ورسم له ما يقوم بكنايته.

قال البرزالي: وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله، ومنعه من الفتا.

وهذه الواقعة سببها فتيا وجدت بخطه في المنع من السفر، وإعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقبور الصالحين.

قال: وفي يوم الأربعاء، متصف شعبان، أمر قاضي القضاة الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم، وعزر جماعة منهم على دواب، ونودي عليهم ثم أطلقوا، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، فإنه حبس بالقلعة، وسكنت القضية.

قال: وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أجريت عين ماء إلى مكة شرقها الله، وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً، وهذه العين تعرف قديماً بعين باذان، أجراها جويان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة، ووصلت إلى عند الصفاء، وباب إبراهيم، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم، وضعيفهم وشريفهم، كلهم فيها سواء، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً، والله الحمد والمنة.

وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجميلها، في أول هذه السنة إلى العشر الآخر من جمادى الأولى.

واتفق أن في هذه السنة كانت الأكار التي بمكة قد يست وقيل ماؤها، وقيل ماء زمزم أيضاً، فلولا أن الله تعالى لطف بالناس، بإجراء هذه القناة لنزع عن مكة أهلها، أو هلك كثير ممن يقيم بها، وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف، كما شأملنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا، وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة بإخراج الزيدنين من المسجد الحرام، وأن لا يكون لهم فيه إمام ولا مجتمع،

الخميس، ثالث عشر شوال، ودفن بباب سطحا، عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمهما الله.

قاضي القضاة ابن مسلم: شمس الدين أبو عبد الله

■ محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالح الحنبلي، ولد سنة ثنتين وستين وستمئة، ومات أبوه وكان من الصالحين سنة ثمان وستين، فنشأ يتيما فقيرا لا مال له، ثم اشتغل وحصل، وسمع الكثير، وانتصب للإفادة والاشتغال، فطار ذكره، فلما مات التقي سليمان سنة خمس عشرة، ولي قضاء الحنابلة، فباشره أتم مباشرة، وخرجت له تحاريج كثيرة.

فلما كانت هذه السنة خرج للحج، فتمرض في الطريق، فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله ﷺ أفضل الصلاة والسلام، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة، فنزل قبر رسول الله ﷺ، وصلى في مسجده، وكان بالأشواق إلى ذلك، وكان قد غشى ذلك لما مات ابن نجيب، فمات في عشية ذلك اليوم ليلة الثلاثاء، وصلى عليه في مسجد رسول الله ﷺ بالروضة، ودفن بالقيع، إلى جانب قبر شرف الدين بن نجيب، الذي كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو، وهو قبل هذه الحجة شرقي قبر عقيل رحمهم الله، وولي بعده القضاء عز الدين بن التقي سليمان.

القاضي نجم الدين:

■ أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي الدمشقي الشافعي، ولد سنة تسع وأربعين، واشتغل على تاج الدين الفزاري، وحل ويسر، وولى الإعادة، ثم الحكم بالقلم الشريف، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالنجبية، وناب في الحكم عن ابن صصري مدة، توفي بالنجبية المذكورة، يوم الأحد ثامن عشرين ذي القعدة، وصلى عليه العصر بالجامع، ودفن بباب الصغير.

■ ابن قاضي شهبة: الشيخ الإمام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن القاضي شرف الدين محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي الشهابي الشافعي، ولد بمحوران، في سنة ثلاث وخمسين وستمئة، وقدم دمشق، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري، ولازمه وانتفع به، وأعاد بحلقته وتخرج به وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين وأخذ عنه النحو واللغة.

وكان بارعا في الفقه والنحو له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة، وكان يعتكف جميع شهر رمضان، ولم يتزوج قط.

وكان حسن الهيئة والشية، حسن العيش والملبس، متقلا من الدنيا، له معلوم يقوم بكفائته من إعادات وفقاعات وتصدير بالجامع، ولم يدرس قط ولا أثنى، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الإفتاء، ولكنه كان يتبرع عن ذلك، وقد سمع الكثير: سمع المسند للإمام أحمد وغير ذلك.

توفي بالمدرسة المجاهدية - وبها كانت إقامته - ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة، وصلى عليه بعد صلاة الظهر، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى.

وفيها كانت وفاة: الشرف

■ يعقوب بن فارس الجعبري: الناجر بفرجة ابن عمود، وكان يحفظ القرآن، ويؤم بمسجد القصب، ويصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية، والقاضي نجم الدين الدمشقي، وقد حصل أمرا، وأملاكا وثروة، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المشتغل المحصل الزكي بدر الدين محمد، خال الولد عمر إن شاء الله.

وفيها توفي: الحاج

مصفا، في الفقه، والنحو، والأصول، والفلسفة، والرفض، وغير ذلك من كبار وصغار، وأشهرها بين الطلبة شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وليس بذلك الفائق، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والإحكام، فلا بأس بها، فإنها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة، خيط فيه في المعقول والمنقول، ولم يدر كيف يتوجه، إذ خرج عن الاستقامة، وقد انتدب للرد عليه في ذلك الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن تيمية في مجلدات، أتى فيها بما يهر المعقول من الأشياء المليحة الحسنة، وهو كتاب حافل.

ولد ابن المطهر الذي لم تظهر خلافته، ولم يظهر من دنس الرفض، ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان، سنة ثمان وأربعين وستمئة، وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد، واشتغل على نصير الطوسي، وعلى غيره، ولما ترفض الملك خربنا حظي عنده ابن المطهر، وساد جندا، وأقطعه بلادا كثيرة.

الشمس الكاتب:

■ محمد بن أسد الحارثي، المعروف بالنجار، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية، توفي في ربيع الآخر، ودفن بباب الصغير.

العز

■ حسن بن أحمد بن زفر: الإربلي ثم الدمشقي، كان يعرف طرفا صالحا من النحو، والحديث والتاريخ، وكان مقما بدورة حمد، صوفيا بها، وكان حسن المجالسة، أثنى عليه البرزالي في نقله، وحسن معرفته، مات بالمرستان الصغير، في جمادى الآخرة، ودفن بباب الصغير، عن ثلاث وستين سنة.

الشيخ الإمام أمين الدين

■ سالم بن أبي المنذر: عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعي، مدرس الشامية الجواتية، أخذها من ابن الركيل قهراً، وهو إمام مسجد ابن هشام، ومحدث الكرسي به، كان مولده في سنة خمس وأربعين وستمئة، اشتغل وحصل، وأثنى عليه النووي وغيره، وأعاد وأثنى ودرس، وكان خبيراً بالحاكمات، وكان فيه مروءة وعصية لمن يقصده، توفي في شعبان، ودفن بباب الصغير.

الشيخ

■ حماد: وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القطان، كان كثير التلاوة والصلوات، مواظبا على الإقامة بجامع التوبة بالمعينة، بالزاوية الغربية الشمالية، يقرأ القرآن، ويكثر الصيام، ويتردد الناس إلى زيارته، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا القدم، توفي ليلة الاثنين عشرين شعبان، ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

الشيخ

■ قطب الدين اليوناني: وهو الشيخ الإمام، العالم بقية السلف، قطب الدين أبو الفتح موسى بن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليوناني الحنبلي، ولد سنة أربعين وستمئة، بدار الفاضل بدمشق، وسمع الكثير، وأحضره والده المشايخ، واستجاز له، وبحث واختصر مرارة الزمان للسط، وذيل عليها ذبلا حسنا مرتباً أفاد فيه وأجساد بعبارة حسنة سهلة، بإنصاف وستر، وأثنى فيه بأشياء حسنة، وأشياء فائقة راقية.

وكان كثير التلاوة، حسن الهيئة، متقلا في ملبسه، ومأكله، توفي ليلة

أغلقت الأبواب قبل وقته، ففتحها فخرج الناس في زحمة عظيمة، فقتل منهم نحو عشرة، ونهبت عمامهم، وثياب وغير ذلك، وكان ذلك ليلة الجمعة.

فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالي، فأحرقوها وثلاث دور لبعض الظلمة، وجرت أحوال صعبة، ونهبت أماكن، وكسرت العامة باب سجن الوالي، فخرج منه من فيه، فبلغ نائب السلطة، فاعتقد النائب أنه السجن الذي فيه الأمراء، فأمر بوضع السيف في البلد وتخريبه، ثم إن الخبر بلغ السلطان، فأرسل الوزير طيغنا الجمالي سريعا فوصل بعد يومين فضرب وصاح، وضرب القاضي ونائبه وعزله، وأهان خلقا من الأكابر، وصادهم بأموال كثيرة جدا، وعزل المتولي ثم أعيد، ثم تولى القضاء بها علم الدين الإخنائي الشافعي، الذي تولى دمشق فيما بعد، وعزل قاضي الإسكندرية المالكي ونائبه، ووضعت السلاسل في أعناقهم وأهينوا، وضرب ابن التتيسي غير مرة.

وفي يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضي قضاء حلب كمال الدين بن الزملكاني على البريد، فأقام بدمشق أربعة أيام، ثم سار إلى مصر، ليتولى قضاء قضاء الشام بمحضرة السلطان، فاتفق موته قبل وصوله إلى القاهرة ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَيَنْ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا قِيلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (سورة ساء: ٥٤).

وفي يوم الجمعة سادس عشرين شعبان باشر صدر الدين المالكي مشيخة الشيخ، مضافا إلى قضاء قضاء المالكية، وحضر الناس عنده، وقرئ تقليده بذلك، بعد انفصال الزرعي عنها إلى مصر.

وفي نصف رمضان وصل قاضي الحنفية بدمشق، لقضاء القضاء عماد الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد الطروسسي، الذي كان نائباً لقاضي القضاء صدر الدين علي البصري، فخلعه بعده في المنصب، وقرئ تقليده بالجامع، وخلع عليه، وباشر الحكم، واستتاب القاضي عماد الدين بن العز، ودرس بالتورية مع القضاء، وشكرت سيرته.

وفي رمضان قدم جماعة من الأسارى مع تجار الفرنج، فأنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة، واستفكوا من ديوان الأسرى بنحو من ستين ألفا، وكثرت الأدعية لمن كان السبب في ذلك.

وفي ثامن شوال خرج الركب الشامي إلى الحجاز، وأميره سيف الدين ببالان الحمدي، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد بن قاضي حرا.

وفي شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضي القضاء ابن عز الدين بن الصائغ والخلعة معه، فامتنع من قبول ذلك أشد الامتناع، وصمم، وألح عليه النولة فلم يقبل، وكثر بكاءه، وتغير مزاجه واغتاظ، فلما أصر على ذلك راجع تنكر السلطان في ذلك.

فلما كان شهر ذي القعدة اشتهر تولية علاء الدين بن إسماعيل القزنوي قضاء الشام، فسار إليها من مصر، وزار القدس، ودخل دمشق بكرة يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة، فاجتمع بنائب السلطة بدار السعادة، وليس الخلعة من هنالك وركب معه الحجاب والدولة إلى العادلية، فقرئ تقليده بها، وحكم بها على العادة، وفرح الناس به، وبحسن سمته وطيب لفظه، وملاحه شغائله وتودده، وولي بعده مشيخة الشيخ بمصر مجد الدين الأنصاري الصوفي شيخ سرياقوس.

وفي يوم السبت ثالث عشرين ذي القعدة لبس القاضي محي الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر، عوضاً عن شمس الدين بن الشهاب عمود، واستمر ولده شرف الدين في كتابة الدست.

وفي هذه السنة تولى قضاء حلب، عوضاً عن ابن الزملكاني القاضي

أبو بكر بن تيمراز الصوفي: كانت له أموال كثيرة ودائرة، ومكارم وبر وصدقات، ولكنه انكسر في آخر عمره وعمر، وكاد أن ينكشف، فجزه الله بالوفاء رحمه الله.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعماية

استهلت بيوم الجمعة، والحكام والخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها، سوى الحبلي كما تقدم.

وفي العشر من المحرم دخل مصر أرغون نائب مصر، فمسك في حادي عشره فحبس، ثم أطلق أياماً ثم أطلق، ويعنه السلطان إلى نائب حلب، فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة ثاني عشرين المحرم، فأنزله نائب السلطة بداره المجاورة لجامعه، فبات بها ليلة ثم سافر إلى حلب، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق ألجائي الدودار إلى مصر، وفي صحبته نائب حلب علاء الدين ألتنغا، معزولا عنها إلى حجرة الحجاب بمصر.

وفي يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول قرئ تقليد قاضي قضاء الحنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حزة المقدسي، عوضاً عن ابن مسلم بمقصورة الخطابة، بمحضرة القضاء والأعيان، وحكم وقرئ قبل ذلك بالصالحية.

وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بمحصر قضاء القضاء بطرابلس، ونقل الذي بها إلى محص نائباً عن قاضي دمشق، وهو ناصر بن عمود الزرعي.

وفي سادس عشرين ربيع الآخر عاد تنكر من مصر إلى الشام، وقد حصل له تكريم من السلطان.

وفي ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وقى الله شرها.

وفي يوم الخميس استهل جمادى الأولى باشر نيابة الحبلي القاضي برهان الدين الزرعي، وحضر عنده جماعة من القضاة.

وفي يوم الجمعة متصف جمادى الآخرة، جاء البريد بطلب القاضي القزويني الشافعي الخطيب إلى مصر، فدخلها في مستهل رجب، فخلع عليه بقضاء قضاء مصر، مع تدريس الناصرية والصالحية، ودار الحديث الكاملية، عوضاً عن بدر الدين بن جماعة، لأجل كبر سنه، وضعف نفسه، وضرب عينيه، فجزوا خاطره، فرتب له ألف درهم، وعشرة أرباب قمح في الشهر، مع تدريس زاوية الشافعي، وأرسل ولده بدر الدين بن القزويني إلى دمشق خطيباً بالأموي، وعلى تدريس الشامية الجوانية، على قاعدة والده جلال الدين القزويني في ذلك، فخلع عليه في أواخر رجب، ثامن عشره، وحضر عنده الأعيان.

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصري، على بنت السلطان وقد كان وقتاً مشهوراً، خلع على الأمراء والأكابر.

وفي صبيحة هذه الليلة عَقِدَ عَقْدُ الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، على بنت تنكر نائب الشام، وكان السلطان وكيل أبيها تنكر، والعائد ابن الحريري، وخلع عليه، وأدخلت عليه في ذي الحجة من هذه السنة في كلفة كثيرة.

وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالإسكندرية وذلك في سابع رجب، وذلك أن رجلاً من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج، على باب البحر، فضرب أحدهما الآخر بعل، فرفع الأمر إلى الوالي، فأمر بقتل باب البلد بعد العصر، فقال له الناس: إن لنا أمراً لا عيباً ظاهر البلد، وقد

فخر الدين بن البارزي.

وفي العشر الأول من ذي الحجة كمل ترخيم الجامع الأموي، أعني حائطه الشمالي، وجاء تنكر حتى نظر إليه فأعجبه ذلك، وشكر ناظره تقى الدين بن مرجل.

وفي يوم عيد الأضحي جاء سيل عظيم إلى مدينة بليس فهرب أهلها منها، وتعطلت الصلاة والأضاحي فيها، ولم ير مثله من ستين متطورة، وغرب شيئا كثيرا من حواصلها وسائيتها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان

الأمير أبو يحيى

■ زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص المحتاشي اللحياني المغربي، أمير بلاد المغرب، ولد بتونس قبل سنة خمسين وستمائة، وقرأ الفقه والعربية، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه، لأنه من بيت الملك، والإمرة والوزارة، ثم بايعه أهل تونس على الملك، في سنة إحدى عشرة وسبع مائة.

وكان شجاعا مقداماً، وهو أول من أبطل ذكر ابن التورمت من الخطبة، مع أن جده أبا حفص المحتاشي كان من أخص أصحاب ابن التورمت، توفي في الحرم من هذه السنة بمدينة الإسكندرية رحمه الله.

■ (ابن الحموي ضياء الدين أبو الفداء).

الشيخ الصالح العابد الناسك ضياء الدين أبو الفدا إسماعيل بن عز الدين عمر بن رضي الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي، المعروف بابن الحموي، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين، وكان هو كثير التلاوة، والصلاة والصيام، والبر والصدقة، والإحسان إلى الفقراء والأغنياء.

ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، وخرج له البرزالي شيخة سمعناها عليه، وكان من صلور أهل دمشق، توفي يوم الجمعة، رابع عشر صفر، وصلي عليه ضحوة يوم السبت، ودفن بباب الصغير، وحج وجاور، وأقام بالقدس مدة، مات وله ثمان وتسعون سنة رحمه الله، وقد ذكر أن والده حين ولد له، فتح المصحف يتفام، فإذا قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] فسماه إسماعيل، ثم ولد له آخر فسماه إسحاق، وهذا من الاتفاق الحسن، رحمهم الله تعالى.

الشيخ علي البخاري:

■ علي بن أحمد بن هوس الهلالي، أصل جده من قرية أبيل السوق، وأقام والده بالقدس، وحج هو مرة، وجاور بمكة سنة ثم حج، وكان رجلا صالحا مشهورا، ويعرف بالبخاري، لأنه كان يجر الأتزة، ويصلح الرصفان لله تعالى، وكان يكثر التهليل والذكر جهرة، وكان عليه هبة ووقار، ويتكلم كلاما فيه تخريف وتخثير من النار، وعواقب الردي، وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء، ثالث عشرين ربيع الأول، ودفن بترية الشيخ موفق الدين بالسفح، وكانت جنازته حافلة جدا رحمه الله تعالى.

الملك

■ الكامل ناصر الدين: أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك ابن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش ابن الملك العادل

أبي بكر بن أيوب، أحد أكابر الأمراء، وأبناء الملوك، كان من محاسن البلد ذكاً، وفطنة، وحسن عشرة، ولطافة كلام، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه، وحذاقة فهمه، وكان رئيساً من أجود الناس.

توفي عشية الأربعاء، عشرين جمادى الأولى، وصلي عليه ظهر الخميس، بصحن الجامع تحت النسر، ثم أرادوا دفنه عند جده لأمه الملك الكامل، فلم يتيسر ذلك، فدفن بترية أم الصالح ساعه الله.

وكان له سماع كثير سمعنا عليه منه، وكان يحفظ تاريخاً جيداً، وقام ولده الأمير صلاح الدين مكانه في إمرة الطليخانة، وجعل أخوه في عشرته، ولبسا الخلع السلطانية بذلك.

الشيخ الإمام نجم الدين:

■ أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي المخزومي القمُولي، كان من أعيان الشافعية، وشرح الوسيط، وشرح الحاجية في مجلدين، ودرس وحكم بمصر، وكان محسباً بها أيضاً، وكان مشكور السيرة فيها، وقد ولي بعده الحكم نجم الدين بن عقيل، والحسبة ناصر الدين بن فار السقوف، توفي في رجب، وقد جاوز الثمانين، ودفن بالقرافة رحمه الله.

الشيخ الصالح أبو القاسم

■ عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي، أحد مشاهير الصالحين بمصر، توفي بالروضة، في منتصف رجب، وحمل إلى شاطئ النيل، وصلي عليه، وحمل على الرؤوس والأصابع، ودفن عند ابن أبي جرة، وقد قارب الثمانين، وكان ممن يقصد للزيارة رحمه الله.

القاضي عز الدين

■ عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الحفضر الهكاري الشافعي، قاضي الحلة، كان من خيار القضاة، وله تصنيف على حديث الجامع في رمضان، يقال إنه استتب في ألف حكم، توفي في رمضان، وقد كان حصل كتب كثيرة جيدة، منها التهذيب لشيخنا الزبي.

الشيخ كمال الدين

■ ابن الزمكاني شيخنا الإمام العلامة كمال الدين أبو المعالي ابن الشيخ علاء الدين علي بن عبد الواحد ابن خطيب زمكا عبد الكريم بن خلف بن بهان الأنصاري الشافعي ابن الزمكاني شيخ الشافعية بالشام وغيرها، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريجاً، وإفتاء ومناظرة، ويقال في نسبه السماكي، نسبة إلى أبي دجاجة سماك بن خرشة والله أعلم.

ولد ليلة الاثنين، ثامن شوال، سنة ست وستين وستمائة، وسمع الكثير، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري، وفي الأصول على القاضي بهاء الدين بن الزكي، وفي النحو على بدر الدين بن مالك وغيرهم، وسرع وحصل، وساد أقرانه من أهل مذهبه وحاز قصب السبق عليهم بذمه الرواد في تحصيل العلم الذي أسهره، ومنه الرقاد، وعبارته التي هي أشبه من كل شيء معناه، وخطه الذي هو أنف من أزاهير الرواد.

وقد درس بعدة مدارس بدمشق، وبأشر عدة جهات كبار، كظفر الحزاة، ونظر المارستان التوري، وديوان الملك السعيد، وكالة بيت المال.

وله تعليقات مفيدة، واختيارات حميدة سليمة، ومناظرات سديدة، وما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للتوري، ومجلد كبير في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق وغير ذلك.

وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أجلى من عبارته، وحسن تقريره، وجودة احترازاته، وصحة ذهنه، وقوة قريحته، وحسن نظمه، وقد درس بالشافعية البرانية، والعنواوية،

الوجه، ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه، وأعطاه مقدمة ألف، وفرق أصحابه على الأمراء، وأكرموا إكراماً زائداً.

وكان سبب تقديمه إلى مصر أن صاحب العراق الملك بو سعيد كان قد قتل أخاه خواجاً دمشق في شوال من السنة الماضية، فهم والده جويان بحجارة السلطان يو سعيد، فلم يتمكن من ذلك، وكان جويان إذ ذاك مدير الممالك، فخاف فتمترش هذا عند ذلك من السلطان، ففر هارباً بدمه إلى السلطان الناصر بمصر.

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكرز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه، واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البزورين والجوزية، وهي شرقهما وقد كان سوق البزورية اليوم يسمى سوق القمح، فاشتري هذه الدار وعمرها داراً هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها، وسماها دار الفقيه، وهدم حمام سويد تلقاها وجعله دار قرآن وحديث وجاءت في غاية الحسن أيضاً، ووقف عليها أماكن، ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه، واجتاز في رجوعه من مصر بالقلمس الشريف وزاره، وأمر ببناء حمام به، وبناء دار حديث أيضاً، به، وخاتمه كما سيأتي بيانه.

وفي أواخر ربيع الأول وصلت القنالة إلى القلمس الشريف التي أمر بعمارته وتجديدها سيف الدين تنكرز قطبك، فقام بعمارته مع ولاية تلك النواحي، وفرح المسلمون بها، ودخلت حتى إلى وسط المسجد الأقصى وعمل به بركة هائلة وهي مرحة ما بين الصخرة والأقصى وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية.

وفي هذه المدة عمر سقف رواقات المسجد الحرام بمكة وأبوابه، وعمرت بمكة طهارة ما يلي باب بني شيبه. قال البرزالي: وفي هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذي بسوق باب توما، وله بابان.

وفي ربيع الآخر تقضى الترخيم الذي بمحاطط جامع دمشق القبلي من جهة الغرب عما يلي باب الزيادة، فوجدوا المحاطط متجانفاً، فخيف من أمره، وحضر تنكرز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة، فاتفق رأيهم على تقضه وإصلاحه، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة، سابع عشرين ربيع الآخر، فكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلم بذلك، ويستأنه في عمارته، فجاء المرسوم بالإذن في ذلك، فشرع في تقضه يوم الجمعة، خامس عشرين جمادى الأولى، وشرعوا في عمارته يوم الأحد، تاسع عشر جمادى الآخرة، وعمل محراب فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة، يضاهي محراب الصحابة، ثم جدوا ولازموا في عمارته، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل، حتى كملت عمارة الجدار، وأعيدت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب، وذلك بهمة تقي الدين بن مراحيل وهذا من العجب فإنه تقضى الجدار وما يساهم من السقف، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدة جزماً، وساعدهم على سرعة الإعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة، كما في الغربية والشرقية القبلتين منه، فأبليت الشماليتين قديماً، ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أسس هذه المثلثة الغربية الشمالية، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعاً، ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراحيل لم ينقص أحداً من أرباب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العمارة.

والظاهرية الجوانية، والرواحية، والمسروية، فكان يعطي كل واحدة منهن حقها، بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله، من حسنة وفصاحته، ولا يهول تعدد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأنظر وأبهر، وأحلى وأجلى وأنصح وأفصح.

ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العلية عاملها معاملة مثلها، وأوسع في الفضيلة جميع أهلها، وسمعوا من العلوم ما لم يسمعوها هم ولا آبائهم.

ثم طلب إلى الديار المصرية ليؤتي البلاد الشامية، دار السنة النبوية، فعاجلته المنية قبل وصوله إليها، فمرض وهو سائر على البريد تسعة أيام، ثم عَقِبَ المرضُ بُحْرانُ الحمام، فقبضه هاذم اللذات، وحال بينه وبين سائر الشهوات والإزادات، و«الأعمال بالنيات»، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرت إلى ما هاجر إليه (ج ١) م (١٩٠٧).

وكان من نية الحبيبة إذا رجع إلى الشام مترلياً أن يؤذي شيخ الإسلام ابن تيمية، فدعا عليه فلم يبلغ أمه ومراده، فتوفي في سحر يوم الأربعاء، سادس عشر شهر رمضان، بمدينة بليس، وحمل إلى القاهرة، ودفن بالقراقة، ليلة الخميس، جوار قبة الشافعي، تملحها الله برحمته.

الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع الأموي الحاج

■ علي بن نوح بن أبي الفضل الكتاني، كان أبوه من خيار المؤذنين، فيه صلاح ودين، وله قبول عند الناس، وكان حسن الصوت جهيره، وفيه تودد وخلم وكرم، وحج غير مرة، وسمع من ابن أبي عمر وغيره، توفي ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، وصلي عليه غدوة، ودفن بباب الصغير. وفي ذي القعدة توفي: الشيخ فضل بن الشيخ الرجيجي التونسي: وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية.

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبع مائة

في ذي القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما ستأتي ترجمة وفاته في الوفيات إن شاء الله تعالى.

استهلت هذه السنة وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، سوى نائب مصر، وقاضي حلب.

وفي يوم الأربعاء ثاني المحرم درس محلقه صاحب محص الشيخ الحافظ صلاح الدين العلائي، نزل له عنها شيخنا الحافظ المزني، وحضر عنده الفقهاء والأعيان، وذكر درساً حسناً مقيماً.

وفي يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضي القضاة علاء الدين القونوي مشيخة الشيوخ بالسميساطية، عوضاً عن القاضي المالكي شرف الدين، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة.

وفي يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسروية تقي الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزمكاني، عوضاً عن جمال الدين بن الشريشي، بحكم انتقاله إلى قضاء محص، وحضر الناس عنده، وترجوا على والده.

وفي يوم الأحد خامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرشاش بن جويان، قاصداً إلى مصر، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيه، وهو شاب حسن الصورة، تام الشكل، مليح

عزمه على الحج، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم، واستمر المنفلوطي يحكم أيضاً، فصاروا ثلاثة نواب بن جُبلَة، والفخر المصري، والمنفلوطي.

وسافر ابن الحشيش في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة، لينوب عن القاضي فخر الدين كاتب الممالك بالديار المصرية إلى حين رجوعه من الحجاز، فلما وصل ولي حجابة ديوان الجيش، واستمر هناك، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامة بنظر الجيش بدمشق على عاتقه. وفي شوال خلع على أمين الملك بالديار المصرية وولي نظر الدواوين فباشره شهراً ويومين وعزل عنه.

ذكر وفاة شيخ الإسلام أبي العباس تقي

الدين أحمد بن تيمية

■ (ابن تيمية، شيخ الإسلام).

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الإمام، العالم العلم العلامة، الفقيه الحافظ، الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، بالقاعة التي كان يحبس فيها، وحضر جمع كثير إلى الغاية إلى القلعة فأذن لهم في الدخول، وجلس جماعة عنده قبل الغسل، وقرؤوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء فقبلن مثل ذلك ثم انصرفن، واقتصر على من يسلمه، فلما فرغ من غسله أخرج، قد اجتمع الخلق بالقلعة، والطريق إلى الجامع، وامتأل الجامع أيضاً وصحته، والكلاسة وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبدين والفوراة، وحضرت الجنائز في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك، ووضعت في الجامع، والجند قد احتاطوا بها، يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلي عليه أولاً بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام، ثم صلي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، وحُمل من باب البريد وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثم تزاید الجمع إلى أن ضافت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلي عليه على الرؤوس والأصابع، وخرج التعش به من باب البريد، واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنجيب والترحم عليه، والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وبقاياهم، لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنائز، وصار التعش على الرموس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس، وأخرج الناس من الجامع من أبوابها كلها، وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعاً من شدة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أخرجت منه الجنائز، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخليل، وتضاعف الخلق، وكثر الناس، ووضعت الجنائز هناك، وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله.

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالفرائين واتصل بالراحين، واحترقت القيسارية والمسجد الذي هناك، وهلك للناس شيء كثير من الثراء والجوخ والأقمشة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلي على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصر، وصلي عليه صلاة الغائب بدمشق، وفي هذا اليوم قدم البريد بطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي إلى مصر، ليلى القضاء بها، بعد ابن الحريري، فخرخ مسافراً إليها، ودخل مصر في خامس عشرين جمادى الأولى، واجتمع بالسلطان، فولاء القضاء وأكرمه، وخلع عليه وأعطاه بغلة يزنازي، وحكم بالمدرسة الصالحية بمحضرة القضاة والحجاب، ورسم له بجميع جهات ابن الحريري.

وفي يوم الاثنين ناسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم، ومنع من الكتب والمطالعة، وحملت كبة في مستهل رجب إلى خزنة الكتب بالعادلية الكبيرة. قال البرزالي: وكانت نحو ستين مجلداً، وأربع عشرة ربطة كراريس، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوها بينهم.

وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي بن الأخنائي المالكي في مسألة الزيارة، فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجله، وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم، فطلع الأخنائي إلى السلطان وشكاه، فرسم السلطان عند ذلك بإخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان، كما ذكرنا.

وفي أواخره رسم لعلاء الدين بن القلانسي في النسب، مكان أخيه جمال الدين توقيراً لخطأه عن الباشرة، وأن يكون معلومه على قضاء العساكر والركالة، وخلع عليهما بذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصلاة في الحائط القبلي من الجامع الأموي، فعيّن الحراب الجليد الذي بين الزيادة والمقصورة للإمام الحنفي، وعيّن محراب الضحابة للمالكي وعين محراب مقصورة الحضرة الذي كان يصلي فيه المالكي للحنبلي، وعرض إمام محراب الضحابة بالكلاسة، وكان قبل ذلك في حال العمارة قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة المعروفة بهم، ومحراب الحنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي، وكانا بين الأعمدة، فقلعت تلك المحاريب، وعوضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي، واستقر الأمر كذلك.

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير غمراش بن جويان الذي أتى هارباً إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه، وحبسوا بقلعة مصر، فلما كان ثاني شوال أظهر موته، ويقال إنه قتله السلطان، وأرسل رأسه إلى بو سعيد صاحب العراق ابن خريندا ملك التتار.

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأمره فخر الدين بن محمد ابن الأمير شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق، وقاضيه قاضي قضاة الحنابلة عز الدين بن التقي سليمان.

ومن حج الأمير حسام الدين البشمقندر، والأمير قبجق، والأمير حسام الدين بن النجسي، وتقي الدين بن السلوس، ويدر الدين بن الصافي، وابنا جهيل، والفخر المصري، والشيخ علم الدين البرزالي، وشهاب الدين الظاهري.

وقبل ذلك يوم حكم القاضي المنفلوطي الذي كان حاكماً بعلبك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي، وكان مشكور السيرة، تألم أهل بعلبك لفقدته، فحكم بدمشق، عوضاً عن القونوي بسبب

وكان دفته وقت العصر أو قبلها يسير، وذلك من كثرة ما يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغرقة وأهل القرى وغيرهم، وأغلقت الناس حوائطهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس أو من عجز لأجل الزحام عن الحضور ومع الترحم والدعاء له، وأنه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حزنن خمسة عشر ألف امرأة، غير اللائي كن على الأسطحة وغيرهن، الجميع يترحن ويكيبن عليه فيما قيل، وأما الرجال فعزروا بستين ألفاً وأكثر إلى متي ألف، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، وقيل: إن الطاقة التي كانت على رأسه دُفع فيها خمس مئة درهم، وقيل: إن الخط الذي كان فيه الزيت الذي كان في عنقه بسبب القمل دُفع فيه مائة وخمسون درهماً، وحصل في الجنائزة ضجيج وبكاء كثير، وتقصر، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية والبلد، وترددت الناس إلى قبره أياماً كثيرة، ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصحبون، ورُئيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمّة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بمران، سنة إحدى وستين وستمئة، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والشيخ شمس الدين الخليلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والتجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وابن أبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكّي، وخلق كثير سمع منهم الحديث، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباق والأنبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه.

ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير الحفوظ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه، فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم الثقلية والعقلية، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فته، ورآه عارفاً به متقناً له.

وأما الحديث فكان حامل رأيته، حافظاً له مثناً وإستاداً، مميزاً بين صحيحه وسقيم، عارفاً برجاله متضلّعاً من ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع، كمل منها جملة وبيّضت وكتبت عنه، وقرئت عليه أو بعضها، وجملة كبيرة لم يكملها، وجملة كملها ولكن لم تبيّض إلى الآن.

وأثنى عليه وعلى علومه وفنائه جماعة من فضلاء عصره، مثل القاضي الحنفي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضي الحنفي قاضي مصر ابن الحريري، وابن الزملاكي وغيرهم. ووجدت بخط ابن الزملاكي أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والفهم، والتبيين، وكتب على مصنف له هذه الآيات الثلاثة:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن المحصر
هو حجة للكه قاهرة هو بينا أعجزت الدمبر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها ارتت على الفجر

وقال: كان دفته وقت العصر أو قبلها يسير، وذلك من كثرة ما يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغرقة وأهل القرى وغيرهم، وأغلقت الناس حوائطهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس أو من عجز لأجل الزحام عن الحضور ومع الترحم والدعاء له، وأنه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حزنن خمسة عشر ألف امرأة، غير اللائي كن على الأسطحة وغيرهن، الجميع يترحن ويكيبن عليه فيما قيل، وأما الرجال فعزروا بستين ألفاً وأكثر إلى متي ألف، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به، وقيل: إن الطاقة التي كانت على رأسه دُفع فيها خمس مئة درهم، وقيل: إن الخط الذي كان فيه الزيت الذي كان في عنقه بسبب القمل دُفع فيه مائة وخمسون درهماً، وحصل في الجنائزة ضجيج وبكاء كثير، وتقصر، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية والبلد، وترددت الناس إلى قبره أياماً كثيرة، ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصحبون، ورُئيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمّة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بمران، سنة إحدى وستين وستمئة، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبد، والشيخ شمس الدين الخليلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والتجيب بن المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وابن أبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيان، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكّي، وخلق كثير سمع منهم الحديث، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباق والأنبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه.

ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير الحفوظ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه، فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم الثقلية والعقلية، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فته، ورآه عارفاً به متقناً له.

وأما الحديث فكان حامل رأيته، حافظاً له مثناً وإستاداً، مميزاً بين صحيحه وسقيم، عارفاً برجاله متضلّعاً من ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع، كمل منها جملة وبيّضت وكتبت عنه، وقرئت عليه أو بعضها، وجملة كبيرة لم يكملها، وجملة كملها ولكن لم تبيّض إلى الآن.

وأثنى عليه وعلى علومه وفنائه جماعة من فضلاء عصره، مثل القاضي الحنفي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضي الحنفي قاضي مصر ابن الحريري، وابن الزملاكي وغيرهم.

ووجدت بخط ابن الزملاكي أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والفهم، والتبيين، وكتب على مصنف له هذه الآيات الثلاثة:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن المحصر
هو حجة للكه قاهرة هو بينا أعجزت الدمبر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها ارتت على الفجر

ثم شرعوا في غسل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هناك، ولم يمكث عنده إلا من ساعد في غسله، منهم شيخنا الحافظ المزني، وجماعة من كبار الصالحين الأخيار، أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة،

تتذكر حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب القرايس إلى الدار التي أنشأها، وكانت تعرف بدار فلوس، فسُميت دار الذهب، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد بن عيسى، وولي مكانه مملوكه أباجي.

وفي ثاني عشرين القعدة جاء إلى مدينة عجلون سبل عظيم، من أول النهار إلى وقت العصر، فهدم من جامها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً، وغرق سبعة نفر، وهلك للناس شيء كثير من الأموال والغلات، والأمتعة والمواشي ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم، وإننا لله وإننا إليه راجعون.

وفي يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة ألزم القاضي الشافعي الشيخ علاء الدين القنوي جماعة الشهود بسائر المراكز أن يرسلوا في عمائمهم العذبات، ليميزوا بذلك عن عوام الناس، ففعلوا ذلك إماماً، ثم تضرعوا من ذلك، فأرخص لهم في تركها، ومنهم من استمر بها.

وفي يوم الثلاثاء عشرين ذي الحجة أفرج عن الشيخ الإمام، العالم العلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، وكان معتقلاً بالقعدة أيضاً، من بعد اعتقال الشيخ تقي الدين بإيام، من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجاولي، والأمير فرج بن قراستقر، ولأجين المنصوري، وأحضروا بعد العيد بين يديه، وخلع عليهم.

وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جويان، نائب السلطان بو سعيد على تلك البلاد، و وفاة شمس الدين قراستقر المنصوري أيضاً كلاهما في ذي القعدة من هذه السنة.

وجويان هذا هو الذي ساق القنطرة الواصلة إلى المسجد الحرام، وقد غرم عليها أموالاً جزية كثيرة، وله تربة بالمدينة النبوية، ومدرسة مشهورة، وله آثار حسنة، وكان جيد الإسلام، له همة عالية، وقد دبر الملك في أيام بو سعيد مدة طويلة على السداد، ثم أراد بو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا فيما سلف، ثم إن بو سعيد قتل ابنه خواجا دمشق في السنة الماضية، ففر ابنه الآخر ثمرتاش هارباً إلى سلطان مصر، فأواه شهراً، ثم ترددت الرسل بين الملكين في قتله، فقتله صاحب مصر فيما قيل، وأرسل برأسه إليه، ثم توفي أبوه بعده بقليل، والله أعلم بالسرائر.

وأما قراستقر المنصوري فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام، وكان من جملة من قتل الأشرف خليل بن المنصور كما تقدم، ثم ولي نيابة مصر مدة، ثم صار إلى نيابة دمشق، ثم إلى نيابة حلب، ثم فر إلى التتر هو والأنرم والزردكاش فأراهم ملك التار خريندا، وأكرمهم وأقطعهم بلداً كثيرة، وتزوج قراستقر بنت هولانو، ثم كانت وفاته بمراغة بلده، التي كان حاكماً بها في هذه السنة، وله نحو تسعين سنة، والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان

شيخ الإسلام العلامة

■ تقي الدين بن تيمية كما تقدم ذكر ذلك في الحوادث، وسفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى.

الشريف العالم الزاهد المحدث: أبو إسحاق

■ إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن العلوي الحسني، الفراءني الإسكندري الشافعي، سمع الكثير، وحفظ الوجيز في الفقه، والإيضاح في النحو، وكان زاهداً، متقللاً من الدنيا، وبلغ تسعين سنة وعقله وعلمه

وضيح الناس بالكبا، والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع، فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة، ثم عطفوا إلى باب البريد وذلك لأن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح، ودخلوا بالجنائزة إلى الجامع الأموي، والحفلات فيه بين يدي الجنائزة، وخلفها، وعن يمينها وشمالها، ما لا يحصى عدتهم إلا الله تعالى، فصرخ صارخ، وصاح صائح، وهكذا تكون جنازة أئمة السنة قبلكي الناس، وضجوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ في موضع الجنائز مما يلي المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوفين رصافاً، لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع، ويرى الأزقة والأسواق، وذلك قبل أذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، وينوي خلق الصيام لأنهم لا يفرغون في هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناس كثرة لا تحصى ولا توصف، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلّي عليه إماماً، وهو الشيخ علاء الدين بن الخراط، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع، والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس في بكاء وتهليل، في تخافتة كل واحد بنفسه، وفي نشاء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يكيبن، ويدعين ويقولن: هذا العالم.

وبالجملية كان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله بدمشق، اللهم إلا أن يكون في زمن بني أمية، حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دفن عند أخيه قريباً من أذان العصر على التحنيد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنائزة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمّن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخلدات، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا التفر السير تخلف عن الحضور في جنازته، وهم ثلاثة أنس: وهم ابن جملة، والصدر، والفقيزي، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعادته، فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس، وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة، وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكباً على حماره، وعليه الجلالة والوقار رحمه الله.

وعملت له ختمات كثيرة، وزيّنت له منامات باهرة صالحة عجيبة، ورثي بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جداً، وقد أفردت له تراجم كثيرة، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم، وسنحصر من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه، وفضائله، وشجاعته، وكرمه ونصحه، وزهادته، وعبادته، وعلومه المتنوعة الكثيرة المحررة، ومصنفاته الكبار والصغار، التي احتوت على غالب العلوم، ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأفتى بها.

وبالجملية كان رحمه الله من كبار العلماء، وعن يخطئ ويصيب، ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه، كنقطة في بحر لجي، وخطؤه أيضاً مغفور له، كما في صحيح البخاري [٢٧٥٠٢]: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فهو ماجور.

وقال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا صاحب هذا القبر.

وفي السادس والعشرين من ذي القعدة نقل نائب السلطنة سيف الدين

وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر، فباشر الحكم بعلمه وجميع جهاته.

■ أحمد بن محمد بن جبارة بن عبد الولي المرداوي.

الشيخ الإمام العالم المقرئ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام تقي الدين محمد بن جبارة بن عبد الولي بن جبارة المقدسي المرداوي الحنبلي، شارح الشافية، ولد سنة تسع وأربعين وستمئة، وسمع الكثير، وعني بفن القراءات فبرز فيه، وانتفع الناس به، وقد أقام بمصر مدة، واشتغل بها على القراني في أصول الفقه، وتوفي بالقنس، رابع رجب رحمه الله، وكان يعد من الصلحاء الأخيار، سمع عن خطيب مرزا وغيره.

■ ابن العاقولي البغدادي: الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي العاقولي، ثم البغدادي الشافعي، مدرس المستصرية مدة طويلة، نحواً من أربعين سنة، وباشر نظر الأوقاف، وعين لقضاء القضاة في وقت.

ولد ليلة الأحد، عاشر رجب، سنة ثمان وثلاثين وستمئة، وسمع الحديث، ويرع واشتغل، وأتت من سنة سبع وخمسين إلى أن مات، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة، وهذا شيء غريب جداً.

وكان قوي النفس، له وجاعة في الدولة، فكم كشف كربة عن الناس بسعيه وقصده.

توفي ليلة الأربعاء، رابع عشرين من شوال، وقد جاوز التسعين سنة، ودفن بداره، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه، ووقف عليها أملاكه كلها، تقبل الله منه روحه، ودرس بعلمه بالمستصرية قاضي القضاة قطب الدين.

الشيخ الصالح العالم العابد التاجر البارئ شمس الدين

■ محمد بن داود بن محمد بن قنطاب، السلامي البغدادي، أحد ذوي اليسار، وله برٌ تام بأهل العلم، ولا سيما أصحاب الشيخ تقي الدين، وقد وقف كتباً كثيرة، وحج مرات، وتوفي ليلة الأحد، رابع عشرين ذي القعدة، بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بباب الصغير، رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي هذه الليلة توفيت والدة

■ مريم بنت فرج بن مفرج بن علي من قرية كان الوالد خطيباً بها، وهي بجبل القرية، سنة ثلاث وسبعين وستمئة، وصلي عليها بعد الجمعة، ودفنت بالصوفية، شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

استهلت والخليفة والسلطان والحكام هم المباشر في التي قبلها، غير أن قطب الدين بن شيخ السلامة اشتغل بنظر الجيش.

وفي الحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق، وولده الصلح شهاب الدين، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب عمود إلى مصر على البريد، فباشر القاضي الصلح الكبير محيي الدين المذكور كتابة السر بها، عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرضه اعتراه، وأقام عنده ولده شهاب الدين، وأقبل شرف الدين بن الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر، عوضاً عن ابن فضل الله.

وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والحليل، فعمر هنالك عمارات كثيرة لملك الأمراء تنكز، وقبح في الأقصى شباكين عن بين الحراب وشماله، وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي

ودعته ثابت متيقظ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمئة، وتوفي يوم الجمعة خامس المحرم، ودفن بالإسكندرية بين الماوين رحمه الله.

الشمس

■ محمد بن عيسى التُّنُزُّري: كانت فيه شهامة وصرامة، وكان يكون بين يدي الشيخ تقي الدين بن تيمية كالمفد لما يؤمر به وينهى عنه، ويرسله إلى الأمراء وغيرهم في الأمور المهمة، وله معرفة وفهم بتبليغ رسالته على أتم الوجوه، توفي في الخامس من صفر بالقييات، ودفن عند الجامع الكرمي، رحمه الله تعالى.

الشيخ الصالح

■ أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمار الصالح، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمئة، وسمع الكثير صحبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والزبي.

وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين، وكان معهما كالخادم لهما، وكان فقيراً ذا عيال، يتناول من الزكاة والصدقات ما يقوم بأهله، وأقام في آخر عمره بمحضر.

وكان فصيحاً مفوهاً، له تعاليف وتصانيف في الأصول وغيرها، وكان له عبادة، وفيه خير وصلاح، وكان يتكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه، وقد اجتمع به مرة صحبة شيخنا المزي حين قدم من حمص، فكان قوي العبارة، فصيحها، متوسطاً في العلم، له ميل إلى التصوف، والكلام في الأحوال والأعمال، والقلوب وغير ذلك، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية، توفي بمحضر.

في الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة، وقد كان الشيخ يحضر الناس على الإحسان إليه، وكان يعطيه ويرفده.

■ ابن الدوالي البغدادي: الشيخ الصالح، العالم العابد، الرحلة المسند المعمر، عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الحسن بن أبي الحسن بن عبد الغفار البغدادي الأزجي الحنبلي، المعروف بابن الدوالي، شيخ دار الحديث المستصرية، ولد في ربيع الأول، سنة ثمان وثلاثين وستمئة، وسمع الكثير وله إجازات عالية، واشتغل بحفظ الحرق، وكان فاضلاً في النحو وغيره، وله شعر حسن.

وكان رجلاً صالحاً، جاوز التسعين، وصار رحلة العراق، وتوفي يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى، ودفن بمقبرة الإمام أحمد في مقابر الشهداء رضي الله عنهم رحمه الله، وقد أجازني فيمن أجاز من مشايخ بغداد، ولله الحمد.

قاضي القضاة شمس الدين

■ بن الحريزي: أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن عبد الوهاب، الأنصاري الحنفي، ولد سنة ثلاث وخمسين، وسمع الحديث، واشتغل، وقرأ الهداية.

وكان قهياً جيداً، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق، ثم إلى القضاء بها، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية، فاستمر بها مدة طويلة يحفظ العرض، لا يقبل من أحد هدية، ولا تأخذه في الحكم لومة لائم.

وكان يقول: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن؟

وقال لبعض أصحابه: أحب الشيخ تقي الدين؟ قال: نعم، قال: والله لقد أحببت شيئاً مليحاً.

توفي رحمه الله يوم السبت، رابع جمادى الآخرة، ودفن بالقرافة، وكان قد عين لمنصبه القاضي برهان الدين بن عبد الحق، ففُتلت وصيته بذلك،

التي كانت تضيق عن سلوك الناس، وذلك بأمر تنكز، وأمر بإصلاح القنوات، واستراح الناس من ترشيش الماء عليهم بالنجاسات.

ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب، فقتل منهم شيء كثير جداً، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق، وفرق بين الذكور والإناث منهم ليموتوا سريعاً، ولا يتوالدوا، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم، فاستراح الناس من النجاسة من الماء والكلاب، وتوسعت لهم الطرقات.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالمسماطة قاضي القضاة شرف الدين المالكي، بعد وفاة قاضي القضاة القنوني الشافعي، وقرأ تقليده بالمشيخة بها، وحضره الأعيان وأعيد إلى ما كان عليه.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الإمام العالم الزاهد مفتي المسلمين: نجم الدين أبو عبد الله

■ محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي شارح التنبيه، ولد سنة ستين وستمئة، وسمع الحديث، واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم، فبرع فيها، ولازم ابن دقيق العيد، وناب عنه في الحكم، ودرس بالعزبة والطبرية وجامع مصر، وكان مشهوراً بالفضيلة والديانة، وملازمة الاشتغال، توفي ليلة الخميس رابع عشر المحرم، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله.

الأمير سيف الدين

■ قطوبك الشنكر الرومي: كان من أكابر الأمراء، وولي الحجوية في وقت، وهو الذي عمر القناة بالقدس، توفي يوم الاثنين، سابع ربيع الأول، ودفن بترته شمال باب الفرائيس، وهي حنة مشهورة، وحضر جنازته بسوق الخيل النائب والأمراء.

■ (أحمد بن أبي الخير منصور الشماخي).

محدث اليمن: شرف الدين أحمد بن فقيه زيد أبي الخير بن منصور الشماخي المذحجي، روى عن المكين وغيرهم، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير، وكان فاضلاً في صناعة الحديث، والفقه وغير ذلك، توفي في ربيع الأول من هذه السنة.

نجم الدين أبو الحسن

■ علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال بن الحسن بن عبد الله بن محمد الأزدي أحد رؤساء دمشق المشهورين، له بيت كبير، ونسب عريق، ورياسة باذخة، وكرم زائد، باشر نظر الأيتام مدة، وسمع الكثير وحدث، وكانت له فضائل وفوائد، وله الثروة الكثيرة.

ولد سنة تسع وأربعين وستمئة، ومات يوم الاثنين، ضحوة خامس ربيع الآخر، وصلي عليه بعد الظهر بالأموي، ودفن بسفح قاسيون، بترية أعدوا لنفسه، وقبر أرسده عنده، وكتب على قبره ﴿قُلْ يَا بَنِي آدَمَ اسْكُنُوا عَلَى أَرْضِكُمْ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ النَّشْرَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣]، وسمعتا عليه الموطأ وغيره.

الأمير

■ بكتوم الحاجب: صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر، في طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان، كانت وفاته بالقاهرة، في عشرين

بكر بن محمد بن يوسف بن الزينق من شد الدواوين بمحمص إلى شدها بدمشق، وفي يوم الخميس السادس والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق، وبسط الجامع جميعه، وصلى الناس الجمعة به من الغد، وفتح باب الزيادة، وكان له أياماً مغلقاً، وذلك في مباشرة الصدر تقي الدين بن مراحل.

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراستقر إلى دمشق، فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفرائيس، في دهليز المقدمية، وأعيدت عليهم أملاكهم المخلفة عن أبيهم، وكانت تحت الحوطة، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها.

وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية، وهما ميثان مصبران في توابيتهما، فصلي عليهما بالمسجد النبوي، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك.

وفي هذا اليوم صلي بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وعلى القاضي نجم الدين البالسي المصري صلاة الغائب.

وفي يوم الاثنين متصف جادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهيل بالمدرسة البادرية، عوضاً عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفي إلى رحمة الله تعالى، وأخذ مشيخة دار الحديث منه حين ولي البادرية الحافظ شمس الدين الذهبي، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره، ونزل عن خطابة كثر بطناً للشيخ جمال الدين المسلاتي المالكي، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره.

وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق قاصداً باب السلطان، فتلقاء نائب دمشق، وأنزل به بداره التي عند جامعهم، ثم سار نحو مصر، فغاب غواً من أربعين يوماً، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب.

وفي عاشور رجب طلب الصاحب تقي الدين بن عمر ابن الوزير شمس الدين بن السلعوس إلى مصر، فولي نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب.

وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال، وأميره سيف الدين بلطي، وقاضيه شهاب الدين القيمري، وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز، وفي خدمتها الطواشي طواشي شبل الدولة كافور، وصدر الدين المالكي، وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة، وأخوه شرف الدين، والشيخ علي المغربي، والشيخ عبد الله الضرير وجماعة.

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالعدلية الكبيرة، نيابة عن قاضي القضاة القنوني، وعوضاً عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك، وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة.

وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من ممالك الجاولي يقال له أرضي فادعى أنه المهدي، وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان، فأنزل في شر خيبة، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع المذكور.

وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات والأسواق داخل دمشق وخارجها، مثل سوق السلاح، والريصيف، والسوق الكبير، وباب البريد ومسجد القصب إلى الزنجيلية، وخارج باب الجابية إلى مسجد الذبان، وغير ذلك من الأماكن

ربيع الآخر، ودفن بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره هناك.
الشيخ شرف الدين

■ عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان: السهروزي الصوفي،
الواظ، له شعر، ومعرفة بالأحسان والأنعام، ومن شعره قوله:
بشرائك بما سعد هذا الحسي قد بانا فحلها تستطيل الأيك والبانسا
منازلنا ما وردنا طبيب موردها حتى شربنا كؤوس الموت الرانسا
متنا غراماً وشوقاً في السير لها فمد رافى نسيم اللها والقربى أحياناً
توفي في ربيع الآخر.

شيخنا العالم العلامة

■ برهان الدين القزاري: هو الشيخ الإمام، العالم العلامة، شيخ
المذهب، وعلمه، ومفيد أهله، شيخ الإسلام مفتي الفرق، بقية السلف
برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام العلامة تاج الدين أبي
محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق
إبراهيم بن سباع بن ضياء القزاري البصري الشافعي، ولد في ربيع الأول
سنة ستين وستمئة، وسمع الحديث، واشتغل على أبيه، وأعاد في حلقاته
وبرع وساد أقرانه، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب،
وتفقه وتحريره، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبازرائية، واشتغل
الطلبة بالجامع الأموي، فانتفع به المسلمون، وقد عرضت عليه المناصب
الكبار فأبىها، فمن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين
مدة، ثم تركها وعاد إلى البازرائية، ورفض عليه قضاء قضاة الشام بعد ابن
صنّرى، وألح عليه نائب الشام بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل،
وصمم وامتنع أشد الامتناع.

وكان مقبلاً على شأنه، عارفاً بزمانه، مستغرقاً أوقاته في الاشتغال
والعبادة ليلاً ونهاراً، كثير المطالعة وإسراع الحديث.

ولقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره، وكان يدرس بالمدرسة
المذكورة، وله تعليق كبير على التبيين، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في
غيره، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، وله مصنفات
في غير ذلك كبار.

وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله، وكان رحمه الله حسن
الشكل، عليه البهاء والجلالة والوقار، حسن الأخلاق، فيه حلة ثم يعود
قريباً، وكرمه زائد، وإحسانه إلى الطلبة كثير، وكان لا يقتني شيئاً، بل
يصرف مرتبه وجامكية مدرسته في مصالحه، وقد درس بالبازرائية من سنة
تسعين وستمئة إلى عامه هذا.

توفي بكرة يوم الجمعة، سابع جمادى الأولى، بالمدرسة المذكورة، وصلي
عليه عقب الجمعة بالجامع، وحملت جنازته على الرؤوس وأطراف الأتامل،
وكانت حافلة، ودفن عند أبيه وعمه وفويه، بباب الصغير رحمه الله تعالى.
الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع: مجد الدين

■ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحارثي الخثلي: ولد سنة ثمان
وأربعين وستمئة، وقرأ القراءات وسمع الحديث في دمشق حين انتقلوا مع
أهله إليها سنة إحدى وسبعين، واشتغل على الشيخ شمس الدين بن أبي
عمر، ولازمه وانتفع به، وبرع في الفقه، وصحة النقل، وكثرة الصمت عما
لا يعنيه، ولم يزل مواظباً على جهاته ووظائفه لا يتقطع عنها إلا من عذر
شرعي، إلى أن توفي ليلة، الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير،
رحمه الله تعالى.

وفي هذا الحين توفي:
الصاحب شرف الدين

■ يعقوب بن عبد الكريم: الذي كان ناظر الدواوين بحلب، ثم انتقل
إلى نظرها بطرابلس، توفي بحماة.
وكان عباً للعلماء وأهل الخير، وفيه كرم وإحسان، وهو والد القاضي
ناصر الدين كاتب السر بدمشق، وقاضي العساكر الحلبية، والشيخ
بالميساطية، ومدرس الأسدية بحلب، والناصرة والشامية والجوانية
بدمشق.

القاضي معين الدين:

■ هبة الله بن علم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي
الفضل بن الحشيش، الكاتب وناظر الجيش بمصر في بعض الأحيان، ثم
بدمشق مدة طويلة مستقلاً، ومشاركاً لقطب الدين ابن شيخ السلامة،
وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه، وكانت له يد جيدة في العربية،
والآداب والحساب، وله نظم جيد، وفيه تودد وتواضع.
توفي بمصر، في نصف جمادى الآخرة، ودفن بترية الفخر كاتب
المالِك.

قاضي القضاة وشيخ الشيوخ علاء الدين أبو الحسن

■ علي بن إسماعيل بن يوسف القنوي التبريزي الشافعي، ولد بمدينة
قونية، في سنة ثمان وستين وستمئة تقريباً، واشتغل هناك، وقدم دمشق
سنة ثلاث وتسعين، وهو معدود من الفضلاء، فازداد بها اشتغالا، وسمع
الحديث، وتصدّر للاشتغال بجمعها، ودرس بالإقبالية، ثم سافر إلى مصر
فدرس بها في عدة مدارس كبار.

وولي مشيخة الشيوخ بها ودمشق، ولم يزل يشتغل بها، وينفع الطلبة
إلى أن قدم دمشق قاضياً عليها، في سنة سبع وعشرين.

وله تصانيف في الفقه وغيره، وكان يحرر علوماً كثيرة منها النحو
والتصريف والأصناف والفقه وله معرفة جيدة بكشاف الزعرشري، وفهم
الحديث، وفيه إنصاف كثير، وأوصاف حسنة، وتعظيم لأهل العلم،
وخرجت له مشيخة سمعناها عليه، وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيراً، توفي
بستانه بالسهم يوم سبت، بعد العصر رابع عشر ذي القعدة، وصلي عليه
من الغد، ودفن بسفح قاسيون ساعه الله تعالى.

الأمير حسام الدين

■ لاجين المنصوري الحسامي: ويعرف بالاجين الصغير، ولي البر
بدمشق مدة، ثم نياحة غرة، ثم نياحة البيرة، وبها مات في ذي القعدة، ودفن
هناك، وكان أبنتى تربة لزوجته، ظاهر باب شرقي، فلم يتفق دفنه بها «وَمَا
تَنْزِي نَفْسُ بَائِي كَرْضُ ثَمُوت» (هفتاد: ٣٤).

■ (حزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد ابن القلانسي).

الصاحب عز الدين أبو يعلى: حزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن
عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن
العديد أبي يعلى بن حزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن
القلانسي، أحد رؤساء دمشق الكبار.

ولد سنة تسع وأربعين وستمئة، وسمع الحديث من جماعة، ورواه
وسمنا عليه، وله رياسة باذخة، وأصالة كثيرة، وأسلأك هائلة كافية لما
يحتاج إليه من أمور الدنيا، ولم يزل معه صناعة الوظائف إلى أن أُلزم بوكالة
بيت السلطان، ثم بالوزارة في سنة عشر كما تقدم، ثم عزل، وقد صودر في
بعض الأحيان، وكانت له مكارم على الخواص والكبار، وله إحسان إلى

وفي آخر رجب خطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين أنس الحاجب ظاهر القاهرة بالشارع، وخطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين قوصون بين جامع طولون والصالحية، يوم الجمعة حادي عشر رمضان، وحضر السلطان وأعيان الأمراء وتولى الخطبة يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي، وخلع عليه خلعة سنية وبغلة واستقر في خطبته فخر الدين بن شكر.

وخرج الركب الشامي يوم السبت، حادي عشر شوال، وأميره سيف الدين الموساوي، صهر بليان البيري، وقاضيه شهاب الدين بن المجد عبد الله مدرس الإقبالية، ثم تولى قضاء القضاة كما سيأتي.

ومن حج في هذه السنة رضي الدين المنطقي الحنفي والشيخ نور الأردبيلي شيخ الجاروخية، وصفى الدين بن الحريري، وشمس الدين خطيب يبرود، والشيخ محمد النرباني وغيرهم، فلما قضوا مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع، فبينما هم في وقت سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بني حسن وعبيدهم، يحطمون الناس في المسجد الحرام، فثار إلى قتالهم الأتراك، فاقتلوا قتل أمير من الطليخان بمصر، يقال له سيف الدين الدمر أمير جنار وابنه خليل، ومملوك له، وأمير عشرة يقال له بن الناجي، وجماعة من الرجال والنساء، ونهت أموال كثيرة ووقعت خبطة عظيمة في المسجد وتهارب الناس إلى منازلهم بأبواب الزاهر وما كادوا يصلون إليها وما أكملت الجمعة إلا بعد جهد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، واجتمعت الأمراء كلهم على الرجعة إلى مكة، للأخذ بالثأر منهم، ثم كروا راجعين، وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى غيم الحجيح، وكادوا ينهبون الناس عامة جهرة، وصار أهل البيت في آخر الزمان يصلون الناس عن المسجد الحرام، ويرو الأتراك هم الذين يتصرفون الإسلام وأهله، ويكفون الأذية عنهم بأنفسهم وأموالهم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أُولَئِكَ إِلَّا مَقْتُون﴾ [الأفان: ٣٤].

ومن توفي فيها من الأعيان

علاء الدين بن الأثير: كاتب السر بمصر.

■ علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي الأصل، ثم المصري، كانت له حرمة ووجاهة، وأموال وثروة، ومكانة عند السلطان، حتى ضربه الفالج في آخر عمره، فانتزل عن الوظيفة، وبارشها ابن فضل الله في حياته توفي في منتصف الحرم.

الوزير العالم أبو القاسم

■ محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدي الرناتبي الأندلسي، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب، قدم علينا إلى دمشق، في جمادى الأولى، سنة أربع وعشرين، وهو بعزم الحج، فسمعت بقرائه صحيح مسلم في تسعة مجالس، على الشيخ نجم الدين بن العسقلاني، قراءة صحيحة.

ثم كانت وفاته في القاهرة، في ثاني عشرين الحرم، وكانت له فضائل كثيرة في الفقه، والنحو، والتاريخ، والأصول.

وكان عالي الهمة، شريف النفس، محترماً ببلاده جداً، بحيث إنه يولي الملوك ويعزلهم، ولم يل هو مباشرة شيء، ولا أهل بيته، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً.

■ (محمد بن شرف الدين بن حسين بن غيلان البعلبكي).

الفقراء، والاحتاجين، ولم يزل معظماً وجيهاً عند الدولة من التواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي يستأنه، ليلة السبت سادس ذي الحجة، وصلي عليه من الغد، ودفن بترته بسفح قاسيون، وله في الصالحية رباط حسن بمثناة، وفيه دار حديث، وبر وصديقة، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمئة

استهلت بالأمراء والحكام بالبلاد هم المذكورون بالتي قبلها، سوء الشافعي فإنه توفي، وولي مكانه في رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الأخنائي الشافعي، وقدم دمشق في الرابع والعشرين منه، صحبة نائب السلطنة تكرر، وقد زار القدس، وحضر معه تدريس التنكية التي أنشأها بها، ولما قدم دمشق نزل بالعادلية الكبيرة على العادة، ودرس بها وبالعزالية، واستمر بنبابة المنقلاطي، ثم استأب زين الدين بن المرحل.

وفي صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطير شد الأوقاف، وانفصل عنها نجم الدين بن الزبيق إلى ولاية نابلس.

وفي يوم السبت الحادي والعشرين من صفر حكم الشيخ زين الدين محمد بن علم الدين عبد الله بن الشيخ زين الدين عمر بن المرحل نيابة عن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي بالعادلية.

وفي ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقي من الأموري، ليُشبه الجانب الغربي، وشاروا ابن مراحل النائب والقاضي على جمع القصور من سائر الجامع في الحائط القبلي، فرسما له بذلك.

وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول أقيمت الجمعة في إيوان الشافعية، بالمدرسة الصالحية بمصر، وكان الذي أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك، بعد أن استفى العلماء في ذلك.

وفي ربيع الآخر تولى القضاء بحلب شمس الدين بن القتيب، عوضاً عن فخر الدين بن البارزي توفي، وولي شمس الدين بن المجد البعلبكي قضاء طرابلس، عوضاً عن ابن القتيب.

وفي آخر جمادى الأولى باشر نيابة الحكم عن الأخنائي محيي الدين بن جهيل، عوضاً عن المنقلاطي توفي.

وفي هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الناصري مدرسة على الحنفية، وفيها صوفية أيضاً، ودرس بها القاضي علاء الدين بن التركماني، وسكنها الفقهاء.

وفي جمادى الآخرة زينت البلاد المصرية والشامية، ودقت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة انصدت منها يده، وخلع على الأمراء والأطباء بمصر، وأطلقت الجيوش.

وفي جمادى الآخرة قدم على السلطان رسلاً من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين.

وفي يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذي أنشأه القاضي فخر الدين كاتب الممالك على الحنفية بمحرابهم بجامع دمشق، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضي الحصن، أخو قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية، وحضر عنده القضاة والأعيان، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بالجهرية ودرس بها، عوضاً عن حيه شمس الدين بن الزكي نزل له عنها.

قدم دمشق في سنة أربع وعشرين، فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجاروخية، وأضيف إلى مشيخة رباط القصر، ثم نزل عن ذلك لزواج ابنته نور الدين الأرديلي، توفي في ربيع الأول، وكان يعرف طرفا من الفقه والطب.

الشيخ

■ إبراهيم الهذلي: أصله كردي من بلاد الشرق، فقدم الشام، وأقام بين القدس والخليل، في أرض كانت مواتا، فأحياها وغرسها، وزرع فيها أنواعا، وكان يقصد للزيارة، ويحكي الناس عنه كرامات صالحة، وقد بلغ مائة سنة، وتزوج في آخر عمره، ورزق أولادا صالحين، توفي في جمادى الآخرة رحمه الله.

الست صاحبة الوجة باب الخواصين الخويدة المعظمة المحجة المحرمة

■ ستية بنت الأمير سيف الدين كوكاي النصوري، زوجة نائب الشام تنكر، توفيت بدار الذهب، وصلي عليها بالجامع، ثالث رجب، ودفنت بالثيرة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين، وفيها مسجد، وإلى جانبها رباط للنساء، ومكتب للأيتام، وفيها صدقات وير وصلات، وقراء عليها، كل ذلك أمرت به، وكانت قد حجت في العام الماضي، رحمه الله.

قاضي قضاء طرابلس: شمس الدين

■ محمد بن عيسى بن محمود البعلبي المعروف بابن المجد الشافعي، اشتغل ببلده، وبرع في فنون كثيرة، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقروية بالجامع، ويؤم في مدرسة أم الصالح، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس، فأقام بها أربعة أشهر، ثم توفي في سانس رمضان، وتولاها بعده ولده تقي الدين، وهو أحد الفضلاء المشهورين، ولم تطل مدته بعده، حتى عزل عنها، وأخرج منها.

الشيخ الصالح

■ عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحوراني، شيخ طائفتهم، وإليه مرجع زوايتهم بخوار، كان عنده تفقه، وزهادة ويزار، وله أصحاب يخدمونه، وبلغ السبعين سنة، وخرج لتدريس بعض أهل إلى ناحية الكرك من ناحية الحجاز، فأدركه الموت هناك، فمات في أول ذي القعدة.

الشيخ

■ حسن بن علي بن أحمد الأنصاري الضري، كان يفرد عين أولا، ثم عمي جملة، وكان يقرأ القرآن، ويكثر التلاوة، ثم انقطع إلى المنارة الشرقية، وكان يحضر السماعات، ويستمع ويتواجد، وكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك، ولجاورته في الجامع، وكثرة تلاوته وصلاته والله يساعده. توفي يوم السبت في العشر الأول من ذي الحجة، بالثنية، وصلي عليه بالجامع، ودفن بباب الصغير.

محيي الدين أبو الفداء

■ محمود بن الصدر شرف الدين بن القلاسي، توفي في ذي الحجة ببستانه، ودفن بترتيم بسفح قاسيون، وهو جد الصدر جلال الدين بن القلاسي، وأخيه علاء، وهم ثلاثتهم رؤساء.

■ (يوسف بن موسى بن شيخ السلامة).

الشاب الرئيس صلاح الدين يوسف ابن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة، ناظر الجيش أبوه، نشأ هذا الشاب في نعمة وحشمة، وترفه وعشرة واجتماع بالأصحاب.

توفي يوم السبت، تاسع عشرين ذي الحجة، فاستراح من حشمة وعشرته، إن لم تكن ويسالا عليه، ودفن بترتيم تجاه الناصرية بالسفح، وتأسف عليه أبواه، ومعارفه وأصحابه ساعه الله.

شيخنا الصالح العابد الناسك الخاضع شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبي الحلبي، إمام مسجد السلالم بدار البطيخ العتيقة.

سمع الحديث وأسمعه، وكان يقرأ القرآن طرفي النهار، وعليه ختمت القرآن، في سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

وكان من الصالحين الكبار، والعباد الأخيار، توفي يوم السبت، سادس صفر، وصلي عليه بالجامع، ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة.

وفي هذا الشهر - أعني صفر - كانت وفاة والي القاهرة قنيدار، وله آثار غريبة ومشهورة.

■ بهادر آص الأمير الكبير: رأس مينة الشام، سيف الدين بهادر آص النصوري، أكبر أمراء دمشق، وعن طحال عمره في الحشمة والشرية، وهو ممن اجتمعت فيه الآية الكريمة ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ الآية [آل عمران: ١٤]. وقد كان محبا إلى العامة، وله بر وصدقة وإحسان.

توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر بداره داخل باب توما المشهورة وحضر نائب السلطة والأمراء جنازته، ودفن بترتيم خارج باب الجابية، وهي مشهورة أيضا.

الحجرات

■ ابن الشحنة: الشيخ الكبير، المسند المعمر الرحلة، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان النيزمقرني، ثم الصالحي الحجرات، المعروف بابن الشحنة.

سمع البخاري على الزبيدي، سنة ثلاثين وستمئة بقاسيون، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة، ففرح بذلك المحدثون، وأكثروا السماع عليه، فقرأ البخاري عليه نحواً من ستين مرة وغيره، وسمعا عليه بدار الحديث الأشرقية في أيام الشتويات، نحواً من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع، وسماعه من الزبيدي وابن التني، وله إجازة من بغداد، فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العمالي المستندين، وقد مكث مدة مقدم الحجارين نحواً من خمس وعشرين سنة، ثم كان يخطب في آخر عمره، واستقرت عليه جامعيته لما اشتغل بإسماع الحديث، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر، وخلع عليه، وألبسه الخلعته بيده، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة، وانتفع الناس بذلك.

وكان شيخاً حسناً، بهي المنظر، سليم الصدر، متمماً بحواسه وقواه، فإنه عاش مائة سنة محققاً، وزاد عليها، لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وستمئة، وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة في تاسع صفر بجامع دمشق، وسمعا عليه يومئذ ولله الحمد.

وقال: إنه أدرك موت المظلم عيسى بن العادل لما توفي، والناس يسمعهم يقولون مات المظلم، وقد كانت وفاة المظلم في سنة أربع وعشرين وستمئة.

وتوفي الحجرات يوم الاثنين، خامس عشرين صفر من هذه السنة، وصلي عليه بالجامع المظفري يوم الثلاثاء، ودفن بترية له، عند زاوية الرومي بجوار، جامع الأفرم، وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

الشيخ نجم الدين

■ عبد الرحيم بن عبد الرحمن: أبو نصر الموصل، المعروف بابن الشحام، اشتغل ببلده، ثم سافر، وأقام بمدينة سراي من مملكة أزيك، ثم

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها، وقد ذكرنا ما كان من عيد مكة إلى الحجاج، وأنه قتل من المصريين أميران، فلما بلغ الخبر السلطان عظم عليه ذلك، وامتنع من الأكل على السباط فيما يقال أياما، ثم جرد ستمائة فارس وقيل ألفا، والأول أصح، وأرسل إلى الشام أن يبرد مقدما آخر، فجرد الأمير سيف الدين الجليفا العائلي، وخرج من دمشق يوم دخلها الركب في سادس عشرين الحرم، وأمر أن يسير إلى أيلة ليجتمع مع المصريين، وأن يسيروا جميعا إلى الحجاز.

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الأمراء مشاة إليه في تهليل وتكبير وتحميد، يتلقون هذا النهر، ولم يمكن أحدا من المعالي ولا غيرهم أن يتكلم بغير ذكر الله تعالى، وفرح الناس بوصولهم إليهم فرحا شديدا، وكثرت قد سعوا في تخليصه من أماكن بعيدة، احتاجوا فيها إلى نقب بعض الجبال، وفيها صخور ضخام صم، وعقدوا له قاطر على الأودية، وما وصل إلا بعد جهد جهيد، وأمر شليد، فله الحمد وحده لا شريك له، وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضاً شديداً ومات رحمه الله.

وفي سابع عشر صفر وسع تنكز الطرقات بالشام ظاهر باب الحايبة، وخرب كل ما يضيئ الطرقات.

وفي ثاني ربيع الأول لبس علاء الدين بن القلاسي خلعاً سنياً لمباشرة نظر الدواوين، ديوان ملك الأمراء وديوان نظر المراسن عوضاً عن أمين الدين بن الصال ورجع ابن الصال إلى حجابة الديوان الكبير.

وفي يوم الخميس ثاني ربيع الأول لبس عماد الدين بن الشيرازي خلعاً من الأموي، عوضاً عن ابن مارجل عزل عنه لا إلى بدل عنه ويأشر جمال الدين بن الفورية نظر الأسرى عوضاً عن ابن الشيرازي.

وفي يوم الخميس آخر ربيع الأول لبس القاضي شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغني المقدسي خلعاً قضاء الخنابلة عوضاً عن عز الدين بن التقي سليمان توفي رحمه الله وركب من دار السعادة إلى الجامع، فقرأ تقليده تحت السر، بحضرة القضاة والأعيان، ثم ذهب إلى الجزيرة فحكم بها، ثم إلى الصالحية وهو لايس الخلعة، واستتاب يومئذ ابن أخيه التقي عبد الله بن شهاب الدين أحمد.

وفي سلخ ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنغا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب نائباً عليها، عوضاً عن أرغون توفي إلى رحمة الله، وقد تلقاه الناس والجيش.

وفي مستهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رميته بن أبي نمي إلى مكة، فقرأ تقليده بإمرة مكة من جهة السلطان، صحبة التجربة، وخلع عليه، وبايعه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل الكعبة، وقد كان وصول التجاريد إلى مكة في سابع ربيع الأول، فأتوا بباب المعلس، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطواف، وكانت الأسعار رخيصة معهم.

وفي يوم السبت سادس جمادى الآخرة خلع على القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان، ونظر جامع طولون، ونظر الناصرية، وهناه الناس، عوضاً عن التاج أبي إسحاق عبد الوهاب، توفي ودفن بالقرافة.

وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الأخنائي تدريس الصارمية وهو صغير، بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي، وحضرها في رجب، وحضر عنده الناس خدمة لأبيه.

وفي حادي عشرين جمادى الآخرة رجعت التجربة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين الجنيح، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياماً وأقاموا بمكة شهراً واحداً ويوماً واحداً وحصل للعرب منهم رعب عظيم شديد وخوف أكيد، وعزلوا عن مكة عطية، وولوا أخاه رميته، وصلوا وطافوا واعتصموا، ومنهم من أقام هناك ليحج.

وفي ثاني رجب خلع علي بن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال، عوضاً عن ابن الصليان توفي.

وفي أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزعج، كسر كثيراً من الأشجار والأغصان، وألقى بعض الحيطان والجدران، وسكن بعد ساعة بإذن الله.

فلما كان يوم تاسع سقط برد كبار مقدار بيض الحمام، وكسر بعض جامات الحمام.

وفي شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المعزية على شاطئ النيل، أنشأها الأمير سيف الدين طغرل، أمير مجلس الناصري، وكان الخطيب بها عز الدين عبد الرحمن بن الفرات الحنفي.

وفي نصف رمضان قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي بن الفاكهاني المالكي، فنزل عند القاضي الشافعي، وسمع عليه شيئاً من مصنفاته، وخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق.

وفي هذا الشهر وطئ سوق الخيل وركبت فيه حصباء كثيرة وعمل فيه نحو من أربعمئة نفس في أربعة أيام حتى ساووه وأصلحوه وقد كان قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة، وملقات، وفيه أصلح سوق الدقيق ظاهر باب الحايبة إلى الثابتة وسقف عليه السقوف.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره عز الدين أيك، أمير علم، وقاضيه شهاب الدين الظاهري.

ومن حج فيه شهاب الدين بن جهيل، وأبو النسر، وابن جملة، والفخر المصري، والصدور المالكي، وشرف الدين الكفري الحنفي، والهاء ابن إمام المشهد وجلال الدين الأعيالي ناظر الأيتام، وشمس الدين الكردي، وفخر الدين البعلبكي، ومجد الدين بن أبي الجذ، وشمس الدين بن قيم الجوزية، وشمس الدين بن خطيب يرو، وشرف الدين قاسم العجلوني، وتاج الدين ابن الفاكهاني، والشيخ عمر السلافي، وكتابه إسماعيل بن كثير، وآخرون من سائر المذاهب، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول: اجتمع في ركبتنا هذا أربعمئة فقيه، وأربع مدارس وخانقاه، ودار حديث، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً.

وكان في المصريين جماعات من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأخنائي، وفخر الدين التويزي، وشمس الدين بن الحارثي، ومجد الدين الأقصري، وشيخ الشيخ الشيخ محمد المرشدي.

وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي وكان من المشاهير.

وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي صحبة ابن التركماني، وأمير المصريين مغلطاي الجمالي الذي كان وزيراً في وقت، وكان إذا ذاك مريضاً، ومرمرنا بعين تبوك وقد أصحلت في هذه السنة، وصينت من دوس الجمال والجمالين، وصار ماؤها في غاية الحسن والصفاء والطيب، وكانت الوقفة

يوم الجمعة، ومطرنا في الطواف، وكانت سنة مرخصة آمنة.
وفي نصف ذي الحجة رجع تنكر من ناحية قلعة جعبر، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي من الأمراء المقدسين الكبار والضنار، وأظهر أبهة عظيمة في تلك النواحي.

وفي سادس عشر ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن القلاسي بجميع جهات أخيه جمال الدين، بحكم وفاته مضافة إلى جهاته، فاجتمع له من المناصب الكبار ما لم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار، فمن ذلك: وكالة بيت المال، وقضاء السكر، وكتابة الدست، ووكالة ملك الأمراء، ونظر المازستان، ونظر الحرمين، ونظر ديوان السيد، وتدريس الأمانة، والظاهرية والعصرونية، وغير ذلك من الوظائف.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (عز الدين بن سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسي).

قاضي القضاة عز الدين بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر المقدسي الخليلي، ولد سنة خمس وستين وستمائة، وسمع الحديث، واشتغل على والده واستتابه في أيام ولايته، فلما ولي ابن مسلم لزم بيته، يحضر درس الجوزية، ودار الحديث الأشرافية بالجبل، ويأوي إلى بيته، فلما توفي ابن مسلم ولي قضاء الخنابلة بعده نحواً من أربع سنين، وكان فيه تواضع وير، وقضاء لحوائج المسلمين. توفي يوم الأربعاء تاسع صفر، وكان يوماً مطيراً، ومع هذا شهد الناس جنازته، ودفن بترتهم رحمهم الله، وتولى المنصب بعده نائبه شرف الدين بن الحافظ، وقد قارب الثمانين.

وفي نصف صفر توفي: الأمير سيف الدين

■ قجليل: سيف النعمة، وقد كان سمع على الحجار ووزيره بالقنس الشريف.

وفي منتصف صفر توفي الأمير الكبير سيف الدين

■ أرغون بن عبد الله الدوادار الناصري، وقد عمل على نيابة مصر مدة طويلة، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب، فمكث بها مدة، ثم توفي بها في سابع عشر ربيع الأول، ودفن بترية اشتراها بحلب. وقد كان عنده فهم عظيم وفقه، وفيه ديانة وإتباع للشرعة، وقد سمع البخاري بالحجاز، وكتبه جميعه بخطه، وأذن له بعض العلماء في الإفتاء، وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وهو بمصر.

توفي ولم يكمل الخمسين سنة، وكان يكره اللّهُو رحمه الله، ولما خرج يلتقي نهر الساجور خرج في ذل ومسكنة، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد، ومنع المغاني من اللّهُو واللعب في ذلك رحمه الله.

القاضي ضياء الدين أبو الحسن

■ علي بن سليم بن ربيع بن سليمان الأذرعي الشافعي، تنقل في ولاية الأفضية بمدارس كثيرة، مدة ستين سنة، وحكم بطرابلس ونابلس وعجلون وحمص وزرع وغيرها، وحكم بدمشق نيابة عن القانوني نحواً من شهر.

وكان عنده فضيلة، وله نظم كثير، نظم التنبية في نحو ست عشرة ألف بيت، وتصحيحه في ألف وثلاثمائة بيت، وله مدائح وموالي وأزجال وغير ذلك.

■ عثمان بن معبد المغربي: تملك في وقت بلاد قابس ثم تغلب عليه جماعة فانزعروها منه، فقصده مصر فأقام بها وأقطع إقطاعاً، وكان يركب مع الجند في زى المغاربة متقلداً سيفاً، وكان حسن الهيئة، يواظب على الخدمة إلى أن توفي جمادى الأولى.

■ (أحمد بن محمد بن عبد الصمد السنباطي).

الإمام العالم ضياء الدين أبو العباس أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي، مدرس الحسامة، ونائب الحكم بمصر، وأعاد في أماكن كثيرة، وتنفق على والده، توفي في جمادى الآخرة، وتولى الحسامة بعد ناصر الدين التبريزي.

■ (ابن الدماضي).

الصدر الكبير تاج الدين الكارمي: المعروف بابن الدماضي، كان من أكابر تجار الكارمية بمصر، توفي في جمادى الآخرة، يقال: إنه خلف مائة ألف دينار، غير البضائع والأثاث والأموال.

الإمام العلامة فخر الدين

■ عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني الركناني الخفني، شرح فخر الدين هذا الجامع الكبير وألقى دروساً في مائة كراس، توفي في رجب، وله إحدى وسبعون سنة، كان شيخاً عالماً فاضلاً، موقراً، فصيحاً، حسن المفاكة، وله نظم حسن وولي بعده المنصورية ولده تاج الدين.

■ (عمر بن محمد بن عثمان بن السلوس).

تقي الدين عمر ابن الوزير شمس الدين: محمد بن عثمان بن السلوس، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة، ثم نشأ في الخدم، ثم طلبه السلطان في آخر وقت فؤاد، نظر الدواوين بمصر، فباشره يوماً واحداً، وحضر بين يدي السلطان يوم الخميس، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله، فما وصل إلى منزله إلا في عفة، ومات بكرة يوم السبت، سادس عشر ذي القعدة، وصلي عليه بجامع عمرو بن العاص، ودفن عند والده بالقرافة، وكانت جنازته حافلة.

■ (ابن القلاسي، جمال الدين أحمد).

جمال الدين أبو العباس: أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد الصميمي الدمشقي ابن القلاسي، قاضي العساكر، ووكيل بيت المال، ومدرس الأمانة وغيرها، حفظ التنبية، ثم انحر للرافعي، وكان يستحضره، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري، وتقدم لطلب العلم والرياسة، وياشر جهات كباراً، ودرس في أماكن، وتفرّد في وقته بالرياسة في البيت والمناصب الدينية والدنيوية.

وكان فيه تواضع، وحسن سمت، وتودد، وإحسان، ورسر بأهل العلم والفقراء والصالحين، وهو من أذن له في الإفتاء، وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البلديّة فأفاد وأجاد، وأحسن التعبير، وعظم في عني.

توفي يوم الاثنين، ثامن عشر ذي القعدة ودفن بترتهم بالفسح وقد سمع الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له فخر الدين البعلبكي مشيخة سمعتها عليه، رحمه الله.

ثم دخلت سنة اثنين وثلاثين وسبعمئة

استهلت وحكام البلاد هم هم.

وفي أولها فتحت القيسارية التي كانت مسبك الفولاذ جُوزًا باب الصغير حولها تنكر قيسارية ببركة.

وفي يوم الأربعاء ذكر الدرس بالأمنية والظاهرية علاء الدين بن القلانسي، عوضاً عن أخيه جمال الدين، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس في المصرية، تركها له عمه، وحضر عندهما جماعة من الأعيان.

وفي تاسع المحرم جاء إلى حمص سيل عظيم، غرق بسببه خلق كثير وجم غفير، وهلك للناس أشياء كثيرة، وبمن مات فيه نحو مائتي امرأة بحمام الناب، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعاً.

وفي صفر أمر تنكر بيباض الجدران المقابلة لسوق الخيل إلى باب الفرائس، وأمر بتجديد خان الظاهر، ففرم عليه نحواً من سبعين ألفاً.

وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة، فدفن بترته خارج باب شرقي.

وفي تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيمازية عماد الدين الطرسوسي الحنفي، عوضاً عن الشيخ رضى الدين المطيعي، توفي، وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي أول ربيع الآخر خلع على الملك الأفضل علي بن الملك المؤيد صاحب حماة، وولاه السلطان الملك الناصر مكان أبيه بحكم وفاته، وركب بمصر بالعصائب والشبابه والقاشية أمامه.

وفي نصف هذا الشهر سافر الشيخ شمس الدين الأصفهاني شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل البريد، وفارق دمشق وأهلها، واستوطن القاهرة.

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى خطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين آك ملك، واستقر فيه خطيباً نور الدين علي بن شبيب الحنبلي.

وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى الصعيد، فأحاطوا على نحو من خمسةة رجل بمن كان يقطع الطريق فأنكف بعضهم.

وفي جمادى الآخرة تولى شد الدواوين بدمشق نور الدين بن الحشاش، عوضاً عن الطرقي.

وفي يوم الأربعاء حادي عشر رجب خلع على قاضي القضاة علاء الدين ابن الشيخ زين الدين بن المنجا بقضاء الحنبلة، عوضاً عن شرف الدين بن الحافظ، وقرئ تقليده بالجامع، وحضر القضاة والأعيان.

وفي اليوم الثاني استناب برهان الدين الزرعي.

وفي رجب باشر شمس الدين موسى بن التاج أبي إسحاق نظر الجيوش بمصر، عوضاً عن فخر الدين كاتب الممالك نسوي، وباشر النشو مكانه في نظر الخاص، وخلع عليه بطرحة، فلما كان في شعبان عزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين، وصودروا وضرباً عظيماً، وتولى نظر الجيش الكين بن قرونة، ونظر الدواوين أخوه شمس الدين بن قرونة.

وفي شعبان كان عرس أنوك، ويقال: كان اسمه محمد ابن السلطان الملك الناصر، على بنت الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، وكان جهازها بألف ألف دينار، ونفخ في هذا العرس من الأغنام والدجاج والأوز والخيل والبقر وغير ذلك نحو من عشرين ألفاً، وعملت حلوى بنحو ثمانية عشر

ألف قطار، وحمل له من الشمع ثلاثة آلاف قطار، قاله الشيخ أبو بكر الرحي، وكان هذا العرس ليلة الجمعة، حادي عشر شعبان.

وفي شعبان هذا حول القاضي محي الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بدمشق، ونقل شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب عمود إلى كتابة السر بمصر، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية في خامس عشرين شعبان، وحضرها القضاة والأمراء، وخطب بها الشيخ زين الدين عبد النور المغربي، وذلك بإشارة الأمير حسام الدين البشمقدار الحاجب بالشام، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكي.

وفيه أمر نائب السلطنة بتبيض البيوت من سوق الخيل إلى ميدان الحصا، ففعل ذلك.

وفيه زادت الفرات زيادة عظيمة لم يسمع بمثلهما، واستمرت نحواً من اثني عشر يوماً، فأنكفت بالرجة أموالاً كثيرة، وكسرت الجسر الذي عند دير بشر، وغلت الأسعار هناك، فشرعوا في إصلاح الجسر، ثم انكسر مرة ثانية لطيفة.

وفي يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامي، وأميره سيف الدين أوران، وقاضيه جمال الدين بن الشريشي، وهو قاضي حمص الآن.

وحج السلطان في هذه السنة، وفي صحبته قاضي القضاة القزويني، وعز الدين بن جماعة، وموفق الدين الحنبلي، وسبعون أميراً.

وفي ليلة الخميس حادي عشرين شوال رسم على صاحب شمس الدين غريال بالدرسة النجبية الجوانية، وصودر وأخذت منه أموال كثيرة، وأفرج عنه في المحرم من السنة الآتية.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ

■ عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد ابن سلطان القرامزي، أحد المشايير بالعبادة والزهادة، وملازمة الجامع الأموي، وكثرة التلاوة والذكر، وله أصحاب يجلسون إليه، وله مع هذا ثروة وأملاك.

توفي في مستهل المحرم، عن خمس أو ست وثمانين سنة، ودفن بباب الصغير، وكان قد سمع الحديث، واشتغل بالعلم، ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات.

الملك

■ المؤيد صاحب حماة: عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه، والميئة، والطب، وغير ذلك، وله مصنفات عديدة، منها تاريخ حافل حسن مختصر في مجلدين وله العروض والأطوال والكلام على البلدان في مجلد كبير وله نظم الحواشي وغير ذلك. وكان يحب العلماء وشاكلهم، وشاركهم في فنون كثيرة، وكان من فضلاء بني أيوب، ولي ملك حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين، وكان الملك الناصر يكرمه ويعظمه، وولي بعده في الملك ولده الأفضل علي.

توفي في سحر يوم الخميس، ثامن عشرين المحرم، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة.

القاضي الإمام العالم أهدت تاج الدين أبو القاسم

توفي في سلخ رجب، رحمه الله.

الطيب الماهر الحاذق الفاضل أمين الدين

■ سليمان بن داود بن سليمان، كان رئيس الأطباء بدمشق، ومدرسهم مدة، ثم عزل بجمال الدين بن الشهاب الكحال مدة قبل موته، لأمر تفضيبت عليه فيه نائب السلطنة، توفي يوم السبت، سادس عشرين شوال، ودفن بالقبيبات.

الشيخ الإمام العالم المقرئ شيخ القراء برهان الدين أبو إسحاق

■ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعفري، ثم الحلبي الشافعي، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها، ولد سنة أربعين وستمئة بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق، وأقام ببلد الخليل نحواً من أربعين سنة يقرئ الناس، وشرح الشاطبية، وسمع الحديث، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ، وصنف في العربية والعروض والقراءات نظماً ونثراً. وكان من المشايخ المشهورين بالفصائل والرياسة، والخير والديانة، والعفة والصيانة.

توفي يوم الأحد، خامس شهر رمضان، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتون، وله ثنتان وتسعون سنة، رحمه الله.

■ (الأخائي، علم الدين أبو عبد الله بن محمد).

قاضي القضاة علم الدين أبو عبد الله بن محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رجة الأخائي السعدي، المصري الشافعي، الحاكم بدمشق وأعمالها كان عفيفاً، زهاً ذكياً، ساذجاً العبارة، محباً للفضائل، معظماً لأهلها، كثيراً الإسماع الحديث في العادلة الكبيرة. توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون عند زوجته، نجاه تربة العادل كتباً من ناحية الجبل.

قطب الدين

■ موسى بن أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامة ناظر الجيوش الشامية، كانت له ثروة وأموال كثيرة، وله فضل وإفضال، وكرم وإحسان إلى أهل الخير، وكان مقصداً في المهمات. توفي يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة، وقد جاوز السبعين، ودفن بترته نجاه الناصرية بقاسيون، وهو والد الشيخ الإمام العلامة عز الدين حمزة مدرس الحنبلية.

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء، والحكام هم المذكورون في التي قبلها، وليس للشافعية قاض، وقاضي الخنفة عماد الدين الطروسوسي، وقاضي المالكية شرف الدين المملاني، وقاضي الحنابلة علاء الدين بن المنجا، وكتب السر يحيى الدين بن فضل الله، وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي.

وفي ثامن المحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجارة، وياقتراب وصوله إلى البلاد، فدقت الباشائر، وزينت البلد، وأخبر البشير بوفاء الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده شهاب الدين أحمد، وهما راجعان في الطريق، بعد أن حجا قريبا من مصر: الولد أولاً، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام بعيون القصب، ثم نقلا إلى تربتهما بالقراقة، ووجد لبكتمر من الأموال والجواهر واللآلئ، والقماش والأمتعة والخواصل شيء كثير، لا يكاد يتحصر ولا ينضب، وأفرج عن صاحب شمس الدين غريسان في المحرم،

■ عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سنان بن عبد الله السعدي الفقيه الشافعي، سمع الكثير، وخرج لنفسه معجماً في ثلاث مجلدات، وقرأ بنفسه الكثير، وكتب الخط الجيد، وكان متقناً عارفاً بهذا الشأن.

يقال: إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد، وقد كان شافعياً مفتياً، ومع هذا ناب في وقت عن القاضي الحلبي، وولي مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية، وتوفي بمصر في مستهل ربيع الأول، عن ثنتين وثمانين سنة، رحمه الله.

الشيخ

■ رضي الدين بن إبراهيم بن سليمان: الخطيبي الحنفي، أصله من آب كرم، من بلاد قونية، وأقام بحماة ثم بدمشق، ودرس بالقيامية. وكان فاضلاً في المنطق والجدل، واشتغل عليه جماعة في ذلك، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة، وحج سبع مرات. توفي ليلة الجمعة، سادس عشرين ربيع الأول، وصلي عليه بعد الصلاة، ودفن بالصوفية.

وفي ربيع الأول توفي: الأمير علاء الدين

■ طيحا: ودفن بترته بالصاحبية

وكنى الأمير سيف الدين

■ دولات، ودفن بترته بالصاحبية أيضاً.

قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد

■ عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الهني المقدسي الحلبي، ولد سنة ست وأربعين وستمئة، وسمع الحديث واشتغل وحصل، وكانت له معرفة جيدة في اللغة والحديث وياشر نيابة ابن مسلم مدة، ثم ولي القضاء في السنة الماضية، ثم كانت وفاته فجأة في مستهل جمادى الأولى، ليلة الخميس، ودفن من الغد بتره الشيخ أبي عمر.

الشيخ

■ ياقوت الحشمي: الشافعي الإسكندراني، بلغ الثمانين، وكان له أتباع، وأصحاب، منهم شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعي، وكان يعظمه ويظهره، وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها، توفي في جمادى، وكانت جنازته حافلة جداً.

القيب فاضل الدين

■ محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدمشقي، تقيب المتعممين، تلمذ أولاً للشهاب المقرئ، ثم كان بعده في المحافل للعرزاء والهاء، وكان يعرف هذا الفن جيداً، وكان كثير الطلب من الناس، ويطلبه الناس لذلك، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة، توفي في أواخر رجب.

القاضي

■ فخر الدين كاتب الماليك: وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر، أصله قبلي، فأسلم وحسن إسلامه، وكانت له أوقاف كثيرة، ویر وإحسان إلى أهل العلم، وكان صدراً معظماً، حصل له من السلطان حظ وافر، وقد جاوز السبعين، وإليه تنسب الفخريه بالقنس الشريف.

توفي في نصف رجب، واحتيط على أمواله وأملاكه بعد وفاته رحمه الله.

الأمير سيف الدين

■ ألجائي البوادار الملكي الناصري: كان فقيهاً حنفياً فاضلاً، كتب بخطه أربعة، وحصل كتباً كثيرة معتبرة، وكان كثير الإحسان إلى أهل العلم،

وطلب في صفر إلى مصر، فتوجه على خيل البريد، واحتيط على أهله بعد سيره، وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال.
وفي أواخر صفر قدم صاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق، عوضاً عن غريال.

وبعد ب أربعة أيام قدم القاضي فخر الدين بن الحلبي على نظر الجيش، بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلامة.

وفي نصف ربيع الأول لبس ابن جملة خلعة القضاء للشافعية بدمشق بدار السعادة، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه، وذهب إلى العادلية، وقرأ نقله بها، بحضرة الأعيان، ودرس في العادلية والغزالية يوم الأربعاء، ثاني عشر الشهر المذكور.

وفي يوم الاثنين رابع عشره حضر ابن أخيه جمال الدين عمود إعادة القميرية نزل له عنها، ثم استنابه بعد ذلك في المجلس، وخرج إلى العادلية فحكم بها، ثم لم يستمر بعد ذلك، ثم عزل عن النيابة بيومه، واستتاب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسف الحسابي، وله همة، وعنده نزاهة، وخبرة بالأحكام.

وفي ربيع الأول ولي الأمير شهاب الدين قرطاي نيابة طرابلس، وعزل عنها طيبان إلى نيابة غزة، وتولى نائب غزة نيابة حمص، وحصل للذي جاء بتقاليدهم مائة ألف درهم منهم.

وفي ربيع الآخر أعيد القاضي محيي الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سر مصر، ورجع شرف الدين بن الشهاب عمود إلى كتابة سر الشام كما كان.

وفي منتصف هذا الشهر ولي تقاية الأشراف عماد الدين موسى الحسني، عوضاً عن أخيه شرف الدين عدنان، توفي في الشهر الماضي، ودفن بترتهم عند مسجد الذبان، وفيه درس الفخر المصري بالدولعية، عوضاً عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء.

وفي خامس عشر رجب درس باليازانية القاضي علاء الدين علي بن شريف، ويعرف بابن الوحيد، عوضاً عن ابن جهيل، توفي في الشهر الماضي، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكتب إذ ذاك بالقنس أنا والشيخ شمس الدين بن عبد الهادي وآخرون.

وفي رسم السلطان الملك الناصر بالنع من رمي البندق، وأن لا يتباع قسيه ولا تعمل، وذلك لإنساد رماة البندق أولاد الناس، وأن الغالب على من تعاناه اللواط والفسق وقلة الدين، ونودي بذلك في البلاد المصرية والشامية.

قال البرزالي: وفي نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة، فاضربوا وحسبوا ثم نفوا لإنسادهم حال النساء، فمات منهم أربعة تحت العقوبة، ثلاثة من المسلمين ونصراني، وكتب إلي بذلك الشيخ أبو بكر الرحبي.

وفي أول رمضان وصل البريد بتولية الأمير فخر الدين بن شمس لولؤ ولاية البر بدمشق، بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق في رمضان، يذكر فيه أنه وقعت صواعق ببلاد الحجاز، فقتلت جماعة متفرقين في أماكن شتى، وأمطار كثيرة جداً.

وجاء البريد في رابع رمضان بتولية القاضي محيي الدين بن جهيل قضاء طرابلس فذهب إليها، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية، عوضاً عن الأصهباني بحكم إقامته بمصر.

وفي آخر رمضان أفرج عن صاحب علم الدين، وأخيه شمس الدين

موسى بن التاج أبي إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً.

وخرج الركب الشامي يوم الخميس عاشر شوال، وأميره بدر الدين بن معبد، وقاضيه علاء الدين بن منصور مدوس الحنفية بالقنس بدمشق، وتكرر في الحجاج صدر الدين المالكي، وشهاب الدين الظهيري، ومحيي الدين بن الأعقف وآخرون.

وفي يوم الأحد ثالث عشره درس بالأتاكية ابن جملة، عوضاً عن ابن جهيل، تولى قضاء طرابلس.

وفي الأحد عشره حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التدمري، الذي كان في خطابة الخليل بدمشق، نيابة عن ابن جملة، وفرح الناس بدينه وقضيلته.

وفي ذي القعدة مسك تتكرر داوداره ناصر الدين محمد، وكان عنده بمكانة عظيمة جداً، وضربه بين يديه ضرباً مبرحاً، واستخلص منه أموالاً كثيرة، ثم حبسه بالقلعة، ثم نقاه إلى القنس، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد حاجب العرب، وقطع لسانه مرتين، ومات، وتغيرت الدولة، وجاءت دولة أخرى مقدمها عنه هزة، الذي كان سميته وعشيرته في هذه المرة المتأخرة، وإنزاحت النعمة عن الدواوير ناصر الدين وذويه ومن يليه.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذي القعدة ركب على الكعبة باب جديد، أرسله السلطان مرصعا من السط الأحمر كأنه آبنوس، مركب عليه صفائح من فضة، زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وكسر، وقلع الباب العتيق، وهو من خشب الساسم، وعليه صفائح تسلحها بنو شيبه، وكان زنتها ستين رطلاً، فباعوها كل درهم بدوهمين، لأجل التبرك، وهذا خطأ وهو ربا - وكان ينبغي أن يبيعوها بالنذهب لئلا يحصل ربا في ذلك - وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة، وعليه اسم صاحب اليمن في الفردتين، واحدة عليها: اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ العالم تقي الدين

■ محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدوقلي أبو الشاء البغدادي، حدث ببغداد منذ خمسين سنة، يقرأ لم الحديث.

وقد ولي مشيخة الحديث المستصربة، وكان ضابطاً عصباً بارعاً، وكان يعظ ويتكلم في الأعرية والأهنية، وكان فرداً في زمانه وبلاده رحمه الله.

توفي في المحرم، وله قريب السبعين سنة، وشهد جنازته خلق كثير، ودفن بترية الإمام أحمد، ولم يخلف درهما واحداً، وله قصيدتان، رثا بهما الشيخ تقي الدين بن تيمية، كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى.

الشيخ الإمام العالم عز القضاة فخر الدين أبو محمد

■ عبد الواحد بن منصور بن محمد بن النير المالكي الإسكندري، أحد الفضلاء المشهورين، له تفسير في ستة مجلدات، وقصائد في رسول الله ﷺ حسنة، وله في كان وكان، وقد سمع الكثير وروى، توفي في جمادى الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالإسكندرية رحمه الله.

■ ابن جماعة قاضي القضاة: العالم شيخ الإسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناشي، الحموي الأصل، ولد ليلة

الأمير عز الدين

■ إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن القواس، كان مباشراً الشد في بعض الجهات السلطانية، وله دار حسة بالعقبة، الصغيرة، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل مدرسة، وأوقف عليها أوقافاً، وجعل تدرسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي، توفي يوم الأربعاء عشرين ذي الحجة.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

استهلت يوم الأحد، وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها. وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالختونية البرانية، وخطب بها شمس الدين التجار، المؤذن المؤقت بالأموي، وترك خطابة جامع القابون.

وفي مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التميمي إلى القدس حاكماً به، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق.

وفي ثالث قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بخطابة القدس، فخلع عليه من دمشق، ثم سافر إليها.

وفي آخر ربيع الأول باشر الأمير ناصر الدين بن بكاش الحسامي شد الأوقاف، عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطيري، سافر بأمره إلى مصر أميراً، عند أخيه بدر الدين مسعود، وعزل القاضي علاء الدين بن القلانسي، وسائر الدواوين والمباشرين الذين في باب ملك الأمراء تكثر، وصردوا بمائتي ألف درهم، واستدعي من غرة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السني المستوفي، فباشر نظر ديوان النائب، ونظر المارستان النوري أيضاً على العادة.

وفي شهر ربيع الأول، أمر تكثر بإصلاح باب توما، فشرع فيه، فرفع بابه عشرة أذرع، وجددت حجارته وحديدته في أسرع وقت.

وفي هذا الوقت حصل بدمشق سيل، خرب بعض الجدران، ثم تناقص.

وفي أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب الكرك مجتازاً إلى طرابلس نائباً بها، عوضاً عن قرطاي، توفي.

وفي جمادى الأولى طلب القاضي شهاب الدين بن المجدد عبد الله إلى دار السعادة، فولي وكالة بيت المال، عوضاً عن ابن القلانسي، ووصل تقليده من مصر بذلك، وهناه الناس، وفيه طلب الأمير نجم الدين بن الزريق، من ولاية نابلس، فولي شد الدواوين بدمشق، وقد شغل منصبه شهراً بعد ابن الخشاب.

وفي رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر بن الصائغ بالقدس، عوضاً عن زين الدين بن جماعة، لإعراضه عنها، واختياره العود إلى بلده.

قضية القاضي ابن جملة

لما كان في العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضي ابن جملة وبين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء - وكان هو السفير في تولية ابن جملة القضاء - وقوع بينهما منافسة ومحاربة، في أمور كانت بينه وبين الدوادار المتقدم ذكره ناصر الدين، فحلف كل واحد منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه، وتفاضلا من دار السعادة في المسجد، فلما رجع القاضي إلى

السبت رابع ربيع الآخر، سنة تسع وثلاثين وستمئة بحماة.

وسمع الحديث، واشتغل بالعلم، فحصل فنوناً متعددة، وتقدم وساد أقرانه، وباشر تدريس القيصرية، ثم ولي الحكم والخطابة بالقدس الشريف، ثم نقل منه إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية، ثم باشر تدريس كبار بها في ذلك الوقت، ثم ولي قضاء الشام، وجمع له معه الخطابة، ومشيخة الشيوخ، وتدريس المعادلية، وغيرها مدة طويلة، كل هذا مع الرئاسة والديانة والصيانة والورع، وكف الأذى.

وله التصانيف الفائقة النافعة، وجمع له خطباً كان يخطب بها بطبيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره.

ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية، بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، فلم يزل حاكماً بها إلى أن أضر وكبر، وضعفت أحواله، فاستقال فأقبل، وتولى مكانه القزويني، وبقيت معه بعض الجهات، ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة، إلى أن توفي ليلة الاثنين بعد عشاء الأخرى، حادي عشرين جمادى الأولى، وقد أكمل أربعاً وتسعين سنة وشهراً وإياماً، وصلي عليه من الغد قبل الظهر، بالجامع الناصري بمصر، ودفن بالقرافة، وكانت جنازته حافلة هائلة، رحمه الله.

■ (أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن جهيل).

الشيخ الإمام الفاضل الزاهد مفتي المسلمين شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى الدين يحيى بن تاج الدين إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهيل الحلبي الأصل، ثم الدمشقي الشافعي، كان من أعيان الفقهاء.

ولد سنة سبعين وستمئة، واشتغل بالعلم، ولزم المشايخ، ولازم الشيخ الصلبي بن الوكيل، ودرس بالصلاحية بالقدس، ثم تركها وتحول إلى دمشق، فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة، ثم ولي مشيخة البادرية، فترك الظاهرية، وأقام في تدريس البادرية إلى أن مات، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما، توفي يوم الخميس بعد العصر، تاسع جمادى الآخرة، وصلي عليه بعد الصلاة، ودفن بالصوفية، وكانت جنازته حافلة.

تاج الدين

■ عبد الرحمن بن أيوب: مغسل الموتى في سنة ستين وستمئة، يقال إنه غسل ستين ألف ميت، وتوفي في رجب، وقد جاوز الثمانين.

الشيخ فخر الدين أبو محمد

■ عبد الله بن محمد بن عبد العظيم بن السقطي الشافعي، كان مباشراً شهادة الخزانة، وناب في الحكم عند باب النصر بمصر وجمع منسكاً كبيراً، ويقال: إنه شرح التنبيه أيضاً، وكانت وفاته في رمضان ودفن بالقرافة.

الإمام الفاضل مجموع الفضائل شهاب الدين أبو العباس

■ أحمد بن عبد الوهاب البكري، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كان لطيف المعاني، ناسخاً مطبقاً، يكتب في اليوم ثلاث كراريس، وكتب البخاري ثمان مرات، ويقابله ويجلده، ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه، وقد جمع تاريخاً في ثلاثين مجلداً، وكان ينسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف، وذكر أن له كتاباً سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً أيضاً، وبالجملة كان نادراً في وقته، توفي يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله.

الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك الكثير الحج

■ علي بن الحسن بن أحمد الواسطي المشهور بالخير والصلاح، وكثرة العبادة والتلاوة والحج، ويقال إنه حج أزيد من أربعين حجة، وكانت عليه مهابة، ولديه فضيلة، توفي وهو عرم يوم الثلاثاء، ثامن عشرين ذي القعدة، وقد قارب الثمانين، رحمه الله.

السعادة، وقرئ تقليد بحضرة نائب السلطنة والقضاة، ثم رجع إلى مدرسته الإقبالية فقرأ بها أيضاً، وحكم بين خصمين، وكتب على أوراق السائلين، ودرس بالمادلية والغزالية والأتابكية، مع تدريس الإقبالية، عوضاً عن ابن جملة.

وفي يوم الجمعة رابع الحجة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى، وفي صحبه صاحب حماة الأفضل، فتلقاهما تكثر وأكرمهما، وصليا الجمعة عند النائب، ثم توجهوا إلى مصر، فتلقاهما أعيان الأمراء، وأكرم السلطان مهنا بن عيسى، وأطلق له أموالاً جزيلة كثيرة، من الذهب والفضة والقماش، وأقطعته عدة قرى، ورسم له بالعود إلى أهله، ففرح الناس بذلك.

قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف دينار، وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلة.

وفي يوم الأحد سادس ذي الحجة حضر درس الرواحية الفخر المصري، عوضاً عن قاضي القضاة ابن المجد، وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء.

وفي يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبي الطيب بوكالة بيت المال، عوضاً عن قاضي القضاة ابن المجد، وعلى عماد الدين بن الشيرازي بالحسبة، عوضاً عن عز الدين بن القلانسي، وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الأجل التاجر الصدوق: بدر الدين

■ لؤلؤ بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس، وكان رجلاً حسناً، يتجر في الجوخ، مات فجأة عصر يوم الخميس، خاسم عمر، وخلف أولاداً وثروة، ودفن بباب الصغير، وله بر وصدقة ومعروف، وسُبح بمسجد ابن هشام.

■ (محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي العيش).

الصدر أمين الدين: محمد بن فخر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن أبي العيش الأنصاري الدمشقي، باني المسجد المشهور بالربوة، على حافة بردى، والطهارة الحجارة إلى جانبه، والسوق الذي هناك، وله بمجامع التيرب ميعاد، ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة، وسمع البخاري، وحدث به، وكان من أكابر التجار ذوي اليسار، توفي بكرة الجمعة سادس المحرم، ودفن بترته بقاسيون رحمه الله.

■ (عمر بن عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي الزهري).

الحطيط الإمام العالم: عماد الدين أبو حفص عمر بن الحطيط، ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد الله بن الحسن القرشي الزهري النابلسي، خطيب القدس، وقاضي نابلس مدة طويلة، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضاتها، وله اشتغال، وفيه فضيلة، وشرح صحيح مسلم في مجلدات، وكان سريع الحفظ، سريع الكتابة، توفي ليلة الثلاثاء، عاشر المحرم، ودفن بماملأ رحمه الله.

الصدر شمس الدين:

■ محمد بن إسماعيل بن حماد التاجر بقيسارية الشرب، كتب المنسوب، وانتفع به الناس، وولي مسرة التجار لأمانته وديانته، وكانت له معرفة ومطالعة في الكتب، توفي في تاسع صفر، عن نحو ستين سنة، ودفن

منزله بالمعادية أرسل إليه الشيخ الظهير، ليحكم فيه بما فيه المصلحة، وذلك عن مرسوم النائب، وكأنه كان خديعة في الباطن، وإظهار نصرة القاضي عليه في الظاهر، فبدر به القاضي بادي الرأي، فعززه بين يديه، ثم خرج من عنده فتسلمه أعوان ابن جملة، فطافوا به البلد على حمار، يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان، وضربوه ضرباً عنيفاً، ونادوا عليه: هذا جزاء من يكذب، ويفتات على الشرع، فتألم الناس له لكونه في الصيام.

وفي العشر الأخير من رمضان، ويوم سبعة وعشرين، وهو شيخ كبير صائم، يقال: إنه ضرب يومئذ الثنين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم، فما أمسى حتى استغنى على القاضي المذكور، وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب.

فلما كان يوم تاسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً، حافلاً بالقضاة وأعيان المفتين من سائر المناصب، وأحضر ابن جملة قاضي الشافعية، والمجلس قد احتفل بأهله، ولم يأذنوا لأبن جملة في الجلوس، بل قام قائماً ثم اجلس بعد ساعة في طرف الحلقة، إلى جانب المحفة التي فيها الشيخ الظهير، وادعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه، واعتدى عليه في العقوبة، وأفاض الحاضرون في ذلك، وانتشر الكلام، وفهموا من نفس النائب الحط على ابن جملة، والميل عنه بعد أن كان إليه، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضي شرف الدين المالكي بفسقه، وعزله وسجنه، فاتفق المجلس على ذلك، ورسم على ابن جملة بالعنزاوية، ثم نقل إلى القلعة جزاءً وفاقا والحمد لله وحده.

وكان له في القضاء سنة ونصف إلا أياماً، وكان يباشر الأحكام جيداً، وكذا الأوقاف المتعلقة به، وفيه نزاهة، وتميز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء، وفيه صرامة وشهامة وإقدام، لكنه أخطأ في هذه الواقعة، وتعدى فيها فآل أمره إلى هذا.

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال، وأميره الجيغسا، وقاضيه مجد الدين بن حيان المصري.

وفي يوم الاثنين رابع عشرين درس بالإقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطروسسي الحنفي، عوضاً عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصهباني بن العجمي الحطيطي، ويعرف بابن الحنبلي، وكان فاضلاً ديناً متقشفاً، كثير الوسوسة في الماء جدلاً، وأما المدرس مكانه، وهو القاضي نجم الدين بن الحنفي فإنه ابن خمس عشرة سنة، وهو في النباهة والفهم، وحسن الاشتغال والشكل والوقار، بحيث غبط الحاضرون كلهم إياه على ذلك، ولهذا آك أمره أن تولى قضاء القضاة في حياة أبيه، نزل له عنه، وحدث فيه سيرته وأحكامه.

وفي هذا الشهر أثبت محضر في حق الصاحب شمس الدين غريبال المتوفى في هذه السنة أنه كان يشتري أملاكاً من بيت المال، ويوفقها ويتصرف فيها تصرف الملاك لنفسه، وشهد بذلك كمال الدين بن الشيرازي، وابن أخيه عماد الدين، وعلاء الدين بن القلانسي، وابن خاله عماد الدين بن عز الدين بن القلانسي، وعز الدين بن المنجا، وتقى الدين بن مراجل، وكمال الدين بن الفورية، وأثبت على القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي، ونفذ بقية القضاة، وامتنع المحتجب عز الدين بن القلانسي من الشهادة، فرسم عليه بالعنزاوية قريباً من شهر، ثم أفرج عنه، وعزل عن الحسبة، واستمر على نظر الحزاة.

وفي يوم الأحد ثامن عشرين ذي القعدة حملت خلة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد وكيل بيت المال يومئذ، فلبسها وركب إلى دار

بقاسيون، رحمه الله.

■ سليمان بن عمر بن سالم بن عم الأفرعي.

جمال الدين قاضي القضاة الرزعي: هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأزرعي الشافعي، ولد سنة خمس وأربعين وستمئة بأذرع، واشتغل بدمشق فحصل، وناب في الحكم بزعم مدة فعرف بالزري لذلك، وإنما هو من أذرع، وأصله من بلاد المغرب، ثم ناب بدمشق، ثم انتقل إلى مصر، فتاب في الحكم بها، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة، ثم ولي قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة أيضاً، ثم عزل، وبقي على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الأتابكية، ثم تحول إلى مصر، فولي بها التدريس وقضاء المسكر، ثم توفي بها يوم الأحد، سادس صفر، وقد قارب التسعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالي مشيخة، سمعناها عليه وهو بدمشق، عن اثنين وعشرين شيخاً.

الشيخ الإمام العالم الزاهد: زين الدين أبو محمد

■ عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البلخي، أحد فضلاء الخنابلة، ومن صنف في الحديث والفقه، والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك، كان فاضلاً، له أعمال كثيرة، وقد وقعت له كاتبة في أيام الظاهر، أنه أصيب في عقله، أو زوال فكره، أو قد عمل على الرياضة فاحترق باطنه من الجوع، فرأى خيالات لا حقيقة لها، فاعتقد أنها أمر خارجي، وإنما هو خيال فكري فاسد.

وكانت وفاته في نصف صفر ببلبك، ودفن بباب سطحا، ولم يكمل الستين، وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب، وعلى القاضي الرزعي مما.

الأمير شهاب الدين

■ قرطاي: نائب طرابلس، له أوقاف وصدقات، وير وصلات، توفي بطرابلس يوم الجمعة، ثامن عشر صفر، ودفن هناك، رحمه الله.

الشيخ

■ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الإسعدي الموقت: كان فاضلاً في صناعة المقات، وعلم الاضطراب وما جرى مجراه، بارعاً في ذلك، غير أنه لا يتفجع به، لسوء اخلاقه وشراستها، ثم إنه ضعف بصره، فسقط من قيسارية بجسفي فمات عشية السبت، عاشر ربيع الأول، ودفن بباب الصغير.

الأمير سيف الدين

■ بلان طرنا بن عبد الله الناصري، كان من المتقدمين بدمشق، وجرت له فصول يطول ذكرها، ثم توفي بداره، عند متلثة فيروز، ليلة الأربعاء، حادي عشرين ربيع الأول، ودفن بقرية اتخذها إلى جانب داره، ووقف عليها مقبرتين، وربب عندها مسجداً بإمام ومؤذن.

شمس الدين

■ محمد بن يحيى بن محمد بن قاضي حوران: ناظر الأوقاف بدمشق، مات الليلة التي مات فيها الذي قبله، ودفن بقاسيون، وتولى مكانه عماد الدين الشيرازي.

الشيخ الإمام ذو القنون: تاج الدين أبو حفص

■ عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الإسكندراني، المعروف بابن الفاكهاني ولد سنة أربع وخمسين وستمئة، وسمع الحديث، واشتغل بالفقه على مذهب مالك، ويسرع وتقدم في معرفة النحو وغيره، وله مصنفات في أشياء متفرقة، قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة، في

أيام الأخنائي، فأنزل بالمعادية، وسمعنا عليه ومعه، وحج من دمشق عامت، وسمع عليه في الطريق، ورجع إلى بلاده، توفي ليلة الجمعة، سابع جمادى الأولى، وصلي عليه بدمشق حين بلغهم خبر موته.

الشيخ الصالح العابد الناصك: أمين الدين

■ أيمن بن محمد وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد بن محمد إلى سبعة عشر نفساً كلهم اسمه محمد، وقد جاور بالمدينة مدة ستين، إلى أن توفي الخميس، ثامن ربيع الأول بالمدينة، ودفن بالبقيع وصلي عليه بدمشق صلاة الغائب.

الشيخ نجم الدين القبايي الحموي:

■ عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى اللخمي القباي، قرية من قرى أشمون الرمان، أقام بحماة في زاوية، يزار ويلتمس دعاؤه، وكان عبداً، زاهداً ورعاً، أمراً بال معروف، نهياً عن المنكر، حسن الطريقة، إلى أن توفي بها آخر نهار الاثنين، رابع عشر رجب، عن ست وستين سنة، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً، ودفن شمالي حماة، وكان عنده فضيلة، واشتغل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وله كلام حسن يؤثر عنه، رحمه الله.

الشيخ فتح الدين

■ ابن سيد الناس: الحافظ العلامة البار، فتح الدين أبو الفتح محمد ابن الإمام أبي عمرو محمد ابن الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس، الربيعي البعمرى، الأندلسي الأشبلي، ثم المصري، ولد في العشر الأول من ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين وستمئة بالقاهرة، وسمع الكثير، وأجاز له الرواية عنهم جماعات من المشايخ، ودخل دمشق سنة تسعين، فسمع من أصحاب الكندي وغيرهم.

واشتغل بالعلم، فبرع وساد أقرانه في علوم شتى، من الحديث والفقه والنحو والعربية، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذي، وأبى منها مجلداً بخطه الحسن، وقد حرر وجبر، وأفاد وأجاد، ولم يسلم من بعض الانتقاد، وله الشعر الرائق الفائق، والثر الموفق، والبلاغة التامة، وحسن الترتيب والتصنيف والتعبير، وجودة البديهة، وحسن الطوية، وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار والاتقاء بالآثار النبوية، ويذكر عنه سوء أدب في أشياء أخر ساءه الله فيها، وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان.

وكان شيخ الحديث بالظاهرة بمصر، وخطب بجامع الخندق، ولم يكن في مصر في مجموعه مثله، في حفظ الأسانيد والمتون، والعلم والفقه، والملح والأشعار والحكايات.

توفي فجأة يوم السبت، حادي عشر شعبان، وصلي عليه من الغد، وكانت جنازته حافلة، ودفن عند ابن أبي حمزة، رحمه الله.

القاضي محمد الدين

■ حرمي بن قاسم بن يوسف العامري، القافوسي الشافعي، وكيل بيت المال، ومدرس الشافعي وغيره، كانت له همة ونهضة، وعلت سنة، وهو مع ذلك يحفظ ويشغل، ويلقي الدروس من حفظه، إلى أن توفي ثاني ذي الحجة، وولي تدريس الشافعي بعبد شمس الدين بن القماش والمدرسة القطبية بهاء الدين بن عقيل، وولي الوكالة نجم الدين الإسعدي المحتسب، وهو كان وكيل بيت الظاهر.

المسلمون لذلك.

وفي ذي الحجة خرب المسجد الذي كان في وسط الطريق بين باب النصر وبين باب الجابية، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة، وبني غريبه مسجد حسن أحسن وأرفع من الأول.

ومن توفي فيها من الأعيان

الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بجامع دمشق: برهان الدين

■ إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوائلي، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمئة، وسمع الحديث، وروى، وكان حسن الصوت والشكل، عيباً إلى العوام.

توفي يوم الخميس، سائس صفر، ودفن بباب الصغير، وقام من بعده في الرياسة ولده أمين الدين محمد الوائلي المحدث المقيد، وتوفي بعده ببضع وأربعين يوماً، رحمه الله.

■ (محمود بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمي).

الكتاب المطبق المجدد المخرور: بهاء الدين محمود ابن خطيب بعلبك محبي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمي، ولد سنة ثمان وثمانين وستمئة، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها، وتقدم على أهل زمانه قاطبة في النسخ وبقية الأقسام، وكان حسن الشكل، طيب الأخلاق، طيب الصوت، حسن التودد، توفي في سلخ ربيع الأول، ودفن بقرية الشيخ أبي عمر رحمه الله.

■ علاء الدين السنجاري: واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالي الأموي بدمشق، علي بن إسماعيل بن محمود، كان أحد التجار الصديق الأخيار، ذوي اليسار، المسارعين إلى الخيرات، توفي بالقاهرة، ليلة الخميس، ثالث عشر جمادى الآخرة، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين بن الحريري.

■ (عبد الرحيم بن عبد الرحمن الرحمي).

العدل نجم الدين التاجر: عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الرحمن الرحمي، بائي التربة المشهورة بالزرة، وقد جعل لها مسجداً، ووقف عليها أوقافاً داراً، وصدقات هناك، وكان من أخيار أبناء جنسه، عدل مرضي عند جميع الحكام، وترك أولاداً جمة، وداراً هائلة، وبساتين بالزرة، وكانت وفاته يوم الأربعاء، سابع عشرين جمادى الآخرة، ودفن بقرية المذكورة بالزرة، رحمه الله.

الشيخ الإمام الحافظ قطب الدين: أبو محمد

■ عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن علي بن عبد الحق، بن عبد الصمد بن عبد النور، الحلبي الأصل ثم المصري، أحد مشاهير المحدثين بها، والقائمين بحفظ الحديث وروايته وتلويته، وشرحه والكلام عليه.

ولد سنة أربع وستين وستمئة بحلب، وقرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث، وقرأ الشاطبية والألفية، وبرع في فن الحديث.

وكان حفي المذهب، وكاتب كثير، وصنف شرحاً لأكثر البخاري، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملهما، وتكلم على السيرة التي جمعها الحافظ عبد الغني، وخرج لنفسه أربعين حديثاً متبينة الإسناد.

وكان حسن الأخلاق، مطرحاً، للكلفة طاهر اللسان، كثير المطالعة والاشتغال، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب، ودفن من الغد مستهل

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمئة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها، وناظر الجامع عز الدين بن المنجا، والمختبب عماد الدين بن الشيرازي وغيرهم.

وفي مستهل الحرم يوم الخميس حضر الدرس بام الصالح الشيخ الصالح شمس الدين بن خطيب يبرود، عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين بن الجند، وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي سادس الحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان، فتلقاها النائب والجيش، وعاد إلى أهله في عز وعافية، وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه، وعمارة جامع مصر العتيق.

وقدم إلى دمشق القاضي جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين بن الأثير كاتب سرها، عوضاً عن شرف الدين ابن الشهاب محمود.

ووقع في هذا الشهر والذي بعده موت كثير في الناس بالخانوق.

وفي ربيع الأول مسك الأمير نجم الدين بن الزبيق مشد الدواوين، وصودر ويشت خيوله وحواسله، وتولاها بعده سيف الدين عمر مملوك بكتمر الحاجب، وهو مشد الزكاة.

وفيه كملت عمارة حمام الأمير شمس الدين حمزة، الذي كان قد تمكن عند تنكز بعد ناصر الدين الدواوير، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظلمه في عمارة هذا الحمام، فقبله النائب على ذلك، واتصف للناس منه، وضربه بين يديه، ورماه بالبنق بيده في وجهه، وسائر جسده، ثم أودعه القلعة، ثم نقله إلى بحيرة طبرية فغرقه فيها.

وعزل الأمير جمال الدين نائب الكرك عن نيابة طرابلس حسب سؤاله في ذلك، وراح إليها طينال، وقدم نائب الكرك إلى دمشق، وقد رسم له بالإقامة في صرخد، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل بدار السعادة، وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة، ثم نقل إلى صفد ثم إلى الإسكندرية، ثم كان آخر العهد به.

وفي جمادى الأولى احتيط على دار الأمير بكتمر الحاجب الحسامي بالقاهرة، ونبشت وأخذ منها شيء كثير جداً، وكان جد أولاد نائب الكرك المذكور.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الآخرة، باشر الأمير حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين ليك التجيبي مشد الأوقاف، عوضاً عن ابن بكشاش، اعتقل، وخلع على التولي، وهناه الناس.

وفي منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثماني، وهو من خز طوله ثمانية أذرع، وعرضه أربعة أذرع ونصف، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة، وعمل في مدة سنة ونصف.

وخرج الركب الشامي يوم الخميس تاسع شوال، وأميره علاء الدين المرسى، وقاضيه شهاب الدين الظاهري.

وفيه رجع جيش حلب إليها، وكانوا عشرة آلاف، سوى من تبعهم من التركمان، وكانوا في بلاد أذنة وطرسوس وإلباس، وقد خربوا وقتلوا وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين غوراً من ألفي رجل، يوم عبد الفطر، من التجار وغيرهم فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وفيه وقع حريق عظيم بمحمة، فاحترق منه أسواق كثيرة، وأهلاك وأوقاف، وهلك أموال لا تحصى، وكذلك احترق أكثر مدينة أنطاكية، فتالم

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبع مائة

شعبان، عند خاله نصر المنجي، وخلف تسعة أولاد، رحمه الله.
القاضي الإمام زين الدين أبو محمد:

■ عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي، قاضي الحلة، ووالد العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي، سمع من ابن الأنطاقي وابن خطيب الزرق، وحدث وتوفي ناسع شعبان، وتبعته زوجته ناصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي، ودفنت بالقرافة، وقد سمعت من ابن الصابوني شيئا من سنن النسائي وكذلك ابتها عملياً وقد توفيت قبلها.
تاج الدين

■ علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المصري، ويعرف بكتاب قطبك، وهو والد العلامة فخر الدين شيخ الشافعية، ومدرسهم في عدة مدارس، ووالده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالعدالية الصغيرة، ليلة الثلاثاء، ثالث عشرين شعبان، وصلي عليه من الغد بالجامع، ودفن بباب الصغير.

■ (عبد بن أبي الرجال بن حسين بن سلطان النفي).
الشيخ الصالح عبد الكافي: ويعرف بعبد بن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المنفي، ويعرف بابن أبي الأزرق، مولده في سنة أربع وأربعين وستمائة، بقرية من بلاد بعلبك، ثم أقام بقرية منين، وكان مشهوراً بالصالح وقرئ عليه شيء من الحديث، وجاوز التسعين.
الشيخ

■ محمد بن عبد الحق بن شعبان بن علي الأنصاري، المعروف بالشيخ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي، مشهورة به، وكان قد بلغ التسعين، وسمع الحديث وأسمعه، وكانت له معرفة بالأمور، وعنده بعض مكاشفة، وهو رجل حسن، توفي أواخر شوال من هذه السنة.
الأمير سلطان العرب: حسام الدين

■ مهنا بن عيسى بن مهنا، أمير العرب بالشام، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، من ذرية الولد الذي جاءه من العباسية أخت الرشيد فآله أعلم.

وقد كان كبير القدر، محترماً عند الملوك كلهم، بالشام، ومصر والعراق، وكان ديناً خيراً متحرراً للحق، وخلف أولاداً وورثة، وأموراً كثيرة، وقد بلغ سناً عالية.

وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حبا زائداً، هو وفريته وعريته، وله عندهم منزلة، وحرمة وإكرام، يسمعون قوله، ويمثلونه، وهو الذي نهامهم أن يغير بعضهم على بعض، وعرفهم أن ذلك حرام، وله في ذلك مصنف جليل.

وكانت وفاة مهنا هذا ببلاد سلمية في ثامن عشر ذي القعدة، ودفن هناك رحمه الله.

الشيخ الصالح الزاهد:

■ فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي: المقيم بالمسارية، أصله من بلاد خيران، وكان متقلداً من الدنيا، يلبس ثياباً طوالاً، وعمامة هائلة، وهي بأرخص الأثمان، وكان يعرف بتعبير الرويا، ويقصد لذلك، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، وقد عرضت عليه وظائف بجوامك كثيرة وأموال كثيرة فلم يقبلها، بل رضي بالرغيد الهني من العيش الخشن، إلى أن توفي في ذي الحجة، وله نحو تسعين سنة، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وكانت جنازته حافلة جداً.

استهلت بيوم الاثنين، والحكام هم المذكورون في التي قبلها.
وفي أول يوم منها ركب تنكر إلى قلعة جعبر، ومع الجيش والمجانيق... فغلبوا شهراً وخمسة أيام، ثم عادوا سالمين.
وفي ثامن صفر فتحت الحانقاه التي أنشأها سيف الدين قوصون الناصري، خارج باب القرافة، وتولى مشيختها الشيخ شمس الدين الأصهباني المتكلم.

وفي عاشر صفر خرج ابن جلة من السجن بالقلعة.
وجاءت الأخبار بموت ملك التار بو سعيد بن خرينا بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن تولي بن جنكزخان، في يوم الخميس، ثلثي عشر ربيع الآخر، بدار السلطنة بقراباغ، وهي متزلم في الشتاء، ثم نقل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريباً من السلطانية التي أنشأها أبوه، وقد كان من خيار ملوك التار، وأحسنهم طريقة، وأثبتهم على السنة وأقومهم بها، وقد عزز أهل السنة زمانه، وقلت الرافضة، بخلاف دولة أبيه، ثم من بعده لم يبق للتار قائمة، بل اختلقوا ففترقوا شذر منذر إلى زماننا هذا، وكان القائم من بعده بالأمم أربكاوون من ذرية أبغا، ولم يستمر له الأمر إلا قليلاً.

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية الشيخ نور الدين الأديلي، عوضاً عن كمال الدين بن الشيرازي توفي، وحضر عنده القضاة، وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الإمام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري، عوضاً عن بدر الدين الأديلي، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية.

وبعد يوم درس بالنجبية كاتبه إسماعيل بن كثير، عوضاً عن الشيخ جمال الدين بن قاضي الزيداني، تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان درساً حافلاً، أثنى عليه الحاضرون، وتعجبوا من جمعه وتربيته، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل.

وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزيداني، عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي توفي، وحضره عنده القضاة والأعيان، وكان يوماً مطيراً.

وفي أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بليدار مصر، واشتد ذلك إلى شهر شعبان، وتوجه خلق كثير في رجب إلى مكة نحو من ألفين وخمسمائة منهم عز الدين بن جماعة وفخر الدين التويري وحسين السلامي، وأبو الفتح السلامي، وخلق.

وفي رجب كملت عمارة جسر باب الفرج، وعمل عليه بأسورة وروسم باستمرار فتحه إلى بعد عشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب، وكان قبل ذلك يغلغ من المغرب.

وفي سلخ رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين بن خليخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب به الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية.

وفي ثاني شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضي علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل، عوضاً عن جمال الدين بن الأثير، عزل وراح إلى مصر.

وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر الدرس بالأمينية الشيخ الإمام

الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بترية له عند حمام العديم.

الأمير علاء الدين

■ **مغلطاي الحازن:** نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفري من الغرب، كان رجلاً جليلاً، له أوقاف، وبر وصداقات، توفي يوم الجمعة، بكرة عاشر صفر، ودفن بترية المذكورة.

القاضي كمال الدين:

■ **أحمد بن محمد بن محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشوزي الدمشقي،** ولد سنة سبعين، وسمع الحديث، وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري، والشيخ زين الدين الفارقي، وحفظ غنصر المزني، ودرس في وقت بالبادرائية، وفي وقت آخر بالشامية البرانية، ثم ولي تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته.

وكان صدراً كبيراً، ذكر لقضاء قضية دمشق غير مرة، وكان حسن المباشرة والشكل، توفي في ثالث صفر، ودفن بتريةهم بسفح قاسيون، رحمه الله.

الأمير

■ **ناصر الدين: محمد بن الملك المسعود جلال الدين بن عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل،** كان شيخاً مسناً، قد اعتنى بصحيح البخاري يختصره، وله فهم جيد، ولديه فضيلة، وكان يسكن المزة، وبها توفي ليلة السبت، خامس عشرين صفر، وله أربع وسبعون سنة، ودفن بتريةهم بالمزة رحمه الله.

■ (ابن القلاسي، علي بن محمد).

علاء الدين: علي بن شرف الدين محمد بن محمد بن القلاسي، قاضي العسكر ووكيل بيت المال، وموقع الدست، ومدلس الأمانة والظاهرة، وغير ذلك من المناصب، ثم سلبها كلها سوى التدريس، وبقي معزولاً إلى حين أن توفي بكرة السبت، خامس عشرين صفر، ودفن بتريةهم.

■ (ابن القلاسي، أحمد بن محمد بن أحمد العقيلي).

عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين: محمد بن أحمد بن محمود العقيلي، ويعرف بابن القلاسي، عتسب دمشق، وناظر الخزانة، كان عمود المباشرة، ثم عزل عن الحسبة، واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى، ودفن بقاسيون.

الشيخ

■ **علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد بن أحمد الحمصي: ثم الدمشقي** مؤذن الربوة حساً وأربعين سنة وله ديوان شعر وتعالق، وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها، وكان علولاً في دينه، توفي في جمادى الأولى أيضاً.

الأمير

■ **شهاب الدين بن برك: متولي دمشق،** شهد جنازته خلق كثير، توفي ثاني شعبان، ودفن بالصالحية، وأثنى عليه الناس.

الأمير

■ **فخر الدين بن الشمس لؤلؤ: متولي البر،** كان مشكوراً أيضاً، توفي رابع رمضان، وكان شيخاً كبيراً، توفي بستانه ببيت ليا، ودفن بترية هناك، وترك ذرية كثيرة، رحمه الله.

■ (إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن القيبراني).

عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين محمد ابن الوزير فتح الدين

العلامة بهاء الدين إمام المشهد، عوضاً عن علاء الدين بن القلاسي. وفي العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبي الطيب بنظر الخزانة، مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال، بعد وفاة ابن القلاسي بشهور.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال، وأميره قتلودمر الخليلي، ومن حج فيه قاضي طرابلس، محيي الدين بن جهيل، والفخر المصري، وابن قاضي الزبداني، وابن العز الحنفي، وابن غنام والسخاوي، وابن قيم الجوزية، وناصر الدين بن الربوة الحنفي.

وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التار في نصف رمضان قتل فيها خلق كثير منهم، وانتصر علي باشا وسلطانته الذي كان قد أقامه، وهو موسى كاؤون على أربا كاؤون وأصحابه، ققتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة، وجرت خطوط كثيرة طويلة، وضربت الباشا بدمشق.

وفي ذي القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا، بسبب إكماله الباطن، في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، ولم يكن قبل ذلك بطاقن.

وفي يوم الأربعاء سابع ذي الحجة ذكر الدرس بالشبلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضية عماد الدين الطرسوسي الحنفي، وهو ابن سبع عشرة سنة، وحضر عنده القضية والأعيان، وشكروا من فضيلته ونباهته، وفرحوا أكبه به.

وفيها عزل ابن القتيب عن قضاء حلب، ووليها فخر الدين ابن خطيب جبرين، وولي الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد ابن خطيب بيت الأبار، خلع عليه السلطان.

وفي ذي القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستنفي بالله وأهله، وأن يمنعوا من الاجتماع، قال أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور.

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان بو سعيد بن خريندا: وكان آخر من اجتمع شمل التار عليه، ثم تفرقوا من بعده.

الشيخ المعمر الرحلة البندجي شمس الدين

علي بن محمد بن مملود بن عيسى البندجي الصوفي، قدم علينا من بغداد شيخاً كبيراً راوياً لأشياء كثيرة، منها صحيح مسلم، والترمذي وغير ذلك، وعنده فوائد، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة، وكان والده محدثاً، فأسمعه أشياء كثيرة على مشايخ عتد، وكان موته بدمشق في سابع المحرم.

قاضي قضية بغداد: قطب الدين أبو الفضائل

■ **محمد بن عمر بن الفضل السيريزي الشافعي،** المعروف بالأخوين، سمع شيئاً من الحديث، واشتغل بالفقه والأصول، والمنطق والعربية، والمعاني والبيان.

وكان بارعاً في فنون كثيرة، ودرس بالمستصرية بعد العاقولي، وفي مدارس كبار، وكان حسن الخلق، سريع الخير على الفقراء والضعفاء، متواضعاً، يكتب حسناً أيضاً.

توفي في أواخر المحرم، ودفن بترية له عند داره ببغداد رحمه الله.

الأمير صارم الدين:

■ **إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر،** المعروف بالغزال، كانت له مطالعة، وعنده شيء من التاريخ، ويجاظر جيداً، ولما توفي يوم

عشرين ربيع الآخر، ولزم بيته.

وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة في جامعين بمصر، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيمن بن عبد الله الخطير، ومات بعد ذلك باني عشر يوما رحمه الله، والآخر أنشأته امرأة يقال لها الست حديق داية السلطان الناصر، عند قطرة السباع.

وفي شعبان سافر القاضي شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب في الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن القتيب البعلبكي.

وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة، مع ما يسده من نظر الأوقاف وغيره.

وفيه أمر الأمير ناظر القدس بطليخاناه ثم عاد إلى القدس.

وفي عاشر رمضان قدمت من مصر مقلعتان ألقان إلى دمشق، سافرتان إلى بلاد سيس، وفيهم علاء الدين، فاجتمع به أهل العلم، وهو من أفاضل الحنفية، وله مصنفات في الحديث وغيره.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين عاشر شوال، وأميره بهادر قبجق، وقاضيه نجمي الدين الطرابلسي مدرس الحمصية، وفي الركب تقي الدين شيخ الشيوخ، وعصام الدين بن الشيرازي، ونجم الدين الطرسوسي، وجمال الدين المرادوي، وصاحبه شمس الدين بن مفلح، والصدر المالكي، والشرف بن القيسراني، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعام، وجمال الدين بن الشهاب محمود.

وفي ذي القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سيس سبع قلاع، وحصل لهم خير كثير، ولله الحمد، وفرح المسلمون بذلك. وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار، انتصر فيها الشيخ حسن وذووه، وفي التاسع عشر من ذي الحجة تقي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذووه، وكانوا قريبا من مائة نفس إلى بلاد قوص، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم، فلما لاه وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان:

الشيخ علاء الدين بن غانم: أبو الحسن

■ علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي، أحد الكتاب المشهورين بالفضائل، وحسن الترتيل، وكثرة الأدب، والأشعار، والمروءة التامة.

مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة، وسمع الحديث الكثير، وحفظ القرآن والتبني، وياشر الجهات، وقصده الناس في الأمور المهمات، وكان كثير الإحسان إلى الخاص والعام.

توفي مرجعه من الحج في منزلة تبوك، يوم الخميس ثالث عشر المحرم، ودفن هناك رحمه الله، ثم تبعه أخوه

■ (أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي)

شهاب الدين أحمد في شهر رمضان، وكان أصغر منه سنا بسنة، وكان فاضلا أيضا، بارعا كثير الثبانة.

الشرف

■ محمود الحوري: المؤذن بالجامع الأموي، بنى حماما بالتراب، ومات في آخر المحرم.

■ (محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري).

الشيخ الصالح العابد: ناصر الدين محمد ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد

عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن نصر بن صغير بن القيسراني، أحد كتاب الدمست، وكان من خيار الناس، عيا للفقراء، والصالحين، وفيه مروءة كثيرة، وكتب بمصر، ثم صار إلى حلب كاتب سرها، ثم انتقل إلى دمشق، فأقام بها إلى أن توفي ليلة الأحد، ثالث عشر ذي القعدة، وصلي عليه من الغد بجامع دمشق، ودفن بالصوفية، عن خمس وستين سنة، وقد سمع شيئا من الحديث على الأبرقومي وغيره.

وفي ذي القعدة توفي

■ شهاب الدين بن القديسة، احدث بطريق الحجاز الشريف.

وفي ذي الحجة توفي الشمس

■ محمد المؤذن المعروف بالنجار، ويعرف بالقي، وكان يتكلم وينشد في المحافل، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبع مائة

استهلت بيوم الجمعة، والخليفة المستنفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر، ومنعه من الاجتماع بالناس.

ونائب الشام تنكر بن عبد الله الناصري.

والقضاة والمباشر هم المذكورون في التي قبلها، سوى كاتب السر فإنه علم الدين بن القطب، ووالي البر الأمير بدر الدين بن قطلوبك بن ششكير، ووالي المدينة حسام الدين طرطاي الجوزنداري.

وفي أول يوم منها يوم الجمعة وصلت الأخبار بأن علي باشا كسر جيشه، وقيل: إنه قتل.

ووصلت كتب الحجاج في الثاني والعشرين من المحرم، تصف مشقة كثيرة حصلت للحجاج، من موت الجمال، وإلقاء الأحمال، ومشي كثير من النساء والرجال، فلما لاه وإنا إليه راجعون، والحمد لله على كل حال.

وفي آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضي حسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي بغداد، والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان الكردي، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدي فأقاموا ثلاثة أيام، ثم توجهوا إلى مصر، فحصل لهم قبول تام من السلطان، فاستقضى الأول على الحنفية كما سيأتي، واستوزر الثاني، وأمر الثالث.

وفي يوم عاشوراء أحضر شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن اللبان الفقيه الشافعي إلى مجلس الحكم الجلال، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله ومجد الدين الأقصري شيخ الشيوخ، وشمس الدين الأصمهاني، فادعى عليه بأشياء منكورة من الحلول والاتحاد، والغلو في الفرقة، وغير ذلك، فآثر ببعضها، فحكم عليه بمجنن دمه، ثم توسط في أمره، وأبقيت عليه جهاته، ومنع من الكلام على الناس، وقام في صفه جماعة من الأمراء والأعيان، وفي صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم، أثلث دورا ودكاكين عديدة.

وفي ربيع الأول ولد للسلطان ولد، فدفنت البشائر بدمشق، وزينت البلد أياما.

وفي منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحجاب الساكن تجاه جامع كريم الدين طليخاناه، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، وله مقاصد حسنة صالحة، وهو في نفسه رجل جيد.

وفيه أفرج عن الخليفة المستنفي بالله، وأطلق من البرج، في حادي

قرأ التوبة في الفقه، ثم انقطع بمعية مرشد، واشتهر أمره في الناس، وحج مرات، وكان إذا دخل القاهرة يزدهم عليه الناس.
ثم كانت وفاته يوم الخميس، ثامن رمضان، ودفن بزاويته، وصلي عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها.
الأمير أسد الدين:

■ عبد القادر بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل، ولد سنة اثنتين وأربعين وستمئة، وسمع الكثير وأسمع، وكان يأتي كل سنة من مصر إلى دمشق، ويكرم أهل الحديث، ولم يبق من بعده من بني أيوب أعلى سناً منه، توفي بالرملة في سلخ رمضان، رحمه الله.
الشيخ الصالح القاضي:

■ حسين بن إبراهيم بن حسين الجاكمي الحكرمي، إمام مسجد هناك، ومذكر الناس في كل جمعة، ولديه فضائل، وفي كلامه نفع كثير، إلى أن توفي في العشرين من شوال، ولم ير الناس مثل جنازته ببلبار مصر، رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة

استهلت بيوم الأربعاء، والخليفة المستنفي منفي ببلاد قوص، ومعه أهله وذووه، ومن يلوذ به.

وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور.

ولا نائب ببلبار مصر ولا وزير، ونائبه بدمشق تنكر.

وقضاة البلاد ونوابها ومباشروها هم المذكورون في التي قبلها.

وفي ثالث ربيع الأول رسم السلطان بتفسير علي ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى اليوم يقيمون به.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة السر، وضرب وصودر، وتكب بسببه القاضي فخر الدين المصري، وعزل عن مدرسته البولعية، وأخذها، ابن جلة، والعادلية، الصغيرة بأمرها ابن القتيب، ورسم عليه بالمناوذة مائة يوم، وأخذ شيء من ماله.

وفي ليلة الأحد ثالث عشرين ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر، وأعقبها رعد و برق يرد بقدر الجوز، وهذا شيء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاولة تلك البلاد.

وفي عاشر جمادى الأولى استهل الغيث بمكة من أول الليل، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل، لم ير مثله من دهر طويل، فخرّب دوراً كثيرة، نحواً من ثلاثين أو أكثر، وغرق جماعة، وكسر أبواب المسجّد، ودخل الكعبة، وارتفع فيها نحواً من فراع أو أكثر، وجرى أمر عظيم حكاه الشيخ عفيف الدين الحطري.

وفي سابع عشرين من جمادى الأولى عزل القاضي جلال الدين القزويني عن قضاء مصر، واتفق وصول خبر موت قاضي الشام ابن المجدد بعد أن عزل بيسير، فولاه السلطان قضاء الشام، فسار إليها راجعاً عوداً على بدء، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية، وعزل قاضي الخنابلة تقي الدين، ورسم على ولده صر الدين بأداء ديون الناس إليهم، وكانت قريباً من ثلاثمائة ألف.

فلما كان يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام طلب السلطان أعيان الفقهاء إلى بين يديه، فسأله عن من

بن شداد بن ماجد بن مالك الجعفري ثم المصري، ولد سنة خمسين وستمئة بقلعة جعبر، وسمع صحيح مسلم وغيره، وكان يتكلم على الناس ويعظهم، ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره، وكان فيه صلاح وعبادة، توفي في الرابع والعشرين من المحرم، ودفن بزاويتهم عند والده خارج باب النصر.

الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق الحنفي:

■ أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف ابن قاضي الحصن، ويعرف بابن عبد الحق الحنفي، شيخ المذهب، ومدرس الحنفية وغيرها، وكان بارعاً، فاضلاً ديناً، توفي في ربيع الأول.
الشيخ عماد الدين:

■ إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المعتم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي الإمام العالم العابد، شيخ الخنابلة بها، ومفتيهم من مدة طويلة، توفي في ربيع الأول.

الشيخ الإمام العابد الناسك: محب الدين

■ عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي، سمع الكثير، وقرأ بنفسه، وكتب الطباقي، وانتفع الناس به.

وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسنة في الجامع الأموي وغيره، وله صوت طيب بالقراءة جداً، وعليه روح، وسكينة ووقار، وكانت مواعيد مفيدة يتفجع بها الناس، وكان شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية يحبه، ويجب قراءته.

توفي يوم الاثنين، سابع ربيع الأول، وكانت جنازته حافلة، ودفن بقاسيون، وشهد الناس له بالخير، رحمه الله تعالى، وبلغ حساً وخمسين سنة.
أحدث البارع الحاصل المقيد المخرج المجيد: ناصر الدين

■ محمد بن طغرل بن عبد الله الصوري، لبره الخوارزمي الأصل، سمع الكثير، وقرأ بنفسه، وكان سريع القراءة، وقرأ الكتب الكبار والصغار، وجمع وخرج شيئاً كثيراً، وكان بارعاً في هذا الشأن، رحل فأدركته ميتة بمحما، يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول، ودفن من الغد بمقابر طيبة رحمه الله.

■ (عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المعتم المقدسي).

شيخنا الإمام العالم العابد: شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المعتم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي، إمام مسجد الخنابلة بها، ولد سنة تسع وأربعين وستمئة وسمع الكثير.

وكان كثير العبادة، وحسن الصوت، عليه البهاء والوقار، حسن الشكل والسمت، قرأت عليه عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة مرجعنا من القلنس، كثيراً من الأجزاء والقوائد، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتي الخنابلة، وغيرهم، والمشهورين بالخير والصلاح.

توفي يوم الخميس، ثاني عشرين من ربيع الآخر. ودفن هناك، رحمه الله.

الشيخ

■ محمد بن عبد الله بن المجدد: إبراهيم المرشدي، المقيم بمعية مرشد، يفضده الناس للزيارة ويضيف الناس على حسب مراتبهم، ويتفق نفقات كثيرة جداً، ولم يكن يأخذ من أحد شيئاً فيما يئو للناس، والله أعلم بحاله. وأصله من قرية دهروط، وأقام بالقاهرة مدة، واشتغل بها، ويقال إنه،

ودرس بالإقالية، ثم الرواحية، وتربة أم الصالح، وولي وكالة بيت المال، ثم صار قاضي قضاة الشام إلى أن توفي، بمستهل جمادى الأولى بالمدسة العادلة، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

الشيخ الإمام العالم: زين الدين

■ محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد بن الرحل مدرس الشامية البرانية، والعنزاوية ولد بدمشق، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين.

وكان فاضلا بارعا فقيها أصوليا مناضرا، حسن الشكل، طيب الأخلاق، حسن التدرس، دينيا صينا، وناب في وقت بدمشق عن علم الدين الأخنائي في الحكم فحمدت سيرته.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء، تاسع عشر رجب، ودفن من الغد عند مسجد الذبان، في تربة لهم هناك، وحضر جنازته خلق كثير والقاضي جلال الدين، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان، وقدم بعده القاضي ابن عبد الحق بخمسة أيام، هو وأهله وأولاده أيضا.

وباشر بعده تدرس الشامية البرانية قاضي القضاة جمال الدين بن جملة، ثم كانت وفاته بعده بشهور، وذلك يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي:

توفي الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة: جمال الدين أبو الخاسن

■ يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن تمام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعي: المحمي والده بالمدسة المسروية، وصلى عليه عقيب الظهر يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون.

ومولده في أوائل سنة ثنتين وثمانين وستمئة، وسمع من ابن البخاري وغيره، وحدث، وكان رجلا فاضلا في فنون.

اشتغل وحصل، وأقضى وأعاد ودرس، وله فضائل جمة، ومباحث وفوائد، وهمة عالية، وحرمة وافرة، وفيه تردد وإحسان، وقضاء للحق، وولي القضاء بدمشق نيابة واستقلالاً، ودرس بمدراس كبار، ومات وهو مدرس الشامية البرانية، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله.

■ (ابن البارزي).

الشيخ الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم القاضي شمس الدين أبي الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله الجهني الحموي المعروف بابن البارزي، قاضي القضاة بحماة، صاحب التصانيف الكثيرة المقيمة في الفنون العديدة.

ولد في خامس رمضان، سنة خمس وأربعين وستمئة، وسمع الكثير، وحصل فنونا كثيرة، وصنف كتباً كثيرة جمة.

وكان حسن الأخلاق، كريم المحاضرة، حسن الاعتقاد في الصالحين، وكان معظما عند الناس، وقد أذن جماعة من الطلبة في الإنشاء، وعمي في آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم، وهو مع ذلك لا يقطع نظره عن المنصب.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء عشرين ذي القعدة، بعد أن صلى العشاء، والوتر، فلم تفته فريضة ولا نافلة، وصلى عليه من الغد ودفن بعقبة بعرين، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة رحمه الله.

الشيخ الإمام العالم: شهاب الدين

■ أحمد بن الرهان شيخ الخفعية بحلب، شارح الجامع الكبير، وكان رجلاً صالحاً مقطوعاً عن الناس، وانتفع الناس به، وكانت وفاته ليلة

يصلح للقضاء بمصر، فوقع الاختيار على القاضي عز الدين بن جماعة، فولد في الساعة الرابعة، وولى قضاء الخفعية لحسام الدين حسن بن محمد الغوري البغدادى قاضي بغداد، وخرجاً من بين يديه إلى المدسة الصالحية، وعليهما الخلع، ونزل عز الدين بن جماعة من دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ عماد الدين الدمياني فدرس فيها، وأورد حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، ر (١)، م (١٩٠٧) بسنده ونكلم عليه، وعزل نواب الحكم، واستمر بالنواوي الذي أشار بتوليته.

ولما كان يوم خامس عشرين منه ولى قضاء الحنابلة الإمام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي، عوضاً عن المعزول، ولم يبق من القضاة سوى الأخنائي المالكي.

وفي رمضان فتحت الصبابة التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين بن الصباب التاجر دار قرآن ودار حديث، وقد كانت غربة شنيعة قبل ذلك.

وفي رمضان باشر علاء الدين علي بن القاضي محي الدين بن فضل الله كتابة السر بمصر، بعد وفاة أبيه كما سأتي ترجمته، وخلع عليه وعلى أخيه بدر الدين، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان، ودعب أخوه شهاب الدين إلى الحج.

وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصر برد كالفيض وكالمران، فأنلف شيئا كثيراً، ذكر ذلك البرزالي، ونقله من كتاب الشهاب الدمياني.

وفي ثالث عشرين رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين العسجدي، عوضاً عن زين الدين الكتاني توفي، فأورد حديثاً من مسند الشافعي بروايته عن الجوالي بسنده، ثم صرف عنها في ذي الحجة بالشخ أثير الدين أبي حيان، فساق حديثاً عن شيخه ابن الزبير، ودعا للسلطان، وحضر عنده القضاة والأعيان، وكان مجلساً حافلاً.

وفي ذي القعدة حضر تدرس الشامية، البرانية قاضي القضاة شمس الدين بن التقي، عوضاً عن القاضي جمال الدين بن جملة توفي، وحضر عنده خلق كثير من الفقهاء والأعيان وكان مجلساً حافلاً.

وفي ثاني ذي الحجة درس بالعادلة الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضاً عن الشيخ شمس الدين بن التقي بحكم ولايته الشامية البرانية، وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي هذا الشهر درس القاضي صدر الدين ابن القاضي جلال الدين بالأنابكية، وأخوه الخطيب بدر الدين بالغرالية والعادلة نيابة عن أبيه.

ومن توفي فيها من الأعيان

■ (محمد بن عيسى بن الركناني).

الأمير الكبير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى بن الركناني: باني جامع المقياس بمصر في أيام وزارته بها، ثم عزل عنها أميراً إلى الشام، ثم رجع إلى مصر، فترفي بها في خامس ربيع الآخر، ودفن بالحسينية، وكان مشكوراً، رحمه الله.

قاضي القضاة شهاب الدين:

■ محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن علي الزُرَّازي، الإربلي الأصل، ثم الدمشقي الشافعي، قاضي قضاة الشافعية بدمشق، ولد سنة اثنتين وستين وستمئة، واشتغل وربع، وحصل، وأقضى سنة ثلاث وتسعين،

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

استهلت وسلطان الإسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، ولا نائب له ولا وزير أيضا بمصر، وقضاة مصر.

أما الشافعي قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة.

وأما الحنفي قاضي القضاة حسام الدين الغوري، حسن بن محمد.

وأما المالكي قاضي الدين الأحنائي.

وأما الحنبلي فموفق الدين بن نجاة المقدسي.

ونائب الشام الأمير سيف الدين تنكر.

وقضاة جلال الدين القزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية، والحنفي عماد الدين الطرسوسي، والمالكي شرف الدين المملاني، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي.

وما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السرية، وبناشر مشيخة الحديث بها الشيخ الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام محمد بن أحمد الذهبي، وقرر فيها ثلاثون محدثا، لكل منهم جزية وجامكية، كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز، وقرر فيها ثلاثون نفرا بقرؤون القرآن، لكل عشرة شيخ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين.

ورُتِبَ لها إمام، وقارئ حديث، ونواب، ولقارئ الحديث عشرون درهما وثمان أواق خبز، وجسات في غاية الحسن في شكاالتها وبنائها، وهي تجاه دار الذهب التي أشاعها الواقف الأمير تنكر، ووقف عليها عدة أماكن: منها سوق القشاشين بباب الفرج، طوله عشرون ذراعا شرقا وغربا، سماه في كتاب الوقف، ويندر زبدتين، وحمام بمحصر وهو الحمام القديم، ووقف عليها حصصا في قرايا أخرى، ولكنه تغلب على ما عدا القشاشين ويندر زبدتين، وحمام محصر.

وفيهما قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية، حاكما على دمشق وأعمالها، وفرح الناس به، ودخل الناس يسلمون عليه، لعلمه وديانته وأمانته، ونزل بالعادلية الكبيرة على عادة من تقدمه، ودرس بالفزالية والأتابكية، واستتاب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء، ثم استتاب ابن عمه أبا الفتح، وكانت ولايته الشام بعد وفاة القاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة.

ومن توفي فيها من الأعيان

في الحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

■ (عثمان بن علي بن عثمان الحلبي).

العلامة قاضي القضاة فخر الدين عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي، ابن خطيب جبرين الشافعي، ولي قضاء حلب، وكان إماما صنف شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه، وشرح البليغ لابن الساعاتي، وله فوائد غزيرة، ومصفات جليلة تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن التقي، ثم طلبه السلطان فمات هو وولده الكمال، وله بضع وسبعون سنة.

ومن توفي فيها:

الجمعة، ثامن عشرين من رجب، وكانت له معرفة بالقرآن والقراءات والعربية، ومشاركات في علوم آخر رحمه الله، والله أعلم.

القاضي يحيى الدين بن فضل الله كاتب السر: هو أبو المعالي

■ يحيى بن فضل الله بن الجلي بن دعبان بن خلف العلوي العمري، ولد في حادي عشر شوال، سنة خمس وأربعين وستمائة بالكرك، وسمع الحديث وأسمعه.

وكان صدرا كبيرا، معظما في الدولة، في حياة أخيه شرف الدين ويعده، وكتب السر بالشام والديار المصرية.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء، تاسع رمضان، بديار مصر، ودفن من الغد بالقرافة، وتولى المنصب بعده ولده القاضي علاء الدين، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب.

الشيخ الإمام العلامة: زين الدين ابن الكشاني، شيخ الشافعية، بديار مصر، وهو أبو حفص.

■ عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي الأصل.

ولد بالقاهرة، في حدود سنة ثلاث وخمسين وستمائة، واشتغل بدمشق، ثم رحل إلى مصر، واستوطنها وتولى بها بعض الأقضية بالحكر، ثم ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، فحدث سيرته، ودرس في مدارس كبار، وولي مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية.

وكان بارعا فاضلا، عنده فوائد جمة كثيرة جدا، غير أنه كان سعي الأخلاق، متقبضا عن الناس، لم يتزوج قط، وكان حسن الشكل، بهي المنظر، يأكل الطيبات ويلبس اللين من الثياب، وله فوائد وفرائد، وزوائد على الروضة وغيرها، وكان فيه استهتار ببعض العلماء فآله يسأحه.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء، المتصف من رمضان، ودفن بالقرافة، رحمه الله.

الشيخ الإمام العلامة: ركن الدين

■ ابن القزويني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل القرشي الهاشمي الجعفري، التونسي المالكي، المعروف بابن القزويني، كان من أعيان الفضلاء، وسادة الأكفاء، ممن جمع الفنون الكثيرة، والعلوم الغزيرة الدينية الشرعية والطبية، وكان مدرسا بالمتكوفة، وله وظيفة في المارستان المنصوري، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة، عن أربع وسبعين سنة ترك مالا وأثالثا كثيرا ورثه بيت المال.

والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قلت: وهذا آخر ما أروخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه، الذي ذيل به على تلخيص الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي وقد كانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم بمزلة خليص، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا، وكان فراغي من الانتفاء من تاريخه في يوم الأربعاء، العشرين من جمادى الآخرة، من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، أحسن الله خاتمتها آمين، وإلى هنا انتهى ما كتبه من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا ولله الحمد والملة، وما أحسن ما قال الحريري:

وإن نحمد عيًّا فندُ الخللَا فجلَّ من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن ضوء القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين.

ثم دخلت سنة أربعين وسبعائة

استهلت هذه السنة ولسطان المسلمين الملك الناصر، وولائه وقضاته المذكورون في التي قبلها، إلا الشافعي بالشام، فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي.

وما وقع من الحوادث العظيمة الماثلة أن جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم، وجمعا من بينهم مالا جزيلا، فلدغوه إلى راهبين قلما عليها من بلاد الروم، يحسنان صنعة النقط، اسم أحدهما ميلاني والآخر عازر، فعملا كمكاً من نقط، وتلففا حتى عملا لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك، فوضعوا في شقوق دكاكين التجار، في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكاكين من آخر النهار، بحيث لا يشعر أحد بهما، وهما في زي المسلمين، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والتار قد عمك في تلك الدكاكين، حتى تعلق في درابزينات المثانة الشرقية المتاخمة للسوق المذكور، وأحرق الدرابزينات، وجاء نائب السلطنة تنكر والأمراء أمراء الألو، وصعدوا المنارة وهي تشتعل ناراً، واحترسوا عن الجامع، فلم يله شيء من الحريق ولله الحمد والمثنة، وأما المثانة فإنها تفجرت أحجارها، واحترقت السقالات التي بذل السلام، فهلمت وأعيد بناؤها بمجارة جدد وهي المنارة الشرقية، التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم، كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام، والبلد محاصر بالدجال.

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من الغرب إلى القيسارية التي يعمل فيها سلاح للمسلمين من الأقواس فألقوا فيها النقط فأحترقت القيسارية بكملها، وبما فيها من الأقواس والعدد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتظاهر شر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس، واحترق جانب من المدرسة الأمنية، إلى جانب المدرسة المذكورة، وما كان مقصودهم إلا وصول النار إلى معبد المسلمين، فحال الله بينهم وبين ما يرومون، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد جزمهم الله خيرا.

ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤوس النصارى، فأمسك منهم نحو من ستين رجلا، فأخلوا بالمصادرات، والضرب والعقوبات، وأنواع المثلات، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال، وطاف بهم في أرجاء البلاد، وجعلوا يتمادون واحدا بعد واحد، ثم أحرقوا بالنار، حتى صاروا رماداً لعنهم الله، والله أعلم.

سبب مسك تنكر

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي الحجة جاء الأمير طشتمر من صفد مسرعا وركب جيش دمشق ملبساً، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعا إلى دار السعادة، وجاء الجيش فوقوا على باب النصر، وكان أراد أن يلبس ويقاتل فعزلوه في ذلك، وقالوا: المصلحة الخروج إلى السلطان سامعا مطيعا، فخرج بلا سلاح، فلما برز إلى ظاهر البلد الشف عليه الفخري وغيره، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة، فلما كان عند قبة يلجأ نزلوا، وقيده وخطياه من قصره، ثم ركب البريد وهو مقيد، وساروا به إلى السلطان، فلما وصل أمر بسميره إلى الإسكندرية، وساروا عن وداعة فافر ببعض، ثم عوقب حتى أقر بالباقي، ثم قتلوه، ودفنوه بالإسكندرية،

قاضي القضاة جلال الدين

■ محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، قدم هو وأخوه أيام التتر من بلادهم إلى دمشق، وهما فاضلان، بعد التسعين وستمئة، فدرس إمام الدين في تربة أم الصالح، وأعاد جلال الدين بالبدرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية، ثم تقلت بهما الأحوال إلى أن ولي إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق، انتزع له من يد القاضي بدر الدين بن جماعة، ثم هرب سنة قازان إلى الديار المصرية مع الناس فمات هنالك، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء، وخلت خطابة البلد سنة ثلاث وسبعمئة، فولجها جلال الدين المذكور، ثم ولي القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين، بعد أن عجز قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر في عينه.

فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تنقضب عليه السلطان الملك الناصر، بسبب أمور يطول شرحها، ونفاه إلى الشام، واتفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله كما تقدم، فواله السلطان قضاء الشام عوداً على يده، فاستتاب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذي هو خطيب دمشق، ثم كاتت وفاته في أوائل هذه السنة، ودفن بالصوفية، وكانت له يد طول في المعاني والبيان، ويفي كثيرا، وله مصنفات في المعاني، مصنف مشهور (اسمه التلخيص في علوم البلاغة) اختصر فيه المفتاح للسكاكي، وكان مجموع الفضائل، مات وكان عمره قريبا من السبعين أو جاوزها.

ومن توفي فيها رابع الحجة يوم الأحد:

الشيخ الإمام الحافظ علم الدين أبو محمد

■ القاسم بن محمد بن البرزالي، مؤرخ الشام، الشافعي.

ولد سنة وفاة الشيخ ابن أبي شامة، سنة خمس وستين وستمئة، وقد كتب تاريخاً، ذيل به على الشيخ شهاب الدين، من حين وفاته ومولد البرزالي، إلى أن توفي في هذه السنة، وهو محرم، ففصل وكفن ولم يستر رأسه، وحمله الناس على نعشه وهم يلبون حوله، وكان يوماً مشهوداً.

وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ، وخرج له الحديث شمس الدين بن سعد مشيخة لم يكملها، وقرأ شيئا كثيرا، وأسمع شيئا كثيرا، وكان له خط حسن، وخلق حسن، وهو مشكور عند القضاة، ومشايخ أهل العلم.

سمعت العلامة ابن تيمية يقول: نقل البرزالي نقر في حجر.

وكان أصحابه من كل الطوائف يحبون ويكرمون، وكان له أولاد ماتوا قبله، وكتبت ابنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلدا فقبله لها، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزني تحت القبة، حتى صارت نسختها أصلا مستمدا يكتب منها الناس.

وكان شيخ حديث بالنورية وفيها وقف كبة بدار الحديث النفيسة ويدار الحديث القرصية، وكان قارئ الحديث بدار الحديث الأشرافية على المزني ومن قبله ابن الشريشي، وكان يُعبد في الجامع وغيره، على كراسي الحديث.

وكان متواضعا، محبا إلى الناس، متوددا إليهم، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله.

المؤرخ شمس الدين

■ محمد بن إبراهيم الجزائري، جمع تاريخاً حافلا، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالزبي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله، وكان شيخا قد جاوز الثمانين، وثقل سمعه، وضعف خطه، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه مجد الدين.

وفي يوم الثلاثاء حملوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية.

وفي يوم صبيحة الأربعاء خامس عشرة ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنطا، ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصري، والحاج أرقطاي، وسيف الدين قطلوغا الفخري، وجماحة من الأمراء المقدمين، واجتمعوا بسوق الخيل، واستدعوا بمملوكي الأمير سيف الدين تنكز وهما جنغاي وطنغاي، فأمر بتوسيطهما فوسطا وعلقا على الخشب ونودي عليهما: هنا جزءا من تخمار على السلطان الناصر.

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة إسكندرية، قيل خنوقاً، وقيل مسموماً وهو الأصح، وقيل غير ذلك وتأسف الناس عليه كثيراً، وطال حزنهم عليه، وفي كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهبة، والصيانة، والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الإسلام، ومن إقامته على ذوي الجاهات وغيرهم، ويشند تأسفهم عليه رحمه الله.

وقد أخبر القاضي أمين الدين بن القلانسي رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين بن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء، ودخل مصر يوم الثلاثاء، ودخل الإسكندرية يوم الثلاثاء، وتوفي يوم الثلاثاء، وصلي عليه بالإسكندرية ودفن بمقبرتها في الثالث والعشرين من المحرم، بالقرب من قبر القباري، وكانت له جنازة جيدة.

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشنمر الذي مسك تنكز إلى دمشق، فتل بوطاة برزة بجيشه ومن معه، ثم توجه إلى حلب المحروسة نائباً بها، عرضاً عن الطنطا المنفصل عنها.

وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودي في البلدة بجنازة الشيخ الصالح العابد الناسك القدوة الشيخ محمد بن تمام توفي بالصالحية فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفري، واجتمع الناس لصلاة الظهر، فضايق الجامع المذكور أن يسبهم، وصلى الناس في الطرقات وأرجاء الصالحية، وكان الجمع كثيراً جداً، لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية مثلاً، لكثرة من حضرها من الناس رجالاً ونساء، وفيهم القضاة والأعيان، والأمراء وجهور الناس يقاربون عشرين ألفاً، وانتظر الناس نائب السلطنة، فاشتغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية، فصلى على الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفري، ودفن عند أخيه، في تربة بين تربة الموقف وبين تربة الشيخ أبي عمر رحمهم الله وليانا.

وفي أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق، زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين الزمي، شعبة يوم الثلاثاء، مستهل هذا الشهر، وصلي عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء، ودفنت بمقابر الصوفية غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله.

كانت عذبة النظر في نساء زمانها، لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقراءها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح، يعجز كثير من الرجال عن تجويده، وخشعت نساء كثيراً، وقرأ عليها من النساء خلق، وانتفعن بها وصلاحها ودينها وزهداها في الدنيا، وتقللها منها، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة، وكان الشيخ محسناً إليها مطيعاً، لا يكاد يخالفها لجه لها طبعاً وشرعاً، فرحمها الله وقدس روحها، ونور مضجعا بالرحمة آمين.

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين منه درس بلمدة الشيخ أبي عمر

ثم نقلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله، وقد جازز الستين، وكان عادلاً مهيباً، عفيف الفرج واليد، والناس في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة، فرحمه الله، وبلى بالرحمة ثراه.

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصغد، وجامع بنابلس وعجلون، وجامع بدمشق، ودار حديث بالقنس ودمشق، ومدرسة وخانقاه بالقنس، ورياط وسوق موقوف على المسجد الأقصى، وفتح شبكا في المسجد.

ومن توفي فيها من الأعيان

أمر المؤمنين

■ المستنكي بالله: أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي بن أمير المؤمنين المرشد بالله الهاشمي العباسي، البغدادى الأصل المصري المولد، مولده سنة ثلاث وثمانين وستمئة أو في التي قبلها، وقرأ واشتغل قليلاً، وعهد إليه أبوه بالأمر، وخطب له عند وفاة والده، سنة إحدى وسبعمئة، وفوض جميع ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر، وصار إلى غزو التتر، فشهد مصاف شقعب، ودخل دمشق في شعبان، سنة ثنتين وسبعمئة، وهو راكب مع السلطان، وجميع كبراء الجيش مشاة.

ولما أعرض السلطان عن الأمر وانتمز بالركك الشمس الأمراء من المستنكي أن يسلط من ينهض بالملك، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وعقد له اللواء، وألبسه خلعة السلطنة، ثم عاد الناصر إلى مصر، وعزز الخليفة في فعله، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص، فتوفي في هذه السنة في قوص، في مستهل شعبان.

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمئة

استهلت يوم الأربعاء، وسلطان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها، وليس في دمشق نائب سلطنة، وإنما الذي يد الأمور الأمير سيف الدين طشنمر، الملقب بالجيش الأخضر، الذي جاء بالقفيض على الأمير سيف الدين تنكز، ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صفد، فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده، وحواصل الأمير سيف الدين تنكز تحت الحوطة كما هي.

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء، الأمير سيف الدين بشتك الناصري ومعه برصيفا الحاجب، وطاشار الدويدار، ويثفرا ويثفا، فتل بشتك بالقصر الأبلق والميازين، وليس معه من مماليكه إلا القليل، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان، لما توهموا من عمالة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل، وللحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام، وتجهيزها للديار المصرية.

وفي صبيحة يوم الاثنين سادس دخل الأمير علاء الدين أطنطا إلى دمشق نائباً، وتلقاه الناس وبشتك، والأمراء المصريون، ونزلوا إلى عتبته، فقبلوا العتبة الشريفة، ورجعوا معه إلى دار السعادة، وقرئ تقليده.

وفي صبيحة يوم الاثنين ثالث عشرة مسك من الأمراء المقدمين أميران كبيران ألجي بغا العادلي، وطينغا حاجي، ورفعا إلى القلعة المنصورة، واحتيط على حواصلهما.

العشاء، ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أتوك، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين أبي بكر، ولقبه بالملك المنصور، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل، وكان قد ولي عليه الأمير علم الدين الجاولي، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجعيري، وشخص آخر من الجبابرة، ودفن كما ذكرنا، ولم يحضر ولده ولي جهده دفنه، ولم يخرج من القلعة ليلتذ عن مشورة الأمراء، لئلا يتخطئ الناس، وصلى عليه القاضي عز الدين بن جماعة إماماً، والجاولي، وليدغمش، أمير آخور والقاضي بهاء الدين أبو حامد ابن قاضي دمشق السبكي، وجلس الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالي أبو بكر على سرير المملكة.

وفي صبيحة يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمئة، بايعه الجيش المصري، وقدم القهري لأخذ البيعة من الشامين، ونزل بالقصر الأبلق، وبايع الناس للملك المنصور بن الناصر بن المنصور، ودقت البشار بالقلعة المنصورة بدمشق، صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين منه، وفرح الناس بالملك الجديد، وترحموا على الملك، ودعوا له، وتأسفوا عليه، رحمه الله.

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وسبعمئة

استهلت يوم الأحد، وسلطان الإسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالح.

ونائب الشام الأمير علاء الدين الطنينا، وقضاة الشام ومصر هم المذكورون في التي قبلها، وكذا المباشر من سوى الولاية.

شهر الله المحرم: ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله: وفي هذا اليوم بويع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان العباسي، وليس السواد وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة، وألبس خلمة سوداء أيضاً فجلسا وعليهما السواد، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة، مشتملة على أشياء من المواقف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخلع يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان، وكان يوماً مشهوراً.

وكان أبو القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك، وولى أبا إسحاق إبراهيم ابن أخي أبي الربيع، ولقبه الوائق بالله، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة، فعزله المنصور، وقرر أبا القاسم هذا، وأمضى العهد ولقبه المستنصر بالله كما ذكرنا.

وفي يوم الأحد ثامن المحرم مسك الأمير سيف الدين بشتك الناصري آخر النهار، وكان قد كتب تقليده بناية الشام، وخلع عليه بذلك وبرز نقله، ثم دخل على الملك المنصور ليودعه، فرحب به، وأجلسه، وأحضر طعاماً وأكلا، وتأسف السلطان على فراقه، وقال: تذهب وتركني وحدي، ثم قام لتوديعه، وذهب بشتك من بين يديه ثمانين خطوات أو نحوها، ثم تقدم إليه ثلاثة نفر، فقطع أحدهم سيفه من وسطه بسكين، ووضع الآخر يده على فمه وكفه الآخر، وقبوه، وذلك كله بمحضرة السلطان، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار، ثم قالوا لمالكة: اذهبوا أنتم فاتوا بمركوب الأمير غداً، فهو باث عند السلطان، وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة، وأمر

بفتح قاسيون الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي، في التدريس البكمري، عرضاً عن القاضي برهان الدين الزرعي، وحضر عنده المقاصة وكبار الخنابلة، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور، لكثرة المطر والوحل يومئذ.

وتكامل عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموي في العشر الأخير من رمضان، واستحسن الناس بنائها وإتقانها، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الإسلام منارة مثلها والله الحمد، ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية، التي ذكرت في حديث الثوراس بن سمعان في نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء في شرقي دمشق، فعمل لفظ الحديث انقلاب على بعض الرواة، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي يوم الثلاثاء سلب شهر شوال عقد مجلس دار العدل بدار السعادة، وحضرته يومئذ، واجتمع القضاة والأعيان على العادة، وأحضر يومئذ عثمان الدوكالي قبحه الله تعالى، وادعى عليه بغطائم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا عن ابن أبي الغزائر الثلمغاني، وقامت عليه البيعة بدعوى الإلهية لعنه الله، وأشياء أخر من التفتيش بالأنبياء ومخالطته أرباب الرب من الباجريفة وغيرهم من الاتحادية عليهم لعائن الله، ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الحنبلي، وتضمن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً، فادعى أن له ووافع وقوادح في بعض الشهود، فرد إلى السجن مقيداً مغلولاً مقبوحاً، أمكن الله منه بقرته وتأييده.

ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة أحضر عثمان الدوكالي المذكور إلى دار السعادة، وأقيم إلى بين يدي الأمراء والقضاة، وسئل عن القوادح في الشهود، فعجز فلم يقدر، وعجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم، فمثل القاضي المالكي الحكم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم حكم بإزاقه دمه وإن تاب، فأخذ المذكور فضربت رقبته، بدمشق يسوق الخيل، ونودي عليه: هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية، وكان يوماً مشهوراً بدار السعادة، حضر يومئذ خلق من الأعيان والمشايخ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ، وشيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي، وتكلما وحرصا في القضية جداً. وشهدا بزندقة المذكور بالاستمضاء، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية، وخرج القضاة الثلاثة المالكي والحنفي والحنبلي، وهم نفلوا حكمه في المجلس، فحضر قتل المذكور، وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذي القعدة أفرج عن الأميرين المعتقلين بالقلعة، وهما طنبغا طيخا حاجي وأخيفيا، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكر الذين تأخروا بالقلعة، وفرح الناس بذلك.

ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون

■ (محمد بن قلاوون).

في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قطولغا القهري، فخرج نائب السلطنة وعمامة الأمراء لتلقيه، وكان قدومه على خيل البريد، فأخبر بوفاء السلطان الملك الناصر، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره، وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد

والقضاة والأعيان والأمراء.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية قاضي القضاة تقي الدين السبكي، عرضاً عن شيخنا الحافظ جمال الدين المري، ومشيخة دار الحديث النورية، عرضاً عن ابنه رحمه الله.

وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر قائم في نصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذي بالكرك، وأنه يستخدم لذلك ويجمع الجميع فإله أعلم.

وفي العشر الثاني منه وصلت الجيوش صحبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري إلى الكرك، في طلب ابن السلطان الأمير أحمد.

وفي هذا الشهر كثر الكلام في أمر الأمير أحمد بن الناصر الذي بالكرك بسبب محاصرة الجيش الذي صحبه الفخري له، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر قائم بمجنب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد، وفي القيام بالمدافعة عن الأمير أحمد، ليصرف عنه الجيش، وترك حصاره، وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه، وتهايا نائب الشام بدمشق، ونادى في الجيش للمقتاه ومدافعتهم عما يريد، من إقامة الفتنة وشتق العصا، واهتم الجند لذلك، وتهايوا واستمعوا، ولحقهم في ذلك كلفة كثيرة، وانزعج الناس بسبب ذلك، وتخوفوا أن تكون فتنة، وحسبوا أن وقع قتال بينهم أن تقوم العشيرات في الجبال وحوران، وتتعطل مصالح الزراعات وغير ذلك.

ثم قدم من حلب حاجب السلطان في الرسالة، إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين ألتنبغا ومعه مشافهة، فاستمع لها، فبعث معه صاحب الميسرة أياك الساقى، فذهب إلى حلب، ثم رجعا في أواخر جمادى الآخرة، وتوجها إلى الديار المصرية، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه، حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر، ما عدا المنصور، وأن يغلي عن محاصرة الكرك.

وفي العشر الأخير من جمادى الأولى توفي مظفر الدين موسى بن مهنا ملك العرب، ودفن بدمشق.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفي الخطيب بدر الدين محمد ابن القاضي جلال الدين القزويني بدار الخطابة، بعد رجوعه من الديار المصرية كما قلنا، فخطب جمعة واحداً، وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى، ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاث جمع، وهو مريض إلى أن توفي يومئذ، وتأسف الناس عليه، لحسن شكله، وصباحة وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه، واجتمع الناس للصلاة عليه للظهر، فتأخر تجهيزه إلى العصر فعلى عليه بالجامع قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وخرج به الناس إلى الصوفية، وكانت جنازته حافلة جداً، فدفن عند أبيه، بالترية التي أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله.

وفي يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين ألتنبغا هو وجميع الجيش، قاصدين للبلاد الحلبية، للقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذي في الكرك، وخرج الناس في يوم شديد المطر كثير الوحل، وكان يوماً مشهوداً عصياً، أحسن الله العاقبة.

وأمر القاضي تقي الدين السبكي الخطيب المؤذنين بزيادة أذكاء على الذي كان منه فيهم الخطيب بدر الدين من التسييح والتحميد والتهليل

بمسك جماعة من الأمراء، وتسعة من الكبار، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملأكه، فيقال: إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار، وسبعمائة ألف دينار.

وفاء شيخنا الحافظ أبي الحجاج

■ المقي: تعرض أياماً يسيرة مرضاً لا يشغله عن شهود الجماعة، وحضور الدروس، وإسماع الحديث.

فلما كان يوم الجمعة حادي عشر صفر أسمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة، ثم دخل منزله ليتوضأ ويذهب للصلاة، فاعترضه في باطنه منقص عظيم، ظن أنه قولنج، وما كان إلا طاعون، فلم يقدر على حضور الصلاة، فلما فرغنا من الصلاة أخبرتنا بأنه منقطع، فذهبنا إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتد رعدة شديدة، من قوة الألم الذي هو فيه، فسأله عن حاله، فجميل يكرر الحمد لله، ثم أخبرني بما حصل له من المنص الشديد، وصلى الظهر بنفسه، ودخل إلى الطهارة، وتوضأ على حافة البركة، وهو في قوة الوجع، ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت.

فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك، لكن أخبرتنا بته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تغير ذعته قليلاً فقالت: يا أبة أذن الظهر، فذكر الله وقال: أريد أن أصلي، فيصم وصلى، ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي، حتى جعل لا يفيض بها لسانه، ثم قبضت روحه بين الصلاتين، رحمه الله يوم السبت ثاني عشر صفر، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة.

فلما كان من الغد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم، غسل وكفن، وصلى عليه بالجامع الأموي، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة، وخرج بجنازته من باب النصر، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين ألتنبغا ومعه ديوان السلطان، والصاحب وكتاب السر، وغيرهم من الأمراء، فوصلوا عليه خارج باب النصر، أمهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافعي، وهو الذي صلى عليه في الجامع الأموي، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية، فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله، عائشة بنت إبراهيم بن صديق، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله أجمعين وقد ترجمته في أول شرح البخاري.

كائنة غربية جداً

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه الأمر بالبيعة للملك الأشرف علاء الدين كجك بن الملك الناصر، وذلك بعد عزل أخيه المنصور، لما صدر عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها من شرب المسكر، وغشيان المنكرات، وتعاطي ما لا يليق به، ومعاشرة الخاصكية من المردان وغيرهم، فتصالحاً على خلعه كبار الأمراء، لما رأوا الأمر تناقم إلى الفساد العريض، فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان، فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الأمور فحيتذ خلعه الأمراء الكبار وغيرهم، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور، وسيروه إذ ذاك إلى قوص مضيقاً عليه، ومعه إخوة له ثلاثة، وقيل أكثر، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير، وناب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري، واستمرت الأمور على السداد، وجاءت البيعة إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء المذكور، وضربت البشار عشية الخميس، سنه ربيع الأول، وخطب له بدمشق يوم الجمعة بمحضرة نائب السلطنة

وأقام الفخري على خان لاجين، وخرج التعيشون بالصنائع إلى عندهم، وضربت اليشار بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء، مئاس عشر الشهر، وتودي بالبلد أن سلطانكم الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون، وثابكم سيف الدين قطلوقبا الفخري، وفرح كثير من الناس بذلك، وانضاف إليه نائب حشد، ويأبى نائب بعلبك، واستخدموا له رجالاً وجنداً، ورجع إليه الأمير سيف الدين سنجر الجمقلد رأس المينة بدمشق، وكان قد تأخر في السفر عن نائب دمشق علاء الدين الطنبا، بسبب مرض عرض له، فلما قدم الفخري رجع إليه ويأبى الناصر بن الناصر، ثم كاتب نائب حماة تقزدمر الذي نائب بمصر للملك المنصور، فأجابته إلى ذلك، وقدم على المعسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور، في عجم عظيم، وخزائن كثيرة، وقمل هائل.

وفي صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر.

وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، قدم نائب غزة الأمير آق سقر في جيش وهو قريب من ألفين، فدخلوا دمشق وقت الفجر، وغدوا إلى معسكر الفخري، فأنضافوا إليهم، ففرحوا بهم كثيراً، وصار في قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون.

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكابر التجار مطلوبون، بسبب أموال طلبها منهم الفخري، يقري بها جيشه الذي معه، ومبلغ ذلك الذي أراده منهم ألف ألف درهم، ومعه مرسوم الناصر بن الناصر يبيع أملاك الأمير سيف الدين قوصون، أتاك الملك الأشرف علاء الدين كجك، ابن الناصر التي بالشام، بسبب إنباه عن مبايعة الأمير أحمد بن الناصر، فأشار على الفخري من أشار بأن يباع للتجار من أملاك الخاص، ويجعل مال قوصون من الخاص، فرسم بذلك، وأن يباع للتجار قرية دومة قومت بألف ألف وخمسة ألف، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث، وتعرضوا عن ذلك بمواصل قوصون، واستمر الفخري بمن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والأجناد مقيمين بثنية العقاب، واستخدم من رجال البقاع جماعة كثيرة أكثر من ألف رام، وأميرهم يحفظ أنواء الطرق وأزف قنوم الأمير علاء الدين الطنبا بمن معه من عساكر دمشق، وجمهور الحليين وطائفة الطرابلسيين، وتأهب هؤلاء لهم.

فلما كان الحادي من الشهر اشترى أن الطنبا وصل إلى القسطل، وبعث طلأته فالتقت بطلائع الفخري، ولم يكن بينهم قتال ولله الحمد والمنة.

وأرسل الفخري إلى القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء، فخرجوا ورجع الشافعي من أثناء الطريق، فلما وصلوا أمرهم بالسعي بينه وبين الطنبا في الصلح، وأن يوافق الفخري في أمره، وأن يبيع الناصر بن الناصر، فأبى فردهم إليه غير مرة، وكل ذلك تمتع عليهم.

فلما كان يوم الاثنين رابع عشرة عند العصر جاء بريد إلى متولي البلد عند المعسكر من جهة الفخري، يأمره بفتح أبواب البلد، ففتحت الأبواب، وذلك لأن العساكر توجهوا وتوافقوا للقتال، فلنا لله وإننا إليه راجعون.

وذلك أن الطنبا لما علم أن جماعة قطلوقبا على ثنية العقاب دار الدورة من ناحية المعصرة، وجاء بالجيش من هناك، فاستلار له الأمير سيف الدين قطلوقبا الفخري بجماعته إلى ناحيته، ووقف له في طريقه، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد، وانزعج الناس انزعاجاً عظيماً، وغلقت القياس والأسواق، وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهب،

الكثير ثلاثاً وثلاثين، فزادهم السبكي قبل ذلك: استغفر الله العظيم ثلاثاً اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، كما أثبت ما في صحيح مسلم [٥٩١] (١٣٥) بعد صلاتي الصبح والمغرب بعد التسيح والتحميد والتكبير: اللهم أجرنا من النار [٥٠٩٧]، من كبرى (٩٣٩) سبعاً، فأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق [٣٥١٨]، من كبرى (١٠٢٣) ثلاثاً، وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله ﷺ، يتدئ الرئيس منفرداً، ثم يعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة، وصار ذلك سبباً لاجتماع الناس في صحن الجامع لاستماع ذلك، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعاً، ولكن طال بسبب ذلك الفصل، وتأخرت الصلاة عن أول وقتها، انتهى.

كائنة غريبة جداً

وفي ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلوقبا الفخري بظاهر دمشق، بين الجسورة وميدان الحصى، بالأطالاب الذين جالوا معه من البلاد المصرية، لمحاصرة الكرك، للقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر، فمكثوا على الثنية محاصرين مضيقين عليه، إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب، ومضت هذه الأيام المذكورة، فما درى الناس إلا وقد جله الفخري وجوعه، وقد بايعوا الأمير أحمد، وسموه الناصر بن الناصر، وخلعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك، واعتلوا بصغره، وذكروا أن أتاك الأمير سيف الدين قوصون الناصري قد عدى على إبنى السلطان، فقتلها ختناً ببلاد الصعيد: جهز إليهما من ثوبى ذلك، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان، فتكر الأمير بسبب ذلك، وقالوا: هذا يريد أن يتاح هذا البيت، ليتمكن هو من أخذ المملكة، فحموا لذلك ويأبى ابن أستاذهم، وجعلوا في الذعاب خلف الجيش، ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكابر والقضاة والمباشرين، مثل والي البر، ووالي المدينة، والمهمندار وغيرهم.

فلما كان الصبح خرج أهالي دمشق عن بكرة أبيهم، على عاداتهم في قدوم السلاطين، ودخل الحجاج، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه، وخرج القضاة والصاحب، والأعيان والولاة وغيرهم، ودخل الأمير سيف الدين قطلوقبا في دست نيابة السلطنة التي فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعي، وعن شماله الحنفي على العادة، والجيش كله محلق به في الحديد، والقنارات، والبرقات، والشبابية السلطانية، والسناجق الخليفية، والسلطانية تحنق، والناس في الدعاء والثناء للفخري، وهم في غاية الاستبشار والفرح، وربما نال بعض جهلة الناس من النائب الآخر الذي ذهب إلى حلب، ودخلت الأطالاب بعده على ترتيبهم، وكان يوماً مشهوداً، فزل شرقي دمشق، قريبا من خان لاجين ويمت في هذا اليوم فرسم على القضاة والصاحب، وأخذ من أموال الأيتام وغيرها خمسة آلاف، وعرضهم عن ذلك بقرية من بيت المال، وكتب بذلك سجلات، واستخدم جنداً، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة، منهم عمر الساقى مقدم، وابن قراستقر، وابن الكامل، وابن المعظم، وابن البلدي وغيرهم، ويأبى هؤلاء كلهم مع مباشري دمشق للملك الناصر بن الناصر،

الكاتبة سني مشكور ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبا حتى خيف عليه منه وخاطر بنفسه معه فاتمحه الله مقصده وسلمه منه وكبت عدوه ولله الحمد والمنة.

وفي يوم السبت السادس والعشرين منه قلد قضاء العساكر المنصورة الشيخ نور الدين بن الصانع عوضا عن القاضي الحنفي الذي كان مع النائب المفصل وذلك أنهم تقموا عليه إفتاء الطنبا بقتال الفخري وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وذلك لأنه من أخص من صحبه قديما وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوما.

وفي يوم الأربعاء سلخ رجب آخر النهار قدم الأمير قماري من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبا ففرح بذلك وأخبر قماري بقدم السلطان ففرح الناس بذلك واستعدوا له بالآلات الملوك وكثرت مطالبته لأرباب الأموال والذمة بالجزية.

وفي مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخري في دست النياية بالمركب المنصور وهو أول ركوبه فيه وإلى جانبه قماري وعلى قماري خلعة هائلة وكثر دعاء الناس للفخري يومئذ وكان يوما مشهورا.

وفي هذا اليوم خرج جماعة من المقيمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى: منهم تفرذدم وأقبا عبد الواحد وهو الساقى ومنكلي بغا وغيرهم.

وفي يوم السبت ثالثة استدعى الفخري القاضي الشافعي وألح عليه في إحضار الكتب المعقلة في سلة الحكم التي كانت أخذت من عند الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين القزويني فأحضرها القاضي بعد جهد ومداغة وخاف على نفسه منه فقبضها منه الفخري بالقصر وأذن له بالانصراف من عنده وهو متغضب عليه وربما هم بعزله لمانعته إياها وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة فقال الفخري: كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم واستشر الفخري بإحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن والشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعي مشكور فيها فهاتهما بإحضاره الكتب ويئت الكتب تلك الليلة في خزائنه للترك وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر وأكرمه الفخري إكراما زائدا لحجة الشيخ رحمه الله.

وفي يوم الأحد رابعه دقت البشار بالقلعة وفي باب الميدان لقدم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلموه إلى قوصون وطلب منهم أن ينظر في أمره ودرهم إلى دمشق.

وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخري من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف وصور أهل الذمة بقرب من ذلك زيادة على الجزية التي أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتعجلا ثم نودي في البلد يوم الاثنين الحادي والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخري برفع الغلاطات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة الكثيرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخاص والبرهان بن بشاره الحنفي تحت المصادرة والعقوبة على طلب المال الذي وجدته في طميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم.

فركب متولي البلد الأمير ناصر الدين بن بكتاش ومعه أولاده ونوابه والرجالة، فسار في البلد، وسكن الناس ودعوا له، فلما كان قريب المنسرب فتح لهم باب الجابية، ليدخل من هو من أهل البلد، ودخل من هو من أهل البلد فجرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة، وتسخط الجند على الناس في هذه الليلة واتفق أنها ليلة الميلاد، وبات المسلمون مهمومين بسبب العسكر واختلافهم، فأصبحت أبواب البلد مغلقة في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية، والأمر على ما هو عليه.

فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان، واجتمع الطنبا وأمرأؤه، واتفق أمراء دمشق وجهودهم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلحا، ولا يسلبوا في وجه الفخري وأصحابه سيفا، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مرارا للصالح، فأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه، وقويت نفسه عليه، انتهى، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

عجبية من عجائب الدهر

قبات الناس متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة وكانت ليلة مطيرة فما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبا إلى الفخري خلق كثير من أجناد الحلقة ومن الأمراء والأعيان وطلعت الشمس وارتفعت قليلا فنفذ الطنبا القضية وبعض الأمراء إلى الفخري يتهدده ويتوعده ويقوي نفسه عليه فما ساروا عنه قليلا حتى ساقطت العساكر من الميمنة واليسرة ومن القلب ومن كل جانب مقفرين إلى الفخري وذلك لما هم فيه من ضيق العيش وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وعلف النواب وكثرة ما معهم من الكلف فراوا أن هذا حال يطول عليهم ومقتوا أمرهم غاية اللقت وتطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيما لا يجدي عليه ولا عليهم شيئا فبايعوا على المخامرة عليه فلم يبق معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة.

فلما رأى الحال على هذه الصفة كثر راجعا هاربا من حيث جاء وصحبه الأمير سيف الدين أرقطاي نائب طرابلس وأميران آخران والتقت العساكر والأمراء وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جدا الرجال والنساء والولدان حتى من لا نوبة له ودقت البشائر بالقلعة المنصورة فأرسلوا في طلب من هرب وجلس الفخري هنالك بقية اليوم يحلف الأمراء على أمره الذي جاء له فحلفوا له ودخل دمشق عشية يوم الخميس في أبهة عظيمة وحرمة وافرقة فنزل القصر الأبلق ونزل الأمير تفرذدم بالميدان الكبير ونزل قماري بدار السعادة وأخرجوا الموسوي الذي كان معتقلا بالقلعة وجعلوه مشا على حوطات حواصل الطنبا وكان قد تغضب الفخري على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين البشمقار أمير حاجب بسبب أنه صاحب لعلاء الدين الطنبا فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ولكن لم يأت الفخري بل دخل البلد فتوسط في الأمر: لم يذهب مع ذاك ولا جاء مع هذا ثم إنه استدرك ما فاتة فرجع من الباد إلى الفخري وقيل بل رسم عليه حين جاء وهو مهموم جدا ثم إنه أعطي منديل الأمان وكان معهم كاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله ثم أفرج عنهم ومنهم الأمير سيف الدين حنفي وكان شديدا الحقن عليه فأطلقه من يومه وأعاده إلى الحجوبية وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ورياسة كبيرة.

وكان للقاضي علاء الدين بن التجنا قاضي قضاة الحنابلة في هذه

الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام هذا والجيش صامدون إليه. فلما تحقق دخوله مصر حشوا في السير إلى الديار المصرية وبعث يستحثهم أيضاً واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون صحة نائبه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ولهذا لم تدق البشار بالقتال الشامية ولا غيرها فيما بلغنا.

وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة سعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستنفي فوق المنبر وهما لاسان السواد والقضاة تحكما على درج المنبر بحسب منازلهم فخطب الخليفة وخلع الأشرف كجك وولى هذا الناصر وكان يوما مشهورا واشتهى ولايته لظنتم نيابة مصر والفخري دمشق وليدغمش حلب قاله أعلم.

ودقت البشار بدمشق ليلة الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذي القعدة وزيت البلد يوم الأحد ثالث عشرين منه واحتفل الناس بالزينة.

وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين أتمك أحد رؤوس المشورة بمصر إلى دمشق في طلب نيابة حماة حرصها الله تعالى.

فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحمص الأخضر مسك فتعجب الناس من هذه الكاتبة كثيرا فخرج من بدمشق من أعيان الأمور إلى الحاج أتمك وقد خيم بوطاة بركة وخرج إلى الحج أمير فأخبروه بذلك وأمره عن مرسوم السلطان أن يتوب بدمشق حتى يأتي المرسوم بما يعتملونه فأجاب إلى ذلك وركب في المركب يوم السبت السادس والعشرين منه.

وأما الفخري فإنه لما تنسم هذا الخبر وتحققه وهو بالزقة فرقى طائفة من عماليكه قريب من ستين أو أكثر فاخترق وساق سوقا حشيا وجاءه الطلب من وراءه من الديار المصرية في نحو من ألف فارس صحة الأميرين: أطنغا المارداني ولبغا اليحياوي فقاتهما وسبق واعترض له نائب غزة في جندته فلم يقتل عليه فسلطوا عليه العشيرات يهبونه فلم يقتلوه عليه إلا في شيء يسير وقتل منهم خلفا وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير علاء الدين ليدهمشت نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافق على ما قام بنفسه فلما وصل إليه أكرمه وأنزله ويات عنده فلما أصبح قبض عليه وقيدته ورده على البريد إلى الديار المصرية ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم.

ولما كان يوم الاثنين سلخ ذي القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية في طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ومعه أموال جزيلة وحواصل وأشياء كثيرة فدخلها يوم الثلاثاء من ذي الحجة وصحبته طشتمر في عفة عمرضا والفخري مقيداً فاعتقلا بالكرك المحروس وطلب السلطان آلات من اختشاب ونحوها وحدادين وصناعاً ونحوهما لإصلاح مهمات بالكرك وطلب أشياء كثيرة من دمشق فحملت إليه.

ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصدد ركب في عماليكه وخدعه ومن أطاعه وخرج منها فأرا بنفسه من القبض عليه وذكر أن نائب غزة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من الكرك فهرب الأحمدي بسبب ذلك ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب اتزعج الأمراء

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر وودعهم وقتا آخر فرجعوا وخرج الفخري لتلقهم فاجتمعوا قبلي جامع القبيات الكرمي ودخلوا كلهم إلى دمشق في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجند وعليهم خدة لعدم قدوم السلطان إليه الله.

وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قماري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك واشتهر أن السلطان رأى النبي ﷺ في المنام وهو يأمره بالتزول من الكرك ويقول الملكة فاتشر الناس لذلك.

وتوفي الشيخ

■ عمر بن أبي بكر بن المهدي البسطي يوم الأربعاء التاسع والعشرين وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة وحضور مجالس الذكر والحديث له همة وصولة على الفقهاء المشتهين بالصالحين وليسوا منهم.

سمع الحديث من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره وقرأت عليه عن ابن البخاري مختصر المشيخة ولزم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ودفن بمقابر باب الصغير.

وفي شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة كان قد تودي في الجيش: آن الرحيل للتمنى السلطان في سابع الشهر ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد.

وقدم في عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفي ومعه ولاية من السلطان الناصر بن الناصر بنظر البيمارستان النوري ومشايخه الربوة ورؤب على الجهات السلطانية وكان قد قدم قبله القاضي شهاب الدين بن البارزي بقضاء حمص من السلطان إليه الله تعالى ففرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان في الملكة ويأمر وولى ووقع ولله الحمد.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة وتلقاه الفخري والأمراء والجيش بكماله ودخل في أبهة حسنة ودعا له الناس وفرحوا بقدومه بعد شتائه في البلاد وهره من بين يدي أطنغا حين قصده إلى حلب كما تقدم ذكره.

وفي يوم الخميس رابع عشر خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظره السلطان حين يخرج من الكرك السعيد فخرج يومئذ مقدمان: تقزمر وإقبغا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة.

فلما كان يوم السبت خرج الفخري ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ولم يبق بعده بدمشق إلا من احتيج لمقامهم لمهمات الملكة وخرج معه القضاة الأربعة وقاضي العساكر والموقعين والصاحب وكتب الجيش وخلق كثير. ■ (العصيدة، أحمد).

وتوفي الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد الملقب بالعصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان وصلي عليه بجامع تنكر ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزي، تغمدلها الله برحمته.

وكان فيه صلاح كثير ومواظبة على الصلاة في جماعة وأمر بمعروف ونهى عن منكر مشهورا عند الناس بالخير وكان يكثر من خلعة المرضى بالمرستان وغيره وفيه إيتار وقناعة وتزهد كثير وله أحوال مشهورة رحمه الله وليانا.

واشتهر في أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس صحة جماعة من العرب والأتراك قاصداً إلى الديار المصرية ثم تحرر خروجه منها في يوم الاثنين ثامن عشر

عنه أحوال لا ترضيهم من اللعب والاجتماع مع الأراذل والأطراف يلد الكرك مع قتل الفخري وطشتم قتلًا قطعًا وسلبه أهلها وسلبه لما على الحرم من الثياب والحلي وإخراجهم في أسوأ حال من الكرك وتقريبه النصارى وحضورهم عنده فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره فلم يصل إليه ورجع هاربًا خائفًا.

فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيرًا واجتمعوا بسوق الخليل مرارًا وضربوا مشورة بينهم فاتفقوا على أن يخلعوه فكتبوا إلى المصريين بذلك وأعلموا نائب حلب أيدغمش ونواب البلاد ويقوا متوهمين من هذا الحال كثيرًا ومترددن ومنهم من يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن وقالوا لا سمح له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ويجلس على سرير المملكة وجاء كتابه إليهم يعيهم ويعنفهم في ذلك فلم يقد.

وركب الأحدي في المركب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر فسلموا عليه وخدعوه وتقام الأمر وعظم الخطب وحملوا همومًا عظيمة خوفًا من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلغ الشاميين فحمل الناس مهمهم فآله هو المسؤول أن يحسن العاقبة.

فلما كان يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم ورد مقدم البردية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ولكن ترددوا خوفًا من الشاميين أن يخالفهم فيه ويتقدموا في صحة السلطان لقتالهم.

فلما اطمانوا من جهة الشاميين صمموا على عزيمتهم فدخلوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن المنصور جعله الله مباركًا على المسلمين وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور وجاء كتابه مسلمًا على أمراء الشام ومقدميه وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحًا شديدًا ودقت البشائر بالقلعة المنصورة يومئذ ورسوم بترين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه.

ولما كان يوم الجمعة سلخ الحرم خطب بلمشق للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور.

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدية صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجزيرة وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها وجماعة من الفضلاء.

وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تقيدمر من الديار المصرية إلى دمشق ذاهبًا إلى نياحة حلب المحروسة فنزل بالقابون.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي الشيخ الإمام العالم الزاهد ■ عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي إمام المالكية هو وأخوه أبو عمرو بالجامع الأموي بمحارب الصحابة توفي بيستان بقية المسجف وصلي عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمه الله بمقابر باب الصغير وحضر جنازته الأعيان والنقهاء والقضاة وكان رجالًا صالحًا مجتمعا على دينه ورجلته رحمه الله.

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير أيدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليها من ناحية القابون قادمًا من حلب وتلقاه الجيش بكماله وعليه خلعة النياحة واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع

لذلك واجتمعوا بدار السعادة، وضربوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميرًا ليصدوه عن الذهاب إلى البرية.

فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخبر بأنه في نواحي الكسوة ولا ماع من خلاصه فركبوا كلهم ونادى المنادي: من تأخر من الجند عن هذا الخبر شق فاستوثقوا في الخروج وقصدوا ناحية الكسوة وبعثوا الرسل إليه فذكر اعتذارًا في خروجه وتخلص منهم وذهب يومه ذلك ورجعوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار وليس معهم من الأوزاد ما يكفيهم سوى يومهم ذلك.

فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنية العقاب فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحته ونزل في القصور التي بناها تنكر رحمه الله في طريق داريا فأقام بها وأجروا عليه مرتبًا كاملاً من الشعر والغنم وما يحتاج إليه مثله ومعه مماليكه وخدعه.

فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقرئ على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقديم خدعه على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور.

ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم ورد البريد من الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب نائب الغية والحاجب أيلمش بالقبض على الأحدي فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخليل وراسلوه - وقد ركب في ممالكه بالعدد وأظهر الامتناع فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية فأما من هو مقيم بالكرك ويصدر عنه ما يقال عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركبان فلا فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ورجع هو إلى قصره.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

استهل هذه السنة المباركة وسلطان المسلمين الملك الناصر أحمد بن ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو مقيم بالكرك قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكرك.

ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين أقتنصر السلاري الذي كان نائبًا بفزة.

وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية سوى القاضي الخنفي.

وأما دمشق فليس لها نائب إلى حيث لا غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استأبته الفخري بدمشق نائب غيته فهو الذي يسد الأمور مع لحاجب أيلمش وعمر المهنترار، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة، والي البر، والأمير ناصر الدين بن بكشاش متولي البلد هؤلاء الذين يسدون الأضخان والأمور السلطانية.

والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الحالية وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين القزويني وكتاب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله.

واستهل هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحدي نازل بقصر تنكر بطريق داريا وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض وأن يسلك ويوصل إلى الكرك هنا والأمراء يتناونون في أمره ويسرفون المراسيم وقتًا بعد وقت وحينًا بعد حين ويمعلمهم على ذلك أن الأحدي لا ذنب له ومتى مسكه تطرق إلى غيره مع أن السلطان يبلغهم

تجمل وأبهة ونجائب وجنائب كثيرة وعدة وسرك كامل.

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين بن الخطير معزولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب في المركب وسير مع نائب السلطنة ونزل في داره وراح الناس للسلام عليه. وفي جمادى الأولى صبيحة يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه ثم شفي منه.

وفي يوم الجمعة السادس عشر قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تقي الدين السبكي إليها حاكماً بها فذهب الناس للسلام عليه ولترديعه وذلك بعدما أوجب الناس به كثيراً واشتهر أنه سينقل له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الأيتام إلى الطنبا وإلى الفخري وكتب فتوى عليه بذلك في تفرجه وداروا بها على المفتين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفي رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة وسئلت في الإثناء عليها فامتنت لما فيها من التشويش على الحكام وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويقتروا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف وكانوا له في نية عجيبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية فسار إليها صحبة البريد ليلة الأحد وخرج الكبراء والأعيان لترديعه وفي خدمته.

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجرودون من الحلقة قريب من ألف أو يزيدون.

ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغمش نائب السلطنة بالشام المحروس فجأة في دار وحده بدار السعادة فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحضروا وخشوا أن يكون اعتراه سكتة ويقال إنه شفي قاله أعلم فانتظروا به إلى الغد احتياطاً فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة عليه فصلى عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز وذهبوا به إلى نحو القبلة ورام بعض أهله أن يدفن في تربة غبريال إلى جانب جامع القبيات فلم يمكن ذلك فدفن قبلي الجامع على حافة الطريق ولم يتبها دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ وعملوا عنه ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه.

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير وقتل من الجيش واحد في الحصار فزل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجواهر وتراضوا على أن يسلموا البلد فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام وموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذي له وعجزوا عن نقله فحرقوه برأي أسراهم المقدمين وجرت أمور فظيمة فالله يحسن العاقبة.

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش ورومهم بالنشاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مثانة ملبيين بالسلاح قتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم وجرح من المسكر خلق وقتل واحد أو اثنان وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص وقتل أمير العرب وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك وجرت أمور منكورة ثم بعدما تعرض المسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها وذلك أنهم دفعهم البريد الشديد وقلة الزاد وحاصروا أولئك شديداً بلا قاذية فإن البلد يريد متطلوة ومجانيق ويشق على الجيش الإقامة هناك في زمان كوانين والمنجنيق الذي حملوه معهم كسر فرجعوا ليتأهبوا لذلك.

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية

وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع وكان يوماً مشهوداً وصلى يوم الجمعة بالمقصورة من الجامع الأموي ومعهم الأمراء والقضاة وقرئ تقليده هناك على السلطنة وعليه خلعتة ومعهم الأمير سيف الدين ملكم السرجاني وعليه خلعة أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجابولي دمشق المحروسة ذاهباً إلى نيابة حماة المحروسة وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم وراح فزل بالقابون وخرج القضاة والأعيان إليه وسمع عليه من مسند الشافعي فإنه يرويه وله فيه عمل ورتبه ترتيساً حسناً ورايته وشرحه أيضاًه أوقاف على الشافعية وغيرهم.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك الكمالي من مشهد عثمان بسبب القاضي فخر الدين المصري وصدور الدين عبد الكريم ابن القاضي جلال الدين القزويني بسبب العادلة الصغيرة فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ونزل القاضي فخر الدين عن مائة وخمسين على الجامع.

وفي يوم الأحد سلك الشهر المذكور حضر القاضي فخر الدين المصري ودرس بالعادلة الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة وأخذ في قوله تعالى: ﴿خَلَّيْ بَضَائِعَنَا رُمْتُ إِنِّي﴾ (يوسف: ٦٥).

وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين البشمقدار لخصاص الكرك الذي تحصن فيه ابن السلطان أحمد واستحوذ على ما عنده من الأموال التي أخذها من الخزان من ديار مصر وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيات فنصب هناك وخرج الناس للفرج عليه ورمى به ومن نيههم أن يستحبوه معهم للخصاص.

وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين الطنبا المارداني من الديار المصرية على خيل البريد ذاهباً إلى حماة نائباً عليها ورسم بقود الجابولي إلى الديار المصرية على قاعدته وعادته.

وفي يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحدي من طرابلس وعلم الدين الجابولي من حماة مسخراً وحضرهما المركب ووفقا مكتفين نائب السلطنة: الأحدي عن يمينه والجابولي عن يساره ونزلا ظاهر البلد.

ثم بعد إهام مسيرة توجه الأحدي إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة وتوجه الجابولي إلى غزة المحروسة نائباً عليها وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطبلخاناه بدمشق.

وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق مسحراً إلى مدينة الكرك والأمير شهاب الدين بن صبح والي الولاية بحوران مشد المجانيق وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بمحلاة والي البر بدمشق إلى ولاية الولاية بحوران.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضي الشافعي بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الرضا بالقاضي السبكي المذكور ومعهم التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية فتعظ عليه النائب لأجل أولاد الجلال لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم فقراء وقد نهوا عن السعي في ذلك فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلي عنده في الشباك الكمالي فتنهض من هناك وصلى في الغزالية.

وفي يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أرنيغا زوج ابنة السلطان الملك الناصري حجازاً ذاهباً إلى طرابلس نائباً بها في

من الشرق رحمه الله.

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيدي واحضر إلى بين يدي نائب السلطنة وذهب الناس للنظر إليه في حلة ظاهر باب القرايس يقال لها حكر الوزير وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل فنظرت إليه فإذا هما ولدان مستقلان فكل قد اشتبكت أفضانهما ببعضهما ببعض وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة وهما ميتان فقالوا أحدهما ذكر والآخر أنثى وهما ميتان حال رؤيتي إليهما وقالوا إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما وكتب بذلك حضر جماعة من الشهود.

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد أمير طبلخاناه وغيث الدين محمد أمير عشرة وعلاء الدين علي وابن أبيك الطويل طبلخاناه أيضاً وصلاح الدين خليل بن بليان طرنا طبلخاناه أيضاً وذلك بسبب أنهم اتهموا على عمالة الملك أحمد بن الناصر الذي في الكرك ومكاتبته والله أعلم بحالهم فقيدهم وحملوا إلى القلعة المنصورة من باب السر مقابل باب دار السعادة الثلاثة الطبلخاناه والغيث من بابها الكبير وفرق بينهم في الأماكن.

وخرج الحمل يوم الخميس خامس عشره وليس الخطيب ابن الجلال خلة استقرار الخطابة في هذا اليوم وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء.

وفي هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعاً وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعاً وخرج الناس للفرجة عليه ورمي به في يوم السبت الرابع والعشرين منه حجر زنته ستون رطلاً فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير وذكر معلم المجانيق أنه ليس في حصون الإسلام مثله وأنه عمله الحاج محمد الصالح ليكون بالكرك فقدر الله أنه خرج ليحاصر به الكرك فآله يحسن العاقبة.

وفي أواخره أيضاً مسك أربعة أمراء وهم أقباقا عبد الواحد الذي كان مباشراً الأستادارية للملك الناصر الكبير فصور في أيام ابنه المنصور وأخرج إلى الشام فتاب بمحصر فسار سيرة غير مرضية وذمه الناس وعزل عنها وأعطى مقدمة ألف بدمشق وجعل رأس المينة فلما كان في هذه الأيام اتهم بمقالة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالكرك فمسك وحمل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو والأمير سيف الدين حطية الذي كان مباشراً الحجوية في أيام الطنينا والأمير سيف الدين سلاش وكلهم بطبلخاناه فرفقوا إلى القلعة المنصورة فآله يحسن العاقبة.

وفي هذا الشهر خرج قضاء حصص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني مجد للقاضي شهاب الدين البارزي وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي واتصل له بعض الدولة واستخرج له المرسوم المذكور.

وفيه أيضاً أفرغ قضاء القلنس الشريف أيضاً باسم القاضي شمس الدين بن سالم الذي كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ثم عزل عنها وبقي مقيماً ببلدة غزة ثم أعيد إليها مستقلاً بها في هذا الوقت.

وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين بن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذي كان له أولاً كل شهر ألف درهم وأقام بعمارته التي أنشأها بسفح قاسيون شرقي الصالحية بقرى حمام النحلص. وفي صبيحة مستهل ذي القعدة خرج المنجنيق قاصداً إلى الكرك على

على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين وعلى حواصل القاضي عماد الدين بن الشيرازي المحتسب فاحتيط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم وضربت الأخشاب على الأبواب ورسم على المحتسب بالعنواوية فقال أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها.

وأما القاضي شهاب الدين فكان قد خرج ليلتي الأمير سيف الدين تقزدمر الحموي الذي جاء تقليده بنبابة الشام بدمشق وكان يجلب وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب ولم يدر الناس ما ذنبهما.

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضي القضاة تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء ومعه تقليد بالخطابة أيضاً وذهب الناس إليه للسلام عليه ودخل نائب السلطنة الأمير سيف الدين تقزدمر الحموي بعد العصر الخامس عشر من حلب فتلقيه الأمراء إلى طريق القابون ودعا له الناس دعاء كثيراً وأحبه لبغضهم النائب الذي كان قبله وهو علاء الدين أيدغمش ساعه الله تعالى فترل بدار السعادة وحضر المركب صبيحة يوم الاثنين واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم بن جلال الدين فلم يلتفت إليهم بل عمل تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة وليس الخلة وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الكلام والغرغاء وصاروا يجتمعون حلقاً حلقاً بعد الصلوات ويكرتون الفرحة في ذلك لما منع ابن الجلال ولكن بقي هذا لم يباشر السبكي في الحراب واشتهر عن العوام كلام كثير وتوعدوا السبكي بالسفاهة عليه إن خطب بضاق بذلك ذرعاً ونهوا عن ذلك فلم يتهموا وقيل لهم ولكثير منهم: الواجب عليكم السمع والطاعة لأولي الأمر ولو أمر عليكم عبد حبشي فلم يرفعوا.

فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال فصرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع وجاء نائب السلطنة إلى المنصورة والأمراء معه وخطب ابن الجلال على العادة وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والمزح ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً وتكفلوا في ذلك وأظهروا بغضة القاضي السبكي ونجاهاوا بذلك وأسمعه كلاماً كثيراً ولما قضيت الصلاة قرئ تقليد النيابة على السدة وخرج الناس فرحين بخطيبهم لكونه استمر عليهم واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له.

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالدرسة العنواوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل القحفازي وعقد لهما مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل فرجع جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له.

وفي يوم الجمعة خامس توفي الشيخ الصالح شهاب الدين

■ أحمد بن الجزري أحد المستندين المكثرين الصالحين مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله وصلي عليه يوم الجمعة بالجامع المظفري ودفن بالرواحية.

وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الإمام العالم العباد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين

■ محمد بن الوزير خطيب الجامع الكرمي بالقيبات وصلي عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ودفن قبلي الجامع المذكور إلى جانب الطريق

الدين قلاوون الصالح ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقستقر السلاوي وقضاته بها هم المتقدم ذكرهم في العام الماضي ونائبه بمسقط الأمير سيف الدين تقيهم الحموي وقضاته هم المتقدم ذكرهم وكذلك صاحب الخطيب وناظر الجامع والخزانة ومشد الأوقاف وولاية المدينة.

استهلت والجيش المصرية والشامية يحيطه بمحصن الكرك محاصرون وبالعون في أمره والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها.

وفي يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكرك ألفان من مصر وألفان من الشام والمنجنيق مقروض موضوع عند الجيش خارج الكرك والأمور متوقفة وسرد الحصار بعد رجوع الأحدي إلى مصر.

وفي يوم السبت ثاني ربيع الأول توفي السيد الشريف عماد الدين الحشاش بالكرك في درب السرجي جوار المدرسة العزية وصلي عليه ضحى بالجامع الأموي ودفن بمقابر باب الصغير وكان رجلاً شهياً كثير العبادة والحجة للسنة وأهلها عن واظب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الذي بعث إلى صيدنايا مع بعض القسيسين فلوث يده بالعلنة وضرب اللحم التي يعظمونها هناك وأمانها غاية الإهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وليانا.

وفي يوم الخميس سابعه اجتمع صاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ومشد الأوقاف ومباشر الجامع ومعهم العماليين بالنول والمعالول يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد علي تحت تلك الصخرة التي كانت هناك وذلك عن قول رجل جاهل زعم أن هناك مالا مدفوناً فثاروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر واجتمع الناس والعمالة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكنوا من الحفر ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب الغض واشتهر هذا الحفر في البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره واتصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا الحال وطم الحفر كما كان.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الحشاش على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعدالية الكبيرة وأخبر أنه صلي على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أيك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعماية وكان قد أقن طرفاً جيداً في علم الحديث وحفظ أسماء الرجال وجمع وخرج.

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفري وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مائة وعشرين دكاناً ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة سادس رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن البلد كما يذكر في مآذن الجامع ففعل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغياب التي تحت يده فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ووقع أمر كبير لم

الجمال والعجل وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبكي أمير حاجب كان في الدولة السكرية وهو المقدم عليه بحوطه ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ونجيز الجيش للذهاب إلى الكرك وتاهبوا أتم الجهازم ويرزت انتقامهم إلى ظاهر البلد وضربت القيام فإله يحسن العاقبة.

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كافور السكري ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسه في تربته التي أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهير الدين الخازن بالقلعة كان قبيل مسجد اللبان رحمه الله وكان قديماً للصاحب تقي الدين توبة التكريتي ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين ببلغ جيد وعرضهما إقطاعاً بزيادة على ما كان بأبيهما وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة وقد تنصّب عليه أساذه تنكز رحمه الله في وقت وصودر وجرت عليه فصول ثم سلم بعد ذلك ولما مات ترك أموالاً جزيلة وأوقافاً جيدة رحمه الله وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراستقر.

وفي يوم السبت سلبخ هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحد بن فرج الموزن بمآذنة العروس وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم البليغ المطرب وليس في القراء ولا في المؤنسين قريب منه ولا من يماثيه في وقته وكان في آخر وقته على طريقة حسنة وعمل صالح وانقطاع عن الناس وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله وأكرم مشواه وصلي عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية.

وفي يوم الخميس خامس ذي الحجة توفي الشيخ ■ بدر الدين بن بصخان شيخ القراء السبعة في البلد الشهير بذلك وصلي عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ودفن بباب الفرائيس رحمه الله.

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الإقراء بترية أم الصالح عوضاً عن الشيخ بدر الدين بن بصخان القاضي شهاب الدين أحمد ابن النقيب البعلبكي وحضر عنده جماعة من الفضلاء وبعض القضاة وكان حضوره بئنة وكان مريضاً فآلقت شيئاً من القراءات والإعراب عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُظْمِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ﴾ زال عمران: (١٧٨).

وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جدا وقل الخبز وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيتون والبقارة وبلغت الغرارة بمائة وستة وثمانين درهماً وتقلص السعر جدا حتى بيع الخبز كل رطل بدرهم وفوق ذلك يسير ودونه بحسب طيبه ووراءه فإنا لله وإنا إليه راجعون وكثر السؤال وجاع العيال وضمف كثير من الأشياء والأحوال ولكن لطف الله عظيم فإن الناس مترقبون مثلاً هائلاً لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة وقد اقترب أوانه وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير وبعض القمح مع كثرة القول وريادر التوت فلولا ذلك لكان غير ذلك ولكن لطف الله بعباده وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور سيف

يعد مثله.

■ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي.

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد ابن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي تغمده الله برحمته وأسكنه جوارحه جنة مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحى سل ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فصلي عليه صبيحة يوم الخميس بالجامع المظفري وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمراء والتجار والعامة وكانت جنازته حافلة مليحة عليها ضوء ونور ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيوف ابن المجد رحمهما الله تعالى.

وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمئة فلم يبلغ الأربعين وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيخ الكبار وتفنى في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصول والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعليق مفيدة كثيرة وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال وطرق الحديث عارفاً بالجرى والتعديل بصيراً بعلل الحديث حسن الفهم له جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيماً على طريقة السلف واتباع الكتاب والسنة مثابراً على فعل الخيرات.

وفي يوم الثلاثاء سلخه درس بمحارب الحنابلة صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عرضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله وحضر عنده القضاة والفضلاء وكان درساً حسناً أخذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وخرج إلى مسالة تفضيل بعض الأولاد.

وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجريدة إلى الكرك مقدمان من الأمراء وهما الأمير شهاب الدين بن صبح والأمير سيف الدين قلاوون في أبهة عظيمة ونحمل وجيوش وتقارات ولزجاج كثيرة.

■ (حسن بن عمر السكاكيني).

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ محمد السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر انحس شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره وأنه رافضي جلد فمن ذلك تكفير الشيخين رضي الله عنهما وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد وإنما كان مرسل إلى علي وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله وقد فعل وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة الشيعة جيداً وكانت له أسئلة على مذهب أهل الجبر ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وفكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما مات حتى رجع عن مذهبه وصار إلى قول أهل السنة فأعلمه وأخبرت أن ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة.

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكر نائب الشام كان إلى تربيته التي إلى جانب جامع الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق نقل من الإسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر

بشفاعة ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بملدرسته بالقوس الشريف فلم يمكن فجيء به إلى تربيته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين

■ يوسف التكريتي ابن أخي صاحب تقي الدين بن قوبة الوزير بمثله بالقصاعين.

وكان شاباً من أبناء الأربعين ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة. وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ولأصحابه خصوصاً ولكل من يراه من أهل العلم عموماً وكان فيه إشار وإحسان وعبة الفقراء والصالحين ودفن بترتبه بسفح قاسيون رحمه الله.

وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه قبل الظهر جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لحفتها ولله الحمد والمنة ثم تواترت الأخبار بأنها شعت في بلاد حلب شيئاً كثيراً من الممران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب وكثير من دورها ومساجدها ومشاهداتها وجدرانها وأما في القلاع حولها فكثير جداً وذكروا أن مدينة منبج لم يبق منها إلا القليل وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله.

وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقنعان الأمير علاء الدين قراستق والأمير الحاج يديم.

واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر وضاعت الأرزاق عندهم جداً ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر خمارين عليه فسيروا من الصبح إلى قلاوون وصحبهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فآله المسؤول أن يحسن العاقبة.

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الإمام العلامة

■ برهان الدين بن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة بعد ابن الحريري ثم عزل وأقام بدمشق ودرس في أيام تفرغ بالعداوية لولده القاضي أمين الدين فذكر بها الدرس يوم الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام وكان موت برهان الدين رحمه الله يستأنه من أراضي الأرزاء بطريق الصالحية ودفن من الغد بسفح قاسيون بمقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله وصلي عليه بالجامع المظفري وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون في السنة المتقدمة. وناثبه بمصر الحاج سيف الدين ألتكوك ووزيره المتقدم ذكره وناظر الخاص القاضي مكي بن قروية وناظر الجيوش القاضي علم الدين بن القطب والمحاسب المتقدم وشاد الدواوين علم الدين الناصري وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين بن التجي ووكيل بيت المال القاضي علاء الدين بن شمرنوخ وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب وبقية

من الملك الصالح فأضيت كلها أو كثير منها وأفرج عن صلاح الدين ابن الملك الكامل والأمير سيف الدين بلو في يوم الخميس سلخ هذا الشهر ثم روجع في كثير منها فتوقف حالها.

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً وعملت طهارة عامة ومصلى للناس وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين قطمير الخليلي أمير حاجب كان وهو الذي جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصاعين.

■ (محمد بن سليمان الجعيري).

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفي صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن صلو الدين سليمان الجعيري زوج بنت الشيخ جمال الدين المزي والد شرف الدين عبد الله وجمال الدين إبراهيم وغيرهم وكان فقيهاً بالمدارس وشاهداً تحت الساعات وغيرهما وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية وله نظم مستحسن انقطع يومين وبعض الثالث وتوفي في الليلة المذكورة في وسط الليل وكتب عنه وقت العشاء الآخرة ليلتد وحديثي وضاحكي وكان خفيف الروح رحمه الله ثم توفي في بقية ليلته رحمه الله وكان أشهدني عليه بالثبوت من جميع ما يسخط الله عز وجل وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله صلى عليه ظهر يوم الاثنين ودفن بمقابر باب الصغير عند أبويه رحمه الله.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي بجامع تنكر خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القحطاني له عن ذلك وأيضا نائب السلطنة الأمير سيف الدين تقيزدر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ.

■ (أحمد بن حسام الدين الرومي).

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفي القاضي الإمام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا من الخاتونية الجوانية وكان قد ولي قضاء قضاة الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة وأتقى في سنة سبعين وست مئة وقدموا الشام مع أبيه فأقاموا بها ثم لا وألى الملك المنصور لأجبن وألى إياه قضاء الديار المصرية وولده هذا قضاء الشام ثم إته عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث منارلس فن خيار منارلس الحنفية ثم حصل له صمم في آخر عمره وكان متمما بمجوسه سواء وقواه وكان يذكر في العلم وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفي الشيخ نجم الدين علي بن داود القحطاني خطيب جامع تنكر ومدرس الظاهرية وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي وصلي عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده وحضره القضاة والأعيان وكان أستاذا في النحو وله علوم أخر لكن كان نهاية في النحو والتصرف.

وفي هذا اليوم توفي الشيخ الصالح العابد التامك الشيخ

■ عبد الله الضويو الزرعي وصلي عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وروباب النصر وعند مقابر الصوفية ودفن بها قريبا من الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وكان كثير التلاوة حسن سنها وصحيحها كثير العبادة يقرئ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان في محراب

المباشرين والنظار هم المتقدم ذكرهم.

وكاتب الدست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر والقاضي أمين الدين بن القلائسي والقاضي شهاب الدين بن القيسراني والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب عمود والقاضي علاء الدين بن شمرنوخ.

شهر الحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكرك وأما البلد فأخذ واستتب فيه الأمير سيف الدين قبلاي قدم إليها من الديار المصرية والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق يحيطون بالقلعة والناصر أحمد بن الناصر عنتع من التسليم ومن الإجابة إلى الإجابة ومن الدخول في طاعة أخيه وقد تقاضت الأمور وطالت الحروب وقتل خلق كثير بسبب ذلك من الجيوش ومن أهل الكرك وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله.

وقبل ذلك بأيام مسيرة هرب من قلعة الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص الذي كان أسير في أوائل حصار الكرك وجماعة من عماليك الناصر أحمد كان اتهمهم بقتل الشهاب أحمد الذي كان يعتني به ويحبه واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده وجهزه إلى الديار المصرية على البريد معظمها هذا والمجاين الثلاثة مسلطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلا ونهارا وتدمر في بنائها من داخل فإذن سورها لا يؤثر فيه شيء بالكلية.

ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة مرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها فإلله المسزول أن يحسن العاقبة.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعا من الكرك فأخبر بفتح القلعة وأن بابها أحرق وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ففتحت وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ولله عاقبة الأمور.

وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت الباشائر بالقلعة وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سرورا بفتح البلد واجتماع الكلمة عليه واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين مسابه فرسم برفعها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ولوجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبإيه الأمرأه الذين هم عنده وليس لذلك حقيقة ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطلبخانة والجيوش واشتهر إعدام أحمد بن الناصر.

■ (أبو حيان التحوي).

وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول صلي بالجامع الأموي على الشيخ أمين الدين أبي حيان التحوي شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة وكانت وفاته بمصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر.

ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ودفن جثته بالكرك وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ففرح الناس بذلك ودخل الشيخ أحمد الزرعي على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبديل المظالم ومكوسات وإطلاق طبلخاته للأمير ناصر الدين بن بكتاش وإطلاق أمراء عموسين بقلعة دمشق وغير ذلك فأجابته إلى جميع ذلك وكان جملة المراسيم التي أجيب فيها بضعة ثلاثين مرسوماً.

فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قلمت المراسيم التي سألتها الشيخ أحمد

الحنابلة بالجامع الأموي رحمه الله.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الإمام العالم العامل العابد الزاهد الورع

■ أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي إمام حنابلة الذي للمالكية وصلي عليه بعد الصلاة وحضر جنازته خلق كثير وجسم غفير وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه إلى جانب قبر أبي الحجاج الفندلاوي المالكي قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله وولى مكانه في الحجاب ولده وهو طفل صغير فاستتب له إلى حين صلاحته جبره الله ورحم أباه.

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة وكان الناس محتاجين إلى مطر فله الحمد والمنة وتكاثر الثلج على الأسطحة وتراكم حتى أعمى الناس أمره وتقلوه عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ثم نودي بالأمر بإزالته من الطرقات فإنه سدها وتعطلت معاش كثير من الناس فعرض الله الضعفاء بعملهم في الثلج ولحق الناس كلفة كبيرة وغرامة كثيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلي بالجامع الأموي على غائب وهو الأمير علاء الدين الجالبي وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله.

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ولا خرج نائب السلطنة بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بهم وكثير من الناس صلوا العيد في البيوت.

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة درس قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي الشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين بن التقي رحمه الله وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء وأخذ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَّبٌّ غَفِرْ لِي وَمَبِّ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيَّ أَنْ يَكُنْ أَتَى الرَّهَابُ﴾ (ص: ٣٥) وما بعدها.

وفي ذي الحجة استغني في قتل كلاب البلد فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك فرسم بإخراجهم يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا يتأذى الناس بتنن يبرمجهم على ما أفتى به الإمام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب بيلة معينة للمصلحة إذا رأى الإمام ذلك (المصنف: ٢٢٥/١٤ وما بعده الاستدكار: ١٩٦/٢٧) ولا يعارض ذلك النهي عن قتل أمة الكلاب (١٥٧٢، ١٥٧٣) ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وفتح الحمام (مجمد: ٢٧٢/١).

ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمئة

استهل هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الخلية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور.

وقضاته بالديار المصرية والشامية هم المذكورون في السنة الماضية وتوابعه في البلاد هم المذكورون أيضا.

وفي يوم الجمعة سادس شهر المحرم كملت عمارة الجامع الذي بالمرزة الفوقانية الذي جده وأشأه الأمير بهاء الدين بن المرحاتي الذي بنى والده

مسجد الحيف بمنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانشراح تقبل الله من بانيه وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجسم غفير من أهل المرزة ومن حضر من أهل البلد وكنت أنا الخطيب - يعني الشيخ عماد الدين المصنف - تتمده الله برحمته - ولله الحمد والمنة ووقع كلام وبحث في مسألة اشتراط المحلل في المسابقة.

وكان سببه أن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية صنف فيه مصنفًا من قبل ذلك ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ثم صار يفتي به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة فحصل عليه إنكار في ذلك وطلبه القاضي الشافعي وحصل كلام في ذلك وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور.

وفاة الملك الصالح إسماعيل

في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور آخر النهار وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبيه الملك الكامل سيف الدين أبي الفتح شعبان، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعه وكان يوما مشهودا ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثاني عشر منه وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان فقدم الأمير سيف الدين يبعزا لليلة للملك الكامل فركب عليه الجيش لتلقيه.

فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ودقت البشار وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل جعله الله وجهًا مباركًا على المسلمين.

وفي صبيحة يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر درس القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالمدسة الشامية البرانية نزل له أبوه عنها واستخرج له مرسومًا سلطانيًا بذلك فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء وجلس بين أبيه والقاضي الحنفي وأخذ في الدرس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ جُلُوسًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفصل: ١٥) وتكلم الشريف مجد الدين المتكلم في الدرس بكلام فيه تكملة وشاعة فنشع عليه الحاضرون فاستتب بعد انقضاء الدرس وحكم بإسلامه.

وقد طلب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تقيدمر وهو متعرض انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات والبريد يذهب إلى حلب، فجاءه نائبه الأمير سيف الدين بلبغا لنيابة دمشق وذكر أن الحاج أرقطاي تعين لنيابة حلب.

وفي يوم الجمعة رابع شهر جمادى الأولى خرجت أنقال الأمير سيف الدين تقيدمر النائب وخيوله ومهجنه ومواليه وحواصله وطبلخاناته وأولاده في تجمل عظيم وأبهة هائلة جدًا وخرجت المحافل والكعكارات والحفلات لنسائه وبناته وأهل في هيئة عجيبة هذا كله وهو بدار السعادة.

فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تقيدمر بنفسه إلى الكسوة في عفة لمرضه مصحوبا بالسلامة فلما

■ (محمد بن محمد بن قوام).

وفي يوم الجمعة السادس عشر من الحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد ابن الشيخ محمد بن قوام بزوارتهم بالسفح وصلي عليه الجمعة بجامع الأفرم ثم دفن بالزاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً وهذا أشد من ذلك.

وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين بلبغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج وضمنت ضماناً بأمرأه من مسجة آلاف كل شهر وداخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد وظاهرها دكاكين وأعالها بيوت للسكن.

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للنور الحراساني وكان يقرأ القرآن في جامع تنكر ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ادعي عليه فيه أنه تكلم في بعض الأئمة الأربعة وأنه تكلم في شيء من العقائد وطلق عبارات زائفة على ما ورد به الحديث وشهد عليه بعض الشهود بأشياء متعددة فافتضى الحال أن عزز في هذا اليوم وطيف به في البلد ثم رد إلى السجن معتقلاً.

فلما كان يوم الخميس الثاني وعشرين منه شفع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله.

ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين بلبغا البحاوي الناصري بجامع تنكر ظاهر دمشق برا باب النصر وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ولما أتممت الصلاة صلى وقعد بعض عماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلاً ثم نهض النائب إلى دار السعادة فلما كان آخر النهار برز بخدمة وعاليكه وجشمه ووطاقه وسلاحه وحواصله ونزل قبلي مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس واتفق طلوع القمر خافوا ثم خرج الجيش ملبساً تحت الثياب وعليهم الترايش بالنشاب والخيول والجنائيات ولا يدري الناس ما الخبر وكان سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صفد قد ركب إليه ليقبض عليه فانزعج لذلك وقال: لا أموت إلا على ظهر أفراسي لا على فراشي وخرج الجند والأمراء خوفاً من أن يقتولهم بالقرار فنزلوا بمئة ورسيرة فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النياية ويجمع بالأمراء جماعة وفرايدي ويستعملهم إلى ما هو فيه من الرأي وهو خلق الملك الكامل شعبان لأنه يكسر من مسك الأمراء بغير سبب ويفعل أفعالا لا تليق بمثله وذكروا أموراً كثيرة وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر لحسن شكلته وجمل فعله ولم يزل يقتل في الذروة والغراب حتى أجابوه إلى ذلك ووافقوه عليه وسلموا له ما يدعيه وتابعوا على ما أشار إليه وبايعوه ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستعملهم إلى ما غملاً عليه المشفقون وكثير من المصريين وشرع أيضاً في التصرف في الأمور العامة الكلية وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلمة المنصورة ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقطعته منشوره وعزل وولى وأخذ وأعطى وطلب التجار يوم الأربعاء ثامن عشره ليبيع عليهم خلال الحواصل السلطانية فيبلغوا أثمانها في الحال ثم يذهبوا فيسلموها من البلاد البرانية، وحضر عنده القضاة على العادة والأمراء والسادة وهذا كله وهو نجيب بالمكان المذكور لا يحصره بلد ولا

طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين بلبغا البحاوي فتسلم دار السعادة وفرح الناس بهم ودعّب الناس للتهنئة والتروّد إليهم.

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكما له لتلقي نائب السلطنة الأمير سيف الدين بلبغا فدخل في تجمل عظيم ثم جاء فنزل عند باب السر وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة. وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة عن وجب قطعه من أهل الحبس ثلاثة عشر رجلاً وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم لما بلغه أنه تكررت جناباتهم وصلب ثلاثة بالمسامير ممن وجب قتله ففرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور والعبث والفساد.

واشتهر في العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين ■ فزدهم بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره ودواداره وطلب منهم مال جزيل فآله أعلم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي القاضي علاء الدين

■ ابن العز الحنفي نائب الحكم بيسنانه بالصالحية ودفن بها وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه وأخذ له إياها من عمه القاضي عماد الدين إسماعيل كما قلنا ولم يدرس فيها إلا يوماً واحداً وهو ممرض ثم عاد إلى الصالحية فتمادى به مرضه إلى أن مات رحمه الله.

وخرج الركب إلى الحجاز الشريف يوم السبت حادي عشر شوال وخرج ناس ونجار كثير جداً وكان قد وقع قليل مطر فلما برزوا إلى الكسرة وغوها ودونها ولم يخرج خلق كثير من البلد ووقع مطر عظيم جداً ففرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضان وهو كاتون الأصم فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره ثم تدلّك المطر وتتابع ولله الحمد والمئة لكن ترحل الحجاج في أحوال كثيرة وزلق كثير والله المسلم والمعين والحامي.

ولما استقل الحجاج ذافمين وقع عليهم مطر شديد بالصنمين فمروهم أياماً بها ثم تحاملوا إلى رُزَع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد ورجع كثير منهم وأكثرهم وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأحوال ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان.

وقليل إن نساء كثيرة من المخدرات مشين حفصة فيما بين رُزَع والصنمين وبعد ذلك وكان أمير الحجاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلبك يومئذ والله المستعان انتهى.

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وليس له بمصر نائب.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين بلبغا البحاوي وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الحنفي نزل عن القضاء لولده القاضي القاضي القضاة نجم الدين واستقل بالولاية وتدرّس التورية وبقي والده على تدريس الرميانية.

بحويه سور.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طلعية لتلقي من الديار المصرية إمّا مقاتلاً أو غامراً عليهم وهي ألفان بمقتضى هذا كله والأخبار تقدّم من الديار المصرية باختلاف الأمراء على السلطان وأن الأمراء مبيعون للشاميين وتقدم التجاريد من الديار المصرية من الأمراء وغيرهم ببقاء الأمر على ما كان عليه فلم يصدقهم النائب وربما عاقب بعضهم ثم رفقهم إلى القلعة وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قاتل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه والتجاريد المصرية واصله قريباً ولا بد من وقوع خبطة عظيمة وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك والله المسؤول أن يحسن العاقبة.

وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ونائب السلطنة وخواصه من كبار الأمراء على ثقة من أنفسهم وأن الأمراء على خلف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجي والجمهور مع أخيه أمير حاجي.

ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ثم إنه ترجعت رؤوس الأمراء في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو محال لهم على السلطان فاجتمعوا ودعوا إلى سلطة أمير حاجي وضربت الطليخاته وصارت باقي النفوس متجاهرة على نية تأييده ونايذوا السلطان الكامل وعدوا عليه مساويه وقتل بعض الأمراء وفر الكامل وأتصاهره فاحتيط عليه وخرج أرغون العلائي زوج ابنة واستظهر أيضاً أمير حاجي فأجلسوه على السرير ولقيوه بالملك المظفر.

وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك فضررت البشائر عنده وبعث إلى نائب القلعة فامتنع من ضربها وكان قد طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور وأغلق باب القلعة فارتجع الناس واختبئ البلد وتقلص وجود الخير وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة وأرجف العامة بالجيش على عاداتهم في كثرة تصولهم فحصل لبعضهم أذية. فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيعاً لنائب السلطنة في تحمل وأبهة كما جرت به عادة أمثاله.

وفي هذا اليوم وقمت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بغيرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لأجل البيعة للسلطان الملك المظفر فدقت البشائر بالوطاق وأمر بتزيين البلد فزين الناس وليسوا منشرحين وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة وأن التجاريد المصرية واصله قريباً وامتنع نائب القلعة من دق البشائر وبألف في تحصين القلعة وغلق بابها فلا يفتح إلا الخروجة البرانية والجوانية وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة يقولون: لو كان ثم شيء له صحة كان نائب القلعة يطلع على هذا قبل الوطاق.

فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بغيرا إلى الوطاق وقد تلقوه وعظموه ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبيغا نائب السلطنة وكتاب إلى الأمراء بالسلام ففرحوا بذلك وياهموه وانتظمت الكلمة والله الحمد.

وركب بغيرا إلى القلعة فترجل وسل سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعا ودقت البشائر في القلعة بعد المغرب حين بلنه الخبر وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس.

فلما كان يوم الخميس حادي عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تحمل وطليخاته على عادة العرض. وقد خرج أهل البلد إلى الفرجة وخرج أهل الذمة بالتزود وأشعلت الشموع وكان يوماً مشهوداً. وقله صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين وقد رأيته وامتحتته فإذا هو يجيد الحفظ والأداء وهذا من أغرب ما يكون.

وفي العشر الأول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمامين اللذين بناهما نائب السلطنة بالقرب من الثابتة في خان السلطان العتيق وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك.

وفي يوم الأحد حادي عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المشتقين من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعاً بقدر جامع تكسر فاشتروا هنالك ثم انفصل الحال على أن يعمل والله ولي التوفيق.

■ (ابن تيمية، زين الدين).

وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة صلي على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية أخو الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى بعد صلاة الظهر بالجامع وتبعه القضاة والأعيان وخلق كثير إلى المقبرة التي بالصوفية فدفن ويلقي قبر أخيه، بينهما قبر ابن عمته عز الدين بن تيمية.

وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ

■ علي القطاوي بقطنا وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين واتبه جماعة من الفلاحين والشباب الممتعين إلى طريقة أحمد بن الرافعي وعظم أمره وسار ذكره وقصده الأكابر إلى بلده للزيارة مرات وكان يقيم السماعات على عادة أمثاله وله أصحاب يظهرهم إشارة باطلة وأحوالاً مفنعة وهذا مما كان يتقم عليه بسببه فإنه إن لم يكن يعلم بمجالمه فجاهل وإن كان يقرهم على ذلك فهو مثلهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي أواخر هذا الشهر - أعني ذي الحجة من العيد وما بعده - اهتم ملك الأمراء في بناء الجامع الذي بناه تحت القلعة مكان تل المشتقين وهدم ما كان هناك من إبنية وعملت العجل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التي للحضرين من تحت المثلثة التي في رأس عبة الكنان وتيسر منها أحجار كثيرة والأحجار أيضاً من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها.

وكان سلخ هذه السنة - أعني سنة سبع وأربعين وسبعمائة - قد بلغت غرارة القمح إلى مائتين فما دونها وربما يبعث بأكثر من ذلك فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجي ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطاي.

وقضاة مصر هم الذين كانوا في الماضية بأعيانهم.

ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبيغا الناصري.

وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها بأعيانهم غير أن القاضي عماد الدين الحنفي نزل لولده قاضي القضاة نجم الدين فباشر في حياة أبيه.

وحاجب الحجاب فخر الدين إياس.

واستهل هذه السنة ونائب السلطنة في همة عالية في عمارة الجامع الذي قد شرع في بنائه غربي سوق الخيل بالمكان الذي كان يصرف بتل المشتين.

وفي ثالث المحرم توفي قاضي القضاة شرف الدين محمد بن أبي بكر الهمداني المالكي وصلي عليه بالجامع ودفن بترتبه بميدان الحصا وتأسف الناس عليه لرياسته وديانة أخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله. وفي يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضي جمال الدين المسلاتي الذي كان نائباً للقاضي شرف الدين قبله وخلق عليه من آخر النهار.

وفي شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخيل أصعدة كثيرة من البلد وظاهر البلد يعلقون ما فوقه من البناء ثم يأخذونه ويقيمون بدله دعامة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذي كان بسوق العليين الذي في تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد. وقد ذكر الحافظ ابن عسكار أنه كان فيه طلسم لعسر بول الحيوان إذا داروا حوله بالبادية ينحل أراقبه.

فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له في هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم وقد رأيته في هذا اليوم وهو ممدود في سوق العليين على الأخشاب ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله.

وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت جداره حين أسوه والله الحمد.

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء كالحجازي وأقسنقر الناصري ومن لف لهما فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة.

ثم استهل شهر جمادى الأولى والجند في حركة شديدة ونائب السلطنة يستدعي الأمراء إلى دار السعادة بسبب ما وقع بالديار المصرية وتعاهد هؤلاء على أن لا يؤذي أحداً أبداً وأن يكونوا بداً واحدة.

وفي هذا اليوم تحول ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبلق واحتجز لنفسه وكذلك حاشيته.

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل ملك الأمراء يليقاً نائب الشام فقرأ عليه بمحضرة الأمراء بالقصر الأبلق فتعزم لذلك وساءه وفيه طلب إلى الديار المصرية على البريد لولي نيابة الديار المصرية والظاهر أن ذلك خديعة له أظهر الامتناع وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً وقال: إن كان السلطان قد استكثر علي ولاية دمشق فيولني أي البلاد شاء فانا راض بها ورد الجواب بذلك.

ولما أصبح من الند وهو يوم الخميس خامس عشره ركب فخيّم قريبا من الجسورة في الموضع الذي خيم فيه عام أول.

وفي هذا الشهر أيضاً كما تقدم فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هنالك على عاداتهم عام أول.

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت القلعة وأحضروا من القلعة سنجقين سلطانيين أصفرين وضربوا الطبول حربياً فاجتمعوا كلهم تحت السنجن السلطاني ولم

يتأخر منهم سوى النائب وفرويه كابنيه وإخوته وحاشيته والأمير سيف الدين قلاوون أحد مقدمي الألوف وخيزه أكبر أخباز الأمراء بعد النيابة فبعث إليه الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة للسلطان فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل فساروا إليه في الطليخانة والبرقات ملبسين لأمة الحرب فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله ملبساً واستعد للهروب فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد وساق الجند وراءه فلم يكتفوا له غباراً وأقبل العامة وتركمان القبيبات فأنهروا ما بقي في معسكره من الشعير والأغنام والخيام حتى جعلوا يقطعون الخيام والأظناب قطعاً قطعاً فقدم له ولأصحابه من الأمتعة ما يساوي ألف ألف درهم وانتدب طلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذي قدم من الديار المصرية قريبا والأمير شهاب الدين بن صبح أحد مقدمي الألوف فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين.

ولما كان يوم الأحد قدم الأمير فخر الدين إياس نائب صفد منها فلقاه الأمراء والمقدمون ثم جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ولم يترك يمشي أحداً من الجند يمشي إلا ركب معه وساق وراءه يليقاً ومن معه، وأتبعهم الأزواد والأثقال وساق يليقاً فابتدأ نحو البرية فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة فخرج نائبها وقد ضعف أمره جداً وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصارلة الأعداء من كل جانب فالتقى بيده وأخذ سيفه وسيف من معه واعتقلوا بحماة ويث بالسيوف إلى الديار المصرية.

وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر ففرضت البشائر بالقلعة وعلى باب الميايين على العادة وأحدثت العساكر بحماة من كل جانب يتظفرون ما رسم به السلطان من شأنه وقام إياس بجيش دمشق على حمص وكذلك جيش طرابلس ثم دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر وقدم يليقاً وهو مقيد على كنيس هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود فدخلوا به بعد عشاء الأخيرة فاجتازوا به في سوق السبقة، بعدما غلقت الأسواق وطفئت السرج وغلقت الطاقات ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ثم من عند مسجد الذبان على المصلى واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية وتواترت البريدة من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملأهم وغير ذلك.

وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة فأخبر بقتل يليقاً فيما بين قاقون غزة وأخذت رؤوسهما إلى السلطان وكذلك قتل بغزة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد بن البغدادى والدواخر فطيمر ويدير البدرى أحد المقدمين كان قد تقم عليه السلطان عمالاً يليقاً فأخرجهم من مصر مسلوين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يليقاً حيث التقاه من الطريق فلما انفصل البريد من غزة التقى يليقاً في طريق وادي فحمة فخقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان وقدم أميران من الديار المصرية باطوطة على حواصل يليقاً وطواشي من بيت المملكة فتسلم مصافاً وجواهر نفيسة جداً ورسوم يبيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذي كان قد شرع بعمارة بسوق الخيل وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التي كان أنشأها ظاهر باب الفرج والحمامين التجاورين ظاهر باب الجابية غربي خان السلطان العتيق وخصصاً في قريبا

البشائر في القلعة المنصورة وزين البلد في الساعة الراحنة من أمكن من الناس وما أصبح صباح يوم السبت حتى زين البلد بكماله ولله الحمد على انتظام الكلمة واجتماع الألفة.

وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير فخر الدين إلياس نائب حلب عتاطا عليه فاجتمع بالنائب في دار السعادة ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ويقال: إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق فمهما فعل فيه فقد أمضي له فأقام بالقلعة المنصورة نحوًا من جمعة ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية فلم يدر ما فعل به.

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله

■ محمد بن عثمان الذهبي بترية أم الصالح وصلي عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير وقدم ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله.

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله وأقفاها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة وكان درساً مشهوداً ولله الحمد والمنة أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا نُسَخَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَخْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» (أحمد: ٤٥٥/٣).

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة فقطعوا أيدي أحد عشر منهم وسمر عشرة تسبيراً تعزيراً وتأديبا انتهى والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن ابن الناصر بن المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بيضا ووزيره منجك وقضاة عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الأخنائي المالكي وعلاء الدين بن التركماني الحنفي وموفق الدين المقدسي الحنبلي وكتاب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ونائب الشام المحروس بلعشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري وحاجب الحجاب الأمير طيردمر الإسماعيلي.

والقضاة بلعشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي وقاضي القضاة جلال الدين المسلاتي المالكي وقاضي القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلي.

وكتاب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي وهو قاضي العساکر بحلب وملبس الأسلية بها أيضا مع إقامته بلعشق المحروسة.

وتواترت الأخبار بوقوع الرواء في أطراف البلاد فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك.

وكنا وقع بغزة أمر عظيم وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفا وقرئ البخاري في رُبعة يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة وحضر القضاة وجماعة من الناس وقرأت بعد ذلك المقرئون

أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فآله أعلم ثم طلب بقية أصحابه من حاة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم فلا يدرى على أي صفة هلكوا.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائبا عليها وكان قدومه من حلب انفصل عنها وتوجه إليها الأمير فخر الدين إلياس الحاجب فدخلها أرغون شاه في أبهة النيابة وعليه خلعة وعمامة بطرفين وهو قريب الشكل من تنكر رحمه الله فتزل دار السعادة وحكم بها وفيه صرامة وشهامة.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلي على الأمير

■ علاء الدين بن قراستقر بالجامع الأموي وظاهر باب النصر وحضر القضاة والأعيان والأمراء ودفن بترته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكرمي.

وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشتغل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة وغلاء السعر كل رطل إلا أوقية بدرهم وهو متغير وسائر الأشياء غالية والزيت كل رطل بأربعة ونصف ومثله الشبرج والصابون والأرز والعنبريس كل رطل بثلاثة وسائر الأطعمة على هذا النحو وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ونحو ذلك وغالب أهل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويحلبون القمح للمونة والبار من دمشق وبيع عندهم القمح المغريل كل مد بأربعة دراهم وهم في جهد شديد والله هو المأمول المسؤول وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته لأن المياه التي في الدرب كلها نفدت وأما القدس فأشد حالا وأبلغ في ذلك.

ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة سَنَّ الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بإرسال الغيث المتدارك الذي أحياى العباد والبلاد وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والخدعان واحتلات بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة وجاءت بذلك البشائر إلى نائب السلطنة وذكر أن الماء عم البلاد كلها وأن الثلج على جبل بني هلال كثير وأما الجبال التي حول دمشق فعليها ثلوج كثيرة جداً واطمأنت القلوب وحصل فرح شديد ولله الحمد والمنة وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني.

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ

■ عز الدين محمد الحنبلي بالصاحبة وهو خطيب الجامع المظفري وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله وكان كثيراً ما يلقن الأموات بعد دنهم فلقنه الله حجة وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد وقع بينه وبين الأمراء فتحيروا عنه إلى قبة السر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ويقال: إنه قطع قطعاً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون فدفنت

وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن ابن شيخنا الحافظ المزي بدار الحديث النورية وهو شيخنا ودفن بمقابر الصوفية عند والده رحمه الله تعالى.

وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوي الموت وتزايد وبالله المستعان ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن تعرفهم وغيرهم رحمه الله وأدخلهم جنته وبالله المستعان وكان يصلى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت فإنا لله وإنا إليه راجعون وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمه الله آمين.

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصلر شمس الدين ■ ابن الصباب التاجر السفار باني المدرسة الصبابة التي هي دار قرآن بالقرب من الظاهرية وهي قلبي العادلة الكبيرة وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شتية فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ووقف هو وغيره عليها أوقافا جيدة رحمه الله تعالى.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رجب صلي بعد الجمعة بالجامع الأموي على غائب: وهو القاضي علاء الدين

■ ابن قاضي شهبة ثم صلي على إحدى وأربعين نقسا جملة واحدة فلم يتسع داخل الجامع لفصهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر وخرج الخطيب والنيق فصلى عليهم كلهم هناك وكان وقتا مشهورا وعبرة عظيمة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ (ألفريدون).

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بألفريدون السني باني المدرسة التي بظاهر باب الحامية تجاه تربة بهادرأس حائطها من حجارة ملونة وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافا جيدة وكان مشهورا مشكورا رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم السبت ثالث رجب صلي على الشيخ

■ علي المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الأفرمي بسفح قاسيون ودفن بالسفح رحمه الله وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول في هذه الدنيا وظيفة بالكلية ولم يكن له مال بل كان يأتي بشيء من الفتح يستفتيه قليلا قليلا وكان يعاني التصوف وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلي على القاضي

■ زين الدين بن النجيج نائب القاضي الحنبلي بالجامع المظفري ودفن بسفح قاسيون وكان مشكورا في القضاء لديه فضائل كثيرة وديانة وعبادة وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية وكان قد وقع بينه وبين القاضي الشافعي مشاجرات بسبب أمور ثم اصطلحا فيما بعد ذلك.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره بعد آذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا أصفر الجو منه ثم أسود حتى أظلمت الدنيا وبقي الناس في ذلك نحو من ريع ساعة يجارون إلى الله عز وجل ويستغفرون ويكربون مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون فلم يزد الأمر إلا شدة وبالله المستعان وبلغ المصلى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين وأكثر من ذلك خارجا عن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد وعن يموت من أهل النعمة.

وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير يقال إنه بلغ ألفا في كثير من

ودعا الناس يرفع الوياء عن البلاد.

وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء.

وفي صبيحة يوم الأحد تاسعه اجتمع الناس بمحارب الصحابة وقرؤوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وثلاثة وستين مرة عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ أرشده إلى قراءة ذلك كذلك.

وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمرأض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة فإنا لله وإنا إليه راجعون وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل.

وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ولا سيما من النساء فإن الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير وشرع الخطيب في القنوت في سائر الصلوات والدعاء برفع الوياء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإتابة وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا وزادوا على الماتين في كل يوم فإنا لله وإنا إليه راجعون وتضاعف عدد الموتى منهم وتعطلت مصالح الناس وتأخرت الموتى عن إخراجهم وزاد ضمان الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك فإنه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النعوش والمغسلين والحمالين ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ووقع نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ولكن كثرت الموتى قاله المستعان.

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوياء عنهم فصام أكثر الناس ونام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان.

فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عميق إلى الصحراء واليهود والنصارى والسامرة والشيوخ والمعاجز والصبيان والفقراء والأمراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تمثال النهار جدا وكان يوما مشهودا.

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة فتعول الناس من ذلك واندفعوا وكان الموت يرمث كثيرا ربما يقارب الثلاثمائة بالبلد وحواضره فإنا لله وإنا إليه راجعون وصلي بعد الصلاة على خمسة عشر ميتا بجامع دمشق وصلي بجامع الخيل على إحدى عشرة نقسا رحمه الله.

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما خسرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها الأماكن فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه وقد جمعت جزءا في الأحاديث الواردة في قتلهم واختلاف الأئمة في نسخ ذلك وقد كان عمر رضي الله عنه يأمُر في خطبته بنبذ الحمام وقتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها إذا أذن الإمام في ذلك للمصلحة.

■ (عبد الرحمن بن المزي).

الأيام فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وصلي بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفري على الشيخ

■ إبراهيم بن الحب الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ودفن بسفح قاسيون وكانت جنازته حافلة رحمه الله.

وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب يقولون ليلة المراج ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم.

واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الحميم ظاهراً للبلد فجاءوا لينخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك فكانه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنحو ما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز فازرعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فامر بجمعهم فلما أصبح الناس أمر بتسريحهم ثم عفا عنهم وضرب متولي البلد ضرباً شديداً وسمّر نائبه في الليل وسمّر الأبواب بباب النصر وأمر أن لا يمشي أحد بعد عشاء الأخيرة ثم سمح لهم في ذلك.

واستهل شهر شعبان والفناء في الناس كثير جداً وربما أنتت البلد فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وتوفي الشيخ

■ شمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية الكبيرة بالمطرزين يوم الخميس ثالث عشر شعبان.

وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلي بعد الصلاة على جماعة كثيرة منهم القاضي عماد الدين

■ ابن الشوزاوي محاسب البلد وكان من أكابر رؤساء دمشق، وولى نظر الجامع مدة وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف وجمع له في وقت ينيهما ودفن بسفح قاسيون.

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفي الأمير سيف الدين

■ قرايغا دويدار النائب بداره غربي حكر السماق وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً وهو الذي أنشأ السوق المجددة عند داره وعمل لها بابين شرقياً وغربياً وضمت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ثم بارت وهجرت لقلة الحاجة إليها وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ودفن بترته هناك وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً أخذته غدومه نائب السلطنة.

■ (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن القزويني).

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفي خطيب الجامع الخطيب تاج الدين عبد الرحمن ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني بدار الخطابة مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده.

وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم.

وصلي على الخطيب

■ تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بترته بم بالصفورية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد وجمال الدين عبد الله رحمهم الله.

وفي يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن عمود بن جلة فولاه إياها نائب السلطنة وانتزعت من يده وظائف كان يباشرها ففرقت على الناس فولي القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية

البرانية وتوزع الناس بقية جهاته ولم يبق بيده سوى الخطابة وصلى بالناس يومئذ الظهر ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء.

وفي يوم عرفة وكان يوم السبت توفي القاضي شهاب الدين

■ ابن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية والبلاد الشامية ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئاً من ذلك من رئاسة وسعادة وأموال جزيلة وأملاك ومرتببات كثيرة وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنة شرقها ليس بالسفح مثلها وقد انتهت إليه رئاسة الإنشاء وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه وله مصنفات عديدة بعبارات سديدة.

وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق يحب العلماء والفقراء ولم يجاوز الخمسين توفي بدارهم داخل باب القرايس وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من الينمورية ساعه الله وغفر له.

وفي هذا اليوم توفي الشيخ أبو عبد الله

■ ابن هيثم المغربي كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية كان أبصر بخط الشيخ منه إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا وكان سريع الكتابة لا بأس به ديناً عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له أمين.

ثم دخلت سنة خمسين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون.

ونائب الديار المصرية ومدير ممالكه والأتابك سيف الدين بينا وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري.

وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب.

وفي هذه السنة ولله الحمد تقاصر أمر الطاعون جداً ونزل ديوان الموارث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخمسمائة في أثناء سنة تسع وأربعين ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية.

فإن في يوم الأربعاء رابع شهر الله المحرم توفي الفقيه شهاب الدين

■ أحمد بن الظفة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض وصلي عليهم جميعاً ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى.

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين

■ محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي مدرس العمادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن وخلق حسن جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقي الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان انتهى والله تعالى أعلم.

مسك نائب السلطنة أرغون شاه

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله فما شعر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين الجي بنا المظفري الناصري ركب إليه في طائفة من الأمراء الألووف وغيرهم فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم فخرج إليهم فقبضوا عليه وقلوبه ورسوموا عليه وأصبح الناس أكثرهم لا يشعرون بشيء مما وقع فتحدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين الجي بنا المذكور ونزل بظاهر البلد واحتيط على حواصل أرغون شاه فبات عزيزاً وأصبح ذليلاً وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فصبهان من يده الأمر مالك الملك يُؤْتِي الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَيَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَيُعِزُّ الْأَهْلَ الْفَرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا تَبِيتًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. أَوْ أَمِنْ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا ضَعْفَى وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. أَفَأَنْتُمْ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَافِرُونَ ﴿سورة الأعراف: ٩٧-٩٩﴾ ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذنباً فائت محضر بأنه ذبح نفسه فآله تعالى اعلم.

كائنة عجيبة غريبة جداً

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين الجي بنا نائب طرابلس الذي جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدم وأقام بالميدان الأخضر يستخلص أمواله وحواصله ويجمعها عنده فأنكر عليه الأمراء الكبار وأمره أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم فاتهموه في أمره وشكروا في الكتاب الذي على يده من الأمر بمسكه وقتله وركبوا ملبسين تحت القلعة وأبواب الميدان وركب هو في أصحابه وهم في دون المائة وقاتل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسعين. جعلوا يحملون على الجيش حل المستقلين إنما يدافعهم مدافعة التبريرين وليس معهم مرسوم يقتلهم ولا قتالهم فلهاذا ولّى أكثرهم منهزمين فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقدمين وهو الأمير الكبير سيف الدين الجي بنا العادلي قطعت يده اليمنى وقد قارب التسعين وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ثم انفصل الحال على أن أخذ الجي بنا المظفري من خيول أرغون شاه المرتبطة في اسطبله ما أراد ثم انصرف من ناحية المزة صاعداً على عقبها ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أرغون شاه واستمر ذاهباً ولم يتبعه أحد من الجيش وصحبه الأمير فخر الدين إيباس الذي كان حاجباً ونائب في حلب في العام الماضي فذهباً بمن معها إلى طرابلس وكب أمراء الشام إلى السلطان يعلمونه بصورة ما وقع فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكلية وإن الكتاب الذي جاء على يديه مفتعل وجاء الأمر لأربعة آلاف من الجيش الشامي أن يسيروا وراءه ليمسكوه ثم أضيف نائب صفد مقدماً على الجميع فخرجوا في العشر الأول من ربيع الآخر.

وفي يوم الأربعاء سلس ربيع الآخر خرجت المساكر في طلب سيف الدين الجي بنا الذي فعل الأفاعيل وخرج من دمشق بالسالي بعدما قتل

نائب سلطتها وجماعة من أهلها، وجرح خلقاً من أجنادها، وقطعت يد الأمير سيف الدين الجي بنا العادلي في الممركة وهو أحد أمراء الألووف المقدمين.

ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودي بالبلد على من يقر بها من الأجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالعد فاصبحوا في سرعة عظيمة واستبقي في البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين بن الخطير فحكم بدار السعادة على عادة النواب.

وفي ليلة السبت بين العشائين سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا في طلب الجي بنا المظفري وهو معهم أسير ذليل حقير وكذلك الفخر إيباس الحاجب مأسور معهم فأودعوا في القلعة مهلين من جسر باب النصر الذي تجاه دار السعادة وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير في دار السعادة وهو نائب النية فخرج الناس بذلك فرحاً شديداً ولله الحمد والمنة. فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخيل فوسطا بمحضرة الجيش وعلقت جثتيهما على الخشب لإبراهما الناس فمكثا أياماً ثم أُنزلا دفننا بمقابر المسلمين.

وفي أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين

■ قُطليشا فخرج كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون وذكر أنه كان يحنط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ويأخذ من أموال الناس جهرة حتى حصل له منها شيء كثير ثم نقل إلى حلب بعد نائبها الأمير سيف الدين أرططاي الذي كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه وخرج الناس لتلقيه فما هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فمات بتلك المنزلة فلما صار قُطليشا إلى حلب لم يبق بها إلا يسيراً حتى مات ولم يتبق تلك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في آخره.

ولما كان يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري من الديار المصرية إلى دمشق نائباً عليها وبين يديه الجيش على العادة قبل العتبة ولبس الحياصة والسيف وأعطى تقليده ومنشوره هنالك ثم وقف في الموكب على عادة النواب ورجع إلى دار السعادة وحكم وفرح الناس به وهو حسن الشكل تام الخلقة وكان الشام بلا نائب مستقل قريبا من شهرين ونصف وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطيلخانة وهم القاسمي وأولاد الأبو بكرى الثلاثة اعتقلهم في القلعة لمالأتهم الجي بنا المظفري على أرغون شاه نائب الشام.

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضي نجم الدين ابن القاضي عماد الدين الطرسوسي الحنفي وذلك بتوقيع سلطاني وخليفة من الديار المصرية.

وفي يوم الثلاثاء سلس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضي القضاة تقي الدين السبكي وبين الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية على يدي الأمير سيف الدين بن فضل ملك المرب في بستان قاضي القضاة وكان قد نعم عليه إكثاره من الفيا بمسالة الطلاق.

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة وشرع في تكميل التربة والمسجد الذي قبلها وذلك أنه عاجلته المنية على يد الجي بنا المظفري قبل إتمامها وحين قتلوه ذبحاً ودفنوه ليلاً في مقابر الصوفية قريبا من قبر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ثم حول إلى تربته في الليلة المذكورة.

وجدت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبلي تربة امرأة تنكر بحلة باب الخواصين حولها وكانت صورة مدرسة الطواشي صفى الدين عبر مولى ابن حزة وهو أحد الكبار الأجواد تقبل الله منه.

وفي يوم الأحد خاس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيانية التي كانت داراً للأمير سيف الدين طيان بالقرب من الشامية الجوانية بينها وبين أم الصالح اشترت من ثلثة الذي وصى به وفتحت مدرسة وحول لها شبك إلى الطريق في صُفْتها القبلية منها وحضر الدرس بها هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزمكاني بوصية الواقف له بذلك وحضر عنده قاضي القضاة السبكي والمالكي وجماعة من الأعيان وأخذ في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الآية (الطاهر: ٣٥).

واتفق في ليلة الأحد السادس والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤننين على السنة في جامع دمشق وقت إقامة الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد فانظر من يقيم معه الصلاة فلم يبق أحد غيره بمقدار درجة أو أزيد منها فأقام هو الصلاة وحده فلما أحرم الإسام بالصلاة تلاحق المؤننون في أثناء الصلاة حتى بلغوا دون العشرة وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر لم يحضر سوى مؤذن واحد وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكاتنة.

وفي يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان وكان الفاضل الحنبلي قد حكم في دار المتمدن الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر بتقصها وكانت وقفاً لتضاف إلى دار القرآن ووقف عليها أوقاف للفقراء فمنعه الشافعي من ذلك من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دار حديث ثم فتحوا باباً آخر وقالوا: هذه الدار لم يستهدم جميعها وما صادف الحكم عملاً لأن مذهب الإمام أحمد أن الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ولم يبق ما يتبع به فحكم القاضي الحنفي بإثباتها وقفاً كما كانت ونقله الشافعي والمالكي واتفق الحال على ذلك وجرت أمور طويلة وأشياء عجيبة.

وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التي يقال لها الطيانية إلى جانب أم الصالح مقتولاً مذبحاً وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم يطلع على فاعل ذلك وكان البواب رجلاً صالحاً مشكوراً رحمه الله.

ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين

■ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي ودفن عند الدنة بمقابر الباب الصغير رحمه الله.

ولد في سنة إحدى وتسعين وستماية وسمع الحديث واشتغل بالعلم ويرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصولين.

ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعماية لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علماً جامعاً مع سلف له من الاشتغال فصار فريداً في بابيه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الصلاة والابتهاال.

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤننون للفجر قبل الوقت بقريب من ساعة فصلى الناس في الجامع الأموي على عادتهم في ترتيب الأئمة ثم رأوا الوقت باقياً فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم وأقيمت الصلاة ثانياً وهذا شيء لم يتفق مثله.

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفي قاضي القضاة علاء الدين ■ ابن منجا الحنبلي بالمسامرة وصلي عليه الظهر بالجامع الأموي ثم بظاهر باب النصر ودفن بسفح قاسيون رحمه الله.

وفي يوم الاثنين رمضان بكرة النهار استدعي الشيخ جمال الدين المرادوي من الصالحية إلى دار السعادة وكان تقليد القضاة المذهب قد وصل إليه قبل ذلك باباً فاحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع من ذلك فألحوا عليه فصمم وبالف في الامتناع جلياً وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه وبقي القضاة يوم ذلك في دار السعادة ثم بعثوا إليه بعد الظهر فحضر من الصالحية فلم يزلوا به حتى قبل وليس الخلعة وخرج إلى الجامع فقرأ تقليده بعد العصر واجتمع معه القضاة وهنأه الناس وفرحوا به لبنياته وصيائنه وفضيلته وأمانته.

وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوي المقدسي وابن مفلح زوج ابنته.

وفي العشر الأخير من ذي القعدة حضر الفقيه الإمام المحدث المفيد أمين الدين الإيجي المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية نزل له عنهما الصدر أمين بن الفلاس وكل بيت المال وحضر عنده الأكابر والأعيان.

وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه الذي كان نائب السلطنة بدمشق وكذلك القبلي منها وصلى فيها الناس وكان قبل ذلك مسجداً صغيراً فعمره وكبره وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعماية

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ونائبه بمصر الأمير سيف الدين بيغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير والمشاوورون جماعة من المقدمين بديار مصر وقضاة مصر وكاتب السر هم الذين كانوا في أول السنة الماضية ونائب الشام الأمير سيف الدين أيتمش الناصري والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فإنه الشيخ جمال الدين يوسف المرادوي وكاتب السر وشيخ الشيوخ تاج الدين وكاتب الدست هم المتقدمون وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب ابن القاضي علاء الدين بن شمرنوخ والمحاسب القاضي عماد الدين بن الفرفور وشاد الأوقاف الشريف وناظر الجامع فخر الدين بن الغيف وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جلة رحمه الله.

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودي بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء الأكمام الطوال العراض ولا البرد الحرير ولا شيئاً من اللباسات والثياب الثينة. ولا الأقمشة القصار ويلفتن أنهم بالديار المصرية شدوا في ذلك جداً حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فالله أعلم.

بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم فدخل القضاة الثلاثة الباقون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة وأنشأ إليه صورة الحال فرسم له بالتدريس فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة واجتمع الفضلاء والأعيان ودرس الشيخ شرف الدين المذكور وبث فضائل كثيرة وفرح الناس.

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومنبر ممالكها الأمير سيف الدين بيضا الناصري ومعه جماعة من الأمراء فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك وهو وزير المملكة وأستاذ دار الأستاداية وهو باب الخواص في دولتهم وإليه يرجع ذؤو الحاجات بالذهب والهدايا فأسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيخون وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم فأدخل إلى قلعة دمشق ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الإسكندرية فأنه أعلم وجاء البريد بالاحتياط على فيواته وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما وكذلك وردت الأخبار بمسك بيضا في أثناء الطريق وأرسل سيفه إلى السلطان وقدم أمير من الديار المصرية فحلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان وأكد ذلك وسار إلى حلب فحلق من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية وحصل له من الأموال شيء كثير من التواب والأمراء.

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقلعان شهاب الدين أحمد بن صبيح وملك أص من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعا إلى القلعة المنصورة سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث وقبلا وسجنا بها. وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضي علم الدين بن زنبور وخلع عليه خلعة سنية لم يسمع بمثلا من أعصار متقدمة ويأشر وخلع على الأمراء والمقدمين وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طشيفا وأعيد إلى مباشرة الدويارية بالديار المصرية وجعل مقنما.

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشبه أن نائب صفد شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانة طلب إلى الديار المصرية فاستع من إجابة الداعي ونقض العهد وحصن قلعتها وحصل فيها عدداً ومداً وأدخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والانتاع فيها فجهات البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو وجميع جيش دمشق إليه فتجهز الجيش لذلك وتأهبوا ثم خرجت الأطلاب على راياتها فلما برز منها بعضٌ بدأ نائب السلطنة فردهم وكان له خبرة عظيمة ثم استقر الحال على تجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه.

وفي يوم الخميس ثاني عشره وقعت كائنة غريبة بمنى وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد فاقتلوا قتالا شديداً قريباً من وادي عسمر ثم المجلت الوقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فحمل مقيدا إلى مصر وكذلك جاءت بها كتب الحجاج وهم أخبروا بذلك.

واشتهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون شاه الكامل قد خرج عنها بمالكيه وأصحابه فقام الجيش الحلي رده فلم يستطيعوا ذلك وجرح منهم جراحات كثيرة وقتل جماعة فبأن لله وإنه إليه راجعون واستمر ذاهبا وكان في أمله فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين بيضا في أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بنته فيأخذها فلما سار بمن معه

وكان حسن القراءة والحلق كثير التردد لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيه ولا يحقد على أحد وكنت من أصحاب الناس له وأحب الناس إليه ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جذاً ومد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا يتزع عن ذلك رحمه الله.

وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً واقتنى من الكتب ما لا يتهاى لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف.

وبالجملة كان قليل النظير بل عليم النظر في مجموعته وأمره وأحواله والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ساعه الله ورحمه.

وقد كان متصلياً للإتناء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية وجرت له بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره.

وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة وتراحم الناس على حمل نعشه وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدريّة شرف الدين عبد الله ابن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عرضاً عن أبيه رحمه الله فافاد وأجاد وسرد طرفاً صالحاً في فضل العلم وأهله.

ومن المعجائب والغرائب التي لم يتفق مثله ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر أنه بطل الرقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان فلم يزد في وقيدته فتدلى واحداً على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والملة وفرح أهل العلم بذلك وأهل الديانة وشكروا الله تعالى على تبطل هذه البدعة الشنيعة التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ولا سيما بالجامع الأموي وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه وشيد أركانه.

وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجبي بيض الله وجهه وقد كان مقبياً في هذا الحين بالديار المصرية وقد كنت رأيت عنده فتياً عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية والشيخ كمال الدين بن الزمكاني وغيرهما في إبطال هذه البدعة فأنفذ الله ذلك ولله الحمد والملة.

وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا وكم سعى فيها من فقيه وقاض ومنفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم يسر الله ذلك إلا في علاننا هذا والمسؤول من الله تعالى إطالة عمر هذا السلطان ليعلم الجهلة الذين استقر في أذهانهم من أنه إذا أبطل هذا الرقيد في عام يموت سلطان الوقت وكان هذا لا حقيقة له ولا دليل عليه إلا مجرد الزعم والخيال.

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة فيما يتعلق بالفقهاء والملاّرس وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية وكان بيده نصف تدريس الضاحية التي للحنبالية بالصالحية والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنبالية بدمشق فاستنجز مرسومًا بالنصف الآخر وكانت بيده ولاية مقدمة من القاضي علاء الدين بن المنجا الحنبلي فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي وولى فيها نائبه شمس الدين بن مفلح ودرس

وفي هذا اليوم قدمت البريدة من تلقاء مدينة صفد غيرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانة الذي كان قد تمرد بها وطمس وبغى حتى استحوذ عليها وقطع سبيلها وقتل الفرسان والرجال وملاها اطعمة وأسلحة ومالكية ورجاله فعندما تحقق مسك بيضا أروس خضعت تلك الفروس وخدمت ناره وسكن شراره وأخذ بناره ووضح قراره وأناب إلى التوبة والإقلاع ورغب إلى السلامة والإخلاص وخشع ولات حين مناص وأرسل سيفه إلى السلطان ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يُحِثَّهُ عليه وأن يقبل بقلبه إليه.

وفي يوم الأحد خامس شهر صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون الكاملي معاً إلى نياية حلب وفي صحبته الأمير سيف الدين طشبا الدوار بالديار المصرية وهو زوج ابنة نائب الشام فلقاه نائب الشام وأعيان الأمراء ونزل طشبا الدوار عند زوجته بدار منجاً في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حيدر وقد جددت في السنة الماضية وتوجه في الليلة الثانية من قدومهما إلى حلب.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع القضاة الثلاثة وطلبوا الخنيلي ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التي بجوار مدرسة الشيخ أبي عمر التي حكم بتفرض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة وجاء مرسوم السلطان بوقف ذلك وكان القاضي الشافعي قد أراد منعه من ذلك فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك فلم يحضر القاضي الخنيلي وقال: حتى يجيء نائب السلطنة.

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضي حسين ولد قاضي القضاة تقي الدين السبكي عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرئ عليه شيء كان قد خرج له بعض الخنيلين وشاع في البلد أنه نزل له عنها وتكلموا في ذلك زماناً كثيراً وانتشر القول في ذلك وذكر بعضهم أنه نزل له عن الغزالية والعادلية واستخلفه في ذلك فآله أعلم.

وفي سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الأولى وقع حريق عظيم في الخوانيتين في السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخيرة والمناخلين وفرجة الغرابيل وإلى درب القلي ثم إلى درب العميد وصارت تلك الناحية دكا بلقما فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء ناب السلطنة بعد الأذان إلى هناك ورسم بطفي النار وجاء المتولي والقاضي الشافعي والحجاب وشرع الناس في طفي النار ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً ولم يفقد فيما بلقنا أحد من الناس ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأماك وغير ذلك واحترق للجامع من الرباع في هذا الحريق ما يساوي مائة ألف درهم انتهى والله أعلم.

كائنة غريبة جداً

وفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضي الخنيلي جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالإسلام وأهله فأنهم حملوا رجلاً منهم صفة ميت على نعش ويهللون كهليل المسلمين أمام الميت ويقولون «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» [إعلاص: ١-٤] فسمع بهم من محاربتهم من المسلمين فاختذهم إلى ولي الأمر نائب السلطنة فدفعهم إلى الخنيلي فاقضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال وأسلم في

وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي تجريدة في نفر يسير من مماليكه فاجتاز بحمة لهره نائيبها فأبى عليه فلما اجتاز بمحصر وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه فقدم به نائب محصر وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الألوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر وهو في أبهة فتزل بلار السعادة في بعض قاعات الدويلارية.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بيضا الملقب بمجارس الطير وهو عوضاً عن الأمير سيف الدين بيضا أروس الذي راح إلى بلاد الحجاز ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف فنزل السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله وأخذ منجك الوزير وهو أستاذ دار ومقدم ألف واصطفى أمواله واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة القاضي علم الدين بن زينور واسترجع إلى وظيفة الدويلارية الأمير سيف الدين طشبا الناصري وكان أميراً بالشام مقيماً منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم وأما كاتب السر بمصر وقضائتها فهم المذكورون في التي قبلها.

واستهلّت هذه السنة ونائب صفد قد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما يبنى لها من الأطعمة والذخائر والعدد والرجال وقد نابذ المملكة وحارب وقد قصده العساكر من كل جانب من الديار المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها والأخبار قد ضمنت عن بيضا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدمعهم بها معه والقلوب وجلة من ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولمّا ورد الخبر أن صاحب اليمن حج في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولي عليها أخاه تقي فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين طاز وأمير حجتهم وأمير حجبهم الأمير سيف الدين بُزْلاز ومنعهم طائفة كثيرة وقد أسكوا أحاهم بيضا وقيدهم فقروا رأسه عليهم واستخف بهم فصبروا حتى قضى الحج وفرغ الناس من المناسك.

فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس تواقفوا هم وهو فقتل من الفريقين خلق كثير والأكثر من اليمنيين وكانت الوقعة قريبة من وادي عسر وبقي الحجاج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتهب الأعراب أموالهم وربما قتلهم ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن، ولجأ الملك الجماد إلى جبل فلم يعصمه من الأتراك بل أسروه ذليلاً حقيراً وأخذوه مقيداً أسيراً وعاث عوام الناس إلى اليمنيين فنبهوا شيئاً كثيراً ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ولا قليلاً ولا كثيراً واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتته وأتقاله وساروا بخيله وجماله وأدّنوا إلى صناديد من رحله ورجاله واستحضروا معهم طفلاً الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيده أيضاً وجعلوا الغل في عقه واستاقوه كما يستاق الأسير في وثاقه مصحوباً بهم وحفّة وانشروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين وقد فعلوا فعلة تذكر بعدهم إلى حين.

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شداد الشربخانة الذي كان قد عصى في صفد وكان من أمره ما كان فاعتقل بالإسكندرية ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حماة فدخل دمشق في هذا اليوم سائرا إلى حماة فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته إلى دار السعادة وترجل بين يديه.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين بيضا الذي كان نائبا بالديار المصرية ثم مسك بالحجاز وأودع الكرك ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حلب فقتله نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضيف ونزل وطاقه بوظة برزة وضربت له خيمة بالبيدان الأخضر.

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

والخليفة الذي يدعى له المعتضد بأمر الله.

ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها والوزير القاضي ابن زنبور وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور - جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيوخون وطاز وصرغتمش عيمش ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون الكامل.

وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب البلاد الحلية الأمير سيف الدين بيضا أروس ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانة.

ووصل بعض الحجاج إلى دمشق في تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن

■ شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلا في المدايق.

وفي ليلة الاثنين سادس عشر صفر في هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقيه فأحرق به دكان الفقاعي الكبيرة المزخرفة وما حولها واتسع اتساعا فظيعا واتصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بمقصورة الحلية بمشهد علي ثم غُذِرَا عليه يكسرون خشبه بالقفوس الحداد والسواعد الشداد وإذا هو من خشب الصنوبر الذي في غاية ما يكون من القوة والثبات وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومعاليه وله في الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة انتهى والله أعلم.

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

الذي كان هلاكه وذهابه وكسره في هذه السنة وهو باب شرقي جامع دمشق لم ير باب أوسع ولا أعلى منه فيما يعرف من الأبنية في الدنيا وله غلقتان من نحاس أصفر بمسامير من نحاس أصفر أيضا بارزة من عجائب الدنيا ومحاسن دمشق ومعالمها وقد تم بناؤها وقد ذكرته العرب في أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص

اليوم الثاني ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطاقوا بهم في الأسواق يهفلون ويكبرون وأعطاهم أهل الأسواق شيئا كثيرا وراحوا بهم إلى الجامع فوصلوا ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئا ورجعوا وهم في ضجيج وتهليل وتقليس وكان يوماً مشهوراً والله الحمد والملة.

ملكة السلطان الملك الصالح: صلاح الدين صالح بن

الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالح

في العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وودت البريدية من الديار المصرية يعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه واجتماعهم على اخيه الملك الصالح صالح وأمه بنت ملك الأمراء تنكر الذي كان نائب الشام مدة طويلة وهو ابن أربع عشرة سنة وجاءت الأمراء للحلف فدفقت البشائر وزين البلد على العادة.

وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الأمراء الذين كانوا بإسكندرية مثل شيوخون ومنجك وغيرهما وأرسلوا إلى بيضا فجاء به من الكرك وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في الكرك فأخرج وعاد إلى الديار المصرية.

وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك منغلطاي أمير آخور ومنكلي بغا الفخري وغيرهما فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الإسكندرية وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة.

وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين إيتمش عن دمشق مطلوباً إلى الديار المصرية فار إليهم يوم الخميس.

وفي يوم الاثنين حادي عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون الكامل الذي كان نائبا على الديار الحلية من هناك فدخل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق منهم من وصل إلى حلب وحماة وحمص وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحلته وما كان من لين الذي قبله ورخاوته فترل دار السعادة على العادة.

وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل: إنه لم ير مثله من مدة طويلة ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاني فأمر بإنزاله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة. واستمر بطلان الرقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضا كالذي قبله حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله فقرر أهل الخير بذلك فرحا شديدا وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلاثمائة سنة والله الحمد والملة.

ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب: من وجد جنديا سكرانا فليزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ومن أحضره من الجند إلى دار السعادة فله خبزه ففرح الناس بذلك واحتجروا عن الحمامين والعصارين ورخصت الأعصاب وجاءت الأخياز واللحم بعد أن كان بلغ كل رطل أربعة ونصف فصار يدرهمين ونصف وأقل وأصلحت المعاش من هيئة النائب وصار له صيت حسن وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة القصد وصحة الفهم وقوة العدل والإدراك.

وكانوا يسمونه باب الفرائيس المسدود ولعطارد باب الفرائيس الكبير ولزهرة باب توما وللشمس الباب الشرقي وللمريخ باب الجابية وللمشترى باب الجابية الصغير ولزحل باب كيسان.

وفي أوائل شهر رجب الفرد اشتهر أن نائب حلب بييغا آروس اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشرجانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شيخون وطاز وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ويعثرا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكاملى فأبى عليهم ذلك وكتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر وانزعج الناس لذلك وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان.

ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأبلق واستحلهم بيعة أخرى لنائب السلطان الملك الصالح فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلية ومن معهم من أهل طرابلس وحماة وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف فصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها.

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة لئلا يقتاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر وخلت الديار منهم ونائب النية الأمير سيف الدين ألبغا العاقل وانتقل الناس من البساتين ومن طرف العقبة وغيرها إلى المدينة وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما اقترب دخول الأمير بييغا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد وغلقت أبواب البلد إلى ما يلي القلعة كباب النصر وباب الفرج وكذا باب الفرائيس وخلت أكثر الخال من أهاليهم ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعمهم إلى البلد على الدواب والحمالين وبلغهم أن أطراف الجيش انتهروا ما في القرى في طريقهم من الشير والتين وبعض الأنعام للأكل وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجبهة فخاف الناس كثيرا وتشتتت خواطهم انتهى.

دخول بييغا آروس إلى دمشق

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين بييغا آروس نائب حلب إلى دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ونائب صفد الأمير علاء الدين طيغا يلقب برنات وكان قد توجه قبله قبل يوم ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها في عدد كثير من الأتراك والتركمان فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك فدخلوا في تهميل كثير ملبسين وكان عدة من كان معه من أمراء الطليخانة قريبا من ستين أميرا أو يزيدون أو ينقصون على ما استفاض عن غير واحد ممن شاهد ذلك ثم سار قريبا من الزوال إلى المخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة بييغا عند الجبل الذي هنالك وكان يوما مشهودا هائلا لما عاين الناس من كثرة الجيوش والعدد وعذر كثير من

بن إرم بن سام بن نوح وهو الذي بناه وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام بل قبل نوح وهود أيضا على ما ذكره الحافظ ابن عسكار في تاريخه [١١/١] وغيره وكان فوقه حصن عظيم وقصر متين.

ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذي بناه لسليمان عليه السلام وكان اسم ذلك المارد جيرون والأول أظهر وأشهر.

فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المطاول ما يقارب خمسة آلاف سنة ثم كان انجفاف هذا الباب لا من تلقاء نفسه بل بالأيدي العادية عليه بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه من حريق وقع إلى جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة فتبادر ديوان الجامع ففترقا شمله وقصعرا شمله وعروا جلده النحاس عن بدنه الذي هو من خشب الصنوبر الذي كان الصانع قد فرغ منه يومئذ وقد شاهدت الفؤوس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة فسبحان الذي خلق الذين بنوه أولا ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه آخرأ بعد هذه المدد المطاول والأهم المتناولة ولكن ﴿لكل أجل كتاب﴾ والرعد: [٣٨] ولا إله إلا رب العباد.

بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة

ذكر الحافظ ابن عسكار في أول تاريخه [١٧/١] باب بناء دمشق بسنده عن القاضي يحيى بن حمزة التلهمي الحاكم بها في الزمن المتقدم وقد كان هذا القاضي من تلاميذ أبي عمرو الأوزاعي قال: لما فتح عبد الله بن علي دمشق بعد حصارها - يعني وانتزعها من أيدي بني أمية وسلمهم ملكهم - هدموا سور دمشق فوجدوا حجرا مكتوبا عليه باليونانية فجاءوا برامب فقرأ لهم فإذا هو مكتوب عليه: وبك أرم الجبل من راسك بسوء قصمه الله إذا وهى منك جيرون الغربي من باب البريد وتلك من خمسة أعين تقص سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغدا فإذا وهى منك جيرون الشرقي أدبل لك بمن يعرض لك قال: فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عين بن عيين بن عيين بن عيين.

فهذا يقتضي أنه كان يسورها سنينا إلى حين إخراجه على يد عبد الله بن علي أربعة آلاف سنة وقد كان إخراجه له في سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا في التاريخ الكبير فعلى هذا يكون لهذا الباب إلى يوم خرب من هذه السنة أعني سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة أربعة آلاف وستمئة وإحدى وعشرين سنة والله أعلم.

وقد ذكر ابن عسكار عن بعضهم أن نوحا عليه السلام هو الذي أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضي الطوفان.

وقيل: بناها دمسقس غلام ذي القرنين عن إشارته وقيل: العازر الملقب بدمشقي وهو غلام الخليل وقيل غير ذلك من الأقوال وأظهرها أنها من بناء اليونان لأن محارب معايدها كانت موجهة إلى القطب الشمالي ثم كان بعدهم النصارى فصلوا فيها إلى الشرق ثم كان فيها بعدهم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى الكعبة المشرفة.

وذكر ابن عسكار [تاريخ دمشق: ١٧/١] وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لميكل من المياكل السبعة فباب القمر باب السلامة

من البغاة المسلمين.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالشهد الذي يصلي فيه نواب السلطان أيده الله فكش الدعاء والمحبة له ذاعاً وآتياً تقبل الله منه وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر.

وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا - يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله -: بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدعاية داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضياء الحموي بسامعه من ابن البخاري وزين بنت مكي عن أحمد بن الحصين عن ابن المذهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرهما.

والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلل العبارة رحمه الله سلفه.

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء المسوكون من أصحاب بيها.

وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق في أبهة المملكة ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور.

وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأميران سيف الدين شيخون وطاز بن معهما من العسكار من بلاد حلب وقد فات تدارك بيها وأصحابه لدخولهم بلاد بن دلفار التركماني بمن بقي معهم وهم القليل وقد أسر جماعة من الأسراء الذين كانوا معه وهم في القيود والسلاسل صحيحة الأميرين المذكورين فدخلا على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلما عليه وقبلا الأرض وهنأه بالعيد ونزل طاز بدار أيتمش بالشرف الشمالي ونزل شيخون بدار آياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد.

وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام محلب نائباً بها عن سؤاله إلى ما ذكر وخوطب في تقليده بالقباب هائلة ولبس خلعة سنية وعظم تمظيماً زائداً ليكون هناك ألباً على يلبغا وأصحابه لثلة ما بينهما من العداوة ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر بالميدان الأخضر وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوي المصري قاضي العسكار المصري مرسوم السلطان وذويه وخلع عليه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

قتل الأمراء السبعة من أصحاب بيها

وفي يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة والجرتر يحملهما الأمير بدر الدين بن الخطير فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة وأحضروا الأمراء الذين قلدوا بهم من بلاد حلب فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه فمتمهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسطه فوسط سبعة: خس طبلخاناه ومقدما ألف منهم نائب صفد برناق وشفع في الباقيين فردوا إلى السجن وكانوا خمسة آخر.

الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لئلا يقاتل هؤلاء ففساك الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين.

وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين أياجي يطلب منه حواصل أرغون التي عنده فامتنع عليه أيضاً وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والمعدد وهباً بعض المجانيق ليبعد بها فرق الأبرجة وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين ويغلقوا الأسواق وجعل يغلق أبواب البلد إلا باباً أو بابين منها واشتد حنق العسكار عليه وهموا بأشياء كثيرة من الشر ثم يرحلون عن الناس والله المسلم غير أن أقيال العسكار وأطرافه قد عاثوا فيما جاوروه من القرايا والبساتين والكرورم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم وأكثر من ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء وبنات وعظم الخطب وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فآكلهم غنم لا يظهر لما ينجى من المصادرة والله المسؤول أن يحسن عاقبتهم.

واستهل شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد وأهل القرايا والحواضر في نقلة أثنائهم وأبقارهم ودوابهم وبناتهم ونسائهم وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفرائيس والحاجية وفي كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم وكذلك من أهل العقية وسائر حواضر البلد فترلوا عند معارفهم وأصحابهم ومنهم من نزل على قارة الطريق بنسائهم وأولادهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال كثير من المشايخ الذين أدرکوا زمن قازان: إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار التي هي عمدة قوتهم في ستهم وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما ييلغهم في كل وقت من الأراجيف أنهم على عزم نهب البلد فجعل كثير من الناس يودعون عزيز ما يملكون عند من يأمنون، واشتد الحال جدلاً، وخاف كثير من الناس أو أكثرهم من العار إذ ييلغهم عنهم من الفجور بالنساء وجعلوا يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعقبون بأسماء أمرائهم واتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين أياجي في كل وقت يسكن جاش الناس ويقوي عزمهم ويشهرهم بخروج العسكار المنصورة من الديار المصرية صحة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ليحيوا كلهم في خدمته وبين يديه وتدنق البشار فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق ويخرجون في كل يوم وساعة في تحمل عظيم ووعود وهيات حسنة.

ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الذبان إلى داخل القلعة المنصورة وهو لابس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشي على القوس لا تحيد عنه وهو حسن الصورة مقبول الطلعة عليه بهاء المملكة والرياسة والخز فوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكابر وكلما عاينه من عاينه من الناس يتهللون بالدعاء بأصوات عالية والنساء بالزغرطة وفرح الناس فرحاً شديداً وكان يوماً مشهوداً وأمرأ حيداً جعله الله مباركا على المسلمين فترل بالقلعة المنصورة وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح أبو بكر بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ونزل بالمدرسة الدعاية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ومقدمهم طاز وشيخون في طلب بيها ومن معه

وفي يوم الأربعاء خامسه مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة وتأمّر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى.

خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى بلاد مصر

وفي يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان في جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع الأموي فلما انتهى إلى باب النصر ترجل الجيش بكماله بين يديه مشاة وذلك في يوم شات كثير الوحل فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العثماني وليس معه في الصف الأول أحد بل بقية الأمراء خلفه صفوف فسمع خطبة الخطيب.

ولما فرغ من الصلاة قرئ كتاب بإطلاق أعشار الأوقاف وخرج السلطان بمن معه من باب النصر فركب الجيش واستقل ذاهباً نحو الكسوة بمن معه من العساكر المنصورة مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة.

وخرج السلطان وليس بدمشق نائب سلطة وإنما الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذي يتكلم في الأمور نائب غيبة حتى يقدم إليها نائبها ويتعين لها.

وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالماً ودخلها في أبهة عظيمة في أواخر ذي القعدة وكان يوماً مشهوداً وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام الأمير علاء الدين على المارداني ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة صاحب موقف الدين.

وفي صبيحة يوم السبت خامس ذي الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجملدار من الديار المصرية إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة وموكب حافل مستولياً نيابة بها وبين يديه الأمراء على العادة فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فلحقهم فدخل دار السعادة فنزلها على عادة النواب قبله جعله الله وجهاً مباركاً على المسلمين.

وفي يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار السلطان الأمير عز الدين طقطاى من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق ومن عزمه الذهاب إلى البلاد الحلية ليجز الجيش نحو بيضا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى.

ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي.

والشار إليهم في تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شيخون وسيف الدين طاز وسيف الدين صرغتمش الناصري.

وقضاة القضاة وكتّاب السر هناك هم المذكورون في السنة الماضية.

ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملى لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة بيضا وأمير أحمد ويكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا في رجب من السنة الماضية ثم لجؤوا إلى بلاد الألبانيين في خفارة بن دغاير التركماني ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً والله الحمد والمنة.

ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذي كان نائب دمشق كما ذكرنا تقلبت به الأحوال حتى استتب في طرابلس حين كان السلطان

بدمشق كما تقدم.

واستهلت هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة بيضا ويكلمش وأمير أحمد قد حصلوا في قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون وهم مسجونون بقلعتها بها ينتظر ما يرسم به فيهم وقد فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً.

وفي يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين طقطاى الدويدار عائداً من البلاد الحلية وفي صحبته رأس بيضا الباغي أمكن الله منه بعد وصول صاحبه بكلمش الذي كان نائباً بطرابلس وأمير أحمد الذي كان نائب حاة ققطعت رؤوسهما بحلب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون الكاملى وسيرت إلى مصر ولما وصل بيضا بعد ما فعل به كفعلهما جهرة بعد العصر بسوق الخيل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته والعامة على الأجاجير يخرجون ويفرحون بمصرعه وسر المسلمون كلهم والله الحمد والمنة.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المراز وخطب فيه جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ثم وقع في ذلك كلام فافضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخيل يوم موكب وحلوا سناجق خليفته من جامعهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم فاجابهم إلى ذلك في الساعة الرابعة ثم وقع نزاع في جواز ذلك ثم حكم القاضي الحنبلي لهم بالاستمرار وجرت خطوب طويلة بعد ذلك.

وفي يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفي الأمير الكبير سيف الدين الجي بغا العادلي ودفن بترته التي كان أنشأها قديماً ظاهر باب الحليّة وهي مشهورة تعرف به وكان له في الإمرة قريباً من ستين سنة وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترماً معظماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى عليه.

ذكر أمر غريب جداً

لما ذهبت لتهتة الأمير ناصر الدين بن الأتوس بناية بعلبك وجدت هناك شاباً فذكر لي من حضر أن هذا هو الذي كان أنشئ ثم ظهر له ذكر وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك وتحدث الناس به فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيت إلى وسالته بمحضرة من حضر فقلت له: كيف كان أمرك؟ فاستحى وعلاه خجل يشبه النساء فقال: كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة وزوجوني بثلاثة أزواج لا يقدرون علي وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت وجعل التوم يعتريني ليلاً ونهاراً ثم جعل يخرج من عجل الفرج شيء قليلاً قليلاً ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأثنيان فسأته أم كبير أم صغير؟ فاستحى ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصعب فسأته هل احتلم؟ فقال: احتلم مرتين منذ حصل له ذلك وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرني وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك فقلت له: ما كان اسمك وأنت على صفة النساء؟ فقال: نفيسة فقلت: واليوم؟ فقال: عبد الله وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه ثم عزموا على تزويجه برابع فقال لأمه: إن الأمر ما صفته كيت وكيت فلما اطلع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك وكتب بذلك

ونائب دمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها.

وناظر الدواوين صاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكتب السر القاضي ناصر الدين بن الشرف يعقوب وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ومحبته الشيخ علاء الدين الأنصاري قريب الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد وهو مدرس الأمانة مكانه أيضاً.

وفي شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مغلطي الذي كان مسجوناً بالإسكندرية ثم أفرج عنه وقد كان قبل ذلك هو الدولة وأمر بالسير إلى الشام ليكون عند أيتمش نائب طرابلس.

وأما متجك الذي كان وزيراً بالديار المصرية وكان معتقلاً بالإسكندرية مع مغلطي فإنه صار إلى صفد مقيماً بها بطلاً كما أن مغلطي أمر بالقام بطرابلس بطلاً أيضاً إلى حين يحكم الله عز وجل انتهى والله أعلم.

نادرة من الغرائب

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق بعد صلاة الظهر وهو يسب أول من ظلم آل محمد ويكرر ذلك لا يفتّر ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنائزة الحاضرة بل الناس في الصلاة وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به فلما فرغنا من الصلاة نهبت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنائزة حاضر مع الناس ففتحت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد؟ فقال: أبو بكر الصديق ثم قال جبهة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد فأعاد ذلك مرتين فأمر به الحاكم إلى السجن ثم استحضره المالكي وجلده بالسياط وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبحه الله وأخراه.

ثم لما كان يوم الخميس تسع عشرة عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك قتل الله أن حكم نائب المالكي بقتله فأخذ سريعا ففرض عقبه تحت القلعة وحرقه العامة وطانوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزء من سب أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضي المالكي وإذا عنه شيء مما يقوله الرافضة الغلاة وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء من الكفر والزندقة قبحه الله وإياهم.

وورد الكتاب بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق بالقصور بحضرة نائب السلطنة وأمره الأعراب وكبار الأسراء وأهل الحل والعقد والعامة كتاب السلطان بإلزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيدات آخر: منها أن لا يستخدما في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء وأن لا تزيد عمارة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الحمير بالكف عرضاً وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو بخاتم نحاس أصفر أو رصاص ولا تدخل نساؤهم مع المسلمين الحمامات وليكن لمن حمامات تختص بهن وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق واليهودية من كتان أصفر وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض وأن يحكم حكم مواثيقهم على الأحكام الشرعية. واحتقرت باشورة بياب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى

عمرها واشتهر أمره فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق فسأله فأخبره كما أخبرني فأخذه الحاجب سيف الدين كجكن بن الأقوش عنده والبسه ثياب الأجناد وهو شاب حسن على وجهه وسمته ومشيتة وحديثه أثوة النساء فسيحان الفعال لما يشاء فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً وعندني أن ذكره كان غائراً في جورة ظنوها فرجاً ثم لما بلغ ظهر قليلاً قليلاً حتى تكامل ظهوره فتيقنوا أنه كان ذكراً وذكر لي أن ذكره برز غثونا فسمي ختان القمر فهذا يوجد كثيراً والله أعلم.

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين طقطاي النويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف ابن دلفار التركماني الذي كان أماناً بليغا وذو به على خروجه على السلطان وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية وأنهم نهبا أمواله وحواصله وأمسروا خلقاً من بنيته وذويه وحريمه وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والسدواب والأمنعة وغير ذلك وأنه لجأ إلى ابن لرتنا فاحتاط عليه واعتقله عنده وراسل السلطان بأمره ففرح الناس براحة الجيش الحلبى وسلامته بعدما قاسوا شليداً وتعباً كثيراً.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالإسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ممن كان اتهم بمسالة بيينا أو خلدته كالأمير سيف الدين ملك آص وعلاء الدين على البشمقندر وساطلمش الجلالى ومن معهم.

وفي أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتين اقتروا بأحد قولبي العلماء وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهمد من الكنائس فتغضب عليهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي فقررهم في ذلك ومنعهم من الإفتاء وصنف في ذلك مصنفاً يتضمن المنع من ذلك سماه «المناس في الكنائس».

وفي خامس عشري شهر رمضان قدم بالأمير أبو دلفار التركماني الذي كان موازراً بيينا في العام الماضي على تلك الأفاعيل القبيحة وهو مضيق عليه فأحضر بين يدي النائب ثم أودع القلعة المنصورة في هذا اليوم.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعماية

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاها من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى وهو ابن بنت تكثر نائب الشام وكان في الدولة الناصرية. ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي الناصري ووزيره القاضي موفق الدين.

وقضاة مصر هم المذكورون في العام الماضي ومنهم قاضي القضاة عز الدين بن جماعة الشافعي وقد جاور في هذه السنة في الحجاز الشريف والقاضي تاج الدين المناوي يسد المنصب عنه.

وكتب السر القاضي علاء الدين بن فضل الله العدوي ومليبرو المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون وطاز وصرغتمش الناصريون والأمير الكبير الدواوير عز الدين طقطاي الناصري.

ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون في طلب الأحذب من مدة شهر أو قريب.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالح. وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير وقضاتها هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب دمشق الأمير على المارداني والقضاة والحاجب والحطيب وكاتب السر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ونائب طرابلس منجك ونائب حماة استمر العمري ونائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح ونائب حمص الأمير ناصر الدين بن الأقرش ونائب بعلبك الحاج كامل.

وفي يوم الاثنين تاسع صفر سك الأمير أرغون الكاشي الذي ناب بدمشق مدة ثم بعد ما جلب ثم طلب إلى الديار المصرية حين وليها طاز فقبض عليه وأرسل إلى الإسكندرية معتقلاً.

وفي يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي على قاعة والده وذلك في حياة أبيه وذهبت الناس للسلام عليه.

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين السبكي بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الأشرفية مسافراً نحو الديار المصرية في حفة ومعه جماعة من أهله وذويه منهم سبطه القاضي بدر الدين بن أبي الفتح وآخرون وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ومن الناس من يخاف عليه وعشاء السفر مع الكبر والضعف. ولما كان يوم الجمعة سابع شهر جمادى الآخرة صلي بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين

■ علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي توفي بمصر ليلة الاثنين ثالث ودفن من صبيحة ذلك اليوم وقد أكمل ثلاثاً وتسعين سنة ودخل في الرابعة أشهراً وولي الحكم بدمشق نحواً من سبع عشرة سنة ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ثم رحل في حفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا وجاءت التنزية ومرسوم باستقرار ولده في مدرسته البعقونية والقيصرية وتشريف تطبيقاً لقلبه وذهب الناس إلى تمزيته على العادة وقد سمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شبته بديار مصر ورحل إلى الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج وله تصانيف كثيرة متشرة كثيرة الفائدة وما زال في مدة القضاء يصف ويكتب إلى حين وفاته وكان كثير التلاوة وذكر لي أنه كان يقوم من الليل رحمه الله.

وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخلولين لمدينة طرابلس المغرب وقرأت من كتاب لقاضي قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة ثم بعد خمسة عشر يوماً استعادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولاً من المسلمين ولله الحمد والمث.

وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستفنون به من بقي في أيديهم من المسلمين.

وفي يوم الأربعاء حادي عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم

الآخرة وعدم المسلمون تلك الأطعمة والحواصل النافعة من الباب الجواني إلى الباب البراني.

وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الإمام العالم البار شمس الدين بن النقاش المصري الشافعي ورد دمشق بالجامع الأموي تجاه محراب الصحابة معاداً للوعظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامّة وشكروا كلامه وطلاقة عبارته من غير تلثم ولا تحليط ولا توقف وطال ذلك إلى قريب العصر.

وفي صبيحة يوم الأحد ثالث صلي بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ونائبه وحضر نائب السلطنة الأمير علاء الدين علي وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة وكانت جنازته محشودة وحضر والده قاضي القضاة وهو يهادي بين رجلين فظهر عليه الحزن والكآبة فصلى عليه إماماً وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وإجماعه على نفسه لا يتعدى شره إلى غيره، وكان يحكم جيداً نظيف العرض في ذلك وكان قد درس في عدة مدارس منها الشامية البرانية والعنزاوية وأقضى وتصدر وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم رحمهم الله.

عودة الملك الناصر حسن ابن الملك

الناصر محمد بن قلاوون

وذلك يوم الاثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الأمير شيخون وصرغتمش في غيبة طاز في الصيد على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر وأمه بنت تنكر وإعادة أخيه الملك الناصر حسن وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقاً عليه وسلم إلى أمه خولدة بنت الأمير سيف الدين تنكر نائب الشام كان فطلبوا طاز وأمسك أخوه جتتمر وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكرم الساقى ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية ومع هذا فلم يقل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر قدم بهما الأمير عز الدين أيدمر الشمسي ويابع النائب بعد ما خلع عليه خلعة سنية والأمراء بدار السعادة على العادة ودقت البشائر وزين البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر محضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة.

وفي صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نياة طرابلس ونزل القصر الأبلق مع الأمير عز الدين أيدمر فاقام أياماً عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام.

وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين طاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نياة حلب المحروسة فتلحقه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقيبيات وشيعة إلى قريب من باب الفرائيس فسار ونزل بوطاة برزة فبات هنالك ثم أصبح غادياً وقد كان نظير الأمير شيخون ولكن قري عليه فسيره إلى بلاد حلب وهو محبب إلى العامة لما له من السعي المشكور في أمور كبار كما تقدم.

الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بعشرة أرماع ولناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان.

وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدي الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى بأمرين عشرين.

ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقلة وكان سببها أن القاضي المالكي وهو قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي أذن للشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي يحكم بالمناقلة في قرار دلا الأمير سيف الدين طيمر الإسماعيلي حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يعملها وقفا على ما كانت قرار داره عليه ففعل ذلك بطريقه ونفذه القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي فنضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاة جمال الدين المرادوي القنسي من ذلك، وعقد بسبب ذلك مجالس وتداول الكلام فيه وادعى كثير منهم أن مذهب الإمام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف فاما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجعة فلا وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ونقله عن الإمام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم أنها تجوز للمصلحة الراجعة وصنف في ذلك مسألة مفردة وفتت عليها - يعني الشيخ عماد الدين بن كثير - فرائيها في غاية الحسن والإفادة بحيث لا يتخالف من اطلع عليها عن يلقو طعم الفقه أنها مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن هارون عن المسعودي عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ويعمل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ففعل ذلك.

فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدل به فيها من الثقل بمجرد المصلحة فإنه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقا على أن الإستاذ فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ولكن قد جزم به صاحب المذهب واحتج به وهو ظاهر واضح في ذلك فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر.

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق بسببه قياسير كثيرة لطان ولبغا وقيصرية الطواشي لبت تنكز وأخر كثيرة ودور ودكاكين وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك مما يقاوم ألف ألف وأكثر خارجا عن الأموال فإننا لله وإننا إليه راجعون.

وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والريا والزغل وغير ذلك.

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صيدا فدعوا في سبعة مراكز وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئا كثيرا وأسروا أيضا وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة وقد قتل منهم المسلمون خلقا كثيرا وكسروا مركبا من مراكبهم وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم السوالي وهو جريح مثقل وأمر نائب السلطة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فسلخوا تلك الليلة ولله الحمد وتقدمهم حاجب الحجاب وتحمل إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبح فسبق الجيش الدمشقي ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا في البحر وقد أسر

القاضي المالكي وهو قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي بقتل نصراني من قرية الرأس من معاملة بعلبك اسمه داود بن سالم ثبت عليه بمجلس الحكم في بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين على بن غازي من قرية اللبوة من الكلام السيئ الذي نال به من رسول الله ﷺ وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقة الناس وشفى الله صدور قوم مؤمنين ولله الحمد والمثنة.

وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي بالمدرسة القيعرية نزل له عنها ابن عمه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي وحضر عنده القضاة والأعيان على العادة وأخذ في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

■ (عبد الله بن شمس الدين بن قيم الجوزية).

وصلي في هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله ابن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير وكانت جنازته حافلة وكانت لديه علوم جيدة وذنه حاضر خارق أتى ودروس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله ويل بالرحمة ثراه.

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل في سوق القطانين بالنهار وذهب إليه نائب السلطة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون في إخلاءه وطفيه حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جدا فإننا لله وإننا إليه راجعون وقد رأيت من الغد والنار كما هي عمالة والدخان صاعد وقد ذهب الناس يطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تحمد لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعماية

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشمالية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ولا نائب ولا وزير بمصر وإنما يرجع تبليغ المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ثم الأمير سيف الدين صرغتمش، ثم الأمير عز الدين طقطاي الدوابدار.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها سوى الشافعي فإنه ابن المتوفى قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي.

ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز وطرابلس الأمير سيف الدين منجك وبصفد الأمير شهاب الدين بن صبح وبحملة استنمر العمري وبمحمص علاء الدين بن المعظم وببعلبك الأمير ناصر الدين بن الأقوش.

وفي العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموي وغسل فصوص المقصورة والقبة وسط بسطا حسنا وبقيت أطباق القناديل وأضاء حاله جدا وكان المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطليخانة بمرسوم نائب السلطة له في ذلك.

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلي على الأمير سيف الدين براق أمير آخور بجماع تنكز ودفن بمقابر الصوفية وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصديقة محبا للخير وأمله من أكبر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى وقد رسم لولديه ناصر

الذين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النمر والذئب والثعلب والخنزير من الحريق ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه وبقي الحريق عليه ثلاثة أيام وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير فلما نزل المطر أطفاه بإذن الله تعالى يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة.

قال: ومن العجب أن ورقة من شجرة سقطت في بيت من مدخته فأحترق جميع ما فيه من الأثاث والثياب وغير ذلك ومن حلبة حرواً كثيراً وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة نقلته من خط كاتبه محمد بن بيلان إلى صاحبه وهما عندي ثقتان فيالله العجب!

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ عماد الدين إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتناكه على بعض الناس في محاكمة فاقضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتعذر عندهم فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي بإسقاط عقابه ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر فأرسل النائب في إثره من يده فغته ثم أطلقه إلى منزله وشفع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك ولله الحمد والملة.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المتعبد بالله أبو بكر بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان العباسي.

وسلطان الإسلام بالديار المصرية وما يتبعها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين.

وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها.

ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها انتهى.

كائنة غريبة جداً

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاوري الجامع بدمشق من مشهد علي وغيره واتجهم جماعة من الفقهاء والمخايرة وجاؤوا إلى أماكن متهمه بالخرم وبيع الخيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً كثيراً من الخيش وغيره ثم انتقلوا إلى حكر السمحاق وغيرهم فثار عليهم من البارذارية والكلابية وغيرهم من الرعا فتناوشوا وجرت بينهم ضربات بالأيدي وغيرها وربما سل بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر.

وقد رسم ملك الأمراء لوالي المدينة والي أن يكونوا عضداً لهم وعونا على الخصمايين والحشاشة فنصروهم عليهم غير أنه كثر معهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير.

ولما كان في أواخر النهار تقدم جماعة من الثقباء والخزاندارية ومعهم جنائز فأخذوا جماعة من مجاوري الجامع وغيرهم وضربوا بالمقارع وطيف

المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشاباً من أبناء أشرافهم وهو الذي عاقهم عن الذهاب فراسلهم الجيش في انفكك الأسارى من أيديهم فغادوهم عن كل رأس بمخسمة فأخذوا من ديوان الأسارى مبلغ ثلاثين ألفاً ولم يبق معهم ولله الحمد أحد.

واستمر الصبي من الفرنج مع المسلمين وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح وعطش الفرنج عطشاً شديداً وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فمنعوهم أن يتألوا منه قطرة واحدة فحولوا ليلة الثلاثاء مشتمرين بما معهم من الغنائم وبعثت رؤوس جماعة من الفرنج عن قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق وجاء الخبر في هذا الوقت بأن آياس قد أحاط بها الفرنج وقد أخذوا الرض وهم محاصرون القلعة وفيها نائب البلد وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وذهب صاحب حلب في جيش كثيف لمحورهم والله المسؤول أن يظهرهم بهم بحوله وقوته وشاع بين العامة أيضاً أن الإسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن وبالله المستعان.

وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤوس من قتلى الفرنج على صيدا وهي بضعة وثلاثون رأساً فنصبت على شرفات القلعة ففرح المسلمون بذلك ولله الحمد.

وفي ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذي عند السريقة الملاصقة لمسجد الشياشي فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبي نصر واتصل بالسريقة المذكورة وما هنالك من الأماكن فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر بباب الفرج فإنا لله وإنا إليه راجعون وحضر نائب السلطنة وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ولكن كان الريح قويا وذلك بتقدير العزيز العليم.

وتوفي الشيخ عز الدين

■ محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وصلي عليه من الغد بالجامع الأموي بعد الظهر ودفن بمقابر باب الصغير وكان مولده في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمانين وستمئة فجمع الكثير وتفرّد بالرواية عن جماعة في آخر عمره وانقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقي رحمه الله.

ووقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون فاحترق السوق القبلي من جامع الخبالة بكماله شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين بيلبا الناصري غربي سوق الخيل وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء وخطب الشيخ ناصر الدين بن الروبة الحنفي وكان قد نازعه فيه الشيخ شمس الدين الشافعي الموصلّي وأظهر ولاية من واقفه بيلبا المذكور ومراسيم شريفة سلطانية ولكن قد قوي عليه ابن الروبة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الإيتقاني الحنفي وهو مقيم بمصر ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصلّي فرسم لابن الروبة فليس يومئذ الخلع السودان من دار السعادة وجاؤوا بين يديه بالسناجق السود الخليفةية والمؤذنون يكبرون على العادة وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن وقرأ في الحراب بأول سورة «طه» وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة وبعض القضاة وكان يوماً مشهوراً وكنت ممن حضر قريباً منه.

والعجب أنني وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه: والمخدوم يعرف الشيخ عماد

من القناطير المقنطرة، من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحراث، وكذلك من الممالك، والأسلحة، والعدة والبرك، والتاجر ما يشق حصره، ويتملر إحصاؤه هنا.

وليس في الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير، والقضاة بها هم المذكورون في التي قبلها.

وأما دمشق فنائبها وقضاها هم المذكورون في التي قبلها، سوى الخنفي، فإنه قاضي القضاة شرف الدين الكفري، عوضاً عن نجم الدين الطروسى، توفي في شعبان من السنة الماضية.

ونائب حلب سيف الدين طاز، وطرابلس منجك، وحماة استلم العمري، وصند شهاب الدين بن صبح، وبمصر صلاح الدين خليل بن خاص ترك، ويعلبك ناصر الدين الأقوش.

وفي صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربعة مقدمين إلى ناحية حلب، نصره لجيش حلب، على مسك طاز إن امتنع من السلطة كما أمر.

ولما كان يوم الحادي والعشرين من المحرم نادى المنادي من جهة نائب السلطة، أن يركب من بقي من الجند في الحديد، ويوافوه إلى سوق الخيل، فركب معهم قاصداً ناحية ثنية العقاب ليمنع الأمير طاز من دخول البلد، لما تحقق مجيئه في جيشه، قاصداً إلى الديار المصرية، فأتزعج الناس لذلك، وأخلت دار السعادة من الحواصل والحريم إلى القلعة، وتحصن كثير من الأمراء ببلورهم داخل البلد، وأغلقت باب النصر، فاستوحش الناس، من ذلك بعض الشيء، ثم غلقت أبواب البلد كلها، إلا باب الفرائيس والفرج وباب الجاية أيضاً لأجل دخول الحاجاج.

ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة، الثالث والعشرين من المحرم، ولم يشعر به كثير من الناس، لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز، وأمر العشير بحوران، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طيهر الحاجب الكبير بأرض حوران، وسجته بقلعة صرخد، وجاء سيده صبحه الأمير جمال الدين الحاجب، فذهب به إلى الوطاق عند الثنية، وقد وصل طاز بجندوه إلى باب القطيفة، وتلاقى شاليه بشاليش نائب الشام، ولم يكن منهم قتال، والله الحمد.

ثم ترأس هو والنائب في الصلح، على أن يسلم طاز نفسه، ويركب في عشرة سروج إلى السلطان، وينسلح بما هو فيه، ويكتب فيه النائب، وتطفوا بأمره عند السلطان، ويكل ما يقدر عليه، فاجاب إلى ذلك، وأرسل يطلب من يشهد على وصيته، فأرسل إليه نائب السلطة القاضي شهاب الدين قاضي السكر، فذهب إليه، فأوصى لولده وأم ولده ولوالده نفسه، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطة، وللأمير صرغتمش.

ورجع النائب من الثنية عشية يوم السبت بين العشامين، الرابع والعشرين منه وتضاعفت الأدعية له، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً، ودعوا إلى الأمير طاز، بسبب إجابته إلى السمع والطاعة، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه وذويه، قد اجتمعت بنائب السلطة الأمير علاء الدين أمير على المارداني، فأخبرني بملخص ما وقع منذ خرج إلى أن رجع، ومضمون كلامه، أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً، إذ لم يقع بينهم قتال، فإنه قال: لما وصل طاز إلى القطيفة، وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين، أرسلت إليه مملوكاً من عالياكي أقول له: إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية،

بهم في البلد ونادوا عليهم: هذا جزء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية ف ضرب بعض الجند أحدهم بلبوس فقتله وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فإنه لله وإنا إليه راجعون.

وفي شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتيقات الأمير سيف الدين عمر المهنطار أنها حملت قريباً من سبعين يوماً ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت قريباً من أربعين يوماً في أيام متتالية ومتفرقة أربعة عشر بشاً وصبياً بعدهن قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى.

وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شيخون ملبس الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من ممالك السلطان فضربه بالسيف ضربات فجرحه في أماكن في جسده منها ما هو في وجهه ومنها ما هو في يده فحمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجئ إليهم وعظم الخطب بذلك جناً واتهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره وأن هذا إنما فعل عن عمالة منهم فإله أعلم.

وفاة أرغون الكاملي باني اليمارستان بحلب

■ (أرغون الكاملي).

كانت وفاته بالقدس الشريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ودفن بترية أنشأها غربي المسجد بشماله وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ثم جرت الكائنة التي أصلها بيضا فحبه الله في أيامه ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالإسكندرية مدة ثم أفرج عنه فأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور؛ حرره الشريف بن زيوك والله أعلم.

وفاة الأمير شيخون

■ (شيخون).

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير سيف الدين شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ودفن من الغد بترية وقد ابنتى مدرسة هائلة وجعل فيها المناهب الأربعة، ودللاً للحديث، وختانقه للصوفية، وأوقف عليها شيئاً كثيراً، وقرر فيها معالم وإفرة دار، وترك أموالاً جزيلة، وحواصل كثيرة، ودواوين في سائر البلاد المصرية والشامية، وخلف بنات وزوجة، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر، كانوا من حزبه، من أشهرهم عز الدين قططاي، السوادار، وابن قوصون، وأمه أخت السلطان، خلف عليها شيخون بعد قوصون، انتهى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعماية

استهل هذه السنة وسلطان الإسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالح، وقد قوي جانبته وحاشيته، بموت الأمير شيخون كما ذكرنا، في سادس عشرين ذي القعدة من السنة الماضية، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة الدنيا شيء كثير،

فساد عريض، وحوا كثيرا من البلاد، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك، وهاجت العشيرات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير علي المارداني من دمشق في طلبه مستجلاً، في أبهة النيابة، قاصداً إلى حلب المحروسة، وقد ضرب وطاقه بوطاة برزة، فخرج الناس للتفرج على طلبه.

وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيهر الحاجب من الديار المصرية، عائلاً إلى وظيفة الحجوبية في أبهة عظيمة، وتلقاه الناس بالشموخ، ودعوا له، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطاة برزة، فقبل يده، وخلع عليه الأمراء، واصطالحا، انتهى والله أعلم.

دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، من ناحية حلب، وبين يديه الأمراء والجيش على العادة، وأوقدت الشموع، وخرج الناس، ومنهم من بات تلك الليلة على الأسطحة، وكان يوماً هاتلاً.

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربرة، وأحضر القضاة وولاة الأمور، ورسم بإحضار التتتين وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربرة فركبت إليها وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنية بالربرة، وغلق الحمام من أجل هذه، فيما ذكر أنها بنت ليقتضى فيها، وهذا الحمام أوساخه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس، فاتفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن، ورد المرتفات المسلطة على ثورا وبناس، ويترك ما هو مسلط على بردي، فاتفق الناس عن الذهاب إلى الربرة بالكلية، ورسم يومئذ بتضييق أكمام النساء، وأن تزال الأجراس والركب عن الحمبر التي للمكارية.

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر، ليقتف على الحائط الرومي الذي بالرحية، فخاف أهل الأسواق، وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك، فغضب من ذلك، وتصل منته، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدها خارج باب النصر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العدل، أمر ببنائها خائفاً، ونقلت تلك الأحجار إليها، انتهى والله أعلم.

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدي، ومعه تذكرة ورقة فيها السلام على القضاة المستجلين، وأخبر بعزل القاضي الشافعي، والحنفي، والمالكي، وأنه ولي قضاء الشافعية القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي، وقضاء الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفي، وذهب الناس إلى السلام عليهم، والتهنئة لهم، واحتفلوا بذلك وأخبروا أن القاضي المالكي سيقيم من الديار المصرية.

ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان، وصل البريد من الديار المصرية، ومعه تقليدان وخلمتان للقاضي الشافعي، والقاضي الحنفي، فلبسا الخلمتين، وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموي، وجلسا في عراب المقصورة، وقرأ تقليد قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء الشافعي، الشيخ نوز الدين بن الصارم المحدث على السلة تجاه المحراب، وقرأ تقليد

في عشرة سروج فقط، فإذا جئت هكذا فأهلاً وسهلاً، وإن لم تفعل فانت أصل الفتنة، وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو ملبس، فرجع ملوكي ومعه مملوكه سريعاً، يقول: إنه يسأل أن يدخل بطلبه، كما خرج بطلبه من مصر، فقلت: لا سبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان، فرجع وجاني الأمير الذي جاء من مصر بطلبه فقال: إنه يطلب منك أن تدخل في ممالكه، فإذا جاوز دمشق إلى الكسوة نزل جيشه هناك، وركب هو في عشرة سروج كما رسم فقلت: لا سبيل إلى أن يدخل دمشق، ويتجاوز بطلبه أصلاً، وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فعندي أضعاف ذلك، فقال لي الأمير: يا خوند لا تكون تنشي فتنة، فقلت: لا يقع إلا ما تسمع، فرجع، فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم، وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال: يا خوند ها قد وصل جيش حماة وطرابلس، ومن معهم من جيش دمشق الذين كانوا قد خرجوا بسببه، وقد اتفقوا هم وهو، قال: فحيئت ركب في الجيش، وأرسلت طليعتين أمامي، وقلت تراؤوا للجيش الذين جازوا حتى يروكم، فعملوا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب، فحيئت جاء البرد من جهته بطلب الأسان، ويجهرون بالإجابة إلى أن يركب في عشرة سروج، ويترك طلبه بالقطيفة، وذلك يوم الجمعة، فلما كان الليل ركبنا أنا والجيش في السلاح طول الليل، وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة، فجاتنا الجواسيس، فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته، لكل ما رسم به، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج، وسار نحو الديار المصرية، ولله الحمد والمثنة.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر، دخل حاجب الحجاب الذي كان سجن في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء، وتصدف بصلقات كثيرة في داره، وفرحوا به فرحاً شديداً، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظماً مكرماً، على تقدة ألف، ووظائف هناك.

فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم يبقاً الناس إلا وقد دخل القلعة المصورة، معتقلاً بها، مضيقاً عليه، فتعجب الناس من هذه الترحة من تلك الفرحة، فما شاء الله كان.

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحاجب بالمشهد من الجامع.

وفي يوم الخميس أحضر الحاجب من القلعة إلى دار الحديث، واجتمع القضاة هناك، بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم.

ثم لما كان يوم الاثنين تاسع قدم من الديار المصرية مقدم البريلية، بطلب الحاجب المذكور، فأخرج من القلعة المصورة، وجاء إلى نائب السلطنة قبل قدمه، ثم خرج إلى منزله، وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرماً، وخرج بين يديه خلق من العوام والخرافيش، يدعون له، وهذا أغرب ما أرى، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة، بسبب سجنه بصرخد، ثم أفرج عنه ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه، وذلك كله في نحو شهر.

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى، بعزل نائب السلطنة عن دمشق، فلم يركب في المركب يوم الاثنين، ولا حضر في دار العدل، ثم تحققت الأخبار بذلك، وبذهابه إلى نيابة حلب، وعجبه نائب حلب إلى دمشق، فتأسف كثير من الناس عليه لنيابته، وجوده، وحسن معاملته لأهل العلم، ولكن حاشيته لا يتفنون أوامره، فتولد بسبب ذلك

وتتبن، وقد باشر الحكم جيداً، ثم تبين بأخرة أنه لم يعزل، وأنه مستمر كما سنذكره، ففرح أصحابه وأحبابه، وكثير من الناس بذلك.

فلما كان يوم الأحد رابع شوال، قدم البريد وصحبه تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي، وتقليد الحنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري، واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء المالكية، لأن السلطان تذكر أنه كان شافيه بولاية القضاء بالشام، وسيره بين يديه إلى دمشق، فحمدت سيرته كما حسنت سريره إن شاء الله، وفرح الناس له بذلك.

■ (محمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين الحنبلي).

وفي ذي القعدة توفي المحدث شمس الدين محمد بن سعد الدين يحيى بن محمد بن سعد الحنبلي يوم الاثنين ثالثه، ودفن من الغد بالسفح، وقد قارب الستين، وكتب كثيراً وخرج، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأجزاء ورواياتهم من الشيخ المتأخرين، وقد كتب للحافظ البرزالي قطعة كبيرة من مشايخه، وخرج له عن كل حديث أو أكثر، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم، ولم يتم حتى توفي البرزالي رحمه الله.

وتوفي بهاء الدين

■ ابن المرجاني باني جامع القوقاني، وكان مسجداً في الأصل، فبناه جامعاً، وجعل فيه خطبة، وكنت أول من خطب فيه، سنة ثمان وأربعين وسبعماية، وسمع شيئاً من الحديث، وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الأعراب الأجواد الأنجاد، وقد ولي إمرة آل مهنا غير مرة كما ولها أبوه من قبله، علدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله، كما ذكر، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه ويثبته، فضربه بسيف في رأسه فلفقه، فلم يعيش بعده إلا أياماً قلائل ومات رحمه الله انتهى.

عزل منجك عن دمشق

ولما كان يوم الأحد ثامن ذي الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق، وهو الأمير سيف الدين منجك بتبابة صفد المحروسة، فاصبح من الغد وهو يوم عرفة وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المرة قاصداً إلى صفد المحروسة، فعمل العيد بطح المرة، ثم ترحل نحو صفد، وطمع كثير من المفسلين والحمارين وغيرهم، وفرحوا بزواله عنهم.

وفي يوم العيد قرئ كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء، وفيه التصريح باستنابة أميره علي المارداني عليهم، وعوده إليهم، والأمر بطاعته، وتعظيمه واحترامه، والشكر له، والثناء عليه، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من نيابة صفد، ونزل بداره بظاهر البلد، بالقرب من الشامية البرانية. ووصل البريد يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة بغني صاحب الحجاب طيهر الإسماعيلي إلى مدينة حماة، بطالا في سرجين والله أعلم.

ثم دخلت سنة ستين وسبعماية

استهلّت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الإسلامية الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح.

قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين ابن السراج المحدث أيضاً على السلة، ثم حكما هنالك، ثم جاءا معاً إلى الغزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه، وحضرت عنده، فأخذ في صيام يوم الشك، ثم جاءا معاً إلى المدرسة النورية، فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥]، ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلة الكبيرة فدرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ الآية [النساء: ٥٨، ٥٩].

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية، فلبس الخلعة يومئذ، ودخل المقصورة من الجامع الأموي، وقرئ تقليده هنالك، بحضرة القضاة والأعيان، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد ابن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادى، قدم الشام مراراً، ثم استوطن الديار المصرية، بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قطب الدين الأخوي، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه، وحكم بدمياط أيضاً، ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق، وهو شيخ حسن، كثير التودد، ومسدّد العبارة، حسن البشر عند اللقاء، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة وكرم، الله يوفقه ويسدده.

مسك الأمير طرغتمش أتاكب الأمراء بالديار المصرية

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت، الخامس والعشرين من رمضان هذا، وأنه قبض عليه بحضرة السلطان، يوم الاثنين العشرين منه، ثم اختلعت الرواية عن قتله، غير أنه احتيط على حواصله وأمواله، وصودر أصحابه وأتباعه، فكان فيمن ضرب وعصر تحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار، واشتهر أنه مات تحت العقوبة، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية، لا سيما أهل بلدة دمشق، وقد باشر عدة وظائف، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان، وتكلم في أمر الجامع الأموي وغيره، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم، ومالاً الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة، فهلك بسببه، وقد قارب الثمانين، انتهى.

إعادة القضاة

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق، وهم الشافعي، والحنفي، والمالكي، كما تقدم، وعزل قبلهم ابن جماعة، وولى ابن عقيل، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية الهلال بالجامع الأموي، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى، على عادة القضاة، وهم على وجل، وقد انتقلوا من مدارس الحكم، فرجع قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء الشافعي إلى بستانه بالزعفرية، ورجع قاضي القضاة جمال الدين ابن السراج إلى داره بالتعديل، وارتحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصالحية داخل الصمصامية، وتأم كثير من الناس بسببه، لأنه قد قدم غريباً من الديار المصرية، وهو فقير

والأمير سيف الدين قطيغا الدوادار أحد المتقدمين أيضاً، والأمير علاء الدين أيدغمش المارداني أحد أمراء الطبلخاناه، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور، وهم جلساؤه وسماراه، والذين بسفارته أعطوا الأخبار والطبلخاناه والتقدم، فرفعوا إلى القلعة المنصورة، معقلين بها، مع من بها من الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير علياً رد من الطريق، بعد مجاوزته غزة، وأرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة، فتمائل الحال، وفرح بذلك أصحابه وأحبابه.

وقدم مسلم دمشق الذي خلع عليه بنياتها الديار المصرية، في يوم الخميس سادس عشر شهر رجب، بعد أن استعفى من ذلك مراراً، وبأس الأرض مراراً فلم يقمعه السلطان، وهو الأمير سيف الدين أستانمر، أخو بلغا الحيواي، الذي كان نائب الشام، وبته اليوم زوجة السلطان، قدم مسلمة إلى دمشق يوم الخميس، سابع الشهر، فتمتزل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه، والتودد إليه، وحملت إليه الضيافات والتقدم، انتهى والله أعلم.

كاثنة وقعت بقرية حوران فأوقع الله بهم بأساً شديداً في

هذا الشهر الشريف

وذلك أنهم أشهر أهل قرية مجوران، وهي خاص لنائب الشام، وهم حلية بن، ويقال لهم بنو لبسه، وبني ناشي، وهي حصينة منيعة، يفسوي إليها كل مفسد، وقاطع، ومارق، ولما إليهم أحد شياطين روس العشير، وهو عمر المعروف بالذئب، فأعدوا عدداً كثيرة، ونهروا ليغنموا العشير، وفي هذا الحين بدروهم والي الولاية المعروف بشنكل متكل، فجاء إليهم ليردهم ويهديهم، وطلب منهم عمر الذئب، فأبوا عليه، وراموا مقاتلته، وهم جمع كثير وجم غفير، فتأخر عنهم، وكب إلى نائب السلطنة ليمده بجيش، عوناً له عليهم وعلى أمثالهم، فجهز له جماعة من أمراء الطبلخاناه، والعشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة.

فلما بينهم في بلدهم تجمعوا لقتال العسكر ورموه بالحجارة والمقاليح، وحجزوا بينهم وبين البلد، فعند ذلك رمتهم الأتراك بالنبال من كل جانب، فقتلوا منهم فوق المائة، قفروا على أعقابهم، وأسر منهم والي الولاية نحواً من ستين رجلاً، وأمر بقطع رؤوس القتلى، وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسرى، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم، وسلمت إلى عماليك نائب السلطنة، لم يقد منها ما يساوي ثلاثمائة درهم، وكر راجعاً إلى بصرى، وشيوخ العشيرات معه، فأخبرني الأمير صلاح الدين بن خاص ترك، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه الذين قاتلهم بمسوط ما ينحصر، وأنه كان إذا أعيا بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر الشاعلي بذهبه، وتعليق رأسه على بقية الأسرى، وفعل هذا بهم غير مرة، حتى إنه قطع رأس شاب منهم، وعلق رأسه على أبيه، شيخ كبير، فإنا لله وإنا إليه راجعون، حتى قدم بهم بصرى، فشكل طائفة من أولئك المأسورين، فشكل آخرين، ووسط الآخرين، وحبس بعضهم في القلعة، وعلق الرؤوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى، فحصل بذلك تكليل شديد، لم يقع مثله في هذا الأوان بأهل حوران، وهذا كله سلط عليهم بما كسبت أيديهم، وما ريك بظلام للعبيد، «وكذلك نولي بعض الظالمين أنصاً بما يكسبون» (الأمم: ١٢٩) فإنا لله وإنا إليه راجعون، انتهى.

وقضاته بمصر هم المذكورون في السنة التي قبلها.

وتأبى بدمشق الأمير علاء الدين علي المارداني.

وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير المالكي، فإنه عزل جمال الدين المسلاتي، بشرف الدين العراقي، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبح، وخطيب البلد وكتب سرها المذكورين.

وفي صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب، ففرح الناس به، وتلقوه إلى أثناء الطريق، وحملت له العامة الشموع في طرقات البلد، وليس الأمير شهاب الدين بن صبح خلعة الحجابية الكبيرة بدمشق، عوضاً عن نيابة صفد.

ووردت كتب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه، مؤرخة سابع عشرين ذي الحجة من العلا، وذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلعة السلطان، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة فقتلوه، فعند عيده على الحجيج الذين هم داخل المدينة، فنهبوا من أموالهم، وقتلوا بعضهم وخرجوا، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش، فأحرق بعضها، ودخل الجيش السلطاني، فاستقذوا الناس من أيدي الظالمين.

ودخل المحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته، وبين يدي المحمل الفداويان اللذان قتلوا صاحب المدينة، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة، من غلوه في الرفض المفرط، ومن قوله إنه لو تمكن لأخرج الشيخين من الحجرة، وغير ذلك من عبارات مؤذية لعدم إيمانه إن صح عنه، والله أعلم.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الأمير شهاب الدين بن صبح حاجب الحجاب، وولده الأميران، وحسبوا في القلعة المنصورة، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن جبارك بعد أيام إلى الديار المصرية، وفي رجل ابن صبح قيد، وذكر أنه فك من رجليه في أثناء الطريق.

وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طرابلس الأمير سيف الدين عبد الغني فادخل القلعة، ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبي بكر إلى الديار المصرية، محتفظاً به، مضيقاً عليه، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد، مطلوباً إلى السلطان، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمته التي، فإرا من السلطان، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد في طلبه، فأعجزه، وتفرط الأمر، انتهى، والله أعلم.

مسك الأمير علي المارداني نائب الشام

وأصل ذلك في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين، وضربت البشائر في القلعة في ناحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطبلخاناه من كل جانب، والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحجاب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة، والرسل مرددة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة، محتاطاً عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فتباكي الناس رحمة له، وأسفة عليه، لنيافته، وقلة أذنيه، وأذية الرعية، وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيغنا حاجي أحد مقدمي الألف،

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين

أسندمر اليحيوي

في صبيحة يوم الاثنين حادي عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين أسندمر اليحيوي نائباً على دمشق، من جهة الديار المصرية، وتلقاه الناس، واحتفلوا له احتفالاً زائداً، وشاهدته حين ترجل لتقليل العتية، ويعضده الأمير سيف الدين بيدمر، الذي كان حاجب الحجاب، وعين لنيابة حلب المحروسة، فاستقبل القلبة، وسجد على العتبة، وقد بسط له عندها مفارش وصمعة هائلة، ثم إنه ركب قععضله بيدمر أيضاً، وسار نحو الموكب، فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب، وجاء تقليد الأمير سيف الدين بيدمر من آخر النهار، لنيابة حلب المحروسة.

وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشري وعلى يده مرسوم شريف بنفسي القاضي بهاء الدين أبي البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس، بلا وظيفة، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه، وتعمم له كثير من الناس، وسافر ليلة الجمعة، وقد أذن له في الاستجابة في جهاته، فاستأنب ولده الكبير ولي الدين.

واشتهر في شوال أن الأمير سيف الدين منجك الذي كان نائب السلطنة بالشام، وهرب ولم يطلع له خبر، فلما كان في هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بجران، من معاملة ماردين في زي فقير، وأنه احتفظ عليه، وأرسل السلطان قراره، وعجب كثير من الناس من ذلك، ثم لم يظهر لذلك حقيقة، وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو، فإذا هو فقير من جملة الفقراء، يشبهه من بعض الوجوه.

واشتهر في ذي القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب، خرج عن طاعة السلطان، وتوجه نحو العراق، فوددت المراسيم السلطانية لمن يارض الرجة من العساكر الدمشقية، وهم أربعة مقدمين في أربعة آلاف، وكذلك جيش حلب وغيره بتقلبه، وإحضاره إلى بين يدي السلطان، فسعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه، فمجزوا عن لحاقه، والدخول وراءه إلى البراري، وتفاطروا الحال، وخلص إلى أرض العراق، فضاقت النطاق، وتعلمر للحاق.

ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعماية

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون.

وقضا مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها، ونائب الشام الأمير سيف الدين أسندمر أخو يلبغا اليحيوي، وكتب السر القاضي أمين الدين بن القلاسي.

وفي مستهل الحرم جاء الخبر بموت الشيخ

■ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف، ليلة الاثنين ثالث الحرم، وصلي عليه من الغد بالمسجد الأقصى، بعد صلاة الظهر، ودفن بمقبرة باب الرحمة، وله من العمر ست وستون سنة، وكان مدة مقامه بالقدس منونسا بالمدرسة الصلاحية وشيخاً بدار الحديث السرية ثلاثين سنة.

وقد صنف وألف، وجمع وخرج، وكانت له يد طويلة بمعرفة العالي

والنازل، وتخرج الأجزاء والفوائد وله مشاركة قوية في الفقه، واللغة العربية، والأدب وفي كتابته ضحك، لكن مع صحة وغبط لما يشكل، وله عدة مصنفات ويلبغى أنه وقفها على الخاتمة السيساطية بدمشق، وقد ولي بعده التدريس بالصلاحية الخطيب برهان الدين بن جماعة، والنظر بها، وكان معه تفريض عنه متقدم التاريخ.

وفي يوم الخميس السادس من حرم احتيط على متولي البر ابن بهادر السنجري، ورسم عليه بالعناروة، بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكجكن الحجاب، وقاضي حسان، والظاهر أن هذه مراعاة من خصم علو لهم، وأنه لم يكن من هذا شيء، والله أعلم.

ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة، وأخذ بسببه مدرس الصارمية، لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة، وضرب بين يدي ملك الأمراء، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي الشافعي، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً للمدرسة الأكرية، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس السد، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين، الذي كان متولي البلد، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريفاً بالولاية، فلما فهم ذلك كتب السر اطلع عليه نائب السلطنة، فافتتح عليه الباب، وحسبوا كلهم بالسد.

وجاءت كتب الحاجب ليلة السبت، الخامس عشر من الحرم، وأخبرت بالخصب والرخص والأمن، ولله الحمد والمث.

ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الثاني والعشرين منه، ثم دخل الحجاج بعده في الطين والدخض، وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناه وشدة، ووقعت جمالات كثيرة، وسييت نساء كثيرة، فلما لله وإنا إليه راجعون، وحصل للناس تعب شديد.

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد الذي زور المراسيم، واسمه السراج عمر القفطي المصري، وهو شاب كاتب، متطيق على ما ذكر، وحمل في قفس على جبل وهو مقطوع اليد، ولم يحسم بعد والدم ينصب منها، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جبل، وهو منكوس وجهه إلى ناحية دير الجمل، وهو عريان مكشوف الرأس، وكذلك البدر الحمصي على جبل آخر، وأركب الوالي شهاب الدين على جبل آخر، وعليه تحففة صغيرة، وخف وقباء، وطيف بهم في محال البلد، ونودي عليهم: هذا جزء من يزور على السلطان، ثم أودعوا حبس الباب الصغير، وكان قبل هذا التنزير في حبس السد ومنه أخذوا وأشهروا، فلما لله وإنا إليه راجعون، انتهى.

مسك منجك وصفة الظهور عليه وكان محتفياً

بدمشق حوال سنة

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من الحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر، فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى، فأرسل من فوره إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجة، ومن عنده من خواصه، فأحضر إلى بين يديه محفظاً عليه جداً، بحيث إن بعضهم ردفه من وراءه واحتضنه، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه، وتلقاه، وأجلسه معه على مقعده، وتلطف به، وسقاها وأضافه، وقد قيل إنه كان صائماً فأطفر عنده، وأعطاه من ملابسه، وقبده وأرسله إلى السلطان من ليته ليلة الجمعة مع جماعة من الجنود، وبعض الأمراء، منهم حسام الدين

الاحتياط على الكعبة والدواوين

وفي يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أمير معه مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية، وغير ذلك، فرسم عليهم بدار العدل البرانية، وألزموا بأموال جزية كثيرة، بحيث احتاجوا إلى بيع أثاثهم وأقمشتهم، وفرشهم وأمتعتهم وغيرها، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه، فأحضر بناته إلى الدكة ليبيعن، فبأى الناس، وانتجوا رحمة ورقة لأبيهن، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء، الذين لا شيء معهم، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم، كالصاحب والمستوفين، ثم شددت عليهم المطالبة، وضربوا ضرباً مبرحاً، وألزموا صاحب المال كثير، بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بغضه وبأوراقه، فاسفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به، بعد أن عري ليضرب، ولكن ترك، واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية، انتهى.

موت فياض بن مهنا

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه، فاستبشر بذلك كثير من الناس، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك، لأنه كان قد خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مائة جاعلية، بأرض العراق، أرض الشقاق والنفاق، وقد ذكرت عن هذا المذكور أشياء صدرت عنه من ظلم الناس، والإنفاط في شهر رمضان بلا عذر، وأمره أصحابه وفؤيه بذلك في هذا الشهر الماضي، فإنا لله وإنا إليه راجعون، جاوز السبعين، انتهى، والله أعلم.

كائنة عجيبه جدا هي المعلم سنجر مملوك بن هلال

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلالي، بعد أن استوفوا منه تكميل ستمائة ألف درهم، فبات في منزله عند باب النطايفين سرورا بالخلاص، ولا أصبح ذهب إلى الحمام، وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله، فأقبلت الحجة، ونقبا النقة، والأعوان من كل مكان، ققصدوا داره، فاحتاطوا بها، وعليها بما فيها، ورسم عليه وعلى ولديه، وأخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة، وفشوا النساء، وانتزعوا عنهن الحللي، والجواهر والنقائس، واجتمعت العامة والغوغاء، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود، بضبط الأموال والحجيج والرهون، وأحضروا المعلم ليستعلموا منه جلية ذلك، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلاثمائة ألف وسبعين ألفاً، ثم صناديق أخرى لم تنفتح، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت، ثم أصبحوا يوم الأحد في مثل ذلك، وقد بات الحراس على الأبواب والأسطحة، لئلا يعدي عليها في الليل، ويات هو وأولاده بالقلعة المنصورة، محتفظاً عليهم، وقد رق له كثير من الناس، لما أصابه من المصيبة العظيمة، بعد التي قبلها سريعا.

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين

أمير حاجب، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار، وتمعجب الناس من هذه القضية جداً، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باغتيال أو أنه في بعض البلاد النائية، ولم يشعر الناس إلا أنه في وسط دمشق، وأنه يمضي بينهم متكرراً، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق، ويمشي بين الناس متكرراً في لبسه وهيته، ومع هذا لن يغني حذر من قدر، ولكل أجل كتاب، وأرسل ولد ملك الأمراء بالسيف، وبملاسه التي كان يتكر بها، وبعث هو مع جماعة من الأمراء الحجة وغيرهم، وجيش كثيف إلى الديار المصرية، مقبداً محتفظاً عليه، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا، والخلع والإتعام للولد، ولحاجب الحاجب، وليس ذلك الأمراء يوم الجمعة، واحتفل الناس بالشروع وغيرها.

ثم تواترت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان، وغفوه عنه، وخلعته الكاملة عليه، وإطلاقه له الحسام والخيول المسومة، والألبسة المتفخرة، والأموال، والأمان، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف، وقدمو الأمير علي من صدف قاصداً إلى حماة لنيابته، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس، رابع صفر، وتوجه ليلة الأحد سابعه.

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس، بمرسوم شريف، أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقة عليه، وقد كان ولده ولي الدين ينوب عنه فيها، فثقله كثير من الناس إلى أثناء الطريق، ويرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا، وراح الناس إلى نهنته إلى داره، وفرحوا ببرجوعه إلى وطنه.

ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر، وهو أثناء شهر شباط، وسقط ثلج عظيم، فرويت البساتين التي كانت لها من الماء عدة شهور، ولا يحصل لأحد من الناس سقي إلا بكلفة عظيمة ومشقة، ومبلغ كثير، حتى كاد الناس يقتلون عليه بالأيدي واللبائيس، وغير ذلك من البذل الكثير، وذلك في شهور كانون الأول والثاني، وأول شباط، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أماكن بعيدة في هذه الشهور، ثم من الله تعالى فجرت الأودية، وكثرت الأمطار والثلوج، وغزرت الأنهار، ولله الحمد والمثقة، وتواتت الأمطار، فكانه حصل السيل في هذه السنة، من كانون إلى شباط، فكان شباط هو كانون، وكانون، لم يسل فيه ميزاب واحد.

ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدم الشريف، ليتبني للسلطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف، وأحضر الطرخان الذي كتب له بما الذهب إلى دمشق، وشاهده الناس ووقعت على نسخته، وفيها تعظيم زائد، ومدح وثناء له، وشكر على مقدم خدمه لهذه الدولة، والعفو عما مضى من زلاته، وذكر سيرته بعبارة حسنة.

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال، صاحب الأموال الجزيلة، بمرسوم شريف قدم مع البريد، وطلب منه ستمائة ألف درهم، واحتيط على العمارة التي أنشأها عند باب النطايفين ليجعلها مدرسة، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للآيات، وأن يوقف عليهم كفايتهم جارية عليهم، وكذلك رسم بأن يعمل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار، وهذا مقصد جيد، وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين، يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا، فعاجل بعمل مائتي ألف، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية.

■ محمد بن الدواير السكري، كان ذا مكانة عند أستاذه، ومنزلة عالية، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه، ففضربه وصاحده، وعزله وسجنه، وتزل قدره عند الناس، وآل به الحال إلى

الأساس، ونفي إلى مصيف، فاجتاز بدمشق، ونزل بالمدرسة الحلبية ظاهر باب الفرج، وزرته قيم سلم عليه، فإذا هو شيخ حسن، عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً، ولديه فضيلة، وعنده تواضع وتصوف، قاله يحسن عاقبته، ثم تحول إلى العنواوية.

وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن ابن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية، مطلوباً على البريد إلى السلطان، لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية، وخرج لتدريسه القضاة، والأعيان إلى أثناء الطريق، كتب الله سلامته، انتهى والله تعالى أعلم.

مسك نائب السلطنة أسندمر اليحيوي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسندمر، أخي بلغا اليحيوي، عن كتاب ورد من السلطان صجة الدواخل الصغير، وكان يومئذ راكباً بناحية ميدان ابن أتاتك، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش، وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس، فذهب من على طريق الشيخ رسلان، ولم يكن من المسير إلى دار السعادة، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس، مقيماً بها بطلاً، فسيحان من يده ملكوت كل شيء، يفعل ما يشاء، وبقي البلد بلا نائب، يحكم فيه الحاجب الكبير، عن مرسوم السلطان، وعين للنائب الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب.

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بنبأ دمشق، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب، ويقصد الأمير حيار بن مهنا، ليحضره إلى خدمة السلطان، وكذلك رسم لنائبي حماة وحمص أن يكونوا عوناً للأمير سيف الدين بيدمر في ذلك.

فلما كان يوم الجمعة رابحه التقوا مع حيار عند سلمية، فكانت بينهم مناشات، فأخبرني الأمير تاج الدين إسرائيل الدودار وكان مشاهد الواقعة أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب، وذلك لكثرة العرب، وكانوا نحو الثمانمائة، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين، فرموا الأعراب بالشباب، فقتلوا منهم طائفة كثيرة، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد، وماء بعض الترك ظاناً أنه من العرب بناشق فقتله، ثم حجز بينهم الليل، وخرجت الترك من الدائرة، ونهبت أموال من الترك ومن العرب، وجرت فتنة، وجردت أمراء عدة من دمشق لتشارك الحال وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم، وقدم الأمير عمر الملقب بمصمخ بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب، وفي صحبته الأمير بدر الدين رملة بن جاز أميران على الأعراب، فترز مصمخ بالقصر الأبلق، ونزل الأمير رملة بالأنورية على عادته، ثم توجهوا إلى ناحية حيار بن مهنا من عرب الطاعة، عن أضيف إليهم من تجريدة دمشق، ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير خيار، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة، فوالله تعالى يحسن العاقبة.

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين

بيدمر إلى دمشق

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان، أقبل بجيشه من

أن كان يقف على أتباعه بفرسه، ويشترى منهم ويحاكلهم، ويحمل حاجته معه في سرجه، وصار مثلاً بين الناس، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدواخلية من العز والجاء، والمال والرفعة في الدنيا، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه.

وفي صبيحة يوم الأحد سابع عشره أفرج عن المعلم الحلالي، وعن ولديه، وكانوا معتقلين بالقلعة المنصورة، وسلمت إليهم دورهم وحواصلهم، ولكن أخذ ما كان حاصلًا في داره، وهو ثلاثمائة ألف وعشرون ألفاً، وختم على حجيجه، ليعقد لذلك مجلس، ليرجع رأس ماله منها، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تُبْنَ فَلََكُمْ رُوُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الغرة: ٢٧٩] وتودي عليه في البلد، إما فعلنا به ذلك لأنه لا يؤدي الزكاة، ويعامل بالربا، وحاجب السلطان، ومتوًلى البلد، وبقية المتعممين والمتعاضلة تنادي عليه في أسواق البلد وأرجائها.

وفي يوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم، ففرح الناس بسبب ذلك، لخلاصهم عما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة، ولكن لم يستمر بهم في مباشرتهم. وفي أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسي الراعظ، قدم من الديار المصرية، تجاه محراب الصحابة، واجتمع الناس إليه، وحضر من قضاة القضاة الشافعي، والمالكي، فتكلم على تفسير آيات من القرآن، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية، بعبارات طلاقة معربة، حلوة صادقة للقلوب، فأثاد وأجاد، ودوع الناس بعوده إلى بلده، ولما دعا استنهض الناس للقيام، فقاموا في حال الدعاء، وقد اجتمعت به بالمجلس، فرأيت حسن الهيئة، والكلام والتأديب، فوالله يصلحه ولينا أمين.

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب، لقصد غزو بلاد سبى في جيش، لقا الله النصر والتأييد.

وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعالي عبيسهم، في عمامم وحبال إلى الخندق، وخاضوه، وخرجوا من عند جسر الزلاوية، فانطلق اثنان، وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تطلوا فيها، فاشتد تكبر نائب السلطنة على نائب القلعة، وضرب ابنه القيق وأخاه وسجنهما، وكتب في هذه الكاتبة إلى السلطان، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة وإخراجه منها، وطلبه لحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين من مباشرته، وعزل ابنه عن القنابة، وابنه الآخر عن استاذكرة السلطان، فنتزلوا من عزمهم إلى عزلهم.

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب، وقد فتح بلدين من بلاد سبى، وهما طرسوس وأذنة، وأرسل مفتاحيهما صبيحة جبريل المذكور، إلى السلطان إله الله، ثم افتتح حصوناً آخر كثيرة، في أسرع مدة، وأيسر كلفة، وخطب هناك القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة.

وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب.

قلت: وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح، أخذها سبى عام قازان، وذلك في ستة تسع وتسعين وستمائة، فاستنذت والله الحمد في آخر هذه السنة.

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مغلومه، وضرب وصودر، وخربت داره إلى

الأشجاراً واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم، وبقي آثار سيحه على أراض كثيرة، ومن ذلك سيل وقع بأرض خيران أثلث شيئاً كثيراً جداً، وغرق فيه قاضي تلك الناحية، ومعه بعض الأخيار، كانوا وقروا على أكمة، فدهمهم أمر عظيم، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه، فهلكوا. ومن ذلك سيل وقع بناحية جبة عسال، فهلك به شيء كثير من الأشجار، والأغنام، والأعشاب، وغيرها.

ومن ذلك سيل بأرض حلب ملك به خلق كثير من التركمان وغيرهم، رجالاً وأطفالاً وغنماً وإبلان، قرأته من كتاب من شاهد ذلك حيناً، وذكر أنه سقط عليهم برد وزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم، وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر، انتهى.

الأمر بالزمام القلندرية برك خلق لحاهم وحواجهم

وشواربهم

وذلك عزم بالإجماع حسب ما حكاه ابن حزم، وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكرامة: ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق، في يوم الثلاثاء خلع عشر ذي الحجة، بإلزامهم بزي المسلمين، وترك زي الأعاجم والمجوس، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان، حتى يترك هذا الزي المبتدع، واللباس المستنشق، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعاً، ويقطع من قراره قلماً، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الخبيثة الخبيسة، وإقامة الحد عليهم بأكملها وسكرها، كما أفشى بذلك بعض الفقهاء، والمقصود أنهم نودي عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه، في صبيحة يوم الأربعاء، والله الحمد والمنة.

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح

■ أحمد بن موسى الزرعي بمدينة خيران يوم الثلاثاء، خامس ذي الحجة، وكان من المبشرين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة، وله وجاعة عند الخاص والعام، رحمه الله.

والأمير سيف الدين

■ كجك بن الأفرح، الذي كان حاجباً بدمشق وأميراً، ثم عزل عن ذلك كله، وفاء السلطان إلى طرابلس، فمات هناك.

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائناً من الديار المصرية، وقد لقي من السلطان إكراماً وإحساناً زائداً، فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف، فأقام به يوم عرفة والنحر، ثم سلك على طريق غابة أروصوف يصطاد بها، فأصابه وعك منته عن ذلك، فأسرع السير، فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين، الحادي والعشرين منه، في أبهة هائلة ورياسة طائلة، وتزايد، وخرج العامة للتفرج عليه، والنظر إليه في عجمته هذا، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز، وبين يديه ما جرت به العادة من الخوفية والشاليشية وغيرهم، ومن نيته الإحسان إلى الرعية، والنظر في أحوال الأوقاف، وإصلاحها على طريقة سيف الدين تنكر رحمه الله انتهى، والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة

استهل هذه السنة المباركة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك، ويتحقق به الملك الناصر حسن ابن

ناحية حلب وقد بات بوطاة برزة ليلة السبت، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا.

فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة، وتجميل حافل، فقبل العتبة على العادة، ومشى إلى دار السعادة، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة، وعدد كثير، وعدد ثمينة، وفريح المسلمون به، لشهامته، وصرامته وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، والله تعالى يؤيده ويسدده.

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الخنايلة بجامع القبيبات، وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي العسكر الحنفي، بمرسوم نائب السلطان، لأنه كان يعرف أنه كان مختصاً بالخنايلة، منذ عين إلى هذا الحين.

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبابب الدقاق، بالخليد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تراطوهم على الكذب، أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ فرجع إلى الحاكم المالكي، وأدعى عليه فظهر التجائن، ثم استقر أمره على أن قتل قبحه الله، وأبعده ولا رحمه.

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد، المدعو زبالة، الذي انحاز لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ﷺ، ودعواه أشياء كفرية، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر، وعائشة أم المؤمنين، وفي حق النبي ﷺ، فضررت عقده أيضاً في هذا اليوم، في سوق الخيل، والله الحمد والمنة.

وفي ثالث عشر شوال خرج المحمل السلطاني، وأميره الأمير ناصر الدين بن قرائسقر، وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدث، أحد المفتين.

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن، كان خياطاً بمحلة الشاغور، ومن شأنه أن يتصر لفرعون لعنة الله، ويزعم أنه مات على الإسلام، ويحج بأنه في سورة يونس حين أدركه الفرق قال: ﴿أَمْسَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولا يفهم معنى قوله: ﴿الآن وَقَدْ غَشَّيْتُ قَبْلُ وَكَنتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٩١] ولا معنى قوله: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [الأنعام: ٢٥] ولا معنى قوله: ﴿فَأَعْلَفْنَا بِهَذَا زَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ١٦] إلى غير ذلك من الآيات، والأحاديث الكثيرة، الثالثة على أن فرعون أكثر الكافرين، كما هو مجمع عليه بين اليهود، والنصارى، والمسلمين.

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس ذي القعدة قدم البريد بطلب نائب السلطنة إلى الديار المصرية، في تكريم وتعظيم، على عادة تنكز، فتوجه النائب إلى الديار المصرية، وقد استصحب معه ثغفاً سنينة، وهلبيا معظمة تصلح للإيواء الشريف، في صبيحة السبت رابع عشره، خرج ومعه القضاة والأعيان من الحجة والأمراء لتوديعه.

وفي أوائل ذي الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي، يستدعيه إلى القدس الشريف، وزيارة قبر الخليل، ويذكر فيه ما عامله به السلطان من الإحسان والإكرام، والاحترام، والإطلاق، والإنعام من الخيل، والتحف، والمال، والغلات، فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة، رابعه على ستة من خيل البريد، ومعه تحف، وما يناسب من المنلأيا، وعاد عشية يوم الجمعة، ثامن عشره، إلى بستانه.

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة عندهم من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك، أثلث شيئاً كثيراً من

يمهد كما أخبر به عامة الشيخ، وسبه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهالك في طريق النهر.

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من المحرم، قبل الظهر، وبسك أمير الحاج جركم الماراداني الذي كان مقبلاً بمكة شرفها الله تعالى، وحاماً من الأوغاد، فلما عادت التجريدة مع الحاج إلى دمشق صعبة القراسطر الذي تسلم الحجيج من مكة من أميرهم في الطلقة ناصر الدين بن قراسطر المنصوري فمسك من ساعة وصوله إلى دمشق، فقيده وسير إلى الديار المصرية على البريد، وبلغنا أن الأمير سند أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا صعبة ابن قراسطر المنصوري، وكبسهم وقتل من حواشيهم، وأخذ خيرولهم، وأنهم ساروا جراداً بغير شيء مسؤولين إلى الديار المصرية، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي أول صفر اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية، بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم، على خلاف المعتاد، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين، فأما المرض فكثير جداً، وغلت الأسعار لقلّة من يتعاطى الأشغال، وغلا السكر، والمياه والغائكة جداً، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد، وحصل له تشویش أيضاً، ثم عوفي بمحمد الله.

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجاج رسول صاحب العراق، لحطية بنت السلطان، فأجابه إلى ذلك، بشرط أن يصدها مملكة بقداد، وأعطاهم مستحقاً سلطانياً، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئاً كثيراً، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخاتنة التي يريد أن يتخذها بدمشق قريباً من الطواويس، وقد خرج لتلقيه نائب الغيبة، وهو صاحب الحاجب، والدولة والأعيان.

وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقي من أهلها، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الاثنين، السابع عشر من ربيع الأول، وأنه أحضر رجل قد ولد له ولد عاش ساعة ومات، وأحضره معه، وشاهده الحاضرون، وشاهده كاتب الكتاب، فإنا هو شكل سوي، له على كل كف رأس بوجه مستدير، والوجهان إلى ناحية واحدة فصبجان الحلاق العليم.

وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المئارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر، وكانت مستجلة على صفة غريبة، وذلك أنها منارتان على أصل واحد، فوق قبة الباب الذي للمدرسة المذكورة، فلما سقطت اهلكت خلقاً كثيراً من الصانع بالمدرسة، والمارة، والصبيان الذين في مكتب المدرسة، ولم ينج من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستة، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلاثمائة نفس، وقيل أكثر، وقيل أقل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى الغيبة لإصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر، وكان سلخه، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه، وأجناد الحلقة بروتهم، لم يتأخر منهم أحد، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلمانهم، وأحضر إليهم خلق من فلاحي المروج والنفوة وغير ذلك، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل، وقد نظفوها من والدغل والقش.

واتفقت كاتبة غريبة لبعض السؤال، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنكز عند باب

الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالح، ولا نائب له بالديار المصرية.

وقصاته بها هم المذكورون في العام الماضي، ووزيره القاضي ابن الخصيب.

ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمختب هم المذكورون في العام الماضي، والوزير ابن قروينة، وكاتب السر القاضي أمين الدين بسن القلانسي، ووكيل بيت المال القاضي صلاح الدين الصفدي، وهو أحد موقعي الدست الأربعة، وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله، وحاجب الحجاب اليوسفي، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنار، ومتولي البلد ناصر الدين، وتقيب النقيب ابن الشجاع.

وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير علي نائب حماة منها، فدخل دمشق، عجتازاً إلى الديار المصرية، فنزل في القصر الأبلق، ثم تحول إلى دار دواخله بليغا، الذي جدد فيها مساكن كثيرة بالقصاعين، وتردد الناس إليه للسلام عليه، فقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تساعه، فسار إلى الديار المصرية.

وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الحياض من حلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن، وناظر في إيمان فرعون، وادعي عليه بدعوى لاتنصاره لفرعون لعنه الله، وصدق ذلك باعتراقه أولاً، ثم بمنافرتة في ذلك ثانياً وثالثاً، وهو شيخ كبير جاهل عامي، رابض لا يقيم دليلاً ولا يحسنه، وإنما قام في غيلته شبهة يمتج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الغرق، وأحبط به، ورأى بأس الله، وعالين عذابه الأليم، فقال حين الغرق: «أَمْسَتْ أَنْتَ يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ أَمْسَتْ بِئِنَّ إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُتْلِينَ» (يوس: ٩٠) قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ آمَنُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (يوس: ٩١ - ٩٢).

فاعتقد هذا العامي الرابض أن هذا الإيمان الذي صدر من فرعون والحالة هذه ينعنه، وقد قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» (طه: ٨٤، ٨٥)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ آمَنُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (يوس: ٩١، ٩٢) وقد دعا موسى على فرعون فقال: «وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَانَا فَنُفِخْ فِي الصُّورِ وَلا تَبْهَتَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (يوس: ٨٨، ٨٩).

ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله، فضررب بالسياط، فأظهر التوبة، ثم أعيد إلى السجن في زنجير، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر، فتودي عليه في البلد ثم أطلق.

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفاً كله، ولكن كان تحت السحاب، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت، وفي الأخرى بسورة يس، ثم صعد المنبر فخطب، ثم نزل بعد العشاء، وقدمت كعب الحجاج يجيرون بالرخص والأمن، واستمرت زيادة الماء من أول ذي الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله، وهذا شيء لم

وصارت الدولة والشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين يلغا الخاصكي، فاتفقت الآراء، واجتمعت الكلمة، واتعمدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي، وخطب الخطباء، وضربت السكة، وسارت البريدية للبيعة باسمه الشريف، هذا وهو ابن ثني عشرة، وقيل أربع عشرة، ومن الناس من قال ست عشرة، ورسم بقوّة الأمور إلى ما كانت عليه في أيام والده الناصر محمد بن قلاوون، وأن يطبل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن، وأن تعاد المرتبات والجوامك التي كان قطعها، وأمر بإحضار طائر وطاشتر القاسمي من سجن إسكندرية إلى بين يديه، ليكونا تابليكا.

وجاء الخبر إلى دمشق صحة الأمير سيف الدين بزلار شاد الشيرخاناه، أحد أمراء الطبلخاناه بمصر، صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر، فضربت البشائر بالقلعة، وطلبخاناه الأمراء على أبوابهم وزين البلد بكماله، وأخذت البيعة له صبيحة يومئذ بدار السعادة، وخلع عن نائب السلطنة تشريف هائل، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة، ولله الأمر، وله الحكم. قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِلُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ الآية وآل عمران: ٢٦، ووجد على حجر بالحميرية، فقرئت للمأمون، فإذا مكتوب:

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك إلا لفضل النعيم من ملكك قد زال سلطانه إلى مملكك وملكك في العرش دائم أبداً ليس بفناء ولا بمشرك

وروي عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة، وكان سوي الخلق حسنه، وقد لبس حلة خضراء، وهو شاب عتلى شبايا، وينظر في إعطافه ولياسه، فأعجبه ذلك من نفسه، فلما بلغ إلى صرحه الدار، تلقته جنية في صورة جارية من حظاياها، فأنشدته:

أنت بسم المتاع لو كنت تبقى غدير أن لا حياة للإنسان
ليس فيما علمت فيك عيب بذكر غير أنك فان

فصعد المنبر الذي في جامع دمشق، وخطب الناس، وكان جمهوري الصوت، يسمع أهل الجامع وهو قائم على المنبر، فضعف صوته قليلاً قليلاً، حتى لم يسمعه أهل المقصورة، فلما فرغ من الصلاة حمل إلى منزله، فاستحضر تلك الجارية التي تبثت تلك الجنية على صورتها، وقال: كيف أنشدتني تينك اليتيم؟ فقالت: ما أنشدتك شيئاً، فقال: الله أكبر نعتي والله لي نفسي، فأوصى أن يكون الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

وقدم نائب طرابلس المزعول عليلًا، والأمير سيف الدين أستمير الذي كان نائب دمشق، وكانا مقيمين بطرابلس جميعاً، في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه، فدخل دار السعادة فلم يحضل بهما نائب السلطنة. وتكامل في هذا الشهر تجديد الرواق الغربي باب الناطقانيين، إصلاحاً للدرابزينات، وتبييضاً لجدرانها ومحراب فيه، وجعل له شبايك في الدرابزينات، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب، وذكروا أن شخصاً رأى مناماً، قصه على نائب السلطنة، فأمر بإصلاحه.

وفيه نهض بناء المدرسة، التي إلى جانب هذا المكان من الشباك، وقد كان أسسها أولاً نجم الدين غلام بن هلال، فلما صودر أخذت منه وجعلت مضافة إلى السلطان، فبنوا فوق الأساسات، وجعلوا لها خمسة

الخواصين، فصاروا فيما بينهم، فعمدوا إلى رجل منهم فختقوه ختقاً شديداً، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم، وشيء من الذهب، وذهبوا على حية، وأفاق هو من الشقي فلم يجدهم، واشتكى أمره إلى متولي البلد فلم يظفر بهم إلى الآن، وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم معاملة، ألف درهم بندقية، ودينارين وزنهما ثلاثة دنارين، كنا قال لي إن كان صادقا.

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضي القضاة شرف الدين الحنفي للشيخ علي بن البناء، وقد كان يتكلم في الجامع الأموي على العوام وهو جالس على الأرض شيء من الوعظيات وما أشبهها من صدره، فكأنه تعرض في غضون كلامه لأبي حنيفة رحمه الله فأحضر فاستيب من ذلك، ومنعه قاضي القضاة شرف الدين الكفري من الكلام على الناس، وسجنه، وبلغني أنه حكم بإسلامه، وأطلقه من يومه، وهذا المذكور ابن البناء عنده زهادة وتقشف، وهو مصري، يسمع الحديث ويعرفه، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق، وضرب أمثال، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلوه، وكلامه قريب إلى مفهومهم، وربما أضحك في كلامه، وحاضرت، وهو مطبوع قريب إلى الفهم، ولكنه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الأشياء التي لا ينبغي أن تذكر، والله الموفق.

ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامنه، فتكلم على عادته، فطلبه القاضي المذكور، فيقال إن المذكور تمت، انتهى، والله أعلم.

سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد

ابن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالح، وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون

لما كثر طمعه، وتزايد شرهه، وسامت سيرته إلى رعيته، وضيق عليهم في معاليهم وأكسابهم، وبني البيات الجارية التي لا يحتاج إلى كثير منها، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله، واشترى منه قرايب كثيرة ومدنا أيضاً، ورساتيق، وشق ذلك على الناس جداً، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ولا العلماء ولا الصالحاء على الإنكار عليه، ولا الهجوم عليه، ولا النصيحة له بما هو مصلحة له وللمسلمين، اتقم الله منه، فسلط عليه جنده، وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه، لما قطع من أرزاقهم، ومعاليهم، وجوامكهم، وأخيازهم، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته، فقلت الأمراء والأجناد، والمقدمون، والكتاب، والموقعون، ومس الناس الضرر، وتعدى على جوامكهم وأولادهم، ومن يلوذ بهم، فعند ذلك قدر الله هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلغا الخاصكي.

وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعدت لذلك، وركب السلطان لمسكه، فركب هو في جيش، وتلاتيا في ظاهر القاهرة، حيث كانوا نزولاً في الوطافات، فهزم السلطان بعد كل حساب، وقد قتل من الفريقين طائفة ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل، «كلا ولا وزر» [الجمعة: ١١]، ولن ينجي حذر من قدر، فبات الجيش بكماله محذاً بالقلعة، فهم بالهرب في الليل، على هجن كان قد اعتدوا ليهرب إلى الكرك، فلما برز سك واعتقل، ودخل به إلى دار يلغا الخاصكي المذكور، وكان آخر العهد به، وذلك في يوم الأربعاء، تاسع جمادى الأولى من هذه السنة.

وشبابك من شرقها، وبابا قبلياً، وعرباً، وبركة عراقية، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود، وكمّلوا عاليها بالأجر، وجاءت في غاية الحسن، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكباً للإتيام فلم يتم أمرها حتى قتل كما ذكرنا.

واشتهر في هذا الشهر أن بقرة كانت تحمي من ناحية باب الجالية تقصد جراً للكلية قد ماتت أمهم، وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابية، فتجبره إليهم فتستطح على شقها فترضع أولئك الجراء منها، تكرر هذا منها مراراً، وآخرني المحدث المفيد التي نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك. وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يمشين في تستر، ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن، ولا يظهرن زينة ولا يداً، فامتثلن ذلك ولله الحمد والمثلة.

وقدم أمير العرب حيار بن مهنا في أبهة هائلة وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة.

وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين عمر المهندار من نيابة غزة حاجب الحجاب بدمشق، وعلى مقدمة رأس اليمنة، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة، مثل مكس الحديدية والخزول المرددن الحلب والطبايع، وأبطل ما كان يؤخذ من الخشتين زيادة على نصف درهم، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت ثلاثة ونصف، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد في تفصيل ميت، وهذا حسن جداً، وكذلك منع التحجر في بيع التلج المخصص به، وبيع مثل بقية الناس من غير طرخان فرخص على الناس في هذه السنة جداً، حتى قيل إنه بيع القنطار بعشرة، وما حوله.

وفي شهر شعبان قدم الأمير حيار بن مهنا من الديار المصرية، فترز القصر الأبلق، وتلقاه نائب السلطنة، وأكرم كل منهما الآخر، ثم ترحل بعد أيام قلائل، وقدم الأمراء الذين كانوا بحبس الإسكندرية، في صبيحة يوم الجمعة سابعه، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبح وسيف الدين طيدير الحاجب، وطريق ومقدم ألف، وعمر شاه، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدير أزهه الله يظل المكوسات شيئاً بعد شيء مما فيه مضرة بالمسلمين، ويلغني عنه أن من عزمه أن يظل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك، آمين انتهى.

تنبيه على واقعة غريبة واتفاق عجيب

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدير فيما بلغنا في نفسه عتب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلغا الخاصكي منبر الدولة بها، وقد تورس وتوهم منه أنه يسعى في صرفه عن الشام، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة، فتسم منه ببعض الإياء عن طاعة يلغا، مع استمراره على طاعة السلطان، وأنه إن أفتق عزل من قبل يلغا أنه لا يسمع ولا يطيع، فعمل لذلك أعمالاً.

واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق، وهو الأمير سيف الدين برتاق الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها، ودخل هو بنفسه إليها، وطلب الأمير زين الدين زباله الذي كان قفيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها ومخططاتها وحواصلها، فلما رآه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتيحها

وأنظر في مصالحها أبده الله. ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العداة واستدعى الأمير سيف الدين استندر الذي كان نائب الشام، وهو في منزله كالمعتقل فيه لا يركب ولا يراه أحد، فأحضره إليه، وركب معه وكذلك الأمراء الذين قلعوا من الديار المصرية: ططيرق، وهو أحد أمراء الألووف وطيدير الحاجب، كان، وأما ابن صبح وعمر شاه فهاتما كاتا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار.

والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخيل ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقبوا واتفقوا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم يسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم، أو قتله وأن من قاتلهم على ذلك قاتلوه وأن السلطان هو ابن استأذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون، فطاعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة، وأبهة كثيرة والمسؤول من الله حسن العاقبة.

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأقراخ، وأبطل أن لا تنفي امرأة لرجال ولا رجل لنساء وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرة شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدير في نصب مجائتي على أعالي بروج القلعة، فنصب أربعة مجائتي من جهاتها الأربع، وبلغني أنه نصب آخر في أرضها عند البحرة، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجائتي على ظهور الأبرجة، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقاً من الأكرد والتركماني وغيرهم من الرجال الأنجاد، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتة وآلات الحرب شيئاً كثيراً، واستعد للحصار إن حوضر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع، بما يفوت الحصر.

ولما شاهد أهل البساتين المجائتي قد نصب في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى.

وجاءني فتياً صورتها: ما يقول السادة العلماء في ملك اشتري غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله، ومنع ورثته منه، وتصرف في المملكة وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقبله، فهل له الامتناع؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال؟ أفتونا ماجورين..

قلت للذي جاني بها من جهة الأمير: إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيتي في الذي يقصده ولا يسمى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفلسة راجعة على ذلك، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة

دار الحديث، فاستوحش الناس، من ذلك والله يحسن العاقبة.

خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق إلى غزة

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان هو ونائب السلطنة، بأطرابلس، ثم اجتمعوا بالخطبة في مقصورة الخطابة، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تحمل هائل على ما ذكر بعد العصر، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة في أثناء الليل، ومن جملة الناهيين في صحبة الولد عبد الرحمن أحد رجال الحلقة وسلمهم الله، وكذلك خرج القضاة، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب النست.

وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق، سوى نائب الغنية الأمير سيف الدين بن حمزة التركماني، وقريه والي البر ومتولي البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحد، ومحبس البلد ونواب القضاة والقلعة، على حالها والمجانين منصوبة كما هي.

ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أثناء النهار هو وتومان ثمر، وهم كلهم في لبس وأسلحة تامة، وكل منهما خائف من الآخر أن يمسكه، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق، ولما كان بعد العصر قدم منجك وأستمر كان نائب السلطنة بدمشق، وهما مغلولان قد كسرها من كان قدم على منجك من العساكر التي جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين ثمر حاجب الحجاب وعرف بالمهندار، قال لمنجك كلنا في خدمة من بمصر ونحن لا نطيعك على نصرة بيدمر، فتقاولا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب ثمر ومنجك ومن كان معهما كابن صبح وطيدمر إلى المصريين.

ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان ثمر وطريق ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراستق من الأمراء المتقدمين، وسوى بيدمر ومنجك وأستمر، والقلمة قد هيئت والمجانين منصوبة على حالها، والناس في خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلعة، فيحصل بعد ذلك عند قدام الجيش المصري حصار وتعيب ومشقة على الناس، والله يحسن العاقبة.

ولما كان في أثناء نهار الاثنين خامس عشره دقت البشائر في القلعة وأظهر أن يلجأ الخاصكي قد نفاه السلطان إلى الشام، ثم ضرت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضاً، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر وأستمر ملبيين، ويخرجون إلى خارج البلد، ثم يعودون، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة وتجهيز الحصار فإن الله وإنا إليه راجعون.

ثم تبين أن هذه البشائر لا حقيقة لها، فاهتمت في عمل ستائر القلعة وحمل الزلط والأحجار إليها، والأغنام والحواصل إليها.

وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني وصحبته يلجأ في جميع جيش مصر قد علا غزة فعند ذلك خرج الصاحب وكتب السر والقاضي الشافعي وناظر الجيش وتقباؤه ومتولي البلد وتوجهوا تلقاء حماة لتلقي الأمير علي الذي قد جاءه تقليد دمشق، وبقي البلد شاغرا عن

والمشايع أولاً، ثم بعد ذلك يكتب بقية المفتين بطريقه والله الموفق للصواب.

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام، حتى قبل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً، وكلهم يحضر معه المراكب الهائلة، ويتزولون معه إلى دار السعادة، ويعد لهم الأسمطة ويأكل معهم. وجاء الخبر بأن الأمير منجك الطرخاني المقيم ببيت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة، وأنه قد استحوذ على غزة ونائبه، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفتش ما معه، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ومع هذا كله فالعلة ثابتة جداً، والأمن حاصل هناك، فلا يخاف أحد وكذلك بدمشق وضواحيها، لا يهاج أحد ولا يتعدى أحد على أحد، ولا ينهب أحد لأحد شيئاً والله الحمد.

غير أن بعض أهل البساتين قد انزعجوا ترحموا وركبوا إلى المدينة وتحولوا، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم، وأقاموا بها على وجل، وذلك لما راوا المجانين الستة منصوبة على رؤوس قتال الأبراج التي للقلعة ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكتوباً سطره بينهم كاتب السر أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلجأ وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه في المملكة وشهد عليهم القضاة بذلك، وأرسلوا المكتوب مع علوك للأمر طيغنا الطويل، نظير يلجأ بالديار المصرية، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش ليناجزوا المصريين، فعين نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه، وخرجت التجريدة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان صبيحة أستاندر الذي كان نائب الشام مدحاً للأمير منجك في الفين، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقي من الجيش يذهبون على إثرهم، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف، ليلة الثلاثاء الثاني من رمضان كما سيأتي.

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين

■ مغلطاي المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة، ودفن من الغد بالزبدانية، وقد كتب الكثير وصنف وجمع، وكانت عنده كتب كثيرة جداً رحمه الله.

وفي مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر ليأخذ شي. عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يلجأ، فامتنعوا من ذلك خوفاً من استعادة ثمنه منهم على تقدير، فغضب بعضهم منهم شهاب الدين بن الصراف بين يدي الحاجب، وشاد الدواوين، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني ففرج الله بذلك.

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صبيحة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبح ثم ابن طرغية.

ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء، عاشر رمضان فلتقاء ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر، ودخلا معا في أبهة عظيمة فنزل تومان في القصر الأبلق، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلجأ، هذا والقلعة منصوب عليها المجانين، وقد ملئت حرساً شديداً، ونائب السلطنة في غاية التحفظ.

ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان ثمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتواهي هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي، ومنجك ومن معه هنالك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فاجابه إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه، في هذا اليوم فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسلوك الذي عند

وصول السلطان الملك المنصور إلى

المصطبة غربي عقبة سجورا

كان ذلك يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم أبيه الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقريب يده والأرض بين يديه، كتاب حلب، ونائب حماة، وهو الأمير علاء الدين المارداني، وقد عين لنيابة دمشق، وكتب بتقليده بملك، وأرسل إليه وهو بحماة.

فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين علي المارداني بنيابة دمشق، وأعيد إليها عوداً على بذه ثم هذه الكرة الثالثة، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه، وخرج أهل البلد لتهنئته، هذا والقلة غصنة بيد يديهم وقد دخلها ليلة الجمعة واحتفى بها هو ومنجك واستنم ومن معه من الأعراب بها ولسان حال القدر يقول: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَذْرُكُوكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كَتَمْتُ فِي بُرُوجٍ مُّشْتَبِهَةٍ﴾ [نساء: ٧٨]. ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى يديهم وذويه بالقلة ليصلحوه على شيء يشترطونه، وكان ما سنكره انتهى والله تعالى أعلم.

سبب خروج يديهم من القلة وصفة ذلك

لما كان يوم الأحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلي، والشيخ سراج الدين الهندي الحنفي قاضي العسكر المصري للحنفية، إلى يديهم ومن معه ليتكلموا معهم في الصلح ليتروا على ما يشترطون قبل أن يشعروا في الحصار والمجاثيق التي قد استدعي بها من صفد وبعلبك، وأحضر من رجال القضاة نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أماناً إن أتى إلى المصالح، فطلب أن يكون بأهله بيت المقدس، وطلب أن يعطى منجك ببلاداً بناحية بلاد سبيس ليستزق بهنالك، وطلب استنم أن يكون بشمقدار للأمير سيف الدين بلبغا الخاصكي.

فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك، فأجيبوا إليه، وخلع السلطان والأمراء على جبريل خلعاً، فرجع في خدمة القضاة ومعهم الأمير أسنبغا بن الأبو بكري، فدخلوا القلة وياتوا هنالك كلهم، وانتقل الأمير يديهم بأهله وأثاثه إلى داره بالمطريزين.

فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلة ومعهم جبريل، فدخل القضاة وسلموا القلة بما فيها من الخواص إلى الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأبو بكري انتهى.

دخول السلطان محمد ابن الملك امير حاج

ابن الملك محمد ابن الملك قلاوون إلى

دمشق في جيشه وأمراته

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة

حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة، والناس كغتم لا راعي لهم، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة، لا يعدو أحد على أحد فيما بلبغا، هنا ويديهم ومنجك واستنم في تحصين القلة وتحصيل السدد والأقوات فيها، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَذْرُكُوكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كَتَمْتُ فِي بُرُوجٍ مُّشْتَبِهَةٍ﴾ [نساء: ٧٨] الستائر تعمل فوق الأبرجة، وصلى الأمير يديهم صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر في الشباك الكمالي، في مشهد عثمان، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة، وليس هناك أحد من الحجة ولا النقباء، وليس في البلد أحد من المباشرين بالكليّة، ولا من الجند إلا القليل، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان، والمباشرين إلى ناحية حماة لتلقي الأمير علي نائب الشام المحروس، ثم عاد إلى القلة ولم يحضر الصلاة استنم، لأنه قيل كان منقطعاً إذ قد صلى في القلة.

وفي يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته، وتعتب عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلة ويخطب فيها، وادخار الآلات والأطعمات فيها، وعدم المجانيق والستائر عليها، وكيف تصرف في الأموال السلطانية تصرف الملاك والملوك، فتصل ملك الأمراء من ذلك، وذكر أنه إنما أُرصد في القلة جنادتها وأنه لم يدخلها، وأن أبوابها مفتوحة، وهي قلعة السلطان، وإنما له غريم بينه وبينه الشرع والقضاة الأربعة - يعني بذلك بلبغا - وكتب بالجواب وأرسله صحبة البريدي وهو بكيلندي مملوك يقطبة الدوادار، وأرسل في صحبة الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك.

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قرب الظهر، وليس ثم مفتوح سوى بابي النصر والفرج، والناس في حصر شديد وانزعاج، فلما لله ونا إليه راجعون. ولكن قد اقترب وصول السلطان والعاكر المنصورة.

وفي صبيحة الأربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد، ونزل الأمير سيف الدين بلبغا الخاصكي بقبة بلبغا، وامتد طلبه من سيف داريا إلى القبة المذكورة في أبهة عظيمة، وهينة حسنة، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصنمين بعد، ودخل يديهم في هذا اليوم إلى القلة وتحصن بها.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى بابي النصر والفرج، وضاق التطاق والمحصن الناس جدا وقطع المصريون نهر بانياس والفرع الداخلى إليها وإلى دار السعادة من القنوت، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوت ليسدوا الفرع المذكور، فأنزعج أهل البلد لذلك ملؤوا ما في بيوتهم من برك المناروس وغبر ذلك، وبيعت القرية بدهم، والحق بنصف، ثم أرسلت القنوت وقت العصر من يومئذ ولله الحمد والمئة، فأنشراح الناس لذلك.

وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح بابا النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان، فأرسل بلبغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زبالة الذي كان نائب القلة، والملك صلاح الدين بن الكامل، والشيخ علي الذي كان نائب الرحية من جهة يديهم، وأمير آخر، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد، وفتحوا الأبواب، فلما رأى يديهم ذلك أرسل مفاتيح البلد إليهم انتهى.

وفي يوم الخميس اشترى الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخاصكية ملكوا عليهم حسين بن الناصر ثم اختلوا فيما بينهم واقتتلوا، وإن الأمر قد انفصل ورد حسين للمحل الذي كان معتقلاً فيه، وأطلقاً الله شر هذه الطائفة والله الحمد.

وفي آخر هذا اليوم لبس القاضي ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفة والمدرستين ومشخة الشيخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي عزل وصور وراح الناس لهنتته بالعود إلى وظيفته كما كان. وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الأمراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهندار ابن أخي الحاجب الكبير، حمز، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين بن الكامل، وابن حمزة والطرخاني والثشان أخوان وهما طيفغا زفر وبلجك، كلهم طلبخانة، وأخرجوا خيرورم حاجب الحجاب، وكذلك الحجوبية أيضاً وأعطوا إقطاع لابن القشتمري الذي كان نائب حلب وأعطوا الحجوبية لقممري أحد أمراء مصر.

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلعة المنصورة منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالمصم، الذي كان أمير العرب في وقت، ومعيقل بن فضل بن مهنا وآخرون. وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للأمير سيف الدين الأحمدي الذي استأبوه على حلب، وأخلوا منه شيئا من بعض الأمتعة، وكادت الحرب تقع بينهم.

وفي ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقبلين في الأغلال أيضاً إلى الديار المصرية، منهم بيبرس ومنجك وأسندمر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضاً وبلجك وغيرهم، ومعهم نحو من مائتي فارس ملبسين بالسلاح متركلين بمخفطهم، وساروا بهم نحو الديار المصرية، وأمروا جماعة من البطالين منهم أولاد الأقوش، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والتزيم بالقلعة، بعد ما وزن بعض ما طلب منه وصار إلى منزله، وهناه الناس.

خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طلب يلبغا الخاصكي صبيحة في تجهل عظيم لم ير الناس في هذه المدد مثله، من نجائب وجنائب وممالك وعظمة هائلة، وكانت عامة الأطلاب قد تقدمت قبله بيوم، وحضر السلطان إلى الجامع الأموي قبل أذان الظهر، فصلى في مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين، ونائب الشام، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكسوة والناس في الطرقات والأسطحة على العادة، وكانت الزينة قد بقي أكثرها في الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم، فاستمرت نحو العشرة أيام.

وفي يوم السبت حادي عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصاري بإعادة الحسبة إليه وعزل عصام الدين بن الشيرجي، وخرج الحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة، والأمير مصطفى البيزي.

وتوفي يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق، وهم قشتمرزفر وطيفغا النيل ونوروز أحد مقدمي الألو، وتمر المهندار، وقد كان مقدم

رجع القضاة إلى الرطاق الشريف، وفي صحبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلة، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وفوهم، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا واجتمعن مجبورين.

وأما الأمراء المذكورون فإنهم أركبوا على خيل ضعيفة، وخلف كل واحد منهم وشاقي أخذ بوسطه قيل: وفي يد كل واحد من الوشاقية خنجر كبير مسلول لئلا يستفقه منه أحد فيقتله بها، فدخل جهرة بين الناس ليروهم ذلتهم التي قد لبستهم، وقد أحرق الناس بالطريق من كل جانب، فقام كثير من الناس الله أعلم بعدتهم، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها، فرأى الناس منظراً عظيماً فدخل بهم الرشاقية إلى الميدان الأخضر الذي فيه القصر، فاجلسوا هنالك وهم ستة نفر: الثلاثة النواب وجبريل وابن أسندمر، وسادس، وظن كل منهم أن يفعل بهم فارقة، فإنما لله وإنا إليه راجعون، وأرسلت الجيوش داخلية إلى دمشق أطلاباً في تجهل عظيم، وليس الحرب يهر النصر وخيول وأسلحة ورماح، ثم دخل السلطان في آخر ذلك كله بعد العصر بزم، وعليه من أنواع الملابس قباه زنجاري، والقباه والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان نمر الذي كان نائب طرابلس، والأمراء مشاة بين يديه والبسط تحت قدمي فرسه والبشائر تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورة لا البديرة. ورأى ما قد أرصد بها من المجانيق والأسلحة، فاشتد حقه على بيبرس وأصحابه كثيراً، ونزل الطائفة، وجلس على سرير الملكة ووقف الأمراء والنواب، بين يديه، ورجع الحق إلى نصابه، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح إلى دمشق في قضية بيننا أروس تسع سنين وكان دخولها إليها في رمضان الصالح في أول يوم من رمضان، وهذا في التاسع والعشرين، منه وقد قيل إنه سلخه والله أعلم وشرح الناس في الزينة.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المنضروب عليهم الذين ضل سعيهم فيما كانوا أرموه من ضمير سوء للمسلمين إلى القلعة فأنزلوا في أبراجها مهاتين، مفرقا بينهم، بعدما كانوا بها آمنتين حاكمين، أصبحوا معتقلين مهاتين خاضعين فخلوا بعدما كانوا رؤساء، وأصبحوا بعد عزمهم أذلاء، وتقتب أصحاب هؤلاء ونودي عليهم في البلد، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل، ولولاية امرأة بحسب ذلك ورسم في هذا اليوم على الرئيس أمين الدين بن القلانسي كاتب السر، وطلب منه ألف ألف درهم، وسلم إلى الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة، وقد أعيد إليها وأعطى تقدمه ابن قراستق وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا البالغ وصلّى السلطان وأمراؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد، ضرب له خام عظيم وصلّى به خطيباً القاضي تاج الدين المناوي الشافعي، قاضي العسكر المنصورة للشافعية، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة، ومد لهم سباطاً هائلاً أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم، وحمل الجتر في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير علي نائب دمشق وخلع عليه خلعة هائلة.

وفي هذا اليوم مسك الأمير تومان نمر الذي كان نائب طرابلس، ثم قدم على بيبرس، فكان معه، ثم قتل إلى المصريين واعتذر إليهم، فعنذروه فيما يبدو للناس، ودخل وهو حامل الجتر على رأس السلطان يوم الدخول، ثم ولوه نيابة حصص، فصغروه وحقروه، ثم لما استمر ذاهباً إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه وطلب منه المائة ألف التي كان قبضها من بيبرس، ثم ردوه إلى نيابة حصص.

كان مسجوناً بالإسكندرية، فاطلق كما ذكرنا ونزل بيت المقدس سنة، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان، غير أنه لا يدخل ديار مصر، فجاء فنزل بالقصر الأبلق، وجاء الناس إليه على طبقتهم - نائب السلطنة فمن دونه - يسلمون عليه وهو لا يصبر شيئاً، وهو على عزم أن يشترى أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها. انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاها من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، وهو شاب دون العشرين، ومعلم الممالك بين يديه الأمير يلغا، ونائب الديار المصرية قشتمر، وقضاها هم المذكورون في التي قبلها، والوزير سيف الدين قزويني، وهو مريض من مرض ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين المارداني، وقضاها هم المذكورون في التي قبلها، وكذلك الخطيب، ووكيل بيت المال، والمحاسب علاء الدين الأنصاري، عاد إليها في السنة المنفصلة، وحاجب الحجاب قماري، والذي يليه السليمان، وآخر من مصر أيضاً، وكتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبي، وناظر الجامع القاضي تقي الدين بن مراحيل.

وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنه جد في أول هذه السنة قاضي حنفي بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي، فصار في كل من حاة وطرابلس وصفد قاضيان شافعي وحنفي.

وفي ثاني المحرم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً، وقد أوطأ بلاد قرير بالرعب وأخذ من مقدمهم طائفة فأودعهم الحبس، وكان قد اشتهر أنه قصد العشرات المواسين ببلاد عجلون، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرني أنه لم يتعد ناحية قرير، وأن العشرات قد اصطلحوا واتفقوا، وأن التجربة عندهم هناك. قال: وقد كسب الأعراب من حرم الترك فزههم الترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم ظهر للعرب كمين، فلجأ الترك إلى وإد خرج فحصرهم هنالك، ثم ولت الأعراب فراراً، ولم يقتل من الترك أحد، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً.

وقدم الحجاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم، ودخل المحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد العشاء، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة، وذلك لشدة ما نال الركب في الرجعة من زيزاء إلى هنا من البرد الشديد، بحيث أنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولكن أخبروا برخص كثير وأمن، وموت ثمة أخني عجلان صاحب مكة، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد، لبني على أخيه عجلان العادل فيهم. انتهى والله أعلم.

منام غريب جداً

ورأيت - يعني المصنف - في ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله قتل له: يا سيدي الشيخ لا أدخلت في شرحك المهذب شيئاً من مصنفات ابن

ألف وحاجب الحجاب وعمل نيابة غزة في وقت، ثم تعصب عليه المصريون فمزلوه عن الإمرة، وكان مريضاً فاستمر مريضاً إلى أن توفي يوم الجمعة، ودفن يوم السبت بترته التي أنشأها بالصوفية، لكنه لم يدفن فيها بل على بابها كأنه تزوج أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله. وتوفي الأمير

ناصر الدين بن الأقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقيبات، وقد ناب بعلبك وبمحمص، ثم قطع خبره هو وأخوه كجكن ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى، ثم رضي عنهم الأمير يلغا وأعاد عليهم أخبازاً بطلبخاناه، فما لبث ناصر الدين إلا يسيراً حتى توفي إلى رحمة الله تعالى، وقد أثر آثاراً حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع، وله بعلبك جامع وحمام وخان وغير ذلك، وله من العمر ست وخمسون سنة. وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد ابن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الأتابكية، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني، وحضر عنده القضاة والأعيان، وأخذ في قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسي الشافعي المعروف بابن الجاني بالمدرسة المصرية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن الفلاسي في مصادراته.

وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيصرية، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان.

وفي صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شهر الشيخ أسد ابن الشيخ الكردي على جبل وطيف به في حواضر البلد ونودي عليه: هذا جزء من يخامر على السلطان ويسد نواب السلطان، ثم أنزل عن الجمل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودي عليه بذلك، ثم ألزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان يديم التقدم ذكره وأنصاره، وكان هو المتسلم للقلعة في أيامه.

وفي صبيحة يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة خلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذي كان متوفراً عن علاء الدين بن شمرنوخ، وهناه الناس بذلك وركب البغلة بالزنناري مضافاً إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركبة بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي، استرجعها مرسوم شريف سلطاني، من يد القاضي عماد الدين بن العز، وخلع على الكفري، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة.

وفي شهر ذي الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية عجلون، وأنهم انتقلوا قتل من الفريقين اليمني والقيسي طائفة، وأن عين حينا التي هي شرقي عجلون دمرت وخربت، وقطع أشجارها ودمرت بالكلية.

وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس فأنكر الناس ذلك، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسفا، كان يريد الحرب إلى بلاد الشرق، فاحتيط عليه حتى أمسكه.

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبلق، وقد عمي من الكحل حين

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي، الذي كان قاضياً بالشام للمالكية، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر، فإنه رتب له معلوم وأمر يكفيه ويقتضيه، ففرح بذلك من يحبه.

■ (ابن القلاسي أمين الدين محمد).

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصلر جمال الدين أحمد ابن الرئيس شرف الدين محمد بن القلاسي، أحد من بقي من رؤساء البلد وكبرائها، وقد كان باشر مباشرات كبار كاييه وعمه علاء الدين، ولكن فاق هذا على أسلافه، فإنه باشر وكالة بيت المال مدة، وولي قضاء العساكر أيضاً، ثم ولي كتابة السر، مع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية، وكان قد درس في المعصونية من قبل ستة ست وثلاثين، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار، وصودر بمبلغ كثير، يقارب مائتي ألف، فباع كثيراً من أملاكه وما بقي بيده من وظائفه شيء، وبقي خائلاً مدة إلى يومه هذا، فتوفي بغتة، وكان قد تشوش قليلاً، لم يشعر به أحد، وصلي عليه المصير بجامع دمشق، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسرين رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره، خلع على القاضي جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولقب في التوقيع الوارد صحة البريد من جهة السلطان «قاضي القضاة» فلبس الخلمة بدار السعادة وجاء ومعه قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى التورية فقعده في المسجد، ووضعت الرزمة فقررت، وقرئ القرآن ولم يكن درساً، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه.

■ (فتح الدين بن زين الدين الفارقي).

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الخاضع فتح الدين ابن الشيخ زين الدين الفارقي، إمام دار الحديث الأشرفية، وخازن الأثر بها، ومؤذن في الجامع، وقد أتت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وثلاوة وصلاة كثيرة والجماع عن الناس، صلي عليه صبيحة يومئذ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قريباً دوا دار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاة الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك، ولبس الخلمة بدار السعادة، وأجلس تحت المالكي، ثم جالوا إلى المقصورة من الجامع، وقرئ تقليده هنالك، قرأه شمس الدين بن السبكي نائب الحسبة، واستتاب اثنين من أصحابهم، وهما شمس الدين بن منصور، ويدر الدين بن الجواشي، ثم جاء معه إلى التورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك، انتهى والله أعلم.

موت الخليفة المعتضد بالله

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة، وصلي عليه يوم الخميس، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافعي عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمه الله.

خلافة المتوكل على الله

ثم بويع بعده ولده المتوكل على الله علي أبو عبد الله محمد بن

حزم؟ فقال ما معناه: إنه لا يحبه، فقلت له: أنت معزول فيه فإنه جمع بين طرفي التقيضين في أصوله وفروعه، أما هو في الفروع فظاهره جامد يابس، وفي الأصول تولد مائع قرمطة القرامطة، ومُهرُسُ المهراسة، ورفعت بها صوتي حتى سمعت وأنا نائم، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هي أروأ شكلاً منه، لا يتبع بها في استغلال ولا رعي، فقلت له: هذه أرض ابن حزم التي زرعها قال: انظر هل ترى فيها شجراً مثمراً، أو شيئاً يتبع به، فقلت إنما تصلح للجولوس عليها في وضوء القصر. فهذا حاصل ما رأيته، ووقع في خلدي أن ابن حزم كان حاضراً، عند ما أشرت للشيخ محيي الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم، وهو ساكت لا يتكلم.

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضي عماد الدين بن الشرجي بعدد الحسبة إليه، بسبب ضعف علاء الدين الأنصاري عن القيام بها لشغله بالمرض المذنب، وهنا الناس على العادة.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفي الشيخ علاء الدين الأنصاري المذكور بالمدرسة الأمينية، وصلي عليه الظهر بالجامع الأموي، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح، في تربة هنالك، وقد جاوز الأربعين سنة، ودرس في الأمينية، وفي الحسبة مرتين، وترك أولاداً صغاراً، وأموالاً جزيلة ساعده الله ورحمه، وولي المدرسة بعده قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي بمرسوم كريم شريف.

وفي العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة قاضي قضاة المالكية الأخنائي بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الأخنائي الشافعي أبوه قاضياً مكان أخيه، وقد كان على الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه.

وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن بن عبد الكافي السبكي الشافعي تدريس الأمينية عوضاً عن الشيخ علاء الدين المحتسب، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا، وحضر عنده خلق من العلماء والأشراف والفقهاء والعامة، وكان درساً حافلاً، أخذ في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية (النساء: ٥٤) وما بعدها، فاستبسط أشياء حسنة، وذكر ضرباً من العلوم بعبارة طليقة جارية مسولة أخذ ذلك من غير تعلم ولا تلجلج ولا تنحنيج ولا تكلف، فأجاد وأفاد، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر: إنه لم يسمع درساً مثله.

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصلر ■ برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي، في داره بالقصاصين ولم يمرض إلا يوماً واحداً، وصلي عليه من الغد بجامع دمشق، بعد صلاة الظهر، وخرجوا به من باب النصر، فخرج نائب السلطنة الأمير علي، فصلى عليه إماماً خارج باب النصر، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير فدفن عند أبيه رحمه الله، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس، وله وجاعة عند الدولة، وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم، ويجب العلماء وأهل الخبر، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخبر، وكان له مال وثروة ومعروف، قارب الثمانين رحمه الله.

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ شمس الدين ■ محمد بن النقاش المصري بها، وكان واعظاً بارعاً، وفتياً بارعاً، ونحوياً شاعراً، له يد طول في فنون متعددة، وقدرة على نسج الكلام، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله.

أعجوبة من العجائب

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان، يزعم أنه يحفظ البخاري، ومسلما، وجامع المسانيد، والكشاف للزحشري، وغير ذلك من عايفظ، في فنون أخر.

فلما كان يوم الأرماء سلخ شهر رجب، قرأ في الجامع الأموي بالحاظ الشمالي منه، عند باب الكلاسة - علي من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه، من حفظه، وأنا أقابل عليه من نسخة يدي، فادى جيدا، غير أنه يصحف بعض الكلمات لجم فيه، وربما لحن أيضا في بعض الأحيان، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة، وجماعة من الحنثين، فأعجب ذلك جماعة كثيرين.

وقال آخرون منهم إن سرد بقية الكتاب على هذا المتوال لعظيم جدا، فاجتمعنا في اليوم الثاني، وهو مستهل شعبان، في المكان المذكور، وحضر قاضي القضاة الشافعي، وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة محدثين، ققرأ على العامة، غير أنه لم يطول كاول يوم، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحف ولحن في بعض الألفاظ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي، ققرأ بحضرتهما أيضا بعض الشيء، هذا والعامة يحضون به، متعجبون من أمره، ومنهم من يتقرب بتبجيل يليه، وفرح بكسائي له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تحمزي، وذكرك في بلادنا مشهور، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة، وقد كارهه القضاة والأعيان بشيء من الدراهم يقارب الألف.

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق المحروسة

في يوم الأحد حادي عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية، وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير علي عن نيابة دمشق، فأحضر الأمر إلى دار السعادة، وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره، وخلع عليه خلمة وردت مع البريد، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب، وأن يكون في أي البلاد شاء من دمشق، أو القدس أو الحجاز، فانتقل من يومه من دار السعادة وبات في أصحابه وعاليكه، واستقر نزوله في دار الخليلي بالقصاعين، التي جددها وزاد فيها دويلاره بيلغا، وهي دار هائلة، وراح الناس للتأسف عليه، والحزن له انتهى.

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن

السبكي الشافعي إلى الديار المصرية معزولا عن

قضاء دمشق

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد، بعد العصر، الحادي عشر من شعبان، سنة ثلاث وستين وسبعمائة، فأرسل إليه حاجب الحجاب قماري، وهو نائب الغيبة، أن يسافر من يومه، فاستنظروهم إلى الغد فأمهل، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء دمشق، عروضا عن أخيه تاج الدين، وأرسل يستيتب ابن أخيهما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح السبكي بمحكم أن يقدم إلى دمشق وأخذ قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير، وجاء الناس إليه ليودعوه ويسترحشون له، وركب من بستانه بعد العصر، يوم الاثنين، ثاني عشر شعبان، متوجها على البريد إلى

المتعضد أبي بكر أبي الفتح بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحم الله أسلافه.

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه سنانج خليفة وسلطانيه وتقاليده وخلع ونحف لصاحبي الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما، وولي قاضي القضاة تاج الدين الشافعي السبكي الحاكم يدمشق لقاضيها من جهته تقليدين، حسب ما أخبرني بذلك، وأرسل مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم.

وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى مرج الفسولة ومعه حجبه، وتقباه النقباء، وكتب السر وفوقه، ومن عزهمم الإقامة مدة، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد، فأسرعوا الآوية، فدخلوا في صبيحة الأحد الحادي والعشرين منه، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة، وخلع على الأمير سيف الدين بيلغا الصالح، وجاء النص من الديار المصرية بملعة دودار، عوضاً عن سيف الدين كجكن.

وخلع في هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مزي بتوقيع الدست، وجهات أخر، قدم بها من الديار المصرية، فانتشر الخبر في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة جمال الدين بن الكفري الحنفي، فوق قاضي القضاة المالكية، لكن لم يحضر في هذا اليوم، وذلك بعد ما قد أمر بإجلاس المالكي فوقه.

وفي ثاني رجب توفي القاضي الإمام العالم شمس الدين

■ ابن مفلح المقدسي الحنبلي، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي، وزوج ابنته، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث.

وكان بارعاً فاضلاً، متفناً في علوم كثيرة، ولا سيما علم الفروع، كان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين، وعلق على محفوظة أحكام الشيخ محمد الدين بن تيمية مجلدين، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات، رحمه الله.

توفي عن نحو حسين سنة، وصلي عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفري، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق، وكانت له جنازة، حافلة حضرها القضاة كلهم، وخلق من الأعيان، رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة، أسأوا الأدب على النائب وعاليكه وفوه، بسبب جامع الخطبة جدد بناحيهم، فأراد بعض الفقهاء أن يأخذ ذلك الجامع، ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعاً، قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ من الفقهاء، على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعاً، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سيء، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم، وضرهم بالمقارع بين يديه، وتودى عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك، وحدد ميعد حديث يقرأ بعد المغرب، تحت قبة النسر، على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، ربه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير، وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر.

الملك صلاح الدين ابن الملك الكامل بن السعيد بن العادل الكبير، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع، مدرّس الأينية ببعلبك.

وفي ههنا الشهر وقع الحكم بقرد ما ينص المجامدين من وقف المدرسة التقوية إليهم، وأذن القضاء الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء في ذلك.

وفي ليلة الأحد سادس شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين

■ محمد بن يعقوب كاتب السر، وشيخ الشيخ ومدرّس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية بدمشق، ومدرّس الأسدية بحلب وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً، وقضاء العساكر، وأفتى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملكاني قضاء حلب، أذن له هنالك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمئة.

ومولده سنة سبع وسبعمئة، وقد قرأ التتبيه، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، وفي العربية.

وكان عنده نباهة وعلم، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه، وليس يترسم منه سوء، وفيه ديانة وعة، حلف لي في وقت بالأيمان المخلطة أنه لم يمكن قط منه فاحشة اللواط ولا خطر له ذلك، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة، فرحمه الله، وأكرم مثواه.

صلي عليه بعد الظهر يومئذ، وخرجوا بالجنازة من باب النصر، فخرج نائب السلطنة من دار السعادة، فحضر الصلاة عليه هنالك، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية، وتأسفوا عليه، وترجموا، وتراحم جماعة من الفقهاء في طلب مدرّسه انتهى.

ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمئة

استهلت هذه السنة وسلطان الإسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الأقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد ابن الملك المنصور حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالح، ومدير الممالك بين يديه، وأتابك العساكر سيف الدين يلغا.

وقضا مصر هم المذكورون في التي قبلها، غير أن ابن جماعة قاضي الشافعية وموقف الدين قاضي الحنبلة في الحجاز الشريف.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصوري، وقاضي قضاء الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضي القضاء تقي الدين السبكي، وأخوه قاضي القضاء تاج الدين مقيم بمصر، وقاضي قضاء الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضي القضاء شرف الدين الكفري، أثره والده بالنصب، وأقام على تدريس الركنية يتعبد وتلوا وبنجع على العبادة، وقاضي قضاء المالكية جمال الدين السلافي، وقاضي قضاء الحنبلة الشيخ جمال الدين المرادوي محمود ووكيل بيت المال الشيخ صلاح الدين الصفندي وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة، ومحتسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشرجي، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير، قدم من الديار المصرية، عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسي، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب، وناظر الجيش علم الدين داود، وناظر الجامع تقي الدين بن مراحل. ودخل الحمل السلطاني يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر، خوفاً من المطر، وكان وقع مطر شديد قبل أيام، فلفظ منه غلات كثيرة بمورار وغيرها، ومشاطيخ زبيب وغير ذلك،

الديار المصرية، وبين يديه قضاء القضاة، والأعيان، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي، حتى ردهم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها، والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

اعجوبة أخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان، دهيت إلى بستان الشيخ العلامة جمال الدين بن الشريشي، شيخ الشافعية، وحضر جماعة من الأعيان، منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي، ووكيل بيت المال، والشيخ الإمام العلامة شمس الدين الموصلي الشافعي، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية الشيخ أبي إسحاق الفيروزبادي، من أئمة اللغويين، والخطيب الإمام العلامة صدر الدين بن العز الحنفي أحد البلغاء الفضلاء، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحدثين البلغاء، وأحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب «المتهى» في اللغة للتتبعي البرمكي، وقف الناصرية، وحضر ولد الشيخ جمال الدين بن الشريشي، وهو العلامة بدر الدين محمد، واجتمعا كلنا عليه، وأخذ كل منا بيده مجلداً من تلك المجلدات، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها، فيشر كلنا منها، ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة، ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ، وهذا من أعجب المعجائب وأبلغ الإغراب.

دخول نائب السلطنة سيف الدين قشتمر

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى، والحجبة بين يديه، والجيش بكماله، فتقدم إلى سوق الخيل، فأوكب فيه، ثم جاء ونزل عند باب النصر، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين يديه، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمس والي الصالحية، وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة، ثم هرب فقبضه الناس، فقتل منهم آخر، وجرح آخرين، ثم تكاثروا عليه فمسك، ولما صلب طافوا به على جمل إلى الصالحية فمات هناك بعد أيام، وقامى امرأ شديداً من العقوبات، وقد ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس، قبحه الله.

قدوم قاضي القضاء بهاء الدين أحمد بن قاضي

القضاة تقي الدين عوضاً عن أخيه قاضي القضاء

تاج الدين بن عبد الوهاب

قدم يوم الثلاثاء قبل العصر قديماً بملك الأمراء فسلم عليه بدر السعادة، ثم ذهب إلى أمير على نائب السلطنة المعزول، وهو بداره بالقضاين، فسلم عليه، ثم مشى إلى دار الحديث فصلى هنالك، ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخته قاضي القضاء بدر الدين بن أبي الفتح، قاضي العساكر، وذهب الناس للسلام عليه، وهو يكره من يلقيه بقاضي القضاء وعليه تواضع وتقشف، ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله، والله المسؤول المأمول أن يحسن العاقبة. وخرج الحمل السلطاني يوم الخميس ثاني عشر شوال، وأمير الحاج

فإن الله وإنا إليه راجعون.

وفي ليلة الأربعاء والعشرين منه بعد عشاء الآخرة وقبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة، ومن ناحية باب النصر أخرى جددنا لئلا يمر راكب على باب القلعة المنصورة، فساق هذا الفارس المذكور على السلسلة الواحدة قطعها، ثم مر على الأخرى قطعها، وخرج من باب النصر، ولم يعرف لأنه ملثم.

وفي حادي عشر صفر وقبله يوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير زين الدين زبالة أحد أمراء الألوף إلى الديار المصرية مكرماً، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم، وجاء البريد أيضاً ومعه التواقيع التي كانت بأيدي ناس كثير، زيادات على الجامع، ردت إليهم، وأقروا على ما بأيديهم من ذلك، وكان ناظر الجامع صاحب تقي الدين بن مارجل قد سعى في رفع ما زيد بعد التذكرة التي كانت في أيام صرغتمش، فلم يف ذلك، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضي قضاء الشام الشافعي من دمشق إلى الديار المصرية، يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة، وخرج القضاة والأعيان لتوديعه، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن إخوانه قاضي القضاة تاج الدين قد لبس خلعة القضاء بالديار المصرية، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر، وهذا مسرور جداً بنعابه إلى مصر وذكر لنا أن أخاه كاره للشام.

وأثنى القاضي صلاح الدين الصفدي ليلة الجمعة رابع عشره لنضه، فيما عكس على المتني في يديه من قصيدته وهو قوله:

إذا اغتاض الفتى خَوْضَ الْمَنَاءِ فَأَيُّسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
وقال:

دُخُولٌ دَمَشْقَ يُخَيِّرُنَا مَحُولاً كَأَنَّهَا دُخُولاً فِي التَّوَالِيَا
إِنَّا اغْتَضَا الْغَرِيبُ الْخَوْضَ فِيهَا فَأَيُّسَرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْمَنَاءِ
وهذا شعر قوي، وعكس جلي، لفظاً ومعنى.

وفي ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالبيمارستان الدقافي جوار الجامع، بسبب تكامل تجهيزه قريب السقف مبنياً بالطين، حتى قنطرة الأربع بالحجارة البلق، وجعل في أعاليه قمرينات كبار مضيئة، وفتح في قلبه إيواناً حسناً زاد في أعماقه أضعاف ما كان، وبيضه جميعه بالجص الحسن الملبح، وجددت فيه خزائن ومصالح، وفرش ولحف جدد، وأشياء حسنة، فأنابه الله، وأحسن جزاءه آمين، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام.

ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من العمارات، وأخبره بما كانت عليه حاله قبل هذه العمارة، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر المذكور.

وفي أول ربيع الآخر قدم قاضي القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام عوداً على يده يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ثم ذهب إلى دار الأمير علي بالقضاة فسلم عليه، ثم جاء إلى العالدية قبل الزوال، ثم جاءه الناس من الخواص والعوام يسلمون عليه ويهتفون بالعود، وهو يتودد ويترحب بهم.

ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس عشره لبس الخلعة بدار السعادة ثم جاء من أبهة هائلة لبسها إلى العالدية فقرأ تقليده بها بحضرة القضاة والأعيان وهنأه الناس والشعراء والملاح.

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت

■ حسين ابن الملك الناصر، ولم يكن بقي من بنه لصلبه سواه، فحضر بذلك كثير من الأمراء، وكبار الدولة، لما كان فيه من حدة وارثكنا أمور منكراً.

■ (سليمان بن سليمان بن عماد الدين بن الشيوعي).

وأخبر بموت القاضي فخر الدين سليمان ابن القاضي فخر الدين سليمان ابن القاضي عماد الدين بن الشيوعي، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلد حبة دمشقي عوضاً عن أبيه، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه، وخلع عليه بالديار المصرية، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتعرض يوماً وثانياً وتوفي إلى رحمة الله تعالى، فتألم والده بسبب ذلك تألماً عظيماً، وعزاه الناس فيه، ووجدته صابراً محتسباً باكياً مسترجعاً متوجعاً انتهى.

بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم

مع ولاية سعد الدين ماجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين بالشام المحروس، وربما خوطب بالوزارة عوضاً عن البدر حسن بن النابلسي، الذي كان ناظر الدواوين قبله، فقرر الناس بولاية هذا وقدمه - وبغزل الأول وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم، وكان غَيْرُهُ أربعة دراهم ونصفاً، فصار إلى درهمين وربع درهم، وقد نودي بذلك في البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر، فقرر الناس بذلك فرحاً شديداً، ولله الحمد والمنة، وتضاعفت أديعتهم لمن كان السبب في ذلك، وذلك أنه يكسر الجلب برخص اللحم على الناس، ويأخذ الديوان نظير ما كان يؤخذ قبل ذلك، وقرر الله تعالى قلوبهم وفرد وقصور بتجارت متعده، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزكاة والوكالة، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في العشر أضعاف ما أطلق من المكس، ولله الحمد والمنة. ثم قرئ على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر.

وفي يوم الاثنين العشرين منه ضرب الفقيه شمس الدين الصفدي بدار السعادة بسبب خاتفاه الطواويس، فإنه جاء في جماعة منهم يظلمون من كاتب السر الذي هو شيخ الشيوخ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف بما فيه مشقة عليهم، فتكلم الصفدي المذكور بكلام فيه غلظ، فبطح ليضرب فشفع فيه، ثم تكلم فشفع فيه، ثم بطح الثالثة فضرب، ثم أمر به إلى السجن، ثم أخرج بعد لياليتين أو ثلاث.

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضي القضاة الشافعي بدارسه، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذي أثبت إخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة، وأخذ في سورة الفتح قرئ عليه من تفسير والده في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١].

وفي مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة العجر مع الإمام الكبير صلي على القاضي قطب الدين

■ محمد بن عبد المحسن الحاكم بمحضر، جاء إلى دمشق لتلقي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي، فتعرض مدة ثم كانت وفاته بدمشق، فصلي عليه بالجامع كما ذكرنا، وخارج باب الفرج، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون، وقد جاوز الثمانين بستين، وقد حدث وروى شيئاً يسيراً رحمه الله.

وفي يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضي الحنفي إلى الديار المصرية، يطلب الأمير سيف الدين بلبغا، في كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثه في القدوم عليه.

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود، أحدهما مسلم والآخر يهودي، فمات المسلم من ساعته وانقلعت عين اليهودي وانكسرت يده لعنة الله، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يجر جواباً.

ورجع الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل بعد ما قارب غرة لما بلغته من الوفاء بالديار المصرية فعداد إلى القدس الشريف، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوفاء والطاعون بمصر، وأنه يضبط من أهلها في النهار نحو الألف، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولد قاضي القضاة تاج الدين المناوي، وكتاب الحكم ابن الفرات، وأهل بيته أجمعين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء الخبر في أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم ■ أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصري بمصر، وهو شاب لم يستكمل العشرين. وقد درس بعلية جهات بمصر وخطب، فققد والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضي القضاة تاج الدين السبكي قاضي الشافعية بدمشق.

وجاء الخبر بموت قاضي القضاة شهاب الدين ■ أحمد الزياحي المالكي، كان يحلب وليها مرتين ثم عزل فقصده مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعي في العودة فأدركه منيته في هذه السنة من الفناء وولدت له معه أيضاً.

وفي يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة في صحبة جمهور الأمراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب حيار بن مهنا، ومن التف عليه منهم، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها، ورعوها وانتهبوا شيئاً كثيراً، وخرجوا من الطاعة وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أ ملاكهم، والحيلولة عليهم فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا، لطردهم عن تلك الناحية وفي صحبتهم الأمير حمزة بن الحياط أحد أمراء الطليخان، وقد كان حاجباً لحيار قبل ذلك، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير بلبغا الخاصكي، ووعده إن هو أمره وكبره أن يظفر بحيار وأن يأتي برأسه، ففعل معه ذلك، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى حيار وأصحابه، فساروا كما ذكرنا، فوصلوا إلى تدمر، وهرت الأعراب من بين يدي نائب الشام بمينا وشمالاً، ولم يواجهوه هبة، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الحياط، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش، فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين: شعبان بن

حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم

الثلاثاء، خامس عشر شعبان

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة - أعني سنة أربع وستين وسبع مائة - قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق، وأخبر بزوالة ملكة الملك المنصور بن المنظر حاجي ابن الملك الناصر محمد

وفي يوم الأحد ثالث قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأزرعي، والشيخ زين الدين الباربي وآخرون معهم، فنزلوا بالمدرسة الإقبالية وهم قاضي قضائهم الشافعي، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية، فتحرر ما ذكروه عن قاضيهما وما تقومو عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره.

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل، وتلقاه الناس بالشموخ في أثناء الطريق، ونزل بدار الذهب، وراح الناس للسلام عليه ونهتته بالعود إلى نياحة القلعة، على عادته، وهذه ثالث مرة ولها لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سمي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم حادي عشره صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولن كان السبب في ذلك.

غريبة من الغرائب وعجبية من المعجائب

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الأنهار زيادة كثيرة جداً، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخليل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجزيت فيه المراكب بالكرا، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر ذلك جمعا متعددة، وانتعش نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطائفة تجاه باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودمر كثيرة، وتمطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين ■ ابن منجأ التنوخي بعد العشاء الآخرة، وصلى عليه بجامع دمشق، بعد صلاة الظهر، ودفن بالسفح.

وفي صبيحة هذا اليوم توفي الشيخ ناصر الدين ■ محمد بن أحمد القونوي الحنفي، خطيب جامع بلبغا، وصلى عليه عقب صلاة الظهر أيضاً، ودفن بالصوفية، وقد باشر عرضه الخطابة والإمامة قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي.

وفي عصر هذا اليوم توفي القاضي ■ علاء الدين ابن القاضي شرف الدين ابن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي، أحد موقمي النست بدمشق، وصلى عليه يوم الأربعاء، ودفن بالسفح.

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضي القضاة جمال الدين الكفري الحنفي بجامع بلبغا، عوضاً عن الشيخ ناصر الدين بن القونوي رحمه الله تعالى، وحضر عنده نائب السلطنة الأمير سيف الدين قشتمر، وصلى معه قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالشباك الغربي القلبي منه، وحضر خلق من الأمراء والأعيان، وكان يوماً مشهوداً، وخطب ابن نبأته بأداء حسن وفصاحة بليغة، هذا مع علم أن كل مركب صعب.

والعصر في بقية الأيام، يأتي للجامع في حفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم، فغابا وإيابا، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزيداني، وكذلك يوم العيد بالصلى وخطبة الجمعة يومئذ وامتنع قاضي القضاة، تاج الدين من المباشرة، حتى يأتي التشريف.

وفي يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين

■ أحمد بن عبد الله العلبي، المعروف بابن النقيب، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها.

وكان بارعا في القراءات والنحو والتصريف والعربية، وله يد في الفقه وغير ذلك، وولي مكانه مشيخة الإقراء بأم الصالح شمس الدين محمد بن اللبان، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلال.

وقد نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربة آل مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال.

وفي ليلة الأحد عاشره توفي الشيخ صلاح الدين

■ خليل بن أبيك، وكيل بيت المال، وموقع النست، وصلي عليه صبيحة الأحد بالجامع، ودفن بالصوفية، وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب، وله الأشعار الفاتحة، والفنون المتنوعة وجمع وصف وألف، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات.

وفي يوم السبت عاشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضي القضاة تاج الدين السبكي بالجامع الأموي، وكتب نائب السلطنة في ذلك.

وفي يوم الأحد حادي عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشمر على نيابة دمشق وأمر بالسير إلى نيابة صفد فأزل أهله بدار طيغنا حاجي من الشرف الأعلى، وبرز هو إلى سطح المزة فاعبا إلى ناحية صفد. وخرج المحمل صحبة الحجيج وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال توفي القاضي أمين الدين أبو حيان ابن أخي قاضي القضاة جمال الدين

■ المسلامي المالكي وزوج ابنته ونائبه في الحكم مطلقا وفي القضاء والتدريس في غيبته فعاجلته المنية.

ومن غريب ما وقع في أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقي فيبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام، ولا يصح عن يرويه.

وفي يوم الجمعة سابع شهر ذي القعدة خطب بجامع دمشق قاضي القضاة تاج الدين السبكي خطبة بليغة فصيحة أداما أداء حسنا، وقد كان يش من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم، بل ضجوا عند الموعظة وغيرها، وأصعبهم الخطيب وخطبته، وأداؤه وتبليغه ومهابته واستمر يخطب هو بنفسه.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره توفي صاحب تقي الدين

■ سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموي وغيره، وقد باشر نظر الجامع في أيام تنكز، وعمر الجانب الغربي من الحائط القبلي، وكمل رحاه كله، وفتح حرابا للحضفة في الحائط القبلي، وحرابا للحنبلة فيه أيضا في غريبه وأثر أشياء كثيرة فيه، وكانت له همة، وينسب إلى أمانة، وصرامة،

بن قلاوون، ومسك واعتقل، ويوبع للملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن المنصور قلاوون، وله من العمر قريب العشر، فدفنت البشائر بالقعدة المتصورة، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة.

وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين، أنه لما كان يوم الثلاثاء، الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ويوبع لذلك، وقد وقع رعد في هذا اليوم، ومطر كثير، وجرت المزاريب، فصار غلارنا في الطرقات، وذلك في خامس حزيران، فتمعجب الناس من ذلك، هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان، فتزايد وجهوره في اليهود، وقد وصلوا إلى الخمسين في كل يوم، وبالله المستعان.

وفي يوم الاثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجربة القاصدين إلى الرحبة وواقفهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد جعله الله مباركا على المسلمين، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوأ حال ولة، ثم جاء البريد من الديار المصرية بدهم إلى العسكر الذي مع نائب السلطنة على تدمر، مترعدين بأنواع العقوبات، وقطع الإقطاعات.

وفي شهر رمضان تساقم الحال بسبب الطاعون فإننا لله وإننا إليه راجعون، وجهوره في اليهود لعله قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خيفة، كما أخبر بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جندا، وغدت العدة من المسلمين والذمة ثمانين.

وفي يوم السبت حادي عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصابر بئر الدين

■ محمد بن الزقاق، المعروف بابن الجوخعي.

وعلى الشيخ صلاح الدين

■ محمد بن شاكر الكنجي، تفرّد في صناعته وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات، وكان يحفظ ويذكر ويعد رحمه الله وسامحه انتهى.

وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة

المحجّي الشافعي ومباشرة قاضي القضاة

تاج الدين الشافعي بعده

■ (محمود بن جملة المحجّي)

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريبا من العصر، فصلى بالناس بغراب صلاة العصر قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي عوضا عنه، وصلى بالناس الصبح أيضا، وقرأ بآخر المائدة من قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [آل عمران: ٩٠] ثم لما طلعت الشمس، وزال وقت الكراهة، صلي على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة، وكان الجمع في الجامع كثيرا، وخرج بجنازته من باب البريد، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير، وتال قاضي القضاة الشافعي من بعض الجهلة إساءة أدب، فأخذ منهم جماعة وأدبوا، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ، وكذا باشر الظهر

بعدهما الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي، مطلوباً إلى الديار المصرية، وكذلك توجه الشيخ ولي الدين المفلوطي مطلوباً.

وتوفي في العشر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ شمس الدين ■ ابن العطار الشافعي، كان لديه فضيلة واشتغال، وله فهم، وعلق بخطه فوائد جيدة، وكان إماماً بالسجن من مشهد علي بن الحسين بجامع دمشق، ومصدراً بالجامع، وفتياً بالمدراس، وله مشيخة الحديث الوردية، وجاوز الخمسين بسنوات، ولم يتزوج قط.

وقدم الركب الشامي إلى دمشق، في يوم الخميس الرابع والعشرين من المحرم، وهم شاكرون مثنون في كل خير بهذه السنة أمناً ورخصاً ولله الحمد.

وفي يوم الأحد حادي عشر صفر درس بالمدرسة الفتنية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل ابن خليفة الحنبلي الشافعي، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء، وأخذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [المائدة: ٣٦].

وفي يوم الخميس خامس عشره نودي في البلد على أهل الذمة بالزامهم بالصنار، وتصغير العمائم وأن لا يستخدموا في شيء من الأعمال، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال ويركبون الحمير بالكف بالعرض، وأن يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات الأجراس، وأن يكون أحد الثعلين أسود، مخالفاً للون الأخرى، ففرح بذلك المسلمون، ودعوا للأمر بذلك.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية، مستمراً على القضاء والخطابة، فلقاه الناس، وهنؤوه بالعود والسلامة.

وفي يوم الخميس سابعه لیس القاضي صاحب البهنسي الخلع لظفر الدواوين بدمشق، وهناه الناس، وياشر بصرامة، واستعمل في غالب الجهات من أبناء المسلمين.

وفي يوم الاثنين حادي عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح على خيل البريد إلى الديار المصرية، لتوليته قضاء قضاة الشافعية بدمشق، عن رضا من خاله قاضي القضاة تاج الدين، ونزوله عن ذلك. وفي ليلة الخميس خامس ربيع الآخر احترقت الباشورة، التي ظهر باب الفرج على الجسر، ونال حجارة الباب شيء من حريقها فانتسعت، وقد حضر طفاؤها نائب السلطنة، والحاجب الكبير، ونائب القلعة، والولاء وغيرهم.

وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة، بسبب كثرة الأمطار، وذلك في أوائل كانون الثاني، وركب الماء سوق الخيل بكامله ووصل إلى ظاهر باب الفرائس، وتلك النواحي، وكسر جسر الخشب الذي عند جامع يلينا، وجاء فصدم به جسر الزلاية فكسره أيضاً.

وفي يوم الخميس ثاني عشره صرف حاجب الحجاب قماري عن الباشرة بدار السعادة، وأخذت القضاة من يده، وانصرف إلى داره في قل من الناس، واستبشر بذلك كثير من الناس، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية.

وفي أواخره اشتهر موت القاضي تاج الدين ■ المناوي بديار مصر، وولاية قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء السبكي مكانه، بقضاء العساكر بها، ووكالة السلطان أيضاً، ورتب له مع ذلك كفايته.

ومباشرة مشكورة مشهورة، ودفن بترية أنشأها تجاه داره بالقيبات رحمه الله وقد جاوز الثمانين.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر توفي الشيخ بهاء الدين ■ عبد الوهاب الإخميمي المصري، إمام مسجد درب الحجر، وصلي عليه بعد العصر بالجامع الأموي، ودفن بقصر ابن الحلاج عند الطيريين، بزاوية لبعض الفقهاء الخزانة هناك، وقد كان له يد في أصول الفقه، وصنف في الكلام كتاباً مشتملاً على أشياء مقبولة وغير مقبولة، انتهى.

دخول نائب السلطنة منكلي بغا

في يوم الخميس السابع والعشرين من ذي القعدة دخل نائب السلطنة منكلي بغا من حلب إلى دمشق نائباً عليها في تحمل هائل، ولكنه مستمر في بدنه، بسبب ما كان ناله من التعب في مصابرة الأعراب، فنزل دار السعادة على العادة.

وفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة خلع على قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي للخطابة بجامع دمشق، واستمر على ما كان عليه بخطب بنفسه كل جمعة.

وفي يوم الثلاثاء ثانيه قدم القاضي فتح الدين بن الشهيد، وليس الخلع، وراح الناس لتهنئته.

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السيماطية، وحضر عنده القضاة والأعيان بعد الظهر، وخلع عليه لذلك أيضاً، وحضر فيها من الند على العادة، وخلع في هذا اليوم على وكيل بيت المال، الشيخ جمال الدين بن الرهاوي، وعلى الشيخ شهاب الدين الزهري بفتيا دار العدل، انتهى.

ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمئة

استهلّت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدي حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالح، وهو في عمر عشر سنين، ومدير المسالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلينا الخاصكي.

وقضاة مصر هم المذكورون في السنة التي قبلها، ووزيرها فخر الدين بن قروية.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا الشمسي، وهو مشكور السيرة، وقضاتها هم المذكورون في السنة التي قبلها، وناظر الدواوين بها صاحب سعد الدين ماجد، وناظر الجيش علم الدين داود، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الرهاوي.

استهلّت هذه السنة وناه الغناء موجود في الناس، إلا أنه خف وقيل، ولله الحمد.

وفي يوم السبت توجه قاضي القضاة - وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكي إلى الديار المصرية، مطلوباً من جهة الأمير يلينا، وفي الكتاب إجابته له إلى ما سأل، وتوجه بعده قاضي القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطيبها، يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم، على خيل البريد، وتوجه

فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتي سنة

وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان، وشرع الصانع في فتحه، عن مرسوم السلطان، الوارد من الديار المصرية، وأمر نائب السلطنة، وإذن القضاة في ذلك، واستهل رمضان وهم في العمل فيه.

وفي العشر الأخير من شعبان توفي الشريف

■ شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني المحدث المحصل، المشتغل المؤلف لأشياء مهمة، وفي الحديث قرأ وسمع، وجمع، وكتب أسماء رجال بمسند الإمام أحمد، واختصر كتاباً في أسماء الرجال مفيداً، وولي مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما.

وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارئ البخاري عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين ابن الشيخ جمال الدين الشريفي، وتهافتا على رؤوس الأشهاد، بسبب لفظة «فَيُتْرَ» فحكى ابن السراج عن الحافظ المزني أن الصواب: «فَيُتْرَ» من قول العرب: مَنْ عَزَّ بَزُّ، وصدق في ذلك، فكان منازعه خطأ المزني، فانتصر الآخر للحافظ المزني، فقال من بالقول، ثم قام والده الشيخ جمال الدين الشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكان ابن السراج لم يلفت إليه، وتناقفوا إلى القاضي الشافعي، فانتصر للحافظ المزني، وجرت أمور، ثم اصطالحوا غير مرة، وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطفت تلك الشرور.

وكرر الموت في أثناء شهر رمضان، وقاربت العدة مائة، وربما تجاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكرر الجراد في البساتين، وعظم الخطب بسببه، وأتلف شيئا كثيراً من الغلات والثمار، والخضرارات، وغلت الأسعار، وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء، فيج الدبس بما فرق المائتين القططار، والرز بأزيد من ذلك.

وتكامل فتح باب كيسان، وسموه الباب القبلي، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالبحري، لأجل عمل الباشورة جنبيه، ودخلت المرة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، واكتشف دخلهم، وأمن الناس من دخنهم وغشهم، ومكرهم وخبيثهم، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك. واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئا كثيراً من البلاد، وعوي الخضرارات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء، وكثر الضجيج والبكاء، وقفنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء، وقد تناقص الفناء في هذه المدة، وقل الرقع وتناقص للخمسين.

وفي شهر ذي القعدة تقاصر الفناء ولله الحمد، ونزل العبد إلى العشرين فما حولها، وفي رابعه دخل بالقبيل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزلا في الميدان الأخضر، قريبا من القصر الأبلق، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعه صلي على الشيخ جمال الدين

■ عبد الصمد بن خليل البغدادى، المعروف بابن الحضري، محدث بغداد وواعظها، كان من أهل السنة، الجماعة، رحمه الله انتهى.

وتولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقيني إفتاء دار العدل، مع الشيخ بهاء الدين أحمد ابن قاضي القضاة السبكي بالشام، وقد ولي هو أيضا القضاة بالشام كما تقدم، ثم عاد إلى مصر موقراً مكرماً، وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام، وكذلك ولوا مع البلقيني إفتاء دار العدل لحضري يقال له الشيخ شمس الدين بن الصانع، وهو مفتي حنفي أيضاً.

■ (محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن قوام).

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد ابن الشيخ أبي بكر بن الشيخ محمد بن الشيخ أبي بكر بن قوام، بزاويتهم بسفح جبل قاسيون، وغدا الناس إلى جنازته، وقد كان من العلماء الفضلاء، الفقهاء بمذهب الشافعي، درس بالنصرة البرانية مدة سنين بعد أبيه، وبالرباط الديولاري داخل باب الفرج، وكان يحضر المدارس، ونزل عندنا بالدرسة النجبية، وكان يحب السنة، ويفهمها جيداً رحمه الله.

وفي مستهل جمادى الأولى ولي قاضي القضاة تاج الدين الشافعي، مشيخة دار الحديث، بالدرسة التي فتحت بدار القبلي، وكانت داراً لرواقها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى التدمري، الذي كان استاذاً للأمير طاز، وجعل فيها درس للحنابلة، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن قيم الجوزية، وحضر الدرس، وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس، ثم جرت أمور يطول بسطها. واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم، وسأله كيف شهد في أصل الكتاب - المحضر - الذي أثبتوه لهم، فاضطربوا في الشهادات، فقبض ذلك عليهم، وفيه مخالفة كثيرة لما شهدوا به في أصل المحضر، وشنع عليهم كثير من الناس، ثم ظهرت ديون كثيرة ليست طاز على جمال الدين التدمري الواقف، وطلب من القاضي المالكي أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلي، فتوقف في ذلك.

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه، قرئ كتاب السلطان، بصرف الكلاء من أبواب القضاة الأربعة، فصرفوا.

■ (شمس الدين الحري).

وفي شهر جمادى الآخرة توفي الشيخ شمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالهري، يوم الخميس ثامنه، صلي عليه بالجامع المظفري بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب المائتين.

وفي الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافظ اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتين، وطلبت فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية، وقرابة الواقف، ودعواهم أنه وقف عليهم الثلث، فوقف الحنبلي في أمرهم، عن ذلك أشد الدفاع.

وفي العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منتشر، ثم تزايد وتراكم، وتضاعف، وتفاقم الأمر بسببه، وسد الأرض كثرة وعاث بيننا وشمالاً، وأفسد شيئا كثيراً من الكروم والمقالي والزروع النيسة، وأتلف للناس شيئاً كثيراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة، ووكيل بيت المال إلى باب كيسان، فوقفوا عليه، وعلى هيئته، ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتخرج الناس به.

وعمد للناس غلات كثيرة، وأشياء من أنواع الزروع، بسبب كثرة الجراد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذا الشهر كثُر الرباء والفناء في الناس، وبلغت الجئنة إلى السبعين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق منذ ولم يتفق ذلك

فيما أعلم فتح الشام إلى الآن

اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرون من ذي القعدة من هذه السنة، بالجامع الذي جدد بناءه نائب الشام سيف الدين منكلي بغا، بدير البلاحة قبلي مسجد درب الحجر، داخل باب كيسان، المجدد فتحه في هذا الحين كما تقدم، وهو معروف عند العامة بمسجد الشافوري، وإنما هو في تاريخ ابن عساكر [٢٩٧/٢] مسجد الشهرزوري، وكان المسجد رث الهيئة، قد تقادم عهده مدة دهر، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل، فرسعه من قبليه، وسفقه جليدا، وجعل له صرحا شمالية مبلاة، ورواقات على هيئة الجوامع، والدخل بابوايه على العادة، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقي وغربي، بأعمدة وقناطر، وقد كان قديما كنيسة فأخذت منهم قبل الخمسمائة، وعملت مسجدا، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين، فلما كمل كما ذكرنا وسبق إليه الماء من القنوات، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك، فيومئذ ركب نائب السلطنة، ودخل البلد من باب كيسان، وانتطف على حارة اليهود، حتى انتهى إلى الجامع المذكور، وقد استكف الناس عنده من قضاة وأعيان، وخاصة وعامة، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفي، مدرس التاجية، وإمام الحنفية بالجامع الأموي، فلما أذن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة، وقيل لمرض عرض له، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحو، فخطب الناس يومئذ قاضي القضاة جمال الدين الحنفي الكفري، خدمة لنائب السلطنة.

واستهل شهر ذي الحجة وقد رفع الله الرباء عن دمشق، وله الحمد والمنة، وأهل البلد يموتون على العادة، ولا يمرض أحد بتلك العلة، ولكن المرض المعتاد انتهى.

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان، والدولة بمصر والشام هم هم.

ودخل المحمل السلطاني صبيحة يوم الاثنين، الرابع والعشرين منه، وذكروا أنهم نالهم في الرجعة شدة شديدة، من الغلاء، وموت الجمال، وهرب الجمالين، وقدم مع الركب الشامي عن خرج من الديار المصرية قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خاله تاج الدين، يحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه، ومنفردا بعده.

وفي شهر الله الحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادي التيم وهما مشغرا تلفيتا، وسبب ذلك أنهما عاصيتان، وأهلهما مفسدان في الأرض، والبلدان والأرض حصينان، لا يصل إليهما الطلب إلا بكلفة كثيرة، لا يرتقي إليهما إلا فارس فارس، وفخرنا وعمر بلهما في أسفل الوادي، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم، والطلب بسهولة، فأخبرني الملك صلاح الدين بن الكامل أن بلدة تلفيتا عمل فيها ألف فارس، ونقل بعضها إلى أسفل الوادي خمسمائة حمار عدة أيام.

■ (يوسف بن أحمد بن الحسين الكفري).

وفي يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلي على قاضي القضاة

جمال الدين يوسف ابن قاضي القضاة شرف الدين أحمد ابن أفضى القضاة الحسين الكفري الحنفي، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة، بعد مرض قريب من شهر، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين. ولي قضاء قضاة الحنفية، وخطب بجامع بلخا، وأحضر مشيخة النفيسة، ودرس باماكن من مدارس الحنفية، وهو أول من خطب بالجامع المسجدة داخل باب كيسان، بحضرة نائب السلطنة.

■ (عمر بن عبد الحميد بن إدريس الحنبلي).

وفي صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر ابن القاضي عبد الحميد بن إدريس الحنبلي، بحسب بغداد، وقاضي الحنابلة بها، فتعصبت عليه الروافض، حتى ضرب بين يدي الوزارة ضربا مبرحا، كان سبب موته سريما رحمه الله، وكان من القائلين بالحق، الأكرمين بالمعروف، والناهين عن المنكر، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله، وبلى بالرحمة ثراه.

وفي يوم الأربعاء تسع صفر حضر مشيخة النفيسة الشيخ شمس الدين بن سند، وحضر عنده قاضي القضاة تاج الدين، وجماعة من الأعيان، وأورد حديث عبادة بن الصامت «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [٢٥٦] م (٣٩٤) أسنده عن قاضي القضاة المشار إليه.

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة تاج الدين إلى هناك، فسير أهله قبله على الجمال، وخرجوا يوم الجمعة، حادي عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيته، لزيارة أماليهم هناك، فأقام هو بعدهم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة، وركب على البريد.

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضي القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية، على البريد، وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق، واحتفلوا للسلام عليه، ونهته بالسلامة، انتهى، والله أعلم.

قتل الرافضي الخبيث

وفي يوم الخميس ثامن عشر أول النهار وجد رجل بالجامع الأموي اسمه.

■ محمود بن إبراهيم الشيرازي، وهو يسب الشيخين، ويصرح ببعثتهما، فرغ إلى القاضي المالكي قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي، فاستابه عن ذلك، وأحضر الضراب، فأول ضربة قال لا إله إلا الله علي ولي الله، ولما ضرب الثانية لعن أبا بكر وعمر، فالتهمه العامة، فأوسعه ضربا مبرحا، بحيث كاد يهلك، فجعل القاضي يستكفهم عنه، فلم يستطع ذلك، فجعل الرافضي يسب ويلعن الصحابة، وقال: كانوا على الضلالة، فعند ذلك حل إلى نائب السلطنة، وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة. فعند ذلك حكم عليه القاضي بإزاقة دمه، فأخذ إلى ظاهر البلد، فضربت عنقه، وأحرقته العامة، قبحه الله، وكان ممن يقرأ بملوسة أبي عمر، ثم ظهر عليه الرفض، فسجنه الحبلي أربعين يوما، فلم ينفع ذلك، وما زال يصرح في كل موطن يأمر فيه بالسب، حتى كان يومه هنا أظهر مذهبه في الجامع، وكان سبب قتله قبحه الله كما قبح من كان قبله، وقتل قتلته في سنة خمس وخمسين.

استنبابة ولي الدين بن أبي البقاء السبكي

وفي آخر هذا اليوم - أعني يوم الخميس ثامن عشره - حكم أفضى

سنة مواعيد تقرأ على الشيخ عماد الدين بن كثير في اليوم، أولها بمسجد ابن هشام بكرة، قبل طلوع الشمس، ثم تحت النسر، ثم بالمدرسة النورية، وبعد الظهر يجامع تكثر، ثم بالمدرسة العزبية، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت الوزير ابن السلوس، إلى أذان العصر، ثم من بعد العصر يدار ملك الأمراء أمير علي، بمحلة القصاصين، إلى قريب الغروب، ويقرأ صحيح مسلم بمحارب الخنابلة داخل باب الزيارة، بعد قبة النسر، وقبل النورية، والله المسؤول وهو المعين الميسر المسهل.

وقد قرئ في هذه السنة في عدة أماكن آخر من دور الأمراء وغيرهم، ولم يبعد مثل هذا في الستين الماضية، فله الحمد والمنة.

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال توفي الشيخ نور الدين

■ علي بن الصادم بن إبراهيم بن أبي الهجاء الكركي الشوبكي، ثم الدمشقي الشافعي، كان معنا في المقر والكتاب، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة، ونشأ في صيانة وعفاف، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيحان للسيم، ولم يكمل عليه ختمه، واشتغل في المهاج للنواري، فقرأ كثيراً منه أو أكثره، وكان ينقل منه ويستحضر، وكان خفيف الروح، تحبه الناس لذلك، ويرغبون في شرته لذلك، رحمه الله، وكان يستحضر التشابه في القرآن استحضاراً حسناً، متقناً، كثير التلاوة له، حسن الصلاة، يقوم الليل، وقرأ علي صحيح البخاري بمشهد ابن هشام عدة سنين، ومهر فيه، وكان صوته جهورياً، فصيح العبارة، ثم ولي مشيخة الحلية بالجامع، وقرأ في عدة كراس بالخطاط الشمالي، وكان مقبولا عند الخاصة والعامة، وكان يداوم على قيام العشر الأخير في محراب الصحابة، مع عدة قراء، يتناوبون فيه ويميزون الليل.

ولما كان في هذه السنة أحيا ليلة العيد وحده بالمحارب المذكور، ثم مرض خمسة أيام، ثم مات بعد الظهر، يوم الثلاثاء عاشر شوال، ببلدب العميد، وصلي عليه العصر بالجامع الأموي، ودفن بمقابر الباب الصغير عند والده، في تربة لهم، وكانت جنازته حافلة، وتأسف الناس عليه، رحمه الله، ويل بالرحمة تراه، وقد قارب خمسا وستين سنة، وترك بتا سبعية اسمها عائشة، وقد أقرأها شيئا من القرآن إلى تبارك، وحفظها الأربعين النواوية، جبرها ربه، ورحم أباه أمين.

وخرج المحمل الشامي والحجيج يوم الخميس ثاني عشره، وأميرهم الأمير علاء الدين علي بن علم الدين الهلالي، أحد أمراء الطليخانة.

وتوفي الشيخ

■ عبد الله الملطي يوم السبت، رابع عشره، وكان مشهوراً بالجاورة بالكلاسة في الجامع الأموي، له أشياء كثيرة من الطرايح، والآلات الفقهية، ويلبس على طريقة الحريرية، وشكله مزعج، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح، وكنت ممن يكرمه طبعاً وشرعاً أيضاً.

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة قدم البريد من ناحية الشرق، ومعهم قمام مائة من عين هناك، من خاصيته أنه يتبعه طير يسمى السممر، أصفر الريش، قريب من شكل الخفاف، من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذي هو فيه أنه يقنيه، ويأكله أكلا سريعاً، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل، أو يؤكل على ما ذكر، ولم أشاهد ذلك.

وفي منتصف من ذي الحجة كمل بناء القيسارية، التي كانت معملاً، بالقرب من دار الحجارة، قبلي سوق الدهشة الذي للرجال، وفتحت وأكربت دهشة لقماش النساء، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المعمور، رحمه الله، واختبرني الصدر عز الدين السيرجي المشارف بالجامع

القضاة ولي الدين ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء بالمدرسة العادية الكبيرة، نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين، مع استئابة أقصى القضاة شمس الدين الزري، وأقصى القضاة بدر الدين بن وهبة، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح فهو نائب أيضاً، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستقلاً، مع قاضي القضاة تاج الدين.

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين منه، استحضر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن العاوي متولي البلد ونقم عليه أشياء، وأمر بضربه فضرب بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمجرم، ثم عزله، واستدعي بالأمير علم الدين سليمان، أحد الأمراء العشراوات، ابن الأمير صفى الدين بن أبي القاسم البصراوي، أحد أمراء الطليخانة، كان قد ولي شد الدواوين، ونظرو القنس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبار، وهو ابن الشيخ فخر الدين عثمان ابن الشيخ صفى الدين أبي القاسم التميمي الحنفي، ويأيدهم تدريس الأمانة التي ببصرى، والحكيمة أزيد من مائة سنة، ففولاه البلد على تكريمه منه، فالزمه بها، وخلع عليه، وقد كان وليها قبل ذلك، فأحسن السيرة، وشكر سعيه، لنيافته، وأمانته وعفته، وفرح الناس ولله الحمد.

ولاية قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء السبكي قضاء

مصر بعد عزل عز الدين بن جماعة نفسه

ورد الخبر مع البريد من الديار المصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء، يوم الاثنين، السادس عشر من هذا الشهر، وصمم على ذلك، فبعث الأمير الكبير يبلغا إليه الأمراء يسترضونه فلم يقبل، فركب إليه بنفسه، ومعه القضاة والأعيان، فتلطفوا به، فلم يقبل، وصمم على الانزال، فقال له الأمير الكبير: فعين لنا من يصلح بذلك. قال ولا أقول لكم شيئاً، غير أنه لا يتولى رجل واحد، ثم ولوا من شئت، فأتعبرني قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه قال لا تولوا ابن عقيل، فعين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء، فقبل أنه أظهر الامتناع، ثم قبل، وليس الخلمة. وياشر يوم الاثنين، الثالث والعشرين من جمادى الآخرة، قاضي القضاة الشيخ بهاء الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي قضاء العساكر الذي كان يد أبي البقاء.

وفي يوم الاثنين سابع رجب توفي الشيخ

■ علي المرواحي البغدادي، خدام الشيخ أسد المرواحي البغدادي، وكان فيه مروءة كبيرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدخل على النواب، ويرسل إلى الولاة فتقبل رسالته، وله قبول عند الناس، وفيه بر وصدقة، وإحسان إلى المرواحي، ويده مال جيد يتجر له فيه، تعلل مدة طويلة، ثم كانت وفاته في هذا اليوم، فصلي عليه الظهر بالجامع، ثم حمل إلى سفح قاشيون رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيلمر، الذي كان نائب الشام، فنزل بداره، عند متنة فيروز، وذهب الناس للسلام عليه، بعد ما سلم على نائب السلطنة بدار السعادة، وقد رسم له بطليختين، وتقدمت ألف، وولاية الولاة من غزة إلى أقصى بلاد الشام، وأكرمهم ملك الأمراء إكراماً زائداً، وفرحت العامة بذلك فرحاً شديداً بعوده إلى الولاية.

وختمت البخاريات بالجامع الأموي، وغيره في عدة أماكن، من ذلك

أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم، انتهى.

طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب أيضاً، ونودي بذلك في البلد، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، ولله الحمد والمنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة

استهلت وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وعمره عشر سنين فما فوقها.

وأتابك السكاك ومدير ممالكه الأمير سيف الدين يلغا الخاصكي.

وقاضي قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكي، وبقية القضاة هم المذكورون في السنة الماضية.

ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها، سوى الحنفي فإنه الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية.

والخطابة بيد قاضي القضاة تاج الدين الشافعي، وكاتب السر وشيخ الشيخ القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوي.

ودخل الحقل السلطاني يوم الجمعة بعد العصر، قريب الغروب، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد. وذلك لغية النائب في الرحلة مما يلي ناحية الفرات، ليكون كالدرد للتحريفة، التي تعينت لتخريب الكنائس، التي هي إقطاع خيار بن مهنا من زمن السلطان أويس ملك العراق، انتهى.

استيلاء الفرنج لعنهم الله على الإسكندرية

وفي العشر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق، وأودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة.

واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الإسكندرية محاصرة بعدة شوان، وذكر أن صاحب قبرص معهم، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الإسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها، وسيأتي تفصيل أمرها في الشهر الآتي، فإنه وضح لنا فيه، ومكث القوم بعد الإسكندرية أياماً فيما بلغنا، بعد ذلك حاصرها أمير من التار يقال له مامي، واستعان بطائفة من الفرنج، ففتحوها قسراً، وقتلوا من أهلها خلقاً، وغنموا شيئاً كثيراً، واستقرت عليها يد مامي ملكاً عليها.

■ (إبراهيم بن شمس الدين بن تيم الجوزية).

وفي يوم الجمعة سلب هذا الشهر توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ببستانه بالمر، ونقل إلى عند والده بمقابر باب الصغير، فصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع جراح، وحضر جنازته القضاة والأعيان، وخلق من التجار والعامة، وكانت جنازته حافلة، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة.

وكان بارعاً فاضلاً في النحو، والفقه، وفنون أخرى، على طريقة والده رحمهما الله تعالى.

وكان مدرساً بالصدوية والتندرية، وله تصدير بالجامع، وخطابة بجامع ابن خليخان، وترك مالا جزيلا يقارب المائة ألف درهم، انتهى.

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم - يوم الجمعة مستهل هذا الشهر - الكواكب السبعة، سوى المريخ في برج العقرب، ولم يتفق مثل هذا من سنين متتالية، فأما المريخ فإنه كان قد سبق إلى برج القوس فيه.

ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الإسكندرية، من الفرنج لعنهم الله، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر الله المحرم، فلم يجدوا بها تاباً ولا جيشاً، ولا حافظاً للبحر ولا ناصراً، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار، بعدما حرقوا أبوابها كبيرة منها، وعاثوا في أهلها فساداً، يقتلون الرجال، ويأخذون الأموال، ويسرون النساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير المتعال، وأقاموا بها يوم الجمعة السبت والأحد والاثنين والثلاثاء.

فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها، وقد أسروا خلقاً كثيراً، يقاربون الأربعة آلاف، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً، وبها، وغير ذلك ما لا يحصى ولا يوصف.

وقدم السلطان والأمير الكبير يلغا ظهر يومئذ، وقد تضارط الحال، وتحولت التناقم كلها إلى الشوان بالبحر، فسمع للأمر من العويل والبكاء والشكوى والجأ إلى الله، والاستغاثة به والمسلمين ما قطع الأكباد، وذوقت له العيون، وأصم الأسماع، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جداً، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر، فتباكي [الناس] كثيراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة، وأن يأخذ منهم ربع أموالهم، لعمارة ما غرب من الإسكندرية، ولعمارة مراكب تغزو الفرنج، فأهانوا النصارى، وطلبوا من بيوتهم بعنف وخافوا أن يقتلوا، ولم يفهموا ما يراد بهم، فهربوا كل مهرب، ولم تكن هذه الحركة شرعية، ولا يجوز اعتمادها شرعاً.

وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر، للاجتماع بنائب السلطنة، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ، بعد الفراغ من لعب الكرة، فرأيت منه أسساً كثيراً، ورأيت كامل الرأي والفهم، حسن العبارة، كريم المجالسة، فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماد في النصارى، فقال إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك، فقلت له: هذا مما لا يسوغ شرعاً، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا، ومتى كانوا باقين على الذمة، يؤدون إلينا الجزية، ملتزمين بالذلة والصغار، وأحكام الملة القائمة، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد - الفرد - فوق ما يبللونه من الجزية، ومثل هذا لا يخفى على الأمير فقال: كيف أصنع، وقد ورد المرسوم بذلك، ولا يمكنني أن أخالفه؟

وذكرت له أشياء كثيرة، مما ينبغي اعتماد في حق أهل قبرص من الإرهاب، ووعيد العقاب، وأنه يجوز ذلك، وإن لم يفعل ما يتوعدهم به، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام: «أتوتني بالسكين أشقه نصفين»، كما هو الحديث مبسوط في الصحيحين ج (٣٤٢٧)، م (١٧٢٠)، فجعل يعجبه هذا جداً، وذكر أن هذا كان في قلبه، وأني كاشفته بهذا، وأنه كتب به مطالعة إلى النصارى المصرية، وسيأتي جوابها بعد عشرة أيام، فتعجبني حتى تقف على الجواب، وظهر منه إحسان وقبول، وإكرام زائد، رحمه الله.

واشرت أنا أيضا بذلك، فلان المالكي وامتتع الحنبلي، فقمنا والأمر باق على ما تقدم.

ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر، عند نائب السلطنة عن طلبه، فقرأوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة، ففعل ذلك، وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية.

ثم اجتمعنا أيضا يوم الجمعة بعد الصلاة، التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة، وحضر القضاة الثلاثة، وجماعة آخرون، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضي الشافعية وهو بمصر، فحصل خلف وكلام طويل، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك، على ما سنذكره في الشهر الآتي.

وفي مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلم

■ داود، الذي كان مباشرا لنظارة الجيش، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت، فاجتمع له هاتان الوظيفتان، ولم يجتمعا لأحد قبله كما في علمي، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش، وأعلمهم بأسماء رجاله، ومواضع الإقطاعات، وقد كان والده نائبا لنظار الجيوش، وكان يهوديا قرايا، فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها، وقد كان ظاهره جيدا، والله أعلم بصره وسريته، وقد تعرض قبل وفاته بشهر أو نحو، حتى كانت وفاته في هذا اليوم، فصلى عليه بالجامع الأسوي، تجاه النسر، بعد العصر، ثم حل إلى تربة له، أعد لها في بستانه بجوار وله من العمر قريب الخمسين.

وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهن مع الجلبية، التي كان تقدم أخذها منهن، وإن كان الجميع ظلما، ولكن الأخذ من النساء أفحش وأبلغ في الظلم، والله أعلم.

وفي يوم الاثنين الخامس عشر منه، أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بساتين أهل الذمة، فوجد فيها من الخمر المعتصر في الخوابي والحباب، فأريق عن آخرها، والله الحمد والمئة، بحيث جرت في الأزقة والطرق، وفاض نهر ثورا من ذلك، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل، وهم تحت الجلبية.

وبعد أيام نودي في البلد بأن نساء أهل الذمة لا تدخل الحمامات مع المسلمات، بل تدخل حمامات تختص بهن، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين، يكون في رقاب الكفار علامات يعرفون بها، من أجرائن وخواتيم ونحو ذلك، وأمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفيها خالفتين في اللون، بأن يكون أحدهما أبيض، والآخر أصفر، أو نحو ذلك.

ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر - أعني ربيع الآخر - طلب القضاة الثلاثة، وجماعة من المفتين: فمن ناحية الشافعي نائبه، وهما القاضي شمس الدين الغزي، والقاضي بدر الدين بن هوية، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني، والمصنف الشيخ عماد الدين بن كثير، والشيخ بدر الدين حسن الزرعى، والشيخ تقي الدين الفارقي، ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي، والحنبلي، والشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي، والشيخ جمال الدين بن الشريشي، والشيخ عز الدين بن حزة ابن شيخ السلامة الحنبلي، وعماد الدين الأخنائي، فاجتمعت مع نائب السلطنة، بالقاعة التي في صدر إيوان دار السعادة، وجلس نائب السلطنة في صدر المكان، وجلسنا حوله، فكان أول ما قال: كنا نحن الترك

ثم اجتمعت به في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الأول، فبشرني أنه قد رسم بعمل الشواني والمراكب، لغزو الفرنج، والله الحمد والمئة.

ثم في صبيحة يوم الأحد طلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيسهم إلى بين يديه، وهم قريب من أربع مائة، فحلهم كم أموالهم، والزمهم بإدائه الربع من أموالهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أمروا إلى الولاية بإحضار من في معاملتهم، ووالي البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك، وجردت أمراء إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النصارى في القدس وغير ذلك.

وفي أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي إلى القاهرة.

وفي يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة، وسأته عن جواب المطالبة، فذكر لي أنه جاء المرسوم الشريف السلطاني بعمل الشواني والمراكب، لغزو قبرص، وقتال الفرنج، والله الحمد والمئة، وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والشاربين من دمشق، إلى الغابة التي بالقرب من بيروت، وأن يشرع في عمل الشواني في آخر يوم من هذا الشهر، وهو يوم الجمعة، وتحت دار القرآن التي وقفها الشريف التتازاني إلى جانب حمام الكساس، شمالي المدرسة البادرانية، وعمل فيها وظيفة حديث، وحضر عند واقفها يومية قاضي القضاة تاج الدين السبكي، انتهى، والله أعلم.

عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي

ولما كان يوم الاثنين والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة، بسبب ما رمي به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وكنت عن طلب إليه، فحضرت فيمن حضر، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة، وخلق من المذاهب الأربعة، وآخرون من غيرهم، بمحضرة نائب الشام سيف الدين منكلي بغاء، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية، إلى الأيوأب الشرفية، واستنجز كتابا إلى نائب السلطنة، لجمع هذا المجلس، ليسأل عنه الناس، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان أحدهما له، والآخر عليه، وفي الذي عليه خط القاضي المالكي والحنبلي، وجماعة آخرين، وفيه عظام وأشياء منكورة جدا، ينبو السمع عن استماعه، وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه، وفيه خطي بآئي ما رأيت عليه إلا خيرا.

ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس، فصارت كل طائفة وحدها، وتحاوروا فيما بينهم، وناضل عنه نائبه القاضي شمس الدين الغزي، والنائب الآخر بدر الدين بن هوية وغيرهما، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلي بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم التفوذ، فبادر القاضي الغزي فقال للحنبلي: أنت قد ثبتت عدوانك لقاضي القضاة تاج الدين، فكثر القول، وارتفعت الأصوات، وكثر الجدال والمقال، وتكلم قاضي القضاة جمال الدين المالكي أيضا بنحو ما قال الحنبلي، فأجيب بمثل ذلك أيضا، وطال المجلس، فانفضوا على مثل ذلك، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعي إليه، فإذا بقية الناس من الطرفين، والقضاة الثلاثة جلوس، فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين - يعني وإن يرجع القاضيان عما قالا - فأشار الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل،

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية

وفي العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلبيغا الخاصكي خرج عليه جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيغنا الطويل، فبرز إليهم إلى قبة النصر، فالتقوا معه هناك، فقتل جماعة، وجرح آخرين، وانفصل الحال على مسك طيغنا الطويل وهو جريح ومسك أرغون الإسمردي اللودادار، وخلق من أمراء الألوفا والطبلخانة، وجرت خيلة عظيمة، استمر فيها الأمير الكبير يلبيغا على عزة وتأييده، ونصره ولله الحمد والمثنة.

وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان نائب دمشق إلى الديار المصرية، يطلب الأمير يلبيغا، ليؤكد أمره في دخول البحر، لقتال الفرنج، وفتح قبرص إن شاء الله انتهى، والله تعالى أعلم.

لما يتعلق بأمر بغداد

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادى أحد رؤساء بغداد، وأصحاب التجارات، والشيخ شهاب الدين المطار السماري في الشرب بغدادي أيضا أن بغداد استمادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطراشي مرجسان، واستحضره، فأكرمه، وأطلق له، فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد، أخو الوزير، فأحضره السلطان إلى بين يديه، وضربه بسكين في كرشه فشق، وأمر بعض الأمراء بقتله، فاتصم أهل السنة لذلك نصرة عظيمة، وأخذ خشيته أهل باب الأزج، فأحرقوه، وسكنت الأمور، وتشفوا بمقتل الشيخ جمال الدين الأنباري، الذي قتله الوزير الرافضي، فاهلكه الله بعده سريعا، انتهى.

وفاة قاضي القضاة عز الدين

■ عبد العزيز بن حاتم الشافعي.

وفي العشر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من الديار المصرية، بوفاة قاضي القضاة عز الدين بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة بمكة شرفها الله، في العاشر من جمادى الآخرة، ودفن في الحادي عشر في باب المملى وذكرنا أنه توفي وهو يقرأ القرآن، وأخبرني صاحب الشيخ محيي الدين الرحي حفظه الله تعالى أنه كان يقول كثيرا: أشتهي أن أموت وأنا معزول، وأن تكون وفاتي بأحد الحرمين، فأعطاه الله ما تمناه: عزل نفسه في السنة الماضية، وهاجر إلى مكة، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة، وكانت وفاته بها في الوقت المذكور، فرحه الله وبل بالرحمة ثراه.

وقد كان مولده في سنة أربع وتسعين، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة، وقد نال العز عزا في الدنيا، ورفعة هائلة، ومناصب، وتداريس كبار، ثم عزل نفسه، وتفرغ للعبادة، والمجاورة بالحرمين الشريفين، فيقال له ما قتله في بعض المرات.

نكانك قد أعلمت بسالموت حتى قد تزودت من خيار السزاد وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملقب بمخائيل النصراني الملكي، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه، على أن جعلوه بتركاً بدمشق، عوضا عن البترك بأنطاكية، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم، فإنه لا تكون البتارة إلا أربعة، بالإسكندرية، وبالقلمس،

وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا، نجي بالعلماء فيصلحون بيتنا، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فمن يصلح بينهم؟

وشرع في تأنيب من شنع على الشافعي، بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفاعيل، التي كتبت في تلك الأوراق وغيرها، وأن هذا يشفي الأعداء بنا، وأشار بالصلاح بين القضاة بعضهم من بعض، فصمم بعضهم وامتنع، وجرت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم، ثم حصل بحث في مسائل، ثم قال نائب السلطنة أخيرا: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [آل عمران: ٩٥] فالت القلوب عند ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية، ثم خرجنا على ذلك انتهى والله أعلم.

عود قاضي القضاة السبكي إلى دمشق

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة، وقد تلقاه جماعة من الأعيان إلى الصنمين وما فوقهما فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جندا، وقاربها قاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج، فلما أشرف من عقبة سجورا تلقاه خلائق لا يحصون كثرة، وأشعلت الشموع حتى مع النساء والناس في سرور عظيم، فلما كان قريبا من الجسورة تلقته السناجق الخليفة مع الجوامع والمؤذنون يكبرون، والناس في سرور عظيم، ولما قارب باب النصر وقع مطر عظيم، والناس معه لا تسعهم الطرقات، يدعون له، ويفرحون بقدومه، فدخل دار السعادة، وسلم على نائب السلطنة، ثم دخل الجامع بعد العصر، ومعه شموع كثيرة والرؤساء أكثر من العلة.

ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة، وقد استدعى نائب السلطنة بالقاضين المالكي والحنبلي، فأصلح بينهم، وخرج من عنده ثلاثتهم يمشون إلى الجامع، فدخلوا دار الخطابة، فاجتمعوا هناك، وضيئها الشافعي، ثم حضرا خطبته الحافلة، البليغة الفصيحة، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوار إلى دار المالكي، فاجتمعوا هناك، وضيئهم المالكي هناك ما تيسر. والله الموفق للصواب.

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجعل للأمير من إقطاعه النصف خاصة له، وفي النصف الآخر يكون لأجناده فحصل بهذا رفق عظيم بالجند، وعدل كثير، ولله الحمد، وأن يتجهز الأجناد، ويحرضوا على السبق، والرمي بالشباب، وأن يكونوا مستعدين، متى استنفروا نفروا، فاستعدوا لذلك، وتأهبوا لقتال الفرنج، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: «إلا إن القوة الرمي» (٩١٦٧) وفي الحديث الآخر «ارموا واركبوا وأن ترموا أحسب لي من أن تركبوا». (٢٥١٣) ت (١٧٠٣)، ج (٢٨١١)

وفي يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة، للكشف على قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي، بمقتضى مرسوم شريف، ورد من الديار المصرية، بذلك، وذلك بسبب ما يعتمله كثير من شهود مجلسه، من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المنهب، وإثبات إعسارات أيضا كذلك، وغير ذلك، انتهى.

والأطباكة، ويروية. فقل بترك رومية إلى إسطنبول وهي القسطنطينية، وقد انكر عليهم كثير منهم إذ ذاك، فهذا الذي ابتدعه في هذا الوقت أعظم من ذلك، لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن أطباكية وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف، لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم، إلى صاحب قبرص، يذكر له ما حل بهم من الحزني، والكمال والجنانية، بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الإسكندرية، وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك إسطنبول، وقراها على من لفظه، لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا، وقد تكلمت معه في دينهم، ونصرت ما يعتقد كل من الطوائف الثلاث، وهم الملكية، واليعقوبية، ومنهم الإفرنج والقبط، والنسطورية، فإذا هو بينهم بعض الشيء، ولكن حصله أنه حار، من أكثر الكفار لعنه الله.

وفي هذا الشهر بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد، من يد الطواشي مرجان، الذي كان نائبه عليهم، وامتنع من طاعة أويس، فجاء إليه في جحافل كثيرة، فهرب مرجان، ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا، وكان يوما مشهودا.

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر من الديار المصرية على البريد لمير مائة مقدم ألف، وعلى نيلة يلينا في جميع دواوينه بدمشق وغيرها، وعلى إمارة البحر، وعمل المراكب، فلما قدم أمر بجمع جميع التشارين والتجارين، والحدادين، وتجهيزهم لبيروت لقطع الأخشاب، فسيروا يوم الأربعاء ثاني رمضان، وهو عازم على اللحاق بهم إلى هناك، وبالله المستعان.

ثم أتبعوا بأخرين من تجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك، وجعلوا كل من وجلوه من ركاب الحمير يتزولونه، ويركبوا إلى ناحية البقاع، وسخروا لهم من الصناع وغيرهم، وجرت خطة عظيمة، وتباكى عوائلهم وأطفالهم، ولم يسلفوا شيئا من أجورهم، وكان من اللات أن يسلفوه حتى يتركوه إلى أولادهم.

وخطب برهان الدين المقدسي الحنفي بجامع يلينا، عوضاً عن تقي الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري، بمرسوم شريف، ومرسوم نائب صفد أستاذهم أخي يلينا، وشق ذلك عليه وعلى جمده وجماعتهم، وذلك يوم الجمعة، الرابع من رمضان، هنا وحضر عنده خلق كثير.

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه، قرئ تقليد قاضي القضاة شرف الدين ابن قاضي الجبل لقضاء الخاتبة، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين المرداري، عزل هو والمالكي معه أيضا، بسبب أمور تقدم نسبتها لهما، وقرئ التقليد بمحراب الخاتبة، وحضر عنده الشافعي والحنفي، وكان المالكي معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية، فلم يخرج إليهم، لأنه معزول أيضا بسري الدين قاضي حاق، وقد وقعت شروء وتخطيط بالصالحية وغيرها.

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل المالكي، قدم من حماة على قضاء المالكية، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين السلاطي، عزل عن المنصب، وقرئ تقليده بمقصورة المالكية من الجامع، وحضر عنده القضاة والأعيان.

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير حيار بن مهنا إلى دمشق سامعا مطيعا، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطولة، كل ذلك لبطا البساط، فأبى خوفا من المسك والحبس أو القتل، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصدا الديار المصرية، ليصطحب مع الأمير الكبير يلينا، فتلقاء الحجة والمهندارة والخلق، وخرج الناس للفرجة، فنزل القصر

درس التفسير بالجامع الأموي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال، سنة سبع وستين وسبع مئة، حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير، الذي أنشأه ملك الأمراء، نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بنا رحمه الله تعالى من أوقاف الجامع، الذي جلدتها في حال نظره عليه إتاب الله، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالبا، لكل طالب في الشهر عشرة دراهم، وللمعيد عشرون، ولكتاب النية عشرون، وللمدرس ثمانون، وتصلق حين دعوته لحضور الدرس، فحضر، واجتمع القضاة والأعيان، وأخذت في أول تفسير الفاتحة، وكان يوما مشهودا، والله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة انتهى.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وسبع مئة

استهلت وقاضي قضاة الخاتبة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن ابن قاضي الجبل المقدسي، وناظر الدواوين سعد الدين بن التاج إسحاق، وكتب السر فتح الدين بن الشهيد، وهو شيخ الشيوخ أيضا، وناظر الجيوش الشامية برهان الدين بن الحلي، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين ابن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء انتهى.

سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية

لما كانت ليلة الحادي والعشرين قدم طاشتر دواidar يلينا على البريد، فنزل بدار السعادة، ثم ركب هو ونائب السلطنة بعد العشاء الأخيرة في الشاعل، والحاجة بين ليلتهما، والخلقات يدعون لتأجيلهم، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية، فأكرمه يلينا، وأتمم عليه، وسأله أن يكون يسلاذ حلب، فأجابته إلى ذلك، وعاد فنزل بدار سنجر الإسماعيلي، وارتحل منها إلى حلب، وقد اجتمعت به هناك، وتأسف الناس عليه، وناب في النية الأمير سيف الدين زبالة، إلى أن قدم النائب للمز السيخي أقتمر عبد الغني على ما سألني.

وتوفي القاضي

■ شمس الدين بن منصور الحنفي، الذي كان نائب الحاكم رحمه الله، يوم السبت السادس والعشرين من المحرم، ودفن بالباب الصغير، وقد قارب الثمانين.

وفي هذا اليوم أو الذي بعده توفي القاضي شهاب الدين

■ أحمد ابن الوزوارة فاضل الأوقاف بالصالحية.

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نوادي في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن التفرغ إلى بيروت، فاجتمع الناس لذلك، فبادر الناس

طيغا، أستاذ دار يلبغا، وخلع على الثلاثة في يوم واحد. وفي يوم الأحد حادي عشر ربيع الأول اشتهر في البلد قضية الفرنج أيضا بمدينة الإسكندرية، وقدم بريدي من الديار المصرية بذلك، واحتيط على من كان يدمشق من الفرنج، وسجنوا بالقلعة، وأخذت حواصلهم، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من الباندة من الفرنج قدموا إلى الإسكندرية، فباعوا بها واشتروا، وبلغ الخبر إلى الأمير الكبير يلبغا أن مركبا من هذه السبعة إلى صاحب قبرص، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم: إن يسلموا هذا المركب، فامتنعوا من ذلك، وبادروا إلى مركبهم، فأرسل في آثارهم ستة شوان مشحونة بالقاتلة، فالتقوا هم والفرنج في البحر، فقتل من الفريقين خلق، ولكن من الفرنج أكثر، وهربوا فارين بما معهم من البضائع. فجاه الأمير علي الذي كان نائب دمشق أيضا في جيش مبارك، ومعه ولده وماليكه، في تجمل هائل، فرجع الأمير علي، واستمر نائب السلطنة، حتى وقف على بيروت، ونظر في أمرها، وعاد سريعا، وقد بلغني أن الفرنج جازوا طرابلس غزاة، وأخذوا مركبا للمسلمين من اللينا وحرقوه، والناس ينظرون، ولا يستطيعون دفعهم ولا منهم، وأن الفرنج كروا راجعين، وقد أسروا ثلاثة من المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، انتهى، والله أعلم.

مقتل يلبغا الأمير الكبير

■ (يلبغا).

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق، في ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الآخر، مع أسيرين جاءا على البريد من الديار المصرية، فأخبرا بمقتله في يوم الأربعاء، ثاني عشر هذا الشهر: عمالا عليه ماليكه حتى قتلوه يومئذ، وتغيرت الدولة، ومسك من أمراء الأكراف والطلبخانة جماعة كثيرة واختلطت الأمور جدا، وجرت أحوال صعبة، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طغتمش النظامي، وقوي جانب السلطان ورشد، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت، فأمر بندق الباشا، وتزين البلد ففعل ذلك، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة، فلم يهن ذلك على الناس. وهذا آخر ما وجد من التاريخ، والمحمد لله وحده، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

والجيش ملبسين إلى سطح الأزقة، وخرج ملك الأمراء أمير علي، نائب الشام من داره داخل باب الجالية في جماعته، ملبسين في هيئة حسنة، وتجهل هائل، وولده الأمير ناصر الدين محمد، وطلبه معه، وقد جاء نائب النية والحجابة إلى بين يديه إلى وطاقة، وشاوروه في الأمر، فقال: ليس لي هاهنا أمر، ولكن إذا حضر الحرب والقتال فلي هناك أمر.

وخرج خلق من الناس متبرعين، وخطب قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بالناس يوم الجمعة على العادة، وحرص الناس على الجهاد، وقد ألبس جماعة من غلمانهم اللأمة والخوف، وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت، ولله الحمد والمثلة.

ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى منازلهم، وقد ورد الخبر بأن المراكب التي رويت في البحر إنما هي مراكب تجار لا مراكب قتال، فطابت قلوب الناس، ولكن ظهر منهم استعلاء عظيم، ولله الحمد.

وفي ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمير سيف الدين شوشي، الذي كان إلى آخر وقت نائب حلب، محتاطا عليه بعد العشاء الأخيرة، إلى دار السعادة بدمشق، فسير معزولا عن حلب إلى طرابلس بطالا، وبعث في سرجين صحبة الأمير علاء الدين بن صبح.

ويلبغا وفاة الشيخ

■ جمال الدين بن ناقة حامل لواء شعراء زمانه ببليار مصر بمرستان الملك المنصور قلاوون، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى.

وفي ليلة الأربعاء ثامنه هرب أهل جيس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاية صيحة يومئذ في أثرهم فمسك كثير ممن هرب فضر بهم أشد الضرب، وردوهم إلى شر المقلب.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرة نودي بالبلدان أن لا يعملال الفرنج الباندة والجنوة والكتبلان.

واجتمعت في آخر هذا اليوم بالأمير زين الدين زبالة، نائب النية، التنازل بدار الذهب، فأخبرني أن البريدي أخبره أن صاحب قبرص رأى في النجوم أن قبرص مأخوذة، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا، ونادى في بلاده أن من كنتم مسلما صغيرا أو كبيرا قتل، وكان من عزمه أن لا يقي أحدا من الأسارى إلا أرسله.

وفي آخر نهار الأربعاء خامس عشرة قدم من الديار المصرية قاضي القضاة جمال الدين السلاحي المالكي، الذي كان قاضي المالكية، فعزل في أواخر رمضان من العام الماضي، فحج، ثم قصد الديار المصرية، فدخلها لعله يستنيث، فلم يصادفه قبول، فادعى عليه بعض الحجاب، وحصل له بعض ما يسوؤه، ثم خرج إلى الشام فجاء فتل في الترة الكامية شمالي الجامع، ثم انتقل إلى منزل ابنته مترضاً، والطلابات والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جدا، فأحسن الله عاقبته.

وفي يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طيغا الطويل من القدس الشريف إلى دمشق، فتل بالقصر الأبلق، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نياطة حماة حرسا الله، بتقليد من الديار المصرية.

وجاءت الأخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلي بفا نياطة حلب، عوضا عن نياطة دمشق، وأنه حصل له من الشريف والتكريم والتشريف ببليار مصر شيء كثير، ومال جزيل، وخيول، وأقمشة، وتحف يشق حصرها، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين أتمر هيد الغني، الذي كان حاجب الحجاب بمصر، وعوض عنه في الحجورية الأمير علاء الدين

فهرس الآيات القرآنية

- ٢٢٧ ﴿تَأْتِي الْكُتُبُ وَجَنَّتِ نَبَاتٌ﴾
 ﴿أَتَرَى رِزْقَ الْغُلِيِّ حَتَّى إِذَا سَاقَتْ لَيْنَ الصُّدُوكِ قَالِ اقْفَعُوا حَتَّى إِذَا جَعَلْنَا
 نَارًا قَالِ أَتَرَى أَفْرِغَ عَلَيْكَ قَطْرًا﴾ ١٠٨٣
 ﴿إِنَّا وَفَدْنَاهُ قَبْلَ رَحْمَتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ١١٦٢، ٢٢٣٢
 ﴿لَكُمْ غُلَّتِ الرُّومُ﴾ ١٩٣٥
 ﴿لَكُمْ غُلَّتِ الرُّومُ فِي أَفْسِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئُونَ. لِي يَضَعُ
 سِتْرَهُ﴾ ١٩٤١
 ﴿إِنَّمَا الرُّسُلُ بِنَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ٩٩٦
 ﴿إِنَّمَا الرُّسُلُ بِنَا أَنْزَلَ إِلَهُ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ لَمَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ
 وَرُسُلِهِ لَا تَقْرُبُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
 وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يَخْلُقُ اللَّهُ تَفْسًا إِلَّا وَضَعَهَا لَهَا مَا كَتَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
 احْكَمْتُ﴾ ٨٩٨
 ﴿إِنَّمَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَهُ﴾ ٢٦١
 ﴿إِنَّمَا وَضَعْنَا بَيْنَهُمْ سَلْطُونَ﴾ ٢٣٦
 ﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آتَمَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَافِيلَ﴾ ١٦١، ١٦٢
 ﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آتَمَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَافِيلَ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٢٢٣٢، ٢٢٣٣
 ﴿إِنَّمَا لَهُ قُلُوبٌ أَنْ لَدُنْكُمْ﴾ ١٥٣
 ﴿إِنَّمَا﴾ ٤٤
 ﴿إِلَهٌ آخَرُ. لِيَرْبِكَ مِنْ لَيْلَاتِ الْكَزْبِ﴾ ٩٩٥
 ﴿إِنَّمَا يَخْطُبُ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١١٤
 ﴿أَتَرَى بِسَخَطِ مَوْلَى﴾ ١٣٠
 ﴿إِنَّمَا طَرَحَا أَوْ كَرِهَا قَالَا إِنَّمَا طَرَحَيْنَا﴾ ١٦١٧
 ﴿أَفَقَدْ لَبِثْنَا فِي رُحْنِ﴾ ٤٧٠
 ﴿إِنَّمَا دَعَوْنَاهُ﴾ ١٤٠
 ﴿أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّاسِ شَهِيدًا وَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ﴾ ٢٣١
 ﴿إِنَّمَا أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ هَسَاءَ بَنَانًا. رَفَعَ سَخَطَهَا فَنَسَوْنَهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
 وَأَخْرَجَ سَخَطًا. وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَانًا﴾ ٣٧
 ﴿إِنَّمَا أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ هَسَاءَ بَنَانًا. رَفَعَ سَخَطَهَا فَنَسَوْنَهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا
 وَأَخْرَجَ سَخَطًا. وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَانًا. أَخْرَجَ مِنْهَا نَارًا
 وَزَعْفَرًا. وَالْجِبَالُ لُزَامًا. مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْبِيَائِكُمْ﴾ ٣١
 ﴿إِنَّمَا لَيْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ ١٢٣
 ﴿أَتَرَى نَحْنُ عَلَى أَنْ شَيْءٍ الْكَثِيرُ نَبِّئُونَا﴾ ٢١٧
 ﴿أَبْعِدْ بِهِ وَأَسْبَحْ﴾ ٢٥٣
 ﴿إِنَّمَا رَسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَلِيمٌ﴾ ٨٧
 ﴿إِنَّمَا رَسَالَتِي رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧٨
 ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ بَيْنَاتٌ﴾ ٢٥٢
 ﴿إِنَّمَا الْإِنْسَانُ الْأَكْفَرُ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ عَافُونَ﴾ ١١٥
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ النَّاسُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَسْتَوْزِنَ أَفْسُكُمُ وَأَنْتُمْ تَطْلُونَ الْكِبَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١١٨
 ﴿إِنَّمَا مِنْ لَيْلٍ أَنْتُمْ أَجْرًا وَمِنْ مَهْنَتُونَ﴾ ٢٠٥٥
 ﴿فَتَجِدُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْنَتُونَ. وَسَإِلِي لَا أَحْبَدُ إِلَهِي قَطْرَتِي
 وَإِلَهُ نَزَّاعُونَ﴾ ٨٧
 ﴿إِنَّمَا يَكُنْ رِيعَ آتٍ تَعْتَرُونَ. وَتَحْلُونَ مَتَابِعَ لَمَلِكُمْ تَحْلُونَ﴾ ٨٨
 ﴿إِنَّمَا تَكُونُ فِي مَا عَافَيْنَا أَحِبِّينَ. فِي خَشْيَةِ وَغَيْرِهِ. وَتُدْرِعُ طَلْفَهَا
 فَصِيحُ﴾ ٩٢
 ﴿إِنَّمَا يَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفِيدُ فِيهَا تَسْلُوكَ الْقَتَا﴾ ٥٩
 ﴿إِنَّمَا يَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفِيدُ فِيهَا تَسْلُوكَ الْقَتَا وَنَحْنُ نَسْبَحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْلُسُ
 لَكَ﴾ ٥٩
 ﴿أَفَقَدْ مَوَسَى وَفُورَةُ لَيْسُوا فِي الْأَرْضِ وَتَلَوَّكَ وَالْكَتَبُ﴾ ١٥٤
 ﴿إِنَّمَا يَكُونُ الَّذِي هُوَ أَتَى بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ أَعْطُوا بِصِرَافٍ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ ١٦٦
 ﴿إِنَّمَا تَكُونُونَ مَا تَجْعَلُونَ﴾ ٩٨
- ١٣٥٨، ٢٨٥، ١٥٥ ﴿اَقْفُظُوا زَيْلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ﴾
 ٢٨٤ ﴿اَقْفُظُوا زَيْلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
 ﴿إِنَّمَا أَنْتُمْ أَنْ تُبَيِّنَ مَا يَبْهِي أَبَاؤَنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُبِينٌ. قَالِ بَا
 قَوْمِ إِنَّمَا إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَتَنْصَرِفِي
 مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ مِمَّا تَدْعُونَنِي غَيْرَ مُخْبِرٍ﴾ ٩٢
 ﴿إِنَّمَا﴾ ٨٠
 ﴿إِنَّمَا يَنْبَغِي اللَّهُ رَحْمَةً وَتَعْلَمَ مَا كَانَ يَبْهِي أَبَاؤَنَا قَالِيًا بِنَا تَوَلَّيْنَا إِنْ كُنْتُ مِنْ
 الْعَادُونَ﴾ ٨٨
 ﴿إِنَّمَا﴾ ١٠٩
 ﴿إِنَّمَا الْإِلَهِ إِلَهُ وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ٢٩٤
 ﴿إِنَّمَا لَنَا إِلَهُ الْوَحْدَ كَمَا لَكُمْ إِلَهُ الْوَحْدَ قَالِ إِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَهْتَكُونَ﴾ ٦٦٨
 ﴿إِنَّمَا لَنَا إِلَهُ الْوَحْدَ كَمَا لَكُمْ إِلَهُ الْوَحْدَ قَالِ إِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَهْتَكُونَ. إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ
 فَبَا وَتَعْلَمُ مَا تَكْفُرُ بِهْتَكُونَ﴾ ١٦٤
 ﴿إِنَّمَا يَنْبَغِي مَقَابَةَ الْحَاجِّ وَجِلَاءَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ١١٩٠
 ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمْ﴾ ١٤٠٠
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ كَرِيحًا﴾ ١٢٤
 ﴿إِنَّمَا الْبَنِي عَاقِبِينَ﴾ ١٤٧
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ عَوَايِ﴾ ١٢٦
 ﴿إِنَّمَا رُسُلُوا إِلَيْنَا ظَلَمُوا وَأَزْرَأْتَهُمْ﴾ ١٣٧٥
 ﴿إِنَّمَا بِنَا لَمْ نَجِدْ بِهِ﴾ ٢٠٤
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ مِثْلُ الْبَعْرِ وَمِثْلُ الْغَنَمِ﴾ ٣٥
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ لَيْلَةُ الْعَصَامِ الرَّثْثُ إِلَى نَسَائِكُمْ﴾ ٤٣٣
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ لَيْلَةُ الْعَصَامِ الرَّثْثُ إِلَى نَسَائِكُمْ مِنْ لَيْسَ لَكُمْ﴾ ٤٧٧
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ بَنِي﴾ ٦٠
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ بَنِي تَعْلَمُوا مَعْرِفَةً﴾ ٦١
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ ١٣٩٣
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ يَفْرَقُ أَعْلَانًا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِنْ شَاءَ﴾ ١٧٤
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ﴾ ١٤٠
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ مِثْلُ مِثْلِ مِثْلِ﴾ ٤٤٢
 ﴿إِنَّمَا لَكُمْ﴾ ١٣٤
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ عَلَيْهِمْ الْجِبَابُ فَإِنَّا دَعَلْنَاهُ فَيُكْفَمُ عَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ تَعْلَمُونَ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٦٤، ١٩٤
 ﴿إِنَّمَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْعَزِيمَةِ الْفَسَادِ وَجَلَدُهُمْ بِأَتَى هَمِي
 أَخْتَنُ﴾ ٧٨، ١٥١
 ﴿إِنَّمَا لَنَا رَبٌّ يَسِينُ لَنَا مَا هِيَ إِلَّا الْبَعْرُ نَشَاءَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 لَنُفْعِلُنَّ﴾ ١٧٢
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ لَابِيهِمْ﴾ ١٠٢١
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ لَابِيهِمْ مِنْ أَفْطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ٦٣٥
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٤٤٦
 ﴿إِنَّمَا عَشَرَ﴾ ٢٥٤
 ﴿إِنَّمَا أَيْتَمَّ أَفْعَانًا﴾ ٩٣
 ﴿إِنَّمَا أَيْتَمَّ أَفْعَانًا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَمِثْلُهَا﴾ ٩٣
 ﴿إِنَّمَا أَيْتَمَّ بِالْمَنْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمَنْوَةِ الْقُسْوَى وَالرَّكْبُ أَفْعَلُ يَكْفَمُ﴾ ٤٨٢
 ﴿إِنَّمَا أَيْتَمَّ بِرُوحِ الْفَقْرِ﴾ ٢٣٦
 ﴿إِنَّمَا تَسْتَفِيدُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْمَنْوَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُرَوِّفِينَ﴾ ٤٨٦
 ﴿إِنَّمَا تَسْتَفِيدُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِالْمَنْوَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ.
 وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَحْرِي وَتَلَطَّنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 إِنْ أَلَّ اللَّهُ غَيْرَ حَكِيمٍ﴾ ٤٨٦
 ﴿إِنَّمَا تَقْلَعُونَ بِالْحِكْمَةِ وَتَقُولُونَ بِأَرْوَاحِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَشْتَرُونَ بِهَا
 وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا

سَمَاتِكَ هَلَا يُهَانُ عَظِيمٌ» ١١٦
 «إِذْ نَسِيْنَا أَهْلَكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكَمُ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُهُ» فَرَعْنَاكَ إِلَىٰ أَمْسِكَ كَمِي
 قَرَّ ضَيْفَهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقُلْتَ نَفْسًا فَجَيْتَاكَ مِنْ الْفَهْمِ وَتَقَاتَ قَرْنًا» ١٤٥
 «إِذْ جَامَعَا الْمُتَحَرِّلُونَ» ٢٥٦
 «إِذْ جَامَعَا الْمُتَحَرِّلُونَ» إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ يُكَلِّمُهُمْ مِمَّا نَزَّلْنَا بِأَلْسِنَتِهِمْ ١٤٠
 «إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ يَدِكُمْ» وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ٥٦٥
 «إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ يَدِكُمْ» وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَتَلَفَتُوا
 الْفُلُوبُ الْخَائِبَةُ وَتَطْفَرُّ بِاللَّهُ الطُّنَّانُ ٥٦٥
 «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ إِذْ آدَيْتُكَ
 بِرُوحِ الْقُدُسِ تَحْلُمُ النَّاسِ فِي الْعَهْدِ وَكَلَّمَاكَ وَأَدَّ عَلَيْنَا الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَالزُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
 فَتُفَخِّخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَنْزِيلُ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
 الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَتَبْنَا فِي سِوْرَتِي إِسْرَافِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ
 الْمَوْتَىٰ خَرُّوا فَمِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ
 أَنْ أَنْبِئُوا بِإِيْرُوسَىٰ قَالُوا آمَنَّا وَاضْعَدْنَا بِنَايَ مُسْلِمُونَ» ٢٣٦
 «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَارْتَمِكْ إِلَى اللَّهِ وَتَطْلُوكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَجَاعَلُ الْمَوْتَىٰ يَشْفَعُونَ فَرَفَعَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ٢٣٧
 «إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً
 مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُ اللَّهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» قَالُوا نَزِّلْهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
 وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ وَكَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّاهِدِينَ» قَالَ
 عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا
 لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَرُزْقًا وَآتَ خَيْرَ الرُّزْقِينَ» قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْكَلُهَا
 عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَنِي أَخَذْتُ عَذَابًا لَا أَغْنِيهِ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعَذَابِ» ١٠٢، ٢٣٧
 «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ» فَلَمَّا سَوَّيْتُهُ وَغَضَّخْتُ يَدِي مِنْ
 رُوحِي فَقُولُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» إِلَّا إِبْلِيسَ
 اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا
 خَلَقْتُ بِإِذْنِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ
 نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» قَالَ فَانْزِعْهُ مِنْهَا فَبَلَغَ رَجِيمًا» وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي
 إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ» قَالَ رَبِّ فَطَنِي إِلَىٰ سَبِيلِ يَسْمُونَ» قَالَ فَبَلَغَ مِنْ
 الْفُطْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَتَلَامُ الْفُطْنِ» قَالَ فَبَلَغَ مِنْ غَايَتِهِمْ أَجْمَعِينَ» إِلَّا
 عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ» قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ» لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكَ
 وَمِنْ نِعَمِكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٧١ - ٨٥)
 «إِذْ قَالَ لَازِبِي وَزَوْجِي مَاذَا تَعْبُدُونَ» أَجَبْنَا اللَّهُ ذُوهُنَ اللَّهُ تَرِيدُونَ» فَسَأَلَ عَظِيمُ
 بَرِّ الْعَالَمِينَ ٩٧
 «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاقِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ تَكْفُمُكُمْ بِشَهَابٍ
 مِمَّا تَكْفُمُكُمْ فَتَطْلُوكُونَ» ١٤٨
 «إِذْ قَالَ يُونُسُ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَرْكَبًا» وَالشَّخْصَ وَالْقَمَرِ
 وَالنَّجْمِ لِي سَاجِدِينَ» قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رَأْيَكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا
 لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ» وَكَذَلِكَ يُبْخِشُ رَبُّكَ
 وَتَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخْبَارِ وَتَعْلَمُكَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ كُلِّ بِقُولٍ كَمَا
 أَتَمَّنَّا عَلَىٰ أَبْوَابِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَأْذِنَ إِنْ رَبُّكَ عَظِيمٌ حَكِيمٌ ١٢٤
 «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» ١١٧٧
 «إِذْ هَمَّتْ طَافِئَاتٌ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَىٰ اللّٰهُ تَوَكَّلْ كُلُّ
 الْيَوْمِينَ» ٥٢٥
 «إِذْ يَوْمَكُمُ اللَّهُ فِي عِمَادِكَ فَتَلَا وَكَلَّمَ لَزَامَهُمْ خَيْرًا لَقِيْتُمْ وَتَلَاظُمُ فِيهِ
 الْأَمْرُ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» ٤٨٣
 «إِذْ يَنْشُرُ السُّلْطَنُ مَا يَنْشُرُ» ٤٣
 «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْتَهِبُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» ٤٨٨
 «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْتَهِبُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَالِفِي فِي قُلُوبِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّبُّ فَاصْزُبُوا فَرَقَ الْأَخْفَاءُ» ٤٨٢

٤٨٨ ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ صَلَاتِكَ أَيُّهَا الْمُحْسِنُونَ ﴿١﴾ أَتَمَّكَ فَتَبَارَكَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَّا وَلَقَدْ فِي قُلُوبِهِم
 ١٣٢٥ ﴿إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٢﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٣﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ١٣٢٥، ٧٩٣، ٧٨٧، ٦٦٦ ١٣٢٥، ٧٩٧، ٧٠٨، ٦٦٦، ٦٤٦ ١٤٠٩، ٤١
 ١٣٨٨ ﴿إِذَا لَدُنَّاكَ فَعِظْتَ الْحَيَاةَ وَزَعَمْتَ أَنَّهَا مِنَ الْمَوَاتَاتِ﴾ ١٣٨٨
 ١٤٥٥ ﴿وَإِذَا وَقَعَتِ الرُّاقِعَةُ﴾ ١٤٥٥
 ٥٣، ١٢٩، ١٢٨ ﴿أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ٥٣، ١٢٩، ١٢٨
 ٤٧١ ﴿أَوَلَمْ لِللَّهِ لَلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عِظَىٰ أَلَمٌ ﴿١﴾ لِمَ لَا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِئَلَّا يُغْنَوْا فِي اللَّهِ أَرْبَابًا مِّمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰهِ أَوْ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمُ آلَاءُ ﴿٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٧١
 ١٤٧٨ ﴿أَوَلَمْ لِللَّهِ لَلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ عِظَىٰ أَلَمٌ ﴿١﴾ لِمَ لَا يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِئَلَّا يُغْنَوْا فِي اللَّهِ أَرْبَابًا مِّمَّنْ هُمْ أَقْرَبُ إِلَىٰهِ أَوْ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمُ آلَاءُ ﴿٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤٧٨
 ٤٤٠ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٤٠
 ١٥٠ ﴿وَأَسْأَلُ عِزَّةَ مِن لَّدُنِّي﴾ ١٥٠
 ١٥١ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٥١
 ١٥١ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٥١
 ٩٦ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٩٦
 ١٧٣ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٧٣
 ٧٨ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٧٨
 ١٩٥٧، ٢٠٤ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٩٥٧، ٢٠٤
 ١٣٧ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٣٧
 ١٣٦ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٣٦
 ٨٦ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٨٦
 ٨٩٥ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٨٩٥
 ٧٠٥ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٧٠٥
 ١٠٦٩ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٠٦٩
 ٦٩٩ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٦٩٩
 ٩٩ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٩٩
 ١٤٩ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤٩
 ٢٥٠ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٥٠
 ١٤٠ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤٠
 ١١٩ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١١٩
 ٩٧٢ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٩٧٢
 ١٥٦ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٥٦
 ٧٨ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٧٨
 ٢٠٧، ٢٠٠ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٠٧، ٢٠٠
 ٢٥٤ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٥٤
 ١٤٣٣ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ١٤٣٣

بأنهم بأنفسهم غشوا ومنهم يلقبئون. أمّا أيّونا مكرّ الله فلا يأتين مكرّ الله إلا
 الغرّم والحاسرون. ٢٢١٣
 اقتبشون من دون الله ما لا يمتنعكم شيئا ولا يضرّكم. أف لكم وليا
 تمشون من دون الله أفلا تعقلون. ٩٨
 اقتبشتم أمّا خلقناكم ميتا وانكم آتيا لا ترجعون. ١٥٢٦
 اقتبشتم الحياة يمتعون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون. ٢٠٠٦
 اقربأت الذي كثر بابائنا وقال لا ورثين نالا وولدا. ٤٠٣، ٣٩٠
 اقربأت الذي كثر بابائنا وقال لا ورثين نالا وولدا. اطلع النيب أم اتخذ
 عند الرحمن عهدا. ٢٥٣
 اقربأت إن مشائهم سين ثم جاهدكم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما
 كانوا يمتعون. ١٤٢١
 اقربأت ثلاث والنورى. ومنه الثالثة الأخرى. ٦٩٠
 اقربأت ما كنتم تتبدون. أنتم وآباءكم الأقدمون. فبأنهم عدو لى إلا رب
 العالمين. ٩٧
 أفلا تستمعون. ١٥٠
 أفلا تعقلون. ١٠٩
 أفلا يرمون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ٢٣١
 أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضررا ولا نفعا. ١٦٩
 اقتربت الساعة. ٧٧
 اقتربت الساعة واشتق القمر. وإن يروا آية يهرعوا. ٤١٧، ٤١٨، ٨٩٩، ٩٠٠
 اقتربت الساعة واشتق القمر. وإن يروا آية يهرعوا. ٩٩٧، ٩٩٥، ٩٠٠
 وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستخير. ٤١٧
 اقتربت الساعة واشتق القمر. وإن يروا آية يهرعوا ويقولوا مستخير. ٤١٧
 وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستخير. ولقد جاءهم من الآباء ما يذ
 مزجر. حكمة بالغة فما تنن القرآن. ٨٩٩
 اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا لخرأ. قال ألم أقل لك إني لك لن
 تسطيع معي شيئا. ١٧٣
 اقرا باسم ربك. ١١٩٧
 اقرا باسم ربك الذي خلق. ٣٧٠، ٣٧١، ٣٨٣، ٤٣١، ٧٠٤، ١١٧٦
 اقرا باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. ٣٨٣
 اقرا باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرا وربك الأكرم. ٣٨٣
 الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. ١٨٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩
 أمّاك للناس حبيبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنبأ الناس. ٨٨
 أكرمي مثواه. ١٤٧
 أكره فلما كثر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين. فكان
 عاقبتهم أنها في النار خالفتين فيها وذلك جزاء الظالمين. ٥٥٥
 أكرمت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم من عظام رجا. ٢٥٣
 اكملها دامت وطلها. تلك عصى الذين اتقوا وعصى الكافرين النار. ١٤٦٤
 إلا أن خصصن الخن. ١٢٩
 إلا أن رقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليرم تنجيك بدينك لتكون
 لمن خلقك آية. ٢٢٣٣
 إلا أنيلاق. ٤٢٠
 إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين. ١٠٠
 إلا أنزلتكم. ١١٥
 إلا أن نشود كفروا زعموا إلا نبدا لنشود. ٩٤
 إلا أن قالوا أخرجا آل لوط من قريبتكم إنهم أتاس يظفرون. ١١٤
 إلا أن يشاء الله نرفع فردا من نشاء. ١٣١
 إلا أنشا طافركم عند الله. ١٥٧
 إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ١١٨

٩٨
 (ألا تأكلون. ما لكم لا تطفرون. فزاع عليهم عزرا بالبين. ٩٨
 (ألا تحزن. أقدنونا بعل وتكونوا أحسن الخالقين. الله ربكم رب العالمين
 (ألا ترحن. قد جعل ربك عتلك سريا. ٢٢٦
 (ألا ترون أني أرفي الكل وأنا خير المضرين. ١٣٠
 (ألا تعلموا على. ٢٠٤
 (ألا تصفرون. ٤٤٦
 (ألا تصفرون فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا لنائي اثنين إذ هما في
 النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فآذن الله سكتة عليه
 وأبده يجرؤ لم ترونا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي
 العليا والله عزيز حكيم. ٩٥١، ٤٤٦
 (ألا ذرة من قريو. ١٥٩
 (ألا عذب أنفسنا عليه. ٤٠٤
 (ألا على ظنين هدى الله. ٤٧٧
 (ألا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخيز في الحياة الدنيا
 ورضناهم إلى حين. ١٤١
 (ألا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون. ٩٨
 (ألا لمة الله على الظالمين. ١٤٠٤
 (ألا لمة الله على الظالمين. الذين يصلون عن سبيل الله. ٧٢٤
 (ألا من أشرة وقلة مطعون بالإمان. ١٥٩١
 (ألا من شهد بالحق وهم يعلمون. ١٢٩٥
 (ألا ينظر أولئك أنهم يموتون يوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين. ١٣٧٥
 (الذي استنصره بالأسس ينصره. ١٤٦
 (الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام. ٣٠
 (الذي يجوده تكبرا جندهم في التوراة والإنجيل. ٣٥٣
 (الذي يجوده تكبرا جندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف
 وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات. ٢١٩
 (الذي يخرج الغيب في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما
 تعلمون. ٢٠٤
 (الذين آتياكم الكتاب من قبلكم به يؤمنون. وإذا نزل عليهم قلوا آتيا به
 إله الحق من ربنا إنا كنا من قبلكم مسلمين. ٣٥٢
 (الذين آتياكم الكتاب من قبلكم به يؤمنون. وإذا نزل عليهم قلوا آتيا به
 إله الحق من ربنا إنا كنا من قبلكم مسلمين. أولئك يؤمنون بأمرهم مؤمنين
 بما أمروا وينصرون بالحقنة السيرة وما رزقناهم يعقرون. وإذا سمعوا
 القرآن أعرضوا عنه وقالوا لنّا أعنانا ولكم أعنانا. ٤٠١
 (الذين آتياكم الكتاب يفرقون كما يفرقون أبناءهم وإن فرقا منهم
 ليكثرون الحق وهم يعلمون. ٩٤٨، ٤٢١، ٣٥٢
 (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. ٢٥٧
 (الذين آمنوا في ساعة العسرة. ٦٩٤
 (الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. ١٨٥٣
 (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا
 بينهم وأقروا آخر عظيم. ٥٤٢، ٥٤١
 (الذين بدلوا نية الله كبرا. ٤٩٥
 (الذين جعلوا القرآن عضين. فوذلك لتسألهم أجمعين. عشا كانوا
 يمشون. ٣٩١
 (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. ٢٥٦، ١٩٥
 (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جتموا لكم فاعرضوهم فزادهم إقبالا
 وقالوا حسنا الله وبنم الزكول. ١١١١
 (الذين يتخلفون ويأمرون الناس بالبخل. ١٥٢٢
 (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي. ١٧٠
 (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجوده تكبرا جندهم في التوراة

مَنْ تَزَالِ الْفُلَيْنِ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴿٤٢٢﴾
مَنْ تَزَالِ الْفُلَيْنِ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴿٤٢٢﴾

- مَنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ يَنْجِئُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا آتَوْا
بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. ٨٩٥.....
- «أَمْ يَقُولُونَ نَعْلَمُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَاوُوا بَكَلْبَتِ هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ»..... ٨٩٥
- «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ مِنْ رِيسِ السُّورِينَ. قُلْ تَرْتَعَسُوا قَبْلِي مَتَكُمْ مِنْ
الشُّعْرَمِيِّينَ»..... ٩٨٩، ٤٤٣
- «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ. فَجَعَلْنَا الْجَمْعَ وَتُكْلًا دَلِيلًا
لِإِنَّا نَنْفَخُ فِي سَاقِهِ نَارًا فَيُؤْثِقُونَ الْغُلَّيْنِ فَلَمَّا لَمْ يَنْصُرُوا وَاتَّفَكُوا
مُتَّفَعِينَ. فَجَعَلْنَا صِدْقَهُمْ عَذَابًا. فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
فَافْتَرَيْنَا»..... ١٠٩
- «وَأَمَّا لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَّا بِأَلْفٍ»..... ١٢٨
- «فَاكْتُبُوا إِنَّا أَنْتُمْ نَارًا»..... ١٤٨
- «وَأَمَّا خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَالُ الْمَاءِ فَأَلْبِسُوا بِهَذَا
ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبُوهُ شَجَرًا فَإِلَهٌ مَعَ الْوَلَدِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
يَبْغُلُونَ. أَمَّا جَنَّةُ الْأَرْضِ فَزَلُّوا وَجَعَلْنَا خِلَافُهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْنَا لَهَا
رُوسِيًّا وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا فَإِلَهٌ مَعَ الْوَلَدِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا تَعْلَمُونَ»..... ٣٧
- «وَأَمَّا مَنْ قَالَتْ أَنَاءَ اللَّهِ لِيَالِي سَاحِدَا وَقَالِمَا يُخَذُّ الْأَجْرَ وَمَعْرِضَةً وَرَبِّهِ»..... ١١٢٤
- «إِنَّ إِلَهَ مَلَكُوتِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْبُحْرَانُ فَيُؤْثِقُونَ مِنْ رِبْكِمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ
مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْفَلَاحِيكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ»..... ١٧٨
- «إِنَّ آيَاتِنَا لَتَنِي غِلَاطٍ شَيْنٌ»..... ١٢٥
- «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَفِيًّا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَارِكًا لِأَنْفُسِهِ
أَخْيَاهُ وَغَدَاةً إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ خَافَتِ زَانَةُ فِي
الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوَحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَفِيًّا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»..... ١٠٩
- «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُ آلَاءِ خَلْقٍ»..... ٩٩١
- «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ. يَا إِبْرَاهِيمُ أَخْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ
رَبِّكَ وَاتَّبِعْ أَتَيْتُمْ عَذَابًا مُعَذِّبًا»..... ١١٤
- «إِنَّ إِلَهِي يَدْعُوكَ لِتَجِزَّيَكَ أَجْرًا مَا سَعَيْتَ لَنَا»..... ١٤٧
- «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِيَّاكَ إِنْ جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ»..... ٢٠٤٢
- «إِنَّ أَرْزَاقًا إِلَّا الْخُسْفَى»..... ٦٩٩
- «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»..... ١٥٥
- «إِنْ أَنْشَرْتَ يَسْتَفْتِي أَلَيْسَ لِمَنْ أَنْشَأَ عَلَى وَعْدِي وَإِلَافَتِي وَأَنْ أَعْتَلَّ صَالِحًا تَرْغَةً
وَأَذْلَعِي بِرَحْمَتِي فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»..... ٢٠٣
- «إِنْ أَصْرَبْتُ بِغَضَاكِ الْبَيْتِ»..... ١٦٠
- «إِنْ أَصْبَحُوا اللَّهُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ»..... ٢٣١
- «إِنَّ الَّذِي قَرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَيْكَ إِلَى مَقَامٍ»..... ٣٨١
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»..... ٤٧٥
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»..... ٥٠
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ»..... ٥٠
- «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَلَامُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ»..... ١٦٩
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ»..... ٥٣
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَلْهَمُوا الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ إِذَا يُنْشَأُ عَلَيْهِمْ يَجْعَلُونَ لِمَا ذُكِّرَ مِنْهُ
وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا»..... ٣٥٢
- «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْفَلَاحِيكَةُ طَالِبِينَ أَنْ يَسْلُبَهُمْ قُلُوبُهُمْ قَالُوا وَمَا نَسَبُوا قَالُوا كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضًا مَوْتَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا
فَأَرْزَقْنَا مَآزِقَهُمْ وَجَعَلْنَا نِسَاءَهُمْ نِسَاءً مُنْصَرَاتٍ»..... ٤٩٥
- «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا يَكُنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بَعْضَ مَا
كَسَبُوا وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ خَلِيمٌ»..... ١١٢٠
- «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُمْ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
- يَكُنْ لَكُمْ أَمْرٌ مِنْهُمْ مَا كَتَبَ مِنَ الْإِيمَانِ. ٥٩٤.....
- «إِنَّ الَّذِينَ خَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَسْبَى
يَزِيدُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ»..... ٢٢٣٣، ٣٨٦، ١٦١، ١٥٧
- «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ سَاءَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ
حَسْبَهَا وَهُمْ فِي مَا نُفِيتُ عَنْهُمْ خَالِدُونَ»..... ٤٠٣
- «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَسْبُدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُمْ رَبُّهُمْ
وَيَكُونُوا عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ»..... ٥٢٣
- «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ»..... ٧١٠
- «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا
حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»..... ٧١٠
- «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»..... ١٠٣٥، ٥٥٨
- «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يَتَخَيَّلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ يَقُولُونَ وَمَتَى هَذَا وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقٌّ فِي الْفُرُوزِ وَالْإِجْمَالِ وَالْفَرَقَانِ
وَمَتَى أَوْفَى بِوَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ لَنَنْتَبِهُنَّ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ
الْفُرْقَانُ الْبَاطِلُ»..... ١٠٨١
- «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»..... ١١٧٧
- «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِزْرَانَ رَبِّ إِنِّي
نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحْرَرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا
وَضَعَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ
الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَلَئِنِّي شَكَيْتُهَا رَبِّمَ وَإِنِّي أَخِيفُكَ بِكَ وَفَرَّقْتُمَا بَيْنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْبُحْرَابَ وَجَدَ عَلَيْهَا رُخَصًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ يُرِزُّكَ مِنْ شَاءٍ يَخَيَّرْ حَسْبُكُمْ»..... ٢٢١
- «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى خَلْقَهُمْ وَزَادَهُمْ نُسْخَةً فِي الْعِلْمِ»..... ١٩٧
- «إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ الْأَرْوَافِ رَحِيمٌ»..... ٤٧٧
- «إِنَّ اللَّهَ رَفِيعُ دَرَجَاتٍ وَذِكْرُكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»..... ٢٢٨
- «إِنَّ اللَّهَ إِذَا بَعَثَ لَكُمْ طَائِفًا مَلَكًا»..... ١٨١١
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشِينَ»..... ١١٥٦، ١١٥٣
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»..... ١٠٢١، ٢٥٨
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكِبِينَ»..... ١٧٩
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ شَيْئًا ذُرِّيَّةً»..... ٢٥٧
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»..... ١٢٥٧
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»..... ١٨١٢
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا
فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ دَالٍ»..... ٢٠٤٢
- «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ»..... ٢٥٧
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»..... ٢٢٠٤
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ذِي الْقُرْسَى وَيَتَنَبَّاهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالَّذِي يَنْهَى عَنْكُمْ أَنْ تَذَكَّرُوا»..... ٤٢٩، ٣٩١
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُكُمْ أَنْ تُوْذُوا الْأُنثَى إِلَى أَعْلَاهَا»..... ١٨٢٢، ١٢٠٢، ٤٤٠
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُكُمْ أَنْ تُوْذُوا الْأُنثَى إِلَى أَعْلَاهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ أَهْلِ
نَحْوِكُمْ بِالْعَدْلِ»..... ٢٢٢٧
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُكُمْ أَنْ تُوْذُوا الْأُنثَى إِلَى أَعْلَاهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ أَهْلِ
نَحْوِكُمْ بِالْعَدْلِ»..... ٢١٥٥
- «إِنَّ اللَّهَ يَأْتِرُكُمْ أَنْ تَنْتَبِهُوا بِقَوْلِهِمْ قَالُوا اسْتَحْذَرْنَا هَؤُلَاءَ»..... ١٧٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بِئَانُ مَرْحُومِينَ»..... ٥٠٧، ١١٤٥
- «إِنَّ اللَّهَ يُرِزُّكَ مِنْ شَاءٍ يَخَيَّرْ حَسْبُكُمْ»..... ٢٢٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ الشُّرُوءَ وَالْأَرْضَ أَنْ تُوْذُوا»..... ١٧٨٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ الشُّرُوءَ وَالْأَرْضَ أَنْ تُوْذُوا وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مِنْ
أَخِرٍ مِنْ بَنِي إِدْرِكَ كَانَ خَلْقًا غُفُورًا»..... ١٤٥٦

- [illegible]

وَرَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ وَتَوَكَّلْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ..... ١٠٧
رَبِّهِ الَّذِي يُخَوِّبُ وَيُخَبِّرُ قَالَ إِنَّا أُخْبِرُ وَأُخْبِرُ..... ٩٩
رُحْمَاءُ يُنْفَخُونَ..... ٥٧٥
وَرَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ..... ١٧٤
وَرَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا نَعْلَمُ عَنْ آثَرِهِ..... ١٨٩
وَرَحْمَةً مِنْ جَنَانٍ..... ١٣٧
الرَّاحِمِينَ عَلَى الْفَرَسِ اسْتَوَى..... ٢٨، ١٩٧٨
الرَّاحِمِينَ..... ١١٠٠
رُحِيمٌ..... ١١٩
وَرُؤُوسًا عَلَى نَفَقَةٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ..... ٢٠٦، ٢٠٥
وَرُسُلُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشِدُّوا عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً وَلَئِنْ لَمْ تُجَاهِدُوا عَنْهُمْ سُدَّ سُبُلُهُمْ..... ٢٠٦
يَتَخَوَّنُوا فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا يَبْتَاعُهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ..... ٢٠٦
فَلَيْكَ تَمَلُّهُمُ فِي الرِّزْقِ وَتَمَلُّهُمْ فِي الْإِعْمَالِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ..... ٢٠٦
فَانْتَظَرَ خَالَهُ يَأْتِيهِ عَلَى سَوْبِهِ يَجِبُ الرِّزْقَ لِيُطِيعَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَغَدَا اللَّهُ..... ٢٠٦
الَّذِينَ آمَنُوا وَاعْمِلُوا الصَّالِحَاتِ يُنْفَخُ عَنْهُمْ غَطْفَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا..... ٣٥١
وَرَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِمِيزَانٍ..... ٢٥
وَرَفَعَ الرُّجُودَ وَدُ الْعَرْضِ..... ٢٨
وَرَفَعَ فِيهَا عَذَابَ الْيَمِّ..... ٩٠
وَرَفَعَتْهُ لَا شَرِيكَ وَلَا غَرِيْبٌ..... ١٦٦٦
وَرَفَعَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشُّعْرَاءِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَيْتِ وَالْقَنَاطِرِ الْمُفْتَطَرِّ..... ٢١٧٧
وَرَفَعَ وَأَمْرًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعَ لِيُصَلُّوا عَنْ سُبُلِكَ..... ١٦٠
وَرَفَعَ بِكُمْ ذُلَّ الْقَنَافِينِ..... ١٦٨
وَرَفَعَ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ خَبِيرًا..... ٩٦
وَرَفَعَ عَنْ آيَاتِهِ..... ١٦٨
وَرَفَعَ سَائِلٌ..... ١٤٥٥
وَرَفَعَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى..... ٤٤٢
وَرَفَعَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ قَسْرَى..... ١٥٢
وَرَفَعَ لَكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ..... ١٥٢
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ الْأُولَى الْخَضْرَى مَا ظَنَنْتُمْ..... ١٥٢
أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُبَادَلُوكُمْ بِأَنفُسِهِمْ خَصَرُونَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَاتَّاعَمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ..... ١٥٢
لَمْ يَخْشَوْا وَتَقَدَّسَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَنُ يَخْرِقُونَ يَدَايِهِمْ بِالْمَدِينِ وَأَيْدِيهِ..... ١٥٢
الْمُؤْمِنِينَ فَخَشَرُوا فِي أُولَى الْأَيْسَارِ..... ١٥٢
لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَكُنْ فِيهِمُ مِنَ الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ..... ١٥٢
وَرَسُولُهُ وَمَنْ يُثَابِتْ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ..... ٥٥٣
تَرْكَبُوا قَائِمَةً عَلَى أَسْرَلِهَا فَإِذَا نَزَلَ اللَّهُ وَخَرَجُوا مِنَ الْقَنَافِينِ..... ٥٥٣
وَسَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا..... ٤١٥، ٤١٦
وَسَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ..... ٤١٥
الْأَقْصَى..... ٤١٥
وَسَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى..... ٩٩٢، ٤١٣
وَسَبَّحَانَ..... ١٦٧
وَسَبَّحَانَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا..... ١٤٥٩
وَسَبَّحَانَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ..... ٥٩
وَسَبَّحَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا كُنَّا وَلَا أَغْصَى لَكَ أَمْرًا..... ١٧٣
وَسَبَّحَانَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ..... ٩٦٠
وَسَبَّحَانَ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيءَ أَيَّامٍ حُرْمًا..... ٩٠
وَسَلَامٌ عَلَى آلِ يَسَافِينَ..... ١٩٤
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ..... ٩٦
وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا..... ١٧٦٢
بِجَهْلَةٍ فَلَمْ يَذْهَبْ مِنْ بَيْنِهِ وَأَصْلَبَ فَالْهُوَ غُفُورٌ رَحِيمٌ..... ١٧٦٢

٢٥٤ ﴿تَتَدَاوَىٰ مُصْبِحِينَ﴾
٢٣٦ ﴿تَنْصَحُ يَحْيَا فُكْرًا لِغَايِ﴾
١٦٤ ﴿تَنْفُلُوا خَابِرِينَ﴾
﴿تَقْرَأُ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَحْتُكُمْ رَسُولًا مِّنِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِكَيْفِ
١٢٠ أَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمِ كَافِرِينَ﴾
﴿تَقْرَأُ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَحْتُكُمْ رَسُولًا مِّنِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا
٩٤ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾
﴿تَقْرَأُ فِي زُرْعَتِهِ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ رَبِّكُمْ لَا تُقْسِرُوا عَلَى
اللَّهِ كَلِمًا يَكْسِبُكُمْ بِعَدَابِهِ وَقَدْ خَابَ مَنَافِقُ. فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
وَأَسْرَأُوا النَّجْوَىٰ. فَالَّذِي بَيْنَ الْمَنَافِقِ أَسْرَأُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ
أَرْضِكُمْ بِعَهْدٍ مَّعَكُمْ وَتَذَاتِبَ بِطَرَفِكُمْ مَّتَلَفًا. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا
١٥٢ صَبًا وَقَدْ أَلْهَقَ بِهِم مِّمَّا لَهُمْ فِي شَتَاؤِهِمْ
١٤٧ ﴿فَجَاءَهُ إِحْدَانُهُمَا تَسْئِلُهُ عَلَىٰ اسْتِجَابٍ﴾
﴿فَجَاءَهُ إِحْدَانُهُمَا تَسْئِلُهُ عَلَىٰ اسْتِجَابٍ. قَالَتْ إِنَّ لِي بِذِكْرِكَ لِيَخْبِرَكَ أَجْزَ
مَا سَأَلْتِ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَفَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِن
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَانُهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْ. إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ
الْقَوِيَّ الْأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أُورِثُكَ إِن شَاءَ رَبِّي. فَتَنَازَعُوا عَلَيْهِمَا
تَأْجِرَتِي فَتَمَلَّيْ حَتَّىٰ جِئْتُ فَإِنِ اسْتَمْتِ عَشْرًا فَمِنْ عَيْدِكَ وَمَا أُورِثُكَ إِلَّا شَيْئًا
عَلَيْكَ مَسْجِدِي. إِنَّ شَاءَ اللَّهُ مِنِّي الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ وَتَوَكَّلْنَا
١٤٧ الْأَحْلَىٰ فَصَبَّحَ بِلَا عُدُونٍ عَلَىٰ وَاللَّهِ عَلَىٰ مَا قَوْلُ وَكَلَّ﴾
٢١٢ ﴿فَنَاجَسُوا حِلَالَ النَّبِيِّ﴾
٩٢ ﴿الْفَجْرِ﴾
﴿فَنَجَلَ بَيْنَ دُونِ ذَلِكَ تَحَا قُرْبًا﴾
٥٩٧ ﴿فَنَجَلْتُمُ أَخَابِيثَ وَتَزَنَّقْتُمُ كُلَّ مَرْزُوقٍ﴾
٢٧٨ ﴿فَنَجَلْتُمُ سُلُوكًا﴾
١٥٩ ﴿فَنَجَلْتُمُ جَنَادًا﴾
٩٨ ﴿فَنَحَرْتُمْ قَادِي. فَقَالَ لَأِي رَجُلِكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾
١٥٠ ﴿فَنَحَلْتُهُ﴾
٢٢٦ ﴿فَنَحَلْتُهُ فَايَسَّرْتُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَامَهُمَا الْمُخَاصِرُ إِلَىٰ جُلُوعِ النَّحْلِ﴾
٢٢٦ ﴿فَنَحَلَّ مَا أَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾
١٦٨ ﴿فَنَحَلُّهَا بِغُرُوبٍ﴾
١٦٨ ﴿فَنَخَّرَ عَلَىٰ قُرُوبِهِ رِيحًا﴾
١٨٠ ﴿فَنَخَّرَ بِهَا خَابِثًا بِزُقْبَةٍ﴾
١٤٦ ﴿فَنَخَّرَهَا﴾
١٧٤ ﴿فَنَحَسَبْنَا بِهِ وَبَدَلُوا الْأَرْضَ﴾
١٨٠ ﴿فَنَحَسَبْنَا بِهِ وَبَدَلُوا الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فَوْزٍ يُعْصِرُوهَ بَيْنَ دُونِ اللَّوِّ وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُتَصَبِّرِينَ﴾
١٨٠ ﴿فَنَحَسَبْنَا أَن يُؤْمِقَهُمَا لَطْفَانَا وَتَقَرَّرَا﴾
١٧٤ ﴿فَنَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾
٧٩ ﴿فَنَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مَغْلُوبُونَ
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى السَّمَاءُ عَلَىٰ أَمْرِ قَدِيرٍ﴾
٩٨٨ ﴿فَنَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مَغْلُوبُونَ
وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى السَّمَاءُ عَلَىٰ أَمْرِ قَدِيرٍ. وَخَلَقْنَا عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَّلِ
وَأَوَّلِ وَتَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لَمَن كَانَ فُتْرًا. وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن
٨١ مُدْرِكٍ﴾
٩٨٦ ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُوبٍ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّعْرَةُ ذَبَدَتْ لَهَا سَرَّةُهَا فَمُتَا وَطَافَا بِمُخَصِّفَانِ
عَلَيْهَا مِن دُونِ الْجَنَّةِ﴾
٦٢ ﴿فَذَلَّلْنَا بِرُحْمَانٍ مِّن رَّحْمَتِي إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمُلْكِهِ﴾
٩٩٥

١٤٩ ﴿فَلْيَاكُفِّرُوا بَعْضُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ فَمَا يَرَوْنَ﴾
 ١٧٢ ﴿فَلْيَبْصُرُوا فَمَا كَانُوا بِفِعْلِهِمْ﴾
 ٩٣ ﴿فَلْيَذُوقُوا ثَأْلًا فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا بِسُوءِ قِيَاحِذِكُمْ غِلَابَ قَرِيبٍ﴾
 ٩٨ ﴿فَلْيَرْأَى إِلَى إِلَهِهِمْ﴾
 ٩٨ ﴿وَلْيَرْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾
 ١٤٥ ﴿وَلْيَرْدَّنَا إِلَى أَلْمُوِّ عَيْنٍ نَقَرَّ حَتَّىٰ نَمُوتَ وَلَا تَحْزَنْ وَلْيَنْقَلِبْ أَلْ وَغَدَ اللَّهُ حُنَّ﴾
 ١٧٠ ﴿فَسَاكِنًا لِلَّذِينَ يَقُولُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
 ٦٦٦ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانُ تَوَّابًا﴾
 ١٥٧ ﴿وَلْيَسْتَكْذِبُوا مَا أَتَوْا لَكُمْ وَأَقْرَضُوا أَهْلِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعَالَمِينَ﴾
 ٦٧ ﴿وَلْيَسْتَعِذَّ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِلَيسَ أَمْرًا يَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾
 ٥١ ﴿وَلْيَسْتَعِذَّ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِلَيسَ اسْتَكْبَارًا كَانَ فِي الْكَافِرِينَ﴾
 ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءً حَيْثُ أَسَآبَ. وَالسَّيْلَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ
 وَغَوَاسٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ. حَذَقَ طَطْلَانًا فَاغْتَنَزَ أَبُو اسْمِكُ
 بِبَيْرِ حَسْبِهِ. وَإِنَّ لَهُ جَنَّةً لَزْلَىٰ وَحُسنَ مَابِ﴾ ٩٩٩، ٢٠٧
 ﴿فَتَقَىٰ لَهَا﴾ ١٤٦
 ﴿فَسَوَّىٰ تَمَلُّونَ مِنْ بَابِي عِلَابَ يُخْرِجُ وَتَجِدُ عَلَيْهِ عِلَابَ مُؤَيَّمٍ﴾ ٧٩
 ﴿فَتَسْبِيحُكُمُ اللَّهُ وَفَرَّ السَّيِّعُ الْعَلِيمُ﴾ ١١١١، ١١١٠
 ﴿فَنَشْرُوا بِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ ١٩٧
 ﴿فَصَبَّرْ حِيلَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ٥٩٣
 ﴿فَصَبَّحَتْ وَجْهَهَا﴾ ١٠٦
 ﴿فَضَافَتْ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَاصْبَحْتَ فَالْعَصِيرِ﴾ ٢٥٤
 ﴿فَنَظَلُّوا بِهَا﴾ ٩٢
 ﴿فَنُفِّلَ أَنْ لَّنْ نَقْبِرَ عَلَيْهِ﴾ ١٤٢
 ﴿فَنَفْسِي رَيْبِي أَنْ يُلْقِينَ خَيْرًا مِّنْ حَيْثُكَ﴾ ٢٥٤
 ﴿فَنَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَرَّضُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَأَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا عَمِلْنَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٩٣
 ﴿فَنَقَرُوا فَقَالَ نَسْتَوْفُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ تَكْلُوبٍ﴾ ٩٣
 ﴿فَنَمِيتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٧٨
 ﴿فَنَنْصِفُهُمْ مِّنْ بَيْتٍ مَا خَضَعَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قُرُونَهُ وَمَا عَدَىٰ﴾ ٩٨٧
 ﴿فَنَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِلَّا لَهْ جَنَّةَا لَزْلَىٰ وَحُسنَ مَابِ﴾ ٢٠٠
 ﴿فَنَفَرْتُ بِكُمْ لَمَّا جَعَلْتُكُمْ قَوْمِي فِي رَيْبِي حُكْمًا وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٥٠
 ﴿فَنَهَضْنَا سَلِيمَانُ وَكَذَلَا إِنَّا حُكْمًا وَجَعَلْنَا﴾ ١٤٠٨
 ﴿فَنَاقِلِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلُفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَخَرَصَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٩١
 ﴿فَنَاقَا﴾ ٩٨، ٢٠٤
 ﴿فَقَالَ أَبِشْرِي بِأَسْنَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٥٩
 ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَلَّيْتُ بِالْحَجَابِ﴾ ٢٠٥
 ﴿فَقَالَ رَبِّي إِنِّي لَمَّا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَفِرَّ﴾ ١٧٦، ١٤٧
 ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُنْدَةَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٠٣
 ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ ١٤٠
 ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ نَفْسِي﴾ ١٦٨
 ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَمْرِ الرُّسُلِ﴾ ١٦٩
 ﴿فَقَدْ أَتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ٢٠١
 ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ٦٤٩
 ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ١٦٢٣، ١٦١٣
 ﴿فَقَفَىٰ عَلَيْهِ﴾ ١٤٦
 ﴿فَقَضَّاهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَنَاءٍ أَمْرًا وَرَئِيسًا
 السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحُطَّاءَ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤٠
 ﴿فَضَلَّحَ دَابِرَ الْبَيْنِ ظُلُمًا وَالْحَمْدُ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٤٤١
 ﴿فَضَلَّحَ دَابِرَ الْقَوْمِ الْبَيْنِ ظُلُمًا وَالْحَمْدُ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩٧٦، ١٤٠٥، ١٤٢٤
 ﴿فَقُلْ تَتَّبِعُوا نَدْعَ إِبْرَاهِيمَ وَآبَاهُكُمْ وَرَبَّاهُمْ وَأَنفُسًا وَانْفُسَكُمْ﴾ ١١٨١
 ﴿فَقُلْ لَا تَقُولُوا لَنَا﴾ ١٥١

فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ الْبَلَاءُ رَأَىٰ حُوكِيًا قَالَن هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَن لَا أُجِيبُ
الْأَوَّلِينَ..... ٤٠

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ..... ١٣٤

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا بَصْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
أَمِينٌ. وَزَوَّجَهُ أَبُوهُ عَلَىٰ الْفَرَسِ وَخَرَّوْا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا
تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَوَدَّ أَحْسَنَ مِنِّي إِذْ أَخْرَجَنِي
مِنَ السُّجْنِ وَجَاءَ بِكَ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَرْغِبَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ
إِخْوَتِي إِنْ رُبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي
مِنَ الْمَلَكُوتِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ..... ١٣٣

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْغَرِيُّ سَمِعْنَا وَأَهْلْنَا النَّارَ..... ١٣٢

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْغَرِيُّ سَمِعْنَا وَأَهْلْنَا النَّارَ وَجِئْنَا بِضَاغَةِ مَرْجَانٍ
فَأَوْفَوْا لَنَا الْكَيْلَ وَصَلِّقْ عَلَيْنَا يَا إِلَهَ بَنِي إِسْرَءِيلَ الْمُصَدِّقِينَ. قَالَ هَلْ
عَلَيْكُمْ مَا فَتَلَّمُ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَتَيْتُم جَاهِلُونَ. قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ
يُوْسُفَ قَالَ آتَا يُوْسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِن بَنِي وَهْيَ وَهْيَ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي أُمَّةً الضَّالِّينَ. قَالُوا فَتَالَهُ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا
لَخَاطِلِينَ. قَالَ لَا تَزُيْهِمْ عَلَيْكَ الْيَوْمَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ. أَفَعَبْرَا بِمُوسَىٰ هَذَا فَاتَّبَعُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِي بَعِيرًا
وَأَتَوْنِي بِالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ..... ١٣٢

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشَرُ يَجْأَلُونَ فِي قَوْمِ لُوطَ..... ١١٤

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْزِلُوهُ فِي غِيَابِهِ الْبَيْتِ وَأَرْجَحْنَا إِلَيْهِ لَتَيْتَهُمْ
بِأَهْرِيمَ هَذَا وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ. وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَتَانَا
إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقَ وَتَرَكَهُ يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعٍ فَأَكَلَهُ الذِّبْ وَنَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ
لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَىٰ قِصَصِهِ بِمَكْرٍ لَهُمْ قَالَن بَلْ سَوَّغْتَ
لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَمَّا فَصَّرَ حَبْلُ وَاللَّهُ الْمُتَعَدِّلُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ..... ١٢٥

فَلَمَّا رَأَىٰ مُشْتَرَا بَعْدَهُ..... ٢٠٥

فَلَمَّا رَأَىٰ الشُّشْنَ بَارِعَةً..... ٩٧

فَلَمَّا رَأَىٰ الْغَمْرَ بَارِعًا قَالَن هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَن لِمَ يَهْدِينِ رَبِّي
لَا كُرْهُنَ مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا رَأَىٰ الشُّشْنَ بَارِعَةً قَالَن هَذَا رَبِّي هَذَا
أَخْبَرُ فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَن يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي
لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ..... ٤٠

فَلَمَّا رَأَىٰ قِصَّةً قَدْ مَرَّ مِنْ قَبْلِهِ أَنَّهُ كَانَ كَيْدُكَ عَظِيمًا..... ١٢٧

فَلَمَّا رَأَىٰ حَبِيبَةَ لَجَّةً وَكَتِفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَن إِنَّهُ مَرْغَبٌ مُّشْرُوعٌ مِّن قَوَارِيرَ
قَالَت رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَالسَّلَاطَتُ مَعَ سُلَيْطَانٍ لَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ..... ٢٠٥

فَلَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا قَالُوا آتَا اللَّهُ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمَّ بَكَ
بِعَمَلِهِمْ إِيَّاهُمْ لَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا..... ١٨٦٢

فَلَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا قَالُوا آتَا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمَّ بَكَ
بِعَمَلِهِمْ إِيَّاهُمْ لَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا سَمِعَ اللَّهُ الْيَوْمَ قَدْ خَلَّتْ فِي حَبْلِهِ وَخَسِرَ
هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ..... ٢٢٣٣

فَلَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا قَالُوا آتَا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمَّ بَكَ
بِعَمَلِهِمْ إِيَّاهُمْ لَمَّا رَأَىٰ بَأْسًا سَمِعَ اللَّهُ الْيَوْمَ قَدْ خَلَّتْ فِي حَبْلِهِ وَخَسِرَ
هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ..... ١٦١

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّسْتَقْبِلُنَا..... ٩١، ٩٠

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّسْتَقْبِلُنَا بَلْ هُوَ مَا
اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ..... ٨٩

فَلَمَّا رَأَوْهُ..... ٢٥٤

فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ..... ١٢٧

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهَمَ قَالُوا يَا أَبَتَانَا مِيعَ بِنَا الْكَيْلَ فَارْزُقْنَا مِنَّا أَحْسَنًا نَكْتَلُ
وَنَآ لَكَ لَخَافُونَ. قَالَ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَيْهَمَ مِنْ قَبْلِ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وَلَمَّا تَقَرَّرُوا شَاعَهُمْ وَجَدُوا
بِضَاعَتَهُمْ وَذُتْ إِيَّاهُمْ قَالُوا يَا أَبَتَانَا مَا تَجِبِي هَلْوَ بِضَاعَتَا وَذُتْ إِيَّانَا

وَتَجِبِي أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَحْسَنًا وَتَزِدُّهُ كُلُّ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ بَعِيرٍ. قَالَ لَن
أَرْزُقَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَوْتُونَ مَوْتَكُمْ مِّنَ اللَّهِ تِلْكَ آيَاتِي بِهِ إِلَّا أَنْ يَحْطَأَ بِكُمْ فَلَمَّا
أَتَوْهُ مُتَرَفِّعِينَ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُونَ وَكِيلٌ. وَقَالَ يَا نَبِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن
بَابِ رِجَالِهِ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابِ مُّشْرَقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ قَلْبُوكُمُ الشُّرَكَاءُ. وَلَمَّا دَخَلُوا
مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ يُوسُفَ مَا كَانَ يَنْصِي عَنْهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً
فِي نَفْسٍ يَنْغُوبُ نَفْسَانَا وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٌ لَّنَا عَلَيْنَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ..... ١٣١

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ..... ١٢٧

فَلَمَّا عَوَّا عَنْ مَا تَوَارَا عَنْهُ فَلَمَّ لَهُمْ كَرُونَا قِرْفَةً حَامِيَةً..... ٢٥٥

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ..... ١٤٨٤

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
بِمِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَلْعَقْهُ فَلَاحَ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ..... ١٩٧

فَلَمَّا قَسَىٰ رَيْدُهَا وَطَرَأَ وَرُجَّتْهَا..... ١٠٧٤، ٥٨٥

فَلَمَّا قَسَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ..... ١٤٨

فَلَمَّا قَسَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَخِيهِ
اسْكُرُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَوَارٍ مِّنَ النَّارِ فَتَلَكَّمُ
تَضَلُّوْنَ. فَلَمَّا اتَّفَقَا نَادَىٰ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ
مِنَ الشَّجَرَةِ أَنَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَأَنَّ الْفَى عَسَاكَ فَلَمَّا
رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَالِدٌ وَلَّى مُّسْتَوْبِرًا وَلَمْ يَلْعَقْ بِمَا مُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ
إِنَّكَ مِن الْآيِينَ. اسْلُكْ يَهْدَكَ فِي حَيْثُ تَخْرُجُ تَيْفَعُهُ مِنْ غَيْرِ سُرَّةٍ
وَأَعِضْهُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ يَرْهَافَانِ مِن رَّبِّكَ إِنِّي يُرْغَوْنُ
وَتَلَوَّىٰ لَهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ..... ١٤٨

فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَرْوَةِ إِلَّا ذَلِيلَةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن ثَمَرِهِ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِبَانُ أَن لُّزْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ..... ٢٠٨

فَلَمَّا كَذَّبَ عَلَيْهِمُ الْفِتَانَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ..... ١٩٧

فَلَمَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَاتِ إِنَّا لَمْ نَحْكُمَنَّ..... ١٥٨

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ..... ٢٥٥

فَلَمَّا وَصَّيْنَاهَا قَالَت رَبِّ إِنِّي وَصَّيْتُهَا أَنَّى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّيْتُ..... ٢٢١

فَلَمَّا أَرَبَ الْأَرْضَ..... ١٣٢

فَلَمَّا أَكَلْتُ الْيَوْمَ نِسَاءً..... ٢٢٧

فَلَمَّا أَكْرَمَ طَعَامًا لِلْمُجْرِمِينَ..... ١٤٦

فَلَمَّا تَضَلَّحَ لَهُ ظِلًّا..... ٢٥٤

فَلَمَّا يَنْهَضُ بِجَنُودِهِ إِلَىٰ قِيلَ لَهُمْ بَيِّنَا..... ٢٠٤

فَلَمَّا سَأَلْنَا الَّذِينَ أُورْسِلَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَرْسَلُوا مَعَهُمْ رُسُلَهُمْ..... ٣٨١

فَلَمَّا سَأَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَتَلَايَتُهُمْ مِّنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ..... ٢٥٣

فَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُ كَانَ..... ١٤٢

فَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحْيِينَ. لَلَّتْ فِي طَبْعِهِ إِلَىٰ يَوْمٍ يَتَبَوَّأ..... ١٤٢

فَلَمَّا رَأَىٰ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتَهُ..... ١٧٢

فَلَمَّا رَأَىٰ قُرْبَةَ قُرْبَةٍ أَتَتْ قَضَمَتَا إِيَّاهُمَا..... ١٤١

فَلَمَّا رَأَىٰ قُرْبَةَ قُرْبَةٍ أَتَتْ قَضَمَتَا إِيَّاهُمَا إِلَّا قَوْمَ يُوْسُفَ لَمَّا أَتَوْا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُفْثَانَهُمْ إِلَىٰ حَبْنٍ..... ١٤١

فَلَمَّا يَنْهَضُ بِجَنُودِهِ..... ٢٥٢

فَلَمَّا يَنْهَضُ بِجَنُودِهِ..... ٣٨٣

فَلَمَّا يَنْهَضُ بِجَنُودِهِ..... ٢٥٢

فَلَمَّا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خُرُوجِهِ مِّن فِرْعَوْنَ وَتَلْفَيْهِمْ أَن
يَتَّبِعُهُمْ وَلَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا تُقَاتِلَ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ..... ١٥٩

فَلَمَّا اسْتَطَاعُوا أَن يَظْهَرُوا..... ٢٤٨

فَلَمَّا اسْتَطَاعُوا أَن يَظْهَرُوا وَتَمَّ اسْتِطَاعُهُمْ لَهَ قَبِيًّا..... ٢٥٠

فَلَمَّا بَلَ الْفُرُونَ الْأُولَى..... ١٥٢

١٧٣..... تَرْهِيْبِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا.
 ١٩٧..... قَالَ إِنَّ اللَّهَ اسْتَطَاعَ عَلَيْكُمْ ذَوَاتَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ.
 ٧٩..... قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ.
 ١٥٠..... قَالَ إِنْ زُرْتُمْ لَكُمْ الْيَوْمَ أَرْسَلُ إِلَيْكُمْ لَجْنَتُونَ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ.
 ١٧٣..... قَالَ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي. قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُتُورًا. فَأَتْلُوكَ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُ الْقُرَى اسْتَطَاعَ أَهْلُهَا فَأَيُّهَا أَنْ يَصْغُرَ هُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ.
 ١٧٣..... قَالَ إِنَّكَ كَنْ تَسْطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا.
 ١٣٠..... قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا بِكَفٍّ أَمِينٌ.
 ١٣٢..... قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.
 ٢٢٥..... قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ.
 ١٧٩..... قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي.
 ١٧٢..... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلَّزُ ثَمَرُ الْأَرْضِ وَلَا تَكَلَّمُ إِلَّا تَكَلَّمَ مَسْمُوعَةً لَأُتَى فِيهَا قَالُوا أَلَا جَنَّتْ بَلْعَثُ قَدْبَحَرْنَا وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ.
 ١٧٢..... قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِإِخْدَى ابْتَنِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَبَّحِمْ فَلَنْ أُنْفِتْ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.
 ٥٩..... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.
 ٢٢٧..... قَالَ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ.
 ٢٢٧..... قَالَ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي بَارِكًا آيِنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا كُنْتُ حَيًّا.
 ١٧٣..... قَالَ أَهْلًا بِهَا جِئْتُمُ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ.
 ١٧٣..... قَالَ ابْعُدُوا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَعَرَضٌ إِلَى حِينٍ.
 ١٧٣..... قَالَ أَرْسَلْنَاهُمْ.
 ٢٥٥..... قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ.
 ١٧٧..... قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ.
 ١٥٣..... قَالَ بَلِ الْآخِرُ.
 ١٧٣..... قَالَ بَلِ رَيْبُكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.
 ٩٨..... قَالَ بَلِ سَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ خَيْلَ اللَّهِ الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَمْعُرُونَ.
 ٢٣٧..... قَالَ الْخَرَابِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ.
 ١٤٩..... قَالَ خَلَدُوا وَلَا تَخَفْ سَتُعَلِّمُنَا مِيرَاثَهُ الْأَوَّلَى.
 ١٧٣..... قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبُغِ قَارِئُكَ عَلَى أَعْيُنِنَا قَصَصًا.
 ٢١٨..... قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً.
 ١٦٩..... قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي وَالْآخِي وَالْآخِي فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.
 ١٧٣..... قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي وَعَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي أَنْتَ أَعْلَمُ.
 ٢٢٠، ٢٢١..... الْوَهَّابِ.
 ١٧٣..... قَالَ رَبِّ إِنْ قُرَيْشٌ كَفَرُوا بِكَ فَقُلْ نَبِيٌّ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ.
 ٧٩..... قَالَ رَبِّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ.
 ٢١٧..... عَيْنًا.
 ٨٨، ٧٩..... قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ.
 ٨٠..... قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ. قَارِئُكَ إِلَيْهِ أَنْ اسْتَعِثَّ الْفُلُكُ بِأَمْنَيْنِ وَوَحْيًا.
 ١٧٣..... قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَعِظْ أَنْ يَقْتُلُونَ. وَالْحَيُّ قَارِئُكَ هُوَ أَصْحَبُ بَيْتِي لِسَانًا قَارِئُكَ مَعِي رَدَّهُ يَصْنَعُنِي إِلَى إِحْسَانٍ أَنْ يَكْفُرُونَ.
 ١٤٩..... قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَعِظْ أَنْ يَقْتُلُونَ. وَالْحَيُّ قَارِئُكَ هُوَ أَصْحَبُ بَيْتِي لِسَانًا قَارِئُكَ مَعِي رَدَّهُ يَصْنَعُنِي إِلَى إِحْسَانٍ أَنْ يَكْفُرُونَ. قَالَ سَتَشَدُّ عَضْلُكَ بِأَعْيُنٍ وَتَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَمْلِكُونَ إِلَيْكُمْ بَابَيْنَا أَنْشَأَ

بصاحب وحفظ ذلك تغيير العزيز العظيم..... ٣٧، ٣١
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْبَحَ مَاكُمْ غَوْرًا فَمِنْ بَيْنِكُمْ هَاهُمْ مَعِينٌ..... ١٦١٧
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّيْتُمْ بِهِ مِنْ أَهْلِ يَمِينَ شَرْ فِي شِقَاقِ
 حَبِيبٍ سَرَّيْهِمْ أَهْلًا فِي الْأَقَافِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ جَنَى يَتَّبِعُونَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
 أَرَأَيْتُمْ يَخْضَرُونَ بِرَبِّكَ أَهْلًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ..... ٨٩٦
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ بِرَبِّ الْفُلُوكِ..... ٨٥٢
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ بِرَبِّ النَّاسِ..... ٨٥٢
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكُ النَّاسِ إِلَهُ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاسِ
 الَّذِي يُؤْمِنُونَ فِي صُفُوفِ النَّاسِ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ..... ٥٢
 ﴿قُلْ أَنْتَ اللَّهُ تَأْتُرُونِي أَتَبَدُّ إِلَيْهَا الْجَائِلُونَ..... ٩١٣
 ﴿قُلْ اللَّهُ..... ١٧٢٨
 ﴿قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ دُونِهِ..... ٢٥٣
 ﴿قُلْ اللَّهُ تَالِكُ الْمَلِكِ..... ١٩٣٥
 ﴿قُلْ اللَّهُ تَالِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ..... ١٩٦٩، ١٥٧٥
 ﴿قُلْ اللَّهُ مَالِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ
 تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ مِنْ تَشَاءُ يَتَكَلَّمُ الْخَيْرُ عَلَيْكَ كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ..... ١٨٢٧، ١٨٩٧، ٢٠٤١
 ﴿قُلْ اللَّهُ تَالِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ
 مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ مِنْ تَشَاءُ يَتَكَلَّمُ الْخَيْرُ عَلَيْكَ كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ تَوَلَّجَ
 اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرِجُ الْخَبْرَ مِنَ الْخَبْرِ
 وَتَخْرِجُ الْخَبْرَ مِنَ الْخَبْرِ وَتَزِيدُ مِنْ تَشَاءُ بَعْدَ حَسْبٍ..... ٢٩
 ﴿قُلْ اللَّهُ تَالِكُ الْمَلِكِ وَتَتَرَعَّ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ مِنْ تَشَاءُ وَتَتَرَعَّ
 يَتَكَلَّمُ الْخَيْرُ عَلَيْكَ كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ..... ١٤٨٤
 ﴿قُلْ إِنْ أَلَيْكَ إِلَّا الْفُلُوكُ عَلَى اللَّهِ الْكَوْكَبُ لَا يَلْجَأُونَ شَيْءًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا
 مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِخُ فِي الصُّفُوفِ الشَّيْءَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ..... ٢٣٢
 ﴿قُلْ إِنْ خِلْتُمْ فَلَمَّا أُهْلِلَ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَمْنَيْتُمْ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
 سَيُحْيِي قَوْمًا..... ١٣٥٨
 ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ..... ١٤٠٠
 ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَلَا أَرَأَى الْغَافِلِينَ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَظِيمٌ..... ٢٣٢
 ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدُّنْيَا الْآخِرَةَ وَبِذَلِكَ خَلِيقَتُمْ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
 الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَمُنُّوا أَبَدًا بِمَا قُلْتُمْ أَنْبِئِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 بِالظَّالِمِينَ..... ٩٤٧
 ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ..... ٩٩٥
 ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُخْلِفُ الْوَسْطَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا..... ٨٩٥
 ﴿قُلْ الْأَخْيَارُ لِلَّهِ وَالرُّشُودُ لِلْغَايَةِ وَاللَّهُ وَأَصْلُهُمَا فَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ..... ٤٩٩
 ﴿قُلْ إِنِّي خَلَقْتُ نَفْسِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَسَمًا لِرَبِّهِمْ خُفْيَا وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلْ
 الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَتِلْكَ آيَاتُ الْوَحْيِ وَأَنَا الْوَحْيُ الْمُسْلِمِينَ..... ١٠٩
 ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنْتُمْ قَوْمٌ مِنَ الْجَنَّةِ..... ٣٧٢
 ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنْتُمْ قَوْمٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَالُوا إِنْ سَمِعْنَا فَتَرَاءَ عَجَبًا يَهْدِي
 إِلَى الرُّشْدِ فَآتَا بِمَا وَكُنْ تَشْرِكُ بِرَبِّكَ أَهْلًا..... ٣٤٣
 ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنْتُمْ قَوْمٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَالُوا إِنْ سَمِعْنَا فَتَرَاءَ عَجَبًا يَهْدِي
 إِلَى الرُّشْدِ فَآتَا بِمَا وَكُنْ تَشْرِكُ بِرَبِّكَ أَهْلًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
 صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ خُفْيَا عَلَى اللَّهِ شَهِيدًا وَأَنَا عَشَاءُ أَنْ
 لَنْ يَفُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَلْبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ
 يَعْرِضُونَ بِبُحَالٍ مِنَ الْجَنَّةِ فَرَفَعَهُمْ رَفْعًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كُنَّا نَقُصُّهُمْ أَنْ لَنْ
 يَبْنِيَهُ اللَّهُ أَهْلًا وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدناها نُفُوسًا حَرَسًا شَدِيدًا

وَشَدِيدًا وَأَنَا كَمَا تَقَعَّدَ بَيْنَهَا مَقَاعِدَ لِلشَّيْءِ فَتَنْتَبِهُ الْإِنْسُ بِجَدِّ لَهُ خُفْيَا
 رُشْدًا وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَلْبَةٍ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرْثَا بِهِمْ وَكُنْهُمْ وَشَدِيدًا
 وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَيْنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقًا وَشَدِيدًا وَأَنَا عَشَاءُ أَنْ لَنْ
 نُنَجِّ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُنَجِّهِ قَرِيبًا وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْفُلُوكَ أَتَانَا بِهِ
 فَتَنْتَبِهُ بَيْنَهُمْ فَلَا يَخَافُ بَعْضًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَا بَيْنَا الْقُسُطُونَ وَبَيْنَا
 الْقَاسِطُونَ فَتَنْتَبِهُ فَتَأْتِيكَ تَحَرُّوًا وَشَدِيدًا وَأَنَا الْقَاسِطُونَ تَكَافَرُوا
 لِيَجْهَنَّمَ حَقًّا وَأَلْقُوا اسْتَفْهَمُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَا سَمْعَانَهُمْ شَاءَ عَقْلًا لِيَفْتَنَّهُمْ
 فِيهِ وَمَنْ يَخْرُجْ عَنْ وَكْرٍ رُبُّهُ يَتَكَلَّمُ عَقْلًا صَدَقًا..... ٥١
 ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً عَلَى اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَى إِلَيَّ عِلْمُ الْقُرْآنِ
 لَا تَدْرِكُكُمْ بِهِ وَمَنْ يَبْلُغْ..... ٨٩٦
 ﴿قُلْ تَسْأَلُونَ أَهْلًا مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَا مَعْزُومِينَ
 إِحْسَانًا..... ٤٢٩
 ﴿قُلْ تَسْأَلُونَ أَهْلًا مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَا مَعْزُومِينَ إِحْسَانًا
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِسْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّكُمْ وَإِنَّكُمْ وَإِنَّكُمْ
 الْفَرَاخِينَ مَا عَقَرْنَا مِنْهَا وَمَا يَطْرُقُ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الْبَنِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
 بِالْخَنِّ فَلَكُمْ وَصَاكُمُ يَوْمَ تَقُولُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
 فِي أَحْسَنِ حَقٍّ يَتْلُو أَشَدُّ وَأَرْوَأُ الْكَيْلِ وَالْيَتِيمَ بِالْإِقْبَاسِ لَا تَكْلَفْ
 نَفْسًا إِلَّا وَشَعْنَهَا رَافِقًا قَلَمٌ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَيَعْبُدُوا اللَّهَ أَرْوَأُ
 فَلَكُمْ وَصَاكُمُ يَوْمَ تَقُولُونَ..... ١٦٦
 ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدْعَى بِإِلَهِ الْبَاطِلِ وَمَا يُعْبَدُ..... ١٣٢٠
 ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادِهِمْ..... ٢٥٢
 ﴿قُلْ سَأُنَبِّئُكُمْ عَنْ دُونِهَا..... ٢٤٧
 ﴿قُلْ قَاتِلُوا الْبُورُوقَ فَاتَّقُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ..... ٢٦٩
 ﴿قُلْ كُونُوا حِجَابًا أَوْ حِجَابًا لَوْ خَلَقْنَا مَا تَكْفُرُ فِي صُفُوفِهِمْ..... ٩٩٩
 ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى أَعْرَافٍ إِلَّا الْوُفُوءُ فِي الْقُرْآنِ..... ١٤٨٣
 ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ وَالْجَلْبُوتُ وَقَدْ أُنْزِلَتْ كِتَابًا كَثِيرًا الْغَيْثُ..... ١١٨
 ﴿قُلْ لَيْسَ الْإِسْلَامُ إِلَّا الْإِسْلَامُ وَالْجَنَّةُ عَلَى أَنْ تَأْتُوا بِشَيْءٍ خِلَافَ الْقُرْآنِ لَا يَقُولُونَ
 بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ يُفْضِلُ الْغَيْثَ طَهْرًا..... ٩٥٠، ٨٩٥
 ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعِيرٌ يُخْتَضَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَسْتَوِي فِيهَا قَدْ كَانَ
 لَكُمْ آيَةٌ فِي يَتِيمِ الْغَنَاءِ..... ٥٢٠
 ﴿قُلْ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَتَاعٌ حَشَوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَرْوَاحِ شَدِيدًا فَتَقَطُّوهُمْ
 أَوْ يُقْسِلُون..... ٩٥١
 ﴿قُلْ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَتَاعٌ حَشَوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَرْوَاحِ شَدِيدًا فَتَقَطُّوهُمْ
 أَوْ يُقْسِلُون فَلَنْ تَطْفِرُوا مِنْكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ حَسْبًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كُنَّا نَقُصُّكُمْ مِنْ
 قَبْلِ يَمْنُوكُمْ عَقْلًا الْيَمَّا..... ١٨٥
 ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مِنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ..... ٤٧٦
 ﴿قُلْ مَنْ أَرْزَقَ الْكَلْبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهَدَى النَّاسَ فَجَعَلُونَهُ
 قُرَاطِينَ يُكُونُهَا وَيَخْفُونَ كِبَرًا..... ٢٦٩
 ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ..... ١٣٩٣، ١١٥٣
 ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ..... ٩٤٦
 ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْنَعْهُ الرَّحْمَنُ مَتَاعًا..... ٩٤٧
 ﴿قُلْ عَلَّ تَبَيَّنَكُمْ بِالْأَخْصَرِينَ أَهْلًا الَّذِينَ عَسَلُ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَمَنْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صَدَقًا..... ١١١٢
 ﴿قُلْ عَلَّ تَبَيَّنَكُمْ بِالْأَخْصَرِينَ أَهْلًا الَّذِينَ عَسَلُ سَمْعُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ
 يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صَدَقًا..... ١١٥٥
 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ..... ١٧٢٢، ٩٣٥، ٩٣٥، ٧٦٤، ٦٩٦
 ٢٠٩٩، ١٩٨٠، ١٦٦٧، ١٦٤٠، ١٥٧٢
 ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ أَمْ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُفُولًا أَحَدٌ..... ٢٢٩٩، ٢٢٩٢
 ٢٢١٦، ٢٢٢٢
 ﴿قُلْ هُوَ رَبِّيَ عَظِيمٌ أَنشَأَ عَنْهُ شُرَعُونَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِمَا لَمْ يَأْتِ الْأَعْلَى إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَا لَا تَعْلَمُ شَيْئًا إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ

مُرْعَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشُدُ أَنْ تُصِيبَنَا قَارِعَةٌ فَتَمْسِي اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَهُمُ الْفَتْحُ أَوْ أَمْرٌ مِنْ عِنْدِهِ يُصِيبُهُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِينَ.
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَأَسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ إِيْمَانَهُمْ إِنْهُمْ
لَمْ تَكُنْ حِطَّتْ أَصْحَابُهُمْ فَاصْبِرُوا خَاسِرِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
بِكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُبَيِّهُهُمْ وَيَجْعِلَ لَهُمْ دِينَهُمْ
الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
زَاكِيُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا وَبَكُمْ حُزُورًا وَلَبِيسًا
مِنْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَكْثَرُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ. وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا حُزُورًا وَلَبِيسًا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْقِلُونَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ خُلُّ تَعْمُونَ بِنَا إِلَّا أَنْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِنَّمَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاصْبِرُوا. قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ
ذَلِكَ ثَوْبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ
وَالْخَوَارِيزَ وَجَعَلَ الطَّافُوتَ أَرْبَعًا شَرِّ مَكَانًا وَأَهْلًا مِنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.
وَإِذَا جَاءَ زُلْزُلُكُمْ فَالْقُوا أَسْفَلَ وَفَدَّ خَلُّوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرُّوا بِمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ. وَتَرَى كَيْبَرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِسْمِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَأَكْثَرَهُمُ السَّخْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. لَوْلَا بَنَاهُمُ الرَّاكِبُونَ وَالْأَخْبَارُ
عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِسْمُ وَأَكْثَرَهُمُ السَّخْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. وَقَالَتِ
الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَايُهَا مَبْسُوطَتَانِ
يُخَوِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ وَيُزِيدُ كَيْفَ يَشَاءُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا
وَكُفْرًا وَالْقَالِيَةُ يَنْهَكُمُ الْمَدَاوَةُ وَالْإِفْهَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّكُمْ أَرْسَدُوا نَارًا
لِلْخَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَتَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ فسادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ. وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا لَهُمْ سَيِّدَاتٍ
وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ مِنْ دِينِهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِمَّنْ اللَّهُ مُقْتَصِدَةٌ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَأَنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّائِرِينَ مِنْ أَمْرِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلًّا جَاهَهُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ
فَرِحُوا كَلْبًا وَفَرِحُوا بِمَقْتُلِهِمْ. وَخَشِيبُوا الْأَنْبَاءَ فَتَنَّا قَوْمَهُمْ وَصَنَعُوا أَسْمَ
نَافِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَنَعُوا كَيْدًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَفْعَلُونَ.
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثَةٌ وَمَنْ يَرْجُ إِلَى إِلَهٍ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا وَإِنْ لَمْ يَتَّخِذُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَكُنْ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ. مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
وَأَلَّهُ صَدِيقَةٌ كَانُوا يَكْفُرُونَ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ يُصْنَعُ لَهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى
يُؤْتَمَرُونَ.....

٢٢١

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ.....

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ يَرْجُ إِلَى إِلَهٍ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا.....

لَقَدْ لَبِثْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا.....

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِنَ كَثِيرَةٍ وَوَهَبَ حِينَ إِذْ أَجَبْتَكُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تَغْنِ
عَنْكُمْ شَيْئًا وَهَاضَمَ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ
أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُسُودًا لَمْ تَرَوْهَا

٢٢١

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ.....

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ يَرْجُ إِلَى إِلَهٍ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا.....

لَقَدْ لَبِثْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا.....

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِنَ كَثِيرَةٍ وَوَهَبَ حِينَ إِذْ أَجَبْتَكُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تَغْنِ
عَنْكُمْ شَيْئًا وَهَاضَمَ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ
أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُسُودًا لَمْ تَرَوْهَا

٢٢١

وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلَّلَ جُزَاءَ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يُتَوَلَّى اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.....

٦٦٧

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.....

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ نَسْكًَا مِمَّنْ نَسِكَوهُ.....

لِكُلِّ جَهَنَّمَ بَنِيكُمْ فِرْعَانٌ وَمِنْهَا جَاهُ.....

لَكُمْ آيَةٌ.....

لَكُنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي.....

وَلَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ.....

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ.....

فَ هَلْ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ.....

لَمْ يَنْظُرُوا قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَزْمًا مُدْبِرُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا.....

لَمْ يَنْتَه.....

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَعَمِّدِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ.....

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَعَمِّدِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ. وَرَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ.....

لَمْ يَلِدْ.....

لَنَا أَنْبَاءُ.....

لِيُجِيبَ هَذَا لِقَوْلِ الْعَامِلِينَ.....

لِنَسْجِدَ أَسْأَلُ عَلَى الْغُفْرِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ.....

لِنَسْجِدَ أَسْأَلُ عَلَى الْغُفْرِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ وَفِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يُطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

لِيَمُنَّ حَوْلَهُ.....

- ١٥٢ ﴿مُرْعِدَكُمْ يَوْمَ الرِّثْيَةِ﴾.
- ٩٨ ﴿مُرْعِدَكُمْ يَوْمَ الرِّثْيَةِ وَأَنْ يُخْشِرَ النَّاسُ خُشْيَ﴾.
- ٣٢ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.
- ٣٧٠ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِمُحْنُونَ رَيْكَ بِمُحْنُونَ﴾.
- ٩٨٩ ، ٨٧٩ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِمُحْنُونَ رَيْكَ بِمُحْنُونَ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَسْنُونٍ. وَكَذَلِكَ لَمَّا خَلَقَ عَظِيمٌ﴾.
- ١١٥ ﴿النَّبِيِّ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.
- ٩٢ ﴿النَّجْمِ﴾.
- ١٢٢ ، ٢٤٦ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.
- ١٣٠ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا ضَلَطْنَا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.
- ٢٥١ ﴿نَسِيًّا شَيْئًا﴾.
- ٢٢٦ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُنْفِخُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٢٠٥ ﴿وَيَسْمِعُ الْغُلَامَ إِذَا أَبَى﴾.
- ٤٨٨ ﴿نُكْصِنَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَىٰ مَا لَا تَزُونَ﴾.
- ١٧٠٢ ، ٢٣٢ ﴿نُتَنِّمُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.
- ٢٠٥ ﴿نُظَرُّ أَهْلَهُنَّ أَمْ كُنَّ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَكُنَّ عَزَّاشًا قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.
- ٩٤٨ ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾.
- ٢٢٦ ﴿هَذَا عَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾.
- ٩٣ ﴿هَلِوَهُ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.
- ١٤٠٤ ، ١٤٠١ ﴿مُبَىٰ لِي مُكَلًّا لَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ مِنْ بَنِيهِ﴾.
- ٢١٨ ﴿مُبَىٰ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذِمَّةٌ طَيِّبَةٌ﴾.
- ٢٠٨ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
- ١٤٦ ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾.
- ١٧٦ ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾.
- ١٤٦ ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ فَفَعَلَهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْنَيْتَ عَلَيَّ﴾.
- ٦٩ ﴿هَذَا نُفُورٌ مِنَ النَّفَرِ الْأَوَّلَى﴾.
- ١١٩٠ ، ١١٢٨ ، ٤٨٥ ﴿هَذَا خُصْمَانِ اتَّخَذْتُمَا فِي رُبِّهِمْ﴾.
- ٢٢٠١ ﴿هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رَفَّتْ إِلَيْنَا﴾.
- ٨٤٨ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.
- ١٠٦ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَأَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَتَشْرُوهُ بَغْلَامٌ عَلِيمٌ. فَأَتَيْنَهُ الْمُرَاةُ فِي صَوْتٍ فَنَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتَ عَجْزٌ عَقِيمٌ. قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.
- ١٨٨ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ نَمُنَّ بِمَا عَلَّمْتُمْ رُسُلًا. قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيفَ نُصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا. قَالَ تَسْجُدُ لِلَّهِ مَا لَمْ تُخِشْ صَابِرًا وَلَا أَهْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنَّ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَسَىٰ أَخْبَرْتُ لَكَ مِنْهُ وَكُفْرًا﴾.
- ٦٢ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.
- ١٤٥ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ أَعْمَلٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ لَعَنَهُمْ وَهُمْ لَا يَأْسِفُونَ﴾.
- ١٣٥٧ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ أَعْمَلٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ لَعَنَهُمْ وَهُمْ لَا يَأْسِفُونَ﴾.
- ٨٩٩ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَىٰ أَعْمَلٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ لَعَنَهُمْ وَهُمْ لَا يَأْسِفُونَ﴾.
- ١٤٩٥ ، ١٠٠٧ ﴿هَلْ تَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَنْ تَسْنَعَ لَهُمْ كُفْرًا﴾.
- ١٩٧٨ ﴿هَلْ تَمْلِكُ لَهُ سَيْفًا﴾.
- ١٩٨٠ ﴿سُلَيْمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِلَاتٍ تَأْتِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَابِحَاتٍ نِيَّاتٍ وَابْكَارًا﴾.
- ١٧٢ ﴿سُوءَتُهُ﴾.
- ١١٦ ﴿سُوءَتُهُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ٢٥٤ ﴿نُصِيبِينَ﴾.
- ٢٢٦ ﴿نُصِدْقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾.
- ٤٤ ﴿نُطَاعٌ ثُمَّ﴾.
- ٨٠٦ ﴿نُزْجَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رِيفًا﴾.
- ١٢٦ ﴿نَمَازَ اللَّهِ إِلَهَ رَبِّي﴾.
- ٢٥٥ ﴿مُعْتَدَةً إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.
- ٧١٩ ﴿الْمُعْضَرِبِ عَلَيْهِمْ﴾.
- ١٠٧ ﴿مُتَّامٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾.
- ١٠٧ ﴿مُتَّكَانَ الْبَيْتِ﴾.
- ٢٥٦ ﴿الْعَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ مِنْ يَغْدُو مُوسَىٰ﴾.
- ١٧٤ ﴿إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ شَيْءٍ غَصْبًا﴾.
- ٢٥٤ ﴿الْمَلَكُ يُؤْتِيهِ الْخَبْرَ لَمَّا حَضَرَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَصِيرًا﴾.
- ٨١ ، ٧٩ ﴿يَوْمًا خَطِيبَتُهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدَّاهُمَا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا. وَقَالَ نُرُوحُ رَبِّي لَا تَنْزِلْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دُبَّارًا. إِنَّكَ إِنْ تَنْزِلْهُمْ يُضِلُّوهُ عِبَادَتَكَ وَلَا يُلْجِئُوا إِلَّا إِلَىٰ فُجْأٍ كَثِيرًا﴾.
- ١٣٤ ﴿مِنْ يَغْدُو أَنْ نُرْجَ الشَّيْطَانُ نَبِيًّا وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.
- ٣٩٥ ﴿مِنْ يَغْدُو اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.
- ٢٢٦ ﴿مِنْ نَحْبِهَا﴾.
- ٦٧ ﴿مِنْ مَصَلِّاتٍ كَالْفَخَّارِ﴾.
- ٥٧ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- ٤٦ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾.
- ٤٣ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.
- ٤٣ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَدْ جَاءَ بِإِيمَانٍ وَلَكِنْ مِنْ شَرِّ الْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
- ٣٩٠ ﴿مَنْ كُلُّ مَنَكُورٍ﴾.
- ١٥٥ ﴿مَنْ كُلُّ مَنَكُورٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.
- ١٥٥ ﴿مَنْ مَارِجٌ مِنْ نَارٍ﴾.
- ٥٠ ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَجَاءَلْ صَدَقَاتُ مَا عَامَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.
- ٥٣٩ ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَجَاءَلْ صَدَقَاتُ مَا عَامَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَيَنْقَضِي نَحْبُهُ وَهُمْ مِنْ تَتَطَّرُ وَمَا يَدَّبُّوا تَبْدِيلًا﴾.
- ٥٣٣ ﴿مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾.
- ١٤٢ ﴿مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾.
- ٩٢ ﴿مِنْ بَنِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِمْ﴾.
- ١١٩ ﴿مَنْ يَنْجِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.
- ٩٩٢ ﴿مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَمَدِّدًا فَجَزَاءُ لَهْ فِيهَا وَعُصْبٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ رَاعِدُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.
- ١٣٣٤ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا﴾.
- ١٠١٢ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ أَهْقًا وَهُمْ يَقُولُونَ﴾.
- ٢٥١ ﴿مُضْطَرُونَ﴾.
- ١١٦ ﴿مُنِيعٌ بِنَا الْكُلِّ﴾.
- ١٣١ ﴿وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الدُّنْيَا وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الْآخِرَةِ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.
- ٥٣٧ ﴿وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الدُّنْيَا وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الْآخِرَةِ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.
- ١٥٢ ﴿وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الدُّنْيَا وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الْآخِرَةِ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.
- ٥٨ ﴿وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الدُّنْيَا وَيَكُنْ مِنْ يَوْمِ الْآخِرَةِ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.
- ١٤٤ ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾.

أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ مَا لَكَ الْأَنْتَ كُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْخُدَ لِمِشْرَ خَلْقَةٍ مِنْ صَلَافِ مَنْ حَمَلْنَا نُسُوهُنَ. قَالَ فَاعْرِضْ بِهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ. وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿١١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ فَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ السَّاجِدِينَ ﴿١٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لَسَجْدَةٍ إِشْرَ خَلَقْتَهُ مِّن صَلْصَلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿١٦﴾ قَالَ فَارْجِعْ فِيهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٧﴾ وَإِن عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يَتَّبِعُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الزَّمَانِ الْمُعْلَمِ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُضِي لِأَرْضِي لَهْم يِي الْأَرْضِ وَالْأَنْهَارِ أَهْمُ الْخَمِينِ ﴿٢٢﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمُوتَ الْمُخْلِطِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٤﴾ إِنِّي عَايِدُنِي لَيْسَ لَكَ لَهُمْ شُلُوكَ إِلَّا مَن انشَكَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِن خُيِّرْتُم بَٰعُوهُمْ أَجْتَعِينَ ﴿٢٦﴾ لَهُمَا سَبْعَةُ آبَائٍ لِّكُلِّ بَٰسٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ ﴿٢٧﴾

﴿مُفْسَّرٌ﴾
 ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ٣٤٣، ٣٤٤
 ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَبَشِيرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا
 جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَى السَّوْءِ
 النَّكَبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. يُرِيدُونَ
 لِيُظْلَمُوا بِزُلْمٍ زُلْمٍ نَرَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي
 أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَفِي الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُشْرِكُونَ﴾ ٢٣٧

[illegible]

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رِثَكَ يَسِينَ لَنَا مَا هِيَ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ظَئِرَ لَهَا فَارِغَ وَلا بَطْنَ عَرَانٍ يَسِينَ ذَلِكَ فَاغْلُظُوا مَا
تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رِثَكَ يَسِينَ لَنَا مَا لَوْهَذَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقِحٌ لَوْهَذَا تَسْرُ الطَّائِلِينَ. قَالُوا ادْعُ لَنَا رِثَكَ يَسِينَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ
الْبَقَرَ شَبَهِةٌ عَلَيَّهَا وَتَانِ إِذَا شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا
ذَلُولَ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَتَأْكُلُ الْخَرَّتَ مُسْلَمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ
جِئْنَا بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّأَرْتُمْ فِيهَا
وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَكْتُمُونَ. قَتَلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاكُمْ فَبَعَثَ اللَّهُ الْجَانَّ لِلْمَوْتِ
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

الْمَوْتَى وَرَبِّكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾
 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا لِمَا خَلَقَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ
 رَزَقْنَاهُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ كَفَرُوا فَآتَاهُمْ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتَ فِيهَا زُكُوتًا كَثِيرًا
 وَجَعَلَ فِيهَا أَشْجَارًا ذَاتَ طَلْحٍ قَبِيلًا ﴿١٧٣﴾ وَتَوَلَّى وَجْهَكَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنتَ تُصَلِّيُهَا
 فَبَدَّلَ بِهَا مَدِيْنَةً تَبْذُلُونَ فِيهَا مِنْ ذَرْبِهَا خَمْسِينَ مِائَةً وَتَبَوَّأَ فِيهَا عِشْرَةً مِنَ آلِ
 مُوسَى فَأُخْرِجُوا مِنْهَا قَدْ أَجْلَوْا ﴿١٧٤﴾ وَتَلَا فِيهَا آيَ الْكُرْآنِ وَالْجُبَّارِ الْوَعْدِ الْوَعْدِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٥﴾ وَتَلَا فِيهَا آيَ الْكُرْآنِ وَالْجُبَّارِ الْوَعْدِ الْوَعْدِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
 ﴿١٧٦﴾﴾

١٦٤ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦٤﴾
 وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ثَوْباً
 إِلَى بَارِكُمْ فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ فَلَئِنْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ لَنَقَابَكُمْ فَقَاباً عَلَيْهِمْ إِنَّهُ
 ١٦٥ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْضَلَاكِ عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُصِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذَلِكَ مِنْ
أَمْرِ رَبِّكَ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا لَهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ. إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمُسْتَحْسَنُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَبَنَ
الصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كُلِّيكِ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذْ فَضَى أَمْرًا فَلَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَتَعَلَّمَهُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ
جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ فَكَيْفَةَ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَارْبُؤُا لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ فَكَيْفَةَ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ
وَأَنْتُمْ كَمَا تَكَلَّمُونَ وَلَمَّا تَذَكَّرُونَ فِي يَوْمِكُمْ إِذْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَكُمْ آيَاتُ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَنَصَدَقْنَا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْ نَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
حَرَّمْ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

[illegible]

﴿وَأَذِّنْ لِقُلِّكَ إِنَّ رَيْكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّؤْيَا الْبَاسِ أَوْ تَنَاسُكَ إِلَّا نَبْئَةً
لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ قَمَازٌ يَبْذُهُمُ إِلَّا طَافِيَا
كِبْرًا﴾

- عَلَيْهِمْ بِحَيْثُ وَجَّهْتَ وَشَارَكْتُمْ فِي الْأَسْوَاحِ وَالْأَزْوَاجِ وَعَبَدْتُمْ وَتَا
يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا. ٦٠، ٥٨
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ
هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلًا
تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْلِمُ فِيهَا وَلَا تَنْصِفُ.﴾ ٦٠
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ. ٥٩
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ.﴾ ٦٠
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا.﴾ ١٠١٢، ٥١
- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفْعَ لَكُمْ خُطْبَاكُمْ سَتَرِدْهُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَكَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ. ١٨٧
- ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِلُتَّىٰ هَارٍ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ
هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.﴾ ٢٣٦
- ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ. قَالَ
رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمُونِ. فَغَشَّيْنَا مُوسَىٰ ذِرَاسًا مِمَّا يَلْبَسُ فَلَمَّا لَاقَىٰ فَارْعَوْنَ
إِلَى الْهَارُونَ. وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون. قَالَ كُلًّا فَاذْهَبْ بِآيَاتِنَا
إِنَّا نَمُكِّمُ مُشْتَمُونَ. فَأَتَىٰ فِرْعَوْنَ فَقَرَّبَا إِلَيْهَا رَسُولُ رَبِّ الْمَلَائِكِينَ. إِذْ
أُرْسِلَ مِنْهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِتْنًا وَلَيْدًا وَكَلَّمْتُ فِتْنًا مِنْ عَصْرِكَ
سَيْنَ. وَفَعَلْتُ فَعَلْتُكَ الْيَمِينَ وَفَعَلْتُ مَنْ أَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.﴾ ١٥٠
- ﴿وَإِذْ تَقَرَّبَ الْجَبَلُ فَوَافِقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خَلَدُوا مَا تَنَجَّاهُمْ يَفْوَ
وَافَكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ١٧٢
- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَمْسُومُونَكَ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَكِيدُونَ إِبْنَاءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ. وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ
الْبَحْرَ فَأَمَّيْنَاكُمْ وَأَفْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ غَالِبُونَ. ثُمَّ عَرَضْنَا عَنْكُمْ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلَمَّاسُمْ أَنْفُسَكُمْ بِشَاذَاتِكُمْ
الْعِجْلَ قُورِبُوا إِلَىٰ بَارِكِكُمْ فَأَتَانَا أَنْفُسَكُمْ فَلَئِنْ خَبَرْتُمْ عَنْكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ
فَقَاتَبَ عَلَيْكُمْ إِلَهُهُمُ الْكَذَّابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ
حَتَّىٰ تَرَىٰ إِلَهَكَ جَهَنَّمَ فَاخُذْكَ السَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَشَّرْنَاكَ مِنْ
بَعْدِ مُؤْمِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَظَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ
وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَتَا ظَلَّلْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ. ١٦٦
- ﴿وَإِذْ يُرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ.﴾ ١٠٧، ٣٤٢
- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِ فِي أَيْمِيكُمْ فَيَلَا وَيَقْلَقُ فِي أَيْمِيهِمْ يَقْضِي اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا. ٤٨٣
- ﴿وَإِذْ يَبْعَثُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ الطَّائِفِينَ أَتَاهَا لَكُمْ.﴾ ٤٨٩
- ﴿وَإِذْ يَبْعَثُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ الطَّائِفِينَ أَتَاهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَٰلِكَ الشُّكْرُ
تَكُونُ لَكُمْ.﴾ ٩٥١
- ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا
غُرُورًا. ٥٦٤، ٤٦٩
- ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا
غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَسَتَأْتُونَ فِرْعَانَ مِنْهُمْ الشَّيْءُ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا.﴾ ٥٦٦
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.﴾ ٤٤٦
- ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُخْرِجُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.﴾ ٩٥١، ٤٤٣
- ﴿وَإِذْ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ هُوَ الَّذِي
يُفَكِّمُ الرِّقْقَ عَزَافًا وَطَعْمًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُنْشِئُ الرِّيحَ
بِحَمَلِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيَامِهِ وَمَرْسِلَ الصَّوَارِعِ يُحْصِبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ
وَهُمْ يَجَاهِلُونَ فِي اللَّوِّ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِجَالِ.﴾ ٧١٦
- ﴿وَإِذْ أَرْزَأْنَا أُنْثَىٰ نَهْلِكَ قَرِيبًا أُنْثَىٰ تَرْفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَقُتِلَتْهَا فَدَمِيرًا.﴾ ١٧٠٣، ١٣٧٢
- ﴿وَإِذْ الْأَرْضُ هَدَا.﴾ ٣٣٩
- ﴿وَإِذْ أَلْقَا فِيهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ.﴾ ١٤٣٤
- ﴿وَإِذْ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ابْرَأُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَ أُولُوا الطُّولِ
مِنْهُمْ وَقَالُوا اقْرَأْ تَنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ. وَغَرَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطَحِبَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ. لَكِنِ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهِدُوا بَأَسْوَاقِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
ذَٰلِكَ الْفَرَى الْعَظِيمُ. وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَحْزَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَسَدَ
الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ. لَيْسَ
عَلَى السُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الرُّعْضِ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ
خَرْجٌ إِذَا نَصَرُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ. وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتُهُمْ فَبِغْضٍ مِنَ الشَّعْرِ حَرْفًا أَلَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ. إِنَّمَا
السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنتَصِفُونَكَ وَمَنْ أَغْنَاهُ رُغْصًا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطَحِبَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ.﴾ ٦٩٢
- ﴿وَإِذَا نَطَقْتَ بِطَبَقٍ جَبَّارِينَ. تَأْتُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ. وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا
تَمْلِكُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْفَادٍ وَتَبِينَ. وَجَنَاتٍ وَغَيْرِينَ. إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ. ٨٨
- ﴿وَإِذَا تَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا وَفَلَّيْ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.﴾ ١٦٩١، ٨٩٥
- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ.﴾ ٨٩٠
- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ.﴾ ١٤٩٦
- ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ فُجِرَوا بِأَحْسَنِ مَا أَرَدُوا.﴾ ١٦١٣
- ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ فُجِرَوا بِأَحْسَنِ مَا أَرَدُوا.﴾ ١٩٢١
- ﴿وَإِذْ أَرَادَ أَنْ يَنْخَلِيقَكَ إِلَّا خُفِرُوا أَهْلًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا. إِنْ خَافَ
لِكَيْفَتِهِ عَنْ إِلَهَاتِهِ لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْجُونَ
الْعَذَابَ مَنْ أَهْلُ سَبِيلًا.﴾ ٣٩٣
- ﴿وَإِذْ سَأَلَ عِيسَىٰ عَنِّي ذُنِّي قَرِيبَ أَحَبِّ دَعْوَةِ النَّاسِ إِذَا دَعَانِ.﴾ ٣٠٣
- ﴿وَإِذْ سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرُّسُلِ تَرَىٰ أَهْلَهُمْ يَبْغِضُونَ مِنَ الشَّعْرِ مِمَّا عَرَّفُوا
مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا فَاكِتًا مَعَ الشَّاهِدِينَ.﴾ ٣٥٢
- ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فِي الْأَرْضِ لَنَجْعَلَ عَلَيْكَ نَجَاحًا أَنْ تَقْصُرَ مِنَ السَّلَاحِ.﴾ ٤٦٧
- ﴿وَإِذَا عَزَمْتَ فِي الْأَرْضِ لَنَجْعَلَ عَلَيْكَ نَجَاحًا أَنْ تَقْصُرَ مِنَ السَّلَاحِ إِنْ
عِثْتَ أَنْ يَهَيِّجَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.﴾ ٤١٧
- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَسَّاسًا تَسْمَعُ وَتَسْمَعُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جَسَّاسًا
مُسْتَوْرًا.﴾ ٩٩١
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ.﴾ ١٥٢٠
- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ.﴾ ٥٥٦

- [illegible]

٢٢١ وَأَصْحَابُ الشَّامِ
 ٣٢١ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
 ٩٣ وَأَصْطَفَيْنَا
 ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ وَأَصْطَفَيْنَا عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
 ١٥١ وَأَصْطَفَيْنَاكَ نَفْسِي
 وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بَاعِثَانَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ
 ٧٩ وَأَضْرَبَ لَهُمْ شَرْطَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَجَرًا تُدْرَى الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا
 الْعَالَمُونَ رِزْقَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَلَدًا
 ١٠٩٤ وَأَضْرَبَ لَهُمْ شَرْطًا
 ٢٥٣ ، ١٤٠ وَأَضْرَبَ لَهُمْ شَرْطًا أَصْحَابُ الْفَرِيقَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ
 ٢٥٣ ، ١٤٠ وَأَضْرَبَ لَهُمْ شَرْطًا أَصْحَابُ الْفَرِيقَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّبِعُوا مَكَارِمَنَا وَقُورًا نَبَايَا فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرسَلُونَ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَزَالُوا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْفُرُونَ قَالُوا رَبَّنَا بَعَلَّمْنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ قَالُوا إِنَّا نَحْنُكُمْ بَكْرٌ لَيْنَ لَمْ تَسْتَهْوَ الْقَرْيَةَ حَتَّمَكُمْ وَلَيْسَتْكُمْ مَنَاحِلُ الْيَمِّ قَالُوا طَاعَتُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِقُونَ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنَ لَا يَمْسَاكُمْ أَخْبَارًا وَهُمْ مُبْتَلَوْنَ وَمَا لِي لَا أَقْبُدُ إِلَيْهِ فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدُ الرَّحْمَنُ بَشَرًا لَا تَعْنُ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِنِّي أَنْتَ بَرِيكُمْ فَاستَمْتِعُوا قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قُرْعِي يَسْمَلُونُ بَمَا عَقَرْتُ رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ وَمَا أَتَزَلَّهُ عَلَى قَرْبٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودِ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُتَرَلِّينَ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صِغَةً زَاوِدَةً فَإِذَا هُمْ خَائِدُونَ
 ١٣٩ وَأَضْرَبَ لَهُمْ شَرْطًا وَجَلَّيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَخَفَقْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا رِجْمًا كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهُمَا وَلَمْ تَفْظَرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَعَرْنَا نَقِيلًا فَلَهُمَا نَجْرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُخَاوَرُهُ أَنَا أَخْسَرُ مِنْكَ مَا لَا رَأْيَ لِقَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لَنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن زَائِدَ هَهُوَ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُثَبَّلًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوَرُهُ أَخْسَرْتَ بِالَّذِي خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رِجْلًا لَكِنَّا هُمُ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرَكَ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ عَلِمْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنَا أَسْفَلُ مِنْكَ مَا لَا وَدَّادَ فَجَسَى رَبِّي أَن يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَبِمِثْلِ عَلَيْهَا حَسْبَانِ مِنَ السَّمَاءِ فَنَضْحَكَ فَصِيدَا زُرْقًا أَوْ يُصْبِحُ مَاذَا غُرُورًا فَلَمَّا تَشْتَبِعْ مِنْ ظُلْمٍ وَأَاطَحَ بِشَرِّهِ قَاصِحٌ يَهْلِكُ كَلْبُيَّ عَلَى مَا أَشْفَقَ فِيهَا وَهِيَ حَارِيَةٌ عَلَى غُرُوبِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْ كُنْتُ لَفِي بَيْتٍ يُصَوَّرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا هَٰذَا الَّذِي الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا
 ٢٥٣ وَأَضْرَبُوا لَهُمْ كُلَّ بَنَانٍ
 ٤٨٢ وَأَاطَعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى
 ١٦٩ وَأَقْرَبَ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَكُونَ بِبَعْدِهِ رَسُولًا
 ٩٦ وَأَعَادُوا لَهُمْ مَا اسْتَظَعُوا مِنْ قُرْآنٍ وَمِنْ رِسَالِ الْغَيْبِ تُرْهِقُونَ بِهِ عُلُوَّ اللَّهِ وَعُدُوكُمْ
 ٢٢٥٢ وَأَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
 ٥٩ وَأَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
 ١٣٢ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لَهُ خُمُسَهُ لِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْفَرَسِي وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
 ٤٩٩ وَأَغْضَضَ مِنْ صُرُوفِكَ
 ٢٥٨

وَأَقْرَبَ رَحْمَةً. ١٧٤
وَأَفْسَدُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَنِ جَاءَهُمْ أَمْرٌ يُؤْمِنُ بِهِ فَإِنَّا الْآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَمَا يُبَشِّرُكُمْ إِنَّمَا بِإِذْنِ جَاهِلٍ لَا يُؤْمِنُونَ. وَتَقَلَّبَ أَفْقُهُمْ وَابْتَسَارَهُمْ
كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُكُمُ فِي طَبَائِهِمْ يَبْغُهُونَ. وَلَوْ أَنَّا زُنَّا
إِلَيْهِمْ لَفَلَانَكُمُ وَلَكُمُ الْمُنَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فَلَئِمَّا تَخَوُّوا
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنَّ يَهْلِكَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ. ٣٨٦
وَأَفْسَدُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ لَمَنِ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيُكْفِرُوا أَفْئِدَى مِنْ أَفْئِدَى
الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مِنْ زَادَهُمْ إِلَّا تَفَرُّوا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ
السَّيِّئِ وَلَا يَجِيفُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ
فَلَنْ يَحْدِلَ السُّنَّةُ اللَّهُ تَبْدِلُ وَلَنْ يَحْدِلَ السُّنَّةُ اللَّهُ تَحْوِيلًا. ١٤٧٩
وَرَأَيْتُمْ فِي شَيْثَلِكِ. ٢٥٨
وَرَأَيْتُمُ الصَّلَاةَ لِلزَّكَاةِ. ٦١٦
وَرَأَى نُمُودَ أَحْسَانِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَذُ
جَانِبَكُمْ بَيْتَهُ مِنْ رِبْكَمْ خَلِدُوا نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ أَمْرٌ فَذَرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَسْمُوهَا بِسُوءٍ فَإِذْخَرْتُمْ عَذَابَ إِلَهِكُمْ وَادْكُرُوا إِذَا جَعَلْتُمْ خَلْقَاءَ
مِنْ بَنُو عَالٍ وَبَوَائِكُمْ فِي الْأَرْضِ تَسْجُدُونَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا وَتَحْشُرُونَ
الْجِبَالِ بَيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَنْتَوِي فِي الْأَرْضِ مُضِيِّينَ. قَالَ الْفِيلَيْنِ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قُرْيُوهُمَا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ
صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا أَلَا إِنَّمَا أَرْسِلُ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الْفِيلَيْنِ
اسْتَكْبَرُوا بِمَا بِاللَّيْلِ اسْتَمَعَ بِهِ كَافِرُونَ. فَفَعَرُوا النَّاقَةَ وَخَرَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّمَا بِمَا تَعْبُدُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَعَذَّتْهُمْ الرَّجْفَةُ
فَأَسْبَحُوا فِي دَارِهِمْ تَحَابُّينَ. فَتَرَكُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُؤْمِنُونَ التَّامِيمِينَ. ٩١
وَرَأَى نُمُودَ أَحْسَانِهِمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوْهُ ثُمَّ تَوَسَّوْا إِلَيْهِ إِنْ رِئْتُمْ
قَرِيبٌ مُجِيبٌ. قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنهَانُ أَنْ
تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا فِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيدِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي بِهِ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِمْ يَنْهَيْتُمْنِي مِنَ اللَّهِ
إِنْ عَصَيْتُهُ لَمَّا تَأْتِيهِمْ عَمْرٌ تَحْشُرُونَ. قَالَ قَوْمُ صَالِحٍ نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ أَمْرٌ
فَذَرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسْمُوهَا بِسُوءٍ فَإِذْخَرْتُمْ عَذَابَ قَرِيبٍ. فَفَعَرُوا
فَعَرًا فَهَلَّا تَسْمُوهَا فِي دَارِكُمْ لَنَلْعَنَنَّ أَهْلَ الْيَوْمِ ذَلِكَ وَعَذَابٌ مُكْدُوبٌ. فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبِإِذْنِ يُونُسَ
إِنْ رِئْتُمْ فِي الْقُرَى الْغَيْرِ. وَأَخَذَ الْفِيلَيْنِ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَسْبَحُوا فِي
دَارِهِمْ جَابِئِينَ. كَانَ لَمْ يَغْتَوِ فِيهَا إِلَّا إِنْ تَسُودَ كُفْرًا وَرَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا
لَقُودًا. ٩١
وَرَأَى عَالِ أَحْسَانِهِمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا
تَتَّقُونَ. قَالَ الْفِيلَيْنِ هُودًا مِنْ قَوْمٍ أَوَّلَ تَرَكَّ فِي سَفَاغَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُرُكَ
مِنْ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاغَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ. أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ. أَوْعَيْتُكُمْ أَنْ
جَاءَكُمْ وَكَمْ مِنْ رِبْكَمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ وَادْكُرُوا إِذَا جَعَلْتُمْ
خَلْقَاءَ مِنْ بَنُو قَوْمِ نوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. قَالُوا أَجِئْتَ لِنُعَذِّبَ اللَّهَ وَخَلْقَهُ وَتَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَاتَّبَعْنَا بِمَا تَعْبُدُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ مَا سَجَّوْهُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَبَاؤَكُمْ مَا نَزَّلَ
اللَّهُ بِهَِا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مُعَذِّبُ مِنَ الْمُشْطَرِّينَ. فَأَعْيَضُوا وَالَّذِينَ
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقُلْنَا ذَاكِرَ الْفِيلَيْنِ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا إِلَّا كَاذِبِينَ. ٨٦
وَرَأَى عَالِ أَحْسَانِهِمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْشَأَ
إِلَّا مُفْتَرُونَ. يَا قَوْمِ لَا تَسْلُكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى إِلَهِ يَلِي
قَطْرَتِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ. وَمَا قَوْمُ اسْتَفْهَرُوا رِبْكَمْ ثُمَّ تَبَوَّأُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِزْرَارًا وَتَدْرِكُهُمْ قُوَّةٌ إِلَى قَوْمِكُمْ وَلَا تَنْزِلُوا مُجْرِبِينَ. قَالُوا يَا هُودُ
مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ.

- ﴿وَالْأَرْضَ وَحَقَّتْ لِلنَّاسِ فِيهَا فَافْتَحْنَا النَّخْلَ فَمَاتَ الْأَكْثَامُ وَالْخَبْ ذُو
الْمُصَدُّو وَالزَّحَّالُ بِلَايِ الْآلِ رَكْبًا تَكْتَابُونَ..... ٣٥
- ﴿وَالْأَرْضَ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ..... ٢٠٤
- ﴿وَالْخَيْرَ الْمُسْتَقِيمَ..... ٣٤
- ﴿وَالزُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ..... ٢٣٦
- ﴿وَالنِّينَ..... ١٤١١
- ﴿وَالنِّينَ وَالزُّورَةَ..... ٩٤٩
- ﴿وَالنِّينَ وَالزُّورَةَ..... ٣٤
- ﴿وَالْحَيَانَ أَرْسَلْنَا..... ٣١
- ﴿وَالنَّجْمَ..... ١٩٧
- ﴿وَالْحَرَمَاتِ قِصَاصَ..... ١١٤٥، ٦٢٣، ٦٢٢
- ﴿وَالَّذِي أَلْطَمَ عَلَى عَقْبِي يَوْمَ الدِّينِ..... ٩٩١
- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ
لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ يُدْخِلُوكُمْ بِخُفَاهِ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَخْرُجُوا
مِنْهَا فِي سَفَرٍ لَّدُنَّ هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَمُغْرِبِينَ وَإِنَّا لَبِئْسَ لَشَاقِرِينَ..... ٨٠
- ﴿وَالَّذِي فَطَرْنَا..... ١٥٤
- ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلْأَنْبِيَاءِ إِنَّا لَكُنَّا أَهْلِيَانِي أَن أُخْرِجَ..... ١٢٣٣
- ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ شَرًّا مِّنْ رِّبَاكَ بِالْخَلْقِ..... ٩٤٨
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عَرِيرًا وَكُفْرًا..... ٦٩٩
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عَرِيرًا وَكُفْرًا وَتَغْرِيفًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَن
حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ..... ٦٩٩
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عَرِيرًا وَكُفْرًا وَتَغْرِيفًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَن
حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَيَخْلِفُونَ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْخَشْيَةَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى الْفَقْرِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ
أُسِّسَ أَن تَقُومَ فِيهِ فِئَةٌ مِّنْ رِّجَالٍ يَخْفَوْنَ أَنَّ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يَجِبُ الْمَطْفُوفِينَ
أَفَنَسِيَ أُسِّسَ بُيَاتُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِغْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مِنْ أَسْسَ بُيَاتُهُ
عَلَىٰ شِقَاقٍ جَرَفَ هَارَ فَانَهَا بِهٖ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الطَّالِحِينَ لَا يَزَالُ بُيَاتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ قُلُوبَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ..... ٦٩٩
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ..... ١٣٩٣
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ..... ٤٦٥
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْذِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوْقِ شَيْئًا فَنَفْسُهَا عَلَيْهِمْ..... ٤٦٤
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْذِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوْقِ شَيْئًا فَنَفْسُهَا عَلَيْهِمْ..... ٤٥٤
- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ..... ١٣٩٣
- ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَتَبَيَّنْهُمْ سَبَأًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ..... ١٩٥٩
- ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ..... ٤٦٤
- ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُومُهُمْ نُعَيْبُهُمْ..... ٤٦٤
- ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُومُهُمْ نُعَيْبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ شَانِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ..... ٤٦٤
- ﴿وَالَّذِينَ خَلَفُوا مِنَ النَّاسِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَسْرَأُوا إِلَىٰ رِيبِكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَنْفُزَنَّ
رَحِمَ..... ١٦٩
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْتَابُهُمْ عَلٰٓى مِجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ..... ١٦٨
- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ..... ٢٩٤
- ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ تَائِمَ اللَّهِ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ..... ١٥٥٠

- إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسْمِهِ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِمَّنْ دُونِهِ يُكْفَرُونَ جَعَلْنَا سَمَ لَا تَنْظُرُونَ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَرَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ قَاتِلٍ إِلَّا مَوْ أَعْبَدُ بِمَا خَلَقْتُمْ إِنْ رَّبِّي
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ
وَسْتَخْلِفَنِي فِي قَوْمِهِمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
خَافِضٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نَقُودُهَا وَنَحْنُ
رُسُلُهُ وَأَتَيْنَاكَ آمَرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَصِيْبٍ وَأَتَيْنَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَتَرَىٰ
الْقِيَامَةَ إِلَّا أَنْ عَادَا قَوْمُ رَبِّهِمْ إِلَّا يَمُودًا لَّمَّا قَوْمُ هُودَ..... ٨٦
- ﴿وَالَّذِي مَدِينِ أَخَاهُمْ شَيْئًا..... ١٢٠
- ﴿وَالَّذِي مَدِينِ أَخَاهُمْ شَيْئًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ..... ١١٨
- ﴿وَالَّذِي مَدِينِ أَخَاهُمْ شَيْئًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الْكَيْدَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ بِغَدِصٍ فَلَكُمْ حِزْبٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤْتُونَ وَتَقْعُدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ
آمَنَ بِهِ وَتَقْوَاهُ يَوْجِبُ أَذْكَرًا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا تَكْتَرِكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ وَمَكَانَةٌ
لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ الْمَلَائِكَةُ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنَ
قَوْمِنَا آلَتْ قَوْمُكَ فِي بَلَاءِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ آلِهِ كَلِمَاتٍ
إِنْ عُدْنَا فِي مِلْكِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنَا اللَّهُ وَنَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبَّنَا وَسِعَ رَبَّنَا كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْخَيْرِ وَرَأَيْتَ خَيْرَ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شَيْئًا لَّيَكُنَّ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ اللَّهِ فَاصْبِرُوا
فِي قُلُوبِهِمْ جَالِسِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْئًا كَانَ لَمْ يَخْرُجُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
شَيْئًا كَانُوا مِمَّنْ الْخَاسِرِينَ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَاتِي وَرَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِكَيْفِ اتَّقَىٰ عَلَىٰ قَوْمِ كَارِهِينَ..... ١١٧
- ﴿وَالَّذِي مَدِينِ أَخَاهُمْ شَيْئًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا
تَعْبُدُوا الْمِجَازَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ مُّحِيْبٍ وَمَا قَوْمُ أَذْكَرُوا الْمِجَازَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَخْشَوُا النَّاسَ
أَمْوَالَهُمْ وَلَا يَخْشَوُا اللَّهَ بَعْضُهُمْ فِيهِمْ أَهْلٌ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَحْتَ تَمَرًا أَنْ تَكُونَ
مَا يَبْدُو أَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا
أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَزِيدُنِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَمَا قَوْمٌ لَا يَجْرُمُكُمْ
شَيْئًا أَنْ يَهْبِطَ إِلَيْكُمْ مِّنْ سَمَاءٍ قَوْمٌ نُّوحٍ أَوْ قَوْمٌ هُودٍ أَوْ قَوْمٌ صَالِحٍ
وَمَا قَوْمٌ لُّوطٍ كُنْتُمْ بَعِيدٌ وَاسْتَفْهَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنْ رَّبِّي رَحِيمٌ
وَقَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقْتَ خَيْرًا مِّمَّا نَقُولُ وَتَأْتِيكَ لَنَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْمَتُكَ لَرَجَّسْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَغِيرٌ قَالُوا يَا قَوْمِ ارْجِعْ إِلَىٰ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذُوا حُرْمَةً وَرَاءَهُمْ طَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
وَمَا قَوْمٌ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوَّيْتُ لَمَعْلُومٍ مِنْ بَيْنِهِمْ عَذَابَ
يُخْرِجُو وَمَنْ مَّرَ كَاتِبٌ وَارْتَعِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَالِسِينَ كَان لَمْ يَخْرُجُوا فِيهَا إِلَّا يَمُودًا لَمَعْلُومٍ كَمَا
بَعْدَتْ ثَمُودَ..... ١١٧
- ﴿وَالْأَبْرَصَ..... ٢٣٦
- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا..... ٣٧
- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا..... ٣١
- ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا..... ٣١

- [illegible]

- ﴿وَأَنَّهُ سَلَّمَ أَلَمْ يَكُنِ مِنَ الْبَشَرِ الْأَكْبَرِ﴾ ٢٠٤
 ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَإِنَّهُمْ زَهَّافٌ﴾ ٣٥٩
 ﴿وَأَنَّهُ تَنزِيلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ٨٩٩
 ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَائِكَ مِن قَبْلُ وَسَوَاءٌ نَسَاوُكَ﴾ ٣٨١
 ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّكُمْ لِلشَّاعَةِ﴾ ٢٤٤
 ﴿وَأَنَّهُ لَمِنَ السُّرُورِينَ﴾ ١٥٩
 ﴿وَأَنَّهُ لَنَسِيلٌ رَّحِيمٌ﴾ ١١٦
 ﴿وَأَنِّي أَخْبَرْتُكَ وَأَخْبَرْتُهَا مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ٢٢٢، ٢٢١
 ﴿وَأَنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن ذِيهِ وَكَانَتِ امْرَأَتِي﴾ ٢١٧
 ﴿وَأَنِّي سَخِطْتُ مُرَيِّمَ﴾ ٢٢١
 ﴿وَأَنِّي عَلَيْهِ تَقْوَىٰ آمِينَ﴾ ٢٠٥
 ﴿وَأَنِّي لَا طَغَىٰ كَذَابٍ﴾ ١٥٦
 ﴿وَأَنِّي لَفُتْنٌ لِّمَن تَابَ وَاتَّخَذَ صِلَابًا مِّنْ عِندِي﴾ ١٦٦
 ﴿وَأَنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدْيٍ مَّا ظَنَرْتُ بِهِم بَرِيعَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٢٠٤
 ﴿وَأَخْبَرْتَنِي مَلِيًّا﴾ ٩٦
 ﴿وَأَخْلَكُ إِلَّا مَن سَقَىٰ عَلَى الْقَوْلِ﴾ ٨٠
 ﴿وَأَخْلَكُ إِلَّا مَن سَقَىٰ عَلَى الْقَوْلِ مِنْهُمْ﴾ ٨٢
 ﴿وَأَخْبَرْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢٠٤
 ﴿وَأَخْبَرْنَا الْيَوْمَ مِن بَيْنِهِمَا وَكَانَ مَسْلُومِينَ وَوَعَدْنَا مَن لَّمْ يَكُنْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ٢٠٥
 ﴿بَيْنَهُمَا كَانَتْ مِنَ قَوْمِ كَافِرِينَ﴾ ٢٠٥
 ﴿وَأَخْبَرْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ٢٠٨، ٢٠٢
 ﴿وَأَخْبَرْنَا مِنْهُمْ خَبْرًا قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ ١٠٦
 ﴿وَأَخْبَرْنَا رَيْثًا إِلَى النَّحْلِ﴾ ٢٣٦
 ﴿وَأَخْبَرْنَا رَيْثًا إِلَى النَّحْلِ أَنِ اشْجَلِي مِنَ الْجِبَالِ يَبُوسًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَمْشُونَ ثُمَّ كَلَّمِي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَأَمَّا لَكِي سَبِيلَ رَيْثًا ذَلَالًا﴾ ١٤٤
 ﴿وَأَخْبَرْنَا فِي كُلِّ سَنَةٍ أَمْرًا وَرَيْثًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَالِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَعْلِيمُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ٤١
 ﴿وَأَخْبَرْنَا إِلَى نوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٩
 ﴿وَأَخْبَرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَن يَلْمِ﴾ ٢٧٣
 ﴿وَأَخْبَرْنَا إِلَىٰ أُمُ مُوسَىٰ أَنِ ارْضُوعِي فَإِذَا خِيفَ عَلَيْهِ قَالِقِي فِي الْيَمِّ﴾ ٢٣٦
 ﴿وَأَخْبَرْنَا إِلَىٰ أُمُ مُوسَىٰ أَنِ ارْضُوعِي فَإِذَا خِيفَ عَلَيْهِ قَالِقِي فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا فَاعِلُونَ إِلَيْكَ وَجَاعِلُونَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَاذْكُكْ أَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَعَمَّانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْئْتُ عَنِّي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُونَهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٤٤
 ﴿وَأَخْبَرْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِبْ بِبَنَاتِي بِكُم مَّشْعُودَ فَارْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَافِرِينَ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ لِيُزَيِّنُوا قَتْلَهُنَّ وَأَهْلَهُنَّ لَنَا لِنُطِيقُوهُنَّ وَإِنَّا لَنَجِيحُ خَافِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكَشْرٍ وَقَعَامٍ كَرِيمٍ ذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ فَاتَّبَعُوهُم شَرْقِيًّا فَلَمَّا تَرَاىَ الْجَمْعَانِ قَالَ اصْطَبَأْ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّا مَجِيٌّ رَّحِمِي سَيِّئِينَ فَأَوْخِنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْيَجْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزَلَّاهُمَا ثُمَّ الْآخَرِينَ وَالْأُخَرِينَ وَأَخْبَرْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَخْرَجْنَا الْآخَرِينَ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِن رَيْثًا لَّهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦٠
 ﴿وَأَخْبَرْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنِ ثَبِرَا لِّقَوْمِكَ بِصَبْرٍ يُّؤْتِيَا وَاجْعَلُوا لِي وَتَكُم قِيْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥٩
 ﴿وَأَوْرَثْنَاهُمْ إِرْثَهُمْ وَجَارَهُمْ وَأَهْلَهُمْ﴾ ١٩٣٥
 ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْفَعُونَ شَرْقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْخُسَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ١٤٤

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُفْرَجَنَّهُمْ مِنْهَا إِذْهُمْ وَهُمْ صَافِرُونَ ٢٠٣

﴿وَتَقَطَّعَ بِهِمُ الْأَسَابِقَ﴾ ١٥٦٤

﴿وَتَقَالَبَتِ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ٨٧٠، ٨٧٠، ٣٢٠

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاصِرِي النَّاسِ وَمَا يَتَّبِعُهَا إِلَّا الضَّالِّينَ﴾ ٨٩٦

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَارُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ١٠٥٥، ١٤٨٧

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتِيَانَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْيٍ نُزِّلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ مِنْ نَسَاءٍ إِنْ تِلْكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَذُرِّيَّتًا يُحْسِنُ وَيُحْسِنُ وَالْيَاسِينَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ هَدَيْنَا عَلَى الْغَالِيِينَ وَمِنْ آلِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَإِسْرَافِيْلَهُمْ وَاجْتَنَابَهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧٦

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَخُفُّهَا عَلَى أَنْ جِئْتَ نَبِيَّ إِسْرَافِيلَ﴾ ١٥٠

﴿وَتِلْكَ لِلْجِبْنِ﴾ ١٠٤

﴿وَتَمَاتِلُوا﴾ ٢٠٧

﴿وَتُنْثَى كَلِمَتُ رَبِّكَ حَيْثُ مَا تَقُولُ﴾ ٨٩٦، ١٢٣

﴿وَتَنْجِبُونَ مِنَ الْجِبَالِ صِبْأًا فَأَرَبِهِمْ قَاتِلُوا إِلَهَ وَأَطِيعُوا وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُعْبُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ﴾ ٩٢

﴿وَتَوْبُوا إِلَى بَارِكِكُمْ فَاتْلُوا انْفُسَكُمْ فَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ لَكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ﴾ ١٣٠٢

﴿وَتَوَقَّافًا مُسْلِمِينَ﴾ ١٥٤

﴿وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ ١٣٢

﴿وَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا ائْتِنِي عَلَى يُوسُفَ﴾ ١٧٩٧

﴿وَتَوَلَّيْتُ لِقَوْمِي﴾ ٣٧١

﴿وَتَجَاوَزُوا عَلَىٰ حَيْصٍ يَبِينُ دُمْدُمٍ﴾ ٢٩٨، ١٢٥

﴿وَجَاءَ أَخُوهُ يُوسُفَ فَقَالَ خَلِّوْا عَلَيَّ فَعَزَّوْهُ وَمَنْ لَهُ مُكُورٌ وَلَمَّا جَفَّوْهُمُ بِجَهَنَّمَ قَالَ اشْرَبُوا بِإِذْنِ لَكُمْ مِنْ أَيْحَافِ النَّارِ وَالْأَوْفَى الْكَيْلُ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ يَأْتِنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُوا قُلُوبًا سَوَاءٌ عَنْهُ أَبَدٌ وَإِنِّي وَلَاقِعٌ لَكُمْ وَلَقَدْ لَبِثْتُمْ فِيكُمْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ لَقَدْهُمْ لَمَمٌ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَقَدْهُمْ لَمَمٌ يَرْتَدُّونَ ١٣٠

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحْنَهُمْ وَانْقَرِ إِلَهُ وَلَا تَحْزَنُوا قَالُوا أَوْلَيْتُمْ تَهْلُكَ عَنِ الْمَالِيِينَ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ١١٥

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ ١٣٤

﴿وَجَاءَ رِبِكُ﴾ ١٦١٦

﴿وَجَاءَ رِبِكُ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ ٤٤

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ ١٤٦

﴿وَجَاءَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْتَعِي﴾ ١٤٠

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ١٣٢٧

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ ١٢٦

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٌ قَدِيرٌ﴾ ٢٠٤

﴿وَجِئْتُكَ بِضَاعَةِ مُؤَدَّاتٍ﴾ ١٣٢

﴿وَجِئْتُكَ فِي اللَّهِ حَقَّ جَاهِدٍ﴾ ٩٦٥

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَافِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فَرَعُونُ وَجَنُودُهُمْ وَأَعَدُّوا حَرَسًا إِذَا أَفْرَقَ الْفِرْقُ قَالَ أَمْسَتْ أَهْلُ إِلَى إِلَهِي الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَافِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَفْدٌ عَصِيَتْ كُلُّ وَكُنْتُ مِنَ الْمُنْصَلِينَ قَالُوا نَجْجِيكَ بِذَلِكَ لِنُحَرِّقَ لِسَانَ خَلْقِكَ إِيَّاهُ وَإِنْ خَيْرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لِنُفَالِقُونَ ١٦١

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَافِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَا عَلَى قَوْمٍ يَعْطُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ لَقَالُوا يَا مَرْيَمُ اجْنُصِي لَنَا إِلَهًا كَمَا هُنَّ آلِهَةٌ ١٦٣

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَافِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَا عَلَى قَوْمٍ يَعْطُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ لَقَالُوا

يَا مَرْيَمُ اجْنُصِي لَنَا إِلَهًا كَمَا هُنَّ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٦٣

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالَهُمْ طَوًّا وَتَوَلَّوْا خَلْفَهُمْ﴾ ٤٢١

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ رِجَالَهُمْ طَوًّا وَتَوَلَّوْا خَلْفَهُمْ﴾ ١٥٠

﴿وَجَعَلَ عَلَيْهِ أَثْمُ النَّاسِ يَسْتَوُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَوَدَّانِ ١٤٦

﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا لَهَا غَالِبِينَ﴾ ٩٧

﴿وَجَعَلْنَا﴾ ٢٤٨

﴿وَجَاءَ سَبْعَ سَبْعٍ مِثْلَهَا﴾ ١٩٧٣

﴿وَجَعَلَ أَهْلُهَا شِعْمًا﴾ ١٤٤

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قَوْمِهَا وَتَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْثَاتٍ لِقَوْمٍ آتِيَامٍ سَوَاءٍ لِلنَّاسِينَ ٢٥

﴿وَجَعَلَ فِيهَا مِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٢٥

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ مَرْيَمَ وَآلِهَا آيَةً وَآيَاتِنَا عَلَى رَبِّكَ ذَاتُ قُرْبَارٍ وَمَعِينٍ ٢٢٣

﴿وَجَعَلْنَا قُرْبَاهُ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾ ٨٢، ٧٨، ٢٤٩

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مُخْطَرًا وَمَنْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ٣١

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مُخْطَرًا وَمَنْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ وَمَنْ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٣٨

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِجَالًا أَنْ يَفْقَهُهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبِيلًا لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ٣٥

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّورَ وَالْكِتَابَ﴾ ٧٨

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَتَحَوَّنَا آيَةُ اللَّيْلِ ٩٤٦

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَتَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيُنْجُوا نَفْسًا مِنْ رَبِّكَ وَلِيَذْكُرُوا عَذَابَ السَّعِيرِ وَالْحَسْبُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَاتُهُ تَعْمَلُهُ ٤٠

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩٩١، ٤٤٣

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٣٢١

﴿وَجَعَلْنَا نِسَاءَ بَنِي إِسْرَافِيلَ ٤٠٤

﴿وَجَعَلْنَا مِثْرًا كَمَا أَيْنَ مَا كُنْتَ ٢٢٧

﴿وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْعِزِّ وَخَلَقْنَاهُمْ وَخَرَقْنَاهُ لَهُ بَيْنَ وَتَاتٍ بَيْنَ عِلْمِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ بَيْعُ السَّائِمَاتِ وَالْأَرْضِ أَيْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَكَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَيْسَ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ الْلطِيفُ الْخَبِيرُ ٢٢٨

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِثْرًا ذَرَا مِنَ الْخَرْقِ وَالْإِنْتَامِ نَصِيًّا ٢٩٤

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِثْرًا ذَرَا مِنَ الْخَرْقِ وَالْإِنْتَامِ نَصِيًّا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِهِمَا كَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَتَأْتِي لِلَّهِ فَهَرُ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ مَا مَا يَحْكُمُونَ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ أُولَئِكَ شُرَكَائُهُمْ لَيْزُونَهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ وَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَلَاحُوا قَوْمَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ وَقَالُوا هَذِهِ الْأَمْثَالُ خَيْرٌ مِنْ حَبِيرٍ لَا يَفْقَهُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنَامٌ وَحَرْتَ ظُهُورُهُمْ وَانْمَاءٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتَزَاهُ عَلَيْهِمْ سَجْزِهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا وَنَحْمَرُ عَلَى الْأَرْجَاءِ وَإِنْ يَكُنْ مِثْرَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجْزِهِمْ وَصَفْنَاهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَخَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتَزَاهُ عَلَى اللَّهِ قَدْ عَلُوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ٢٩٦

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَخِيبُ ٢٢٩

﴿وَجَعَلُوا كَالْجَوَابِ ٢٠٧

١٤١١ ﴿وَعَلَوْ سِيشِينَ﴾
 ٩٤٩ ﴿وَعَلَوْ سِيشِينَ﴾
 ﴿وَعَادَا وَشَعُوا وَأَصْحَابُ الرُّسُومِ وَفُرُوعًا يَسِرْنَ ذَلِكَ حَبِيرًا. وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ
 الْأَثْقَالَ وَكَلَّا بَيِّنَاتٍ لِّتَبَيَّنَّ سُنُبُهَا﴾
 ١٣٨ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
 قَالُوا سَلَامًا﴾
 ٢٥٨ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 ١٠٣٣ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾
 ٩٥٥ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
 ١٠٣٢ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيَكْبِتَنَّ مِن تَحْتِ خُوفِهِمْ أَشْيَاءَ﴾
 ٩٥٠ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيَكْبِتَنَّ مِن تَحْتِ خُوفِهِمْ أَشْيَاءَ يَمْشُونَ فِي شَيْءٍ وَتَن كَفَرَ
 بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
 ١١١٨ ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ غَمَائِمٌ خَبِيرَةٌ تَأْخُذُهَا فَمَجَلٌ ذُوهُ وَكَفَّ أَبْدِيهِ النَّاسِ
 عَنْكُمْ وَيَكُونُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَأُخْرَى لَمْ
 تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾
 ٩٥١ ﴿وَعَسَى أَن تَكْفُرُوا شَيْئًا وَمَعَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَمَعَهُ شَرٌّ
 لَّكُمْ﴾
 ١٩٠٩ ﴿وَعَسَى أَن تَكْفُرُوا شَيْئًا وَمَعَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَمَعَهُ شَرٌّ
 لَّكُمْ﴾
 ٦٥ ﴿وَعَسَى أَن تَكْفُرُوا شَيْئًا وَمَعَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَمَعَهُ شَرٌّ
 لَّكُمْ﴾
 ٦٤ ﴿وَعَسَى أَن تَكْفُرُوا شَيْئًا وَمَعَهُ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَمَعَهُ شَرٌّ
 لَّكُمْ﴾
 ١٢٤ ﴿وَعَلَى الْكَافِرِينَ﴾
 ١٤٥٠ ، ٤٧٧ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَتَّبِعُوا طَعَامًا يَكُونُ﴾
 ٧٠١ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾
 ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا خَشَى إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ
 وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾
 ٦٩٣ ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾
 ١٢٨ ﴿وَعَلَى الْوَالِدَيْنِ﴾
 ٢٣٦ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾
 ٥٩ ، ٢٧٦ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ شَمْنَئَ الْيَوْمِ لَكُمْ لِتُخَصِّصُكُمْ مِنْ بَيْنِكُمْ فَبَلَّ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾
 ٩٩٩ ﴿وَعَدُّوا عَلَى حَزْبٍ﴾
 ٢٥٤ ﴿وَعَدُّوا عَلَى حَزْبٍ قَابِيزٍ﴾
 ٢٥٤ ﴿وَعِيْشَ الْمَاءِ﴾
 ٨١ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٧٥ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٠٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١١٣٣ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٥٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٣١ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٣٦٦ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨٧ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٦٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٢٩ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ١٩٤ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٩٠ ﴿وَوَقَّتْ لَكُمْ قُرُونًا﴾
 ٨

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِبَارِعِينَ﴾ ١٤١٠
 ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّامِنَ وَيَتَّبِعُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَسْرَدَ إِلَيْهِ
 مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ ۚ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جُنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
 وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُشْوَرًا ۚ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ
 الْأَمْثَالَ فَذَلِكُمْ أَفْهَمُ لِمَنِ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ أَلِلْ ۚ﴾ ٩٩٩
 ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَنَا مِنْ آيَةٍ تَنْصُرُنَا بِهَا مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۖ فَلَا تَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَحْلَ وَالضَّمَاحَ وَالدَّمَ أَبَاسًا مُفَصَّلًا ۖ
 فَاسْتَكَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِبِينَ ۚ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَنَا كَذَلِكَ أَلَيْسَ لَكَ وَلِرَبِّكَ
 مَعَدَّةٌ يُبْرَأُ إِلَيْهَا ۚ فَادْعُ ۚ فَبَدَّلَ اللَّهُ الرِّجْزَ إِلَى آجَلٍ هُمْ بِالْآخِرَةِ إِذَا هُمْ
 يَكْفُرُونَ ۚ فَانقَضْنَا عَنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
 غَافِلِينَ﴾ ٩٩٥
 ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۚ لَوْ مَا تَأْتِيَنَا بِالْبَلَاءِ وَكَذَلِكَ
 كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٩٨٩
 ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ ١٩٨
 ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا
 دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
 عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٩٨
 ﴿وَقَتْلَ نَاصِيَ قَتِيلَتِكَ مِنَ الْغَمِّ وَقَتْلَ قَوْمِكَ﴾ ١٧٥
 ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ جِبَارِنَا وَأَنبِيَانًا﴾ ١٩٦
 ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ١٥٥
 ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ ٢١٨
 ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِينٌ لَهُمْ يَمْنُمُ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُخَوِّفُهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقِلُوا وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ ١٧٠
 ﴿وَقَفَرُ فِي السُّرُورِ﴾ ١٩٨، ٩٩٩
 ﴿وَقُولُوا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ حَبَآءً مَثُورًا﴾ ١٩٤٦
 ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ٤٩
 ﴿وَرُفَاتُهُ﴾ ٣٧٤
 ﴿وَرُفَاتُ بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ٧٥
 ﴿وَرَفَعْنَا الْأَمْرَ﴾ ٨١
 ﴿وَرَفَعْنَا إِلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ فِي الْكُتُبِ الْقِسْمَ فِي الْأَرْضِ مَرْثِينَ وَلَقَمْنَا
 عُلُوقًا كَبِيرًا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَشَّرْنَا عَنْكَ جِئَادًا لَوْلَا أَلِيَّ بَنِي
 شَيْبَةَ فَجَاءُوا حِيلَانَ الدَّهْلَ وَكَانَ وَعْدًا مُعْطًوًّا ۚ﴾ ٢٠٤٢
 ﴿وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ سُبُورًا﴾ ١٤٢٢
 ﴿وَرَفَعْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَيْتِي ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ
 الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ ٢٤٢
 ﴿وَرَفَلَ جَاءَ الْحَقُّ وَزَعَقَ الْبَاطِلُ ۖ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ٤٧٩
 ﴿وَرَفَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِّ وَكَرِهَ كَثِيرًا﴾ ٢٣٢
 ﴿وَرَفَلَ رَبُّ أَدْعِي مَذْجَلُ صِدْقٍ وَأُخْرَجِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْتَمَعَ لِي مِنْ
 لَدُنْكَ سُلْطَانٌ مُصِيرًا﴾ ٤٤٢، ٨٠
 ﴿وَرَفَلَ رَبُّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۚ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَخْضُرُونَ﴾ ٥٣
 ﴿وَرَفَلَ رَبُّ رَفَعِي عِلْمًا﴾ ٣٧٤
 ﴿وَرَفَلَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ٢٥٣
 ﴿وَرَفَلَ لِلَّذِينَ أَوْثَرُوا الْكُتُبَ وَالْأَمِينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنَّا أَسْلَمُوا فَقَدْ اعْتَدُوا وَإِن
 تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ ٩٤٨
 ﴿وَرَفَلَ حَاسٍ لَهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ١٢٧
 ﴿وَرَفَلَ أَهْبَطُوا بِغَضَبِكُمْ يُعْصِي عَمَلُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَعَرَّ وَتَنَازَعُ إِلَى
 حِينٍ ۚ فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۚ فَلَمَّا

أَهْبَطُوا مِنْهَا جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ مَنِي ۖ فَتَنَ بَيْعَ هَذَا ۖ فَلَا حَزَنَ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٦٣
 ﴿وَرَفَلَ مِنْ بَعْدِ لَيْسَ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا
 بِكُمْ لِقَاءًا﴾ ٦٢
 ﴿وَرَفَلَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ٦١، ٦٠
 ﴿وَرَفَلَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَامُهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا
 تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٦٠
 ﴿وَرَفَلَ نُوحٌ مِنْ قَبْلِ إِبْنِهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٧٧
 ﴿وَرَفَلَ نُوحٌ مِنْ قَبْلِ إِبْنِهِمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمُ وَأَغْضَى﴾ ٧٧
 ﴿وَرَفَلَ لِلَّهِ قَاتِلِينَ﴾ ٤٠٥
 ﴿وَرَفَلَ لَهُمْ قُرْبَانٌ قَرَّبُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ٥٦
 ﴿وَرَفَلَ بَعْدَ الْقُرْآنِ الظَّالِمِينَ﴾ ٨١
 ﴿وَرَفَلَ يَا أَرْضُ إِنَّمَا تَمْلِكِينَ مَالِكًا وَتَمْلِكِينَ أَمْلًا وَتَمْلِكِينَ الْأَمْرَ
 وَتَمْلِكِينَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقُرْآنِ الظَّالِمِينَ﴾ ٨١
 ﴿وَرَفَلَ أَبُوهَا صَالِحًا﴾ ١٧٤
 ﴿وَرَفَلَ أَنْشَأَ مُضْطَبًّا﴾ ٢٢٥
 ﴿وَرَفَلَ نَحْنُ كُنْزُ لَهْمَا﴾ ١٧٤
 ﴿وَرَفَلَ عَرِشُهُ عَلَى السَّمَاءِ﴾ ١٧٢، ١٣٠
 ﴿وَرَفَلَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا﴾ ١٥٠
 ﴿وَرَفَلَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْمَةً وَهَبُ يُعْبِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلِّحُونَ﴾ ٩٣
 ﴿وَرَفَلَ وَرَأَاهُمْ﴾ ١٧٤
 ﴿وَرَفَلَ وَرَأَاهُمْ مَلَكٌ﴾ ١٨١
 ﴿وَرَفَلَ وَعَدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ٢٤٨
 ﴿وَرَفَلَ يَوْمَا عَلَى الْكَافِرِينَ عَصِيرًا﴾ ١٩٤٦
 ﴿وَرَفَلَ وَأَمَّا زَيْنُ عَافِرًا﴾ ٢١٧
 ﴿وَرَفَلَ وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْخِرُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٣٤٤
 ﴿وَرَفَلَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُبْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۚ
 وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ٣١
 ﴿وَرَفَلَ مِنْ قُرْبَى أَمْلِيَّتٍ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِمَا أَحْذَرْتَهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ ٢٣٢
 ﴿وَرَفَلَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِجْوَى كَثِيرٌ﴾ ١٠٢٢
 ﴿وَرَفَلَ لَهُ فِي الْأَنْوَاعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْظِعَةٌ وَفَضِيلًا كُلُّ شَيْءٍ﴾ ١٦٨
 ﴿وَرَفَلَ أَحْذَرْتُكَ إِذَا أَحْذَرْتُ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ ١٦٩٤
 ﴿وَرَفَلَ أَحْذَرْتُكَ إِذَا أَحْذَرْتُ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَحْذَرَ الْيَمَّ شَدِيدٌ﴾ ١٧٠٢
 ﴿وَرَفَلَ أَحْذَرْتُكَ إِذَا أَحْذَرْتُ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَحْذَرَ الْيَمَّ شَدِيدٌ﴾ ١٦٩٤، ١٦٩٤
 ﴿وَرَفَلَ أَحْذَرْتُكَ عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ۚ
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّا نُمْنًا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ
 وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِنَا وَأَنَّكَ تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ۚ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ عَصِيَ الْأَمْرُ﴾ ١٢٣
 ﴿وَرَفَلَ تَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٩٧٦
 ﴿وَرَفَلَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى
 بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ١٣٢١
 ﴿وَرَفَلَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى
 بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَمْ تَسَاءُ رُفَاتُكَ مَا فَعَلُوا فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۚ
 وَلَتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَعْتَبُرُوا مَا هُمْ
 يَفْتَرُونَ﴾ ١٦٥٧
 ﴿وَرَفَلَ جَعَلْنَاكُمْ لَكُمْ رُسُلًا﴾ ٧٨٧، ٥٧٦
 ﴿وَرَفَلَ جَعَلْنَاكُمْ لَكُمْ رُسُلًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتَكُونُ الرُّسُلُ
 عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ٧٩
 ﴿وَرَفَلَ لَنْ يَفْرَعُونَ سِرَّهُمْ عَلَيْهِمْ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ﴾ ١٥٦

وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا ﴿١٨٠﴾
وَلَا يَلْقَاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿١٨٠﴾
وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْرِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣٠﴾
وَلَا جَزَاءَ لَكُمْ بِنَفْسِ الَّذِي حَزَمَ عَلَيْكُمْ ﴿٣٦٧﴾
وَلَا صَاحِبَكُمْ فِي جَدْعِ النَّخْلِ ﴿١٥٤﴾
وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنْعَلِي ﴿٢٥٣﴾
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ وَلَدَنَا وَإِلَهُ الْآلِهَةِ وَرَسُولُهُ كَذَّبُوا لَا تَسْجُدُوا لَا تَخْشَوْنَ كَذَّبَتْكُمْ بِهَذَا إِبْرَاهِيمَ ﴿١٦٨﴾
وَلَئِنْ لَمْ يَنْفَعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَفْسَدَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الْصَّاعِقِينَ ﴿١٢٧﴾
وَالْوَلَاةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴿٢٥٤﴾
وَلَيُّوْا فِي كَتِفِهِمْ ثَلَاثَ يَتَرٍ مَبِينٍ وَلَزَادُوا نَارًا ﴿٢٥٣﴾
وَلَيَنْصَبْنِي إِلَيْهِ أَفِيئَةُ الدِّينِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيْسَ فَضْرَةٌ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَيَنْصَنَعَنَّ عَلَى عَصِيٍّ ﴿١٤٥﴾
وَلَيَنْفَعَنَّ إِنَّمَا أَتَى عَلَى يَدَيْهِ وَأُتِيَتْ ﴿١٥٤﴾
وَلِلَّذِينَ الْغُلَامَى وَالنِّسَاءَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَبِيَ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ بَيْنَكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ مِنَ السُّرُورِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٥٥﴾
وَلِلسَّيِّمَانِ الرَّبِّعِ عَاصِفَةٌ ﴿٢٠٧﴾
وَلِلسَّيِّمَانِ الرَّبِّعِ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بَاسْمِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٢٠٧﴾
وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُّونَ لَهُ وَيَمْنَعُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٩٩٩﴾
وَلِلسَّيِّمَانِ الرَّبِّعِ عَاصِفَةٌ شَهْرٌ وَزَوَّاجُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْفُطُورِ وَمِنَ الْجِبْنِ مَنْ يَتَعَلَّ بِزَيْنٍ يَدَيْهِ يَذْنُ رِيحًا وَيَنْفَعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَفْعُهُ مِنْ غَضَابِ السَّيْرِ يَغْشَوْنَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَخَابِرٍ وَمَتَابِلٍ وَجْهَانِ قَالِجَزَابٍ وَفُكُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُمْ عِبَادِي الشُّكُورُ ﴿٢٠٧، ٩٩٩﴾
وَلَنَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْثَرُ ﴿٢٥٥﴾
وَلَنَلْعَلُّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٥٥﴾
وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُلَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٩٦﴾
وَلَقَدْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُلَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَالُ الَّتِي أُتِمْتُ بِهَا عَابِدُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَتَمَّ وَأَكْبَارًا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا اجْعَلْ بَالِحًا أَمْ أَنْتَ مِنْ دُونِ الْأَخْيَارِ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرْنَاهُ وَمَا عَلَى ذِكْرِكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ وَتَالَلَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَانَكُمْ بِهَذَا أَنْ تَزُولُوا مِنْهُنَّ فَجَعَلْنَاهُمْ جُنَادًا إِذْ أَكْبَرُوا لَهُمْ لَنَلْعَلَّ إِلَهُهُ يَرْجِسُون قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِالْكَهَنَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا قَوْلَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا قَالُوا بِأَعْيُنِ النَّاسِ لَنَلْعَلَّ يَتَّبِعُون قَالُوا أَلَمْ تَأْتِ فَكُنْتَ هَذَا بِالْكَهَنَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَكُنْتُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ فَجَرَّوْا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَجَّوْا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْظُرُونَ قَالَ أَتَقْتَضُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَ لَكُمْ أَلْسِنَةٌ يُتَبَدَّلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴿٩٧﴾
وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمَاً وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٠﴾
وَلَقَدْ أَتَيْنَا دَاوُدَ مِثًا فَضَلْنَا بِجِبَالٍ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَّا لَهُ الْخَنِيذَ أَنْ اعْمَلْ صَابِقَاتٍ وَقُلْنَا فِي السَّوْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٩٨﴾

١٢٧١ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ نَرٍّ وَرَكَّبِهِمَا مِنْ خُلُقَاتٍ﴾ ٣٨
 ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ. وَحَفِيطَةً مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
 وَرَجِيمٍ﴾ ٣٨، ٥٦
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلَافَةِ مِنِّينَ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفًا فِي فَرْجٍ مَّكِينٍ﴾ ٧٢
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَبِّ السُّنْدُونِ. وَالْجَاثِلُ خَلْقَهُ مِنْ كُلِّ
 مِّن نَّارِ السُّمُومِ﴾ ٥٠
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَبِّ السُّنْدُونِ. وَالْجَاثِلُ خَلْقَهُ مِنْ كُلِّ
 مِّن نَّارِ السُّمُومِ. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ
 حَبِّ السُّنْدُونِ. فَأَقْبَرُوهَ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ.
 قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَاذَا أَلَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَكَ لَاشِدًّا لِشَيْءٍ
 خَلَقْتَنِي مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَبِّ السُّنْدُونِ. قَالَ فَاصْرُخْ فِيهَا فَانْكَرَ رَجِيمٌ. وَإِذْ
 عَلَيْنَا لَعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَاغْفِرْ لِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ
 إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الزَّوْجَةِ الْمُعْلَوِّمِ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
 لِأَتَّخِذَ لَهْمٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُوَفِّيَهُمْ أُجُورِي. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنِّي عَابِدِي لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعْتَنِي مِنَ الْغَاوِينَ. وَإِلَّا جَهَنَّمَ لَنُزَعِجَهُنَّ أُجُومًا. لَهَا
 سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُنَّ جُزْءٌ مَّقْصُومٌ﴾ ٥٨
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
 إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا
 خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ﴾ ٥٩
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
 إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا
 خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ. قَالَ فَاصْطَبْ فِيهَا فَمَا يَكُونُ
 لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
 يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَ لَهُمْ صِرَاطَكَ
 الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَا تَجِدُ لَظْمَتَهُمْ شَاوِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا
 لَّنْ يَنْفَعَكَ مِنْهُمُ لَظْمَتُهُمْ بِمَا كُنتَ أَجْمَعِينَ. وَبِمَا أَدَامَ اسْكَنْتَ أَنْتَ
 وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ تَكْلَامًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَخْرُجَا هَاهُنَا فَتَكُونَا مِنَ
 الظَّالِمِينَ. فَوَسَّوْنَا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدْبِرَ لَهُمَا سَاءَ وُورِي عَنْهُمَا مِنْ
 سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ مَّاءِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ
 أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِيدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَنِ الْبَاصِرِينَ. فَذَلَّلْنَاهُ
 بِمَرْوَرٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَافَاخُمَا رِيحُهُمَا إِنَّهُنَّ لَمِنْ الْهَاجِكَةِ عَنْ يَّتَكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْبَلَ
 لَكُمَا إِلَى الشَّيْطَانِ لَكُمَا عُدُوٌّ مُّبِينٌ. قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنَّ لَنَا لَمُنْفَرِجًا
 لَّنَا وَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَاصِرِينَ. قَالَ لَظْمُوا بِمَنْفَعَتِكُمْ لِيَخْشَعَ عُدُوُّ
 وَلَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَوَسَتْغٌ إِلَى حِينٍ. قَالَ فِيهَا تَحِينُونَ وَفِيهَا
 تَعْمُرُونَ فِيهَا تَعْرَجُونَ﴾ ٥٨
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ١٥٩٠
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَيْمَنِ﴾ ٤٥
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ ٤٥
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُتَقَى﴾ ٤٥، ٤٣
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُتَقَى. عِندَمَا جَنَّ السَّمَاوَاتِ. إِذْ يَخْشَى
 السُّلْطَانَ مَا يَخْشَى. مَا رَآهُ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى﴾ ١٤٤
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُنَا عِنْدَ فَاكُسْتُمْ﴾ ١٢٧
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُنَا عِنْدَ فَاكُسْتُمْ أَهْلَهُمْ فَلَدُّوا غَدَابِي وَنَلَّوْا وَلَقَدْ
 صَبَّحَهُمْ بِكُورَةٍ غَدَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ١١٥
 ﴿وَلَقَدْ رَآهُ السَّمَاءُ الدُّنْيَا صَاحِبًا﴾ ٣٨

[illegible]

[illegible][illegible]

- يُؤَدُّونَهَا وَيُحْفَظُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمَا مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ. وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَزِيدًا مِمَّا كُنْتُمْ تُشْكِكُونَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِيُّنَا قُلِ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. ١٨٢
- ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ١١٩
- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَرْغَبِهِ وَعَدَّاهُ إِثْمًا فَلَمَّا ثَبَّتَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ تَرَىٰ مِنْهُ إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَآتَاءٌ خَلِيمٌ﴾ ٩٦
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُفْصِحَ يُنَاقِشَكُمْ﴾ ٤٧٧
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُفْصِحَ يُنَاقِشَكُمْ إِنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَزُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٤٧٦
- ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا إِنْ دَلَّكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ٨٣٦
- ﴿وَمَا كَانَ لِنَاسٍ أَنْ يَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ١٢٧٨
- ﴿وَمَا كَانَ يُنْصَأُ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ ٩٨٧، ١٠٥٧، ١١٦٩
- ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَنْصَرِفَ مِنْ يَوْمٍ بِالْآخِرَةِ يَمُنُّ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ٥٢
- ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ٦٩١
- ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَائِكِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَخْلَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْيِيلُهُ كَذَّابٌ أَكْذَبُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ قَوْمَهُمْ فَأَتَتْهُمْ كُلُّ غَايَةِ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٩٥
- ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَائِهِ إِلَّا الْفِتْنَى﴾ ١٩٤٠
- ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ٢٤٩، ٢٣٢
- ﴿وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ١٤٠
- ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ ٣٥٢
- ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ بَيْنِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٨٩٦
- ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاعِلِينَ﴾ ١٤٩
- ﴿وَمَا كُنْتُ تَلُو مِنْ كِتَابٍ وَلَا نَحْطُهُ بِحِجَابٍ إِذْ أُنْزِلَتْ السُّبُطُ لِلرُّسُلِ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلِ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلِ كَفَىٰ بِاللَّهِ بُعْدَ بَيْنِكُمْ شَيْعًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٨٩٥
- ﴿وَمَا كُنْتُ زَجْرًا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ٣٦٦
- ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا نَمْنَحُ الْيَهُمَ يَكْفُلَ مَرِيضَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٨٩٦
- ﴿وَمَا كُنْتُ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥٩
- ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٨٨٣
- ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ٧١٧
- ﴿وَمَا لِي أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ١٥٦٢
- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ٥٢٩، ٥٣٣، ٨٠٧، ٨٠٧، ١٠٢٢
- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ شَاءَ أَوْ قِيلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَتَسْجَرِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ يُنْصَأُ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرِي الشَّاكِرِينَ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَرُوا إِنَّمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَيْتَ أَفْعَالَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَخَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُلَاحِظُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُوا عَنْكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلُبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ سَلَفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُحِزْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا وَاهُمْ النَّارَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ الظَّالِمُونَ﴾ ٥٣٣
- ﴿وَمَا مِنْ دَلِيلٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ٢٣١
- ﴿وَمَا مِنْ دَلِيلٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رُفْقَاهُ وَيَتْلَمَسُ مَسْجَرُهُمَا وَيُسْتَوْدَعُهُمَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣٧
- ﴿وَمَا مِنْ دَلِيلٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِفٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِيتُ أَتْلَاكُهُمْ مَا قُرْطَنَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ٣٧
- ﴿وَمَا مِنْ غَايَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٢٥٧
- ﴿وَمَا يَأْتِيهِ إِلَّا لَعْنَةُ مَلَكُومٍ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَبْرُونَ﴾ ٤٢، ٤٤
- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَشَأَ اللَّهُ بِشَرِّ رُسُلِهِ قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَبْشُرُونَ مَلَائِكَتَيْنِ لَتَرَكْنَا عَنْهُم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ٨٨
- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا تَشَوُّوهُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ٣٨٧
- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا تَشَوُّوهُ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ٣٨٦، ٩١
- ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا يَنْتَظِرُكَ وَمَا تَبَيَّنَ أَهْلِيْنَا وَمَا خَلَفْنَا﴾ ٤٥
- ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا يَنْتَظِرُكَ وَمَا تَبَيَّنَ أَهْلِيْنَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ٤٣
- ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْإِسْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ١٢٩
- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ ٨٨
- ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ ٧٨
- ﴿وَمَا رَبُّهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٩٩٥
- ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا وَكْرٌ لِلْمَلَائِكِينَ﴾ ٩٨٩
- ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُوْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَاشِفٌ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ ٩٨٩
- ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْمَلَائِكِينَ﴾ ٩٨٩
- ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٌ رَّجِيمٌ فَإِنْ تَذَكَّرْتُمْ إِذْ هُوَ إِلَّا وَكْرٌ لِلْمَلَائِكِينَ﴾ ٨٩٩
- ﴿وَمَا هِيَ بِغَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ٤٧٠
- ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ١١٦
- ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ٦٩
- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ٢٩٩
- ﴿وَمَا يَتَخَوَّىٰ الْجَحَنَّمَ هَذَا عَذَابٌ فَزَاتِ سَلَفٍ سَلَفٌ شَرٌّ وَأَعْدَاؤُكُمْ وَبَلَغَ أَسْبَاحُ وَبَلَغَ تَحْوِي تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَبْشُرُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلُكُ فِيهِ مَوَازِيرَ يُبَشِّرُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٣٤
- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُزْءَ رَبِّكَ﴾ ٤٣
- ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُزْءَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ٤٤، ٤١٣
- ﴿وَيَبْشُرُ رَسُولُ بَاقِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ ٩٥٠
- ﴿وَتَنَالَا﴾ ١٥٩

[illegible]

١٦٨ ﴿أَجْمَعِينَ﴾
١٣٣ ﴿وَمَعَا أَهِي﴾
١٠٦ ﴿وَمَعَا بَغْلِي﴾
١٠٩ ﴿وَمَعَا الشَّيْءِ﴾
١٤١١، ٩٤٩ ﴿وَمَعَا الْبَلَدِ الْآلِيَيْنِ﴾
١٤٦ ﴿وَمَعَا مِنْ عَتُونِي﴾
٢٢٦ ﴿وَمَزْنِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ الْخَلْقَةِ سَاقِطٍ عَلَيْكَ رَطْبًا حَيًّا﴾
١٤٨ ﴿لَعَلِّي أَتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أَحَدٌ عَلَى النَّارِ مُنْذَرٌ﴾
٢٠٠ ﴿وَأَوَدَّ أَنَّمَا فَتَنَتْهُ فَلَا تُفْتَنَنَّ رَوْثَهُ وَخَرَّ رَاكِبًا وَأَنَابَ﴾ ﴿س﴾
٤٢١ ﴿وَمُمْ﴾
٢٠٤ ﴿وَمُمْ صَاغِرُونَ﴾
٢٥١ ﴿وَمُمْ فِي فَجْزٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾
١٢٥، ١٢٥، ١٤٥ ﴿وَمُمْ لَا يَشْفَعُونَ﴾
٢٥٠ ﴿وَمُمْ مِنْ كُلِّ حَذْبٍ يُسَبِّحُونَ﴾
٤٢١ ﴿وَمُمْ يَهْوُونَ عَنْهُ وَيَتَنَازَعُونَ عَنْهُ﴾
٦٩٨ ﴿وَمُمْ وَمَا لَمْ يَمْلَأُوا﴾
٣٨ ﴿وَمُمْ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الشُّجْرَ يُعْتَدُونَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْأَجْرِ﴾
٣٩ ﴿وَمُمْ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
٥٩ ﴿وَمُمْ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خِلَافَ الْأَرْضِ﴾
٢٧ ﴿وَمُمْ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾
٣٤ ﴿وَمُمْ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ شَعِيرَةٍ وَتَرَى الثَّلْجَ مَرَاجِحَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتُكْمِلُنَّ أَشْجَارَكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُبَدَّى بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسَبَّحَ لَكُمْ تَعْتَدُونَ وَغُلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَمْسَنَ خَلْقًا كَسَنَ لَا يُخْلَقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَعَدُّوا إِلَى اللَّهِ تَعْدُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
٦٠٠ ﴿وَمُمْ الَّذِي خَفَا أَيْهَاتِهِمْ عَنْكُمْ وَأَيَّاهُمْ عَلَيْكُمْ يُنظِرُ مَحَلَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَنْظِرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾
٣٤ ﴿وَمُمْ الَّذِي تَرَجَّ الْحَزِينُ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَمَعَا يَلْبَحُ أَسْبَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّحْجُورًا﴾
٩٩٢ ﴿وَمُمْ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمُمْ أَهْرُونَ عَلَيْهِ﴾
١٥٢ ﴿وَمُمْ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمُمْ أَهْرُونَ عَلَيْهِ وَلَهُ الْفَتْحُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُمْ الْغَزِيُّ الْحَكِيمُ﴾
١٣٢ ﴿وَمُمْ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَرْجِعُوا إِلَى أَيْمَنِكُمْ قُولُوا يَا أَيُّهَا إِنْ بَلَغَ سَرَقٌ﴾
١٤٢ ﴿وَمُمْ سَفِيمٌ﴾
٢٨ ﴿وَمُمْ الْفَقْرُ الْوَدُودُ دُوَّ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾
٤٦ ﴿وَمُمْ الْفَاهِرُ فَرَقَ عِيَالَهُ وَوَقِفَ عَلَيْكُمْ حَقْفَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ مِنَ الْغَمِّتِ فَزَنَّهُ رُسُلًا وَمُمْ لَا يُغْفَرُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ إِلَّا تِلْكَ الْحَكْمُ وَمُمْ أَسْرَعَ الْحَاكِمِينَ﴾
٨١ ﴿وَمُمْ تَخْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾
٨١ ﴿وَمُمْ وَأَمَّا مَوْسَى فَتَلَاوَيْنَ لَيْلَةً وَأَمْسَنَاهَا بِعَشْرِ قَسَمٍ صَبَّاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مَوْسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاءَ مَوْسَى لِصِغَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ يَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّتْ مَكَانَهُ فَسُوفَ

- ﴿وَقُلْ لِكُلِّ آتَاكُم عِلْمٌ﴾ ٤٠٣
- ﴿وَقُلْ لِكُلِّ مَهْرَةٍ لَكُمْ﴾ ٤٠٣
- ﴿وَقُلْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ٦٠٢
- ﴿وَقُلْ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَخِفُّونَ. وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ. لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْعَالِينَ﴾ ٢٠٠١
- ﴿وَنَلِكُمْ قُرْآنٌ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ١٨٠
- ﴿وَنَلِكُمْ لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُصْحِبَكُمْ يَبْدَأُ بَعْدَ ذَلِكَ نَوْمٌ لَكُمْ وَرَبُّكُمْ عَلِيمٌ﴾ ١٥٢
- ﴿وَيَتَزَلَّ عَلَيْهِمُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُكَبِّرَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ٤٨٢
- ﴿وَيَوْمَ تَنفَعُ السَّمَاءُ رِجْسًا يَلُغُهَا السَّالْكَةُ تَرَكُنَا الْغُلَّامُ يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ أَغْلًا مُبْرَحِينَ وَكَانَ يَوْمَ عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤٣
- ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ١٥٧
- ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْجُدُونَ لِلتَّائِبِينَ﴾ ٢٥٥
- ﴿وَيَوْمَ يَبْغِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا رَبَّنَا لَيْتَنِ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ٤٠٤
- ﴿وَيَوْمَ يَبْغِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا رَبَّنَا لَيْتَنِ لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَهْلَكُنِي مِنْ الدَّخْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُلًا﴾ ١٧٤٦
- ﴿يَا أَبَتَا نَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَى يَوْمَيْهِ وَإِنَّا لَنَاصِرُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ. قَالَ إِنِّي لَخَيْرٌ نَبِيٍّ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَذَتْ أَنْ يَأْكُلَ اللَّذَّةَ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَائِلُونَ. قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ اللَّذَّةُ وَتَخُنَ عَصِيَّةٌ إِنَّا إِذًا لَخَامِرُونَ﴾ ١٢٥
- ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْ﴾ ١٤٧
- ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِذْ خِرَ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمْرَ﴾ ١٢٦، ١٤٧
- ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْلُكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ٩٦
- ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ١٦١٩
- ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ ١٠٤
- ﴿يَا أَخْتِ هَارُونَ﴾ ٢٢٧، ٢٢٧، ١٦٣
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاظًا إِلَى مَرْثَمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْفِرُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. لَسَنُيَسْخِفُكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَتَّبِعْكَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَتَسْتَكْبِرُ فَسَخَّرْنَاهُ إِلَيْهِ حَيْمًا. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَرْفَعُهُمْ أَجُورُهُمْ وَيَرْبِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنَفَرُوا وَاسْتَخْبَرُوا فَعَذَّبْنَاهُمْ نَارَ الْيَأْسِ وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ٢٢٩
- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَارِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْوَرْدِ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبِينَ فِيكُمْ بِمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ قُلْ لِمَ تَحَارِجُونَ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ الْأَمْرُ وَكَذَا الْبَنِيُّ وَالْذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٩
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ ١٣٢٨
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ١١٩٠
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآتُوا بِرِسُولِهِ لِيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيَرْضَاهُمْ. إِنَّهُمْ لَفِي سَكْنَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَجْمَعِينَ. أَتَدْعُونَ اللَّهَ وَتَذْهَبُونَ عَنْ سُورَتِهِ وَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ﴾ ٥٦١
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمًا أَنْ يَنْسَلُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ ٥١٩
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا بَعَثْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمًا أَنْ يَنْسَلُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَكْرُلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥٥٧
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ ١٢٨٧
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ ١٢٨٧

- ١٧٧ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾
- ٨٧ ﴿يَا قَوْمِ لَا تَأْكُلْكُمُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
- ١٢٠ ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَاتٍ وَمَن تَصَدَّقَتُمْ لَكُمْ﴾
- ٩٤ ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَةٍ وَمَن تَصَدَّقَتُمْ لَكُمْ﴾
- ١٥٥ ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ مَثَلُ الْيَوْمِ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾
- ٩٨٩ ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي عِلَاقَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾
- ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا فِرْعَانَ يَبْهِي إِلَى الرُّسُلِ فَأَتَيْنَاهُ بِمَا بَنَى وَلَسْنَا نَمُنُّ بِكَ بِرَبِّنَا
- أَعْدَاءُ﴾
- ٣٧٢ ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى
- الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
- ٣٦٨ ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾
- ١١٥ ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾
- ١٩٠، ١٤٠ ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَارًا وَلَا كُنْتُ بَآلِيَةً رَبَّنَا وَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
- ١٦٢ ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَخَذْتُ﴾
- ٢٥٤ ﴿يَا لَيْتَنِي مِثْلَ كُلِّ قَوْمٍ خَلَقْتَ نَسِيًّا نَّسِيًّا﴾
- ١٣٥ ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْقَاصِيَةَ﴾
- ١٤١٥ ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾
- ٢٢٢ ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾
- ٢٢٧ ﴿يَا مُعَذِّرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَقُولُوا مِن أَطْفَالِ السَّمَاوَاتِ
- وَالْأَرْضِ نَافَعُوا لَا تَقُولُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ قِيَاسِيٍّ أَلَمْ يَكُنْ أَهْلًا بِرَبِّكُمْ فَكَذَّبْتُمْ
- بِرُسُلٍ عَلَيْكُمُ سُرَاتٍ مِّن قَارٍ وَمَخَاسِنَ فَلَا تَصْرِفُونَهَا قِيَاسِيٍّ أَلَمْ يَكُنْ أَهْلًا
- بِرَبِّكُمْ فَكَذَّبْتُمْ﴾
- ١٥٦ ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾
- ١٤٩ ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتَقَرَّبُونَ بِكَ لَيَقُولَنَّ مَا هُوَ عَرِيفٌ﴾
- ١٤٦ ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتَقَرَّبُونَ بِكَ لَيَقُولَنَّ مَا هُوَ عَرِيفٌ﴾
- ١٥٩ ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
- ١٤٨ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ بَكُنْ بِمَا جَاءَتْهُنَّ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
- وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَن يَتَّبِعْ بَكُنْ لَهُ وَمُسُوِلُوهُ وَمُسْمَلٌ
- صَالِحًا لِّوَلَّيْهَا أَجْرًا مَّرْكُومٌ وَأَعْتَدْنَا لَهُا رَدْفًا كَرِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ
- كَأَحَدٍ مِّنَ السَّائِلِينَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ
- مَرْغَبٌ وَفَلَن يُؤْمِنَنَّ وَأَن يَتَّبِعَنَّ وَلَا تَوَّجَّهْنَ يَبُوجَ الْمُجَافِلِينَ
- الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
- لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَلَذِكْرُ مَا بُكِنَ فِي
- يُؤَيِّنُكُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾
- ٨٣١ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسَىٰ لَهُ مِثْلُ نَجْتَلٍ لَّهُ مِثْلُ نَجْتَلٍ
- أَتَيْنَاهُ فِي الْأَمْسَاءِ سَمِعْتُهُمَا تَسْمِعُ الْوَحِيدَ الْفَهَارَ مَا تَعْبُدُونَ
- مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمِعْتُهُمَا تَسْمِعُ الْوَحِيدَ الْفَهَارَ مَا تَعْبُدُونَ
- إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾
- ١٢٨ ﴿يَا صَاحِبِي السَّحْنِ إِنَّا أَخَذْنَا كَيْفِي رِيَّةَ خَيْرًا﴾
- ١٢٨ ﴿يَا صَاحِبِي السَّحْنِ إِنَّا أَخَذْنَا كَيْفِي رِيَّةَ خَيْرًا﴾
- ٢٣٥ ﴿يَا صَاحِبِي السَّحْنِ إِنَّا أَخَذْنَا كَيْفِي رِيَّةَ خَيْرًا﴾
- ١٤٠ ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾
- ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى
- أَدْبَارِكُمْ﴾
- ١٦٤ ﴿يَا قَوْمِ احْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾
- ٧٨ ﴿يَا قَوْمِ احْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
- وَأَنصَحَكُمْ فِيهَا﴾
- ٩٢ ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَكُلِّي اللَّهُ تَوَكَّلْتُ
- فَأَخْبِرُوا أَرْحَمَكُمْ وَسْوَاعَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَرْحَمَكُمْ عَنْهُ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ
- وَلَا تَطْغَوْا﴾
- ٨٨ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾
- ١٧٠

- ٣٠٨..... ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٤٣
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٩٩، ٤٩٨
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٠
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٢٦٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٧٥
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٧٥
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٤٤
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٦٩٣
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٥٥
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٢٠٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٣٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٥٦
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١١٨
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٧٢٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٢٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٢٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٣٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٤٥٩، ١١٨٦، ١١٨٦، ٣٢٢
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٧٩٢
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٥٢٠، ٧٩٣، ٧٧٤، ٧٣٩
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٧٦٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٥٦
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٧٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٥٦٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٩٩١
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٨١٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٧٤٦
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤١٢
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٨٥٧
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٢٢٤٥
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٣٣
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ١٣٣
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٤
 ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْغَنَى وَالْفَقْرِ﴾..... ٤٤

فهرس الأحادیث والآثار

٤٣٦	أبايكم على أن تمنعوني ثما تمنعون منه نساءكم	٣٣٨	أجرت نفسي من خديجة سفتين بقلوص
٦٦٥	أباهه على الإسلام والإيمان والجهاد	٩٦٥، ١١٤٧	آخر شرية تشربها من الدنيا شرية لين
٣٠	أجد هوز حطلي كلمن سفص قرشت	٤٤	آخر ما عليهم
٩٦٨	الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما	٩٧١	آخركم موتاً في النار
٤٣٢، ١٢٠١	إبراهيم	٧٢، ٢٧١	آدم
١١٢	إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجدد آدم	٦٠٨	أذن من حولك
١٤٨	أبرهما وأوقاهما	٩١٤	أرسلك أبو طلحة؟
٥٨٢	أبسط رجلك	٢٩٦	أشاعر؟
١٢٤٠	أبسط رداك	٧١١	أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، أمركم بالإيمان
٨٤٢، ١٣٣٦	أبسط كسادك	٧١٠	أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله
٦٨٣	أبشر	٣٠٨	أمن شعره وخضر قلبه
١٠٦٩	أبشر بالحياة، انت صر فاقتره مني السلام وقل	٢٤٣	أمنت بالله
٧٠١	أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك	٩٥٩	أمنت بالله ورسله
٨٨٩	أبشر فقد جادك الله بقضاء دينك	٧١٣	أمنت بالله ورسله، ولو كنت قتالا رسلاً لقتلتكما
٦٩٢	أبشر فولذي نفسي بيده لقد كُتِبَ في الزكاة للمغلبة	٢٦٩	أمنت بك ومن انزلك
٤٨٧	أبشر يا أبا بكر أراك نصر الله، هذا جبريل أخذ	٩٣١، ١٢٤٤	أمين
٤٨٩	أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء	٩٨٣	الآيات بعد الماتين
٤٩٠	أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامة آخذ	٤٥٤	آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار
٤٨٩	أبشر يا أبا بكر هذا جبريل يقود فرسه على ثيابه	٥٨٣	آية بنيي وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخسرون
٣٩٠	أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة	٣٠	آية الكرسي، كَفَضَ تلك الفلاة على تلك الحلقة
٥٦٦	أبشروا بفتح الله ونصره	٩١١	أنت بها
٢٤٩	أبشروا فإن فيكم اثنين ما كانتا في	٩٤٠	أنت الميضا فترضاً ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم
٦٦٨	أبشروا فقد جاءكم فارسكم	١٢٤٣	أنتا بتلك القصة
٩٥٦	أبشروا فوالله لأنا بكرة الشيء أخوتي عليكم	٩١٢	أنتي بأعظم إناء لكم
٨٩٠	أبشروا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام	١١٢٧	أنتي بيبي أخي
٩٥٥	أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أعشى	٥٧١	أنتي بخير القوم ولا تدعهم علي
٧٢١	أبشروا يا بني حميم	٩٢٩	أنتي بشي أشد راسه
٥٩٣	أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل بمراتك	٩٢٩	أنتي بشي أشد راسه وأملكك منه
٣٦٨	أبصرتني في بطن الجنة وعليه السندس	٧٩٩	أنتي يكف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا
٣٦٨	أبصرتها على نهر في الجنة في	٥٣٦	أنته فانظر ما شأنه
٦٧٢	أبعده الله فإنه كان يغيض قرشاً	٩١٨	أنتوا بأوعيتكم
١٣٥	أبن آدم الموت خير لك من الفتنة	٧٩٩	أنتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنزعوا
٧٠٤	أبن أبي العاص؟	٢٢٥٠	أنتوني بالسكين أشقه نصفين
٦٨٢	أبن أخت القوم منهم	١٣٦٠	أنتوني بيبي أخي
٩٧٨	أبن الزرقاء، هلاك أمي على يديه ويدي ذريته	٦٣٤	أنتيني بيبي جعفر
٤٦٠	أبن سمية، للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شرية	٩١٤	أنتن لعشيرة
١٢٧٥	أبن موقد النار	٨٢٣، ٧٣٧، ١١٨٧، ١١٨٦، ١١٨٤، ٤٠٠	إبتدأ له
١٢٠٤، ١٠٤٤	أبنا العاص مؤمنان	٩٦٠، ١١١٨، ٩٦١، ١١١٨	أبتن له ويشره بالجنة
٦٢٦	أبنة أخي من الرضاعة	٩٥٨، ١١١٨	أبتن له ويشره بالجنة على بلوى نصيبه
٩٢٤	أبنوا لي متراً	٩٦١	أبتن له ويشره بالجنة مع بلوى أو بلاه يصيبه
٤٥٩	أبنوه عريشاً كمرش موسى	١١١٨	أبتن له ويشره بالجنة معها بلاه
٧٧٦	أبني أفضوا لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس	١١١٨	أبتن له ويشره بالجنة وسيلقى بلاه
٧٧٦	أبني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس	١٢٤٧	أبتنوا له
٩٧٨، ١٤٨٦، ١٣٠٧	أبو الجبابرة الأربعة	٩٧٨	أبتنوا له، حية، أو ولد حية، عليه لعنة الله
١١٢٦	أبوك حذافة	٥٣٧	أأكلت منه شيئاً؟
٧٩٥، ٦٤٥، ٤٦٦، ١٢٣٥	أبرها	٧٩٩	أبي الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر
٩١٧	أبيماً أم عطية؟	٨٨٠، ٨٨٥	أبا عمير ما فعل النغير
١٢٤	أبي النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له: بستانة اليهودي	٩١٢، ١٢٤٠	أبا هر
٨٧٦	أثأذين أن أحلبها؟	٩١٢	أبا هر غدا فاعطهم
١١٧١	أثأكل رطباً وأثأرمد؟	٩١٢	أبا هريرة
٧٢١	أثأكم أهل اليمن أضغف قلوباً ولارق أفئدة، الفقه	٧٢٥	أبايكم على أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم

- أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ٧٢١
- أتاني أت من ربي عز وجل فقال صلّ في هذا الوادي ٧٤٩
- أتاني أت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك ٧٥٣، ٧٤٣
- أتاني جبرائيل عليه السلام وأنا بالعقيق فقال: ٧٤٩
- أتاني جبرائيل فأمرني أن أمر أصحابي - أو من معي ٧٥٧
- أتاني جبرائيل فقال: إن الله بآمرك أن تأمر ٧٥٨
- أتاني جبرائيل فقال: مر أصحابك فليرقصوا أصواتهم ٧٥٧
- أتاني جبريل بالحنى والطاعون، فأمسكت الحنى بالمدينة ٨٤٥
- أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمي ستقتل ٩٧٣
- أتاني جبريل في خضر تعلق به الدر ٤٥
- أتاني الليلة أت من ربي عز وجل، فقال: صل في هذا ٧٤١
- أتاني الليلة أت من ربي فقال: صل في هذا الوادي ٧٤١
- أتاكم ما يشغلهم ٦٣٤
- أتبع السبيل الحسنة فتمحوا ٧٣٥
- أتبع هذا الرجل، فإنه يومئذ ومن اتبعه على الحق ١١٢٢
- أتبعوا هذا ٩٥٦
- أتبغض علياً؟ ١١٨٣، ٧٣٧
- أتبغض؟ ٩٤٣
- أتبينني جلك هذا يا جابر؟ ٥٥٨
- أتبينها؟ ٩٣٤
- أغبه يا زبير؟ ١١٣٥، ٩٦٤
- أغبرني؟ ٤٥٣
- أغفاني عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ١١٢٧
- أغفله من ورق، ولا تنه مثقالاً ٨٦٣
- أغفلوا الخيل واعتبروا فإنها ميرات أبيكم إسماعيل ١٢١
- أغفلوا السوفان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة ٢٥٨
- أثدرون أي يوم هذا؟ ٧٨٣
- أثدرون كمن بين السماء والأرض؟ ٣٨
- أثدرون ما الذي فوقها؟ ٣٣
- أثدرون ما فوق ذلك؟ ٣٣
- أثدرون ما هذا؟ ٢٢٣، ٢٨
- أثدرون ما هذه؟ ٣٣
- أثدرون ما هذه تحتكم؟ ٣٣
- أثدرون ما يقول البعير؟ إته يزعم أن صاحبه يريد ٩٢٩
- أثدرون ماذا قال ربكم؟ ٥٩٧
- أثدرون من هذا ٩٤
- أثدري من ذلك الرجل؟ ٩٧٥
- أثدوين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عنزة أسرته ٨٨٥
- أتركوا الترك ما تركوكم ٢٠٢٨، ٢٠٠٦، ١٠٨٥
- أثرون إلى أويش قريش وأتباعهم؟ ٦٦٠
- أتسمع أي عبد الله؟ أما والله لأفترغن لك ٤٣٨
- أُسمعُون يا معشر قريش؟ أمّا والذي نفسي ٣٨٥
- أُشنتهي الإناث؟ ٩٣٥
- أُشفع في حد من حدود الله؟ ٦٦٧
- أُشهد أني رسول الله؟ ٩٩٣، ٩٥٠، ٣٥١
- أُشهد أني رسول الله؟ ٧١٣
- أُتجبون من لين هذه لتأديل سعد بن معاذ خير منها ٥٧٨
- أُتجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه فطرح ٥٥٨
- أُتجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لتأديل سعد ٦٩٧
- أُتجبون منها، لتأديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن ٥٧٨
- أُتعلمني رسول الله؟ ٣٥١
- أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ٧٩١، ١١٨٤
- أتى الله حيشاً كنت ٧٣٥
- أتى الله وأمسك عليك زوجك ٥٨٥
- أتفاهم ١١٠
- أتقتل رجلاً من أهل بدر وما يدريك لعل الله قد ٦٤٩
- أتقرأ الإنجيل؟ ٣٥١
- أتقرأ التوراة؟ ٩٥٠، ٣٥١
- أتقوا فراسة للمؤمن فإنه ينظر بنور الله ١١٦
- أتقوا النار ولو بشق ثمرة ٩٥٣، ٧٢٠، ١٥٦٢
- أتقوا النار ولو بشق ثمرة فإن لم تجد شق ثمرة ٧٢٠
- أتقوا النار ولو بشق ثمرة، فإن لم تجد فيكلمة ٩٥٣
- أتكلمني في حد من حدود الله؟ ٦٦٤
- أقهما واكملهما ١٤٨
- أتى رسول الله ﷺ بإياه وهو في الزوراء فوضع يده ٩٠٨
- أتى رسول الله ﷺ يوماً بطعام سخن فأكل فلما ٨٨٨
- إثبات إمامة أبي بكر الصديق ٩٠١
- أثبت أحد، فلما عليك نبي وصديق وشهيدان ٩٥٨
- أثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ١١٨٩
- أثبت ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ٩٥٨
- أثياً أم بكرأ ٥٥٨
- أحب عني ٨٥٨
- أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها ٩٥٤
- أجذت لا يُفَضُّس فوك ٩٤٤
- أجذني يا جبريل مقموماً وأجذني يا جبريل مكروياً ٨٢٣
- أجلوا السير فإن بينكم وبين المشركين ماءً إن ١١١
- أجذيت ثوبك أم غسل؟ ٩٦٠
- أجزهم كما تحجز الرفد ٧٣٠
- أجمله؟ ٩٢٦
- أجمله في إياه ثم اتني به ٧٢٧
- أجمله في مسجدنا وأجره لك ١١٠٧
- أجملها سقاية للمسلمين ولك أجرها ١١٠٧
- أجملهن في مزود وأدخل يدك ولا تتز ٩١٩
- أجل ٢٩٧، ٤٨٠، ٦٧١، ٩١٨
- أجل إن شاء الله ٩٤٣
- أجل! إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم ٨٠٤
- أجل فكيف رأيت؟ ٦٨٥
- أجل لم يلف عليه إياه ولا أمه ٦٨٨
- أجل، مرت بي فلاتة فوقع في نفسي شهوة النساء فأثيت ٨٤٥
- أجل هذا طعامه في ذباب السيف ٥٨٢
- أجلس ٥٦٧
- أجلس أبا تراب، أجلس أبا تراب ١١٧٨
- أجلس على هذه ٧١٩
- أجلسني على بساط كهية الدرنولك فيه الياقوت ٣٦٩
- أجلسوا ٦٣٧، ٨٣٣
- أجلسوا هاهنا ٨٣٣
- أجمعوا إليك فصرها ١٢٤٣
- أجمعوا لريمية في ثمن كبش ٨٥١
- أجمعوا لريمية في صدقه في وزن نواة من ذهب ٨٥١
- أجمعوا لي من كان ههنا من اليهود ٦١٤
- أجمعي عليك ثيابك ١١١٩
- أجوع يوماً وأشبع يوماً ١٠٠٤

- ٩٧٢ أخبرني جبريل أن هذا يمثل بأرضي العراق -للحين-
 ٧١٠ أخبرني عن الزبرقان، فأما هذا فقلت أسالك عنه
 ٩٣٢، ٧٣٢ أخبرهم
 ٦٤٣ أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة
 ٦٨٤ أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله
 ٨٨٥ أخبروها لها لا تدخلها وهي عجوز فإن الله تعالى
 ١١٢ اختنق إبراهيم بالقرد وهو ابن عشرين ومائة سنة
 ١١٢ اختنق إبراهيم حين بلغ مائة وعشرين سنة وعاش بعد
 ١٠٣ اختنق إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين
 ١٠٣ اختنق إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة وعاش بعد
 ١١٢ اختلانا وقتة
 ٣٥٠ أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبين ميثاقهم
 ٦٣٢ أخذ الراية زيد بن حارثة فجاء الشيطان فجب إليه
 ٦٣١ أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً
 ٦٣٦، ١٠٧٨، ٦٣١ ثم أخذها جعفر قاصيب، ثم
 ٣٢ أخذ رسول الله ﷺ بيدي
 ٤٣٦ أخذت وأعطيت
 ٤٤٨ أخذتها بذلك
 ٩٢٩ أخرج إني محمد رسول الله
 ٩٦٣ أخرج بسيفك إلى الحرة فتضربها به ثم تدخل بيتك
 ٧٠٦ أخرج بهذه القصة من صدر براءة
 ٧١١، ٧٠٤ أخرج عدو الله
 ٩٣٠ أخرج عدو الله أنا رسول الله
 ٤٤٤ أخرج عني من عندك
 ٥٨٧ أخرج في طلب القوم حتى لحقك في الناس
 ٥٤٧ أخرج في هذه السورة فقد استمكتك عليها
 ٤٤٦ أخرج من عندك
 ٣٦٨ أخرجني من غيرة من جهنم إلى
 ٤٢٠ أخرجني من النار إلى غضاضة منها
 ٦٠٦ أخرجها من حسكرنا وأمرها بالحصاء فإن الله سيؤدي
 ٣٥١ أخرجوا أعلمكم
 ٦٢١ أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأثروا منه بغير وعلم
 ٤٣٦ أخرجوا إلى منكم اثني عشر تقياً يكونون على
 ٧٩٩ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد
 ٦٩٥ أخرجوا
 ٩٣٠ أخصاً عدو الله، أنا رسول الله
 ٥٢ أخصاً فلن تعدو قدرك
 ٨٤٨ أخصها بالحناء
 ٤٤٧ أخصوا عنا
 ١٨١١ أضع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى ملك
 ١٩٥٩ أدام ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر
 ١٩٦٠ أدام الله سلطان مولانا الملك العادل بوبار في
 ٨٨٥ أدخل
 ١١٢٤ أدخل الله الحت رجلاً كان سهلاً مشرباً وبائساً
 ٩١٥، ٩١٤ أدخل عشرة
 ٩١٥ أدخل عشرة عشرة
 ٩١٥ أدخل علي عشرة
 ٩١٤ أدخل نفرًا من أصحابي عشرة
 ٨٧٥ أدخل يدك
 ٦٦ أدخلت فريقت النار
 ٥١٣ أدخلوا ولا تضاغطوا
 ٩١٤ أجابوا أبا طلحة
 ٣٦١ أجابوا داعي الله
 ٥٧٣ أجابوا يا معشر يهود يا إخوة القردة، قد نزل بكم
 ٥٣٠ أجابوه
 ١٩٩ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى
 ٦٥٢ أحبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين
 ١٥٦٣ احتج آدم وموسى
 ٦٥ احتج آدم وموسى عند ربهما ففتح آدم موسى. فقال
 ٦٥ احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك
 ٦٥ احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم: يا آدم أنت الذي
 ٦٥ احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيتنا
 ٦٥ احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقتك
 ٦٦٤ احتجني منه بأسودة
 ٨٤٨ احتجم
 ٥٢٢ أخذ جبلً بيننا ونحب
 ٥٢٢ أخذ بيننا ونحب وهو على باب الجنة، وغير
 ٨٥٣ إحدى سرائك يا مقداد
 ٧١٣ أحدكم ضربه في النار مثل أحد
 ٥٩٣ أحسن يا حسان فيما أصابك
 ٩٤٤ أحسنت لا يفضض الله فك
 ٧٨٢ أحسنت هكذا فاصنعوا
 ٧٨٢ أحسنت وأجلستم هكذا فاصنعوا
 ٧٠٠ أحسنت وأصبتم
 ٧٩٥ أحسنهم خلقاً
 ٨٠٤ أحسنوا الفن بالله
 ٦٦٠ أحصوهم حصداً حتى توافوني بالصفا
 ٦٩٥ أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله
 ١٢٤٨ أحضروه أمامكم وأشهدوه أمامكم، فإنه قوي أمين
 ٥٣٨ أحفروا وأوسدوا واجعلوا الرجلين الثلاثة في القبر
 ٩١٠ أحفظوا علينا صلاتنا
 ١٢٨٠ أحفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد
 ٥٧٥ أحكم فيهم
 ٩١٣ أحلب لي تلك العنز
 ٨٥٢ أحلبهن يا مقداد، وجزنهن أربعة أجزاء، وأعط كل
 ٣٥ أحلبت لنا ثنتين وثمان السكك والجراذ
 ٧٧٨ أحلق أو قصر ولا حرج
 ٩١١ أحل لي غمري
 ٧٥٠ أحلوا فلولا أن معي الهدى لأحلت
 ٤٢٩ أحلوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة
 ٨٤٢ أحل فإنما أنت سفينة
 ١٣٣٦ أحل ما أنت إلا سفينة
 ٤٩٠ أحلوا
 ٥٢٩ أحملوا ظهورنا فإن رايتونا قتل فلا تصرونا
 ٣٧٣ أحياناً يأتيك جيل صلصة الجرس - وهو أشد
 ٩٦٧ أخير ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك
 ٤٧٣ أخير ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي
 ٦١٥ أخبرني هذه التي في يدي
 ٦٣١ أخبركم عن جيشكم هذا، إنهم انطلقوا فلقوا العدو
 ٣٨٨ أخبركم غداً بما سألتكم عنه
 ٦٤٤ أخبرني
 ٤٥٧، ٤٤٦ أخبرني بهن جبريل أنا

- ادخلوها من حيث قال حسان ٦٥٤
 أدرك أبا بكر فحيث لحفته فخذ الكتاب منه فاذهب ١١٩٠
 أدرك خالداً فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن ٦٧٣
 أدرك امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب ٦٤٨
 أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها ٦٥٤
 ادع بها ٦٠٩، ٤٥٠
 ادع عبيزة فلتخير معك واقضي بين برمتك ٥٦٣
 ادع ذلك المدق ٩٢٣
 ادع عشرة ٩٢٠
 ادع عشرة من أصحابي ٩١٤
 ادع فلاناً وأصحابه ٩١٩
 ادع لي أبا حسن ٧٨٠
 ادع لي أباي ١٢٨٣
 ادع لي أسامة بن زيد ٨٠٣
 ادع لي أصحابك من أصحاب الصفة ٩١٦
 ادع لي عشرة آخرين ٩١٤
 ادع يا علي أن ترد عليك الشمس ٩٠٤
 ادعوا إلى الله والإسلام ٩٢٣
 ادعوا إلى الله وحده لا شريك له وإن عمداً ٣٧٨
 ادعوا لك هذه الشجرة التي ترى ثلثيني ٤١٠
 ادعوا لي معاوية ١٢٤٨
 ادعوا لإخوانكم من ربيعة فقد أحاطتهم اليوم أبناء ٤٢٩
 ادعوا لي أبا بكر وابنه فليكب لحي لا يطعم في ٧٩٩
 ادعوا لي أخي ١١٩١
 ادعوا لي بعض أصحابي ٩٦١، ١١٠٨
 ادعوا لي الحلاق ٦٣٤
 ادعوا لي علياً ١١٨١
 ادعوا معاوية ١٢٤٨
 ادعوا إلى الإسلام! أن تشهد أن لا إله إلا الله ٦٠٦
 ادعواكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا ٤٢٩
 ادعي لي زوجك ٩٤٣
 ادعوا إليهم جيفة فانه حيث الدية ٥٦٧
 ادعوه في البقيع فإن له مرضعاً في الجنة ٨٣٩
 ادعوه في البقيع فإن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة ٨٣٩
 ادعوه بمالههم وثيابهم ٥٣٨
 ادعوه حيث صبروا ٥٣٨
 ادن مني ٩٤٢، ٦٠٤
 ادن يا عمر ١٤٣٠
 أدنه ٩٧٧
 أدنيا لي إناكماً ٦٩٨
 أدنيا وروسكاً ٩٤٣
 أدنيه من ٩٣٩
 إذ انتهت من نومي ١٢٤٩
 إذ ينشاكم النعاس أمته من ٥٣١، ٤٨٩
 إذ يترك الله ٦٥٨
 إذ أتاكم كريم قوماً فأكرموه ٧٢٥
 إذا اجتمع المسلمون فأنهروهم ٣٥٦
 إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا ٢١٧٢
 إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد ١١٥٢
 إذا أخبرتنا أخيراً ناك ٤٨١
 إذا اختلف المجاهدان والسلعة قائمة فالقول ما ١٣٦٩
- إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق ١١٤٨، ٩٦٥
 إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن ٢٤٣
 إذا استجبح ٥٤
 إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثر ثلاثاً ٥٤
 إذا استيقظ فصل ١٢٥٩
 إذا أصبح العبد ابتدره الشيطان والملك، فيقول ٥٠
 إذا احتشم مصر فاستصرها بالقبط خيراً، فإن لهم ٩٥٥
 إذا أقبل الليل من مهنا ١٣٣١
 إذا أقبل الليل من مهنا وأدبر النهار من مهنا ٣٩
 إذا أتيت الرايات السود من عقب خراسان فاتروها ٩٨٠
 إذا أتيت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس ٧٨٩
 إذا أكتبوكم - يعني المشركين - فارمومهم واستبقوا ٤٨٦
 إذا أعت قوماً فخفف بهم الصلاة ٧٠٤
 إذا آمن الإمام فامنوا. فإنه من وافق تأمينة تأمن ٤٩
 إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قله رفع له لواء ٩٧٦
 إذا أويت إلى فرشك فاقرني: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٨٤٨
 إذا بلغ اللبأ سلماً فافرج منها ١٠٩٧
 إذا بلغ بنو أبي العاص أرومين رجلاً اتخذوا دين ٩٧٨، ١٤٨٦
 إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً ١٣٠٧
 إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين ٩٧٨
 إذا بلغ بنو أبي للان ثلاثين رجلاً اتخذوا مال ١٣٠٧
 إذا بلغ بنو أمية أرومين رجلاً ١٣٠٧
 إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم ١٣٠٧
 إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله ١٣٠٧
 إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله ٩٧٨
 إذا بلغت بنو أمية أرومين، اتخذوا عباد الله ٩٧٨
 إذا تباب أسدكم فليكنظم ما استطاع، فإن الشيطان ٥٥
 إذا تدخل الجنة بغير حساب ٩٧٥
 إذا تزوج الرجل يلد فهو من أهله ١١٢٥
 إذا تشرك معهم ٩٧٤
 إذا التقيتما فلي على الناس وإذا افترقتما فكل ١١٨٣
 إذا تواجه المسلمان سيفيهما فالقاتل والمقتول ٧٠
 إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال مات ١٢٤٣
 إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكنبوهم ٢٦٦، ٢٦٩
 إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل ٦٨
 إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل ٥٣
 إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب ١٠٠٠
 إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان ٤٩
 إذا دعا العبد لأخيه يظهر الغيب قال الملك آمين ٤٧
 إذا رأيتم طالب حاجة فارشدوه ٨٧٨
 إذا رأيتم مسلماً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً ٦٦٣
 إذا رأيتم معاوية على منبري فائقوه ١٢٥٣
 إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه فإنه ١٢٥٣
 إذا رأيته وجبت له قشعريرة ٥٨٢
 إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه ٢٨
 إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ١٠٦٢
 إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ٤٢
 إذا صدقاكم ضربتموها، وإذا كلباكم تركتموها ٤٨١
 إذا صليت بقوم فخفف بهم حتى وقت لي ﴿اقرأ ٧٠٤
 إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام ١٢٢٠
 إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا ٥٤

- إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيراً ما وغيره ٩٠
- إذا قال الإمام أمين فإن للملائكة تقول في السماء ٤٩
- إذا قال الإمام: سمع الله أن حده تقولوا: ٤٩
- إذا قلمت على صاحبك قطاروما ٦٤٤
- إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ٦٩
- إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة ٥٦
- إذا كان أحسنهما عقلاً ١٢٢٠
- إذا كان أروعهما من عارم الله وأحسهما على ١٢٢٠
- إذا كان بارض رائنته ما فلا تخرجوا فراراً منه ١٩٥
- إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ٤٨
- إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم من ١٥٢١
- إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السنين ١٥٥٤
- إذا كتبت رايهام في طريق فاضطروهم إلى مضايقه ١١٩٣
- إذا لا يضرك بشر ٩٧٥
- إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما ١٤٤٩
- إذا لم تشع فاصنع ما شئت ١٨٥١
- إذا مر بين يدي أحدكم شيء فليمنعه، فإن أبى فليمنعه ٥٤
- إذا مشى أمي المطيخاء وخدمتهم فارس والروم، سلط ٩٨٥
- إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل لحلة بين مكة ٤٧٤
- إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا ٥٤
- إذا هلك قومه ونجت هو والصالحون اتاعا هو ومن ٨٥
- إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وإذا هلك كسرى فلا ١٠٩٩، ٥٦٥
- ٩٨٩، ٩٥٦، ٩٥٠، ١١١٨
- إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا ١٠٥٢، ٩٥٥
- ٩٥٣، ٦٤٣، ١٨٠٤
- إذا وليت فاعمل نحواً من عمل ملئين ١٤٣٠
- إذا بجزيك الله ٦٥٨
- إذا جاءكم كريم قوم فآكروموه ١٢١٨
- اذبح ولا حرج ٧٨٤
- أذن لي إن أحدث عن ملكك من ملائكة الله ٢٩
- أذن لي إن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حلة ٤٤
- إذنت علي أن تسمع سواي ١١٠٠
- أذهب إليه فاقته ١١٦١
- أذهب إليه قتل له: إنك لست من أهل النار، ولكن ٩٥٤
- أذهب إليهما نفل لهما: إن رسول الله يأمركما ٩٣٠
- أذهب أنت وريك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ٤٨١
- أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فاتني به ٦٥٢
- أذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها من التجم ٧٦٨
- أذهب فاتني به ٩٠٩
- أذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الأنصار ٩١٦
- أذهب فادع لي ستين من أشرف الأنصار ٩١٦
- أذهب فادع لي ثلاثاً وثلاثاً ٥٨٦
- أذهب فادع لي معاوية ٩٤٤، ١٢٤٧
- أذهب فادع لي ٩٤٤
- أذهب فاذكرها علي ٥٨٥
- أذهب فإنهما لا يعضيانك ٩٢٩
- أذهب فخذ جارية ٦٠٩
- أذهب فقدم ٧٢٧
- أذهب فقاتل ١٢٨٧
- أذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت ٦٠٣
- أذهب فمرهما فليجتعما لي ٩٣٠
- أذهب فوار أباك ولا تحدث شيئاً حتى تأتي ٤٢٠
- أذهب فواره ٤٢٠
- أذهب فواره ولا تحدث شيئاً حتى تأتي ٤٢٠
- أذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فاتني أكن ٣٤٦
- أذهبتم من غندي جيماً ورجعتم مغترقين إنا أهلك ٤٧٤
- أذهبوا بنا إلى سلمان ٥٦٤
- أذهبوا بهذه الحصيات فإذا أتيتم البئر فالتقوا ٩١٢، ٧٢٧
- أذهبوا فأنتم الطلقاء ٦٥٧
- أذهبوا فقولوا لها فلتاكل سمها وتدعو بالبركة ٩١٣
- أذهب لي الأنصار ٩٤٠
- أذهب لي أهل قباء ٩٤٠
- أردوا أن يزحوا رسول الله في العفة فيلقوه ٦٩٨
- أردوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه ٦٩٩
- أراه تبسم ٢٦٢
- أرايت إن ألقيت نفسي هل يصيبني إلا ما كتب لي؟ ٢٣٤
- أرايت إن دعوت هذا العلق من هذه النخلة أتشهد ٩٩٣، ٩٢٣
- أرايت إن وجدناه عندك أتناك؟ ٦٠٩
- أرايتك الذي كنت أهلكك أي رايته في ٣٧٠
- أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن رأس مائة سنة منها لا ٩٧٧
- أرايتكم إن أسلم؟ ٤٥٧
- أرايتكم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله ٤٢٩
- أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة لا يبقى من ١٩٣
- أرايتكم ليلتكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ١٩٣
- أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ١١٧
- أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ٦١٦
- أربعون سنة ٨٥، ٣٣٩، ٢٠٦، ١٠٦
- أرجع ٩٢٣، ٩٩٣، ٩٢٣
- أرجع لي أصحابك حتى تقدم عليهم ٧٣٧، ١١٨٤
- أرجع لي قومك فآخبرهم حتى يأتيك أمري ٣٧٩
- أرجع لي مكانك ٩٢٣، ٩٢٢
- أرجع فإنك لم تصنع شيئاً ٦٦٤
- أرجع فإنك مفطر عدي غداً ١١٠٩
- أرجع اليهن فأسكنهن ٦٣٤
- أرجعوا لي صاحبكما فآخبراه أن ربي قد قتل الليلة ١٠٠٨
- أرجعوا حتى تأتياني غداً ٦٤٢
- أرجعن يرحكن الله فقد آسيتن بأشكن ٥٤١
- أرجعوا شامت الوجوه ٦٧١
- أرجعوا ففارقوا في البلدان ٦٤٨
- أرجعي لي مكانك ٤١٠
- أرجعي إليه فتولي له أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام ٤٢٣
- أرجو أن تكون خلفاً من حزة ١٠٧٤
- أرحم أمي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر ١١١٩، ١٠٨٨
- أرحم أمي بامي أبو بكر، وأشدّها في دين الله ٨٥٦
- أردت أن أخبط إلى رسول الله ﷺ ابنته ثم ذكرت ١١٨٢
- أردد الشربة وهات لنا فرحاً ٤٤٩
- أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فاقبل ١١٢١
- أرسلني ٥٢٠
- أرسله يا عمر، اذن يا عمير ٥٠٣
- أرض، أتدرون ما تحتها؟ ٣٣
- أرض أخرى، أتدرون كم بينهما؟ ٣٣
- أرض المنشر والحشر، اترو فصلوا فيه، فإن صلاة ٨٤٨

٥٣٨	أرفضوا إلى رحالكم.....	٧٢٦	استصت الناس يا جبرو.....
٨٨٤	أرفع إزارك فإنه أتقى وأبقى.....	٤٨٤	استو يا سواد.....
٧٣٣	أرفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تدع زيارتنا.....	٩٢٩	استوص به معروفًا.....
١٢٧٨	أرفع قضيبك فلقد رأيت رسول الله ﷺ يلتمسه.....	١٣٣٥	استوصوا بالأنصار خيرًا - أو قال معروفًا - اقبلوا.....
٢٦٩	أرفع يدك يا أعور.....	٦١	استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع.....
٥٨٦	أرفعه.....	٥٠٠	استوصوا بهم خيرًا.....
٦١٥	أرفعوا أيديكم.....	٥٣٦	استؤزوا حتى آتني على ربي عز وجل.....
٦١٥	أرفعوا أيديكم فإن كشف هذه الشاة يجبرني أني نعت.....	٢٧٠، ١٠٥	إسحاق.....
٦٣٥	أرفعوا هذا إلي.....	٦٧١	أسرج لي فرسي.....
٥٥٨	أركب.....	١٠٧٤	أسرعنك لحاقًا بي أطولكن بدأ.....
١٢٢٦	أرم سعد فذاك أمي وأبي.....	٥٨٧	أسرعنك لحاقًا بي أطولكن بدأ.....
٥٣١، ١٢٢٦	أرم فذاك أبي وأمي.....	٤٨٩	أسرك ملك من الملائكة، أذهب يا ابن عوف بأسيرك.....
١٢٢٦	أرم وأنت الغلام الخزور.....	٧٦٥	اسعوا إن الله كتب عليكم السعي.....
٧٨٤	أرم ولا حرج.....	٧٦٥	اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي.....
٦٢٣	أرسلوا.....	٧٨٢	اسقني.....
٦٢٥	أرسلوا بالبيت ثلاثًا.....	٣٨١	اسقهم يا علي.....
٢٧٤	أرموا بني إسماعيل.....	٣٨١	اسقهم يا علي.....
٢٧٤	أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راسياً أرموا.....	٩٠٩	اسقوا.....
٢٧٤	أرموا بني إسماعيل وأنا مع بني فلان.....	٧٨٢	أسقوني.....
٧٧٩	أرموا الجمرة بمثل حصي الخذف.....	٤٨٧	اسكت، فقد أهلك الله ملك كرم.....
٢٢٥٢	أرموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا.....	١١١٨	اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي.....
٢٧٤	أرموا وأنا معكم كلكم.....	١١٠٨	اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.....
٢٥١	الأرواح جئوت مجئندة فما تعارف منها.....	٦٢٨	الإسلام يجب ما كان قبله.....
٥٤٠	أرواحهم في جوف طير خضر ترسح في ألبها.....	٥٩٤	اسكروا ذات اليمين.....
١١٧٦، ١١٧٦	أروني ابني ما سميتموه؟.....	٩٢١، ٦٥٤	اسلم.....
١١١٩	أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر يخط برسول الله.....	١٢٠٤	اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص.....
٤٠٥	أريت دلو هجرتكم ذات نخل بين لابتين.....	١٢٢٤	أسلمت على ما أسلفت من خير.....
٤٤٢	أريت دلو هجرتكم سبعة بين ظهراني حرتين، فإما.....	٩٤١	أسلمتم؟.....
٤٢٣	أريتك في المنام ثلاث ليل.....	١٤٢	اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا مثل به.....
٤٢٣	أريتك في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سرقة.....	٨٨٢	أسمعت أول السلام؟.....
٤٢٣	أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقة من حرير.....	٧٨٦	اسمعوا مني تميشوا، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا.....
٤٢٣	أريتك في المنام يحبي بك الملك في سرقة من حرير.....	٣٦٢	اسمك واشد، واسمك عليك ظالم.....
٣٣٥	إزاري.....	٦١٥	أسمعت طعامك؟.....
٩١١	أزدهر بمضائك فيسكون لها نبأ.....	٦١٥	أسمعت هذه الشاة؟.....
٩١١	أزدهر بها يا أبا قتادة فإنه سيكون لها نبأ.....	٦٣٦، ٦٢٦	أشبهت خلقي وخلقي.....
٥٧٠	أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة.....	٥٣٣	أشدت غضب الله على رجل يقتله رسول الله.....
٤٣٧	أسألكم أربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم.....	٥٢٩	أشدت غضب الله على قوم دفنوا وجه رسول.....
٩١٠	أسفروا الوضوء.....	٥٣٢	أشدت غضب الله على قوم فعلوا بنيي -.....
٩٧٢	استاذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ، فأذن له، فقال.....	٥٣٢	أشدت غضب الله على من دس وجهه رسول.....
٣٣١	استاذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستاذنته.....	٥٣٥	أشدت غضب الله على من دس وجهه نبي.....
١٦٠٦	استحياء منه حين قتل رجل من أهل بيتي.....	٥٣٣	أشدت غضب الله على من قتل رسول الله في سبيل.....
١٢٤	استحيوا على قضاء حوائجكم بكمائنهم، فإن كل ذي.....	٥٣٢	أشدت غضب الله على من قتل النبي في سبيل الله.....
٦٦٠	استغفر الله.....	١٨١١	أشدت غضب الله على من قتل نبي، وأشدت غضب الله.....
٦٩٦	استغفر الله لي ولكم.....	٢٦٥	أشترى رجل من رجل عقاراً له فرجد الرجل الذي اشترى.....
٦٣٢	استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة وهو يطير.....	١٢١٥	أشترى رجل من رجل عقاراً له فرجد الرجل الذي اشترى.....
٦٣٢	استغفروا له فقد دخل الجنة وهو يسمى.....	١٠٨٧	أشد أمني في دين الله عمر.....
٦٦٨	استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تغرن.....	١٣٦، ٨٠٤	أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل.....
١١٩٩	استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان.....	٩١٢، ٨٥٢	أشرب.....
٤٨٤	استقد.....	٩١١	أشرب يا أبا قتادة.....
١٠٢١	استقرئوا القرآن من أربعة.....	٦٨٣	أشربا منه وأفرغوا على وجوهكما ونحوكما وأبشرا.....
٧٨٤	استصت الناس.....	٩١٢	أشربوا أتم وجيراتكم.....

- أشعري يا أم عبد ٤٤٩
أشعرت أن الله أحيا أباك فقال: تمَّنْ عليَّ عيني ٥٣٩
أشعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت ٢٢٤
أشفقت هذه الجارية أن تضربوها ٨٨٢
أشفه ١١٨٩
أشهد يا أبا بكر ٤١٩
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله ٩١٨
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني عبد الله ٩١٨
أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ٦٩٤
أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ٩١٨
أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ٥٣٩
أشهد أنك شهيد ٤٨٥
أشهد أني رسول الله ٩٤٣
أشهدكم أني قد زوجته ١١٨٢
أشهدوا ٩٠٠، ٤١٨
أشهدوا، أشهدوا ٤١٩
أشهر ١٢٢
أشيرا علي ١٢٤٨
أشيروا أيها الناس علي أثرون أن أميل إلى عياليهم ٥٩٨
أشيروا علي ١٦٥
أشيروا علي أيها الناس ٤٨٠
أصبحت ٨٧٤
أصبحت إن شاء الله، أما إننا لو جئنا صراراً ٥٥٨
أصبحت حكم الله فيهم ٥٧٤
أصبحت وأحسنت ٦٦٢
أصبحت وأحسنت، اللهم وفقه ٨٥٨
أصبح الناس وقد فقدوا نبيهم، فقال بعضهم لبعض: ٩١١
أصبحت بخير أحد الله ٩٢٧
أصبر ١١٠٧
أصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي ١٤٠٣
أصدق الأسماء حارث وحماد ١٨٧٩
أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما ١١٢٧
أصدقني ما الذي جئت له؟ ٥٠٤
أصدقني ما أنت وما أقدمك فإن صدقتني فنعك الصدق ٥٥٠
أصرخ في أهل الحنفية أن هلم إلى الغداة ٥٦٤، ١١٩
أصلى الناس؟ ٨٠٢
أصليت العصر يا علي؟ ٩٠٣
أصليت يا علي؟ ٩٠١
أصنع لي رجل شاة صباح من طعام، وإني لبناء، وادع ٣٨٢
أصنعوا لاك جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم ٦٣٤
أطرق بصرك ٧٢٦
أطعم أباك ما دام حياً ولا تمصه ٩٦٥
أطعمنا بسراً ٨٤٥
أطعموا ٩١٦
أطعموا نساءكم المؤلدة الرطب فإن لم يكن رطب ٢٢٧
أطعميه الأسارى ٩٥٤
أطلبوا فضلة من ماء ٩١٠
أطلقوا ثمامة ٧١٢
أطولكن يدأ ٩٥٩
أظنك سمعت في منهم أذى فامض فإن أعداء الله لـ ٥٧٣
أعبلوا ريكم وأكرموا إخوانكم، ولر كئت أمراً أحدا ٩٢٩
أعبلوا ريكم وصلوا خشكم، وصوموا شهركم، وأطعموا ٧٨٥
أعبروا الدنيا ولا تعمروها ٢٣٩
أعقبت سعد أتك الرجال أتك الرجال ٨٥١
أعقبت سعداً ٨٥١
أعقها ولحقها ٨٣٦
أعقبها فإنها من ولد إسماعيل ٧١٠
أعثرنا ٢٥٢
أعد ستاً بين يدي الساعة ٩٥٥
أعزستم بآزلك الله تكماً في ليكتكما ١٣٦٤
أعرضها علي ٤٣٠
أعزبوا عني هذه الشيطانة ٦٠٩
أعصرتي؟ ٩١٣
أعصرتيها؟ ٩٢٠
أعط هذا الرجل حقه ٣٨٤
أعطني حصي من الأرض ٤٩٠
أعطني الذراع ٩٢٢
أعطني هذه العصا من يدك ٥٥٨
أعطه هذا الغلام ١٢٣١
أعطه يا فضل ٨٠١
أعطها درعك ٥١٨
أعطها شيتاً ٥١٨
أعطوني ودائي فلو كان عدد هذه العضا نعتاً ٦٨١
أعطوه ٩٣٥
أعطيت حساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة ٩٨٥
أعطيت حساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت ٩٤٨، ٩٤٧
أعطيه غسالة عاجبي يهرق ما فيها ١٣٤٥
أعلم أبا سمعد لله أقدر عليك منك عليه ١٩٩٣
أعلموا أن مءاكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ٧٧٠
أعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ٤٦٣
أعماز أمني ما بين السنين إلى السنين ١٩٦٦
الأعمال بالنيات ١٦٥٤
الأعمال بالنيات، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ٢١٦٩
أعملوا فإنكم على عمل صالح ٧٨٢
أعزذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ٥٣
أعزذ بالله من الخيف والخيفات ٥٣
أعزذ بالله منك ٥٥
أعزذ بالله منك ألعنك بالعة الله ٢٠٧
أعزذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ٢١٩٧
أعرف بن مالك؟ ٦٤٥
أعيروا أخاكم ٣٤٦
إغاة الملهوف فرض على كل مسلم، ومن تقفه في ١٥١٣
أغتسلني ثم استغفري بئوب، ثم أعلني ٧٥٨
أغد يا أنيس إلى امرأة هنا فإن اعترفت فارجه ١٠٧٣
أغدوا على القتال ٦٧٩
أغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله ١٠٨٧
أغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه ٧٧٢
أغسلني من هذا دمه يا بني، فوالله لقد صدقتي ٥٤١
أغلغروا أبوابكم وخروا آتيتكم وأوكلوا أسفيتكم ٥٤
أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأحبته وجل تسمى ١٨١١
أفانذك شيطانك ٥٦
أنتع ٩٢٩

- افتح له ١١٨٧
افتح له ويشره بالجنة ٩٥٨
أفتشرون أي شهر هذا؟ ٧٨٣
أفرايت إن صرعتك أتتلم أن ما أقول حق؟ ٤١٠
أفرايت إن أسلم؟ ٤٥٧
أفرشوا لي قطيعة في لحدي فإن الأرض لم تسلط على ٨١٩
أفرغت يا أبا الزبيدي؟ ٣٩٢
أفزعكم بكائي؟ ٣٣١
أفشرو السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا ٤٥٧
أفضاله؟ ٦٦٠
أفضتما؟ ٧٨١
أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ١٥٥
أفضل الدعاء دعاء عرفة وأفضل ماقلت أنا والنبون ١٧١
أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبون ٧٧٢
أفضل الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبون ٧٧٢
أفضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور سبعين ٢٠١
أفضل ما قلت أنا والنبون فبلي عشة عرفة: لا ٧٧٣
أفضل ما قلت أنا والنبون فبلي: لا إله ١٧٢٨
أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت ٢٢٣
أفطر الحاجم والمحجوم إتھما كانا يتتابان ٩٠٤
أفعل ولا حرج ٧٨٥
أفعلوا ٩١٨، ٦٩٤
أفلا أوترك عليهم؟ ٧٢٧
أفلا أكون عبدا شكورا ٨٩١
أفلا أتنبكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفكم ينبتكم ٩٥، ٦٩٥
أفلا تحلبسون أكلكم؟ ٤٣١
أفلا تقولون: جنتنا خاضا فأنتك، وطريدا فأوتياك ٦٨٢
أفلا جارية تلاعبيها وتلاعبيك؟ ٥٥٨
أفلق الوجه ٥٨٢
أفلقن الوجه ٥٨٢
أفلقن يا سواد ٢٥٧
أفوضوا علي من سبع قرب، من سبع أبار شتى، حتى ٨٠٠
أفيكم من يروي شعره؟ ٣٠٩
أفيكم من يرف قس بن ساعدة الإيادي؟ ٣٠٩
أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفنا ٩٢٨
أقبلوا البشري إذ لم يقبلها بنو نعيم ٧٢١، ٧٠٨
أقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو ٣١
أقبلوا البشري يا بني نعيم ٧٠٨، ٣١
أقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر ٩٥٨
أقرب ٩٥٠
أقربت ٢١٧١
أقتلتموه؟ ٥٨٢
أقتلوا الوزغ، فإنه كان يفتح النار على إبراهيم ٩٩
أقتلوه ٨٦٣، ٦٥٣
أقتلوه ثم احرقوه ١١٧٤
أقتلوه وإن وجدقوهم متعلقين بأستار الكعبة ٦٥٥
أقرا ٨٥٣
أقرا أمي أبي بن كعب ١٠٧١
أقرا علي ٨٩١، ١١٠٠
أقرا يا أبي ٨٥٣
أقركم فيها على ذلك ما شئنا ٦١٠
- أقسم لحرمها وجلوها وجلالها بين الناس، ولا تعطين ٧٨٠
أقضي عنك كتابك وأتزوجك ٥٩١
أقطع عصا من شجرة ٥٥٨
أقطروا عني لسانه ٦٨٣
أقعد ٩٢٦، ٩١٩
أقعد فاشرب ٩١٢
أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟ ٥٢٧
أقعدوا ٩١٤
أقلياها ٩١٥
أقلمن كذا وكذا؟ ٦٨٢
أقلمن ٩١٢، ٤٥١، ٣٧٨، ١١٠٠
أقول: إني رسول الله وأن لا إله إلا هو ٣٠٧
أتيموا هذا من عند رأسه، ولوا أخاكم ٩٤٨
أتيموا اليهودي عن أخيك ٣٥١
أكتب باسمك اللهم ٥٩٦، ٥٩٩
أكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ فاكب ١١٥٣
أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ٥٩٩، ٥٩٦
أكتب كذا وكذا أكتب كيف شئت، ويملأ عليه: عليا ٩٤٥
أكتب كيف شئت ٩٤٥
أكتب لا يستري القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ٨٥٦
أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ٥٩٦
أكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل ٥٩٦
أكتب يا عثم ١١٢١
أكثر جنود الله لا آكله ولا أحرمه ١٥٧
أكثرهم ذكرا للمرت، وأحسنهم استعدادا له قبل ٧٩٥
أكثرهم قرانا ٥٣٨
أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد ٨٢٣
أكللك؟ ٩١١
أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي ٢٢٦
أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا ٤٨
أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ٩٩٨
أكتفوا عن المنكأ وسامرا في الطواف ٦٢٣
أكلنا لنا الليل ٦١٦
أكنت فاعلا ذلك يا سلمة؟ ٥٨٩
الآن حي الوطيس ٦٧٠، ٦٣٢
الآن نغزوهم ولا يفزونا ٥٧١
الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ١١٨٨
إلا أرى هذا يعلم ما هاهنا، لا يدخلن عليكم هؤلاء ٦٧٨
إلا آخذ لي من ابنة مروان ٧٩٦
إلا ابشرك يا جابر؟ ٥٣٩
إلا أتتلم ما صنعت أمي من بعدي؟ قتلوا ابني ١٢٨١
إلا أحد هؤلاء؟ ٥٣٠
إلا أحدثك بأشقى الناس؟ ٩٣
إلا أحدثكم عن الحضرة؟ ١٩٠
إلا أحدثكم عن النجال حديثا ما حدث به نبي قومه ٧٩
إلا أحلك؟ ٣٠٨
إلا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمون بأسماء صالحهم ٣٢٧
إلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين ٢٢٧
إلا أخبرك ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب ٥٣٩
إلا أخبركم بأشقى الناس رجلا؟ ٤٧٣
إلا أخبركم بأفضل الملائكة: جبريل، وأفضل النبيين ٧٣

- ٧٩٠ أليس بأولي المؤمنين من أنفسهم؟
 ١١٨٦ أليس ولي المؤمنين؟
 ١١٨٥ أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 ٧٩٢، ١١٨٥ أليس تعلمون - أو أليس تشهدون - أني أولي بكل
 ٥٥ أليس بلمة الله
 ٩٣٥ أليس مال؟
 ٧١٧، ٥٥٧، ٥١٩ الله
 ٥٦٦ الله أكبر! أيسروا يا معشر المسلمين
 ٥٣٥ الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله
 ٥٦٤ الله أكبر أصطفيت منافع الشام والله أني
 ٥٦٥ الله أكبر أصطفيت منافع فارس والله أني
 ٥٦٥ الله أكبر أصطفيت منافع اليمن والله أني
 ٥٧٧ الله أكبر الله أكبر
 ٥٣ الله أكبر الحمد لله الذي رد كيدك إلى الوسوسة
 ٤٩٢ الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده
 ٦٠٨، ٦٠٣ الله أكبر خربت خبير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم
 ٥٦٤ الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة
 ٥٦٤ الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة
 ٦٦٨ الله أكبر قلتم والذي نفسي بمحمد يده كما قال
 ١١٣ الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى
 ٤٩٢ الله الذي لا إله إلا هو؟
 ٤٩٢ الله الذي لا إله غيره؟
 ١٦٥٠ الله فرد
 ١٦٥٠ الله فرد، وابن زيد عبد
 ٧٩٠ الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن
 ٥٥٧ الله يمتحنني منك
 ١٣٣٦ اللهم
 ١١٨٧ اللهم اتني بأحب الخلق إليك بأكل معي
 ١١٨٦ اللهم اتني بأحب خلقك إليك بأكل معي من هذا
 ١١٨٧ اللهم اتني بأحب خلقك إليك وإلى رسلك
 ١١٨٧ اللهم اتني بأحب خلقك إليك بأكل معي
 ١١٨٧، ١١٨٦ اللهم اتني بأحب خلقك إليك بأكل معي من هذا
 ١١٨٧ اللهم اتني بأحب خلقك إليك بأكل معي هذا الطير
 ١١٨٧ اللهم اتني برجل يحب الله ورسوله
 ١١٨٧ اللهم اتني بمن تحبه بأكل معي من هذا الطير
 ٣٦١ اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرمان الحلال
 ٩٤٢، ١٠٥٧ اللهم أجب دعوتي، وسدد ربيته
 ٢١٩٧ اللهم أجزنا من النار
 ٨٨٧ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً
 ٤٠٨ اللهم اجعل لهُ آية
 ٩٥٨، ٤٩٣، ١٠٢٢ اللهم اجعله منهم
 ١٢٤٨ اللهم اجعله هادياً مهدياً
 ١٢٤٨ اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به
 ١٢٤٨ اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً
 ١٢٤٨ اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً واهداً به
 ١٢٤٨ اللهم اجعله هادياً مهدياً واهداً به
 ٧٢٤ اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك -
 ٧٤١ اللهم اجعلها حجة غير رياء ولا غباء ولا سمعة
 ٢٥١ اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها
 ٦١٦ اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني
 ٥٧١ اللهم احفظه بين يدي يديته ومن خلفه وعن
- ٦٩٥ ألا أخبركم بغير الناس وشر الناس؟ إن من غير الناس
 ٩١٨ ألا أخبركم عن الثغر الثلاثة، أما واحد فاستحي
 ١٠٢٠ ألا أخبركم بغير ما سألتماني؟
 ٦١٦ ألا أدلك على كلمة من كثر الجنة؟
 ٦٥٨ ألا الإذخر فإنه حلال
 ٨٤ ألا أرى عليك لباس من لا يعقل
 ٦٧٩ ألا أرى هذا يفتن لهذا
 ٩٢٣ ألا أريك آية؟
 ١١١٩ ألا استحي عن تستحي منه الملائكة؟
 ١١١٩ ألا استحي عن تستحي منه الملائكة؛ عثمان بن عفان
 ١١١٥ ألا استحي عن تستحي منه الملائكة
 ٧٨٣ ألا إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله
 ٨٤ ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس -
 ٢٢٥٢ ألا إن القرة الرمي
 ٢٦ ألا إن بئس ما بقي من الدنيا
 ٨٤٥ ألا أتيتكم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنتمكم ينيكم
 ٦٦٤ ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة
 ٨٩٠ ألا إنهم ليسوا بولي وأبى الله في البخل
 ٧٨٣ ألا أي يوم هذا؟
 ٧٣٨ ألا تاتونني؟ وأنا أمين من في السماء، ياتيني
 ٦٨٣ ألا تحبون يا معشر الأنصار؟
 ٥٣٠ ألا تحبون
 ١١٨١ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا
 ١١٢٨ ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير
 ٦٨٢ ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول
 ٦٩٠، ٧٢٥ ألا ترجيني من ذي الخلق
 ٤٥ ألا تزورنا أكثر مما تزورنا
 ١٢٤٣ ألا تسألني من هذه الفتائم التي يسألني أصحابك؟
 ٤١٣ ألا تستحي يا براق عما تصنع، فوالله ما ركبك
 ٧٨٥ ألا تسمعون؟
 ٤٤ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها
 ٤١٢ ألا جئتكم - أراه قال - دون العشر
 ٥٣٠ ألا رجل لهذا؟
 ٥٧١ ألا رجل ياتي بغير القوم يكون معي يوم القيامة
 ٤٩٦ إلا سهيل بن بيضاء
 ١٣٤٨ إلا العباد - أو نحوها، وإن أحدهم ليلتي فيقول
 ٧٨٦ ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض
 ٤٣٥ إلى النار
 ٤٠١ إلى النجاشي الأصحم
 ٩٥٦ ألا تكتكب يا ابن حوالة؟
 ٧٨٧ ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟
 ٦٣٦ ألا في منكم اليوم ما لقيت منك أمس
 ٧١٩ الذي فر من الله ورسوله؟
 ١١٧٣ الذي يضربك على فقهه
 ٦٨٩ الذي يقول
 ١١٨٥ أليس؟ أليس؟ أليس؟
 ٧٩١، ١١٨٤ أليس أولي المؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم
 ٧٩٠ أليس أولي بكل مؤمن من نفسه؟
 ١١٨٥ أليس أولي بكم من آبائكم؟
 ١١٨٥ أليس أولي بكم من أمهاتكم؟
 ١١٨٥ أليس أولي بكم من أنفسكم؟

- اللَّهُمَّ احله عليه ٩٤١
 اللَّهُمَّ احبنا مسلمين وتوفنا مسلمين ١٣٤
 اللَّهُمَّ احبني مسكينا وامني مسكينا واحشني ٨٨٧
 اللَّهُمَّ اخلف جعفراً في أهله وبارك ليخيد ١٣٦٠
 اللَّهُمَّ اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله ٦٣٤
 اللَّهُمَّ اخلف جعفراً في ولده ٦٣٥
 اللَّهُمَّ اذهب عنه الياس، إله الناس، ملك الناس، ١٢٢٧
 اللَّهُمَّ اذهب عنه الحر والبرد ١١٨٠
 اللَّهُمَّ اذهب عنهم البرد ٩٤٣
 اللَّهُمَّ ارحمهما فاني ارحهما ١٢٠٨
 اللَّهُمَّ ارض عن عثمان فاني عنه راضي ٦٩١
 اللَّهُمَّ ارفع عنهم ٧٢٣
 اللَّهُمَّ ارحمهم بالليل ٦٩٩
 اللَّهُمَّ ارنى اليوم أمة لا أبالي من كذبت بعددا ٩٢٢
 اللَّهُمَّ اسق بلادك وبهاثك واتشر رحمتك واسحى بلك ٧٣٠
 اللَّهُمَّ اسق بلك وبهاثك، واتشر رحمتك واسحى بلك ٩٠٧
 اللَّهُمَّ اسق من سقائي، وأطعم من أطعمني ٨٥٢
 اللَّهُمَّ اسقنا ٩٠٧، ٩٠٦
 اللَّهُمَّ اسقنا، اللَّهُمَّ اسقنا ٩٠٧، ٩٠٥
 اللَّهُمَّ اسقنا، اللَّهُمَّ اسقنا، اللَّهُمَّ اسقنا ٩٩٦
 اللَّهُمَّ اسقنا، اللَّهُمَّ اسقنا، فما نزل من الخير ٩٨٨
 اللَّهُمَّ اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ٩٠٧
 اللَّهُمَّ اسقنا، حتى يقوم أبو لبابة يسد ثلب مرده ٩٠٧
 اللَّهُمَّ اسقنا غيثا منيا مرينا سريعا ٩٠٧
 اللَّهُمَّ اسقهم الغيث ٧٣٠
 اللَّهُمَّ اشف سعدنا واتم له هجرته ١٢٢٧
 اللَّهُمَّ اشهد ٩٠٠، ٧٨٧، ٧٨٤، ٧٨٣، ٤١٨، ١١٨٥
 اللَّهُمَّ اشهد اللَّهُمَّ اشهد ٧٥٩
 اللَّهُمَّ اشهد اللَّهُمَّ اشهد اللَّهُمَّ اشهد ٧٧٠
 اللَّهُمَّ اشهد عليهم ٩٤٦
 اللَّهُمَّ اشهد فليبلغ الشاهد الغائب، قرب مبلغ أوعى ٧٨٣
 اللَّهُمَّ اصصره ٤٥٣
 اللَّهُمَّ اطل عمره ٩٤٢
 اللَّهُمَّ اعذه من الشيطان ١٢٨٧
 اللَّهُمَّ اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل ١٣٢٤
 اللَّهُمَّ اعم بصره واثكله ولده ٤١١
 اللَّهُمَّ اعني على سكرات الموت ٨٠٥
 اللَّهُمَّ اعني على ما يتجني مما خوفتني وارزقني ١٩٠
 اللَّهُمَّ اعني عليهم بسبع كسح يوسف ٤١٢
 اللَّهُمَّ اغفر لآل باسر وقد فعلت ١١٠٧
 اللَّهُمَّ اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضغ فيه من ٦٢٨
 اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم ٦٧٤
 اللَّهُمَّ اغفر لعبد أبي عامر ٦٧٤
 اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ٢٧٧
 اللَّهُمَّ اغفر للتجاسي ٣٩٦
 اللَّهُمَّ اغفر له ١٠٢٢
 اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه ٧٣٢
 اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمي والحقي بالرفيق الأمل ٨٠٥
 اللَّهُمَّ اتبل بقلوبهم ٩٤٤
 اللَّهُمَّ اتبل بقلوبهم لى طاعتك وحط من دراهم ٩٤٤
 اللَّهُمَّ اتبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومعدنا ٩٤٤
- اللَّهُمَّ اقطع أثره ٦٩٦
 اللَّهُمَّ اكتب لي بها عندك أجراً واجعلها لي عندك ٢٠٠
 اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده وأدخله الجنة ١٣٨٥
 اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده، وأطل عمره، وأدخله الجنة ٨٤٩
 اللَّهُمَّ اكفنا شر ابن القديرة ٣٧٧
 اللَّهُمَّ اكفنا بما شئت ٤٤٨
 اللَّهُمَّ اكفني عامر بن الطفيل ٧١٥
 اللَّهُمَّ اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعت عليه ٧١٦
 اللَّهُمَّ اكفني عامراً وأعد قومه ٧١٥
 اللَّهُمَّ ألف بينهما وحب أحدهما إلى صاحبه ٩٤٣
 اللَّهُمَّ إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني ٤٢٥
 اللَّهُمَّ امننا به ٦٠٧
 اللَّهُمَّ امنض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أقبابهم ١٢٢٧
 اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في ١٩٢
 اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ٤٨٧
 اللَّهُمَّ إن شئت جعلته علياً ١١٨٨
 اللَّهُمَّ إن ظهروا علي هذه العصابة ظهر الشرك ولا ٤٨٨
 اللَّهُمَّ إن عبدك عليا أحبس نفسه على نيه فرد ٩٠٢
 اللَّهُمَّ إن عثمان يترضاك فارض عنه ١١٢٣
 اللَّهُمَّ إن علياً كان في طاعتك فاردعها عليه ٩٠٣
 اللَّهُمَّ إن العيش حيش الآخرة، فاغفر للأصبار ٥٦٢
 اللَّهُمَّ إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون ٢١٥٠
 اللَّهُمَّ إننا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك ٢٠٣
 اللَّهُمَّ أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتزرعه من ٢١٠
 اللَّهُمَّ أنت السلام ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام ٧٦١
 اللَّهُمَّ أنتم من أحب الناس إلي ٤٥٣
 اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إن تهلك هذه ٤٨٦
 اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ نصرك ٤٨٥
 اللَّهُمَّ أنشدك عهدك وعهدك، اللَّهُمَّ إن شئت لم ٤٨٧
 اللَّهُمَّ أنك أخرجتني من أحب البلاد إلي فأسكني ٤٥٥
 اللَّهُمَّ أنك إن تشأ لا تعبد في الأرض ٥٣١
 اللَّهُمَّ أنك إن تشأ لا تعبد في الأرض بعد اليوم ٦٦٩
 اللَّهُمَّ أنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها ٤٨٥
 اللَّهُمَّ أنك إن تهلك هذه الفتة لا تعبد ٤٨٧
 اللَّهُمَّ أنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلاتي ٧٧٣
 اللَّهُمَّ أنك جعلت لكل مرسل دلالة فارني قدرتك ٩٩٥
 اللَّهُمَّ إنما أنا بشر فأما عبد سيئه أو جلده ٦٠٧
 اللَّهُمَّ إنه سيف فأتت تنصره ١٢٤٧
 اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه ٦٣٢
 اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك ٩٠١
 اللَّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك، فاردد ٩٩٧
 اللَّهُمَّ إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في ٥٦٢
 اللَّهُمَّ إنه لا ينبغي لهم أن يملؤنا ٥٣٥
 اللَّهُمَّ إنه ليس لهم أن يملؤنا ٥٢٩
 اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك عما صنع خالد ١٠١٥، ٦٦٢
 اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك عما صنع خالد بن الوليد ٦٦٢
 اللَّهُمَّ إني أحبه فاحبه ١٢٠٨
 اللَّهُمَّ إني أحبه فاحبه وأحب من يحبه ١٢٠٨
 اللَّهُمَّ إني أحبهما فاحبهما ١٢٢٣، ١٢٠٩، ١٢٠٨
 ٨٤٠، ١٢٨٤، ١٢٨٣

- ١٢٢٧ اللهم سدد رميته وأجب دعوته.
 ١٢٢٧ اللهم سدد سهمه وأجب دعوته، وحبه إلى عبادك.
 ٨٥٠ اللهم صدق قوله، ولقه الظفر.
 ١١٨٩ اللهم عافه.
 ١١٢٣ اللهم شمان رضىته عنه فارض عنه.
 ٩٠٦ اللهم على الأكام والظراب والأودية ومنتاب الشجر.
 ١٢٤٨ اللهم علم معاوية الكتاب.
 ١٢٤٧ اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب.
 ١٣٢٣ اللهم علمه التأويل، وقفه في الدين.
 ١٣٢٤ اللهم علمه الحكمة.
 ١٢٤٨ اللهم علمه العلم، واجعله هادياً مهدياً، واحده.
 ١٣٢٤ اللهم علمه الكتاب.
 ١٢٤٨ اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب.
 ١٣٢٤ اللهم علمه الكتاب وقفه في الدين.
 ١٢٤٨ اللهم علمه الكتاب ويمكن له في البلاد وقه العذاب.
 ٩٨٨ اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة وشيبة والوليد.
 ٩٨٨ اللهم عليك بالملأ من قريش.
 ٩٤٥ اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بابي جهل بن هشام.
 ٣٨٤ اللهم عليك بهذا الملأ من قريش، اللهم عليك.
 ٦٠١ اللهم عمّ عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيئ.
 ٩٤٢ اللهم فقّه في الدين.
 ١٣٢٣، ٩٤٢، ١٣٢٤ اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل.
 ١٣٢٣ اللهم في الرقيق الأعلى.
 ١٣٤ اللهم في الرقيق الأعلى ثلاثاً ثم قضى.
 ١٣٨٥ اللهم كنّ مالاً وولده وطول حياته.
 ٥٣٢ اللهم لا تحل عليه المغرور حتى يموت كافراً.
 ٦٢٢ اللهم لا تنفر لحلم.
 ٤٢ اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا.
 ٩٥٦ اللهم لا تكلمهم ليّ: فاضغف، ولا تكلمهم إلى.
 ١١٨٩ اللهم لا تميتني حتى تربني علياً.
 ٥٦٣ اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فاصلح الأنصار.
 ٥٦٢ اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين.
 ٧٧٣ اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول اللهم.
 ٥٣٦ اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما
 ٥٦٩ اللهم من حبّنا عن الصلاة الوسطى فاملا.
 ٩٤٥ اللهم من سبّه أو جلّده أو لعته وليس لفلك.
 ٧٩١ اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من
 ٥٦٩ اللهم ستر الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب.
 ٦٦٩ اللهم نزل نصرتك.
 ٧١٨، ٧١٧ اللهم نعم.
 ١٢٠٨ اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم.
 ١١٨١ اللهم هؤلاء أهلي.
 ٤٢٢، ١٢٣٥ اللهم هالاً.
 ٦٠٦ اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك تفل شهيداً.
 ٩٨٨ اللهم هذه قريش جاتك بفخرها وخيلائها، تحاذل.
 ٤٨٣ اللهم هذه قريش قد أثقلت بخيلائها وفخرها.
 ٧٨٣ اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت.
 ٧٩٣ اللهم وال من والاه.
 ٧٩٢، ١١٣٦، ١١٨٥ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.
 ٧٩١ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من
 ١١٨٤ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره.
- ٥٧ اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة.
 ٥٦٦ اللهم إني أسألك عهذك وعهذك اللهم إن تشأ.
 ٩٢١ اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنه لا يملكها.
 ٩٢١ اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما بيدك.
 ٤٨٦ اللهم إني أشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك.
 ٦٧٠ اللهم إني أشدك ما وعدتني اللهم لا ينغي لهم.
 ٢٦٩ اللهم إني أول من أجى أمرك إذ أماتوه.
 ٢٧٠ اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه.
 ٦٩٨ اللهم إني قد أسيت ورضيتا عنه فارض عنه.
 ١٢٤٠ اللهم اهد أم أبي هريرة.
 ١٢٤٨ اللهم اهد به.
 ٦٨٠ اللهم اهد تقيفاً وانت بهم.
 ٤٠٨ اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قريش فادعهم.
 ٤٠٩، ٧٢٠ اللهم اهد دوساً وانت بهم.
 ٩٩٥ اللهم اهد دوساً، وانت بهم.
 ٦٧٢ اللهم اهد شيعة.
 ١٢٤٧ اللهم اهد بالهدى، وجنبه الردى، واغفر له في.
 ٦٧٩ اللهم اهدهم واكتفأ مؤنتهم.
 ٥٦٩ اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.
 ٤٢٨ اللهم بارك على هؤلاء والنم هؤلاء.
 ٧٢٦ اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده.
 ١٣٢٣ اللهم بارك فيه وانتشر به.
 ٧٢٩ اللهم بارك فيها وفيمن منحها.
 ١١٨٢ اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما.
 ٦٨٠ اللهم بارك لأحس في خيلها ورجلها.
 ٩٤١ اللهم بارك له فيها.
 ٩٤١ اللهم بارك له فيها.
 ٧٣٨ اللهم ثبت لسانه واحد قلبه، يا علي إذا جلس.
 ٧٢٥، ٦٩٠، ١٢١٨ اللهم ثبت واجعله هادياً مهدياً.
 ٩٤٢ اللهم جملته وأدم جماله.
 ٤٦٢ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم.
 ٤٦٢ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصحبها.
 ٤٦٢، ٤٦٣ اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة.
 ١٢٤٠ اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين.
 ٧٤١ اللهم حجة لا رياء فيها.
 ٩٩٦، ٩٠٧، ٩٠٦، ٤١٢ اللهم حوالينا ولا علينا.
 ٩٠٦ اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الأكام.
 ٧٣٠، ٩٠٧ اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الأكام والظراب.
 ٦٤٨ اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا.
 ٦٤٨ اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبثها.
 ١٣٣ اللهم دعوتني فاجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر.
 ٢١٠ اللهم رب الأرباب وإله الألهة يا رحمن يا رحيم.
 ٤٦ اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل.
 ٤٥ اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات.
 ٦٠٢ اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين.
 ٦٠٢ اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما.
 ٩٠١ اللهم ردة على عليّ الشمس.
 ٨٠٥ اللهم الرقيق الأعلى.
 ٧٦٠ اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكراماً.
 ٦٨٦ اللهم زده نباتاً.
 ٤٢ اللهم سبعا كسب يوسف.

- اللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ ١١٨٧
اللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ ١١٨٦
اللَّهُمَّ وَلِيَّيْهِ فَاغْفِرْ ٤٠٩
ألم أمرك؟ ٦٥٥
ألم أتل لك يا بلال أكلا لنا الفجر؟ ٦٩٦
ألم أنهك أن ترضي شيئا لنبي؟ فإن الله عز ٨٨٩
ألم أنهك عن القتل؟ ٦٥٥
ألم أنهكم أن لا تلذوني؟ ٧٩٨
ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا ومعه صاحب له ٦٩٥
ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي ٥٥٣
ألم ترى أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن ١٠٨
ألم ترى أن قومك قصرت بهم الثقة، ولولا جدنان ٣٤٢
ألم ترى أن مجزرا نظر أنفا إلى زيد بن حارثة ٨٤٠
ألم تسلموا ٧٢٢
ألم تفر على الركائب المناخات الأربع؟ ٨٨٩
ألم ته؟ ٣٣٥
ألم يهلك ما صنعوا بيبي كعب؟ ٦٤٨
إلي عباد الله، إلي عباد الله ٥٢٩
أليس الله أولى بالمؤمنين؟ ٧٩١
أليس أوسط أيام التشريق؟ ٧٨٦
أليس بالبلدة الحرام؟ ٧٨٣
أليس ذا الحجة؟ ٧٨٣
أليس ذو الحجة؟ ٧٨٣
أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر ٥١١
أليس هذا يوم النحر؟ ٧٨٣
أليس البلدة؟ ٧٨٣
أم إبن أمي بعد أمي ٨٤٦
أم دنية؟ ٩١٧
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير ٦٩٣
أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم. وأما موسى فرجل ١٨٣
أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه شكى كثرة العمل ٩٢٩
أما الإسلام فاقبل، وأما المال فلست منه في شيء ٥٩٩
أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا ٧٢٢
أما إن ذلك ليس من سفركم هنا ٩٧٤
أما إن صاحبك قد وثق لك وهو أهل ذلك، وأدى إليك ٣٦٤
أما أنا فلا أكذب قاتلا ولا مستحلفه على بين ٨٠١
أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ٥٣٦
أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ٣٩٣
أما أنت مستصحب في بعرك ١٣٢٤
أما إنك ستلي أمر أمي بعدي، فإذا كان ذلك فاقبل ١٢٤٩
أما إنك ستلي أمر هذه الأمة وستعمل عليهم ٩٧٧
أما إنك لو التمسيتها لو جدتها ٩٢٢
أما إنك لو سكت لنا ولتي ذراعاً فقرأعاً ما سكت ٩٢١
أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صليك ١٤٨٨، ٩٨٠
أما إنه قد صدقكم ٦٤٩
أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه ٨٧٥
أما إنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة ٢٦٦
أما إنه ليس بشركم مكانا ٧١٣، ٧١٢
أما إنها ستكون لكم أعناق ٩٨٤، ٩٥٥
أما إنهم سيظهرون ٤١٢
أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام تقول: إنما ٧١٩
- أما إني سمعت منه كلاماً أرى أنني لا أحفظه ٣١١
أما أول أشرط الساعة فتأخر تحشر الناس من المشرق ٩٤٦
أما أول أشرط الساعة فتأخر تخرج على الناس من ٤٥٧
أما الأولى فإن الله فتح علي باب اليمن وأما ٥٦٤
أما بعد ٦٨٤
أما بعد أيها الناس إنه قد جنى مني حقوق من بين ٨٠١
أما بعد أيها الناس فإن كل دم كان في الجاهلية ٧٨٧
أما بعد أيها الناس قدّموا لأنفسكم تعلمن والله ٤٥٩
أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤوا تائين واني ٦٨١
أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون ٧٧٧
أما بعد فإن أهل العراق قد أتبلوا إليك مثل السيل ١٣٦١
أما بعد، فإن الدنيا خضرة عذرة ٢٦
أما بعد فلما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا ٦٤٤
أما بعد فاني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ٦٤٢
أما بعد فاني أمرت بعد هذه الأبواب غير باب علي ١١٨٢
أما بعد فخذ حسبا وعبد الله بن عمر وعبد ١٢٥٩
أما بعد فلنك أيها الناس أن ترزخوا من الفضل ٧١٩
أما تتقي الله في هذه البهجة التي ملككها ٩٢٩
أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ ٨٨٦
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ١١٨١
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا ١١٨٠، ١١٨١
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير ١١٨١، ١١٨٠
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير ١١٧٨
أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون ٨٨٣
أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون ٩٥٣، ٦٨٢
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟ ١٠١٩
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة ٧٩٨
أما الحسن فله هبتي وسوددي، وأما الحسين فله ١٢٦٠
أما حقي منها فلك ٦٨٠
أما الروضة فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود ٩٧٠
أما شربتم شرابكم الليلة يا مقداد؟ ٨٥٣
أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله - أي نفقتهن ٥٦٠
أما صليت؟ ٩٠٣
أما الطيب الذي بك فافعله ثلاث مرات، وأما الحجة ٦٨٧
أما ظاهرك فكان علينا والله أعلم بإسلامك وسيجزيك ٤٩٧
أما علمت أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم ١٦٣
أما فرغ أبو لبابة من خلفه ٥٧٣
أما كان نيكم رجل رحيم؟ ٦١٣
أما كان نيكم رجل وشيد يقوم إلى هنا حين رأي ٦٥٦، ٦٥٥
أما كسر أصنامكم بأيديكم فستفيكم من ذلك، وأما ٧٠٣
إما لا أقدم فذلنا عليه ٥٦٤
أما لأستغفرن لك ما لم أنه عتك ٤٢٠
أما لأستغفرن لك ما لم أنه عته ١١٧٧
أما لك في أسوة ٨٨٤
أما لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله ٥٤
أما ما ذكرت من النيرة فسيدعها الله ٥٦٠
أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهر لكم ٦٨٠
أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهر لكم، وإذا ٦٨٠
أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهر لله ولكم ٣٣١
أما محمد فشيء عمن أبي طالب، وأما عبد الله ٦٣٤

- ٦٢ إن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة، فانطلق
٨٠٠ إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، لو
٣١٦ إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلمون من
٧٢٨ إن أباً لا يجني على ولد - ثلاث مرات -
٣٠٠ إن أبلك أولاد أمراً قادركه
٦١٠ إن أبلك ألب عليّ العرب
٥٢٩ إن أبلك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له:
٣٠٠ إن أبلك طلب أمراً فأصابه
٦٣ إن أبلكم آدم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعاً
١٠٩ إن أبلكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق، أعوذ
٨٣٩ إن إبراهيم ابني، وإنه مات في التني وإن له لفتنين
٩٩ إن إبراهيم حين ألقني في النار لم تكن في الأرض
١٠١ إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك
٩٩ إن إبراهيم لما ألقني في النار جعلت الدواب كلها
٥١١ إن أبلك أصاب الفردوس الأعلى
١٢٠ إن ابني هذا سيد إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين
٩٦٧ إن ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به
٩٧٩، ٩٦٨ إن ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين
١٢٠٩، ١٢٠٠ إن ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به بين فتين
١٢٠٠ إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فتين من
١٢٨١ إن ابني هذا يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء
١٢٠٩ إن ابني - يعني الحسن - أرغمني تكبرتم أن أعجله
٩١٩ إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما يخرج
٣٣٢ إن أبي وأباك في النار
٧٩٦ إن اجتمعتم فالأمر عليّ بن أبي طالب
٢٠٠ إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأتوهم منه
٨٣٧ إن أحببت أن اعتكف وأتزوجك فعلت، وإن أحببت أن
٦٨٥ إن أحببت فتعدي مُحبةً مكرمة، وإن أحببت أن
٤٨٣ إن أحببت أن تخدمك بسلاح ورجال فعلنا
٥٣ إن أحذركم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس
٧٢٧ إن أخا صدهاء أذن ومن أذن فهو بقيم
٨٣٧ إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله نفسه
٤٦٥ إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا
٦٣٤ إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيداً أخذ الراية
٩٦٣ إن أدركت شيئاً من هذه الفتن فاعمد إلى أحد
٦٢٢ إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله
٩٤٥ إن الأرض لا تقبله
٦٢٢ إن الأرض لتلتاق على من هو شر منه، ولكن الله
٩٥٧ إن الإسلام بدأ غريباً وسيمود غريباً فطوبى للغريباء
٦٢٨ إن الإسلام يجب ما كان قبله والمجرة تجب ما
٧٣٦ إن الإسلام يزيد ولا ينقص
٩٤٦ إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد
١١٢٥ إن أشد أمتي حباً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون
٩٢٨ إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون
٥٥٢ إن أصحابكم قد أسبغوا وإنهم قد سالوا ربه
٣٠٧ إن أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء
٦٢٩ إن أصيب زيد نجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن
٦٣٢ إن أصيب نجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن أصيب جعفر
١٩٨ إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبي الله
٦٥٩ إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم، أو
٨٥٣ إن أقرأ عليك
- ٧٠٠ أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله نيك
٦٥٧ أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه
٦٨٤ أما والذي نفس محمد بيده ليعمل خير من طلاع الأرض
٥١٣ أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت
١١٩١ أما والذي نفسي بيده لئن أطلعوه ليدخلن الجنة
٧٠٥ أما والله إن كنت لأهلك عن حب يهود
٨٤٠ أما والله إنه لثني ابن نبي
٦٨٣ أما والله لو شتم لقتلتم فصدّتم وصدّتم
٥٣٩ أما والله لو دودت أني غودت مع أصحابي لخصص
١٢٢٣ أمتنا بنفسك
٢٦٢ أمتوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي
١٢٤ أمتوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده
٩٨٣ أمتي على خمس طبقات، فأربعون سنة أهل ير وتوحي،
٩٨٣ أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً، فأما
٦٢٦ أمت: رسول الله
٥٣٧ أمر رسول الله ﷺ بحزمة فسُجّي ببردة ثم صلى
٤٢٧ الأمر لله يضعه حيث يشاء
٣٠٣ أمر القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار
٣٧٤ أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصبي لا صخب
١٠١٠ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله
١٠١٠ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا
١٦١٩ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٤١٦ أمرت بخمسين صلاة كل يوم
٤٥٥ أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة
٧٥٧ أمرني جبرائيل برفع الصوت في الإعلان فإنه من
١١٦٥ أمرني رسول الله ﷺ بقتال التاكين والملاقين
١١١٨ أمسك عليّ الباب
٥٨٥ أمسك عليك أهلك
٧٠١ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك
٥٨٣ أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس
٦١٥ أمسكوا
٦١٥ أمسكوا فإن حضراً من أعضائنا يخبرني أنها مسمومة
٦١٤ أمسكوا فإنها مسمومة
٧٣٢ أمسلكم أنتم؟
٦٣١ امض فإنك لا تدري أي ذلك خير
٨٢٣ امض لما أمرت به
٥٩٨ امضوا على اسم الله
٦٠٣، ١١٨٠ أبط
٣٠٧ أمعك من شعر أمية ابن أبي الصلت شيء؟
٣٠٨ أمعك من شعر أمية بن أبي الصلت؟
٩١٠ أمعكم ما؟
٧٨٤ أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك
٤٣١ آمن مولاي يهود؟
١٢٤٧ الأبناء ثلاثة، جبريل، وأنا ومعاوية
١٢٤٧ الأبناء سبعة، القلم، والفرح، وإسرافيل، وميكائيل
٦٢٢ أمته بالله ثم قلته؟
٤١٧ أمني جبريل عند البيت مرتين
١٠٧٨ أمين هذه الأمة أبو هبيرة الجراح
١٤٠٠ إن
٤٥٩ إن الحمد لله أحده واستميت، نمود بالله من
١١٤٧ إن آخر شراب اشربه لين حين أموت

- ٤٨٦ إن اكتفكم فانفسحهم عنكم بالنبل
 ٧٧٣ إن أكثر دعاء من كان قبلي ودعائي يوم عرفة أن
 ٨٥٤ إن الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين
 ٩٩١ إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً
 ٥٥٨ إن الله أحيا والده وكله فقال له: غفر علي
 ٦٩ إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام
 ٣٢٠ إن الله أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح
 ٩٩١ إن الله أدرك بي الأجل المرقوم واخذني للمقربة
 ٨٢٣ إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها
 ٨٢٩ إن الله إذا أطعم نبياً طعمته، ثم قبضه جملة
 ٨٧٩ إن الله اصطفى قريشاً من بني إسماعيل، واصطفى
 ٢٩٩، ٢٩٦ إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى
 ٣٢١ إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى
 ٥١٢ إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم
 ٢١٩ إن الله أمر يحيى بن زكريا فخصس كلمات أن يعمل
 ٨٥٣، ١٠٧١ إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن
 ٧٣ إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف. على شيث
 ١١٢٤ إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة
 ٤٤٠ إن الله إوحى إلي: أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت
 ٤٤٠ إن الله إوحى إلي: أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي
 ٩٥٧ إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائنات
 ٣٧٦ إن الله يمتحن إيمانكم فقلتم: كذبت
 ٧٣ إن الله تعالى لما خلق الجنة قالت الملائكة:
 ٨٢٣ إن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء
 ٦٥٨ إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي
 ٦٥٥ إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض
 ٦٣ إن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كبير شعر الرأس
 ١٦٤ إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل
 ١٩٤ إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في السماء
 ٧٣ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل
 ٧٣ إن الله خلق آدم على صورته
 ٦٨ إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره يمينه
 ٦٧ إن الله خلق آدم من تراب ثم جمعه طيناً ثم تركه
 ٦٦ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض
 ٢٤٩ إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً
 ٨٢ إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل
 ٧٠ إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل
 ٣٠ إن الله خلق لرحاً محفوظاً من قوة يضيئه
 ٨٠٠ إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده
 ٦٣٢ إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتزكم
 ١١١٨، ٩٨٨، ١٠٢ إن الله زوى لي الأرض فرائب مشارقتها ومغارها
 ٥٦٥ إن الله زوى لي الأرض مشارقتها ومغارها وسيلغ
 ٩٥١ إن الله زوى لي مشارق الأرض ومغارها، وسيلغ
 ٢٢٤ إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة
 ٩١٥ إن الله سيبارك فيه
 ١١٩١ إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك
 ٧٣٨ إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك
 ٢٨ إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته
 ٧٠ إن الله قال: يا آدم إن لي حرماً بحال عرشي
 ٤٥٧ إن الله قد أحسن عليكم الشاء في الطهور في قصة
 ٤٤٤ إن الله قد أذن لي في الخروج والمهجرة
- ٨٤٤ إن الله قد اعتصك، وإن مولى القوم من أنفسهم؟
 ٧٨٥ إن الله قد أصلى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث
 ٤٩٦ إن الله قد أمكنكم منهم
 ٤٤٠ إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تامنون بها
 ٨٢٣ إن الله قد حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء
 ٦٠٧ إن الله قد حرماها لي يوم القيامة
 ٧٧٣ إن الله قد غفر لصالحكم وشفع لصالحكم في
 ٦٦٩ إن الله قد كفى وأحسن يا أم سليم
 ٢٨٦ إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا
 ٣٢١ إن الله قسم الخلق تسعين فجعلني في خيرهما قسماً
 ١٢٢٧ إن الله لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطلب
 ١١٩٥ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثيابكم وإنما
 ١١٠٨ إن الله لعله يفتحصكم قميصاً، فإن أراكم أحد على
 ٧٢٧ إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره
 ١٧٠ إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض كتب
 ١٧٥٤، ١٣١٣ إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
 ٨٤ إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده
 ٢٤٣ إن الله ليس بأعور إلا أن المسح الدجال أمور
 ٤٩٦ إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من
 ٢٣٢، ١٧٠٢ إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته
 ١١٢١ إن الله لمبلس قميصاً تريدك أمي على خلمه فلا
 ٦٦٠ إن الله ورسوله يصدقانكم ويعترفانكم
 ٧٩١ إن الله ولئي وأنا ولئي المؤمنين، ومن كنت
 ١٤٣٤ إن الله يثبت إيمانه الأمة على رأس
 ٩٨٥، ١٥٨٠ إن الله يثبت هذه الأمة على رأس كل مائة سنة
 ١١٥٤ إن الله يحب العبد الغني الخفي
 ١٢٢٦ إن الله يحب العبد الغني الخفي
 ٥٥ إن الله يحب العباس وينفض أو يكره التائب فإذا
 ١١٥٤ إن الله يحب الغني الخفي
 ٨٨٦ إن الله يجزيك بين أن تكون عبداً نبياً وبين
 ٩٠٧ إن الله يضحك من شفتك وأزلكم وقرب غياكم
 ٤٢ إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن النطق، ويضحك
 ٩٢١ إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآياتكم
 ٤٨ إن الله ينهاكم عن التمري فاستحيوا من ملائكة
 ٣٢١ إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خيرهم، ثم لا
 ٩٦٧، ١١٧٤ إن الأمة ستفتر بك بعدي
 ٣٥١ إن أمي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً
 ٧٨٤ إن أمر عليكم عبد جدد - حسبها قالت: أسود
 ٣٥٠ إن أمه رأت حين وضعته نوراً أغضت منه قصور الشام
 ٢٤٢ إن أهل الجنة يدخلونها جرأاً مردأً مكحلين أبناء
 ٧٠ أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل
 ٢٧ إن أول ما خلق الله القلم، ثم
 ٦٨ إن أول من جحد آدم
 ٦٨ إن أول من جحد آدم، إن أول من جحد آدم! إن الله
 ٦٨ إن أول من جحد آدم - قالها ثلاث مرات - إن الله
 ٢٩٠ إن أول من سب السواب وعبد الأصنام، أبو خزاعة
 ٩٧٢ إن أول من يبذل سنتي رجل من بني أمية
 ١٣٩ إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود
 ٢١٦ إن أول الناس بابن مريم لأنا إنه ليس ببني وبينه
 ٧٣٥ إن أول الناس بي الملقون، من كانوا وحيث كانوا
 ٤٥٥ إن الإيمان ليارز إلى المينة كما تارز الحية

- ١٠٠٤ إن ربي قد قَتَلَ اللَّيْلَةَ ريكما
 ١٣٧٣ إن الرَّجُلَ كُيْدَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ بَعْدَ
 ٦٠٥ إن الرجلَ ليعملَ بعملِ أهلِ الجنةِ فيما يبدو للناسِ
 ٤٥٤ إن الرجلَ معَ رحلته حيث كان
 ٨٠٠ إن رجلاً خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء
 ١١٢٤ أن رجلاً سألَ عبدَ الرحمن بن عثمانَ التيمي عن صلاة
 ٩٤٠ أن رجلاً ضُرِبَ أُنْبَى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله
 ٦٩٤ إن رجلاً قال: هذا محمدٌ يُخبرُكم أنه نبي، ويُخبرُكم
 ٢٦٧ إن رجلاً كانَ قِيلَكم رُغْصه الله ما لا يُقالُ لنبية
 ١٢٤٢ إن رجلاً عن كانَ قِيلَكم بينما هو يتخيَّرُ في حلة
 ١٢٢٠ إن الرجلينَ ليترجعا إلى المسجدِ فيصليانَ فينصرفا
 ١١٢٦ إن رُحى الإسلامِ ستدورُ خمسَ وثلاثينَ، أو ست وثلاثينَ
 ١١٥٠ إن رُحى الإسلامِ ستدورُ خمسَ وثلاثينَ سنةً فإن
 ٩٦١ إن رُحى الإسلامِ ستدورُ خمسَ وثلاثينَ أو ست وثلاثينَ
 ١٢٤٧ أن رسولَ الله ﷺ استشارَ جبريلَ في است كتابه معاوية
 ٩٦٢ أن رسولَ الله ﷺ أشرفَ على أطعم من أطام المدينة
 ٩٠٨ أن رسولَ الله ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ ليعضَ غارجه معه
 ٥٦ أن رسولَ الله ﷺ خرجَ من عندنا ليلاً قالت: ففرت
 ١١٢١ أن رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ قَتْلَ أَبي بكرٍ: أنا أدركها
 ١٦٥٤ أن رسولَ الله ﷺ سئلَ عن المتعة فحسبها
 ١١٨٢ أن رسولَ الله ﷺ سدَّ أبوابَ الناسِ في المسجدِ وقتَ
 ١٢٠٩ أن رسولَ الله ﷺ صلى بهم إحدىَ صلاتي العشي فسجد
 ٨٨٨ أن رسولَ الله ﷺ كانَ يبيتُ الليالي المتتابعة
 ٨٩١ أن رسولَ الله ﷺ كانَ يواصلُ ونهى أصحابه عن الوصال
 ٧٣ أن رسولَ الله ﷺ لما مرَّ بأدمَ وهو في السماء الدنيا
 ٨٨٥ إن زاهراً بأدينتنا ونحن حاضرون
 ٨٨٧ إن الزمانَ قد استدارَ كهيمته يومَ خلقَ السموات
 ٥٤٠ إن زَوْجَ المراءِ منها لَيَمُكِّنُ
 ١٣٥٧ إن السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ
 ٩١١ إن ساقِي القومِ آخرهم
 ٢٠٦ إن سليمانَ لما بَنَى بيتَ المقدسِ سألَ ربه عز وجل
 ١٠٧٤ إن سَيْنَ يَلالَ عندَ الله شَيْءٌ
 ٨٥٠ إن سَيْنَ يَلالَ عندَ الله شَيْءٌ
 ٥٨٩ إن شئت
 ٩٤٠ إن شئتَ أخبرتُ ذلكَ فهو أفضلُ لأخرك، وإن شئتَ دعوتُ ١٠٠٢
 ٨٣٥ إن شئتَ أنا وإن شئتَ زوجك
 ٩٣٠ إن شئتَ دعوتُ له
 ٩٣٩ إن شئتَ صبرته ولك الجنة، وإن شئتَ دعوتُ الله ١٠٠٢
 ٦٣٢ إن شئتَ فأخبرني وإن شئتَ أخبرك
 ١٢٨٦ إن شئتَ قسم، وإن شئتَ فأنظر
 ١١٠٩ إن شئتَ نصرتَ طليهم، وإن شئتَ أظفرتَ عندنا فأخبرت
 ٩٢٤ إن شئتَ،
 ٦١٩ إن شئتَ دفنتَ إليكم هذه الأموالَ على أن تعملوها
 ١٣١٨ إن شَرَّ الرُّعَاءِ الحَفَظَةُ، فإِنَّكَ أن تكونَ
 ٩٠٤ أن الشمسَ ردت على علي بن أبي طالب
 ٩٠١ أن الشمسَ لم تحبس على أحدٍ إلا ليوثع
 ٩٩٦ إن الشمسَ لم تحبس لبشرٍ إلا ليوثع عليه السلام
 ١٨٦ إن الشمسَ لم تحبس لبشرٍ إلا ليوثع لبالي سار إلى
 ٨٤٠ إن الشمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله عز وجل ٤١
 ٤١ إن الشمسَ والقمرَ نوران في النار يومَ القيامة
 ١٠٢٢ إن الشَّهيدَ يشفعُ لسبعينَ من أهله
 ٣٩٦ إن بأرضِ الحبشة ملكاً لَا يُظَلَّمُ أَحَدٌ عنده
 ٧٠٠ إن بالمدينة أقباماً ما سرتمَ سيرة ولا قطعتم وادياً
 ١٤٤٧ إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يغلَقُ حتى تطلع
 ٧٢٣ إن بُدِنَ الله لتنحرَ عنده الآن
 ١٥٥٠ إن البر والصلة ليخفان سوء الحساب يومَ القيامة
 ١٥٥٠ إن البر والصلة ليطيلان الأعمار، ويمرران الديار
 ١١٦٤ إن بعدي من أمي - أو سيكون بعدي من أمي - قوم
 ٣٧١ إن بمكة حجراً كانَ يُسَلَّمُ عليَّ لِيَأْتِيَ بَعَثُ
 ١١٥٥ إن بني إسرائيلَ اختلفوا فلم يزلَ اختلفهم بينهم
 ١٧١ أن بني إسرائيلَ قالوا لموسى: هل ينأم ريك؟ قال: لم
 ٦١٠ إن بني حاشم وبني عبد المطلب شيء واحد، إنهم لم
 ٩٧٥ إن بين يدي الساعة ثلاثينَ كذلياً مجالاً، كلهم
 ١٣٠٠ إن بين يدي الساعة فتنة قطعَ الليلَ المظلم، فتنة
 ١١٩١ إن تؤثروا أبابكرَ تجدوه أئمةً زاهداً في الدنيا
 ٩٣٤ إن تركتَ ترجمين؟
 ٥٣١ إن تشا لا تعبد في الأرض
 ٥٥٠ أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
 ٩٣٩ إن تصبري على ما أنت عليه غيبي يومَ القيامة ليس ١٠٠٢
 ٦٠٦ إن تصديقَ الله يصدقك
 ٥٢٥ أن تضربَ به في العدو حتى ينجني
 ٨٤٠ إن تطعنا في إمارته فقد طعمت في إمارته أبيه
 ١٢٢٣ إن تطعنا في إمارته فقد طعمت في إمره أبيه من
 ٧٩٧ إن تطعنا في إمارته فقد كتمت تطعون في إماره
 ٦٣٦ إن تطعنا في إمرته فقد كتمت تطعون في إمره أبيه
 ٦٨٥ إن تكوني صادقة فإنك مَيَّ أثر لا يلى
 ٢٦٤ إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بلدا
 ٩٩٧ إن جبريل كان يمارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه
 ٧٩٨ إن جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء من الجبل
 ٤٨٧ إن الجنة تشفق إلى ثلاثة، علي وعمار وسلمان
 ١١٦٧ أن الحرم حرام منه يعني قدره من السموات
 ٤٣ إن الحرم محرم في السموات السبع مقداره من الأرض
 ٤٤ إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبين ذلك أمور
 ١٣٠١ إن الحمد لله محمدٌ ونسبته، من يهود
 ٣٨٠ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة
 ٥٩٨ إن خراشاً لقتال
 ٦٥٩ إن خفت أن يهرك شعاع السيف فائق طائفة من رداك
 ٩٧٤ إن خلق أحكمك يجمع في بطن أمه أربعين يوماً
 ١٥٠٠ إن دانيال دعا ربه عز وجل أن تدفعه أمة محمد
 ٢١٣ إن دماكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ٧٥٩
 ٧٧٠ أن الدنيا جمعة من جمع الآخرة
 ٢٦٩ إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها
 ٩٥٥ إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة
 ١٣٩ إن ذلك صوم الدمر
 ٢٠١ إن ذلك لا يجل لي
 ١٢٤٧ إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي
 ٥٠٣ إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهن حيث نزلوا
 ٥٢٤ إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تروحوا حتى
 ٥٣٠ إن ربي يخبرني فقال: «استغفر لهم أو»
 ٧٠٥ إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قل
 ١١٨ إن ربي قد قتل الليلة ريك
 ٦٤٣ ٢٨٧

- ٥٥ إن الشيطان عرض لي فتش علي يقطع الصلاة عليّ.
- ٥٢ إن الشيطان قد ينس أن عبده المصلون ولكن في التحريش.
- ٥٧ إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرفة فقد له بطريق.
- ٦٠ إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرفة.
- ٨٧٠ إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي فمن رأي في.
- ٨٤٧ إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا عز لوجهه.
- ٢٣٩ إن الشيطان مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه.
- ٥٢ إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر.
- ٥٢ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.
- ٥٢ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه.
- ١٠٨٨ إن الشيطان يفرق من عمر.
- ٦١٦ إن صاحبكم غل في سبيل الله.
- ٥٢٨ إن صاحبكم لتفلسه الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه.
- ٧١٧ إن صدق ذو المقصتين دخل الجنة.
- ٧١٧ إن صدق ليدخل الجنة.
- ٩١١ إن الصدقة صلح في الرأس وحرق في البطن، أو داء.
- ٨٤٣ إن الصدقة لا تحل في ولا لأهل بيتي، وإن مولى.
- ١١٧٧ إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار.
- ١١٧٥ إن صلاح ذات اللين أفضل من عامة الصلاة والصيام.
- ٧٠٥ إن صيد وج وعشاقه حرم حرّم لله.
- ٩٨٤ إن طالت بك مدة أوشك أن تروا قوماً يندفون في سخط.
- ٥١٢ إن ظفركم بهيار بن الأسود والرجل الذي سبق معه.
- ١٣٤٩ إن عبد الله وجل صالح لو كان يقوم الليل.
- ٨٠٠ إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين.
- ١٥١ إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه.
- ١١١٩ إن عثمان رجل حمي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك.
- ٥٥ إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه.
- ٢٠٧ إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في.
- ٢٠٧ إن عفريتاً من الجن نفلت الباردة ليقطع عليّ.
- ١٠٠٠، ٥٥ إن عفريتاً من الجن نفلت عليّ الباردة أو كلمة.
- ١٢٤ أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من.
- ٧٤ أن عمره أكتب في اللوح المحفوظ ألف سنة.
- ١٢٠٤ إن عمرو بن العاص من صالحي قريش.
- ٢٤٢ أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراي.
- ٢٤٢ إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة.
- ٢٣٨ إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة.
- ٢٤٠ أن عيسى قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الحواريين.
- ١٢٩٥ إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال: هذه.
- ٨٨٨ أن فاطمة تناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز شعير.
- ١٥٢٦ إن الفتنة تحمي تنسف العباد تنسف، وينجو العالم.
- ٩٧٢ إن فساد أمتي على يدي غلمة سفاه من قريش.
- ٤١٨ إن فعلت ترموا؟
- ٤٢٥ إن فعلتم ما فعلتم فاكمروا عليّ.
- ٦٩٩ إن في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة حتى.
- ٩٧٦، ١٤٠٢، ١٣٢١ إن في تقيض كذاباً ومبيراً.
- ١٣٩٨ أن في تقيض شيراً وكذاباً.
- ٦٢ إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام.
- ١١١ إن في الجنة قصر - أحبه قال - من لؤلؤة ليس.
- ٣٠ إن في صدر اللوح لا إلا الله وحده دينه.
- ٤٠٥ إن في الصلاة شغلاً.
- ٦٤٣ إن في وجه سعد خيراً.
- ٧١١ إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله.
- ٧١١ إن فيك خلتين يحبهما الله عز وجل: الحلم والأناة.
- ١١٨٨ إن فيك من عيسى ابن مريم مثلاً أبغضت يهود حتى.
- ٧٠٢ إن فيكم - أو ابن منكم - منافقين فسلوا الله.
- ١١٦٠ إن فيكم قوماً يتبعون ويدأبون حتى يعجبوا الناس.
- ١٠١٦ إن فيكم لرجلاً غرسه في النار أعظم من أحد.
- ٣٣١ إن القبر الذي رأيتوني إناجي فيه قبر أمة بنت.
- ٦٣٤ إن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو.
- ٦٣١ إن قتل زيد نجعفر، وإن قتل جعفر فبهد الله بن.
- ٦٨٥ إن قد قرأ على بن هناد - رجل من بني سعد بن بكر -
- ٦٨٢ إن قريشاً حديثاً عهد بجاهلية ومصيبة، وإني أردت.
- ١٦٠٥ إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الله يقبل.
- ٤٢ أن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق، والمجرة باب.
- ١١٥٩ إن قوماً يهزقون من الإسلام كما يهزق السهم من.
- ٣٠٧ إن كاد يسلم.
- ٢٨ إن كرسبه وسع السماوات والأرض وإن له أخطأ كاطيط.
- ١٢١، ١١٠ إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف.
- ٨٦٠ إن كنت لا بد فاعلا فواحدة.
- ٩١١ إن لا تدركوا الماء غداً تعطشوا.
- ٧٥٣ أن لا يمج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان.
- ٢٥٨ إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع.
- ٥٣١، ١١٢٠ إن لك أجر رجل ممن شهد بداراً وسهمه.
- ٦٩٧ إن لك حقاً ولك رسول، فلو وجدت عندنا جاترة.
- ١٠٦٩ إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة.
- ٧٣٣ إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟
- ٨٥٥، ١١٣٩ إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير.
- ٥٢٨ إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير.
- ١٥٦٨ إن لكل نبي شفاعاً وإني أختبأ شفاعي لأهل.
- ٤٤٠ إن للزوج بين المرأة لشعبة ما هي إشي.
- ٥٥ إن للشيطان قوة بآدم وللملك له. فاما.
- ١٣٠١ إن للشيطان مصالي وفخرها، وإن من مصاليه وفخره.
- ٥٧٧ إن للقر ضغطة ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد.
- ٥٧٧ إن للقر غمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد.
- ٤٩ إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب.
- ٤٩ إن لله ملائكة سياحين في الأرض ليبلغوني عن أمتي.
- ٨٢٣ إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام.
- ٤٤ إن لله ملكاً لو قيل له اتق السماوات والأرضين.
- ٧٩٩ إن لم تحبني فأت أبا بكر.
- ٩٥٨ إن لم تحبني فأتني أبا بكر.
- ٤٨٧ إن لنا طليقة فمن كان ظهوه حاضراً فليركب معنا.
- ٥٠٢ إن له بمكة أبناً كسباً تاجرأ ذا مال، وكانكم.
- ٨٣٩ إن له في الجنة من يثم رضاءه وهو صديق.
- ٤٣٩، ٥٧٦ إن له لأجر شهيدين.
- ٣٣٨ إن له مرضعاً في الجنة يستكمل رضاعه.
- ٩١٣ إن لها راء.
- ١٠٨٧ إن في وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض.
- ٥٤٣ إن للمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين: اضرب.
- ٥٦ إن المؤمن ليضي شيطاناً كما ينضي أحلكم بعيره.
- ٧٠٣ إن مثله في قرمه كمثل صاحب يس في قرمه.
- ١٢٠ إن مدني وأصحاب الأيكة أمثال بعث الله إليهما.
- ١٧٦٤ إن المرأة خلقت من ضلع أوج وإن أوجع شيء في الضلع.

- ٤٣٠ إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا قرآن
 ٥٩٥ إن هذا من قوم يتألمون، فابشروا المهدي في وجهه
 ٨٤٥ إن هذا النعيم، لتسألن يوم القيامة عن هذا
 ١٨٧ إن هذا الوجع "أو" السقم رجز عذب به بعض الأمم
 ٤٢ إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض
 ٦٤٨ إن هذه السحابة لتبفض بنصر بني كعب
 ٦٤٦ إن هذه السحابة لتستهول بنصر بني كعب
 ٧٣٠ إن هذه القلوب بيد الله عز وجل
 ١٠٢٢ إن هذه لشيعة يفضها الله، إلا في هذا الوطن
 ٩٢٦ إن هذه النخلة إنما حنت شرقاً إلى رسول الله،
 ٧٢٧ إن هذين من أتقى الناس - لعمركم - في الأولى
 ٦٠٠ إن هم أطاعوا فتروج بنت ملكهم
 ٥١٣ إن وردتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار
 ١٢٠٩ إن الولد مبخل عجة
 ٢٤٩ إن يأتونكم من ولد آدم ولو أرسلوا لأنسدوا
 ٢٥٠ إن يأتونكم وماجوج ليحرقون السد كل
 ٩٠٧ إن بك شاعر يحسن فقد أحسن
 ٤٢٣ إن بك هذا من عند الله بفضه
 ٤٨٣ إن يكن في أحد من القوم خير فمند صاحب المجلس
 ٨٤ أن يكون لأحدنا ثلثان حستان فما شراكان حستان
 أن يمسك عسراً أخرى فصارت أربعين ليلة
 ٧١٨ إن ينج زيد من حلى المدينة فإنه
 ٢٦٧ إن اليهود والنصارى لا يصيغون فخالقهم
 ٩٣٤ أنا
 ٣٠٠ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بيني وبينه
 ٧١٧، ٥٥٠ أنا ابن عبد المطلب
 ٦٦٩ أنا ابن المواتك
 ٨٣ أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم
 ٧٣٩ أنا أحكم بينكم
 ٦٢٦ أنا أحكم بينكم، أما أنت يازيد فمولى الله ومولى
 ٣٣٠ أنا أكرمكم، أنا قرشي واسترغمت في بني سعد بن
 ٧١٩ أنا أعلم بدينك منك
 ٥٢٣ أنا أقتل أياً
 ٩٠٤ أنا أكرم على الله من أن يدعي تحت الأرض ماني
 ٨٤٤ إنا أهل بيت لا تحمل لنا الصدقة، وإن موالينا من
 ٨٤٣ إنا أهل البيت نهينا أن نأكل الصدقة، وإن مولانا
 ١١٧٨ أنا أول من أسلم
 ٢٤٣ أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات
 ١٩٩١ أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه ليس بيني
 ٢٤٤ أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والأنبياء أخوة
 ١٠٢٨ أنا بريء من كل من ساكن للمشرك في داره
 ٨٨٥ إنا حاملوك على ولد ناقص
 ١٢٠٩ أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمكم
 ١٢٨٣ أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم
 ١١٩٠ أنا دار الحكمة وعلي بابها
 ٣٢٩ أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام
 ٣٤٨ أنا رسول الله أذكركم إلى الله عز وجل
 ٤٢٧، ٤٢٩ أنا رسول الله
 ٤٣٠ أنا رسول الله إلى المباد أذكركم إلى أن يعبدوا
 ٦٢٦ أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله
 ٩٢١ إنا سالنا الله من فضله ورحته فهذا فضله وقد
- ٩٢١ إن المسلم يشرب في معنى واحد، والكافر يشرب في
 ٧١٩ إن «المتضوِّب» عليهم: اليهود وإن «الضالين»
 ٦٥٩ إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يجل لأمري
 ١٢٦٠ إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، وإنه لم
 ٤٨ إن ملائكة الله يعرفون بني آدم وأحسبه قال
 ١٥٩ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما
 ٤٢٧ إن الملك لله يجعله حيث يشاء
 ٢٦٦ إن عما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح
 ١٨١٦ إن عما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا
 ١١٧٤ إن عما عهد إلي رسول الله ﷺ أن الأمة مستغفرة
 ٩٧٠ إن من أشرط الساعة أن تقتلوا قوماً نعلمهم الشر
 ٧١٠ إن من البيان سحراً
 ٨٨٠ إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً
 ١٣٦٥ إن من الشر لبيكة
 ١١٦٢ إن من ضغنى هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم
 ٩٥٢ إن من كان قبلكم كان أحدهم يشق بالثنتين ما يصرفه
 ٢٤٩ أن من كان كذلك يُنْشَرْنَ في عَصَصَات
 ١٤٣٥ إن من ورائكم عفة كزودا لا يهزؤما
 ٩٦٧، ١١٩١، ١١٦٤ إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت
 ٧٠٢ إن منكم منافقين فمن سئيت فليقم تم يا فلان،
 ١٤٨ إن موسى أجز نفسه بعقة فرجه وطعام بطنه
 ١٨٣ أن موسى حج على نور آخر
 ١٤٧ إن موسى عليه السلام أجز نفسه لثاني سنين أو عشرة
 ١٤٧ إن موسى عليه السلام أجز نفسه لعقة فرجه وطعمة
 ١٧١ إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أي أهل الجنة
 ١٧١ إن موسى قال: أي رب عبيدك المأمون مقرر عليه في
 ١٨١ إن موسى كان رجلاً حياً سترأ لا يرى جلده
 ٤٩٤ أن الميت يطلب في قبره بكياء أهله
 ٩٥٣ إن الناس يكرهون ونقل الأوصار
 ١٣٦ إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه لثاني عشرة سنة
 ٨٤ إن نبي الله نوحاً عليه السلام لا حضرة الوفاة
 ٨٨١ أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة أو قال: أثر صفرة
 ٦٥٥ إن النبي لا يقتل بالإشارة
 ٨٢٩ إن النبي لا يورث
 ٨٤٣ إن هاتين صامتا عن الحلال وأظفرتا على الحرام
 ٧٧٧ إن هاتين الصلاتين حُرِّكتا عن وقتها في هذا
 ٨٣٧ إن هاتين لئلا ابن سعية يشترى بإسلام رجلا
 ٥٥٧ إن هذا اختزط سنيي وأنا نائم فاستيقظت وهو
 ٣٨٢ إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا
 ١٢٠١ إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة، ثم يكون رحمة وخلافة
 ٩٨١ إن هذا الأمر في قریش لا يهاديهم أحد إلا كيه
 ٧٦٨ إن هذا امر قد كبه الله على بنت آدم، فاشتلي
 ٩٢٤ إن هذا بكى لما فقد من الذكر
 ٣٣٩ أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض
 ٩٥٩ إن هذا رجل أخر هلكة قومه
 ٥٥٠ إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائل بينه
 ٨٧٢ إن هذا رسول الله ﷺ، فاشتدحت حين قال ذلك،
 ١٩٥ إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإنا سمعتم به
 ١٠٢٣ إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم
 ٦١٥ إن هذا العظيم يخبرني أنه مسموم
 ٩٤ إن هذا قبر أبي رغال، وهو أبو تغيف، وكان من ثمود

- أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم ٤٥٤
 أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ١١٠، ١٦٧، ٣٢١
 أنا شهيد على هؤلاء إنه ما بين جريح يجرح في ٥٣٨
 أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ٥٣٧
 أنا الشهيد الأكبر أمت قبل أن يؤمن أبو بكر، ١١٧٨
 أنا ضامن لك ذلك وأخلص الآن لله الوحدانيه ودع ٣٠٩
 إنا عاشركم ٧٢٩
 أنا عبد الله ورسوله ٦٨٢
 أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيئي ٥٩٦
 أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً ٨٠٤
 أنا فاعل، قلت: فابن أبي طالب يوم القيامة يا بني ١٣٨٦
 أنا فرطكم، وأنا شهيد عليكم، إني والله لأنظر ٩٥٣
 إنا قاتلون غدا إن شاء الله ٦٧٩
 إنا لا ناكل الصدقة ٨٤٤
 إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك عن لم ياذن فارجموا ٦٨١
 إنا لقد لقينا رتنا فرضي عنا وأرضانا ٥٥١
 إنا لم نحى لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن ٥٩٨
 إنا لم نقض الكتاب بعد ٥٩٩
 أنا لها أنا لها ١١٠
 أنا لهم عوضاً من أبيهم ١٣٦٠
 إني متعجل فمن أحب منكم أن يتعجل فليعجل ٦٩٥
 أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله ٣٢١
 أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ٣٢٠
 أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت ١١٩٠
 أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها ١١٩٠
 إنا معاشر الأنبياء لا نوث ٢٠٢
 إنا معشر الأنبياء نتب أجسادنا على أرواح أهل ٨٤٨
 إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاد كما يضاعف ٢٧٢، ٨٠٤
 أنا نازل ٥٦٣
 أنا نبي ٣٧٨
 أنا النبي لا كذب ٦٦٩
 أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ٨٩٢
 أنا هو ٤٣١
 أنا ولوا ٨٠٦
 أنا ومن معي ٩١٥
 أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن ٣٤٥
 أناس من أمي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر ١٠٩٦
 أتيتك بمثل ذلك في آلاء الله الأرض أشرق عليها ٧٢٦
 أتيتك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية ٧٢٦
 أتينا رسول الله ﷺ أن في قبيض سيرا ١٣٩٨
 اتبعنا لها رجل عارم عزيز منيع في رملته: مثل أبي ٩٣
 الأنبياء إخوة لملات، ودينهم واحد وأمهاتهم شتى ٢٤٤
 الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على ١٦١٨
 الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من ٢٧٢
 أنت؟ ٣٨٢
 أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ ٥٩
 أنت أخونا ومولانا ٦٢٦
 أنت أخي في الدنيا والآخرة ١١٧٨
 أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال ٤٢٣
 أنت أخي وولائي وخليفتي وخير من أُمِّ بعدني ١١٢٨
 أنت إمامهم فافتد بأعضهم واتخذ مؤذنا لا يأخذ ٧٠٣
 أنت بالخيار أربعة أشهر ٦٦٠
 أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ٦٤٨
 أنت سبعة ٨٤٢
 أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك فقد ١١٨٨
 أنت سيف من سيف الله سلّه الله على المشركين ١٠٣٤
 أنت طردني كل مطرد ٦٥١
 أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتوني ٦٥٢
 أنت فيهم ٩٦٩
 أنت القتال أصبح نهبي ونهب العيد بين الأقرع ٦٨٣
 أنت مع أبيك ١١١٨
 أنت من الأولين ١٠٩٦، ١٢٣٠، ١٢٩٣، ٩٦٩
 أنت منهم ١٨٢، ١٠٩٦
 أنت مني بمثلة هارون من موسى ١١٨١
 أنت مني بمثلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي ١١٨٢، ١١٨١
 أنت مني بمثلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ١٢٢٨
 أنت مني وأنا منك ١١٢٨، ٦٢٦
 أنت وذلك ٥٦٦
 أنت ولي كل مؤمن بعدي ١١٨٣، ١١٨٠
 أنت وليي في الدنيا والآخرة ١١٨٠
 أنت وليي في الدنيا ووليي في الآخرة ١١٢٣
 أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ ٨٢٩
 أنتم أحق بموسى منهم فصوموا ١٦٢
 أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيكم ٤٦٥
 أنتم الذين إذا رُجموا استقدموا ٧٣٤
 أنتم خير أهل الأرض ٥٩٧
 أنتم الشعاب والناس الدثار أما ترضون أن يذهب ٦٨٢
 أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين ٤٣٧
 أنتم قضاة بين مالك بن حبر ٢٧٤
 أنتم منا وإليها أهل البيت ٢٨٧
 أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجموا إلى أموالكم ٧٠٨
 أنتم والساعة كهاتين ١٣٨٥
 أنثى صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس ٨٠٢
 أنثروا في المسجد ٤٩٧
 انحر ولا حرج ٧٧٨
 أئمة ٥٥٨
 أئمتك منك الرحمة يا بلال حتى تمر بأمرأتين على ٦٠٩
 أنزوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس ٧٥٩، ٧٨١
 أنزعه ٩١٩
 أنزل علي بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم ٤٥١
 أنزل فخذ منها واحدة ورد اليقي ٩٣٠
 أنزل الليلة علي بني النجار أخوال عبد المطلب ٤٤٨
 أنزل يا ابن الأكرع فخذ لنا من متانتك ٦٠٢
 أنزلت صفح إبراهيم في أول ليلة من رمضان ٣٦٧
 أنزلوا ٥٩٤، ٤٣١
 أنزلوا على حكم سعد بن معاذ ٥٧٥
 أنزلوا الناس منازلهم ١١٩٥
 أنزلوا ٥٧٥
 أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتل ١٧٢
 أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا ٣٥١
 أنشدك بالله وأذكرك إمامه عند بني إسرائيل، ٩٤٧
 أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل ٩٤٦

٩١٢، ٤٥١، ٣٧٨	إِنَّكَ غَلَامٌ مُعَلَّمٌ.....	٩٤٣	أُنْشِدْنِي.....
١١٠٠	إِنَّكَ عَلِيمٌ مُعَلَّمٌ.....	٩٠٠	أُنْشِقِ الْقَمَرِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَفَتَيْنِ حَتَّى تَنْظُرُوا.....
٢٠٦	إِنَّكَ لَا تَنْعُ شَيْئًا اتَّقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَصْطَلَكَ.....	٤٥٤	الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَحِيتِي.....
٤٥٠	إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا فَإِذَا بَلَغَكَ أَنِّي قَدْ.....	٦٨٢	الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَحِيتِي لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَا وَسَلَكَتِ.....
٩٦٢	إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ.....	٤٥٤	الْأَنْصَارُ لَا يَجِيعُ إِلَّا مَوْزَنٌ وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مَنَاقِقُ.....
١٠٢١	إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ، بَلْ تَمِيشُ بَغِيرَ وَتَمُوتُ بَغِيرَ، وَيُذْخَلُكَ.....	٥٢٥	أَنْضَحِ الْحَيْلَ عَنَّا بِاللَّيْلِ لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفَانَا إِنْ.....
١٠٢١	إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ، بَلْ تَمِيشُ حَيْدًا وَيُقْتَلُ شَهِيدًا وَيُذْخَلُكَ.....	٦٨٦	أَنْضِرْ؟.....
١٢٢٧	إِنَّكَ لَنْ تَخْلُفَ تَفْعَلُ عَمَلًا تَبْتَنِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ.....	٤٤٩	أَنْطَلِقُ.....
٨٤٧	إِنَّكَ لَنْ تَشْكِي بِطَنِكَ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا أَبَدًا.....	٩١٢	أَنْطَلِقُ إِلَى أَهْلِ الصِّفَةِ فَادْعُهُمْ لِي،.....
٩٥٦	أَتُكْتَبُ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟.....	٨٥١	أَنْطَلِقُ إِلَى بَنِي فَلَانٍ فَقُلْ لَهُمْ: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ.....
٩١٠	إِيَّاكُمْ إِنْ لَا تَبْرَكُوا لِلَّهِ غَدًا تَعْلَشُوا.....	٨٥١	أَنْطَلِقُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْ لَهَا فَلْتَدْفِعْ إِلَيْكَ مَا عِنْدَهَا.....
١٦٠٥	إِيَّاكُمْ تَرُونَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرِ.....	٩٠٩	أَنْطَلِقُ إِلَى فَلَانِ الْأَنْصَارِيِّ فَاتَّقِرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ.....
١١٢١	إِيَّاكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي قَتْلًا وَاسْتِخْلَافًا.....	٤٤٩	أَنْطَلِقُ بِالشَّغْفَرَةِ وَجَنَّتِي بِالْقُدْحِ.....
٩١١، ٦٩٥	إِيَّاكُمْ مَسَاتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنُ تَبْرُوكَ وَإِيَّاكُمْ.....	٤٤٩	أَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى أُمِّكَ.....
٩٥٣	إِيَّاكُمْ سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةَ فَاصِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى.....	٤٤٩	أَنْطَلِقُ بِهِدْهُ وَجَنَّتِي بِأُخْرَى.....
٩٥٥	إِيَّاكُمْ سَتَحْتَوُونَ أَرْضًا يُذَكِّرُ فِيهَا الْقِرَاطَ فَاسْتَوْصُوا.....	٦٩٢	أَنْطَلِقُ بِهِنَ إِلَى أَصْحَابِكَ فَقُلْ: إِنْ اللَّهُ - أَوْ قَالَ:.....
٩٦٠	إِيَّاكُمْ سَتَعْدُونَ الشَّامَ فَتَنْزِلُونَ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا: أَرْضُ.....	٩٦١	أَنْطَلِقُ حَتَّى تَأْتِيَ أَبَا بَكْرٍ فَتَجِدْهُ فِي دَلْوِهِ جَالِسًا.....
٩٧٦	إِيَّاكُمْ فِي النَّبْوَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَوْمَهَا.....	٤٤٢	أَنْطَلِقُ فَارْتَبِهِ.....
١٦١٨	إِيَّاكُمْ لَمْ تَرَوْا إِلَّا بِلَاءَ وَفَسَّةٍ، وَلَنْ يَزِدَّكَ الْأَمْرُ.....	٩١٥	أَنْطَلِقُوا.....
١٢٠٧	إِيَّاكُمْ لَنْ رُوحَ اللَّهِ وَإِيَّاكُمْ لَتُخْلَوْنَ وَتُخْبِتُونَ.....	٩٦٠	أَنْطَلِقُوا بِمَا تَزُورُ الشَّهِيدَةَ.....
٢١٢١	إِيَّاكُمْ تَلْقَوْنَ الْعَتَا غَدًا، وَالْفَيْطَرُ.....	٦٤٩	أَنْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَافٍ فَإِنَّ بِهَا ظِلْمَةَ مَعْمَا.....
٨٠١	إِيَّاكُمْ صَوَابُ يَوْسُفَ، مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ.....	٥٦٦	أَنْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا هَؤُلَاءَ الْقَوْمَ فَتَنْظُرُوا.....
١١٦٢	إِنَّمَا أَنَا نَفْسٌ.....	٥٢٢	أَنْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَهْنِهِمْ.....
٢٦٨	إِنَّمَا أَجْلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِنْ خِلَا مِنْ الْأَمْسِ قَبْلَكُمْ مَا بَيْنَ.....	٧٢٣	أَنْظُرْ أَمْرًا هَذَا مَعَاذَةَ فَادْعُهَا إِلَيْهِ.....
٢٦٨	إِنَّمَا أَجْلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِنْ خِلَا مِنْ الْأَمْسِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ.....	٨٨٩	أَنْظُرْ أَنْ تَرِيحِي مِنْهُمَا فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي.....
٢١٩١	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّيِّتِ.....	١١٨٦	أَنْظُرْ مِنْ هَذَا؟.....
١٥١٨	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّيِّتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ.....	٩١٠	أَنْظُرْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟.....
٩٨٩	إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَوْدَّةٌ.....	٩٨٠	أَنْظُرْ هَلْ تَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ؟.....
٥٨٩	إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّكْ عَنَّا إِنْ.....	١٨٣، ١١١	أَنْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ.....
٢٦٧	إِنَّمَا أَمْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ.....	٧٤١	أَنْظُرُوا إِلَى هَذَا الْغَرَمِ وَمَا يَصْنَعُ.....
٨٧٩	إِنَّمَا بَعَثْتُ لَأَتِمَّ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ.....	٤٩٢	أَنْظُرُوا إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلِ إِلَى أَثَرِ جَرْحٍ فِي.....
٦١٠	إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ.....	١٢٤٧	أَنْظُرُوا مِنْ هَذَا؟.....
٥٤٢	إِنَّمَا تَرْغَلُونَ الْآنَ يَأْتُونَ الْحِجَّ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى.....	٢٩٨	أَنْظُرُوا فَإِنَّ جَاءَتْ بِهِ أَوْقُ جَعْدًا جَمَالِيًّا فَهُوَ لِلَّذِي.....
٨٠٣	إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ لِيَوْمِهِ، فَإِذَا كَبُرَ فَكَبَرُوا، وَإِذَا.....	٩٦٤	أَنْظُرِي يَا حَبْرَاءُ إِنْ لَا تَكُونِي أُنْتُ.....
٨٧٤	إِنَّمَا حَبِيبٌ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلَ قَرَّةَ.....	٢٥٠	أَنْتَنَةُ لِي.....
٧٥٧	إِنَّمَا الْخَيْرُ خَيْرُ الْأَخْرَةِ.....	٦٠٣	أَنْفَذَ عَلَى رَسُولِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى.....
٤٥	إِنَّمَا ذَلِكَ جَبْرِيلُ لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا.....	٨٨٣	أَنْشِقْ يَا بِلَالُ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا.....
١٨٨	إِنَّمَا سَمِيَّ الْخَضِرَ خَضِرًا لِأَنَّهُ صَلَّى عَلَى قَرَّةٍ بِيضَاءَ.....	٩٢٢، ٩٠٩	أَنْقَادِي عَلَيَّ يَا ذَنْنُ اللَّهِ.....
١٨٨	إِنَّمَا سَمِيَّ الْخَضِرَ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى قَرَّةٍ بِيضَاءَ فَإِذَا.....	٧٥٤	أَنْقَضِي رَأْسَكَ وَامْتَشِطِي وَأَهْلِي بِالْحِجِجِ، وَدَعِي الْعِمْرَةَ.....
١٠٩١	إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرِفِ.....	٦١٢	أَنْقَضِ لَهَا تَمْرًا فَإِذَا انْقَضَتْ فَلَا تَمْرَ تَبْلُغُ فَا مَرَّتُهُ لَتَشْرِبَهُ.....
٥٢١	إِنَّمَا عَلَيْكَ الْمَجْدُ.....	٦٨١	إِنَّكَ أَصِيبَتْ وَجَلِي بِالْأَنْسِ فَلَوْ جِئْتِي فَقَرَعْتُ قَدَمَكَ بِالسُّوْطِ.....
٦٦٥	إِنَّمَا قَوْلِي لِأَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَوْلِي لِأَمْرَةٍ.....	١١٣٣	إِنَّكَ إِمَامُ الْعَامَةِ وَقَدْ نَزَلَتْ بِكَ مَا تَرَى وَإِنِّي أَعْرَضُ.....
٣٢٠	إِنَّمَا كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ وَأَبُو سَفْيَانَ بَيْنَ حَرْبٍ إِذَا.....	١١٣٠	إِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ حَوَارِثَ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ.....
١٩٧٦	إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ.....	٩٦٨	إِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ حَوَارِثَ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كَدْتَ أَنْ.....
١٢٤٠	إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ أَغْضِبَ كَمَا يَغْضِبُ الْبَشَرُ وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ.....	١٢٥٠	إِنَّكَ إِنْ أَتَيْتَ حَوَارِثَ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدْتَ أَنْ تَفْسِدَهُمْ.....
٢٢١٠	إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَمْلِكُ فِي شَجَرٍ.....	١٢٧١	إِنَّكَ تَرُوحُ إِلَى.....
٢٦٥	إِنَّمَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَفُوا نَسَاؤَهُمْ.....	١١٣٥	إِنَّكَ تَقَاتِلُنِي وَلَمْ تَلِ طَلَامُ.....
٧٨٤	إِنَّمَا مِنْ أَرْبَعٍ: لَا تَشْكُرُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا.....	٧٢٤	إِنَّكَ سَتَلِي قَوْمًا أَمَلُ كِتَابِهِ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ.....
٢٠٠	إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيٍّ وَلَكِنْ رَأَيْتُمْ تَشْرَبُونَ.....	٦٩٧	إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ.....
٧٩٣	إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحِجَّةُ، ثُمَّ لِلزَّمَنِ ظُهُورُ الْحَضَرِ.....	١٤٢٩	إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرًا أُنْتِ فَرَّغَ عَنْ الدَّمِ.....
٩٧٣	إِنَّمَا يَسْلُ بُولُ الْجَارِيَةِ وَيَصِبُ عَلَى بُولِ الْغُلَامِ.....	١١٠٩	إِنَّكَ شَاهِدٌ مَعَنَا الْجُمُعَةَ.....

- ١٣٤١ إنه ليس لني أن يومئ إنه ابن أبيه
 ١١٨٣ أنه أصاب جارية من السبي أنه أصاب جارية من السبي
 ٧٤ أنه أنزل عليه حسون صديقة أنه أنزل عليه حسون صديقة
 ٤٧ أنه غفلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر أنه غفلت لها الزهرة امرأة من أحسن البشر
 ٥٦٧ إنه غيبت حيث الدابة فلعنه الله ولعن دبه إنه غيبت حيث الدابة فلعنه الله ولعن دبه
 ٩٤٦ إنه سألني هو الذي سألني عنه وما أعلم شيئا منه إنه سألني هو الذي سألني عنه وما أعلم شيئا منه
 ١١٥٤ إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الحفي النقي إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الحفي النقي
 ١١٥١ إنه سيحيي قوم لا يفهمون القرآن كما تفهم إنه سيحيي قوم لا يفهمون القرآن كما تفهم
 ١٣٢١ أنه سيخرج من تقيف كذابان الآخر منهما أنه سيخرج من تقيف كذابان الآخر منهما
 ١١٦٢ إنه سيخرج من شغصه هذا قوم يقرؤون القرآن لا إنه سيخرج من شغصه هذا قوم يقرؤون القرآن لا
 ١٢٠٠ إنه سيد إنه سيد
 ١١١٤ إنه سيقتل أمير ويتري متري إنه سيقتل أمير ويتري متري
 ١٣١٣ إنه سيكون في تقيف كذاب ومير إنه سيكون في تقيف كذاب ومير
 ٧٠٤ إنه طرا علي حزبي من القرآن فكرمت أن أجيء حتى إنه طرا علي حزبي من القرآن فكرمت أن أجيء حتى
 ٥٠٢ إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تنعم إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تنعم
 ٨٢٥ إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تنعم إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تنعم
 ٥٦٧ إنه عمرو إنه عمرو
 ٣٧٧ إنه قد أذن لكن أن يخرجن حاجكن إنه قد أذن لكن أن يخرجن حاجكن
 ٥٨٢ إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نيع الحظلي إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نيع الحظلي
 ٨٩١ إنه قد حب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت إنه قد حب إليك الصلاة فخذ منها ما شئت
 ٥١١ إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أطلع على إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أطلع على
 ٦٤٩ إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد أطلع إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد أطلع
 ٩٥٩ إنه قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي إنه قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي
 ٥٧١ إنه كان في القوم خير فأنبي بغير القوم إنه كان في القوم خير فأنبي بغير القوم
 ٢٦٥ إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه
 ٧٤ إنه كان نبي يخط به، فمن وافق خطه فذاك إنه كان نبي يخط به، فمن وافق خطه فذاك
 ١١٢٣ إنه كان يفض عثمان فأبغضه الله عز وجل إنه كان يفض عثمان فأبغضه الله عز وجل
 ١١٨٨ إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يفضك إلا منافق إنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يفضك إلا منافق
 ١١٨٢ إنه لا يجل المسجد لحب ولا لحافض ولا لحمد وأزواجه إنه لا يجل المسجد لحب ولا لحافض ولا لحمد وأزواجه
 ٥٣٥ إنه لا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله إنه لا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله
 ٩٣١ إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي إنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد، ولو كان ينبغي
 ٦٥٦، ٦٥٥ إنه لا ينبغي لني أن تكون له خاتمة الأعين إنه لا ينبغي لني أن تكون له خاتمة الأعين
 ٧٢٠ إنه لا خشن في ذات الله أو في سبيل الله إنه لا خشن في ذات الله أو في سبيل الله
 ٨٨٠ إنه ليجر إنه ليجر
 ١١٠٤ إنه لخليق بالأمانة إنه لخليق بالأمانة
 ٨١٨ إنه لم يدفن نبي قط إلا حيث قبض إنه لم يدفن نبي قط إلا حيث قبض
 ٨٠٥ إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يجير إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يجير
 ٨٠٥ إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم
 ٣٠٨، ٣٠١ إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي
 ٢٧٣ إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل الله على ما يعلمه إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل الله على ما يعلمه
 ٢٤٢ أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده
 ١٢٣٣ إنه لسقاء إنه لسقاء
 ٥٣٦ إنه لؤمن أهل الجنة إنه لؤمن أهل الجنة
 ٩٣٥ إنه لؤمن أهل النار إنه لؤمن أهل النار
 ٨٨٠ إنه لو سخط الثياب وسلبس ولده من بعده السواد إنه لو سخط الثياب وسلبس ولده من بعده السواد
 ٨٧١ إنه ليس بالسيط ولا بالقطط إنه ليس بالسيط ولا بالقطط
 ٢٥٧ إنه ليس بذلك، ألم تسمح لي قول لقمان: ﴿هَذَا بَنِي﴾ إنه ليس بذلك، ألم تسمح لي قول لقمان: ﴿هَذَا بَنِي﴾
 ٧٢٣ إنه ليس بكشر ولكنه شكر إنه ليس بكشر ولكنه شكر
 ١١٣٥ إنه ليس بمنزله لتقاتله وأنت ظالم له إنه ليس بمنزله لتقاتله وأنت ظالم له
 ٩٢٨ إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول
 ٦٥٦ إنه ليس لني أن يرمض إنه ليس لني أن يرمض

- ١٠٤ إنها زاد إخوانكم الجن ٥١
 ٦٢٤ إني لا أدخل عليهم السلاح ١٥٣٥
 ٤٤٨ إني لا أركب بعيراً ليس لي ٩٩١
 ٨٨٦ إني لا أقول إلا حقاً ٣٣١
 ٨٣٤ إني لأحب أن أتزوج من الأنصار، ولكني أكره غيرتهم ٨٣٥
 ٩٨٣ إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربه أن يؤخرهم ٨٩١، ١١٠٠
 ٥١٢ إني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدماء إن شاء ٤٨١
 ١٨٦٨ إني لأرجو أن لا يُعجز أمتي عند ٦٩٤، ٩٥
 ٨٩١ إني لأستعز بالله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ٥٥٢
 ٦١٣ إني لأعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون ٣٦٨
 ٣٧١، ٣٦٦ إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ ٤٤
 ٩٢٧ إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ٥١
 ٩٩٣ إني لأعرف حجراً كان يسلم عليّ بمكة قبل أن أبعث ٨٧٠
 ٥٣ إني لأعلم كلمة لو قالها للعب عنه ما يجد ٤٤٦
 ٧٩ إني لأندركموه وما من نبي إلا وقد أتله قومه ٤٤٤
 ٨٧٠ إني لأنظر إلى ما ورائي كما أنظر إلى ما بين يدي ١٠٩٩
 ٧٤٧ إني لبدت رأسي، وقلدت هدي فلا أحل حتى أغير ٦٨٤
 ٧٤٣، ٧٥٤ إني لبدت رأسي وقلدت هدي، فلا أحل حتى أغير ٥١٣
 ٧٥٤ إني لبدت رأسي وقلدت هدي فلبست أحل حتى أغير هدي ٧٥٤
 ٢٧٢ إني لحاتم ألف نبي أو أكثر وأنه ليس منهم نبي ٥٢٨
 ٨٩١ إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقي ١٠٧١
 ٤٩٦ إني لم أقم الليلة من أجل صبي العباس، وقد زعمت ٣٧١
 ٧٣٨ إني لم أومر أن أتعب عن قلوب الناس، ولا أشت ٢٧٢
 ٧٦٨ إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لاسم الحدي ٣٢٠
 ٩٠٩ إني مرتت بغيرين يهذبان فأسبغت بشفاغي أن يروا ١١٧٩
 ٥٧٠ إني سررت إليك شيئاً فلا تذكر ١٠٧٤
 ٣٣٥ إني نهيته أن أمتشي غريباً ٨٨٦
 ٩٩٣ إني والله إن شاء الله لا أحلف على عين ٥٤٢
 ٨٧٠ إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي ٩٦٨
 ١٢٨٤ إني وذاك وهذين وهما الراقد في مكان واحد يوم ٥٢٣
 ٨٩١ إني وجدت تحت جني ثمرة فاكلتها، وكان عندنا غمر ١١٢٠
 ٤٥٣ إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، ولنا رجل أتاني ٣٧٧
 ٦٤ أعبط آدم بالصفا وحواه بالمروة ٤٢٨
 ٦٤ أعبط آدم بالمند، وحواه بمجلة، وإليس بدمتجان ٥٩٩
 ٥٧٨ اعتر عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ٦١٤
 ٥٧٨ اعتر العرش لموت سعد بن معاذ ٩٩١
 ٥٧٨ اعتر لما عرش الرحمن ٢٣١
 ٦٧١ اعطف بهم ١١٧٦
 ٦٦٠ اعطف لي بالأنصار، ولا بأمتي إلا أنصاري ٣٤٣
 ٥٧٩ اجمع المشركين، فإن جبريل معك ٣٥٠
 ٥٧٩ اجمعهم - أو ما جمعهم - وجبريل معك ٨٥١
 ٥٥٨، ١١١٨ اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ٩٦٢
 ٧٠٤ اهدموا ٨٠٦
 ٦٠٢ اهدموا واكسروها ٥٢٣
 ٧٣ أهل الجنة يدعون بأسمائهم إلا آدم فإنه يكتى أبا ٤٩٠
 ٤٢٠ أمون أهل النار خطاباً أبو طالب، متعل بنعلين ٥١٣
 ٩٠٨ أو تحب ذلك؟ ٦٢٤
 ٣٢٨ أو تحب ذلك؟ ٣٨٠
 ٤٥٠ أو تترك تكلم عليّ حتى أشربك؟ ٥٣٩
 ٨٢٣ أو تفعل يا ملك الموت؟ ٧٥٤
 ١٥٣٤ أو جناح ٣٢٥

- أو جرزي بصفة الطور ١٦٨
 أو خير من ذلك ١٦١٥
 أو ذاك ٦٠٢
 أو السبعة ٨٨٩
 أو غير ذلك؟ ٤٦٥
 أو فعل ذلك؟ ٧٢٧
 أو في شك أنت يا ابن الخطأب ٨٨٦
 أو قال: يكفر لأنفقت كثر الكعبة في سبيل الله ١٠٨
 أو لم تكن تسير في قومك بالرباع ٧١٩
 أو ليس محسبكم أن تكونوا من الخير؟ ٤٤٤
 أو ما يهلك ما قال صاحبكم؟ ٥٩١
 أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ١١٨١
 أو ما غلبتو يا عائشة أن الأرض تبلع ما ٨٧٧
 أو شجرني مُم؟ ٣٦٨، ٣٦٥
 أو اهبه أنت لي؟ ٩٢٩
 أوغب ذلك؟ ٦٩٤
 أو تبت جوامع الكلم واختصرت لي الحكم اختصاراً ٨٨٢
 أو تبت جوامع الكلم، واختصرت لي الحكمة اختصاراً ٩٩٩
 أو تبت مفتاح خزائن الدنيا على فرس أبلق جامني ١٠٠٠
 أو جب طلحة ٥٣٥، ١١٣٨
 أو جدم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لاعة من ٦٨٣
 أو جعت ابني أصلحك الله ٩٧٣
 أو جعتني فتأخر عني ٦٨١
 أو حس الله تعالى إلى عيسى أن يا عيسى انتقل ٢٢٨
 أو حشي؟ ٥٢٧
 أو سح من قبل رجليه، أو سح من قبل رأسه ٩٥٤
 أو صاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي ١٢٤٣
 أو صي بالصلاة والزكاة وما ملكت إيمانكم ٨٠٥
 أو صيكم بالضعيفين نساكم وما ملكت إيمانكم ١١٧٥
 أو صيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن ١٣٥٢
 أو وضع اسم وفي رواية: أضع اسم عند الله رجل ١٦٦٧
 أو فاعما وأبرهما ١٤٨
 أو فاعما وأقمهما ١٤٨
 أو قد رايت ذلك بإسلمان؟ ٥٦٤
 أول جيش من أمي يمزون البحر قد أوتجوا ٩٦٩
 أول جيش من أمي يمزون مدينة قيصر مغفور لهم ٩٦٩
 أول جيش يمزو القسطنطينية مغفور لهم ١٢٥٠
 أول جيش يمزو مدينة قيصر مغفور لهم ١٢٩٣
 أول جيش يمزون مدينة قيصر مغفور لهم ١٢٠٧
 أول من أسلم علي ١١٧٨
 أول من خط بالقلم إدريس ٢٧٦
 أول من صلى - وفي رواية بن أسلم - مع رسول الله ١١٧٨
 أول من قتل لسانه بالعربية البنية إسمايل وهو ١٢١
 أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ١٢٢٦
 أول من يغير سنتي رجل من بني أمية ١٢٩٤
 أول لك يا أبا خيثمة ٩٦٣
 أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره ٧٧
 أولئك العصاة ٦٥٠
 أولئك قوم عجبت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ٨٨٦
 أولت البقر الذي رايت تقرأ فينا وفي النجوم ٥٢٤
 أولت الكيش أنه كبش كية العدو يقتله الله ٥٢٤
 أولم ولو بشاة ٦٩٨
 أي ابن أخي أولئك الملا ٤٦٥
 أي بلد أعظم حرمة؟ ٥٠٠
 أي بلد هذا؟ ٧٨٤
 أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فتاتك لا تحلين ٧٨٣
 أي بنية إن ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين ٥١٣
 أي بنية لا تتيكين فإن الله مانع أباك ١١٨٢
 أي بيوت أهلنا أقرب؟ ٤٢٤
 أي بنية هذه؟ ٤٥٣
 أي ذلك شئت ١٨٣
 أي رجل عبد الله فيكم؟ ٣٠٧
 أي شهر أعظم حرمة؟ ٤٥٧
 أي شهر هذا؟ ٧٨٤
 أي حباس ناد أصحاب السرة ٧٨٣
 أي عم فأتت فظها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ٦٧١
 أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها ٤١٩
 أي لا تحصل لم نوبة فيه إلى آخر الدهر ٤٢٠
 أي لكع أي لكع أي لكع ٤٤
 أي واد هذا؟ ١٢٠٨
 أي يوم أعظم حرمة؟ ١٨٣
 أي يوم هذا ٧٨٤
 إياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة والمخيلة ٧٨٦، ٧٨٤
 إياك والتتم فإن عباد الله ليسوا بالمتحمين ٢٥٨
 إيت عمر فأقره مني السلام وانهرهم أنهم مسقون ٧٣٥
 أينكن بنج عليها كلاب الحواب ١٠٦٩
 أيسرك أن يشرب ملك الحر؟ ٩٦٤
 أ يضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟ ٥٣
 أيكم فجع هذه؟ ٤٩٠
 أيكم يروي شعره لنا؟ ٩٣٥
 أيكم يرفق القس بن ساعدة الأيادي؟ ٣١٠
 أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفي في أملي؟ ٣٠٩
 أيكم يزل هذا الرجل؟ ٣٨٢
 أيكم يوالي في الدنيا والآخرة؟ ٦٩٧
 أيكما قتله؟ ١١٨٠
 أيكما قتله؟ ٤٩٢
 أئما مؤمن أئمن مؤمناً على دمه فقتله ١٣٢١
 الإيمان بضع وستون ١٢٨
 الإيمان ضد الفتك، لا يفتك مؤمن ١٢١٨، ١٢٦٢
 الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن ٩٧١
 الإيمان هاتان - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء ٧٢١
 الإيمان ممان، والفتنة هاتان هتا مطلع قرن ٧٢١
 أين أبو أمامة أسعد بن زرار؟ ٤٥١
 أين الأعرابي صاحب الغنم؟ ٩٣٢
 أين الذي يسألني عن العمرة أنفاً؟ ٦٨٧
 أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ ٧٩٨
 أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله ٦٦٨
 أين تريد؟ ٩٢٣، ٨٥٤
 أين خالدا؟ ٦٢٨
 أين درعك الحطمية؟ ٥١٨
 أين السائل ١١٣٩
 أين الشهيد أين الشهيد يلبس الورير ويأكل الشجر ٢١٨

- أين صاحب الميضا؟ ٩١١
 أين صاحب هذا البعير؟ ٩٢٩
 أين صاحب هذه؟ ٩٣٤
 أين عثمان بن طلحة؟ ٦٥٧
 أين علي؟ ١١٨٠، ١١٧٩
 أين علي بن أبي طالب؟ ٦٠٣
 أين كنت منذ الليلة؟ ٩٢٠
 أين لكاع؟ أدموا لي لكاع ١٢٠٨
 أين المصديق؟ فليقم ٦٩٢
 أين المصديق هذه الليلة؟ ٦٩٢
 أين المظهر يا أبا ليلى؟ ٩٤٤، ٩٤٣
 أين المهاجرين والأنصار؟ ٦٧١
 أين الناس يا بلال؟ ٩٤٣
 أين هو أنني به ٧١١
 إليه ٣٠٧
 إليه يا عدي بن حاتم ألم تَكْ رُكُوسِيًّا؟ ٧١٩
 أيها البعير اسكن، فإن لك صادقا فلك صدقك، وإن ٩٣١
 أيها البعير انطلق فانت حر لوجه الله ٩٣١
 أيها الناس ٧٨٤
 أيها الناس افشروا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا ١٢٠٤
 أيها الناس، افشروا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا ٩٤٥
 أيها الناس ألا إني قد خبات لكم صوتي منذ أربعة ٧٢٦
 أيها الناس أما بعد؟ فإن أصدق الحديث كتاب الله ٦٩٦
 أيها الناس إن أبا بكر لم يَزِنِي قط، فأعرفوا ذلك ٧٩٣
 أيها الناس إن أباي هذا سيد، ويصلح إليه به ١١٩٩
 أيها الناس إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ١١٠
 أيها الناس إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه، وإنه ٧٧١
 أيها الناس إن الله تطول عليكم في هذا اليوم ٧٧٣
 أيها الناس! إن خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ١١٧٨
 أيها الناس إن عبدا من عباد الله قد خيره الله ٨٠٠
 أيها الناس إن الولد ميخلة مجنة جهلة ١٢٠٩
 أيها الناس إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا ٢٧٣
 أيها الناس إني فرطكم وإتكم ولردون علي الحوض ١١٨٥
 أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمته ١٢٤
 أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت ٧٦٨
 أيها الناس إني وليكم! ٧٩٢
 أيها الناس ردوا علي رداي، فولذي نفسي في ٦٨٠
 أيها الناس السكنة السكنة ٧٧٤، ٧٥٩
 أيها الناس عليكم بالسكينة! فإن البر ليس بالإيضاع ٧٧٥
 أيها الناس قد آن لكم أن تستنوا من المسألة فإنه ١٣٤٨
 أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعم ١١٨٥
 أيها الناس لا تشكو عليا، فوالله إنه لأعشن ٧٩٠
 أيها الناس لا تشكو عليا فوالله إنه لأعشن ١١٨٣
 أيها الناس لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا ١١٠
 أيها الناس ما بال رجال يؤذوني في أعلي، ويقولون ٥٩٢
 أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟ ٥١٣
 أيها الناس والله مالي من فيتكم ولا هذه البررة ٦٨٠
 أيهم أكثر اخذًا للقرآن؟ ٥٣٧
 أيهما أحب إليك أن أدمع لك فيكشف عنك، أو تصيرين ٩٤٠
 باب صيام نوح عليه السلام ٨٤
 بارك الله فيك ٩٣٩، ٤٥٤
- بارك الله لك أولم ولو بشاة ١١٠١
 بارك الله لك في صفقة يمينك ٩٤٣
 بوس ابن سمية تقتله فته باخية ٤٦٠
 بوس عشرة النبي كتم لنيكم كذبتموني وصدقني ٩٤
 بوس عمل الشيخ الترمذي، والشاب الملووم ٧٣٣
 بوس ما جزئها أن أنجاهما الله عليها لتتحرنها ٥٨٩
 بوس ما جزئتها ٥٨٩
 بوس ما جزئتها أن حلك الله عليها ونجاك بها، ٥٨٨
 بوس الميت أبو أمامة ليهود ومناقي العرب، يقولون ٤٦٥
 بوس لك يا ابن سمية تقتلك الفتة الباخية ٤٦٠
 باسمك اللهم ٤٠٧
 بالثمن ٤٤٦
 بالقدر من الملائكة مردفين ٤٨٦
 بالكتاب ١٥٤٥
 بالكره مني ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله ٢٢٤
 بأشمال هؤلاء بأشمال هؤلاء، ولياكم والغلو، فإنما ٧٧٨
 بأن تَمُدَّ الله وحده لا شريك له وتكبر ٣٧٨
 بأي بلاد الله شكر؟ ٧٢٣
 بأيعتني على أن لا تشركن بالله شيئا ٦٦٥
 بأهمون واستغفر من الله إن الله غفور رحيم ٦٦٥
 بئمة بئس قرة - وإن أحسبك لاتي الله قاتل ٧١٩
 بدين؟ ١٥١٢
 بذلك ١٠٧٤
 برسالت وخط لك يده، أتولوني على أمر قدره الله ٦٥
 اليس جديدا، وعش حيدا، ومث شيئا ٩٦٠
 بسم الله ٤٢٥، ٥٦٤، ٥٦٥، ٩١٠، ٩١٤ ٩١٩
 بسم الله اللهم أعظم فيها البركة ٩١٥
 بسم الله اللهم بارك فيها أعطتوها ٥٦٤
 بسم الله أنا رسول الله، أخرج عدو الله ٩٣١
 بسم الله أنا عبد الله، أنصأ عدو الله ٩٢٩، ١٠٠٢ ١٠٠٢
 بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا ٥٠
 بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من ٧٢٤
 بسم الله الرحمن الرحيم ١٠١٢
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ٦٤٠
 بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول ١٠٠٨
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ٣٦١، ١٠٢٤ ٣٦١
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى ٧٢٣، ٣٥١، ٨٥٥ ٩٥٩
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول ٧٣٤، ٦٤١، ٦٤٢ ٧٠٥
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف ٧١٥
 بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين ١٢٥٩
 بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ٣٤٩
 بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد ٤٠١
 بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ٤٦٣، ٦٩٧ ٦٩٧
 بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول ٧٣٠، ٨٥٥ ٨٥٩
 بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النبي محمد ٨٥٩
 بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ٦٩٧
 بسم الله الرحمن الرحيم، ورد لي مدينة دمشق ٢٠٣٧
 بسم الله الرحمن الرحيم، «ويس، والقرآن ٣٠٧
 بشر قاتل ابن صفية بالنار ١١٢٩
 بطعام؟ ٩١٤

- بعت الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف إلى بني..... ٢٧١
 بعت الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما: ابنيا..... ٣٣٩
 بعت رسول الله ﷺ بعين إلى اليمن على أحدهما..... ١١٨٣
 بعت رسول الله ﷺ عليا إلى خالد بن الوليد ليقيض..... ١١٨٣
 بعت رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء..... ١١٧٨
 بعث إلى الأحمر والأسود..... ٢٧٣
 بعث إلى الأحمر والأسود والأحمر..... ٩٤٨
 بعث بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله..... ٢٦٨
 بعث بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده..... ٩٩٩
 بعث بجوامع الكُفَرِ ونصرت بالرعب علينا..... ٨٨٢، ٥٦٥
 بعث على إثر ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف..... ٢٧٢
 بعث في زمن الملك العادل كسرى..... ١٩٨٠
 بعث من خير قرون بني آدم قرنا قرنا حتى كنت..... ٨٧٩
 بعث من خير قرون بني آدم قرنا قرنا حتى بعثت..... ٣٢١
 بعد أمي..... ٥٣
 بعد سنتين بالكساح الأول..... ٥١٣
 بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاثة..... ٢٨
 بعدي يا أسامة..... ٦٢٠
 بعض سواك يا مقداد..... ٨٥٢
 بعني..... ٩٢٩
 بقيت أنا وأنت..... ٩١٢
 بك يتلون..... ١١٢١
 بكوه إسحاق..... ١٠٥
 بكفر لأنفتحت كنز الكعبة في سبيل الله وجعلت..... ١٠٨
 بل..... ٣١٦
 بل ابك يقتله إن شاء الله..... ٦٠٥
 بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله..... ٤٢٦
 بل أمستاني بهم..... ٦٨٠
 بل أمستاني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من..... ٦٨٠
 بل أكون عبدا نيا..... ٨٨٦
 بل الله جبلك عليهما..... ٧١١
 بل أنا أهلك أن شاء الله..... ٩٥٢، ٥٣٥
 بل أنا أهلك..... ٩٩٢، ٥٢٩
 بل أنا أهلك إن شاء الله..... ٩٩٢، ٥٣٣
 بل أنا والله يا عائشة وأراساء..... ٧٩٨
 بل أنت..... ٧١٩
 بل أنت راشد بن عبد ربه..... ٧٣١
 بل أنتم المكافون وأنا فتكم..... ٦٣٣
 بل أنتم اليوم خير..... ١٣٧٢
 بل أنتم اليوم خير، أنتم اليوم إخوان، وأنتم يومئذ..... ٩٨٤
 بل أنتم المكرمات..... ٤٥١
 بل باب التوبة والرحمة..... ٣٨٧
 بل بما بقي..... ٩٦١
 بل جبل..... ٧١١
 بل جبل الله عليهما..... ٧١١
 بل خال..... ٤٣٤
 بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم..... ٤٣٦
 بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب..... ٨٣٦
 بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا..... ٥٦٦
 بل عارية مضحونة..... ٦٦٧
 بل عارية مضحونة حتى نؤذيها إليك..... ٦٦٧
- بل تعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما..... ٥٠٤
 بل لأبد الأبد. دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة..... ١٠٩٥
 بل للأبد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة..... ٧٥٦
 بل ألحيا عياكم، والممات عاتكم..... ٩٥٣
 بل تفرق به وتحسن صحبة ما بقي معنا..... ٥٩١
 بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة..... ٦٥٤
 بل هو حسن..... ١١٧٦
 بل هو حسين..... ١١٧٦
 بل هو الرأي والحرب والمكيلة..... ٤٨٣
 بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام..... ٢٧٧
 بل هو عمن..... ١١٧٦
 بلى..... ٩٢٤، ٥٩٩، ٥٢٩
 بلى فأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟..... ٩٥١، ٦٢٣
 بلى الذين لهم نعم بشبكة شذخ..... ٦٩٨
 بلى إني رسول الله ونبيي، يفتني..... ٣٧٦
 بلى، فأخبرتك أنا تأتيه العام؟..... ٥٩٩
 بلى فاقبل..... ٥٩٩
 بلى في الإسلام، وهي لي حلال..... ١٢٣٤
 بلى قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين..... ١٢٨١
 بلى قد كتم تغلبون من قاتلكم..... ٧٣٤
 بلى لعمري..... ٣٣٨
 بلى ما بقي..... ١١٥٠
 بلد حرام..... ٧٨٣
 بلغي أن قوما يقولون كذا وكذا، والله لأنا..... ٧٦٨
 بلغوا عنا قوما أنا قد لغيتنا ربنا فرضي عنا وأرضانا..... ٥٥١
 بلغوا عني ولو آفة، وحذروا عن بني..... ٢٦
 بلغوا عني ولو آفة وحذروا عن بني إسرائيل ولا..... ٢٦١
 بلهى..... ١٢٢
 لم..... ٥٢٤
 لم أملت؟..... ٧٥٨، ٧٥٦
 لم أملت حين أوجبت الحج؟..... ٧٦٩
 لم تحكم؟..... ١٠٧٠
 لم كتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟..... ٧٣٤
 لمثل بصرك ساحتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم..... ٧٢٧
 بنت أم سلمة؟..... ٣٢٨
 بنت نبي ضيعه قومه..... ٣٠٠
 بني إسرائيل..... ٩٩٤، ١٠٥٣
 بني الإسلام على خمس..... ١٤٣١، ١٤٢٥
 بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله..... ١٠١٠
 بني لكن كملت طيبة، ولكن وجهك بسطا تكن أحب..... ٢٥٩
 بهذا أمرت..... ٨٩٠
 البيت المعمور في السماء يقال له: الضراح وهو..... ٤٣
 البيان بالخيار ما لم يخفقا فإن صدقا وبينا..... ١١٨
 بين خلق آدم ونفخ الروح فيه..... ٣٤٩، ٣٤٣
 بين يدي الساعة تقاتلون قوما نالهم الشعر..... ٩٧٠
 بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت..... ٣٦٥
 بينا أنا نائم أتيت بجزائن الأرض فوضع في كفي..... ٧١٢
 بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتل من تحت..... ٩٦٨
 بينا أنا نائم إذا أتاني رجلان فأخذا بفضي فأثبا..... ٦٢٨
 بينا أنا نائم جيء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت..... ١٠٠٠
 بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سرفران من..... ٧١٢

- ١٢٠١ بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت.
 ٧١٢ بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأمني.
 ٩٥٩ بينا أنا نائم رأيت كأنه وُضع في يدي سواران.
 ٩٥٨ بينا أنا نائم رأيتني على قلب، فترعت منها ما.
 ١٨٠ بينا رجل يمر بإزاره إذ خسف به فهو يتجلى في الأرض.
 ٢٦٥ بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها، فقالت: إنا.
 ٢٢ بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ مرت سحابة فقال:
 ٢٦٣ بينا امرأة ترضع ابنها إذ مر بها وركب وهي ترضعه.
 ٢٠٦ بينا امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ.
 ٤١٦ بينا أنا في الحطيم - وربما قال: في الحجر -
 ١٣٧ بينا أيوب يقتل عرباناً آخر عليه جراد من ذهب.
 ٢٦٣ بينا ثلاثة نفر من كان قبلكم يمضون إذ أصابهم.
 ٢٦٦ بينا رجل وامرأة له في السلف الخليل لا يقدران.
 ٢٥٨ بينا رجل عشي في برديه يتخير فيهما، إذ خسف.
 ٢٦٦ بينا كلب يطيف بركبةٍ كاد يقتله المطش إذ راته.
 ١٩٠ بينا هو ذات يوم بمشي في سوق بني إسرائيل أبصره.
 ٢٨ بينهما سميرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى.
 ٣٨ بينهما سميرة خمسمائة عام. ومن كل سماء إلى سماء.
 ٤٦٤ تأخروا في الله أخوين أخوين.
 ٩٧٤ تأتي من أنت منه.
 ٩٧١، ٩٦٤ تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم.
 ٤٥٠ تأذين في أن أحليها؟
 ٩٢٩، ٩٠٩ التما عليّ بإذن الله.
 ٤٣٦ تؤدوني وتؤمنوني؟
 ٤٣٦ تأبسوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل،
 ٧٧٣ تبست من عدو الله إليّس إنه لما علم أن الله.
 ٥٣٩ تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظله باجتماعها.
 ٦٢١ تبلغوا على هذه.
 ٩٣٤ تبصونها؟
 ٩٣٠ تبصونها؟
 ٥٥ الثاوب من الشيطان، فإذا تائب أحدكم فليرده.
 ٩٢٢ تجمل لي مائة مرة اختارها من تمرك؟
 ٩٢٦ تجملها؟
 ٩٨٠ تحي رايات سود من قبل المشرق، تحوش الخيل الدم.
 ٤٩٨ تحورها لإحدى عشرة بيقن فإن صبيحتها يوم بدر.
 ٢٤٣ تحشرون حفاة عراة غرلاً.
 ٣٤٦ تحول.
 ١١٥٧ تخرج خارجة من أمي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء.
 ٣٥١ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل.
 ٩٧٤ تدخل بيتك.
 ٣٩ تدري أين تذهب؟
 ١٠٦١، ٩٩٣ تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي.
 ٨٣٩ تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسيئ الرب.
 ٨٤٠ تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يغيظ الرب.
 ١١٥١ تدور رحى الإسلام عند قتل رجل من بني أمية.
 ١١٣١ تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين.
 ٩٦١، ١١٢٦ تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين.
 ١٠٣١ تذلق.
 ٢١٦٥ تذكركم الموت.
 ٩١٦ تربعوا.
 ٧٦١ ترفع الأيدي في الصلاة وإذا رأى البيت وعلى الصفا.
- ١٤٦٦، ١٤٦٤ ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة.
 ٣٨٣ ترون هذه الشمس؟
 ٢٥١ تزور.
 ٦٣٤ تسلي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت.
 ٦٣٤ تسلي ثلاثاً.
 ٥٥٧ تشهد أن لا إله إلا الله؟
 ٢٧٥ تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن.
 ٩٢٣ تشهدون أن لا إله إلا الله وتقيمون الصلاة وتؤتون.
 ٤٢٧ تطلبوه بين القتل وتعرفوه بشجة في ركبته، فإني.
 ٣٠٣ تعال.
 ٩٢٨، ٧٠٠، ٦٢٨ تعال يا أختا ترخ.
 ٦٩٧ تعال يا غصن.
 ٩٢٣ تعالوا فاشربوا.
 ٩١١ تعالوا فتوضؤوا.
 ٥٦٤، ٩١٩ تعالي يا بنتي، ما هذا منك؟
 ٦٥١ تعجبون من دقة ساقيه؟ فالذي نفسي بيده لما أقتل.
 ٧٢٦ تعرضون عليه بادية له صحافكم لا يخفى عليه منكم.
 ٩٧٥ تخذوا بالله من رأس السبعين، وإمارة الصبيان.
 ١٢٩٤ تخذوا بالله من سنة سبعين، ومن إمارة الصبيان.
 ٤٢٠ تغلي منه أم دماغه.
 ٩٥٥ تفتح اليمن فيأتي قوم يسرون فيتحملون بأهلهم.
 ١١٥٢ تفرق أمي فترتين تفرق بينهما مارقة فيقتلها.
 ٦٦ التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم: أنت أبو الناس.
 ٩٢٧ تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض.
 ٦٧٩ تقبل بأربع وتدير بثمان.
 ٩٦٥، ٤٦٠ تقتل عماراً الفنة الباغية.
 ١١٤٧، ١١٣٦، ١١٣٥ تقتلك الفنة الباغية.
 ٩٦٥، ٤٦٠، ١٢٢٤، ١١٤٨ تقتلك الفنة الباغية، وأكر شرية تشرها صاح لين.
 ١١٤٧ تقتله الفنة الباغية.
 ٩٦٥، ١١٤٨ تقدموا واقضوا حاجاتكم.
 ٩١١ تطلق الفنة الباغية.
 ١١٤٨ تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من.
 ٤١٩ تكون أمي فترتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها.
 ١١٥٢ تلبثون ما لبستم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما.
 ٧٢٦ تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فتكفله.
 ٩٧٣ تلزم جماعة المسلمين وإمامهم،
 ٩٥٤ تلقين الميت بعد الدفن.
 ١٣٧٨ تلك العزى.
 ٦٦٤ تلك العزى ولا تعبد أبداً.
 ٦٦٣ تلك غنية المسلمين غداً إن شاء الله.
 ٦٦٨ تلك الكلمة من الحق يحفظها من الجني كيقرقرها.
 ٥٦ تلك نائلة أيسر أن تعبد بيلدكم هذا أبداً.
 ٦٥٧ تقرأ.
 ٦١٢ ترقق مارقة على حين فرقة من المسلمين، فيقتلها.
 ١٢٥٠ ترقق مارقة على حين فرقة من الناس - وفي رواية.
 ١١٥٢ ترقق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى.
 ٩٦٦ ترقق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها.
 ٦٤٣ ترقق ملكه.
 ٩٧٧ تموت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمي.

- ٤٨ جاء رجل إلى علي فقال: إن نقرأ من مراد يريدون.
- ٥٣ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني
- ١١٢٠ جاء رجل من أهل مصر صحح البيت، فرأى قوما جلوساً
- ١١٩١ جاء علي؟
- ١٨٣ جاء ملك الموت إلى موسى ليقيض روحه فقال له: أجب
- ٧٥٧ جامني جبرائيل فقال: يا محمد مر أصحابك فليرقموا
- ٥٣٧ جامني جبريل فأخبرني أن حزة مكتوب
- ٣٢٩ جامني رجلاً عليهما ثياب بيض فأصجماني وشقاً بطي
- ٩٥٠ جئت تسأل عن البر والإثم
- ١٢٢ جاد
- ٢٧ جئتكم لتسفه في الدين ولتسالك عن أول هذا الأمر
- ٩١١ جنتي بمضائق
- ٨٢ جبل الجودي
- ١٥١٣ الجراد أكثر جنود الله في الأرض، لا أكله
- ٩٣١ جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً
- ١٢٤٧ جزاك الله عن نبيك خيراً، والله ما استكتبك
- ٢٨٤ جل
- ١١٣٩ جمع لي رسول الله ﷺ أبوه يوم بني قريظة
- ٥١ الجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم ﴿نبيأ﴾
- ٤٣٧، ٤٣٦ الجنة
- ٦٠٦ الجنة إن مت على ذلك
- ٨٣، ٦٢ الجودي
- ١٥٢٦ الجوع يا أبا هريرة
- ٥٨٦ جيء به
- ٦٤ حاج موسى عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت
- ٨٢ حاماً
- ٢٣٩ حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب
- ٨٩١ حب إلى الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة
- ٨٧٥ حب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة
- ٨٧٤ حب إلى النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة
- ١٥١٣ حبك للنبي يحيى ويصم، والدال على الخير
- ٣٣٥ حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته
- ٣٦٧ حتى بلغ مني الجهد
- ١٢٢٧ حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك
- ١٥٢٠ حتى يسلمها إلى عيسى ابن مريم
- ٦٥ حج آدم موسى، حج آدم موسى، حج آدم موسى
- ٧٧٢ الحج عرفة
- ١٦٧ حجاب التور
- ٧٤٠ حجة لا رياء فيها ولا سمعة
- ٩٣٢ حدث به الناس
- ٨٨٥ حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت
- ٩٣٢ حدث الناس بما سمعت وما رأيت
- ٦٤ حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا
- ٢٦١ حدثنا عن بني إسرائيل فإنه قد كان فيهم الأعاجيب
- ٢٦١ حدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج
- ٢٦١ حدثنا عن بني إسرائيل ولا حرج، حدثنا عني ولا
- ٥٧١ حذيفة
- ٣٧٨ حر وعبد
- ٢٣٤ حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك
- ٥٧٠ الحرب خدعة وعسى أن يصنع الله لنا
- ٤١٥ تمام عيني وقلبي يقظان
- ٤١٥ تمام عيني ولا ينام قلبي
- ٩٦١ تنحي
- ١١٢٣ تهجمون على رجل متعجب بردة من أهل الجنة، يبايع
- ٦٣٢ ثاب خير، ثاب خير
- ٩٥٦، ٦٤٣ ثبت ملكه
- ١٦٢٠ ثلاث أتمس عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد
- ٨٤٦ ثلاث أتمس عليهن وأحدكنم حديثاً فاحفظوه؛ ما نقص
- ٢٩٧ ثلاث متواليات
- ١١٢٢ ثلاث من نجا منهن فقد نجا، وموتى، وخروج الدجال
- ٩٦٠ ثلاث من نجا منهن فقد نجا، وموتى، وتل خليف
- ٦١١٨ ثلاثة من كن فيه فقد ركد حلاوة الإيمان: من كان
- ٧٢، ٢٧١ ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير
- ١٢٢٧ الثالث والثلاث كبير، إنك إن تذر ورثك أغنياء خير
- ٢٢٤، ٢٢٣ ثم
- ٦٣٢ ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ثم
- ٦٣٢ ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على
- ٦٣٣ ثم اخذها خالد ففتح الله عليه
- ٦٣١ ثم اخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل
- ٩١٦ ثم ادع لي أهل المسجد ومن رأيت في الطريق
- ١٠٠٠ ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان
- ٤١٥ ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر
- ٦٣٨ ثم انطلق بي فإذا قوم أشد شيء انتفاعاً وأنتن
- ١٠٦ ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد
- ٣١ ثم خلق السموات والأرض
- ٤٣ ثم رفع لي البيت المعمور وإذا هو يدخله في كل
- ٤٣ ثم رفعت في سدره الملتقى فإذا نبقها كالقلال
- ١٣٤٨ ثم الصالحون، إن كان أحدهم لينتلي بالفقر حتى
- ٥٥٥ ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت في مدائن الحبشة
- ٥٦٥ ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت في مدائن قيصر وما
- ٢٦٢ ثم عاد إلى نديها فمصه
- ٣٨ ثم عرج بنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح
- ٦٨ ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك؛ وإذا
- ٦٤٥ ثم عمر بن الخطاب
- ١٩٤ ثم لم يزل الحلق يتنقص حتى الآن
- ٧٧٩ ثم ليتزل الناس حولكم
- ٢٦٢ ثم مر بامة تضرب فقالت: اللهم لا تجعل ابني
- ٢٤٣ ثم مر بامة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه
- ٢٦٢ ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: راعي الضأن
- ٩٦٠ ثم مؤتان يأخذكم قتماص الغنم
- ٩٥٧ ثم يؤتي الله ملكه من يشاء
- ٩٨١ ثم يكون المخرج
- ١٩١ جى به
- ١٢٥٦ جا بها في لبت
- ٥٦٤ جاء الله بحمير أعرأنا وأنصاراً
- ٩٢٠ جى به
- ٦٦٠ جاء الحق وزهق الباطل
- ٦٥٧ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً
- ٩٢٨ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً قل
- ٦٥٧ جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يدعى الباطل

١٢٢٤	حويطب	٦٩٨	حس
١٤٥٦	حي على خير العمل	٨٩١، ١١٠٠	حبك
٩١٠	حي على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل	٢٢٣	حبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران وآسية
٩٢٠	حياتكم	٢٢٣	حبك منهن أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت
٨٢٣	حياتي خير لكم تحذرون ويحدث لكم، ووفاتي خير	٥٤٢	حسبنا الله ونعم الوكيل
٣٣٢	حيثما مرت بقبر كافر فبشره بالنار	٩٢٢	حسي
١٨٣	حين أسري به لقيت موسى	١٢٠٨	الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس
٦٦٦، ٥٤٧	الحالة بمنزلة الأم	١٢٠٩	الحسن مني والحسين من علي
١٠٧٨	خالد سيف من سيوف الله نعم قتي العشرة	١٢٨٣	الحسن والحسين
٤٣١	الخائف	١٢٨٤	الحسن والحسين سبطان من الأسياط
٤٣١	الخائف أحق بالعبادة أو المخلوق؟	١٢٨٤	الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة
٧٣٥	خالق الناس بخلق حسن	٢١٩	الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني
٨٨٠	خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيت	١٢٨٤	الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني
٩٥١، ٨٨٣، ٧٨٠، ٤٩٧	خذ	١٢٠٨	الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير
٩٣٠	خذ الأقط والسمن وأحد الكشيبن وردد عليها الآخر	٧٢٧	الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمنثلها إلا أن يعفو
٧٨٠	خذ بأسفل الحرب	١٢٨٣	حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً
٤٥١	خذ بنا عليهما	١٧٩٨	حقت الجنة بالمكاره
٨٠١	خذ بيدي يا فضل	٩١٠	حفظك الله كما حفظت رسوله
٦٠٩	خذ جارية من السبي غيرها	٩١٢، ٢٥٤	الحق
٦٠٤	خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك	١١٥٨	الحق بالسنتهم لا يجز هذا منهم - وأشار إلى
٩١٦	خذ شاتلك يا جابر يارك الله لك فيها	٧٠٤	الحق بملكك
٨٣٦	خذ هذا السيف فاطلقت فإن وجدته عندها فاقتله	٦٧٣	الحق خالداً قتل له: لا تقتل ذرية ولا عيلاً
١١٧٩	خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك	٣٨٤	الحق لشاك
٣٤٦	خذ هذه فأدعها عليك يا سلمان	٩٣٦، ١٢٨٤	الحقا بأكمنا
٦٩٢	خذ هذين القرنين وهذين القرنين	١١٨٩	الحقه ورد على أبا بكر ويلتها أنت
٩٠٩	خذ يا جابر فصب عليّ وقل: بسم الله	٦٠١	الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها
٧٩٥	خذ يا ابن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله،	٥٧٣	الحقوني ببني قريظة ففصلوا فيهم المصير
١٥٢٠	خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة	٨٣٥	الحقني بأهلك
٣٤٦	خذها فإن الله سيؤتي بها عنك	٧٣٣	حكما علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء
٩١٩، ٣٤٦	خذها فافهم منها	٢٥٨	حكمة لقمان
٨٠١	خذها منه يا فضل	٧٦٨	الحل كله
١٢٠٢	خذها يا عثمان خالدة تالدة لا يترعها منكم إلا	٧٥٦	حلق عقرى ما أراها إلا حابستكم
٩٣٠	خذوا أجمعهم وردوا الآخر	١٨١٢	حلية الأولياء
٩١٦	خذوا بسم الله	٣٦	الحض من قبح جهنم فأبرؤوها بالماء
٤٢٢، ١٢٣٥	خذوا شطر دينكم عن الحميراء	٨٧٣	الحميراء
٦٣٢، ٦٣٥	خذوا الصبيان فاحلهم وأعطوني ابن جعفر	٨٨٨	الحمد لله
٧٩٣	خذوا عني مناسككم، فلملي لا أحج بعد عامي هذا	٤٥٨	الحمد لله أحمد وأستعينه، وأستغفره وأستهديه
٧٧٧	خذوا عني مناسككم لملي لا أراكم بعد عامي هذا	٢٠٦٠	الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركناً ظهيراً
٩١٨، ٦٩٤	خذوا في أوعيتكم	٨٩٠	الحمد لله الذي جعل من أمي من أمي أن أصير
٩١٨	خذوا ولا تنهبوا	٩١٧	الحمد لله الذي جعلك يا بنتي شبيهة سيدة نساء
٨٣٥	خذني ثوبك	٤٤٤	الحمد لله الذي خلقتي ولم لك شيئاً، اللهم أعني
٦٦٥	خذني من ماله بالمعروف ما يكتفي ويكفي بتيك	٦٥٧	الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
٥٦٣	خذني ودعني من اللحم	٨٣٦	الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت
٦٠٣	خيرت خيبر، إنا إذا زلنا بساحة قوم فساء صباح	٩٩٢	الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله
٢٣٨	خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان	١٢٢٤	الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا
٢٠٣	خرج نبي من الأنبياء بالناس يستقون الله فإذا	٩٣٤	الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا
٢٦١	خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة من	٦٢٨	الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا
٩٢٨	خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على شجر ولا	٦٨٦	الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا
٣٢٠	خرجت من نكاح لا من سفاح	٧٣٦	الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي
٣٢٠	خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى	٩٠٦	حواليها ولا علينا
١٩٨٣، ١٩٠٠	الخريدة	١٤٣١	خوضي ما بين عذني إلى عذني البقاء

٦٤	دحا.....	١٣٥٢	خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وذرفت
٨٤	دحيت الأرض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت	٨٩٢	خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج
٨٧٤	دخل علينا رسول الله ﷺ، فقال عندنا فغرق وجاءت	١٩٩	خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ
٣١٤	دخلت الجنة فرايت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين	١٩٩	خفف على داود القراءة فكان يأمر بدوابه فتسرج
٨٨٦	دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مزمل	٧٠٤	خفف عن الناس الصلاة
٣١	دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس	٥٣٨	خلل سيبلها.....
٧٥٨، ٧٥٢	دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة	١٢٠١، ٩٦٨	الحلافة بالمدينة والملك بالشام
٨٩١	دع ما يريك إلى ما لا يريك.....	٩٨١، ١٢١١	الحلافة بعدي ثلاثون سنة.....
١١٨٩	دعا رسول الله ﷺ عليا يوم الطائف فانتجاء فقال	٩٦٨، ٩٥٧، ١١٩٩، ١١٢٠	الحلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا.....
٧٧٣	دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله.....	٩٨٢، ١٢٥٤	الحلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً.....
١٨١	دعنا منك فقد أوردني موسى أكثر من ذلك فصر	٤٦١	الحلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عضوضاً.....
٧٠٥	دعني يا عمر فإني بين خيرتين، ولو أعلم أبي	٤٦١	الحلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون من بعد ذلك الملك.....
٦٨٨	دعه عنك فإنه جاء ثانياً نازعاً.....	٨٤٢	الحلافة في أمي ثلاثون سنة، ثم ملكا بعد ذلك.....
٩٦٦، ٦٨٥، ١١٦٢	دعه فإن له أصحاباً يحقر أحداكم صلاته مع صلاتهم.....	٨٤٢	خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً.....
١٦٣	دعهم يا أبا بكر فإن لكل قوم عبداً وهذا عيدنا.....	٥٥٨	خلافة نبوة ثلاثون عاماً ثم يؤتي الله الملك.....
٥٦٥، ٥٦٥	دعوا الحبيشة ما ردعواكم واتركوا الترك ما.....	٦٩	خلق آدم وفيه أخرج منها.....
٥٩٣	دعوا صفوان؛ فإن صفوان خبيث اللسان، طيب القلب.....	٢١٢٦، ١٥٩٠	خلق أفعال العباد.....
١١٨٣	دعوا علياً، دعوا علياً، إن علياً مني وأنا.....	٦٨	خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفته.....
١٢٥٦	دعوا لي أصحابي وأصحابي، فمن سيهم فعليه لعنة.....	٦٨	خلق الله آدم حين خلقه فغضب كفه اليمنى فأخرج.....
٤٥٣	دعوا الناقة فإنها مأمورة.....	٦٨	خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب.....
٩٥٠	دعوا وابصة اذن يا وابصة.....	٣٧	خلق الله ألف أمة منها ستمانة في البحر وأربعمائة.....
٢٣٧	دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى.....	٣١	خلق الله التربة يوم السبت.....
٣٥٠	دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورات أمي أنه خرج.....	٣١	خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال يوم.....
٣٤٣	دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورات أمي أنه يخرج.....	١٦٨٧، ١٥٨٩	خلق الإنسان.....
٣٥٠، ٢٣٧	دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورات أمي حين حلت.....	١٥٣٥	خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قوته كسرت.....
٥٦٤	دعوني فأكون أول من ضريها.....	٦٠	خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار.....
٧٩٩	دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.....	٥٠	خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق.....
٨٨١، ٥٣٣	دعوا.....	٤٩	خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من.....
٦٩٣	دعوه إن يك فيه خير فسيلقه الله بكم وإن يك.....	٤٥٢	خلوا سيبلها فإنها مأمورة.....
٨٨٠	دعوه فلو قنر - أو قال: قضي - أن يكون كان.....	٩٣٤	خلوا عنها.....
٤٧٠	دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر.....	٩٣٤	خلوا عنها حتى تأتي خشفتيها ترضعها وترجع إليكم.....
٤٥٤	دعوا فإنها مأمورة.....	١٨٦٨	خمسائة سنة.....
٤٥٢	دعوا فإنها مأمورة فإنما أنزل حيث أنزلني الله.....	١٢٣١	خياركم في الإسلام خياركم في المجالية.....
٧١٥، ٤٨٣	دعواهم.....	٦٠٧	خير.....
٣٧٥	دين الله الذي اصطفى لنفسه، ويعت به رسله.....	٩٨٣	خير أمي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.....
٩٣٣	الذهب، وما الذهب؟.....	٢٠٠٩	خير أوقاتكم ساعة صفت لله، وخلصت من الفكرة لغيره.....
١١١	ذاك إبراهيم.....	٤٥٤	خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل.....
٤٩٣	ذاك أبو جهل بن هشام يهذب إلى يوم القيامة.....	٦٩٥	خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بني عبد الأشهل.....
٤٩٣	ذاك أبو جهل وكل به ملك يفعل به كلما خرج.....	١٢٢٤، ٥٨٩	خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالنا سلمة.....
٣٠٠	ذاك أراد أمراً قادركه.....	٧٥	خير القرون قرني.....
٧١٠	ذاك الله عز وجل.....	٨٥٤	خير من ألف صلاة.....
٥٧٣	ذاك جبريل.....	٩٨٣، ١٢٩٣	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.....
١٣٢٤	ذاك جبريل عليه السلام.....	٨٣٥، ٢٢٣	خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش أحناء على.....
١٣٢٤	ذاك جبريل، ولن يموت أبوك حتى يذهب بصره ويؤتى.....	٢٢٣	خير نساء ركن الإبل نساء قريش أحناء على ولد.....
١١٧	ذاك خطيب الأنبياء.....	٢٢٣	خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية.....
٨٥٩	ذاك رجل لا يتوسد القرآن.....	٤٢٢، ٢٢٣	خير نساءنا مريم بنت عمران وخير نساءنا خديجة.....
٣٠٣	ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، شريف.....	٦٤	خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم.....
٥٧٤	ذاك رجل لمحاه الله بوفاته.....	٦٤	خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم.....
٧٠٤	ذاك الشيطان أذنه.....	٩٨٣	خيركم بعد الماتين خفيف الحاذ.....
٧٠٤	ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أنت حسسته فتعزذ.....	٤١٣	دابة أبيض بين البغل والحمار وفي فخذيه جناحان.....
٥٢	ذاك عرش إيليس.....	١٢٢	دان.....

١٨٣	رأيت عيسى بن مريم وموسى وإبراهيم فاما عيسى فأبيض	٤٨٩	ذاك فلان من الملائكة
٢٤٣	رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فاما عيسى فأمر جعد	٣٦١	ذاك من كلام الجن
٨٦٣	رأيت في سفي ثا الفقار فلا فأولته فلا يكون	٣٠٠	ذاك نبي أضاعه قومه
١٥١٣	رأيت في عارضتي الجنة مكتوباً ثلاثة أسطر بالذهب	٣٠٠	ذاك نبي ضيعه قومه
٤٤٠، ٤٤٣	رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها	٣٢٢	ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه
٩٥٢	رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها	٣٦٦	ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزل علي فيه
٩٧٩	رأيت في المنام بني الحكم - أو بني أبي العاص	٣٣	فزع من الأرض يتجهه المرء المسلم من حق
٥٢٤	رأيت فيما يرى النائم كاني مردف كبشاً وكان غبطة	١٧١	ذكر سؤال كليم الله ربه جل وعلا أن يعلمه شيئاً
١١١٩	رأيت قبل الفجر كاني أعطيت المقاليد والموازين	١١٩٠	ذكر علي عبادة
٤٦٣	رأيت كان امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة	٥٤	ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح قال: ذاك
١٨٣	رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طويلاً	١١٥٢	ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس
١٢٠٧	رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه	٤٢٥	ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي
٩٩٤، ٤١٤	رأيت نوراً	٩٤٨	ذلك أريد
٢٥٠، ١٠٨٣	رأيت	٧٨٥	ذلك أفضل إمرأتنا
١١٧٠	ريح السبع أبا يحيى	٣٨٧	ذلك إلى الله إن شاء فعل بكل ذلك
٤٤٢	ريح صهيب، ريح صهيب	٧٢٧	ذلك بأن الله يمت في آخر كل سبع أمم - يعني
١٨٣	ريحة أحر كأنها خرج من دهب	٥٧٢	ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلوهم ويقذف
٨١٢	رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى، مع ملائكة كثيرة	٣٨٣	ذلك جبريل، لو دنا مني لأخذه
١٢٩٧	رجل من أهل الجنة يعمل رجلاً من أهل النار	٧٢٧	ذلك لك محل حيث شئت ولا تحجي عليك إلا نفسك
٩٣	رجلان أحدهما أحمير ثمود الذي عقر الناقة، والذي	٩٥٥	ذمام
١١٩١	رحم الله أبا بكر زوجي ابنة وحملني إلى دار	٩٥٥	ذمة ورعاً
٤٩٢	رحم الله أبي عفره فهما شركاء في قتل فرعون	٦٦٥	ذهب أهل الهجرة بما فيها
٦٢٣	رحم الله امرأة إبراهيم من نفسه قوة	٩٣٤	ذهب بها الذي جاء بها
٥٣٧	رحم الله رجلاً رُدَّهم عنا	٨٧٥	ذهبت بي خالي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول
٣١٠	رحم الله قساً أما إنه سيبحث يوم القيامة أمة	٤٥	رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله شمتة
٦٨٤	رحم الله موسى قد أودى باكر من هذا قصير	٢٤٣	رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له: أصرقت؟ قال
١٢٩	رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها ﷻ ذكرني	٢٤٣	رأى عيسى رجلاً يسرق فقال: يا فلان أصرقت؟ فقال:
١١٥	رحمة الله على لوط لقد كان باوي إلى ركن شديد	١٢٢	راحيل
٦٨٤	رحمة الله على موسى قد أودى باكر من هذا قصير	٥٤	راصدا الصقوف فإن الشيطان يقوم في الخلل
٩٧٣	رحك الله	٥٤	راصدا صونكم وقاربوا بينهما وحاذوا بين الأعناق
١٨٣	رد البشرى فاقبلنا أتمنا	٨٤٩	الرافلة في الزينة في غير أهلها، كاظلمة يوم
٩٣٥	ردها ودعا رحمة بها	١٠٤	رويا الأنبياء وحى
٥١٣	ردها عليه رسول الله ﷺ بعد ست سنين	٥٥	الرويا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان
٦٨١	ردوا علي ردائي أيها الناس فوالذي نفسي بيده	١٢٨	الرويا على رجل طائر ما لم تغير فإذا عبرت وقت
٩١٣	ردوا عليها عكها	٥٢٤	رأيت الباصرة في منامي بقرا تدبج والله خير
٨٨٩	ردوه لحالته الأولى، فإنه منعتي وطائعه صلاتي	١٣٠٧	رأيت بني الحكم يترجون على منبري نزو القردة
٩٣٥	ردوها	٤٥	رأيت جبريل على سدة المنهى وله شمتة جناح
٨٨٨	رديه	١٣٢٤	رأيت جبريل مرتين، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة
٨٨٨	رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي	٤٥	رأيت جبريل وله شمتة جناح يشتر من ريشه التهاويل
٣٧٨	رسول الله	٦٣٦	رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة
٩٠١	رسولك	٢٩٠	رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمراً يمر قصبه
٢٥٩	الرفق رأس الحكمة	٩٧٣	رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون
٨٠٥	الرفيق الأعلى	١٢٢٦	رأيت رجلين يوم يلدن يقتلان عن رسول الله ﷺ
٣٣	الترجيع نوح تكفوف ومقف محفوظ، أندرون كم	٨٨٨	رأيت رسول الله ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع
٧٧٤	روينا أيها الناس عليكم السكنة إلى البر ليس	١٢٠٩	رأيت رسول الله ﷺ يحس لسانه - أو قال: شفته
٣٠٣	روي الساطن وأسن الواحش	٧٧٨	رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما
١٢٢	زابلون	٢٩٠	رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يمر قصبه في
٦٣٧	زادك الله حرصاً على طراعية الله وطراعية رسوله	٢٩٠	رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يمر قصبه في النار
٥٩١	زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعر منها الأذل	٢٩٠	رأيت عمرو بن عامر يمر قصبه في النار، وكان أول
١٢٢	زلفي	٩٦٨، ١٢٠١	رأيت عموداً من نور يخرج من تحت رأسي ساطعاً حتى
٣٢	الزمان قد استدار فكيف يوم خلق الله السماوات	١١١	رأيت عيسى ابن مريم وموسى وإبراهيم فاما عيسى

٧٧٧	زملوني زملوني	٣٦٧، ٣٦٥	السكنية أيها الناس
٧٧٥	زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة	٢١٦٥	السكنية السكنية السكنية!!
٩٤٦	زيادة كيد نون	٩٤٦	سل
٦٢٩	زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن	٦٢٩	سل الله أن يرد عليك الشمس تصلي قائماً. فدعا
١٦١٦	زينوا القرآن بأصواتكم	١٦١٦	سل ما بدا لك
٩٨٣	السايع من ولد العباس يدعو الناس إلى الكفر فلا	٩٨٣	سلام على آل ياسين
٧٠٥	سأبعث إليكم من يفتيكهم هدمها	٧٠٥	سلام على إدراسين
١٦٨	سأقوم مقاماً يرغب إلى الخلق حتى إبراهيم	١٦٨	سلام على من اتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن
١٠٨	سأقوم مقاماً يرغب إلى الخلق كله حتى إبراهيم	١٠٨	السلام على همدان السلام علي همدان
٤٥٠	سأقي القوم آخرهم	٤٥٠	السلام عليك
١٧١	سأل موسى ربه عز وجل عن ست خصال كان يظن أنها	١٧١	السلام عليكم
١٤٨	سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أجمعها	١٤٨	السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته
١١٥١	سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها،	١١٥١	السلام عليكم بما صيرتم فنيتم عيسى الدار
٨٢	سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، وياث أبو الروم	٨٢	السلطان ظل الله في أرضه
٨٢	سام وحام وياث	٨٢	سلمان بنا أهل البيت
٥٧٧	سبحان الله	٥٧٧	سلمت إن شاء الله
٩٢٩	سبحان الله، أدون الله؟ ما ينبغي لأحد أن	٩٢٩	سلي أعطك
٦٩٧	سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار	٦٩٧	سلوا عما شئتم
٥٧٧	سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك	٥٧٧	سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما
٥٧٧	سبحان الله لو انفلت أحد من ضنطة القبر لانفلت	٥٧٧	سلوني فإني لئن القلب وإنني صغير عند نفسي
٩٦٣	سبحان الله ماذا أنزل من الخزائن؟ وماذا أنزل	٩٦٣	سلي تعطي واشتعي تشفعي
٦٢١	سبحان الله والله لو كتبت تأخذونها من واد ما	٦٢١	سمة أخرى، اتدرون كم بينها وبينها؟
٨٥١	سبحان الله وبحمده	٨٥١	الساوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي
٩٠٧	سبحان الله! وملك هذا أنا شغعت إلى ربي، فمن	٩٠٧	سمع الله من حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد
٨٥١	سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده، سبحان رب	٨٥١	سمعت أئمة عمي العباس في وثاقه
٤٢	سبحان من سبحت له	٤٢	سُئِلَتْ يَا أَبَا الزَّيْدِ؟
٤٢	سبحان من يسبح الرعد بحمده	٤٢	سيتنموا باسماء فراعثكم، ليكونن: في هذه الأمة
٤٢	سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته	٤٢	سنج
١٢٦	سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:	١٢٦	سيتصدّقون ويجاهدون إذا أسلموا
١٤٠	السُّبُّ ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون	١٤٠	سبيحي قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلوهم
٩٥٨، ١٠٢٢، ١٨٢	سبقت بها عكاشة	٩٥٨، ١٠٢٢، ١٨٢	سُبْحَانَ وَجْهَانِ وَالْقُرَاتِ وَالنَّيْلِ كُلِّ مِنْ أَنْهَارِ
٩٦٠	سب من أشراف الساعة، موتي، وفتح بيت المقدس	٩٦٠	سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول
١١١٤	سبنتلي بعدني فلا تقاتل	١١١٤	سيخرج ناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن
٩٥٧	سبعت بموت فكن في بعت خراسان، ثم اسكن مدينة	٩٥٧	سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة
٥٤٣	سجده في مكان كذا وكذا فانتلاه	٥٤٣	سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين
٩٧١، ٩٦٤	سكنون أثره وأمور تنكرونها	٩٧١، ٩٦٤	سعيصير الأمر إلى أن تكون جنود مجتدة، جند بالشام
٩٦٣	سكنون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم	٩٦٣	سطلع من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق
١١٥٦	سكنون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم	١١٥٦	سيفتل أمير، ويتبري مُتَّبَرِّ
٩٦٣	سكنون فرقة وقتة واختلاف، فإذا كان ذلك فاكسر	٩٦٣	سيفتل بعذراء أئمة يغضب الله لهم، وأهل السماء
٢٠٠	سجدوا داود توبة وسجدوا شكراً	٢٠٠	سيفتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء
٨٠٠	سجدوا على كل خوخة	٨٠٠	سيكون رجل اسمه الوليد، يد به ركن من أركان جهنم
١٨٥٤	سجدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر	١٨٥٤	سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القتل
١١٨٢	سجدوا هذه الأبواب إلا باب علي	١١٨٢	سيكون فيكم اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق، لا
٥٤٧	سر حتى تأتي أرض بني أسد فاغر عليهم	٥٤٧	سيمامه التحليق، شر الخلق والحليفة
٣٥٦	سر في قومك وقل هذا الشعر فيهم	٣٥٦	الشاعر؟
٩٤١	سر يا صاحب الفرس	٩٤١	شاعت الرجوة
١١٨٤	سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي،	١١٨٤	الشاهد يرى ما لا يرى الغائب
٤٤٩	سعدت إن شاء الله	٤٤٩	شاهنشاه
٤٥٣	السفل أرقف بنا	٤٥٣	الشجر
٨٤	سفه الحق وغصم الناس	٨٤	شدة آخر من نَجَحَ جهنم
			شدوا

٤٨٨	صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة.....	٩٦٦	شر الحلق والحليقة.....
٧٥٨	صدقت صدقت أنا أمرتها به.....	١٣٧١	شُرُّ ما في الرِّجْلِ شُرُّ هَالِكٍ وَجِبْنُ خَالِكٍ.....
٧٦٩	صدقت صدقت صدقت.....	١٤٥٢	شر المال في آخر الزمان الماليك.....
٧٥٨	صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟.....	١١٦٤	شرار أمي يقتلهم خيار أمي.....
١١٧٣	صدقت، فمن أشقى الآخرين؟.....	٦١٤	شراك أو شراكا من نار.....
١١٩٥	صدقت يا علي.....	٨٤٤، ٦١٨	شراك من نار أو شراكا من نار.....
٧٣٤	صدقت.....	١٣٤٥	شربته؟.....
٢٦	صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم صعد المنبر.....	٣٠٨	الشريد؟.....
٥٥٦	صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهم.....	٦٨٢	شعب الأنصار.....
٧٧٥، ٧٧٤	الصلاة امامك.....	٥٦٨	شغلونا عن صلاة العصر ملا الله بطونهم.....
٩٥	الصلاة جامعة.....	١٠٦٦	شغلونا عن الصلاة الوسطى ملا الله بتورهم وبيوتهم.....
٨٤٤	الصلاة الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.....	٩١٦، ١٠٠٢	شكر.....
٤٨٧	الصلاة عباد الله.....	٥٢٥	شيم سيفك - أي اغمد - فإني أرى السيوف مشتل.....
١٨٦٩	صلاة في إثر صلاة: كُتِبَ في عِلَّتَيْنِ.....	١٠١٢	شم سيفك ولا تفجعنا بنسك.....
٤٥٧	صلاة في مسجد قباء كعمرة.....	٤١	الشمس والقمر نوران عقيران في النار.....
٤٦١	صلاة في مسجدك هذا خير من ألف صلاة فيما سواه.....	٤١	الشمس والقمر مكرران يوم القيامة.....
٨٥٤	الصلاة ما هنا.....	١٢٢	شمعون.....
٨٠٤	الصلاة وما ملكت أيمانكم.....	١١٤١	شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، قال: كذب أبو.....
١٢٨٣	الصلاة بأهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.....	١٢٨١	شهدت قتل الحسين آنفاً.....
٦٦٦، ٧٠٨	صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا.....	٣٣٦	شهدت مع عموي حلف المطيين فما أحب أن أئكته.....
٦٦٦	صلوا على صاحبكم.....	٩٩٧	شهدوا.....
٢٦٧	صلوا في نعالكم، خالفوا اليهود.....	٧٨٣	شهر حرام.....
٩٠١	صليت؟.....	٥٤	الشياطين.....
٩٠١	صليت العصر؟.....	٨٩١	شَيْئِي هُوَ وَأَخَوَاتُهَا الواقعة، وعمّ يتساءلون.....
٩٠١	صليت يا علي؟.....	٨٩١	شَيْئِي هُوَ والواقعة والمرسلات، وعمّ يتساءلون.....
٩٨٤	صفتان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط.....	٧٣	شيت.....
١٢٤٤	صوم شهر الصبر وصوم ثلاث أيام من كل شهر صوم الدهر.....	٩٦٦، ١١٦١	شيطان الردة كراعي الخيل يختد ره رجل من بجيلة.....
٩٣٤	صيد قوم وريطة قوم.....	١١٦١	شيطان الردة يختد ره.....
٨٧٢	ضخم الدين.....	٩٥٤	صاحب الجيلة؟.....
٧٠٤	ضخ بك على الذي يألم من جسلك وقل: بسم الله.....	٦٤٥، ٦٤٤	صاحب الجزور؟.....
٥٨٦	ضمه.....	١٧١	صاحب مقوص.....
٩١٦	ضمه في ناحية البيت وادع لي أبا بكر وعمر وعليا.....	١٥٥	صار فرعون مذكراً.....
٩١٦	ضمه فقام زينب.....	٧٢٧	الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في.....
٨٠٢	ضمو لي ماء في المخضب.....	٨٤	صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحى، وصام داود.....
٥٥٣	ضموا وتعبوا.....	٨٤	صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى.....
٨٤٩	ضمي بك اليمنى على فؤادك فامسح به، وقولي: بسم.....	٣٩٠	صبرا آل ياسر موعدكم الجنة.....
٥٧٧	ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه.....	٣٩٣	صَبَّحَهُمَا اللَّهُ، إِنَّ عُثْمَانَ أَوْلَ مَنْ هَاجَرَ.....
١٢٤٠	ضمه.....	٧١٧، ٦٦٠، ٣٠٨، ٢٩	صدقا.....
٧٢٦	ضمن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها.....	٩٣٢	صدق، آيات تكون قبل الساعة، والذي نفسي بيده لا.....
١٨٧	الطاعون رجز عذب به من كان قبلكم.....	١٢٠٧	صدق الله ﴿إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأُولَآئِكُمْ.....
٢٦٧	الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل -.....	١٢٨٣	صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُالِكُمْ وَأُولَآئِكُمْ تَنْتَ﴾ فنظرت.....
٢٣٩	طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا.....	٦٠٦	صدق الله فصدقه.....
٨٧٥	طبيها الذي خلقها.....	٥٢	صدق ذاك عرش إيليس.....
٧٨٤	طف ولا حرج.....	٦٦٩	صدق عمر.....
١٧٧٧	طلب العلم فريضة على كل مسلم.....	٦٧٠	صدق فاعطه.....
١١٣٩	طلحة والزبير جاراي في الجنة.....	٩٣٢	صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى.....
٨٤٤	طلوها.....	٧٣٢	صدق، والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم.....
٧٦٧	طواك بالبيت وبين الصفا والمروة يكتفيك لحجك وعمرتك.....	٦٨٨	صدق وإنه لكذوب أنا للمارن.....
٢٣٩	طوبى لمن نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية واتبعت.....	٨٤١	الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم.....
١١٨٨	طوبى لمن أحبك وصدقك فيك، وويل لمن أبغضك وكذب.....	٨٤٦، ٦١٦، ٥٩٦، ٥٨٢، ٥٢٤، ٥٠٠	صدقت.....
٢٣٩	طوبى لمن بكى من ذكر خطيئة وحفظ لسانه ووسعه.....	٩٣٩	صدقت، بارك الله فيك.....

- طوى لمن قرأ كتاب الله واتبعه ٢٢٩
- الطوفان الموت ١٥٧
- طوي باليت وبين الصفا والمروة، ثم قد حلت من ٧٦٨
- طوي من وراء الناس وأنت رابكة ٧٨٩
- طوفة من سبع أرضين ٣٣
- ظنوا بالقوم ٩١١
- ظهرا ٥٢٢
- عائشة ٧٩٥، ٦٤٥، ٤٦٦، ١٢٣٥
- عابر ٨٠، ٨٢
- العابرة مؤداة، والمئحة مردودة، والدين مقضي، ٧٨٥
- عبد الله بن أبي ٥٩١
- عبدت الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعيده ١١٧٨
- عتت على خزائنها حتى خرجت من خلال الأبواب ٩٠
- عثمان حين تستحي منه الملائكة ١١١٩
- عجالة المنتظر في شرح حال الحاضر ١٩٠
- عجب ربك من قنوط عباده، وقرب غيره، ينظر إليكم ٢١٢٠
- عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه ٥٧٧
- النجوة من الجنة وفيها شفاء من السم ٣٦
- عذبت امرأة في هرة سجتها حتى ماتت فدخلت فيها ٢٦٦
- عذبه حتى تتأصل ما عنده ٦٠٩
- عرش إبليس على البحر يبعث سراياه فيفتنون الناس ٥٢
- عرش إبليس في البحر يبعث سراياه في كل يوم يفتنون ٥٢
- عرض علي الأنبياء فإذا موسى شرب من الرجال كاه ١١١
- عرض علي ربي عز وجل أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ٣٨٧
- عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت: لا ١٠٠٠
- عرضت علي الأمم فرايت النبي ومعه الرط والنبي ١٨٢
- عرضت علي الأمم ورايت سواداً كثيراً سد الأفق ١٨٢
- عرفت أبي إن بادأت بها قومي رايت منهم ما أكره ٣٨١
- عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأثروا ٥٧٢
- عسى ٧٠١
- عسى الله أن يطعمكم ٩٠٩
- عسى أن يخفف عنه ما دامت رطبة ٩٢٩
- عشر من القطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك ١١١
- عشرة قرون ٧٥
- عضوضاً ٩٦٨
- عطش الناس يوم الحديبية والنبي يكثر بين يديه ركوة ٩٠٩
- عطشوك؟ ١١٠٩
- عكاشة بن حصن ٤٩٣
- على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيل المشرك وإن ٧٢٧
- على أن تغلوا بيتنا وبين البيت فخطوب به ٥٩٩
- على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا ١٠٥١
- على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها ٧٢٧
- على أي حال رأيتهم؟ ٣٩٣
- على أي لحم؟ ٦٠٢
- على بركة الله ٦١٢
- على بركة شهاب متجرة بجمار أسود ٧٠٢
- على خلق لم تلف أمأ ولا أباً عليه قال: أجل ٦٨٨
- على ذلك ٦١٤
- على رسلك! ٨٠٠
- على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي ٤٤٦
- على رسلك يا أبا بكر! انظروا إلى هذه الأبواب ٨٠٠
- على رسلكم ٩١٠
- على كم تزوجتها؟ ٩٤١
- علام أخرجتنا ونفك من الجنة ٦١
- علامة المؤمن ثلاث؛ إذا قال صدق، وإذا وعد وفى ١٥١٣
- علم الميتة قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، ٧٢٦
- علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟ ٦٩٨
- علي بصاحب هذا البحر ٩٣٠
- علي خير البشر، من أبي فقد كفر ١١٩٠
- علي غيبة علمي ١١٩١
- علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي ١١٨٩، ٧٩٢
- عليك بالرق والقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ٣٤٩
- عليك بالشام فإنه خير الله من أرضه يجني إليه ٩٥٦
- عليك بالقول السديد ولا تكن فظاً ولا متكبراً ٣٦٣
- عليك السلام ورحمة الله عن أنت؟ ٣٨٠
- عليكم بالأسود منه فإنه أطيب ٦٥١
- عليكم بالأمين وأصحابه ١١٢١، ٩٦١
- عليكم بالحجاب ٨٠٣
- عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر، فإن أصيب ٦٣١
- عليكم هذا وأصحابه ١١٢٢
- عليكم أصحابكم ٥٢٢
- عمر ٦٤٥
- عمر أمي من ستين سنة إلى سبعين سنة ٩٧٥
- عمر بن الخطاب ٩٦١
- عمر مني وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر ٨٠١
- عمرأ ٥٢٢
- عمرو بن لُحَي بن قُصَّة بن خندف أبو خزاعة ٢٩٠
- عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام ٤٥
- العتان وزوّاتيا الأرض يسوقه الله إلى من ٣٣
- عند الله علم أمة بن أبي الصلت ٣٠٨
- العتك بلمة الله التامة. فلم يستأخر ثم أردت ٥٥
- العهد قريب والمال أكثر من ذلك ٦١٠
- عوف بن مالك؟ ٦٤٤
- عوين ٤٤٥
- عيسو ١٢٢
- العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ٦٣٤
- العين ١٥٣٨
- عين تطرف ١٩٣
- العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم ٥٣
- غدير خم ٧٢٢
- غرة عبد أو أمة ١٥١٦
- غزاة عرك؛ نصار قصار ذلك، فاعش فاحش فملك، فملك ١٧٦٧
- غزا نبي من الأنبياء فدنا من القرية حين صلى العصر ٩٩٦
- غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ١٨٦
- غشسته! من غشنا فليس منا ٨٤٤
- غطروا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر ٥٣٤
- غفارة غفر الله لها، وأسلم سألها ٣٨٠
- غفر الله لك ١٢٨٧
- غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما ١١٢٣
- غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما ١١٢٣
- غفر الله له ورحمة الله مات على دين إبراهيم ٣١٤
- غفر لك ربك ٦٠٤

٥٢١	فأفعل إن قدرت على ذلك.....	١١٠٠	غلام.....
٨٨٩	فأقبضهُ إليك ثم أقبض دينك.....	٤٨٤	عَمَّسَهُ يَدَهُ فِي الْمَدْوِ حَاسِرًا.....
١١٥٣	فأكتب محمد رسول الله.....	٢٥٩	الغني.....
١٢٣٤	فأكشف عنك فإذا هي أنت، فأقول، إن يكن هذا من.....	٨٠٠	غير خوخة أبي بكر.....
١٦٨	فأكون أول من يفتي فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش.....	١٠٥٠	غُيِّرُوا هَذَا الثَّيْبَ بَشِيٍّ وَجَبَّيْرَهُ السَّوَادَ.....
٥٧٢	فألى أين؟.....	٦٥٤	غُيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ.....
٩٣٤	فألتفت فلم أر أحداً.....	٦٥٤	غُيِّرُوا وَلَا تَقْرَبُوا سَوَادًا.....
٩٤٦	فالسواد الذي رأيت هو المحو.....	٦٤٥	فأبوها.....
١٠٣	فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأسن فتزلوا وأرسلوا.....	٩٦٨	فأثبته بصري حتى ظننت أنه مذهب به.....
١٢٦٠	فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا:.....	٢٦٢	فأثبته أنه فقال: يا جريح أنا أمك فكلمني.....
٧٨٧	فإن الله حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم حكمة.....	٢٦٢	فأثبته فترضت له فلم يلتفت إليها فأمكنك نفسها.....
٧٨٣	فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.....	٩١٠	فأثبته به.....
٧٨٣	فإن دماءكم وأموالكم - أحسبه - قال: وأعراضكم.....	٩١٥	فأثبته.....
٧٨٤	فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرم يومكم هذا.....	١٠١	الفاجر.....
٧٨٤	فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمه.....	٥٩٩	فأجزه لي.....
٧٨٦	فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمه.....	٦٨٣	فأجمع لي فترك في هذه الخطيرة فإذا اجتمعوا فأعلمني.....
٤٦١	فإن ذلك أفضل.....	١٢٣٥	فأجي هذه.....
٣٢٨	فإن ذلك لا يجل لي.....	٦٣٤	فأحت في أنوامهم من التراب.....
٧١٩	فإن ذلك لم يكن يجل لك في دينك.....	٩٣٠	فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله.....
٥٤	فإن الشيطان لا يفتح منكلاً.....	٨٨٦	فأحد الله عز وجل.....
٧٢٠	فإن طالت بك حياة لترين الظميمة ترتحل من الحيرة.....	٢٦٧	فأخبرني أنه غلب بيته الله على من يشاء من.....
٥٣٧	فإن كل جرح أو كل دم يفرح سيكاً يوم القيامة.....	٢٦٠	فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الرأب أحب.....
٨٨٩	فإن لك رفاهين وما عليهن.....	٣٣٤	فأخذته فشدته علي، ثم جعلت أحل الحجارة على.....
٩٥	فإن لم تكونوا فتأكلوا خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم.....	٣٦٥	فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال.....
٧٣٦	فإن لم يكن في سنة رسول الله؟.....	٦٨	فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البينة فأقامها.....
٧٣٦	فإن لم يكن في كتاب الله؟.....	٩٣٣	فأدبروهم.....
٧٦٩	فإن معي المهدي فلا تحل.....	٥٠٣	فأدخله علي.....
٥١٣	فإن ماجر زوجها قبل أن تتكم ردت إليه.....	١٩٢٤	فإذا قضى التسليم، حق اللقاء، فاستدعي الإخلاص.....
٧٩٠	فإن هذا مولد من أنا مولاه، اللهم وال من والاه.....	٣٧١	فإذا للملك الذي جاني حمراء جالساً على كرسي.....
٧٨٣	فإن هذا يوم حرام، انتصرون أي بلد هذا؟.....	٣٦	فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران.....
٤٣٢	فإن وفيت فلكم الجنة، وإن غشيت من ذلك شيئاً.....	٤٢٤	فأذكر بهما علي.....
٣٩	فإن الدهر أقلب ليله ونهاره.....	٩٣٠	فأذهب إليهما قتل: إن رسول الله ﷺ يامركما أن.....
٩٤١	فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين.....	٩١٦	فأذهب فادع لي تسعين من الأصابع.....
٥٥٠	فأنت آمن.....	٦٣٤	فأذهب فأسكنهم فإن آيين فأحت في أنوامهم التراب.....
٣٩٢	فأنت وذلك.....	٤٢٣	فأذهبي فأذكر بهما علي.....
٨٦٦	فأنت بعفور.....	٧١٩	الغار من الله ورسوله؟.....
٤٣١	فأنتم أحق أن تعبدكم، وإتسم عملتموها، والله.....	٨٩٧	فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.....
٧٨١	فأزعا قميصكما.....	٥٨٦	فأرغموا طعامكم.....
٩٥٠	فأنشدك بالذي أنزل التوراة والإنجيل وأشياء حلقه.....	٤١٦	فأستخرج قلبي ثم أثبت بطست من ذهب مملوءة إيماناً.....
٩٤٦	فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل.....	٣٩٢	فأسمع مني.....
٣٠٧	فأنشدني.....	٤٥	فأشهر جبريل لي بيده: (أن تواضع) ففرفت أنه لي.....
١٢٤٣	فأطلق.....	٦١٢	فأصلحي من نفسك ثم خذي إياه من ماء فاطري فيه.....
٩٠٩	فأطلق إلى الشجرتين فأقطع من كل واحدة منهما.....	٢٢٣	فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم.....
٤١٦	فأطلق بي.....	٢٠٥٤	فأعترف.....
٤٥٣	فأطلق فبهن لنا مقبلاً.....	٩٥٤	فأعزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى.....
٧٥٦	فأنفري.....	٧٥٦	فأعترني من التمتع.....
٦٢٣	فإنك آتية ومطوف به.....	٥١٨	فأعطيتها.....
٩٥١	فإنك آتية ومطوف به.....	١١٨٢	فأعطها.....
٤٨٧	فإنك من أهلها.....	٢٦٤	فأعطي ناقة عشاء فقال: يبارك لك فيها.....
٤٤٦	فإنه قد أذن لي في الخروج.....	٨٥١	فأعني على نفسك بكثرة السجود.....
٥٣	فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان.....	٦٠٧	فأمنل.....

- فإنه كذلك ٨٨٦
- فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه ٨١٦
- فإنه مسجد في السماء يحال الكعبة لو خر لخر عليها ٤٣
- فإنها تلعب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن ٣٩
- فإنني أحكم بما في التوراة ٩٤٧
- فإنني أهملت بالحج والعمرة جميعاً ٧٤٩
- فإنني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ٢٦٥
- فإنني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى ٥٦٥
- فإنني لأعطي رجلاً حديثي عهد بكفر آتلفهم، أما ١٨٢
- فإنني محمد رسول الله ٤٥٠
- فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ٣٨١
- فأوحى الله إليّ إنما هي دنيا اعطوها ١٣٠٧
- فأي بلد هذا؟ ٧٨٧، ٧٨٣
- فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا ٤٥٧
- فأي شهر هذا؟ ٧٨٧، ٧٨٣
- فأين؟ ٥٧٥
- فأين أبو بكر؟ بأبي الله ذلك والمسلمون، بأبي ٨٠١
- فأين أنت من ذلك يا سعد؟ ٦٨٣
- فأين جابر ٥٥٨
- فأين درعك الخطيئة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ ٥١٨
- فأين درعك الخطيئة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ ١١٨٢
- فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل تحت أسكفة ١٠٠٤
- فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل وقلت لها: ٤٩٧
- فبدرهمين ٥٥٨
- فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطيخ ٦٦
- فبم تقرأ التوراة والإنجيل، أتدعني نبياً؟ ٣٥١
- فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة ٢٦٠
- فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت ٣٧١
- فبينما هم كذلك إذ أطلع عليهم ربك، الطلحة، فقال ٥٤٠
- فتجمعولن لله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ٤٢٧
- فتجلى لي كل شيء وعرفت ٩٩٣
- فتح اليوم من ردم بأجور وما أجور مثل ٢٥٠
- فتح اليوم من ردم بأجور وما أجور مثل هذه ٢٥٠
- فتحت الروم ٥٦٤
- فتحت فارس ٥٦٤
- فترك نديها وأقبل على الأمّة قال: اللهم اجعلني ٢٦٢
- فترك نديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا ٢٦٢
- فتمنع بها ٨٤٤
- الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ١١٦٣
- فنجى بها ٩١١
- فنجاني جبريل وأنا نائم بمنظر من ديباج ٣٦٥
- فنجاني جبريل وأنا نائم بمنظر من ديباج فيه ٣٦٩
- فنجحد ٦٨
- فنجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل ٣٦
- فجعل ينكت بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا ١٢٧٧
- فجعلت أخبرهم عن آياته فالتبس عليّ بعض الشيء، ٤١٥
- فنجح آدم موسى ٦٦، ٦٥
- فنجح آدم موسى، فنجح آدم موسى ٦٦، ٦٥
- فنجح آدم موسى، فنجح آدم موسى ٦٥
- فنجحه آدم ٦٦
- فمحطه ٧٠
- فخذها، ومرايتك أن تخمس هذا العود في القارورة ٨٧٤
- فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً ٣٦٩
- فذلك أبي وأمي ١٢٢٦
- فذلكي على رجل أؤمره عليكم ٧٢٧
- فذلك حين ترجعنا الحديث. فقالت: حلقي مر الراكب ٢٦٢
- فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بغى منهم: ٢٦٢
- فذلك إلى سعد بن معاذ ٥٧٤
- فذلك حين يلکزه الشيطان بحضنه ٢٢٢
- فر من المجنون فراراً من الأسد ٨٦١
- فرجعت مهموماً فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ٤١٥
- فرس له جناحان؟ ٢٠٦
- فرغت؟ ٣٩١، ١٣٤٥
- فرغها في أعلى القنينة ولا تمنع الناس فضولها ٣٦٢
- فرغوا لها عكبتها ٩١٣
- فروع ابن الحداد ١٨٢٨
- فزت ٥٥٢
- الفرع الفرع ٥٨٧
- فستجدون أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ٦٨٢
- فسمّيته ٥٥٨
- فسمي هذا اليوم يوم جيرون ١٢٩٩
- فشمه شمة قبض روحه ١٨٤
- فصادفته يمشي قال: يارب أمي وصلاتي فاختر صلاته ٢٦٢
- فصلى وراءه رجالاً قياماً ٦٠٢
- ففضل شيء؟ ٨٨٩
- فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ٤٩
- فضلت على الناس بشدة البطش ٨٩٢
- فضلنا على الناس بثلاث: جعلت لنا الأرض مسجداً ٤٤
- الفطرة خمس: الحتان والاستحذاد وقص الشارب وتقليم ١١١
- فنعصا وأسلم ٥٧
- فنعصا وجاهد ٥٧
- فعل بي هؤلاء وفعلوا ٩٢٢
- فعليكم عهد الله لنن أنا حدثكم لتباني ٩٤٦
- فمن معادن العرب تسالوني: خيارهم في الجاهلية ١١٠
- ففظني ٣٦٧
- ففتح الله عليهم ٦٣٣
- فقال آدم: وأنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ٦٥
- فقال لي جبريل: هديت وهديت أمتك ٤١٣
- فقام فصلى ودعا ثم انصرف إلى الغلام فطمع بأصبعه ٢٦٢
- فقرأ المهاجرين ٩٤٦
- فقم حتى أصارك ٤١٠
- فقفروا إصاحكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيريه ٥٠٤
- فقولوا ما بدا لكم، فأنتم في حل من ذلك ٥٢١
- فكان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم ٦٧
- فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تحبب حتى ٥١٣
- فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابين ٢٦٠
- فكوت في الخلق فوجدت من لم يخلق أعبط عندي من ٢٣٨
- فكلوا ما بقي من لحمها ٥٩٧
- فكونا بنم الشعب من الرادي ٥٥٧
- فكيف بك إذا قتلت وأنت ظالم له؟ ٩٦٤، ١١٣٥
- فكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كان الأولى منها ٩٥٦
- فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب ٦٤

- فكيف قلت؟ ٦٨٩
فكيف النعمة؟ ٤٢٧
فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن عمداً يقتل أصحابه ٥٩٠
فلا تفضه وإن كنت تحبه فازدد له حباً فولاذي ١١٨٣، ٧٣٧
فلا تحل ٧٥٨
فلا تفعل، به يا أبا يعنیه ٩٣٠
فلا تفعل إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الصلاة ٨٧٣
فلذلك سعى الناس بينهم ١٠٣
فلعل لصاحبك عند الله أفضل من ملك سليمان إن ٧٢٨
فلعلك شريته؟ ١٣٤١، ١٣٤٥
فلقي الله فتجاوز عنه ٢٦٧
فلله الحمد ٤٦٧
فلم غللتها؟ ٨٠١
فلما حانت الصلاة: أعنتهم ٤١٤
فلو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبي ٨١
فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند ١٨٣
فلو كنت ثم لأريتكم قبره عند الكعب الأخر ١٨٤
فليلعب الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً ٧٨٣
فليشوا آخر يومهم ٨٥٠
فليهد إليه زينا يسرج فيه، فإنه من أهدى له كان ٨٤٨
فما أردت بذلك؟ ٦١٥
فما اسم كليك؟ ٣٦٢
فما أسى إذا؟ كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت ٦٦٠
فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منك على أن تستعملوا ٣٨٣
فما أنساه بمكاظ في الشهر الحرام وهو على جمل ٣٠٩
فما أول ما ترخصتم أمر الله عز وجل؟ ٩٤٧
فما بال السيف في عنقك ٥٠٤
فما بال هذا الحرير في أعتاقتكم! ٧٢٢
فما بقرها؟ ٩٣٠
فما بلغ من صبرك؟ ٢٢٠
فما بينك وبين إبليس إلا أبوان فكم أتى لك من ٧٣٣
فما ترى يا ابن الخطاب؟ ٩١٨
فما جاء بك يا عمر؟ ٥٠٤
فما سفت فيها؟ ٤٦٥
فما شأنه؟ ٩٣٠
فما فعل؟ ٣٠٩
فما فعل الغر السود الجعاد القصار ٦٩٨
فما فعلت الرحا؟ ٩٢٠
فما قلت له؟ ٦١٣
فما هذه الشاة ٤٥٠
فما هو إلا أن ولياً عني فكأنما أحايين الأمر معاينة ٣٣٠
فما بمنك أنت؟ ٣٥١
فما بمنكم أن تصدقوه؟ ٩٤٦
فما بمنكم أن تبجاني؟ ٩٤٦
فمنلت لما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما ٤١
فمررت بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن ١٢٧، ٧٣
فمسحه فذهب عنه فأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً ٢٦٤
فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب ٢٦٤
فمنيت غير بعيد فإذا الهاتف: يا رسول الله، ٩٣٤
فمن؟ ٢٦٨
فمن استطاع ٥٥، ٢٠٨
- فمن أشقى الآخرين؟ ١١٧٣
فمن أنا يا صيب؟ ٩٣٤
فمن البكر؟ ٤٢٣
فمن حدث؟ ٧٣٤
فمن عمل هذه الأصنام: التي تمبدون؟ ٤٣١
فمن فعل ذلك منهم كان حقاً على الله أن يدخله ٥٧
فمن فيهم من أشراف قريش ٤٨٢
فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من ١١٨٥
فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم وال من ٧٩٢
فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه ١١٨٤
فمن لك يا أسامة بلا إلا الله ٦٢٠
فمه ١٤٣
فمعدك غداً ٣٠٧
فماذا من نحتها ٢٢٦
فمرديت: أن يا محمد قد كملت فريضتي وخففت عن ٩٩٤
فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد ٧٩٠
فهو بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن ٩٧٦
فهو بها من أين؟ ٤٥٠
فهو عند قومك من منعة؟ ٤٣٠
فهو لك في خير من ذلك؟ ٥٩١
فهو لكم إلى خير؟ ٤٢٧
فهو من شاة لم يزر عليها الفحل؟ ٩١٢
فهو منكم مني شيء غير ذلك؟ ٤٢٤
فهو سلمتم ٧٣٢
فهو في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالا ولم ٨٤٦
فهو في الوزر سواء ٨٤٦
فهو المرة وهو الحق الذي هو الصرع ونفخه ٥٣
فهو اليوم إذا يتيك يتيك خمرة ٥٤١
فهو لك ٥٥٨
فهو لك ٦٤٦
فوا بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم، فإن الله ٢٧٧
فوا بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله ٩٥٧
فوالذي نفسي بيده ليشن الله هذا الأمر حتى ٧١٩
فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثاً ثم قال علي: ١١٦٠
في أذنه ٥٤
في أصحابي اثنا عشر مناقفا منهم ثمانية لا يدخلون ٦٩٩
في الي لم يرنع منها ٤٢٣
في تقيض كذاب ومبير ١٣٩٨
في الجنة ٥٣١
في الجنة شجرة - أو ما في الجنة شجرة - شك علي ١١٢٠
في خمس عشرة ١٠٥٦
في ذلك خير كثير ٤٦١
في الرقيق الأعلى، في الرقيق الأعلى ٨٠٥
في سبيل الله ٩٤٤، ١١٨٣
في الظلمة دون الجسر ٩٤٦
في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كادكم ٣٣
في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال: منها كلمة ١٠١
في مشكاة الأنوار ١٦٩٤
في النار ٣٣٢
في نار الله الحامية لولا ما نزعها ٢٤٨
فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك ٧٧

- ١٥٠٠ فيزم بأربع كلمات. رزقه واجله، وعمله، وشقي أم.....
- ١٠١٠ فيروز فاز فيروز.....
- ٥٦ فيسع الكلمة فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها.....
- ١٧١ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مُلك من.....
- ٤٦ فيقول الله له أنت خلق من خلقي خلقتك لما أودت.....
- ٦٨٢ فيكم أحد من غيركم؟.....
- ٩٨٠ فيكم النبوة وفيكم الملك.....
- ٥٧٦ فيلة.....
- ٦٨٣ فيهم؟.....
- ٢٤٤ فيمكت أربعين سنة. ثم توفي ويصلي عليه المسلمون.....
- ٢٤٤ فيمكت في الأرض أربعين سنة.....
- ١٤١٢ فيزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق.....
- ٩١١ فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس.....
- ٩٦٢ فيهن ثلاث لا يذنن شيئا منهن كبراح الصيف منها.....
- ١١٠ فيرفس نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله.....
- ٨٠٤ قاتل الله اليهود والنصارى اغتدوا قبور أنبيائهم.....
- ٤٩٣ قاتل يهنا يا عكاشة.....
- ١١٧٤ قاتلك.....
- ٦٥٧ قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما.....
- ١٠٩ قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يستقسم بها.....
- ٦٥٧ قاتلهم الله لقد علموا ما استقسم بها قط.....
- ١٠٩ قاتلهم الله والله إن يستقسم بالأزلام قط.....
- ٦٠٣ قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً.....
- ٦٤ قال آدم عليه السلام: أرايت يا رب إن تبت ورجعت.....
- ٩١٤ قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله.....
- ١٨٩ قال اخي موسى يا وب ذكر كلمته فأنه الحضر وهو.....
- ٢١٤ قال أعلم أن الله على كل شيء قدير.....
- ٥٩٧ قال الله تعالى: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر.....
- ١٨٧ قال الله لنبي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا.....
- ٣٩ قال الله: يذنبني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر.....
- ٩٩٧ قال جبريل: قال الله: إذا ذكرتُ ذكرتُ.....
- ٤٢ قال ربكم: لو أن عبيدي أطاعوني لأستقيتهم المطر.....
- ٢٠٨ قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة مائة امرأة.....
- ٢٠٨ قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة.....
- ٢٠٨ قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة.....
- ١١٧٩ قال علي: فما رمدت بعد يومئذ.....
- ٢٥٨ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني إياك والتفنع.....
- ١٨٤ قال له: اذهب إلى عبيدي. قل له فليضع يده على.....
- ٣٢١ قال لي جبريل: قلبت الأرض مشارفها ومغاربها فلم.....
- ١٦٢ قال لي جبريل: لو رأيتني وأنا أخذ من حال البحر.....
- ١٦١ قال لي جبريل: لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر.....
- ١٦٢ قال لي جبريل: يا محمد لو رأيتني وأنا أعطه وأدس.....
- ٩٦١ قال: عا بني.....
- ٦٦ قال موسى عليه السلام: يا رب أرنا آدم الذي أخرجتنا.....
- ١٧١ قال موسى: يارب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به.....
- ٢٠٣ قالت أم سليمان بن داود: يا بني لا تكثر الترم.....
- ٥٥ قالت عائشة: سألت النبي ﷺ عن الثغاف الرجل في.....
- ١١٦١ قتل علي شيطان الرعدة.....
- ١٠١٠ قُتل المنسي البارحة قتله رجلٌ مبارك من أهل.....
- ٦٧٣ قتل اليوم سيد شباب قتيب إلا ما كان من ابن هنيلة.....
- ١٠٨٠ قتلك الله وحرملك الشهادة.....
- ٥٥٠ قد آمنتك فاذنب حيث شئت أخرير لك من ذلك؟.....
- ٦٨٦ قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع.....
- ١٤٦٨ قد أخذتم الوليد حناناً غيروا اسمه، فإنه سيكون.....
- ٧١٨ قد أجبتك.....
- ٦٥٦ قد أجرنا من أجرت وأمانت من أمنت فلا يقتلها.....
- ٦٥٦، ٦٤٧ قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ.....
- ٥٥٨ قد أخذته بدرهم.....
- ٧٠٨ قد أذنت لحطيتكم قليلاً.....
- ٦٩١، ٥٧٣ قد أذنت لك.....
- ٧٨٤ قد أذهب الله الحرج إلا رجلاً اقترض امرأة مسلماً.....
- ٥٩٦ قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.....
- ٤٤٠ قد أريت دار محترمتك، أريت سبخة ذات غلل بين لابتيين.....
- ٧٦ قد أفلح المؤمنون.....
- ١١٥٤ قد أنلع من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه.....
- ٥٠٣ قد أكرنا الله بشعة خير من تحيتك يا عمير بالسلام.....
- ٦٥٦ قد انتظرتك أن توفي بتركك.....
- ٦٤٦ قد أهديت إلى النجاشي أراقي من مسك وحلة واني.....
- ٦٦٨ قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها.....
- ٩٧٨ قد جعلتم تسمون بأسماء فراعتمكم، إنه سيكون في.....
- ٥٧٣ قد حدثت لأبي لباية أمر، ما كان عليه.....
- ٨١٢ قد دنا الأجل، والمقلب إلى الله والسفرة المتهى.....
- ٨١١ قد دنا الفراق.....
- ١١٠١ قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حياً.....
- ٢٥٠ قد رأيتك.....
- ٣٦٨ قد رأيتك فرائيت عليه ثياب يابض فاحب.....
- ٨٩٤، ٣١٣ قد رأيتك في الجنة يسحب ذيولاً.....
- ٧٣٠ قد رضيت.....
- ٥١٨ قد زوجتكها فابست إليها بها فاستحلها بها.....
- ٤٦٧ قد سبقك بذلك الوحي.....
- ١١٠ قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله.....
- ٩٣٥ قد سميتك يعقوراء يا يعقور.....
- ٨٣٣ قد عذت بمعاذ.....
- ٦٥٨ قد علمت الذي قلتم.....
- ٣٦٧ قد غثي.....
- ٩١٩ قد فرغ الرضوء.....
- ٨٣٥، ٥٩١ قد فعلت.....
- ٧١٩ قد فعلت فلا تعجلي بمخرجي حتى تجدي من قومك من.....
- ٩١٣ قد فعلت، قد جاءت بها.....
- ٨٨٥ قد فعلنا قد فعلنا.....
- ٦٦٨ قد فقدنا من أدرأعك أدرأع فهل نفرم لك؟.....
- ٦٩٩، ٢٩٠ قد قد.....
- ٦٧٩ قد قلته.....
- ٨٠٠ قد كان لي منكم أخوة وأصدقاء، واني أبرأ إلى كل.....
- ٣٩٠ قد كان من كان قبلك لم يمشط بأمشاط الحديد.....
- ٦٦٧ قد كنت ضالاً فهذاك الله.....
- ٤٣٥ قد كنت على قبلة لو صبرت عليها.....
- ٤٧٠ قد مات اليوم عظيم من عظماء المناقبين.....
- ٧٥٨ قد نحررت ههنا ومنى كلها منحر.....
- ٧٠٥ قد نهيتك عن حب يهود.....
- ٤٠٠ قد هلك الله يا عمر.....
- ٩٣٥ قد وصفت ناقك، فاصف مالك عند الله يوم القيامة.....

- قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضاهم ١٥٨٤
 قُرِّيَ في بيتك فإن الله يرضك الشهادة ٩٥٩
 قريش ولأمة هذا الأمر، ثُبر الناس تُثبِّح ليرهم ٨٠٩
 قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطي علي تسمية والناس ١١٩١
 القضاء ثلاثة، اثنان في النار وواحد في الجنة ١٤٦٠
 قضيت بحكم الله ٥٧٤
 قضيت بحكم الملك ٥٧٤
 قطع صلاتنا قطع الله أثره ٦٩٦
 قف مكانك لا تترك أحداً يلحق بنا ٤٥٣
 قفوا ٦٠٢
 قل ٦١٧، ٥٢١
 قل اللهم اهني لي من هديت، وعافني فيمن عافيت ١٩١٢
 قل أيها الناس إن رسول الله يقول: هل تدرون ٧٧١
 قل عري مشابهاً مثله ٦٠٢
 قل لا يفضض الله فاك ٣٢١، ٧٠٢
 قل لم إن الله قد حرم عليكم مدامكم وأموالكم ٧٧١
 قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال أو أخ ١٤٥٢
 قل: نعم هو بيتنا وبيتك موحد ٥٣٦
 قلت لأبي أخضب رسول الله ﷺ؟ قال: إنه لم ير ٨٧١
 قلت لعمامة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله ٨٨٤
 قلت لهند: أترين هذا من الله؟ قالت: نعم هذا ٦٥٨
 قلت: وعلى أي شيء ملك الموت ٤٥
 قلت: يا جبريل وعلى أي شيء أنت؟ ٤٥
 قلت: يا رسول الله أي الظلم أعظم قال: فزاع ٣٣
 قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى ١٦٤
 القلوب أربعة فخيرها أوعاها ١٣٦٦
 القلوب بين إصبعين من أصابع الله، وإن الله ١٦٠٦
 قليل ما ييقن ٩٢٧
 قم ٥٧١
 قم أبا تراب قم أبا تراب ٤٧٣
 قم إليه اللهم أمته عليه ٦٠٥
 قم فاجب الرجل في خطبته ٧٠٩
 قم فاعطهم ٩٢٢
 قم يا بلال ٦٧١
 قم يا حسان فاجب الرجل فيما قال ٧٠٩
 قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي ٤٨٥
 قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث ٤٨٧
 قم يا عمر فاجبه قتل: الله أعلى وأجل، لا ٥٣٦
 قم يا فلان فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع ٦٥٥
 قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ٦٠٥
 قم يا نوثان ٥٧١
 قمن قاتصرفن ٦١٢
 فه ٥٣
 القها فارجمها لا ترى ما بأخيها ٥٣٨
 قوائم منبري ورواتب في الجنة ٩٢٦
 القوس ١٥٨٩
 قولوا: الله أعلى وأجل ٥٣٧، ٥٣٠
 قولوا: الله أعلي وأجل ٥٣٠
 قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم ٥٣٧، ٥٣٠
 قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما ١١١
 قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله ٤٥
- قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ٨٩٠
 قولوا: نستغفر الله وتوب إليه ٥٩٤
 قوم يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم ١١٦١
 القوم ألف، كل جزور مائة وتبعها ٤٨٧
 القوم ما بين التسعمائة إلى الألف ٤٩٨، ٤٨٢
 قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز ١١٥٩
 قوم يستنون بغير سني، ويهدون بغير هدي، تعرف ٩٧٦
 قوم يقرؤون القرآن باستهم لا يعدو تراقيهم يرفون ١١٦٣
 قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم تنكر ٩٥٤
 قوموا ٩٢٨، ٩١٥، ٩١٤، ٧٩٩، ٥٦٣
 قوموا إلى جابر ٥٦٣
 قوموا إلى جنة عرشها السموات والأرض ٤٨٧
 قوموا إلى سيدكم ٥٧٤
 قوموا إلى سيدكم فازلوه ٥٧٥
 قوموا عني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه ٨١١
 قوموا فاخرجوا ثم احلقوا ٥٩٩
 قوموا لسيديكم. أو: خيركم ٥٧٤
 قوموا معنا ٩٢٩
 قوموا وليدخل عشرة مكانكم ٩١٤
 قوماً ٨٤٣
 قيل لأنس: هل كان شاب رسول الله ﷺ؟ فقال: ما ٨٧١
 قيل لبي إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ١٨٧
 القينا في الرحمة في هذا المكان فآخبرتنا ما فعل ٩٣٠
 كاتب يا سلمان ٣٤٦
 كافر - أو قال: جاحد موق ٧١٤
 كان آدم لم يجمع امرأته في الجنة حتى هبط منها ٦٤
 كان إبراهيم أول من تسروا وأول من فرق وأول من ١١٢
 كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلوى الباردة ٨٨٨
 كان أحد أبوي بلقيس جنباً ٢٠٤
 كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ٣١
 كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ٢٧
 كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ ٢٧
 كان أهل بيت من الانتصار لهم جل يسترون عليه وأنه ٩٢٨
 كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ٧٥
 كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستاذن أبو بكر فأذن ١١١٩
 كان جبريل يتعبد في صومته ٢٦٢
 كان جنح الليل فكفوا صياحتكم لأن الشياطين تتشر ٥٤
 كان الحسين جالساً في حجر النبي ﷺ فقال جبريل: ٩٧٣
 كان داود النبي عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان ٢٠٢
 كان رجل يدين الناس فكان يقول لفتاه إذا آتيت ٢٦٧
 كان رسول الله ﷺ إذا صاح أو صافحه الرجل لا يتزع ٨٨١
 كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين أهدب ٨٦٨
 كان رسول الله ﷺ نائماً واضماً رأسه على فخذه ١٤٨٧
 كان رسول الله ﷺ يأتي بيت أم سليم فينام على ٨٧٤
 كان رسول الله ﷺ يحب مواقة أهل الكتاب فيما ٨٧١
 كان رسول الله ﷺ ينظف فجاء الحسن والحسين وعليهما ١٢٠٩
 كان زكريا نجاراً ٢١٧
 كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى ٢٠٨
 كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجملة ٨٧١
 كان طول آدم ستين ذراعاً في سبع أذرع عرضاً ٦٨
 كان عشاراً ظلوماً فمسحه الله شهاباً ٤١

- ٢٣٣ كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان
- ٨٦٢ كان نصه منه
- ٢٦٦ كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة، فصنت رجلين
- ٢٦٥ كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً
- ٦٦٣ كان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج. كان يتعبد
- ٢٧ كأن في عشاء ما فوَّقهَ هؤلاء وما
- ٨٤ كان في وصية نوح لابنه: أوصيك بمحصلتين وأهلك
- ٢٧١ كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف
- ٤٠٩ كأن فيمن كان قبلكم رجلٌ بوجرحٍ فجزع
- ١٣٨ كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله
- ٩٣٣ كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله
- ٢٦٠ كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر
- ١٨٤ كان ملك الموت يأتي الناس عياناً قال: تأتي موسى
- ٨٨١ كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال
- ٨٨٠ كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها
- ١٢٠٠ كان النبي ﷺ يحدثننا يوماً والحسن بن علي في حجره
- ٢٧٧ كان هذا الأمر في حجر. فزعه الله منهم فجعله
- ١٣٥٢ كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة
- ٥٧٨ كان يقصر في بعض الطهور من البول
- ٩٩ كان ينفع على إبراهيم
- ١١٣ كانت امرأة من دوس يقال لها: أم شريك، أسلمت في
- ٩٥٧، ٢٧٢ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما ملك نبي
- ٩٢٤ كانت نبيكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها
- ٣٢٩ كانت حاضني من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن
- ٦٤٧ كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد وي زيد
- ٨٨٢ كأنهم علموا أنا نحب اللحم
- ٩٤١ كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عُرض هذه الجبال
- ١٢٧٦ كأنني أنظر إلى كلب أبتع في دماء أهل بيبي
- ٤٨٦ كأنني أنظر إلى مصارع القوم عشية
- ١٨٣ كأنني أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية وله جزار
- ١٨٣ كأنني أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حراء عليه
- ٩٥٦، ١٠٥٨ كأنني بك وقد لبست سواربي كسرى
- ٤٩٠ كأنني بك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟
- ٧٩٠ كأنني قد دعيت فاجبت، إنني قد تركت فيكم التفلين
- ٧٣ كثرت الملائكة على آدم أربعاً، وكبر أبو بكر
- ٢٧ كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ
- ٧٦٥ كتب عليكم السعي فاسمعوا
- ٥٦٣ كثير طيب، قل لها لا تتزعج الرمة ولا الخبز من
- ٦٠٤ كذب أولئك بل له الأجر مرتين
- ٦٥٢ كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم
- ٦٥٣ كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة،
- ١١٨٨ كذب من زعم أنه يعني ويغضك
- ٦٠٢ كذب من قاله إن له لأجرين - رجوع بين إصبعيه -
- ٦٧٨ كذبت بل قلت لم كذا وكذا
- ٦١٥ كذبت رؤياك
- ٥٩٧ كذبت لا يدخلها، شهد بدرًا والحديبية
- ٥١١ كذبت: لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية
- ٦١٤ كذبتهم بل أبوكم فلان
- ٦٩٣ كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاعلفني
- ٩٤٤ كذلك إن شاء الله
- ٥٢٨ كذلك غسلته الملائكة
- ٨٠٣ كذلك والذي نفسي بيده تفعلون كفعل فارس والروم،
- ٣٠ الكرسي تحت العرش
- ١٢٤، ١١١ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
- ٩٥٣، ٧٢٠ كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل
- ١٤٤٧ الكسفي
- ١٧٩٠ كشف الأسرار وهتك الأسرار
- ٨١٧ كنفوني في ثيابي هذه، أو في عتي أو بياض مصر
- ٦٥٩ كفوا السلاح
- ٦٥٩ كفوا السلاح إلا خراعة عن بني بكر
- ٤٣ كقلال هجر وإذا رزقها كآذان الفيلة وإذا يخرج
- ٩٢١ كل
- ٢١٨ كل ابن آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان
- ٥٥ كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين
- ٢٢٢ كل إنسان تلده أمه بلكزة الشيطان بحضنه إلا ما
- ٢٢٢ كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا
- ٩٤٤ كل يمينك
- ٦١١ كل تمر خير هكذا؟
- ٨٦٠ كل ثقة بالله، وتوكل عليه
- ١٠٦٤ كل سب ونسب فانه يقطع يوم القيامة إلا سبي
- ٢٢١ كل غلام رهينة بقيته تدب عنه يوم سابه ويسى
- ٤٥٤ كل فاني أناحي من لا تانحي
- ٧٣٤ كل مسكر حرام
- ٤٠٣ كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو
- ٤٣٠ كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار
- ٢٢٢ كل مولود من بني آدم بمسه الشيطان بأصبعه إلا
- ٥٧٨ كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ
- ٩٦٣ كلا إن مجيئكم القتل
- ٨٤٤، ٦١٨، ٦١٦ كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم
- ٦١٤ كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم
- ٣٧٠ كلا والله إنه لأجبريل
- ٤٩٢ كلا كما قلته
- ٢٦٧ كلا كما حسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا
- ٨٨٥ كلك
- ٩٩٨ كلكم اتنى على ربه، وأنا متنى على ربي، الحمد
- ١٨٧٩ كلكم حارث، وكلكم همام
- ٣٥ كلّم الله هذا البحر الغربي وكلّم البحر
- ٥١ كلّم عظم ذكر اسم الله عليه تجوده أوفر ما يكون
- ٦٤ الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك
- ١٠٢٠ كلمات علمتهن جبريل تسبحان الله في دير كل
- ٩٨١، ١٠٢ كلهم من قريش
- ٩١٤، ٣٤٦ كلوا
- ٩٢٠، ٩١٤، ٦١٥، ٣٨١ كلوا بسم الله
- ٢٣٩ كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح واخرجوا
- ٩١٥ كلوا من بين أصابعي
- ٩١٣ كلوا ولا تكيلوا
- ٥٦٣ كلي هنا وأهدي، فإن الناس أصابهم مجاعة
- ٩١٥ كلي وأطعمي جيرانك
- ٥٦٣ كلي وأهدي
- ٦٢١ كم اصدقت؟
- ٦٩٥ كم جات حديثك؟
- ٤٨٧، ٤٨١ كم القوم؟

- كم هو؟ ٥٦٣
 كم ينحرون كل يوم؟ ٤٨٢
 كم ينحرون من الجزر؟ ٤٨٧
 كما أنت يا طلحة ٥٣٠
 كما ترك لكم الملوك الحكمة فكلذك فاتركوا لهم ٢٣٩
 كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية ٤٢٢، ٢٢٤
 كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث ٤٢٢، ٢٢٤
 كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ١٢٣٥
 كن أبا عيشة ٦٩٣
 كن أبا ذر ٦٩٣
 كن كابن آدم ٧١
 كن كخبر أبي آدم ٧١
 كن كذلك ٩٤٤
 كنا أربع عشرة مائة ٩٠٩
 كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأتينا على ركي ذمة ٩٠٩
 كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فاضاعت لي ١٢٨٧
 كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد فلما قام قمنا ٨٨١
 كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ: رسول الله خير ١١٨١
 كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر ٩٠٩
 كنت أطوف مع أبي الطفيل فقال: ما بقي أحد رأى ٨٦٨
 كنت أبطل على أعمامي ٣٣٦
 كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ٣٥٠، ٣٤٣
 كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح وقذف ٣٢٢
 كنتان ٨٢، ٨١
 كونوا تحت راية خالد بن الوليد ٩٣٥
 كيف ترون؟ ٤٨١
 كيف أصبحتم؟ ٩٢٧
 كيف أصنع وكيف أقول لقومي؟ ٣٧٠
 كيف أقرأ؟ ٣٦٩
 كيف أنت وزوجك؟ ٩٤٣
 كيف أنت وقتة تكون في أقطار الأرض؟ ١١٢٢
 كيف أنت وقوم كذا وكذا؟ ١١٥٩
 كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحتى جهته ٤٥
 كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحتى جهته ٨٩٠
 كيف ياحداكن تنبع عليها كلاب الحوآب ٩٦٤
 كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم ٦١٠
 كيف ترى جلك؟ ٩٤١
 كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلتك يوم قلت ٥٩١
 كيف ترون؟ ٤٨١
 كيف تصنع إن عرض لك فضاء؟ ٧٣٦
 كيف تصنعون في فتنة تور في أقطار الأرض كأنها ١١٢٢
 كيف يتكلم؟ ٥٩٢
 كيف رأيته يا عقيب، اقرأ بهما كلما نمت وكلما ٨٥٢
 كيف رأيته انتقلت من الرجل؟ ٨٨٥
 كيف رأيته؟ ١٠٨٣
 كيف صنعت؟ ٧٤٩
 كيف العدد؟ ٤٢٧
 كيف قال؟ ٦٨٣
 كيف قال يا أبا بكر؟ ٦٨٩
 كيف لا أخيه وهو ثمرة فزادي؟ ٩٧٣
 كيف المنعة؟ ٤٢٨
 كيف نكتب؟ ١١٥٣
 كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ٥٢٩
 كيف يفلح قوم شجروا نبيهم وكسروا رباعيته ٥٣٢
 كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم ٥٣٢، ٥٢٩
 لا ١١٨٠، ١١٥١، ١١٢١، ٢٧٤، ٣٧١، ٣٩١، ٤٦٥، ٤٩٣، ٤٩٧، ٥٤١، ٥٥٧، ٦١٥، ٦٤٨، ٧١٥، ٧١٦، ٧٢٧، ٨٤، ٨٤٧، ٨٨٣، ٩٣٦، ٩٦٦، ٩٦٩
 لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتي ٥٧١
 لا آمر أحداً أن يسجد لأحد ولو أمرت أحداً أن ٩٢٩
 لا أبالك خل بينه وبينه ٦٠٨
 لا أجد في نفسي قبل عما بدا لك ٧١٧
 لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يعملون ١٧٠٢، ٢٣٢
 لا أعزم حلالاً ولا أحل حراماً، وإن فاطمة ١٠٢٠
 لا أذري أتبع كان لينا أم لا ولا أذري ٢٤٦
 لا أذري ألحق نبي أم لا ولا أذري أكان عزيز ١٦٨
 لا أدعك تسبح عارضيك بمكة وتقول: خذعت ٥٤٠
 لا أدعك تسبح عارضيك، وتقول: خدعت محمداً مرتين ٥٠٣
 لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منة فهل أنت خرجي ٤٢٧
 لا أراه بالمعزوف ١٢٤٩
 لا ارملوا بالبيت ثلاثاً ٧٦٦
 لا استطعت ٩٤٤
 لا أشبع الله بطنه ٩٤٤، ١٢٤٧
 لا أعرفن بعدما أرى ترجعون كفاراً يضرب بعضكم ٧٨٤
 لا أعلم إلا ما قال علي ٧٣٨
 لا أنمل ٨٨٣
 لا أتبل هدية مشرك ٨٨٩
 لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي ٤٢٧
 لا، أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل ٦٩٩
 لا إلا بالمعروف ٦٦٥
 لا إلا من كان ظهوه حاضراً ٤٨٧
 لا ألبس أبدأ ٨٦٢
 لا إله إلا الله ٤٢٠
 لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ٨٠٥
 لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا ٢٨
 لا إله إلا الله محمد رسول الله ٤٦
 لا إله إلا الله وحده أعز جنته ونصر ٥٦٩
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونصر عبده ٥٧١
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ٦٥٧
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله ٧٦٥، ٧٨٩، ٧٧٢
 لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد ٥٧٢
 لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، ٢٥٠
 لا أمل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ٩٦٢
 لا أنالها والله شفاعي يوم القيامة ١١٤٩
 لا أنسي وكنا مستضعفين مستأجرين بمكة، فلما ٧٠٤
 لا إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين ٢٩٠
 لا إنما وجدت ذلك الشجرة، جعل الله روعي فيها ٢٢٠
 لا إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ٣٠٣
 لا أولئك عتقاء الله ٦٧٨

- لا إياك وإياها فإنما تلك حرق النار ٧١١
- لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأعمد، مع ٨٠٥
- لا بل استأني بهم ٣٨٧
- لا بل أنتم المكارون ٦٢٣
- لا بل أنتم المكارون أنا فتكم وأنا فة المسلمين ٦٢٢
- لا بل بعينه ٩٢٩
- لا، بل عارية ٦٦٨
- لا، بل للابد ٧٦٨
- لا بل من عند الله ٧٠١
- لا تبرؤوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرؤوا ٥٣٠
- لا تبغضه فإن له في الحسن أكثر من ذلك ٧٣٦
- لا تبغضه وأبغضه فإن له في الحسن أكثر من ذلك ١١٨٣
- لا تبك يا معاذ للبكاء أوان، البكاء من الشيطان ٧٣٥
- لا تبرأوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي ٦٣٤
- لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ٤١٩
- لا تبكيه أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله ٥٣٤
- لا تتردى نراهما ١٠٢٨
- لا تتركوا من درهما ٥١١
- لا تحبي نفس على أخرى ٧٨٤
- لا تحبوه ٥٣٠
- لا تحمدت شيئا حتى تأتي ٥٧٠
- لا تحمدنا شيئا حتى أتیکما ١١٨٢
- لا تحزن إن الله معنا ٤٤٨، ٤٤٥
- لا تحتلفا ٦٤٤
- لا تخوفوا فإنما هبت موت عظيم من عظماء الكفار ٥٩١
- لا تخبروني على موسى ١٦٧
- لا تخبروني من بين الأنبياء ١٦٧
- لا تخبروني من بين الأنبياء فإن الناس يصمقون ١٦٧
- لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال ٤٨
- لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو تمثال ٤٨
- لا تدخلوا على هؤلاء القوم الملعنين إلا أن تكونوا ٩٥
- لا تدخلوا على هؤلاء الملعنين إلا أن تكونوا بأكف ٦٩٤
- لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا ٦٩٤
- لا تدبروه إن أكتفه حتى انظر إليه ٨٣٩
- لا تدعهم علي ٥٧١
- لا تذهب الأيام والليالي حتى تجتمع هذه الأمة ٩٦٨
- لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه ٩٦٨
- لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية ١٢٥٢
- لا تذهب الدنيا حتى يصير اللعك ابن لعك ٩٧٥
- لا ترضعهم إلى الليل ٤٤٧
- لا تزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم ٩٨٥، ٨٩٨
- لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها، ظاهرة على ٩٨١
- لا تسألني باللات والزمزى. فوالله ما أبغضت شيئا ٣٣٣
- لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما ٣٣٥
- لا تسألوا الآيات فقد سالها قوم صالح فكانت - ٩٤
- لا تسألوا الآيات، فقد سالها قوم صالح فكانت ترد ٦٩٥
- لا تسبوا أسد الحميري فإنه أول من كسا الكعبة ٢٨١
- لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو اتفق أحدكم ١١٠١
- لا تسبوا تيماً فإنه قد كان أسلم ٢٨١
- لا تسبوا قريشاً فإن عالمها ملاً الأرض علماً ٩٨٣
- لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة ٣٦٨
- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٤٦١
- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ٤٦١، ٨٦
- لا تشد الرحال بالسفر الطويل إلى مسجد معين من ٨٥
- لا تشدوا الرحال ٨٦
- لا تشربوا من مائها شيئا ولا توضؤوا منه للصلاة ٦٩٥
- لا تشربوا من مياهها شيئا، ولا توضؤوا منه للصلاة ٦٩٤
- لا تشرك بالله شيئا، وإن قتلت وحرقت، ولا تغف ٧٣٥
- لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت بالنار ٨٤٦
- لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ٩٤٦
- لا تصحب الملائكة رقة معهم جرس ٤٨
- لا تصحب الملائكة رقة معهم كلب أو جرس ٤٨
- لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا ٢٦١
- لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا إليها ١٠٢٩
- لا تضرك الفتنة ٩١٣
- لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء ٦١٩
- لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما ٨٨٤
- لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما ٢٤٣
- لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم، فإنما أنا ٨٠٨
- لا تمجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً ٤٤٤
- لا تمجل لعل الله يجعل لك صاحباً ٤٤٣
- لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة ٦٥٩
- لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم ٦٣٤
- لا تغروا من الزحف ٩٤٦
- لا تغريب في النوم، إنما التغريب في البقعة، فإذا ٩١١
- لا تفضلوني على الأنبياء ١١١
- لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى ١٤٣
- لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصمقون يوم القيامة ١١١، ١٨١
- لا تفعل بجمع الدرهم ثم ابتع بالدرهم جنيهاً ٦١١
- لا تفعلوا ولكن اجعلوا لي من أزوادكم ٦٢٥
- لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول ٧١
- لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ٥٢٥
- لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي ١١٨٣
- لا تقل نكس الشيطان فإنك إذا قلت نكس الشيطان ٥٣
- لا تقل له كما قال لك، ولكن قل: غفر الله لك ٨٥١
- لا تقولن ذلك فإن فيهم قرعة عين وأجر إذا قبضوا ٧٢٣
- لا تقولن هذا لعلني فإن علياً وليكم بعدي ١١٨٣
- لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء ٩٨٤
- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا خوزاً وكرمان الأعاجم ٩٧٠
- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً عراض الوجوه ١٠٨٣
- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً كان رجوعهم ٩٧٠
- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً نالهم الشر ٩٧٠، ٩٦٩
- لا تقوم الساعة حتى تقتل ثنتان عظيمتان دعوامها ٩٦٥
- لا تقوم الساعة حتى تقتل ثنتان عظيمتان دعوتهما ١١٥٠
- لا تقوم الساعة حتى تقتل ثنتان عظيمتان يقتل ١١٥٠
- لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتهدوا بأسياكم ٩٦١
- لا تقوم الساعة حتى تكون الدنيا للكم بن لعك ٩٨١
- لا تقوم الساعة حتى يتحرك خيبر ١٥١٠
- لا تقوم الساعة حتى يتحرك خيبر أهل العراق إلى ٩٤٤
- لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ١٣٥٨
- لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم ٩٧٥
- لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من حطمان يسوق الناس ٢٧٦

- لا تكبروا عني شيئاً غير القرآن فمن كتب عني شيئاً ٢٦١
لا تكبروا أحداً على المسير معكم من أصحابك ٤٧٥
لا تكبروا مرضاكم على الطعام والشراب؛ فإن الله ٨٩١
لا تلعنوا فإنه يحب الله ورسوله ١٢٢٥، ٨٨٥
لا تمسك النار إلا تحلة القسم، ويول لك من الناس ١٣٤١
لا تمسك النار إلا تحلة القسم، ويول للناس ١٣٤١
لا تحسه ٣٣٥
لا تتخفوا من البنية يا هباب ولا ١٣٦٠
لا توحى فيوحى الله عليك، ولا توكي فيوكي الله ٨٨٣
لا تبتسما من الرزق ما تهزمت رؤوسكما، فإن الإنسان ٨٥٠
لا حاجة لنا فيهم ٥٢٥
لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ٦٥٠
لا حاجة لي فيه، اسقوني عما يشرب منه الناس ٧٨٢
لا حاجة لي فيها ٤٤٨
لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ٧١٥
لا حرج لا حرج ٧٨٤
لا حول ولا قوة إلا بالله ٦١٧
لا خير في الإمارة لرجل مؤمن ٧٢٧
لا خير في الإمارة لمسلم ٩١١
لا خير في جسده ولا في ثمنه ٥٦٧
لا خير فيه، نعلان أجادهما بهما في سبيل الله ٨٤٩
لا خير فيهم ٣٤٧
لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتمسقون في الدين ٦٨٥
لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر ١٥٣٤
لا سواء، أما قتلتنا فأصياه يوزنون وقتلاكم ٥٣٧
لا سيف إلا ذو الفقار ولا تفي إلا علي ١١٤٥، ١١٧٩
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ٢٢٤٨
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ١٢١٤
لا، طيبها الذي خلقها ٨٧٥
لا عدوى ولا طيرة ١٢٤١
لا عليك ٥٩٢
لا عليكم أن تفعلوا ٩٦٦
لا يعيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين ٤٦٠
لا فخر الله لك ٦٢٢
لا فخر أشد من الجهل، ولا مال أعز من العقل ١٢١١
لا، قبض الله أرواحنا ورحمنا إلينا، وقد صلبنا ٨٥٠
لا قطع في شر ولا كفر ١٦٦٨
لا لعله أن يكون يصلي ٧٣٨
لا ليصل للناس ابن أبي تحافة ٨٠١
لا، ما أنتم عليهم ودعوتهم الله لهم ٤٦٥
لا، ما أضاف منكم؟ ٥٥٧
لا منى منا من سبق ٧٨٥
لا نبرح حتى نناجز القوم ٥٩٥
لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ٧٢٣
لا نغديكموها حتى يقدم صاحبنا ٤٧٥
لا نقفوا أمنا، ولا ننهي من أينا نحن ولد النضر ٢٩٥
لا تكذب يا ابن خولة؟ ٩٥٦
لا نؤرت ٨٣٠، ٨٢٧
لا نؤرت ما تركنا صدقة ٨٢٧، ٨٢٩، ٨٢٨، ٨٣٠، ٨٢٧
لا نؤرت ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من ٨٢٧
لا نؤرت ما تركنا فهو صدقة ١٠٠٦، ١٠٢، ٢١٧، ٦١٢، ٨١٠
- لا نؤرت ما تركناه صدقة ٨٣٠
لا نؤرت ما تركنا فهو صدقة ١٠٢٠
لا هجرة ولكن جهاد ونية ٧٠٨
لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم ٦٦٥
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ٦٦٦
لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا ٦٦٥
لا خللك عليكم ٩١١
لا واستنفر الله ٨٨١
لا والذي اصطفى موسى على البشر ١٦٨
لا والله حتى تؤمن بالله وحده ٧١٥
لا والله لا تلذون منه دهرما ٤٩٧
لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت ٥٤٣
لا والله يا أبا موهبة، لقد اخترت لقاء ربي ٧٩٧
لا رجوع إلا وبيع العين ولا غم، إلا غم الدين ٩٠٤
لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ٥٨٩
لا ولكن ٣٧٢
لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت ٢٢٤
لا ولكن بعني ٥٥٨
لا ولكن جبريل جامني فقال: لا يؤدي عنك إلا أنت ١١٩٠، ٧٠٧
لا ولكن الحق بقومك، فإذا أخبرت أنني قد ٣٧٨
لا ولكن خاضف النمل ٩٦٧، ١١٩١
لا، ولكن الدنانير السبعة التي أتينا بها أمس ٨٨٩
لا ولكن لا يفرك ٧٠١
لا ولكن ما الثمن الذي ابتغيته به؟ ٤٤٨
لا ولكن الملائكة كانت تحملك ٥٧٨
لا ولكنه استسقى قلبه ١٢٨٤
لا ولكنه خاضف النمل ١١٦٤
لا ولكني أكرمه ٤٥٣
لا يأتي على الناس مائة سنة، وعلى الأرض عين تطرف ١٤٢٥
لا يأتي على الناس مائة عام وعلى ١٤٢٥
لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه ١٤٠٣
لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ٧٠٦
لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله، فإن الشيطان ٥٣
لا يبنضك مؤمن ولا يبك منافق ١١٨٨
لا يبي أحد في البيت إلا لد - وأنا أنظر إلا ٧٩٨
لا: لا يلغني أحد من أحد شيئاً، إني أحب أن أخرج ٨٨١
لا يلبس أحد من أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج ١٨١
لا يلبس أحد إلا أنا أو رجل من أهل بيتي ٧٠٧
لا يقدم أحد منكم لي شيء حتى أكون أنا أوله ٤٨٧
لا يتم إيمانكم حتى تأكلوه ٧٣٢
لا يمتن أحدكم الموت لضرب نزل به إما محسناً فيزداد ١٣٥
لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ٦١٩
لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان ٦١٩
لا يجزئني عيدي فإني أفضل ما شئت ٢٣٤
لا يجمع بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ١١٨٩
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى ١١٠٧
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ١٥١٨
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ١٦١٩، ١١١١
لا يحل لأحد يجيب في هذا المسجد هيري وغيره ١٦٥٩
لا يحل لمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ٦٠٦
لا يحل لمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد ١٣٤

- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصتان، تصعة. ١١٩٢
- لا يخرجكم إلا فراراً منه. ٢٦٧
- لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة. ٥٩٧
- لا يدخل الجنة شيخ زان، ولا مسكين مستكبر، ولا. ٨٤٤
- لا يدخل الجنة لعان. ١٣٧٥
- لا يدخل قبرها إلا من لم يقار أهله من هؤلاء. ٧٠٧
- لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا. ٤٨
- لا يدخلن علي إلا أنصاري - أو الأنصار. ٦٨١
- لا يدخلن عليكم. ٦٧٩
- لا يدخلن هؤلاء عليكن. ٦٧٨
- لا يدخله أحد قارف الليلة أهله. ٧٠٧
- لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه. ١١٨٠
- لا يرى القوم فيكم غمزة. ٦٢٥
- لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر. ٣٧٦
- لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن. ٦٥٤
- لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم. ٧٨٨
- لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في. ١٢٩١
- لا يزال أمر أمي قائماً بالقيسط حتى يثلمه رجل. ١٢٩٤
- لا يزال أمر أمي قائماً بالقيسط حتى يثلمه رجل. ١٢٩٤
- لا يزال أمر هذه الأمة قائماً بالقيسط حتى يكون. ١٢٩٤
- لا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى يكون فيهم. ١٤٣١
- لا يزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق لا يضرهم. ١٦٢٠
- لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان. ٩٨١
- لا يزال هذا الأمر قائماً. ١٠٢
- لا يزال هذا الأمر قائماً بالقيسط حتى يثلمه رجل. ١٤٦٨
- لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقيسط حتى يثلمه. ٩٧٢
- لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليهم اثنا. ٨٨١
- لا يزال هذا الدين قائماً ما كان اثنا عشر خليفة. ٩٥٦
- لا يزال هذا الدين قائماً ما كان في الناس اثنا. ٩٥٨
- لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله، إلا. ٥٩٩
- لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما. ٢٣٩
- لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد. ٩٢٨
- لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. ٥٦٩، ٥٧٢
- لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة. ١٠٦٦
- لا يصيب أحد حقيقة الإيمان حتى لا يبالي من أكل. ٢٣٨
- لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيترجع. ٥٦٠
- لا يصيب المشركون منا مثلهما حتى يفتح الله. ٥٤١
- لا يعصد شجرها. ١٩١٣
- لا يفرق بين الرائدة وولدها. ٨٤٣
- لا يفضض الله فاك. ٦٩٧
- لا يقلع قوم تملكهم امرأة. ٦٤٣
- لا يقلع قوم ولوا أمرهم امرأة. ٢٠٤
- لا يقتل أحد حتى نأمره بالقتال. ٥٢٥
- لا يقبض النبي إلا في أحب الأماكن إليه. ٨١٨
- لا ينقسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي. ٨٢٧، ٨٣٠
- لا ينقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد. ٨٢٧
- لا يقتل قرشي بعد اليوم صبراً إلى يوم القيامة. ١٣٤٧
- لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة. ٦٥٩
- لا يقضي عني ديني إلا أنا أو علي. ٧٩٢
- لا يقطع الأبطح إلا شداً. ٧٦٥
- لا يكد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع. ١٢٩١
- لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين. ٥٠٣، ٥٤٠
- لا يمسي أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري. ٥٦
- لا، يعني الله منك. ٥٥٧
- لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى. ٨٠٤
- لا ينبغي لأحد أن يفلسي على يونس بن متى. ١٤٣
- لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى. ١٤٣
- لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا عند الله خير من. ١٤٣
- لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر، ولو كان ذلك كان. ٩٣٠
- لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى. ١٤٣
- لا يظنقن مني إلا من شهد القتال. ٥٤١
- لا يورد معرض على مصح. ١٢٤١
- لا يمشي رجلاً لا يحزيه الله أبداً يحب الله. ١١٨٠
- لا يمشن فيكم أمينا حتى أمين. ٨٦٠
- لا يمشن معكم رجلاً أمينا حتى أمين. ٧١٣
- لا ترموا رجلاً كفاراً يضرب بعضكم بعضاً. ٧٨٤
- لا تمذّبوا بهذابو الله. ١٣٢٥
- لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء. ٢٠٣٧، ٢٠٣٩
- لا تترنلن برمتكم ولا تخبرنن عجينكم. ٥٦٣
- لا دفنن الرابة إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه. ١١٨٠
- لا دفنن لوائي غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه. ٦٠٤
- لا تستغفرون لك ما لم أنه عتك. ٤٢٠
- لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي. ٨٦٣
- لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحدة منهن. ٢٥٣
- لا طوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن. ٢٠٨
- لا عطفن الرابة رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله. ١١٨١، ١١٨٠
- لا عطفن الرابة غداً - أو ليأخذن الرابة غداً - ٦٠٣
- لا عطفن الرابة غداً رجلاً يحب الله ورسوله. ١١٨١
- لا عطفن الرابة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه. ١١٢٨، ١١٧٩، ٦٠٣
- لا عطفن الرابة غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويجب. ٦٠٤
- لا عطفن الرابة اليوم رجلاً يحب الله ورسوله. ٦٠٤
- لا عطفن هذه الرابة غداً رجلاً يفتح الله على. ٦٠٣
- لا عطفيها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله. ٦٠٤
- لا تلتكأ! ٥٢٩
- لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية. ٢٢٤
- لئن أتاني لأخرب ما فوق الغل من يده. ٧٣٠
- لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي. ٦٩٨
- لأن ترد على عقبها ما شاء الله، فأخترت لقاء. ٧٩٧
- لئن كنت أجذت الضرب يسيفك لقد أجاده. ٥٤١
- لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن. ٥٤١
- لئن كنت جددت القتال لقد صدقة منك. ٥٤١
- لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى ابن مريم. ٣٤٦
- لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم. ٣٤٦
- لأن يري أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو كلب، ٩٨٢
- لاجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد. ١١٠٨
- لا يتطع فيها عزتان. ٧٩٦
- لا ينقش أحد على خاتمي هذا. ٨٦٢
- ليكن اللهم حجاً وعمرة. ٧٥٦
- ليكن اللهم عمرة وحجاً. ٧٤٧
- ليكن اللهم ليك. ٧٤٣، ٧٥٧، ٧٧٧
- ليكن اللهم ليك. ليك لا شريك لك، إلا شريكاً. ٢٩٠
- ليكن اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن. ٧٥٦

- ليك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك، إن الحمد ٧٥٨، ٧٥٧، ٧٥٦
- ليك إله الحق ٧٥٧
- ليك إن العيش عيش الآخرة ٧٥٧
- ليك بمحج وعمرة وحج ٧٥٠
- ليك بمحجة وعمرة مما ٧٥٤
- ليك بمعمرة وحج ٧٥٠
- ليك بمعمرة وحجة مما ٧٥٠
- ليك عمرة وحجاً ٧٥١
- ليك عمرة وحجاً، ليك عمرة وحجاً ٧٥١، ٧٥٠
- لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم أرفعه جميعاً ٣٤١
- لتأخذوا عني مناسككم فلملي لا أحج بعد عامي هذا ٧٩٧
- لتأخذوا مناسككم فاني لا أدري لملي لا أحج بعد ٧٧٩
- لتسبح سنن من قبلكم شيراً وبشر وفراعاً بئراع ٢٦٨
- لتضعن عصاة من المسلمين كروز كسرى في القصر ٦٤٣
- لتضعن لكم الشام والروم وفارس - أو: الروم ٩٥٦
- لتقاتله وأنت ظالم له ١١٣٦، ٩٦٥
- لتكون لمن خلقك آية ١٦٢
- لزوم ما لا يلزم ١٨٢٥
- لست منهم ٩٦٢
- لشقت عليه ١٨٤
- لعل الله أن يبيش وجرحنا بعلام ١٣٢٣
- لعل الله أن يبرأ أعيانكم ١٣٢٣
- لعل روادك أحد يترى عليك؟ ٧١٤
- لملك أن عمر بقبري ومسجدي، فقد بشتك إلى قوم ٧٣٥
- لملك بلغت معهم الكلدى ٣٣٢
- لملك جنت تخطب فاطمة؟ ٥١٨
- لملك يا عائشة أغرت ٥٦
- لملك يا عدي إنا يملك من دخول في هذا الدين ٧١٩
- لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحاح ٤٢٠
- لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ٩١
- لعمرك إن للنار لسبعة أبواب ما منهين بابان ٧٢٧
- لعمرك كسرى أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب ٦٤٣
- لعمرك الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فاعوها ٢٦٧
- لعمرك الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورهم ٢٥٢
- لعمرك الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم ٨١٩
- لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور ٨٠٤، ٨٦٥
- لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم ٢٦٨
- لقدوة أو روعة خير من الدنيا وما فيها ٦٣٠
- لقد احتظرت بخطار من النار ١٠٢٠
- لقد احتظرت من النار بخطار ٨٤٧
- لقد أشرفت بالرأي ٤٨٣
- لقد أصابت بعدني فتنة ولو جامني لاستغفرت له وإذا ٥٧٣
- لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومذلل كسرى ٥٦٤
- لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود ١٩٩
- لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير قد كان ٦٠٦
- لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي ٦٠٠
- لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ٢٨
- لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود ١٩٩
- لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود ١٢٢٠
- لقد أوديت في الله وما يؤذي أحد، وأخفت ٣٨٥
- لقد بارك الله في العشرة: كما الله نبيه قيصاً ٨٨٢
- لقد تضائق على هذا العبد الصالح قبر ٥٧٧
- لقد حسن الله وجهك وطيب ربحك وكثر مالك ٦٠٦
- لقد حكمت فيهم بحكم الله ٥٧٥
- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبحة أرقمة ٥٧٤، ٥٦٨
- لقد حكمت فيهم بحكم الله، وحكم رسوله ٥٧٥
- لقد خشيت على نفسي ٣٦٧، ٣٦٥
- لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال ١٢٨١
- لقد ذهبت فيها عريضة ٥٣١
- لقد رأى ابن الأكرع فزعاً ٦٧١
- لقد رأى هذا ذعراً ٥٩٩
- لقد رأيت زوجتي من الحور العين يتازعان جثته ٦٠٦
- لقد رأيت الفرس في الجنة علي ٣٦٨
- لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فبرده على رجل ١٢٢٦
- لقد رأيتني في غلمان من قريش تنفل الحجرية لبعض ٩٣٤
- لقد رأيتني وصاحبي مكتنا بضع عشرة ليلة وما لنا ٩٨٤
- لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرور ٦٣١
- لقد سمى ملكاً عظيم الشأن ١٠٨٠
- لقد سهل لكم من أمركم ٥٩٩
- لقد شقيت إن لم أعدل ٦٨٥
- لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا ٥٨٠
- لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ل ٣٣٦
- لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلقاً ما ٣٣٧
- لقد شهدت يوماً بسوق عكاظ على جل أحر يتكلم ٣٠٨
- لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث ١٢٤١
- لقد عدت بعظيم، الحقني بأهلك ٨٣٣
- لقد عدت بمما ٨٣٣
- لقد علموا ٤٩٤
- لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق ٤٩٤
- لقد عهدتكم كسباً، وما زلت على ذلك، فما شئت ١٠٦٨
- لقد فارقتكم رجل بالأس لم يسبقه الأولون بعلم ١١٧٧
- لقد قبض الله داود من بين أصحابه فما فتروا ولا ٢٤٤
- لقد قبض الله داود من بين أصحابه ما فتروا ولا ٢٠٢
- لقد قلت رجلين لأنبيهما ٥٥٣
- لقد قلت ثلثين لأنبيهما ٥٥٢
- لقد كان من قبلكم يجر له الحفرة ويحيا بالشار ٩٥٣
- لقد كنت استظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة ٣٠٣
- لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ٤٧
- لقد لقيت وصي عيسى ابن مريم ٣٤٧
- لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات ٩٤
- لقد مر بهذا الرادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات ٨٤
- لقد ملأ عمار إيماناً من قدمه إلى مشائه ١١٦٧
- لقد نزل موت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا ٥٧٧
- لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى ٥٧٧
- لقد هممت أن أدهر أباؤك وأخاك وأكتب كتاباً لتلا ٩٥٨
- لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن ٧٩٩
- لفي آدم موسى ٦٦، ١٥
- لفي آدم موسى فقال: أنت آدم الذي خلقك الله ٦٥
- لك أجر ذلك إذ من الله عليك بالإسلام ١٢٢١
- لك كذا وكذا ٥٥٥
- لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ٧١٦
- لك ناقة من درة جوفاء قوائنها من زبرجد أخضر وعنتها ٩٣٥

- لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ٨٦٠
- لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان ١١٢٣
- لكم أن لا تحشروا ولا تجبروا ولا تستعمل عليكم ٧٠٣
- لكم أنتم أهل البيت خيرتان ٣٩٥
- لكم الجنة ٤٣٧
- لكن حزة لا يواكي له ٥٤١
- لكن عند الله لست بكاسو - أو قال: - لكن عند ٨٨٥
- للأبد ٧٥٨
- للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء قد عرض ٤٩٦
- لله ١٤٠٩
- لله در أبي طالب لو كان حياً قرئنا حياته من ٩٠٧
- لم؟ ٦١٥، ٤٩٥
- لم أسمع ٤٢٠، ٤١٩
- لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي ثورك ٦٦٩
- لم تأمرني بالرجوع؟ ٥٧٣
- لم يبيك؟ ٤٤٨
- لم تبين ٦٨٩
- لم تحمل الغنائم لسود الروس غيرنا ٤٩٧
- لم تراعوا لم تراعوا ٨٨٠
- لم تركت الطعام والشراب؟ ٥٢١
- لم تزر بذلك ولكن لرجعوا إلى رحالك ٤٣٨
- لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم ٢٦٢
- لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان في يني ٢٤٣
- لم يحدث نكاحاً ٥٩٦
- لم يشكروا ١٠١
- لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله حين دعي ٩٩١
- لم يكن نبي إلا له خليل من أمته، وإن خليلي أبو ٩٥٤
- لم يمت ١٤٢
- لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله ١٨٤
- لما أسري بي مرت موسى وهو قائم يصلي في قبره ٦٣٢
- لما أصابه الجراح نكل فمات بنفسه فتشجع واستشهد ٥٤٠
- لما أصيب إخوانكم يوم أحد جيل الله ٣٥٠، ٦٤
- لما أقراف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد ٩٨
- لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إني في ٦٧
- لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم ٩٦٠
- لما بنى رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء أبو بكر ٨٠
- لما حل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال ٦٧
- لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه فجعل ٦٧
- لما خلق الله آدم عطف فقال: الحمد لله فقال ٦٧
- لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل ٦٧
- لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطف فقال: ٦٧
- لما خلق الله الأرض جعلت نبيذ فخلق الجبال ٣٣
- لما خلق الله الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل ٥٠
- لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى أجل الذي ١٤٨
- لما عافى الله أيوب عليه السلام أطر عليه جراداً ١٣٧
- لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل ٣٦
- لما فرغت عا أمرني الله تعالى به من أمر السموات ٩٩٧
- لما فرغت عا كان في بيت المقدس أتى بالمعراج ٤١٣
- لما قال فرعون: «هَآؤُنْ أَتَىٰ إِلَىٰ إِيَّاهُ» ١٦١
- لما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه ٦٣٢
- لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده ٣٢
- لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة ٢٠٣٧
- لما كلمتني قريش كنت في الحجر فجلني الله في بيت ٤١٦
- لما نفخ في آدم بلبغ الروح رأسه عطف فقال: الحمد ٦٧
- لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يمشي لها ٧٢
- لمن هذه الإبل؟ ٤٤٩
- لمن هو؟ ٤٥٢
- لمنأويل سعد بن معاذ في الجنة أحسن ١٨٦٣
- لمن أصاب بمثلك أهدأ، ما وقتت قط موقفاً أغبط ٥٣٧
- لمن تراعوا إنه لبحر ٩٤١
- لمن تراعوا لمن تراعوا، ما وجدنا من شيء، وإن وجدناه ٩٣١
- لمن تروا من الأمانة إلا غلظة ولن تروا أمراً يهلككم ١٦١٨
- لمن تغزؤكم قريش بعد عامكم ولكنكم تغزؤنهم ٥٧١
- لمن نخلفه ١٦٩
- لمن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار ١١٧٩
- لمن يدخل النار رجل شهد بدواً أو الحديبية ٥١١
- لمن ينجز الله هلبو الأمانة ينصفو ١٨٦٨
- لمن يحجز الله هذه الأمانة من نصف يوم ٩٨٣
- لم يضر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما ١٤٦٦
- لم ينجني حنن من قدر ٢٠٤٢
- لم يطلع قوم ولوا أمرهم امرأة ٩٦٤، ٢٠٤، ١٨٥٦، ١١٣٥، ١٠٣٦
- لهم النار ١٢٨٧
- لو أخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحتني إلى ٢٦٦
- لو استنى لولد له مائة غلام كلهم يقتل في سبيل ٢٠٨
- لو استقبلت من أمري ما استدبرت لبعثتها عمرة، ٧٥١
- لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الحدي ٧٦٨، ٧٥٦
- لو أسلم الزبير وذوه من رؤساء اليهود إنا هم ٣٢٦
- لو افتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرة ١٤٨
- لو أقدم لاخطفته الملائكة فعضوا عضواً ٩٩٢
- لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد ٩٢٩
- لو أمرتم هذا أن ينسل عنه هذه الصخرة ٨٨١
- لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم ١٣٧٨
- لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم ٥٤
- لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا ٢٥٧
- لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ٧٣٤
- لو أن السماوات السبع والأرضين السبع يبعطن ٣٠
- لو أن لي مثل أحد ذهباً ما سررتي أن تأتي علي ٨٨٧
- لو أن الناس اعتزلوهم ٧٧١
- لو أنا قبضنا عُثْمَانُ لراث قريش أنا قد ٥٥٦
- لو أنقذت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم ٦٣٠
- لو بلغنيها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك ٣٣٢
- لو بلغني هذا قبل قتله لمنت عليه ٥٠٠
- لو تدمون كما تكدون عندي لصافحكم الملائكة ٨٥٤
- لو تركتموها ما زالت لكم حياتي، أو قال: حياتكم ٩٢٠
- لو تركته لسال وأدبا سماً ٩١٣
- لو تركته ما زال ذلك مقيماً ٩١٣
- لو تركتها ما زال قائماً ٩٢٠
- لو تركها لدارت إلى يوم القيامة ٩٢٠
- لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون، ما أكلتم ٩٣٤
- لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ٧٢١
- لو جاوزنا من ههنا ذهبنا من ههنا ٤٤٦
- لو خرجنم إلى أرض الحبشة فإن ٣٩٣

- لو دخلوا فيها ما خرجوا منها ١٠٩١
لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف ٦٢٢
لو دنا مني لا تخطفنكم الملائكة عضواً عضواً ٣٨٤
لو رأيتوني وإليس فأهرت يدي فما زلت أحقه ١٠٠٠، ٢٠٨، ٥٥
لو سألتني هذا العيب ما أعطيتك ٧١٢
لو سألتني هذا العمد - لخرجون في يده - ما أعطيتك ١٠٢٤
لو سألتني هذا القضيبي ما أعطيتك وإني لأراك الذي ٧١٢
لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو ٧١٢
لو سكت ساعة ناولتني ما سألتك ٩٢١
لو سكت لناولتني ما سألتك ٩٢٢
لو سكت لناولتني منها ما دعوتني به ٩٢١
لو سلك الناس وإديا وسلك الأوصار شعباً لسلك ٦٨٢
لو سلك الناس وإديا وسلك الأوصار وإديا سلك ٨٠٩
لو شتم قلمي جنتاً وكذا وكذا، أما تعرضن أن يذهب ٦٨٢
لو صدق السائل ما أفلق من رده ٩٠٤
لو عاش إبراهيم لكان نبياً ٨٣٩
لو عرست ٩١٠
لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ٣٨٣
لو قال: إن شاء الله لم يحن وكان دركاً لحاجة ٢٠٨
لو قال: إن شاء الله لولدت كل امرأة منهم غلاماً ٢٠٨
لو قالها لجاهدوا في سبيل الله ٢٠٨
لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتكم هكلاً وهكلاً ٧٢١
لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك ٥٣٠
لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح ٥٨٩
لو كان الإيمان عند الثريا لتأتى رجالاً من ٩٥٧
لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان ١١١٧
لو كان لي أربعون ابنة لزوجتن بعثمان واحدة ١١٢٣
لو كان المطعم بن عدي حياً ثم سألتني في هؤلاء ٤٢٦
لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان ٨٣٨
لو كن عسراً لزوجتن عثمان ٨٣٩
لو كنت أمر بشر أن يسجد ليشير لأمرت المرأة أن ٧٢٥
لو كنت متخذاً خيلاً لا تخفد أباً بكر خيلاً ٩٩١
لو كنت متخذاً خيلاً لا تخفد أباً بكر خيلاً، ولكنه ٩٩١
لو لم أحضنه لحن لي يوم القيامة ٩٢٥، ٩٢٤
لو لم تفر من الماء لكنت زمزم عيناً معيناً ١٠٣
لو لم تكله لأكلت منه ما عشت ٩٢٠
لو لم تكله لأكلت منه ولقاهم لكم ٩٢٠
لو لم تكلوه لأكلت منه ولقاهم لكم ٩١٣
لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء ٥٣
لوا أخاكم ٩٤٨
الروح المحفوظ في جهة إسرائيل ٣٠
لولا أن بني إسرائيل استنوا لما أعطوا ١٧٢
لولا أن تحزن صفة وتكون سنة من بعدي لتركته ٥٣٧
لولا أن تغلوا عليها لترعت يدي ٧٨٢
لولا أن تغلوا لتزلت حتى أضع الحبل على هذه - ٧٨٢
لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر - وفي رواية - مجاهلية ١٣٤٨
لولا أن قومك حديث عهد بمجاهلية أو قال: بكفر ١٠٨
لولا أنكم تغلبون لحاق الله قوماً يذنبون فينفر ١٢٢٠
لولا أني أشتي أن تكون من الصدقة لأكلتها ٨٩١
لولا أني أشتي من ربي عز وجل لأكلنا من هذه الثمرات ٩٢٠
لولا أني أشتي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا ٧٢٧
- لولا أني سقت هدباً لأحلت ٧٥٠
لولا بنو إسرائيل لم يخن اللحم، ولولا حواء لم ٦٢
لولا حدثان قومك بالكفر لقتضت الكعبة ولأدخلت فيها ١٣٠٣
لولا حدثان قومك وفي رواية ١٠٨
لولا ذكرت الأوصار بغير فإنهم لذلك أهل ٦٩٠
لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ١٣٠٩
لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأوصار، ولو سلك ٤٥٤
لولايتني على الناس زمان يفرزو فيه فتأم من الناس ٩٥٧
لواخذ سيفه ثم ليحمد به إلى صخرة، ثم ليذق ٩٦٤
ليبلغ الشاهد الغائب، فله رب مبلغ أسمع من سامع ٧٨٧
ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع ٨٧٨
ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة ١٢٢٦
ليت شعري أينكن التي تنجها كلاب الحواري ١١٣١
ليت شعري أينكن صاحبة الجمل الأقب، تسير حتى ٩٦٤
ليتحلق عشرة عشرة، ويسموا وليأكل كل إنسان مما ٥٨٦
ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين ٤٣٧
ليتردن أقوام بعد إيمانهم، قال: أجل، ولست منهم ٩١٢
ليترقن وقال عيد الصدق في روايته: ليرعن جبار ٩٧٥
ليترعن جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا ٩٧٥
ليترعن علي ويترى جبار من جبابرة بني ١٣٣٠
ليس بأبي قتادة ولكنه قتل لأبي قتادة، ووضع عليه ٥٨٨
ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم ٦١٣
ليس بالمؤمن من بيت شعبان وجاره إلى جنبه جامع ١٣٤٤
ليس الخبر كالمائة ١٦٩
ليس ذلك منكم ذاك رجل من إباد تخلف في المجاهلة ٧٣١
ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أعة الخيل ٧١٦
ليس على أبيك كرب بعد اليوم ٨٢٢
ليس عليّ منه بأس ٩٢٨
ليس عليكم من مرضك بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي ٩٧٥
ليس عندنا درهم ٧٣٠
ليس الفتي عن ظهر إنما الفتي غنى النفس وإذا أراد ١٧١
ليس كل الملائكة أعرافهم وأهه ملك وليس ٤٨٣
ليس لك ذلك حتى يهلك عيبك رجل غيره ١٢٣٤
ليس لم أن يملونا، اللهم إن تقتل هذه العصابة ٥٢٩
ليس لي ولا لني أن يدخل بيتاً مزوّناً ١٣٣٦
ليس من ليلة إلا والبحر يُشرف فيها ثلاث مرات ٣٥
ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين ٥٦
ليس منكم ولكنه منا للحلف ٤٩٣
ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله ٦٣٥
ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى ٦٣٢
ليصل الناس أبو بكر فإنكن صراحب يوسف ٨٠٢
ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري، ثم ليضع عمر ٤٦١
ليعلموا ٥٥٢
ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن ٥٥
ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا ١٦١٩
ليلة أسري بي لقيت موسى قال: فنته فإذا رجل حبسه ٢٤٣
ليجوتن رجل منكم بغلة من الأرض يشهده عصابة من ٩٦٢
ليزول المهاجرون ها هنا ٧٧٩
ليضي شيطان ٥٦
ليهنكم ما أتمم في ما فيه الناس، أتت الفتن ٧٩٧، ٨٤٦
ليهنوني عليّ إني رأيت بياض كف عائشة في الجنة ٨٠٥

٩٥، ٦٩٥	ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم	٩٢٢	ما أبالي من كذبي بعدها من قومي
٩٨٠، ٥٢، ١٤٨٨	ما ترى؟	١٢٣٥	ما أبديني الله خيرا منها
٤٩٦	ما ترى يا ابن الخطاب؟	٤٢٢	ما أبديني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر
٧٠	ما ترك القاتل على القاتل من ذنب	٢٣٩	ما أبيض أسنانها
٨٣٠	ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة	٤٩	ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة
٩٥٥	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء	٥٠	ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم
٨٣٠	ما تركنا صدقة	٥٠	ما أحد أكرم على الله من ملائكة: هم خدمة داره
٤٨١	ما ترون في قتال المرقم؟	٢١٩	ما أحد إلا يلقي الله بذهب إلا يحيى بن زكريا
٤٨١	ما ترون في القوم فلانهم قد أخبروا بمخرجكم؟	١٠٧٤	ما أحدثت إلا توحشات وما توحشات إلا رأيت أن علي
٩١١	ما ترون الناس فعلوا؟	٣٣٢	ما أخرجك من بيتك يا فاطمة؟
٨٤١	ما تصنع به؟	٦١٢	ما أخرجكن ويأمر من خرجن؟
٥٠	ما تقول أنت يا أبا حزة؟ فقال: قد أكرم الله	٣٩٦	ما أدري أنا بفتح خير أفرح أم
٩٤٣	ما تقول في امرئك يا عبد الله؟	٦٣٦	ما أدري بايها أنا أسر، أبغض جعفر أم بفتح
٩١١	ما تقولون؟ إن كان أمر دنياكم فشاكنم، وإن كان	٦١٣	ما أدري بايها أنا أسر بفتح خير أم بقدوم جعفر
٤٩٦	ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟	٣٦٧	ما أرى شيئا أقره، وما أقرأ، وما أكتب
٩٢٧، ٧٠٤، ٦٥٦، ٩٢٧	ما جاء بك	٤٢٩	ما أسأتم الرد إذ أنصحتكم بالصدق إنه لا يقوم بدين
٥١٨	ما جاء بك لك حاجة؟	٦٤	ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى
١٠٢٠	ما جاء بك أي بنية؟	١٠٨٠	ما اسم الذي يأتي إلى أبيك؟
٤٠٠	ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى	٩٣٥، ٩٢٦، ٧٣١، ٤٤٩، ٣٦٢	ما اسمك؟
٤٠٠	ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟	٩٤٠، ١٠٠٣	ما أصابك؟
١٦٢١	ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشف	٦٥	ما أضدتها؟
٩٣١	ما جزاء العبد الصالح من مولاه؟	١١٠١	ما أظلت الخضراء، ولا أظلت الفراء أضدك لجة
٧٣٢	ما حاجتك؟	٣١٠	ما الذي رأيت يا أبا بني عبد القيس؟
١٢٨٤	ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ إن هذا ملك لم ينزل	٧٠٢	ما أمرت أن أخذ أموالكم
١١٨٧	ما حاك؟	٤٧٥	ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام
١١٩٠	ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا	١٠٩١	ما أسلك أن نزع الله الرحمة من قلبك
٦٨٢	ما حديث أناني؟	٣٨٧	ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما
٦٨٢	ما حديث بلغني عنكم؟	٣٦٧، ٣٦٥	ما أنا بقارئ
٦١٥	ما حلك على الذي صنعت؟	٦٩٢	ما أنا حلتكم ولكن الله حلكم
٩٣٤	ما حلك على أن قلت ما قلت وقلت غير الحق ولم	١١٨٢	ما أنا فتحة ولكن الله فتحة
٦١٥، ١١٨٧	ما حلك على ذلك؟	٧٣٣	ما أنتم؟
٦١٤	ما حلك على ما صنعت؟	٤٩٤	ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون
٤٨٤	ما حلك على هذا يا سواد؟	٤٨٠	ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما
٦١٤	ما حلكم على ذلك؟	٧٨٤	ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء إلا الحرم
٨٥٢	ما الخبر يا مقداد؟	٥٣٧، ٥٣٠	ما أنصفنا أصحابنا
٥٩٨	ما خلأت القصور، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها	٢٥٤	ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو
٥٩٤	ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل	٣٢١	ما بال أقوال تبليغي عن أقوام إن الله خلق السماوات
٦٣٠	ما خلقت؟	٨٨١	ما بال أقوام يقولون كذا وكذا
٧٠٠	ما خلقت؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك	٧٢٧	ما بدا لك؟
٧٣٣	ما الحصة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟	٨٤٧	ما بذلك بأس
١١٤٧	ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أولسهما	٣٤٣	ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لمن
٣٧٦	ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عتة	٣٣٨	ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم
٧٨	ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبرة غير	٩٨٥	ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه
٧١٨	ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جامني إلا رأيت	٣٨٧	ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني
٦٦٣	ما رأيت؟	٤٥٩	ما بي رغبة من أخي موسى، عريش كمرش موسى
٨٨٠	ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحراً	٣٨٧	ما بي ما تقولون. ما جئتكم بما جئتكم به أطلب
١١٨٠	ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي	٩٢٦	ما بين بيني ومنبري روضة من رياض الجنة
٤٢٤	ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب	٤٦١	ما بين بيني ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري
٤٢٤	ما زالت قريش كامين عني حتى مات أبو طالب	٩٢٨	ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي الله إلا
٦١٥	ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خير	٢٦٩	ما تجدون في الترواة في شأن الرجم
٦٣	ما سلطنا من منذ حاربناهم	٩٢٢	ما تجعل لي إن أرويت حاضلك هذا؟

٦٧٨	ما قلت لهم؟	٣٠	ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدَراهم
٥٣٧	ما كان الله ليدخل شيئاً من حزة في النار	٥٨٦	ما شاء الله
٦١٤	ما كان الله ليلطلك علي	٩٤٠	ما شتم؟ إن شتم دعوت الله فيكشفها عنكم، وإن
١٣٨	ما كان ذو الكفل نبياً ولكن كان رجلاً صالحاً	٩٣٠	ما شأن جلك هذا؟
١١٨٢	ما كان لنا إلا إهاب كبش ننام على ناحيته وتمجن	٩١١	ما شأنك؟ قلت: كيف أقبلها وقد سمعت منك ما سمعت
٤٩٦	ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشخن في	٨٤٧	ما شأنكما؟
٢١٩	ما كان معه إلا مثل هذا ثم ذبح ذبها	٦٠٨	ما شأنها؟
٩٥٧	ما كان نبي إلا كان له حواريون يهلون بهديه،	١٣٢٣	ما شأنني أجعلك جنائي فتخس
٨٥٣	ما كانت هذه إلا رحمة الله، ألا كنت أدتني	٣٣٦	ما شهدت حلقاً لقريش إلا حلف المطيين، وما أحب
٦٧٣	ما كانت هذه لتقاتل	١٣٤١	ما صنعت بالدم؟
٣٠	ما الكرسي في العرش إلا كخلفة من حديد ألقيت	١٣٤٥	ما صنعت يا عبد الله بالدم؟
١٢٤٠	ما كنت أرى أن في دوس رجلاً فيه خير	٤٦	ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار
٨٤٢	ما كنت منذ اليوم إلا سفينة	٦٩١	ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم
٣٧٢	ما كنتم تقولون إذا رمي بهذا؟	٦٩٢	ما ضر عثمان بعدها - أو قال - بعد اليوم
٩٣٠	ما ليعبرك بشكوك؟ زعم أنك أفتيت شباه حتى	٨٨٠	ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة
٤٢٦	ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت	٨٨٩	ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده
٥١٨	ما لك؟	٤٨٢	ما عذبهم؟
٦٠٤	٦٠٢	٤٩٣	ما على الأرض من نفس مفوسة يأتي عليها مائة سنة
٧٦٧	ما لك تبكين؟	٦٩٢	ما على عثمان ما عمل بعد هذا
٦١٢	ما لك؟ لملك نفس	٥٦٩	ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه
٦١٦	ما لك يا أبا أيوب؟	١٠٧١	ما علمت عليه إلا خيراً
٦٧٠	ما لك يا أبا قتادة؟	٥٩١	ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كاتبة إلى يوم
٥٥٨	ما لك يا جابر؟	٥٣٦	ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه
٨١٩	ما لك يا عائشة؟	٧١٢	ما عندك يا ثمامة؟
٥٩٧	٢٧٤، ٩٠٩	٨٧٤	ما عندي شيء ولكن إذا كان غد فأنني بقرورة واسعة
٩٤٨	ما لكم أمسكم؟	٧١٤	ما عندي فيه شيء يومي هذا فاقبوا حتى أخبركم
١١٨٤	ما لكم وما لي؟ من أذى علياً فقد أذاني	٨٩٠	ما عندي ما أعطيك، ولكن ابتع علي، فإذا جاني
٨٨٠	ما له تربت جيبه	٩٠	ما فتح الله على عاد من الریح إلا مثل موضع
٩٤٤	ما له؟ ضرب الله عنقه	٩٠	ما فتح الله على عاد من الریح الي اهلكوا بها
١١٤٧	ما لهم ولعمار؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه	٨٨٨	ما فرشتوني الليلة؟
٨١٣	ما لي أجد منك ريح الأصنام؟	٦٨٤	ما فعل؟
٨١٣	ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟	٨٩٠	ما فعل الذي يملك؟
٤٧٧	ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً	٣٠٩	ما فعل حليف لكم يقال له: قس بن ساعدة الأيادي؟
٥٣٩	ما لي أراك مهتماً؟	٩٣٠	ما فعل صبيك؟
٣٦٧	ما لي؟ أي شيء عرض لي؟	٣٤٦	ما فعل الفارسي الكاتب؟
٤٦	ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟	٣١١	ما فعل قس بن ساعدة؟
٨٨٦	ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل	٧٠٠	ما فعل كعب؟
٨٨٧	ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب	٨٨٩	ما فعل ما يملك؟
٨٢٦	ما لي وللدنيا، وما مثلي ومثل الدنيا إلا	٦١٠	ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضر؟
٦٢٨	ما مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وحده	٦٩٨	ما فعل الثغر الأحمر الطوال الطقاط الذين لا
٤٨	ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي	٥١٨	ما فعلت درج سلخنكها
٢١٨	ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة	٨٨٩	ما فعلت السنة؟
٨٩٧	ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما	٨٥١	ما فعلت يا ربيعة؟
٥٣٨	ما من جريح يجرح في الله إلا والله يمه	٤٤	ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف
٤٨	ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا	٦٥٣	ما قال؟
٧١	ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا	٨١٩	ما قبض الله نبياً إلا دفن حيث قبض
١٣١٩	ما من رجل استرغ الله رعيه يموت يوم	٨١٨	ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن
٩٣٠	ما من شيء إلا ويعلم أنني رسول الله، إلا كفره	٨١٩	ما قبض نبي إلا دفن حيث توفي
٢٩	ما من عبد يقول أوبع مرات: اللهم إني أشهدك	٨١٨	ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض
٣٥	ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن	٣٧٠، ٣٦٧	ما قرأت كتاباً قط ولا أحبه وما أكتب
٣٦٤	ما من مسلم تروأ ناسن الرضوه ثم صلى صلاة يحفظها	١١٨٩	ما قلت؟
١٢٨٢	ما من مسلم يصاب بحصية فيذكرها وإن تقادم عهدها		

- ٢٢١ ما من مولود إلا الشيطان يمه حين يولد فيستهل
- ٢٤٣ ما من مولود إلا والشيطان يطمن في خاصرته حين
- ٢٢٢ ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين
- ٨٠٠ ما من الناس أحد آمن علينا في صحبته وفات يده
- ٨٠٦ ما من نبي إلا تقبض نفسه، ثم يرى الثواب، ثم ترد
- ٢٧٢ ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال
- ٩٨٥ ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على
- ٩٩٩ ما من نبي إلا وقد رمى الغنم
- ١٩٣ ما من نفس مغفوسة
- ٨٨٣ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يقول أحدهما
- ٦٩٨ ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير
- ٨٧٣ ما متبعكما أن تصليا مع الناس؟
- ٥٦، ٤٨ ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
- ١٩٣ ما منكم من نفس اليوم مغفوسة يأتي عليها مائة
- ٤٢٤ ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب
- ٤١٩ ما نالتي قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب
- ١٣٣٠ ما خل والد ولدا أحسن من أدب حسن
- ١٣٩٦ ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى
- ٥٤١، ٥٥٨، ٥٤١، ٦٠٩ ما هذا
- ٥٤١ ما هذا أرزنت، وما أحب البكاء
- ٢٠٦ ما هذا الذي أرى وسطهن؟
- ١٨٢ ما هذا الذي كتم غرضون فيه؟
- ١٢٤٧ ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟
- ٨٣ ما هذا من الصرم؟
- ٩٢١ ما هذا يا أبا رافع؟
- ٨٧٤ ما هذا يا أم سليم؟
- ٨٨٩ ما هذا يا بلال؟
- ٦٢٦ ما هذا يا جعفر؟
- ٨٨٨، ٢٠٦ ما هذا يا عائشة؟
- ٦١٥ ما هذه؟
- ٨٧٦، ٤٥٠ ما هذه الشاة يا أم معبد؟
- ٦٠٢ ما هذه الثيران؟ على أي شيء توددون؟
- ٣٣٥ ما هممت بشيء ما كان أهل الجاهلية يهجون به من
- ٧٣٤ ما هي؟
- ٥٧٠ ما ورواك؟
- ٣٢٠ ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني
- ١٣٤٣ ما وليت قريش فمذلت، واسترحمت فرحت وحدثت
- ٨٨١ ما يبيك؟
- ٨٤٣ ما يبيك؟ أجامعة أنت، أعارية أنت
- ٨٨٢ ما يبيك وقد أخذت الدرهمين؟
- ٨٨٦ ما يبيك يا عمر؟
- ٤٨٧ ما يحملك على قولك: بخ بخ؟
- ٨٥٤ ما يخرجك إليه التجارة؟
- ٨٤٥ ما يدخلكم على هؤلاء القوم الذين غضب الله عليهم
- ١٧٩٠ ما يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم
- ٤٢٤ ما يمتك مني؟
- ١٤٣ ما ينبغي لبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى
- ٥٢٤ ما ينبغي لني إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج
- ٥٢٤ ما ينبغي لني إذا لبس لأمة أن يضعها حتى يقاتل
- ٥٢٣ ما ينبغي لني أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى
- ١١٠٠ ما ينقم ابن جيل إلا أن كان قفيرا فأغناه وأما
- ٩٤٦ ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتماعا
- ٣١٦ ماء زمزم لما شرب له
- ٣١٦ ماء زمزم لما شرب منه
- ٧٢، ٢٧١ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا
- ٢٧١ مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة
- ٨٨٨ ما أخرجكم؟
- ٦٤٦ مات اليوم رجل صالح
- ٣٩٨ مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على
- ٨٧٤ ماتصنعين يا أم سليم؟
- ٦١٦ ماذا صنعت بنا يا بلال؟
- ٦٥٩ ماذا قلت؟
- ٦٦٠ ماذا كنت تحدث به نفسك؟
- ٤٢٥ ماذا لقينا من أحوالك
- ٧٩٦ المؤمن يأكل في سبعة
- ٦٨٩ مأمور والله
- ٤٢٣ متوفى خديجة
- ١٠٧٠ مثل الذي يصلي ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع
- ٩١٩ مثل الملوك على الأسرة
- ٨٤٥ مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر؛ رجل آتاه الله
- ٩٥٦ مثلت لي الحيرة كأنيا ب الكلاب وإنكم ستفتحونها
- ٩٤٩ مثلي ومثل الأبياء قلمي كمثل رجل بنى دارا فأكملها
- ٣٨٤ محمد فآخرج
- ٤٤ غرق الطير سبعمائة عام
- ٥٣٥، ٤٦٩ غريق خير يهود
- ٨١١ المدينة حرم ما بين قبر إلى ثور من أحدث فيها
- ٧٣٦ مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب
- ٤٩٩ مر بي ميكائيل وعلى جناحه النقع تقسم لي وقال
- ٦٣٢ مر على جعفر في الملائكة يطير كما يطرون له
- ٥٧٣ مر عليكم فارس أتقا؟
- ٢٣٩ مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان
- ٨٥٠ مر قومك بصيام هذا اليوم
- ٨٥٠ مر قومك فليصوموا هذا اليوم، ومن وجدت منهم أكل
- ٥٢٢، ٢٠١٩ المرء مع من أحب
- ٣٠٠ مرحبا بابن أخي
- ٧٩٨ مرحبا بابني
- ٧٣ مرحبا بالابن الصالح والتي الصالح
- ٧٤ مرحبا بالأخ الصالح والتي الصالح
- ١١٦٧ مرحبا بالطيب المطيب
- ٧١٠ مرحبا بالقوم غير خزايا ولا التدامي
- ٧١١ مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا التدامي
- ٦٥٦ مرحبا بأم هانئ
- ٣١٣، ٣٤٩ مرحبا بك يا عمرو بن مرة
- ٨١٢ مرحبا بكم حياكم الله، هداكم الله، نصركم
- ٦٥٦ مرحبا وأملا بأم هانئ ما جاء بك؟
- ١٠٠٠ مردة الجن
- ٨٠٢، ٨٠١ مروا أبا بكر فليصل بالناس
- ٨٠٢ مروا أبا بكر فليصل بالناس فإنكم صواحب يوسف
- ٨٠١ مروا أبا بكر يصلي بالناس
- ٨٠١ مروا من يصلي بالناس
- ٩٥٦ مرق الله ملكه
- ٦٤٢ مرق كسرى ملكه

- مزم ملكه ٦٤٢
- المستشار مزم ١٢٢١
- المسجد الأقصى ١٠٦، ٣٣٩
- المسجد الذي أسس على التفرق مسجدي هذا ٤٦١
- مسجد بيت المقدس ٢٠٦، ٨٥
- المسجد الحرام ١٠٦، ٣٣٩، ٨٥
- مسوا منها مسوا منها ٩١١
- سيرة خمسة عام ٣٣، ٣٣
- سيرة خمسة عام حتى عذ سبع سموات ٣٣
- سيرة سبعة عام ٣٣
- مصالحكم ١٦٢٨
- مضت الهجرة لأهلها أباهم على الإسلام والجهاد ٦٦٥
- مع الذين أنتم الله عليهم من النبيين والصديقين ٨٠٥
- مع الرقيق الأعلى في الجنة الذين أنتم ٨٠٦
- مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر ١١٦٥
- مع قومه ٤٢٥
- معاذ الله أن تسلمع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه ١١٦١
- معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي إن ١١٦٠، ١١٦١، ٦٨٥
- معاذ الله أجلي عيالك والملمات عاتكم ٦٥٩
- معه ٢٧
- معي ممي ٤٨٤
- معي من ترون، وأحب الحديث لي أصدق فاختاروا ٦٨١
- مغلظة فيها أربعون خليفة في بطونها أولادها، ألا ٦٥٧
- مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله ٧٣٥
- المقسطون على منابر من نود عن يمين الرحمن وكلنا ٢٠٠
- مكائكم حتى أتكم ٣٣١
- مكائكم ١٠٢٠، ١١٨٢
- مكتوب في الإنجيل: لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في ٣٥٣
- مكتوب في التوراة: صفة محمد وعيسى ابن مريم يدين ٨٩٢
- مكث آدم في الجنة مائة عام ٨١
- مكث عليه السلام في قومه ألف سنة (يعني إلا حسين) ١٢٣٩
- المكر والخديعة في النار ٥٦٨
- ملا الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما ٥٦
- الملائكة تحدث في النيران - والعنان التمام - بالأمر ٤٩٢
- الملائكة وابن مسعود قد شرب في قتله ٤٨
- الملائكة يتناقون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ٦٩٧، ١٢٤٠
- عن أنت؟ ٤٢٧، ٤٢٨، ٧١١
- عن القوم؟ ١١٩١، ٤٢٣
- من يحرسنا الليلة؟ ٦٦٨
- من أدى علياً فقد آذاني ١١٨٤، ٧٣٧
- من أدى مسلماً فقد آذاني ١١٨٤
- من أدى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ١٢٤
- من ابتشى الهدى في غيره أضله الله ١٢٩٣
- من ابتلى بشي من هذه الفاذورفت فليستر بستر ٢٢٨
- من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء ٦١٤
- من أبورك؟ ٥٣
- من أتى الخافض فليستر فإن لم يجد إلا أن يجمع ١٥٣٩
- من اتقى الله وقاه الله كل شيء ٨٤٠
- من أحب الله ورسوله فليحب أسامة ابن زيد ١٢٥٠
- من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده ١٢٥٠
- من أحب أن يمثل له العباد قياماً فليتبوأ مقعده ١٢٥٠
- من أحب أن ينظر إلى شيطان فليتنظر إلى هذا ٤٦٩
- من أحب الحسن والحسين فقد أحبي، ومن أبغضهما ١٢٠٨
- من أحبي فليحب هذين ١٢٨٤
- من أحبهما فقد أحبي ومن أبغضهما فقد أبغض ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢٨٣
- من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة ١٢٩١
- من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه ١٢٩١
- من أخاف هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين ١٢٩١
- من أخذ شيراً من الأرض بغير حق طوقه من ٣٣
- من أخذ شيراً من الأرض ظلماً فإنه يطرقه ٣٢
- من أخذ شيئاً من الأرض بغير حق خيف به يوم ٣٢
- من أخذ من الأرض شيئاً بغير حق طوقه من ٣٣
- من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه وهو يعلم أنه ١٢٠٥
- من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام ٦٧٨
- من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في ١١٨٩
- من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجله فليتنظر ١١٣٩
- من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب ١٢٩١
- من أراد منكم أن يتروضا فليتروضا ٩١١
- من استعاه الله رعية فلم يحطها بصيحة لم يجد ١٢٣٩
- من استطاع الحج فلم ينج فليمت إن شاء يهودياً ٢٩٨
- من استطاع منكم أن يستمر من النار ولو بشق ثمرة ٧٢٠
- من أسرك؟ ٤٨٩
- من أشقى الأولين ١١٧٣
- من أصبح جنباً فلا صيام له ١٢٤٢
- من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته ٨٤٤
- من أطرق مسلماً فمقب له الفرس كان كاجر سبعين ٨٤٦
- من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان ٦٦٠
- من أفضل إيمانكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه ٨٢٣
- من أفضل المسلمين ٤٨٨، ٥١٢
- من أقام بيته على قبيل قتله فله سلبه ٦٧٠
- من اتعظ شيراً من الأرض بغير حق طوقه ٣٣
- من أكل بشماله أكل معه الشيطان، ومن شرب بشماله ٥٣
- من أم قوماً فليخفف بهم فإن فيهم الضعيف والكبير ٧٠٤
- من أمرك بهذا يا ربيعة؟ ٨٥١
- من أمركم بمصيبة الله فلا تطيعوه ٧٩٦
- من أمسك منكم بمقه فله بكل إنسان ست فرائض من ٦٨٠
- من أثن رجل على دية قتلته فأناب بري من ١٣٢١
- من أثن رجل على نفسه قتلته أعطى لولته ١٣٢١
- من أنا؟ ٣٢١، ٩٣٩
- من أنت؟ ١٠٠١، ٨٦٦، ٩٤٠
- من أنتم؟ ٤٣١
- من أهديت له هدية وعند قوم جلوس فهم شركاؤه ١٥٤٨
- من أهل النار؟ ٦١٤
- من أي بكر بن وائل؟ ٤٢٧
- من أي بني عامر بن صعصعة؟ ٤٢٨
- من أي كندة؟ ٤٢٧
- من أي اليمن؟ ٤٢٧
- من أين؟ ٩٥٠
- من أين لك هذا يا بني؟ ٩١٧
- من أين لكم هذا اللبن؟ ٩١٢
- من بايعت قتل: لا خلافة، ثم أنت بالخيار في كل ١١٢٧

- ١٣٢٥ من بدل دبه فاقلوه.....
- ١٢٤١ من بسط رداه حتى افضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن.....
- ١١٢٣ من بحث هذا؟.....
- ٦٧٨ من بلغ بسهم فله درجة في الجنة.....
- ٤٦٠ من بنى الله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله.....
- ٤٢٨ من بنى عبد المطلب.....
- ١٢٤٢ من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط فإن شهد دفنها.....
- ٩٣٤ من تعبد يا ضب؟.....
- ٢٤٠ من تعلم وعلم وعمل دعي عظيما في ملكوت السماء.....
- ١٢٩١ من جاءكم وامركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقلوه.....
- ٧٦٧ من جمع بين الحج والممرة طاف لهما طوافا واحدا.....
- ٦٩٢ من جهز جيش المسرة غفر الله له.....
- ٨٥٤ من حافظ على الصلوات الخمس وركوعهن وسجودهن ووضوئهن.....
- ١٨١ من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم.....
- ١٨٧٠ من حفظ على أئمتي أربعين خبئاً.....
- ٦٧٨ من خرج إلينا من العيد نهر حر.....
- ٤٣١ من خلق السماوات والأرض والجبال؟.....
- ٤٣١ من خلقكم؟.....
- ٦٥٢ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.....
- ٦٥١ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة.....
- ٦٥٨ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل الحرم.....
- ١٤٣ من دعا بدعاء يونس استجيب له.....
- ٢١٣ من دل على دانيال فبشروه بالجنة.....
- ١٣٠٦ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع.....
- ٩١٠، ٧١٩ من الرجل؟.....
- ٧٣٩ من رجل يؤديني حتى أبلغ كلام ربي، فإن قرئاً.....
- ٥٩٤ من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم.....
- ٥٢٥ من رجل يخرج بنا على القوم من كتب - أي من قريب.....
- ٦٠٧ من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟.....
- ٥٧٠ من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم.....
- ٥٥٧ من رجل يكلؤنا ليلتنا؟.....
- ٥٣٦ من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء.....
- ٦٧٨ من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرم، ومن.....
- ١١٨٨ من زعم أنه آمن بي وما جئت به وهو يفتض عليا.....
- ١١٠٤ من زل فليتب، ومن أخطأ فليتب ولا يتماذى في المهلكة.....
- ٧٢٧ من سأل الناس عن ظهر غنى فصلداً في الرأس ودا.....
- ٧٢٧ من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس ودا.....
- ١١٨٨ من سب علياً فقد سبني.....
- ١٢٣٤ من سبق إلي فله كذا.....
- ٦٩٨ من سبنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً.....
- ٦٩٨ من سبنا إلى هذا الماء؟.....
- ٩٦٥ من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى.....
- ١٢٠٨ من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فليظفر.....
- ٧٤٦ من شاء أن يجعلها عمرة فليجعلها.....
- ٢٤٣، ٢٢٨ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن.....
- ٧٧٦ من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر -.....
- ٩٢٩ من صاحب الجمل؟.....
- ٤٩٩ من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا.....
- ١١٦٢ من ضنض هذا.....
- ٥٢٢ من ظفرت به من رجال يهود فاقلوه.....
- ٣٢ من ظلم يند شير طوفة من سبع أرضين.....
- ٩٣٨، ٩٣٦ من عاش بعد الموت.....
- ١٤١٧ من قال أهل بيت من المسلمين بزمهم.....
- ٣٧ من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر.....
- ٩٤٦ من عين فيها تسمى سلسيلاً.....
- ٩٣٥ من فجع هذه بفرخيها؟.....
- ٧٩٨ من فعل هذا؟.....
- ٤٨٩ من القاتل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم؟ فقال.....
- ٨٤٢ من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى.....
- ٢٩ من قال اللهم إني أشهدك وأشهد الملائكة وحلة.....
- ٢٩ من قال حين يصبح وحين يمسي: اللهم إني أصبحت.....
- ٦٠٤ من قال ذلك؟.....
- ١٥١٣ من قال: لا إله إلا الله، خالصاً خالصاً من قلبه.....
- ٥٥ من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.....
- ١٢٣٣ من قتل دون ماله فهو شهيد.....
- ٦٧٨، ٦٦٩ من قتل قتيلاً فله سبلة.....
- ٦٧٠ من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سبلة.....
- ٦٦٩ من قتل كافراً فله سبلة.....
- ١٣٤٧ من قذف مؤمناً بكفر فهو كفيله.....
- ١١٠٠ من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً.....
- ٤٢٥ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.....
- ٦٣٢ من القوم؟.....
- ٩١٧ من كان عنده طعام اثنى فليذهب ببالشء، ومن كان.....
- ٨٤١ من كان له لحاف فليخف من لا لحاف له.....
- ٩١٨ من كان معه فضل طعام فليجي به.....
- ٧٥٤ من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا.....
- ٧٥٤ من كان معه هدي فليهل بالحج مع عمرته، لا يحل.....
- ٧٥٤ من كان معه هدي فليهل بحج وعمره.....
- ٨٣ من كان منكم أصبح صائماً فليتم صومه، ومن كان.....
- ٧٤٦ من كان منكم أمدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه.....
- ٧٤٥ من كان منكم أهل بالعمرة فساق معه الهدي فليطف.....
- ١٣٩٦ من كانت له إلى الله حاجة فليذبح.....
- ١٢٤١ من كذب علي عاصداً فليتبوا مقعده من النار.....
- ٩٠٤، ١٤٥٨، ١٢٤١ من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار.....
- ٣٢٥ من كرامتي على الله أنني ولدت مختوناً ولم ير.....
- ٩٣٣ من كل سائمة شاة في كل عام.....
- ١١٨٦ من كنت مولا.....
- ٧٩١ من كنت مولا فإن علياً مولا.....
- ٧٩١ من كنت مولا فإن علياً مولا.....
- ١١٨٠ من كنت مولا فإن علياً مولا.....
- ١١٨٥ من كنت مولا فإن هذا مولا.....
- ١١٨١، ١١٧٨ من كنت مولا فعلي مولا.....
- ١٤١٧، ١١٨٦، ١١٨٥، ١١٨٤، ١١٨٣ ٧٩٢، ٧٩١، ٧٩٠، ٧٩٢
- ١١٨٥ من كنت مولا فعلي مولا اللهم وال من والاه.....
- ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩١، ١١٨٤ من كنت مولا فهذا مولا.....
- ٧٩٢ من كنت مولا فهذا مولا اللهم وال من والاه.....
- ٧٩٢، ٧٩١، ١١٨٤ من كنت مولا فهذا مولا، اللهم وال من ولاه وعاد.....
- ٧٩٠ من كنت وليه فعلي وليه.....
- ١١٨٣ من لا أهل له ولا مال ولا ولد.....
- ٩٨٣ من لا يرحم لا يرحم.....
- ١٠٩١ من لا يرحم لا يرحم.....

- ١١٠٧ من يشتري هذه البقرة من خالص ماله فيكون فيها
 ١١٠٧ من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوها فيها كدلاء
 ١١٦٢ من يطيع الله إذا عصيته؟ يامتني على أهل الأرض
 ٦٨٤ من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله
 ١٣٤٦ من يعمل سوماً يميز به
 ٣٨٢ من يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي
 ٥٥٧، ٥١٩ من يملك مني؟
 ٤٩٢ من ينظر ما صنع أبو جهل
 ١١٠٨ مَنْ يفتي اليوم نفقة مقبلة
 ١١٠٨ من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد يبسو في
 ٤٩٣ منا خير فارس في العرب
 ١٥٢٠ منا السباح والمصور والمهدي
 ٩١٠ منذ كم كان مسيرك؟
 ٦٥٤ منزلنا - إن شاء الله إذا فتح الله - الخيف
 ٦٥٤ منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث
 ١٢١٨ متعولة المسكين بقي ميتة السوء
 ٩٥٥ منعت الشام مديها ودينارها، ومنعت العراق درهمها
 ٩٥٧ منعت العراق
 ٩٥٧ منعت العراق درهمها وقنبرها، ومنعت الشام مديها
 ٨٦ منهم أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا
 ٤٨٠ مه أفحشت على الرجل
 ٨٠٢ مَهْ إِنْ كُنْ لَأَتَنَّ صَوَاحِبَ يَوْسُفَ، مَرَا أَبَا
 ٨٠١ مه يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة
 ٨١٢ مهلاً! غفر الله لكم وجزاكم من نبيكم خيراً
 ٦٦٢ مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك
 ٣١٠ مهما نسيت فلست أنساه بسوق عكاظ، واتقاً على جل
 ٤٦٥ مهيم؟
 ٤٦٥ مهيم يا عبد الرحمن؟
 ٩٥٦ مَرْثِي، وَبِزَنَ قَالَ خَلِيفَةُ مِصْطَفَى بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ،
 ١٧٣ موسى رسول الله قال: ذكر الناس يوماً حتى إذا
 ٧٥٦ مرعدك كذا وكذا
 ٥٨٩ نأخذك بحجرة حلفائك تعيق
 ٩١٠ ناد في الناس: الرضوة المبارك
 ٨٠١ ناد في الناس يا فضل
 ٥٠٠ النار
 ١٦٧ النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
 ٦٦٦ الناس حيز وأنا وأصحابي حيز
 ٩٦٩، ٩٦٩ ناس من أمي عرضوا علي غزاة في سبيل الله
 ٧٢٢ ناسوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة
 ٨٥٣ ناولي إداوتي
 ٩٣١، ٩٢١ ناولي اللزراع
 ٩٢١ ناولي اللزراع الآخر
 ٩٢١ ناولي اللزراع يا أبا رافع،
 ٨٤٥ ناولي ذراعها
 ٥٨٢ ناولي السيف
 ٩١٢ ناولي القلح
 ٧٧١ ناولي كفا من تراب
 ٩٢٩، ١٠٠٢ ناوليني
 ١٦٨٧ الثبات
 ٧٥٨ نبأ بما بدأ الله به
 ٣٢٧ نبي ضيعة قومه
- ٨٤٤ من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله، وإن
 ٦٨٩ من لقي كعباً فليقله
 ٧٩٥ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟
 ٨٤٠ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة أقتله
 ٥٢١ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟
 ٧٧١ من لم يجد ثعلب فليجلس الخفين، ومن لم يجد إزراً
 ٧٥٢ من لم يلق المدي فليجلسها عمرة
 ٥٣٠ من هؤلاء؟
 ٦٠٥ من لهذا؟
 ٥٢١ من لي بآب الأشراف؟
 ٧٩٦ من لي بهذا الخبيث؟
 ١٢١٩ من مات لا يشرك بالله شيئاً جملة الله في الجنة
 ١٢٢٠ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة
 ٦٤٢ من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس
 ٥٧٥ من مر بكم؟
 ٥٢٩ من مرر معه دمي لم تصبه النار
 ١٢٨٧ من مسلم يصاب بمصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه
 ٩٥٦ من نجا من ثلاث فقد نجا
 ١٢٩٥ من نزع بدأ من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا
 ٦١٦ من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى
 ٤٩ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله
 ٧٠١ من هؤلاء؟
 ٧٣٤ مَنْ هَؤُلاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانَهُمْ رِجَالُ الْمُتَدَبَّرِ؟
 ٦٦٩، ٥٧١، ١٢٢٦، ١١٨٧ من هذا؟
 ١٤٣ من هذا؟ أبو إسحاق؟
 ٨٣٥ من هذا؟ أكله الأسود
 ١٢٨٤ من هذا؟ حذيفة؟
 ٦٠٢ من هذا السائق؟
 ٦٠٤ من هذا القاتل؟
 ١٤٦٨ من هذا يا أم سلمة؟
 ٦٥٦ من هذه؟
 ١١٦ من وجد غنوه يعمل عمل قوم لوط فأتوا الفاعل والمفعول
 ١٣٢٤ مَنْ رَضِعَ هَذَا؟
 ٩٤٢، ١٣٢٣ مَنْ رَضِعَ هَذَا؟
 ١٢٥٠ من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين
 ١١٣٩ من يأتينا بخبر القوم؟
 ٥٢٥ من يأخذ هذا السيف؟
 ٥٢٥ من يأخذ هذا السيف بحقه؟
 ٥٢٥ من يأخذه بحقه
 ٦٠٣، ١١٨٠ من يأخذها بحقها؟
 ٤٣٥ من يؤذي؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله
 ١١٠٧ من يتبع ربه رومة؟
 ١١٠٧ من يتبع مرشد بني فلان غفر الله له
 ٩٤٠ من يسطر رداءه اليوم فإنه لا ينسى شيئاً من مقالي
 ٩٢٦ من يجعل لنا هذا النبر؟
 ١١٠٧ من يجهز هؤلاء غفر الله له
 ٥٤٤ من يذهب في أثرهم؟
 ١٢٩٢ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
 ١٢٥٠ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما
 ٥٣٠ من يروهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟
 ٨٨٥ من يشتري العبد؟

- النبي لا يورث..... ٨٣٠
 النبيون..... ١٣٤٨
 النجاة..... ١٨١١
 نحرث ههنا ومنى كلها منحرف، فأنحروا في رحالكهم..... ٧٥٩
 نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، المقضي لهم..... ٣٥٠
 نحن أحق بالشك من إبراهيم ويرحم الله لوطا..... ١١٥
 نحن أحق بموسى منكم..... ٤٧٧
 نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا معنا ولا ننضى..... ٢٩٥
 نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا معنا ولا ننضى..... ٧٢٣
 نحن معاشر الأنبياء لا نورث..... ٢١٧
 نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة..... ٢٧٣
 نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد وأمهاتنا..... ٢٧٢
 نحن معشر الأنبياء لا نورث..... ٨٣٠
 نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة..... ٦١٢
 نحن من ماء..... ٤٨١
 نحن نازلون غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة..... ٧٨٨
 نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على..... ٧٨٨
 نحن نعطيه من عندنا..... ٧٨٠
 نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة..... ٦٤
 نزل جبريل فأنمي فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت..... ٤٥
 نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته غلة فامر..... ٢١٦
 نزلت للمائدة من السماء خبز ولحم وأمرنا أن لا..... ٢٣٨
 نساؤكم وأبنائكم أحب إليكم أم أموالكم؟..... ٦٨٠
 نسيح الرب البهي الذي فهو المجنود ونيد فرسانها..... ١١٣
 نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه..... ١٦٦٦
 نشأ بها مثله..... ٦٠٢
 نصرت الله ورسوله يا عمير..... ٧٩٦
 نصرت بالرب مسيرة شهر..... ٩٥٢، ١٠٠٠
 نصرت بالرب، وأعطيت الخزانين، وخيرت بين أن أبقي..... ٧٩٧
 نصرت بالرب، وأوتيت جوامع الكلم، وبيننا أنا نائم..... ٨٨٢
 نصرت بالرب، وأوتيت جوامع الكلم وجملت..... ٥٥٥
 نصرت بالرب، وأوتيت جوامع الكلم، وجملت لي الأرض..... ٨٨٢
 نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدينور..... ٩٩٩، ٩٨٩، ٩٠
 نصرت يا عمرو بن سالم..... ٦٤٦
 نصر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها..... ١٤٤٩
 النظر إلى وجه علي عبادة..... ١١٩٠
 نعم!..... ٤٥٤، ٤٣٤، ٤١٤، ١٢٤٧، ١١٢٢، ٤٥٧، ٤٨١، ٤٨٧، ٦٩٤، ٦٩٦، ٧١٧، ٧٢٧، ١١٢٢، ١٢٠١، ١٢٤٧، ١٢٨٠، ٥٥٨، ٥٦، ٥٦٣، ٢٢٤، ٣٧١، ٣٧٨، ٤٠٧، ٤٣٠، ٤٤٦، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥٢١، ٥٥٧، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٨٥، ٦٠٦، ٦٤٨، ٦٥٥، ٦٨٠، ٦٨٨، ٦٩٦، ٧١٧، ٨٥٣، ٨٩٠، ٩٠٧، ٩١٨، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٦، ٩٣٤، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٦١، ٩٧٢، ٩٧٦، ٥٧٢، ٨٦٠
 نعم! أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف..... ٥٠٠
 نعم أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني..... ٦٤٢
 نعم، إذا كثر الحبث..... ٩١٢
 نعم استمع صلاحيل ثم أثبت عند ذلك..... ٣٧٤
 نعم، أصيروا هذا اليوم..... ٦٣٤
 نعم إلا من ثلاثة! خرة يسر بها الرجل عورته..... ٨٤٥
 نعم! ألتست من الركوبة وأنت تأكل مرباع قومك؟..... ٧١٩
 نعم، اللهم استر عورتنا وآمين روعاتنا..... ٥٦٩
 نعم، إن شئت أريتك آية..... ٩٢٣
 نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم..... ٤٤٣
 نعم! أنا أقول ذلك يهت الله وإياك بعد..... ٤٠٤
 نعم أنا الذي أقول ذلك..... ٣٨٥
 نعم أنا ضامن أن قد هدك الله إلى ما هو خير..... ٧١١
 نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم..... ١٢٠٤
 نعم البثر ير غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب..... ٨١٦
 نعم! بك ينشؤون الحرب وقال عمر بن الخطاب لابن..... ١١٥١
 نعم الحلي عزة مني عليهم منصورون قوم شيب واختان..... ١١٧
 نعم، خلقه الله بيده ثم فسخ فيه من روحه ثم..... ٧٢
 نعم خلقه الله بيده، وفتح فيه من روحه، ثم سواه..... ٢٧١
 نعم، دعاء على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه..... ٩٥٤
 نعم دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾..... ١٤٣
 نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل..... ٨٥٤، ١٠٧٣
 نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس..... ١٠٢١
 نعم عبد الله وأبو العشرة خالد بن الوليد خالد..... ١٠٧٨
 نعم، فأنرجوا فكونوا فيها..... ٦٠١
 نعم! فأدي عن أبيك..... ٧٧٨
 نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحدة..... ٣١٣
 نعم! كسرى بن هرمز، وليفلن المال حتى لا يقبله..... ٧١٩
 نعم كلمة واحدة تمطونها فملكون بها العرب وتدين..... ٤١٩
 نعم مكلم..... ٧٥
 نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن..... ٦٥٢
 نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابها..... ٦٥٣
 نعم، من يحمل لنا هذا الحجر؟..... ٩٢٦
 نعم، وأتاني بقرية من قرية هراء..... ٩٧٣
 نعم! والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيه..... ٨٠٤
 نعم، وفيه دخن..... ٩٧٦، ٩٥٤
 نعم ولكن الله أعاني عليه فأسلم..... ٥٦
 نعم، ولكن ربي أعاني عليه حتى أسلم..... ٥٦
 نعم! ولز قتل رجلا من بائلة لقتل..... ١٤١٧
 نعم وهل من نبي إلا وقد وعاهما؟..... ٦٥١
 نعم يا أبا بني ضمرة وإن شئت ردنا إليك ما كان..... ٥٥٩
 نعمت لي نفسي..... ٦٦٦
 نعمت لي نفسي..... ١١٩١
 نعمت لي نفسي يا ابن سمور..... ١١٩١
 نعمة جن وغنمهم من أنت؟..... ٧٣٣
 نفلت ما..... ٤٩٤
 نقرهم فيها ما شئت..... ٦١٩
 نكسوها لحما ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ﴾..... ٢١٥
 نم علي فراشي وتسج بردي هذا الحضرمي الأخضر..... ٤٤٣
 نور أبي أراء..... ٤١٤
 ها إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا، من حيث يطلع..... ٥٤
 ها هنا امض لما أمرت به..... ٦٩٧
 هات..... ٣٠٨
 هات ذلك التور..... ٩١٦
 هات فاقط لي حصا..... ٧٧٨
 هات لنا فرقا..... ٤٤٩
 هات نظاما..... ٩١٩

- هاترا ٣١١
هاترا أسيافكم ٥٨١
هاترا خطاماً ٩٢٨
هاترا ما عندكم ٩١٠
هاتيه ٩١٩ ، ٥٦٤
هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الوف قلم ١١٤١
هاك لا تكونن لكذا ٨٥٠
هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء ٦٥٧
هؤلاء الخلفاء من بعدي ٤٦١
هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ٦٩
هؤلاء للمتأفقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما ٦٩٨
هؤلاء ولادة الأمر بعدي ٤٦١
هؤلاء يكونون الخلفاء بعدي ٩٦٠
هبط آدم وسواء عريانين جيماً عليهما ورق الجنة ٦٤
هي لي نفسك ٨٣٣
هتك الأسرار وكشف الأسرار ١٦٥٧
هنا ١١٢٢
هنا ابن أبي تحافة ٥٩٥
هنا ابن أخيك المغيرة بن شعبه ٥٩٥
هنا ابنك؟ ٨٧٥
هنا أبر بكر وهذا عمر ١٤٣٠
هنا أحد عينا ونحبه، ألا أخبركم بغير دور الأنصار ٦٩٥
هنا أخني ٤٦٤
هنا أربب المصيبة، هذا ابن أربب ٤٣٨
هنا أمر الخلافة من بعدي ١١٢٠
هنا أمين هذه الأمة ٧١٣
هنا إن شاء الله المنزل ٤٤٧
هنا أمون ١١٥١
هنا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام ٨٨٨
هنا بعر هم أهله بنحوه فهرب منهم فاستغاث بنيكم ٩٣١
هنا بقية آبائي ١١٠٠
هنا جاء يستعرض فافرضوا له ٩٣٣
هنا جبريل أخذ برأس فرسه وعليه أداة الحرب ٤٨٨
هنا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال: ٥٧٢
هنا حين حيي الرطيس ٦٧١
هنا خالي ١٢٢٧
هنا خللي ظفيري امرو خاله ١٢٢٧
هنا غير مما أردت يوم حين مما حال الله بينك ٦٨٦
هنا دم الحسين وأصحابه لم أول انقطع منذ اليوم ٩٧٣ ، ١٢٨١
هنا الذئب وما الذئب؟ جاءكم يسألكم أن تعطوه أو ٩٣٣
هنا رجل غافر ٥٩٥
هنا سيد أهل الوبر ١٢٠٧
هنا شريد أبي عامر ٦٧٤
هنا شيطان يكلم الناس في الأوثان يقال له: مسعر ٣٦١
هنا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً وأوصلها ١١٠٠
هنا العظيم ٦١٥
هنا عفريت من الجن اسمه سمح آمن بي سميت عبد ٣٦١
هنا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها متخوفاً ٥٥٢
هنا الغلام يعيش قرناً ٩٧٨
هنا غلامك ١٢٤٠
هنا فرعون هذه الأمة ٤٩٢
- هنا فلان وهو من قوم يعظمون البدين فابتموها له ٥٩٩
هنا قبر أمة بنت وهب استأذنت ربي في أن أזור ٣٣١
هنا قبر أبي رغال؛ رجل من ثمود كان في حرم الله ٩٤
هنا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان ٦٧٧
هنا قتله، أرى فيه أثر الطعام ٥٨١
هنا لا يحل لك في دينك ٧١٩
هنا ما قاضي عبد الله أمير المؤمنين علي معاوية ١١٥١
هنا ما قاضي عليه محمد رسول الله ٥٩٩
هنا مصرع فلان يضح يده على الأرض مهنا ومهنا ٤٨١
هنا مركز وهو رجل فاجر ٥٩٩
هنا ممن قضى نحبه ١١٣٩
هنا من أهل النار ٦٠٥ ، ٥٣٥
هنا من فضل الله ونحن نتنظر الرحمة ٩٢١
هنا من النعيم الذي تسألون عنه ٨٨٨
هنا المنحر ومنى كلها منح ٧٧٨
هنا المرقف، وجمع كلها موقف ٧٧٨
هنا المرقف، وعرفة كلها موقف ٧٧٧
هنا وأصحابه ١١٢٢
هنا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرفقون ١١٦١
هنا وائد الذئب جاء ليسألكم أن تجعلوا له من ٩٣٣
هنا وائد السباع إليكم؟ فإن أحببتم أن تفرضوا ٧٣٢
هنا وائد السباع إليكم فإن أحببتم أن تفرضوا له ٩٣٣
هنا وليي والمؤذي عني وإن الله مولاي من والاه ٧٩٢
هنا يقول: نتجت عندهم فاستعملوني حتى إذا كبرت ٣٣٠
هنا يوم أرخص لكم فيه إذا ربيتهم الجمرة، ونحرم ٧٨١
هنا يوم الحج الأكبر ٧٨٣
هنا يومئذ على الحق ١١٢٢
هنا يومئذ على الهدى ١١٢٢
هذان ابناي، من أحبهما فقد أحبني ١٢٠٨
هذان سيدا شباب أهل الجنة ١٢٧٢
هذه آية ما بيني وبينك يوم القيامة ١٢١٩
هذه إدام هذه ٨٨٨
هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا ٧٧
هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأصمار، وهذه ١٩٥٩
هذه بركة منزلة من السماء، أفلا أخبرتني حتى ٨٥٢
هذه بقية أهل بيتي ٨٤٦
هذه ثم ظهور المحصر ١٠٧٤
هذه حاجلك ٥٨٩
هذه الحيرة البيضاء رفعت لي، وهذه الشيماء بنت ٧٠٢
هذه خلافة النبوة ٩٩٣ ، ٩٦٠ ، ٩٥٨ ، ٩٢٧ ، ١١٢٠
هذه الشجرة ٩٩٤ ، ٩٢٣
هذه صدقات قوم - أو قومي - ٧١٠
هذه صديقة أمي ٢٢٤
هذه طابة ٦٩٥
هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ٧٠٠
هذه طيبة وذلك الدجال ٧٢٩
هذه عبر قريش فيها أمراهم فآخروا إليها لعل ٤٧٨
هذه قبلتنا ٦٩٦
هذه كرامة أكرمني الله بها، اللهم إني أعوذ ٩٣٥
هذه لثمان ٥٣١ ، ١١٢٠
هذه لموت متافق ٥٩١

- هذه مكان عمرتك. ٧٥٤
هذه مكة قد ألفت إليكم أنلاذ كيدها. ٤٨٢
هذه وفود الذناب، جننكم يسالكنم لتفرضوا لمن. ٩٢٣
هذه يد عثمان. ٥٣١، ١١٢٠
هذه يدي وهذه يد عثمان. ١١٠٨
هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، لعلي. ٧٩٨
هكذا أنزلت. ٨٥٣
هكذا فاصنعوا بالقري. ٢٣٩
هكذا يا ابن عرف، فاعتم فإنه أحسن وأعرف. ٧٩٥
هل أحسستم فارسكم؟ ٦٦٨
هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها. ١٢٤
هل أنت متة عما بلغني عنك؟ فاعتر بعض العذر. ١١٢٢
هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ ٦١٤
هل أنتم صادقي عن شيء سألتكم؟ ٦١٤
هل أنكر عليه أحد؟ ٦٦٢
هل تدرون أي شهر هذا؟ ٧٧١
هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ ٢٨
هل تدرون ما البيت المعمور؟ ٤٣
هل تدري ما أرادوا؟ ٦٩٩
هل ترون قبلي مهنا، فوالله ما يغني عني خشوعكم. ٨٧٠
هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم. ٩٦٢
هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ ٤٣٥
هل جيزت سلمة؟ ٦٢٦
هل جعلتم في هذه الشاة سمًا؟ ٦١٤
هل قلتم على رجل يطمعنا أكلة؟ ٥٤٤
هل رأيتم غلاما أحصى ما أحصى هذا؟ ٨٤١
هل رأيته يا عبد الله؟ ١٣٢٤
هل سمعت هذه الشاة؟ ٦١٥
هل عرفت هؤلاء القوم؟ ٦٩٨
هل عرفتم القوم؟ ٦٩٨
هل عندك سمن؟ ٩١٥
هل عندك شيء؟ ١١٨٢، ٩١٠
هل في القوم من ماء؟ ٩١٠
هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ ٨٩
هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ ٧٢٨
هل كنت طفت يوم النحر؟ ٧٥٦
هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ ٦٩٧
هل لك إلى خير؟ ٩٢٣
هل لك أن أريك آية؟ ٩٢٣، ٩٢٣
هل لك أن أشمك من تربته؟ ١٢٨١
هل لك حاجة؟ ٨٥١
هل لك من شيء؟ ٥١٨
هل لك من ولد؟ ٧٢٣
هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيرا الآن وخمسين إذا. ٦٢٢
هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيرا وخمسين. ٦٢٢
هل لكم أن نعرض قليلا ثم نلحق بالناس؟ ٩١١
هل لكم أن نهجع هجمة؟ ٨٥٠
هل لكم في خير مما جئتم له؟ ٤٣٠
هل لكم من أغايط؟ ٩٥٥
هل مريم أحد؟ ٥٧٢
هل مسحنا سيفكما؟ ٤٩٢
هل مسسما من مائها شيئا؟ ٦٩٥، ٩١١
هل مع أحد منكم طعام؟ ٩١٧
هل مع أحدكم ماء؟ ٩١١
هل من رجل يحسني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني. ٤٣٠
هل من سمن؟ ٩١٥، ٩١٤
هل من شيء؟ ٩٢٠
هل من ماء يا أخا صدهاء. ٧٢٧
هل من وضوء؟ ٩١٩
هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ ٥٩٧
هل نزلت الليلة؟ ٦٦٨
هل نظرت إليها فإن في أعين الأنصار شيئا؟ ٩٤١
هل وجدت له ساء أو وجعا؟ ٢٢٠
هل وجدت ما وعد ربيكم حقا. ٤٢٤
هلا أقروم الشيخ في بيته حتى كنا نحن نأثيه. ١٠٥٠
هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آثيه فيه؟ ٦٥٤
هلا شققت عن قلبه. ٧٩٥
هلاك أمي على رؤوس غلمة أمراء سفهاء من قريش. ٩٧٢
هلاك أمي على يدي غلمة من قريش. ٩٧٢
هلاكة أمي على يدي غلمة. ٩٧٢
هلم إلى الغداة المبارك. ١٢٤٧
هلمه، فإن الله سيجمع فيه البركة. ٩١٥
هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. ٧٩٩
هلموا إلى ثوبا. ٣٤١
هلموا فتوضؤوا. ٩٠٨
هلمني يا أم سلمة، ما عندك؟ ٩١٤
هلمني يا بنته. ٩١٧
هم أشد أمي على الدجال. ٧١٠
هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يطهرون وعلى. ١٨٢
هم أول من كذبني وطردني. ٤٢٨
هم قوم لا يعرفون العمل، تكفرونهم وتقاسمونهم. ٤٦٥
هم لك. ٥٢٠
هم من جلدتنا، ويكلمون بالكتناء، قلت: فما تأمرني. ٩٥٤
هما ريحانتي من الدنيا. ١٢٨٣
هما سواء ما يضرك بايها بدأت. ٦٨٣
هو آمن. ٦٦٠
هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب. ٦٩٥، ٩٤
هو اختلاس يخلصه الشيطان من صلاة أحدكم. ٥٥
هو أروى وأبرا وأمرى. ٨٨٨
هو أمة وحده يوم القيامة. ٣١٢
هو ذاك. ٩٦١
هو ذاك فإن شئت فاقبل وإن شئت فذر. ٧٢٧
هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه. ٦٤٥
هو السلام ومنه السلام وإليه السلام. ٤٨٣
هو الطهور مأوه الحبل نبيته. ٣٥، ٣٤
هو عن بين العرش. ٣٠
هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك. ٤٢٠
هو في النار. ٨٤٣
هو كذلك. ٨٨٦
هو لك هو أخوك يا عبد بن زعمة من أجل أنه ولد. ٦٦٤
هو لكم لا ناكل ثمن الموتى. ٥٧٧
هو ما سمعت. ٩١١

- هو مسجد في السماء يقال: له الضراح، وهو مجيال ٤٣
- هو مسجدكم هذا ٤٦١
- هو مسجدي هذا ٤٦١
- هو هذا المسجد ٤٦١
- هو مرق ٦٠٦
- مرون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل ٦٥٣
- هي أحب إلي وأنت أعز علي منها ١١٨٢
- هي أفضل بناتي أصيبت في ٥١٢
- هي أمي بعد أمي ١٠٢٠
- هي جريان والطارق والذبال وذو الكففات وقابس ووثاب ١٢٤
- هي خن وهي خسون: الحسة بمشر أمثالها ٤١٤
- هي شجرة استأذنت ربه عز وجل في أن تسلم على رسول ٩٢٩
- هي شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدكم فيهلك ٩٩٩
- هي لك ٧٠٢، ٩٥٦
- هي ليرن خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ١٤٣
- هي ٨٥٢
- هي وما وافد عاد؟ ٨٩
- وأدم بين الروح والجسد ٣٤٩، ٣٤٣، ٣٥٠
- وأدم منجلد في الطين ٣٤٩
- وأدم منجلد في طيبته ٣٤٣
- وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب ٢٨٣
- وآية ذلك أنه مروت بعير بني فلان يروى كذا وكذا ٤١٣
- وأبيك لو سكت ما زلت أنازل منها ذراعاً ما ٩٢١
- وأبى الأقرع فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر ٢٦٤
- وأخذ سيفاً من خشب ٩٦٣
- وأحب من يحبه ١٢٠٨
- وأحسبه قال ٤٨
- وأخبرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم ١١١
- وأخبرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم ١١٠
- وأدخله الجنة ١٣٨٥، ١٢٤٧
- وأذكر بعد أمي ١٢٩
- وإذا أردت بقرم فتة توفنا إليك غير مفتونين ١٣٤
- وإذا هن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر ٧٣
- وارته الملائكة وأنزل عليهن ٨٥٧
- واسجد لك ملائكتك ٦٠
- وأعجب من ذلك إن شئت أن أريك إن اتقيت الله ٤١٠
- وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل ١٠٧٠
- وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ١٢٠٦
- وأعوذ بك أن يتخطى الشيطان عند الموت ٥٥
- واقعد في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية ٩٦٣
- وال من والاء، وعاد من عاداء ٧٩١
- والإنجيل؟ ٩٥٠
- والأنصار ما هنا ٧٧٩
- والذهب على غنويه ٣٩٠
- والذي أكرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر ١١٨٠
- والذي بعثي بالحق لقد آمن قس بالبعث ٣١١
- والذي بعثي بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن ٧١٤
- والذي بعثي بالحق ما تكلمت فيه حتى أذن الله ١١٨٢
- والذي كرم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك ٦٠٣
- والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمي ١١٦١
- والذي نفس محمد يبوء إن دواب الأرض ٢٥٠
- والذي نفس محمد بيده إني لأنا مؤمن من أمي ٩٥٠
- والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان ٣٢١
- والذي نفس محمد بيده لا يقتلهم اليوم رجل فيقتل ٤٨٧
- والذي نفس محمد بيده لماديل سعد في الجنة أحسن ٥٧٨
- والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا ٩٢٤
- والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع ٨٢٦
- والذي نفس محمد بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم ٤٩٤
- والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم ٤٨١
- والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة ٨٠٠
- والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع ٩٣٢
- والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق ٧٢٠
- والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق ٣٠١
- والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته ٥٣٨
- والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ٩٤٨
- والذي نفسي بيده لا يقتلهم اليوم رجل فيقتل ٤٨٨
- والذي نفسي بيده لتفتحن عليكم فارس والروم حتى ٥٥٧
- والذي نفسي بيده لقد أخرجني الذي أخرجك ٨٨٨
- والذي نفسي بيده لقد سؤمت لهم حجارة لو ٥٤٢
- والذي نفسي بيده لما في الميزان أثقل من أحد ٨٥١، ١١٠٠
- والذي نفسي بيده لو امتننى فقال: إن شاء الله ٢٠٨
- والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه ٢٧٣، ١٢٤
- والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه ١٩٢
- والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيني ذراعها ما ٨٤٥
- والذي نفسي بيده لو سكت لأولتني ما دعوت ٩٣١
- والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لم يمت ٢٥٣
- والذي نفسي بيده ليرجن عنكم ما تزرون ٥٦٨
- والذي نفسي بيده ليزن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ١٤١٢
- والذي نفسي بيده ما أمسي في آل محمد طعام ليس ٩١٦
- والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم ٩٤، ٤٩٤
- والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون ٣٠
- والذي نفسي بيده ما يسرن أن أحداً لآل محمد ٨٢٦
- والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين ١٧٥
- والسماء والطارق ٤٢٦
- والشمس تجري لمستنقراً لها ٣٩
- والغنان ٢٨
- والفجر حين يزيغ الفجر ٧٧٥
- والله إنك خير أروض الله وأحب أروض الله إلى ٤٥٥
- والله إنها للجنة التي عرضت على بني إسرائيل ٥٩٤
- والله إني لأتاكم لله وأعلمكم بما أتني ٨٩١
- والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما ٩٦٢
- والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، أكتب محمد ٥٩٩
- والله لا أحلكم على شيء ٦٩٢
- والله لا أعطيكم رادعاً أهل الصفة تطوى ١٠٢٠
- والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلي ٤٧٠
- والله لا البسه ٨٦٠
- والله لا تغفلكم فيها أبداً ١١٤
- والله لأحدثنهم ٤١٣
- والله لأن يأتي أحلكم صبراً ثم يحمله فيبعه ٢٦٦
- والله لو أن عندي عدد هذه المضاء نعماً لقسمتها ٨٩٠
- والله لو سألتني هذا الصيب ما أعطيتك، ولئن ٩٥٩
- والله لوددت أني شجرة تمضد ٤٤

٩٥٥	والله ليؤمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون
٩٥٦	والله ليؤمن الله عليكم، وليستخلفكم
٦٩٢	والله ما أحلكم وما عتدي ما أحلكم عليه
٧٢١	والله ما أدري بأيهما أمر أبقدم جعفر أو بفتح
٦١٣	والله ما أدري بأيهما أفرح، بفتح خير أم بفتح
٣٩٨	والله ما أدري بأيهما أنا أسوأ
٥٦٨	والله ما صليتها
٧١١	والله ما عتدي ما أحلكم عليه
٣٠	واللوح المحفوظ لوح من درة يضاء، طوله ما بين
٢٨	والزن
٧٨٠، ٥٩٦	والقصيرين
٧٠٤	وأم قومك وإذا امت قوما نخفف بهم الصلاة فإنه
١٠٧٩	وأما خالد فإنه ظلمون خالدًا وقد احتسب أدراعه
٩٤٦	وأما السواد الذي في القمر فإنه كانا شمسين
١٢٥٠	وإن أعمل الشام هم الطائفة المنصورة على من خالفها
٢١٩	وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ادعوا المسلمين باسمهم
٦٧٩	وإن كان لم يؤذن في تقيف يا خويلد
٣٢	وإن كنا مع ذلك لنبال عليه الكذب
٢٦	وإن ما بقي من الدنيا فيما مضى منها
٤٦٣	وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه
٤٩	وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما
٢١٩	وأنا أكرمكم خمس: الله امرني بهن بالجماعة والسمع
٧٣٣	وأنا أزيدكم خمساً فتيم لكم عشرون خصلة إن
٧٣٤	وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
٧٠١	وأنا أقسم بالله لا أظلمهم ولا أعزهم حتى يكون
٣٩	وأنا الدهر
٣٩	وأنا الدهر بيدي الأمر أقبل ليله ونهاره
٣٣٨	وأنا رعيته لأمل مكة بالقراريط
٧٧٣	وأنا على ذلك من الشاهدين يارب
٦٣٣	وأنا فقه كل مسلم
٦٧٩	وأنا لا أرى ذلك
٤٥٣	وأنا والله أحبكم، وأنا والله أحبكم، وأنا والله
٦٣٧	وأنت فيك الله
٩٦١	وأنت يسألك الناس أن تغلق قميصاً كساك الله،
٩٤٦	وأنتم يا معشر يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في
٧١٣	وأنتما تقولان مثل ما يقول؟
٩٤٦	وأنتدكم بالله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل
٧٩١	وأنصر من نصره وأخذل من خذله
٤٦٣	وأقتل حماماً إلى الجحفة
٦٦٥	وإنك لهدت بنت عتبة؟
٨٧٩	وإنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق
٨٩٧	وإنما كان الذي أوتيت
٩٨٥	وإنما كان الذي أوتيته
٩٥٩	وأنه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لاقتراب
١٥١٠	وأنه يجربها
٩٦٨	وإني أوتيت أن الفتى إذا وقعت أن الإيمان بالشام
٣٨٢	وإني قد جتكم بخير الدنيا والآخرة
٧٢٧	وأهلي لعمر الله، ما أتيت عليه من قبر عامري
٥٦، ٤٨	وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمري إلا
٦٦٥	وأيضاً والذي نفس محمد بيده
١٢٤٩	وأيضاً والذي نفسي بيده
٢٣	وليم الله، لو دأبتم أحذكم إلى الأرض
٦٠٩	وورثت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئا
٢٣	وأيما ما بين كل سماءين خمسمائة عام، وكيفها
٧٦٦	وبين الصفا والمروة
٢٦٢	وبينما امرأة ابن حجرها ابن لها ترضعه إذ مر بها
٢٣٨	وبينما عيسى يوماً نائم على حجر قد توسده وقد
٧٣٤	وتطاولوا ولا تختلفوا
٣٨٧	وتقبلون؟
٩٣٤	وتقبلين؟ قالت: عذبي الله عذاب العشار إن لم
٥٦٥	وتنت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبال
١١٠٠	وتسكروا بعهد ابن أم عبد
٨٧١	وتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة
١٧٣	وجاء عصفور نوقع على حرف السفينة ففرق في البحر
٨٥٤	وجبت له
٣٤١	وجد في المقام ثلاثة أصبع، في الصفح الأول: إني
٣٥	وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي: حدثنا
٨٨٠	وجدناه بمراً
٦٦٩	وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج
٩٩٠	وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود
١٢٤٨	وحلوه أكرمكم
٦٩	وخلق آدم في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة
١٧٣	ودنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من
٩٧٥	وراء؟
٣٢٤	وروي أمي التي رأت حين حلت بي كأنه خرج منها
١٨٣	ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولد به
٢٤٣	ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به
٢٣٩	ورب شهوة أورثت أهلها حزناً طويلاً
٢٩٧	ورحب مضر
٤٢٢	ورزقني الله ولداً إذ حرمني أولاد النساء
١٢٨	وسبحون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها
١٥٦	وصد عن السبيل
٤٢١	وصلتكم رحم، وجزيت خيراً يا عم
٩٥٧	وعدمت من حيث بلدكم
٧٣	وعزني وجلاي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي
١٢٢٧	وعسى أن تبقى يتبع بك أقوام ويضر بك آخرون
٤٥	وعلى أي شيء ميكانيل؟
٧٣٣	وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك السلام
٣٨٠	وعلى قومك؟
٧٢٦	وعلم يوم الساعة
٦٤	وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاه جاءه جبريل فقال:
٧٣٢	وعليكم السلام، اجلسوا
٥٤٩	وعليكم أو عليك السلام خيب قتله قريش
٣٦٧	وغثي
٤٢٣	وقضل عائشة على النساء
٤٢٢، ٢٢٤	وقضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
٩٥٨	وفي نزع ضعف
٧٢٩	وفيم جاء بها
٦٤	وفيه تقدم الساعة
٩٦٥، ١١٤٨	وقاتله في النار
٥٥٦	وقالوا إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم
١١٢	وقد أتت عليه ثمانون سنة

- وقد امرني الله أن ادعوكم إليه، فأبكم يؤازرنى. ٣٨٢
- وقع في نفس موسى عليه السلام هل ينال الله عز. ١٧١
- وقعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك. ٥٧
- وقفت ها هنا وعرفة كلها مرقف. ٧٧٢
- وقفت هنا والمزدلفة كلها مرقف. ٧٥٨
- وقفت هنا، وعرفة كلها مرقف. ٧٥٨
- وكان راح يأوي إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها. ٢٦٢
- وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج، فابتنى. ٢٦٢
- وكان كل واحد منهما ينال على حدة، ينال أحدهما. ٦٤
- وكانت الأولى من موسى نسيانا. ١٧٣
- وكذلك من شهد بدرا من الملائكة. ٥١٢
- وكذلك والذي نفسي بيده. ١٠٥١
- وكنت فاعلاً؟ وما يدريك لعل الله قد اطلع على. ١١٨٠
- وكنت لا تكون الخليل. ٦٨٣
- وكيف ذلك؟ ٣٠٣
- وكيف رأيته؟ ٢٥٠
- ولا أقول: إن أحداً خير من يونس بن متى. ١٤٣
- ولا بول. ٤٨
- ولا تأتين بيهتان تفترينه بين أيديكم ولوجلكن. ٦٦٥
- ولا تزني. ٦٦٥
- ولا تسرف. ٦٦٥
- ولا تضحك إلا من عجب. ١٨٩
- ولا تعصيني. ٦٦٥
- ولا تقتل أولادك. ٦٦٥
- ولا فخر. ٣٢١
- ولا اللحم؟ ٨٣٧
- ولا يحسب المجلس أنني أرسلت القلم عرفاء والقول. ١٩٥٩
- ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب. ٦٠٦
- ولا يقبل إلا الإسلام. ١٤١٢
- ولا يموت حتى يذهب الثالوث من وجهه. ٩٧٨
- ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. ٩٥٣
- ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز. ٧٢٠
- الولد للفراس وللعاشر الحجر. ١٢٠٥، ٦٦٤
- ولد لنوح سام وحام ويافت، فولد لسام العرب وفاروس. ٨٢
- ولدت من نكاح غير سفاح. ٣٢٠
- ولدت من نكاح لا من سفاح. ٣٢٤
- ولذلك قدمت؟ هل كان من حدث قبلكم؟ ٦٤٨
- ولقيت عيسى فمعه النبي ﷺ فقال: ربعة أحر كأنما. ٢٤٣
- ولك. ٨٧٥
- ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن. ١١١٩
- ولكن الله انتجاه. ١١٨٩
- ولكن حزة لا يواكي له. ٥٤١
- ولكن ربي امرني بإعفاء لحبي وقص شاربي. ٦٤٢
- ولكنكم تستجلون. ٣٩٠، ٣٩١
- وللألسنة بعد في هذا الفتحة، سبع طويل، وقول جليل. ١٩٤٠
- ولم يا يهودي؟ ٣٥١
- ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعاهم. ١٠٣
- ولن. ٩٥٠
- ولو شئت لأجرى الله معي جبال الأرض ذهباً، ولكن. ١٠٠٠
- ولو لم احتضنه لحن إلى يوم القيامة. ٩٢٥
- وليكنم ولست بخيركم. ٨٠٩
- ولي جبريل عليه السلام، ولم يعث الله نبياً. ٩٤٦
- وما الذي عليه هذا؟ ٢٠٦
- وما الذي معك؟ ٤٣٠
- وما الخمسة التي امرتكم أن تعملوا بها؟ ٧٢٣
- وما الخمسة التي تخلفتم بها في الجاهلية؟ ٧٢٣
- وما ذاك؟ ٦٠٥، ٦٣٣، ٩٥٢
- وما شربك لو مت قبلي فممت عليك وكنتك وصليت عليك. ٧٩٨
- وما علامة ذلك؟ ٦٨٥
- وما عليك لو مت قبلي، فوليت أمرك وصليت عليك وواريتك. ٧٩٨
- وما هذان الصيران؟ ٤٢٩
- وما هو. ٧١٤، ٩٧٣
- وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال. ١١٧٨
- وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب. ٦٤٩
- وما يسرهم أنهم عندنا. ٦٣٦، ٦٣١
- وما يقول أبو كير؟ ٨٦٩
- وما ينبغي لعيد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى. ١٤٣
- ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج. ٦٥٧
- ومم ذاك؟ ٦٩٦
- ومن؟ ٤٢٤
- ومن؟ أخيراً؟ ٣٦٨
- ومن أغلق عليه بابه فهو آمن. ٦٥٢
- ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو. ٦٥٢
- ومن أمرك أن تشرب الدم؟ ويل لك من الناس، ويويل. ١٣٤٥
- ومن أنت؟ ٦٨٩
- ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ ٤٢٥
- ومن البكر ومن الثيب؟ ٤٢٤
- ومن تشبه بقوم فهو منهم. ١١٦
- ومن الثيب؟ ٤٢٣
- ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن. ٦٥٢
- ومن دخل الكعبة فهو آمن. ٦٥٢
- ومن دخل المسجد فهو آمن. ٦٥٢
- ومن سعاد؟ ٦٨٩
- ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها. ١١٧٩
- ومن عندي؟ ٩١٥
- ومن كذب على. ٢٦١
- ومن لقيت من المسلمين. ٥٨٦
- ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار. ٤٢٥
- ومن وافلك؟ ٧١٩
- ونعم الراكب هو. ١٢٠٩
- ونعم العدلان هما. ١٢٠٩
- وهذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحيل بن حسة يافن. ٦٩٧
- وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟ ٢٨
- وهل ترك لنا عقيل من رباح. ٢٠٦٦، ٦٥٤
- وهل ترك لنا عقيل من رباح؟ ٧٨٨
- وهل تلد الإبل إلا النوق. ٨٨٥
- وهل عندك من شئ تستحلها به؟ ٥١٨
- وهم أتباع الرسل. ٧٨
- وهم بالشام. ٩٨٥
- وهم بالمدينة حبهم العذر. ٧٠٠
- وهم على ذلك. ١٢٥٠
- ومن شر غالب لمن غلب. ٧٢٣

- ١١٥ وهر أب لهم
 ٣٨ ورجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا.
 ١٧٣ وروى عن عصفور على حرف السفينة فغس مقاره في البحر
 ٤٦ ويأمر الله إسرائيل بنفخة الصنق فينفخ نفخة.
 ٦٤٧ ويغير على المسلمين أذانهم
 ٦٤٧ ويغير عليهم أذانهم
 ٤٦٠ ويحب ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك
 ٤٦٠ ويحب عمار تقتله الفئة الباغية يدفعهم إلى الجنة
 ٤٦٠ ويحب لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
 ٤٦٠ ويحبك ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
 ٢٨ ونحك أندري ما تقول
 ٦٨٥ ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعد من يكون؟
 ٥٢٠ ويحك أرسلي
 ٩٣٠ ويحك انظر لمن هذا الجمل إن له لساناً
 ٩٣٠ ويحك انظر هل ترى من شيء يوراني؟
 ٢٨ ونحك إنه لا يُستفزع بالله على أحد من
 ٤٨٦ ويحك أهلبت، إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس
 ٥١١ ويحك أو هلبت أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة
 ٥١٧ ويحك عيب عني وجهك فلا أرىك
 ٦٥٢ ويحك يا ابن سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا
 ٦٥٢ ويحك يا ابن سفيان ألم يأن لك أن تعلم إني رسول
 ١١٤٨ ويحك يا ابن سمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولينة
 ٩٦٥ ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
 ١١٤٩، ١١٤٨ ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
 ٨٨٥ ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
 ٨٨٩ ويحك يا بلال! أو ما تخاف أن تكون له غار في
 ٥٤١ ونحك ما اتقيل بعد؟ مروهن فليخيل
 ٢٢١ ويحكمي
 ١٥٤ وينزك والمحك
 ٩٦٠ ويرزقك الله قرّة عين في الدنيا والآخرة
 ٢٢١ ويسمى
 ١٨٠ ويك
 ٥٩٩ ويل أمه سمع حرب لو كان له أحد
 ١٣٤٥ ويل لك من الناس، وويل للناس منك، لا تمسك النار
 ٨٦٠ ويل للأعقاب من النار
 ٧٣٨ ويلك أو لست أحق الناس أن يقي الله
 ١٢٥٦ ويلك! وليس هو من أصحابي؟
 ١١٦٢ ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟
 ٩٦٦ ويلك، ومن يعدل؟ إذا لم أعدل قد خبت وخسرت
 ١١٦٠ ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت إن لم أكن
 ١١٦١ ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟
 ٦٨٥ ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت
 ٦٨٥ ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت، إن
 ١١٦١ ويلك ومن يعدل إن لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم
 ٦٤٢ ويلكم من أمركم بهذا؟
 ٩٥٥ ريشك الشام أن يشتت فإتيه رجال من هذا البلد
 ٧٥٥ يا آل محمد من حج منكم فليهل بعمرة في حجة
 ٨٣٣ يا ابن أبي أمية أكسها رازيئين، والحقها بأهلها
 ٨٣٣ يا ابن أبي أمية أكسها رازيئين، والحقها بأهلها
 ٦٦٧ يا ابن أبي أمية أعزنا سلاحك هذا تلقى فيه عدونا غداً
 ٤٥٣ يا ابن أبيوب إن أرفق بنا وبمن يشأنا أن نكون
 ٣٧٧ يا ابن بكر إنما قليل
- ١١٩٠ يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذرو الفضل
 ٦٧٩ يا أبا بكر إني رأيت أني أهلبت في قبة معلومة
 ٨٤، ٩٤ يا أبا بكر إني واد هذا
 ٦٥٣ يا أبا بكر كيف قال حسان؟
 ٤٤٥ يا أبا بكر لا تحف إن الله معنا
 ٤٤٥ يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟
 ٩٩٢، ٤٤٦ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما
 ٤٤٥ يا أبا بكر ما لك تشي ساعة بين يدي وساعة خلفي
 ٤٥١ يا أبا بكر هذا المنزل. رأيتني أنزل إلى حياض
 ٤٧٣ يا أبا تراب
 ٩٦٧ يا أبا تراب - لما يرى عليه من التراب - ألا
 ٥٩٦ يا أبا جندل اصبر واحسب، فإن الله جاعل لك ولين
 ٤٩٠ يا أبا حفص
 ٧٦٥ يا أبا حفص إنك رجل قوي فلا تراحم على الركن،
 ٣٩٣ يَا أَبَا الْحَكَمِ، هَلُمَّ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى
 ٣٣٠ يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا يبعض بطحاء مكة فوقع
 ٧٧٤ يا أبا ذر أرايت إن الناس قتلوا حتى تغرق حجارة
 ٢٧١ يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ
 ٨٤١ يا أبا رافع أقتلها أقتلها
 ٩٢٢ يا أبا رافع ضع الذي معك
 ٩٢٢، ٩٢١، ٩٢٢ يا أبا رافع نالني الذراع
 ٤١٨ يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا
 ٥٨٧ يا أبا عياض لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس
 ٩٢٧ يا أبا الفضل لا ترم متزك غدا أنت وبنوك حتى
 ٩١١ يا أبا قتادة أنت بالمحضة
 ٧٩٧ يا أبا موهبة أسرج لي دابتي
 ٧٩٧ يا أبا موهبة إني أعطيت - أو قال: خيرت بين مفتاح
 ٨٤٦ يا أبا موهبة إني خيرت مفتاح ما يفتح على أمي
 ٧٩٧ يا أبا موهبة إني قد امرت أن أستغفر لأهل هذا
 ٧٩٧ يا أبا موهبة إني قد أوتيت مفتاح خزائن الدنيا
 ٦٥٩، ١٢٤٠ يا أبا هريرة
 ٩٢٠ يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فادخل
 ٩١٩ يا أبا هريرة إذا أردت شيئاً فادخل يدك وخذه ولا
 ٩٢٠ يا أبا هريرة أملك شيء؟
 ٣٢ يا أبا هريرة إن الله خلق السماوات والأرض
 ١٢٤٣ يا أبا هريرة إن خلوف فمك الليلة لشديد؟
 ٩١٩ يا أبا هريرة عندك شيء؟
 ٧٢١ يا أبا هريرة هذا غلامك
 ٣٩٢ يَا أَبَا الزَّيْلِدِ اسْمَعْ
 ٢٢٠ يا أبا يحيى خبرني عن فتلك كيف كان ولم تترك بنتو
 ٤٤٢ يا أبا يحيى ربح البيع
 ٦١٤ يا أبا جاسس
 ٩١٩ يا أبا هريرة عندك شيء؟
 ٢٣٩ يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت وكن في
 ٢٣٤ يا ابن آدم لا تسالي هلاك نفسك فإني أفعل ما
 ٥٥٨ يا ابن الأكرع، ملكك فاسجح
 ٥٨٨ يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض
 ٩٥٦ يا ابن حوالة، كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف
 ٩٥٦ يا ابن سلام أخرج عليهم
 ٤٥٧ يا ابنه صدها إنك لطاع في قومك
 ٧٢٧

- يا إخوة القردة والخنزير..... ٥٧٢
يا أسامة أتتلك بعد ما قال لا إله إلا الله؟ ٦٢٠، ٦٤٦
يا أسامة من لك بلا إله إلا الله ٦٢٠
يا أسد اتعب الجنة؟ قال: نعم! قال: فاحب للمسلمين ١٤٧٣
يا أسلم قم فارحل ٨٤٩
يا أسلم قم فافضل ٨٤٩
يا أشج إن فيك خصلتين يحبسهما الله عز وجل ورسوله ٧١١
يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكثرة ٦٧٥
يا أعرابي إن هذا كلام الله، ليس بشعر، إنك ٩٣٥
يا أكرم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف يجر ٢٩٠
يا أم أيمن صبي ما في الفخارة ٨٤٧
يا أم بشر إن هذا ألوان وجدت انقطاع أبهري من ٦١٥
يا أم سلمة لا تؤذني في عائشة، فإنه والله ١٢٣٥
يا أم سلمة هذا والله قاتل التاكين والفاستين ١١٦٥
يا أم سليم اتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت ٩١٣
يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ ٨٧٤
يا أم سليم ما هذا؟ ٨٧٤
يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عوز ٨٨٥
يا أم فلان انظري أي الطرق شئت ٨٨٢
يا أم معبد هل عندك من لبن؟ ٤٥٠
يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة في هذا ٤١٣
يا أمه ٨٤٦
يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة ٤٩٤
يا أنيسة ويحك، ارقن بالقواير ٨٨٥
يا أنس أئت أمه فاعلمها ٩٨٦، ٩٣٧
يا أنس هل ترى من أحد؟ ٩١٦
يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج يا ٦٧٠
يا أنيس ذهبت حيث أمرتك؟ ٨٨٠
يا أهل البلد صلوا أربعاً فلما سقر ٦٦٤
يا أهل الحديق إن جابراً قد صنع سوءاً فحي ٥٦٣
يا أهل القلب بنس عشرة النبي قسم لنيكم! كلتيموني ٤٩٤
يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم حقاً فاني ٩٤، ٤٩٤
يا أهل القلب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شبة بن ٤٩٤
يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم في أي يوم ٧٨٦
يا أيها الناس أحسنوا الملا فكلكم سيصعد عن ري ٩١١
يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنا ٤٩٦
يا أيها الناس إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات ٦٥٩
يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ١١٨٥
يا أيها الناس، إن الدنيا خضرة ٢٦
يا أيها الناس إنني لو استقبلت من أمري ما استبريت ٧٥٨
يا أيها الناس أي يوم هذا؟ ٧٨٣
يا أيها الناس أي أحد من الناس أو من المؤمنين ٨٢٣
يا أيها الناس تنافسوا في الكارم وصارعوا إلى ١٤٧٣
يا أيها الناس عليكم السكنة والوقار فإن البر ٧٧٤
يا أيها الناس قولوا بقرلكم ولا يستهزئكم الشيطان ٨٨٤
يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا ٣٨٢، ٤٢٧، ٧٢٨
يا أيها الناس لا يقتل بعضهم بعضاً، وإذا رميت ٧٧٩
يا أيها الناس ليس البر بإيضاح الخيل ولا الركاب ٧٧٥
يا أيها الناس من أحسن من نفسه شيئاً فليقم أدهو ٨٠١
يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل؟ ٩٣٥
يا أيها الناس من عنده من الفلوق شيء فليرده ٨٠١
- يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً وبشيراً ونذيراً ٨٨٠
يا بريدة أتيفض علياً؟ ١١٨٣
يا بريدة ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ١١٨٣، ٧٩٠
يا بريدة! تيفض علياً؟ ٧٣٦
يا بلال ٦١٦
يا بلال، أرفعهم في جرابك ٩٢٠
يا بلال هل في الميضة ماء؟ ٨٥٠
يا بني أكتبك إلى خلقك بما جئتكم؟ ١٢٠٩
يا بني إذا أتيت نادي قوم فارهم بسهم الإسلام ٢٥٨
يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ٢٣٩
يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أيكم ٤٢٧
يا بني عبد المطلب سقايكم، ولولا أن يغلبكم الناس ٧٧٨
يا بني عبد المطلب يا بني فهز، يا بني لوي أرايتم ٣٨١
يا بني عبد مناف أي جور هذا؟ ٤٢٥، ٤١٩
يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلم شاباً من ٣٨٢
يا بني فلان إني رسول الله إليكم، أرمكم أن تمهدوا ٤٢٦
يا بني النجار تاتوني بمأطركم هذا ٤٥٩
يا بنية ألا تحبين من أحب؟ ١٢٣٥
يا بنية عندك شيء أكله فاني جائع؟ ٩١٧
يا جابر ألا أبشرك؟ ٥٣٩
يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة: يقول لك رسول ٩٣٠
يا جابر خذ الإدارة وانطلق بنا ٩٣٠
يا جابر ناد بجفنة ٩٠٩
يا جابر ناد بوضوء ٩٠٩
يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء ٩٠٩
يا جابر هل رأيت مقامى؟ ٥٥٨
يا جابر هل رأيت امرئك؟ ٩٠٩
يا جابر لقد تأخر الموعود بك ويقومك ٣٠٩
يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مؤمناً ٣٠١
يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً ٧٢٠
يا جبريل أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فهذه ٩٧٢
يا جبريل بما نال هذه المنزل من الله؟ ٦٩٦
يا جبريل ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونور ٦٩٦
يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ ١٨٨
يا جبريل هل تعرف هذا؟ ٤٨٣
يا جد هل لك العام في جلد بني الأصفر؟ ٦٩١
يا جرير أدهوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله ٧٢٥
يا جرير استصتت الناس ٧٨٤
يا جرير لأي شيء جئت؟ ٧٢٥
يا حاطب أفعلت؟ ٦٤٩
يا حاطب ما حملك على هذا؟ ٦٤٩
يا حاطب ما هذا؟ ٦٤٩
يا حذيفة أذهب فادخل في القرم فانظر ماذا ٥٧٠
يا حذيفة قم فأتينا بجبر القرم ٥٧١
يا حذيفة لا تحدفن في القرم شيئاً حتى تأتيني ٥٧١
يا حذيفة لملك قد دخلك من شأن أبيك شيء ٤٩٥
يا حسان انتشروته على قومي إذ هدام الله ٥٩٣
يا حكيم إن هذه المال حلوة خضرة، وإنه من أخذه ١٢٢٤
يا حي يا قيوم ٤٨٣
يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم ٤٨٦
يا خال قل: لا إله إلا الله ٤٣٤

- ١١٠٧ يا طلحة إنه ليس من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق
- ١١١٩ يا عائشة، ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.....
- ١١١٩ يا عائشة ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة.....
- ٥٩٣ يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس،.....
- ٨٣٧ يا عائشة كيف تزين الشبه؟.....
- ٧٩٩ يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير.....
- ٨٦٩ يا عائشة ما سررت مني كسروري منك.....
- ٨٠٦ يا عائشة ما شألك؟.....
- ٩١ يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب. قد عذب.....
- ١٢٣٥ يا عائشة هذا جبريل يفرقك السلام.....
- ٧١٥ يا حاتم أسلم.....
- ٦٧١، ٦٦٩ يا عباد الله ألا عبد الله ورسوله.....
- ٦٥٢ يا عباس احببه بمضيق الوادي عند عظم الجبل حتى.....
- ٣٧٥ يَا عَبَّاسُ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرٌ.....
- ٣٥٨ يا عباس كيف كان إسلامك.....
- ٦٧٠ يا عباس ناد: يا معشر الأنصار يا أصحاب الشجرة.....
- ١٣٤١ يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأمرته حيث لا يراك.....
- ٦١٦ يا عبد الله بن قيس.....
- ١٢١٤ يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الإمارة فإنك إن.....
- ١١١٧ يا عثمان أجب الله إلى جته، فإني رسول الله.....
- ١١٠٩ يا عثمان افطر عندنا.....
- ١١٢١ يا عثمان إن البسك الله قميصاً فأردك الناس على.....
- ١١٢١ يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أراذك.....
- ٧٠٣ يا عثمان تجوِّز في الصلاة، واقدِر الناس بأضعفهم.....
- ١١٠٩ يا عثمان حصروك؟.....
- ١١٠٩ يا عثمان الحفنا لا نجسنا، فإنا ننتظر.....
- ١١٢٣ يا عثمان! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك.....
- ٧١٩ يا عدي بن حاتم أسلم تسلم.....
- ٧١٩ يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال: لا.....
- ٧٢٠ يا عدي بن حاتم هل رأيت الحيرة؟.....
- ٨٥٢ يا عَفِيَّةُ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين.....
- ٨٥٢ يا عَفِيَّةُ، ألا تركب؟.....
- ٩٦٥ يا علي! اتخذه.....
- ٦٦٢ يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل.....
- ١١٨٢ يا علي اخضب لنفسك.....
- ٣٧٥ يَا عَلِيُّ إِذْ لَمْ تُسَلِّمْ فَأَكْتُمُ.....
- ١١٦١ يا علي اذهب فاتله.....
- ٦٩٣ يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من.....
- ٣٨١ يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقرين.....
- ٩٦٤ يا علي إن وكيت من أمرها شيئاً فارقني بها.....
- ٨١١ يا علي أوصيك بوصية فاحفظها: فإنك لا تزال بخير.....
- ٤٢٩ يا علي أية أخلاق للرب كانت في الجاهلية، ما.....
- ٩٠٤ يا علي صليت العصر؟.....
- ٣٨١ يا علي عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأسمن.....
- ٣٨١ يا علي عُدْ لنا بمثل الذي كنت صنعت بالأسمن.....
- ١١٦ يا علي لا تب فخلئك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا.....
- ١١٨٢ يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غربي وغيره.....
- ٤٨٧ يا علي ناد لي حزة - وكان أقربهم من المشركين.....
- ٤٠٧ يا عم إن الله قد سَلَطَ الأرضَ على صديق.....
- ٤٢٠ يا عم إنما أريد منهم كلمة نئذ لم بها العرب،.....
- ١٣٢٤ يا عم تدري من ذلك الرجل؟.....
- ٦٣٣ يا خالد رد عليه ما أخذت منه.....
- ١١٦٧ يا خالد! لا تؤذ عماراً فإنه من يفض عماراً يفض.....
- ٦٣٣ يا خالد لا ترد عليه هل أنتم تفركو لي أماني.....
- ٢٢٤ يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئين مني السلام.....
- ٣٧٠ يا خديجة أرايت الذي كنت أرى في المنام والصوت.....
- ٣٧١ يا خديجة هذا جبريل.....
- ٨٨٥ يا ذا الأذنين.....
- ٩٧١ يا رافع إن شئت نزعتُ السهم والقطعة جميعاً.....
- ٩٢٢ يا رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم.....
- ٩٩٨ يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله.....
- ٦٤ يا رب ألم تخلفني بينك. قيل له: بلى. ونفخت في.....
- ٤٩٠ يا رب إن تهلك هذه العصابة فإن تميد في الأرض.....
- ٩٠٤ يا رب إن علياً في طاعتك وطاعة نبيك فاردد عليه.....
- ٧٧٣ يا رب إنك قادر على أن تتيب هذا المظالم خيراً.....
- ٩٢٧ يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم.....
- ٥٥ يا رب وعزتك وجلالك لا أزال اغويهم ما دامت.....
- ٨٥١ يا ربيعة ألا تزوج؟.....
- ٨٥١ يا ربيعة ألا تزوج؟.....
- ٨٥١ يا ربيعة بن كعب سلبي أعطك.....
- ٨٥١ يا ربيعة ومالك وللصديق؟.....
- ١٦٥ يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل.....
- ٢٧ يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات.....
- ١٢٤١ يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة.....
- ٤١٠ يا ركَاتَةَ ألا تَتَّبِعِي اللَّهَ وَتَقْبِلِي مَا أَدْعُوكَ.....
- ٩٦٥ يا زبير تحب علياً؟.....
- ١١٣٦ يا زبير ألا تحب علياً؟.....
- ٩٦٥ يا زبير، أما والله لتقاتلن وأنت ظالم.....
- ١١٣٦ يا زبير أما والله لتقاتلن وأنت ظالم له.....
- ٨٥٦ يا زيد تعلم في كتاب يهود فإني والله ما آمن.....
- ١١٩٠ يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟.....
- ٩٠٤ يا سارية الجبل.....
- ٥٣١ يا سعد لم فذاك أبي وأمي.....
- ١٢٢٧ يا سعد، أعندي تمنى الموت.....
- ١٢٢٧ يا سعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عرك أو حسن.....
- ٧٣٧ يا سعد بن مالك ابن الشهيد مه بعض قولك لأخيك.....
- ٣٤٧ يا سلمان أولئك الذين كنت معهم وصاحبك لم يكونوا.....
- ٥٦٥ يا سلمان رأيت ذلك؟.....
- ٦٢٠ يا سلمة هب لي المرأة.....
- ٦٢٠ يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك.....
- ٥٠١ يا سودة أعلى الله وعلى رسولك تحريض.....
- ٦٧٢ يا شبيب قاتل الكفار.....
- ٦٧٢ يا شبيب يا شبيب، ادن مني، اللهم أذهب عنه الشيطان.....
- ١٢٨٧ يا شيبه ادن مني.....
- ١٢٨٧ يا شيبه الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك.....
- ٦٧٢ يا شيبه إنه لا يراها إلا كافر.....
- ٣٨١ يا صباحاه.....
- ٦٨٠ يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم.....
- ٦٨٠ يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم.....
- ٦٦٨ يا صفوان هل عندك من سلاح.....
- ٦١٠ يا صفية ما هذه الخضرة؟.....
- ٩٣٤ يا ضب.....

- ٣٠٨ يا عمر لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري
- ٣٨٥ يَا عَمُّ وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي
- ١١٦٥ يا عمر تقتلك الفئة الباغية وانت إذ ذاك مع الحق
- ٦٩٩ يا عمر هل عرفت القوم؟
- ٤٢٠ يا عمّاه قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم
- ٨٨٦ يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟
- ١١٠٠ يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟
- ٩٣٤ يَا عَمْرُ إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ زَلَّيْنَا مَا لَقِينَا
- ٣٧٨ يا عمر إنك رجل قوي لا تراحم على الحجر فتؤذي
- ٧٦٥ يا عمرو إن من أذى عليّ قد أداني
- ١١٨٤ يا عمرو بايع فإن الإسلام يحب ما كان قبله وإن
- ٥٨٣ يا عمرو بن مرة أنا الذي المرسل إلى العباد كافة
- ٣٤٩ يا عمرو بن مرة إني المرسل إلى العباد كافة أدهوهم
- ٣٦٣ يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟
- ٦٤٤ يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ
- ١٤٢ يا غلام عندك لين تسقين؟
- ٤٥١ يا غلام من أنا؟
- ٩٣٩ يا غلام هل من لبن؟
- ٩١٢ يا فارة فإن مثل أخيك كمثل الذي آتاه الله
- ٣٠٦ يا فارة هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً؟
- ٣٠٦ يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب، يا
- ٢٨١ يا غزوة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرمد؟
- ٧٢٢ يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم
- ٩٤٤ يا فلان ما يمتنعك أن تصلي معنا؟
- ٩١٠ يا قتياب بن أشيم أتت القتال يوم بدر ما رأيت مثل
- ٤٩٨ يا قيس عسى أن يمد بك الدرع حتى يليك بعدي من
- ٩٧٥ يا للمهاجرين يا للمهاجرين يا للأَنْصار، يا للأَنْصار
- ٦٨١ يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبي عبد
- ٤٥ يا معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس
- ٧٣٥ يا معاذ إنك عسى أن لا تلتقي بعد عامي هذا، ولعلك
- ٧٣٥ يا معاذ إني مرسلك إلى قوم أهل كتاب فإذا سئلت
- ٤٢ يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدعن أن تقول في
- ١٠٧٠ يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا
- ٦٩٥، ٩١١ يا معاوية، إن ملكك فاحسن
- ٩٦٨، ١٢٠١، ١٢٤٩ يا معاوية وليت أمراً فاتق الله واحذر
- ٩٦٨، ١٢٤٩، ١٢٠١، ١٢٤٩ يا معشر قريش ما ترون أبي فاعل فيكم؟
- ٦٥٧ يا معشر الأنصار
- ٦٨١، ٦٨٢ يا معشر الأنصار أقتلت: أما الرجل فأدركه رغبة
- ٦٨٢ يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا
- ٦٨٢، ٦٨٣ يا معشر الأنصار ألم أنكم ضلّالاً فهداكم الله
- ٦٨٢ يا معشر الأنصار ألم أجِدْكُمْ ضلّالاً فهداكم الله
- ٦٦٩ يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله
- ٦٨٢ يا معشر الأنصار ما حديث بلغي؟
- ٥٧٤ يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم
- ٢٤٠ يا معشر المخوليين اجعلوا كنوزكم في السماء فإن
- ٦٥٩ يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل لقد كثر
- ٣٦١ يا معشر العرب إني رسول الله إلى الأنام كافة
- ٣٨١ يا معشر قريش اتقوا أنفسكم من النار، يا معشر
- ٨٠٠ يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزبدون والأنصار
- ٧٩٥ يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم - وأمرؤ
- ٣٠٨ يا معشر وفد إياك ما فعل قس بن ساعدة الإيادي؟
- ٥٢٠ يا معشر يهود احلوا من الله مثل ما نزل بقريش
- ٩٤٨ يا معشر يهود أسلموا، فوالذي لا إله إلا هو إنكم
- ٣٥٢ يا معشر اليهود أسلموا فولدني نفسي بيده إنكم
- ٤٤٧ يا معشر اليهود أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة
- ٤٥٧، ٤٥٣ يا معشر اليهود ولكم اتقوا الله فوالله الذي
- ١٦٠٥ يا مغلب القلوب ثبت قلبي على دينك
- ٤٦ يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن
- ١٢٦٢ يا منصور أمت
- ٩١٢ يا تافع الملكها الليلة وما أواك ملكها
- ٩١٣ يا تافع ذهب بها الذي جاء بها
- ٦٧٩ يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟
- ٩٥٠ يا وابصة أشيرك أم تسألني؟
- ٩٥٠ يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك - ثلاث مرات -
- ١١٤٨ يا وبع حمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار
- ٥٩٤ يا وبع قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا
- ٩٤٨ يا يهودي، أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على
- ٧٩٩ ياى الله ذلك والمؤمنون
- ٩٥٨، ٨١١، ٧٨ ياى الله والمؤمنون إلا أبا بكر
- ١١٨ يؤتى بالرجل يلقي في النار فتندلق أكتاف بطنه
- ١١٠٣ يؤتى يوم القيامة بالإمام الجوار وليس معه نصير
- ١٩٢ يأتي الدجال وهو عرم عليه أن يدخل نقاب المدينة
- ٥٣ يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق
- ٧٢٦ يأتيكم بقية أبناء الملوك
- ٢٠٠٧ الياسق
- ٨٠٣ يوم القرم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في
- ٢٢٤٧ يُنْزَرُ
- ٢٢٤٧ يُنْزَرُ
- ٣١٣ يبعث يوم القيامة أمة واحدة
- ٣٦٨ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ
- ٩٦٤ يومئذ يأتكم واثمه ويكون من أصحاب النار
- ٤٤ يُنْصَرَفُ الصَّفُوفُ الْأُولَى وَيَتَرَاوَنُ فِي الصَّفِّ
- ١١٦٣ يُنْزَرُ قوم قبل المشرق حلقه رؤوسهم
- ٩٩١ يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل
- ٥٩ يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا
- ٦١ يجتمع الله الناس فيقوم للمؤمنين حين ترفل لهم
- ٧٩ يجيء نوح عليه السلام وأمه فيقول الله عز وجل
- ٧١١ يجيها الله ورسوله
- ٣١٣ يجش ذلك أمة واحدة بيني وبين عيسى ابن مريم
- ١١١ يجش الناس حصة عزة غزلاً فأول من يكسى إبراهيم
- ١١٦٣ يجفر أحدكم عمله مع عمله يقتلون أهل الإسلام
- ١٣٤٤ يجلبها ويحب به رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب
- ١٦٢٠، ٩٨٥ يجعل هذا العلم من كل خلف عدو له فينون عنه تحريف
- ١٦٤ يُخَانُونُ
- ١١٦٢ يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز
- ٩٨٠ يخرج رجل من أهل يثيب يقال له: السفاح
- ٩٨٠ يخرج عند انقطاع من الزمان، ويظهر من الفتن رجل
- ٩٧٧ يخرج في أحد الكائنين رجل يدرس القرآن دراسة
- ١١٦٢ يخرج فيكم قوم محفرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم
- ١١٥٨ يخرج قوم في آخر الزمان أحدث الأستنان، سفهاء
- ٩٦٦ يخرج قوم في آخر الزمان حذّاء الأستنان، سفهاء

- يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، أحدثت ١١٦٠
يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مودون اليد أو ١١٥٨
يخرج قوم من أمي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى ١١٥٧
يخرج قوم ملكي لا يملحون، قائلهم امرأة، قائلهم ٩٦٤
يخرج قوم يقرؤون القرآن بالسنتهم لا يجاوز ٩٦٦
يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يرفون ١١٦٢
يخرج مله كنه ٩٥٣
يخرج من أمي قوم يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن ١١٦٣
يخرج من يقيض رجلان كذاب ومبير ١٣٩٨
يخرج من يقيض رجلان مبير وكذاب ١٣٩٨
يخرج من ثقيف كذاب ومبير ٩٧٥، ١٣٤٧، ١٣٤٦
يخرج من خراسان وأبات سود لا يردعا شيء حتى تنصب ٩٨٠
يخرج من الكاهنين رجل أعلم الناس بكتاب الله ٩٧٧
يخرج منه أقوام ١١٦٣
يخرجون على فرقتين من الناس يقتلهم أولى الطائفتين ١١٦٢
اليد الملقيا غير من اليد السعلى وأبدا ١٣٧١
يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب، قضيه ٩٥٨
يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حيوا ١١٠١
يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة، قال: ١٢٢٦
يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من غير ٧٢٥
يدخل عليكم من هذا الباب رجل على وجهه مسحة ملك ٧٢٥
يدعوه إلى الجنة ويدعونه إلى النار ٤٦٠
يرحم الله أبا ذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث ٦٩٤
يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح ٦٤٤
يرحم الله ابن رواحة إنه يجب المجالس التي تتباهى ١٣٧
يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زعم ١٠٣
يرحم الله حسنا ٣٢٢
يرحم الله الخلقين ٧٨٠، ٥٩٦
يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصير ١٨١
يرحم الله إن خير نساء ركن أعجاز الإبل، صالح ٤٢٤
يرحم الله، فإنك غليم معلم ٩١٢
يرحم ريك ٦٠٢
يرحم الله ٦٠٢
يرد ابن مهلايل ٧٤
يرضع بقية رضاعة في الجنة ٨٣٩
يسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله، فاقسم ٩٧٧
يسألوني عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم ١٩٣
يسرا ولا تمسرا ويشرا ولا تقرا ٧٣٤
يسيل رعاfe ٩٧٥
يشكو مر الشكاية ٩٣١
يشيب الموه ويشب معه حصصتان الخرص، وطول الأمل ٢١١٠
يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ١٢٢٧
يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ١٢٢٧
يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ٥٤
يعقوب ١٢٢
يعلم الله أن قلبي يمين ٤٥٣
يعيش هذا الغلام قرنا ٩٧٨
يفسل من بول الجارية، ويؤش من بول الغلام ٨٥٣
يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه ٤٢٠
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان ٦٩
يقتل بهذه الحرة خيار أمي بعد أصحابي ٩٧٤
- يقتل الحسين بأرض بابل ١٢٦٦
يقتل عند كتركم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفه لا ٩٨٠
يقتل فيها هذا الملقح يرمض مظلوما ١١٢١
يقرا القرآن أقوام من أمي يعرفون من الدين كما ١١٦٣
يقول الله تعالى: ابن آدم أنفق أنفق عليك ٨٨٣
يقول الله تعالى: شتني ابن آدم ولم يكن له ذلك ٢٣٢
يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم ٢٤٩
يقول إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسل أي ١٧٣
يقول إنه ربي في يلكم حوارة وكتمت حملون ٩٣١
يقول أهل التوراة: ابتداء الله الخلق يوم الأحد ٣٠
يكفيك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحبك ٧٨٢
يكفيك من ذلك الثلث ٧٠٢
يكون اثنا عشر أميرا ١٠٢
يكون اثنا عشر خليفة ٩٨١
يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله، ٩٥٧
يكون بعدي من الخلفاء عدة أصحاب موسى ٩٨١
يكون خلف من بعد الستين سنة «أضاعوا الصلاة» ٩٧٢
يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا ١٢٩٤
يكون في آخر أمي خليفة يجي المال حيا، لا ٩٥٧
يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا ٩٧٧
يكون في أمي رجل يقال له: وهب، هب الله له ٩٧٧
يكون في هذه الأمة يمشى إلى السند والمهند ٩٦٩
يلقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم فيخلق كل ١٩١
يلحد بمكة كيش من قريش اسمه عبد الله، عليه ١٣٤٤
يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب ١١٢٢
يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر ٩٦
يمكث المهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثا ٨٥٩
يمتلك الله ٧١٦
ينحر لهم نور الجنة الذي كان يأكل من أطرائها ٩٤٦
ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل ١٣٣
ينشق الشيطان بالشام نقة يكذب ثلاثهم بالقدر ٩٧٧
ينفعلك إن حدثتك؟ ٩٤٦
ينفعلك شيء إن حدثتك؟ ٩٤٦
يهلك الناس هذا الحي من قريش ٩٧١
يهودا ١٢٢
يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ١٢٤
يورثك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم ٩٨٢، ١٥٤٤
يولد لابني هذا ابن يقال له علي، إذا كان يوم ١٣٩٣
يوم التناذ ١٥٦
يوم النحر ٧٨٩
يوم النفر ٧٨٩
يوم وفاة وبر، ادنه ٤٤٧

فهرس الأعلام المترجمين

- ٤٨٧..... آق سقر الأتابك.
 ٥١٩..... آق سقر البرسقي.
 أقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيبى أبو سعيد
 الصالحى ٦٧٧
 أقوش بن عبد الله الرستمي ٧٠٩
 أقوش الرحبي المنصوري ٧١٩
 أقوش الشريفى ٧٠٠
 أقوش الشمسى ٦٧٩
 أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي ١٣
 أبان بن عثمان بن عفان ٨٥
 أبان بن عثمان بن عفان ١٠٥
 إبراهيم بن أحمد بن الحارث أبو القاسم الكلاني الشافعي ٣٠٦
 إبراهيم بن أحمد بن عبد الحسن العلوي الحسيني الغزافي الإسكندري
 الشافعي ٧٢٨
 إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو إسحاق الطبري ٣٩٣
 إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرقي
 الحنبلي ٧٠٣
 إبراهيم بن أحمد بن محمد بن المولد ٣٠٠
 إبراهيم بن أحمد بن يحيى بن الأصم أبو إسحاق ٢٧٤
 إبراهيم بن إسحاق ٢٧٧
 إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهرا بن إسحاق الثقفي السراج
 النيسابوري ٢٨٣
 إبراهيم بن إسحاق بن بشر بن عبد الله بن قيسم أبو إسحاق
 الحريمي ٢٨٥
 إبراهيم بن الأشتر ٧١
 إبراهيم بن حسن ١٤٥
 إبراهيم بن الحسين بن ديزيل ٢٨١
 إبراهيم بن حشم أبو إسحاق ٣١٢
 إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ٣١١
 إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر
 الكتاني الحموي ٦٧٥
 إبراهيم بن سعيد الجوهري ٢٤٧
 إبراهيم بن سعيد الشافري الموله المعروف بالجماعة ٦٨٠
 إبراهيم بن شمس الدين بن قيم الجوزية ٧٦٧
 إبراهيم بن شيان القرميستي أبو إسحاق القرميكي ٣٤٨
 إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ١٧٦
 إبراهيم بن طهمان ١٦٣
 إبراهيم بن العباس ٢٤٣
 إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم الكجي ٢٩٢
 إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن القواس ٧٣٣
 إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات بن كرم الموصلى ٦٢٨
 إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور الشيخ عماد الدين
 المقدسى ٦١٤
 إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق الكلبي ٥٢٤
 إبراهيم بن أبي العلاء المقرئ الصيت المشهور المعروف بابن شعلان
 إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي ٧١٨
- ٦٩٢..... تقي الدين
 إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفقيه السلمي الشافعي ٥٧٥
 إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المتعم بن نعمة المقدسى
 النابلسي الحنبلي ٧٣٧
 إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الفقيه الحنبلي ٦١١
 إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي ٤٧٦
 إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ثم الحلي الشافعي ٧٣٢
 إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ٧٠٢
 إبراهيم بن قراستقر الجوكندار ٧٢٣
 إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني المصري ٦٩٣
 إبراهيم المتقي لله بن جعفر المختار ٣٥٧
 إبراهيم بن الحب ٧٤٩
 إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ٢٨٩
 إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم
 الطبري الكبي الشافعي ٧٢٢
 إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوائي ٧٣٥
 إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني ٦٤١
 إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصي المقرئ المحدث ٦٠٩
 إبراهيم بن محمد بن سحنويه بن عبد الله المزكي ٣٦٢
 إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي ٧٠٦
 إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه ٣٠٨
 إبراهيم بن محمد بن طرقات السويدي الأنصاري ٦٩٥
 إبراهيم بن محمد بن علي بن بطحاء بن علي بن مقله أبو إسحاق
 التميمي ٣٢٠
 إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر المعروف بالغزال ٧٣٦
 إبراهيم بن محمد بن منصور بن عمر أبو البلر الكرخي ٥٣٩
 إبراهيم بن محمد بن نبهان بن محرز الغنوي الرقي ٥٤٣
 إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله أبو إسحاق المزكي ٢٩٥
 إبراهيم بن محمود بن مسعود بن محمود بن سيكتكين ٤٩٢
 إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم بن علي المعروف بابن البرني ٦٢٢
 إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري تقي الدين أبو
 إسحاق ٦٨٧
 إبراهيم بن المنذر الخزاعي ٢٣٦
 إبراهيم بن منير البعلبكي ٧٢٥
 إبراهيم بن المهدي بن المنصور ٢٢٤
 إبراهيم بن نصر بن عسكر ٦١٠
 إبراهيم بن هارون الطيب الحراتي ٣٠٩
 إبراهيم بن هاني بن خالد الشافعي ٣٠١
 إبراهيم ابن هرة الشاعر ١٧٦
 إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون بن حيون ٣٨٤
 إبراهيم بن يزيد النخعي ٩٥
 إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني ٢٥٩
 إبراهيم الدهستاني ٧٢٠
 إبراهيم الموصلى ١٨٨
 إبراهيم المولف ٧٢٥
 إبراهيم المدعة أصله كردي ٧٣٠

- الأبرقوهي المسند المعمر المصري ٧٠١
أبنا ملك التتار بن هولكو قان بن تولي بن جنكيزقان ٦٨٠
أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ٣٥
أبولابية بن عبد المنذر ٣٥
أبي بن كعب ١٩
أبي بن كعب ٢٢
أبنا الأثير الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد
الكريم والجزري الموصلي ٦٣١
ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية ٦٠٦
ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكمال هو الإمام العلامة عز الدين
أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن
عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير ٦٣٠
أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي
الجزجاني ٣٧١
أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران أبو بكر
البرزاني ٣٨٣
أحمد بن إبراهيم الدورقي ٢٤٦
أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ٧٠٥
أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي ٧١٠
أحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سكتويه أبو حامد بن أبي
إسحاق المزكي النيسابوري ٣٨٦
أحمد بن إبراهيم بن نونمرد ٣٢٩
أحمد بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن أبي سنان أبو جعفر
التنوخني ٣١٨
أحمد بن إسفنديار بن ٦٣٩
أحمد بن إسماعيل السهمي ٢٥٩
أحمد بن إسماعيل بن يوسف أبو الخير القزويني ٥٩٠
أحمد بن مختار بن علي بن محمد أبو العباس المتداني الواسطي ٥٥٢
أحمد بن برنقش بن عبد الله العمادي ٦١٥
أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ٧٣٨
أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادلي ٧١٨
أحمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سحمان
الشريشي ٧١٨
أحمد بن بويه الديلمي ٣٥٦
أحمد بن الثقة ٧٥٠
أحمد بن الجزري ٧٤٣
أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد أبو العباس الديلمي ٦٢١
أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن
مالك القطيعي - ٣٦٨
أحمد بن جعفر بن الفرج أبو العباس الحربي ٥٣٤
أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم أبو بكر الحنظلي ٣٦٥
أحمد بن الجوهري ٦٤٣
أحمد بن حازم ٢٧٦
أحمد بن حامد بن سعيد التنوخني الحريري ٧٢٣
أحمد بن حنفي ٦٨٢
أحمد بن حسام الدين الرومي ٧٤٥
أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون ٤٨٨
أحمد بن الحسن الصوفي ٣٠٦
أحمد بن الحسن بن الفرج بن شقير ٣١٧
أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسين ٤٢٤
أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامة ٧٠١
أحمد بن الحسين بن علي أبو حامد المروزي ٣٧٧
أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر المقرئ ٣٨١
أحمد بن حنبل ٢٤١
أحمد بن أبي الحواري ٢٤٦
أحمد بن أبي الخير منصور الشماخي ٧٢٩
أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري ٢٨٢
أحمد بن أبي دواد ٢٤٠
أحمد بن الرشيد ١٨٤
أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسي ٣٢٦
أحمد بن سعيد الرباطي ٢٤٣
أحمد بن سلامة بن أحمد بن سلامة الإسكندري ٧١٨
أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن غلغل بن إبراهيم أبو العباس بن
الربطي ٥٢٧
أحمد بن السلطان ملكشاه ٤٨١
أحمد بن سليمان الراوي وأحمد ٢٦١
أحمد بن سيار بن أيوب ٢٨٠
أحمد بن أبي شامة ٧٢٢
أحمد بن شمس الدين بن أبي عمر المقدسي ٦٨٩
أحمد بن الصلت بن المغلس ٣٠٨
أحمد بن الطيب بن عبد الله الحلبي العزيزي الفوارسي ٧٢٣
أحمد بن طولون أبو العباس أمير الديار المصرية ٢٧٠
أحمد بن عاصم الأنطاكي ٢٣٩
أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المروزي ٣٣٢
أحمد بن عبد الله البعلبي المعروف بابن النقيب ٧٦٤
أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن الواعظ ٤٢١
أحمد بن عبد الله بن البرقي ٢٧٠
أحمد بن عبد الله بن الحسن ٣٤٦
أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ٦٩٤
أحمد بن عبد الله بن سليمان ٤٤٩
أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٣٢٢
أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي ٢٢٧
أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد
بن بكر أبو العباس المقدسي النابلسي ٦٦٨
أحمد بن عبد الرحمن بن عبد النعم بن نعمة المقدسي الحنبلي ٦٩٧
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ٢٦٤
أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان أبو العباس ٥٨٥
أحمد بن عبد الحسن بن حسن بن معالي الدمشقي الشافعي ٧٢٦
أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن صالح المؤذن النيسابوري
الحافظ ٤٧٠
أحمد بن عبد الوهاب البكري ٧٣٣
أحمد بن عبد الوهاب بن السبي أبو البركات ٥١٤

- ٢٤٥ أحمد بن حبة الضبي
 أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان
 بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعيد بن عتبة بن فرقد
 السلمي ٥٢٦
 أحمد بن عثمان الأمشاطي ٧٢٥
 أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن
 السلموس ٦٩٧
 أحمد بن عطاء بن أحمد أبو عبد الله الروذباري ٣٦٩
 أحمد بن علي بن إبراهيم أبو الوفا الفيروزي آبادي ٥٢٨
 أحمد بن علي بن أحمد أبو بكر العتلي ٥٠٣
 أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف ابن قاضي الحصن
 ويعرف بابن عبد الحق الحنفي ٧٣٧
 أحمد بن علي بن برهان أبو الفتح ٥١٨
 أحمد بن علي أبو بكر الفقيه الحنفي الرازي ٣٧٠
 أحمد بن علي أبو الحسن البني ٤٠٣
 أحمد بن علي بن خلف أبو غالب ٤٠٧
 أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار ٤٩٦
 أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي ٣٠٧
 أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان أبو الفتح الفقيه
 الشافعي ٥٢٠
 أحمد بن عمر بن روح أبو الحسين النهرواني ٤٤٥
 أحمد بن عمر بن سريح ٣٠٦
 أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادي ٢٨٠
 أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن غلذ التليل ٢٨٧
 أحمد بن عميد بن جَوْصَاء أبو الحسن الدمشقي ٣٢٠
 أحمد بن عيسى ٢٨٦
 أحمد بن عيسى ابن الإمام موفق الدين بن قدامة ٦٤٣
 أحمد بن عيسى أبو سعيد الخزاز ٢٧٧
 أحمد بن عيسى بن الشيخ ٢٨٥
 أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي ٣٦٩
 أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الطبيب المعروف بابن أبي
 أصيبعة ٦٦٨
 أحمد بن كليب الشاعر ٤٢٦
 أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملي ٢٨٤
 أحمد بن محمد ٢٧٠
 أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ٤٢٧
 أحمد بن محمد بن إبراهيم المراغي ٧١٧
 أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني ٥١٨
 أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري ٤١٨
 أحمد بن محمد أحمد أبو الحسين السمتاني الحنفي الأشعري ٤٦٦
 أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر أبو المظفر بن أبي بكر
 الشاشي ٥٢٩
 أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن الثور البزاز ٤٧٠
 أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الحافظ أبو بكر ٤٢٥
 أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن
 إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي أبو الحسن الحاملي ٤١٥
 أحمد بن محمد بن أحمد بن منصور أبو الحسن المعروف بالعتيقي ٤٤١
 أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ابن حُمْدُوهُ أبو بكر الرزاز المقرئ ٤٧٠
 أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طَيَّابًا بن إسماعيل ابن
 إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ٣٤٥
 أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي الفتح الليثوري الحنبلي ٥٣٢
 أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن أبو سعد النجدي ٥٣١
 أحمد بن محمد بن جبارة بن عبد الولي المرادوي ٧٢٨
 أحمد بن محمد بن الحجاج المُرْوذِي ٢٧٥
 أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي المخزومي القمُولي ٧٢٧
 أحمد بن محمد بن الحسن بن ٤٩٠
 أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان أبو سعد
 الأصهباني ثم البغدادي ٥٤٠
 أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب أبو بكر
 الفوركي ٤٧٨
 أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٦١٠
 أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ٥٤٤
 أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجبري ٣١١
 أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ٢٤١
 أحمد بن محمد بن خلف بن راجع المقدسي الحنبلي الشافعي ٦٣٨
 أحمد بن محمد بن دوست أبو سعد النسابوري ٤٧٧
 أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتاب أبو بكر البغدادي ٢٩٦
 أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي
 البصري ٣٤١
 أحمد بن محمد بن سعيد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن
 أبي مريم أبو بكر القُرْشي الرقاق ٣٥٠
 أحمد بن محمد بن سليمان بن حائل بن علي المقدسي ٧٣٧
 أحمد بن محمد الطائي ٢٨١
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الفضل القاضي المباشمي
 الرشدي ٤٣٩
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ٦٧٥
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطان ٣٥٠
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله أبو عبد
 الله الشاهد ٤١٨
 أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدَيْر بن سالم أبو عمر
 القرطبي ٣٢٨
 أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو العباس الأبيوردي ٤٢٥
 أحمد بن محمد بن عبد الصمد السباطي ٧٣١
 أحمد بن محمد بن عبد القاهر أبو نصر الطوسي ٥٢٥
 أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ أبو منصور ٤٩٤
 أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي ٣٠٩
 أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري ٦٩٦
 أحمد بن محمد بن علي القادسي ٦٢١
 أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التتلي ٥١٧
 أحمد بن محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي ٧٢٥
 أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الليث
 التنفي ٥٥٢

٢١٤	أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر أبو العباس البرزني	٢٨٠
٢٦٣	أحمد بن محمد بن غالب	٢٧٥
٢٧٩	أحمد بن محمد بن الفتح - ويقال ابن أبي الفتح - بن خاقان	٣٦٠
٧٢١	أحمد بن محمد بن قطينة الزُرعي	٧٢٣
٧٦٤	أحمد بن محمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمرو ابن خالد بن الرقيل أبو الفرج	٤١٥
٧٢	أحمد بن محمد بن محمد أبو الفتح الطوسي الغزالي أخو أبي حامد الغزالي	٥٢٠
٣٠٠	أحمد بن محمد بن محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي	٧٣٦
١٧٩	أحمد بن محمد أبو المظفر	٥٠٠
٢٣٤	أحمد بن محمد المعتصم	٢٥٢
٢٣٤	أحمد بن محمد المعتضد بالله	٢٨٩
٩٢	أحمد بن محمد المعروف بابن القطان	٣٥٩
٧٣٢	أحمد بن محمد بن أبي الكارم بن نصر الأصبهاني	٧٠٩
٦٤	أحمد بن محمد بن أبي موسى أبو بكر الهاشمي	٣٩٠
٥٠٤	أحمد بن محمد بن موسى بن النضر بن حكيم بن علي بن زريسي أبو بكر بن أبي حامد	٣٢١
٢٧٨	أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الطائي	٢٩٦
٨٠	أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست أبو عبد الله البزاز	٤٠٧
٤٨٤	أحمد بن محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصري	٦٩٨
٧٠١	أحمد بن مروان أبو نصر الكردي	٤٥٣
٥١٢	أحمد بن مسعود بن علي التركستاني	٦١٠
٤٩٧	أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي	٦٠١
٦٠٧	أحمد بن معالي بن بركة الحربي	٥٥٤
٤٥١	أحمد بن مفضل بن فضل الله المصري	٧٢٤
٨٦	أحمد بن ملاعب	٢٧٥
٥٦٢	أحمد بن منصور الرمادي	٢٦٥
٦٩٠	أحمد بن منير الجوني	٥٤٨
٧٣١	أحمد بن منيع	٢٤٤
٧٥٨	أحمد بن مهدي بن رستم	٣١٧
الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن غزوم	٥٥	
٥٥	أحمد بن موسى الزرعي	٧٦١
٦٩٢	أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك أبو بكر الحافظ الأصبهاني	٤١٠
٥٤	أحمد بن نصر	٢٣١
٥٨٤	أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الخفاف	٢٩٩
٢٠١	أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي أبو نصر	٥٤٤
أسباط بن محمد. وأبو ضمرة أنس بن عياض. وسلم بن قتيبة. وعمر بن عبد الواحد. وابن أبي فديك. وميشر بن إسماعيل. ومحمد بن حمير. ومعاذ بن هشام.	٦٩٩	
٢٠٠	أحمد ابن الوزوارة	٧٦٨
٤٦٩	أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن جهيل	٧٣٣
٢٣٥	أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار	٢٩١
٢٨١	أحمد بن يحيى أبو عبد الله الجلاء	٣٠٦
٢٧٤	أحمد بن يحيى بن عز الدين بن عبد السلام	٧٠٩
٢٣٥	أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي يحيى بن صدقة بن الحياض	٦٥٨
٢٨٣	أحمد بن يوسف	٤٣٧
٣٤٤	أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر	٦٨٨
٢٧٥		
٣٠٨		

- إسحاق بن أحمد بن عثمان ٦٥٦
 إسحاق بن أبي إسرائيل ٢٤٥
 إسحاق بن أيوب بن عمر بن الخطاب ٢٨٧
 إسحاق بن الحسن بن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحرابي ٢٨٤
 إسحاق بن حنين بن إسحاق أبو يعقوب العبادي ٢٩٨
 إسحاق بن راهويه ٢٣٨
 إسحاق بن سليمان. وابن غير. وابن شابور. وعمرو العتقي. وأبو مطيع البلخي. ويونس بن بكير. ١٩٩
 إسحاق بن سيار ٢٧٣
 إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة أبو يعقوب البراز الكوفي ٣٠٧
 إسحاق بن عبد الله بن عمر المعروف بابن قاضي اليمن ٦٦٦
 إسحاق بن الفرات. وأشهب ٢٠٤
 إسحاق بن كنداج ٢٧٨
 إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان أبو يعقوب النخعي الأحمر ٢٨٦
 إسحاق بن محمد أبو يعقوب السلوسي ٢٨٤
 إسحاق بن محمد بن يعقوب النهرجوري ٣٣٠
 إسحاق بن المعتذر بالله ٣٧٧
 إسحاق بن موسى بن عمران ٢٨٤
 إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدي ثم اللعشقي الحنفي ٧٢٥
 إسحاق بن يوسف الأزرق ١٩٥
 إسحاق ٢٠٦
 أبو إسحاق الإسفراييني ٤١٨
 أبو إسحاق الفزاري ١٨٥
 أبو إسحاق الفزاري ١٨٨
 أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي ٤٢٠
 أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي ١٩٠
 أسد بن موسى ٢١٢
 ابن إسرائيل الحريري ٦٧٧
 إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي ٦٩٥
 أسعد بن بلدرك أبو أحمد الجبريلي ٥٧٤
 أسعد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله أبو منصور ٥٤٢
 أسعد بن عثمان بن أسعد بن المتجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المرعي ٦٥٧
 أسعد بن غالب المظفر الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي بن القلانسي ٦٧٢
 أسعد بن محمود المعجلي ٦٠٠
 أسعد بن المطران ٥٨٧
 الأسعد بن عتات ٦٠٦
 أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل أبو الفتح الميهني مجد الدين ٥٢٧
 أسعد بن أبي نصر الميهني أبو الفتح ٥٢٣
 أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب ٦٢٤
 الإسعدي ٦٥٦
 أسلم مولى عمر بن الخطاب ٨٠
- أسماء بنت أبي بكر الصديق ٧٣
 أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ٨٢
 أسماء بنت عيسى ٣٨
 أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري ٦٩
 إسماعيل بن إبراهيم ٦٣٠
 إسماعيل بن إبراهيم بن شاعر بن عبد الله التنوخي ٦٧٢
 إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجرجاني ٣٩٦
 إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان الساماني ٢٩٥
 إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي ٥٠٧
 إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الحريري ٤٣١
 إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي اللعشقي ثم البندادي ٥٣٦
 إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ٢٨٢
 إسماعيل بن برنقش السنجاري ٦٠١
 إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة أبو القاسم ١٩٢
 إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ١٨٠
 إسماعيل بن جهيل ٦٤٤
 إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري القوسي ٦٥٣
 إسماعيل بن سمويه ٢٦٧
 إسماعيل بن عبد الله بن عبد الحسين بن الأنماطي ٦١٨
 إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن سعيد ٤٨٠
 إسماعيل بن عبد الملك بن علي أبو القاسم الحاكمي ٥٢٩
 إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الخطي ٣٥٠
 إسماعيل بن علي بن الحسين فخر الدين الحنبلي يعرف بابن المانطة ٦١٠
 إسماعيل بن علي بن الحسين بن محمد بن زنجويه أبو سعد الرازي ٤٤٥
 إسماعيل ابن علي ١٩٣
 إسماعيل بن عياش الحمصي ١٨٢
 إسماعيل بن القائم بن المهدي الملقب بالنصور الشيعي ٣٤١
 إسماعيل بن محمد بن أحمد بن علي ملة أبو عثمان الأصهباني ٥٠٩
 إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحراني الحنبلي ٧٢٩
 إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح أبو علي الصفار النحوي ٣٤١
 إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن القيسراني ٧٣٦
 إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة بن علي بن صدقة الحراني ٦٩٦
 إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد أبو الفرج القوساني ٤٩٧
 إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد أبو القاسم الطلحي الأصهباني ٥٣٥
 إسماعيل بن محمد القرشي الحنفي ٧١٤
 إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة ١٧٩
 إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر أبو محمد بن الجواليقي ٥٧٥
 إسماعيل بن محمد بن أحمد بن يوسف بن سالم أبو عمرو السلمي ٣٦٦
 إسماعيل بن يحيى المزني ٢٦٤

- إسماعيل بن يوسف العلوي ٢٥٢
 إسماعيل الفرعي ٧١٦
 الأسود بن عامر ٢٠٨
 الأسود بن يزيد ٧٥
 أبو الأسود الدؤلي ويقال له الديلي ٦٩
 الأسود العنسي ١١
 أسيد بن الحضير ٢٠
 أسيد بن يربوعز ١١
 أبو أسيد مالك بن ربيعة ٣٠
 الأشتر أبو العباس أحد بن شمس الدين أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشتر ٦٨١
 الأشرف موسى بن العادل ٦٣٥
 الأشرف موسى ابن الملك المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ٦٦٢
 الأشرف مظفر الدين موسى ٦٨٠
 أشعب الطامع ١٥٤
 أبو الأشعث ٢٥٣
 أبو الأشهب العطاردى ١٦٦
 أصبغ بن عبد العزيز ١٨٦
 الأصغر المتنفقي ٤١٠
 ابن الأعمى صاحب المقامة ٦٩٢
 أفريدون ٧٤٩
 الأنضل ٦٩٢
 أفضل الدين الخوافي ٦٤٦
 إقبال الخادم ٦٠٣
 الأقرع بن حابس ابن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع ٢٣
 أقيس بن الكامل ٦٢٦
 أقطاي ٦٧٢
 ألب أرسلان الملقب بسلطان العالم ابن داود بن جعفري بك بن ميكائيل بن ملجوق بن ثقاف التركي ٤٦٥
 ألباي الدوادار الملكي الناصري ٧٣٢
 إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حويه أبو المعالي الجويني ٤٧٨
 أمانة بنت أبي العاص ٤٠
 أبو أمانة الباهلي ٨٧
 أبو أمانة بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي المدني ١٠٠
 أبو أمانة صدي بن عجلان ٨٦
 أمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة أم الفتح ٣٩٠
 الأجد ٦٢٨
 أمير الدين بن سعد الحراني ٧٠٨
 الأمين بن هارون الرشيد ١٩٨
 أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ٩٣
 أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري ٣٥
 أنسة مولى رسول الله ﷺ ١٣
 أنو شروان بن خالد ابن محمد القاشاني الفيني ٥٣٢
 أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي ٢٠
 الأهوازي ٥٦٩
 الأوحاد ابن الملك تقي الدين شاذي بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي ٧٠٥
 أوس بن أوس بن عتيك ١٤
 أوس بن خولي الأنصاري ٣٥
 أوس بن الصامت ٣٥
 إياس بن ردة ١١
 إياس الذكي ١٢٢
 أيك بن عبد الله النجبي الدوادار ٧٠١
 إيتامش بن عبدالله ٦٠٤
 أيغددي بن عبد الله ٦٦٤
 أيديكن بن عبد الله الأمير الكبير علاء الدين الشهابي ٦٧٧
 أيذر بن عبد الله الحلبي الصالحي ٦٦٧
 إيلدكر التركي الأتابكي ٥٦٨
 إيلك خان ٤٠٣
 أم أيمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان ١١
 أيمن بن محمد ٧٣٤
 أيوب بن سليمان ٢٧٤
 أيوب بن سليمان بن مظفر المصري ٧٠٩
 أيوب بن سويد ٢٠٢
 أيوب بن شاذي ٥٦٨
 أيوب بن القرية ٨٤
 أيوب بن القرية ٨٤
 أيوب السعودي ٧٢٤
 أبو أيوب الموريتاني الكاتب ١٥٤
 بابك الحرمي ٢٢٣
 الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي ٤٧٤
 باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري ٤٠٦
 الباذرائي ٦٥٥
 ابن باشاذ ٤١٩
 الباقلائي محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي ٤٠٣
 باي بن جعفر بن باي أبو منصور الجيلي ٤٥٢
 البيضاء الشاعر عبد الواحد بن نصر بن محمد أبو الفرج المخزومي ٣٩٨
 الملقب بالبيضاء ٣٢٩
 بجكم التركي ٢٨٣
 البحري الشاعر ٨١
 بجر بن ورقاء الصرمي ٢٥٦
 البخاري صاحب الصحيح ٤٠٥
 بدر بن حستوي بن الحسين أبو النجم الكردي ٧٤٣
 بدر الدين بن بصخان ٧٤٣

- ٣٨٧..... ابن بطة عبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري
 ٢٤٨..... بقا الكبير
 ٥١٦..... البغوي الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي
 ٥١٠..... البغوي القسر المحدث الفقيه
 ٢٧٦..... بقي بن مخلد
 ٢٨٦..... بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الحافظ
 ١٩٦..... بقية بن الوليد الحمصي
 بكار بن أحمد بن بكار بن بُنان بن بكار بن زياد بن دوستويه أبو
 عيسى المقرئ ٣٥٣
 بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ١٩٥
 بكممر ٧٢٤
 بكممر الحاجب ٧٢٩
 بكممر صاحب خلاط ٥٨٩
 بكتوت ٧١١
 بكر بن شاذان بن بكر أبو القاسم المقرئ الراعظ ٤٠٥
 بكر بن عبد الله المزني ١٠٨
 بكر بن محمد بن علي بن الفضل أبو الفضل الأنصاري ٥١٢
 بكر بن النطاح أبو وائل الحنفي البصري ١٩٢
 أبو بكر بن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن
 بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر الأنباري
 ٣٢٨
 أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي ٧٢٣
 أبو بكر بن تيمراز الصيرفي ٧٢٦
 أبو بكر بن أبي خيشمة ٢٧٩
 أبو بكر بن أبي داود السجستاني ٣١٦
 أبو بكر بن زياد النيسابوري ٣٢٤
 أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمار الصالحي ٧٢٨
 أبو بكر الصديق ١٣
 أبو بكر بن أبي عاصم ٢٨٧
 أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابوري ٧٢٣
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله
 بن عمر بن غزوم القرشي المدني ٩٤
 أبو بكر بن عمر ٤٨٠
 أبو بكر بن عياش ١٩٣
 أبو بكر النهشلي ١٦٦
 أبو بكرة نفع بن الحارث ٥١
 البلاذري المؤرخ ٢٧٩
 بلال بن أبي الدرداء ٩٣
 بلال بن أبي رباح الحنسي ٢٠
 بلال بن سعد بن تميم السكوني أبو عمرو ١٢٤
 بلبان طرنا بن عبد الله الناصري ٧٣٤
 بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي ٣٧٣
 بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد أبو الحسن الزاهد ٣١٦
 البناني الشاعر أبو عبد الله محمد بن المهنا ٦٠٠
 البندقدار ٦٨٤
 البندنجي الحسن بن عبد الله بن يحيى الشيخ أبو علي البندنجي ٤٢٥
 بدر الدين بن التنبغي ٦٥٤
 بدر الدين بن عسكر ٥٩٦
 بدر بن الهيثم بن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان
 بن محرق بن النعمان بن المنذر ٣١٧
 بدر الجمالي ٤٨٧
 بدر الدين الكردي السنجاري ٦٦٣
 بدر غلام المعتضد ورأس الجيش ٢٨٩
 البدر لؤلؤ صاحب الموصل الملقب بالملك الرحيم ٦٥٦
 البدر المراغي الخلافي المعروف بالطويل ٦٦٠
 بدر مولى المعتضد ٣١١
 بدعة جارية عريب المغنية ٣٠٢
 بدیع الزمان صاحب المقامات أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو
 الفضل الهمداني ٣٩٨
 البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن
 الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصاري
 الحارثي الأوسي ٧٢
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ١٠٤
 البرزالي الإشبيلي ٦٣٦
 بركات خاتون بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسكر
 الأتابكية ٦٤٠
 بركة خان بن تولي بن جنكيز خان بن خاقان ٦٦٥
 بريكاروق بن ملكشاه ٤٩٨
 برهان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوي بن الرضي ٦٨١
 برهان الدين بن عبد الحق شيخ الحنفية ٧٤٤
 برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي ٧٦٣
 برهان الدين أبو الحسن علي البلخي ٥٤٦
 برهان الدين الفزاري ٧٢٩
 البرواناه ٦٧٦
 بُريدة بن الحصيب الأسلمي ٦٢
 بُزْآن بن مامين الكردي ٥٥٥
 ابن بسلام الشاعر أبو الحسن ٣٠٣
 بُسر بن سعيد المدني ٩٣
 بشار بن برد ١٦٧
 بشارة بن عبد الله الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب ٦٥٥
 بشر بن عبد الله الخزرجي ١١
 بشر بن عمرو بن حنث ٢٠
 بشر بن مروان الأموي ٧٤
 بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي ٢٨٨
 بشر بن نصر بن منصور أبو القاسم الفقيه الشافعي ٣٠٢
 بشر ٢٠٧
 بشر الحافي ٢٢٧
 بشر المريسي ٢١٨
 بشري الفاتني ٤٣١
 بشير بن هبش بن يزيد ١٤
 بشير بن النضر ٧٠
 البطايعي المقرئ ٥٧٢

٣٦٨.....	تميم بن المعز الفاطمي	٥٩٨.....	بنفشا بنت عبد الله
٧١١.....	التميمي الداري	٤٠.....	أم البتین بنت حرام
٤١٦.....	التهامي الشاعر علي بن محمد التهامي أبو الحسن	٧٢١.....	بهاء الدين بن المقدسي
٧٣.....	توبة بنت الحُمَيْر	٤٠٣.....	بهاء الدولة أبو نصير
.....	توبة الوزير الصاحب الكبير الصلدر الوزير تقي الدين توبة بن علي	٦٥٦.....	البهاء زهير
٦٩٨.....	بن مهاجر بن شجاع بن توبة الربيعي التكريتي	٦٢٢.....	البهاء السنجاري
٥٧٦.....	تورانشاه بن أيوب	٧١٦.....	البهاء المعجمي
٢٢٧.....	توفيل بن	٧١٠.....	بهادر
٩٠.....	تياذوق الطيب	٧٣٠.....	بهادر أص الأمير الكبير
٧٤٧.....	ابن تيمية زين الدين	٥٢٠.....	بهرام بن بهرام أبو شجاع البيع
٧٢٨.....	ابن تيمية شيخ الإسلام	٦٢٨.....	بهرام شاه بن فروخشاہ بن شاهنشاه بن
٦٦١.....	ابن تيمية شيخ الإسلام	٤٣٣.....	بهرام بن منافية أبو منصور الوزير لأبي كاليجار
.....	ابن تيمية صاحب الأحكام عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم	البهلول بن إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان أبو محمد
٦٥٢.....	الحضر بن محمد بن علي بن تيمية الحراني الخنلي	٢٩٩.....	التتري
.....	ابن تيمية محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ فخر الدين أبو عبد	١٩٢.....	بهلول المجنون
٦٢٢.....	الله بن تيمية الحراني	٤١٣.....	ابن البواب الكاتب علي بن هلال أبو الحسن بن البواب
٣٦٩.....	ثابت بن إبراهيم أبو الحسن الحراني الصابري	٢٧١.....	بوران بنت الحسن بن سهل
١١.....	ثابت بن أكرم بن ثعلبة ابن عدي بن العجلان البلوي	٦١٤.....	بنت بوريجان
١١.....	ثابت بن خالد	٢٣١.....	البويطي
٣٦٥.....	ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابري	٣٧٣.....	بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة
٧٣.....	ثابت بن الضحاک الأنصاري	٦٧٦.....	بيبرس
١٤.....	ثابت بن عتيك	٦٩٣.....	بيدرا
٢٨٨.....	ثابت بن قرة	٦٢٧.....	بيرم المارديني
١١.....	ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي	٦٩٨.....	يسري
.....	الثعالبي صاحب «بيتة الدهر» أبو منصور عبد الملك بن محمد بن	٦٨٥.....	البيضاوي
٤٢٩.....	إسماعيل الثعالبي النيسابوري	٦٧٦.....	يابلک بن عبد الله
١٤.....	ثعلبة بن عمرو بن محسن	٦٧٣.....	يحمد بن يحمد بن يحمد إرؤس طرابلس القرنجي
٧٥.....	أبو ثعلبة الخنلي	٤٥٨.....	اليهقي
٤٥٤.....	ثعلب بن صالح معز الدولة	٧٠٤.....	تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي
٥٤.....	ثوبان بن بجدة	٦٥٥.....	تاج الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة جمال الدين المصري
٢٤٠.....	أبو ثور	٧٢٤.....	تاج الدين علي شاه بن أبي بكر التبريزي
٦٩.....	جابر بن سمرة بن جنادة	٧٤٩.....	تاج الدين
٧٨.....	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام	٤٨٨.....	تشش أبو المظفر
٦١.....	جابر بن عتيك بن قيس أبو عبد الله الأنصاري	٢٧٩.....	الترمذي
٢٥٥.....	الحافظ المتكلم المعتزلي	٧٤٦.....	تقزدمر
٣٠.....	جبار بن صخر بن أمية بن خنساء	٧٢٨.....	تقي الدين بن تيمية
٦٢٦.....	جبرائيل بن منصور بن هبة الله	٦٤٣.....	تقي الدين بن الصلاح
٥٣.....	جبله بن الأيهم الفسائي	٧١٦.....	تقي الدين الموصلی أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن أبي الكرم
٥٤.....	جبر بن مطعم	٥٦٠.....	ابن التلميذ الطبيب الماهر الحافظ
.....	جبر بن مطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي	تمام بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن حبيد الله بن
٥٠.....	أبو محمد وقيل أبو عدي المدني	العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد
٨٠.....	جبر بن نفي بن مالك الحضرمي	٣٥٠.....	المطلب أبو بكر الهاشمي العبّاسي
٣٢٤.....	جَحْظَةُ الشاعر البرمكي	٢٢٨.....	أبو تمام الطائي الشاعر
٧٤.....	أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي	٣٩٩.....	تمني أم أمير المؤمنين القادر بالله
٣٥.....	الجند بن قيس	١٣.....	تميم بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه سعيد
١٧٦.....	الجراح بن مليح	٥٠١.....	تميم بن المعز بن باديس

- ٧٠٢ جمال الدين بن العطار ٢٢٥ الجرمي النحوي
 ٧٦٨ جمال الدين بن نباتة ١١ جردول بن العباس
 ٦٨٠ جمال الدين الإسكندري ١١٠ جرير بن الحطفي
 ٦٣٦ جمال الدين الحصري الحنفي ٥١ جرير بن عبد الله بن جابر البجلي
 جبل بن عبد الله بن معمر بن صباح بن ظبيان بن حنّ بن ربيعة بن ١١٠ جرير الشاعر
 حرام بن ضيّة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن مليم بن ١١ جزء بن مالك بن عامر من بني جحجج
 زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. أبو عمرو ٦٧٩ الجزار الشاعر
 ٨٢ الشاعر ٤٩٣ ابن جزلة الطيب يحيى بن عيسى بن جزلة
 ٧٨ جنادة بن أبي أمية الأزدي ٦١٠ الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون
 ٦٢٢ ابن جندر ٣١٥ ابن الجصاص الجوهري
 ٦٧٥ جندل بن محمد النخعي ابن الجعابي محمد بن عمر بن محمد بن سلم بن البراء بن سبرة ابن
 ١٨ أبو جندل بن سهيل بن عمرو ٣٥٥ سيار
 ٦٢٤ جنكيز خان السلطان الأعظم عند التار ٤٧٩ جعفر بن سابق القشيري
 ٣٩٢ ابن جني الموصلي النحوي اللغوي ١٢٤ الجعد بن درهم
 ١١٦ الجنيد بن عبد الرحمن المري ٥٠٠ جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج أبو
 ٢٩٨ الجنيد شيخ الصوفية ٤١٧ جعفر بن باي أبو مسلم الجيلي
 ٢١١ أبو الجواب ٣٤٩ جعفر بن حرب الكاتب
 ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن ٥١ جعفر بن أبي سفيان بن عبد المطلب
 ٥٩٧ حَمَاد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ٥٦٣ جعفر بن عبد الواحد أبو البركات الثقفي
 ٣٨١ جوهر بن عبد الله القائد ٦٣٦ جعفر بن علي بن أبي بركات بن جعفر بن يحيى الحمداني
 ٧٠٠ جوهر التفليسي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات أبو الفضل المعروف
 جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطقية أم المؤمنين ٣٩١ بابن حترابة الوزير
 أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو ٣٠١ جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابي
 ٢٧٧ حاتم الحنظلي الرازي ١٤٨ جعفر بن محمد الصادق
 ٢٤٨ أبو حاتم السجستاني ٥٨٩ جعفر بن محمد بن قطيرا أبو الحسن
 ٧٦٤ أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكي المصري ٦٠٤ جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الإريلي
 ٦٤٦ ابن الحاجب ٣٠٧ جعفر بن محمد بن موسى أبو محمد الأعرج النيسابوري الحافظ
 ١١ حاجب بن يزيد الأشهلي ٣٤٨ جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم أبو محمد الخواص
 ٦٣٣ الحاجري ٢٤٧ جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد
 ١٣ الحارث بن أوس بن عتيك ٢٨٠ جعفر بن المعتد
 ٥٤ الحارث بن رعي أبو قتادة الأنصاري ٤٨٦ جعفر بن المقتدي بأمر الله
 ٨٢ الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي المعروف بقياس ٣٧٧ جعفر بن المكتفي بالله
 ١٤ الحارث بن عتيك بن النعمان ١٨٧ جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكي
 ١٤ الحارث بن عدي بن مالك ٤٨٥ جعفر بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو الفضل التميمي
 ٢٨٢ الحارث بن محمد بن أبي أسامة ١١٥ أبو جعفر الباقر
 ١٤ الحارث بن مسعود بن عبلة ٢٩٥ أبو جعفر الترمذي محمد بن أحمد بن نصر
 ١٨ الحارث بن هشام ٣٢٨ جعفر المرتعش
 ٥١ حارثة بن النعمان الأنصاري ابن جَعْفَرَان العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن
 ٣٠ حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن صير اللخمي عباس بن جَعْفَرَان
 ٥٤٤ الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة
 الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمي ٦٢٨ جلال الدين تكتش
 ٧٠١ العباسي البغدادى المصري ٦١٨ جلال الدين الحسن
 ٤٠٥ الحاكم النيسابوري ابن جماعة قاضي القضاة العالم شيخ الإسلام بدر الدين أبو عبد الله
 ٣١١ حامد بن العباس محمد ابن الشيخ الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله
 ٤٠٦ أبو حامد الإسفرايينى أحمد بن محمد بن أحمد بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناشي الحموي
 ٣٣٠ أبو حامد بن بلال الأصل ٧٣٣

- ٣٦٦..... الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي أبي محمد القرمطي
 ٣٧١..... الحسن بن أحمد بن صالح
 ٣٤٣..... الحسن بن أحمد أبو علي الكاتب المصري
 الحسن بن أبي بكر المبارك بن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم
 ٦٢٩..... الزبيدي ثم البغدادي
 ٣٦٦..... الحسن بن بويه أبو علي ركن الدولة بن بويه
 ٣٨٥..... الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد أبو محمد
 ٤٠٣..... الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الوراق الحنبلي
 ١١٠..... الحسن بن أبي الحسن
 الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد القرشي الهاشمي
 ٩٧.....
 ٢٣١..... الحسن بن الحسين
 ٤٠٥..... الحسن بن الحسين بن حكان أبو علي الميماني
 ٢٧٥..... الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري
 الحسن بن الحسين بن علي بن العباس بن إسماعيل بن أبي سهل
 ٤٠٢..... نونخت أبو محمد النونختي الكاتب
 الحسن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين القاضي أبو محمد
 ٤١٢..... الإسترابادي
 ٤٣٠..... الحسن بن حفص أبو الفتح العلوي أمير مكة
 ٣٣٥..... الحسن بن حنوفه بن الحسين القاضي الإسترابادي
 ٦٠٠..... الحسن بن خالد بن المبارك بن محضر النصراني الماردني
 ٣٤٦..... الحسن بن خلف بن شاذان أبو علي الواسطي
 ٣٣٩..... الحسن بن داود بن بابشاذ أبو سعيد المصري
 الحسن بن داود بن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن
 بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله العلوي
 الحنفي
 ٣٥٥.....
 الحسن بن ذي النون بن أبي القاسم بن أبي الحسن أبو المفاجر
 النيسابوري
 ٥٤٥.....
 ٣٣٦..... بنت أبي الحسن الزاهد المكي
 ١٦٨..... الحسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب
 ٢٧٠..... الحسن بن زيد العلوي
 ٣٠٣..... الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء
 ٥٢٥..... الحسن بن سليمان بن عبد الله بن عبد الله
 ٢٣٦..... الحسن بن سهل الوزير
 الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن علي العكبري الفقيه
 ٤٢٨..... الحنبلي الشاعر
 ٥٦٨..... الحسن بن صافي يزدن التركي
 ١٦٧..... الحسن بن صالح بن حي
 ٥٦١..... الحسن بن العباس بن أبي الطيب بن رستم
 ٣٨٢..... الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد السكري
 الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سورة أبو عمر الراعي
 ٤٢٦..... المعروف بابن الفلور
 ٢٥٧..... الحسن بن عرفة بن يزيد
 ٦٥٨..... حسن بن العزيز ابن
 ٢٧٠..... الحسن بن علي
 ٧٣٠..... حسن بن علي بن أحمد الأنصاري الضير
- ٣٢٥..... أبو حامد بن الشرقي
 ٢٣..... حجاب بن المنذر
 ١١٧..... أبو الحجاب سعيد بن يسار والأعرج
 ١١..... حبيب بن زيد
 ١١..... حبيب بن عمرو بن عصن
 ٤٠..... أم حبيبة بنت زمة
 ٤٤..... أم حبيبة بنت أبي سفيان
 ٣٩١..... ابن الحجاج الشاعر الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله
 ٤٠٠..... الحجاج بن هرمز أبو جعفر
 ٩٥..... الحجاج بن يوسف
 ٢١٧..... حجاج
 ٥٦٦..... أبو الحجاج بن الخلال
 ابن أبي الحديد العراقي الشاعر عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن
 محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني
 ٦٥٥..... أبو حنيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي العنسي
 ١١..... ابن الحرستاني
 ٦٦٢..... ابن الحرستاني
 ٦٩٤..... ابن الحرستاني
 ٦٨٢..... ابن الحرستاني الشافعي
 ٧٣٤..... حرمي بن قاسم بن يوسف العامري الفاقوسي الشافعي
 الحريري صاحب المقامات القاسم بن علي بن محمد بن عثمان فخر
 الدولة أبو محمد الحريري البصري
 ٥١٦..... ابن الحريري أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي عمرو عثمان بن
 أبي الحسن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي
 ٧٢٨..... الحريري
 ٦٤٥..... حرير بن عثمان الرحي الحمصي
 ١٦٣..... ابن حزم الظاهري
 ٤٥٦..... ابن أبي الحزم بن نفيس
 ٦٨٧..... حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران المخزومي
 ١١..... حسان بن غزي بن يونس عماد الدين أبو المناقب المحلي المصري
 ٦٦٢..... حسان الدين الجونكدار نائب حلب
 ٦٨٩..... حسان الدين طرطاي
 ٥٠..... حسان بن ثابت
 حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد
 بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي
 ٤٦٣..... المنيهي
 ١٨٠..... حسان بن أبي ستان بن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأنباري
 ٦٩..... حسان بن مالك بن مجمل الأمير أبو سليمان البجلي الكلبي
 ٣٤٩..... حسان بن محمد بن أحمد بن هارون
 ١٨٦..... حسان
 ٢٤٢..... أبو حسان الزبادي
 الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب
 بن مهرون أبو علي بن شاذان البزاز
 ٤٢٦..... الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد العطار أبو العلاء
 الميماني الحافظ
 ٥٦٩..... الحسن بن أحمد بن الحسن بن أبو شروان الرازي
 ٦٩٩..... حسن بن أحمد بن زفر الإربلي ثم الدمشقي
 ٧٢٦.....

- الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد ٣١٨
الحسن بن علي بن الجعد ٢٤٢
الحسن بن علي بن جعفر أبو علي بن مأكولا ٤٢٢
حسن بن علي الحريري ٦٩٧
الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن
فهر بن وقاح الياسري ٦٢٢
الحسن بن علي بن الحسن بن الميثم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد ٣٧١
الحسن بن علي بن حزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن
محمد بن علي بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين
بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني ٥٩٣
الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البريهاري ٣٢٩
الحسن بن علي الدقاق النسابوري ٤١٢
الحسن بن علي بن صدقة أبو علي وزير الخليفة المسترشد ٥٢٢
الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد القرشي الهاشمي ٤٩
الحسن بن علي أبو عبد الله البصري ٣٦٩
الحسن بن علي أبو عبد الله المردوسي ٤٧٨
الحسن بن علي بن محمد بن باري أبو الجواز الواسطي ٤٦٢
الحسن بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شيبان ابن
فروة بن واقد أبو علي التميمي ٤٤٤
الحسن بن علي بن محمد أبو محمد الجوهري ٤٥٤
حسن بن عمر السكاكيني ٧٤٤
الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعي ٢٨٨
الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله أبو محمد العباسي ٤٤٠
الحسن بن غالب بن علي بن غالب بن منصور بن صلوك أبو علي
التميمي ٤٥٨
الحسن بن الفضل بن سهلان أبو محمد الراهزمري ٤١٤
الحسن بن أبي الفضل أبو علي الشرمقاني ٤٥١
الحسن بن الفيرزان صاحب بلاد جرجان ٣٥٦
الحسن بن القاسم الداعي العلوي ٣١٦
الحسن بن القاسم بن دحيم أبو علي الدمشقي ٣٢٧
الحسن بن قحطبة ١٨١
الحسن بن أبي الحسن زهرة بن الحسن بن زهرة العلوي الحسيني
الحلي ٦٢٠
الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي أبو نصر اليوناني ٥٢٧
الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا ٦٦٠
الحسن بن محمد بن إسماعيل أبو علي الإسكافي ٣٩٤
الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمانة بن عساكر
الدمشقي الشافعي ٦٢٧
الحسن بن محمد بن الحنفية ٩٥
الحسن بن محمد بن الحنفية ٩٩
الحسن بن محمد بن عمار بن متوج الحارثي ٧٢٥
الحسن بن محمد بن أبي الفضل أبو محمد النسوي الوالي ٤٥٢
الحسن بن محمد بن هارون أبو محمد المهلب ٣٥١
الحسن بن مكرم ٢٧٤
الحسن بن منصور أبو غالب ٤١٢
الحسن بن موسى الأشيب ٢٠٩
الحسن بن أبي الهيثم أبو علي الزاهد ٤٢٠
الحسن بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي
أبو يعلى ٣٠٦
أبو الحسن الأشعري ٣٢٤
أبو الحسن الأشعري ٣٣١
حسن الرومي ٦٨٤
الحسن العلوي ٥٠٢
حسن الكردي ٧٠٠
حسن الكردي المولود ٧٢٤
أبو الحسن المدايني ٢٢٨
حسنه بن الحسين الكردي ٣٦٩
حسنه بن الحسين الكردي ٣٦٩
حسن بن إبراهيم بن حسين الجاكي الحكري ٧٣٧
الحسين بن أحمد بن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادي ٤٠٤
الحسين بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن بكير أبو عبد الله
الصيرفي الحافظ المطبق ٣٨٨
الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن
علي ابن الخليفة المهدي بالله العباسي ٦٤٢
الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا أبو عبد الله الشيعي ٢٩٨
الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان أبو
عبد الله الضبي القاضي الحاملي ٣٣٠
الحسين بن بشار بن موسى أبو علي الخياط ٢٨٦
الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود أبو عبد الله السلماسي
..... ٤٤٦
الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم أبو عبد الله الحلبي ٤٠٣
الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأنطاكي ٣١٩
الحسين بن الحسين بن علي بن حمزة العلوي الحسيني أبو عبد الله
الأنصاسي القتيب قطب الدين ٦٤٥
الحسين بن أبي زيد أبو علي الديباغ ٤٥٤
الحسين بن سليمان بن فزارة بن بدر الكفري الحنفي ٧١٩
الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرق ٢٩٩
الحسين بن عثمان بن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف
العجلي ٤٣٥
الحسين بن عثمان بن علي أبو عبد الله المقرئ الضرير المجاهدي ٤٠٤
الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القييري الكردي ٦٦٥
الحسين بن علي ٣٧٥
الحسين بن علي ٥٠٢
الحسين بن علي ٦١
الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي ٧١٧
الحسين بن علي بن ثابت أبو عبد الله المقرئ ٣٧٨
الحسين بن علي بن جعفر بن هلكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف
العجلي ٤٤٧
الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي
طالب ١٦٩
الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم الوزير المغربي ٤١٨
الحسين بن علي بن أبي القاسم اللامشي ٥٢٢

- ١٥٥..... حماد الراوية.
- ١٥٥..... حماد عجرد
- ١٦٨..... حماد عجرد
- ٧٢٦..... حماد وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القطان
- حماد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن
- ٦٣٢..... مفتاح التجميع الذنيري
- ٣٤٩..... حماد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي
- ٦٠٨..... ابن حمدون تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون
- ٧٥..... حران بن إبان مولى عثمان بن عفان
- ٤١٩..... حمزة بن إبراهيم أبو الخطاب المنجم
- ٧٢٩..... حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد ابن القلاسي
- ٥٥٦..... حمزة بن علي بن طلحة أبو الفتح الحاجب
- ٦١..... حمزة بن عمرو الأسلمي
- ١٨١..... حمزة بن مالك
- ١٥٦..... حمزة الزيات
- ٧٢٧..... ابن الحموي ضياء الدين أبو الفداء
- ٦٤٧..... ابن حمويه
- ٦٣٦..... ابن حمويه
- ٦١٧..... ابن حمويه الجويني
- ٦٨..... حميد بن ثور الحلالي
- ٩٥..... حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
- ١٥٩..... حميد بن قنطبة
- الحميدي محمد بن أبي نصر قنطبة بن عبد الله بن حميد الحميدي
- ٤٨٨..... الأندلسي
- ابن الحنا علي بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين
- ٦٧٧..... أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري
- ٢٧٣..... حنبل بن إسحاق
- ٦٠٤..... حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرصافي الحنبلي
- ٩٩..... حنش بن عبد الله بن عمرو الصنعائي
- ١٥٠..... أبو حنيفة
- ٢٦٠..... حنين بن إسحاق العبادي
- ٦٦٣..... الحواري
- ٥٥١..... ابن الحوراني
- الحوفي صاحب «إعراب القرآن» أبو الحسن علي بن إبراهيم بن
- ٤٣٠..... سعيد بن يوسف الحوفي النحوي
- ٥٤..... حويطب بن عبد العزيز العامري
- حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن
- ٤٦٩..... حيان أبو مروان القرطبي
- ٧٤٥..... أبو حيان النحوي
- الحيص بيض سعد بن محمد بن سعد الملقب شهاب الدين أبو
- ٥٧٤..... الفاراس الصيفي
- خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل بن العادل بن أبي بكر بن
- ٧٢٣..... أيوب بن شادي
- ٦٠٢..... الخاتون
- ٦٤٨..... الخاتون أرغون
- ٥١٥..... خاتون السفريه
- ٤٣٦..... الحسين بن علي بن محمد بن جعفر أبو عبد الله الصميري
- ٣٤٩..... الحسين بن علي بن يزيد بن داود أبو علي الخافظ النيسابوي
- ٤١٢..... الحسين بن عمر
- الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو علي
- ٣٢٧..... الكوكبي الكاتب
- ٣٥٠..... الحسين بن القاسم أبو علي الطبري
- ٣٦٥..... الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الماسرجسي
- ٣٦٢..... الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي
- ٧٢٢..... الحسين بن محمد بن إسماعيل المقدسي
- ٦١٧..... الحسين بن محمد بن أبي بكر الجلي الموصل
- ٢٩٤..... الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان
- الحسين بن محمد بن الحسن بن علي أبو عبد الله المؤدب وهو أبو
- ٤٣٠..... محمد الخلال
- ٤٢١..... الحسين بن محمد الخالغ
- ٣٩٠..... الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء
- ٤١٤..... الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الكشغلي الطبري
- ٤٥٠..... الحسين بن محمد أبو عبد الله الوني القرضي
- ٢٨٩..... الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز بن إبراهيم
- الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن
- عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب النبلس
- ٥٢٤..... الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني
- ٧٠٨..... الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الوهاب
- الزيني
- ٥١٢..... حسين ابن الملك الناصر
- ٧٦٤..... الحسين بن منصور بن مَخِيّ الحلاج
- ٣٠٩..... الحسين بن موسى بن محمد بن
- ٤٠٠..... أبو الحسين البصري المعتزلي محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين
- البصري المتكلم
- ٤٣٦..... أبو الحسين النوري أحد أئمة الصوفية
- ٢٩٥..... الخطيئة الشاعر واسمه جروول بن أوس بن مالك
- ٥٩..... الخطيئة الشاعر المشهور
- ٣٥..... حفص بن سليمان
- ١٣٢..... حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدني
- ٩٣..... حفص بن غياث القاضي
- ١٩٦..... أبو الحفص النخعي
- ٩٨..... حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين
- ٤٥..... الحكم بن عمرو بن جندع الففاري
- ٥٠..... الحكم
- ٢٣٢..... حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي بن
- كلاب القرشي الأسدي أبو خالد المكي
- ٥٤..... حكيم بن عمير العنسي الشامي
- ٨٨..... ابن حلية الموازي البغدادي
- ٦٢١..... حماد بن زيد
- ١٧٩..... حماد بن سلمة الرحي النبلس
- ٥٢٥..... حماد بن عبد الله بن حماد الحراني التاجر
- ٥٩٨..... حماد الراوية
- ١٦٤..... حماد الراوية

- خاتون والدة الملك العادل ٥٩٣
 خارجة بن زيد بن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ٩٩
 خارجة ١٦٨
 ابن خازم ٧٢
 ابن الخازن الكاتب أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو
 الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر ٥٥٩
 خاقان ٢٧٩
 خالد بن أحمد أبي الهيثم النحلي ٢٧٣
 خالد بن زيد الأنصاري ٤٩
 خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري الخزرجي ٥٢
 خالد بن سعيد بن العاص ١٤
 خالد بن سعيد بن العاص الأموي ١٣
 خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبقري ١٢٦
 خالد بن معدان الكلاعي ١٠٤
 خالد بن الوليد ٢١
 خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية ٨٥
 خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم الأموي الدمشقي ٩٠
 خالد بن يوسف بن سعد التابليسي ٦٦٣
 ابن خالويه الحسين بن أحمد بن خالويه ٣٧٠
 خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه ٣٧
 خباب مولى عتبة بن غزوان ١٩
 ابن الحباب ٦٣٩
 الخبوشاني ٥٨٧
 خبيب بن عبد الله بن عبد الله بن الزبير ٩٣
 خبيب بن يساف بن عتبة الأنصاري ٣٥
 ختلج ٤٧٩
 خديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الراعظ المعروفة بالشامجانية ٤٦٠
 خديجة بنت موسى بن عبد الله الراعظ ٤٣٧
 أبو خراش الهذلي الشاعر ٢٣
 أبو خراشة خويلد بن مرة الهذلي ٢٠
 خربند ٧١٦
 الحرقري صاحب ٣٣٤
 ابن خروف شارح سيبويه ٦١٠
 ابن خروف شارح كتاب سيبويه علي بن محمد بن يوسف أبو
 الحسن بن خروف الأندلسي النحوي ٦٠٦
 خزيمه بن أوس الأشهلي ١٤
 خزيمه بن ثابت ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ٣٧
 ابن خزيمه محمد بن إسحاق بن خزيمه بن المغيرة بن صالح بن بكر
 السلمي ٣١١
 خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن
 محمود بن سبكتكين ٥٥٥
 خسرو شاه بن قليج أرسلان ٦٠٨
 الخسروشاهي المتكلم عبد الحميد بن عيسى الشيخ شمس الدين
 الخسروشاهي ٦٥٢
 الخشوعي ٥٩٧
 خضر بن أبي بكر المهراني العدوي ٦٧١
- خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي المهراني العدوي ٦٧٦
 الخضر بن الحسن بن علي السنجاري ٦٨٦
 الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر ٥٦٩
 خطاب باني خان خطاب ٧٢٥
 الخطاطي البستي ٣٨٨
 خطبا بن عبد الله ٦٣٥
 الخطيب الدولعي ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن
 ياسين التغلبي الدولعي ٥٩٨
 الخطيب شمس الدين بن الوزير أبي الضياء ٥٧٢
 الخطيب البغدادي ٤٦٣
 الخطيب القزويني ٦٦٦
 الخلال أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال ٣١١
 خلف بن خليفة ١٨١
 خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ٥٧٨
 خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى ٢٩٦
 خلف بن محمد بن علي بن حمدون أبو محمد الواسطي ٤٠١
 خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطي ٢٧٤
 خلف بن هشام البزار ٢٢٩
 ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد
 بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي الشافعي ٦٨١
 خليفة بن خياط ٢٤٠
 أبو خليفة الفضل بن الحباب ٣٠٥
 الخليفة المهدي بالله ٢٥٦
 الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي ١٧٠
 الخليل بن أحمد القاضي ٣٧٨
 خليل بن أيبك ٧٦٤
 خليل بن زوزان ٦٢٨
 خليل بن قلاوون المتصور ٦٩٣
 خمارويه بن أحمد بن طولون ٢٨٢
 خوارزم شاه تكش بن الب رسلان من ولد طاهر بن الحسين ٥٩٦
 خولة بنت جعفر ٤٠
 خُوَند بنت نوکاي ٧٢٤
 الخونده غازية خاتون بنت الملك المتصور قلاوون ٦٨٧
 ابن الخويمي ٦٩٣
 الخُوَيمِي ٦٣٧
 ابن الخياط الشاعر ٦٥٨
 أبو الخير التيناني ٣٤٣
 ابن خيران ٣٢٠
 الخيزران جارية المهدي ١٧٣
 داؤدة الفارسي ١١
 الدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان
 بن دينار بن عبد الله أبو الحسن الدارقطني ٣٨٥
 ابن الدماغي ٥٨٣
 الدماغي محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب
 بن حمويه الدماغي ٤٧٨
 داود بن إبراهيم الجيلي ٦١٨

- داود بن حاتم بن عمر الحبال ٦٧٩
 داود بن رشيد . وصفوان بن صالح مؤذن أهل دمشق. ٢٣٩
 داود بن علي ٢٧٠
 داود بن عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل ٦٥٦
 داود بن أبي الغنائم أحمد بن يحيى الملهمي الضرير البغدادي ٦١٥
 داود بن المعظم عيسى بن العادل ٦٥٥
 داود بن نصر الطائي ١٦٢
 داود بن يحيى بن كامل القرشي ٦٨٤
 داود ٧٦٧
 أبو داود السجستاني ٢٧٥
 داود الطائي ١٦٢
 داود الطائي ١٦٢
 داود أخو طغرل بك ٤٥٠
 الداودي راوي صحيح البخاري عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن
 محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي ٤٦٧
 ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد أبو الأغر
 الأسدي ٥٢٩
 ديبس بن علي بن مزيد ٤٧٤
 أبو دجانة ميمك بن خرشة - ويقال ميمك بن أوس بن خرشة -
 ابن لؤذان بن عبد وّد بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن
 كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ١١
 ابن دحية أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن
 خلف بن قومس بن مزال بن ملال بن بدر أحمد بن دحية ٦٣٣
 دحية بن خليفة الكلبي ٥٠
 ابن دحية المصري ٦٦٧
 الدخوار الطيب ٦٢٨
 أم الدرداء الصغرى ٨٢
 ابن درستويه النحوي عبد الله بن جعفر بن درستويه ابن المرزبان ٣٤٧
 دعلج بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي ٢٤٦
 دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن أبو محمد السجستاني الممدل
 ٣٥١
 دقاق بن تش ٤٩٧
 ابن دقيق العيد الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة
 تقي الدين بن دقيق العيد القشيري المصري ٧٠٢
 أبو دلامة زيد بن الجرون ١٦١
 أبو دلف العجلي ٢٢٦
 الدماغ ٦١٤
 ابن الدماصي ٧٣١
 الدماطي ٧٠٥
 ابن أبي الدنيا القرشي ٢٨١
 ابن الدهان النحوي الواسطي الملقب بالرجيه ٦١٢
 دهن اللوز ٦١٤
 ابن الدوالي البغدادي الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المستند
 المعمر عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي
 الحسن بن عبد الغفار البغدادي الأزجي الحنبلي المعروف بابن
 الدوالي ٧٢٨
- ابن الدوامي الشاعر ٦١٦
 دولاب ٧٣٢
 الدولي محمد بن زيد بن ياسين الخطيب جمال الدين الدولي ٦٣٥
 الدينوري ٦٦١
 أبو ذر الغفاري ٣٢
 أبو ذر الهروي عبد بن أحمد بن محمد الحافظ الفقيه المالكي سمع
 الكثير ٤٣٤
 ابن ذريح العكبري ٣٠٧
 ذو النون المصري ٢٤٥
 رؤية بن العجاج ١٤٥
 رابعة العدوية ١٨٥
 راشد بن سعد المقراني الحمصي ١٠٨
 الراشد منصور بن المسترشد ٥٣٢
 راشد مولى الموق ٢٨٠
 رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ٧٤
 رافع بن سهل ١١
 ابن الراوندي الزنديق ٢٤٥
 ابن الراوندي الزنديق أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين المعروف
 بابن الراوندي ٢٩٨
 الرباب بنت امرئ القيس ٦٢
 رياح مولى الحارث ١١
 الربيع بن خثيم أبو يزيد الثوري الكوفي ٦٢
 الربيع بن زياد الحارثي ٥٣
 الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي ١٧٠
 الربيع بن سليمان المرادي ٢٧٠
 الربيع بن معوذ بن عفرأ ٣٧
 الربيع بن يونس ١٦٩
 ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ١٤
 ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ٢٣
 ربيعة خاتون واقفة الصاحبة بقاسيون ربيعة خاتون بنت أبوب
 أخت السلطان صلاح الدين ٦٤٣
 رجاء بن حيوة الكندي ١١٢
 رجاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصاري ٤٠٩
 أبو رجاء الطاردي ١٠٥
 أبو رجاء الطاردي ١٠٧
 أبو الرجال المنيني ٦٩٤
 الرجيجي بن سابق بن هلال بن يونس ٧٠٦
 أبو الرداد ٢٧٦
 رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز أبو محمد التميمي ٤٨٨
 رزق الله بن يحيى بن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن
 رزق الله بن غام بن غنام الماحوزي ٦١٥
 رشوان بن منصور بن رشوان الكردي المعروف بالنقف ٦١٣
 الرشيد الصوفي ٥٦٢
 الرشيد المطار ٦٦٢
 ابن رشيقي المغربي ٧٤٩
 رضي الدين بن إبراهيم بن سليمان المنطقي الحنفي ٧٣٢

- ٩٣ زارة بن أوفى بن حاجب العامري
 ٢٦٤ أبو زرعة
 ٣٠٢ أبو زرعة محمد بن عثمان الشافعي
 ١٥٨ زفر بن الخليل
 ٣٣٠ زكريا بن أحمد البلخي
 زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني
 ٧٢٧ اللحاني المغربي
 ٤٦٤ زكريا بن محمد بن حيد أبو منصور النيسابوري
 ٣٠٧ زكريا بن يحيى الساجي
 ٧٢٢ زكريا بن يوسف بن سليمان بن حامد البجلي الشافعي
 ٦٨٥ ابن الزكي
 ٦٦٨ ابن الزكي
 ٦٥٤ زكي الدين بن الثوري
 ابن الزكي محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز
 ٥٩٨ أبو المعالي القرشي
 ٥٣٨ الزخري عمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزخري
 ٥٥٧ زمرد خاتون بنت جاولي
 ٥٩٩ زمرد خاتون
 ابن الزمكاني شيخنا الإمام العلامة كمال الدين أبو المعالي ابن
 الشيخ علاء الدين علي بن عبد الواحد ابن خطيب زمكا عبد
 ٧٢٧ الكزيم بن خلف بن نيهان الأنصاري الشافعي ابن الزمكاني
 ٥٤١ زكي بن آق سقر
 الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد
 ١٢٤ الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة
 ٣٠٣ زهير بن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل
 ٤٥٥ زهير بن علي بن الحسن بن حنم أبو نصر الحنفي
 ٧٦ زهير بن قيس البلوي
 ابن زولاق الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي ابن
 خلف بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق أبو محمد
 ٣٨٧ المصري الحافظ
 ٩٦ زيد بن جارية التميمي الدمشقي
 ٥٣ زيد بن أبي سفيان
 ٣٧٨ زيد بن محمد بن زياد بن الهيثم أبو العباس الخرخاني
 ٢٥٧ زيد بن أخزم الطائي. والرؤاسي
 ٦٨ زيد بن أرقم بن زيد
 ٤٥ زيد بن ثابت الأنصاري
 ١١ زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو محمد
 ١٤ زيد بن سُرّاق
 ١٢١ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
 ٢١٥ أبو زيد الأنصاري
 ١٤ أبو زيد الأنصاري التجاري
 ٢١٥ أبو زيد الأنصاري وأبو سليمان
 ٤٣٠ أبو زيد الدبوسي عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه
 ٤٦٣ ابن زيدون
 ٧٤٩ زين الدين بن النجيج
 ٢٠ زينب بنت جحش بن رباب الأسدية
- الرفاء الشاعر السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الرفا
 ٣٦٠ الشاعر الموصلي
 ٤٠٠ ابن الرفاء القرني
 ٤١ رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان
 ٥٧٨ الرفاعي أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد
 ٧١٠ ابن الرفعة
 ٧١٠ ابن الرقائي
 ٤١ ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب القرشي
 ٣٦٦ ركن الدولة أبو علي بن بويه
 ٦٠٠ ركن الدين بن قلع أرسلان
 ٧٠٧ ركن الدين بيرس العمري الصالحي
 ٦٠ رملة
 ٣٥ أبو رُهم سبرة بن عبد العزيز القرشي الشاعر
 ٥٧٠ روح بن أحمد أبو طالب الحديثي
 ٨٤ روح بن زنياع الجفامي
 ٨٤ روح بن زنياع بن سلامة الجفامي أبو زرعة
 ٤٢٣ روح بن محمد بن أحمد أبو زرعة الرازي
 ٦٢٠ الروزيهاري
 ٢٨٣ ابن الرومي الشاعر
 ٥٠٢ الروياتي صاحب البحر
 ٥٣ رويغ بن ثابت
 ٣٠٣ رويم بن أحمد
 ١٦١ زائدة بن قدامة
 ٨٢ زاذان أبو عمرو الكندي
 ابن الزاغوني الحنبلي علي بن عبيد الله بن نصر بن السري
 ٥٢٧ الزاغوني
 ٣٨٩ زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي المقرئ الفقيه الحديث
 زاهر بن طاهر بن محمد أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر
 ٥٣٣ الشحامي
 ٦٩٢ الزاهر مجير الدين
 ١٠٠ أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي
 ٣٥ أبو زيد الطائي
 ٥٨٩ زبيدة بنت الإمام المقتضي لأمر الله
 ٢١٦ زبيدة امرأة هارون
 الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثلبت بن عبد الله بن
 ٢٥٦ الزبير بن العوام القرشي الزبيري
 الزبير بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم أبو
 ٣٤٧ عبد الله الأسدي
 الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي بن
 كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
 ٣٦ النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي
 ٣١١ الزجاج صاحب معاني القرآن
 الزجاجي مصنف «الجمل» وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق
 ٣٤٠ النحوي
 ٨٢ زو بن حيش
 ٧٨ زو بن حيش

١٥	سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي	٧٣	زينب بنت أبي سلمى الخزومية
١٣	سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة	١١	السائب بن عثمان بن مظعون
١٥	سعد بن حبيد بن النعمان أبو زيد الأنصاري الأوسي	١١	السائب بن العوام
٤٧١	سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني	٩١	السائب بن يزيد بن سعيد بن نعام
٤٥٤	سعد بن محمد بن منصور أبو المحاسن الجرجاني	٧٨	السائب بن يزيد الكندي
٥٥	سعد بن أبي وقاص	٤١٦	سابور بن ازدشير
٧٢١	سعد الدين أبو زكريا يحيى المقدسي		ابن السامي الملوخ تاج الدين بن المختب المعروف بابن السامي
٥٠٦	أبو سعد السمعاتي	٦٧٤	البغدادي
	أبو سعد السمعاتي عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد	١٠٠	سالم بن أبي الجعد الأشجعي
٥٦٣	السمعاتي		سالم بن الحسن بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن مصري
٣٩	سعدُ القُرَظ	٦٩٨	التغلي
	أبو سعد المالبي أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن حصص	٧٢٦	سالم بن أبي الذر عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعي
٤١٢	أبو سعد المالبي الصوفي	١٠٦	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمرو النقيه
٤٧٨	أبو سعد المتولي عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي	١١	سالم بن عبيد
٢٦٥	سعدان بن نصر	٤٦	سالم بن عمير
١٩٠	سعدون الجنون	٣٥	أبو سبرة بن أبي رهم العامري
٢٩٨	سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواظ	٦٥٤	سبط ابن الجوزي
٩٤	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي	٦٦٩	ابن سبعين
٧٠٩	ابن سعيد الدولة	٣٦٤	سبكتكين الحاجب التركي
٦١٦	سعيد بن الرزاز	٥٨١	الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين
٥١	سعيد بن زيد	٦٩٤	الست خاتون بنت الملك الأشرف
٣٦١	سعيد بن أبي سعيد الجاني	٦١٦	ست الشام بنت أيوب بن شادي
٣٧٣	سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي	٧١٦	ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية
	سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن	٧١٦	ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا
٥٨	عبد مناف القرشي الأموي	٧٣٠	ستية بنت الأمير سيف الدين كوكاي المنصوري
٢٠	سعيد بن عامر بن حليم	٣٧٧	ستية بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الحاملي
١٧٦	سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جميل		سَحْبَان بن زفر بن إلياس ابن عبد شمس بن الأحب الباهلي الوائلي
٩٣	سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد الأموي	٥٥	
٤٠	أم سعيد بنت عروة بن مسعود	٢٤٠	سحنون المالكي
٦١٠	سعيد بن علي بن أحمد بن حليدة	٦٥٢	السليد بن علان
٦٨٤	سعيد بن علي بن سعيد. الشيخ رشيد الدين الحنفي	٢٤	سراقة بن مالك بن جعشم المدجلي
	السعيد فتح الدين عبد الملك ابن الملك الصالح أبي الحسن	٧٨	سراقة بن مرداس الأزدي
٦٨٣	إسماعيل ابن الملك العادل	٦٠٨	سركس ويقال له جهاركس
٣٦٢	سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد أبو عمرو البرذعي		السري الرقاء الشاعر بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي
٥٣٩	سعيد بن محمد بن عمر أبو منصور الرزاز	٣٦٢	الموصلبي
٤٥٥	سعيد بن مروان	٢٥٣	سري السقطي
٢٢٤	سعيد بن أبي مريم المصري	٢٣٥	سريج بن يونس
	سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأختش الأوسط البلخي ثم البصري	٦٠١	أبو السعادات الحلي
٢٢٥	النحوي	٥٦٤	سعد الله بن نصر بن سعيد الدلاجي أبو الحسن
	سعيد بن الحبيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن	١١	سعد بن حارثة
٩٤	خزوم القرشي أبو محمد المدني المخزومي		سعد الحثير بن محمد بن سهل بن سعد أبو الحسن المغربي الأندلسي
	السعيد معين الدين ابن الملك الأجد بهرام شاه بن المعز عز الدين	٥٤١	الأنصاري
٦٩٣	فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب	٦٥٧	سعد الدين محمد ابن الشيخ محي الدين بن عربي
	السعيد بن الملك الظاهر بركة قان ناصر الدين محمد بن بركة قان أبو	١٤	سعد بن سلامة بن وقش الأشهلي
	المعالي ابن السلطان الملك الظاهر. وكنى الدين ييبرس	١٤	سعد بن عبادة
٦٧٨	التندقداري	١٤	سعد بن عبادة

- سعيد بن يربوع بن عنكة ابن عامر بن خزوم ٥٤
 أبو سعيد الأشج ٢٥٧
 أبو سعيد الإصطخري الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل
 بن يشار ٣٢٨
 أبو سعيد الجنائمي القرطبي ٣٠١
 سعيد الجوهري ١٩٣
 أبو سعيد الخدري ٧٤
 أبو سعيد السيرافي النحوي الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد
 السيرافي النحوي القاضي ٣٦٨
 سعيد الترمي ٣١٤
 السفاح ١٣٦
 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ٢٠
 سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ١٦١
 سفيان بن سلمة الأسدي ٧٨
 سفيان بن عينة. وعبد الرحمن بن مهدي. ويحيى القطان بن سعيد. ١٩٨
 سفيان بن وهب ٨٢
 سفينة مولى رسول الله ٣٧
 سفينة مولى رسول الله ٧١
 ابن سكة عبد الوهاب بن علي ضياء الدين أبو عمدة المعروف بابن
 سكة الصوفي ٦٠٧
 سار بن حسن ٦٧٠
 سار ٧١٠
 سلامش بن الظاهر ٦٩٠
 سلطان الدولة بن بهاء الدولة ٤١٥
 سلم بن سالم أبو محمد البلخي ١٩٤
 سلم الخاسر الشاعر ١٨٦
 سلمان بن ربيعة الباهلي ٣٥
 سلمة بن أسلم بن خريش ١٤
 سلمة بن الأكوع بن عمرو بن سنان الأنصاري ٧٤
 سلمة بن سلامة بن وقش ٤٥
 سلمة بن الفضل الأبرش ١٩١
 أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل سهل بن الحنظلية
 بن عبد الله بن عمر بن خزيمة القرشي المخزومية ٦١
 سلمة بن مسعود وقيل مسعود بن سنان ١١
 سلمة بن هشام ١٤
 سلمة بن هشام بن المغيرة ١٣
 سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري ١٤
 سليم الحوري ٤٧١
 سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان أبو مسعود الأصبهاني ٤٨٦
 سليمان بن جندب الحلبي ٥٨٧
 سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر ابن الشيخ أبي عمر المقدسي
 الحنبلي ٧١٥
 سليمان بن داود بن سليمان ٧٣٢
 سليمان بن داود الهاشمي ٢١٩
 سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنائمي ٣٣٢
 سليمان بن سليمان بن عماد الدين بن الشيرجي ٧٦٤
 سليمان بن شروة بن خلدك ٥٩٩
 سليمان بن عبد الملك بن مروان ٩٩
 سليمان بن عبد الملك بن مروان ٩٩
 سليمان بن أبي العز بن وهب أبو الربيع الحنفي شيخ الحنفية ٦٧٧
 سليمان بن علي بن عبد الله ١٤٢
 سليمان بن عمر بن سالم بن عم الأذري ٧٣٤
 سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى النحوي الكوفي المعروف ٣٠٥
 سليمان بن مراحيل ٧٦٤
 سليمان بن مظفر بن غناتم الجيلي الشافعي ٦٣١
 سليمان بن المغيرة ١٦٥
 سليمان بن مهران الأعمش ١٤٨
 سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري الشافعي ٧٢٥
 سليمان بن يسار أحد التابعين ١٠٧
 سليمان الترمكاني المولى ٧١٤
 السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد أبو
 المظفر السمعاني ٤٨٩
 ابن سمعون الواقظ محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن
 سمعون ٣٨٧
 سمنون بن حمزة ٢٩٨
 سنان بن ثابت بن قرة الصائبي أبو سعيد المتطب ٣٣١
 سنان بن سلمة بن الخبث ٩٠
 سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن أقيصر الأتابكي ٦٠٥
 سنجر بن عبد الله الناصري الخليلي ٦١٠
 سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكايل بن سلجوق
 أبو الحارث ٥٥٢
 سنجر الحلبي ٦٩٢
 السنجي الحسين بن شعيب بن محمد ٤٣٩
 سقر الأعسر المصوري ٧٠٩
 ابن سني الدولة ٦٨٠
 السهروردي ٦٣٠
 السهروردي ٦٣٢
 سهل بن جمان ١١
 سهل بن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي ٣٨
 سهل بن سعد الساعدي ٩١
 سهل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد ٢٨٣
 سهل بن علي ١١
 سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه
 الشافعي ٣٨٧
 سهل بن محمد الصعلوكي التيسابوري ٤٠٢
 سهل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر مالك بن حسل
 بن عامر بن لؤي أبو يزيد العامري ١٥
 سودة بنت زمة القرشية العامرية أم المؤمنين ٥٤
 سودة بنت زمة القرشية العامرية أم المؤمنين ٢٣
 سودي نائب حلب في رجب ٧١٤
 سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر أبو أمية الجعفي الكوفي ٨١
 سيويه أستاذ النحاة ٢٨٠

- ١٨٠..... سبويه إمام النحاة
٥٢١..... ابن السيد البطليوسي
..... ابن سيد الناس الحافظ العلامة البارز فتح الدين أبو الفتح محمد ابن الإمام أبي عمرو محمد ابن الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الربيعي اليعمرى الأندلسي الأشبيلي ثم المصري ٧٣٤
..... السيد الحميري الشاعر الرافضي ١٧٩
..... السيد الشريف زين الدين أبو علي ٧٠٨
..... السيدة بنت القائم بأمر الله أمير المؤمنين ٤٩٦
..... ابن سيده اللغوي ٤٥٨
..... ابن سيرين ١١٠
..... سيف الدولة بن حمدان ٣٥٦
..... سيف الدين بن ٦٤٣
..... سيف الدين بن صبرة ٦٥٧
..... سيف الدين الناصح ٧٢١
..... ابن سينا الطبيب الفيلسوف الحسين بن عبد الله بن سينا ٤٢٨
..... الشاروت دمشقي ٦٩٦
..... الشاشي ٥٠٧
..... الشاطبي ناظم الشاطبية أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعي الشاطبي ٥٩٠
..... شافع بن عبد الرشيد بن القاسم أبو عبد الله الجيلي الشافعي ٥٤١
..... أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه المورخ المعروف بأبي شامة ٦٦٥
..... شاهان شاه بن أيوب بن شادي ٥٤٣
..... شاهنشاه الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي ٥١٥
..... ابن شاهين الواظع عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن إزدان أبو حفص بن شاهين ٣٨٥
..... شاور بن مجر أبو شجاع السعدي ٥٦٤
..... شباشي أبو طاهر ٤٠٨
..... شبرما ٥٦٩
..... شبل الدولة كافور الحسامي ٦٢٣
..... الشبلي ٣٣٤
..... شجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي ٥٠٧
..... شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي ١١
..... شجاع شيخ الحنفية ٥٥٧
..... أبو شجاع الوزير محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم أبو شجاع ٤٨٨
..... الشجاع ٦٩٣
..... شجر الدر بنت عبد الله أم خليل التركية ٦٥٥
..... ابن الشحنة: الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الثمزمقري ثم الصالحى الحجار المعروف بابن الشحنة ٧٣٠
..... شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام أبو يعلى الأنصاري الخزرجي ٥٨
- شرحيل بن حسنة ١٨
..... شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ٣٧٩
..... شرف الدين بن بزي والد الشيخ محي الدين النووي ٦٨٥
..... شرف الدين المقدسي الشيخ الإمام الخطيب المدرس المفتي شرف الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي ٦٩٤
..... شرف ٦٤٣
..... شريح بن الحارث بن قيس أبو أمية الكندي ٧٨
..... شريح بن الحارث بن قيس القاضي ٨٧
..... أبو شريح الخزاعي العلوي الكعبي ٦٨
..... الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى ابن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٠٦
..... الشريف المرتضى علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشريف الموسوي ٤٣٦
..... أم شريك الأنصارية ويقال العامرية ٥٠
..... شريك بن عبد الله القاضي الكوفي النخعي ١٧٧
..... شعبان بن أبي بكر محمد بن عمر الإربلي ٧١١
..... شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي ١٦٠
..... أبو الشعثاء جابر بن زيد ٩٣
..... شعونة العابدلة الزاهد ١٧٥
..... شعيب بن حرب ١٩٧
..... شعيب بن أبي حمزة ١٦٣
..... شعيب بن أبي طاهر بن كليب بن مقلب الضرير ٦١٨
..... أبو شعيب البرائي ١٨٧
..... شعب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة ٣٢١
..... شقيق بن سلمة ٨٢
..... الشلوين النحوي ٦٤٥
..... شمس الدين بن الخطيري ٧١٦
..... شمس الدين بن سعيد ٧٥٣
..... شمس الدين بن السلوس ٦٩٣
..... شمس الدين بن سني ٦٣٥
..... شمس الدين بن الصائغ اللغوي ٧٢٠
..... شمس الدين بن الصلاح ٧٤٩
..... شمس الدين بن منصور الحنفي ٧٦٨
..... شمس الدين التتري ٧٦٥
..... الشمس لؤلؤ مدبر ممالك ٦٤٨
..... شملة التركماني ٥٧٠
..... ابن شتوتز القرئ محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن القرئ ٣٢٨
..... شهاب الدين بن برقي ٧٣٦
..... شهاب الدين بن القليسة ٧٣٦
..... شهاب الدين الطوسي ٥٩٦
..... الشهاب الكاشغري ٧١٦
..... الشهاب محمود هو الصدر الكبير الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ

صناعة.....	٧٢٥	الرواب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن
شهر بن حوشب الأشعري الحمصي.....	١١٢	الحسن بن أحمد بن محمد بن صَصْرَى التغلبي الربيعي الشافعي..... ٧٢٣
ابن الشهرزوري.....	٥٩٩	صعصعة بن سلام..... ١٩٢
ابن أبي الشوارب أحمد بن محمد بن عبد الله ابن العباس بن محمد		صعصعة بن ناجية بن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم
بن عبد الملك بن أبي الشوارب أبو الحسن القرشي الأموي.....	٤١٧	الدارمي..... ٥٣
شبية بن عثمان بن أبي طلحة العبدي الحنفي.....	٦١	صفوان بن أمية ابن خلف بن وهب بن حنافة بن وهب القرشي..... ٤١
شيث بن الشيخ علي الحريري.....	٦٩٦	صفوان ابن يضاء آخر سُهَيْل ابن يضاء..... ٣٨
الشيخ الصالح الكبير المعمر الرُّحْلة الصالح تقي الدين بن الصانع		صفوان بن المعطل..... ١٩
القرئى المصري الشافعي.....	٧٢٥	صفوان بن المعطل بن رحة بن المؤمل بن خزاعي أبو عمرو..... ٦٠
شيخون.....	٧٥٨	صفي الدين بن عبد الله بن علي بن شكر..... ٦٣٠
ابن الشيرازي.....	٦٣٥	الصفي بن القاضى..... ٥٨٧
ابن الشيرازي.....	٦٨٢	صفية بنت حبي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن
ابن الشيرازي.....	٧٤٩	الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم أم
شيركوه بن شاذي.....	٥٦٤	المومنين النضرية..... ٥٠
شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي.....	٦٣٧	صفية بنت عبد المطلب..... ٢٠
أبو شيص الشاعر محمد بن رزيق بن سليمان.....	١٩٦	صقر بن يحيى بن سالم..... ٦٥٣
الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم		ابن الصلاح..... ٦٤٣
بن عامر بن عابد النيسابوري.....	٤٤٩	صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى..... ٥٨٩
الصاحب بن عباد وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن		صلاح الدين العلائي..... ٧٦١
أحمد بن إدريس الطالقاني أبو القاسم.....	٣٨٥	صلة بن أشيم العدوي..... ٧٦
صاعد بن الحسن ابن عيسى الربيعي البغدادي اللغوي.....	٤١٧	الصليحي المتغلب على اليمن أبو الحسن علي بن محمد بن علي
صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء		الملقب بالصليحي..... ٤٧٣
الإسحاقى الهروي الحافظ.....	٥٢٠	صمصام الدولة ابن عضد الدولة..... ٣٨٨
صاعد بن غلذ.....	٢٧٦	الصنوبري الشاعر..... ٣٠٠
صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد أبو العلاء الخطيب		صُهَيْب بن سنان بن مالك أبو يحيى الرومي..... ٣٨
النيسابوري.....	٥٠٦	الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو
صافي الحزني.....	٢٩٨	بكر الصولي..... ٣٣٦
صالح بن بشير المزي.....	١٧٦	الصولي..... ٣٣٥
صالح بن ثامر بن حامد بن علي الجعبري الشافعي.....	٧٠٦	الضحاك بن قيس..... ٦٤
صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور.....	٢٦٢	الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم..... ١٠٢
صالح بن محمد بن عرشاه بن أبي بكر الهملاني.....	٧١٦	ضرار بن الأزور الأسدي..... ١٣
صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي الأسدي.....	٢٩٤	ضمام بن إسماعيل..... ١٨٥
صالح الأحمدى الرفاعي.....	٧٠٧	ضمرة بن عياض..... ١١
أبو صالح مقلح الحنبلي.....	٣٣٠	ضمرة..... ١٤
ابن الصباب التاجر السفار.....	٧٤٩	ضياء الدين المقدسي صاحب «الأحكام» ابن الحافظ..... ٦٤٣
ابن الصباغ صاحب الشامل.....	٤٧٧	الطائع لله عبد الكريم بن المطيع..... ٣٩٣
ابن صبيح المؤذن.....	٧٢٥	طارق بن شهاب بن عبد شمس الأحسي..... ٨٣
صدقة بن الحسين أبو الفرج بن الحداد.....	٥٧٣	طاشتكين المستجدي..... ٦٠٢
صدقة بن عبد الله السمين.....	١٦٦	طالب الرفاعي..... ٦٨٣
صدقة بن منصور بن ديس بن علي بن مزيد الأسدي.....	٥٠١	أبو طالب المكي صاحب «قوت القلوب» محمد بن علي بن عطية
صدقة بن وزير الواسطي.....	٥٥٧	أبو طالب المكي الراعظ المذكر الزاهد المتعبد الرجل الصالح..... ٣٨٦
ابن صُرَيْع.....	٤٦٥	طاهر بن أحمد بن بابشاذ أبو الحسن المصري النحوي..... ٤٦٩
الصرصري المادح.....	٦٥٦	طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القواس..... ٤٧٦
صريح الدلاء الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الواحد.....	٤١٢	طاهر بن الحسين البندنجي..... ٤٨٠
ابن صَصْرَى أبو العباس أحمد ابن العدل عماد الدين بن محمد ابن		طاهر بن الحسين بن مصعب..... ٢٠٧
العدل أمين الدين سالم ابن الحافظ المحدث بهاء الدين أبي		طاهر بن محمد بن طاهر أبو زوعة المقدسي الأصل..... ٥٦٦

- ٧٠٢..... العادل زين الدين كتبنا
 ١٢..... أبو العاصم بن الربيع بن عبد العزيز
 ٤٨٢..... عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران
 ٤٥..... عاصم بن عدي
 ٢٢١..... عاصم بن علي
 ٧٠..... عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي
 ١٨٠..... عافية بن يزيد بن قيس القاضي
 ٣٤..... عاقل بن الكير
 ابن العاقولي البغدادي الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو محمد
 عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي العاقولي
 ٧٢٨..... ثم البغدادي الشافعي
 ٩٠..... أبو العالية الرياحي
 ١١..... عامر بن ثابت
 ١٠٤..... عامر بن سعد بن أبي وقاص
 ١٠٤..... عامر بن شراحيل الشعبي
 ١٠٥..... عامر بن شراحيل الشعبي
 ١٣١..... عامر بن ضبارة
 ١٨..... عامر بن عبد الله بن الجراح
 ١٥..... عامر بن مالك بن أيوب الزهري
 ٦٨٤..... ابن عامر المقرئ
 ١١..... عباد بن بشر بن وقش الأنصاري
 ٣٨٥..... عباد بن عباس بن عباد أبو الحسن الطالقاني
 ١٤..... عباد وعبد الله وعبد الرحمن
 ١٩٢..... العباس بن الأخف بن الأسود بن طلحة
 ٣٦٣..... العباس بن الحسين أبو الفضل الشيرازي
 ٦٦٩..... عباس بن العادل بن أيوب شاذي
 ٣٢..... العباس بن عبد المطلب
 ٢٥٧..... العباس بن الفرج
 ٢٧١..... عباس بن محمد الدوري
 ١٨٦..... العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد
 ٥٤١..... عباس شحنة الري
 ٢٩٣..... أبو العباس الناشي الشاعر
 ٣٦٩..... عبد الله بن إبراهيم
 ٤٨٩..... عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله أبو حكيم الحنبري
 ٣٦٨..... عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الرنجان
 ٥٦٧..... عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الحشاش
 ٧١٨..... عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان التلي
 ٢٩٠..... عبد الله بن أحمد بن حنبل
 ٤٧٤..... عبد الله بن أحمد بن وضوان أبو القاسم البغدادي
 ٦٢٢..... عبد الله بن أحمد بن الزيتوني البوازيجي
 ٢٩٠..... عبد الله بن أحمد بن سعيد أبو محمد الرباطي
 عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل
 بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 ٣٤٨..... الهاشمي المصري
 ٣٩٠..... عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي طالب البغدادي
 ٥١٦..... عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث
- ٢٥٠..... أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح
 ٥٧٦..... أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة
 ١٠٦..... طاوس بن كيسان اليماني
 ٦٠٠..... الطارسي صاحب الطريقة
 ٤١٨..... ابن طباطبا الشريف
 الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني اللخمي
 ٣٦٠..... الحافظ الكبير
 ٦٠٧..... ابن طبرزد شيخ الحديث
 ٣٢١..... الطحاوي
 طراد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن
 سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن الإمام محمد بن
 علي بن عباس
 ٤٩١..... طفتكين
 ٥٩٣..... طفتكين الأتابك
 ٥٢٢..... الطغرائي
 ٥١٥..... طغرل السلطان ابن السلطان محمد بن ملكشاه
 ٥٢٩..... طغرل بك
 ٤٥٥..... طفيل بن الحارث ابن المطلب
 ٣٠..... طفيل بن عمرو بن طريف بن العاصم بن ثعلبة بن سليم بن فهم
 بن غنم بن دوس الدوسي
 ١١..... أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكنتاني
 ١٠٠..... طلحة بن عبيد الله بن عثمان
 ٣٦..... طلحة بن عتبة من بني جحجج
 ١١..... طلحة بن علي بن طراد أبو أحمد الزيتي
 ٥٥٨..... طلق بن حبيب المعزني
 ٩٤..... طليح بن عمير بن وهب بن كثير بن عبد بن قصي القرشي
 ١٣..... طليحة بن خويلد
 ٢١..... طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الهلباتني الإربلي الشافعي
 ٦٧٧..... الطواشي ظهير الدين مختار البليسي
 ٧١٦..... الطواشي من الحبشي
 ٦٧٥..... طويس المغني
 ٩٢..... طي المصري
 ٦٣١..... أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب
 الطبري الفقيه
 ٤٥٠..... طيرس بن عبد الله علاء الدين الوزيري
 ٦٨٩..... طيفنا
 ٧٣٢..... الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بن العزيز بن
 المعز الفاطمي
 ٤٢٧..... الظاهر
 ٦٢٣..... الظاهر
 ٦٧٦..... ظهير الدين عبد السلام الفارسي
 ٥٩٦..... عائد بن ماعص
 ١١..... عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة رسول الله
 ٥٨..... عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزيز
 ٤١..... العادل أبو بكر بن أيوب
 ٦١٥..... العادل أبو بكر بن أيوب
 ٦١٥..... العادل أبو بكر بن أيوب

- عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن
إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور
المقدسي الخبلي ٧٣٧
- عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد أبو محمد الجواليقي القاضي ٣٠٦
- عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي ١٩٢
- عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم ٣٧
- عبد الله بن أسعد الموصلي ٥٨١
- عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر
المنصور أبو جعفر الهاشمي الإمام ٣٥٠
- عبد الله بن عيين بن ليث بن رافع المصري ٢١٤
- عبد الله أنيس بن الجهني ٥١
- عبد الله بن أنيس وأبو حبة بن غزيرة المازني ١١
- عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم
الأسلمي ٨٨
- عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ٣٧
- عبد الله بن بسر بن أبي بسر ٨٩
- عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني ٨٨
- عبد الله بن أبي بكر الصديق ١١
- عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين أبو أحمد الطبراني ٣٩٩
- عبد الله بن تيمية ٦٦٦
- عبد الله بن ثابت بن يعقوب أبو عبد الله التوزي ٣٠٨
- عبد الله بن ثعلبة بن ضعير ٨٩
- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ٨٠
- عبد الله بن الحارث بن نوفل ٨٤
- عبد الله بن أبي حنبلد الأسلمي أبو محمد ٧٣
- عبد الله بن حنيفة بن قيس القرشي السهمي ٣٥
- عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب ٢٩٥
- عبد الله بن حسن بن حسن ١٤٥
- عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي
الخبلي ٧٣٢
- عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن ٤٧٠
- عبد الله بن الحسن بن أبي منصور أبو محمد الطبري ٤٩٤
- عبد الله بن الحسن بن النحاس ٦٥٤
- عبد الله بن الحسين ٣٧١
- عبد الله بن الحسين بن الدامغاني الحنفي ٦١٥
- عبد الله بن خباب بن الأرت ٣٧
- عبد الله بن داود الحريري ٢١٣
- عبد الله بن روح بن عبد الله أبو محمد المدائني ٢٧٤
- عبد الله بن الزبير بن سليم الأسدي ٩٠
- عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ١٣
- عبد الله بن الزبير بن العوام ٧٣
- عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي ١١٧
- عبد الله بن السائب بن صفيي المخزومي ٧٢
- عبد الله بن سيعون ٤٧١
- عبد الله بن سراقه بن العتمر ٣٥
- عبد الله بن أبي سعد ٢٧٤
- عبد الله بن سعد بن خيشمة الأنصاري ٧٣
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح ٣٧
- عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ١٥
- عبد الله بن سلام أبو يوسف الإسرائيلي ٤٣
- عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي
العامري ١١
- عبد الله بن شداد بن الهاد ٨١
- عبد الله بن شمس الدين بن قيم الجوزية ٧٥٦
- عبد الله بن شيويه ٣٠٥
- عبد الله بن مصعب بن وهب الأنصاري ١٤
- عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي أبو صفوان المكي ٧٣
- عبد الله بن صفى الدين إبراهيم بن مرزوق ٦٦٢
- عبد الله بن طاهر بن الحسين ٢٣٠
- عبد الله بن أبي طلحة بن الأسود ٨٢
- عبد الله بن عامر بن ربيعة ٨٥
- عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن
عبد مناف بن قصي القرشي العيشي ٥٨
- عبد الله بن عباس ٦٨
- عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري الخزرجي ١١
- عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد بن علي القرشي
المخزومي الدلاصي ٧٢١
- عبد الله بن عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى ٦١٥
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حلوان الأسدي ٦٣٥
- عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ٢٥٥
- عبد الله بن عبد العزيز العمري ١٨٤
- عبد الله بن عبد الغني المقدسي ٦٢٩
- عبد الله بن عتيان ١١
- عبد الله بن عتيك ١١
- عبد الله بن عدي بن عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن أبي
أحمد الجرجاني ٣٦٥
- عبد الله بن العلاء بن زُر ١٦٥
- عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله أبو محمد سبط أبي منصور
الزاهد ٥٤١
- عبد الله بن علي بن عبد الله بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي
الأنلسي الرشاطي الحافظ ٥٤٢
- عبد الله بن علي بن عبد الله بن سوية التكريتي ٥٨٤
- عبد الله بن علي بن عبد الحاقق بن شكر ٦٢٢
- عبد الله بن علي الكندي بالله ٣٣٨
- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ٧٤
- عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه ٦٤٢
- عبد الله بن عمرو الدوسي ١٣
- عبد الله بن عمرو بن عثمان أبو محمد ٩٦
- عبد الله بن غام بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسي
..... ٦٧٢
- عبد الله بن القاسم بن مظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ٥١١
- عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحوراني ٧٣٠

- عبد الله بن قتادة ٨٤
عبد الله بن قيس بن خالد الأنصاري ٣٥
عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتار بن بكر بن عامر بن عمرو بن وائل بن ناجية بن جهمر بن الأشعر الأشعري اليماني ٥٢
عبد الله بن قيس بن غرمة ٨٣
عبد الله بن قيسي بن قيس ١٤
عبد الله بن كعب بن عمرو المازني أبو الحارث ٣٠
عبد الله بن كعب بن مالك ٨٢
عبد الله بن مالك بن القشب ٥٩
عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي ١٨١
عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد بن أبي بكر الشاشي ٥٢٨
عبد الله بن محمد الباقي ٣٩٨
عبد الله بن محمد بن حمويه بن نعيم بن الحكم أبو محمد التيج ٣٣٧
عبد الله بن محمد ابن الحنفية ٩٨
عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ٣٢٤
عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز ٣٢٥
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد بن مهرا بن القاسم الشاهد المعروف بابن التلاج ٣٨٧
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو محمد الأسدي ٤٠٥
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عثمان بن المختار أبو محمد المزني الواسطي ٣٧٣
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن الجمع بن حبيب بن محمد بن بحر بن معبد بن هزارمرد أبو محمد الصريفي ٤٦٩
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الأصهباني ٤٤٦
عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البخوي ٣١٧
عبد الله بن محمد بن عبد العظيم بن السقطي الشافعي ٧٣٣
عبد الله بن محمد بن أبي علان أبو أحمد قاضي الأهواز ٤٠٩
عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي التكريني ٧٢٢
عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ١٥٨
عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو جعفر الدماقاني ٥١٨
عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن جعفر أبو إسماعيل الأنصاري الحروري ٤٨١
عبد الله بن محمد القزويني ٣١٥
عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون ٥٨٥
عبد الله بن محمد بن ورقاء ٣٦٨
عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري ٣٠٨
عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم المقدسي ٧٣٧
عبد الله بن محيرز بن جنادة بن وهب القرشي الجمعي المكي ٩٩
عبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ١٩٦
عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ١٨٤
عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة القرشي العدوي المدني ٧٣
عبد الله بن مظعون أخو عثمان بن مظعون ٣٠
عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل ٢٩٦
عبد الله بن المغفل المزني ٥٢
عبد الله بن المقفع ١٤٥
عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري ٧٢٥
عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار بن عشاير بن عبد الله بن محمد بن شاس الجفامي السعدي المالكي ٦١٦
عبد الله بن همام أبو عبد الرحمن السلولي ٧٢
عبد الله بن الواثق ٢٦١
عبد الله بن أبي الوحش يري بن عبد الجبار بن يري المقدسي ثم المصري ٥٨٢
عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي إمام المالكية هو وأخوه أبو عمرو ٧٤٣
عبد الله بن وهب ١٩٧
عبد الله بن يزيد الأوسي ٦٨
عبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمي ٢٧٥
عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الإسعدي الموقت ٧٣٤
عبد الله بن يوسف التميمي ٢١٨
عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن ٤٣٨
عبد الله الأرمي ٦٣١
عبد الله الديندي التحوي ٧٢٣
عبد الله الضرير الزرعي ٧٤٥
عبد الله الملقبي ٧٦٦
عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطال ١٢٢
عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي ٥٥٣
عبد الباقي بن قانع بن مرزوق أبو الحسين الأموي مولاهم ٣٥١
عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقي ٤٨٥
عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح أبو تراب المراغي ٤٩٢
عبد البر النمرى ٤٦٣
عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حنيس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ٥٢٧
عبد الجليل الأبهري ٦٤٣
عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ثيمة الحراني ٦٨٢
عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حازم ٢٩٢
عبد الحميد بن يحيى بن سعد ١٣٢
عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ٤٧٠
عبد الرحمن بن إبراهيم الأريلي ٧١٧
عبد الرحمن بن إبراهيم سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري ٦٩٠
عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ٧١
عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله ٣٣٥
عبد الرحمن بن أحمد بن علك أبو طاهر ٤٨٤
عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد أبو الفرج الزاز السرخسي ٤٩٤
عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ٦٨
عبد الرحمن بن أيوب ٧٣٣
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ٥٨

- عبد الرحمن بن ثابت بن ثويان ١٦٥
عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧
عبد الرحمن بن حجرية الخولاني المصري ٨٣
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ٦٨
عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى اللخمي ٧٣٤
عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان التلي ٦٠٣
عبد الرحمن بن الحكم ٦٩
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد القرشي المخزومي ٤٦
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العلوي ٦٨
عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي أبو سعيد
العشمي ٥٠
عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي ٣٥
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن بن أصبغ بن حسين
بن سعدون بن رضوان بن فتوح هو الداخل إلى الأندلس
الخنعمي السهيلي ٥٨١
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن
بن عثمان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين الباذراني البغدادي
ثم الدمشقي ٦٧٧
عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن ٦٥٨
عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم
اللمعاني الخنفي ٦٤٩
عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي ٧٠٣
عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت القاضي الأعز ٦٩٥
عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله المرادي الصنامي ٧١
عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة ٢٨١
عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد أبو عمرو الأوزاعي ١٥٧
عبد الرحمن بن العوام ١٥
عبد الرحمن بن عوف ٣٢
عبد الرحمن بن عيسى بن أبي الحسن البرزوي الواعظ البغدادي ٦٠٤
عبد الرحمن بن غنم الأشعري ٧٨
عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلفاني ٦٥٥
عبد الرحمن بن القاسم ١٩١
عبد الرحمن بن أبي ليلى ٨٣
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان الطبري المعروف بالصفان ٦٢٤
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ٦٨٢
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٨٤
عبد الرحمن بن محمد بن أبي حامد التبريزي الشافعي المعروف
بالأفضلي ٧١٩
عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٦٢٠
عبد الرحمن بن محمد بن أبي السماعات عبيد الله بن محمد بن عبيد
الله الأتباري ٥٧٧
عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد ابن سلطان القرامزي ٧٣٢
عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس أبو سعد
الحافظ الإستراباذي ٤٠٥
عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البلعكي الخنيلي ٧٣٤
عبد الرحمن بن المزي ٧٤٩
عبد الرحمن بن مسلم ١٣٧
عبد الرحمن بن مسهر ١٩٧
عبد الرحمن بن المسور بن غرمة ٩٠
عبد الرحمن بن مقل بن علي الواسطي الشافعي ٦٣٩
عبد الرحمن بن منته بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن
إبراهيم أبو القاسم بن أبي عبد الله ٤٧٠
عبد الرحمن بن موسى بن خلف الخزامي ٧٢٧
عبد الرحمن بن نوح المقدسي ٦٥٤
عبد الرحمن بن يوسف البلعكي الخنيلي ٦٨٨
عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش ٢٨٣
عبد الرحمن التكريتي ٦٣٤
عبد الرحمن العمادي ٦٤٤
عبد الرحمن اليعفي ٦٢٠
عبد الرحيم بن البرقي ٢٨٦
عبد الرحيم بن عبد الرحمن الرحبي ٧٣٥
عبد الرحيم بن عبد الرحمن أبو نصر الموصلي المعروف بابن الشحام
..... ٧٣٠
عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن أبو نصر القشيري ٥١٤
عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجري الشافعي ٦٩٩
عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة بطن من قضاعة ٣٧٤
عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن القزويني ٧٤٩
عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك
أبو القاسم الموصلي ٦٧١
عبد الرحيم بن نصر الله بن علي بن منصور بن الكيال ٦٢٢
عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي
الشيثاني البغدادي ٧٢٣
عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد
الرسعني ٦٦١
عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي ٥١٥
عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني ٦٠٣
عبد الرزاق الغزنوي الصوفي ٤٩٣
عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن
حسين عز الدين أبو محمد الأنصاري المقدسي ٦٧٨
عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله ابن
رغبان بن زيد بن نجم أبو محمد الكلبي ٣٣٥
عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر ٦١١
عبد السلام بن علي بن عمر الزاوي المالكي ٦٨١
عبد السلام بن الفضل أبو القاسم الجيلي ٥٣٤
عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران
بن أبان ٣٢١
عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصري الخنيلي ٦٩٦
عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عصرون الحلبي ٦٣٢
عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطيب الكحال ٧١٥
عبد الصمد بن أحمد بن علي ٤٨٢
عبد الصمد بن خليل البغدادي المعروف بابن الحضري ٧٦٥
عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن

- عساكر الدمشقي ٢٨٦
 عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ١٨٥
 عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق أبو القاسم الدينوري ٣٩٧
 عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري بن ٦١٤
 الحرستاني ٥٦٩
 عبد الصمد الفقة ٦١٩
 ابن عبد الظاهر محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر ٦٩٢
 بن نثوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي ٣٩١
 عبد العزيز بن أحمد أبو الحسن الحوزي ٧٢٧
 عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الحضر الحكاري ٤٦٦
 الشافعي ٣٦٣
 عبد العزيز بن أحمد بن علي بن سليمان أبو محمد الكتاني ٧٦٧
 عبد العزيز بن جعفر بن أحمد الفقيه الحنبلي ٥٦١
 عبد العزيز بن حاتم الشافعي ٦٥٤
 عبد العزيز بن الحسين بن الجباب الأغلي السعدي القاضي ٣٧٥
 عبد العزيز بن أبي طالب بن عبد الغفار التتلي بن الحنوي ٧١٠
 عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركي ٦٦٠
 عبد العزيز بن عبد الجليل النمرائي الشافعي ٦٨٦
 عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن ٦٥٠
 المهذب الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي ٥١٤
 عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحراني ٤٠٥
 عبد العزيز بن علي بن عبد الجبار المغربي ٦٧٤
 عبد العزيز بن عمر بن محمد أبو حامد الدينوري ٦١١
 عبد العزيز بن علي بن محمد بن أحمد بن نبأة السعدي ٨٥
 عبد العزيز بن محمد بن عبد القادر بن عبد الحائق بن خليل بن مقلد ٦١٢
 الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الصائغ ٢٨٤
 عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزاز المعروف بابن الأخضر ٣٨٨
 البغدادي ٦٣٢
 عبد العزيز بن مروان ٦٠٤
 عبد العزيز بن المعالي بن غنيمة بن الحسن المعروف بابن ٥٥١
 عبد العزيز بن معاوية العتاي ٣٣٠
 عبد العزيز بن يوسف الجكار أبو القاسم ٤٠٥
 عبد العزيز الجبلي الشافعي ٧٣٢
 عبد العزيز الطبيب ٤٠٩
 عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن ٦٠٠
 أحمد بن سعيد الفارسي الحافظ ٧٠٩
 عبد الغافر بن سلامة الحافظ ٤٨٦
 عبد الغفار بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوري ٥٥٥
 عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سنان بن عبد الله ٤٥٦
 السعدي الفقيه الشافعي ١٧٧
 عبد الغني بن سعيد بن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز أبو ٤٨٦
 محمد الأزدي ٥٥٥
 عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ٤٥٦
 عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر ١٧٧
 الحراني ٤٨٦
 عبد القادر الجبلي عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجبلي ٦١٩
 عبد القادر بن داود أبو محمد الواسطي ٦١٢
 عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد ٧٣٧
 عبد القادر بن المنيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ٤٢٩
 عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي ٦٧١
 عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية ٥٦٣
 الحراني ٥٦٩
 عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن عمرو أبو النجيب السهروردي ٦٨٩
 ابن عبد القوي داعي الدعاة ٧٣٥
 عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الرمي ٧١٠
 عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ٥٦٣
 عبد الكريم بن الحسين الأملي ٧٣٥
 عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن علي بن عبد ٧٢٤
 الحق بن عبد الصمد بن عبد النور الحلبي الأصل ثم المصري ٦١٩
 عبد الكريم بن نعم بن الحنبلي ٥٥٨
 عبد الكريم بن علي القيسي الكرمي ٦٢٨
 عبد المجيد بن العجمي الحلبي ٤٨٩
 عبد المحسن بن محمد بن علي بن أحمد الشيعي ٦١
 عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ٥٨٣
 عبد المنيث بن زهير الحربي ٤٨٩
 عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل ٤٧٢
 عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حبرون أبو نصر ٦٠٥
 عبد الملك بن درياس الماراني الكردي ١٥٠
 عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ٤٧٠
 عبد الملك بن عبد الغفار بن محمد بن ٥٤٥
 عبد الملك بن عبد الوهاب الحنبلي ١٠٠
 عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ١٧٦
 عبد الملك بن محمد بن ٢٧٦
 عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرقاشي ٤٣٠
 عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن بشران ٣٢٠
 عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه الإستراباذي ٣٢٣
 عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الإستراباذي ٤٦٠
 عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور ٨٦
 عبد الملك بن مروان ٥٤٥
 عبد الملك بن أبي نصر بن عمر أبو المعالي الجبلي ٣٥٠
 عبد الملك بن نوح الساماني ٢١٣
 عبد الملك بن هشام ٥٣٢
 عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن أبو المظفر القشيري ٦٨٧
 عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد الله بن ١٧٧
 محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي ٤٨٦
 الزهري ٥٥٥
 عبد الواحد بن ٤٥٦
 عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الدسكري ٥٥٥
 عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن حمزة أبو جعفر الثقفي ٤٥٦
 عبد الواحد بن برهان بن علي بن هاني

- عبد الواحد بن الحسين بن شيطا ٤٥٠
عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ٣٤٩
عبد الواحد بن كثير بن خرغام المصري ٦٩٦
عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم ٤٣٩
عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكي الإسكندري ٧٣٣
عبد الواحد الصوفي ٦٣٩
عبد الوارث بن سعيد البتوري ١٨٠
عبد الودود بن محمود بن المبارك بن علي بن المبارك بن الحسن ٦١٨
عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التتوخي الحنفي ٦٩٤
عبد الوهاب بن أفضى القضاة أبي الحسن الماوردي ٤٤١
عبد الوهاب بن عث ١١٣
عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن مُجَلِّي القرشي العلوي ٧١٧
عبد الوهاب بن خلف بن بدر ابن بنت الأعر الشافعي ٦٦٥
عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الفرج التميمي ٤٢٥
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ١٩٤
عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون ابن مالك بن طوق ٤٢٢
عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد أبو البركات الأنطاقي ٥٣٨
عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منته أبو عمرو الحافظ ٤٧٥
عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي ٥٠٠
عبد الوهاب بن منصور بن أحمد أبو الحسين ٤٣٦
عبد الوهاب الإخيمي المصري ٧٦٤
أبو عبد الله البريدي ٣٣٢
أبو عبد الله الفاسي شارح الشاطبية ٦٥٧
أبو عبد الله المتكلم ٤١٩
أبو عبد الله بن مطرف ٧٠٦
أبو عبد الرحمن السلمي ٧٤
أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي التيسابوري ٤١٢
عبدة بن عبد الرحيم ٢٧٨
أبو عيسى بن جبر ٣٤
عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين أبو القاسم المقرئ المعروف بالصيدلاني ٣٩٨
عبد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد ٣٨١
عبد الله بن أبي بكرة ٧٩
عبد الله بن الحسن بن الحصين ١٦٨
عبد الله بن زياد بن عبيد ٦٧
عبد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السجزي الوائلي ٤٦٩
عبد الله بن سليمان بن وهب ٢٨٨
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم النبي ٥٨
عبد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الحنفا ٤١٥
عبد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب أبو أحمد الحفزاعي ٣٠٠
عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٩٨
عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله أبو عبد الله الهاشمي العباسي ٣٢٣
عبد الله بن عثمان بن يحيى أبو القاسم الدقاق ٣٩٠
عبد الله بن عدي بن الحيار ٨٣
عبد الله بن علي بن الحسن ٢٨٤
عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة أبو بكر البغدادي المعروف بن المرستانية ٥٩٩
عبد الله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ٤٤٠
عبد الله بن أبي الفتح أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر أبو القاسم الأزهر ٤٣٥
عبد الله بن قيس الرقيات القرشي العامري ٧٢
عبد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن خالد بن إبراهيم ابن مروان أبو القاسم المعروف بابن حباة ٣٨٩
عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البشتي ٣٨٤
عبد الله بن يحيى بن خاقان ٢٦٣
عبد بن أبي الرجال بن حسين بن سلطان المشي ٧٣٥
عبد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث ٧٤
عبد بن محمد بن خلف أبو محمد البزار ٢٩٣
أبو عبد القاسم ٢٢٤
أبو عبيد بن مسعود الثقفي ١٤
أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ١٤
أبو عبيد المروى ٤٠١
عبيدة بن حميد بن صهيب ١٩٠
عبيدة بنت أبي كلاب العابدة ١٦٣
عبيدة بن نضلة أبو معاوية الخزاعي الكوفي ٧٢
أبو عبيدة بن الجراح ١٨
عبيدة السلماني القاضي ٧٢
عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي ١٣
أبو العتاهية الشاعر المشهور ٢١١
عتبة بن عبد الله بن موسى بن عبيد الله أبو السائب الهمداني القاضي الشافعي ٣٥٠
عتبة بن عبد السلمي ٨٧
عتبة بن غزوان ١٤
عتبة بن غزوان ١٥
عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب المازني ١٤
عتبة بن النضر السلمي ٨٤
عتبة الغلام ١٦٧
عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردني التركماني الحنفي ٧٣١
عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق ٣٤٤
عثمان بن الخطاب بن عبد الله أبو عمرو البلوي ٣٢٧
عثمان بن دحية ٦٣٤
عثمان بن سعيد بن بشار ٢٨٨
عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي ٢٨٢

- عثمان بن سعيد الدارمي ٢٨٠
 عثمان بن سعيد المغربي ٧٣١
 عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد
 الدار البغدادي الحنفي ٤١
 عثمان بن طلحة البغدادي الحنفي ١٣
 عثمان بن أبي العاص ٥٠
 عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد
 مناف بن قصي بن كلاب ٣٥
 عثمان بن علي بن عثمان الحلبي ٧٣٩
 عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي
 الأنصاري الشافعي ٧١٩
 عثمان بن عمر بن خفيف ٣٦١
 عثمان بن عيسى بن درياس بن فير بن جهم بن عبدوس ٦٢٢
 عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلائي ٤٠٢
 عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزري ٧١٣
 عثمان بن أبي الوفاء بن نعمة الله الأعزازي ٧١٧
 عثمان الجليوني ٧٠٨
 عثمان أبو سعيد الملقب بورش ١٩٧
 أبو عثمان المازني النحوي ٢٤٧
 أبو عثمان النهدي القضاعي ٧٦
 أبو عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل البصري ١٠٠
 عثمان النيسابوري الخركوشي الواعظ ٤١٦
 عدي بن أرطاة الفزاري ١٠٢
 عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن امرئ القيس ٦٨
 عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن
 مروان الحكماني ٥٥٥
 ابن العديم ٦٢٨
 ابن العديم الحلبي ثم الدمشقي ثم الحنفي ٦٧٧
 ابن العديم الحنفي ٦٦٠
 علاء بنت شاهنشاه بن أيوب ٥٩٣
 العرياض بن سارية السلمي أبو نجيح ٧٥
 ابن عربي صاحب الفصوص وغيره ٦٣٨
 ابن العربي المالكي ٥٤٥
 عروة بن حزام أبو سعيد العدوي ٣٥
 عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ٩٤
 عروة بن المغيرة بن شعبة ٨٧
 العريان ٧١١
 عريب المامونية ٢٧٧
 ابن العز الحنفي ٧٢٢
 ابن العز الحنفي ٧٤٦
 عز الدولة بختيار بن عمر الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي ٣٦٧
 عز الدين بن سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسي ٧٣١
 عز الدين محمد بن العدل شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس
 الروادي ٧١٣
 عز الدين بن ميسر ٧١٦
 عز الدين أبيك ٦٤٥
 عز الدين أبيك التركماني ٦٥٥
 عز الدين أبيك الحموي ٧٠٣
 عز الدين جريدك ٥٩٤
 عز الدين الفاروقي ٦٩١
 عز الدين محمد الحنبلي ٧٤٨
 العزيز بن الظاهر صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر
 غياث الدين غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين ٦٣٤
 العزيز بن عثمان بن العادل ٦٣٠
 عزيزي بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي الجيلي القاضي الملقب
 شيلدة ٤٩٤
 ابن عساكر ٦٠٠
 ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر أبو القاسم
 الدمشقي ٥٧١
 العسال الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان ابن محمد أبو
 أحمد العسال الأصهباني ٣٤٩
 العسكري اللغوي وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد أبو أحمد
 العسكري اللغوي ٣٨٧
 العصيدة أحمد ٧٤٢
 بنت عضد الدولة ٢٨٦
 عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ٣٧٢
 ابن عطاء الحنفي ٦٧٣
 عطاء بن أبي رباح الفهري مولاهم أبو محمد المكي ١١٤
 عطاء بن يسار الحلبي ١٠٣
 عطاء الخادم أحد أمراء دمشق ٥٤٩
 ابن المطار الشافعي ٧٦٥
 عطية بن بسر المازني ٧٢
 عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن ٣٢٤
 عفير بن معدان ١٦٦
 عفيرة العابدة ١٨٠
 العفيف بن الدرجي ٦٠٤
 العفيف التلمساني ٦٩٠
 ابن عتبة إبراهيم بن أحمد بن عتبة بن هبة الله بن عطاء البصري
 الحنفي ٦٩٧
 عتبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود البصري ٣٩
 عتبة بن قيس بن قيس ١٤
 عتبة بن نافع الفهري ٦٢
 ابن عقلة الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن أبو العباس
 الكوفي ٣٣٢
 العقيقي صاحب الحمام ٣٦٨
 عقيل بن الإمام أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي ٥١٠
 عقيل بن أبي طالب ٥٠
 ابن عقيل علي بن عقيل بن محمد بن عقيل أبو الوفاء شيخ الخنابلة
 ببغداد ٥١٣
 عقيل بن محمد بن عبد الواحد أبو الحسن الأحنف المكي ٣٨٥
 عكاشة بن محسن بن حوثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن
 دودان بن أسد بن خزاعة الأسدي ١١

- المكبري الضرير النحوي الحنبلي ٦١٦
 عكرمة بن أبي جهل ١٥
 عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
 بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ١٣
 عكرمة مولى ابن عباس ١٠٧
 العكوك الشاعر ٢١٣
 العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا ٤٩٧
 العلاء بن الحضرمي ١٤
 العلاء بن الحضرمي ٢١
 علاء الدين بن علي بن سعيد بن سالم الأنصاري ٧٢١
 علاء الدين ابن القاضي شرف الدين ابن القاضي شمس الدين بن
 الشهاب محمود الحلبي ٧٦٤
 علاء الدين بن قراسفر ٧٤٨
 العلاء بن زياد البصري ٧٨
 أبو العلاء المعري التتوخي الشاعر ٤٤٩
 علاء الدين الأعمى ٦٩٣
 علاء الدين السنجاري ٧٣٥
 ابن علان القيسي الدمشقي ٦٨٠
 علقة بن علانة ٢٣
 علقة بن قيس أبو شبل النخعي الكوفي ٦٢
 علقة بن مجزز ٢٣
 ابن الملقى الرافضي ٦٥٦
 علم الدين أبو الحسن السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد بن
 عبد الأحد بن عبد الغالب الحمداني المصري ثم الدمشقي ٦٤٣
 علي بن إبراهيم أبو الحسن الحضرمي ٣٧١
 علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار ٧٢٤
 علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المصري ٧٣٥
 علي بن أحمد التستري ٤٧٩
 علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن البصري ٤٢٣
 علي بن أحمد بن الحسين بن أحمد أبو الحسن اليزدي ٥٤٠
 علي بن أحمد الراصي ٣٠١
 علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي ٧٣٠
 علي بن أحمد أبو طالب السمرمي ٥١٦
 علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المعروف بابن
 البخاري ٦٩٠
 علي بن أحمد بن علي بن سلك أبو الحسن المؤدب ٤٤٨
 علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسن المقرئ المعروف
 بالحمامي ٤١٧
 علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز ٥١٠
 علي بن أحمد بن المرزبان البغدادى ٣٦٦
 علي بن أحمد الشطوب ٥٨٨
 علي بن أحمد الكندي بالله بن المعتض بالله ٢٩٥
 علي بن أحمد بن هبل الموصلى ٦١٠
 علي بن أحمد بن هوس الحلالي ٧٢٧
 علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر أبو الحسن الهكاري ٤٨٦
 علي بن إسحاق بن خلف ٣٦١
 علي بن إسماعيل بن يوسف القنوي التبريزي الشافعي ٧٢٩
 علي بن أفلح أبو القاسم الكاتب ٥٣٣
 علي بن الأنجب أبي المكارم الفضل اللخمي المقدسي ٦١١
 علي بن بلبان بن عبد الله الناصري ٦٨٤
 علي بن بويه ٣٣٨
 علي بن تقي الدين بن دقيق العيد ٧١٦
 علي بن جابر بن زهير بن علي البطائحي ٥٩٤
 علي بن جرير ٦٣٦
 علي بن الجعد الجوهري ٢٣٠
 علي بن أجهم ٢٤٩
 علي بن حسان بن مسافر ٥٩١
 علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ٤٥٠
 علي بن الحسن بن أحمد الواسطي ٧٣٣
 علي بن الحسن الدرزي ٥٢٩
 علي بن الحسن الرازي ثم البغدادى الواعظ ٦٢٢
 علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الباخري ٤٦٧
 علي بن الحسن بن عثر بن ثابت الحلبي ٦٠١
 علي بن الحسن بن محمد بن المتأب أبو محمد القاسم المعروف بابن
 أبي عثمان الدقاق ٤٤٠
 علي بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن خروثمه ٣١٩
 علي بن الحسين أبو الحسن الغزنوي ٥٥١
 علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور
 بزين العابدين ٩٤
 علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن
 مروان بن محمد بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم
 الأموي ٣٥٦
 علي بن الحسين بن محمد أبو الحسن المعروف بالشياش ٤٤٤
 علي بن الحسين بن محمد بن علي الزيني ٥٤٣
 علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولا هم ١٨٩
 علي بن حشاش بن سكتوته بن نصر أبو الحسن المعتدل ٣٣٨
 علي بن خطاب بن ظفر ٥٨٣
 علي بن داود القحفازي ٧٤٥
 علي بن سالم بن يزيك ٦٢٦
 علي بن سعاد الفارقي ٦٠٢
 علي بن سعيد الإصطخري ٤٠٤
 علي بن سعيد بن الحسن البغدادى المعروف ٥٩٢
 علي بن السلار ٥٤٨
 علي بن سليم بن ربيع بن سليمان الأذري الشافعي ٧٣١
 علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن الأخفش ٣١٥
 علي بن سهل بن الأزهر أبو الحسن الأصبهاني ٣٠٧
 علي بن الصادم بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكركي الشوبكي ثم
 الدمشقي الشافعي ٧٦٦
 علي بن أبي طالب ٣٥
 علي بن طراد بن محمد بن علي الزيني الوزير العباسي أبو القاسم ٥٣٨
 علي بن بختيار أبو الحسن العسبي الكوفي ١٩٢
 علي بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المغربي النحوي الملقب بسبيوه ٦٦٧

- علي بن عبد الله بن جهضم أبو الحسن الجهمضي الصوفي المكي ٤١٤
علي بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم العلوي ٤٤١
علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان ٣١٣
علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ابن عبد الأعلى الصديقي المصري ٣٩٩
علي بن عبد العزيز ٢٨٧
علي بن عبد العزيز البغوي ٢٨٦
علي بن عبد العزيز الجرجاني القاضي بالري الشاعر الماهر ٣٩٢
علي بن عبد العزيز بن مردك أبو الحسن البرذعي ٣٨٧
علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي ٧٥٦
علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ٦٩٠
علي بن علي بن أسفنديار نجم الدين ٦٧٦
علي بن علي الحريري ٧١٥
علي بن علي بن غليس ٥٩٨
علي بن علي بن هبة الله بن محمد ابن البخاري ٥٩٣
علي بن عمر أبو الحسن الطوري ٦٧٩
علي بن عمر بن قزل ٦٥٥
علي بن عمر بن محمد بن الحسن أبو الحسن الحريري ٤٤٢
علي بن عيسى ١٨٧
علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن الوزير ٣٣٥
علي بن عيسى بن سليمان بن محمد بن أبان أبو الحسن الفارسي ٤١٣
علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن ٣٨٤
علي بن عيسى بن الفرج بن صالح أبو الحسن الربيعي النحوي ٤٢٠
علي بن أبي الفرج بن الجوزي ٦٣٠
علي بن فضال المجاشعي ٤٧٩
علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخي ٣٢٣
علي بن الفضيل بن عياض في ١٨٣
علي بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ٦١٦
علي بن أبي الجعد بن شرف بن أحمد بن أحمد الحمصي ثم الدمشقي ٧٣٦
علي بن الحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي ٤٤٧
علي بن محمد ٢٢٤
علي بن محمد الأحذب المزور ٣٧١
علي بن محمد بن أحمد بن الحسن أبو الحسن الواعظ البغدادي ٣٣٨
علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري ٤٥٠
علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير ٣٢٨
علي بن محمد بن الحسين ٦٥٦
علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز ٤٠١
علي بن محمد بن خلف الماعفري القابسي ٤٠٣
علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي ٧٣٧
علي بن محمد بن سهل أبو الحسن الصائغ ٣٣٠
علي بن محمد بن أبي الشوارب عبد الملك الأموي البصري ٢٨٣
علي بن محمد بن عبد الله الجنبلي ٧١٧
علي بن محمد بن عثمان بن أحمد بن أبي النبي بن محمد بن نحلة الدمشقي الشافعي ٧٢٣
علي بن محمد بن علي جمال الإسلام الشهرزوري ٦٠٢
علي بن محمد بن علي عماد الدين أبو الحسن الطبري ٥٠٤
علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه أبو الحسن الدامغانبي ٥١٣
علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ٢٥٤
علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال بن الحسن بن عبد الله بن محمد الأزدي ٧٢٩
علي بن محمد أبو الفتح البستي ٣٦٣
علي بن محمد بن الفرات أبو الحسن الوزير ٣١٢
علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي ٣٤٢
علي بن محمد بن كثير الحراني الحنبلي ٧٠٨
علي بن محمد بن محمد أبو الحسن الخطيب الأنباري ٤٨٦
علي بن محمد بن محمد بن عقبه بن همام أبو الحسن الشيباني الكوفي ٣٤٣
علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد التلمبي الدمشقي ٧١٢
علي بن محمود بن إبراهيم بن ماهرة أبو الحسن الزوزني ٤٥١
علي بن محمود بن علي بن عاصم الشهرزوري الدمشقي ٦٧٥
علي بن مخلوف بن نافع بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي ٧١٨
علي بن المراكشي ٦٢٥
علي بن المسنظر بالله ٥٢٥
علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي ٧١٦
علي بن معالي الأنصاري الحراني الحاسب ٧٠٥
علي بن المهدي ١٨٠
علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠٣
علي بن النشبي ٦٥٧
علي بن نصر أبو الحسن مذهب الدولة ٤٠٩
علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي بن عبد القيس بن ربيعة وهو ٥٩٦
علي بن نوح بن أبي الفضل الكتاني ٧٢٧
علي بن هبة الله بن سلامة الجعفي ٦٤٩
علي بن هلال ٤٢٣
علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن البغدادي المخرمي ٦٤٦
علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلي ٦٤١
علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ٧٢٤
علي بن أبي يعلى بن زيد ٤٨٢
علي بن يعلى بن عوض أبو القاسم العلوي الهروي ٥٢٧
علي بن يوسف بن حيدرة الرحي ٦٦٧
علي البكاء ٦٧٠
أبو علي الجبائي ٣٠٣
أبو علي الجبائي الحسين بن محمد بن أحمد النيسابوري الأندلسي ٤٩٨
أبو علي الخازن ٣٥٠

- علي العابد الحجاز ٦٥٦
 أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو
 علي ٣٧٧
 أبو علي القالي صاحب «الأمالي» إسماعيل بن القاسم بن خيثون بن
 هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ٣٥٦
 علي القططاني ٧٤٧
 علي الكرودي ٦٢٢
 علي المرواحي البغدادي ٧٦٦
 أبو علي المغربي ٥٠٦
 علي المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ٧٤٩
 أبو علي بن أبي هريرة ٣٧٥
 عماد الدين زنكي بن مردود بن زنكي الأتابكي ٥٩٤
 العماد الكاتب الأصبهاني محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد
 الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله - بشديد اللام
 وضمها - المروء بالعماد الكاتب الأصبهاني ٥٩٧
 عمار بن ياسر ٣٧
 عمار بن ياسر أبو اليقظان العبسي ٣٧
 عمارة بن حزم بن زيد بن لؤذان النجاري ١١
 عمارة بن أبي الحسن بن زيدان الحكمي من قحطان ٥٦٩
 عمارة بن وثيمة بن موسى ٢٨٩
 عمارة البجلي الشاعر ٥٦٩
 عمر بن إبراهيم بن أحمد أبو حفص المعروف بالكاتبي القرئ ٣٩٠
 عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المعروف بابي الأذان ٢٩٠
 عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن
 علي بن حزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين
 بن علي بن أبي طالب القرشي العلوي أبو البركات الكوفي ثم
 البغدادي ٥٣٩
 عمر بن أسعد بن المنجا التنوخي المعري الحنبلي ٦٤١
 عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعي ٦٨٩
 عمر بن أكتم بن أحمد بن حيّان بن بشر أبو بشر الأسدي الفقيه ٣٥٢
 عمر بن إلياس بن الرشيد البعلبكي ٧٢٣
 عمر بن أبي بكر بن الميهني ٧٤٢
 عمر بن بندار بن عمر بن علي التقيسي الشافعي ٦٧٢
 عمر بن بهليق الطحان ٥٦٠
 عمر بن ثابت الثماني ٤٤٢
 عمر بن جعفر بن عبد الله بن أبي السري أبو جعفر البصري
 الحافظ ٣٥٧
 عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي ٧٣٨
 عمر بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الحرقمي ٣٣٤
 عمر بن الخطاب بن نفيل ٢٣
 عمر بن أبي سلمة المخزومي المدني ٧١
 عمر بن الصالح أيوب ٦٤٢
 عمر بن أبي طالب المكي ٤٤٥
 عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن
 غزوم المخزومي الشاعر المشهور ٩٣
 عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكي المالكي ٦٦٩
- عمر بن عبد الله بن عمر بن تعويد أبو حفص الدلال ٤١٥
 عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي الحنبلي ٦٩٦
 عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد القزويني ٦٩٩
 عمر بن عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي الزهري ٧٣٤
 عمر بن عبد العزيز بن مروان ١٠١
 عمر بن عبد الكريم بن ٥٠٣
 عمر بن عبد الحفي بن إدريس الحنبلي ٧٦٦
 عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي ٨٢
 عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الإسكندراني المعروف
 بابن الفاكهاني ٧٣٤
 عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد
 بن زيد بن درهم ٣٢٨
 عمر بن أبي القاسم بن عبد المتعم بن محمد بن الحسن بن أبي
 الكاتب بن محمد بن أبي الطيب ٧٠٤
 عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن زوع القرشي ٧٠٣
 عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة البزري الجزري ٥٦٠
 عمر بن محمد بن بجير البحيري ٣١١
 عمر بن محمد بن عثمان بن السلموس ٧٣١
 عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الحنجدي ٦٩١
 عمر بن محمد بن يوسف ٣٢٨
 عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل ٦٩١
 عمر بن نصر بن منصور البيهقي الشافعي ٦٨٣
 عمر بن يحيى بن عمر الكرجي ٦٩٠
 عمر بن أبي اليسر ١٤
 عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل المقدسي ٦١٨
 عمران بن حصين بن عبيد بن خلف أبو نجيد الخزاعي ٥٢
 عمران بن حطان الخارجي ٨٤
 عمران بن مجاشع ٣٠٥
 عمرو بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه أبو حازم الهنلي النسابوري ٤١٧
 عمرو بن أخطب أبو زيد الأنصاري الأخرج ٧١
 عمرو بن الأسود القشي ٤١
 عمرو بن الأسود أبو عياض العنسي الحمصي ٧١
 عمرو بن أمية الضمري ٥٠
 عمرو بن حريث ٨٥
 عمرو بن حزم ٦٢
 عمرو بن الحوق بن الكاهن الخزاعي ٥٠
 عمرو بن سراقه بن المعتمر العلوي أخو عبد الله بن سراقه ٣٥
 عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ٨٥
 عمرو بن سلمة ١٥
 عمرو بن الطفيل بن عمرو ٤٣
 عمرو بن العاص ٤٣
 عمرو بن عبيد القدر ١٤٢
 عمرو بن الليث الصفار ٢٨٩
 عمرو بن محمد الناقد ٢٣٢
 عمرو بن معدى كرب ٢١
 عمرو ابن أم مكتوم ١٥

١٤	عمرو بن أم مكتوم الأعمى	غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب	٦١٣
٢٢٤	عمرو	الغازي بن العادل صاحب ميفارقين وخلاط	٦٤٥
١٥٧	أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي	أبو غالب بن كمونة اليهودي الكاتب	٦٠١
١٥٤	أبو عمرو بن العلاء	غزلو بن عبد الله العادلي	٧١٩
٧٤٥	أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي	غريب بن محمد بن مقن بن سيف الدولة أبو ستان	٤٢٥
٢٤٠	أبو العميل عبد الله بن	غضيف بن الحارث بن زئيم السكوني	٧١
٤٠١	عميد الجيوش الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز أبو علي	غلام ثعلب محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمر	٣٤٥
	عميد الدولة بن جهر محمد بن أبي نصر بن محمد بن جهر الوزير	ابن غلبون الشاعر أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب	
٤٩٣	الكبير	ابن غلبون الشامي ثم الصوري	٤١٩
١١	عمير بن أوس	أبو الغنم الركيسار البغدادي	٦٠٢
٣٥	عمير بن سعد الأنصاري الأوسي	غوث بن سليمان	١٦٨
٦٣٣	ابن عتير	غيث الدين محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل	
	ابن عتير الشاعر أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن	بن سلجوق	٥١١
٦٣٠	بن علي بن محمد بن غالب الأنصاري	غيلان بن سلمة الثقفي	٢٣
٣١٦	أبو عوادة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرائيني	الفاتح غياث الدين إبراهيم بن العادل	٦١٧
	ابن العود الرافضي أبو القاسم بن الحسين بن العود نجيب الدين	الفاتح بنصر الله الفاطمي	٥٥٥
٦٧٧	الأسدي الحلبي	الفاتح صاحب مصر وقيماز	٥٥٥
٥٦٩	الموريس	فاخنة بنت قرظة	٦٠
٧٣	عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني	ابن فارس	٣٩٠
٢٣	عويم بن ساعدة	ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب	
٢٠	عويم بن ساعدة الأنصاري	الرازي اللغوي	٣٩٥
١٥	عياض بن أبي ربيعة	فارس بن محمد بن عثمان صاحب الدينور	٤٣٧
٣٠	عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال	فارس الدين الراددي	٧٠٦
٢٠	عياض بن غنم أبو سعد الفهري	ابن الفارض	٦٣٢
	عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن	الفارقي الحسن بن إبراهيم بن برهون أبو علي الفارقي	٥٢٨
٥٤٤	محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبي	الفارقي عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر بن الحسن أبو محمد	
٣٢٨	أم عيسى بنت إبراهيم الحربي	الفارقي	٧٠٣
١٩٢	عيسى بن جعفر	الفارقي أبو عبد الله الواظ	٥٦٤
١٩٢	عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور	الفاروقي الشيخ الإمام العابد الزاهد الخطيب عز الدين أبو العباس	
٦٢٤	عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب	أحمد بن الشيخ محي الدين إبراهيم بن عمر بن الفرج بن سابور	
٢٧٧	عيسى بن عبد الله بن ستان بن دلويه بن موسى الطيالسي الحافظ	بن علي بن غنيمة الفاروقي الواسطي	٦٩٤
٤٩٨	عيسى بن عبد الله بن القاسم أبو المؤيد الغزنوي الأشعري	فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه	٥٢١
	عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطف بن	فاطمة خاتون بنت محمد بن الحسن العميد	٥٨٩
٧١٩	مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسي الصالح المظفر	فاطمة بنت رسول الله	٤٠
٦٧٥	عيسى بن عبيد بن عبد الحائق	فاطمة بنت الشيخ إبراهيم بنت الرعي	٦٨٨
١٦٣	عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور	فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادي	٧١٤
٣٩١	عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو القاسم البغدادي	فاطمة بنت علي المؤدبة الكاتبة	٤٨٠
١٤٩	عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي البصري النحوي	فاطمة بنت نصر بن العطار	٥٧٣
٧٢٩	عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان السهروردي الصوفي	فاطمة القهرمانة	٢٩٩
٦٠٢	عيسى بن يوسف بن أحمد العراقي الغرافي الضرير	فتح الدين بن زين الدين الفارقي	٧٦٣
١٩١	عيسى بن يونس بن أبي إسحاق	الفتح بن شخرف	٢٧٣
٥٨٥	عيسى الهكاري	أبو الفتح بروجوان	٣٩٠
٥٤٤	عيسى بن هبة الله بن عيسى أبو عبد الله النقاش	فخر الدولة علي بن ركن الدولة بن بويه الديلمي	٣٨٧
١٧٣	غادر جارية كانت لموسى الهادي	فخر الدين بن الشمس لؤلؤ	٧٣٦
٥٤٤	غازي بن آق سنقر الملك سيف الدين	فخر الدين كاتب المعاليك	٧٣٢
٥٤٤	غازي بن زنكي	الفخر الرازي	٦٠٦

- ١٠٧..... القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
 ٧٢٣..... القاسم بن المظفر بن محمود بن أحمد بن عساكر الدمشقي
 ٤٩٢..... أبو القاسم ابن إمام الحرمين
 ٦٠٨..... قاسم الدين التركماني المقيي
 ٤١٨..... أبو القاسم بن القادر بالله
 ٦٨٠..... أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التميمي الحنفي
 ٣٣٥..... ابن القاص أحمد بن أبي أحمد الطبري
 القاضي شرف الدين أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن
 بن سلطان بن يحيى بن علي القرشي الدمشقي
 ٦١٥..... ابن قاضي شعبة
 ٧٢٦..... ابن قاضي شعبة
 ٧٤٩..... القاضي الفاضل الإمام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء أبو علي
 عبد الرحيم بن القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن بن
 البيسانى المولى الأجل القاضي الفاضل
 ٥٩٦..... القاضي الإمام العلامة الحافظ سعد الدين
 ٧١١..... القاهر بن المعتضد
 ٣٣٩..... القاهر
 ٦٧٦..... القاهر صاحب الموصل
 ٦١٥..... قايماز بن عبد الله
 ٥٧٠..... قايماز بن عبد الله الأرجواني
 ٥٥٥..... قايماز بن عبد الله النجمي
 ٥٩٦..... قايماز الرومي
 ٥٩٥..... قبجق
 ٧١٠..... قبيصة أم المعتر
 ٢٦٤..... قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي
 ٧٠..... قبيصة بن ذؤيب أبو سفيان الخزاعي المدني
 ٨٧..... قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأعمى
 ١١٧..... ابن قتيبة الدينوري
 ٢٧٠..... ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة
 ٢٧٦..... قثم بن العباس بن عبد المطلب
 ٥٥..... قجليس سيف النعمة
 ٧٣١..... أبو قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق
 ١٤..... أبو قحافة والد الصديق
 ١٤..... ابن قدامة المقدسي
 ٦٢٠..... قدامة الكاتب المشهور
 ٣٣٧..... قنرخان
 ٤٢٣..... القنوري الحنفي أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر أبو الحسين
 ٤٢٨..... القنوري
 ٦٩١..... قرا أرسلان الأرمني
 ٧٤٩..... قرايغا دويدار
 ٧٠٣..... قراجا أستاندار الأفرم
 ٦٠٤..... قراجا الصلاحي
 ٥٩٧..... قراقوش
 ٩٦..... قرة بن شريك القيسي
 ٧٣٤..... قرطاي
 ٦٥٦..... القرطي صاحب الفهم في شرح مسلم
- ٦٦٢..... الفخر عثمان المصري المعروف بعين عين
 ١٥..... فراس بن النصر بن الحارث
 ٣٦٣..... أبو فراس بن حمدان الشاعر
 ٦٥٢..... فرج بن عبد الله الحبشي
 ١٧٦..... فرج بن فضالة الحمصي الترخي
 أبو الفرج بن عبد النعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن الخضر بن
 ٥٩٦..... كلب
 ١١٠..... الفرزدق
 الفرضي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران أبو أحمد
 ٤٠٦..... بن أبي مسلم الفرضي المقيي
 ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر
 الأزدي الفرضي
 ٤٠٣..... فروة بن مجاهد قيل
 ٩٣..... فروة بن النعمان
 ١١..... فروخشا بن شاهنشاه بن أيوب
 ٥٧٨..... فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي
 ٥٥..... ابن فضل الله
 ٧٤٩..... الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة
 ٢٠٨..... كيسان مولى عثمان بن عفان
 ١٣..... الفضل بن العباس بن عبد المطلب
 ١٨..... الفضل بن عباس بن عبد المطلب
 ٧٣٥..... فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي
 ٢٨٢..... الفضل بن محمد بن المسيب
 ٤٣٠..... الفضل بن منصور أبو الرضى ويعرف بابن
 ١٩١..... الفضل بن موسى السيناني
 ١٩٣..... الفضل بن يحيى
 ١٩٢..... الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك
 ٦٠١..... أبو الفضل بن إلياس بن جامع بن علي الإربلي
 ٥١٢..... أبو الفضل بن الحازن
 ٥٢٩..... الفضل أبو منصور أمير المؤمنين المسترشد بالله
 ١٨٧..... الفضيل بن عياض
 ١٦٨..... فليح بن سليمان
 ٤١٩..... أبو القوارس بن بهاء الدولة
 ٤٦١..... الفوراني
 ٤٠٣..... فيروز أبو نصر الملقب بهاء الدولة بن عضد الدولة النيلي
 ٣٣٤..... القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي
 ٤٦٧..... القائم بأمر الله عبد الله
 ٤٠٣..... قابوس بن وشمكير
 ٤٢٢..... القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن
 ٧٠٣..... قازان بن أرغون بن أبنا
 ٦٦١..... القاسم بن أحمد بن الموقف اللورقي
 ١٢٤..... القاسم بن أبي بزة أبو عبد الله الكي القارئ
 ٤١٤..... القاسم بن جعفر بن عبد الواحد أبو عمر الهاشمي البصري
 ٣٠٥..... قاسم بن زكريا بن يحيى المطرز
 ٢٩١..... القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير
 ٧٣٩..... القاسم بن محمد بن البرزالي

- ابن قرقول إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد الحمزي أبو إسحاق بن قرقول الأندلسي ٥٦٩
- قرواش بن مقلد أبو المنيع ٤٤٢
- القزويني عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بشار ٤٨٨
- القسطلاني ٦٨٦
- القشيري عبد الكريم بن هرازن بن عبد الملك بن طلحة ٤٦٥
- ابن القطاط الغفوي ٥١٥
- قطب الدين بن العادل ٦١٩
- قطب الدين اليونيني وهو الشيخ الإمام بقية السلف قطب الدين أبو الفتح موسى بن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحنبلي ٧٢٦
- قطبة بن عامر أبو زيد الأنصاري ٣٥
- قطر الندى ٤٥٢
- قطري بن الفجاءة التميمي أبو نعامه الحارجي ٧٩
- قنبر بن عبد الله سيف الدين التركي ٦٥٨
- قطرلوك الشنكير الرومي ٧٢٩
- قطرلوك الشنكي ٧١٢
- قطليشا ٧٥٠
- القفال المروزي هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله القفال ٤١٧
- أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد البصري ١٠٤
- ابن القلاسي ٧٢٢
- ابن القلاسي ٧١٥
- ابن القلاسي أحمد بن محمد بن أحمد العقيلي ٧٣٦
- ابن القلاسي أمين الدين محمد ٧٦٣
- ابن القلاسي جمال الدين أحمد ٧٣١
- ابن القلاسي علي بن محمد ٧٣٦
- قلاوون بن عبد الله التركي الصالح الأثني ٦٨٩
- قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان ٥٨٨
- القعي المصري التاجر ٤٠٠
- قتيل ٢٩١
- القنسي ٧٠٥
- القوام بن زيادة ٥٩٤
- ابن القوتيع أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل القرشي الهاشمي الجعفري التونسي المالكى المعروف بابن القوتيع ٧٣٨
- قيس بن ذريح أبو يزيد الليثي ٧٠
- قيس بن الربيع ١٦٨
- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ٥٩
- قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري ١٤
- قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني ١٥
- قيس بن عاصم المقرئ ٤٧
- قيس بن عدي بن سعد بن سهم ١٥
- قيس بن قنيد بن قيس بن ثعلبة الأنصاري ٣٥
- ابن القيسراني ٧٠٣
- كافور بن عبد الله الإخشيدى ٣٥٧
- كافور الإخشيدى ٣٥٦
- كافور الإخشيدى ٣٥٦
- كافور الإخشيدى ٣٥٨
- الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك ابن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ٧٢٧
- كتيفا المنصورى ٧٢١
- كثير بن الصلت بن معدى كرب الكندي ٧٧
- كثير عزة ١٠٧
- كثير عزة ١٠٥
- كجكن بن الأقوش ٧٦١
- الكرخي عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلم أبو الحسن الكرخي ٣٤٠
- كرب بن مسلم ٩٩
- كرمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزي ٤٦٣
- كعب بن عجرة الأنصاري أبو محمد المنفي ٥٢
- كعب بن عمرو أبو اليسر الأنصاري السلمي ٥٥
- كعب بن مالك الأنصاري السلمي ٥٠
- الكعي المتكلم ٣١٧
- كليب بن عجم ١١
- كمال الدين بن طلحة ٦٥٢
- الكمال بن مهاجر التاجر ٦٣٤
- كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي الكوفي ٨٢
- كقيباد الملك علاء الدين ٦٣٤
- ابن لاجين ٥٨٧
- لاجين المنصورى الحسامي ٧٢٩
- لولؤ بن عبد الله حقيق ٧٣٤
- لولؤ ٥٩٦
- اللاكاني هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي ٤١٨
- ليبد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور ٣٥
- لطف الله بن أحمد بن عيسى أبو الفضل الهاشمي ٤٢٨
- الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ١٧٥
- أبو ليلي عبد الرحمن بن كعب ٢٣
- المؤمن بن أحمد بن علي بن الحسين بن عبيد الله أبو نصر الساجي ٥٠٧
- المقدمي ٢٧٣
- مارية القبطية ١٦
- ابن ماکولا الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علکان بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي ٤٧٥
- ابن ماکولا علي بن هبة الله بن جعفر بن علکان بن محمد بن دلف بن أبي دلف ٤٨٦
- مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم أبو عبد الله البانياسي الشامي ٤٨٥
- مالك بن أس بن مالك بن ١٧٩
- مالك بن أوس ١١
- مالك بن أوس بن الحدثان النصري ٩٢
- ابن مالك صاحب الألفية الشيخ جمال الدين ابن مالك محمد بن عبد

- ٥٠٠..... محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الأسدي
 ٧٠٣..... محمد بن إبراهيم بن عبد السلام
 ٦٧٦..... محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي
 محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم جعفر أبو بكر المطار
 ٤٦٦..... الأصهباني
 ٧١١..... محمد بن إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري
 ١٨٥..... محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
 ٤٠٩..... محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد أبو الفتح البزاز
 ٢٣٦..... محمد بن إبراهيم بن مصعب
 ٧٣٧..... محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري
 ٢٨١..... محمد بن إبراهيم بن المواز
 محمد بن إبراهيم بن يوسف بن غُصْن الأنصاري القصري ثم السبي
 ٧٢٣..... محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد أبو عمرو الزنجاجي
 ٣٤٨..... النيسابوري
 ٤٩٨..... محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصهباني
 ٧٣٤..... محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي العيش
 ٣٨٨..... محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج
 ٣٢٣..... محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ
 محمد بن أحمد بن مختار بن علي بن محمد بن إبراهيم بن جعفر
 ٦٠٥..... الواسطي المعروف بابن المتنائي
 ٣٤٤..... محمد بن أحمد بن بطة بن إسحاق الأصهباني أبو عبد الله
 ٤١٤..... محمد بن أحمد أبو جعفر التسفي
 ٤٨٢..... محمد بن أحمد بن حامد بن عبيد
 محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو
 ٣٥٩..... علي الصواف
 محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار أبو الفرج القاضي
 ٤١٤..... الشافعي
 ٤٧٦..... محمد بن أحمد بن الحسين بن جرّدة
 ٣١٠..... محمد بن أحمد بن حاد أبو سعيد أبو بشر الدولابي
 ٣٥٠..... محمد بن أحمد بن خنّبو بن أحمد
 ٥٩٩..... محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي يعرف بالمؤيد
 ٤٦٢..... محمد بن أحمد بن سهل
 ٤٦٤..... محمد بن أحمد بن شاذ بن جعفر أبو عبد الله الأصهباني
 محمد بن أحمد بن شعيب بن عبد الله بن الفضل أبو منصور
 ٤٣٦..... الروياني
 ٥١٠..... محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد أبو منصور الخازن
 ٤٧٨..... محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي
 ٣٧١..... محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأصهباني
 ٤٨٢..... المعروف بسمكويه
 محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر
 ٦٦١..... البعمرى الأندلسي الحافظ
 محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق أبو
 ٤٩٤..... الفضائل الربيعي الموصلی
 ٤٨٩..... محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور أبو بكر الدقاق
 ٦٧٢..... الله بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الجبائي النحوي
 ٧٤..... مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني
 ٧٣..... مالك بن مسمع بن غسان البصري
 ٧٠..... مالك بن بخامر السكسكي الألاني الحمصي
 ١٨..... أبو مالك الأشعري
 ٢١٨..... المأمون بن هارون الرشيد
 ٦٩٣..... مؤمنة بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب
 ٤٦٦..... الماوردي
 المؤيد صاحب حاة عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور
 الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور
 ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه
 بن أيوب
 ٧٣٢..... المبارك بن علي بن الحسين أبو سعد المخرمي
 ٥١٣..... المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد
 ٥٧٥..... المبارك بن المبارك الكرخي
 ٥٨٥..... المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبو البركات بن الطباخ الشافعي
 ٦٦٧..... مبارك الأماطي
 ٤١٩..... المبرد النحوي محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي
 ٢٨٥..... الشمالي
 بنت المتقي لله
 ٤٣٣..... المتني الشاعر المشهور أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو
 الطيب الجعفي
 ٣٥٤..... أبو المتوكل علي بن داود الناجي
 ١٠٢..... المثنى بن حارثة
 ١٣..... المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرة بن ذهل بن
 شيان الشيباني
 ١٤..... المثنى بن حارثة الشيباني
 ١٤..... مجاهد بن جبر المكي
 ١٠٣..... ابن مجاهد المقرئ
 ٣٢٤..... مجد الدين أبو محمد بن طاهر بن نصر الله بن جهيل
 ٥٩٦..... المجد البهنسي
 ٦٢٨..... مجلي بن جميع بن غي أبو المعالي الخزومي الأرسوفي
 ٥٥٠..... المجنون البغدادي
 ٣٣١..... مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
 ٦٥٤..... محارب بن محمد بن محارب أبو العلاء القاضي
 ٣٥٩..... محب الدين الطبري المكي الشافعي
 ٦٩٤..... ابن المحتسب الشاعر أبو الشكر محمود بن سليمان بن سعيد الموصلی
 ٥٩٨..... محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلواني
 ٥١٠..... محمد بن إبراهيم
 ٢٨٦..... محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأفرعي الحنفي
 ٧١٢..... محمد بن إبراهيم البوشنجي
 ٢٩١..... محمد بن إبراهيم الجزري
 ٧٣٩..... محمد بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عبد الخالق أبو الفرج
 ٣٤٢..... البغدادي
 ٧١١..... محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأرموي

- محمد بن أحمد بن عبد الجبار بن المظفر الحنفي ٥٧٣
 محمد بن أحمد بن عبد الحمادي المقدسي ٧٤٤
 محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي ٧٠٦
 محمد بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر أبو طالب ٤٤٥
 محمد بن أحمد بن علي أبو بكر القطان ٥٢٨
 محمد بن أحمد بن علي بن حامد أبو نصر المروزي ٤٨٤
 محمد بن أحمد بن علي بن الحسين أبو مسلم ٣٩٩
 محمد بن أحمد بن علي بن غلدة ٣٥٧
 محمد بن أحمد بن عمر بن إلياس الراوي ٧١٣
 محمد بن أحمد بن عمر أبو عمر النهاوندي ٤٩٧
 محمد بن أحمد بن عترة السلمي الدمشقي ٦٦١
 محمد بن أحمد بن أبي العوام ٢٧٦
 محمد بن أحمد بن أبي الفضل الماهاني ٥٢٥
 محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروزباري ٣٢٢
 محمد بن أحمد القنوي الحنفي ٧٦٤
 محمد بن أحمد بن كيسان النحوي ٢٩٩
 محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الحافظ
 المحدث الأنصاري الشاطبي أبو بكر المغربي ٦٦٢
 محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن
 معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عتبة بن أبي
 سفيان صخر بن حرب الأموي أبو المظفر بن أبي العباس
 الأبيوردي ٥٠٧
 محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو جعفر القاضي السُّمَّاني ٣٤٤
 محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق بن عبد الله بن يزيد ابن
 خالد أبو الحسن البراز ٤١٢
 محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو طاهر الأنباري الخطيب ٤٧٦
 محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد ٣٤٤
 محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بختيار أبو
 عمرو المزكي ٣٩٦
 محمد بن أحمد بن محمد بن حسونه أبو سهل النيسابوري ٣٧٥
 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف الإشبيلي ٧١٨
 محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله
 أبو الحسن الهاشمي ٤٦٤
 محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق أبو منصور الخياط ٤٩٩
 محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ٦٠٧
 محمد بن أحمد بن محمد بن منصور أبو جعفر البيع ٤١٣
 محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن جعفر أبو نصر البخاري ٣٩٥
 محمد بن أحمد بن محمد بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن موسى بن
 محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد ابن العباس بن عبد
 المطلب أبو علي الهاشمي ٤٢٨
 محمد بن أحمد بن موسى أبو عبد الله الواظع الشيرازي ٤٣٩
 محمد بن أحمد بن هارون أبو بكر العسكري ٣٢٥
 محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح بن عبد الله بن الحصين بن علقمة
 بن لبيد بن نعيم بن عطارد بن حاجب بن زرارة ٣٠٤
 محمد بن أحمد بن يحيى أبو عبد الله العثماني الديباجي ٥٢٧
 محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه بن الصلت السدوسي ٣٣١
 محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ٢٠٤
 محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ٨٢
 محمد بن إسحاق ٢٧٠
 محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح
 بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعه بن رافع أبو الحسن الأنصاري
 الزُّرْقِي ٣٦٦
 محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفي مولا هم ٣١٣
 محمد بن إسحاق بن راهويه ٢٩٤
 محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي ٣٢٥
 محمد بن أسد الحراني ٧٢٦
 محمد بن أسد الدين شيركوه ٥٨١
 محمد بن أسعد بن محمد أبو منصور العطار ٥٧٣
 محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح أبو عبد الله المقدسي ٦٥٦
 محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسي ٣٣٥
 محمد بن إسماعيل الترمذي ٢٨٠
 محمد بن إسماعيل بن حماد ٧٣٤
 محمد بن إسماعيل بن زياد ٢٧٤
 محمد بن إسماعيل الصانغ ٢٧٦
 محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليميني ٦٠٩
 محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربي ٢٩٩
 محمد بن أبي إسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم ٣٩٥
 محمد بن إسماعيل بن علي ٢٦٤
 محمد بن إسماعيل بن عمر الحموي ٧٥٧
 محمد بن إسماعيل بن محمد أبو علي الطوسي ٤٥٩
 محمد بن إسماعيل المعروف بخير النجاج أبو الحسن الصوفي ٣٢٢
 محمد بن إلياس ٣٥٦
 محمد بن أمير المؤمنين المعتزدي بأمر الله ٤٨٠
 محمد بن أمية ١٩٢
 محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصري ٣٠٦
 محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها ٧٥١
 محمد بن أبي بكر بن أبي خثيمة ٢٩٩
 محمد بن أبي بكر الصديق ٣٨
 محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الممَّناني ٧٢١
 محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن قوام ٧٦٥
 محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ٦٩٧
 محمد بن جبير بن مطعم ٩٩
 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري ٣١٠
 محمد بن جعفر ١٩٣
 محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر
 الحريري ٣٧٢
 محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز ٥٩٥
 محمد بن جعفر أبو الحسين ٤٣٣
 محمد بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهامشي ٣٥
 محمد بن جعفر بن العباس بن جعفر أبو بكر النجار ٣٧٩
 محمد بن جعفر بن أبي الفرج بن فساحم الوزير أبو الفرج الملقب
 بلذي السعادات ٤٤٠

- ٧٢٤..... محمد بن جعفر بن فرعوش
 ٣٧٠..... محمد بن جعفر بن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق
 ٣٢٧..... محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطي
 محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم بن بديل أبو الفضل
 ٣٧٩..... الخزاعي الجرجاني
 ٣٤٨..... محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة بن يزيد بن عبد الملك
 ٣٦٠..... محمد بن جعفر بن محمد بن مظفر
 محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فروة بن ناجية أبو الحسن
 ٤٠٢..... التحوي
 محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر البندار
 ٣٦٠.....
 ٦٤٣..... محمد بن أبي جعفر مسند
 ٦٨٧..... محمد بن جمال الدين بن مالك التحوي
 ٣٥٤..... محمد بن حيان بن أحمد بن حيان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي
 ٦٤٤..... محمد بن حسان بن رافع العامري الخطيب
 ٤١٨..... محمد بن الحسن بن إبراهيم أبو بكر الوراق المعروف بابن الخفاف
 ٣٦٦..... محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج
 ٤٢٨..... محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن موسى أبو الحسن الأهوازي
 ٦٨٤..... محمد بن الحسن بن إسماعيل الأخيمي
 ٤١٥..... محمد بن الحسن أبو الحسن الأقسامي العلوي
 ٣٢١..... محمد بن الحسن بن فريد بن عنابة أبو بكر بن فريد الأزدي
 ٤١٦..... محمد بن الحسن بن صالحان أبو منصور
 ٤٦٠..... محمد بن الحسن الطوسي فقيه الشيعة
 ٤٩٤..... محمد بن الحسن أبو عبد الله الرازي
 محمد بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك ابن أبي
 ٣٤٧..... الشوارب
 ٤٣٩..... محمد بن الحسن بن علي بن عبد الرحيم أبو سعد الوزير
 ٧٠١..... محمد بن حسن بن علي قتادة الحنفي
 ١٨٩..... محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم
 ٣٦٢..... محمد بن الحسن بن كوثر بن علي أبو بحر البريهاري
 ٧١١..... محمد بن حسن بن النسائي
 محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر
 ٣٥٤..... بن مقسم العطار المقرئ
 ٢٧٧..... محمد بن الحسين
 ٣٧٤..... محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين الأزدي الموصل
 ٢٩٦..... محمد بن الحسين بن حبيب
 ٤٦٣..... محمد بن الحسين بن حزة أبو علي الجعفري
 ٤٣٠..... محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء أبو خازم
 ٦٨٠..... محمد بن الحسين بن زين بن موسى العامري الحموي الشافعي
 ٣٠٦..... محمد بن الحسين بن شهریار أبو بكر القطان البلخي الأصل
 ٤٧٣..... محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل
 ٣٦٠..... محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الأجزري
 ٦٨٠..... محمد بن الحسين بن عتيق بن عبد الله بن رشيق
 ٣٥٥..... محمد بن الحسين بن علي بن الحسن بن يحيى بن حسان بن الوضاح
 ٤٣٩..... محمد بن الحسين بن عمر بن برهان أبو الحسن الغزال
 ٢٩٠..... محمد بن الحسين بن الفرج أبو ميسرة الممداني
- ٤٣٢..... محمد بن الحسين بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي
 ٤٣٤..... محمد بن الحسين بن محمد بن جعفر أبو الفتح الشيباني العطار
 محمد بن أبي الحسين بن محمد بن عمار الشهيد الحافظ أبو الفضل
 ٣١٧..... المروي
 ٥٣٠..... محمد بن حنويه بن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني
 ٣٦١..... محمد بن حميد بن سهل بن إسماعيل بن شداد أبو بكر المخزومي
 ٣١٦..... محمد بن حريم
 ٣٧١..... محمد بن خفيف أبو عبد الله الشيرازي أحد
 ٣٠٦..... محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد
 ٦١٨..... محمد بن خلف بن راجع المقدسي الحنبلي الزاهد العابد الناسك
 ٦٥٨..... محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر
 ٣٦٠..... محمد بن داود أبو بكر الصوفي
 ٢٩٦..... محمد بن داود بن الجراح
 ٢٩٧..... محمد بن داود بن علي أبو بكر
 ٧٢٨..... محمد بن داود بن محمد بن مثناب السلمي البغدادي
 ٦٦٠..... محمد بن داود بن ياقوت الصارمي
 ٧٦١..... محمد بن الدوادار السكري
 ٣٣٠..... محمد بن رائق الأمير
 ٩٩..... محمد بن الربيع الأنصاري
 ٧٦٤..... محمد بن الزقاق المعروف بابن الجوخي
 ٣١١..... محمد بن زكريا الطيب
 ٢٨٧..... محمد بن زيد العلوي
 ٧٢٤..... محمد بن زين الدين بن النجا بن عثمان التنوخي
 ٣١٥..... محمد بن السري السراج
 ٦٠١..... محمد بن سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاني
 ٣١٩..... محمد بن سعد بن أبو الحسين الوراق
 ٦٠٩..... محمد بن سعد بن محمد الديلمي
 ٦٥٠..... محمد بن سعد المقدسي
 ٥١١..... محمد بن سعد بن نيهان أبو علي الكاتب
 ٢٧٧..... محمد بن سعدان
 ٥٢٤..... محمد بن سعدون بن مرجا
 ٣٥١..... محمد بن سعيد أبو بكر الحربي
 ٧١٦..... محمد بن سلامة بن سالم المالبي
 ٦٩٩..... محمد بن سلمان بن حاميل بن علي المقدسي المعروف بابن غام
 ١٩١..... محمد بن سلمة
 ١٧٣..... محمد بن سليمان
 ٧٤٥..... محمد بن سليمان الجعبري
 ٢٨٣..... محمد بن سليمان بن الحارث أبو بكر الباغندي الواسطي
 ٧١٧..... محمد بن سليمان بن سומר الزواوي
 ٦٨٨..... محمد بن سليمان بن علي التلمساني
 ١٧٣..... محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس
 ٦٢٠..... محمد بن سليمان بن قلمش بن تركاشاه أبو منصور السمرقندي
 ٧٦٤..... محمد بن شاكر الكشي
 ٧٣٠..... محمد بن شرف الدين بن حسين بن غيلان البعلبكي
 ٣٤٠..... محمد بن صالح بن زيد أبو جعفر الوراق
 ٣٦٩..... محمد بن صالح بن علي بن يحيى أبو الحسن الهاشمي

- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب المدني ١٥٩
 محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا ٣٩٣
 محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي ٧٣٩
 محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن
 الفويرة السلمي الحنفي ٦٧٥
 محمد بن عبد الرحمن بن قاسم بن إسماعيل الدمشقي ٧٣٢
 محمد بن عبد الرحمن بن محمد الأرموي الشافعي المتكلم ٧١٥
 محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حنيفة ٦٥٦
 محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي المصري ٧٢٢
 محمد بن عبد الغني المقدسي ٦١٣
 محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق ٦٨٣
 محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم أبو عبد الله
 المعروف بابن الأتباري ٥٥٨
 محمد بن عبد اللطيف بن محمد ٥٩٢
 محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الحنندي ٥٥٢
 محمد بن عبد المحسن الحاكم بمحضر ٧٦٤
 محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبي الفضل
 الحملاني الفرضي ٥٢١
 محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر أبو الحسن الكرجي ٥٣٢
 محمد بن عبد الملك بن مقدم ٥٨٣
 محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمي ٦٨٥
 محمد بن عبد الواحد بن محمد بن الصباغ ٤٤٨
 محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري بن الشرجي ٦٢٩
 محمد بن عبد الوهاب بن منصور شمس الدين أبو عبد الله الحارثي
 الحنبلي ٦٧٥
 محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمرو ٤٥٢
 محمد بن عبيد الله أبو بكر الدينوري ٤٣٠
 محمد بن عبيد الله بن الحسين بن الحسين أبو الفرج البصري ٤٩٩
 محمد بن عبيد الله بن عبد الله سبط ابن التعاويذي الشاعر ٥٨٣
 محمد بن عثمان أبو الجماهر الدمشقي الكفرسوسي ٢٢٤
 محمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨
 محمد بن عثمان بن أبي الرجال التنوخي ٦٩٣
 محمد بن عثمان بن أبي شيبة ٢٩٧
 محمد بن عثمان بن علي الرومي ٦٨٤
 محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الأملدي الحنبلي ٧٢٤
 محمد بن عروة الموصلي ٦٢٠
 محمد بن عقيل البلخي ٣١٦
 محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل الباسي الشافعي ٧٢٩
 محمد بن عقيل بن كروس ٦٤١
 محمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلي ٦١٥
 محمد بن علي بن إبراهيم أبو الخطاب الحنبلي الشاعر ٤٣٩
 محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد ٦٨٤
 محمد بن علي بن أحمد بن رستم أبو بكر المادرائي الكاتب ٣٤٥
 محمد بن علي بن أحمد أبو العباس الكرخي الأديب ٣٤٣
 محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي ٤٣١
 محمد بن علي البابا الحلبي ٧٢٥
 محمد بن صبيح ١٨٣
 محمد بن طاهر العباسي ويعرف بابن الرُّجحي ٤٧٨
 محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين بن مصعب ٢٩٧
 محمد بن طاهر بن علي بن أحمد أبو الفضل المقدسي ٥٠٧
 محمد بن طراد بن محمد الزينبي ٥٤١
 محمد بن طغرل بن عبد الله الصيرفي ٧٣٧
 محمد بن طلحة ١٦٧
 محمد بن الطيب بن سعيد بن موسى أبو بكر الصباغ ٤٢٣
 محمد بن الظاهر اللغوي ٦٧٧
 محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن القرات ٣٨٤
 محمد بن العباس النيسري ٦٨٦
 محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر الخزاز
 ٣٨٢
 محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عُبْدُونَه بن موسى أبو بكر الشافعي
 ٣٥٤
 محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب أبو بكر العامري ٥٣٠
 محمد بن عبد الله بن أحمد أبو عبد الله الصفار الأصهباني ٣٣٩
 محمد بن عبد الله أبو بكر الرُّقَاق ٢٩٠
 محمد بن عبد الله بن الحسن أبو بكر الناصح ٤٨٤
 محمد بن عبد الله أبو الحسن السلامي ٣٩٣
 محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن هارون أبو الحسين
 الدقاق ٣٩٠
 محمد بن عبد الله بن سكرة أبو الحسن الهاشمي ٣٨٥
 محمد بن عبد الله سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ١١
 محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكّي بن عبد
 الصمد بن المرحل ٧٣٨
 محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد أبو عبد الله الحارثي ٥٦٠
 محمد بن عبد الله بن علانة بن علقمة بن مالك ١٦٨
 محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ٣٠١
 محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي. أبو عبد
 الله المدني ١٤٤
 محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي ٧٠٨
 محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل قاضي القضاة بدمشق
 كمال الدين الشهرزوري الموصلي ٥٧٢
 محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المرشدي ٧٣٧
 محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح أبو بكر ٣٧٥
 محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد
 المطلب الهاشمي ١٦٩
 محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان ٥٦٤
 محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
 بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد
 الله بن كعب بن مالك الأنصاري ٥٣٥
 محمد بن عبد الحق بن شعبان بن علي الأنصاري المعروف بالشيخ ٧٣٥
 محمد بن عبد الحميد بن أبي الحسن ٥٦٣
 محمد بن عبد الرحمن أبو بكر القاضي ٣٦٧
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي ٢٧٣

- محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسني ٧٦٥
 محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر أبو الحسن الواسطي ٤٩٨
 محمد بن علي بن الحسين أبو عبد الله الأنماطي ٤٦٩
 محمد بن علي بن شعيب بن الدعان الغرضي الحاسب المؤرخ
 البخداي ٥٩٢
 محمد بن علي الصايغ ٢٩١
 محمد بن علي بن أبي طالب ٨١
 محمد بن علي بن أبي طالب ابن سويد التكريفي ٦٧٠
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي
 الهاشمي أبو عبد الله المدني ١٢٥
 محمد بن علي بن عبد الله بن محمد الصوري الحافظ ٤٤١
 محمد بن علي أبو عبد الله الهاشمي الحافظ الدمشقي ٣٤٧
 محمد بن علي بن عبد الواحد الشافعي أبو رشيد ٥٢٨
 محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان
 ٤٩٤
 محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الجرجاني ٢٩٠
 محمد بن علي بن عمر أبو علي ٣٣٧
 محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب الحربي ٤٥١
 محمد بن علي بن القصاب ٥٩٢
 محمد بن علي بن المبارك ٦١٢
 محمد بن علي بن المبارك الجلاجلي البخداي ٦١٣
 محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي موسى ٤٦٨
 محمد بن علي بن محمد أبو بكر النسوي ٥١٠
 محمد بن علي بن محمد بن الجارود الماراني ٦٢٩
 محمد بن علي بن محمد بن سليم بن الحنا المصري ٦٦٨
 محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله
 أبو الحسين ٤٦٥
 محمد بن علي بن محمود بن علي الشهرزوي ٦٨١
 محمد بن علي بن المطلب أبو سعد الأديب ٤٧٨
 محمد بن علي بن المعلم الحرثي ٥٩٢
 محمد بن علي بن أبي منصور أبو جعفر الأصبهاني ٥٥٩
 محمد بن عمر أبو بكر العنبري الشاعر ٤١٢
 محمد بن عمر بن أبي بكر بن قوام بن علي الباسي ٧١٨
 محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ٦١٧
 محمد بن عمر بن الفضل التبريزي الشافعي ٧٣٦
 محمد بن عمر بن ليابة القرطبي ٣١٤
 محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن الحسين بن
 زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشريفي أبو
 الحسن العلوي ٣٩٠
 محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله أبو عبيد الله ٣٨٤
 محمد بن عيش بن أبي المكارم التميمي الجوهري ٦٩٤
 محمد بن عيسى التنفري ٧٢٨
 محمد بن عيسى بن التركماني ٧٣٨
 محمد بن عيسى أبو عبد الله بن أبي موسى ٣٣٤
 محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن
 العباس ٢٩٤
 محمد بن عيسى بن محمود البجليكي المعروف بابن المجيد الشافعي ٧٣٠
 محمد بن عيسى بن مهنا ٧٢٤
 محمد بن عيسى ٣٦٨
 محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف ٢٨٣
 محمد بن غانم بن كريم الأصبهاني ٦٥٠
 محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة ٦٢١
 محمد بن القُرْخَان بن رُوْزْبه ٣٦٠
 محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله
 الصاعدي الفروي ٥٣٠
 محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد ٣١٩
 محمد بن الفضل بن عبد الله ٣٢٤
 محمد بن أبي الفضل المرسى ٦٥٥
 محمد بن الفضل أبو النعمان السلوسي ٢٢٤
 محمد بن القادر يا لله ٤٠٩
 محمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار ٤٦٨
 محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيلاء البصري ٢٨٢
 محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري ٦١٤
 محمد بن القاسم بن هبة الله التكريفي ٦٢٤
 محمد بن قلاوون ٧٤١
 محمد بن كَرَام المتكلم ٢٥٥
 محمد بن كعب القرظي ١٠٨
 محمد بن المبارك بن محمد بن الحنل أبو الحسن بن أبي البقاء ٥٥٢
 محمد بن المجذ بن عبد الله بن الحسين بن علي الزُرْزاري الإربلي
 الأصل ثم الدمشقي الشافعي ٧٣٨
 محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان بن عبد الله بن غيلان ابن
 حكيم بن غيلان أبو طالب البزار ٤٤٠
 محمد بن محمد بن إبراهيم بن غلاد أبو الحسن ٤١٩
 محمد بن محمد بن أحمد أبو جعفر السمناني القاضي ٤٤٤
 محمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن الشاعر البصري ٤٤٣
 محمد بن محمد بن أحمد ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران
 المعكري ٤٧٢
 محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي ٣٣٤
 محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد ٢٩١
 محمد بن محمد الباهلي ٣١٤
 محمد بن محمد بن أبي تمام أبو تمام الزيني ٤٤٥
 محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف أبو خازم بن
 أبي يعلى بن القراء ٥٢٧
 محمد بن محمد بن الحسين بن محمد أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى
 بن الفراء الحنبلي ٥٢٦
 محمد بن محمد بن الحسين المعروف بابن الخراساني ٦٠٦
 محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
 علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الحسني ٤٨٠
 محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد
 القاهر بن عبد الأحد بن عمر الحراني ٧٢٣
 محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن أبو بكر
 الأزدي الواسطي ٣١٢

- محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدي الغرناطي ٧٣٠
 الأندلسي
 محمد بن محمد صاحب أبي السرايا ٢٠١
 محمد بن محمد بن عبد الله أبو حامد قاضي القضاة بالموصل ٥٨٦
 محمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البيضاء الشافعي ٤٦٨
 محمد بن محمد بن قوام ٧٤٧
 محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ٥٠٥
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسن البيضاء ٤٧٥
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ٧٥٠
 محمد بن محمد بن محمد أبو المظفر البروي ٥٦٧
 محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى الشيرازي ٧٢٣
 محمد بن محمد بن الفضل البهراني ٦٩٩
 محمد بن محمد بن موسى ٥٨٨
 محمد بن محمد بن التمام أبو عبد الله المعروف بابن المعلم ٤١٣
 محمد بن محمد بن يوسف بن الحاج أبو النصر الفقيه الطوسي ٣٤٤
 محمد بن محمود بن عبد المنعم المراتي الحنبلي ٦٤٤
 محمد بن محمود بن علي الشحام المقرئ ٧٢٠
 محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني ٦٨٨
 محمد بن محمود بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الروزي ٦١٦
 محمد بن يحيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ٦٩١
 محمد بن غلغل بن حفص أبو عمر الدوري العطار ٣٣١
 محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي ٦٣٥
 محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالح الحنبلي ٧٢٦
 محمد بن مسلمة ٤٦
 محمد بن مسلمة الأنصاري ٤٣
 محمد ابن المسيب الأرياني ٣١٥
 محمد بن مطهر بن عبد الله أبو النجاء ٣٣٧
 محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشامي ٤٨٨
 محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة
 بن لياس أبو الحسين الزباز ٣٧٩
 محمد بن المغربي التاجر السفار ٧٢٢
 محمد بن مفضل بن فضل الله المصري ٧١٩
 محمد بن مخلد بن أحمد الحنفي ٧٢٤
 محمد بن منصور أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي ٤٩٤
 محمد بن منصور القشيري المعروف بعميد خراسان ٤٩٤
 محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو بكر السمعاني ٥١٠
 محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الإسكندراني ٦٦٢
 محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ٧٧
 محمد بن موسى بن عبد الله أبو عبد الله البلاساغوني التركي
 الحنفي ويعرف باللامشي ٥٠٦
 محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي المملاني ٥٨٤
 محمد بن موسى بن محمد أبو بكر الخوارزمي ٤٠٣
 محمد بن موسى بن يعقوب بن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر ٣٤٢
 محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ أبو الفضل
 البغدادي ٥٥٠
 محمد بن نسيم بن عبد الله أبو عبد الله الحياط ٥٧٤
 محمد بن نصر بن صالح ٤٦٨
 محمد بن نصر بن صغير القيسراني ٥٤٨
 محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي ٢٩٤
 محمد بن النقاش المصري ٧٦٣
 محمد بن هارون البردي ٣٠١
 محمد بن هارون الروياني ٣٠٧
 محمد بن أبي هاشم ٤٨٧
 محمد بن هاني ٣٦٢
 محمد بن هبة الله أبو نصر القاضي البندجي الضرير الشافعي ٤٩٥
 محمد بن هلال بن الحسن بن إبراهيم أبو الحسن ٤٨٠
 محمد بن أبي الهجاء بن محمد الغفاني الإربلي ٧٠٠
 محمد بن واسع ١٢٣
 محمد بن وثاب بن رافع البجلي الحنفي ٦٦٧
 محمد بن الوزير ٧٤٣
 محمد بن الوزير ٧١٦
 محمد بن وشاح ٤٦٣
 محمد بن وضاح ٢٨٦
 محمد بن يحيى أبو سعيد ٢٩٩
 محمد بن يحيى أبو عبد الله الجرجاني ٣٩٨
 محمد بن يحيى بن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي ٥٥٥
 محمد بن يحيى بن محمد بن سعد الحنبلي ٧٥٩
 محمد بن يحيى بن محمد بن قاضي حران ٧٣٤
 محمد بن يحيى بن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطي ٦١٣
 محمد بن يعقوب ٧٦٣
 محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الحموي الشاعر ٦٨٤
 محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموي
 مولاها أبو العباس الأصم ٣٤٦
 محمد بن يوسف الثقفي أخو الحاج ٩٠
 محمد بن يوسف بن الطباخ الواسطي البغدادي الصوفي ٦٢٢
 محمد بن يوسف المروزي ٢٣٦
 محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني
 التلعفري ٦٧٥
 محمد بن يوسف بن معدان ١٨٤
 محمد بن يوسف بن النصر الهروي ٣٣٠
 محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد ٣٢٠
 محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي ٦٠٨
 محمد بن يونس بن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم
 أبو العباس القرشي البصري الكندي ٢٨٦
 محمد ١٧٧
 محمد ٢٧٥
 محمد الباجرق ٧٢٤
 أبو محمد البربهاري الواعظ ٣٢٩
 محمد أخو حمادي محمد ويعرف بأخي حمادي ٥٠٣
 أبو محمد بن أبي حمزة المغربي المالكي ٦٩٥
 محمد السبي النجار ٦٢٦
 أبو محمد الشعراني ٢٨٢

- أبو محمد عبد الله بن حمدون التميمي ٣٠٩
 أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري ٢١٨
 محمد المؤذن المعروف بالنجار ٧٣٦
 محمود بن إبراهيم الشيرازي ٧٦٦
 محمود بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيخ جمال الدين أبو الثناء الحمودي بن الصابوني ٥٨١
 محمود بن إسماعيل بن قادوس أبو الفتح الدماطي ٥٥١
 محمود بن أبي بكر بن محمد بن حامد بن أبي بكر بن يحيى بن الحسين الأرموي الصوفي ٧٢٣
 محمود بن تكش شهاب الدين الحارمي ٥٧٣
 محمود بن جملة المَحْجِي ٧٦٤
 محمود بن زاكم بن علي بن يحيى الطائي الرقي ٦٢٩
 محمود بن زكي بن آق سقز السلطان الملك المعادل نور الدين ٥٦٩
 محمود بن سبكتكين أبو القاسم الملقب بيمين الدولة وأمين الملة ٤٢١
 محمود السلطان ابن السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ٥٢٥
 محمود بن السلطان ملكشاه ٤٨٧
 محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم النمطي ٧٢٥
 محمود بن الصدر شرف الدين بن القلانسي ٧٣٠
 محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي ٦٧٤
 محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغي الشافعي ٦٨١
 محمود بن عثمان بن أبي القاسم البصراوي ٧٢٣
 محمود بن عثمان بن مكارم النعال الحنبلي ٦٠٩
 محمود بن علي النوقاني ٥٩٢
 محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدوقوي أبو الثناء البغدادي ٧٣٣
 محمود بن لبيد بن عقبة أبو نعيم الأنصاري الأشعري المدني ٩٩
 محمود بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمي ٧٣٥
 محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ٦١٧
 محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي الحنفي الموصللي ٦٢٣
 محمود الحريري ٧٣٧
 محيي الدين بن النحاس ٦٩٥
 غاشن بن حمير ١١
 المختار بن أبي عبيد بن مسعود ٦٧
 غلغل بن الحسين المصيصي ١٩١
 مرة بن شراحيل الممداني ٥٤
 مرثد بن عبد الله أبو الخير الزني ٨٣
 مرجان الخادم ٥٦٠
 ابن المرجاني ٧٥٩
 ابن المرحّل ٧١٦
 المرزيان بن خسرو ٤٨٥
 المرزيان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ٤٤٠
 مرشد المظفري الحموي ٦٦٩
 مروان بن أبي حفصة ١٨٢
 مروان بن الحكم بن أبي العاص ٦٥
 مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ١٣٢
- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي ١٣٢
 مريم بنت فرج بن مفرج بن علي ٧٢٨
 الزري ٧٤٢
 مزيد بن علي بن مزيد المعروف بابن الحشكري ٦١٣
 مساور بن عبد الحميد الشاري ٢٦٣
 أم المسترشد أم الخليفة المسترشد ٥٢٨
 المسترشد ٥٢٩
 المستظهر بن المقدني ٥١٢
 المستظهر ٥١٢
 المستعصم بالله ٦٥٦
 المستعلي ٤٩٥
 المستنفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي بن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العباسي ٧٤٠
 المستنجد بالله بن المقضي بن المستظهر ٥٦٦
 المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله العباسي ٦٦٠
 المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي ٣٦٦
 المستنصر الفاطمي أبو تميم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم ٤٨٧
 المستنصر بالله أمير المؤمنين ٦٤٠
 ابن المستوفي الأربلي مبارك بن أحمد بن مبارك بن موهوب بن غنيمه بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات اللخمي الأربلي ٦٣٠
 مسرور الخادم ٢٨٠
 مسطح بن أثانة ٣٤
 مسعود بن أحمد بن مسعود بن مازة ٦٤١
 مسعود بن إسماعيل بن علي بن موسى السلماسي ٦٢٩
 مسعود بن ربيعة وقيل ابن الربيع ٣٠
 مسعود السلطان بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق التركي السلجوقي ٥٤٧
 مسعود بن صلاح الدين ٦٠٦
 مسعود بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر ٤٦٨
 مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ٥٧٨
 مسعود بن معين الدين ٥٨١
 مسعود الملك بن الملك محمود ابن الملك سبكتكين ٤٣٣
 مسعود بن مودود بن زكني ٥٨٩
 مسعود بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل أبو سعيد السجزي الحافظ ٤٧٧
 مسعود الحارثي الحنبلي ٧١١
 أبو مسعود النمطي إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود النمطي ٤٠١
 المسعودي صاحب الحمام بالرة ٦٩٥
 المسلاتي المالكي ٧٦٤
 مسلم بن الحجاج ٢٦١
 مسلم بن خالد الزنجي ١٨٠
 مسلم بن غلغل الأنصاري الزرقي ٦٢
 مسلم بن يسار ٨٣

- ٧٨..... معاوية بن قرة البصري.
- ٦٤..... معاوية بن يزيد بن معاوية.
- ١٩٥..... أبو معاوية الضرير.
- ١٥٩..... معبد بن الحليل.
- ٣٥..... معبد بن العباس بن عبد المطلب.
- ٨٠..... معبد الجهني القدري.
- ٢٨٩..... المعتضد بن الموفق بن المتوكل.
- ٢٧٩..... المعتمد بن المتوكل بن المعتصم.
- ٦٢٣..... المعتمد والي دمشق البارز إبراهيم المعروف.
- ١٨٧..... معتمر بن سليمان.
- ٦٠٦..... معنوق بن منيع بن مواهب الخطيب البغدادي.
- ٧٤..... أبو معرض الأسدي اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي.
- ٣٥٦..... معز الدولة بن بويه الديلمي كما تقدم ذكره.
- ٢٧٢..... أبو معشر النجم.
- ٢٢..... معضد بن يزيد الشيباني.
- ٦٢٨..... ابن معطي النحوي.
- ٦٢٩..... ابن معطي النحوي يحيى.
- ٦٤٨..... المعظم توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل.
- ٥٩..... معقل بن يسار الزني.
- ٢٣..... معمر بن الحارث.
- ٣٠..... معمر بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال القرشي.
- ٥٦٤..... معمر بن عبد الواحد بن رجاء أبو أحمد الأصهباني.
- ٥٠٦..... المعمر بن علي بن المعمر أبو سعد بن أبي عمارة.
- ٤٩٠..... المعمر بن محمد بن.
- ٢٩٥..... المَعْمَرِي الحافظ.
- ١٨٢..... معن بن زائدة.
- ١١..... معن بن عدي.
- ١١..... معن بن عدي بن الجند بن عجلان بن ضبيعة البلوي.
- ٣٥..... معيقب بن أبي فاطمة الدوسي.
- ٦٤٣..... معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ وزير الصالح نجم الدين أيوب.
- ٣٢٤..... ابن المغلص.
- ٧٣٦..... مغلطاي الخازن.
- ٧٦٢..... مغلطاي المصري.
- ٦٠٦..... المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل.
- ٦٣٠..... المغيث بن المغيث بن العادل.
- المغيرة بن شعبة ابن أبي عامر بن مسعود أبو عيسى ويقال عبد الله.
- ٥٠..... المظفي.
- ٨٢..... المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة.
- ١٨١..... مفضل بن فضالة.
- ٥٦٩..... المفضل بن كامل القاضي.
- ٣٠٨..... المفضل الجندي.
- ٣٣٠..... مفلح بن عبد الله أبو صالح التبعدي.
- ٧٦٣..... ابن مفلح القدسي الخليلي.
- ٣٢٠..... المقنن بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل.
- ٤٨٧..... المقنن يأمرا لله.
- ٥٥٥..... المقنن أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد المستظهر.
- ٩٩..... مسلم بن يسار أبو عبد الله البصري.
- ٦٧٢..... مسلم البرقي البلوي.
- ١٣٧..... أبو مسلم الخراساني.
- ٦٠..... أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب الخولاني.
- مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.
- ١٢١..... القرشي الأموي.
- ٦٤..... المسور بن غرمة.
- ٣٥..... المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي.
- ١٧٦..... المسيب بن زهير بن عمرو.
- ٥٤٩..... المسيب بن الصوفي وزير دمشق لغير الدين.
- ١١..... مسيلمة بن حبيب الحنفي اليمامي الكذاب لعنه الله.
- ٤١٦..... مشرف الدولة بن بهاء الدولة.
- ٦١٨..... مشرف بن علي بن أبي جعفر بن كامل الخالصي.
- ٧١..... مصعب بن الزبير بن العوام.
- ١٠٣..... مصعب بن سعد بن أبي وقاص.
- ٦٤..... مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.
- ٢٤٢..... أبو مصعب الزهرري.
- ٦٠٦..... المطرزي النحوي الخوارزمي.
- ٨٦..... مطرف بن عبد الله بن الشخير.
- ٩٥..... مطرف بن عبد الله بن الشخير.
- ٧٧..... مطرف بن المغيرة بن شعبة.
- ٦٥٠..... ابن مطروح.
- ابن الطاهر الشيعي جمال الدين أبو منصور حسن بن يوسف بن.
- ٧٢٦..... مطهر الحلي العراقي الشيعي.
- ٥٤٧..... المظفر بن أردشير أبو منصور العبادي.
- ٦٢٠..... المظفر بن أسعد بن حزة التميمي بن القلانسي.
- ٥٨٧..... المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.
- المظفر تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن.
- ٦٩٨..... شاهنشاه بن أيوب.
- مظفر الدين إبراهيم ابن صاحب صرخد عز الدين أيسك أستاذ دار.
- ٦٥٤..... المعظم.
- ٦٠٧..... مظفر بن شاسير الواعظ الصوفي البغدادي.
- ٧١٢..... المظفر شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم.
- المظفر صاحب اليمن يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن.
- ٦٩٤..... رسول.
- ٤٩١..... المظفر أبو الفتح بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة.
- ٦٢١..... المظفر بن المبارك بن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي.
- ١٨..... معاذ بن جبل.
- ٣٥..... معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري.
- ٣٩٠..... المعافي بن زكريا بن يحيى ابن حميد.
- ٤٩٦..... أبو المعالي.
- ٥٦٢..... أبو المعالي الكاتب.
- ٥٢..... معاوية بن حنبل بن جفنة بن قتيبة الكندي الخولاني المصري.
- ٦٠..... معاوية بن أبي سفيان.
- معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن.
- ٤١..... عبد مناف بن قصي أبو عبد الرحمن القرشي الأموي.

- المقدم بن معدي كرب ٨٧
 المقصاتي ٧١٣
 ابن مقلّة الوزير أحد الكتاب المشاهير ٣٢٨
 الكعبي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل ٢٩٥
 مكحول الشامي ١١٣
 مكلبة بن عبد الله المستجدي ٥٩٧
 مكى بن زياد بن شبة بن صالح الماكسي ٦٠٣
 ملك الألمان ٥٨٦
 ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان
 السلجوقي ٥٥٥
 ملكشاه ٤٨٥
 ابن أبي مليكة ١١٧
 ابن المنادي أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن يزيد ٣٣٦
 المناوي ٧٦٥
 مُتَجَبِّ بن عبد الله المستظهري ٥٠٩
 ابن مُتَجَبِّ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين الصدر الكامل زين
 الدين أبو البركات بن المتجّ بن الصدر عز الدين أبي عمرو
 عثمان بن أسعد بن المتجّ بن بركات بن المؤمل التنوخي ٦٩٥
 ابن متجّ التنوخي ٧٦٤
 ابن متجّ الخنبلي ٧٥٠
 ابن منته الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منته أبو عبد
 الله الأصفهاني الحافظ ٣٩٦
 المنذر بن الجارود ٧٦
 المنذر بن الزبير بن العوام ٦٤
 منذر بن سعيد أبو الحكم البلوطي ٣٦٦
 المنذر بن عبد الله بن المنذر القرشي ١٧٥
 المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأقوي ٢٧٥
 المنذري عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد
 بن سعيد الإمام العلامة الحافظ أبو محمد أبو زكي الدين المنذري
 الشافعي المصري ٦٥٦
 منصور بن إسماعيل بن عمر أبو الحسن الفقيه ٣٠٦
 منصور بن الحسين أبو الفوارس الأسدي ٤٥٠
 منصور بن ديبس بن علي بن مزيد أبو كامل ٤٧٨
 منصور بن الزبير بن سلمة أبو الفضل النميري ١٩٢
 المنصور شهاب الدين محمود ابن الملك الصالح إسماعيل بن العادل
 منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الغراوي ٦٨٨
 النيسابوري ٦٠٨
 منصور بن قراتكين ٣٤٠
 المنصور ناصر الدين إبراهيم ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ٦٤٤
 المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ٦٨٣
 المنصور صاحب ملودين ٧١٢
 منقذ بن عمرو الأنصاري ٣٥
 مهارش بن مجلى أمير العرب ٤٩٩
 المهدي ٣٢٢
 المهلب بن أبي صفرة ٨٢
- مهنا بن عيسى بن مهنا أمير العرب بالشام ٧٣٥
 مهبّار الديلمي الشاعر مهبّار بن مرزويه أبو الحسن ٤٢٨
 مودود بن زنكي ٥٦٥
 مودود بن الشافوري الشافعي ٦١٢
 مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين ٤٤٢
 موسى بن أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامة ٧٣٢
 موسى بن إسحاق بن موسى بن عبد الله ٢٩٧
 موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي ١٠٣
 موسى بن عُثْمَان اللخمي المصري ١٦٣
 موسى بن علي بن محمد الحلبي ثم الدمشقي ٧١٦
 موسى بن محمد بن مسعود الرازي المعروف بأبي الجواب الشافعي ٦٩٣
 موسى بن محمد المهدي ١٧٠
 موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي ٩٧
 موسى بن هارون بن عبد الله ٢٩٤
 موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي ٦٣٩
 موسى ١١٧
 موسى ١٧٧
 موسى ١٨٣
 أبو موسى المنيني محمد بن عمر أحمد الأصفهاني ٥٨١
 الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ٢٧٨
 موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضرمي منصور الجواليقي ٥٤٠
 ميخائيل بن جرجس ٢٠٩
 ميسرة بن مسروق البصري ٢٣
 ميسون بنت بحدل ٦٠
 ميمون بن مهران ١١٧
 ميمونة بنت الحارث الهلالية ٥١
 ميمونة بنت شاقولة ٣٩٣
 النابتة الجمعي الشاعر ٧٨
 ابن ناجية ٣٠١
 الناصح الخنبلي ٦٣٤
 ناصر بن الحُفَيف الصوفي ٥٦٧
 الناصر داود بن المعظم ٦٥٦
 ناصر الدين بن الأقرش ٧٦٢
 ناصر الدين محمد بن الملك المسعود جلال الدين بن عبد الله بن
 الملك الصالح إسماعيل بن العادل ٧٣٦
 ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه
 بن قطب الدين مودود بن عماد الدين بن زنكي ٦٣٠
 ناصر بن محمد بن علي أبو منصور التركي المضافي ٤٦٨
 الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي ٣٥٠
 نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني ٩٩
 نافع بن غيلان ١٤
 ابن النجا الواعظ ٥٩٩
 نجاح بن سلمة ٢٤٥
 نجاح الحمامي ٥٦٩
 النجّاد أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل ابن يونس ٣٤٨
 ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ محمد بن محمود بن الحسن بن

- هبة الله بن محاسن بن النجار أبو عبد الله البغدادي الحافظ الكبير ٦٤٣
- نجم الدين إيل غازي بن المنصور أرتق أرسلان بن إيل غازي بن أبي بن غمناش بن إيل غازي بن أرتق ٦٥٨
- نجم الدين أيوب بن العادل صاحب خلاط ٦٠٩
- نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن المعظم ٦٩٨
- النجم أخو البلدر مفضل ٦٥٧
- النجب بن شقيقه الدمشقي ٦٥٧
- ابن النحاس ٦٩٨
- النحاس النحوي أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس ٣٣٨
- نزار بن المغز معد أبي نجم ٣٨٦
- نزهة ٥٠٦
- النسائي أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ٣٠٣
- نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني ٣٣١
- نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر ٤٩٤
- نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي ٢٩٣
- نصر الله بن عبد الله أبو الفتوح ٥٦٧
- نصر الله بن محمد بن عبد القوي أبو الفتح اللاذقي المصيبي ٥٤٢
- نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن بصاقة التغفاري الكتاني المصري ثم الدمشقي ٦٥٠
- نصر بن سليمان بن عمر المنجي ٧١٩
- نصر بن علي البغدادي ٦٢٦
- نصر بن فتياح بن مطر الخنيلي المعروف بابن المنى ٥٨٣
- نصر بن أبي الفرج المعروف بابن الحصري ٦١٩
- نصر بن القاسم ٣١٤
- نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن عبد الحائق العطار أبو القاسم الحرائي ٥٥٣
- نصر بن منصور النميري ٥٨٨
- نصر بن نزوس ٦٦٢
- أبو نصر التمار والقشي ٢٢٨
- أبو النصر الجهني المصاب ١٩٤
- أبو نصر بن جهر بن محمد بن جهر فخر الدولة ٤٨٣
- نصر الحاجب ٣١٦
- أبو نصر بن أبي الحسن الخراز الصوفي البغدادي الشاعر ٦٦٨
- أبو نصر الفارابي محمد بن محمد أبو نصر الفارابي ٣٣٩
- أبو نصر الحب ٣٠٦
- النصرة بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ٦٥٢
- النصير الطوسي محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله الطوسي ٦٧٢
- نصير الدين أبو الأزهر ٦٤٢
- نصير بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدوي ١٥
- نظام الدين مسعود بن علي ٥٩٦
- نظام الملك الوزير ٤٨٥
- نظر الخادم أمير الحاج ٥٤٤
- العمان بن بشير الأنصاري ٦٤
- النعمان بن مقرن بن عائذ المزني ٢١
- نعيم بن حماد الخزازي ٢٢٩
- نعيم بن عبد الله بن النحام ١٣
- نعيم بن مسعود أبو سلمة النطفاقي ٣٥
- أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الأصبهاني ٤٣٠
- النعيمان بن عمرو ابن رفاعة بن الحر ٥٤
- نُفَطَوْنَةُ النحوي ٣٢٣
- نفيسة ٢٠٨
- النقاش المقرئ محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر ٣٥١
- ابن نقطة الحافظ محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي ٦٢٩
- ابن نقطة ٥٩٧
- النفقور ٣٥٦
- النفقور ٣٥٥
- ابن النقيب المقرئ الشيخ العالم الزاهد جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي ٦٩٨
- نمير بن أوس الأشعري ١٢١
- أبو نواس الشاعر ١٩٥
- نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل أبو القاسم الساماني ٣٨٧
- نور الدين بن زنكي ٥٦٩
- نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي ٦٠٧
- نور الدين بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ٦٢٢
- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ١٤
- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ١٥
- نوفل بن معاوية الديلمي ٦٢
- النووي يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم محبي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب ٦٧٦
- النووي ٦٧٦
- هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى ٢٨٨
- هارون بن محمد بن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تميم بن صبح بن ذُفَل ابن مالك بن بكر بن سعد بن خبّة أبو جعفر ٣٣٥
- هارون ابن المقتدر ٣٢٤
- هارون الرشيد ١٩٣
- هارون الرشيد ١٩٣
- أبو هارون العبدي ١٣٤
- هارون المقدسي ٧٢٣
- أبو هاشم بن عتبة ٣٥
- هائذ بن نيار أبو بردة البلوي ٥٢
- هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الأسدي ١٣
- هبار بن سبتيان بن عبد الأسد المخزومي ١٣
- هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري يعرف بابن الطبر ٥٣١
- هبة الله بن الحسن أبو الحسين المعروف بالحاجب ٤٢٨

- ٣٩٧..... ابن واصل هبة الله بن سلامة أبو القاسم ٤١٠
 ١٤..... واقد بن عبد الله هبة الله بن الشيخ أبي الوفا بن عقيل ٤٨٨
 ٢٣..... واقد بن عبد الله هبة الله بن صاعد شرف الدين الفارزي ٦٥٥
 ٦٨..... أبو واقد الليثي هبة الله بن عبد الله بن أحمد السبي ٤٧٨
 ٦٤٨..... واقف الأمينية التي بعلبك هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن أحمد بوري ٤٨٥
 ٥٤١..... وجيه بن طاهر بن محمد أبو بكر الشحامي هبة الله بن علم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي
 ٢٢٨..... وحيب الفضل بن الحشيش ٧٢٩
 ٧١١..... ابن الوحيد الكاتب هبة الله بن علي بن جعفر أبو القاسم بن مأكولا ٤٣٠
 ١٧٩..... وخالد بن عبد الله هبة الله بن علي بن محمد بن أحمد بن المحلى ٤٨٠
 ١١..... وذقة بن إلياس بن عمرو الخزرجي بلوي هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة أبو السعادات بن الشجري
 ١٧٦..... الوضح بن عبد الله أبو عوانة اليشكري مولا هم النحوي ٥٤٢
 ١٩٧..... وكيع بن الجراح الرؤاسي هبة الله بن المبارك بن موسى أبو البركات السقطي ٥٠٩
 ٩٦..... الوليد بن عبد الملك بن مروان هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين أبو
 ٦١..... الوليد بن عقبة بن أبي معيط القاسم الشيباني ٥٢٥
 ٦٧..... الوليد بن عقبة بن أبي معيط وأبو الجهم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد المعروف ٦٢٣
 ١٩٥..... الوليد بن مسلم الدمشقي ابن هبيرة يحيى بن محمد بن هبيرة أبو المظفر الوزير للخلافة المعظمة ٥٦٠
 ١١..... الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد بن المغيرة الهجيمي ٣٥٣
 الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن
 ١٢٦..... أمية بن عبد شمس هرم بن حيان العبدي ٤٦
 ٢٨٦..... الوليد أبو عبادة البحرني الهروي محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي ٥١٩
 ٢٣٩..... أبو الوليد محمد ابن القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المعتزلي أبو هريرة اللوسي رضي الله عنه ٥٩
 ٤٥١..... الوئي الفرضي الحسين بن محمد أبو عبد الله الوئي هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي المنفي ٨٨
 ١١٠..... وهب بن منه اليماني هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص ١٥
 ١٦٥..... وهيب بن خالد هشام بن العاص بن وائل السهمي ١٣
 ٦٦٢..... الويار الموصلي هشام بن عبد الملك بن مروان ١٢٥
 ٢٧٨..... يازمان هشيم بن بشير بن أبي خازم القاسم بن دينار أبو معاوية السلمي
 ٦٨٧..... ياسين بن عبد الله المقرئ الحجام الواسطي ١٨٣
 ٢٢٤..... ياطس الرومي الهقل بن زياد ١٧٩
 ٦٣٨..... ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرومي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن
 ٦٩٨..... ياقوت بن عبد الله أبو الدر المستعصي الكاتب إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ٥١٩
 ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج هلال بن الغلاء ٢٨٠
 ٦٢٣..... الدين الكندي هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال ٤٤٨
 ٧٣٢..... ياقوت الحبشي الشافلي الإسكندراني هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان أبو الفتح الحفار ٤١٤
 ٦١٨..... ياقوت الكاتب الموصلي همام بن يحيى ١٦٣
 ٧١١..... يحيى بن إبراهيم ابن محمد بن عبد العزيز العثماني هند بنت عتبة ٢٣
 ٤٩٠..... يحيى بن أحمد بن محمد بن علي السبي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ١٤
 ٧٢٤..... يحيى بن إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني هند بنت معاوية ٦٠
 ١٦٣..... يحيى بن أبي أيوب المصري هولوكو قان بن تولي قان خان بن جنكيز خان ٦٦٤
 ٥٠٩..... يحيى بن تميم بن المعز بن باديس هياج بن عبيد الخطيبي الشامي ٤٧٢
 ٤٧٩..... يحيى بن الحسين بن إسماعيل الحسيني الهيثم بن خلف ٣٠٧
 ١٩٠..... يحيى بن خالد بن برمك أبو علي الوزير أبو الهيثم بن التيهان ٢٠
 ٦٠٦..... يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز الواسطي ثم البغدادى أبو الهيجاء السمين الكردي ٥٩٣
 ١٨٣..... يحيى بن زكريا بن أبي زائدة هيلانة جارية الرشيد ١٧٣
 ٢٠٧..... يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الوراق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ٢٣٢
 ١٢٥..... يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب واثلة بن الأسقع ٨٥
 ٥٦٧..... يحيى بن سعدون القرطبي الواحدي المقرئ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن مؤتبه
 الواحدي ٤٦٨

يحيى بن سعيد بن غازي أبو العباس البصري ٥٨٩
يحيى بن أبي طالب ٢٧٥
يحيى بن عبد الله بن بكير ٢٣١
يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا الفارسي ٣١٩
يحيى بن علي بن تمام بن موسى الأنصاري السبكي الشافعي ٧٢٥
يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضالان ٥٩٥
يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي ٥٠٢
يحيى بن علي بن محمد بن علي أبو محمد بن الطراح المديري ٥٣٦
يحيى بن علي اليعقوبي الفقيه الشافعي ٦١٩
يحيى بن عيسى بن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ ٥٥٢
يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دهجان بن خلف العلوي العمري ٧٣٨
يحيى بن القاسم بن الفرج بن دوح بن الخضر الشافعي شيخ تاج الدين التكريتي ٦١٦
يحيى بن محمد بن أحمد بن حمزة علي بن هبة الله بن الجبوري الثعلبي الدمشقي ٦٧١
يحيى بن محمد بن صاعد أبو محمد ٣١٨
يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن الليودي ٦٧٠
يحيى بن محمد بن علي بن المبارك بن ٦٢٠
يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن علي العلوي الحسني ٦١٣
يحيى بن يعمر ٨٧
يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الشافعي الحصكفي ٥٥٣
يزيد بن الأسود الجرجسي السكوني ٧١
يزيد بن ثابت بن الضحاك أخو زيد بن ثابت ١١
يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري الشاعر ٧٠
يزيد بن أبي سفيان ١٨
يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو خالد القرشي الأموي ١٠٥
يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري ١٤
يزيد بن مزيد ببردعة ١٨٥
يزيد بن أبي مسلم أبو العلاء المدني ١٠٣
يزيد بن معاوية ٦٤
يزيد بن المهلب ١٠٢
يزيد بن الهيثم بن طهمان ٢٨٤
يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ١٢٦
يزيد بن يزيد بن جابر الدمشقي ١٣٤
يزيد ٢٧٦
أبو يزيد البسطامي ٢٦١
يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة ١٨٢
يعقوب بن إسحاق بن ٢٨٦
يعقوب بن داود بن طهمان ١٨٢
يعقوب بن سفيان ٢٧٧
يعقوب بن سفيان بن جوان ٢٧٧
يعقوب بن شبة ٢٦٢
يعقوب بن صابر الحراني ثم البغدادى المنجيني ٦٢٦
يعقوب بن عبد الحق أبو يوسف المرقبي ٦٨٥

- يوسف بن عبد الله بن عمر الزواوي ٦٨٣
 يوسف بن علي أبو القاسم الزنجاني الفقيه ٥٠٠
 يوسف بن علي بن مهاجر التكريفي ٦٩٤
 يوسف بن عمر بن مسرور أبو الفتح القواس ٣٨٥
 يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري الكردي ٦٥٤
 يوسف ابن القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ١٩٢
 يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المغيزل الحموي ٧١٩
 يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم الدمشقي الشافعي
 الكاتب المعروف بابن المنيار ٦٨٥
 يوسف بن محمد بن يوسف بن الحسن أبو القاسم المملاني ٤٦٨
 يوسف بن موسى بن شيخ السلامة ٧٣٠
 يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول أبو بكر الأزرق - ٣٢٩
 يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد ٢٩٧
 يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن بن
 إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد القافاني
 الزيتي بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن
 عبد المطلب عمي الدين أبو المعز ٦٦٠
 يوسف التكريفي ابن أخي صاحب تقي الدين بن توبة ٧٤٤
 يوسف القمني ٦٥٧
 يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري ٦٢٣
 يونس بن حبيب ١٨٣
 ابن يونس شارح التنبيه ٦٢٢
 ابن يونس صاحب «تاريخ مصر» هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس
 بن عبد الأعلى الصديقي المصري المؤرخ ٣٤٧
 يونس بن عبد الأعلى ٢٦٤
 يونس بن عطية الحضرمي ٨٦
 يونس بن علي بن رضوان بن برقش ٦٩١
 يونس بن عمرو بن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد ٦٤١
 اليوناني البعلبيكي ٧٠١
 اليوناني الحبلي البعلبيكي الحافظ ٦٥٨
 اليوناني الحبلي تقي الدين ٦٥٨
 اليوناني ٦١٧

المحتويات

١٨- مناظرة إبراهيم والنمرود.....	٩٩	خطبة الكتاب.....	٢٥
١٩- هجرة إبراهيم إلى الشام ومصر والأرض المقدسة.....	١٠٠	١- كتاب بدء الخلق.....	٢٧
٢٠- ذكر مولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام من هاجر.....	١٠٢	١- بداية الخلق.....	٢٧
٢١- هجرة إبراهيم بإسماعيل وهاجر.....	١٠٢	٢- أول المخلوقات.....	٢٧
٢٢- قصة النبيح عليه السلام.....	١٠٤	٣- خلق العرش.....	٢٨
٢٣- مولد إسحاق عليه الصلاة والسلام.....	١٠٥	٤- صفة الكرسي.....	٢٩
٢٤- ذكر بناء البيت العتيق.....	١٠٧	٥- خلق اللوح المحفوظ.....	٣٠
٢٥- ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليفه إبراهيم.....	١٠٨	٦- خلق السماوات والأرض وما بينهما.....	٣٠
٢٦- ذكر قصره في الجنة.....	١١١	٧- حديث «خلق الله التربة يوم السبت».....	٣١
٢٧- ذكر صفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.....	١١١	٨- السماوات السبع والأرضون السبع.....	٣٢
٢٨- ذكر وفاة إبراهيم الخليل عليه السلام وما قيل في عمره.....	١١٢	٩- خلق الجبال.....	٣٣
٢٩- ذكر أولاد إبراهيم الخليل عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.....	١١٣	٩- خلق البحار والأنهار.....	٣٤
٣٠- قصة مدين قوم شعيب عليه الصلاة والسلام.....	١١٧	١٠- مخلوقات أخرى.....	٣٧
٣١- باب ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام.....	١٢٠	١١- خلق الشمس والقمر والكواكب.....	٣٧
٣٢- ذكر إسماعيل عليه السلام.....	١٢٠	١٢- الكلام على الحجرة وقوس قزح.....	٤٢
٣٣- ذكر إسحاق بن إبراهيم الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والسلام.....	١٢٣	١٣- خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام.....	٤٢
٣٤- قصة يوسف عليه السلام.....	١٢٣	١٤- أقسام الملائكة.....	٤٧
٣٥- قصة أيوب عليه السلام.....	١٣٥	١٥- الخلاف في تفضيل الملائكة على البشر.....	٥٠
٣٦- وهذه قصة ذي الكفل الذي زعم قوم أنه ابن أيوب.....	١٣٧	١٦- خلق الجنان وقصة الشيطان.....	٥٠
٣٧- باب ذكر أمم أهلكتوا بعامة.....	١٣٨	١٧- الخلاف في جزاء مؤمني الجن.....	٥١
٣٨- قصة قوم يس وهم أصحاب القرية.....	١٣٩	١٨- عرش إبليس.....	٥٢
٣٩- قصة يونس عليه السلام.....	١٤١	١٩- شر الشياطين.....	٥٢
٤٠- ذكر فضل يونس عليه السلام.....	١٤٣	٢٠- رجم الشياطين.....	٥٦
٤١- فصل في تحريض كبراء القبط لفرعون على آذية موسى بعد إسلام السحرة.....	١٥٤	٢١- القرن.....	٥٦
٤٢- ذكر هلاك فرعون وجنوده.....	١٥٩	٢٢- غواية الشياطين.....	٥٧
٤٣- ما كان من أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون.....	١٦٢	٢- كتاب قصص الأنبياء.....	٥٨
٤٤- قصة دخول بني إسرائيل التيه.....	١٦٥	١- خلق آدم عليه السلام.....	٥٨
٤٤- سؤال بني إسرائيل الرؤية.....	١٦٦	٢- احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام.....	٦٤
٤٥- قصة عبادتهم العجل.....	١٦٨	٣- الأحاديث الواردة في خلق آدم.....	٦٦
٤٦- ما كان من مناجاة موسى عليه السلام.....	١٧٠	٤- قصة ابني آدم قابيل وهابيل.....	٧٠
٤٧- قصة بقرة بني إسرائيل.....	١٧٢	٥- ذرية آدم.....	٧١
٤٨- قصة موسى والخضر عليهما السلام.....	١٧٢	٦- آدم أبو البشر (مزاياء).....	٧٢
٤٩- حديث الفتون وفيه سرد لقصة موسى.....	١٧٥	٧- وفاة آدم ووصيته إلى ابنه شيث.....	٧٣
٥٠- ذكر بناء قبة الزمان.....	١٧٨	٨- إدريس عليه السلام.....	٧٤
٥١- قصة قارون مع موسى عليه السلام.....	١٧٩	٩- قصة نوح عليه السلام.....	٧٥
٥٢- فضائل موسى عليه السلام وشماله.....	١٨١	١٠- ذكر شيء من أخبار نوح نفسه عليه السلام.....	٨٣
٥٣- ذكر حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق.....	١٨٣	١١- وصية لولده عليه الصلاة والسلام.....	٨٤
٥٤- ذكر وفاته عليه السلام.....	١٨٣	١٢- موضع قبر نوح.....	٨٤
٥٥- نبذة يوشع بعد موسى وهارون.....	١٨٤	١٣- بناء المسجد الحرام وذكر المساجد الثلاث.....	٨٥
٥٦- قصة الخضر عليه السلام.....	١٨٧	١٤- قصة هود عليه السلام.....	٨٦
٥٧- قصة إلياس عليه السلام.....	١٩٣	١٥- قصة صالح نبي ثمود عليه الصلاة والسلام.....	٩١
		١٦- ذكر مرور النبي ﷺ بوادي الحجر من أرض ثمود عام تبوك.....	٩٥
		١٧- قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.....	٩٥

- ٥٨- قصة حزقيال ١٩٥
 ٥٩- قصة اليسع عليه السلام ١٩٥
 ٦٠- قصة شميريل وبعض أمر داود عليهما السلام ١٩٦
 ٦١- قصة داود عليه السلام ١٩٨
 ٦٢- عمر داود ووفاته ٢٠١
 ٦٣- قصة سليمان بن داود عليهما السلام ٢٠٢
 ٦٤- ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته ٢٠٨
 ٦٥- قصة شعيا بن أمصيا ٢٠٩
 ٦٦- قصة أرميا بن حلقيا ٢١٠
 ٦٧- ذكر خراب بيت المقدس في عهد أرميا ٢١٠
 ٦٨- خبر دانيال عليه السلام ٢١٣
 ٦٩- عمارة بيت المقدس بعد خرابها ٢١٤
 ٧٠- قصة العزيز ٢١٤
 ٧١- قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ٢١٦
 ٧٢- بيان سبب قتل يحيى عليه السلام ٢٢٠
 ٧٣- قصة عيسى بن مريم عليه السلام ٢٢١
 ٧٤- ميلاد عيسى عليه السلام ٢٢٥
 ٧٥- بيان أن الله تعالى مُمْتَرٌ عن الولد ٢٢٨
 ٧٦- نشأة عيسى وبده الرحي ٢٣٢
 ٧٧- نزول الإنجيل على عيسى عليه السلام ٢٣٣
 ٧٨- خبر المائدة ٢٣٧
 ٧٩- من أقوال عيسى عليه السلام وأفعاله ٢٣٨
 ٨٠- رفع عيسى عليه السلام ٢٤٠
 ٨١- صفة عيسى عليه السلام وشماله وفضائله ٢٤٢
 ٨٢- اختلاف أصحاب المسيح فيه ٢٤٥
 ٣- كتاب أخبار الماضين ٢٤٦
 ١- خبر ذي القرنين ٢٤٦
 ٢- ذكر أمي ياجوج وماجوج وصفاتهم ٢٤٩
 ٣- قصة أصحاب الكهف ٢٥٠
 ٤- قصة الرجلين المؤمن والكافر ٢٥٣
 ٥- قصة أصحاب الجنة ٢٥٤
 ٦- قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في سبهم ٢٥٥
 ٧- قصة أصحاب القرية ٢٥٦
 ٨- قصة سبأ ٢٥٦
 ٨- قصة قارون وقصة بلعام ٢٥٦
 ٩- قصة لقمان ٢٥٦
 ١٠- قصة أصحاب الأخدود ٢٥٩
 ١١- الإذن في الرواية عن بني إسرائيل ٢٦١
 ١٢- قصة جريج أحد عباد بني إسرائيل ٢٦٢
 ١٣- قصة برصيصا ٢٦٣
 ١٤- قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فأنطق عليهم ٢٦٣
 ١٥- خبر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع ٢٦٤
 ١٦- حديث الذي استلف من صاحبه ألف دينار فأداها ٢٦٤
 ١٧- قصة المشتري للعقار وفيه ذهب ٢٦٥
 ١٨- قصة من قتل تسعاً وتسعين نفساً ٢٦٥
 ١٩- بقرة وذئب يتكلمان ٢٦٥
 ٢٠- فيمن قبلكم محثوث ٢٦٥
 ٢١- ما اتخذته نساء بني إسرائيل ٢٦٥
 ٢٢- بغني تسقي كلباً ٢٦٦
 ٢٣- امرأة غُذيت في هرّة ٢٦٦
 ٢٤- امرأة تصنع رجلين من خشب ٢٦٦
 ٢٥- من كلام النبوة ٢٦٦
 ٢٦- امتلاء التنور ٢٦٦
 ٢٧- قصة الملكين التاتيين ٢٦٦
 ٢٨- رجل يطلب من بنه أن يحرق بعد موته ٢٦٧
 ٢٩- التجاوز عن المعسر ٢٦٧
 ٣٠- الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ٢٦٧
 ٣١- إذا سرق فيهم الشريف ٢٦٧
 ٣٢- لا تختلفوا كما اختلف السابقون ٢٦٧
 ٣٣- مخالفة أهل الكتاب في الصياغة ٢٦٧
 ٣٤- بيع اليهود للشحوم ٢٦٧
 ٣٥- مخالفة أهل الكتاب في الجمع للصلاة ٢٦٨
 ٣٦- اتخاذ أهل الكتاب قبور آبائهم مساجد ٢٦٨
 ٣٧- اتباع سنن من قبلكم ٢٦٨
 ٣٨- مثل اليهود والنصارى ٢٦٨
 ٣٩- كثرة أخبار بني إسرائيل ٢٦٩
 ٤٠- ذكر تحريف أهل الكتاب وتبديلهم آديانهم ٢٦٩
 ٤١- الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين ٢٧١
 ٤٢- نختم النبوة، وبلاء الأنبياء ٢٧٢
 ٤- كتاب أخبار العرب ٢٧٤
 ١- ذكر أخبار العرب ٢٧٤
 ٢- قصة سبأ ٢٧٧
 ٣- قصة زبيدة بن نصر بن اللخمي ٢٧٨
 ٤- قصة تبع أبي كرب ملك اليمن وكيف أراد غزو البيت الحرام، ثم شرّفه وعظمه ٢٧٩
 ٥- وثوب لخنجة ذي شنان على ملك اليمن ٢٨١
 ٦- ذكر خروج الملك باليمن من حير وصيرورته إلى الحبشة السودان ٢٨١
 ٧- ذكر خروج أبرهة الأشرم على أرباب واختلافهما ٢٨٢
 ٨- ذكر سبب قصد أبرهة بالغيل مكة ليخرب الكعبة ٢٨٢
 ٩- ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن ٢٨٥
 ١٠- ذكر ما آل إليه أمر الفرس باليمن ٢٨٦
 ١١- قصة الساطرون صاحب الحضير ٢٨٧
 ١٢- خبر ملوك الطوائف ٢٨٨
 ١٣- باب ذكر بني إسماعيل وما كان من أمور الجاهلية إلى زمان البعثة ٢٨٨
 ١٤- قصة خزاعة وخبر عمرو بن لحي وعبادة العرب للأصنام ٢٨٩
 ١٥- خبر عدنان جدّ عرب الحجاز ٢٩٢

٢٣- قصة عمرو بن مرة الجهني..... ٣٤٩	١٦- ذكر أصول أنساب قبائل عرب الحجاز إلى عدنان..... ٢٩٤
٢٤- متى كتبت نبوة النبي ﷺ..... ٣٤٩	١٧- الكلام على قريش نسباً واشتقاقاً وفضلاً..... ٢٩٥
٢٥- نبوة أضاعت لها أرض يُصرى الشام..... ٣٥٠	١٨- خبر قصي بن كلاب..... ٢٩٧
٢٦- صفة النبي ﷺ عند أهل الكتاب..... ٣٥١	١٩- خبر أولاد قصي وفريته..... ٢٩٩
٢٧- قصة سيف بن ذي يزن الحميري وشارته بالنبي الأمي..... ٣٥٣	٢٠- خبر خالد بن سنان العبسي الذي كان في زمن الفترة..... ٣٠٠
٢٨- هواتف الجان وكلام الكهان في المبعث..... ٣٥٥	٢١- ذكر حاتم الطائي أحد أجداد الجاهلية..... ٣٠٠
٢٩- باب كيف بدأ الوحي..... ٣٦٥	٢٢- ذكر شيء من أخبار عبد الله بن جُدعان..... ٣٠٢
٣٠- ذكر عمره ﷺ ووقت بعثته وتاريخها وما جرى له فيها..... ٣٦٥	٢٣- ذكر امرئ القيس بن حجر الكندي صاحب إحدى
٣١- تنوّر الوحي مدة..... ٣٧١	العلقات..... ٣٠٣
٣٢- استراق الشياطين السمع حين أنزل القرآن..... ٣٧٢	٢٤- من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي..... ٣٠٤
٣٣- كيفية إتيان الوحي..... ٣٧٣	٢٥- بجري الراهب..... ٣٠٨
٣٤- تلاوة النبي ﷺ في بادئ الأمر..... ٣٧٤	٢٦- ذكر قس بن ساعدة الإيادي..... ٣٠٨
٣٥- تتابع الوحي وإسلام خديجة..... ٣٧٤	٢٧- زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه..... ٣١١
٣٦- أول الناس إسلاماً..... ٣٧٥	٢٧- بيان الكعبة..... ٣١٤
٣٧- إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ..... ٣٧٩	٢٨- ذكر كعب بن لؤي..... ٣١٥
٣٨- إسلام أبي ذر رضي الله عنه..... ٣٧٩	٢٩- ذكر تجديد حفر زمزم..... ٣١٥
٣٩- إسلام ضحان..... ٣٨٠	٣٠- ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده..... ٣١٧
٤٠- الأمرُ بتبليغ الرسالة والصبر عليه..... ٣٨١	٣١- ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنه بنت وهب
٤١- قصة الإراشي..... ٣٨٤	الزهرية..... ٣١٧
٤١- من فعل المشركين بالنبي ﷺ..... ٣٨٤	٥- كتاب سيرة رسول الله ﷺ..... ٣١٩
٤٢- محاولة المشركين منع عم أبي طالب من نصرة..... ٣٨٥	١- ذكر نسبه الشريف..... ٣١٩
٤٣- مبالغتهم في الأذى لأحد المسلمين المستضعفين..... ٣٨٦	٢- باب مولد رسول الله ﷺ..... ٣٢٢
٤٤- ما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ وما طلبوا من..... ٣٨٦	٣- صفة مولده الشريف ﷺ..... ٣٢٤
الآيات..... ٣٨٦	٤- ما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ..... ٣٢٥
٤٥- نماذج من تعذيب المشركين للمسلمين..... ٣٨٩	٥- ذكر أرمئاس إيوان كسرى وسقوط الشرفات وخرد النيران
٤٦- مجادلة المشركين للنبي ﷺ وإقامة الحجة عليهم..... ٣٩١	وروايا المولى بأن وغير ذلك من الدلالات..... ٣٢٦
٤٧- هجرة الصحابة الأرض الحبشة فراراً بدينهم..... ٣٩٣	٦- ذكر حواضنه ومراضه ﷺ..... ٣٢٨
٤٨- إسلام عمر بن الخطاب..... ٣٩٩	٧- ذكر رضاعه ﷺ من حليلة السعدية..... ٣٢٨
٤٩- ساءلة نصارى نجران للنبي ﷺ..... ٤٠٠	٨- رجوع النبي ﷺ إلى أمه..... ٣٣١
٥٠- كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي..... ٤٠١	٩- مقامه مع جدّه عبد المطلب ثم عمّه أبي طالب..... ٣٣٢
٥١- مقاطعة قبائل قريش للنبي ﷺ ومناصره..... ٤٠١	١٠- قصته ﷺ مع الراهب بحيري..... ٣٣٣
٥٢- مناقشات النبي ﷺ لكبراء قريش..... ٤٠٣	١١- نشأة النبي ﷺ..... ٣٣٤
٥٣- سجود المشركين لما قرئت سورة النجم..... ٤٠٤	١٢- ذكر شهوده ﷺ خرب الفجار..... ٣٣٥
٥٤- من رجع من الحبشة لما طار الخبر..... ٤٠٤	١٣- شهوده ﷺ حلف الفضول..... ٣٣٦
٥٥- دخول بعض الصحابة في جوار عثمان بن مظعون وغيره..... ٤٠٥	١٤- تزويجه ﷺ خديجة بنت خويلد..... ٣٣٧
٥٦- عزيم الصديق على الهجرة إلى الحبشة..... ٤٠٦	١٥- موقف ورقة بن نوفل من النبي ﷺ..... ٣٣٨
٥٧- ذكر نقض الصحيفة..... ٤٠٦	١٦- تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين..... ٣٣٩
٥٨- تتر قريش أحياء العرب على النبي ﷺ..... ٤٠٨	١٧- من حج الجاهلية..... ٣٤٢
٥٩- قصة الطفل بن عمرو الدوسي في ذلك..... ٤٠٨	١٨- مبعث النبي ﷺ وشيء من البشارات..... ٣٤٣
٦٠- قصة أعشى بني قيس بن ثعلبة..... ٤٠٩	١٩- كلام اليهود في المبعث..... ٣٤٤
٦١- قصة مصارعة زكّانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت..... ٤١٠	٢٠- إسلام ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعدة وزيد بن سعدة
٦٢- النبي ﷺ مع المستضعفين..... ٤١٠	وغيرهم..... ٣٤٤
٦٣- قصص أخرى بين النبي ﷺ والمشركين..... ٤١٠	٢١- إسلام سليمان الفارسي..... ٣٤٥
٦٤- دعاء النبي ﷺ على قريش لما استعصت عليه..... ٤١١	٢٢- أخبار غريبة في المبعث..... ٣٤٨

- ٦٥- قصة فارس والروم وهزيمة الروم ٤١٢
- ٦٦- قصة الإسراء والمراج ٤١٢
- ٦٧- فريضة الصلاة ٤١٧
- ٦٨- آية انشقاق القمر ٤١٧
- ٦٩- وفاة أبي طالب عم النبي ﷺ وذكر الأحاديث فيه ٤١٩
- ٧٠- موت خديجة زوج النبي ﷺ وذكر فضائلها ٤٢١
- ٧١- زواج النبي ﷺ بعائشة وسودة ٤٢٣
- ٧٢- ما نال النبي ﷺ من قريش بعد وفاة عمه أبي طالب ٤٢٤
- ٧٣- دعوة النبي ﷺ في الطائف ٤٢٥
- ٧٤- دخول النبي في جوار المطعم بن عدي ٤٢٦
- ٧٥- عرض النبي ﷺ نفسه على أحياء العرب ٤٢٦
- ٧٦- وفود الأنصار ويعتهم ٤٣٠
- ٧٧- إسلام لياس بن معاذ ٤٣٠
- ٧٨- إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء ٤٣١
- ٧٩- بدء إسلام الأنصار رضي الله عنهم ٤٣١
- ٨٠- إسلام أبي قيس بن الأسلت ٤٣٣
- ٨١- قصة بيعة العقبة الثانية ٤٣٥
- ٨٢- قصة عمرو بن الجموح ٤٣٨
- ٨٣- فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية ٤٣٩
- ٨٤- بدء الهجرة من مكة إلى المدينة ٤٤٠
- ٨٥- سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ٤٤٢
- ٨٦- هجرة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق ٤٤٣
- ٨٧- دخول النبي ﷺ المدينة ومزله بها ٤٥١
- ٨٨- فضل المدينة ٤٥٥
- سنة ١- حوادث ووقائع ٤٥٥
- سنة ١- مسجد قباء ٤٥٦
- سنة ١- إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه ٤٥٧
- سنة ١- أول جمعة صلاها بالمسلمين ٤٥٨
- سنة ١- خطبة النبي ﷺ يومئذ ٤٥٨
- سنة ١- بناء مسجد الشرف ٤٥٩
- سنة ١- فضل المسجد النبوي ٤٦١
- سنة ١- مسكن النبي ﷺ في المسجد ٤٦٢
- سنة ١- الوفاء الذي كان في المدينة ٤٦٢
- سنة ١- موادة اليهود ٤٦٣
- سنة ١- مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ٤٦٤
- سنة ١- أول من مات في المدينة بعد مقدم النبي ﷺ ٤٦٥
- سنة ١- أول من وُلِدَ في الإسلام وبعد الهجرة ٤٦٦
- سنة ١- بناء النبي ﷺ بعائشة ٤٦٦
- سنة ١- صلاة الحضر وصلاة السفر ٤٦٦
- سنة ١- مشروعية الأذان ٤٦٧
- سنة ١- سرية حمزة بن عبد المطلب ٤٦٨
- سنة ١- سرية عبيدة بن الحارث ٤٦٨
- سنة ١- سرية سعد بن أبي وقاص ٤٦٨
- سنة ١- ولادة ابن الزبير ٤٦٨
- سنة ٢- حوادث ووقائع ٤٦٨
- سنة ٢- عداوة اليهود للمسلمين ٤٦٨
- سنة ٢- عداوة المنافقين للمسلمين ٤٦٩
- سنة ٢- من المنافقين ٤٧٠
- سنة ٢- غزوات النبي ﷺ وسراياه (بيانها) ٤٧١
- سنة ٢- سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ ٤٧٢
- سنة ٢- سرية حمزة بن عبد المطلب ٤٧٢
- سنة ٢- غزوة بواط من ناحية رضوى ٤٧٣
- سنة ٢- غزوة بدر الأولى ٤٧٣
- سنة ٢- سرية عبد الله بن جحش ٤٧٤
- سنة ٢- تحويل القبلة قبل وقعة بدر ٤٧٦
- سنة ٢- فريضة شهر رمضان قبل وقعة بدر ٤٧٧
- سنة ٢- غزوة بدر العظمى يوم الفرقان ٤٧٨
- سنة ٢- مقتل أبي البختري بن هشام ٤٩١
- سنة ٢- مقتل أمية بن خلف ٤٩١
- سنة ٢- مقتل أبي جهل لعنه الله ٤٩١
- سنة ٢- ما أعطي عكاشة بن محسن وقتاله يوم بدر ٤٩٣
- سنة ٢- قتال سلمة بن الحصين ٤٩٣
- سنة ٢- رده عليه السلام عين قتادة ٤٩٣
- سنة ٢- في قصة أخرى شبيهة بها ٤٩٣
- سنة ٢- ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر بدر ٤٩٤
- سنة ٢- الحكم في الأسارى ٤٩٦
- سنة ٢- أسارى وقتلى المشركين يوم بدر ٤٩٧
- سنة ٢- الحكم في المغام يوم بدر ٤٩٨
- سنة ٢- رجوعه من بدر إلى المدينة ٤٩٩
- سنة ٢- مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله ٥٠٠
- سنة ٢- فرح التجاشي بوقعة بدر ﷺ ٥٠١
- سنة ٢- في وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة ٥٠١
- سنة ٢- في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ فداء أسراهم ٥٠٢
- سنة ٢- رواية ابن إسحاق في قصة بدر ٥٠٤
- سنة ٢- تسمية من شهد بدرًا من المسلمين ٥٠٤
- سنة ٢- من تخلف عن بدر، وأسارى المشركين ٥١٠
- سنة ٢- فضل من شهد بدرًا من المسلمين ٥١١
- سنة ٢- هجرة زينب بنت النبي ﷺ ٥١٢
- سنة ٢- الأشعار في غزوة بدر العظمى ٥١٤
- سنة ٢- المشركون يرون قتلهم ٥١٦
- سنة ٢- غزوة بني سليم ٥١٧
- سنة ٢- غزوة السويق ٥١٧
- سنة ٢- زواج علي بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنهما ٥١٨
- سنة ٢- حوادث أخرى ٥١٩
- سنة ٣- حوادث ووقائع ٥١٩
- سنة ٣- غزوة الفرع من بُحْران ٥١٩
- سنة ٣- خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة ٥٢٠
- سنة ٣- سرية زيد بن حارثة إلى غير قريش صحبة أبي سفيان ٥٢٠

٥٨٧	سنة ٦- حوادث ووقائع.....	٥٢١	سنة ٢- مقتل كعب بن الأشرف اليهودي.....
٥٨٧	سنة ٦- غزوة ذي قرد.....	٥٢٢	سنة ٢- غزوة أحد.....
٥٩٠	سنة ٦- غزوة بني المصطلق من خزاعة.....	٥٢٦	سنة ٢- مقتل حمزة ؓ.....
٥٩٢	سنة ٦- قصة الإفك.....	٥٢٨	سنة ٢- تمام غزوة أحد.....
٥٩٤	سنة ٦- غزوة الحديبية.....	٥٣٢	سنة ٢- ما لقي النبي ﷺ يومئذ من المشركين.....
٥٩٨	سنة ٦- ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية.....	٥٣٤	سنة ٢- إصابة عين قتادة في أحد.....
٦٠٠	سنة ٦- ذكر السرايا والبعوث.....	٥٣٤	سنة ٢- دفاع أم عماره وأبي دجانة وغيرهما عن النبي ﷺ.....
٦٠١	سنة ٦- أحداث أخرى.....	٥٣٥	سنة ٢- إشاعة مقتل النبي ﷺ في أحد، ومقتل حمزة وقصة قزمان.....
٦٠١	سنة ٧- غزوة خيبر في أولها.....	٥٣٦	سنة ٢- دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد.....
٦٠٦	سنة ٧- حكم لحوم الحمر الأهلية والمنعة في خيبر.....	٥٣٦	سنة ٢- تمثيل قريش بجمزة ومقتل سعد بن الربيع.....
٦٠٧	سنة ٧- تمة ما جرى في خيبر.....	٥٣٧	سنة ٢- الصلاة على حمزة وقتل أحد.....
٦٠٨	سنة ٧- قصة صفية بنت حيي بن أخطب النظرية رضي الله عنها.....	٥٤٠	سنة ٢- عدد الشهداء.....
٦٠٩	سنة ٧- مصالحة أهل خيبر على النصف.....	٥٤٠	سنة ٢- بعض من قُتل في أحد.....
٦٠٩	سنة ٧- فتح حصون خيبر وقسم أرضها.....	٥٤١	سنة ٢- خروج النبي ﷺ وأصحابه في ملاحقة سفیان.....
٦١٢	سنة ٧- توزيع الأسهم في خيبر.....	٥٤٣	سنة ٢- ما قال المؤمنون والكفار من شعر وقعة أحد.....
٦١٣	سنة ٧- قتلوم جعفر بن أبي طالب ومن معه من الحبشة.....	٥٤٦	سنة ٢- ومن الأحداث في هذه السنة.....
٦١٤	سنة ٧- قصة الشاة المسومة.....	٥٤٧	سنة ٤- حوادث ووقائع.....
٦١٦	سنة ٧- بناء النبي ﷺ بصفية، وأخبار أخرى في خيبر.....	٥٤٧	سنة ٤- غزوة الرجيع.....
٦١٧	سنة ٧- من استشهد بخيبر من الصحابة.....	٥٥٠	سنة ٤- سرية عمرو بن أمية الضمري على إثر مقتل خبيب.....
٦١٧	سنة ٧- خبر الحجاج بن علاط الهزلي ؓ.....	٥٥١	سنة ٤- سرية بثر معونة.....
	سنة ٧- مروره عليه السلام برؤي القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحة يهود تيماء.....	٥٥٢	سنة ٤- غزوة بني النضير.....
٦١٨	سنة ٧- الجزية في خيبر، أو المصالحة.....		سنة ٤- قصة عمرو بن سلمة القرظي حين مر على ديار بني النضير وقد صارت نيبا ليس بها دافع ولا مجيب.....
٦١٩	سنة ٧- سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة.....	٥٥٥	سنة ٤- غزوة بني لحيان التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان.....
٦٢٠	سنة ٧- سرية عمر بن الخطاب ؓ إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال.....	٥٥٥	سنة ٤- غزوة ذات الرقاع.....
٦٢٠	سنة ٧- سرية عبد الله بن رواحة إلى يُسَير بن رزام اليهودي.....	٥٥٦	سنة ٤- قصة غوث بن الحارث.....
٦٢٠	سنة ٧- سرية أخرى مع بشير بن سعد.....	٥٥٧	سنة ٤- قصة غوث بن الحارث.....
٦٢٠	سنة ٧- سرية أبي حنيفة إلى الغابة.....	٥٥٧	سنة ٤- قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة.....
٦٢١	سنة ٧- السرية التي قتل فيها عَلم بن جثامة عامر بن الأخطب.....	٥٥٨	سنة ٤- قصة جمل جابر في هذه الغزوة.....
٦٢١	سنة ٧- سرية عبد الله بن حنيفة السهمي.....	٥٥٨	سنة ٤- غزوة بدر الآخرة.....
٦٢٢	سنة ٧- عمرة القضاء.....	٥٥٩	سنة ٤- أحداث أخرى.....
٦٢٢	سنة ٧- وأما قصة تزويجه ﷺ بميمونة.....	٥٦٠	سنة ٥- غزوة دومة الجندل.....
٦٢٥	سنة ٧- ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته.....	٥٦١	سنة ٥- غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب.....
٦٢٦	سنة ٧- سرية ابن أبي العوجاء.....	٥٦٥	سنة ٥- نقض اليهود للعهد في غزوة الخندق، وأحداث أخرى.....
٦٢٧	سنة ٧- أحداث أخرى.....	٥٦٩	سنة ٥- دعاء النبي ﷺ على الأحزاب.....
٦٢٧	سنة ٨- إسلام عمرو بن العاص وخالده بن الوليد وعثمان بن طلحة.....	٥٧٢	سنة ٥- غزوة بني قريظة.....
٦٢٧	سنة ٨- طريق إسلام خالد بن الوليد.....	٥٧٧	سنة ٥- وفاة سعد بن معاذ ؓ.....
٦٢٨	سنة ٨- سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفر من هوازن.....	٥٧٩	سنة ٥- قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة.....
٦٢٩	سنة ٨- سرية كعب بن عمير إلى بني قُضاعة من أرض الشام.....	٥٨١	سنة ٥- مقتل أبي رافع.....
٦٢٩	سنة ٨- غزوة مؤتة.....	٥٨٢	سنة ٥- مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهنلي.....
٦٣٤	سنة ٨- نمي جعفر بن أبي طالب ومن معه.....		سنة ٥- قصة عمرو بن العاص مع التجاشي بعد وقعة الخندق وإسلامه على يديه.....
٦٣٥	سنة ٨- كُرَار وليسا قُرَارًا.....	٥٨٣	سنة ٥- تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة.....
٦٣٥	سنة ٨- فضل زيد بن حارثة.....	٥٨٤	سنة ٥- تزويج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش.....
		٥٨٥	سنة ٥- نزول آية الحجاب صبيحة عرسها الذي ولي الله عقد نكاحه.....
		٥٨٦	

- سنة ٨- فضل جعفر بن أبي طالب ٦٣٦
- سنة ٨- فضل عبد الله بن رواحة ٦٣٧
- سنة ٨- من استشهد يوم مؤتة من المسلمين ٦٣٧
- سنة ٨- حديث فيه فضيلة عظيمة لأمرأى هذه السرية ٦٣٨
- سنة ٨- ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة ٦٣٨
- سنة ٨- كتاب بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الأفاق وكتبه إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل ٦٣٩
- سنة ٨- إرساله ﷺ إلى هرقل ٦٣٩
- سنة ٨- إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام ٦٤٢
- سنة ٨- بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس ٦٤٢
- سنة ٨- بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جريج بن مينا القبطي ٦٤٣
- سنة ٨- غزوة ذات السلاسل ٦٤٤
- سنة ٨- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر ٦٤٥
- سنة ٨- غزوة الفتح الأعظم وكانت في رمضان ٦٤٦
- سنة ٨- قصة حاطب بن أبي بلتعة ٦٤٨
- سنة ٨- الصيام في غزوة الفتح ٦٤٩
- سنة ٨- إسلام العباس وأبي سفيان بن الحارث وآخرين قبيل الفتح ٦٥٠
- سنة ٨- السير إلى فتح مكة ٦٥١
- سنة ٨- صفة دخوله ﷺ مكة ٦٥٣
- سنة ٨- عدد من شهد فتح مكة من المسلمين ٦٦١
- سنة ٨- ما قيل من شعر في يوم الفتح ٦٦١
- سنة ٨- بعثه ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة ٦٦٢
- سنة ٨- بعث خالد بن الوليد لهدم الغزى ٦٦٣
- سنة ٨- مدة إقامته عليه السلام بمكة ٦٦٤
- سنة ٨- ما حكمه ﷺ من الأحكام في مكة ٦٦٤
- سنة ٨- البيعة يوم الفتح ٦٦٥
- سنة ٨- لا هجرة بعد الفتح ٦٦٥
- سنة ٨- نزول سورة الفتح ٦٦٦
- سنة ٨- غزوة هوازن يوم حنين ٦٦٦
- سنة ٨- ما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين ٦٦٨
- سنة ٨- مع ملك هوازن ٦٧٣
- سنة ٨- غنائم هوازن ٦٧٣
- سنة ٨- النهي عن قتل الولدان والنساء في الغزو ٦٧٣
- سنة ٨- سرية أوطاس ٦٧٣
- سنة ٨- من استشهد يوم حنين وسرية أوطاس ٦٧٥
- سنة ٨- ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن ٦٧٥
- سنة ٨- غزوة الطائف ٦٧٦
- سنة ٨- مرجع من الطائف وقسمة غنائم هوازن ٦٨٠
- سنة ٨- قدوم مالك بن عوف النصري على رسول الله ﷺ ٦٨٤
- سنة ٨- اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالانفاق ٦٨٤
- سنة ٨- مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة وهو بالجرعانة واسمها الشيماء ٦٨٥
- سنة ٨- عمرة الجعرانة في ذي القعدة ٦٨٦
- سنة ٨- إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى ٦٨٨
- سنة ٨- أحداث سنة ثمان ٦٩٠
- سنة ٩- غزوة تبوك في رجب منها ٦٩١
- سنة ٩- تخلف معذورا من البكائين وغيرهم ٦٩٢
- سنة ٩- تجميع عسكر المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعددهم ثلاثون ألفاً ٦٩٣
- سنة ٨- مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود ٦٩٤
- سنة ٩- ذكر خطبته ﷺ إلى تبوك إلى نخلة هناك ٦٩٥
- سنة ٩- الصلاة على معاوية بن معاوية إن صح الخبر في ذلك ٦٩٦
- سنة ٩- قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بنبوك ٦٩٦
- سنة ٩- مصاحته ﷺ ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وهو مقيم على تبوك قبل رجوعه ٦٩٧
- سنة ٩- بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة ٦٩٧
- سنة ٩- الحديث عن المنافقين ٦٩٨
- سنة ٩- قصة مسجد الضرار ٦٩٩
- سنة ٩- المتخلفون عن تبوك ٧٠٠
- سنة ٩- اقوام تخلفوا من المعصرة غير هؤلاء ٧٠١
- سنة ٩- ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة ومتصرفه من تبوك ٧٠٢
- سنة ٩- قدوم وفد ثقف على رسول الله ﷺ في رمضان ٧٠٢
- سنة ٩- ذكر موت عبد الله بن أبي، قُبِحَ الله ٧٠٥
- سنة ٩- أيام الأنصار ٧٠٦
- سنة ٩- بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الحج ونزول سورة براءة ٧٠٦
- سنة ٩- أحداث في السنة التاسعة ٧٠٧
- سنة ٩- كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ ٧٠٨
- سنة ٩- وفد مزينة ٧٠٨
- سنة ٩- حديث في فضل بني تميم ٧١٠
- سنة ٩- وفد بني عبد القيس ٧١٠
- سنة ٩- قصة ثعلمة ووفد بني حنيفة ومعهم مسيلة الكذاب لعنه الله ٧١١
- سنة ٩- وفد أهل نجران ٧١٣
- سنة ٩- وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس لعنهما الله ٧١٥
- سنة ٩- قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ﷺ وافداً على قومه بني سعد بن بكر ٧١٧
- سنة ٩- وفد طهمي مع زيد الخيل رضي الله عنه ٧١٨
- سنة ٩- قصة عدي بن حاتم الطائي ٧١٨
- سنة ٩- قصة دوس والطفيل بن عمرو ٧٢٠
- سنة ٩- قدوم الأشعرين وأهل اليمن ٧٢١
- سنة ٩- قصة عُمان والبحرين ٧٢١

سنة ٩- وفود فروة بن مسيك المرادي أحد رؤساء قومه إلى رسول الله ﷺ	٧٢١
سنة ٩- قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زيد	٧٢٢
سنة ٩- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كتنة	٧٢٢
سنة ٩- قدوم أعشى بني مازن على النبي ﷺ	٧٢٣
سنة ٩- قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في نفر من قومه ثم وفود أهل جرش بعدهم	٧٢٣
سنة ٩- قدوم رسول ملوك حبر إلى رسول الله ﷺ	٧٢٣
سنة ٩- قدوم جرير بن عبد الله البجلي وإسلامه	٧٢٥
سنة ٩- وفادة وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي أبي هنيذ أحد ملوك اليمن على رسول الله ﷺ	٧٢٦
سنة ٩- وفادة لقيط بن عامر بن المتشق أبي رزيق العقيلي إلى رسول الله ﷺ	٧٢٦
سنة ٩- وفادة زياد بن الحارث الضلّاني	٧٢٧
سنة ٩- وفادة الحارث بن حسان البكري إلى رسول الله ﷺ	٧٢٨
سنة ٩- وفادة عبد الرحمن بن أبي عقيل مع قومه	٧٢٨
سنة ٩- قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه	٧٢٨
سنة ٩- قدوم وفود فروة بن عمرو الجناامي صاحب بلاد معان بإسلامه على رسول الله ﷺ وأظن ذلك إما بتبوك أو بعدها	٧٢٩
سنة ٩- قدوم تميم الداري على رسول الله ﷺ وإخباره بإيه بأمر الجساسة	٧٢٩
سنة ٩- وفد بني أسد	٧٢٩
سنة ٩- وفد بني عيس	٧٢٩
سنة ٩- وفد بني فزارة	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني مرة	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني ثعلبة	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني غارب	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني كلاب	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني عقيل بن كعب	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني قشير بن كعب	٧٣٠
سنة ٩- وفد بني البكاء	٧٣١
سنة ٩- وفد كنانة	٧٣١
سنة ٩- وفد أشجع	٧٣١
سنة ٩- وفد باهلة	٧٣١
سنة ٩- وفد بني سليم	٧٣١
سنة ٩- وفد بني هلال بن عامر	٧٣١
سنة ٩- وفد بني بكر بن وائل	٧٣١
سنة ٩- وفد بني تغلب	٧٣١
سنة ٩- وفادات أهل اليمن: وفد نجيب	٧٣٢
سنة ٩- وفد خولان	٧٣٢
سنة ٩- وفد جعفي	٧٣٢
سنة ٩- وفد الصدف	٧٣٢
سنة ٩- وفد خشين	٧٣٢
سنة ٩- وفد بني سعد	٧٣٢
سنة ٩- وفاد السباع	٧٣٢
سنة ٩- قدوم وفد الأزدي على رسول الله ﷺ	٧٣٣
سنة ٩- وفود الجهن	٧٣٣
سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد	٧٣٤
سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع يدعوهم إلى الله عز وجل	٧٣٤
سنة ١٠- بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخاله بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع	٧٣٦
سنة ١٠- كتاب حجة الوداع	٧٣٩
سنة ١٠- عدد ما حج النبي ﷺ واعتبر	٧٣٩
سنة ١٠- خروج النبي ﷺ لحجة الوداع	٧٣٩
سنة ١٠- صفة خروجه ﷺ من المدينة إلى مكة للحج	٧٤٠
سنة ١٠- القصر والطيب للحج	٧٤١
سنة ١٠- باب بيان الموضع الذي أهل منه ﷺ واختلاف التالفين لذلك وترجيح الحق في ذلك	٧٤٣
سنة ١٠- باب بسط البيان لما أحرم به ﷺ في حجه هذه من الأفراد والتمتع أو القرآن	٧٤٥
سنة ١٠- ذكر الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان مفرداً	٧٤٥
سنة ١٠- ذكر من قال إنه ﷺ حج متمتعاً	٧٤٦
سنة ١٠- ذكر حجة من ذهب إلى أنه ﷺ كان قارناً وسرد الأحاديث في ذلك	٧٤٨
سنة ١٠- الجمع بين أحاديث الأفراد والجمع	٧٥٥
سنة ١٠- ذكر مستند من قال: إنه ﷺ أطلق الإحرام ولم يعين حجاً ولا عمرة أولاً، ثم بعد ذلك صرفه إلى معين	٧٥٦
سنة ١٠- ذكر تلبية رسول الله ﷺ	٧٥٦
سنة ١٠- حديث جابر بن عبد الله ﷺ في حجة رسول الله ﷺ	٧٥٨
سنة ١٠- الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ وهو ذاهب من المدينة إلى مكة في عمرته وحجته	٧٥٩
سنة ١٠- دخول النبي ﷺ إلى مكة شرقاً الله عز وجل	٧٦٠
سنة ١٠- صفة طوافه صلوات الله وسلامه عليه	٧٦١
سنة ١٠- ذكر رَمَلَهُ ﷺ في طوافه واضطباعه	٧٦٣
سنة ١٠- ذكر طوافه عليه ﷺ بين الصفا والمروة	٧٦٥
سنة ١٠- سوق الهدي	٧٦٨
سنة ١٠- من لم يسق الهدي	٧٦٨
سنة ١٠- نزول الأبطح	٧٦٩
سنة ١٠- يوم التروية	٧٦٩
سنة ١٠- دعاء النبي ﷺ وهو واقف بعرفة	٧٧٢
سنة ١٠- ذكر ما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي المنيف في هذا الموقف الشريف	٧٧٤
سنة ١٠- ذكر إفاضته ﷺ من عرفات إلى المشعر الحرام	٧٧٤
سنة ١٠- تقديم طائفة من أهله من المزدلفة إلى منى	٧٧٦
سنة ١٠- ذكر تلبّيته ﷺ بالمزدلفة	٧٧٧
سنة ١٠- وقوفه ﷺ بالمشعر الحرام ودفعه من المزدلفة قبل طلوع الشمس وإيضاعه في وادي عسّر	٧٧٧
سنة ١٠- رمي جمره العقبة	٧٧٨

- ٦- كتاب زوجات النبي ﷺ وخواصه ٨٣١
- ١- ذكر زوجاته صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهن وأولاده ٨٣١
- عليهم السلام ٨٣١
- ٢- من خطبها ﷺ ولم يعقد عليها ٨٣٥
- ٣- فصل في ذكر سراريه ﷺ ٨٣٦
- ٤- ذكره أولاده عليه وعليهم الصلاة والسلام ٨٣٧
- ٥- ذكر عبيده ومواليه وخدامه ٨٤٠
- ٦- إمامه ﷺ ٨٤٦
- ٧- وأما خدامه ﷺ ورضي الله عنهم الذين خدموه من أصحابه غير مواليه ٨٤٩
- ٨- أما كتاب الوحي وغيره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم أجمعين ٨٥٣
- ٩- أمناه النبي ﷺ ٨٦٠
- ١٠- أمراء النبي ﷺ ٨٦١
- ١١- عدو الصحابة ٨٦١
- ٧- كتاب شائل النبي ﷺ ٨٦٢
- ١- ذكر الحاتم الذي كان يلبسه ﷺ ومن أي شيء كان من الأقسام ٨٦٢
- ٢- ذكر سيفه ﷺ ٨٦٣
- ٣- ذكر نعله التي كان يمشي فيها ﷺ ٨٦٤
- ٤- صفة قلع النبي ﷺ ٨٦٤
- ٥- استحلال النبي ﷺ ٨٦٤
- ٦- البردة ٨٦٤
- ٧- ذكر أفراسه ومراكبه ﷺ ٨٦٥
- ٨- شائل رسول الله ﷺ وبيان خلقه الطاهر وخلق الطاهر ٨٦٦
- ٩- حسنه الباهر بعدما تقدم من حَسْبِ الطاهر ٨٦٦
- ١٠- صفة لون رسول الله ﷺ ٨٦٧
- ١١- صفة وجه رسول الله ﷺ ٨٦٨
- ١٢- ذكر شعره ﷺ ٨٧١
- ١٣- ما ورد في منكيه وساعديه وإبطيه وقدميه وكعبيه ﷺ ٨٧٢
- ١٤- صفة قوامه ﷺ وطيب رائحته ٨٧٣
- ١٥- صفة خاتم النبوة الذي بين كفيه صلوات الله وسلامه عليه ٨٧٥
- ١٦- باب جامع لأحاديث مفرقة وردت في صفة رسول الله ﷺ ٨٧٦
- ١٧- ذكر أخلاقه وشمائله الطاهرة ﷺ ٨٧٩
- ١٨- ذكر كرمه ﷺ ٨٨٣
- ١٩- ذكر مزاحه ﷺ ٨٨٥
- ٢٠- باب زهده ﷺ ٨٨٦
- ٢١- ومن تواضعه ﷺ ٨٩٠
- ٢٢- عبادته ﷺ واجتهاده في ذلك ٨٩٠
- ٢٣- شجاعته ﷺ ٨٩١
- ٢٤- ما يذكر من صفاته ﷺ في الكتب الماثورة عن الأنبياء الأقدمين ٨٩٢
- سنة ١٠- النحر ٧٧٩
- سنة ١٠- صفة الحلق ٧٨٠
- سنة ١٠- بعد الرمي والنحر ٧٨٠
- سنة ١٠- إفاضته عليه السلام إلى البيت العتيق ٧٨١
- سنة ١٠- الطواف عند المتمتع والقارن ٧٨٢
- سنة ١٠- الرجوع إلى منى ٧٨٢
- سنة ١٠- خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع ٧٨٣
- سنة ١٠- التزول بمنى ٧٨٥
- سنة ١٠- خطب الناس بمنى في اليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها ٧٨٦
- سنة ١٠- زيارة البيت أيام منى ٧٨٧
- سنة ١٠- أحكام في الحج ٧٨٧
- سنة ١٠- دخول مكة من أعلاها والخروج من أسفلها ٧٨٩
- سنة ١٠- حديث غدير خم وفضائل علي عليه السلام ٧٩٠
- سنة ١١- سنة إحدى عشرة من الهجرة ٧٩٣
- سنة ١١- ذكر عدد غزواته وسراياه وبعوثه وعدد حجته وعمرته ٧٩٣
- سنة ١١- الآيات والأحاديث المنسوبة بوفاته رسول الله ﷺ وكيف ابتدئ رسول الله ﷺ بمرضه الذي مات فيه ٧٩٧
- سنة ١١- إمامة أبي بكر في الصلاة مع حضور النبي ﷺ ٨٠١
- سنة ١١- كيفية احتضاره ووفاته ﷺ ٨٠٤
- سنة ١١- ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه ٨٠٧
- سنة ١١- قصة سقيفة بني ساعدة ٨٠٧
- سنة ١١- اعتراف سعد بن عباد بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة ٨٠٩
- سنة ١١- تقديم أبي بكر على غيره ٨١٠
- سنة ١١- تاريخ وفاة النبي ﷺ وسنه ٨١٢
- سنة ١١- صفة غسله ﷺ ٨١٥
- سنة ١١- صفة كفته ﷺ ٨١٦
- سنة ١١- كيفية الصلاة عليه ﷺ ٨١٧
- سنة ١١- صفة دفنه ﷺ، وأين دفن وذكر الخلاف في دفنه ليلا كان أم نهاراً ٨١٨
- سنة ١١- ذكر من كان آخر الناس به عهداً ﷺ ٨٢٠
- سنة ١١- متى وقع دفنه ﷺ ٨٢٠
- سنة ١١- صفة قبره ﷺ ٨٢١
- سنة ١١- ذكر ما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاته ﷺ ٨٢٢
- سنة ١١- ما ورد من التعزية به ﷺ ٨٢٣
- سنة ١١- ما روي من معرفة أهل الكتاب بيوم وفاته ﷺ ٨٢٤
- سنة ١١- مرحلة ما بعد الوفاة ٨٢٤
- سنة ١١- شعر في وفاة النبي ﷺ ٨٢٥
- سنة ١١- لم يترك دوحماً ولا ديناراً ٨٢٦
- سنة ١١- بيان أنه ﷺ قال: «لا تُؤرث» ٨٢٧
- سنة ١١- بيان رواية الجماعة لما رواه الصديق وموافقهم على ذلك ٨٢٨
- سنة ١١- الرد على الرافضة في مقام الميراث ورد ما احتجوا به ٨٢٩

٨- كتاب دلائل النبوة

٨٩٥

- ١- القرآن العظيم..... ٨٩٥
- ٢- أخلاقه الطاهرة..... ٨٩٧
- ٣- انشقاق القمر..... ٨٩٩
- ٤- رؤ الشمس بعد مغيبها..... ٩٠٠
- ٥- استسقاؤه لأمه واستصحابه..... ٩٠٥
- ٦- نبع الماء من تحت أصابعه..... ٩٠٨
- ٧- تكثيره اللبن في موطن أيضاً..... ٩١٢
- ٨- تكثيره ﷺ السمن لأم سليم..... ٩١٣
- ٩- تكثير الطعام في ضيافة أبي طلحة..... ٩١٣
- ١٠- قصة أخرى في تكثير الطعام في بيت فاطمة..... ٩١٦
- ١١- قصة أخرى في بيت رسول الله ﷺ..... ٩١٧
- ١٢- قصة قصعة بيت الصديق..... ٩١٧
- ١٣- حديث آخر في تكثير الطعام في السفر..... ٩١٧
- ١٤- قصة جابر ودين أبيه وتكثيره ﷺ التمر..... ٩١٩
- ١٥- قصة سلمان في تكثيره ﷺ تلك القطعة من الذهب لوفاء دينه في مكانته..... ٩١٩
- ١٦- تكثير التمر والشعير ونحوهما عند أبي هريرة وغيره..... ٩١٩
- ١٧- حديث النزاع..... ٩٢١
- ١٨- تكثير التمر..... ٩٢٢
- ١٩- باب انقياد الشجر لرسول الله ﷺ..... ٩٢٢
- ٢٠- حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ وشفقاً من فراقه..... ٩٢٣
- ٢١- باب تسبيح الحصى في كفه ﷺ..... ٩٢٧
- ٢٢- قصة الجعبر الناد وسجوده له وشكواه إليه صلوات الله وسلامه عليه..... ٩٢٨
- ٢٣- حديث في سجود الغنم له ﷺ..... ٩٣١
- ٢٤- قصة الذئب وشهادته بالرسالة..... ٩٣٢
- ٢٥- قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ وكان يحترمه عليه السلام ويوقره ويحمله..... ٩٣٣
- ٢٦- قصة الأسد..... ٩٣٣
- ٢٧- حديث الغزاة..... ٩٣٣
- ٢٨- حديث الضب على ما فيه من النكارة والغرابة..... ٩٣٤
- ٢٩- حديث الحمار..... ٩٣٥
- ٣٠- حديث الحمرة وهي طائر مشهور..... ٩٣٥
- ٣١- حديث آخر فيه كرامة لتسميم الداري..... ٩٣٦
- ٣٢- حديث فيه كرامة لولي من هذه الأمة..... ٩٣٦
- ٣٣- قصة أخرى مع قصة العلاء بن الحضرمي..... ٩٣٧
- ٣٤- قصة أخرى..... ٩٣٧
- ٣٥- قصة أخرى..... ٩٣٧
- ٣٦- قصة زيد بن خارجه وكلامه بعد الموت وشهادته بالرسالة لعمد ﷺ وبالحلافة لأبي بكر الصديق ثم لعمر ثم لعثمان رضي الله عنهم..... ٩٣٨
- ٣٧- غلام في المهدي شهد للنبي ﷺ النبوة..... ٩٣٩
- ٣٨- قصة الصبي الذي كان يصرع فدعا له ﷺ فبرأ..... ٩٣٩
- ٣٩- قصة الضرير الذي برأ..... ٩٤٠

- ٤٠- اشتداد الجمل أو الفرس بعد إعياء..... ٩٤١
- حديث آخر..... ٩٤١
- ٤١- قصة الرجل الذي برا من ضريرته..... ٩٤١
- ٤٢- الدعاء لابن عباس بالفقه..... ٩٤٢
- ٤٣- طول عمر أنس بن مالك..... ٩٤٢
- ٤٤- إسلام أم أبي هريرة بدعاء النبي ﷺ..... ٩٤٢
- ٤٥- الدعاء لسعد بن أبي وقاص بالإجابة والتسليد..... ٩٤٢
- ٤٦- الدعاء للسائب بن يزيد..... ٩٤٢
- ٤٧- مسح وجه قتادة..... ٩٤٢
- ٤٨- الدعاء لعبد الرحمن بن عوف بالبركة..... ٩٤٣
- ٤٩- الدعاء لعروة البارقي بالبركة في البيع..... ٩٤٣
- ٥٠- الدعاء لعبد الله بن هشام بالبركة..... ٩٤٣
- ٥١- الدعاء بإذعاب البرد..... ٩٤٣
- ٥٢- الدعاء لزوجين..... ٩٤٣
- ٥٣- بركة النبي في غلام عليه شعرة في جبهته..... ٩٤٣
- ٥٤- دعاء النبي في ثابته بني جمعة..... ٩٤٣
- ٥٥- الدعاء لأهل اليمن..... ٩٤٤
- ٥٦- من لم يستطع أن يأكل يمينه..... ٩٤٤
- ٥٧- لا أشبع الله بطنه..... ٩٤٤
- ٥٨- كن كذلك..... ٩٤٤
- ٥٩- مقتل رجل دعا عليه..... ٩٤٤
- ٦٠- دعاءه على أبي جهل وآخرين..... ٩٤٥
- ٦١- رجل يدفن ثم تنبذ الأرض..... ٩٤٥
- ٦٢- باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب فيها بما يطابق الحق الموافق لما تشهد به الكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله..... ٩٤٥
- ٦٣- حديث في جوابه ﷺ لمن سأل عما سأل قبل أن يسأله عن شيء منه..... ٩٥٠
- ٦٤- باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلية في حياته وبعدده فوقعت طبق ما أخبر به سواء بسواء..... ٩٥٠
- ٦٥- فصل في الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلية..... ٩٥٤
- ٦٦- فصل في ترتيب الإخبار بالغيوب المستقبلية بعده ﷺ..... ٩٥٤
- ٦٧- ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان بن عفان وفي خلافة علي رضي الله عنهما..... ٩٦٢
- ٦٨- ذكر إخباره ﷺ عن خروج الحوارج وقتلهم وعلاماتهم..... ٩٦٦
- ٦٩- إخباره ﷺ بمقتل علي بن أبي طالب..... ٩٦٧
- ٧٠- إخباره عن الحسن بأنه يصلح بين فتنين..... ٩٦٧
- ٧١- إخباره عليه السلام عن غزاة البحر إلى قبرص التي كانت في أيام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ﷺ..... ٩٦٩
- ٧٢- باب ما قيل في قتال الروم..... ٩٦٩
- ٧٣- الإخبار عن غزوة الهند..... ٩٦٩
- ٧٤- الإخبار عن قتال الترك..... ٩٦٩
- ٧٥- خبر آخر عن عبد الله بن سلام..... ٩٧٠
- ٧٦- الإخبار عن بيت ميمونة بنت الحارث يسرف..... ٩٧٠
- ٧٧- ما روي في إخباره عن مقتل حجر بن عدي وأصحابه..... ٩٧٠

- ٧٨- آخركم موتاً في النار..... ٩٧١
- ٧٩- خبر رافع بن خديج حين وقع عليه السهم..... ٩٧١
- ٨٠- ذكر إخباره عليه السلام بما وقع من الفتن بعد معاوية من أغليمة بني هاشم وغير ذلك..... ٩٧١
- ٨١- الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما..... ٩٧٢
- ٨٢- ذكر الأخبار عن وقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد أيضاً..... ٩٧٤
- ٨٣- التنبؤ بذهاب بصره في آخر عمره..... ٩٧٥
- ٨٤- الإخبار عن الكذابين بين يدي الساعة..... ٩٧٥
- ٨٥- ذكر الإشارة النبوية إلى دولة عمر بن عبد العزيز تاج بني أمية..... ٩٧٦
- ٨٦- حديث آخر - في صحته نظر- في ذكر وهب بن منبه بالمدح، وذكر غيلان بالذم..... ٩٧٧
- ٨٧- الإشارة إلى محمد بن كعب القرظي وعلمه بتفسير القرآن وحفظه..... ٩٧٧
- ٨٨- ذكر الإخبار بالغماء قرنه عليه السلام بعد مائة سنة من ليلة إخباره فكان كما أخبر..... ٩٧٧
- ٨٩- ذكر الأخبار عن الوليد بما فيه له من الوعيد الشديد..... ٩٧٨
- ٩٠- ذكر الإخبار عن خلفاء بني أمية جملة من جملة والإشارة إلى مدة دولتهم..... ٩٧٩
- ٩١- ذكر الإخبار عن دولة بني العباس..... ٩٧٩
- ٩٢- ذكر الإخبار عن الأئمة الاثني عشر الذين كلهم من قریش..... ٩٨١
- ٩٣- ذكر الإخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس إلى زماننا هذا..... ٩٨٢
- ٩٤- حديث آخر: فيه إشارة إلى مالك بن أنس الإمام رحمه الله..... ٩٨٢
- ٩٥- حديث آخر: فيه إشارة إلى محمد بن إدریس الشافعي..... ٩٨٣
- ٩٦- خبركم بعد المتين خفيف الحاذ..... ٩٨٣
- ٩٧- خبر الناس قرني ثم الذين يلونهم..... ٩٨٣
- ٩٨- السابع من مولد العباس..... ٩٨٣
- ٩٩- فتح القسطنطينية..... ٩٨٣
- ١٠٠- ظهور نار بأرض الحجاز..... ٩٨٤
- ١٠١- صنفان من أهل النار..... ٩٨٤
- ١٠٢- تليط بعضهم على بعض..... ٩٨٤
- ١٠٣- يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها..... ٩٨٥
- ١٠٤- المعجزات الماثلة لمعجزات الأنبياء..... ٩٨٥
- ١٠٥- القرآن العظيم..... ٩٨٥
- ١٠٦- القول فيما أوتي نوح عليه السلام..... ٩٨٦
- ١٠٧- قصة أخرى تشبه قصة العلاء بن الحضرمي..... ٩٨٧
- ١٠٨- قصة أخرى شبيهة بذلك..... ٩٨٧
- ١٠٩- القول فيما أوتي هود عليه السلام..... ٩٨٩
- ١١٠- القول فيما أوتي صالح عليه السلام..... ٩٨٩
- ١١١- القول فيما أوتي إبراهيم الخليل عليه السلام..... ٩٨٩
- ١١٢- القول فيما أوتي موسى عليه السلام من الآيات البيّنات..... ٩٩٣
- ١١٣- قصة حبس الشمس على يوشع بن نون بن أفراسيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن
- ٩٩٦- عليهم السلام
- ١١٤- القول فيما أعطي إدریس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]..... ٩٩٧
- ٩٩٨- القول فيما أوتي داود عليه السلام..... ٩٩٨
- ١١٦- القول فيما أوتي سليمان بن داود عليه السلام..... ٩٩٩
- ١١٧- القول فيما أوتي عيسى ابن مريم عليه السلام..... ١٠٠١
- ١١٨- قصة أخرى..... ١٠٠١
- ١١٩- قصة الأعمى الذي رد الله عليه بصره بدعاء رسول الله عليه السلام..... ١٠٠٢
- ١٢٠- قصة أخرى..... ١٠٠٣
- كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان..... ١٠٠٦
- سنة إحدى عشرة من الهجرة..... ١٠٠٦
- خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما كان في أيامه من الحوادث والأمور..... ١٠٠٦
- فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد..... ١٠٠٧
- مقتل الأسود العنسي التميمي الكذاب لعنه الله وأخزاه..... ١٠٠٨
- صفة خروجه وتملكه ومقتله..... ١٠٠٨
- خروج الأسود العنسي..... ١٠٠٨
- فصل في تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة..... ١٠١٠
- ذكر خروجه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر على ما سيأتي..... ١٠١٢
- فصل في مسيرة الأمراء من ذي القصة على ما عودوا عليه..... ١٠١٣
- وقعة أخرى..... ١٠١٤
- قصة الفجاءة..... ١٠١٤
- قصة سجاح وبني تميم..... ١٠١٤
- فصل في خبر مالك بن نويرة البريعي التميمي..... ١٠١٥
- مقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وأخزاه..... ١٠١٥
- ذكر ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام..... ١٠١٧
- ذكر ردة أهل عُمان ومهرة واليمن..... ١٠١٨
- سنة ثلثي عشرة من الهجرة النبوية..... ١٠٢٤
- بعث خالد بن الوليد إلى العراق..... ١٠٢٤
- فصل..... ١٠٢٦
- فتح خالد للأتارب، وتسمى هذه الغزوة ذات العيون..... ١٠٢٧
- وقعة عين التمر..... ١٠٢٧
- خبر دومة الجندل..... ١٠٢٨
- خبر وقعة الحصيد والمصبيغ..... ١٠٢٨
- وقعة الفراض..... ١٠٢٩
- فصل فيما كان من الحوادث في هذه السنة..... ١٠٢٩
- سنة ثلاث عشرة من الهجرة..... ١٠٣٠
- وقعة اليرموك..... ١٠٣١
- انتقال إمرة الشام من خالد إلى أبي عبيدة في الدولة العمرية وذلك بعد وقعة اليرموك وصيرورة الإمرة بالشام إلى أبي عبيدة، فكان أبو عبيدة أول من سمي أمير الأمراء..... ١٠٣٦

١٠٧٠	سنة تسع عشرة	١٠٣٦	وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام
١٠٧١	سنة عشرين من الهجرة	١٠٣٦	خلافة عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small> وأرضاء
١٠٧١	صفة فتح مصر بمجموعاً من كلام ابن إسحاق وسيف وغيرهما	١٠٣٧	ذكر فتح دمشق
١٠٧٣	قصة نيل مصر	١٠٣٩	فصل
١٠٧٥	سنة إحدى وعشرين	١٠٣٩	فصل
١٠٨١	سنة ثنتين وعشرين	١٠٣٩	وقعة فحل بكسر الفاء قيل: والحاء والصحيح تسكينها:
١٠٨٢	فتح الرّي	١٠٤٠	فصل فيما ما وقع بأرض العراق في هذه المدة من القتال
١٠٨٢	فتح قُوميس	١٠٤٠	وقعة النمارق
١٠٨٢	فتح جرجان		وقعة جسر أبي عبيد التي قُتل فيها أمير المسلمين وخلق كثير منهم
١٠٨٢	وهذا فتح أذربيجان	١٠٤١	فإنّا لله وإنّا إليه راجعون
١٠٨٢	فتح الباب	١٠٤١	وقعة الثوب التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس
١٠٨٣	أول غزو الترك	١٠٤٢	فصل
١٠٨٣	قصة السدّ		ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد بعد اختلافهم واضطرابهم ثم
١٠٨٣	بقية من خبر السد	١٠٤٢	اجتمعت كلمتهم
١٠٨٤	قصة يزدجرد بن شهريار بن كسرى	١٠٤٤	سنة أربع عشرة من الهجرة
١٠٨٤	غزو المسلمين بلاد خراسان مع الأحف بن قيس	١٠٤٥	غزوة القادسية
١٠٨٦	سنة ثلاث وعشرين	١٠٤٧	فصل
١٠٨٦	فتح فسا ودارابجرد وقصة سارية بن زئيم	١٠٥١	سنة خمس عشرة
١٠٨٧	غزوة الأكراد	١٠٥١	وقعة حصص الأولى
١٠٨٧	خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد	١٠٥٢	وقعة قسرين
١٠٩٢	ثم استهلت سنة أربع وعشرين	١٠٥٢	وقعة قيسارية
١٠٩٢	خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>	١٠٥٢	وقعة أجنادين
١٠٩٥	سنة خمس وعشرين	١٠٥٣	فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب
١٠٩٥	سنة ست وعشرين	١٠٥٥	وقعة بهرسير
١٠٩٥	سنة سبع وعشرين	١٠٥٦	سنة ست عشرة
١٠٩٥	غزوة إفريقية	١٠٥٧	ذكر فتح المدائن التي هي مستقر ملك كسرى
١٠٩٦	غزوة الأندلس	١٠٥٩	وقعة جلولا
١٠٩٦	وقعة جرجير والبربر مع المسلمين	١٠٦٠	ذكر فتح حلوان
١٠٩٦	سنة ثمان وعشرين	١٠٦٠	فتح تكريت والموصل
١٠٩٦	سنة تسع وعشرين	١٠٦٠	فتح ماسبجان من أرض العراق
١٠٩٧	سنة ثلاثين من الهجرة النبوية	١٠٦١	فتح قرقيسية وهيئة في هذه السنة
١٠٩٨	سنة إحدى وثلاثين	١٠٦١	سنة سبع عشرة
١٠٩٨	كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد		قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بمحصر وقدم عمر إلى الشام
١٠٩٩	سنة ثنتين وثلاثين	١٠٦٢	أيضاً لينصره
١١٠١	سنة ثلاث وثلاثين	١٠٦٢	فتح الجزيرة
١١٠٢	سنة أربع وثلاثين	١٠٦٣	ذكر شيء من أخبار طاعون عمواس
١١٠٣	سنة خمس وثلاثين	١٠٦٤	كانت غريبة فيها عزل خالد عن قسرين أيضاً
	ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر وغيرها في	١٠٦٥	فتح الأهواز ومناذر ونهر تيري
١١٠٥	شوال من هذه السنة	١٠٦٥	فتح تستر المرة الأولى صلحاً
١١٠٦	صفة حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان	١٠٦٥	ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين
١١٠٨	حصار عثمان <small>رضي الله عنه</small>		ذكر فتح تستر ثانية غنوة والسوس ورامهرمز وأسر الهرمزان وبعثه
١١١٠	صفة قتله <small>رضي الله عنه</small>	١٠٦٦	إلى عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>
١١١٢	وقت قتل عثمان <small>رضي الله عنه</small>	١٠٦٧	فتح السوس
١١١٣	فصل	١٠٦٨	سنة ثمان عشرة
١١١٣	عمر عثمان <small>رضي الله عنه</small>	١٠٦٩	وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضي الله عنهم

الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان	١١١٣	موضع قبر عثمان	١١١٣
١١٦١ الأنصاري	١١١٣	عثمان بعد قتله وكيف دفن	١١١٣
١١٦٣ الحديث الثامن عن سلمان الفارسي	١١١٤	ذكر صفته	١١١٤
١١٦٣ الحديث التاسع عن سهل بن حنيف الأنصاري	١١١٤	فتنة قتل عثمان	١١١٤
١١٦٣ الحديث العاشر عن ابن عباس	١١١٦	وهذا ذكر بعض ما رثي به	١١١٦
١١٦٣ الحديث الحادي عشر عن ابن عمر	١١١٦	كيف وقع قتل عثمان	١١١٦
١١٦٣ الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو	١١١٧	فضائل عثمان بن عفان	١١١٧
١١٦٣ الحديث الثالث عشر عن أبي ذر	١١١٨	الأول: فضائل عثمان مع غيره	١١١٨
١١٦٤ الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة	١١٢٠	الثاني: فضائل عثمان وحده	١١٢٠
١١٦٤ حديث آخر عن رجلين يهيمين من الصحابة	١١٢٣	شيء من سيرته	١١٢٣
١١٦٤ حديث آخر في مدح علي عليه السلام على قتال الخوارج	١١٢٤	شيء من خطبه	١١٢٤
١١٦٥ حديث ابن مسعود في ذلك	١١٢٤	شيء من وعائيه لرعيته	١١٢٤
١١٦٥ حديث أبي سعيد في ذلك	١١٢٥	من مناقبه الكبار	١١٢٥
١١٦٥ حديث أبي أيوب في ذلك	١١٢٦	ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم	١١٢٦
١١٦٥ خطبة علي بعد النهروان	١١٢٦	رحى الإسلام تدور لحسن وثلاثين	١١٢٦
١١٦٦ فصل	١١٢٦	فصل في ذكر من توفي زمان دولة عثمان	١١٢٦
١١٦٧ فصل	١١٢٧	خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	١١٢٧
١١٦٨ سنة ثمان وثلاثين	١١٢٩	ذكر بيعة علي بالخلافة	١١٢٩
١١٧٠ قتال أهل النهروان، وغير ذلك	١١٣٠	سنة ست وثلاثين من الهجرة	١١٣٠
١١٧٠ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان	١١٣١	ابتداء وقعة الجمل	١١٣١
١١٧١ سنة تسع وثلاثين		ذكر سير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة	
١١٧٢ سنة أربعين من الهجرة النبوية	١١٣٢	بدلاً عن سيره إلى الشام	١١٣٢
ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وما	١١٣٧	بعد الجمل	١١٣٧
ورد في ذلك وفي فضله من الأحاديث النبوية، وما في ذلك	١١٣٨	فصل في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل	١١٣٨
من دلائل النبوة وآيات المعجزة	١١٤١	وقعة صفين بين أهل العراق من أصحاب علي وبين أهل الشام	١١٤١
١١٧٣ صفة مقتله رضي الله عنه	١١٤٣	من أصحاب معاوية	١١٤٣
١١٧٦ ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم أجمعين	١١٤٩	سنة سبع وثلاثين	١١٤٩
باب ذكر شيء من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي	١١٥١	ذكر رفع أهل الشام المصاحف مكرماً بهم بأهل العراق وخليعة	١١٥١
الله عنه	١١٥٢	قصة التحكيم	١١٥١
فصل: في ذكر شيء من سيرته العادلة وطريقته الفاضلة ومواعظه	١١٥٢	ذكر خروج الخوارج	١١٥٢
وقضاياه الفاضلة وخطبه الكاملة وحكمه التي هي إلى القلوب	١١٥٢	موقف الخوارج من علي	١١٥٢
١١٩٢ واصله		صفة اجتماع الحكمين وهما أبو موسى وعمرو بن العاص رضي	
١١٩٦ غريبة من الغرائب وآبئة من الأوابد	١١٥٣	الله عنهما بلومة الجنادل	١١٥٣
١١٩٧ فصل نذكر فيه كلمات زيادة على ما نص عليه المؤلف		ذكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً	
١١٩٨ خلافة الحسن بن علي	١١٥٥	والمخالفة وقتال علي إياهم وما ورد في ذلك من الأحاديث	١١٥٥
١١٩٩ سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية	١١٥٦	ذكر سير أمير المؤمنين علي إلى الخوارج	١١٥٦
١٢٠١ ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وملكه		ولنذكر الآن ما ورد فيهم من الأحاديث الشريفة المرفوعة إلى	
١٢٠١ فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	١١٥٧	رسول الله	١١٥٧
١٢٠٢ خروج طائفة من الخوارج عليه	١١٥٧	الحديث الأول عن علي	١١٥٧
١٢٠٣ سنة ثنتين وأربعين	١١٦٠	الحديث الثاني عن ابن مسعود	١١٦٠
١٢٠٣ سنة ثلاث وأربعين	١١٦٠	الحديث الثالث عن أنس بن مالك	١١٦٠
١٢٠٤ سنة أربع وأربعين	١١٦٠	الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله	١١٦٠
١٢٠٥ سنة خمس وأربعين		الحديث الخامس عن سعد بن مالك بن أهيب الزهري وهو سعد	
١٢٠٦ سنة ست وأربعين	١١٦١	بن أبي وقاص	١١٦١

١٣٠٧	خلافة عبد الملك بن مروان	١٢٠٦	سنة سبع وأربعين
١٣٠٩	سنة ست وستين	١٢٠٧	سنة ثمان وأربعين
١٣١١	فصل	١٢٠٧	سنة تسع وأربعين
١٣١٢	ذكر مقتل شمر بن ذي الجوشن	١٢١٣	سنة خمسين من الهجرة
	مقتل خولي بن يزيد الأصمحي الذي احتز رأس الحسين رضي	١٢١٥	سنة إحدى وخمسين
١٣١٣	الله عنه	١٢١٩	سنة ثنتين وخمسين
	مقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الجيش الذين قتلوا	١٢٢١	سنة ثلاث وخمسين
١٣١٣	الحسين	١٢٢٣	سنة أربع وخمسين
١٣١٤	فصل	١٢٢٥	سنة خمس وخمسين
١٣١٥	فصل	١٢٢٩	سنة ست وخمسين
١٣١٧	سنة سبع وستين	١٢٣٠	سنة سبع وخمسين
١٣١٨	ترجمة ابن زياد	١٢٣٠	سنة ثمان وخمسين
	مقتل المختار بن أبي عبيد القنبر الكذاب على يدي مصعب بن	١٢٣٠	قصة غريبة
١٣١٩	الزبير وأهل البصرة	١٢٣٦	سنة تسع وخمسين
١٣٢٠	ترجمة المختار بن أبي عبيد الكذاب		قصة يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري مع ابني زياد عبيد الله
١٣٢٢	فصل	١٢٣٦	وعباد
١٣٢٢	سنة ثمان وستين	١٢٤٥	سنة ستين من الهجرة النبوية
١٣٢٩	سنة تسع وستين		ترجمة معاوية رضي الله عنه وذكر شيء من أيامه ودولته وما ورد
١٣٣٠	ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق	١٢٤٦	في مناقبه وفصلاته
١٣٣١	سنة سبعين من الهجرة	١٢٥٩	إمارة يزيد بن معاوية وما جرى في أيامه من الحوادث والفتن
١٣٣٢	سنة إحدى وسبعين		قصة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسبب
١٣٣٣	ترجمة مصعب بن الزبير، رحمه الله		خروجه بأهله من مكة إلى العراق في طلب الإمارة وكيفية
١٣٣٦	فصل	١٢٦٠	مقتله ﷺ
١٣٣٧	ومن سنة ثنتين وسبعين	١٢٦٤	صفة خرج الحسين وما جرى بعد ذلك
١٣٣٩	سنة ثلاث وسبعين	١٢٦٩	سنة إحدى وستين
١٣٤١	وهذه ترجمة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ﷺ		صفة مقتله رضي الله عنه مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن لا
١٣٤٨	سنة أربع وسبعين	١٢٦٩	كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان
١٣٥٠	سنة خمس وسبعين	١٢٨٠	فصل
١٣٥٢	سنة ست وسبعين	١٢٨٣	فصل: في ذكر شيء من فضائله
١٣٥٤	سنة سبع وسبعين	١٢٨٥	فصل: في ذكر شيء من أشعاره
١٣٥٥	ذكر مقتل شييب في هذه السنة عند ابن الكلبي	١٢٨٧	سنة ثنتين وستين
١٣٥٦	سنة ثمان وسبعين	١٢٨٩	سنة ثلاث وستين
١٣٥٧	سنة تسع وسبعين	١٢٩١	سنة أربع وستين
١٣٥٩	سنة ثمانين من الهجرة النبوية	١٢٩٢	ترجمة يزيد بن معاوية
١٣٦٠	سنة إحدى وثمانين	١٢٩٧	ذكر أولاد يزيد بن معاوية وعددهم
١٣٦٠	فتنة ابن الأشعث	١٢٩٧	إمارة معاوية بن يزيد بن معاوية
١٣٦٣	سنة ثنتين وثمانين		إمارة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وعند ابن حزم وطائفة أنه
١٣٦٦	سنة ثلاث وثمانين	١٢٩٨	أمير المؤمنين آنذاك
١٣٦٨	سنة أربع وثمانين	١٢٩٨	ذكر بيعة مروان بن الحكم
١٣٧٠	سنة خمس وثمانين	١٢٩٩	وقعة مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس النهري ﷺ
١٣٧٠	عبد العزيز بن مروان رحمه الله تعالى	١٣٠١	حوادث ووقائع
١٣٧٢	ذكر بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لأخيه سليمان	١٣٠٣	ذكر هدم الكعبة وبنائها في أيام ابن الزبير
١٣٧٢	سنة ست وثمانين	١٣٠٤	سنة خمس وستين
١٣٧٧	خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق	١٣٠٤	وقعة عين الورد
١٣٧٧	سنة سبع وثمانين	١٣٠٦	ترجمة مروان بن الحكم جد خلفاء بني أمية الذين كانوا بعده

سنة ثمان وثمانين.....	١٣٧٩	سنة ست ومائة.....	١٤٤١
سنة تسع وثمانين.....	١٣٧٩	سنة سبع ومائة.....	١٤٤١
سنة تسعين من الهجرة.....	١٣٨٠	سنة ثمان ومائة.....	١٤٤٤
سنة إحدى وتسعين.....	١٣٨٢	سنة تسع ومائة.....	١٤٤٤
سنة ثنتين وتسعين.....	١٣٨٣	سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية.....	١٤٤٤
سنة ثلاث وتسعين.....	١٣٨٣	سنة إحدى عشرة ومائة.....	١٤٤٨
فتح سمرقند.....	١٣٨٣	سنة ثني عشرة ومائة.....	١٤٤٨
سنة أربع وتسعين.....	١٣٨٨	سنة ثلاث عشرة ومائة.....	١٤٤٩
مقتل سعيد بن جبير رحمه الله.....	١٣٨٨	سنة أربع عشرة ومائة.....	١٤٥٠
سنة خمس وتسعين.....	١٣٩٦	سنة خمس عشرة ومائة.....	١٤٥٠
(وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته).....	١٣٩٦	سنة ست عشر ومائة.....	١٤٥٠
فصل.....	١٣٩٨	سنة سبع عشرة ومائة.....	١٤٥١
فصل فيما روي عنه من الكلمات الناقصة والجراماة البالغة.....	١٤٠١	سنة ثمان عشرة ومائة.....	١٤٥٢
سنة ست وتسعين.....	١٤٠٦	وفيها كانت وفاة.....	١٤٥٢
فصل فيما وجد فيه من الآثار وما روي في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار.....	١٤١١	سنة تسع عشرة ومائة.....	١٤٥٣
الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام.....	١٤١٢	سنة عشرين ومائة من الهجرة.....	١٤٥٤
ذكر الساعات التي على يابه.....	١٤١٣	سنة إحدى وعشرين ومائة.....	١٤٥٥
ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي.....	١٤١٣	سنة ثنتين وعشرين ومائة.....	١٤٥٦
ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام.....	١٤١٤	سنة ثلاث وعشرين ومائة.....	١٤٦٠
خلافة سليمان بن عبد الملك.....	١٤١٦	سنة أربع وعشرين ومائة.....	١٤٦١
مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله.....	١٤١٦	سنة خمس وعشرين ومائة.....	١٤٦٤
سنة سبع وتسعين.....	١٤١٧	ذكر وفاته وترجمته رحمه الله.....	١٤٦٥
سنة ثمان وتسعين.....	١٤١٩	خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، قُبِحه الله وأبعد.....	١٤٦٦
سنة تسع وتسعين.....	١٤٢٠	سنة ست وعشرين ومائة.....	١٤٦٨
خلافة عمر بن عبد العزيز أشج بني مروان رضي الله عنه وأكرمه.....	١٤٢٣	صفة مقتله وزوال دولته.....	١٤٦٨
سنة مائة من الهجرة النبوية.....	١٤٢٥	ذكر قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص للوليد بن يزيد وكيف قُتل.....	١٤٦٩
وفي هذه السنة كان بدو دعوة بني العباس.....	١٤٢٥	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.....	١٤٧٠
سنة إحدى ومائة.....	١٤٢٧	سنة سبع وعشرين ومائة.....	١٤٧٤
ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي الإمام المشهور رحمه الله وأكرم مثواه.....	١٤٢٧	دخول مروان الحمار دمشق فيها وولايته الخلافة، وعزله إبراهيم بن الوليد عنها.....	١٤٧٥
فصل وقد كان متظراً فيما يؤثر من الأخبار.....	١٤٢٩	سنة ثمان وعشرين ومائة.....	١٤٧٧
مجدد القرن الأول.....	١٤٣٤	سنة تسع وعشرين ومائة.....	١٤٧٨
فصل.....	١٤٣٤	أول ظهور أبي مسلم الخراساني بخراسان.....	١٤٧٨
ذكر سبب وفاته رحمه الله.....	١٤٣٥	مقتل الكرمانى.....	١٤٧٩
خلافة يزيد بن عبد الملك.....	١٤٣٦	سنة ثلاثين ومائة.....	١٤٨٠
سنة ثنتين ومائة.....	١٤٣٧	مقتل شيان بن سلمة الحروري.....	١٤٨٠
ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان.....	١٤٣٧	ذكر دخول أبي حزمة الخارجي المدينة النبوية واستيلائه عليها مدة ثلاثة أشهر حتى ارتحل منها.....	١٤٨١
ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين.....	١٤٣٧	سنة إحدى وثلاثين ومائة.....	١٤٨٢
سنة ثلاث ومائة.....	١٤٣٨	سنة ثنتين وثلاثين ومائة.....	١٤٨٢
سنة أربع مائة.....	١٤٣٩	ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام.....	١٤٨٢
سنة خمس ومائة.....	١٤٤٠	خلافة أبي العباس السفاح.....	١٤٨٣
خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان.....	١٤٤٠	مقتل مروان بن محمد بن مروان.....	١٤٨٤

١٤٨٤	صفة مقتل مروان الحمار	سنة سبع وخمسين ومائة	١٥١٧
١٤٨٥	وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار	وهذا ذكر شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله	١٥١٧
	ذكر ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء دولة بني العباس من	سنة ثمان وخمسين ومائة	١٥١٩
١٤٨٦	الأخبار النبوية وغيرها	ترجمة المنصور أبي جعفر	١٥٢٠
	ذكر استقلال أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله	ذكر أولاد المنصور	١٥٢٣
	بن عباس الملقب بالسفاح وما اعتمده في أيامه من السيرة	ذكر خلافة المهدي بن المنصور	١٥٢٣
١٤٨٨	الحسنة والعدالة الثامنة	سنة تسع وخمسين ومائة	١٥٢٣
١٤٩٠	سنة ثلاث وثلاثين ومائة	سنة ستين ومائة من الهجرة	١٥٢٤
١٤٩٠	سنة أربع وثلاثين ومائة	ذكر البيعة لموسى الهادي هارون الرشيد	١٥٢٤
١٤٩١	سنة خمس وثلاثين ومائة	سنة إحدى وستين ومائة	١٥٢٥
١٤٩١	سنة ست وثلاثين ومائة	سنة ثنتين وستين ومائة	١٥٢٦
١٤٩١	ترجمة أبي العباس السفاح وذكر وفاته	سنة ثلاث وستين ومائة	١٥٣١
١٤٩٢	خلافة أبي جعفر المنصور	سنة أربع وستين ومائة	١٥٣١
١٤٩٣	سنة سبع وثلاثين ومائة	سنة خمس وستين ومائة	١٥٣١
	ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس على ابن	سنة ست وستين ومائة	١٥٣٢
١٤٩٣	أخيه المنصور	سنة سبع وستين ومائة	١٥٣٢
١٤٩٣	ذكر مهلك أبي مسلم الخراساني	سنة ثمان وستين ومائة	١٥٣٣
١٤٩٥	ترجمة أبي مسلم الخراساني	سنة تسع وستين ومائة	١٥٣٤
١٤٩٨	سنة ثمان وثلاثين ومائة	خلافة موسى الهادي بن المهدي	١٥٣٦
١٤٩٨	سنة تسع وثلاثين ومائة	سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية	١٥٣٧
١٤٩٨	سنة أربعين ومائة	وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي	١٥٣٧
١٤٩٩	سنة إحدى وأربعين ومائة	خلافة هارون الرشيد بن المهدي	١٥٣٨
١٤٩٩	سنة ثنتين وأربعين ومائة	سنة إحدى وسبعين ومائة	١٥٣٨
١٥٠١	سنة ثلاث وأربعين ومائة	سنة ثنتين وسبعين ومائة	١٥٣٩
١٥٠١	سنة أربع وأربعين ومائة	سنة ثلاث وسبعين ومائة	١٥٣٩
١٥٠٢	سنة خمس وأربعين ومائة	سنة أربع وسبعين ومائة	١٥٤٠
١٥٠٣	فصل في ذكر مقتل محمد بن عبد الله بن حسن	سنة خمس وسبعين ومائة	١٥٤٠
١٥٠٤	خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن	سنة ست وسبعين ومائة	١٥٤١
١٥٠٥	ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة وكيفيته ومقتله	سنة سبع وسبعين ومائة	١٥٤٣
١٥٠٨	سنة ست وأربعين ومائة	سنة ثمان وسبعين ومائة	١٥٤٣
	ذكر ما ورد في مدينة بغداد من الآثار والتنبيه على ضعف ما روي	سنة تسع وسبعين ومائة	١٥٤٤
١٥١٠	فيها من الأخبار	سنة ثمانين ومائة	١٥٤٤
١٥١٠	فصل في ذكر محاسن بغداد وما روي فيها عن الأئمة الثقات	وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان	١٥٤٥
١٥١١	سنة سبع وأربعين ومائة	سنة إحدى وثمانين ومائة	١٥٤٦
١٥١٢	سنة ثمان وأربعين ومائة	سنة ثنتين وثمانين ومائة	١٥٤٧
١٥١٢	وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان، منهم	سنة ثلاث وثمانين ومائة	١٥٤٨
١٥١٢	سنة تسع وأربعين ومائة	سنة أربع وثمانين ومائة	١٥٤٩
١٥١٢	سنة خمسين ومائة من الهجرة	سنة خمس وثمانين ومائة	١٥٤٩
١٥١٣	سنة إحدى وخمسين ومائة	سنة ست وثمانين ومائة	١٥٥٠
١٥١٤	بناء الرصافة	سنة سبع وثمانين ومائة	١٥٥١
١٥١٤	سنة ثنتين وخمسين ومائة	مهلك البرامكة	١٥٥١
١٥١٤	سنة ثلاث وخمسين ومائة	سنة ثمان وثمانين ومائة	١٥٥٦
١٥١٥	سنة أربع وخمسين ومائة	سنة تسع وثمانين ومائة	١٥٥٦
١٥١٦	سنة خمس وخمسين ومائة	سنة تسع ومائة من الهجرة	١٥٥٧
١٥١٧	سنة ست وخمسين ومائة	سنة إحدى وتسعين ومائة	١٥٥٨

١٥٩٠	سنة ثمان عشرة ومائتين	١٥٥٩	سنة ثنتين وتسعين ومائة
١٥٩٠	ذكر أول الحنة والفتنة	١٥٦١	سنة ثلاث وتسعين ومائة
١٥٩١	فصل:	١٥٦٢	ذكر وفاة هارون الرشيد
١٥٩١	ترجمة المأمون	١٥٦٢	ترجمته
١٥٩٤	خلافة المعتصم بالله أبي إسحاق بن هارون الرشيد	١٥٦٦	ذكر زوجاته وبنيه وبناته
١٥٩٤	سنة تسع عشرة ومائتين		خلافة محمد الأمين ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي
١٥٩٥	سنة عشرين ومائتين من الهجرة	١٥٦٦	جعفر المنصور
١٥٩٥	سنة إحدى وعشرين ومائتين	١٥٦٦	اختلاف الأمين والمأمون
١٥٩٥	سنة ثنتين وعشرين ومائتين	١٥٦٧	سنة أربع وتسعين ومائة
١٥٩٥	ذكر مسك بابك الخرمي وأسرته وقبيله	١٥٦٧	سنة خمس وتسعين ومائة
١٥٩٦	سنة ثلاث وعشرين ومائتين	١٥٦٨	وفيهما كانت وفاة جماعة من الأعيان
١٥٩٦	ذكر فتح عمورية على يد المعتصم	١٥٧٢	سنة ست وتسعين ومائة
١٥٩٨	ذكر مقتل العباس بن المأمون		سبب خلع محمد الأمين وكيف أفضت الخلافة إلى أخيه عبد الله
١٥٩٨	سنة أربع وعشرين ومائتين	١٥٧٢	المأمون
١٥٩٩	سنة خمس وعشرين ومائتين	١٥٧٣	سنة سبع وتسعين ومائة
١٦٠٠	سنة ست وعشرون ومائتين	١٥٧٤	سنة ثمان وتسعين ومائة
١٦٠١	سنة سبع وعشرين ومائتين	١٥٧٤	ذكر كيفية مقتله
١٦٠١	ذكر وفاة المعتصم	١٥٧٤	وهذا شيء من ترجمة الأمين
١٦٠٢	خلافة الراحل هارون بن المعتصم	١٥٧٦	خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد
١٦٠٣	سنة ثمان وعشرين ومائتين	١٥٧٦	سنة تسع وتسعين ومائة
١٦٠٤	سنة تسع وعشرين ومائتين	١٥٧٦	سنة مائتين من الهجرة النبوية
١٦٠٤	سنة ثلاثين ومائتين	١٥٧٧	سنة إحدى ومائتين
١٦٠٥	سنة إحدى وثلاثين ومائتين	١٥٧٧	ذكر بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي
١٦٠٧	سنة ثنتين وثلاثين ومائتين	١٥٧٨	سنة ثنتين ومائتين
١٦٠٨	خلافة الترتكل على الله جعفر بن المعتصم بالله	١٥٧٨	سنة ثلاث ومائتين
١٦٠٨	سنة ثلاث وثلاثين ومائتين	١٥٧٨	ذكر خلع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي ودعائهم للمأمون
١٦٠٩	سنة أربع وثلاثين ومائتين	١٥٧٩	سنة أربع ومائتين
١٦٠٩	سنة خمس وثلاثين ومائتين	١٥٧٩	أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
١٦١٠	سنة ست وثلاثين ومائتين	١٥٨١	سنة خمس ومائتين
١٦١٠	سنة سبع وثلاثين ومائتين	١٥٨٣	سنة ست ومائتين
١٦١١	سنة ثمان وثلاثين ومائتين	١٥٨٣	سنة سبع ومائتين
١٦١١	سنة تسع وثلاثين ومائتين	١٥٨٤	سنة ثمان ومائتين
١٦١٢	سنة أربعين ومائتين من الهجرة النبوية	١٥٨٥	سنة تسع ومائتين
١٦١٢	ترجمة: أحمد بن أبي ذؤاد القاضي	١٥٨٥	سنة عشر ومائتين
١٦١٤	سنة إحدى وأربعين ومائتين	١٥٨٦	ظهور إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه
١٦١٥	ولنذكر شيئاً من أخبار الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	١٥٨٦	عرس بوران
١٦٢٣	سنة ثنتين وأربعين ومائتين	١٥٨٦	سنة إحدى عشرة ومائتين
١٦٢٤	سنة ثلاث وأربعين ومائتين	١٥٨٧	سنة اثني عشرة ومائتين
١٦٢٤	سنة أربع وأربعين ومائتين	١٥٨٧	سنة ثلاث عشرة ومائتين
١٦٢٥	سنة خمس وأربعين ومائتين	١٥٨٨	سنة أربع عشرة ومائتين
١٦٢٥	سنة ست وأربعين ومائتين	١٥٨٨	سنة خمس عشرة ومائتين
١٦٢٦	سنة سبع وأربعين ومائتين	١٥٨٩	سنة ست عشرة ومائتين
١٦٢٦	ترجمة المتوكل على الله	١٥٨٩	زبيدة امرأة هارون الرشيد وابنة عمه
١٦٢٧	خلافة محمد المتوكل بن المتوكل	١٥٩٠	سنة سبع عشرة ومائتين

١٦٥٧	سنة ثمان وسبعين ومائتين	١٦٢٨	سنة ثمان وأربعين ومائتين
١٦٥٨	ترجمة أبي أحمد الموفق	١٦٢٨	خلافة المستعين بالله
١٦٥٨	سنة تسع وسبعين ومائتين	١٦٢٩	سنة تسع وأربعين ومائتين
١٦٥٩	خلافة المعتضد بالله	١٦٣٠	سنة خمسين ومائتين من الهجرة
١٦٦٠	سنة ثمانين ومائتين من الهجرة	١٦٣٠	سنة إحدى وخمسين ومائتين
١٦٦٠	بناء دار الخلافة ببغداد	١٦٣٢	سنة اثنتين وخمسين ومائتين
١٦٦١	سنة إحدى وثمانين ومائتين		ذكر خلافة المعز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين
١٦٦١	سنة ثنتين وثمانين ومائتين	١٦٣٢	نفسه
١٦٦٢	سنة ثلاث وثمانين ومائتين	١٦٣٣	ذكر مقتل المستعين
١٦٦٣	سنة أربع وثمانين ومائتين	١٦٣٣	وفي هذه السنة مات
١٦٦٥	سنة خمس وثمانين ومائتين	١٦٣٣	سنة ثلاث وخمسين ومائتين
١٦٦٥	سنة ست وثمانين ومائتين	١٦٣٤	سنة أربع وخمسين ومائتين
١٦٦٦	ظهور أبي سعيد الجناتي رأس القرامطة قبحهم الله ولعنهم	١٦٣٥	سنة خمس وخمسين ومائتين
١٦٦٧	سنة سبع وثمانين ومائتين	١٦٣٥	موت الخليفة المعز بالله
١٦٦٧	وفيها قتل	١٦٣٥	خلافة المهدي بالله
١٦٦٧	سنة ثمان وثمانين ومائتين	١٦٣٦	ذكر خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت ظهر بالبصرة
١٦٦٨	سنة تسع وثمانين ومائتين	١٦٣٧	سنة ست وخمسين ومائتين
١٦٦٨	ترجمة المعتضد		ذكر خلع المهدي بالله وولاية المعتضد أحمد بن المتوكل وإيراد
١٦٧٢	خلافة المكتفي بالله أبي محمد	١٦٣٨	شيء من فضائل المهدي
١٦٧٢	سنة تسعين ومائتين	١٦٣٨	خلافة المعتضد على الله بن المتوكل على الله ويعرف بابن تقيان
١٦٧٣	سنة إحدى وتسعين ومائتين	١٦٤٠	سنة سبع وخمسين ومائتين
١٦٧٤	سنة ثنتين وتسعين ومائتين	١٦٤١	سنة ثمان وخمسين ومائتين
١٦٧٤	سنة ثلاث وتسعين ومائتين	١٦٤٢	سنة تسع وخمسين ومائتين
١٦٧٥	سنة أربع وتسعين ومائتين	١٦٤٢	سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية
١٦٧٥	ذكر مقتل زكرويه لعنه الله	١٦٤٢	سنة إحدى وستين ومائتين
١٦٧٦	سنة خمس وتسعين ومائتين		وهذا ذكر شيء من أخبار مسلم بن الحجاج على سبيل الاختصار
	وفاته الخليفة المكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد وهذه ترجمته	١٦٤٣	رحم الله وأكرم مثواه
١٦٧٦	وذكر وفاته	١٦٤٤	سنة ثنتين وستين ومائتين
١٦٧٧	خلافة المعتز بالله أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر بن المعتضد	١٦٤٤	سنة ثلاث وستين ومائتين
١٦٧٨	سنة ست وتسعين ومائتين	١٦٤٥	سنة أربع وستين ومائتين
١٦٧٨	ابن المعز الشاعر الذي بوع بالخلافة	١٦٤٥	سنة خمس وستين ومائتين
١٦٧٩	سنة سبع وتسعين ومائتين	١٦٤٦	سنة ست وستين ومائتين
١٦٨٠	سنة ثمان وتسعين ومائتين	١٦٤٦	سنة سبع وستين ومائتين
١٦٨٢	سنة تسع وتسعين ومائتين		ذكر مسير أبي أحمد الموفق إلى المدينة التي فيها صاحب الزنج وهي
١٦٨٢	سنة ثلاثمائة من الهجرة النبوية	١٦٤٧	المختارة ليحاصرها
١٦٨٣	سنة إحدى وثلاثمائة من الهجرة النبوية	١٦٤٧	سنة ثمان وستين ومائتين
١٦٨٤	سنة ثنتين وثلاثمائة	١٦٤٨	سنة تسع وستين ومائتين
١٦٨٥	سنة ثلاث وثلاثمائة	١٦٤٨	سنة سبعين ومائتين من الهجرة
١٦٨٦	سنة أربع وثلاثمائة	١٦٥٠	سنة مائتين وإحدى وسبعين
١٦٨٧	سنة خمس وثلاثمائة	١٦٥١	سنة ثنتين وسبعين ومائتين
١٦٨٧	سنة ست وثلاثمائة	١٦٥٢	سنة ثلاث وسبعين ومائتين
١٦٨٨	سنة سبع وثلاثمائة	١٦٥٢	سنة أربع وسبعين ومائتين
١٦٨٩	سنة ثمان وثلاثمائة	١٦٥٣	سنة خمس وسبعين ومائتين
١٦٨٩	سنة تسع وثلاثمائة	١٦٥٤	سنة ست وسبعين ومائتين
١٦٩٤	سنة عشر وثلاثمائة	١٦٥٥	سنة سبع وسبعين ومائتين

١٦٩٥	أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله:	سنة أربعين وثلاثمائة
١٦٩٦	سنة إحدى عشرة وثلاث مئة	سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة
١٦٩٦	سنة ثني عشرة وثلاثمائة	سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة
١٦٩٨	سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة	سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة
١٦٩٨	سنة أربع عشرة وثلاثمائة	سنة أربع وأربعين وثلاثمائة
١٦٩٩	سنة خمس عشرة وثلاثمائة	سنة خمس وأربعين وثلاثمائة
١٧٠٠	سنة ست عشرة وثلاثمائة	سنة ست وأربعين وثلاثمائة
١٧٠١	سنة سبع عشرة وثلاثمائة	سنة سبع وأربعين وثلاثمائة
	ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم ما كان منهم إلى	سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة
١٧٠١	الحجيج لمن الله القرامطة	سنة تسع وأربعين وثلاثمائة
١٧٠٣	سنة ثمان عشرة وثلاثمائة	سنة خمسين وثلاثمائة
١٧٠٤	سنة تسع عشرة وثلاثمائة	سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة
١٧٠٥	سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة	دخول الروم إلى حلب
١٧٠٦	ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين	سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة
١٧٠٦	خلافة القاهرة	سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة
١٧٠٧	سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة	ومن توفي فيها من الأعيان
١٧٠٧	ذكر ابتداء أمر بني بويه وظهور دولتهم في هذه السنة	سنة أربع وخمسين وثلاثمائة
١٧٠٩	سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة	سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
١٧٠٩	ذكر خلع القاهرة وسمي عينه	ترجمة النعمان ملك الأرمن واسمه الدُمُشَقُ
١٧٠٩	خلافة الرازي بالله أبي الباس محمد بن المقتدر بالله	سنة ست وخمسين وثلاثمائة
١٧١٠	وفاة المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا	سنة سبع وخمسين وثلاثمائة
١٧١١	سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة	سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة
١٧١٢	سنة أربع وعشرين وثلاثمائة	دخول جرّهم القائد إلى الديار المصرية
١٧١٣	سنة خمس وعشرين وثلاثمائة	سنة تسع وخمسين وثلاثمائة
١٧١٤	سنة ست وعشرين وثلاثمائة	سنة ستين وثلاثمائة
١٧١٤	سنة سبع وعشرين وثلاثمائة	سنة إحدى وستين وثلاثمائة
١٧١٥	سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة	سنة اثنتين وستين وثلاثمائة
١٧١٧	سنة تسع وعشرين وثلاثمائة	سنة ثلاث وستين وثلاثمائة
١٧١٨	ذكر خلافة المتقي أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله	خلافة الطائع وخلع أبيه المطيع لله
١٧١٩	سنة ثلاثين وثلاثمائة	ذكر الحرب بين المعز الفاطمي والحسن بن أحمد القرمطي
١٧٢١	سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة	ملك المعز الفاطمي دمشق وانتزاعه إياها من يد القرامطة
١٧٢٢	سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة	سنة أربع وستين وثلاثمائة
١٧٢٣	سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة	ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين
١٧٢٤	خلافة المستنفي بالله أبي القاسم عبد الله بن المكتفي ابن المعتض	سنة خمس وستين وثلاثمائة
١٧٢٤	سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة	المعز الفاطمي
١٧٢٤	ذكر أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد	سنة ست وستين وثلاثمائة
١٧٢٤	ذكر القبض على الخليفة المستنفي وخلعه	ابتداء ملك بني سبكتكين والد محمود صاحب غزنة
١٧٢٥	خلافة المطيع لله	سنة سبع وستين وثلاثمائة
١٧٢٨	سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة	صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وأخذ عضد الدولة
١٧٢٩	سنة ست وثلاثين وثلاثمائة	المرسل وأعمالها
١٧٣٠	سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة	سنة ثمان وستين وثلاثمائة
١٧٣٠	سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة	سنة تسع وستين وثلاثمائة
١٧٣١	وفاة الخليفة المستنفي بالله	سنة سبعين وثلاثمائة
١٧٣١	سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة	سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

١٧٩٥	سنة عشرين وأربعمئة	١٧٦٧	سنة ثنتين وسبعين وثلاثمئة
١٧٩٦	سنة إحدى عشرة وأربعمئة	١٧٦٧	ذكر شيء من أخبار عقد الدولة
١٧٩٦	سنة مئة مئة لعنة الله	١٧٦٨	سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة
١٧٩٧	سنة اثني عشرة وأربعمئة	١٧٦٨	سنة أربع وسبعين وثلاثمئة
١٧٩٨	سنة ثلاث عشرة وأربعمئة	١٧٦٨	وفيها كانت وفاة
١٧٩٩	سنة أربع عشرة وأربعمئة	١٧٦٩	سنة خمس وسبعين وثلاثمئة
١٧٩٩	سنة خمسة عشرة وأربعمئة	١٧٦٩	سنة ست وسبعين وثلاثمئة
١٨٠٠	سنة ست عشرة وأربعمئة	١٧٦٩	سنة سبع وسبعين وثلاثمئة
١٨٠١	سنة سبع عشرة وأربعمئة	١٧٧٠	سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة
١٨٠١	سنة ثمان عشرة وأربعمئة	١٧٧٠	سنة تسع وسبعين وثلاثمئة
١٨٠٣	سنة تسع عشرة وأربعمئة	١٧٧١	ثم استهلكت سنة ثمانين وثلاثمئة من الهجرة
١٨٠٣	سنة عشرين وأربعمئة	١٧٧١	سنة إحدى وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٤	سنة إحدى وعشرين وأربعمئة	١٧٧٢	سنة ثنتين وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٥	سنة ثنتين وعشرين وأربعمئة	١٧٧٣	سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٦	خلافة القائم بالله	١٧٧٣	سنة أربع وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٦	سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة	١٧٧٤	سنة خمس وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٧	سنة أربع وعشرين وأربعمئة	١٧٧٦	سنة ست وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٨	سنة خمس وعشرين وأربعمئة	١٧٧٦	العزیز بن المعز الفاطمي صاحب مصر
١٨٠٨	سنة ست وعشرين وأربعمئة	١٧٧٧	سنة سبع وثمانين وثلاثمئة
١٨٠٩	سنة سبع وعشرين وأربعمئة	١٧٧٨	سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة
١٨١٠	سنة ثمان وعشرين وأربعمئة	١٧٧٩	سنة تسع وثمانين وثلاثمئة
١٨١١	سنة تسع وعشرين وأربعمئة	١٧٧٩	سنة تسعين وثلاثمئة
١٨١٢	سنة ثلاثين وأربعمئة	١٧٨٠	سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة
١٨١٣	سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة	١٧٨١	سنة ثنتين وتسعين وثلاثمئة
١٨١٣	سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٢	سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة
١٨١٤	سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٢	سنة أربع وتسعين وثلاثمئة
١٨١٤	سنة أربع وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٣	سنة خمس وتسعين وثلاثمئة
١٨١٥	سنة خمس وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٣	سنة ست وتسعين وثلاثمئة
	ذكر ملك أبي كالبجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة بن بهاء الدولة	١٧٨٤	سنة سبع وتسعين وثلاثمئة
١٨١٥		١٧٨٤	سنة ثمان وتسعين وثلاثمئة
١٨١٥	سنة ست وثلاثين وأربعمئة		قصة مصحف عبد الله بن مسعود <small>عليه السلام</small> وتخریقه عن فتيا الشيخ أبي حامد الإسفراييني
١٨١٦	سنة سبع وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٥	
١٨١٦	سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٥	ذكر تخريب قنطرة في هذه السنة
١٨١٧	سنة تسع وثلاثين وأربعمئة	١٧٨٦	سنة تسع وتسعين وثلاثمئة
١٨١٨	سنة أربعين وأربعمئة	١٧٨٦	سنة أربعمئة من الهجرة النبوية
١٨١٨	سنة إحدى وأربعين وأربعمئة	١٧٨٧	سنة إحدى وأربعمئة
١٨١٩	سنة ثنتين وأربعين وأربعمئة	١٧٨٨	سنة ثنتين وأربعمئة
١٨٢٠	سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة	١٧٨٨	ذكر الطعن في نسب الفاطميين من أئمة بغداد وغيرها من البلاد
١٨٢٠	سنة أربع وأربعين وأربعمئة	١٧٨٩	سنة ثلاث وأربعمئة
١٨٢١	سنة خمس وأربعين وأربعمئة	١٧٩١	سنة أربع وأربعمئة
١٨٢١	ومن توفي فيها من الأعيان	١٧٩١	سنة خمس وأربعمئة
١٨٢١	سنة ست وأربعين وأربعمئة	١٧٩٢	سنة ست وأربعمئة
١٨٢٢	سنة سبع وأربعين وأربعمئة	١٧٩٤	سنة سبع وأربعمئة
١٨٢٢	سنة ثمان وأربعين وأربعمئة	١٧٩٤	سنة ثمان وأربعمئة
١٨٢٤	سنة تسع وأربعين وأربعمئة	١٧٩٥	سنة تسع وأربعمئة

١٨٥٨	سنة ست وثمانين وأربعمائة	١٨٢٦	سنة حسين وأربعمائة من الهجرة النبوية
١٨٥٨	سنة سبع وثمانين وأربعمائة	١٨٢٨	سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
١٨٥٨	صفة موته (المقتدي)	١٨٢٨	فصل
١٨٥٩	شيء من ترجمة المقتدي بأمر الله	١٨٣٠	صفة أخذ الساسري قبحة الله تعالى
١٨٥٩	خلافة المستظهر بالله أبي العباس أحمد	١٨٣٠	سنة اثنين وخمسين وأربعمائة
١٨٥٩	سنة ثمان وثمانين وأربعمائة	١٨٣١	سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة
١٨٦١	سنة تسع وثمانين وأربعمائة	١٨٣٢	سنة أربع وخمسين وأربعمائة
١٨٦٢	سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة	١٨٣٢	سنة خمس وخمسين وأربعمائة
١٨٦٢	سنة إحدى وتسعين وأربعمائة	١٨٣٢	دخول الملك طغرل بك علي بنت الخليفة
١٨٦٣	سنة اثنين وتسعين وأربعمائة	١٨٣٣	سنة ست وخمسين وأربعمائة
١٨٦٤	سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة	١٨٣٤	سنة سبع وخمسين وأربعمائة
١٨٦٤	سنة أربع وتسعين وأربعمائة	١٨٣٥	سنة ثمان وخمسين وأربعمائة
١٨٦٥	سنة خمس وتسعين وأربعمائة	١٨٣٦	سنة تسع وخمسين وأربعمائة
١٨٦٦	سنة ست وتسعين وأربعمائة		سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
١٨٦٦	سنة سبع وتسعين وأربعمائة	١٨٣٦	الصلاة والسلام
١٨٦٧	سنة ثمان وتسعين وأربعمائة	١٨٣٧	سنة إحدى وستين وأربعمائة
١٨٦٧	سنة تسع وتسعين وأربعمائة	١٨٣٧	سنة اثنين وستين وأربعمائة
١٨٦٨	سنة خمسمائة من الهجرة النبوية	١٨٣٨	سنة ثلاث وستون وأربعمائة
١٨٦٩	سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة	١٨٤٠	سنة أربع وستين وأربعمائة
١٨٦٩	سنة اثنين وخمسمائة	١٨٤٠	سنة خمس وستين وأربعمائة
١٨٧٠	سنة ثلاث وخمسمائة	١٨٤١	وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه
١٨٧٠	سنة أربع وخمسمائة	١٨٤٢	سنة ست وستين وأربعمائة
١٨٧١	سنة خمس وخمسمائة	١٨٤٢	صفة غرق بهنداد
١٨٧١	سنة ست وخمسمائة	١٨٤٢	سنة سبع وستين وأربعمائة
١٨٧٢	سنة سبع وخمسمائة	١٨٤٢	صفة موت الخليفة القائم بأمر الله
١٨٧٣	سنة ثمان وخمسمائة	١٨٤٣	خلافة المقتدي بأمر الله
١٨٧٣	سنة تسع وخمسمائة	١٨٤٤	سنة ثمان وستين وأربعمائة
١٨٧٣	سنة عشر وخمسمائة	١٨٤٤	سنة تسع وستين وأربعمائة
١٨٧٤	سنة إحدى عشرة وخمسمائة	١٨٤٦	سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة النبوية
١٨٧٥	سنة نتي عشرة وخمسمائة	١٨٤٧	سنة إحدى وسبعين وأربعمائة
١٨٧٥	وفاة الخليفة المستظهر بالله	١٨٤٧	سنة اثنين وسبعين وأربعمائة
١٨٧٥	خلافة المسترشد أمير المؤمنين: أبو منصور الفضل بن المستظهر	١٨٤٧	سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة
١٨٧٦	سنة ثلاث عشرة وخمسمائة	١٨٤٨	سنة أربع وسبعين وأربعمائة
١٨٧٦	سنة أربع عشرة وخمسمائة	١٨٤٨	سنة خمس وسبعين وأربعمائة
١٨٧٧	ومن توفي فيها من الأعيان	١٨٤٩	سنة ست وسبعين وأربعمائة
١٨٧٧	سنة خمس عشرة وخمسمائة	١٨٥٠	سنة سبع وسبعين وأربعمائة
١٨٧٩	سنة ست عشرة وخمسمائة	١٨٥٠	سنة ثمان وسبعين وأربعمائة
١٨٨٠	سنة سبع عشرة وخمسمائة	١٨٥١	سنة تسع وسبعين وأربعمائة
١٨٨٠	سنة ثمان عشر وخمسمائة	١٨٥٢	سنة ثمانين وأربعمائة
١٨٨١	سنة تسع عشرة وخمسمائة	١٨٥٣	سنة إحدى وثمانين وأربعمائة
١٨٨١	سنة عشرين وخمسمائة من الهجرة	١٨٥٤	سنة اثنين وثمانين وأربعمائة
١٨٨٢	سنة إحدى وعشرين وخمسمائة	١٨٥٤	سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة
١٨٨٣	سنة اثنين وعشرين وخمسمائة	١٨٥٤	سنة أربع وثمانين وأربعمائة
١٨٨٣	سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة	١٨٥٥	سنة خمس وثمانين وأربعمائة

سنة أربع وعشرين وخمسمائة	١٨٨٣	سنة إحدى وستين وخمسمائة	١٩٠٧
قتل خليفة مصر الفاطمي:	١٨٨٤	سنة ثنتين وستين وخمسمائة	١٩٠٧
سنة خمس وعشرين وخمسمائة	١٨٨٤	فتح الإسكندرية على يد أسد الدين شيركوه	١٩٠٨
سنة ست وعشرين وخمسمائة	١٨٨٥	سنة ثلاث وستين وخمسمائة	١٩٠٨
سنة سبع وعشرين وخمسمائة	١٨٨٥	سنة أربع وستين وخمسمائة	١٩٠٩
سنة ثمان وعشرين وخمسمائة	١٨٨٦	ذكر قتل الطواشي مؤمنين بالخلافة، وأصحابه، على يد الملك صلاح الدين	١٩١٠
سنة تسع وعشرين وخمسمائة	١٨٨٧	وقعة السودان	١٩١٠
ذكر شيء من ترجمة المسترشد، رحمه الله	١٨٨٧	سنة خمس وستين وخمسمائة	١٩١١
خلافة الراشد بالله أبي جعفر منصور بن المسترشد	١٨٨٧	سنة ست وستين وخمسمائة	١٩١٢
سنة ثلاثين وخمسمائة	١٨٨٨	خلافة المستضيء	١٩١٢
خلافة المفتي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله	١٨٨٨	سنة سبع وستين وخمسمائة	١٩١٣
فائدة حسنة ينهي التنبه عليها	١٨٨٨	موت المعاضد آخر الخلفاء العيليين	١٩١٣
سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة	١٨٨٩	سنة ثمان وستين وخمسمائة	١٩١٥
سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة	١٨٨٩	فتح بلاد النوبة	١٩١٥
سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة	١٨٩٠	سنة تسع وستين وخمسمائة	١٩١٧
سنة أربع وثلاثين وخمسمائة	١٨٩١	فصل في وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سفر الزنكي السلجوقي في هذه السنة رحمه الله وذكر شيء من سيرته المعادلة وأيامه الكاملة	١٩١٩
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة	١٨٩١	صفة نور الدين رحمه الله تعالى	١٩٢٢
سنة ست وثلاثين وخمسمائة	١٨٩٢	فصل	١٩٢٢
سنة سبع وثلاثين وخمسمائة	١٨٩٢	سنة سبعين وخمسمائة	١٩٢٣
سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة	١٨٩٢	فصل	١٩٢٣
سنة تسع وثلاثين وخمسمائة	١٨٩٢	فصل	١٩٢٣
سنة أربعين وخمسمائة	١٨٩٣	سنة إحدى وسبعين وخمسمائة	١٩٢٥
سنة إحدى وأربعين وخمسمائة	١٨٩٣	فصل	١٩٢٥
سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة	١٨٩٤	سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة	١٩٢٦
سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة	١٨٩٤	سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة	١٩٢٧
سنة أربع وأربعين وخمسمائة	١٨٩٥	سنة أربع وسبعين وخمسمائة	١٩٢٨
سنة خمس وأربعين وخمسمائة	١٨٩٦	سنة خمس وسبعين وخمسمائة	١٩٣٠
سنة ست وأربعين وخمسمائة	١٨٩٧	وفيها كانت وقعة مرج عيون	١٩٣٠
سنة سبع وأربعين وخمسمائة	١٨٩٧	تخريب حصن الأحزان وهو قريب من صفد	١٩٣٠
سنة ثمان وأربعين وخمسمائة	١٨٩٨	ذكر وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله وشيء من ترجمته	١٩٣١
سنة تسع وأربعين وخمسمائة	١٨٩٨	خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء	١٩٣١
سنة خمسين وخمسمائة هجرية	١٨٩٨	سنة ست وسبعين وخمسمائة	١٩٣١
سنة إحدى وخمسين وخمسمائة	١٨٩٩	وفاة توراتشاه أخي السلطان	١٩٣١
ذكر حصار بغداد	١٨٩٩	سنة سبع وسبعين وخمسمائة	١٩٣٣
سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة	١٩٠٠	ذكر وفاة الملك الصالح إسماعيل بن الملك نور الدين الشهيد صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور	١٩٣٣
سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة	١٩٠١	سنة ثمان وسبعين وخمسمائة	١٩٣٤
سنة أربع وخمسين وخمسمائة	١٩٠٢	فصل	١٩٣٤
سنة خمس وخمسين وخمسمائة	١٩٠٢	فصل في وفاة الملك المنصور عز الدين	١٩٣٤
خلافة المستجد بالله أبي المظفر يوسف بن المفتي	١٩٠٢	سنة تسع وسبعين وخمسمائة	١٩٣٥
سنة ست وخمسين وخمسمائة	١٩٠٣	فصل	١٩٣٥
سنة سبع وخمسين وخمسمائة	١٩٠٤	فصل	١٩٣٦
سنة ثمان وخمسين وخمسمائة	١٩٠٥		
سنة تسع وخمسين وخمسمائة	١٩٠٥		
وقعة حارم	١٩٠٥		
سنة ستين وخمسمائة	١٩٠٦		

١٩٧٤	سنة أربع وستمائة	١٩٣٦	سنة ثمانين وخمسمائة
١٩٧٦	سنة خمس وستمائة	١٩٣٦	سنة إحدى وثمانين وخمسمائة
١٩٧٦	سنة ست وستمائة	١٩٣٨	سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة
١٩٧٨	سنة سبع وستمائة	١٩٣٨	سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
١٩٧٩	ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين		ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة واستغاده من أيدي النصارى،
١٩٨١	سنة ثمان وستمائة	١٩٤٠	بعد ثنتين وتسعين سنة
١٩٨١	سنة تسع وستمائة	١٩٤٠	ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه
١٩٨٢	سنة عشر وستمائة	١٩٤١	نكتة غريبة
١٩٨٣	سنة إحدى عشرة وستمائة	١٩٤٢	فصل
١٩٨٤	سنة اثني عشرة وستمائة	١٩٤٣	سنة أربع وثمانين وخمسمائة
١٩٨٥	سنة ثلاث عشرة وستمائة	١٩٤٣	فصل في صفة فتح صفد وحصن كوكب
١٩٨٧	سنة أربع عشرة وستمائة	١٩٤٤	سنة خمس وثمانين وخمسمائة
١٩٨٨	سنة خمس عشرة وستمائة	١٩٤٤	قصة عكا وما كان من أمرها
١٩٨٩	صفة أخذ الفرنج ديباط	١٩٤٤	وقعة مرج عكا
١٩٩٠	سنة ست عشرة وستمائة	١٩٤٥	سنة ست وثمانين وخمسمائة
١٩٩٠	ظهر جنكيز خان وجنوده وعبورهم نهر جيحون	١٩٤٦	فصل
١٩٩٢	سنة سبع عشرة وستمائة	١٩٤٧	فصل
١٩٩٦	سنة ثمان عشرة وستمائة	١٩٤٧	فصل
١٩٩٧	سنة تسع عشرة وستمائة	١٩٤٧	فصل
١٩٩٨	سنة عشرين وستمائة	١٩٤٧	فصل
١٩٩٩	سنة إحدى وعشرين وستمائة	١٩٤٨	فصل
٢٠٠٠	سنة ثنتين وعشرين وستمائة	١٩٤٨	سنة سبع وثمانين وخمسمائة
٢٠٠٠	وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر		فصل في كيفية أخذ العدو المخدول مدينة عكا من أيدي السلطان
٢٠٠١	خلافة الظاهر بن الناصر	١٩٤٩	تسراً
٢٠٠٣	سنة ثلاث وعشرين وستمائة	١٩٥٠	فصل فيما جرى من الحوادث بعد أخذ الفرنج عكا
٢٠٠٣	وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر	١٩٥١	سنة ثمان وثمانين وخمسمائة
	خلافة المستنصر بالله العباسي أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن	١٩٥٣	سنة تسع وثمانين وخمسمائة
٢٠٠٤	الظاهر محمد بن الناصر أحمد	١٩٥٤	ذكر تركه وشيء من ترجمته
٢٠٠٥	سنة أربع وعشرين وستمائة	١٩٥٥	فصل
٢٠٠٨	سنة خمس وعشرين وستمائة	١٩٥٦	سنة تسعين وخمسمائة
٢٠٠٨	سنة ست وعشرين وستمائة	١٩٥٧	سنة إحدى وتسعين وخمسمائة
٢٠١٠	سنة سبع وعشرين وستمائة	١٩٥٨	سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة
٢٠١٠	سنة ثمان وعشرين وستمائة	١٩٥٨	سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
٢٠١٢	سنة تسع وعشرين وستمائة	١٩٦٠	سنة أربع وتسعين وخمسمائة
٢٠١٣	سنة ثلاثين وستمائة	١٩٦٠	سنة خمس وتسعين وخمسمائة
٢٠١٥	سنة إحدى وثلاثين وستمائة	١٩٦٠	فيها كانت وفاة الملك العزيز صاحب مصر
٢٠١٧	سنة ثنتين وثلاثين وستمائة	١٩٦٢	سنة ست وتسعين وخمسمائة
٢٠١٧	سنة ثلاث وثلاثين وستمائة	١٩٦٤	سنة سبع وتسعين وخمسمائة
٢٠١٨	سنة أربع وثلاثين وستمائة	١٩٦٧	سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
٢٠١٩	سنة خمس وثلاثين وستمائة	١٩٦٨	سنة تسع وتسعين وخمسمائة
٢٠٢٠	ذكر وفاة الملك الكامل محمد بن العادل	١٩٦٩	سنة ستمائة من الهجرة النبوية
٢٠٢١	سنة ست وثلاثين وستمائة	١٩٧١	سنة إحدى وستمائة
٢٠٢٢	سنة سبع وثلاثين وستمائة	١٩٧٢	سنة ثنتين وستمائة
٢٠٢٣	سنة ثمان وثلاثين وستمائة	١٩٧٣	سنة ثلاث وستمائة

٢٠٦٠	ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها	٢٠٢٣	سنة تسع وثلاثين وستمائة
٢٠٦١	مولد الشيخ تقي الدين	٢٠٢٤	سنة أربعين وستمائة
٢٠٦١	سنة ثنتين وستين وستمائة	٢٠٢٥	خلافة المستصم بالله: أمير المؤمنين
٢٠٦٢	سنة ثلاث وستين وستمائة	٢٠٢٦	سنة إحدى وأربعين وستمائة
٢٠٦٣	سنة أربع وستين وستمائة	٢٠٢٧	سنة اثنتين وأربعين وستمائة
٢٠٦٤	سنة خمس وستين وستمائة	٢٠٢٧	سنة ثلاث وأربعين وستمائة
٢٠٦٥	سنة ست وستين وستمائة	٢٠٣٠	سنة أربع وأربعين وستمائة
٢٠٦٥	فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى	٢٠٣٠	سنة خمس وأربعين وستمائة
٢٠٦٦	وفيه توفي	٢٠٣١	سنة ست وأربعين وستمائة
٢٠٦٦	سنة سبع وستين وستمائة	٢٠٣٢	سنة سبع وأربعين وستمائة
٢٠٦٧	سنة ثمان وستين وستمائة	٢٠٣٣	ومن قتل في هذه السنة
٢٠٦٨	سنة تسع وستين وستمائة	٢٠٣٣	سنة ثمان وأربعين وستمائة
٢٠٧٠	سنة سبعين وستمائة من الهجرة		تغلب الملك المعز عز الدين أيك التركماني مصر بعد بني أيوب
٢٠٧٠	سنة إحدى وسبعين وستمائة	٢٠٣٣	وتداول دولة الأتراك
٢٠٧٢	سنة ثنتين وسبعين وستمائة		ذكر الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر فاتح القدس
٢٠٧٣	سنة ثلاث وسبعين وستمائة	٢٠٣٣	صاحب حلب لدمشق حرسها الله تعالى
٢٠٧٣	سنة أربع وسبعين وستمائة		ذكر شيء من ترجمة الصالح أبي الحيش إسماعيل واقف تربة أم
٢٠٧٤	سنة خمس وسبعين وستمائة	٢٠٣٤	الصالح
٢٠٧٤	وقعة البليستين وفتح قيسارية	٢٠٣٤	سنة تسع وأربعين وستمائة
٢٠٧٥	سنة ست وسبعين وستمائة	٢٠٣٥	سنة خمسين وستمائة هجرية
٢٠٧٨	سنة سبع وسبعين وستمائة	٢٠٣٦	سنة إحدى وخمسين وستمائة
٢٠٨١	سنة ثمان وسبعين وستمائة	٢٠٣٦	سنة اثنتين وخمسين وستمائة
٢٠٨١	ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامش	٢٠٣٦	سنة ثلاث وخمسين وستمائة
٢٠٨١	ذكر بيعه الملك المنصور قلاوون الصالح	٢٠٣٧	سنة أربع وخمسين وستمائة
٢٠٨٢	ذكر سلطنة سقر الأشقر بدمشق	٢٠٤٠	سنة خمس وخمسين وستمائة
٢٠٨٢	سنة تسع وسبعين وستمائة	٢٠٤٢	سنة ست وخمسين وستمائة
٢٠٨٣	سنة ثمانين وستمائة من الهجرة	٢٠٤٦	فصل
٢٠٨٤	وقعة حمص	٢٠٤٦	فصل
٢٠٨٦	سنة إحدى وثمانين وستمائة	٢٠٤٨	سنة سبع وخمسين وستمائة
٢٠٨٧	سنة ثنتين وثمانين وستمائة	٢٠٤٩	ولاية الملك المظفر قطز
٢٠٨٨	سنة ثلاث وثمانين وستمائة	٢٠٥٠	سنة ثمان وخمسين وستمائة
٢٠٨٩	سنة أربع وثمانين وستمائة	٢٠٥٠	أخذ التار حلب ودمشق
٢٠٨٩	سنة خمس وثمانين وستمائة	٢٠٥٠	صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم عنها سريعاً
٢٠٩٠	سنة ست وثمانين وستمائة	٢٠٥١	وقعة عين جالوت
٢٠٩١	سنة سبع وثمانين وستمائة	٢٠٥٢	ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري يبرس البندقداري
٢٠٩٢	سنة ثمان وثمانين وستمائة	٢٠٥٥	سنة تسع وخمسين وستمائة
٢٠٩٣	سنة تسع وثمانين وستمائة		ذكر البيعة بالخلافة للمستصم بالله أبي القاسم أحمد ابن أمير
٢٠٩٤	وفاة الملك المنصور قلاوون		المؤمنين الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين
٢٠٩٥	سنة تسعين وستمائة من الهجرة		الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي وهو عم
٢٠٩٥	ذكر فتح عكا وبقية السراجل	٢٠٥٦	المستصم
٢٠٩٨	سنة إحدى وتسعين وستمائة	٢٠٥٦	تولية الخليفة المستصم بالله للملك الظاهر السلطنة
٢٠٩٨	فتح قلعة الروم	٢٠٥٨	سنة ستين وستمائة
٢١٠٠	سنة ثنتين وتسعين وستمائة	٢٠٥٨	ذكر بيعه الحاكم بأمر الله العباسي
٢١٠١	سنة ثلاث وتسعين وستمائة	٢٠٥٩	سنة إحدى وستين وستمائة
٢١٠٢	واقعة عساف النصراني	٢٠٦٠	ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

٢١٤٨	سنة ثمان عشرة وسبعمئة	٢١٠٣	سنة أربع وتسعين وستمئة
٢١٥١	سنة تسع عشرة وسبعمئة	٢١٠٣	ذكر سلطنة الملك العادل كتباً
٢١٥٢	سنة عشرين وسبعمئة	٢١٠٥	سنة خمس وتسعين وستمئة
٢١٥٤	سنة إحدى وعشرين وسبعمئة	٢١٠٧	سنة ست وتسعين وستمئة
٢١٥٥	سنة اثنين وعشرين وسبعمئة	٢١٠٨	سلطنة الملك منصور لاجين السلحدار
٢١٥٧	سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة	٢١٠٩	سنة سبع وتسعين وستمئة
٢١٥٩	سنة أربع وعشرين وسبعمئة	٢١١٠	سنة ثمان وتسعين وستمئة
٢١٦٢	سنة خمس وعشرين وسبعمئة		ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون
٢١٦٤	سنة ست وعشرين وسبعمئة	٢١١٠	سنة تسع وتسعين وستمئة
٢١٦٧	سنة سبع وعشرين وسبعمئة	٢١١٢	سنة تسع وتسعين وستمئة
٢١٦٩	سنة ثمان وعشرين وسبعمئة	٢١١٢	وقعة قازان
٢١٧٠	ذكر وفاة شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية	٢١١٦	سنة سبعمئة من الهجرة النبوية
٢١٧٣	سنة تسع وعشرين وسبعمئة	٢١١٧	سنة إحدى وسبعمئة
٢١٧٦	سنة ثلاثين وسبعمئة	٢١١٨	خلافة المستنفي بالله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي
٢١٧٨	سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة	٢١١٩	سنة اثنين وسبعمئة من الهجرة
٢١٨٠	سنة اثنين وثلاثين وسبعمئة	٢١١٩	عجبة من عجائب البحر
٢١٨١	سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة	٢١٢٠	أوائل وقعة شقحب
٢١٨٣	سنة أربع وثلاثين وسبعمئة	٢١٢١	وقعة شقحب
٢١٨٣	قضية القاضي ابن جملة	٢١٢٢	سنة ثلاث وسبعمئة
٢١٨٦	سنة خمس وثلاثين وسبعمئة	٢١٢٤	سنة أربع وسبعمئة
٢١٨٧	سنة ست وثلاثين وسبعمئة	٢١٢٥	سنة خمس وسبعمئة
٢١٨٩	سنة سبع وثلاثين وسبعمئة		ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية مع الأهلية، وكيف عقدت له المجالس الثلاثة
٢١٩٠	سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة	٢١٢٥	أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية
٢١٩٢	سنة تسع وثلاثين وسبعمئة	٢١٢٦	سنة ست وسبعمئة
٢١٩٣	سنة أربعين وسبعمئة	٢١٢٧	سنة سبع وسبعمئة
٢١٩٣	سبب مسك تنكز	٢١٢٩	سنة ثمان وسبعمئة
٢١٩٤	سنة إحدى وأربعين وسبعمئة	٢١٣٠	ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير
٢١٩٥	ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون	٢١٣١	سنة تسع وسبعمئة
٢١٩٥	سنة اثنين وأربعين وسبعمئة		صفة عود الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون، وزوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلولي
٢١٩٦	كائنة غريبة جداً	٢١٣٢	ذكر مقتل الجاشنكير
٢١٩٧	كائنة غريبة جداً	٢١٣٤	سنة عشر وسبعمئة
٢١٩٨	عجبة من عجائب الدهر	٢١٣٥	سنة إحدى عشرة وسبعمئة
٢٢٠٠	سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة	٢١٣٦	سنة اثني عشرة وسبعمئة
٢٢٠٣	سنة أربع وأربعين وسبعمئة	٢١٣٨	نيابة تنكز على الشام
٢٢٠٤	سنة خمس وأربعين وسبعمئة	٢١٣٩	سنة ثلاث عشرة وسبعمئة
٢٢٠٦	سنة ست وأربعين وسبعمئة	٢١٤٠	سنة أربع عشرة وسبعمئة
٢٢٠٦	وفاة الملك الصالح إسماعيل	٢١٤١	سنة خمس عشرة وسبعمئة
٢٢٠٧	سنة سبع وأربعين وسبعمئة	٢١٤٢	فتح ملطية
٢٢٠٨	سنة ثمان وأربعين وسبعمئة	٢١٤٣	سنة ست عشرة وسبعمئة
٢٢١٠	مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر	٢١٤٦	سنة سبع عشرة وسبعمئة
٢٢١٠	سنة تسع وأربعين وسبعمئة	٢١٤٧	صفة خروج المهدي الفضال بأرض جيلة
٢٢١٢	سنة خمسين وسبعمئة		
٢٢١٣	مسك نائب السلطنة أرغون شاه		
٢٢١٣	كائنة عجبة غريبة جداً		

٢٢٣٥.....	تنبه على واقعة غريبة واتفاق عجيب	٢٢١٤.....	سنة إحدى وخمسين وسبعماية
٢٢٣٦.....	خروج ملك الأمراء يدمر من دمشق إلى غزة	٢٢١٤.....	ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية
٢٢٣٧.....	وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربي عقبة سجورا	٢٢١٦.....	سنة اثنين وخمسين وسبعماية
٢٢٣٧.....	سبب خروج يدمر من القلعة وصفة ذلك	٢٢١٦.....	كائنة غريبة جداً
.....	دخول السلطان محمد ابن الملك أمير حاج ابن الملك محمد ابن	ملكة السلطان الملك الصالح: صلاح الدين صالح بن الناصر
٢٢٣٧.....	الملك قلاوون إلى دمشق في جيش وأمراته	٢٢١٧.....	محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالح
٢٢٣٨.....	خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر	٢٢١٧.....	سنة ثلاث وخمسين وسبعماية
٢٢٣٩.....	سنة ثلاث وستين وسبعماية	٢٢١٧.....	ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق
٢٢٣٩.....	منام غريب جداً	بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل
٢٢٤٠.....	موت الخليفة المعتضد بالله	٢٢١٨.....	يقارب الخمسة
٢٢٤٠.....	خلافة التوكل على الله	٢٢١٨.....	دخول بيغا أروس إلى دمشق
٢٢٤١.....	أعجوبة من العجائب	٢٢١٩.....	قتل الأمراء السبعة من أصحاب بيغا
٢٢٤١.....	عزل الأمير علي عن نيابة دمشق المحروسة	٢٢٢٠.....	خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى بلاد مصر
.....	طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي الشافعي	٢٢٢٠.....	سنة أربع وخمسين وسبعماية
٢٢٤١.....	إلى الديار المصرية معزولاً عن قضاء دمشق	٢٢٢٠.....	ذكر أمر غريب جداً
٢٢٤٢.....	أعجوبة أخرى غريبة	٢٢٢١.....	سنة خمس وخمسين وسبعماية
٢٢٤٢.....	دخول نائب السلطنة سيف الدين قشتمر	٢٢٢١.....	نادوة من الغرائب
.....	قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين	٢٢٢٢.....	عودة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون
٢٢٤٢.....	عوضاً عن أخيه قاضي القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب	٢٢٢٢.....	سنة ست وخمسين وسبعماية
٢٢٤٢.....	سنة أربع وستين وسبعماية	٢٢٢٣.....	سنة سبع وخمسين وسبعماية
٢٢٤٣.....	بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم	٢٢٢٤.....	سنة ثمان وخمسين وسبعماية
٢٢٤٤.....	غريبة من الغرائب وعجبة من العجائب	٢٢٢٤.....	كائنة غريبة جداً
.....	سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين: شعبان بن حسين ابن الملك	٢٢٢٥.....	وفاة أرغون الكامي باني اليمارستان محلب
٢٢٤٤.....	الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء، خامس عشر شعبان	٢٢٢٥.....	وفاة الأمير شيخون
.....	وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة المَحْجَبِي الشافعي	٢٢٢٥.....	سنة تسع وخمسين وسبعماية
٢٢٤٥.....	ومباشرة قاضي القضاة تاج الدين الشافعي بعده	٢٢٢٦.....	دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة
٢٢٤٦.....	دخول نائب السلطنة منكلي بفا	٢٢٢٦.....	عزل القضاة الثلاثة بدمشق
٢٢٤٦.....	سنة خمس وستين وسبعماية	٢٢٢٧.....	مسك الأمير طرغتمش أتاك الأمراء بالديار المصرية
٢٢٤٧.....	فتح باب كيسان بعد خلقه نحواً من مائتي سنة	٢٢٢٧.....	إعادة القضاة
.....	تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق منذ ولم يفتح ذلك فيما أعلم	٢٢٢٧.....	عزل منجك عن دمشق
٢٢٤٨.....	فتوح الشام إلى الآن	٢٢٢٧.....	سنة ستين وسبعماية
٢٢٤٨.....	سنة ست وستين وسبعماية	٢٢٢٨.....	مسك الأمير علي المارداني نائب الشام
٢٢٤٨.....	قتل الرافضي الحثيث	كائنة وقعت بقرية حوران فأوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا
٢٢٤٨.....	استنابة ولي الدين بن أبي البقاء السبكي	٢٢٢٨.....	الشهر الشريف
.....	ولاية قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء السبكي قضاء مصر بعد	٢٢٢٩.....	دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين أسدندر الجياوي
٢٢٤٩.....	عزل عز الدين بن جماعة نفسه	٢٢٢٩.....	سنة إحدى وستين وسبعماية
٢٢٥٠.....	طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب	٢٢٢٩.....	مسك منجك وصفة الظهور عليه وكان تخفياً بدمشق حوال سنة ٢٢٢٩
٢٢٥٠.....	سنة سبع وستين وسبعماية	٢٢٣٠.....	الاحتياط على الكتيبة والدواوين
٢٢٥٠.....	استيلاء الفرنج لعنهم الله على الإسكندرية	٢٢٣٠.....	موت فياض بن مهنا
٢٢٥١.....	عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي	٢٢٣٠.....	كائنة عجيبة جداً هي المعلم سنجر مملوك بن هلال
٢٢٥٢.....	عود قاضي القضاة السبكي إلى دمشق	٢٢٣١.....	مسك نائب السلطنة أسدندر الجياوي
٢٢٥٢.....	الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية	٢٢٣١.....	دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين يدمر إلى دمشق
٢٢٥٢.....	عما يتعلق بأمر بغداد	٢٢٣٢.....	الأمر بإلزام القلندرية بترك حلق لحامهم وحواجبهم وشواربهم
٢٢٥٢.....	وفاة قاضي القضاة عز الدين	٢٢٣٢.....	سنة اثنين وستين وسبعماية
٢٢٥٣.....	درس التفسير بالجامع الأموي	٢٢٣٤.....	سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد

سنة ثمان وستين وسبع مئة.....	٢٢٥٣
سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية.....	٢٢٥٣
مقتل بليغا الأمير الكبير.....	٢٢٥٤